



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر  
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.ir

تفسير

# الاصطلاحات الشرعية

١-٥

تأليف

العلامة الفقيه الخليلي  
آية الله العظمى السيد الخليلي

مطبعة المعارف والادب  
بيروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# تفسير الصراط المستقيم

كاتب:

آيت الله سيد حسين طباطبائي بروجردى

نشرت فى الطباعة:

انصاريان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٢٥	تفسير الصراط المستقيم
٢٥	اشارة
٢٥	الجزء الأول
٢٥	المقدمة
٢٥	اشارة
٢٨	المفسرون المشاهير من الصحابة
٣١	نموذج من أسماء المفسرين الى عصر المؤلف
٧٥	ترجمة المؤلف الكتاب (الصراط المستقيم)
٧٥	- حياة المؤلف -
٧٦	- مشايخه و أساتذته -
٧٧	- كلمات العلماء فى حقّه -
٧٨	- وفاته -
٧٨	- آثاره العلميّة -
٧٩	- كلمة حول الصراط المستقيم -
٧٩	- أولاده -
٨٠	[مقدمة المؤلف و خطبته الشريفة]
٨٣	الباب الأول:
٨٣	اشارة
٨٣	الفصل الأول
٨٩	الفصل الثانى
١١٢	الفصل الثالث
١٢١	الفصل الرابع

١٣٢	الباب الثاني
١٣٢	اشارة
١٣٢	الفصل الاول
١٣٨	الفصل الثاني
١٤٧	الباب الثالث
١٧٦	الباب الرابع
١٧٦	اشارة
١٧٦	الفصل الأول
١٩٢	الفصل الثاني
٢٢٠	الفصل الثالث
٢٢٠	اشارة
٢٣٥	في أقسام الوحي
٢٦٠	الجزء الثاني
٢٦٠	اشارة
٢٦٠	الباب الخامس
٢٧١	الباب السادس
٢٧١	اشارة
٢٧١	الفصل الأول
٢٧٩	الفصل الثاني
٢٨٢	الفصل الثالث
٢٨٢	اشارة
٢٨٥	تذييل
٢٩١	الفصل الرابع
٢٩١	اشارة

٣٠٠	تبصرة في أقسام النسخ
٣٠٤	الفصل الخامس
٣٢٧	الباب السابع
٣٢٧	اشارة
٣٢٧	الفصل الأول
٣٢٩	الفصل الثاني
٣٣٤	الفصل الثالث
٣٣٧	الفصل الرابع
٣٤٣	الفصل الخامس
٣٤٨	الباب الثامن
٣٤٥	الباب التاسع
٣٨٥	الباب العاشر
٣٨٥	اشارة
٤٠٠	الفرق بين القرآن و الحديث القدسى
٤٠١	الباب الحادى عشر
٤٠١	اشارة
٤٠١	الفصل الأول
٤٠٨	الفصل الثانى
٤٢٥	الفصل الثالث
٤٣٢	الباب الثانى عشر
٤٣٢	اشارة
٤٣٢	الفصل الأول
٤٣٢	اشارة
٤٤٤	حرمة الغناء:

٤٥٩	بقى فى المقام أمور:
٤٦١	الفصل الثانى
٤٦١	الترتيل
٤٨٠	فى مراعاة المدّ
٤٨٤	فى مراعاة التشديد
٤٩٢	الفصل الثالث
٥١٤	الباب الثالث عشر
٥٣١	الباب الرابع عشر
٥٤٦	الجزء الثالث
٥٤٦	اشارة
٥٤٦	سورة الفاتحة
٥٤٦	اشارة
٥٤٧	[السورة فى الاصطلاح
٥٤٩	[أسماء السورة المباركة]
٥٥١	[الكتاب التدوينى و التكوينى
٥٦٦	[عدد آياتها]
٥٦٩	الاستعاذة
٥٦٩	اشارة
٥٦٩	حكم الاستعاذة
٥٧١	محل الاستعاذة فى الصلاة
٥٧٨	فهنا مباحث:
٥٧٩	المستعاذ منه
٥٩٢	تبصرة عرفانية
٦٠٣	تنبيه



- ٦٠٤ ..... [سورة الفاتحة (١): آية ١]
- ٦٠٥ ..... في تفسير بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
- ٦٠٥ ..... اشارة
- ٦١٠ ..... الفصل الأول
- ٦١٠ ..... الباء
- ٦٢٦ ..... إيراد مقال لدفع إشكال
- ٦٤١ ..... الفصل الثاني
- ٦٤١ ..... في الاسم
- ٦٤٨ ..... استبصار
- ٦٥٧ ..... تنبيه نبيه
- ٦٥٩ ..... إشارة لأهل البشارة
- ٦٦٣ ..... الفصل الثالث
- ٦٦٣ ..... في المباحث المتعلقة بلفظة الله
- ٦٧١ ..... تجديد للكلام و عود للمرام
- ٦٧٦ ..... إيراد مقال لدفع إشكال
- ٦٧٩ ..... تنبيه
- ٦٨٧ ..... أيقاظ و استيقاق في تحقيق الاشتقاق
- ٦٩٥ ..... الفصل الرابع
- ٦٩٥ ..... في المباحث المتعلقة بالاسمين العظيمين الكريمين
- ٧٠٣ ..... إيراد مقال لدفع إشكال
- ٧٠٤ ..... تنبيه
- ٧٠٧ ..... تبصرة
- ٧١٠ ..... ختام و تكملة في انتظام الأسماء الثلاثة في البسملة
- ٧١٣ ..... تتمه مهمة في فضائل البسملة المروية عن الأئمة عليهم السلام

- ٧٢١ ..... [سورة الفاتحة (١): آية ٢]
- ٧٢١ ..... [في تفسير الحمد لله رب العالمين]
- ٧٢١ ..... الفصل الأول فيما يتعلق بالحمد
- ٧٢١ ..... اشارة
- ٧٢٦ ..... تبصرة عرفانية
- ٧٢٧ ..... نفحات قدسية
- ٧٣٣ ..... درة بيضا في حقيقة اللواء
- ٧٣٨ ..... تنبيه
- ٧٤٠ ..... اشارة الى معنى الالف و اللام في الحمد
- ٧٤٤ ..... الفصل الثاني فيما يتعلق بقوله تعالى «الله»
- ٧٤٧ ..... الفصل الثالث في معنى كلمة «رب»
- ٧٤٧ ..... اشارة
- ٧٥٢ ..... تبصرة
- ٧٥٨ ..... إحقاق و إزهاق
- ٧٥٩ ..... تتميم نفعه عميم
- ٧٦٤ ..... عود إلى الحقيق بطرز أنيق
- ٧٦٨ ..... نفحات غيبوبية في أن العبودية جوهرة كنهها الربوبية
- ٧٧٢ ..... إشارة إلى ما يسمونه رب النوع
- ٧٨١ ..... الفصل الرابع في البحث عن قوله تعالى «العالمين»
- ٧٨١ ..... اشارة
- ٧٩٢ ..... تنبيه
- ٧٩٣ ..... إزهاق و إحقاق
- ٧٩٤ ..... نمط آخر في تعدد عالم الأكوان
- ٧٩٨ ..... تذييل و تكميل

- ٨٠٠ ..... وصل
- ٨٠٢ ..... إيراد كلام لنقض إبرام
- ٨٠٣ ..... القراءة
- ٨٠٨ ..... تنبيه
- ٨١٠ ..... معترضه استطرادية في مسألة فقهية
- ٨١٦ ..... تفسير [سورة الفاتحة (١): الآيات ٤ الى ٥]
- ٨١٦ ..... فصل الدين
- ٨١٦ ..... اشارة
- ٨١٨ ..... أسماء القيامة
- ٨٢٠ ..... تبصرة
- ٨٢١ ..... إِيَّاكَ نَعْبُدُ
- ٨٢١ ..... فصل
- ٨٢١ ..... اللّغة و القراءة
- ٨٢١ ..... بحث نحوى فى ايتاك
- ٨٢٥ ..... نقل و افاده فى تحقيق العبادة
- ٨٣٣ ..... فى سز تقدم المفعول
- ٨٣٥ ..... استكشاف و استعانة عن حقيقة الاستعانة
- ٨٤٨ ..... [سورة الفاتحة (١): الآيات ٦ الى ٧]
- ٨٤٨ ..... تفسير فى اهدنا الصراط المستقيم
- ٨٤٨ ..... (وصل)
- ٨٤٨ ..... القراءة
- ٨٥٠ ..... دراية فى معنى الهداية
- ٨٥٦ ..... اشارة إلى مراتب الهداية
- ٨٦٥ ..... كلام فى المقام لبعض الاعلام

- ٨٦٦ ..... إيراد و دفع
- ٨٦٩ ..... كشف ايماني بتعليم رباني
- ٨٧٢ ..... إرشاد و هداية في تفسير الصراط
- ٨٨٠ ..... فتح للباب و كشف الحجاب
- ٨٨٢ ..... إيراد كلام لدفع أوهام
- ٩٠١ ..... عود إلى الكلام لإتمام المرام:
- ٩٠٥ ..... نقد و تحصيل
- ٩١٣ ..... تبصرة
- ٩١٥ ..... بسط في الكلام لبيان معنى الإنعام
- ٩١٨ ..... تتممة مهممة في أن النعمة هي الولاية
- ٩٢٣ ..... غَيْرِ الْمُعْضُوبِ عَلَيْهِمْ
- ٩٢٣ ..... وصل
- ٩٢٥ ..... القراءة و الإعراب
- ٩٣١ ..... تحقيق لمعنى الغضب
- ٩٣٧ ..... نمط آخر من الكلام لتنقيح المرام
- ٩٤٧ ..... تبصرة و إستبصار لمن أراد حسن الإختيار
- ٩٦٠ ..... ختام به الإتمام
- ٩٦٧ ..... فضل سورة الفاتحة
- ٩٧١ ..... الجزء الرابع
- ٩٧١ ..... اشارة
- ٩٧١ ..... تفسير سورة البقرة
- ٩٧١ ..... وجه التسمية:
- ٩٧٢ ..... فضل السورة
- ٩٧٤ ..... نزول السورة

- ٩٧٥ ..... عدد الآيات
- ٩٧٧ ..... [سورة البقرة (٢): آية ١]
- ٩٧٧ ..... اشارة
- ٩٧٧ ..... البحث الأول: العوالم الإلهية
- ٩٧٧ ..... عالم الحروف
- ٩٧٧ ..... اشارة
- ٩٧٨ ..... مراتب الحروف
- ٩٧٨ ..... اشارة
- ٩٧٨ ..... الحروف الأصلية الأولية:
- ٩٧٩ ..... الحروف الحقيقية المعنوية
- ٩٧٩ ..... الحروف الشبيهة الظلية
- ٩٧٩ ..... الحروف المتنزلة الفكرية
- ٩٧٩ ..... الحروف العددية
- ٩٨٠ ..... الحروف اللفظية
- ٩٨١ ..... الحروف الكتابية
- ٩٨٢ ..... [البحث الثاني عدد الحروف العربية
- ٩٨٢ ..... اشارة
- ٩٨٤ ..... منازل القمر
- ٩٨٧ ..... البحث الثالث: انقسام الحروف
- ٩٨٩ ..... البحث الرابع: اشتغال الحروف على علوم جمّة
- ٩٨٩ ..... اشارة
- ٩٩٢ ..... الحروف المقطعة في القرآن
- ٩٩٥ ..... البحث الخامس دلالة الحروف قبل التركيب
- ٩٩٩ ..... البحث السادس دلالة الحروف و الألفاظ على مدلولاتها هل هو بالوضع أو ذاتي

- ٩٩٩ ..... اشارة
- ١٠٠٠ ..... تفسير الحروف المقطعة فى القرآن
- ١٠٠٠ ..... الوجوه الستة المستفاده من الأحاديث
- ١٠٠٠ ..... اشارة
- ١٠٠٤ ..... تنبيه
- ١٠٠٦ ..... الوجه السابع أنها أسماء للسور
- ١٠٠٨ ..... الوجه الثامن أنها أسماء القرآن
- ١٠٠٨ ..... الوجه التاسع أنها أبعاض أسماء الله عزّ و جلّ
- ١٠٠٨ ..... وجوه آخر
- ١٠١١ ..... البحث السابع احكام الحروف و عوارضها
- ١٠١٨ ..... [سورة البقرة(٢): آية ٢]
- ١٠١٨ ..... اشارة
- ١٠٢٠ ..... ما هو المراد بالكتاب
- ١٠٢٢ ..... الكتاب بحسب اللغة
- ١٠٢٢ ..... قراءة غريبة
- ١٠٢٢ ..... تفسير لا ريب فيه
- ١٠٢٣ ..... اشارة
- ١٠٢٤ ..... قراءة شاذة
- ١٠٢٤ ..... الوقف
- ١٠٢٥ ..... القراءة
- ١٠٢٦ ..... تفسير فيه هدى
- ١٠٢٦ ..... اشارة
- ١٠٢٦ ..... أقسام الهداية
- ١٠٢٧ ..... وجه اختصاص الهدى بالمتقين

- درجات التقوى ..... ١٠٢٨
- المتقون شيعه أمير المؤمنين عليه السلام ..... ١٠٣٠
- وجوه إعراب الآيه ..... ١٠٣١
- [سورة البقرة(٢): آيه ٣] ..... ١٠٣٣
- اشارة ..... ١٠٣٣
- حقيقه الإيمان ..... ١٠٣٣
- إطلاقات الايمان ..... ١٠٣٥
- الإيمان بالغيب ..... ١٠٤٠
- البداء و دفع الإشكال ..... ١٠٤١
- تفسير وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ..... ١٠٤٣
- اشارة ..... ١٠٤٣
- الصلاة بحسب اللغة ..... ١٠٤٥
- تأويل الصلاة بالولاية ..... ١٠٤٨
- تفسير وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ..... ١٠٥٢
- اشارة ..... ١٠٥٢
- الإنفاق لغة و تفسيراً ..... ١٠٥٣
- اختصاص الرزق بالحلال ..... ١٠٥٤
- حقيقه الرزق ..... ١٠٥٥
- أقسام الرزق ..... ١٠٥٦
- الانفاق ببعض الرزق ..... ١٠٥٧
- [سورة البقرة(٢): آيه ٤] ..... ١٠٥٨
- اشارة ..... ١٠٥٨
- تفسير وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ..... ١٠٦٠
- اشارة ..... ١٠٦١

- ١٠٦١ ..... معنى اليقين لغة و اصطلاحا
- ١٠٦٢ ..... مقام اليقين
- ١٠٦٧ ..... [سورة البقرة(٢): آية ٥ ]
- ١٠٦٧ ..... اشارة
- ١٠٧٠ ..... معنى الفلاح
- ١٠٧١ ..... [سورة البقرة(٢): آية ٦ ]
- ١٠٧١ ..... اشارة
- ١٠٧١ ..... أقسام الكفر في كتاب الله
- ١٠٧٥ ..... كفر الخوارج و الغلاة
- ١٠٧٧ ..... الغلو الموجب للكفر
- ١٠٧٩ ..... التفويض و معناه الصحيح
- ١٠٧٩ ..... التفويض الموجب للكفر
- ١٠٨٢ ..... المعصومون عليهم السلام وسائط بين الخالق و الخلق
- ١٠٨٣ ..... المجتبره و المفوضه
- ١٠٨٤ ..... المجتسمه و كفرهم
- ١٠٨٦ ..... التناسخ
- ١٠٨٨ ..... شأن نزول الآية
- ١٠٨٨ ..... تفسير سواء عليهم
- ١٠٩١ ..... الإنذار و حقيقته
- ١٠٩٢ ..... القراءة
- ١٠٩٣ ..... جواز التكليف بالمحال و عدمه
- ١٠٩٥ ..... جواب شبهة العلم و الإخبار
- ١٠٩٨ ..... إعجاز الآية الكريمة
- ١١٠٠ ..... [سورة البقرة(٢): آية ٧ ]



- ١١٠٠ ..... اشارة
- ١١٠٠ ..... معنى الختم و القلب
- ١١٠١ ..... معنى القلب و أقسامه
- ١١٠٢ ..... علّة وحدة السمع
- ١١٠٣ ..... علّة تكرار حرف الجر
- ١١٠٤ ..... تتمّة في أمور مهمّة
- ١١٠٤ ..... وجوه القراءة في الآية
- ١١٠٥ ..... أقسام حجب القلب
- ١١٠٥ ..... اشارة
- ١١٠٥ ..... أولها و أرقها هو الغين
- ١١٠٥ ..... [ثانيها: الصء]
- ١١٠٦ ..... ثالثها: الزبغ بمعنى الميل عن الحق
- ١١٠٦ ..... رابعها: الطبع الذى هو فى الأصل الوسخ الشديء يغشى السيف
- ١١٠٦ ..... [خامسها: الختم
- ١١٠٦ ..... الوجوه التى قيلت فى الختم
- ١١١٢ ..... أفضلية السمع من البصر
- ١١١٢ ..... معنى العذاب العظيم
- ١١١٤ ..... [سورة البقرة(٢): آية ٨ ]
- ١١١٤ ..... اشارة
- ١١١٥ ..... (الناس) و اشتقاقه
- ١١١٧ ..... المنافقون من الناس
- ١١٢٠ ..... [سورة البقرة(٢): آية ٩ ]
- ١١٢٠ ..... اشارة
- ١١٢١ ..... الخدعة و المكر من صفات المنافقين

- ١١٢١ ..... المراد بالمخادعة
- ١١٢٤ ..... تفسير وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
- ١١٢٤ ..... [سورة البقرة(٢): آية ١٠ ]
- ١١٢٤ ..... اشارة
- ١١٢٤ ..... لكل من الجسم و الروح ستّة أحوال
- ١١٢٤ ..... المراد بالمرض فى قلوب المنافقين
- ١١٢٨ ..... القراءة الشاذة فى مَرَضٍ
- ١١٢٩ ..... القراءة الشاذة فى يَكْذِبُونَ
- ١١٣٠ ..... تعريف الكذب
- ١١٣١ ..... [سورة البقرة(٢): آية ١١ ]
- ١١٣١ ..... اشارة
- ١١٣١ ..... القراءة فى قِيلَ
- ١١٣٢ ..... معنى الفساد فى الأرض
- ١١٣٣ ..... [سورة البقرة(٢): آية ١٢ ]
- ١١٣٤ ..... [سورة البقرة(٢): آية ١٣ ]
- ١١٣٤ ..... اشارة
- ١١٣٥ ..... معنى السفاهة فى المنافقين
- ١١٣٧ ..... [سورة البقرة(٢): آية ١٤ ]
- ١١٣٧ ..... اشارة
- ١١٣٨ ..... قراءة شاذة فى خَلَوْا إِلَىٰ شَيْاطِينِهِمْ
- ١١٣٩ ..... معنى الاستهزاء
- ١١٣٩ ..... [سورة البقرة(٢): آية ١٥ ]
- ١١٣٩ ..... اشارة
- ١١٤٠ ..... معنى الاستهزاء بالنسبة الى الله سبحانه

- ١١٤٢ ..... القراءة في يمدُّهُمْ
- ١١٤٣ ..... [سورة البقرة(٢): آية ١٦ ]
- ١١٤٣ ..... اشارة
- ١١٤٤ ..... معنى اشتراء الضلالة
- ١١٤٧ ..... [سورة البقرة(٢): آية ١٧ ]
- ١١٤٧ ..... اشارة
- ١١٤٨ ..... مثل المنافقين في أعمالهم
- ١١٥٦ ..... التمثيل في هذه الآية المباركة
- ١١٥٧ ..... [سورة البقرة(٢): آية ١٨ ]
- ١١٥٧ ..... اشارة
- ١١٥٧ ..... صمم المنافقين و وجه التشبيه
- ١١٥٨ ..... وجه تقديم الصم على البكم و تأخير العمى في الآية
- ١١٥٩ ..... [سورة البقرة(٢): آية ١٩ ]
- ١١٥٩ ..... اشارة
- ١١٥٩ ..... وجه ذلك التمثيل
- ١١٦٣ ..... [سورة البقرة(٢): آية ٢٠ ]
- ١١٦٣ ..... اشارة
- ١١٦٦ ..... التشاجر في (القدر)
- ١١٦٩ ..... هل القدرة من صفات الذات أو من صفات الفعل
- ١١٧٢ ..... [سورة البقرة(٢): آية ٢١ ]
- ١١٧٢ ..... اشارة
- ١١٨٣ ..... يستدل بهذه الآية على أمور مهمّة
- ١١٨٤ ..... [سورة البقرة(٢): آية ٢٢ ]
- ١١٨٤ ..... اشارة

- ١١٨٨ ..... الاستدلال بالآية على تسطح الأرض و سكنها ليس صحيحا
- ١١٨٩ ..... الأدلة على كروية الأرض
- ١١٩١ ..... سكن الأرض و حركتها
- ١١٩١ ..... المراد بالسماء و منافعها للإنسان
- ١١٩٣ ..... منافع حركة الشمس
- ١١٩٣ ..... منافع القمر
- ١١٩٤ ..... اشكال و دفع
- ١١٩٥ ..... الحديث الدال على نزول الماء من الفلك
- ١١٩٧ ..... السماء جهة العلو
- ١١٩٨ ..... الجمع بين قول الطبيعيين و الأخبار
- ١١٩٩ ..... الثمرات من الماء
- ١١٩٩ ..... رد قول الأشاعرة
- ١٢٠٠ ..... الثمرة و إطلاقاتها
- ١٢٠٢ ..... فى تفسير كلمة الأنداد
- ١٢٠٥ ..... [سورة البقرة(٢): آية ٢٣]
- ١٢٠٥ ..... اشارة
- ١٢٠٧ ..... العبد و شرافته
- ١٢١٠ ..... تفسير فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ
- ١٢١٤ ..... تفسير وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
- ١٢١٦ ..... تفسير إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
- ١٢١٧ ..... [سورة البقرة(٢): آية ٢٤]
- ١٢١٧ ..... اشارة
- ١٢٢٤ ..... فى أن نار جهنم مخلوقة
- ١٢٢٧ ..... دليل اعجاز القرآن

- ١٢٢٧ ..... [سورة البقرة(٢): آية ٢٥]
- ١٢٢٧ ..... اشارة
- ١٢٣٠ ..... الجنات و نعيمها
- ١٢٣١ ..... أبواب الجنة
- ١٢٣٨ ..... بسط في المقال لتحقيق مسألة تجتم الأعمال
- ١٢٣٨ ..... اشارة
- الأول اعلم أن المتشبتين بذيل الإسلام قد اختلفوا في أن النعيم و الجحيم الموعودين في الدار الآخرة هل هما جسمانيان أو روحانيان أو هم
- ١٢٤٢ ..... البحث الثاني أن القائلين بالجنة و النار المحسوستين و لو في الجملة
- ١٢٥٢ ..... [سورة البقرة(٢): آية ٢٦]
- ١٢٥٢ ..... اشارة
- ١٢٤١ ..... حقيقة الإرادة و الكراهة
- ١٢٤٩ ..... معنى الإظلال المنسوب إلى الله سبحانه
- ١٢٧٤ ..... في الهداية و أقسامها
- ١٢٧٧ ..... [سورة البقرة(٢): آية ٢٧]
- ١٢٨٢ ..... فهرس الموضوعات
- ١٢٨٣ ..... الجزء الخامس
- ١٢٨٣ ..... اشارة
- ١٢٨٣ ..... تتمه سورة البقرة
- ١٢٨٤ ..... تفسير الآية ٢٨
- ١٢٨٩ ..... تفسير الآية ٢٩
- ١٣٠٧ ..... تفسير الآية (٣٠)
- ١٣٠٧ ..... اشارة
- ١٣١٨ ..... في حقيقة الملائكة
- ١٣٢١ ..... الملائكة عند الفلاسفة

- ١٣٢٢ ..... الملائكة عند النصارى و المجوس
- ١٣٢٢ ..... الملائكة عند أرباب الهياكل
- ١٣٢٣ ..... قول المشركين فى الملائكة
- ١٣٣٣ ..... بسط فى المقام للاشارة إلى عصمة الملائكة عليهم السلام دفعا لبعض الأوهام
- ١٣٣٩ ..... عصمة الملائكة و حقيقتها
- ١٣٤٠ ..... تفسير الآية (٣١)
- ١٣٤٠ ..... اشارة
- ١٣٤٠ ..... وجه تسمية آدم
- ١٣٤٥ ..... الأسماء التى علمها الله سبحانه آدم
- ١٣٥٠ ..... تفسير الآية (٣٢)
- ١٣٥٠ ..... تفسير الآية (٣٣)
- ١٣٥٠ ..... اشارة
- ١٣٥١ ..... الأقوال فى نبوة آدم حين تعلم الأسماء
- ١٣٥٣ ..... أسئلة و أجوبة
- ١٣٥٨ ..... فضل الأنبياء على الملائكة
- ١٣٧٠ ..... نقض و إبرام على دفع حجج مفضلى الملائكة على الأنبياء عليهم السلام
- ١٣٧٧ ..... دلالة الآيات الى المذهب الحق
- ١٣٧٨ ..... الخلافة من الله سبحانه
- ١٣٩٧ ..... التناسب بين اللفظ و المعنى
- ١٣٩٨ ..... تفسير الآية (٣٤)
- ١٣٩٨ ..... اشارة
- ١٣٩٩ ..... وقت الأمر بالسجود
- ١٤٠٠ ..... فى معنى السجود
- ١٤٠٠ ..... فلسفة سجود الملائكة لآدم

- ١٤٠٤ ..... الوجوه المحتملة في «خلق الله آدم على صورته»
- ١٤١٠ ..... إبليس كان من الجن
- ١٤١٥ ..... ما يستفاد من الآية الكريمة
- ١٤١٧ ..... تفسير الآية (٣٥)
- ١٤١٧ ..... اشارة
- ١٤٢٦ ..... في معنى الشجر لغة
- ١٤٢٦ ..... القراءة
- ١٤٢٦ ..... المراد بالشجرة المنهية
- ١٤٢٨ ..... تفسير الآية (٣٦)
- ١٤٢٨ ..... اشارة
- ١٤٢٩ ..... كيفية دخول إبليس الجنة
- ١٤٣٣ ..... مدة مكث آدم في الجنة
- ١٤٣٣ ..... تعدد الأيام و تغيرها
- ١٤٣٤ ..... مكان هبوط آدم و حواء
- ١٤٤٢ ..... تفسير الآية (٣٧)
- ١٤٤٢ ..... توبة آدم بواسطة الكلمات
- ١٤٤٣ ..... القراءة
- ١٤٤٣ ..... الكلمات و إطلاقاتها
- ١٤٤٦ ..... الكلمات التي تلقىها آدم (ع)
- ١٤٥٢ ..... تفسير الآية (٣٨)
- ١٤٥٦ ..... تفسير الآية (٣٩)
- ١٤٥٦ ..... اشارة
- ١٤٥٨ ..... بسط في المقام للتنبيه على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام
- ١٤٧٩ ..... مستطرف من الكلام في طرف من احوال آدم (عليه السلام)

- ١٤٩٢ ..... تفسير الآية (٤٠)
- ١٤٩٢ ..... اشارة
- ١٤٩٤ ..... إسرائيل فى اللغة
- ١٥٠٥ ..... تفسير الآية (٤١)
- ١٥٠٥ ..... اشارة
- ١٥١٠ ..... بحث صرفى لغوى نحوى
- ١٥١١ ..... تفسير الآية و باطنها و تأويلها
- ١٥١٣ ..... مسألة فقهية
- ١٥١٦ ..... فهرس الموضوعات
- ١٥١٦ ..... فهرس الأعلام
- ١٥١٧ ..... فهرس مصادر التحقيق
- ١٥١٨ ..... تعريف مركز



## تفسير الصراط المستقيم

## إشارة

سرشناسه : بروجردى، حسين بن رضا، ق ١٢٧٦ - ١٢٣٨  
 عنوان و نام پديد آور : تفسير الصراط المستقيم / تاليف حسين البروجردى؛ صححه و علق عليه غلامرضا بن على اكبر البروجردى  
 مشخصات نشر : قم: موسسه انصاريان، ١٤١٦ق. = - ١٣٧٤.  
 وضعيت فهرست نويسى : فهرست نويسى قبلى  
 يادداشت : عنوان ديگر: صراط المستقيم فى تفسير القرآن الكريم.  
 يادداشت : كتابنامه  
 عنوان ديگر : صراط المستقيم فى تفسير القرآن الكريم.  
 عنوان ديگر : صراط المستقيم فى تفسير القرآن الكريم  
 موضوع : تفاسير (سوره فاتحه)  
 موضوع : تفاسير (سوره بقره)  
 موضوع : تفسير  
 موضوع : تفاسير شيعه -- قرن ق ١٣  
 شناسه افزوده : مولانا بروجردى، غلامرضا، مصحح  
 رده بندي كنگره : BP١٠٢/ب٧٤٧  
 رده بندي ديويى : ٢٩٧/١٨  
 شماره كتابشناسى ملي : م٧٥-٢٦٣٤

## الجزء الأول

## المقدمة

## إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا، و الصلوة و السلام على النبى الامى الذى أرسله بالدين المشهور، و العلم  
 المأثور، و الكتاب المسطور، و النور الساطع، و الضياء اللامع، و الأمر الصادع، إزاحة للشبهات، و احتجاجا بالبينات، و تحذيرا بالآيات،  
 و تخويفا بالمثالات، و إخراجا إلى النور من الظلمات، و على أهل بيته الطيبين الطاهرين، مصايح الظلم، و عصم الأمم، ما أنار فجر  
 ساطع، و خوى نجم طالع.

أمّا بعد فيقول العبد الفقير إلى الله الغنى «غلام رضا بن على أكبر بن فضل الله ابن غفور، مولانا البروجردى» أنّ من أهم العلوم  
 الاسلاميه بل أشرفها و أفضلها العلم بالقرآن الكريم و حقائقه و اسراره. فإنّه الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و  
 هو حبل الله المتين، و النور المبين، و الشفاء النافع، و الدواء النافع، و الشافع المشفع، و الماحل المصدق. و هو الدليل على خير سبيل و  
 هو كتاب فيه تفصيل و بيان و تحصيل، الذى لا تحصى عجائبه، و لا تبلى غرائب، فيه مصايح الهدى، و منار الحكمة، و ختم الله به

الكتب، و أنزله على نبي ختم به الأنبياء، و هو

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٦

قانون السماء لهداية الأرض، و ملاذ الذين الأعلى يستند الإسلام إليه في عقائده و عباداته و حكمه و احكامه و آدابه و أخلاقه و قصصه و مواعظه و علومه و معارفه.

و هو عماد لغة العرب الأسمى، تدين له اللغة في بقائها و سلامتها، و تفوق سائر اللغات العالمية به في اساليبها و مادتها لذلك كان القرآن موضع العناية الكبرى من النبي الأعظم صلى الله عليه و آله، و صحابته و من سلف الأمة و خلفها جميعا إلى عصرنا هذا. و قد اتخذت هذه العناية أشكالا مختلفة، فتارة ترجع إلى لفظه و أدائه، و اخرى إلى أسلوبه و إعجازه، و ثالثة إلى كتابته و رسمه، و رابعة إلى تفسيره و شرحه إلى غير ذلك و قد أفرد العلماء كل ناحية من هذه النواحي بالبحث و التأليف، و وضعوا من أجلها العلوم، و دونوا الكتب، و صنّفوا في كل علم يخدم القرآن أو يستند إليه مثل علم التفسير، و علم القراءات، و علم قصص القرآن، و علم إعجاز القرآن، و علم غريب القرآن، و علم الناسخ و المنسوخ، و علم متشابهات القرآن، و علوم اخرى كثيرة حتى نقل عن أبي بكر بن العربي «١» في قانونه التأويل كما حكى السيوطي «٢» و صاحب مناهل العرفان أنه قال:

علوم القرآن ٧٧٤٥٠ علم، على عدد كلم القرآن.

و من أجل هذه العلوم علم التفسير، و ذلك لأنّ رقاء الأفراد و الأشخاص

(١) محمد بن علي بن المعروف بابن العربي الطائي الاندلسي الفيلسوف المتكلم ولد سنة (٥٦٠) و توفي بدمشق سنة (٦٣٨) هـ - الاعلام ج ٧ / ١٧٠-

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي الحافظ المؤرخ الأديب ولد سنة (٨٤٩) هـ و توفي سنة (٩١١) هـ - الاعلام ج ٤ / ٧١-

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٧

و نهضة الأمم و الجماعات لا تكون صحيحة إلّا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للبشر، و واضح أنّ العمل بهذه التعاليم لا يمكن إلّا بعد فهم القرآن و تدبره، و لذلك منزل القرآن حثنا بتدبره فقال سبحانه:

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا «١».

و التدبر في القرآن لا يختص بآية دون آية، و لا بقوم دون قوم آخر، حيث إنّ القرآن أنزل على قواعد لسان فصحاء العرب و مكالماتهم في أنديتهم و سائر محاوراتهم، و أجرى فيه علم طريقتهم من الاستعمالات الحقيقية و المجازية و الكنائية و غيرها ممّا يعرف مداليلها الظاهرة أهل اللسان، و يعرفها غيرهم بالتعلم لقواعد لغتهم، و أمّا حجّية جميع تلك الظواهر، و الحكم بكون كلّها مرادا واقعيّا لله تعالى فقد منعنا القرآن عنه، حيث صرح فيه بالترفة بين آياته فقال تعالى: مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ .. «٢».

جعل قسم المحكمات خاصّة أم الكتاب و الحجّة التي يرجع إليها و يؤخذ بظواهرها، و حكم في قسم المتشابهات بالوقوف عن التأويل و إيكال علمه إليه تعالى و إلى من خصّه الله تعالى بإفاضة العلوم اللدنية المعبر عنهم بالراسخين في العلم.

و الآراء في تعيين مصداق المحكم و المتشابهة مختلفة لكنّ الحقّ المختار لمحققى المفسرين أنّ الآيات المحكمات ما يصحّ الأخذ

(١) سورة محمد (ص): ٢٤.

(٢) آل عمران: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٨

بظواهرها، و يجوز الحكم بكونها مرادا واقعيًا، حيث إنّه لا يترتب على كون ظواهرها مرادا واقعيًا أمر باطل أو محال. والمتشابهات ما لا- يمكن فيها ذلك، إمّا لعدم ظاهر لها مثل المقطعات فى فواتح السور، أو للقطع بعدم كون ظواهرها مرادا واقعيًا للزوم الباطل و ترتب المحال، و بالجملة التعرّض للتأويلات و بيان المراد الواقعي فى المتشابهات لا- يجوز لغير الراسخين فى العلم الذين هم عدل القرآن و حملته و المنزل فى بيتهم الكتاب و قد خوطبوا به، فلا بدّ أن نأخذها عنهم، لأنّه لا يعرفها غيرهم بصريح القرآن.

و أمّا تفسير المحكمات فهو وظيفة الرّجال العارفين بقواعد اللغة العربيّة، نعم لا بدّ أن يكون استنباطهم للظواهر فى الآيات المحكمات مستندا إلى ما يفهم من نفس تلك القواعد، لا- أن يكون على حسب اقتضاء الآراء و الأقيسة و الاستحسانات أو الظنّ و التخمين و التخريصات، فإنّه قد ورد النهى الشديد عن التفسير بالرأى المراد به أمثال ما ذكر من الاستنباطات و بيان المراد الواقعي فى الآيات المتشابهات من عند أنفسهم لا- أخذًا عن أهلها، و إلّا فتفسير محكمات القرآن، و بيان المراد و المفهوم منها حسب قواعد اللغة من أفضل الأعمال و أشرفها لأشرفيّة موضوعها و غايتها، كما صدرت الأوامر الأكيدة عن المعصومين عليهم السلام بذلك. روى عنهم: «تعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث، و تفقهوا فيه إنّه ربيع القلوب، و استشفوا بنوره فإنّه شفاء الصدور، و أحسنوا تلاوته فإنّه أنفع القصص» (١).

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه صرّح بأنّ العمل بهذا القرآن موقوف

(١) البحار ج ٢ / ٣٦ ح ٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٩

على تفسيره و كشف المراد منه فى قضية التحكيم

بقوله عليه السلام: «هذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين الدقّتين لا ينطق بلسان، و لا بدّ له من ترجمان، و إنّما ينطق عنه الرجال» (١). فالقرآن مرشد صامت، و إنّما ينطق عنه لسان الناطقين، فهو حاكم محتاج يحتاج إلى ترجمان، فلا بدّ أن يقوم الرجال العارفون بالمراد من هذه الخطوط ببيانه و الكشف عنه و يسمّى هذا الكشف و البيان تفسيرًا. قال الطريحي (٢): «التفسير فى اللغة كشف معنى اللفظ و إظهاره، مأخوذ من الفسر و هو مقلوب السفر، يقال: أسفرت المرأة عن وجهها إذا كشفتته.

قال صاحب المناهل فى بيان الحاجة إلى التفسير ما ملّخصه:

القرآن إنّما نزل بلسان عربيّ مبين فى زمن أفصح العرب، فكانوا يعلمون ظواهره و أحكامه، و أمّا دقائقه فلا تظهر لهم إلّا بعد البحث و النظر و سؤالهم مثل قولهم: «و أينما لم يظلم نفسه؟» حينما نزل قوله تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ «٣» ففسره النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم بالشرك، و استدللّ بقوله سبحانه: إِنَّ الشُّرْكَ لُظْلَمٌ عَظِيمٌ «٤» فأول من فسّر القرآن هو رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، ثم صحابته الذين تعلّموا القرآن و دقائقه منه صلى الله عليه و آله و أفضلهم و أعلمهم هو مولانا و سيّدنا على بن أبى طالب عليه السلام لأنّه كان

(١) البحار ج ٣٣ / ٣٧٠ ح ٦٠٢.

(٢) الطريحي: فخر الدين بن محمّد بن على بن أحمد بن طريح الرماح النجفى المتوفّى سنة (١٠٨٥) هـ له مصنّفات منها «مجمع البحرين» فى تفسير غريب القرآن و الحديث.

(٣) سورة الأنعام: ٨٢.

(٤) سورة لقمان: ١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٠

باب مدينة العلم، كما

روى الفريقان عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: «أنا مدينة العلم وعلِّي بابها- فمن أراد العلم فليأت الباب».

أخرج الحديث الطبراني «١» في «الكبير» عن ابن عباس كما في «الجامع الصغير» ص ١٠٧ للسيوطي و أخرجه الحاكم «٢» في «المستدرک» ج ٣ ص ٢٢٦ بسندين صحيحين: أحدهما عن ابن عباس من طريقين صحيحين، و الآخر عن جابر بن عبد الله الأنصاري «٣»

وقد أفرد الإمام المغربي أحمد بن محمد بن محمد بن الصديق المعاصر لتصحيح هذا الحديث كتابا حافلا سماه «فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي» و قد طبع في مصر سنة (١٣٥٤) هـ.

و هو عليه السلام باب دار الحكمة، كما

اثر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أنا دار الحكمة وعلِّي بابها» أخرجه الترمذي «٤» في صحيحه و ابن جرير «٥» و نقله عنهما غير واحد من الأعلام كالمتقي الهندي «٦» في «كنز العمال ج ٦

(١) هو سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني الشامي المحدث الكبير، ولد سنة (٢٦٠) بعكا، و توفي بأصبهان سنة (٣٦٠) هـ- وفيات الأعيان ج ١/ ٢١٥-

(٢) الحاكم: محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع من أكابر المحدثين الحفاظ، ولد بنيسابور سنة (٣٢١) هـ و توفي بها سنة (٤٠٥) هـ.

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري صحابي جليل القدر كثير الرواية، ولد سنة (١٦) قبل الهجرة و توفي سنة (٧٨) هـ، و له في صحيح البخاري و مسلم و غيرهما (١٥٤٠) حديثا. - الاعلام ج ٧/ ٩٢-

(٤) الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى المحدث الحفاظ ولد سنة (٢٠٩) و توفي بترمذ (على نهر جيحون) سنة (٢٧٩) من تصانيفه «الجامع الكبير».

(٥) هو محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري المؤرخ المفسر، ولد في آمل طبرستان سنة (٢٢٤) هـ، و توفي ببغداد سنة (٣١٠) هـ.

(٦) المتقي الهندي: هو علي بن عبد الملك حسام الدين بن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي المكي المدني، ولد في رهانفور (من بلاد الدكن) نحو سنة (٨٩٥) و سكن المدينة و توفي بها سنة (٩٧٥) هـ، له مصنفات منها «كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال».

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١١

ص ٤٠١

و قال: قال ابن جرير: هذا خبر عندنا صحيح سنده.

### المفسرون المشاهير من الصحابة

قال السيوطي في «الإتقان»: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة:

الخلفاء الأربعة، و ابن مسعود، و ابن عباس، و أبي بن كعب «١»، و زيد بن ثابت «٢»، و أبو موسى الأشعري «٣»، و عبد الله بن الزبير «٤».

ثم قال: أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب كرم الله

(١) أبي بن كعب بن قيس الخزرجي الانصاري، صحابي كان قبل الإسلام من أخبار اليهود، ولما أسلم صار من كتّاب الوحي، وشهد بدرًا والمشاهد كلها. قال الزركلي: له في الصحيحين وغيرهما (١٦٤) حديثًا، توفي بالمدينة (٢١) هـ.

(٢) زيد بن ثابت بن الضحّاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة، صحابي، كان من كتّاب الوحي، ولد سنة (١١) قبل الهجرة، بالمدينة، وتوفي سنة (٤٥) هـ.

(٣) أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس، صحابي، أحد الحكمين بعد حرب صفين، ولد في زييد باليمن سنة (٢١) قبل الهجرة، وتوفي بالكوفة سنة (٤٤) هـ - غاية النهاية ج ١ / ٤٤٢ -

(٤) عبد الله بن الزبير بن العوّام القرشي، ولد بالمدينة سنة (١) هـ، بويح له بالخلافة سنة (٦٤) فحكم مصر والحجاز واليمن، وخراسان، والعراق وأكثر الشام، مدة خلافته تسع سنين فقتل بمكة سنة (٧٣) هـ - الاعلام ج ٤ / ٢١٨ -

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٢

وجهه، والزوايه عن الثلاثة قليلة جدًا.

قال محمد بن عبد العظيم الزرقاني في «المناهل»: معنى هذا السبب في إقلال الثلاثة (أبي بكر وعمر وعثمان) من التفسير أنّهم كانوا في وسط أغلب أهله علماء بكتّاب الله، عارفون بمعانيه وأحكامه.

أما الإمام علي رضي الله عنه فقد عاش بعدهم حتى كثرت حاجة الناس في زمانه إلى من يفسّر لهم القرآن، فلا جرم كان ما نقل عن علي أكثر ممّا نقل عن غيره.

أضف إلى ذلك ما امتاز به الإمام من خصوبة الفكر، و غزارة العلم و إشراق القلب.

روى معمر «١»، عن وهب بن عبد الله «٢»، عن أبي الطفيل «٣» قال: شهدت عليا رضي الله عنه يخطب ويقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم و سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أ بليل نزلت أم بنهار، أفي سهل أم في جبل.

وفي رواية عنه قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت، وأين

(١) هو معمر بن راشد بن أبي عمرو الازدي أبو عروة الفقيه المحدث الحافظ البصري ولد بالبصرة سنة (٩٥) و توفي سنة (١٥٣) هـ - الاعلام ج ٨ / ١٩٠ -

(٢) هو وهب بن عبد الله بن أبي دبي، ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ج ٩ / ٢٢ رقم ١٠١ وقال: روى عن أبي الطفيل، و روى عنه معمر بن راشد. وثقه ابن معين.

(٣) أبو الطفيل: عامر بن وائل بن عبد الله عمرو، ولد يوم وقعة أحد سنة (٣) هـ و روى عن النبي صلى الله عليه وآله تسعة أحاديث، و حمل رايه أمير المؤمنين عليه السلام في بعض وقائعه، و توفي بمكة المكرمة سنة (١٠٠) هـ و هو آخر من مات من الصحابة. - الاعلام

ج ٤ / ٢٦ - تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٣

أنزلت إن ربّي وهب لي قلبا عقولا، و لسانا سؤالا «١».

و أول شيء دونه أمير المؤمنين عليه السلام كتاب الله عزّ و جلّ فإنّه بعد فراغه من تجهيز النبي صلى الله عليه وآله على نفسه أن لا يرتدى إلا للصلاة، أو يجمع القرآن، فجمعه مرتبًا على حسب النزول، و أشار إلى عامته وخاصّه، و مطلقة و مقيدة و محكمه و متشابهه،

و ناسخه و منسوخه، و عزائمه و رخصه، و سننه و آدابه. و نبه على أسباب النزول في آياته البينات، و أوضح ما عساه يشكل من بعض الجهات، و كان ابن سيرين على ما نقل ابن حجر «٢» في «الصواعق» يقول: لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم «٣».

و رجوع الصحابة إلى أمير المؤمنين عليه السلام في معرفة تنزيل الآيات و تأويلها مشهور بن الفريقيين.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي «٤» في شرح «نهج البلاغة» ج ١ / ٦: من العلوم

(١) مناهل العرفان ج ١ / ٤٨٢ - ٤٨٣.

(٢) ابن حجر: هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي المكي الأنصاري الشافعي، ولد سنة (٨٩٩) أو

(٩٠٩) ه في محلة أبي الهيثم (من إقليم الغربية) بمصر و إليها نسبه، و توفي بمكة المكرمة سنة (٩٧٤) ه - النور السافر: ٢٨٧ -

(٣) الصواعق المحرقة ص ١٢٨ عن ابن أبي داود عن محمد بن سيرين.

(٤) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد الأديب المؤرخ المعتزلي، ولد في المدائن سنة (٥٨٦)

ه، و انتقل إلى بغداد و خدم في الدواوين السلطانية و برع في الإنشاء، و كان حظيًا عند الوزير ابن العلقمي، توفي بغداد سنة (٦٥٥) ه -

الاعلام ج ٤ / ٦٠ -

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٤

علم التفسير، عن علي عليه السلام أخذ، و منه فرع لأن أكثره عنه و عن ابن عباس، و قد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له و

انقطاعه إليه و أنه تلميذه و خزيجه.

و قال ابن عباس الملقب بحبر الأمة و ترجمان القرآن: علمي بالقرآن في علم علي عليه السلام كالقرارة «١» في المتعرج «٢».

روى أن أمير المؤمنين عليه السلام في ليلة تكلم في تفسير الباء من البسملة إلى مطلع الفجر، ثم قال: يا بن عباس لو شئت لأوقرت

سبعين بعيرا من باء بسم الله الرحمن الرحيم «٣».

في «كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون»: أن الخلفاء الأربعة أكثر من روى عنه علي بن أبي طالب عليه السلام، و الرواية عن

الثلاثة في ندره، ثم حكى عن ابن عباس أن عليًا عليه السلام عنده علم ظاهر القرآن و باطنه «٤».

و في كتب الرجال أن ميثم التمار «٥» كان يقول لابن عباس: سلني ما شئت من

(١) القرارة: الغدير الصغير.

(٢) المتعرج (بضم الميم و سكون التاء المثناة و فتح العين المهملة): أكثر موضع في البحر ماء.

(٣) رواه جماعة من العامة منهم الشعراني في «الطائف المنن» ج ١ / ١٧١.

(٤) كشف الظنون ج ١ / ٤٢٩.

(٥) هو ميثم بن يحيى التمار الأسدي بالولاء، كان عبدا لامرأة من بني أسد فاشتراه علي بن أبي طالب عليه السلام منها و أعتقه، سكن

الكوفة و حبسه أميرها ابن زياد، ثم أمر به فصلب على خشبة فجعل يحدث بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام فقبل لابن زياد: قد

فضحك هذا العبد، فقال: أجموه، فكان أول من أجم في الإسلام، ثم طعن بحربة، و كان ذلك قبل مقدم الامام الحسين عليه السلام

إلى العراق بعشرة أيام. - روضات الجنات: ٧٥٢ - ٧٥٤ -

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٥

القرآن فإنني قرأت تنزيه علي أمير المؤمنين عليه السلام و علمني تأويله «١» و قال الشعبي «٢»: ما أحد أعلم بكتاب الله بعد نبي الله

من علي بن أبي طالب عليه السلام «٣» ثم بعد أمير المؤمنين عليه السلام الذين فسروا القرآن و كشفوا النقاب عن وجهه هم الأئمة

المعصومون عليهم السلام الراسخون في العلم.

ثم بعدهم أصحابهم الذين اقتبسوا من مشكاة أنوارهم، و التمسوا من جواهر أسرارهم مما يتعلّق بالشرائع و الأحكام و الحلال و الحرام

و مسائل الأصول و القصص و التفسير و غيرها، فصنّفوا في أنواع علوم القرآن مصنّفات كثيرة. قال مؤلّف الصّراط المستقيم: المضبوط في كتب الرّجال من كتب أصحاب الأئمّة عليهم السلام أزيد من ستّة آلاف كتاب.

### نموذج من أسماء المفسّرين إلى عصر المؤلّف

إليك أسماء بعض المفسّرين من القرن الأوّل إلى عصر مؤلّف «صراط المستقيم» على حسب تواريخ وفياتهم:

(١) تنقيح المقال في علم الرجال ج ٣ / ٢٦٢.

(٢) الشعبي: عامر بن شراحيل الحميري أبو عمرو التابعي ولد سنة (١٩) بالكوفة و كان نديم عبد الملك بن مروان و سميره و رسوله إلى ملك الروم، مات بالكوفة فجاء سنة (١٠٣) هـ - الاعلام ج ٤ / ١٨ -

(٣) بحار الأنوار ج ٩٢ / ٩٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٦

١- أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي أبو المنذر، صحابي، كان قبل الإسلام حبرا من أبحار اليهود، مطلعاً على الكتب القديمة، و لمّا أسلم كان من كتّاب الوحي، و شهد المشاهد كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و كان من الإثني عشر الذين نصرّوا الحقّ و رفضوا الباطل و كان نحيفاً قصيراً أبيض الرأس و الحليّة، توفّي بالمدينة سنة (٢١) هـ أو سنة (٢٢) هـ - أنظر ترجمته في غاية النهاية ج ١ / ٣١، و حلية الأولياء ج ١ / ٢٥٠، و صفة الصفوة ج ١ / ١٨٨ - و الاعلام ج ١ / ٧٨ و سفينة البحار ج ١ في الالف بعده اليا.

٢- عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، من أكابر الصحابة فضلاً و عقلاً، و من السابقين إلى الإسلام، و أوّل من جهر بقراءة القرآن بمكة المكرمة، و كان خادماً رسول الله صلّى الله عليه و آله، و رفيقه في حلّه و ترحاله و غزواته، و روى عنه روايات كثيرة أحصوها في كتبهم (٨٤٨) حديثاً، أخذ سبعين سورة من القرآن من فّي رسول الله صلّى الله عليه و آله و بقيته من أمير المؤمنين عليه السلام.

و

روى عن النبي صلّى الله عليه و آله أنّه قال: من أحبّ أن يسمع القرآن غصّاً فليسمع من ابن أمّ عبد.

توفّي بالمدينة سنة (٣٢) هـ و دفن بالبقيع، في «المستدرک» نقلاً من تلخيص الشافى: أنّه لا خلاف بين الأئمّة في طهارة ابن مسعود و فضله و ايمانه و مدح الرسول صلّى الله عليه و آله و ثنائه عليه و أنّه مات على الحالة المحموده منه.

أنظر ترجمته المبسوطة من غاية النهاية ج ١ / ٤٥٨ و صفة الصفوة ج ١ / ١٥٤ و حلية الأولياء ج ١ / ١٢٤ و تأسيس الشيعة لفنون الإسلام: ٣٢٧، و سفينة البحار ج ٦ / ٧٩ - و الاعلام ج ٤ / ٢٨٠ و غيرها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٧

٣- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، الصحابي الجليل، ولد بمكة المكرمة سنة (٣) قبل الهجرة، و نشأ في بدء عصر النبوة فلازم رسول الله صلّى الله عليه و آله و روى عنه أحاديث كثيرة تبلغ في كتب القوم (١٦٦٠) حديثاً، روى عن ابن مسعود أنّه قال: نعم ترجمان القرآن ابن عباس، توفّي سنة (٦٨) هـ بالطائف.

كان ابن عباس من تلامذة أمير المؤمنين عليه السّلام و شهد معه الجمل و صفين و أخذ التفسير عنه عليه السلام، و دعا له رسول الله صلّى الله عليه و آله

بقوله: «اللهم فقّهه في الدين و علّمه التأويل».

و روى أن رجلا- أتى ابن عمر يسأله عن السماواتِ وَ الْأَرْضِ كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْنَاهُمَا «١» فقال: اذهب إلى ابن عباس، ثم تعال أخبرني، فذهب فسأله، فقال: كانت السماوات رتقا لا تمطر، و كانت الأرض رتقا لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، و هذه بالنبات، فرجع إلى ابن عمر فأخبره فقال: قد كنت أقول ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أوتي علما. كثرت الرواية في التفسير من ابن عباس حتى كان ما يقارب النصف من الأحاديث الواردة في التفسير مسندا إليه. قال شيخنا المجيز في الرواية قدس سره في «الذريعة» ج ٤ / ٢٤٤:

نسب إلى ابن عباس تفسيران: أحدهما ما ألفه أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى ابن أحمد بن عيسى الجلودى المتوفى سنة (٣٣٢) هـ. و الثانى «تنوير المقياس» حاو لتفسير بعض الآيات و طبع بمصر سنة (٢٩٠) هـ.

(١) سورة الأنبياء: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٨

٤- أبو الأسود الدؤلى: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الكنانى كان معدودا من الأدباء و الفقهاء و الأعيان و الأمراء و الشعراء و الفرسان و الحاضرى الجواب، و كان من سادات التابعين.

ولد سنة (١) هـ و سكن البصرة في خلافة عمر، و ولى إمارتها في أيام أمير المؤمنين عليه السلام، استخلفه عليها عبد الله بن عباس لما شخص إلى الحجاز، و لم يزل في الإمارة إلى شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، و كان قد شهد معه صفين. و هو في أكثر الأقوال أول من نقط المصحف، و أول من وضع النحو و قد أمره أمير المؤمنين عليه السلام بوضعه. و

قيل: إن علينا عليه السلام وضع له إن الكلمة ثلاثة: اسم، و فعل، و حرف، فشرح أبو الأسود ذلك و بسطه.

ترجم المامقانى في تنقيح المقال أبا الأسود، و قال: عدّه الشيخ في رجاله تارة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، و اخرى من أصحاب الحسن عليه السلام، و ثالثة من أصحاب الحسين عليه السلام، و رابعة من أصحاب السجاد عليه السلام. و قال المامقانى في آخر ترجمته: بقى هنا شىء و هو أنّ أبا موسى و ابن شاهين عددا الرجل من الصحابة، و أنكر ذلك عليهما ابن الأثير و غيره و قالوا: إنه ليس له صحبة و إنما هو تابعى من خواص أصحاب على عليه السلام. توفي أبو الأسود سنة (٦٩) أو (٩٩) في طاعون الجارف.

- تنقيح المقال ج ٢ / ١١١- الأعلام ج ٣ / ٣٤٠-٥ جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجى الأنصارى، صحابى جليل القدر، و جلالته أشهر من أن يذكر، و انقطاعه إلى أهل البيت عليهم السلام تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٩

من الحقائق المسلمة، و الروايات الدالة على فضله كثيرة جدا، شهد بدرا و ثمانى عشر غزوة مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم و بعده صار من أصحاب أمير المؤمنين، ثم من أصحاب الحسن و الحسين، ثم من أصحاب على بن الحسين ثم من أصحاب أبى جعفر الباقر عليهم صلوات الله.

قال المؤلف في منظومته الرجالية «نخبة المقال»:

«و جابر من خاصة الأبطال» «جنح ل إلى قر و هو الأنصارى» «١».

قال المحدث القمى في سفينة البحار ج ١ / ٥٣٦: قال شيخنا في «المستدرک» في ترجمة جابر الأنصارى: هو من السابقين الأولين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، و حامل سلام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى باقر علوم الأولين و الآخرين، و أول



من زار أبا عبد الله الحسين عليه السلام في يوم الأربعاء، المنتهى إليه سند أخبار اللوح السماوي الذي فيه نصوص من الله رب العالمين، وله بعد ذلك مناقب أخرى وفضائل لا تحصى.

عده السيوطي في «الإتقان» من المفسرين.

ولد سنة (١٦) قبل الهجرة، وتوفي بالمدينة سنة (٧٤) هـ أو (٧٧) هـ أو (٧٨) هـ - الإصابة ج ١/ ٢١٣ - و الاعلام ج ٢/ ٩٢ - ٩٦ - سعيد بن جبير الأسدي بالولاء الكوفي التابعي، مشهور بالفقه والزهد والعبادة و علم تفسير القرآن، أخذ العلم عن ابن عباس، و كان يسمي جهيد

(١) (جخ رمز لرجال الشيخ و (ل) رمز للرسول صلى الله عليه وآله و (قر) رمز للباقر عليه السلام يعنى عدّ الشيخ في رجاله جابرا من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله إلى الإمام الباقر عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٠

العلماء، و يقرأ القرآن في ركعتين.

قيل: ما على وجه الأرض أحد إلّا و هو محتاج إلى علمه.

ولد سنة (٤٥) هـ و قتله الحجاج «١» في واسط سنة (٩٥) هـ.

روى أن ابن عباس كان إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه قال: أتسألوني و فيكم ابن أمّ دهماء؟ يعنى سعيدا.

روى أن سعيد بن جبير كان يأتي بعلي بن الحسين عليهم السلام، فكان زين العابدين عليه السلام يثنى عليه

، و ما كان سبب قتل الحجاج له إلّا على هذا الأمر، و كان مستقيما.

و روى أنه لما دخل على الحجاج قال هل: أنت شقي بن كسير، قال: كانت أمي أعرف بي سمّتي سعيد بن جبير، قال: ما تقول في

أبي بكر و عمر، هما في الجنة أو في النار؟ قال: لو دخلت الجنة فنظرت إلى أهلها لعلمت من فيها، و لو دخلت الجنة و رأيت أهلها

لعلمت من فيها، قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل، قال أيهم أحب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي، قال: فأيهم أرضى

للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم و نجويهم، قال، أبيت أن تصدقني، قال: بل لم أحب أن أكذبك «٢».

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، الحاكم السفاك، ولد بالطائف سنة (٤٠) و انتقل إلى الشام فلحق بروح بن زبناغ و صار من

شروطه، فقلده عبد الملك أمر عسكره و أمره بقتال ابن الزبير فقتله، فولاه عبد الملك مكة و المدينة و الطائف، ثم أضاف إليها العراق

و ثبتت له الإمارة عشرين سنة، و بنى مدينة واسط بين الكوفة و البصرة و هلك بها سنة (٩٥) هـ - الاعلام ج ٢/ ١٧٥ -

(٢) سفينة البحار ٤/ ١٥٥ - بحار الأنوار ج ٤٦/ ١٣٤ -

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢١

٧- مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج، مولى بني مخزوم، كان أحد الأعلام الأثبات، تابعي مفسر.

قال النووي «١» في «تهذيب الأسماء ج ٢/ ٨٣»: إمام متفق على جلالته و إمامته، ولد سنة (٣١) هـ، و توفي بمكة و هو ساجد سنة (١٠٤) هـ

على الأشهر.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء ج ٤/ ٤٤٩»: مجاهد بن جبر الإمام شيخ القراء و المفسرين ... روى عن ابن عباس فأكثر و أتاب، و

عنه أخذ القرآن و التفسير و الفقه.

ثم روى بإسناده عن مجاهد أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أفقه عند كل آية أسأله فيم نزلت و كيف كانت.

و قال الذهبي في «عبر في خبر من غير» ج ١/ ١٢٥: عن مجاهد أنه قال:

عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة.

وقال ابن الجزري «٢» في «غاية النهاية» ج ٢ / ٤١: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، أحد الأعلام من التابعين و الأئمة المفسرين ... أخذ منه القراءة عرضا عبد الله بن كثير، و ابن محيصة «٣»، و حميد بن

(١) النووي: يحيى بن شرف الحوراني الشافعي الفقيه المحدث، ولد في نوا (من قرى حوران، سورية) سنة (٤٣١) هـ و توفي بها سنة (٤٧٤) هـ.

(٢) ابن الجزري: شمس الدين محمد بن محمد بن محمد ابو الخير الدمشقي الحافظ المحدث المقرئ ولد في دمشق سنة (٧٥١) هـ و مات بشيراز سنة (٨٣٣).

- الاعلام ج ٧ / ٢٧٤-

(٣) ابن محيصة: محمد بن عبد الرحمن بن محيصة المقرئ المكي المتوفى سنة (١٢٣) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٢

قيس «١»، و زمعه بن صالح «٢»، و أبو عمرو بن العلاء، و قرأ عليه الأعمش.

٨- طاوس اليماني ابن كيسان أبو عبد الرحمن الهمداني بالولاء، قال الزركلي في «الاعلام» ج ٣ / ٣٢٢: كان من أكابر التابعين، تفقها في الدين و رواية الحديث، و تقشفا في العيش، و جرأة على وعظ الخلفاء و الملوك، أصله من الفرس، ولد في اليمن سنة (٣٣) هـ و نشأ فيها و توفي حاجا بمزدلفة أو بمنى سنة (١٠٦) هـ.

قال الدكتور محمد حسين الذهبي في كتاب «التفسير و المفسرون» ج ١ / ١١٢: كان طاوس عالما متقنا، خبيرا بمعاني كتاب الله، و يرجع ذلك إلى مجالسته لكثير من الصحابة يأخذ عنهم، روى عنه أنه قال: جالست خمسين من الصحابة، و نجده يجلس الى ابن عباس أكثر من جلوسه لغيره من الصحابة و يأخذ في التفسير أكثر مما يأخذ من غيره، و لذلك عدّ من تلاميذ ابن عباس.

عدّه صاحب «الروضات» في أصحابنا الفقهاء الأمجاد رحمة الله عليهم أجمعين، ثم نقل شرح حاله و مدائحه و حكاية ملاقاته للسجاد عليه السلام في المسجد الحرام، فتعجب من ذلك العلامة النوري قدس سرّه في «المستدرک» و قال، هذا منه مما لا ينقضى تعجبه فإن الرجل من فقهاء العامية و متصوفيه لم يشك فيه أحد، و لم يذكره أحد من علماء الرجال في كتبهم الرجالية و لم يسندوا إليه خبرا في مجاميعهم في الأحاديث أصولا و فروعا، نعم عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب السجاد عليه السلام، و لعله للحكاية المتقدمة، و إلّا فليس في الكتب الأربعة خبر واحد أسند إليه، مع أنه من الفقهاء الذين يذكرون أقوالهم في كتب الفروع، مع أن ما

(١) حميد بن قيس الأعرج أبو صفوان المكي القاري المتوفى سنة (١٣٠) هـ.

(٢) زمعه بن صالح أبو وهب القاري المكي - انظر ترجمته في غاية النهاية ج ١ / ٢٩٥-

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٣

ذكره في ترجمته كاف في الدلالة على تسننه. - سفينة البحار ج ٥ / ٣٣٧ - ٣٣٩.

٩- عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس، تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير و المغازي، طاف البلدان، و روى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيا، و ذهب إلى نجدة الحروري «١»، فأقام عنده سنة أشهر، ثم كان يحدث برأى نجدة، و خرج إلى بلاد المغرب فأخذ عنه أهلها رأى الصفرية، و عاد إلى المدينة، و توفي بها سنة (١٠٥) أو بعدها «٢».

قال ابن الجزري: عكرمة مولى ابن عباس أبو عبد الله المفسر، وردت الرواية منه في حروف القرآن، و قد تكلم فيه لرأيه لا لروايته، فإنه كان يرى رأى الخوارج .. إلى أن قال: كذبه مجاهد و ابن سيرين، مات سنة خمس أو سنة ست أو سنة سبع و مائة «٣».

قيل: كان ابن عباس يجعل في رجله الكبل ويعلمه القرآن، و كان عكرمة يقول: كل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس. قال المحدث القمي قدس سره في «السفينة» ج ٦ / ٣٣٤ ط الجديد: عكرمة مولى ابن عباس كان من علماء الناس ليس على طريقتنا و لا من أصحابنا مات سنة (١٠٥) أو (١٠٧).  
قيل للباقر عليه السلام: إن عكرمة مولى ابن عباس قد حضرته الوفاة قال:  
إن أدركته علمته كلاما لم تطعمه النار.

(١) هو نجدة بن عامر الحروري كان من رؤساء الحرورية و الخوارج قتل سنة (٦٩) هـ.  
(٢) الاعلام ج ٥ / ٤٣.

(٣) غايه النهاية ج ١ / ٥١٥ رقم ٢١٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٤

١٠- عطية بن سعد بن جنادة العوفي القيسي الكوفي أبو الحسن،

قال أبو جعفر الطبري في ذيل «المذيل»: جاء سعد بن جنادة الى علي بن أبي طالب عليه السلام و هو بالكوفة، فقال: يا أمير المؤمنين إنه قد ولد لي غلام فسّمه، فقال عليه السلام: هذا عطية الله، فسّمى عطية

، و كانت أمه روميّة، و خرج عطية مع ابن الأشعث، ثم هرب عطية الى فارس، و كتب الحجاج الى محمد بن القاسم الثقفي أن أدع عطية، فإن لعن علي بن أبي طالب و إلا فاضربه أربعمئة سوط و احلق رأسه و لحيته، فدعاه و أقرأه كتاب الحجاج و أبي عطية أن يفعل، فاضربه أربعمئة سوط و حلق رأسه و لحيته، فلما ولي عمر بن هبيرة بن العراق فكتب إليه عطية يسأله الإذن له في القدوم، فأذن له فقدم الكوفة فلم يزل بها الى أن توفي سنة (١١١) هـ، و كان كثير الحديث ثقة.

قال المامقاني في «تنقيح المقال» ج ٢ / ٢٥٣ رقم ٧٩٤١: عن ملحقات الصراح: عطية العوفي بن سعيد، و له تفسير في خمسة أجزاء، قال عطية: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات على وجه التفسير، و أما علي وجه القراءة فقرأت عليه سبعين مرة «١».

و يظهر من كتاب «بلاغات النساء» أنه سمع عبد الله بن الحسن يذكر خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام في أمر فدك فراجع «٢».  
١١- عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان، تابعي، ولد في جند باليمن سنة (٢٧) هـ و نشأ بمكة المكرمة، فكان مفتي أهلها و محدّثهم، و توفي فيها سنة (١١٤) هـ.

(١) سفينة البحار ج ٦ / ٢٩٦ ط. الجديد.

(٢) بحار الانوار ج ٨ / ١١ / ١١٢ ط. القديم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٥

قال ابن الجزري في «غايه النهاية» ج ١ / ٥١٣ رقم ٢١٢٠: عطاء بن أبي رباح أبو محمّد القرشي مولا هم المكي، أحد الأعلام وردت عنه الرواية في حروف القرآن، عاش مائة سنة كما قال ابن معين، و قال غيره: مات سنة (١١٥) و قيل:  
(١١٤) و له (٨٨) سنة.

قال الذهبي في كتابه «التفسير و المفسرون» ج ١ / ١١٤: إذا تتبعنا الرواه عن ابن عباس نجد أن عطاء بن أبي رباح لم يكثر الرواية عنه كما أكثر عن غيره، و نجد مجاهدا، و سعيد بن جبيرة يسبقانه من ناحية العلم بتفسير كتاب الله، و لكن هذا لا يقلل من قيمته بين علماء التفسير، و لعل إقلاله في التفسير يرجع الى تحرّجه عن القول بالرأى.

و في سفينة البحار ج ٦ / ٢٩٥ ط. الجديد: كان بنو أمية يعظّمونه جدّا، حتّى أمروا المنادي ينادي: لا يفتي الناس إلا عطاء، و كان عطاء

أعور، أفتس، أعرج، شديد السواد، و يظهر انحرافه عن أهل البيت عليهم السلام من حكاية حضوره جنازة رجل من قريش مع أبي جعفر عليه السلام، راجع البحار ج ٤٦ / ٣٠٠.

١٢- قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري مفسر حافظ ضريير أكمه.

قال أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة و كان مع علمه بالحديث رأسا في العربية و مفردات اللغة و أيام العرب و النسب ولد سنة (٦١) ه و توفي بواسط سنة (١١٨) في الطاعون.

ترجمه الذهبى فى «سير أعلام النبلاء ج ٥ / ٢٦٩ رقم ١٣٢» و قال: حافظ أهل العصر، قدوة المفسرين، مولده سنة (٦٠).

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٦

قال معمر: أقام قتادة عند سعيد بن المسيب ثمانية أيام فقال له فى اليوم الثالث: ارتحل يا أعمى فقد أنزفتنى «١».

و قال معمر أيضا: سمعت قتادة يقول: ما فى القرآن آية إلّا و قد سمعت فيها شيئا.

و عنه قال: ما سمعت شيئا إلّا و حفظته.

قال سلام بن أبى مطيع: كان يختم القرآن فى سبع، و إذا جاء رمضان ختم فى كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم كل ليلة.

قال المحدث القمى فى سفينة البحار ج ٧ / ٢٢٢: قتادة بن دعامة من أهل البصرة، كان عالما كبيرا مقصدا للطلاب و الباحثين، لم يكن يمر يوم إلّا يأتيه راحله من بنى أمية تنيخ ببابه لسؤال عن خبر أو نسب أو شعر، و كان يدور البصرة أعلاها و أسفلها بغير قائد، و بلغ من اشتهاره بالعلم و صحه الرواية حتى قالوا: لم يأتنا من علم العرب أصح من شيء أتانا من قتادة.

و قال: كان قتادة من أكابر محدثى العامة من تابعى البصرة، و كان شيخا أحمر الرأس و اللحية، و يظهر ممّا جرى بينه و بين خالد بن عبد الله القسرى أمير مكة أن قتادة كان محبا لعلى عليه السلام حيث إنه لما سمع من خالد الملعون قوله فى على عليه السلام قام فانصرف و قال فى حق خالد: زنديق و رب الكعبة، زنديق و رب الكعبة.

١٣- زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام، و يقال له:

(١) أى أخذت منى علمى كله و لم يبق منه شيء.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٧

«زيد الشهيد» ولد سنة (٧٩) ه.

قال فى «التكملة»: اتفق علماء الإسلام على جلالته و ثقته و ورعه و علمه و فضله، و قد روى فى ذلك أخبار كثيرة، حتى عقد ابن بابويه فى «العيون» بابا لذلك.

و قال الشيخ المفيد فى «الإرشاد»: كان زيد بن على بن الحسين عليه السلام عين إخوته بعد أبى جعفر عليه السلام و أفضلهم، و كان ورعا عابدا فقيها سخيا شجاعا و ظهر بالسيف يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و يطلب بثارات الحسين عليه السلام.

و صرح الشهيد رحمه الله فى «القواعد» فى بحث الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بأن خروجه كان بإذن الإمام عليه السلام «١».

قال الزركلى فى الأعلام: عدّه الجاحظ من خطباء بنى هاشم، و قال أبو حنيفة: ما رأيت فى زمانه أفقه منه، و لا أسرع جوابا و لا أبين قولاً ...

كان إقامته بالكوفة فاشخص الى الشام، فضيق عليه هشام بن عبد الملك و حبسه خمسة أشهر، و عاد إلى العراق ثم إلى المدينة، فلحق به بعض أهل الكوفة يحرضونه على قتال الأمويين، و رجعوا به إلى الكوفة سنة (١٢٠) ه فبايعه أربعون ألفا على الدعوة إلى الكتاب و السنة، و جهاد الظالمين، و الدفع عن المستضعفين، و إعطاء المحرومين، و نصر أهل البيت و كان العامل على العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفى، فكتب إلى الحكم بن الصلت و هو فى الكوفة أن يقاتل زيدا، فنشبت معارك انتهت بمقتل زيد بسنة (١٢١) ه و حمل

رأسه إلى الشام فنصب على باب دمشق، ثم أرسل إلى المدينة فنصب عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً

(١) تنقيح المقال ج ١ / ٤٦٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٨

و ليلة و حمل إلى مصر فنصب بالجامع فسرقه أهل مصر و دفنوه.

من آثاره العلميّة: «مجموع في الفقه» و «تفسير غريب القرآن» رواهما أبو خالد الواسطي عن زيد «١».

١٤- السدي الكبير: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمه الهاشمي بالولاء، أبو محمد الكوفي مولى زينب بنت قيس بن مخزوم من بني عبد المطلب، تابعي، حجازي الأصل، كوفي المسكن.

روى عن ابن عباس و أنس، و طائفة، و روى عنه أبو عوانة، و سفيان الثوري، و حسن بن صالح، و زائدة، و إسرائيل، و أبو بكر بن عتاش.

أخرج له الجماعة (المسلم و أهل السنن الأربعة) و لم يخرج له البخاري لرميه بالتشيع.

قال ابن حجر في «التقريب»: إسماعيل السدي (بضم السين و تشديد الدال المهملتين)، صدوق.

و هذا هو السدي الكبير المذكور في التفاسير، و تفسيره على ما قال السيوطي في «الإتقان» أمثل التفاسير، و ذكره النجاشي و الطوسي في فهرستيهما في مصنفي الشيعة.

أدرك السجاد و الباقر و الصادق عليهم السلام، و توفي سنة (١٢٧) هـ.

و السدي منسوب إلى سدة مسجد الكوفة لأنه كان يبيع المقانع فيها، و قيل:

إنه كان يدرّس التفسير على بعض سادات المسجد الحرام.

(١) الاعلام ج ٣ / ٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٩

- اللباب ج ١ / ٣٠٨- تنقيح المقال ج ١ / ١٣٧-١٥- جابر بن يزيد الجعفي بن الحرث أبو عبد الله الكوفي، كان من أجلاء الرواة و أعظم الثقات.

قال العلامة المامقاني في «تنقيح المقال»: إن الذي يستفاد من مجموع ما مرّ من الأخبار أن الرّجل في غاية الجلالة و نهاية النبالة، و له المنزلة العظيمة عند الصادقين عليهما السلام، بل هو من أهل أسرارهما و بطانتهم و مورد لطفهما الخاصّة و عنايتهما المخصوصة و أمينهما على ما لا يؤتمن عليه إلّا أو حدّي العدول من الأسرار و مناقب أهل البيت عليهم السلام.

نقل في ترجمة مولانا الباقر عليه السّلام عن «المناقب» أنّ جابر بن يزيد الجعفي، و لا يعقل تمكين الإمام المعصوم عليه السلام من صيرورة غير العدل بابا له و واسطة بينه و بين شيعة الضعفاء الأخيار.

روى عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّما سمّي جابراً لأنّه جبر المؤمنين بعلمه، و هو بحر لا ينزح.

عدّه الشيخ في رجاله تارة من أصحاب الباقر عليه السلام و قال: توفي سنة (١٢٨) هـ، و أخرى من أصحاب الصادق عليه السلام.

و قال في «الفهرست»: له كتاب التفسير أخبرنا به جماعة من أصحابنا.

- تنقيح المقال ج ١ / ٢٠١-٢٠٥ رقم ١٦٢١-١٦- محمد بن علي بن أبي شعبة أبو جعفر الحلبي من وجوه أصحابنا و فقهاءهم ذكره

النجاشي في «رجال» ج ٢ / ٢٠٢ و قال: وجه أصحابنا و فقيهم، و الثقة الذي لا يطعن عليه .. له كتاب التفسير.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٠

و ذكره الشيخ في رجاله بأرقام ٢٤ و ٢٤٩ و عدّه من أصحاب الباقر و الصادق عليهما السلام و قال في الفهرست: محمّد بن علي الحلبي له كتاب، و هو ثقة.

و قال المامقاني في «التنقيح» ج ٣ / ١٥٢: نقل السيد صدر الدين وفات الرجل في زمان الصادق عليه السلام. و أُرّخ بعض وفاته سنة (١٣٥) هـ.

١٧- زيد بن أسلم العدوي العمري مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبد الله المدني، فقيه مفسّر، كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته، و استقدمه الوليد بن يزيد في جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق مستفتيا في أمر، و له كتاب في التفسير رواه عنه ولده عبد الرحمن. و عدّه ابن الجزري من المقرئين و قال: زيد بن أسلم أبو أسامة المدني مولى عمر بن الخطاب، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، أخذ عنه القراءة شيبه بن نصاح، مات سنة (١٣٦) هـ.

و عدّه الذهبي و السيوطي من الحفاظ، قال السيوطي: روى عن أنس، و جابر بن عبد الله، و سلمة بن الأكوع، و ابن عمر، أبي هريرة، و عائشة.

و عنه ابنه أسامة، و أيوب السخيتاني، و روح بن القاسم، و السفينان، و ابن جريح، و كان له حلقة في المسجد النبوي (صلى الله عليه و آله و سلم).

عدّه الشيخ من أصحاب الصادق عليه السلام.

الأعلام ج ٣ / ٩٥، غاية النهاية ج ١ / ٢٩٦ - طبقات الحفاظ: ٥٣.

١٨- داود بن دينار المعروف بابن أبي هند السرخسي القشيري، عدّه الشيخ في «رجال» من أصحاب الباقر عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣١

قال المامقاني في «تنقيح المقال» ج ١ / ٤٠٦: ظاهره كونه إماميا لكننا لم نقف فيه على مدح يلحقه بالحسان، توفي في طريق مكة سنة (١٣٩) هـ.

ذكر ابن النديم تفسيره في الفهرست في ص ٥٩.

و ذكر تفسيره أيضا العلامة المحقق آقا بزرگ قدس سرّه في «الذريعة» ج ٤ / ٢٤٠ رقم ١١٧٤.

١٩- أبان بن تغلب بن رباح أبو سعيد البكري الجريري، ثقة، جليل القدر عظيم المنزلة، لقي الأئمة السجّاد و الباقر و الصادق عليهم السلام، و روى عنهم، و كان له عندهم حظوة، و قدم و

قال له أبو جعفر عليه السلام: اجلس في مسجد المدينة و أفت الناس فإنّي أحبّ أن يرى في شيعتي مثلك.

مات في سنة (١٤١) هـ و

لما أتى نعيه أبا عبد الله عليه السلام قال: أما و الله لقد أوجع قلبي موت أبان.

و

روى أنّ الصادق عليه السلام قال: يا أبان ناظر أهل المدينة فإنّي أحبّ أن يكون مثلك من رواتي و رجالي.

و قد وثّقه في الحديث مع الاعتراف بتشيّعه جمع من العامة مثل ابن حنبل، و ابن معين، و أبي حاتم، و النسائي، و ابن عدى، و الحاكم، و ابن سعد، و الذهبي، و ابن حجر.

و كان مقدّما في كثير من الفنون سيّما التفسير و الفقه و الحديث، و له تفاسير، مثل «الغريب في القرآن» و «معاني القرآن» و غيرهما.

توجد ترجمته في «تنقيح المقال» ج ١ / ٣ و أعيان الشيعة ج ٥ / ٤٧ و غاية النهاية ج ١ / ٤.

٢٠- محمّد بن الشائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي، أبو النضر

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٢

الكوفي نسبة، راوية، عالم بالتفسير و الأخبار و أيام العرب، قال ابن النديم في «الفهرست» ص ٩٥: حكى أن سليمان بن عليّ العبّاسي والي البصرة استقدمه إليها و أجلسه في داره، فجعل يملئ على الناس تفسير آيات من القرآن حتى بلغ إلى آية في سورة البرائة ففسرها على خلاف المعروف، فقالوا: لا نكتب هذا التفسير، فقال:

و الله لا- أمليت حرفا حتى يكتب تفسير هذه الآية على ما أنزل الله، فرجع ذلك إلى سليمان بن عليّ، فقال: اكتبوا ما يقول و دعوا ما سوى ذلك. صنّف في تفسير القرآن كتابا.

قال الصدر في «تأسيس الشيعة»: أول من صنّف في أحكام القرآن هو محمّد بن السائب الكلبي، و هو من الشيعة المخصوصين بالإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام.

قال النسائي: حدّث عنه ثقات من الناس و رضوه في التفسير.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ج ٦ / ٢٤٨: العلامة الأخباري، أبو النضر محمّد بن السائب بن بشر الكلبي المفسّر، و كان أيضا رأسا في الأنساب إلّا أنّه شيعي متروك الحديث.

يروى عنه ولده هشام و طائفة، أخذ عن أبي صالح، و جرير، و الفرزدق و جماعة، توفّي سنة (١٤٦) هـ.

توجد ترجمته الكلبي مضافا إلى ما ذكر في «طبقات ابن سعد» ج ٦ / ٢٤٩ و «الجرح و التعديل» ج ٧ / ٢٧٠ و تذهيب التهذيب ج ٣ / ٢٠٥ و تهذيب التهذيب ج ٩ / ١٧٨.

٢١- الأعمش: سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمّد، أصله من بلاد

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٣

الري، ولد بالكوفة سنة (٦١) و توفّي بها سنة (١٤٨) هـ، كان عالما بالقرآن و الحديث و الفرائض، يروى نحو ١٣٠٠ حديث.

قال الذهبي: كان رأسا في العلم النافع و العمل الصالح.

كان معروفا بالفضل و الثقة و الجلالة و التشييع و الاستقامة، و العامّة أيضا يثنون عليه، و مطبقون على فضله و ثقته، و مقرّون بجلالته مع اعترافهم بتشيعه.

قال يحيى القطان: هو علّامة الإسلام.

قال هيثم: ما رأيت بالكوفة أحدا قرأ لكتاب الله و لا أجود حديثا من الأعمش: الإمام الجليل، أخذ القراءة عرضا عن إبراهيم النخعي، و زرّ بن حبيش، و زيد بن وهب، و عاصم بن أبي النجود، و مجاهد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، و جرير بن عبد الحميد .. إلى أن قال: و روي عنه أنّه قال: إنّ الله زين بالقرآن أقواما و إنّ مّن زين الله بالقرآن، و لو لا- ذلك لكان على عنق دن أطوف به في سلك الكوفة.

عدّه الشيخ الطوسي قدّس سرّه من أصحاب الصادق عليه السلام، و عدّه السروي في «المناقب» من خواص أصحابه.

قال السيّد شرف الدين في «المراجعات» ص ٧٥: سليمان بن مهران أحد شيوخ الشيعة و أثبات المحدثين .. احتجّ به أصحاب السنّة و غيرهم.

و هو واقع في رواة تفسير علي بن إبراهيم القمي قدّس سرّه.

توجد ترجمته الأعمش في غير واحد من كتب التراجم منها: الأعلام ج ٣ / ٢١٩٨ و تنقيح المقال ج ٢ / ٦٥، و معجم رجال الحديث ج ٨ / ٢٨٠، و تاريخ بغداد ج ٩ / ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٤

٢٢- هشام بن سالم الجواليقي الجعفي مولى بشير بن مروان بن محمّد الكوفي، عدّه الشيخ تارة من أصحاب الصادق عليه السلام، و اخرى من أصحاب الكاظم عليه السلام.

وقال النجاشي في «رجال» ج ٢ / ٣٩٩ رقم ١١٦٦: كان من سبي الجوزجان، روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن عليهما السلام، ثقة ثقة، له كتاب يرويه جماعة.

أخبرنا محمد بن عثمان، قال: حدثنا جعفر بن محمد، قال: حدثنا عبيد الله بن أحمد، قال: حدثنا ابن أبي عمير عنه بكتابه، و كتابه الحج، و كتابه التفسير، و كتابه المعراج.

قال المحدث القمي في «سفينه البحار» ج ٨ ص ٧٠١ ط الجديد: هشام بن سالم الجواليقي أبو الحكم كان من سبي الجوزجان روى عن أبي عبد الله و أبي الحسن عليهما السلام، ثقة ثقة.

و عدّه الشيخ المفيد من فقهاء الأصحاب، و له أصل، و يروى عنه كثير من الأجلء كابن أبي عمير، و صفوان، و ابن محبوب، و البرزطي، و الحسين بن سعيد، و ابن بزيع، و غيرهم.

و هو الذي كان أول من دخل على موسى بن جعفر عليهما السلام بعد وفاة أبيه و أطلع على إمامته ثم أخبر أصحابه بذلك، و صرفهم عن عبد الله الأفتح (١).

(١) هو عبد الله بن جعفر الصادق عليه السلام، كان أكبر إخوته بعد إسماعيل، و لم يكن منزلته عند أبيه بمنزلة غيره من ولده في الإكرام، و كان متّهما بالخلاف على أبيه في الاعتقاد و ادعى بعد أبيه الإمامة و بايعه جماعة و سمّوا بالفطحية لأنّ داعيهم أي عبد الله كان أفتح

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٥

٢٣- مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن كان من أعلام المفسرين، أصله من بلخ انتقل إلى البصرة و دخل بغداد فحدث بها و توفي بالبصرة سنة (١٥٠) هـ.

من كتبه «آيات الأحكام» ذكره ابن النديم في «الفهرست» ص ٢٥٤، و «التفسير الكبير» و «نوادير التفسير» و «متشابه القرآن» و «الناسخ و المنسوخ» ذكرها الزركلي في الأعلام ج ٨ / ٢٠٦.

عدّه الشيخ قدس سرّه في رجاله تارة من أصحاب الباقر عليه السلام و اخرى من أصحاب الصادق عليه السلام.

قال المامقاني في «التنقيح» ج ٣ / ٢٤٤: عن «ملحقات الصراح» في ذكر معارف أهل التفسير من التابعين و من تبعهم الإمام أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن زيد تفسيره مجلدان.

و عن «تاريخ الياضي»: أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي بالولاء الخراساني كان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز، و له التفسير المشهور و كان من العلماء الأجلء، حكى عن الشافعي أنّه قال: الناس كلّهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، و على زهير بن أبي سلمى في الشعر و على أبي حنيفة في الكلام.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ج ٧ / ٢٠١ رقم ٧٩: كبير المفسرين أبو الحسن مقاتل بن سليمان يروى على ضعفه البيّن عن مجاهد، و الضّحّاك، و ابن بريده،

الرجلين، و مات بعد أبيه بتسعين يوما (١٤٨) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٦

و عطاء، و ابن سيرين، و عمرو بن شعيب، و شرحبيل بن سعد، و المقبري، و الزهري و عدّه.

و عنه سعد بن الصلت، و بقیة، و عبد الرزاق، و حرمي بن عماره و غيرهم.

٢٤- أبو حمزة الثمالي: ثابت بن دينار الأزدي بالولاء الكوفي جليل القدر، عظيم المنزلة عند الأئمّة عليهم السلام لقي السجاد، و الباقر،



و الصادق، و الكاظم عليهم السلام، و روى عنهم - على خلاف في الأخير، توفى سنة (١٥٠) هـ.

ترجم لأبى حمزة الثمالى أكثر أرباب المعاجم.

قال السيد بحر العلوم الطباطبائى فى «الفوائد الرجالية» ج ١ / ٢٥٨ فى ترجمته: له كتب، منها كتاب التفسير، و الظاهر أنه أول من صنف فيه من أصحابنا، روى عنه كثير من الأجلء،

قال الكشى رحمه الله: قال: الفضل بن شاذان: سمعت الثقة يقول: سمعت الرضا عليه السلام يقول: أبو حمزة الثمالى فى زمانه كسلمان الفارسى فى زمانه، و ذلك أنه خدم أربعة منّا، على بن الحسين عليه السلام و محمد بن على بن على عليه السلام و جعفر بن محمد بن على السلام و برهه من عصر موسى عليه السلام «١».

و قال ابن حجر العسقلانى فى «تهذيب التهذيب» ج ٧ / ٢: ثابت بن أبى صفيه دينار - و قيل: سعد - أبو حمزة الثمالى الأزدي الكوفى مولى المهلب، روى عن أنس، و الشعبي، و أبى إسحاق، و زاذان أبى عمر، و سالم بن أبى الجعد، و أبى جعفر الباقر عليه السلام و غيرهم.

(١) رجال الكشى ص ١٣٣ ط بمبئى و فيه بدل (سلمان) «لقمان».

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٧

و روى عنه الثورى، و شريك، و حفص بن غياث، و أبو أسامة، و عبد الملك بن سليمان، و أبو نعيم، و وكيع، و عبيد الله بن موسى، و عدّه.

و قال السيد العلامة الفقيه الصدر الكاظمى فى «تأسيس الشيعة» ص ٣٢٧: أبو حمزة الثمالى من التابعين و مقدّم فى التفسير و الحديث، مصنف فيهما و ذكر تفسيره الثعلبى فى تفسيره و اعتمده عليه و أخرج الكثير من روايته.

٢٥- أبو الجارود زياد بن المنذر الهمدانى الخراسانى، رأس الجاروديه من الزيديه، ترجم له النجاشى فى «رجاله» ج ١ / ٣٨٧ رقم ٤٤٦ و قال: أبو الجارود الهمدانى الخارقي الأعمى، كوفى، كان من أصحاب أبى جعفر عليه السلام و روى عن أبى عبد الله عليه السلام، و تغير لما خرج زيد رضى الله عنه، له كتاب تفسير القرآن رواه عن أبى جعفر عليه السلام.

قال البخارى فى «التاريخ الكبير» ج ٢ / ٣٧١ رقم ١٢٥٥: سمع عطيه، و روى عن أبى جعفر عليه السلام، و روى عنه مروان بن معاوية، و على بن هاشم بن البريد، يتكلمون فيه (أى يتهمونه بالتشيع) ذكره الشيخ فى «الفهرس»، برقم ٣٠٥ و قال: زيدى المذهب، و إليه تنسب الزيديه الجاروديه كما ذكره كذلك فى أصحاب الباقر عليه السلام من «رجاله» برقم ٤.

و ذكره الكشى فى «رجاله» برقم ١٠٤ و قال: سمى سرحوبا و تنسب إليه السرحوبيه من الزيديه،

سماه بذلك أبو جعفر عليه السلام

، و ذكر أن سرحوبا اسم شيطان أعمى يسكن البحر، و كان أبو الجارود مكفوفاً أعمى أعمى القلب .. إلخ.

و ذكره المصنف فى «منظومته الرجالية»:

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٨ ثم ابن منذر أبو الجارود زيدى الرئيس للجارودى

و طق ضعيف قال قر: سرحوب ضعيف الأعمى هو الكذوب

توفى أبو الجارود سنة (١٥٠) أو بعده.

٢٦- أبو بصير الأسدى أو أبو محمد يحيى بن القاسم، أو يحيى بن أبى القاسم إسحاق كان مكفوفاً، توفى سنة (١٥٠) هـ و كان من أصحاب الإمامين الهمامين الباقر و الصادق عليهما السلام.

ترجم له النجاشى ج ٢ / ٤١١ رقم ١١٨٨ و قال: ثقة، وجيه، روى عن أبى جعفر و أبى عبد الله و أبى الحسن عليهم السلام، له كتاب

يوم و ليلة.

قال في «الذريعة» ج ٤ / ٢٥١ رقم ١٢٠١: قال السيد الصدر: لأبي بصير كتاب تفسير ذكره النجاشي، ولكني لم أظفر على مأخذ في هذا الباب، وليس في نسخة عندي من رجال النجاشي ذكر منه، نعم روى أبو بصير تفسير أبي الجارود عنه و رواه القمي في تفسيره عن أبي بصير.

٢٧- وهيب بن حفص أبو علي الجريري مولى بني أسد الكوفي عدّه الشيخ في «رجاله» ص ٣٢٨ من أصحاب الصادق عليه السلام. و ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ٢ / ٣٩٣ رقم ١١٦٠ و قال: روى عن أبي عبد الله و أبي الحسن عليهما السلام، و وقف، و كان ثقة، و صنّف كتابا: كتاب تفسير القرآن، و كتاب الشرائع ميّوب.

و ترجم له آية الله العظمى الخوئي قدس سرّه في «معجم رجال الحديث» ج ١٩ ص ٢٠٤ رقم ١٣١٨٥ و قال: وقع في «الكافي» بلفظ (وهب) و في «الوافي» و «الوسائل» بلفظ (وهيب) و الظاهر أنّه متّحد مع وهب بن حفص النّحاس.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٩

لم أظفر على تاريخ وفاته.

٢٨- المنخل بن جميل الأسدي الكوفي يّباع الجوارى.

عدّه الشيخ من أصحاب الصادق عليه السلام، و روى عنه و عن أبي الحسن عليهما السلام و حدّث عنه أحمد بن ميثم، و عمّار بن مروان، و محمّد بن سنان.

كان من مفسّرى القرن الثّاني و لكن ضعّفه أرباب الرجال و نسبوه إلى فساد الرواية و الغلوّ.

ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ٢ / ٣٧٢ رقم ١١٢٨ و قال: ضعيف فساد الرواية، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، له كتاب التفسير.

و ترجم له المامقاني في «تنقيح المقال» ج ٢ / ٢٤٧ رقم ١٢١٣٥ و قال:

المنخل (بضمّ الميم و فتح النون و الخاء المعجمة المشدّدة) و نقل عن العلامة في الخلاصة و ابن الغضائري أنّهما قالا في ترجمته: كوفي ضعيف و في مذهبه غلوّ و ارتفاع، روى عن أبي عبد الله و أبي الحسن عليهما السلام.

ثمّ قال: و كأنّ الكلّ متّفقون على ضعفه، و لكن المحقّق الوحيد رحمه الله بنى على المناقشة و قال: الظاهر أنّ رميهم بالغلوّ لروايته الروايات الدالّة عليه على زعمهم، و في ثبوت الضعف بذلك تأمل، و روى عنه في كتب الأخبار ما يدلّ على عدم غلوّه قطعاً.

٢٩- الحسن بن واقد المروزي.

قال المامقاني في «التنقيح» ج ١ / ٣١٣: لم أقف فيه إلّا على عدّ الشيخ إياه في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام، و ظاهره كونه إمامياً إلّا أنّ حاله مجهول.

كان من المفسّرين كما ذكره ابن النديم في «الفهرست» ص ١٤٤، و له «التاسخ

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٠

و المنسوخ» المسمّى «بالرغيب في علوم القرآن» كما ذكره العلامة المحقّق في «الذريعة» ج ٤ / ٣١٩.

٣٠- حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي الزيات الكوفي، ولد سنة (٨٠) هـ، و توفّي سنة (١٥٦) هـ، كان عالماً بالقراءات.

قال ابن النديم في «الفهرست»: أول من صنّف في متشابه القرآن حمزة بن حبيب الزيات الكوفي من شيعة أبي عبد الله الصادق و صاحبه سنة (١٥٦) بخلوان.

ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ج ٧ / ٩٠ رقم ٣٨ و قال: حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي الزيات، مولى عكرمة بن ربعي.

تلا عليه حمران بن أعين، و الأعمش، و ابن أبي ليلى و طائفة.

و حدّث عن عدّي بن ثابت، و الحكم، و عمرو بن مرّة، و حبيب بن أبي ثابت، و طلحة بن مصرّف، و منصور، و عدّه.

٣١- السدي الصغير محمّد بن مروان بن عبد الله الكوفي ترجم له غير واحد من أرباب التراجم، و قالوا: كان صاحب محمّد بن السائب الكليني المتوفى سنة (١٤٦) هـ، و لذلك يعرف بالكلبي أيضا.

قال ابن أبي حاتم في «الجرح و التعديل» ج ٨ / ٨٦ رقم ٣٦٤: محمّد بن مروان الكوفي و يعرف بالسدي، روى عن يحيى بن عبد الله، و الكلبي، روى عنه هشام بن عبيد الله، و محمّد بن عبد الله، و الكلبي، روى عنه هشام بن عبيد الله، و محمّد بن عبيد المحاربي، و يوسف بن عدي.

و قال ابن الجزري في «غاية النهاية» ج ٢ / ٢٦١ رقم ٣٤٦٤: محمّد بن مروان السدي صاحب «التفسير» كوفي يكتنى أبا عبد الرحمن سمع التفسير من

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤١

الكلبي، ذكره الحافظ أبو عمرو و قال: ورد عنه الرواية في حروف القرآن.

توجد ترجمته أيضا في «الذريعة»: ٢٧٦ / ٤ و «جامع الرواة» ج ٢ / ١٩٠، و معجم رجال الحديث ج ١٧ / ٢٢١ رقم ١١٧٥١.

٣٢- الكسائي علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي الأسدي بالولاء، كان إماما في اللغة و النحو و القراءة، قرأ النحو، بعد الكبر، سكن بغداد و توفى بالري عن سبعين عاما سنة (١٨٩) هـ، و هو مؤدّب الرشيد، و الأمين و المأمون العباسيين، له تصانيف منها «معاني القرآن» و «القراءات» و «مقطوع القرآن و موصوله».

- غاية النهاية ج ١ / ٥٣٥ - ٥٤٠ - ٣٣ - سفيان بن عيينة بن ميمون أبي عمران الهلالي الكوفي المكي أبو محمّد، الفقيه، المحدث، المفسير، ولد بالكوفة في النصف من شعبان سنة (١٠٧) هـ و توفى بمكة المكرمة في النصف من شعبان سنة (١٩٨) هـ أو قبلها، و من آثاره «تفسير القرآن الكريم» ذكر تفسيره ابن النديم في «الفهرست» ص ٥٩.

و عدّه الشيخ في «رجاله» من أصحاب الصادق عليه السلام.

و ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ١ ص ٤٢٦ رقم ٥٠٤ و قال: له نسخة عن جعفر بن محمّد عليهما السلام.

قال العلامة المامقاني في «تنقيح المقال» ج ٢ / ٤٠: و تنقيح المقال أنّ كون الرّجل عاميا و عدم ورود توثيق فيه منّا يوقفنا عن العمل بروايته.

٣٤- دارم بن قبيصة بن نهثل بن مجمع أبو الحسن التميمي الدارمي السائح، روى عن الإمام الرضا عليه السلام كما قال النجاشي في «رجاله» ج ١ / ٣٧٢ رقم

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٢

٤٢٧، من آثاره كتاب «الوجوه و النظائر» و كتاب «الناسخ و المنسوخ» رواهما عن الإمام عليه السلام.

٣٥- علي بن أسباط بن سالم أبو الحسن المقرئ الكوفي، كان من أصحاب الإمامين الرضا و الجواد عليهما السلام.

ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ٢ / ٧٣ رقم ٦٦١ و قال: ثقة، كان فطحيا، جرى بينه و بين علي بن مهزيار رسائل في ذاك رجعوا فيها إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام فرجع علي بن أسباط عن ذلك القول و تركه، و قد روى عن الرضا عليه السلام من قبل ذلك، و كان أوثق الناس و أصدقهم لهجة.

له كتب منها التفسير.

٣٦- عبد الله بن الصلت أبو طالب القمي، مولى بني تيم اللات بن ثعلبة.

ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ٢ / ١٤ رقم ٦٦٢ و قال: ثقة، مسكون إلى روايته، روى عن الرضا عليه السلام، يعرف له كتاب «التفسير».

و عدّه الشيخ في أصحاب الرضا و الجواد عليهما السلام.

٣٧- معلّى بن محمّد البصرى أبو الحسن، ترجم له النجاشى فى ج ٢ ص ٣٦٥ رقم ١١١٨ و عدّ من كتبه كتاب التفسير. و عدّه الشيخ الطوسى فى «رجال» مّمّن لم يرو عنهم عليهم السّلام. و قال العلّامة فى ترجمته فى «الخلاصة»: مضطرب الحديث و المذهب مثل ما قال فى ترجمته الشيخ. و ترجم له العلّامة المامقانى فى «تنقيح المقال» ج ٣/ ٢٣٣ رقم ١١٢٠٣ تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٣

و قال بعد نقل الأقوال: روايته عن الضعفاء غير قادحة فيما روى عن الثقه، و فساد مذهبه لم يثبت، و كونه شيخ إجازة يغنيه عن التوثيق، كما شهد به العلّامة المجلسى (قدّس سرّه) و لا أقلّ من عدّ الرّجل من الحسان. ٣٨- أبو عبد الله أحمد بن صبيح الأسدى الكوفى.

ترجم له النجاشى فى «رجال» ج ١/ ٢٠٨ رقم ١٨٢ و قال: ثقه، و الزيدية تدّعيه و ليس بصحيح، له كتب منها التفسير. و ذكر كتابه فى التفسير الشيخ فى «الفهرست» و ابن شهر آشوب فى «المعالم» و شيخنا المجيز قدّس سرّه فى «الذريعة» ج ٤ رقم ١١٨٣.

٣٩- هشام بن محمّد بن السائب الكلبى أبو المنذر.

ترجم له النجاشى فى «رجال» ج ٢/ ٣٩٩ رقم ١١٦٧ و قال: الناسب، العالم بالأيام، المشهور بالفضل و العلم، و كان يختصّ بمذهبا. و له الحديث المشهور، قال: اعتلت علة عظيمة نسيت علمى، فجلست إلى جعفر بن محمّد عليهما السّلام، فسقانى العلم فى كأس، فعاد إلى علمى، و كان أبو عبد الله عليه السّلام يقربّه و يدينه و يبسطه.

توفى بالكوفة سنة (٢٠٤) هـ، و أرخ وفاته ابن النديم فى الفهرست ص ٥١ سنة (٢٠٤) هـ. ذكر فى «الذريعة» ج ٤/ ٢٣٤ تفسيره و قال: «تفسير الآى التى نزلت فى أقوام بأعيانهم» لهشام بن محمّد بن السائب الكلبى ذكره ابن النديم فى «الفهرست».

٤٠- الواقدى: محمّد بن عمر بن واقد السهمى الأسلمى بالولاء المدنى، أبو

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٤

عبد الله، كان من أقدم المؤرخين فى الإسلام و من أشهرهم، و من حفاظ الحديث، ولد بالمدينة سنة (١٣٠) هـ، و توفى ببغداد سنة (٢٠٧) هـ.

قال ابن النديم فى «الفهرست» ج ١ ص ٩٨: خلف الواقدى بعد وفاته ستمائة قمطر كتبا كلّ قمطر منها حمل رجلين و كان له غلامان مملوكان يكتبان الليل و النهار.

له مصنّفات كثيرة بعضها مطبوع مثل «المغازى النبوية» و بعضها لم يطبع إلى الآن مثل «تفسير القرآن».

٤١- يونس بن عبد الرحمن مولى على بن يقطين، أبو محمّد كان جليل القدر، عظيم المنزلة.

ترجم له النجاشى فى «رجال» ج ٢/ ٤٢٠ رقم ١٢٠٩ و قال: كان وجها فى أصحابنا، متقدّما، عظيم المنزلة.

ولد فى أيام هشام بن عبد الملك، و رأى جعفر بن محمّد عليهما السّلام بين الصّفا و المروة، و لم يرو عنه، و روى عن أبى الحسن موسى و الرضا عليهما السّلام، و كان الرضا عليه السّلام يشير إليه فى العلم و الفتيا، و كان مّمّن بذل له على الوقف مال جزيل و امتنع من أخذه.

و عدّه الشيخ فى «رجال» من أصحاب الكاظم و الرضا عليهما السّلام و وثّقه.

و ذكره الكشى من أصحاب الإجماع من أصحاب أبى إبراهيم و أبى الحسن عليهما السّلام ملحقا برقم ٤٣٣ و قال: أفقه هؤلاء يونس

بن عبد الرحمن.

و أَرخ العَلَماءُ في القسم الأول من «الخلاصة» ص ١٨٤ وفاته سنة (٢٠٨) هـ.

له تصانيف كثيرة في الفقه والكلام والتفسير، منها «كتاب تفسير القرآن» و «كتاب فضل القرآن».

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٥

توجد ترجمته مع تصانيفه مضافا إلى ما ذكرنا في: «الفهرست» للشيخ ص ١٨١-١٨٢، و «الفهرست» لابن النديم ج ١/ ٢٢٠، و «تنقيح

المماقاني» ج ٣/ ٣٣٨ رقم ١٣٣٥٧، و «معجم المؤلفين» ج ١٣/ ٣٤٨.

٤٢- الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي أبو زكرياء الكوفي، كان أعلم الكوفيين في النحو، واللغة، و فنون الأدب

ولد بالكوفة سنة (١٤٤) هـ، و انتقل إلى بغداد، و عهد إليه المأمون العباسي بتربية ابنه، و كان مع تقدمه في الأدب، فقيها مفسرا،

متكلما، عالما بأيام العرب و أخبارها، عارفا بالنجوم و الطب، توفي في طريق مكة سنة (٢٠٧) هـ، له تصانيف قيمة منها «المصادر في

القرآن» و «معاني القرآن» أملاه في مجالس عامة كان في جملة من يحضرها نحو ثمانين قاضيا.

توجد ترجمته في غير واحد من كتب التراجم منها «الأعلام» ج ٩/ ١٧٨، و إرشاد الأريب ج ٧/ ٢٧٦.

٤٣- الصنعاني: عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولا هم كان من حفاظ الحديث الثقات، كان يحفظ نحو من سبعة عشر ألف

حديث و من مصنفاته كتاب في «تفسير القرآن» ولد سنة (١٢٦) هـ و توفي سنة (٢١١) هـ.

و ذكر ابن النديم في «الفهرست» ص ٥٢ من تصنيفاته: «نظم القرآن» و «قواعد القرآن» و «تفسير سورة الفاتحة» و «الحروف المقطعة

في أوائل السور».

٤٤- أبو نعيم الفضل بن دكين عمرو بن حماد بن زهير بن درهم الكوفي كان من أكابر محدثي قدماء علماء الخاصة، معتمدا موثوقا

بين العامة و الخاصة، و كان من

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٦

شيوخ البخاري و مسلم، ولد سنة (١٣٠) هـ و توفي سنة (٢١٩) هـ و من مصنفاته «كتاب التفسير» ذكره ابن النديم ص ٥٢.

٤٥- ابن فضال: أبو محمد الحسن بن علي بن فضال بن عمرو بن أيمن الكوفي، ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ١/ ١٢٧ رقم ٧١ ط.

بيروت و قال: كان الحسن عمره كله فطحيا مشهورا بذلك حتى حضره الموت فمات و قد قال بالحق رضي الله عنه، و مات سنة

(٢٢٤) هـ.

و قال الشيخ في «الفهرست» برقم ١٦٤: روى عن الرضا عليه السلام و كان خصيصا به، كان جليل القدر عظيم المنزلة، زاهدا، ورعا ثقة

في الحديث.

له مصنفات منها «الناسخ و المنسوخ» كما ذكره ابن النديم في «الفهرست» ج ١/ ٢٢٣.

٤٦- أبو جعفر محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين بن موسى، جليل القدر من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام، ترجم له النجاشي

في «رجاله» ج ٢/ ٢١٨ رقم ٨٩٧ و قال: جليل في أصحابنا، ثقة، عين، كثير الرواية، حسن التصانيف، روى عن أبي جعفر الثاني عليه

السلام مكاتبه و مشافهه.

و من مصنفاته «تفسير القرآن» كما صرح به في «معجم رجال الحديث» ج ١٧/ ١١٣- ١٢٠ رقم ١١٥٠٩.

٤٧- الحسن بن محبوب أبو علي السّراد، أو الزّراد الكوفي ولد سنة (١٤٩) هـ و توفي سنة (٢٢٤) هـ.

قال المماقاني في «التنقيح» ج ١/ ٣٠٤ رقم ٢٧١٠: عدّه الشيخ تارة من

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٧

أصحاب الكاظم عليه السّلام، و قال: ثقة، و أخرى من أصحاب الرضا عليه السّلام، و قال: مولى لبجيلة كوفي ثقة، و قال في

«الفهرست»: روى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، و روى عن ستين رجلا من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام.

و كان جليل القدر، يعدّ في الأركان الأربعة في عصره له كتب كثيرة منها «كتاب التفسير» صرح به ابن النديم في «الفهرست» ص ٣٠٩ و أول ما ذكر من كتبه الكثيرة كتاب التفسير.

٤٨- على بن مهزيار أبو الحسن الأهوازي دورقي الأصل، ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ٢ / ٧٤ رقم ٦٦٢ ط. بيروت و قال: كان أبوه نصرانيا فأسلم و قيل: إنّ على بن مهزيار أيضا أسلم و هو صغير، و منّ الله عليه بمعرفة هذا الأمر و تفقّه، و روى عن الرضا و أبي جعفر عليهما السّلام، و اختصّ بأبي جعفر الثاني عليه السّلام و توكلّ له، و عظم محلّه منه، و كذلك أبو الحسن الثالث عليه السّلام و توكلّ لهم في بعض النواحي، و خرجت الى الشيعة فيه توقيعات بكلّ خير، و كان ثقة في روايته، و لا يطعن عليه صحيحا اعتقاده ... ثمّ قال: و صنّف الكتب المشهورة .. فعّد نحو ثلاثين كتابا و عدّ منها «كتاب التفسير».

و كان حيا في سنة (٢٢٩) لأنّ محمّد بن علي بن يحيى الأنصاري قال: حدّثنا على بن مهزيار أبو الحسن في المحرم سنة (٢٢٩) هـ، راجع «رجال النجاشي» ج ١ / ٣٤٢ رقم ٣٤٣.

٤٩- البرقي محمّد بن خالد بن عبد الرحمن الكوفي.

عدّه الشيخ في «رجاله» من أصحاب الكاظم و الرضا و الجواد عليهم السّلام، و وثّقه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٨

و ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ٢ / ٢٢٠ رقم ٨٩٩ و قال: كان في الحديث ضعيفا، و كان أدبيا حسن المعرفة بالأخبار و علوم العرب و له كتب .. منها «كتاب التفسير».

قال العلّامة المامقاني في «تنقيح المقال» ج ٣ / ١١٢: إنّ منشأ ضعفه روايته عن الضعفاء و اعتماده على المراسيل كما ذكره ابن الغضائري، و هذا لا دلالة فيه على عدم حجّية حديثه المسند بسند معتمد .. إلخ.

٥٠- الأشعري: أحمد بن محمّد بن عيسى أبو جعفر القمي، شيخ القميين و وجههم و فقيههم غير مدافع، لقي الرضا و الجواد و الهادي عليهم السّلام، و الظاهر عدم تأمل المشايخ في علوّ شأنه و وثاقته.

ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ١ / ٢١٦ رقم ١٩٦، و قال: أول من سكن قم من آباءه: سعد بن مالك بن الأحوص .. ثم وصفه بالوجهة و الفقاهة .. ثم قال:

و له كتب: التوحيد، و فضل النبي (صلّى الله عليه و آله و سلّم) .. و «كتاب الناسخ و المنسوخ».

٥١- الحسن بن سعيد بن حماد بن مهران أبو محمّد الأهوازي.

ذكره الشيخ في «الفهرس» برقم ١٩٧ و وثّقه، و في «رجاله» من أصحاب الرضا و الجواد عليهما السّلام بأرقام ٤ و ١.

لاحظ ترجمته المبسوطة في «تنقيح المقال» ج ١ / ٢٨٢ قال بعد نقل الأقوال:

تلخيص المقال أنّ الحسن بن سعيد من الثقات المسلّم و تفتهم الغير المغموز فيه بوجه من الوجوه و قد نصّ على توثيقه جماعة. شارك أخاه الحسين في الكتب الثلاثين المصنّفة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٩

ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ١ / ١٧١ رقم ١٣٥ و عدّ مصنّفاتة المشتركة مع أخيه الحسين، و عدّ منها «كتاب تفسير القرآن».

٥٢- المازني: بكر بن محمّد بن حبيب بن بقیة البصري، كان إمام عصره في النحو و الأدب، و أخذ عن أبي عبيده و الأصمعي، و أبي زيد الأنصاري، و أخذ عنه أبو العباس المبرّد، له تصانيف منها «تفسير القرآن» كما صرح به في «الذريعة» ج ٤ / ٣١٢، و ترجمته توجد في غير واحد من كتب التراجم منها: وفيات الأعيان ج ١ / ٩٢ و «رجال النجاشي» ج ١ / ٢٧٢ رقم ٢٧٧، و تاريخ بغداد ج ٧ رقم ٣٥٢٩، و «معجم الأدباء» ج ٣ / ٢٨٠ و غيرها، و أرخوا تاريخ وفاته سنة (٢٤٨) أو قبلها أو بعدها.

٥٣- محمّد بن أورمه أبو جعفر القمي، ترجم له المامقاني في «التنقيح» ج ٢ / رقم ١٠٤٢٥ و قال: قد وقع الخلاف في الرجل فضغفه جماعة، واعتمد عليه آخرون، و توقّف ثالث .. ثم بعد نقل الأقوال قال: الأقوى كون الرجل من الحسان بل من أعلاهم و كونه معتمد الزواية صحيح الكتاب، له مصنفات منها «تفسير القرآن».

٥٤- ابن وضّاح، قال العلّامة المحقّق في «الذريعة» ج ٤ / ٢٤٩ رقم ١١٩٨:

تفسير ابن وضّاح، لم يعلم اسمه، ذكره الشيخ في باب الكنى من الفهرست و قال:

يرويه عنه أحمد بن ميثم حفيد الفضل بن دكين الشهيد (٢١٩) ه فيظهر أنّه من أواسط القرن الثالث.

٥٥- ابن عبدك: محمّد بن علي بن عبدك أبو جعفر الجرجاني، ترجم له

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٥٠

تفسير الصراط المستقيم ج ١ ٩٩

النجاشي في «رجاله» ج ٢ / ٣٠٠ رقم ١٠٤١ و قال: جليل القدر من أصحابنا، فقيه متكلم، له كتب منها «كتاب التفسير».

و ترجم له الشيخ في آخر كنى «الفهرست» فقال: له كتب كثيرة منها: كتاب «التفسير» كبير حسن.

٥٦- البراوستاني: سلمة بن الخطّاب أبو الفضل أو ابو محمّد الأزدورقاني (براوستان بفتح الباء الموحّدة و الراء المهملة و الواو المفتوحة و السين المهملة الساكنة): قرية من قرى قم (و الأزدورقان) بفتح الهمزة و سكون الزاي و ضم الدال المهملة: قرية من سواد الرى.

عدّه الشيخ في «رجاله» ممّن لم يرو عنهم عليهم السّلام.

و ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ١ / ٤٢٢ رقم ٤٩٦ و قال: كان ضعيفا في حديثه، له عدّه كتب .. منها: كتاب «تفسير ياسين».

٥٧- البرقي: الحسن بن خالد بن محمّد بن علي أبو علي، وثقه النجاشي.

و عدّه الشيخ فيمن لم يرو عنهم عليهم السّلام، و قال: له كتب.

و قال ابن شهر آشوب في «معالم العلماء» ص ١٨٩: الحسن بن خالد البرقي أخو محمّد بن خالد، من كتبه «تفسير العسكري» عليه السّلام من إملاء الإمام في مائة و عشرين مجلدا.

ترجم له السيد الخوئي قدّس سرّه في «المعجم» ج ٤ / ٣١٧ و قال: إن صحّ قول ابن شهر آشوب فهو ليس ممّن لم يرو عنهم عليهم السّلام.

٥٨- الأسترابادي: محمّد بن القاسم، أو محمّد بن أبي القاسم المفسّر

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٥١

الأسترابادي، روى الصدوق عنه في «الفقيه»، و «التوحيد»، و «عيون أخبار الرضا عليه السّلام» و في كلّ موضع روى عنه يقول: رضى الله عنه، و هو يروى التفسير المعروف بتفسير الإمام العسكري عليه السّلام عن يوسف بن محمّد بن زياد، و علي بن محمّد بن يسار عن أبيهما عن الإمام العسكري عليه السّلام.

٥٩- الفضل بن شاذان بن الخليل أبو محمّد الأزدي النيسابوري كان ثقة، جليل القدر، فقيها متكلمًا له عظم شأن في هذه الطائفة، قيل: إنّه صنّف (١٨٠) كتابا، توفي سنة (٢٦٠) ه، و من مصنفاته «تفسير القرآن» صرّح به ابن النديم في «الفهرست» ص ٣٢٣ و توجد ترجمته في غير واحد من كتب التراجم منها: «رجال النجاشي» ج ٢ / ١٦٨ رقم ٨٣٨، و «رجال الكشي» رقم ٤١٦، و «معجم رجال الحديث» ج ١٣ / ٢٨٥ - ٣٠٢ رقم ٩٣٥٥.

٦٠- ابن فضال الصغير: علي بن الحسن بن علي بن فضال بن عمر بن أيمن.

ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ٢ / ٨٢ رقم ٦٧٤ و قال: كان فقيه أصحابنا بالكوفة، و وجههم، وثقتهم، و عارفهم بالحديث .. ثم قال:

و قد صَنَّف كتباً كثيرة، ثم عدَّ منها «كتاب التفسير».

ترجم له الزركلى فى «الاعلام» ج ٥ / ٧٩، و أرخ وفاته نحو سنة (٢٩٠) هـ.

٦١- البرقى: أحمد بن محمّد بن خالد بن عبد الرحمن أبو جعفر الكوفى الأصل ذكره الشيخ فى «رجال» بأرقام ٨ و ١٦ و عدّه من أصحاب الجواد و الهادى عليهما السّلام.

و ذكره ابن حجر فى «لسان الميزان» ج ١ رقم ٨١٣ و قال: من كبار الرافضة،

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٥٢

له تصانيف جمّة أدبيّة.

و ذكره الحموى فى «معجم الأدباء» ج ٢ / ٣٠ و نقل عن الشيخ الطوسى ترجمته و تعداد كتبه و قال: تصانيفه تقارب مائة تصنيف.

و قد عدّ منها «التفسير و التأويل».

توفى بقم سنة (٢٧٤) أو سنة (٢٨٠) هـ كما فى «رجال النجاشى» ج ١ / ٢٠٦.

٦٢- ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى أبو محمّد ولد سنة (٢١٣) هـ و توفى سنة (٢٧٦) هـ ببغداد، ترجم له الزركلى فى «الاعلام» ج ٤ / ٢٨٠ و عدّ من كتبه «مشكل القرآن» مطبوع و «المشبه من الحديث و القرآن» مخطوط، و «غريب القرآن» مخطوط.

٦٣- الدينورى: أحمد بن داود بن وند (بفتح الواو و النون الأولى و سكون النون الثانية) أبو حنيفة.

ترجم له الزركلى فى «الأعلام» ج ١ / ١١٩ و قال: مهندس مؤرّخ نباتى، من نوابغ الدهر، جمع بين حكمه الفلاسفة و بيان العرب، له تصانيف، ثم عدّ منها «تفسير القرآن» ثلاثة عشر مجلداً، و أرخ وفاته سنة (٢٨٢) هـ.

٦٤- إبراهيم بن محمّد بن سعيد الثقفى الكوفى الإصفهانى، كان يرى رأى الزيدية ثم انتقل الى القول بالامامية، توفى بأصفهان سنة (٢٨٣) هـ له مصنّفات منها «ما نزل من القرآن فى أمير المؤمنين عليه السّلام» كما صرّح به النجاشى فى «رجال» ج ١ / ٩٠ رقم ١٨.

٦٥- سهل بن عبد الله بن يونس التستري أبو محمّد أحد علماء الصوفية ولد

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٥٣

سنة (٢٠٠) هـ و توفى سنة (٢٨٣) هـ، من مصنّفات «تفسير القرآن» مطبوع، ترجم له أبو نعيم فى «حلية الأولياء» ج ١٠ / ١٨٩.

٦٦- الحبرى: أبو عبد الله الحسين بن حكم بن مسلم الكوفى المحدث المفسّر الزيدى، توفى سنة (٢٨٦) هـ، من مصنّفات «ما نزل من القرآن فى أهل البيت عليهم السّلام» مطبوع، صرّح به ابن شهر آشوب فى «معالم العلماء» ص ١٤٤.

٦٧- المبرّد: محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس، كان إمام العربية و الأدب ببغداد فى عصره، ولد بالبصرة سنة (٢١٠) هـ و توفى ببغداد سنة (٢٨٦) هـ، من مصنّفات «إعراب القرآن».

توجد ترجمته فى غير واحد من كتب التراجم منها «تاريخ بغداد» ج ٣ / ٣٨٠، «وفيات الأعيان» ج ١ / ٤٩٥.

٦٨- سعد بن عبد الله بن أبى خلف الأشعري أبو القاسم القمى محدث، فقيه، مفسر، توفى سنة (٢٩٩) أو سنة (٣٠١) هـ.

ترجم له النجاشى فى «رجال» ج ١ / ٤٠١ رقم ٤٦٥ و قال فى ترجمته: شيخ هذه الطائفة و فقيهاً، و وجهها، كان سمع من حديث العامة شيئاً كثيراً، و سافر فى طلب الحديث، لقى من وجوههم الحسن بن عرفه المتوفى (٢٧٧) هـ، و عباس الترقفى المتوفى (٢٦٧) هـ، و

لقى مولانا أبا محمّد عليه السّلام، و رأيت بعض أصحابنا يضعفون لقاءه لأبى محمّد عليه السّلام، و يقولون: هذه حكاية موضوعه عليه و الله أعلم.

ثم ذكر من مصنّفات الكثير ما يقارب أربعين كتاباً، و عدّ منها كتاب ناسخ

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٥٤

القرآن و منسوخه، و كتاب محكم القرآن و متشابهه.



٦٩- الحسين بن سعيد بن حمّاد بن مهران الأهوازي، كتب مع أخيه الحسن ثلاثين كتابا، منها «تفسير القرآن»، و كان حيا في سنة (٣٠٠) هـ كما استفاد من النجاشي في «رجاله» ج ١/ ١٧٥ أن الحسين بن سعيد الأهوازي حدّث بكتبه و جميع مصنّفاته عند منصرفه من زيارة الرضا عليه السلام أيام جعفر بن الحسن الناصر بآمل طبرستان سنة ثلاث مائة.

٧٠- محمّد بن عباس بن عيسى أبو عبد الله الغاضري.

ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ٢/ ٢٣٢ رقم ٩١٧، وقال: ثقّه، روى عن أبيه، و الحسن بن علي بن أبي حمزة، و عبد الله بن جبلة، له كتب منها: «كتاب التفسير» .. ثم روى كتبه باسناده عن حميد (أى حميد بن زياد النينواي المتوفى (٣١٠) هـ) كما صرّح به الطهراني في «الذريعة» ج ٤/ ٢٩٥، و أضاف الى ما ذكره النجاشي: «غريب القرآن» و «تفسير غرر الفوائد».

٧١- أبو جعفر الصيرفي محمّد بن علي بن إبراهيم بن موسى الملقّب بأبي سميئة.

ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ٢/ ٢١٦ رقم ٨٩٥ و قال: ضعيف جدّا فاسد الاعتقاد، لا يعتمد في شيء، و كان ورد قم، و قد اشتهر بالكذب بالكوفة، و نزل على أحمد بن محمّد بن عيسى مدّه، ثم تشهّر بالغلوّ .. و أخرجه أحمد عن قم، و له قصّة. ثم ذكر كتبه و عدّد منها «تفسير عمّ يتساءلون».

٧٢- الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن زين العابدين عليه السلام ابو

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٥٥

محمّد الناصري العلوي.

ترجم له الزركلي في «الأعلام» ج ٢/ ٢١٦ و قال: ثالث ملوك الدولة العلوية بطبرستان، كان شيخ الطالبين و عالمهم .. و كان شاعرا مفلقا توفى في طبرستان سنة (٣٠٤) هـ، له «تفسير» في مجلدين احتجّ فيه بألف بيت من ألف قصيدة.

٧٣- علي بن إبراهيم بن هاشم ابو الحسن القمي.

ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ٢/ ٧٦ رقم ٦٧٨ و قال: ثقّه في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر، و صنّف كتابا، و أضرّف في وسط عمره.

و له «كتاب التفسير» و كتاب الناسخ و المنسوخ ..

و هو من أجلّ مشايخ الكليني، و قد كان حيا الى سنة (٣٠٧) هـ.

٧٤- فرات بن إبراهيم الكوفي، هو من مشايخ أبي الحسن علي بن بابويه القمي له «تفسير» بلسان الأخبار، و أغلبه في شأن الأئمة الأطهار عليهم السلام.

قال المجلسي في الفصل الثاني من أوّل البحار: «تفسير فرات» و إن لم يتعرّض الأصحاب لمؤلفه بمدح و لا قدح لكن لكون أخباره موافقة لما وصل إلينا من الأحاديث المعتبرة و حسن الضبط في نقلها ممّا يعطى الوثوق بمؤلفه و حسن الظنّ به و قد روى الصدوق عنه أخبارا بتوسط الحسن بن محمّد بن سعيد الهاشمي، و روى عنه الحاكم ابو القاسم الحسكاني في «شواهد التنزيل» و غيره.

و روى المترجم أكثر رواياته عن الحسين بن سعيد الأهوازي المتقدّم الذي كان حيا في سنة (٣٠٠) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٥٦

٧٥- الحسن بن موسى أبو محمّد النوبختي.

ترجم له الشيخ في «رجاله» و وثّقه في باب من لم يرو عنهم عليهم السلام رقم ٤.

و ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ١/ ١٧٩ رقم ١٤٦ و قال: في ترجمته:

شيخنا المتكلم، المبرّز على نظرائه في زمانه قبل الثلاث مائة و بعدها، له على الأوائل كتب كثيرة.

ثم عدّد منها: «كتاب التنزيه و ذكر متشابه القرآن».

و ترجم له الزركلى فى «الأعلام» ج ٢ / ٢٣٩ و قال: فلكى عارف بالفلسفة، كانت تدعيه المعتزلة و الشيعة، و هو من أهل بغداد، توفى سنة (٣١٠) هـ.

٧٦- الطبرى: محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر المؤرخ المفسر، ولد فى آمل طبرستان سنة (٢٢٤) هـ، و استوطن بغداد و توفى بها سنة (٣١٠) هـ و له مصنفات منها: «جامع البيان فى تفسير القرآن» مطبوع يعرف بتفسير الطبرى فى ثلاثين جزءا، و «القراءات». توجد ترجمته فى غير واحد من كتب التراجم.

٧٧- قتيبة بن أحمد بن شريح أبو حفص. ترجم له كحاله فى «معجم المؤلفين» ج ٨ / ١٢٧ نقلا عن طبقات المفسرين للسيوطى ص ٢٨ و «هداية العارفين» ج ١ / ٨٣٥، و قال: النجارى، الشيعى، أبو حفص مفسر من آثاره: «التفسير الكبير».

و ترجم له السيد الحسن الصدر فى «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ص ٣٤١ فى عداد المفسرين من الإمامية و ذكر «تفسيره الكبير». تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٥٧ توفى سنة (٣١٦) هـ.

٧٨- الكعبى: عبد الله بن أحمد بن محمود البلخى الخراسانى.

ترجم له الزركلى فى «الأعلام» ج ٤ / ١٨٩، و قال: أحد أئمة المعتزلة، كان رأس طائفة منهم تسمى «الكعبية» و له آراء و مقالات فى الكلام انفرد بها، و له كتب منها: «التفسير»، توفى سنة (٣١٩) هـ.

٧٩- البلخى: أحمد بن سهل، أبو زيد البلخى، أحد الكبار الأفاضل من علماء الإسلام، ولد فى إحدى قرى بلخ سنة (٢٣٥) هـ و مات ببلخ سنة (٣٢٢) هـ، و أورد ابن النديم فى «الفهرست» ص ٥١ قائمة مؤلفاته منها: «نظم القرآن» و «تفسير الفاتحة» و «ما أغلق من غريب القرآن» و غيرها.

توجد ترجمته فى كتب التراجم منها «معجم الأدباء» ج ٣ / ٦٤، و «الأعلام» ج ١ / ١٣١، و «لسان الميزان» ج ١ / ١٨٣.

٨٠- الصابونى: محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليم الجعفى الكوفى المعروف بأبى الفضل الصابونى و المشهور بين الفقهاء بصاحب «الفاخر» و الجعفى.

عدّه الشيخ فى «رجاله» رقم ٨ من أصحاب الإمام الهادى عليه السلام.

و ترجمه السيد بحر العلوم الطباطبائى فى «الفوائد» ج ٣ / ١٩٩ و قال: من قدماء أصحابنا، و أعلام فقهاءنا من أصحاب كتب الفتوى، و من كبار الطبقة السابعة ممن أدرك الغيبتين: الصغرى و الكبرى، عالم، فاضل، فقيه، عارف بالسير و الأخبار، و النجوم له كتب .. منها: «كتاب تفسير معانى القرآن».

٨١- ابن الخياط: محمد بن أحمد بن منصور، نحوى، أصله من سمرقند أقام فى

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٥٨

بغداد، و توفى بالبصرة سنة ٣٢٠ هـ من كتبه «معانى القرآن».

توجد ترجمته فى «نزهة الألباء» ص ٣١٢، و «بغية الوعاة» ص ١٩.

٨٢- العياشى: محمد بن مسعود السلمى أبو النضر، كان من أهل سمرقند، اشتهرت كتبه فى نواحى خراسان اشتهارا عظيما و هى تزيد على مائتى كتاب أورد ابن النديم أسماء أكثرها منها: تفسيره المعروف بتفسير العياشى، توفى نحو سنة (٣٢٠) هـ.

توجد ترجمته فى «الفهرست» لابن النديم ج ١ / ١٩٤، و «رجال النجاشى» ج ٢ / ٢٤٧ رقم ٩٤٥، و «الذريعة» ج ٤ / ٢٩٥، و غيرها.

٨٣- محمد بن بحر، أبو مسلم الإصفهانى: وال، من كبار الكتّاب، كان عالما بالتفسير و غيره من صنوف العلم، و لى أصفهان و بلاد فارس للمقتدر العباسى الى سنة (٣٢١) هـ، ولد سنة (٢٥٤) و توفى سنة (٣٢٢) هـ و من تصانيفه: «جامع التأويل» فى التفسير أربعة عشر

مجلدا.

ترجمته توجد في «إرشاد الأريب» ج ١/ ٤٢٠، و «الاعلام» ج ١/ ٢٧٣.

٨٤- ابن أبي الثلج: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل الكاتب المتوفى سنة (٣٢٥) هـ.

ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ٢/ ٢٩٩ رقم ١٠٣٨ و قال: ثقته، عين كثير الحديث، له كتب منها: «كتاب ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام» ..

٨٥- ابن الحجاج: محمد بن العباس بن علي بن مروان بن الماهيار، أبو عبد

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٥٩

الله البزاز.

ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ٢/ ٢٩٥ رقم ١٠٣١، و قال: ثقته ثقته، من أصحابنا، عين، سديد، كثير الحديث، له «كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام» و قال جماعة من أصحابنا: إنه كتاب لم يصنف معناه مثله، و قيل: إنه ألف ورقة.

ترجم له كحاله في «معجم المؤلفين» ج ١٠/ ١٢٠ و قال: كان حيا في سنة (٣٢٨) هـ.

٨٦- ابن بابويه القمي: علي بن الحسين بن موسى بن بابويه أبو الحسين شيخ القميين في عصره، و متقدمهم، و فقيههم، و ثقتهم، قدم العراق و اجتمع مع أبي القاسم الحسين بن روح رحمه الله، و سأله مسائل،

ثم كاتبه بعد ذلك، و سأله أن يوصل له رقعة الى الصاحب عجل الله تعالى فرجه الشريف و يسأله فيها الولد فكتب عليه السلام إليه: «قد دعونا الله لك بذلك، و سترزق ولدك ذكرا خيرا» فولد له أبو جعفر الصدوق و أخوه الحسين بن علي

، توفي بقم سنة (٣٢٩) هـ و له مصنفات منها «كتاب التفسير».

توجد ترجمته في غير واحد من كتب التراجم منها «رجال النجاشي» ج ٢/ ٨٩ رقم ٦٨٢.

٨٧- السجستاني: محمد بن عزيز (أو عزيز) المفسر البغدادي المكن، المتوفى سنة (٣٣٠) هـ اشتهر بكتابه «غريب القرآن» المطبوع، صنّفه على حروف المعجم في ١٥ سنة.

توجد ترجمته في «طبقات مفسران شيعة» للفاضل المعاصر العقيقي

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٦٠

البخشايشي ج ١/ رقم ١١٤، و الأعلام ج ٧/ ١٤٩ و «نزهة الألباء» ص ٣٨٦، و «معجم المطبوعات» / ١٠٠٨.

٨٨- الجلودي: عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الأزدي البصري مؤرخ، أديب، نسبه الى جلود (قرية) توفي سنة (٣٣٢) هـ، له كتب كثيرة تقارب المائتين، منها: «كتاب التفسير عن علي عليه السلام» و «ما نزل فيه من القرآن» و «كتاب التفسير عن ابن عباس» و غيرها، أوردتها كلها بأسمائها النجاشي في «رجاله» ج ٢/ ٥٤-٥٩ رقم ٦٣٨.

٨٩- ابن عقدة: أحمد بن محمد بن سعيد، أبو العباس الكوفي الحافظ ولد سنة (٢٥٠) هـ أو قبلها و توفي سنة (٣٣٢) هـ أو بعدها، كان زيدا جاروديا، له تصانيف منها: «التفسير» أوردته الطهراني في «الذريعة» ج ٤ رقم ١١٨٨.

٩٠- الصولي: محمد بن يحيى بن عبد الله، من أكابر علماء الأدب، و نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس هم: «الراضي و المكتفي و المقتدر» توفي سنة (٣٣٥) هـ أو بعدها، و له تصانيف منها «الشامل في علم القرآن» لم يتمه.

ترجمته توجد في «تاريخ بغداد» ج ٣/ ٤٢٧-٤٣٢ و «وفيات الأعيان» ج ١/ ٦٤٣ و «معجم الأدباء» ج ١٩/ ١٠٩-١١١، و «تذكرة الحفاظ» ج ٣/ ٦٣، و غيرها.

٩١- محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد أبو جعفر نزيل قم المتوفى سنة (٣٤٣) هـ.

ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ٢/ ٣٠١ رقم ١٠٤٣ و قال: شيخ القميين،

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٦١

و فقيهم، و متقدمهم، و وجههم، و يقال: إنه نزيل قم، و ما كان أصله منها، ثقة ثقة، عين، مسكون إليه، له كتب منها: «كتاب تفسير القرآن».

٩٢- ابن دؤل: أحمد بن محمد بن الحسين بن دؤل القمي المتوفى سنة (٣٥٠) هـ ترجم له النجاشي في «رجاله» ج ١ / ٢٣٢ رقم ٢٢١ و قال: له مائة كتاب، ثم عدّها بأسمائها و عدّها منها: «كتاب التفسير».

٩٣- النقاش: محمّد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلي البغدادي، ولد سنة (٢٦٦) هـ و توفي سنة (٣٥١) هـ، كان عالما بالتفسير و القراءات، له مصنّفات.

ترجم له الزركلي في «الأعلام» ج ٦ / ٣١٠ و ذكر أسماء كتبه فعّد منها: «شفاء الصدور» في التفسير، و «الإشارة» في غريب القرآن، و «الموضح» في القرآن و معانيه.

٩٤- أبو القاسم الكوفي: علي بن أحمد العلوي، باحث متفلسف، كان في بدايته إماميا، و لكن غلا- في آخر أمره و أظهر مذهب «المخمسة» القائلين بألوهية علي بن أبي طالب عليه السلام، و بأنّ سلمان، و المقداد، و أبا ذرّ، و عمّارا، و عمرو بن أمية الضمري، هم الموكّلون بمصالح العالم من قبل الربّ، أعادنا الله من الانحرافات الاعتقادية و الأخلاقية و العلميّة.

له مصنّفات كثيرة منها: «كتاب تفسير القرآن» قيل: إنه لم يتمه، توفي سنة (٣٥٢) هـ، توجد ترجمته في «رجال النجاشي» ج ٢ / ٩٦ رقم ٦٨٩، و «فهرست» الشيخ ص ٩١ رقم ٣٩١، و «الأعلام» ج ٥ / ٥٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٦٢

٩٥- ابن مقسم العطار: محمّد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم البغدادي العالم بالقراءات و التفسير، ولد سنة (٢٦٥) هـ، و توفي سنة (٣٥٤) هـ، من مصنّفات: «الأنوار في تفسير القرآن».

اطلب ترجمته المبسوطة في «الأعلام» ج ٦ / ٣١١، غاية النهاية ج ٢ / ١٢٠ و غيرهما.

٩٦- الجصاص: أحمد بن علي الرازي الحنفي ولد سنة (٣٠٥) هـ و كان من أهل الرّي، و سكن بغداد و مات فيها سنة (٣٧٠) هـ، و من مصنّفات: «أحكام القرآن» اطلب ترجمته في «الجواهر المضيئة» ج ١ / ٨٤ و «تذكرة الحفاظ» ج ٣ / ١٥٩، و «النجوم الزاهرة» ج ٤ / ١٣٨.

٩٧- الشيخ الصدوق: محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي رئيس المحدّثين، ولد بدعاء صاحب الأمر صلوات الله عليه، نزل بالرّي و توفي بها سنة (٣٨١) هـ و له نحو ثلاثمائة مصنّف منها: «كتاب تفسير القرآن»، و «كتاب الناسخ و المنسوخ» و «كتاب مختصر تفسير القرآن».

توجد ترجمته في غير واحد من كتب التراجم منها: «رجال النجاشي» ج ٢ / ٣١١-٣١٦ رقم ١٠٥٠.

٩٨- ابو الحسن الرّماني: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، ترجم له الزركلي في «الأعلام» ج ٥ / ١٣٤ و قال: باحث معتزلي مفسّر، من كبار النحاة، أصله من سامراء، ولد في بغداد سنة (٢٩٦) هـ و توفي بها سنة (٣٨٤) هـ، له نحو مائة مصنّف، منها «كتاب التفسير».

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٦٣

٩٩- عباد الطالقاني: ابن العباس بن عباد أبو الحسن، والد إسماعيل صاحب، ولد سنة (٣٢٦) هـ و توفي سنة (٣٨٥) هـ.

توجد ترجمته في «المنتظم» ج ٧ / ١٨٤، و «النجوم الزاهرة» ج ٤ / ٣٨٥، و ترجم له كحالة في «معجم المؤلفين» ج ٥ / ٥٧ و قال: له كتاب في «أحكام القرآن».

١٠٠- الأدفوي: محمّد بن علي بن أحمد، من أهل «أدفو» بصعيد مصر ولد سنة (٣٠٤) هـ و توفي بالقاهرة سنة (٣٨٨) هـ.

ترجم له الزركلي في «الأعلام» ج ٧ / ١٦٠ و قال: نحويّ مفسّر، له «الاستغناء» في علوم القرآن، مائة جزء، رأى منها صاحب «الطالع السعيد» عشرين مجلدا.

- ١٠١- أبو الفرج الجريدي: المعافي بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد المعروف بابن طرار، فقيه، أصولي، أديب كان متفقا على مذهب ابن جرير الطبري، ولد سنة (٣٠٣) هـ، و توفي بالنهروان سنة (٣٩٠) هـ من تصانيفه: «تفسير القرآن» في ست مجلدات. توجد ترجمته في غير واحد من كتب التراجم منها: معجم المؤلفين ج ١٢ / ٣٠٢.
- ١٠٢- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي الأديب اللغوي، ولد سنة (٣٢٩) هـ و توفي بالري سنة (٣٩٥) هـ و من مصنفاته: «جامع التأويل» في تفسير القرآن في أربع مجلدات. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٦٤. له ترجمة في «الأعلام» ج ١ / ١٨٤.
- ١٠٣- أبو عبيد الهروي: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، توفي سنة (٤٠١) هـ له كتاب «الغريبين» غريب القرآن و غريب الحديث. له ترجمة في «وفيات الأعيان» ج ١ / ١٩.
- ١٠٤- الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى أبو الحسن الموسوي ولد ببغداد سنة (٣٥٩) هـ و توفي بها سنة (٤٠٦) هـ. من مصنفاته: «مجاز القرآن» و «حقائق التنزيل و دقائق التأويل». توجد ترجمته في «رجال النجاشي» ج ٢ / ٣٢٥، و «معجم رجال الحديث» ج ١٦ / ١٩ - ٢٠.
- ١٠٥- أبو طاهر الزيادي أحمد بن محمد بن محمش، حدث عن محمد بن يعقوب بن يوسف بن أكرم المتوفى سنة (٣٤٤) هـ، ولد سنة (٣١٧) هـ و توفي سنة (٤١٠) هـ له «مختصر التفاسير».
- الذريعة ج ٢٠ / ١٨٨ - ١٠٦- أبو القاسم البغدادي الضرير: هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي المفسر المقرئ، كان أحفظ أهل زمانه لتفسير القرآن و اختلاف السلف فيه. ترجم له ابن الجزري في «غاية النهاية» ج ٢ / ٣٥١ رقم ٣٧٧١ و قال: صاحب «الناسخ و المنسوخ»، يقال: إنه روى خمسة و تسعين تفسيراً، و كان يملئ التفسير و الناسخ و المنسوخ من حفظه، توفي ببغداد سنة (٤١٠) هـ.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٦٥.
- ١٠٧- ابن مردويه: أحمد بن موسى بن مردويه الإصبهاني، و يقال له: ابن مردويه الكبير، حافظ مؤرخ مفسر. ترجم له الزركلي في «الأعلام» ج ١ / ٢٤٦ و قال: ولد سنة (٣٢٣) هـ و توفي سنة (٤١٠) هـ له كتاب في «تفسير القرآن».
- ١٠٨- محمد السلمي: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم الأزدي النيسابوري أبو عبد الرحمن، ولد في سنة (٣٢٥) هـ، و توفي بنيسابور سنة (٤١٢) هـ.
- ترجم له كحالة في «معجم المؤلفين» ج ٩ / ٢٥٨ و قال: صوفي، محدث، حافظ، مفسر، مؤرخ، من تصانيفه الكثيرة: «حقائق تفسير القرآن».
- ١٠٩- الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن نعمان بن عبد السلام المعروف بابن المعلم ولد سنة (٣٣٦) هـ في عكبرا (على عشرة فراسخ من بغداد) و توفي ببغداد سنة (٤١٣) انتهت إليه رئاسة الإمامية في عصره، له نحو مائتي مصنف، منها: «الرد على الجبائي» في التفسير، «الكلام في دلائل القرآن» و «المسائل العكبرية» في تفسير الآيات المتشابهات القرآنية. له ترجمة في غير واحد من كتب التراجم.
- ١١٠- الخطيب الإسكافي: محمد بن عبد الله الإصفهاني، الأديب اللغوي الخطيب بالري، توفي سنة (٤٢٠) هـ، من مصنفاته «درّة التنزيل و غزّة التأويل» في الآيات المتشابهة.
- له ترجمة في «إرشاد الأديب» ج ٧ / ٢٠، و الوافي بالوفيات» ج ٣ / ٣٣٧.
- ١١١- الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري المفسر

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٦٦

توفى سنة (٤٢٧) هـ، و من مصنفاته: «الكشف و البيان في تفسير القرآن».

له ترجمة في «وفيات ابن خلكان» ج ١ / ٢٢، و الأعلام ج / ٢٠٦.

١١٢- أبو علي سيناء: الشيخ الرئيس الحسين بن عبد الله بن سيناء الفيلسوف، أصابه من بلخ، ولد في إحدى قرى بخارى سنة (٣٧٠) هـ و توفى سنة (٤٢٨) أو قبلها في الطريق إلى همدان، له مصنفات منها: «تفسير سورة التوحيد» و «تفسير سورة الحمد»، و تفسير سورتي الفلق و الناس و غيرهما.

توجد ترجمته في غير واحد من كتب التراجم: منها «تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٧-٧٢.

١١٣- الأسفراييني: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي أبو منصور، عالم متفنن، توفى في أسفرائين سنة (٤٢٩) هـ، له تصانيف منها «تفسير القرآن».

أنظر ترجمته في طبقات السبكي ج ٣ / ٢٣٨.

١١٤- المعافري: أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافري الأندلسي المقرئ المفسر، ولد سنة (٣٤٠) و توفى سنة (٤٢٩) هـ، له «تفسير القرآن» نحو مائة جزء، و «البيان» في إعراب القرآن.

ترجم له ابن الجوزي في «غاية النهاية» ج ١ / ١٢٠، و الزركلي في «الأعلام» ج ١ / ٢٠٦.

١١٥- الحوفي: علي بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن النحوي المصري المتوفى سنة (٤٣٠) هـ، من كتبه «البرهان في تفسير القرآن» كبير جدًا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٦٧

له ترجمة في بغية الوعاة ص ٣٢٥ و وفيات الأعيان ج ١ / ٣٣٢.

١١٦- الحيري: إسماعيل بن أحمد بن عبد الله المفسر الفقيه الشافعي النيسابوري ولد سنة (٣٦١) هـ و توفي بعد سنة (٤٣٠) هـ، له تصانيف في علم القرآن منها «الكفاية» في التفسير.

له ترجمة في «نكت الهميان» ص ١١٩ و طبقات الشافعية ج ٣ / ١١٥.

١١٧- الهروي: عبد الله بن أحمد بن محمد أبو ذر الأنصاري الحافظ المحدث المالكي، توفي بمكة المكرمة سنة (٤٣٤) هـ، له تصانيف منها «تفسير القرآن».

أنظر ترجمته في «الأعلام» ج ٤ / ٤١.

١١٨- الشريف المرتضى: علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم الموسوي ولد ببغداد سنة (٣٥٥) هـ و توفي بها سنة (٤٣٦) هـ، و له مصنفات ثمينه في التفسير منها: «الأمالى» يتضمن لتفسير آيات كثيرة.

توجد ترجمته في غير واحد من كتب التراجم منها: «روضات الجنات» ص ٣٨٣.

١١٩- الجويني: عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية، ولد في جوين (من نواحي نيسابور) و توفي بنيسابور سنة (٤٣٨) هـ، له مصنفات منها «التفسير» كبير.

له ترجمة في الأعلام ج ٤ / ٢٩٠.

١٢٠- أبو العباس المهدوي: أحمد بن عمير التميمي: نزيل الأندلس، كان نحويا مقرئا مفسرا، توفي سنة (٤٤٠) هـ، و من مصنفاته «التفسير الكبير الموسوم

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٦٨

بالتفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، و مختصره باسم «التحصيل».

له ترجمه في «طبقات أعلام الشيعة» ج ٢/ ٢٣، الطبقة الخامسة، و في «البيغة» ص ١٥٣.

١٢١- الناصر الديلمي: الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى الحسنى ولد و تعلم في بلاد الديلم، و قتل في وقعة بينه و بين الصليحي سنة (٤٤٤) ه و من آثاره:

«كتاب في التفسير» في أربعة أجزاء.

توجد ترجمته في «معجم المؤلفين» ج ١٣/ ٦٩، و «الأعلام» ج ٨/ ٣٠٩.

١٢٢- السمان: إسماعيل بن علي بن الحسين بن زنجويه الرازي أبو سعد الحافظ المعتزلى، قيل: بلغت شيوخه ثلاثة آلاف و ستمائة، و توفي سنة (٤٤٧) بالرّي، من مصنفاته: «تفسير» في عشر مجلدات.

له ترجمه في «الأعلام» ج ١/ ٣١٦، و «الجواهر المضية» ج ١/ ١٥٦.

١٢٣- الكراجكى: محمد بن علي بن عثمان أبو الفتح، كان من كبار أصحاب الشريف المرتضى، توفي سنة (٤٤٩) ه، و له «تفسير» يسمّى: «كنز الفوائد».

انظر ترجمته في «الأعلام» ج ٧/ ١٦٢.

١٢٤- الماوردى: علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن، ولد بالبصرة سنة (٣٦٤) و توفى ببغداد سنة (٤٥٠) ه، له تصانيف كثيرة: منها «تفسير القرآن».

له ترجمه في «معجم الأدباء» ج ١٥/ ٥٢، و طبقات الشافعية ج ٣/ ٣٠٣.

١٢٥- أبو جعفر الطوسى: محمد بن الحسن الشيخ الفقيه الجليل ولد سنة

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٦٩

(٣٥٨) و توفي بالنجف الأشرف سنة (٤٦٠) ه، من مصنفاته «التيان الجامع لعلوم القرآن» تفسير كبير.

ترجمته توجد في غير واحد من كتب التراجم منها «الأعلام» ج ٦/ ٣١٥.

١٢٦- القشيري: عبد الكريم بن هوازن النيسابورى شيخ خراسان فى عصره، ولد سنة (٣٧٦) ه و توفي سنة (٤٦٥) ه، له تصانيف منها «التيسير فى التفسير» و «لطائف الإشارات» أيضا فى التفسير.

ترجمته توجد فى غير واحد من كتب التراجم منها «طبقات السبكي» ج ٣/ ٢٤٣.

١٢٧- الواحدى: على بن أحمد بن محمد بن على بن متويه الواحدى، مفسر توفى بنيسابور سنة (٤٦٨) ه، من كتبه «أسباب النزول» مطبوع.

له ترجمه فى «النجوم الزاهرة» ج ٥/ ١٠٤ و عنه الأعلام ج ٥/ ٥٩.

١٢٨- الحافظ الحسكاني: عبيد الله بن أحمد الحاكم النيسابورى المتوفى بعد سنة (٤٧٠) ه، من كتبه «شواهد التنزيل» مطبوع.

ترجم له السيوطى فى «طبقات الحفاظ» ص ٤٤٣.

١٢٩- أبو معشر القطنان: عبد الكريم بن عبد الصمد الطبرى الشافعى المقرئ المفسر، و توفى بمكة المكرمة سنة (٤٧٨) ه و من تصانيفه «عيون المسائل» و «الدرر» كلاهما فى التفسير.

له ترجمه فى «الأعلام» ج ٤/ ١٧٧ عن «غاية النهاية» ج ١/ ٤٠١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٧٠

١٣٠- ابن نايقا: عبد الله بن محمد بن الحسين بن نايقا البغدادي ولد سنة (٤١٠) ه، من مصنفاته «الجمان فى تشبيهات القرآن».

له ترجمه فى «وفيات الأعيان» ج ١/ ٢٦٦.

١٣١- الزوزنى: حسين بن أحمد بن حسين، كان من أهل زوزن (كجعفر) بين هراة و نيسابور، توفي سنة (٤٨٦) ه من مصنفاته

«ترجمان القرآن» بالعربية و الفارسية.

أطلب ترجمته في «بغية الوعاة» ص ٢٣٢ و «هدية العارفين» ج ١ / ٣١٠.

١٣٢- أبو الفرج الشيرازي: عبد الواحد بن محمد بن علي المقدسي الدمشقي الحنبلي، توفي سنة (٤٨٦) هـ، من مصنفاته «الجواهر» في التفسير.

له ترجمة في «الأنس الجليل» ج ١ / ٢٦٣ وهو فيه عبد الواحد بن أحمد بن محمد.

١٣٣- ابن بندار: عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني، ولد سنة (٩٣٢) و توفي ببغداد سنة (٤٨٨) هـ، له «حدائق ذات بهجة» في التفسير، كبير في ثلاث مائة جزء.

ترجم له الزركلي في «الأعلام» ج ٤ / ١٣١.

١٣٤- ابن الفتى: سلمان بن أبي طالب عبد الله الحلواني الشهرواني الأديب توفي سنة (٤٩٣) هـ، له «تفسير على القراءات».

له ترجمة في «إرشاد الأديب» ج ٤ / ٢٤٦ و عنه «الأعلام» ج ٣ / ١٦٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٧١

١٣٥- شيدلة: عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي الفقيه الشافعي القاضي ببغداد، توفي سنة (٤٩٤) هـ، من كتبه «البرهان في مشكلات القرآن».

له ترجمة في «وفيات الأعيان» ج ١ / ٣١٨ و عنه «الأعلام» ج ٥ / ٢٥.

١٣٦- ابن كرامة: المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي، مفسر زيدي، ولد سنة (٤١٣) هـ و توفي سنة (٤٩٤) هـ، من كتبه «التهذيب» في تفسير القرآن.

له ترجمة في «الأعلام» ج ٦ / ١٧٦.

١٣٧- الفامي: عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الشيرازي البغدادي الشافعي، ولد سنة (٤١٤) هـ و توفي سنة (٥٠٠) هـ بشيراز و له سبعون تأليفا منها «التفسير» كبير جدا.

له ترجمة في «الأعلام» ج ٤ / ٣٣٦.

١٣٨- الفتال: محمد بن الحسن بن علي النيسابوري الواعظ، كان من مشايخ ابن شهر آشوب استشهد بعد سنة (٥٠٠) هـ قتله حاكم نيسابور أبو المحاسن عبد الرزاق، من كتبه «التنوير في معاني التفسير».

ترجم له الطهراني في طبقات أعلام الشيعة ج ٣ / ٢٧٥.

١٣٩- الزاغب الإصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل المتوفى سنة (٥٠٢) هـ، من كتبه «جامع التفاسير» كبير، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و «المفردات في غريب القرآن» و «حلّ متشابهات القرآن».

توجد ترجمته في «الأعلام» ج ٢ / ٢٧٩ عن «روضات الجنات» ص ٢٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٧٢

١٤٠- الخطيب التبريزي: يحيى بن علي الشيباني، ولد سنة (٤٢١) هـ و توفي سنة (٥٠٢) هـ، من كتبه «تفسير القرآن».

ترجم له ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ج ٢٠ / ٢٧.

١٤١- الكيا الهراسي: علي بن محمد بن علي الطبري الفقيه الشافعي، مفسر ولد سنة (٤٥٠) هـ، و توفي سنة (٥٠٤) هـ، من كتبه «أحكام القرآن».

أنظر ترجمته في «وفيات الأعيان» ج ١ / ٣٢٧.

١٤٢- البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد الفقيه المفسر الشافعي ولد سنة (٤٣٦) هـ، و توفي سنة (٥١٦) هـ من كتبه «معالم التنزيل» في



التفسير.

ترجم له ابن عساكر في «التهذيب» ج ٤ / ٣٤٥.

١٤٣- ابن بَرَّجان: عبد السلام بن عبد الرحمن أبو الحكم الإشبيلي، متصوِّف توفِّي سنة (٤٣٦) هـ، له «كتاب في تفسير القرآن» أكثر كلامه فيه على طريق الصوفيَّة.

ترجم له الزركلي في «الأعلام» ج ٤ / ١٢٩.

١٤٤- الزمخشري: محمود بن عمر بن محمَّد الخوارزمي. ولد في زمخشر من قرى خوارزم سنة (٤٦٨) هـ و توفِّي سنة (٥٣٨). أشهر كتبه «الكشَّاف» في تفسير القرآن.

ترجمته توجد في غير واحد من كتب التراجم منها «الأعلام» ج ٨ / ٥٥.

١٤٥- ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي الفقيه

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٧٣

المفسر الأندلسي، ولد سنة (٤٨١) هـ و توفِّي سنة (٥٤٢)، من كتبه: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» في عشر مجلدات.

توجد ترجمته في «قضاء الأندلس» ص ١٠٩، و «بغية الملتمس» ص ٣٧٦.

١٤٦- البيهقي: أحمد بن علي بن محمَّد أبو جعفر ك النيسابوري اللغوي ولد سنة (٤٧٠) هـ و توفِّي سنة (٥٤٤)، من تصانيفه «المحيط بلغة القرآن».

له ترجمه في «بغية الوعاة» ص ١٤٧ و «غاية النهاية» ج ١ / ٨٣.

١٤٧- الحلواني: عبد الرحمن بن محمَّد بن عليّ أبو محمَّد ابن أبي الفتح، مفسِّر، فقيه حنبلي بغدادى، ولد سنة (٤٩٠) هـ و توفِّي سنة (٥٤٦) هـ.

و من مصنَّفات «تفسير القرآن» في ٤١ جزءا.

له ترجمه في «الأعلام» ج ٤ / ١٠٤.

١٤٨- الطبرسي: الفضل بن الحسن بن الفضل المفسر الجليل المتوفِّي سنة (٥٤٨) هـ من كتبه «مجمع البيان في تفسير القرآن» و «جوامع الجامع» أيضا في التفسير.

ترجم له غير واحد من أرباب التراجم، منهم الخوانساري في «روضات الجنَّات» ص ٥١٢.

١٤٩- الشهرستاني: محمَّد بن عبد الكريم بن أحمد، من فلاسفة الإسلام ولد سنة (٤٧٩) و توفِّي سنة (٥٤٨) هـ، من كتبه «تفسير سورة يوسف» بأسلوب فلسفي.

له ترجمه في الأعلام ج ٧ / ٨٤ عن وفيات الأعيان ج ١ / ٤٨٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٧٤

١٥٠- أبو الفتوح الرازي: الحسين بن علي بن محمَّد الخزاعي النيسابوري المفسِّر، كان حيا في سنة (٥٥٢) هـ و من آثاره «تفسير القرآن» بالفارسيَّة.

ترجمته توجد في «معجم المؤلفين» ج ٤ / ٣٥.

١٥١- المهذب الأسواني: الحسن بن علي بن إبراهيم المتوفِّي بالقاهرة سنة (٥٦١) هـ، له «تفسير» في خمسين جزءا.

ترجم له الزركلي في الأعلام ج ٢ / ٢٢٠ عن «الطالع السعيد» ص ١٠٠.

١٥٢- السمعاني: عبد الكريم بن محمَّد منصور المروزي، ولد بمر و سنة (٥٠٦) هـ و توفِّي بها سنة (٥٦٢) هـ و من مصنَّفات «تبيين معادن المعاني» في لطائف القرآن الكريم.

توجد ترجمته في كثير من كتب التراجم منها «طبقات السبكي» ج ٢٥٩ / ٤.

١٥٣- ابن الدهان: سعيد بن المبارك بن علي الأنصاري البغدادي الأديب ولد سنة (٤٩٤) هـ ببغداد و توفي بها سنة (٥٦٩)، من كتبه «تفسير القرآن» في أربع مجلدات.

له ترجمة في «الأعلام» ج ١٥٤ / ٣ عن وفیات الأعيان ج ٢٠٩ / ١.

١٥٤- القطب الراوندي: سعيد بن هبة الله بن الحسن المتوفى بقم سنة (٥٧٣) هـ، له مصنفات منها «فقه القرآن» و «خلاصة التفاسير».

ترجمته تطلب من سفينة البحار ج ٤٣٧ / ٢، و الذريعة ج ١٤٥ / ٧.

١٥٥- نشوان الحميري: بن سعيد الأديب اللغوي المتوفى سنة (٥٧٣) من

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٧٥

كتبه «التبيان في تفسير القرآن».

ترجمته توجد في بغية الوعاة ص ٤٣ و إرشاد الأديب ج ٢٠٦ / ٧.

١٥٦- ابن الخراط: عبد الحق بن عبد الرحمن أبو محمّد الإشبيلي الحافظ المحدث الفقيه الأندلسي، ولد سنة (٥١٠) و توفي سنة (٥٨١) هـ و من مصنفاته «غريب القرآن و الحديث».

له ترجمة في «تهذيب الأسماء و اللغات» ج ٢٩٢ / ١.

١٥٧- السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخنعمي، ولد في مالقة سنة (٥٠٨) هـ و عمى و عمره ١٧ سنة، و توفي سنة (٥٨١) هـ له مصنفات منها «التعريف و الاعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء و الأعلام» و «الإيضاح و التبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين».

له ترجمة في «نكت الهميان» ص ١٨٧ و «تذكرة الحفاظ» ج ١٣٧ / ٤.

١٥٨- الغزنوي: عالي بن إبراهيم بن إسماعيل الفقيه الحنفي المفسر، كان مقيما بحلب، توفي سنة (٥٨٢)، من كتبه «تفسير التفسير» في مجلدين ضخمين.

توجد ترجمته في «الأعلام» ج ١٥ / ٤.

١٥٩- العتّابي: أحمد بن محمّد بن عمر أبو نصر البخاري الحنفي، المتوفى سنة (٥٨٦) هـ من كتبه «التفسير».

له ترجمة في «الجواهر المضية» ج ١١٤ / ١.

١٦٠- ابن شهر آشوب: محمّد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٧٦

ولد سنة (٤٨٨) و توفي سنة (٥٨٨) من كتبه «أسباب نزول القرآن» و «تأويل متشابهات القرآن».

ترجمته توجد في غير واحد من كتب التراجم منها «الأعلام» ج ١٦٧ / ٧.

١٦١- عزّ الدين الراوندي: عليّ بن فضل الله بن عليّ، فقيه، فاضل، كان حيا في سنة (٥٨٩) هـ و من كتبه «تفسير القرآن».

له ترجمة في طبقات الشيعة في القرن السادس ص ١٩٨.

١٦٢- رضى الدين القزويني: أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني الشافعي الواعظ، ولد سنة (٥١٢) هـ بقزوين و توفي بها سنة (٥٩٠). له «التبيان في مسائل القرآن».

له ترجمة في «طبقات الشافعية» ج ٣٥ / ٤.

١٦٣- ابن بنان: محمّد بن محمّد بن بنان الأنباري المصري من كتاب عصره، ولد سنة (٥٠٧) و توفي سنة (٥٩٦) هـ، له «تفسير القرآن».

ترجم له الزركلى فى «الاعلام» ج ٧ / ٢٥٣.

١٦٤- ابن الكال: محمد بن محمد بن هارون الحللى المقرئ المفسر، ولد سنة (٥١٥) و توفى سنة (٥٧٩) ه من كتبه «مختصر التبيان فى تفسير القرآن» و «متشابه القرآن».

ترجم له ابن الجزرى فى «غاية النهاية» ج ٢ / ٢٥٦ رقم ٣٤٤٧.

١٦٥- ابن الجوزى: عبد الرحمن بن على بن محمد البغدادي أبو الفرج ولد فى

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٧٧

بغداد سنة (٥٠٨) و توفى بها سنة (٥٩٧) له مصنفات كثيرة منها: «الناسخ و المنسوخ» و «فنون الأفتان فى عجائب علوم القرآن» و «زاد المسير فى علم التفسير».

توجد ترجمته فى كثير من كتب التراجم منها «وفيات الأعيان» ج ١ / ٢٧٩، و «البداء و النهاية» ج ١٣ / ٢٨.

١٦٦- ابن الفرس: عبد المنعم بن محمد الخزرجى، قاض، أندلسى ولد سنة (٥٣٤) ه و توفى فى البيرة سنة (٥٩٩) ه، له تصانيف منها «أحكام القرآن».

له ترجمة فى «الديوان المذهب» ص ٢١٨.

١٦٧- ابن إدريس الحللى: محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس المولود حدود سنة (٥٤٣) ه، و توفى سنة (٥٩٨) ه، من كتبه «مختصر التبيان من تفسير القرآن».

توجد ترجمته فى غير واحد من كتب التراجم منها «طبقات أعلام الشيعة» فى القرن السادس ص ٢٩٠.

١٦٨- النيريزى: على بن محمد بن على الفقيه المحدث المفسر المتوفى سنة (٦٠٢) أو (٦٠٤) أو (٦٠٥)، من تصانيفه «مجمع البحرين فى التفسير و التأويل» فى عشر مجلدات.

ترجمته توجد فى «معجم المؤلفين» ج ٧ / ٢٢٤.

١٦٩- ابن الأثير الجزرى: المبارك بن محمد بن محمد الشافعى، ولد سنة (٥٤٤) و توفى سنة (٦٠٦) ه، من كتبه «الإنصاف فى الجمع بين الكشف و الكشاف»

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٧٨

فى التفسير.

ترجمته توجد فى غير واحد من كتب التراجم منها «وفيات الأعيان» ج ١ / ٥٥٧.

١٧٠- روزبهان بن أبى نصر الشيرازى المتوفى سنة (٦٠٦) ه من تصانيفه الكثيرة «لطائف البيان فى تفسير القرآن».

له ترجمة فى «كشف الظنون» / ١٩٦ - ١٠١١ - ١٠٧٩ - ١١٣١.

١٧١- الفخر الرازى: محمد بن عمر بن الحسن الطبرستانى الرازى الشافعى، ولد فى (٥٤٣) ه و توفى سنة (٦٠٦) ه من مصنفاته «مفاتيح الغيب» فى التفسير، مطبوع معروف.

ترجمته توجد فى غير واحد من كتب التراجم منها «معجم المؤلفين» ج ١١ / ٧٩.

١٧٢- تاج العلاء: الأشرف بن الأغر بن هاشم العلوى توفى فى حلب سنة (٦١٠)، له «جنتى الناظر و جنتى المناظر» فى التفسير خمس مجلدات.

يقال: إن مولده كان سنة (٤٨٢) ه فعاش طويلا. - الأعلام ج ١ / ٣٣٣-.

١٧٣- المنصور الزيدى: عبد الله بن حمزة بن سليمان، أحد أئمة الزيدية فى اليمن، ولد سنة (٥٦١) ه و توفى سنة (٦١٤) ه، له مصنفات منها «التبيان فى تفسير القرآن».

له ترجمة في «الأعلام» ج ٢١٣ / ٤ عن «العقود اللؤلؤية» ج ١ / ٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٧٩

١٧٤- الوهراني: علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك، مفسر، فاضل توفي سنة (٦١٥) هـ كان خطيب دار يا من قرى دمشق، له مصنفات منها «تفسير القرآن».

له ترجمة في «الأعلام» ج ١٢٠ / ٥ عن بغية الدعاء ص ٣٤٠.

١٧٥- الغافقي: عبد الكبير بن محمّد بن عيسى أبو محمّد الفقيه الأندلسي، ولد سنة (٥٣٦) هـ و توفي سنة (٦١٧)، له كتاب في «التفسير».

توجد ترجمته في «الأعلام» ج ١٧٥ / ٤.

١٧٦- ابن بّقي: أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن الأموي القرطبي ولد سنة (٥٣٧) هـ و توفي سنة (٦٢٥) هـ، له «الآيات المتشابهات» قيل: إنّه من أحسن ما كتب في بابه.

له ترجمة في «الأعلام» ج ١ / ٢٥٧.

١٧٧- الحرّالي: علي بن أحمد بن الحسن التجيبي، مفسر، توفي سنة (٦٣٨) هـ من كتبه «مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل» في التفسير.

له ترجمة في «نفع الطيب» ج ١ / ٤١٧ و عنه الأعلام ج ١ / ٦٢.

١٧٨- الصعدي: عبد الله بن محمّد بن أبي النجم المتوفى سنة (٦٤٦) هـ كان من أعلام الزيدية، من كتبه «البيان في النسخ و المنسوخ». أوردته السيد المحقق الإشكوري في «مؤلفات الزيدية» ج ١ / ٢٢٦.

١٧٩- ابن تيمية: عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمّد الحراني، فقيه

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٨٠

حنبلي، محدث مفسر، توفي بحرّان سنة (٦٥٢) هـ، من كتبه «تفسير القرآن العظيم».

له ترجمة في «غاية النهاية» ج ١ / ٣٨٥.

١٨٠- نجم الدين الأسدي: عبد الله بن محمّد الرازي الصوفي، ولد بخوارزم سنة (٥٦٤) هـ و توفي سنة (٦٥٤) هـ ببغداد من كتبه «بحر الحقائق» في التفسير.

ترجم له كحالة في «معجم المؤلفين» ج ١٢٢ / ١٨١- ابن أبي الإصبع: عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر البغدادي ثمّ المصري، ولد سنة (٥٨٥) هـ و توفي سنة (٦٥٤) هـ من كتبه «بديع القرآن» في أنواع البديع الواردة في الآيات الكريمة.

ترجم له الزركلي في «الأعلام» ج ١ / ١٥٦.

١٨٢- الرّسعني: عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر خلف، مفسر فقيه حنبلي، ولد برأس عين الخابور سنة (٥٨٩) هـ و توفي سنة (٦٦٠) هـ من كتبه «رموز الكنوز» تفسير في أربعة مجلدات.

له ترجمة في «الأعلام» ج ١٢٥ / ٤ عن ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ / ٢٧٤.

١٨٣- ابن طاوس: علي بن موسى بن جعفر الحسنی الداودي المولود سنة (٥٨٩) هـ و توفي سنة (٦٦٤) هـ من كتبه «سعد السعود» في تاريخ القرآن و تفسيره.

ترجم له الطهراني في «طبقات الشيعة» في القرآن السابع ص ١١٦.

١٨٤- عطية النجراني: عطية بن محمّد بن أحمد الفقيه المفسر الزيدي ولد سنة (٦٠٣) هـ و توفي سنة (٦٦٥) هـ، من كتبه «البيان الكاشف عن معاني القرآن».

- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٨١
- له ترجمة في «معجم المؤلفين» ج ٦/ ٢٨٧، و مؤلفات الزيدية ج ١/ ٢٢٦.
- ١٨٥- زين الدين الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الفقيه المفسر الحنفي المتوفى بعد سنة (٦٦٦) هـ من كتبه «الذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز» و «أنموذج جليل في أسئلة و أجوبة من غرائب أى التنزيل».
- ترجم له الزركلى في «الأعلام» ج ٦/ ٢٧٩.
- ١٨٦- القرطبي: محمد بن أحمد الأندلسى المالكي، من كبار المفسرين توفى سنة (٦٧١) هـ، من كتبه «الجامع لأحكام القرآن» مطبوع في عشرين جزءا.
- ترجم له الزركلى في «الأعلام» ج ٦/ ٢١٨.
- ١٨٧- نصير الدين الطوسى: محمد بن محمد بن الحسن، الفيلسوف الإلهي ولد سنة (٥٩٧) هـ و توفى سنة (٦٧٢) هـ له مصنفات كثيرة في المعقول و المنقول منها «تفسير سورة الإخلاص» و «نقد التنزيل».
- أنظر «الذريعة» ج ٤/ ٢٥٢ و ج ٢٤/ ٢٧٤.
- ١٨٨- ابن طائوس: أحمد بن موسى بن جعفر الحسنى الحلبي المتوفى سنة (٦٧٣) هـ. من كتبه «شواهد القرآن» في مجلدين.
- أنظر «الذريعة» ج ٤/ ٣١٣ و معجم رجال الحديث ج ٢/ ٣٤٤.
- ١٨٩- القنوي: محمد بن إسحاق بن محمد الرومى الصوفى المتوفى سنة (٦٧٣) هـ من تصانيفه «إعجاز البيان» في تفسير الفاتحة.
- توجد ترجمته في «طبقات السبكي» ج ٥/ ١٩، و مفتاح السعادة ج ١/ ١
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٨٢
- ٤٥١.
- ١٩٠- بهاء الدين الديلمى: يوسف بن أبى الحسن الجيلانى، كان حيا في سنة (٦٧٥) هـ، من كتبه «تفسير القرآن».
- راجع «الذريعة» ج ٤/ ٣٢٢، و «مؤلفات الزيدية» ج ١/ ٣١٤.
- ١٩١- البناء: على بن يحيى بن محمد الزيدى، كان حيا حوالى سنة (٦٨٠) هـ من تصانيفه «المنهج القويم في تفسير القرآن الكريم».
- راجع «معجم المؤلفين» ج ٧/ ٢٦١، و «مؤلفات الزيدية» ج ٣/ ٨٠.
- ١٩٢- الكواشى: أحمد بن يوسف بن الحسن الموصلى الفقيه الشافعى المفسر، ولد سنة (٥٩٠) هـ و توفى سنة (٦٨٠) هـ له مصنفات منها «تبصرة المتذكر» في تفسير القرآن، و «كشف الحقائق» المعروف بتفسير الكواشى.
- له ترجمة في «الأعلام» ج ١/ ٢٥٩.
- ١٩٣- العكبرى: عبد الجبار بن عبد الخالق بن محمد المفسر الفقيه الحنبلى البغدادى، ولد سنة (٦١٩) هـ من كتبه «تفسير القرآن» ثمانى مجلدات.
- له ترجمة في «ذيل طبقات الحنابلة» ج ٢/ ٣٠٠.
- ١٩٤- ابن الميتر: أحمد بن محمد بن منصور السكندرى، ولد سنة (٦٢٠) هـ و توفى سنة (٦٨٣) هـ، له تصانيف منها «تفسير».
- له ترجمة في «فوات الوفيات» ج ١/ ٧٢.
- ١٩٥- البيضاوى: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازى، قاض،
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٨٣
- مفسر، توفى سنة (٦٨٥) هـ فى تبريز، من تصانيفه «أنوار التنزيل» المعروف بتفسير البيضاوى، مطبوع.
- ترجمته توجد فى «البدایة و النهایة» ج ١٣/ ٣٠٩.

١٩٦- يحيى بن سعيد بن أحمد بن يحيى الهذلي الحلبي المتوفى سنة (٦٨٩) هـ أو بعدها، له مصنفات منها «الفحص و البيان عن أسرار القرآن».

انظر «الذريعة» ج ١٦ / ١٢٤ رقم ٢٤٨.

١٩٧- الديريني: عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الشافعي، ولد سنة (٦١٢) هـ و توفي بديرين في غربيه مصر سنة (٦٩٤) هـ، من كتبه «التيسير في علم التفسير» مطبوع، ارجوزة تزيد على (٣٠٠٠) بيت.

له ترجمه في «الأعلام» ج ٤ / ١٣٧ عن طبقات الشافعية ج ٥ / ٧٥.

١٩٨- القفطي: هبة الله بن عبد الله المصري العارف بالتفسير والحديث ولد سنة (٦٠٠) هـ و توفي سنة (٦٩٧) هـ من تصانيفه «التفسير» وصل فيه إلى سورة (كهيعص).

أنظر ترجمته في «طبقات السبكي» ج ٥ / ١٦٣.

١٩٩- جمال الدين البلخي: عبد الله بن محمد بن سليمان، مفسر، ولد سنة (٦١١) بالقدس و توفي فيها سنة (٦٩٨) هـ له كتاب في «التفسير» جمعه من خمسين تفسيرا.

له ترجمه في «البدایة و النهایة» ج ١٤ / ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٨٤

٢٠٠- ابن بنت العراقي: عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري الاندلسي الأصل ولد بمصر سنة (٦٣٢) هـ و توفي بها سنة (٧٠٤) هـ من مصنفاته «مختصر في تفسير القرآن» احتوى على فوائد.

له ترجمه في «بغية الوعاة» ص ٣١١.

٢٠١- النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود الفقيه الحنفي المفسر المتوفى سنة (٧١٠) هـ له مصنفات منها «مدارك التنزيل» في تفسير القرآن مطبوع في ثلاث مجلدات.

ترجمته توجد في «الجواهر المضية» ج ١ / ٢٧٠.

٢٠٢- القطب الشيرازي: محمود بن مسعود بن مصلح المولود سنة (٦٣٤) و المتوفى سنة (٧١٠) هـ، من تصانيفه «فتح المنان في تفسير القرآن».

أنظر ترجمته في «الدرر الكامنة» ج ٤ / ٣٣٩.

٢٠٣- رشيد الدولة فضل الله بن أبي الخير الوزير المقتول سنة (٧١٦) أو بعدها، من كتبه «تفسير القرآن» المسمى «بمفتاح التفاسير».

له ترجمه في «الأعلام» ج ٥ / ٢٥٩ ع الدرر الكامنة ج ٣ / ٣٢.

٢٠٤- أبو المحاسن الحسين بن الحسن الجرجاني كان حيا في سنة (٧٢٢) من كتبه «جلاء الأذهان» في تفسير القرآن.

له ترجمه في «ريحانة الأدب».

٢٠٥- المرقاني: بهاء الدين يوسف بن الحسن بن أبي القاسم المتوفى سنة

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٨٥

(٧٢٧) هـ من كتبه «تفسير القرآن».

أنظر «الذريعة» ج ٤ / ٢٥٦ و «مؤلفات الزيدية» ج ٢ / ١٠١.

٢٠٦- العلامة الحلبي: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر، ولد بالحلة سنة (٦٤٨) و توفي بها سنة (٧٢٦) هـ، له كتب كثيرة منها «نهج الإيمان» في التفسير، و أيضا «السر الوجيز في تفسير القرآن العزيز».

ترجمته في غير واحد من كتب التراجم منها «الأعلام» ج ٢ / ٢٤٤.

- ٢٠٧- المهدي اليمني: محمد بن المطهر بن يحيى الحسنى من أئمة اليمن توفى سنة (٧٢٨) أو بعدها، من تصانيفه «عقود العقيان فى الناسخ و المنسوخ من القرآن».
- اطلب ترجمته فى «البدر الطالع» ج ٢ / ٢٧١.
- ٢٠٨- الأعرج: الحسن بن محمد بن محمد الحسين الخراسانى نظام الدين النيسابورى المفسر الساكن بقم المتوفى سنة (٧٢٨)، من كتبه ثلاثة تفاسير للقرآن الكريم: كبير، و متوسط، و موجز.
- له ترجمه فى «الأعلام» ج ٢ / ٢٣٣.
- ٢٠٩- أبو الغنائم الكاشانى: عبد الرزاق بن أحمد العارف الصوفى المتوفى سنة (٧٣٠) هـ من كتبه «تأويلات القرآن».
- انظر «طبقات الشيعة» فى القرآن الثامن ص ١١٢.
- ٢١٠- البناكتى: داود بن محمد بن داود أبو سليمان المتوفى سنة (٧٣٥)، كما أرخه الطهرانى فى «طبقات الشيعة» فى القرن الثامن ص ٧٥ عن «شاهد صادق»
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٨٦
- من كتبه «تفسير» يقال: هو ملتقط من «مجمع البيان» للطبرسى.
- ٢١١- السيد محمد بن إدريس الحمزى الصنعانى الزيدى المتوفى سنة (٧٣٦) هـ من كتبه «الإكسير الإبريز» و «التيسير» و «النهج القويم» كلها فى التفسير.
- له ترجمه فى مؤلفات الزيدية» ج ١ / ٣٢٧ و ج ٣ / ٢٢١.
- ٢١٢- العشاب: أحمد بن محمد بن إبراهيم المرادى القرطبى المقرئ ولد سنة (٥٤٩) و توفى بالإسكندرية سنة (٧٣٦) هـ له «تفسير».
- ترجم له ابن الجزرى فى «غاية النهاية» ج ١ / ١٠٠.
- ٢١٣- ابن جزى الكلبي: محمد بن أحمد بن محمد الفقيه المالكي الغرناطى ولد سنة (٦٩٣) و توفى سنة (٧٤١) هـ، من كتبه «التسهيل لعلوم التنزيل» فى التفسير، مطبوع.
- له ترجمه فى «الأعلام» ج ٦ / ٢٢١ عن نفح الطيب ج ٣ / ٢٧٢.
- ٢١٤- الخازن: على بن محمد بن إبراهيم البغدادي الفقيه الشافعى المولود سنة (٦٧٨) و المتوفى سنة (٧٤١) هـ، من كتبه «لباب التأويل فى معانى التنزيل» فى التفسير.
- توجد ترجمته فى «الدرر الكامنة» ج ٣ / ٩٧-٩٨ و «شذرات الذهب» ج ٦ / ١٣٢.
- ٢١٥- الطيبي: الحسين بن محمد بن عبد الله المفسر، المتوفى سنة (٧٤٣) هـ من مصنفاته «شرح الكشاف» فى التفسير، أربعة مجلدات.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٨٧
- انظر ترجمته فى «الدرر الكامنة» ج ٢ / ٦٨ و «البدر الطالع» ج ١ / ٢٢٩.
- ٢١٦- أبو حيان الأندلسى: محمد بن يوسف بن على الغرناطى المولود سنة (٦٥٤) و المتوفى (٧٤٥).
- من كتبه «البحر المحيط فى تفسير القرآن».
- ترجمته توجد فى «طبقات الشافعية» ج ٦ / ٣١-٤٤ و الدرر الكامنة ج ٤ / ٣٠٢-٣١٠.
- ٢١٧- علاء الدولة السمنانى: أحمد بن محمد بن أحمد الليبانكى المولود (٦٥٩) و المتوفى سنة (٧٤٦) أو قبلها، من كتبه «مدارج السالكين» فى التفسير.
- ترجمته توجد فى «طبقات الشيعة» فى القرن الثامن ص ١٠ و «معجم المؤلفين» ج ٢ / ٦٩.
- ٢١٨- الشيعبى: محمد بن محمد بن محمد الإسفرايينى العراقى الفقيه الشافعى المولود (٦٧٠) و المتوفى (٧٤٧) هـ من مصنفاته «الناسخ

و المنسوخ».

ترجم له الزركلى فى «الأعلام» ج ٧. ٢٦٥.

٢١٩- ابن مكنوم: أحمد بن عبد القادر بن أحمد القيسى المصرى، مفسر ولد سنة (٦٨٢) هـ و توفى بالقاهرة سنة (٧٤٩) هـ، من كتبه «الدر اللقيط من البحر المحيط» فى التفسير.

له ترجمة فى «الدر الكامنة» ج ١ / ١٧٤.

٢٢٠- الفاضل اليمنى: يحيى بن القاسم بن عمرو عماد الدين الصنعانى المولود

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٨٨

سنة (٦٨٠) هـ و توفى سنة (٧٥٠) أو بعدها، من كتبه «تحفة الأشراف فى كشف غوامض الكشاف» و «در الأصداف فى حل عقد الكشاف» له ترجمة فى «الأعلام» ج ٩ / ٢٠٤ عن الكتبخانة ج ١ / ١٣٧.

٢٢١- السبكي: على بن عبد الكافى الحافظ المفسر المولود فى سبك بمصر سنة (٦٨٣) و المتوفى (٧٥٦) هـ من تصانيف «الدر النظيم» فى التفسير.

ترجمته توجد فى «حسن المحاضرة» ج ١ / ١٧٧، «و غاية النهاية» ج ١ / ٥٥١.

٢٢٢- السمين: أحمد بن يوسف الحلبي الشافعي المتوفى سنة (٧٥٦) هـ من كتبه «تفسير القرآن» عشرون جزءا.

له ترجمة فى «غاية النهاية» ج ١ / ١٥٢، و «أعلام النبلاء» ج ٥ / ٢٤.

٢٢٣- الأنصارى: محمد بن على بن العايد الفاسى المغربى المتوفى بغرناطة سنة (٧٦٢) هـ من كتبه «مختصر الكشاف» للزمخشري فى التفسير.

ترجم له الزركلى فى «الأعلام» ج ٧ / ٧٧١ عن «الإحاطة» ج ٢ / ٢١١.

٢٢٤- الهكاري: أحمد بن أحمد بن الحسين، مفسر مصرى، توفى سنة (٧٦٣) هـ، له «التفسير» فى ستة مجلدات.

له ترجمة فى «الدر الكامنة» ج ١ / ٩٨ و «الأعلام» ج ١ / ٨٧.

٢٢٥- الدكالى: محمد بن على بن عبد الواحد المصرى المولود (٧٢٠) و المتوفى (٧٦٣) هـ، من مصنفاته «السابق و اللاحق» تفسير مطول، التزم فيه أن لا

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٨٩

ينقل حرفا من تفسير أحد ممن تقدمه.

له ترجمة فى «الأعلام» ج ٧ / ١٧٧ عن «الدر الكامنة» ج ٤ / ٧١.

٢٢٦- القطب التحتانى: محمد بن محمد الرازى المولود (٦٩٤) هـ و المتوفى (٧٦٦) من كتبه «بحر الأصداف» حاشية مبسطة على «الكشاف» للزمخشري.

راجع «الذريعة» ج ٤ / ٣٠١ و «الأعلام» ج ٧ / ٢٦٨.

٢٢٧- ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير البصرى الدمشقى أبو الفداء ولد فى بصرى من أعمال الشام سنة (٧٠١) هـ و توفى سنة (٧٧٤) هـ، من تصانيفه «تفسير القرآن الكريم» عشرة أجزاء.

توجد ترجمته فى «الدر الكامنة» ج ١ / ٣٧٣.

٢٢٨- الأفسرائى: محمد بن محمد بن محمد الطيب المفسر المتوفى نحو (٧٧٥) هـ من كتبه «حواش» على الكشاف فى التفسير.

انظر ترجمته فى «كشف الظنون» ص ١٩٠٠ و الأعلام ج ٧ / ٢٧٠.

٢٢٩- ابن الصانع: محمد بن عبد الرحمن بن على الحنفى المولود (٧٠٨) و المتوفى سنة (٧٧٦) من كتبه «المنهج القويم فى فوائد



تتعلق بالقرآن العظيم».

ترجم له السيوطي في «بغية الوعاة» ص ٦٦.

٢٣٠- الواسطي: محمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني المفسر الفقيه الشافعي ولد سنة (٧١٧) هـ وتوفي بدمشق (٧٧٦)، من كتبه «تفسير» كبير.

له ترجمة في «الدرر الكامنة» ج ٣ / ٤٢٠ و شذرات الذهب ٦ / ٢٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٩٠

٢٣١- ابن البغدادي: عبد الرحمن بن أحمد بن علي المفسر المصري، ولد سنة (٧٠٢) هـ وتوفي سنة (٧٨١) من كتبه: «مختصر البحر المحيط» لأبي حنيفة في «التفسير».

ترجمته توجد في «الدرر الكامنة» ج ٢ / ٣٢٣.

٢٣٢- علي بن غياث الدين عبد الكريم بن عبد الحميد الحسيني الإمامي النجفي، كان حيا سنة (٧٨٦) من كتبه «الأنوار المضيئة» في الرد علي «الكشاف» للزمخشري.

له ترجمة في «ريحانة الأدب» ج ١ / ٢٩٤.

٢٣٣- ابن الشهاب: علي بن شهاب الدين حسن الحسيني الهمداني المولود سنة (٧١٤) و المتوفي (٧٨٦) من كتبه «الناسخ و المنسوخ» في التفسير.

انظر «الذريعة» ج ٢٢ / ١٢.

٢٣٤- ركن الدين الآملي: حيدر بن علي بن حيدر، كان حيا في سنة (٧٨٧) هـ، من كتبه «المحيط الأعظم» و «البحر الضخيم في تفسير القرآن العظيم».

له ترجمة في «الذريعة» ج ٥ / ٣٩.

٢٣٥- ابن العتائقي: عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الحلبي، ولد بالحلبة سنة (٦٩٩) و توفي نحو سنة (٧٩٠) هـ، من مصنفاته «مختصر تفسير علي بن إبراهيم».

ترجم له الزركلي في «الأعلام» ج ٤ / ١٠٦.

٢٣٦- ابن يعيش: الحسن بن محمد بن الحسن بن سابق الدين الصنعاني

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٩١

الفقيه الزيدي توفي سنة (٧٩١) هـ من كتبه «التيسير» في التفسير.

له ترجمة في «البدر الطالع» ج ١ / ٢١٠، و مؤلفات الزيدية ج ١ / ٢٤٦.

٢٣٧- ابن أبي الرضا: أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي الحلبي الشافعي المتوفي (٧٩١)، من كتبه «الناسخ و المنسوخ» و «منظومة في غريب القرآن».

له ترجمة في «معجم المؤلفين» ج ٢ / ٣٤ عن «الدرر الكامنة» ج ١ / ٢٢٧.

٢٣٨- البرسي: الحافظ رضي الدين رجب بن محمد بن رجب كان حيا في سنة (٨١٣) من كتبه «تفسير سورة الإخلاص».

انظر طبقات الشيعة في القرن التاسع ص ٥٨.

٢٣٩- ابن الهائم: أحمد بن محمد الرياضي المصري، ولد سنة (٧٥٣) هـ و توفي بالقدس سنة (٨١٥) هـ، له «التبيان في تفسير القرآن».

له ترجمة في «الأنس الجليل» ج ٢ / ٤٥٦.

٢٤٠- ابن المتوج: أحمد بن عبد الله بن محمد أبو الناصر البحراني توفي سنة (٨٢٠) هـ من كتبه «تفسير القرآن».

له ترجمة في أعيان الشيعة» ج ٩ / ٣٨. و عنه «الأعلام» ج ١ / ١٥٣.

٢٤١- محمد البخاري: محمد بن محمد بن محمود الجعفرى الفقيه الحنفى المولود سنة (٧٤٦) هـ و المتوفى سنة (٨٢٢) هـ من كتبه «تفسير القرآن» فى مائة مجلد.

ترجمته توجد فى «الأعلام» ج ٧ / ٢٧٣ فى إعلام النبلاء ج ٥ / ١٦١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٩٢

٢٤٢- المقداد الحلبي: ابن عبد الله بن محمد السيورى الفقيه الإمامى توفى بالنجف الأشرف سنة (٨٢٦) هـ، له كتب منها «كنز العرفان» فى فقه القرآن.

انظر «الذريعة» ج ١٨ / ١٥٩ رقم ١١٨٤.

٢٤٣- القطب الجبلى: عبد الكريم بن إبراهيم الجيلانى المتصوف، ولد سنة (٧٦٧) و توفى سنة (٨٣٢) هـ، له كتب كثيرة، منها «الكهف و الرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم».

له ترجمة فى كشف الظنون ص ١٨١، و معجم المطبوعات ص ٧٢٨.

٢٤٤- الثلاثى اليمنى: يوسف بن أحمد الفقيه الزيدى المتوفى سنة (٨٣٢) من كتبه «الثمرات البانعة» فى تفسير آيات الأحكام».

ترجمته توجد فى «طبقات مفسرى الشيعة» ج ٢ / ٣١٢ عن مؤلفات الزيدية ج ١ / ٣٥١.

٢٤٥- المخدوم المهائمي: علي بن أحمد بن علي الهندي المولود سنة (٧٧٦) و المتوفى سنة (٨٣٥) هـ من كتبه «تبصير الرحمن و تيسير المنان ببعض ما يشير الى إعجاز القرآن» مطبوع فى مجلدين.

له ترجمة فى «الأعلام» ج ٥ / ٦٣.

٢٤٦- محمد بن جبرئيل المفسر الفقيه الزيدى المتوفى بعد سنة (٨٣٦) هـ من كتبه «تفسير آيات الأحكام».

له ترجمة فى «طبقات مفسرى الشيعة» ج ٢ / ٣١٦ عن «مؤلفات الزيدية»

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٩٣

ج ١ / ٢٨.

٢٤٧- السيد علي بن محمد الحسنى الزيدى المتوفى سنة (٨٣٧) هـ من كتبه «تفسير القرآن الكريم» فى ثمان مجلدات.

له ترجمة فى «طبقات مفسرى الشيعة» ج ٢ / ٣١٧ رقم ٢٢٩ عن «مؤلفات الزيدية» ج ١ / ٣٥٠.

٢٤٨- الشريف: أحمد بن علي بن عبد الرشيد المفسر كان حيا فى سنة (٨٣٨) هـ من كتبه «عمدة الراسخ فى معرفة المنسوخ و الناسخ» فرغ منه فى (٨٣٨).

أورده الطهرانى فى «الذريعة» ج ١٥ / ٣٣٦.

٢٤٩- ابن الوزير: محمد بن إبراهيم بن علي القاسمى اليمنى المولود سنة (٧٧٥) و المتوفى (٨٤٠) من كتبه «قواعد التفسير» و «حصر آيات الأحكام الشرعية».

له ترجمة فى «البدر الطالع» ج ٢ / ٨١ - ٩٣.

٢٥٠- المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسنى الزيدى المولود سنة (٧٧٥) هـ و المتوفى (٨٤٠) هـ من كتبه «تفسير الآيات المعبرة فى الاجتهاد».

ترجم له فى «الأعلام» ج ١ / ٢٥٥ عن «تاريخ اليمن» ص ٤٠.

٢٥١- ابن خطيب الناصرية: علي بن محمد بن سعد الجبرينى الحلبي المولود (٧٧٤) و المتوفى سنة (٨٤٣) هـ، من كتبه: «تفسير الفاتحة».

- له ترجمة في «الضوء اللامع» ج ٥ / ٣٠٣.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٩٤
- ٢٥٢- ابن زاغو: أحمد بن عبد الرحمن المغراوى التلمسانى الفقيه المولود سنة (٧٨٢) و المتوفى سنة (٨٤٥) هـ من كتبه «تفسير الفاتحة».
- ترجم له في «الأعلام» ج ١ / ١٤٣ عن «الباستان» ص ٤١.
- ٢٥٣- النظام النيسابورى: الحسن بن محمّد بن الحسين القمى النيسابورى توفى بعد (٨٥٠) له كتب منها «غرائب القرآن و رغائب الفرقان» مطبوع، فى ثلاثة مجلدات يعرف بتفسير النيسابورى.
- له ترجمة فى «أعيان الشيعة» ج ٢٣ / ١١٢ - ١١٥.
- ٢٥٤- ابن حجر العسقلانى: أحمد بن على بن محمّد، ولد بالقاهرة سنة (٧٧٣) هـ و توفى بها سنة (٨٥٢) هـ له مصنفات منها «الإحكام لبيان ما فى القرآن من الأحكام».
- توجد ترجمته فى غير واحد من كتب التراجم منها «الأعلام» ج ١ / ١٧٣.
- ٢٥٥- الزواوى: إبراهيم بن فائد بن موسى القسطنطينى، فقيه مالكى جزائرى، ولد سنة (٧٩٦) هـ و توفى سنة (٨٥٧) هـ، من كتبه «تفسير القرآن».
- له ترجمة فى «الضوء اللامع» ج ١ / ١١٦ «و الأعلام» ج ١ / ٥١.
- ٢٥٦- السمرقندى: على بن يحيى المفسر الحنفى المتوفى سنة (٨٦٠) هـ، من تصانيفه «تفسير القرآن» فى أربع مجلدات.
- ترجم له كتحالته فى «معجم المؤلفين» ج ٧ / ٢٦١.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٩٥
- ٢٥٧- ابن إمام الكاملية: محمّد بن محمّد بن عبد الرحمن الشافعى المصرى ولد سنة (٨٠٨) هـ و توفى (٨٧٤) هـ من كتبه «مختصر تفسير البيضاوى».
- له ترجمة فى «البدر الطالع» ح ٢ / ٢٤٤ و نظم العقيان ص ١٦٣.
- ٢٥٨- مصنفك: على بن محمّد بن مسعود الشاهرودى البسطامى، ولد سنة (٨٠٣) و المتوفى سنة (٨٧٥) هـ من كتبه «حاشية على الكشاف».
- له ترجمة فى «البدر الطالع» ج ١ / ٤٩٧.
- ٢٥٩- أبو زيد الثعالبي: عبد الرحمن بن محمّد بن مخلوف الجزائرى، مفسر ولد سنة (٧٨٦) هـ و توفى (٨٧٥) هـ، من كتبه «الجواهر الحسان فى تفسير القرآن» فى أربعة مجلدات.
- له ترجمة فى «الأعلام» ج ٤ / ١٠٧ عن تعريف الخلف ج ١ / ٦٣.
- ٢٦٠- طيفور بن سراج الدين جنيد، عفيف الدين الحافظ الواعظ المفسر الإمامى كان حيا فى سنة (٨٧٦) هـ من كتبه «تفسير القرآن» على أساس الأحاديث المروية عن المعصومين عليهم السلام.
- انظر «الذريعة» ج ٤ / ٢٨٠ رقم ١٢٨.
- ٢٦١- النجرى: عبد الله بن محمّد بن أبى القاسم الزيدى الفقيه ولد سنة (٨٢٥) و توفى (٨٧٧) هـ من كتبه «شفاء العليل فى خمسمائة آية من التنزيل».
- له ترجمة فى «البدر الطالع» ج ١ / ٣٩٧.
- ٢٦٢- البياضى: على بن محمّد بن يونس الموفى سنة (٨٧٧) هـ من كتبه «زبدة البيان فى تلخيص مجمع البيان».

ترجم له مبسوطاً أستاذنا في الإجازة آية الله العظمى المرعشى قدس سره

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٩٦

في «مقدمة الصراط المستقيم الى مستحقي التقديم» ص ٣- ١٠.

٢٦٣- ابن أمير حاج: محمد بن محمد بن محمد، يقال له: ابن الموقت، ولد سنة (٨٢٣) هـ و توفي (٨٧٩) هـ من كتبه «ذخيرة القصر في تفسير سورة و العصر».

له ترجمة في «الضوء اللامع» ج ٩ / ٢١٠.

٢٦٤- الإبيطى: أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر الفقيه الشافعى، ولد بإبشيط من قرى مصر سنة (٨٠٢) و توفي بالمدينة سنة (٨٨٣) هـ. من تصانيفه «ناسخ القرآن و منسوخه».

له ترجمة في «البدر الطالع» ج ١ / ٣٧ و «الضوء اللامع» ١ / ٢٣٥.

٢٦٥- ابن العماد: محمد بن محمد بن عليّ القاهري الشافعى، ولد سنة (٨٢٥) هـ و توفي سنة (٨٨٧) هـ من كتبه «مختصر تفسير البيضاوى».

له ترجمة في «الضوء اللامع» ج ٩ / ١٦٢.

٢٦٦- الإسترابادى: الحسن بن محمد بن الحسن، كمال الدين النجفى، كان حياً سنة (٨٩١) هـ من كتبه «معارج السؤل» في تفسير آيات الأحكام في مجلدين.

أنظر «الذريعة» ج ١٥ / ٣٧٧.

٢٦٧- الشرجى: أحمد بن عبد اللطيف الزيدى المتوفى سنة (٨٩٣) هـ من كتبه «الطريقة الواضحة فى أسرار الفاتحة».

انظر «طبقات مفسران شيعه» ج ٢ / ٣٣٣ عن «مؤلفات الزيدية» ج ٢ / ٢٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٩٧

٢٦٨- الكورانى: أحمد بن إسماعيل بن عثمان الشافعى ثم الحنفى، مفسر ولد سنة (٨١٣) و توفي بالقسطنطينية سنة (٨٩٣) هـ، له كتب منها «غاية الأمانى فى تفسير السبع المثانى».

له ترجمة فى «الأعلام» ج ١ / ٩٤ عن «الضوء اللامع» ج ١ / ٢٤١.

٢٦٩- السنوسى: محمد بن يوسف بن عمر الحسنى التلمسانى ولد سنة (٨٣٢) هـ و توفي (٨٩٥) هـ، و من كتبه «تفسير سورة ص و ما بعدها من السور».

له ترجمة فى «الأعلام» ج ٨ / ٢٩.

٢٧٠- الجامى: عبد الرحمن بن أحمد بن محمد، نور الدين المتصوف الأديب المفسر الشاعر، ولد فى جام سنة (٨١٧) هـ، و توفي بهراة سنة (٨٩٨) هـ و من مصنّفاته «تفسير القرآن».

توجد ترجمته فى كثير من كتب التراجم منها «الأعلام» للزركلى ج ٤ / ٦٧.

٢٧١- الخلوّتى: إسماعيل بن عبد الله الرومى الصوفى، مفسر تركى الأصل، توفي سنة (٨٩٩) هـ فى طريقه الى الحجّ، له كتب منها «تفسير سورة الفاتحة» و «تفسير سورة الضحى الى آخر القرآن» و «تفسير آية الكرسي».

له ترجمة فى «هدية العارفين» ج ١ / ٢١٧.

٢٧٢- الإيجى: محمد بن عبد الرحمن بن محمد الشافعى، ولد سنة (٨٣٢) هـ و توفي سنة (٩٠٥) هـ، من كتبه «جامع البيان فى تفسير القرآن» مطبوع.

له ترجمة فى «الأعلام» ج ٨ / ٦٨.

- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٩٨
- ٢٧٣- الكفعمي: إبراهيم بن علي بن الحسن الحارثي، ولد سنة (٨٤٠) هـ و توفي (٩٠٥) هـ، من كتبه «المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى».
- له ترجمة في «أعيان الشيعة» ج ٥ / ٣٣٦ - ٣٥٨.
- ٢٧٤- الفراهي: معين الدين محمد بن شرف الدين محمد مسكين الهروي المتوفى سنة (٩٠٧) هـ، من كتبه «تفسير سورة يوسف» و «تفسير آيات قصص موسى».
- انظر «الذريعة» ج ٤ / ٣٢٨ و ٣ / ٣٧.
- ٢٧٥- علي بن عبد الله الشيفتي الشيرازي المتوفى سنة (٩٠٧) هـ من كتبه «تفسير آيات الأحكام».
- انظر «الذريعة» ج ١ / ٤٣ و «رياض العلماء» ج ٤ / ١٠٨.
- ٢٧٦- المغيلي: محمد بن عبد الكريم بن محمد المفسر الفقيه التلمساني المتوفى سنة (٩٠٩) هـ، من كتبه «البدر المنير في علوم التفسير».
- الاعلام ج ٧ / ٨٤ عن البستان ص ٣٥٣.
- ٢٧٧- الكاشفي: الحسين بن علي البيهقي السبزواري الواعظ المتوفى سنة (٩١٠) هـ من كتبه «جواهر التفسير» و «المواهب العلية» المعروف بالتفسير الحسيني.
- انظر «أعيان الشيعة» ج ٢٧ ص ٥٠.
- ٢٧٨- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الحافظ المحدث الأديب
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٩٩
- المفسر المؤرخ، ولد سنة (٨٤٩) هـ و توفي سنة (٩١١) هـ، له مصنفات تقرب نحو (٦٠٠) مصنف، منها «الإتقان في علوم القرآن» و «ترجمان القرآن» و «تفسير الجلالين» و «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» في ستة أجزاء.
- ترجمته توجد في غير واحد من كتب التراجم منها «الأعلام» للزركلي ج ٤ / ٧١.
- ٢٧٩- النيسبي: إبراهيم بن الحسن الحلبي المقتول في أرنجان سنة (٩١٥) هـ، من كتبه «تفسير» من أول القرآن الى سورة يوسف.
- أنظر «معجم المؤلفين» ج ١ / ٢٢.
- ٢٨٠- الدواني: محمد بن أسعد الصديقي جلال الدين ولد سنة (٨٣٠) و توفي سنة (٩١٧) هـ من كتبه «تفسير سور القلائل».
- انظر الأعلام ج ٦ / ٢٥٧.
- ٢٨١- ابن الشحنة: عبد البر بن محمد أبو البركات الحلبي المصري ولد بحلب سنة (٨٥١) و توفي بالقاهرة سنة (٩٢١) هـ صنف كتباً منها «غريب القرآن».
- انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي ج ٤ / ٤٧.
- ٢٨٢- أبو اليمن العليمي: عبد الرحمن بن محمد الحنبلي، ولد في القدس سنة (٨٦٠) هـ و توفي بها سنة (٩٢٨) هـ، له مصنفات منها «فتح الرحمن في تفسير القرآن».
- له ترجمة في «آداب اللغة» ج ٣ / ١٨٣.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٠٠
- تفسير الصراط المستقيم ج ١ / ١٤٩
- ٢٨٣- ابن همام العارف الشيرازي، كان حيا في سنة (٩٤٠) هـ، من كتبه «روضه القلوب» في تفسير سورة يس، و «فتح نامه» في تفسير سورة الفتح.

- انظر «الذريعة» ج ٢٨ / ١٢٨.
- ٢٨٤- الأسترابادي: شرف الدين على الحسيني الغروي كان حيا في سنة (٩٤٠) ه من كتبه «تأويل الآيات الظاهرة» مطبوع.
- انظر «الذريعة» ج ٤ ص ٣٠٤.
- ٢٨٥- ملا سعد الله بن عيسى بن أمير خان المتوفى سنة (٩٤٥) ه من كتبه: «الحاشية على تفسير أنوار التنزيل».
- انظر طبقات مفسران شيعة» ج ٢ / ٣٦٨.
- ٢٨٦- الشيرازي الحنفي: علي بن محمد المشهور بالعلائي، المفسر توفى سنة (٩٤٥) ه، من كتبه: «أسئلة القرآن و أجوبتها»، و «حاشية على تفسير البيضاوي».
- انظر «معجم المؤلفين» ج ٧ / ٢٠٤.
- ٢٨٧- الزواري: أبو الحسن علي بن الحسن، كان حيا في سنة (٩٤٧) ه من كتبه: «ترجمة تفسير المنسوب الى الإمام عليه السلام».
- انظر «الذريعة» ج ٢٠ / ٤٧.
- ٢٨٨- الدشتكي: الأمير غياث الدين منصور بن صدر الحكماء الشيرازي المتوفى سنة (٩٤٨) أو بعدها، من كتبه «تفسير سورة الدهر».
- انظر «الإحياء الدائر» ص ٤٣.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٠١
- ٢٨٩- الإلهي: كمال الدين حسين بن خواجه عبد الحق الأردبيلي، توفى سنة (٩٥٠) أو (٩٤٠) من كتبه: «تفسير» يعرف بتفسير الأردبيلي.
- انظر «إحياء الدائر» ص ٦٩ و «الذريعة» ج ٥ / ٢٦٥.
- ٢٩٠- الأسترابادي: المير فخر الدين محمد بن الحسين الحسيني، كان حيا في سنة (٩٥٢) ه من كتبه: «تفسير آية الكرسي».
- انظر «الذريعة» ج ٤ / ٣٣٠.
- ٢٩١- الكاشاني: المير شاه طاهر بن رضي الدين الحسيني، نزيل دكن توفى سنة (٩٥٦) ه، من كتبه: «حاشية تفسير البيضاوي».
- انظر «طبقات أعلام الشيعة» في القرن العاشر ص ١١٢.
- ٢٩٢- الخفري: شمس الدين محمد بن أحمد المتوفى سنة (٩٥٧) ه من كتبه: «تفسير آية الكرسي».
- انظر فهرست مكتبة آية الله المرعشي قدس سره ج ٧ / ١١٦.
- ٢٩٣- الصعدي: محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بهران، ولد في صعدة باليمن سنة (٨٨٨) و توفى بها سنة (٩٥٧) ه من كتبه: «التكميل الشاف لتفسير الكشاف».
- ترجم له الزركلي في «الأعلام» ج ٨ / ١١.
- ٢٩٤- علي بن عبد الله الراوع الزيدي المتوفى سنة (٩٥٩) ه من كتبه: «التفسير» كبير في مجلدات.
- انظر «مؤلفات الزيدية» ج ١ / ٣١٠.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٠٢
- ٢٩٥- المكناسي: عبد العزيز بن عبد الواحد المغربي، شيخ القراء بالمدينة توفى سنة (٩٦٤) ه، له «نظم جواهر السيوطي» في التفسير.
- له ترجمة في «الأعلام» ج ٤ / ١٤٦.

- ٢٩٦- الشهيد الثاني: الشيخ زين الدين بن نور الدين علي المولود سنة (٩١١) و الشهيد سنة (٩٦٦) هـ، من كتبه: «تفسير البسملة» فرغ منه سنة (٩٤٠) هـ.
- انظر «طبقات مفسران شيعة» ج ٢ / ٣٨٦.
- ٢٩٧- أبو المحاسن الجرجاني: الحسين بن الحسن المفسر، كان حيا في سنة (٩٦٨) هـ من كتبه «جلاء الأذهان و جلاء الأحزان» تفسير فارسي متخذ من تفسير أبي الفتوح.
- انظر «طبقات مفسران شيعة» ج ٢ / ٣٨٨.
- ٢٩٨- الشيخ عبد الجليل بن أحمد الحسيني القاري، كان حيا سنة (٩٧٦)، من كتبه: «شرح الناسخ و المنسوخ» لابن متوج المقدم ذكره.
- انظر «الذريعة» ج ٥ / ١١٨.
- ٢٩٩- السيد مير أبو الفتح الحسيني الجرجاني المتوفى سنة (٩٧٦) هـ من كتبه: «تفسير شاهي» في آيات الأحكام.
- انظر «طبقات مفسران شيعة» ج ٢ / ٣٩٨ رقم ٢٧١.
- ٣٠٠- نجم الدين ملا عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدي المتوفى سنة (٩٨١) هـ، من كتبه، «التجارة الرابحة في تفسير الفاتحة».
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٠٣.
- انظر «ريحانة الأدب» ج ٦ / ٣٩٠ - ٣٩١.
- ٣٠١- أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي المفسر المولود في سنة (٨٩٨) و المتوفى بالقسطنطينية (٩٨٢) هـ من كتبه: «إرشاد العقل السليم» في التفسير.
- له ترجمة في «الاعلام» ج ٧ / ٢٨٨.
- ٣٠٢- عطية بن علي بن حسن السلمى المكي الفقيه المتوفى سنة (٩٨٣) هـ من كتبه «تفسير القرآن العظيم» في ثلاثة أجزاء.
- له ترجمة في «الاعلام» ج ٥ / ٣٣.
- ٣٠٣- الدولتشاهي: عبد الأحد بن برهان الدين بن علي، كان حيا في سنة (٩٨٤) هـ من كتبه: «تفسير سورة الروم».
- انظر «طبقات مفسران شيعة» ج ٢ / ٤٠٦ من الذريعة ج ٢٦ / ٢١٨.
- ٣٠٤- الأماسي: يوسف، سنان الدين المعروف بمحشى البيضاوي توفى سنة (٩٨٦) هـ، من كتبه: «حاشية على تفسير البيضاوي».
- انظر «الاعلام» ج ٩ / ٣٠٩، و شذرات الذهب ج ٨ / ٤١٢.
- ٣٠٥- الشيرازي: المولى محمد بن أحمد المعروف بخواجكي المتوفى سنة (٩٨٨) هـ من كتبه: «مختصر مجمع البيان».
- انظر «الذريعة» ج ٢٠ / ٢٠٦ رقم ٢٥٩٩.
- ٣٠٦- الكاشاني: «المولى فتح الله بن شكر الله بن المولى لطف الله، توفى
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٠٤.
- سنة (٩٨٨) هـ، من كتبه: «منهج الصادقين» و «زبدة التفاسير».
- انظر «الذريعة» ج ٤ / ٣٢٠.
- ٣٠٧- الأردبيلي: أحمد بن محمد الفقيه الزاهد الإمامي توفى بكربلاء سنة (٩٩٣) هـ، من تصانيفه: «زبدة البيان في شرح أحكام القرآن» مطبوع.
- ترجم له غير واحد من أرباب التراجم منهم السيد الأمين في «أعيان الشيعة» ج ٩ / ٢٩٢.

- ٣٠٨- الأماسى: يوسف سنان الدين الخلو تى الواعظ الحنفى المتوفى حدود سنة (١٠٠٠) هـ من كتبه: «تبيين المحارم» رتبه على ٩٨ بابا فى تفسير الآيات الدالة على حرمة المحرمات.
- انظر «الأعلام» ج ٩ / ٣٠٩، و هو غير الأماسى المتقدم ذكره.
- ٣٠٩- الكرخى: محمد بن محمد بدر الدين المصرى المولود سنة (٩١٠) و المتوفى سنة (١٠٠٦) هـ، من كتبه: «مجمع البحرين» حاشية على تفسير الجلالين فى أربع مجلدات.
- له ترجمة فى «خلاصة الأثر» ج ٤ / ١٥٢.
- ٣١٠- البكرى: محمد بن محمد بن محمد المتصوف المصرى المفسر المولود (٩٧١) و المتوفى سنة (١٠٠٧) هـ من كتبه: «تفسير سورة الأنعام و تفسير سورة الكهف و تفسير سورة الفتح.
- له ترجمة فى «خلاصة الأثر» ج ١ / ٤٧٤.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٠٥.
- ٣١١- الملاء على القارى: على بن محمد سلطان الهروى الحنفى المتوفى سنة (١٠١٤) هـ، من كتبه: «تفسير القرآن» فى ثلاثة مجلدات، و «حاشية على تفسير الجلالين».
- انظر «الأعلام» ج ٥ / ١٦٦.
- ٣١٢- الحموى: عبد النافع بن عمر، من أهل حماة، توفى سنة (١٠١٦) هـ، من تصانيفه: «تفسير سورة الإخلاص» فى مجلد.
- له ترجمة فى «خلاصة الأثر» ج ٣ / ٩٠، و الأعلام ج ٤ / ٣٢٠.
- ٣١٣- الأسترابادى: الميرزا محمد بن على بن إبراهيم المتوفى بمكة المكرمة سنة (١٠٢٨) هـ، من كتبه: «تفسير آيات الأحكام».
- انظر ترجمته فى «روضات الجنات» ص ٥٢٧.
- ٣١٤- بهاء الدين العاملى: محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثى العاملى نزيل اصفهان، ولد فى بعلبك (٩٥٣) هـ و توفى بأصفهان سنة (١٠٣١) هـ و دفن بمشهد الامام الرضا عليه السلام، من كتبه: «العروة الوثقى» فى تفسير سورة الفاتحة.
- ٣١٥- البيلونى: فتح الله بن محمود بن محمّد الحلبي المولود سنة (٩٧٧) و المتوفى سنة (١٠٤٢) هـ، من كتبه: «حاشية على تفسير البيضاوى».
- له ترجمة فى «خلاصة الأثر» ج ٣ / ٢٥٤.
- ٣١٦- غلامك: محمد بن موسى من علماء الترك المستعربين المتوفى سنة (١٠٤٥) هـ، من كتبه: «حاشية على تفسير البيضاوى».
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٠٦.
- له ترجمة فى «خلاصة الأثر» ج ٤ / ٣٠٢.
- ٣١٧- الصدر الشيرازى: محمد بن إبراهيم القوامى، فيلسوف توفى بالبصرة سنة (١٠٥٠) هـ، من كتبه: «تفسير سور الواقعة و الحديد، و الجمعة، و الطلاق، و الطارق، و الأعلى، و غيرها».
- ترجم له الخوانسارى فى «روضات الجنات» ص ٣٣١.
- ٣١٨- العمادى: عبد الرحمن بن محمد بن محمد الدمشقى، ولد سنة (٩٧٨) هـ توفى سنة (١٠٥١) هـ و من مصنفاته «تحرير التأويل» فى التفسير.
- له ترجمة فى «خلاصة الأثر» ج ٢ / ٣٧٨.
- ٣١٩- الشهاب الخفاجى: أحمد بن محمد المصرى قاضى القضاة، ولد سنة (٩٧٧) هـ و توفى بمصر سنة (١٠٦٩) هـ، له مصنفات منها «حاشية على تفسير البيضاوى» ثمانى مجلدات.



له ترجمة في «الأعلام» ج ١ / ٢٢٧ عن «خلاصة الأثر» ج ١ / ٣٣١.

٣٢٠- الشيرازي: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المتوفى بشيراز سنة (١٠٧٠) هـ، له «العروة الوثقى» في تفسير القرآن.

له ترجمة في «الأعلام» ج ١ / ٦٤ عن أعيان الشيعة ج ٥ / ٣٩١.

٣٢١- العروسي: عبد العلي بن جمعة الحويزي ساكن شيراز، كان حيا في سنة (١٠٧٣) هـ من كتبه: «تفسير نور الثقلين» طبع في خمس مجلدات سنة (١٣٨٤) هـ.

له ترجمة في «طبقات أعلام الشيعة في القرن الحادي عشر ص ٣٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٠٧.

٣٢٢- ابن أبي السرور: محمد بن محمد المصري المولود سنة (١٠٠٥) هـ و المتوفى سنة (١٠٨٧) هـ من كتبه: «تفسير» يعرف بتفسير ابن أبي السرور.

له ترجمة في «الأعلام» ج ٧ / ٢٩٣.

٣٢٣- الفيض الكاشاني: محسن بن محمد بن مرتضى المفسر المحدث المتوفى سنة (١٠٩١) هـ، من كتبه: «الصادق» و «الأصفي» في التفسير.

له ترجمة في غير واحد من كتب التراجم منها «الروضات» ص ٥٤٢.

٣٢٤- فخر الدين المشهدي: الخراساني الحكيم المتوفى سنة (١٠٩٧) هـ من كتبه: «تفسير سورة الحمد».

له ترجمة في «طبقات أعلام الشيعة» في القرن الحادي عشر ص ٤٣٦.

٣٢٥- البخشي: محمد بن محمد الخلوئي الحلبي الشافعي المولود سنة (١٠٣٨) و المتوفى سنة (١٠٩٨) هـ، من كتبه: «تفسير سورة الأعلى».

له ترجمة في «إعلام النبلاء» ج ٦ / ٤٠٢ - ٤٠٦.

٣٢٦- البحراني: هاشم بن سليمان الحسيني التولبي، مفسر يحدث، توفي سنة (١١٠٧) هـ، من كتبه: «البرهان في تفسير القرآن» في خمسة مجلدات.

له ترجمة في «روضات الجنات» ص ٧٣٦.

٣٢٧- إسماعيل حقي: ابن مصطفى الإسلامبولي الحنفي، متصوف مفسر تركي مستعرب، توفي سنة (١١٢٧) هـ له مصنفات منها «روح البيان في تفسير القرآن» مطبوع.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٠٨.

له ترجمة في «الأعلام» ج ١ / ٣٠٩ عن «إيضاح المكنون» ج ١ / ٥٨٥.

٣٢٨- عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، ولد في دمشق سنة (١٠٥٠) هـ و توفي بها سنة (١٤٣) هـ، له مصنفات كثيرة منها: «شرح أنوار التنزيل» للبيضاوي في التفسير.

توجد ترجمته في «سلك الدرر» ج ٣ / ٣٠ و آداب اللغة ج ٣ / ٣٢٤.

٣٢٩- السفرجلاني: عبد الرحمن بن عمر بن إبراهيم الشافعي الدمشقي، مفسر، توفي سنة (١١٥٠) هـ، له «حاشية على تفسير البيضاوي».

ترجم له الزركلي في «الأعلام» ج ٤ / ٩٣ عن «سلك الدرر» ج ٢ / ٣٠٨.

٣٣٠- شاه ولي الله: احمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي، فقيه حنفي ولد سنة (١١١٠) هـ و توفي سنة (١١٧٦) هـ، من كتبه «فتح الرحمن في ترجمة القرآن».

له ترجمة في فهرس الفهارس ج ١ / ١٢٥.

- ٣٣١- السحيمي: أحمد بن محمد بن عليّ الفقيه الشافعي المصري المتوفّي سنة (١١٧٨) من مصنفاته: «تفسير سورة الفجر». له ترجمة في «الأعلام» ج ١ / ٢٣٠ عن «إيضاح المكنون» ج ٢ / ١٠٢.
- ٣٣٢- الأجهوري: عطية الله بن عطية البرهاني الشافعي الفقيه المتوفّي بالقاهرة سنة (١١٩٠) هـ، من كتبه: «إرشاد الرحمن لأسباب النزول و النسخ و المتشابه في القرآن».
- له ترجمة في سلك الدرر ج ٣ / ٢٦٥-٢٧٣، وفيه: «وفاته سنة (١١٩٤) هـ.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٠٩.
- ٣٣٣- النافلاتي الأزهرى: محمد بن محمد المغربي المتوفّي بالقدس سنة (١١٩١) هـ من من تصانيفه: «أحسن التبيان في معنى مدلول القرآن».
- له ترجمة في «سلك الدرر» ج ٤ / ١٠٢.
- ٣٣٤- الدمنهوري: أحمد بن عبد المنعم بن يوسف شيخ الجامع الأزهر ولد سنة (١١٠١) هـ و توفّي سنة (١١٩٢) هـ بالقاهرة، من كتبه: «الفيض العيم في معنى القرآن العظيم» له ترجمة في «الأعلام» ج ١ / ١٥٨.
- ٣٣٥- القونوي: إسماعيل بن محمد بن مصطفى الفقيه الحنفي المفسّر، توفّي بدمشق سنة (١١٩٥) هـ من كتبه: «حاشية على تفسير البيضاوي» في سبع مجلدات مطبوع.
- له ترجمة في «سلك الدرر» ج ١ / ٢٥٨.
- ٣٣٦- السليمي: عليّ بن محمد بن عليّ الشافعي الدمشقي المولود (١١١٣) هـ و المتوفّي (١٢٠٠) هـ من كتبه: «شرح تفسير البيضاوي» من سورة الإسراء الى آخر القرآن.
- له ترجمة في «سلك الدرر» ج ٣ / ٢١٩.
- ٣٣٧- الطسوجي: عبد النبي بن محمد المولود (١١١٧) هـ و المتوفّي سنة (١٢٠٣) هـ، من كتبه: «تفسير القرآن».
- له ترجمة في «أعيان الشيعة» ج ٣٩ / ١٨٠-١٨١.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١١٠.
- ٣٣٨- عليّ بن قطب الدين البهبهاني المفسّر المتوفّي سنة (١٢٠٦) هـ من كتبه: «تفسير القرآن».
- انظر «الذريعة» ج ٤ / ٢٩٣.
- ٣٣٩- الزيني: السيد محمد بن أحمد بن زين الدين الحسيني الحسني البغدادي النجفي المتوفّي سنة (١٢١٦) هـ.
- من كتبه: «تفسير القرآن» ترجم له كحالة في «المعجم» ج ٨ / ٢٦٢.
- ٣٤٠- القنوجي: عبد الباسط بن رستم الهندي، ولد سنة (١١٥٩) و توفّي سنة (١٢٢٣) هـ، من مصنفاته: «عجيب البيان في أسرار القرآن».
- له ترجمة في «أبجد العلوم» ص ٨٤١.
- ٣٤١- ابن عجيبة: أحمد بن محمد بن عجيبة الفاسي المتوفّي سنة (١٢٢٤) هـ، من كتبه «تفسير القرآن العظيم» في ثمانى مجلدات.
- ترجم له الزركلي في «الأعلام» ج ١ / ٢٣٤.
- ٣٤٢- ابن الحاج: حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون السلمى المرادسى ولد سنة (١١٧٤) هـ و كان أديبا فقيها مالكيا، توفّي سنة (١٢٣٢) هـ، له كتب منها:
- «تفسير سورة الفرقان» و حاشية على تفسير أبي السعود.
- له ترجمة في «الأعلام» ج ٢ / ٣٠٦ عن «شجرة النور» ص ٣٧٩.

٣٤٣- سراج الهند الدهلوي: عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي ولد سنة (١١٥٩) هـ و توفي سنة (١٢٣٩) هـ، له تصانيف منها «فتح العزيز» في

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١١١.  
التفسير.

ترجم له الزركلي في «الأعلام» ج ٤/ ١٣٨ عن إيضاح المكنون ج ١/ ١٨٢.

٣٤٤- الصاوي: أحمد بن محمد الخلوتي الفقيه المالكي، ولد سنة (١١٧٥) هـ و توفي بالمدينة المنورة سنة (١٢٤١) هـ، من كتبه «حاشية على تفسير الجلالين» مطبوع.

له ترجمة في «الأعلام» ج ١/ ٢٣٣.

٣٤٥- السيد الشبر: عبد الله بن محمد رضا الحسيني الكاظمي، ولد سنة (١٨٨٨) أو (١١٩٢) هـ و توفي سنة (١٢٤٢) هـ له مصنفات كثيرة منها: «الجواهر الثمين» صفوة التفاسير، و تفسير وجيز مطبوع.

انظر «روضات الجنات» ص ٣٧٤.

٣٤٦- الرضوي: الميرزا هداية الله بن الميرزا مهدي الشهيد سنة (١٢٤٨) هـ من كتبه: «تفسير».

له ترجمة في «هداية العارفين» ج ٢/ ٥٠٧.

٣٤٧- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد المفسر الصنعاني المولود سنة (١١٧٣) هـ و المتوفى سنة (١٢٥٠) هـ، من كتبه: «فتح القدير» في التفسير.

٣٤٨- الآلوسي: أبو الثناء محمود بن عبد الله المفسر المولود سنة (١٢١٧) هـ و المتوفى سنة (١٢٧٠) هـ، من كتبه: «روح المعاني في تفسير القرآن».

له ترجمة في «معجم المؤلفين» ج ١٢/ ١٧٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١١٢

له ترجمة في «معجم المؤلفين» ج ١١/ ٥٣.

٣٤٩- و ممن وفقه الله في هذا المضمار بالتنسيق و الترصيف العالم العامل الأوحده و الفاضل الكامل الأرشده، ذو المفخر الوافرة، و الفضائل الفاخرة، الخبير المحقق، و التحرير المدقق، آية الله السيد حسين البروجردى طاب ثراه.

إنه قد من على المستفيدين بكتابه القيم العظيم (الصراط المستقيم) في تفسير القرآن الكريم، و لعمري إنه من أحسن ما ألف في كشف النقاب عن وجه الكتاب، و لكن الأسف أن هذا التفسير الثمين إلى الآن لم تطبع و لم تنشر، و كانت في مكتبته حفيديه: العالم الفاضل، و السيد السند حجة الإسلام و المسلمین السيد حسن النورى البروجردى، و السيد الجليل السيد محمد النورى البروجردى، نسختان منه: نسخة بخط المؤلف، و نسخة أخرى مستنسخة من الأصل.

و كنت مذ اطلعت عليه ولعا بإذاعته و طبعه و انتشاره إلى أن ساعدني في ذلك السيدان السندان حفيد المؤلف حيث جعلنا نسخته في اختياري فشمّرت الذيل بحول الله و قوته في تحقيقه و تخريج مصادره و طبعه بأجمل صورة و أجود أسلوب مزدانا بالتعليقات، و مذيلًا بتخريج أحاديثه و الإشارة إلى مواضع آياته، حتى يكون نفعه أعمّ، و حرّرت و جيزته في ترجمة المؤلف أخذتها من كتابي: «تاريخ بروجرد» ج ٢ بالفارسية المطبوع في قم سنة (١٣٥٤) هـ.

ترجمة المؤلف الكتاب (الصراط المستقيم)

هو العلامة السيد حسين بن السيد محمد رضا الحسيني البروجردى، ينتهى نسبه على ما قال حفيده السيد محمد بست و عشرين واسطه إلى العالم الزاهد العابد

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١١٣

الشهيد زيد بن على بن الحسين بن على عليهم السلام، استشهد سنة (١٢١) هـ.

هذا من طرف الأب، و أما من جانب الأم ينتهى إلى إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام المتوفى مسموما ببغداد سنة (٢١٠) هـ. والده السيد محمد رضا هو العالم العامل، و الفاضل الكامل من أكابر عصره و كان مجازا من المحدث الخبير، و الفقيه البصير السيد عبد الله الشبر المتوفى سنة (١٢٤٢) هـ، كما قال المؤلف فى «منظومته الرجالية»:

و ابن الرضا الشبر ذو المحامد صنف كثيرا أجاز والدى

ميلاده لسبع ليال بقين من شوال سنة (١٢٣٨) كما فى حواشى «نخبه المقال» للعلامة النسابة و شيخنا المجيز الفهامة آية الله العظمى المرعى قدس سره و صرح به المترجم فى منظومته حيث قال:

و ابن الرضا مصنف الكتاب أرشده الله الى الصواب

و مولدى (أخير من شوال) فاختم لى اللهم بالكمال

ولا- يخفى أن جملة (أخير من شوال) تنطبق من حيث العدد مع (١٢٣٨) فعلى هذا ترديد صاحب «الأعيان» فى ج ٢٦ ص ٥٧ فى ميلاده بين سنة (١٢٢٨) و (١٢٣٨) و قول صاحب «معجم المؤلفين»: أن ميلاده فى (١٢٢٨) ليسا فى محله، و هكذا قول العلامة آية الله المرعى: إن ميلاده كان فى رجب سنة (١٢٢٨) كلها خلاف ما صرح به المترجم نفسه، و خلاف ما قال المرعى نفسه فى مقام آخر كما تقدم أن ميلاده كان لسبع ليال بقين من شوال المكرم.

### — مشايخه و أسانذته —

تلمذ على جمع من أكابر علماء عصره فى بروجرد، و النجف الأشرف

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١١٤

و استفاض من بحار علومهم الى أن بلغ النهاية و ارتقى من حضيض التقليد الى درجة سامية من الاجتهاد، منهم:

١- العلامة المحقق الحاج مولى أسد الله البروجردى الشهير بحجة الإسلام كان من أعظم فضلاء عصره، ماهرا فى الفقه و الأصول، مصنفا فىهما، قرأ على صاحب «القوانين» و تزوج بابنته و رزق منها أولادا فضلاء، توفى سنة (١٢٧١) هـ، ترجمت أحواله بالتفصيل فى «تاريخ بروجرد ج ٢/ ٣١٨-٣٤٤».

٢- السيد السند و الحبر المعتمد، منبع الأسرار، و مطلع الأنوار، كشاف الآيات و الأخبار السيد جعفر الدارابى الكشفى البروجردى، كان من أعظم علماء الإمامية متبحرا محققا و مفسرا مدققا، جامعا بين العلم و الإيمان، و الذوق و العرفان، توفى سنة (١٢٦٧) هـ فى بروجرد و دفن بها و قبره مزار للخاص و العام.

ترجمته بالتفصيل فى تاريخ بروجرد ج ٢/ ٢٧٢-٣٠٦.

قال تلميذه المؤلف فى «منظومته الرجالية» فى حرف الجيم:

سيدنا الأصفى الجليل جعفر ابن أبى إسحاق المفسر

قد كان بدرا لسماء العلم و بعد لمح (غاب نجم العلم)

٣- العالم الرفيع، ذو الفضل و المقام المنيع آية الله الحاج السيد محمد شفيع البروجردى، كان فى عصره من أكابر المجتهدين فى

الفروع والأصول، و من أعظم الجامعين للمعقول والمنقول، توفى سنة (١٢٨٠) هـ، ترجمته في «تاريخ بروجرد» ج ٢ / ٢٠٢ - ٤٢٧. ٤- العلامة الفقيه الشيخ حسن بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كان من أجلاء عصره، توفى بالعراق سنة (١٢٦٢) هـ، وقد صرح المترجم في منظومته الرجالية بتلمذه عليه حيث قال:

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١١٥ و شيخنا ابن الشيخ جعفر حسن منه استفدنا برهه من الزمن

٥- الفقيه الأصولي المحقق المدقق، الشيخ محمد حسين صاحب «الفصول» توفى سنة (١٢٦١) هـ.

قال المترجم في «منظومته الرجالية»:

أخو التقى قدوة الفحول مصنف «الفصول» في الأصول

٦- رئيس الشيعة المحققة، و حامى الشريعة الحقة، إمام الفقهاء و المجتهدين، صاحب «الجواهر» الشيخ محمد حسن الذى انتهت إليه

رئاسة المذهب الجعفرية في العرب و العجم، توفى سنة (١٢٦٦) هـ، و قد صرح المترجم في «منظومته الرجالية» بتعلمه لديه، حيث قال:

ثم محمد حسن بن الباقر شيخ جليل صاحب «الجواهر»

منه استفدنا برهه مما سلف كان وفاته (علا أرض النجف).

### — كلمات العلماء في حقه —

قال معاصره العلامة الفقيه الرجالي الحاج السيد علي أصغر الجابلقى البروجردى فى «الطوائف» ج ١ / ٤٤ ط. قم:

السيد حسين بن السيد البروجردى كان عالما جليلا، و فقيها نبيلًا، مجتهدا فى الأصول و الفقه و الرجال، بل التفسير، و غيرها من

العلوم، فى غاية الزهد من أحد تلامذة الوالد، و له منه إجازة له تصنيفات، إلا أن ما خرج هو المنظومة فى الرجال.

و قال فى ج ٢ فى الخاتمة / ٦٣٩ فى ضمن أسماء المؤلفين فى الرجال:

و منهم: السيد السند، و الركن المعتمد، المولى المسدد، الأخ الروحانى و المحقق الصمدانى، المؤيد بالتأييدات، مجمع الكمالات، و

منع السعادات السيد

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١١٦

حسين بن السيد رضا الحسينى الهاشمى جعل الله الجنة مثواه.

و هذا السيد كان فاضلا جليلا، و عالما نبيلًا و رعا، كثير الإشتغال، متحرزا عن الأشغال، مرجعا للطلاب، و متبوعا لأولى الألباب، مطاعا

لغالب الأصحاب فى بلدة بروجرد، مجتهدا صرفًا، مع اطلاعه بالقواعد الرياضية و الهيئة، و علم الحساب، و علم التفسير، و علوم الآداب

جامعا للفنون و حافظا للرجال و الدراية.

قد تلمذ عند الوالد الأستاذ العلامة الفقه و الأصول و الرجال و الدراية، فترقى من حضيض التقليد إلى مراتب الاستنباط و الاجتهاد،

فاستجاز من الوالد طاب ثراه، فأجازه اجتهادا و روايه كما هو دأب المشايخ و الأساتيد حفظا لاتصال الأسانيد و صونا عن الإرسال و

الانقطاع.

و قد قرأ عند الفاضل المدقق و الفقيه المحقق «١» كثيرا من المسائل الفقهية.

و عند السيد السديد و العالم الرشيد سيد السادة و قدوة القادة بحر العلوم الزاخرة ذو الكرامات الباهرة المنقطع عن الدنيا الفانية

المتوجه الى الديار الباقية «٢».

قال المدرس الميرزا محمد علي فى «ريحانة الأدب» ج ١ / ٢٥٢: ما تعريبه:

«البروجردى»: السيد حسين بن السيد رضا، فقيه كامل، عالم عامل، جليل نبيل، محدث، مفسر، أصولى رجالي، شاعر ماهر، من أكابر

علماء الدين فى القرن الثالث عشر، كان فى الأصول و الرجال من تلامذة الحاج السيد محمد شفيح

(١) لعل المراد به المولى حجة الإسلام الحاج ملا أسد الله البروجردى.

(٢) الظاهر أن المراد به هو السيد السند و الحبر المعتمد السيد جعفر الكشفي البروجردى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١١٧

الجابلقى، و فى الحديث و التفسير ممن أخذ عن السيد جعفر الكشفي الدارابى، و استفاض الفقه الجعفرى من صاحب «الجواهر» و الشيخ حسن كاشف الغطا.

و كان فى عصره معدودا من أكابر الفقهاء.

و من تأليفاته: «المستطرفات» فى الكنى و النسب و الألقاب، و «نخبة المقال فى علم الرجال» و هى منظومة فى ذلك الفن الشريف مع و جازة اللفظ و إيجاز العبارات كانت فى نهاية الفصاحة حاوية لتراجم جمع كثير من معارف العلماء الديتية، مضافا على تراجم الرواة المشاهير.

و قال العلامة المحدث الخبير و المؤرخ البصير الحاج الشيخ عباس القمى رحمه الله عليه فى «الفوائد الرضوية» ص ١٥٥: الحسين بن محمد رضا الحسينى البروجردى سيد جليل، عالم نبيل، شاعر فاضل مفسر ماهر، له فى مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

يا واصل المرتضى قد صرت فى تيه هيهات هيهات مما قد تمنيه

هو الذى كان بيت الله مولده و صاحب البيت أدرى بالذى فيه

#### – وفاته –

فى تاريخ وفاته اختلاف بين سنة (١٢٧٦) كما ذكر الكخالة فى «معجم المؤلفين» و سنة (١٢٧٧) كما قال المرعشى و سنة (١٢٨٤) هـ

كما عن دهخدا فى «لغت نامه» و قيل فى تاريخ وفاته:

بدر سماء العلم و الرجال و (نجم العلم غائب فى حال)

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١١٨

#### – آثاره العلمية –

له آثار علمية قيمة و مؤلفات ثمينه، منها:

١- «نخبة المقال فى علم الرجال» منظومة رجالية و أرجوزة عدده أبياتها ١٣١٣ فرغ منها سنة (١٢٦٠) هـ و قال فى تاريخه و عدد أبياته:

عدته (زين الغرايب) تاريخه (باسم الإمام الغايب)

(١٣١٣) (١٢٦٠) طبعت فى سنة (١٣١٣) بالطهران، و طبع جزء منها مع توضيحات لآية الله العظمى المرعشى قدس سره سنة (١٣٧٨)

فى قم.

ترك الناظم فى «منظومته» المجاهيل، و جملة من العلماء المتأخرين، فتتمها المولى على بن عبد الله بن محمد بن محب الله بن محمد

جعفر القراجه داغى التبريزى المتوفى سنة (١٣٢٧) هـ بمنظومة سماها «منتهى المقال فى تنمة زبدة المقال» ثم شرح الأصل و التتمه

بشرح سماه «بهجة الآمال فى شرح زبدة المقال و منتهى الآمال فى علم الرجال» فى خمس مجلدات، ثلاث منها فى شرح منظومة

السيد، و مجلدان فى شرح التتمه و فرغ من الخامس فى سنة (١٣١٨).

٢- المستطرفات فى الكنى و الألقاب و مصطلحات المجلسى، و الفيض فى «البحار» و «الوافى» طبعت بضميمة «نخبة المقال».

- ٣- تفسير سورة الأعلى، قرب ١٣٠٠ بيت.
- ٤- تفسير آية النور.
- ٥- تعليقات على قواعد استاذ السيد شفيق في الأصول.
- ٦- ديوان شعر.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١١٩
- ٧- رسالة أصولية في أن الأمر بشيء هل يقتضى النهي عن ضده أم لا؟
- ٨- تعليقات تفسيرية على تفسير اليبضاوى.
- ٩- مقباس الدراية في أحكام الولاية.
- ١٠- اللوامع.
- ١١- شرح «خلاصة الحساب» للشيخ بهاء الدين العاملى، كما صرح به فى «الصراط المستقيم» عند تعريف علم الحساب و موضوعه، و هل الواحد من الأعداد أو لا، قال: و تمام البحث فى هذا الباب يطلب من شرحنا على «خلاصة الحساب».
- ١٢- الصراط المستقيم فى تفسير الكتاب الكريم.

### - كلمة حول الصراط المستقيم -

قال شيخنا المجيز العلامة الخبير آية الله الشيخ آغا بزرك الطهرانى رحمه الله عليه فى «الذريعة» ج ١٥ / ٣٥: «الصراط المستقيم» فى تفسير الكتاب الكريم للسيد حسين بن رضا الحسينى الفاطمى العلوى البروجردى خرج منه ثلاث مجلدات ضخمة:

المجلد الأول فى المقدمات المهمة التى مهدها قبل الشروع فى التفسير و هى أربع عشر مقدمة.

و المجلد الثانى تفسير سورة الفاتحة شرع فيه فى (١٥) من ذى القعدة سنة (١٢٧١) ه و انتهى الى الفرق المغضوب عليهم فى مجلد ضخم.

و المجلد الثالث فى تفسير سورة البقرة، بدأ فيه فى جمادى الثانية سنة (١٢٧٥) ه و انتهى الى تفسير آية الكرسي و لم يتجاوز عنها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٢٠

### - أولاده -

من أخلافه العالم العامل، و الفاضل الكامل الحاج السيد نور الدين، كان بعد أبيه موردا لتعظيم الناس و تكريمهم.

قال المحدث الخبير الحاج شيخ عباس القمى فى الفوائد الرضوية ص ١٥٥:

السيد الزاهد المتقى الصالح الحاج السيد نور الدين بن السيد الجليل، العالم النبيل، المفسر الماهر السيد حسين بن محمد رضا الحسينى البروجردى توفى بالمدينة بعد مراجعته من مكة المكرمة.

خلف السيد نور الدين السيد عبد الحسين النورى، كان عالما عاملا، و فاضلا كاملا ولد فى سنة ١٢٨٦ ه و أخذ المبادئ فى بروجرد و رحل الى النجف للتكميل فى الخمس و الثلاثين من عمره، و تلمذ على علماء النجف سيما آية الله العظمى الآخوند المولى كاظم الخراسانى، و آية الله الكبرى السيد كاظم اليزدى قدس سرهما ثم رجع الى بلده و اشتغل بالتدريس، و استفاد من السراج الوهاج، و البحر الموج آية الله العظمى البروجردى قدس سره. توفى عصر التاسع من المحرم سنة ١٣٧٢ ه و خلف أحد عشر ولدا: ثلاثة أبناء و

ثمانى بنات.

من أبنائه السيد الجليل، والعالم النبيل السيد محمد حسن النورى البروجردى تلمذ بالنجف على علمائها الأفاضل واستفاض من بحار علومهم ثم رجع إلى إيران وأقام فى طهران واشتغل بالافاضة وفقه الله لمراضيه. تمت المقدمة على يد الحقير الفقير غلام رضا مولانا البروجردى فى جمادى الثانية سنة ١٤١٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٢١

### [مقدمة المؤلف و خطبته الشريفة]

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، وجعل فى سماء الولاية بروجاً، وجعل فيها شمس النبوة سراجاً وقمر الإمامة منيراً، ورشح من إشراق أشعة أنوارهم على الأكوان التائهة «١» فى فيافى «٢» العدم كأساً قدروها تقديراً، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا، والصلاة على نبيه المبعوث إلى أهل العالم كافة فى جميع العوالم شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى أهل العالم كافة فى جميع العوالم شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله الذى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. أمّا بعد فيقول المتعطش إلى رشحات فيوض ربه الغنى، الحسين بن الرضا الحسينى الفاطمى العلوى البروجردى - عفى الله عن جرائمهما وحشرهما مع أئمتهما - تعلموا يا إخوانى المؤمنين هداكم الله بنور اليقين، وأرشدكم الى ولاية الأئمة الطاهرين - صلوات الله عليهم أجمعين -: أن أنفس ما تنافست «٣» فيه النفوس

(١) التائهة فاعله من تاه يتيه تيهها وتيهانا: أى ذهب متحيراً - المنجد ص ٦٧.

(٢) الفيافى جمع الفيفاء والفيفى بمعنى المفازة التى لا ماء فيها - (المنجد ص ٦٠٣).

(٣) التنافس والمنافسة فى الشىء الرغبة فيه على وجه المباراة فى الكرم ومنه تنافسوا فى زيارة

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٢٢

والأرواح، وأولى ما تسابقت فى مضماره «١» خيول عقول الفحول للارتياح «٢» إنما هو اقتباس الفضائل النفسانية، واقتناص العلوم الإلهية التى هى الذخيرة الأبدية والسعادة السرمديّة، وإن للعلوم رياضاً عامرة وحياضاً غامرة وأفلاكاً رفيعة وأسماكا منيفة، وأقماراً طالعة، وأنواراً ساطعة، ولقد يسّر الله سبحانه وله الحمد والمجد فى عنوان لبابى و عنفوان شبابى تسريح النظرة فى معقولها و منقولها، وإمعان الفكر فى فروعها وأصولها، حتى وردت حياضها، وأتيت رياضها، فشربت من كل منهل منها جرعة بعد جرعة فما رويت وأخذت من كل بيدر «٣» حوضه بعد حوضه «٤» فما استغنيت.

فلما تفكرت فى ذلك، وسرحت النظر فيما هنالك، رأيتها فاقدة اللبوب كالقشور، ليس فيها نور ولا سرور، فطفقت أجدد النظر فى المعارف الحقيقية والأسرار الربانية، والعلوم اللدنية، والفيوض القدسية وأسرار الدين، وأنوار

الحسين (ع) - مجمع البحرين ص ٣١٤ -.

(١) المضممار بكسر الميم الموضع الذى تضم فيه الخيل ويكون وقتاً للأيام التى تضم فيها وتضم الخيل أن يظهر عليها بالعلف حتى تسمن ثم لا تعلق إلّا قوتاً لتخفّ وذلك فى مدة أربعين يوماً - مجمع البحرين ص ٢٦٣ -.

(٢) الارتياح السرور والنشاط وأخذ الراحة والارتياح من الله الرحمة ومنه يا مرتاح - مجمع البحرين ص ١٧٠ -.



(٣) البيدر بفتح الباء و الدال مجمع الطعام حيث يداس و فى الحديث قال ابن أبى العوجاء إلى كم تدوسون هذا البيدر يعنى بذلك الكعبة المشرفة و الطائفين بها استهزاء و شبههم بالحيوانات التى لا تعقل و تدوس بيدر الطعام- مجمع البحرين ص ٢٣١-.

(٤) الحظن بكسر الحاء ما دون الإبط إلى الكشح، و أعطاه حطنا من زرع أى قدر ما يحتمله فى حطنه و هو مجاز كما فى الأساس- تاج العروس فى شرح القاموس ج ٩ ص ١٨٢-.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٢٣

شريعته سيد المرسلين، صلى الله عليه و آله أجمعين، فرأيتها فى القرآن الكريم و الذكر الحكيم ساطعة الأنوار، عليّة المنار، جارية الأنهار، فإنه هو الكتاب المبين، و الماء المعين، و الحقّ اليقين، و الحبل المتين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ليكون من المنذرين بلسان عربى مبين، و هو المهيم على زبر الأولين، المشتمل على علم ما كان و ما يكون الى يوم الدين، بل أبد الأبدين، و لا رطب و لا يابس إلا فى كتاب مبين «١»، ما كان حديثاً يفترى و لكنّ تصديق الذى بين يديه و تفصيل كل شئ و هدى و رحمة لقوم يؤمنون «٢».

و هو المعجزة الباقية على مّ الدهور و الأعصار الكاشف عن خفياّ الحقائق و الأسرار، إلا أن جهات علومه و فنونه، و مراتب ظهوره و بطونه لا يطلع عليها إلا- الراسخون فى العلم، الذين هم كانوا الأئمة المصطفين، و ثانى الثقلين الذين لا يفترقان أبداً فى الكونين، لأنهم ورثه الكتاب، و مفاتيح هذا الباب، و إليهم الإياب فى المبدء و المآب، و عندهم فصل الخطاب و منهج الثواب.

فسرحت كليل طرفى «٣» فى طرف «٤» من أخبارهم، و أجريت ظالع حرفى «٥» فى حرف من آثارهم، فرأيت أنه لا- سبيل الى العلم بالكتاب إلا بالاستضاءه من أنوارهم التى هى الطريق و المنهج، و علمت أن الكلمة من آل محمد

(١) سورة الانعام: ٥٩.

(٢) سورة يوسف: ١١١.

(٣) الطرف بفتح الطاء و سكون الراء بمعنى العين و كليل طرفى أى ضعيف بصرى من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف.

(٤) الطرف بفتح الطاء و الراء بمعنى الناحية، و بضم الطاء و فتح الراء جمع الطرفه كغرفة و غرف بمعنى ما يستطرف و يستملح.

(٥) الحرف الأول بمعنى الناقه المزولة و ضالع حرفى أى ناقتى المهزولة المثقلة السير.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٢٤

صلى الله عليهم لتصرف على سبعين وجها من كلها المخرج.

ثم إنى قد كنت برهه من الزمان كثير التوقان إلى بيان شىء مما من الله الوهاب المنان على عبده من معانى هذا القرآن، فرأيت أن الخطب جسيم، و الكتاب كريم و النبأ عظيم، فاعتصمت بعروه وثقى ولايه صراطه المستقيم و إنه فى أم الكتاب، لدى الله لعلّى حكيم «١».

و شرعت فيه مع قلة البضاعه و كثرة الإضاعه، و قصور الباع «٢» فى هذه الصناعه و بذلت جهدى «٣» فى استقصاء الأخبار المتعلقة بكل آيه من الآيات، و الرجوع مهما أمكن فى استيضاح المشكلات و المتشابهات منها الى الأخبار المأثوره عن حجج الله على البريات، مع بسط الكلام على حسب مقتضى المقام فيما يتعلّق بها من المعانى اللغويّه، و الفنون الأدبيّه، و المقاصد الحكميّه، و المسائل الفقهيّه، و الاختلافات المذهبيّه، و الأصول الكلاميّه، و الحقائق الربانيّه، و العلوم النبويّه و الإماميّه، و غير ذلك مما يمكن استفادته من الآيات بشىء من الإشارات و الدلالات.

و لم أقتصر من ذلك على شىء دون شىء إذ فيه تفصيل كل شىء فليأخذ كل ناظر فيه بضاعته، و لا يتعرّض فيما يخالف صناعته، قد علم كل أناس مشربهم، و فهم أهل كل فنّ مطلبهم، فإن الأغراض مختلفه، و المقاصد متفئنه من غير

(١) اقتباس من سورة الزخرف: ٤.

(٢) الباع قد مدّ اليدين يقال طويل الباع ورحب الباع أى كريم مقتدر وقصير الباع و ضيق الباع أى بخيل عاجز- المنجد ص ٥٤-.

(٣) الجهد بضم الجيم و فتحها و سكون الهاء أى الطاقة و الاستطاعة يقال بذل جهده أى طاقته- المنجد ص ١٠٦-.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٢٥

تأنيب «١» منى فى تقصير من قصير أو طول، و لا- تعيب على من أجمل أو فضيل، بل أقرّ على قريحتى القريحة الجامدة، و فطنتى الجريحة الخامدة بالقصور و النقصان، سيما فى عداد حلبة «٢» فرسان هذا الميدان، على أنى أعلم أنّ من تصدى لتصنيف شىء من الكلام فعليه أن يستعدّ لسهام النقض و الإبرام، بل قيل: قلما سلم مكثار أو أقيّل له عثار، و مع كلّ ذلك فلا أقسم بمواقع النجوم و إنّه لقسّم لو تعلمون عظيم «٣» إنّه مجمع لجوامع العلوم المتعلقة بالكتاب الكريم، إذ هو الكافى لتيسير إستبصار تهذيب تبيان مجمع بيانه، الوافى للوسائل إلى بحار علومه و رياض جنانه، الصافى من عيون يبايع الحكمة، و بحر حقائق مصباح الشريعة، الشافى عن الشرائع بمحاسن صفات الشيعة، الكشاف عن وجوه عرائس معالم أنوار التنزيل، الوصاف لمفاتيح الغيب بلباب نفائس أسرار التأويل، الجامع لفنون الإرشاد الى نهج البلاغة فى إكمال الدين و إتمام النعمة، النافع لأصحاب البصائر و الإختصاص فى كشف الغمّة بمعرفة الأئمّة. و لم آل جهدا فى نقل ما ظفرت به من أخبار أهل البيت الذين جعلهم الله تعالى خزنة العلم و مهابط الوحي، و لم أقتصر غالبا على نقل موضع الحاجة حذرا من تقطيع الخبر،- و تفويت الفائدة التى سيق لأجلها الأثر.

و سمّيته «الصراط المستقيم فى تفسير الكتاب الكريم» و المرجو من فضله و رحمته سبحانه أن يمنّ على بلطفه العميم و فيضه الجسيم، ذلك فضل الله يؤتيه من

(١) التأنيب: الملامة.

(٢) الحلبة بفتح الحاء جمع حلبات و حلائب: الخيل تجمع للساق- المنجد ص ١٤٨-.

(٣) سورة الواقعة: ٧٥-٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٢٦

يشاء و الله ذو الفضل العظيم، و أسئله أن ينفعى به و سائر المؤمنين من شيعة مولانا أمير المؤمنين- صلى الله عليه و على ذريته المعصومين-.

و لنمهد قبل الشروع فى تفسير الآيات أربع عشر مقدّمة مهمّات فى أبواب:

أحدهما: فى الإشارة إلى حقيقة العلم و أنواع العلوم و مراتبها و شرفها و فضلها، و محلّ علم التفسير منها، و توقّفه عليها عموما أو خصوصا، و التنبيه على تعريف هذا العلم و موضوعه و غايته و بيان الحاجة إليه.

ثانيهما: فى بيان جملة ممّا يدلّ على شرف القرآن و فضله و تمثله يوم القيامة لأهله و الحثّ و الترغيب على تعليمه، و تعلّمه و التمسّك به، و قراءته فى الصلاة و غيرها و حفظه و حمّله، و إكرامه و تعظيم أهله و المواظبة عليه، و غيرها من المباحث المتعلقة بذلك.

ثالثها: فى بيان حقيقة القرآن و مراتبه فى الكون و ظهوره عند التنزل فى كسوة الحروف و الكلمات و الإشارة الى الصامت و الناطق الذين هما الثقلان و هما لا يفترقان بل لا يفارقان ليلة القدر، و البيّنة على سرّ كونه الثقل الأكبر و العترة هم الثقل الأصغر.

رابعها: فى الإشارة الى ما له من الأسماء الشريفة و الألقاب المنيفة و تحقيق القول فى حدوثه و الإشارة الى كلامه سبحانه و معنى الكلام النفسى، و كفيّة الوحي و الإلهام، و التحديث و أنّه هل للأئمّة و ساير الأوصياء عليهم السلام حظّ من الوحي و الإلهام أم لا، و

معنى التلقى و سرّ الغشوة، و تحقيق الحقّ في أنواع المكاشفات و الميزان المميّز للحقّ عن الباطل، و البحث عن كَيْفِيَّة الخطابات الواردة فيه و شمولها للغائبين و المعدومين في زمن الخطاب.

خامسها: في أنّ فيه تبيان كلّ شيء، و تفصيل كلّ علم من العلوم الإلهية

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٢٧

و الحقائق الكلية، و الأمور الجزئية، و بيان كَيْفِيَّة انشعابها منه.

سادسها: في بيان معنى التفسير و التنزيل و التأويل، و الظاهر و الباطن و المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و الكلام في حجّية القرآن، و صحّة الاستدلال بظواهره في الأصول و الفروع، و المنع عن التفسير بالرأى و ضابط التأويل.

سابعها: في معنى الإنزال، و الفرق بينه و بين التنزيل، و معنى السورة و أقسامها الأربعة، و الآية و الكلمة و الحروف و غيرها، و فيه ضبط السور و الآيات و حروف القرآن.

ثامنها: في أنّ علم القرآن مخزون عند أهل البيت عليهم الصّلاة و السلام و بيان انتهاء سلسلة القرآن، و علم التفسير إليهم، و أنّ كلّ ما في أيدي الناس من علم حقّ فهو منهم.

تاسعها: في أنّ جلّ القرآن بل كلّه إنّما نزل فيهم، و في شيعتهم، و في أعدائهم.

عاشرها: في وجوه إعجازه، و الفرق بينه و بين الحديث القدسي.

حادى عشرها: في بيان ما ورد من أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، و الإشارة الى منشأ اختلاف القراء في القراءة من حيث موادّ الحروف، و هيئاتها، و تحقيق الكلام فيما ذكر الفقهاء من الإجماع على قراءة السّبع أو العشر، و هل هي متواترة أم لا، و فيه نبذ من أحوال القراء و طرقهم، و جواز الأخذ بقرائتهم.

ثاني عشرها: في كَيْفِيَّة القراءة، و البحث عن آدابها الظاهرة، و وظائفها الباطنة، و فيه تحقيق معنى الغناء، و بيان حرمة و معنى الترتيل و الإشارة الى الحجب القلبية المانعة عن القراءة، و كَيْفِيَّة رفعها، و غير ذلك من الوظائف.

ثالث عشرها: في أحكام القراءة من الوجوب و الحرمة و الكراهة

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٢٨

و الاستحباب.

رابع عشرها: في جملة من الفوائد التي ينبغي التنبيه عليها قبل الشروع في المقصود كالاستشفاء، و الاستكفاء بالآيات، و الإشارة الى سبب مخالفة القرآن لغيره في رسم الخطّ، و ما فيه من سجديات العزائم و غيرها و كَيْفِيَّة الإستخارة به.

و هذا أوان الشروع في الأبواب و من الله التيسير و حسن المعونة في كلّ باب.

## الباب الأوّل:

### إشارة

في الإشارة إلى حقيقة العلم و أقسام العلوم و مراتبها و شرفها و محلّ علم التفسير منها و توقفه عليها عموماً أو خصوصاً و فيه فصول:

### الفصل الأوّل

في تعريف العلم قيل: إنّ لا- يحدّ كما اختاره في التجريد و غيره، و حكى العلامة (أعلى الله مقامه) عن أكثر المحقّقين أنّه غنى عن التعريف لأنّه من الكيفيات النفسانية التي يجدها كلّ عاقل كالفرح و الشبع و غيرها «١» و قد يقال أنّه لا يمكن تحديده نظراً الى

(١) قال العلامة في شرحه على التجريد في شرح قول المتن: (و لا يحد) أقول: اختلف العقلاء في العلم فقال قوم لا يحد لظهوره فإنّ الكيفيات الوجدانية لظهورها لا يمكن تحديدها لعدم انفكاكه عن تحديد الشيء بالأخفى و العلم منها.

و قال صدر المتألهين في الأسفار في الجزء الثالث في المرحلة العاشرة في الفصل الأول:

لا شيء أعرف من العلم لأنه حالة وجدانية نفسانية يجدها الحيّ العليم من ذاته ابتداء من غير لبس و لا اشتباه و ما هذا شأنه يتعدّر أن يعرف بما هو أجلى و أظهر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٢٩

أنّ غير العلم لا يعلم إلّا به فلو علم بغيره لدار «١» و هو مدفوع باختلاف الحيثية فإنّ غير العلم متوقّف عليه من جهة كونه إدراكا له و هو متوقّف على غيره من جهة كونه صفة مميزة له عمّا سواه.

و أمّا ما يقال من أنّ المطلوب من حدّ العلم هو العلم بالعلم و ما عدى العلم ينكشف بالعلم لا بالعلم بالعلم فغير حاسم لمادّة الإشكال فإنّ العلم بالعلم من جزئيات العلم أو من متعلقاته و المطلوب من الحدّ معرفة ماهية العلم.

ثمّ المعرفون قد اختلفوا في تعريفه فقد يقال: إنّه معرفة الشيء على ما هو عليه مع طمأنينة النفس، أو أنّه صفة يحصل بها لنفس المتّصف بها التمييز بين حقايق المعاني الكليّة حصولا لا يتطرق إليه احتمال، أو إنّه صورة مطابقة للمعلوم حاصلّة في قوى النفس، أو أنّه الاعتقاد المقتضى لسكون النفس «٢» أو أنّه استبانة الحق، أو أنّه حضور إشراقى للمعلوم عند النفس المدركة، أو أنّه حصول صورة المعلوم في الذهن.

(١) قال العلامة في كشف المراد بعد قوله المذكور سابقا: و لان غير العلم انما يعلم بالعلم فلو علم بالعلم بغيره لزم الدور.

و قال الصدر بعد كلامه المذكور آنفا: و لان كل شيء يظهر عند العقل بالعلم به فكيف يظهر العلم بشيء غير العلم.

و قال السبزواري الحاج مّا هادى في تعليقه على الأسفار ذيل هذا الدليل: و الحاصل أنه يلزم الدور و دفعه بأن ظهور غير العلم انما هو بوجود العلم لا بمفهومه فلا بأس بأن يتوقف ظهور مفهومه على مفهوم غيره.

(٢) قال العلامة في كشف المراد بعد نقل قول المنكرين لتحديد العلم: و قال آخرون: يحدّ، فقال بعضهم أنهم اعتقاد أن الشيء كذا مع اعتقاد أنه لا يكون إلّا كذا و قال آخرون: إنّه اعتقاد يقتضى سكون النفس و كلاهما غير مانعين.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٣٠

أو أنّه إدراك جازم، أو أنّه نور شعشعاني يتجلّى به الأشياء، أو أنّه كشف الحجب الغاسقة التي على النفس الإنسائية، أو أنّه اتّحاد القوى الدراكة بالمعلوم، أو أنّه ما لا يعلم الشيء إلّا به، أو أنّه الواسطة بين العالم و المعلوم، أو أنّه انطباع صورة الأشياء في مرايا النفوس، الى غير ذلك من التعاريف الكثيرة التي ليس في التعرض لها فضلا عن المناقشة فيها و دفع ما ربما يورد أو يرد عليها شيء من الفائدة بعد وضوح كون أمثال هذه المباحث فاقدة الفائدة، سيّما بعد حصول معرفة إجمالية مقنعة إن لم تكن أوّلا بالتأمل في كلّ من هذه التعاريف فضلا عن جميعها مع أنّ كثيرا من مباحثهم في المقام مناقشات لفظية لا- تسمن و لا- تغنى من جوع كما يظهر بالرجوع. بل و كذا حال مناقشاتهم المعنوية التي منها الإيراد على تعريفه بالصورة الحاصلة في النفس المطابقة للمعلوم كما هو الموروث من الحكماء في تعريفه بلزوم اجتماع الضدين فيها عند تصوّرها لهما و كون النفس عند تصوّرها الحرارة و البياض و الاستقامة و الوحدة حارة مبيضة مستقيمة و كذا أضدادها بل و غيرها.

و بأننا ننصّر الأجسام الجسيمة العظيمة كالجبال و البرارى و البحار و البلاد بل الكواكب و الأفلاك العظيمة على الوجه الجزئى المانع من الشركة فوجب أن يحصل تلك الأمور في القوى النفسانية التي ليست جسما و لا جسمانيا، و في القوى الخيالية التي لا حظ لها من

المقدار طبعاً و انطباعاً فضلاً عن مثل هذه المقادير العظيمة.

و بأنّ جوهرية الجوهر ذاتية فكيف تفارقه بحصوله في الذهن بل و كذا غيرها من المقولات المتباينة الذوات التي ترجع جميعها عند العلم بها الى قسم من الكيف.

و هم قد أجابوا عن الأول بأنّ المحال اجتماع المتناقضين بحسب الوجود

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٣١

الخارجي لا الظلي الذهني «١» مع أنّ من شروط التناقض اتحاد الموضوع وحدة حسيّة وضعيّة و وحدة القوّة العاقله ليست وضعيّة تضيق عن المتقابلات بل عقليّة تجامعها كوحدة الطبائع النوعيّة و الجنسيّة فإنّها عقليّة لا تمنع اتّصافها بالفصول و المشخصات المتقابلة. و عن الثاني بأنّ الحرّة مثلا ما تقوم به الحرارة في الخارج أن ما يمكن إدراك حرارتها بالمشاعر الظاهرة، و كذا الكلام في غيره، أو أنّه المتّصف بالحرارة لكنّها كيفيّة محسوسة.

و عن الثالث بأنّ القوّة الخياليّة لما لم تكن في نفسها مقدارا يجوز اتّصافها بجميع المقادير و الكميّات.

و فيه أنّ فقدانها للمقدار إن كان لعدم صلاحية اتّصافها به أصلاً فكيف يتّصف بجميعها و إن كان لعدم فعليّة شيء منها فبعد اتّصافها بالأول لا يتّصف بالثاني إلّا مع زوال الصورة الأولى مع إنّنا نتصوّر في آن واحد مقادير عظيمة متخالفة الأوضاع و الأشكال و الجهات اللهم إلّا أن يقال: إنّ للانطباق الحاصل في القوى النفسانيّة أحكاماً مغايرة لأحكام الانطباق في الأجسام الكثيفة الخارجيّة و لذا حكى في المواقف «٢».

(١) قال الحكيم القدوسي نصير الدين الطوسي (قدس سره) في التجريد: و حلول المثال مغايرة و قال الشارح العلّامة في شرح كلام الماتن: أقول: هذا إشارة إلى كيفية حصول الصورة في العاقل و تقريره أنّ الحال في العاقل إنّما هو مثال المعقول و صورته لا ذاته و نفسه و لهذا جوّزنا حصول صورة الأضداد في النفس و لم نجوّز حصول الأضداد في الخارج فعلم أنّ حلول المثال و الصورة مغاير لحلول ذات الشيء.

(٢) المواقف في علم الكلام لعضد الدين عبد الرحمن المتوفى سنة ٧٥٦ ق ألفه لغياث الدين وزير

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٣٢

و شرحه «١» عن الحكماء أنّهم قالوا: الصّور العقليّة تمتاز عن الخارجيّة بوجوه:

الأول: أنّها غير متمانعة في الحلول إذ يجوز حلولها معا في محلّ واحد بخلاف الخارجيّة فإنّ المتشكّل بشكل مخصوص مثلا يمتنع أن يتشكّل بشكل آخر مع بقاء الشكل الأول بل الصور العقليّة متعاونة في الحلول فإنّ النفس إذا كانت خالية عن العلوم كان تصوّرها لشيء من الحقائق عسراً جدّاً، و إذا اتّصف ببعض العلوم زاد استعدادها للباقي و سهل انتقاشها.

الثاني: تحلّ الكبيرة من الصّور العقليّة في محلّ الصغيرة منها معا و لذا تقدر النفس على تخيل السماوات و الأرض و الأمور الصغيرة معا بخلاف الصور الماديّة فإنّ العظيمة منها لا تحلّ في محلّ الصغيرة مجتمعة معها.

الثالث: لا تمنح الضعيف بالقوى في العقليّة دون الخارجيّة.

الرابع: أنّ الصورة العقليّة إذا حصلت في العاقله لا تجب زوالها و إذا زالت سهل استرجاعها من غير حاجة إلى تجشّم كسب جديد بخلاف الصورة، الخارجيّة فإنّها واجبة الزوال عن المادّة العنصريّة لإستحالة بقاء قواها أبداً و إذا زالت احتيج

خدا بنده و هو كتاب اعتنى به الفضلاء و شرحوه بشروح و حواش و تعليقات كشرح السيد الشريف الجرجاني و شرح شمس الدين الكرمانى المتوفى سنة ٧٨٦ ق و شرح سيف الدين أحمد الأبهري - كشف الظنون ج ٢ -.

(١) أشهر شروح المواقف شرح ألفه السيد شريف على بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ ق فرغ منه في أوائل شوال سنة ٨٠٧ ق بسمرقند و كتب على شرح الشريف جماعة تعرض كل منهم لحلّ مغلقاته مثل المولى حسن جلبى المتوفى سنة ٨٨٦ ق و المولى أحمد بن سليمان المتوفى سنة ٩٤٠ ق - كشف الظنون ج ٢ -.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٣٣

فى استرجاعها إلى مثل السبب الأول.

الخامس: أنّ الخارجيّة قد تكون محسوسة بالحواسّ الظاهرة بخلاف العقلية.

السادس: أنّ العقلية كليّة بخلاف الخارجيّة.

أقول: و من جميع ما مرّ يظهر الجواب عن الرابع أيضا و لذا قال ابن سينا «١» و غيره ممّن اقتفى أثره: أنّ الجوهر و العرض متباينان فى الوجود الخارجى، و أمّا فى الوجود العلمى فالجوهر الموجود فى النفس جوهر و عرض معاً لأنّ معنى الجوهر ما يكون وجوده الخارجى لا فى موضوع، و هذا لا ينافى كون وجوده الذهنى فى موضوع، و هذا لا ينافى كون وجوده الذهنى فى موضوع هو الذهن، ثمّ لا يخفى أنّ الجواب المذكور بل أصل التعريف مبنى على أحد الأقوال فى كيفية الإدراك و هو انطباع صورة المعلومات فى النفس فإنّ القوّة العاقلّة كالمرآة المصقولة فمتى حصل بينها و بين المعقولات مقابلة انطبعت صورها فيها فيحصل إدراكها بواسطة استعداد

(١) ابن سينا هو الحسين بن عبد الله بن سينا الفيلسوف الرئيس صاحب التصانيف فى الطب و المنطق و الطبيعيات و الإلهيات، أصله من بلخ و مولده فى إحدى قرى بخارى، نشأ و تعلم فى بخارى و طاف البلاد و ناظر العلماء، و تقلد الوزارة فى همدان، و ثار عليه عسكرها و نهبوا بيته فتوارى ثم صار الى اصفهان و صنف بها أكثر كتبه و عاد فى أواخر أيامه إلى همدان فمرض فى الطريق و مات سنة ٤٤٧ ق. و دفن فى همدان و على لوح قبره بيتان فيهما تاريخ ميلاده و وفاته و عمره بالفارسية:

٣٧٣

حجة الحق أبو على سينادر شجع آمد از عدم بوجود

٤٢٧ ٣٩١

در شصا کرد کسب جمله علوم در تکر کرد از این جهان بدرود تفسیر الصراط المستقیم، ج ١، ص: ١٣٤

القوّة بالأفكار المعدّة لذلك و هذا المذهب هو المحكى عن الأكثر بل قال صاحب المجلى «١» أنّ الاتفاق واقع على انطباع صور المعقولات فى القوّة العاقلّة على هيئة انطباع الصور المرئية فى المرآة المحسوسة إلّا أنّ ما ينطبع فى القوّة العاقلّة أقوى و أتمّ و أشمل لأنّه لا يزول عنها و لوصولها بذلك الانطباع الى معرفة ذاتياته و عوارضه اللّازمة و الفارقة و كون المنطبع فيها صور المرئيات و غيرها من المحسوسات بالحواسّ الخمس و المعقولات التى لها فى الخارج ما يطابقها المسمّاة بالمعقولات الأولى بل و ما لا يكون كذلك من المعقولات الثانية «٢» بل و المعدومات و الممتنعات، بخلاف المرآة الحسيّة، ثم بعد دعوى الاتفاق حرّر نزاعاً آخر قال:

و حينئذ يكون هناك ثلاثة أمور: نفس الصورة و قبول النفس لها بالانفعال، و النسبة الحاصلة بينهما من جهة الحال و المحلّ أعنى الاتّصاف: فاسم العلم هل هو موضوع لنفس الصورة أو لذلك القبول و الانفعال أو لتلك النسبة و مجرد الاتّصاف.

ثمّ حكى الأوّل عن محققى الفلاسفة و أكثر المنطقيين و المتكلمين حيث جعلوه نفس الصورة و ان تكلموا فى كيفية كون الصورة الشخصية القائمة بالقوّة العاقلّة متعلّقة بالمعقولات الكليّة مع كونها جزئية متشخّصة.

و الثانى عن شذوذ من الحكماء حيث جعلوه نفس ذلك الانفعال، و لذا قالوا:

(١) المجلى مرآت المنجى كتاب كلامى فى أصول الإعتقاد بطريق العرفان تأليف ابن أبى جمهور الأحسائى شمس الدين محمد بن زين الدين على بن الفقهاء والمتكلمين والعرفاء والمحدثين، ولد فى الأحساء وتعلم من علمائها الفنون الأدبية والعلوم الرسمية ثم ارتحل الى النجف واشتغل بكسب الفضائل. و فى العاقبة أقام فى المشهد المقدس الرضوى و ناظر مع أكبر علماء الهرات و غلبه و المناظرة مطبوعه فى آخر كتاب نامه دانشوران ج ١ ص ٧٣٣.

(٢) ص ١٤ فى المعقول الثانى اصطلاحان .. الى آخره ج ذكر فى ذيل الصفحة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٣٥

إنه قبول القوّة العاقلة للمعقول و انفعالها عنه و اتّحادهما به نوعا من الاتّحاد كما هو المحكى عن ابن سينا فى المبدأ و المعاد «١». و الثالث عن بعض المتكلمين الذين جعلوه نفس النسبة و لذا عزّفوه بأنّه إضافة بين العالم و المعلوم فهو على الأول من مقولة الكيف عرضية الصورة و احتياجها فى القيام الى العاقلة و على الثانى من مقولة الانفعال، و على الثالث، من مقولة الإضافة. أقول: و هذه الأقوال كلّها على فرض القول بارتسام صور المدركات فى القوى، النفسانية و انطباعها فيها، و هذا القول «٢» و إن ذهب إليه جمهور الحكماء و المتكلمين إلّا أنّ الذى يقتضيه التحقيق هو خلافه، و جملة الكلام فى المقام أنّه قد اختصّ الإنسان بأنواع الإدراكات الأربعة التى هى الإحساس و التخيل و التوهم و التعقل و المراد بالإحساس إدراك الشىء الموجود فى المادّة الحاضرة عند المدرك على هيئة مخصوصة من الأين و المتى و الوضع، و سائر المشخصات، و التخيل إدراكه مع الهيئات المذكورة فى حالى حضوره و غيبته، و التوهم إدراك لمعان غير محسوسة من الكيفيات و الإضافات مخصوصة بالشىء الجزئى الموجود فى المادّة،

(١) المبدأ و المعاد كتاب نفيس من مصنفات الشيخ الرئيس حسين بن عبد الله ابن سينا فى التوحيد و المعاد على طريق الحكمة المشائية.

(٢) أشار الحاج السبزواري فى منظومته الحكيمية الى هذه الأقوال فى العلم حيث قال: من تلك أن فى جنسه أقوال كيف إضافة أو انفعال

فليدر بعد ما تشكك علم أنّ هنا نقشا بعقلنا رسم

فينا الانفعال من مرسوم له إضافة إلى المعلوم

فتخرج النسبة و الانفعال عمّا له علما و كيفا قالوا تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٣٦

و التعقل إدراك الشىء من حيث هو فقط لا من حيث هو شىء آخر سواء أخذ وحده أو مع غيره من الصفات فهذه إدراكات مترتبة فى التجريد.

الأول: مشروط بثلاثة أشياء حضور المادّة، و اكتناف الهيئات، و كون المدرك جزئيا.

و الثانى: تجرّد عن الشرط الأول.

و الثالث: عن الأولين.

و الرابع: عن الجميع على ما حقّقه المحقق الطوسى طاب ثراه «١».

ثمّ إنّ إنيّة الإدراك بأقسامه و إن كانت فى غاية الوضوح و الظهور بحيث يقضى به الضرورة الوجدانية إلّا أنّه قد صعب عليهم إدراك حقيقة و كفيّته فاختلّفوا فيه على أقوال:

أحدها: القول بالانطباع حسب ما مرّت إليه الإشارة، و استدّلوا له بأننا إذا تصوّرنا شيئا فإمّا أن يحدث فى أذهاننا أثر، أو لا يحدث شىء بل حالنا قبل التصرّو و بعده سواء.

و الثانى: باطل بالضرورة الوجدانية، و على الأول فذلك الأمر الحاصل إن لم يكن مطابقا لذلك الشىء لم يكن متصوّرا له و إن كان

مطابقا له فهو إما عينه أو مثله،

(١) في شرح الإشارات (ج ٢ ص ٣٢٣) قال و أنواع الإدراك أربعة إلخ و قال القطب الرازى فى شرحه على الشرح: قوله (و أنواع الإدراك أربعة): إما جزئية مادية أو غير مادية أما الجزئيات المادية فإما محسوسة أو غير محسوسة. و المحسوسات إما أن يتوقف إدراكها على حضورها و هو الإحساس أو لا- يتوقف و هو التخيل و إدراك غير المحسوسات هو التوهم. و أما غير الجزئيات المادية فإما أن لا يكون جزئية بل كلية، أو تكون جزئيات غير مادية و أيا ما كان فإدراكها التعقل.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٣٧

و الأول باطل إذ كثيرا ما نتصور أمورا لا- وجود لها فى العين مع أن الشئ الواحد لا يكون موجودا فى موضعين: خارج النفس و داخلها.

فتعين أن يكون الموجود فى النفس صورة مطابقة للموجود فى الخارج و هو المطلوب.

و بأن حسن الإدراك و الحفظ و ضدهما تابعان للكيفيات الأربعة الموجبة لسهولة التشكل و عدمها و لذا قال الأنطاكى «١» فى نزته «٢»: العلم حصول صورة المعلوم انتقasha فى قوى العقل و النفس المعبر عنها بالذهن فهى كالمرآة و الانتقاش فيها كانطباع المرئيات فى تلك، فعليه قد يسهل النقش و زواله إذ أفرطت عليه الرطوبة أو يسهل الأول دون الثانى إذا أفرطت الحرارة و العكس، فالمراتب أربعة ضرورة و هذه القاعدة أصل يتفرع عليها الحفظ و النسيان و ما يغلب على الدماغ من الأخلاط و علاج ذلك. أقول: و الوجهان ضعيفان.

أما الأول فلأن المراد بالأثر الحادث إن كان هو خصوص الصورة فنحن نمنع من حدوثها و الضرورة الوجدانية غير قاضية بإثباته كيف و هو أول الكلام و إن كان المراد منه الأعم من انطباع الصورة و من مشاهدة ذى الصورة فدعوى الضرورة، حينئذ و إن كانت فى محلها إلا أنه لا ينبغى التكلم حينئذ فى المطابقة

(١) الأنطاكى هو داود بن عمر الطبيب نزيل القاهرة: صنف كتبا كثيرة فى الطلب و توفى سنة ١٠٠٨ ق.

(٢) نزته الأذهان فى طب الأبدان للأنطاكى و هو مختصرة على مقدمة و سبعة فصول و خاتمة جمع فيها الأهم من قواعد الطب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٣٨

و عدمها بعد احتمال كون الأمر الحاصل هو المشاهدة الحضورية حسب ما تسمع، سلمنا لكن المراد بالمطابقة حينئذ إنما هى مطابقة الإدراك للمدرك لا الصورة لديها.

و أما الثانى فلأن لتلك الكيفيات مدخلا تاما فى كلا الأمرين كما لا يخفى.

ثانيهما: ما ذهب إليه صدر المحققين ناسبا له إلى إلهام الله سبحانه و هو أن هذه الصورة المقدرية لنا إنما هى موجودة بإيجاد النفس لها لا لقبول النفس إياها و ليست هى قائمة بالنفس قيام الأعراض و الصور لموضوعاتها، و موادها بل قيام الأشياء الموجودة بمقيمتها و فاعلها، و ذلك سر إلهى فى النفس حيث أبدعها الله تعالى مثلا- له تعالى ذاتا و صفه و أفعالا. فللنفس عالم جسمانى مخصوص موجود فى صقع من ذاتها و ليست النفس داخله فى عالمها و لا خارجة عنه و لها معية بكل جزء من أجزاء عالمها أين ما كان و يكون و حيثما كان و يكون شبه المعية القيومية الواجبة بكل ذرة من ذرات السماوات و الأرضين من جهة أنها ليست كمعية جسم بجسم و لا جوهر بجوهر و لا حال بحال و لا عكسه و لا معية حالين بمحل واحد، و لا شئ من سائر المعيات بل معية قيومية وجودية يعجز عن دركها أكثر الأنام بل لا يدركها إلا الفاضل الأوحدي التام.

و قال فى عرشية «١»: إن الصور المقدرية و الأشكال و هيئاتها كما تحصل من الفاعل لأجل استعداد المواد و مشاركة القوابل فهى



قد تحصل أيضا بالإبداع بمجرد تصوّرات المبادئ و جهات الفاعليّة من غير مشاركة قابل و وصفه و استعداده، و من هذا القبيل وجود الأفلاك و الكواكب من تصوّرات المبادئ و الجهات الفاعليّة، و علمه

(١) العرشية أو الحكمة العرشية كتاب حكيمى فى معرفة المبدأ و المعاد محتو على مشرقين، الأول فى العلم باللّه و صفاته و أسمائه و آياته، و الثانى فى علم المعاد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٣٩

تعالى بالنظام الأتم من غير سابقة قابليّة و استحقاق، و من هذا القبيل أيضا إنشاء الصّور الخياليّة القائمة لا فى محلّ بمحض الإرادة من القوّة الخياليّة الّتى قد علمت أنّها مجردة من هذا العالم.

و هذا القول و إن شارك القول الأول من حيث إثبات الصورة الذهنيّة، للمدركات إلّا أنّه يقابله و يضاّدّه من جهة ابتناؤه على القول بالفعل دون الانفعال و هو و إن التجأ إلى ذلك القول فرارا عمّا ربّما يرد على القول بالصّور من الاعتراضات الكثيرة و حسبما تصدّوا لذكرها فى محلّه إلّا أنّه لا يغنى عنه شيئا من ذلك حسبما تسمع.

## الفصل الثانى

فى الإشارة الى أنواع العلوم و أصنافها اعلم أنّ مطلق العلم الّذى هو انكشاف الشىء على ما هو عليه قد يسمّى حكمة و لذا عزّفوها بأنّها العلم بحقائق الأشياء على ما هى عليها بحسب الطّاقة البشريّة الّتى لا إحاطة لها بالحقائق من حيث هى بل من حيث بعض الآثار و اللّوازم و المبادئ و الترتّبات و نحوها كما صرّح به غير واحد ممّن يظنّ رسوخهم فى الحكمة المتعاليّة و هى تنقسم الى عقليّة و شرعيّة، و إن كان كلّها عقليّة شرعيّة كما أنّها تنقسم الى نظريّة و عمليّة، و إن كان كلّها نظريّة عمليّة، فالحكمة النظرية الّتى يعبر عنها بالعلوم العقليّة ما كان المقصود من معرفتها نفس تلك المعرفة قصدا أوّليا و إن قصد بها العمل أيضا كمعرفة الواجب و العلم بحدوث النفس و بقائها و عودها فإنّ هذه العلوم مقصودة فى أنفسها و إن ترتّب عليها التّعبد بالشرعيّات أيضا، و لذا

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٤٠

تراهم يعدّون الطبيعيات و الرياضيات من الحكمة النظرية و إن ترتّب على كثير من مسائلها مزاوله الأعمال بل ربما تكون هى المقصودة منها، و من هنا قسم كثير منهم الهندسة الى العمليّة و العملية، و كذا الطبّ و غيره كما أنّ الحكمة العمليّة ما يتعلّق بكيفية العمل فهو علم بشىء يكون المقصود إدخاله فى الوجود أو منعه عنه كالعلم بالفضائل النفسانيّة و ردائلها بل و كذا العلم بالمسائل الفقهيّة فإنّه على الأصحّ عندى معدود من الحكمة العمليّة حسب ما تسمع.

و بالجملة فالعلوم إمّا عقليّة أو شرعيّة، و كلّ منهما إمّا نظريّة أو عمليّة، فالأقسام أربعة.

الأول: العقليّة النظرية و تنقسم الى إلهيّة و رياضيّة و طبيعيتيّة لأنّها إن كانت متعلّقة بأمر مستغنية فى نحوى الوجود العيني و الذهنى عن المادّة و المدّة فهى الحكمة الإلهيّة تسمية لها بأشرف ما يبحث فيها عنه و لو على وجه التّنزيه و التقديس و إن كان يبحث فيها أيضا عن مبادئ الموجودات و عن الأكوان الجبروتية و الملكوتية من العقل و النفس و الزّوج و غيرها من المجردات العالیه عن الموائد الخالية عن القوّة و الاستعداد و إن كان شىء منها ليس مجردا على سبيل الإطلاق لأنّ كلّ ممكن زوج تركيبى، و عن الأمور العامّة الّتى هى الوجود و الماهيّة، و العلمة و المعلول و الكلّي و الجزئى، و الوحدة و الكثرة، و غيرها، و عن الصفات الجلالية و الجماليّة من الذاتيّة و الفعليّة مع التّنزيه التّام من التّشبيه و التّعطيل، و انثلام الوحدة و تعدد القدمات، و غير ذلك من المفاسد الّتى منها الفاعليّة بالعليّة و الإيجاب بإثبات العقول العشرة و نحوها، و عن خصوص العدل الّذى تفردت به العدليّة، و عن أحوال النفس بعد مفارقة البدن و بقائها و تنعمها و عودها، و غير ذلك ممّا يتبعها فهذه هى الفنون الستة الّتى للعلم الإلهي، و زاد أهل الإسلام على ما دوّنه الفلاسفة فنا

سابعاً و هو مباحث

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٤١

الحسن و القبح و شكر المنعم و حسن التكليف، و وجوب اللطف و بعث الأنبياء، و غير ذلك ممّا يتعلّق بمباحث النبوة، قيل: و أوّل من زاده الشّيخ ابن سينا، و أهل الإيمان ثامنا و هو بحث الإمامة و ضرورة الحجّة، و عدم خلوق الأرض منها لحظّة. قال الأنطاكى: و أوّل من أدخله ابن نوبخت من الشيعة الإمامية في الياقوت «١» ثمّ تبعهم أهل السنّة و توسّعوا فيه و ضمّوا إليه مباحث التصوّف و الأرزاق و الآجال و غيرها. فهذه الفنون الثمانية من أصول الحكمة الإلهية و إن كان قد يعدّ بعضها من الفروع كما أنّه قد يعدّ الكلّ فنّاً واحداً لانفراده بالتصنيف الذي لا عبرة به، و لذا قد تداول بين المتأخّرين منهم ضمّ الطبيعيّ معها بل و المنطق و ربما يعدّ من فروعها علوم آخر كعلم الأعداد و الحساب و السحر و التسخير و غيرها ممّا هو أليقّ غيرها و إن كان بعضها من العلوم المركّبة المتولّدة من الفنين نعم قد يقال: إنّ الحقّ إدخال المنطق في الحكمة و جعلها من أقسام النظرية كما فعله الشّيخ الرئيس كيف و لو اختصّ موضوع الحكمة بالموجودات العينية لخرج منها العلم بتقاسيم الوجود من الأمور العامّة.

(١) ابن نوبخت هو إبراهيم بن إسحاق بن أبي سهل من أكابر المتكلّمين و من عظماء الشيعة الإمامية في أواسط القرن الرابع له كتب منيفة منها كتابه «الياقوت» في علم الكلام و هو كتاب نفيس من أقدم كتب الكلامية و مورد لتوجه الأعلام حتّى شرحوه بشروح منها كتاب «أنوار الملكوت» في شرح الياقوت للعلامة الحلّي - قدس سرّه قال في ديباجة هذا الشرح: كتاب «الياقوت» حاو لأشرف المسائل الكلامية و جامع لأسنى مباحثها، و شرح السيد عميد الدين ابن أخت العلامة كتاب خاله المعظم: «أنوار الملكوت» و حاكم بين الماتن و الشارح.

و لا يخفى أنّ نسبة كتاب «الياقوت» الى إسماعيل بن إسحاق النوبختي كما عن رياض العلماء و كتاب الشيعة و فنون الإسلام خطأ- ریحانه الأدب ج ٤ ص ٢٤٠-

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٤٢

و أمّا ما أوجب عنه من أنّ الأمور العامّة هناك ليست موضوعات بل محمولات تثبت للأعيان فلا يخلو من تكلف مستغنى عنه، و كذا في جعلها المشتقات دون المبادئ إذا لا فرق بين الموجود بما هو موجود و الوجود و الممكن بما هو ممكن و الإمكان كما نصّ عليه الشّيخ في الشفاء «١» و على هذا فيحتمل كونه من العلوم الإلهية أو الرياضية أو من مبادئ الأولى خاصّة أو مطلق الحكمة النظرية، و إن كانت متعلّقة بالأمور المجرّدة عن المادّة في الذهن خاصّة فهو العلم الرياضي الذي كانت العلماء يرتاضون به نفوسهم حيث يقدّمون شيئاً منه في تعاليمهم على سائر العلوم حتّى المنطق تقويماً لأفكار المتعلّمين، و تأنيساً لطبايعهم بالبراهين كيلا يقبلوا شيئاً من المطالب حتّى يبلغ درجة الضرورة أو اليقين، و لذا سمّي تعليماً أيضاً لأنّه يبحث في أكثر فنونه عن الأجسام و السطوح و الخطوط التعليمية لأنّ المنشأ في تسميتها أيضاً هو الأوّل، و يسمّى بالعلم الأوسط لتوسّيطه بين الإلهي الأعلى، و الطّبيعي الأدنى و إن كان ربما يقدّم عليه الطبيعي لوجوه ضعيفة نشير إليها إن شاء الله و أصوله أربعة:

أحدها: جو مطريا المفسرة بالهندسة لأنّها بمعنى الأربعة التي هي الموضوع في هذا الفن أعنى الجسم التعليمي الذي هو الكمية السارية في الأبعاد الثلاثة و نهايته

(١) الشفاء في المنطق قيل هو من ثمانية عشر مجلداً و شرحه أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأديب التيجاني صاحب «تحفة العروس» و اختصره شمس الدين الخسروشاهي التبريزي المتوفى سنة ٦٥٢ ق.

كتب الشيخ أبو سعيد أبو الخير معرّضاً لابن سينا: قطعنا الأخوة عن معشرهم مرض من كتاب الشفاء

فماتوا على دين رسطالس و عشنا على سنّة المصطفى تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٤٣  
 التي هي السطح المنقسم في جهتين و نهايته التي هي الخطّ المنقسم في جهتين و نهايته التي هي النقطة، و لا تنقسم أصلا، و هذه  
 الثلاثة هي الأصل لما يبحث منه في هذا العلم من الخطوط و الدوائر و الأشكال المسطحة و المجسمة و الزوايا و النسبة الكلية بين  
 المقادير كما تصدّى لأصولها «أقليدس» الصورى في كتابه «١» و حرّره التحرير في التحرير «٢» و من جزئياتها علم الأكر الساكنة و  
 المتحركة و المخروطات و الزوايا و غيرها «٣» ممّا أفردها بالتصنيف ثاوذوسيوس «٤»

(١) أقليدس بضم الهمزة و كسر الدال و بالعكس لفظ يوناني مركّب من أقلى بمعنى المفتاح و دس بمعنى المقدار اسم كتاب فى  
 الهندسة ألفه رجل يقال له بلونيوس النجار و رسمه خمسة عشر قولا من كل وارد عليه فأخبره بعضهم بأنّ فى بلدة صور رجلا مبرزا  
 فى الهندسة و الحساب يقال له: أقليدس فطلبه و التمس منه تهذيب الكتب و ترتيبه فرتبّه و هدّبه فاشتهر باسمه بحيث إذا قيل كتاب  
 أقليدس يفهم منه هذا الكتاب. ثم نقل الكتاب من اليونانية الى العربية جماعة منهم حجاج بن يوسف الكوفى فإنّه نقله نقلين: أحدهما  
 يعرف بالهارونى و الآخر بالمأمونى و منهم حنين بن إسحاق المطب المتوفى سنة ٢٦٠ ق، و منهم أبو الحسن ثابت بن قرّة الحرّاني  
 المتوفى سنة ٢٨٨ ق، و منهم أبو عثمان الدمشقى.

(٢) أخذ كثير من العلماء فى تحرير كتاب أقليدس متصرّفين فيه إيجازا و ضبطا و إيضاحا و بسطا و الأشهر ممّا حرّروه تحرير العلامة  
 التحرير المحقق نصير الدين الطوسى فإنّه حرّره بتحرير موجز غير مخلّ و أضاف إليه ما يليق به ممّا استفاد و استنبط و ذكر أنّه حرّره  
 بعد تحرير المجسطى و إنّ الكتاب يشتمل على خمس عشرة مقالا و أربعمائه و ثمانية و ستون شكلا فى نسخة الحجاج و بزيادة عشرة  
 أشكال فى نسخة ثابت - كشف الظنون -.

(٣) علم الأكر علم يبحث فيه عن الأحوال العارضة للكورة من حيث إنّها كورة من غير نظر إلى كونها بسيطة أو مركبة عنصريّة أو فلكية  
 و فيه كتب للأوائل و الأواخر منها ما يأتى.

(٤) ثاوذوسيوس مهندس يونانى و كتابه فى علم الأكر من أجلّ الكتب المتوسطات بين أقليدس و المجسطى و هو ثلاث مقالات  
 مشتملة على تسعة و خمسين شكلا و عرب من اليونانية بأمر

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٤٤

و او طولوقس «٥» و ابن الهيثم «٦» و غيرهم من أصحاب الصناعة.

و فرّعوا عليه كثيرا من العلوم أيضا كعلم مركز الأثقال الذى استنبطوا منه الموازين، و القبان، و غيرها، و علم مساحة الدوائر و السطوح  
 و الأجسام الكروية و المخروطة و المكعبة و غيرها، و علم استنباط الماء و إجراء القنوات و معرفة ارتفاع المرتفعات و غيرها و علم  
 الأسطلاب «٧» الذى يستعمل منه كثير من أحوال الفلكيات و العنصرية و الزمانيات، و علم الرّبع المجيب الذى مبناه على أخذ  
 الظلال و الجيوب المستوية و المعكوسة، و يعلم به أكثر ما يعلم بالأسطلاب، و علم الدوائر و الخطوط المرسومة على سطوح  
 الرخامات، و علم وضع الآلات المفيدة للمطلوب لا - من جهة التناسب، و لا - من محاكات وضع من أوضاع الفلك كالأسطوانة و  
 الحلزون و الحافر و ساق الجراد و الميزان الغزارى، و علم عمل الساعات المستوية

المستعين بالله العباسى و تولّى نقله الى العربية قسطا بن لوقا البعلبكي فى حدود سنة خمسين و مائتين ثم حرّره العلامة نصير الدين  
 الطوسى و غيره - كشف الظنون -.

(٥) او طولوقس مهندس فاضل يونانى و كتابه فى علم الأكر معروف بالأكر المتحركة و قد عربوه فى زمن المأمون ثم أصلحه يعقوب  
 بن إسحاق الكندى.

(٦) ابن الهيثم محمد بن الحسن بن الهيثم أبو عليّ الفيلسوف البصرى كان عالماً بالرياضيات و الطب و الفلسفة انتقل الى مصر و توفى بها فى حدود سنة ٤٣٠ ق و صنف فى الهندسة و علم الأكر و الطب و الفلسفة كتباً كثيرة - هدية العارفين ج ٦ ص ٦٦-.

(٧) علم الأسطرلاب علم يبحث فيه عن كيفية استعمال آلة معهودة يتوصل بها الى معرفة كثير من الأمور النجومية على أسهل طرق و هو من فروع علم الهيئة و كلمته يونانية و معناها ميزان الشمس و يقال له أيضا اصطرلابون و اصطر هو النجم و لافون هو المرأة و قيل أوّل من وضعه لاب بن إدريس فلما وصلت الآلة التى صنعها إلى إدريس قال من سطره قيل له سطره لاب و قيل فارسى أصله استاره ياب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٤٥

و المعوجة فى السطوح الموازية لدائرة الأفق أو لنصف النهار أو للمعدّل أو لأوّل السّماوات أو لغيرها من دوائر السماوات و غيرها، و علم وضع الآلات الجيبيّة و الكروية و الحادثه عن تسطيح الكرة، و علم وضع الآلات الرصدية كذات الحلق و ذات الثقبين و ذات الشعبتين و غيرها، و علم المناظر المتعلّق بالنظر من غير التفات الى الأشعة، و علم المرايا و المحرقة و المتعلّق بالأشعة من حيث الانعكاس الى غير ذلك من العلوم الكثيرة، التى يستعملها صنّاع الإفرنج، و غيرهم فى صنائعهم العجيبة المبتنية على ملاحظة الحدود و المقادير، و النسب الهندسيّة بل المتأمل فى صنائع الناس و حرفهم يجد جلّها بل كلّها مبتنية على القواعد المنتهية الى هذا العلم، بل صنائع أكثر حيوانات العجم من الطيور و غيرها مبتية عليه و من أظهرها الهام النحل لبناء البيوت المسدّسة من غير استعانة بالمسطر و الفرجار «١» و غيرهما من الآلات و الأدوات.

و ذلك أنّ البيوت المسدّسة جامعة لخاصيتين لا يجتمعان معا فى غيرها من الأشكال و هما امتلاء الفضاء بها و عدم ضيق الزوايا فتبقى معطّلة، و ذلك ان الأشكال المتماثلة إذا ضمّ بعضها الى بعض فمنها ما لا تملأ العرصه كالمسبّع و المثمن فصاعدا، و منها ما تملأ العرصه لاتصال بعضها ببعض إلّا أنّ زواياها ضيقة جداً فتبقى معطّلة كالمثلث و المربّع، و أمّا المسدّس فزواياها واسعة لا تتعطل و إذا ضمّ بعضها الى بعض لا تبقى بينها فرجة زائدة فهى الجامعة لكنتا الخاصيتين.

و بالجملة فهذه العلوم الإثني عشر من فروع الهندسة و إن كانت جزئياتها لا يمكن استقصائها و جلّها نافعة فى جلّ العلوم لو لم ينفع الكلّ فى الكلّ سيّما الفلسفة

(١) الفرجار بكسر الفاء و سكون الراء البركار و الكلمة فارسى معرّب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٤٦

و لذا كان أفلاطون الإلهي «١» يقول لا يدخل بيوتنا من لا يعرف الهندسة.

ثانيها: اسطرانوميا و هو علم النجوم و الهيئة الباحث عن الأجرام المسيطة الفلكية، و بعض العناصر من حيث الكم و الكيف و الجهة و الوضع و الحركة بأقسامها و السكون، و هذا العلم و إن عدّ من فنون الرياضى قسيما للهندسة إلّا أنّ الأظهر كما حقّقناه فى «اللوامع النورية» أنّ الهيئة المسطّحة من فنون الهندسة أو من مطلق الرياضى على وجه كما تصدّى له فاضل الصناعة بطلميوس «٢» و أمّا المجسّمه التى فرضوا فيها الخطوط و الدوائر فى الأجسام فوردت عليهم إشكالات لا تنحلّ إلّا بتكلفتها ربما يقطع بفسادها فالظاهر أنّها من العلوم المتولّدة من الرياضى و الطبيعى، و بالجملة فمما يتفرّع على هذا العلم علم معرفة التواريخ و الحصص، الزمانية و انقسام الشهور و السنين إلى الشمسيّة و القمريّة و الحقيقيّة و الصناعيّة، و فيه مداخل سنّى التواريخ و شهورها و كبائسها و استخراج بعضها من بعض - و الأيام المشهورة فى كلّ منها، و علم الزيج الذى يستخرج منه تقاويم الكواكب فى كلّ وقت و نظراتها و تحاويلها و عروضها و أطوالها، و غير ذلك ممّا جرت العادة بإثباتها فى صفحات التقويم، و علم الأحكام الباحث على وجه الظن و التخمين لا التحقيق و اليقين كما صرّحوا به عن الأحكام المترتبة على وجه التجربة أو القياس

(١) أفلاطون الحكيم تلميذ سقراط وأستاذ أرسطاطاليس ولد في جزيرة بيونان سنة ٤٣٠ قبل الميلاد و مات قبل ميلاد المسيح سنة ٣٤٨ و أفلاطون الالهى يقال له فى مقابل أفلاطون الطيب و هو غيره و سابق عليه.

(٢) بطليموس من علماء الهيئة و التاريخ و الجغرافية و القائل بأن الأرض ساكنة و أنّ الفلك يدور حولها. ولد فى صعيد مصر و توفى قرب الاسكندرية سنة ١٦٧ من الميلاد و أشهر مؤلفاته المجسطى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٤٧

على تلك النظرات و التناظرات و الحدود و الوجوه الاشراف و البيوت و السهام و الطوالع و أوتاد الزواجج و المستولى عليه و الكدخدا و الهيلاج و التيسيرات و التحويلات و القواطع، و ما يستدلّ بها عليه من السعادات و الأرزاق و الاعمار و غيرها و منه يستخرج أحكام طوالع السنين و المواليذ و الاجتماع و الاستقبال و التحويل، و السؤال حسب ما فضّلوها فى كتب الأحكام التى هى أشبه شىء بأضغاث الأحلام و لذا ورد فى الشريعة الحقّة النبويّة المصطفوية- على صادعها و آله آلاف الف سلام، و تحيّة- المنع عن تعلّم النجوم و الاعتقاد بتأثيرها حتى

ورد «إنّ المنجم كالكاهن و الكاهن كالسّاحر، و السّاحر كالكاfer و الكاfer فى النار» (١).

نعم قد حمل ذلك على من يزعم استقلالها بالتأثير و قدمها كما يظهر من خبر الإحتجاج (٢) و غيره و لذا قال الصدوق بعد ذكر الخبر إنّ المنجم الملعون، هو

(١)

فى نهج البلاغة- كلام ٧٧- و من كلام له عليه السّلام قاله لبعض أصحابه لمّا عزم على المسير إلى الخوارج فقال له: يا أمير المؤمنين إنّ سرت فى هذا الوقت خشيت ان لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال عليه السّلام: أتزعم أنّك تهدى إلى الساعة التى من سار فيها صرف عنه السوء؟ و تخوف من الساعة التى من سار فيها حاق به الضّر؟ فمن صدّق بهذا فقد كذب القرآن و استغنى عن الاعانة باللّه فى نيل المحبوب و دفع المكروه و تبغى فى قولك للعامل بأمرك إن يوليئك الحمد دون ربّه لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التى نال فيها النفع و امن الضّر ثم اقبل عليه السّلام على الناس فقال: أيها الناس إياكم و تعلّم النجوم إلّا ما يهتدى به فى بر أو بحر فانها تدعو إلى الكهانة و المنجم كالكاهن و الكاهن كالسّاحر كالكاfer و الكاfer فى النار، سيروا على اسم اللّه.

(٢) الإحتجاج على أهل اللجاج كتاب فى احتجاجات المعصومين عليهم السّلام تأليف أبو منصور أحمد بن على الطبرسى المتوفى ٦٢٢ ق و يمكن أن يكون المراد من خبر الإحتجاج خيرا طويلا و

فيه انه سأل الزنديق عن الصادق عليه السلام ما تقول فى علم النجوم؟ قال عليه تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٤٨ «٣» الذى يقول بقدّم الفلك و لا يقول بمفلكه و خالقه- عزّ و جلّ-.

و منه يظهر وجه الجمع بين نوع هذه الأخبار على كثرتها و الأخبار الكثيرة الدالّة على أنّ له أصلا و أنّه كان علم نبى من الأنبياء و أنّه علم بنبوّة نوح بالنجوم، و إياكم و التّكذيب بالنجوم فإنّه علم من علوم النبوة، و أنّ من اقتبس علما من علم النجوم من حملة القرآن إزداد به إيمانا و يقينا ثمّ تلاقى ثلاثا: إنّ فى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ (٤).

و أنّ مولينا أمير المؤمنين عليه السّلام كان اعلم الناس به، و أنّه لا يعلمها إلّا أهل بيت من العرب و أهل بيت من الهند.

و زاد ابن طاووس «٥» فى آخر الخبر و أولاد وصى إدريس

و لعل المراد به

السلام: هو علم قلت منافعه و كثرت مضارّه لأنه لا يدفع به المقدور و لا يتقى به المحذور. إنّ خبر المنجم بالبلاء لم ينجح التحرز من القضاء إلخ.

(٣) الصدوق هو محمّد بن عليّ بن حسين بن بابويه القميّ شيخ جليل قيل ولد بدعاء صاحب الزمان عجل الله فرجه و صنف كتابا مفيدة كمن لا يحضره الفقيه و الامالي و العيون و غيرها و توفي سنة ٣٨١.

(٤) آل عمران: ١٩٠.

(٥) ابن طاووس هو عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن احمد رضى الدين الطاوسى الحسينى نقيب الطالبين ببغداد ولد سنة ٥٨٩ ق و توفي سنة ٦٦٤ ق له مصنفات جليّة منها فرج الهموم بمعرفة منهج الحلال و الحرام من علم النجوم و جوّز في هذا الكتاب تعليم علم النجوم و تعلمه و النظر فيه و العمل به إذا لم يعتقد إنها مؤثرة و أنكر على السيد المرتضى فى تحريمه و حمل أخبار النهى على ما إذا اعتقد الإنسان إنها مؤثرة بالاستقلال ثم ذكر رحمه الله تأييدا لما رآه أسماء جماعة من الشيعة كانوا عارفين به كحسن بن موسى النوبختى و احمد بن محمّد بن خالد البرقى، و ابن أبى عمير، و العياشى، و المسعودى، و الفضل بن سهل، وزير المأمون و أخيه حسن بن سهل، و بوران بنت الحسن بن سهل، و عضد الدولة، و الشيخ محمود بن عليّ الحمصى

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٤٩

أهل بيت النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم كما أنّهم المراد بالأول قطعا إلى غير ذلك من الأخبار التى تأتى الإشارة إليها، و إلى ما يعارضها، و تحقيق الكلام فيها عند تفسير قوله تعالى: فَتَنْظُرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ «١» و غيرها من الآيات بل يستفاد من الأخبار و من صحيح الاعتبار أنّه يترتب عليها جملة من الآثار كما يترتب الإحراق على النار و ذلك بإفاضة القادر المختار و أنّ خطأ الأحكاميين إنّما هو لعدم اطلاعهم على تمام تلك القواعد مع اختلاط ما بأيديهم منها بما اختلقوها بأذهانهم القاصرة على أنّ تحقّق التأثير و فعليّة الأثر موقوف على الانفعال و القابليّة كتوقّفه على الاقتضاء و الفاعليّة و لذا قال بطلميوس فى ثمرته «٢» فى أحكام علم النجوم منك و منها يريد الإشارة إلى القابل و الفاعل لكن على وجه يقول به الموحدون كما أنّ إحراق النار موقوف على قابليّة المحلّ «٣».

و علم مقادير أجرام الفلكية من الأفلاك و الكواكب بعض العنصريّة و معرفة أبعادها من مراكز العلم، و نسبة أبعاد بعضها ببعض على ما استخراجوه بالأصول

و غيرهم.

(١) صفات آية: ٨٨.

(٢) الثمرة فى أحكام النجوم لبطلميوس و اسمها بالرومية انطرومطا أى مائة كلمة و هى تمام الكتب الأربعة التى ألفها لسورس تلميذه يعنى ثمره تلك الكتب و لها شروح منها شرح أبو يوسف الاقليدسى و شرح أبى محمّد الشيبانى و شرح أبى سعيد الثمالى و شرح ابن الطيب السرخسى و منها شرح العلامة نصير الدين الطوسى و هو شرح مفيد بالفارسية ألفه لصاحب ديوان محمّد بن شمس الدين - كشف الظنون -.

(٣) و من أراد التفصيل فى المبحث فعليه ببحار الأنوار ج ٤٨ ص ١٤٥ و ج ٥٧ ص ٣٣٨ و ج ٥٨ ص ٨٤ إلى ص ٣٠٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٥٠

تفسير الصراط المستقيم ج ١ ١٩٩

الهندسيّة سيّما بطلميوس بعد مشاهدته بعض الاختلافات التى من جملتها مشاهدته تلك الأجرام فى بعدى الأقرب و الأبعد، و بعض الكسوفات و الخسوفات الواقعة فى زمنه و فى عهد أبى حسن «١» و غيره. و لذا يحكى فى الحكمة القديمة على نوع من الرمز أنّ

بطلميوس كان يعشق علم النجوم فجعل علم الكسوف سلماً يصعد به إلى الفلك بقوته الروحانية فمسح الأفلاك و أبعادها بجملتها و الكواكب باعظامها ثم دونه في المجسطى، و جعلوا معيارهم نصف قطر الأرض المعلوم بمقايضة المحيط المستعلم بمحاذات الدرجات الفلكية التي حصه كل درجة من العظيمة الأرضية ستة و ستون و ثلاثا ميل و بالرصد المأموني «٢» الذي قيل: إنه صحيح ممتحن أنقص منه بعشرة أميال و عند حكماء الأندلس على ما اعتبروها بمقايستهم الصحيحة تسعة و ستون ميلا و ثلث خمس.

و علم جغرافيا بأعجام الأولين و هو في الأصل كتاب لبطلميوس صنفه بعد المجسطى في صور الأقاليم و البحار أو في خصوص الثاني غلب على هذا العلم الذي يبحث فيه عن القدر المكشوف من الأرض و كيفية إحاطة الماء بها و صور البحار المحيطة و المحاطة و الخليجات و الأنهار و عروضها و أطوالها و بعض الجزائر الواقعة فيها، و تقسيم بسايط الأرض عند القدماء إلى الأقاليم الواقعة في الربع الشمالي الذي

(١) ابو حسن كوشيار بن لبنان بن باشهرى الجبلى بالياء المثناة أو الجبلى بالياء الوحده من جمله المنجمين الكبار سكن بغداد و مات في حدود ٤٥٠. صنف من الكتب الزيج الجامع. الكيافى النجوم. اللامع فى الزيج الجامع. مجمل الأصول فى احكام النوم هديه العارفين ج ١ ص ٨٣٨.

(٢) أمر المأمون العباسى فى سنة ٢١٤ هـ العلماء أن يصنعوا الآلات الرصدية كما صنعها بطلميوس فامتثلوا امر الخليفة و اشتغلوا بها ثم قطع بهم من استيفاء غرضهم موت الخليفة فى ٢١٨ ففيد و ما انتهوا إليه و سموه الرصد المأمونى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٥١

هو المعمور منها إذ غيرها أما مغمر في الماء أو غير مسكون بزعمهم أصلا و مبدئه عند جمهورهم من خط الاستواء أو من حيث نهاره الأطول اثنتا عشرة ساعة و نصف و ربع و عرضه اثنتا عشرة درجة و ثلاثا درجة و قسمة كل إقليم من جهة العرض ما يوجب التفاصل نصف ساعة في مقادير النهر الطوال في أوساط الأقاليم، و لذا اختلفت مقاديرها عرضا مع وقوع الجميع بين ما يجاوز عشر درجات في العرض إلى حدود خمسين كما اختلفت طولاً- لزيادته فيما يلي خط الاستواء على ما يقتضيه النظر التعليمى و عند المتأخرين من حكماء الإفرنج و غيرهم بعد ما ظفروا في أوائل المائة العاشرة من التاريخ الهجرى على الأرض الجديدة المسماة عندهم بأمريكا الجنوبية التي لم يظفر عليها قبل الكلب أحد إلى أقسام أربعة:

أحدها: ممالك يورپ (أوربا) المحدودة من جهة الشمال بالمحيط- المنجمد طول السنة لشدة البرودة، و من الجنوب ببحر الروم الفاصل بينه و بين الإفريقيّة، و من المشرق بممالك آسيا، و من المغرب بالمحيط الفاصل بينه و بين أمريكا، و فى هذا القسم بعض بلاد الروم كقسطنطينية و غيرها، و تمام بلاد الإفرنج التي فيها دول كثيرة أغلبهم جمهورية، و أمرهم شورى بينهم بل قد رأيت فى بعض مسفوراتهم أن فيهم فى هذه السنين أزيد من أربعين دولة جزئية و كلية كلها مستقلة أعظمها بأسا و بطشا و عدّة مملكة الروس حتى قيل: إن طول مملكتهم قريب من ألفى فرسخ و عرضها ثمانمائة و خمسون فرسخا.

ثانيها: ممالك آسيا المحدودة شمالا بالمحيط المنجمد أيضا و جنوبا ببحر الهند و شرقا بالمحيط و غربا بممالك يورپ، و فيها ممالك إيران و توران و الترك و الهند و الشام و الصين و الخطاء و بعض ممالك الروس و غيرها.

ثالثها: الإفريقيّة المحدودة شمالا ببحر الروم الفاصل بينها و بين يورپ

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٥٢

و جنوبا بالمحيط، و غربا بالمحيط الفاصل بينه و بين القسم الثانى، و شرقا بالمحيط الفاصل بينها و بين ممالك أمريكا و يورپ، و فيها مصر و بلاد السودان و تمام بلاد المغرب.

رابعها: ممالك أمريكا الجنوبية الخارجة عن الربع المكشوف المحدودة شرقا بالمحيط الفاصل بينها و بين الإفريقيّة و يورپ، و غربا

بالمحيط الفاصل بينها وبين آسيا، جنوبا بالمحيط المنجمد دائما من شدة البرد، قيل: ساروا في شمالها إلى ثمانين درجة حتى وصلوا إلى موضع تنجمد فيه رطوبات أبدان الحيوان فضلا عن غيرها من الرطوبات بل قيل: أنه تنجمد فيه النار و ان اجتهدوا في اشتعالها و ذلك لشدة البرودة و حيث أن عرضها قريب من ثمانين درجة فوسعتها قريبة من تمام هذه المعمورة التي قسّموها إلى الأقاليم السبعة، و لذا قيل: أنهم رصدوها وجدوها كذلك، و مجمل أحوالهم و أديانهم و شمائلهم و أخلاقهم و كفيّة الاستيلاء عليهم في مسفورات غيرنا مسطور و على ألسنتهم مشهور و بعضها في تحفة العالم «١» مذكور بل فيها أن وفور التعمّة و انتظام السلطنة و كثرة العدة و العدة و البلاد العامرة في ذلك الربع الجنوبي أزيد منها في هذا الربع الشمالي سيما في هذه الازمنة إلى غير ذلك ممّا يظهر منه عظمة خلقه - سبحانه في أرضه و سمائه و أن الأرض برحبها و سعتها التي سمعت شطرا منها لا قدر لها محسوسا في جنب السماء الاولى فضلا عن غيرها.

(١) تحفة العالم كتاب عجيب في جغرافيا العمومي سيما جغرافيا خوزستان و التستر تأليف السيد عبد اللطيف التستري ولد في التستر سنة ١١٧٢ هـ طبع تحفة العالم في بمبئي إلى الآن ثلاث مرات.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٥٣

بل لعلك قد سمعت ما

في خبر زينب العطاره «١» عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَنَّ كُلَّ طَبَقَةٍ مِنَ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَ السَّمَوَاتِ بِمَا فِيهَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَا فَوْقَهَا كحلقه ملقاه في فلاة قى «٢».

فضلا عن غيرها من العرش و الكرسي و السرادقات و الحجب فسبحانه من مدبر حكيم، ربّ العرش العظيم.

ثالثها: الأرثاطيقى المفسّر بالعدد للبحث فيه عن من حيث أقسامه و أحكامه و آثاره و خواصه و تناسبه، و غير ذلك ممّا يتعلّق به من حيث إنّه عدد مطلق مع قطع النظر عن حصوله في المادة و من فروعه علم الحساب الذي يستخرج به كميات المقادير المجهولة من الأعداد المعلومه التي لا ريب في احتياجها إلى المادة في التحقّق دون التعقل و لذا أعدّ من الرياضى، و إن تأمل فيه الشيخ في الشفا نظرا إلى أنّ المحاسب يبحث عن العدد المفارق للمادة في الخارج أيضا لعروضه المجردات أيضا كالعقول و النفوس و ذات الواجب تعالى إن قلنا إنّ الواحد عدد «٣» و أوجب بأنّ

(١)

الخبر بطوله مروى في توحيد الصدوق رواه مسندا عن الصادق عليه السلام أنّه قال: جاءت زينب العطاره الحولاء إلى نساء رسول الله و بناته و كانت تبغ منهن العطر فدخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ هِيَ عِنْدَهُنَّ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِينَا طَابَتْ بِيُوتُنَا فَقَالَتْ بِيُوتِكَ بَرِيحِكَ أَطِيبَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعْتَ فَاحْسَنِي وَ لَا تَغْشَى فَانهُ أَتَقَى وَ أَبْقَى لِلْمَالِ فَقَالَتْ مَا جِئْتُ لَشَيْءٍ مِنْ بَيْعِي وَ إِنَّمَا جِئْتُكَ أَسْتَلْكَ عَنْ عِظْمَةِ اللَّهِ قَالَ: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جَلْ جَلالَ اللَّهِ سَأَحْدِثُكَ عَنْ بَعْضِ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهَا وَ مِنْ عَلَيْهَا عِنْدَ الَّتِي تَحْتَهَا كحلقه ملقاه في فلاة قى إلخ. رواه المجلسي في البحار ج ٦ ص ٨٣ عن التوحيد.

(٢) الفلاة هي المغازة و القى بكسر القاف و تشديد الياء الأرض القفر الخالية.

(٣) اختلفوا في أن الواحد عدد أم لا بعد تعريفهم العدد بأنه نصف مجموع حاشيته كالاثنين مثلا فان حاشية الأعلى ثلاث و حاشيته الأسفل واحد و الاثنان نصف مجموع هاتين الحاشيتين فعلى

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٥٤



موضوع الحساب ليس العدد مطلقا بل من حيث حصوله في المادّة و البحث عن العدد ليس على وجه تشمل المجردات لعدم تعلق الغرض به و تمام البحث في هذا الباب يطلب من شرحنا على «خلاصة الحساب».

نعم من غرائب الأوهام في المقام ما قيل: من أنّه قد تقرّر أنّ مراتب الأعداد غير موجودة في الخارج فلا يظهر وجه جعل الحساب من أقسام الحكمة الباحثة عن أحوال أعيان الموجودات. إذ فيه أنّه ليس المراد بالموجودات العينيّة خصوص الماديّة بل المتقرّرة في عالم الكون سواء أ كانت من سراقق الملك أو الملكوت و من اليبين أنّ مراتب الأعداد و تناسبها و ساير أحكامها و لوازمها من الموجودات في المتقرّرة في مراتبها لا بمجرد الفرض فيتحقّق بالنسبة إليها الصدق و الكذب و إن أنكر وجودها العيني كثير ممّن لا دربة له بل أنكروا نصف العالم بل الأكثر.

ثمّ إنّ التعريف المتقدم يشمل علم الجبر و المقابلة و علم الأعداد المتناسبة ثلاثه كانت أو أربعة و الخطائين بل مع اعتبار عروض العدد المقادير المجهولة يشمل علم المساحة أيضا. و لذا يعدّ الجميع فنا واحدا و إن أفرد بعض كلاً بالتصنيف بل جعلها علوما متعددة إلّا أنّ الأنسب ما ذكرناه كما أنّه يشتمل نوعيه الذين هما الهوائى الذى يستخرج منه المجهولات، و الفلاتى المحتاج فيه إلى استعمالها و يسمّى بالتخت و التراب بل قد يقال: إنّ علم الحساب عمليّ منقسم إليهما، و نظريّ يبحث فيه عن ثبوت الأعراض اللازمة للعدد و سلبها عنه و هو المسمّى بالأرثماطيقى لكنّه

هذا يخرج الواحد من الاعداد و ان تركبت منه الاعداد لأنه ذو حاشيته واحدة و هو الاثنان فقط و أوجب بأنه أيضا ذو حاشيتين السفلى و هى النصف و العليا و هى واحد و نصف و الواحد نصف مجموع هاتين الحاشيتين.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٥٥

مخالف لما اصطالحوا عليه فى الجملة، و إن أمكن التطبيق مع أنّ الخطب سهل فيه و فى دخول حساب التنجيم فيه انّ مبناه على تعلق الضرب و التقسيم و الجمع و التفريق و غيرهما من الأعمال على الدرجات- و الدقائق و الثوانى و غيرها بل و فى عدّ علم حساب اليد من فنونه حيث إنهم اصطالحوا على وضع عقود الأنامل للأعداد من الواحد إلى عشرة آلاف كما سنشير إليه إنشاء الله فى شرح خبر إسلام أبى طالب و العقد بيده ثلثا و سبعين «١».

و علم الرمل الذى يبحث فيه عن الأشكال المركبة من الأفراد و الأزواج أو- أحدها و إن كان كثير من قواعده مأخوذة من علم النجوم و ربما يقال: إنّه راجع إلى علم التخت و التراب الذى هو أحد قسمى الحساب و أمّا صحه انتسابه إلى واحد من الأنبياء عليهم السلام أو إلى خصوص دانيال- على نبينا و آله و عليه السلام و البحث عن شرائطه و صحته و موانعه يستدعى مجالا أوسع نعم قد يقال: انّ

(١)

فى الكافى مسندا عن الصادق عليه السلام إنه قال: أسلم ابو طالب بحساب الجمل قال بكل لسان و عقد بيده ثلاثا و ستين

، فعلى هذا لفظ سبعين غلط و اشتباه. و قد ذكر فى توجيه الحديث وجوه:

الاول: ما فى معانى الأخبار عن حسين بن روح أنّه قال: معناه اله أحد جواد.

الثانى: أنّه أراد به عقد الخنصر و البنصر و الوسطى من اليمين للثلاثة كما هو المعهود بين الناس فى عدّ الواحد إلى الثلث و لكن توضع رؤس الأنامل فى هذه العقود قريبة من أصولها و أن يوضع للستين ظفر إبهام اليمينى على باطن العقدة اليمينى للسبابة كما يفعله الرماة للحصاة.

الثالث: أنّ أبى طالب علم نبوة نبينا محمّد صلّى الله عليه و آله و سلم قبل بعثته بالجفر.

و ذكر فى معناه وجوه آخر و من أراد التفصيل فليراجع إلى التاسع من البحار ص ١٦ ط القديم و ج ٤٥ ص ٧٩ و مصابيح الأنوار ج ١

ص ٣٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٥٦

التشكلات الرملية محصورة في عدد معين بحسب اعتبار كل شكل في كل بيت و هو أقل بكثير من الحوادث اليومية التي لا تكاد تنتهي بخلاف الفلكية المعتبرة بحسب أوضاع الكواكب و نسبها المنطبقة على جميع الحوادث سيما بعد ملاحظة الأمور الأرضية من المطالع و الطوالع و الموايد و الآفاق و الأطوال و العروض و غيرها مما لا يتفق مع اعتبارها اتحاد شكلين منها و لذا قد يقال باعتبار النجوم دون الزمل.

و فيه أنه لعل مبنى إصابة الزمل على إرائه الصانع العالم الحكيم بعد التوجه و الإستخارة منه سبحانه على أن لخصوص الطوالع فضلا عن غيره من المتشخصات تأثيرا غربيا في اختلاف الأحكام فالتشكلات الرملية تزيد على التشكلات الملكية بل النجومية بالعدد المذكور. فتأمل جدا كي يظهر ضعف ما ذكره، الفاضل القزويني في لسان الخواص «١».

و علم الأعداد الوفيّة الذي يبحث فيه عن كفيته وضع الأعداد في بيوت سطح المربع المتساوي الأضلاع بشرط اتحاد كل من قطريه و أضلاعه في الكمية و اختلاف بيوته فيها سواء كان الوفي طبيعيا أولا و المربع زوجا أو فردا بقسميها محلقا أو ملفقا أو ذا الكتابة إلى غير ذلك من اقسامه و احكامه و شرائطه و موانعه و آدابه و اختلاف مراتب السير فيه طولا و عرضا و خواصه الغريبة التي علمها فضل بيد الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم.

(١) الفاضل القزويني محمد بن الحسين عالم جليل و فاضل نبيل من تلامذة العلامة ملا خليل القزويني شارح الكافي بالفارسية. توفي سنة ١٠٩٦ و له مؤلفات منيفه مثل ابطال الرمل.

و ضيافة الاخوان. و قبله الآفاق. و كحل الأبصار. و هدية الخلان. و لسان الخواص و هو كتاب مفيد في شرح اصطلاحات العلماء و في حل مشكلات الآيات و الاخبار و هو مرتب على ترتيب حروف التهجي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٥٧

و علم الحروف الذي يبحث فيه من أعداد الحروف و موادها و صورها و صفاتها و منسوباتها و الروحانيات المتعلقة بها و انقسامها حسبما نشير إلى شطر منها فيما بعد إن شاء الله.

و علم التفسير الذي يقال له: علم الجفر أيضا و هو من العلوم المكنونة المخزونة عند الأنبياء عليه السلام كما ورد عنهم في أخبار كثيرة بل اشتهر عند المخالفين أيضا انتسابه إليهم، و لذا قال المحقق الشريف في «شرح المواقف»: الجفر و الجامعة كتابان لعل عليهما السلام قد ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم و كان الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونهما و يحكمون بهما و

في كتاب قبول العهد الذي كتبه علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى المأمون: إنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرفه آباؤك فقبلت منك عهدك إلا أن الجفر و الجامعة يدلان على أنه لا يتم.

و لمشايخ المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيه إلى أهل البيت عليهم السلام. إلى آخر ما ذكره صاحب «شرح المواقف».

و لخواص شيعتهم حظ من أشعة أنوارهم و نصيب من لمعات أسرارهم.

و مبناهم على وجوه التفسير و البسط و أقسام الطرح و النظيرة و المستحصلة و المستحضرة و غيرها مما يعرفه أهله و لهم في ذلك رموز و إشارات إلى كنوز. و أما المسطور في الصفحات فعدد كل من أجزائه و صفحات كل جزء و سطور كل صفحة و بيوت كل سطر ثمانية و عشرون عدد الحروف.

و قال بعض السادة الأجلاء (عطر الله مرقدته): إن الجفر اسم بقره أتى بها جبرئيل حين كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و

أمير المؤمنين (عليه آلاف التحية والثناء) على جبل فاران فذبحها أمير المؤمنين (عليه السلام) بأمر

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٥٨

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فانسخت و هي مدبوغة فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً أن يجعلها ثمانية و عشرين جزءاً و كل جزء ثمانية و عشرين ورقة و كل ورقة صفحتين يمني و يسرى، و كل صفحة ثمانية و عشرين سطراً، و كل سطر ثمانية و عشرين بيتاً، و كل بيت جعل فيه أربعة أحرف.

ففي البيت الأول من السطر الأول من الصفحة الأولى من الجزء الأول أربع ألفات و في البيت الثاني ثلاث ألفات و باء، و هكذا الى تمام السطر فيكون آخره ثلاث ألفات و غين، و هكذا الى آخر الأجزاء. قال: و أسرار هذه الحروف على هذا النحو كثيرة و فوائدها خطيرة.

قلت: لكن في ذكره لكل جزء ثمانية و عشرين ورقة و لكل ورقة صفحتين نظر لا- يخفى إلما على بعض الوجوه التي لا- تخلو عن تكلف، و هذا الخبر لم أظفر به في غير كلامه (رحمه الله) نعم

في البصائر «١» و الاختصاص «٢» عن الحسن بن راشد قال: سمعت أبا إبراهيم (عليه السلام) يقول: إن الله تعالى أوحى الى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قد فئت أيامك و ذهبت دنياك و اقترب لقاء ربك فرفع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يده الى السماء و قال اللهم عدتكم التي وعدتني إنك لا تخلف الميعاد. فأوحى الله اليه أن ائت أحدا أنت و من تثق به فأعاد الدعاء فأوحى الله إليه امض أنت و ابن عمك على حتى تأتي أحدا ثم اصعد على ظهره

(١) البصائر في فضائل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاب نفيس تأليف محمد بن فروخ الصفار القمي من أكابر الإمامية في القرن الثالث و توفي سنة ٢٩٠ ق و له غير البصائر كتب آخر مثل الملاحم، فضائل القرآن، الأشربة، التقيّة، الجهاد، الدعاء، المثالب، المؤمن.

(٢) الاختصاص من تأليفات محمد بن محمد بن نعمان المعروف بالمفيد من محققى الامامية تقدّم في المقدمة في المفشرين المشاهير. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٥٩

فاجعل القبلة قبالك «١» ثم ادع وحش الجبل تجبك فإذا أجابتك فاعمد الى جفرة منهّن أنثى و هي التي تدعى الجفرة حسن ناهد قرناها للطلوع، و تشخب أوداجها دما و هي التي لك. فمر ابن عمك ليعمد إليها فيذبجها و يسلخها فإنه سيجدها مدبوغة و سأنزل عليك الزوح الأمين و جبريل معه دواء و قلم و مداد ليس هو من مداد الأرض يبقى الجلد لا تأكله الأرض و لا يبليه التراب لا يزداد كل ما ينشر إلا جدّة «٢» غير أنه يكون محفوظاً مستورا فيأتى وحيي بما كان و تمليه على ابن عمك و يكتب و يمدّ من ذلك المداد. فمضى (عليه السلام) حين انتهى الى الجبل ففعل ما أمره فصادف ما وصف له ربه فلما ابتدأ فى سلخ الجفرة نزل جبريل و الزوح الأمين و عدّة من الملائكة لا يحصى عددهم إلا الله و من حضر ذلك المجلس ثم وضع على (عليه السلام) الجلد بين يديه و جائته الدواة و المداد أخضر كهيئة البقل و أشدّ خضرة و أنور ثم نزل الوحي على محمد صلى الله عليه و آله فجعل يملئ على على و يكتب على (عليه السلام) إنه يصف كل زمان و ما فيه، و يخبره بالظهر و البطن و خبره بكل ما كان و ما هو كائن الى يوم القيامة، و فسّر له أشياء لا يعلم تفسيرها و تأويلها إلا الله و الراسخون فى العلم.

فأخبره بالكائنين من أولياء الله من ذريته أبدا الى يوم القيامة و أخبره بكل عدوّ يكون لهم فى كل زمان من الأزمنة حتى فهم ذلك كله و كتبه ثم أخبره بأمر ما يحدث عليه و عليهم من بعده فسئل عنها فقال الصبر الصبر و أوصى الى الأولياء و أشياعهم بالصبر و التسليم حتى يخرج الفرج و أخبره بأشراط أوانه و أشراط تولّده

(١) في بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٣٧ روى الخبر وفيه مكان كلمة «قبالك» كلمة «ظهرك».

(٢) الجدة كأنه مصدر جد يجد: أى صار جديدا- بحار الأنوار- ج ٧ ص ٢٨١. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٦٠ وعلامات تكون في ملك بنى هاشم فمن هذا الكتاب استخرجت أحاديث الملاحم كلها و صار الوصى إذا أفضى إليه الأمر تكلم بالعجب.

رابعها: علم الموسيقى الذى يقال له الموسيقىار بمعنى النغم والألحان ولذا قيل:

إن موضوعه الصوت المشتمل على الألحان المخصوصة. والمشهور أن مخترع هذه الصناعة هو الفارابى «١» وبه سُمى معلما ثانيا. وما يقال: إنه وقع في تراجم فرفوروريوس «٢» أنه قال للمعلم يعنى أرسطاطاليس «٣» حين فرغ من المنطق: هل أبقيت شيئا؟ قال: نعم ما دوّنته نصف مادّة الألفاظ وبقى في النفس شيء لا يدخل تحت الألفاظ بل هو مجرد الهواء. فففيه أنه قد يقال: إنه إشارة إلى الهندسة التى هى أيضا كالمنطق من البراهين على أنهم أجمعوا على أن المعلم الثانى هو الذى ألف و أبدع، وقسم و نوع و رتب

(١) محمّد بن محمّد بن طرخان أبو نصر الفارابى المعلم الثانى أكبر فلاسفة المسلمين تركى الأصل مستعرب. ولد في فاراب على نهر جيحون سنة ٢٦٠ ق و انتقل الى بغداد و ألف بها أكثر كتبه و رحل الى مصر و الشام. و اتصل بسيف الدولة بن حمدان. و توفى بدمشق سنة ٣٣٩ ق، قيل كان زاهدا في الزخارف. يميل الى الانفراد بنفسه، و لم يكن يوجد غالبا في مدة إقامته بدمشق إلّا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض، له نحو مائة كتاب منها المدخل صناعة الموسيقى.

- وفيات الأعيان ج ٢ ص ٧٦- الأعلام للزركلى ج ٧ ص ٢٤٢.

(٢) فرفوروريوس من أهل مدينة صور من ساحل الشام و له التقدم في معرفة كلام أرسطو و اتحاد العاقل و المعقول في الفلسفة منسوب اليه و كذا ايساغوجى في المنطق (الكليات الخمسة) ولد في صور و توفى سنة ٢٠٤ ق. م.

(٣) أرسطاطاليس أو أرسطو هو المعلم الأول تلميذ أفلاطون و اليه انتهت فلسفة اليونانيين و ينسب اليه الحكمة المشاء و له تصانيف كثيرة و وثيقة، نقل كثير منها الى العربية في زمن المأمون العباسى ولد سنة ٣٨٤ قبل الميلاد و توفى سنة ٣٢٢ ق. م.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٦١

الألحان و وقف الأمراض و الأبدان و حرّ النسب الفلكية في النغم- و الأصوات و ركب في ذلك بعض الآلات.

قال شيخنا البهائى في كشكوله: علم الموسيقى علم يعرف منه النغم و الأيقاع و أحوالها و كيفية تأليف اللحن و اتخاذ الآلات الموسيقارية و موضوعه الصوت من وجه تأثيره في النفس باعتبار نظامه. و النغمة صوت لا يث زمانا تجرى فيه الألحان مجرى الحروف من الألفاظ و بساطها سبعة عشر و أوتارها أربعة و ثمانون و الأيقاع اعتبار زمان الصوت و لا مانع شرعا من تعلّم هذا العلم و كثير من الفقهاء كانوا مبرزين فيه. نعم الشريعة المطهرة على صانعها أفضل السلام منعت من عمله و الكتب المصنفة فيه إنها مسموعة على العموم من أى آله اتفقت و صاحب العمل إنما يأخذها على أنها مسموعة من الآلات الطبيعية كالحلوق الإنسانية و الصناعية كالآلات الموسيقارية. و أمّا ما يقال: من أن الألحان الموسيقية مأخوذة من نسب الاصطكاكات الفلكية فهو من جملة رموزهم إذ لا اصطكاك في الأفلاك و لا قرع فلا صوت انتهى.

و على كلّ حال فالإعراض عن فنون هذه الصناعة كعلم الأيقاع و معرفة النقرات و كيفية تأليف الأصوات و علم النسبة و تفكيك الدائرة و التلحين و غيرها أولى، كما إنى أعرضت عن تعلّمها و الاشتغال بها رأسا فإنّه مع كونه من تضييع العمر الذى نسل الله العافية منه لا تحصل الخبرة فيها إلّا بالممارسة العملية المحرّمة في الشريعة المطهرة النبوية (على صانعها ألف سلام و تحية).

نعم قد يعدّ من فروعها علم العروض الذى ربما يعدّ منه علم القواعد أيضا و إن كانت متعلّقة بالأمر المحتاجة إلى المادة تحقّقا و

تعقلا فهي الحكمة الطبيعية التي موضوعها الجسم الطبيعي من حيث اشتماله على قوة التغير و لذا يبحث - فيها عن

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٦٢

الهيولى و الصورة الحركة و السكون و الأجسام العنصرية و الفلكية و أحوالها و لوازمها و أعراضها و غير ذلك مما يطلب في محله. نعم قد حكى الأنطاكي عن المعلم أنه قسم الطبيعي ثمانية أقسام:

الأول: علم سماع الكيان بفتح السين على أنه مصدر سمع و كسرهما على أنه ذكر الأشياء و هو ما يبحث فيه عن المواد و الصور و الحركة و السكون و النهاية و اللانهاية و العلل. و المتأخرون سموه الأمور العامة.

قلت: و من الغريب ما وقع في «الأخلاق الناصرية» (١) من تسميته بالأرثماطيقى.

الثاني: علم السماء و العالم، و يبحث فيه عن الأفلاك و العناصر و ارتباطهما و ما يكون عن ذلك و ما فيه من الحكم الالهية و أحكام البسائط العلوية و السفلية الثالث: علم الآثار العلوية، و يبحث فيه عن تغيرات العناصر في أنفسها و استحالاتها و أحكام الصاعدات عندها من بخار و غيره و كيف ارتبطت الحوادث العنصرية بالحركات السماوية و ما علته حدوث نحو الصواعق و قوس قزح و ذوات الأذناب و غيرها بعد العناية الالهية و هل هي علامات لحوادث الدهر أم لا. قال الأنطاكي: و هذه المكونات قد ألحقها بالمواليد الثالث و جعلت المواليد أربعة رعاية لمطابقة المزاج العنصري، و سميتها بالآثار الناقصة، و لم أسبق إلى ذلك.

الرابع: علم الكون و الفساد، و سماه بذلك لتعلقهما بالمرکبات يبحث فيه عن

(١) أخلاق الناصري كتاب في الأخلاق فارسي لنصير الدين الطوسي ألفه بقهستان لاميرها ناصر الدين المحتشم لما التمس منه ترجمة كتاب «طهارة الاعراق» في الحكمة العملية لعلى بن مسكويه فضم إليه قسمي المدني و المنزلي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٦٣

كيفية كيان المواليد الثلاثة و استقصاء أنواعها و أشخاصها و آجالها و تدابير أمورها و صورها و بيان علل ذلك.

الخامس: علم المعادن و كيفية انقسامها، و أنها إما تامة جامدة كالياقوت أو تامة متفرقة كالذهب و الفضة أو ناقصة صحيحة سيالة كالزئبق أو شعالة كالكبريت أو فاسدة يرحى صلاحها و نقلها إلى كيان آخر مثل الكحل أو لا مثل الزاج و ما وجه تولد كل ذلك.

السادس: علم النباتات يبحث فيه عن موادّه من العصارات و المياه و عن تقسيمه إلى ما ينبت و يستتبت إما من بذر أو قصب أو ثمر و أن كلّها إما طويل أو قصير و الطويل إما كامل و هو ما جمع الأصول و الفروع و الورق و الحبّ و الثمر و الصمغ و الليف و القشر و العصارات كالنخل و الناقص ما كان عادما أحدها و ناقص الناقص هو ما عدم الأكثر.

السابع: علم الحيوان، و يبحث فيه عن موادّ صوره و أنواعه و أصنافه و مبادئ حركاتها الإرادية و احكام نفوسها و قوياها.

الثامن: علم النفس من حيث هي كيفية بثها في الجماد و النبات و الحيوان و الإنسان و أنّ هذه النفوس هل هي متغايرة بالذات أو بالنقصان و الكمال و أنّ النفس الإنسانية باقية بعد انحلال هذا الهيكل. هذا حاصل ما ذكره مع زيادة تحرير.

و أما فروعها فكثيرة جدًا كعلم الطبّ الذي يعرف منه أحوال الإنسان من جهة ما يعرض لها من صحة و مرض لتحفظ الصحة الحاصلة و تستردّ زائله و ينقسم إلى نظري يبحث فيه من الأمور الطبيعية و السنتّة الضرورية و أحوال البدن و كليات التدابير و غيرها، و عمليّ يبحث فيه من الأمراض الجزئية و أسبابها و علاماتها و علاجها و غيرها ممّا يلحقها. و منه يظهر أنّ علم الجراحة و جبر الكسر و الكحالة

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٦٤

و غيرها من عمل اليد حتى الحجامه و الفصادة كلّها من الطبّ و إن افردوا بعضا منها بالتصنيف أو بالصنعة.

و علم معرفة الأدوية و العقاقير الذي أفردوا بالتصنيف و يسقوريدوس بعد ما صرف عمره في استقصاء أنواعها و طبائعها و آثارها و

منافعها و مضارها ثم وسع فيه المتأخرون بعد تلاحق الأفكار و التجارب المكررة في مدى الأعصار بل الحقه كثير منهم بالطب مع كونه من مبادئه كما ألحقوا به قوانين معرفة الأمزجة و كيفية التراكيب و خواصها بل خواص المركبات و كيفية تراكيبها و أجزاءها و غيرها مما سمواها بالإقربادين الذين يضرب المثل لا كذب الكذب عند الأدباء بإقربادين «١» الاطباء.

و علم السنبره بمعنى القوانين يذكر فيه أن كل نوع من أنواع النبات يحتاج إلى اثني عشر قانونا معرفة حفظه و زمن غرسه أو زرعته و ما ماهيته من يوم ينبت إلى يوم قلعه و يخدمه أي كوكب و كم يبقى حتى تسقط قواه فلا يستعمل في دواء بعدها، و بم يعرف الصحيح و الفاسد منه، و بأي شيء يغش و كيف يعرف، و ما درجته و ما نفعه، و ما القدر المأخوذ منه في اختلاف الأبدان و البلدان و الفصول و الإنسان و ما ضرره و ما إصلاحه، و بما يبدل عند العدم، و أكثر مسائله مأخوذ من العلم السابق و من الفلاحه.

و علم التشريح الذي يبحث فيه عن أعداد الأعضاء الأصلية البدئية و المركب الآلية و أجزاءها و كيفية وضعها و غير ذلك مما يلحقها، و تعيين الرئيسية التي هي

(١) اقربادين لفظه فارسيه معناها فن تركيب الادويه، وافر نجيتها يونانية الأصل: و كان غير منفصل عن الطب ثم صار فنا قائما برأسه- دائرة المعارف للبستاني ج ٤ ص ٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٦٥

القلب و الدماغ و الكبد و الأثنيان، إذ في الأول قوة الحياة، و في الثاني قوة الحس و الحركة، و في الثالث قوة التغذية المحتاج إليها في بقاء الشخص بل في إمداد الروح الحيوانى و النفسانى، و في الرابع قوة التوليد و حفظ النسل المحتاج إليه في بقاء النوع، لكن الرئيس على الإطلاق القلب الذي هو ينبوع الحرارة الغريزية المصلحه المدبرة للبدن بإذن الله و هو أول متكوّن في الحيوان و منه يسرى قسط من الروح الى الدماغ الذي يفاض عليها فيه و لو بمعونه قبول الآلات و صلاحية المحل للروح النفسانية التي هي منشأ الحس و الحركة كما أنه يسرى منها قسط، الى الكبد و الأثنيان فيقويان بها على أفعالهما و لعلك بما ذكرناه تقدر على دفع ما قيل في إطلاق رئاسه غيره مع أن في النواميس الشرعية إشارات الى ما ذكرناه و ستسمعها في موضعها. ثم إن هذا العلم أيضا من مبادئ الطب و إن كان الأظهر أنه منه.

و علم الخواص الذي يبحث فيه عن خاصية العقاقير و المراد بها كل فعل لا يتخلف بعد مباشرة الفاعل القابل دون استناد الى طبع بل الى الصورة النوعية قيل: و هي إما مطلقة و هي الفاعلة بلا شرط أصلا كجذب المغناطيس الحديد، أو بشرط متعلق بالزمان خاصية كإبطال شهوة النكاح ببذر الفرفخ «١» شتاء، أو بالمكان كالقتل بالبنج في أرض فارس خاصه، أو بشيء معين من جنس ككفى الثالول بذكر التين، أو عضو معين كخززة الزعفران على الفخذ الأيسر للولادة، أو وزن معين يخلّ تغييره بالمطلوب ككونها عشرة محررة الى غير ذلك. و هل يعلل فعل

(١) الفرفخ: معرب (پر پهن) أي عريض الجناح، و يقال لها أيضا خرفه و رجله قال الطريحي في «مجمع البحرين»: في الحديث: «ليس على وجه الأرض بقله أشرف من الفرفخ» و في «في» عنهم عليهم السلام: سموا بنو أمية البقلة الحمقاء بغضا لنا و عداوة لفاطمه عليها السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٦٦

الخواص أم لا؟ قيل: أكثر الحكماء على الثانى، قال الأنطاكى: و المتجه هو الأول لتحزى المشاكلة و النسبة الفلكية و شهادة الأكوان و الأكوان و متعلقها المواليث الثلاث و الكواكب و علم الفلاحه.

و علم الصناعة الأكسيريّة الذي قد تاه في بيده طلبه كثير ممن استولى الشيطان عليهم فأنساهم ذكر الله، أولئك حزب الشيطان ألا إن

حزب الشيطان هم الخاسرون، و لذا ترى كثيرا ممن صرف فيه أعمارا طويلة و أموالا جزيلة لا حاصل لهم سوى أعين عمش كليله، و أدمغة مختبطة عليه، و نفوس لشدة الفاقة ذليلة، و قد فاتت عنهم مراتب عظيمة جليلة، و هم مع ذلك يشتغلون لرجاء تحصيل شىء من الغش و التركيب و الإكسير بصنوف العقد و الحل و التشويه و التنكيس و التقطير، و لا يظفرون فيها إلّا بأدخنة متصاعدة و أرمدة متقاعدة. فصار وجود العناء، و طلبهم له طلب الحمقاء لا يستشمنون منه إلّا روائح الكبريت و الزرنيخ، و لا يستمدون إلّا من سواد زحل و نحوسة المريخ، فإذا قدم عليهم فى بلدهم من يدعى شيئا من ذلك ظنوا به كل خير، و استمكنوا له فى كل ضير، و بادر كل منهم مستخفيا إليه فى السير لئلا يطلع الغير، و هو يشتد عليهم و على أموالهم الغارة بعد الغارة، و يتلعب بهم تلعب السنور بالفأرة، يستعجلون الفقر الدائم طمعا فى الغنى، و يرضون بالمتية لنيل المنى، يتبعون كل شيطان مارد، و يضربون فى حديد بارد، و إذا سمعوا أنّ مولانا أمير المؤمنين (روحى له الفداء) قال: إنّ الكيمياء فى الأسرب و الزجاج و الزئبق الرجراج و الحديد المزعفر و النحاس الأخضر ،

أنّه قال: إنّها أخت النبوة و عصمة المروّة و الناس يعلمون ظاهرها، و أنا أعلم باطنها

قال (عليه السلام): ما هو إلّا ماء جامد و هواء راكد و أرض سائلة و نار حائلة

قال (عليه السلام): خذ الفرار و الطلقا، البيتين.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٦٧

أنّ مولانا (عليه السلام) قال: الرصاص فضة مبروصة من قدر على علاجها انتفع بها

«١» الى غير ذلك ظنوا أنّهم سيطلعون عليها بمعونة القرع و الأنبيق.

أو يحلّون عقدها بنداوة القعر العميق، أو بحرارة النار النمرودية ذات الحريق.

و ما يشعرون أنّ الأصباغ الشعرية و غيرها من النباتية بل المعدنية ليست صباغة و غواصة نافذة صابرة ثابتة رزيئة امينة.

و بالجملة فقد غشيتهم العطالة و البطالة و الخسران كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران، و ذلك لأنهم ضلوا السبيل و لم يطلبوا

المطلوب من الدليل، و لو أنّهم آمنوا و اتقوا لوجدوا كيمياء السعادة من طريق العبادة و الزهادة فإنّه الاسم الأعظم و الحجر المكرّم،

فافهم فإننى قد أوقفتك على كنوز الأسرار إن وقفت لحل الرموز و كشف الأستار.

و علم معرفة الجواهر الغير المتطرّفه كالياقوت و اللؤلؤ و الزبرجد و الألماس و غيرها و فيه حصر أجناسها و استقصاء أنواعها و معرفة

خواصها و آثارها و علاماتها.

و علم التعبير الذى يذكر فيه حقيقة الرؤيا التى هى جزء من سبعين جزءا أو

(١) لم أجد فى كتب الحديث أصلا لتلك الأحاديث و الأبيات المنسوبة إلى المعصومين (عليهم السلام) فى الكيمياء.

نعم نقل فى بعض الكتب المتفرقة بعض هذه الأحاديث مرسلا كما

فى نفائس الفنون تأليف شمس الدين محمّد بن محمود الآملى من علماء القرن الثامن ج ٣ ص ١٦٠ عن على (عليه السلام) انه قال:

إن فى الزجاج و الزجاج و قشر بيض الدجاج و الزنجار الأخضر و الحديد المزعفر لكنز لولّى، فقيل: زدنا يا أمير

المؤمنين فقال (عليه السلام): هو هواء راكد و ماء جامد و أرض سائلة و نار خامدة. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٦٨

من ستّة أو أربعة جزء من النبوة و هى المبشّرات، و فيه سبب توجه النفس إلى عالمها و اتصالها بمبادئها العالية التى يحصل لها به

بعض العلوم الحقة، الواقعة على سبيل المشاهدة النفسانية أو الانطباع و الانتقاش الروحانية و انقسامها إلى الصادقة التي هي ما سمعت و الكاذبة التي هي من تركيب المتخيلة ببعض الصور المخزونة في الخيال مع بعض و لذا تسمى بأضغاث الأحلام، و لكل منهما أسباب و معدّات و شرائط داخلية و خارجية كالزّمان و المكان و فراغ النفس و علوها و اعتياد الصدق و الطهارة و نورانية جوهر النفس و قوتها و قدرتها على خرق الحجب السبعة و الاعتدال في الأحوال و الأفعال بين طريقى الإفراط و التفريط سيما اعتدال مزاجه الشخصى و العضوى الدماغى، و غير ذلك ممّا هي كالمعدّات للرؤيا الصادقة و أضدادها لضدها و الملقق للملقق و معرفة أنّ الرؤيا من أى القسمين و تبعيّة التعبير للواقع أو الواقع للتعبير أو كلّ لكلّ على وجه و تطبيق عالمى المثال و الخيال و إن سمي كلّ بكلّ مع قيدي الاتصال و الانفصال و شرائط المعبر و التعبير و كفيته و أنّ هذا العلم إلهامى أو كسبى أو الهامى و كسبى إلى غير ذلك من المباحث التي سنشير إلى تحقيق جملة منها في سورة يوسف و الصافات و غيرها من إنشاء الله.

و علم الفراسة المذى قيل: هو علم بأمور بدنيّة ظاهرة تدلّ على ما خفى من السجاي و الأخلاق، و أوّل من استخرجه فليمون الرومى الطرسوسى «١» في عهد المعلم قبله و أجازته ثمّ توسّع الناس فيه حتى استأنس المسلمون له بقول تعالى:

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ «٢» و لذا يسمّى علم التوسّم أيضا و بقوله صلّى الله

(١) قال كاتب چلبى في كشف الظنون ج ٢ ص ١٣٤٢: و لا فليمون كتاب في الفراسة يختص بالنسوان.

(٢) سورة الحجر آية: ٧٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٦٩

عليه و آله و سلم: (أتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله)

«١» و إن كان الأظهر أنّ التوسّم و الفراسة المشار إليهما في الآية و الخبر أشبه بالمكاشفات الغيبية و المشاهدات الإيمانية التي يراها من ينظر بنور الله، و لذا لا يختصّ بخصوص الأخلاق و السجاي بل يجرى أيضا في قاطبة الحقائق و القضايا كما أنّه و إن كان يسمّى بالقيافة أيضا لكنّه غير القيافة المحرّمة عند الفقهاء، و هي الاستناد إلى علامات و مقادير يترتب عليها إلحاق بعض الناس ببعض بمجرد المشابهة التي لا عبرة بها أصلا في الشريعة بعد مشاهدة عدم مطابقتها للنسب الشرعى بل الحقيقي أيضا سيما بعد إناطة الإلحاق في الشريعة على الولادة على الفراش و الإقرار، و غيرهما من الطرق الشرعية التي ليست منها القيافة التي تعرف بها الأنساب و قفوا لآثار الجاهلية، و لذا حكموا بحرمتها إذا جزم بها أو ترتب عليها محرّم، و الّا فلا حرمة لها و إن كان ربما يقال: أنّها من الكهانة بل عن الصادق (عليه السلام): من تكهن أو تكهن له فقد برىء من دين محمّد صلّى الله عليه و آله قيل: فالقيافة. قال (عليه السلام): ما أحبّ أن تأتيها، قيل: ما يقولون شيئا إلّا كان قريبا ممّا يقولون فقال عليه السلام: القيافة فضله من التبوّه ذهبت من الناس حيث بعث النبيّ (صلّى الله عليه و آله و سلم)

(١)

في بحار المجلسى (قدس سره) ج ٩ ص ٢٧٨ ط القديم عن محمّد بن حرب الهلالى أمير المدينة يقول: سألت جعفر بن محمّد (عليه السلام) فقلت: يا ابن رسول الله في نفسى مسألة أريد أن أسئلك عنها فقال إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسئلى و إن شئت فاسئلى قال:

قلت: يا ابن رسول الله بأى شىء تعرف ما فى نفسى قبل سؤالى؟ فقال (عليه السلام): بالتوسّم و التفرس أما سمعت قول الله تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ و قول رسول الله أتقوا فراسته المؤمن فإنّه ينظر بنور الله إلخ. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٧٠

الخبر



«١» و ان كان الظاهر منه أنها غير القيافة المحكوم بحرمتها عندهم.

و بالجمله فالأصل فيه موافقة الهيئات و الأشكال البدئية للأحوال و الأخلاق النفسانية على سبيل التابعية أو المتبوعية على خلاف فيه يأتي في موضعه إن شاء الله و على الوجهين يستدل بها عليها، بل قد يستكشف بها بعض العواقب من الأرزاق و الأعمار و السعادات و أضرارها، و أصولها عندهم مأخوذ من أصلين: التجربة طول الزمان حيث إنهم تأملوا غالب الأشخاص و ما يصدر منهم ثم عدوا ما استمرّ مطابقا أصلا يرجع إليه و القياس على حيوانات العجم، و لذا صرح صاحب الصناعة بأنه إنما حكم على واسع الصدر غليظ المنكبين بالشجاعة قياسا على الأسد فإنه كذلك، و لم يجعل هذه العلامة دليلا على الكرم مع أن الأسد كريم أيضا لا تصاف النمر بها و هو شحيح سجيح، و هكذا باقى الأحكام فلا- بدّ من النظر فى تركيب العلامات و لزومها و مشاركتها و العمدة فيه هو الحدس الصحيح.

و لذا قال الطرطوسى مبدع الصناعة على ما يحكى عنه: و علمى هذا حرام على الأغبياء لاحتياجه إلى صحّة الفكر و الحذاقة و الدراية و لعلك تسمع إن شاء الله بعض الكلام فيه فى تفسير الآية.

و علم التسخير و العزائم المحرّمة فى الشريعة الحقّة، و إن كان المقصود منه استخدام الملائكة و الجنّ و استئزال الشياطين، و تسخير الأرواح للتصرف فيها فى النفوس و الأبدان و استكشاف الغايات، و علاج المرضى، و الاطلاع على الأخبار البعيدة و خواصّ العقاقير و استجلاب الثمار و الفواكه و الفضة الطرية فى غير أو انها إلى غير ذلك ممّا لا يحصل إلّا بأقسام الأقسام و الأعزام و الرياضيات الشاقّة الصعبة

(١) وسائل الشيعة ط الجديد ج ١٢ ص ١٠٨ عن الخصال.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٧١

الخطرة التى قلّ من يسلم معها من الموت أو الجنون أو اختلاف العقل و ضعف الدماغ و الوسوسة إلى غير ذلك من الضرر الراجع إلى العقول و الأبدان فضلا عن الإيمان الذى لا يكاد يبقى لمن ابتلى بتلك البليات و أصيب بهذه المصيبات و مع ذلك فلهم فى الدنيا ذلّة دائمة و كثافة لازمة و الفقر العاجل و انقطاع النسل و البوار ذلك لهم خزي فى الدنيا و لهم فى الآخرة عذاب النار.

و علم النيرنجات و هو فارسى معرّب نيرنك و نورنك: أى اللون الجديد و ربما يقال: النيرنجات بالياء و النسبة المشدّدة و هى إظهار غرائب خواصّ الامتزاجات أو أنها التخيلات و الأخذ بالعيون التى لا- ينكر أغلاطها سيّما مع السرعة و الخطفة، و شدّة الإشتغال بالشواغل الحسيّة، و لذا قيل: إنها قريبة أو متّحدة مع الشعبة التى عرفوها بالحركات السريعة التى تترتب عليهما الأفعال العجيبة بحيث يخفى على الحسّ الفرق بين الشىء و شبهه. فيحكم الرائي له بخلاف الواقع، و لذا قيل: إن المشعبد يأخذ بالعيون يعنى إلى غير الجهة التى يحتال فكّلما كان أخذه للعيون و الخواطر و جذبه لها إلى سوى مقصوده أقوى كان أحذق فى علمه كما أنه كلّما كانت الأحوال التى تفيد حسّ البصر نوعا من أنواع الخلل أشدّ كان هذا العمل أحسن.

و بالجمله فبناء العمل فيها على الإغراء و التدليس و اللهو بل السحر و غيرها من الأباطيل التى ورد النهى عنها فى الكتاب و السنّة، و لذا أجمع الأصحاب على حرمة تعليمها، و التكسب بها كإجماعهم على حرمة السحر تعليما و تعلّما و تكسّبا و عملا بل ظاهر قوله تعالى: وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ «١» حصول الكفر بمجرد تعليمه و

فى النبوى: (ساحر المسلمين يقتل)

(١) البقرة: ١٠٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٧٢

و ساحر الكفّار لا يقتل)

«١» و

في العلوى: (من تعلم شيئاً من السحر قليلاً أو كثيراً فقد كفر و كان آخر عهده بربه و حده أن يقتل)

«٢» بل المشهور عدّ النيرنجات و الشعوذة و السيميا و غيرها منه، و لذا قال الشهيد في «الدروس»: تحرم الكهانة و السحر بالكلام و الرقية و الدخنة بعقاير الكواكب و تصفية النفس و التصوير و العقد و النفث و الأقسام و العزائم بما لا يفهم معناه، و يضرب بالغير فعله و من السحر الاستخدام للملائكة و الجنّ و الاستئزال للشياطين في كشف الغائب و علاج المصاب، و منه الاستحضار بتلبس الروح ببدن منفعل كالصبي و المرأة و كشف الغائب عن لسانه، و منه النيرنجات و هي إظهار غرائب خواص الامتزازات و أسرار التيرين، و يلحق به الطلسمات و هي تمزيج القوى العالية الفاعلة بالقوى السافلة المنفعله ليحدث عنها فعل غريب فعمل هذا كله و التكبسب به حرام، أما علمه ليتوفى أو لثلاً يغترّ به فلا و ربّما وجب على الكفاية ليدفع الممتبى بالسحر و يقتل مستحلّه و يجوز حلّه بالقرآن و الذكر و الأقسام لا به و عليه

قوله (عليه السلام): و لا تعقد

«٣» انتهى «٤».

و علم الطلسم الذي عدّه الشهيد و غيره من السحر و فسّره بما سمعت و عن «وسيلة القاصد» أنّ معناه عقد لا ينحلّ، و قيل هو مقلوب اسمه يعنى مسلط، و قيل:

(١) الكافي ج ٢: ص ٣١١، التهذيب ج ١٠ ص ١٤٧. وسائل الشيعة ج ١٨: ص ٥٧٦.

(٢) وسائل الشيعة ج ١٨: ص ٥٧٧ بدون كلمات «قليلاً أو كثر فقد كفر». و في آخره: «وحده القتل إلا أن يتوب».

(٣) الفروع من الكافي ط الجديد ج ٥ ص ١١٥ باب الصناعات من كتاب المعيشة.

(٤) الدروس ص ٣٢٥ و في آخر العبارة: و يجوز حلّه بالقرآن و الذكر و الأقسام لا به و عليه يحمل رواية العلا بحله.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٧٣

إنّ الظلّ بمعنى الأثر يعنى إنّه أثر الاسم أو الفعل، و في «الدروس» قيل: الطلسمات كانت معجزات لبعض الأنبياء على نبينا و آله (عليه السلام).

قلت: و ستسمع بعض الكلام في تفسير قوله تعالى: رب العالمين عند الإشارة الى ربّ النوع و في تفسير الآيات المتعلقة بالسحر.

و علم السيميا، و عرفه في «الدروس» بأنّه إحداث خيالات لا وجود لها في الحسّ للتأثير في شيء آخر، و ربما ظهر الى الحسّ. و عن بعض أهل الصناعة أنّه مزج القوى العالية بالقوى السافلة ليحدث عن ذلك أمر غريب في عالم الكون و الفساد، و قيل: إنّه ربط الطباع بالطباع الجسمانية لذلك و لارتباطها بالطباع العلوية قالوا: السيميا روح في الجسد و الكيمياء جسد في الجسد، و لعلّه إليه و إلى غيره من أسرار العلوم المكتومة أشار العبد الصالح آصف بن برخيا في قوله: إنّ الأشكال مغناطيس لأرواحها، و بعض هذه العلوم أسرار و حقائق و غير ما في أيدي الناس. فافهم أنّ ما عرفوا بل سمعوا بعض التمويهات و التخيلات و الخدع و الأباطيل، و أمّا حقائقها فمكونة في مستجنات القلوب و علمها معدودة في جملة الغيوب فألواحها صفائح الأرواح و سطورها منقوشة في الصدور و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

و علم حصر الأعمار بالانفاس المستأنس له بقوله تعالى: إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا «١» و

بالعلوى المذكور في النهج: اعلموا عباد الله أنّ عليكم رسدا من

(١) مريم: ٨٤. قال الطريحي في مجمع البحرين في كلمة عدد: قوله تعالى: فَسَيَلِّ الْعَادِّينَ بِتَشْدِيدِ الدال المراد بهم الملائكة تعد

الأنفاس، و مثله قوله: نَعِدُّ لَهُمْ يَرِيدُ بِهِ عَدَّ الْأَنْفَاسِ كَمَا جَاءَتْ بِهِ الرَّوَايَةُ عَنِ الصَّادِقِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. المراد بالرواية ما رواه محمد بن يعقوب بإسناد تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٧٤

أنفسكم، و عيوننا من جوارحك و حَقَّاطِ صَدَقَ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ، و يَعِدُّونَ أَنْفَاسَكُمْ «١».

و بالجمله فقد توهم قوم من الهنود أن الأعمار محصورة بالأنفاس فيرتاضون بحبس الأنفاس و تقليلها، و يستعينون على ذلك بترك الأطعمة الحيوانية من اللحم و اللبن و البيض و غيرها، و الاقتصار على الأغذية النباتية إلى أن يبلغوا حداً يكتفون في يوم أو يومين بل أيام عديدة بنفس واحد ثم تحتبس النفس في أدمغتهم فلا يتحلل شيء من أبدانهم أصلاً، و مع تحلل شيء يسير من رطوبتها فربما تستمد الطبيعة من بدلها من الهواء المجاور بواسطة المنافذ الضيقة المنتشرة في أطراف البدن فيعيشون بلا غذاء و يزعمون أنه ينكشف عليهم حينئذ أو بعد أزمنة طويلة شيء من الحقائق و المعارف و لهم في ذلك قصص و حكايات لا مساغ للعقل إلى التصديق بأمثالها.

الثاني من أقسام الحكمة العقلية هو الحكمة العملية التي يكون المقصود منها العمل و إن كان كثير من العلوم المتقدمة أيضاً كذلك إلّا أننا تابعناهم في اصطلاحهم، و عرفوها بأنها معرفة مصالح الحركات الإرادية و الأفعالية الصناعية لنوع الإنسان من حيث إنه يؤدي إلى النظام الأتم الأصلح فيما يتعلق بمعاشه و معاده، و قسموها إلى أقسام ثلاثة لأنها إما أن تتعلق بكل نفس بانفرادها، و تسمى سياسة النفس، و علم تهذيب الأخلاق أو بها و بما تحتاج إليه من شهوات قواها الثلاثة التي هي الناطقة و الشهوية و الغضبية، يسمي تدبير المنزل، و كان أرسطو يسمي المدينة

عن الصادق عليه السلام كما في تفسير البرهان ج ٣ ص ٢٢.

(١) في ظلال نهج البلاغة: الخطبة ١٥٥ ج ٢ ص ٤١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٧٥

الفاضلة أو بما يعم من ليس لهم مشاركة معه في المنزل و البيت و الدار بل يعرف بها الأحوال الكلية التي تشترك فيها أهل البلدان و الأقاليم، و هو السياسة الملكية و السلطانية قالوا: و هذا كله فيما إذا كان مبدء الحكم فيها العقول المستقيمة و التجارب الصحيحة و هذا في الأحكام التي لا يختلف فيها الشرائع و الأديان. و أما ما يختلف باختلاف الأدوار و تقلب الأطوار و الآثار فمبدؤها هو الوضع لا الطبع.

ثم الواضع إن كان اتفاق جماعة فيما يتعلق بأمر المعاش فهو علم الآداب و الرسوم العرفية و إن كان شخصاً مؤيداً من عند الله مخصوصاً بالفيوض الربانية و الإلهامات الإلهية التي منها الوحي و العصمة و المعجزة فهي الدولة النبوية و النواميس الإلهية التي ختمها الله سبحانه بالشرعية الحققة النبوية المصطفوية المشتملة على جميع العلوم الحققة الإلهية و الأسرار المصونة الربانية مما يتعلق بالتوحيد و المبدء و المعاد و معاش العباد من حيث الوحدة و العشرة و العبادة بما يحفظ به المقاصد الخمسة التي هي العقل و النفس و الدين و النسب و المال و غير ذلك من أسرار علم الأخلاق، و السياسة البدئية و المدنية و العشرة مع الأهل و الأولاد و الإخوان، و غيره من افراد الإنسان إلى غير ذلك مما يجد المتأمل فيها جميع محفوظات الحكماء السالفين في طوال تلك الأدوار و السنين بل و جميع ما أورث الأمم من الأنبياء و المرسلين و الأوصياء الصديقين بالنسبة إلى ما ورثنا الله سبحانه من نبينا و آله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) كقطرة من المحيط و شعرة في البسيط.

و أمّا الحكمة الشرعية، فتقسم إلى اصولية و فروعية، و المراد بالأولى المسائل الاعتقادية التي لا تتعلق بكيفية العمل سواء وجب الإعتقاد بها في الشريعة على عامة الناس بحيث لا يعذر جاهلها، و هي أصول الأصول أو لا يجب معرفتها

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٧٦

جميع طبقات الناس لاختلاف أفهامهم و مراتبهم في العلم و المعرفة، و هي فروع الأصول، فكل من الأصول الخمسة الإسلامية بل

الإيمانية و إن كانت عن أصول الأصول لكنّ المباحث المتعلقة بكلّ منها بعد الاتّفاق على الأصول كالبحث عن الصفات الذاتية و الفعلية و الفرق بينهما و تعيين كلّ منهما و البحث عن خصوص كلّ من الصفات فيه سبحانه و الاشتراك اللفظي و غيرها من المباحث كلّها من فروع الأصول، كما أنّ المسائل العملية المتعلقة ببيان أحكام أفعال المكلفين هي فروع الفروع و القواعد الكلية التي يستنبط منها تلك الأحكام كقاعدة اليد و الإقرار و الضرر و السلطنة و غيرها من القواعد الكلية هي أصولها.

و بالجملة فيبحث في الأصول الشرعية عن الوجود و انقسامها على سبيل الاشتراك اللفظي إلى الأقسام الثلاثة التي هي الوجود الحقّ و الوجود المطلق و الوجود المقيد و بيان التوحيد في المقامات الأربعة التي الذات و الصفات و الأفعال و العبادة، و الفرق بين مقام الأحديّة و الواحدية و أنّ كمال التوحيد نفى الصفات و أنّها تنقسم إلى ذاتية هي عين الذات بلا مغيرة أصلا لا في الخارج و لا في الذهن، و لا بحسب الإعتبار و إلى فعلية مخلوقة في مرتبة بالإمكان و الأكوان، و أيضا إلى جمالية و جلالية و إن كان الكلّ قدسية تنزيهية، و بيان معنى القدم و الحدوث، و أنّ كلّا منهما إما حقيقي أو اضافي ذاتي أو غيري، و أنّ الأزل و الأبد نفس الذات لا من الأوعية التي هي السرمد و الدهر و الزمان، و أنّ الإرادة و الكلام و المشية كلّها من صفات الفعل فهي حادثه مخلوقة، و أنّ القرآن حادث مخلوق غير مختلق و لا-مختلف، و تحقيق معنى الاسم و الفعل، و أنّ الأول ما يدلّ على المسمى و الثاني أثر الفاعل و انقسام الأسماء إلى الحسنی و السوءی، و شرح الأسماء الحسنی، و خصوص التسعة

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٧٧

و التسعين التي من أحصى ألفاظها أو معانيها أو التحقّق و التخلّق بها دخل الجنة «١» و تعيين الاسم المقدم الجامع و الاسم العظيم الأعظم، و كيفية مداومة على كلّ اسم من أسماء الله و شرائطها و آدابها و أعدادها، و التكلم في روحانياتها، و بيان مباحث العدل، و سبب ذكره بخصوصه من جملة أصول الدين دون غيره من صفات الأفعال بل و من صفات الذات أيضا، و إبطال الجبر و القدر و تعيين الأمر بين الأمرين، و أنّ حقيقة الفعل هو الوجود المطلق المنقسم إلى المشية و الإرادة و القدر و القضاء و الإمضاء، و أنّ صفات الفعلية مرجعها إلى المشية الفعلية التي خلقها الله بنفسها و أمسكها في ظلّها، و أنّ المشية بقسميها أعني الإمكانية و الكونية حادثه كحدوث الأعيان الثابتة في مراتب المشية رداً على من زعم أنّها غير مجعولة بل هي قديمة كقدم بعض الصفات التي يسمونها المعاني و الأحوال و غيرها، و أنّ أول ما خلق الله نور نبينا محمّد و آله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) «٢» و بيان حقيقة المعجزة

(١) إشارة إلى الحديث الذي رواه الفريقان عن المعصوم كما

روى الصدوق في توحيد عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) انه قال: إن الله تبارك و تعالى تسعة و تسعين اسما مائة آلا واحدة من أحصاها دخل الجنة إلخ

و كما

روى السيوطي في الدر المنثور انه سأل الباقر (عليه السلام) أباه السجاد (عليه السلام) عن الأسماء التسعة و التسعين التي من أحصاها دخل الجنة فقال (عليه السلام): هي في القرآن ففي الفاتحة خمسة أسماء: يا الله. يا رب يا رحمن يا رحيم. يا مالك إلخ.

(٢) الأخبار بهذا المضمون كثيرة منها

ما رواه المجلسي قدس سره في بحار الأنوار ج ١٥ ط. الجديد ص ٢٣: عن أبي جعفر عليه السلام قال لجابر الجعفي: يا جابر كان الله و لا شيء غيره، لا معلوم و لا مجهول، فأول ما ابتدأ من خلقه أن خلق محمدا (صلى الله عليه و آله و سلم) و خلقنا أهل البيت من نور عظمته إلخ. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٧٨

و الكرامة و أنواعها و مراتب المعراج، و خصوص ما اختصّ به نبينا (صلى الله عليه و آله و سلم) و أنّ جميع الأنبياء و المرسلين و الملائكة المقربين و العباد الصالحين بل الجنة و طينة عليين كلّها مخلوقة من أشعة أنوارهم و تجليات أطوارهم على حسب تدرّج

المراتب و ترتب الدرجات، و بيان المراد بالنبوة و الولاية المطلقتين و المقيد في مقام التكوين و التشريع، و بيان النسب بين الثمانية، و أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) كان متحققا بجميع ذلك بنفسه، و بأوصيائه، و بسفرائه المبعوثين الى جميع الأمم الذين منهم الألف ألف آدم في ألف ألف عالم، و بيان عالم الذرّ و تعدده، و كفيته، و سبب الإجابة و الإنكار، و أن من أجاب خلق بصورة الإجابة و من أنكر خلق بصورة الإنكار، و بيان، السراقات النورية و الحجب التي هي سبعون ألف حجاب من نور و ظلمة و العرش و الكرسي و القلم و لوحى المحو و الإثبات و سائر الألواح الجزئية و لوح القدر و القضاء و البداء و حقيقته و موضعه من الكون، و حملة العرش و أصناف الملائكة من العالين و الكروبيين و الصيافين و الحافين و غيرها ممّا لا يعلم عدد أنواعها فضلا عن أشخاصها إلّا الله و الراسخون في العلم الذين أشهدهم الله خلق السماوات و الأرض، و بيان المجزئات و الملاء الأعلى العالية عن المواد الخالية عن القوة و الاستعداد، و كيفية ترتب العوالم و تنزلها من الدرّة الى الدرّة، و بيان العمق الأكبر، و الأرض الجزر، و أرض الزعفران، و ورق الأس، و ورق الزيتون، و خلق النور و الظلمة و طينة عليين و سجين، و بحر نون و صاد و المزن، و طينة خبال، و تلاقي الرشحات النازلة عن الأولى و الأدخنة الصاعدة عن الثانية في هذا العالم الذي هو ملتقى البحرين و البرزخ في البين، و أن حقيقة النور هو قبول الولاية و الظلمة إنكارها، و عرض ولاية النبي و الأئمة عليهم الصلاة و السلام على أهل جميع العوالم و جميع الآدميين، و أنهم هم الحجج على جميع ما خلق الله تعالى و تحقّقهم في

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٧٩

مقام الخضوع و الانقياد و العبودية التي كنهها الربوبية إذ مربوب و بيان بدو خلقهم و كينونتهم، و ميمنتهم، و علمهم، و معرفتهم بالنورانية و تصرفهم في الملك و الملكوت، و اختصاصهم بمزايا التي اصطفاهم الله لمعرفة و علم الخلفاء و التقبّل في القوالب المثالية، و علم طي الزمان و المكان و القرائة، و سائر الحركات، و علم نشر كلّ ذلك و علم التكسير و الإكسير و الجفر و الجامعة و صحيفة جدتنا فاطمة الزهراء (روحي لها الفداء، و على أبيها و بعلمها و بنيتها و عليها أفضل الصلاة و الثناء) و علم البلايا و المنايا، و معرفة الأنساب و فصل الخطاب، و معرفة حقائق هذه العلوم و غيرها من غرائب علومهم و عجائب أحوالهم و أطوارهم في جميع النشآت، و في هذه النشأة السفلية الناسوتية التي كانوا مخلوقين قبلها بألوف من السنين بل كان نور نبينا خاتم النبيين (صلى الله عليه و آله أجمعين) مقدّما في الخلق على نور خاتم الوصيين الذي هو عينه و نفسه حيث خلقهم الله تعالى نورا واحدا بثمانين ألف سنة من سنى الربوبية التي كلّ يوم منه كألف سنة ممّا تعدّون فما ظنك بتقدّمهم على غيرهم من المنغمسين في الغواصق الظلماتية الهيولانية التي تتقدّم خلق أرواحها عليها بأربعة آلاف عام أو بسبعين ألف عام، و معرفة المراتب الأربعة للعقل النظري و العملي و إبطال العقول العشرة، و بيان العقول الجزئية التي هي من رؤوس المشيئة و بيان الأرواح الخمسة التي خامسها روح القدس، و بيان حقيقتها و رتبها و تأييدها، و مغايرتها، للروح التي هي من أمر الرب، و أقسام النفوس الأربعة التي هي نامية نباتية، و حسية حيوانية، و ناطقة قدسية، و كليّة الهيئية، و السبعة التي هي الأمارة، و الملهمة، و اللوامة، و المطمئنة، و الراضية، و المرضية، و الفائزة، و كيفية تركية النفس و رياضتها بالتخلّي من الرذائل و التحلّي بالفضائل، و بيان تبعية التشريع للتكوين، و سبب التكليف، و بعث الأنبياء و نصب الأوصياء، و حقيقة العصمة، و تجليها على

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٨٠

قلوب شيعتهم على حسب قربهم، و عدم خلوّ أرض الأكوان عن الحجّة، و أنها لو خلت منها ساعة لساخت بأهلها و رجعت الى عدمها، و كيفية ظهور التوحيد في الدول الثلاث التي هي دولة النبوة و الولاية الظاهرة و الولاية الباطنة، و أن الأمر في غير الأخيرة على الامتزاز و الاختلاط و لطح الطينين، و تلاقي البحرين و تشابه الحركتين، و فيها على صريح الحق و محض التوحيد، و بيان سرّ الغيبة، و وجه انتفاع الأنام به (عليه السلام) في التكوين و التشريع حالة الغيبة و غيرها نوابه الخاصة و العامة، و الأوتاد و الأركان و الأبدال و السيتاح و البدلاء و النخباء و النقباء و رجال الغيب المشار إليهم في دعاء أم داود (١) و في حديث جابر و غيره، و ترتيب طبقاتهم و

مراتبهم و شئونهم، و سرّ الدعاء و الإجابة و التوسلات و الرياضيات و التوجهات و المنامات المبشرات و الأطلاق على المغيبات، و بيان كيفية الرجعة و ظهور الدولة الحقة، و أنّ لكلّ نفس ميتة و قتل، و حقيقة الموتين و النفختين و ما يحدث في البين، و كيفية الضغطة و السؤال و البرزخ و الحشر و الموقف و الميزان و الحساب و الكتاب و الجنة و النار و الروحانيين و الجسمانيين و بيان المراد من الجسمين و الجسدنين، و مراتب الكسر و الصوغ و سرّ الصوغ الذي بعده كسر و الذي لا كسر بعده، و سرّ

(١) دعاء أم داوود دعاء جليل مشهور بين أهل الروايات و قد صار موسما عظيما في يوم النصف من رجب معروف بالإجابة رواه الصدوق، و الشيخ الطوسي، و ابن طاووس في الإقبال و غيرهم. و من جملة فقراتها: اللهم صلّ على الأبدال و الأوتاد و السياح إلخ.

و أم داوود اسمها حبيبة أو فاطمة بنت عبد الله بن إبراهيم زوجة الحسن المثني و ابنها داوود بن الحسن بن الحسن المجتبي (عليه السلام) كان من أصحاب الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام، حبسه المنصور الدوانيقي فعلم الصادق (عليه السلام) أمه الدعاء المعروف، و عمل الاستفتاح في نصف رجب لنجاة ابنها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٨١

الخلود و ابطال انقطاع العذاب، و بيان الأعراف و أهلها، و سرّ عدد الدرجات و الطبقات و الزبائنة و الخطائر، و أنّ في الجنة عبادة من غير تكليف، و تعدد الأكوان و النشآت و العوالم و الخلق الجديد و الشفاعة (الكليّة و الوسيلة و المقام المحمود) الى غير ذلك من المباحث الكثيرة التي ستسمع استيفاء الكلام في شرحها في مواضع من هذا التفسير إن شاء الله الموفق الفياض.

و أما الحكمة الشرعية الفرعية: فقد يدرج فيها ما مرّت إليه الإشارة كعلم الأخلاق و المعاشرة و تزكية النفس و غيرها. لكنّ المراد بها حيثما أطلقت الأحكام العمليّة الفقهيّة التي يبحث فيها عن أحوال أفعال المكلفين من حيث الاقتضاء و التخيير و الوضع. و المراد بالاقتضاء طلب الفعل أو الترك مع المنع من النقيض أو الإذن فيه، و بالتخيير الإباحة الشرعية أو العقلية و إن لم يرد فيه شرع خاص و إن لم يخل عن شرع عام لاندراسة تحت الأصول و العمومات مع أنّ كلّما حكم به العقل حكم به الشرع و بالعكس على ما يتبينه في الأصول، و بالوضع جميع الأحكام الوضعية المعتمدة باعتبار الشرع لها كالصحة و الفساد و الطهارة و النجاسة و الشرطيّة و الجزئية و السببية و المانعية و اللزوم و الإشتغال و غيرها ممّا يبحث فيها عنه حتّى القواعد الفقهيّة التي هي مغايرة لمسائلها، و القواعد الأصولية و مسائلها أيضا.

نعم ها هنا علوم آليّة هي كالمبادئ لها بل لغيرها أيضا و علوم هي الأصول لها. أمّا العلوم الآليّة فكثيرة كعلم النحو الذي وضعه مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) و علمه أبا الأسود الدئلي ثمّ انتشر منه و وسع الناس فيه.

و السبب في ذلك على ما ذكره ابن طاووس و غيره أنّ قريشا كانوا يزوّجون

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٨٢

الأنباط «١» فوقع فيما بينهم أولاد ففسد لسانهم حتّى أنّ بنتا لخويلد الأسدي كانت متزوجة في الأنباط فقالت: إنّ أبوي مات و ترك على مال كثير فلما رأى عليّ (عليه السلام) فساد لسانها أسس النحو «٢».

و

روى أنّ إعرابيا سمع عن سوقى يقرأ إنّ الله برىء من المشركين و رسوله «٣» بالجرّ فشجّ رأسه فخاصمه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له في ذلك. فقال:

إنّه كفر بالله في قراءته فقال (عليه السلام): إنّه لم يتعمّد بذلك «٤».

و

روى أن أبا الأسود كان في بصره سوء و له بنت تقوده الى عليّ (عليه السلام) فقالت: يا أبتاه ما أشدَّ حرَّ الرَّمضاء (بضم الدال و الراء) تريد التعجب فنهاها عن مقالها و أخبر أمير المؤمنين (عليه السلام) بذلك فأسس «٥».

و

روى أن أبا الأسود كان يمشى خلف جنازة فقال له رجل: من المتوفى (بكسر الفاء) «٦»، فقال: الله، ثمَّ إنَّه أخبر عليًا (عليه السلام) بذلك فأسس «٧».

(١) النبط بفتحيتين و بكسر الباء قوم من العرب دخلوا في العجم و الروم و اختلفت أنسابهم و فسدت ألسنتهم، و ذلك لمعرفةهم بإنباط الماء أى استخراجهم لكثرة فلاحتهم و الجمع أنباط. - مجمع البحرين كتاب الطاء باب ما أوَّله النون. -  
(٢) الشيعة و فنون الإسلام تأليف السيد حسن الصدر نقلا عن المناقب لابن شهر آشوب ص ١٥٩.  
- بحار الأنوار ط الجديد الآخوندى ج ٤٠ ص ١٦١.  
(٣) التوبة: ٣.

(٤) بحار الأنوار ط الجديد الآخوندى ج ٤٠ ص ١٦٢.

(٥) بحار الأنوار ط الجديد الآخوندى ج ٤٠ ص ١٦٢.

(٦) بصيغة أسم الفاعل.

(٧) بحار الأنوار ط الجديد الآخوندى ج ٤٠ ص ١٦٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٨٣

فعلى أى وجه كان دفعه (عليه السلام) الى أبى الأسود و قال: ما أحسن هذا النحو أحش له «١» فى المسائل فسّمى نحوا.

و

عن ابن سلّام «٢» كانت الرقعة: الكلام ثلاثة أشياء: اسم و فعل و حرف جاء لمعنى، فالإسم ما أنبأ عن المسمّى، و الفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى، و الحرف ما أوجد معنى فى غيره، و بعضهم اقتصر على هذا القدر، و بعضهم حكى أزيد من ذلك: و كتب (عليه السلام) فى آخره كتبه على بن أبو طالب فعجزوا عن ذلك فقالوا أبو طالب اسمه لا كنيته و قالوا: هذه تركيب مثل حضر موت. و عن الزمخشري فى «الفائق»: ترك فى حال الجرّ على لفظه فى حال الرّفْع لأنه اشتهر بذلك و عرف فجرى مجرى المثل الذى لا يغيّر «٣».

و

فى «محاضرات الأوائل» عن السيوطى عن أبى الأسود قال: دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) فرأيت مطرقا متفكرا فقلت: فبم تفكر يا سيدى؟ فقال (عليه السلام): إنى سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أصنع كتابا فى أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا و بقيت فىنا هذه اللّغة، قال: ثمَّ أتيت بعد ثلاث فألقى إلى صحيفه فيها: بسم الله الرحمن الرحيم الكلمة اسم و فعل و حرف. فالإسم ما أنبأ عن المسمّى، و الفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى، و الحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم و لا فعل ثمَّ قال (عليه السلام) لى: تتبعه و زد فيه ما وقع لك، و اعلم يا أبا الأسود أن

(١) أحش: علق عليه حواشى.

(٢) هو أبو عبيد قاسم بن سلّام بن مسكين بن زيد الهروى الفقيه الأذيب اللّغوى المحدث القارى توفى بالمدينة المنورة أو مكة المكرمة سنة (٢٢٤) ه أو قبلها.

(٣) بحار الأنوار ط الجديد الآخوندى ج ٤٠ ص ١٦٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٨٤

الأشياء، ثلاثة: ظاهر و مضمرة و شىء ليس بظاهر و لا مضمرة، قال أبو الأسود:

فجمعت منه أشياء و عرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت فيها إنَّ و أنَّ وليت و كأنَّ و لعلَّ و لم أذكر لكنَّ، فقال لى: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها.

فقال: بلى هى منها فردها فيها. و رواه الزجاج فى «الأمالى» بالإسناد عن أبى الأسود «١» و أرسله غير واحد من أصحابنا أيضا.

و علم التصريف الذى ربما يذكر فيه علم الاشتقاق و علم الخط أيضا.

و علم اللغه الذى لم يكن فى أول الأمر اهتمام بتدوينه و نقله و ضبطه الى أن شرف الله تعالى هذا اللسان بنبيه المرسل و كتابه المنزل

بعد ما كانت اللغه العربيه فى نفسها أفصح اللغات و أجزها و أوسعها كما يشهد به مقايستها بغيرها من اللغات، بل

روى الشيخ الصدوق فى «العلل» عن مولانا الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: ما أنزل الله (تبارك و تعالى) كتابا و لا

وحيا إلا بالعربيه فكان يقع فى مسامع الأنبياء بألسنة قومهم و كان يقع فى مسامع نبينا (صلى الله عليه و آله و سلم) بالعربيه فإذا كلم به

قومه كلمهم بالعربيه فيقع فى مسامعهم بلسانهم و كان أحد لا يخاطب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بأى لسان خاطبه إلا

وقع فى مسامعه بالعربيه كل ذلك يترجم جبرائيل تشريفا من الله تعالى له.

و علم المعانى و البيان و البديع و غيرها من العلوم المتداوله التى يغنى عن التعرض لها شيوع تداولها.

و أميا العلوم الشرعيه التى ليست بأصليه اعتقاديه محضه فهى ثلاثة: علم الكتاب العزيز، و علم الأحاديث الماثوره عن النبى و الأئمة

الطاهرين (صلوات الله

(١) معجم الأدباء: ج ١٤ ص ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٨٥

عليهم أجمعين) و علم الأحكام الشرعيه الفرعيه.

أما علم الأخبار الماثوره و الأحكام الشرعيه الفرعيه التى يقابل بها الأصوليه و غيرها مما يتوقف كل منها عليه كأصول الفقه و الدرايه

و الرجال و غيرها من المبادئ العامه و الخاصه لكل منهما فاشتهار القول فيها و كثرة تداولها أغنانا عن التعرض لها فى خصوص المقام

الذى كان المقصود فيه الإشارة الى نوع العلوم.

و أما علم تفسير الكتاب و هو المقصود بالبحث فى هذا الكتاب فلنشر الى تعريفه و موضوعه و غايته و مرتبته من العلوم و جمله من

مبادئه على وجه الاختصار بعد التنبيه على شرف العلم سيما ما تعلق فيه بالكتاب السنه.

### الفصل الثالث

فى شرف العلم و فضله من الكتاب و السنه و العقل أما الشواهد القرآنيه فكثيره جدا كقوله تعالى: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ

أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ «٢» فإنه أثبت الرفعه و الفضيله أولا للمؤمنين ثم خص من بينهم أولى العلم و فضلمهم على غيرهم بدرجات مبهمه

غير معينه تعظيما و تفخيما و تكثيرا لها و أشعارا على أنها على حسب اختلاف مراتبهم فى العلم. ثم إن التفضيل بالدرجات و إن كان

للمؤمنين أيضا من أهل بدر فى قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى قوله:

(٢) المجادلة: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٨٦



لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ «١» و للمجاهدين في قوله تعالى: فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً «٢» و لمن وفق للإيمان و العمل الصالح في قوله تعالى:

وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى «٣» إلما أن درجات أهل العلم أرفع من درجات الجميع لأن الإيمان يجمعهم و يشملهم و قد جعله عامًا متعقبًا بالخاص لمزيد الإختصاص سيما بعد كون المخاطب بقوله: منكم من مؤمنى أهل بدر و مع اتصافهم بالجهاد و الإيمان و العمل الصالح فدلّت الآية الشريفة على أشرفية أهل العلم على غيرهم من بنى آدم المفضّلين على غيرهم من أهل العالم بل يستفاد ذلك أيضا من قوله تعالى: نَزَعْنَا دَرَجَاتٍ مِنْ نَشَاءٍ «٤» وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ «٥» و كقوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ «٦» الدالّ على نفى المساواة بين العالم و الجاهل بل قيل: إنه يرجع إليه أيضا ما فى القرآن من نفى الدالّ المساواة فى المواضع الستة الباقية تمام السبعة التي فرق بينهما و هى مضافا إليه الخبيث و الطيب، الأعمى و البصير، و الظلمات و النور، و الظلّ و الحرور، و الأحياء و الأموات، و أصحاب الجنة و أصحاب النار.

و كقوله تعالى: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ «٧» فبدء، سبحانه أولا بنفسه و ثنى بالملائكة، و ثلثهم بأولى العلم، و كفى به شرفا و فضلا

(١) الأنفال: ٢.

(٢) النساء: ٩٥.

(٣) طه: ٧٥.

(٤) الانعام: ٨٣ و يوسف: ٧٦.

(٥) يوسف: ٧٦.

(٦) الزمر: ٩.

(٧) آل عمران: ١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٨٧

بل اقتصر عليهم بعد ذكر نفسه سبحانه فى قوله: و ما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون فى العلم «١» على أظهر الوجهين بل و فى قوله تعالى: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ «٢» و قوله تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ «٣» حيث شاركوا الملائكة فى أجل صفاتهم فإنهم من خشية ربهم مشفقون، بل قد يقال: إنه يستفاد من الحصر الظاهر منه بضميمة قوله تعالى:

جَزَأَوْهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ عَرْضًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِلَى قَوْلِهِ: ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ «٤» إنه ليس للجنة أهل إلا العلماء الذين هم أهل الخشية. و قوله تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا وَ قَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ «٥» و قوله تعالى: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ «٦» و قوله تعالى: وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ «٧» و قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ «٨» إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي لا يخفى التقريب فى كل منها.

و أما الأخبار فكثيرة،

ففى «الأمالي» عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) من خرج من بيته يطلب علما شيعة سبعون ألف ملك يستغفرون له «٩».

و

فيه عنه (صلى الله عليه و آله و سلم): «طلب العلم فريضة على كل مسلم» فاطلبوا العلم من مظانه و اقتبسوه من أهله فانّ تعليمه لله حسنة و طلبه عبادة،

(١) آل عمران: ٧.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) فاطر: ٢٨.

(٤) البينة: ٨.

(٥) النمل: ١٥.

(٦) العنكبوت: ٤٩.

(٧) سبأ: ٦.

(٨) الروم: ٢٢.

(٩) أمالي الشيخ الطوسي - بحار الأنوار - ط الاخوندي ج ١ ص ١٧٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٨٨

و المذاكرة به تسييح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقته، وبذله لأهله قربه إلى الله تعالى، لأنه معالم الحلال والحرام، و منار سبل الجنة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدث في الخلو، والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم، ويهتدى بفعالهم، وينتهي إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلقتهم، وبأجنتها تمسحهم، وفي صلاتها تبارك عليهم يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيطان البحر، وهو امه وسباع البر وأنعامه، إن العلم حياة القلوب من الجهل و ضياء الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعباد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العلى في الآخرة والاولى، الذكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الرب ويعبد، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، العلم امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء، ويحرّمه الأشقياء، فطوبى لمن لا يحرمه الله منه حظّه «١».

و

فيه عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): العالم بين الجهال كالحى بين الأموات، وإن طالب العلم ليستغفر له كل شيء حتى حيطان البحر وهو امه، وسباع البر وأنعامه فاطلبوا العلم، فانه السبب بينكم وبين الله «٢».

و

فى «غوالى اللبالي» «٣» عنه عليه السلام، من خرج من بيته يلتمس بابا من

(١) أمالي الشيخ الطوسي - بحار الأنوار - ط الاخوندي ج ١ ص ١٧١.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي - بحار الأنوار - ط الاخوندي ج ١ ص ١٧٢.

(٣) غوالى اللبالي - بحار الأنوار - ط الاخوندي ج ١ ص ١٧٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٨٩

العلم لينتفع ويعلمه غيره كتب الله له بكل خطوة «١» عبادة ألف سنة صيامها وقيامها وحفته الملائكة بأجنتها، وصلى عليه طيور السماء و حيطان البحر و دواب البر، وأنزله الله منزلة سبعين صديقا، وكان خيرا له من أن كانت الدنيا كلها له فجعلها فى الآخرة.

و

فى «منية المريد» عنه عليه السلام: من أحب أن ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين، فوالذى نفسى بيده ما من متعلم يختلف الى باب العلم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة، وبنى الله له بكل قدم مدينة فى الجنة ويمشى على الأرض و هو تستغفر له، ويمسى و يصبح مغفورا له و شهدت الملائكة أنهم عتقاء الله من النار «٢»

و،

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيا به الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة في الجنة «٣».

و

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): نوم مع علم خير من صلاة مع جهل «٤».

و

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): من تعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل كان أفضل من أن يصلى ألف ركعة تطوعا «٥».

و

في «جامع الاخبار» عنه عليه السلام: يا أبا ذر من خرج من بيته يلتمس بابا من العلم كتب الله - عز وجل - له بكل قدم ثواب نبي من الأنبياء وأعطاه الله بكل حرف يسمع أو يكتب مدينة في الجنة، وطالب العلم أحبه الله وأحبه الملائكة

(١) الخطوة بضم الخاء و سكون الطاء: ما بين القدمين عند المشى.

(٢) بحار الأنوار ط الاخوندى ج ١ ص ١٨٤.

(٣) بحار الأنوار ط الجديد ج ١ ص ١٨٤ عن منية المرید.

(٤) بحار الأنوار ط الجديد ج ١ ص ١٨٥ عن منية المرید.

(٥) بحار الأنوار ط الجديد ج ١ ص ١٨٠ عن روضة الواعظين. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٩٠

وأحبه النبيون، لا- يحب العلم إلما السعيد، فطوبى لطالب العلم يوم القيامة، ومن خرج من بيته يلتمس بابا من العلم كتب الله له بكل قدم ثواب شهيد من شهداء بدر، وطالب العلم حبيب الله، ومن أحب العلم وجبت له الجنة، ويصبح ويمسى في رضا الله، ولا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر، ويأكل من ثمرة الجنة ويكون في الجنة رفيق الخضر عليه السلام، وهذا كله تحت هذه الآية: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ «١».

و

قال مولينا أمير المؤمنين عليه السلام: كفى بالعلم شرفا أنه يدعيه من لا يحسنه ويفرج إذا نسب إليه، كفى بالجهل ذما أن يتبرأ منه من هو فيه.

و

عنه عليه السلام، العلم أفضل من المال بسبعة: الأول: أنه ميراث الأنبياء، والمال ميراث الفراعنة، والثاني: العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص، والثالث يحتاج المال إلى الحافظ، والعلم يحفظ صاحبه، الرابع: العلم يدخل في الكفن ويبقى المال، الخامس: المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا- يحصل إلما للمؤمن خاصة، السادس: جميع الناس يحتاجون إلى العلم «العالم».. في أمر دينهم، السابع: العلم يقوى الرجل على المرور على الصراط والمال يمنعه «٢».

و

قال عليه السلام: الجاهل صغير وإن كان شيخا، والعالم كبير وإن كان حدثا «٣».

و

قال عليه السلام: الناس أبناء ما يحسنون.

و

قال عليه السلام: من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار.

(١) بحار الأنوار ط الاخوندى ج ١ ص ١٧٨ عن جامع الاخبار.

(٢) بحار الأنوار ط الجديد ج ١ ص ١٨٥.

(٣) الحديث: الشاب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٩١

و

قال عليه السلام: المودة اشبك الأنساب و العلم أشرف الأنساب «١».

و

قال عليه السلام: لا كنز أنفع من العلم، ولا قرين سوء شر من الجهل «٢».

و

قال عليه السلام: الشريف من شرفه علمه «٣».

و

قال عليه السلام: عليكم بطلب العلم فإن طلبه فريضة، و هو صلة بين الأخوان، و دال على المرونة، و تحفة فى المجالس، و صاحب فى

السفر، و انس فى الغربة «٤».

و

قال عليه السلام: كل وعاء يضيق بما جعل فيه آلا و وعاء العلم فإنه يتسع.

و

فى عدّة الداعى عنه عليه السلام: جلوس ساعة عند العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف سنة، و النظر إلى العالم أحب إلى الله من

اعتكاف سنة فى البيت الحرام، و زيارة العلماء أحب إلى الله تعالى من سبعين طوافا حول البيت و أفضل من سبعين حجة و عمرة

مبرورة متقبلة، و رفع الله له سبعين درجة و أنزل الله عليه الرحمة، و شهدت له الملائكة أن الجنة و جبت له «٥».

و

عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم): إن لله - عز و جل - كل يوم و ليلة ألف رحمة على جميع خلقه فتسعمائة و تسعة و تسعون

رحمة للعلماء و طالب العلم و المسلمين و رحمة واحدة لسائر الناس.

و

عنه (صلى الله عليه و آله و سلم): حملة القرآن عرفاء أهل الجنة، و الشهداء

(١) بحار الأنوار ط الجديد ج ١ ص ١٨٣.

(٢) بحار الأنوار ط الجديد ج ١ ص ١٨٣.

(٣) بحار الأنوار ط الجديد ج ١ ص ١٨٣.

(٤) بحار الأنوار ط الجديد ج ١ ص ١٨٣.

(٥) بحار الأنوار ط الجديد ج ١ ص ٢٠٥ عن عدّه الداعى. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٩٢

قواد أهل الجنة، و الأنبياء سادة أهل الجنة «١».

و

عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): إن فضل العالم على العابد كفضل الشمس على الكواكب، وفضل العابد على غير العابد كفضل القمر على الكواكب «٢».

و

في البصائر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: عالم ينتفع بعلمه أفضل من عبادة سبعين ألف عابد «٣».

و

في الغوالي: علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل،

إلى ذلك من الاخبار الكثيرة الدالة على فضل العلم والمعرفة على العبادة فضلا عن غيرها.

هذا مضافا إلى أن فضيلة الإنسان وشرفه على غيره ليس بشيء مما يرجع إلى الأمور البدنية الجسمانية، ولا بشيء من القوى الحيوانية التي هي أقوى في كثير من الحيوانات منها الإنسان بل إنما هو بالعلم والعمل المتعلقين بإصلاح أمور المعاش والمعاد، فيما يتعلق بالدين والدنيا، ولا ريب أن الأصل في العمل هو العلم لأن العامل على غير علم وبصيرة كالسائر على غير طريق لا يزيده كثرة السير إلّا بعدا وانحرافا عن الطريق، وهذا العلم قد اختص به الإنسان من بين الأكوان والأعيان، ولذا قال: الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ «٤»، وكان أول ما أنزل على رسوله الله في النزول الثانوي التفصيلي الجسماني مطابقا لما في النزول الجملي الروحاني النوراني قوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ «٥»، ثم

(١) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٠٦ بتفاوت يسير.

(٢) بحار الأنوار ط الجديد- ج ٢ ص ١٩.

(٣) بحار الأنوار ط الجديد- ج ٢ ص ١٩.

(٤) الرحمن: ١-٣.

(٥) العلق: ١-٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٩٣

لا يخفى أن الإنسان ميت وحياته بالعلم والمعرفة.

فالعلم يحيى نفوسا قط ما عرفت من قبل ما الفرق بين الصدق والمين

العلم للنفس نور يستدل به على الحقائق مثل النور في العين

وربما

ينسب إلى مولينا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

و في الجهل قبل الموت موت لأهله وأبدانهم قبل القبور قبور

و إن أمراً لم يحيى بالعلم ميت وليس له حتى الشور نشور

و من بعضهم:

الناس موتى و أهل العلم أحياء و الناس مرضى و هم فيهم أطباء

و الناس أرض و أهل العلم فوقهم سماء نور و ما في النور ظلماء

و زمرة العلم روح الخلق كلهم و ساير الناس في التمثيل أعضاء

و عن بعض اليونانيين: كما أن البدن الخالي عن النفس يفوح منه نتن الجيف فكك النفس الخالية عن العلم والأدب، فالحياء الحقيقة

الدائمة للنفس الإنسانية إنما هي بالعلم و المعرفة و اليه إشارات كثيرة في الكتاب العزيز.

كقوله تعالى: لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ «١»، و قوله تعالى: أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ «٢» أى ظلمات الجهالة و الضلالة، و قوله تعالى: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ «٣» و قوله تعالى:

(١) يس: ٧٠.

(٢) الانعام: ١٢٢.

(٣) الأعراف: ١٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٩٤

وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ «١» يعنى قبور الأجسام الناسوتية.

و

عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام: إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة «٢» «٣».

و

كان عليه السلام يقول رَوَّحُوا أَنْفُسَكُمْ بِبَدِيعِ الْحِكْمَةِ فَإِنَّهَا تَكَلُّ كَمَا تَكَلُّ الْأَبْدَانُ «٤».

و

في النبوى: الناس كلهم موتى إلّا العالمون.

و عن بعض الحكماء: إن القلب ميّت و حياته بالعلم، و العلم ميّت و حياته بالطلب، و الطلب ضعيف و قوّته بالمدارسة، فهو محتجب و

إظهاره بالمناظرة، و هو عقيم نتاجه العمل، فإذا زوّج العلم بالعلم توالد و تناسل ملكا أبديا لا آخر له.

و قال سقراط: من فضيلة العلم أنك لا تقدر أن يخدمك فيه أحد كما يخدمك فى سائر الأشياء بل تخدمه بنفسك، و لا يقدر أحد

على سلبه عنك.

و من جوامع الكلم قولهم: العلم أحسن حلية، و العلم أفضل قينة، العلم أفضل خلف، و العمل به أكمل شرف، لا سميير كالعلم، و لا

ظهير كالحلم، خير إلّا المواهب العقل، و شرّ المصائب الجهل، من صاحب العلماء وقر، و من صاحب السفهاء حقر، من قلّ عقله كثر

هزله، من لم يتعلّم فى صغره لم يتقدّم فى كبره.

العلم كنز لا يفنى، و العقل ثوب لا يبلى، لا يستخف بالعلم إلّا و كيع جاهل أو

(١) فاطر: ٢٢.

(٢) نهج البلاغة ج ٢- ص ١٨١.

(٣) طرائف الحكمة: لطائفها و غرائبها المعجبة للنفس اللذيذة لها- مجمع البحرين ط النجف ج ٥ ص ٨٩.

(٤) فى مجمع البحرين ج ٤ ص ٢٩٨: بديع الحكمة: غرائبها، و منه

الحديث رَوَّحُوا أَنْفُسَكُمْ بِبَدِيعِ الْحِكْمَةِ. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٩٥

وضيع حامل، كم من عزيز أدلّمه جهل، و كم من ذليل أعزّه عقله، الرأى بغير علم ضلال، و العلم بغير علم و بال، العلم جمال و

استعماله كمال.

و عن بعضهم إذا تجرّد العلم عن العلم يكون عقيما، و إذا خلى العمل عن العلم كان سقيما.

العقل و الشرع و إن تطابقا على شرف العلم و فضله إلما أنه لا- ريب في اختلاف أنواع العلم من حيث الشرف و الرتبة، إما باعتبار الموضوع أو الغاية أو غيرها، بل ربما يكون بعض العلوم مما لا يضّر جهله، و لا ينفع علمه و بعضها مما يضّر و لا ينفع كالسحر المشار إليه بقوله تعالى: وَ يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ «١»، و من هنا يظهر أنّ الوجه انقسام العلوم بانقسام الأحكام الخمسة، و قد أشير في خبر إبراهيم بن عبد الحميد المروى في الكافي و غيره عن مولينا الكاظم عليه السلام إلى الأقسام منها:

قال عليه السلام: دخل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم المسجد و إذا جماعة قد أطافوا برجل فقال (صلى الله عليه و آله): ما هذا؟ فقيل: العلامة، فقال (صلى الله عليه و آله و سلم): و ما العلامة فقالوا له: اعلم الناس بأنساب العرب و وقائعها، و أيام الجاهلية و الأشعار و العريية: قال: فقال النبي (صلى الله عليه و آله و سلم): ذلك علم لا يضّر من جهله و لا ينفع من علمه، ثم قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنّة قائمة، و ما خلاهن فهو فضل «٢».

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) الأصول من الكافي ط الجديد ص ٣٢ كتاب فضل العلم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٩٦

و المراد بالآية المحكمة غير المتشابهات بأن تكون واضحة الدلالة و غير المنسوخة كى يجوز العمل بها، و أما المتشابه و المنسوخ فلا ينتفع بهما، و الفريضة العادلة كلّ ما علم وجوبها في الشريعة، أو خصوص ما علم من الكتاب كما هو أحد إطلاقات الفرض، أو خصوص ما علم من غيره لمقابلته في المقام للآية المحكمة و التعميم أقرب، و أبعد من الكلّ إرادة الفرائض المستعملة في باب الميراث بأن يراد العدل في القسمة أى معدّله على السهام المذكورة في الكتاب و السنّة من غير جور، أو خصوص ما اتفق عليه المسلمون من الأحكام «١» إذ لا وجه للحمل عليهما.

و أما السنّة فالمراد إما خصوص المستحبات، أو مع المكروهات بناء على استحباب ترك المكروه، أو ما علم بالسنّة و إن كان واجبا، و قيامها بقائنها من غير نسخ.

و قد يقال في بيان هذه الأقسام: إنّ العلوم الاخروية قسمان: علوم معاملة و علوم مكاشفة، و الثاني لا يوجد في كل وقت إلّا في أقلّ قليل من الناس و هو أعزّ من الكبريت الأحمر و المذكور منه في القرآن إنّما هو على سبيل الرمز و الإيماء بحيث لا يعلمه إلّا الله و الراسخون في العلم. و أما علوم المعاملة فهذه الأقسام الثلاثة المذكورة في الخبر كلّها منها، و ذلك لأنّ العلوم الدينيّة النافعة في الآخرة إمّا متعلّقة بالأصول الاعتقادية أو بالفروع العلميّة، و الثانية إمّا متعلّقة بالأفعال و أعمال الجوارح من الحلال و الحرام و إمّا متعلّقة بالأحوال و أعمال القلب من محاسن الأخلاق و أضرارها فهذه أقسام ثلاثة.

(١) كما قال ابن الأثير في النهاية ج ٣ ص ٤٣٣: الفريضة العادلة: العدل في القسمة بحيث تكون على السهام المذكورة في الكتاب و السنّة- و قيل: ما اتفق عليه المسلمون.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٩٧

فالآية المحكمة إشارة إلى أصول العقائد و أركانها المستفادة من الآيات المحكمات القرآنيّة. و الفريضة العادلة إشارة إلى العلم بالفرائض و الواجبات و المحرمات التي يجب على المكلفين الإتيان بها أو الكفّ عنها.

و السنّة القائمة إشارة إلى العلم بالسنن و النوافل فإنها من الأعمال التي تؤثر في جلب الأحوال للقلوب و كسب الأخلاق الحسنة و إزالة الملكات الرديّة و كلّها ثابتة من طريق الكتاب و السنّة.

قلت: و يحتمل أيضا أن يكون المراد بالآية المحكمة العلم بالكتاب العزيز و وجوه آياته و تفسيرها و تنزيلها و تأويلها و ظاهرها و

باطنها إلى سبعين بطنا و أزيد، فإنَّ الكلمة من آل محمّد (عليهم السلام) لتصرف على سبعين وجها من كلّها المخرج فما ظنّك بالقرآن الذي لا يعلمه إلّا من خوطب به و المعصومين من ذريته و هم الرّاسخون في العلم المّدين قرّنه الله تعالى بنفسه في محكم كتابه.

قال (عليه السلام): ما من شيء إلّا و فيه كتاب و سنّة.

و

قال (عليه السلام): ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا و له أصل في كتاب الله تعالى و لكن لا تبلغه عقول الرّجال «١».

و بالفريضة العادلة ما يجب على المكلفين علمه و لا يعذر أحد بجهله من الواجبات و المحرّمات المتعلّقة بالعبادات و غيرها، و المراد بعدلها توسطها بين طرفي الإفراط و التفريط.

و بالسنة القائمة الطريقة المستفادة من الشريعة الحقّة في السنن و الآداب و العقود و الإيقاعات و الأحكام و الأخلاق و غيرها.

(١) المحاسن ص ٢٦٧- بحال الأنوار ج ٩٢ ص ١٠٠ نقلا عن المحاسن.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٩٨

و على كلّ حال فلا ريب أنّ الأصل في العلوم الشرعية من الأصولية الاعتقادية و الفروعية العملية هو كتاب الله المشتمل على جميع المعارف و الحقائق و الأصول و الفروع، و لذا

قال مولانا رسول الله (صلّى الله عليه و آله) على ما رواه الإمام (عليه السلام) في تفسير: عليكم بالقرآن فإنّه الشفاء النافع، و الدّواء المبارك.

عصمه لمن تمسّك به. و نجاه لمن تبعه لا يعوجّ فيقوم، و لا يزيغ فيستعجب. و لا تنقضى عجائبه، و لا يخلق على كثرة الردّ إلى أن قال (صلّى الله عليه و آله) ما أنعم الله (عزّ و جلّ) على عبد بعد الإيمان بالله أفضل من العلم بكتاب الله و المعرفة بتأويله و من جعل الله له في ذلك حظّا ثمّ ظنّ أنّ أحدا لم يفعل به ما فعل به قد فضلّ عليه فقد حقّر نعم الله تعالى عليه «١».

و

قال رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلم) في قوله تعالى: يا أيّها النّاس قد جاءكم موعظة من ربّكم و شفاء لما في الصّدر و هدى و رحمة للمؤمنين قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير ممّا يجمعون «٢»: فضل الله القرآن و العلم بتأويله، و رحمته توفيقه لمولاه محمد و آله الطاهرين و معاداة أعدائهم.

ثم قال صلّى الله عليه و آله و سلم: و كيف لا يكون ذلك خيرا مما يجمعون و هو ثمن الجنّة و نعيمها، فأنه يكتسب بها رضوان الله الذي هو أفضل من الجنّة و يستحقّ بها الكون بحضرة محمّد و آله الطيبين الذي هو أفضل من الجنّة، ان محمد لله و آله الطيبين أشرف زينة في الجنان.

ثم قال (صلّى الله عليه و آله و سلم): يرفع الله بهذا القرآن و العلم بتأويله و بمولاتنا أهل البيت و التبرى من أعدائنا أقواما فيجعلهم في الخير قادة أئمة في الخير

(١) تفسير الامام ص ٤ و ٥.

(٢) يونس: ٥٧-٥٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ١٩٩

تقتص آثارهم و ترمق أعمالهم، و يقتدى بأفعالهم و ترغب الملائكة في خلّتهم و بأجنتها تمسحهم، و في صلواتها تبارك عليهم و يستغفر لهم كل رطب و يابس حتى حيتان البحر و هوامه، و سباع البر و أنعامه، و السماء و نجومها «١».



و

في «نهج البلاغة» أنّ مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) قال في خطبة له: و تعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، و تفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، و استضيئوا و استشفوا (خ ل) بنوره فإنه شفاء الصدور، و أحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل الحجة عليه أعظم و الحسرة له ألزم و هو عند الله أوم «٢».

و

فيه عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له قال عليه السلام: إنّ علم القرآن ليس يعلم ما هو إلّا من ذاق طعمه فعلم بالعلم به جهله و بصير به عماه و سمع به صممه و أدرك به ما قد فات، و حيى به بعد أن مات، فاطلبوا ذلك من عند أهله و خاصيته، فإنّهم خاصية نور يستضاء به و أئمة يقتدى بهم، هم عيش العلم و موت الجهل، و هم الذين يخبركم حلمهم عن علمهم و صمتهم عن منطقتهم و ظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الحقّ و لا يختلفون فيه «٣».

(١) تفسير الامام ص ٤ و ٥- بحار الأنوار ج ٩٢ كتاب القرآن ص ١٨٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة- ١٠٨.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة- ١٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٠٠

## الفصل الرابع

تفسير الصراط المستقيم ج ١ ٢٥٣

في علم التفسير علم التفسير هو علم يبحث فيه عن مراد الله تعالى من قرآنه المجيد، و هذا التعريف هو المحكّي عن مولينا قطب الدين الرازي البويهي تلميذ العلامة أعلى الله مقامه في شرحه للكشاف.

و أورد عليه بأنّ البحث فيه ربما يكون عن أحوال الألفاظ كمباحث القراءة و ناسخية الألفاظ و منسوخيتها و أسباب نزولها و ترتيب نزولها إلى غير ذلك فلا يجمعها حدّه.

و أيضا يدخل فيه البحث في الفقه عما يثبت بالكتاب فإنه البحث عن مراد الله تعالى من قرآنه، فالحدّ غير جامع و لا مانع.

قيل: و لذا عدل الشارح التفتازاني عنه إلى قوله: هو العلم الباحث عن أحوال ألفاظ كلام الله تعالى من حيث الدلالة على مراد الله تعالى.

أقول: أمّا النقض في مراده بمباحث القراءة و غيرها مما ذكره فهو غير وارد عليه، و ذلك لأنّ تلك المباحث و ما ضاهاها إن كانت له مدخلية في اختلاف المعنى المراد من اللفظ فلا ريب في دخوله من تلك الجهة في علم التفسير و الحدّ أيضا يشمله و إن لم يكن لها مدخلية أصلا في اختلاف المعاني فدخولها في علم التفسير ممنوع جدا، و لذا أفردوا علم القراءة و غيرها بالتصنيف و إنّما أشاروا إليها في كتب التفسير على وجه الإجمال و الاختصار مع الحوالة إلى تلك الكتب و ربما لم يشيروا إليها أصلا.

و بعضهم تصدّى لذكر المشاهير منها دون الشواذ النواذر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٠١

و منهم من أشار إلى ما يختلف به المعنى الظاهر في أنظارهم دون غيره و نحن لّمّا رأينا اختلاف المعاني غالبا باختلافها و لو باعتبار التأويل و البطون و دلالة الإشارة و الفحوى و غيرها فلذلك التزمنا بنقل ما ظفرنا منها في هذا التفسير مع الإشارة إلى ما ذكره من الوجوه المرجحة لكل منها على غيره بالنسبة إلى القراءات.

و البحث عن الناسخ و المنسوخ و أسباب النزول و ترتيبه و غيرها مع أنّ ما لا مدخلية له منها في اختلاف المعاني مذکور في التفاسير على وجه- الاستطراد، و كذا ما يذكر فيها من البحث عن كون السورة أو الآية مكية أو مدنية و عن عدد السور و الآيات و الكلمات و الحروف و خواص السور و الآيات على الوجه المذكور في الأخبار و غيرها فإنّ ذلك كلّ مذکور على وجه الاستطراد. و توهم كون الجميع من التفسير ضعيف جدا بعد ظهور كون الظاهر من اللفظ حسبما يستفاد من الأخبار و يساعده العرف و اللغة هو الكشف عن المعنى المراد من اللفظ على ما سنشير إليه إن شاء الله في الباب السادس.

و أمّا ما أورده على عكسه من النقص بالأحكام الشرعية الفرعية المستفاد من الكتاب مع كونها معدودة من الفقه فهو ضعيف جدا كيف و من البين أنّ الاعتبارين مغايران، فإنّ الحكم المستفاد من جهة البحث من كونه مراد الله تعالى، من قرآنه معدود من التفسير، و من جهة كونه حكما شرعيا مستنبطا من الدليل التفصيلي معدود من الفقه.

و من هنا يظهر أنّ البحث عن آيات الأحكام و مداليلها معدود من التفسير و إن أفرده جم غفير منّا و ممن خالفنا بالتصنيف. و أما ما آثره التفتازاني فهو غير سالم عما أورد على الأول على فرض الورود و ذلك لأنّ البحث عن القراءات و أخواتها ربما لا يكون بحيث يؤثر في المعنى المراد

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٠٢

بالدلالة و البيان سيما ما كان مثل التفيخيم و الإمالة و الجهر و الشدة و غيرهما من الصفات، و كذا الإدغام و الإخفاء، و نحوها مع اللهم إلا أن يلتزم بخروجها عن التفسير رأسا كما أشرنا إليه، و منه يظهر ضعف ما قيل: من أنّ علم القرائة جزء من التفسير أفرز عنه لمزيد الاهتمام إفرز الكحالة من الطبّ و الفرائض من الفقه.

ثم إنه يمكن الإيراد على تعريف التفتازاني بوجوه:

منها أنّه ينتقض في طرده بالعلوم الأدبية و اللغة و وجوه الإعراب و- مسائل الاشتقاق و علم المعاني و البيان و غيرهما ممّا له مدخلية تامة في اختلاف المعاني و وجوه الدلالة إذ يصدق على كل منها أنّه علم يبحث فيه إلخ.

و يمكن الجواب بأنّ ظاهر التعريف كون موضوع العلم ألفاظ كلام الله تعالى من الحثية المذكورة، من البين أنّ الموضوع لتلك العلوم مغاير لذلك و لو باعتبار العموم و الخصوص، ألا- ترى أنّ موضوع علم النحو هو الكلمة و الكلام مطلقا لا- خصوص ألفاظ القرآن، نعم يبقى الإشكال حينئذ بالنسبة إلى الكتب المصنفة في البحث من جهات العلوم المتقدمة عن خصوص القرآن أو عنه و عن الحديث كالكتب المصنفة في غريب القرآن و الغريبين كمجمع البحرين و كذا ما صنّفوه في بيان وجوه إعراب القرآن و نكاته البيانية و البديعية، اللهم إلا أن يقال بالتزام دخول كل ذلك في التفسير و لا بأس به غير أنّه مخالف لظاهر الأكثر.

و منها أنّه إن أريد بمراد الله سبحانه مراده في نفس الأمر فلا يفيد بحث التفسير لأنّ طريقه غالبا إمّا نقل الآحاد، أو الاعتماد على أقوال المفسرين و الأدباء و اللغويين، و شيء منها لا يفيد القطع بمراده سبحانه سيما بعد ملاحظة كثرة الاختلافات و تعارض الاحتمالات، على ان ما يستفاد علما أو ظنا على فرض المصادقة و الموافقة انما هو لبعض المراد من اللفظ لإتمامه، و ان أريد به مراده في زعم

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٠٣

المفسر فيه أنّه يكون علم التفسير بالنسبة إلى كلّ مفسر بل بالنسبة إلى كل أحد شيئا آخر على أنّ المنساق من الألفاظ بحسب الوضع و الاستعمال هو المعاني النفس الأمرية حسبما قرّر في الأصول، فلو أريد في الحدّ الدلالة على ما يظنّ أنّه المراد لوجب التقييد به صونا للتعريف عن الإجمال فضلا عن إرادة خلاف الظاهر.

و الجواب أنّ المراد هو مراده الواقعي لكن البحث عنه لا- يستلزم المصادفة و الإصابة فإنّ هذا العلم إنّما سمى بالتفسير باعتبار الاستكشاف عن مراده، فإذا أطلق على شيء فإنما هو باعتبار كونه كشافا عن مراد الله سبحانه من كتابه، فإذا فرض أنّه مخالف لما هو المراد من الآية تبين منه أنّه ليس بتفسير لها، و باب العلم بالمراد و إن كان مسدودا بالنظر الى معاني كثير من الآيات إلا أنّ العلم

بالطريق حاصل لثبوت حجية الأخبار المعصومية و حجية الظن من الطريق المعبر في باب اللغات.

و أمّا كون المستفاد بعض المراد فغير قادح بعد ظهور إرادة عدم-الإستيعاب، وربما يجب عن أصل الإيراد بأنّ التعدد ليس في حقيقة النوعية بل في جزئياتها المختلفة باختلاف القوابل، و بأنه قد ذكر القونوى و غيره أنّ جميع المعانى مراد الله تعالى لكن بحسب المراتب و القوابل لا في حق كل واحد.

أقول: أمّا الثانى ففساد قطعاً ضرورة أنّ إرادة الله سبحانه من كلامه المنزل على نبيه المرسل ليست تابعة لأهواء الجهال و آراء الرجال التابعين لطرق أهل الضلال، و لذا ورد في أخبار متواترة أنّ علم الكتاب مخزون عند النبي و آله المعصومين صلى الله عليهم أجمعين، و إنّ يجب على الناس الرجوع إليهم في معرفته

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٠٤

و أنّه لا يجوز التفسير بالرأى «١»

بل قد

روت العامة عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: من فسّر القرآن برايه و أصاب الحق فقد أخطأ «٢».

و

عن «فردوس الأحاديث» عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) من فسّر القرآن برايه و أصاب كتب عليه خطيئة لو قسمت بين الخلائق لوسعتهم.

و

من طرق الفريقين عنه صلى الله عليه و آله و سلم: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار «٣»

، و لعلّ الظاهر أنّ مراد القونوى كون المعانى الصحيحة في مراتب الظهور و البطون كلّها مرادة لله سبحانه و هو كلام صحيح لكنّه لا يجدى في دفع الإيراد كما لا يخفى، و مما ذكرنا يظهر الحال بالنسبة إلى الجواب الأول أيضاً.

و منها أنّ عبارة العلم الباحث ينصرف في المتعارف إلى الأصول و القواعد الكلية أو ملكتها، و من البين أنّه ليس لعلم التفسير قواعد يتفرّع عليها الجزئيات إلّا في مواضع نادرة فلا يتناول غير تلك المواضع إلّا بالعناية، و لذا قيل: إنّ الأولى أن يقال: علم التفسير معرفة أحوال كلام الله من حيث إنّ مراد الله تعالى بقدر الطاقة الإنسانية.

و الجواب المنع من الانصراف المذكور بعد ظهور عموم الموصول، بل المفرد المحلّى باللام أيضاً و لو على وجه الحكمة مع تعليق البحث بالأمر الشخصية

(١)

عن الصادق عليه السلام قال: من فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يوجر، و إن اخطأ كان أئمة عليه، تفسير العياشى ج ١ ص ١٧- بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١١٠.

و

عنه عليه السلام: من فسّر آية من كتاب الله فقد كفر- المصدران المتقدمان .

(٢) رواه أبو داود و الترمذى و النسائى فى صحاحهم.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١١ عن منية المريد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٠٥

من جهة خاصة.

و دعوى ان الكلية هي المنساقه من لفظ العلم بخلاف المعرفه ممنوعه جدا مع ان قضيه ذلك المنع من إطلاق علم اللغة و علم التاريخ و علم الرجال و نحوها و هو كما ترى مضافا إلى أنه يمكن المناقشه في المقدمه الثانيه أيضا.  
و أما ما ذكره من التعريف ففيه ان من الظاهر أن الضمير في قوله: من حيث إنه مراد الله للكلام.

ثم المراد به إن كان هو اللفظ فلا وجه لتقييده بحيثيه إلا اخرج الألفاظ المشتركة بين القرآن و غيره فيرجع الحاصل إلى معرفه ألفاظ القرآن من حيث إنها ألفاظ القرآن و إن كان هو المعنى ففيه مع استلزامه التجوز في الحدود أو القول بالكلام النفسى أنه ليس للمعاني أحوال تعرف ثم إن ما يتحصّل من ذلك، ليس هو المراد بعلم التفسير كما لا يخفى، اللهم إلا أن يقال: إن المراد بكلام الله لفظا هو اللفظ، و مرجعا للضمير هو المعنى على وجه الاستخدام. و أنت ترى أن ارتكابه في التعاريف ليس على ما ينبغي.

ثم لا يخفى أن المقصود من التعاريف و الحدود المذكورة في العلوم إنما هو مجرد التعبير و الإشارة إلى نوع المعنى أو ما يقرب عن حقيقته بذكر بعض الآثار و اللوازم بل سبيلهم في ذلك سبيل أرباب اللغة في الكشف من معاني الألفاظ بالتعاريف اللفظية إرشادا إلى تصوير نوع المعنى كقولهم: سعدانه نبت، و على هذا فلا يقدح فيها بعض المساحات الموجبه لعدم سلامه طرده أو عكسه عن بعض المناقشات، بعد إحراز الفرض الذي هو الإشارة إلى سنخ المعنى ليتصور الطالب فيكون على بصيره في طلبه، و من هنا يظهر التعويل على كل من التعاريف المتقدمه، و إن كان الأولى ما ذكره أولا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٠٦

و اعلم أن ما ذكرناه هو حد هذا العلم من حيث العلميه، و أما من حيث الإضافة فالعلم قد مرّ بعض الكلام فيه، و ستمتع البحث عن معنى التفسير في الباب السادس إن شاء الله.

ثم أنه قد ظهر من جميع ما مرّ أن موضوع هذا العلم الكتاب الذي هو منبع كل حكمه و معدن كل فضيله ما كان حديثا يُفترى و لكن تَصِدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ «١» و غايته التوصل إلى فهم معاني كتاب الله تعالى بنيل الحقائق العلميه و المقاصد العمليه للفوز بسعادة الدارين و كمال النشأتين، و قد تقرّر في محله أن شرف العلم و جلالته إنما هو باعتبار شرف موضوعه و غايته و المقاصد، و من اليبين أن الموضوع و الغايه في هذا العلم أشرف منهما في غيره فيكون أشرف العلوم و أعظمها على الإطلاق. أما شرف موضوعه فلا أنه هو الثقل الأكبر الذي قرنه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بعترته المعصومين (صلى الله عليهم أجمعين) و

قال: (إنهما لن يفترقا أبدا حتى يردا على الحوض «٢»)

بل قد سمّاه بالثقل الأكبر و الأعظم و العتره بالثقل الأصغر، و

قال (صلى الله عليه و آله و سلم): إنه هو النور المبين و الحبل المتين، و العروة الوثقى، و الدرجة العليا. و الشفاء الأشفى، و الفضيله الكبرى، و السعادة العظمى «٣».

و أما شرف غايته فواضح بعد ما

ورد: أنه هدى من الضلاله، و تبيان من

(١) سورة يوسف: ١١١.

(٢) رواه غير واحد من الفريقين كابن سعد في الطبقات ج ٢ ص ١٩٤ و الطبراني في المعجم الصغير ص ٧٣ و السيوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ٦٠ و العسقلاني في المواهب اللدنيه ج ٧ ص ٧ و المتقى الهندي في كنز العمال ج ١ ص ٣٤٢ و غيرهم كما فصل في احقاق الحق ج ٩ من صفحه ٣٠٩ الى ص ٣٧٥.

(٣) تفسير الإمام ص ٢٠٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٠٧

العمى، واستقالة من العثرة، و نور من الظلمة و عصمه من الهلكة «١».

إلى غير ذلك مما يأتي إليه الإشارة في أخبار متواترة بل يستفاد منها فضله على جميع العلوم.

و أما علم أصول الدين المشتمل على معرفة الله سبحانه و صفاته الجمالية و غيرها من العقائد الحقّة فهو و إن كان مفضّلاً على غيره من العلوم إلّا أنّه غير خارج من علم التفسير، فإنّ إثبات التوحيد و أدلتها و سائر المعارف الحقّة كلّها مستفادّة من كتاب الله سبحانه بل

ليس من علم حقّ إلّا و في كتاب الله تعالى أصله و معدنه كما

في الخبر بل فيه تبيان كل شيء «٢»، و تفصيل كل شيء «٣»، و ما فرط الله فيه من شيء «٤»

كما في الآيات فهو محتو على علم الحقائق الكلية و العقائد الأصلية و الأحكام الفرعية و العملية و غيرها من العلوم الحقّة المتعلقة بالدين و الدنيا و ان كان الناس في جهالة و ضلالة عن العلم بها و معرفة طرق استنباطها منه: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ «٥».

و من هنا يظهر أنّ مبادئه علوم كثيرة بل أكثر العلوم من جملة مبادئه، و قد أنهاها بعضهم الى ثلثين علماً مع تقصير واضح في ترك بعض العلوم أيضاً، بل التأمل الصحيح قاض بأن استنباط بعض المعاني و البطون القرآنية موقوف على علوم غيبية و أسرار إلهية و معرفة أنواع من الدلالات و الإشارات المحجوبة عن غير الأئمة المعصومين عليهم صلوات الله و بتلك الطرق يستنبطون منه جميع المعارف

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٥.

(٢) كما في المصحف الشريف: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ النحل: ٨٩.

(٣) كما في القرآن: وَ تَفْصِيلٌ كُلِّ شَيْءٍ يوسف: ١١١.

(٤) كما في الكتاب العزيز: مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ: الانعام: ٣٨.

(٥) النساء: ٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٠٨

و الأحكام الشرعية و الحوادث الواقعة مما كان أو يكون إلى يوم القيامة، و إلّا فمن البين أنّ العلم بالأوضاع الظاهرة اللغوية و الدلالات

المستفادّة العرفية غير واف باستنباط عشر عشر من معشار تلك العلوم الجمة المحتوية على تمام عالم التكوين و التشريع، و لذا ورد في أخبار كثيرة أنّهم عليهم السلام، هم المخصوصون بعلم تفسير كتاب الله و أنّ علياً هو تفسير الكتاب، و أنّه هو الذي عنده علم الكتاب

كما يستفاد ذلك من الأخبار المتواترة المأثورة في تفسير آيات كثيرة كقوله: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ «١» و قوله تعالى: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ «٢» و قوله تعالى: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ «٣» و قوله تعالى: لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ «٤» و قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا «٥» و قوله تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ «٦» و قوله تعالى:

وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ «٧» و قوله تعالى: مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ «٨» و قوله تعالى: وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ «٩» إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة بل أخبار المتواترة التي تأتي إلى بعضها الإشارة، و لذا أطبقت أمية النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) من العامة و الخاصة على أنّه عليه

(١) الرعد: ٤٣.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) العنكبوت: ٤٩.

(٤) النساء: ٨٢.

(٥) فاطر: ٣٢.

(٦) البقرة: ١٢١.

(٧) الانعام: ٥٩.

(٨) الانعام: ٣٨.

(٩) يس: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٠٩

السلام، كان أعلم الناس، بكتاب الله بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «١»، ورجوع الصحابة إليه في معرفة تنزيل الآيات و تأويلها مشهور بين الفريقين «٢».

وقول ابن عباس الذي هو من أعظم مفسريهم بل سمّوه ترجمان القرآن «٣»:

إنّ علمي إلى علم علي عليه السلام كالقرارة في المتفجر «٤» مشهور، وفي كتب الفريقين مسطور وقد

روى أنّه عليه السلام تكلم معه في تفسير الباء من البسملة إلى مطلع الفجر ثم قال له يا ابن عباس لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من باء بسم الله الرحمن الرحيم «٥»

و عن تفسير النقاش عن ابن عباس: جلّ ما تعلمت من التفسير من علي بن أبي طالب عليه السلام.

و عن ابن مسعود: أنّ القرآن انزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلّا له ظهر و بطن، و إنّ علي بن أبي طالب علم الظاهر و الباطن «٦».

(١) قال سعيد بن المسيب: ما كان أحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعلم من علي بن أبي طالب، الكنى و الأسماء للدولابي (ج ١ ص ١٩٧).

(٢) قال ابن أبي الحديد: من العلوم علم التفسير و عن علي عليه السلام أخذ و منه فرّع لأنّ أكثره عنه و عن ابن عباس و قد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له و انقطاعه إليه، و انه تلميذه و خزّيجه، شرح النهج - ج ١ ص ٦.

(٣) كما عن ابن مسعود انه قال: نعم ترجمان القرآن ابن عباس، الاعلام زركلي ج ٤ ص ٢٢٩.

(٤) الصحيح: المثعنجر بضم الميم و سكون الشاء و فتح العين كما قال ابن الأثير في النهاية في كمله ثعجر: المثعنجر أكثر موضع في البحر ماء، و منه حديث ابن عباس «علمي بالقرآن في علم علي كالقرارة في المثعنجر» و الميم و النون زائدتان، و القرارة: الغدير الصغير، النهاية ج ١ ص ٢١٢.

(٥) رواه جماعة من العامة منهم الشعراني في لطائف المنن ج ١ ص ١٧١ قال (ع) لو شئت لأوقرت ثمانين بعيرا من معنى الباء.

(٦) رواه جماعة من العامة منهم الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء (ج ١ ص ٦٥) و منهم العلامة

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢١٠

و في «كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون»: أنّ الخلفاء الأربعة أكثر من روى عنه علي بن أبي طالب عليه السلام، و الرواية عن الثلاثة في ندره، ثم حكى عن ابن مسعود أنّ عليا عنده علم ظاهر القرآن و باطنه، و أنّ ابن مسعود ينتهي أكثر رواياته إليه.

و في كتب الرجال: أنّ ميثم التمار كان يقول لابن عباس: سلني ما شئت من القرآن فإني قرأت تنزله علي أمير المؤمنين عليه السلام و

عَلَّمَنِي تَأْوِيلَهُ «١».

و عن فضائل العكبري قال الشعبي: ما أحد أعلم بكتاب الله بعد نبي الله من علي بن أبي طالب عليه السلام «٢».

و

عن «تاريخ البلاذري» و «حلية الأولياء» قال علي عليه السلام: و الله ما نزلت آية إلا و قد علمت فيما نزلت و أين نزلت أ بليل نزلت أم بنهار، و نزلت في سهل أو جبل، إن ربي و هب لي قلبا عقولا و لسانا سؤالا «٣».

و

عن «قوت القلوب» قال علي عليه السلام: لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا في تفسير فاتحة الكتاب «٤».

و

في «كتاب سليم بن قيس» عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كنت إذا سئلت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أجنبي و أن فنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت عليه آية في ليل أو نهار و لا سماء و لا أرض و لا دنيا و لا آخرة و لا جنه و لا نار و لا سهل و لا جبل و لا نور و لا ظلمة إلا أقرأنيها و أملاها علي و كتبتها بيدي،

الخواجه بارسا في فصل الخطاب على ما في ينابيع المودة ص ٣٧٣.

(١) كشف الظنون ج ١ ص ٤٢٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٩٣.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٩٣.

(٤) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٩٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢١١

و عَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا و تفسيرها، و محكمها و متشابهها، و خاصيةها و عامها، و كيف نزلت، و أين نزلت، و فيمن أنزلت إلى يوم القيامة دعا الله لي أن يعطيني فهمها و حفظا فما نسيت آية من كتاب الله و لا علي من أنزلت «١».

إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التي تأتي إلى بعضها الإشارة في الأبواب الآتية.

ثم إن الأئمة المعصومين صلى الله عليهم قد أوثقوا منه علم الكتاب كما أنهم قد أوثقوا منه الكتاب الذي جمعه بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و أصحابهم (صلى الله عليه و آله و سلم) كانوا في كل عصر يقتبسون من مشكاة أنوارهم، و يلتمسون من جواهر أسرارهم مما يتعلق بالشرايع و الأحكام و الحلال و الحرام و مسائل الأصول و القصص و التفسير، و غيرها فكم صنفوا فآثروا و قصروا و طولوا في فنون العلوم الدينية و الأحكام الشرعية حتى أن المضبوط في كتب الرجال من كتبهم المصنفة في عصر الأئمة عليهم السلام، أزيد من ستة آلاف كتاب و كانوا يقتصرون في كل ذلك ما هو المستفاد من نصوص أهل الخصوص من دون استعمال شيء من الآراء و الأهواء.

فمن مصنفاتهم في علم التفسير تفسير أبان بن تغلب، و تفسير إبراهيم بن محمد الثقفي، و له أيضا كتاب ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام، و تفسير أحمد بن الحسن الأسفرايني الضرير المفسر، الموسوم «بالمصباح في ذكر ما نزل من القرآن في أهل البيت».

قال النجاشي: و هو كتاب كثير الفوائد، و تفسير أحمد بن صبيح، و تفسير

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٩٩ بتفاوت سير.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢١٢

أحمد بن محمد بن الحسن القمي، و تفسير ابن عقدة، قال النجاشي: و هو كتاب حسن.

و تفسير أحمد بن محمد بن عتياش المشتمل على الناسخ و المنسوخ، و تفسير أبي حمزة الثمالي و قد روى عنه الثعلبي و غيره و للشيخ طريق اليه.

و تفسير جابر بن يزيد الجعفي، و تفسير الحسن بن أحمد العلوي النقيب في خصائص أمير المؤمنين عليه السلام من القرآن، و تفسير الحسن بن محبوب، و تفسير الحسن بن فضال، و تفسير الحسين بن سعيد، و تفسير الحسين بن علي العربي، و تفسير الحصين بن مخارق، و كتاب ناسخ القرآن و منسوخه و محكمه و متشابهه لسعد بن عبد الله الأشعري، و تفسير سلمة بن الخطاب، و كتاب ما نزل في الخمسة لعبد العزيز بن يحيى الجلودى البصرى، و له تفسير آخر كبير، و له أيضا كتاب ما نزل من القرآن في علي عليه السلام، و كتاب الناسخ و المنسوخ لعبد الله بن عبد الرحمن المسمعي، و تفسير علي بن إبراهيم القمي، و قد حكينا عنه كثيرا في هذا التفسير، و له أيضا كتاب الناسخ و المنسوخ، و تفسير علي بن أبي حمزة البطائني و تفسير علي بن أبي سهل القزويني، و تفسير علي بن الحسن بن فضال، و تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي، و هو و إن لم يكن مذكورا في كتب الرجال إلا أنه مذكور في أسانيد الأخبار و لو أظفر على أحد قبل شيخنا المجلسي حكى عن تفسيره نعم قال في أول البحار: انه و ان لم يتعرض الأصحاب لمؤلفه بمدح و لا قدح لكن كون أخباره موافقة لما وصل إلينا من الأحاديث المعتبرة، و حسن الضبط في نقلها مما يعطى الوثوق بمؤلفه، و حسن الظن، قال و قد روى الصدوق عنه أخبارا بتوسط الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي، و روى عنه الحاكم أبو القاسم الحسكاني في «شواهد التنزيل» و غيره.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢١٣

أقول: و في «مجمع البحرين» في مادة فرت: فرات بن إبراهيم له تفسير عظيم الشأن، و هو من جملة الرواة الذين يروى عنهم علي بن إبراهيم.

أقول: و علي كل حال فهو ممدوح جدا و أخباره في غاية الاعتماد.

و تفسير علي بن مهزيار، و تفسير عيسى بن داود الكوفي، و تفسير الفضل بن شاذان، و تفسير محمد بن إبراهيم الجعفي الموسوم بتفسير معاني القرآن و تسمية أصناف كلامه، و تفسير محمد بن أحمد بن أبي الثلج الموسوم بكتاب التنزيل في أمير المؤمنين عليه السلام، و كتاب نوادر القرآن لمحمد بن أحمد أبي الحسن المحاربي، و كتاب تفسير الباطن لمحمد بن أرومة، و له تفسير آخر، و له أيضا كتاب ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام، و كتاب المجاز من القرآن لمحمد بن جعفر الهمداني، و كتاب إعراب القرآن لمحمد بن الحسن بن أبي سارة الرواسي أستاذ الكسائي، و تفسير محمد بن الحسن بن الوليد القمي، و تفسير محمد بن خالد البرقي، و له أيضا كتاب التنزيل و التأويل، و كتاب تأويل ما أنزل في النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) لمحمد بن عتياش، و له أيضا تفسير كبير، كتاب ما نزل في شيعتهم، و كتاب ما نزل في أعدائهم، و كتاب الناسخ و المنسوخ له أيضا، و تفسير الشلمغاني، و العبدكي الجرجاني، و تفسير محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، و تفسير محمد بن مسعود العياشي، و له تفسيران آخران، أحدهما التنزيل و الآخر باطن القرآن، و المشهور من الثلاثة هو الأول لكن الموجود منه نسخة محذوفة الأسانيد، قال شيخنا المجلسي: إن بعض الناسخين حذف أسانيده للاختصار و ذكر في أوله عذرا هو اشنع من جرمه.

تفسير معلى بن محمد البصرى، و تفسير منخل بن جميل، و كتاب جوامع التفسير لموسى بن إسماعيل، و تفسير وهب بن حفص أبي علي الجريري، و كتاب

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢١٤

ما نزل من القرآن في علي عليه السلام، لهارون بن عمر المجاشعي، و تفسير يونس بن عبد الرحمن، و كتاب ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام، و أهله لابي الفرج الأصفهاني، و تفسير أبي منصور الصرام النيسابوري قال الشيخ في الفهرست: إنه كبير



حسن و تفسير ابن عبدك، قال الشيخ في الفهرست: انه كبير حسن، و تفسير الأصول ابن وضاح إلى غير ذلك من التفاسير المصنفة في أعصار الأئمة عليهم السلام، بل سائر الأصول و مصنّفاتهم، التي هي أكثر من ذلك و أكثرها مشتمل على كثير من الأخبار المتضمنة للتنزيل و تأويل الآيات هذا مضافا إلى ما رووه عنهم عليهم السلام، من كتب التفسير ككتاب التفسير الذي رواه الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام، المشتمل على أنواع آيات القرآن و شرح ألفاظه برواية محمد بن إبراهيم النعماني و قد أورده شيخنا المجلسي بتمامه في كتاب القرآن، و التفسير المنسوب إلى الامام الهمام الحسن ابن علي العسكري عليه و علي آبائه و علي ولده الخلف الحجّة أفضل الصلاة و السلام، و الإسناد اليه مذكور في أوله و شهرته بين الإمامية و تلقّيهم له بالقبول و إيرادهم أخباره في كثير من الكتب و الأصول يكفيها مؤنة التأمل في أحوال رجاله فضلا عن الإصغاء إلى قدح من يقدح فيه من المحدثين سيما مع كون الأصل في ذلك هو ابن الغضائري الذي لا يكاد يسلم من طعنة جليل.

و لذا قال شيخنا المجلسي - رحمه الله - في أول البحار: أنّ تفسير الامام عليه السلام من الكتب المعروفة و اعتمد الصدوق عليه و أخذ منه و إن طعن فيه بعض المحدثين لكن الصدوق (رحمه الله) أعرف و أقرب عهدا ممن طعن فيه و قد روى عنه أكثر العلماء من غير غمز فيه انتهى كلامه - زيد مقامه -.

مع ان الأصل في قدحه انما هو رمى محمد بن القاسم المفسر بالضعف و الكذب

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢١٥

و انه يرويه عن رجلين مجهولين، و فيهما ما لا يخفى، أما محمد بن القاسم فقد أكثر الصدوق من النقل عنه في كثير من كتبه «كالفقيه» و كتاب «التوحيد» و عيون أخبار الرضا عليه السلام و غيرها، و في كل موضع يذكره يقول رحمه الله أو رضى الله عنه مع انه قد قال في أول «الفقيه» ما قال «١»، و أما الرجلان فالصدوق أعرف بحالهما مع أن شيخنا الطبرسي قال في أول «الاحتجاج» قال اي الصدوق - رحمه الله -: حدّثني ابو الحسن محمد بن القاسم الإسترابادي المفسّر قال: حدّثني أبو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، و أبو الحسن علي بن محمد السّيار، و كانا من الشيعة - الإمامية الحديث، و من هنا و غيره قد بالغ غير واحد من الإمامية في الذّب عنه و حكموا بالاعتماد عليه، و لذا أوردناه بتمامه في هذا التفسير مفرّقا على ما يناسبه من الآيات.

ثم إنّ طريقة المفسرين من أصحاب الأئمة عليهم السلام، كانت مستقره على الاقتصار على إيراد الاخبار بل و كذا غيرهم من مصنّفى الأصول و الأحكام، و اما الطبقة المتأخرة عنهم فإنهم و إن اقتفوا آثارهم في الاعتماد على الأخبار إلّا أنّه بسطوا الكلام مضافا الى ذلك في البحث و الاستدلال و وجوه الاستنباط و النظر في اللغات و إعراب الكلمات و اختلاف القراءات و ربما تصدّوا لحكاية أقوال المفسّرين من العامة لا لاعتماد عليها بل لترجيح بعض ما وافق الحقّ منها على غيره، أو للردّ عليها، أو للتنبيه على ضعفها و قصورها، أو لغير ذلك من الأغراض الصحيحة، و بالجملة فمن التفاسير المصنفة بعد الطبقة الاولى كتاب التفسير للصدوق الأوّل و كتاب التفسير للصدوق الثاني محمد بن علي بن بابويه القمي، قال النجاشي: له

(١) قال: إني لا أورد في هذا الكتاب إلّا ما أفتى به و أحكم بصحته، و هو حجّة بيني و بين ربي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢١٦

جامع كبير، و كتاب مختصر تفسير القرآن، و كتاب الناسخ و المنسوخ، و كتاب تفسير ثالث لم يتمّه. و مما صنّفه الشيخ السعيد المفيد كتاب الكلام في وجوه إعجاز القرآن، و كتاب البيان تأليف القرآن، و كتاب الكلام في حروف القرآن، و كتاب البيان من غلط قطرب في القرآن.

و من مصنّفات المرتضى رضى الله عنه كتاب الصرفة في إعجاز القرآن، و كتاب الغرر و الدرر المتضمن لتفسير كثير من الآيات، و قد حكينا عنه كثيرا في هذا التفسير.

و للسيد الرضى رضى الله عنه كتاب تفسير القرآن و كتاب «المتشابه فى القرآن» و كتاب «حقايق التنزيل» و كتاب «مجازات القرآن».  
و للشيخ أبى جعفر الطوسى طاب ثراه كتاب «التبيان فى تفسير القرآن».

و للشيخ أمين الدين أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى كتاب «مجمع البيان فى معانى القرآن» عشر مجلدات، و كتاب «الوسيط فى التفسير» أيضا أربع مجلدات، و هو المسمى بجوامع الجامع، و التفسير الوجيز مجلد، و له أيضا التفسير الكافى الشافى من كتاب الكشاف، و لعله هو الثالث المتقدم.

و للحسين بن على الخزاعى الرازى المفسر التفسير المسمى «بروض الجنان و روح الجنان» فى تفسير القرآن عشرون مجلدا قال ابن شهر آشوب: فارسى عجيب.

أقول: و قد رأيت قطعة وافرة من أواخر سورة البقرة و أواسط القرآن و ذكر بعض الاصحاب: أن له تفسيراً آخر بالعربية.

و للشيخ الجليل قطب الدين الراوندى كتاب خلاصة التفاسير عشر مجلدات.

و للعلامة الحلّى - أعلى مقامه - كتاب إيضاح مخالفة السنة لنص الكتاب

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢١٧

و السنة، قال فى «أمل الآمل»: رأينا منها نسخة قديمة من الخزينة الموقوفة الرضوية سلك فيها مسلكا عجيبا، قال: و الذى وصل إلينا هو المجلد الثانى و فيه سورة آل عمران لا- غير ذكر فيها مخالفتهم لكل آية من وجوه كثيرة بل لأكثر الكلمات، و له تفسير آخر سماه بنهج الإيمان فى تفسير القرآن، و له تفسير ثالث سماه بكتاب الأنس لأهل التميز فى تفسير الكتاب العزيز.

و للشيخ أحمد بن متوج البحرانى كتاب تفسير القرآن، و له رسالة فى الآيات الناسخة و المنسوخة.

و لشيخنا البهائى طاب ثراه التفسير الموسوم بالعروة الوثقى لم يتم و آخر موسوم بعين الحياة، و له حواش و تعليقات على الكشاف و تفسير البيضاوى.

و للسيد هاشم البحرانى كتاب البرهان فى تفسير القرآن ست مجلدات، قد جمع فيه جملة من الأخبار الواردة من الكتب القديمة، و له أيضا كتاب الهادى و ضياء النادى مجلدات.

و للشيخ عبد على الحويزى تفسير «نور الثقلين» و للمحدث الكاشانى «الصفى» و «الاصفى»، و لختنه «١» الصدر الأجل الشيرازى التفسير الموسوم «بمفتاح الغيب»، و له أيضا تفسير سورة الحديد و سورة التوحيد و الواقعة و الأعلى و آية الكرسي و غيرها من الآيات و السور.

و أما تفاسير العامة فهى بكثرتها مقصورة على النقل عن بعض الصحابة و التابعين أو الاعتماد على آرائهم و أهوائهم التى لا طريق لها إلى فهم حقايق معانى آيات الكتاب المبين لأنهم لم يأتوا البيوت من أبوابها و لم يتوصلوا إلى المقاصد

(١) الختن بفتح الخاء و التاء كل من كان من قبل المرأة من الأب و الأخ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢١٨

بأسبابها و هم يروون فى كتبهم على ما ستأتى الإشارة إليه

أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: أنا مدينة العلم و على بابها،

و أن علم القرآن مخزون عنده و عند ذريته الطاهرين - صلى الله عليهم أجمعين - و مع ذلك تريهم يتكلمون على أهوائهم بغير علم و من أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين و لذا لا ترى فى تفاسيرهم شيئا من النور و السرور، بل لو فتشتها لوجدتها إما من الأهواء المبتدعة أو مقصورة على مجرد القشور، و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

قال مصنف كتاب «كشف الظنون» و هو من أعظم متأخريهم بعد الإشارة إلى طريقته أسلافهم فى التفسير من الاعتماد على قول

الصحابة و التابعين ما لفظه:

ثم أُلّف في التفسير طائفة من المتأخرين فاقتصروا الأسانيد و نقلوا الأقوال بتراء فدخل من هنا الدخيل، و التبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من سَنَح له قول يورده و من خطر بباله شيء يعتمد عليه غير ملتفت إلى تحرير، ما ورد عن السلف الصالح و هم القدوة في هذا الباب، ثم صنّف بعد ذلك قوم برعوا في شيء من العلوم و ملئوا كتابهم بما غلب على طبعهم من الفنّ، و اقتصروا فيه على ما تمهّروا فيه كأنّ القرآن أنزل لأجل هذا العلم لا غير، مع أنّ فيه تبيان كل شيء، فالنحوى تراه ليس له همّ إلا الإعراب و تكثير الأوجه المحتملة فيه و إن كان بعيدة، و ينقل قواعد النحو و مسائله و فروعها، و خلافياته كالزجاج، و الواحدى فى «السيط»، و أبو حيان فى «البحر و النهر»، و الأخبارى ليس له شغل إلا القصص و استيفاؤها و الإخبار عن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة و منهم الثعلبى، و الفقيه يكاد يسرد فيه الفقه، جمعا و ربما استطرده الى اقامة أدلة الفروع الفقهية التى لا- تعلق لها بالآية أصلا و الجواب عن أدله المخالفين كالقرطبى، و صاحب العلوم العقلية

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢١٩

خصوصا الامام فخر الدين قد ملاً تفسيره بأقوال الحكماء و الفلاسفة، و خرج من شيء إلى شيء حتى يقضى الناظر العجب، لذا قال أبو حيان فى «البحر»: جمع الإمام الرازى فى تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة إليها فى علم التفسير، و المبتدع ليس له قصد إلا تحريف الآيات و تسويتها على مذهبه الفاسد بحيث إنّه كلما لاح له شاردة من بعيد اقتصها، أو وجد موضعا له فيه أدنى مجال سارع اليه كما نقل عن البلقينى (١) أنه قال: استخرجت من الكشاف اعتراضا بالمناقيش، و الملحد فلا تسئل عن كفره و إلحاده فى آيات الله لا- فترائه على الله ما لم يقله كقول بعضهم فى قوله: **إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ** (٢): ما على العباد أضّر من ربهم، و ينسب هذا القول إلى صاحب «قوت القلوب» أبى طالب المكى، و من ذلك القبيل الذين يتكلمون فى القرآن بلا- سند و لا- نقل عن السلف و لا رعاية الأصول الشرعية و القواعد العربية كتفسير محمود بن حمزة بن الكرمانى (٣) فى مجلدين سمّاه العجائب و الغرائب ضمّنه أقوالا هى عجائب عند العوام و غرائب عمّا عهد عن السلف أقوال منكرة لا يحل الاعتقاد عليها و لا ذكرها إلا للتحذير كقوله من قال فى ربّنا و لا تُحَمِّلْنَا ما لا طاقةَ لنا به (٤): **إِنَّهُ الْحَبُّ وَ الْعَشَقُ**، و من ذلك قولهم فى و من شر غاسق إذا وقب (٥): انه الذكر إذا قام،

(١) هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح القاهرى الشافعى سراج الدين البلقينى الحافظ الأديب المفسر المتكلم توفى بالقاهرة سنة (٨٠٥) هـ ص ٨٥ و من مصنفاته حاشية على الكشاف للزمخشرى فى ثلاث مجلدات- الضوء اللامع ج ١-.

(٢) الأعراف: ١٥٥.

(٣) هو محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى الشافعى المعروف بتاج القراء، كان مقرئا مفسرا، أديبا توفى سنة (٥٠٠) هـ من تصانيفه عجائب التأويل فى مجلدين.

(٤) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٥) الفلق: ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٢٠

و قولهم من ذا الذى يشفع عنده (١)، معناه من ذلّ أى من الذلّ و ذى إشارة إلى النفس و يشف جواب من، و ع من الوعى إلى آخر ما ذكره.

(١) البقرة: ٢٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٢١

## الباب الثاني

## إشارة

و فيه فصول

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٢٣

## الفصل الاول

في شرفه وفضله وتمثله يوم القيامة وشفاعته لأهله الشواهد العقلية والنقلية من الكتاب والسنة على ذلك كثيرة فإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وقد نزل به الروح الأمين على قلب خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله أجمعين)، وهو الحبل المتين، والكتاب المبين، والنسخة التدوينية المطابقة لعالم التكوين، ولذا قال سبحانه: وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ «١»، وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ «٢».

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما في تفسير الإمام عليه الصلاة والسلام: إن هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفي والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من استضاء به نور الله ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن آثره على ما سواه هداه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضلّه الله، ومن جعله شعاره وداره أسعده الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدى به ومعوله الذي ينتهي إليه أداه الله الى جنات النعيم،

(١) يس - ١٢.

(٢) الانعام - ٥٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٢٤

و العيش السليم «١».

و

في «الكافي»، «و تفسير العياشي» عن مولينا الصادق عليه السلام: قال:

قال- رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، و ضياء من الأجداث (الأحزان خ ل، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، و بيان من الفتن، و بلاغ من الدنيا إلى الآخرة وفيه كمال دينكم، و ما عدل أحد من القرآن إلّا إلى النار «٢».

أقول: الأجداث بالمعجمة جمع الجداث محرّكة بمعنى القبر والمراد من ظلمة القبور على تقدير المضاف، و يحتمل أن يكون بالحاء المهملة، فان أحداث الدهر نوائبه، وإن كان لا يخلو عن تكلف.

و

فيهما بالإسناد عن مولينا الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أيها الناس إنكم في دار هدنة، و أنتم على ظهر سفر، و السير بكم سريع، و قد رأيتم الليل و النهار، و الشمس و القمر يلبيان كل جديد، يقربان كل بعيد، و يأتيان بكل موعود، فأعدوا الجهاز لبعث المجاز، قال: فقام المقداد بن الأسود و قال: يا رسول الله ما دار الهدنة؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): دار بلاغ و انقطاع فاذا التبتت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع، و ما حل مصدق، و من جعله أمامه قاده إلى الجنة، و من جعله خلفه ساقه إلى النار، و هو الدليل يدل على خير سبيل، و هو كتاب فيه تفصيل و

بيان و تحصيل، و هو الفصل ليس بالهزل، و له ظهر و بطن فظاهره حكم و باطنه علم، ظاهره أنيق- و باطنه عميق، له تخوم و على تخومه تخوم لا تحصى

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٣٠٢.

(٢) تفسير العياشى ج ١ ص ٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٢٥

عجائبه، و لا تبلى غرائب، فيه مصابيح الهدى، و منار الحكمة، و دليل على المعرفة لمن عرف الصفة «١»، و زاد فى الكافى: فليجل جال بصره، و ليبلغ الصفة نظره ينج من عطب و يخلص من نشب، فإن التفكير حياة قلب البصير كما يمشى المستنير فى الظلمات بالنور فعليكم بحسن التخلص و قلة التربص «٢».

قلت: إنما عبر (صلى الله عليه و آله و سلم) عن الدنيا بدار الهدنة و هى المصالحة و الدعة و السكون إذ فيها اختلاط الحق و الباطل مع عدم الفصل و التميز التام و التباس كل منهما بالآخر فلا يقصد فيها الاقامة بل السير على وجه السلامة، و نيل الكرامة، و هى ما أشار اليه بقوله: إنه بلاغ إلى الآخرة و انقطاع عن الدنيا، و ما حل مصدق أى قوى شديد يصدق من أتبعه أو يصدق الله تعالى فيمن يشهد له و يشفعه فيمن يشفع فيه، أو أنه يسعى بصاحبه إلى الله، أو أنه خصم مجادل لأعدائه، مصدق موافق لأوليائه، و من جعله خلفه، يعنى بالمخالفة و الإهانة و التكذيب، و التخوم كالنجوم جمع تخم بفتح المثناة و سكون الخاء المعجمة كفلس و فلوس. و عن ابن الأعرابى و ابن السكيت أن الواحد تخوم كرسول و الجمع تخم كرسول، و على كل حال فهو حد الأرض و فى القاموس: إنه الفصل بين الأرضين من المعالم و الحدود.

و

قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): لمن عرف الصفة

: أى صفة التعرف و كيفية الاستنباط، كما قيل، أو أنه دليل على معرفة الذات لمن عرف الصفات فإنه لا يمكن معرفته سبحانه إلا بالصفات التى هى نفس فعله و هو مقام المشيئة و هو الأعراف الذين لا يعرفون الله إلا بسبيل و لا يتهم و محبتهم و ذلك لأن القرآن إنما نزل فيهم و فى

(١) تفسير العياشى ج ١ ص ٢.

(٢) الأصول من الكافى ج ٢ ص ٥٩٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٢٦

شيعتهم و فى أعدائهم كما تأتى الإشارة اليه.

و

روى العياشى بالإسناد عن الحارث الأعور قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين إننا إذا كنا عندك سمعنا الذى نسدد به ديننا و إذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة، و لا ندرى ما هى؟ قال أو قد فعلوها؟ قال: قلت نعم قال عليه السلام: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول: أتانى جبرئيل فقال: يا محمد ستكون فى أمتك فتنة قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خير و خير ما بعدكم و حكم ما بينكم، و هو الفصل ليس بالهزل، و من وليه من جبار و عمل بغيره قصمه الله، و من التمس الهدى فى غيره أضله الله، و هو حبل الله المتين، و هو الذكر الحكيم، و هو الصراط المستقيم، لا تزيغه الأهوية و لا تلبسه الألسنة، و لا يخلق على الرد، و لا ينقضى عجائبه، و لا يشبع منه العلماء، هو الذى لم تلبث الجن إذا سمعته أن قالوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ «١» من قال به صدق، و من عمل به أجر، و من اعتصم به فقد هدى صراط مستقيم، هو

الكتاب العزيز الذي، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٢).

و

في «الكافي» عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: يجيء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورة إلى ان قال عليه السلام: حتى ينتهي إلى رب العزة فيقول: يا ربّ فلان بن فلان أظمأت هواجره «٣» وأسهرت ليله في دار الدنيا، و فلان بن فلان لم أظمئ هواجره لم اسهر ليله فيقول- تبارك و تعالی- أدخلهم الجنة

(١) الجن: ١.

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ٣.

(٣) الهواجر جمع الهاجرة و هي شدة حر النهار. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٢٧

على قدر منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن اقرأ و ارق قال: فيقرأ و يرقى حتى يبلغ كل منهم منزلته التي هي له فينزلها «١».

و

فيه عن مولينا الصادق عليه السلام في حديث يدعى ابن آدم فيقدم القرآن أمامه في أحسن صورة فيقول: يا ربّ أنا القرآن و هذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي و يطيل ليله بترتيلي، و تفيض عيناه إذا تهجد فأرضه كما أرضاني قال: فيقول العزيز الجبار: عبدى أبسط يمينك فيملاها من رضوان الله و يملأ شماله من رحمته الله ثم يقال هذه الجنة مباحة لك فاقراء و اصعد فإذا قرء آية صعد درجة «٢».

أقول: رضوان الله تعالى إشارة إلى فضله و رحمته عدله، قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا «٣» أو أنّهما للإشارة إلى قسمي الرحمة، و هي الواسعة و المكتوبة.

ولذا

ورد في تفسير الآيه عن مولينا الباقر عليه السلام: إنّ فضل الله رسول الله، و رحمته على بن أبي طالب عليه السلام.

بل

عنه عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فضل الله نبوة نبيكم و رحمته ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام  
فبذلك

قال (صلى الله عليه و آله و سلم): بالنبوة و الولاية فليفرحوا

يعنى الشيعة هو خير مما يجمعون يعنى مخالفيهم من الأهل و المال و الولد، و اختصاص اليمين بالرضوان و الشمال بالرحمة لا يخفى وجهه بعد ما سمعت و لذلك قال: و رضوان من الله أكبر كما أنّ امتلاء الكفّين منهما إشارة إلى عموم فيضه و شمول فضله و أنه إنّما يختلف فيهما الناس باختلاف استعداداتهم

(١) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٠١.

(٢) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٠٢.

(٣) يونس: ٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٢٨

و قبولهم و اختيارهم، كما قال سبحانه: أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا «١» و أما

قوله عليه السلام: اقرأ و اصعد

فكان الأمر فيه تكويني و إن كان مستفادا من التشريع بل مقارنا له لتطابق العوالم فالتحقق بحقيقته كل آية من الآيات الفرقانية، أو القرآنية يوجب تجوهر تلك الحقيقة على قدر التحقق بها في المراتب الغير المتناهية إذ به تبلى السرائر و تكشف الضمائر و تجلو الغطاء من البصائر.

و

في «الكافي» بالإسناد عن سعد الخفاف عن مولينا أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: يا سعد تعلموا القرآن فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليه الخلق و الناس صفوف عشرون و مائة ألف صف ثمانون ألف صف أمه محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) و أربعون الف صف من ساير الأمم فيأتي على صف المسلمين في صورة رجل فيسلم فينظرون اليه ثم يقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم إن هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته و صفته غير أنه كان أشد اجتهادا منا في القرآن فمن هناك أعطى من البهاء و الجمال و النور ما لم نعته ثم يجاوز حتى يأتي على صف الشهداء فينظر إليه الشهداء ثم يقولون: لا إله إلا الله الرب الرحيم إن هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته و صفته غير أنه من شهداء البحر في صورة شهيد فينظر اليه شهداء البحر فيكثر تعجبهم و يقولون: إن هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته و صفته غير أن الجزيرة التي أصيب فيها كان أعظم هولاً من الجزيرة التي أصبنا فيها فمن هناك أعطى من البهاء و الجمال و النور ما لم نعته، ثم يجاوز حتى يأتي صف النبيين و المرسلين في صورة نبي مرسل فينظر النبيون و المرسلون إليه فيشتد لذلك تعجبهم

(١) الرعد: ١٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٢٩

و يقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم إن هذا النبي مرسل نعرفه بصفته و سمته غير أنه أعطى فضلا كثيرا قال: فيجتمعون فيأتون رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فيسألونه و يقولون: يا محمد من هذا فيقول (صلى الله عليه و آله و سلم): أو ما تعرفونه فيقولون: ما نعرفه هذا مما لم يغضب الله عليه، فيقول رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): هذا حجة الله على خلقه فيسلم ثم يجاوز حتى صف الملائكة في صورة ملك مقرب فينظر اليه الملائكة فيشتد تعجبهم و يكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله و يقولون: تعالي ربنا و تقدس إن هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته و صفته غير أنه كان أقرب الملائكة من الله - عز و جل - مقاما من هناك البس من النور و الجمال ما لم نلبس، ثم يجاوز حتى ينتهي إلى رب العزة تبارك و تعالي: فيختر تحت العرش فيناديه تبارك و تعالي يا حجتى فى الأرض و كلامى الصادق الناطق ارفع رأسك و سل تعط و اشفع تشفع فيرفع رأسه فيقول الله تبارك و تعالي: كيف رأيت عبادى، فيقول: يا رب منهم من صاننى و حافظ على و لم يضيع شيئا و منهم من ضيعنى و استخف بحقى و كذب بى و أنا حجتك على جميع خلقك، فيقول الله تبارك و تعالي: و عزتى و جلالى و ارتفاع مكانى لاثين عليك اليوم أحسن الثواب و لأعاقب عليك اليوم أليم العقاب قال فيرفع القرآن رأسه فى صورة اخرى.

قال: فقلت له: يا أبا جعفر فى أى صورة يرجع؟ قال عليه السلام: فى صورة رجل شاحب متغير ينكره أهل الجمع فيأتى الرجل من شيعتنا الذى كان يعرفه و يجادل به أهل الخلاف، فيقول: ما تعرفنى؟ فينظر اليه الرجل فيقول: ما أعرفك يا عبد الله قال: فيرجع فى صورته التى كانت فى الخلق الأول فيقول: ما تعرفنى؟ فقال:

نعم، فيقول القرآن: أنا الذى أسهرت ليلك، و أنصبت عيشك و سمعت الأذى و رجمت بالقول فى ألا و إن كل تاجر قد استوفى تجارتته، و أنا ورائك اليوم، قال:

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٣٠

فينطلق به إلى رب العزة - تبارك و تعالي - فيقول: يا رب عبدك و أنت أعلم به قد كان نصبا بى مواظبا على يعادى بسبى و يحب فى فيقول الله - عز و جل - أدخلوا عبدى جنتى و أكسوه حلّة من حلل الجنة و توجهه بتاج، فاذا فعل به ذلك عرض على القرآن فيقال له:

هل رضيت بما صنع بوليكن؟ فيقول: يا رب أستقل هذا له فزده مزيد الخير كله فيقول: وعزتي وجلالي وعلوي وارتفاع مكاني لأنحلن له اليوم خمسة أشياء مع المزيد له و لمن كان بمنزلته الا إنهم شباب لا يهرمون، و أصحاب لا يسقمون و أغنياء لا يفتقرون، و فرحون لا يحزنون، و احياء لا يموتون، ثم تلا هذه الآية لا يدوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى «١» قلت: جعلت فداك يا أبا جعفر و هل يتكلم القرآن؟ فتبسم ثم قال: رحم الله الضعفاء من شيعتنا إنهم أهل تسليم، ثم قال: نعم يا سعد و الصلاة تتكلم و لها صورة و خلق تأمر و تنهى، قال و تغير لذلك لوني و قلت: هذا شيء لا أستطيع أتكلم به في الناس، فقال أبو جعفر عليه السلام: و هل الناس إلا شيعتنا فمن لم يعرف بالصلاة فقد أنكر حقنا ثم قال عليه السلام: يا سعد أسمعك كلام القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلى صلى الله عليك فقال عليه السلام إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله أكبر فالنهي كلام، و الفحشاء و المنكر رجال و نحن ذكر الله و نحن أكبر «٢».

اعلم ان التعلم المأمور به في هذا الخبر و غيره من الأخبار يشمل تعلم ألفاظه و نقوشه و معانيه، و ظواهره و بطونه، و التحقق بحقيقته، و التخلق بأخلاقه، و امتثال أوامره و نواهيه، فان جميع ذلك داخل تحت صدق التعلم الذي له عرض عريض و ان كانت أفراده مختلفة بحسب المراتب و الدرجات التي يترتب عليها نيل

(١) الدخان: ٥٦.

(٢) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٥٩٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٣١

الكرامات و رفع الدرجات حسبما نشير اليه، و أما تمثله يوم القيامة و مجيئه في أحسن صورة نظر اليه الخلق فلتجوهر الحقائق و تجسم الأعمال و لذا يتجلى بأحسن صورة غير أن الخلايق لا- يقدرون على رؤيته على الصورة التي له في نفسه لقصور أنظارهم و كلال أبصارهم و إنما يراه كل أحد بأحسن ما هو عنده من نظره و اعتقاده على حسبما كانوا يتعلمونه و يتلونه في الدنيا، و لذا يترائي لكل من ماء الناس و الشهداء و الأنبياء و الملائكة على صورته أحسنهم و أشرفهم و أفضلهم فإنهم لما آنسوا به أظموا هواجرهم و أسهروا لياليهم بتلاوته بل تخلقوا بأخلاقه و تحققوا ببعض حقائقه عرفوه بنعته و صفته فهم لأنسهم بما يناسبه من المعارف و الحقائق يعرفونه و يأنسون به و يستبشرون برؤيته و إن كانوا لا يعرفونه حق معرفته لقصورهم عن إدراك درجته و مرتبته لأنهم لم يتلوه حق تلاوته و قد يقال: إنه لما كان المؤمن في نيته أن يعبد الله حق عبادته و يتلو كتابه حق تلاوته إلا أنه لا يتيسر له ذلك كما يريد.

و بالجملة لا يوافق عمله ما في نيته، كما

ورد في الحديث: نية المؤمن خير من عمله «١»

فالقرآن يتجلى لكل طائفة بصورة من جنسهم إلا انه أحسن في الجمال و البهاء و هي الصورة التي لو كانوا يأتون بما في نيتهم من العمل بالقرآن لكان لهم تلك الصورة، و إنما لا- يعرفونه بنعته و وصفه، لأنهم كانوا يتلونه، و إنما و صفوا الله بالحلم و الكرم و الرحمة حين رؤيتهم لما رأو في أنفسهم في جنبه من النقص و القصور الناشيين من تقصيرهم، و لذا يرجون من الله العفو و الكرم و الرحمة.

(١) مشهور بين الفريقين و قيل في معناه وجوه و احتمالات كما في أمالي السيد المرتضى و مشكلات العلوم للترقي و غيرهما.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٣٢

و أميا إنه سبحانه يثيب عليه. أحسن الثواب و يعاقب عليه أليم العقاب فلأنه مشتمل على جميع شرايع الإسلام و كليات الأحكام من الأصول و الفروع، و مسائل الحلال و الحرام فهو الميزان الذي يعرف به قدر طاعة المطيعين و معصية العاصيين، و ظهوره في صورة



رجل شاحب: اي متغير من شحب جسمه إذا تغير قيل: لعله للغضب على المخالفين أو للاهتمام بشفاعه المؤمنين، كما ورد أن السقط يقوم محبظا على باب الجنه

أو لإسماعه الوعد الشديد على من خالفه، و هو و ان كان لمستخفيه إلا أن لا يخلو من تأثير لمن يطلع عليه و هو بعيد، بل الأول أيضا، و لعل الأقرب رجوعه إلى صورته التي هو عليها في نفسه، و لذا ينكره أهل الجمع إذ لم يعرفه أحد حق معرفته، و لم يتله حق تلاوته فلا يعرفونه حتى يرجع الى صورته التي كانت في الخلق الاول، و أما ان الضعفاء من شيعتهم أهل تسليم فإنهم و إن لم يعرفوا الحقائق الغامضة الكلية على ما هي عليها بالكشف و الشهود و اليقين إلا أنهم لوصولهم إلى مقام اليقين يقبلون كلما سمعوا من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فيؤمنون بالغيب و لا يحصل لهم الشك و الريب، و ذكر شيخنا المجلسي «١».

(١) المولى محمد باقر بن محمد تقى المجلسى ولد فى اصفهان سنة ١٠٢٧ و توفى فيها سنة ١١١٠ كان شيخ الإسلام من قبل السلاطين فى اصفهان و يباشر جميع المرافعات بنفسه و لا تفوته صلاة الأموات و الجماعات و الضيافات و العبادات، و كان يباشر أمور معاشه و حوائج دنياه بغاية الضبط و مع ذلك بلغت مؤلفاته ما بلغت، و خرج من مجلس درسه جماعة كثيرة من الفضلاء بلغوا ألف و يقال تصانيفه تبلغ ١٤٠٢٧٠٠ بيتا و البيت عبارة عن خمسين حرفا أشهر تصانيفه و أكبرها بحار الأنوار ٢٥ مجلدا. قال مؤلف الكتاب فى رجاله (نخبة المقال) فى ترجمة المجلسى: و المجلسى ابن تقى باقره بحار كلها جواهر تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٣٣

– رحمه الله تعالى – فى

قوله (عليه السلام) أسمعك كلام القرآن

وجوها على وجه الاحتمال: الأول أن تكلم القرآن عبارة من إلفائه إلى السمع ما يفهم منه المعنى و هذا هو معنى حقيقة الكلام فإنه لا يشترط فيه أن يصدر من لسان لحمى، و كذا تكلم الصلاة فإن من أتى بالصلاة بحقها و حقيقتها نهته الصلاة من متابعة أعداء الدين و غاصبى حقوق الأئمة الراشدين الذين من عرفهم عرف الله، و من ذكرهم ذكر الله، الثانى أن لكل عبادة صورة و مثالا تترتب عليها آثار تلك العبادة و هذه الصورة تظهر للناس فى القيامة، فالمراد بقولهم عليهم السلام فى موضع آخر: الصلاة رجل،

أنها فى القيامة تتشكل بإزائها رجل يشفع لمن ترعيها حق رعايتها، و فى الدنيا أيضا لا يبعد أن يخلق الله بإزائها ملكا أو خلقا آخر من الروحانيين يسدد من أتى بالصلاة حق إتيانها و يهديه إلى مراشده و كذا فى القرآن و سائر العبادات، الثالث ما أفيض على، بركات الأئمة الطاهرين، و به ينحل كثير من غوامض أخبار الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) و هو أنه كما أن الجسد الانسانى له حياة ظاهرية من جهة الروح الحيوانية المنبثقة من القلب الظاهرى و بها يسمع و يبصر و يمشى و ينطق و يحس فكذا له حياة معنوية من جهة العلم و الإيمان، و الطاعات فالإيمان ينبعث من القلب المعنوى و يسرى فى سائر الأعضاء فينور العين بنور آخر كما قال (صلّى الله عليه و آله و سلم): المؤمن ينظر بنور الله و يسمع بسمع آخر.

و بالجملة يتصرف الايمان فى بدنه و عقله و نفسه و يملكه بأسره فلا يرى إلا الحق و لا يسمع شيئا من الحق إلا فهمه و صدقه و لا ينطق إلا بالحق و لا يمشى إلا

مجدد المذهب بالوجه الأتم و – عد – عمر أقبضه – حزن و غم – تفسير

الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٣٤

للحق فالإيمان روح لذلك الجسد، و لذا قال تعالى فى وصف الكفار: أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ «١» و قال: صُمُّ بَكْمٌ عُمى فَهَمْ لا يَرِجْعُونَ «٢» و ما ذلك إلا لذهاب نور الإيمان من قلوبهم و جوارحهم و كذا الصلاة إذا كملت فى شخص و أتى بها كما هو حقها تصرف فى

بدنه و نورت قلبه و سمعه و بصره و لسانه و منعه عن إتياع الشهوات و حثته على الطاعات، و كذا ساير العبادات. ثم إن القرآن ليس تلك النقوش بل هو ما يدل عليه تلك النقوش، و إنما صار الخط و ما ينقش عليه محترماً لدلالته على ذلك الكلام، و الكلام إنما صار محترماً مكرماً لدلالته على المعاني التي أرادها الملك العلام، فمن انتقش في قواه ألفاظ القرآن و في عقله معناه و اتصف بصفاته الحسنه على ما هي فيه، و احترز عمّا نهى الله عنه فيه و اتعظ بمواعظه، و صير القرآن خلقه، و داوى به أدواءه، فهو أولى بالتعظيم و الإكرام، و لذا

ورد «انّ المؤمن أعظم حرمة من الكعبة و القرآن».

فاذا عرفت ذلك فاعلم أنه كما يطلق على الجسد لتعلق الروح و النفس به الإنسان، فكذا يجوز أن يطلق على البدن الذي إذا كمل فيه الإيمان، و تصرّف فيه و صار روحه أنّه إيمان، و كذا الصلاة و الزكاة و سائر الطاعات، و هذا في القرآن أظهر لأنه قد انتقش بلفظه و معناه و اتصف بصفاته و مؤداه و احتوى عليه، و تصرّف في بدنه و قواه فبالحرى أن يطلق عليه القرآن، فاذا عرفت ذلك ظهر لك سرّ الإخبار الواردة في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو كلام الله، و هو الايمان و الإسلام و الصلاة و الزكاة، و قس على ذلك حال أعدائه، و ما ورد أنّهم الكفر و الفسوق و العصيان، و شرب الخمر و الزنا و سائر المحارم لاستقرار تلك الصفات فيهم، بحيث

(١) النحل: ٢١.

(٢) البقرة: ١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٣٥

صارت أرواحهم الخبيثة، فلا يبعد أن يكون المرد بالصورة التي يأتي في القيامة هو أمير المؤمنين عليه السلام، فيشفع لمن قرء القرآن لأنه روحه، و لا يعمل بالقرآن إلّا من يتولاه، و ينادى القرآن بلعن من عاداه. ثم ذكر عليه السلام لرفع الاستبعاد أنّ الصلاة رجل و هو أمير المؤمنين فهو ينهى الناس عن متابعة من كمل فيه الفحشاء و المنكر يعنى الرجلين. و على هذا لا يبعد أن يكون قوله عليه السلام: «أسمعك كلام القرآن»

أشار به الى أنّه عليه السلام أيضا القرآن و كلامه كلام القرآن «١»، انتهى كلامه - زيد في الخلد مقامه -.

و إنّما ذكرناه بطوله لحسن مفاده و جودة محصولة مع أنّ في كلامه كسرا لسوره إنكار أهل العناد الذين ينسبون أهل الحق إلى الإلحاد، و أنّ الله لهم بالمرصاد، و هو الهادي إلى سبيل الرشاد.

(١) بحار الأنوار طبع الاخوندى ج ٧ ص ٣٢٢ الى ص ٣٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٣٦

## الفصل الثاني

في الحث و الترغيب على تعلم القرآن و تعليمه و العمل به و إكرامه و حفظه و حمله و قراءته و تعظيم أهله أمّا وجوب تعلمه كفاية لتوقف استنباط الأحكام عليه، و لبقاء العلم به و عدم اندراره سيما مع كونه معجزة باقيه على مرّ الدهور، فمما لا ريب فيه بل و لا في وجوبه عينا في الجملة من جهة توقّف صحة الصلاة الواجبة على الأعيان عليه، و أمّا وجوب تعلمه مطلقا على كل أحد، فهو و إن كان

ربما يترأى من ظواهر الأوامر المتقدمة، و التي تأتي إليها الإشارة الظاهرة بإطلاقها في الوجوب إلّا أنّها محمولة على تأكيد الاستحباب لاستقرار المذهب عليه، و عدم القول بوجوبه على الأعيان، و ظهور الأخبار الكثيرة في شدة الترغيب المحمولة لذلك، و لوجوه آخر على تأكيد الاستحباب الذي لا ريب فيه أصلا بل لعله من ضروري المذهب سيما بعد ملاحظة العلوم الحقيقية و اشتماله عليها مضافا إلى خصوص الأخبار الكثيرة.

ففي «الكافي» عن الصادق عليه السلام: «ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو يكون في تعلمه» و في بعض النسخ «في تعليمه» (١).

و

فيه عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) «تعلّموا القرآن فإنّه يأتي يوم

(١) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٠٧ طبع دار الكتب الاسلاميه. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٣٧

القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون، فيقول له: أنا القرآن الذي كنت أسهرت ليلك، و أظمأت هو أجرك، و أجففت ريقك، و أسبلت دمعك، إلى ان قال فأبشر فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه، و يعطى الأمان يمينه، و الخلد في الجنان بيساره، و يكسى حلّتين ثم يقال له: اقرء و ارق، فكلما قرء آية صعد درجة، و يكسى أبواه حلّتين إن كانا مؤمنين، ثم يقال لهما هذا لما علمتماه القرآن» (١).

و

روى الصدوق بالإسناد عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: «من قرء القرآن ابتغاء وجه الله، و تفقّها في الدين كان له من الثواب مثل جميع ما أعطى الملائكة و الأنبياء و المرسلون، و من تعلم القرآن و تواضع في العلم، و علم عباد الله و هو يريد ما عند الله لم يكن في الجنة أعظم ثوابا منه، و لا أعظم منزلة منه و لم يكن في الجنة منزل، و لا درجة رفيعة، و لا نفيسة إلّا و كان له فيها أوفر النصيب و أشرف المنازل» (٢).

و

روى الطبرسي في «المجمع» عن رجاء بن حياة قال: «كنا أنا و أبي عند معاذ بن جبل، فقال: من هذا يا حياة؟ قال: هذا ابني رجاء، فقال معاذ: هل علمته القرآن؟ قال: لا، قال: فعلمه القرآن، فأبى سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول: ما من رجل علم ولده القرآن إلّا توج أبواه يوم القيامة بتاج الملك، كسبا حلّتين لم ير الناس مثلهما ثم ضرب بيده على كتفي فقال: يا بني إن استطعت أن تكسى أبويك يوم القيامة حلّتين فافعل» (٣).

و

في «ثواب الأعمال» و «الفقيه» و «العلل» عن الأصبغ بن نباتة قال: قال

(١) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٠٣.

(٢) وسائل الشيعة طبع بيروت ج ٤ ص ٨٣٨.

(٣) مقدمة مجمع البيان طبع صيدا ص ٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٣٨

أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله ليهمّ بعذاب أهل الأرض جميعا حتى لا يحاشى (١) منهم أحدا إذا عملوا بالمعاصي و اجتروحوا السيئات، فاذا نظر إلى الشيب (٢) ناقلى أقدامهم إلى الصلاة، و الولدان يتعلمون القرآن رحمهم فأخر ذلك عنهم» (٣).

و

في «المجمع» عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إذا قال المعلم للصبي:

قل: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي، و براءة لأبويه، و براءة للمعلم من النار» (٤).

و

عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) من قرء القرآن حتى يستظهره و يحفظه أدخله الله الجنة و شقعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار (٥).

و

في «الخصال» و «المجمع» عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: من دخل في الإسلام طائعا، و قرء القرآن ظاهرا فله في كل سنة مائتا دينار في بيت مال المسلمين، و إن منع في الدنيا أخذها يوم القيامة وافية أحوج ما يكون إليها (٦).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالة على فضل تعلمه و تعليمه بشرط خلوص القصد و النية و اقترائه بالعمل به، و إلّا فالعقوبة على العالم التارك للعمل به أشدّ و أعظم و هو في الآخرة أندم و ألوم.

ففي عقاب الأعمال عن مولينا الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام

(١) في النسخة علل الشرائع هكذا: حتى لا يريد ان يحاشي إلخ.

(٢) الشيب بضم الشين و فتح الياء المشددة جمع الشائب و هو من ابيض رأسه.

(٣) علل الشرائع ج ٢ ص ٢٠٩.

(٤) مجمع البيان ج ١ ص ١٩.

(٥) مجمع البيان ج ١ ص ١٧.

(٦) مجمع البيان ج ١ ص ١٦، الخصال ج ٢ ص ١٥٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٣٩

قال: من قرء القرآن يأكل به الناس جاء يوم القيامة و وجهه عظم ليس عليه لحم (١).

و

فيه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من تعلم القرآن فلم يعمل به و أثر عليه حبّ الدنيا و زينتها استوجب سخط الله، و

كان في الدرجة مع اليهود و النصارى الذين يندون كتاب الله وراء ظهورهم، و من قرء القرآن يريد به سمعة و التماس الدنيا لقي الله

يوم القيامة و وجهه عظم ليس عليه لحم، و زجّ القرآن في قفاه حتى يدخله النار، و يهوى فيها مع من هوى، و من قرء القرآن، و لم

يعمل به حشره الله تعالى يوم القيامة أعمى فيقول: يا رب لم حشرتني أعمى، و قد كنت بصيرا قال:

كذلك أتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى فيؤمر به إلى النار، و من تعلم القرآن يريد به رياء و سمعة ليمارى به السفهاء، و

يباهى به العلماء، و يطلب به الدنيا بدد الله عظامه يوم القيامة و لم يكن في النار أشدّ عذابا منه، و ليس له نوع من العذاب إلّا سيعذب

به من شدة غضب الله عليه و سخطه» (٢).

و

روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إنّ في جهنم واديا يستغيث أهل النار كلّ يوم سبعين ألف مرة منه، إلى ان قال:

فقيل له: لمن يكون هذا العذاب؟ قال: لشارب الخمر من أهل القرآن، و تارك الصلاة» (٣).

و

في «الكافي» و «الأمالي» و «الخصال» عن الباقر عليه السلام قال: «قرأء القرآن ثلاثة رجل قرء القرآن فاتّخذه بضاعة و استدر به الملوك

و استطلّ به على الناس، و رجل قرء القرآن فحفظ حروفه و ضيع حدوده و أقامه إقامة الفدح فلا كثر الله

(١) ثواب الأعمال ص ٤٤.

(٢) عقاب الأعمال ص ٤٥ و ٤٧ و ٥٢.

(٣) بحار الأنوار طبع الاخوندى ج ٧٩ ص ١٤٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٤٠

هؤلاء من حملة القرآن، و رجل قرء القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله و أظمأ به نهاره، و قام به فى مساجده و تجافى به عن فراشه، فبأولئك يدفع البلاء، و بأولئك يدل الله من الأعداء، و بأولئك ينزل الله الغيث من السماء فوالله لهؤلاء فى قرأء القرآن أعز من الكبريت الأحمر» (١).

و من جميع ما مرّ يظهر فضل إكرامه بل وجوبه فى الجملة و حرمة إهانته مضافا إلى ما رواه.

و

فى «الكافى» عن الصادق عليه السلام قال: إذا جمع الله - عز و جل - الأولين و الآخرين إذا همّ بشخص قد أقبل لم يرقط أحسن صورة منه فإذا نظر اليه المؤمنون و هو القرآن قالوا: هذا منّا هذا أحسن شىء رأينا، فإذا انتهى إليهم جازهم».

إلى ان قال: «حتى يقف عن يمين العرش فيقول الجبار - عز و جل - و عزتى و جلالى و ارتفاع مكانى لأكرم من أكرمك و لأهين من أهانك» (٢).

إلى غير ذلك من الأخبار الآتية بل الاستخفاف به كغيره من شعائر الله التى يجب على المسلمين تعظيمها يوجب الكفر و الارتداد. و أما حفظه، و حمله فالأخبار بهما كثيرة جدا.

ففى «الأمالى» عن النبى (صلّى الله عليه و آله و سلم): «لا يعذب الله تعالى قلبا و عى القرآن» (٣).

و

عنه عليه السلام: «أشرف أمتى حملة القرآن و أصحاب الليل» (٤).

(١) أمالى الصدوق ص ١٢٢.

(٢) الأصول من الكافى ج ٢ ص ٦٠٢.

(٣) أمالى الطوسى ج ١ ص ٥.

(٤) أمالى الصدوق ص ١٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٤١

و

عنه عليه السلام: «من قرء القرآن حتى يستظهره و يحفظه أدخله الله الجنة و شفّعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار» (١).

و

عنه (صلّى الله عليه و آله و سلم): «حملة القرآن فى الدنيا عرفاء أهل الجنة يوم القيامة» (٢).

و

فى «الكافى» و «ثواب الأعمال» عن الصادق عليه السلام: «من شدّد عليه القرآن كان له أجران، و من يسر عليه كان مع الأولين» (٣).

و فى رواية: «كان مع الأبرار» (٤).

و

في «الكافي» و «ثواب الأعمال» عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) من قرء القرآن و هو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه و دمه، و جعله الله مع السفرة الكرام البررة، و كان القرآن حجيذا عنه يوم القيامة يقول: يا رب إن كل عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملى فبلغ به أكرم عطاياك، قال: فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلل الجنة و يوضع على رأسه تاج الكرامة ثم يقال له: هل أرضيناك فيه؟ فيقول القرآن: يا رب قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا قال: فيعطى الأيمن و الخلد بيساره، ثم يدخل الجنة فيقال له: اقرأ آية فاصعد درجة ثم يقال له: «هل بلغنا به و أرضيناك؟ فيقول: نعم قال: و من قرأه كثيرا و تعاهده بمشقة من شدة حفظه أعطاه الله أجر هذا مرتين» (٥).

و

عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة

(١) مجمع البيان ص ١٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٧٧.

(٣) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٠٧.

(٤) ثواب الأعمال ص ٩١.

(٥) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٠٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٤٢

الكرام البررة (١).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي يستفاد منها مضافا إلى الحثّ البليغ و التأكيد الشديد على حفظه و حمله و قراءته. و المراد بحفظه ليس مجرد حفظ المصحف عن الضياع و عن وقوع السقط و التحريف و التغيير فيه بالزيادة و النقصان، أو حفظ قراءته بمراعات الترتيل و حفظ الوقوف و أداء الحروف أو حفظه عن ظهر القلب، و إن كان كل ذلك من أقسام الحفظ المطلوب شرعا المأمور به في بعض الأخبار أيضا، بل المراد به في كثير من هذه الأخبار و غيرها مضافا إلى المعاني المتقدمة التي هي من مراتبه أن يحفظ حدود معانيه و فحوايه، و مطاويه، و ظهوره و بطونه بالتحقق بحقائقه و التخلّق بأخلاقه، و امتثال أوامره و نواهيه، و الاعتنا بمواعظه، و إتباع سننه، و التدبير في أمثاله المضروبة للأنام و التفكير في حقائقه المحجوبة عن ظواهر الأفهام، المكشوفة للمقتبس من مشكوة الوحي و الإلهام.

و كذا ليس المراد من حمله حمل صورة المصحف أو تحمل ظاهر ألفاظه أو انتقاش صور معانيه، و ترجمه ألفاظه في الذهن مع قطع النظر عن العمل به إلى غير من المراتب التي لا- ينبغي الاقتصار و الجمود عليها، بل ينبغي الترقى منها إلى ما سواها، فإن مثل الدين حملوا التورية بل القرآن و غيره أيضا كما لا يخفى بشيء من هذه المراتب و المعاني ثم لم يحملوها بالعمل بها و التحقق بحقايقها، و التخلّق بأخلاقها، و غير ذلك مما سمعت كمثل الحمار يحمل أسفارا فإنه أيضا حامل للنقوش و الأوراق المشتملة على الكتابة، فينبغي رسم العلوم الحقيقية الإلهية و كتابتها على

(١) ثواب الأعمال ص ٩٢ و أمالي الصدوق ص ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٤٣

الضمائر و الصدور لا الدفاتر و السطور، و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

ولذا

قال الامام الهمام (عليه الصلاة و السلام)، رواية عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «حمله القرآن المخصوصون

برحمة الله الملبسون نور الله، المعلمون كلام الله، المقرَّبون من الله من والاهم فقد والى الله، و من عاداهم فقد عادى الله، يدفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا، و عن قاربه بلوى الآخرة، و الذى نفس محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) بيده لسامع آية من كتاب الله - عز و جل - و هو معتقد أن المورد له من الله تعالى محمد الصادق فى كل أقواله الحكيم فى كل أفعاله، المودع ما أودعه الله تعالى من علومه أمير المؤمنين عليا المعتقد للانقياد له فيما يأمر، و يرسم أعظم أجرا من ثبير ذهب يتصدق به من لا يعتقد هذه الأمور بل صدقته وبال عليه، و لقارئ آية من كتاب الله معتقدا لهذه الأمور أفضل مما دون العرش الى أسفل التخوم يكون لمن لا يعتقد هذا الاعتقاد فيتصدق به، بل ذلك كله و بال على هذا المتصدق به».

ثم قال: «أ تدررون متى يتوفر على هذا المستمع و هذا القارئ هذه المثوبات العظيمة؟ إذا لم يغل فى القرآن و لم يجف عليه و لم يستأكل به و لم يراء به» (١).

و من هذا كله يظهر اختلاف المراتب و الدرجات فى قراءته بحسب اختلاف الأحوال و الأشخاص و القوابل و الاستعدادات و التأثير و العمل و الاتعاظ و التخلُّق، بل

قد سمعت عن مولينا الباقر عليه السلام، فيما مرَّ بروايته عن «الكافى» و غيره إنَّ قراء القرآن ثلاثة (٢) «لا يخفى أنه بحسب الاختلاف فى الجنس و إلَّا فبحسب

(١) تفسير الامام ص ٤ و ٥- بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٨٢-

(٢) أمالى الصدوق ص ١٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٤٤

الأنواع و الأصناف لا تكاد تنضب و تتناهى لاختلاف مراتب القراءة بحسب اختلاف الأشخاص للاختلاف فى الأحوال و غيرها من المشخصات بل يختلف فضل القراءة لشخص واحد فى زمانين و إن كانت مطلوبة على كل حال. و لذا

قال النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فى وصيه لعلى عليه السلام: «و عليك بتلاوة القرآن على كل حال».

و فى «المجمع» عنه (صلى الله عليه و آله و سلم): «أفضل العبادة قراءة القرآن» (١).

فيه عنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: إنَّ هذا القرآن مآدب الله تعالى فتعلّموا من مآدبه ما استطعتم، إنَّ هذا القرآن حبل الله، و هو النور المبين و الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، و نجاه لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، و لا يزيغ فيستعجب، و لا تنقضى عجائبه، و لا يخلق على كثرة الرد، فاتلوه فإنَّ الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إننى لا أقول: الم عشر و لكن ألف عشر و لام عشر و ميم عشر» (٢).

فيه عنه (صلى الله عليه و آله و سلم) أنه: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ و ارق، و رتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإنَّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها» (٣).

و عنه (صلى الله عليه و آله و سلم): «من قرء القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى فقد حفر ما عظم الله و عظم ما حفر الله» (٤).

و

في الكافي عن مولينا الصادق (عليه السلام): «ما من عبد من شيعتنا يتلو

(١) مجمع البيان ج ١ ص ١٥.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ١٦.

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ١٦.

(٤) مجمع البيان ج ١ ص ١٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٤٥

القرآن في صلوته قائما إلّا و له بكل حرف مائة حسنة، و لا- قرء في صلوته جالسا إلّا و له بكل حرف خمسون حسنة، و لا في غير صلوته إلّا و له بكل حرف عشر حسنات» (١).

و

فيه عنه و عن السجاد عليهما السلام بالإسناد قال: «من استمع حرفا من كتاب الله من غير قراءة كتب الله له حسنة، و محى عنه سيئة، و رفع له درجة و من قرء نظرا من غير صلاة (صوت خ ل) كتب الله له بكل حرف حسنة، و محى عنه سيئة و رفع له درجة، و من تعلم منه حرفا ظاهرا كتب الله له عشر حسنات و محى عنه عشر سيئات، و رفع له عشر درجات، قال: لا أقول بكل آية، و لكن بكل حرف باء أو تاء أو شبههما، قال: و من قرء حرفا و هو جالس في صلاة كتب الله له به خمسين حسنة و محى عنه خمسين سيئة، و رفع له خمسين درجة، و من قرء حرفا و هو قائم في صلاته كتب الله له مائة حسنة و محى عنه مائة سيئة و رفع له مائة درجة و من ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخره، أو معجلة قال قلت: جعلت فداك ختمه كله قال: قال ختمه كله» (٢).

و

فيه بالإسناد عن الزهري قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: «أى الأعمال أفضل؟ قال عليه السلام: الحال المرتحل، قلت: و ما الحال المرتحل قال عليه السلام: فتح القرآن و ختمه كلما جاء بأوله ارتحل بآخره» (٣).  
أقول: و ستسمع سائر أخبار الحلّ و الارتحال في باب آداب القراءة

(١)

روى هذا الحديث في الكافي و ثواب الأعمال عن أبي جعفر (عليه السلام) و أوله: من قرأ القرآن قائما في صلوته إلخ كافي ج ٤ ص ٦١١ ثواب الأعمال ص ٩١-

(٢) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦١٢.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٦٠٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٤٦

و أحكامها إن شاء الله.

و

فيه و في «معاني الأخبار» للصدوق عن النبيّ (صلّى الله عليه و آله و سلم): «من أعطاه الله القرآن فرأى أن رجلا أعطى أفضل مما أعطى فقد صغر عظيما و عظم صغيرا» (١).

و

فيه عن مولينا الكاظم عليه السلام: «إن درجات الجنة على قدر آيات القرآن يقال للقارئ: اقرأ و ارق فيقرأ ثم يرقى» (٢).



و  
 في «معاني الأخبار» عن الصادق عليه السلام، قال: «من قرء مائة آية يصلى بها فى ليلة كتب الله له بها قنوت ليلته، و من قرء مائة آية فى غير صلاة الليل كتب الله له فى اللوح المحفوظ قنطارا من الحسنات، و القنطار ألف و مائة أوقية و الاوقية أعظم من جبل أحد» (٣).  
 و  
 فيه عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم): «من قرء مائة آية لم يكتب من الغافلين، و من قرء مائة آية كتب من القانتين، و من قرء ثلاثمائة آية لم يحاجه القرآن، يعنى من حفظ قدر ذلك من القرآن يقال: قرء الغلام القرآن إذا حفظه» (٤).  
 قلت: و الظاهر أنه من كلام الصدوق و لعله وجد عليه بعض الشواهد و إلا فلا داعى للصرف عن الظاهر.  
 ينبغى لمن تعلم القرآن أو حفظه أن يواظب على قراءته فى آناء الليل و أطراف النهار، و أن لا يتركه، و لا يهجره تركا يودى الى النسيان بل ينبغى ان لا يترك العمل به، و أن يتأدب بأدابه، و يتخلق بأخلاقه كى يكون القرآن له شفيعا

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٠٥.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٠٦.

(٣) معانى الاخبار ص ١٤٧.

(٤) معانى الاخبار ص ٤١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٤٧

مشفعا، و طريقا إلى رضوان الله مهيعا، و صديقا له سلما، و لا يكون له عدوا خصما.

ففى «الكافي» عن ابن أبى يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام: «أن الرجل إذا كان يعلم السورة ثم نسيها أو تركها و دخل الجنة أشرفت عليه من فوق فى أحسن صوره فيقول: تعرفنى؟ فيقول: لا- فتقول: أنا سورة كذا لم تعمل بى و تركتني أما و الله لو عملت بى لبلغت بك هذه الدرجة، و أشارت بيدها الى فوقها» (١).

و  
 فيه عن يعقوب الأحمر قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إنه أصابتنى هموم و أشياء لم يبق شىء من الخبر إلا و قد تفلت منى منه طائفه حتى القرآن لقد تفلت منى طائفه منه قال: ففزع عند ذلك حين ذكرت القرآن ثم قال عليه السلام: «إن الرجل لينسى للسورة من القرآن فتأتيه يوم القيامة حتى تشرف عليه من درجة من بعض الدرجات، فتقول: السلام عليك فيقول: و عليك السلام من أنت؟ فتقول: أنا سورة كذا و كذا ضيعتنى و تركتني أما لو تمسكت بى لبلغت بك هذا الدرجة».  
 ثم أشار بإصبعه ثم قال: «عليكم بالقرآن فتعلموه فإن من الناس من يتعلم القرآن ليقال له فلان قارئ، و منهم من يتعلمه فيطلب به الصوت فيقال فلان حسن الصوت و ليس فى ذلك خير، و منهم من يتعلمه فيقوم به فى ليلة و نهاره لا يبالي من علم ذلك و من لم يعلمه» (٢).

و  
 عن يعقوب فى خبر آخر قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: «إن على دينا

(١) أصول من الكافي ج ٢ ص ٦٠٨.

(٢) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٠٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٤٨

كثيرا فقد دخلنى ما كاد القرآن يتفلت منى فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الآيه من القرآن و السورة لتجىء يوم القيامة حتى تصعد

ألف درجة يعني في الجنة فتقول: لو حفظتني لبلغت بك هاهنا» (١).

إلى غير ذلك من الأخبار المشتملة على الحثِّ والتأكيد الشديد في المحافظة على قراءته و المداومة عليها، بل قد سمعت أن المراد بذلك كله هو العمل به و المحافظة على أوامره و نواهيه كما صرح به في الخبر الأول و غيره.  
و على هذا ينزل أيضا ما ورد من التهديد و الوعيد على النسيان الظاهر و لو بقريته ما تقدّم و غيره في ترك العمل به أو الترك الناشئ من التهاون و الاستخفاف كما يحمل على شيء منها النبوي المروي في «الفقيه».

و

في «عقاب الأعمال»: «ألا و من تعلّم القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة مغلولاً يسأل الله عليه بكل آية نسيها حية تكون قرينه إلى النار و إلا أن يغفر له» (٢).

كما أنه ينزل على نسيان مجرّد العبارة مطلقاً أو للاضطرار و غيره من الأعذار ما ورد من نفى البأس عنه في الأخبار كخبر الهيثم بن عبيد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل قرء القرآن ثم نسيه فرددت عليه ثلاثاً، أ عليه فيه حرج؟ فقال عليه السلام: لا (٣).

(١) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٠٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٨٧ نقلاً عن أمالي الصدوق ص ٢٥٦.

(٣) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٠٨ قال الفيض الكاشاني في الوافي: أريد بنفى الحرج عدم ترتب العقاب عليه فلا ينافي الحرمان به عن الدرجة الرفيعة في الجنة على أن النسيان قسماً فنسيان لا سبيل معه إلى القراءة إلا بتعلّم جديد، و نسيان لا يقدر معه على القراءة على ظهر القلب و و إن امكنه القراءة في المصحف فيحتمل أن يكون الأخير مما لا حرج فيه دون الأول إلا أن تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٤٩

و

سئل سعيد بن عبد الله الأعرج أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يقرأ القرآن ثم ينساه ثم يقرأه ثم ينساه أ عليه فيه حرج؟ فقال: لا (١).

بل مجرّد ترك العمل بالقرآن، و عدم الايتمار بأوامره و الانتهاء عن نواهيه يوجب شدّة العقوبة على من كان عالماً به فإنه يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد، و ذلك أن الحجّة عليه ألزم و جرمه لعلمه أفضع و أعظم و هو عند الله ألوم.

ولذا

ورد في النبوي المتقدم: «إنّ في جهنّم واديا يستغيث أهل النار كل يوم سبعين ألف مرّة منه إلى الله و ذلك لشارب الخمر من أهل القرآن» (٢).

بل

روى هاشم بن سالم عن مولينا أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ قرأ القرآن ثلاثه: قارئ قرء القرآن فحفظ حروفه، و ضيّع حدوده فذلك من أهل النار و قارئ قرء القرآن فاستتر به تحت برنسه، فهو يعمل بمحكمه و يؤمن بمتشابهه و يقيم فرائضه و يحلّ حلاله، و يحرم حرامه، فهذا ممن ينقذه الله من مضلّات الفتن، و هو من أهل الجنة و يشفع فيمن يشاء» (٣).

و لا يخفى أن هؤلاء الفرقة الثالثة هم أهل القرآن الذين يجب تعظيمهم و تكريمهم، و يحرم استضعافهم و إهانتهم كما في «الكافي» عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم): «إنّ أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين و المرسلين

يتركه صاحب الأخير فيكون حكمه حكم الأول كما وقع التصريح به في الاخبار السابقة- الوافي ج ٢ ص ٢٤٣.

(١) الأصول في الكافي ج ٢ ص ٤٣٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ١٤٨.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٧٩ نقلا عن الخصال ج ١ ص ٧٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٥٠

فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم فإنّ لهم من الله العزيز الجبار لمكانا علينا» (١)،

وقد تقدّم أنّهم أشرف الامّة و عرفاء أهل الجنة، وأنهم المخصوصون بالرحمة، و الملبسون أنوار الكرامة، الشافعون لغيرهم يوم القيامة، إلى غير ذلك مما تقدمت الإشارة إليه.

ثم إنّ الأخبار المتعلقة بمقاصد هذا الباب كثيرة جدا و ستسمع منها عند التعرّض لآداب القرائة و أحكامها و جملة منها عند تفسير بعض الآيات المتعلقة بها.

(١) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٤٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٥١

### الباب الثالث

في بيان حقيقة القرآن و مراتبه في الكون و ظهوره عند التنزل في الحروف و الكلمات و تقسيم الكتاب إلى الصامت و الناطق الذين هما الثقلان اللذان لا يفترقان اعلم أنّ الله سبحانه و تعالى كان في أزليته و دوام سر مدّيته و لم يكن معه شيء من الأشياء لا من المجردات و لا من الماديات و لا من الحقائق و الطبائع و الوجود و الماهية و غيرها مما يطلق عليه اسم الشيء فأوّل ما خلقه هو المشيئة الإمكانية ثم الكونية حسبما تأتي إليهما الإشارة و هذه المشيئة هي التي يقال لها: الإبداع و الارادة و الفعل، و العقل، و القلم، و الصنع و الوجود المطلق، و عالم المحبة، و غيرها من الألقاب الشريفة التي ربما أشير إليها في آثار الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، بل في بعضها بالنسبة إلى بعض هذه الألقاب إنّّه أوّل ما خلق الله (١).

و

في النبوى أوّل ما خلق الله نور نبيك يا جابر

و في معناه أخبار كثيرة تدلّ على كونهم عليهم السّلام أوّل ما خلق الله و أن من سواهم حتى الأنبياء و الملائكة و الجنة و غيرها، إنّما خلقوا من أشعّة أنوارهم، بل يستفاد من

قوله عليه السّلام: خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة (٢)

منضمّا إلى

العلوى نحن صنائع الله

(١) بحار الأنوار ج ١٥ ص ٢٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٤ ص ١٤٥ نقلا عن التوحيد للصدوق و احتمال في بيان هذا الخبر الذي هو من تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص:

٢٥٢

و الخلق بعد صنائع لنا كما في «نهج البلاغة» (١) أو صنائعا كما في «الاحتجاج» عن الحجّة- عجل الله فرجه- (٢)

أنّهم نفس المشيئة بناء على أنّ نورهم عليهم السّلام في أصل الخلقة ان كان هو المشيئة فهو المطلوب و الّا يلزم ارتكاب التخصيص في

أحد الخبرين، إلا أن فيه بعد الغصّ عن ضعف الدليل سندا «٣» و دلالة أن إثبات تلك المقاصد بمثله مشكل جدا، سيما بعد ظهور أنهم أيضا عباد مخلوقون مربوبون، لا بدّ في خلقهم من تعلق المشيئة بخلقهم، و سبقها عليهم و على كلّ حال فالنبي و الأئمة عليهم السلام و إن اشتركوا جميعهم - صلوات الله عليهم - في عالم الأنوار لاّتحاد حقائقهم و نورانيتهم إلا أنه روى في النبوي: أول ما خلق الله نوري ثم فتق منه نور على عليه السلام فلم نزل نتردد في النور حتى وصلنا إلى حجاب العظمة في ثمانين ألف سنة ثم خلق الخلائق من نورنا فتحن صنائع الله و الخلق بعد صنائع لنا «٤».

غوامض الاخبار وجوها: منها أن لا يكون المراد بالمشيئة الإرادة بل إحدى مراتب التقديرات التي اقتضت الحكمة جعلها من أسباب وجود الشيء كالتقدير في اللوح مثلا و الإثبات فيه.

و منها: أن يكون خلق المشيئة بنفسها كناية عن كونها لازمة لذاته تعالى غير متوقفة على ارادة اخرى فيكون نسبة الخلق إليها مجازا عن تحققها بنفسها منتزعة عن ذاته تعالى.

و منها ان المراد بالمشيئة مشيئة العباد و بالأشياء أفاعيلهم.

و منها أن للمشية معنيين أحدهما متعلق بالشئ و هي كون ذاته سبحانه بحيث يختار ما هو الخير و الصلاح و الآخر متعلق بالمشي و هو حادث بحدوث المخلوقات و هو إيجاد سبحانه إياه بحسب اختياره إلخ.

و منها غير ذلك و من أراد التفصيل فليراجع إلى البحار.

(١)

في جملة ما كتبه عليه السلام إلى معاوية: فإن صنائع ربنا و الخلق بعد صنائع لنا إلخ.

(٢) الاحتجاج طبع النجف ج ٢ ص ٢٧٨.

(٣) لإرسال ما نقل عن نهج البلاغة و الاحتجاج.

(٤) لم اعثر إلى الآن على مأخذه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٥٣

روى عن جابر بن عبد الله في تفسير قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ «١» قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره و اشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيما، ففتق منه نور على عليه السلام فكان نوري محيطا بالعظمة و نور على محيطا بالقدرة، ثم خلق العرش و اللوح و الشمس و القمر و النجوم و ضوء النهار، و ضوء الأبصار و العقل، و المعرفة، و أبصار العباد، و أسماعهم، و قلوبهم من نوري، و نوري مشتق من نوره «٢».

و لا يخفى أن قضية الجمع بين الخبرين تقدّم نور النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) على نور على عليه السلام، بثمانين ألف سنة، و تقدّم نورهما معا على سائر الخلق بتلك المدّة أيضا، فيكون تقدّم النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بضعفها.

و

عن ابن بابويه عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله خلق نور محمّد صلى الله عليه و آله قبل خلق المخلوقات كلّها بأربعمئة ألف سنة و أربعة و عشرين ألف سنة و خلق منه اثني عشر حجبا «٣».

و المراد بالسنين مراتب تقدمه عليه السلام على الأنبياء و بالحجب الأئمة عليهم السلام فيستفاد منه و من غيره مما مرّ تقدم نوره (صلى الله عليه و آله و سلم) على غيره حتى أنوار الأئمة عليهم السلام في عالم الأنوار، مع اتحادهم حقيقة في النورانية، فإن أنوارهم مشتقة من نوره (صلى الله عليه و آله و سلم) بعد وصوله إلى جلال العظمة في مدّة ثمانين ألف سنة كما في الخبر المتقدم.

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ط. القديم ص ١٨٥.

(٣) الخصال ج ١: ٨٢، معاني الاخبار: ٨٨، بحار الأنوار ج ١٥: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٥٤

تفسير الصراط المستقيم ج ١ ٢٩٩

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ من جملة العوالم المتطابقة المتساوية في جهة العرض المتفقه في مراتب الطول عالمي التكوين والتدوين، فإنهما واقعان في عرض واحد لا- بفصل أحدهما عن الآخر بشيء أصلا إلا أنّ الثاني ظلّ الأول و مرآته، و هو مشتمل على جميع المراتب الكلية و الحقائق الإلهية، و اللوامع النورانية المطوية في كينونه الأول.

و إن شئت فتح الباب و كشف الحجاب فاعلم، أنّ للصادر الأول تجليا و ظهورا في عالم التكوين، و هو المعبر عنه بالمشية الفعلية التي خلق الله تعالى بها جميع الكينونات و هو الوجود المطلق و وجه الحق و أنّ له تجليا و ظهورا في عالم التدوين، و أول ظهوره فيه هو الحروف النورانية العلمية السارية في جميع الحقائق في عالم الأنوار، ثم في عالم العقول، ثم في عالم العقول، ثم في عالم الأرواح، ثم في عالم النفوس، ثم في عالم المعاني الكلية، ثم في عالم المعاني الجزئية، ثم في عالم الحروف النفسية، ثم في عالم الحروف اللفظية، ثم في عالم الحروف النقشية، و هذه الحروف أصل القرآن و حقيقته و بساطه، بل أصل الأشياء كلها في صقع التدوين، و لذا قال مولينا الرضا عليه السلام عليه و التحية و الثناء في خبر عمران الصابي «١»: اعلم أنّ الإبداع و المشية و الإرادة معناها واحد و أسمائها ثلاثة و كان أول إبداعه و إرادته و مشيته الحروف التي جعلها أصلا لكل شيء و دليلا على كل مدرك، و فاصلا لكل مشكل، و بتلك الحروف تفريق كل شيء من اسم حق أو باطل،

(١) عمران الصابي كان من المتكلمين في عصر المأمون، و كان منحرفا و لكن هداه الله بنور السلام لما باحث مع الامام الرضا عليه السلام، و ظهر له الحق فخرّ ساجدا، و أسلم و ولاه الرضا عليه السلام صدقات بلخ. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٥٥  
أو فعل أو مفعول، أو معنى أو غير معنى، و عليها اجتمعت الأمور كلها و لم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها يتناهى و لا وجود لها لأنها مبدعة بالإبداع و النور في هذا الموضوع أول فعل الله تعالى الذي هو نور السموات و الأرض و الحروف هو المفعول بذلك الفعل و هي الحروف التي عليها الكلام «١».

و قد

روى عن أبي ذر الغفاري عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: قلت: يا رسول الله كل نبي مرسل بم يرسل؟ قال عليه السلام: بكتاب منزل، قلت: يا رسول الله أيّ كتاب أنزل الله على آدم (عليه السلام)؟ قال (عليه السلام):

كتاب المعجم، قلت: أيّ كتاب المعجم؟ قال عليه السلام: أب ت ث، و عدها إلى آخرها.

فالحروف البسيطة إشارة إلى بسائط العوالم و مجرداتها و المركبة إشارة إلى كلياتها و مركباتها، و الحقائق، و الروابط و الإضافات و النسب المتصلة أو المعبرة بينها، فهذه الحروف المعدودة مع قلتها و تناهيا أو عية لجميع الحقائق النورية و شبكة و مصيدة لاصطياد المعارف و الحقائق و العلوم الكلية و الجزئية و لذا ليس مطلب من المطالب و لا حقيقة من الحقائق و لا شيء مما في صقع الإمكان أو في عرصة الأ-كوان و إنما و يمكن التعبير عنه بجملة من تلك الحروف المؤلفه على نسبة من التأليف المستعدة بحسب الاستعداد أو الشخصي لاقتناص تلك المعاني، و افاضتها عليها حيث إنّ نسبتها منها كنسبة الأرواح إلى الأجساد.

و لذا

ورد عن الإمام عليه السلام إن المعنى من اللفظ كالروح في الجسد «٢».

(١) التوحيد: ص ٤٢٨-٤٥٧، عيون الاخبار: ص ٨٧-١٠٠.

(٢)

في سفينة البحار ج ١ ص ٥٣٧: نقل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال: الروح في الجسد تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٥٦ و عن آصف بن برخيا على نبينا و آله عليه السلام أن الاشكال مقناطيس الأرواح، بناء على شمول كل الاشكال و الأرواح للقسمين التكوينية و التدوينية بل يشمل القسم الثالث الذي هو التشريعية أيضا فالقرآن و ان كان متنزلا في هذا العالم الناسوتى الظلماني بصورة الحروف و الكلمات الملفوظة أو المنقوشة أو المتصورة الملحوظة لكنه في أصله و في بدو خلقته و عظيم جبروته نور إلهي و تجلّي شععاني قد تنزل من عوالم كثيرة إلى أن تنزل إلى هذا العالم و حيث إن كتاب كل نبي من الأنبياء مبين لعلوم شريعته، موضح لرسوم طريقته، كافل لمراتب حقيقته، كان مساوقا لرتبة وجوده، و مقام شهوده فاعتبر الفضل بين الأنبياء و لذا كان القرآن مهيمنا على جميع الكتب السماوية كما أن نبينا (صلى الله عليه و آله و سلم) خاتم النبيين لما سبق و فاتح لما انفلق و مهيمن على ذلك كله.

و حيث إن وجود نبينا (صلى الله عليه و آله و سلم) مبدأ التكوين فكتابه ديباجة التدوين بل تمامه و كماله لاشتماله على تمام حقايق الكون و بسائطه و مركباته لأنه قد اعتبر في تأليفه من تلك الحروف المحصورة كما أن الاتفاق و جميع وجوه الدلالات بكلماته و حروفه على المعاني التي لا تكاد تنتهي.

ولذا

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفسير باء البسملة: لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير باء بسم الله الرحمن الرحيم «١».

كالمعنى في اللفظ

، قال الصفدي: و ما رأيت مثالا أحسن من هذا.

(١) روى هذا الحديث جماعة من القوم مع تفاوت و اختلاف:

منهم

القندوزي في ينابيع المودة ص ٦٥ ط اسلامبول، و الهروي في شرح العين و زين الحلم ص ٩١، و الكاكوردي في الروض الأزهر ص ٣٣ ط حيدرآباد الدكن، و بهجت افندي في تاريخ آل محمد ص ١٥٠ قالوا: قال على كرم الله وجهه: لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٥٧

و

قال الباقر عليه السلام: لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله - عز و جل - حملة لنشرت التوحيد و الإسلام و الإيمان و الشرائع من الصمد الخبر «١».

فأوضح أن رتبة القرآن مساوق لرتبة نبينا (صلى الله عليه و آله و سلم) إلا ان الاختلاف من جهة التكوين و التدوين فهما في عرضين من طول واحد فالاختلاف عرضي لا طولي.

و أما مولينا أمير المؤمنين عليه السلام، فهو و إن ساوق رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) في السلسلة الطولية التكوينية إلا أنه متأخر عنه في هذه السلسلة بحرف واحد طولها ثمانون ألف سنة حسبما سمعت فالقرآن جامع لجميع علوم النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) مساوق معه في التدوين و إنما كان (صلى الله عليه و آله و سلم) مأمورا بتعليم علوم القرآن و تبليغ شرائعه و آدابه و احكامه و سننه و لطائفه و إشارات و حقائقه.

ولمّا كان الناس يومئذ غير مستعدّين ولا متأهلين لاستماع ذلك كله لجمود طبائعهم على الجاهلية الجاهلاء، و خمود فطرتهم الأصلية بالانحراف و الشفاء فبعثه الله و ليس أحد من العرب يقرأ كتابا و لا يعرف علما حين فترة من الرسل و طول هجعة من الأمم و اغترام من الفتن، و انتشار من الأمور، و تظلم من الحروب، و الدنيا

تفسير فاتحة الكتاب.

و منهم

محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤل ص ٢٦ ط. طهران قال: قال (عليه السلام) لو شئت لأوقرت بعيرا من تفسير بسم الله الرحمن الرحيم.

و منهم

الشعراني في لطائف المنن ج ١ ص ١٧١ ط مصر قال: و روينا عن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) أنه كان يقول: لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بعيرا من معنى الباء. (١) بحار الأنوار ج ٣ ط. طهران الاخوندي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٥٨

كاسفة النور ظاهرة و الغرور على حين اصفرار من ورقها و إياس من ثمرها، و اغوار من مائها، قد درست أعلام الهدى، و ظهرت أعلام الردى، فقام هاديا مهديا ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادة الله سبحانه و من طاعة الشيطان إلى طاعته بقرآن قد بينه و أحكمه ليعرف العباد ربهم إذ جهلوه و ليقروا به بعد إذ جحدوه و ليثبتوه بعد إذ أنكروا، فتجلى سبحانه لهم في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته و خوفهم من سطوته فبلغ إليهم أصول الشريعة و الأحكام في مدة ثلاثة و عشرين سنة، و بقي من علوم القرآن كثير من الحقائق و الشرائع و الأحكام مما يحتاج إليه الناس في أحكامهم الظاهرية و الباطنة من لدن قبضه (عليه السلام) إلى يوم القيامة فاستودعه عند بابه و حجاب و أمينه في أمته و المخلوق من طينته مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، كي يبلغه بنفسه أو بواسطة ذريته الطيبين و خلفائه الراشدين و شيعته المخلصين إلى كافة المسلمين و المؤمنين ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حي عن بينة فأكمل به الدين و أتم به النعمة و وعده العصمة، و أكد الأمر بتبليغ ذلك حتى خاطبه بقوله: وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغَتْ رِسَالَتَهُ فيعلم منه أنه المقصود من الرسالة بحيث تنتفى بانتفائه.

ولذا

قال (عليه السلام) في احتجاجه يوم الغدير على ما حكاه في «الوسائل» عن «الاحتجاج» للطبرسي: انّ عليا تفسير كتاب الله و الداعي إليه ألا و انّ الحلال و الحرام أكثر من أن أحصيها و أعرفهما فأمر بالحلال و أنهى عن الحرام في مقام واحد فأمرت أن آخذ البيعة عليكم الصفقة منكم بقبول ما جئت به عن الله (عز و جل) في علي أمير المؤمنين (عليه السلام) و الأئمة من بعده معاشر الناس تدبروا و افهموا آياته و انظروا في محكماته و لا تتبعوا متشابهه فو الله لن يبين لكم زواجره و لا

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٥٩

يوضح لكم عن تفسيره إلّا الذي أنا آخذ بيدي «١».

و

في النبوى أنه قال عليه السلام: يا علي أنت اخي، و أنا أخوك و أنا المصطفى للنبوّة و أنت المجتبي للامامة، و أنا صاحب التنزيل و أنت صاحب التأويل «٢».

و

فى «الكافى» عن الصادق عليه السّلام: إنّ الله علّم نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) التنزيل و التّأويل فعلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا ثم قال (عليه السّلام): و علّمنا و الله، الخبر «٣».

و مما سمعت من مساوقة القرآن فى عالم الأنوار لنبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) مع الاختلاف فى التدوين و تأخر مولانا أمير المؤمنين (عليه السّلام) عنه فى عالم التكوين يظهر كون القرآن أحد الثقلين، بل و كونه الثقل الأكبر، بل و يظهر منه سرّ عدم مفارقه كل منهما عن الآخر أبدا.

كما

فى «البصائر» عن أبى جعفر عليه السّلام، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا ايها الناس إني تارك فيكم الثقلين، الثقل الأكبر و الثقل الأصغر إن تمسكنم بهما لن تضلّوا و لا تبدّلوا، و إني سئلت اللطيف الخبير أن لا يفترقا حتى يردا على الحوض فأعطيت ذلك، قالوا: و ما الثقل الأكبر و ما الثقل الأصغر؟ قال (عليه السّلام) الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله و سبب طرفه بأيديكم. و الثقل الأصغر عترتى و أهل بيتى «٤».

و

فيه عنه (عليه السّلام): إني تارك فيكم الثقلين، فتمسكوا بهما فإنّهما لن

(١) الاحتجاج: ص ٣٣-٤١ و البحار ج ٣٧: ص ٢٠١-٢١٧ ط. الاخوندى.

(٢) ينابيع المودة ص ١٢٣ ط. اسلامبول.

(٣) بحار الأنوار ج ٧ ط. القديم ص ٣١٧.

(٤) بحار الأنوار ج ٧ ط. السابق ص ٢٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٦٠

يفترقا حتى يردا على الحوض قال: فقال أبو جعفر (عليه السّلام): لا يزال كتاب الله و الدليل منا يدل عليه حتى يردا على الحوض «١».

و

فى «أمالى» الشيخ عن أبى ثابت مولى أبى ذر قال: سمعت أم سلمة تقول:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى مرضه الذى قبض فيه يقول و قد امتلأت الحجرة من أصحابه: أيها الناس يوشك أن اقبض سريعا فينطلق بى و قد قدمت إليكم، ألا إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله ربّى (عز و جل) و عترتى أهل بيتى، ثم أخذ بيد على (عليه السّلام) فرفعها فقال: هذا على مع القرآن و القرآن مع على، خليفتان نصيران لا يفترقان حتى يردا على الحوض فأسئلهما ماذا خلّف فيهما «٢».

و

روى العياشى أنّه خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الجمعة بعد صلوة الظهر فكان من خطبته أنه قال: أيها الناس إني فرطكم و أنتم واردون على الحوض، و حوضى عرضه ما بين بصرى و صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضة ألا و انى سائلكم حين تردون على من الثقلين، فانظروا كيف تخلفونى فيهما حتى تلقونى، قالوا: و ما الثقلان يا رسول الله؟ قال (عليه السّلام): الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرف بيد الله و طرف فى أيديكم فاستمسكوا به لا تضلّوا و لا تدلّوا و الثقل الأصغر عترتى أهل بيتى فإنّه قد نبأنى اللطيف الخبير أن لا يفترقا حتى يلقيانى و سئلت الله تعالى لهما ذلك فأعطانيه فلا تسبقوهم فتهلكوا و لا تقصروا عنهم

(١) بحار الأنوار ج ٧ ط. السابق ص ٢٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٦ ط. السابق ص ٧٩٢ رواه عن كشف الغمّة. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٦١



فتهلكوا ولا تعلموهم فهم أعلم منكم «١»  
 ، إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الواردة في الباب.  
 اعلم أن خبر الثقلين مما تواتر نقله عنه (عليه السلام) من طرق الخاصة والعامة وقد يستدل به على استحقاق مولينا أمير المؤمنين (عليه السلام) للولاية الخاصة المتصلة دون غيره، أما اشتهاار الخبر من طرق الخاصة بل تواتره فمما لا ينكر بل وكذا من طرق العامة أيضا.  
 ففي «مسند» أحمد بن حنبل بالإسناد عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إني قد تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى وأحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض «٢».

وقد روى عن أبي بكر أنه قال: عترة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) على (عليه السلام).

و

روى أحمد بن حنبل أيضا فى «مسنده» باسناده إلى إسرائيل بن عثمان قال لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده فقلت له: أما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول إني تارك فيكم الثقلين؟ قال نعم «٣».

و

فيه باسناده إلى زيد بن ثابت قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إني تارك فيكم الثقلين خليفتي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى

(١) تفسير العياشى ج ١ ص ٤- إثبات الهداء ج ٣ ص ٥٣٩.

(٢) ملحقات الاحقاق ج ٩ ص ٣١١ نقلا عن مناقب احمد بن حنبل.

(٣) ملحقات الاحقاق ج ٩ ص ٣٢٢ نقلا عن أحمد بن حنبل فى المناقب المخطوط. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٦٢

الأرض وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض «١».

و

فى «صحيح» مسلم عنه (عليه السلام) أنه قام خطيبا فىنا بماء يدعى خمّا بين مكّة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال (عليه السلام): أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله تعالى ورغب فيه ثم قال (عليه السلام): وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى «٢».

و رواه مسلم بطريق آخر أيضا

«٣».

و

عن كتاب «الجمع بين الصحاح الستة» عن «سنن» أبى داود و عن «صحيح» الترمذى بإسنادهما عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فى عترتى «٤».

و

عن الشافعى ابن المغازلى من عدّه طرق بالإسناد عنه (عليه السلام): إنّه قال: إني أوشك أن ادعى فأجيب، وإني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى وإن اللطيف الخبير أخبرنى أنّهما لن

(١) ملحقات الاحقاق ج ٩ ص ٣٤٢ نقلا عن أحمد بن حنبل في المناقب المخطوط.

(٢) صحيح مسلم بن الحجاج ج ٧ ص ١٢٢ ط. محمد علي صبيح.

(٣) صحيح مسلم بن الحجاج ج ٧ ص ١٢٣.

(٤) صحيح الترمذى ج ١٣ ص ٢٠٠ ط. مصر. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٤٣

يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا ماذا تخلفوني فيهما «١».

قال عبد المحمود: لقد أثبت هذا في عدة طرق وقد تركت من الحديث بالمعنى مقدار عشرين رواية لئلا يطول الكتاب بتكرارها مسنده عن رجال الأربعة المذاهب المشهود لهم بالعلم والزهد والدين.

و من ذلك

باسناده إلى ابن أبي الدنيا من كتاب «فضائل القرآن» قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وقرابتي «٢».

و

ياسناده إلى علي بن ربيعة قال: لقيت زيد بن أرقم وهو يريد أن يدخل على المختار فقلت بلغني عنك شيء فقال: ما هو؟ قلت قلت سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إنني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي قال اللهم نعم «٣».

و

ياسناده عنه عليه السلام قال: إنني فرطكم «٤» على الحوض فأستلکم حين تلقوني عن الثقلين كيف خلفتموني فيهما فاعقل علينا لا ندرى ما الثقلان حتى قام رجل من المهاجرين فقال: يا نبي الله بأبي أنت و أمي ما الثقلان؟ قال (عليه السلام): الأكبر منهما كتاب الله طرف بيد الله تعالى و طرف بأيديكم فتمسكوا به لا تزلوا، و لا تضلوا و الأصغر منهما عترتي، من أستقبل قبلي و أجاب دعوتي فلا

(١) ملحقات الاحقاق ج ٩ ص ٣١١ نقلا عن مناقب ابن المغازلي المخطوط، و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٩٤ ط. مصر.

(٢) ملحقات الاحقاق ج ٩ ص ٣٥٩ نقلا عن العلامة ابن المغازلي الشافعي.

(٣) ملحقات الاحقاق ج ٩ ص ٣٢٢ نقلا عن احمد بن حنبل في المناقب المخطوط.

(٤) الفرط بفتح الفاء و الراء المتقدم في طلب الماء، فرط من باب قعد اي تقدم. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٤٤

تقتلوهم و لا- تغزوهم فإنني سئلت اللطيف الخبير فأعطاني، أن يردا على الحوض كهاتين و أشار بالمسبحه و الوسطى، ناصرهما ناصري، و خاذلهما خاذلي، و عدوهما عدوي، ألا و إنه لن تهلك أمة قبلكم حتى تدين بأهوائها و تظاهر على نبيها و تقتل من يأمر بالقسط فيها «١».

إلى غير ذلك مما رواه عنهم في «الطرائف».

و عن ابن بطريق في «العمدة» أنه رواه عن مسند أحمد بن حنبل ياسناده إلى علي بن ربيعة، و زيد بن ثابت، و أبي سعيد الخدري.

و عن «صحيح» مسلم ياسناده عن يزيد بن حيان «٢» و غيره من الأسانيد الكثيرة المذكورة فيه.

و في «تفسير» الثعلبي و «مناقب» ابن المغازلي «٣»، و عن الجمع بين الصحاح، الستة عن «سنن» أبي داود السجستاني، و «صحيح»

الترمذى «٤»، و رواه ابن الأثير في «جامع الأصول» «٥».

و روى أيضا عن كتاب «فضائل الصحابة» للسمعاني «٦» عن أبي سعيد الخدري و زيد بن أرقم مثل ما مرّ و

عن الثعلبي في تفسير قوله تعالى:

(١) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٣ ط. القديم نقلا عن الطرائف.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٤ ط القديم نقلا عن الطرائف.

(٣) المناقب المخطوط ص ١٥-١٩.

(٤) صحيح الترمذى ج ١٣ ص ٩٩-٢٠٠ ط. مصر.

(٥) جامع الأصول لابن الأثير ج ١ ص ١٨٧.

(٦) الحافظ أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني النيسابوري توفى سنة ٤٨٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٦٥

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴿١﴾ بأسانيد قال: قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):

أيها الناس إنى قد تركت فيكم الثقلين خليفين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدى أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض أو (قال: إلى الأرض) وعترتى أهل بيتى، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض «٢».

ورواه الحميدى «٣» فى «الجمع بين الصحيحين» بعدة طرق.

و

روى السيوطى فى «الدر المنثور» بالإسناد عنه عليه السلام: إنى تركت فيكم خليفين كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء إلى الأرض

وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض «٤».

ورواه أيضا عن ابن سعد وأحمد والطبرانى.

وبالجملة فالإمامة متفقه على نقله وقبوله، ولذا قال السيد «٥» رضى الله عنه فى

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٥ ط. القديم نقلا عن الطرائف.

(٣) الحميدى الحافظ ابو عبد الله محمد بن ابو نصر الاندلسى توفى ببغداد سنة ٤٨٨.

و من شعره: لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهديان من قيل وقال

فاقلل من لقاء الناس إلاخذ العلم أو إصلاح حال

(٤) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٦٠ ط. مصر.

(٥) السيد علم الهدى ابو القاسم على بن الحسين الشهير بالسيد المرتضى كان متكلماً، فقيها أصولياً، أدبياً لغوياً صاحب تصانيف قيمة

منها الشافى الذى لم يكتب مثله فى الإمامة توفى سنة ٤٣٦- قيل انه ينشأ فى احتضاره البيتين: لئن كان حظى عاقنى عن سعادتى فإن

رجائى واثق بحليم

و إن كنت من زاد التقيء و التقى فقيرا فقد أمسيت ضيف كريم تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٦٦

الشافى إن الامة تلقت له بالقبول و إن أحدا منهم مع اختلافهم فى تأويله لم يخالف فى صحته و هذا يدل على أن الحجّة قامت به فى

أصله و أن الشك مرتفع فيه، و من شأن علماء الامة إذا ورد عليهم خبر مشكوك فى صحته أن يقدموا الكلام فى أصله و ان الحجّة به

غير ثابتة ثم يشرعوا فى تأويله فإذا رأينا جمعهم عدل عن هذه الطريقة فى هذا الخبر و حمله كل منهم على ما يوافق طريقته و مذهبه

دل ذلك على صحة ما ذكرناه.

و

عن إبراهيم بن محمد الحموينى «١» و هو من أعيان علمائهم بالإسناد عن زيد بن أرقم: قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ

سلم): إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي أهل بيتي و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض «٢». و عنه مثله بإسناد آخر و زاد: ألا و هما الخليفتان من بعدى.

و

عنه بالإسناد عن عطية العوفى «٣» عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): إني تارك فيكم أمرين أحدهما أطول من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف بيد الله و عترتي، ألا و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فقلت لأبى سعيد: من عترته؟ قال: أهل بيته «٤». ثم رواه أيضا من طرق كثيرة باختلاف الألفاظ تركناها خوف الإطالة.

(١) الشيخ إبراهيم بن محمد بن أبى حمويه الحموينى توفى سنة ٧٢٢.

(٢) ملحقات الاحقاق ج ٩ ص ٣٢٥ نقلا عن فرائد السمطين للحموينى المخطوط.

(٣) عطية بن سعد بن جنادة العوفى كان من المفسرين، تلمذ على عبد الله بن عباس و أخذ عنه التفسير و هو صاحب جابر الانصارى فى زيارة الحسين (عليه السلام) يوم الأربعين توفى سنة ١١١ فى الكوفة، تقدم ذكره.

(٤) ملحقات الاحقاق ج ٩ ص ٣١٤ نقلا عن الحموينى فى فرائد السمطين المخطوط.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٦٧

و

روى ابن أبى الحديد «١» فى شرح النهج عن الواقدى قال: سئل الحسن البصرى «٢» عن على (عليه السلام)، و كان يظنّ به الانحراف عنه و لم يكن كما ظنّ فقال: ما تقول فيمن جمع الخصال الأربع: إيمانه على برائه، و ما قال له فى غزاة تبوك فلو كان غير النبوة شىء لاستنناه، و قوله (عليه السلام): الثقلان كتاب الله و عترتي، و إنه لم يؤمر عليه أمير قنّ و قد أمرت الأمراء على غيره «٣».

و

عن أبى الحسن الفقيه فى «المناقب المأة» عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و على بن أبى طالب و هو أفضل لكم من كتاب الله لأنه مترجم لكم عن كتاب الله.

و عن موفق بن أحمد من أعيان علمائهم «٤» بالإسناد عن مجاهد قال قيل لابن عباس: ما تقول فى على (كرم الله وجهه)؟ فقال: ذكرت و الله أحد الثقلين سبقنا بالشهادتين، و صلى بالقبلتين، و بايع البيعتين، و هو أبو السبطين الحسن و الحسين و ردت عليه الشمس مرتين بعد ما غاب عن القبلتين، و جرد السيف تارتين، و هو

(١) ابن أبى الحديد عز الدين المعتزلى عبد الحميد الأديب المؤرخ و كان مذهبه الاعتزال كما شهد لنفسه فى احدى قصائده السبعة فى مدح أمير المؤمنين (عليه السلام): و رأيت دين الاعتزال و إننى أهوى لأجلك كلّ من يتشيع، توفى ببغداد سنة ٦٥٥.

(٢) الحسن بن يسار البصرى من المنحرفين عن أهل البيت و كانت أمه خيره مولاة أم سلمه توفى سنة ١١٠.

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٦٩ ط. القاهرة.

(٤) موفق بن أحمد أبو المؤيد أخطب خوارزم كان فقيها، محدثا، خطيبا، شاعرا له كتاب فى مناقب أهل البيت عليهم السلام توفى سنة ٥٦٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٦٨

صاحب الكونين فمثله فى الامه مثل ذى القرنين ذاك مولاى على بن أبى طالب (عليه السلام).

و

عن الثعلبي بالإسناد عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله يقول: أيها الناس إنني تركت فيكم الثقلين خليفين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدى أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض «١» ، إلى غير ذلك من الطرق الكثيرة التي لا داعي إلى استقصائها بعد وضوح صحّة النقل و تواتر الخبر بين الفريقين.

نعم ينبغي التنبيه على أمور:

أحدهما: أنّ الثقلين مأخوذ من الثقل بالفتحتين، قال في القاموس: الثقل محرّك متاع المسافر و حشمه و كلّ شيء نفيس مصون، و منه حديث

إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي.

و عن الحموي عن تغلب أنّه سئل عن معنى

قوله (عليه السلام): إنني تارك فيكم الثقلين

لم سميتا بثقلين؟ قال: لأنّ التمسك بهما ثقيل.

و قال ابن أبي الحديد في شرح

قوله (عليه السلام): عملت فيكم بالثقل الأكبر

يعنى الكتاب،

و خلّفت فيكم الثقل الأصغر

يعنى ولديه لأنهما بقيّة النقل الأصغر فجاز أن يطلق عليهما بعد ذهاب من ذهب منه، و إنّما سمى النبيّ (صلّى الله عليه و آله و سلم) الكتاب و العتره الثقلين لأنّ الثقل فى اللغه متاع المسافر و حشمه.

فكان النبيّ (صلّى الله عليه و آله و سلم) لَمّا شارفه الانتقال إلى جوار ربه جعل نفسه كالمسافر الذى ينتقل من منزل الى منزل و جعل الكتاب و العتره كمتاعه

(١) ينابيع الموده ص ٣١ ط. اسلامبول نقلا عن الثعلبي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٦٩

و حشمه لأنهما أخصّ الأشياء به «١».

و قال ابن الأثير فى «النهاية»:

إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي

سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذ بهما و العمل بهما ثقيل و يقال لكلّ خطير نفيس ثقيل فسمّاهما ثقلين إعظاما لقدرهما و تفخيما لشأنهما «٢».

و فى «مجمع البيان»: الثقلان أصله من الثقل و كلّ شيء له قدر و وزن فهو ثقل، و منه قيل لبيض النعامه ثقل، و إنّما سميت الإنس و الجن ثقلين لعظم خطرهما و جلاله شأنهما بالإضافة إلى ما فى الأرض من الحيوانات و لثقل وزنهما بالعقل و التمييز، و منه قول النبيّ (صلّى الله عليه و آله و سلم): إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي سماهما ثقلين لعظم خطرهما و جلاله قدرهما «٣».

قلت: و أنت ترى أنّ صريح الفيروز آبادى كظاهر غيره أنه بالفتحتين و منه يظهر ضعف ما قيل: إنه بالكسر فالسكون ثم إنّهما إنما سميتا لثقلهما و نفاستهما و عظم خطرهما و لثقل العمل بهما و الالتزام بأحكامهما، و الوفاء بعهودهما حيث إنّ مرجعهما إلى الولاية التى

ضَلَّ فيها من ضَلَّ و هلك من هذه الأئمة فإنها لم تهلك في الله و لا- في رسول الله و إنما هلكت بالغلوَ و التقصير في مولينا أمير المؤمنين و لميلهما إلى المركز الحق في أقصر الخطوط الذي هو الصراط المستقيم و إنه لدى الله لعلّي الحكيم.

ثانيها: أنه قد فسرت العترة في غير واحد من الأخبار المعبرة بأهل بيته (صلى الله عليه و آله و سلم)، و لذا جعل بيانها لها في كثير من الأخبار المتقدمة.

و

في الخبر عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن عترة النبي (صلى الله عليه

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٣٢ ط. القاهرة.

(٢) النهاية ج ١ ص ٥٥ ط. مصر.

(٣) مجمع البيان ج ٥ ص ٢٠٤ ط. مصر. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٧٠

و آله و سلم) فقال (عليه السلام) هم أصحاب العباء «١».

و

في «المعاني» عنه (عليه السلام) عن آباءه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن معنى قوله (عليه السلام): إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي من العترة فقال (صلى الله عليه و آله): أنا و الحسن و الحسين و الأئمة التسعة من ولد الحسين (عليهم السلام) تاسعهم مهديهم و قائمهم لا يفارقون كتاب الله و لا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حوضه. «٢».

و في «القاموس» العترة بالكسر: قلادة تعجن بالمسك و الافاوية «٣»، و نسل الرجل، و رهطه، و عشيرته الأذنون ممن مضى و غير «٤».

و

في «النهاية» في الخبر: خلفت فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي

، عترة الرجل أخص أقاربه، و عترة النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بنو عبد المطلب و قيل: أهل بيته الأقربون و هم أولاده و على و أولاده، و قيل: عترته (عليه السلام)، الأقربون و الأبعدون منهم و المشهور و المعروف أن عترته أهل بيته الذين حرمت عليهم الزكاة «٥».

أقول: و قد مضى فيما رواه الحمويني عن أبي سعيد الخدري أن عترته أهل بيته «٦».

(١) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٣٤ ط. القديم.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٣٤ ط. القديم.

(٣) الافاوية قطعة مسك خالصة.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس ج ٣ ص ٣٨٠ ط بيروت.

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس ج ٣ ص ٣٨٠ نقلا عن ابن الأثير في النهاية.

(٦) ملحقات الاحقاق ج ٩ ص ٣١٤ نقلا عن فرائد السمطين للحمويني.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٧١

و في «المصباح المنير» العترة: نسل الإنسان، قال الأزهرى «١»: و روى تغلب عن ابن الأعرابي أن العترة ولد الرجل و ذريته و عقبه من صلبه و لا تعرف العرب من العترة غير ذلك و يقال رهطه الأذنون و يقال: أقرباؤه، و منه قول أبي بكر: نحن عترة رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) التي أخرج منها، و بيضته التي تفقت عنه، و عليه قول ابن السكيت «٢»: العترة و الرهط بمعنى و رهط الرجل قومه و

قبيلته الأقربون.

أقول: قد سمعت في الخبرين المتقدمين بل في كثير من الأخبار المتقدمة تفسير العترة بخصوص أصحاب العباء عليهم السلام، وصفاً أو شخصاً و باهل بيته المشار إليهم في آية التطهير بقوله تعالى:

(١) الأزهرى أبو منصور محمد بن أحمد الهروى الشافعى كان من أعظم علماء اللغة ولد سنة ٢٨٢ و توفى سنة ٣٧٠.  
(٢) ابن السكيت بكسر السين و تشديد الكاف هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدورقى الأهوازى الشيعى أحد أئمة اللغة و الأدب و كان ثقة جليلاً و له تصانيف كثيرة مفيدة مثل إصلاح المنطق، قتل بأمر المتوكل فى خامس رجب سنة ٢٤٤ و سبب قتله أن المتوكل قال له يوماً:

أيما أحب إليك ابنى هذان: اى المعتر و المؤيد؟ أم الحسن و الحسين؟ فقال ابن السكيت: و الله إن قنبراً خادم على بن أبى طالب (ع) خير منك و من بنيك، فقال المتوكل للأتراك: سلوا لسانه من ففاه فمات بعد غد ذلك اليوم، و من الغريب أنه وقع فيما حذره من عثرات اللسان بقوله:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه\* و ليس يصاب المرء من عثرة الرجل فعثرته بالقول تذهب رأسه\* و عثرته بالرجل تبرء عن مهل - سفينة البحار ج ١ ص ٦٣٦-.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٧٢  
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً «١»، و لا- ريب ان المراد بأهل البيت هو أمير المؤمنين و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهما السلام)، كما ورد فى المتواتر من أخبار الفريقين.  
فعن مسلم فى «صحيحه» و صاحب «المشكاة» فى كتابه عن سعد بن أبى وقاص قال: لما نزلت آية المباهلة دعا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً فى بيت أم سلمة و قال: اللهم هؤلاء أهلى «٢»، و أخرجه الترمذى «٣».

و قال ابن عبد البرّ فى «الإستيعاب»: لما نزلت الآية دعا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فاطمة و علياً و حسناً و حسيناً فى بيت أم سلمة و قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا «٤».

و فى «صحيح» الترمذى و «جامع الأصول» عن أم سلمة قالت: نزلت الآية فى بيتى و أنا جالسة عند الباب، فقلت: يا رسول الله أ لست من أهل البيت؟ فقال (عليه السلام): انك إلى خير أنت من أزواج رسول الله، قالت: و فى البيت رسول الله و على و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهم السلام)، فجلّهم بكساء و قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا «٥».  
و روى الثعلبى فى تفسيره أخباراً كثيرة فى اختصاص الآية بهم (عليهم

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) صحيح مسلم بن الحجاج النيسابورى ج ٢ ص ١١٩ ط. مصر.

(٣) صحيح الترمذى ج ١٣ ص ١٧١ ط. مصر.

(٤) الاستيعاب للحافظ ابن عبد البرج ٢ ص ٤٦٠ حيدرآباد الدكن.

(٥) صحيح الترمذى ج ١٣ ص ٢٤٨ ط. مصر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٧٣

(السلام) (١).

بل في «صحيح» مسلم و البخارى و أبى داود و الترمذى و «الجمع بين الصحيحين» للحميدى، و «الجمع بين الصحاح الستة» و غيرها من كتبهم أخبار كثيرة تدل على تفسير أهل البيت و العترة بهم خاصية، و ستمسح إن شاء الله شطرا منها عند تفسير آية المباهلة و التطهير، و قوله تعالى: وَ أُمُّ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ (٢) و غيرها فى الآيات، و من هنا يتضح معنى العترة من غير حاجة إلى الرجوع إلى كلمات أهل اللغة مع أن ذلك هو المتفق عليه من كلماتهم على اختلافها حيثما سمعت.

و أميا دعوى أبى بكر كونه من العترة فليست بأقرب من تقمصه الخلافة التى هو يعلم أن محل أمير المؤمنين عليه السلام منها محل القطب من الرحى، مضافا إلى أنه قد مر فى المروى عن «مسند» أحمد بن حنبل عن أبى بكر أنه قال: عترة النبى (صلّى الله عليه و آله و سلم) على (عليه السلام)، و الفضل ما شهدت به الأعداء على أن المحكى عن ابن الأعرابى فى دعوى أبى بكر كونه من العترة بالبلد و البيضة.

قال الصدوق (قدس الله روحه) حكى محمد بن بحر الشيبانى، عن محمد بن عبد الواحد صاحب أبى العباس تغلب فى كتابه الذى سماه كتاب «الياقوتة» أنه قال:

حدثنى أبو العباس تغلب قال: حدثنى ابن الأعرابى قال: العترة قطاع المسك الكبار فى النافجة، و تصغيرها عتيرة و العترة الريقة العذبة و شجرة تنبت على و جار «٣» الضب أو الضبع إذا خرجت من و جارها تمرغت على تلك الشجرة فهى لذلك لا تنمو و لا تكبر و العرب تضرب مثلا للدليل و الدلة فيقولون أذل من عترة

(١) ملحقات الاحقاق ج ٩ ص ٢ نقلًا عن أبى إسحاق الثعلبى فى الكشف و البيان.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) الوجار بالكسر و الفتح جحر الضبع و غيرها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٧٤

الضب، و العترة ولد الرجل و ذريته من صلبه فلذلك سميت ذرية محمد (صلّى الله عليه و آله و سلم) من على و فاطمة عترة محمد (صلّى الله عليه و آله و سلم) قال تغلب: فقلت لابن الأعرابى: فما معنى قول أبى بكر فى السقيفة نحن عترة رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلم) قال: أراد بلدته و بيضته و عترة محمد (صلّى الله عليه و آله و سلم) لا محالة ولد فاطمة (عليها السلام)، و الدليل على ذلك رد أبى بكر و إنفاذ على (عليه السلام) بسورة براءة و

قوله (صلّى الله عليه و آله و سلم): أمرت أن لا يبلغها منى إلا أنا أو رجل منى فأخذها منه، و دفعها إلى على (عليه السلام)

و قد قيل: إن العترة الصخرة العظيمة يتخذ الضب عندها جحرا يأوى اليه و هذا لقله هدايته، و قد قيل: إن العترة أصل الشجرة المقطوعة التى تنبت من أصولها و عروقها و العترة فى غير هذا المعنى قول النبى (صلّى الله عليه و آله و سلم) لا قرعة و لا عتيرة.

قال الأصمعى «١» كان الرجل فى الجاهلية ينذر نذرا على أنه إذا بلغت غنمه مائة أن يذبح رجبية «٢» و عتاره «٣» فكان الرجل ربما بخل بشاته فيصيد الظباء و يذبحها عن غنمه، و يقال: العترة الذكر، و العترة الريح، و العترة أيضا شجرة كثيرة اللبن صغيرة يكون نحو القامة، و أنه نبت مثل المرزنجوش ينبت متفرقا.

(١) الأصمعى عبد الملك بن قريب بن عبد الملك البصرى اللغوى الأديب توفى سنة ٢١٦.

(٢) الرجبية ذبيحة كانت تذبح فى رجب يتقرب بها أهل الجاهلية و الإسلام نسخها، تاج العروس ج ٣ ص ٣٨٠.

(٣) العتار جمع العتيرة كذبيحة و هى الرجبية، قال الزبيدى فى شرح القاموس فى كلمة العتيرة:



إن الرجل كان يقول في الجاهلية إن بلغت إبلى مائة عترت عنها عتيرة فإذا بلغت مائة ضمن بالغنم فصاد ضييا فذبحه.

- تاج العروس ج ٣ ص ٣٨٠-

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٧٥

ثم قال الصدوق (رضى الله عنه) والعتره على بن أبي طالب و ذريته من فاطمة (عليها السلام)، و سلالة النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و هم الذين نصّ الله تبارك و تعالى عليهم بالإمامة على لسان نبيه (صلى الله عليه و آله و سلم) و هم اثني عشر أولهم على و آخرهم القائم (عليهم السلام) على جميع ما ذهب إليه العرب من معنى العتره و ذلك أن الأئمة (عليهم السلام) من بين جميع بنى هاشم و من بين جميع ولد أبي طالب كقطاع المسك الكبار في النافجة و علومهم العذبة عند أهل الحكمة و العقل. و هم الشجرة التي أصلها رسول الله و أمير المؤمنين فرعها و الأئمة من ولده أغصانها و شيعتهم ورقها و علمهم ثمرها. و هم (عليهم السلام) أصول الإسلام على معنى البلدة و البيضة.

و هم (عليهم السلام) على معنى الصخرة العظيمة التي يتخذ الضبّ عندها حجرا يأوى اليه لقلته هدايته.

و هم أصل الشجرة المقطوعة لأنهم و تروا و ظلموا و جفوا و قطعوا و لم يوصلوا فنبتوا من أصولهم و عروقهم، لا- يضّرهم قطع من قطعهم و إدبار من أدبر عنهم إذ كانوا من قبل الله منصوبا عليهم على لسان نبي الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، و من معنى العتره هم المظلّمون المؤاخذون بما لم يجرموه و لم يذنبوه و منافعهم كثيرة.

و هم ينابيع العلم على معنى الشجرة الكثيرة اللبّين.

و هم (عليهم السلام) ذكران غير إناث على معنى قول من قال: إن العتره هو الذكر و هم جند الله (عز و جل) و حزبه على معنى قول الأصمعي: إن العتره الريح

قال النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) الريح جند الله الأكبر في حديث مشهور عنه

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٧٦

«١» و الريح عذاب على قوم و رحمة للآخرين.

و هم (عليهم السلام) كذلك كالقرآن المقرون إليهم

بقول النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) إني محلّف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي أهل بيتي

قال الله (عزّ و جل): وَ نَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً «٢» و قال تعالى: وَإِذَا مَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَ مَاتُوا وَ هُمْ كَافِرُونَ «٣».

و هم (عليهم السلام) أصحاب المشاهد المتفرقة على المعنى الذي ذهب اليه من قال: إن العتره هو نبت مثل المرزنجوش ينبت متفرقا و بركاتهم منبئة في المشرق و المغرب «٤».

انتهى كلامه زيد مقامه، و إنما حكيناها بطوله لاشتماله على معاني العتره و تطبيقها على ما هو المقصود به في المقام و لو على وجه المجاز و الاستعارة و إن كان كثير منها لا يخلو عن تكلف و لعل الأولى من جميع ذلك ما أشرنا إليه من كونه مفسرا في كلام النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بأهل البيت و لو على وجه البدلية أو عطف البيان حسبما مرّت اليه الإشارة.

ثالثها: أنه قد يقال: المراد بعدم افتراقهما أن لفظ القرآن كما انزل و تفسيره

(١) عن ابن عباس انه قال: الماء و الريح جندان من جنود الله، و الريح جند الله الأعظم - بحار الأنوار ج ١٤ ط. القديم.

(٢) الإسراء: ٨٢.

(٣) التوبة: ١٢٤-١٢٥.

(٤) بحار الأنوار ج ٧ ص ٣١ ط. القديم نقلا عن الصدوق (قدس سرّه).

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٧٧

و تأويله عندهم و هم يشهدون بصحة القرآن و القرآن يشهد بحقيقتهم و إمامتهم و لا يؤمن بأحدهما إلّا من آمن بالآخر. قلت: و يحتمل أيضا أن يكون المراد به مضافا إلى ذلك تطابق النسختين و توافق العالمين فإنّ كلا منهما، مشتمل على جميع ما فى الكون الكبير من الحقائق و المعارف و العلوم و الارتباطات و الإضافات و التكوينيات و التشريعات غاية الأمر أنّه فى أحدهما على وجه التكوين و الإحاطة و العلم و فى الآخر على وجه التدوين و الإشراق و الوضع مع دوام المصاحبة و الموافقة بينهما فى كونهما الحجة على الأمة و كونهما خليفتين لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى التبليغ و الإرائة و الإيصال و فى كونهما الشاهدين على هذه الأمة بل على جميع الأمم فى الدنيا و الآخرة على أعمالهم و أفعالهم و الشافعين لهم فى يوم القيامة مضافا إلى أنّ لهما نوعا من الاتحاد و المساوقة و المطابقة فى عالم الأنوار فإنّ أحدهما تكوين الآخر كما أنّ الآخر تدوين الأوّل و لعلّه لذا و لغيره مما ذكر فسّر الكتاب بهم فى كثير من الآيات المفسّرة بالأخبار كما ورد فى أخبار كثيرة أنّ المراد بالكتاب و أمّ القرآن أمير المؤمنين (عليه السلام) و من المشهور عنه (عليه السلام) انا كتاب الله الناطق.

و

فى الكافى عن الصادق (عليه السلام) فى قوله تعالى اَنْتَ بَقْرَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَلُهُ «١» قال (عليه السلام): قالوا أو بَدَل علينا «٢» ، و ما أحسن ما قيل

(١) يونس: ١٥.

(٢)

فى البحار ج ٩ ص ١١١ نقل عن العياش عن الصادق (عليه السلام) فى قول الله (أنت بقرآن غير هذا أو بَدَله) يعنى أمير المؤمنين (عليه السلام). تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٧٨

فى المقام شعرا:

ساووا كتاب الله إلّا أنّه هو صامت و هم الكتاب الناطق

رابعها: أنّه قد سمعت تفسير الثقل الأكبر بالكتاب و الأصغر بالعترة و الأخبار متفقّة على هذا المعنى و ربما يشكّل بأنّه من الواضح سبق عالم التكوين على التدوين و أنّ تدوين الكتاب بظهوره و تمام بطونه رشحة من رشحات أنوار علومهم و معارفهم مع أنّه قد ورد أنّهم كلام الله الناطق و القرآن كلامه الصامت و أيضا القرآن و صفهم و خلقهم الموصوفون المتخلّقون به، بل قد مرّ فى كلام المجلسى أنّ من انتقش فى قواه ألفاظ القرآن و فى عقله معانيه و اتّصف بصفاته الحسنّة على ما هى فيه.

و احترز عمّا نهى الله عنه فيه و اتّعظ بمواعظه و صير القرآن خلقه و داوى به أدوائه فهو أولى بالتعظيم و الإكرام، و لذا ورد أنّ المؤمن أعظم حرمة من القرآن و الكعبة، و على هذا لم أر أحدا من الأصحاب تعرّض لأصله فضلا عن حلّه نعم ذكر الشيخ الاحسائى «١» أنّ ما أورد على هذا الحديث من إشكال كونهم (عليه السلام) الثقل الأصغر قد أجبنا عنه فى أجوبتنا لمسائل الملا كاظم السمنانى و حاصل ما ذكره هناك بطوله أنّ لهم (عليهم السلام) ثلاث مراتب:

الأولى: مرتبة المعانى و هم فى تلك الحال الأعلى الذى لا يظهر بالكلام و لا يدرك بالأفهام و إنّما الواجب على كل من دنى من

## تلك الطلوع «٢» كمال الصمت

(١) الاحسائي احمد بن زين الدين البحراني متفلسف شيعي و هو مؤسس مذهب الكشفيه نسبة الى الكشف و الإلهام و كان يدعيهما و تبعه جمع يقال لهم الشيخية، ولد في الأحساء ١١٦٦ هـ. و تعلم في بلاد فارس و تنقل بينها و بين العراق، و سكن البحرين. و مات حاجًا بقرب المدينة و حمل إليها فدفن فيها سنة ١٢٤١ هـ- الاعلام ج ١ ص ١٢٤.

(٢) الطلوع بضم الطاء جمع الطلل بفتح الطاء و هو الموضع المرتفع.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٧٩

و تمام الخمول، و ذلك أعلى معاني

(نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا) «١»

و تلك المنازل لا يمكن أن يحل بساحتها أحد إلا من سكن فيها و خرج منها، و هي المعاني التي يسئل الأنبياء ربهم بها، و الأولياء يدعونها بها و هو

قول الحجّة عجل الله فرجه في دعاء رجب: اللهم اني أسئلك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون على سرك «٢».

و في هذا المقام هم أفضل من القرآن و كل شيء من خلق الله.

الثانية: مرتبة الأبواب و هم فيها باب الله الذي يصدر منه الفيض إلى جميع ما في الوجود المقيّد بعد هم، و هم في هذه المرتبة مساوون للقرآن، لأنهم الآن في رتبة العقل الأول، و العقل الأول هو الملك الأعظم المسمّى بالروح، من أمر الله، و هو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش، و هو القران في الباطن، و أما افتراقا من جهة الظهور، فالظهور في اللفظ قرآن، و الظهور في الصورة الملكية روح من أمر الله تعالى، و قد أشار سبحانه إليه في كتابه العزيز في قوله: وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «٣» و الروح من أمر الله هو الموحى إليه و هو الملك المسمّى بروح القدس الأعلى و هو المجعول نوراً يهدي به الله من يشاء من عباده و هو القرآن، و من نظر بفؤاده في هذه الآية الشريفة عرف بدليل الحكمة أنه القرآن و أنه الملك الأعظم فإنه هو الذي يقذف الله الوحي في قلبه، و هو معهم

(١) سفينة البحار ج ٦ / ٢٢٢- البحار ج ٨ / ٣٤١.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٤٣ ط. القديم.

(٣) الشورى: ٥٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٨٠

يسددهم، فلا يعلمون شيئاً إلا بواسطته و هذا هو القرآن فإن الله أخبر في مواضع متعدّدة أنه (عليه السلام) لا يعلم شيئاً قبل القرآن مثل قوله تعالى: مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا «١» فهم (عليه السلام) في مرتبة الأبواب مساوون في القرآن.

الثالثة: مرتبة الإمامة و هو هذا الأدنى الظاهر الذي فرض الله طاعته على عباده، و هو في هذا المقام لا يعلم شيئاً إلا من القرآن، و ما نزل به جبرئيل (ع) و الملائكة (عليهم السلام) في ليلة القدر و غيرها إنما هو في بيان ما انطوى عليه القرآن من الخفايا، و لهذا وصف الله علياً بالعلم في غاية الوصف حيث قال تعالى:

وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ «٢» و قال تعالى: مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ «٣».

فأخبر عن كتابه المجيد أنه تفصيل كل شيء.

و

روى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) سئل هل عندكم من رسول الله شيء من الوحي سوى القرآن؟ قال (عليه السلام): لا والذي فلق الحبة، و برىء النسمة إلا أن يعطى الله عبدا فهما  
 فى كتابه إشارة الى قصة نوح: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا «٤» يعنى القرآن وقوله تعالى فى سورة يوسف: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ «٥» أى من قبل القرآن، وقال تعالى فى

(١) هود: ٢٩.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) يوسف: ١١١.

(٤) هود: ٤٩.

(٥) يوسف: ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٨١

آخر سورة يوسف: ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ «١» و أمثال ذلك مما يدل على أن علمهم مستفاد من القرآن و أن ما فى الغابر و المزبور و مصحف فاطمة (عليها السلام) و الجفر و الجامعة و غير ذلك كله من القرآن فإن الله سبحانه يقول: وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ «٢».

و من المعلوم عند العلماء مما لا يختلفون فيه أن الكتاب التدوينى مطابق للكتاب التكوينى و لهذا

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) فى تفسير باء البسملة: لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير باء بسم الله الرحمن الرحيم «٣»

و

قال الباقر (عليه السلام): لو وجدت لعلمى الذى آتانى الله (عزّ و جل) حملة لنشرت التوحيد و الإسلام و الإيمان و الدين و الشرائع من الصمد «٤» الحديث

و أمثال ذلك.

فاذا عرفت المراد ظهر لك أن القرآن هو الثقل الأكبر فى هذه المرتبة و هم الثقل الأصغر لأنّ حكمهم تابع لحكم القرآن لا العكس و هم حملته و معنى الثقل محرّكا الشىء النفيس المصون، و سميّا بذلك لأنّ التمسك بهما ثقيل و هذا المعنى فى بيان كون القرآن الثقل الأكبر و هم (عليهم السلام) الثقل الأصغر حقيقى.

و

عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم):

(١) يوسف: ١٠٢.

(٢) يس: ١٢.

(٣) هذا الحديث رواه الفريقان مع اختلاف و تفاوت كما مرّ ففى بعض الكتب كالينابيع و شرح العين و زين الحلم، و الروض الأزهر و غيرها سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب، و فى بعضها كمطالب السئول بعيرا من تفسير بسم الله الرحمن الرحيم و فى بعضها كلطائف المنن ثمانين بعيرا من معنى الباء.

(٤) بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٢٥ ط. طهران الآخوندى. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٨٢  
 إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَطْوَلُ مِنَ الْآخِرِ كِتَابَ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ طَرَفٌ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفٌ بِيَدِ عَتْرَتِي الْأَوْلى  
 إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ.

قيل لأبى سعيد: ومن عترته؟ قال: أهل بيته «١». و العبارة عنه فى الظاهر أن المراد أن القرآن بمنزلة العقل، و هم بدون العقل بمنزلة  
 الجسم، و لا- ريب أن العقل أكبر من الجسم، أما إذا اعتبرت العاقل فإنه أكبر من العقل و العقل هنا فى هذا المثال هو المرتبة الأولى  
 المعبر عنها بالمعاني، و هو جواب آخر لسائر الناس، و هو أن الحكيم لا يخاطب الناس إلا بما يعرفون، و الذى يعرفونه أنهم (عليهم  
 السلام) إنما يأخذون من القرآن فيكون هو الثقل الأكبر.

و هو (عليه السلام) أراد بأهل بيته الذين هم الثقل الأصغر ظاهرهم بين الناس و يريد به مرتبتهم الثالثة كما قررنا فلاحظ. و أما إنهم  
 (عليهم السلام) كتاب الله الناطق و القرآن كتاب الله الصامت كما قال على (عليه السلام).

فالمراد أن القرآن صامت بالحق لا ينطق بالحق إلا بحملته فالكتاب ينطق بالحق بلسان حامله و إلا فهو صامت و لا ينتفع بالصامت و لا  
 يكون حجة حال صمته، فالناطق من هذه الحثية أفضل لعموم الانتفاع و قيام الحجة به.

و كون أنه ليس فى ذرات الوجود بعد النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أعلى رتبة منهم صحيح فى المرتبة الأولى، و أما فى المرتبة  
 الثالثة فهم يتعلمون من الملائكة، و من سائر الموجودات كما أخبر الميمون عليا (عليه السلام) و هو راكب عليه حين حفر المنافقون له  
 حفيرة فى الطريق و غطوها بالدغل فلما قرب منها أخبره حصانه

(١) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للحافظ السيوطى ج ٢ ص ٦٠ ط. مصر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٨٣

بذلك، و غير ذلك من الأمور التى لا تتمشى إلا على أحوالهم الظاهرة.

و القرآن مشحون فى حق النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بمثل ذلك مثل قوله تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ «١» و قوله  
 تعالى: وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاشْتَكَيْتُكَ مِنَ الْخَيْرِ وَ مَا مَسَّنِيَ السُّوءُ «٢» و فى كل هذه الأحوال هم الثقل الأصغر، و أما كون القرآن  
 علمهم و العالم أعلى رتبة من العلم فذلك فى مرتبتهم الأولى. انتهى كلامه.

و هو و إن أجاد فى كثير مميّا أفاد إلا أنه لم يأت بتمام المراد، إذ كما أن لهم (عليهم السلام) مراتب مترتبة منزلة فكذلك للقرآن  
 الموصوف بالتنزيل أيضا حسبما مرت إليه الإشارة و طريق المقايسة بين الشيتين إنما هو مع الإغماض عن المراتب فى البين أو مع  
 ملاحظتها من الجانبين على أن ذلك لو كان هو الوجه فى تفضيله عليهم لكان مفضلا على رسول الله أيضا و هو كما ترى و لعله  
 يلتزم به كما يستفاد من أواخر كلامه.

و على كل حال فالذى يختلج بالبال فى حل الإشكال هو أنك قد سمعت فيما أشرنا إليه أن كتاب كل من الأنبياء إنما هو مساوق  
 لرتبة وجوده و مقام شهوده إلا أن الاختلاف من جهة التكوين و التدوين، و لذا كان هذا الكتاب مهيمنا على جميع الكتب كما أن نبينا  
 (صلى الله عليه و آله و سلم) كان مهيمنا على جميع الأنبياء، و حيث إنهم عليهم السلام كانوا أنزل منه رتبة فى عالم التكوين بثمانين  
 ألف سنة حسبما سمعت فى الخبر المتقدم لا- جرم كانوا أصغر منه، و مما ساوق وجوده و هو كتابه التدوينى فالكبر و الصغر إنما  
 لوحظا بالنظر الى مقامه (عليه السلام) و مقامهم (عليهم

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) الأعراف: ١٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٨٤

(السلام) و إن كان من جهة أخرى التكوين أفضل من التدوين، و لذا فضّل في العلويّ الناطق على الصامت بل قد مرّ في النبوي العامي المرويّ عن زيد بن ثابت عنه عليه السلام أنّ علي بن أبي طالب أفضل لكم من كتاب الله لأنّه مترجم لكم عن كتاب الله.

و أمّا وصف الأوّل بالكبر فكأنّما وصف به رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و إن وقع التعبير عنه بتدوين وجوده الذي هو القرآن و لذا ورد أنّه كان خلقه القرآن و سرّ التعبير التنبيه على الاستخلاف و غموض العلم و لزوم التعظيم و الإتياع و لذا سوى في ذلك بينهما حتى

ورد أنّه (عليه السلام) ضمّ بين سبأتيه، و قال: حتى يردا على الحوض كهاتين «١».

و أمّا ما قد يتوهّم من أنّه (عليه السلام) إنّما جعلهم الثقل الأصغر باعتبار أفهام الناس و اعتقاداتهم حيث إنّهم لم يعرفوهم حقّ معرفتهم فيه أنّه منه حيثنذ تقرير للناس على جهلهم و إبقاء لهم على ضلالتهم و هذا مناف لمنصبه الذي لا مسامح فيه لاحتمال المداهنة و الإغماض و التقيّة سيّما بعد أن ورد عنه و عن الأئمّة المعصومين (صلى الله عليهم أجمعين) في فضلهم و شرفهم ما هو أعظم من ذلك بل قد مرّ في كلام المجلسي أنّه روى عنهم تفضيل المؤمن على الكعبة «٢» و القرآن.

خامسها: أنّ أصحابنا الإمامية (عطر الله مراقدهم) قد استدلّوا بهذا الخبر على ولاية الأئمّة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) و خلافتهم بلا فصل و أنّهم

(١) ينابيع المودة ص ٣٤ و ١١٤ ط. اسلامبول.

(٢)

عن الصادق (عليه السلام): المؤمن أعظم حرمة من الكعبة. بحار الأنوار ج ١٥ ص ٢٠ ط. القديم. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص:

٢٨٥

مطهرون معصومون و أنّ إجماعهم، بل كلّ منهم حجّة بل يستفاد منه أنّ الأرض لا تخلو من واحد منهم أبدا.

و جملة الدلالة على كلّ ذلك أنّه (صلى الله عليه و آله) قد استخلف عترته و جعلهم خليفته في أمته، و تركهم فيها و قد قيل: إنّّه لا يكون شيء أبلغ من قول القائل: قد تركت فيكم فلانا، كما يقول الأمير إذا خرج من بلده و استخلف من يقوم مقامه لأهل البلد: قد تركت فلانا فيكم يراكم و يقوم مقامى، و كما يقول من أراد الخروج عن أهله و أراد أن يوكل عليهم و كيلا يقوم بأمرهم: قد تركت فيكم فلانا فاسمعوا له و أطيعوه، فإذا كان ذلك كذلك كان هو النصّ الجليّ الذي لا يحتمل غيره، إذ خلف في جميع الخلق أهل بيته و أمرهم بطاعتهم و الانقياد لهم، ثمّ إنّّه (عليه السلام) قد دلّنا بوجوه من الدلالة على أهليّتهم لذلك، و إنّهم معصومون مطهرون منصوبون لنصّه (عليه السلام) لحمل أعباء هذا الأمر الجليل و الخطب الجميل.

فذكر أوّلا أنّه هو الذي استخلفهم في قومه بعده الى يوم القيامة فليس لأحد نقضه و لا الاعتراض عليه في ذلك لأنّه لا يفعل ذلك إلّا بأمر من الله تعالى، و إرشاد و وحى منه سبحانه، لأنّه (عليه السلام) لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحى يوحى، و لذا قال تعالى أيضا: وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ «١».

و ثانيا: إنّّه عتبر بالخلافة الظاهرة بل الصريحة في المطلوب حيث، إنّ خليفته الرّجل في قومه على ما يظهر من العرف و اللغة من يقوم مقامه فيهم فيما كان له عليهم و لهم عليه و حيث إنّ الله سبحانه أوجب من طاعته عليه السلام على أمته و تسليمهم

(١) الحاقّة: ٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٨٦

و انقيادهم له ما أوجب حتى أنزل في ذلك: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ «١» قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ «٢» فلا بد أن يكون مثل ذلك ثابتا للعترة الذين هم أهل بيته.

ولذا وقع التصريح بالخلافة ووجوب الطاعة في المتواتر من أخبار الفريقين كما رواه الحافظ النطنزي في كتابه بالإسناد عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن علي بن أبي طالب وصي، وإمام أمتي وخليفتي عليها بعدى ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما والذى بعثني بالحق بشيرا ونذيرا إن الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر، الخبر «٣».

و عن كتاب «كفاية الطالب» بالإسناد عن ابن عباس قال: ستكون فتنة فمن أدركها منكم فعليه بخصلتين: كتاب الله تعالى و علي بن أبي طالب فإنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو آخذ بيد علي (عليه السلام) وهو يقول هذا أول من آمن بي وهو فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهو الصديق الأكبر وهو بابي الذي أوتى منه، وهو خليفتي من بعدى «٤».

و عن الأعمش عن أبي ذر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من نازع عليا في الخلافة بعدى فهو كافر وقد حارب الله ورسوله و من شك في علي

(١) النساء: ٨٠.

(٢) آل عمران: ٣١.

(٣) ينابيع المودة ص ٤٩٤ عن المناقب و في ص ٤٤٨ عن فرائد السمطين.

(٤) بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٢١٤ طبع الآخوندي نقلا عن كشف اليقين. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٨٧ فهو كافر «١».

و عن السمعاني في «فضائل الصحابة» بالإسناد عن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن خليلي و وزيرى و خليفتي في أهلي و خير من أترك بعدى و من ينجز موعدى و يقضى ديني، علي بن أبي طالب «٢».

و في «أمالي» أبي الصلت الأهوازي عن أنس، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إن أخي و وزيرى و وصيى و خليفتي في أهلي علي بن أبي طالب «٣».

و عن «مناقب» ابن المغازلي بالإسناد عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من ناصب عليا للخلافة بعدى فهو كافر «٤».

و من طريق الخاصة عنه (عليه السلام) لكل أمة صديق و فاروق و صديق هذه الأمة و فاروقها علي بن أبي طالب، إن عليا سفينة نجاتها و باب حظتها، و إنه يوشعها و شمعونها و ذوقنيها، معاشر الناس إن عليا خليفة الله و خليفتي عليكم بعدى. الخبر «٥».

و

عنه (عليه السلام): يا علي إن الله تعالى أمرني أن أتخذك أبا ووصيا، فأنت أخي ووصيي وخليفتي على أهلي في حياتي و بعد موتي، من تبعك فقد تبعني و من تخلف عنك فقد تخلف عني «٦».

و

بالإسناد عن أم سلمة تقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) بحار الأنوار ج ٣٨ ص ١٥٠ طبع الآخوندي نقلا عن عمدة ابن بطريق ص ٤٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٨ ص ١٤٦ طبع الآخوندي نقلا عن السمعاني في فضائل الصحابة.

(٣) بحار الأنوار ج ٣٨ ص ١٤٦ طبع الآخوندي نقلا عن الأمالي.

(٤) بحار الأنوار ج ٣٨ ص ١٥٥ طبع الآخوندي.

(٥) عيون الأخبار للصدوق ص ١٨٦.

(٦) أمالي الشيخ ص ١٢٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٨٨

في مرضه الذي قبض فيه يقول وقد امتلأت الحجره من أصحابه: أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا فينطلق بي وقدّمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إني مخلف فيكم كتاب ربي (عزّ وجلّ) و عترتي أهل بيتي. ثم أخذ بيد علي (عليه السلام) ورفعها فقال: هذا علي مع القرآن و القرآن مع علي (عليه السلام) خليفتي بصيران لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فأستلهما ماذا خلفت فيهما «١».

الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي تواتر نقلها من الفريقين.

و ثالثا: إنّه (عليه السلام) قرنهم بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم مجيد، فكما أنّه مصون بحفظ الله عن الاختلاف و الاختلال و البطلان، فكذا هم معصومون من الزلل و الطغيان، بل هم المعجزات الباهرات و الآيات البينات و الحجج على البريات، كما أنّ القرآن هو الحجّة البالغة و المعجزة الباقية على مرّ الدهور و الأعصار.

و رابعا: إنّ صرح بالمعنيّة المستدامة الحاصلة بينهما الباقية الى انقضاء الدهور و تمام الدنيا، و فيه دليل على أنّ الأرض لا تخلو من واحد من العتره كي يكون حجّة على البريّة شاهدا على أعمالهم و أفعالهم، و يشهد على ذلك يوم القيامة حين يرد مع القرآن على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حوضه مضافا الى أنّه (عليه السلام) قد حكى عن الله سبحانه بقوله: إنّ اللطيف الخبير قد أخبرني أنّهما لن يفترقا أبدا و هو سبحانه الصادق في قوله المنجز لوعده.

و قد سمعت المراد من عدم افتراقهما مع دلالة الأخبار الكثيرة التي مرّ شرط منها في تضاعيف الباب على ذلك. و من ذلك يظهر أيضا عصمتهم و طهارتهم و أنّهم

(١) بحار الأنوار باب وصيّة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كشف الغمّة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٨٩

لا يفارقون أحكام كتاب الله أبدا سيّما مع تأييد النفي الاستقبالي بكلمة لن الظاهرة بل الصريحة في ذلك، فقد استفيد منه أنّ الأرض لا تخلو من واحد منهم و أنّهم الحجج الناطقة بآيات الله على البريّة و أنّهم العالمون بجميع ما في الكتاب من الظواهر و البواطن و الأسرار و العلوم و أنّهم لا يجهلون أبدا.

و خامسا: إنّ صرح بعد ذلك كلّ أنّه (عليه السلام) إن تمسّكنم بهما لن تضلّوا أبدا



ولعله لا يشك أحد في أن ضمّ العترة الى الكتاب الصامت الذي أكثر آياته من المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله و الزاسخون في العلم للتنبية و الإشعار بأنهم أهل علم الكتاب و هم الزاسخون في العلم، و هم الذين يستنبطونه منه و هم المؤمنون على فهم أسرار الكتاب و علومه و حقائقه و شرائعه و أحكامه و بيان ذلك كله للناس في جميع الأعصار بعد النبي المختار. فإن قلت: إن المصرح في الخبر إنما هو نفى الضلالة عن المتمسك بهما معا و هو كذلك و أين هذا من حجّية كلام كل العترة منفردين عن الكتاب فضلا عن حجّية كلام كل واحد منهم و عصمته و النص على خلافته كما هو المطلوب. قلت: لا ريب في حجّية الكتاب بنفسه و لو مع عدم انضمام شيء إليه إلا أن يكون المقصود التنبية على أمرين: أحدهما: أن المتمسك بكل واحد من العترة و الكتاب لا يضل أبدا نظرا الى أن العترة التي مثل الكتاب في الحجّية و دوام الإصابة و عدم الخطأ أصلا و هداية المتمسك به و لذا شهد لهم بل حكى الشهادة عن الله تعالى بعدم افتراقهما أصلا الى أن يردا عليه حوضه فهل ترى من نفسك جواز أن يقال في ضمّ غير المعصوم الى القرآن مثل هذا القول. و ثانيهما: أن الكتاب علمه محبوب عن الأمة و أنه لا يطلع الأمة إلا على

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٩٠

ظواهره بعضا أو كلاً و أما بواطنه المشتملة على جميع الحقائق و المعارف و الشرائع و الأحكام و الحلال و الحرام و غير ذلك مما كان أو يكون الى يوم القيامة فجميع الناس محجوبون عن نيته و إدراكه و معرفته إلا أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قد أودع علم ذلك كله عند عترته الأئمة الطاهرين و جعلهم الحجج على الخلق أجمعين فافترانهم معه كافتران الناطق مع الصامت، و المفسر مع الكتاب، و الشواهد على ما ذكره من أخبار الفريقين كثيرة جداً يأتي الى بعضها الإشارة في الأبواب الآتية، و من البين أن الناطق لو لم يكن قوله بانفراده حجّة لم يصلح جعله مفسراً و مترجماً للصامت.

ففي الخبر شهادة على علمهم بجميع معاني الكتاب و وجوهه و عدم انحرافهم عنه أصلا عن عمد و ضلاله، و لا عن خطأ و جهالة فكل من أخذ بقول العترة فقد أخذ بالكتاب لأنهما لا يفترقان و قد قال (عليه السلام): إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدى، بل في بعض الأخبار المتقدمة

أنه قد نبأني اللطيف الخبير أن لا يفترقا حتى يلقىاني، و سئلت الله تعالى لهما ذلك فأعطانيه فلا تسبقوهم و لا تقصروا عنهم فتهلكوا و لا تعلموهم فهم أعلم منكم «١».

و توهم أنهما إذا كانا لا يفترقان فالمتمسك بالكتاب متمسك بقول العترة أيضا فما الحاجة الى العترة بعد وجود الكتاب مدفوع بأن الكتاب مشتمل على البطون و الظواهر، و ظاهره أيضا مشتمل على المحكم و المتشابه و الناسخ و المنسوخ و العامّ و الخاصّ و المطلق و المقيدّ و المجمل و المبيّن و لا يعلم بحقيقة علمه إلا النبيّ و الأئمة الطاهرون صلى الله عليهم أجمعين.

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٤ و إثبات الهداة ج ٣ ص ٥٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٩١

و من هنا أخطأ من قال في قوله: حسبنا كتاب الله حيث نسبت النبيّ (صلى الله عليه و آله و سلم) الى الهجر و الهذيان، و منعه من أن يكتب الوصية لأئمة.

و أما ما ذكره بعض أهل الخلاف في المقام من أن هذا الخبر إنما يدل على أن إجماع العترة لا يكون إلا حقا لأنه لا يخلو من أن يريد (عليه السلام) به جملتهم أو كل واحد منهم، و قد علمنا أنه لا يجوز أن يريد (عليه السلام) بذلك إلا جملتهم و لا يجوز أن يريد كل واحد منهم، لأن الكلام يقتضى الجميع، و لأن الخلاف قد يقع بينهم على ما علمناه من حالهم، و لا يجوز أن يكون قول كل واحد

منهم حقاً لأن الحق لا يكون في الشيء ضده، وقد ثبت اختلافهم فيما هذا حاله ولا يجوز أن يقال: إنهم مع الاختلاف لا يفارقون الكتاب، وذلك يبين أن المراد به أن ما أجمعوا عليه يكون حقاً حتى يصح قوله: لن يفترقا حتى يردا على الحوض،

وذلك يمنع من أن المراد بالخبر الإمامة لأن الإمامة لا تصح في جميعهم، وإنما يختص بها الواحد منهم، وقد بينا أن المقصد بالخبر ما يرجع إلى جميعهم وبيّن ما قلناه أن أحداً ممن خالفنا في هذا الباب لا يقول في كل واحد من العترة إنه بهذه الصفة، فلا بد أن يتركوا الظاهر إلى أمر آخر يعلم به أن المراد بعض من بعض، وذلك الأمر لا يكون إلا بينه، وليس لهم أن يقولوا: إذا دل على ثبوت العصمة فيهم ولا تصح إلا في أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم في واحد واحد من الأئمة فيجب أن يكون هو المراد، وذلك لأن لقائل أن يقول: إن المراد عصمتهم فيما اتفقوا عليه ولا يكون ذلك أليق بالظاهر وبعده، فالواجب حمل الكلام على ما يصح أن يوافق العترة فيه الكتاب، وقد علمنا أن في كتاب الله تعالى دلالة على الأمور فيجب أن يحمل قوله (عليه السلام) في العترة على ما يقتضيه كونه دلالة وذلك لا يصح إلا بأن يقال: إن إجماعها حق ودليل وأما طريقة الإمامية فمباينة لهذا الفصل والمقصد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٩٢

ففيه أن إجماع العترة وإن كان حسباً دل عليه التطهير «١» وغيرها بل الخبر أيضاً على ما صرح به هذا المخالف حق وحجّه وغيره إلا أن هذا الذي ذهب إليه الإمامية وهو الحق أن المراد بالعترة هم أهل البيت حسبما مرّ الكلام فيه، وأن قول كل واحد منهم حجّه، وأن كل واحد منهم معصوم من الخطأ والزلل، وذلك للآية والرواية المتقدمين، مضافاً إلى غيرهما مما لا داعي للتعرض له في المقام، أما الآية فلا تارة إذا خوطب جماعة بالتطهير وإذهاب الرجس فلا بد من أن يكون كل منهم متصفاً به وإلا لم يتصف المجموع به أيضاً إذا المجموع مركب من الوحدات المجتمعة فإذا أخطأ واحد منهم فلا ريب في أنه لم يذهب عن جميعهم الرجس ولم يظهر الجميع بل البعض.

ثم إن البعض الذي لا يقع منه الخطأ إنما البعض المعين أو على وجه البدلية والأول: يوجب تخصيص الحكم أو اختصاص الموضوع من غير سبب بعد فرض العموم فيهما، والثاني: يلزمه خطأ الكل بعد وقوعه من كل واحد منهم في الجملة ثم لا يخفى أن إذهاب الرجس والتطهير ليس مما يتعلّق أولاً على المجموع من حيث المجموع بل لو اتصف به الكل فإنما هو لا تصاف كل واحد من الأفراد به، هذا مضافاً إلى أن صيغة الجمع تنزل في أمثال المقام على الأفراد لا المجموع من حيث المجموع الذي ليس متعلّقاً بشيء من الأحكام.

وأما الرواية فلأن التأمل الصادق فيها يقضى بأن المراد منها عصمة كل من العترة حسبما دلّت عليه الآية وأن كلاً منهم مخصوص في عصره بمعرفة الكتاب وتبليغ الأحكام وشرائع الإسلام وبيان الحلال والحرام ثم إنه (عليه السلام) أخبر

(١) الأحزاب: ٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٩٣

بأنهم لا يفارقون الكتاب أصلاً فإن كان المراد كل واحد منهم ثبت المطلوب أو الجميع فكذلك بالتقريب المتقدم. ثم إنه لا يخفى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خاطب أمته بهذا القول على سبيل الإرشاد والهداية وإزاحة الشكوك والعلّة وقد ورد في كثير من أخبار الباب

أنه (عليه السلام) قال إنهما الخليفةتان من بعدى

وإنما أراد أن المرجع إليهما بعدى فيما يرجع إلى في حياتي فإن أراد أن مجرد إجماعهم حجّة مع جواز الاختلاف بينهم بل ووقوعه كما زعموه فلا ريب أنه لا يكمل به الحجّة إلا أن يكون الحجّة في قول كل منهم سيّما مع انفراد بعضهم عن غيره في بعض الأرمنة

كما هو الواقع و من جميع ذلك يظهر ضعف ما مرّ في كلام السائل من أنّ الكلام يقتضى الجميع مع أنّه إذا أخبر واحد منهم بشيء فلا بدّ من أن يكون موافقا لغيره من العترة و موافقا للكتاب، و إلّا لزم مفارقة العترة للكتاب على الوجهين هف. و منه يظهر أنّه لا يقع بين العترة اختلاف أصلا فيضعف ما أشار إليه السائل بقوله: و لأنّ الخلاف قد يقع بينهم .. الى آخره. على أنّا في سعة من ذلك كلّه لأنّ الخصم لا- يسعه إنكار حجّية إجماعهم و لذا قد صرّح به في أوّل كلامه و لا ريب في انعقاد إجماعهم على عصمتهم و خلافتهم بلا فصل و عددهم، و فضلهم و ولايتهم و غير ذلك ممّا يعلم من ضرورة مذهبهم الّذى عرف منه أنّه لا- اختلاف بين أقوالهم و أحكامهم و أنّ أولهم يحكم بما يحكم به آخرهم و آخرهم يحكم بما حكم به أولهم و أنّ جميعهم بمنزلة متكلم واحد و أنّ ما وقع في أخبارهم من الاختلاف فإنّما هو لاختلاف الموضوعات و أحوال المكلفين من باب الحكم البدلى الثانوى الّذى يختلف على حسب التقيّة و العجز و الضعف و غيرها من الأعذار الّتى من أجلها حفظ شيعتهم بإيقاع الخلاف بينهم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٩٤

و لذا

ورد عنهم: نحن أوقعنا الخلاف بينكم «١» و إنّكم لو اجتمعتم على أمر واحد لأخذ بقرابكم «٢».

و أنّ الاختلاف خير لنا و لكم و أبقى لنا و لكم و لو اجتمعتم على أمر واحد لقصدكم الناس و لكان أقلّ لبقائنا و بقائكم «٣».

و

قال مولانا الصادق (عليه السّلام) لزراعة: لا- يضيّقنّ صدرك من الّذى أمرك أبى و أمرتك به، و أتاك أبو بصير بخلاف الّذى أمرناك به فلا و الله ما أمرناك و لا أمرناه إلّا بأمر وسعنا و وسعكم الأخذ به و لكلّ ذلك عندنا تصارييف و معان توافق الحقّ: و لو أذن لنا لعلمتم أنّ الحقّ فى الّذى أمرناكم فردّوا إلينا الأمر و سلّموا لنا و اصبروا لأحكامنا و ارضوا بها و الّذى فرّق بينكم فهو راعيكم الّذى استرعاه الله خلقه و هو أعرف بمصلحة غنمه فى فساد أمرها فإن شاء فرّق بينها لتسلّم ثمّ

(١)

بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٢٠ ط الآخوندى عن نصر الخثعمى عن الصادق (عليه السّلام): من عرف من أمرنا أن لا نقول إلّا حقا فليكتف بما يعلم منّا، فإن سمع منّا خلاف ما يعلم فليعلم أنّ ذلك منّا دفاع و اختيار له.

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٣٦ عن «علل الشرائع» عن أبى الحسن (عليه السّلام) سئل عن اختلاف أصحابنا.

(٣)

بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٣٦ عن «علل الشرائع» عن زرارة: سألت أبا جعفر (عليه السّلام) عن مسئلة فأجابنى، ثمّ جاء رجل فسأله عنها فأجابته بخلاف ما أجابنى، ثمّ جاء رجل آخر فأجابته بخلاف ما أجابنى و أجاب صاحبنى، فلمّا خرج الزّجلان قلت: يا ابن رسول الله رجلا من أهل العراق من شيعتك قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به الآخر، قال: فقال:

يا زرارة إنّ هذا خير لنا و أبقى لنا و لكم و لو اجتمعتم على أمر واحد لقصدكم الناس، و لكان أقلّ لبقائنا و بقائكم. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٩٥

يجمع بينها ليؤمن من فسادها و خوف عدوّها الخبر «١».

ثمّ من أفضح جهالات ذلك المخالف ما أشار اليه بقوله: و يبيّن ما قلناه أنّ أحدا ممّن خالفنا .. الى آخره.

حيث إنّ نسب فى ظاهره كلامه الى الإماميّة أنّهم لا يقولون بعصمة كلّ واحد من العترة و عدم افتراقهم عن الكتاب و أنت ترى أنّ ضرورة مذهبهم تقضى بذلك بحيث يعرفه كلّ مخالف و مؤالف على الوجه الذى فسرت به العترة فيما مرّ من المعتبرة، و لعلّه زعم أنّ المراد بالعترة مطلق الذريّة و الأولد و الأقارب مطلقا و لم يعلم أنّه مفسّر فى أخبارهم فضلا عن أخبار الإماميّة بأهل البيت.

فإن قلت: إن صريحها بل صريح ما ورد في تفسير الآية «٢» تفسير كل من العترة و أهل البيت بالأربعة الذين هم علي و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهم السلام) فمن أين يتم الكلام في سائر الأئمة (عليهم السلام) علي ما هو مقصد الإمامية؟ قلت: لا ريب أن الاقتصار في بعض الأخبار على الأربعة إنما هو لكونهم موجودين ظاهرين في هذا العالم الناسوتى عند نزول الآية و إلا فلا ريب أنه بعد ثبوت الولاية و العصمة لواحد منهم يثبت للآخرين أيضا بالنص منه لثبوت عصمته و شدة الوثوق بقوله، علي أنه قد تواتر النصوص على الكل عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) حسبما هو مسطور في كتب الفريقين بل في كثير من أخبار الفريقين تفسير العترة بالإثني عشر.

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٤٦ عن رجال الكشي.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٩٦

ففي «الكفاية» عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): إني تارك فيكم الثقلين أحدهما كتاب الله (عز و جل) من اتبعه كان على الهدى و من تركه كان على الضلالة ثم أهل بيتي قالها ثلاث مرات فقلت لأبي هريرة فمن أهل بيته نساؤه؟ قال: لا أهل بيته و عقبه و هم الأئمة الاثني عشر الذين ذكرهم الله في قوله: و جعلها كلمة باقية في عقبه «١».

و

فيه عن حذيفة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول علي منبره: معاشر الناس! إني فرطكم و أنتم واردون علي الحوض حوضا ما بين بصري و صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة و إني سائلكم حين حين تردون علي عن الثقلين كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله و طرفه بأيديكم فاستمسكوا به لن تضلوا و لا تبدلوا في عترتي أهل بيتي فأني قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض معاشر الناس كأني علي الحوض أنتظر من يرد علي منكم و سوف يؤخر أناس من دوني فأقول يا رب مني و من أمتي فيقال يا محمد هل شعرت بما عملوا إنهم قد رجعوا بعدك علي أعقابهم ثم قال (عليه السلام): أوصيكم الله في عترتي خيرا ثلاثا أو قال في أهل بيتي فقام إليه سلمان فقال: يا رسول الله! ألا تخبرني عن الأئمة بعدك أما هم من عترتك؟ فقال (عليه السلام): نعم الأئمة من بعدى من عترتي عدد نساء بني إسرائيل تسعة من صلب الحسين أعطاهم الله علمي و فهمي فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم و اتبعوهم فإنهم مع الحق و الحق معهم «٢».

(١) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر نقلا عن كفاية الأثر ص ٢٧.

(٢) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عن كفاية الأثر ص ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٩٧

و

عن الشيخ إبراهيم بن محمد الحموي من أعيان علماء العامة في كتاب «فرائد السامطين في فضائل المرتضى و البتول و السبطين» «١» مسندا الي سليم بن قيس الهلالي في خبر المناشدة الي أن قال: ثم قال علي (عليه السلام): أنشدكم بالله أ تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قام خطيبا لم يخطب بعد ذلك فقال: يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي أهل بيتي فتمسكوا بهما لن تضلوا فإن اللطيف أخبرني و عهد إلي أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فقام عمر بن الخطاب شبيه المغضب فقال: يا رسول الله أكل أهل بيتك؟ فقال (عليه السلام): و لكن أوصيائي منهم أولهم أخي و وزيرى و وارثى و خليفتي في أمتى، و لى كل مؤمن بعدى علي بن أبي طالب هو أولهم ثم ابني الحسن ثم ابني الحسين ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد حتى

يردوا على الحوض شهداء الله في أرضه، و حجته على خلقه، و خزان علمه، و معادن حكمته من أطاعهم فقد أطاع الله و من عصاهم فقد عصى الله فقال الحضار من المهاجرين و الأنصار كلهم: نشهد أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال ذلك ثم تبادى بعلى السؤال فما ترك شيئاً إلا ناشدهم الله فيه و سئلهم عنه حتى أتى على آخر مناقبه و ما قال له رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كثيراً كل ذلك يصدقونه و يشهدون أنه حق «٢».

و

فى «العيون» عن الريان بن الصيلى قال: حضر الرضا (عليه السلام) مجلس المأمون بمرور و قد اجتمع فى مجلسه جماعة من علماء أهل العراق و خراسان فقال

(١) إبراهيم بن محمد بن مؤيد بن حمويه الشافعى، و لكن جعله السيد محسن العاملى من أعيان الشيعة و قال: له فرائد السمطين فى فضائل المرتضى و البتول و السبطين ولد فى سنة ٦٤٤ و توفى سنة ٧٢٢- أعيان الشيعة ٥: ٤٥٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦١ ط. القديم. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٩٨

المأمون: أخبرونى عن معنى هذه الآية: ثُمَّ أَوْزَرْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا «١».

فقال العلماء: أراد الله تعالى بذلك الأمة كلها، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن فقال الرضا (عليه السلام): لا أقول كما قالوا و لكنى أقول أراد الله (عز و جل) بذلك العترة الطاهرة إلى أن قال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا (عليه السلام): الذين وصفهم الله تعالى فى كتابه فقال: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً «٢»، و هم الذين قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): إِنِّي مَخْلَفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ و عترتى أهل بيتى ألا- و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظرونى كيف تخلفونى فىهما أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن من العترة أهم الآل أم غير الآل؟

فقال الرضا (عليه السلام): هم الآل فقالت العلماء: هذا رسول الله يؤثر منه أنه قال: أميتى آلى و هؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذى لا يمكن دفعه آل محمد أمته فقال أبو الحسن (عليه السلام): أخبرونى هل تحرم الصدقة على الآل؟ قالوا: نعم قال (عليه السلام): فتحرم على الأمة؟ قالوا: لا، فقال (عليه السلام):

هذا فرق بين الآل و الأمة، و يحكم أين يذهب بكم أ ضربتم عن الذكر صفح أم أنتم قوم مسرفون أما علمتم أنه وقعت الوراثة و الطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم، قالوا: و من أين يا أبا الحسن؟ فقال (عليه السلام): من قول الله تعالى:

(١) فاطر: ٣٥.

(٢) الأحزاب: ٣٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٢٩٩

و لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا و إِبْرَاهِيمَ و جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ و الْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ و كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ «١»، فصارت النبوة و الكتاب للمهتدين دون الفاسقين «٢».

و

فيه عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أنه قال: إِنِّي مَخْلَفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ و عترتى أهل بيتى و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض كهاتين، و ضم بين سبائتيه فقام اليه جابر بن عبد الله فقال: يا رسول الله من عترتك؟ قال (عليه السلام): على و الحسن و الحسين و الأئمة من ولد الحسين الى يوم القيمة «٣».

و

عن «الجمع بين الصحاح الستة» نقلا عن «صحيح» أبي داود السجستاني و هو كتاب «السنن»، و عن «صحيح» الترمذى عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من الآخر و هو كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الأرض و عترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فى عترتي (٤).

قال سفيان: أهل بيته هم ورثه علمه، لأنه لا يورث من الأنبياء إلا العلم أهل بيته المقتدون به و العاملون بما جاء به لهم فضلان.

و

عن ابن المغازلى الشافعى فى «المناقب» عن زيد بن أرقم قال: أقبل نبى الله (صلى الله عليه و آله و سلم) من مكة فى حجة الوداع حتى نزل بغدير الجحفة بين مكة و المدينة فأمر الدوحات، فقم ما تحتهن من شوكة ثم نادى الصلاة جامعة، فصلى بنا الظهر و خطب إلى أن قال فى خطبته: ألا و إني فرطكم و أنتم تبعي توشكون أن تردوا على الحوض فأستلکم حين تلقوني عن ثقلى كيف خلفتموني فيهما قال فأعيل

(١) الحديد: ٢٦.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٢٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٠ ط. القديم.

(٤) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٣ ط. القديم عن الطرائف. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٠٠

تفسير الصراط المستقيم ج ١ ص ٣٥٠

علينا «١» ما ندرى ما يقول الآن حتى قام رجل من المهاجرين قال بأبى أنت و أمى يا رسول الله ما الثقلان؟ قال (عليه السلام): الأكبر منهما كتاب الله تعالى سبب بيد الله تعالى و طرف بأيديكم فتمسكوا به و لا تزلوا و لا تضلوا و الأصغر منهما عترتي من استقبال قبلى و أجاب دعوتى فلا- تقتلوهم و لا- تقهروهم و لا- تقصروا عنهم، فإننى قد سئلت الله اللطيف الخبير فأعطانى أن يردا على الحوض كهاتين و أشار بالمسبحة و لو شئت قلت: كهاتين بالسبابة و الوسطى ناصرهما لى ناصر و خاذلهما لى خاذل، و وليهما لى ولي و عدوهما لى عدو، ألا فإنها لن تهلك أمة قبلكم حتى تدين بأهوائها و تظاهر على نبيها و تقتل من قام بالقسط منها، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب (عليه السلام) فرفعها فقال من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه قالها ثلاثا «٢» الخطبة.

الى غير ذلك من الأخبار التى يغينا عن التعرض لها اشتهاها و تواترها و تكررها فى أصول الفريقين.

و هذا الخبر هو الذى أشار اليه

مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) فى خطبته التى رواها فى «النهج» و فيها فآين تذهبون؟ و أنى توفكون؟ و الأعلام قائمه و الآيات واضحة، و المنار منصوبة. فآين يتاه بكم «٣»؟ و كيف تعمهون «٤»؟ و بينكم عتره نبيكم، و هم أزمه الحق، و السنه الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن،

(١) قال الجوهرى فى الصحاح: ج ٥ ص ١٧٨١: علت الضالة أعيل عيلا و عيلانا فأنا عائل: إذا لم تدر أى وجهه تبغيها- بحار الأنوار:

ج ٣٧ ص ١٨٥ ط. الآخوندى-

(٢) بحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٨٤ ط. الآخوندى عن عمده ابن بطريق و الطرائف.

(٣) يتاه بكم من التيه بمعنى الضلال و الحيرة.

(٤) تعمهون: أى تحيرون. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٠١

و ردوهم ورود الهيم العطاش «١»، أيها الناس! خذوها عن خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم)، إنه يموت من مات منا وليس بميت «٢»، ويلى من بلى منا وليس ببال، فلا تقولوا ما لا تعرفون، فإن أكثر الحق فيما تنكرون، و اعدروا من لا حجة لكم عليه و أنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأ-كبر و أترك فيكم الثقل الأصغر و ركزت فيكم رايه الإيمان، و وفتكم على حدود الحلال و الحرام «٣».

قال ابن أبي الحديد المعتزلى فى شرحه ما لفظه: و عتره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أهله الأذنون و نسله، و ليس بصحيح قول من قال: إنه رهطه و إن بعدوا، و إنما قال أبو بكر يوم السقيفة أو بعده: «نحن عتره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و بيضته التى تفقات عنه» على طريق المجاز لأنهم بالنسبة عتره له لا فى الحقيقة، ألا ترى أن العدنانى يفاخر القحطانى فيقول له: أنا ابن عم رسول الله ليس يعنى أنه ابن عمه على الحقيقة لكنه بالإضافة الى القحطان ابن عمه و إنما استعمل ذلك و نطق به مجازا و إن قدر مقدر له على طريق حذف المضاف أى ابن عم أب الأب الى عدد كثير فى البنين و الآباء فلذلك أراد أبو بكر أنهم عتره أجداده على طريق حذف المضاف و قد بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عترته من هى لما قال (عليه السلام): إني تارك فيكم الثقلين فقال عترتى أهل بيتى. و بين فى مقام آخر من أهل بيته حين طرح عليهم كساء و قال حين نزلت إنما يريد الله ..

(١) و ردوهم .. الى آخره، أى هلموا الى بحار علومهم مسرعين كما تسرع الهيم (أى: الإبل العطشى) الى الماء.  
(٢) خذوها الى ... و ليس بميت، أى خذوا هذه القضية عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) و هى «أنه يموت الميت من أهل البيت و هو فى الحقيقة غير ميت» لبقاء روحه ساطعة النور فى عالم الظهور.  
(٣) نهج البلاغة الخطبة: ٨٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٠٢  
الآية: اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس.  
قال: فإن قلت: فمن هى العتره التى عنها أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا الكلام؟  
قلت: نفسه و ولده، و الأصل فى الحقيقة نفسه لأن ولديه تابعان له و نسبتها إليه مع وجوده نسبة الكواكب المضيئه مع طلوع الشمس المشرقة و قد نبه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) على ذلك بقوله: و أبو كما خير منكما.  
الى أن قال: إن

قوله (عليه السلام): «فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن»  
تحته سرّ عظيم و ذلك أنه أمر المكلفين بأن يجروا العتره فى إجلالها و إعظامها و الانقياد لها و الطاعة لأوامرها مجرى القرآن.  
قال: فإن قلت: هذا القول منه مشعر بأن العتره معصومه، فما قول أصحابكم فى ذلك؟  
قلت: نصّ أبو محمد بن متويه فى كتاب «الكفاية» على أن عليا معصوم و إن لم يكن واجب العصمة و لا العصمة شرط فى الإمامة و لكن أدلة النصوص دلّت على باطنه و مغيبه و أن ذلك أمر اختصّ هو به دون غيره من الصحابة، و الفرق ظاهر بين قولنا زيد معصوم و زيد واجب العصمة لأنه إمام و من شرط الإمام أن يكون معصوما، فالاعتبار الأول مذهبنا و الاعتبار الثانى مذهب الإمامية «١».

(١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٢٦ ط. مصر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٠٣

## الباب الرابع

## إشارة

فى أسماء القرآن و حدوده و كيفية الوحي و الإلهام و السماع و الكتابة و الفرق بينه و بين الحديث القدسى و البحث عن كيفية الخطابات الواردة فيه و شمولها للغائبين و المعدومين و فيه فصول:

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٠٥

## الفصل الأول

فى أسمائه و ألقابه أعلم أنّ الشىء كلما كثرت شئونه و آثاره و تجلّت أشعته و أنواره تعددت أسمائه و ألقابه، فهذا التور اللامع، و الضياء الساطع، و الكتاب المبين، و جبل الله المتين، و الماء المعين، و المنهج القويم، و الصراط المستقيم لما كان مطلع أنوار العناية و الهداية و منبع أسرار النبوة و الولاية أشرفت تجليات أنواره على أفق التشريع و التكوين، و ظهر من رشحات لمعات أشعته جميع العالمين و لذا تكثرت أسمائه الشريفة و تعددت ألقابه المنيفة و نحن نكتفى فى الإشارة إليها بالإجمال عن التفصيل حذرا من التظويل.

فمنها القرآن الذى قيل: إنه غير مشتق كالتوراة و الإنجيل إلا أنّ الأظهر الأشهر اشتقاقه، فإنه فى الأصل مصدر ثالث لقرء كمنع أو نصر على ما قيل يقرء قرأ بالفتح و قراءة بالكسر و قرأنا بالضم بمعنى الجمع أو التبليغ أو التلاوة.

قال فى القاموس: القرآن التنزيل قرأه و به كنصره و منعه قرأ و قراءة و قرأنا فهو قارئ من قرأه و قرأه و قراءه و قارئه تلاه.

الى أن قال: و قرأت الناقة حملت و الشىء جمعه و ضمّه «١».

(١) تاج العروس ج ١ ص ١٠١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٠٦

و فى «المصباح المنير» قرأت أم الكتاب و بأم الكتاب يتعدى بنفسه و بالباء قراءة و قرأنا استعمل القرآن اسما مثل الشكران و الكفران، و إذا أطلق انصرف شرعا الى المعنى القائم بالنفس و لغة الى الحروف المقطعة لأنها هى التى تقرء نحو كتبت القرآن و مسسته، و الفاعل قارئ و الجمع قرأه و قرأه و قراءه و قارئه، مثل كافر و كفره و كفّار و كافرون.

و فى «مجمع البحرين»: القرآن اسم لكتاب الله تعالى خاصية لا يسمّى به غيره، و إنّما سُمى قرآنا لأنه يجمع السور و يضمّها، و قيل: لأنه جمع القصص و الأمر و النهى و الوعد و الوعيد و الآيات و السور بعضها الى بعض، و هو مصدر كالغفران و الكفران، يقال فلان يقرء قرآنا حسنا أى قراءة حسنة «١».

قلت: فقد اتضح من هذا أنّه فى الأصل مصدر، بل قد ورد إطلاقه على المعنى المصدرى أيضا كقوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ «٢»، أى جمعه و تلاوته و لو على لسان جبرئيل أو غيره من مبلغى الوحي أو بخلق الأصوات و الحروف أو إنّ علينا جمعه فى صدرك و إثبات قراءته فى لسانك «٣»، فإذا قرأناه يعنى بلسان جبرئيل أو بأحد الوجوه المتقدمة فاتبع قرآنه أى قراءته و تلاوته.

ثمّ إنه غلب شرعا أو متشرعا أو عرفا على هذا المعجز الباقي على مّر الدهور باعتبار شىء من الوجوه الآتية التى منها كونه متلوا أو مجمعا للسور أو الآيات أو الكلمات أو الحروف، و لذا يصدق على كلّ آية و سورة بل على كلّ كلمة متميزة



(١) مجمع البحرين ص ٦٧.

(٢) القيامة: ١٧-١٨.

(٣) مجمع البحرين ص ٦٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٠٧

لذلك شخصا أو قصدا أيضا وقد

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لغير واحد من الصحابة: قد أنزل الله فيك قرآنا يريد آية أو أكثر أو سورة.

و البحث في أن إطلاقه على الآية أو السورة حقيقة باعتبار وضعه للكلام المنزل للإعجاز، فيطلق على القليل والكثير المهيأة في ضمن الجميع، بمعنى أنه أي فرد أخذ منه فهو فرد منها وإن تحققت في ضمن أبعاضه أيضا أو أنه مجاز من باب إطلاق الكل على الجزء لأنه موضوع لما بين الدفتين أو لجميع ما نزل للإعجاز على خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) أو أنه حقيقة من وجه و مجاز من وجه آخر، باعتبار أن له وضعين من وجهين.

هين جدا لقله الفائدة فيه إلا في مثل النذر و أخته و الوصية و نحوها مما يقل تجرده فيه عن القرائن الدالة على إرادة أحد الأمرين و لو باعتبار المقام أو التعليق، و على فرض التجرد فلعله محمول على الجميع لظهور الانسباق و قضية الإشتغال بل التبادر الذي لعله المستند للأكثر في القول بوضعه للمجموع.

و بالجملة فالخطب في مثله سهل، إنما الكلام في وجه المناسبة الملحوظة في التسمية به بعد أخذه من القرآن بالضم بمعنى الجمع و الضم، أو بالفتح بمعنى الوقت، أو من القراءة التي هي بمعنى التلاوة أو بمعنى القرآن يعنى الاقتران لكنه يرجع الى الأول أو من القرينة لأنه يفسر بعضه بعضا أو من القرى بمعنى الضيافة حيث إنه مأدبه الله لعباده.

بالجملة فالمناسبة شيء من وجوه ككونه مجتمعا في النزول أول ما أنزل في عالم الأنوار على سيد الأبرار كما ستسمع الإشارة إليه أو حيثما نزل كله جملة واحدة في ليلة ثلاث و عشرين من شهر رمضان الى البيت المعمور قبل أن ينزل في هذا العالم منجما مفرقا في طول ثلاث و عشرين سنة فإنه من هذا الوجه فرقان بخلاف الأول

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٠٨

كما قال تعالى: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا «١».

و كونه مجمعا لجميع الحقائق الإمكانية أو الكونية التشريعية و التكوينية أو لجميع السور و الآيات المنزلة أو لجميع الكتب السماوية و الزبر الإلهية كما ورد

في النبوي (صلى الله عليه وآله وسلم) عنهم: أعطيت السور الطول مكان التورية، و أعطيت المئين مكان الإنجيل، و أعطيت المثاني مكان الزبور، و فضلت بالمفصل ثمان و ستون سورة و هو مهيم على سائر الكتب الخير «٢».

و كونه جملة القصص و الأحكام و الحلال و الحرام و المواعظ و الأمثال و الوعد و الوعيد و العذر و النذر و غيرها من تصارييف الشؤون و الأحكام المنطبقة على كافة الأنام أو اشتماله على جملة وجوه الكلام من الخاص و العام و المحكم و المتشابه و المطلق و المقيّد و المجمل و المبيّن و الناسخ و المنسوخ و الأمر و النهي و الظاهر و المأول

(١) الإسرائ: ١٠٦.

(٢) الأصول من الكافي كتاب فضل القرآن حديث: ١٠.

قال الكاشاني في مقدمه الصافي بعد ذكر الحديث: أقول: اختلفت الأقوال في تفسير هذه الألفاظ أقربها الى الصواب و أحوطها لسور الكتاب أن الطول كصرد هي السبع الأول بعد الفاتحة على أن يعدّ الأنفال و البراءة واحدة لتزولهما جميعا في المغازى و تسميتهما

بالقرينتين، والمئين من بنى إسرائيل الى سبع سور سميت بها لأنّ كلا منها على نحو مائة، والمفصل من سورة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى آخر القرآن سميت به لكثرة الفواصل بينها.

والمثنى بقية السور وهى التى تقصر عن المئين وتزيد على المفصل كأن الطول جعلت مبادئ تارة وهى التى تلتها مثنى لها لأنها ثنت الطول أى تلتها، والمئين جعلت مبادئ أخرى وهى التى تلتها مثنى لها.

وفى شرح الكافى للمازندراني:

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (وهو مهيم على سائر الكتب)

أى شاهد عليها ولو لا شهادته لما علم أنها كتب سماوية لعدم بلوغها حد الإعجاز.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٠٩

وغيرها مما تأتى إليها الإشارة، ولعله إليه يومئ ما

رواه العياشى والقمى عن مولانا الصادق (عليه السلام) قال: الفرقان هو كل أمر محكم والكتاب هو جملة القرآن «١».

و

فى الكافى عنه (عليه السلام): القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به «٢».

وكونه مقروء أى متلوا على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى هذا العالم أو قبله فى العوالم السابقة ويومئ الى الأوّل قوله (عليه السلام): فإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ «٣» وهى الثانى قوله: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا الْآيَةَ «٤» أو أنه مما يجب على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنين قراءته وتلاوته لقوله تعالى: فَاقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ «٥» أو أنهم يتلونه حق تلاوته أو أنه ممّا

(١) تفسير العياشى ج ٢ ص ٩ نصّ الحديث هكذا:

عن عبد الله بن سنان: قال: سئلت أبا عبد الله (عليه السلام) عن القرآن والفرقان؟ قال (عليه السلام): القرآن جملة الكتاب واخبار ما يكون والفرقان المحكم الذى يعمل به، وكل محكم فهو فرقان.

(٢) الكافى ج ٢ ص ٤٦١ ط. الإسلامية بطهران.

قال المازندراني فى شرح الحديث:

قوله: (القرآن جملة الكتاب)

القرآن فى الأصل مصدر بمعنى الجمع تقول قرأت الشىء قرآنا إذا جمعته، ثم نقل الى هذا الكتاب لأنه جمع القصص والأمثال والأمر والنهى والوعود والوعيد والسور وغيرها من الأسرار التى لا تحصىها:

قوله: (الفرقان المحكم الواجب العمل به)

الفرقان فى الأصل مصدر بمعنى الفرق ثم نقل الى الواجب العمل به على الوجه المطلوب لأنه فارق فاصل بين الواجب والحرام وغيرهما من الأحكام وقد يطلق على جملة الكتاب أيضا لأنه فاصل بين الحق والباطل والمراد بالمحكم الحكم المتقن الباقي الى آخر الدهر.

(٣) القيامة: ١٨.

(٤) الشورى: ٥٢.

(٥) المزمّل: ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣١٠

يتلى على مَرَّ الأزمان و الدهور الى يوم ينفخ في الصور الى غير ذلك من الوجوه التي لعلها بتمامها ملحوظة في التسمية. ثم إنه سبحانه قد وصفه بالعظمة في قوله: **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** «١» و بالحكمة في قوله: **يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ** «٢» و بالمجد في قوله: **ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ** «٣» و بالإبانه في قوله: **الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ** «٤» و ذلك لما سمعت من أنه تدوين للمشيئة من حيث اجتماع مراتبها الكلية الإجمالية و التفصيلية فهو مظهر العظمة الكونية إذ لا أعظم منه في التدوين كما أنه ليس شيء أعظم من خاتم النبيين في عالم التكوين و لذا كان لما خلقه الله تعالى **سَبَّحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ عَظَّمَهُ فِي حِجَابِ الْعِظْمَةِ** ثمانين ألف سنة الى أن وصل الى حجاب القدرة كما في خبر جابر «٥» و غيره فعظمته (صلى الله عليه و آله و سلم) لعبوديته المطلقة و خضوعه الدائم الكلي و لذا كان أول العابدين، و كان من أشرف أسمائه عبد الله حتى قدم على أعظم شئونه الذي هو الرسالة. و أما حكمته فلا أنه يترشح عليه من أشعة أنوار الحكمة الكلية الأولية ما يعطى كل شيء خلقه و يسوق الى كل مخلوق رزقه، فيضع كل شيء في محله، و يؤدى الأمانة الى أهله، بل الحكمة بهذا المعنى لما كانت من الصفات الفعلية الانوجادية

(١) الحجر: ٨٧.

(٢) يس: ١-٢.

(٣) ق: ١-٢.

(٤) الحجر: ١-٢.

(٥) بحار الأنوار ج ٧ ص ١٨٥ ط. القديم، و لعل في العبارة تقديمًا و تأخيرًا لأن نصّ الرواية في البحار هكذا، قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): **أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره و اشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل الى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة .. الى آخره.** تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣١١ كانت مخلوقة في حضرة المشيئة التي هو النور المحمدي، و هو أول من قرع باب الوجود قبل كل موجود، فهو الشاهد و هو المشهود، فالقرآن العظيم إذا تحقّق في مقام الحكمة ظهر منه المجد و الشرف و الخير و البركة.

و

في الخبر: **إنّ المجد هو حمل المغارم و إيتاء المكارم** «١»

و لا-ريب أن القرآن يجبر النقصانات الإمكانية و يعطى الفيوض الربانية، و به تنال الشفاعة الكلية كما في الأخبار المتقدمة فمن تمسك بشيء منه في الدنيا كان له في القيامة شفيعا مشفعا و طريقا اليه مهيعا «٢» إلما أن ظهوره في هذا العالم بالشرف إنما هو باشماله على البيانات الواضحة و الأنوار الساطعة اللاتحة فإنه كان في مقامه و درجته عظيما معظما و شريفا مفخما لكنّه بعد ما كان في زبر الأولين قد نزل به الرّوح الأمين على قلب خاتم النبيين ليكون به من المنذرين بلسان عربي مبين فهذه المراتب المفصلة كالأركان الأربعة لظهوره و تجلّى نوره و لعله أشرف أسمائه و لذا عبر عنه فيه به بعدد قوى اسم الله العظيم الأعظم و هو ستة و ستون فافهم.

و منها الفرقان بالضم مصدر فرق بمعنى الفاعل قال في القاموس: **فرق بينهما فرقا و فرقانا بالضم فصل فيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** «٣» أى يقضى و قرّاناً فرّقناه «٤» أى فصّلناه و أحكمناه و **إِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ** «٥» فلقناه فالفرقات فرقا «٦» الملكة تنزل بالفرق بين الحقّ و الباطل.

(١) قال الطريحي في مجمع البحرين ص ٢١٦ في لغة مجد: و المجد الكرم و العز و

في الحديث المجد حمل المغارم و إيتاء المكارم.

(٢) المهيع بفتح الميم والياء و سكون الهاء جمع: مهايع، الطريق الواسع البين.

(٣) الدخان: ٤.

(٤) الإسراء: ١٠٦.

(٥) البقرة: ٥٠.

(٦) المرسلات: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣١٢

الى أن قال: و الفرقان بالضم القرآن كالفرق بالضم، و كلما فرّق به بين الحق و الباطل، و النصر، و البرهان، و الصبح، و السحر، و الصبيان و التورية و انفراق البحر و منه: وَ إِذِ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ الْفُرْقَانَ «١» و يوم الفرقان يوم بدر. انتهى.

فالقرآن فرقان كما قال: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ «٢» لأنه فارق بين الحقّ و الباطل فالمصدر بمعنى الفاعل.

أو لأنّ فيه تفصيل كلّ شيء من الحقائق و الشرائع و الأحكام و الحلال و الحرام، فالقرآن في رتبة الإجمال و جمعته الحقائق الكلية، و الفرقان في مقام التفصيل و تبين المقاصد الواقعية.

أو لأنّ نزوله كان منجماً مفزقاً في نيف و عشرين سنة كما قال: وَ قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ «٣» و لذا قال الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً «٤» كما نزل سائر الكتب على الأنبياء من قبله فأجيوا بقوله:

كَذَلِكَ لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ وَ رَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا «٥».

أو لأنه نجاه من الآفات و عصمه من الهلكات كما هو أحد الوجوه في قوله:

إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا «٦».

أو لأنه عون و نصره للأبرار على الفجار، و لجنود العقل الذين هم أولياء المؤمنين على جنود الجهل و هم أحزاب الشياطين.

أو لأنه برهان واضح و مشفق ناصح و دليل لائح على حقائق التوحيد

(١) البقرة: ٥٣.

(٢) الإسراء: ١٠٦.

(٣) الفرقان: ٣٢.

(٤) الفرقان: ١.

(٥) الفرقان: ٣٢.

(٦) الأنفال: ٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣١٣

و الهداية و مراتب النبوة و الولاية و غير ذلك من اسرار البداية و النهاية.

أو لأنه نور الله سبحانه أضاء بنوره ظلمة العدم، و انفلق باشعة تجلياته غواسق الظلم، الى غير ذلك من الوجوه المشتركة في إطلاقه على الجميع موافقا للقرآن في المصداق و إن خالفه في الجملة لكنّ

في «المجمع» عن مولانا الصادق (عليه السلام) قال: القرآن جملة الكتاب و الفرقان المحكم الواجب العمل به «١».

و منها الكتاب بالكسر مصدر ثان أو ثالث أو رابع أو من غير تقييد من كتب بمعنى جمع، و منه الكتيبة للجيش، و الكتب للخزير المجتمع بعضها على بعض كتبت في قلوبهم الإيمان «٢» أي جمع سمى به المفعول فأطلق على ما من شأنه أن يكتب بعد. و ما يقال من أنّه المنظوم عبارة قبل أن يكتب لأنه مما يكتب فالمقصود عدم التقييد لا التقييد بالعدم و بالجملة فهو مصدر.

أو فعال للمفعول كاللباس أطلق على القرآن معرّفاً ومنكراً و مضافاً في قوله تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ «٣»، كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ «٤»، وَآتَى مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ «٥» لأنه مجمع الحقائق والأحكام.  
أو لأنه المكتوب المؤلف من الحروف والألفاظ والمعاني.  
أو لأنه يجب الأخذ بما فيه من الشرائع والأحكام من كتب بمعنى وجب ومنه كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ «٦»، كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ «٧».

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٦١ ط. الإسلامية بطهران.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) البقرة: ٢.

(٤) إبراهيم: ٢.

(٥) الكهف: ٢٧.

(٦) البقرة: ١٨٣.

(٧) الأنعام: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣١٤

أو لأنه جرى عليه قلم القضاء في عالم التدوين مطابقاً لما في التكوين من قوله كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبِينَ أَنَا وَرُسُلِي «١» أي قضى الله.  
أو لأنه نسخة من كتاب الله الذي هو اللوح الكلي المشتمل على المحفوظ والمحو والإثبات والألواح الجزئية كما هو أحد الوجهين أو الوجوه في قوله: هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ «٢» وقوله: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ «٣» إلى غير ذلك من الوجوه التي لعل الأصل في الجميع هو الأول فلا تغفل.  
ثم إنك قد سمعت أن النسبة بين هذه الألقاب الشريفة وهي القرآن والفرقان والكتاب إنما هو ببعض الاعتبارات المتقدمة وبعض الأعلام كلمات في المقام لا بأس بالتعرض لها:

قال الصدر الأجل الشيرازي في عرشته: «إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ عِبَارَةٌ عَنِ إِشَاءِ كَلِمَاتٍ تَامَّاتٍ وَإِنزَالِ آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ وَأُخْرٍ مُتَشَابِهَاتٍ فِي كِسْوَةِ أَلْفَاظٍ وَعِبَارَاتٍ، وَالكَلَامِ قُرْآنٍ وَفِرْقَانٍ بَاعْتِبَارَيْنِ وَهُوَ غَيْرُ الْكِتَابِ لِأَنَّهُ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ وَمَا كُنْتَ تَتَلَّوْا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُطُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطَلُونَ «٤» وَالكَلَامِ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ وَمَنْزِلِهِ الْقُلُوبَ وَالْصُدُورَ لِقَوْلِهِ: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ «٥» وَ قَوْلِهِ: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ «٦» بِالْكِتَابِ يَدْرِكُهُ كُلُّ أَحَدٍ

(١) المجادلة: ٢١.

(٢) الجاثية: ٢٩.

(٣) التوبة: ٣٦.

(٤) العنكبوت: ٤٨.

(٥) الشعراء: ١٩٣.

(٦) العنكبوت: ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣١٥

وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً «١» وَالكَلَامِ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ «٢» مِنْ أَدْنَسِ عَالَمِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْقُرْآنِ كَانَ خَلَقَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) دُونَ الْكِتَابِ وَالْفِرْقَانِ بَيْنَهُمَا كَالْفِرْقِ بَيْنَ آدَمَ وَعِيسَى (عَلَيْهِمَا السَّلَام) إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ

كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «٣» و آدم كتاب الله المكتوب بيدي قدرته، و أنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمرة «٤» و عيسى قوله الحاصل بأمره و كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ «٥» و المخلوق باليدين في باب التشريف ليس كالموجود بحرفين و من زعم خلاف ذلك أخطأ.

أقول: و لا يخفى ما في كل مقاصده و شواهد من الأنظار الواضحة أما الكلام و الكتاب فالفرق بينهما بما ذكره غير واضح بعد ما هو المعلوم من اشتقاق كل منهما، و الآية الثانية لا دلالة لها على مرامه بعد ظهور عدم سبق ذكر للكلام حتى يكون الضمير له، مضافا الى أن اختصاص الحكم لا يدل على اختصاص الموضوع، و أما الاستشهاد بقوله: وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ وَ قَوْلُهُ: لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ فهو كما ترى، سيما مع ظهور كون الضمير في الثاني للكتاب أو القرآن، مع أن إطلاق المس على إدراك الحقائق مجاز، و كون إدراكه مختصا بالمطهرين لا يتم إلا باعتبار

(١) قال الفيض الكاشاني في الصافي: إطلاق الكتاب على الإنسان الكامل شائع في عرف أهل الله و خواص أوليائه، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): دوائك فيك و ما تشعر\* و دائك منك و ما تبصر و أنت الكتاب المبين المذى\* بأحرفه يظهر المضمرة و تزعم أنك جرم صغير\* و فيك انطوى العالم الأكبر

(٢) الأعراف: ١٤٥.

(٣) الواقعة: ٧٩.

(٤) آل عمران: ٥٩.

(٥) النساء: ١٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣١٦

المجموع، و أغرب من جميع ذلك تسوية الفرق بينهما للفرق بين آدم و عيسى، و كأنه أراد أن آدم مخلوق باليدين لقوله تعالى: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ يَدَيَّ «١» و أن عيسى مخلوق بالكلمتين كقوله تعالى: خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «٢» و أراد أن المخلوق بالكلمتين أشرف من المخلوق باليدين، لأن الأول روحاني من عالم الأمر، و الثاني جسماني من عالم الخلق، و ضعفه واضح من وجوه، سيما مع ابتناؤه على كون الضمير في آية التكوين لعيسى (عليه السلام) و هو كما ترى.

و من أسماء القرآن النور، و هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره، و لذا ورد في أسمائه سبحانه بل عليه ظاهر قوله تعالى: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ «٣» و أطلق على النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) في قوله تعالى: فَدَجَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ «٤» على ما قيل، و إن فسّر في أخبارنا بمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) كما فسّر به قوله تعالى: وَ اتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ «٥» و إن قيل: إن المراد به القرآن كما قيل: إنه المراد به أيضا في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا «٦» فإن البرهان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و النور هو القرآن، و لا ينافيه تفسيره بمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)، و على الدين الحق في قوله تعالى:

(١) ص: ٧٥.

(٢) آل عمران: ٥٩.

(٣) النور: ٣٥.

(٤) المائدة: ١٥.

(٥) الأعراف: ١٥٧.

(٦) النساء: ١٧٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣١٧

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ «١» بإعلاء التوحيد وإظهار النبوة والولاية.

و على الإيمان الذي يهتدى به المؤمنون الى الجنة في قوله تعالى: يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ «٢».

و على الهداية الحاصلة من شرح الصدر للإسلام في قوله تعالى: أَلَمْ يَنْشُرِ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ فَهَوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ «٣».

و على التوراة في قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ «٤».

بل يطلق على جميع سبل السلامة، و مناهج الكرامة كما في قوله تعالى:

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ «٥» و قوله تعالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ «٦».

بل قد أطلق على الطهارة الحاصلة من الوضوء في

قوله (عليه السلام) الوضوء على الوضوء نور على نور «٧»

كما

ورد إنه طهر على طهر «٨».

و بالجمله يظهر من موارد استعماله في الكتاب و السنة أنه يطلق على كل حق و هداية و رشاد، كما أن ضده الذي هو الظلمة يطلق على كل باطل و ضلالة و غي، و إن كان إطلاق كل منهما على ما يطلق عليه على وجه التشكيك فأعظم الأنوار نور أشرق من صبح الأزل فظهر آثاره على هياكل التوحيد و مظاهر التمجيد و التفريد

(١) التوبة: ٣٢.

(٢) الحديد: ١٢.

(٣) الزمر: ٢٢.

(٤) المائدة: ٤٤.

(٥) المائدة: ١٦.

(٦) البقرة: ٢٥٧.

(٧) وسائل الشيعة ج ١ ص ٢٦٥ ط. بيروت.

(٨) وسائل الشيعة ج ١ ص ٢٦٤ ط. بيروت.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣١٨

و هم الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين في مقام المفعول المطلق و النور هو الفعل كما في الرضوى المذكور في العيون «١»، و صبح الأزل هو اسم الفاعل بالصفات الفعلية و شؤون الفاعلية في أفق التجلي و الظهور و تدوين أطوار هذا الطور في كتاب مسطور في رق منشور يقرأه بقراءة حروف نفسه من في قلبه إشراق من البيت المعمور و مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ «٢».

و منها المصحف قال الراغب: المصحف ما جعل جامعاً للصحف المكتوبة و جمعه مصاحف، و عن الفيتومي «٣» ضم الميم أشهر من كسرهما و لم يذكر الفتح لكن في (القاموس): المصحف مثلثة الميم من أصحف بالضم أى جعلت فيه الصحف و كأنه باعتبار الوعاء الظرفي أو الاحتواء العلمي، و المراد في المقام الثاني لاحتواء القرآن على ما في جميع الصحف و هى الكتب النقشية و اللفظية و

الكوتية و في (محاضرات الأوائل) «٤» نقلا عن (الإتقان) للسيوطي أول من سَمِيَ المصحف مصحفا حين جمعه و رتبّه أبو بكر، فقال لأصحابه: التمسوا له اسما فقال بعضهم: سمّوه مصحفا، و كانت الحبشة يسمّوه مصحفا فوافقهم بتسميته مصحفا. و منها الذكر، و التذكرة، و الذكرى، قال سبحانه:

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ١ ص ١٧٣ ط. طهران دار الكتب الإسلامية.  
(٢) النور: ٤٠.

(٣) الفيومي هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن شيخ كمال الدين المصري فاضل، أديب، لغوي صاحب كتاب المصباح المنير في غريب شرح الكبير، ولد و نشأ بالفيوم (بمصر) و توفي سنة ٧٧٠-الأعلام خير الدين الزركلي ج ١ ص ٢١٦.  
(٤) محاضرات الأوائل و مسامرة الأواخر للشيخ على دده فرغ منه سنة ٩٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣١٩  
وَ هَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ «١»، وَ إِنَّهُ لَمَذْكُرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ «٢»، إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ «٣»، إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُّبِينٌ «٤»، ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ «٥»، وَ قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ «٦»، الی غیر ذلك من الآيات الكثيرة التي أطلق الذكر فيها عليه.

و ان أطلق في قوله تعالى: فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ «٧»، و قوله تعالى: ذِكْرًا رَسُولًا «٨»، و قوله تعالى: وَ لَمَذْكُرٌ لِلَّهِ أَكْبَرُ «٩» على وجه على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، و في بعض الآيات على مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) كقوله تعالى حكاية عن الأول و هو الظالم: يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا «١٠»، (يعنى الثانى) خليلا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ (يعنى الولي) بعد إذ جئني «١١» و لذا قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته الوسيلة بعد تلاوة الآية: فأنا الذكر الذي عنه ضلّ، و السبيل الذي عنه مال، و الإيمان الذي به كفر،

(١) الأنبياء: ٥٠.

(٢) الزخرف: ٤٤.

(٣) الحجر: ٩.

(٤) يس: ٦٩.

(٥) آل عمران: ٥٨.

(٦) الحجر: ٦.

(٧) النحل: ٤٣.

(٨) الطلاق: ١٠-١١ قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم آيات الله.

(٩) العنكبوت: ٤٥.

(١٠) الفرقان: ٢٨.

(١١) الفرقان: ٢٩- قال الفيض في تفسيره الصافي: القمي قال: الأول يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا،

القمي عن الباقر (عليه السلام) علينا و ليا



- يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا- قال يعنى الثانى لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جئنى - قال يعنى الولاية و كان الشيطان - قال و هو الثانى للإنسان خذولا. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٢٠  
و القرآن الذى إياه هجر، و الدين الذى به كذب، و الصراط الذى عنه نكب «١».

و  
فى خبر سعد فى قوله تعالى: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَ المُنْكَرِ وَ لَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ «٢» قال: النهى كلام و الفحشاء و المنكر رجال و نحن ذكر الله، و نحن أكبر «٣».

و يطلق أيضا على مطلق الوحي و الآيات النازلة كما فى قوله تعالى:  
فَالْمُؤْمِنَاتِ ذِكْرًا «٤» و قوله تعالى: وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ «٥»، أى من بعد الكتب كلها.  
و وجه الإطلاق فى الجميع أنه مذکور من الله تكوينا أو تشريعا.  
أو أنه ذكر منه ذكر به عباده بالحقائق و الشرائع و الأحكام و الحلال و الحرام.  
أو أنه ذكر و شرف و فخر و كرامة فى نفسه من الله كأنه تجوهر الشرف به أو لمن آمن به و التزم مشايعته و متابعتة.  
أو أنه تذكرة من الله لعباده ليهلك من هلك به عن بينة و يحيى من حى به عن

(١) هذه الخطبة

رواها الكليني فى (روضه الكافى) و منها: فى مناقب لو ذكرتها لعظم بها الارتفاع فطال لها الاستماع و لئن تقمصها دونى الأشقياء، و نازعانى فيما ليس لهما بحق و ركباها ضلالة و اعتقداها جهالة فلبئس ما عليه وردا، و لبئس ما لأنفسهما مهذا، يتلاعنان فى دورها، و يتبره كل واحد منهما من صاحبه يقول لقرينه إذا التقيا: يا ليت بينى و بينك بعد المشرقين فبئس القرين فيجيبه الأشقى على رثوته: يا ليتنى لم أتخذك خليلا لقد أضللتنى عن الذكر .. الى آخر - شرح الكافى للمازندراني ج ١١ ص ٢٥٣-

(٢) العنكبوت: ٤٥.

(٣) الأصول من الكافى كتاب فضل القرآن الحديث الأول.

(٤) المرسلات: ٥.

(٥) الأنبياء: ١٠٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٢١

بينه.

وَ إِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ «١»، إِنَّ هَذِهِ تَذِكْرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا «٢»، فَذَكَرْ إِن نَفَعَتِ الذِّكْرَى «٣».

و منها الحكم و الحكمة و الحكيم و المحكم.

فالأول: وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا «٤» و إن أطلق أيضا على الكمال فى العلم و العمل فى قوله تعالى: رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ «٥»، فَوَهَبْ لِي رَبِّي حُكْمًا «٦».

و على الحكم بين الناس فى قوله تعالى: أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا «٧».

و على ما يجرى به قضاؤه سبحانه فى قوله تعالى: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ «٨».

و على الكتاب و الحكمة فى قوله تعالى فى يحيى: وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا «٩».

و الثانى: يُؤْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا الآية «١٠» على ما

روى فى (مصباح الشريعة) من تفسير مولانا الصادق (عليه السلام) و إن كان أحد الوجوه فى الآية قال (صلى الله عليه و آله و سلم)

أى لا يعلم ما أودعت و هيأت فى الحكمة إلا من استخلصته لنفسى و خصصته بها و الحكمة هى

(١) الحاقّة: ٤٨.

(٢) المزمّل: ١٩.

(٣) الأعلى: ٩.

(٤) الرعد: ٣٧.

(٥) الشعراء: ٨٣.

(٦) الشعراء: ٢١.

(٧) المائدة: ٥٠.

(٨) القلم: ٤٨.

(٩) مريم: ١٢.

(١٠) البقرة: ٢٦٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٢٢

الكتاب «١» الخبر

كما هو أظهر الوجوه أو أحدها فى قوله تعالى: وَ اذْكُرْ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ «٢»، و قوله تعالى: حِكْمَةٌ بِاللَّغَةِ فَمَا تُغْنِ التُّذْرُ «٣»، نعم تطلق أيضا على النبوة كقوله تعالى: وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَضَّلَ الْخِطَابَ «٤»، وَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ «٥»، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ «٦».

و الثالث: وَ الذِّكْرَ الْحَكِيمَ «٧»، وَ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ «٨».

و الرابع: كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ «٩»، مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ «١٠». و هذه المادة و إن كانت مأخوذة من الإحكام و الإتقان أو من حكمه اللجام بالتحريك لما أحاط بحنكى الفرس من لجامه إلا أنّ المقصود منها العلم بوجه الشىء، و حقيقته و من هنا يطلق على النبوة و العدل و الموعظة و الكتاب و التورية و الإنجيل و العلوم الحقة و الآداب الديتية و غيرها مما يرجع الى ما سمعت و لو على بعض الوجوه.

و منها الهدى بمعنى العلم و الهداية و ما يهتدى به على وجه الإرائة أو الإيصال أو معا و الوجوه مجتمعة فى القرآن فإنه هُدًى لِلْمُتَّقِينَ «١١»،

(١) تفسير الصافى عن القمى ص ٢٢٨ ط. طهران الإسلامية.

(٢) الأحزاب: ٣٤.

(٣) القمر: ٥.

(٤) ص: ٢٠.

(٥) البقرة: ٢٥١.

(٦) النساء: ٥٤.

(٧) آل عمران: ٥٨.

(٨) يس: ٢.

(٩) هود: ١.

(١٠) آل عمران: ٧.

(١١) البقرة: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٢٣

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴿٢﴾ و لظهور أنوار الهداية منه ظهورا تاما عاما متشعشا قالت الجن لما سمعته: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴿٣﴾، و قالوا أيضا: إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾.

و منها التنزيل وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٥﴾، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴿٦﴾.

و التفعيل للتكثير لكثرة مراتب نزوله الى أن وصل الى هذا العالم، و ذلك لعلو رتبته و ارتفاع درجته، و لذا عتبر بالمصدر المنبئ عن مقام الفعل لا الاسم.

و منها الروح: يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿٧﴾،

قال مولانا الباقر (عليه السلام): إنه الكتاب و النبوة ﴿٨﴾.

قلت: و ذلك لأنه يحيى به القلوب الميتة بالجهل و ظلمة المعاصي و هو من عالم الأمر لا الخلق و إن تنزل إليه ففي تفصيل لذكر مبدئه و منتهاه و ستمتع تمام الكلام في حقيقة الروح و أقسامه و خصوص روح القدس و الروح من أمر الرب و الروح الأمين، و أن القرآن هو الروح من أمر الرب أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴿٩﴾،

(١) النحل: ٨٩.

(٢) الإسراء: ٩.

(٣) الجن: ١-٢.

(٤) الأحقاف: ٣٠.

(٥) الشعراء: ١٩٢-١٩٣.

(٦) فصلت: ٢-٣.

(٧) النحل: ٢.

(٨) الصافي للفيض الكاشاني مرسلا: ص ٨١٦.

(٩) الشورى: ٥٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٢٤

نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴿١﴾، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٢﴾.

و منها غير ذلك من الألقاب الكثيرة التي أكثرها على وجه التوصيف و التعبير كاليان: هذا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴿٣﴾، على حد قولهم زيد عدل لظهور هداياته و دلالاته.

و التبيان: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴿٤﴾ و المبين: تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٥﴾.

و الحبل: وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴿٦﴾، على أحد الوجوه بل كلها لا تحادها في المعنى.

و الشفاء و الرحمة: وَ نَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾، وَ شِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴿٨﴾ لأنه شفاء من جميع الأمراض الظاهرة و الباطنة التي أعظمها الجهل و النفاق و الكفر و الفسوق و غيرها من الأمراض النفسانية و الأخلاق الرذيلة و الانحرافات القلبية و القالبيّة.

و

في (الكافي) عنهم (عليهم السلام) في قوله تعالى: وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ «٩»، قال: من نفث الشيطان «١٠».

(١) النحل: ١٠٢.

(٢) الشعراء: ١٩٣.

(٣) آل عمران: ١٣٨.

(٤) النحل: ٨٩.

(٥) الشعراء: ٢.

(٦) آل عمران: ١٠٣.

(٧) الإسراء: ٨٢.

(٨) يونس: ٥٧.

(٩) يونس: ٥٧.

(١٠) تفسير الصافي ج ١ ص ٧٥٦ ط. الإسلامية بطهران- النفث شبيه بالنفخ و في الدعاء: و أعوذ بك من نفث الشيطان و هو ما يلقيه في قلب الإنسان و يوقعه في باله مما يصطاده به.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٢٥

و

في الإهليلجة «١» عن الصادق (عليه السلام) إنه شفاء من أمراض الخواطر و مشتبهات الأمور «٢».

و

روى العياشي عن الصادق (عليه السلام) أنه شكى رجل الى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) وجعا في صدره فقال (عليه السلام) استشف بالقرآن إن الله يقول: و شفاء لما في الصدور «٣».

و البصائر: هذا بصائر من ربكم «٤» لأنه يوجب زيادة البصيرة و نقاوة السريرة إذ كما أن للناس أبصارا يدركون و يشاهدون بها الأجسام المحدودة، الهولائية، فكذلك لقلوب المؤمنين بصائر يشاهدون بها الأمور المعنوية و الحقائق النورانية و لذا

قالوا: إن لشيعتنا أربعة أعين يعنى يدركون بها الحق و الباطل في الظاهر و الباطن.

و العروة الوثقى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى «٥»، و إرادة الولاية لا تنافيه.

و العلوي الحكيم: وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ «٦»، على أظهر الوجوه بل أكثرها و هو دليل على كثير مما مر فتأمل.

و العزيز: وَ إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ «٧»، و لذا وصف بالعزيز فلا يوجد مثله أو لأنه قهر غيره من الكتب بالنسخ

(١) الإهليلجة حديث مروى عن المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) في التوحيد.

(٢) بحار الأنوار ج ٣ ص ١٥٢ ط. الآخوندي بطهران.

(٣) الأصول من الكافي كتاب فضل القرآن ج ٢ ص ٤٣٩ ط. الإسلامية بطهران.

(٤) الأعراف: ٢٠٣.

(٥) البقرة: ٢٥٦.

(٦) الزخرف: ٤.

(٧) فصلت: ٤١-٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٢٦

و من الأعداء بالجزية و المسخ بل قهر كل من لم يؤمن و لم يعمل به بذلة الكفر و الجهالة و الجزية و الخزي في الدنيا و الآخرة. و المهيمن المذى هو الرقيب الحافظ المؤمن: و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مضمداً لما بين يديه من الكتاب و مهيمناً عليه «١»، لأنه يحكم به على غيره من الكتب بالنسخ و الصحة و الثبات و غيرها و لا يحكم بها عليه.

و الطيب: و هذوا إلى الطيب من القول «٢»، لتنزهه عن جميع النقصانات و العيوب، و انتشار نفحات قدسية و أنسه في أصقاع القلوب، و استيلاء سلطان حيطته على أسرار الغيوب.

و القول الفصل: إنه لقول فصل «٣»، لأنه يفصل بين الحق و الباطل، أو أنه يقضى بالحق.

و الكريم: إنه لقول كريم «٤».

قيل: إنه تعالى سمي سبعة أشياء بالكريم: سمي نفسه بالكريم: ما غرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيم «٥»، إذ لا- جواد أجود منه، و سمي القرآن بالكريم لأنه لا- يستفاد من شيء من الكتب نحو ما يستفاد منه من الحكم و العلوم و الحقائق و المعارف، و سمي موسى كريماً: و

جاءهم رسول كريم «٦»، سمي ثواب الأعمال كريماً فبشره بمغفرته و أجر كريم «٧»، و سمي عرشه كريماً

(١) المائة: ٤٨.

(٢) الحج: ٢٤.

(٣) الطارق: ١٣.

(٤) الواقعة: ٧٧.

(٥) الإنفطار: ٦.

(٦) الدخان: ١٧.

(٧) يس: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٢٧

لا- إله إلا هو رب العرش الكريم «١»، لأنه منزل الرحمه، و سمي جبرئيل كريماً: إنه لقول رسول كريم «٢»، و معناه أنه عزيز، و سمي كتاب سليمان كريماً: إني ألقى إلى كتاب كريم «٣»، فالقرآن كتاب كريم من رب كريم نزل به ملك كريم على رسول كريم لأجل أمه كريمه فإذا تمسكوا به نالوا ثوابا كريماً.

و المبارك: و هذا ذكر مبارك أنزلناه «٤»، لكثرة بركاته و فيوضه، و تجليات أنواره و آثاره.

قيل سمي الله به أشياء: فسمى الموضع الذي كلم فيه موسى مباركاً: في البقعة المباركة «٥»، و سمي شجرة الزيتون مباركة: يوقد من شجرة مباركة زيتونه «٦» لكثرة منافعها، و سمي عيسى (عليه السلام) مباركاً: و جعلني مباركاً أين ما كنت «٧»، و سمي المطر مباركاً: و نزلنا من السماء ماء مباركاً «٨» لما فيه من المنافع، و سمي ليلة القدر مباركة: إنا أنزلناه في ليلة مباركة «٩».

قلت: و سمي الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) قرى مباركة:

و جعلنا بينهم و بين القرى التي باركنا فيها «١٠».

فالقرآن ذكر مبارك أنزله ملك مبارك في ليلة مباركة على نبي مبارك في قرى مباركة لأن القرآن نزل فيهم و في شيعتهم.

و المنادى بناء على أحد التفسير لقوله:

(١) المؤمنون: ١١٦.

(٢) الحاقة: ٤٠.

(٣) النحل: ٢٩.

(٤) التكويز: ١٩.

(٥) الأنبياء: ٥٠.

(٦) القصص: ٣٠.

(٧) النور: ٣٥.

(٨) مريم: ٣١.

(٩) الدخان: ٣.

(١٠) الأنبياء: ٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٢٨

رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ «١».

و النبا العظيم: قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ «٢»، و إن فسّر في الأخبار بمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) و بالإمامة كما فسّر بهما أيضا: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ «٣»، لكن التقريب قريب ممّا مرّ عن قريب.

و الموعظة: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ «٤»، و المراد هو القرآن و إن قال القمي «٥» بعد ذكر الآية،

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): و القرآن.

و أحسن الحديث: اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي «٦»، فإنه أحسن الحديث إذ لا- أحسن منه في عالم التدوين و هو المتشابه لا لأنه في مقابل المحكم و إن كان ذلك أحد إطلاقاته بل لأن بعضه يشبه بعضا في الإعجاز. و المثنائي لأنه تكررت فيه الآيات.

و القصص كما قال: وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ «٧»، أو لاشتماله على الثناء على الله سبحانه و أنبيائه و أوليائه أو اشتماله على المزدوجات أو لأنه ثنى نزوله مرّة في البيت المعمور نزولا- دفعا جمليا، و أخرى في هذا العالم منجما مفرقا في ثيف و عشرين سنة.

(١) آل عمران: ١٩٣.

(٢) ص: ٦٧.

(٣) النبأ: ٢.

(٤) يونس: ٥٧.

(٥) القمي هو على بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب و صنف كتبها منها تفسير القرآن، روى عنه الكليني و كان حيا سنة ٣٠٧- جامع الرواة ج ١ ص ٥٤٥-

(٦) الزمر: ٢٣.

(٧) الإسراء: ٨٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٢٩

والصراط المستقيم: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ «١»، وإن فسر بالولى وبالولاية.

و أحسن القصص: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ «٢». و القصص الحق: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ «٣».

و أصل القصص و القصص إتباع الأثر، فالقرآن يتبع أثر الماضين بل يتبع أثر جميع التكوين لأنه مطابق معه فى التدوين و يتبع أثره الأولون و الآخرون لأن كل كتاب من الشرائع السابقة نسخه من بعضه.

و التبصرة: تَبَصَّرَهُ وَ ذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ «٤». و قد سمعت الكلام فى البصائر.

و البلاغ: هذا بلاغ للناس و لِيُنذِرُوا بِهِ «٥». فإنه كاف فى الاعلام و فى بيان الشرائع و الأحكام، و فى الإيصال الى خير مقصد و مرام. و الكوثر: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ «٦»، و هو المفرط الخير كثير البركة، و قد فسر بالذرية الطيبة، و نهر فى الجنة، و النبوة، و القرآن و العلم و العمل، و غيرها.

و الوحي: قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ «٧».

و الحجية البالغة: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ «٨»، على أحد الوجوه فيها الى غير ذلك من الألقاب الشريفة، و الأوصاف الكريمة التى ورد جملة منها فى الأخبار

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) يوسف: ٣.

(٣) آل عمران: ٦٢.

(٤) ق: ٨.

(٥) إبراهيم: ٥٣.

(٦) الكوثر: ١.

(٧) الأنبياء: ٤٥.

(٨) الانعام: ١٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٣٠

أيضا كالثقل الأكبر، و جبل المتين، و الكهف الحصين، و جوامع الكلم و الشافع المشفع، و الماحل المصدق، و الذكر الحكيم، و المنهج القويم.

و

فى النبوى (صلى الله عليه و آله و سلم) إنه هدى من الضلالة، و تبيان من العمى، و استقالة من العثرة، و نور من الظلمة، و ضياء من الأجداث، و عصمة من الهلكة و رشد من الغواية، و بيان من الفتن، و بلاغ من الدنيا الى الآخرة «١».

و

فيه إن هذا القرآن هو التور المبين، و الجبل المتين، و العروة الوثقى و الدرجة العليا، و الشفاء الأشفى، و الفضيلة الكبرى، و السعادة العظمى «٢».

الى غير ذلك من الأخبار التى مرت جملة منها و ستمتع أخرى.

(١) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٤٣٩ ط. الإسلامية بطهران.

(٢) تفسير الصافي ج ١ ص ١٠ ط. الإسلامية بطهران عن تفسير الإمام (عليه السلام).

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٣١

## الفصل الثاني

في حدوث القرآن و الاشارة إلى كلامه سبحانه اعلم أن المتكلمين بل كافة المسلمين و غيرهم من الملىين (١) أجمعوا على إطلاق القول بأنه تعالى متكلم كما دلّ عليه ظواهر الكتاب و متواتر السنّة، بل هو ضروري عند كافة الملىين فضلا عن المسلمين فلا حاجة إلى الاستدلال له بالنقل المتواتر من الأنبياء كى يناقش مرّة بالمنع من تحقق شرائط التواتر التي من جملتها تحقق العدد، في جميع مراتب السلسلة، و اخرى باشماله على الدور الذي قد يدفع بجواز إرسال الرسل بأن يخلق الله فيهم علما ضروريا برسالتهم من الله تعالى في تبليغ أحكامه، و يصدّقهم بأن يخلق المعجزة حال تحدّيهم فيثبت رسالتهم من غير توقف على ثبوت الكلام، ثم يثبت منه الكلام بقولهم، إنّما الكلام في تحقيق كلامه و حدوثه، و المحكّي عنهم في سبب اختلافهم على ما ذكره الدواني (٢) و غيره أنهم

(١) المليون هم غير المسلمين من المتألهين، قال في مجمع البحرين: الملة في الأصل ما شرع الله لعباده على السنّة الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله و يستعمل في جملة الشرائع دون آحادها و لا يكاد يوجد مضافة إلى الله و لا إلى آحاد أمة النبي (ص) بل يقال أمة - محمّد (ص) ثم إنها اتسعت فاستعملت في الملل الباطلة.

(٢) الدواني محمّد بن سعد أو أسعد جلال الدين ينتهي نسبه إلى محمّد بن أبي بكر حكيم، فاضل، شاعر، مدقق كان من أكابر القرن التاسع و العاشر، له شروح و حواش على جملة من الكتب المنطقية و الحكمية و الكلامية، اختلفوا في مذهبه، قد يقال: إنه كان مخالفا ثم استبصر و صنف رساله سماها «نور الهداية» و صرح فيها بتشيعه، و نقلوا عنه أبيات تدل على تشيعه مثل هذين البيتين بالفارسية:

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٣٢

رأوا قياسين متعارضين النتيجة، أحدهما أن كلام الله صفة له و كلما هي صفة له فقديم فكلام الله قديم، و الآخر أن كلام الله مؤلف من حروف مترتبة متعاقبة في الوجود و كلما هو كذلك فهو حادث فكلام الله حادث فاضطروا إلى القدم في أحد القياسين ضرورة امتناع حقيّة النقيضين فمنع كل طائفة بعض المقدمات.

فالمحكّي عن الحنابلة (١) أن كلام الله تعالى حروف و أصوات و هي قديمة و منعوا من حدوث مأتى ألف من حروف و أصوات مترتبة، بل عن بعضهم القول بقدم الجدل، و الغلاف، و لذا قيل: ما بالهم لم يقولوا بقدم الكتاب و المجلّد و صانع الغلاف. و ربما يعتذر عنهم بأنهم إنّما منعوا من اطلاق لفظ الحادث على الكلام اللفظي رعاية للأدب و احترازا عن ذهاب الوهم إلى حدوث الكلام النفسى كما قال بعض الأشاعرة (٢) إنّ كلامه تعالى ليس قائما بلسان أو قلب و لا حالًا في مصحف أو لوح و منع عن إطلاق القول بحدوث كلامه و إن كان المراد هو اللفظي رعاية للأدب و احترازا عن ذهاب الوهم إلى الكلام الأزلى.

خورشيد كمال است نبى ماه ولى إسلام محمّد است و ايمان على

گر بنیه ای بر این سخن می طلبی بنگر که زبینات اسما است جلی

توفى الدواني سنة ٩٠٧.

(١) الحنابلة أتباع أحمد بن حنبل رابع الأئمة الأربعة عند العامة كان من خواص الشافعي و أخذ عنه الحديث البخارى و مسلم و دعا إلى القول بخلق القرآن فلم يجب فضرب و حبس، توفى ببغداد سنة ٢٤١.

(٢) الأشاعرة فرقة معروفة مرجعهم فى العلم على ما نقل إلى أبى الحسن الأشعري على بن إسماعيل البصرى المولد البغدادى المنشأ و



الدار ولد سنة ٢٦٠ و توفي سنة ٣٢٤ له تصانيف كثيرة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٣٣

و فيه أن رعاية الأدب هو إحقاق الحقّ و القول بحدوث الحادث لا الالتزام بقدمه كذبا و اختلافا و جعله شريكا للخالق في قدمه تعالى عن ذلك و عمّا يقول الظالمون الجاهلون علوا كبيرا.

و توهم أنّهم إنّما يمنعون إطلاق الحدوث، و هو لا- يستلزم بإطلاق القدم مدفوع بأنّ صريح كلامهم ذلك، و المعتذر إن كان مقصوده ذلك فلا يجديهم كما لا يخفى، و على كلّ حال فللمنتحلين بالإسلام في هذه المسئلة أقوال: أحدها ما سمعت عن الحنابلة.

ثانيها مذهب الكرامية (١) و الموافقين للحنابلة في أنّ كلامه حروف و أصوات لكنّها حادثه قائمة بذاته تعالى لتجويزهم قيام الحوادث بذاته فقدحوا في كبرى الأوّل بعد قولهم بصحة الثاني.

ثالثها ما ذهب اليه المعتزلة (٢) و هو أنّ كلامه تعالى أصوات و حروف كما

(١) الكرامية أتباع محمّد بن كرام بن عراق بن حزابه، كان يقول بأنّ الله تعالى مستقر على العرش و أنه جوهر.

ولد ابن كرام في سجستان و جاور بمكة خمس سنين و ورد نيسابور فحبسه طاهر بن عبد الله ثم انصرف إلى الشام و عاد على نيسابور فحبسه محمّد بن طاهر و خرج منها سنة ٢٥١ هـ إلى القدس فمات فيها سنة (٢٥٥) - تذكّره الحفظ ج ٢ ص ١٠٦ - لسان الميزان ج ٥ ص ٣٥٣.

(٢) المعتزلة من فرق الإسلام اتباع واصل بن عطاء العزال، أبي حذيفة و هو من البلغاء المتكلمين و سمى بالمعتزلي لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري، ولد بالمدينة سنة (٨٠ هـ) و نشأ بالبصرة، و كان يلغ بالراء فيجعلها غينا، فتجنب الراء في خطابه و من أقوال الشعراء في ذلك قول أبي محمّد الخازن في مدح صاحب بن عباد: «نعم تجنّب لا، يوم العطاء، كما تجنّب ابن عطاء لفظه الراء» توفي واصل سنة ١٣١ - كتب ابن حجة في ثمرات الأوراق ما وجزه:

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٣٤

ذهب اليه الفريقان لكنها ليست قائمة بذاته تعالى، بل خلقها الله تعالى في غيره، و معنى كونه تعالى متكلماً عندهم أنّه موجد لتلك الحروف و الأصوات في جسم كاللوح المحفوظ أو جبرئيل أو النبي - عليه السلام - أو غيرها كشجرة موسى عليه السلام.

رابعها ما ذهب الأشاعرة اليه من ثبوت الكلام النفسى حيث قالوا: كلامه تعالى ليس من جنس الأصوات و الحروف بل هو معنى قائم بذاته يسمى الكلام النفسى و هو مدلول الكلام اللفظى المركّب من الحروف و هو قديم.

إلى غير ذلك من الأقوال التي تأتي إليها الأشاعرة، إلّا أنّ هذه الأقوال هي المشهورة بين أهل السنة، و قد طال التشاجر بينهم في حدوث القرآن و قدمه، و الأكثر منهم على الثاني، بل مذهب كآفتهم بل و خلفائهم كانوا في أول الأمر مستقرّين عليه، حتى قيل: إنّه كان سبب تدوين علم الكلام و اشتقوا منه اسمه.

قال في شرح المواقف: إنّما سمى الكلام كلاما إمّا لأنّه يازاء المنطق للفلاسفة أو لأنّ أبوابه عنونت بالكلام في كذا أو لأنّ مسئلة الكلام يعنى قدم القرآن و حدوثه

المعتزلة من فرق الإسلام يرون أنّ أفعال الخير من الله، و أفعال الشر من الإنسان، و أنّ القرآن مخلوق محدث ليس بقديم، و أنّ الله تعالى غير مرئى يوم القيامة، و أنّ المؤمن إذا ارتكب الذنب، كشرب الخمر و غيره يكون في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمنا و لا كافرا و يرون أنّ اعجاز القرآن من «الصرفة» لا- أنه في نفسه معجز، أى إنّ الله لو لم يصرف العرب عن معارضة لأتوا بما يعارضه، و أنّ من

دخل النار لم يخرج منها، وسموا معتزلة لأنّ واصل بن عطاء كان ممن يحضر درس الحسن البصرى، لما قالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بأنّ مرتكب الكبائر مؤمن غير كافر وإن كان فاسقا، خرج واصل عن الفرقتين، وقال: إن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر- الاعلام ج ٩: ص ١٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٣٥

أشهر أجزائه، و سبب أيضا لتدوينه حتى كثر في الحكم بقدمه أو حدوثه التشاجر و التقابل و السفك. وقد روى أنّ بعض الخلفاء العباسية كان على الاعتزال فقتل جماعة من علماء الأئمة طلبا منهم الاعتراف بحدوث القرآن، و قد يقال: إنّ على بن إسماعيل بن أبي بشر أبا الحسن الأشعري المنسوب إلى جدّه أبى موسى الأشعري «١»، أو الى أشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، كان أولا على طريقة المعتزلة قائلا بحدوث القرآن ثم خطب و هو قاض بالبصرة، و عدل من مذهب محمّد بن عبد الوهاب

(١) ابو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم بن بنى الأشعر من قحطان، ولد في زبيد باليمن سنة «٢١ ق ه» و قدم مكة عند ظهور الإسلام فأسلم و هاجر الى أرض الحبشة ثم استعمله رسول الله (ص) على زبيد و عدن، و ولّاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧ ه فافتتح اصبهان و الأهواز، و لما ولي عثمان أقرّه عليها ثم عزله فانتقل إلى الكوفة و صار و اليا عليها فأقام بها إلى أن قتل عثمان فعزله على عليه السلام بعد التحكيم، قال ابن أبي الحديد: إنّ أبا موسى الأشعري ذكر عند حذيفة بالدين فقال: أما أنتم فتقولون ذلك، و أما أنا فأشهد أنّه عدو لله و لرسوله و حرب لهما في الحيوة الدنيا و يوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم و لهم اللعنة و لهم سوء الدار، و كان حذيفة عارفا بالمنافقين أسرّ اليه النبيّ (ص) أمرهم و أعلمه أسمائهم.

روى عن النبيّ (ص) أنّه قال: شر الأولين و الآخرين اثنا عشر- إلى ان قال- و السامري و هو عبد الله ابن قيس أبو موسى، قيل و ما السامري؟ قال (ع) قال لا مساس و هو يقول لا قتال.

في التاريخ: إنّ أبا موسى صار من جانب أصحاب على بن أبي طالب عليه السلام حكما في صفين و خدعه عمرو بن العاص و قال له أبو موسى يا عمرو إنّما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فأجاب عمرو إنّما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا إلخ، توفي بالكوفة سنة ٤٤ ه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٣٦

الجبائي «١» فقال بقوله من هذه العظائم التي أحدها القول بقدم كلام الله سبحانه لأنه صفة القديم، و حيث لزمهم بذلك أمور شنيعة ذهبوا إلى أن الكلام حقيقة كلام النفس، و هذه الألفاظ ترجمة له بل ذكر صاحب «هداية الأبرار» في سبب حدوث تلك المذاهب بين العامة أنّ القدماء منهم بين جبرية و قدرية و مرجئة و مجسمة

(١) كان أبو على الجبائي محمّد بن عبد الوهاب شيخ المعتزلة، و رئيس علماء الكلام في عصره ولد في سنة ٢٣٥ و توفي في شعبان سنة ٣٠٣ في جبي من قرى البصرة.

قال الصفدي في الوافي بالوفيات ج ٤ ص ٣٩٨ ط مصر: أبو على الجبائي كان إماما في علم الكلام، و له مقالات مشهورة و تصانيف- أخذ عنه أبو هاشم عبد السلام و الشيخ أبو الحسن الأشعري كان الجبائي زوج امه ثم اعرض عنه الأشعري لما ظهر له فساد مذهبه و تاب منه.

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٩٨ ط مصر: أبو على الجبائي كان إماما في علم الكلام، و عنه أخذ ابو الحسن الأشعري و له معه مناظرة روتها العلماء، فيقال: ان أبا الحسن الأشعري سأله يوما استاذة أبا على الجبائي عن ثلاثة إخوة: أحدهم

كان مؤمنا بـا تقيا، و الثاني: كان كافرا فاسقا شقيا، و الثالث: كان صغيرا، فماتوا، فكيف حالهم؟ فقال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات، و أما الكافر ففي الدرجات، و أما الصغير ففي السلامة، فقال الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟ فقال الجبائي: لا، لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب الطاعات و أنت فاقد لها، فقال الأشعري: فان قال ذلك الصغير: إنك ما أبقيتني و إلا كانت لي تلك الطاعات أيضا، فقال الأستاذ يقول الباري: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت، فراغت مصلحتك، فقال التلميذ: فلو قال الكافر: يا إله العالمين، كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دوني؟ فقال الجبائي للأشعري: إنك مجنون فقال الأشعري: بل وقف حمار الشيخ في العقبة، و هذه المناظرة صارت سببا لعدوله عن مذهب الأستاذ، الوافي بالوفيات، وفيات الأعيان، و البداية و النهاية و الاعلام لخير الدين الزركلي ج ٧ ص ١٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٣٧

و حشوية، و كانت الدولة للمعتزلة لميل أوائل بني العباس كالرشيد و المأمون و المعتصم و المتوكل إلى الاعتزال و دام ذلك إلى أن ظهر أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري البصري، و كان أول أمره معتزليا من تلامذة أبي علي الجبائي، و أراد الانفراد طلبا للرياسة فخالف شيخه و كفره و اتبعه على ذلك قوم من العامة في زمانه، و مال اليه صلاح الدين يوسف بن أيوب سلطان مصر «١» و أمر بقتل من خالفه حتى شاع في بلاد الإسلام فلم يؤل القضاء و التدريس إلا من كان أشعريا في الأصول و مقلدا لأحد المذاهب الأربعة في الفروع و دام الأمر عليه إلى يومنا هذا.

و من هنا يظهر سر ميل مشاهير أهل السنة كالباقلاني «٢»، و إمام

(١) صلاح الدين الأيوبي يوسف بن أيوب بن شادي أبو المظفر من أشهر ملوك الإسلام كان أبوه و أهله من قرية دوين (في شرقي آذربيجان) و ولد بها صلاح الدين، و نشأ في دمشق، و دخل مع أبيه (نجم الدين) و عمه (شير كوه) في خدمة نور الدين محمود (صاحب دمشق و حلب و موصل) و اشترك صلاح الدين مع عمه في حملة وجهها نور الدين لاستيلاء على مصر سنة ٥٥٩ هـ فكانت وقائع ظهرت فيها مزايا صلاح الدين، و تم الظفر باسم السلطان نور الدين، فاستولى على زمام الأمور بمصر، و استوكده خليفته العاضد الفاطمي، و لكن شير كوه ما لبث ان مات، فاختر العاضد للوزارة و قيادة الجيش صلاح الدين، و لقبه بالملك الناصر، و مرض العاضد مرض موته فقطع صلاح الدين خطبته و خطب للعباسيين، و انتهى بذلك أمر الفاطميين، و مات نور الدين سنة ٥٦٩ فاضطربت البلاد الشامية و الجزيرة، و دعا صلاح الدين لضبطها، فاقبل على دمشق سنة ٥٧٠ و استولى على بعلبك و حمص و حماة و حلب و دانت له البلاد من آخر حدود النوبة جنوبا و برقه غربا إلى بلاد الأرمن شمالا، و بلاد الجزيرة و الموصل شرقا، و كانت مده حكمه بمصر ٢٤ سنة، و بسورية ١٩ سنة توفي سنة ٥٨٩ و عمره ٥٧ سنة، اعلام زركلي ج ٩ ص ٢٩١- مرآة الزمان ج ٨: ٣٢٥.

(٢) الباقلاني محمد بن الطيب البصري القاضي المتكلم الأشعري سكن بغداد و توفي بها سنة

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٣٨

الحرمين «١»، و الغزالي «٢»، و الرازي «٣»، و الدواني «٤»، و الجرجاني «٥»، و العضدي «٦»، و البيضاوي «٧»، و غيرهم إلى مذهب الأشعري مع ظهور فساد أكثر عقائد و ذلك لميل الحكام و تولية القضاء و الحكومات.

و بالجملة فالقائلون بقدمه أطلقوا القول به أولا- ثم لما رأى المتأخرون منهم شناعة مقالهم و وضوح فساده ضرورة أن الأصوات و الحروف الملفوظة و المكتوبة أمور حادثة مترتبة في الوجود فكيف يعقل قدمها مع انها أعراض قائمة بغيرها مفتقرة في تحققها و في بقائها إلى السبب و إلى المحل إلى غير ذلك من المفاسد التي ينثلم معها التوحيد اضطروا إلى القول بالكلام النفسى بل ربما تبرء أصحاب

٤٠٣ هـ.

- (١) عبد الملك بن عبد الله امام الحرمين من أصحاب الشافعي ولد في جوين من نواحي نيسابور و رحل إلى بغداد و جاور بمكة أربع سنين و ذهب إلى المدينة و درس جامعا طرف المذاهب توفي سنة ٤٧٨ هـ.
- (٢) الغزالي حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الشافعي من أكابر العامة و المتصوفة توفي سنة ٥٠٥ هـ.
- (٣) الرازي فخر الدين محمد بن عمر رئيس المشككين من أعظم العامة في القرن السادس توفي سنة ٦٠٦ هـ.
- (٤) الدواني جلال الدين مرت ترجمته.
- (٥) الجرجاني عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن أديب، نحوي، لغوي، مؤلف اسرار البلاغة توفي سنة ٤٧١ هـ.
- (٦) العضدي قد مرت ترجمته.
- (٧) البيضاوي ناصر الدين عبد الله بن عمر الأشعري الشافعي، المفسر، توفي في تبريز سنة ٦٨٥ هـ.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٣٩

أحمد «١»، عن نسبة القول بقدم الأصوات و الحروف اليه و لذا حكى عن اليافعي «٢» حكاية القول بحدوثها عنه إلا أنه لا يخفى على من له خبرة بمذاهبهم في الأصول و الفروع أن مثل هذه المقالة ليس بيدع منهم فإنهم خبطوا فيها خبط عشواء «٣» و ركبوا ما يتبرأ عنهم فيه الجاهلية الجهلاء كالقول بالجبر و التجسيم و التشبيه، و أنه تعالى جسم له طول و عرض و عمق، بل عن داود الظاهري «٤» أنه قال اعفوني عن الفرج و اللحية و أسئلوني عما وراء ذلك.

و القول بجواز الرؤية و نفى الغرض و إنكار المصالح و استناد المفاصد كلها اليه على جميع الوجوه، و إثبات المعاني القديمة التي ليست للذات كمال، إلا معها حتى اعترض شيخهم فخر الدين الرازي عليهم، بأن قال: إن النصارى، كفروا لأنهم قالوا: إن القدماء ثلثة و الأشاعرة أثبتوا قدماء ثمانية بل تسعة إلى غير ذلك من

- (١) أحمد بن حنبل ابو عبد الله الشيباني، أصله من مرو، و كان أبوه والى سرخس، ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ، سافر في طلب العلم أسفارا كبيرة و صنف المسند ستة مجلدات يحتوي على ثلثين الف حديث، و له كتب أخر، سجن بأمر المعتصم ٢٨ شهرا لامتناعه عن القول بخلق القرآن، و أطلق سنة ٢٢٠ هـ، و لم يصبه شر في زمن الواثق بالله بعد المعتصم و بعد الواثق في عصر تولى المتوكل أكرم ابن حنبل و لا يولى المتوكل أحدا الا بمشورته، توفي سنة ٢٤١ هـ- ابن عساكر ج ٢ ص ٢٨.
- (٢) اليافعي عبد الله بن أسعد عفيف الدين، مؤرخ، متصوف، من شافعية اليمن ولد في اليمن سنة ٦٩٨ هـ، و توفي بمكة سنة ٧٦٨ هـ- الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٤٧-

- (٣) خبط عشواء، يقال: انه يخبط عشواء يتصرف في الأمور على غير بصيرة- المنجد ص ١٦٧.
- (٤) داود الظاهري بن علي بن خلف الاصبهاني تنسب اليه الطائفة الظاهرية و سميت بذلك لاختها بظاهر الكتاب و السنة و اعراضها عن التأويل و الرأي و القياس، ولد داود في الكوفة سنة ٢٠١ هـ، و سكن بغداد، و انتهت اليه الرياسة، قيل: كان يحضر مجلسه كل يوم أربعمائه، و قال ثعلب: كان عقل داود أكبر من علمه، توفي ببغداد سنة ٢٧٠ هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٤٠

فضائحهم التي ستسمع في هذا التفسير شطرا منها.

و حاصل الكلام في المقام أن القائلين بقدم القرآن فرقان: منهم يقول بقدم الأصوات و الألفاظ و الحروف كما سمعت حكايته عن الحنابلة و عرفت ضعفه، و منهم من يقول بكلام النفسى الذى فسروه بالمعنى القائم بالنفس الذى هو مدلول الكلام اللفظى المؤلف

من الحروف كما ذهب اليه الأشاعرة و استدلوا لإثباته بقوله تعالى: وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ «١».

و

قوله (عليه السلام): رفع عن أمتي ما حدثت به أنفسهم «٢».

و عن الثاني أنه قال في يوم السقيفة: قد كنت زورت «٣» في نفسى مقاله فسبقنى اليه أبو بكر، و عن الأخطل «٤».

(١) المجادلة: ٨.

(٢) فى سفينة البحار ج ١ ص ٢٣٤: قد صح

عنه (صلى الله عليه و آله) قوله: وضع عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم يعمل به أو يتكلم.

(٣) قال الطبرى فى تاريخه المسمى بالأمر و الملوك ج ٢ ص ٤٤٦ فى حديث السقيفة عن عمر بن الخطاب أنه قال: أتينا الأنصار و هم مجتمعون فى سقيفة بنى ساعدة و إذا بين أظهرهم رجل مزمل قال: قلت: من هذا قالوا سعد بن عباد، فقلت: ما شأنه؟ قالوا: وجع، فقام رجل منهم فحمد الله و قال أما بعد فنحن الأنصار و كتبه الإسلام و أنتم يا معشر قريش رهط نبينا و قد دفت إلينا من قومكم دافء، قال فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا و يغصبون الأمر و قد كنت زورت فى نفسى مقاله إلخ.

قال: الزبيدى فى تاج العروس ج ٣ ص ٢٤٧ فى لغة زور: كلام مزور أى محسن و قيل هو المثقف قبل أن يتكلم به، و منه قول عمر: ما زورت كلاما إلّا سبقنى به أبو بكر، أى هبى و أصلحت، و التزوير إصلاح الشىء.

(٤) الأخطل غياث بن غيوث من نبى تغلب، شاعر مصقول الألفاظ، نصرانى اشتهر فى عهد

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٤١ إن الكلام لفى الفؤاد و إنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

و من المشتبه فى العرف و العادة قولهم: بقى أو بقيت فى نفسى كلام أو كلمات، إلى غير ذلك من الشواهد التى قد استفاد منها أن المراد مدلول اللفظ بل صرح بعضه بأن المراد به نسبة أحد طرفى الخبر إلى الآخر القائمة بنفس المتكلم المغايرة للعلم نظرا إلى أن المتكلم قد يخبر عما لا يعلمه بل يعلم خلافه أو يشك فيه و للإرادة فإن الرجل قد يأمر بما لا يريده كالمختبر عبده لامتحان إطاعته، فإنه قد يأمره و يريد أن لا يفعل المأمور به.

و قد يقال: إن المراد به هو الألفاظ المتصورة المترتبة فى الذهن أو المعانى التى وضعت تلك الألفاظ بإزائها أو الكلمات التى رتبها الله تعالى فى علمه الأزلى بالصفة الأزلية التى هى مبدء ترتيبها و تأليفها إلى غير ذلك من كلماتهم المختلفة التى لا تكاد ترد على أمر واحد و لعله لذلك أو لغيره اختلفت أجوبة المعتزلة عنهم حيث إنهم ذهبوا إلى ان كلامه تعالى أصوات و حروف ليست قائمه بذاته بل خلقها الله تعالى فى غيره كجبريل أو الملك أو الروح أو النبى صلى الله عليه و آله و سلم، أو غير ذلك و لو فى الأجسام الجامدة كشجرة موسى عليه السلام.

و استدلوا لذلك أولا بقيام الضرورة القطعية من دين النبى صلى الله عليه و آله و سلم بحيث يعلمه كل أحد ممن كان من أهل هذا الدين و من كان، خارجا عنه على

بنى أمية بالشام، و هو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم، جرير، و الفرزدق، و الأخطل، ولد فى سنة ١٩ هـ، و توفى سنة ٩٠ هـ، و كان معجبا بأدبه، كثير العناية بشعره، و كانت إقامته طورا فى دمشق مقر الخلفاء من بنى أمية و كان شاعرهم. - الاعلام خير الدين زركللى ج ٥ ص ٣١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٤٢

أن القرآن هو هذا الكلام المؤلف المنتظم المفتتح بالبسملة المختتم بالناس، و عليه يحمل الأخبار المتواترة الواردة فى ثواب تلاوته و

قراءته وحملة وحفظه وتعظيمه وكتابته والنظر اليه بل وقع فيه التصريح بكونه ذكرا وهذا ذكْرٌ مُبَارَكٌ «١»، عربيا إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا «٢»، مقروءا بالألسن فإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ «٣»، مسموعا بالأذان حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ «٤».

وثانيا بأن القرآن مشتمل على ذكر القصص والحكايات المتعلقة بالماضين عن زمان نزوله سواء كانت متقدمة على زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كالقصص المتعلقة بالأنبياء كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم المعبر فيها عن أقوالهم وأفعالهم بصيغته الماضى أو واقعه فى زمانه (صلى الله عليه وآله وسلم) كقوله تعالى:

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا «٥»، وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ «٦»، لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ «٧»، إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التى يقتضى صدقه سبق وقوع النسبة على الأنزل غير معقول، فيتعين إمّا حدوث القرآن أو اشتماله على الكذب، والثانى باطل فالأول حق.

و ثالثا باشتماله على الأمر والنهى والطلب والإخبار والنداء، وغير ذلك مما

(١) الأنبياء: ٥٠.

(٢) يوسف: ٢.

(٣) القيامة: ١٨.

(٤) التوبة: ٦.

(٥) المجادلة: ١.

(٦) التوبة: ٩٠.

(٧) آل عمران: ١٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٤٣

لا- يصحّ إلّا مع التعلّق فلو كان أزليا لزم الأمر بلا مأمور والنهى بلا منهى والإخبار بلا سامع، والنداء بلا مخاطب، إلى غير ذلك مما يعدّ سفها وعبثا.

وأجيب عن الأوّل بأنه لا- نزاع فى إطلاق كلّ من القرآن وكلام الله بطريق الاشتراك اللفظى على هذا المؤلف الحادث كما هو المتعارف بين العامّة بل خاصة القراء والأصوليين والفقهاء، وعليه يحمل الأخبار المتواترة الواردة فى فضله وشرفه، وعلى المعنى القديم الذى هو مدلول هذا الكلام اللفظى، واختصاصه بهذا المؤلف الحادث ليس لمجرد دلالة على تلك المعانى القديمة كى يرد أنه لو ألف غيره تعالى ما يدلّ عليها لصدق عليها القرآن وهو باطل ضرورة أن له اختصاصا آخر به سبحانه حيث إنه أجرى اشكاله فى اللوح المحفوظ بل هو قُرْآنٌ مَجِيدٌ فى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ «١»، وألفاظه على لسان الملك إنه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ «٢».

وفيه أنّ نفى النزاع اشتراكه بين المعنيين غريب جدا كيف والمعتزلة ينكرون معقولية المعنى الثانى فكيف يجوزون إطلاقه عليه فضلا عن كونه حقيقة فيه، والأشاعرة ينكرون الكلام اللفظى الحادث المضاف اليه سبحانه نظرا إلى المنع من قيام الحوادث به ومن اتّصافه بصفه حادثه، على أنه قد يقال: إنّ المدار فى صدق التكلم إمّا هو الكلام اللفظى بحيث يدور الصدق مع تحققه وجودا و عندما يقال للإنسان: إنه متكلم إذا صدر عنه الكلام اللفظى دون ما إذا لم يصدر عنه وان علم بوجود الكلام فى نفسه أو بإرادته تَلَفُظُهُ.

وعن الثانى بأنّ كلامه تعالى فى الأزلى يتصل بالماضى والحال والاستقبال

(١) البروج: ٢١.

(٢) الحاقة: ٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٤٤

لعدم الزمان وإنما يتصف بذلك فيما لا يزال بحسب التعلقات و حدوث الأزمنة و الأوقات، و فيه أنه خروج عن القول بكون النفسى مدلول اللفظ الذى سبق على صيغته الماضى مع أن من لاحظ تلك القصص و الحكايات الواقعة فى القرآن يعلم علما قطعيا أن المراد بتأليف تلك الكلمات و تركيب المعانى المرادة منها أنها هو الحكايات عما مضى للفوائد المترتبة عليها.

و عن الثالث بأن كلامه فى الأزل ليس بأمر و لا نهى و لا خبر و لا غير ذلك و إنما يصير أحد الأقسام فيما لا يزال. و فيه مع خروجه عمّا فسّروه به من معنى اللفظ حيث إنّه غير خارج عن الأقسام المتقدمة ضرورة عدم تحقّق الكلى إلّا متنوعا متميزا بشىء من الفصول المتنوعة و العوارض الشخصية أن مثل هذا الكلام غير معقول، و إرجاعه إلى العلم مع تصريحهم بمغايرته له لا يدفع الاعتراض.

و توهم أنه أمر شخصى يعرض له التنوع بحسب التعلقات الحادثة من غير أن يتغيّر هو فى نفسه ضعيف جدا بل كأنه دفع للفساد بالأفسد.

نعم حكى فى «أنوار الملكوت» (١)، عن الأشاعرة فى بيان معقوليته أن ماهية الطلب معقولة لكل أحد فإنّ الإنسان إذا قال اسقنى الماء يجد فى نفسه طلبا مغايرا لقوله هذا بالضرورة، و لهذا قد تبدل عليه العبارات مع اتحاده، و مهية الطلب غير الإرادة فإنّ الإنسان قد يأمر بما لا يريد كالسيد إذا أمر عبده، طلبا لإقامة عذره

(١) أنوار الملكوت كتاب كلامى لآية الله العلامة الحلى المتوفى سنة ٧٢٦هـ، و هو شرح لكتاب الياقوت تأليف الشيخ أبى إسحاق إبراهيم بن نوبخت، كان من أكابر علماء الكلام و من متكلمى الشيعة فى القرن الرابع.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٤٥

عند الملك فى عقوبة ذلك العبد بالتخلّف عن امتثال أوامره دفعا لمؤاخذه الملك إياه، و الأمر لا بد فيه من الطلب مع جواز انتفاء الإرادة عنه فتغايرا و هذا الطلب هو الذى نسّميه كلاما.

و استدّلوا على اتصافه تعالى به بأنّه حىّ و كلّ حىّ يصحّ اتصافه بالكلام و إذا صحّ اتصافه بالكلام و جب أن يكون موصوفا و إلّا اتّصف بضدّه لوجوب اتصاف الذات بأحد الضدين إذا صحّ اتصافه بأحدهما و حيث إنّ ضدّه نقص عليه فهو المتعین.

و بأنّ أفعال العباد يصحّ اتصافها بكلّ من الأحكام الخمسة و الاقتضائية و التخيرية و اختصاص بعضها ببعض لا بد أن يكون لمرجح و هو غير الإرادة إذ قد يأمر بما لا يريد كما فى أمره من علم استمراره على الكفر بالايان فلا بدّ من صفة اخرى يخصّص بها بعض الأفعال ببعض الأحكام و هى الكلام.

و أجاب العلامة (رحمه الله) عمّا ذكره فى بيان معقوليته بأنّ المعقول إنّما هو الإرادة أو تصوّر المراد و الحروف الدالة على الإرادة و الطلب الذى يجده الإنسان من نفسه عند أمره هو الإرادة بعينها، و ليس هناك أمر زائد على ذلك «١»، و أمر

(١) من المسائل التى اختلفت كلمات الفريقين فيها مسألة اتحاد الطلب و الإرادة.

فمنهم من قال بأنهما مترادفان و النزاع لغوى فى تعيين ما هو الموضوع لكليهما هل هو الشوق المؤكد أو من مقدماته.

و منهم من قال بان النزاع عقلى فى انهما متحدان مفهوما و مصداقا و متغايران مفهوما و مصداقا أو متغايران مفهوما و متحدان مصداقا، و القائلون بالتغاير اختلفوا عن قولين.

فمنهم من جعل الإرادة و الطلب من مقولة كيف النفسانى و الطلب من مقولة الفعل النفسانى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٤٦

السيد عبده في المثال المذكور خال عن الطلب، وإنما هو صيغة موضوعه له، والاستدلال بما مرّ من قول الأخطل و عمر ضعيف لوجود المعنى في الأخرس والكاتب والمفهم بالإشارة وغيرها مع عدم صدق التكلم. وعمّا ذكره في اتصافه به يمنع المقدمة المذكورة في كلامه إذ يتصف الشيء بكل من الضدين مع جواز قوله عنها مضافا إلى المنع من اتصاف الشيء بالسواد والبياض المتضادين مع جواز خلوه عنهما بالمعنى الذي عنيتموه، سلمنا لكن اتصافه في القدم بضده أولى لكون الكلام بذلك المعنى نقصا فإنّ توجه الأمر والنهي والخبر إلى غير مأمور ومنهى ومخبر غير معقول، وهو نقص عظيم، فإنّ المراد بكونه غير معقول أنّ العقل لا يجوز وقوعه من الحكيم لا- أنه غير متصور والما لما أمكن الحكم عليه بكونه نقصا، وأمّا المخصّص لبعض الأفعال ببعض الأحكام فهو الإرادة وقد تقرّر عندنا معاشر الإمامية صحة القول بالوجوه والاعتبارات والمصالح الذاتية.

ومنهم من قال هما متحدان كالمعتزلة كما حكاها عنهم القاضي نور الله الشهيد في احقاق الحق في رد ابطال الباطل. ومنهم من قال بأن الإرادة هو العلم بالمصلحة والطلب أمر لفظي يكشف عن العلم بالمصلحة كما حكى عن البصرى. ومنهم من قال بأن الإرادة من الله علمه بوقوع الفعل كما حكى عن النظام والكعبى. ومنهم من قال بأنها معنى سلبي وهو انه ليس بساه ولا مكروه ولا مغلوب فيما فعل كما حكى عن النجار، ومن أراد التفصيل فليراجع احقاق الحق و إزهاق الباطل ج ١ ص ٢٠٨ ط المطبعة الاسلامية بطهران مع تعليقات نفيسه للعلامة البارع آية الله السيد شهاب الدين المرعشى (رحمة الله و رضوانه عليه).

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٤٧

هذا مجمل أدلة الفريقين من المقام وقد أغمضنا النظر فيها عن النقض والإبرام فانظر لتمام الكلام. لعلك لو أعطيت النظر حقّه في مقالات الفريقين ينكشف لك أنّ نزاعهم في المقام يرجع إلى أمرين: لفظي ومعنوي، أمّا اللفظي فهو أنّ التكلم الذي دل الإجماع بل السمع أيضا على ثبوته كقوله تعالى: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» (١)، وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحيا (٢)، هل هو قيام الكلام به أو قيام التكلم الذي هو خلق الكلام فالتكلم هل هو من قام به الكلام أو من صدر عنه ذلك و لو بخلق الأصوات والحروف في جسم الأجسام؟.

فالشاعرة على الأوّل فقالوا: إن العبرة في صدق التكلم والاتصاف به إنّما هو قيام المعنى فإنّ الكلام وإن كان أعمّ من اللفظي والمعنوي إلاّ أنه بعد اتصافه بالقيام في حق الله سبحانه لا بدّ من إرادة الثاني لثلا يكون ذاته محلّا للحوادث، بل ذكر بعضهم أنّ إطلاقه باعتبار الكلام اللفظي مجاز كما قد يستفاد من قول الأخطل، سيّما بعد قوله: و إنّما جعل اللسان على الفؤاد دليلا. و جميع هذه المقالات فاسدة عند أصحابنا الإمامية وعند المعتزلة نظرا إلى أنّ المراد بالتكلم عندهم من صدر عنه الكلام و صدوره، إمّا بالآلات والأدوات التي خلقت لذلك بحسب الطبيعة وإجراء العادة أو بغيرها ممّا لم تجر العادة به كلسان الملك و شجرة موسى وغيرهما، و من هنا ذكر الدواني أنّ صدق المشتق لا يقتضى قيام مبدء الاشتقاق به و إن كان عرف اللغة توهم ذلك حتى فسّر أهل

(١) الأنبياء: ١٦٣.

(٢) الشورى: ٥١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٤٨

العربية اسم الفاعل بما يدل على أمر قام به المشتق منه و هو بمعزل عن التحقيق فإن صدق الحداد إنّما هو بسبب كون الحديد موضوع صناعته و صدق المشمس مستند إلى نسبة الماء إلى الشمس بتسخينه بسبب مقابلتها.



بل ذكر الورع الأردبيلي «١» أنه معلوم حتى على الصبيان و المجانين أن الإنسان متكلم بكلام لفظي بل لا شك في أنه إذا لم يتصيف شخص به، و لم يصدر عنه كلام لفظي لا يقال له متكلم و أنه إذا تكلم به، يقال: إنه متكلم، و التكلم و الكلام صفة له و ان لم يعلم قيامه به خصوصا بالمعنى المذكور، فيوجد المتكلم بدون قيام المعنى و لا يوجد بوجود الكلام في نفسه، فعلم أن المدار على حصول اللفظ لا وجود المعنى.

ثم إنه لا- شك في أن التكلم هو إيجاد الكلام و خلقه و أنه لا قيام له إلا بالهواء الحاصل و تحريك اللسان فالإتصاف بالتكلم إنما هو باعتبار خلقه له لا باعتبار المعنى القائم و لا باعتبار قيام اللفظ به و إلا يلزم أن يكون الهواء متكلمًا. و بالجملة فالظاهر من إطلاق العرف و اللغة أن التكلم إنما يطلق باعتبار أمر لفظي، فإن كان المتصيف به قد خلقت له الآلات و الأدوات التي يتمكن بها منه كالصوت و اللسان و الهواء كان الصدق باعتبار صدوره بها لا مجرد المعنى و القصد و الإرادة و العلم و غيرها مما لا يصدق معه التكلم و إن قلنا بتحققها منه في حق الأخرس و الساكت و نحوهما و أما إذا أتصف به الواجب سبحانه فإنما هو بخلق

(١) الاردبيلي أحمد بن محمّد، عالم رباني، فقيه محقق صمداني، فضله و زهده أشهر من أن يذكر، قال المجلسي: و المحقق الاردبيلي في الورع و التقوى و الزهد و الفضل بلغ الغاية القصوى و لم ير مثله في المتقدمين و المتأخرين، له مصنفات جيدة منها: آيات الأحكام و مجمع البرهان شرحه على الإرشاد توفّي بالنجف الأشرف في صفر سنة ٩٩٣ هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٤٩

الأصوات و الحروف و الكلمات المترتبة في الأجسام الجمادية لتنزّهه عن الآلات و عن افتقاره في الصفات الكمالية إلى غيره و عن مشاركة صفة له في قدمه.

و الأشاعرة و إن احترزوا عن قيام الحوادث به إلا أنهم وقعوا في محذور أشد و أكثر و هو افتقاره في كماله إلى غيره و خلوه في ذاته عن الكمال بل اتصافه بالنقصان الذي هو إثبات الشريك له في قدمه.

و الحاصل أن المستفاد من أخبار أهل البيت الذين هم أعرف الخلق بالله سبحانه و بأفعاله و بصفاته الذاتية و الفعلية أن التكلم من جملة صفات الأفعال فلا يتصيف به سبحانه في ذاته و لا ذكر له في رتبة الذات أصلا، و إنما هو من صفات الفعل الذي هو المشيئة. و لذا

قال مولينا الصادق عليه السلام، على ما رواه في «الامالي» بالإسناد عن أبي بصير: لم يزل الله جلّ اسمه عالما بذاته و لا معلوم و لم يزل قادرا بذاته و لا- مقدور قلت جعلت فداك فلم يزل متكلمًا قال عليه السلام: الكلام محدث كان الله (عز و جل) ليس بمتكلم ثم أحدث الكلام «١».

و ذلك أن المستفاد من أخبار أهل البيت و أصولهم المقتبسة من مشكوة النبوة ثبوت الفرق بين الصفات الذاتية و الفعلية، و أن المراد بالأول ما لا يمكن تعرية الذات عنه كالوجود و العلم، و القدرة فيتصيف الذات بها لا بأضدادها، لأن انفكاك كل منها عن الذات موجب للنقصان ضرورة لزوم الاتصاف بأضدادها حينئذ، و هي العدم و الجهل و العجز.

و لذا

قال مولينا أمير المؤمنين عليه السلام، أول الدين معرفة الله، و أصل

(١) بحار الأنوار ج ٤ ص ٦٨ ط. الاخوندي بطهران عن أمالي الشيخ. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٥٠

معرفة توحيدة، و نظام توحيدة نفى الصفات عنه بدليل أن كل صفة غير الموصوف و كل موصوف غير الصفة، و شهادة كل صفة و

موصوف بالاقتران، و شهادة الاقتران بالحدث و شهادة الحدث بالامتناع من الأزل الخير «١».

و نحوه كثير من خطبهم و أخبارهم عليهم السّلام، و من هنا يظهر أنّ المراد بالصفات الفعلية ما لا يلزم اتصاف الذات بها على وجه التأييد بل يمكن اتصاف الذات بها و بأضدادها كالارادة فيصح أن يقال: إن الله تعالى أراد هذا و لم يرد ذاك، و كذا الخلق و الرزق و الإحياء و الإماتة و نحوه، فإنّ كلا منها يجوز إثباته و نفيه بحسب اختلاف المتعلق، و مثلها الكلام و القول فإنّه يصحّ أن الله تعالى كلّم موسى و لم يكلم فرعون، و قال كذا و لم يقل ذلك، و لذا استقرّ المذهب من أهل التوحيد الذين هم الإمامية الاثنى عشرية على كونه من الصفات الفعلية، و أمّا غيرهم من

(١) هذا الفقرات قطعة

من الخطبة التي خطبها أبو الحسن الرضا (عليه السّلام) كما عن التوحيد و عيون أخبار الرضا، و بحار الأنوار: إن المأمون لما أراد ان يستعمل الرضا (عليه السّلام) جمع بنى هاشم.

فقال: إني أريد أن استعمل الرضا على هذا الأمر من بعدى فحسده بنو هاشم، و قالوا: تولى رجلا جاهلا ليس له بصر بتدبير الخلافة فابعث اليه يأتنا فترى من جهله ما تستدل به عليه، فبعث اليه فأتاه، فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن اصعد المنبر و انصب لنا علما نعبد الله عليه، فصعد المنبر فقعد مليا لا يتكلم مطرقا، ثم انتفض انتفاضة، و استوى قائما و حمد الله و أثنى عليه، و صلّى على نبيه و أهل بيته ثم قال (عليه السّلام): أول عبادة الله معرفته، و أصل معرفه الله توحيدده، و نظام توحيد الله نفى الصفات عنه لشهادة العقول أنّ كلّ صفة موصوف مخلوق، و شهادة كل موصوف أنّ له خالقا ليس بصفة و لا- موصوف، و شهادة كل صفة و موصوف بالاقتران، و شهادة الاقتران بالحدث، و شهادة الحدث بالامتناع من الأزل لمتنع من الحدث إلخ- بحار الأنوار ج ٤ ص ٢٢٨ ط. الاخوندى بطهران- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٥١

تفسير الصراط المستقيم ج ١ ٣٩٩

فرق المسلمين فضلا عن الكفار و المشركين فلم يحفظوا حدود التوحيد، و لذا وقعوا في الشرك و الإلحاد و إثبات الأضداد و الأنداد و تكميل الذات بصفات زائدة و توصيفه بسمات حادثة بائدة، و القول بتعدد القدم و الإلحاد في الصفات و الأسماء. و ذلك لأنهم قاسوا ربهم بأنفسهم فاقتبسوا صفاته عن صفاتها فذهبوا الى القول بالصفات المشتركة كالعلم و القدرة و الوجود و غيرها، و لم يدروا أنه كلما يوجد في الخلق لا يوجد في خالقه، و كلما يمكن فيه يمتنع في صانعه و كيف يجرى عليه ما هو أجراه على خلقه، و أنّى يعود فيه ما قد ابتدئه في صنعه إذا لتفاوتت ذاته و لتجزء كنهه و لقامت فيه آية المصنوع و لتحوّل دليلا بعد ما كان مدلولاً عليه.

و على كلّ حال فبعد الغضّ عن المباحث اللفظية اللغوية التي سمعت شطرا منها في تضاعيف ما مرّ ينبغي أن يقال: إنّ الكلام الذي تقول الأشاعرة بقدمه و كونه من صفات الذات يحتمل وجوها:

أحدها مطلق الملفوظ الخاص و إن تلفظ به من كان أين كان متى كان أو خصوص ما تلفظ به النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم بعد نزول الوحي أو ما أوحى إليه بان كان مسموعا و على الأخيرين يكون ملفوظ الغير حينئذ حكاية القرآن لا حقيقته.

ثانيها مطلق المكتوب الخاص أو خصوص المكتوب في اللوح بالقلم الأعلى أو المكتوب بعد نزول الوحي عليه عليه السّلام. و ثالثها خصوص الكلمات و الحروف المؤلفة المنتظمة المترتبة بالترتيب الخاص بقطع النظر عن كونها ملفوظة أو مكتوبة أو مقروئة أو لا.

و هذه الوجوه الثلاثة بأقسامها لا ينبغي القول بقدم شيء منها لأنها مشتركة في انتظام الحروف و ترتيبها، و كذا الكلام في الكلمات و الآيات و السور و لأنها

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٥٢

أعراض قائمة بغيرها لا تقوم بنفسها، ولأنها بأقسامها مسبوقه بالحروف البسيطة المفردة المفتقرة المتفجرة إليها في تحصل وجودها على الوجوه الثلاثة مع أنهم لم يقولوا بقدوم الحروف الثمانية والعشرين فكيف يصح القول بقدوم ما يتألف منها سيما مع تأخر المؤلف بالفتح عن التأليف وعن البسائط وعن ملاحظة المعنى الحادث و تبعية اللفظ له تركيبا ودلالة و وضعا بل لعله يلزمهم بعد ذلك القول بقدوم سائر الكلمات والتراكيب وتصنيف المصنفين ولذا وغيره مما يرد على هذا القول تبرء المتأخرون منهم عنه ونسبوه إلى الحشوية «١»، والكرامية «٢»، والحنبلة «٣»، بل ذكر بعضهم أن القرآن يطلق بالاشتراك اللفظي على ذلك المعنى القديم وعلى هذا المؤلف المخصوص القائم بأول لسان اخترعه الله فيه حتى أن ما يقرأ كل واحد سواه بلسانه يكون مثله لا عينه كما هو أحد القولين عندهم وأصحهما عند بعضهم أنه اسم له لا من حيث تعيين المحل فيكون واحدا بالنوع ويكون ما يقرأ القارى أى قار كان نفسه لا مثله كما هو الحال فى كل شعر و كتاب ينسب إلى مؤلفه.

و حيث قد أورد عليهم بأنه لا وجه حينئذ لاختصاص موسى كليم الله مع ان كلاً منا يسمع كلامه اللفظي، بل كذا الأزلى النفسى، إذا أريد بسماعه فهمه من الأصوات المسموعة.

(١) الحشوية طائفة تنسب إلى الحشو بفتح الحاء و ضم الشين قرية من قرى خوزستان أو تنسب الى الحشا بمعنى الأمعاء لان هذه الطائفة كلما خطر على أنفسهم يظهره بغير التأمل، و التفكير و هؤلاء أصحاب الحسن البصرى كما فى مستطرفات البروجردى صاحب الصراط المستقيم- ربحانة الأدب ج ١ ص ٣٢٨-

(٢) الكرامية أتباع محمد بن كترام و قد مرت ترجمته من قبل.

(٣) أتباع أحمد بن حنبل و قد مضت ترجمته.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٥٣

أجابوا عنه مرة كما عن الغزالي بأن موسى عليه السلام سمع كلامه الأزلى بلا- صوت و حرف كما ترى فى الآخرة ذاته بلا كم و كيف.

و مرة بأنه عليه السلام سمعه بصوت من جميع الجهات على خلاف ما هو العادة و اخرى بأنه عليه السلام، سمع من جهة لكن بصوت غير مكتسب للعباد بل صوت تولى خلقه من غير آله.

أقول: لا يخفى أن الوجه الثالث غير مناف للثانى كما

ورد عن مولينا الرضا عليه السلام أن موسى على نبينا و آله و عليه السلام لم يسمع كلامه الله و قربه نجيا رجع الى قومه فأخبرهم أن الله كلمه و قربه و ناجاه فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلام الله كما سمعته، و كان القوم سبعمائة ألف فاختر منهم سبعين ألفا ثم اختار منهم سبعة آلاف ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين رجلا لميقات ربه فخرج بهم الى طور سيناء فأقامهم فى سفح «١» الجبل و صعد موسى (عليه السلام) إلى الطور و سئل الله أن يكلمه و يسمعهم كلامه و كلمه الله و سمعوا كلامه من فوق و أسفل و يمين و شمال و وراء و أمام لأن الله أحدثه فى الشجرة ثم جعل منبعثا منها حتى سمعوه من جميع الوجوه الخبر «٢».

و على هذا فالكليم ليس كل من سمع مثل هذا الكلام بل من سيق لأجله و خوطب، بل لعله من الأعلام الغالبة فلا تغفل.

و أما ما ابتدعه الغزالي فهو من سنخ ما زعمه من الرؤية و ستسمع فساد هما بما لا مزيد عليه.

(١) سفح الجبل أى أسفله حيث يسبح فيه الماء، سفح الدمع: سال يتعدى و لا يتعدى.

(٢) عيون اخبار الرضا ج ١ ص ٢٠٠ ط. الاخوندى بطهران.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٥٤

و أما حكاية الاشتراك اللفظي فيتضح بعدم معقولية أحد المعنيين.

رابعها ما ذكره الأحسائي في بيان مرادهم بالكلام النفسى قال: ما حاصله أن الذى يظهر لى أن الأشاعرة أشاروا إلى معنى لو كان ذلك فى حق الحادث لكان صحيحا و لكن بطلان قولهم لا من حيث إنه غير معقول بل هو معقول معروف أللهم إلا أنهم عجزوا عن التعبير عن مرادهم بعبارة تدلّ عليه فلعجز الأشعري عن التعبير كان المفهوم من كلامه غير معقول، و العبارة الدالّة على مرادهم هو أنّ النفس لها كلام مثل كلام اللسان بحروف و أصوات إلا أنها نفسية، فالنفس تخاطب مثال غيرها و تأمره و تنهاه و تطلب منه و كذلك مثالها، و هو قولهم: مثل حديث النفس لأنّ النفس قد تحدّث نفسها، و تحدّث غيرها بكلام مشتمل على كلمات لفظية و حروف صوتية مثل الكلام المسموع بالأذان إلا أنه نفسى لا جسمانى، فالكلام النفسى مثل الكلام اللفظى فى جميع ما يعتبر فيه من الترتيب و الإعراب و الوقوف و الوصل و الإدغام و الإظهار و الجهر و الإخفات و الجهر و الهمس و جميع ما يعتبر فى اللفظى على جهة الوجوب و الندب و ما هو عليه من الأمر و النهى، و من أساليب الكلام و لمّا عجزوا عن التعبير عن الكلام بما هو عليه نفوا من الكلام النفسى ما لا يتفق الكلام إلا به، فقالوا: هو ليس بحرف و لا صوت و لا أمر و لا نهى و لا خبر و لا استخبار، و لا شىء من أساليب الكلام، و لكنّه معنى قائم بالنفس يعبر عنه بالعبارات المختلفة المتغايرة إلى أن مثل له بقوله مثلا يتصور زيدا و هذه الصورة من العلم ثم يقول له: هل مضيت السوق أمس؟ فتقول: صورة زيد: بلى، فيقول له:

هل اشتريت الثوب الفلانى لعمرو؟ فتقول: لا، فيقول له: لم تركت و قد أمرتك، اذهب عنى فإنك قد عصيتنى و خالفت أمرى، فيقول: مثال زيد اعف عنى و أمتل أمرك بعد هذا، و لا أعصى لك أمرا، فيغضب، و لا يعفو حتى تظهر على الجسد صورة

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٥٥

الغضب من إحمرار الوجه و الرعد يده لشدة العزم على الانتقام، أو يرضى و يعفو حتى تظهر على ظاهره صورة الرضا و السكون و الطمأنينة، فيظهر أثره على ظاهر الشخص المتكلم فى نفسه مع صورة زيد و مثاله كما يظهر أثر الكلام اللفظى المعروف على ظاهر المتكلم و ليس شىء من هذا بعلم و إنّما هو كلام و هذا ظاهر لمن فهم ما قلته.

و لكن الأشاعرة ما قدروا على التعبير عمّا أرادوا كما سمعت فانه شىء معقول صحيح ألا تسمعهم يقولون: إنه تعالى يخاطب المعدوم و يأمره و ينهاه لأنه تعالى يمثل ذلك يستحضر صورتها و يخاطبها إلى آخر ما ذكره.

أقول: هذا المعنى و إن كان معقولا فى نفسه متصورا بل محكوما عليه بأحكام كثيرة و لو غير شرعية بالنسبة إلينا إلا أنّ أصحاب هذا القول الذين هم أعرف بمراد شيخهم بل و لا مخالفينهم لم يشيروا إلى ارادة هذا المعنى فى المقام، و إن لم يجر كلامهم على مصبّ واحد، نعم ربما أطلقوا القول بأنّ المراد بمعنى اللفظ، بل لعل فى بعض الشواهد المتقدمة كقول الأخطل و عمر و غيرهما إشعارا به، بل يمكن بإمكان غير بعيد أن يكون ذلك هو مراد الأشعري و إن لم يعبر عنه هو و لا أحد ممن تبعه على ما هو عليه نعم ما حكاه عنهم بقوله هو ليس بحرف و لا صوت إلخ، لا ينطبق عليه تمام الانطباق.

و على كلّ حال فقد فرغنا عن تنزيهه سبحانه عن مثل تلك الخواطر النفسانية و الهواجس الذهنية و أثبتنا فى الأصول الكلامية أنّ هذا كله من العوارض الإمكانية التى هى دليل النقصان و لا يتّصف سبحانه به و لا بالصفات الزائدة التى أثبتوها تكميلا للذات، مضافا إلى

أنّ الكلام النفسى على هذا الوجه إن كان بالألفاظ المتخيّلة المتردّدة فى الذهن فلا بدّ أن يكون بشىء من اللغات من العربية

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٥٦

و غيرها فهو مسبوق بخلق الحروف و وضعها و تأليفها أو غير ذلك مما هو من سمات الحدوث، و إن كان مجردا عن الألفاظ بل بمجرد إدراك المعنى مع قطع النظر عن كونه فى ضمن العبارة فمرجعه إلى العلم و إدراك النسبة أو الطلب أو غير ذلك مما تأتى إليها الإشارة مع أنّ الصور الذهنية لها صور شخصية مركبة مسبوقة ببسائطها، بل منتزعة عن غيرها، على أن فرض قدمها يوجب عدم

تأثير الذات فيها بوجه من الوجوه لا- ذاتا ولا- فعلا- ولا- إيجادا ولا- إبقاء ولا غيرها من وجوه التأثير والاختضاء فكيف ينسب اليه سبحانه.

خامسها ما مرّت اليه الإشارة في حكاية عنهم و هو أنّ نسبة أحد طرفي الخبر إلى الآخر قائمة بنفس المتكلم و مغايرة للعلم لأنّ المتكلم قد يخبر عمّا لا يعلمه بل يعلم خلافه أو يشكّ فيه، و كذا المعنى النفسى الذى هو الأمر غير الإرادة لأنّه قد يأمر الرجل بما لا يريده كالمختبر لعبده و كالمعتذر من ضرب عبده لعصيانه.

قلت: و من المشتبه بالخلاف من أنّ الطلب المدلول للأمر هل هو نفس الارادة أو غيرها، فالمحكى عن أصحابنا و المعتزلة هو الأول نظرا إلى أنّ المتبادر من الأمر الدالّ على الطلب هو إرادة الفعل من المأمور و قضية ذلك اتحادهما معا، و كان مرادهم بالإرادة هو الارادة الاقتضائية الخارجية الواقعة على سبيل إلزامه بالفعل أو ندبه اليه أو غير ذلك من المعانى حتى التهديد و غيره على وجهه، فإنّ هذا هو المعنى الإنشائى المناسب للطلب بل المتحد معه مفهوما و تحقّقا.

و أمّا ما يعبر عنه بالميل إلى الفعل أو القصد و الإرادة إلى صدوره من الغير فلا ينبغى التأمل في مغايرته للطلب المعدود من أنواع الإنشاء لخلو الإرادة بالمعنى الثانى عن المعنى الإنشائى.

ولعلّه يمكن الجمع بين ما سمعت من المذهب و بين ما يعزى الى

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٥٧

الأشاعرة من القول بالمغايرة، بل ربما يساعد المحكّي من أدلتهم على هذا الجمع، فإنّهم قد استدّلوا على المغايرة. أوّلا- بأنّ الله تعالى أمر الكافر بالايان و لم يردّه منه لاستحالة وقوعه منه، لعلمه سبحانه بعدم صدوره منه، فلو صدر لا نقلب علمه جهلا و من البين استحالة إرادة المحال من العالم، و لأنّ صدور الكفر من الكافر لا بدّ أن يستند إلى سبب، و ذلك السبب لا بدّ أن ينتهى إلى الواجب تعالى لاستحالة التسلسل و إيجاده تعالى لذلك السبب يستدعى إرادة وقوع الكفر منه لكون إرادة السبب مع العلم بسببته إرادة المسبّب، فيستحيل إرادة ضده حينئذ لاستحالة إرادة الضدين.

و ثانيا قد ينسخ قبل حضور وقت العمل فلو كان مريدا للمأمور به لاجتمع الإرادة و الكراهة في فعل واحد و هو محال. و اختلاف الزمان غير مجد لعدم تصوّره في حقه تعالى، و لاّ اتحاد زمان الفعل و استحالة البدا عليه حقيقة بمعنى الظهور بعد الخفاء. و ثالثا بضرورة التفكيك بينهما إذ من البين تحقق الأمر دون الإرادة في الأوامر الامتحانية و العكس في قول الأمر أريد منك الفعل و لا آمرك به.

قلت: و هذه الوجوه كما ترى ظاهرة في المعنى الثانى من الارادة و هو القصد إلى تحقق الفعل فى الخارج، و تحقق الميل و المحبة اليه المقضى لتحتم تحقيقه، و أمّا الإرادة الانشائية الاقتضائية الإظهارية فهي متحققة فى أمر الكافر و فى أمر من يعلم بعصيانه. و لذا

ورد أنّ لله تعالى إرادتين و مشييتين إرادة حتم و إرادة عزم ينهى و هو يشاء و يأمر و هو لا يشاء أو ما رأيت أنّ الله تعالى نهى آدم و زوجته أن يأكلا من الشجرة و هو شاء ذلك و لو لم يشأ لم يأكلا و لو لم يأكلا لغلبت مشيتهما مشية الله

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٥٨

و أمر إبراهيم بذبح ابنه و شاء أن لا يذبحه و لو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشية إبراهيم مشيئة الله (عز و جل) «١». و مما ذكرناه يظهر الجواب عمّا ذكره من الوجوه، و أمّا ادّعوه من انتهاء سلسلة الأسباب لافعال العباد إلى الله سبحانه فهو مبنى على مذهبهم الفاسد من القول بالجبر، و ستسمع فى موضعه الجواب عن شبهاتهم فى ذلك، ثم إنّ الكلام فى الجواب عن حجج الفريقين و تحقيق ما هو الحق فى البين طويل جدا و قد أشرنا الى ما هو الأصل فى المقام.

و على كلّ حال فالذى ينبغى لنا البحث عنه أنّ الارادة بكلا معنييه من المعانى الحادثة فينا بعد وجودنا، و هى من الصفات القائمة بنا و

إرادة الله تعالى ليست من سنخ إرادتنا حتى تقاس بها، و على فرض المقايسة و المشابهة و لو من بعض الوجوه البعيدة فلا ريب أن الإرادة من صفات الأفعال لما سمعت من الفرق الكلى المستفاد من أخبار العترة الطاهرة عليهم الصلوة و السلام بين الصفات الذاتية و الفعلية.

ولذا

أجاب الامام جعفر الصادق عليه السّلام حيث سئل لم يزل الله مريدا بقوله (عليه السّلام): إن المريد لا يكون إلا لمراد معه، بل لم يزل الله تعالى عالما قادرا ثم أراد «٢».

و

عن صفوان بن يحيى «٣»، قال قلت لأبى الحسن عليه السّلام: أخبرنى عن

(١) بحار الأنوار ج ٤ ص ١٣٩ ط. الاخوندى بطهران.

(٢) بحار الأنوار ج ٤ ص ١٤٤ ط. الاخوندى بطهران.

(٣) صفوان بن يحيى أبو محمّد البجلي الكوفى من أصحاب الكاظم و الجواد (عليهما السّلام) و كان أوثق أهل زمانه و أعبدهم و كان يصلى فى كل يوم خمسين و مائة ركعة لأنه كان شريكا لعبد الله بن تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٥٩  
الإرادة من الله و من الخلق؟ فقال عليه السّلام: الإرادة من الخلق الضمير و ما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل و أما من الله فإرادته إحداثه لا غير ذلك، لأنه لا يروى و لا يهّم و لا يتفكر و هذه الصفات منفية عنه، و هى صفات الخلق فإرادة الله الفعل لا غير ذلك يقول له فيكون بلا لفظ و لا نطق بلسان و لا همّة و لا تفكر و لا كيف لذلك كما أنه بلا كيف «١».

و

فى التوحيد عن مولينا الرضا عليه السّلام: المشيئة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله لم يزل مريدا شائيا فليس بموحد «٢».  
و مما سمعت و ما هو المقرّر فى الأصول الكلامية يظهر أن الإرادة بالمعنيين المذكورين فضلا عما سواهما من العزم و المحبة و الكراهة و الهمة و الروية كلها من صفات الإمكان الواقعة فى صقع الحدوث.  
سادسها ما أشار إليه المحقق الدوانى فى «شرح العقائد» «٣».

جندب و على بن نعمان و روى انهم تعاقدوا فى بيت الله الحرام أنه من مات منهم صلى من بقى منهم صلوته و صام عنه و زكى عنه زكوته فماتا و بقى صفوان و كان يصلى فى كل يوم مائة و خمسين ركعة و يصوم فى السنة ثلثة أشهر و يزكى زكوته ثلث دفعات و كان صفوان من أصحاب الإجماع، توفى سنة ٢١٠ هـ بالمدينة.

(١) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١١٩ ط. الاخوندى بطهران.

(٢) بحار الأنوار ج ٤ ص ١٤٥ ط. الاخوندى بطهران.

(٣) شرح العقائد العضدية فى علم الكلام لجلال الدين محمّد بن أسعد الدوانى من حكماء القرن التاسع المتولد فى سنة ٨٣٠ بدوان (من بلاد كازرون) و المتوفى بفارس (شيراز) سنة ٩٠٧ و متن الكتاب لعضد الدين الايجى عبد الرحمن بن أحمد من علماء الشافعية فى القرن الثامن من أهل ايج (فارس) ولى القضاء، وجدت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجوناً سنة ٧٥٦ له مصنفات فى الكلام - منها المواقف و منها العقائد العضدية و هو آخر

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٦٠

و فى رسالته فى إثبات الواجب و صفاته قال فى الثانية بعد تمهيد أن صفة التكلم فىنا عبارة عن قوة تأليف الكلام، و أنّ كلامنا عبارة

عن الكلمات التي هو مؤلفه لنا في الخيال: إنَّ صفة التكلّم القائم بذات الله تعالى صفة هي مصدر تأليف الكلمات و كلامه تعالى هي الكلمات التي هي متوجه إلى مخاطب مقدّر، و امتيازها عن العلم ظاهر، فإنّ كلام غيره تعالى معلوم له تعالى، و ليس كلامه، كما أنّ كلام غيرنا معلوم لنا و ليس كلامنا، و هذا الذي ذكرناه ليس ما ذهب إليه الحكماء من أنّ كلامه تعالى علمه و لا مذهب الحنابلة و من يحدو حدوهم من أنّ كلامه الأصوات و الحروف أو ما يشمل الأصوات و الحروف و المعاني و لا ما هو المشهور عن الأشعري من أنّ كلامه تعالى المعنى المقابل للفظ، بل تحقيق و تنقيح لمذهب الأشعري كما يظهر بالتأمل الصادق، و لما كان علمه تعالى واحدا محيطا بجميع المعلومات كان كلامه أيضا واحدا مشتملا على أقسامه من الكتب و الصحف باللغات المختلفة و الإخبارات و الإنشآت، و لَمَّا كان كلامه أزليا كان الخطاب فيه متوجها إلى المخاطب المقدّر إذ لا يخاطب موجود في الأزل فيكون المضي و الحضور و الاستقبال فيه بالنسبة إلى الزمان المقدّر للمخاطب فلا إشكال في ورود بعضها بصفة المضي، و بعضها بصفة الحال، و بعضها بصفة الاستقبال.

تصنيفاته.

كان معاصرا للحافظ الشيرازي و ممدوحا له في قطعة أنشأها في مدح الملك.

قال:

بعهد سلطنت شاه شيخ أبو اسحق به پنج شخص عجب ملك فارس بود آباد  
نخست پادشهی همجو او ولایت بخش که جان خویش پرورد و داد عیش بداد  
دگر مربی اسلام شیخ مجد الدین که قاضی به از او آسمان ندارد یاد

دگر شهنشه دانش عضد که در تصنیف بنای کار مواقف بنام شاه نهاد تفسیر الصراط المستقیم، ج ١، ص: ٣٦١

ثم أورد على نفسه بأنه قد اطرّد العرف على أنّ من أنشأ كلاما بكتابه يسمى متكلّما به، و ينسب إليه ذلك الكلام، كما يقال: قال الشافعي كذا و كذا، و إنّما ينسب إليه ذلك الأقوال لأنه كتبها فلم لا يجوز أن يكون كلام الله تعالى من هذا القبيل، كما يقوله المعتزلة فيكون نسبه اليه تعالى بسبب أنه كتبه في اللوح المحفوظ أو أوجده في لسان الملك أو الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و أجاب بأن من لم يقدر على تأليف الكلمات في النفس لا يسمى متكلّما و إن أوجد النقوش، و كذلك من علم أنه ليس له قصد إلى تلك الألفاظ و الحروف لا يسمى متكلّما، و نسبة القول إلى من كتب شيئا من الكلام بسبب إعتقاد أنه دالّ على كلامه النفسى و لو علم انه ليس له الكلام النفسى لم يسمّ متكلّما أصلا كما لو فرضنا انه صدر هذه النقوش من غير الإنسان.

و ثانيا بأن النصوص السمعية دالّة على إثبات صفة الكلام له تعالى و ظواهر تلك النصوص أنّها صفة مغايرة لسائر الصفات كالعلم و القدرة و الإرادة، و القول بما قاله المعتزلة يؤدّي إلى أن لا يكون الكلام صفة اخرى بل راجعة إلى القدرة على خلق الكلمات في محلّها، و التجاوز عن الظواهر من غير ضرورة مستنكر، على أنه لا يمكن الدلالة على نفى الكلام النفسى، و لو نفوه لزمه القدرح في كونه تعالى متكلّما بالمعنى العرفى كما سبق، و بعد ثبوت الكلام النفسى يتمّ ما ذكرناه من تحقيق مذهب الأشعري من غير خلل.

أقول: و فيه أولا- أنّ ما مهده من أنّ صفة التكلّم فينا عبارة عن قوة تأليف الكلام ممنوع جدا، فإنّ التكلّم من الأفعال التي يعتبر فيها الفعلية و لا- يكفي فيه الشأن و القوة إذ الفعلية و التحصيل هي المنساق منه عند إطلاقه و لذا لا يقال تكلم زيد بمجرد قدرته على ذلك، و بالجملة فرق بين الصفات النفسية و الأفعال

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٦٢

الخارجية، و التكلّم من الثانية، و يشهد له التبادر و صحة السلب عمّا ذكره، مع أنّ قوة التأليف ترجع إلى القدرة، و قد شنع به أخيرا، و من جميع ما مرّ قد ظهر أيضا ضعف ما توهمه من كون الكلام فينا عبارة عن الكلمات المؤلفة الخيالية فإنّها صور ارتسامية من الكلام

الخارجي الذي هو حقيقته لا أنها نفس الكلام، و لذا ليس للأخرس و لا للساكت كلام.

و ثانياً أنّ صفة التكلّم فيه سبحانه ليست قائمة بذاته تعالى، لأنّ التكلّم إمّا حادث أو قديم، و على الوجهين مغاير للذات كما هو المفروض في كلامهم، و على الوجهين قيامه غير ممكن، أمّا على فرض الحدوث كما هو الحقّ و إن لم يقولوا به فلامتناع كون الذات محلّاً للحوادث و تغير الذات بعروضه، و لأنّ واجب الوجود لذاته واجب الوجود من جميع جهاته، و لأنّ الأزل لا يدخل فيه شيء و لا يخرج منه شيء، و أمّا على فرض القدم فلاستحالة التقارن بل القيام المأخوذ فيه عدم التأصل بل الترتيب و الافتقار، و لما دلّ على أنّ كل صفة خارجة عن الذات عارضة لها أو مقترنة بها في حادثه قطعاً لأنّ معنى الوصفية العروض و التأخر، و معه يستحيل فرض القدم الذاتي.

ثم لا يخفى أنّ الصفة التي هي مصدر تأليف الكلمات هي القدرة، إذ بها يصدر التأليف، مع أنّ فرض المصدر لها يوجب تأخر الصدور فضلاً عن الصادر، سيما مع فرض كونه هي الكلمات المؤلفة التي هي حقيقة في الألفاظ و الحروف المعتبرة فيها صفة التأليف، و أين هي من كونها مؤلفه له تعالى بذاته في علمه القديم بغير واسطة، إن هذا إلّا التناقض في الكلام، و التقول بما لا يخفى فساده على الأفهام، نعم إنّما نشأ ذلك من قيام كلامه سبحانه بكلام خلقه، و قد عرفت الحال في المقيس عليه أيضاً تعالى الله عما يقول الجاهلون المعاندون علواً كبيراً.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٦٣

و ثالثاً أنه يستفاد من قوله: (و هذا الذي ذكرتها ليس ما ذهب إليه الحكماء إلخ) أنّ هذا الكلام الذي أثبتته ليس راجعاً إلى العلم و لا إلى الأصوات و الحروف لا مقرونة بالمعاني و لا مفروقة عنها، و لا من سنخ المعنى المقابل للفظ و من البين أنّه ليس هاهنا أمر آخر إلّا ما صرح به من الصفة التي هي مصدر تأليف الكلمات، و هو القدرة و لذا عبّر عنها أولاً بالقوة، فمن أين يكون تحقيقاً لمذهب الأشعري؟ على أنه قد وقع أولاً فيما طعن به أخيراً من إرجاعه إلى الشيء من الصفات كالعلم و القدرة و نحوهما.

و رابعاً أنّ اشتغال هذا الكلام الذي توهمه مع وحدته على أقسام الكلام من الكتب و الصحف باللغات المختلفة و الإخبارات و الإنشاءات غير معقول جدّاً، فضلاً عن تقدير الأزمنة و الخطاب المقدّر، و كأنه قاس ربّه بنفسه إذا علم أنه يملك بعد مضي مدة من السنين عبيداً سيوجدون بعد ذلك فيتوهمهم موجودين ثم يخاطبهم مخاطبة وهمية أو محققة بخطاب و همي مشتملاً على أمر و نهى و إخبار و قصص و مواعظ و حكاية عن الماضين، و غير ذلك من الزجر و الوعيد و التهديد، و لعمري إنّ هذه الأمور الوهمية يستدعي معبوداً وهمياً، و هو كذلك عندهم، فإنّهم يتوهمون ربهم و يعبدون أرباباً يتوهمونها في أذهانهم، فهم من عبدة الأصنام الذين يعبدون ما ينحتون، و الله خلقهم و ما يعلمون.

و بالجملة المراد بالتقديران كان مجرّد الفرض و الاعتبار فهو كما ترى لتترّفه سبحانه عن مثل ذلك، مع ان الخطاب و المخاطب و المخاطبة كلها حينئذٍ تقديرية، فان اعتبرنا الوجود التقديري اشتركت في القدم و إلّا اشتركت في العدم و التفكيك فاسد قطعاً إذ لا يجوز حتى من المخلوق مخاطبة المخاطب المتوهم المقدّر بخطاب محقق متحصل.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٦٤

و إن كان المراد تعلق العلم بحصول ذلك فيما بعد ففيه أنّ مرجعه حينئذٍ إلى العلم الذي يحاشي عنه في آخر كلامه، مع أنّك ستسمع في موضعه أنّ تعلق العلم الذاتي بالحوادث غير ممكن لعدم تعلّق نفس الذات بها، فإنّ العلم الذاتي هو الذات، و كذلك الكلام في سائر الصفات الذاتية، نعم العلم الفعلي متعلّق بها لكن التعلّق و المتعلّق بالكسر و المتعلّق بالفتح كلّها في صقع الإمكان المسبوق بالعدم، و أين ذلك عن القدم.

و خامساً أنّ الوجهين الذين ذكرهما دفعا للإيراد ضعيفان.

أمّا الأوّل فلأنّ عدم صدق المتكلّم على موجد النقوش ليس لمجرد عدم القدرة على تأليف الكلمات في النفس، فإنّ الأخرس بل



الساكت أيضا مع قدرتهما على تأليف الكلمات حسبما توهمته في المخلوق لا يتصفان بالتكلم ولا يقال لهما المتكلم. و أما الثاني فلائنه و إن كان مسلما في الجملة إلا أن ما ذكره يثول أيضا الى القدرة حسبما سمعت.

سابعها ما يحكى عن صاحب «المواقف» و محصّله أن لفظه المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ و أخرى على الأمر القائم بالغير، فالشيخ لما قال: الكلام هو المعنى النفسى فهم الأصحاب منه أن مراده مدلول اللفظ وحده، و هو القديم، و أما العبارات فإنما يسمّى كلاما مجازا لدلالتهما على ما هو كلام حقيقة حتى صرّحوا بأن اللفظ حادث على مذهبه، لكنّها ليست كلاما حقيقة، و هذا الذى فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة، كعدم إنكار من أنكر كلامية ما بين دفتى المصحف مع أنه علم من الدين ضرورة كونه كلام الله تعالى حقيقة، و كعدم المعارضة و التحدى بكلام الله الحقيقى، و كعدم كون المقروء و المحفوظ كلامه حقيقة، إلى غير ذلك مما

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٦٥

لا يخفى على المتفطن فى الأحكام الدينية.

فوجب حمل كلام الشيخ على إرادته المعنى الثانى، فيكون الكلام النفسى عنده أمرا شاملا للفظ و المعنى جميعا قائما بذات الله و هو مكتوب فى المصاحف مقرّو بالألسن محفوظ فى الصدور، و هو غير الكتاب و القرائة و الخطوط الحادثة. و ما يقال من أن الحروف و الألفاظ مترتبة متعاقبة فجوابه أن ذلك الترتب إنما هو فى التلفظ بسبب عدم مساعدة الآلة فالتلفظ حادث و الأدلة على الحدوث يجب حملها على حدوثه دون الملفوظ جمعا بين الأدلة.

و عن بعضهم أن هذا المحمل لكلام الأشعري مما اختاره الشهرستانى أيضا فى كتابه المسمى ب «نهاية الاقدام» «١».

قلت: و من التأمل فيما ذكرناه سابقا يظهر لك وجوه المناقشة فى هذا الكلام، بل قد يناقش أيضا بأن مذهب الأشعري أن كلامه تعالى واحد ليس بأمر و لا نهى و لا خبر و إنما يصير أحدها بحسب التعلق، و هذه الأوصاف لا ينطبق على الكلام اللفظى بل و لا المعنوى أيضا، و لذا ذهبوا فى فهم مراده كل مذهب.

و بأن كون الحروف و الألفاظ قائمة بذاته تعالى من غير ترتب يفضى إلى كون الأصوات مع كونها أعراضا سيالة موجودة بوجود لا يكون سيالة و هو سفسطة من قبيل أن يقال: إن الحركة يوجد فى بعض الموضوعات من غير ترتب و تعاقب بين أجزائها. و بأن محصّله الفرق بين ما يقوم بالفارى من الألفاظ و بين ما يقوم بذاته تعالى

(١) نهاية الاقدام كتاب كلامى مرتب على عشرين قاعدة لأبى الفتح محمّد بن عبد الكريم الشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٦٦

باجتماع أجزاء و عدم اجتماعها بسبب قصور الألة و حينئذ إن أوجب الفرق اختلاف الحقيقة فلا يكون القائم بذاته تعالى من جنس الكلام و إلا كان بعض صفاته الحقيقية مجانسا لصفات المخلوقين إذ التفاوت بينهما إنما يكون بالاجتماع و عدمه الذين هما عارضان من عوارض الحقيقة الواحدة.

و بأن لزوم ما ذكره من المفاسد ممنوع إلى غير ذلك مما لا يخلو بعضها من المناقشات التى لا ينبغى الإطناب فيها بعد ما سمعت سيما مع وضوح المرام.

ثامنها ما حكاه عنهم المحقق آقا جمال الخوانسارى «١»، فى بعض حواشيه على «شرح التجريد» و هو أنه صفة حقيقة بسيطة واحدة وحدة حقيقة قائمة بذاته تعالى ينشعب تارة خيرا و أخرى أمرا و أخرى نهيا إلى غير ذلك قال: و هذا هو الذى حقيق بما قاله المصنّف فى الإلهيات و النفسانى غير معقول.

قلت: هذا المعنى كما ذكره غير معقول سيما مع ما صرّحوا من مغايرته للعلم و القدرة و غيرهما من الصفات الذاتية و مع ذلك فلا

ينبغي تسميته الكلام الذى معناه معروف عرفا و عادة حتى فى حقّ الله سبحانه، فإنّ ما يستعمل فيه اللفظ و لو مجازا ينبغي أن يكون متصوّرا بمعنى كونه متميّزا عمّا عداه. و هذا المعنى قد اختلف فيه مثبتوه على الوجوه التى سمعت و تسمع، و جميع ما ذكره بين غير معقول لا- يتّفوه به عاقل، و بين غير جازئ إثباته فى حقّه تعالى، و لذا قال الفاضل العلّامة أعلى الله مقامه فيما حكيناه عنه من «أنوار الملكوت»: إنّ المراد بكونه غير معقول أنّ العقل لا يجوز وقوعه عن الحكيم، لا أنّه غير متصور، و إلّا لما أمكن الحكم عليه بكونه

(١) هو محمّد جمال الدين بن آقا حسين الخوانسارى الاصفهانى المسكن و المدفن توفى سنة (١١٢٥) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٦٧

نقصا.

قلت: و لعلّ مراد المشهور غير ذلك، و الخطب سهل فيه بل و فى التأمل فى آخر كلامه.

تاسعها ما ربما يحكى عن المتممين إلى التصوف و التقشّف «١»، الذين هم من أصحاب الأحدود القائلين بوحدة الوجود، و هؤلاء و إن كانوا مختلفين فى هذا الباب إلّا أنا اقتصرنا على بعض كلماتهم فى المقام خوف الإطناب.

قال ابن العربى فى أول ما سمّاه «بالفتوحات» «٢»، تكلم سبحانه لا عن صمت متقدّم و لا سكوت متوهم بكلام قديم أزلّى كسائر صفاته من علمه و إرادته و قدرته كَلَم موسى عليه السّلام و سمّاه التنزيل و الزبور و التورىة و الإنجيل من غير حروف و لا أصوات و لا نغم و لا لغات بل هو خالق الأصوات و الحروف و اللّغات إلخ.

و قد صرّح سابقا بقدم إرادته فى قوله و لم يزل سبحانه موصوفا بهذه الإرادة أزلا و العالم معدوم غير موجود و إن كان ثابتا فى العلم فى عينه ثم أوجد العالم عن العلم السابق و تعيين الإرادة المنزهة الأزليّة القاضية على العالم بما أوجده عليه من

(١) تقشف: ضدّ تنعم- تقشف فى لباسه أى تبلغ بالمرقع و الوسخ.

(٢) الفتوحات المكيّة فى معرفة اسرار المالكيّة و الملكيّة- مجلدات للشيخ محيى الدين محمّد بن على المعروف بابن عربى الطائى المالكي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ، من أعظم كتبه و آخرها تأليفا و ادعى فيه ما ينبئ عن جنونه أو كفره، قال فى الباب الثامن و الأربعين: اعلم أنّ ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن إختيار و لا- عن نظر فكرى و إنّما الحق تعالى يملئ لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره، و قد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما قبله و لا بما بعده و ذلك شبيه بقوله سبحانه: حافظوا على الصّلات و الصّلاة الوُسْطى بين آيات طلاق و نكاح، و عدة و وفاء، و كان الفراغ من هذا الكتاب المترتب على ٥٦٠ بابا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٦٨

زمان و مكان و أكوان و ألوان.

و قال فى موضع آخر: إنّ المفهوم من كون القرآن حروفا أمران: الأمر الواحد المسمّى قولاً و كلاماً و لفظاً، و الأمر الآخر كتابه و رقما و خطّاً و القرآن يخطّ فله حروف الرقم و ينطق به فله حروف اللفظ فلما يرجع كونه حروفا منطوقا بها هل لكلام الله الذى صفته أو هل للمترجم عنه فاعلم أنّ الله سبحانه قد أخبرنا بنبيّه (صلّى الله عليه و آله و سلّم) أنّه سبحانه يتجلّى فى القيمة فى صور مختلفة فيعرف و ينكر و من كانت حقيقته تقبل التجلّى فلا يعد أنّ يكون الكلام بالحروف المتلفظ بها المسمّاه كلام الله لبعض تلك الصور كما يليق بجلاله و كما نقول يتجلّى فى صورته كما يليق بجلاله كذلك نقول تكلم بحروف و صوت كما يليق بجلاله إلى ان قال: فإذا تحققت ما قرّرناه تبين أنّ كلام الله هو هذا المتلّو المسموع المتلفظ به المسمى قرآنا و تورىة و زبورا و انجيلا.

و قال فى الفصل الثانى من الباب الثامن و التسعين و المائة فى جملة كلام له: نطق عيسى ببراءة أمه فى غير الحالة المعتادة ليكون آية فكان نطقه كلام الله فى نفس الرحمن فنفس الله عن امه بذلك ما كان أصابها من كلام أهلها بما نسبوا اليه مما طهرها الله عنه، و

من هنا قالت المعتزلة: إن المتكلم من خلق الكلام فيما ليس من شأنه أن يتكلم مثل الجماد والنبات وغيرهما إلى أن قال: إن كلام الله علمه و علمه ذاته، ولا يصح أن يكون كلامه ليس هو، فإنه كان يوصف بأنه محكوم عليه للزائد على ذاته، وهو لا يحكم عليه عز وجل و كل ذى كلام موصوف بأنه قادر على أن يتكلم، فيكون كلامه مخلوقا و كلامه قديم فى مذهب الأشعرى و عين ذاته فى مذهب غيره من العقلاء، فنسب الكلام إلى الله مجهولة لا يعرف كما أن ذاته تعالى لا تعرف.

و قال فى الفصل السادس منه فليس الكون بزائد على كن بواوها الغيبية

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٦٩

فظهر الكون على صورة كن، و كن أمره، و أمره كلامه، و كلامه علمه، و علمه ذاته، فظهر العالم على صورته فخلق آدم على صورته. و قال الغزالي: الكلام على ضربين.

أحدهما مطلق فى حق البارى.

و الثانى فى حق الآدميين أما الكلام الذى ينسب إلى البارى تعالى فهو صفة من صفات الربوبية فلا تشابه بين صفات البارى تعالى و بين صفات الآدميين فإن صفات الآدميين زائدة على ذواتهم لتكثر وحدتهم و تقوم اثبتهم بتلك الصفات و تعين حدودهم و رسومهم بها و صفة البارى لا تحدد ذاته و لا ترسمه فليست إذا أشياء زائدة على العلم الذى هو حقيقة هويته تعالى و من أراد أن يعد صفات البارى خطأ، فالواجب على العاقل أن يتأمل و يعلم أن صفات البارى لا يتعدد و لا يتفضل بعضها عن بعض إلا فى مراتب العبارات و موارد الإشارات فاذا أضيف علمه الى استماع دعوة المضطرين يقال سميع، و إذا أضيف علمه إلى رؤيته ضمير الخلق يقال بصير، و إذا أفاض من مكونات علمه على قلب أحد من الناس من أسرار الالهية و دقائق جبروت ربوبية يقال متكلم، فليس بعضه آله السمع، و بعضه آله البصر، فاذن كلام البارى ليس شيئا سوى إفادته مكونات علمه من يريد إكرامه، كما قال تعالى: و لَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ فَشَرَفَهُ اللَّهُ بقره، و قرّبه بقدره، و أجلسه على بساط أنسه و شافهه بأجل صفاته، و كلمه بعلم ذاته كما شاء، تكلم و كما أراد سمع انتهى.

قلت: و هو و إن أجاد فى عدم إثبات قديم غير العلم الذى هو عين ذاته سبحانه إلا أن تسمية العلم الذاتى كلاما أو تكلمما مما لا يساعده اللغوة و لا العرف و لا الشرع كما لا يساعد شىء منها تسمية إفادة مكونات علمه به.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٧٠

نعم قد يسمى ذلك و حيا أو إلهاما أو قذفا أو حديث النفس أو فهما أو غير ذلك بحسب الموارد و المشخصات و استشهاده بالآية غريب جدا، بل لعل فيها الرد عليه من وجوه كاختصاص موسى عليه السلام به، و كونه الكلام بعد المجيء و حكاية القولين معا بعد ذلك.

هذا مع الغض عن القطع فى الخارج بأن كلامه معه لم يكن بمجرد الإلقاء فى القلب بل كان بأصوات مخلوقة و ألفاظ مسموعة و لذا سمعه النفر السبعون الذين كانوا معه.

و قال الشيخ صدر الدين القونوى «١» فى «تفسير الفاتحة»: كان من جملة ما من الله تعالى على عبده (أراد به نفسه) أن أطلعه على بعض أسرار كتابه الكريم الحاوى على كل علم جسيم و أراه أنه ظهر عن مقارعة غيبية واقعة بين صفتى القدرة و الإرادة متصفا بحكم ما أحاط به العلم فى المرتبة الجامعة بين الغيب و الشهادة لكن على نحو ما اقتضاه الموطن و المقام و عينه حكم المخاطب و حاله و وقته بالتبعية و الاستلزام.

و قال الشيخ شمس الدين الفنارى فى «شرح مفتاح الغيب» «٢»، بعد الاشارة

(١) القونوى محمّد بن اسحق صدر الدين، من كبار تلاميذ الشيخ محيى الدين ابن العربى تزوج ابن العربى امه، و رباه و كان شافعى

المذهب، وبينه وبين نصير الدين الطوسي مكاتبات في بعض المسائل الحكمية، له مصنفات منها تفسير الفاتحة على اصطلاح أهل التصوف سماه اعجاز البيان في تفسير أم القرآن، ومنها مفتاح الغيب في التصوف شرحه جمع من المتصوفة، توفي سنة ٦٧٣ هـ، والقونوي منسوب إلى القونية بضم القاف وكسر النون وتخفيف الياء بلد في الروم بين القسطنطينية والشام.

(٢) شرح مفتاح الغيب في التصوف، الماتن كما مر صدر الدين القونوي وهذا الشمس الدين

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٧١

إلى الأسماء: ثم من ثمرات إحاطه هذه الأسماء كونها في القديم قديمه، وفي الحادث حادثه، وكما هي قديمه بحقايقها، قديمه بتعلقاتها الكلية والجزئية التي باعتبارها تدخل في أسماء الصفات وقدم التعلق هو الأصح أيضا من طريق أهل النظر وأن قدمها بتعلقاتها من حيث اعتبارها من طرف الوجود لا ينافي اتصافها بأوصاف الحدوث من حيث تبعيتها للعلم التابع للمعلوم، وأن لكل من الاعتبارين لسانا في الكتاب والسنة فلسان الأول كثير كيف والحق تعالى علم جميع الأشياء في الأزل من عين علمه بذاته واندرج فيه جميع الأسماء باقتضاءاتها.

أما الثاني فتحوه وكتبتونكم حتى نعلم المجاهدين منكم (١) إلى أن قال:

فانصباغ تعيينات التعلقات الأزلية للصفات بخواص الحوادث بهذا السبب لا ينافي قدمها في ذاتها ومن حيث محلها.

وعلى هذا كلام الحق وقد عرفه الشيخ يعني القونوي في أول التفسير بأنها الصفة الحاصلة من مقارعة غيبية بين صفتي الإرادة والقدرة لا ينافي قدمه، وقدم تعلقه، انصباغ تعلقه بما يقتضيه أحوال المخاطبين كالعبرانية والعربية والماضوية والحالية والمستقبلية فإنها انصباغة ناشئة من الإعتبار الثاني فيندفع به كثير من الشبه التي عجز عن حلها فحول أهل النظر ككون الألفاظ القرآنية حروفا وأصواتا مترتبة حادثه، مع أنه من أنكر كلام الله وأنها نزلت فقد كفر، وكاقتضاء

محمد بن حمزة الفناري الرومي، عالم بالمنطق والأصول والتصوف توفي سنة ٨٣٤، قال في كشف الظنون: لما أقرأ شمس الدين محمد الفناري مفتاح الغيب على ولده صنف شرحا لطيفا وضمنه من معارف الصوفية ما لم تسمع الآذان وسماه مصباح الانس بين المعقول والمشهود في شرح مفتاح غيب الجمع والوجود.

(١) محمد (صلى الله عليه وآله): ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٧٢

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا (١)، قديما قدم نوح، وتحقيق اندفاعه أن قدم كل حادث بالنسبة إلى حضوره بكلياته وجزئياته مع الوجود الحق الذي لا يقيد له من حيث هو بزمان أو حال والى اطلاعه على ذلك الحضور اطلاعا لازما لا ينفك عن ذاته أصلا.

ثم حكى عن القونوي في تفسيره أنه لما كان كل متعين من الأسماء والصفات حجابا على أصله الذي لا يتعين وكان الكلام من جملة الصفات صار حجابا على المتكلم من حيث نسبة علمه الذاتي وكلام الحق تجلّي من عينه وحضرة علمه في العماء الذي هو نفس الرحمانى ومنزل بعض الحقائق والمراتب، وحضرة الأسماء إلى آخر ما ذكره ميا هو كما سمعت من كلامهم مبنى على أصولهم الفاسدة كالقول بالأعيان الثابتة (٢)، والصور العلمية ووحدة الوجود

(١) نوح: ١.

(٢) الأعيان الثابتة على اصطلاح الحكماء هي المهيئات الكلية اللازمة للتجلّي.

الأسمائى والموجودة موجود الحق تظفلا لا بإيجاده أى لا تكون موجودة موجوداتها الخاصة ولذا قالوا: الأعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود، قالوا فى توضيح ذلك: إن حقيقة الوجود الغير المنزل إلى مراتب الامكانية لها ظهورات: فأولها تجلّي ذاتها لذاتها ويعبرون

عن هذا التجلي بالحضرة الأحديّة، و الهويّة الصرّفه، و غيب الغيوب، و الكنز المخفي، و الغيب المصون، و منقطع الإشارات و مقام لا اسم له و لا- رسم له، و إلى هذا التجلي يشير الجامي عبد الرحمن المتوفى سنة ٨٩٧ هـ بقوله: در آن خلوت كه هستي بي نشان بود بكنج نيستی عالم نهان بود

وجودی بود از قید دوئی دورز گفت و گوی مائی و توئی دور

وجودی مطلق از قید مظاهر بنور خویشتن بر خویش ظاهر

و الثاني من الظهورات الوجود على تعينات الصفات و الأسماء و لوازمها المسماء بالأعيان الثابتة و هي الماهية الكلية اللازمة لهذا التجلي الأسمائي الغير المنفكة عنه نظير عدم

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٧٣

«٣»، و المشاركة في الأسماء. و الصفات و غير ذلك مما يفضى التكلم فيها في المقام إلى الإطناب و إن كنا نشير إلى إبطال كل منها في غير موضع من هذا الكتاب، و الله الموفق للصواب.

قال الصدر الأجل الشيرازي: الكلام ليس كما قالته الأشاعرة صفة نفسية و معاني قائمة بذاته تعالى سمّوها الكلام النفسى، لأنه غير معقول و إلا لكان علما لا كلاما، و ليس عبارة عن مجرد خلق الأصوات و الحروف الدالة على المعاني و إلا لكان كل كلام كلام الله تعالى، و لا يفيد التقييد بكونه على قصد إعلام المعاني من قبل الله تعالى، أو على قصد الإلقاء من قبله، إذا لكل من عنده، و لو أريد بلا- واسطة فهو غير جائز أيضا، و إلا لم يكن أصواتا و حروفا بل هو عبارة عن إنشاء كلمات تامات و إنزال آيات محكمات و آخر متشابهات في كسوة ألفاظ و عبارات.

انفكاك لوازم الماهية عن الماهية، و بهذا الاعتبار يسمى ذلك الوجود بالحضرة الواحديّة، و عالم الأسماء، و برزخ البرازخ و الفيض الأقدس، و الصبح الأزل، ثم للوجود الحقيقي ظهور ثالث على الأعيان الامكانية و يسمى بهذا الاعتبار الفيض المقدّس، و المشية، و الرحمة الواسعة و الوجود المنبسط.

(٣) القائلون بالتوحيد ثلث طوائف: بعضهم يقولون بكثرة الوجود الموجود جميعا، و هم المشائون الذين يقولون بكثرتها غاية الأمر يخصّون فردا منها بالواجب.

و بعضهم يقولون بوحدة الوجود و الموجود جميعا و هم الصوفية، و هم أيضا على طائفتين:

الأولى قائلون بأن الوجود الواحد يتشأن بشئون مختلفه و يتطوّر بأطوار متكثرة ففي السماء سماء و في الأرض أرض و هكذا، و هذا المذهب منسوب إلى جهلة الصوفية، و الثانية أكبرهم القائلون بأن للوجود حقيقة مجردة عن المجالي لكن الوجود بجميعة مجردا عن المجالي و غيره واجب الوجود بخلاف الفهلبيين القائلين بأن الواجب هو المجرد عن المجالي و ما سواه ممكن، و بعضهم يقولون بوحدة الوجود و كثرة الموجود و هذا مذهب منسوب إلى ذوق التأله و هو الذي ارتضاه جمع من المحققين كالدواني و الداماد. المنظومة السبزواري - شرح الآملی -.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٧٤

قلت: أمّا ما أورده الأشاعرة فهو في محلّه إلا ما أفاده من جهة الحصر إذ قد يفسّر أيضا بالقدرة، و بالألفاظ النفسية و غيرها مما هو معقول مطلقا أو في حق غيره.

و أمّا ما أورده على المعتزلة فمع الغض عمّا في عبارته من المسامحة إذ الأولى التعبير بالأصوات المخلوقة فإنّها الكلام لا- خلق الأصوات فإنّه التكلم.

فيه أن الطعن غير وارد عليهم لأن أفعال الخلق عندهم منسوبة إليهم، بخلاف الأشاعرة الذين يرون أفعال العباد مخلوقة له تعالى من

غير صنع للبعد، وأغرب منه القول بعدم إفادة التقييد بأحد الوجهين معللاً بأن الكلّ من عنده، ومن البين وضوح الفرق لغةً و عرفاً و شرعاً بين الكلام الذى يتكلم زيد باختياره و رضاه و إرادته و بين ما خلقه الله تعالى فى شجرة موسى أو فى الهواء أو فى الجبال، أو فى غيرها من الجمادات، فإنّ الأوّل منسوب إلى زيد و الثانى إلى الله سبحانه و إن كان الكلّ منه سبحانه على وجهه، و بالجملة لا ريب من إطلاق الكلام على ما ذكره المعتزلة من الأصوات و الألفاظ المخلوقة المسموعة كما فى قوله تعالى: **وَإِنْ أَخَذَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سِتِّجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ «١»**، **ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعِيدٍ مَا عَقَلُوهُ «٢»**، و قوله: **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا «٣»**، على التقريب المتقدم و قوله: **يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلامِي «٤»**، و إن كانت

(١) التوبة: ٦.

(٢) البقرة: ٧٥.

(٣) النساء: ١٦٣.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٧٥

جهة الإطلاق فى تلك الموارد مختلفة ففى الأولين باعتبار الحكاية و اسم المصدر و فى الأخيرين باعتبار الأصاله و المصدر و لذا يفهم منهما الإختصاص.

ثم إن كلامه (رحمه الله) كما ترى لا إشعار فيه بقدوم الكلام أصلاً و إن قيل: إنّ المستفاد من فحوى كلامه و كلام أتباعه مثل الملام محسن «١»، أنّه قديم إلّا أنه ليس على ما ذهب اليه الأشاعرة الذين يجعلونه كلاماً نفسانياً، بل لأنّه بعض شئونه الذاتية و شئون الذات لا تتغير.

أقول: و لعلّه استفاده من كلامه فى مواضع آخر حيث يستفاد من بعض كلماته القول بوحدة الوجود و بإثبات الأعيان الثابتة و الصور العلميّة و الشئون الذاتية و عدم مجعوليّة الماهية بل و لا الوجود و كون البقاء للممكنات ببقاء الله تعالى لا بقائه و كونه فاعلاً بالتجلى «٢» و أنّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء إلى غير ذلك من المسائل

(١) المولى محمّد بن مرتضى المدعو بمحسن و الملقب بالفيض الكاشانى، محقق، مدقق جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، أديب شاعر، متبحر فى علوم عصره له قريب من مائة تأليف منها الصافى، و الوافى، و الشافى، و محجة البيضاء فى إحياء الإحياء، تلمذ على الملام صدرا و زوج ابنته و تلمذ أيضاً على المير داماد و غيرهما توفى سنة ١٠٩١ هـ، و قبره بكاشان معروف و مزار.

(٢) الفاعل بالتجلى هو الذى يكون علمه التفصيلى بفعله قبل فعله و لا يقترن قبله بالداعى و لا يكون علمه السابق على فعله زائداً على ذاته بل يكون عين ذاته، و لا فرق من هذا الجهة بينه و بين الفاعل بالرضا إلا أنّ العلم السابق على الفعل فى الفاعل بالرضا الذى هو عين الفاعل إجمالى لا- غير و فى الفاعل بالتجلى يكون تفصيلياً بمعنى أنّه إجمالى فى عين الكشف التفصيلى و إنّما ينشأ ذلك من كون الفاعل بسيط الحقيقة و أنّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء، فكما أنّ وجوده تعالى و تقدّس مع وحدته كلّ الوجودات بحيث لا يشذ عن سعة وجوده و وجود فكذلك من علمه بذاته الذى يكون عين ذاته لا أمراً زائداً على ذاته يعلم كلّ الأشياء حيث لا يكون شىء خارجاً عنه

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٧٦

التي ملأ بها كتبه بل نسب إلى صهره المحدث الفيض الكاشانى أنه قال فى كتابه «أنوار الحكمة» «١»، إنّ التكلم فىنا ملكة قائمة بذواتنا نتمكّن بها من إفاضة مخزوننا العلميّة عن غيرنا و فيه سبحانه عين ذاته إلّا أنّه باعتبار كونه من صفات الأفعال متأخر عن ذاته.

قال مولينا الصادق (عليه السلام): إِنَّ الكَلَامَ صِفَةٌ مَحْدُثَةٌ لَيْسَتْ بِأَزَلِيَّةٍ كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلا مَتَكَلِّمًا «٢».

و إذا كان ذاته الذي كل الأشياء حاضرا لدى ذاته و معلوما لذاته فكل الأشياء معلوم لذاته بنفس علمه بذاته الذي هو عين ذاته لا يعلم آخر و إنما سمي الفاعل بالتجلى لكون أفعاله ظهورات ذاته، و تجليات صفاته التي عين ذاته. الاسفار (و المنظومة) و تعليقه الآملى على المنظومة.

(١) أنوار الحكمة كتاب كلامى فى أصول الدين ملخص من علم اليقين مع زيادات حكمية للفيض الكاشانى، طبع فى طهران بالطبع الحجرى.

(٢) لعله مضمون الحديث لان متن الحديث على ما رواه فى البحار هكذا ...

عن أبى بصير قال (ل) سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لم يزل الله جل اسمه عالما بذاته و لا معلوم، و لم يزل قادرا بذاته - و لا مقدور، قلت: جعلت فداك فلم يزل متكلمًا قال:

الكلام محدث، كان الله عز و جل و ليس بمتكلم ثم أحدث الكلام.

- بحار الأنوار ج ٤ ص ١٥١.

قال المجلسى (قدس سره) بعد ذكر الحديث السابق ذكره، بيان: اعلم انه لا خلاف بين أهل الملل فى كونه تعالى متكلمًا لكن اختلفوا فى تحقيق كلامه و حدوثه و قدمه فالامامية قالوا:

بحدوث كلامه و معنى كونه متكلمًا عندهم أنه موجد تلك الحروف و الأصوات فى الجسم كاللوح المحفوظ، أو جبرئيل، أو النبى صلى الله عليه و آله أو غيرهم كشجرة موسى، و به قالت المعتزلة له أيضا، و الحنابلة ذهبوا إلى أن كلامه صفة له مؤلفه من الحروف و الأصوات الحادثة القائمة بذاته تعالى، و الأشاعرة أثبتوا الكلام النفسى و قالوا: كلامه معنى واحد بسيط، قائم

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٧٧

أقول: و هو غريب جدا فإنه مع التصريح بكونه عين الذات كيف يتصور كونه من صفات الأفعال و كيف يكون متأخرا عن الذات، و أغرب من ذلك استشهاده بالخبر الصريح فى الحدوث، و بالجملة فى مواضع من كلامه رحمه الله شهادة على حدوثه، و مع ذلك فكيف يكون عين ذاته، و هذا الكتاب لم أظفر به بل لم أراه فى فهرس مؤلفاته المذكورة فى «اللؤلؤة» إلا أن من حكى عنه أعلم بما حكاه.

اعلم أن القرآن كما سمعت كان نورا من أنوار القدس متجليا تحت حجاب الواحدية فى علم المشيئة بعد التمكين و التكوين فى صقع التدوين و هو رشحه من رشحات رحمته الكلية السارية فى عالم الأكوان الجامعة لجميع مراتبها فى جميع العوالم و هو الروح الذى هو عن أمر ربنا و كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الإيمان و لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا و إنك لتهدى إلى صراط مستقيم «١»، يعنى أنه (صلى الله عليه و آله) كان أولا فى مقام العبودية المحضه مستغرقا فى الإقبال الكلى الذى لا التفات معه إلى غيره أصلا و لذا نسب إليه صلى الله عليه و آله نفى الدراية أو لأنه (صلى الله عليه و آله و سلم) ليس له من ذاته فى صقع وجوده شىء من الفيوض و الشئون حتى العلوم و المعارف التى تكاد تكون من لوازم ذاته القدسية الشريفة و إنما الكل من عنده سبحانه: قُلْ إِنَّ الْفُضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ «٢».

بذاته، قديم، و قد قامت البراهين على ابطال ما سوى المذهب الأول، و تشهد البديهة ببطلان بعضها، و قد دلت الأخبار الكثيرة على بطلان كل منها، نعم القدرة على إيجاد الكلام قديمة غير زائدة على الذات و كذا العلم بمدلولاتها، و ظاهر أن الكلام غيرهما.

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) آل عمران: ٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٧٨

ثم لم يزل القرآن تنزل من عالم الى عالم و من رتبة إلى رتبة، و يتجلى بصورة بعد صورة و يتجوهر بحلية بعد حلية في السلسلة الطولية إلى أن اكتسى في عالم الأصوات و الألفاظ صور الحروف و الكلمات، و في عالم النقوش صور الرقوم الجزئية المتعينة، و قد سمعت فيما مرّ من الأخبار أنه يتجلى في يوم القيمة في صورة شاب حسن الخلق و الخلق، ينسب كل من المؤمنين و الشهداء و الأنبياء و الملائكة منهم، بل من أفضلهم و أعلمهم، و إطلاقه على كل من تلك الصور في جميع العوالم حقيقة لاتحاد الحقيقة، فحدوثه في كل عالم من العوالم إنما هو باعتبار ذلك العالم، فهو من جهة أنه نور حادث في عالم الأنوار، و من جهة أنه رحمة حادث في عالم الأرواح، و من جهة أنه معنى حادث في عالم المعاني، و من جهة أنه ملفوظ حادث في عالم الألفاظ، و من جهة أنه منقوش حادث في عالم النقوش، بل جميع تلك العوالم كلها كغيرها من العوالم الإمكانية و الكونية المجردة أو المادية حادثه مسبوقة بالعدم على أنك قد سمعت غير مرّة أنّ محض التوحيد يأبى إثبات الصفات المغايرة الذاتية فضلا عن الفعلية فضلا، عمّا هو في صقع المفعول كالقرآن، فإنه هو الحاصل من بعض شئون المشيئة و تجلياتها في رتبة المفعول.

ولذا تظافت الشواهد من الكتاب و السنة على حدوثه كقوله تعالى في سورة طه: وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١)، و في سورة الأنبياء: مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢)، و في سورة الشعراء:

(١) طه: ١١٣.

(٢) الأنبياء: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٧٩

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (١).

و

في الاحتجاج عن صفوان بن يحيى قال سئلني أبو قرّة المحدث صاحب شبرمة (٢)، أن ادخله إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فأذن له فدخل فسئله عن أشياء من الحلال و الحرام و الفرائض و الأحكام حتى بلغ سئواله الى التوحيد فقال له: أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله تعالى لموسى فقال: الله أعلم بأيّ لسان كلمه بلسان السريانية أم بالعبرانية، فأخذ أبو قرّة بلسانه، فقال: إنما أسئلك عن هذا اللسان، فقال أبو الحسن عليه السلام سبحان الله مما تقول و معاذ الله أن يشبه خلقه أو يتكلم بمثل ما هم به متكلمون و لكنه - عزّ و جل - ليس كمثل شىء و لا - كمثل قائل فاعل قال: كيف ذلك؟ قال: كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق و لا يلفظ بشقّ فم و لا لسان و لكنه يقول له كن فكان بمشيئته ما خاطب به موسى من الأمر و النهى من غير تردّد من نفس، فقال له أبو قرّة:

فما تقول في الكتب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: التورية و الإنجيل و الزبور و القرآن و كلّ كتاب انزل كان الله أنزله للعالمين نورا و هدى و هي كلها محدثة و هي غير الله تعالى حيث يقول: أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (٣)، و الله أحدث الكتب كلها و هو الذي أنزلها فقال أبو قرّة: فهل تفنى؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: أجمع المسلمون على أن ما سوى الله فان و ما سوى الله فعل الله و التورية و الإنجيل و الزبور و القرآن فعل الله

(١) الشعراء: ٥.



(٢) ابن شبرمة عبد الله البجلي الكوفي كان قاضيا لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة، و كان شاعرا توفي سنة ١٤٤ هـ.

(٣) الأنبياء: ٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٨٠

ألم تسمع الناس يقولون: ربّ القرآن و إنّ القرآن يوم القيمة يقول: يا ربّ هذا فلان و هو أعرف به منه قد أظمأت نهاره و أسهرت ليله فشفعنى فيه كذلك التورية و الإنجيل و الزبور هي كلّها محدثة مربوبة أحدثها من ليس كمثلها شيء هدى لقوم يعقلون فمن زعم أنهم لم يزلن فقد أظهر أنّ الله تعالى ليس بأول قديم و لا واحد، و ان الكلام لم يزل معه و ليس له بدو و ليس باله.

قال أبو قزة: فإننا روينا أنّ الكتب كلها تجيء يوم القيمة و الناس في صعيد واحد صفوف قيام لرب العالمين ينظرون حتى ترجع فيه و هي جزء منه فإليه تصير قال أبو الحسن عليه السلام: فهكذا قالت النصارى في المسيح ان روحه جزء منه تعالى و يرجع فيه، و كذلك قالت المجوس في النار و الشمس أنّها جزء منه و يرجع فيه تعالى ربنا أن يكون مجزءاً أو مختلفاً و إنّما يختلف و يأتلف المتجزئ لأنّ كلّ متجزئ متوهم و القلّة و الكثرة مخلوقة دالّة على خالق خلقها «١».

و

في «التوحيد» في جواب مكاتبة عبد الرحيم القصير «٢»، عن أبي عبد الله (عليه السلام) حيث سئل عن مسائل من جملتها أنّ الناس اختلفوا في القرآن فزعم قوم أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق و قال آخرون كلام الله مخلوق إلى ان قال عليه السلام: و سئلت رحمتك الله عن القرآن و اختلاف الناس قبلكم فإنّ القرآن كلام الله محدث غير مخلوق و غير أزلي مع الله تعالى ذكره و تعالى عن ذلك علوا كبيرا كان الله

(١) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٣٤٤ ط. الاخوندى بطهران.

(٢) عبد الرحيم بن روح القصير الاسدى كوفي روى عنهما و بقى بعد أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) و يظهر من بعض الأحاديث مدحه عن الصادق (عليه السلام) كما في جوابه (عليه السلام) عن كتاب له: سألت يرحمك الله. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص:

٣٨١

عزّ و جلّ و لا- شيء غير الله معروف و لا- مجهول كان عزّ و جلّ و لا متكلم و لا مريد و لا متحرك و لا فاعل جلّ و عزّ ربنا فجميع هذه الصفات محدثة عن حدوث الفعل منه جلّ و عزّ ربنا و القرآن كلام الله غير مخلوق فيه خبر من كان قبلكم و خبر ما يكون بعدكم، انزل من عند الله على محمد (صلّى الله عليه و آله و سلّم) «١».

أقول: و دلالة الخبر كسابقه على المطلوب واضح من وجه كوضوح اشتغالها سيما الأول على جملة من البراهين الدالّة على ذلك. و اما قوله في الثاني: غير مخلوق فالمراد أنّه غير معجول و لا مختلق من البشر كما توهمه الكفار، كما قالوا (إن هذا الّا اختلاق) «٢»، و لذا صرح بكونه محدث لله غير أزلي بل استدلل له بقضية التوحيد.

و من هنا يظهر الوجه

فيما رواه في «الخصال» عن الصادق (عليه السلام) قال: و القرآن كلام الله ليس بخالق و لا مخلوق «٣»

حيث إنّ المراد نفى اختلاقه و افتعاله، و أمّا نفى كونه خالقا فكأنّه من الخلق بمعنى الاندراست اي أنّه غضّ طرئ لا يبلى و لا ينسخ أبداً.

و قد ظهر مما مرّ الجواب عمّا استدلل به القول بالقدم كما عن الأشاعرة من الخبر المرويّ

عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم القرآن كلام الله غير مخلوق.

و لذا قال الصدوق (رحمه الله) بعد ذكر الخبر: إنّ المراد منه أي غير مكذوب،

(١) بحار الأنوار- فضائل القرآن ج ١٩ القديم ص ٣١ باب ان القرآن مخلوق.

(٢) ص: ٧.

(٣) وردت بهذا المضمون روايات عن الباقر و الرضا (عليهما السّلام) و من أراد الاطلاع عليها فليراجع بحار الأنوار ج ١٩ ط. القديم باب ان القرآن مخلوق ص ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٨٢

و لا يعنى به أنه غير محدث لأنه قال: محدث غير مخلوق و غير أزلى مع الله تعالى:

قيل: و لعل المنع من إطلاق الخلق على القرآن إما للتقية مماشاء مع العامية أو لكونه موهما لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى فى قولهم: (إن هذا الّا اختلاق) «١».

و

عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: لم يزل الله تعالى عالما بذاته و لا معلوم و لم يزل قادرا بذاته و لا مقدور، قلت جعلت فذلك فلم يزل متكلمًا قال عليه السّلام: الكلام محدث كان الله (عزّ و جل) و ليس بمتكلم ثم أحدث الكلام «٢».

و

فى خبر آخر عنه (عليه السّلام) لم يزل الله- عز و جل- ربنا و العلم ذاته و لا- معلوم إلى أن قال: قلت فلم يزل الله متكلمًا فقال عليه السّلام: إن الكلام صفة محدثة و ليست بأزلية كان الله (عز و جل) و لا متكلم «٣».

و

فى «الاحتجاج» سئل أبو الحسن على بن محمّد عن التوحيد فقيل: لم يزل الله وحده لا شىء معه ثم خلق الأشياء بديعا و اختار لنفسه أحسن الأسماء و لم تزل الأسماء و الحروف معه قديمة؟ فكتب (عليه السّلام): لم يزل الله موجودا ثم كوّن ما أراد .. الخبر «٤».

فان قلت: ظاهر الأخبار المتقدّمة، بل و كذا الآيات إنّما هو حدوث القرآن فى هذا العالم الناسوتى بعد بعثه خاتم الأنبياء صلّى الله عليه و آله و سلّم، حسبما كان

(١) ص: ٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٤ ط. الآخوندى بطهران ص ١٥٠.

(٣) بحار الأنوار ج ٤ ط. الآخوندى بطهران ص ٧٢.

(٤) الاحتجاج للطبرسى ج ٢ ص ٢٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٨٣

الملك يأتيه بالخصوص الآيات الفرقانية باعتبار الاقتضاءات الخاصية التى تقضى نزولها عليه، و أين هذا من القول بسبق صدوره و تقدّم خلقه فى عالم الأنوار و تطور تلك الأطوار عليه؟.

قلت: حدوث نزوله فى هذا العالم بحسب الاقتضاءات الخاصة مما لا شبهة فيه و هو لا ينافى نزوله جملة واحدة فى ليلة القدر فى السماء الرابعة أو نزوله على طور الأطوار على قلب النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم أو على لسان الملك أو على القلم أو على غيرها من الخلق مما يفيد تقدّما دهريا على غيره من الماديات كما أنّ وجود خاتم الأنبياء صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّما حدث فى هذا العالم بعد كافة الأنبياء مع أنه يستفاد من

قوله عليه السّلام كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين «١»

تقدّم خلقه، بل ثبوته على خلق آدم عليه السّلام فضلا عن غيره، بل يستفاد من أخبار كثيرة متواترة أنه الخلق الأول و أنّ أول ما خلق

الله روحه و نوره الشريف و أنه أول من نطق بالتسييح و التهليل و التكبير لله رب العالمين، و أن كل من عبد الله فإنما كان بتعليمه و تعليم على عليه السلام حتى الأنبياء و الملائكة، إلى غير ذلك مما يدل على تقدم خلق أنوارهم و أرواحهم في عالم آخر غير هذا العالم.

(١) لم اظفر بسنده و مدركه إلا أنه مشهور كما أن غواص بحار الأحاديث المجلسي (قدس سره) قال في بحار الأنوار تذييب ذكره للبحث عن كيفية تعبد النبي (ص) قبل بعثه و هل كان متعبدا بشريعة من كان قبله أولا: إن الذي ظهر لي من الأخبار المعتمدة و الآثار المستفيضة هو أنه (ص) كان قبل بعثته مذ أكمل الله عقله في بدو سنه نيا مؤيدا بروح القدس، يكلمه الملك، و يسمع الصوت، و يرى في المنام ثم بعد أربعين سنة صار رسولا، و كلمه الملك معانيه، و نزل عليه القرآن (إلى ان قال:) و يؤيد ذلك الخبر المشهور عندهم:

«كنت نيا و آدم بين الماء و الطين» أو «بين الروح و الجسد». تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٨٤

بل قد دلت الأخبار الكثيرة على أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأبدان بألفى عام أو بأربعة آلاف عام، أو أزيد على اختلاف الأخبار المنزل على جهات الاعتبار، و من هنا قالوا: إن كينونة النفس في عالم الدهر و إنما هو قبل كينونة البدن، أولا ثم تعلق النقوش و الأرواح بها و بالجملة خلق القرآن بل مطلق الكلام كغيره من الإبداعات إنما هو في عالم أعلى و أكمل و أبسط و أجمل ثم يتنزل أمره شيئا فشيئا إلى أن يصل طرف منه إلى هذا العالم.

ولذا

ورد في دعاء السمات المروي عن الحجة عجل الله تعالى فرجه: و أسئلك بمجدك الذي كلمت به عبدك و رسولك موسى بن عمران عليه السلام في المقدسين فوق إحساس الكروبيين فوق غمايم النور فوق تابوت الشهادة في عمود النار في طور سيناء و في جبل حوريث في الواد المقدس في البقعة المباركة من جانب الطور الأيمن من الشجرة.

فإن هذا الكلام حيث كان الكليم في زمرة المقدسين الذين طهرهم الله بحقيقة عبوديتهم عن الالتفات إلى غيره سبحانه فوق إحساس الكروبيين بفتح الهمزة أي قويهم و مشاعرهم فإنه كان أعظم من أن تناله مداركهم و معارجههم و شئونهم و ترقياتهم، و المراد بالكروبيين هم الملائكة المقربون كالأربعة الحملة لعرش التكوين، و غمام النور في أصلها السحاب البيض التي تغم الماء الى تستره في أجوافها و كانت تظل لبني إسرائيل و تابوت الشهادة و عاء العلم و الحكمة و التدبير و حامل التدوير و قلب منطقة معدل المسير يشهد لحامله بشيء من النبوة و الولاية المطلقتين أو المقيدتين على حسب اختلاف التجليات و اختلاف الشئون و مراتب القابليات، و أما عمود النار فهو في الظاهر و إن كان إشارة إلى ما ترائي له في الظاهر نارا و كان نورا إلا أنه بحسب الحقيقة إشارة إلى روح القدس التي هي عمود من نور بين البطون

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٨٥

و الظهور ينكشف به للإمام عليه السلام حقايق أحوال المخلوقين و أفعالها و تطوراتها و شئونها و تجلياتها، و الطور جبل بالشام، و السينا هي الشجرة و ان كانت في الحقيقة هي شجرة الولاية النابتة في النجف الأشرف، بل

ورد في الأخبار أن النجف هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليما و اتخذ الله إبراهيم خليلا و عيسى روحا و محمدا صلى الله عليه و آله و سلم حبيبا (١)

، فإن هذا يؤكد ما سمعت.

نعم قد يقال: إن موقع تلك النار على جبل الولاية و منه ظهرت للنبيين و المرسلين و هو

قول سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام: أنا صاحب الأزلية الأولية،

و الولاية جبل واحد تشعبت منها جبال كثيرة منها جبل الاختراع و جبل الابتداء و الجبل الواحدية و الجبل الأحديّة و غيرها، و كان ظهور النار لموسى على جبل الولاية جبل الأحديّة فافهم، و أمّا جبل حوريث و قيل: حوريثا فهو جبل بأرض مدين خوطب عليه موسى عليه السلام أوّل خطابه.

ثم لا يخفى أن ما سمعت من معنى الكلام إنّما هو معناه الخاص التدويني و له معنى عام شامل له و للتكويني أيضا و هو أنّه عبارة عن كلمات صادرة عن المتكلم بإحداثه لها أو تلاوته لها سواء كانت من الذوات المجرّدة أو الماديّة أو من الجواهر أو الأعراض أو الأفعال و الصفات أو الألفاظ أو غيرها إذا لوحظت باعتبار قيامها بالمتكلم قيام صدور، و من هنا يطلق الكلم على الأرواح و النفوس و منه قوله

(١)

في سفينة البحار ج ٢ ص ٥٧٢ عن إرشاد القلوب روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: الغرّي قطعته من الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليما و قدّس عليه عيسى تقديسا و اتخذ عليه إبراهيم خليلا، و محمّدا صلّى الله عليه و آله و عليهم حيبا و جعله للنبيين مسكنا. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٨٦

تعالى: إِلَيْهِ يَصِيغُ كَلِمَاتِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ «١»، و قد أطلقت الكلمة على عيسى في مواضع من القرآن و الكلمات على الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي «٢»، وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ «٣»، أي فضائلهم و مناقبهم. و لذا

ورد عنهم في أخبار كثيرة نحن الكلمات التامات و الأسماء الحسنى «٤»

و فيهم نزلت قوله تعالى: وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ «٥» و تماميتهم إنّما هو في رتبة الإمكان و إن كان الإمكان معدن القصور و النقصان.

ثم ان الكلام هو الكلمات بالإسناد، و هما الكاف و النون و المشار بهما الى المهية و الوجود.

(١) فاطر: ١٠.

(٢) الكهف: ١٠٩.

(٣) لقمان: ٢٧.

(٤) راجع بحار الأنوار ج ٧ ط. القديم باب ٥٠ ص ١٢٦.

(٥) الانعام: ١١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٨٧

## الفصل الثالث

### إشارة

في حقيقة الوحي و الإلهام و كيفية نزول القرآن على سيد الأنام (عليه و على عترته المعصومين آلاف التحية و السلام) الوحي مصدر من وحي الله يحيى من باب وعد، و مثله أوحى اليه، و أصله الصوت الخفي، أو الإشارة المفهومة، أو إفهام الغير بأي وجه غلب استعماله

فيما ألقى على الأنبياء من عند الله سبحانه.

قال في القاموس: الوحي: الإشارة، و الكتابة، و المكتوب، و الرسالة، و الإلهام، و الكلام الخفى، و كلما ألقىته إلى غيرك، و الصوت يكون في الناس و في غيرهم كالوحي و الوحاة و الجمع وحي بالضم فالكسر ثم التشديد، و أوحى إليه: بعثه و ألهمه، و نفسه: وقع فيها خوف.

و ذكر شيخنا الطبرسى (رحمه الله) «١»: أن أصل الوحي عند العرب أن يلقي الإنسان إلى صاحبه شيئاً بالاستتار و الإخفاء.

(١) الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى، أمين الدين أبو علي: مفسر محقق لغوى فقيه من أعظم الامامية، له مصنفات قيمة منها: مجمع البيان في تفسير القرآن الذى قال الشهيد فيه: لم يؤلف مثله، جوامع الجامع فى التفسير، أعلام الورى باعلام الهدى و غيرها توفي سنة ٥٤٨ هـ فى سبزوار و نقل إلى المشهد الرضوى (عليه السلام)

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٨٨

و أما ما روى عن ابن عباس: أنه لا وحي إلا القرآن فإن المراد به أن القرآن هو الوحي الذى نزل به جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله و سلم دون أن يكون أنكر ما قلناه، و يقال: أوحى له و اليه قال العجاج «١»: أوحى له القرار فاستقرت.

أقول: لكن الأولى عدم إضافه الإلقاء إلى الإنسان بإلقاء القيد، و الخطب فيه سهل كسهولته فى إطلاقه فى كلام العرب على وجوه شتى، فقد أطلق على وحي النبوة فى قول تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ «٢»، و على إلام النبى صلى الله عليه وآله و سلم أو عين كلامه و قد اجتمع المعنيان فى قوله تعالى: وَ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِلَاذِنِهِ مَا يَشَاءُ «٣»، و على الإلهام و القذف فى القلوب كقوله تعالى: وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَ بِرَسُولِي «٤»، و قوله تعالى: وَ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ «٥»، و إن قيل: إنه وحي إلام فقوله: إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَ جَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ «٦»، و على الجبلة الفطرية كؤنت عليها الأ-كوان كقوله تعالى: وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ «٧»، و إن كان الأقوى وفاقاً لأكثر المحققين أنه على وجه الاعلام و الإلهام لما أشرنا إليه فى غير

(١) العجاج عبد الله بن لبيد بن صخر من شعراء العرب، ولد فى الجاهلية، و قال الشعر فيها، ثم أسلم و عاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك، ففلج و أقعد، و هو والد «رؤية» الراجز المشهور، توفي نحو ٩٠ هـ.

- أعلام زر كللى ج ٤ ص ٢١٨-

(٢) النساء: ١٦٣.

(٣) الشورى: ٥١.

(٤) المائدة: ١١١.

(٥) القصص: ٧.

(٦) القصص: ٧.

(٧) النحل: ٦٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٨٩

موضع من مساوقة الوجود للشعور، و على الهواجس النفسانية و الوسواس الشيطانية كما فى قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا «١»، و على الإشارة و الإيماء كقوله تعالى: فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا «٢»، قيل معناه: أومى و رمز، و قيل: كتب لهم بيده فى الأرض و قد يؤيد الأول بقوله تعالى فى موضع آخر: إِلَّا

رَمَزاً «٣»، بل

عن أحدهما عليهما السلام فيما رواه العياشي فكان يومى برأسه «٤»،

إلى غير ذلك من المعانى التى لا يهمننا البحث عنها وإنما الكلام فى حقيقة الوحي الذى اختص به الأنبياء عليهم السلام فقد يعرف بأنه خطاب من الحق الى الخلق يصل إليهم بواسطة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و اليه بواسطة الملك فهما واسطتان فى إيصال الخطابات الإلهية أحدهما سفير من الحق، و الآخر إلى الخلق، و لعل الأظهر أن وساطة الملك غير شرط فى ذلك، لا لأن الوحي قد يكون فى النوم بل فى اليقظة أيضا بالقذف فى القلب و الإلهام الغيبي إذ الحق توسط الملك فى جميع ذلك أيضا بل لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد يكون فى الرتبة أعلى من الملك فلا يسعه فى المعارج الروحانية و المخاطبات الربانية شىء من الملكة المقربين و لا أحد من الخلق أجمعين، و لذا خوطب نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بقوله عز من قائل:

وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ «٥».

(١) الانعام: ١١٢.

(٢) مريم: ١١.

(٣) آل عمران: ٤١.

(٤)

عن أحدهما (عليهما السلام) قال: لَمَّا سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ ذِكْرًا فَوَهَبَ اللَّهُ لَهُ يَحْيَى فَدْخَلَهُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتَيْتَكَ أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا، فَكَانَ يَوْمِي بِرَأْسِهِ وَهُوَ الرَّمْزُ.

(٥) النمل: ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٩٠

بل

قال الصدوق (رحمه الله) فى «إكمال الدين»: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكُونُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَيَغْمَى عَلَيْهِ وَهُوَ يَنْصَابُ عِرْقًا فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ (عز و جل) كَذَا وَ كَذَا وَ نَهَيْكُمْ عَنْ كَذَا».

و أكثر مخالفينا يقولون: إن ذلك كان يكون عند نزول جبرئيل (عليه السلام)

فَسئل الصادق عليه السلام عن الغشية التى كانت تأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أ كانت تكون عند هبوط جبرئيل عليه السلام؟ فقال عليه السلام: لا إن جبرئيل عليه السلام كان إذا أتى النبي (ص) لم يدخل عليه حتى يستأذنه فإذا دخل قعد بين يديه قعدة العبد وإنما ذلك عند مخاطبة الله عز و جل آياه بغير ترجمان و واسطة.

ثم قال (الصدوق): حَدَّثَنَا بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلْوَانَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا «١».

ثم انه لا يخفى أن النفس الانسانية فى بدو كينونتها و أصل خلقتها قابلة لانطباع الصورة الواقعة فى عالم الحقائق و المعانى فيها وإنما المانع لها من انكشاف الصور العمليّة و استئزال الحقائق الواقعية فى الكسوة و المثالية و استكشاف الأمور الغيبية شىء من أمور و إن كان مرجع بعضها إلى نفى الاقتضاء:

أحدها تَقَمَّصَ جَوْهَرُهَا وَ خَمُودَ فَطْنَتِهَا وَ جَمُودَ طَبِيعَتِهَا كَحَدِيدِ الْمِرْآةِ قَبْلَ أَنْ يَذُوبَ، وَ يَشْكَلَ وَ يَصِيقَلَ، وَ بَلْ كَتْرَابِ مَعْدَنِ الْحَدِيدِ الَّذِي لَمْ يَسْتَعَدَّ بَعْدَ لِإِفَاضَةِ الصُّورِ الْحَدِيدِيَّةِ عَلَيْهِ، فَضَلَا عَنْ أَنْ يَسْتَعَدَّ لِلذُّوبِ وَ التَّشْكَالِ وَ الصِّقَالَةِ.

(١) كمال الدين: ٥١ بحار الأنوار ج ١٨ ط. الاخوندى بطهران ص ٢٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٩١

ثانيها كدورات المعاصي وظلمات الشهوات المكدرّة لجوهر النفس المظلمة لعالمها المانع عن تجلّي الحق لها وإشراق نور العلم عليها وذلك كصداء المرآة وطبعها.

ثالثها عدولها عن عالم الحقائق والتوجّه من المبادئ العالية إلى مصالح المعيشة والأمور الدنيئة الحسيّة، بل وكذا استيعاب همّتها وقصر نظرها على ظواهر الطاعات وأبدان العبادات وصرف النظر في الأحكام الظاهرة الحسيّة والغفلة عن التحقق بحقايقها النورانية المعنوية فالنفس حينئذ كمرآت معدول بها من جهة الصورة المطلوبة إلى غيرها.

قال مولينا أمير المؤمنين عليه السلام على ما في «النهج» وإنّما الدنيا منتهى بصر الأعمى لا يبصر مما ورائها شيئا، والبصير ينفذها بصره ويعلم أنّ الدار ورائها فالبصير منها شاخص والأعمى إليها شاخص، والبصير منها متزوّد والأعمى لها متزوّد «١».

رابعها: وقوع السدّ والحجاب بينه وبين الصورة المطلوبة باعتقادات واقعة في قلبه حاصله من العادة والتقليد والتكسب والتعصّب وغيرها فرسخت وتأكّدت في قلبه ومنعت له عن إدراك الحقائق على ما هي عليه، وهذا كالجدار الواقع بين المرآة والصورة وإليه الإشارة بقوله تعالى: وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ «٢».

خامسها جمود القريحة وخمود نار الطبيعة بترك الانتقال والارتحال من صورة إلى صورة ومن منزل إلى أعلى منه حتى يصل إلى ما هو المطلوب الأصلي من

(١) نهج البلاغة خطبة «١٣٣».

(٢) يس: ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٩٢

الحضرة الالهية على المنهج القويم، والصراط المستقيم فإنّ السعادة وبلوغ أقصى المراتب ليست فطرية لكلّ أحد من آحاد الناس فلا يمكن الوصول إلى المقصد الحقّ إلّا بالعثور على الجهة التي بها يقع الاهتداء والانتهاء اليه لضرورة بطلان الطفرة.

ثم إنّ لا يخفى أنّ النفس المستعدّة لمقام النبوة والرسالة فارغة بحسب الفطرة الأصلية والجبلة الاختيارية الأولى عن تلك الموانع عمّا يتول إليها، فنفسهم المقدّسة العلوية في أصل الفطرة كمرآت صقيلة مجلّوة بالعلم والعمل والبقاء على مقتضى الكينونة الاولى محاذية لشرط الحق سبحانه إمّا بلا واسطة كنور نبينا صلى الله عليه وآله وسلّم أو معها كسائر الأنبياء والملئكة عليهم السّلام، فإنّ أنوارهم وافتدتهم وأرواحهم مخلوقة من أشعة نور نبينا صلى الله عليه وآله وسلّم.

ولذا

ورد أنّ قلوب شيعتهم إنّما خلقت من فاضل طينة أبدانهم وأنّ شيعتهم خلقوا من شعاع طينتهم «١»

، وأنّ الأنبياء والمرسلين والملئكة والمقرّبين حتى العالين والكرويين كلهم من شيعتهم عليهم السّلام من الخلق الأوّل أو غيره كما ورد في تفسير قوله تعالى: وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبِإِبْرَاهِيمَ «٢»، وقوله تعالى: أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالِينَ «٣»، وقوله تعالى: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ «٤»، والأخبار الكثيرة الدالة على كيفيّة بدو أنوارهم وانشعاب الأنوار من نورهم، وبالجملة فنفس الأنبياء صلوات الله عليهم لما كان متنسمة من نفحات المجد والقدس، متنعمة في

(١) بحار الأنوار ج ٧ ط. القديم باب بدو أرواحهم وطينتهم وأنوارهم - ج ٤ باب الطينة والميثاق.

(٢) الصافات: ٨٣.

(٣) ص: ٧٥.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٩٣

بساط سرادق الانبساط و الانس، كانت مختصة بشرف الوحي و الإلهام.

و القذف و النكت، و الأحلام، و ساير مراتب التلقى، و التلقين، و الاعلام بضروبها و أنواعها و مراتبها الكثيرة التي يختص كل منهم بشيء حسب اختلاف الجهات و المراتب و النشآت تلك الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ «١»، وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ «٢».

و لا- يخفى أن ما ذكرناه من أنواع التلقى و الاستفاضة و صنوف الوحي و الإلهام ليس بمجرد التخيل و تجوهر الصورة المرتسمة من مرآت المتخيلة بحسب قوة الإدراك و ظهور الصور المثالية و الإدراكية في الأعيان حتى يظن أنها أجسام مرئية ملموسة و أصوات مسموعة مدركة بالآلات الجسمانية كما قد يظهر للمروين «٣» و المبرسمين «٤»، على ما زعمه بعض ملاحدة الفلاسفة المنكرين للملائكة و الأرواح الروحانية لزعمهم أنها قوى غير شاعرة و لا مدركة للعالم فإن هذا القول إلهاد في الدين و خروج عما أجمع عليه كافة الأنبياء و المرسلين بل الحق الذي تظافر به الكتاب و السنة بل ضرورة الدين و المكاشفات القطعية الحاصلة لأرباب الشهود و اليقين بل للأولياء و الأنبياء و المرسلين هو أن الملكة جواهر روحانية شاعرة عابدة لله سبحانه قادرة على التشكل بالأشكال المختلفة بإذن ربهم سبحانه و هم الصافات، و الزاجرات، و التاليات للذكر، و الحاملات للوقر، و المقسمات للأمر إلى

(١) البقرة: ١٥٢.

(٢) البقرة: ٨٧.

(٣) الممرور من غلبت عليه المرة و هي بكسر الميم بمعنى الصفراء أو السوداء.

(٤) المبرسم بضم الميم و فتح الباء و السين أصيب بالبرسام و هو بكسر الباء التهاب في الحجاب الذي بين الكبد و القلب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٩٤

غير ذلك من الفيوض التكوينية و التشريعية التي لا يعصون الله فيها و يفعلون ما يؤمرون و إن ما يظهر منهم من الأشكال و الأصوات و الكلمات إنما هو على وجه الحقيقة العينية في الخارج لا مجرد التخيل و التصور.

ثم اعلم أن الوحي بالمعنى العام الذي مرّت إليه الإشارة قسمان:

أحدهما الوحي التكويني المتعلق بجعل الذوات و إنشاء الموجودات و إفاضة القابليات و تشيؤ الماهيات و قبول الأعراض و الصفات و غيرها مما ينسبه القائلون بالأعيان الثابتة إلى القدم و القائلون بالطباع إليها و القائلون بالبخت و الاتفاق الى البعث إلى غير ذلك من مقالات الجهال و أهل الضلال سبحانه و تعالى عما يقولون علوا كبيرا، فإن الحق في ذلك أن تدوّت كل ذات من الذوات، و تعين كل ماهية من الماهيات، بل وجود كل شيء من الموجودات، و اتصافه بكل شيء من الأحوال و الصفات بلا فرق بين الشرور و الخيرات إنما بقبوله و إختياره بعد تعلق المشية الفعلية الإرادة الحتمية التكوينية فسمعت و أجابت و سارعت و أطاعت فخرجت منقادة متشيئة، متدوّته، متصفه بما قبلها من الأحوال و الأفعال و الصفات بعد ما كانت في بقعه العدم البحت البات الذي لا تميز و لا تعين لها فيه أصلا، و ظرفية العدم لها مجرد تعبير، و إلا فأين الظرف و أين المظروف، و ذلك أنه سبحانه خلق الأشياء بها فخلق ما شاء كما شاء لما شاء، و أوحى إلى كل شيء أمره، و هذا هو المراد بالقول التكويني في قوله تعالى: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «١»، و بالقول و الوحي في الآيتين: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انثَبَا



(١) النحل: ٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٩٥

طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١)، فَفَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا (٢)، بل هو المراد به أيضا في قوله: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ (٣)، وبالهداية في قوله تعالى: رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٤)، فأول وحى وقع لله سبحانه في عالم التكوين فعله لفعله بفعله، فأوحى به إلى نفسه و ترجم عنه به له بما أظهر فيه من آثار الربوبية إذ لا- مريبوب حسبما اقتضاها الإمكان الراجح في مقام الفعل، وذلك بعد البد و المحذوف الذى يقال له اسم الفاعل و هو مقاماته و علاماته التى لا تعطّل لها فى كلّ مكان يعرفه بها من عرفه لا فرق بينه و بينها إلّا أنّهم عباده و خلقه فيترجم الحقيقة المحمّدية صلّى الله عليه و آله و سلّم فى كلّ من المقامات الثلاثة بنفسهما لنفسها أولا، و للمرتبة النازلة عنها ثانيا فيترجم اسم الفاعل لنفسه، و للفعل و الفعل له و للمفعول الأول الذى هو العقل، و هكذا فى العوالم الكثيرة التى هى المراتب الواقعة فى السلسلة الطولية المنتظمة، المتسقة التى ما يحمل عليها ما ورد فى بعض الأخبار من أنّ لله تعالى ألف ألف عالم (٥) فيتنزّل الأمر و الحكم من كل عالم منها إلى غيره.

و جملة القول فيها على وجه الإشارة أنّه يتنزّل من العقل إلى الروح و من الروح إلى النفس، و منها إلى محدّد الجهات الفلك الأعظم، و منه إلى فلك البروج، و منه إلى السموات السبع و إلى العناصر، و منها إلى المعادن، و منها النباتات، و منها

(١) فصلت: ١١.

(٢) فصلت: ١٢.

(٣) النحل: ٦٨.

(٤) طه: ٥٠.

(٥) بحار الأنوار ج ١٤ ط. القديم ص ٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٩٦

إلى الملكة، و منهم إلى الجنّ، و منهم إلى الإنسان.

ثانيهما الوحى التشريعى المتعلّق بإفاضة العلوم و الحقائق و الأحكام المتعلقة بتكوين الشرع و شرع الكينونة و إن كانت التسمية تومى إلى الإختصاص فإنّ التعبير مبنى على التغليب، و لذا قيل بل قد ورد فى الأخبار: أنّ مبدء كثير من العلوم الحكيمية العقلية و الصناعية هو الوحى من الله سبحانه و إنّ كان ذلك بتعليم الأنبياء كالتبّ و النجوم، و الرمل، و الأعداد، و الحروف بل اشتغل كثير منهم بكثير من الصناعات و لعلّه على وجه الإلهام و الاعلام كاشتغال أينا آدم على نبينا و آله و عليه السلام بالفلاحة، و إدريس بالخياطة، و نوح بالنجارة، و على كل حال فقد يقال: إنّ الوحى قسما: جلى و خفى، فالجلى ما كان بواسطة سفير يبلغه سواء كان ذلك السفير مرثيا مواجها له فى سفارته و تبليغه كأن يرى الشخص و يسمع الصوت كما لخصوص أولى العزم أو لغيرهم من المرسلين أيضا أو لم يكن مرثيا له كأن يسمع الصوت و لا يرى الشخص كما فى كثير من الأنبياء.

و لذا قد يفرق بين الرسول و النبى بأنّ الرسول هو المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر، و له شريعته مبتدئة كآدم على نبينا و آله عليه السلام أو ناسخة كنبينا محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، و بأنّ النبى هو الذى يرى فى منامه و يسمع الصوت و لا يرى الملك، و الرسول هو الذى يسمع الصوت و يرى فى منامه و يعاين، و بأنّ الرسول قد يكون من الملائكة كما قال سبحانه: اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا (١)، و من الناس بخلاف النبى، و الخفى ما لم يكن بواسطة السفير،

(١) الحج: ٧٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٩٧

و هو إما إلهام في اليقظة أو رؤيا في المنام صريح لا يحتاج إلى التفسير أو تلويح يؤول بالتعبير، و هذا القسم من الوحي يكون للأنبياء كما

ورد عن الصادق عليه السلام قال: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات فنبى منبأ في نفسه لا يعد و غيرها، و نبى يرى في المنام و يسمع الصوت و لا يعاينه في اليقظة و لم يبعث إلى أحد عليه امام مثل ما كان لإبراهيم عليه السلام على لوط عليه السلام، و نبى يرى في منامه و يسمع الصوت و يعاين الملك و قد أرسل إلى طائفة قلوبا أو كثروا كيونس عليه السلام قال تعالى: وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ «١»

، و عليه إمام، و نبى يرى في منامه و يسمع الصوت و يعاين في اليقظة و هو امام مثل أولى العزم و قد كان إبراهيم على نبينا و آله عليه السلام نبيا و ليس بإمام حتى قال إني جاعلك للناس إماما قال و من ذريتي «بأنه يكون في ولده كلهم» قال لا ينال عهدى الظالمين «٢».

و يكون للأوصياء أيضا خصوصا للأئمة الطاهرين - صلوات الله عليهم أجمعين - الذين هم بعد نبينا صلى الله عليه و آله و سلم أفضل من سائر الأنبياء و المرسلين و الملكة المقربين.

ففى «إرشاد» المفيد «٣» و «الاحتجاج» عن مولينا الصادق عليه السلام قال:

(١) سورة الصفات: ١٤٧.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

(٣) الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبرى، أبو عبد الله، و يعرف بابن المعلم: محقق مدقق، فقيه، انتهت إليه رئاسة الشيعة في عصره، ولد في عكبرا (على عشرة فراسخ من بغداد) سنة ٣٣٦، و توفى ببغداد سنة ٤١٣، و له نحو مائتى مصنف منها الإرشاد في تاريخ النبى (ص) و الزهراء و الأئمة عليهم السلام،

قيل: إنه وجد مكتوب بعد دفن المفيد على لوح قبره من الامام الثانى عشر الحجة القائم عجل الله تعالى فرجه فيه هذه الأبيات: تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٩٨

علمنا غابر و مزبور و نكت في القلوب و نقر في الأسماع، و إن عندنا الجفر الأحمر و الجفر الأبيض مصحف فاطمة عليها السلام، و عندنا الجامعة، فيها جميع ما يحتاج إليه، فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال عليه السلام: أما الغابر فالعلم بما يكون و أما المزبور فالعلم بما كان، و أما النكت في القلوب فهو الإلهام، و أما النقر في الأسماع فحديث الملكة نسمع كلامهم و لا نرى أشخاصهم «١».

و

فى «الامالى» عن الحرث النضرى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام:

الذى يسئل عنه الإمام و ليس عنده فيه شىء من أين يعلمه؟ قال عليه السلام:

ينكت فى القلب نكتا أو ينقر فى الاذن نقر «٢».

و

قيل له عليه السلام: إذا سئل الامام عليه السلام كيف يجيب؟ قال عليه السلام: إلهام أو سماع و ربما كانا جميعا «٣».

أقول: و أنت ترى أنهما يدلان على وقوع السماع عن غير الأنبياء بل يظهر من أخبار آخر أن المشاهدة يقع منهم أيضا كما

رواه فى «الأمالى» عن أبى حمزة قال:

لا صوت الناعي بفقدك إنه\* يوم على آل الرسول عظيم إن كنت قد غيّبت في حدث الثرى\* فالعدل و التوحيد فيك مقيم و القائم المهدي يفرح كلما\* تليت عليك من الدروس علوم

قال صاحب تفسير (الصراط المستقيم) في رجاله (نخبة المقال) في ترجمة المفيد: و شيخنا المفيد بن محمد عدل له التوقيع هاد مهتد أستاذه صدوق السعيدو بعد عزّ رحم المفيد

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١٨٠ ط. طهران مطبعة الحيدرية.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ط. القديم ص ٢٧٩ عن أمالي ابن الشيخ.

(٣) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٧٩ ط. القديم عن أمالي ابن الشيخ. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٣٩٩

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنَّ منّا لمن ينكت في قلبه، و إنَّ منّا لمن يؤتى في منامه، و إنَّ منّا لمن يسمع الصوت مثل صوت السلسلة في الطست، و إنَّ منّا لمن يأتيه صورة أعظم من جبرئيل و ميكائيل «١»

و ،

قال عليه السلام: منّا من ينكت في قلبه، و منّا من يقذف في قلبه، و منّا من يخاطب «٢»

و ،

قال (عليه السلام): إنَّ منّا لمن يعاين معاينه، و إنَّ منّا لمن ينقر في قلبه كيت و كيت، و إنَّ منّا لمن يسمع كما تقع السلسلة في الطست، قال قلت و الذي يعاينون ما هو؟ قال: عليه السلام: خلق أعظم من جبرئيل و ميكائيل «٣».

و

في «البصائر» في الصحيح عن زرارة قال: دخلت عليه و في يده صحيفة فغطاها عنّي بطيلسانه ثم أخرجها فقرأها علي: إنَّ ما يحدث به المرسلون كصوت السلسلة أو كمناجاة الرجل صاحبه «٤».

و

فيه في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام: كان على عليه السلام يعمل بكتاب الله و سنّة نبيه فإذا أورد عليه الشيء الحادث الذي لا في الكتاب و لا في السنّة ألهمه الله الحقّ فيه إلهاماً، و ذلك و الله من المعضلات «٥».

و

فيه عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّنا نزداد في الليل و النهار و لو لا أن نزداد لنفد ما عندنا، فقال أبو بصير: جعلت فداك من يأتيكم؟ فقال عليه السلام: إنّ منّا يعاين معاينه، و منّا من ينقر في قلبه كيت

(١) بحار الأنوار ج ٤ ص ٢٧٩ ط. القديم عن أمالي ابن الشيخ.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٧٩ ط. القديم عن أمالي ابن الشيخ.

(٤) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٨٠ ط. القديم عن أمالي ابن الشيخ.

(٥) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٨٨ ط. القديم عن بصائر الدرجات. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٠٠

تفسير الصراط المستقيم ج ١ ٤٤٩

و كيت، و منّا من يسمع بأذنه و قعا كوقع السلسلة في الطست، قال: قلت: جعلني الله فداك من يأتيكم بذاك؟ قال عليه السلام: هو خلق أكبر من جبرئيل و ميكائيل «١».

و

فيه عن علي بن يقطين قال: سئلت أبا الحسن عليه السّلام عن شيء من أمر العالم فقال عليه السّلام: نكت و نقر في الأسماع و قد يكونان معا «٢».

و

فيه عنه عليه السّلام: علم عالمكم سماع أو إلهام؟ قال عليه السّلام: يكون سماعا و يكون إلهاما و يكونان معا «٣».

و

فيه عن علي بن السائي «٤» قال: سئلت الصادق عليه السّلام عن مبلغ علمهم، فقال عليه السّلام: مبلغ علمنا ثلثه وجوه: ماض و غابر و حادث، فأما الماضي فمفسر، و أما الغابر فمزبور و أما الحادث فقذف في القلوب، و نقر في الأسماع و هو أفضل علمنا، و لا نبي بعد نبينا صلى الله عليه و آله و سلم.

و فيه إشارة الى أن هذه العلوم على الوجوه المذكورة لا تستلزم النبوة فإنها تحصل لغير النبي صلى الله عليه و آله و سلم، أيضا حسبما تأتي اليه الاشارة.

و

فيه و في «الإختصاص» عن عبد الله بن النجاشي عنه عليه السّلام قال: فينا و الله من ينقر في أذنه، و ينكت في قلبه، و تصافحه الملكة، قلت كان أو اليوم؟ قال

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٨٩ ط. القديم عن بصائر الدرجات.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) السائي: نسبة إلى سايه و هي قرية من قرى المدينة أو من مكة، و المراد به هو علي بن سويد السائي، عدّه الشيخ من أصحاب الصادق عليه السّلام و وثقه و عدّه المفيد في الإختصاص من أصحاب الكاظم عليه السّلام. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٠١ عليه السّلام: بل اليوم قلت: كان أو اليوم؟ قال عليه السّلام: بل اليوم و الله يا بن النجاشي حتى قالها ثلثا «١».

و

فيهما عن الحرث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام ما علم عالمكم جملة يقذف في قلبه أو ينكت في اذنه؟ قال: فقال عليه السّلام: وحي كوحى أم موسى «٢».

و

في «البصائر» عن محمّد بن الفضيل، قال قلت لأبي الحسن عليه السّلام:

روينا عن أبي عبد الله عليه السّلام أنّه قال: إنّ علمنا غابر و مزبور و نكت في القلوب، و نقر في الأسماع قال: عليه السّلام: أمّا الغابر فما تقدّم من علمنا، و أمّا المزبور فما يأتي، و أمّا النكت في القلوب فالهيام، أو النقر في الأسماع فإنّه من الملك «٣».

و

روى زرارة مثل ذلك عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قلت: كيف يعلم أنّه كان من الملك و لا يخاف أن يكون من الشيطان إذا كان لا يرى الشخص؟ قال عليه السّلام: أنّه يلقي عليه السكينة فيعلم أنّه من الملك و لو كان من الشيطان اعتراه فرع، و إن كان الشيطان يا زرارة لا يتعرّض لصاحب هذا الأمر «٤».

أقول: و مع عدم تعرّض الخبيث للإمام عليه السّلام إنّما تعرّض عليه السّلام لبيان الفرق تنبيها على بيان الفرق بين الخواطر الملكية و

الشيطانية الواردة على قلوب سائر الناس حسبما تأتي إليها الإشارة.

(١) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٨٩ ط. القديم عن بصائر الدرجات.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٨٩ ط. القديم عن بصائر الدرجات.

(٤) نفس المصدر السابق.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٠٢

و

في «الأمالي» و «البصائر» عن الصادق عليه السلام: كان على عليه السلام محدثا و كان سلمان محدثا، قال: قلت: فما آية المحدث؟ قال عليه السلام يأتيه ملك فينكت في قلبه كيت و كيت «١».

و

في «البصائر» عن أبي جعفر عليه السلام قال: الاثنى عشر الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله كلهم محدث قيل و من يحدثهم؟ قال عليه السلام: ملك، قيل و ما منزلتهم أ أنبياءهم؟ قال عليه السلام: لا و لكنهم علماء كمنزلة ذى القرنين و صاحب موسى و صاحب سليمان «٢».

و المراد بصاحب موسى يوشع أو الخضر، و قد ورد التصريح بكل منهما في بعض الأخبار، و التشبيه لمجرد متابعة نبي آخر مع سماع الوحي، فلا ينافي ذلك في فضل رتبة الأئمة عليهم السلام، عليهم و لا لحوق النبوة و سبقها في صاحبي موسى.

و

فيه سئل يريد العجلى مولينا الصادق عليه السلام عن الفرق بين الرسول و النبي و المحدث قال (عليه السلام): الرسول الذي تأتيه الملكة و يعاينهم و تبلّغه عن الله تبارك و تعالي، و النبي الذي يرى في منامه فما رأى فهو كما رأى و المحدث الذي يسمع كلام الملك، و ينقر في اذنه و ينكت في قلبه «٣».

و

فيه عن الأحوال قال: سمعت زرارة يسئل أبا جعفر عليه السلام عن الرسول و النبي و المحدث فقال عليه السلام: الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلا فيراه

(١) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٩١ ط. القديم عن أمالي ابن الشيخ و البصائر.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٩٢ و ص ٢٩٣ عن البصائر، و لا يخفى أن الحديث مركب من حديثين صدره كما في البحار مروى عن الباقر (عليه السلام) و ذيله عن الصادق (عليه السلام).

(٣) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٩٣ ط. القديم عن بصائر الدرجات. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٠٣

يكلّمه فهذا الرسول، و أما النبي فإنه يرى في منامه على نحو ما رأى إبراهيم عليه السلام و نحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله بالرسالة و كان محمد صلى الله عليه وآله و سلم حين جمع له النبوة و جئاته الرسالة من عند الله يحيئه بها جبرئيل و يكلّمه بها قبلا، و من الأنبياء من جمع له النبوة و يرى في منامه يأتيه الروح فيكلّمه و يحدثه من غير أن يكون رآه في اليقظة و أما المحدث فهو الذي يحدث فيسمع و لا يعاين و لا يرى في منامه «١».

و

عنه عن الصادق عليه السلام قال عليه السلام: الرسول الذي يعاين الملك يأتيه بالرسالة من ربه يقول: يأمر بكذا وكذا والرسول يكون نبيا مع الرسالة، والنبى لا- يعاين الملك ينزل عليه النبأ على قلبه فيكون كالمغمى عليه فيرى فى منامه قلت: فما علمه أن الذى رأى فى منامه حق؟ قال عليه السلام: بينه الله حتى يعلم أن ذلك حق ولا يعاين الملك، والمحدث الذى يسمع الصوت ولا يرى شاهدا «٢».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التى ستسمع كثيرا منها عند التعرض لتفسير بعض الآيات، نعم فى المقام مباحث لا بد من التنبيه عليها:

أحدها قد سمعت أن الوحي يطلق لغة بل و عرفا عاما و خاصا فى الكتاب و السنة على الكلام الخفى بل مطلق ما أريد به إلهام الغير و إعلامه مما يتعلّق به أو بغيره ستر له عن غيره، و تخصيصا له به دون من سواه لكن ذكر المفيد فى شرح «عقائد الصدوق» بعد الإشارة إلى ذلك أنه إذا أضيف إلى الله تعالى كان فيما يخص

(١) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٩٣ ط. القديم عن البصائر.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٩٤ ط. القديم عن البصائر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٠٤

به الرسل صلوات الله عليهم خاصية دون من سويهم على عرف الإسلام و شريعة النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال الله تعالى: وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ «١».

فاتفق أهل الإسلام على أن الوحي كان رويًا منامًا و كلامًا سمعته أم موسى على الاختصاص، و قال تعالى: وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ «٢»، يريد به الإلهام الخفى إذ كان خالصًا لمن أفرده دون ما سواه فكان علمه حاصلًا للنحل بغير كلام جهر به المتكلم فأسمعه غيره «٣»، و قال تعالى: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ «٤»، بمعنى يوسوسون إلى أوليائهم بما يلقونه من الكلام فى أقصى أسماعهم فيخصون بعلمهم دون من سواهم، و قال تعالى: فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ «٥»، يريد به إشارة إليهم من غير إفصاح الكلام شبه ذلك بالوحي لخفائه عن سوى المخاطبين و لستره عن سواهم، و قد يرى الله تعالى فى المنام خلقًا كثيرًا ما يصح تأويله و يثبت حقه لكنّه لا يطلق بعد استقرار الشريعة عليه اسم الوحي، و لا يقال فى هذا الوقت لمن اطّلع الله على علمهم شيء أنه يوحى إليه. و عندنا أن الله تعالى يسمع الحجج بعد نبوته صلى الله عليه و آله و سلم كلامًا يلقيه إليهم أى الأوصياء فى علم ما يكون، لكنّه لا يطلق عليه اسم الوحي لما قدّمناه من إجماع المسلمين على أنه لأوحي لأحد بعد نبينا صلى الله عليه و آله و سلم، و أنه لا يقال فى شيء مما ذكرناه أنه أوحى إلى أحد، و لله تعالى أن يبيح إطلاق الكلام

(١) القصص: ٧.

(٢) النحل: ٦٨.

(٣) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٩٥ عن شرح عقائد الصدوق للمفيد.

(٤) الانعام: ١٢١.

(٥) مريم: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٠٥

أحيانًا و يخرطه أحيانًا، و يمنع التسمية بشيء حينًا و يطلقها حينًا فأما المعانى فإنّها لا تغيير عن حقائقها «١».

و عنه فى «كتاب المقالات» «٢»، أن العقل لا يمنع من نزول الوحي إليهم عليهم السلام و إن كانوا أئمة غير أنبياء الله تعالى فقد أوحى

الله (عزّ وجل) إلى أم موسى أن أرضعها الآية، فعرفت صحة ذلك بالوحي وعملت عليه ولم تكن نبياً ولا رسولاً ولا إماماً ولكنها كانت من عباد الله الصالحين وإنما منعت نزول الوحي والإيحاء بالأشياء إليهم للإجماع على المنع من ذلك والاتفاق على أنه من زعم أن أحداً بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يوحى إليه فقد أخطأ وكفر، ولحصول العلم بذلك من دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن العقل لم يمنع من بعثه نبي بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ونسخ شرعنا كما نسخ ما قبله من شرايع الأنبياء عليهم السّلام، وإنما منع ذلك الإجماع والعلم بأنه خلاف دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جهة اليقين وما يقارب الاضطرار، والإمامية جميعاً على ما ذكرت ليس بينها فيها على ما وصفت خلاف «٣».

أقول: وكأنه رحمه الله عليه أراد بما تكلفه من الكلام التقصّي عمّا ربما يورد في المقام من الإشكال الذي حصله أنه إن كان المراد بالوحي الذي يتحقّق به النبوة لصاحبه خصوص الوحي التأسيسي الشرعي الذي يكون بمشاهدة الملك وشفهته في اليقظة كما كان يحصل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً ففضيئة ذلك

(١) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٩٥ ط. القديم عن شرح عقائد الصدوق للمفيد.

(٢) أوائل المقالات في المذاهب المختارات للمفيد فيه مباحث مختلفة كلامية.

(٣) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٩٥ عن أوائل المقالات للمفيد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٠٦

عدم ثبوت النبوة لكثير من الأنبياء بل لأكثرهم فإنّ الوحي إلى أكثر الأنبياء لم يكن على وجه التأسيس بل لإظهار الشريعة السالفة وتقويتها، وتبينها لا لنسخها مع أنّ الوحي إلى كثير منهم بل أكثرهم لم يكن برؤية الشخص بل ربما كانوا لا يرون شخص الملك وإنما يسمعون الصوت، وربما لم يكن هناك سماع وإنما هو مجرد القذف والنكت والإلهام أو الرؤية في المنام، وإن كان المراد به مطلق الإنباء عن الله سبحانه بأيّ وجه حصل ففضيئة ذلك إثبات النبوة للائمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين إذ الاستفادة من الأخبار الكثيرة المتقدمة التي لا يخفى استفاضتها بل تواترها حصول العلم لهم عليهم السّلام بضروب من الوحي والإلهام كالنكت في القلوب، والنقر في الأسماع، وسماع صوت الملك ومشاهدته.

ولذا

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمر المؤمنين (عليه السّلام) على ما روتها الخاصّة والعامّة وهو بعينه مذكور في القاصعة من «نهج البلاغة»: يا علي إنك تسمع ما أسمع وتري ما أرى إلّا أنّك لست بنبيّ، ولكنك لوزير وإنك لعلّ خير «١».

و

روى الحسن بن سليمان في كتاب «المختصر» مسنداً عن الرضا عليه السّلام في حديث طويل قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام في كلام له: وإن شئتم أخبرتكم بما هو أعظم من ذلك، قالوا فافعل، قال عليه السّلام: كنت ذات ليلة تحت سقيفة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإني لا حصي ستاً وستين وطئة من الملكة كلّ وطئة من الملكة أعرفهم بلغاتهم وصفاتهم وأسمائهم وطئهم «٢».

إلى غير ذلك مما يدلّ على أنّهم محدّثون ملهون، بل قد دلّ بعض الأخبار

(١) نهج البلاغة الخطبة ٢٣٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٩٦ ط. القديم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٠٧

على أن بعض شيعتهم كسلمان من المحدثين أيضا.

وحاصل ما أفاده المفيد (رحمه الله) في الجواب أن النبوة إنما هو بمطلق الوحي كان يطلق أولا على مجرد الاعلام والإفهام من الله سبحانه على أحد من الوجوه إلا أنه قد ورد النهي عن إطلاقه على غير الوحي التأسيسي المختص بالأنبياء صلى الله عليهم أجمعين، و هو كما سمعت في ظاهر كلامه هين لا يعود الى محصل سوى البحث اللفظي الذي مرجعه إلى منع إطلاق اللفظ عند الشارع على معنى في وقت آخر وهو كما ترى.

و شيخنا المجلسي رحمه الله بعد ما ذكر استنباط الفرق بين النبي والإمام من الأخبار المتقدمة لا يخلو من إشكال قال: والذى يظهر من أكثرها هو أن الامام لا يرى الحكم الشرعي في المنام والنبي قد يراه فيه، وأمّا الفرق بين الإمام والنبي وبين الرسول هو أن الرسول يرى الملك عند إلقاء الحكم والنبي غير الرسول، والإمام لا يريانه في تلك الحال، وإن رأياه في سائر الأحوال ويمكن أن يختص الملك الذي لا يريانه بجبرئيل عليه السلام ويعم الأحوال، لكن فيه أيضا منافاة لبعض الأخبار.

ومع قطع النظر من الأخبار لعل الفرق بين الأئمة عليه السلام وغير أولى العزم من الأنبياء أن الأئمة عليهم السلام نواب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا يبلغون إلا بالنيابة، وأمّا الأنبياء وإن كانوا تابعين لشريعة غيرهم لكنهم مبعوثون بالأصالة، وإن كانت تلك النيابة أشرف من تلك الأصالة، وبالجملة لا بد لنا من الإذعان بعدم كونهم عليهم السلام أنبياء وبأنهم أفضل وأشرف من غير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من الأنبياء والأوصياء ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية جلاله خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم ولا يصل عقولنا إلى

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٠٨

فرق بين النبوة والإمامة «١».

أقول: ما ذكره في الفرق بين الرسول وبين غيره من النبي والامام وإن سبقه فيه غيره، بل ولحقه الأحسائي في شرح الزيارة «٢»، حيث ذكر أن الأئمة عليهم السلام يسمعون صوت الوحي من الملك ولا يرون شخصه من حين ينزل بالوحي، وفي غير هذه الحال يرونهم ويقعدون معهم، ويخبرونهم بكل ما يسألونهم ويرونهم حتى يأتون بأحكام القضاء والإمضاء الذي هو بيان ما تنزل به الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

و أمّا إنهم يسمعون الصوت ولا يرون الشخص فالمراد أنهم إذا نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من الأمور فإنهم يسمعون ما يسمع ولا يرون شخص الملك الذي ينزل بالوحي التأسيسي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن السماع والرؤيا معا أعظم مظاهر الحق وأظهر لا تصلح إلا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أنه بإطلاقه غير صحيح وإن صح في الجملة بالنسبة إلى بعض

(١) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٩٥ ط. القديم.

(٢) الاحسائي الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي البحراني، قال الخوانساري في حقه: ترجمان الحكماء والمتألهين، و لسان العرفاء والمتكلمين، اختلفوا في حقه بعضهم أثنوا عليه وأفرطوا وبعضهم طعنوا عليه وفرطوا، له تأليفات منه شرح الزيارة الجامعة.

ولد سنة ١١٦٦ و توفي بالمدينة سنة ١٢٤٢ و دفن بالبقيع، قال صاحب الصراط المستقيم في نحة المقال في ترجمته: الشيخ أحمد بن

زين الدين ذو العلم والشهود واليقين

فواره النور جليل أمجد بعد دعاء رحم الشيخ أحمد

١٢٤٢ ٧٦

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٠٩



الأنبياء و أوصيائهم لكنّه لا يصحّ بالنسبة إلى نبينا و وصيه الذي هو مصبّ كلامه، فإنّ الشرافة و الفضلية لهما ليست بسماع صوت الملك كى يفرّق بينهما باختصاص الأوّل بشرف الرؤية حفظا للمرتبة، بل قد سمعت أنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم، قد تلقى القرآن من لدن حكيم عليم من دون توسط أحد من الملائكة و الروحانيين، و كيف يتوسط الأدنى للأعلى و الرعية للسلطان، و الخادم للمخدوم، بل كيف تستنير الشمس من الأرض التى أشرقت عليها.

و ما ذكرناه لائح لا ستر فيه لمن تأمل فى الأخبار و الآثار المأثورة عنهم، بل ذكر الصدوق فى اعتقاداته موافقا لما حكينا روايته عنه سابقا عن «إكمال الدين» أنّ الغشوة التى كانت تأخذ النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فإنّها كانت عند مخاطبة الله (عز و جل) إيّاه حتى يثقل و يعرق و أمّا جبرئيل فإنّه كان لا يدخل عليه حتى يستأذنه إكراما له، و كان يقعد بين يديه قعدة العبد «١».

و

فى التوحيد عن زرارة قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: جعلت فداك الغشوة التى كانت تصيب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إذا نزل عليه الوحي؟

فقال عليه السّلام: ذلك إذا لم يكن بينه و بين الله أحد ذاك إذا تجلّى الله له، ثم قال عليه السّلام: تلك النبوة يا زرارة و أقبل بتخشع «٢».

و

فى المحاسن عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إذا أتاه الوحي من الله و بينهما جبرئيل يقول: هو ذا

(١) كمال الدين: ٥١- و بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦٠ ط. الاخوندى بطهران.

(٢) بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٥٦ ط. الاخوندى بطهران. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤١٠

جبرئيل و قال لى جبرئيل، و إذا أتاه الوحي و ليس بينهما جبرئيل تصيبه سبته «١» و يغشاه منه ما يغشاه لثقل الوحي عليه من الله (عز و جل) «٢».

و

فى «الأمالى» عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله قال: قال بعض أصحابنا:

أصلحك الله أ كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: قال جبرئيل و هذا جبرئيل يأمرنى ثم يكون فى حال اخرى يغمى عليه؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السّلام: إنّه إذا كان الوحي من الله إليه ليس بينهما جبرئيل أصابه ذلك لثقل الوحي من الله، و إذا كان بينهما جبرئيل لم يصبه ذلك فقال: قال لى جبرئيل و هذا جبرئيل «٣».

بل الظاهر

من النبوىّ المتقدم: (يا على إنك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى، إلّا أنّك لست بنبى و لكنك لوزير) «٤»

، أنّه عليه السّلام يسمعه و يراه فى زمان سماع النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و رؤيته.

و لعلّ الظاهر أيضا مما

رواه ابن أبى الحديد فى «شرح النهج» عن مولينا الصادق عليه السّلام أنّه قال: كان على عليه السّلام يرى مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قبل الرسالة الضوء و يسمع الصوت، و قال عليه السّلام له عليه السّلام: لو لا أنّى خاتم الأنبياء لكنت شريكا فى النبوة، فإن لا تكن نبيا فإنك وصى نبى و وارثه، بل أنت سيّد الأوصياء، و إمام الأتقياء «٥».

(١) سبت يسبت من باب قتل و سبت بالبناء للمفعول غشى عليه.

(٢) المحاسن: ٣٣٨ و بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٧١ ط. الاخوندى بطهران.

(٣) أمالي الشيخ: ٤٩- و بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦٨ الاخوندى بطهران.

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٢٣٤.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤١١

و

في «البصائر» عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان جبرئيل يملى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يملى على علي عليه السلام، فنام نومته ونعس نعسه فلما رجع نظر إلى الكتاب فمد يده قال من أملى هذا عليك؟ قال: أنت قال: لا بل جبرئيل عليه السلام «١».

و بالجملة فالتحقيق الفرق بالأصالة و التبعية في الأمرين معا، أما في المتلقيات اللدنية فلأن الوصي يستمد من مشكوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم استمداد المرأة المحاذية للشمس، و لذا

كان عليه السلام يقول: أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كالصنو من الصنو، و كالذراع من العضد «٢».

و أميا جبرئيل و إسرافيل و روح القدس و غيرهم من الروحانيين و المقرين الحاملين لوحى رب العالمين فإنهم يتلقون أنوار العلم و الوحي في هذه السلسلة من مشكوة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد في الأخبار الكثيرة الدالة على تقدم أنوارهم و أرواحهم و استضاءه سائر الأرواح من أنوارهم و أشباحهم.

و

رأيت بخط القاضى سعيد القمى تلميذ المحدث الفيض الكاشانى أنه وجد مكتوبا بخط الإمام أبى محمد العسكرى عليه السلام: قد صعدا ذرى الحقائق بأقدام النبوة و الولاية، و نورنا سبع طرائق بأعلام الفتوة و الهداية.

إلى قوله عليه السلام فالكليم ألبس حلّة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء و روح القدس فى جنان الصاغورة ذاق من حدائقنا الباكورة «٣» و أما فى التلقيات

(١) بصائر الدرجات: ٩٣، و بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٧٠.

(٢) نهج البلاغة: كتاب إلى عثمان بن حنيف الانصارى، و هو عامله على البصرة.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٢٩٨ ط القديم عن الدرّة الباهرة عن بعض الثقات.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤١٢

الإيحائية الملكية الظاهرية فلأن الخطاب فيها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و إن كان وصيه أيضا يرى الملك و يسمعه عند نزوله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن سائر الأوقات أيضا، و فضل النبوة حينئذ للأصيل المخاطب لا- التابع المستمع، ثم لا يخفى أن التابع المتصل المستنير من مشكوة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم أفضل بكثير من ساير الأنبياء و المرسلين المتشرفين بشرف الوحي التأصلي الابتدائي كما هو المستفاد من الأخبار المتواترة التى مرت الى بعضها

قال الخوئى إبراهيم بن الحسن بن الغفار فى كتابه (الأربعين): الحديث السابع و الثلاثون ما نقل عن «الدرّة الباهرة» من الاصداف

الطاهرة» في كلام أبي محمد العسكري: و أسباطنا خلفاء الدين، و خلفاء اليقين، و مصاييح الأمم، و مفاتيح الكرم، و الكليم البس حلة الاصطفاء، لما عهدنا منه الوفاء، و روح القدس في الجنان الصاغورة ذاق من حدائقنا الباكورة.

(اللغة) الباكورة أول كل شيء و أول الفاكهة، قال بعض الأفاضل:

قوله عليه السلام: مفاتيح الكرم

يراد به كونهم محال ذلك الكرم فعنهم يصل إلى غيرهم فلذلك كانوا مفاتيح الكرم، و كذا

قوله عليه السلام الكليم البس حلة الاصطفاء

يعنى أن موسى لما عهدنا اليه بولايتنا و التسليم لنا و الرد إلينا فأجاب و وفى لنا و عهدنا ذلك منه و جعلناه من المصطفين الأخيار و روح القدس المعبر عنه بالعقل الأول عند الحكماء و بالعقل و القلم و الحجاب الأبيض و ما أشبه ذلك عند أهل الشرع أول باكورة من ثمار الجنان التي غرسنا بأيدينا فإن تلك الحدائق التي في الجنان الصاغورة غرس فيها من كل شيء فأول ما نبت روح القدس، و معناه ظاهر أنه لما أفاض الوجود على أرض القابليات كان أول من وجد هو العقل الأول المسمى بروح القدس، و معنى

قوله عليه السلام: في الجنان الصاغورة

أى في أعلى عليين في الجنان و المراد بها هنا العرش لأنه هو سقف الجنان و هو من الوجود كالفحف من الدماغ و كان روح القدس أول من وجد في الجنة و الجنة أول الموجودات و الباكورة أول الثمرات، و المراد أن أول من قبل الإيجاد روح القدس و هو ذوقه الباكورة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤١٣

الإشارة، و اليه الإشارة بقول شيخنا المجلسي في كلامه المتقدم أن تلك النيابة أشرف من تلك الأصالة.

و أما تحقيق مقام النبوة و الولاية و الوصاية و تقسيمها إلى الظاهرية و الباطنية و إلى مقام التشريع و التكوين، و إلى المطلقة و المقيدة، و بيان الفضل و الفرق بين تلك المراتب فمما لا يسعها المقام و لعلنا نتكلم فيها إنشاء الله في مقام أليق.

## في أقسام الوحي

ثانيها في أقسام الوحي و مراتبه، اعلم أنه إذا تجردت النفس الانسانية من العلايق البدنية و الشهوات النفسانية، و أعرضت عن الإشتغال بدواعي البدن من الشهوة و الغضب و الحس و التخيل، و توجهت كلياً اتصالياً، إرادياً، طبعياً، أو تطبيقياً تلقاء عالم الملكوت الأعلى، اتصلت بالمبادئ العالية النورانية الجوّالة في أفق القدس و سرادق الأنس، ففاضت بالسعادة القصوى و رأت من عجائب الملكوت الأعلى التي هي آيات ربه الكبرى، فإذا كانت النفس قدسية، شديدة القوة و الاستعداد، قوية الانسلاخ من مقتضيات المواد، و ساعدتها المشية الربانية في نيل المراد، و استنارت بالتجليات الإلهية، و الفيوض القدسية، و استعدت للاشراق على ما دونها من المراتب السفلية فبقوتها تضبط الطرفين، و تسقى الجانبين، و تتمكن في الحد المشترك بين الأمرين، فلا يشغلها شأن من شأن، و لا تصرفها نشأة من نشأة، فتستعد حينئذ لمقام النبوة و الرسالة التي هي السفارة الكبرى من الحق الى الخلق، و الخلافة العظمى للخلق من الحق، فأول ما يبدو حينئذ من التجليات، و يتنسم عليه من طيب النفحات، و هو ما سمى في لسان الشارع المبشرات.

ولذا

ورد أنه أول ما بدء به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من الوحي

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤١٤

الرؤيا فكان لا يرى إلا خرجت مثل فلق الصبح (١)

و حيث إنه عليه السلام خضعه الله تعالى بالكمال في كل فضيلة فله من الوحي أنواعه و ضروبه، لأنه قد أوتى جوامع الكلم و كان في

الرتبة الأعلى من الإمكان، و لما بدىء فى وحيه عليه السّلام بالرؤيا ستة أشهر علمنا أنّ بدىء الوحي الرؤيا و أنّها جزء من ستة و أربعين جزء من النبوة لكونها ستة أشهر، و كانت نبوته ثلثا و عشرين، فسته أشهر جزء من ستة و أربعين، كذا فسّر الخبير المشهور. و فيه تكلف ظاهر، لأنّه بانضمام هذا الجزء يكون من سبعة و أربعين إلا ان يقال: إنّ الأخيرة لم تكن سنة تامّة بل نصف سنة. و لذا

ورد أيضا فى خبر آخر أنّها جزء من خمسة و أربعين جزء من النبوة، لكنّه لا يخفى عليك أنّه تكلف من تكلف بل مخالف لما هو المنساق من ظواهر الأخبار الدالّة على أنّ رأى المؤمن و رؤياه فى آخر الزمان جزء من سبعين جزء من النبوة.

و

فى بعض الأخبار أنّها على الثلث

حيث ظاهرها إنّما هو القرب منها فى الإصابة لا فى المدّة و أنّه كذلك بالنسبة إلى كلّ مؤمن لا بالنسبة اليه خاصة إلى غير ذلك مما سنشير اليه فى آية البشرى «٢»، ثم لا يخفى أنّه لا يلزم أنّ بدأ الوحي لكل نبي كذلك إذ قد أوحى إلى بعض الأنبياء ابتداء من غير تقدّم الرؤيا، لكنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم لما بدىء بالرؤيا قلنا: إنّها بدؤ الوحي لأنّه مقتضى كما له الذى يقتضيه مقامه صلّى الله عليه و آله و سلّم و هى الباقية من أجزاء النبوة فى آخر الزمان بعد انقطاع الوحي و اختتام النبوة.

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٩٤، ط. الاخوندى بطهران، عن المناقب لابن شهر آشوب.

(٢) لهم البشرى فى الحيوة الدنيا و فى الآخرة: يونس: ٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤١٥

ثم إنّّه إذا انفتح باب النبوة فقد تكون أيضا بالرؤيا الصادقة التى معها برهان من الله تعالى على صدقها، و الفرق أنّها حينئذ قد تكون على وجه الشرائع دون ما كانت قبلها فإنّها من مبادئ النبوة و أجزاءها، و تكون بالقذف فى القلب من غير سماع و لا مشاهدة، و أمّا العلم بأنّ الوارد القلبى إنّما هو من الله سبحانه و أنّه يجب العمل بمقتضاه على فرض كونه من التشريعات فإنّما يحصل لأهله من الأنبياء و المحدّثين بعلم ضرورى يقذفه الله تعالى فى قلوبهم.

و اليه الإشارة بما رواه

فى التوحيد عن الصادق عليه السّلام قال: ما علم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّ جبرئيل من قبل الله إلّا بالتوفيق «١».

و

فى «تفسير العياشى» عن زرارة قال قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: كيف لم يخف رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ذلك مما يتزغ الشيطان به؟ فقال عليه السّلام: إنّ الله تعالى إذا اتخذ عبدا رسولا أنزل عليه السكينة و الوقار، فكان يأتيه من قبل الله مثل الذى يراه بعينه «٢».

أقول: و هو المراد بفلق الصبح فى الخبر المتقدم «٣»، و ربما تسمع الفرق بين الخواطر الرحمانية و الشيطانية فيما يأتى من المكاشفات العرفانية.

و لعلّ الوجه فى القذف أنّ مرآة القلب إذا حوذى بها شطر الحق بالشروط العديدة المتقدّمة انطبع فيها ما هو المقرّر فى الواقع أو الثابت فى الألواح الملكوتية بالأقلام الالهية من الأمور التشريعية، و الأسرار الحقيقية فكما أنّك إذا رأيت زيدا

(١) التوحيد للصدوق: ٢٤٦- و بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٥٧ ط. الاخوندى.

(٢) بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦٢ ط. الاخوندى بطهران.

(٣) نفس المصدر السابق.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤١٦

بعينه و شخصه رؤية حسيّة لا تشك في أنّك رأيته بشخصه بل لا تلتفت إلى الشك في ذلك لمبادرة اليقين، و مسارعتة إلى قلبك، و كذلك إذا رأى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ شيئاً بنظره الفؤادى فإنما رأى الحقيقىة كما قال سبحانه: مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى «١». و لعله إليه الإشارة فيما

ورد من أنّ الروح عمود من نور بين السماء و الأرض يرى الإمام فيه أعمال العباد «٢».

إلّا أنّ هذا فى غير التشريع و من جهة الإحاطة و الهيمنة التى تقتضيها الولاية حسبما تأتى إليها الإشارة، و تكون أيضا بالنقر فى الأسماع على الوجوه المختلفة التى منها المشيئة فى الخبر بوقع السلسلة على الطست، و غير ذلك مما يرجع إلى المشاهدة الغيبية و الإدراكات اليقينية.

نعم

روى العياشى عن الصادق عليه السلام فى تفسير قوله تعالى: حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا «٣»، مخففه أنه قال: ظننت الرسل أنّ الشياطين تمثّل لهم على صورة الملائكة «٤».

قال: و عن أبى شعيب عن أبى عبد الله عليه السلام قال: و كلهم الله الى أنفسهم أقل من طرفه عين «٥».

قال شيخنا المجلسى طاب ثراه بعد نقل الخبرين: لعل المراد أنّ الله تعالى

(١) النجم: ١١.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٠٧ ط. القديم.

(٣) يوسف: ١١٠.

(٤) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٦١ ط. الاخوندى بطهران عن العياشى.

(٥) بحار الأنوار ج ١٧ ص ٢٦٢ ط. الاخوندى بطهران عن العياشى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤١٧

و كلهم إلى أنفسهم ليزيد يقينهم بأنهم معصومون بعصمة الله فخطر ببالهم أنّ ما وعدوا من عذاب الأمم لعلّه يكون من الشياطين، فصرف الله عنهم ذلك، و عصمهم و ثبتهم على اليقين بأن ما أوحى إليهم ليس للشيطان فيه سبيل «١».

أقول: و لعل الأولى ردّ علمه إليهم عليهم السلام فإنّ المعلوم ممّا دلّ على عصمتهم من الكتاب و السنّة بل ضرورة المذهب أنه ليس للشيطان سبيل عليهم أصلا حتى فى مثل تلك الخطرة.

و بالجملة فجميع ضروب الوحي مشتركة فى حصول العلم الضرورى معه بكونه حقا منه سبحانه على ما مرّت إليه الإشارة و إن كانت مختلفة فى كيفية نزوله.

قال فى «المناقب» و أمّا كيفية نزول الوحي فقد سأله الحارث بن هشام كيف يأتيك الوحي؟ فقال عليه السلام: أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس و هو أشده على فيفصم عني و قد وعيت ما قال، و أحيانا يتمثّل لى الملك رجلا فيكلّمنى فأعى ما يقول.

و

روى أنّه كان إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل.

و

روى أنه كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه و إن جبينه لينفصد عرقا.

و

روى أنه كان إذا نزل عليه كرب لذلك و يربد وجهه و نکس رأسه و نکس أصحابه رؤسهم منه ، و منه يقال: برحاء الوحي أى شدة الكرب من ثقله «٢».

(١) بحار الأنوار ج ١٧ ص ٢٦٢ ط. الاخوندى بطهران عن العياشى.

(٢) مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ٤١ و بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦١ ط. الاخوندى.

قال المجلسى بعد ذكر الأحاديث عن المناقب: بيان قال «فى النهاية»: فى صفة الوحي:

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤١٨

قال ابن عباس: كان النبى صلى الله عليه و آله و سلم إذا نزل عليه القرآن تلقاه بلسانه و شفثيه كان يعالج من ذلك شدة فنزل: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ «١»، و كان إذا نزل عليه الوحي وجد منه ألما شديدا، أو يتصدع رأسه و يجد ثقلا و ذلك قوله: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا «٢»، قال: و سمعت أنه نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ستين ألف مرة «٣».

و

فى تفسير العياشى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان من آخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سورة المائدة نسخت ما قبلها و لم ينسخها شى فلقد نزلت عليه و هو على بغلته الشهباء و ثقل عليها الوحي حتى وقفت و تدلى بطنها حتى رأيت سرتها تكاد تمس الأرض و أغمى على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى وضع يده على ذؤابة منبه بن وهب الجمحى ثم رفع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقرا علينا سورة المائدة.

ثالثها فى كيفية تلقى الملك للوحي الالهى، و قد وردت الإشارة إليها فى جملة من الأخبار:

فى الخبر: إن جبرئيل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم

كأنه صلصلة على صفوان، الصلصلة: صوت الحديد إذا حرّك، و قال: فيفصم عنى أى يقلع، و أفصم المطر لله: إذا قلع، و قال فيه: كان إذا نزل عليه الوحي تفصد عرقا أى سال عرقه، تشبيها فى كثرته بالفصاد و عرقا منصوب على التميز، و قال فيه: إذا أصابه الوحي كرب له، أى أصابه الكرب و اربد وجهه، أى تغير إلى الغبرة، و قال: البرح: الشدة، و منه

الحديث فأخذه البرحاء

أى شدة الكرب من ثقل الوحي.

(١) القيامة: ١٦.

(٢) المزمل: ٥.

(٣) مناقب آل أبى طالب ١: ٤١- و بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦١ ط. الاخوندى. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤١٩

فى وصف إسرافيل: هذا حاجب الرب و أقرب خلق الله منه و اللوح بين عينيه من ياقوته حمراء فإذا تكلم الرب تبارك و تعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه ثم ألقى إلينا نسعى به فى السموات و الأرض «١».

و

روى أيضا أنه قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لجبرئيل: من أين تأخذ الوحي؟ قال: آخذه من إسرافيل، قال من أين يأخذه؟ قال: يأخذه من ملك فوّه من الروحانيين، قال من أين يأخذه ذلك الملك؟ قال يقذف فى قلبه قذفا «٢».

و

ورد أيضا في كثير من الأسانيد من مولينا الصادق عليه السلام وغيره من الأئمة عليهم السلام روايتهم عن آبائهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللوح، عن القلم، عن الله تبارك وتعالى قال: ولاية علي بن أبي طالب حصني، من دخله أمن من عذابي (٣).

وقيل: وهذا الاختلاف منزل على تعدد الكيفيات، وأن المراد باللوحة والقلم في هذا السند الملكان إذ قد ورد لهما في الأخبار معان متعددة.

وقال الصدوق - ره - في اعتقاداته: اعتقادنا في كيفية نزول الوحي من عند الله أن بين عيني إسرافيل عليه السلام لوحا فإذا أراد الله عز وجل أن يتكلم بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل فينظر فيه فيقرأ ما فيه فيلقيه إلى ميكائيل، و يلقى

(١) تفسير القمي: ٣٨٩ و بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٥٨.

(٢) التوحيد: ٢٦٩ - و الاحتجاج: ١٢٧ و البحار ج ١٨: ٢٥٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩ ص ٤٠١، ط. القديم عن أمالي ابن الشيخ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٢٠

ميكائيل إلى جبرئيل، و يلقى جبرئيل إلى الأنبياء عليهم السلام (١).

وقال الشيخ المفيد (قدس الله روحه) في شرح هذا الكلام: الذي ذكر أبو جعفر رحمه الله من اللوح والقلم وما ثبت فيه فقد جاء به حديث إلهي أنا لا نعزم على القول به ولا نقطع على الله بصحته، ولا نشهد منه إلا بما علمناه، وليس الخبر به متواترا يقطع العذر، ولا عليه إجماع ولا نطق القرآن به، ولا ثبت عن حجة الله تعالى فينقاد له، والوجه أن نقف به ونجوزه ولا نردّه ونجعله في حيز الممكن، فأما قطع أبي جعفر به وعلمه على اعتقاده فهو مستند إلى ضرب من التقليد ولسنا من التقليد في شيء (٢).

أقول أما ذكر القلم فكأنه سهو من القلم إذ لم يجر له ذكر في عبارة الصدوق، وأما نسبه إلى التقليد فليست في محلها فإن الصدوق أعرف بسند ما اختاره سيما بعد نسبه إلى الامامية كما يستفاد من ظاهر كلامه، وطريق إثبات هذه المسائل التي هي من فروع الأصول غير منحصرة في الطرق القطعية الغير المتخلفة عن الواقع بل قد يثبت أيضا بمثل الأخبار المصححة المشتهرة المتكررة في أصول الامامية.

و بالجملة فعدم وصول الحجّة إلى الشيخ المفيد طاب ثراه ليس حجّة على صدوق الطائفة فيما ادعاه ونسبه إلى اعتقاده الامامية هذا مضافا إلى جملة من الأخبار الدالة عليه مضافا إلى ما مر.

ففي تفسير القمي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله في وصف إسرافيل هذا حاجب الرب، و أقرب خلق الله منه

(١) اعتقادات الصدوق: ص ١٠٠.

(٢) تصحيح الاعتقادات: ٥٧ - و بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٥٠ ط. الاخوندي. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٢١

واللوحة بين عينيه من ياقوته حمراء، فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه، فنظر فيه ثم ألقى إلينا فنسعى به في السموات والأرض، إنه لأدنى خلق الرحمن منه، وبينه وبينه تسعون حجبا من نور يقطع دونها الأبصار ما لا يعد ولا يوصف، وإني لأقرب الخلق منه، و بيني وبينه مسيرة ألف عام (١).

و

فيه أيضا أنه قال: اللوح المحفوظ له طرفان طرف على يمين العرش و طرف على جبهة إسرائيل فإذا تكلم الرب جل ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرائيل فنظر في اللوح فيوحي بما في اللوح إلى جبرئيل (٢).  
و أما ما رواه

في التوحيد و الاحتجاج فيما أجاب به أمير المؤمنين عليه السلام من أسئلة الزنديق المدعى للتناقض في القرآن حيث قال عليه السلام: إنه قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يا جبرئيل هل رأيت ربك؟ فقال جبرئيل: إن ربي لا يرى فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: من أين تأخذ الوحي؟ فقال أخذه من إسرائيل فقال (ص): و من أين يأخذه ذلك الملك؟ قال: يقذف في قلبه قذفا فهذا هو كلام الله عز و جل، و كلام الله ليس بنحو واحد منه ما كلم الله به الرسل، و منه ما قذفه في قلوبهم، و منه رؤيا يراها الرسل، و منه وحي و تنزيل يتلى و يقرء فهو كلام الله تعالى، فاكتف بما وصفت لك من كلام الله تعالى، فإن معنى كلام الله تعالى ليس بنحو واحد، فإن منه ما تبلغ به رسل السماء رسل الأرض. الخبر (٣).  
فهو مبني على اختلاف التعبير عن ذلك أو على اختلاف ضروبه و أنواعه حسبما أشير فيه اليه.

(١) تفسير القمي: ٣٨٩.

(٢) تفسير القمي: ٧٢٠.

(٣) التوحيد: ٢٦٩- و الاحتجاج: ١٢٧- و بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٢٢

رابعها في الفرق بين الوحي و الإلهام، قد يفرق بينهما.

بأن الوحي من خواص النبوة لتعلقه بالظاهر، و الإلهام من خواص الولاية لتعلقه بالباطن.

و بأن الوحي يتعلق بالأمر التشريعية، و الإلهام بالتكوينية.

و بأن الوحي مشروط بالتبليغ يعني أن الموحى إليه مأمور به دون الإلهام، و بأن الإلهام قد يحصل من الحق سبحانه من غير واسطة الملك بالوجه الخاص الذي له مع كل موجود، و الوحي يحصل بواسطته، و لذلك لا يسمى الأحاديث القدسية بالوحي دون القرآن، و إن كانت هي أيضا كلام الله تعالى و سبب ذلك أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم اطمأنت نفسه، و انشرح قلبه و صدره، و قويت قواه و مشاعره كلها، فيشاهد صورة ما في جميع العوالم و النشآت، فيمثل له الملك الحامل في عالم التمثيل الباطن و الحس الداخل كما يدركه أيضا في العالم الروحاني المحض، و أما الولي فلا يتلقى المقاصد إلا في مقام الأرواح المجردة عن عالم التمثيل. فالأول يسمى، و حيا باعتبار قوة الواردة و شدة المكاشفة، و شهود الملك و سماع كلامه.

و الثاني يسمى إلهاما و تحديثا، فالوحي من الكشف الشهودي المتضمن للكشف المعنوي، و الإلهام من المعنوي فقط.

و بأن الوحي يتولد من إفاضة العقل الكلي، و الإلهام من إشراق النفس الكلية، و نسبة النفس إلى العقل نسبة حواء من آدم، و الوحي أفضل من الإلهام.

و بأن الوحي مختص بالأنبياء عليه السلام، و الإلهام يشترك فيه الأنبياء و الأولياء.

خامسها في أن العلم ليس منحصر في الكسبي بل له قسم آخر و هو الوهبي،

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٢٣

اعلم أن كثيرا من المنغمسين في الغواصق النفسانية، و العلائق الهيولانية الجسمانية يزعمون أن العلم منحصر في العلوم العقلية و النقلية المشهورة المدونة في الكتب، و أن طريق تحصيلها منحصر في الكسب و التعلم و قراءة الكتب و مطالعتها، و تتبع آراء العلماء و أقوالهم و التدبر في عباراتهم و التفكير في فحواي إشاراتهم، و الجري معهم في مباحثاتهم و مناظراتهم إلى غير ذلك مما ترى كثيرا



من الناس مشتغلين بها في ليلهم و نهارهم، بل في طول أعمارهم، و مع ذلك فعلك ترى بعضهم في جهل شديد، و كأنهم ينادون من مكان بعيد، و لذا خلت قلوبهم من الأنوار، و سرائرهم من الأسرار، و غطت بصائرهم بشوائب الأكدار، و ذلك لأنهم لم يأتوا البيوت من أبوابها و لم يتوصّلوا إلى المسببات من طريق أسبابها، و من تأمل في الرموز القرآنية و إشارات الأخبار النبوية و الإمامية، يعلم أنّ لتحصيل العلوم الحقّة الربانية طريقا آخر، غير الكسب يسمّى بالوهب، و العلوم الحاصلة به تسمّى بالعلوم الربانية و اللدنية، اقتباسا من قوله تعالى: وَ عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿١﴾.

و لذا قيل: إشارة إلى القسمين من العلم: إنكم أخذتم علومكم ميتا من ميت، و أخذنا علومنا من الحيّ الذي لا يموت. و ذلك أنّا قد لوّحنا سابقا أنّ العلوم الحقيقية، و الارتباطات الواقعية ثابتة في العوالم الإمكانية و الكونية، مرتسمة في الألواح الكلية و الجزئية و الملكوتية بقلم الصنع و المشيئة و أنّ النفس الإنسانية بمنزلة المرأة التي ينطبع فيها صور الحقائق الحسية و المعنوية، فالتعلّم و التفكّر من الطرق الكسبية لتحصيل العلوم إلّا أنّ أحدهما من خارج و الآخر من باطن، فالتعلّم كما قيل استفادة الشخص من

#### (١) الكهف: ٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٢٤

الشخص الجزئي و التفكّر هو استفادة النفس من النفس الكلية، و هي أشدّ تأثيرا و أقوى تعليما من جميع العلماء و العقلاء. بل أقول: إنّ النفوس الإنسانية مجبولة على العلوم، مستعدة لها استعدادا قريبا و بعيدا. فمنها ما هي لجمودها و قسوتها كالحجر الذي لم يذب بعد. و منها ما قد ذابت و لم يحصل له تمام التنقية و التصفية.

و منها ما عرض له الرين و الكدورات العرضية الخارجية و منها ما لم يحصل له بالنسبة إلى المحسوس الخاص شرط المحاذاة إلى غير ذلك من المعدّات و الشرائط المعبرة في النفس الإنسانية أيضا. فإنّ الرياضيات العلمية و العملية كالذوب لحجر الزجاج و البلور فكما أنّ الحجر بكثرة الذوب و التنقية و التصفية يصل إلى درجة البلور المستعدّ لانتقاش صور الأشياء المحسوسة فيها بعد إعمال الشرائط التي من جملتها إعمال شروط الانعطاف و المحاذاة و غيرها، كذلك النفس الإنسانية إذا خرجت عن حدّ القوّة التي لها في أوان الطفولية، و صقلت عن رين المعاصي و كدورات الشبهات، و رفعت عنها حجب التقليد و موافقه المشايخ و العادات و وجه وجهها نحو الملكوت الأعلى المرتسم فيها صور الكائنات، صارت كالمرأة المصقولة المحاذية لشر صورة المطلوب، فإذا غلبت القوى البدنية على النفس بحسّ دواعيها كالشهوة و الغضب و غيرها، يحتاج المتعلّم إلى زيادة المشقّة و طول الكسب، و كثرة التعلّم، و إذا غلب العقل على أوصاف الحسّ و دواعيه استغنى الطالب بقليل التفكّر عن كثير التعلّم، و ربّ عالم تفكّر ساعة منه خير من تعلّم سنه من الجاهل، فطريق تكسب العلوم لبعض الناس هو التعلّم و للآخرين هو التفكّر، و الأوّل يحتاج إلى الثاني في الغالب دون العكس، مع أنّ لبيان اختلاف

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٢٥

العلوم الحاصلة من الطرفين كما و كيفا عرضا عريضا، هذا هو الكلام في قسمي التكسب. و أمّا الوهب الإلهي و التعليم الرباني، فهو أيضا قسمان: قسم يختصّ بها الأنبياء و الأولياء الذين هم أوصياء الأنبياء و قد مرّ الكلام فيه، و قسم يشترك فيه سائر الناس أيضا ممن يهتدى بأنواره، و يقتصّ على آثارهم بتخليّة النفس عن الرذائل، و تحليها بالفضائل، بعد ملازمة التقوى، و خلوص النية و التدرّج في مراتب الإيمان و اليقين و الإخلاص و الإحسان الذي هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك.

و قد وردت إليه الإشارة في موارد من الكتاب و السنّة كقوله تعالى: وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يَعْلَمُكُمْ اللَّهُ ﴿١﴾، و قوله تعالى: وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ

اسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَعْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢)، وقوله تعالى: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (٣).

و

عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام على ما أرسله في «غرر الحكم» و «المناقب» أنه سئل عن العالم العلوي فقال عليه السلام: صور عالية عن المواد، عارية من القوة والاستعداد، تجلّى لها ربها فأشرق، و طالعها فتألأت و ألقى في هويتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله، و خلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكّيتها بالعلم والعمل فقد شابته جواهر أوائل عللها، و إذا اعتدل مزاجها، و فارقت الأضداد،

(١) البقرة: ٢٨٢.

(٢) القصص: ١٤.

(٣) الشمس: ١٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٢٦

فقد شارك بها السبع الشداد (١).

و

في «الكافي» و غيره من أخلص لله سبحانه أربعين صباحا، تفجرت من قلبه على لسانه ينابيع الحكمة (٢).

و

عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم ليس العلم بكثرة التعلّم، و إنّما العلم نور يقذفه الله في قلب من يحبّ، فيفتح له، و يشاهد الغيب، و ينشرح صدره فيحتمل البلاء، قيل يا رسول الله و هل لذلك من علامة؟ قال عليه السلام: التجافي عن دار الغرور، و الإنابة إلى دار الخلود، و الاستعداد للموت قبل نزوله.

و

في خبر عنوان البصرى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ليس العلم بالتعلّم، إنّما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك و تعالى أن يهديه فإن أردت العلم فاطلب أولا في نفسك حقيقة العبودية و اطلب العلم باستعماله و استفهم الله يفهمك (٣).

و

في «منية المرید» عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم في وصية الخضر لموسى: يا موسى وطن نفسك على الصبر تلق الحلم، و أشعر قلبك التقوى تنل العلم و رض نفسك على الصبر تخلص من الإثم (٤).

و

في الخبر ما معناه: إنّ عيسى روح الله على نبينا و آله السلام كان يقول للحواريين، ليس العلم في السماء فينزل إليكم، و لا في تخوم الأرض فيصعد عليكم،

(١) غرر الحكم للآمدى ج ١ ص ٤٥٩ حرف الصاد: حديث ٧٥.

(٢)

في البحار ج ١٥ باب الإخلاص ص ٨٧ ط. القديم عن عدّة الداعي عن النبي صلى الله عليه و آله قال: من أخلص لله أربعين يوما فجزّ الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

(٣) بحار الأنوار طبع القديم ج ١ ص ٦٩- و من المطبوع بطهران جديد ج ١ ص ٢٢٥.

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٧٠- و من المطبوع بطهران جديدا ج ١ ص ٢٢٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٢٧

و لكن العلم مجبول في قلوبكم، مركزوز في طبائعكم، تخلقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم.

و

روى أنه قال لبنى إسرائيل: يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من يصعد يأتي به، ولا في تخوم الأرض من ينزل يأتي به، ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به، العلم مجبول في قلوبكم، تأدبوا بين يدي الله بأداب الروحانيين فتخلقوا بأخلاق الصديقين يظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم.

فهذه الأخبار وغيرها مما استفاد منها أن من العلوم الحقّة ما يحصل للإنسان بالإقبال على مراسم العبوديّة، و ملازمة التقوى، و الاعتدال في الأقوال و الأفعال و الأحوال، و هذا هو الذي ربما يسمونه بالكشف الذي هو لغة رفع الحجاب، يقال كشفت المرثة وجهها أي رفعت نقابها، و عندهم هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من الأمور الحقيقية، سواء كانت من الصور المثاليّة، أو من المعاني الغيبية، و يسمّى الأول بالصورى و الثانى بالمعنوى فالصورى ما يحصل في عالم المثال من طريق الحواس الخمس التي لها الإحاطة العنصرية، و المدّة الزمانيّة، سواء كانت تلك الإحاطة من طريق المشاهدة، كروية المكاشف صور الأرواح أن تتجسد و تترائى في صور الأجساد الماديّة إمّا بإرادتها أو بإرادة الرائي أو غيره، و إن كان الكلّ بمشيئته سبحانه و من هذا الباب رؤية جبرئيل في صورة دحية الكلبي «١»، أو في غيرها من

(١) دحية بن خليفة الكلبي من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، و كان يضرب به المثل في حسن الصورة بعثه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، برسالته إلى قيصر يدعو إلى الإسلام، و حضر كثيرا من الوقائع، و شهد اليرموك و عاش إلى خلافة معاوية و مات نحو سنة ٤٥ من الهجرة - الاصابة ج ١ ص ٤٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٢٨

الصور، بل و كذا في الصورة التي راها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أول البعثة حيث قد ملأ الخافقين بل و كذا رؤية غيره من الملكة حتى الذين كانوا يزاحمون الأئمة عليهم السلام في منازلهم، و يتكئون في فرشهم و كانوا يلتقطون من زغبهم، و مشاهدة الأرواح الذين انتقلوا من هذا العالم إلى عالم البقاء كما قد يتفق لبعض الصلحاء بل و كذا الأشقياء، و مشاهدة النعمة و النعمة الحاصلين لهم كما لبعض الناس، بل قد يشاهدون اللهب و النيران المتوقدة المشتعلة من قبور بعض الفجار.

و من هذا الباب مشاهدة الجنّ و الشياطين الذين من الأرواح السفلية الظلمانية، غير أنّ هذه الرؤية قد يكون بعروض التجسم للأرواح فيشترك حينئذ في رؤيته جميع الخلق أو بتغير في أحوال الرائي بحيث ينكشف له شيء من الملكوت فيختص الرائي بالرؤية دون غيره.

و من هذا الباب و لو من بعض الجهات إرائته عليه السلام ملكوت السموات و الأرض لأبي بصير و جابر و غيرها حسبما تأتي إليه الإشارة في تفسير قوله تعالى:

وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ «١»، أو من طريق غير المشاهدة كالسمع و الذوق و اللمس و غيرها، و ذلك أنّ للنفس في ذاتها سمعا و بصرا و شما و ذوقا و لمسا، فهذه أدوات نفسانية كما أنّ من هذه الجهات أدوات جسمانية بدنية، و لعل في قوله تعالى: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ «٢»، إشارة إلى ذلك.

بل و أظهر منه دلالة ما

ورد في تفسيره من أنّ لشيعتنا أربعة أعين عينان

(١) الحج: ٤٦.

(٢) الانعام: ٧٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٢٩

في الظاهر و عينان في الباطن «١»

بعد ظهور ان المراد بالعين مطلق المدرك و لا اختصاص لها بخصوص الجارحة.

بل ورد في خصوص سائر الإدراكات أيضا ما يدل على حصول التجلي و الانكشاف بالنسبة إليها أيضا.

فيدل على السماع ما سمعت من الأخبار الكثيرة الدالة على أن الأئمة عليهم السلام محدثون، بل لا اختصاص له بالإمام (عليه السلام)

لان في خواص شيعتهم أيضا محدثين و سلمان منهم كما مرّ في الخبر المتقدم، و من هنا قيل اشارة إلى هذا المقام فيا لها من كلمات

مسموعة هي عند العارف بها ألطف من النسيم أو أحلى من التسنيم، تتضمن معاني ان تجسدت فهي النور على صفحات خدود الحور

ظاهرا، و ان تروحت رقمت حقائقها بقلم العقل على لوح النفس باطنا.

و يدل على الاستشاق الذي هو التنسم بالنفحات الالهية

النبي المشهور: ان لربكم في أيام دهركم نفحات الافتراضوا لها «٢»

، و

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اني لأجد

(١)

في تفسير الصافي ج ٢ ص ١٢٨ ط. الاسلامية بطهران: في التوحيد و الخصال عن السجاد (عليه السلام) ان للبعد اربع أعين عينان يبصر

بهما أمر دينه و دنياه، و عينان يبصر بهما أمر آخرته فاذا أراد الله بعبد خبر فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما الغيب و أمر

آخرته، و إذا أراد الله به غير ذلك ترك القلب بما فيه.

و

في الكافي عن الصادق عليه السلام إنما شيعتنا أصحاب الاربعة الأعين عينان في الرأس و عينان في القلب ألا و إن الخلاق كلهم

كذلك إلا أن الله عزّ و جلّ فتح أبصاركم و أعمى أبصارهم.

(٢) المحجّة البيضاء: ج ٥ ص ١٥- و أخرجه البخاري و مسلم و الطبراني. تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٣٠

نفس الرحمن من قبل يمن «١»

، و

قوله (ص): تفوح روائح الجنة من قبل قرن، و ا شوقاه إليك يا أويس القرني «٢».

و على الذوق

قوله عليه السلام: اني اظللّ عند ربي فيطعمني و يسقيني «٣»،

و قوله: إنني شربت اللبن حتى خرج الرى بين أظافيري إلى غير ذلك مما يرجع إلى الإدراك الذي هو انكشاف الشيء و رفع الحجاب

بينه و بين الرائي و لذا كان الأولى التعبير عن الجميع به، نعم ربما ذكر بعض الصوفية حصول الكشف بالنسبة إليه سبحانه و لو على

وجه الملامسة المفسرة عندهم بالاتصال بين النورين العلويين، أو بين الجسدين المثاليين.

و استدّلوا له بما

روى عنه عليه السلام من طريق العامة أنه قال: رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة، فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين

ثديي فعلمت علوم الأولين و الآخرين.

و اعتبار خصوص الإدراك أو نوعه و إن كان صحيحا بالنسبة إلى غيره سبحانه بناء على ما سمعت من تروّح الأجساد، و تجسّد الأرواح، إلّا أنّ ذلك بالنسبة إليه سبحانه غير ممكن بناء على ما هو المقرّر عندنا في أصول الإمامية من نفى التشبيه و التمثيل و الرؤية و الإحاطة و التجسّم و غير ذلك مما يذهب إليه مخالفونا، و ان

(١) قال الفيروزآبادي في القاموس: لا تستبوا الريح فإنّها من نفس الرحمن و أجد نفس ربكم من قبل اليمن المراد ما تيسر له (صلّى الله عليه و آله و سلّم)، من أهل المدينة و هم يمانون يعنى الأنصار و هم من الأزدي و الأزدي من اليمن.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩ ط. القديم ص ٦٣٧ عن فضائل ابن جبريل شاذان القمي.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤ ط. القديم ص ١٠٢ عن الاحتجاج.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٣١

واقفهم بعض منا كصاحب المجلى «١»، أو الأسفار «٢»، في هذا النوع من الكشف، غفلة عن حقيقة الحال.

و أمّا ما يوجد في بعض أخبارنا ممّا يوهم ذلك،

كخبر ابن أبي يعفور «٣» المروي في كامل الزيارات لابن قولويه «٤» عن مولانا الصادق (عليه السّلام) قال: بينا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في منزل فاطمة عليها السّلام و الحسين في حجره إذ بكى و خرّ ساجدا ثم قال عليه السّلام: يا فاطمة، يا بنت محمّد إنّ العلى الأعلى ترأى إليّ في بيتك هذا ساعتى هذه في أحسن صورة، و أهيأ هيئته، و قال:

يا محمّد أتحبّ الحسين؟ فقلت: نعم قرّة عيني، و ريحاتي، و ثمرة فؤادي، و جلدة ما بين عيني، فقال لي: يا محمّد، و وضع يده على رأس الحسين عليه السّلام بورك من مولود عليه بركاتى و صلواتى، و رحمتى، و رضوانى و لعنتى و سخطى، و عذابى

(١) قد مرّت ترجمته و هو محمّد بن على بن أبى جمهور الاحسائي و كتابه المجلى في مرآت المنجى كتاب في المنازل العرفانية و سيرها.

(٢) الاسفار الاربعة في الحكمة المتعالية للحكيم المتألّه محمّد بن إبراهيم الشيرازى المتوفى سنة ١٠٥٠ و قد مرّت ترجمته سابقا، قال صاحب الصراط المستقيم في كتابه (نخبة المقال) في حقه:

ثم ابن إبراهيم صدر الأجل\* في سفر الحج (مريض) ارتحل قدوة أهل العلم و الصفاء\* يروى عن الداماد و البهائي

(٣) عبد الله بن أبى يعفور أبو محمّد كوفى ثقة جليل و هو الذى عرض دينه على الصادق (عليه السّلام) و مات في أيامه.

(٤) جعفر بن قولويه القمي من أجلاء الامامية و ثقاتهم في الحديث و الفقه، فضله أشهر من أن يذكر و كتابه (كامل الزيارات) كتاب نفيس، مفيد، توفى سنة ٣٦٧ و دفن في جوار الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليهما السّلام في الكاظمين جنب قبر المفيد (رحمه الله).

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٣٢

و خزيبى و نكالى على من قتله، و ناصبه، و ناواه، و نازعه، أما إنّه سيد الشهداء من الأولين و الآخرين، في الدنيا و الآخرة، و سيّد شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين، و أبوه أفضل منه و خير، فأقرئه السّلام، و بشره بأنّه رأيه الهدى، و منار أوليائى، و حفيظى، و شهيدى على خلقى، و خازن علمى، و حجّتى على أهل السموات و أهل الأرضين، و الثقلين الجن و الانس «١»

و

في الكافي عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤس العباد فجمع بها عقولهم، و كملت به أحلامهم «٢»

و

في النبوى المرسل: قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلّبه كيف يشاء «٣»

، إلى غير ذلك مما يدل على تعلق الرؤية أو اللمس به سبحانه فلعل الخطب فيه سهل بعد قيام القواطع العقلية على تنزيهه سبحانه عن ذلك كله.

ولذا ذكر شيخنا المجلسي (رحمه الله) في شرح الخبر الأول إن العلي الأعلى أي

(١) كامل الزيارات ص ٦٧- وبحار الأنوار عن الكامل ج ٤٤ ص ٢٣٨ ط. الاخوندي بطهران.

(٢) منتخب الأثر عن الكافي ص ٤٨٣- قال المجلسي قدس سره في مرآة العقول في شرح الحديث: الضمير في قوله (يده) اما راجع إلى الله أو إلى القائم (عليه السلام) وعلى التقديرين كناية عن الرحمة والشفقة أو القدرة والاستيلاء وعلى الأخير يحتمل الحقيقة. (٣)

قال المحدث القمي (رحمه الله) في سفينة البحار ج ٢ ص ٢٩٣ ع عن حمران عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إذا كان الرجل على يمينك على رأى ثم تحول إلى يسارك فلا تقل الا- خيرا ولا- تبرأ منه حتى تسمع منه ما سمعت و هو على يمينك على رأى فان القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء إلخ.

قال الصدوق: يعنى بين طريقين من طرق الله يعنى بالطريقين طريق الخير وطريق الشر، ان الله عز وجل لا يوصف بالأصابع ولا يشبهه بخلقه تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٣٣

رسوله جبرئيل أو يكون التراثى كناية عن غاية الظهور العلمى، و حسن الصورة كناية عن ظهور صفات كماله تعالى (عليه السلام)، و وضع اليد كناية عن إفاضة الرحمة «١».

كما أنه يحمل على مثل ذلك أيضا ما

رواه في الكافي في باب بدو الحجر عن مولينا الصادق عليه السلام: إن الله عز وجل وضع الحجر الأسود، و هى جوهرة أخرجت من الجنة إلى آدم عليه السلام، فوضعت فى ذلك الركن لعلمة الميثاق و ذلك أنه لما أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم، حين أخذ الله عليهم الميثاق فى ذلك المكان، و فى ذلك المكان ترائى لهم، و من ذلك المكان يهبط الطير على القائم عليه السلام، فأول من يبايعه ذلك الطائر و هو و الله جبرئيل عليه السلام الخبر «٢»

فان المراد بالتراثى غاية الظهور و الانكشاف بالآيات، أو مقام الخطاب الفحوائى بعد إجابة خطاب كن فى مقام التكوين، أو الاجابة التشريعية فى عالم الذر.

أو غير ذلك مما يحمل عليه أيضا ما ورد فى القرآن كقوله تعالى: وَ جَاءَ رَبُّكَ «٣»، هَيْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ «٤»، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ «٥»، بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ «٦»، وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ «٧»، إلى غير ذلك مما ورد فى الكتاب و السنة. ثم اعلم أن أنواع الكشف الصورى إما أن تتعلق بالحوادث الدنيوية أولا،

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٣٨ ط. الاخوندي بطهران.

(٢) الفروع من الكافي ج ٤ ص ١٨٥ كتاب الحج باب بدء الحجر و العلة فى استلامه.

(٣) الفجر: ٢٢.

(٤) البقرة: ١١٠.

(٥) الفتح: ١٠.

(٦) المائدة: ٦٣.

(٧) القيامة: ٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٣٤

فان تعلق بها سميت عندهم رهبانية، لأطلاعهم على المغيبات الدنيوية الحسية بحسب رياضاتهم و مجاهداتهم، و إن كان قد يحصل ذلك أيضا لغير المسلمين، بل لغير بل لغير المليين كالبراهمة، و الجوكية، و الزنادقية و الكهنه، و أرباب الرياضات الباطلة لأن لأن ترتب بعض العلوم و الآثار على بعض الأفعال و الأحوال من قبيل ترتب الخاصية على ذبيها، على أنه سبحانه قد كتب على نفسه أن لا يرد سائله، و لا يخيب آمله، فإذا كانت عزيمة الطالب استكشاف بعض الغيوب، أو استعلام بعض الوقايح فلربما ناله جزاء لما فعله من الأعمال الصالحة التي أجلها مخالفة النفس الأماره بالسوء، مجازاة له في العاجل، كي يخاطب من الآجل فيمن يخاطب بقوله: أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا «١» و لذا قيل: إن الهمم العالية التي لأهل الله من سلاك الأمم و خواصهم تأبى عن الالتفات فضلا عن الوقوف على هذه الأمور الدنيوية العاجلة فلا يشتغلون بها أصلا، لاستغراقهم فيما هو أجل منه و أعلى و هو الأمور الاخروية، و التجليات الغيبية، و الإشرافات النورية التي هي أشرف و أبهى، بل ربما يعد القسم الأول من قبيل الاستدراج و المكر، بل قيل: إن أصحاب الكرامات محجوبون، و إنهم عن نيل الحقائق معزولون، و إن أرباب الحقيقة هم الذين لا يلتفتون إلى المكاشفات الأخروية أيضا.

كما

ورد الدنيا حرام على أهل الآخرة و الآخرة حرام على أهل الدنيا و هما حرامان على أهل الله تعالى.  
و هذا بل غير القسم الأول من القسمين الأخيرين هو المراد بالكشف المعنوي

(١) الأحقاف: ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٣٥

المتقدم إليه الإشارة كالعلم بأحوال المبدء و المعاد، و أسرار التكوين، و مقامات النفس، و أطوارها، و العلم ببطون الكتاب و تأويله، و إشارات السنه، إلى غير ذلك من أسرار العلوم، و أنوارها، و حقائقها التي يختص بمعرفتها من يشاء من عباده.  
و جملة الكلام في المقام، أن المكاشفات الصورية الصادقة المطابقة مما يشترك فيها المؤمن و الكافر و المنافق، و كذا غيرها من أنواع الكرامات كطى الأرض، و الخفاء عن الأبصار، و تسخير الحيوانات الوحشية و الموزية و إحضار الطعام و الفواكه في غير أوانها، و استجابة الدعوات، و الأخبار عن المغيبات و استنطاق الجمادات، و عدم التأثر بشيء من الآلات القاتلة، كالسموم و السيف و النار، و غير ذلك مما ربما يحصل لأصحاب الرياضات، و التسخيرات و الطلسمات، و العزائم، بل قد يحصل كثير منها بتصفية الباطن، و مخالفة النفس، و تسخير القلب، و تقويته، و غير ذلك مما يقع عن غير المتعبدين بالنواميس الشرعية، و لذا قيل: إنه لا تدل الكرامات على المقامات، و إن توهمه آخرون كما حكى عنهم فيما قيل شعرا:

بعض الرجال يرى كون الكرامات دليل حق على نيل المقامات

و إنها عين بشرى قد أتتك بهارسل المهيمن من فوق السموات

و عندنا فيه تفصيل إذا علمت به الجماعة لم تفرح بآيات

كيف السرور و الاستدراج يصحبها في حق قوم ذوى جهل و آفات

و ليس يدرون حقا أنهم جهلوا و إذا كان من أقوى الجهالات

و ما الكرامة إلا عصمة وجدت في حال قوم و أفعال و نيات

تلك الكرامة لا تبغى لها بدلا و احذر من المكر في طى الكرامات

فخرق العادات المسمى عندهم مع عدم التحدى بالكرامات يقع كثيرا على وجه الإمهال والاستدراج، و تعجيل المثوبة، و التشبث بذوات الخواص و العزائم،

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٣٦

و التسخيرات، و غير ذلك من التمويهات الواقعة بين العلوية و السفلية، مع أن كثيرا من أنواع خرق العادات يشارك فيها الإنسان غيره فان الجن و الشياطين قادرون على الاطلاع بالضمائر و على الخفاء عن الأبصار و على التمثل فى صور كثيرة، و على طي الأرض و على دخول الدار من الجدار و على التصرف و الوسوسة فى الصدور، بل الطيور و كثير من الحيوانات يتمكن من كثير من الخوارق بالنسبة إلى الإنسان و إن لم تكن خارقة بالنسبة إليها.

بل فى «الفتوحات» «١»، أنه سئل أبو يزيد من طي الأرض فقال ليس بشيء فإن إبليس يقطع من المشرق إلى المغرب فى اللحظة الواحدة، و ما هو عند الله بمكان.

و سئل عن اختراق الهواء فقال: إن الطير يخترق الهواء و المؤمن عند الله أفضل من الطير، فكيف يحسب كرامه من شاركه فيها طائر، و هكذا فى غيره، ثم قال: إلهى إن قوما طلبوك لما ذكروه فشغلتهم به و أهلتهم له اللهم مهما أهلتنى لشيء فأهلى لشيء من أشيائك يقول من أسرارك، فما طلب إلا العلم.

ثم هذا كله فى المكاشفات الصادقة، و الكرامات الواقعة الحقة، و أما المكائد و الخدع، و التمويهات و الحيل، و الأخذ على العيون، و غير ذلك مما لا أصل له فلا ينبغى التكلم فيه رأسا.

و أميا المكاشفات المعنوية، و الإشارات العلمية، و التجليات الحقيقية فهى و ان ادعاها كثير من الناس إلا أن أكثرهم عن السمع لمعزولون، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون، و أنهم يقولون ما لا يعلمون.

(١) الفتوحات المكية فى معرفة أسرار المالكية و الملكية مجلدات للشيخ محبى الدين محمد بن على المعروف بابن عربى الطائى المالكى المتوفى سنة ٦٣٨، من أعظم كتبه و آخرها تأليفا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٣٧ و كل يدعى وصلا بليلى و ليلي لا تقر لهم بذاكا إذا انبجست خدود من دموع تبين من بكى ممن تباكا

و حيث إن كلا يدعى لنفسه الإصابة مع الانحرافات العجيبة، و الاعوجاجات الغريبة الواقعة منهم فلا بد من ميزان يتميز به الحق من الباطل و الثابت من الزائل.

اعلم أن قلب الإنسان متجاذب بين الملك و الشيطان، و المطاردة بين جنودهما قائمة فى معركة القلب ما لم يحصل الفتح الكلى لأحدهما، و ذلك أن الله سبحانه ركب فى الأناس قوى متضادة و أرواحا متخالفه كالقوى النباتية و الحيوانية، و البهيمية، و السبعية، و الشيطانية و الملكية القدسية، و الكلية الالهية، و هو فى أصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة و الشياطين بالعلم و العلم، و تركهما على ما فصل فى غير هذا الموضع، فالخواطر الواردة على القلب يمكن أن تكون من الرحمن، و من الشيطان.

كما

ورد عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أن فى القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير و تصديق بالحق، و لمة من العدو إيعاد بالشر و تكذيب للحق و نهى عن الخير فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، و من وجد الآخر فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم قرء صلى الله عليه و آله و سلم: الشيطان يعدكم الفقر، و يأمركم بالفحشاء و الله يعدكم مغفرة منه و فضلا «١» «٢»



(٢)

في الدر المنثور: اخرج الترمذى والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن حيان والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن للشيطان لمةً بآدم وللملك لمةً: فأما لمةُ الشيطان فأيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما لمةُ الملك فأيعاد الخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٣٨

و بوجه آخر القلب دائم الانقلاب والتقلب بين الكينونة المستقيمة الفطرية الطبيعية التي هي على هيكل التوحيد فيترسخ فيه حينئذ الحقائق و يترشح عنه الى ساير الأدوات والأعضاء الأعمال الصالحة، والخيرات والأقوال الحسنة وغيره، وبين الكينونة المعوجة المنحرفة الطبيعية التي هي على هيكل النفاق والشرك، فيترشح منه إلى الأدوات الأعمال القبيحة والنفاق والكذب، وغيرها، فإن القلب خزانه لأعمال الخوارج.

ولذا قال عيسى بن مريم على نبينا وآله وعليه السلام: إن اللسان يتكلم بزوائد القلب ولعل في قول مولينا أمير المؤمنين عليه السلام: «لكن يرشح عليك ما يطفح مني» إشارة إليه مع أن له وجوها أخرى.

و

فى «المجلى» لابن جمهور الاحسائى: روى أن داود ناجى ربه فقال: إلهى لكل ملك خزانه فأين خزانتك؟ فقال جل جلاله: لى خزانه أعظم من العرش، وأوسع من الكرسي، وأطيب من الجنة، وأزين من الملكوت، أرضها المعرفة، وسمائها الإيمان وشمسها الشوق، وقمرها المحبة، ونجومها الخواطر، وسحابها العقل، ومطرها الرحمة، وشجرها الطاعة، وثمرها الحكمة ولها أربعة أركان: التوكل، والتفكر، والأنس، والذكر، ولها أربعة أبواب: العلم، والحكمة، والصبر، والرضا، ألا وهى القلب «١»

الآخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرء: الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ الْآيَةَ.

-الميزان ج ٢ ص ٤٠٤-

(١) بحار الأنوار ج ١٥- أبواب مكارم الأخلاق ص ٣٩ ط. القديم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٣٩

قال: و روى عن وهب بن المتبه «١»، أنه قال: إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: يا موسى جرد قلبك لحبى، فإننى جعلت قلبك ميدان حبى و بسطت فى قلبك أرضا من معرفتى، و بنيت فى قلبك بيتا من الإيمان، و أجريت فى قلبك شمسا من شوقى، و أمضيت فى قلبك قمرا من محبتي، و أسريت نجوما من مرادى، و جعلت فى قلبك عينا من تفكرى، و أدرت فى قلبك ريحا من توفيقى، و أمطرت فى قلبك مطرا من تفضلى، و زرعت فى قلبك زرعا من صدقى، و أنبت فى قلبك أشجارا من طاعتي، و جعلت أوراقها دعائى، و أوليت ثمرها حكمة من مناجاتى، و أجريت فى قلبك أنهارا من دقائق علوم أزلتتى، و وضعت فى قلبك جبالا من يقينى. وهذا كله فى القلوب الصالحة التقية الطيبة الملكية، و أما القلوب الطالحة الشقية الخبيثة الشيطانية فالأمر بالعكس فى كل ما سمعت. و بوجه ثالث قد سمعت أن القلب ينطبع فيه صور المعانى و الحقائق الحقّة الواقعية، و الصور المخترعة الوهميّة، و غيرها ممّا حصل له المحاذاة بالنسبة إليه كما أن المرآة ينطبع فيها صور الأجسام المحسوسة، و أن لكل معنى من المعانى

(١) وهب بن متبه و هو الذى ينقل عنه القطب الراوندى كثيرا و العلماء لا- يعتمدون على متفرداته مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين، و لا سيما الاسرائيليات أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، و أمه من حمير، ولد

بصنعاء سنة ٣٤- وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، و كان يقول: سمعت إثنين و تسعين كتابا كلها أنزلت من السماء، و وجدت في كلها أن من أضاف إلى نفسه شيئا من المشية فقد كفر، يقال: إنه صحب ابن عباس و لازمه ثلاث عشر سنة، له من الكتب قصص الأنبياء و قصص الأخيار، ذكرهما صاحب كشف الظنون، توفي بصنعاء سنة ١١٤.

- سفينة البحار ج ٢ ص ٦٩٣ و الاعلام للزركلى ج ٩ ص ١٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٤٠

و الحقائق الكونية بل الإمكانية صقعا من العوالم، أما في دركات سجين، فالقلب ما دام كائنا في شطر الحق، باقيا وجهه تلقاء عليين ينطبع فيه صور الحقائق و المعانى الحقّة و الواقعية، فإذا صار منكوسا، منحرفا وجهه عن الملكوت الأعلى، حصل له المحاذاة إلى سجين، فينطبع فيه صور الحقائق و المعانى الحقّة و الواقعية، فإذا صاد منكوسا، منحرفا وجهه عن الملكوت الأعلى، حصل له المحاذاة إلى سجين، فينطبع فيه صور الأوهام الباطلة، و الخيالات المخبئة الشيطانية، و الأهواء الرديئة.

و على كل حال فالواردات القلبية كثيرا ما يشتهب حقاها باطلها، و صدقها بكذبها، بل ربما يشتهب أيضا على من خطر له هذه الخواطر، فضلا عن غيره، فلذا مسّت الحاجة إلى إقامة ميزان، يميّز به كل من الآخر.

فمن بعضهم أن الخواطر الملكية ما يدعوا إلى الطاعة و العبادة، و الشيطانية ما يدعوا إلى المخالفة و المعصية، و ردّ بأنه ربما يكون الهّم بالعبادة أفسد من الهّم بالمعصية، لما فيه من مكائد خفية للنفس، و قد يلتم نشاط في العبادة و العبد يظنّ أنه بخلوص القلب، و ربما كان لنفاق خفى منه، و علمه كامن في ذاته من طلب المنزلة و الجاه عند الخلق، بل قيل: إن معرفة تميز الخواطر صعب المنازل جدا لا يكاد يتيسّر إلا بعد استقصاء تامّ في العلوم الحقّة مع التقوى، و انه اتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام لا يفرّق بين الوسوسة و الإلهام.

و عن آخر أن كلّ ما يكون سببا للخير بحيث يكون مأمون الغائلة في العاقبة و لا يكون سريع الانتقال على غيره، و يحصل بعده توجه تامّ إلى الحقّ و لذّة عظيمة مرغبة في العبادة فهو ملكى رحمانى، و إلا شيطانى، و فيه المنع من أطراده و انعكاسه.

و عن ثالث أن ما يظهر من يمين القلب و قدومه أكثره ملكى، و ما يظهر من

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٤١

اليسار و الخلف أكثره شيطانى، و ردّ بأنّ الشيطان يأتي من الجهات كلّها كما يستفاد من قوله: ثُمَّ لَأَيِّنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شِمَائِلِهِمْ وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ «١» نعم قد يقال: إنّ الشيطان لا يأتي من جهة الفوق و التحت، أما الأول فلاّنه لعنه رأى نزول الأنوار على العبد من فوقه فخاف من الاحتراق فلم يتعرّض في إتيانه له، و أما الثانى على خطّ مستقيم مع الفوق، و أنّ ذلك النور متّصل بالتحت للاستقامة، و من هنا وقع النهى عن استقبال القبلة و استدبارها في بعض الأحوال، لأنهما على خط واحد، و لذا خصّ الجهتين بالذكر في قوله: وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ «٢» و على كلّ حال فهذه الموازين و أمثالها مع عدم الإحساس بها غالبا لا أطراد لها، و الميزان الكلى المستفاد من الكتاب و السنّة إنّما هو موافقة الشريعة الطاهرة في الأفعال و الأقوال و الأحوال، و إنّما يكون ذلك بخلوص النية، و نقاء السريرة، و التدرّج في مراتب الايمان، و التحقّق بمقام اليقين و الإحسان، و المداومة على اقامة الفرائض و السنن، و مجانبة الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، و الاجتهاد في التوجه و الإقبال في جميع الأفعال و الأعمال كى يصير ساير عاداته من العبادات و التوسل بأبناء القربان و وظائف الطاعات، و ملازمة قراءة القرآن، و الأدعية و ساير الأذكار، مع التذكر و التدبر و ساير الوظائف الشرعية، و الإشتغال بالتفكر في الموت الذى هو حيوة القلوب، و فى أثناء الليل و النهار، و تذكر قوله تعالى:

(٢) المائدة: ٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٤٢

وَ أَذْكَرَ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَ الْأَبْصَارِ «١»، إِنَّا أَخْلَصَيْنَاهُمْ بِخَالِصِيَّةٍ ذَكَرَى الدَّارِ «٢»، وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ «٣»، وَ التَّفَرُّغَ للتفكر فى خلق الآفاق و الأنفس، و التدبّر فى بدیع صنعہ سبحانہ لیلاً و نهاراً، هذا كله مع ملازمته التقوى، و دوام الطهارة الظاهرة و الباطنة، و التخلّى عن الأخلاق و الصفات الذميمة التى هى الرذائل، و التخلق بالأخلاق الحميدة التى هى من الفضائل و الاعتدال و التوسط فى جميع ذلك و غيره حتى الأكل و الشرب و النوم و التكلّم و المعاشرة مع الخلق، و سائر الأفعال البدنية و النفسانية، و دوام الاستقامة فى كلّ ما مرّ و فى غيره ممّا هو من مقتضيات الولاية، و صدورها من جهة الشوق و المحبة، فإذا استقام على جميع ذلك كان مخلصاً له سبحانہ فى جميع أحواله و أطواره و شؤنه، و فينفجر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، و يعتدل مزاجه، و يستوفى أخلاقه، فيقوى اثر النفس فيه، فيكون محسناً فى عمله، فيأتيه العلم و الحكمة من دون التعلّم بمقتضى الآية.

بل

قد روى عن مولينا الباقر عليه السلام أنّه قال: ما من عبد أحبنا و زاد فى حبنا و أخلص فى مودتنا و سئلنا مسئلة إلا أجبناه و نفشنا فى روعه جواباً لتلك المسئلة.

و بالجملة فهذا العبد حينئذ تنكشف له الحقائق الواقعية و يتجلّى له الصور المطابقة العملية، و مع ذلك فلا بدّ أن يزنه بميزان الشريعة، فإن كان ما انكشف له من العلوم موافقاً لما ثبت فى الشريعة سواء كان من أصول العقائد أو الفروع العلمية، فليحمد الله سبحانہ على الاستقامة، و إن كان مخالفاً لما هو الثابت فيها فليتهم نفسه،

(١) ص ٤٥.

(٢) ص: ٤٦.

(٣) ص: ٤٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٤٣

لأنّ هذه المخالفة لا تكون إلّا عن اعوجاج فى النظر أو انحراف فى الأعمال و مبادئها و لو من غير التفات و تذکر منه لذلك فإن المرآة إذا كانت منحرفة فى وضعها، أو معوجة فى نفسها ظهر الانحراف و الاعوجاج فى الصور المنطبعة فيها.

و بالجملة فالكشف الصحيح ما ينتج الاستقامة فلا يزال يزيد العلم بالعمل و العمل بالعلم، و هو المراد بما فى الخبر عن الصادق عليه السلام: بالحكمة تستخرج غور الحكمة.

و بالجملة فالكشف الصحيح الصريح فى الصور المثالية فى الحقائق العملية إنّما يحصل بما سمعت إجماله من الإخلاص فى العبودية و إن شئت فسّمه رياضه شرعية، و أمّا الرياضات التى وضعتها و ابتدعتها الجوكية و السحرة و أصحاب التسخير و العزائم، و غيرها فهى من البدعة التى كلّها ضلالة.

و

قد قال عليه السلام: كلّ بدعة ضلالة، و كلّ ضلالة سبيلها إلى النار «١»

، بل و كذا الرياضات المبتدعة من المتصوفة لتجريد نفوسهم، و تصفية أرواحهم فإنّ تلك الرياضات مشوبة بالباطل، موصلة اليه. أما الأوّل فلما فيها من تحليل بعض المحرّمات، و تحريم بعض المحلّلات و عدم الخلوص فى التّية و رفض الطاعات، بتوهم الوصول إلى مقام اليقين، و تخريب سنّة سيّد المرسلين كما لا يخفى على من اطّلع على مقالاتهم الشنيعة و بدعهم المحدثه.

و أمّا الثاني فلأنّ الحاصل من تجلياتهم و مكاشفاتهم فى خلواتهم و رياضاتهم فى ما يقضى ضرورة الدين ببطلانه كالقول بوحدة الوجود الشائع الذائع فى جمهور المتصوفة، كما يشهد به كلماتهم و أشعارهم فى هذا الباب.

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٣٠٨ و ص ٣٠٩ ط. الاخوندى بطهران.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٤٤

قال ابن العربى: سبحان من أظهر الأشياء و هو عينها، و قال:

فوقتا يكون العبد ربّاً بلا شك و وقتا يكون الربّ عبداً بلا إفك.

و قال فى ديباجة ما سمّاه بالفتوحات: إن خاطب عبده فهو المسمع السميع، و إن فعل ما أمر به بفعله فهو المطاع المطيع، ثم أنشد:

الربّ عبد و العبد حقّ يا ليت شعرى من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت ربّ أنى يكلف

فهو سبحانه يطيع نفسه إذا شاء بخلقه، و ينصف نفسه مما تعين عليه من واجب حقّه، فليس إلّا أشباح خالية، على عروشها خاوية.

و قال فى «الفصوص» فيحمدنى و أحمده، و يعبدنى و أعبده، ففى حال أقرّ به، و فى الأعيان أجحده.

و قال الجندى «١»:

البحر بحر على ما كان فى القدم إنّ الحوادث أمواج و أنهار

لا يحجبك أشكال تشاكلها عمّن تشكّل فيها و هى أستار

و له أيضاً:

هو الواحد الموجود فى الكلّ وحده سوى أنّه فى الوهم سمي بالسوى

و قال بعضهم:

فلما أضاء الفجر أصبحت عارفاً بأنك مذكور و ذكر و ذاكر

(١) الجندى لعله هو الجنيد البغدادي سعيد بن محمّد الخزاز، الزجاج النهاوندى الأصل بغدادى المولد و المنشأ و المدفن من مشاهير

العرفاء و أكابر الصوفية، كان تلميذ سفيان الثورى، توفى ببغداد سنة ٢٩٧- وفيات الأعيان ج ١ ص ١١٧-

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٤٥

و قد اشتهر عن بعض مشايخهم «١»، سبحانى سبحانى ما أعظم شأنى، و إنى انا الله و إنّه ليس فى جبتى إلا الله، إلى غير ذلك من

الهدايات و الخرافات التى لو لا المراد إظهار شاعتها لما ساغ التعرّض لها، و ستمس كثيرا من كلمات الملام صدرًا، و المحدث الفيض

فى ذلك، بل من اطّلع على كلماتهم فى ذلك يعلم أنّهم قد ملئوا فيه الكتب و الرسائل.

و كالقول بالأعيان الثابتة، و الصور العلمية، و قدم القرآن، و أنّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء و إنّ الله أحب أن يعبد فى كل صورة،

صرّحوا بأنّه ما عبد غير الله فى كل معبود، إذ لا غير فى الوجود، حتى أنّ من يعبد الشمس و القمر و الأضنام، و الأحجار، و العجل، و

غيرها، فإنما يعبد الله فى صورة التقييد، و لذا أنشد ابن العربى فى ذلك:

عقد الخلائق فى الإله عقائدًا وأنا شهدت جميع ما اعتقدوه

لما بدا فى صورهم متحوّلاً قالوا بما شهدوا و ما جحدوه

قد أعذر الشرع الموحّد وحده و المشركين شقوا و إن عبده

و كالقول بأنّ فرعون اللعين خرج من الدنيا موحّداً، خالياً عن جميع الذنوب و المعاصى «٢»، و أنّ أبا طالب رحمه الله مات مشركاً

(١) هو أبو يزيد البسطامي طيفور بن عيسى من أكابر متقدمي الصوفية، و في المستشرقين من يرى انه كان يقول بوحدة الوجود، و انه ربما كان أول قائل بمذهب الفناء، و شطيجاته معروفة منها انه كان يقول: انى انا الله لا إله إلا انا فاعبدون، و منها انه كان يقول: سبحانى و ما أعظم شأنى.

- الاعلام زر كلى ج ٣ ص ٣٣٩- و تذكرة الأولياء للعطار ص ١١٢.

(٢) قال ابن العربى فى الفصوص و شارحه فى الفصّ الموسوى: فقالت لفرعون فى حق موسى انه قرء عين لى و لك فيه أى فى موسى «قرء عينها بالكمال الذى حصل لها و كان قرء عين لفرعون

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٤٦

«٣»، كما ذهب إلى القولين ابن

بالايمان الذى أعطاه الله عند الغرق» و ذلك لأنّ الحقّ تكلم بلسانها من غير اختيارها و أخبر بأنه قرء عين لها و لفرعون فوجب أن يكون كذلك فى نفس الأمر «فقبضه» اى الحق «طاهرا مطهرا ليس فيه شىء من الخبث لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئا من الآثام و الإسلام يجب ما قبله و جعله آية على عنايته سبحانه بمن شاء حتى لا يياس أحد من رحمة الله، فأنه لا يياس من رحمة الله إلا القوم الكافرون، فلو كان فرعون ممن يياس ما بادر إلى الايمان.

- شرح نهج البلاغة للخوئى ج ١٣ ص ١٤٦-

(٣) أبو طالب بن عبد المطلب اسمه عبد مناف و قيل اسمه عمران، و قيل اسمه كنيه كان رضوان الله عليه عالما كبيرا أديبا محلقا، شاعرا مجيدا، له ديوان مطبوع يحتوى على الشعر الرائق، و كان مجاهدا فى سبيل الله، يعمل الخير من أجل الخير، يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و هو الذى قرء دية المقتول ألف دينار أو مائة إبل و قد أمضاها الإسلام و كان بعد أبيه سيد البطحاء، و رئيس قريش و الناس يعظّمونه و بنو هشام يأترون بأمره، و ينزجرون بزجره، و كان كافل رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلّم)، و ناصره منذ مات أبوه عبد المطلب و كان يؤثر الرسول (صلّى الله عليه و آله و سلّم)، على نفسه و أهله بالنفقة و الكسوة، و لا يبارحه ليلا و نهارا، و يقتفى اثره و يتبعه اتباع الظل، حتى إذا بلغ (صلّى الله عليه و آله و سلّم)، أشده و بعث من الله تعالى للهداية، و نازع معه الكفار و أهل الغواية، كان أبو طالب يومئذ أشدّ حام له (صلّى الله عليه و آله و سلّم)، كما أنّ ابنه على بن أبى طالب عليه السلام أول من آمن برسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلّم)، هو أيضا أول من أعلن حمايته له (صلّى الله عليه و آله و سلّم)، و قال: فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة و أبشر بذاك و قرّ منك عيوننا

و دعوتى و علمت أنّك صادق و لقد صدقت و كنت ثمّ أمينا

و لقد علمت بأنّ دين محمد من خير أديان البرية دينا

و الله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا

و كان النبى (صلّى الله عليه و آله و سلّم) فى أيام الحصار فى الشعب إذا أخذ مضجعه و نامت العيون جاء أبو طالب و أنهضه (صلّى

الله عليه و آله و سلّم)، عن مضجعه و أضجع عليا (عليه

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٤٧

السلام)، مكانه و وكلّ عليه ولده و ولد أخيه.

توفى أبو طالب مسلما مؤمنا فى آخر السنة العاشرة من مبعث الرسول (صلّى الله عليه و آله و سلّم)، ثمّ توفيت خديجة بعده بثلاثة أيام

فسمي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ذلك العالم عام الحزن فقال (عليه السلام): وما زالت قريش قاعدة عنى حتى مات أبو طالب.

و من الأسف جداً تحريف هذه الشخصية الكبرى ونسبته إلى الكفر حسداً و بغياً عليه و على أمير المؤمنين ولده العزيز من أراد الاطلاع تفصيلاً عن كلمات الأعداء فى حقه و الجواب عنهم فليراجع الكتب القيمة، المصنفة فى ايمان أبى طالب و إليك ما تيسر لنا ذكره:

١- منى الطالب فى ايمان أبى طالب لآبى سعيد النيسابورى.

٢- ايمان أبى طالب لأحمد بن القاسم.

٣- البيان من خيرة الرحمن لأبى الحسن على بن بلال.

٤- ايمان أبى طالب لأبى على الكوفى أحمد بن محمّد.

٥- ايمان أبى طالب لأبى الحسين أحمد بن محمّد بن طرخان.

٦- ايمان أبى طالب للشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن نعمان.

٧- ايمان أبى طالب لآبى محمّد سهل بن احمد الدياجى.

٨- منية الطالب للسيد حسين الطباطبائى اليزدى.

٩- مقصد الطالب للميرزا محمّد حسين المطبوع فى بمبئى.

١٠- القول الواجب للشيخ محمّد على الفصيح.

١١- بغية الطالب للسيد القاضى التستري الهندى.

١٢- ايمان أبى طالب للسيد احمد بن طاووس.

١٣- ايمان أبى طالب لأبى نعيم على بن حمزة البصرى.

١٤- أسنى المطالب للسيد احمد بن السيد زينى الشافعى.

١٥- مواهب الواهب للشيخ جعفر نقدى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٤٨

العربى و غيره.

و كالمقول بانقطاع العذاب للمشركين و الكفار من أهل النار، و أن النار تصير رحمة لهم، و العذاب عذاباً للمجانسة «١»، و بجواز خلف الوعيد و غيرهما من الوجوه

١٦- ابو طالب مؤمن قريش للخنيزى.

١٧- الحجّة على الذهاب للسيد شمس الدين بن معد.

١٨- ابو طالب و بنوه للسيد محمّد على آل السيد عليخان.

(١) قال ابن العربى فى الفص اليونسى من الفصوص: و أمّا أهل النار فما لهم إلى النعيم و لكن فى النار إذ لا بدّ لصورة النار بعد انتهاء حدّة العقاب أن يكون برداً و سلاماً على من فيها و هذا نعيمهم فنعيم أهل النار بعد استيفاء الحقوق نعيم خليل الله حين القى فى النار. قال القيصرى فى شرحه: أى مال أهل النار إلى النعيم المناسب لأهل الجحيم إمّا بالخلاص من العذاب و الالتذاذ به بالعود أو تجلّى الحق فى صورة اللطف فى عين النهار كما جعل النار برداً و سلاماً على إبراهيم و لكن ذلك بعد انتهاء مدة العقاب كما جاء: ينبت فى قعر جهنم الجرجير، و ما جاء نص بخلود فى النار و لا يلزم منه الخلود فى العذاب.

وقال القيصري أيضا في شرحه الفصّ الهودي: و اعلم أنّ كل من اكتحلت عينه بنور الحق يعلم أنّ العالم بأسره عباد الله و ليس لهم وجود و صفة و فعل إلا- بالله و حوله و قوته، و كلهم محتاجون إلى رحمته و هو الرحمن الرحيم و من شأن من هو موصوف بهذه الصفات أن لا- يعذب أحدا عذابا أبدا و ليس ذلك المقدار من العذاب أيضا إلا لأجل إيصالهم إلى كمالهم المقدره لهم كما يذهب الذهب و الفضه في النار لأجل الخلاص مما يكدره و ينقض عبادته فهو متضمن لعين اللطف و الرحمه كما قيل: و تعذيبكم عدل و سخطكم رضا و قطعكم وصل و جوركم عدل

قال شارح نهج البلاغه العلامة الخوئي بعد ذكر هذه الكلمات السخيفه:

أقول: فلينظر العاقل إلى هذين الضليلين كيف يخالفان إجماع المسلمين، و ينبذان آيات الكتاب المبين وراء ظهورهما بأرائهم الفاسده و الاستحسانات الكاسده، و يعتمدان في ذلك

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٤٩

الضعيفه التي ستسمع ضعف الجميع، سيما بعد قيام ضروره دين الإسلام على فساد، و تظافر الآيات و الأخبار الداله على خلودهم فيها معذبين.

بل هذا القول و إن أبداه ابن العربي و تبعه فيه كثير من المبتعدين و المنحرفين عن طريقه الأئمه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، بل ربما مال إليه بعض المنتحلين بهذا الدين كالصدر الأجل الشيرازي في بعض كتبه، إلا أنه مقاله شردمه من اليهود حيث قالوا: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً «١»، فرد الله عليهم بقوله: قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ «٢»، بلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «٣»، الى غير ذلك من المذاهب السخيفه الباطله التي يدعون فيها الكشف و الشهود، مع قيام قواطع الأدله على خلافها، حسبما سمعت شطرا منها.

بل ربما يدعون أنهم قد شاهدوا في مكاشفاتهم و تجلياتهم و لبعض مشايخهم أو خلفائهم مناصب جليله، و مراتب عظيمه ربما تكون مضحكه للثكلي بل ذكر مميت الدين ابن العربي في حتوفاته في ترجمه من سمّاهم بالأولياء الرجيين: ان الذي رأته منهم قد أبقى عليه كشف الروافض من أهل الشيعة في تمام السنه، فكان يراهم خنازير، فأتى الرجل المستور الذي لا يعرف عليه هذا المذهب قط، و هو

على أخبارهم المجعوله و أحاديثهم الموضوعه، و قد تبعهما في حديثهم المرسل المجعول المتصوف الجامي في شرح منتخب الفصوص حيث نقل عن النبي (ص) إن بعض أهل النار يتلعبون بالنار، و هذه الأحاديث مضافا إلى مخالفتها لصريح الآيات و روايات المتواترات قد نصّ في أخبارهم بأنها مجعوله كاذبه.

(١) البقره: ٨٠.

(٢) البقره: ٨٠.

(٣) البقره: ٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٥٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٥

في نفسه موف به يدين به ربه، فاذا مرّ عليه يراه في صوره خنزير فيستدعيه و يقول له تب إلى الله فإنك شيعي رافضي، فيبقى الآخر متعجبا من ذلك، فإن تاب و صدق في توبته رآه إنسانا، و إن قال به بلسانه تبت و هو يضمّر مذهبه لا يزال يراه خنزيرا، فيقول كذبت في قولك تبت، إلى آخر ما ذكره لعنه الله و أخزاه فإنه أخبر من كشفه عن سؤته فهذا حال من ادّعى منهم الكشف و الشهود.

دم زند از كشف و نبود جز هوس كشف عورت ميکند اما ز پس

و دع الخطب فيه و فى أصحابه و أحزابه الذين كانوا على السنة الشنيعة

فدع عنك نهبا صحيح فى حجراته و لكن حديثا ما حديث الرواحل

و هلم الخطب فى بعض من تبعهم على غرة و غفلة من الشيعة الإمامية الذين لم يقتضوا آثار أئمتهم فى مذاهبهم، و مشاربهم، و مسالكهم حتى ظهر منهم القول بوحدة الوجود، و الأعيان الثابتة، و انبساط وجوده على الأعيان و القول بفاعليته بالتجلى لا الاختيار

«١»، و أن عذاب النار ينقطع عن الكفار و هذا كله إنما نشأ من انحرافات الطريقة، و اعوجاج السليقة، و قد قال سبحانه: وَ أَنْ لَوْ

اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا «٢» و المراد بالطريقة مقتضيات الولاية، و قد أمر بالوزن و اقامة الميزان فى قوله:

وَ زِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ «٣»، و قوله: وَ السَّمَاءُ (أى النبوة) رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ (أى الولاية)

(١) قدر مر تفصيل هذا القول فى التعليقات السابقة.

(٢) الجن: ١٦.

(٣) الإسراء: ٣٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٥١

أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَ أَقِيمُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ «١» و بالجمله فإقامة ولايتهم قولا- و فعلا و عملا و قلبا و إرادة و

اعتقادا هى الميزان العدل المستقيم الذى يعرف به الحق من الباطل.

كما

ورد فى أخبار كثيرة ليس منا من يدعى ولايتنا و هو متشبث بفروع غيرنا.

فإن قلت: إننا نعلم كثيرا ممن يدعى الكشف يتراءى لهم فى مكاشفاتهم ما هو مخالف عندك للحق و هو صادق فى دعواه للكشف،

غير متعمد للكذب فما السبب الذى يكشف به الباطل مع أن فتح هذا الباب يؤول إلى سد باب الكشف رأسا لفقد الترجيح و الأولوية،

و تطرق الاحتمال فى كل حال؟

قلت: لا ريب أن الكشف الصحيح يتضمّن أمرين:

أحدهما إصابة الواقع سواء كان المنكشف عن الصور المثالية الحسية أو النسب العلمية.

و الآخر ظهور المنكشف على وجه الانجلاء و الوضوح.

أمّا الأول فالطباع و الأذهان سيما بعد التشبث بالأديان مختلفة فى كمية الإصابة، و كيفيتها، و سرعتها، و بطؤها، و سائر مشخصاتها، و

القطرة و إن كانت مجبولة على الإصابة، و إدراك الوقائع، إلّا أنها غير باقية على ما فطرها الله عليه، و كلما اقترف الإنسان ذنبا و إن

تعقّب التوبة و المغفرة فقد عصمه و استقامته لا ترجع إليه أبدا، أم حسب الذين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا

الصّالحاتِ سِوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ «٢»

(١) الرحمن: ٩.

(٢) الجاثية: ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٥٢

و لعل تأثير بعض الانحرافات و الاعوجاجات بمنزلة ذى الخاصية غير مشروط بالعلم، بل يؤثر مع الجهل أيضا، فاذا بقى العبد على

جادة الشريعة مراعىا لوظائف العبودية، و حقوق الولاية فحينئذ ينجلى فى قلبه ضياء العلم و الحكمة و المعرفة، فيشرح صدره و يتسع

قلبه لقبول الأعمال الحسنة، و لو رود الخواطر الملكوتية على قلبه، فبورود الواردات الملكية يقوى على الأعمال المرضية، و بممارسة



الأعمال الحسنه يستعد قلبه لقبول أشعة أنوار العلم و المعرفة، فكل من الواردات القلبية و الأعمال البدنية يقوى على صاحبه، بل كان كل منهما مقدمة إعدادية، أو عليه مادية للآخر، بل لا يخفى سريان الحكم إلى جميع الواردات و الأعمال، إن خيرا فخير، و إن شرا فشر، فإذا كانت الأعمال و الأفعال و الأقوال و الأحوال كلها على نهج الاستقامة و الاعتدال على حسب ما يقتضيه إقامة الولاية كانت الثمرات المترتبة، و المخاطر الواردة كلها على نهج الصواب و السداد، و ان كان العكس فالعكس، ضرورة أن استقامة الشاخص يلزمه استقامة الظل، و يستلزم الاعوجاج الاعوجاج: وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي خَبَثَ لَآيَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا «١»، و هو ما يقتضيه الفطرة الأصلية التي ربما يظهر مقتضياتها عند مصادفة عدم مزاحمة الموانع.

و بالجملة فالإصابة إنما تترتب على ملازمة الصواب، فإذا كان هناك انحراف في شيء من العقائد أو الأعمال انحرف بقدره وجه القلب الذي قلنا إنه كالمرآة عن المحاذاة و إذا تعدى عن السنة و المنهاج حدث فيه الاعوجاج. و أما الثاني فاعلم أن مراتب الرؤية القلبية مع قطع النظر عن كونها على وجه

#### (١) الأعراف: ٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٥٣

الصواب أو الخطأ تختلف باعتبار شدة ظهور المرئي و خفائه، و بينهما مراتب لا تكاد تنتهي كما أن مراتب الرؤية البصرية تختلف أيضا هذا الاختلاف و إن لم تكن افرادها كالأولى في الكثرة، فإذا نظرت في ظلمة الليل الدامس «١»، إلى رجل واقف في مقابلتك فلعلك لا ترى شخصه و لا شبحة أصلا فإذا انكشف السحاب، و تجلى لك بعض النجوم ترى شبعا قائما في مقابلتك غير أنك لا تعلم أنه إنسان أو حجر موضوع أو شيء آخر من الأجسام، فإذا طلع الفجر تبين لك أنه إنسان لكنك لا تعرف شخصه و لا اسمه و بزيادة النور يزيد العلم بخصوصياته و مشخصاته حتى أنك بعد طلوع الشمس تعرف أوصاف الشخصية من لونه و شكله، و تخطيط أعضائه و خصوصيات حركاته و أفعاله فينجلى لك جميع ذلك انجلاء ظاهرا واضحا مكشوف لا خفاء فيه أصلا بل لا يخفى أنك ربما ترى شيخ ذلك الرجل و أنت تعرفه في ظلمة الليل، ثم يتوارد عليه في رؤيته مراتب الظهور و الانجلاء بعد شدة الظلمة و الخفاء، و المرئي في جميع ذلك هو ذلك الرجل المعلوم أولا.

و هذا الكلام في الرؤية القلبية بلا فرق بين الصواب منها و الخطأ، كما أنه لا فرق في الرؤية البصرية بين الأحوال و الصحيح. و بالجملة فالاعتقادات الراسخة في القلب حقا كان أو باطلا- يشتد ظهورها و انجلاؤها و انكشافها بالمجاهدات و الرياضات التي مدارها عندهم على الأمور الأربعة و هي الجوع، و السهر، و العزلة، و الصمت. أمّا الجوع فإنه ينقص دم القلب فيبيضه، و في بياضه نوره، و يذيب شحم الفؤاد، و في ذوبانه رفته، و كما أن قسوته سبب الحجاب فرقتة سبب الانجلاء

#### (١) الدامس: المظلم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٥٤

و الكشف.

ولذا

روى أن الله تعالى أوحى إلى داود النبي على نبينا و آله و عليه السلام يا داود حدّر و أنذر أصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة «١»

عن مولينا الصادق (عليه السلام): اجتمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم «٢».

و

عن المسيح الملكوتي على نبينا وآله و عليه السلام: يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم «٣»  
في الخبر: إن البطنة تमित الفطنة.

و

في النبوى: أحيوا قلوبكم بقلّة الضحك و الشيع و طهروا بالجوع تصفوا «٤»

و

فيه مثل الجوع مثل الرعد، و القناعة كالسحاب، و الحكمة كالمطر «٥»

و بالجملة فالجوع يلزمه صفاء القلب، و فراغ النفس، و خفة الطبع و إيقاد القريحة، و نفاذ البصيرة، و رقة القلب و صفائه الذى به يتهيأ  
الإنسان لإدراك لذّة المناجاة، و للتأثر من الذكر، برفع حجاب قساوة القلب التى تمنع من ذلك، مع

(١)

روى فى معالم العبر فى استدراك البحار السابع عشر عن الاختصاص قال الله لداود (عليه السلام): يا داود احذر القلوب المعلقة  
بشهوات الدنيا فإن عقولها محجوبة عنى.

معالم العبر: ص ٢٤.

(٢) رواه فى احياء الأحياء ج ٥ ص ١١٦ عن جعفر بن حميد.

(٣)

قال فى احياء الأحياء ج ٥ ص ١٤٨: قال عيسى (عليه السلام): أجيءوا أكبادكم و أعروا أجسادكم فلعلى قلوبكم ترى الله (عز و جل).

(٤) احياء الأحياء ج ٥ ص ١٥٤.

(٥) احياء الأحياء ج ٥ ص ١٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٥٥

ما يلزمه من الانكسار، و قمع الشهوات، و الذلّ، و رفع الأشر و البطر الذى هو مبدء الطغيان، و الغفلة عن الرحمان، فقد قيل: إنه لا  
تنكسر النفس و لا تذللّ بشيء مثل ما تذللّ بالجوع، فعنده تستكين لربّها، و تخشع له و تشاهد عجزها و ضعفها، حيث إنّها عجزت، و  
ذلت، و ضعفت، و أظلمت عليها الدنيا و ضاقت حياتها، و استكانت لربّها، بلقمة طعام فاتتها، أو شربة ماء تأخرت عنها، و ما لم يشاهد  
الإنسان ذلّ نفسه، و عجزها، لا يرى عزة ربّه، و قهره، و جلالته «١» ثم لا يخفى أن مبدء المعاصى كلّها هو الشهوات النفسانية، و  
الميول الحيوانية التابعة للقوى الطبيعية، و الإرادية، و مادّة كلّ ذلك هى الأطعمة التى يستمدّ منها القوى البهيمية و الشهوات النفسانية،  
فتقليلها يضعّف جميعها، فيجعلها مقهورة، تحت سلطان العقل، فالسعيد من ملك نفسه، و الشقى من ملكته نفسه، و أمّا النفس كالدابة  
الجموح إذا جاعت ضعفت، و ضمرت، و انقادت، و إذا شبت قويت، و شردت، و جمحت و لذا قيل: إنّ الجوع كنز الفوائد و مجمع  
العوائد و إنّ خزائنه من خزائن الله تعالى، و لعلّه أيضا أحد الوجوه

فى النبوى (ص): المعدة بيت كلّ داء، و الحمية رأس كلّ دواء

، ثم إنّ الجوع يعين على غيره من الأمور الأربعة المذكورة و على غيرها.

أمّا السهر فقلّة الأكل، و خلوّ المعدة، و قلّة الأبخرة المتصاعدة و ضعف القوى البدنية كلّها تعين عليه، و سبب الجميع هو الجوع، كما  
أنّ الشبع سبب لأضدادها، و لذا قيل: لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا، فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا «٢»، و السهر يجلى القلب، و ينوّره، و

يصفيه، فيصير القلب كالمرآة المجلوة المستعدة

(١) احياء الأحياء ج ٥ ص ١٥٥.

(٢) احياء الأحياء ج ٥ ص ١٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٥٦

لظهور ما قوبل بها فيها.

و أما العزلة و الصمت فالمقصود الكلى منهما دفع الشواغل الخارجة، و ضبط السمع و البصر الذين هما دهليز القلب عن الواردات الشاغلة له عما ينبغي الاشتغال به، و لذا قيل: إن القلب بمنزلة حوض تنصب فيه مياه كدرة قدرة من أنهار الحواس، و المقصود من الرياضة تفرغ الحوض من تلك المياه، و من الطين الحاصل فيه لينحضر أسفل الحوض، فينفجر منه الماء اللطيف الطاهر فكيف يصح أن ينزع الماء من الحوض و الأنهار مفتحة إليه فيتجدد في كل حاله أكثر مما ينقص، فلا بد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة. و بالجملة فالذي ذكره من الرياضة بالأمر الأربعة، و غيرها مما يوجب صفاء النفس و تفرغها، و ميلها إلى عالم الأعلى إنما يوجب في الغالب صيرورة المعتقدات بمنزلة المشاهدات، و أما الإصابات و المطابقة للواقع فإنما هي أمر آخر وراء ذلك حسبما مرت إليه الإشارة، و إنما تحصل بملازمة الشرع و مداومة التقوى، و الاعتصام بحبل الولاية، و لزوم الاستقامة من البداية إلى النهاية. و لذا ترى كثيرا من العامة بل غيرهم من فرق الكفر و الشرك أيضا ينكشف لهم في رياضاتهم و مجاهداتهم المنحرفة المبتدعة صحة مذاهبهم الباطلة و عقائدهم السخيفة الزائلة كما هو المعروف من ابن العربي في مشاهداته و غيره، بل ربما تقذف الشياطين في قلوبهم، و يسمعهم صوتها في آذانهم كما

سمعه الحسن البصرى حين تهيتاً لقتال البصرة على ما رواه في الاحتجاج عن ابن عباس قال: مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بالحسن البصرى «١»، و هو يتوضأ فقال عليه السلام: يا حسن أسغ

(١) الحسن البصرى بن اليسار، أو سعيد: تابعى، كان من الزهاد الثمانية و أمه خيرة مولاة أم سلمة تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٥٧

الوضوء، فقال: يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس أناسا يشهدون أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، يصلون الخمس، و يسبغون الوضوء، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدونا؟ فقال: و الله لأصدقنك يا أمير المؤمنين لقد خرجت في أول يوم فاغتسلت، و تحنطت، و صببت علىّ سلاحى، و انا لا أشك في أنّ التخلف عن أم المؤمنين عائشة هو الكفر، فلما انتهيت إلى موضع من الحزبية «١»، نادانى مناد: يا حسن إلى أين؟ إرجع فان القاتل و المقتول فى النار، فرجعت ذعرا «٢»، و جلست فى بيتى، فلما كان

زوجه النبى صلى الله عليه و آله، ولد الحسن سنة ٢١ بالمدينة و استكتبه الربيع بن زياد والى خراسان فى عهد معاوية، و سكن البصرة. فى كتاب العدد للشيخ رضى الدين على بن يوسف بن مطهر الحلّى أن الحسن البصرى كتب إلى الحسن بن على عليهما السلام: أما بعد فأنتم أهل بيت النبوة، و معدن الحكمة، و إن الله جعلكم الفلك الجارية فى اللجج الغامرة يلجأ إليكم اللاجئ، و يعتصم بحبلكم العالى، من اقتدى بكم اهتدى، و من تخلف عنكم هلك و غوى، فكتب عليه السلام اليه: أما بعد فإننا أهل بيت كما ذكرت عند الله و عند أوليائه، فما عندك و عند أصحابك فلو كنا كما ذكرت ما تقدمتمونا و لا و لا استبدلتم بنا غيرنا، و لعمرى لقد ضرب الله مثلكم فى كتابه حيث يقول: أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ الْخ

، توفي الحسن البصري سنة ١١٠ هـ، قال ابن أبي الحديد: و ممن قيل فيه إنه يبغض عليا و يذمه الحسن البصري، و روى أن عليا عليه السلام راي الحسن البصري يتوضأ في ساقية فقال عليه السلام: أسبغ طهورك قال لقد قتلت بالأمس رجلا كانوا يسبغون الوضوء، قال عليه السلام: و إنك لحزين عليهم؟ قال: نعم فقال عليه السلام: فأطال الله حزنك.

- ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٥٤- سفينة البحار ج ١ ص ٢٦٣.

(١) الحزيبه بضم الحاء و فتح الزاء كجهينه موضع بالبصرة تسمى البصرة الصغرى.

(٢) الذعر بضم الذال، و فتحها هو الخوف- المنجد ص ٢٣٥- تفسير الصراط المستقيم، ج ١، ص: ٤٥٨

اليوم الثاني لم أشك أن التخلف عن أم المؤمنين عائشة هو الكفر، فحنطت و صببت على سلاحي، و خرجت إلى القتال، حتى انتهيت إلى موضع من الحزيبه فناداني مناد من خلفي يا حسن إلى أين مرّة بعد اخرى؟ فإن القاتل و المقتول في النار، قال علي عليه السلام: صدقت أفتدري من ذلك المنادي؟ قال: لا، قال علي (عليه السلام): ذاك أخوك إبليس و صدقك أن القاتل منهم و المقتول في النار «١»

، إلى غير ذلك مما لا يحصى، و هذا كله من وحى الشياطين المشار اليه بقوله: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ «٢»، و قوله: شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا و لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ و مَا يَفْتُرُونَ «٣»، و لَتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ و لَيَرْضُوهُ و لَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ «٤» انتهى المجلد الأول و له الحمد

(١) الاحتجاج طبع النجف مطبعة النعمان ج ١ ص ٢٥٠.

(٢) سورة الانعام آية ١٢١.

(٣) سورة الانعام: ١١٢.

(٤) سورة الانعام: ١١٣.

## الجزء الثاني

### إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد و آله الطيبين الطاهرين.

و بعد، هذا هو الجزء الثاني من مقدّمة الكتاب القيم «الصراط المستقيم» تأليف العلامة النحرير، و الرجالي الخبير، و المفسّر البصير، آية الله السيد حسين بن السيد رضا البروجردى قدس الله سرّه العزيز.

و هذا الجزء كسابقه يحتوى على مطالب رشيقة، و حقائق دقيقة ينبغى لكل سالك سبيل فهم القرآن الكريم أن يعلمها.

المفتقر إلى رحمة ربّه الغفور غلام رضا بن علي أكبر الملقّب ب «مولانا» البروجردى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧

## الباب الخامس

في أن في القرآن تبيان كل شيء و جامعته للعلوم و الحقائق و كيفية انشعابها منه

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩

اعلم أن العلم التفصيلي بهذا الباب لا- يحصل إلا- لمن آتاه الله علم الكتاب، و فصل الخطاب، و ميز القشر من اللباب، و كان واقفا مقيما في الكون الكبير على باب الأبواب، لإطاعه على حقائق الملك و الملكوت، و إفاضته على سرادق سلطان الجبروت، و دوام فقره و عبوديته و انقطاعه الى الحى الذى لا يموت، كى يطّلع بعد ذلك بما هنالك من أسرار التشريع و التكوين، و ينطبق عنده إشارات التدوين، و أما نحن و من هو فى درجتنا فإنما آمنّا بذلك من جهة الإيمان بالغيب الذى هو من مراتب الإيمان و درجات التقوى و ذلك لما تقرر عندنا من مساوغة التدوين للتكوين بعد ما استفاضت به الأخبار من

أن نبينا صلى الله عليه و آله قد أشهده الله خلق خلقه، و ولّاه ما شاء من أمره و أنّه صلى الله عليه و آله و آله يعلمون جميع ما فى السماوات و الأرض و ما فيهن و ما بينهن و ما فوقهن و ما تحتهن، كل ذلك علم إحاطة، كما ورد فى بعض الأخبار . و يشهد له الإعتبار، أو علم اخبار كما هو القدر المعلوم من الشريعة.

هذا مضافا الى الآيات و الأخبار الدالة على اشتماله على كل شىء من التكوينات و التشريعات، كقوله: ما فرطنا فى الكتاب من شىءٍ «١»، و قوله:

وَ كُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ «٢»، بناء على إرادة الكتاب منه، و قوله:

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) يس: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠

وَ مَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ «١»، و قوله: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ «٢»، الى غير ذلك من الآيات الظاهرة بنفسها لعمومها فى ذلك، سيما بعد ورود البيان و التفسير لها فى الأخبار.

فروى العياشى فى تفسيره عن مولانا الصادق عليه السلام قال: (نحن و الله نعلم ما فى السماوات، و ما فى الأرض، و ما فى الجنة، و ما فى النار، و ما بين ذلك) ثم قال: إن ذلك فى كتاب الله، ثم تلا هذه الآية: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ «٣».

و

فى الكافى عنه عليه السلام: (إن الله أنزل فى القرآن تبيان كل شىء حتى و الله ما ترك شيئا يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد أن يقول: لو كان هذا أنزل فى القرآن إلّا و قد أنزله الله فيه) «٤».

و

فيه عنه عليه السلام: (إنى لأعلم ما فى السموات و ما فى الأرض، و أعلم ما فى الجنة و أعلم ما فى النار، و أعلم ما كان و ما يكون، ثم سكت هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه) فقال عليه السلام: (علمت ذلك من كتاب الله عزّ و جلّ، إن الله يقول: «فيه تبيان كل شىء» «٥»).

و

فيه عنه عليه السلام: ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا و له أصل فى كتاب الله، و لكن

(١) النمل: ٧٥.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) تفسير العياشى ... طبع طهران ج ٢ ص ٢٦٦، البرهان ج ٢ ص ٣٨٠.

(٤) الأصول من الكافي ج ١ ص ٥٩.

(٥) الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٦١، ط. الآخوندي مع تعليقه الغفاري، و لا يخفى أن جملة (فيه تبيان كل شيء) نقل بالمعنى لأنها تكون هكذا تبيانا لكل شيء. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١  
لا تبلغه عقول الرجال «١».

و

عن أبي جعفر عليه السلام: إن الله لم يدع شيئا يحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه و بينه لرسوله، و جعل عليه دليلا يدل عليه، و جعل على من تعدى ذلك الحد حدا «٢».

و

فيه عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إذا حدثتكم بشيء فاستلوني أين هو من كتاب الله عز و جل؟ ثم قال في بعض حديثه: إن رسول الله صلى الله عليه و آله نهى عن القيل و القال، و فساد المال و كثرة السؤال، فقيل له: يا بن رسول الله أين هذا من كتاب الله تعالى؟ قال عليه السلام: إن الله يقول: لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ «٣»، و قال: لا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا «٤»، و قال: لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ «٥» «٦».

و

فيه عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (و الله إنني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأثني في كفي، فيه خبر السماء و خبر الأرض، و خبر ما كان، و خبر ما هو كائن، قال الله عز و جل: «فيه تبيان كل شيء» «٧».

(١) الأصول من الكافي ج ١ ص ٦٠.

(٢) الأصول من الكافي ج ١ ص ٥٩.

(٣) النساء: ١١٤.

(٤) النساء: ٥.

(٥) المائدة: ١٠١.

(٦) الأصول من الكافي ج ١ ص ٦٠.

(٧) الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٢٩، قد مر أن جملة «فيه تبيان كل شيء» نقل بالمعنى فإنها في القرآن هكذا: تبيانا لكل شيء.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢

و

في «تأويل الآيات» نقلا عن «مصباح الأنوار» لشيخ الطائفة بالإسناد عن المفضل قال: دخلت على الصادق عليه السلام ذات يوم، فقال لي يا مفضل هل عرفت محمدا و عليا و فاطمة و الحسن و الحسين عليهما السلام كنه معرفتهم؟ قلت: يا سيدي و ما كنه معرفتهم؟ قال عليه السلام: يا مفضل من عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمنا في السنم الأعلى «١»، قال: قلت: يا سيدي عرفني ذلك، قال: يا مفضل تعلم أنهم علموا ما خلق الله عز و جل و ذراه و برآه، و أنهم كلمة التقوى، و خزان السماوات و الأرضين، و الجبال، و الرمال، و البحار، و علموا كم في السماء من نجم، و ملك، و وزن الجبال، و كيل ماء البحار، و أنهارها، و عيونها، و ما تسقط من ورقة إلا علموها، و لا حجة في ظلمات الأرض، و لا رطب و لا يابس إلا في كتاب مبين «٢» و هو في علمهم و قد علموا ذلك، فقلت يا سيدي و قد علمت ذلك و أقررت به و آمنت قال عليه السلام: نعم يا مفضل يا مكرم، نعم يا محبور، نعم طيب طبت و طابت لك الجنة و لكل مؤمن بها «٣».

و

في «البصائر»، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبيه، عن أبي الحسن الأول عليه السّلام: قال: قلت له: جعلت فداك، النبيّ صلّى الله عليه وآله ورث علم الأنبياء كلّهم؟

قال عليه السّلام: نعم، قلت: من لدن آدم إلى انتهى الى نفسه؟ قال: نعم قلت: ورثهم النبوة و ما كان في آباءهم من النبوة والعلم؟ قال عليه السّلام: ما بعث الله نبيا إلّا و قد كان محمّد صلّى الله عليه وآله أعلم منه، إلى أن قال عليه السّلام و سليمان بن داود قال للهدد حين فقده

(١) السنام الأعلى: أي أعلى مدارج الإيمان، و سنام كلّ شيء أعلاه.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٠٣ ط القديم عن مصباح الأنوار. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣

و شكّ في أمره: ما لي لا أرى الهدّيد أمّ كان من الغائبين «١» و كان المردة «٢» و الريح، و النمل، و الإنس، و الجنّ، و الشياطين له طائعين، و غضب عليه، فقال:

لُعَدَّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ «٣» و إنّما غضب عليه لأنه كان يدلّه على الماء، فهذا و هو طير قد أعطى ما لم يعط سليمان. الى أن قال عليه السّلام: إنّ الله يقول في كتابه: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى «٤» فقد ورثنا نحن هذا القرآن، فعندنا ما تسير به الجبال، و تقطع به البلدان، و يحيى به الموتى بإذن الله، و نحن نعرف ما تحت الهواء، و إن كان في كتاب الله آيات ما يراد بها أمر من الأمور التي أعطاه الله الماضين النبيين و المرسلين إلّا و قد جعله الله تعالى ذلك كله لنا في أمّ الكتاب، إنّ الله تبارك و تعالى يقول: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ «٥»، ثم قال عزّ و جلّ: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا «٦»، فنحن الذين اصطفانا الله فقد ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء. «٧»

و

في «تفسير القمي» و غيره عن مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام في خبر طويل و فيه: فجاءهم النبيّ صلّى الله عليه وآله بنسخة ما في الصحف الأولى، و تصديق الذي بين يديه،

(١) النمل: ٢٠.

(٢) المردة: بفتح الميم و الراء و الدال جمع المارد و هو العاصي و المراد بها الجن.

(٣) النمل: ٢١.

(٤) الرعد: ٣١.

(٥) النمل: ٧٥.

(٦) فاطر: ٣٢.

(٧) البحار ج ١٤ ص ١١٢ ح ٤ عن الكافي ج ١ ص ٢٢٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤

و تفصيل الحلال من ريب الحرام، و هو ذلك القرآن، فاستنطقوه و لن ينطق لكم أخباره، فيه علم ما مضى، و علم ما يأتي إلى يوم القيامة، و حكم ما بينكم، و بيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لأخبركم عنه لأنّي أعلمكم الخبر «١».

و

في «البصائر» عن الصادق عليه السّلام إنّ في القرآن ما مضى و ما يحدث و ما هو كائن.

و

في «الكافي» عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث أنه قال: ما من شيء تطلبونه إلّا و هو في القرآن فمن أراد ذلك فليسألني عنه «٢».

و

عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له مذكورة في نهج البلاغة: ثم أنزل عليه الكتاب نورا لا- تطفأ مصابيح، و سراجا لا يخبو توقده، و بحرا لا يدرك قعره و منهاجا لا يضلّ نهجه، و شعاعا لا يظلم ضوئه، و فرقانا لا يخمد برهانه، و بيانا لا تهدم أركانه، و شفاء لا تخشى أسقامه، و عزّا لا تهزم أنصاره، و حقّا لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان و بجوحته «٣» و ينابيع العلم و بحوره، و رياض العدل و غدرانه «٤» و أثافي «٥» الإسلام و بيانه، و أودية الحقّ و غيطانه «٦»، و بحر لا ينزفه

(١) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٢ ط القديم.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٦ ط القديم.

(٣) بجوحه المكان- بضم البائين -: وسطه.

(٤) الرياض: جمع روضة و هي مستنقع الماء في رمل أو عشب، و الغدران بضم الغين: جمع غدير: القطعة من الماء يغادرها السيل، و المراد أن القرآن يجمع العدل تلتقى فيه متفرقاتها.

(٥) الأثافي: جمع أثفية و هو الحجر يوضع عليه القدر، أى: عليه قام الإسلام.

(٦) غيطان: جمع غاط أو غوط، و هو المطمئن من الأرض،

يقول عليه السلام: القرآن منابت الحق يزكو الحق بها و ينمو. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥

المنتزقون «١» و عيون لا ينضبها الماتحون «٢» و مناهل لا يغيضها الواردون «٣» و منازل لا يضلّ نهجه المسافرون، و أعلام لا يعمى عنها السائرون و آكام لا يجوز عنها القاصدون «٤» جعله الله ريبا لعطش العلماء «٥»، و ربيعا لقلوب الفقهاء، و محاج لطرُق الصلحاء «٦» و دواء ليس بعده داء، و نورا ليس معه ظلمة، و جبلا وثيقا عروته، و معقلا منيعا ذروته، و عزّا لمن تولّاه، و سلما لمن دخله، و هدى لمن أتمّ به، و عذرا لمن انتحلّه، و برهانا لمن تكلمّ به، و شاهدا لمن خاصم به، و فلجا لمن حاجّ به «٧» و حاملا لمن حمّله، و مطية لمن أعمله، و آية لمن توسّع، و جنة لمن استلأم «٨»، و علما لمن وعى، و حديثا لمن روى، و حكما لمن قضى «٩».

و

في «المناقب» عن بكير بن أعين قال: قبض أبو عبد الله عليه السلام ذراع نفسه و قال: يا بكير هذا و الله جلد رسول الله صلّى الله عليه و آله و هذه و الله عروق رسول الله صلّى الله عليه و آله، و أعلم ما في الأرض، و أعلم ما في الدنيا، و أعلم ما في الآخرة، فرأى تغير جماعة، فقال: يا بكير إنّي لأعلم ذلك من كتاب الله إذ يقول:

(١) لا ينزفه: أى لا يفنى مائه و لا يستفرغه المغترفون.

(٢) و لا ينضبها- كيكرها-: أى لا ينقصها، و الماتحون جمع ماتح: نازع الماء من الحوض.

(٣) المناهل: جمع المنهل: مواضع الشرب من النهر، و لا يغيضها من باب الإفعال: أى لا ينقصها.

(٤) آكام: جمع أكمة: و هو الموضوع المرتفع و هو دون الجبل في غلظ لا يبلغ الحجرية.

(٥) الرى- بكسر الراء و فتحها-: مصدر روى يروى من باب علم: روى من الماء: أى شرب و شبع.

(٦) المحاج جمع محجة: و هي الجادة من الطريق.



(٧) الفلج بفتح الفاء، الظفر و الفوز.

(٨) الجنة بضم الجيم: ما به يتقى الضرر، و استلام: لبس اللامة و هي الدرع أو جميع أدوات الحرب.

(٩) نهج البلاغة تأليف السيد الرضى المتوفى سنة ٤٠٦ فى ذيل خطبة ١٩٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦  
نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ «١» «٢».

و

فى تفسير فرات عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: سلونى قبل أن تفقدونى فوالذى فلق الحبّة و برىء النسمة إنى لأعلم بالتوراة من أهل التوراة، و إنى لأعلم بالإنجيل من أهل الإنجيل، و إنى لأعلم بالقرآن من أهل القرآن، و الذى فلق الحبّة و برىء النسمة ما من فئة تبلغ مائة إلى يوم القيامة إلّا و أنا عارف بقائدها و سائقها، سلونى عن القرآن، فإنّ فى القرآن بيان كلّ شىء، فيه علم الأولين و الآخرين، و إنّ القرآن لم يدع لقاتل مقالا: و ما يعلّم تأويله إلّا الله و الرّاسخون فى العلم «٣».

و

عن كتاب سليم بن قيس فى خبر طويل أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال: يا طلحة إن كلّ آية أنزلها الله تعالى على محمّد صلّى الله عليه و آله عندى يأملاء رسول الله صلّى الله عليه و آله و خطى بيده، و تأويل كلّ آية أنزلها الله على محمّد صلّى الله عليه و آله و كلّ حلال، أو حرام، أو حدّ، أو حكم، أو شىء تحتاج إليه الأمة الى يوم القيامة عندى مكتوب يأملاء رسول الله صلّى الله عليه و آله و خطى بيدي، حتى أرش الخدش الخير «٤».

(١) النحل: ٨٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٣٠٢ و ج ١٩ ص ٢٣ ط. القديم.

(٣) بحار الأنوار ج ٧ باب جهات علومهم ص ٢٩٠ ط. القديم عن فرات بن إبراهيم.

(٤) بحار الأنوار ج ٧ باب جهات علومهم ص ٢٩١ ط القديم كتاب سليم بن قيس. و لا يخفى أن سليم بن قيس كان من كبراء أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام و مصنفيهم و كان هاربا من الحجاج لأنه طلبه ليقته فلجأ الى أبان بن عياش فأواه فلما حضرته الوفاة قال لأبان: إن لك علىّ حقا و قد حضرتنى الوفاة يا بن أخى أنه كان من أمر رسول الله صلّى الله عليه و آله كيت و كيت، و أعطاه كتابا و هو كتاب سليم بن قيس المشهور، رواه عنه ابن أبى عياش لم يروه عنه غيره، و كتابه هذا أقدم كتاب صنّف فى الإسلام فى عصر التابعين بعد كتاب السنن لابن أبى رافع و كان ذلك الكتاب فى جميع الأعصار أصلا ترجع الشيعة اليه و تعول عليه حتى روى فى حقه عن الصادق عليه السّلام أنه قال: و من لم يكن عنده من شيعتنا و محبينا كتاب تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧

و

عن الحسن بن سليمان «١» فى كتاب «المختصر» ممّا رواه من كتاب نوادر- الحكمة عن أبى الحسن الأول عليه السّلام فى قوله: و لو أنّ قرآنا سيّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو كلّم به الموتى «٢» فقد أورثنا الله تعالى هذا القرآن، ففیه ما يسير به الجبال و تقطّع به الأرض و يكلم به الموتى، إنّ الله تعالى يقول فى كتابه العزيز: و ما من غائبة فى السّماء و الأرض إلّا فى كتاب مبين «٣»، و قال تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا «٤» فنحن الذين اصطفانا الله عزّ و جلّ فورثنا هذا الكتاب الذى فيه كلّ شىء «٥».

و

فى «البصائر» عن عبد الأعلى قال أبو عبد الله عليه السّلام ابتداء منه: و الله إنى لأعلم ما فى السموات و ما فى الأرض، و ما فى الجنة و ما فى النار، و ما كان و ما يكون إلى أن تقوم الساعة، ثم قال: أعلمه من كتاب الله أنظر اليه هكذا ثم بسط كفيه ثم قال عليه السّلام إنّ الله يقول: و نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ «٦» «٧».

و

فيه بأسانيد عديدة عنه عليه السّلام: إِنِّي لأعلم ما فى السموات و أعلم ما فى الأرضين و أعلم ما فى الجنّة، و أعلم ما فى النّار، و أعلم ما كان و ما يكون، ثم

سليم بن قيس فليس عنده من أمرنا شيء.

مقدمه بحار الأنوار للشيخ عبد الرحيم الشيرازى.

(١) الحسن بن سليمان بن خالد البجلي فاضل، فقيه، تلميذ الشهيد، و يروى عنه، له مصنفات منها مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله الأشعري، و منها المختصر فى الرد على الذين أنكروا حضور النّبي و الأئمة عليهم السّلام عند المحتضر.

(٢) الرعد: ٣١.

(٣) النمل: ٧٥.

(٤) فاطر: ٣٢.

(٥) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٩١ باب جهات علومهم و ما عندهم من الكتب ط القديم.

(٦) النحل: ٨٩.

(٧) بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٠٢ باب أنهم عليهم السّلام لا يحجب عنهم علم السماء و الأرض. ط القديم. تفسير الصراط المستقيم،

ج ٢، ص: ١٨

مكث هنيهة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه، فقال عليه السّلام: علمت ذلك من كتاب الله تعالى إن الله يقول: «فيه تبيان كل شيء»  
«١» «٢».

و

فى «الخرائج» عن عبد الله بن الوليد السمان قال: قال الباقر عليه السّلام: يا عبد الله ما تقول فى على و موسى و عيسى؟ قلت: ما عسى أن أقول، قال عليه السّلام: هو و الله أعلم منهما ثم قال: أستم تقولون: إن لعلى ما لرسول الله صلى الله عليه و آله من العلم؟ قلنا: نعم، و الناس ينكرون، قال عليه السّلام فخاصمهم فيه بقوله تعالى لموسى: وَ كَتَبْنَا لَهُ فى الألواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ «٣»، فعلمنا أنه لم يكتب له الشىء كله، و قال لعيسى:

وَ لِأَتَبِينَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ «٤» فعلمنا أنه لم يبين له الأمر كله، و قال لمحمد صلى الله عليه و آله: وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ «٥» «٦».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التى ربما مرّ و يمرّ عليك ذكر بعضها فى طى المقدمات، و فى تضاعيف تفاسير بعض الآيات، و هى كما ترى ما بين ظاهرة و صريحة فى ذلك، و العموم فى بعضها كالمشتملة على ما تحتاج إليه الأئمة، و حد كل شىء حتى أورش الخدش، و غيرها و إن من كان جهة الأحكام الشرعية، و الأمور التعبدية، إلا أنه لا منافاة فيها لما يدل عليه غيرها ظهوراً أو صراحة من

(١) قد مر سابقاً ان هذه الجملة «فيه تبيان كل شيء» ليست من القرآن، بل هى منقولة بالمعنى من آية:

وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٠٢ باب أنهم عليهم السّلام لا يحجب عنهم علم السماء و الأرض. ط القديم.

(٣) الأعراف: ١٤٥.

(٤) الزخرف: ٦٣.

(٥) النحل: ١٩.

(٦) بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٢٢ باب أنهم عليهم السلام أعلم من الأنبياء. ط. القديم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩

الشمول للحوادث، و الكينونات الدنيوية، و الأخروية، و لذا صرّحوا عليهم السلام بأنّ فيه علم ما فى السماوات و ما فى الأرض، و ما فى الجنة، و ما فى النار إلى غير ذلك مما يؤيد به الآيات المتقدمة، و إلّا فالإنصاف أنّها أيضا مستقلة فى الدلالة على ذلك بعمومها الذى ينبغى صرفه إلى الحقيقة.

و توهم أنه مشتمل على آيات و ألفاظ معدودة متناهية دالة بوجوه الدلالات العرفية المنحصرة فى الثلاث «١» فكيف يكون المدلول بها تلك المعانى الكثيرة المشتملة على جميع ما مضى و ما يأتى إلى يوم القيامة، بل و بعد القيامة من الأحوال، و الأطوار، و الأفعال الكثيرة المتجددة الغير المتناهية الدائمة بدوامه سبحانه.

مدفوع بأنّ قلّة الألفاظ و تهايتها لا تمنع من كثرة المعانى و لا تهايتها إذا كانت هناك سعة من جهة الدلالة، ألا ترى أنّ الحروف المقطعة منحصرة فى ثمانية و عشرين حرفا و بها يعبر من حيث وجوه التركيب و فنون الترتيب عن جميع المعانى و المقاصد التى يقع التعبير عنها بين أهل العالم فى محاوراتهم، و مكاتباتهم، و تصانيفهم، فالمعانى لا ريب فى لا تهايتها مع أنه يعبر عنها بالألفاظ و إن لم يحط التعبير إلّا بالمحدود منها.

فإن قلت: إنّ وجوه الدلالة محصورة معروفة عند أهل المعرفة باللسان

(١) الدلالة اللفظية الوضعية تنقسم على ثلاثة أقسام: المطابقة و التضامن و الالتزام كما قال الفتازانى فى التهذيب: دلالة اللفظ على تمام ما وضع له مطابقة و على جزئه تضامن و على الخارج التزام. و كما قال المتأله السبزوارى فى منطقته: دلالة اللفظ بدت مطابقة حيث على تمام معنى وافقه

و ما على الجزء تضامنا و سم و الخارج المعنى التزام إن لزم تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠

فلو دلّ القرآن على جميع المعانى و المفاهيم و الحقائق و الوقائع و الحوادث اليومية الجزئية حتى خصوص الحركات الصادرة عن خصوص أفراد الإنسان فى جميع الأزمان بل سائر الشؤون و الأحوال و الأطوار و الحركات، و الخطرات، و الإرادات، و الاقتضاءات الواقعة فى جميع العوالم من الغيب، و الشهادة فى الفلكيات و العنصرية، و المركبات المعدنية، و النباتية، و الحيوانية لفهمها أهل اللسان الذين قد أنزل الله تعالى بلسانهم الرسول و القرآن كما قال: «و ما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومهم» «١»، و قال: نزل به الروح الأمين\* على قلبك لتكون من المنذرين\* بلسان عربى مبين «٢» و قال: ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر «٣» و قال: إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون «٤».

إلى غير ذلك من الآيات و الأخبار الدالة على ذلك على أنّ المفسرين من الخاصية العامة قد تصدّوا لتفسيره و تنقيره، و تشمروا للفحص عن تنزيله و تأويله فلم يزيدوا على ما دونوه من تفاسيرهم مع أنّهم ذكروا كلّ ما قيل من حقّ أو باطل، و أين هذا من كلّ الأحكام التى ذكروا أنّ القرآن لا- يستفاد منه إلّا أقل قليل من مجملاتها، و لذا فزعوا إلى العمل بأخبار الآحاد، بل إلى سائر الطرق الظنية فى استنباط الأحكام الشرعية، بل أين هذا من جميع الحقائق التكوينية و الحوادث الكونية المتعلقة بجميع ذرات العالم مما كان أو يكون إلى يوم القيامة.

قلت: هذا كلّه اجتهاد فى مقابل النصوص، و جرأة فى الردّ على أهل الخصوص، و قد قال سبحانه:

(٢) الشعراء: ١٩٣-١٩٥.

(٣) القمر: ١٧.

(٤) الزخرف: ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ «١» و ذلك أنك قد سمعت منا أولاً أن التصديق التفصيلي في هذا الباب غير ممكن لنا، كيف و هو موقوف على تمام العلم و الإحاطة بظاهر القرآن و باطنه، و باطن باطنه، و هكذا إلى سبعة بطون أو سبعين بطنا أو أزيد من ذلك، بل قد ورد أن الكلمة من آل محمد عليهم السلام لتنصرف على سبعين وجهاً فما ظنك بالقرآن الذي لا يعلمه إلا الله و الراسخون في العلم.

ولذا

قال مولانا الباقر عليه السلام لقتاده «٢» على ما رواه في «الكافي» في الصحيح و يحكك يا قتاده إن كنت قد فسرت من الرجال فقد هلكت و أهلكت، و يحكك يا قتاده إنما يعرف القرآن من خوطب به «٣»

و

قال مولانا الصادق عليه السلام لابن الصباح: إن الله علم نبيه التنزيل و التأويل، فعلمه رسول الله صلى الله عليه و آله أنه خطب خطبة ذكر فيها:

أن علياً هو أخي، و وزيرى، و هو خليفتى و هو المبلغ عنى، إن استرشدتموه أرشدكم، و إن خالفتموه ظلمتم، إن الله أنزل على القرآن و هو الذى من خالفه ضلّ، و من يتبغى علمه عند غير على هلك «٤».

و

قال مولانا الرضا عليه السلام لابن الجهم «٥» اتق الله، تأول كتاب الله برأيك، فإن الله

(١) يونس: ٣٩.

(٢) قتاده بن دعامة من أكابر محدثي العامة و مفسريهم، و قيل إنه أحفظ أهل البصرة و كان رأساً في العربية و مفردات اللغة و أيام العرب و النسب، و يظهر منه أنه كان محباً لعلى أمير المؤمنين عليه السلام حيث سمع خالد بن عبد الله قوله السىء فى على عليه السلام قام فانصرف قائلاً فى حق خالد: زنديق و رب الكعبة. ولد قتاده فى سنة ٦١ هـ و مات بواسط فى الطاعون سنة ١١٨ هـ.

(٣) بحار الأنوار ج ٧ ص ١٣٩ ط القديم باب تأويل قوله تعالى: سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّاماً الْخ.

(٤) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٨٢ ط القديم عن الأمالى للصدوق.

(٥) ابن الجهم هو على بن محمد بن الجهم هو من المنحرفين عن أهل البيت، و لذا قال الصدوق فى العيون بعد ما نقل كلماته مع على بن موسى الرضا عليهما السلام فى مجلس المأمون: هذا الحديث غريب من طريق على بن محمد بن الجهم مع نصبه، و بغضه، و عداوته لأهل البيت عليهم السلام. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢

يقول: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ «١». «٢»

و

قال عليه السلام فيما كتبه للمأمون: إن الأئمة عليهم السلام هم المعبرون عن القرآن و الناطقون عن الرسول بالبيان «٣».

و

قال مولانا الصادق عليه السلام بعد ذكر كلام طويل فى تفسير القرآن إلى أقسام و فنون و وجوه تزيد على مائة و عشر إلى أن قال: و

هذا دليل واضح على أن كلام الباري سبحانه لا يشبه كلام الخلق كما لا تشبه أفعاله أفعالهم و لهذه العلة و أشباهها لا يبلغ أحد كنه حقيقة تفسير كتاب الله تعالى إلا نبهه و أوصيائه «٤».

ثم اعلم أن ما ذكر في السؤال من حصر وجوه الدلالة فيما هو المعروف عند أهل العرف ممنوع جدا فإن التفاهم بالدلالات الثلاث إنما هو للعامة و للخواص و الخصاصين طرق أخرى لا- يجرى بها القلم، و لا يحتوى عليها الرقم، و ناهيك في ذلك أن جواب كل سؤال مطوّى فيه مستفاد منه بالقواعد التفسيرية التي ليست من الدلالات اللفظية، بل يشهد به أيضا ملاحظة العلوم المستنبطة من الحروف المقطعة في فواتح السور. و

قول أبي جعفر عليه السلام لأبي لبيد: إن لي فيها لعلمًا جمًّا «٥» ، و استخراج قيام الأئمة و الخلفاء منها.

و ما ذكره عليه السلام في جواب وفد «٦» فلسطين حيث سألوا عن الصمد من العلوم الغريبة التي يشتمل على جملة منها الخبر إلى أن قال عليه السلام: لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عزّ و جلّ

(١) آل عمران: ٧.

(٢) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٨ باب تفسير القرآن بالرأى ط. القديم.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٢٢ ط. دار الكتب الإسلامية بطهران.

(٤) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٨ عن المحكم و المتشابه للسيد المرتضى ص ٥.

(٥) الصافي للفيض في تفسير سورة البقرة ذيل تفسير (الم) ص ٥٧ ع العياشي

(٦) الوفد بفتح الواو و سكون الفاء: قوم يجتمعون فيردون البلاد. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣

حملة لنشرت التوحيد، و الإسلام، و الإيمان و الدين، و الشرائع من الصمد، و كيف لي بذلك و لم يجد جدى أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه، حتى كان يتنفس الصعداء و يقول على المنبر: سلونى قبل أن تفقدونى، فإن بين الجوانح منى لعلمًا جمًّا هاه هاه ألا لا أجد من يحمله الخبر «١».

و ما يأتي نقله عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من طرق الخاصة و العامة من تفسير بسم الله لابن عباس ليلة تأمّيه، و أنّه قال: لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير بسم الله.

إلى غير ذلك ممّا لا يخفى على من جاس «٢» خلال ديارهم، و له أنس بأخبارهم، و استنار قلبه بتجلّى أشعة أنوارهم.

و أما كون القرآن عربيًّا أنزله الله تعالى تفهيمًا و تبيانًا للناس فلا ينافى ما ذكرناه، لأننا لا نمنع دلالة ظاهرة كسائر الألفاظ و العبارات، لجريانه على طريقة العرف و اللغة، إنما الكلام في أنّ فيه وجوها من الإشارة و الدلالة، يستنبط منها الأمور التكوينية، و الأحكام الشرعية بأسرها، و إنّما يعلمها النبي صلّى الله عليه و آله و آله الطيبون الذين يستنبطونه منه. و لذا

قال مولانا الصادق عليه السلام على ما رواه في الغوالي «٣»: القرآن على أربعة أشياء: على العبارة، و الإشارة، و اللطائف،

(١) تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٧١٣، بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٢٥ ط. الآخوندى بطهران.

(٢) جاس يجوس جوسا الشيء: طلبه بالحرص و الاستقصاء.

(٣) غوالى اللثالى لابن أبى جمهور الأحساوى فى الحديث لم يعتمد العلماء عليه. قال المجلسى قدس سرّه فى الفصل الثانى من مقدمة البحار: كتاب غوالى اللثالى و إن كان مشهورا و مؤلفه فى الفضل معروفا لكنه لم يميز القشر من اللباب، و أدخل أخبار المتعصبين بين روايات الأصحاب فلذا اقتصرنا منه على نقل بعضها. و قال صاحب الحدائق بعد نقل مرفوعة زرارة فى الأخبار العلاجية: أن الرواية

المذكورة لم نقف عليها في غير كتاب الغوالي مع ما هي عليها من الإرسال، و ما عليه الكتاب المذكور من نسبة صاحبه الى التساهل في نقل الأخبار، و لإهمال و خلط غثها بسمينها، و صحيحها بسقيمها كما لا يخفى على من لاحظ الكتاب المذكور. مقدمة البحار ط. الآخوندى بطهران. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤

و الحقائق، فالعبارة للعوام و الإشارة للخواص، و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء «١».

و من جميع ما مرّ يظهر الجواب عن اقتصار المفسرين على الظاهر، بل و عن الاستبعاد الذى فى السؤال حسبما قد ينسب الى بعض الأذهان و إن لم ينطق به اللسان بعد تظافر الأخبار، و تكاثر الآثار، بل قد ظهر مما مرّ و من التأمل فى وجوه التأويلات، و البطون الماثورة فى الأخبار أنّ وجوه الدلالة فيها غير منحصرة فى جهة واحدة، بل منها من جهة الحمل على الحقيقة الأولى، و الحقيقة بعد الحقيقة و اعتبارها فى سائر المجالى التى ينبغى التعبير عنها بالمصاديق و الأفراد حسبما تأتى اليه الإشارة فى تحقيق البطون، و منها من جملة الاستنباطات العديدة، و القواعد التفسيرية، و الاعتبارات الوافية، و غير ذلك مما يطول شرحها، و منها من جهات أخرى لا يحيط بأكثرها الأفهام، و لا يجرى عليها الأقلام بل لعله لا يدرك نوع سنخيته بوجه من الوجوه فضلا عن إدراك حقيقته، و الاطلاع على كلياته قاعدته.

و أما ما حكاه فى «الصافى» ملخصا عن بعض أهل المعرفة من أنّ العلم بالشىء إما يستفاد من الحسّ برؤيته، أو تجربته، أو سماع خبر، أو شهادة، أو اجتهاد، أو نحو ذلك، و مثل هذا العلم لا يكون إلّا متغيرا فاسدا محصورا متناها غير محيط، لأنه إنما يتعلّق بالشىء فى زمان وجوده علم، و قبل وجوده علم آخر، و بعد وجوده علم ثالث، و هكذا كعلوم أكثر الناس.

و إما يستفاد من مبادئه، و أسبابه، و غاياته علما واحدا كليا بسيطا محيطا على وجه عقلى غير متغير، فإنه ما من شىء إلّا و له سبب، و لسببه سبب، و هكذا

(١) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٧ ط. القديم عن الدرّة الباهرة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥

الى أن ينتهى الى مسبب الأسباب، و كلّ ما عرف سببه من حيث يقتضيه و يوجهه فلا بد أن يعرف ذلك الشىء علما ضروريا دائما، فمن عرف الله تعالى بأوصافه الكمالية، و عرف ملائكته المدبرين المسخرين للأغراض الكليّة العقلية، بالعبادات الدائمة، و النسك المستمرة من غير فتور و لغوب الموجبة لأن يترشح عنها صور الكائنات كلّ ذلك على الترتيب السببى و المسببى، فيحيط علمه بكل الأمور و أحوالها و لواحقها علما بريئا من التغير و الشك و الغلط، فيعلم من الأوائل الثوانى، و من الكليات الجزئيات المترتبة عليها، و من البسائط المركبات، و يعلم حقيقة الإنسان و أحواله، و ما يكملها و يزكّيها و يصعدّها الى عالم القدس و ما يدنسها و يردّيها و يشقيها و يهويها إلى أسفل السافلين، علما تابعا غير قابل للتغير، و لا محتملا لتطرق الريب، فيعلم الأمور الجزئية من حيث هى دائمة كلية، و من حيث لا- كثرة فيه و لا- تغير، و إن كانت كثيرة متغيرة فى أنفسها، و بقياس بعضها الى بعض، و هذا كعلم الله سبحانه بالأشياء، و علم الملائكة المقربين، و علوم الأنبياء و الأوصياء بأحوال الموجودات الماضية المستقبلية، و علم ما كان و علم ما سيكون الى يوم القيامة من هذا القبيل، فإنه علم كلى ثابت غير متجدّد بتجدّد المعلومات و لا متكتّر بتكتّرها، و من عرف كفيّة هذا العلم عرف معنى قوله تعالى: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ «١» و يصدّق بأنّ جميع العلوم و المعانى فى القرآن الكريم عرفانا حقيقيا، و تصديقا يقينيا على بصيرة لا على وجه التقليد و السماع و نحوهما، إذ ما من أمر من الأمور إلّا و هو المذكور فى القرآن إمّا بنفسه أو بمقوماته و أسبابه و مبادئه و غاياته، و لا يتمكّن من فهم آيات القرآن، و عجائب أسرارها و ما يلزمها من الأحكام و العلوم التى لا تتناهى إلّا من

(١) النحل: ٨٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦

كان علمه بالأشياء من هذا القبيل «١».

فيه أن سوق هذا الكلام إنما هو في تحقيق علم البارئ تعالى حسبما ذهب إليه بعض المحققين وإن كان لا يخلو من نظر، نظرا إلى عدم ترتب الحوادث الكونية حتى الأفعال الاختيارية بقاعدة السببية التي هي أشبه بالأمور الطبيعية، وكأنه مبني على القول بفاعلية سبحانه بالعلية والإيجاب، بل قد يظهر منه الاضطرار في أفعال العباد، وإلا فالمختار قد يختار المرجوح أو الراجح باختياره الذي هو السبب التام، وإن كان مرجحات آخر لغيره.

وجعل الإرادة أيضا من جملة الأسباب المسببة عن كينونة الطبيعة تكويننا جعليا ابتدائيا منه سبحانه أو تبعيا للأعيان الثابتة حسبما توهموه.

فاسد من وجوه: كالجبر و انثلام قاعدة السببية المقصودة و بطلان القول بالأعيان، و عدم استحقاق الثواب، و قبح العقاب إلى غير ذلك مما تأبى عنه قواعد العدالة المستفادة عن الشريعة الحقة النبوية. و من هنا يظهر فساد ما فرغ عليه من اشتمال القرآن على العلوم بالوجه المرسوم، مع أنه لا اختصاص له حينئذ به كل اسم من أسمائه مما يتكلم به كل أحد لدلالته على مسبب الأسباب يدل على تفاصيل المصنوعات المترتبة إلى ما لا نهاية لها و هو كما ترى.

هذا مضافا إلى ما يظهر منه من التسوية بين علمه سبحانه و علوم ملائكته و أنبيائه، لفقد الجامع فضلا عن الاتحاد بين ما هو ذات الواجب بلا مغايرة حقيقة و اعتبارية و بين صفة الممكن، و إرادة العلم الفعلي مع أنه ليس من مذهب الحاكى و لا المحكى عنه كما يظهر من ساير كتبهما توجب التسوية بين ذات الممكن و وصفه.

(١) تفسير الصافي للفيض الكاشاني - المقدمة السابعة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧

## الباب السادس

### إشارة

في بيان معنى التفسير، و التنزيل و التأويل، و الظاهر و الباطن، و المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و الكلام في حجية القرآن، و صحة الاستدلال بطواهره في الأصول و الفروع، و المنع عن التفسير بالرأى و ضابط التأويل

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩

و فيه فصول:

### الفصل الأول

قد اختلفوا في اتحاد معنى التفسير و التنزيل و التأويل و اختلافه، فعن ظاهر الأكثر الثاني، و لذا يقابل كل من الأولين بالثالث، بل صرح بعضهم، و لعله يؤمى إليه أصل الاشتقاق أيضا. قال في الصحاح «١»: الفسر البيان، و قد فسرت الشيء أفسره بالكسر فسرا و التفسير مثله، و قال: التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، و قد أولته تأويلا و تأولته تأولا بمعنى، و منه قول الأعشى «٢»: على أنها

(١) الصحاح في اللغة لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي أخذ عن خاله إبراهيم الفارابي، و عن السيرافي و دخل بلاد ربيعة و مضر، فأقام فيها مدة في طلب علم اللغة ثم عاد الى خراسان، و أقام بنيسابور مدة فبرز في اللغة و تعلم الكتاب و حسن الخط، و مات متردياً من سطح داره، و قيل: إنه تغير عقله و عمل له دفتين و شدّهما كالجنّاحين و قال أريد أن أطيرو و وقع من علو فهلك في سنة ٣٩٣، كتاب الصحاح كتاب حسن الترتيب سهل المطلب، و هو مفرد نعت كصحيح و صحاح و شحيح و شحاح و برىء و براء قيل في مدح الصحاح: ليس صحاح الجوهري إلا صحاح الجوهري

بل هو بحر ذهب أمواجه من درر

كشف الظنون ج ٨ ص ٤٠٠

(٢) الأعشى ميمون بن قيس جندل من بني قيس المعروف بأعشى قيس، و الأعشى الكبير من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، و أحد أصحاب المعلقات، كان كثير الوفود على الملوك من العرب و الفرس، عاش عمراً طويلاً. و أدرك الإسلام و لم يسلم، و لقب بالأعشى لضعف بصره، و عمى في آخر عمره، توفي سنة ٧ هـ في قرية منفوحة باليمامة قرب مدينة الرياض. الأعلام للزركلي ج ٨ ص ٣٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠

كانت تأول جبهها\* تأول رباعي السقاب فأصحابا، يعني أن جبهها كان صغيراً في قلبه فلم يزل ينبت حتى أصبح فصار قديماً كهذا السقب «١» الصغير لم يزل حتى صار كبيراً مثل أمه فصار له ابن يصحبه. و في القاموس: الفسر الإبانة و كشف المغطى كالتفسير، و الفعل كضرب و نصر، و نظر الطبيب الى الماء، كالتفسره، أو هي البول يستدل به على المرض، أو هي مولدة.

قال ثعلب «٢»: التفسير و التأويل واحد، أو هو كشف المراد عن المشكل و التأويل ردّ أحد المحتملين الى ما يطابق الظاهر «٣».

و قال: أول الكلام تأويلاً و تأوله دبره و قدره و فسره، و التأويل عبارة الرؤيا «٤».

و في النهاية الأثرية «٥»: في حديث ابن عباس اللهم فقهه في الدين، و علمه التأويل، هو من آل الشيء يؤول إلى كذا أي رجع و صار إليه، و المراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ من وضعه الأصلي الى ما يحتاج الى دليل لولاه ما ترك ظاهر

(١) السقب بفتح السين و سكون القاف ج أسقب و سقاب: ولد الناقة ساعة يولد.

(٢) ثعلب أحمد بن يحيى بن زيد أبو العباس أمام الكوفيين في النحو و اللغة و الحديث كان مشهوراً بالحفظ و صدق اللهجة، ولد في بغداد سنة ٢٠٠ و أصيب في أواخر أيامه بصمم فصدته فرس فسقط في هوة فتوفى على الأثر سنة ٢٩١ له مصنفات في الأدب و الشعر و اللغة و التفسير منها: إعراب القرآن، معاني القرآن - تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢١٤ -.

(٣) تاج العروس في شرح القاموس الزبيدي ج ٣ ص ٤٧٠.

(٤) تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي ج ٧ ص ٢١٦.

(٥) نهاية الأثرية هي النهاية في غريب الحديث و هي مجلدات للشيخ أبي السعادات مبارك بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٠٦ أخذ هذا الكتاب من الغريبين للهروي و غريب الحديث لأبي موسى الأصبهاني، و رتبته على حروف المعجم بالتزام الأول و الثاني من كل كلمة و اتباعهما بالثالث. - كشف الظنون ج ٢ ص ١٩٨٩ -.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١

اللفظ، و منه

حديث عائشة: كان النبي صلى الله عليه و آله يكثر أن يقول في ركوعه و سجوده:

سبحانك اللهم و بحمدك، بتأول القرآن، يعني أنه مأخوذ من قول الله تعالى:



فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ «١».

و في «مجمع البيان»: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، و التأويل ردّ أحد المحتملين الى ما يطابق الظاهر، و المعنى البيان. و قال أبو العباس المبرّد «٢»: التفسير و التأويل و المعنى واحد، و قيل: التفسير كشف المغطى، و التأويل انتهاء الشئ و مصيره و ما يؤول إليه أمره «٣»، و قال في موضع آخر: التأويل: التفسير، و أصله المرجع «٤»، و تبعه فيه الرازى الى أن قال: هذا معنى التأويل فى اللغة، ثم يسمى التفسير تأويلا قال تعالى: سَأُتْبِئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا «٥»، و قال تعالى: وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا «٦» و ذلك لأنه إخبار عما يرجع إليه اللفظ من المعنى «٧».

(١) سورة النصر: ٣.

(٢) المبرد محمد بن يزيد الثمالى أبو العباس، أديب، لغوى، نحوى، إمامى، مقبول القول عند الخاصّة و العامّة، ولد بالبصرة سنة ٢١٠ و توفى ببغداد سنة ٢٨٦ قيل بموته و موت الثعلبى مات الأدب. قال ابن أبى الأزره فى حقهما: أيا طالب العلم لا تجهلن و عذ بالمبرد أو ثعلب

تجد عند هذين علم الورى فلا تك كالجمل الأجر

علوم الخلايق مقرونة بهذين فى الشرق و المغرب

(٣) مجمع البيان للطبرسى ج ١ ص ٢٣ مقدمه الكتاب، الفن الثالث.

(٤) مجمع البيان للطبرسى ج ٢ ص ٤٠٨ ط. الصيداء.

(٥) الكهف: ٧٨.

(٦) النساء: ٥٩.

(٧) التفسير الكبير للفخر الدين الرازى ج ٧ ص ١٧٦، سورة آل عمران آية: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢

و فى «مجمع البحرين»: التأويل إرجاع الكلام و صرفه عن معناه الظاهر الى معنى أخفى منه مأخوذ من آل يؤول إذا رجع و صار إليه، و تأوّل فلان الآية أى نظر الى ما يؤول معناها الى أن قال: و

فى حديث علىّ عليه السلام ما من آية إلّا و علمنى تأويلها

أى معناها الخفى الذى هو غير المعنى الظاهر، لما تقرّر أنّ لكل آية ظهرا و بطن، و المراد أنّه صلّى الله عليه و آله أطلعه على تلك الخفّيات المصنونة و الأسرار المكنونة «١».

و على كلّ حال فالتفسير كالمفسر لغة بمعنى الإبانة و الإيضاح و التفعيل للمبالغة، و غلط من أخذه من التفسر بمعنى الطبيب أو استدلاله - أو - القارورة، أو غيرها لا لأنه يونانى و لم يعهد أخذ لغة من أخرى إذ هو أيضا ضعيف بل لدلالة المادّة على هذا المعنى السارى فى جميع مشتقاتها التى منها، نعم قد يقال أنه مقلوب التسفير من سفر الصبح و أسفر بمعنى أضاء و أشرق و سفرت المرأة كشفت عن وجهها.

و فيه أنّ القلب و إن كان يقع فى الأسماء كآرام، و آدر، و عميق، من ارام و ادعر و عميق، و فى الأفعال كجيد من جذب، إلّا أنه مع مخالفته للأصل و الغلبة سيّما مع فقد الداعى الى التزامه مردود بأمثله اشتقاقه، بل هذه المادّة المأخوذة عن س ف ر بصورها الستة لفقد الترتيب و اعتبارها أنحاء التركيب يظهر منها الظهور و الكشف كالسفر الكاشف عن حال المسافر و السفير المبلغ للخبر، و السفر بالكسر الذى هو الكتاب و نحوه، و السرف الذى هو البذل با إظهار و انتشار و إكتار، و الفراسة التى بها كشف الأحوال و الاطلاع على الأخبار، و الفروسة التى هى إظهار الشجاعة و الجلادة و لا يخلو ذلك عن تكلف فى الرسم

(١) مجمع البحرين ص ٤٢٤ باب ما أوله الألف، حرف اللام ط. طهران.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣

الذى هو الركض برجلك و الرسف الذى هو المشى كمشى المقيد، لكن الخطب فى مثله سهل كسهولته فى وجوه الفرق التى سمعت شطرا منها بينه و بين التأويل، حيث لا- شاهد على جملة منها عدا الإطلاق المشترك بينهما كما لا شاهد على ما يقال أيضا من أن التفسير إخبار عمن أنزل فيه القرآن و عن سبب نزوله فهو علم من شاهد النزول و أسبابه، و لذا يجب فيه الاقتصار على النقل و الرواية، و ذلك بخلاف التأويل الذى يختلف باختلاف الأفهام و يصرف إليه من ظاهره الكلام، فعلم التفسير مختص بأقوام و باب التأويل مفتوح الى يوم القيامة، و عليه أكثر المتأخرين من العامة.

و من هنا قال فى عوارف المعارف «١»: إن التفسير علم نزول الآية و شأنها و قصتها و الأسباب التى نزلت فيها و هو محظور على الناس كافة القول فيه إلا بالسماع و الأثر، و أما التأويل فصرف الآية الى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذى يراه يوافق الكتاب و السنة، فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول من صفاء الفهم و رتبة المعرفة و نصيب القرب من الله. و لهم أقوال أخرى فى المقام كقولهم: إن التفسير فى الألفاظ و التأويل فى المعانى، و إن التفسير يتعلق بالمحكمات، و التأويل يختص بالمشابهات و إن التفسير بالرواية، و التأويل بالدراية، و إن التفسير بيان الظاهر، و التأويل كشف

(١) عوارف المعارف فى التصوف مشتمل على ثلاثة و ستين بابا كلها فى سير القوم و أحوال سلوكهم و أعمالهم للشيخ شهاب الدين أبى حفص عمر السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢هـ، كان من كبار الصوفية، شافعى مفسر، فقيه، واعظ، مولده فى سهرود (مدينة فى إيران فى الجبال سكنها الأكراد فى القرن العاشر ثم خربت بالمغول) ٥٣٩هـ، كان شيخ الشيوخ ببغداد، و أقعد فى آخر عمره، فكان يحمل الى الجامع فى محفة، له مصنفات منها، عوارف المعارف، و نخبة البيان فى تفسير القرآن و غيرها.

- طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٤٣-

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤

السرائر، الى غير ذلك مما لا شاهد على كثير منها مع إمكان إرجاع بعضها الى بعض.

نعم الذى يستفاد من تصانيف كلمات الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين هو أن التفسير كشف المراد من ظواهر الآيات و بواطنها السبعة أو السبعين أو الأزيد من ذلك مما لا يعلمه إلا الله و الراسخون فى العلم، بحيث إنه يشمل كل شىء من دون ذلك دون اشتراط انضمامه الى غيره، و من هنا يطلق على العلم بالظواهر مع ضميمته بعض البواطن أو بدونها على وجه التسامح فى الإطلاق، و إلا فالعلم به حقيقة إنما يحصل بالعلم بتمام ما سمعت، و لذا يستفاد من كثير من الأخبار اختصاص التفسير بأهل الذكر الذين هم مهبط الوحى، و خزنة العلم.

ففى «المحاسن» بالإسناد عن أبى جعفر عليه السلام يا جابر إن للقرآن بطناً و له ظهر، و للظهر ظهر، و ليس شىء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية يكون أولها فى شىء و آخرها فى شىء و هو كلام متصل منصرف على وجوه «١».

و

فى «الكافي» عنه عليه السلام إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن و أحكامه «٢».

و

عن «تفسير النعمانى» عن الصادق عليه السلام بعد كلام طويل مضى جملة منه و لهذه العلة و أشباهها لا يبلغ أحد كنه معنى حقيقة تفسير كتاب الله إلا نبيه و أوصيائه «٣».

(١) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٤ ط. القديم.

(٢)

بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٩ ط. القديم عن «البصائر» مسندا عن عمر بن مصعب أنه قال: سمعت الصادق عليه السلام أنه قال: إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن و حكاية علم تغيير الزمان و حدثاته.

(٣) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٨ أبواب صفات القاضي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥

و

في خبر طويل عن مولانا الصادق عليه السلام: إنما يكفهم القرآن لو وجدوا له مفسرا، قيل و ما فسره رسول الله صلى الله عليه و آله؟ قال عليه السلام: بلى قد فسره لرجل واحد، و فسّر للأمة شأن ذلك و هو على بن أبي طالب «١». إلخ.

و قد مرّ

قول أبي جعفر عليه السلام لقتاده، إن كنت فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت و أهلكت، و يحكك يا قتاده إنما يعرف القرآن من خوطب به «٢»

بل قد مرّ أيضا

في النبوى فى احتجاجه يوم الغدير: على تفسير كتاب الله، و الداعى إليه الى أن قال عليه السلام: معاشر الناس تدبروا القرآن و افهموا آياته، و انظروا فى أحكامه، و لا تتبعوا متشابهه، فو الله لن يبين لكم زواجه، و لا يوضح لكم عن تفسيره إلّا الذى أنا آخذ بيده «٣».

و

فى «البصائر» بالإسناد عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال: تفسير القرآن على سبعة أوجه، منه ما كان و منه ما لم يكن بعد، تعرفه الأئمة عليهم السلام «٤».

و

فيه، عن يعقوب بن جعفر، قال: كنت مع أبى الحسن عليه السلام بمكة فقال له رجل: إنك لتفسر من كتاب الله ما لم تسمع، فقال عليه السلام: علينا نزل قبل الناس، و لنا فسّر قبل أن يفسر فى الناس، فنحن نعلم حلاله و حرامه، و ناسخه و منسوخه، و سفريته و حضريته، و فى أى ليلة نزلت كم من آية، و فيمن نزلت، فنحن حكماء الله فى أرضه. الخبر «٥».

(١) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣١ أبواب صفات القاضي.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ١٣٩ ط. القديم باب تأويل قوله تعالى: سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي إلخ.

(٣) بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٠٩ ط. الآخوندى بطهران عن الإحتجاج للطبرسى ص ٣٣-٤١.

(٤) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٦ ط. القديم باب أن للقرآن ظهرا و بطنا عن البصائر.

(٥) بحار الأنوار ج ٧ ص ٤٠ ط. القديم باب أنهم عليهم السلام أهل علم القرآن- عن البصائر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦

و

روى العياشى فى تفسيره عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الحكومة فقال عليه السلام: من حكم برأيه بين إثنين فقد كفر، و من فسّر آية من كتاب الله فقد كفر «١».

أى إذا كان التفسير برأيه كما يظهر من أخبار آخر الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالّة على أن المراد بالتفسير هو العلم بجميع المقاصد و المرادات و الحقائق القرآنية من الظاهر، و ظاهر الظاهر، و هكذا و الباطن، و باطن الباطن الى ما شاء الله فهو يشمل التنزيل و التأويل بالمعنى المستفاد لهما من الأخبار الكثيرة التى منها

النبوى المروى فى الأمالى: يا على أنا صاحب التنزيل و أنت صاحب التأويل «٢».

يعنى أنه صلى الله عليه و آله يحكم بالظاهر الذى نزل عليه الكتاب و يقاتل عليه خاصّة، و لذا لم يؤمر بقتال المنافقين بل كان يقربهم و يؤلفهم و أمّا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فكان يقاتل على التأويل، و لذا قاتل مع أهل القبلة.

ولذا

ورد أيضا عنه عليه السلام: أنا أقاتل على التنزيل، و على يقاتل على التأويل «٣».

و

فى «الكافى» عن الصادق عليه السلام إن الله تعالى علّم نبيه التنزيل و التأويل فعلمه رسول الله صلى الله عليه و آله علينا. إلخ «٤».

و

فى «البصائر» عن النبى صلى الله عليه و آله: يا على أنت تعلم الناس تأويل القرآن بما لا يعلمون، فقال عليه السلام: على ما أبلغ رسالتك من بعدك يا رسول الله؟

(١) تفسير العياشى ج ١ ص ١٨، بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٩ ط القديم.

(٢) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣٩.

(٣)

تفسير العياشى ج ١ ص ١٥، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٥٠ عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيهه، و هو على بن أبى طالب.

(٤) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧

قال صلى الله عليه و آله: تخبر الناس بما يشكل عليهم من تأويل القرآن «١».

و

فيه، عن الصادق عليه السلام إن للقرآن تأويلا- فمنه ما جاء، و منه ما لم يجىء، فإذا وقع التأويل فى زمان إمام من الأئمة عرفه ذلك الإمام «٢».

و

فى حديث عمرو ابن عبيد عن أبى جعفر عليه السلام إنما على الناس أن يقرءوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا الى تفسيره فلاهتداء بنا و إلينا «٣».

و المراد أن التنزيل يفهمه الناس بطواهر العربية حيث إن القرآن قد نزل بلسانهم، و أمّا تفسير الشامل له و لوجوه التأويل و البواطن فإنما يطلب منهم.

و

فى «الكافى» عن أحدهما عليه السلام فى قوله تعالى: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ «٤» قال عليه السلام: فرسول الله صلى الله عليه و آله أفضل الراسخين فى العلم قد علّمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل و التأويل، و ما كان الله لينزل عليه شيئا لا يعلّمه تأويله، و أوصيائه من بعده يعلمونه «٥»

الى غير ذلك من الأخبار الظاهرة فيما سمعت، و لو بقرينة المقابلة و ملاحظة الاشتقاق الذى لعله كاف فى إثبات المرام، و كأن ما سمعت هو الذى يظهر من القمى أيضا فى أول تفسيره، حيث ذكر فى عداد وجوه القرآن: أن منه ما تأويله فى تنزيهه، و منه ما تأويله مع تنزيهه، و منه ما تأويله قبل تنزيهه، و منه ما تأويله بعد تنزيهه الى أن قال: أما ما تأويله فى تنزيهه فكل آية نزلت فى حلال أو حرام مما لا يحتاج الناس فيها الى تأويل مثل قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ «٦» الآية، و قوله تعالى:

(١) بصائر الدرجات ص ١٩٥، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٥.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٩٥، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٥.

(٣) تفسير فرات بن إبراهيم ص ٩١، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٩.

(٤) آل عمران: ٧.

(٥) الكافى ج ١ ص ١٩١ و وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣٢.

(٦) النساء: ٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ «١» و مثله كثير مما تأويله فى تنزيهه، و هو من المحكم الذى ذكرنا، و أمّا ما تأويله مع تنزيهه فمثل قوله تعالى:

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ «٢» فلم تستغن الناس بتنزيل الآية حتى فسّر الرسول من أولى الأمر، و قوله تعالى: اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ «٣» فلم تستغن الناس الذين سمعوا هذا من النبى صلى الله عليه و آله بتنزيل الآية حتى عرفهم النبى صلى الله عليه و آله من الصادقين، و قوله تعالى: وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ «٤» فلم تستغن الناس بهذا حتى أخبرهم النبى صلى الله عليه و آله كم يصلون و كم يزكون.

و أمّا ما تأويله قبل تنزيهه فالأمور التى حدثت فى عصر النبى صلى الله عليه و آله مما لم يكن عند النبى صلى الله عليه و آله فيها حكم مثل الظهار حيث إنّ أوس بن الصامت «٥» ظاهر من امرأته فجاءت الى النبى صلى الله عليه و آله و أخبرته بذلك، فانتظر النبى صلى الله عليه و آله الحكم من الله تعالى، فأنزل الله سبحانه: الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ «٦» الآية و مثله ما نزل فى اللعان و غيره مما لم يكن عند النبى صلى الله عليه و آله فيه حكم حتى نزل عليه القرآن به من الله عزّ و جلّ، فكان التأويل قد تقدّم التنزيل. و أمّا ما تأويله بعد تنزيهه فالأمور التى حدثت بعد عصر النبى صلى الله عليه و آله من

(١) المائدة: ٣.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) التوبة: ١١٩.

(٤) البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠ و النور: ٥٦.

(٥) أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت الأنصارى، صحابى شاعر قيل سكن بيت المقدس، و توفى بالرملة سنة ٣٢.

(٦) المجادلة: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩

غضب حقوق آله المعصومين و ما وعدهم الله به من النصر على أعدائهم و من أخبار القائم عليه السلام و خروجه، و أخبار الرجعة و الساعة فى قوله تعالى: وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ «١» و قوله تعالى:

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿٢﴾ إلخ ... وقوله تعالى: وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ ﴿٣﴾ إلخ .. ومثله كثير مما تأويله بعد تنزيهه.

أقول: وهو وإن كان يؤيد ما ذكرناه في الجملة إلا أنه يستفاد مما ذكره في القسمين الآخرين إطلاق آخر لهما، ولعلك ترى في الأخبار ما يؤيد كلا من الوجهين. نعم للأصوليين في المقام نمط آخر من الكلام، وهو أنهم قسموا اللفظ باعتبار كيفية دلالة وضعه على معناه إلى النص، والظاهر، والمجمل، والمؤول، فإن لم يحتمل غيره بحسب ما يفهم منه في لغة التخاطب فهو نص يتعين حمله عليه لعدم احتمال غيره، منقسم عند بعضهم إلى ما هو نص بلفظه و منطوقه كقوله تعالى: لا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ ﴿٤﴾، وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴿٥﴾، أو بفحواه ومفهومه كقوله تعالى: فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ ﴿٦﴾، وَلا يظْلَمُونَ فِتْيًا ﴿٧﴾، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴿٨﴾،

(١) الأنبياء: ١٠٥.

(٢) النور: ٥٥.

(٣) القصص: ٥.

(٤) الإسراء: ٣٢.

(٥) النساء: ٢٩.

(٦) الإسراء: ٢٣.

(٧) النساء: ٤٩.

(٨) الزلزلة: ٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ ﴿١﴾، إذ المعلوم أن فهم ما فوق التأنيف من الضرب والشتم وما وراء الفتيل والذرة من المقدار الكثير وما وراء القنطار من القليل والدينار من الكثير أسبق إلى الفهم من نفس التأنيف، والفتيل، والذرة، والقنطار والدينار.

ولذا قالوا إنه من باب التنبية بالأدنى على الأعلى وبالعكس، وتوهم كونه قياسا ولو بالأولوية غلط جدا، إذ المقصود التنبية لحكم المسكوت عنه الذي هو المدلول عرفا وأين هذا من الإلحاق. وإن احتمل بحسب الفهم العرفي فلا يخلو إما أن يكون الاحتمالات متساويين، أو أحدهما راجحا والآخر مرجوحا، فإن تساويا إما للاشتراك أو لتصادم الأمارات أو غير ذلك فهو مجمل ومبهم ذاتي أو عرضي، بحسب الموارد أو المصادق مع تعيين المراد وعدمه، وإلما فالراجح ظاهر، بلا- فرق بين كون الرجحان ناشئا عن الحقيقة بأقسامها أو عن القرائن، والمرجوح مأول صحيح إن تعذر إرادة الظاهر، و فاسد مع جوازه، وقد يخص بالأول، ويرده صحة التقسيم، وقولهم تأويل فاسد، وورد النهي عنه، ولذا عرّف أيضا بالمحمول على المرجوح وربما يضاف إليه لمقتضى والأولى تركه.

وقد ظهر ممّا مرّ صحّة قولهم بعدم تمسّي التأويل في النصّ والمجمل لاختصاصه بالظاهر، وهذا مبني على اصطلاحهم الذي لا مشاحة فيه، وإلما فالمستفاد من نصوص أهل الخصوص ثبوت التأويل الذي يعبر عنه بالباطن والتخوم لكل آية من الآيات، بل للكلمات والحروف بلا فرق بين المجملات، والظواهر، والنصوص، ولذا

ورد فيما رواه جابر عن أبي جعفر عليه السلام: إن للقرآن

(١) آل عمران: ٧٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١

بطنا، وللبطن بطن، وظهر، وللظهر ظهر ﴿١﴾.

بل

ورد إن القرآن غَضَّ طرئاً لا يبلى أبداً، وإنه وإن نزل في قوم إلا أنه جار في أقوام آخرين إلى يوم القيامة «٢»  
 وهذا الجريان هو أحد إطلاقات التأويل المقابل للتزويل، ويقال له الباطن أيضاً.  
 ففي «تفسير العياشي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: ظهر القرآن الذين نزل فيهم، وباطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم «٣».

و

بإسناده عن الفضيل بن يسار، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية:  
 ما في القرآن إلا ولها ظهر وباطن، وما فيه حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع «٤»، ما يعني بقوله لها ظهر وباطن؟ قال عليه السلام:  
 ظهره تنزيله، وباطنه تأويله، منه ما مضى، ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر كلما جاء منه شيء وقع قال الله  
 تعالى: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ «٥» ونحن نعلمه «٦»

(١)

المحاسن ص ٣٠٠ والرسائل ج ١٨ ص ١٤٢: يا جابر إن للقرآن بطناً وله ظهر، وللظهر ظهر إلخ.

(٢)

بحار الأنوار ج ١٩ ص ٥ ط. القديم: سئل أبو عبد الله عليه السلام ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟ فقال عليه  
 السلام: لأن الله لم يجعله لزمان دون زمان فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غَضَّ إلى يوم القيامة.

(٣) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٢ ط. القديم باب أن للقرآن ظهراً أو بطناً - مع تفاوت يسير.

(٤) قال الفيض في الصافي في المقدمة الرابعة بعد ذكر الحديث: أقول: المَطَّلَعُ: (بتشديد الطاء المهملة وفتح اللام) مكان الاطلاع من  
 موضع عال، ويجوز أن يكون بوزن مصعد بفتح الميم ومعناه أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، ومحصل معناه قريب من معنى  
 التأويل والباطن، كما أن الحدّ قريب من معنى التزويل والظهر - تفسير الصافي ج ١ / ١٨ طبع الإسلامية بطهران.

(٥) آل عمران: ٧.

(٦) تفسير العياشي ج ١ ص ١١ ط. الإسلامية بطهران.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣

## الفصل الثاني

في حدود حروف القرآن و مطالعها و تخومها قد تظافت الروايات على أن لكل آية بل لكل حرف من حروف القرآن حدّاً و مطالعاً،  
 و أن له تخوماً و لتخومه تخوماً، و قد مرّ خبر العياشي و غيره في اشتماله على الحدّ، و المطلع، و الظهر و البطن.

و

في «الكافي» و «تفسير العياشي»: إن القرآن له ظهر و بطن، فظاهره حكم، و باطنه علم ظاهره أنيق، و باطنه عميق، له تخوم، و على  
 تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه، و لا تبلى غرائب «١».

و

في «المحاسن» عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن للقرآن ظاهراً و باطناً و معاني، و ناسخاً، و منسوخاً، و محكماً، و متشابهاً، و سنناً، و  
 أمثلاً، و فصلاً، و وصلاً، و أحرفاً، و تصريفاً، فمن زعم أن الكتاب مبهم فقد هلك و أهلك «٢».

قيل: المراد أنه ليس بمبهم على كل حدّ، بل يعلمه الإمام و من علمه إياه من قبل.

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٣ ط. الإسلامية بطهران.

(٢) المحاسن ص ٢٧٠، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤١ أبواب صفات القاضي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤

و

من طريق العامة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّ الْقُرْآنَ ظَهَرَ وَبَطَنًا وَحَدًّا وَمَطْلَعًا «١».

و

عنه عليه السلام: إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَ لِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ «٢».

و

في رواية: وَ لِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ وَمَطْلَعٌ «٣»

و

عنه عليه السلام: إِنَّ الْقُرْآنَ ظَهَرَ وَبَطَنًا وَ لِبَطْنِهِ بَطْنٌ إِلَى سَبْعَةِ أَبْطُنٍ «٤».

و

عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما من آية إلّا و لها أربعة معانٍ ظاهر، و باطن، و حد و مطلع، فالظاهر التلاوة، و الباطن الفهم، و الحد هو أحكام الحلال و الحرام، و المَطَّلَع هو مراد الله من العبد بها «٥».

أقول: في النهاية الأثيرية: إِنَّ فِي الْخَبْرِ فِي ذِكْرِ الْقُرْآنِ لِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَ لِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ، أَي لِكُلِّ حَرْفٍ مَصْعَدٌ يَصْعَدُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ عِلْمِهِ، وَ الْمَطْلَعُ مَكَانُ الْإِطْلَاعِ مِنْ مَوْضِعٍ عَالٍ يُقَالُ مَطْلَعُ هَذَا الْجَبَلِ مِنْ مَكَانٍ كَذَا أَي مَاتَاهُ وَ مَصْعَدُهُ. وَ قِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ لِكُلِّ حَدٍّ مَنَهْتَكَ يَنْتَهِكُهُ مَرْتَكِبُهُ، أَي إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَحْرَمْ حَرْمَةً إِلَّا عِلْمَ أَنْ سَيَطْلَعُهَا مُسْتَطَلَعٌ. وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ حَرْفٍ مَطْلَعٌ عَلَى وَزْنِ مَصْعَدٍ وَ مَعْنَاهُ. وَ مِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ: لَوْ أَنَّ لِي مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لَأَفْتَدَيْتُ بِهِ هَوْلَ الْمَطْلَعِ يَرِيدُ بِهِ الْمَوْقِفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ مَا يَشْرَفُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ عَقِيبَ الْمَوْتِ فَشَبَّهَ بِالْمَطْلَعِ الَّذِي يَشْرَفُ عَلَيْهِ مِنْ مَوْضِعٍ عَالٍ.

و في القاموس: الْمَطْلَعُ لِلْمَفْعُولِ: الْمَأْتَى وَ مَوْضِعُ الْإِطْلَاعِ مِنْ إِشْرَافٍ إِلَى انْحِدَارٍ، وَ قَوْلُ عُمَرَ: لَأَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ، تَشْبِيهُهُ لِمَا يَشْرَفُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ بِذَلِكَ، وَ

فِي الْحَدِيثِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا لَهَا ظَهْرٌ وَ بَطْنٌ، وَ لِكُلِّ حَرْفٍ

(١) تفسير الصافي ج ١ ص ١٨ ط. الإسلامية بطهران.

(٢) تفسير الصافي ج ١ ص ١٨ ط. الإسلامية بطهران.

(٣) تفسير الصافي ج ١ ص ١٨ ط. الإسلامية بطهران.

(٤) تفسير الصافي ج ١ ص ١٨ ط. الإسلامية بطهران.

(٥) تفسير الصافي ج ١ ص ١٨ ط. الإسلامية بطهران. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥

حد و لكل حد مطلع

أى مصعد يصعد اليه من معرفة علمه، و بكسر اللام القوى العالى القاهر «١» قلت: الوجه الأول المذكور فى «النهاية» كأنه بالفتح و التشديد كالأول من القاموس أيضا، و الوجه الثانى المستفاد من الأول التخفيف، و الثالث المستفاد من الثانى الكسر و التشديد، و معناه على فرض احتمالها فى المقام أن لكل حد من الحدود الشرعية ولنا قويا قاهرا يقوم بإقامته على مستحقه.



ثم إنه قد فسّر الحد في العلوى المتقدم بأحكام الحلال و الحرام، و المطلع بمراد الله تعالى من العبد بها أى بتلك الأحكام أو بتلك الآيه، و لعل الثانى أظهر، و المراد بقوله لكل آيه حدّ اشتماله على حكم من الأحكام الشرعية الفرعية من الحلال و الحرام و إن كانت الآيه بحسب الظاهر من القصص و المواعظ و غيرها مما لا يستفاد لنا منها شىء من الأحكام، أو أنّ لها حكما من حيث التحقق و التخلّق و الاتّصاف، أو القبول و التصديق أو غير ذلك، و الأول أنسب، و معه فالمراد بالمطلع المفسر فى الخبر إنما هو التحقق و التخلّق و تحصيل الملكات الفاضلة المطلوبة التى هى مراد الله من العبد بتلك الخطابات و الأحكام، و يحتمل أيضا أن يكون الظاهر و الباطن للآيه من حيث نفسها بأن يراد بهما النوع و إن انتهى أحدهما أو كلاهما الى السبعين أو أكثر، و الحدّ و المطلع لها بالنسبة الى تكاليف المكلفين، و أحكامهم و حدود استعدادهم و قابليّاتهم المقتضية لاختلاف أحكامهم و لو باختلاف فى شرائط التكليف من العلم و القدرة و غيرهما مما يرجع الى اختلاف الموضوع، فلكل آيه لكل واحد من آحاد المكلفين حدّ هو حكمه، و إن اشتركت ألوف منهم فى حكم واحد لكونهم من مصاديق موضوع واحد، و لها

(١) تاج العروس فى شرح القاموس تأليف الزبيدى ج ٥ ص ٤٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦

مطلع و هو التحقق بذلك الحكم من حيث الامتثال و القبول، و لاختلاف أحكام المكلفين حينئذ حسبما سمعت ورد أن لكل حدّ مطالعا كما فى بعض الأخبار المتقدمه.

و أن يراد بالظهر تنزيل الآيه و بالبطن تأويلها الذى جرت الآيه فيه بعد وقوعه حسبما مرّت إليهما الإشارة، و بالحد حدود الاستقامة التى يفتح منها أبواب البواطن، بحيث يحصل من الانحراف فيها اعوجاج النظر و سوء الفهم و عدم الوصول الى المطلوب، و بالمطلع الإشراف و الاطلاع على تلك البواطن و الحقائق المقصوده و الإحاطه بها علما أو التحقّق بها عملا.

و أمّا ما فى «الصافى» من أنّ محض معنى المطلع قريب من معنى التأويل و البطن كما أنّ معنى الحد قريب من معنى التنزيل و الظهر، فعمله بعيد جدّا سيما بعد المقابله فى النبوى و العلوى المتقدمين، بل و اختلاف التفسير فى الثانى.

و أغرب منه ما حكاه فى الحاشيه من بعض أهل المعرفة بعد النبوى المتقدم المشتمل على نزول القرآن على سبعة أحرف إلخ .. من أنّ الوجه فى انحصار الأحرف فى السبعة أنّ لكل من الظهر و البطن طرفين فذاك حدود أربعة، و ليس لحد الظهر الذى من تحته مطلع، لأنّ المطلع لا يكون إلّا من فوق فالحدّ أربعة و المطلع ثلاثة و المجموع سبعة «١».

قلت: و هو كما ترى.

و أمّا ما يقال: من أن الحدّ الحكم، و المطلع ما يتوسّل به اليه أى دليله، أو

(١) تفسير الصافى المقدمه الرابعه ج ١ ص ١٨ ط. الإسلاميه طهران.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧

أنّ الحدّ الثواب و العقاب، و المطلع الاطلاع عليهما فى الآخرة فلا يخفى ضعفه.

نعم قد يقال: أنّ المراد بالظهر ما ظهر من المعنى الجلى المنكشف، و بالبطن ما بطن و لم يظهر على غير من نور الله قلبه بنور المعرفة، و بالحدّ طرفا الظهر و البطن و بالمطلع يصعد به اليه، فمطلع الظاهر العلوم العربيه و أسباب النزول الخاص و العام و الناسخ و المنسوخ و أمثال ذلك، و مطلع الباطن تطهير النفس عن أدناس دار الغرور، و ترقيها بملازمه الطاعات و الرياضات الى عالم النور.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩

## الفصل الثالث

## إشارة

في المحكم والمتشابه اعلم أن الكتاب الكريم وإن اتصف كلاً بل كل آية منه بكونه محكما أى محفوظاً من الغلط، وفساد المعنى، وركاكة اللفظ كما في قوله تعالى: كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ «١» أو المعنى ضمنت الحكمة المطلقة التي هي مطابقة التدوين للتكوين.

وبكونه متشابهاً لأنه يشبه بعضه بعضاً في جزالة اللفظ، وفصاحته، و صحه المعنى، و تصديق بعضه بعضاً كما في قوله تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً «٢» أى متماثلاً- فيما مرّ وغيره بلا- اختلاف و لا تناقض، و لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً «٣». إلما أنه من حيث وضوح الدلالة و خفائها بحسب أفهام أغلب الأنام ينقسم الى محكم و متشابه كما أشير اليه في قوله: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ «٤»، و في أخبار مستفيضة بل متواترة تأتي الى بعضها الإشارة. و هما

(١) هود: ١.

(٢) الزمر: ٢٣.

(٣) النساء: ٨٢.

(٤) آل عمران: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠

مأخوذان من الإحكام الذي هو الإتقان، و التشابه الذي هو تماثل المراد بغيره، فيحصل الاشتباه فيه، و إن اختلفوا في المراد بهما: فقيل: إن المحكم ما اتضح معناه و ظهرت دلالاته لكل عارف باللغة، و المتشابه ما لا يعلم المراد به إلّا بقرينة تدل عليه، فاللغات الغامضة لا توجب التشابه، و المجازات كلها منه على وجه و إن كان يمكن أن يفرق بين القرائن، حيث أن القرائن المتصلة سيما اللفظية منها لا تشابه معها أصلاً.

وقيل: إن المحكم هو الناسخ أو ما لم ينسخ أو ما لم يخصص و لم يقيد أيضاً، و المتشابه هو المنسوخ أو ما يشمل المخصص و المقيد.

وقيل: إن المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلّا وجهاً واحداً، و المتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً.

وقيل: إن المحكم ما لم يتكرر ألفاظه، و المتشابه هو المتكرر كقصة موسى و غيره.

وقيل: إن المحكم ما يعلم تعيين تأويله، و المتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله كقيام الساعة.

الى غير ذلك من الأقوال التي لا شاهد لها و لو من جهة ظهور اللفظ، و انسباق المعنى منه، و لذا وقع الاختلاف في تعيين معناه حتى من أهل اللغة و إن كان اختلافهم ليس على محض اللغة بل باعتبار استيفاء الأقوال بعد وقوع الخلاف، و لذا اكتفى في «الصحيح» و «المصباح» على تفسير المتشابهات بالمتماثلات، و قال في «القاموس»: سورة محكمه غير منسوخه و الآيات المحكمات: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ «١» الى آخر السورة، أو التي

(١) الأنعام: ١٥١-١٥٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١

## تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٩٩

أحكمت فلا يحتاج سامعها الى تأويلها لبيانها كأقاصيص الأنبياء «١».

أقول: ولعل قوله: الى آخر السورة توهم منه، بل الأولى الآيات الثلاثة كما حكاه الرازي عن ابن عباس «٢» ولعله أراد الإشارة اليه مع اشتغال ما بعدها من الآيات على ما هو من المتشابه قطعاً كقوله: «أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ» «٣» وغيره.

وفي «النهاية» الأثيرية في حديث صفة القرآن هو الذكر الحكيم: أي الحاكم لكم و عليكم، وهو المحكم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب، فعيل بمعنى المفعول فهو محكم، ومنه حديث ابن عباس: قرأت المحكم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، يريد المفصل من القرآن لأنه لم ينسخ منه شيء، وقيل: هو ما لم يكن متشابهاً لأنه أحكم بيانه بنفسه ولم يفتقر الى غيره «٤».

وقال في شبه: في صفة القرآن آمنوا بمتشابهه، و عملوا بمحكمه المتشابه ما لا يتعلق معناه من لفظه، وهو على ضربين: أحدها إذا ردّ الى المحكم عرف معناه، والآخر ما لا سبيل الى معرفته حقيقته، فالمتبع له متبع للفتنة، لأنه لا يكاد ينتهي الى شيء تسكن نفسه اليه. أقول: وهذه الأقوال وإن اختلفت بحسب الظاهر حتى عدّها بعضهم اختلافاً في المعنى المقصود، وآخرون من تكثّر المعاني بل قد يظهر ذلك أيضاً من الطريحي في مجمعه حيث فسّر المحكم في اللغة بالمضبوط المتفق. قال:

(١) تاج العروس في شرح القاموس تأليف محمد مرتضى الزبيدي ج ٨ ص ٢٥٣.

(٢) قال فخر الدين الرازي في تفسيره ج ٧ ص ١٧٠: المسألة الثالثة في حكاية أقوال الناس في المحكم والمتشابه فالأول ما نقل عن ابن عباس أنه قال: المحكمات هي الثلاث آيات التي في سورة الأنعام (قل تعالوا) الى آخر الآيات الثلاث.

(٣) الأنعام: ١٥٨.

(٤) مجمع البحرين كتاب الميم باب أوله الحاء - مادة حكم - ص ٤٦٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢

وفي الاصطلاح على ما ذكره بعض المحققين يطلق على ما اتضح معناه و ظهر لكل عارف باللغة، وعلى ما كان محفوظاً من النسخ أو التخصيص، أو منهما معاً، وعلى ما كان نظمه مستقيماً خالياً عن الخلل، وعلى ما لا يحتمل من التأويل إلّا وجهاً واحداً، ويقابله بكلّ من هذه المعاني المتشابه انتهى «١».

إلّا أنّها لعلّها ناشئة عن الاختلاف في التعبير عن بعض المصاديق بأن يكون المحكم ما اتضح و ظهر دلالاته على المعنى المقصود من المخاطبين، والمتشابه ما لم يتضح دلالاته، للإبهام، أو الاشتراك، أو كون المفاد منه متعذر الإرادة، لمخالفته لما ثبت بالعقل أو النقل القاطع به كالأيات الدالّة على ثبوت الجوارح والجهات لله سبحانه، و ثبوت الإضلال والجبر منه تعالى، وغيرها مما ثبت خلافه بالضرورة من الدين إذا لم تقم هناك قرينة على تعيين شيء مما يخالف الظاهر، أو اتضحت دلالاته لكن المعنى ليس مقصوداً من المخاطبين لطرف النسخ أو التخصيص والتقييد على وجهه وإن كان الأظهر خلافه، كما أنّ اختلاف المكلفين من حيث الشروط والموانع الراجعة الى الموضوع أو الحكم لا مدخلية له في صيرورة الدلالة متشابهة.

ولعلّك بما سمعت أمكن لك الجمع بين تلك الأقوال المختلفة إلّا ما شذ منها بالحمل على ذكر بعض المصاديق بل بين الأخبار التي ربما يتراءى منها الاختلاف.

ففي تفسير العياشي بالإسناد عن مسعدة بن صدقة «٢»: قال سئل أبا عبد الله عليه السلام عن الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، قال عليه السلام: الناسخ الثابت المعمول به، والمنسوخ ما قد يعمل به ثم جاء ما نسخه، والمتشابه ما اشتبه على جاهة «٣» قال وفي رواية: الناسخ الثابت، والمنسوخ ما مضى، والمحكم ما يعمل

(١) مجمع البحرين كتاب الميم باب من أوله الحاء - مادة حكم - ص ٤٦٨.

(٢) مسعدة بن صدقة عامي، و لكن رواياته في غاية المتانة و السداد، روى عن الصادق و الكاظم عليهما السلام.

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص ١١، بحار الأنوار ج ١٩ ص ٩٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣

به، و المتشابه الذي يشبه بعضه بعضا «١»

ففي قوله: ما يعمل به، دلالة على ما سمعت حيث إن العمل إنما يكون بعد ظهور الدلالة و بقاء الحكم، و بانتفاء كل منهما يكون من المتشابه، و لا يقدح فيه اقتصاره في الخبر على الأول كما لا يقدح في الاقتصار في غيره على الثاني.

و لذا عبر عنه بمن المفيدة للتبويض

فيما رواه في «الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن أناسا تكلموا في القرآن بغير علم، و ذلك أن الله تعالى يقول: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ «٢» الآية، الى أن قال:

فالمسوخات من المتشابهات، و الناسخات من المحكمات «٣».

و الى ذلك ينظر ما

في الخبر الآخر: و المحكم ليس بشيئين إنما هو شيء واحد فمن حكم بحكم ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عز و جل، و من حكم بحكم فيه اختلاف فرأى أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت «٤»

و

في توحيد الصدوق و تفسير العياشي عن مولانا الصادق عليه السلام قال: المحكم ما يعمل به، و المتشابه ما اشبهه على جاهه «٥».

الى غير ذلك من الأخبار المنطبقة على ما سمعت، نعم هل الأحكام و التشابه من الصفات الذاتية أو الدلالة للآية أو اللفظ أو الدلالة، أو الإضافية بالنسبة الى أفهام المخاطبين فيختلف الوصف باختلاف أفهامهم و ادراكاتهم و درجاتهم، فيكون المحكم لشخص أو في زمان متشابهه لغيره أو زمان آخر

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ١٠، بحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٠.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٨، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣٤.

(٤) الكافي ج ١ ص ٢٤٢، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣١.

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص ١١، بحار الأنوار ج ١٩ ص ٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٤

و بالعكس، و جهان يحتمل الأول، لظاهر قوله تعالى: مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ «١» الظاهر في انقسام آياته الى القسمين بالنظر إليها قطع النظر عن الاعتبارات الخارجة و لظواهر الأخبار المتقدمة حسب التقريب المتقدم مع أن في كثير منها بل في ظاهر الآية توصيفها بالوصفين المتغيرين المتمانعين في الصدق سيما صفتي النسخة و المنسوخة. و يحتمل الثاني لإناطة الفرق على الفهم المختلف باختلاف الأشخاص و الأحوال و الأزمنة، و لو بمعونه العلم بالقرائن المتصلة الحالية أو المقالية أو المنفصلة المشتملة على بيان المجمل و تخصيص العام و تقييد المطلق و غيره مع أن التأويل كله من المتشابه و ما من آية إلّا ولها تأويل.

بل

ورد في الخبر أنه ما من آية إلّا ولها ظاهر و باطن و حدّ و مطلع «٢»

، و قد مرّ أن البطون كلها من التأويل فلكل آية معنى متشابه و إن كانت من المحكمات بناء على أن مغايرة الوصفين إنما هي

بالاعتبار، فلا- تمنع في الصدق بل يمكن تنزيل التقسيم من الآية و غيرها على ذلك و إن كان لا يخلو عن ضعف، إذ لا منافاة بين انتفاء الظهور بالنسبة الى الدلالة اللفظية المبتية على القواعد المؤسسه عن بعض الآيات و بين ثبوت التأويل للكلم مع ثبوت الظهور للبعض، بل يضعف حكاية الإناطة أيضا بأن المنوط به هو فهم أهل اللسان المبني على القواعد الممهدة، فإذا الأول أظهر، و منه يظهر أنه لا ملازمة بين المتشابه و الجهل بالمراد لجواز العلم بالتأويل و لو مع عدم سبق الجهل.

(١) آل عمران: ٧.

(٢)

في البصائر ص ١٩٥ عن الصادق عليه السلام ما من القرآن آية إلا ولها ظهر و بطن إلخ .. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٥

### تذييل

في الجواب عن إشكال الملاحدة على وجود المتشابهات في القرآن حكى الرازي في تفسيره عن بعض الملاحدة أنهم طعنوا في القرآن لأجل اشتماله على المتشابهات و قالوا: إنكم تقولون: إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن الى قيام القيامة، ثم أنا نزيه بحيث يتمسك به صاحب كل مذهب على مذهبه. فالجبري يتمسك بآيات الجبر كقوله تعالى: وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا «١»، و القدرى يقول: بل هذا مذهب الكفار بدليل أنه تعالى حكى ذلك منهم في معرض ذمهم في قوله: وَ قَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَ فِي آذَانِنَا وَقْرٌ «٢» و في موضع آخر:

وَ قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ «٣» و أيضا مثبت الرؤية يتمسك بقوله تعالى: وَ جُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ «٤» و النافي لها يتمسك بقوله: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ «٥»، و مثبت الجهة يتمسك بقوله تعالى: يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ «٦» و بقوله: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى «٧»،

(١) الأنعام: ٢٥، و الإسراء: ٤٦.

(٢) فصلت: ٥.

(٣) البقرة: ٨.

(٤) القيامة: ٢٢.

(٥) الأنعام: ١٠٣.

(٦) النحل: ٥٠.

(٧) طه: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٦

و النافي لها يتمسك بقوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ «١».

ثم إن كل واحد يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمه و الآيات المخالفة لمذهبه متشابهة، و ربما آل الأمر في ترجيح بعضها على البعض الى ترجيحات خفية، و وجوه ضعيفة، فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذي هو المرجوع اليه في كل الدين إلى يوم القيامة هكذا، أليس أنه لو جعله ظاهرا جليا نقيًا عن هذه المتشابهات كان أقرب الى حصول الغرض «٢».

ثم حكى عن العلماء وجوها في فوائد المتشابهات كأنه جعلها جوابا عن السؤال المتقدم فذكر أولًا: أنه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق أصعب و أشق، و زيادة المشقة توجب مزيد الثواب، قال الله تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا

يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ «٣».

و ثانيا: لو كان القرآن محكما بالكلية لما كان مطابقا إلا لمذهب واحد، و كان تصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب، و ذلك مما ينفّر أرباب المذاهب عن قبوله و عن النظر فيه فالانتفاع به إنما حصل لما كان مشتملا على المحكم و المتشابه فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يقوى مذهبه و يؤثّر مقالته، فحينئذ ينظر فيه جميع أرباب المذاهب، و يجتهد في التأمل فيه كل صاحب مذهب، فإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسّرة للمتشابهات، فبهذا الطريق يتخصّص المبطل عن باطله و يصل الى الحق.

(١) الشورى: ١١.

(٢) تفسير فخر الدين الرازى ج ٧ ص ١٧١.

(٣) آل عمران: ١٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٧

و ثالثا: أنه إذا كان مشتملا على المحكم و المتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة بدليل العقل، و حينئذ يتخلّص عن ظلمة التقليد، و يصل إلى ضياء الاستدلال و البينة، أمّا لو كان كلّ محكما لم يفتقر إلى التمسك بالدلائل العقلية فحينئذ كان يبقى في الجهل و التقليد.

و رابعا: أنه لاشتماله على الأمرين افتقر الناظر فيه الى تعلّم طرق التأويلات و ترجيح بعضها على بعض، و افتقر في تحصيل ذلك الى تعلّم علوم كثيرة من علم اللّغة و النحو و علم أصول الفقه، و لو لم يكن الأمر كذلك ما كان يحتاج الإنسان الى تحصيل هذه العلوم الكثيرة، فكان إيراد هذه المتشابهات لأجل هذه الفوائد الكثيرة.

و خامسا: و هو السبب الأقوى (عنده) في هذا الباب أن القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواصّ و العوامّ بالكلية، و طبائع العوام تنبو في أكثر الأمر عن إدراك الحقائق، فمن سمع من العوامّ في أوّل الأمر إثبات موجود ليس بجسم، و لا بمتخيّز، و لا مشار إليه، ظنّ أنّ هذا عدم و نفى، فوقع في التعطيل فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما يتوهّمونه و يتخيّلونه، و يكون ذلك مخلوطا بما يدلّ على الحقّ الصريح، فالقسم الأوّل و هو الذى يخاطبون به في أوّل الأمر يكون من باب المتشابهات، و القسم الثانى و هو الذى يكشف لهم في آخر الأمر و هو المحكمات، فهذا ما حضرنا في هذا الباب و الله اعلم بمراده «١». هذه الوجوه و إن سبقه غيره من المفسّرين في جلّها أو كلّها بل يوجد في كلام بعض المفسّرين ممّا إلا أنها غير حاسمة لمادّة الأشكال، بل منها ما يؤيد أصل السؤال، لضعف الأوّل بأن الوصول الى الحق حينئذ متعسر بل

(١) التفسير الكبير تأليف الفخر الرازى ج ٧ ص ١٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٨

متعذرّ للأكثر لعدم معرفة عامّة الناس بل و خاصّتهم أيضا بالتأويل الذى لا يعلمه إلا الله و الراسخون فى العلم فإناطة التبليغ و معرفة الحقائق به نقض للغرض، سيّما مع ما فى النفوس من الانحرافات و الاعوجاجات و الميل الى الأهواء الباطلة و المذاهب الفاسدة التى لا تقوم بالمتشابهات عليهم الحجّة و لا تنقطع بها عنهم المعذرة.

و الثانى بأنّه ممّا يقرّر أصل السؤال و يزيد فى الإشكال، فإنّ المقصد من إرسال الرسل و إنزال الكتب إنّما هو اجتماع الكلمة على الحقّ و استيصال الباطل و ردع أهل الضلال، فكيف يليق بصاحب الشريعة الإجمالى فى المرام و التشابه فى الكلام كى يتشّبث به كلّ فريق من المبطلين، و يأوله على مذهبه كل مبطل من المنتحلين، سيّما بأن يكون فتنه و مضلّة لأهل ملّته و المتدينين بدينه، و المتقادين لأمره.

فالمراد بأرباب المذاهب المذكور في كلامه إن كان أصحاب المذاهب المتخربة في هذا الدين ففتح باب التأويل والإلحاد والاعتذار بالانحرافات الباطلة لهم شقّ لعصا كلمة الأمة عن الحق الذي به يؤمنون، وماذا بعد الحق إلا الضلال فأنتي يؤفكون. وإن كان المراد الفرق الكافرة التي لم يسلموا أصلاً كعبدة الأصنام وأهل الكتاب فالأمر أشنع وأفطع، قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ «١».

و الثالث و الرابع بأن مجرّد الاستعانة بدليل العقل و تحصيل مثل اللغة و النحو و الأصول كيف صارت غاية مقصوده حتى أوجب قصد التوصل

(١) يونس: ٥٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٩

إليها إخفاء الحق في جملة المذاهب المختلفة، و هل العلوم المذكورة إلا من المبادئ و المقدمات العامة التي يتوقف على العلم بها فهم عامية المخاطبات العربية و إن لم تكن شرعية فالناس يطلبونها لمعرفة الخطابات الواردة في الكتاب و السنة لكونها عربية لا متشابهة، على أن أسباب التشابه من الاشتراك اللفظي و المعنوي و خفاء القرائن و غيرها شائعة في ألسنة العرب، و أين هذا من خصوص ما أوجب افتراق المذاهب و الاختلاف في الدين.

و من جميع ما مرّ ظهر ضعف الخامس أيضا فإن التدرج في الإرشاد إنما هو بالإجمال و التفصيل لا بما يوهم الجبر و التجسم و التعطيل.

و التحقيق في دفع الأشكال أن يقال إن الله تعالى قد بعث رسوله صلى الله عليه و آله بالرسالة و ختم به النبوة، و جعله حجة على جميع العالمين، و جعل شريعته باقية في عقبه الى يوم الدين، و أنزل عليه كتابا جامعا لعلوم الأولين و الآخرين، بل حاويا لجميع الحقائق و المعارف و الأحكام و الحوادث مما كان أو يكون أبد الآبدين حسبما مرّت اليه الإشارة، و حيث إنه صلى الله عليه و آله لم يتفرغ في البرهنة التي كان فيها بين الأنام لتبليغ جميع الأحكام، بل سائر المعارف التي لم تستعد أصحابه لقبولها و إدراكها لقرب عهدهم بالجاهلية الجهلاء، مع أنهم أعراب عرباء أولو أحقاد و قسوة و جفاء، فلذا أودع علمها عند خليفته و وصيه بل أودع عنده جميع معاني القرآن و بطونه و حقائقه، و أمر بحفظهما و اتباعهما و التمسك بهما معا و أنهما لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض، و حيث إنه علم أن من أمته من يرتد عن دينه، و يترك وصيته في خليفته، و ينازعه في أمر هو أحق من غيره، فلذا جعل الله سبحانه، ظاهر كتابه مشتتلا على المحكم الذي لا يختلف فيه اثنان لظهوره و وضوحه، و على المتشابه الذي أخبر في كتابه أنه لا يعلمه إلا الله

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٠

و الراسخون في العلم الذين هم حججه على عباده، و أمنائه في بلاده على ما أخبر به النبي صلى الله عليه و آله فيما ورد من طرق الخاصة و العامة، بل أخبر في كتابه: أنهم لو ردّوه إلى الرسول و إلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم «١».

فالمتشابهات هي التي يضطرّ الناس و يلجئهم إلى الإقرار و الإذعان بولاية أولياء الأمر الذين هم الباب و الحجاب، و حملة الكتاب و فصل الخطاب لكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون «٢»، يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها و أكثرهم الكافرون «٣». و لو كان القرآن كله محكما لتوهموا أنه مقصور على ظاهره الذي هو غير مشتمل إلا على أقل قليل من الأحكام، و لم يمكن الإحتجاج عليهم بأنهم محتاجون في معرفة حقائق الكتاب، و شرايع الحلال و الحرام الى الإمام عليه السلام. و توهم أنه مع ذلك لم ينفع به من هداه الله بنور الإيمان ثم إن ما ذكرناه من الحكمة هو الاستفادة من كلام أهل البيت (عليهم الصلاة و السلام):

ففي المحكي عن تفسير النعماني بالإسناد عن الصادق عليه السلام قال: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه و آله فختم به الأنبياء فلا نبى بعده، و أنزل عليه كتابا فختم به الكتب فلا كتاب بعده الى أن قال: فجعله النبي صلى الله عليه و آله علما باقيا في أوصيائه فتركهم

الناس و هم الشهداء على أهل كل زمان حتى عاندوا من أظهر ولاية و لاء الأمر و طلب علومهم، و ذلك أنهم ضربوا القرآن بعضه ببعض و احتجوا بالمنسوخ و هم يظنون أنه الناسخ، و احتجوا بالخاص و هم يقدرون أنه العام و احتجوا بأول الآية و تركوا السنة في تأويلها، و لم ينظروا الى ما يفتح الكلام و الى ما يختمه، و لم يعرفوا

(١) النساء: ٨٣.

(٢) الأنعام: ٣٣.

(٣) النحل: ٨٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦١

موارده و مصادره إذ لم يأخذوه من أهله، فضلموا و أضلوا، ثم ذكر عليه السلام كلاما طويلا- في تقسيم القرآن الى أقسام، و فنون، و جوه تزيد على مائة و عشرة الى أن قال عليه السلام و هذا دليل واضح على أن كلام الباري سبحانه لا يشبه كلام الخلق، كما لا تشبه أفعاله أفعالهم.

و لهذه العلة و أشباهها لا- يبلغ أحد معنى حقيقة تفسير كتاب الله إلا نبيه و أوصيائه الى أن قال عليه السلام ثم سئلوه عن تفسير المحكم من كتاب الله عز و جل فقال: أما المحكم الذي لم ينسخه شيء من القرآن فهو قول الله عز و جل: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ «١» الآية، و إنما هلك الناس في المتشابه لأنهم لم يقفوا على معناه و لم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له التأويلات من عند أنفسهم بآرائهم، و استغنوا بذلك عن مسئلة الأوصياء، و نبذوا قول رسول الله صلى الله عليه و آله وراء ظهورهم الخبر «٢».

و

في الإحتجاج عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في إحتجاجه على زنديق سأله عن آيات متشابهة من القرآن فأجابته الى أن قال عليه السلام: و قد جعل الله للعلم أهلا و فرض على العباد طاعتهم بقوله: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ «٣» و بقوله: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ «٤»، و بقوله: اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ «٥»، و بقوله:

(١) آل عمران: ٧.

(٢) المحكم و المتشابه عن تفسير النعماني ص ٥، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٨.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) النساء: ٨٣.

(٥) التوبة: ١١٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٢

وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ «١»، و بقوله: وَ اتُّوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا «٢»، و البيوت هي بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء، و أبوابها أوصيائهم، فكل عمل من أعمال الخير يجرى على غير أيدي الأوصياء، و عهددهم، و حدودهم، و شرائعهم، و سننهم، و معالم دينهم مردود غير مقبول، و أهله بمحل كفر، و إن شملهم صفة الإيمان الى أن قال عليه السلام بعد تأويل كثير من المتشابهات، و بيان غفير من المجملات: و إنما جعل الله في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره و غير أنبيائه و حججه في أرضه لعلمه بما يحدثه المبدلون، و تلييسهم على الأمة فأثبت فيه رموزا و جعل أهل الكتاب المقيمين به العالمين بظاهرة، و باطنه من شجرة أصلها ثابت و فرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، أى يظهر مثل هذا العالم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت، الى أن قال عليه السلام: ثم إن الله تعالى لسعة رحمته و رأفته بخلقه قسم كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسما منه يعرفه العالم و الجاهل، و قسما لا يعرفه إلا من صفى ذهنه، و لطف حسه، و صح تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام، و قسما لا يعرفه إلا الله و أمناؤه الراسخون في



العلم، و إنما فعل الله ذلك لئلا يدعى أهل الباطل من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم و ليقودهم الاضطرار الى الائتثار لمن ولاء أمرهم الخبر «٣».

بل فيه بطوله شواهد آخر على ما قدمناه.

و

روى البرقى فى «المحاسن» عن الصادق عليه السّلام فى رسالته قال عليه السّلام: فأما ما سألت عن القرآن فذلك أيضا من خطراتك المتفاوتة المختلفة، لأنّ القرآن ليس على ما ذكرت، و كلّ ما سمعت فمعناه على غير ما ذهبت اليه،

(١) آل عمران: ٧.

(٢) البقرة: ١٨٩.

(٣) بحار الأنوار ج ١٩ الطبع القديم باب ١٢٩ ص ١٢٢، الإحتجاج ص ١٣٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٣

و إنّما القرآن أمثال لقوم يعلمون، دون غيرهم، و لقوم يتلونه حق تلاوته، و هم الذين يؤمنون به و يعرفونه، و أما غيره فما أشدّ إشكاله عليهم و أبعد من مذاهب قلوبهم و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: إنّهُ ليس شىء أبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن، و فى ذلك يتخيّر الخلاق أجمعون إلّا من شاء الله، و إنّما أراد الله بتعميته فى ذلك أن ينتهوا الى بابه و صراطه و أن يعبدوه و ينتهوا فى قوله الى طاعة القوام بكتابه، و الناطقين عن أمره، و أن يستنبطوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم لا عن أنفسهم.

ثمّ قال عليه السّلام: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ «١»، فأما عن غيرهم فليس يعلم ذلك أبدا و لا يوجد و قد علمت أنه لا يستقيم أن يكون الخلق كلهم ولاء الأمر، لأنهم لا يجدون من يأترون عليه، و من يبلغونه أمر الله و نهيه فجعل الله الولاية خواصّ ليقضى بهم فافهم ذلك إنشاء الله، و إياك و إياك و تلاوة القرآن برأيك، فإنّ الناس غير مشتركين فى علمه كاشتراكهم فيما سواه من الأمور، و لا قادرين على تأويله إلّا من حدّه و بابه الذى جعله الله له الخبر «٢».

و

فى «الكافى» و «العلل» و «رجال الكشى» «٣» بالإسناد عن منصور بن حازم، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: إنّ الله أجلّ و أكرم أن يعرف بخلقه- إلى أن قال:- و قلت للناس: أليس تعلمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله كان الحجّة من الله على

(١) النساء: ٨٣.

(٢) المحاسن ص ٢٦٨، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤١.

(٣) الكشى محمد بن عمرو بن عبد العزيز أبو عمرو، فقيه، رجالى، إمامى اشتهر بكتابه (معرفة أخبار الرجال) مات نحو ٣٤٠، اختصر

رجال الكشى شيخ الطائفة الطوسى و سماه إختيار الرجال و هو المعروف بين الناس اليوم. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٤  
خلقه قالوا بلى، قلت: فحين مضى رسول الله صلّى الله عليه و آله من كان الحجّة على خلقه؟ قالوا القرآن، فنظرت فى القرآن فإذا هو يخاصم به المرجى، و القدرى، و الزنديق الذى لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلّا بقيم فما قال فيه من شىء كان حقا، فقلت لهم: من قيم القرآن؟

فقالوا: ابن مسعود قد كان يعلم، و عمر يعلم، و حذيفة يعلم، قلت: كلّهم؟ قالوا: لا، فلم أجد أحدا يقال: إنّهُ يعلم القرآن كلّه إلّا عليا، و إذا كان الشىء بين القوم و يقول هذا لا أدرى و هذا لا أدرى فأشهد أنّ عليا كان قيم القرآن، و كانت طاعته مفترضة، و كان الحجّة على الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله، و أنّ ما قال فى القرآن فهو حقّ فقال عليه السّلام: رحمك الله «١».

و

في «الكافي» عن الصادق عليه السلام: إن رجلا سأل أباه عن مسائل فكان ممّا أجابه به أن قال عليه السلام: قل لهم: هل كان فيما أظهر رسول الله صلى الله عليه وآله من علم الله اختلاف؟ فإن قالوا لا، فقل لهم: فمن حكم بحكم فيه اختلاف، فهل خالف رسول الله صلى الله عليه وآله فيقولون: نعم؟ فإن قالوا لا- فقد نقضوا أول كلامهم فقل لهم: ما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، فإن قالوا: من الراسخون في العلم؟ فقل: من لا يختلف في علمه، فإن قالوا: من ذاك؟ فقل: كان رسول الله صاحب ذاك، الى أن قال: وإن كان رسول الله لم يستخلف أحدا فقد ضيّع من في أصلاب الرجال ممّن يكونوا بعده قال و ما يكفيهم القرآن؟ بلى لو وجدوا له مفسّرا قال: و ما فسّره رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال بلى فسّره لرجل واحد، و فسّر للأمة شأن ذلك الرجل، و هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إلى أن قال: و المحكم ليس بشيئين إنما هو شيء واحد، فمن حكم بحكم ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزّ و جلّ، و من حكم

(١) الكافي ج ١ ص ١٦٨، علل الشرائع ج ١ ص ١٨٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٥  
بحكم فيه اختلاف فرأى أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت «١».

و في خطبة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أن علم القرآن ليس يعلم إلّا من ذاق طعمه، فعلم بالعلم جهله، و بصر به عماه، و سمع به صممه، و أدرك به ما قد فات، و حيى به بعد إذ مات، فاطلبوا ذلك من عند أهله و خاصّيته فإنهم خاصة نور يستضاء به، و أئمة يقتدى بهم، هم عيش العلم، و موت الجهل، و هم الذين يخبركم حلمهم عن علمهم، و صمتهم عن منطقتهم، و ظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحقّ و لا يختلفون فيه «٢».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي منها خبر دخول الصوفيّة على مولانا الصادق عليه السلام و احتجاجه عليهم لما احتجوا عليه بآيات من القرآن في الإيثار و الزهد المذكور في «الكافي» «٣» و غيره من الأخبار فلاحظ، بل يدلّ عليه أيضا الأخبار المتواترة الدالّة على غموض علم القرآن، و النهي عن الخوض و التكلّم

(١) الكافي ج ١ ص ٢٤٢.

(٢) يوجد ذيل الحديث في خطبتين من نهج البلاغة: الأولى خطبة ١٤٧ و الثانية خطبة ٢٣٧.

(٣)

الكافي ج ٥ ص ٦٥، و مسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣٥ عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث احتجاجه على الصوفيّة لما احتجوا عليه بآيات من القرآن في الإيثار و الزهد، قال عليه السلام: أ لكم علم بناسخ القرآن و منسوخه، و محكمه و متشابه الذي في مثله ضل من ضل، و هلك من هلك من هذه الأمة؟ قالوا: بعضه فأما كلّ فلا، فقال عليه السلام لهم: فمن ها هنا أتيتم، و كذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله الى أن قال عليه السلام: فبئس ما ذهبتم اليه، و حملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله و سنّة نبيه صلى الله عليه وآله و أحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزل و ردكم إياها لجهالتكم و ترككم النظر في غريب القرآن من التفسير، و الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه و الأمر و النهي- الى أن قال عليه السلام: دعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به، و ردوا العلم الى أهله تؤجروا و تعذروا عند الله، و كونوا في طلب ناسخ القرآن من منسوخه و محكمه من متشابهه و ما أحلّ الله فيه مما حرّم، فإنّه أقرب من الله، و أبعد لكم من الجهل، دعوا الجهالة لأهلها، فإنّ أهل الجهل كثير، و قد قال الله تعالى: وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٦

فيه بغير علم، و إيجاب ردّ علمه الى أهله، و إنه إنما يفهمه من خوطب به، و خبر الثقلين و إنهما لا يفترقان الى غير ذلك مما يوجب

الاضطرار الى الحجّة.

هذا مضافا الى أنّ التشابه في البعض ممّا يوجب الاستعلام و الاضطرار للرجوع إلى أبواب العلم و خزنة الوحي، و التلقّي منهم، و به يفتح لأهله باب معرفة القانون و المعيار الكلي في الاستنباط حسبما نشير إليه إن شاء الله تعالى، بل ربما تكون الحقائق لغموضها و دقّة مسالكها و مبانيها و خفاء معانيها لا يمكن التعبير عنها إلّا بالعبارات المتشابهة التي لا تعرف العاميّة منها إلّا المعاني المأنوسة في أذهانهم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٧

## الفصل الرابع

### إشارة

في النسخ و المنسوخ النسخ لغة الإزالة كقولهم: نسخت الشمس الظلّ أي أزالته، و منه نسخت الريح آثار القدم، و النقل و التحويل كقولهم: نسخت الكتاب أي نقلت ما فيه الى كتاب آخر، و منه قوله تعالى: **إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** «١» أي نقله الى الصحف، بل منه أيضا ما قيل من تناسخ الأرواح لنقلها من بدن الى بدن آخر متنعمة فيه أن كانت محسنة، و معدّبة فيه أن كانت مسيئة، و تناسخ القرون انقراضها قرنا بعد قرن، و تناسخ الموارث نقلها و تحويلها من وارث الى غيره قبل القسمة. و قد طال التشاجر بين الأصوليين و غيرهم في كون النسخ حقيقة في الأول كما عن المشهور، أو الثاني كما عن القفال «٢»، أو أنّه مشترك بينهما كما عن الشيخ

(١) الجاثية: ٢٩.

(٢) القفال عبد الله بن أحمد المروزي، فقيه، شافعي، كان وحيد زمانه فقهيا و حفظا و زهدا، كثير الآثار في مذهب الشافعي، و كانت صنعته عمل الأفعال، ولد سنة ٣٢٧ و توفي بسجستان سنة ٤١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٨

أبي جعفر الطوسي قدس سرّه «١» و الباقلاني «٢»، و الغزالي «٣»، و الآمدي «٤»، إلّا أنّ الأخير قيده بأن لا يوجد في حقيقة النقل خصوص تبدل صفة وجودية فهو رابع المذاهب، و خامسها التوقف كما عن جماعة، و لم يصير حوا بإرادة الاشتراك لفظا أو معنى، و ظاهر كلامهم بل الاستدلال بالاستعمال الظاهر في الحقيقة الأول، و لذا أجابوا عنه بأنه أعم، و أنّ الأظهر الأخير فهو السادس، بل لعلّه يظهر من

(١) شيخ الطائفة المحققة، و رافع إعلام الطريقة الحقّة محمد بن الحسن بن علي الطوسي، فقيه، محدث، مفسّر، أصولي، ولد سنة ٣٨٥ هو انتقل من خراسان الى بغداد سنة ٤٠٨ هو أقام أربعين سنة و رحل الى الغري، أحرقت كتبه عدّة مرات بمحضر من الناس، له تصانيف قيمة في العلوم الإسلامية كالتيبان في التفسير، و النهاية في الفقه، و التمهيد في الأصول، و العدة فيه أيضا، المبسوط في الفقه و الإستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار و التهذيب و غيرها، كان فضلاء تلامذته الذين كانوا، مجتهدين يزيدون على ثلاثمائة من الخاصة و العامة، توفي بالنجف سنة ٤٦٠ هـ قال صاحب الصراط المستقيم في نخبه المقال: في ترجمة الشيخ: محمد بن الحسن الطوسي أبو جعفر الشيخ الجليل أنجب

جل الكمالات إليه ينتسب تنجز القبض و عمره عجب

٧٥ ٤٦٠

(٢) القاضي الباقلاني محمد بن الطيب من كبار علماء الكلام، و ناصر طريقة الأشاعرة و انتهت رئاستهم اليه و هو الذي ناظر الشيخ المفيد قدس سزه و غلب عليه الشيخ فقال: الباقلاني: أ لك في كل قدر مغرفة فأجاب الشيخ نعم ما تمثلت بأدوات أبيك. ولد الباقلاني في البصرة ٣٣٨ و توفي ببغداد سنة ٤٠٣ هـ.

(٣) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، فقيه، شافعي تلمذ بنيشابور على إمام الحرمين حتى صار مشارا بالبنان، و صنف كتبا كثيرة كالبيسط، و الوسيط، و الوجيزة في الفقه، و الجام العوام في علم الكلام، التبر المسكوك في نصيحة الملوك، و المقصد الأسنى في شرح الأسماء، و أحياء العلوم في تهذيب الأخلاق على طريقة الصوفية، و غيرها توفي بالطايران (قرية بطوس) سنة ٥٠٥ و دفن هناك.

(٤) الأمدى بكسر الميم (منسوب الى الأمد هو بلد من بلاد الجزيرة) يمكن أن يكون مراده بالأمدى على بن محمد بن عبد الرحمن أبا الحسن البغدادي: فقيه حنبلي، بغدادى الأصل و المولد، نزل (آمد) بديار بكر سنة ٤٥٠ هـ و توفي به سنة ٤٦٧ له عمدة الحاضر و كفاية المسافر في الفقه نحو أربع مجلدات.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٩

كلمات أهل اللغة و لذا قال الفيومي في مصباحه: نسخت الكتاب نسخا من باب نفع نقلته، و استنسخته كذلك.

ثم حكى عن ابن فارس «١»: أن كل شيء خلف شيئا فقد انتسخه فيقال انتسخت الشمس الظل، و الشيب الشباب أى أزاله، و كتاب منسوخ و منتسخ أى منقول، و النسخة الكتاب المنقول منه انتهى، حيث نبه على أصل الباب و جعل منه انتساخ الشمس بل نسخ الكتاب أيضا، و إن كان تفسيره به بل بالنقل الذى اشتهر التمثيل به فى المقام لا يخلو عن تسامح فإنه ليس نقلا حقيقة، بل حكاية لألفاظه و خطه و لو بخط يخالفها.

و لذا قيل: إن الاستعمال لعلاقة المشابهة، بل لعلّ الظاهر أيضا ممّا ذكره شيخنا الطبرسى رحمه الله قال: النسخ فى اللغة أبطال شيء و إقامة آخر مقامه، يقال نسخت الشمس الظل أى أذهبته و حلت محله، و قال ابن دريد «٢»: كل شيء

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى الرازى من أئمة اللغة و الأدب، قرء عليه البديع الهمداني و صاحب بن عبّاد، له تصانيف نفيسة: منها مقاييس اللغة و جامع التأويل فى تفسير القرآن و فقه اللغة، ولد سنة ٣٢٩ و توفي سنة ٣٩٥ و من شعره: قد قال فيما مضى حكيم ما المرء إلّا بأصغريه

فقلت قول امرء لبيب ما المرء إلّا بدرهميه

من لم يكن معه درهما لم يلتفت عرسه اليه

و كان من ذلّه حقيرا يبول سنوره عليه

(٢) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أئمة اللغة و الأدب، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء و أعلم الشعراء، ولد فى البصرة سنة ٢٢٣ و انتقل الى عمّان فأقام اثنى عشر عاما و عاد الى البصرة ثم رحل الى نواحي فارس و كان شيعيا و له فى أهل البيت عليه السلام أشعار منها: أهوى النبى محمدا و وصيه و ابنه و ابنته البتول الطاهرة

أهل العباء فإننى بولائهم أرجو السلامة و النجا فى الآخرة تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٠

خلف شيئا فقد انتسخه، و انتسخ الشيب الشباب، و تناسخ الورثة أن تموت ورثة بعد ورثة و أصل الباب الإبدال من الشيء غيره، و أمّا ما ربما يظهر من «القاموس» من التعدد و التغاير حيث قال: نسخته كمنعه أزاله و غيره و أبطله، و أقام شيئا مقامه إلخ. فلعلّه من حيث المورد و المتعلق.

و على كل حال فالخطب فيه سهل كسهولته في أنه حقيقة هل هو الإبطال و الإزالة كما يلوح عن بعض، أو إقامة الغير مقام المزال كما يظهر من آخرين، أو الأمران معا كما عن الراغب «١» الأصفهاني في «المفردات» حيث قال: إنه لغة إزالة الصورة عن الشيء و إثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس، ثم يقال في إزالة الصورة من غير إثباتها في غيره نحو قوله تعالى: فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ «٢»، و يقال أيضا في إثبات مثل هذه الصورة في الغير من غير إزالتها عن الأول كنسخ الكتاب و هو إثبات ما فيه في محل آخر «٣».

و أرى محبة من يقول بفضلهم سببا يجير من السبيل الجائرة

أرجو بذاك رضى المهيمن وحده يوم الوقوف على ظهوره الساهرة  
توفى ابن دريد سنة ٣٢١ هـ.

(١) الراغب الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، أديب من أهل أصفهان سكن بغداد و اشتهر حتى كان يقرب بالغزالي له تصانيف قيمة كمحاضرات الأدباء و الذريعة الى مكارم الشريعة و جامع التفاسير كبير أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و حل متشابهات القرآن و المفردات في غريب القرآن و هو من أجل كتبه و أجر لها فائدة و هو في الواقع تفسير جامع لما ورد في القرآن الكريم من الكلمات الصعبة توفى الراغب سنة ٥٠٢ هـ.

(٢) الحج: ٥٢.

(٣) المفردات ص ٤٩٠ قال: النسخ إزالة شيء بشيء يتعقبه كنسخ الشمس الظل الشمس، و الشيب الشباب فيفهم منه الإزالة و تارة منه الإثبات و تارة منه الأمران و نسخ الكتاب إزالة الحكم بحكم يتعقبه قال تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها) قيل معناه ما نزيل العمل بها أو نحذفها عن قلوب العباد، و قيل: معناه ما نوجده و ننزله من قولهم نسخت الكتاب و ما نساها أى نؤخره فلم ننزله (فينسخ)

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧١

بل و كسهولته أيضا في معناه الشرعى المتشرعى الذى اختلفوا فيه على أقوال عديدة لا يسلم جلتها أو كلها عن وصمة الخلل التى لا تقدر فى مثل هذه التعاريف التى ليس المقصود بها إلا تحصيل نوع المعرفة أو المعرفة بالنوع، و لعل أسلمها من بعض الوجوه ما يحكى عن الفاضل العلامة أعلى الله مقامه. من إنه رفع الحكم الشرعى بدليل متأخر على وجه لولاه لكان ثابتا، إلا أن هذا هو نسخ الحكم الذى يبحث عنه الأصوليون، و إنما يبحث عن خصوص نسخ الآية حكما، أو تلاوة، أو معا بأن يخرج عن كونها كتابا و قرآنا محتوما، و إن قيل بإمكان إدراجه فى نسخ الحكم الى رفعه فهو حقيقة فى نسخ الحكم، لكنه كما ترى لا يخلو من تكلف، و لذا احتمل أيضا الاشتراك اللفظى و التجوز لوجود العلاقة المصححة.

نعم قد يفرق بين النسخ و الإنشاء باختصاص الأول برفع الحكم، و أما الثانى فهو رفعه و رفع التلاوة معا، و قيل: إن النسخ إذهب الى بدل، و الإنشاء إذهب لا الى بدل، و رد بقوله تعالى: ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها «١». لظهوره فى الإتيان بالبدل، و ستسمع تمام الكلام عند تفسير الآية إن شاء الله تعالى.

نعم ينبغى أن يعلم أنه مغاير للتخصيص «٢» و التقييد و البيان للمجمل ضرورة

الله ما يلقي الشيطان) و نسخ الكتاب نقل صورته المجردة الى كتاب آخر، و ذلك لا يقتضى إزالة الصورة الأولى بل يقتضى إثبات مثلها فى مادة أخرى كاتخاذ نقش الخاتم فى شموع كثيرة إلخ فما نقله المصنف فى المفردات منقول بالمعنى.

(١) البقرة: ١٠٦.

(٢) و قد أطلق النسخ كثيرا على التخصيص فى التفسير المنسوب الى ابن عباس. قال زعيم الحوزة العلمية آية الله أبو القاسم الخوئي

في تفسيره القِيم (البيان): النسخ في اللّغة هو الاستكتاب،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٢

في الأخيرين، و أما الأول و إن قيل باشتراكه معه بأنّ كلّ واحد منهما قد يوجب تخصيص الحكم ببعض ما يتناوله اللفظ لغّة، إلّا أنّه قد فُزق بينهما بأنّ التخصيص يبيّن أن الخارج به عن العموم لم يرد المتكلم بلفظه الدلالة عليه، و النسخ يبيّن أنّ الخارج به لم يرد التكليف به، و إن كان قد أراد بلفظه الدلالة عليه، و بأنّ التخصيص لا يرد على الأمر بمأمور واحد و النسخ قد يرد، و أنّ النسخ لا يكون في نفس الأمر إلّا بخطاب من الشارع بخلاف التخصيص، فإنّه يجوز بكل دليل عقلي أو سمعي، ظني أو قطعي، و أنّ النسخ لا بدّ أن يكون متراخياً عن المنسوخ بخلاف المخصّص فإنه يجوز أن يتقدّم العامّ و يقارنه و يتأخر عنه، و أنّ التخصيص لا يخرج العامّ عن الإحتجاج به مطلقاً في مستقبل الزمان، لأنّه يبقى معمولاً به فيما عدى صورة التخصيص بخلاف النسخ، فإنّه قد يخرج الدليل المنسوخ حكمه عن العمل به في مستقبل الزمان بالكلية عند ما إذا ورد النسخ بمأمور به واحد، و أنّ النسخ يرفع الحكم بعد ثبوته بخلاف التخصيص، و لذا قيل إنّ النسخ رفع و التخصيص دفع، لكنّه بناء على الظاهر، إذ في الحقيقة كلاهما دفع على ما قرّر في محلّه، و أنّه يجوز نسخ شريعته بشريعته، و لا يجوز تخصيص شريعته بشريعته أخرى، و أنّ العامّ يجوز نسخه حتى لا يبقى منه شيء بخلاف التخصيص، و أنّ النسخ تخصيص الحكم ببعض الأزمان، و التخصيص قد يكون بإخراج بعض الأزمان و قد يكون بإخراج بعض الأعيان و بعض الأحوال فيكون أعمّ من النسخ، و أنّ التخصيص يقع بالعقل و النسخ لا يقع به، و أنّه يقع نسخ فعل

كالاستنساخ، و بمعنى النقل و التحويل، و منه تناسخ الموارث و الدهور، و بمعنى الإزالة، و منه نسخت الشمس الظلّ، و قد كثر استعماله في هذا المعنى في ألسنة الصحابة و التابعين فكانوا يطلقون على المخصّص و المقيد لفظ النسخ. (البيان في تفسير القرآن ص ٢٩٥).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٣

بفعل دون التخصيص، و أنّ التخصيص يقع بالمخصّصات المتصلة و الخبر الواحد و غيره من الأدلّة فيجوز تخصيص القطعي بالظني دون النسخ، و أنّ النسخ لا بدّ أن يقع فيما علم بالإجماع أو الضرورة دون التخصيص، و أنّ النسخ لا بدّ أن يكون في زمن وجود النبي صلى الله عليه و آله دون التخصيص، فيقع بعده، إلى غير ذلك من الوجوه التي لا يخفى عليك ضعف بعضها، و رجوع جملة منها إلى غيرها، و إن كان بعض منها في محلّه.

فما ربما يقال من نفى المغايرة رأساً و رجوع النسخ إلى التخصيص، بل كونه من أفراد مطلقاً إن كان هناك عموم أزمانى و عن أفراد التقييد إن كان هناك إطلاق.

ضعيف جدّاً مردود باستقرار الاصطلاح من الشارع أو المشرعة الذي لا- مشاخيّة فيه على خلافه، و بظهور المغايرة جدّاً من عدم الاكتفاء بأحدهما عن الآخر في أخبار كثيرة

كالمروى عن مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام في خطبته المحكى في «النهج»: خُلف فيكم كتاب الله مبيّناً حلاله و حرامه و فرائضه و فضائله، و ناسخه و منسوخه، و رخصه و عزائمهم، و خاصّه و عامّه الخطبة «١»

و

في خطبة أخرى بعد ما سئل عن أحاديث البدع إلى أن قال: و آخر رابع لم يكذب على الله و لا على رسوله إلى أن قال: بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه و لم ينقص منه، و حفظ الناسخ فعمل به، و حفظ المنسوخ فجنّب عنه، و عرف الخاصّ و العامّ فوضع كلّ شيء موضعه «٢».

## (١) الخطبة الأولى

من نهج البلاغة قال عليه السلام: وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم، كتاب ربكم مبيّن حلاله وحرامه إلخ.

(٢)

الخطبة (٢٠١) من نهج البلاغة أولها إنّ في أيدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٤ فتبّه عليه السلام على التغيرات مضافا الى التقابل بأنّ حقّ النسخ العمل والمنسوخ الاجتناب، وأما الخاصّ والعامّ فيوضع كلّ منهما موضعه.

و

في «العيون» عن مولانا الرضا عليه السلام في كتابه الى المأمون في حديث محض الإسلام الى أن قال بعد ذكر الكتاب: نؤمن بمحكمه، ومتشابهه، وخاصّه وعامّه، ووعده، ووعيده، وناسخه، ومنسوخه (١).

و

في «الكافي» عن سليم بن قيس: إنّ في أيدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعامّا وخاصّا، ومحكما ومتشابهها إلى أن قال فإن أمر النبي صلى الله عليه وآله مثل القرآن منه ناسخ ومنسوخ، وخاصّ وعامّ، ومحكم ومتشابه، إلى أن قال: فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلّا أقرّانيها وأملأها على فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها، ومنسوخها، ومحكمها، ومتشابهها، وخاصّها، وعامّها (٢).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الظاهرة في ذلك، بل الأمر واضح من أن يحتاج الى الأطناب فيه بذكر الشواهد عليه. وأما إنّ النسخ هل هو رفع للحكم الشرعي الثابت بالخطاب، أو الدليل السابق المقتضى لشموله في الزمن اللاحق أيضا بظهوره لظاهر الأدلة، أو أنه بيان لانتهاء مدة الحكم لما استدلوا به من الوجوه الضعيفة التي لا يليق بالتعرض، أو أنّ النزاع في ذلك لفظي لا ابتناء الأول على الظاهر والثاني على الواقع، أو لغير ذلك، أو أنه مبني على تحقيق التكليف فإن كان مرجعه الى الإرادة الحقيقية أعني

(١) عيون الأخبار ج ١ ص ١٣١، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٠.

(٢) الكافي ج ١ ص ٦٢، نهج البلاغة فيض الإسلام (٢٠١) ص ٦٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٥

محبوبية الفعل والرضا به واقعا تعين أن يكون النسخ كاشفا عن ارتفاع الحكم بالنسبة إلى زمن النسخ، ومفيدا لانقضاء أمده، ولا يمكن كونه رفعا للحكم الثابت في زمن النسخ لاستلزامه البداء بالمعنى الممتنع في حقه سبحانه، وأن كان المراد به بعض الأمور الاعتبارية كالإلزام وجعل الثواب والعقاب، أو الأعم من الأول أمكن كونه رفعا للحكم الثابت في زمن الرفع لولاه، وغير ذلك من مباحث النسخ فالكافل لتحقيق الكلام فيها هو أصول الفقه، وإنّما نقتصر في المقام على البحث في أمرين:

الأول في جواز النسخ عقلا، والثاني في وقوعه شرعا.

وهو أي وقوعه شرعا وإن كان مقطوعا به مدلولاً عليه بعد الأصل بالضرورة القطعية من المذهب بل الدين، إلّا أنّها لا تنهض حجة على اليهود حيث خالفت في الأول، وإن نهضت على أبي مسلم الأصفهاني (١) من العامية حيث خالف في الثاني، نعم قد يحكى عن بعض اليهود أيضا المخالفة فيه خاصة.

وبالجمله فيدلّ على الأول أنّه لا مانع منه عقلا فيجوز وقوعه، بل قد يدعى العلم الضروري عليه أيضا وهو كذلك، على أنّ أفعاله تعالى إما أن تكون معللة بالأغراض والمصالح والحكم كما عن الإمامية، وتبعهم فيه المعتزلة فالمصالح تتغير بتغير الأزمنة كما يتغير

بتغيير الأشخاص، فكما يجوز أن يأمر زيدا

(١) أبو مسلم الأصفهاني، أبو مسلم: وال من أهل أصفهان. معتزلي من كبار الكتاب. كان عالما بالتفسير:

و غيره من صنوف العلم، وله شعر، ولي أصفهان و بلاد فارس، للمقتدر العباسي، واستمر إلى أن دخل ابن بويه أصفهان سنة ٣٢١هـ، فعزل. من كتبه «جامع التأويل» في التفسير أربعة عشر مجلدا، و مجموع رسائله، ولد أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني سنة ٢٥١ و توفي سنة ٣٢٢هـ (إرشاد الأريب ج ٦ ص ٤٢٠، الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٢٧٣).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٦

بشيء و ينهى عمروا عنه بعينه في زمان آخر، لاختلاف المصالح بالوجوه و الاعتبارات التي من أعظمها مقتضيات الأزمنة الناشئة منها أو حدوث الطوارئ فيها.

أو لا تكون معللة بها كما عن الأشاعرة فالأمر أوضح فإنه حينئذ يفعل ما يشاء كيف يشاء، و يغير و يبدل حسب إرادته و مشيئته، فلا مانع من أن يأمر بشيء قد نهى عنه سابقا أو بالعكس لتساوي نسبة الأمرين إلى فعله سبحانه.

هذا مضافا إلى أن الامتناع أما أن يكون ناشئا من ذاته أو ممّا يترتب عليه و كلاهما فاسد.

أما الأوّل فلأن النسخ إمّا رفع ظاهر، أو بيان أمد الحكم و انتهائه، و قد قضت الضرورة الفعلية بأنه ليس شيء منهما من الممتنعات الذاتية.

و أمّا الثاني فإن كانت من جهة تأخير البيان عن وقت الخطاب فقد قرّر في الأصول جوازه، أو من جهة اختلاف المصالح باختلاف الأزمنة فقد سمعت الكلام فيه على الوجهين، أو من جهة أخرى فلا يدرك العقل شيئا يقتضى الامتناع، بل الإنصاف إنه يدرك عدمه. و أمّا ما يقال سندا للمنع، أو حكاية عن المانع من أن الفعل إن كان حسنا قبح النهي عنه، و إن كان قبيحا قبح الأمر به، ففيه أن الحسن و القبح على القول بهما حسبما ما هو المقرّر عند الإمامية كما يكونان بالذات كذلك يكونان بالوجوه و الاعتبارات، و قد سمعت أنه قد يتغير المصالح بتغير الأزمنة، ألا ترى أن الطبيب قد يأمر المريض بشيء من الأغذية أو الأدوية ثمّ ينهاه عنه، أو بالعكس، فحفظه الشرع الذين هم أطباء النفوس ربّما يأمرون الناس بشيء في زمان، و ينهونهم عنه في زمان لعلمهم بما هو أقرب إلى السداد و أبعد عن الفساد،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٧

و أخرى بمصالح العباد، هذا كلّ مضافا إلى جميع ما يأتي ممّا يدلّ على الوقوع فإنه أدلّ دليل على الجواز.

و أمّا وقوع النسخ شرعا أعمّ من هذه الشريعة و غيرها من الشرائع و إن كان قد يعبر عن صنف بالنسخ في الشريعة، و عن آخر بنسخ الشريعة، و الأخير لا يتطرق إلى الأوّل لضرورة الخاتمية. فتدلّ عليه الضرورة القطعية من هذا الدين بل من سائر الأديان على تجدد الشرائع و اختلاف الأحكام بحسب اختلاف المصالح في الأزمنة و مقتضياتها التي من أجلها اختلفت الشرائع و التكاليف بحسب الأزمنة و غيرها.

و توهم اتحاد الشرائع و أن الأنبياء إنما بعثوا لتجديد الشرائع السالفة، و تذكير الناس بها بعد اندراسها بينهم مدفوع بأنّه و إن كان بعض الأنبياء مبعوثين لذلك كأنبياء بنى إسرائيل المجدّدين لمذهب موسى عليه السلام، و كأوصياء عيسى عليه السلام المجدّدين لمذهبه، بل و كذا أوصياء كل نبي من الأنبياء إلّا أن القول به على سبيل الكليّة مخالف للضرورة القطعية. إذ من المعلوم بديهية أن ما جاء به نبينا خاتم النبيين صلّى الله عليه و آله بل و كذا ما جاء به سائر الأنبياء و المرسلين عليهم السلام لم يكن بيانا و تجديدا لشريعة أبينا آدم عليه السلام، ضرورة أن كتابه هو حروف التهجي و شريعته بعض الأمور المتعلقة بالفلاحة و نحوها، و إن كانت مشتملة على بعض العبادات أيضا.



و دعوى أن بناء كل شريعة من الشرائع على زيادة شىء من الأحكام على الشريعة السابقة لا نسخ شىء منها و إبطالها، مدفوعه بأنه التزام للإبطال أيضا و لو لمثل حكم الإباحة و نحوها.

على أن التأمل فى أحكام الشرائع و تجددها يوجب القطع بما سمعت بحيث لا يبقى معه مجال لهذه الخيالات.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٨

و أميا ما يقال من أننا لا- نسلم أن نبوة نبينا صلى الله عليه و آله بل و غيره من الأنبياء عليهم السلام لا يصح إلا مع القول بالنسخ، لاحتمال أن يكون شرع من سبقه محدودا إلى بعثته، إذ من الجائز أن موسى و عيسى عليهم السلام أمر الناس بشرعهم إلى ظهور محمد صلى الله عليه و آله، ثم بعد ذلك أمرا الناس بإتباع شرعه فبعد ظهوره زال التكليف بشرعهما و حصل التكليف بشرع محمد صلى الله عليه و آله بمقتضى أمرهما، و مثله لا يكون نسخا، بل جاريا مجرى قوله: **ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** «١» بل قيل: إن المسلمين الذين أنكروا وقوع النسخ أصلا بنوا مذهبهم على هذا الكلام، نظرا إلى أنه قد ثبت فى القرآن أن موسى و عيسى بشرا فى التوراة و الإنجيل بمبعث محمد صلى الله عليه و آله، و أن بالفتح عند ظهوره يجب الرجوع إلى شرعه، و معه يمتنع الجزم بالنسخ.

فيه أنا لا نعنى بالنسخ إلا زوال الحكم الثابت سابقا، و إبطاله بعد ثبوته و التعبد به، بلا فرق بين كون الحكمين فى شريعة واحدة، أو فى شريعتين، و لا بين الإخبار بزواله و عدمه، فكل من الكليم و المسيح عليهم السلام و إن بشرا قومهما برسول يأتى من بعدهما اسمه أحمد، و أمرا الناس بإتباع الرسول النبى الأسمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة و الإنجيل يأمرهم بالمعروف، و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث، و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التى كانت عليهم، إلا أن هذا إخبار منهما ببطلان حكم شريعتهما بعد قدومه، لا أن التدين بشريعته صلى الله عليه و آله من أحكام شريعتهما، بل كونه إخبارا عن انتهاء حكم شريعتهما بشريعته لا يخرج عن النسخ كما توهم، بل كأنه إختيار لأحد

(١) البقرة: ١٧٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٩

القولين أو الأقوال فى معناه حسب ما سمعت.

هذا مضافا إلى أنه قد يلزم اليهود بأنه جاء فى التوراة: أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من الفلك: **إِنِّي جَعَلْتُ كُلَّ دَابَّةٍ مَا كَلَّكَ لَكَ و لذريرتك و أطلقت ذلك لكم ما خلا الدم فلا تأكلوه**، ثم إنه حرم على موسى و على بنى إسرائيل كثيرا من الحيوان. و بأنه ورد فى التوراة أن الله تعالى أمر آدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه، و قد حرم ذلك فى شريعة من بعده، و هذا مما حذره فى التوراة و إنما ذكرناه على سبيل الإلزام عليهم و إلا فالمستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام أنه لم يزوج بناته من بنيه على ما يأتى فى تفسير سورة النساء إن شاء الله تعالى.

و بأنه أباح السبب ثم حرمه، و جوز الختان ثم أوجبه، و يرد الإلزام عليهم بكل حكم وضعى أو شرعى اقتضائى أو تخييرى تجدد فى شىء من الشرائع.

هذا كله مضافا إلى ما سمعت من جوازه عقلا، و عدم المانع من وقوعه، إذ غاية ما يستدل به للمنع أن موسى عليه السلام لما بين شرعه، فإن كان قد دل على دوامه مع التنبيه بأنه سينسخه فهو باطل بالضرورة للمنافاة بين الأمرين، و لأنه لو كان كذلك لنقل متواترا لتوفر الدواعى، و لأنه من الكيفية التى تتبع الأصل فى النقل و معه يستحيل منازعة الجمع الكثير فيه.

و مع عدم التنبيه يستحيل أن ينسخ، و إلا كانت تلبيسا ممتعا على أصحاب الشرائع مع تطرقه إلى شرعنا أيضا إذ بالكسر غاية الأمر أن الشارع نص على تأييده و قد فرضنا مثله فى شريعة موسى عليه السلام مع تحقق نسخه مضافا إلى أنه يرفع

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٠

الوثوق بوعدده و وعيده.

و إن لم يدلّ على دوامه و انقطاعه فإن اقتضى الإطلاق الأول و لو للاستصحاب أو اقتضاء الأمر التكرار و الدوام فالبحث والبحث، و إن اقتضى الثاني و لو لاقتضاء الأمر المرّة فهو باطل للإجماع على الدوام فى الجملة، و لأنّه حينئذ لا يقبل النسخ.

و أنّه قد تواتر النقل عن موسى عليه السلام أنه قال: تمسكوا بالسبب أبدا و قال:

تمسكوا بالسبب ما دامت السماوات و الأرض و قوله حجة و طريقه التواتر الذى لا شكّ فيه.

و إن نسخ ما أمر به إمّا لحكمته ظهرت لم تكن ظاهرة حال الأمر فهو البداء المستحيل فى حقّه تعالى أو لا لحكمته فعبث قبيح عليه سبحانه.

و أنّه لو جاز نسخ الأحكام الشرعية لاختلاف الحكم و المصالح لجاز نسخ ما وجب من الإعتقادات فى باب التوحيد، و العدل، و المعاد و غيرها، و هو باطل بالإجماع.

و أنّ المنسوخ إمّا مؤقت فلا يقبل النسخ، أو مؤبد فيستلزم الجهل، أو مطلق منزل على أحدهما. و الكلّ كما ترى لظهور ضعف الأول بأنّ موسى عليه السلام قد تبّه على نسخ شريعته، و وصّى قومه بأن يؤمنوا بمن يأتى من بعده من الأنبياء خصوصا خاتم الأنبياء صلّى الله عليه و آله كما وقع التلويح بل التصريح به فى مواضع من التوراة و الإنجيل و الزبور و كتب دانيال، و زكريا، و شعيا، و حيقوق، و غيرهم من الأنبياء حسبما تصدّى لنقله عنها كثير من الأعظم. و عدم تواتر النقل لعلّه لإجماله المقتضى لعدم توفّر الدواعى، أو لانقطاع تواترهم باستتصال بخت نصر إياهم،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨١

و إمّا فالحقّ أنّ البشارة كان شائعا ذائعا عندهم يعرفه أحبارهم بل عامتهم، و لذا هاجر كثير منهم قبل مبعثه عن أوطانهم الى المدينة انتظارا لمبعثه، و إن لم يؤمنوا به بعده و فى ذلك نزل: **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴿١﴾**.

و يؤيده أنّ كثيرا ممّن أسلم من أهل الكتاب بل ممّن لم يسلم منهم قد أقرّ بذلك، و نحن قد باحثنا مع كثير منهم فأقرّ جمع منهم بأنّ موسى قد وّصانا بل تؤمن بالنبي المبعوث فى آخر الزمان إلّا أنه لم يجىء بعد و هو الذى تسمّونه بصاحب العصر عجل الله فرجه.

ثمّ مع تسليم على عدم تنبيه موسى عليه السلام على نسخ شريعته فلا نسلم استحالة النسخ، و التلبيس ممنوع بعد عدم التكليف به قبل وقوعه، و احتمال تطّرقه إلى شرعنا مدفوع بالضرورة القطعية.

و الدليل الثانى أيضا ضعيف للمنع مع أنه قد قال ذلك، و قد سمعت انقطاع تواترهم، بل قد ينسب وضع هذا القول الى ابن الراوندى «٢» ليعارض به دعوى

(١) البقرة: ٨٩.

(٢) ابن الراوندى أحمد بن يحيى بن إسحاق: فيلسوف مجاهر بالإلحاد من سكّان بغداد نسبتبه الى راوند من قرى أصبهان، له مجالس و مناظرات مع جماعة من علماء الكلام، طلبه السلطان فهرب، و لجأ الى لاوى اليهودى بالأهواز و صنّف له فى مدة مقامه عنده كتابه الذى سمّاه «الدامغ للقرآن» و وضع كتابا فى قدم العالم و نفى الصانع و غيرها التى عدّوها الى اثنى عشر كتابا كلها فى الطعن على الشريعة، و لكن قال السيد المرتضى فى الشافعى: إنّ ابن الراوندى قصد فى الكتب المذكورة الطعن على المعتزلة و لا يعتقد هو إلّا مذهب الحق، (الأعلام ج ص ٢٥٢، الكنى و الألقاب ج ٢ ص ١١١).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٢

الرسالة لما ظهر منه الاستخفاف بالدين، و لهذا لمّا أسلم كثير من أحبارهم مثل كعب الأخبار «١» و ابن سلام «٢» و وهب بن منبّه «٣»

وغيرهم من العارفين بالملّة اليهود لم يذكروا ذلك بل أنكروه.

مع أن الدوام في عبارته بعد تسليمه محمول على الزمان الطويل، بل قيل قد جاء في مواضع من التوريه بهذا المعنى، فقد قال في العبد يستخدم ست سنين ثم يعتق في السابعة، فإن أبي العتق يستخدم أبداً، وقال في البقره التي أمروا بذبحها: يكون ذلك سنّه أبداً، ثم انقطع التعبد به الى غير ذلك من المواضع التي استعمل فيها التأييد للزمان الطويل.

و الثالث أيضاً مردود بأن الحكمة ظاهره له سبحانه عالم بها في الأزل إلّا أنه لا يظهره إلّا بظهوره المقتضى المتجدد بتجدد الزمان. والرابع أيضاً مردود بمنع الملازمه إذ من المصالح ما لا يتبدل باختلاف الأزمنه أبداً كالتوحيد و سائر المعارف التي يحكم بها العقل، ولذا قيل: إنّه لا نسخ

(١) كعب الأخبار بن ماتع بن ذى هجن الحميري أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهليه من كبار علماء اليهود في اليمن، و أسلم في زمن أبي بكر، و قدم المدينة في دوله عمر، فأخذ عنه الصحابه و غيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابره، و أخذ هو من الكتاب و السنّه عن الصحابه. و خرج الى الشام و سكن حمص، و توفي فيها عن مائه و أربع سنين سنة ٣٢ هـ (تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤٩، الأعلام الزركلي ج ٦ ص ٨٥).

(٢) عبد الله بن سلام بن حارث الإسرائيلي، أبو يوسف صحابي قيل أنه من نسل يوسف بن يعقوب. أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه و آله المدينة، و كان اسمه «الحصين» فسماه رسول الله صلى الله عليه و آله عبد الله، و شهد مع عمر فتح بيت المقدس و الجايه، و له ٢٥ حديثا، و توفي بالمدينة سنة ٤٣ هـ، تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٤٩، الأعلام ج ٥ ص ٢٢٣.

(٣) قد مرّت ترجمه و هب بن متبه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٣

في العقليات، و ذلك أنّ حكم العقل القطعي لا يتغير أصلا.

و الخامس أيضاً ضعيف بأن المنسوخ مطلق، أو مؤبد في الظاهر، و اللّازم ممنوع حسب ما سمعت سابقا.

بقي الكلام فيما يحكى عن أبي مسلم بن بحر الاصفهاني من إنكار النسخ في القرآن نظرا إلى بعض ما مرّ ممّا قد ظهر الجواب عنه، و إلى قوله تعالى: لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه «١»، فلو جاز النسخ لبطل بعض الآيات إذ النسخ إبطال.

و ضعف هذا لدليل واضح فإن الآيات قد فسّرت بأنه لا يأتيه الباطل من قبل التوراه و لا من قبل الإنجيل و الزبور و لا يأتيه من بعده كتاب يبطله، و نسخ الآيه و لو من حيث التلاوة ليس إبطالا للكتاب الموضوع للمجموع، مع أنّ الظاهر من الباطل ما يشهد ببطلانه لا ما يرفع الحكم و التلاوة.

على أنه

قد ورد في تفسيرها عنهم عليهم السلام: ليس في اخباره عمّا مضى باطل، و لا في اخباره عمّا يكون في المستقبل باطل، بل اخباره كلّها موافقه كلّها لمخبراتها.

هذا مضافا الى الإجماع بل الضرورة على وقوع النسخ و دلالة جملة من الآيات عليه - كآيه الاعتداد بالحوال «٢» المنسوخه بآيه الاعتداد بأربعة أشهر و عشر «٣»، و توهم أنه لم يزل بالكلية لأنها لو كانت حاملا و امتد حملها حولا

(١) فصلت: ٤٢.

(٢) أى آيه (٢٤٠) من سورة البقره و هى: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَّأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ إِنْ خ...

(٣) أى آيه (٢٣٤) من سورة البقره و هى: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا إِنْ خ...

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٤

أعتدت به لا ينبغي الإصغاء اليه.

و من الآيات الدالة على النسخ آية تحويل القبلة الى المسجد الحرام «١» و آية الدالة على ثبات الواحد في مقابل الإثنين النسخة «٢» للآية الأخرى الدالة على الثبات في مقابل العشرة «٣»، و الآية الأمرة بتقديم الصدقة بين يدي نجوى الرسول «٤» المنسوخة برفعها «٥»، و آية ما ننسخ من آية «٦» على ما سيأتى على أن الخطب في ردّ أبي مسلم الأصفهاني سهل بعد مخالفته لإجماع المسلمين بل الضرورة من الدين.

(١) البقرة: ١٤٤ و هي آية: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا إِنْ خ...

(٢) الأنفال: ٦٦ و هي آية: الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ إِنْ خ...

(٣) الأنفال: ٦٥ و هي إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ إِنْ خ...

(٤) المجادلة ١٢ و هي إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدْتُمُو بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتَهُ إِنْ خ...

(٥) المجادلة: ١٣ و هي آية: أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ إِنْ خ...

(٦) البقرة: ١٠٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٥

### تبصرة في أقسام النسخ

النسخ على ثلاثة أقسام الأول نسخ الحكم دون التلاوة، و هو الشائع المعروف من النسخ في القرآن، فيكون الآية المنسوخة و النسخة ثابتين في التلاوة و إن ارتفع حكم الأول، كآية عدّة المتوفى عنها زوجها «١»، و مصابرة الواحد للعشرة، و الصدقة قبل النجوى، و تحويل القبلة، و التخيير بين المَن و الفداء «٢» و الأمر بقتال الكفار «٣»، و الحبس المؤبد «٤» المنسوخ بالجلد «٥» و الإرث بعقد الولاء «٦» على الخلاف في بعضها، و مثلها كثير في القرآن، بل قيل: إن آية السيف قد نسخت مائة و أربعين آية من أربعه و خمسين سورة مع بقاء تلاوتها.

و إن كان لا- يخلو من نظر فإن كثيرا من الآيات المعدودة من ذلك لا تنافي بينهما كي يلتزم بالنسخ المنفى بالأصل فيها إلا أن تقوم عليه حجة.

و الثاني العكس أى نسخ التلاوة دون الحكم كآية الرجم المذكورة في كثير من الأخبار و إن اختلفت في خصوص العبارة.

(١) البقرة: ٢٣٤ و ٢٤٠.

(٢) محمد صلى الله عليه و آله: ٤.

(٣) التوبة ٢٩ و هي آية: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ

(٤) النساء: ١٥ و هي آية: وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا.

(٥) النور: ٢ و هي آية: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ.

(٦) النساء: ٣٣ و هي آية: وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٦

ففى تفسير القمى كانت آية الرجم نزلت الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة فإنهما قضيا الشهوة نكالا من الله و الله عليم حكيم، و فى الكافى عن الصادق عليه السلام مثله الى قوله من الله «١» و قد روته العامة أيضا «٢» ، و من طريقهم أن من الآيات قوله تعالى: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى لهما ثالثا و لا يملأ

(١)

فى الفقيه ج ٤ ص ١٧: روى هشام بن سالم عن سليمان بن خالد قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: فى القرآن رجم؟ قال عليه السلام نعم قلت: كيف؟ قال: الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة فإنهما قضيا الشهوة ، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٣٥٠، و فى الكافى ج ٧ ص ١٧٧ عن يونس، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الرجم فى القرآن قول الله عزّ و جلّ: إذا زنا الشيخ و الشيخة فارجموهما البتة فإنهما قضيا الشهوة، و فى تهذيب الأحكام ج ١٠ ص ٣ روى الحديث كما فى الكافى.

أقول: و لا يخفى على المتأمل فى كلمات المحققين أن هذه الروايات و أمثالها لا تنهض حجة على المطلوب لأنها دالة على وجود النقص فى الكتاب الكريم و هو خلاف الحق. و لعل الروايات على فرض صدورها صدرت تقيّة لأن العامة رووا عن عمر بن الخطاب أنه ادعى أن آية الرجم من القرآن، و لكنه لمّا كان وحده لم يقبل منه زيد بن ثابت و لم يكتبها فى القرآن كما قال السيوطى فى الإتيان ج ص ١٠١: خرج ابن أشته فى المصاحف عن الليث بن سعد قال: أوّل من جمع القرآن أبو بكر، و كتبه زيد ... و إن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده و سيأتى أن حديث آية الرجم مروى فى الصحيح و المسند من كتب العامة عن عمر بن الخطاب و أبى بن كعب.

(٢) صحيح البخارى ج ٨ ص ٢٦: عن ابن عباس أن عمر قال فيما قال، و هو على المنبر: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه و آله بالحق، و أنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله عليه آية الرجم فقرأناها و عقلناها، و وعيناها، فلذا رجم رسول الله صلى الله عليه و آله و رجمنا بعده فأخشى أن طال بالناس زمان أن يقول قائل: و الله ما نجد آية الرجم فى كتاب الله، فيضل بترك فريضة أنزلها الله، و الرجم فى كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصن من الرجال، ثم إنّنا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم.

و فى مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١٣٢ عن زرّ بن حبيش، عن أبى بن كعب لقد رأيت سورة الأحزاب و إنها التعادل سورة البقرة و لقد قرأنا فيها الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله و الله عليم حكيم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٧

جوف ابن آدم إلّا التراب و يتوب الله على من تاب «١».

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١١٧ بإسناده عن ابن عباس: جاء رجل الى عمر فقال: أكلتنا الضبع - يعنى - فقال عمر: لو أن لامرئ واديا أو واديين لا- ابتغى إليهما ثالثا فقال ابن عباس: و لا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب ثم يتوب الله على من تاب. فقال عمر لابن عباس: ممّن سمعت هذا؟ قال: من أبى قال فإذا كان بالغداة فاغدا على فرجع الى أمّ الفضل فذكر ذلك لها فقالت مالك و للكلام عند عمر و خشى ابن عباس أن يكون أبى نسي فقالت أمه عسى أن يكون أبى نسي فغدا الى عمر و معه الدرّة فانطلقا الى أبى فخرج أبى عليهما و سأله عمر عما قال ابن عباس فصدّقه.

في مسنده أيضا ج ٥ ص ١٣١ مسندا عن أبي كعب قال ان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن قال: فقرا لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب. قال فقرا فيها و لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثالثا و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب و يتوب الله على من تاب إلخ ...

و في صحيح مسلم بهامش صحيح البخارى ج ٤ ص ٤٣٧ فى باب كراهة الحرص على الدنيا عن أبى الأسود قال: بعث أبو موسى الأشعري الى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن فقال: أنتم خيار أهل البصرة و قراؤهم فاتلوه و لا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبهم كما قست قلوب من كان قبلكم، و إننا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها فى الطول و الشدة ببراءة فأنسيتها غير أنى قد حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتغى واديا ثالثا و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب إلخ ...

أقول: مع ورود هذه الروايات و غيرها فى مسانيد القوم و صحاحهم الداللة على إسقاط كلمات و آيات من القرآن الكريم لماذا يشنعون على الإمامية و يطعنون عليهم بأنهم قائلون بتحريف الكتاب و نقصه مع أن القول بالنقص لا يقول به المحققون بل أجمعوا على عدم النقص و إليك ما قاله رؤساء علماء الشيعة و محققوهم فى هذا الشأن:

قال الشيخ الطوسى فى التبيان: أما الكلام فى زيادة القرآن و نقصه فمما لا يليق به لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، و أما النقصان فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه و هو الأليق بالصحيح من مذهبنا و هو الذى نصره المرتضى و هو الظاهر فى الروايات، غير أنه رويت روايات من جهة الشيعة و العامة بنقصان آى من آى القرآن طريقها الآحاد التى لا توجب علما و لا عملا و الأولى الأعراض عنه إلخ ...

قال السيد المرتضى على ما حكى عنه صاحب مجمع البيان: إن القرآن كان على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الآن لأنه يدرس و يحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عين على جماعه من الصحابة فى حفظهم له و أنه كان يعرض على النبى صَلَّى الله عليه وآله و يتلى عليه و أن جماعه من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٨

و الثالث نسخهما معا كما روى مما يتلى فى كتاب الله عشر

الصحابة مثل عبد الله بن مسعود و أبى بن كعب و غيرهما ختموا القرآن على النبى صَلَّى الله عليه وآله عدة ختمات كل ذلك يدل على أنه كان مجموعا مرتبا. و ذكر أن من خالف فى ذلك من الإمامية و حشوية العامة لا يعتد بخلافهم فإنه مضاف الى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارا ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم إلخ ...

قال الشيخ الصدوق فى الإعتقادات: اعتقادنا فى القرآن أنه ما بين الدفتين و هو ما فى أيدي الناس و ليس بأكثر من ذلك و من نسب إلينا أننا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب إلخ ...

قال السيد محسن الأعرجى المحقق البغدادي فى شرح الوافية: الإجماع على عدم الزيادة و المعروف بين علمائنا حتى حكى عليه الإجماع على عدم النقيصة إلخ ...

قال المحدث الخبير و المفسر الشهير المولى محسن القاسانى فى كتابه الوافى ج ٢ ص ٢٧٣ و ٢٧٤ بعد ما حكى قول الصدوق فى الإعتقادات: أشار فى أول كلامه: «أن القرآن الذى أنزله الله على نبيه محمد صَلَّى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين و ما فى أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك» الى إنكار ما قيل أن القرآن الذى بين أظهرنا بتمامه كما أنزل على محمد صَلَّى الله عليه وآله بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله و منه ما هو محرف مغتير، و قد حذف منه شيء كثير: منها اسم أمير المؤمنين عليه السلام فى كثير من المواضع، و منها غير ذلك، و أنه ليس أيضا على الترتيب المرضي عند الله و عند رسوله صَلَّى الله عليه وآله و قد روى ذلك كله على بن إبراهيم فى تفسيره و

روى بإسناده عن الباقر عليه السلام أنه قال: ما من أحد من هذه الأمة جمع القرآن إلّا وصى محمد صلى الله عليه وآله

و

بإسناده عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي: يا علي القرآن خلف فراشي في الصحف و الحرير و القراطيس فخذوه و اجمعوه و لا تضيّعوه كما ضيعت اليهود التوراة فانطلق علي عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته و قال: لا- أرتدى حتى أجمعه، قال: كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه قال: و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أن الناس قرءوا القرآن كما أنزل ما اختلف اثنان

ثم قال الفيض: أقول: و في

قوله صلى الله عليه وآله: قرءوا القرآن كما أنزل

الإشارة إلى صحته ما أولنا به تلك الأخبار ... إلى أن قال: إن مرادهم عليهم السلام بالتحريف و التغيير و الحذف إنما هو من جهة المعنى دون اللفظ أى حرّفوه و غيروه في تفسيره و تأويله يعنى حملوه على خلاف مراد الله تعالى فمعنى قولهم عليهم السلام: كذا نزلت أن المراد به ذلك لما يفهمه الناس من ظاهره و ليس مرادهم عليهم السلام أنها نزلت كذلك في اللفظ فحذف ذلك. كلّه يخطر ببالي في تلك الأخبار إن صحّت فإن أصبت فمن الله تعالى و له الحمد و إن أخطأت فمن نفسي و الله غفور رحيم، و استوفينا الكلام في هذا المعنى و فيما يتعلّق بالقرآن في كتابنا الموسوم بعلم اليقين فمن أراد فليراجع إليه. علم اليقين ص ١٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٩

رضعات يحرم من «١» و يقال: إن سورة الأحزاب كان بقدر السبع الطول و أزيد ثم وقع النقصان «٢» و على كل حال فلا مانع منه كما لا مانع من

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٦٧: روى عمره عن عائشة أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن: «عشر رضعات معلومات يحرم من» ثم نسخن به: خمس معلومات، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وآله و هن فيما يقرأ من القرآن.

(٢) الإتيان ج ٢ ص ٤٠: روى عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي صلى الله عليه وآله ما تى آية فلما كتب عثمان المصحف لم نقدر منها إلّا ما هو الآن.

و في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد حنبل ج ٢ ص ٤٣: روى زرّ قال: قال أبي بن كعب: يا زرّ، كأى تقرأ سورة الأحزاب؟ قلت: ثلث و سبعين آية، قال: إن كانت لتضاهى سورة البقرة، أو هى أطول من سورة البقرة، أقول: لا يخفى أن نسخ التلاوة أعّم من أن يكون مع نسخ الحكم أو بدونه كما فى سابقه هو بعينه التحريف و الإسقاط كما تبه عليه زعيم الأ- كبر آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئى فى بيانه حيث قال: إن نسخ التلاوة هذا إما أن يكون قد وقع من رسول الله صلى الله عليه وآله فهو أمر يحتاج الى الإثبات، و قد اتفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد، و قد صرح بذلك جماعة فى كتاب الأصول و غيرها مثل كتاب الموافقات لأبى إسحاق الشاطبى ج ٣ ص ١٠٦، بل قطع الشافعى و أكثر أصحابه و أكثر أهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة و إليه ذهب أحمد بن حنبل فى إحدى الروايتين عنه، بل إن جماعة ممن قال بإمكان نسخ الكتاب بالسنة المتواترة منه وقوعه كما فى الأحكام فى أصول الأحكام للآمدى ج ٣ ص ٢١٧ و على ذلك فكيف تصحّ نسبة النسخ الى النبي صلى الله عليه وآله و آله بأخبار هؤلاء الرواة؟ مع أن نسبة النسخ الى النبي صلى الله عليه وآله و آله تنافى جملة من الروايات التى تضمّنّت أن الإسقاط قد وقع بعده. و إن أرادوا أن النسخ قد وقع من الذين تصدّوا للزعامة بعد النبي صلى الله عليه وآله و آله فهو عين القول بالتحريف. و على ذلك فيمكن أن يدعى أن القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء السنة، لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة. سواء أنسخ الحكم أم لم ينسخ، بل تردد الأصوليون منهم فى جواز تلاوة الجنب ما نسخت تلاوته، و فى جواز أن يمسه المحدث و اختار بعضهم عدم الجواز. نعم ذهب طائفة

من المعتزلة الى عدم جواز التلاوة كما في الأحكام في أصول الأحكام للآمدى ج ٣ ص ٢٠١-٢٠٣.

ومن العجب أن جماعة من علماء أهل السنة أنكروا نسبة القول بالتحريف الى أحد من علمائهم حتى أن الآلوسى كذب الطبرسى في نسبة القول بالتحريف الى الحشوية وقال: إن أحدا من علماء أهل السنة لم يذهب الى ذلك، و أعجب من ذلك أنه ذكر أن قول الطبرسى بعدم التحريف نشأ من فساد قول

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٠

سابقه «١» لما سمعت من دليل الجواز بل الوقوع، مع أن التلاوة بمعنى استحبابها و استحقاق الثواب عليها فضلا عن غيرها كحرمة المس للحدث حكم شرعى يجوز أن ينسخ كغيره من الأحكام بل و كذا إرجاعه الى نوع من الوضع ككونه قرآنا يترتب عليه أحكامه حتى فى الندور و الأيمان، لكونه من جعليات الشارع القابلة للرفع مضافا الى أنه لا يخرج عن الحكم القابل له.

فما ربما يحكى عن شاذ من المعتزلة من المنع عن الأوليين أعنى نسخ الحكم دون التلاوة و العكس نظرا الى عدم الانفكاك بينهما نظير التفكيك بين المنطوق و المفهوم، و بين العلم و العالمية، و أن بقاء التلاوة خاصة يوهم بقاء الحكم فيؤدى الى إعتقاد الجهل و هو قبيح من الحكيم، مع استلزامه خلؤ القرآن عند الفائدة، و أن العكس يشعر بزوال الحكم حيث أن الآية ذريعة الى معرفته، فالتفكيك تعريض للمكلف لاعتقاد الجهل مع أنه عبث لا يلزم منه إثبات حكم و لا رفعه.

ضعيف جدا لا ينبغى الإصغاء اليه، و لا الى دليله بعد ظهور أن بناء النسخ بل الشريعة و لو فيما يتعلق بخصوص التلاوة الحكم على اعتبار المصالح المختلفة بالوجوه و الاعتبارات التى ربما يدعو بعضها الى إثبات الحكم أو- التلاوة فى بعض الأزمنة أو رفع أحدهما خاصة.

و أما ما ذكر من الوجوه فضعفها واضح.

أصحابه بالتحريف، فالتجأ هو الى إنكاره (روح المعانى ص ٢٤ ج ١) مع أن القول بعدم التحريف هو المشهور بل المتسالم عليه بين علماء الشيعة و محققهم، حتى أن الطبرسى قد نقل كلام السيد المرتضى بطوله، و استدلاله على بطلان القول بالتحريف بآتم بيان و أقوى حجة كما فى مجمع البيان ج ١ مقدمة الكتاب ص ١٥.

(١) قد عرفت سابقا أن نسخ التلاوة سواء كان مع نسخ الحكم أم لا هو بعينه التحريف الممنوع جدا عند المحققين.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩١

## الفصل الخامس

فى حجية القرآن و الاستدلال بظواهره فى الأصول و الفروع اعلم أن جمهور أهل العلم من الفرق كلها على حجيته، و الرجوع اليه و التمسك بمحكماته فى جميع العلوم و كافة الفنون من الأصول و الأحكام و الحكم و المواعظ، و القصص، و الوعد، و الوعيد، و غيرها، و كان الأمر مستمرا على ذلك فى زمن النبى صلى الله عليه و آله و الأئمة الطاهرين عليهم السلام بلا نكير منهم فى الرجوع الى محكماته، و كانت الأمة تفرع اليه فى إثبات مذاهبها المختلفة التى قد يعيد الإعتقاد بها من الأصول فضلا عن رجوعهم اليه فى الفروع، و لم يزل الأمر على ذلك الى أن حدث بعض المحدثين فأحدثوا القول بعدم جواز الرجوع اليه فى شىء من الأحكام، بل منهم من منع فهم شىء منه مطلقا حتى المحكمات مثل قوله تعالى: فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، و نحوهما إلا بتفسير من أصحاب العصمة عليهم السلام، و فصل بعضهم بين النص و الظاهر.

و مذهب جمهور متأخريهم أن كلاًه متشابه بالنسبة إلينا و لا يجوز أخذ شىء من الأحكام منه بل لا يجوز تفسير شىء من آياته إلا بعد ورود بيانه و تفسيره عن أهل البيت عليهم السلام دون النبى صلى الله عليه و آله فإن الأخبار النبوية أيضا عند كثير



تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٢

منهم كالكتاب لا يجوز الرجوع إليه إلا بعد ورود بيانه في اخبار الأئمة عليهم السلام حسبما تسمع اليه الإشارة. و ذكر بعضهم و هو المحدث الحرّ العالمى قدّس الله نفسه «١» إن لنا أن نستدل بالقرآن و لا يلزم التناقض لوجهين: أحدهما أنه دليل إلزامى للخصم لأنه يعتقد حجية تلك الظواهر مطلقا. و ثانيهما وجود النصوص المتواترة المخالفة للتقية الموافقة لتلك الظواهر

(١) شيخ المحدثين العالم الفقيه المتبحر الورع الشيخ الحرّ العالمى محمد بن الحسن بن على صاحب الرسائل الذى من على جميع أهل العلم بتأليف هذا الكتاب الشريف و الجامع المنيف الذى هو كالبحر ولد فى ٨ رجب سنة ١٠٣٣ قرء على أبيه و عمه و جده لأمه و خال أبيه و غيرهم فى مشقر «من جبل عامل بسورية» و جبع و أنتقل بعد أربعين سنة إلى العراق و انتهى إلى طوس بخراسان و اتفق مجاورته بها حتى توفى سنة ١١٠٤ هـ له غير الوسائل تصانيف قيمة آخر منها «أمل الآمال فى ذكر علماء جبل عامل» و «الجواهر السنية فى الأحاديث القدسية» و «رسالة فى ردّ الصوفية» و «رسالة فى تواتر القرآن» و «إثبات الهداء بالنصوص و المعجزات» و «أرجوزة فى الإرث» و «أرجوزة فى الإرث» و «أرجوزة فى الهندسة» و له ديوان فيه نحو عشرين ألف بيت منها فى نظم الحديث القدسى الذى رواه المسعودى فى كتاب أخبار الزمان إن الله تعالى أوحى الى إبراهيم عليه السلام: إنك لما سلّمت مالك للضعيفان و ولدك للقربان و نفسك للنيران و قلبك للرحمن اتخذناك خليلا :

فضل الفتى بالجوّد و الإحسان و الجود خير الوصف للإنسان

أو ليس إبراهيم لما أصبحت أمواله وقفا على الضيفان

حتى إذا أفنى اللهى أخذ أبنه فسخى به للذبح و القربان

ثم ابتغى النمروذ إحراقا له فسخى بمهجته على النيران

بالمال جاد و بابنه و بنفسه و بقلبه للواحد الديان

أضحى خليل الله جل جلاله ناهيك فضلا خلّة الرحمان

صح الحديث به فيا لك رتبة تعلق بأخصصها على التيجان

توفى الحرّ العالمى فى يوم (٢١) رمضان سنة ١١٠٤ فى المشهد المقدس بخراسان.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٣

فاستدلنا فى الحقيقة بالكتاب و السنّة معا، و لا خلاف فى وجوب العمل بهما.

و على كلّ حال فالحق الذى لا محيص عنه هو حجية ما كان منه محكما متضح الدلالة، و لو من جهة الظهور العرفى الذى يفهمه أهل اللسان و يدلّ عليه بوجوه:

منها الإجماع القطعى على ذلك المنعقد من أصحاب النبى صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السلام المستمر فى جميع الأعصار و الأمصار قبل ظهور الخلاف من بعض الأخباريين، بل الظاهر اتفاق قاطبة المسلمين من أهل الفرق و المذاهب كلها على التمسك بظواهره، و الأخذ بمحكّماته، و الاستدلال بها فى المقاصد الدينية، و الأحكام الشرعية، و المواعظ و القصص حتى فى أصول عقائدهم من العدل و الكلام، و القدرة و الاختيار، و المعاد، و الجنة و النار و الحساب و الثواب و العقاب و نحوها، بل فى إثبات صحة مذاهبهم كعصمة الإمام و تعيينه و لم يعهد من أحد منهم المناقشة فيه بعدم حجية الكتاب، و أنه لا عبرة بظواهره.

و الالتزام بورود نصّ مفسّرٍ له فى كلّ ما استدلّوا به تكلف جدّا، بل لعلّه مقطوع العدم، كظهور عدم اعتبارهم على ذلك النصّ على

فرض وروده قبل تعيين المذهب.

ثم منهم من لا يعمل بأخبار الآحاد، و كثير منهم من لا يقول بحجيتها في أصول العقائد فمن أين كان سكونهم الى ذلك الخبر، و لم لم يقتصروا في الاستدلال على خصوص الآيات المفسرة في الأخبار.

و يؤيده استقرار الأمر من الخاصّة و العامّة خلفا عن سلف على تفسير الآيات قراءة و كتابه من دون الاقتصار على خصوص ما ورد من النبي و الأئمة عليهم السلام في كل آية من الآيات إلّا في خصوص الكلمات و الآيات المعدودة عندهم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٤

في المتشابهات، بل تراهم يعدّون المروي عنهم فيها أحد الوجوه، و يتصدّون لذكر غيرها أيضا نظرا الى قوة دلالة اللفظ أو تطرّق الاحتمال، أو ظهور كون ما ورد عنهم من البطون لا الظواهر، بل يمكن دعوى الضرورة القطعية على إرادة ظواهر كثير من الآيات حسبما يفهمه أهل اللسان الذين هم المطلعون بأساليب الكلام، و قوانين العربية، كما أنه يمكن دعواها أيضا على تشابه بعض الآيات و الكلمات الموجب للرجوع فيها الى العلماء من آل محمد.

و لذا قال الشيخ في «التبيان»: إن معاني القرآن على أربعة أوجه:

أحدها ما اختصّ الله تعالى بالعلم به، فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه.

و ثانيهما ما يكون ظاهره مطابقا لمعناه، فكل من عرف اللغة التي خوطب بها عرف معناه، مثل قوله تعالى: **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** (١). و ثالثها ما هو مجمل لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفضيلا مثل قوله تعالى: **أَقِيمُوا الصَّلَاةَ**، ثم ذكر كثيرا من الآيات التي هي من هذا القبيل، و قال: إنّه لا يمكن استخراجها إلّا ببيان من النبي صلّى الله عليه و آله.

و رابعها ما كان اللفظ فيه مشتركا بين معنيين فما زاد عليهما، و يمكن أن يكون كلّ واحد منهما مرادا، فإنّه لا ينبغي أن يقدم أحد فيقول: إن مراد الله بعض ما يحتمله إلّا بقول نبي أو إمام معصوم الى آخر ما ذكره قدس سره، و لعل المراد بالاختصاص في القسم الأوّل بالنسبة الى غير النبي و الأئمة عليهم السلام و إلّا فقد علمهم الله سبحانه جميع علم القرآن، كما أن المراد بالرابع ما لم يكن هناك ظهور أو قرينة على التعيين، و ما ذكره من التفصيل لعله مستفاد عن العلوي المروي في

(١) الإسراء: ٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٥

«الإحتجاج» في جواب الزنديق و قد مرّ (١).

و منها الأخبار الكثيرة الدالة على استدلال الأئمة عليهم السلام بجملة من آياته و احتجاج أصحابهم بعضهم على بعض، و على خصمائهم في المذهب في مقامات كثيرة جدا من الأحكام، و غيرها الدالة على حجية ظواهرها و اعتمادهم عليها في إثبات مقاصدهم، و ردّهم على خصمائهم في إنجاح مطالبهم، و تقرير الأئمة عليهم الصلاة و السلام لهم بذلك لاستدلالهم لأصحابهم بها مرشدين لهم اليه، و استمرار هذه الطريقة بين أصحابهم و التابعين لهم من دون نكير منهم عليه خلفا عن سلف، كما لا يخفى على من تتبع الأخبار الكثيرة الواردة في أبواب الأصول و الفروع.

و منها أن ألفاظ الكتاب لو لم تكن دليلا على إرادة معانيها بدون التفسير لتوقف كونها معجزة على ورود التفسير و بيان المعاني المرادة ضرورة أن من أظهر وجوه اعجازه على ما يأتي اشتماله على الفصاحة و البلاغة التي لا يسعها طاقة البشر حتى اعترف به فصحاء العرب، حيث عجزوا عن الإتيان بأقصر سورة من مثله، و من البين أن ذلك لا يتم إلّا بمعرفة المعاني المتصورة من الإلفاظ، لأنّ البلاغة إنما تعرض اللفظ باعتبار ما أريد به من المعنى، و لم ينقل أنه صلّى الله عليه و آله كان يتحدّى العرب بالقرآن بعد تفسيره و بيانه لهم، كيف و لو كان الأمر كذلك لشاع و ذاع، بل قد يقال: إن ذلك يوجب خروج القرآن عن كونه معجزا بالبلاغة لتوقفه

حينئذ على التفسير، وصحته مبنية على ثبوت النبوة فإذا توقف ثبوتها على كونه معجزا لزم الدور.

(١) الإحتجاج ص ١٣٠، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٦

و توهم أن إعجازه إنما هو من حيث الصرفة، أو خصوص الأسلوب أو- غيرهما مما لا- توقف معه على فهم المعاني ضعيف جدا حسبما تأتي إليه الإشارة في البحث عن وجوه إعجازه.

ومنها أن الآيات المحكمة الناصة أو الظاهرة الواردة في بيان الأحكام والقصاص وغيرها.

قد ورد في تفسيرها عن أصحاب العصمة ما يوافق ظاهرها كالأخبار الكثيرة المتواترة الواردة في أبواب الإرث موافقة لظاهر الآيات، و الواردة في أحكام النكاح والطلاق ومدة العدة، والظهار، والإيلاء، والكفارات والمطاعم ومصارف الخمس، والصدقات، و مناسك الحج، وكيفية الوضوء، والتميم، وغيرها، بل الواردة في بيان قصص الأنبياء والمواعظ والمواعيد وأحوال المعاد ونحوها، وبالجملة من تصفح جملة يسيرة مما ذكرناه حصل له القطع بأن ظواهر هذه الآيات هي المقصودة منها، بل من ملاحظة المطابقة بينها وبين الأخبار المروية في تفسيرها المطابقة لظواهرها على حسب ظاهر الأفهام يحصل القطع بأن ظاهر كل ما له ظاهر من الآيات هو الحجته، وهو المقصود من سوق الخطاب، وإن كان غيره مقصودا أيضا من باب التأويل واستنباط شيء من البطون السبعة أو السبعين التي لا يمنع حجيتها بعضها بعد استفادته من حجيتها غيره كما ستسمعه في موضعه.

ومنها جملة من الآيات الكريمة التي لا دور في الاستدلال بها بعد القطع بإرادته مفادها الذي هو كون القرآن عربيا واضح الدلالة منزلا عليهم بلسانهم لتذكرهم، وتفكرهم، وخشيتهم.

كقوله تعالى: **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ**

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٧

**يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** «١».

وقوله تعالى: **أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** «٢».

وقوله: **أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** «٣».

وقوله: **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** «٤»، الى قوله تعالى: **وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ** «٥».

وقوله تعالى: **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا** «٦».

وقوله: **لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** «٧».

وقوله تعالى: **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ** «٨».

(١) الزمر: ٢٧-٢٨.

(٢) محمد: ٢٤.

(٣) النساء: ٨٢.

(٤) الشعراء: ١٩٣-١٩٥.

(٥) الشعراء: ١٩٨-١٩٩.

(٦) طه: ١١٣.

(٧) الشورى: ٧.

(٨) الحشر: ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٨

وقوله تعالى: وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ «١».

وقوله: أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفِكُونَ «٢».

وقوله: أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ «٣».

وقوله تعالى: قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ «٤». وفي آية: لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ «٥». وفي أخرى: لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ «٦».

وقوله: وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ «٧» وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ «٨».

وقوله: إِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَلَيْكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيماناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ «٩» وقوله تعالى:

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَتَقَصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ «١٠».

(١) ص: ١٩.

(٢) المائدة: ٩٣.

(٣) المائدة: ٧٥.

(٤) الأنعام: ٤٦.

(٥) الأنعام: ٩٧.

(٦) الأنعام: ٩٧.

(٧) الأعراف: ٥٢.

(٨) الإسراء: ١٠٦.

(٩) التوبة: ١٢٤.

(١٠) النمل: ٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٩

وقوله تعالى: وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا «١».

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ «٢».

وقوله تعالى: وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا «٣».

وقوله تعالى: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ «٤».

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي لا- يخفى وجوه دلالتها على المطلوب فلا- داعى الى الإطناب بالتقريب، بل ربما يحصل القطع

بذلك أيضا من ملاحظة بعض الخطابات الواردة فيه النازلة منزلة الخطابات الشفاهية التي لا واسطة فيها أصلا.

كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، يَا بَنِي آدَمَ، يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا، يوصيكم في أولادكم، الى غير

ذلك من الآيات الكثيرة المشتملة على الخطاب لعامة المكلفين، أو المصدرة بذكر المخاطب المستفاد منها كونها خطابا منه سبحانه

لهم، أو لصنف منهم المستلزم لفهمهم تلك الخطابات من دون واسطة.

ولذا ورد الأمر بسؤال الجنة وغيرها من الخيرات، والاستعاذة عن النار

(١) الحج: ٧٢.

(٢) يونس: ٥٧.

(٣) الإسراء: ٤١.

(٤) القمر: ٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ١٤٩٢

وغيرها من الشرور عند قراءة الآيات المتضمنة لها، وورد في كثير من الآيات الأمر بالتفكير والتدبر عند التلاوة، قال شيخنا الطوسي في تفسير قوله تعالى:

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا «١».

إن فيه دلالة على بطلان قول من قال: لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلّا بخبر وسمع وفيه تنبيه أيضا على فساد قول من يقول: إن الحديث ينبغي أن يروى على ما جاء وإن كان مخالفا لأصول الديانات في المعنى لأنه سبحانه دعا إلى التدبر والتفكير، وذلك مناف للتعامل والتجاهل «٢».

وقال في تفسير أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ الْآيَةُ «٣»: أنها تدل على فساد قول من زعم أن القرآن لا يفهم معناه إلّا بتفسير الرسول من الحشوية «٤» وغيرهم لأنه تعالى حث على تدبره ليعرفوه ويتبينوه «٥».

ومن هذا الباب ما يدل على كونه خطابا للمشركين واحتجاجا عليهم وعلى اليهود والنصارى مع أن ذلك يتوقف على فهمهم و لولا لاه لما صح ذلك ومنه

(١) محمد صلى الله عليه وآله: ٢٤.

(٢) مجمع البيان ج ٩ ص ١٤٠ ط. صيدا أفست مصطفى.

(٣) النساء: ٨٢.

(٤) قال العلامة النسابة الفقيه البحاثة آية الله السيد شهاب الدين المرعشي رحمه الله في تعليقاته القيمة على «إحقاق الحق» ما هذا لفظه: الحشوية قيل بإسكان الشين لأن منهم المجسمة والمجسمة مشو والمشهور أنه بفتحها نسبة إلى الحشا لأنهم كانوا يجلسون أمام الحسن البصري في حلقة فوجد في كلامهم «رويا» فقال؛ روي هؤلاء الأحشاء الحلقة أي جانبها والجانب يسمى حشاء ومنه الأحشاء لجوانب البطن - أقول: كلمة روي مفعول وجد والمراد أن الحسن رأى قوما في حلقة يستندون في كل شيء من العقليات والسمعيات برواية رويت.

(٥) مجمع البيان ج ٣ ص ٨٠ ط. صيدا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠١

قصه إرسال البراءة إلى مكة، إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون «١».

ومنها قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ الْآيَةُ «٢» حيث دلت على تقسيم الكتاب إلى محكم ومتشابه، ثم على الذم والإنكار على من أتبع المتشابه طلبا لإيثار الفتنة و طلبا لتأويله مع أنه لا يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم، والظاهر من تخصيص الذم على اتباع المتشابه أنه لا ذم على إتباع المحكم، كما يستفاد منها بل من مجرد التقسيم إليهما مع ملاحظة التسمية حجية الأول دون الثاني ضرورة أن الظاهر المنساق من المحكم بل المفسر به عندهم ما كان محكم الدلالة، بحيث تكون دلالة على ما أريد منه متضحة كما أن المتشابه ما لم تتضح دلالة لتشابه محتملاته بحيث لا مرجح ولا معين لشيء منها، بل يستفاد ذلك أيضا

من أخبار كثيرة أمره بالأخذ بالمحكم وردّ المتشابه إليه، و أن من ردّ متشابه القرآن الى محكمه فقد هدى الى صراط مستقيم، و أن المتشابه ما يشبهه على جاهه، و ما يشبه بعضه بعضا الى غير ذلك مما يورث القطع بحجية المحكم، و أنه ما كان واضح الدلالة حسب ما مرّت إليه الإشارة و تأتي.

و من هنا يظهر سقوط ما قيل في الاعتراض على الاستدلال به من أن هذه الآية محكمة في ذمّ اتباع المتشابه، و أما وجوب اتباع المحكم فلا- يستفاد منها إلّا ظنّاً، إذ كون بعض الكتاب محكما و كون المحكم أم الكتاب لا يدل على وجوب اتباعه، و ذمّ اتباع المتشابه بل على عدم ذمّ اتباع المحكم بمفهوم اللقب

(١) النمل: ٧٦.

(٢) آل عمران: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٢

و هو كما في كمال الضعف، سلّمنا و لكن نقول: إن وجوب الرجوع اليه ممّا لا- نزاع فيه لأحد، إنّما النزاع في كون الظاهر محكما بالنسبة إلينا و ما ثبت حقيقته شرعية و لا غيرها في المحكم بحيث يدخل الظاهر فيه قطعاً، و المستدلّ إنما استدلّ بها بناء على كون الظاهر محكما.

أقول: لا ينبغي التأمّل من حجّية المحكم بعد ملاحظة الآية و الأخبار بل الضرورة، و لذا نفى عنه الخلاف في صريح كلامه، و أما كون الظاهر محكما بالنسبة إلينا فقد سمعت استفادته من جملة من الأخبار بل من الآية أيضا مضافا الى ما عن تفسير النعماني بإسناده المعروف عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و رواه القمي في تفسيره مرسلا قال صلّى الله عليه و آله: و المحكم ممّا ذكرته في الأقسام ما تأويله في تنزيهه من تحليل ما أحلّ الله سبحانه في كتابه، و تحريم ما حرّم الله فيه من المأكّل و المشارب و المناكح.

و منه ما فرض الله عزّ و جلّ من الصلوة و الزكاة، و الصيام، و الحجّ و الجهاد و ما دلهم به ممّا لا غنى بهم عنه في جميع تصرفاته مثل قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ الْآيَةَ «١». و هذا من المحكم الذي تأويله في تنزيهه، و لا يحتاج في تأويله الى أكثر من التنزيل، و منه قوله عزّ و جلّ: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ الْآيَةَ «٢» فتأويله في تنزيهه، فهذا كله محكم لم ينسخه شيء قد استغنى بتنزيهه عن تأويله «٣».

و

قال (عليه السلام) في موضع آخر: و أما ما في القرآن تأويله في تنزيهه فهو

(١) المائدة: ٦.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٩٧ باب ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في أصناف آيات القرآن. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٣

كل آية محكمة نزلت في تحريم شيء من الأمور المتعارفة التي كانت في أيام العرب تأويلها في تنزيهها، فليس يحتاج فيها الى تفسير أكثر من تأويلها و ذلك مثل قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ الْآيَةَ «١»، و قوله: إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ الْآيَةَ «٢»، و قوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا «٣» و قوله: وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا «٤» و قوله تعالى: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا «٥».

و مثل ذلك في القرآن كثير مما حرم الله سبحانه لا يحتاج المستمع له الى مسألة عنه: و قوله عزّ و جلّ في معنى التحليل: أَجِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ «٦»، و قوله تعالى: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا «٧» و قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ «٨»، و قوله تعالى: أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ «٩»،

(١) النساء: ٢٣.

(٢) البقرة: ١٧٣.

(٣) البقرة: ٢٧٨.

(٤) البقرة: ٢٧٥.

(٥) البقرة: ١٥١.

(٦) المائدة: ٩٦.

(٧) المائدة: ٢.

(٨) المائدة: ٤.

(٩) المائدة: ١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٤

و قوله تعالى: أَجِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ «١»، و قوله تعالى:

لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ «٢» و مثل هذا كثير في كتاب الله الخبر «٣».

و هو صريح في أنّ نوع تلك الآيات التي لها ظواهر عرفية كلّ من المحكمات التي تأويلها بحيث يفهم معانيها كل من كان من أهل اللسان و المقصود من ذكر الآيات التمثيل لا الحصر و لذا تبّه في آخر الخبر على كثرة مثله في الكتاب. و منها الأخبار الكثيرة الدالة على عرض الأخبار عند التعارض أو الشك في صحتها أو مطلقا على كتاب الله المستفاد منها كونه واضح الدلالة مع الإغماض عن الأخبار المفسرة له، إذ لو لم يفهم منه شيء إلا بتفسيرهم لانتفت فائدة العرض. ففي عدّه من الصحاح وغيرها: إنّ على كل حقّ حقيقته، و على كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه، و ما خالف كتاب الله فدعوه «٤».

و

في حديث جابر عن أبي جعفر عليه السّلام: انظروا أمرنا، و ما جائكم منا، فإن وجدتموه للقرآن موافقا فخذوا به، و إن لم تجدوه موافقا فردّوه «٥».

و

في خبر آخر طويل: فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوهما

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) المائدة: ٨٧.

(٣) بحار الأنوار ج ١٩ ص ١١١ باب ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السّلام في أصناف آيات القرآن. ط. القديم.

(٤) المحاسن ص ١٢٦، الأمالى للصدوق ص ٢٢١.

(٥) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٨٦. بيروت المعلق بتعليقات الرازي. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٥

على كتاب الله فما كان في كتاب الله موجودا حلالا أو حراما فأتبعوا ما وافق الكتاب الخبر «١».

الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي لا ينبغي الاعتراض عليها بأن غاية ما يستفاد من العرض عليه كونه أماره لصحة الأخبار و عدمها، و اين هذا من حجتيه بنفسه، فقد ورد في عدة من الأخبار لزوم الأخذ بما خالف العامة و بما وافق الشهرة، و لا يستفاد منه حجية الخلاف و الوفاق بل و لا حجية الشهرة، غاية الأمر كونها باعتبار موافقة الخبر لها و مخالفتها جابرة و كاسرة، و أما حجيتها فمن أين؟ و بأن المراد من الآيات التي يجب العرض عليها هي المفسرة عن الأئمة عليهم السلام، و أما ما لم يعلم تفسيرها منهم فليس مما يجب العرض عليه.

لضعف الأول بأنه لا يمكن العرض عليه إلا بعد فهم معناه المقصود و لا خلاف لأحد في أنه إذا فهم المعنى المقصود من الكتاب فهو الحجة قطعا، و ضعف الثاني أيضا بأن الظاهر منها لزوم العرض عليه من حيث نفسه و أما إذا كان مبينا بيان الأئمة عليهم السلام فمع أنه لا مجال حينئذ للشك في صحة الخبر، أو ترجيحه على غيره لا ريب أن الاعتماد حينئذ على بيان الأئمة - عليهم السلام لا الكتاب، فإن ظاهر قوله فما كان في كتاب الله موجودا حلالا أو حراما، و قوله فإن وجدتموه للقرآن موافقا، أن العبرة بموافقتها و مخالفتها له في نفسه، و هو يدل على أن له ظاهرا هو المقصود منه يمكن للعارض فهمه، و منها ما صح عن النبي صلى الله عليه و آله عند العامة فضلا عن الخاصة، بل ادعى بعضهم تواتره، بل هو كذلك على ما مرّت اليه الإشارة من قوله عليه السلام: إني تارك فيكم الثقيلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله

(١) عيون الأخبار ط. قم ج ٢ ص ٢٠، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٨١ عن العيون. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٦

و عترتي و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض «١»

، فإن ظاهر الأمر بالتمسك سيما مع ملاحظة عطف أهل البيت عليهم السلام عليه الدال على المغايرة استقلال كل منهما بالإفادة، و عدم افتراقهما كما في الخبر لا يدل على توقف فهم جميع القرآن على بيان أهل البيت عليهم السلام بل يكفي أن يكون فائدة ذلك تفهيم المتشابهات و استنباط جميع العلوم من الكتاب، فإنه

قد ورد أنه ما من شيء مما كان أو يكون الى يوم القيامة إلا و علمه في الكتاب، و إن فيه علم الأرض و علم السماء «٢».

و أيضا المراد من الخبر إيماء أن يكون لزوم التمسك بكل منهما لاستقلال كل في الحجية، أو بهما معا أو بالعترة مستقلا و بالكتاب بشرط بيان العترة له، و أما الثالث فيلزمه التفكيك المخالف للظاهر جدا، بل المقصود من الخبر خلافه، و أما الثاني فيلزمه عدم حجية كلام العترة إذا لم يفصح عنه الكتاب و هو كما ترى.

و أو هن منه توهم أن حجية أقوالهم إنما هي لدليل آخر فيتعين الأول:

و يمكن أن يقال: إننا نختار الثاني، و يؤيده الحكم بعدم الافتراق، و حينئذ نقول في الجواب عن قوله: (عدم حجية كلام العترة) أنه بعد القول بعصمتهم و أن علومهم مستفادة من الكتاب إذ فيه تفصيل كل شيء علمنا إذا أخبر الإمام عليه السلام بحكم من الأحكام أنه في كتاب الله و العترة مجتمعان على ذلك.

و يمكن الجواب عنه بأن الكتاب أيضا حاله كذلك، إذ الحكم المستنبط منه نعلم أنه لو سئل عن الأئمة عليهم السلام لأفتوا به فاتفقا عليه، إلا أن فيه أن استفادة الحكم من الكتاب أول الكلام، إذ للخصم أن يقول أن ما نفهمه ليس هو بعينه مراد الله

(١) هذا الحديث كما مر سابقا مما اتفق على نقله و الف كتب قيمة فيه مثل كتاب الثقيلين من العبيقات للمير حامد حسين قدس سره في جلدتين و غيره.



(٢) بصائر الدرجات ص ١٩٥، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٧

تعالى، بل نحتاج في استفادة مراده الى بيان الأئمة و إثبات حجية ظواهرها بأدلة أخرى إغراض عن الاستدلال به، و كيف كان فالاستدلال بالخبر لا يخلو عن نظر.

و منها جملة من الأخبار التي مَرَّت الإشارة الى شطر منها كبعض أخبار العرض، و ما ورد في تفسير المحكم و المتشابه، و في فضل القرآن و شرفه، و أنه المخرج من الفتنة، و هو الفصل ليس بالهزل، و لا يشع منه العلماء، و لم تلبث الجن إذا سمعته «ان قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشده، و أنه إذا التبت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، و ما حل مصدق، و من جعله أمامه قاده الى الجنة، و من جعله خلفه ساقه الى النار، و هو الدليل يدل على خير سبيل، هو كتاب فيه تفصيل و بيان و تحصيل، و أن من استضاء به نور الله، و من عقد به أموره عصمه الله، و من تمسك به أنقذه الله، و من لم يفارق أحكامه رفعه الله، و من استشفى به شفاه الله، و من آثره على ما سواه هداه الله، و من طلب الهدى في غيره أضله الله، و من جعله شعاره و دثاره أسعده الله (١)».

بل

في الخبر عن السجاد عليه السلام أن القرآن بلغه العرب فيخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم، أما نقول للرجل التميمي الذي قد أغار قومه على بلد و قتلوا فيه أغرتهم على بلد و فعلتم كذا الخبر.

و

في موثقة عبد الله بن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل شرب الخمر في عهد أبي بكر و عمر، و اعتذر بجهله بالتحريم، فسألا أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك

(١) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٩ ط. القديم. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٨

فأمر عليه السلام بأن يدار به على مجالس المهاجرين و الأنصار و قال: من كان قرء عليه آية التحريم فليشهد عليه، ففعلوا ذلك، فلم يشهد عليه أحد فخلّى عنه (١)».

و نحوه

رواية أبي بصير عنه عليه السلام و فيها: فإن لم يكن تلى عليه آية التحريم فلا شيء عليه (٢)».

و

عن «الخصال» عن النبي صلى الله عليه و آله: إنما أتخوف على أمتي من بعدى ثلث خلال أن يتأولوا القرآن على غير تأويله، أو يبتغوا زلّة العالم، أو يظهر فيهم المال حتى يطغوا، و سأنبئكم المخرج من ذلك، و أمّا القرآن فاعملوا بمحكمه، و آمنوا بمتشابهه (٣)».

و

في «جامع الأخبار» (٤) و «غوالي اللثالي» عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: إن

(١) الفروع من الكافي ج ٧ ص ٢١٦.

(٢) الفروع من الكافي ج ٧ ص ٢٤٩.

(٣) الخصال ص ٧٦ ط. الشفيعي بطهران.

(٤) كتاب جامع الأخبار اختلف في مؤلفه، المشهور أنه للصدوق و لكنه خلاف التحقيق. قال المحدث الخبير العلامة المجلسي قدس

سره في مقدمة البحار: أخطأ من نسب كتاب جامع الأخبار الى الصدوق، بل يروى عن الصدوق بخمس وسائط، وقد يظن كونه تأليف مؤلف مكارم الأخلاق، و يحتمل كونه لعلى بن سعد الخياط، لأنه قال الشيخ منتجب الدين في فهرسه: الفقيه الصالح أبو الحسن علي بن أبي سعد الخياط عالم، ورع واعظ، له كتاب الجامع في الأخبار، و يظهر من بعض الكتاب أن اسم مؤلفه محمّد بن الشعيري، و من بعضها أنه يروى عن الشيخ جعفر بن محمد الدرويستي بواسطة و يظهر من تعليقه البحار ج ١ ط الآخوندي بطهران أن مؤلف جامع الأخبار كان من علماء عصر الخامس و السادس من الهجرة حيث نقل عن جامع الأخبار ص ١٠: حدثنا الحاكم الرئيس الإمام مجد الحكام أبو منصور علي بن عبد الله الزيادي أدام الله جماله أملاء في داره يوم الأحد الثاني من شهر الله الأعظم رمضان سنة ثمان و خمسمائة. قال حدثني الشيخ الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الدرويستي إملاء أورد القصة مجتازا في أواخر ذى الحجة سنة أربع و سبعين و أربعمائه. قال حدثني أبو محمد بن أحمد. قال حدثني الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه إلخ .. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٩

كتاب الله على أربعة أشياء: على العبارة، و الإشارة، و اللطائف، و الحقائق، فالعبارة للعوام، و الإشارة للخواص، و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء «١».

دلالة هذه الروايات على المطلوب بيّنه، و المراد بالخواص غير الأئمة المعبر عنهم بالأولياء و إلا لا تحدّث معها و صارت الأربعة ثلثة، مضافا الى مقابلتها للعوام فلكلّ من الطوائف الأربع حظّ و نصيب من فهم القرآن و علمه.

و

في «الاحتجاج» عنه عليه السلام في حديث الزنديق الذي جاء بأى من القرآن زاعما تناقضها حيث قال عليه السلام بعد كلام طويل: ثم إن الله جلّ ذكره بسعة رأفته و رحمته بخلقه و علمه بما يحدثه المبدلون قسّم كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسما منه يعرفه العالم و الجاهل، و قسما لا يعرفه إلّا من صفا ذهنه و لطف فهمه و حسّه و صحّ تمييزه ممّن شرح الله صدره للإسلام، و قسما لا يعرفه إلّا الله و أمناؤه الراسخون في العلم الخبر «٢».

و

في العلوي المذكور في «النهج» و غيره بعد قوله تعالى: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ آيَةٌ «٣»: فالردّ الى الله الأخذ بمحكم كتابه، و الردّ الى الرسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المفترقة، ففي «النهج» في معنى الخوارج و لما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا لم تكن الفريق المتولّى عن كتاب الله تعالى قال الله سبحانه: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ «٤» فردّوه الى الله نحكم بكتابه «٥».

(١) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٧ ط. القديم عن الدرّة الباهرة.

(٢) الاحتجاج: ص ١٣٠، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٣.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) النساء: ٥٩.

(٥) نهج البلاغة لفيض الإسلام ص ٣٧٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٠

و من هنا يظهر أنّ الآية المفسّرة بالخبر حجة لنا، و أنّ الجهل بالمراد من الردّ الى الله ضعيفة بعد ظهوره من المقابلة في الآية و تفسيره في الخبر، كضعف احتمال إرادة الردّ إليها معا، فإنّ الردّ الى كلّ ردّ الى الكلّ، لعدم الفرقة عند الفرقة.

و أمّا ما يقال: إنّ المحكم لا- نعلم المراد به سلّمنا كون الآية منه لكنّا تنازعنا في جواز العمل بالظواهر، فإن دلت على الجواز فأين

موضع الإفادة، أو على الرجوع الى محكم غيرها فأين ذلك المحكم.

ففيه أن الظاهر من المحكم عرفا ما كان له دلالة ظاهرة يفهمها أهل اللسان و هو الظاهر من الأخبار الواردة في تفسيره أيضا، بل و من مقابلته بالمشابه المفسر في كلامهم عليهم السلام بما اشبهه على جاهة، و أما ما هو المرجع في المتنازع فيه فالآيات الكثيرة التي مَرَّت إليها الإشارة.

و من أطرف ما أورد على الاستدلال بها في المقام معارضتها بقوله تعالى:

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴿١﴾ وقوله تعالى: مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴿٢﴾، وقوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٣﴾ وقوله تعالى: لِيُثَبِّتَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿٤﴾ وقوله تعالى: وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ ﴿٥﴾، الآيات، و هو كما ترى.

و

عن تفسير العياشي عن هشام رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قيل له روى

(١) النساء: ٦٥.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) الأحزاب: ٢١.

(٤) النحل: ٤٤.

(٥) النساء: ٨٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١١

عنكم أن الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجال، فقال عليه السلام: ما كان الله ليخاطب خلقه بما لا يعقلون «١».

و

عن كنز الفوائد للكراچكي «٢» قال جاء في الحديث أن قوما أتوا رسول الله صلى الله عليه و آله فقالوا: أ لست رسول الله تعالى؟ قال لهم: بلى، قالوا له: و هذا القرآن الذي أتيت به كلام الله تعالى؟ قال عليه السلام: نعم، قالوا: فأخبرنا عن قول الله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ «٣»، إذا كان معبودهم معهم في النار فقد عبدوا المسيح، أ فنقول: إنه في النار؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و آله إن الله سبحانه أنزل القرآن على بكلام العرب، و المتعارف في لغتها أن ما لما لا يعقل، و من لمن يعقل، و الذي يصلح لهما جميعا، فإن كنتم من العرب فأنتم تعلمون هذا قال الله تعالى: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ يريد الأصنام التي عبدوها و هي لا تعقل، و المسيح لا يدخل في جملتها فإنه يعقل، و لو قال: إنكم و من تعبدون لدخل المسيح في الجملة، فقال القوم: صدقت يا رسول الله.

و

في «الكافي» و «المحاسن» عن محمد بن منصور قال سألت عبدا

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٤١، وسائل الشيعة ج ٢ أبواب ما يكتسب به باب ١٠٠.

(٢) قال مؤلف البحار في مقدمته: و أما الكراچكي فهو من أجلة العلماء و الفقهاء و المتكلمين و أسند إليه جميع أرباب الإجازات. و كتابه كنز الفوائد من الكتب المشهورة التي أخذ عنه جل من أتى بعده.

و سائر كتبه في غاية المتانة. و قال الشيخ منتجب الدين في فهرسه: الشيخ العالم الثقة أبو الفتح محمد بن علي الكراچكي فقيه الأصحاب قرء على السيد المرتضى علم الهدى و الشيخ الموفق أبي جعفر و له تصانيف منها: كتاب التعجب، و كتاب النوادر. كان

الكرجكي فقيها، أصوليا، محدثا، عالما بالنجوم والهيئة، نحويا لغويا، طيبا متكلما. من كبار العلماء وأعظم الإمامية. تلمذ على الشيخ المفيد، والسيد المرتضى و سافر في طلب العلم الى بلاد كثيرة و أكثر أقامته في الديار المصرية. توفي سنة ٤٤٩.

(٣) الأنبياء: ٩٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٢

صالحا (١) عن قول الله عزّ وجلّ إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر و ما بطن، قال عليه السّلام إنّ القرآن له ظاهر و باطن، فجميع ما حرّم الله في القرآن فهو حرام على ظاهره كما هو الظاهر، و الباطن من ذلك أئمة الجور، و جميع ما أحلّ الله في الكتاب فهو حلال و هو الظاهر، و الباطن من ذلك أئمة الهدى (٢).

و

في العلل عن الباقر عليه السّلام في حديث الطينة في قوله تعالى: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ (٣) قال عليه السّلام: هو في الظاهر ما تفهمونه و في الباطن كذا إلخ .. (٤)

و

في «الخصال» عن النبي صلّى الله عليه و آله: أمّا القرآن فاعملوا بمحكمه و آمنوا بمتشابهه (٥).

و

عن الصادق عليه السّلام قال: القرّاء ثلاثة (ثم ذكرهم و ذمّ إثنين منهم و مدح واحدا و هو) من يعمل بمحكمه، و يؤمن بمتشابهه، و يقيم بفرائضه، و يحلّ حلاله، و يحرم حرامه (٦).

و

في «العيون»، من ردّ متشابه القرآن الى محكمه فقد هدى الى صراط مستقيم (٧).

(١) المراد بالعبد الصالح موسى بن جعفر عليهما السّلام.

(٢) الأصول من الكافي ج ١ ص ٣٧٤ بتفاوت يسير من الألفاظ.

(٣) يوسف: ٧٩.

(٤) تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٤٩ في تفسير سورة يوسف عن علل الشرائع للصدوق.

(٥) الخصال للصدوق ج ١ ص ٧٦ ط. الشفيعي بطهران.

(٦) الخصال للصدوق ج ١ ص ٢٩٠ ط. الآخوندي بطهران.

(٧) عيون أخبار الرضا للصدوق ج ١ ص ٢٩٠ ط. الآخوندي بطهران.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٣

و

في «الكافي» و «الفتاوى» عن عبيد بن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام:

قوله تعالى: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ (١)، قال عليه السّلام: ما أبينها من شهد فليصمه، و من سافر فلا يصمه (٢).

و

في «الكافي» و «التهذيب» عن الصادق عليه السّلام في حديث قال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ (٣)، فلو سكت لم يبق أحد إلّا تعجّل لكنّه قال: وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ (٤). (٥)

و

في «العلل» في الصحيح و تفسير العياشي عن زرارة قال قلت لأبي جعفر عليه السّلام ألا تخبرني من أين علمت و قلت إنّ المسح

ببعض الرأس و بعض الرجلين؟

فضحك (عليه السلام) و قال: يا زرارَةَ قاله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَزَلَ بِهِ الْكِتَابُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: فَاعْسَلُوا وُجُوهَكُمْ فَعَرَفْنَا أَنَّ الْوَجْهَ كُلَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَغْسَلَ، ثُمَّ قَالَ: وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمِرْفَاقِ فَوَصَلَ اللَّهُ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ بِالْوَجْهِ، فَعَرَفْنَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لِهَمَا أَنْ يَغْسَلَا إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثُمَّ فَصَلَ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ فَقَالَ:

وَ أَمْسَلِي حَوْأَ بَرُؤُسَتِكُمْ فَعَرَفْنَا حِينَ قَالَ بَرُؤُوسَكُمْ أَنَّ الْمَسْحَ بِبَعْضِ الرَّأْسِ لِمَكَانِ الْبَاءِ، ثُمَّ وَصَلَ الرَّجْلَيْنِ بِالرَّأْسِ كَمَا وَصَلَ الْيَدَيْنِ بِالْوَجْهِ، فَعَرَفْنَا حِينَ وَصَلَهُمَا بِالرَّأْسِ أَنَّ الْمَسْحَ عَلَى بَعْضِهَا الْخَيْرُ «٦» ، و قريب منه خبران آخران.

و

في «الكافي» و «التهذيب» عن عبد الله الأعلى مولى آل سام قال: قلت

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) الفروع من الكافي ج ١ ص ١٩٧، من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٤٩.

(٣) البقرة: ٢٠٣.

(٤) البقرة: ٢٠٣.

(٥) الفروع من الكافي ج ١ ص ٣٠٧، التهذيب ج ١ ص ٥٢٤.

(٦) علل الشرائع ص ١٠٣، من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٠، الفروع من الكافي. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٤ لأبي عبد الله عليه السلام: عثرت فانقطع ظفري، فجعلت على إصبعي مرارة «١» فكيف أصنع بالوضوء؟ فقال عليه السلام: يعرف هذا و أشباهه من كتاب الله، قال الله تعالى:

وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ «٢» امسح عليه «٣».

و

عنه عليه السلام في ذبائح أهل الكتاب فقال عليه السلام: قد سمعتم ما قال الله تعالى في كتابه، قالوا نحب أن نخبرنا فقال عليه السلام: لا تأكلوها «٤» الخ.

و

في الصحيح عنه عليه السلام: لو أن رجلا دخل في الإسلام فأقر به ثم شرب الخمر، و زنى، و أكل الزبا، و لم يتبين له شيء من الحلال و الحرام، لم أقم عليه الحد إذا كان جاهلا إلا أن تقوم عليه البيئة أنه قرأ السورة التي فيها الزنا، و الخمر، و أكل الزبا «٥». و في أخبار كثيرة عنهم الاستشهاد بكثير من الآيات بل في أكثرها: ألم تسمع الله تعالى يقول: ألا ترى أن الله تعالى قال؟ أما تتلو كتاب الله؟ أما تقرأ من القرآن كذا؟ أما تقرأ كتاب الله؟ أما سمعت قول الله؟ بل كثير منها البحث عن الدلالة و كفيئتها كما سمعت الخبر في كفيئته المسح، و في تفسير إنكم و ما تعبدون، و غيره.

و

في الصحيح عن زرارة و محمد بن مسلم قالوا: قلنا لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي؟ فقال عليه السلام: إن الله عز و جل يقول:

(١) المرارة هي الجبيرة.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) الفروع من الكافي ج ١ ص ١٠٣.

(٤) التهذيب ج ٢ ص ٣٥٤.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٥.

وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ «١» فصار التقصير في السفر واجبا، كوجوب التمام في الحضر، قالوا: قلنا: إنما قال الله عزّ وجلّ: وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ «٢»، و لم يقل افعلوا فكيف أوجب ذلك؟ كما أوجب التمام في الحضر فقال عليه السّلام: أو ليس قد قال الله: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا «٣» ألا- ترون أنّ الطواف بهما واجب مفروض، لأنّ الله تعالى ذكره في كتابه، و صنعه نبيه (صلى الله عليه و آله) و كذلك التقصير بهما واجب مفروض، لأنّ الله ذكره في كتابه، و صنعه نبيه صلى الله عليه و آله و ذكره الله تعالى في كتابه الخبر «٤».

و الدلالة بينة، و قرينة التجوّز على فرضه قوله و فعله عليه السّلام و التعكيس موهون جدا، الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي لا داعي الى التعرّض لها بعد التأمل في الوجوه المتقدمة التي يمكن تحصيل القطع من ملاحظة كلّ منها بانفراده، فإنّ من لاحظ جميع الأخبار الواردة في تفسير الآيات المتعلقة بالأحكام، بل غيرها من القصص و المواعظ، و المواعيد، و الأصول، و غيرها مع ملاحظة مطابقة مداليل تلك الأخبار للآيات، و كذا استشهاد الأئمة عليهم السّلام بها، و كذا الصحابة، و التابعين.

و عدم سؤالهم عن تفسيرها إلّا ما كان متشابها منها يقطع بأن مداليلها الظاهرة مقصودة منها، و إن كان غيرها مقصودة أيضا سيّما مع كون الكتاب على نظم عجيب، و نمط غريب، و اشتماله على وجوه الفصاحة و البلاغة

(١) النساء: ١٠١.

(٢) النساء: ١٠١.

(٣) البقرة: ١٥٨.

(٤) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٤١، تفسير العياشي ج ١ ص ٢٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٦.

و الاستعارات الرائقة، و الكنايات المبتكرة الفائقة، و محاسن العبارات، و لطائف الإشارات و غيرها من الأمور المتوقفة على فهم المعنى، كيف و لو لم يكن ما نفهمه من الظواهر مقصودا لم نقدر على استنباط تلك الأمور و فهمها، و لا على العلم بكونه معجزة باقية على مرّ الدهور و الأيام، بل علما لهداية كافة الأنام.

و أيضا لم يعهد الطعن على أحد في الإحتجاج في إثبات المسائل الأصولية و الفقهيّة و الكلاميّة، و من ثمّ ترى كلّ ذى فنّ و علم يجتهد في انتهاء علمه الى الكتاب، و الاستدلال به لمقصوده.

و أيضا لم يمنع أحد عن تفسير الكتاب و تدريسه و تصنيفه بل نجد كثيرا من أصحابهم ممن صنّف فيه، و في خصوص الآيات المتعلقة بالأحكام المضبوطة عندهم بما يقرب من خمسمائة، بل نجد التفاسير المأثورة عنهم عليهم السّلام كتفسير مولانا أبي محمّد العسكري عليه السّلام و غيره مطابقة للظواهر المستفادة إلّا ما كان فيها من المواطن و التأويلات.

و أيضا المعهود من طريقة جميع أصحاب المذاهب و الملل و الأديان و النحل إتباع الكتاب المنزل عليهم من ربّهم أو الموروث من رئيسهم، و صاحب مذهبهم.

و من ثمّ لم يعهد من الله سبحانه ذمّ اليهود و النصرارى بالعمل بما وجدوه في التوراة و الإنجيل بل ورد الأمر بإقامتهما و اتباع ما أنزل الله فيهما.

بل لعلَّ الضرورة قائمة على لزوم العمل بالظواهر المستفادة من الكتب الإلهية سيما القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل و كانت الأئمة مجمعة على ذلك حتى الأخباريين منهم، حتى أن جملة منهم قد صدّروا كتبهم، والاستدلال على مطالبهم بالآيات القرآنية، كصاحب «روضه»

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٧

الواعظين»، و «دعائم الإسلام» و «جامع الأخبار».

وقال ثقة الإسلام في «الكافي»: و أنزل عليه الكتاب فيه البيان و التبيان قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون، الى أن استدل بجملة من الآيات على وجوب التفقه فى الدين «١».

و الصدوق قد استدلل فى مواضع من «الفاقيه» و «الإعتقادات» و «إكمال الدين» و غيرها من كتبه بجملة من الآيات، و لم تنزل الشيعة الإمامية بل الأمة كافة مجتمعة على ذلك فى جميع الأعصار و الأمصار الى أن نشأ جملة من المحدثين كالأمين الاسترابادى «٢» و الشيخ الحرّ العاملى «٣» و بعض ممن تبعهما فيه فرفضوا حجية الكتاب، و منعوا عن الاستدلال به، لا لما كان سلمان «٤» يقوله

(١) خطبة كتاب الكافي ص ٣ الى ص ٧.

(٢) قال الشيخ الحرّ العاملى فى أمل الآمل: مولانا محمد أمين الاسترابادى فاضل محقق ماهر، متكلم فقيه، محدث ثقة، جليل، له كتب منها كتاب الفوائد المدنية و مصنفات أخرى يروى عن شيخنا زين الدين بن محمد بن الحسن العاملى، و قد ذكره صاحب السلافة و أثنى عليه و ذكر أنه جاور بمكة و توفى بها سنة (١٠٣٦) كان رحمه الله فى مبادئ أمره داخلا فى دائرة الاجتهاد، ثم رجع و ألف الفوائد و حمل فى كتبه على المجتهدين.

(٣) قد مرّت ترجمته من قبل.

(٤) سلمان الفارسى: صحابى: من مقدميهم. كان يسمى نفسه سلمان الإسلام. أصله من أصبهان عاش عمرا طويلا، و اختلفوا فيما كان يسمى به فى بلاده، و قالوا: نشأ فى قرية جيان، و رحل الى الشام، فالموصل، فنصيبين، و قرأ كتب الفرس و الروم و اليهود و قصد بلاد العرب، فلقيه ركب من بنى كليب فاستخدموه، ثم استعبدوه و باعوه، فاشتراه رجل من قرية فجاء به الى المدينة، و علم سلمان بخبر الإسلام، فقصد النبى صلى الله عليه و آله بقباء و سمع كلامه، و لازمه أياما، فأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه فأظهر إسلامه، و كان قوى الجسم، صحيح الرأى عالما بالشرائع و غيرها، و هو الذى دلّ المسلمين على حفر الخندق فى الأحزاب، حتى اختلف عليه المهاجرون و الأنصار و كلاهما يقول:

سلمان منّا،

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله سلمان منّا أهل البيت

، و

سئل عنه على عليه السلام: امرؤ منّا و إينا أهل تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٨

للناس على ما

رواه شيخنا الكشى بإسناده عن محمد بن حكيم قال: ذكر عند أبى جعفر سلمان فقال ذاك سلمان المحدثى، أن سلمان منّا أهل البيت، إنّه كان يقول للناس هربتم من القرآن الى الأحاديث و جدتم كتابا رفيعا حوسبتم على التفسير و القطمير و الفتيل، و حبة خردل فضاقت ذلك عليكم و هربتم الى الأحاديث التى اتسعت عليكم، إلخ «١».

بل لشبهة عرضت لهم قد نشأت من ملاحظة الأخبار الكثيرة الدالة على أن علم الكتاب ممّا منح الله تعالى به الأئمة عليهم السلام، و أنّه لا يعلم المحكم و المتشابه، و الناسخ، و المنسوخ، و العام، و الخاصّ منه غيرهم، و أنّه يجب الرجوع إليهم فى ذلك، و أنّه لا يعلم

تفسيره ولا تأويله و باطنه غيرهم، و أنه إنما يعرف القرآن من خوطب به، و أنه لا يعلمه كما أنزله الله تعالى غيرهم. و قد عقد في «الوسائل» بابا لعدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفته تفسيرها من الأئمة عليهم السلام، و أورد فيه أخبارا يقضى

البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم، علم العلم الأول، و العلم الآخر، و كان بحرا لا ينزف، و جعل أميرا على المدائن، فأقام فيها الى أن توفي سنة ٣٦ هـ.

الأحاديث في فضائل سلمان كثيرة منها ما

عن منصور بن بزرج قال: قلت للصادق عليه السلام ما أكثر ما أسمع منك سيدى ذكر سلمان الفارسى، قال عليه السلام: لا تقل سلمان الفارسى و لكن قل سلمان المحمدى أ تدرى ما كثرة ذكرى له؟ قال: لا قال عليه السلام: لثلاث خصال: إحداهما إيثاره هوى أمير المؤمنين عليه السلام على نفسه، و الثانية حبه للفقراء و اختياره إياهم على أهل الثروة و العدد، و الثالثة حبه للعلم و العلماء، إن سلمان كان عبدا حنيفا مسلما و ما كان من المشركين.

و منها

عن الصادق عليه السلام، كان رسول الله صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام يحدثان سلمان بما لا- يحتمله غيره من مخزون علم الله و مكنونه.

طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٥٣، الأعلام للزركلى ج ٣ ص ١٦٩، سفينة البحار ج ١ ص ٦٤٦، حلية الأولياء ج ١ ص ٤١٩.  
(١) قاموس الرجال ج ٤ ص ٤١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٩

جلها لو لم نقل كلها على ضد مقصده، كما ترى أن كثيرا من الأخبار التى سمعت الاستدلال بها على الحجية مأخوذة منه «١».  
و أما ما ربما يوهم الدلالة على ما توهموه مما ذكروه فالصحيح

عن منصور ابن حازم قال قلت لأبى عبد الله عليه السلام إن الله أجل و أكرم من أن يعرف بخلقه الى أن قال: و قلت للناس: أليس تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و آله كان الحجة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى قلت: فحين مضى رسول الله صلى الله عليه و آله من كان الحجة على خلقه؟

قالوا: القرآن، فنظرت فى القرآن، فإذا هو يخاصم به المرجى و القدرى و الزنديق الذى لا- يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقتيم، فما قال فيه من شىء كان حقا إلى أن قال: فاشهدوا أن عليا عليه السلام كان قيم القرآن، و كانت طاعته مفترضة، و كان الحجة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و أن ما قال فى القرآن فهو حق «٢».

و فيه أن مخاصمة الفرق فيه إنما هو بالأخذ بالتأويل الذى لا يعلمه إلا الله و الراسخون فى العلم و القرآن و إن كان مشتملا على جميع الحقائق و الأحكام إلا أن علمه على هذا الوجه مودع عند النبى صلى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السلام، و أين هذا من حجة الظواهر التى لا يستفاد منها إلا أقل قليل من الأحكام، فإن الإختصاص إنما هو فى المجموع لا فى كل ما يستفاد منه.

و من هنا يسقط الاستدلال لهم بالعلوى: ما من شىء تطلبونه إلا و هو فى القرآن، فمن أراد ذلك فليسألنى، بل و

النبوى: يا على أنت تعلم الناس تأويل

(١) وسائل الشيعة كتاب القضاء الباب الثالث عشر باب عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بمعرفة تفسيرها من الأئمة عليهم السلام و فى هذا الباب: ٨٢ حديثا.



(٢) الكافي ج ١ ص ١٦٨، علل الشرائع ج ١ ص ١٨٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٠

القرآن «١»

، بل دلالته على ما ذكرناه واضحة جدا.

و

بالجعفرى فى جواب رجل حيث سأله و ما يكفيهم القرآن؟ قال: بلى لو وجدوه له مفسيرا، قال: و ما فسره رسول الله صلى الله عليه و آله؟ قال: بلى فسره لرجل واحد، و فسره للأمة شأن ذلك الرجل و هو على بن أبى طالب «٢».

فإن المراد الكفاية فى جميع الأحكام كى يستغنى الناس عن الإمام، و منه يظهر الجواب عن خبر دخول الصوفية على الصادق عليه السلام و احتجاجاتهم عليه «٣».

بل و

من قول الباقر عليه السلام لقتاده إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت و أهلكت، و إن كنت قد فسرت من الرجال فقد هلكت و أهلكت و يحك يا قتاده إنما يعرف القرآن من خوطب به «٤».

و

من قوله عليه السلام ما يستطيع أحد أن يدعى أن عنده علم جميع القرآن كله ظاهره و باطنه غير الأوصياء «٥».

و

فى «المحاسن» البرقى عن الصادق عليه السلام فى رسالته: فأما ما سئلت القرآن فذلك أيضا من خطراتك المتفاوتة المختلفة لأن القرآن ليس على ما ذكرت، و كل ما سمعت فمعناه على غير ما ذهبت إليه، و إنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، و لقوم يتلونه حق تلاوته، و هم الذين يؤمنون به و يعرفونه، و أما غيرهم فما أشد إشكاله عليهم، و أبعد عن مذاهب قلوبهم، و لذلك قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

(١) بصائر الدرجات ص ١٩٥.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٤٢.

(٣) روضة الكافي ص ٢٦٩.

(٤) روضة الكافي ص ٣١١.

(٥) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٣ ط. القديم عن بصائر الدرجات. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢١

إنه ليس شىء أبعد عن قلوب الرجال من تفسير القرآن، فى ذلك تحير الخلائق أجمعون إلا من شاء الله، و إنما أراد الله بتعميمه فى ذلك أن ينتهوا الى بابه، و صراطه، و أن يعبدوه و ينتهوا فى قوله الى طاعة القوم بكتابه، و الناطقين فى أمره و أن يستنبطوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم لا- عن أنفسهم ثم قال: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ «١»، فأما عن غيرهم فليس يعلم ذلك أبدا، و لا يوجد.

و قد علمت أنه لا يستقيم أن يكون الخلق كلهم ولاة الأمر لأنهم لا يجدون من يأتمرون عليه، و من يبلغونه بأمر الله و نهيه فجعل الله الولاية خواص ليقضى بهم فافهم ذلك إن شاء الله، و إياك و تلاوة القرآن برأيك فإن الناس غير مشتركين فى علمه كاشتراكم فيما سواه من الأمور، و لا قادرين على تأويله إلا من حدّه و بابه الذى جعله الله له فافهم إن شاء الله و اطلب الأمر من مكانه تجده إن شاء الله «٢».

قلت: و فيه إشارات الى أن المقصود علم جميع القرآن حتى المتشابه. بل جميع القرآن حتى التأويل و البطون، و هذا هو الذى يوجب

الرجوع الى من جعله الله أبوابه و صراطه كما لا- يخفى على من تأمل في هذا الخبر و غيره من الأخبار المتقدمة مضافا الى أن ما سمعت من الشواهد و الأخبار حاكمة على هذه لو فرضنا فيها ظهورا أو إطلاقا و معه يوهن الاستدلال بها جدا. و أوهن منه ما استدلل به الشيخ الحرّ في فوائده الطوسية مضافا الى الأخبار التي قد سمعت الجواب عنها و أنّها بالدلالة على عكس مطلوبه أشبه من أن

(١) النساء: ٨٣.

(٢) المحاسن ص ٢٦٨، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤١ عن المحاسن.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٢

النص المتواتر و إجماع الإمامية دلا على أن الذي نزل من القرآن قراءة واحدة، و أن الباقي رخص في التلاوة به في زمن الغيبة، و لا دليل على جواز العمل بكل واحدة من القراءات مع كثرتها جدا و كونها مغايرة للمعنى غالبا. و أن ظواهر القرآن أكثرها متعارضة بل كلها عند التحقيق، و ليس لنا قاعدة يدل عليها الدليل في الترجيح هناك، و إنما وردت المرجحات المنصوصة في الأحاديث المختلفة مع قلة اختلافها بالنسبة الى اختلاف ظواهر الآيات فلو كنا مكلفين بالعمل بتلك الظواهر القرآنية من غير رجوع في معرفة أحوالها الى الإمام عليه السلام لو ردت مرجحات و قواعد كلية يعمل بها كما وردت هناك، و إنما وجدنا جميع أهل المذاهب الباطلة و الاعتقادات الفاسدة يستدلون بظواهر القرآن استدلالا أقوى من الاستدلال على الأحكام التي استنبطها المتأخرون من آيات الأحكام بآرائهم، فلو كان العمل بتلك الظواهر جائزا من غير رجوع الى الأئمة عليهم السلام في تفسيرها و معرفة أحوالها من نسخ و تأويل و تخصيص و غيرها لزم صحة جميع تلك المذاهب الباطلة من الجبر و التفويض و التشبيه، بل الشرك، و الإلحاد، و نفى الإمامية و العصمة بل مذهب المباحية، بل مذهب النصيرية، و كذا جميع المذاهب الباطلة. و الى هذا أشار

الصادق عليه السلام بقوله: احذروا فكم من بدعة زخرت بآية من كتاب الله ينظر الناظر إليها فيراها حقا و هي باطل.

و أن ذلك لو جاز الاستغناء عن الإمام عليه السلام: لأنه ما من مطلب من مطالب الأصول و الفروع إلا و يمكن أن يستنبط من ظاهر آية أو آيات فأى حاجة الى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٣

الإمام؟ و قد صرح بنحو ذلك القاضي عبد الجبار «١» و غيره من علماء العامة، و ذلك مبين لطريقة الإمامية معارضة لأدلة الإمامة، و اللازم باطل فكذا الملزوم.

و أن ظاهر حديث الثقلين و جوب التمسك بهما معا فمن تمسك بالكتاب و لم يرجع في تفسيره و معانيه الى العترة لم يكن قد تمسك بهما و إلا لزم كون المخالفين المستدلين بتلك الظواهر قد تمسكوا بهما لأنهم يعترفون بفضل العترة، و هو واضح البطلان، و لو علم معاني الكتاب و قدر على الاستنباط منه غير العترة لافترقا و هو خلاف النص، لكن من تمسك بالعترة كان قد تمسك بهما لأنهم لا يخالفون الحق من تلك الظواهر المتعارضة، و أكثر تلك الظواهر مخالفة للعترة فظهر الفرق، و الى هذا المعنى أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: هذا كتاب الله الصامت، و أنا كتاب الله الناطق.

و أن كل آية يحتمل النسخ و التأويل و غيرها إذا قطعنا النظر عما سواه فلا وثوق بجواز العمل بها إلا أن يقترب بها حديث عن الأئمة عليهم السلام.

و أن تعريف المتشابه صادق على كل آية من آيات الأحكام النظرية لاحتمال كل واحدة منها بل كل لفظه لوجهين فصاعدا إذا قطعنا النظر عن الأحاديث مضافا الى احتمال النسخ و غيره.

و الوهن في الوجوه المذكورة بين لمن يكون له أدنى تأمل، لضعف الأول بأن الاختلاف في القراءة سيما في الآيات المتعلقة بالأحكام الشرعية ليس بحيث يوجب الاختلاف في الأحكام كما لا يخفى على من أمعن النظر في الاختلافات

(١) قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسد الآسد آبادي، قاض، أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، و لى القضاة بالرى و مات سنة ٤١٥. له تصانيف كثيرة منها: تنزيه القرآن عن المطاعن.

لسان الميزان ج ٣ ص ٣٨٦، تاريخ بغداد ج ١١ ص ١١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٤

المتعلقة بها، و على فرضه كما في قوله تعالى: فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ «١»، فقد قيل بتواتر القراءات السبع أو العشر حسبما تأتي إليه الإشارة، و مع تسليم العدم فقد ينزل غير المتواتر منها منزلة الأخبار الآحاد، سلمنا التعارض لكن باب الترجيح مفتوح، على أن الرجوع في مثله الى غيرها من الأدلة لا يقدر في غيره مما لا اختلاف فيه و لا معارض له.

و الثاني بمنع التعارض حقيقة في الجل فضلا عن الكل سيما في الأحكام، و على فرضه فالمرجع القواعد التي يفرع إليها في جملة المخاطبات من المحكم بالنسخ، أو التخصيص، أو التقييد، أو البيان، أو غيرها مما هو المقر عند أهل اللسان.

و الثالث بأن ما ذكره من استدلال جميع أرباب المذاهب بالظواهر القرآنية حق لا شبهة فيه، لكنه يقضى بإجماعهم على حجيته و وجوب الأخذ به، نعم ما استدلون به على باطلهم ليس من الظواهر التي هي من المحكمات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، و ابتغاء تأويله و ما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم «٢»، على أن التعارض و التشابه واقع في نوع الأخبار التي هي حجة عندهم قطعاً، مضافاً الى أن في قوله يستدلون بظواهر القرآن استدلالاً أقوى نظراً من وجهين، فإن استدلالهم ليست بالظواهر فضلاً من أن تكون أقوى، و نسبة الاستنباط الى المتأخرين غريب جداً، فإن الطريقة كانت جارية مستمرة من لدن نزول القرآن الى هذا الزمان على استنباط الأحكام من ظواهرها، بل الأصول الاعتقادية أيضاً حسبما صرح به في كلامه.

(١) البقرة: ٢٢٢.

(٢) آل عمران: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٥

ولذا

قال مولانا أبو الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام في رسالته الى أهل الأهواز حين سئلوه عن الجبر و التفويض: إنه اجتمعت الأمة قاطبة لا- اختلاف بينهم في ذلك أن القرآن حق لا- ريب فيه عند جميع فرقها، فهم في حالة الاجتماع عليه مصيبون، و على تصديق ما أنزل الله مهتدون لقول النبي صلى الله عليه و آله: لا تجتمع أمتي على ضلالة، فأخبر عليه السلام أن ما اجتمعت عليه الأمة و لم يخالف بعضها بعضاً هو الحق فهذا معنى الحديث، لا- ما تأوله الجاهلون، و لا ما قاله المعاندون من أبطال حكم الكتاب و اتباع حكم الأحاديث المزورة و الروايات المزخرفة، و اتباع الأهواء المردية المهلكة التي تخالف نص الكتاب، و تحقيق الآيات الواضحات النيرات، الى أن قال في أبطال الجبر و قوله: ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ، وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ «١»، و قوله: «و ما الله بظلام للعبيد» «٢»، و قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَ لَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ «٣» مع آي كثيرة في ذكر هذا الخبر «٤»

بطوله المذكور في «الإحتجاج» و بوجه أبسط في «تحف العقول» و فيه الاستدلال بآيات كثيرة كلها ظواهر في الرد على أهل الجبر و غيره من الشواهد الكثيرة المتقدمة أن القرآن هو الصادق و المصدق للأخبار، و الناطق عليها بالحق، و أنه الميزان و المعيار في تصديق الأخبار، و ترجيح مختلفاتها كما أن عليها المدار في إيضاح مشكلات القرآن و تعيين متشابهاتها.

و الرابع بما يغنى عن بيانه وضوحه كيف و إنما الكلام في حجتيه الظواهر التي لا- تشمل إلّا على قليل من الأحكام، و أين هذا من استنباط جميع الحقائق

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ - فصلت: ٤٦.

(٣) يونس: ٤٤.

(٤) الاحتجاج ص ٢٤٩-٢٥٢ إلّا أنه ليس في الحديث ذكر الآيتين الأخيرتين.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٦

و الأحكام المدلول عليها في مراتب بطونه و تأويلاته كى لا- نحتاج معه الى الأمام الذى أودعه الله تعالى علم كتابه المشتمل على جميع كان و ما يكون.

و الخامس بما سمعت آنفا من الاستدلال بالخبر على المختار و الظاهر أنّ المراد به الأخذ بما أتضح من كلّ منهما، فإذا علم شىء من محكمات الكتاب و ظواهره علم أنه قول العترة الطاهرة، و إذا صحّ شىء منهم علم أنه مأخوذ من الكتاب، و إذا اختلف النقل منهم عرض على الكتاب الذى هو الحاكم على الأخبار المختلفة، أو المجمولة كما أنّ الكتاب إذا تشابهت دلالاته أو اختلف في ظاهر النظر آياته و جب الرجوع فيها الى العترة الطاهرة، و أما المحكم منه فهو الحجة الحاكمة على ما وصل إلينا من أخبارهم. و لذا

قال مولانا أبو الحسن العسكرى عليه السلام فى الخبر المتقدم.

بعد ما سمعت حكايته: فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب و تصديقه و التماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله صلى الله عليه و آله حيث قال عليه السلام: إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى أهل بيتى، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى و إنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فلما وجدنا شواهد هذا الحديث نصا فى كتاب الله مثل قوله تعالى: إِنَّمَا وَرِثْنَاكُمْ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ «١»

ثم اتفقت روايات العلماء فى ذلك لأمر المؤمنين عليه السلام أنه تصدّق بخاتمه و هو راعى (الى أن قال) فالخبر الأول الذى استنبط منه هذه الأخبار خبر صحيح، و هو أيضا موافق للكتاب، فإذا شهد الكتاب بتصديق الخبر لزم الإقرار به الخبر «٢».

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) الاحتجاج ص ٢٤٩-٢٥٢ و لا يخفى أن المؤلف نقل بالمعنى السطر الآخر لأنه على ما نقله المجلسى فى البحار ج ٥ ص ٢١ ط.

«فعلمنا أن الكتاب شهد بتصديق هذه الأخبار و تحقيق هذه الشواهد فيلزم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٧

و السادس بأنّ مجرد الاحتمال لا يدفع الاستدلال بعد حجتيه الظواهر مع أنه متطرق الى الأخبار أيضا مضافا الى احتمالات أخرى من حيث السند.

و السابع بالمنع الواضح فإنّ مجرد احتمال المعانى المختلفة فضلا عن احتمال النسخ و التخصيص و التقييد و غيرها لا يوجب صيرورة المحكم الظاهر الدلالة متشابهة.

نعم يجب الفحص فى الأدلة اللفظية بلا فرق بين الرواية و الآية عن المخصّص و سائر المعارضات للعلم الإجمالى بالاختلاف و طرق الطوارئ من التخصيص و غيره فى الجملة، و هذا لا اختصاص له بالآيات بل لعله فى الأخبار أكثر منه فيها، و أين هذا من القول بعدم

حجيتة الظواهر السالمة عن جميع المعارضات أو الراجحة عليها بعد الفحص التام كما هو محل البحث في المقام، فعدم وصول المعارض إلينا كاف في بقاء الظواهر على حجيتها، مع أن مجرد الاحتمال متطرق إليهما معا، و قد ورد عنهم عليهم السلام أن في أخبارنا محكما محكم القرآن، و متشابها كمتابئة القرآن «١». ثم إنه قد ظهر من جميع ما مرّ ضعف ما ربّما يحكى عن الأمين الإسترابادى الذى هو أول من سدّ باب التمسك بالآيات حيث استدلّ لذلك بعدم ظهور دلالة قطعية على الحجية، و يترتب المفسد على فتح هذا الباب، ألا ترى أن علماء العامية قالوا فى قوله تعالى: **أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ** «٢»: أن المراد بأولى الأمر، السلاطين، و بأن القرآن نزل على وجه التعمية بالنسبة الى أذهان الرعية، و بأنه إنما نزل على قدر عقول أهل الذكر، و بأن

الأمة الإقرار بها كانت هذه الأخبار موافقة للقرآن، و وافق القرآن هذه الأخبار». (١) عيون الأخبار ط. قم ج ١ ص ٢٩٠، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٨٢ ط. بيروت. (٢) النساء: ٥٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٨

العلم بناسخه و منسوخه، و الباقي على ظاهره، و غير الباقي على ظاهره ليس إلّا عند أهل البيت عليهم السلام، و إن الظن ببقائها على ظاهرها إنما يحصل للعامّة دون الخاصّة الى غير ذلك ممّا يتضح الجواب عنه بالتأمل فيما ذكرناه آنفا. كما أنه يظهر منه أيضا ضعف ما ذكره السيد صدر الدين «١» فى «شرح الوافية» حيث استدلّ من قبل القائلين بحجيتة الظواهر القرآنية بأنّ المتشابه كما يدلّ عليه بعض الأخبار ما اشتبه على جاهه، فنقول لا شىء من الظاهر بمشبهه، و كلّ متشابه مشته، فلا شىء من الظاهر بمشابهه و إذا لم يكن متشابها فيكون محكما و كل محكم يجب العمل به وفاقا، أما الكبرى فلأخبار، و أما الصغرى فلأنّ معنى قوله ما اشتبه على جاهه هو أن غير الإمام المعبر عنه بالجاهل بعد علمه بالوضع لا يتصور منه الجهل بالمراد من اللفظ بحيث يصير مترددا فيه، و لا شك أن الظاهر يكون المراد منه مظلونا فلا يكون مشته بهذا المعنى. و أجاب عنه، أولا بما حاصله أن المظنون أيضا مشته لصدق الجهل المقابل للعلم الذى هو الاعتقاد الجازم على الظن، فالظان أيضا جاهل.

و ثانيا أنه لا- دليل على حصر الآيات فى المحكم و المتشابه، و الآية غير دالّة عليه بل يجوز أن يكون الحكم و جوب إتباع المحكم وردّ المتشابه الى العالم و الوقوف عند الظواهر.

قلت: و هو غريب جدا بعد قيام الإجماع القطعى على حجيتة الظواهر و أن

(١) السيد صدر الدين بن محمد باقر الرضوى القمى، فقيه، تلمذ على المدقق الشيروانى و الآغا جمال الخونسارى و الشيخ جعفر القاضى ثم رحل الى قم و قام بالتدريس حتى كثرت الفتن فانتقل الى النجف الخونسارى و الشيخ جعفر القاضى ثم رحل الى قم و قام بالتدريس حتى كثرت الفتن فانتقل الى النجف و عظم موقعه فى النفوس و اشتغل بالتدريس و تلمذ عليه جمع من الأعاظم مثل الأستاذ الأكبر المحقق البهبهانى و غيره، صنّف كتابا قيّمه مثل رساله فى حديث الثقلين، و شرح الوافية فى الأصول، و كتاب الطهارة استقصى فيه المسائل و نصر مذهب ابن عقيل فى عدم تنجس الماء القليل، توفى سنة ١١٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٩

الظن فى باب اللغات حجّية و إن اختلفوا فى حجيتة فى الأحكام، مضافا الى أن المعروف من مذهب الأخباريين تفسير العلم بالاعتقاد الراجح الشامل له و لذا ادّعوا قطعية الإخبار حسبما فصل فى الأصول، و أغرب منه نفى الحصر و الالتزام بالتثليث فإنّ الظاهر من الآية

بل كاد أن يكون صريحها الحصر مضافا الى دلالة الأخبار الكثيرة عليه.

ثم أنه رحمه الله فرّق في آخر كلامه بين ظواهر الكتاب و ظواهر الأخبار التي لا شك في حجيتها، مع أن قضية إلحاق المظنون بالمتشابهة في الموضوعين: بأننا لو خَلينا و أنفسنا لعلنا بظواهر الكتاب و السنّة عند عدم نصب القرينة العقلية و الفعلية، و القولية المتصلة على خلافها، و لكن منعنا عن ذلك في العمل بالقرآن إذ منعنا الله عن إتباع المتشابهة، و لم يبين حقيقته لنا، و منعنا رسول الله صلى الله عليه و آله عن تفسير القرآن، و لا ريب أن غير النصّ محتاج الى التفسير لتحقيق الاحتمال فيه، و أوصيائه عليهم السلام أيضا منعونا. و أيضا ورد الذمّ في إتباع الظنّ من غير استثناء ظواهر القرآن لا قولاً لا تقريرا، و ليس هناك دليل قطعي بل و لا ظني و لا إجماع على الاستثناء.

و أما الأخبار فقد علمنا بجواز العمل بظواهرها من غير فحص من جهة الإجماع.

أقول: أمّا حجّية الظواهر فموضع وفاق حسبما برهن عليه في الأصول إذ عليه بناء المخاطبات و المحاورات، و المكاتبات في جميع اللغات، مع عدم التأمل من أحد في العمل بها مع قيام احتمالات عديدة من المجاز، و النسخ و التخصيص، و التقييد، و غيرها، و بالجملة فالأصل المؤسس في المقام هو حجّية الظواهر كما وقع التصريح به في مواضع من كلامه الذي لا داعي الى الأطناب بحكايته، و حينئذ فالاستدلال بالظواهر الناهية عن إتباع الظن مع كونه

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣٠

دوريا بل من وجهين إذا كانت من ظواهر الكتاب ضعيف جدا، نعم قد ادّعى المانع عن العمل بها و هو المنع عن إتباع المتشابهة مع عدم بيان حقيقته.

و فيه أنّه مع فرض عدم البيان فالمرجع في فهم معناه العرف و اللغة الحاكمين على عدم شموله للظواهر التي لا يتأمل أحد من أهل العرف و اللغة في كونها من المحكم المفسر بما اتضح معناه و ظهر لكل عارف باللغة، لا المتشابهة الذي لا يعلم المراد به إلّا بقرينة تدلّ عليه أو غيره ممّا مرّت إليه الإشارة، على أن دعوى عدم بيان حقيقته ممنوعة جدّا كيف و قد سمعت دلالة الأخبار عليه، و قضيتها كون المنسوخ منه لا ما احتمال نسخه سيّما بعد تأسيس الأصل المتقدم، كما أنه لا يرفع اليد عن العام و المطلق و غيرها من الظواهر التي هي الحقائق بمجرّد احتمال التخصيص و التقييد و الإضمار و غيرها ممّا يعدّ في المجاز، هذا مضافا الى أنهما مفسران في الأخبار بما يؤول الى المعنى العرفي حسبما سمعت في ما مرّ.

و من هنا يظهر النظر فيما أظن من الكلام من نصره الأخباريين سيّما فيما مهّده من المقدمة الثانية لذلك فلاحظ بل و فيما ذكره المحدث البحراني (رحمه الله تعالى) «١» في مقدمات «الحداثق»، و في «الدرر النجفية». و ان اختار في آخر

(١) المحدث الكبير، و الفقيه العظيم الشيخ يوسف بن أحمد البحراني، كان محدثا، فقيها، غزير العلم. ولد في قرية ماحوز سنة ١١٠٧ و قام والده العلامة الكبير بتدريبه و تربيته و تصدّى لتدريسه و تعليمه حتى أكمل في العلوم الأدبية و مهر فيها، مضى من عمره أربع و عشرون سنة و قد صار جامعا للعلوم العقلية و النقلية و لكن في هذه السنة أي ١١٣١ مات والده تغمده الله برحمته، بقى المترجم بعد أبيه بالقطيف سنتين حتى احتلت أفغانة بلاد إيران و قتلوا الشاه سلطان حسين آخر ملوك الصفوية و تفاقمت الاضطرابات في البحرين و استمرّت الثورات الداخلية حتى ألجأت المترجم له الى الجلاء عن وطنه فارتحل الى إيران برهة في كرمان ثم ارتحل الى شيراز و لبث بها غير يسير مدرّسا و إماما و تفرّغ للمطالعة و التأليف، و البحث و التدريس فألف جملة من الكتب و عدّه من الرسائل و لكن ما أمهله الدهر

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣١

كلامه التفصيل المستفاد من تبيان الشيخ رحمه الله المؤيد بالعلوى المروي في الإحتجاج حسب ما مرّ حكايتها.

حتى عصفت بتلك البلاد عواصف الأيام و ألجأت المترجم له إلى الالتجاء بقريه (فسا) و ابتدأ هناك بتصنيف الحدائق حتى ثار طاغية شيراز (نعيم داغ خان) في سنة ١١٦٣ و قتل حاكم فسا و هجم على دار المترجم له و هو مريض و نهبت أمواله و أكثر كتبه ففر منها مريضا بعائلته صفر اليد بناحية اصطهبانات و لبث بها مدة يقاسى مرارات الآفات و لكن تلك الظروف القاسية، و المواقف الحرجة لم تمنعه عن المطالعة و التأليف فتراه في خلالها كلها مكبا على مطالعته، جادا في تأليفاته، سائرا في نهجه، فقد أنتج من بين الظروف و هاتيك الأذوار كتبا قيمة ناهزت الأربعين سيما الحدائق الناضرة و لنعم ما قال في حقه العلامة المولى شفيح الجابلقى البروجردى في إجازته الكبيرة المسماة ب الروضة البهية في الإجازات الشفيعية:

أما الشيخ المحدث المحقق الشيخ يوسف قدس سره صاحب الحدائق فهو من أجلاء هذه الطائفة، كثير العلم، حسن التصانيف، نقى الكلام، بصير بالأخبار المروية عن الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) يظهر كمال تتبعه و تحره في الآثار المروية بالنظر إلى كتبه سيما الحدائق الناضرة، فإنها حقيق أن تكتب بالنور على صفحات و جنات الحور، و كل من تأخر عنه استفاد من حدائقه، و كان ثقة، ورعا، عابدا، زاهدا .. فلينظر إلى ما وقع على هذا الشيخ من البلايا و المحن، و مع ذلك كيف اشغل نفسه و صنف تصنيفات فائقة؟ .. أرباب التراجم و أصحاب المعاجم بعده كلهم أثنوا عليه، قد حل المترجم له بالحائر المقدس على عهد زعيمها الأكبر المحقق البهبهاني قبل سنة ١١٦٩ و دارت بينه و بين البهبهاني مناظرات كثيرة في الأبحاث العلمية، توفي قدس سره رابع ربيع الأول سنة ١١٨٦ و دفن بالحائر.

الأعلام ج ٩ ص ٢٨٦، روضة البهية، مقدمة الحدائق للسيد عبد العزيز الطباطبائي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣٣

## الباب السابع

### إشارة

في معنى الإنزال و التنزيل و السورة و أقسامها الأربعة و الآية و الكلمة و الحروف و غيرها و فيه ضبط السور و الآيات و الحروف  
تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣٥  
و فيه فصول:

## الفصل الأول

في الانزال و التنزيل و الفرق بينهما قد سبق جملة من الكلام في تحقيق معنى التنزيل و الوحي و الإلهام، و الذى ينبغى ذكره في المقام أن القرآن تارة قد وصف بالإنزال و أخرى بالتنزيل، و هما و إن اشتركا في الحلول من عال الى أسفل، بل قال في القاموس نزل تنزيلا و أنزله إنزالا- و منزلا- كمجمل، و استنزله بمعنى: إلا أنه قد يفرق بين الأمرين باختصاص الأول بأحداث الفعل من غير تكثر بأن كان النزول دفعة واحدة، و الثانى بإحداثه على وجه التكرير و التدريج، و لعله لما في معنى التفعيل من الإشعار على تكثر الفعل أو الفاعل أو المفعول، و المقام من الأول حيث إنه قد أنزل الى السماء الدنيا، و إلى البيت المعمور في ليلة القدر، ثم أنزل منجما مفرقا الى النبي صلى الله عليه و آله في ثلاث و عشرين سنة، أو في عشرين سنة، بل يستفاد ذلك أيضا من قوله تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ** «١» و قوله تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** «٢» بل من قوله تعالى: **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** «٣»،

(١) الدخان: ٣.

(٢) القدر: ١.

(٣) البقرة: ١٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣٦

سيما بعد ملاحظة الأخبار الواردة في تفسيرها حسبما تسمع إنشاء الله تفصيل الكلام فيها وفي قوله تعالى: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا «١» وغيره مما يدل على الأمرين، ولذا جاء بالفعل في الثلاثة على صيغة الأفعال، والرابعة على صيغة التفعيل، بل نبه سبحانه بجعله فرقانا بعد كونه قرآنا مجتمعاً في النزول، أو في صفة وجوده، وبالجملة هذا الفرق بين الفعلين وإن لم يتبه عليه جمهور أهل اللغة إلا أنه لا بأس بعد مساعدة الأخبار ودالتها على قسمي النزول، ومناسبة الإطلاق لهما في خصوص الموارد.

ففي «الكافي» عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «٢»، وإنما أنزل القرآن في عشرين سنة بين أوله وآخره فقال عليه السلام: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثم نزل في طول عشرين سنة ثم قال عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله: نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضي من شهر رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلون من شهر رمضان، وأنزل القرآن في ليلة ثلاث وعشرين «٣».

و

فيه وفي «الفاقيه» بالإسناد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال نزلت التوراة في ست مضي من شهر رمضان، ونزل الإنجيل في اثنتي عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، ونزل الزبور في ليلة ثمان عشرة من شهر رمضان، ونزل

(١) الأبراء: ١٠٦.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) الأصول من الكافي كتاب فصل القرآن باب النوادر الحديث السادس ج ٢ ص ٤٦٠ ط. الإسلامية. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣٧

القرآن في ليلة القدر «١».

و

عن بعض نسخ «الفاقيه» الفرقان بدل القرآن

، ولا بأس به فإن الأول باعتبار النزول الأول الجمعي، والأخير باعتبار ما يؤول إليه من النزول المنجم التفريقي.

و

فيهما عن حرمان بن أعين سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ «٢» قال هي ليلة القدر، وهي في كل سنة في شهر رمضان من العشر الأواخر، ولم ينزل القرآن إلا في ليلة القدر، قال الله تبارك وتعالى: فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ «٣»، قال عليه السلام يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل من خير أو شر أو طاعة أو معصية، أو مولود، أو أجل، أو رزق الحديث «٤».

و

روى القمي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ «٥» قال عليه السلام أي أنزلنا القرآن، واللييلة المباركة ليلة



القدر، أنزل الله القرآن فيها الى البيت المعمور جملة واحدة، ثم نزل من البيت المعمور على رسول الله صلى الله عليه وآله في طول عشرين سنة الخبر «٦».

أقول: و صريح هذا الخبر كبعض ما مرّ  
أن القرآن و قد نزل جملة واحدة الى البيت المعمور  
, و الأخبار و إن اختلفت في تعيين موضعه حيث إنه  
قد ورد في

(١) الفروع من الكافي ج ٣ ص ١٥٧، الفقيه ج ٢ ص ١٠٢.

(٢) الدخان: ٣.

(٣) الدخان: ٤.

(٤) الفروع من الكافي ج ٤ ص ١٥٧، الفقيه ج ٢ ص ٣٠١.

(٥) الدخان: ٣.

(٦) الصافي ج ٢ ص ٥٤٠ ط. الإسلامية بطهران عن مجمع البيان و القمي. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣٨  
العلوي المذكور في «الدر المنثور» أنه الضراح «١» بيت فوق سبع سموات تحت العرش، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون اليه الى يوم القيمة «٢».

و

في علل ابن سنان المروى عن مولانا الرضا عليه السلام: إنه بيت في السماء الدنيا بحذاء العرش «٣».  
بل قد ورد مثله في أخبار آخر، و عن بعضهم أنه هو الكعبة البيت الحرام لكونه معمورا بالحج و العمرة، إلما أن المستفاد من أكثر الروايات، و أشهرها و أظهرها أنه بيت في السماء الرابعة و هو الضراح حيث إن الملائكة لما رَدَّوا على الله سبحانه في جعله في الأرض خليفته، فقالوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ «٤» فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة الى أن تاب عليهم، و جعل لهم البيت المعمور في السماء الرابعة بحذاء العرش مثابة، و أمنا لهم، و مطافا لهم، و قبولاً لتوبتهم، و أمرهم ببناء بيت في الأرض بمثاله و قدره «٥»، بل قد يقال: أن هذه الأخبار الأخيرة و إن كانت أشهر و أكثر إلا أن مقتضى الجمع بينهما مع صحة جميعها القول بتحقيق البيت في جميع تلك المواضع، و الخطب فيه سهل.

(١) الضراح بضم الصاد بيت في السماء حيال الكعبة يدخل كل يوم سبعون ألف ملك.

(٢) بحار الأنوار ج ١٤ ص ١٠٥ ط. القديم عن الدر المنثور.

(٣) في البحار ج ١٤ ص ١٠٤ عن العلل: فوضع في السماء الرابعة بيتا بحذاء العرش يسمى الضراح ثم وضع في السماء الدنيا بيتا يسمى البيت المعمور بحذاء الضراح.

(٤) البقرة: ٣٠.

(٥) كما في البحار ج ١٤ ص ١١٤ عن العلل عن الصادق عليه السلام و عن الدر المنثور عن علي بن الحسين عليهما السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣٩

في معنى السورة المشهورة في السور أنها بالواو، و الهمز إما لغةً فيها على ما في القاموس، أو أنه للاختلاف في اشتقاقها كما في المجمع وغيره، فإنها على الأول مأخوذة من سور المدينة لحائظها المحيط بها، أو من السورة التي جمعها السور بالضم فالسكون للمنزلة الرفيعة، و منه قول النابغة «١»:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

و على الثاني من السور الذي هو البقية غلب استعمالها على جملة من

(١) النابغة الذبياني زياد بن معاوية، أبو أمامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليها أشعارها و كان الأعشى و حسان و الخنساء ممن يعرض شعره على النابغة، و كان أبو عمرو بن العلاء يفضلها على سائر الشعراء و هو أحد الأشراف في الجاهلية، و كان حظيا عند نعمان بن المنذر حتى شتب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة نعمان) فغضب نعمان، ففرّ النابغة و وفد على العنساتيين بالشام، و غاب زمنا. ثم رضى عنه نعمان، فعاد إليه و اعتذر بقصائد تعرف بالاعتذاريات و كان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره و لا حشو. و عاش عمرا طويلا و ديوانه مشهور طبع بمصر و باريس. مات نحو ثمانية و عشر قبل الهجرة و ما أدرك عهد الرسول صلى الله عليه و آله.

الأعلام ج ٣ ص ٩٢، الأغاني ج ١١ ص ٣، نهاية الأرب ج ٣ ص ٥٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٠

الآيات تزيد على الثلث، ذات ترجمة.

و عرفت بتعريفات لا- داعى في التعرض لها في المقام، و ستسمع بعض الكلام في ترجمه الفاتحة، إنما المهم تحديد سور القرآن لإناطة جملة من الأحكام عليها في الشرع كوجوب قراءة سورة كاملة في كل سورة من أولي الفرائض، و حرمة القران بين سورتين في ركعة فضلا عما قد يلزم قراءتها أو تعليمها لنذر و شبهه، أو استئجار، أو إمهار، فالمشهور عند العامة مائة و أربعة عشر سورة، و عن أبي بن كعب «١» ستة عشر بزيادة القنوتين «٢»، و عن بعضهم ثلاثة

(١) أبي بن كعب بن قيس من بنى النجار من الخزرج، صحابي أنصاري، كان قبل الإسلام حبرا من أبحار اليهود، مطلعا على الكتب القديمة يكتب و يقرأ على قلة العارفين بالكتابة في عصره و لما أسلم كان من كتّاب الوحي، و شهد بدرًا و أحدا و خندقًا و المشاهد كلها و كان من الاثنى عشر الذين أنكروا على أبي بكر خلافته و أرادوا تنزيله عن منبر رسول الله صلى الله عليه و آله.

قال أبو الصلاح في التقريب: أبي بن كعب من المعروفين بولايتهم عليهم السلام. و كان من فضله و جلالته أنه في حديث حكى عنه الصادق عليه السلام قولاً في حسن الظن كما

في سفينة البحار في كلمة ظنن ج ٢ ص ١١٠ عن الصادق عليه السلام: حسن الظن أصله من حسن إيمان المرء و سلامة صدره الى أن قال: و قال أبي كعب إذا رأيتم أحد إخوانكم في خصلة تستكروها منه فتأولوا لها سبعين تأويلا فإن اطمانت قلوبكم على أحدهم و إلا فلوما أنفسكم حيث لم تعذروه في خصلة سترها عليه سبعون تأويلا و أنتم اولى بالإنكار على أنفسكم منه.

و كان أبي بن كعب من كتّاب الوحي و لذلك أمره عثمان بجمع القرآن و في الحديث أقرأ أمتي أبي بن كعب- قال في الأعلام: له في الصحيحين و غيرها ١٦٤ حديثا، و كان نحيفا قصيرا أبيض الرأس و اللحية مات بالمدينة سنة ٢١ هـ. الأعلام ج ١ ص ٧٨، و سفينة البحار ج ١ ص ٨ و ج ٢ ص ١١٠، و حلية الأولياء ج ١ ص ٢٥٠.

(٢) سورتا القنوتين سورتان مجعولتان مرويتان عن طريق العامة. قال السيوطي في الإتقان و الدر المنثور: أخرج الطبراني و البيهقي، و ابن الضريس: أن من القرآن سورتين و قد سماهما الراغب في المحاضرات سورتى القنوت و نسبوهما الى تعليم على و قنوت عمر و

مصحف ابن عباس و زيد بن ثابت و قراءة ابن موسى إحداهما: بسم الله الرحمن الرحيم إنا نستعينك و نستغفرك و نثنى عليك و لا نكفرك و نخلع و نترك من يفجرك- و الثانية بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد و لك نصلى و نسجد

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤١

عشر بعد الأنفال و التوبة واحدة، و عن ابن مسعود «١» اثنتى عشرة سورة بنقصان المعوذتين، لكن الذى استقر عليه مذهب الإمامية أنها مائة و اثنتى عشرة سورة بعد المعوذتين سورتين، و الضحى و الإنشراح سورة واحدة، و كذا الفيل و الإيلاف أما المعوذتين بكسر الواو فقد أجمع علمائنا و أكثر العاوية على أنهما من القرآن، و أنه يجوز القراءة بهما فى المكتوبة، و لم يحك الخلاف فى ذلك إلا عن عبد الله بن مسعود حيث زعم أنهما ليستا من القرآن و إنما أنزلتا لتعويذ الحسن و الحسين (عليهما السلام) و قد انقضى القول به.

بل فى «الذكري» أنه قد استقر الإجماع من العامة و الخاصة على خلافه مضافا الى استفاضة الأخبار بذلك.

ففى كثير عن منها أن مولانا الصادق عليه السلام قرأ بهما فى الفريضة،

ثم قال عليه السلام:

و إليك نسعى و نحفد، نرجو رحمتك و نخشى عذابك الجدد إن عذابك بالكافرين ملحق.

نقض الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة تأليف السيد محسن الأمين ص ٢٠٤.

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل: صحابى، من أكابرهم فضلا و عقلا و قربا من رسول الله (ص) و هو من أهل مكة، و من السابقين الى الإسلام، و أول من جهر بقراءة القرآن بمكة، و كان خادما رسول الله صلى الله عليه و آله و صاحب سره، و رفيقه فى حله و ترحاله و غزواته، نظر اليه عمر يوما و قال: وعاء ملئ علماء و لى بعد النبى صلى الله عليه و آله بيت مال الكوفة، ثم قدم المدينة فى خلافة عثمان و كان من الذين شهدوا جنازة أبى ذر و باشروا تجهيزه و هو أيضا من الإثنى عشر الذين أنكروا على الأول خلافته، و كان قصيرا جدا، يكاد الجلوس يوارونه. و كان يحب الإكثار من التطيب فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مر من طيب رائحته، له ٨٤٨ حديثا و أورد الجاحظ فى البيان و التبيين خطبة له و مختارا من كلامه، كان عالما بالقرآن، أخذ سبعين سورة من القرآن من فى رسول الله صلى الله عليه و آله و بقيته من على بن أبى طالب عليه السلام،

روى الكشى فى رجاله عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: من أحب ان يسمع القرآن غضا فليسمعه من ابن أم عبد

يعنى ابن مسعود فى المستدرک نقلا عن تلخيص الشافعى أنه قال: لا خلاف بين الأمة فى طهارة ابن مسعود و فضله و إيمانه و مدحه رسول الله صلى الله عليه و آله و ثنائه عليه، توفى بالمدينة سنة ٣٢ هـ و دفن بالبقيع.

الأعلام ج ٤ ص ٢٨٠، و غاية النهاية ج ١ ص ٤٥٨ و سفينة البحار ج ٢ ص ١٣٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٢

أنهما من القرآن «١».

و

روى الحسين بن بسطام فى «طب الأئمة» عنه عليه السلام أنه سئل عن المعوذتين أهما من القرآن؟ فقال عليه السلام: إنهما من القرآن، فقال الرجل: إنهما ليستا من القرآن فى قراءة ابن مسعود و لا فى مصحفه، فقال عليه السلام: أخطأ ابن مسعود، أو قال عليه السلام كذب ابن مسعود، هما فى القرآن، قال الرجل: فأقرأهما فى المكتوبة؟ قال نعم «٢».

و

روى القمى بالإسناد عن أبى بكر الحضرمى قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام:

إن ابن مسعود كان يمحو المعوذتين من المصحف، فقال: كان أبى يقول إنما فعل ذلك ابن مسعود برأيه، و هما من القرآن «٣».

الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المعتضدة بالإجماع نقلا و تحصيلا.

فما

يحكى عن عبارة الفقه الرضوى حيث قال عليه السلام: وإن المعوذتين من الرقية ليستا من القرآن، أدخلوها في القرآن، وقال: إن جبرائيل علمهما رسول الله صلى الله عليه وآله (الى أن قال) وأما المعوذتان فلا تقرأهما في الفرائض، ولا بأس بالنوافل انتهى «٤». فمع الغض عمّا في سنده لعدم ثبوت اعتباره يجب حمله على التقيّة «٥».

(١) التهذيب ج ١ ص ١٦١، وسائل الشيعة ج ٢ ص ٧٨٦.

(٢) طب الأئمة ص ١١٩، وسائل الشيعة ج ٢ ص ٧٨٦.

(٣) تفسير القمى ص ٧٧٤، وسائل الشيعة ج ٢ ص ٧٨٧.

(٤) فقه الرضوى ص ٩، الحدائق ج ٨ ص ٢٣٢ ط الآخوندى بالنجف.

(٥) فقه الرضوى أو فقه الرضا كتاب منسوب الى الرضا عليه السلام ولكنه ليس بمعتمد عند المحققين ولا يعتمدون على متفرّداته و من أراد تحقيقه فليراجع المستدرک للنورى، و الذريعة لآغا بزرك.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٣

و أما اتحاد الضحى و الإنشراح كالليل و الإيلاف فهو و إن تردّد فيه المحقّق فى «المعتبر»، بل قطع بعض من تأخر عنه بالتعدّد كثانى المحققين، و الشهيدين، و سيّد المدارك، و غيرهم من المتأخرين نظرا الى عدم دلالة واضحة من الأخبار على الاتحاد، مع الفصل بالبسملة و الترجمة فى جميع المصاحف، و تسميتها سورتين

فى خبر المفضل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا تجمع بين السورتين فى ركعة واحدة إلّا الضحى و ألم نشرح، و سورة الفيل و الإيلاف،

لكون الاستثناء حقيقة فى المتصل، و لا أقل من الظهور.

إلّا أن الذى ينبغى القطع به هو الاتحاد كما هو المشهور فتوى و عملا و عن غير واحد منهم نسبه الى علمائنا.

و فى «الانتصار» أنه مذهب الإمامية.

و عن «أمالى» الصدوق أنه من دين الإمامية الذى يجب الإقرار به.

و عن «الإستبصار» أنّ الأولين سورة واحدة عند آل محمد عليهم السلام، بل لم يعهد ممن سبق على المحقق التأمل فيه، الى غير ذلك مما يقطع معه بتحقيق الإجماع سيما مع كونه من متفرّدات الإمامية، مضافا الى الأخبار الكثيرة

كالمروى عن «هداية» الصدوق عن الصادق عليه السلام قال: و موسّع عليك أى سورة فى فرائضك الأربع، و هى الضحى و ألم نشرح فى ركعة لأنهما جميعا سورة واحدة و الإيلاف، و ألم تر فى ركعة لأنهما جميعا سورة واحدة «١»، و نسبه فى التبيان.

و

«مجمع البيان»، و «الشرائع»، و غيرها من كتب الجماعة الى رواية

(١) البحار ج ١٨ ص ٣٤٢ ط القديم، الحدائق ج ٨ ص ٢٠٤ ط الآخوندى بنجف. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٤

أصحابنا و صحيح الشحام: صلى بنا أبو عبد الله عليه السلام فقرأ الضحى و ألم نشرح فى ركعة «١».

و

عن كتاب القراءة لأحمد بن محمد بن سيار عن الصادق عليه السلام الضحى و ألم نشرح سورة واحدة «٢».

و

روى العياشي عن أبي العباس عن أحدهما أ لم تر كيف فعل ربك و الإيلاف سورة واحدة «٣».

قال: و روى أن أبي بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه «٤»، الى غير ذلك من الأخبار الدالة على الاتحاد، فضلا عما يدل على عدم الاجتزاء بواحدة منهما في الفريضة، و أنه يجب قراءتهما معا مع حرمة الجمع بين السورتين فيها حسب ما قرّر في موضعه، و من هنا يظهر ضعف ما ذكره من عدم الدليل على الاتحاد.

و أما حكاية الفصل و الترجمة التي قيل: إنها من أعظم الشبه في ذهاب المتأخرين الى خلاف ما عليه المتقدّمون، سيما مع ما اشتهر بينهم من دعوى تواتر السبع المتفقّة على إثبات البسملة، ففيها مع الغضّ عما سمعت من عدم إثباتها في مصحف أبي، أنه لا عبرة بمجرد الفصل و الترجمة بعد صراحة الأخبار بل استقرار المذهب على ما مرّ، على أن جماعة من القائلين بالاتحاد ذهبوا الى لزوم البسملة بينهما، بل عن الحلّي في «السرائر» أنه لا خلاف في عدد آياتهما فإذا لم يبسمل بينهما نقصتا من عددهما. و لم يكن قد قرأهما جميعا، و إن كان الأظهر عدم الفصل، لظواهر بعض الأخبار.

(١) التهذيب ج ١ ص ٢٥٤، وسائل الشيعة ج ٢ ص ٧٤٢.

(٢) مستدرک الوسائل ج ١ ص ٢٧٥.

(٣) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٤٤، وسائل الشيعة ج ٢ ص ٧٤٤.

(٤) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٤٤، وسائل الشيعة ج ٢ ص ٧٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٥

و أما خبر المفصل فكأنه خرج مخرج التجوز و المسامحة في التعبير حسبما يسمّيها الناس سورتين للفصل، و لذا وقع مثله في خبر «الهداية» و غيره مع التصريح بالاتحاد.

و أما الأنفال و التوبة فبعض العامة و إن نسب الى أئمتنا عليهم السلام القول بالاتحاد، إلّا أن الظاهر من عدم تعرّض أحد من الأصحاب لذلك في باب قراءة السورة التامة في الفريضة العدم.

بل

في العلوي المروي في «المجمع» تعليّل عدم نزول البسملة على رأس سورة براءة بأنّ بسم الله للأمان و الرحمة، و نزلت براءة لرفع الأمان بالسيف «١».

و يؤيدّه الأخبار الكثيرة من طرق الفريقين المشتملة على بيان سبب نزول السورة، حيث علّق الحكم فيها بنزول السورة لا الآيه و الآيات، بل الأخبار الدالة على فضلها، و فضل الأنفال، مؤيدا بتقرير الثابت في المصاحف، و ضبط آيات كلّ منها و غير ذلك ممّا يشير الى استقرار المذهب على التعدد، سيما مع سكوتهم عن الحكم بالاتحاد عند البحث عن وجوب التبويض مع تعرّضهم للحكم في السورتين المتقدمتين، و أما ما رواه العياشي و الطبرسي في تفسيرهما عن مولانا الصادق عليه السلام من اتحادهما «٢».

ففيه، مع الغضّ عن ضعف السند، و عدم ثبوت مثل هذا الحكم بمثله، أنه لا يصلح لمقاومة ما مرّ، مضافا الى عدم صراحة المتن في المطلوب، و إن كان ظاهرا فيه، نعم قد يؤمى إليه عددهما سابعة السبع الطول، و إن قيل: إن ذلك

(١) مجمع البيان تأليف الفضل بن الحسن الطبرسي المطبوع بطهران من منشورات المعارف الإسلامية (ج ٥ ص ٢).

(٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ٧٣، و البحار ج ١٩ ص ٦٩، و الصافي ج ١ ص ٦٨٠، مجمع البيان ج ٥ ص ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٦

لنزولهما جميعا في المغازى، و تسميتهما بالقرينين، بل من القريب حمل خبر الاتحاد على شىء من هذه الوجوه، إلا أن الاحتياط في مثل القراءة و غيرها لا يخفى سبيله، و لا ينبغي تركه. و إن كان الأظهر حرمة كل من التبعض، و الجمع بين مطلق السورتين، كما أن الأظهر في المقام التعدد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٧

### الفصل الثالث

في تقسيم السور قسموا السور الى أقسام أربعة: أحدهما الطول كصرد جمع الطولى بالضم مؤنشة الأطول كالكبر و الفضل في جمع الكبرى و الفضلى.

و فى «النهاية» إن هذا البناء يلزمه الألف أو الإضافة، قال: و السبع الطول هى البقرة، و آل عمران، و النساء، و المائدة، و الأنعام، و الأعراف، و التوبة، و هو مبني على إسقاط الأنفال رأسا، و عدّ التوبة سورة مستقلة، لكن فى القاموس أنها من البقرة الى الأعراف، و السابعة سورة يونس، أو الأنفال و براءة جميعا، لأنهما سورة واحدة عنده انتهى.

و لا يخفى أن هذين القولين يخالفان ما فى «النهاية» بل لعل ظاهره أن من عدّهما سورتين جعل السابعة سورة يونس، و ليس كذلك، بل يظهر من بعضهم أنهما معا السابعة، و لو عند من قال بالتعدد نظرا الى وحدة البسملة فيهما، أو نزولهما جميعا فى المغازى، أو لقربهما فى الآى للستة السابقة، أو لأن الأولى فى ذكر العهود، و الثانية فى رفع العهود.

و فى «المجمع» عن ابن عباس أنه قال لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٨

عمدتم الى براءة و هى من المئين و الى الأنفال و هى من المثانى، فجعلتموها فى السبع الطول، و لم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال: كان النبى صلى الله عليه و آله تنزيل عليه الآيات فيدعو بعض من يكتب له فيقول صلى الله عليه و آله له: ضع هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا و كذا،

و كانت الأنفال من أول ما نزل من القرآن بالمدينة، و كانت براءة من آخر ما نزلت من القرآن، و كانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننا أنها منها، و قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و لم يبين أنها منها، فوضعناهما فى السبع الطول، و لم نكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم «١».

ثم أنه يظهر من «النهاية» الأثرية إطلاق الطولين على الأنعام و الأعراف قال: و منه حديث أم سلمة كان يقرأ فى المغرب بطولى الطولين، تنبيه الطولى و مذكرها الأطول، أى أنه كان يقرأ فيها بأطول السورتين الطويلتين يعنى الأنعام و الأعراف.

ثانيهما: المثون جمع المائة و النون، قال فى «الصحيح»: أصله يعنى المائة مائة مثل معي و الهاء عوض عن الياء و إذا جمعت بالواو و النون قلت مئون بكسر الميم، و بعضهم يقول مئون بالضم.

أقول: و المراد منها ما آياتها فى حدود المائة بشىء من زيادة أو نقصان، قالوا: و هى من يونس الى الفرقان، و قيل: من بنى إسرائيل الى سبع سور، لأن كلها منها على نحو مائة آية، و التسمية للسور باعتبار الآيات فإنها يوصف بها كما يقال مررت برجل مائة أبه كما فى «القاموس» و إن قال: و الوجه الرفع.

ثالثها المثانى جمع المثنى كالمعنى و المعانى، و عن الفراء أن واحدا

(١) مجمع البيان ج ٥ ص ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٩

مثناة، و المثنائي و إن كانت تطلق على الفاتحة لما مرّ، و على جميع القرآن بمعنى المجموع، أو كل آية منه لاقتران آية الرحمة بآية العذاب، أو لغيره ممّا مرّ، و لكن المراد بها في المقام ما كان أقلّ من المئين و أزيد من المفصل، قيل: كأنّ المئين جعلت مبادئ، و التي تليها مثنائي.

و في «مجمع البيان» أنّها مثنائي السبع الطول قال: و أولها سورة يونس، و آخرها النمل، و قيل: و المشهور بين العامة أنّه من الطواسين الى الحجرات، و قيل: إنّ بقیة السور غير الطول السبع، و المئين السبع، و المفصل المفسّر بسورة محمد صلى الله عليه و آله الى آخر القرآن، و هي تقصر عن المئين و تزيد على المفصل، كأنّ الطول جعلت مبادئ أخرى، و التي تليها مثنائي لها فهي مثنائي لكل منهما، و قيل: أقوال آخر أشار الى جملة منها في «القاموس» قال: و المثنائي القرآن، أو ما ثنى منه مرّة بعد مرّة، أو الحمد، أو البقرة، الى براءة، أو كل سورة دون الطول، و دون المئين، و فوق المفصل، أو سورة الحجّ و القصص، و النمل، و العنكبوت، و النور، و الأنفال، و مريم، و الزّوم و ياسين، و الفرقان، و الحجر و الرعد، و سبأ، و الملائكة، و إبراهيم، و ص، و محمد، و لقمان، و النون، و الزخرف، و المؤمن، و السجدة، و الأحقاف، و الجاثية، و الدخان، و الأحزاب.

رابعها المفصل بفتح الصاد المشددة، قال في «القاموس»، إنّ من الحجرات الى آخر القرآن في الأصحّ، أو الجاثية، أو القتال أو ق عن النووى (١)

(١) النووى يحيى بن شرف الشافعى، أبو زكريّا يحيى الدين: علّامة بالفقه و الحديث ولد في نوا (من قرى حوران بسورية) و إليها نسبته سنة ٦٣١ تلم في دمشق و أقام بها زمنا طويلا له مصنّفات كثيرة: منها تهذيب اللغات و الأسماء، المنهاج في شرح صحيح مسلم خمس مجلدات، التبيان في آداب حملة القرآن .. توفي سنة ٦٧٦ في النوا، الأعلام ج ٩ ص ١٨٤ طبقات، الشافعية للسبكي ج ٥ ص ١٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ١٩٩

و الصّافات، أو الصّف، أو التبارك، عن أبي الصيف (١)، أو إنّنا فتحنا، عن الدزمارى (٢)، أو سبّح اسم ربك الأعلى، عن الفركاح (٣) أو و الضحى، عن الخطّابى (٤). «٥» أقول: و الذى استقرّ عليه مذهب أصحابنا الإمامية عطر الله مرادهم أنّه من سورة محمد صلى الله عليه و آله الى آخر القرآن، بل عن «التبيان» نسبته الى أكثر أهل العلم، و اقتصر عليه في «مجمع البيان» من غير إشارة الى غيره، و قد يؤيد ذلك بما في المروى مرسلا في «مجمع البحرين» (٦) و لعلّه خبر سعد الآتى، أو غيره، فيعضده أنّ المفصل ثمان و ستون سورة نظرا إلى انطباق هذا العدد عليه بداية و نهاية كما لا يخفى و إنما سمّيت به لكثرة الفصول بين سورة بالبسملة، من قوله

(١) محمد بن إسماعيل بن على بن أبى الصيف، فقيه، شافعى يمنى أصله من زييد أقام و توفي بمكة سنة ٦٠٩ هـ له مصنّفات: منها (الأربعون حديثا جمعها عن أربعين شيخا من أربعين مدينة. طبقات الشافعية ج ٦ ص ١٩.

(٢) هو: أحمد بن كشاسب بن على الدزمارى كمال الدين الفقيه الصوفى الشافعى، توفى سنة (٦٤٣) هـ و نسبته الى دزمار (بكسر الدال) قلعة حصينة من نواحي آذربايجان قرب تبريز، طبقات السبكي ج ٨ ص ٣٠.

(٣) الفركاح عبد الرحمن بن إبراهيم الفزازى تاج الدين، مورخ من علماء الشافعية بلغ رتبة الاجتهاد، مصرى الأصل، دمشق الإقامة و الشهرة له مصنّفات: منها شرح الورقات لإمام الحرمين فى الأصول، و كشف القناع فى حلّ السماع- طبقات الشافعية للسبكي ج ٥ ص ٦٠- الأعلام ج ٤ ص ٦٤.

(٤) الخطّابى حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطّاب بن سليمان: فقيه محدث من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطّاب

(أخى عمر بن الخطاب) له مصنفات منه: معالم السنن فى شرح سنن أبى داود، إصلاح غلط المحدثين، شرح البخارى، بيان إعجاز القرآن. ولد فى سنة ٣١٩ و توفى ببست سنة ٣٨٨ هـ، - يتيمة الدهر للثعالبي ج ٤ ص ٢٣١- الأعلام للزركلى ج ٢ ص ٣٠٤.  
(٥) تاج العروس فى شرح القاموس للزبيدي ص ٦٠ ج ٨ فصل ألفا من باب اللام.  
(٦) مجمع البحرين حرف اللام ما أوله الفاء ص ٤٤٨ فى كلمة فصل.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥١

عقد مفصل أى جعل بين كل لؤلؤتين منه جوهرة، أو لقلعة المنسوخ فيه من قولهم حكم فاصل و فيصل ماض أو لكثرة فواصله فى سورة، أو آياته فإن الفاصلة الخرزة بين الخرزتين، و أواخر آيات التنزيل بمتزلة قوافى الشعر.  
ثم إن التسمية فى هذه الأسماء الأربعة مشهورة بين العامة، بل و بين الخاصة أيضا، و إن توهم بعض المتأخرين أنه لا أصل لها فى أخبارنا، بل ذكر السيد «١» فى مداركه بعد نقل الشهرة على استحباب قراءة المفصل فى الصلوة أنه ليس فى إخبارنا تصريح بعد هذا الاسم و لا تحديده، و إنما رواه الجمهور عن عمر «٢» و تبعه البحرانى، فى حدائقه قال بعد نقل كلامه: و من هنا يعلم أن الظاهر أن أصحابنا (رضى الله عنهم) قد تبعوا فى ذلك العامة، ثم قال بعد أن حكى عن مجمع البحرين: إن فى الحديث فضلت بالمفصل.  
و

فى الخبر أنه ثمان و ستون إلخ

إنه ربما أشعر كلامه بأن الأخبار المذكورة فى كلامه مروية عن طرفنا، و لم أقف على من نقلها كذلك سواه، و الظاهر أنها من

(١) محمد بن على بن الحسين العاملى صاحب المدارك، كان فاضلا، متبحرا، ماهرا، محققا، مدققا، زاهدا، عابدا، ورعا، فقيها، محدثا، جامعا للعلوم و الفنون جليل القدر، عظيم المنزلة قرأ على أبيه و على المولى أحمد الأردبيلي و تلامذة جد لأمه الشهيد الثانى، و كان شريك خاله الشيخ حسن فى الدرس، و كان كل منهما يقتدى بالآخر فى الصلاة، و يحضر درسه له كتاب مدارك الأحكام فى شرح شرايع الإسلام خرج منه العبادات فى ثلاث مجلدات فرغ منه سنة ٩٩٨ و هو من أحسن كتب الاستدلال، و حاشية الإستبصار، و حاشية التهذيب، و حاشية على ألفية الشهيد، و شرح المختصر النافع و غير ذلك. توفى سنة ١٠٠٩ فى قرية جبع. - سفينة البحار ج ١ ص ٣٢٨.

(٢) فى بدائع الصنائع ج ١ ص ٢٠٥ كتب عمر بن الخطاب الى أبى موسى الأشعري: أن اقرأ فى الفجر و الظهر بطول المفصل و فى العصر و العشاء بأوساط المفصل و فى المغرب بقصار المفصل.

- تعليقه الحدائق ج ٨ ص ١٧٧ ط. الآخوندى بالنجف-

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٢

طرق العامة و إن تناقلها أصحابنا فى كتب الفروع.

نعم وقفت على ذلك فى كتاب دعائم الإسلام «١» إلما أنه من كلامه و لم يسنده الى رواية حيث قال: و لا بأس أن يقرأ فى الفجر بطوال المفصل و فى الظهر و العشاء الآخرة بأوساطه، و فى العصر بأوساطه، و فى المغرب بقصاره انتهى «٢».

و نسج على منوالهم كثير ممن تأخر عنهم، لكن القدر ليس فى موضعه إذ

فى «الكافي» بالإسناد عن سعد الإسكاف أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله أعطيت

(١) دعائم الإسلام للقاضى النعمان بن محمد بن منصور أبى حنيفة ابن حيون التميمى، قال المجلسى فى مقدمة البحار: و كتاب دعائم الإسلام قد كان أكثر أهل عصرنا يتوهمون أنه تأليف أبى حنيفة النعمان بن منصور قاضى مصر فى أيام الدولة الإسماعيلية، و كان



مالكيا أولا ثم اهتدى و صار إماميا، و أخبار هذا الكتاب أكثرها موافقة لما في كتبنا المشهورة لكن لم يرو عن الأئمة بعد الصادق خوفا من الخلفاء الإسماعيلية، و تحت سرّ التقيّة أظهر الحق لمن نظر فيه متعمقا، و أخباره تصلح للتأييد و التأكيد. قال ابن خلكان: هو أحد الفضلاء المشار إليهم ذكره الأمير المخترار المسيحي في تاريخه فقال: كان من العلم و الفقه و الدين و النبيل على ما لا مزيد عليه. و قال ابن زولاق في ترجمه ولده على بن النعمان:

كان أبوه النعمان بن محمد القاضي في غاية الفضل من أهل القرآن و العلم بمعانيه، و عالما بوجوه الفقه و علم اختلافات الفقهاء و اللغة و الشعر و المعرفة بأيام الناس مع عقل و إنصاف و ألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف و أمّح سجع، و عمل في المناقب و المثالب كتابا حسنا، و له ردود على المخالفين: له ردّ على أبي حنيفة و على مالك، و الشافعي و على شريح، و كتاب اختلاف ينتصر فيه لأهل البيت عليهم السلام قال الزركلي في الأعلام: ابن حيون النعمان بن محمد بن منصور كان واسع العلم بالفقه و القرآن و الأدب و التاريخ، من أهل القيروان، مولدا و منشئا تفقه بمذهب المالكية، و تحول الى مذهب الباطنية. عاصر المهدي و القائم و المنصور و المعزّ و خدمهم، و قدم مع المعزّ إلى مصر و توفي بها سنة ٣٦٣ هو صفة الذهبى بالعلامة المارق و قال: كتبه كبار مطوّله، و كان وافر الحشمة عظيم الحرمة، في أولاده قضاء و كبراء. الأعلام ج ٩ ص ٨، وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٦، بحار الأنوار ج ١.

(٢) الحدائق الناظرة ج ٨ ص ١٧٨ ط. الآخوندي بالنجف. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٣  
السور الطول مكان التوراة، و أعطيت المئين مكان الإنجيل، و المثاني مكان الزبور، و فضّلت بالمفصل ثمان و ستين سورة، و هو مهيمن على سائر الكتب فالتوراة لموسى، و الإنجيل لعيسى، و الزبور لداود صلّى الله عليه و آله «١».

و  
في «مجمع البيان» أنّه قد شاع في الخبر عن النبي صلّى الله عليه و آله أنه قال: أعطيت لمكان التوراة السبع الطول، و مكان الإنجيل المثاني، و مكان الزبور المئين، و فضّلت بالمفصل، قال و في روايه واثله بن الأسقع «٢»: و أعطيت مكان الإنجيل المئين، و مكان الزبور المثاني، و أعطيت فاتحة و خواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها أحد قبلي، و أعطاني ربي المفصل نافله «٣».

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٣٩ ط الإسلامية بطهران.

(٢) واثله بن الأسقع بن عبد العزى: صحابي، من أهل الصفة. كان قبل إسلامه ينزل ناحية المدينة.

و دخل المسجد بالمدينة و النبي صلّى الله عليه و آله يصلى الصبح، فصلى معه و كان من عادة النبي صلّى الله عليه و آله إذا انصرف من صلاة الصبح تصفح وجوه أصحابه، ينظر إليهم فلما دنا من واثله أنكره، فقال من أنت؟ فأخبره، فقال صلّى الله عليه و آله ما جاء بك؟ قال: أبايع فقال صلّى الله عليه و آله: على ما أحببت و كرهت؟ قال: نعم و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يتجهز الى تبوك، فشهدا معه. قيل خدم النبي (صلّى الله عليه و آله ثلاث سنين، ثم نزل البصرة و كانت له بها دار و شهد فتح دمشق و سكن قرية البلاط على ثلاثة فراسخ منها و حضر المغازي في البلاد الشامية، و تحول الى بيت المقدس، فأقام و يقال: كان مسكنه بيت جبرين و كفّ بصره و عاش ١٠٥ سنين و قيل: ٩٨ سنة و هو آخر الصحابة موتا في دمشق، له ٧٦ حديثا و وفاته بالقدس أو بدمشق سنة ٥٨٣. أسد الغابة ج ٥ ص ٧٧، الأعلام ج ٩ ص ١٢٠.

(٣) مجمع البيان ج ١ مقدمة الكتاب الفن الرابع في ذكر أسامي القرآن و معانيها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٥

في معنى الآية والكلمة والحروف أما الآية فهي في الأصل بمعنى العلامة، أو العلامة التي فيها العبرة، أو التي فيها الحجّة، أو العلامة الظاهرة، و بمعنى العجب من قولهم فلان آية في العلم، و العبرة، و الشخص، و لعل الأظهر كونها حقيقة في الأول، و إن أطلقت على الجميع باعتبار الموارد، و عليه حمل قوله تعالى: عِيداً لَأَوْلِنَا وَ آخِرِنَا وَ آيَةً مِنْكَ «١» أي علامة لإجابتك دعانا، و آيات الكتاب علامات و دلالات على معانيها.

و عن أبي عبيدة «٢» أن معنى الآية أنها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها

(١) المائدة: ١١٤.

(٢) معمر بن المثنى بالولاء البصرى، أبو عبيدة النحوى: من أئمة العلم بالأدب و اللغة مولده في سنة ١١٠ و وفاته في البصرة ٢٠٩ هـ استقدمه هارون الرشيد الى بغداد سنة ١٨٨ هـ، و قرأ عليه أشياء من كتبه.

قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. و كان أباضياً، شعوبياً، من حفاظ الحديث، قال ابن قتيبة: كان يبغض العرب و صنف في مثالبهم كتباً و لمّا مات لم يحضر جنازته أحد، لشدة نقده معاصريه، و كان مع سعة علمه، ربّما أنشد البيت فلم يرقم وزنه و يخطئ إذا قرأ القرآن نظراً له نحو ٢٠٠ مؤلف منها «مجاز القرآن» و «معاني القرآن» و «اعراب القرآن» و «طبقات الشعراء» و غيرها.

وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٠٥- تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٢- الأعلام ج ٨ ص ١٩١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٦

و انقطاعه عمّا بعدها، و يقال: إن الآية هي القصّة و الرسالة، قال كعب بن زهير «١»:

ألا أبلغا هذا المعرّض آية أيقظان هذا القول أم قال ذا الحلم، أي رسالته فمعنى الآيات القصص، أي قصّة تتلو قصّة.

و عن ابن السكيت: خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم لم يدعوا ورائهم شيئاً، فمعنى الآية جماعة من الحروف دالّة على معنى مخصوص، و وزنها فعله بسكون العين، أو بفتحها، أو فاعله، قال في الصحاح: الآية: العلامة؛ و الأصل أويّة بالتحريك، قال سيبويه «٢».

موضع العين من الآية واو لأنّ ما كان موضع العين منه واوا ياء أكثر مما موضع العين و اللام منه ياء، مثل شويت أكثر من حييت، و يكون النسبة إليها آوى.

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازنى: شاعر على الطبقة، من أهل نجد له ديوان شعر مطبوع كان ممّن اشتهر في الجاهلية، و لمّا ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه و آله و أقام يشبّب بنساء المسلمين، فهدر النبي صلى الله عليه و آله دمه فجاءه كعب مستأمناً و قد أسلم، و أنشده لا ميثه المشهورة التي مطلعها: «بانت سعاد و قلبي اليوم مبتول» فعفا عنه النبي صلى الله عليه و آله و خلع عليه برده و هو من أعرق الناس في الشعر، قوله في أمير المؤمنين عليه السلام مشهور: صهر النبي و خير الناس كلهم فكل من رامه بالفخر مفخور صلى الصلوة مع الأمي أولهم قبل العباد و ربّ الناس مفخور

خزانة الأدب ج ٤ ص ١١- الأعلام ج ٦ ص ٨١- سفينة البحار ج ٢ ص ٤٨٣.

(٢) سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشير: إمام النحاة و أول من بسط علم النحو- ولد في إحدى قرى شيراز، و قدم البصرة فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، و صنّف كتابه المسمى «كتاب سيبويه» في النحو لم يصنع قبله و لا بعده مثله، و رحل الى بغداد، فناظر الكسائي و أجازته الرشيد بعشرة آلاف درهم و عاد الى الأهواز فتوفى بها، قيل: وفاته و قبره بشيراز. ولد سنة ١٤٨ هـ و توفى سنة ١٨٠ هـ و سيبويه بالفارسية رائحة التفاح.

- وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨٥- تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٩٥- الأعلام ج ٥ ص ٢٥٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٧

ثم حكى عن الفراء «١» أنها من الفعل فأعلت و إنما ذهبت منه اللام، و لو جاءت تامه لجاءت أبيه، و لكنها خففت ثم ذكر أن جمعها أى، و آياى، و آيات.

و حكى عن إنشاد أبى زيد «٢» رابعا، قال: لم يبق هذا الدهر من آياته غير أثاره و ارمدائه.

و قال القاضى «٣»، اشتقاقها من أى لأنها تبين أيا من أى، أو من أوى اليه و أصلها أيه أو أويه كتمره فأبدلت عينها ألفا على غير قياس، أو أويه، أو أبيه

(١) الفراء يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمى: إمام الكوفيين و أعلمهم بالنحو و اللغة و فنون الأدب، و من كلام ثعلب: لو لا الفراء ما كانت اللغة، ولد بالكوفة سنة ١٤٤ ه و انتقل الى بغداد و عهد اليه المأمون بتربيته ابنه فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف الى الكوفة فأقام أربعين يوما فى أهله يؤزغ عليه ما جمعه و يبزهم، و توفى فى طريق مكة سنة ٢٠٧، و كان مع تقدمه فى اللغة و النحو فقيها متكلما، عالما بأخبار العرب و أيامها، عارفا بالنجوم و الطب، يميل الى الاعتزال له مصنفات منها «المقصود و الممدود» و «معانى القرآن» أملاها فى مجالس عامه كان فى جملة من يحضرها نحو ثمانين قاضيا، و «المذكر و المؤنث» و «الجمع و التشبيه فى القرآن» ألفه بأمر المأمون، و اشتهر بالفراء مع أنه لم يعمل فى صناعة الفراء، فقل: لأنه كان يفرد الكلام، و عرف أبوه «زياد» بالأفطح لأن يده قطعت فى معركة فخ سنة ١٦٩ ه و قد شهدها مع الحسين بن على بن الحسن، فى خلافة موسى الهادى.

- وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٢٨- الأعلام للزركلى ج ٩ ص ١٧٨.

(٢) أبو زيد الأنصارى أحد أئمة الأدب و اللغة، من أهل البصرة، ولد سنة ١١٩ ه و توفى بالبصرة سنة ٢١٥ ه و هو من ثقاة اللغويين قال ابن الأنبارى كان سيويه إذا قال سمعت الثقة عنى أبا زيد، له مصنفات منها، «كتاب النوادر» فى اللغة «و اللباء و اللبن» و «المياه» و «خلق الإنسان» و «لغات القرآن» و «الوحوش» و «بيوتات العرب».

- وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠٧- تاريخ بغداد ج ٩ ص ٧٧- الأعلام ج ٣ ص ١٤٤.

(٣) القاضى هو البيضاوى عبد الله بن عمر بن محمد، قاض مفسر ولد فى بيضاء قرب شيراز و ولى قضاء شيراز مدة، فانصرف عن القضاء و رحل الى تبريز و توفى فيها سنة ٦٨٦ ه له آثار منها: «أنوار التنزيل و أسرار التأويل» يعرف بتفسير البيضاوى.

- البدايه و النهايه ج ١٣ ص ٣٠٩- الأعلام ج ٤ ص ٢٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٨

كرمله فأعلت، أو آئيه كقابلة فحذفت الهمزة تخفيفا.

ثم أنها قد غلبت فى دين الإسلام غلبه عرفيه عامه، أو خاصه متشرعه، أو شرعيه و إن كان الأظهر الأخير فى جماعه حروف أقصرها اثنان، مثل حمّ و يسن، و أطولها آيه المدائنه فى أواخر البقرة «١» و هى مائة و ثلاثه و ثلاثون كلمه على ما قيل، و هو مبنى على عدم عدّ الحرف الواحد آيه كما استقرت عليه كلمتهم.

قال شيخنا «٢» الطبرسى فى المجمع لم يعدق آيه، و لا نظرائه من ن و ص،

(١) البقرة: ٢٨٢- صدرها: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ..) إلخ.

(٢) أمين الدين أو أمين الإسلام أبو الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى الطوسى: مفسر فقيه، جليل، كامل، نبيل، محقق، لغوى من أجلاء الإماميه و لقد أذعن لفظه كل من عاصره أو تأخر عنه: قال الأفندى فى رياض العلماء: رأيت نسخه من مجمع البيان بخط القطب الكيدرى قد قرأها نفسه على نصير الدين الطوسى و على ظهرها أيضا بخطه هكذا: تأليف الشيخ الإمام الفاضل السعيد الشهيد انتهى- قال فى الروضات: الشيخ الشهيد السعيد و الحبر الفقيه الفريد، الفاضل العالم المفسر الفقيه المحدث الجليل الثقة، الكامل

النيل، قال الشيخ أسد الله التستري في المقاييس عند ذكر ألقاب العلماء و منها أمين الإسلام الشيخ الأجل الأوحى الأكمل الأسعد قدوة المفسرين و عمدة الفضلاء المتبحرين أمين الدين أبى على إلخ .. يروى المترجم له عن جماعة منهم: أبو على بن الشيخ الطوسى، و الشيخ أبو الوفاء عبد الجبار بن على و الشيخ الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمى، و السيد أبو طالب الجرجانى و غيرهم مصنفات كثيرة رائعة منها «مجمع البيان» و هو من أحسن التفاسير و أجمعها لفنون العلم فرع منه منتصف ذى القعدة سنة ٥٣٦ هـ «و جوامع الجامع مختصر مجمع البيان و الكشف» و «تاج الموالي» و «أعلام الورى بأعلام الهدى» فى فضائل الأئمة و غيرها. توفى سنة ٥٤٨ هـ عن الأفندى فى رياض العلماء أنه قال: مما اشتهر بين الخاص و العام أن الطبرسى رحمه الله أصابته السكتة فظنوا به الوفاة فغسلوه و كفنوه و دفنوه و انصرفوا فأفاق و وجد نفسه مدفوناً فنذر إن خلصه الله تعالى من هذه البلية أن يؤلف كتاباً فى تفسير القرآن و اتفق أن بعض النباشين كان قد قصد قبره فى تلك الحال و أخذ فى نبشه فلما نبشه و جعل ينزع عنه الأكفان قبض بيده عليه فخاف النباش خوفاً عظيماً ثم كلمه فازداد خوف النباش فقال له: لا تخف و أخبره بقصته فحمله النباش على ظهره و أوصله الى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٩

لأنه مفرد و كل مفرد فإنه لا يعدّ لبعده عن شبه الجملة، فأما المركب فما أشبه الجملة و وافق رؤوس الآى فإنه يعدّ مثل طه، و حم، و ألم.

أقول: و من هنا يظهر انهم اعتبروا فى معناها معنى الجمعية التى أحد معانيها من قولهم خرج القوم بآيتهم أى بأجمعهم، و إن كانت مع ذلك عبرة و علامة واضحة، و حجة بينة على صدق النبى صلى الله عليه و آله و لذا كان كل آية منه معجزة أبد الدهر، و على الحقائق الكلية و العلوم الربانية، و المعارف الإلهية التى هى دليل عليها حسبما سمعت فكأنه قد لوحظت فى المنقول إليه جميع المعانى كما هو الأوفق بالجمعية المعبرة فى مسماها فإن الأظهر حصول النقل الشرعى فيها.

و لذا قال الجاحظ «١»: سُمى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سُمى العرب كلامهم

بيته فأعطاه الأكفان و وهب له مالا جزيلاً و تاب النباش على يده ثم وفّى بنذره و أَلّف كتاب مجمع البيان انتهى قال المحدث النورى فى مستدركات الوسائل بعد نقل هذه الحكاية و مع هذا الاشتهار لم أجدها فى مؤلف أحد قبله و ربما نسبت الى العالم الجليل المولى فتح الله الكاشانى صاحب تفسير منهج الصادقين و خلاصته و شرح هذه الحكاية مع بعدها فى نفسها من حيث بقاء حياة المدفون بعد الإفاقة أنها لو صحّت لذكرها فى مقدمته مجمع البيان لغرابتها و لاشتمالها على بيان السبب فى تصنيفه مع أنه لم يتعرض لها و الله أعلم، توفى بسبزوارة و نقل الى المشهد الرضوى و دفن فى جوار الرضا عليه السلام.

و الطبرسى بالطاء المهملة و الباء المفتوحتين و الراء الساكنة بعدها سين مهملة نسبة الى طبرستان و هى بلاد مازندران، قال فى معجم البلدان الطبر بالتحريك هو الذى يشقق به الأحطاب و ما شاكله بلغة الفرس و استان الموضع أو الناحية فطبرستان أى ناحية الطبر لأن أكثر أهل تلك الجبال مسلحون بالطبر. مقدمته مجمع البيان، الأعلام ج ٥ ص ٣٥٢، روضات الجنان ص ٥١٢.

(١) الجاحظ هو أبو عثمان عمرو بن بحر البصرى اللغوى النحوى كان من غلمان النظام و كان من كبار أئمة الأدب و رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة و مائلا الى النصب و العثمانية ولد فى البصرة سنة ١٦٣ هـ و توفى فيها سنة ٢٥٥ هـ فلج فى آخر عمره و كان مشوه الخلق و قيل فى قبحة، لو يمسح الخنزير مسخاً ثانياً ما كان إلّا دون قبح الجاحظ، مات و الكتاب على صدره، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه، له تصانيف كثيرة منها «الحيوان» مجلدات و «البيان و التبيين» و «المحاسن و الأضداد» و

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٠

على الجمل و التفصيل، سُمى جملة قرآناً كما سما ديواناً، و بعضه سورة كقصيدة و بعضها آية كالبيت، و آخرها فاصلة كقافية.

ثم لا يخفى أن ما ذكرناه فى تعريف الآية تعريف لفظى لم نقصد به إلّا المعرفة الإجمالية التى يتميز بها النوع عن غيره فى الجملة إذ

لا يهتأ الاستقصاء في تعريفه بما يسلم طردا و عكسا من المناقشات، و إن كان ملحوظا فيما ذكرناه حيثية الجعل الشرعى الذى معها يسلم عن كثير من الاعتراض بخلاف ما ذكره القوم فى المقام، مثل ما قيل من أنها كل كلام يتصل الى انقطاعه، أو أنها ما يحسن السكوت عليه، أو أنها جماعة حروف، الى غير ذلك مما لا يسلم منها لو لا اعتبار حيثية المتقدمه.

و أما الكلمه فعن الفراء و غيره أن فيها ثلث لغات: فتح الأول و كسر الثانى، و هو الأشهر، و يجوز سكون الثانى مع فتح الأول و كسره، بل قد يقال باطراد الثلاثة فى كل ما كان على فعل بفتح الفاء و كسر العين نحو كبد و ورق و تطلق على كل لفظ وضع لمعنى مفرد، و تجمع على كلمات و كلم على الأظهر من الأقوال فيها، كما صرح به فى «الصحاح» و غيره.

و قد يقال: إنها مشتقة من الكلم بالفتح فالسكون بمعنى الجراحة نظرا الى أن السمع و القلب يتأثران بها كما أن البدن قد يتأثر بالجراحة، بل قد يكون الأول

«العثمانية» التى نقض عليها أبو جعفر الإسكافى و الشيخ المفيد، و السيد أحمد بن طاووس و من أشعار الجاحظ ما أنشده فى أواخر عمره عند المبرد: أ ترجو أن تكون و أنت شيخ كما قد كنت فى أيام الشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الثياب

الكنى و الألقاب، سفينة البحار ج ١ ص ١٤٦، الأعلام ج ٥ ص ٢٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦١

أقرب الى الدوام، و أبعد عن الالتيام و الالتحام، و لذا قيل: جراحات السنان لها التيام و لا يلتام ما جرح اللسان.

و فى «الصحاح»: الكلم الجراحة، و الجمع كلوم و كلام، تقول كلمته كلما قال: و قرأ بعضهم «١»: دابة من الأرض تكلمهم «٢»، أى تجرحهم، و تسمهم، لكنّه اشتقاق بعيد كما نبه عليه نجم الأئمة «٣» و غيره، و أبعد منه ما يتوهم من اشتقاقها من الكلام بالضم.

قال فى القاموس: إنه الأرض الغليظة، و ربما يفسر بالقوت، قيل و منه قولهم: شغلنا الكلام عن الكلام.

و أما الحرف، فهو فى الأصل بمعنى الطرف، و النهاية، و الحد، و الشفير، و منه حرف الجبل، و هو أعلاه المحدد، و حرف لشفيره، و قوله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ «٤»، أى على وجه واحد، و هو أن يعبد على السراء دون الضراء، أو فى العلانية دون السر، أو باللسان دون الجنان، فإن الدين حرفان، أو على ضعف فى العبادة، كضعف القائم على حرف، أى طرف جبل، الى غير ذلك مما يؤول إلى ما مر، نعم قد غلب عرفا على هذه المسموعات التى

(١) المراد به ابن زرعة الذى قرأ تكلمهم بتخفيف اللام على ما صرح به الطبرسى مجمع البيان ج ص ٢٣٢.

(٢) النمل: ٨٢.

(٣) نجم الأئمة محمد بن الحسن الرضى الإسترابادى: محقق، مدقق من نوادر الزمان من الإمامية له مصنفات رائعة فائقة منها: «شرح الكافية لابن الحاجب» فى النحو و «شرح مقدمة ابن الحاجب المسماء بالشافية فى علم الصرف» و «شرح القصائد السبعة لابن أبى الحديد» توفى نحو ٦٨٦ هـ.

خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ١٢ و الأعلام ج ٧ ص ٣١٧.

(٤) الحج: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٢

يقال لها حروف المعجم، و ربما يعرف بأنه كيفية للصوت بها يمتاز الصوت عن صوت آخر مثله فى الحدّة و الثقل تميزا فى المسموع، و التقييد بالمثلثة فى الوصفين، لإخراجهما إذ لا يمتاز بشيء من الحدّة أى الزيرية و الثقل أى البميّة صوت يماثله فيهما و إن

كانا كيفيتين للصوت، وبالتميز في المسموع لإخراج الغنة التي تظهر من تسريب الهواء بعضا الى الأنف و بعضا الى الفم مع انطباق الشفتين و البوحوة التي هي للصوت الخارج من الحلق و غيرهما من طول الصوت و قصره، و كونه طيبا و غيره، فإن شيئا من ذلك لا يوجب التميز في المسموع. و لذا قد تختلف هذه الأمور و المسموع واحد، و قد تتحد و المسموع هو الحروف خاصة لا- تلك الكيفيات، و هو لا يخلو عن تأمل.

نعم قد يقسم الحروف الى زمانية صرفة و هي ما يمكن تمديدها بلا- توهم تكرر كالفاء و القاف و الشين، و كالحروف المصوتة المشهورة بحروف المد و اللين المقابلة للصوامت التي هي ما سواها، و الى آتية صرفة كالباء و الطاء، و الدال، و غيرها من الصوامت التي لا يمكن تمديدها أصلا، فإنها لا توجد إلا في آخر زمان حبس النفس، كما يشهد به التكلم بها- ساكنة بعد الهمزة المفتوحة، و لذا قيل: إن تسميتها بالحروف أولى من تسميتها غيرها، لأنها أطراف الصوت، و قد سمعت أن الحرف هو الطرف، و الى آتية تشبه الزمانية و هي أن تتوارد أفراد آتية مرارا فيظن أنها فرد واحد زمني كالراء و الحاء، و الخاء، حيث إن الغالب على النطق أن الراء التي في آخر الدار مثلا رأت متواليه كل واحد منها آتية الوجود، إلا أن الحس لا يشعر بامتيار أزمنتها، فظننا حرفا واحدا زمانيا. و من هنا يعترض على التعريف المتقدم بعدم شموله للحروف الآتية نظرا الى أنها لا توجد إلا في الآن الذي هو بداية زمان الصوت أو نهايته، فلا تكون

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٣

عارضة له حقيقة، لأن العارض يجب أن يكون موجودا مع المعروف، و هي لا توجد مع الصوت الذي هو زمني. و أوجب بأن عروضها للصوت على نحو عروض الآن للزمان، و النقطة للخط يعني أن عروض الشيء للشيء قد يكون بحيث يجتمعان في الزمان، و قد لا يكون، و حينئذ يجوز أن يكون كل واحد من الحروف الآتية طرفا للصوت عارضا له عروض الآن للزمان، فيندفع الإشكال.

أقول: و في كل من الاعتراض و الجواب نظر.

أما في الأول فللمنع من كون هذه الحروف آتية حقيقية، و التسمية باعتبار الإضافة، سلمنا لكن عروض الكيفية إنما هو لأجزاء الصوت أوعيتها زمانا، و أنا، و منه يظهر الحق في الجواب.

و أما في الثاني فلأن النقطة مجرد نهاية للخط، و هذا كيفية للنهائية، و الفرق واضح جدا، نعم تعريف الحرف بالهيئة العارضة إنما هو المشهور عند الحكماء، و أما أهل العربية، بل العرف العام فالظاهر منهم إطلاقه على مجموع العارض و المعروف كما لا يخفى.

ثم إنه حكى في «المصباح المنير» عن الفراء، و ابن السكيت أن حروف المعجم جميعها مؤنثة، و لم يسمع التذكير في شيء من الكلام، و أنه يجوز تذكيرها في الشعر.

و عن ابن الأنباري «١» التأنيث في حروف المعجم عندي على معنى الكلمة

(١) ابن الأنباري محمد بن القاسم بن محمد بن بشار: من أعلم أهل زمانه بالأدب و اللغة، و من أكثر الناس حفظا للشعر و الأخبار، قيل: كان يحفظ ثلاثمئة ألف شاهد في القرآن، ولد في

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٤

و التذكير على معنى الحرف.

و عن البارع «١» أن الحروف مؤنثة إلا أن تجعلها اسما فعلى هذا يجوز أن يقال هذا جيم، و ما أشبهه.

الأنبار (على الفرات) سنة ٢٧١ هـ و توفي ببغداد سنة ٣٢٨ و كان يتردد الى أولاد الخليفة الراضي بالله، يعلمهم، له مصنفات منها

«الزاهر» في اللغة و «شرح معلقة عنترة» و «الأمثال» و «الأضداد» و «غريب الحديث» و هو أجلّ كتبه: قيل أنه ٤٥٠٠٠ ورقة.

- وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٠٣ و تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٥٧- و الأعلام ج ٧ ص ٢٢٦.

(١) البارع البغدادي الحسين بن محمد بن عبد الوهاب من بنى الحارث بن كعب من علماء النحو و اللغة و هو من بيت وزارة ولى بعض جدوده وزارة المعتضد و المكتفى العباسيين، له ديوان شعر و كتب فى الأدب و من شعره: أفنيت ماء الوجه من طول ما أسأل من لا ماء فى وجهه

أنهى إليه شرح حالى الذى يا ليتنى متّ و لم أنهه

ولد البارع فى بغداد ٤٤٣ و عمى فى آخر عمره و توفى سنة ٥٣٤. وفيات الأعيان ج ١ ص ١٥٨، أنباء الرواة ج ١ ص ٣٢٨، الأعلام ج ٢ ص ٢٨٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٥

### الفصل الخامس

فى عدد الآيات و الكلمات و الحروف اختلفوا فى تعيين عدد آيات القرآن الكريم على أقوال بعد اتفاقهم فى الجملة على أنها لا تقصر عن ستة آلاف و مائتى آية و شىء زائد، فاختلافهم فى تعيين شىء زائد، و الأقوال المختلفة لا ترجع إلى إثبات بعض الآيات و رفعها رأساً، بل الى عدد بعض الآيات.

فعن المكيين أن القدر الزائد ستّ عشر آية، و قيل تسع عشر آية، و قيل اثنتى عشرة آية و عن المدنيّين إحدى عشر آية، و الأكثر على أنّها عندهم سبع عشر آية و لعل نسبة الأول إليهم و هم، و عن البصريين أربع آيات، و قيل ثلاث آيات، و قيل خمس آيات، و ربّما يقال: إنّ بناء مصاحفهم على الأول، و عن الشاميين سبع و عشرون، و قيل تسع و عشرون، و المحكى عن إبراهيم «١» التميمى نقصان واحدة عن المائتين، و عن الكوفيين خمس و ثلاثون، و فى «برهان القارى» حكاية عن بعض البارعين فى هذا الشأن أنّها فى عددهم ستّ و ثلاثون، و ربما ينسب إليهم غير ذلك، بل فيه أن الزيادة عند المدنيّين الأول سبع عشر آية،

(١) إبراهيم بن يزيد التميمى أو التميمى عدّه ابن قتيبة من الشيعة و ذكره الشيخ فى رجال السجّاد عليه السلام مات على عهد الحجاج سنة ٩٥ ه و لم يحضر جنازته أحد خوفاً منه إلّا سبعة أنفس.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٦

و عند المدنيّ الأخير، و هو إسماعيل «١» بن جعفر المدنيّ أربع عشر آية الى غير ذلك من الأقوال التى لا طائل تحت التعرض لها لعدم الدليل على شىء منها.

ثم

روى شيخنا الطبرسى فى «المجمع» فى تفسير سورة الإنسان عن النبى صلّى الله عليه و آله أن جميع سور القرآن مائة و أربع عشر سورة، و جميع آيات القرآن ستة آلاف آية و مائتى آية و ستّ و ثلاثون آية، و جميع حروف القرآن ثلاثمئة ألف و أحد و عشرون ألف حرف و مائتا و خمسون حرفاً «٢».

أقول: و من هنا يظهر صحّة عدد الكوفيين سيّما مع ملاحظة ما ذكره فى أول «المجمع» من أن عدد الكوفيين أصح الأعداد و أعلاها إسناداً لأنّه مأخوذ عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، قال: و تعضده الروايات الواردة

عن النبى صلّى الله عليه و آله أنه قال: فاتحة الكتاب سبع آيات إحداهنّ بسم الله الرحمن الرحيم

، قال: و عدد أهل المدينة منسوب الى أبى جعفر «٣» يزيد بن القعقاع القارى، و شيبه بن نصح «٤»، و هما المدنيّ الأول، و الى

إسماعيل بن جعفر و هو المدني الأخير،

(١) إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري أبو إبراهيم: قارئ أهل المدينة في عصره من موالى بنى زريق من الأنصار رحل الى بغداد، و تولى تأديب علي بن المهدي، ولد سنة ١٣٠ هـ هو توفي سنة ١٨٠ هـ. تاريخ بغداد ج ٦ ص ٢١٨، الأعلام ج ١ ص ٣٠٨.  
(٢) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٠٦.

(٣) أبو جعفر القارئ يزيد بن القعقاع المخزومي المدني أحد القراء العشرة من التابعين كان إمام أهل المدينة في القراء، و عرف بالقارئ و كان من المفتين المجتهدين، توفي بالمدينة سنة ١٣٢ هـ وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٧٨، الأعلام ج ٩ ص ٢٤١.  
(٤) شيبه بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المخزومي المدني، قاضي المدينة و إمام أهلها في القراءات، و كان من ثقات رجال الحديث. توفي سنة ١٣٠ هـ.

تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٧٧، الأعلام ج ٣ ص ٢٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٧

وقيل: المدني الأول هو الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، و عبد الله بن عمر «١» و المدني الأخير هو أبو جعفر، و شيبه بن إسماعيل، و الأول أشهر، و عدد أهل البصرة منسوب الى عاصم بن أبي الصباح الجحدري «٢» و أيوب بن المتوكل «٣» لا يختلفان إلّا في آية واحدة في ص قوله: فَالْحَقُّ وَ الْحَقُّ أَقُولُ «٤»، عدها الجحدري، و تركها أيوب، و عدد أهل مكة منسوب الى مجاهد «٥» بن جبير، و الى إسماعيل المكي «٦»، و قيل لا ينسب الى أحد، بل وجد في مصاحفهم على رأس كل آية ثلاث فقط، و عدد أهل الشام منسوب الى عبد الله بن عامر «٧»، ثم قال:

و الفائدة في معرفة آي القرآن أن القارئ إذا عدّها بأصابعه كان أكثر ثوابا، لأنه

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب: صحابي نشأ في الإسلام، و هاجر الى المدينة مع أبيه، و شهد فتح مكة، و ولد في مكة سنة ١٠ قبل الهجرة و كفّ بصره في آخر حياته و توفي سنة ٧٣ هـ. بمكة، و هو آخر من توفي بمكة من الصحابة، له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا.

تهذيب الأسماء ج ١ ص ٢٧٨- وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٤٦- الأعلام ج ٤ ص ٢٤٦-

(٢) عاصم بن أبي الصباح الجحدري المقرئ البصري المتوفى (١٢٨). غاية النهاية ج ١ / ٣٤٩.

(٣) أيوب بن المتوكل الأنصاري المقرئ البصري المتوفى (٢٠٠) هـ. غاية النهاية ج ١ / ١٧٢.

(٤) ص: ٨٤.

(٥) مجاهد بن جبير، أو جبر أبو الحجاج المقرئ المفسر المكي المتوفى (١٠٣).

غاية النهاية ج ٢ ص ٤١، حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٧٩، الأعلام ج ٦ ص ١٦١-

(٦) إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين قارئ مكة من أصحاب ابن كثير قرأ عليه الشافعي، مات سنة ١٩٠ هـ و هو المعروف بالقسط.

(٧) عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي أحد السبعة و لى قضاء دمشق في خلافة الوليد ابن عبد الملك، و ولد في البلقاء في قرية «رحاب» سنة ٨ من الهجرة و انتقل الى دمشق بعد فتحها، يقال: أنه أخذ القراءه عن معاوية و هو غلط فإن معاوية أظهر الإسلام عام الفتح و كان من الطلقاء ثم كان من الأمراء و أصحاب السياسة و تعليم القرآن بعيد من مثله و أنما نسبه إليه تشريفا له، و إنما أخذ عن الوائله بن الأسقع و فضاله بن عبيد- توفي بدمشق عام ١١٨ هـ.

تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٧٤، الأعلام ج ٤ ص ٢٢٨، فهرس مشاهير القراء.



تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٨

قد شغل بالقرآن يده مع قلبه ولسانه، وبالحرى أن تشهد له يوم القيامة فإنها مسئولة، ولأن ذلك أقرب الى التحفظ فإن القارئ لا يأمن السهو، و

قد روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: تعاهدوا القرآن فإنه وحشى، وقال صلى الله عليه وآله لبعض النساء اعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات، ومستنطقات،

وقال حمزة بن حبيب «١» وهو أحد القراء السبعة إن العدد مسامير القرآن «٢».

أقول: أما الفائدة في معرفة الآيات فلعله يكفى فيها ما سمعت، بل قد تظهر أيضا في مثل النذر، والاستيجار للتعليم، أو للقراءة، وقراءة الجنب، وأختيه لسبع آيات المحكم بكرامته ما زاد عليها، واشتدادها فيما زاد على السبعين، هذا مضافا الى الفضل المترتب على أعداد الآيات، فضلا عما يترتب على الحروف والكلمات، كما

ورد في النبوى: أن من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين، ومن قرأ ثلاثمئة آية لم يحاجه القرآن «٣».

و

أنه ينبغي أن يقرأ فى الوتيرة بعد العشاء مائة آية «٤»

و

أن من قرأ مائة آية يصلّى بها فى ليلة كتب الله له بها قنوت ليلة، ومن قرأ مائتى آية فى غير صلاة الليل كتب الله له فى اللوح قنطارا من الحسنات، والقنطار ألف و مائتا أوقية، والأوقية أعظم من

(١) حمزة بن حبيب الزيئات كان عالما بالقرآن والقراءات، قال الثورى: ما قرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر، ولد سنة ٨٠ و توفى سنة ١٥٦ و يأتى ترجمته مفصلا.

- تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٧، الأعلام ج ٢ ص ٣٠٨.

(٢) مجمع البيان مقدمة الكتاب- الفن الأول فى تعداد آى القرآن.

(٣) معانى الأخبار للصدوق ص ٤١٠ قال بعد نقل الحديث: يعنى من حفظ قدر ذلك من القرآن، يقال قد قرأ الغلام القرآن إذا حفظه.

(٤) مصباح المتهجد ص ٨١: يستحب أن يقرأ فيهما (الركعتين للوتيرة) مائة آية من القرآن و

روى فى فلاح السائل ص ٢٥٩ عن الصادق عليه السلام قال: كان أبى يصلّى بعد عشاء الآخر ركعتين و هو جالس يقرأ فيهما مائة آية.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٩

جبل أحد «١»

و

أن درجات الجنة على قدر آيات القرآن يقال له: اقرأ و أرق

، بل قد يعدّ الوقف على خصوص الآيات من الترتيل المندوب إليه، ولذا

ورد «٢» أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقطع قراءته آية آية «٣».

و أما سبب الاختلاف فيها مبنى على اختلاف أنظارهم كغيره من الاختلافات الكثيرة الواقعة فى الموادّ والهيئات المستندة إليها، أو الى

اختلاف المصاحف، نعم ذكر فى «برهان القارئ» تبعاً لهم أن الموجب هو النقل و التوقيف، قال و يؤيده ما

رواه عاصم عن ذرّ عن عبد الله بن مسعود أنه قال: اختلفنا في سورة من القرآن، فقال بعضنا ثلاثين، وقال بعضنا اثنتين و ثلاثين، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبرناه فتغير لونه، فأسرّ الى علي بن أبي طالب عليه السّلام بشيء، فالتفت إلينا عليّ عليه السّلام فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله يأمركم أن تقرأوا القرآن كما علمتموه «٤»

، قال وفي هذا دليل على أن العدد راجع الى التعليم، وفيه أيضا دليل على تصويب العددين.

أقول بل لعلّ الأظهر فيه على فرض صحّة الخبر أن العدد الحقّ هو ما أسره النبي صلى الله عليه وآله الى مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام إرشادا لهم الى سؤاله والأخذ منه، حيث

إنّه عليه السّلام باب مدينة حكيمته عليه السّلام

و حيث

إنّه صلى الله عليه وآله علم أنّ الناس لا يأتون البيوت من

(١) معاني الأخبار ص ١٤٧ عن أبي عبد الله عليه السّلام.

(٢) أمالي الصدوق ص ٢١٦ عن الصادق عليه السّلام.

(٣) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٧٨ عن أم سلمة.

(٤)

روى أحمد بن حنبل و ابن بطّة و أبو يعلى في مصنفاتهم عن الأعمش عن أبي بكر ابن أبي عيّاش في خبر طويل: أنه قرأ رجلا من ثلاثين آية من الأحقاف، فاختلغا في قراءتهما فقال ابن مسعود: هذا الخلاف ما أقرأه فذهبت بهما الى النبي صلى الله عليه وآله فغضب و عليّ عنده فقال عليّ عليه السّلام: رسول الله يأمركم أن تقرأوا ما علمتم. بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٥٣ ط. الآخوندي

بطهران. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧٠

الأبواب أمرهم بالقراءة كما علموا

، و في معناه ما

روى عن مولانا الصادق عليه السّلام أقرأوا كما علمتم حتى يجيء من يعلمكم «١».

و أما الكلمات القرآنية فقد يقال: إنّ مجموعها عند الجميع سبع و سبعون ألف كلمة و أربعمائه و شيء زائد اختلفوا في تعيينه، فعند البصريين أربع و ستون، و عند الكوفيين و الشاميين ثلاثون، و عن أهل الحرمين تسع و ثمانون، و ربما يحكى عن الكوفيين خمسون، و عن حميد بن الأعرج عشرون، و عن إبراهيم التيمي تسع و تسعون، و عن عطاء تسع و ثلاثون، و عن عبد العزيز ست و ثلاثون، و عن البصريين سبع و ثلاثون الى غير ذلك من الأقوال الكثيرة التي لا طائل تحت التعرّض لها فضلا عن الترجيح بينها، نعم في «برهان القارئ»:

عدّنا الكلمات فكانت اثنتين و سبعين ألفا، و لعله سهو منه، و كان منشأ الاختلاف في الأعداد هو الاختلاف في تعيين الكلمات، نعم في «جواهر التفسير»: أنّ أقصرها حرفان، كمن و (عن) و (ما) و (لا)، و إن جاء كثير من حروف المعاني على حرف واحد كواو

العطف و همزة الاستفهام، و الباء الجارة لكنّها لما لم يتنطق بها مفردة لم يعتبروها رأسا، و أطولهما عشرة أحرف مثل:

لَيْسَتْخَلْفَنَّهُمْ «٢». و أما قوله: فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ «٣» فهو و إن كان في اللفظ أحد

(١)

في الكافي بإسناده عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السّلام و أنا أستمع حروفا من القرآن ليس على ما يقرؤها

الناس - فقال أبو عبد الله عليه السلام كف عن هذه القراءة اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فإذا قام القائم قرأ كتاب الله عز وجل على حده إلخ. الكافي كتاب فضل القرآن باب النوادر حديث ٢٣.

و

فيه أيضا عن سفيان بن السمط قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تنزيل القرآن قال عليه السلام: اقرءوا كما علمتم. المصدر السابق ج ٢ ص ٦٣١.

(٢) النور: ٥٥.

(٣) الحجر: ٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧١

عشر حرفا لكنّه في الرسم عشرة.

أقول: وفيه تأمل إذ الملفوظ أولى بالاعتبار، بل الأظهر موافقة المکتوب له. و أمّا أعداد حروف القرآن فهي ثلاثمائة واحد و عشرون ألفا و شيء، زائدا اختلفوا في تعيينه، فعن أهل الحرمين مائتان و خمسون، و عن البصريين مائتان، و عن الكوفيين مائة و ثمانون، و عن الشامي مثله بزيادة ثمانية، و ربّما يحكى عن مجاهد مائة و عشرون و عن غيره أقوال آخر ربما تزيد على ما سمعت بكثير لكنّه لا داعي للتعرض لها سيّما بعد ما سمعت في النبوى المحكى عن «مجمع البيان» أنّ جميع حروف القرآن ثلاثمئة ألف و أحد و عشرون ألف و عشرون ألف حرف و مائتان و خمسون حرفا، و هو الموافق للمحكى عن أهل الحرمين.

ثمّ أنّه

قد روى عن مولانا الصادق عليه السلام أنّ من تعلّم من القرآن حرفا كتب الله له عشر حسنات و محى عنه عشر سيئات و رفع له عشر درجات، ثمّ قال عليه السلام لا- أقول: بكلّ آية، و لكن بكلّ حرف (باء) أو (تاء) أو شبههما، قال: و من قرأ حرفا و هو جالس في صلاة كتب الله له به خمسين حسنة، و محى عنه خمسين سيئة، و رفع له خمسين درجة، و من قرأ حرفا و هو قائم في صلاته كتب الله له مائة حسنة، و محى عنه مائة سيئة، و رفع له مائة درجة الخبر. (١)

و على هذا فيكتب لمن تكلم كلّ القرآن مضروب العدد المذكور على عشرة و هو ثلاثة آلاف و مائتان و اثنى عشر ألفا و خمسمائة حسنة (٣٢١٢٥٠٠) و يمحي عنه بهذا العدد من السيئة و ترفع له بهذا العدد درجة، و لمن قرأه و هو جالس في صلاة مضروبه في خمسين، و هو ستّة عشر ألف ألف و اثنان و ستون

(١) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٤١ ح ٧٦٩٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧٢

ألفا و خمسمائة (١٦٠٦٢٥٠٠) بالنسبة الى كلّ من الثلاثة، و لمن قرأه قائما فيها مضروبه في مائة، و هو اثنان و ثلاثون ألف ألف و مائة و خمسة و عشرون ألفا (٣٢١٢٥٠٠٠)، و الله يرزق من يشاء بغير حساب، ثمّ إنّ أكثر الحروف دورانانا في الكتاب العزيز، بل في مطلق الكلام هو الألف حتى لا يكاد يخلو منها شيء من الكلام القصير، فضلا عن الخطب و الكتب الطويلة، و إن أنشد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام خطبة طويلة خالية منها على وجه الارتجال و ليس بيدع من غرائبه البديعة روحى له الفداء، أولها: حمدت من عظمت منته، و سبقت غضبه رحمته، و تمّت كلمته و نفذت مشيئته، الخطبة بطولها (١) كما

أنّه عليه السلام أنشد خطبة طويلة (٢) خالية من النقط مع كثرة دورانها في الكلام أولها: الحمد لله الملك المحمود، المالك الودود، و قال كلّ مطرود، الخطبة بطولها

و ربّما يروى عنه عليه السلام خطبة أخرى في ذلك كما

رواه ابن شهر آشوب في «المناقب» قال: روى الكلبي عن أبي صالح، و أبو جعفر بن بابويه بإسناده عن الرضا عن آباءه عليهم السلام: أنه اجتمعت الصحابة فتذاكروا أن الألف أكثر دخولا في الكلام فارتجل الخطبة المونقة.

أولها: حمدت من عظمت إلخ

ثم ارتجل خطبة أخرى من غير النقط التي أولها:

الحمد لله أهل الحمد و مأواه، أوكد الحمد و أحلاه، و أسرع الحمد و أسراه و أطهر الحمد و أسماه، و أكرم الحمد و أولاه الى آخرها «٣»

، قال: و قد أوردتهما في

(١) الوافي للفيض القاساني ج ٢ ص ٢٦٥ ط. الإسلاميه بطهران.

(٢) هذه الخطبة مروية بطرق عديدة و رواها العلامة المجلسي في المجلد السابع عشر من البحار من مصباح الكفعمي باختلاف شديد و قال في المجلد التاسع منه: و روى الكلبي عن أبي صالح إلخ.

(٣) مناقب آل طالب ج ٢ ص ٤٨ ط. المطبعة العلمية بقم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧٣

«المخزون المكنون».

و بالجملة فجميع الألفات المذكورة في القرآن على قول عبد العزيز المزني الذي قيل أنه أشهر الأقوال ثمانية و أربعون ألفا و ثمانمائة (٤٨٨٠٠)، و هو أكثر الحروف دورانا في الكتاب العزيز كما أقلها الظاء المشالة، و عدة ما ورد منها فيه اثنان و ثمانمائة (٨٠٢)، و غيرهما متوسطات في ذلك مضبوطة الأعداد عند المعنيين بهذا الشأن «١».

تم الجزء الثاني و يليه الجزء الثالث أوله: علم القرآن مخزون عند أهل البيت عليهم السلام

(١) قال النراقي في الخزان في بيان حروف القرآن: الألف (٤٨٨٠٠) الباء (١١٢٠٠) الناء (١٠١٩٩) الثاء (٩٢٧٦) الجيم (٣٢٧٣) الحاء (٣٩٣٩) الخاء (٢٤١٨) الدال (٥٣٤٢) الذال (٤٣٩٩) الراء (١١٧٩٣) الزاء (١٥٩٠) السين (٥٨٩١) الشين (٢٢٥٣) الصاد (٢٠٨١) الضاد (٢٦٧٤) الطاء (٢٢٧٤) الظاء (٨٤٢) العين (٩٠٢٠) الغين (٢٢٠٨) الفاء (٨٤٧٠) القاف (٦٨١٣) الكاف (١٠٣٥٤) اللام (٣٣٥٢٢) الميم (٢٦٠٣٥) النون (٢٦٥٦٥) الواو (٢٥٥٣٦) الهاء (٩٠٧٠) الياء (٢٥٩١٩).

الخزائن لأحمد النراقي ص ٢٧٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧٥

## الباب الثامن

في أن علم القرآن مخزون عند أهل البيت

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧٧

اعلم أن علم القرآن مخزون عند أهل البيت عليهم السلام و هو مما قضت به ضرورة المذهب، بل الدين لو لا متابعة الأهواء الباطلة، بل يظهر ذلك من التأمل في كثير من الآيات كقوله تعالى:

فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ «١».

وقوله تعالى: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ «٢».

وقوله تعالى: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ «٣».

وقوله تعالى: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ «٤».

وقوله تعالى: هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ «٥».

وقوله تعالى: وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ «٦».

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة المفسرة في أخبار الفريقين بهم عليهم السلام، بل

(١) العنكبوت: ٤٧.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) الرعد: ٤٣.

(٤) العنكبوت: ٤٩.

(٥) الجاثية: ٢٩.

(٦) الأعراف: ١٧٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧٨

قد ورد في أخبار متواترة معنى، وإن لم تكن ألفاظها متواترة، أنها نزلت فيهم، وأنهم المخصوصون بها، مع دلالة تلك الأخبار على تمام المقصود أيضا.

ففي «تأويل الآيات» و«المناقب» و«تفسير العياشي» عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ «١» قال عليه السلام: هم آل محمد صلوات الله عليهم. «٢»

و

في «البصائر» عن أبي عبد الله عليه السلام: نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله. «٣»

و

فيه، عن أحدهما في هذه الآية قال: إن الراسخين في العلم هم آل محمد صلى الله عليه وآله، فرسول الله أفضل الراسخين في العلم قد علمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله. «٤»

و

فيه، عن يعقوب بن جعفر، قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكة، فقال له رجل: إنك لتفسر من كتاب الله ما لم نسمع به، فقال أبو الحسن عليه السلام: علينا نزل قبل الناس، ولنا فسر قبل أن يفسر في الناس، فنحن نعرف حلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه، وسفريه وحضرته، وفي أي ليلة نزلت كم من آية، وفيمن نزلت وفيما نزلت، فنحن حكماء الله في أرضه، وشهداؤه على خلقه، وهو قول

(١) العنكبوت: ٤٧.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ص ٤٢٣، المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٤٨٥.

(٣) بصائر الدرجات ص ٥٦، بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٩٩ ح ٣١.

(٤) بصائر الدرجات ص ٥٦، بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٩٩ ح ٣٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧٩

اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: سَتَكْتَبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ «١» فالشهادة لنا و المسألة للمشهود عليه ... إلخ «٢».

و

في «المناقب» عن تفسير الثعلبي، قال على عليه السلام في قوله تعالى:

فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ «٣»: نحن أهل الذكر. «٤»

و

عن «إبانه» أبي العباس الفلکی عنه عليه السلام: «ألا- إنَّ الذکر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، و نحن أهلكه، و نحن الراسخون في العلم، و نحن منار الهدى، و أعلام التقى، و لنا ضربت الأمثال» «٥».

و

في «الكافي» و «تفسير العياشي»، و «تأويل الآيات»، عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ «٦»، قال عليه السلام: «هم الأئمة من آل محمد صَلَّى الله عليه و آله» «٧».

و في «البصائر» و غيره أخبار كثيرة جداً في معناه، و

في كثير منها: «إيانا عنى، و على أولنا و خيرنا» «٨»

و،

في بعضها: «هم الأئمة خاصة» «٩» و نحن

(١) الزخرف: ١٩.

(٢) بصائر الدرجات ص ٥٤، بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٩٦ ح ٢٦.

(٣) النحل: ٤٣.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٩٨.

(٥) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٨٤ نقلاً عن المناقب ج ٣/ ٩٨ و الإبانة.

(٦) العنكبوت: ٤٩.

(٧) الكافي ج ١ ص ١٦٧ باب أن الأئمة قد أوتوا العلم، إلا أنه ليس فيه «من آل محمد صَلَّى الله عليه و آله»، بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٨٩ ح ٥ عن كنز الفوائد.

(٨)

الكافي ج ١ ص ١٦٧ باسناده عن بريدة بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِيَّانَا عَنَى وَعَلَى أَوْلَانَا وَأَفْضَلِنَا وَخَيْرِنَا بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٩) الكافي ج ١ ص ١٦٧، بصائر الدرجات ص ٥٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٠

المخصوصون بها.

و

في «المناقب» عن أبي القاسم الكوفي، قال: روى في قوله تعالى: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ «١»: «إنَّ الراسخين في العلم من قرنهم الرسول صَلَّى الله عليه و آله بالكتاب، و أخبر أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

قال: و في اللغة الراسخ هو اللازم الذي لا يزول عن حاله، و لن يكون كذلك إلا من طعنه الله تعالى على العلم في ابتداء نشوءه كعيسى عليه السلام في وقت ولادته قَالَ إِنَّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ «٢» فأما من يبقى السنين الكثيرة لا يعلم ثم يطلب العلم، فينال على

قدر ما يجوز أن يناله منه فليس ذلك من الراسخين، يقال: رسخت عروق الشجر في الأرض، ولا يرسخ إلا صغيرا.

و

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذبا، و بغيا علينا، و حسدا لنا «٣» أن رفعنا الله سبحانه و وضعهم، و أعطانا و حرمهم، و أدخلنا و أخرجهم، بنا يستعطي العلم «٤» و يستجلى العمى، لا بهم «٥».

و

في «تأويل الآيات» عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: هذا كتابنا يُطَقُّ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ «٦» قال: «إنَّ الكتاب لا ينطق، و لكن محمد صَلَّى اللهُ عليه و آله و أهل بيته هم

(١) آل عمران: ٧.

(٢) مريم: ٣٠.

(٣) في المصدر: و بغيا لنا، و حسدا علينا.

(٤) في البحار: بنا يستعطي الهدى.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٨٥ ط قم، و بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٢٠٤ ح ٥٣ باب أنهم عليهم السلام أهل علم القرآن.

(٦) الجاثية: ٢٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨١

الناطقون بالكتاب «١».

و

في «تفسير القمّي» عن بريد «٢»، عن الباقر عليه السلام، قال: «إنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله أفضل الراسخين في العلم فقد علم جميع ما أنزل الله عليه من التنزيل و التأويل، و ما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله، و أوصياؤه من بعده يعلمونه كله، قال: جعلت فداك إنَّ أبا الخطّاب كان يقول فيكم قولاً عظيماً، قال: و ما كان يقول؟ قلت: قال: إنَّكم تعلمون علم الحلال و الحرام و القرآن، فقال عليه السلام: علم الحلال و الحرام و القرآن يسير في جنب العلم الذي يحدث بالليل و النهار» «٣».

و في «البصائر» ما في معناه،

فيه: «و أيّ شيء الحلال و الحرام في جنب العلم؟ إنَّما الحلال و الحرام في شيء يسير من القرآن» «٤».

و

من الشائع في أخبار الفريقين، و العبارة للمفيد في «إرشاده» عن ابن نباتة، قال: لما بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد معمّما بعمامة رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله، لابسا برديه، فصعد المنبر، فحمد الله و أثنى عليه، و وعظ، و أنذر، ثم جلس متمكّنا، و شبك بين أصابعه، و وضعهما أسفل سرّته، ثم قال عليه السلام: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، فإنَّ عندي علم الأولين و الآخرين، أما و الله لو ثبت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزبور بزبورهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم،

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٥٥٩، كنز الدقائق ج ٩ ص ٤٣٢ و فيه في ذيل الحديث: هذا على سبيل المجاز تسمية المفعول باسم

الفاعل، إذ جعل الكتاب هو الناطق، و الناطق غيره.

(٢) الظاهر أنّه بريد بن معاوية العجلي، البجلي من أصحاب الباقر و الصادق عليهما السلام و ثقّه النجاشي لأنّ القمّي روى عنه في

تفسيره. (معجم رجال الحديث ج ٣).

(٣) تفسير القمى: ٨٧-٨٨، والإختصاص ص ٣١٤ عن محمد بن مسلم.

(٤) بصائر الدرجات ص ٥٣، بحار الأنوار ج ٣٣ ص ١٩٥ عن البصائر. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٢ حتى ينتهى كل كتاب من هذه الكتب و يقول: يا ربَّ إنَّ علياً قضى بكتابك، والله إننى لأعلم بالقرآن و تأويله من كل مدع علمه، و لو لا آية فى كتاب الله لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة، ثم قال: سلونى قبل أن تفقدونى، فوالذى فلق الحبة و برىء النسمة لو سألتمونى عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها، و فيم نزلت، و أنبأتكم بناسخها، و منسوخها، و خاصيتها، و عامتها، و محكمها من متشابهها، و مكيتها من مديتها، و الله ما من فئة تضلَّ أو تهتدى إلّا و أنا أعرف قائدها و سائقها و ناعقها» (١).

قال فى «المناقب»: و رواه ابن أبى البخترى من ستّة طرق، و ابن المفضل من عشر طرق، و إبراهيم الثقفى من أربعة عشر طريقاً، منهم: عدى بن حاتم، و الأصبغ بن نباتة، و علقمة بن قيس، و يحيى بن أم الطويل، و زرّ بن حبيش، و عباية بن ربيع، و عباية بن رفاعه، و أبو الطفيل.

ثم ذكر الخبر قريباً ممّا مرّ (٢).

و فى «البصائر»، عن سليم بن قيس، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «كنت إذا سألت رسول الله صلّى الله عليه و آله أجبني، و إن فنيت مسألتي ابتدأني، فما نزلت عليه آية فى ليل و لا نهار، و لا سماء و لا أرض، و لا دنيا و لا آخرة، و لا جنّة و لا نار، و لا سهل و لا جبل، و لا ظلمة و لا نور، إلّا و أقرأنيها، و أملاها عليّ، و كتبها بيدي، و علّمني تأويلها و تفسيرها، و محكمها و متشابهها، و خاصها و عامها، و كيف نزلت، و أين نزلت، و فيهم أنزلت إلى يوم القيامة، و قد دعا الله إلى أن يعطينى فهما

(١) الإرشاد ص ٣٠ ط طهران المطبعة العلمية الإسلامية.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٨ ط، قم، بحار الأنوار ج ٤٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٣ و حفظاً، فما نسيت آية من كتاب الله أملاه عليّ» (١).

فيه، و فى «الإختصاص» عن الحسين بن خالد، عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام، قال: سألته عن قوله تعالى: الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ قال عليه السّلام: «إنَّ الله علّم القرآن»، قال: قلت: خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ قال عليه السّلام: «ذاك أمير المؤمنين عليه السّلام علّمه بيان كلّ شىء ممّا يحتاج الناس إليه». (٢)

و فى «المناقب» عن ابن عبّاس، قال: حم اسم من أسماء الله عسق علم عليّ سبق كلّ جماعة، و تعالى كلّ فرقة. (٣) و فيه أيضاً، عن محمد بن مسلم، و أبى حمزة الثمالى، و جابر بن يزيد، عن الباقر عليه السّلام. و عن عليّ بن فضال، و الفضيل بن يسار، و أبى بصير، عن الصادق عليه السّلام. و عن أحمد بن محمد الحلبي، و محمد بن الفضيل، عن الرضا عليه السّلام.

و قد روى عن موسى بن جعفر عليهما السّلام، و عن زيد بن على، و عن محمد بن الحنفية رضى الله عنه، و عن سلمان الفارسى، و عن أبى سعيد الخدرى، و عن إسماعيل السدى، أنهم قالوا فى قوله تعالى: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤): «هو على بن أبى طالب عليه السّلام». (٥)



(١)

بصائر الدرجات ص ٥٣ وفيه: «و لا على من أنزلت إلّا أملاها عليّ»، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٣٩ عن البصائر.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٤٨، الاختصاص ص ١٥٧، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٤٢ عن الإختصاص و البصائر.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٨ ط قم، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٤٥ عن المناقب.

(٤) الرعد: ٤٣.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٥٧ ط قم، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٤٦ عن المناقب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٤

و

فيه أيضا: الثعلبي في تفسيره باسناده عن أبي معاوية، من الأعمش، عن أبي صالح، عن ابن عباس، و روى عن عبد الله بن عطاء، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قيل لهما: زعموا أن الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام «١»، قال: «ذاك على ابن أبي طالب عليه السلام».

ثم روى أيضا أنه سئل سعيد بن جبیر: وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ عبد الله ابن سلام؟ قال: «لا فكيف وهذه سورة مكية» «٢» و قد روى عن ابن عباس: لا والله ما هو إلّا على بن أبي طالب، لقد كان عالما بالتفسير والتأويل، و الناسخ و المنسوخ، و الحلال و الحرام. و روى عن ابن الحنفية: «على بن أبي طالب عنده علم الكتاب الأول و الآخر». رواه النطنزي في «الخصائص».

ثم قال ابن شهر آشوب: «و من المستحيل أن الله تعالى يستشهد بيهودي و يجعله ثاني نفسه! «٣» إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي مرّت في المقدمات السابقة إلى بعضها الإشارة، و ستمسح إن شاء الله العزيز كثيرا منها في تفسير الآيات المتعلقة. و أما انتهاء علم القرآن و علم التفسير إليهم عليهم السلام فواضح بعد ما مرّ في الأبواب السابقة، و ما يأتي من الأخبار المتواترة الدالة على أن مولانا أمير

(١) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه و آله المدينة و كان اسمه الحصين فسماه النبي صلى الله عليه و آله عبد الله، مات سنة (٤٣) هـ. (الاعلام ج ٤ ص ٢٢٣).

(٢) الإتقان للسيوطي ج ١ ص ١٦ ط بيروت.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٥٧-٢٥٩، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٤٥-١٤٦ عن المناقب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٥

المؤمنين عليه السلام هو الجامع للقرآن كما نزل من دون زيادة حرف أو نقصان، و أن إليه ينتهي علم ظاهره و باطنه، و تنزيله و تأويله، و تخومه و بطونه، و محكمه و متشابهه، و عامه و خاصه، و ناسخه و منسوخه، كما ينتهي إليه سائر العلوم و المعارف و الكمالات، على ما أطبق عليه الفريقان، كما نبه عليه الرازي في «أربعينه».

و قال في «المناقب»: و من عجب أمره في هذا الباب أنه لا شيء من العلوم إلّا و أهله يجعلون عليّا قدوة، فصار قوله قبله للشريعة «١»، فمنه سمع القرآن.

ذكر الشيرازي في «نزول القرآن» و أبو يوسف يعقوب في تفسيره، عن ابن عباس في قوله تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ «٢»: كان النبي صلى الله عليه و آله يحرك شفّيته عند الوحي ليحفظه، فقيل له: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ يعني بالقرآن لِتَعْجَلَ بِهِ من قبل أن يفرغ به من قراءته عليك إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ قال: ضمن الله محمدا أن يجمع القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه و آله عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه.

قال ابن عباس: فجمع الله القرآن في قلب عليّ، وجمعه عليّ بعد موت رسول الله بستة أشهر. «٣» و  
في أخبار أبي رافع أن النبي صَلَّى الله عليه وآله قال في مرضه الذي توفي فيه لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي هذا كتاب الله  
خذه إليك» فجمعه في ثوب فمضى إلى منزله، فلما قبض النبي صَلَّى الله عليه وآله جلس عليّ فألفه كما أنزل الله، و كان به عالماً  
«٤».

(١) في «البحار»: في الشريعة.

(٢) القيامة: ١٦.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٤١ ط قم، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٥٥.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٤١، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٦

و حدّثني أبو العلاء العطار، والموفق خطيب خوارزم في كتابيهما بالإسناد عن عليّ «١» بن رباح أن النبي صَلَّى الله عليه وآله أمر عليًا  
بتأليف القرآن فألفه و كتبه.

و

عن جبلة «٢» بن سحيم، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لو نثيت لي الوسادة، و عرف لي حقي لأخرجت لهم مصحفا  
كتبته، و أملاه عليّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله.

و

روى أبو نعيم في «الحلية» و الخطيب في «الأربعين» بالإسناد عن السدي، عن عبد خير «٣»، عن عليّ عليه السلام، قال: «لما قبض رسول  
الله صَلَّى الله عليه وآله أقسمت - أو حلفت - أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى  
جمعت القرآن».

و

في أخبار أهل البيت عليهم السلام: «آلي أن لا يضع رداءه على عاتقه إلّا للصلاة حتى يؤلف القرآن و يجمعه، فانقطع عنهم مدّة إلى  
أن جمعه، ثم خرج إليهم به في إزار يحمله و هم مجتمعون في المسجد ... إلخ «٤».

و قال أيضا في «المناقب»: و منهم العلماء بالقراءات،

روى أحمد بن حنبل،

(١) عليّ بن رباح بن قصير (بضم العين و فتح اللام) المصري، ولد سنة (١٠) ه و توفي سنة (١١٤) أو (١١٧) (تهذيب التهذيب ج ٧/  
٢٧١).

(٢) جبلة بن سحيم التيمي الشيباني أبو سريرة الكوفي توفي سنة (١٢٥) أو (١٢٦) ه (تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٥٥).

(٣) هو عبد خير بن يزيد الهمداني أبو عمارة الكوفي المخضرم أدرك الجاهلية و عاش (١٢٠) سنة أو أكثر، ذكره ابن عبد البرّ و غيره  
في الصحابة. (تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٦٣).

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٤١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٧

و ابن بطّة «١»، و أبو يعلى «٢» في مصنفاتهم عن الأعمش، عن أبي بكر «٣» بن عياش في خبر طويل أنّه قرأ رجلا ثلاثين آية من  
الأحقاف. فاختلفا في قراءتهما، فقال ابن مسعود: هذا خلاف ما أقرأه، فذهبت بهما إلى النبي صَلَّى الله عليه وآله، فغضب و عليّ

عنده، فقال عليّ: رسول الله صلى الله عليه وآله يأمركم أن تقرؤوا كما علمتم. وهذا دليل على علم عليّ بوجوه القرآن المختلفة.

و

روى أن زيدا لما قرأ «التابوه» «٤» «٥» قال عليّ عليه السلام: اكتبه «التابوت»، فكتبه كذلك، وقرأ السبعة إلى قراءته يرجعون. «٦» فأقرأ حمزة والكسائي فيعولان على قراءة عليّ وابن مسعود، وليس مصحفهما مصحف ابن مسعود، فهما إنما يرجعان إلى عليّ و يوافقان ابن مسعود فيما يجرى مجرى الإعراب، وقد قال ابن مسعود: ما رأيت أحدا أقرأ من عليّ ابن أبي طالب عليه السلام للقرآن. وأما نافع، وابن كثير، وأبو عمرو فمعظم قراءاتهم ترجع إلى ابن عباس،

(١) هو عبيد الله بن محمد العكبري الحنبلي المعروف بابن بطة توفي (٣٨٧) - العبر ج ٣ ص ٣٤.

(٢) هو أبو يعلى الموصلي أحمد بن علي الحافظ المتوفى (٣٠٧) - العبر ج ٢ / ١٤٠.

(٣) هو: أبو بكر شعبه بن عياش بن سالم الحنّاط الأسدي توفي سنة (١٩٣) - غاية النهاية ج ١ ص ٣٢٥ رقم ١٣٢١.

ولا يخفى أن الأعمش من شيوخ أبي بكر بن عياش وتوفي سنة (١٤٨) ولا يروى عن تلميذه، بل الأمر بالعكس، فالظاهر أن في العبارة تقدما وتأخيرا.

(٤) البقرة: ٢٤٨.

(٥) قال الطبرسي في «مجمع البيان» ج ٢ ص ٣٥٢: التابوت بالتاء لغة جمهور العرب، و التابوه بالهاء لغة الأنصار.

(٦) المناقب ج ٢ ص ٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٨

و ابن عباس قرأ عليّ بن كعب، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، والّمدى من قراءة هؤلاء يخالف قراءة أبيّ فهو إذا مأخوذ من عليّ عليه السلام.

و أما عاصم فقرأ عليّ بن أبي عبد الرحمن السلمي، وقال أبو عبد الرحمن:

قرأت القرآن كلّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقالوا: أفصح القراءات قراءة عاصم، لأنّه أتى بالأصل، وذلك أنّه يظهر ما أدغمه غيره، ويحقّق من الهمز ما لئنه غيره، ويفتح من الألفات ما أماله غيره.

و العدد الكوفي في القرآن منسوب إلى عليّ عليه السلام، ليس في الصحابة من ينسب إليه العدد غيره، وإنّما كتب عدد ذلك كلّ مصر عن بعض التابعين.

ثمّ قال: و منهم المفسّرون كعبد الله بن العباس، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وهم معترفون له بالتقدّم.

ففي «تفسير العياشي»: قال ابن عباس: جلّ ما تعلّمت من التفسير من عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقال ابن مسعود: إنّ القرآن انزل عليّ سبعة أحرف، ما منها إلّا وله ظهر و بطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام علم الظاهر و الباطن. «١» و في فضائل العكبري:

قال الشعبي: ما أحد أعلم بكتاب الله بعد نبي الله من عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

و

في «تاريخ» البلاذري، و «حلية الأولياء»: قال عليّ عليه السلام: و الله ما نزلت آية إلّا و قد علمت فيما نزلت، و أين نزلت، أ بليل نزلت أم بنهار نزلت، في سهل أو جبل، إنّ ربّي وهب لي قلبا عقولا، و لسانا سؤلا. «٢»

(١) رواه أيضا أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥.

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٧-٦٨ بتفاوت يسير، الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٣٣٨، مناقب

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٩

و

في «قوت القلوب»: قال علي عليه السلام: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا في تفسير فاتحة الكتاب» (١).

ولما وجد المفسرون قوله لا يأخذون إلّا به.

سأل ابن الكوّاء وهو عليه السلام على المنبر: ما الذّارياتِ ذرّوا؟ فقال:

الرياح، فقال: وما الحاملاتِ وقرأ؟ قال: السحاب، قال: وما الجارياتِ يُشيراً؟ قال: الفلك، قال: فما المقسماتِ أمراً؟ قال الملائكة،

فالمفسرون كلّهم على قوله. (٢)

و جهلوا تفسير قوله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ (٣) فقال له رجل:

هو أوّل بيت؟ قال عليه السلام: لا قد كان قبله بيوت، ولكنّه أوّل بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة، و أوّل من بناه

إبراهيم، ثمّ بناه قوم من العرب من جرهم (٤)، ثمّ هدم فبنته العمالقّة، ثمّ هدم فبنته قريش.

و إنّنا استحسّن قول ابن عبّاس فيه (٥) لأنّه قد أخذ منه عليه السلام.

وقال أحمد في «المسند»: لما توفّي النبي صلى الله عليه وآله كان ابن عبّاس ابن عشر

الخوارزمي ص ٥٤ ط تبريز.

(١) و رواه النقشبندی الحنفى أيضا فى «ينابيع المودّة» ج ١ ص ٢٠٥ و ج ٣ ص ٤٥٦ ط الجديد، و العلامّة الهروى فى «شرح عين العلم

و زين الحلم» ص ٩١، و العلامّة الكاكوردى فى «الروض الأزهر» ص ٣٣ ط حيدرآباد.

(٢) المستدرک للحاکم ج ٢ ص ٤٦٦ ط حيدرآباد الدکن.

(٣) آل عمران: ٩٦.

(٤) جرهم: بطن من القحطانية كانت منزلهم أولا- اليمن، ثمّ انتقلوا إلى الحجاز، و نزلوا بمكّة و استوطنوها- معجم قبائل العرب ص

١٨٣.

(٥) فى (أى فى علم التفسير).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٠

سنين، و كان قرأ المحکم يعنى المفصّل (١). (٢) أقول: و انتساب ابن عبّاس إلى أمير المؤمنين عليه السلام فى العلوم سيّما التفسير

واضح جليّ مروى من طرق الفريقين، و لذا لما سئل عن علمه قال: علمى إلى علم على عليه السلام كالقرارة فى المتعجّر.

قال فى «القاموس»: و المتعجّر: السائل من ماء أو دمع، و بفتح الجيم:

وسط البحر ... إلى أن قال: و قول ابن عبّاس و قد ذكر عليّا رضى الله تعالى عنهما:

«علمى إلى علمه كالقرارة فى المتعجّر أى مقيسا إلى علمه كالقرارة موضوعه فى جنب المتعجّر». (٣) و رواه عنه فى «النهاية» (٤).

و فى «المناقب» عن تفسير العياشى: قال ابن عبّاس: علمى علم علما علمه رسول الله، و رسول الله علمه الله، فعلم النبى من علم الله، و

علم على من علم النبى، و علمى من علم على، و ما علمى و علم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فى علم على

(١) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٤٣.

(٢) أورد البحرانى فى «البرهان» ج ١ ص ٥٢ رواية عن العياشى تدلّ على أنّ المفصّل سبع و ستون سورة من سورة الفتح إلى آخر

القرآن.

(٣) القاموس في مادة «تعجر».

(٤) هذا الكلام عن ابن عباس مشهور بين الفريقين، أورده الحافظ أبو عبيد الهروي في «الغريبين» في مادة «قرر»، و العلامة الشيخ محمد طاهر الصديقي في «مجمع بحار الأنوار» ج ٣ ص ١٣١ ط لكهنو، و العلامة الزبيدي الحنفي في «تاج العروس» ج ٣ ص ٤٨٧ في مادة «قرر»، و ابن منظور المصري في «لسان العرب» ج ٤ ص ١٠٣ ط بيروت، و ابن الأثير في «النهاية» ج ١ ص ١٥٢ ط مصر، و قال: القرارة: الغدير الصغير.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩١

إلا كقطرة في سبعة أبحر. «١» و عن الضحّاك، عن ابن عباس أنه قال: اعطى عليّ بن أبي طالب عليه السّلام تسعة أعشار العلم، و إنّه لأعلمهم بالعشر الباقي. «٢».

بل رووا عن عمر بن الخطّاب التصديق له بمثل ذلك:

فمن الخطيب في «الأربعين»: قال عمر: العلم ستّة أسداس، لعلّي من ذلك خمسة أسداس، و للناس سدس، و لقد شاركنا في السدس حتى لهو أعلم به منّا. «٣» قال في «المناقب»: و قد ظهر رجوعه إلى عليّ عليه السّلام في ثلاث و عشرين مسألة حتى قال: لو لا عليّ لهلك عمر، و قد رواه الخلق منهم: أبو بكر بن عيّاش، و أبو المظفر السمعاني.

قال صاحب:

«في مثل فتواك إذ قالوا مجاهرة لو لا عليّ هلكنّا في فتاوينّا»

و قال خطيب خوارزم:

إذا عمر تخطّى في جواب و تبّه عليّ بالصواب

يقول بعدله لو لا عليّ هلكت هلكت في ذاك الجواب «٤»

(١) المناقب ج ٢ ص ٣٠، ينابيع المودّة ص ٧٠ ط اسلامبول.

(٢) المناقب ج ٢ ص ٣٠، الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٤٦٢ ط حيدرآباد بتفاوت يسير، ذخائر العقبى ص ٧٨ ط مصر، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤ ط مصر، أسد الغابة ج ٤ ص ٢٢ ط مصر، تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣١، مناقب الخوارزمي ص ٥٥ ط تبريز.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣١-٣٢، روى قوله هذا غير واحد من الأعلام و إليك بعضهم:

١- ابن قتيبة في مختلف الحديث ص ٢٠٢ ط القاهرة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٢

كما اشتهر قوله الآخر الذي صار مثلاً بين الناس: «معضلة ليس لها أبو حسن». «١» قال الجزري في «النهاية»: يقال: أعضل إلى الأمر إذا ضاقت فيه الحيل، و منه حديث عمر: «أعوذ بالله من كلّ معضلة ليس لها أبو حسن»، و روى المعضلة (بفتح العين و تشديد الضاد) أراد المسألة الصعبة، أو الخطة الضيقة المخارج. من الإعضال أو التعضيل، و يريد بأبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السّلام.

و منه حديث معاوية و قد جاءه مسألة مشكّلة، فقال: «معضلة و لا أبا حسن»، أبو حسن معرفة و وضعت موضع النكرة، كأنّه قال: و لا رجل لها كأبي حسن، لأنّ لا النافية إنّما تدخل على النكرات دون المعارف. «٢» و

في «الكافي» باسناده عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «ما يستطيع أحد أن يدعى

٢- ابن عبد البرّ في الإستيعاب ج ٣ ط مصر بديل الإصابة ص ٣٩.

٣- القاضي على المالقي في قضاء الاندلس ص ٧٣ ط القاهرة.

٤- محبّ الدين الطبري في ذخائر العقبي ص ٨٢ ط مصر.

٥- ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة ص ١٨ ط الغرّي.

٦- المتّقى الهندي في كنز العمّال ج ١ ص ١٥٤ ط حيدرآباد الدكن.

٧- عضد الدين الياسجي في المواقف.

٨- علاء الدين القوشجي في شرح التجريد.

٩- أخطب خوارزم في المناقب ص ٤٨.

(١) تعوّد الخليفة من معضلة ليس لها أبو حسن ممّا رواه جماعة من أعلام القوم كصاحب «الاستيعاب» ج ٣ ص ٣٩ المطبوع بديل الإصابة طبع مصر، و صاحب «مختلف الحديث» ص ٢٠٢ ط القاهرة، و صاحب «صفة الصفوة» ج ١ ص ١٢١ ط حيدرآباد، و صاحب «أسد الغابة» ج ٤ ص ٢٢ ط مصر.

(٢) النهاية ج ٣ ص ١٠٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٣

أنّ عنده جميع القرآن كلّ ظاهره و باطنه غير الأوصياء» (١).

و

فيه، عنه عليه السّلام قال: ما ادّعى أحد من الناس أنّه جمع القرآن كلّ كما أنزل إلّا كذاب، و ما جمعه و حفظه كما نزله الله تعالى إلّا على بن أبي طالب عليه السّلام .. إلخ (٢).

و

في «البصائر» عن الصادق عليه السّلام: «قد ولّدتني رسول الله صلّى الله عليه و آله، و أنا أعلم كتاب الله، و فيه بدء الخلق، و ما هو كائن إلى يوم القيامة، و فيه خبر السماء و خبر الأرض، و خبر الجنّة و خبر النار، و خبر ما كان و خبر ما هو كائن، أعلم ذلك كأنما أنظر إلى كفى إنّ الله يقول (٣): «فيه تبيان كلّ شيء» (٤).

و

في «تفسير العياشي» عن أبي الصباح قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: إنّ الله علّم نبيه عليه السّلام التنزيل و التأويل، فعلمه رسول الله صلّى الله عليه و آله عليّا صلوات الله عليهما. (٥)

و قد مضى

في خبر طويل عن الباقر عليه السّلام: إنّ الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسّرا، و أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله فسّره لرجل واحد، و فسّر للائمّة شأن ذلك، و هو على بن أبي طالب عليه السّلام (٦).

(١) الكافي ج ١ ص ٢٢٨ ط دار الكتب الاسلامية بطهران.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٢٨.

(٣) مراده عليه السّلام مفاد قول الله سبحانه لا- لفظه بعينه، و أمّا اللفظ بعينه ففي سورة النحل: ٨٩ وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ.

(٤) بصائر الدرجات ص ١٩٧.

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص ١٧ و بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٩٧ عن العياشي، و رواه في البحار ج ٢٦ ص ١٧٣ رقم ٤٣ عن بصائر

الدرجات و في ذيله:

«قال: و علمنا الله ثم قال: ما صنعتم من شيء أو حلفتم عليه من يمين فأنتم فيه من سعة».

(٦) الكافي ج ١ ص ٢٥٠ ح ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٤

و

أنه إنما يعرف القرآن من خوطب به. «١»

و

أنه يسئل عن القرآن علماء آل محمد عليهم السلام. «٢»

و

في «الأمالي» و «العيون» عن مولانا الرضا عليه السلام في حديث: انّ المأمون سأل علماء العراق و خراسان عن قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا

الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا «٣» فقالت العلماء: أراد الله بذلك الأمة كلها، فقال المأمون:

ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: ما أقول كما قالوا، و لكنني أقول: أراد الله عزّ و جلّ بذلك العترة الطاهرة، فقال

المأمون: و كيف عنى العترة من دون الائمة؟

فقال الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الائمة لكانت بأجمعها في الجنة لقول الله عزّ و جلّ:

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ لِلَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال: جَنَاتُ

عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ «٤» فصارت الوارثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم، قال المأمون: و من العترة الطاهرة؟ فقال

الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال:

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً «٥» ... إلى أن قال: فصارت وراثته الكتاب للمهتدين دون الفاسقين.

«٦»

و قد مرّ

في خبر خطبة النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: معاشر الناس تدبروا القرآن، و افهموا آياته، و انظروا إلى محكماته، و لا- تتبعوا

متشابهه، فو الله لن يبين لكم

(١) الكافي ج ٨ ص ٣١١ ح ٤٨٥.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢١٠-٢١٢ ح ١-٩ ..

(٣) فاطر: ٣٢.

(٤) فاطر: ٣٢.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

(٦) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٨٠ باب ٢٣ ح ١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٥

زواجره، و لا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده و مصعده إلى، و سائل بعضه و معلمكم أن من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، و

هو علي بن أبي طالب أخي و وصيّي، و مولاته من الله عزّ و جلّ، أنزلها عليّ، معاشر الناس إن عليّ و الطيبين، من ولدي هم الثقل

الأصغر، و القرآن هو الثقل الأكبر، و كلّ واحد مني عن صاحبه و موافق له، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ألا إنهم آمناء الله في

خلقه، و حكماؤه في أرضه، ألا و قد أدّيت، ألا و قد بلغت، ألا و قد أسمع، ألا و قد أوضحت، ألا و إن الله عزّ و جلّ قال، و أنا قلت

عن الله عزّ وجلّ، ألا إنّه ليس أمير المؤمنين غير أخى هذا، ولا تحلّ إمرة المؤمنين بعدى لأحد غيره. ثمّ ضرب بيده على عضده فرفعه- وكان منذ أول ما صعد رسول الله صلّى الله عليه وآله درجة دون مقامه فبسط يده نحو وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله- وشال علينا حتى صارت رجله مع ركبة رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ قال: معاشر الناس هذا علىّ أخى، ووصيى، وواعى علمى، وخليفتى علىّ أمتى وعلىّ تفسير كتاب الله عزّ وجلّ والداعى إليه ... «١»

و  
عن الصادقين عليهما السلام فى قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ... إلخ «٢» قالوا: هى لنا خاصّة، وإيانا عنى. «٣»

و  
فى «تفسير القمى»: وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ «٤» يعنى آل محمد صلوات الله عليهم. «٥»

(١) بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٠٩ ح ٨٦ عن الإحتجاج.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٣٠ باب إمارة السجّاد عليه السلام.

(٤) العنكبوت: ٤٣.

(٥) تفسير القمى ج ٢ ص ١٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٦

و  
فى «شرح الآيات الباهرة» باسناده عن الفضيل بن يسار، عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله عزّ وجلّ: وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ قال: نحن هم «١».

و  
فى «الكافى» باسناده عن أحمد بن حمّاد، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبى الحسن الأوّل، قال: قلت له: جعلت فداك أخبرنى عن النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم ورث النبيين كلّهم؟ قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟

قال: ما بعث الله نبياً إلماً ومحمّداً صلّى الله عليه وآله أعلم منه، قال: قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله، قال: صدقت، وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل، قال: فقال: إن سليمان ابن داود قال للهدد حين فقده وشكّ فى أمر فقال ما لى لا أرى الهدد أم كان من الغائبين حين فقده فغضب عليه فقال: لَأَعْدَبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ «٢»، وإنما غضب عليه، لأنّه كان يدلّه على الماء، فهذا- وهو طائر- قد أعطى ما لم يعط سليمان، وقد كانت الريح والنمل والإنس والجن والشياطين المردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه، وإنّ الله يقول فى كتابه: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِّمَتْ بِهِ الْمَوْتَى «٣»، وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذى فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان وتحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإنّ فى كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلّا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله

(١) تأويل الآيات الطاهرة ص ٤٢٤.

(٢) النمل: ٢١.

(٣) الرعد: ٣٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٧



مِمَّا كَتَبَهُ الْمَاضُونَ جَعَلَهُ اللَّهُ لَنَا فِي أُمَّ الْكِتَابِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ «١»، ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا «٢» فنحن الذين اصطفانا الله عز وجل وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء. «٣»  
وعن الحموي «٤» من أعيان العامة بأسناده عن ابن مسعود قال: القرآن انزل على سبعة أحرف ما منها إلّا وله ظهر و بطن، وإن على بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن. «٥» و

عن ابن شاذان «٦» من طريق المخالفين عن ابن عباس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لعبد الرحمن بن عوف: أنتم أصحابي، و علي بن أبي طالب مني وأنا من علي فما قاسه بغيره فقد جفاني، و من جفاني فقد آذاني، و من آذاني فعليه لعنة الله ربّي، يا عبد الرحمن إن الله تعالى أنزل عليّ كتابا مبينا، و أمرني أن أبين ما نزل إليهم ما خلى عليّ بن أبي طالب، فإنه لم يحتاج إلى بيان، لأن الله تعالى جعل فصاحته كفصاحتي، و درايته كدرايتي، و لو كان الحلم رجلا لكان عليا، و لو كان

(١) النمل: ٧٧.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) الكافي ج ١ ص ٢٣٦ ح ٧، و رواه في البحار ج ٢٦ ص ١٦١ ح ٧ عن «البصائر» عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبيه، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام.

(٤) هو: إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الجويني المتوفى (٧٢٢) - الاعلام ج ١ / ٦١.

(٥) رواه أيضا أبو نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء ج ١ ص ٦٧، و ابن شهر آشوب في المناقب ج ٢ ص ٤٣.

(٦) هو: أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان القمي من مشايخ الامامية و كان حيا سنة (٤١٢) هـ. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٨

العقل رجلا لكان الحسن، و لو كان السخاء رجلا لكان الحسين، و لو كان الحسن شخصا لكان فاطمة، بل هي أعظم، إن فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصرا و شرفا و كرما. «١»

و

عنه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: العلم خمسة أجزاء، اعطى علي بن أبي طالب عليه السلام من ذلك أربعة أجزاء، و اعطى سائر الناس واحدا، و الذي بعثني بالحق بشيرا و نذيرا عليّ بجزء الناس أعلم من الناس بجزئهم. «٢»  
و قال ابن أبي الحديد «٣» في «شرح نهج البلاغة»: و من العلوم علم تفسير القرآن، و عنه أخذ، و منه فرع، و إذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحّة ذلك، لأن أكثره عنه، و عن عبد الله بن عباس، و قد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، و انقطاعه إليه، و أنه تلميذه و خريجه، و قيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط. «٤»

(١) مائة منقبة لابن شاذان ص ١٢٢ المنقبة (٦٧) و أخرجه الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ص ٦٠ بأسناده إلى ابن شاذان، و القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص ٢٦٣ و الجويني في فرائد السمطين ج ٣ ص ٦٨.

(٢) مناقب ابن شاذان ص ١٣٣ المنقبة (٧٨)، و أخرجه الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ج ١ / ٤٤ و ابن عساكر في تاريخ دمشق ج ٣ ص ٤٥ و المتقي الهندي في كنز العمل ج ١١ ص ٦١٥.

(٣) هو: عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المولود سنة (٥٨٦) هـ هو المتوفى سنة (٦٥٦) هـ كما في «سير النبلاء» و قد تصدّى لشرح «نهج البلاغة» غير واحد من العلماء، و استخرجوا من ذلك اليم الزاخر لثالثي ثمينه، و ألفوا نظما و نثرا باللغات المختلفة حول هذا الكتاب القيم ما تنوف على مائة بل أكثر، منها: «شرح ابن أبي الحديد» شرع في تأليفه في

غزوة رجب سنة (٦٤٤) و أتمته في سلخ صفر سنة (٦٤٩) ففضى أربع سنين و ثمانية أشهر، و كانت كما يقول:  
«مقدار خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ج».

(٤) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٩

و حكى السيد بن طاووس في «سعد السعود» عن أبي حامد الغزالي «١» في كتاب «بيان العلم اللدني في وصف مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال علي عليه السلام لما حكى عهد موسى: «أن شرح كتابه كان أربعين جملاً»، لو أذن الله و رسوله لأشعر في شرح معاني «ألف» الفاتحة حتى يبلغ مثل ذلك، يعني أربعين وقراً أو جملاً». و هذه الكثرة في السعة و الافتتاح في العلم لا يكون إلا لدنيا سماويها إلهياً.

ثم

حكى السيد عن أبي عمر «٢» الزاهد محمد بن عبد الواحد باسناده أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: يا بن عباس إذا صليت العشاء الآخرة فالحقني إلى الجبانة، قال: فصليت و لحقته و كانت ليلة مقمرة، قال: فقال لي: ما تفسير الألف من الحمد؟ فما علمت حرفاً أجيبه، قال: فقلت: لا أعلم، فتكلم في تفسيرها ساعة تامة، قال: ثم قال: فما تفسير الميم من الحمد؟ فقلت: لا أعلم، قال: فتكلم في تفسيرها ساعة تامة، قال: ثم قال: ما تفسير الدال من الحمد؟ قال:

قلت: لا أدري، قال: فتكلم فيها إلى أن بزق عمود الفجر، قال: فقال لي: قم يا أبا عباس إلى منزلتك و تأهب لغرضك.

قال أبو العباس عبد الله بن العباس: فممت و قد وعيت كل ما قال، ثم تفكرت فإذا علمي بالقرآن في علم علي عليه السلام كالقرارة في المتفجر. و في نسخة: كالقرارة في المتعرج. «٣»

(١) أبو حامد الغزالي محمد بن محمد الشافعي توفي سنة (٥٠٥) هـ.

(٢) أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد اللغوي الباوردي كان معروفاً بغلام ثعلب توفي سنة (٣٤٥) ببغداد- تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٥٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٠٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٢٤٩

أقول: و يأتي مثل هذا الخبر في تفسير الحمد «١».

و عنه، عن ابن عباس من طريق العائمة: «ما علمي و علم أصحاب محمد صلى الله عليه و آله في علم علي عليه السلام إلا كقطرة في سبعة أبحر. «٢» و

عن طريق النقاش «٣»، و ابن المغازلي «٤» الفقيه الشافعي، و الموفق بن أحمد «٥»، و الترمذي، و غيرهم، عن ابن عباس، و عبد الله بن مسعود، و غيرهما عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: قسمت الحكمة على عشرة أجزاء، فأعطى علي عليه السلام تسعة أجزاء، و الناس جزء واحد. «٦» و زاد في بعضها: أنه شاركهم فيه حتى هو أعلم به منهم.

و روى الترمذي «٧» عن ابن عباس قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يشرح لنا نقطة الباء من بسم الله الرحمن الرحيم ليلة فانفلق عمود الصبح و هو بعد لم يفرغ، فرأيت نفسي في جنبه كالقرارة في جنب البحر المتعرج. «٨»

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٠٥.

- (٢) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٠٥.
- (٣) النقاش: محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون أبو بكر المفسر الموصلي البغدادي ولد سنة (٢٦٦) و توفي سنة (٣٨١) هـ - الأعلام ج ٦ / ٣١٠.
- (٤) هو أبو الحسن علي بن محمد الحافظ الشهير بابن المغازلي الواسطي الشافعي المتوفى سنة (٤٨٣) هـ. الكنى والألقاب ج ١ ص ٤١٧.
- (٥) هو: الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي الحنفي، ولد سنة (٣٨٤) و توفي سنة (٥٦٨) هـ. الأعلام ج ٨ / ٢٨٩.
- (٦) المناقب لابن المغازلي ص ٢٨٧ - حلية الأولياء ج ١ ص ٦٤ - مناقب الخوارزمي ص ٤٩.
- (٧) هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن حسن بن بشير المؤذن الحكيم الترمذي المقتول سنة (٢٥٥) - كشف الظنون ج ٢ ص ١٩٧٩.
- (٨) ينابيع المودة ط اسلامبول ص ٧٠ - أرجح المطالب ط لاهور ص ١١٣.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠١.

و

روى الترمذي أيضا أنه قال رسول الله: ما رأني في الدنيا على الحقيقة التي خلقني الله عليها غير علي بن أبي طالب عليه السلام. (١) بل

قد ورد في أخبار كثيرة أن كل علم حق عند كل أحد فهو منهم عليهم السلام. ففي «مجالس المفيد» عن أبي جعفر عليه السلام قال: أما إنه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب إلا شيء أخذوه منا أهل البيت. ولا أحد من الناس يقضى بحق ولا عدل إلا ومفتاح ذلك القضاء وبابه وأوله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإذا اشتبهت عليهم الأمور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطوا، والصواب من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام إذا أصابوا. (٢)

و

في «البصائر» و «رجال الكشي» عن أبي مريم (٣) قال: قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل (٤)، والحكم بن عتيبة (٥): شرفا و غزبا لن تجدا علما صحيحا إلا شيئا خرج من عندنا أهل البيت. (٦).

و

فيهما عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شهادة ولد الزنا تجوز؟

- (١) لم أجد له مصدرا.
- (٢) أمالي المفيد ص ٥٦ و ٥٧.
- (٣) هو: عبد الغفار بن القاسم بن قيس بن فهد أبو مريم الأنصاري، روى عن الصادقين عليهما السلام، وثقه النجاشي وقال: له كتاب - معجم رجال الحديث ج ١ ص ٥٥.
- (٤) هو: سلمة بن كهيل بن الحصين أبو يحيى الحضرمي الكوفي التابعي، كان من البتريه، و هم الذين دعوا إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ثم خلطوها بولاية الشيخين، و بغض عثمان و طلحة و الزبير و عائشة - معجم رجال الحديث ج ٧ ص ٢٠٨.
- (٥) الحكم بن عتيبة أبو محمد الكوفي الكندي البتري توفي سنة (١١٤) أو (١١٥) و ردت في ذميه روايات كثيرة - معجم رجال الحديث ج ٦ ص ١٧٤.

(٦) بصائر الدرجات ص ١٠، الكافي ج ١ ص ٣٩٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠٢.

قال عليه السلام: لا، فقلت: إن الحكم بن عتيبة يزعم أنها تجوز، فقال عليه السلام: اللهم لا تغفر ذنبه، ما قال الله للحكم: إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ

وَلِقَوْمِكَ «١» فليذهب الحكم يمينا و شمالا، فو الله لا يؤخذ العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السلام. «٢»

و

في «البصائر» عنه عليه السلام: كلّمّا لم يخرج من هذا البيت فهو باطل. «٣»

و

فيه عن زرارة قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر عليه السلام فقال لي رجل من أهل الكوفة: سله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني عمّا شئتم ولا تسألوني عن شيء إلّا أنبأتكم به»، قال: فسألته، فقال عليه السلام: إنّه ليس أحد عنده شيء إلّا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام فليذهب الناس حيث شاؤوا فو الله ليأتين الأمر هاهنا، وأشار بيده إلى صدره. «٤»

قال المجلسي رحمه الله: ليأتين (بفتح الياء ورفع الأمر) أي يأتي العلم وما يتعلّق بأمر الخلق ويهبط إلى صدورنا، ويحتمل نصب الأمر فيكون ضمير الفاعل راجعا إلى كلّ أحد من الناس، أو كلّ من أراد اتّضح الأمر له.

أقول: ولعلّ الأقرب الأوّل، وذلك أنّك قد سمعت في غير موضع من هذا التفسير أنّ الله تعالى جعلهم أبوابه، وسبله و صراطه في الأمور التكوينية و التشريعية، فلا يصل إلى أحد من الخلق شيء من الفيوض الإلهية، و المواهب

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) بصائر الدرجات ص ٩، رجال الكشي ص ١٣٧، الكافي ج ١ ص ٤٠٠ و ج ٧ ص ٣٦٥.

(٣) بصائر الدرجات ص ٣٨ ح ٥، الوسائل ج ١٨ ص ٥٠ ح ٣٤ عن البصائر.

(٤) بصائر الدرجات ص ١٢ ح ١، الوسائل ج ١٨ ص ٤٦ ح ٢١، و لكن فيه مكان (ليأتين الأمر هاهنا و أشار بيده إلى صدره): ليس الأمر إلّا من هاهنا و أشار بيده إلى بيته، بحار الأنوار ج ٤٠ / ١٣٦ و فيه:

ليأتينهم الأمر هاهنا و أشار إلى المدينة».

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠٣

الرحمانية إلّا بوساطتهم و شفاعتهم، فبهم بدأ الله، و بهم يختم، و من جملة فيوضه سبحانه، بل من أعظمها العلوم و المعارف الحقيقية التي خصّهم الله سبحانه بمعرفتها، فهم عيبة علمه، و خزنة و حيه.

ففي «البصائر»: عن الصادق عليه السلام يقول: «نحن ولاة أمر الله، و خزنة علم الله، و عيبة وحي الله». «١»

و

فيه، عنه عليه السلام: يا بن أبي يعفور «٢» إنّ الله واحد متوحد بالوحدانية، متفرد بأمره، فخلق خلقا فقدّرهم لذلك «٣» الأمر، فنحن هم، يا ابن أبي يعفور فنحن حجج الله في عباده، و خزّانه على علمه، و القائمون بذلك. «٤»

و

عن أبي جعفر عليه السلام قال: و الله إنّنا لخزان الله في سمائه و أرضه، لا على ذهب و لا على فضة إلّا على علمه. «٥»

(١) بصائر الدرجات ص ٣٠، بحار الأنوار ج ٢٦ ص ١٠٦ ح ٩ عن البصائر.

(٢) هو: عبد الله بن أبي يعفور واقد أبو محمد العبدى من خواص أصحاب الصادق عليه السلام توفى في حياة الإمام عليه السلام سنة الطاعون. معجم رجال الحديث ج ١٠ ص ٩٦.

(٣) في البحار: فقدّرهم بذلك الأمر. و قال المجلسي قدس سرّه في بيانه: بذلك الأمر أي الإمامة، أو بذلك العلم، فالباء للسببية.

(٤) بصائر الدرجات ص ٢٩، الكافي ج ١ ص ١٩٣ ح ٥، بحار الأنوار ج ٢٦ ص ١٠٦ ح ٨.

(٥) بصائر الدرجات ص ٢٩، الكافي ج ١ ص ١٩٢ ح ٢، بحار الأنوار ج ٢٦ ص ١٠٥ ح ١ عن البصائر.  
تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠٥

## الباب التاسع

في أن جلّ القرآن نزل في أهل البيت و شيعتهم و في أعدائهم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠٧

روى الشيخ الجليل ثقة الإسلام الكليني «١»، و محمد بن مسعود العياشي «٢»، و فرات «٣» بن إبراهيم، بأسانيدهم عن أصبغ «٤» بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: نزل القرآن أرباعاً: ربع فينا، و ربع في عدونا، و ربع سنن و أمثال، و ربع فرائض و أحكام، و لنا كرائم القرآن «٥».

قال في «تأويل الآيات»: و روت الخاصية و العامية عن ابن عباس أيضا مثله «٦» و فيه عن ابن نباتة عنه عليه السّلام قال: القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، و ربع في أعدائنا، و ربع فرائض و أحكام، و ربع حلال و حرام، و لنا كرائم

(١) هو محمد بن يعقوب بن إسحاق ابو جعفر الكليني مصنف «الكافي» في عشرين سنة، توفي سنة (٣٢٨) أو (٣٢٩) و قبره في بغداد مزار معروف. طبقات الشيعة ج ١/ ٣١٤.

(٢) هو: محمد بن مسعود بن محمد بن عياش أبو النضر السلمي السمرقندي المعروف بالعيشي، كان عامياً ثم تبصر، و كان حديث السنن، و بعد سمع الاصحاح بالعراق و روى عن علي بن الحسن بن علي بن فضال الذي يروى عن أخيه أحمد الذي توفي سنة (٢٦٠) - طبقات الشيعة ج ١ ص ٣٠٥.

(٣) فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، روى عن عبيد بن كثير المتوفى (٢٩٤) و روى عنه الصدوق المتوفى (٣٨١) بواسطة واحدة كثيرا في الأمالي - طبقات الشيعة ج ١ ص ٢١٦.

(٤) الأصبغ بن نباتة المجاشعي من خاصية أمير المؤمنين عليه السّلام، و عمّر بعده، و روى عنه عهد الأشر الذي عهده اليه أمير المؤمنين عليه السّلام لما ولّاه مصر - معجم رجال الحديث ٣ ص ٢١٩.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٦٢٨ - تفسير الفرات ص ٢ - شواهد التنزيل ج ١ ص ٤٣ ح ٥٨ - بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٠٥ ح ١ عن الكنز و الفرات.

(٦) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٠٥ عن الكنز ح ١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠٨.  
القرآن «١».

قلت: و الكرائم نفائس الشيء و خياره جمع الكريمة، و التاء للمبالغة كما في «النهاية الاثريّة» قال: و منه حديث الزكاة: «و أتق كرائم أموالهم» أي نفائسها التي يتعلّق بها نفس مالکها و يختصّها لها حيث هي جامعة للكمال الممكن في حقّها.

و المراد أن كلّ ما في القرآن من خير، و برّ، و شرف فهو لهم، و فيهم، و في شيعهم، كما في الزيارة الجامعة الكبيرة: «إن ذكر الخير كنتم أوله، و أصله، و معدنه، و مأواه، و منتهاه».

عن مولانا الصادق عليه السّلام قال: ما من آية في القرآن أولها يا أيّها الذين آمنوا إلّا و عليّ بن أبي طالب عليه السّلام أميرها و قائدها، و شريفها و أولها، و ما من آية تسوق إلى الجنة إلّا و هي في النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، و الأئمة عليهم السّلام، و أشياعهم، و أتباعهم، و ما من آية تسوق إلى النار إلّا و هي في أعدائهم و المخالفين لهم، و إن كانت الآيات في ذكر الأولين فما كان منها في خير فهو جار في أهل الخير، و ما كان منها في شرّ فهو جار في أهل الشرّ «٢».

و

عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا خيثمة «٣» إن القرآن نزل أثلثا: فثلث فينا، وثلث في عدونا، وثلث فرائض و أحكام «٤».

(١) البحار ج ٢٤ ص ٣٠٥ ح ٢ عن تفسير الفرات.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣١٦ ح ٢٠ عن عقائد الصدوق ص ١٠٤.

(٣) الظاهر أنه خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي الكوفي أبو عبد الله و كان من أصحاب الباقر عليه السلام - انظر معجم رجال الحديث ج ٧ ص ٨٢.

(٤) بحار الأنوار ج ٢٤ باب جوامع تأويل ما نزل فيهم ٤ ح ٤٦ عن الفرات.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠٩

و

روى ابن المغازلي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: القرآن أربعة أرباع: فربع فينا أهل البيت خاصة، و ربع حلال، و ربع حرام، و ربع فرائض و أحكام، و الله أنزل فينا كرائم القرآن «١».

و روى العياشي مثله بالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام «٢».

و

روى عن أصبغ بن نباتة عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، قال: نزل القرآن أثلثا: ثلث فينا و في عدونا، و ثلث سنن و أمثال، و ثلث فرائض و أحكام «٣».

و

في «تفسير العياشي» عن خيثمة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «القرآن نزل أثلثا: ثلث فينا و في أحبائنا، و ثلث في أعدائنا و عدو من كان قبلنا، و ثلث سنن و مثل، و لو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، و لكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات و الأرض، و لكل قوم آية يتلونونها هم منها من خير أو شر» «٤».

و في «كشف الغمّة» عن ابن مردويه «٥»، عن ابن عباس قال: «ما في القرآن آية إلّا و عليّ رأسها و قائدها» «٦».

قال: و روى عن عليّ عليه السلام قال: «نزل القرآن أرباعا: فربع فينا، و ربع في

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٣٢٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٢ باب أنواع آيات القرآن ص ١١٤ ح ١ عن تفسير العياشي ج ١ ص ٩ مع تفاوت يسير.

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص ٩.

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص ١٠.

(٥) هو أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني المتوفى (٣٥٢)، الكنى و الألقاب ج ١ ص ٤٠٦.

(٦) كشف الغمّة ص ٩١ - بحار الأنوار ج ٣٦ ص ١١٦ من كشف الغمّة. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٠  
عدونا، و ربع سير و أمثال .. و ربع فرائض و أحكام «١».

و فيه عن ابن عباس: «ما نزلت «يا أيها الذين آمنوا» إلّا و عليّ أميرها و شريفها» «٢».

و عنه في خبر آخر: «إلّا كان عليّ رأسها و أميرها» «٣».

و عن حذيفة «٤»: «إلّا كان عليّ لئبها و لبابها» «٥».

و

في «غيبه النعماني» «٦»: عن العبد الصالح عليه السلام في قوله تعالى: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ «٧» أنه قال: «إن القرآن له ظاهر و باطن، فجميع ما حرّم الله في القرآن فهو حرام على ظاهره كما هو في الظاهر، و الباطن من ذلك أئمة الجور، و جميع ما أحلّ الله في الكتاب فهو حلال، و هو الظاهر، و الباطن من ذلك أئمة الهدى» «٨».

و

في «تفسير فرات» عن ابن عباس قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه و آله بيدي و يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فعلا بنا على ثبير، ثم صلى ركعات، ثم رفع

(١) المصدر نفسه ص ٩١.

(٢) كشف الغمّة ص ٩١ البحار ج ٣٦ ص ١١٧ عن كشف الغمّة.

(٣) المصدر نفسه ص ٩١ البحار ج ٣٦ ص ١١٧ عن كشف الغمّة.

(٤) هو حذيفة بن اليمان أبو عبد الله العباسي كان صاحب سرّ النبي صلى الله عليه و آله في المنافقين، توفي بالمدائن سنة (٣٦) هـ - الاعلام للزركلي ج ٢ ص ١٨٠.

(٥) كشف الغمّة ص ٩٢- البحار ج ٣٦ ص ١١٧ عن الكشف.

(٦) النعماني: محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب كان تلميذا للكليني المتوفى (٣٢٩) و كان حيا في سنة (٣٤٢) هـ و توفي بالشام - الذريعة ج ١٦ ص ٧٩.

(٧) الأعراف: ٣٣.

(٨) غيبه النعماني ص ٦٤ و فيه: «ائمة الهدى الحق». تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١١

يده الى السماء فقال: اللهم إنّ موسى بن عمران عليه الصلاة و السلام سألك، و أنا محمّد نبيك سألك أن تشرح لي صدري و تيسر لي أمري، و تحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، و اجعل لي وزيرا من أهلي علي بن أبي طالب أخي أشدد به أزرى، و أشركه في أمري، قال: فقال ابن عباس: سمعت مناديا ينادي: يا أحمد قد أوتيت ما سألت، قال: فقال النبي صلى الله عليه و آله لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا الحسن ارفع يدك إلى السماء فادع ربك و سله يعطك، فرفع يده إلى السماء و هو يقول: اللهم اجعل لي عندك عهدا، و اجعل لي عندك ودا، فأنزل الله على نبيه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا «١». فتلاها النبي صلى الله عليه و آله على أصحابه، فتعجبوا من ذلك عجا شديدا، فقال النبي صلى الله عليه و آله: بما تعجبون؟ إنّ القرآن أربعة أرباع: ربع فينا أهل البيت خاصية، و ربع في أعدائنا، و ربع حلال و حرام، و ربع فرائض و أحكام، و إنّ الله أنزل في علي بن أبي طالب عليه السلام كرائم القرآن «٢».

و

في «البصائر» عن أبي الحجاز «٣» قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله ختم مائة ألف نبي و أربعة و عشرين ألف نبي، و ختمت أنا مائة ألف وصي و أربعة و عشرين ألف وصي، و كلّفت ما تكلف الأوصياء قبلي، و الله المستعان، و إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال في مرضه: لست أخاف عليك أن تضلّ بعد الهدى، و لكن أخاف عليك فساق قريش و عاديتهم، حسبنا الله و نعم الوكيل علي أن ثلثي القرآن فينا و في شيعتنا، فما كان من خير فلنا و لشيعتنا، و الثلث أشركنا

(١) مريم: ٩٦.

(٢) تفسير فرات ص ٨٩- بحار الأنوار ج ٣٥ عن الروضة ص ١٦ و تفسير فرات.

(٣) لم أظفر على ترجمته. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٢

فيه الناس، فما كان من شرّ فلعدونا» (١).

و

في «الخصال» عن ابن أبي ليلى (٢) قال: «نزلت في عليّ ثمانون آية صفوا في كتاب الله ما شرکه فيها أحد من هذه الأمة» (٣).

وفيه بالإسناد عن مجاهد مثله، إلا أن فيه: «سبعون» (٤).

قلت: ولعل المراد الآيات المختصة به دون غيره كما يومی إليه قوله:

«صفوا» أو أنه ذكر هذا العدد بناء على ما اطلع عليه.

و

عن ابن شهر آشوب قال: روى جماعة من الثقات عن الأعمش، عن عباية الأسدي عن عليّ عليه السلام، و الليث (٥)، عن مجاهد، و

السدي عن أبي مالك (٦)، و ابن أبي ليلى، عن داود (٧) بن علي، عن أبيه، و ابن جريح، عن عطاء، و عكرمة، و سعيد بن جبیر، كلهم

عن ابن عباس، و روى العوام (٨) ابن حوشب عن مجاهد،

(١) بصائر الدرجات ص ١٢٠.

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام - شهد معه، عربي كوفي، ضربه الحجاج حتى اسودّ

كتفاه على سبّ عليّ عليه السلام - جامع الرواة ص ٤٤٣ رقم ٣٦٥٢.

(٣) الخصال ج ٢ ص ٥٩٢ أبواب الثمانين ح ١.

(٤) الخصال ج ٢ ص ٥٨١ أبواب السبعين ح ٢.

(٥) هو الليث بن أبي سليم الكوفي القرشي كان من العلماء و يقال: كان من أوعية العلم، توفي سنة (١٤٣) هـ - الميزان للذهبي ج ٣ ص

٤٢٠.

(٦) ابو مالك روى روايات كثيرة عن ابن عباس و روى عنه السدي إسماعيل بن عبد الرحمن المتوفى (١٢٨ هـ) ذكره ابن أبي حاتم

في «الجرح و التعديل» ج ٩ ص ٤٣٥ رقم ٢١٧٣ و قال: سئل أبو زرعة عنه فقال: كوفي ثقة لا أعرف اسمه.

(٧) هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس، عم المنصور الدوانيقي، قد ولي الكوفة في دولة السفاح، ثم المدينة، مات سنة (١٣٣) هـ -

ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٣.

(٨) العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني أبو عيسى الواسطي توفي سنة (١٤٨ هـ) - سير أعلام النبلاء ج ٤ تفسير الصراط المستقيم، ج ٢،

ص: ٢١٣

و روى الأعمش عن زيد بن وهب (١). عن حذيفة كلهم عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: «ما انزل الله تعالى في القرآن آية فيها

يا أيّها الذين آمنوا إلا و عليّ أميرها و شريفها» (٢).

و

في رواية حذيفة: «إلا كان لعلي بن أبي طالب عليه السلام لبها» (٣) و لبابها» (٤).

و

في رواية: «إلا عليّ رأسها و أميرها» (٥).

و



في رواية يوسف «٦» بن موسى القطان، ووكيع «٧» بن الجراح: «أميرها و شريفها لأنه أول المؤمنين ايماناً» (٨).

و

في رواية إبراهيم «٩» الثقفى، و أحمد بن حنبل، و ابن بطّة «١٠» العكبرى،

ص ٣٥٤.

(١) هو زيد بن وهب الجهنى أبو سليمان الكوفى المتوفى سنة (٩٤) - سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ١٩٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٥٤٦ - بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٣٣٣.

(٣) اللبّ و اللباب (بضم اللام) فى اللغة بمعنى واحد و هو المختار الخالص من كل شىء و لعل معنى الحديث أنّ المصداق الأتم الخالص المختار من المؤمنين هو أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) المناقب ج ١ ص ٥٤٦ - شواهد الحسكاني ج ١ ص ٤٨.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) يوسف بن موسى بن راشد القطان أبو يعقوب الكوفى نزيل بغداد، توفى سنة (٢٥٣) من سنّ عاليه - سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص

٢٢٢.

(٧) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى الحافظ ولد بالكوفة سنة (١٢٩) و توفى بفيد راجعا من الحج سنة (١٩٧) - الاعلام ج ٩ ص

١٣٥.

(٨) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٥٤٦ - بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٣٣٣.

(٩) هو إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفى الكوفى المتوفى سنة (٢٨٣ هـ) - الاعلام ج ١ ص ٥٦.

(١٠) هو عبيد الله بن محمّد بن محمد بن حمدان بن بطّة العكبرى الحنبلى المتوفى (٣٨٧) - الاعلام ج ١ ص ٣٥٤. تفسير الصراط

المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٤

عن عكرمة، عن ابن عباس: «إلّا على رأسها و شريفها و أميرها» (١).

و

فى «صحيفة الرضا عليه السلام» (٢): «ليس فى القرآن يا أيّها الذين آمنوا إلّا فى حقنا، و لا فى التوراه يا أيّها الناس إلّا فىنا» (٣).

و

فى تفسير مجاهد قال: ما كان فى القرآن «يا أيّها الذين آمنوا» فإنّ لعلّى عليه السلام سابقه هذه الآية، لأنّه سبقهم الى الإسلام، فسماه

الله تعالى فى تسع «٤» و ثمانين موضعا أمير المؤمنين و سيّد المخاطبين الى يوم الدين «٥».

و

روى المنقرى «٦» باسناده الى عمرو «٧»، أخى بريده الأسلمى، و روى يوسف ابن كليب المسعودى باسناده عن أبى داود، عن أخى

بريده، و روى عبّاد

(١) المناقب ج ١ ص ٥٤٦.

(٢) صحيفة الرضا: و يعتبر عنها بمسند الرضا، و الرضويات، و صحيفة أهل البيت أيضا و قد أحصى بعض الأصحاب أحاديثها

فوجدوها (٢٤٠) حديثا و هى منسوبة الى الإمام الرضا عليه السلام، مروية بأسانيد متعددة ينتهى جميعها الى ابى القاسم عبد الله بن

احمد بن عامر بن سليمان بن صالح بن وهب، عن أبية احمد بن عامر عن الرضا عليه السلام فى سنة (١٩٤)، انظر الذريعة ج ١٥ ص

١٧ رقم ٩٢.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٥٤٦-بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٣٣٣.

(٤) هذه الموارد (١١) موردا في سورة البقرة، و (٧) موارد في آل عمران، و (٩) موارد في سورة النساء، و (١٦) موردا في المائدة، و (٦) موارد في الأنفال، و (٦) موارد في التوبة، و (١) في الحج، و (٣) موارد في سورة النور، و (٧) موارد في الأحزاب، و (٢) في سورة محمد، و (٥) موارد في الحجرات، و (١) في سورة الحديد، و (٣) في المجادلة، و (١) في سورة الم، و (٣) موارد في الممتحنة، و (٣) في الصف، و (١) في الجمعة، و (١) في سورة المنافقين، و (١) في التغابن، و (٢) في سورة التحريم.

(٥) المناقب ج ١ ص ٥٤٦-البحار ج ٣٧ ص ٣٣٣.

(٦) هو: سليمان بن داود بن بشر بن زياد أبو أيوب المنقري البصرى المعروف بالشاذكونى الحافظ المتوفى (٢٣٤) هـ - سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٦٧٧.

(٧) هو عمرو بن حصيب أخو بريدة بن حصيب الأسلمى كما فى أمالى الشيخ ص ١٨١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٥ ابن «١» يعقوب الأسدى، باسناده عن أبى داود «٢» السبيعى، عن أخى بريدة، أنه دخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اذهب و سلم على أمير المؤمنين، فقال: يا رسول الله و أنت حى؟ قال صلى الله عليه وآله: و أنا حى، ثم جاء عمر فقال له مثل ذلك.

و فى رواية السبيعى: أنه قال عمر: و من أمير المؤمنين؟ قال: على بن أبى طالب قال: عن أمر الله و أمر رسوله؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم «٣».

و

روى الشيخ أبو جعفر الطوسى قدس سره باسناده الى الفضل «٤» بن شاذان عن داود «٥» بن كثير. قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة فى كتاب الله عزّ و جلّ، و أنتم الزكاة، و أنتم الحجّ؟ فقال عليه السلام: يا داود نحن الصلاة فى كتاب الله عزّ و جلّ، و نحن الزكاة، و نحن الصيام، و نحن الحجّ، و نحن الشهر الحرام، و نحن البلد الحرام، و نحن كعبة الله، و نحن قبله الله، و نحن وجه الله، قال الله تعالى: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ «٦» و نحن الآيات، و نحن البيئات.

(١) هو أبو سعيد عباد بن يعقوب الأسدى الرواجنى الكوفى المتوفى سنة (٢٥٠) هـ - التاريخ الكبير للبخارى ج ٦ ص ٤٤ رقم ١٦٤٥.

(٢) هو نفيق بن الحارث أبو داود النخعى الكوفى و يقال له السبيعى لأنهم مواليه، و كان أعمى من قبيلة همدان تابعيا - تهذيب التهذيب ج ١ ص ٤٧٠.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٥٤٩- أمالى الشيخ ص ١٨١ و ص ١٨٢ و البحار ج ٣٧ ص ٢٩١ عن الأمالى و ص ٣٣٤ عن المناقب.

(٤) الفضل بن شاذان بن الخليل أبو محمد الأزدي النيسابورى المتوفى (٢٦٠) هـ - الاعلام ج ٥ ص ٣٥٥.

(٥) داود بن كثير أبى خالد الرقى أبو سليمان المتوفى بعد وفاة الرضا عليه السلام بقليل حدود سنة (٢٠٣) هـ - معجم رجال الحديث ج ٧ ص ١٢٢.

(٦) البقرة: ١١٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٦

و عدونا فى كتاب الله عزّ و جلّ: الفحشاء و المنكر و البغى، و الخمر، و الميسر و الانتصاب و الأزلام، و الأصنام و الأوثان، و الجبت و الطاغوت، و الميتة و الدم و لحم الخنزير.

يا داود إن الله خلقنا فأكرم خلقنا، وفضلنا، وجعلنا أمناءه، وحفظته، وخزانه على ما فى السماوات وما فى الأرض، وجعل لنا أصدادا وأعداء، فسمانا فى كتابه، وكنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه، وسمى أصدادنا وأعدائنا فى كتابه، وكنى عن أسمائهم و ضرب لهم الأمثال فى كتابه فى أبغض الأسماء إليه و إلى عبادة المتقين «١».

و  
عن الفضل بن شاذان بالإسناد عن الصادق عليه السلام أنه قال: نحن أصل كل خير، و من فروعنا كل بر، و من البر التوحيد، و الصلاة، و الصيام، و كظم الغيظ عن المسىء، و رحمة الفقير، و تعاهد الجار، و الإقرار بالفضل لأهله.

و عدونا أصل كل شر، و من فروعهم كل قبيح و فاحشة، فمنهم الكذب و النميمة، و البخل، و القطيعة، و أكل الربا، و أكل مال اليتيم بغير حقه، و تعدى الحدود التى أمر الله عز و جل، و ركوب الفواحش ما ظهر منها و ما بطن من الزنا و السيرة، و كل ما وافق ذلك من القبيح، و كذب من قال: إنه معنا و هو متعلق بفرع غيرنا «٢».

و  
فى «رجال الكشى» بالإسناد عن بشير «٣» الدهان، قال: كتب أبو

(١) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٠٣ ح ١٤ عن كثر الفوائد ص ٢-٣.

(٢) البحار ج ٢٤ ص ٣٠٣ ح ١٥ عن الكنز.

(٣) بشير الدهان الكوفى من أصحاب الصادق و الكاظم عليهما السلام، و قيل: (يسير) بالياء التحتانية و السين المهملة، وقع فى اسناد جملة من الروايات تبلغ ثمانية عشر موردا. معجم رجال الحديث ج ٣ تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٧  
عبد الله عليه السلام إلى أبى «١» الخطاب بلغنى أنك تزعم أن الزنا رجل، و أن الخمر رجل، و أن الصلاة رجل، و الصيام رجل، و أن الفواحش رجل، و ليس هو كما تقول، إننا أصل الحق، و فروع الحق طاعة الله، و عدونا أصل الشر، و فروعهم الفواحش، و كيف يطاع من لا يعرف، و كيف يعرف من لا يطاع «٢».

إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التى سيمر عليك كثير منها فى تضاعيف هذا التفسير إن شاء الله تعالى.

و جملة الكلام أنه يستفاد من ملاحظة الأخبار أمور:

أحدها: أن كل آية فى القرآن فيها يا أيها الذين آمنوا فالخطاب فيها متوجه إلى أهل البيت عليهم السلام بالأولوية و الأولوية و الأصالة، و هم أميرها و شريفها و رأسها و لبها و لبابها، و ذلك بسبب سبقتهم إلى الإيمان بالله سبحانه فى عالم الأنوار و فى الظلة الخضراء. كما

عن الثمالى عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال: إن الله سبحانه تفرّد فى وحدانيته، ثم تكلم بكلمة فصارت نورا، ثم خلق من ذلك النور محمّدا و عليا و عترته عليهم السلام، ثم تكلم بكلمة فصارت روحا و أسكنها فى ذلك النور و أسكنه فى أبداننا، فنحن روح الله و كلمته، احتجب بنا عن خلقه، فما زلنا فى ظلّ خضراء مسبحين نسبحه و نقدسه حيث لا شمس و لا قمر، و لا عين تطرف، ثم خلق

ص ٣٣١ رقم ١٨٠٦.

(١) ابو الخطاب محمّد بن أبى زينب الأسدى الكوفى البرّاز البرّاد، كان مستقيما ثم انحرف و صار من الغلاة فترك أصحابنا ما رواه بعد انحرافه- معجم رجال الحديث ج ١٤ ص ٢٤٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٢٩٩ عن رجال الكشى ص ١٨٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٨

شيعتنا، و إنما سموا شيعة لأنهم خلقوا من شعاع نورنا «١».

و

عنه، قال: دخلت حبابة «٢» الوالبيّة على أبي جعفر عليه السّلام فقالت: أخبرني يا بن رسول الله أى شىء كنتم فى الأظلمة؟ فقال عليه السّلام: كنّا بين يدي الله قبل خلق خلقه، فلما خلق الخلق سبحنا فسبحوا، وهللنا فهللوا، وكبرنا فكبروا، وذلك قوله عزّ وجلّ: وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا «٣» الطريفة حبّ على صلوات الله عليه، والماء الغدق الماء الفرات، وهو ولاية آل محمّد عليهم السّلام. «٤».

و

فى خبر المفضّل: كنّا أنوارا حول العرش نسبح الله ونقدّسه حتّى خلق الله سبحانه الملائكة فقال لهم: سبحوا، فقالوا: يا ربنا لا علم لنا، فقال لنا: سبحوا فسبحنا، فسبحت الملائكة بتسبيحنا، ألا إنّنا خلقنا من نور الله، وخلق شيعتنا من دون ذلك النور ... الخبر «٥».

و أيضا لسبقهم إلى الإيمان به سبحانه فى عالم الميثاق والذّرّ الأوّل، كما ورد أنّ أوّل من بادر إلى الإجابة هو رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام، ثمّ الأئمّة من ذريته صلوات الله عليهم أجمعين،

ولسبقتهم إلى الإيمان به فى هذا العالم الناسوتى فى الدّولة الكاملة الختمية المصطفوية كماليا شرفيا، إذ لا يدانى

(١) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٣ ح ٣٩ عن مشارق الأنوار للبرسى ص ٤٢.

(٢) هى صاحبة الحصاة التى طبع فيها أمير المؤمنين عليه السّلام بخاتمه وأتت بها إلى الأئمّة بعده واحدا بعد واحد وهم يطبعونها فيها إلى أن انتهت إلى أبى الحسن الرضا عليه السّلام فطبع فيها وعاشت بعد ذلك تسعة أشهر - سفينة البحار ج ٢ ص ٣٠ طبع الجديد.

(٣) سورة الجنّ: ١٦.

(٤) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٤ ح ٤٠ عن مشارق الأنوار للبرسى ص ٤٠.

(٥) البحار ج ٢٥ ص ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٩

إيمانهم إيمان أحد من المخلوقين، آتاهم الله ما لم يؤت أحدا من العالمين، و سبقا حدوثيا زمانيا كما اتفقت عليه روايات الفريقين من أنّه عليه السّلام أوّل من آمن برسول الله صلّى الله عليه وآله فى العالم الناسوت إيمانا ظاهريا بعد ما آمن به فى جميع العوالم الكليّة والنشآت الغيبية، ولذا

قال عليه السّلام: سبقتكم إلى الإسلام طرا\* غلاما ما بلغت أو ان حلمى «١» وقد قيل فى هذا أيضا: ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفا\* عن هاشم ثمّ منها عن أبى الحسن أليس أوّل من صلّى لقبلكم\* وأعلم الناس بالآداب والسنن وبالجملة فهؤلاء الأنوار صلوات الله عليهم هم السابقون بالإيمان فى جميع العوالم بمراتب السبق وأقسامه الستة «٢».

(١)

قال ابن حجر الهيثمي: لما وصل الى على بن أبى طالب عليه السّلام فخر من معاوية قال عليه السّلام لغلامه: اكتب إليه، ثمّ أملى عليه: محمّد النبى أخى وصهرى\* و حمزة سيّد الشهداء عمى و جعفر الذى يمسى و يضحى\* يطير مع الملائكة ابن أمى و بنت محمد سكنى و عرسى\* منوط لحمها بدمى و لحمى و سبطا أحمد ولداى منها\* فأتيكم له سهم كسهمى سبقتكم الى الإسلام طرا\* غلاما ما بلغت أو ان حلمى الصواعق المحرقة ص ١٣٠ ط القاهرة-

(٢) السبق على المشهور ينقسم الى ستة أقسام: الزماني، و الزتبي، و الشرفي، و الطبعي، و العلي، و الماهوي، و زاد عليها صدر المتألهين قسما سابعاً، و هو السبق بالحقيقة، و المحقق الداماد قسماً ثامناً و هو السبق الدهري، قال الفيلسوف المتأله السبزواري في منظومته: السبق منه ما زمانياً كشف و السبق بالرتبة ثم بالشرف و السبق بالطبع و بالعلية ثم الذي يقال بالماهية تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٠ و لذا

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١﴾: إنها في نزلت «٢».

و قال مولانا الصادق عليه السلام: نحن السابقون، و نحن الآخرون «٣».

بل يستفاد من أخبار متواترة أنّ كل من آمن بالله و وحده و عبده في جميع العوالم فإنما هو بوساطتهم، و لذا قالوا: «بنا عرف الله و بنا عبد الله» «٤».

و في أخبار كثيرة: «نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا» «٥».

و في «الجماعة الكبيرة»: «بكم علمنا الله معالم ديننا، و أصلح ما كان فسد من ديننا».

ثانيها: أنّ القرآن كلّهُ إنّما نزل فيهم و في شيعتهم، و في أعدائهم.

و ذلك أنّ من الآيات ما نزلت بخصوصها فيهم، و منها ما نزلت في غيرهم، سواء أ كان في شأن أشخاص خصوصاً أو عموماً، و القصص و الأمثال، أم كان في الفرائض و السنن و الأحكام، و كلّ ذلك ينقسم إلى فروع الإيمان و فروع \_\_\_\_\_ و السبق بالذات هو اللذ كان عمّ بذى الثلاثة الأخير انقسم

بالذات إن شئء بدا و بالعرض لاثنين سبق بالحقيقة انتهض

و السبق فكياً يجي طولياً سمي دهرتياً و سرمدياً

(١) الواقعة: ١٠-١١.

(٢)

في البحار ج ٢٤ ص ٨ ح ٢٢ عن علي عليه السلام قال: «إني أسبق السابقين إلى الله و إلى رسوله ... إلخ.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٤ ح ١١ عن مناقب آل أبي طالب ج ٣/٤٠٣.

(٤) البحار ج ٢٥ ص ٢٠ ح ٣١.

(٥) البحار ج ٢٤ ص ٢٤٩ ح ٢ عن الاحتجاج ص ١٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢١

الكفر.

فالآيات المتضمنة لفروع الإيمان و أحكامه و وعده و جزائه، و جميع الطاعات و العبادات، و الفرائض و السنن، و القصص المتعلقة بأهل الإيمان من الأنبياء و المرسلين، و الملائكة و الشهداء و الصالحين و الصديقين، و المستضعفين كلّها نزلت في شيعتهم.

و الآيات المتضمنة للكفر و النفاق و الشرك، و متابعة الأهواء و الفحشاء، و الظلم، و التواهي المتعلقة بها، و الوعيد و التهديد على ذلك، و السجين، و الظلمة، و القسوة، و القصص المتعلقة بالكفار، و الفرق كلّها، ممّا نزلت في أعدائهم، و لذا

قالوا: «إن آيات القرآن نزلت أثلاثاً: فثلث فينا، و ثلث في شيعتنا، و ثلث في أعدائنا».

بل وإليه يثول ما

ورد من أنها نزلت أرباعاً: ربع فينا، و ربع فى أعدائنا، و ربع فرائض و أحكام، و ربع حلال و حرام.

فإنّ الأخيرين يؤولان إلى الأولين على ما سمعت من التقريب.

ثالثها: أنهم عليهم السلام أصل كلّ خير و برّ و شرف و إحسان، و منهم ينشعب جميع الخيرات و الذوات السعيدة الصالحة حتّى عليّين و ما خلق منه من طين المؤمنين و الملائكة و الجنان، و الأفعال الحسنه و الأقوال الصالحة الصادقة، و الهيئات و الأشكال المليحة، و الروائح و الألوان الطيبة، و غير ذلك ممّا يتعلّق بالتكويّيات، و كذا التشريعيّات فى العبادات، و الطاعات المفترضة و المندوبة، و لذا قالوا: «نحن أصل كلّ خير و برّ، و من فروعنا كلّ برّ، و من البرّ التوحيد،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٢

و الصّلاة و الصّيام ...

الى آخر ما مرّ «١».

و فى أخبار طينة الأنبياء و المؤمنين إشارات إلى ذلك، مثل ما

ورد «أنّ جميع الأنبياء و الملائكة و المؤمنين، بل الجنّة و السماوات و الحجب، و السرادقات، و الأعمال الصالحة كلّها خلقت من فاضل أشعة أنوارهم عليهم السلام، و أنّ قلوب شيعتهم خلقت من فاضل طينة أبدانهم عليهم السلام، و أنّ شيعته منهم لأنهم خلقوا من شعاع طينتهم «٢».

و نظير ذلك كلّه فى جانب الشرور و المفساد و القبائح من طينة خبال و سجين، و النار، و ما خلق منها من الذوات و الكينونات، و الصفات و الملكات، و الأفعال، و الخطرات، و الأقوال، و الأشكال و الهيئات الى غير ذلك من الفروع، و فروع الفروع، و هلمّ جزاً. فالقرآن كلّ بهذا الإعتبار إنّما نزل فيهم و فى أعدائهم بعد ملاحظة الأصول و الفروع.

بل الكون الكبير و عالم التكوين منقسم الى نور و ظلمة، و خير و شرّ، و حسن و قبح، و استقامة و انحراف، إلى غير ذلك من الأضداد، فهم أصل الخير و فرعه، و معدنه و مأواه و منتهاه، كما أنّ أعدائهم أصل الشرّ و فرعه ... إلخ. و لذا وقع التعبير عنه بجملة من فروعهم تلوّيحاً و تكنية للمؤمنين، و سترا و تقيّة عن المخالفين، فيعتبر عنهم بالصلاة، و الزكاة، و الحجّ، و الكعبة، و غيرها، حسبما سمعت فى الأخبار المتقدمة، و غيرها، كما أنّه يعتبر عن أعدائهم بالجبت،

(١) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٠٣ عن كنز الفوائد ص ٢-٣.

(٢) البحار ج ٢٥ ص ١ إلى ص ٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٣

و الطاغوت، و الشيطان، و الخمر، و الميسر، و الرّجس، و غير ذلك.

قال مولانا الصادق عليه السلام فيما كتبه فى جواب المفضّل على ما رواه فى «البصائر» فى خبر طويل: «إنّ الله تبارك و تعالى أحلّ حلالاً و حرّم حراماً إلى يوم القيامة، فمعرفة الرّسل و ولايتهم و طاعتهم هو الحلال، فالمحلّل ما حلّوا، و المحرّم ما حرّموا، و هم أصله، و منهم الفروع الحلال، و ذلك سعيهم، و من فروعهم أمرهم شيعتهم، و أهل ولايتهم بالحلال و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، و صوم شهر رمضان، و حجّ البيت و العمرة، و تعظيم حرّامات الله و مشاعره. و تعظيم البيت الحرام، و المسجد الحرام، و الشهر الحرام، و الطهور و الاغتسال من الجنابة، و مكارم الأخلاق و محاسنها، و جميع البرّ، ثمّ ذكر بعد ذلك فقال فى كتابه: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ يُنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ «١».

فعدوّهم هم الحرام المحرّم، و أوليائهم الداخلون فى أمرهم الى يوم القيامة، فهم الفواحش و ما ظهر منها و ما بطن و الخمر و الميسر،

و الزنا و الربا، و الدم، و لحم الخنزير، فهم الحرام المحرم، و أصل كل حرام، و هم الشرّ و أصل كل شر، و منهم فروع الشرّ كلّ، و من تلك الفروع الحرام، و استحلالهم إياها، و من فروعهم تكذيب الأنبياء، و جحود الأوصياء و ركوب الفواحش: الزنا، و السرقة، و شرب الخمر و المسكر، و أكل مال اليتيم، و أكل الربا، و الخدعة، و الخيانة، و ركوب المحارم كلّها، و انتهاك المعاصي.

(١) سورة النحل: ٩٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٤

و إنّما أمر الله بالعدل، و الإحسان، و إيتاء ذى القربى يعنى مودّة ذى القربى و ابتغاء طاعتهم، و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى، و هم أعداء الأنبياء و أوصياء الأنبياء، و هم المنهى من مودّتهم و طاعتهم، يعظكم بهذه لعلكم تذكرون. و أخبرك أنّى لو قلت لك: إنّ الفاحشة، و الخمر، و الميسر، و الزنا، و الميتة، و الدّم، و لحم الخنزير هو رجل، و أنا أعلم أنّ الله قد حرّم هذا الأصل و حرّم فرعه و نهى عنه، و جعل ولايته كمن عبد من دون الله و ثنا و شركا، و من دعا الى عبادة نفسه فهو كفرعون إذ قال: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى «١» فهذا كلّ على وجه إن شئت قلت: هو رجل و هو الى جهنّم و من شايعه على ذلك فإنهم مثل قول الله: إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ «٢» لصدقت، ثمّ إنّى لو قلت: إنّ فلان ذلك كلّ لصدقت: إنّ فلانا هو المعبود المتعدى حدود الله التى نهى أن يتعدى.

ثمّ إنّى أخبرك إنّ الدين و أصل الدين هو رجل، و ذلك الرجل هو اليقين، و هو الإيمان، و هو إمام أمته و أهل زمانه، فمن عرفه عرف الله و دينه، و من أنكره أنكره الله و دينه، و من جهله جهل الله و دينه، و لا يعرف الله و دينه و حدوده و شرائعه بغير ذلك الإمام، كذلك جرى بأن معرفة الرجال دين الله «٣».

و المعرفة على وجهين: معرفة ثابتة على بصيرة يعرف بها دين الله، و يوصل بها الى معرفة الله، فهذه المعرفة الباطنة الثابتة الموجبة حقّها المستوجب

(١) النازعات: ٢٤.

(٢) البقرة: ١٧٣.

(٣) فى نسخة: «فذلك معنى أنّ معرفة الرجال دين الله». تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٥

أهلها عليها الشكر لله التى منّ عليهم بها منّ من الله يمنّ به على من يشاء، مع المعرفة الظاهرة، فأهل المعرفة فى الظاهر الذين علموا أمرنا بالحقّ على غير علم لا يلحق بأهل المعرفة فى الباطن عن بصيرتهم، و لا يصلوا بتلك المعرفة المقصورة إلى حقّ معرفة الله كما قال فى كتابه: وَ لَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ «١».

فمن شهد شهادة الحقّ لا يعقد عليه قلبه و لا يبصر ما يتكلّم به لا يثاب عليه مثل ثواب من عقد قلبه و ثبت على بصيرة، و كذلك من تكلم بجور لا يعقد عليه قلبه لا يعاقب عليه عقوبة من عقد عليه قلبه و ثبت، فقد عرفت كيف كان حال رجال أهل المعرفة فى الظاهر و الإقرار بالحقّ على غير علم فى قديم الدهر و حديثه إلى أن انتهى الأمر إلى نبيّ الله، و بعده إلى من صاروا؟ إلى من انتهت إلى معرفتهم، و إنّما عرفوا بمعرفة أعمالهم و دينهم الذى دان الله به المحسن بإحسانه و المسىء بإسائه، و قد يقال: إنّ من دخل فى هذا الأمر بغير يقين و لا بصيرة خرج منه كما دخل فيه، رزقنا الله و إياك معرفة ثابتة على بصيرة.

و أخبرك أنّى لو قلت: إنّ الصلاة و الزكاة و صوم شهر رمضان، و الحجّ و العمرة، و المسجد الحرام، و البيت الحرام، و المشعر الحرام، و الطهور، و الاغتسال من الجنابة، و كل فريضة كان ذلك هو النبيّ الذى جاء به من عند ربّه لصدقت، لأنّ ذلك كلّ إنّما يعرف بالنبيّ، و لو لا معرفة ذلك النبيّ و الإيمان به و التسليم له ما عرف ذلك، فذلك منّ الله على من يمنّ عليه، و لو لا ذلك لم يعرف

(١) الزخرف: ٨٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٦

شيئا من هذا، فهذا كله ذلك النبي صلى الله عليه وآله، وأصله وفرعه، وهو دعاني إليه، ودلني عليه، وعرفني به، وأمرني به، وأوجب عليّ له الطاعة فيما أمرني به لا يسعني جهله، وكيف يسعني جهل من هو فيما بيني وبين الله، وكيف يستقيم لي لو لا أنني أصف أن ديني هو الذي أتاني به ذلك النبي، أن أصف أن الدين غيره؟ وكيف لا يكون ذلك معرفة الرجل، وإنما هو الذي جاء به من عند الله ... إلى أن قال: فالله تبارك وتعالى إنما أحب أن يعرف بالرجال، وأن يطاع بطاعتهم، فجعلهم سبيله، ووجهه الذي يؤتى منه، لا يقبل الله من العباد غير ذلك، لا يسئل عمّا يفعل وهم يسألون، فقال فيما أوجب من محبته لذلك: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿١﴾.

فمن قال لك: إن هذه الفرائض كلها إنما هي رجل، وهو يعرف حد ما يتكلم به فقد صدق، ومن قال على الصفة التي ذكرت بغير الطاعة فلا يغني التمسك بالأصل بترك الفرع، كما لا تغني شهادة أن لا إله إلا الله بترك شهادة أن محمداً رسول الله. ولم يبعث الله نبياً قط إلا بالبز والعدل، والمكارم، ومحاسن الأخلاق، والنهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فالباطن منه ولاية أهل الباطل، والظاهر منه فروعهم، ولم يبعث الله نبياً قط يدعو إلى معرفة ليس معها طاعة في أمر أو نهى، وإنما يقبل الله من العباد العمل بالفرائض التي افترضها الله على حدودها مع معرفة من جاءهم به من عنده ودعاهم إليه ... الخبر بطوله «٢».

(١) النساء: ٨٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٤ ص ٢٨٦- ص ٢٩٨ نقلا عن البصائر ص ١٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٧

رابعها: ما تبه عليه بعض «١» الأعلام في هذا المقام. وهو أن أحكام الله سبحانه إنما تجرى على الحقائق الكلية والمقامات النوعية دون خصائص الأفراد والآحاد، فحيثما خوطب قوم بخطاب أو نسب إليهم فعل دخل في ذلك الخطاب وذلك الفعل عند العلماء وأولى الأبواب كل من كان من سنخ أولئك القوم وطينتهم، فصفوة الله تعالى حيثما خوطبوا بمكرمة أو نسبوا إلى أنفسهم مكرمة يشمل ذلك كل من كان من سنخهم وطينتهم من الأنبياء والأولياء، وكل من كان من المقربين إلا مكرمة خصوا بها دون غيرهم، وكذلك إذا خوطبت شيعتهم بخير أو نسب إليهم خير أو خوطب أعدائهم بسوء، ونسب إليهم سوء يدخل في الأول كل من كان من سنخ شيعتهم وطينة محبيهم، وفي الثاني كل من كان من سنخ أعدائهم وطينة مبغضهم من الأولين والآخرين، وذلك لأن كل من أحبه الله ورسوله أحبه كل مؤمن من ابتداء الخلق إلى انتهائه، وكل من أبغضه الله ورسوله أبغضه كل مؤمن، كذلك هو يبغض كل من أحبه الله تعالى ورسوله، فكل مؤمن في العالم قديما أو حديثا إلى يوم القيامة فهو من شيعتهم ومحبيهم، وكل جاحد في العالم قديما أو حديثا إلى يوم القيامة فهو من مخالفيهم ومبغضهم.

وقد وردت الإشارة إلى ذلك في كلام الصادق عليه السلام في حديث المفضل بن عمر، وهو الذي

رواه الصدوق طاب ثراه في كتاب «علل الشرائع» بإسناده إلى المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بما صار عليّ أبي طالب عليه السلام قسيم الجنة والنار؟ قال: لأن حبه إيمان وبغضه كفر، وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان

(١) هو الشيخ الأجل العالم الرباني والفاضل الصمداني محمد محسن الفيض الكاشاني المتوفى سنة (١٠٩١ هـ) ومرقده معروف في

كاشان موئل للزائرين والعاكفين وما تبه عليه في «تفسير الصافي» المقدمة الثالثة. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٨

و خلقت النار لأهل الكفر، فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلة، والجنة لا يدخلها إلا أهل محبته، والنار لا يدخلها إلا أهل



بغضه، قال المفضل: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبونه وأعداؤهم يبغضونه؟ فقال: نعم، قلت: فكيف ذلك؟ قال: أما علمت أن النبي صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر: لا عطينَ الرّايةَ غدا رجلا يحب الله تعالى ورسوله ويحبه الله ورسوله، ما يرجع حتى يفتح الله على يده؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أوتى بالطير المشوى قال: اللهم ائني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، و عنى به علينا؟ قلت:

بلى، قال: يجوز أن لا يحبّ أنبياء الله ورسله وأوصيائهم عليهم السّلام رجلا يحبه الله ورسوله، ويحبّ الله ورسوله؟ فقلت: لا، قال: فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أممهم لا يحبّون حبيب الله وحبّيب رسوله صلى الله عليه وآله وأنبيائه؟ قلت: لا، قال: فقد ثبت أن جميع أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعليّ بن أبي طالب عليه السّلام محبّين، و ثبت أن المخالفين لهم كانوا له لجميع أهل محبّته مبغضين، قلت: نعم، قال:

فلا يدخل الجنّة إلا من أحبّه من الأوّلين والآخريين، فهو إذن قسيم الجنّة والنار، قال المفضل: فقلت له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فرجّت عنّي فرج الله عنك فزدني ممّا علمك الله تعالى، فقال: سل يا مفضل، فقلت: أسأل يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله، فعليّ بن أبي طالب عليه السّلام يدخل محبّه الجنّة ومبغضه النار أو رضوان ومالك؟ فقال: يا مفضل أما علمت أن الله تبارك وتعالى بعث رسوله وهو روح الى الأنبياء عليهم السّلام وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفى عام؟ قلت: بلى قال: أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته، واتباع أمره، و وعدهم الجنّة على ذلك، و أوعد من خالف ما أجابوا إليه و أنكره النار؟ فقلت: بلى، قال عليه السّلام: أ فليس النبي ضامنا لما وعد و أوعد عن ربّه عزّ وجلّ؟ قلت: بلى، قال عليه السّلام: أو ليس على بن أبي طالب عليه السّلام خليفته وإمام أمته؟ قلت: بلى، قال عليه السّلام: أو ليس رضوان ومالك من جملة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٩

الملائكة المستغفرين لشيعته الناجين بمحبّته؟ قلت: بلى، قال عليه السّلام: فعليّ بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه إذن قسيم الجنّة والنار عن رسول الله صلى الله عليه وآله و رضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى، يا مفضل خذ هذا فإنه من مخزون العلم ومكنونه لا تخرجه إلا إلى أهله (١).

أقول: أن مجرّد السنخية والنوعية وإن أفاد شمول الخطابات وعموم الأحكام بعد مساعدة ما يدلّ على عموم الموضوع تنزيلا أو تأويلا إلا أنه لا يقضى باختصاص القرآن بهم وبشيعتهم وأعدائهم إلا مع ملاحظة الأصالة التبعية حسبما سمعت فيما استفدناه من الأخبار، وإلا فكلّ الناس في ذلك شرع سوء، فأين الإختصاص، وعلى كلّ حال فالأخبار متواترة على نزول القرآن فيهم وفي شيعتهم وفي أعدائهم، بل هذا الأمر كان مشهورا عند المؤلف والمخالف.

ففى الاحتجاج عن سليم بن قيس قال: قدم معاوية بن أبى سفيان حاجا فى خلافته فاستقبله أهل المدينة، فنظر فإذا الذين استقبلوه ما منهم قرشى فلما نزل قال: ما فعلت الأنصار وما بالهم لم يستقبلونى؟

فقيل لهم: إنهم محتاجون ليس لهم دواب، فقال معاوية: و أين نواضحهم؟

فقال قيس «٢» بن سعد بن عبادة، و كان سيّد الأنصار و ابن سيدها: أفنوها يوم بدر و أحد و ما بعدهما من مشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله حين ضربوك و أباك على الإسلام

(١) تفسير الصافي ج ١ ص ١٥ المقدمة الثالثة عن علل الشرائع ص ٦٥- بحار الأنوار ج ٣٩ ص ١٩٤ عن العلل.

(٢) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصارى الخزرجى المدنى صحابى من دهاة العرب و أجوادهم، كان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله و آله بمنزلة الشرطى من الأمير، و كان من أطول الناس و أجملهم، هرب من معاوية سنة (٥٨)، و سكن تفلّيس فمات بها سنة (٦٠)، الاعلام ج ١٦/٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٠

حتى ظهر أمر الله و هم كارهون.

ثم إن معاوية مرّ بحلقه من قريش فلما رأوه قاموا غير عبد الله ابن عباس، فقال له: يا بن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلّا لموجده أتي قاتلتكم بصفين فلا تجد من ذلك يا ابن عباس فإن ابن عمي عثمان قتل مظلوما، قال ابن عباس: فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوما، قال: إن عمر قتله كافر، قال ابن عباس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتله المسلمون، قال: فذلك أذحض لحجتك.

قال: فإننا قد كتبنا في الآفاق نهى عن ذكر مناقب عليّ و أهل بيته فكفّ لسانك، فقال: يا معاوية أتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا، قال: أفتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم، قال: فنقرأ و لا نسأل عمّا عنى الله به، ثم قال: فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به، قال: كيف العمل به و لا نعلم ما عنى الله؟

قال: سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله أنت و أهل بيتك، قال: إنّما أنزل القرآن على أهل بيتي أسأل عنه آل أبي سفيان؟ يا معاوية أتنهانا أن نعبد الله تعالى بالقرآن بما فيه من حلال و حرام فإن لم تسأل الأئمة عن ذلك حتى تعلم تهلك و تختلف، قال: اقرأوا القرآن و تأولوه و لا ترووا شيئا ممّا أنزل الله فيكم و ارووا ما سوى ذلك، قال: فإن الله تعالى يقول في القرآن: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ يُأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ «١» قال: يا ابن عباس اربع «٢» على نفسك و كفّ لسانك، و إن كنت لا بدّ فاعلا فليكن ذلك سزا لا يسمعه أحد علانية، ثم رجع إلى بيته، فبعث إليه بمائة ألف درهم، و نادى منادى معاوية: أن برئت الذمّة ممّن يروى حديثا من مناقب عليّ و فضل أهل

(١) التوبة: ٣٢.

(٢) اربع عليك أو على نفسك أو على ضلعك: اى توقّف.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣١

بيته عليهم السلام ... الخبر بطوله «١».

و رواه سليم بن قيس فى كتابه بوجه أبسط، و فيه: أنّه قال ابن عباس: إنّما أنزل القرآن على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان، و آل أبي معيط، و اليهود، و النصرى، و المجوس، قال: فقد عدلتنى بهؤلاء، قال: لعمرى ما أعدلك بهم إلّا إذا نهيت الأئمة أن يعبدوا الله بالقرآن بما فيه من أمر أو نهى، أو حلال أو حرام، أو ناسخ أو منسوخ، أو عامّ أو خاصّ، أو محكم أو متشابه، و إن لم تسأل الأئمة عن ذلك هلكوا و اختلفوا و تاهوا «٢».

خامسها: أنّ لمولانا أمير المؤمنين و ذريته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فى كتاب الله أسماء شريفة و ألقابها منيفة كما أشير إلى بعض منها فى الأخبار المتقدمة.

و

فى «المناقب» مسندا عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: و خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام بالكوفة عند منصرفه من النهروان، و بلغه أنّ معاوية يسبه و يعيبه و يقتل أصحابه فقام خطيبا فحمد الله و أثنى عليه، و صلّى على رسول الله صلّى الله عليه و آله، و ذكر ما أنعم الله تعالى على نبيه و عليه، ثم قال: لو لا آية فى كتاب الله تعالى ما ذكرت ما أنا ذاكره فى مقامى هذا، يقول الله عزّ و جلّ: وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ «٣» اللهم لك الحمد على نعمك التى لا تحصى، و فضلك الذى لا ينسى، يا أيها التّياس إنّه بلغنى ما بلغنى، و إنى قد أرانى قد اقترب أجلى، و كأتى بكم و قد جهلتم أمرى، و إنى تارك فيكم ما تركه رسول الله: كتاب الله و عترتى، و هى عتره الهادى النّجاة: خاتم الأنبياء، و سيد النّجباء، و النّبى

(١) الإحتجاج للطبرسى ج ٢ ص ١٥ ط النجف الأشرف.

(٢) الإحتجاج للطبرسى ج ٢ ص ١٥ ط النجف الأشرف.

(٣) الضحى: ١١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٢

المصطفى، يا أيها الناس لعلكم لا تسمعون فانثلا يقول مثل قولى بعدى إلاً مفتر، أنا أخو رسول الله، وابن عمه، و سيف نغمته، و عماد نصرته و بأسه و شدته، أنا رحي جهنم الدائرة، و أضراسها الطاحنة، أنا مؤتم البنين و البنات، أنا قابض الأرواح، و بأس الله اللمدى لا يرده عن القوم المجرمين، أنا مجدل الأبطال، و قاتل الفرسان، و مييد من كفر بالرحمن، و صهر خير الأنام، أنا سيد الأوصياء، و وصي خير الأنبياء، أنا باب مدينة العلم، و خازن علم رسول الله و وارثه، أنا زوج البتول سيده نساء العالمين، فاطمة التقية النقية الزكية البرة المهديّة حبيبة حبيب الله، و خير بناته و سلالته، و ريحانة رسول الله، سبطاه خير الأسباط، و ولداى خير الأولاد، هل أحد ينكر ما أقول؟

أين مسلموا أهل الكتاب؟ أنا اسمى فى الإنجيل ألياً، و فى التوراة برياً، و فى الزبور أدي، و عند الهند كبرك، و عند الروم بطريا و عند الفرس جيت، و عند الترك بثير، و عند الزنج حيت، و عند الكهنة بوى، و عند الحبشة بشريك، و عند أمى حيدرة، و عند ظئرى «١» الميمون، و عند العرب على، و عند الأرمين فريق و عند أبى ظهير، ألا- و إئى مخصوص فى القرآن بأسماء احذروا أن تغلبوا عليها فتضلوا فى دينكم، يقول الله عز و جل: «إن الله مع الصادقين» «٢».

و أنا المؤذن فى الدنيا و الآخرة، قال الله عز و جل: فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ «٣» أنا ذلك المؤذن، و قال:

(١) الظئر (بكسر الظاء): العاطفة على ولد غيرها- المرضعة لولد غيرها.

(٢) ليست هذه الجملة بعينها فى القرآن و لكن مفادها يستفاد من سورة البقرة الآية (١٧٧) و الآية (١٩٤).

(٣) الأعراف: ٤٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٣

وَ أَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ «١».

و أنا المحسن يقول الله عز و جل: إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ «٢» و أنا ذو القلب يقول الله: إِنَّ فِي ذَلِكَ لِدِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ «٣» و أنا الذّاكر يقول الله:

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ «٤».

و نحن أصحاب الأعراف: أنا و عمى، و أخى، و ابن عمى، و الله فالق الحبّ و النوى لا- يلج النار لنا محبّ، و لا يدخل الجنة لنا مبغض، يقول الله عز و جل:

وَعَلَىٰ الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ «٥».

و أنا الصهر، يقول الله عز و جل: وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَ صِهْرًا «٦».

و أنا الاذن الواعية، يقول الله عز و جل: وَ تَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعِيَةٌ «٧».

و انا السلم لرسول الله صلى الله عليه و آله، يقول الله عز و جل: وَ رَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ «٨».

و من ولدى مهدي هذه الامية، ألا- و قد جعلت محتكم، ببغضى يعرف المنافقون، و بمحتى امتحن الله المؤمنين، هذا عهد النبى الامى: «ألا إنه لا يحبك

(١) التوبة: ٣.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) ق: ٣٦.

(٤) آل عمران: ١٨٨.

(٥) الأعراف: ٤٤.

(٦) الفرقان: ٥٦.

(٧) الحاقّة: ١٢.

(٨) الزمر: ٣٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٤

إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»، و أنا صاحب لواء رسول الله صلّى الله عليه وآله في الدّنيا والآخرة، و رسول الله فرطى، و أنا فرط شيعتى، و الله لا- عطش محبى، و لا- خاف وليى، أنا وليّ المؤمنين، و الله وليى، حسب محبى أن يحبوا ما أحبّ الله، و حسب مبغضى أن يبغضوا ما أحبّ الله، ألا و إنّه بلغنى أنّ معاوية سبّنى و لعنى، أللهمّ اشدّد وطأتك عليه و أنزل اللّعة على المستحقّ، آمين ربّ العالمين، ربّ إسماعيل، و باعث إبراهيم إنك حميد مجيد».

ثمّ نزل عليه السّلام عن أعوده فما عاد إليها حتّى قتله ابن ملجم لعنه الله.

قال جابر «١»: سنأتى على تأويل ما ذكرنا من أسمائه:

أمّا قوله: انا اسمى فى الإنجيل «أليا» فهو علىّ بلسان العرب.

و فى التوراة «برىء» قال: برىء من الشرك.

و عند الكهنه «بوىء» هو من تبوء مكانا، و بؤا غيره مكانا، و هو الذى يبوء الحقّ منزله، و يبطل الباطل و يفسده.

و فى الزبور «أدى» و هو السبع الذى يدقّ العظم و يفرس اللحم.

و عند الهند «كبكر» قال: يقرءون فى كتب عندهم فيها ذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله، و ذكر فيها أن ناصره «كبكر» و هو الذى

إذا أراد شيئا لّج فيه و لم يفارقه حتّى يبلغه.

و عند الزوم «بطريسا» قال: مختلس الأرواح.

(١) هو جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى أبو عبد الله التابعى، واسع الرواية غزير العلم، و توفى بالكوفة سنة (١٢٨ هـ) - الأعلام ج ٢ / ٩٣.

٩٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٥

و عند الفرس «حبترو» و هو البازى الذى يصطاد.

و عند الترك «بشير» قال: هو النمر الذى إذا وضع مخله فى شيء هتكه.

و عند الزنج «حيترو» قال: و هو الذى يقطع الأوصال.

و عند الحبشة «بشريك» قال: هو المدمر على كلّ شيء، أتى عليه.

و عند أمى «حيدرة» قال: هو الحازم الرأى، الخبير النّقاب «١» النّظار فى دقائق الأشياء.

و عند ظئرى «ميمون»، قال جابر: أخبرنى محمّد بن على عليهما السّلام قال: كانت ظئر على عليه السّلام التى أرضعته امرأة من بنى

هلال، خلفته فى خبائها «٢»، و معه أخ له من الرضاعة، و كان أكبر منه سنّا بسنة إلّا أياما، و كان عند الخباء قلب، فمرّ الصبى نحو

القلب و نكس رأسه فيه فحبا «٣» علىّ عليه السّلام خلفه، فتعلّقت رجله بطنب الخيمة، فجرتّ الحبل حتّى أتى على أخيه، فتعلّق بإحدى

رجليه بيده و إحدى يديه بفيه، فجاءته أمّه و أدركته فنادت يا للحمى يا للحمى من غلام ميمون أمسك على ولدى، فأخذوا الطفل

من عند رأس القلب، و هم يعجبون من قوته على صباه و لتعلّق رجله بالطنب و لجرّه الطفل حتّى أدركوه فسّمته أمّه ميمونا أى مباركا

فكان الغلام فى بنى هلال يعرف بمعلّق ميمون و ولده إلى اليوم.

و عند الأزمن «فريق» قال: الفريق: الجسور الذى يهباه الناس.

و عند أبى «ظهير» قال: كان أبوه يجمع ولده و ولد إخوته ثم يأمرهم

(١) النقب: النافذ فى الأمور و الذى يبالغ فى البحث عنها.

(٢) الخباء (بكسر الخاء) ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر للمسكن.

(٣) حبا: الولد: زحف على يديه و بطنه. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٦

بالصيراع و ذلك خلق فى العرب. و كان على عليه السلام يحسر عن ساعدين له غليظين قصيرين و هو طفل، ثم يصارع كبار إخوته و صغارهم و كبار بنى عمه و صغارهم فيصرعهم، فيقول أبوه: ظهر على فسّمى ظهيرا.

و عند العرب على، قال جابر: اختلف الناس من أهل المعرفة لم سمى على عليا، فقالت طائفة: لم يسم أحد من ولد آدم قبله بهذا الاسم فى العرب و لا فى العجم، إلا أن يكون الرجل من العرب يقول: ابني هذا على يريد من العلوّ لأنه اسمه، و إنما تسمى الناس به بعده و فى وقته.

و قالت طائفة: سمى على عليا لعلوه على كل من بارزه.

و قالت طائفة: سمى على عليا لأن داره فى الجنان تعلق حتى تحاذى منازل الأنبياء، و ليس نبى تعلق منزلته منزلة على.

و قالت طائفة: سمى على عليا لأنه علا ظهر رسول الله صلى الله عليه و آله بقدميه طاعة الله عزّ و جلّ. و لم يعل أحد على ظهر نبى غيره عند حطّ الأصنام من سطح الكعبة.

و قالت طائفة: سمى على عليا لأنه زوج فى أعلى السماوات. و لم يزوج أحد من خلق الله عزّ و جلّ فى ذلك الموضع غيره.

و قالت طائفة: إنما سمى على عليا لأنه كان أعلى الناس علما بعد رسول الله صلى الله عليه و آله «١»

(١) معانى الأخبار ص ٥٨-٦٣- بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٤٥-٤٨ عن المعانى، و المؤلف نقله عن المناقب و الظاهر أن مراده

«المناقب» لابن شهر آشوب، و لكن ما وجدته فيه، نعم الأسماء المذكورة موجودة فى القصيدة المذهبة لأبى محمد طلحة بن عبيد الله العونى المصرى المتوفى حدود (٣٥٠) ه مع تفاوت يسير و نقل بعضها فى «المناقب» و أذكر القصيدة تيمنا و تبركا: وسائل عن العلى

الشانى هل نصّ فيه الله بالقرآن تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٧

بأنه الوصىّ دون ثان لأحمد المطهر العدنانى

فاذكر لنا نصّا به جليّا أجبت يكفى (خم) بالخصوص

من آية التبليغ بالمخصوص و جملة الأخبار و النصوص

غير الذى انتاشت يد اللصوص و كتّمته ترتضى أميا

أما سمعت يا بعيد الذهن ما قاله أحمد كالمهتّى

أنت كهارون لموسى متى إذ قال موسى لأخيه اخلفنى

فاسألهم لم خالفوا الوصيّا أما سمعت خبر المباهلة

أما علمت أنّها مفاضلة بين الورى فهل رأى من عادلة

فى الفضل عند ربّه و قابلهو لم يكن قرّبّه نجيا

أما سمعت أنا أوصاهو كان ذا فقر كما تراه

فخصّ بالدين الذى يراه فإن عداه و هو ما عداه

غادر دينا لم يكن مرعياً فقال: هل من آية تدلّ  
على على الطهر لا تعلّ بحيث فيها الطهر يستقلّ  
تدنيه للفضل فيقصي كلّ و يغتدى من دونه مقصياً  
فقلت إنّ الله جلّ قلا إذ شرف الآباء و الأنسالا  
و آل إبراهيم فازوا إلّا إنّنا وهبنا لهم إفضالا  
لسان صدق منهم علياً فكان إبراهيم ربانياً  
ثم رسولا منذراً رضيائهم خليلاً صفوة صفياً  
ثم إماماً هادياً مهدياً و كان عند ربّه مرضياً  
فعندها قال: «و من ذريّتي» قال له: لا لن ينال رحمتي  
و عهدي الظالم من بريتي أبت لملكى ذاك و وحدائتي  
سبحانه لا زال وحدائتي  
تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٨

فالمصطفى الأمر فينا التّاهي و عادم الأمثال و الأشباه

فالفعل منه و المقال الزاهي لم يصدر إلا بأمر الله  
لم يتقول أبداً فرياً إن كان غير ناطق عن الهوى  
إلّا بأمر مبرم من ذى القربى فكيف أقصاهم و أدنى المجتوى  
إذن لقد ضلّ ضلالاً و غوى و لم يكن حاشاً له غويّاً  
لكنّما الأقسام فى السقيفة قد نصبوا برأيهم خليفة  
و كان فى شغل و فى وظيفة من غسل تلك الدرّة النظيفة  
و حزنه الذى له تهيّأ حتى إذا قضى الخليفة انتخب  
من عقد الأمر له بين العرب ثم قضى و اختار منهم من أحبّ  
و إن تكن شورى فللشورى سبب إذ كان ذا ترتيبه مقصياً  
ثم قضى ثالثهم فانشالوا له الرجال تتبع الرجال  
فلم تسع غير القبول الحال فقام و الرضا به محال  
إذ كان كلّ يتمنى شيئاً فغاضبت أولهم ذات الجمل  
و قام معها الرجال فى العمل فردّهم سيف القضاء و فصل  
و لم يكن قد سبق السيف العذل فقد تأتى حربهم ملياً  
و غاضب الثانى لأمر سالف فاجتاحه بذى الفقار القاصف  
و أصبح الناصر كالمخالف إذ شكت الرّماح بالمصاحف  
و أخذ الانحدار و الرقياو كان أن يرّد للتسليم  
إذ ردّ للاحبش فى الهزيم فأعمل الحيلة فى التحكيم  
بأمر شيطانهم الرّجيم ففى الرعاة حكّم الرّعيّاً  
فلم يجد للكفّ من مناص و أخذ التحكيم بالنواصي

فجاء أهل الشام بابن العاص فاحتال فيها حيلة القناص تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٩  
 غرّ أبا موسى الأشعري أقام أبو موسى فويق المنبر

وقال: إنني خالغ بحيدر كما خلعت خاتمي من خنصر  
 ثم جعلتها لنجل عمريا عمر و قم أنت اخلع الشاميا  
 فقال عمرو: أيها الناس اشهدوا أن خلع الذي له يعتمد  
 ثم اسمعوا قولي و لا تردّوا به فإني لابن هند أعقد  
 فاتخذوه مذهبا عمريا فما ترى أنت بهذي الحال  
 من المقال و من الأفعال لا تدخل المفتاح في الأقفال  
 تفتح عن الاضغان و الأذحال و ما يكون في الحشا مطويا  
 إنّ علينا عند أهل العلم أول من سمى بهذا الاسم  
 قد ناله من ربه في الحكم على يدي أخيه و ابن الفم  
 و حيا قديم الفضل عد عليا و هو الذي سمى في التوراة  
 عند أولى هاد من الهداة بالنص و التصريح في البراءة  
 برغم من سيئ من العداة من كلّ عيب في الوري برينا  
 و هو الذي يعرف عند الكهنة إذ جمعوا التوراة في الممتحنة  
 فأخذوا من كل شيء أحسنه و هم لتوراة الكليم خزنة  
 ليورد الحقّ لهم بويّاو هو الذي يعرف في الإنجيل  
 برتبة الإعظام و التبجيل و ميزة الغرة و التحجيل  
 و فوزه الرقيب للمجيل و كان يدعى عندهم أليا  
 و هو الذي يعرف بالزبور زبور داود حليف النور  
 و ذى العلا و العلم المنشور في اسم الهزبر الأسد الهصور  
 ليث الوغا اعنى به أرياو هو الذي تدعوه ما بين الوري  
 أكابر الهند و أشياخ القرى  
 تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٠

ذو و العلوم منهم بكنكر الأنة كان عظيما خطرا

و كنكر كان له سمياو هو الذي يعرف عند الروم  
 ببطرس القوّة و العلوم و صاحب السرّ لها المكتوم  
 و مالك المنطوق و المفهوم و من يكن ذا يدع بطرسيا  
 و هو الذي يعرف عند الفرس لدى التعاليم و عند الدرس  
 بغرسنا و ذاك اسم قدسى معناه قابض بكلّ نفس  
 كما دعوه عندهم بارياو هو الذي يعرف عند الترك  
 تيرا و ذاك مشبه المحكّ و أنّه يرفع كلّ شكّ  
 عن كلّ حاك قوله و محكى إذا عرفت المنطق التركيا

و هو الذى يدعونه فى الحبش بترىك أى مدبر لا يختشى  
 لقدرة به و بطش مدهش و ينعونه بأقوى قرشى  
 فاسئل به من يعرف الحبشياو هو الذى يعرف عند الزنج  
 بحبنى أى مهلك و منجى و قاطع الطريق فى المحجج  
 إلاً ياذن فى سلوك النهج فإن أردت فاسأل الزنجيا  
 و هو فريق بلسان الأرمن فاروقه الحق لكل مؤمن  
 تعرفه اعلامهم فى الزمن فاسأل به ان كنت ممن يعتنى  
 تحقيقه من كان أرمنياو هو الذى سمته تلك الجوهره  
 إذ ولدت فى الكعبة المطهرة و خرجت به فقال الجمهوره  
 من ذا؟ فقالت: هو شبلى حيدرته ولدته مطهرا قدسيا  
 هذا و قد لقبه ظهيرا أبوه إذ شاهده صغيرا  
 يصرع من إخوانه الكبير امشمرأ عن ساعد تشهيرا  
 و كان عبلا فتلا قويا  
 تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤١

و لقبته ظنره ميمونا إذ رأت السعد به مقرونا

فكان درآ عندها مكنونا يحمى أخوا رضاعه المنونا  
 ثم يدر ثديها الأبيتاو اسم أخيه فى بنى هلال  
 معلق الميمون بالحبال يذكره فى سمر الليالى  
 رجالهم فاسمع من الرجال موهبه خصص بها صيبا  
 و الاسم عند الله فى العلى على و هو الصحيح و الصريح و الجلى  
 اشتقه من اسمه فى الأزل كمثل ما اشتق لخير الرسل  
 و منح النبى و الوصياو اتفقت آراء أهل العلم  
 على اسمه من دون معنى الاسم فاختلفت فى قصده و الفهم  
 له و كل لم يطش بسهم إذ قد أصاب الغرض المرقيا  
 فقام قوم: قد علا برازا أقرانه و ابتزها ابتازا  
 فما رآه القرن إلا انحازوا كان دونا سافلا فامتازا  
 فهو على إذ علا العدياو قال قوم: قد علا مكانا  
 متن النبى و رمى الأوثانا إذ لم يطق حمل نبى كانا  
 من ثقل الوحي حكى ثهلانا فنال منه المنزل العليا  
 و قال فرقة على الدارفى جنه الخلد مع المختار  
 علاه ذو العرش على الأبرارفى روضة تزهو و فى أنهار  
 فنال منه المرتضى العلوياو قال فرقة علاهم علما  
 فكان أفضاهم لذاك حكماو من الى القضاء قد تسمى



يكون أعلى رفعة و أسمى فوال ذاك العالم السميّا  
 ودع تأويل الكتاب و الخبر و خذ بما بان لديك و ظهر  
 قد خاطب الله به خير البشر ليفهموا الأحكام في بادي النظر تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٢  
 و يعرفوا النبيّ و الوصيا و استمسكن بالعروة الوثقى التي

لم تنفصم عنه و لم تنفلت تمش على الصراط لم تلتفت  
 في قدم رأس و قلب مثبت حتى تجوز سالما سويا  
 إلى جنان الخلد في أعلى الرتب إذ ينشئ كل امرء مع من أحبّ  
 موهبة مّمن له الشكر و جب فهو أبرّ خالق و خير ربّ  
 عزّ و جلّ ملكا قويا يا ربّ عبدك الذي غمرته  
 بالفضل و الإنعام مذ صيّرتة و قد عصى جهلا و قد أمرته  
 إن تاب فالذنب له غفرته قد تبت فاغفر ذنبي العديّا  
 يا ربّ ما لي عمل سوى الولا لا حمد و آله أهل العلا  
 صنو الرسول و الوصي المبتلا و فاطم و الحسنين في الملاء  
 غزا تزين العرش و الكرسيّ ثم عليّ و ابنه محمّد  
 و جعفر الصدق و موسى المهتدي ثم عليّ و الجواد الأجود  
 محمّد ثم عليّ الأجدو الحسن الذي جلا المهديّا  
 فأعطني بهم جمال الدنيا و راحة القبر زمان البقيا  
 و الأمن و الستر بحشر المحيا و الرى من كوثر أهل السقيا  
 و الحشر معهم في العلى سويا يا طلع إن تختم بهذا في العمل  
 لم يدن منك فرع و لا وجل و أنت طلع الخير إن جاء الأجل  
 بالأجر من ربّ الورى عزّ و جلّ كفى برّبى راحما كفيّا  
 الغدير ج ٤ ص ١٥٦ - ١٦١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٣

## الباب العاشر

### إشارة

في اعجاز القرآن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٥

لا-ريب في كون القرآن معجزة من معجزات سيّد الأنام عليه و على آله أفضل الصلاة و السلام، باقية على مّر الدهور و الأعوام و  
 الشهور و الأيام، و إنّما الكلام في جهة إعجازه و كفيّته، فاختلفوا فيه على أقوال:  
 أحدها: أنّه معجز بفصاحته، ذهب إليه كثير من المتكلمين، و اختاره الجبائيان «١»، و الرازى، و المحكّي عن الفاضل العلّامة أعلى الله  
 مقامه ذلك في «المناهج» و هو الظاهر منه في كتابه «نهج المسترشدين» و يظهر أيضا من علماء المعاني و البيان حيث ذكروا أنّ من

فوائده كشف الأستار عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن.

و لا ينافيه ما ذكره بعضهم من أن مدرك الأعجاز هو الذوق ليس إلّا، سيّما بعد تصريحهم بأنّ وجه الإعجاز أمر من جنس الفصاحة و البلاغة، نعم عن بعضهم أنّه لا علم بعد علم الأصول اكشف للقناع عن وجه الإعجاز من هذين العلمين، وفيه إيماء إلى أنّ من وجوه الإعجاز أيضا عنده اشتماله على العلوم الحقيقيّة و المعارف الربانيّة.

(١) الجبائيان: هما أبو علي محمد بن عبد الوهاب كان من الأئمّة المعترلة و رئيس علماء الكلام في عصره، ولد في جبّا (خوزستان) و اشتهر في البصرة، و توفي فيه سنة (٣٠٣) هـ تنسب إليه الطائفة الجبائية، و ابنه أبو هاشم عبد السلام ابن محمّد، هو أيضا من كبار المعترلة نسب إليه الطائفة البهشميّة، تعلّم على أبيه، و توفي ببغداد سنة (٣٢١) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٦

ثانيها: إعجازه من حيث الأسلوب و عنوانه الفنّ و الضرب.

ثالثها: ما ذهب إليه الجويني «١» من أنّه معجز بفصاحته و أسلوبه معا، قال:

لأنّ كلّ واحد منهما غير متعذر على العرب، لأنّه وجد في كلامهم ما هو بفصاحته و ليس مثل أسلوبه، و كلام مسيلم «٢» كأسلوبه و ليس كفصاحته، و أمّا مجموعهما فغير مقدور للخلق.

رابعها: ما يحكى عن الشيخ كمال الدين «٣» ميثم البحراني من أنّه معجز بأمر ثلاثه معا: فصاحته، و أسلوبه، و اشتماله على العلوم الشريفة من علم التوحيد و السلوك الى الله تعالى، و تهذيب الأخلاق، فإنّ الفصاحة خاصّة قد وجدت في كلام العرب، و الأسلوب و إن أمكن عند التكلف، لكن اجتماعه مع الفصاحة نادر، لأنّ تكلف الأسلوب مذهب بالفصاحة، و أمّا العلوم الشريفة فلم يوجد لها عين و لا أثر إلّا ما يوجد في كلام قسّ بن «٤» ساعده و أضرابه ممّن وقف على الكتب الإلهيّة نقلا من غيره. و الحاصل أن كلامهم يوجد فيه ما يناسب بعض القرآن في الفصاحة و هو في مناسبه له في أسلوبه أبعده، و أمّا في العلوم المذكورة فأشدّ بعدا.

خامسها: أنّه خلّوه من التناقض كما أشار إليه سبحانه بقوله:

(١) الظاهر أنّ المراد به هو عبد الملك بن عبد الله أبو المعالي الفقيه الشافعي توفي سنة (٤٧٨ هـ) نيسابور.

(٢) هو أبو ثمامة مسيلم بن حبيب اليمامي ادّعى النبوة قبل الهجرة و سمي بمسيلم الكذاب و حاربه المسلمون و قتله الوحشي سنة (١٣) هـ.

(٣) هو كمال الدين ميثم بن عليّ بن ميثم البحراني الفقيه الحكيم له تصانيف منها «شرح نهج البلاغة» توفي به سنة (٦٨١) هـ.

(٤) قسّ بن ساعده الإيادي من معدّ بن عدنان. قيل: إنّه عمّر (٧٠٠) سنة و هو أوّل من تألّه و تعبد من العرب، و قد أدرك النبي صلّى الله عليه و آله و سمعه و مات قبل البعثة - بلوغ الأرب ج ٢ ص ٢٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٧

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا «١». تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ص ٢٤٩

سادسها: إنّه من جهة اشتماله على الغيوب، و الإخبار عن الكائنات قبل وقوعها.

سابعها: ما يحكى عن السيّد المرتضى «٢» رضی الله عنه، و النّظام «٣» من العامّة و ربما يحكى أيضا عن الأستاذ أبي إسحاق «٤» من الأشاعرة، و كثير من المعترلة و هو الصرفة، بمعنى أنّ الله تعالى صرف الناس عن معارضته.

قيل: و هذا يحتمل أمورا ثلاثة:

الأول: أنه تعالى سلبهم القدرة.

الثاني: أنه سبحانه سلبهم الدّاعية و همم المتحدين عن معارضته مع قدرتهم عليه.

الثالث: أنه سلبهم العلوم التي كانوا يتمكنون بها من المعارضة، وربما يقال: إن مختار السيد هو الأخير.

ثامنها: التوقف في ذلك كما يحكى عن سيد «٥» الدين سالم عزيزة، وربما

(١) النساء: ٨٢.

(٢) هو الشريف المرتضى على بن الحسين فقيه الشيعة في عصره، ولد في بغداد سنة (٣٥٥) و توفي بها سنة (٤٣٦).

(٣) هو إبراهيم سيار المتكلم المعتزلي البصرى توفي ببغداد سنة (٢٣١) هـ.

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابو إسحاق الاسفرائنى المتوفى (٤١٨) - الاعلام ج ١ / ٥٩.

(٥) هو سيد الدين سالم بن شمس الدين محفوظ بن عزيزة بن وشاح السوراني الحلّي كان من الفقهاء المتكلمين في القرن السابع له

التبصرة و المنهاج في الكلام قرأ عليه السيد رضى الدين على بن طاوس

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٨

يؤمى اليه كلام الوحيد «١» في «التجريد» حيث قال: و إعجاز القرآن، قيل:

لفصاحته، و قيل: لاسلوبه و فصاحته، و قيل: للصرفة، و الكلّ محتمل، إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة.

لكنه لا يخفى عليك أن الاختلاف في ذلك غير قادح في الإعجاز الذى اتفق عليه جميع أهل الإسلام، بل كافة الأنام من الخواص و

العوام، حيث إنه من الضروريات القطعية المعلومة لجميع أهل الفرق و الأديان أن نبينا خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله قد ادعى النبوة

العامة الخاتمية على فترة من الرسل و انقطاع من الوحي، و ضلالة من الأمم، و جهالة في أهل العالم، و اندراس لجملة العلوم و الحكم،

فجاءهم بهذا القرآن الهادى للتي هي أقوم، هدى من الضلالة، و رشدا من العمى و الجهالة، و نورا من الظلمة، و ضياء عن الغياهب

«٢» المدلهمة، و استبصارا لكافة الأمية، و كشفا للغمة، ساطعا تبيانه، قاطعا برهانه، قرأنا عربيا غير ذى عوج، داعيا إلى خير مقصد و

منهج، مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية، محتويا على أكثر مما اشتملت عليه من العلوم الحقة و المعارف الإلهية، معجزا سائرا

دائرا، باقيا على مّر الدهور، متجليا منه أنوار الحقائق تجلّى النور من الطور، أفحم به من تصدى لمعارضته من العرب العرباء، و أبكم به

من تحدّى من مصاقع الخطباء الفصحاء الذين هم كانوا أمراء الكلام، و بلغاء الأنام، فلم يظهر منهم إلّا الضعف و الفتور، مع ما كان

يتلو عليهم من الآيات الحاكمة عليهم بالعجز و القصور مثل قوله تعالى:

المتوفى (٦٦٤)، طبقات أعلام الشيعة ج ٣ / ٧١.

(١) المقصود به هو الخراجة نصير الدين الطوسى المتوفى (٦٧٢).

(٢) الغياهب جمع الغيب و هى الظلمة، و المدلهمة من ادلهم الليل اى اشتد سواده.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٩

وَ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَ اذْعُوا شُهَدَاءَ كُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ \* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ

تَفْعَلُوا ...

الآية «١»، و قوله تعالى: و ما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله و لكن تصديقا لذي بين يديه و تفصيلا للكتاب لا ريب فيه من

رب العالمين \* أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله و ادعوا من اشدتعتهم من دون الله إن كُنتُمْ صَادِقِينَ «٢»، و قوله تعالى: أم يقولون

افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من اشدتعتهم من دون الله إن كُنتُمْ صَادِقِينَ \* فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ

اللَّهُ وَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ «٣»، وقوله تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «٤».

فعجزوا عن معارضته ببلغ الكلام حتى اختاروا الخصام بالنبال و السهام، و قصروا عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه فالتجأوا إلى قبول جراحة السنان للقصور عن فصاحة اللسان.

و لم يعهد من واحد منهم في ذلك الزمان و لا في غيره من الأزمان إلى هذا الأوان معارضته بمثل أقصر سورة منه مع وقوع التحدى و الإخبار عن عجز الجميع عن الإتيان به كما في الآيات المتقدمة، و توفر الدواعى على المعارضة و المناقضة، و تراكم الأسباب الدينيّة و الدنيويّة على المغالبة و المنافسة.

(١) البقرة: ٢٣-٢٤.

(٢) يونس: ٣٧-٣٨.

(٣) هود: ١٢-١٤.

(٤) الإسراء: ٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٠

و هذا غاية الإعجاز للكلام بلا فرق بين تسليم اشتماله على مراتب الفصاحة و البلاغة، و الأسرار الحكيمية و الآداب الإلهية و عدمه، فإنّ إعجازه على الأول ظاهر، و كونه خارقا للعادة معجزا لجميع البشر باهر، و كذا على الثانى أى على فرض عدم التسليم بأنّ إعجازه للفصاحة، بل للصرفة أيضا ظاهر، بل لعله أظهر، إذ سلب القدرة عن آحاد الناس عمّا كانوا يقدرون عليه و استمرار ذلك السلب فى حال حياة السالب و بعدها الى أبد الدهر أعجب و أغرب من إظهار القدرة على ما لا يقدرون عليه.

ألا ترى أنّه لو ادعى أحد النبوة و قال: إنّ معجزتى المشى على الماء، و ادعاها آخر و قال: إنّ معجزتى سلب قدرة الناس عن المشى على الأرض لكانا مشتركين فى خرق العادة، بل لعلّ الثانى أعظم قدرا و أجلّ خطرا لكونه تصرفا فى الغير، سيّما مع عمومته و شموله لجميع آحاد النوع، خصوصا مع استمراره مدّة حياته و بعد وفاته.

و بالجملة كون القرآن معجزا أمر بديهى لا شك فيه و لا شبهة يعتريه، سيّما مع الإخبار فيه فى كمال القوّة و الاطمئنان بمحضر و منظر من فصحاء آل عدنان و بلغاء قحطان بأنّه لئن اجتمعت الإنس و الجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا «١» مع أنّهم قد ادّعوا له بكمال الفصاحة و البلاغة و أعظموا أمره حتّى نسبوه الى السحر كما حكى عنهم فيه بقوله: و قالوا إنّ هذا إلا سحر مبين «٢»، و

قد ورد فى تفسير قوله تعالى:

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) الصافات: ١٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥١

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً «١»: إنّها نزلت فى الوليد «٢» بن المغيرة و كان شيخا كبيرا مجرّبا من دهاء العرب، و كان من المستهزئين برسول الله صلّى الله عليه و آله، و كان النبى صلّى الله عليه و آله يجلس فى الحجر و يقرأ القرآن، فاجتمعت قريش الى الوليد و قالوا: يا أبا عبد شمس ما هذا الذى يقول محمد صلّى الله عليه و آله أشعر هو أم كهانة أم خطب؟ فقال:

دعوني أسمع كلامه، فدننى من رسول الله صلّى الله عليه و آله و قال: يا محمّد أنشدنى من شعرك، قال صلّى الله عليه و آله: ما هو بشعر، و لكنّه كلام الله الذى ارتضاه الملائكة- و أنبيأؤه و رسله، فقال: أتلى علىّ منه شيئا، فقرأ عليه رسول الله صلّى الله عليه و آله:

(حم، تنزيل) السجدة فلما بلغ قوله: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ «٣» فاقشعرّ الوليد وقامت كلّ شعرة في رأسه ولحيته ومّر الى بيته ولم يرجع الى قريش من ذلك، فمشوا الى أبي جهل وقالوا: يا أبا الحكم إن أبا عبد شمس صبا إلى دين محمّد صلّى الله عليه وآله، أما تراه لم يرجع إلينا، فغدا أبو جهل الى الوليد وقال له: يا عمّ نكست رؤسنا وفضحتنا وأشمت بنا عدونا، وصبوت إلى دين محمّد صلّى الله عليه وآله، فقال: ما صبوت الى دينه ولكني سمعت كلاما صعبا تقشعرّ منه الجلود، فقال أبو جهل: أخطب هو؟ قال: لا، الخطب كلام متصل وهذا كلام منثور، ولا يشبه بعضه بعضا، قال: أفشعر هو؟ قال: لا، أما إنني لقد سمعت أشعار العرب بسيطها، ومديها، ورملها، ورجها، وما هو بشعر، قال: فما هو؟ قال: أفكر فيه، فلما كان من الغد قال له: يا أبا عبد شمس ما تقول فيما قلناه؟ قال: قولوا: هو سحر، فإنه أخذ بقلوب الناس، فأنزل الله على رسوله في ذلك

(١) المدثر: ١١.

(٢) الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابو عبد الشمس المخزومي من زنادقة العرب، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر (١ هـ) - الاعلام ج ٩ / ١٤٤.

(٣) فصلت: ١٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٢

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا «١».

وإنما سمى وحيدا لأنه قال لقريش: أنا أتوحد بكسوة البيت سنه، و عليكم في جماعتكم سنه، و كان له مال كثير و حداثق، و كان له عشر بنين بمكّه، و كان له شعر عبيد عند كلّ عبد ألف دينار يتجر بها، فأنزل الله تعالى:

ذَرْنِي إِلَى قَوْلِهِ: إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قَاتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ «٢»، «٣»

و

في خبر آخر: أن الوليد قال لبنى مخزوم: والله لقد سمعت من محمّد صلّى الله عليه وآله أنفا كلاما ما هو من كلام الإنس و الجنّ، إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة «٤»، و إن أعلاه لمثمر، و إن أسفله لمغدق «٥»، و إنّه ليعلو و لا- يعلى، فقال قريش: صبا «٦» الوليد، فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعده إليه حزينا، و كلمه بما أحماه، فقام و ناداهم فقال: تزعمون أن محمّدا صلّى الله عليه وآله مجنون، فهل رأيتموه يخفق؟

و تقولون: إنّه كاهن، فهل رأيتموه يتكهن؟ و تزعمون أنّه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا؟ فقالوا: لا، فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرّق بين المرء و أهله و ولده و مواليه؟ ففرحوا به و تفرّقوا مستعجبين منه «٧».

(١) المدثر: ١١.

(٢) المدثر: ١١-٢٤.

(٣) بحار الأنوار ج ٩ ص ٢٤٥ عن تفسير القمي ص ٧٠٢.

(٤) الطلاوة بتثليث الطاء: الحسن و البهجة.

(٥) أغدقت الأرض: أخصبت.

(٦) صبا: أي خرج من دين الى دين آخر.

(٧) بحار الأنوار ج ٩ ص ١٦٧- مجمع البيان ج ٥ ص ٣٨٧ بتفاوت يسير.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٣

وفي «مجمع البيان»: يروى أن كَفَّار قريش أرادوا أن يتعاطوا معارضة القرآن، فعكفوا على لباب البر، و لحوم الضأن، و سلاف الخمر أربعين يوماً لتصفوا أذهانهم، فلما أخذوا فيما أرادوا و اسمعوا قوله تعالى: وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ (١)، فقال بعضهم لبعض: هذا كلام لا يشبهه شيء من الكلام، و لا يشبهه كلام المخلوقين، و تركوا ما أخذوا فيه و افرقوا (٢).

و  
في «الإحتجاج» عن هشام بن الحكم (٣)، قال: اجتمع ابن أبي العوجاء (٤)، و أبو شاعر الديصاني، و عبد الملك البصري، و ابن المقفع (٥) عند بيت الله الحرام يستهزءون بالحاج و يطعنون على القرآن، فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا ينقض كل واحد منّا ربع القرآن، و ميعادنا من قابل في هذا الموضوع تجتمع فيه و قد نقضنا القرآن كله، فإنّ في نقض القرآن إبطال نبوة محمد صلى الله عليه و آله و في إبطال نبوته إبطال الإسلام، و إثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك و افرقوا، فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام. فقال ابن أبي العوجاء: أما أنا فمتفكر منذ افرقنا في هذه الآية:

(١) هود: ٤٤.

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص ١٦٥ ط صيدا.

(٣) هو هشام بن الحكم أبو محمد الشيباني بالولاء الكوفي كان من أصحاب الامام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام نشأ بواسط و سكن بغداد و صنف كتباً في الكلام و في الرد على المخالفين، توفي حدود سنة (١٩٠) هـ - انظر الاعلام ج ٩ / ٨٢.

(٤) هو عبد الكريم بن أبي العوجاء كان من الزنادقة و كان خال معن بن زائدة الشيباني قتل حدود سنة (١٥٣) قتل محمد بن سليمان بن علي العباسي الحاكم بالكوفة - الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٣٨.

(٥) هو عبد الله بن المقفع من أكابر الكتاب ولد في العراق مجوسياً سنة (١٠٦) و أسلم على يد عيسى ابن عم السفاح و ولي كتابه الديوان للمنصب العباسي، و اتهم بالزندقة فقتله أمير البصرة سفيان المهلبى سنة (١٤٢) - الاعلام ج ٤ / ٢٨٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٤

فَلَمَّا اسْتَيْسَؤُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا (١) فما أقدر أن أضمر إليها في فصاحتها و جمع معانيها فشغلتنى هذه الآية عن التفكير فيما سواها. و قال عبد الملك: و أنا منذ فارقتكم متفكر في هذه الآية: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ (٢) و لم أقدر بمثلها.

فقال أبو شاعر: و أنا منذ فارقتكم متفكر في هذه الآية: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا (٣) و لم أقدر على الإتيان بمثلها. فقال ابن المقفع: يا قوم إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، و أنا منذ فارقتكم متفكر في هذه الآية: وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي (٤) لم أبلغ غاية المعرفة بها، و لم أقدر على الإتيان بمثلها.

قال هشام بن الحكم: فيناهم في ذلك إذ مرّ بهم جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام فقال: قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٥).

فنظر القوم بعضهم إلى بعض و قالوا: لئن كان للإسلام حقيقته لما انتهت وصيته محمد صلى الله عليه و آله إلا إلى جعفر بن محمد صلى الله عليه و آله، و الله ما رأينا قط إلا هبناه

(١) يوسف: ٨٠.

(٢) الحج: ٧٣.

(٣) الأنبياء: ٢٣.

(٤) هود: ٤٤.

(٥) الإسراء: ٤٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٥

و اقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرقوا مقرين بالعجز «١».

إن قلت: إن الاختلاف في تعيين الوجه في الإعجاز قادح في أصله، نظرا إلى أن الدعوة عامة إلى كافة الناس، فلا بد أن تكون المعجزة عامة واضحة بحيث يفهمها الناس كافة، ولا يشك فيها أحد منهم و إن أنكرها بلسانه، و الاختلاف في ذلك ينبى عن اختفاء كل من الوجوه الظاهرة لكل من المختلفين عن الآخرين، حيث إن كل واحد منهم منكر لما يشبهه الآخرون من وجوه الإعجاز، و كل من هذه الوجوه المختلفة فيها قابل للإنكار لعدم القطع بتحقيقه، و عدم الاتفاق عليه.

بل و من هنا يظهر عدم الاتفاق على اعجاز القرآن في الجملة، لأن كلا من الفرق يعلل جهة الإعجاز بما ينكره الآخر. فالجواب أنه مجرد الاختلاف في ذلك لا يقتضى الشك في الإعجاز بعد الاتفاق عليه، بل لعل الاختلاف إنما نشأ من فهم كل منهم غير ما فهمه الآخر لعجزه عن ذلك، أو لأنه ليس من أهله، و ليست تلك الوجوه مانعة الجمع كى يمنع تحقق كل منها من الآخر، بل يمكن تصويب كل منهم من جهة فهمه، كما لو اتفق جماعة على إكرام زيد غير أن واحدا منهم يكرمه لعلمه، و آخر يكرمه لعدالته، و ثالث يكرمه لسخائه، و رابع يكرمه لشجاعته، و كل هذه الأوصاف ظاهرة للكُل ظهور البعض للبعض، فلا مانع من كونه مجمعا لها، على أنه ليس المقصود إثبات جامعيتها عند الجميع بل الاتفاق على وجوب الإكرام و هو حاصل بتصديق كل فرقة منهم بصفه من تلك الصفات، و لو مع فرض التضاد بين الجهات، كالصيرفة و غيرها لرجوعهما إلى الإثبات و النفي، فإن الاتفاق على ما هو المراد دافع

(١) الإحتجاج: ٢٠٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٦

للإيراد، و من البين أن الجهات التعليية لا- توجب اختلافا أو تغايرا فيما علل بها، لأنها علل و كواشف، و معرفات لا- يتقيد بها المطلوب.

فان قلت: إن الجهات في المقام تقيديّة ترجع الى اختلاف الأحكام تبعا لاختلاف الموضوعات كما في المثال المذكور، إذ توجب الفرقة الأولى إكرام العالم، و الثانية إكرام العادل، و الثالثة إكرام السخي، و هكذا، و الاتفاق في مثله متف جدا، و لذا لم يعتبروا به في باب الإجماع أيضا.

قلت: لا ريب في أن المقصود في المقام إعجاز القرآن، و هو حكم خاص في موضع خاص و إن اختلفت علله إثباتا و نفيًا أو جميعا و استقصاء، و هذا لا يقتضى اختلاف الموضوع، و ذلك لأنه ليس الكلام في أن نوعا خاصا خارقا للعادة من الفصاحة و البلاغة أو من البيانات المشتملة على الآداب و الحكم، أو الصرفة، أو غير ذلك معجزة أم لا، فإن الخارق من كل شىء معجزة بشرطها، بل الكلام في إثبات إعجاز القرآن و لو بأى وجه كان و هذا مما اطبقوا عليه.

فإن قلت: مجرد الاختلاف في ذلك مما يقدح في الإطباق على الإعجاز لعدم حصول الإطباق على شىء من تلك الجهات بل لعله ربما يتوهم أن الاتفاق الحاصل على اعجازه إنما وقع بمجرد التعيد و التقليد و الأخذ من غير دليل و لذا اختلفوا في وجهه حتى ذهبوا فيه كل مذهب حسبما سمعت، و هذا مما يقدح في الإعجاز.

قلت: نمنع من تحقق القدح فيه بمجرد الاختلاف، كيف و مراتب الناس و استعداداتهم مختلفة و بحسبها تختلف أنظارهم و مقاصدهم، و من كمال المعجزة اشتمالها على جهات عديدة ظاهرة و خفية، و التوهم المذكور في السؤال مما لا ينبغى الإصغاء إليه بعد وقوع التحدى به على لسان النبى صلى الله عليه و آله، بل في آيات كثيرة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٧

تتلى على المصانع الخطباء في كل صباح و مساء.

و كيف كان فالحق أن إعجاز القرآن ليس من جهة واحدة بل هو من جهات كثيرة و إن اختص أدراك بعضها البعض:

منها: ما سمعت من الفصاحة العجيبة و البلاغة الغريبة التي أذعن لها جميع فصحاء العرب و بلغاء محافل الأدب مع كمال حرصهم و اجتهادهم على معارضته و مناقضته، حتى أنهم قد أفحموا عند سماع قوله تعالى: **قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ و أَبْكُمْوا من نداء قُلْ فَأَتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ** بل كانوا عموما عن ذلك و صموا و إن بذلوا جهدهم في ذلك و هموا.

و توهم أنه لعلهم قد عارضوه بما لم يصل إلينا، مدفوع بأنه لو كان لبان، سيما مع توفر الدواعي و اجتماع الهمم على نقل الأمور العجيبة و الشؤون الغريبة خصوصا في مثل هذا الأمر الذي جمعوا فيه متفرقات ما صدر عنهم في مقام المعارضة حسبما سمعت سابقا، و لا يخفى عليك توفر الدواعي على نقل القصائد و الخطب و الأشعار و الأمثال الفصيحة من الجاهلية و الإسلام و قد لفق مسيلمة الكذاب جملة من المزخرفات و الاضحوكات قد بقيت حكايتها إلى الآن كقوله: و الزارعات زرعاً، فالطاحنات طحنا، و العاجنات عجنا، و الطابخات طبخا، و قوله الآخر: الفيل، ما الفيل، و ما أدريك ما الفيل، له ذنب و ثيل و خرطوم طويل.

فإن قلت: لعلهم قد عارضوه بما قد ذهب من البين بعد ظهر شوكة الإسلام، و تبدل المعارضة بالكلام بالمجادلة بالسيوف و السهام. قلت: بعد تسليم ذهابه من بين المسلمين فلا ريب في توفر الدواعي على بقائه بين الكفار من أهل الكتاب و غيرهم، سيما اليهود الذين هم أشد الناس

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٨

عداوة للمؤمنين، مضافا إلى ظهور وجود أهل اللسان في كل زمان و أوان بكل مكان، و اتفاق الجميع بحصول الإعجاز بحيث لم يظهر إلى الآن المعارضة من فصحاء نجد، و اليمن، و العراق، و الحجاز.

و منها: نظمه العجيب و أسلوبه الغريب الذي لا يشبه شيئا من أساليب الكلام للعرب العرباء، و لا صنفا من صنوف تركيبات مصانع الخطباء، و لا فنا من فنون توصيفات بلغاء الأدباء، بحيث تنادى كل جزء منه من الآيات و السور: ما يشبه نقد الكلام البشر، و لذا لما عجز الوليد عن معارضته، قال: **إِنْ هَذَا إِلَّا سَيْحٌ يُؤْتَرُ** مع شيوخ الفصاحة و غلبتها في ذلك الزمان، بل ربما يظهر من بعض الأخبار، و يؤيده الاعتبار أن الأولى في معجزة كل نبي أن تكون من سنخ الصنعة الغالبة على أهل زمانه.

كما

روى في «العلل» و «العيون» و «الاحتجاج» عن ابن السكيت (١) أنه قال لأبي الحسن الرضا عليه السلام: لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بيده البيضاء و العصاء، و آله السحر، و بعث الله عيسى عليه السلام بالطب، و بعث الله محمدا صلى الله عليه و آله بالكلام و الخطب، فقال له أبو الحسن عليه السلام: إن الله تبارك و تعالى لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله عز و جل بما لم يكن في وسع القوم مثله و بما أبطل به سحرهم، و أثبت به الحجج عليهم، و أن الله تبارك و تعالى بعث عيسى عليه السلام في وقت ظهرت فيه الزمانات، و احتاج الناس إلى الطب فأتاهم من عند الله عز و جل بما لم يكن عندهم مثله و بما أحيى لهم الموتى، و أبرأ الأكمه

(١) ابن السكيت: يعقوب أبو يوسف كان من أكابر اللغويين من الامامية ولد في بغداد سنة (١٨٦ هـ) أدرك الامام الرضا عليه السلام و استفاد منه في أبان شبابه، و اتصل بالمتوكل العباسي و جعله المتوكل من ندمائه ثم قتله لتشييعه سنة (٢٤٤ هـ) - الاعلام ج ٩ ص ٢٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٩

و الأبرص بإذن الله، و اثبت به الحجج عليهم، و إن الله تبارك و تعالى بعث محمدا صلى الله عليه و آله في وقت كان الأغلب على



عصره الخطب والكلام- وأظنه قال:

والشعر، فاتاهم من كتاب الله و مواعظه و أحكامه بما أبطل به قولهم و أثبت الحجّة عليهم.

فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثل اليوم قط، فما الحجية على الخلق اليوم؟ فقال عليه السلام: العقل تعرف به الصادق على الله فتصدقه، و الكاذب على الله فتكذبه، فقال ابن السكيت: هذا و الله الجواب «١».

و بالجملة غرابة الأسلوب مما أذعن به الجميع، و لذا حكى فى بعض التفاسير عن أبى عبيدة «٢»: أن أعرابيا سمع قول الله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ فَخَرَّ سَاجِدًا فِي الْحَالِ، فَقِيلَ لَهُ: أَسَجَدْتَ لِلَّهِ تَعَالَى وَ آمَنْتَ بِهِ؟ فَقَالَ: لَا بَلْ سَجَدْتُ لِفَصَاحَةِ هَذَا الْكَلَامِ.

ثم إن الأولى عدّ هذين الوجهين سببا واحدا للعلم بالإعجاز، و لذا تعرّضنا لما يتعلّق بكلّ منهما فى الآخر.

و أما ما يحكى عن القائلين بالصرفة فى إبطال القول بالفصاحة من أن الإعجاز لو كان مستندا إليها لكان إما من حيث ألفاظه المفردة أو من حيث الهيئة التركيبية، أو منهما معا، و الأقسام الثلاثة بأسرها باطلة، فاعجازه بسبب الفصاحة باطل، فيكون للصرفة، إذ ما عداها من الأقوال ضعيفة، و إنما قلنا إن الأقسام باطلة لأنّ العرب كانوا قادرين على المفردات و على التراكيب، و من

(١) أصول الكافي ج ١ ص ٢٤- بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٢٠.

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوى البصرى ولد سنة (١٠٦ هـ) و توفى سنة (٢٠٣ هـ)- الاعلام ج ٨ ص ١٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٠

كان قادرا عليهما منفردين يكون قادرا عليهما معا، فثبت من ذلك أن العرب كانوا قادرين على المعارضة و إنما منعوا منها، ليكون المنع هو العجز.

ففيه أولا- أن فساد الأقسام لا- يقضى بتعيين القول بالصرفة لأنّ بطلان غيرها ليس بيّن و لا مبيّن، بل الحقّ صحتها أيضا فى الجملة حسبما يفصل الكلام فيها، سيّما اشتماله على الاخبار بالمغيبات و غيرها مما يأتى.

و ثانيا إن ما ذكره من قدرة العرب على المفردات و على التراكيب. إن كان المراد قدرتهم جميعا أو بعضهم على جميع أفراد النوعين حتّى الكلام البليغ الفصيح الذى هو فى نهاية الفصاحة و البلاغة فتطرّق المنع اليه، واضح جدّا، كيف و من البيّن أنه أوّل الكلام، بل الضرورة قاضية بأنّ الطائفة المشترّكين فى لغة واحدة من اللغات ليسوا بمتساويين فى الاقتدار على المفردات الفصيحة و مركباتها و لا على أداء الكلام مطابقا لمقتضى الحال على نحو واحد، فضلا من أن يشركوا فى القدرة على المرتبة العليا التى يعجز عنها القوى البشرية.

و إن كان المراد قدرتهم على معرفة اللغات العربية و تركيبها فى الجملة، فمع تسليمه لا يجدى، ضرورة أن مجرد معرفة اللغات لا يستلزم القدرة على التعبير عن المعانى بالألفاظ الجامعة لوصفى الفصاحة و البلاغة، و بالجملة فالفرق واضح بين العلم باللغات و الألفاظ المفردة و كفيته التركيب و بين ملكة إنشاء الكلام جامعا للوصفين. هذا.

مضافا إلى أن القائل بالصرفة إن أراد سلب الداعية فمن البيّن نحققها، سيّما بالنسبة إلى الذين شروا عن ساق الجدّ للمعارضة. و إن أراد سلب العلم أو القدرة فمن المفروض تسليم القائل بالصرفة قدرتهم المستلزمة للعلم أيضا.

أللهمّ إلّا أن يقال: إنّ ما هو المسلّم فى كلامه إنّما هو القدرة لا عند

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦١

المعارضة، و أمّا عندها فهى أو العلم مسلوّبة.

و الحاصل أنّه مع عدم إرادة المعارضة فالمنتفى هو الداعى، و مع ارادتها فأحد الأمرين فالصرفة متحقّقة دائما بأحد المعانى الثلاثة

على سبيل منع الخلوّ، وعلى هذا فكأنّه يعود النزاع لفظياً على بعض الوجوه فتأمل جيداً.

ثمّ إنّهُ ربّما يستدلّ للقول بالصرفة بأنّ الصّحابة عند جمع القرآن كانوا يتوقّفون في بعض السور والآيات حتى تتحقّق شهادة الثقات بل حكى عن ابن مسعود أنّه بقي متردداً في الفاتحة والمعوذتين، بل المحكّي عنه عدم عدّ المعوذتين من القرآن، ولو كان الإعجاز للفصاحة أو للأسلوب لكان يفهمه كلّ أحد.

ويمكن الجواب مع الغض عن إمكان عدم فهم البعض للفصاحة بحيث صار سبباً للاختلاف، ولذا نشأ القول بالصرفة ونحوها، بأنّ مجرد مثل تلك الفصاحة لا يستلزم القرآنية، فإنّها أعمّ مطلقاً، وهو لا يستلزم الأخصّ، ولذا لا يصدق حدّ القرآن على أدعيه الصحيحة السجادية وخطب «نهج البلاغة» وغيرهما، وإن قلنا بعجز الآخرين عن الإتيان بمثلهما، بل وكذا الأحاديث القدسيّة وآيات التوراة والإنجيل والزبور وغيرها ممّا نزلت من عنده سبحانه لا- للإعجاز والتعدي بها، وإن كان العجز حاصلًا معها، فليس مجرد حصول العجز من الأعراض الخاصّة بالقرآن، ولا من مقوماته الذاتية.

ومن هنا يظهر فساد إنكار غير الصرفة من وجوه الإعجاز، نعم ربّما احتجّ القائلون بالفصاحة على فساد القول بالصرفة بوجوه: أحدها أنّ الإعجاز لو كان للصرفة لكانوا قادرين على الإتيان بمثله قبل الصرفة، فإذا وجدت الصرفة وحصل المنع وجب أن يجدوا ذلك من أنفسهم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٢

ضرورة، لأنّا نعلم بالضرورة أنّ من كان له قدرة أو قدرة على شيء ثمّ سلبا عنه يجد ذلك من نفسه، ولو وجد وأسلم القدرة والعلم من أنفسهم لتحدّثوا به في مجالسهم، ولو تحدّثوا به لاشتهر وذاق، وتواتر وشاع، لأنّه من الأمور العجيبة التي تتوقّر الدواعي على نقلها وكلّ هذه المقدمات ضرورية، ولما لم يقع شيء من ذلك فكان القول بالصرفة باطلاً.

ثانيها: أنّه لو كان الإعجاز بسبب الصرفة لوجب أن يكون القرآن في غاية الركاكه، واللازم باطل فالملزوم مثله، بيان الملازمة أنّ منعهم عن معارضته على تقدير ركائه أبلغ في الإعجاز ممّا لو كان بالغا في الفصاحة وهو ضروري، وأمّا بطلان اللازم فظاهر فيبطل الملزوم وهو المطلوب.

ثالثها أنّ حصول الصّيرفة على فرضه إنّما هو بعد النبوة وتحقّق التحدّي، وأما قبله فلا صارف لهم عن الإتيان بمثله، والعادة تقضى بصدور مثله عنهم قبل ذلك، فلو كان الوجه هو الصرفة لكان لهم أن يعارضوه بعد التحدّي بما صدر عنهم قبله.

أقول: ويمكن الجواب عن الأوّل بأنّه لعلّهم كانوا يجدون ذلك من أنفسهم ويؤيّدونه أنّ من كان بصدد المعارضة مثل ابن أبي العوجاء، وغيره كانوا يزعمون أولاً قدرتهم على ذلك، ثم ظهر لهم عجزهم، أو تنصرف عن ذلك همهم، ولهذا هو الصرفة عندهم على ما سمعت، وعلّهم يريدون بها الصرفة الدائمة على أحد الوجوه لا على وجه التبدّل وحينئذ فتبطل الملازمة.

وعن الثاني بالمنع عن الاستلزام لمطلوبيّة الفصاحة نفسها، مع أنّ الركاكه في نفسها مانعة، والإعجاز يجب أن يكون على الوجه الأبلغ، سلّمنا لكنّ الأبلغ هو الاشتمال على وجوه الإعجاز.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٣

وعن الثالث بأنّ القائل بالصرفة لعلّه يلتزم بالمنع عن صدور مثله عنهم قبله أيضاً لذلك أو عن المعارضة به على فرض الصدور، هذا. لكنّه لا يخفى عليك أنّ القول بالصرفة بمكان من القصور لما مرّ ويأتي من الوجوه التي فيها الإعجاز من جهات شتى.

ومنها اشتماله على العلوم الحقيقيّة والمعارف الإلهيّة وأصول الحقائق وكشف الأسرار والدقائق بألفاظ فائقة رائعة مهذبة مختصرة في غاية الإيجاز، ونهاية الاختصار، بل لا- يخفى على من له خوض في العلوم العالية والحكمة المتعالية أنّ المقاصد التي أفنت الحكماء الفلاسفة الذين هم قدوة أرباب العقول أعمارهم فيها، ولم يصلوا بعد الرياضات الشديدة والمشاقّ الكثيرة إليها ربما أشرفت لوامع أنوارها من أفق بعض الآيات أو الكلمات على أفئدة بعض أرباب القلوب، بل ربما يفتح بالتأمل في كثير من الآيات أبواب العلم

بالغيوب، بل لعلك ترى كثيرا من المسائل التي صنفوا فيها الكتب والرسائل، وأكثرها فيها من ذكر الوجوه والدلائل ربما يمر عليك بأوضح تعبير وأيسر بيان في بعض آيات القرآن، بل ليس بشيء من الحقائق والأسرار إلا ولها أصل في كتاب الله ساطع الأنوار، وإن احتجبت بعض القلوب بغشاوة الأستار وظلمة الأكدار، مع كونه صلى الله عليه وآله قد نشأ في بلد لم يكن فيه عالم ولا حكيم، ولم يعهد من حاله أنه تلمذ على أحد أو سافر في صقع من الأصقاع لذلك.

ومنها اشتماله على قصص الأنبياء السالفين وأحوال المتمردة الماضين وجزئيات أحوالهم وأقوالهم وما جرى عليهم مع عدم قراءته صلى الله عليه وآله لشيء من كتبهم، ولا ملاقاته لأحد من علمائهم، حتى أن علماء اليهود وأخبار النصارى لم يقدرُوا على الإنكار عليه في شيء مما أخبر به عن الماضين، مع غاية حرصهم على ذلك واجتهادهم فيه، ولذا قيل:

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٤ لم يقترن بزمان وهو يخبرنا عن القرون وعن عاد وعن إرم

وقد قال أيضا: من وجوه الإعجاز اشتماله على الآداب القويمه والشرائع المستقيمه، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات مما فيه نظم إصلاح أحوال العباد ونظم سياسة البلاد، بحيث لو تأمل فيه العالم البصير لعلم أنه ليس إلما تنزيلا- من عليم خبير، ومن العوارض النفسانية لكثير من الناس عند قراءته واستماعه من المصيبة والخوف والخشية، والشوق والرقه والتوجه الى المبدء، والتذكر لأمر الآخرة، ودفع الحيرة، وانكشاف العلوم الغيبية والمعارف الربانية، وغير ذلك من الأطوار العجيبة والأحوال الغريبة المختصة به دون غيره من الكلمات والخطب والأشعار وغيرها، وإن اختلفت تلك الأحوال باختلاف الأشخاص والأزمان وغيرها.

ومنها الاستخارات المعجزة التي كأنها بقیة من الوحي الإلهي والإلهام حتى أنه ربما يستفاد مقصد المستخير وجوابه وعاقبته من الآية تصريحاً أو تلويحاً، بل كثيرا ما اتفق لهذا العبد المسكين، وغيرى من المسلمين الإخبار عن مقصد المستخير بمجرد التأمل في الآية، من دون علم سابق به، ومما يثول الأمر إليه في العاقبة، وهذا واضح لمن جرب ذلك.

ومنها اشتمال سوره وآياته وكلماته وحروفه على الأسرار العجيبة والخواص الغريبة من شفاء الأمراض والاعراض، ودفع العافات والعاهات والبلبات، واستجلاب الخيرات، وأداء الديون والغرامات، وغير ذلك مما سنشير الى جماعه منها في الباب الرابع عشر. ومنها انطباق كثير من الأسئلة والأجوبة الواقعة فيه على القواعد الجفرية التي هي من قواعد علم التفسير التي لم يطالع عليها إلا الواحدى من الناس، بل هو من علوم الأنبياء والأوصياء وخواص الأولياء.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٥

ولذا ترى أنك إذا علمت في قوله تعالى: مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿١﴾ بالقواعد التفسيرية يخرج الجواب: يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٢﴾.

وكذا إذا سألت بهذه العبارة: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يخرج الجواب: خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٣﴾، إلى غير ذلك مما لا يخفى على أهله.

ومنها اشتماله على الإخبار من الأمور الغائبة عن الحواس من الحوادث الكائنة والوقائع المستقبلية، وخطرات قلوب المنافقين، ومستجنات صدورهم وغير ذلك، وهي بكثرتها وإن اشتركت في إفادة الإعجاز، لكنها تنقسم إلى نوعين:

الأول أنه سبحانه أخبر في كثير من الآيات من أحوال المنافقين والكفار، وأقوالهم وأسرارهم وتناجيهم وخطرات قلوبهم ما يطالع عليها غيرهم، حتى إنهم بعد الإخبار ربما صدقوا به ولم يسع لهم إنكاره، وهذا النوع كثير في القرآن:

مثل ما أخبر عنه من أنهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ﴿٤﴾.

وقوله تعالى: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَا بِغُضِّهِمْ إِلَى بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴿٥﴾ أى أ تحدثونهم بما بينه الله لكم في كتابكم من العلم ببعث محمد صلى الله عليه وآله والبشارة به.

(١) يس: ٧٨.

(٢) يس: ٧٩.

(٣) زخرف: ٩.

(٤) البقرة: ١٤.

(٥) البقرة: ٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٦

ومثل ما أخبر عما وقع عن بعضهم من ملامسة النساء بقوله: عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ «١».

ومثل ما روى أنه تواطأ اثنا عشر رجلاً من أحبار يهود خيبر، وقرى عرينة «٢» وقال بعضهم لبعض: أدخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد و اكفروا به آخر النهار، و قولوا: إنا نظرنا في كتبنا و شاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك و ظهر لنا كذبه في بطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينه، وقالوا: إنهم أهل الكتاب، و هم أعلم به منا، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم، فنزلت: وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ «٣». «٤» و ما روى من أنهم كانوا ينالون «٥» من رسول الله صلى الله عليه و آله فأخبره به جبرئيل، فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كيلا يسمع إله محمد صلى الله عليه و آله فنزلت: وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «٦». «٧» و مثل ما أخبر عن بعضهم بقوله: وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ «٨».

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) عرينة (بضم العين المهملة): موضع ببلاد فزارة، و قيل: قرى بالمدينة- معجم البلدان ج ٤ ص ١١٥.

(٣) آل عمران: ٧٢.

(٤) مجمع البيان ج ٢ ص ١١٥.

(٥) نال منه: وقع فيه و شتمه و عابه.

(٦) الملك: ١٤.

(٧) مجمع البيان ج ٢ ص ١١٥.

(٨) النساء: ٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٧

و أخبر عن أصحاب العقبة أو غيرهم من المنافقين بقوله: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخْرِجُوا إِنِّي اللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَخْتَرُونَ وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أ بِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ «١»، الى غير ذلك من الآيات الكثيرة المشتملة على هذا النوع.

الثاني أنه سبحانه أخبر فيه عن كثير من الأمور المستقبلية التي لا يمكن الاطلاع عليها إلا من طرق الوحي و الإلهام مع مطابقتها للجميع لما وقع بعد الإخبار كالأخبار بذهاب اليهود و عدم انتقال الملك و السلطنة إليهم الى آخر الدهر، و قد تحقق صدقه لتفرقهم و ذلتهم في البلاد و ضرب الجزية عليهم و الاستخفاف بهم حتى ضربت بهم الأمثال كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيُبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ «٢».

وقوله تعالى: لَنْ يَصُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىً وَ إِن يُعَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ صُـرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدُّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَ بَأْسُ بَعْضٍ مِنَ اللَّهِ وَ صُـرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ «٣».

و الإخبار عن غلبته على الكفار مع فقد ما يدل على ذلك من الأمارات و الآثار سيما مع قلّة الأنصار، و انتشار الكفار في أطراف الأرض و بسيطها غاية الانتشار. و مع ذلك فقد أخبر بغلبة المسلمين عليهم على وجه الحتم و الجزم بقوله: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلِبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ «٤».

(١) التوبة: ٦٤-٦٥.

(٢) الأعراف: ١٦٧.

(٣) آل عمران: ١١٢.

(٤) آل عمران: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٨

حيث إنها نزلت في مشركي مكة يوم بدر مع ظهور أمارات الغلبة من العدة و العدة للمشركين، أو في اليهود حين استشعروا الضعف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله يوم أحد فنقضوا العهد.

و الاخير عن انهزام الكفار يوم بدر بقوله تعالى: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُؤْلَوْنَ الدُّبُرَ «١».

و عن غلبة الروم على فارس بقوله سبحانه الم غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَ عَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ... «٢».

و ذلك أنه غلبت فارس الروم، و ظهرت عليهم على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله، و فرحت بذلك كفار قريش، من حيث إن فارس لم يكونوا أهل كتاب مع أن كسرى خرق كتاب رسول الله صلى الله عليه و آله و أهان رسوله، و قيصر كان من النصارى، و قد كان أكرم و قبل كتابه، و كان بيت المقدس لأهل الروم كالكعبة للمسلمين، فدفعهم فارس منه، فساء ذلك المسلمين فكان المشركون بمكة يجادلون المسلمين، و يقولون: إن أهل الروم أهل كتاب و قد غلبهم الفرس، و أنتم تزعمون أنكم ستغلبون بالكتاب الذي أنزل إليكم على نبيكم، فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم، فنزلت الآية.

بل

ورد أن أبا بكر ناحب «٣» بعض المشركين قبل أن يحرم القمار على شيء

(١) القمر: ٤٥.

(٢) الروم: ٤.

(٣) ناحب مناقبة فلانا على كذا: راهنه، و الذي راهنه أبو بكر هو أبي بن خلف. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٩

إن لم تغلب فارس في سبع سنين، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: لم فعلت؟ فكل ما دون العشر بضع، فكان ظهور فارس على الروم في تسع سنين، ثم أظهر الله الروم على فارس زمن الحديبية، وفرح المسلمون بظهور أهل الكتاب «١».

و كالأخبار بأن المتخلفين عن غزوة تبوك لا- يقاتلون بعد ذلك معه أبدا، حيث أنزل الله سبحانه: فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا «٢» فكان كذلك.

و أن أبا لهب و غيره من أهل النار، لعدم إيمانهم به صلى الله عليه و آله أبدا، فكان كذلك كما قد أخبر عنه بقوله في أبي لهب: سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَ فِي امْرَأَتِهِ:

وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ «٣».

و في غيرها من المنافقين: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ «٤».

و أن المشركين الذين كانوا بصدد معارضة القرآن لا يقدرّون على ذلك أبداً، حيث عنى ذلك بقوله سبحانه: قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴿٥﴾.  
و قوله سبحانه: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴿٦﴾، وفيه الإعجاز من وجهين فلا تغفل.

(١) مجمع البيان ج ٥ ص ٨ مع تفاوت يسير في الألفاظ.

(٢) التوبة: ٨٣.

(٣) المسد: ٣-٤.

(٤) البقرة: ٦.

(٥) الإسراء: ٨٨.

(٦) البقرة: ٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٢٩٩

و أن العداوة و البغضاء قائمة بين اليهود و النصارى كما قال سبحانه:  
وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴿١﴾، أى الحرب للمسلمين.  
و

روى أنه لما فتح رسول الله صلى الله عليه و آله مكة، و وعد أمته ملك فارس و الروم قالت المنافقون و اليهود، هيهات من أين لمحيد ملك فارس و الروم، ألم يكفه المدينة و مكة حتى طمع في الروم و فارس؟! فنزل قوله تعالى: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ الْآيَةَ ﴿٢﴾.

و  
يقال: إنّها نزلت يوم حفر الخندق حين ظهرت صخرة مروة ﴿٣﴾ بيضاء كسرت معاولهم إلى أن أرسلوا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فأخبره بذلك- فهبط رسول الله صلى الله عليه و آله مع سلمان الخندق، و أخذ المعول من يد سلمان فضربها به ضربة صدعها ﴿٤﴾، و برق منها برق أضواء ما بين لابتها حتى لكانت مصباحا فى جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه و آله تكبيرة، و كبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه و آله عليه و آله تكبيرة، ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه و آله عليه و آله تكبيرة ففتح، و كبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه و آله عليه و آله تكبيرة فاضاء كذلك، و كبروا جميعا، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: ضربت ضربتي الاولى فبرق الذى رأيتم، أضاءت لى منها قصور الحيرة، و مدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب.

فأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها، و أضاءت فى الضربة الثانية قصور الحمير من أرض الروم، و أخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها، و أضاءت فى

(١) المائدة: ٦٤.

(٢) آل عمران: ٢٦.

(٣) المروة: واحدة المرو حجارة صلبة تعرف بالصوان.

(٤) صدع الشيء: شقه و لم يفترق. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧١

الثالثة قصور صنعاء و أخبر جبرئيل ظهور أمتي عليها فأبشروا، فاستبشر المسلمون، و قالوا: الحمد لله موعد صدق، وعدنا النصر بعد الحصر، فقال المنافقون: ألا تعجبون، يمنيكم و يعدكم الباطل، و يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيوة و مدائن كسرى، و أنها تفتح لكم، و أنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق، و لا- تستطيعون أن تبرزوا؟! فنزل قوله سبحانه: **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا** «١».

و أنزل الله في هذه القصة: **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ** «٢».

و كالأخبار بعود النبي صلى الله عليه و آله الى مكة بعد هجرته عنها بقوله تعالى: **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ** «٣». و المراد بالمعاد مكة المكرمة شرفها الله لعوده إليها، و ليس في الآية كما ترى شرط و لا استثناء.

و كوعده بملاقاة إحدى الطائفتين: **إِذَا عِيرَ «٤» قريش و صاحبها أبو سفيان، و إما النفير، و هو جيشها، فقال سبحانه: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ** يعني اما العير و إما النفير، **وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ** «٥»، و هو العير، و صاحبها أبو سفيان و يريد الله أن يحق بكلماته بإعزاز الإسلام و إهلاك وجوه قريش على أيديكم فكان كما أراد سبحانه.

(١) الأنفال: ٤٩.

(٢) آل عمران: ٢٦.

(٣) قصص: ٨٥.

(٤) العير: القافلة.

(٥) الأنفال: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧٢

و الإخبار بظهور دعوته و الغلبة على سائر الأديان بقوله تعالى: **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَنبُتَ نُورُهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** «١»، و قوله سبحانه: **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** «٢».

و الإخبار بدخول المسجد الحرام مع الأمن و الحلق و التقصير، فكان كما أخبر عنه بقوله تعالى: **لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ** «٣».

و التعليق بالمشيئة للتيمن و التبرك و الامثال.

و الإخبار عن مواعده عبد الله «٤» بن أبي و أصحابه بنى النضير، و عدم الرفاء بوعدة لهم بقوله تعالى: **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** \* لئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيَنَّ الْأُذْيَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ «٥».

و الإخبار عن غلبة أصحابه المؤمنين و استخلافهم في الأرض بقوله تعالى: **وَ عَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ...**

(١) التوبة: ٣٢.

(٢) التوبة: ٣٣.

(٣) الفتح: ٢٧.

(٤) هو عبد الله بن أبي بن مالك المشهور بابن سلول الخزاعي المدني رأس المنافقين في الإسلام أظهر الإسلام بعد قصة بدر تقاه،

مات سنة (٥٩هـ)، الاعلام ج ٤ ص ١٨٨.

(٥) الحشر: ١١-١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧٣

وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿١﴾.

و الإخبار عن قصة طلحة بن أبيرق و مكر المنافقين بقوله تعالى:

و الإخبار عن كذب المنافقين و قولهم بقوله سبحانه: لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴿٢﴾، و قوله تعالى: يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَ لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَ هُمُومًا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴿٣﴾. و قوله سبحانه: وَ لَيَخْلِفَنَّ إِنَّ أَرْدُنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤﴾.

و الإخبار عن انشقاق القمر بقوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انشَقَّ الْقَمَرُ وَ إِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٥﴾.

و هذا و إن كان بعد الوقوع إلا أنها قد تضمنت معجزة اخرى و هى الإنشقاق لا سبيل الى إنكاره بعد بقاء الإخبار به عن زمان الدعوة. و الإخبار عما تكتمه اليهود من أحكام التوراة كما قال سبحانه: يا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴿٦﴾ الى غير ذلك من الآيات التى تسمع تمام الكلام فيها فى مواضعها من هذا التفسير إنشاء الله تعالى.

و يعد أيضا من وجوه الإعجاز أنه على كمال فصاحته التى لا يدانيه فيها غيره قد اشتمل على أمور منافية للفصاحة فى غيره كملازمة الصدق و التجنب

(١) النور: ٥٥.

(٢) التوبة: ٩٤.

(٣) التوبة: ٧٤.

(٤) التوبة: ١٠٧.

(٥) القمر: ١.

(٦) المائدة: ١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧٤

عن الكذب و الإغراق فى جميع القرآن، فإن كل شاعر ترك الكذب و لازم الصدق ترك شعره، و لذا قيل: إن حسان «١» بن ثابت و ليلى «٢» بن ربيعة لما أسلما ترك شعرهما الإسلامى، إذ لم يكن كسعرهما الجاهلى.

### الفرق بين القرآن و الحديث القدسى

و أما الفرق بين القرآن و الحديث القدسى فقد فرق العلماء بينهما بوجوه:

الأول أن القرآن يختص سماعه من الروح الأمين، و لكن الحديث القدسى قد يكون إلهاما و نفثا فى الروع و نحو ذلك.

الثانى أن القرآن مسموع بعبارة بعينها بخلاف الحديث القدسى.

الثالث أن القرآن مشتمل على الإعجاز بخلاف الحديث القدسى.

الرابع أن القرآن مقطوع الصدور، بخلاف الحديث القدسى فإنه كسائر الأحاديث فى ظنية صدورها.

(١) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجى الأنصارى أبو الوليد الصحابى الشاعر المدنى أحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية و

الإسلام عاش (٦٠) سنة فى الجاهلية و (٦٠) سنة فى الإسلام. مات سنة (٥٤هـ) - الاعلام ج ٢ ص ١٨٨.



(٢) لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري أحد الشعراء الفرسان في الجاهلية، أدرك الإسلام و يعدّ من الصحابة، قيل: إنه ترك الشعر بعد إسلامه و لم يقل إلّا بيتاً واحداً و هو: ما عاتب المرء الكريم كنفسه و المرء يصلحه المجلس الصّالح و هو أحد أصحاب المعلقات، عاش عمراً طويلاً و سكن الكوفة، توفي سنة (٤١ هـ)، الاعلام ج ٦ ص ١٠٤.  
تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧٥

## الباب الحادى عشر

### إشارة

فى بيان نزول القرآن على سبعة أحرف و فى هذا الباب يذكر أيضاً منشأ اختلاف القراءات، و هل هى متواترة أم لا و نبذ من أحوال القراء  
تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧٧  
و فيه فصول:

### الفصل الأول

فى معنى نزول القرآن على سبعة أحرف قد تظافت الأخبار من العامية فى أن القرآن نزل على سبعة أحرف، بل فى بعضها أن النبى صلى الله عليه و آله لم يمه أحدًا عن الاختلاف فى قراءة القرآن، و أنه قرّهم عليه بل صرح بجوازه،  
ففى «صحيح البخارى» (١) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه و آله، قال: أقرأنى جبرائيل على حرف فراجعتة فزادنى، فلم أزل أستزيده و يزيدينى حتى انتهى إلى سبعة أحرف (٢).  
عن «جامع الأصول» (٣) عن البخارى، و مسلم (٤)، و مالك (٥)،

(١) البخارى محمد بن إسماعيل الجعفى الحافظ المحدث المورّخ، ولد فى بخارى سنة (١٩٤ هـ) و توفى فى خرتنك سمرقند سنة (٢٥٦).  
(٢) صحيح البخارى باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ج ٦ ص ١٠٠ ح ٣٩٩١ و أخرجه مسلم فى الصحيح ج ١ ص ٥٦١.  
(٣) جامع الأصول لأحاديث الرسول لابن الأثير أبى السعادات المبارك المتوفى (٦٠٦) بالموصل.  
(٤) مسلم بن الحجاج النيسابورى الحافظ المحدث المتوفى سنة (٢٦١).  
(٥) مالك بن انس الأصبحى المدنى ولد بالمدينة سنة (٩٣) و توفى سنة (١٧٩). تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧٨

و أبى داود (١) و النسائى (٢)، بأسانيدهم، عن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام (٣) بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه و آله فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه و آله فكذت أساوره (٤) فى الصلاة، فتربّصت حتى سلّم فلبّيته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأها؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه و آله فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه و آله قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه و آله، فقلت: إننى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التى أقرأنيها، فقال صلى الله عليه و آله: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه (٥).

قال في «جامع الأصول» أخرجه الجماعة

، و قال الترمذى: هذا حديث صحيح.

و

روى مسلم، و الترمذى «٤»، و أبو داود، و النسائى فى صحاحهم، جميعا عن أبى «٧» بن كعب، قال: كنت فى المسجد، فدخل رجل و صلى، فقرأ قراءة

(١) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المحدث المتوفى بالبصرة سنة (٢٧٥).

(٢) النسائى احمد بن على بن شعيب المحدث الحافظ المتوفى سنة (٣٠٣).

(٣) هشام بن حكيم حزام بن خويلد، صحابى ابن صحابى أسلم يوم فتح مكة توفى بعد سنة (١٥) - الاعلام ج ٩ ص ٨٣.

(٤) ساور فلانا: واثبه أو وثب عليه.

(٥) أخرجه البخارى فى ثلاثة مواضع من الصحيح: ج ٥ ص ٧٣ كتاب الخصومات الحديث (٢٤١٩) و فى ج ٩ ص ٢٣ كتاب فضائل

القرآن الحديث (٤٩٩٢) و (٥٠٤١) - و أخرجه مسلم فى الصحيح ج ١ ص ٥٦١ و فى مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ٢٤.

(٦) الترمذى محمد بن عيسى المحدث ولد سنة (٢٠٩) و توفى سنة (٢٧٩).

(٧) أبى بن كعب بن قيس الخزرجى المدنى أبو المنذر، صحابى كان قبل الإسلام من أحبار اليهود، يكتب تفسير الصراط المستقيم،

ج ٢، ص: ٢٧٩

أنكرتها، ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة سوى قراءه صاحبه، فلمّا قضيت الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه و آله، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءه صاحبه، فأمرهما النبى صلى الله عليه و آله فقرأ، فحسبنا شأنهما، فسقط فى نفسى من التكذيب، و لا إذ كنت فى الجاهلية - فلما رأى رسول الله صلى الله عليه و آله ما غشيتنى ضرب فى صدرى، ففضت عرقا كأنما أنظر إلى الله فرقا، فقال لى: يا أبى أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتى، فردّ إلى فى الثانية أن أقرأ القرآن على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتى، فردّ إلى فى الثالثة أن اقرأه على سبعة أحرف، و لك بكل ردة رددتها مسأله تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لآمتى، اللهم اغفر لآمتى و آخرت الثالثة ليوم يرغب فيه إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام «١»

و

فى النبوى المروى من طرقهم: «الكتب تنزل من السماء من باب واحد، و إن القرآن أنزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف» «٢».

الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التى لا داعى للتعرض لها، و

فى بعضها: «أن رسول الله صلى الله عليه و آله لقى جبرائيل، فقال: يا جبرائيل إننى بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز و الشيخ الكبير،

و الغلام، و الجارية، و الرجل الذى لا يقرأ كتابا قط، فقال

و يقرأ، توفى بالمدينة سنة (٢١) - الاعلام ج ١ ص ٧٨.

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٥٦١ كتاب صلاة المسافرين و قصرها و أخرجه احمد بن حنبل فى مسنده ج ٥ ص ١٢٧، و أخرجه الطبرى

عن أبى كريب بطرق اخرى باختلاف يسير أيضا و أخرجه الزركشى عن صحيح مسلم فى البرهان ج ١ ص ٣٠٢.

(٢)

جامع البيان للطبرى ج ١ ص ٢٣ و فيه: عن النبى صلى الله عليه و آله قال: كان الكتاب الأول نزل من باب واحد، و على حرف واحد،

و نزل القرآن من سبعة أبواب و على سبعة أحرف: زجر، و أمر، و حلال، و حرام، و محكم، و متشابه- و أمثال-. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٠

لى: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف» (١).

و ورد فى بعض أخبارنا أيضا مثل ذلك:

ففى «الخصال» عن عيسى بن «٢» عبد الله الهاشمى عن أبيه، عن آباءه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: أتانى آت من الله فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: يا رب وسع على أمتى، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف «٣».

و

فيه أيضا عن الصادق عليه السلام حين قال له حماد بن عثمان: إن الأحاديث تختلف عنكم، قال: فقال عليه السلام: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف، و أدنى ما للإمام أن يفتى على سبعة وجوه، ثم قال: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب «٤». «٥» لكنه لا يخفى عليك أن هذه الأخبار لضعف سندها، و قصور دلالتها و موافقتها للأخبار العامية المتقدمة، بل جملة منها بعينها مروية عن طرقهم،

(١) تفسير الطبرى ج ١ ص ١٢ مع تفاوت يسير- و سنن الترمذى ج ٥ ص ١٩٤.

(٢) مشترك بين رجلين: أحدهما عيسى بن عبد الله بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام.

و الثانى عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عليه السلام و على أى حال لا يحكم بوثاقته، مضافا الى أن الراوى عنه كما فى الخصال أحمد بن هلال أبو جعفر العبرتايبى المتوفى (٢٦٧) و هو على ما فى كتب الرجال كان غالبا متهما فى دينه. انظر معجم رجال الحديث ج ٢ ص ٣٥٥، و ج ١٣ ص ٢٠٢.

(٣) الخصال ج ٢ ص ٣٥٨ باب السبعة ح ٣٤.

(٤) سورة ص: ٣٩.

(٥) الخصال ج ٢ ص ٣٥٨ باب السبعة ح ٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨١

و مخالفتها لما يأتى مما هو أقوى سندا و أوضح دلالة لا تنهض حجة لا ثبات نزوله على الوجوه السبعة بحسب المادة، أو الهيئة، أو اللغة، حسبما يأتى إليها الاشارة.

و لذا قال الطبرسى فى «مجمع البيان»: إن الشائع فى أخبار الإمامية أن القرآن نزل بحرف واحد، ثم نسب الى العامة نزوله على سبعة أحرف «١».

و قال الشهيد فى «المسالك» فى باب المهر: إنه قد ورد فى أخبارنا أن السبعة ليست هى القراءات، بل أنواع التركيب من الأمر، و النهى، و القصص، و غيرها «٢».

أقول: بل ورد فى أخبارنا أنه على حرف واحد:

ففى «الكافى» فى الصحيح، عن الفضيل «٣» بن يسار، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إن الناس يقولون: إن القرآن نزل على سبعة أحرف، فقال عليه السلام: كذبوا أعداء الله، و لكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد «٤».

و

فى الصحيح عن زرارة، عن أبى جعفر عليه السلام قال: إن القرآن واحد، نزل من عند واحد، و لكن الاختلاف يجىء من قبل الزواة

«٥».

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٢٥، وفيه: و ما

روته العامة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف»  
اختلف في تأويله ...

(٢)

بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٤ و ص ٩٧ عن أمير المؤمنين عليه السلام: انزل القرآن على سبعة أقسام: أمر، و زجر، ... و قصص.

(٣) الفضيل بن يسار أبو القاسم النهدي البصري روى عن ابى جعفر و ابى عبد الله عليهما السلام و توفى في حياة الصادق عليه السلام، وثقه النجاشي و الشيخ - معجم رجال الحديث ج ١٣ ص ٣٣٥.

(٤) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٣٠ ح ١٣.

(٥) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٣٠ ح ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٢

و

عن معلى بن خنيس، قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام.

فقال عليه السلام: إن كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضالٌّ، فقال ربيعة «١»:

ضالٌّ؟ فقال عليه السلام: نعم ضالٌّ، ثم قال عليه السلام: أما نحن فنقرأ على قراءة أبي «٢».

أراد قراءة أبيه عليه السلام، و الجمع له تفخيما أوله و لأصحابه.

و يمكن أن يراد قراءة أبي بن كعب لمطابقته قراءة لقراءتهم، إلا أنها اليوم غير مضبوطة عندنا، إذ لم تصل إلينا قراءته في جميع ألفاظ القرآن، و إسناد القراءة إليه لعله للتقية عن ربيعة الرأي الذي هو من رؤس ذوات الأذنان، سيما بعد الحكم بضلالة ابن مسعود على فرض المخالفة، حيث إنه قد اشتهر عنه أن الفاتحة ليست من القرآن، بل المعوذتان أيضا ليستامنه.

بل عن بعض علماء العامة أيضا إنكار نزول القرآن على سبعة أحرف، كما حكى عن جابر الله الزمخشري أنه أنكر تواتر السبع، و قال: إن القراءة الصحيحة التي قرأ بها رسول الله صلى الله عليه وآله إنما هي في ضمنها، و إنما هي واحدة، و إن المصلى لا تبرأ ذمته من الصلاة إلا إذا قرأ بما فيه الاختلاف على كل الوجوه، كمالك، و مالك، و صراط و سراط، و غير ذلك، انتهى «٣».

و على كل حال فقد ذكر لنزول القرآن على سبعة أحرف وجوه «٤»:

(١) هو ربيعة بن فروخ أبو عثمان المدني المعروف بريعة الرأي من فقهاء العامة توفى سنة (١٣٦ هـ) - الاعلام ج ٣ ص ٤٢.

(٢) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٣٤ ح ٢٧.

(٣) انظر جواهر الكلام ج ٩ ص ٢٩٥.

(٤) قال الزركشي في «البرهان» ج ١ ص ٣٠٤: قال الحافظ أبو حاتم ابن حبان البستي: اختلف الناس فيها على خمسة و ثلاثين قولاً

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٣

منها ما

رواه في «مجمع البيان» عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أمر، و زجر، و ترغيب، و ترهيب، و جدل، و مثل، و

قصص «١».

و

عن «النعمانى» (٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الله تبارك و تعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كل قسم منها كاف شاف، و هى: أمر، و زجر، و ترغيب، و ترهيب، و جدل، و مثل، و قصص (٣).

و منها عن بعض العامة من أنه وعد، و وعيد، و أمر، و نهى، و جدل، و قصص، و مثل (٤). و مرجعه إلى الأولى.

و منها ما عن بعضهم أيضا من أنه ناسخ، و منسوخ، و محكم، و متشابه و مجمل، و مفصل، و تأويل لا يعلمه إلا الله تعالى (٥).

و لكن أخبارهم صريحة فى أن الاختلاف ليس مقصورا على المعنى، بل هو أعم منه و من اللفظ، فالوجه المتقدمه لا تسمن و لا تغنى من جوع.

و منها أن المراد من الحروف القراءات نظرا إلى أن الاختلاف فيها على سبعة أوجه:

الأول الاختلاف فى اعراب الكلمة مما لا يزيلها عن صورتها فى الكتابة

(١) رواه أيضا الطبرى فى تفسيره ج ١ ص ٢٤ برواية محمد بن بشر باسناده عن أبى قلابه.

(٢) النعمانى هو محمد بن إبراهيم بن جعفر ابو عبد الله الكاتب المعروف بابن ابى زينب، كان من أجلاء تلاميذ الكلينى، صاحب كتاب «الغيبه».

(٣) رساله النعمانى فى صنوف آى القرآن، راجع بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٤ و ص ٩٧.

(٤) تفسير الطبرى ج ١٨- و مجمع البيان ج ١ ص ٢٦.

(٥) مجمع البيان ج ١ ص ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٤

و لا يغير معناها، كقوله: فَيُضَاعَفُ (١) بالرفع و النصب.

الثانى الاختلاف فى الإعراب مما يغير معناها و لا يزيل صورتها كقوله:

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ (٢) و إذ تلقونه (٣).

الثالث الاختلاف فى حروف الكلمة لا فى الاعراب مما يغير معناها و لا يزيل صورتها كقوله: كَيْفَ نُنشِئُهَا (٤) و «كيف نشرها» بالراء و الزاى.

الرابع الاختلاف فى الحروف مما يغير الصورة دون المعنى، عكس الثالث، كقوله: إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً (٥) و «إلا زقية» (٦).

الخامس الاختلاف فى الحروف مما يزيل الصورة و المعنى نحو طَلَحَ مَنُضُودٍ (٧) و طلع (٨).

السادس الاختلاف بالتقديم و التأخير كقوله: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ (٩) و سكرة الحق بالموت (١٠).

(١) البقرة: ٢٤٥- قال الطبرى فى المجمع ج ١ ص ٢٧٢: فيه (اى فى فيضاعفه) أربع قراءات: قرأ ابو عمرو و نافع و حمزة و الكسائى بالألف و الرفع. و قرأ عاصم بالألف و النصب ...

(٢) النور: ١٥.

(٣) تلقونه بكسر اللام و ضم القاف مخففة من ولق إذا كذب راجع مجمع البيان ج ٥ ص ١٩.

(٤) البقرة: ٢٥٩ قرأ الكوفيون و ابن عامر بالزاى و الباقون بالراء- التيسير للدانى ص ٨٢.

(٥) يس: ٢٩.

(٦) قال فى المجمع ج ٥ ص ١٦: فى الشواذ قراءة ابن مسعود و عبد الرحمن بن الأسود: (إلا زقية) من زقا الطائر يزقو و يزقى إذا صاح.

(٧) الواقعة: ٢٩.

(٨)

نقلها ابن خالويه في «مختصر شواذ القرآن» ص ١٧٨ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قرأها على المنبر، و (طلع) بالحاء: الموز و (طلع) بالعين ما يبدو من ثمرة النخل في أول ظهورها. (٩) ق: ١٩.

(١٠) ذكرها ابن خالويه في «مختصر شواذ القرآن» ص ١٤٤ عن أبي بكر و أبي بن كعب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٥

السابع الاختلاف بالزيادة و النقصان كقوله: وَ مَا عَمِلْتَهُ أُيْدِيهِمْ «١» و ما عملت أيديهم «٢».

قال في «المجمع» حكاية عن الشيخ أبي جعفر الطوسي قدس سرهما: أن هذا الوجه أملح، لما روى عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه «٣».

أقول: لكتبتك قد سمعت تظافر أخبارنا على ردّ خبر نزوله على سبعة أحرف، و على فرضه فمقتضاه نزوله على الوجوه السبعة، و أين هذا من جواز متابعتهم في قراءاتهم المختلفة التي ستسمع اختلافها.

و منها ما يقال: من أن المراد سبع لغات من طوائف العرب كلغة هوازن، و هذيل، و قريش، و يمن، و كنانة، و تميم، و ثقيف.

كما يقال: إن «الجبت» «٤» لم يكن معروفا في لغة أهل الحجاز، و إنما هو في لغة أهل الحبشة بمعنى السحر، لكن العرب أدخلوه في لغتهم.

قال الفيروز آبادي «٥» في «القاموس»: و نزل القرآن على سبعة أحرف، أي

(١) يس: ٣٥.

و مثل هذا القسم أيضا. حافظوا على الصلوات و الصلاة الواسطة (البقرة: ٢٣٨) و (صلاة العصر) ذكرها الطبري في «التفسير» ج ٢ ص ٣٤٨ عن مصحف أم سلمة، و عائشة، و حفصة زوجات النبي صلى الله عليه و آله و نحوه أيضا: أمّا الغلام فكان أبواه مؤمنين (الكهف: ٨٠) (و كان كافرا) أخرجه ابن جرير في «التفسير» ج ١٦ ص ٣ عن قتادة في حرف أبي بن كعب و مصحف ابن مسعود.

(٢) بدون الهاء كما في مصاحف أهل الكوفة، راجع الكشاف ج ٢ ص ٢٥٢.

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ٢٦.

(٤) النساء: ٥١.

(٥) الفيروز آبادي: أبو طاهر محمد بن يعقوب اللغوي مجد الدين الشيرازي ولد بكازرون من أعمال شيراز سنة (٧٢٩) و توفي سنة (٨١٧) - الاعلام ج ٨ ص ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٦

سبع لغات من لغة العرب، و ليس المراد أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، و إن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر، و لكن المعنى أن هذه اللغات متفرقة في القرآن «١».

و قال ابن الأثير في «النهاية»: أراد بالحرف اللغة، يعني على سبع لغات من لغة العرب، أي إنها متفرقة، فبعضه بلغة قريش، و بعضه بلغة هذيل، و بعضه بلغة هوازن، و بعضه بلغة اليمن.

ثم نفى إرادة القراءات السبع ... إلى أن قال: و ممّا يبيّن ذلك قول ابن مسعود: إنّي قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين، فاقروا كما علمتم، إنّما هو كقول أحدكم: هلّم، و تعال، و أقبل.

و فيه أقوال آخر، هذا أحسنها. انتهى.

لكن قد يقال: إنهم كانوا في مبدأ الإسلام مخيرين في أن يقرءوا بما شاؤوا منها، ثم أجمعوا على أحدها، و إجماعهم حجة، فصار انعقاد الإجماع منهم على ما أجمعوا عليه مانعا عن جواز القراءة بغيره.

أقول: و لعلّ هذا الإجماع هو الذى يدعون انعقاده فى خلافة عثمان حسبما تأتى إليه الإشارة و قد تعرّض بعض أصحابنا له على وجه الحكاية، بل صرّح به فى «المحاضرات الأوائل» نقلا- عن «الإتقان» للسيوطى، قال: أوّل من جمع القرآن عثمان، و اقتصر من سائر اللغات السبعة على لغة قريش حين اقتتل الغلمان و المعلّمون فى خلافته، كان يقول بعضهم لبعض: إنّ قراءتى خير من قراءتك فجمعهم على مصحف واحد، و جمع المصاحف التى كانت بين الناس،

(١) القاموس فى كلمة (حرف).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٧

و أحرقتها من خشية الفتنة عند الاختلاف، و حملهم على القراءة بوجه واحد، و أمر بإرسال المصاحف الى أقطار الأرض، و إن كان المشهور بين الناس أنّ عثمان هو جامع القرآن مطلقا، و ليس الأمر كذلك، بل الجامع الأوّل للصور المرتبة الباقية إلى يومنا هذا هو أبو بكر، و كان جمعه أوّلا على سبعة لغات، لأنّه كان نزل على لغات قبائل شتى من أهل الحجاز تأليفا لقلوب جميعهم حكمة بالغه منه سبحانه، فكانت كل قبيلة تتداول لغتها، و ترجّحها على غيرها، فجرى الاختلاف بذلك، فاندفع بجمع عثمان، و أمّا ترتيب القراءة على لغة خاصّة فهو لعثمان، و لهذا ينسب إليه الرّسم، فيقال: هذا رسم عثمانى، إلى آخر ما ذكره.

و منها ما يتوهم أنّ المراد بها القراءات السبع المشتهرة فى الأزمنة المتأخّرة، و هو توهم فاسد نبه على فساده كثير من الخاصّة و العامّة، حسبما تسمع اليه الإشارة، بل صرّحوا بأنّ القراءات المتداولة بينهم فى الأعصار المتقدّمة كانت أزيد من عشرين، و قد صنّفوا فيها الكتب و التصانيف، و أنّ أوّل من اقتصر على السبعة هو ابن مجاهد «١»، و قد اعترضوا عليه فى اختيار العدد و المعدود، بل حكى الإجماع عنهم فضلا عن غيرهم على فساد هذا التوهم «٢».

و منها غير ذلك من الأقوال «٣» الكثيرة عنهم على نحو أربعين قولاً، بل ربّما

(١) هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، شيخ القراء أبو بكر البغدادى فاق فى عصره سائر نظائره من أهل صناعته- توفى سنة (٣٢٤هـ) و سيجى ذكره إنشاء الله تعالى- معرفة القراء للذهبي ج ١ ص ٤٦٩.

(٢) قال أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى المتوفى (٦٦٥هـ):

ظنّ قوم أنّ القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث، و هو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، و إنّما يظنّ ذلك بعض أهل الجهل.- الإتقان للسيوطى ج ١ ص ١٣٨.

(٣) منها: أنّ المراد التوسعة على القارى و لم يقصد به الحصر. بل المقصود الكثرة فى الآحاد كما يراد من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٨

يقال: إنّ الخبر من المشكل الذى لا يدري معناه، لأنّ الحرف لغة يصدق على حرف الهجاء، و على الكلمة، و على المعنى، و على الجملة. «١»

لفظ السبعين و سبعمائة الكثرة فى العشرات أو المئات، و نسب هذا القول الى القاضى عياض و من تبعه.

- البيان ص ٢٠٨.

و منها: أن ذلك راجع الى بعض الآيات مثل قوله تعالى: أَفَ لَكُمْ الأنبياء: ٦٧ قرء على سبعة أوجه: النصب و الجر و الرفع بالتنوين و غيره، و سابعا الجزم- البرهان ج ١ ص ٣١٥.

(١) قاله ابو جعفر محمد بن سعدان النحوى، أحد القراء، كان يقرأ بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه قراءة نسبت إليه توفى سنة (٢٣١)- البرهان للزركشى ج ١ ص ٢١٣- ابناه الرواة ج ٣ ص ١٤٠.  
تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٩

## الفصل الثانى

فى منشأ اختلاف القراء و ادعاء التواتر و الإجماع على السبع قد سمعت أن الصحيح من روايات أهل البيت عليهم السلام أن القرآن واحد، نزل من عند واحد، و لم يكن فيه اختلاف أصلا، و أن الاختلاف من قبل الرواة، و أنه لم يكن لهؤلاء القراء و لقرائتهم ذكر فى العصر الأول.

حكى ابن طاوس فى «سعد السعود» عن محمد بن «١» بحر الرهنى الذى هو من أعظم علماء الإمامية فى بيان الاختلاف فى المصاحف قال: اتخذ عثمان سبع نسخ و أرسل إلى مكة صحفا، و إلى الشام مصحفا، و إلى الكوفة مصحفا، و إلى البصرة مصحفا، و إلى اليمن مصحفا، و إلى البحرين مصحفا، و أبقى فى المدينة مصحفا، و هذه المصاحف لخلوها عن الإعراب و النقط وقع فيها اختلافات كثيرة.

و يؤيده ما يحكى عن السيوطى فيما سماه «المطالع السعيدة» فى شرح

(١) محمد بن بحر بن سهل الرهنى أبو الحسين الشيبانى ساكن ترمشيز من أرض كرمان، له تصانيف كثيرة نحو خمسمائة مصنف، كان من أكابر الامامية فى القرن الرابع، و هو من مشايخ أبى العباس بن نوح السيرافى المتوفى (٤٠٨هـ) - طبقات أعلام الشيعة ج ١ ص ٢٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٠

الفريدة فى اللغة: أن أبا الأسود الدئلى أعرب مصحفا واحدا فى خلافة معاوية.

و منه يظهر أن منشأ الاختلافات إنما هو اختلاف المصاحف العثمانية و احتمالاتها.

نعم قد يفسر الحروف السبعة فى الخبر المتقدم بالقراءات السبع، بل قد غلب هذا الوهم على كثير من العامة حتى زعموا نزول القرآن على الوجوه السبعة، لكنك قد سمعت اختلافهم فى معنى الخبر على وجوه تبلغ أربعين وجها، بل صرح الفيروزآبادى و ابن الأثير كما سمعت على عدم ارادة القراءات السبع.

و قال محمد بن بحر الرهنى: إن كل واحد من القراء قبل أن يتجدد القارئ الذى بعده لا يجوز إلا قراءته، ثم لما جاء الثانى انتقل عن المنع الى الجواز و كذا فى القراءات السبعة، فاشتمل كل واحد على انكار قراءته، ثم عاد الى خلاف ما أنكره، ثم اقتصر على هؤلاء السبعة.

ذكر ابن الجزرى «١» الشافعى فى «تجسير التيسير» فى بيان السبب الباعث لتأليفه: إنى رأيت الجهل قد غلب على كثير من العوام، و شاع عند من لا علم له أنه لا قراءة إلا الذى فى هذين الكتابين، يعنى «التيسير» «٢» و «الشاطبية» «٣» و أن

(١) هو محمد بن محمد بن على بن يوسف شمس الدين أبو النمير الدمشقى الشافعى الجزرى ولد بدمشق سنة (٧٥١) و توفى بشيراز سنة (٨٣٣هـ) مصنفات منها «تجسير التيسير» فى القراءات - هدية العارفين ج ٢ ص ١٨٧.



(٢) التيسير في القراءات السبع لأبي عمر و عثمان بن سعيد الداني المتوفى (٤٤٤).

(٣) الشاطبية قصيدة في القراءات السبع نظم في هذه القصيدة كتاب «التيسير» لأبي عمر و الداني المتقدم ذكره، و أبياتها (١١٧٣) بيتا، و ناظمهما أبو محمد القاسم بن فيرة الشاطبي الضرير المتوفى (٥٩٠) بالقاهرة، و سماها (حز الأمانى و وجه التهاني) - كشف الظنون ج ١ ص ٦٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩١

السبعة الأحرف المشار إليها

بقوله صلى الله عليه و آله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»

هي قراءات هذه السبعة القراء، و أنّ ما عدى في هذين الكتابين من القراءات شاذ لا يقرأ به، أو لا يصحّ و كلّ قول من هذه الأقوال و نحوها باطل لا يلتفت إليه، و خلف لا يعول عند علماء الإسلام عليه، كما بيّنه غير واحد من الأئمة، و أوضحه المقتدى بهم من سرة الأمة.

و قال في «النشر في القراءات العشر»: لما توفى النبي صلى الله عليه و آله و قام بالأمر أبو بكر، و قاتل الصحابة أهل الردة و أصحاب مسيلمة، و قتل من الصحابة نحو خمسمائة صحابي، أشير على أبي بكر بجمع القرآن في مصحف واحد خشية أن يذهب بذهاب الصحابة، فتوقف في ذلك من حيث إنّ النبي صلى الله عليه و آله لم يأمر في ذلك بشيء، ثمّ اجتمع رأيه و رأى الصحابة على ذلك، فأمر زيد بن ثابت بتبّع القرآن و جمعه، فجمعه في صحف كانت عند أبي بكر حتى توفى ثمّ عند عمر حتى توفى، ثمّ عند حفصة، و لمّا كان في نحو ثلاثين من الهجرة، في خلافة عثمان حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية، و آذربيجان، فرأى الناس يختلفون في القرآن و يقول أحدهما للآخر: قراءتى أصحّ من قراءتك فأفرعه ذلك، و قدم على عثمان و قال: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود و النصارى، فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها، ثمّ نردّها إليك، فأرسلتها إليه.

فأمر زيد بن ثابت و عبد الله «١» بن الزبير، و سعيد «٢» بن العاص، و عبد الرحمن «٣» بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، و قال: إذا اختلفتم أنتم و زيد في

(١) عبد الله بن الزبير بين العوامّ المقتول بمكة (٧٣).

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد الأموى المتوفى (٥٩) - الأعلام ج ٣ / ١٤٩.

(٣) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي المدني المتوفى (٤٣) - الأعلام ج ٤ ص ٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٢

شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، فكتب منها عدّة مصاحف، و وجهها إلى الأمصار.

إلى أن قال: و اجتمعت الأمة المعصومة من الخطاء على ما تضمّنته هذه المصاحف.

ثمّ قال: و قرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم و تلقّوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقّوه عن رسول الله صلى الله عليه و آله.

ثمّ ذكر القراء الذين تلقّوه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و ذكر نحو أربعين قارئاً غير القراء العشر المشهورين.

الى أن قال: تجرّد قوم للقراءة و الأخذ، و اعتنوا بضبط القراءة أتمّ عناية، حتى صاروا في ذلك أئمة يهتدى بهم، و يرحل إليهم و يؤخذ عنهم، قد أجمع أهل بلدهم على تلقى قراءتهم بالقبول و لم يختلف عليهم فيها اثنان، و لتصدّيهم للقراءة نسبت إليهم.

ثمّ ذكر عشرين قارئاً منهم العشرة المشهورون، و زاد عليهم: شيبه بن «١» نصاح، و حميد بن «٢» قيس الأعرج، و محمد بن «٣» محيصن، و يحيى بن «٤» وثاب،

(١) هو شيبه بن نصاح بن سرجس المدني المقرئ مولى أم سلمة رضي الله عنها و كان من شيوخ نافع، توفي سنة (١٣٠ هـ).

(٢) حميد بن قيس الأعرج المقرئ المكي المتوفى (١٣٠ هـ).

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن السهمي ابن محيصة المكي كان من المقرئين بالشواذ المقبولة في مصطلحهم، توفي سنة (١٢٣ هـ).

(٤) يحيى بن وثاب الأسدي المقرئ الكوفي المتوفى (١٠٣ هـ).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٣

و سليمان «١» الأعمش، و إسماعيل بن «٢» عبد الله المخزومي و عطية «٣» بن قيس الكلبي، و إسماعيل «٤» بن عبيد الله بن أبي المهاجر، و يحيى بن الحادث الذمري «٥»، و شريح بن «٦» يزيد الحضرمي.

ثم قال: إنَّ القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا و تفرّقوا في البلاد و انتشروا، و خلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم و اختلفت صفاتهم، منهم المتقن للتلاوة، المشهور بالرواية و الدراية، و منهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، و كثير بينهم لذلك الاختلاف، و قلّ الضبط و اتسع الخرق، و كاد الباطل يلتبس بالحقّ، فقام جهابذة علماء الأئمة، و صناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، و جمعوا الحروف و القراءات، و ميّزوا بين المشهور و الشاذّ، و الصحيح و النادر بأصول أصيّلوها، و أركان قد فصّلوها، و ها نحن نشير إليها، و نعول كما عولوا عليها، فنقول: كلّ قراءة وافقت العربية و لو بوجه، و وافقت أحد المصاحف العثمانية و لو احتمالا، و صحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، و لا يحلّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن و وجب على الناس قبولها، سواء أ كانت من السبعة أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة

(١) سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي الكوفي المعروف بالأعمش، المتوفى (١٤٨).

(٢) إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين أبو إسحاق المخزومي المكي المقرئ كان شيخ محمد بن إدريس الشافعي في القراءة توفي سنة (١٧٠ هـ).

(٣) هو عطية بن قيس أبو يحيى الكلبي الحمصي الدمشقي التابعي القاري توفي سنة (١٢١) و قد جاوز المائة سنة - غاية النهاية ج ١ ص ٥١٣.

(٤) إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الدمشقي المتوفى (١٣٢ هـ) - تاريخ الاعلام ص ٣٧٦.

(٥) يحيى بن الحارث بن عمرو الذمري الدمشقي المقرئ المتوفى (١٤٥) - غاية النهاية ج ٢ ص ٣٦٧.

(٦) شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي المقرئ المتوفى (٢٠٣) - غاية النهاية ج ١ ص ٣٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٤

المقبولين، و متى اختلف ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة، سواء أ كانت عن السبعة، أو عن من هو أكبر منهم.

هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف و الخلف «١».

ثم حكاه عن جماعة «٢» من العامة، و حكى عن أبي شامة في كتابه «المرشد الوجيز» أنه لا ينبغي أن يغتر بكلّ قراءة تعزى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة، و يطلق عليها لفظ الصحة، و أنّ هكذا أنزلت إلّا إذا دخلت في ذلك الضابط، و حينئذ لا يتفرّد بنقلها مصنف عن غيره، و لا يختص ذلك بنقلها عنهم، بل ان نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإنّ الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من نسبت إليه، غير أنّ هؤلاء السبعة لشهرتهم و كثرة الصحيح المجتمع عليه في قراءتهم تركن النفس الى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم «٣».

إلى أن قال بعد كلام طويل: قال الإمام أبو محمد بن مكي في مصنفه أحقه بكتابه «الكشف»: فإن سأل سائل فقال: فما الذي يقبل من

القرآن الآن فيقرأ به، و ما الذي لا يقبل ولا يقرء به؟ فالجواب أن جميع ما روى في القرآن على ثلاثة أقسام: الأول ما يقبل و يقرأ به، و ذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال: أن ينقل عن الثقات عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ يَكُونُ فِي الْعَرَبِيَّةِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ سَائِغًا، وَ يَكُونُ مُوَافِقًا لِحَطِّ الْمَصْحَفِ.

(١) النشر لابن الجزرى ج ١ ص ٩.

(٢) حكاة عن عثمان بن سعيد الدانى، و ابى محمّد مكى بن ابى طالب، و أحمد بن عمّار المهودى.

(٣) النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٥

الثانى ما صحّ نقله عن الآحاد، و صحّ وجهه فى العربيّة، و خالف لفظ خطّ المصحف، فهذا يقبل ولا يقرأ لعلّتين: أحدهما أنّه لا يثبت القرآن بخبر الواحد، و الاخرى أنّه مخالف لما قد أجمع عليه فلا يقطع على صحّته، و لا يجوز القراءة به، و لا يكفر من جحده. و الثالث ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة و لا وجه له فى العربيّة، فهذا لا يقبل ولا يقرأ و إن وافق خطّ المصحف. إلى أن قال: و أمّا هل القراءات التى يقرأ بها اليوم فى الأمصار جميع الأحرف السبعة، أم بعضها؟ فهذه المسئلة مبيّنة على الفصل المتقدّم، فإنّ من عنده لا يجوز للائمّة ترك شىء من الأحرف السبعة يدعى أنّها مستمرة النقل بالتواتر الى اليوم، و إلّا تكون الائمة جميعها عصاة مخطئين فى ترك ما تركوا منه، كيف و هم معصومون من ذلك.

و أنت ترى ما فى هذا القول، لأنّ القراءات المشهورة اليوم من السبعة أو العشرة، أو الثلاثة عشرة بالنسبة الى ما كان قلّ من كثير، و نزر من بحر، فإنّ من له اطلاع على ذلك يعرف أنّ القراء الذين أخذوا عن الائمة المتقدّمين كثير، و الذين أخذوا عنهم أيضا أكثر، و هلمّ جزاء، فلمّا كانت المائة الثالثة، و اتسع الخرق، و قلّ الضبط، و كان علم الكتاب و السنّة أوفر ما كان فى ذلك العصر، تصدّى بعض الائمة لضبط ما رواه من القراءات، فكان أولّ إمام جمع القراءات فى كتاب هو أبو عبيد القاسم بن سلام، المتوفّى (٢٢٤)، و جعلهم فيما أحسبه خمسة و عشرين قارئًا مع هؤلاء السبعة «١».

(١) النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٦

و كان بعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفى نزيل أنطاكية، جمع كتابا فى القراءات الخمسة من كلّ مصر واحدًا، و توفّى سنة (٢٥٨هـ).

و كان بعده القاضى إسماعيل بن إسحاق المالكى، صاحب قالون، ألف كتابا فى القراءات، و جمع فيه قراءة عشرين إماما منهم هؤلاء السبعة، توفّى سنة (٢٨٢هـ).

و كان بعده الإمام أبو جعفر محمّد بن جرير الطبرى، جمع كتابا كافلا سمّاه «الجامع»، فيه نيف و عشرون قراءة، توفّى سنة (٣١٠هـ). و كان فى اثره أبو بكر محمّد بن أحمد بن عمر الداجونى المتوفّى (٣٢٤هـ)، جمع كتابا فى القراءات و أدخل فيه أبا جعفر أحد العشرة. و كان فى اثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، إمام القراء فى عصره، و هو أول من اقتصر على قراءة هؤلاء السبعة فقط، توفّى سنة (٣٢٤هـ).

و قام الناس فى مصره و بعده و ألفوا فى القراءات أنواع التاليفات المشتملة على القراءات العشر، و الأكثر منها أو الأقلّ. إلى أن قال بعد الإطناب الذى حذفناه للاختصار: و لا زال الناس يؤلّفون فى كثير القراءات و قليلها، يروون شاذّها و صحيحها بحسب ما وصل إليهم، أو صحّ لديهم، و لا ينكر أحد عليهم، بل هم فى ذلك متّبعون سبيل السلف حيث قالوا: القراءة سنّة متّبعة يأخذها

الآخر عن الأول، و ما علمنا أحدا أنكر شيئا قرأ به الآخر إلا ما قدمنا عن ابن «١» شنبوذ لكونه خرج عن المصحف العثماني،

(١) هو: محمد بن احمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ المقرئ البغدادي المتوفى (٣٢٨) - غاية النهاية

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٧

و للناس في ذلك خلاف كما قدمناه و لذا ما أنكر على ابن «١» مقسم من كونه أجاز القراءة بما يوافق المصحف من غير أثر. أما من قرأ «الكامل» «٢» للهدلي، أو «سوق العروس» «٣» للطبري أو «الإقناع» «٤» للأهوازي، أو «كفاية» «٥» أبي العز، أو «المبهبج» «٦» لسبط الخياط، أو «الروضة» «٧» للمالكي، و نحو ذلك. على ما فيها من ضعيف و شاذ عن السبعة و العشرة، و غيرهم، فلا نعلم أحدا أنكر ذلك، و لا زعم أنه مخالف لشيء من الأحرف السبعة «٨».

بل ما زالت علماء الأمة، و قضاة المسلمين يكتبون خطوطهم، و يثبتون شهادتهم في إجازاتنا بمثل هذه الكتب و القراءات.

ج ٢ / ٥٢.

(١) هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم البغدادي المتوفى (٣٥٤) - غاية النهاية ج ٢ ص ١٢٣.

(٢) الكامل في القراءات الخمسين لأبي القاسم يوسف بن علي بن عبادة المعدلي المغربي المتوفى (٤٦٥) - كشف الظنون ج ٢ ص ١٣٨١.

(٣) سوق العروس في القراءات لأبي معشر الطبري عبد الكريم بن عبد الصمد المتوفى (٤٧٨).

(٤) الإقناع في القراءات الشاذة لأبي علي الحسن بن علي الأهوازي المقرئ المتوفى (٤٤٦) - كشف الظنون ج ١ ص ١٤٠.

(٥) كفاية المبتدى و تذكرة المنتهى في القراءات العشر لأبي العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسي الواسطي المتوفى (٥٢١هـ) - كشف الظنون ج ٢ ص ١٥٠٠.

(٦) المبهبج في القراءات لعبد الله بن علي البغدادي المعروف بسبط الخياط توفي سنة (٥٤١هـ) - كشف الظنون ج ٢ ص ١٥٨٢.

(٧) الروضة في القراءات السبع لأبي علي الحسن بن محمد بن إبراهيم المقرئ البغدادي المالكي المتوفى (٤٣٨هـ) - كشف الظنون ج ١ ص ٩٣١.

(٨) النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٨

ثم قال: و إنما أطلنا هذا الفصل لما بلغنا عن بعض من لا علم له أن القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة، و أن الأحرف السبعة التي أشار إليها النبي صلى الله عليه و آله هي قراءة هؤلاء السبعة، بل غلب على كثير من الجهال أن القراءات الصحيحة هي التي في «الشاطبية» و «التيسير»، و أنها هي المشار إليها

بقوله صلى الله عليه و آله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»

، حتى أن بعضهم يطلق على ما لم يكن عن هؤلاء السبعة شاذًا، و ربما كان كثير مما لم يكن في «الشاطبية» و «التيسير» عن غير هؤلاء أصح من كثير مما فيهما، و إنما أوقع هؤلاء في الشبهة أنهم سمعوا نزول القرآن على سبعة أحرف، و يسمعون قراءات السبعة، فظنوا أن هذه هي المشار إليها، و لذلك كره كثير من المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء، و قالوا: لماذا اقتصر على هذا العدد «١».

ثم أطل الكلام الى أن قال: و كان من جواب الشيخ الإمام مجتهد العصر أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية «٢»: لا- نزاع بين العلماء أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي صلى الله عليه و آله: أن القرآن أنزل عليها ليست قراءات القراء السبعة

المشهوره، بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد، فيكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع هي الحروف السبعة، وأن هؤلاء السبعة هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم، ولهذا قال بعض من قال من أئمة القراء: لو لا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة، وإمام قراء البصرة في

(١) النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٣٦.

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي الحنبلي أبو العباس المتوفى سنة (٧٢٨هـ) - الأعلام ج ١ ص ١٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٩

زمانه في رأس المأتين.

ثم قال ابن تيمية: و لذلك لم يتنازع علماء الإسلام المتبعون من السلف والأئمة في أنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع أعصار المسلمين، بل من تثبت عنده قراءة حمزة والكسائي فله أن يقرأ بها، بلا نزاع بين العلماء المعتبرين المعدودين من أهل الإجماع والخلاف، بل أكثر العلماء الأئمة الذين أدركوا قراءة حمزة كسفيان «١» بن عيينة، وأحمد بن «٢» حنبل، وبشر «٣» بن الحارث، وغيرهم يختارون قراءة أبي جعفر ابن القعقاع، وشيبة بن نصاح المدنيين، وقراءة البصريين لشيخ يعقوب وغيرهم على قراءة حمزة والكسائي.

ثم أطال الكلام في ذلك والنقل عن جماعة من العلماء بمثل هذا القول، وانكار الاختصار على السبع، وأن وجه الاختصار على السبعة إنما هو لقصور الهمم، ونقص العلم، وأنه إنما اقتصر على قراءة العشر لذلك، وإلا فهي غير محصورة فيهم، إلى آخر ما ذكر. وإنا أطلت الكلام بنقله للتبني على مبدأ الأمر ونهايته حسبما صرحوا به مضافا إلى سريته ذلك التوهم إلى أذهان جملة من الأعيان حسبما تسمع، ولعله إلى ذلك أشار الشهيد في بحث المهور من «المسالك» بعد خبر الأحرف السبعة:

(١) سفيان بن عيينة بن ميمون الكوفي، ولد بالكوفة سنة (١٠٧)، وتوفى بمكة سنة (١٩٨) - الأعلام ج ٣ ص ١٥٩.

(٢) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ولد ببغداد سنة (١٦٤) وتوفى سنة (٢٤١) له مصنفات منها «المسند» ستة مجلدات تحتوي على ثلاثين الف حديث - الأعلام ج ١ ص ١٩٢.

(٣) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن المروزي المتوفى (٢٢٧) هـ - التقريب ج ١ ص ١٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ص ٣٤٩

أنه قد فسرها بعضهم بالقراءات السبعة، وليس بجيد، لأن القراءات المتواترة لا تنحصر في السبعة، بل ولا في العشرة كما حقق في محلّه، واقتصر على السبعة تبعاً لابن مجاهد، حيث اقتصر عليها تبرّكا بالحديث، وفي أخبار: أن السبعة ليست هي القراءات، بل أنواع التركيب من الأمر، والنهي، والقصاص، وغيرها، انتهى.

إلا أن فيه: أن دعوى التواتر في شيء منها فضلا عن جميعها ليست في محلّها، وإن سبقه فيها بل لحقه عليها كثير من الفريقين، بل ذكر والدي العلامة أعلى الله مقامه في «شرح الشرايع»: أن المشهور بين المتأخرين من الطائفة تواتر القراءات السبع، وقد استفاض عليه حكاية الشهرة عن الأجلّة، وممن ذهب إليه الفاضل «١» في «التذكرة» كما عن «المنتهى» و«النهاية»، والمحقق الثاني «٢» في «جامع المقاصد» «٣» والشهيد «٤» في «الروض» و«المقاصد العلية» فقالوا: إن الكلّ نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين تخفيفاً على الأمة، وتهوينا على هذه الملة، استنادا إلى ما

رواه الجمهور عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف»

، مدعياً تواتر ذلك منه، الى آخر ما ذكره عطر الله مرقد.

و ذكر في «المدارك» بعد حكاية الإجماع عن جمع من الأصحاب على تواتر القراءات السبع: أنه نقل جدى قدس سره عن بعض محققى القراء أنه أفرد كتاباً في أسماء الرجال الذين نقلوا هذه القراءات فى كل طبقة، و هم يزيدون عمّا

(١) هو العلامة الحلّى الحسن بن يوسف المتوفى (٧٢٤هـ).

(٢) هو على بن الحسين بن عبد العلى، الكركى المتوفى (٩٤٠هـ).

(٣) جامع المقاصد ج ٢ ص ٢٤٤.

(٤) المراد به هو الشهيد الثانى زين الدين بن على العاملى الشهيد فى سنة (٩٦٦هـ).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠١

يعتبر فى التواتر «١».

قال: ثم إنه حكى عن جماعة من القراء أنهم قالوا: ليس المراد بتواتر السبع والعشر أن كل ما ورد من هذه القراءات متواترة، بل المراد انحصار التواتر الآن فيما نقل من هذه القراءات، فإن بعض ما نقل عن السبعة شاذ، فضلاً عن غيرهم، و هو مشكل جداً، لأن المتواتر لا يشبه كما يشهد به الوجدان. انتهى «٢».

وقال الفاضل فى «التذكرة» يجب أن يقرأ بالمتواتر من القراءات، و هى السبعة، و لا يجوز أن يقرأ بالشواذ، و لا بالعشرة «٣».

وفى «الذكري»: يجوز القراءة بالمتواتر، و لا- يجوز بالشواذ، و منع بعض الأصحاب من قراءة أبى جعفر، و يعقوب، و خلف، و هى كمال العشرة، و الأصح جوازها لثبوت تواترها كثبوت تواتر القراءات السبعة «٤».

بل عن «جامع المقاصد» «٥»، و «الغروية»، و «الروض» الإجماع على تواتر السبع، كما عن «مجمع البرهان» نفى الخلاف فيه.

بل قد يؤيد وصفها بالتواتر بالتتابع فى الكتب الأصولية و الفقهية، و بما فى «وافية الأصول» للفاضل التونى «٦» من إجماع قدماء العامة، و من تكلم فى المقام

(١) روض الجنان: ٢٦٤.

(٢) مدارك الأحكام ج ٣ ص ٣٣٨.

(٣) التذكرة ج ١ ص ١١٥.

(٤) الذكري: ١٨٧.

(٥) جامع المقاصد ج ١ ص ٢٤٤.

(٦) الروض: ص ٢٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٢

من الشيعة عليه «١».

بل عن الفاضل فى «نهاية الأصول» الاستدلال على تواترها بأنها لو لم تكن متواترة لم تجز قراءة شىء كملك و مالك، و أشباههما، و التالى باطل فالمقدم مثله، دليل الشرطية أنهما وردا عن القراء السبعة، و ليس تواتر أحدهما أولى من تواتر الآخر، فإمّا أن يكونا متواترين و هو المطلوب، أو لا يكون شىء منهما بمتواتر و هو باطل، و إلّا يخرج عن كونه قرآناً، هذا خلف «٢».

وفى «زبدة» شيخنا البهائى: و السبع متواترة إن كانت جوهرية، كملك، و مالك، و أمّا الأدائية كالمد و الإمالة فلا.

و ذكر الشارح الفاضل المازندراني «٣» فى تعليل الأول: أن كلّاً من القراءتين قرآن فلا بد أن يكون متواتراً، و إلّا لزم أن يكون بعض

القرآن غير متواتر، و هو باطل، و كأنه أشار به الى ما حَقَّقوه في موضع آخر من أنه لا- بدّ أن يكون القرآن متواترا، و أن ما ليس بمتواتر فليس بقرآن، نظرا إلى توفّر الدواعي على نقله للمقرين باعجاز الخصم و قهره، و للمنكرين بإرادة التحدى لإبطال كونه معجزا، و لأنّه أصل لجميع الأحكام علميّا كان أو عمليّا، و كلّما كان كذلك فالعادة تقضى بالتواتر في تفاصيله من أجزاءه، و ألفاظه، و حر كاته، و سكناته.

بل ذكر الفاضل في «نهايته»: أن النبي صَلَّى الله عليه و آله كان مكلفا بإشاعة ما نزل عليه من القرآن الى عدد التواتر لتحصيل القطع بنبوته.

(١) الوافية للفاضل التوني ص ١٤٨ الباب الثالث في الادلة الشرعية.

(٢) هو بهاء الملة و الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الاصبهاني المتوفى (١٠٣١هـ).

(٣) هو محمد صالح بن احمد المازندراني صهر المجلسي الأول، توفى سنة (١٠٨١هـ).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٣

بل ذكر في جواب سؤال أورده على نفسه: أن الإجماع دلّ على وجوب إلقاءه على عدد التواتر، لئلا تنقطع المعجزة الدالة على صدق نبوته.

إلى أن قال: و أما اختلاف المصاحف فكلّ ما هو من الآحاد فليس بقرآن، و ما هو متواتر فهو القرآن.

الى غير ذلك من مختلفات كلماتهم التي ربما يظنّ منها اتّفاقهم على تواتره كما زعموه.

لكتيك خبير بأنّ ما ذكره في هذا الباب ممّا سمعت و ما لم تسمع كلّها قاصرة عن إفادة ذلك، نعم قام الإجماع بل الضرورة على عدم الزيادة في القرآن، فالمشترك بين القراءات السبع، بل و بين غيرها أيضا قرآن قطعاً، و أما خصوص ما تفرّد به كلّ واحد من القراء السبعة أو العشرة من حيث تلك الخصوصية لا من حيث المادّة الجامعة فلم يقدّم إجماع و لا ضرورة على كونه بتلك القراءة الخاصّة قرآنا، كيف و قد سمعت أن المستفاد من الأخبار أنه واحد، نزل من عند إله واحد، بل قد سمعت سبب الاختلاف في ذلك، و أن كلّ ما اختلفوا فيه أو خصوص السبعة ليس ممّا نزل به جبرئيل، و لا ممّا قرأ النبي صَلَّى الله عليه و آله، و لا ممّا أقرّه.

بل كيف يكون الأغلط العثمانيّة في المصاحف السبعة و اختلاف الناس في قراءة كلّ منها، حيث إنّها كانت عارية من النقط و الإعراب أصلا في إثبات القرآن النازل من السماء.

هذا مضافا الى استفاضة الأخبار بل تواترها على مخالفة قراءة الأئمّة القراءات المشهورة، بل كتب القراءة و التفسير مشحونة من قولهم:

قرأ حفص كذا، و عاصم كذا، و حمزة كذا، و عليّ بن أبي طالب عليه السلام كذا، و في كثير منها: و في

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٤

قراءة أهل البيت كذا، و ربما ينسبونها الى واحد منهم عليهم السّلام فجعلوا قراءتهم قسيما لقراءة أهل بيت الوحي و التنزيل، بل كثيرا ما صدر ذلك من الخاصّة، و أخبارهم به متظافرة.

قال ابن أبي الحديد في «شرح النهج» حكاية عن الشيخ أبي جعفر الإسكافي (١) في كتابه المسمّى ب «نقض العثمانيّة» في جملة كلام له في الإمامة:

و قد تعلمون أن بعض الملوك ربما أحدثوا قولا- أو دينا لهوى، فيحملون الناس على ذلك حتّى لا يعرفوا غيره كنحو ما أخذ الناس الحجاج (٢) بن يوسف الثقفي بقراءة عثمان، و ترك قراءة ابن مسعود، و أبي بن كعب، و توعّد على ذلك، سوى ما صنع هو و جبابرة بني أمية، و طغاة بني مروان بولد عليّ عليه السّلام و شيعته، و إنّما كان سلطانه نحو عشرين سنة، فما مات الحجاج حتّى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان، و نشأ أبناؤهم، و لا يعرفون غيرها لإمساك الآباء عنها، و كفّ المعلمين عن تعليمها، حتّى لو قرأت قراءة عبد

الله، و أبى ما عرفوها، و لظنوا بتأليفها الاستكراه و الاستهجان، لآلف العادة، و طول الجهالة، لأنه إذا استولت على الرعية الغلبة، و طالت عليهم أيام التسلط، و شاعت فيهم المخافة، و شملتهم التقية، اتفقوا على التخاذل و التساكت، فلا تزال الأيام تأخذ من بصائرهم، و تنقص من ضمائرهم، حتى تصير البدعة التي أحدثوها غامرة للسنة. و أما دعوى الإجماع و الضرورة على تواتر السبعة أو العشرة فغير مسموعة لعدم تحقق شيء من الأمرين، و المحكى منهما غير مجد، سيما بعد

(١) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلى الإسكافى البغدادى المتوفى (٢٤٠) - تذكرة الحفاظ ج ٢ / ٧١.

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفى الطائفى الهالك (٩٥) - العبر ج ١ ص ١١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٥

الخبرة التامة بحقيقة الأمر، و توفر الأمارات على انتهاء ذلك الى خط عثمان، و ضبط زيد بن ثابت. على أنه إن أريد التواتر على المشترك بين الجميع فمسلم، و إن أريد التواتر على خصوص كل منها فأول الكلام، لعدم تحقق ما هو شرط فيه قطعا من الأخبار و العدد فى كل طبقة من الطبقات، بل لعله يسرى الإشكال فى الأول أيضا و إن كان الحكم مقطوعا فيه. ثم إن أريد بالتواتر تواتر النقل عن السبعة أو العشرة فهو على فرضه غير مجد، أو عن النبى صلى الله عليه و آله فلا يحصل بذلك العدد، سيما مع الانتهاء الى الواحد الذى حاله معلوم، مع أن المدعى إثبات التواتر على كل من السبعة. و مما مرّ ظهر ضعف ما ادّعه الصالح المازندراني فى «شرح الزبده» من أن التواتر قد يحصل بسبعة نفر، إذ لا يتوقف على حصول عدد معين، بل المعتبر فيه حصول اليقين، و أن القارئ لكل واحد من القراءت السبع كانوا بالغين حدّ التواتر، إلا أنهم أسندوا كل واحدة منها الى واحد منهم إما لتجرده بهذه القراءة، أو لكثرة مباشرته لها، ثم أسندوا الرواية عن كل واحد منهم الى اثنين لتجردهما لروايتها و عدم تجرد غيرهما.

إذ فيه المنع من حصول اليقين بنقلهم سيما مع مخالفة المذهب مع هن و هن، مع أن الكلام ليس فى المشترك بل فى الخصوص، و بلوغ القارئ لكل واحدة منها حدّ التواتر أول الكلام، هذا كله مضافا إلى ما أورده الرازى عليهم من أنه إذا كانت تلك القراءت متواترة، و خير الله المكلفين بينها فترجيح بعضها على بعض موجب للفسق، مع أنك ترى أن كل واحد من هؤلاء القراء مختص بنوع من القراءة، و يحمل الناس عليه و يمنعهم عن غيره.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٦

و لعله لذلك ذكر الشهيد الثانى: أنه ليس المراد تواترها، بل المراد انحصار المتواتر فيما نقل الى الآن من القراءت، فإن بعض ما نقل عن السبعة شاذ، فضلا عن غيرهم، كما حققه جماعة من أهل هذا الشأن.

قلت: و لعل مراده به هو الضابط المتقدم المذكور فى كلام ابن الجزرى، و غيره المشتمل على الأمور الثلاثة التي هى موافقة إحدى المصاحف العثمانية و لو احتمالا، و العربية، و صحّة السند، و إليه أشار ابن الجزرى فى «طبية النشر» بقوله:

و كلّ ما وافق وجه نحوو كان للرسم احتمالا يحوى

و صحّ اسنادا هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

و حيثما يختل ركن أثبت شدوده لو أنه للسبعة

و هو كما ترى سيما مع منافاته لما ادّعه من تواتر السبعة بخصوصها.

و أما ما حكاه فى «المدارك» عن جدّه عن بعض محققى القراء أنه أفرد كتابا فى ذلك، فلعمري إن الحكاية لا يثبت بها تواتر الرواية، و إنما هو بالنسبة إلينا بل إليه أيضا خبر واحد، فمن الغريب الركون الى مثله فى دعوى التواتر، فضلا عن دعوى تواتر الثلاثة كمال



العشرة كما سمعت عن «الذكري».

و أغرب منه ما في «جامع المقاصد» حيث قال: وقد اتفقوا على تواتر السبع.

و في الثلاث الاخر التي تكمل بها العشرة، و هي قراءة أبي جعفر،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٧

و يعقوب، و خلف تردد، نظرا الى الاختلاف في تواترها «١»، و قد شهد شيخنا في «الذكري» بثبوت تواترها، و لا يقصر من ثبوت

الإجماع بخبر الواحد، فحينئذ تجوز القراءة بها، و ما عداها شاذ... إلخ «٢».

إذ في كل من المقيس و المقيس عليه نظر واضح، على أنه لا- يثبت به التواتر، و لعل له هذه الجهة و غيرها أنكر كثير من المتأخرين

تواتر السبعة، فضلا عن غيرها، و نسبة في «القوانين» إلى جماعة من أصحابنا، و قد بالغ الفاضل الجليل السيد «٣» نعمة الله في ذلك، و

حكاه عن السيد الأجل على بن طاووس في مواضع من كتاب «سعد السعود» و غيره، و عن صاحب «الكشاف» عند تفسير قوله تعالى:

وَ كَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ «٤»، و عن نجم الأئمة الرضى «٥» في موضعين من «شرح الرسالة» أحدهما

عند قول ابن الحاجب «٦»: و إذا عطف على الضمير المجرور أعيد الخافض.

أقول: لم أظفر به «٧» فيما عندي من نسخة «الكشاف».

(١) جامع المقاصد ج ٢ ص ٢٤٤.

(٢) الذكري: ١٨٧.

(٣) السيد نعمة الله بن عبد الله الجزائري الأديب المدرس الفقيه الإمامي ولد سنة (١٠٥٠) و توفي سنة (١١١٢ هـ) - الاعلام ج ٩ ص

١١.

(٤) الانعام: ١٣٧.

(٥) محمد بن الحسن رضى نجم الدين الأسترابادي المتوفى نحو (٦٨٦ هـ) - الاعلام ج ٦ ص ٣١٧.

(٦) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس النحوى الفقيه المالكي ابن الحاجب ولد في أسنا من صغير مصر سنة (٥٧٠) و مات

بالإسكندرية سنة (٦٤٦) - الاعلام ج ٤ ص ٣٧٤.

(٧) كلام الزمخشري في الطعن على ابن عامر موجود في الكشاف ج ٢ ص ٥٤ في ذيل الآية (١٣٧) من سورة الانعام، راجع المطبوع.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٨

نعم قال شيخنا «١» البهائي في «الكشكول»: طعن الزمخشري في قراءة ابن عامر: وَ كَذَلِكَ زَيْنَ بِنَاءِ الْفِعْلِ لِلْمَفْعُولِ، و قد شنع عليه

كثير من الناس.

قال الكواشى «٢»: كلام الزمخشري يشعر بأن ابن عامر ارتكب محظورا، و أنه غير ثقة، لأنه يأخذ القرائة من المصحف، لا- من

المشايخ، و مع ذلك أسندها إلى النبي صلى الله عليه و آله، و ليس الطعن في ابن عامر طعنا فيه فقط، بل هو طعن أيضا في علماء

الأمصار، حيث جعلوه أحد القراء السبعة المرضية، و في الفقهاء حيث لم ينكروا عليهم، و إنهم يقرءونها في محاربيهم، و الله أكرم من

أن يجمعهم على الخطاء.

و قال أبو حيان «٣»: أعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربى صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في كلام العرب في

غير بيت- و أعجب سواء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرهم هذه الأئمة لنقل كتاب الله تعالى شرقا و غربا، و قد اعتمد

المسلمون على نقلهم، لضبطهم و معرفتهم و ديانتهم «٤».

و قال المحقق «٥» التفتازانى: هذا أشد الجرم، حيث طعن في اسناد القراء السبعة و رواياتهم، و زعم أنهم إنما يقرءون من عند أنفسهم،

و هذه عادته يطعن

(١) بهاء الدين العاملي محمد بن الحسين بن عبد الصمد من أكابر الامامية و رئيس علماء عصره ولد في بعلبك سنة (٩٥٣) و توفي بأصفهان سنة (١٠٣١ هـ) و دفن بطوس - الاعلام ج ٦ ص ٣٣٤.

(٢) أحمد بن يوسف بن الحسن الموصلي المفسر الفقيه الشافعي المتوفى (٦٠٨) - الاعلام ج ١ ص ٢٥٩.

(٣) أبو حيان التحوي: محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الحناني، ولد في غرناطة سنة (٦٥٤) و توفي بالقاهرة سنة (٧٤٥ هـ) - الاعلام ج ٨ ص ٢٦.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن للآلوسي نقلا عن أبي حيان ج ٨ ص ٢٩.

(٥) هو مسعود بن عمر التفتازاني الأديب المنطقي ولد سنة (٧١٢) و توفي سنة (٧٩٣ هـ) - الاعلام ج ٨ ص ١١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٩

في تواتر القراءات خطأ، و كذا الروايات عنهم.

و قال ابن المنير «١»: تبرأ الى الله، و تبرء حمله كلامه عمّار ما هم به، فقد ركب عيياء و تخيل القراءة اجتهادا و اختيارا، لا نقلا و اسنادا، و نحن نعلم أنّ هذه القراءة قرأها النبي صلى الله عليه و آله على جبرئيل كما أنزلها عليه، و بلغت إلينا بالتواتر عنه، فالوجه السبعة متواترة اجمالا - و تفصيلا، فلا - مبالاة بقول الزمخشري و أمثاله، و لو لا عذر أنّ المنكر ليس من أهل علمي القراءة و الأصول لخيف عليه الخروج عن ربة الإسلام، و مع ذلك فهو في وهذه خطرة، و زلة منكرو «٢».

و لا - يخفى أنّ كلام أبي حيان، و التفتازاني، و ابن المنير، و نظرائهم ناشئ من مجرّد التقليد و العصبية، و حسن الظنّ باختيار الأئمة و الاعتماد على المتّسمين باسم الإسلام، و متابعة السلف الصالح، حتّى كادوا يسطون بالذين يتكلمون بشيء من الحقّ و ينسبونه الى الخطأ و الجهالة، بل الخروج عن الدين، فكيف يجترئ أحد أن يتفوه بالحقّ بعد ظهوره في مثل هذا الأمر الذي يسهل الخطب فيه، فضلا عن غيره من الحقائق.

و بالجملة فقد ظهر أنّ دعوى التواتر في شيء ممّا اختلفوا فيه ضعيفة جدا، و أضعف منها دعوى تواتر الجميع، و ستمع من الطوسي و الطبرسي، و غيرهما أنّ المعروف الظاهر من مذهب الامامية، و الشائع في أخبارهم و آثارهم أنّ القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد، و قد مرّت الأخبار الدالة على ذلك، و أنّ الاختلاف إنّما جاء من قبل الزواة، لا استنادا الى رواياتهم، بل الى استحساناتهم

(١) ابن المنير: عبد الواحد بن منصور الإسكندري المالكي المفسر ولد سنة (٦٥١) و توفي سنة (٧٣٣ هـ) - الاعلام ج ٤ ص ٣٢٧.

(٢) الكشكول ج ١ ص ٤٧ - ٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٠

و اجتهاداتهم حسبما يؤدّي إليه أنظارهم، و لذا قيل: إنّ كان أحدهم إذا برع و تمهّر شرع للناس طريقا في القراءة لا يعرف إلّا من قبله، بحيث لم يكن قبله معهودا أصلا، كما يشهد به تتبع كتب القراءة، و ما أبدعوه من الصفات، و الآداب، و الوظائف التي يمكن تحصيل القطع بعدم كونه معهودا في زمن النبي صلى الله عليه و آله أصلا، و هذا فيما يتعلّق بالهيئة، و أمّا المادّة فقد سمعت أنّ منشأ الاختلاف فيها الأغلاط العثمانية، و خلوّ مصاحفه عن الإعراب و النقط، على أنّه لو كانت الطريقة المسلوكه لهم هو التواتر لا اشتراك الكلّ في الكلّ على فرض التعدّد، و لم يختصّ كلّ واحد منهم بواحدة مظهرها للحثّ الأكيد، و التعصّب الشديد على تعيينها، سيّما مع تقارب أزمتهم و تمكّن كلّ منهم عن الاطلاع بما وصل إلى الآخر ممّا يقتضى التواتر، و كيف اطلع من بعدهم عليه و لم يطلع كلّ منهم بما تواتر للآخر، مع قرب المأخذ و اتّحاد الفنّ، و من المستبعد جدّا تواتر موادّ الكلمات و هيئتها من الحركات و السكّنات، و

غيرها، و عدم تواتر كون البسملة و المعوذتين من القرآن لوقوع الخلاف فيه عندهم على أقوال مرّت إليها الإشارة، الى غير ذلك مما يقضى بكون قراءاتهم مذاهب لهم، لا أنّهم قد تواتر إليهم ذلك.

بل يدلّ عليه أيضا ما استدلووا به في بعض التفاسير و كتب القراءة لترجيح بعض القراءات على بعض ما من مناسبة اللّغة، و كثرة الأشباه و النظائر، و موافقة المعنى و غيرها من الوجوه الاجتهادية التي لا ينبغي الإصغاء إليها، حسبما تصدّى لحكاية جملة منها في «مجمع البيان» و غيره.

و يؤمى إليه ما ذكره في أحوال بعض القراء و تابعيهم من قولهم: له قراءة، أو له اختيار.

مع أنّه اختلفت الرواية عن كلّ واحد من هؤلاء القراء أيضا، بل

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١١

الاختلافات المحكيّة عنهم كثير بعدد روايتهم، و إن اقتصر في «التيشير» لكلّ منهم على راويين، و تبعه من تأخّر عنه.

ثم إن كان البناء على مجرّد الرواية فما الداعي الى عدم الانتهاء الى النبي صلّى الله عليه و آله، أو الى الخلفاء، أو أحد الصّحابة، مع أنّ هؤلاء القراء لم يأخذوا منهم إلّا بوسائط، فالأولى عدّهم بالنسبة إلينا من الوسائط.

ولذا قال في «التيشير»: إنّ هؤلاء على طبقات ثلاث:

منهم من هو في الطبقة الثانية من التابعين، و هما اثنان: ابن كثير، و ابن عامر، و منهم من هو في الطبقة الثالثة، و هما اثنان أيضا: نافع، و عاصم، و منهم من هو في الطبقة الرابعة، و هم ثلاثة: أبو عمرو، و حمزة، و الكسائي.

ينبغي التنبيه على أمرين:

الأول: أنّا معشر الامامية و إن لم نحكم بصحّة خصوص كلّ من القراءات السبع، بل العشر أيضا، فضلا عن غيرها بمعنى مطابقتها كلّ منها للمنزل على النبي صلّى الله عليه و آله، أو الإذن العام الشمولي الأوّلي للجميع، إلّا أنّه لما عمّت البلية و خفى الحقّ، و قامت الفتنة على قطبها، و ارتدّ الناس على أعقابهم القهقري، و تركوا وصيّة سيّد الورى في التمسك بالثقلين أمرنا أن نقرأ القرآن كما يقرأه الناس.

كما

روى عن الصادق عليه السلام: «كفّ عن هذه القراءة، إقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فاذا قام القائم قرأ كتاب الله على حدّه ... إلخ» (١).

قال الشيخ في «البيان» فيما حكى منه: إنّ المعروف من مذهب الامامية أنّ القرآن نزل بحرف واحد على نبيّ واحد، غير أنّهم اجمعوا على جواز القراءة

(١) الوسائل ج ٤ أبواب القراءة في الصلاة- ص ٨٢١- الباب ٧٤- الحديث ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٢

بما يتداوله القراء و أنّ الإنسان مخير بأيّ قراءة شاء قرأ، و كرهوا تجريد قراءة بعينها (١).

و قال الطبرسي في «مجمع البيان»: الظاهر من مذهب الامامية أنّهم اجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء بينهم من القراءات، إلّا أنّهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء، و كرهوا تجريد قراءة مفردة.

ثم ساق الكلام الى أن حكى عن الشيخ أبي جعفر الطوسي أنّه روى جواز القراءة بما اختلف القراء فيه (٢).

و الظاهر أنّه ممّا طبقت عليه الإمامية.

و مرّ الحكاية عن الزمخشري أنّه قال: إنّ المصلّى لا- تبرأ ذمته من الصلاة إلّا إذا جمع في قراءته بين جميع المختلفات، نظرا الى أنّ

الصحيح واحدة من الجميع.

إلّا أنه قد سهّل علينا الخطب في ذلك ما سمعت من الإجماع والأخبار، بل المحكي من البهبهاني «٣» في «حاشية المدارك» أنّ المراد بالتواتر ما تواتر صحّة قراءته في زمان الائمة عليهم السّلام بحيث يظهر إنهم كانوا يرضون به، و يجوزون ارتكابه في الصلاة، لأنهم صلوات الله عليهم كانوا راضين بقراءة القرآن على ما هو عند الناس، وربما كانوا يمنعون من غيره، و يقولون: هي مخصوصة بزمان ظهور القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف «٤».

(١) التبيان ج ١ ص ٧ في المقدمة.

(٢) مجمع البيان ج ١ مقدّمه الكتاب ص ٢٦.

(٣) هو الأستاذ الأكبر الوحيد الآقا محمد باقر البهبهاني المتوفى بالحائر (١٢٠٥ هـ).

(٤) جواهر الكلام ج ٩ ص ٢٩٢ عن حاشية المدارك.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٣

قلت: و لعله تكلف مستغنى عنه، حيث إنك سمعت أنّ صريح بعض و ظاهر آخرين أنّ المراد تواتر النقل و الصدور عن النبي صلى الله عليه و آله، لا التصحيح و التجويز عن الائمة عليهم السّلام.

لكنّ الخطب فيه سهل، إنّما الكلام في أنّه هل يتعين على المصلّي أو غيره ممّن يروم التوظيف في القراءة تحزّي الأشهر و الأقيس في العريئة من السبعة في خصوص كلّ آية، فيجوز التلفيق، أو مطلقا فلا يجوز، أو لا يتعين عليه شيء من الأمرين فيتخيّر بين السبعة أو العشرة، أو كلّما قرئ به و لو من غيرها، و جوه بل أقوال.

و لعلّ الأظهر هو الأخير لما سمعت من اشتراك السبعة و غيرها في عدم التواتر، و حدوث الأشتهار لها في الأزمنة المتأخرة بين العامة، مضافا الى صدق «كما علمتم» و «كما يقرأ الناس» على كلّ منها.

نعم قد يقال: إنّ الظاهر منهما وجوب الاقتصار على ما في أيدي الناس ممّا هو متواتر بينهم، أو مشهور لديهم، فلا يقرأ بالشواذ، مضافا إلى وجوب التأسي، و قاعدة الاقتصار على القدر المعلوم، و الإجماع المحكي على ذلك.

فعن «مفتاح الكرامة» أنّ أصحابنا متفقون على عدم جواز العمل بغير السبع أو العشر إلّا شاذّ منهم، قال: و الأكثر على عدم العمل بغير السبع «١».

و قد سمعت عن «وافية الأصول» للفاضل التوني: أنّه أجمع قدماء العامة، و من تكلم في المقام من الشيعة على عدم جواز القراءة بغيرها و إن لم يخرج عن

(١) مفتاح الكرامة ج ٢ ص ٣٩٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٤

قانون اللّغة و العريئة «١».

و قد نفى المقدّس «٢» الأردبيلي في «مجمع الفائدة» الخلاف عن السبعة، و عن الزيادة على العشر، يعني اثباتا و نفيًا، قال: و أمّا الثلاثة التي بينهما فالظاهر هو عدم الاكتفاء للعلم بوجود قراءة ما علم كونه قرآنا، و هي غير معلومة، و ما نقل أنّها متواترة غير ثابت، و لا يكفي شهادة مثل الشهيد، لاشتراط التواتر في القرآن الذي يجب ثبوته بالعلم، و لا يكفي في ثبوته الظنّ بالخير الواحد، و نحوه ... إلى أن قال: نعم يمكن أن يجوز له ذلك إذا كان ثابتا عنده بطريق علمي و هو واضح، بل يفهم من بعض كتب الأصول أنّ تجويز قراءة ما ليس بمعلوم كونه قرآنا يقينا فسق، بل كفر، فكّل ما ليس بمعلوم يقينا أنّه قرآن منفي كونه قرآنا يقينا على ما قالوا «٣».

أقول: هذا غاية ما يمكن الاستدلال به للاقتصار على شيء من الوجوه المتقدمة لكنه لا يخفى أن دعوى الظهور في حيز المنع، و الاستقرار على السبعة في زمان صدور الخطاب غير معلوم حتى ينزل عليه، و حمل قوله عليه السلام: «كما علمتم» (٤) ، و

«كما يقرأ الناس» (٥)

على العموم أولى من حمله على العهد لغة و عرفا. على أنك قد سمعت اختلافهم في العصر الأول على أقوال منتشرة تمنع

(١) الوافية ص ١٤٨.

(٢) المقدس الأردبيلي الفقيه المحقق أحمد بن محمد المجاور بكر بلاء توفي بالنجف سنة (٩٩٣).

(٣) مجمع الفائدة ج ٢ ص ٢١٨.

(٤) الوسائل - الباب ٧٤ - من أبواب القراءة في الصلاة - الحديث ٢.

(٥) الوسائل - الباب ٧٤ من أبواب القراءة في الصلاة - الحديث ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٥

كون شيء منها بخصوصه معهودا.

و منه يظهر الجواب عن حمل الناس على العموم و لو حكمه، بل عمّا مرّ أيضا من وجوب التأسي و قاعدة الاقتصار.

و أمّا الإجماع المتكرر في كلامهم فلعلّ الظاهر أنّه مبني على ما زعموه من دعوى التواتر، و قد سمعت ما فيه.

و أمّا ما صدر عن المقدس فغريب جدا، سيّما حكمه القطعي بعدم كون غير المقطوع به قرأنا، و أغرب منه ما حكاه كسابقه من حكاية التفسيق بل التكفير.

و لذلك مال شيخنا في «الجواهر» الى عدم وجوب متابعة شيء من السبع أو العشر، قال: بل ربما كان إطلاق الفتاوى و خلوّ كلام الأساطين منهم عن إيجاب مثل ذلك في القراءة أقوى شاهد على عدمه خصوصا من نصّهم على بعض ما يعتبر في القراءة من التشديد، و نحوه.

و دعوى إرادة القراءات السبع في حركات المباني من الإعراب في عبارات الأصحاب لا دليل عليها، نعم وقع هذا التعيين في كلام متأخري المتأخرين من أصحاب، و ظنّي أنّه و هم محض (١).

أقول: و الأحوط مع ذلك كلك عدم الخروج عن شيء من العشر، بل الاقتصار على السبع، سيّما إذا وجبت القراءة لصلاة، أو نذر، أو استيجار، أو غيرها.

الأمر الثاني: هل يجب متابعة واحد من القراء في صفات الحروف من الجهر، و الشدّة، و الهمس، و غيرها، و كذا الوصل، و الوقف، و الترقيق، و التفخيم،

(١) جواهر الكلام ج ٩ ص ٢٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٦

و المدّ، و التسهيل، و الإمالة، و غيرها، من الوظائف و الآداب المعتبرة عندهم، أم لا؟ الأظهر الأشهر هو الثاني، بل لعله عليه الإجماع، بل لم أظفر على مخالف في المقام.

نعم في «جواهر الكلام» أنّ المحكي عن «الكفاية» عن بعضهم القول بوجود مراعاة جميع الصفات المعبرة عند القراء «١». أقول: ولعلّ المنشأ وقوع السقط في النسخة المحكية عنها، أو وهم من الحاكي حيث وصل بعض العبارة غيرها، وهذه عبارة «الكفاية»:

و أوجب بعضهم في القراءة مراعاة المد المتصل دون المنفصل، و مراعاة الصفات المعبرة عند القراء ليست واجبة شرعا، إلّا أن يتوقف تميز بعض الحروف عن بعضها عليه. انتهى.

وهي كما ترى صريحة في عدم الوجوب و إنما تصحّ الحكاية في خصوص المد المتصل. وبالجملة لا ينبغي التأمل في عدم وجوب ما اعتبروه ممّا لا يرجع الى تمييز الحروف، أو الى القواعد العربية المعهودة المعبرة، إذ لا شبهة في وجوب مراعاة ما يثول إليهما، كالتشديد، و الإعراب الشامل للحركات البنائية و السكون، و وصل الهمزة و قطعها في مواضعهما كي لا- تؤل المخالفة إلى زيادة حرف أو نقصانه، و كالإدغام في الكلمات التي بنيت عليه، و أمّا عند النون و التنوين فستسمع الكلام فيه، و في الإدغام الصغير، و الكبير.

(١) الجواهر ج ٩ ص ٢٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٧

و أمّا غير ذلك من صفات الحروف، و المدّ، و الإمالة، و التخفيف، و التسهيل، و غيرها مما ملأوا منه كتب القراءة فالظاهر عدم وجوب شيء منها، بل لعلّ عليه الإجماع الكاشف عن طريقة المعصوم و رضاه، بل عليه السيرة القطعية، سيما بين الطائفة الحقّة الإمامية.

كيف و لو وجب شيء من ذلك لتبهاوا عليه، و لوقع السؤال عنه في خبر من الأخبار مع عموم البلوى، و توفّر الدواعي الى قراءة القرآن، سيما في الصلاة التي هي فرض على الأعيان في جميع الأزمان.

بل قد سمعت أنّ الاختلافات المروية عن أهل البيت عليهم السلام مرجعها الى اختلاف الكلمات و الحروف و الحركات و نحوها، ممّا مرّت الى اعتبارها الاشارة، و أمّا غيرها ممّا يعدّ في المحسّنات فلم يقع إليها اشارة، فضلا عن عبارة في خبر من الأخبار، و لا في شيء من كلمات علمائنا الأخيار.

و لقد أجاد كاشف «١» الغطاء حيث قال: و أمّا المحسّنات في القراءة من إدغام في كلمتين، أو مدّ، أو وقف، أو تحريك، أو نحوها فإيجابها كإيجاب مقدار الحروف في علم الكتابة، و المحسّنات في علم البديع، و المستحبات في مذهب أهل التقوى، و لو أنّ مثل هذه الأمور مع عدم اقتضاء اللسان لها كان من اللوازم لنادى بها الخطباء، و كرّر ذكرها العلماء، و تکرّر في الصلاة الأمر بالقضاء، و لأكثرها السؤال في ذلك عن الائمة الأئمة، و لتواتر النقل لتوفّر دواعيه.

و قال السيد الأجل الطباطبائي «٢» في منظومته:

(١) هو الشيخ جعفر بن خضر النجفي، ولد سنة (١١٥٦) و توفّي سنة (١٢٢٧ هـ)، كان في عصره شيخ مشايخ النجف و الحلّة من فقهاء الإمامية، و اشتهر تصانيفه «كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء».

(٢) هو بحر العلوم محمد مهدي بن مرتضى بن محمّد الطباطبائي البروجردي الأصل النجفي، كان من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٨ و راع في تأديته الحروف ما يخصّها من مخرج لها انتمى

و اجتنب اللحن و أعرب الكلم و الوصل و القطع لهمز التزم

و الدرج في الساكن كالوقف على خلافه على خلاف حظلا

و كَلِّمًا فِي الصَّرْفِ وَ النُّحُو وَ جِبْفَوَاجِبٍ وَ يَسْتَحِبُّ الْمَسْتَحَبَّ

نعم قد يتأمل في جواز الإدغام بلا غنة و معها عند الأحرف الستة نظرا إلى التبدل الموجب للتغيير.

و استقرار أهل اللسان عليه زمن النزول غير معلوم، و إلا لوافق الرسم.

لكنه ليس في محله بعد حكاية الاتفاق عليه، بل على وجوبه حسبما تسمع.

نعم يمكن التأمل في الحكم باستحباب كَلِّمًا حكموا باستحبابه، و إن حكم به الطباطبائي و غيره، لأنه حكم شرعي لا يثبت إلا بدليل،

و كونها من مجودات القراءة و محسناتها عند أهل اللسان غير معلوم حتى في زمان النبي صلى الله عليه و آله، سلّمنا، لكنه غير مثبت

للدعوى.

نعم قد يقال: إن علم القراءة كان متداولاً في زمان الأئمة عليهم السلام، حتى أن بعض أعظم أصحابهم و ثقافتهم، و المقرّبين عندهم

كانوا عارفين ماهرين بهذا العلم.

أعظم فقهاء الامامية توفي سنة (١٢١٢ هـ).

قال المؤلف في منظومته الرجالية (نخبة المقال):

السيد المهدي الطباطبائي بحر العلوم صفوة

الصفاء و المرتضى والده سعيد

مات (غريباً) عمره مجيد \* ترجمته بالتفصيل في تاريخ بروجرد ج ٢ من صفحة ١٢١٢ (١٧٢) إلى ص ٢٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٩

مثل حمران «١» بن أعين، الذي هو في غاية الجلالة عندهم، و في نهاية الإخلاص و الإطاعة لهم، و كان ماهراً في علم القراءة على

قراءة «٢» حمزة القاري، و

الامام الصادق عليه السلام أمره بمناظرة الشامي في علم القراءة، و الشامي كان مريداً للمناظرة مع الإمام عليه السلام في هذا العلم فقال:

إنما أريدك لا حمران، فقال عليه السلام:

إن غلبت حمران فقد غلبتني مناظرة، فغلب حمران عليه «٣».

و مثله أبان بن «٤» تغلب الثقة الجليل، فقد ذكروا في ترجمته: أن له قراءة مفردة مشهورة عند القراء.

و ثعلبة «٥» بن ميمون الذي قالوا في ترجمته: إنه كان وجهاً في أصحابنا، قارئاً، فقيهاً، نحوياً، لغوياً، راوياً، حسن العمل، كثير العبادة و

الزهد، و غيرهم، من الأجلّة الذين كانوا ماهرين في هذا العلم، و في غاية المتابعة و الإطاعة للأئمة الذين هم عليهم السلام قرّوهم

عليه، و لم يتأملوا في علمهم، و لا في عملهم.

و من المعلوم أن مراعاة هذا العلم لأجل العمل في مقام القراءة، فلو لم يكن مشروعاً لكانوا يمنعون أمثال هؤلاء الأجلّة، و خصوصاً مع

منعهم الجهال عملاً لا

(١) حمران بن أعين ابو حمزة الكوفي من أصحاب الباقر و الصادق صلوات الله عليهما، ترجمه ابن الجزري في غاية النهاية ج ١ ص

٢٤٢ رقم ١١٨٩ و قال: مقرئ كبير ... توفي حدود (١٣٠ هـ) أو قبلها.

(٢) بل حمزة القاري الزيات كان من تلامذته و روى القراءة عنه عرضاً كما قال ابن الجزري في ترجمته.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٤٠٧ ح ١١ عن رجال الكشي ص ١٧٨.

(٤) أبان بن تغلب أبو سعيد الربعي الكوفي النحوي المقرئ الجليل من أصحاب السجاد و الباقر و الصادق صلوات الله عليهم، توفي

سنة (١٤١).

(٥) ثعلبة بن ميمون أبو إسحاق النحوى الكوفى كان من أصحاب الصادق و الكاظم عليهما صلوات الله، و روى (١٢٧) رواية- معجم رجال الحديث ج ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٠

يضّرّ و لا ينفع، فضلا عن مثل هؤلاء الأعلام المقربين عندهم. فعلى هذا يمكن أن يقال: محسّنات القراءة لعلها كانت محسّنات عند الأئمة عليهم السّلام أيضا، فضلا من أن يكون ممّا يلزم ارتكابه عند القراء، مثل مدّ و لا الضّالّين و نحوه ممّا أمروا به، و كذا ما منع القراء منه و لم يكن ممنوعا من جهة لغة العرب، و لا من الشارع، و لا من العقل.

و يؤيد ما ذكرناه من كون هذا العلم متداولاً عند أصحاب الأئمة عليهم السّلام على وجه يشعر بتقريرهم إيّاهم على ذلك ما رواه الكشى «١» من حمزة «٢» الطيّار، قال: سألتني أبو عبد الله عليه السّلام عن قراءة القرآن، فقلت: ما أنا بذلك، فقال عليه السّلام: لكن أبوك، قال: ثم قال: إنّ رجلا- من قريش كان لى صديقا، و كان عالما قارئا، فاجتمع هو و أبوك عند ابى جعفر عليه السّلام، فقال: ليقبل كلّ منكما على صاحبه و يسأل كلّ منكما صاحبه، ففعلا، فقال القرشى لأبى جعفر عليه السّلام: قد علمت ما أردت، أردت أن تعلمنى أنّ فى أصحابك مثل هذا، قال عليه السّلام: هو ذاك، فكيف رأيت ذلك «٣»؟  
و فى ترجمة حمران بن أعين عن رسالته أبى غالب «٤» الزرارى أنّ حمران بن أعين من أكبر مشايخ الشيعة المفضلين الذين لا يشكّ فيهم، و كان أحد حملة القرآن، و من بعده يذكر اسمه فى القراءات، و روى أنّه قرأ على أبى جعفر عليه السّلام،

(١) الكشى محمد بن عمر بن عبد العزيز الفقيه الرجالى المتوفى نحو (٣٤٠هـ) - الاعلام ج ٧ ص ٢٠١.

(٢) هو حمزة بن محمد الطيّار الكوفى من أصحاب الباقر و الصادق عليهما السّلام - معجم رجال الحديث ج ٦ ص ٢٧٩.

(٣) معجم رجال الحديث ج ٦ ص ٢٧٩ رقم ٤٦٠٢.

(٤) أبو غالب الزرارى: أحمد بن محمد بن سليمان الموثّق، روى عن الكلينى المتوفى (٣٢٩)، و توفى سنة (٣٦٨) و كتب رسالته لابن ابنه سنته (٣٥٦) و جدّها سنة (٣٦٧) - رجال بحر العلوم ج ١ ص ٢٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢١

و كان مع ذلك عالما بالنحو و اللّغة.

و فى ترجمة أبان بن تغلب، عن النجاشى: أنّه كان قارئا من وجوه القراء، فقيها، لغويّا، سمع من العرب و حكى عنهم، و كان مقدّما فى كلّ فنّ من العلم، فى القرآن، و الفقه، و الحديث ... الى أن قال: و لأبان قراءة مفردة مشهورة عند القراء، أخبرنا بها أبو الحسن «١» التميمى عن أحمد «٢» بن محمّد بن سعيد، عن محمّد بن يوسف الرازى المقرئ «٣» بالقادسيّة سنة احدى و ثمانين و مأتين، عن أبى نعيم الفضل بن عبد الله بن العباس بن معمر الأزدي الطالقانى، ساكن سواد البصرة سنة خمس و خمسين و مأتين، قال: حدّثنا محمّد بن موسى بن أبى مريم صاحب اللؤلؤ، قال: سمعت أبان بن تغلب - و ما رأيت أحدا أقرأ منه قطّ، يقول:  
إنّما الهمز «٤» رياضة، و ذكر قراءة ته الى آخرها «٥».

(١) هو محمّد بن جعفر أبو الحسن التميمى من مشايخ النجاشى ذكره فى ترجمة الحسين بن محمّد بن الفرزدق - معجم رجال الحديث ج ١٥ ص ١٧٠.

(٢) هو احمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن السبيعي الهمداني الحافظ المعروف بابن عقده أبو العباس الكوفي، توفى سنة (٣٣٣)



هـ- معجم رجال الحديث ج ٢ ص ٢٧٤.

(٣) ذكره الذهبي في «الميزان الاعتدال» ج ٤ ص ٧٢ وقال: محمد بن يوسف بن يعقوب الرازي شيخ يروي عنه أبو بكر بن زياد النقاش، و ذكره الخطب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٩٧ وقال: قدم قبل (٣٠٠) بغداد.

(٤) في ذيل رجال النجاشي: يعنى أن التكلم بالهمزة و الإفصاح عنها مشقة و رياضة بلا ثمر فلا بدّ فيها من التخفيف، روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: «نزل القرآن بلسان قريش، و ليسوا بأهل نبر، و لو لا أنّ جبرئيل عليه السّلام نزل بالهمزة على النبي صلّى الله عليه و آله ما همزنا» كما في شرح الشافية لابن الحاجب ج ٣ ص ٣١ و النبر: الهمز.

(٥) رجال النجاشي ج ١ ص ٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٢

و ذكر الشيخ في «الفهرست» مثله «١».

و ستسمع أنّ حمران بن أعين كان من مشايخ حمزة القارى.

و في «التيسير» و «المجمع» أنّ حمزة قرأ على الصادق عليه السّلام، و أنّ الكسائي و هو أحد القراء السبعة قرأ على أبان بن تغلب، و أنّ الأعمش، و أبا إسحاق السبيعي، و أبا الأسود الدئلي كانوا ممّن يؤخذ عنهم القراءة «٢».

و ذكر الشيخ في «الفهرست» في ترجمة عمر بن «٣» موسى أنّ له كتاب قراءة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السّلام، ثم ذكر الاسناد إليه و قال:

هذا قراءة أمير المؤمنين عليه السّلام، قال: و ما رأيت أعلم بالكتاب، و ناسخه، و منسوخه، و مشكله، و إعرابه منه «٤».

و في ترجمة محمد بن «٥» عباس: أنّ له كتاب قراءة أمير المؤمنين عليه السّلام، و كتاب قراءة أهل البيت عليهم السّلام «٦».

(١) الفهرست ص ١٧-١٨.

(٢) مجمع البيان مقدّمة الكتاب ص ١٢ الفنّ الثاني.

(٣) هو عمر بن موسى بن وجيه أبو حفص الوجيهي الأنصاري الشامي الزيدي المتوفّي (١٥٨) على ما في دائرة الأعلمي ج ٢٣ ص ٤٩ و ترجمته توجد في غير واحد من معاجم الرجال منها: مختصر تاريخ دمشق ج ١٩ ص ١٥٣- الميزان للذهبي ج ٣ / ٢٢٤- لسان العرب ج ٤ / ٣٣٢.

(٤) الفهرست ص ١١٤ رقم ٤٩٧.

(٥) هو محمّد بن العباس بن علي بن مروان المعروف بابن الحجاج، من ثقات الامامية في القرن الرابع سمع منه التلعكبري سنة (٣٢٨)، و له منه إجازة- معجم رجال الحديث ج ١٦ / ١٩٨.

(٦) الفهرست ص ١٤٩ رقم ٦٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٣

### الفصل الثالث

في نبد من أحوال القراء العشرة و رواتهم الأوّل من القراء السبعة هو نافع «١» بن عبد الرحمن المدني، قرأ على أبي جعفر يزيد «٢» بن الققعاق، و منه تعلّم القرآن، و على شيبه «٣» بن نصاح القاضي، و على عبد الرحمن «٤» بن الأعرج، و على عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي «٥»، و على أبي روح «٦» يزيد بن رومان.

قالوا: وأخذ هؤلاء القراءة عن أبي هريرة «٧»، و ابن عباس «٨»، و عبد الله «٩» بن عياش بن أبي ربيعة، كلهم عن أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وآله.

- (١) هو نافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم المدني المتوفى (١٦٩ هـ) - غاية النهاية ج ٢ ص ٣٣٠.
- (٢) ابو جعفر القارى يزيد بن القعقاع المدني المتوفى (١٣٢ هـ) - غاية النهاية ج ٢ ص ٣٨٢.
- (٣) شيبه بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المدني المتوفى (١٣٠) - الاعلام ج ٣ ص ٢٦٤.
- (٤) هو عبد الرحمن بن هرمز أبو داود الأعرج المدني المتوفى (١١٧) - الاعلام ج ٤ ص ١١٦.
- (٥) أبو عبد الله مسلم بن جندب الهذلي مولا هم المدني المتوفى (١٣٠) غاية النهاية ج ٢ ص ٢٩٧.
- (٦) أبو روح يزيد بن رومان المدني القارى المتوفى (١٢٠) أو (١٣٠) المصدر ج ٢ ص ٣٨١.
- (٧) ابو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى المتوفى بالمدينة (٥٩) - الاعلام ج ٤ ص ٨٠.
- (٨) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب المتوفى (٦٨) بالطائف - الاعلام ج ٤ ص ٢٢٨.
- (٩) عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي المتوفى بعد (٧٠) أو سنة (٥٧٨) - غاية النهاية ج ١ ص ٤٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٤

و ذكروا للنافع راويين: أحدهما: عيسى بن ميناء الزرقى لقبه نافع بقالون «١» لجودة قراءته فإن معنى قالون بلغه الروم «جيد».

و الآخر: أبو سعيد عثمان بن سعيد القبطى المصرى الملقب بورش «٢» لشدة بياضه.

الثانى منهم: عبد الله بن كثير «٣» المكى، أخذ عن عبد الله بن «٤» سائب المخزومى، صاحب النبى صلى الله عليه وآله، و مجاهد بن «٥» جبر أبى الحجاج، و در بأس مولى ابن عباس، و أخذ مجاهد و درباس عن ابن عباس، عن أبى، و زيد بن ثابت عن النبى صلى الله عليه وآله.

و روى عن ابن كثير أبو الحسن البزى «٦» أحمد بن محمد بن عبد الله، و قبل «٧» أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن، يقال: رجل قبل أى غليظ شديد.

(١) عيسى بن ميناء بن وردان الزرقى أبو موسى الملقب بقالون، كان ربيب نافع على ما قيل، توفى سنة (٢٢٠ هـ) - غاية النهاية ج ١ ص ٦١٥.

(٢) عثمان بن سعيد بن عبد الله المصرى ولد سنة (١١٠) بمصر، و رحل الى نافع فعرض عليه القرآن عدّة ختمات فى سنة (١٥٥)، توفى بمصر سنة (١٩٧ هـ) - غاية النهاية ج ١ ص ٥٠٢.

(٣) عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله ابو معبد المكى الدارى من بنى عبد الدار ولد بمكة سنة (٤٥) و أدرك غير واحد من الصحابة و روى عنهم، توفى سنة بمكة المكرمة سنة (١٢٠ هـ) - غاية النهاية ج ١ ص ٤٤٣.

(٤) عبد الله بن السائب بن أبى السائب صيفى بن عابد المخزومى المكى له صحبة و روى القراءة عن أبى بن كعب، توفى حدود سنة (٥٧٠ هـ) - غاية النهاية ج ١ ص ٤١٩.

(٥) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى المفسر المتوفى (١٠٤) - الاعلام ج ٦ ص ١٦١.

(٦) احمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم البزى المكى، ولد سنة (١٧٠ هـ) و توفى سنة (٢٥٠ هـ) - غاية النهاية ج ١ ص ١١٩.

(٧) محمد بن عبد الرحمن بن خالد المكى الملقب بقنبل، و له سنة (١٩٥)، و توفى سنة (٢٩١ هـ) - غاية

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٥

وقيل: هم أهل بيت بمكة المكرمة يقال لهم القنابلة، و اختلفوا في تلقبه به.

روى البرزى و قنبل عن ابن كثير بالواسطة، و لم يذكر الطبرسى في «جمع البيان» رواية قنبل عن ابن كثير، بل قال: له ثلاث روايات: رواية البرزى، و رواية ابن فليح، و رواية أبي الحسين القواس «١».

الثالث منهم: أبو عمرو بن العلاء البصرى، اسمه زبان «٢»، أبو يحيى أو غيرهما يروى عن جماعة من أهل الحجاز، و البصرة: فمن أهل مكة المكرمة يروى عن مجاهد، و سعيد «٣» بن جبير، و عكرمة «٤» بن خالد، و عطاء «٥» بن أبي رباح، و عبد الله بن كثير، و محمد بن عبد الرحمن بن محيى، و حميد بن قيس الأعرج.

و من أهل المدينة يروى عن يزيد بن قعقاع القارى، و يزيد بن رومان، و شيبة بن نصاح.

و من أهل البصرة يروى عن الحسن بن أبي الحسن البصرى، و يحيى «٦» بن يعمر، و غيرهما، و هؤلاء أخذوا عن الصحابة.

النهاية ج ٢ ص ١٦٧.

(١) مجمع البيان ج ١ مقدمة الكتاب، الفن الثاني ص ١١.

(٢) زبان بن العلاء بن عمار بن العريان أبو عمرو المازنى البصرى و قد اختلف فى اسمه على أكثر من عشرين قولاً و له بمكة المكرمة سنة (٦٨)، و نشأ بالبصرة، و توفى بالكوفة سنة (١٥٤).

(٣) سعيد بن جبير بن هشام الكوفى التابعى الجليل قتله الحجاج بواسط شهيدا فى سنة (٩٥) أو (٩٤) - غاية النهاية ج ١ / ٣٠٥.

(٤) عكرمة بن خالد بن العاص المكى التابعى المتوفى (١١٥) - المصدر ج ١ ص ٥١٥.

(٥) عطاء بن ابى رباح بن أسلم المكى المتوفى (١١٥) - غاية النهاية ج ١ ص ٥١٣.

(٦) يحيى بن بن يعمر أبو سليمان العدوانى البصرى التابعى أول من نقت المصاحف، توفى قبل سنة (٩٠) - غاية النهاية ج ٢ ص ٣٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٦

و روى عن أبى عمرو البصرى يحيى بن المبارك اليزيدى «١»، و أبو عمر حفص ابن عمر بن عبد العزيز الدورى «٢» البغدادى الضرير، و أبو شعيب صالح بن زياد السوسى «٣».

و فى «مجمع البيان»: لأبى عمرو البصرى ثلاث روايات: رواية شجاع «٤» ابن أبى نصر، و رواية العباس بن الفضل البصرى قاضى الموصل المتوفى (١٨٦)، و رواية اليزيدى.

و لليزيدى ست روايات: رواية أبى «٥» حمدون الزاهد، و أبى عمر الدورى، و أوقية «٦»، و أبى نعيم غلام «٧» سجادة، و أبى أيوب «٨» الخياط، و ابى شعيب

(١) هو يحيى بن المبارك أبو محمد البصرى النحوى المقرئ المتوفى (٢٠٢) هـ جود القرآن على أبى عمرو البصرى، عرف باليزيدى لاتصاله بيزيد بن منصور خال المهدي العباسى، كان يؤدب ولده.

(٢) أبو عمر الدورى حفص بن عمر الأزدي المقرئ النحوى البغدادى نزيل سامراء، توفى سنة (٢٤٦ هـ) قيل: إنه أول من جمع القراآت و ألفها، و الدورى نسبة الى الدور محلة بالجانب الشرقى من بغداد.

(٣) ابو شعيب السوسى صالح بن زياد المقرئ المتوفى (٢٦٠) قرأ على اليزيدى و سمع بالكوفة من ابن نمير، و بمكة المكرمة من سفيان بن عينية.

(٤) شجاع بن ابى نصر البلخى المقرئ الزاهد المتوفى (١٩٠) ببغداد قرأ القرآن على ابى عمرو و جوده، أخذ عنه القاسم بن سلام و محمد بن غالب.

(٥) هو الطيب بن إسماعيل أبو حمدون الذهلي البغدادي الزاهد اللؤلؤي المقرئ كان إماما في القراءة و التجويد، روى الحروف عن الكسائي، ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام في وفيات (٢٤٠) - (٢٥٠ هـ) ص ٢٩٨ رقم ٢٢٥.

(٦) هو عامر بن عمر بن صالح أبو الفتح المعروف بأوقية الموصلية المقرئ توفي سنة (٢٥٠ هـ) - غاية النهاية ج ١ ص ٣٥٠.

(٧) هو جعفر بن حمدان المشهور بغلام سجادة البغدادي من أصحاب يزيدى ترجمه ابن الجزرى و كناه بأبى محمد - غاية النهاية ج ١ ص ١٩١.

(٨) هو سليمان بن أيوب بن الحكم أبو أيوب الخياط البغدادي المتوفى (٢٣٥) - غاية النهاية ج ١ ص ٣١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٧

السوسى.

الرابع منهم ابن عامر أبو عمران «١» عبد الله بن عامر الدمشقى، أخذ عن أبي الدرداء «٢» عويمر بن عامر صاحب النبى صلى الله عليه وآله، و المغيرة «٣» بن أبى شهاب، و أخذ الأوّل عن النبى صلى الله عليه وآله، و الثانى عن عثمان بن عفان. و روى عن ابن عامر هشام «٤» بن عمّار الدمشقى، و ابن ذكوان «٥»، روى عنه بواسطتين. الخامس: عاصم «٦» بن أبى النجود بهدله الأسدى الكوفى، روى عن أبى

(١) عبد الله بن عامر اليحصبى امام أهل الشام فى القراءة، ولى قضاء دمشق فى خلافة الوليد ابن عبد الملك، و كان يؤم الناس فى المسجد فلما استخلف سليمان بن عبد الملك بعث الى مهاجر و قال: إذا كان أوّل ليلة من شهر رمضان فف خلف ابن عامر فاذا تقدّم فخذ بشيابه و اجذبه و قل تأخر، فلن يتقدّم منا دعوى، و صل أنت يا مهاجر، فضل.

قال ابن الجزرى: قد ورد فى اسناد ابن عامر تسعة أقوال أصحها أنه قرأ على المغيرة بن أبى شهاب، و نقل عن بعض أنه قال: لا يدرى على من قرأ، و له سنة ثمان من الهجرة و توفى سنة (١١٨) - طبقات القراء ج ١ ص ٤٠٤.

(٢) أبو الدرداء هو عويمر بن زيد الخزرجى كان من القراء على عهد النبى صلى الله عليه وآله و تصدّر للإقراء بعد وفاته صلى الله عليه وآله عند ما تولّى قضاء دمشق فى خلافة عثمان و عدّ تلامذته الذين قرءوا عنده فكان عدّتهم (١٦٠٠) و نيفا، توفى سنة (٣٢).

(٣) قال الذهبي: لا يكاد يعرف إلّا من قراءة ابن عامر عليه، و قال فى تاريخ الإسلام: المغيرة بن أبى شهاب المخزومى قرأ على عثمان بن عفان و عليه قرأ عبد الله بن عامر الدمشقى، نقل القضاة أنه توفى سنة (٩١) هـ - و له تسع و ثمانون سنة. تاريخ الإسلام ص ٤٨٤.

(٤) هشام بن عمّار بن نصير الدمشقى الخطيب المقرئ و له سنة (١٥٣) و توفى سنة (٢٤٥).

(٥) هو عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان المقرئ الدمشقى و له سنة (١٧٣) و توفى سنة (٢٤٢).

(٦) عاصم بن أبى النجود - بهدله - أبو بكر الأسدى بالولاء الكوفى القارى، قيل: اسم أبيه عبيد، و بهدله اسم أمه، أخذ القراءة عرضا من زرّ بن جيش، و أبى عبد الرحمن السلمى، و أبى عمرو الشيبانى، توفى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٨

عبد الرحمن «١» عبد الله بن حبيب السلمى، و أبى مريم زرّ بن «٢» حبيش.

و أخذ الأوّل عن أمير المؤمنين عليه السلام، و عن أبى بن كعب، و زيد «٣» بن ثابت، و عبد الله بن مسعود، و عثمان. و الثانى عن الأخيرين.

و روى عن عاصم حفص بن «٤» سليمان الأسدى الكوفى البزاز، و أبو بكر شعبة «٥» بن عياش بن سالم الأسدى.

قال فى «مجمع البيان»: و لأبى بكر بن عياش ثلاث روايات:

رواية أبى يوسف «٦» الأعشى، و أبى صالح «٧» البرجمى، و يحيى «٨» بن آدم.

سنة (١٢٧) أو (١٢٨) - تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٩.

(١) أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمى المقرئ الكوفى، ولد فى حياة الرسول صلى الله عليه وآله وأخذ القراءة عن ابن مسعود، و عرض القرآن على علي عليه السلام على ما ذكره الذهبى، كان يقرئ الناس فى مسجد الكوفة أربعين سنة، توفى سنة (٧٤) هـ.

(٢) زر بن حبيش أبو مريم الأسدى أدرك الجاهلية ولم ير النبى صلى الله عليه وآله وهو من كبار التابعين ومن ثقات أمير المؤمنين عليه السلام توفى سنة (٨٣) من عمر (١٢٧) سنة.

(٣) زيد بن ثابت كان كاتب النبى صلى الله عليه وآله بالعريفة، وتولى جمع القرآن بأمر أبى بكر، ثم ترأس لجنة توحيد المصاحف فى عهد عثمان و كان يحبه عثمان و ولّاه بيت المال توفى سنة (٥٤) أو (٥٥).

(٤) حفص بن سليمان بن المغيرة المقرئ الكوفى و هو ابن امرأة عاصم و ربيبه توفى سنة (١٨٠) هـ.

(٥) ابو بكر شعبه بن عياش الكوفى المعروف بعدم الضبط على خلاف زميله حفص الضابط، توفى سنة (٤٩٣).

(٦) أبو يوسف الأعشى يعقوب بن محمد الكوفى، تصدّر للإقراء بالكوفة توفى سنة حدود (٢٠٠).

(٧) أبو صالح البرجمى عبد الحميد بن صالح المقرئ الكوفى، كان إمام مسجد بنى شيطان، توفى سنة (٢٣٠) هـ - تاريخ الإسلام ص ٢٥١.

(٨) أبو زكريا يحيى بن آدم القرشى الكوفى الأحول الحافظ المقرئ توفى بقم الصلح سنة (٢٠٣) -

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٩

السادس: أبو عماره «١» حمزه بن حبيب الكوفى الزيات.

روى عن الامام جعفر الصادق عليه السلام، و عن الأعمش، و محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى القاضى، و حرمان بن أعين، و أبى إسحاق «٢» السبيعى، و منصور «٣» بن المعتمر، و مغيرة «٤» بن المقسم، و أخذ هؤلاء عن التابعين عن الصحابة. هذا على ما فى «التيسير».

و قال فى «المجمع»: و أمّا حمزة فقرأ على جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، و قرأ أيضا على الأعمش سليمان بن مهران، و قرأ الأعمش على يحيى بن وثاب، و هو قرأ على علقمة «٥»، و مسروق «٦»، و الأسود «٧» بن يزيد، و هؤلاء قرءوا

رجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٧٨٧.

(١) ابو عماره حمزه بن حبيب بن عماره بن إسماعيل الزيات القارى الكوفى المتوفى بحلوان سنة (١٥٦) هـ - تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٧.

(٢) أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى التابعى كان شيخ الكوفة فى عصره، و بلغت مشيخته نحو من (٤٠٠) شيخ، و له سنة (٣٣) و سمع من (٣٨) صحابيا و توفى سنة (١٢٧) هـ - تاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١١٦.

(٣) منصور بن معتمر السلمى أبو عتاب الكوفى، كان من كبار الحفاظ الأثبات توفى سنة (١٣٢) - تاريخ الإسلام ج ٥ ص ٥٤٧.

(٤) مغيرة بن مقسم الضبى الكوفى أبو هشام الأعمى توفى سنة (١٣٣) هـ - تاريخ الإسلام ج ٥ ص ٥٤١.

(٥) هو علقمة بن قيس النخعى الهمدانى التابعى كان فقيه العراق، ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وآله، و توفى بالكوفة سنة (٦٢) هـ.

(٦) هو مسروق بن الأجدع الهمدانى التابعى، شهد حروب أمير المؤمنين عليه السلام و كان أعلم بالفيتا من شريح، توفى سنة (٦٣) هـ.

(٧) الأسود بن يزيد بن قيس النخعى التابعى الفقيه الحافظ المتوفى سنة (٧٥) هـ كان عالم الكوفة فى عصره.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٠

على عبد الله بن مسعود.

و قرأ حمزة أيضا على أبي الأسود «١» الدنلى، و هو قرأ على بن أبى طالب عليه السلام.

روى عن حمزة خلف «٢» بن هشام البزاز، و خلاد بن خالد «٣» الشيبانى، كلاهما بواسطة سليم بن عيسى الحنفى «٤».

و السابع: الكسائى و هو أبو الحسن على «٥» بن حمزة الكوفى.

قال فى «التيسير»: و رجاله حمزة بن حبيب الزيات، و عيسى «٦» بن عمر الهمدانى، و محمّد بن أبى ليلى، و غيرهم من مشيخه الكوفيين، غير أنّ مادّة قراءته و اعتماده فى اختياره القراءة عن حمزة.

و فى «المجمع»: أنّه قرأ على حمزة، و لقى من مشايخ حمزة ابن أبى ليلا و قرأ عليه، و على أبان بن تغلب، و عيسى بن عمر، و غيرهم.

(١) أبو الأسود ظالم بن عمرو، كان أديبا، شاعرا، فقيها من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام و وضع علم النحو بأمره، توفى سنة (٦٩) بالبصرة.

(٢) سيأتى ترجمته إنشاء الله.

(٣) خلاد بن خالد الشيبانى مولا هم الصيرفى من كبار القراء المجوّدين، توفى بالكوفة سنة (٢٢٠) هـ.

(٤) سليم بن عيسى الكوفى الحنفى بالولاء المقرئ كان أخص أصحاب حمزة و أضبطهم توفى سنة (١٨٨) هـ.

(٥) هو على بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدى مولا هم، من أولاد الفرس، انتهت إليه رياسته الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، توفى سنة (١٨٩) هـ - طبقات القراء ج ١ ص ٥٣٥.

(٦) عيسى بن عمر الثقفى بالولاء، كان من أئمة اللغة و من شيوخ الخليل، و سيبويه و ابن العلاء، و كان بصريّا و له نحو سبعين مصنفا، توفى سنة (١٤٩) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣١

روى عن الكسائى أبو الحارث «١» الليث بن خالد البغدادى، و الدورى المتقدم ذكره، عن أبى عمرو البصرى.

و فى «المجمع»: أنّ له ستّ روايات:

رواية قتيبة «٢» بن مهران، و رواية نصير «٣» بن يوسف النحوى، و رواية أبى الحارث البغدادى، و رواية أبى حمدون الزاهد، و رواية حمدون ابن ميمون الزجاج، و رواية الدورى. «٤» و هؤلاء هم القراء السبعة و روايتهم الأربعة عشر مع ما أضيف إليها، و مشايخهم حسبما نقله فى «التيسير» و غيره.

و فيهم قال أبو مزاحم «٥» الخاقانى:

و إنّ لنا أخذ القراءة سنّه عن الأولين المقرئين ذوى الستر

فلسبعة القراء حق على الورى لإقراءهم قرآن ربهم الوتر

فبالحرمين ابن الكثير و نافع و بالبصرة ابن للعلاء أبو عمرو

(١) ابو الحارث الليث بن خالد البغدادى كان من أجله أصحاب الكسائى، توفى سنة (٢٤٠) - طبقات القراء ج ٢ ص ٣٤.

(٢) قتيبة بن مهران الأزدانى الإصبهانى المقرئ، انتهت إليه رياسته الإقراء بأصبهان، صحب الكسائى مدّة طويلة، و كان موجودا فى حدود سنة (٢٢٠) هـ - طبقات المحدثين بأصبهان ج ٢ ص ٨٦.

(٣) نصير بن يوسف بن أبى نصر الرازى النحوى المقرئ أبو المنذر، له مصنّف فى رسم المصحف، توفى سنة (٢٤٠) هـ - شذرات

الذهب ج ٢ ص ٩٥.

(٤) مجمع البيان ج ١ الفن الثاني من المقدمة.

(٥) هو موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبو مزاحم الخاقاني البغدادي الشاعر المتوفى (٣٢٥) - غاية النهاية ج ٢ ص ٣٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٢ و بالشام عبد الله و هو ابن عمرو عاصم الكوفي و هو أبو بكر

و حمزة أيضا و الكسائي بعده أخو الحدق بالقرآن و النحو و الشعر

و أما القراء الثلاثة المكملون للعشرة:

فأولهم: أبو جعفر «١» يزيد بن القعقاع المخزومي المدني، قرأ على عبد الله بن عباس، و على مولاة عبد الله «٢» بن عتياش بن أبي ربيعة المخزومي، و هما قرءا على أبي بن كعب، و قرأ أبي على النبي صلى الله عليه و آله.

و روى عنه أبو الحارث عيسى «٣» بن وردان المدني الحداء، و ابن الجمّاز «٤» أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز الزهري المدني.

و ثانيهم: يعقوب «٥» بن إسحاق الحضرمي البصري، روى عنه رويس «٦» محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري، و روح «٧» بن عبد المؤمن الهزلي البصري.

و ثالثهم: و هو تمام العشرة، خلف «٨» بن هشام البزاز ذكروا أن له اختيارا.

(١) توفى بالمدينة سنة (١٣٢) أو (١٢٨ هـ) - طبقات القراء ج ٢ ص ٣٨٢.

(٢) ولد بالحبشة في الهجرة الاولى، و قرأ على أبيه عتياش و على أبي بن كعب توفى سنة (٦٤).

(٣) كان ابن وردان مقرئا حاذقا و كان من أجله أصحاب نافع مات حدود سنة (١٦٠) - طبقات القراء ج ١ ص ٦١٦.

(٤) توفى ابن الجمّاز سنة (١٧٠) هـ أو بعدها - طبقات القراء ج ١ ص ٣١٥.

(٥) ولد بالبصرة سنة (١١٧) و توفى بها سنة (٢٠٥ هـ) - تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣٨٢.

(٦) كان رويس من أحذق أصحاب يعقوب الحضرمي، توفى سنة (٢٣٨) - طبقات القراء ج ٢ ص ٢٣٤.

(٧) توفى سنة (٢٣٤) و كان من أجله أصحاب يعقوب.

(٨) هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزاز البغدادي، قال ابن الجزري: حفظ القرآن و هو ابن عشر سنين، قال ابن أشتة: كان حلف يأخذ بمذهب حمزة إلى أنه خالفه في مائة و عشرين حرفا، و له سنة (١٥٠) و توفى سنة (٢٢٩) - طبقات القراء ج ١ ص ٢٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٣

روى عنه إسحاق «١» بن إبراهيم الورّاق المروزي، و إدريس «٢» بن عبد الكريم الحداد.

ثم اعلم أن المراد بالمدني حيث أطلق هو نافع، و أبو جعفر القعقاع.

و المكّي هو عبد الله بن كثير، و إذا اجتماعا قيل: حجازيّ.

و الكوفي عاصم، و حمزة، و الكسائي، و خلف، و البصري ابو عمرو، و يعقوب.

و قد يزداد على ما في «المجمع» و غيره: أبو حاتم «٣» السجستاني سهل بن محمد، و ليس كيعقوب من السبعة، و إذا اجتمع أهل الكوفة و البصرة قيل:

عراقي.

و الشامي ابن عامر، لا غير و اعلم أيضا أنّهم يطلقون القراءة على ما كان عن أحد العشرة أو من هو مثلهم.

و الرواية على ما كان من أحد روايتهم.

و الطريق عليها و على ما كان عمّن بعدهم، فيقال: هذه قراءة نافع، من رواية قالمون، من طريق الجزري، أو الشاطبي «٤».

- (١) هو ابو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الوراق المتوفى (٢٨٦) - المهذب ص ١٢.  
 (٢) هو ابو الحسن إدريس البغدادي المتوفى (٢٩٢) - المهذب فى القراءت العشر ص ١٢.  
 (٣) أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد بن عثمان البصرى اللغوى الشاعر المتوفى (٢٤٨) - الاعلام ج ٣ ص ٢١٠.  
 (٤) قال محمد محمد محمد سالم الشافعى فى «المهذب» ص ٢٥: اعلم أن كل خلاف نسب لإمام من الأئمة العشرة مما اجمع عليه الرواة عنه فهو قراءة.

و كل ما نسب للراوى عن الامام فهو روايه ...

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٤

و إن كان قد يطلق كل من الثلاثة على غيره، سيما فى كلام من ليس من أهل هذا الاصطلاح.  
 ثم إن هاهنا جملة من القراء غير من سمعت ربما نسب إليهم شواذ القراءت لا داعى للتعرض لهم «١».

و كل ما نسب للآخذ عن الراوى و إن سفل فهو طريق ...

مثل إثبات البسمة بين السورتين فهو قراءة ابن كثير، و رواية قالون عن نافع، و طريق الإصبهاني عن ورش.

- (١) مثل الحسن بن يسار البصرى المتوفى (١١٠) قارئ البصرة، و ابن محيصر محمد بن عبد الرحمن المتوفى (١٢٣) قارئ مكة، و غيرها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٥

## الباب الثانى عشر

### اشارة

فى كفيته القراءة و آدابها الظاهرة و وظائفها الباطنة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٧

و فيه فصول:

### الفصل الأول

### اشارة

فى الآداب الظاهرة التى ينبغى الاهتمام بها و المداومة عند القراءة، بل عند إرادتها لو لم تكن حاصله قبلها، و هى أمور:  
 الأول: الطهارة من الحدث الأكبر و الأصغر بلا خلاف فيها، بل على مطلوبيتها فى الجملة، نقلا و تحصيلا، للتعظيم المأمور به فى جملة من الأخبار، و لخصوص جملة من المعبرة.  
 فمما يدل على الأول ما

رواه الحميرى «١» فى «قرب الاسناد» «٢» عن محمد «٣» ابن عبد الحميد، عن محمد بن «٤» الفضيل، عن أبى الحسن عليه السلام قال:

- (١) هو أبو العباس عبد الله بن جعفر بن الحسين بن مالك بن جامع الحميرى شيخ القميين كان حيا سنة (٢٩٧ هـ) و سمع منه أهل



الكوفة في حدود السنة المذكورة.

(٢) هو مجموع من الأخبار المسندة الى المعصوم عليه السلام لقله وسائطه سمي بقرب الاسناد- الذريعة ج ١٧ ص ٦٧.

(٣) هو محمد بن عبد الحميد بن سالم أبو جعفر العطار الكوفي، نشأ في عصر الإمام الرضا عليه السلام و بقي الى زمان العسكري عليه السلام، و وقع في اسناد كامل الزيارات- معجم رجال الحديث ج ١٦ ص ٢٠٩.

(٤) هو محمد بن الفضيل بن كثير الأزدي الكوفي الصيرفي أبو جعفر الأزرق، روى عن أبي الحسن موسى و الرضا عليهما السلام و له كتاب و مسائل، معجم رجال الحديث ج ١٧ ص ١٤٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٨  
سألته أقرأ المصحف، ثم يأخذني البول، فأقوم و أبول و أستنجي و أغسل يدي، و أعود إلى المصحف فأقرأ فيه؟  
قال عليه السلام: لا، حتى تتوضأ للصلاة «١».

و الظاهر أن المراد مثل الوضوء للصلاة، و لذا كان الأظهر عندنا أن الوضوء للقراءة و غيرها من الغايات المندوبة يستبيح به الصلاة على ما حررناه في الفقه.

و

روى أحمد «٢» بن فهد في «عده الداعي» قال: قال عليه السلام: لقارئ القرآن بكل حرف يقرأه في الصلوة قائما مائة حسنة، و قاعدا خمسون حسنة، و متطهرا في غير صلاة خمس و عشرون حسنة، و غير متطهرا في غير صلاة خمس و عشرون حسنة، و غير متطهر عشر حسنات، أما إنني لا أقول: «المر» حرف بل بالألف عشر، و باللام عشر، و بالميم عشر، و بالراء عشر «٣».  
و هذا الخبر أرسله في «كشف اللثام» إلى قوله: «عشر حسنات» عن مولانا الصادق عليه السلام، قال: و أرسل نحوه عن أمير المؤمنين عليه السلام.

و

في «الخصال» بالإسناد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، في حديث الأربعمائه، قال: «لا يقرأ العبد القرآن إذا كان على غير طهور حتى يتطهر» «٤».

و لعله يستفاد منه كالخبر الأول كراهة القراءة من غير طهور، و لم أر من نبه عليه، و لعلهم فهموا منه التعبير عن الاستحباب، و أما البناء على كراهة ترك

(١) قرب الاسناد ص ١٧٥- وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٤٧ باب استحباب الطهارة القراءة القرآن.

(٢) هو أحمد بن محمد بن محمد بن فهد الأسدي الفقيه الجليل الحلبي، ولد في الحلة سنة (٧٥٣) و توفي بكربلاء سنة (٨٤١ هـ)، روضات الجنات ج ١ ص ٢١.

(٣) عده الداعي ص ٢١٢- وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٤٨.

(٤) الخصال ج ٢ ص ٦٢٧- حديث أربعمائه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٩

المستحب، و استحباب ترك المكروه فلا ينبغي الإصغاء إليه.

بل قد ورد الأمر بالطهارة لكتابه و تعليقه:

ففي «الكافي» و «قرب الاسناد» عن علي بن «١» جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام: أنه سأله من الرجل أ يحل له أن يكتب القرآن في الألواح و الصحيفة، و هو على غير وضوء؟ قال عليه السلام: لا «٢».

و

روى الشيخ في «الإستبصار» بالإسناد عن أبي الحسن عليه السلام قال: «المصحف لا تمسه على غير طهر، ولا جنباً، ولا تمس خطه ولا تعلقه، إن الله يقول: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» (٣). «٤»

أقول: والنهي فيه محمول على مطلق مطلوبية الترك الأعم من الكراهة والحرمة، فلا يقدر الجمع في النهي بين مس الخط والتعليق، كما أنه في الأخبار السابقة ظاهر في الكراهة، ولو بقرينة المقام، أو بمعرفة الإجماع وغيره على نفى التحريم، بل ينزل عليه نفى البأس عنه في أخبار آخر:

كصحيح أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قراءة المصحف، وهو على غير وضوء، قال عليه السلام: لا بأس ولا يمس الكتاب (٥).

(١) هو علي بن جعفر الصادق عليه السلام أبو الحسن المدني سكن العريض من نواحي المدينة كان جليل القدر عظيم الشأن، روى عن أبيه وأخيه وعن الرضا عليهم السلام، وله كتب وروى عنه جماعة، توفي سنة (٢١٠ هـ) كما في تقريب ابن حجر ص ٣٦٩.

(٢) رواه المجلسي في البحار ج ١٠ ص ٢٧٧ و ج ٨٠ ص ٣٠٩.

(٣) سورة الواقعة: ٧٩.

(٤) الاستبصار ج ١ ص ١١٣ و ١١٤ باب أن الجنب لا يمس المصحف ح ٣.

(٥) التهذيب ج ١ ص ٣٥- الاستبصار ج ١ ص ١١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٠

و

في «الكافي» عن حريز (١)، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان إسماعيل بن أبي عبد الله عنده، فقال عليه السلام: يا بني اقرأ المصحف، فقال: إنني لست على وضوء، فقال عليه السلام: لا تمس الكتاب، ومس الورق وقرأه (٢).

فإن نفى البأس في الأول لنفى الحرمة، والأمر في الثاني لدفع توهم الحظر، ولذا نبه فيهما على ما هو المحذور من مس الكتاب.

ويدل على الثاني، مضافاً إلى التعظيم والأولية القطعية التي مرجعها إلى الدلالة اللفظية العلوية المتقدم من «الخصال» في حديث الاربعمائه، وغيره مما يأتي.

ولعله لا خلاف فيه، كما لا خلاف في جواز القراءة، للجنب والحائض، والنساء، ومن مس الميت، من غير العزائم الأربع، للمعتبرة المستفيضة:

كالصحيح عن الصادق عليه السلام، قال: «يقرأ الجنب القرآن، والحائض، والنساء أيضاً» (٣).

و

موثق ابن بكير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجنب يأكل، ويشرب، ويقرأ القرآن؟ قال عليه السلام: ثم يأكل، ويشرب، و يقرأ، ويذكر الله تعالى ما شاء (٤).

و

صحيح زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: قلت له: الحائض والجنب هل يقرآن من القرآن شيئاً؟ قال عليه السلام: «نعم، ما شاء إلا السجدة، ويذكر ان

(١) هو حريز بن عبد الله السجستاني أبو محمد الأزدي روى عن الصادق عليه السلام وله «أصول الأربعة في الصلاة والصوم والزكاة

و النوادر» رواها عنه حماد بن عيسى الغريق سنة (٢٠٨) - الذريعة ج ٢.

(٢) الوسائل ج ١ ص ٢٦٩ ح ٢- التهذيب ج ١ ص ٣٥.

(٣) فروع الكافي ج ١ ص ٣٠: قال: الحائض تقرأ القرآن، و النفساء و الجنب أيضا.

(٤) الفروع ج ١ ص ١٦- التهذيب ج ١ ص ٣٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤١  
الله تعالى على كل حال «١».

و

موثق الفضيل عنه عليه السلام: «لا بأس أن تتلوا الحائض و الجنب القرآن» (٢).

و

في صحيح الحلبي، عن الصادق عليه السلام قال: سألته: أ تقرأ النفساء، و الحائض، و الجنب، و الرجل يتغوط، القرآن؟ فقال عليه السلام: يقرأون ما شاءوا (٣).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة، مضافا إلى الإجماع المحصل و المحكى في كلام الجماعة نقلا مستفيضا.  
فلا ينبغي الإصغاء إلى ما يحكى عن سَلار (٤) في غير «المراسم» من تحريم القراءة للجنب مطلقا، أوله و لأخيه، لشذوذه و ضعفه، كضعف ما يستدل به من الخبرين:

أحدهما

المروى عن «الخصال» عن السكوني (٥)، عن الصادق عليه السلام، من آباءه، عن عليّ عليهم السلام، قال: «سبعة لا يقرأون من القرآن: الراكع، و الساجد، و في الكنيف، و في الحمام، و الجنب، و النفساء، و الحائض» (٦).

و الآخر

المروى في «الفتاوى» و «الأمالى» و «العلل» عن أبي سعيد الخدرى في وصية النبي صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام أنه قال: «يا علي من كان جنبا في الفراش مع امرأته

(١) العلل ص ١٠٥.

(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٦.

(٣) التهذيب ج ١ ص ٣٦.

(٤) سَلار: حمزة بن عبد العزيز الديلمي الفقيه سكن بغداد و توفي في «خسرو شاه» من قرى تبريز سنة (٤٦٣هـ) - الذريعة ج ١ ص ٧٣.

(٥) هو إسماعيل بن ابى زياد مسلم السكونى الشيعرى عدّه الشيخ الطوسى في «عدّة الأصول» ممّن انعقد الإجماع على ثقته و قبول روايته و إن كان عاميا.

(٦) الخصال ص ٣٥٧ باب السبعة ح ٤٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٢

فلا يقرأ القرآن فإنى أخشى أن ينزل عليهما نار من السماء فتحرقهما» (١).

إذ مع قصورهما سنداً و دلالة لا يعارضان ما سمعت، سيما مع موافقتهما للعامة، و عامية السكونى معروفة، و الكلام في وصايا النبي مشهور.

و أضعف منهما ما يقال: من معروفة ترك الجنب قراءة القرآن في ذلك الزمان، نظرا إلى ما

يحكى عن عبد الله بن (٢) رواحة، حيث رآته امرأته مع جاريتها، فمضت لتأخذ سكيناً، فأنكر عليها ذلك و احتجّ عليها بأنه ليس نهى رسول الله صلى الله عليه و آله أن يقرأ أحدنا و هو جنب؟ فقالت له: اقرأ، فقال:

شهدت بأن وعد الله حقّ \* و أنّ النار مثوى الكافرينا و أنّ العرش من فوق (٣) طباق \* و فوق العرش رب العالمينا و تحمله ملائكة

شداد\* ملائكة إلا له مسؤمينا فقالت: صدق الله و كذب بصرى، فجاء و أخبر النبى صلى الله عليه و آله بذلك، فضحك حتى بدت نواجذه. «٤»

إذ إثبات الحكم الشرعى بمثله كما ترى.

فلا ريب فى ضعف القول بالحرمة مطلقا، بل و لا ريب أيضا فى ضعف ما لا يعرف القائل به من القول بحرمة ما زاد على سبع آيات، أو السبعين، و إن كان

(١) وسائل الشيعة ب ١٦ من أبواب الجنابة ج ١ ح ٣ ص ٤٩٣.

(٢) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصارى الصحابى الشهيد فى مؤتة (٨).

(٣) فى مختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٥٨: «و أن العرش فوق الماء طاف» و تحمله ملائكة كرام ملائكة إلا له مقرينا

(٤) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١٢ ص ١٥٨-١٥٩ مع تفاوت.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٣

ربما يلوح من «المقنعة» و «النهاية»، و ظاهر «المهذب» بل قد يستدل له

بموثقة سماعة، قال: سألته عن الجنب هل يقرأ القرآن؟ قال عليه السلام: «ما بينه و بين سبع آيات إلا أربع سور» (١).

و فى رواية زرعة عن سماعة قال: «سبعين آية» (٢).

و لذا ربما عدّهما بعضهم روايتين، و آخرون رواية واحدة مضطربة.

إلا أن فيه، مع الإضمار، و ظهور الاضطراب، و شذوذ القول به، أن الخبر كما ترى غير صريح فى الحرمة، فلا يصلح مقيدا و مخصصا للمعتبرة المتقدمة التى فيها الصّحاح و غيرها.

على أن التدافع بينهما حاصل على فرض التعدّد فلا ينبغى التأمل فى جواز القراءة من غير الأربع للمحدث بالحدث الأكبر مطلقا.

نعم إنّما الكلام فى أن الجواز هل هو من غير كراهة، مطلقا، كما هو ظاهر «الفقيه» و «الهداية» و «المقنع»، و غيرهما، ممّن نفى البأس عن قراءة القرآن كلّ ما خلا-العزائم، بل و صريح «المدارك» و «الحدائق» لظاهر الأخبار المتقدمة الدالّة على نفى البأس الشامل بإطلاقه لنفى الكراهة، كما هو مقتضى الأصل المذى لا-رافع له فى المقام بعد تضعيف خبر السبع و السبعين، و عدم صلاحيته للتخصيص و التقييد.

أو أن الجواز مع الكراهة مطلقا و لو فى أقلّ من السبع كما عن ابن سعيد (٣)

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٦- وسائل الشيعة ج ١ ح ١٠ ب ١٩ من أبواب الجنابة ص ٤٩٤.

(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٩- الوسائل ب ١٩ من أبواب الجنابة ح ١٠ ج ١ ص ٤٩٤.

(٣) ابن سعيد ابو أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الحلبي ولد سنة (٦٠١) و توفى سنة (٦٨٩) أو

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٤

فى «الجامع» حيث أطلق كراهة قراءة الجنب القرآن (١)، و عن سلار فى «المراسم» حيث قال: إنه يندب له أن لا يقرأ القرآن (٢).

و لعلّه للتعظيم، و فحوى ما دلّ على استحباب الطهارة من الأصغر للقراءة، و ظهور أخبار الباب، و إن اشتملت على الأمر فى رفع الخطر الذى هو أعم من الكراهة.

أو مع الكراهة فيما زاد على السبع لظاهر مفهوم موثّق سماعة المتقدم، و عليه المشهور، جمعا بينه و بين الأخبار المتقدمة.

و ما فيه من الضعف و القصور منجبر بالشهرة العظيمة بين الطائفة، و هؤلاء ذكروا اشتداد الكراهة بقراءة السبعين.

و تفرد المحقق الأول بإثبات مرتبة ثالثة للكراهة، و هي غلظها فيما زاد عن السبعين، و لا دلالة عليه. أو معها فيما زاد عن السبعين «٣»، لا ما نقص عنه مطلقا، كما عن ابن حمزة، أقوال. و لعلّ الأظهر هو الثاني، لما سمعت، مضافا إلى أنه من السنن الذي يتسامح فيها. لكنّ المراد بالكراهة قلة الثواب، لا المرجوحية الصرفة، جمعا بينها و بين

(٦٩٠) هـ- معجم الرموز ص ٢٢٠.

(١) الجامع للشرايع كتاب الطهارة باب الجنابة ص ٣٩.

(٢) المراسم كتاب الطهارة باب غسل الجنابة و بالوجه ص ٤٢.

(٣) حكاية العلّامة في «المنتهى» ج ١ ص ٨٧ عن بعض الأصحاب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٥

الإطلاقات الآمرة بالقراءة مطلقا، و لخصوص الجنب، بل يستفاد من صريح

المرسل المتقدم حيث قال: و متطهرا في غير صلاة خمس و عشرون حسنة، و غير متطهر عشر حسنات «١».

و منه يظهر ضعف ما يقال: من نفى البلد عن الثاني نظرا إلى أنّ الأول لا يرتكب إلا في الشيء الذي لا يمكن أن يقع إلّا عبادة، فلنترم حينئذ بذلك، إذا القراءة أيضا كذلك، للإطلاقات الآمرة كقوله تعالى: فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ «٢».

بل العمومات أيضا

كقوله صلى الله عليه و آله في وصيته لعلّي عليه السلام، على ما رواه في «الكافي» و «المحاسن»: «و عليك بتلاوة القرآن» «٣».

مضافا إلى الأخبار الكثيرة الآمرة بذكر الله سبحانه على كلّ حال، بل

في أخبار كثيرة: أنّ موسى على نبينا و آله و عليه السلام سأل ربه فقال: يا ربّ تمرّ بي حالات أستحيى أذكرك فيها.

و في خبر آخر: يأتي عليّ مجالس أعزّك و أجلك أن أذكرك فيها، فقال تعالى: «يا موسى إنّ ذكرى حسن على كلّ حال» «٤».

و بالجملة قضية العمومات و الإطلاقات الآمرة بالقراءة، و الدعاء، و الذكر، و غيرها شمولها لجميع الأمر، غاية الأمر نقصان ثوابها باعتبار بعض الحالات لفقد بعض المكملات، و أمّا المرجوحية المطلقة بالنسبة إلى الترك فلا يستفاد من

(١) عدّة الداعي ص ٢١٢- وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٤٨.

(٢) المزمّل: ٢٠.

(٣) المحاسن ص ١٧.

(٤) أصول الكافي ج ٢ ص ٤٩٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٦

شيء من الأدلّة، بل لعلّ المقطوع منها خلافه.

نعم قد يقال: إنّ الأولى للحائض و النفساء ترك القراءة مطلقا، نظرا إلى ورود النهي منها، مضافا إلى خبر «الخصال» «١» المتقدم في

المرسلين: أحدهما

النبويّ: «لا يقرء الجنب و الحائض شيئا من القرآن» «٢».

و الآخر:

العلويّ: «لا تقرأ الحائض قرآنا» «٣».

بل

عن أبي جعفر عليه السلام: «إنا نأمر نساءنا الحيض أن يتوضأن عند وقت كل صلاة ... إلى قوله عليه السلام: و لا يقربن مسجدا، و لا يقرآن قرآنا» (٤).

لكن

في خبر معاوية بن عمارة عن الصادق عليه السلام قال: «تتوضأ المرأة الحائض إذا أرادت أن تأكل، و إذا كان وقت الصلاة توضأت و استقبلت، القبلة، و هللت، و كبرت، و تلت القرآن، و ذكرت الله عز و جل» (٥).  
هذا مضافا إلى ضعف المرسلين، و قصورهما عن معارضة ما سمعت.  
بقي في المقام أمور:

أحدها: أن الأظهر وفاقا للأكثر حرمة مس كتابة القرآن للمحدث بأحد الحديثين لقوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٦).

(١) الخصال باب السبعة ح ٤٢ ج ١ ص ٣٥٧.

(٢) عوالي اللآلي: الفصل الثامن ح ١٢ ج ١ ص ١٣١.

(٣) دعائم الإسلام ج ١ ص ١٢٨.

(٤) دعائم الإسلام: في أحكام الحيض ج ١ ص ١٢٨.

(٥) فروع الكافي ج ١ ص ١٠١ باب ما يجب على الحائض في أوقات الصلوات ح ٢.

(٦) الواقعة: ٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٧

حيث إن الظاهر رجوع الضمير الى القرآن كما فهمه أكثر المفسرين، بل ظاهر «البيان» و «مجمع البيان» نسبه إلى الإمامية، مضافا إلى ما مرّ في خبره مولانا أبي الحسن عليه السلام من النهي عن المس، للآية.  
بل لعلّ الظاهر هو أيضا فيما مرّ من قول الصادق عليه السلام لابنه إسماعيل (١).

بل

عن الباقر عليه السلام تفسير قوله تعالى: إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٢) بالمطهرين من الأحداث و الجنابات (٣).

و ستسمع الكلام فيه و في ضعف القول بالجواز، و تحقيق معنى المس و الكتابة عند التعرض لتفسير الآية إنشاء الله تعالى، و تمام الكلام في الفقه.

ثانيها: المحكى عن المرتضى (٤) رضى الله عنه حرمة مس ما عدى الكتابة من جلد المصحف، و هامشه، للآية، و

خبر أبي الحسن عليه السلام المتقدم: «المصحف لا تمسه على غير طهر، و لا جنباً، و لا تمس خطه، و لا تعلقه، إن الله يقول: لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٥)». (٦)

و ضعفه واضح، إذا لضمير في الآية للقرآن لا للمصحف، و الخبر مع ضعفه عند السيد، فضلا عن غيره، لا بدّ من حمله على الكراهة، لاستقرار المذهب على نفي الحرمة، و ظهور الإجماع على الكراهة، و لا أقلّ من الشهرة العظيمة التي تصلح دليلا للكراهة، سيما مع المسامحة في أدلتها، مضافا إلى التعظيم،

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٥.

(٢) الواقعة: ٧٩.

(٣) مجمع البيان ج ٥ ص ٢٢٦.

(٤) حكاية المحقق في المعتبر ج ١ ص ١٩٠.

(٥) الواقعة: ٧٩.

(٦) وسائل الشيعة ج ١ ص ٢٦٩ ح ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٨

و

صحيح محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام: «الجنب والحائض يفتحان المصحف من وراء الثياب، و يقرآن من القرآن ما شاء إلا السجدة» «١».

و توهم دلالة على مذهب السيد ضعيف كأصل المذهب، و مع فرضه فلا بد من حمله على الاستحباب لقضية ما مرّ، مضافا إلى ما تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٣٦٩

في «الفرقة الرضوية»: «و لا تمسّ القرآن إذا كنت جنباً، أو على غير وضوء، و مسّ الأوراق» «٢».

و سبيله عندنا سبيل الأخبار الضعيفة التي نقول بحجيتها بالانجبار في مثل المقام.

ثالثها: هل يستحب طهارة الثوب و البدن، و مكان القارى من الأبحاث؟

لم أر من تعرّض له من الأصحاب، و قضيه الأصل العدم، غير أنّ الأوفق بالإكرام و تعظيم القرآن المأمور به في المعتبرة الاجتهاد في التنظيف و الطهارة للقراءة.

الثاني من الآداب الظاهرة: السواك قبل القراءة، للمعتبرة،

ففي «المحاسن» بالإسناد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: نظّفوا طريق القران، قيل: يا رسول الله و ما طريق القرآن؟ قال صلى الله عليه و آله: أفواهكم، قيل: بماذا؟

قال صلى الله عليه و آله: بالسواك «٣».

و

فيه، عنه عليه السلام: «أفواهكم طريق من طريق ربكم، فأحبها إلى الله أطيب بها

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٦ و ص ١٠٥.

(٢) فقه الرضا (عليه السلام) ص ٤ و عنه في البحار ج ٨١ ص ٥٢ ح ٢٣.

(٣) المحاسن ص ٥٨٨- و الجعفریات ص ١٥ و دعائم الإسلام ج ١ ص ١١٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٩ ربحا، فطيبوها بما قدرتم عليه» «١».

و

روى الصدوق عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ أفواهكم طرق القرآن فطهروها بالسواك «٢».

و

في «الخصال» عن النبي صلى الله عليه و آله قال: في السواك اثنتا عشرة خصلة: مطهرة للضم، و مرضاة للرب، و بيض الأسنان، و يذهب بالحفر، و يقلّ البلغم، و يشهى الطعام، و يضاعف الحسنات، و تصاب به السنّة، و تحضره الملائكة، و يشدّ اللثة، و هو يمرّ بطريق القرآن، و صلاة ركعتين بسواك أحبّ إلى الله عزّ و جلّ من سبعين ركعة بغير سواك «٣».

و

في «الكافي» عن الصادق عليه السلام: «إذا قمت بالليل فاستك، فإنَّ الملك يأتيك فيضع فاه على فيك، فليس من حرف تتلوه و تنطق به إلَّا صعد به إلى السماء، فليكن فوقك طيب الريح» (٤).

و

في «المحاسن» عنه عليه السلام: «إني لأحبُّ للرجل إذا قام بالليل أن يستاك، و أن يشمَّ الطيب، فإنَّ الملك يأتي الرجل إذا قام بالليل حتى يضع فاه على فيه، فما خرج من القرآن من شيء دخل في جوف ذلك الملك» (٥).  
إلى غير ذلك ممَّا يدلُّ على استحباب تطيب الفم للقراءة، و غيرها

(١) المحاسن ص ٥٨٨.

(٢)

أعلام الدين للدليمي، و عنه البحار ج ٨٤ ص ٣٣٠: وفيه عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه و آله: «إنَّ أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك ... إلخ.

(٣) الخصال ج ٢- أبواب الاثني عشر- ص ٤٨٠ ح ٥٢.

(٤) فروع الكافي ج ١ ص ٨.

(٥) المحاسن ص ٥٥٩، و عنه البحار ج ٨٠ ص ٣٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٠

السواك.

و هل يستحبُّ التطيب بالعطر، و نحوه و جهان، و الأظهر الأوَّل لفحوى ما سمعت، و ما دلَّ على استحبابه للصلاة، و غيرها.  
و أمَّا البحث عن كيفة السواك و نصابه، و ما يستاك به فمذكور في الفقه.

الثالث من الآداب الظاهرة: ستر العورة لما دلَّ على النهي عن القراءة في الحمام للعریان من غير إزار.

ففي «الكافي» و «الفقيه» عن محمَّد بن مسلم قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام:

أ كان أمير المؤمنين سلام الله عليه ينهى عن قراءة القرآن في الحمام؟ فقال عليه السلام:

لا، إنَّما نهى أن يقرأ الرجل و هو عريان، فأما إذا كان عليه إزار فلا بأس» (١).

و

روى الشيخ في «التهذيب» عن أبي بصير قال: سألته عن القراءة في الحمام، فقال عليه السلام: «إذا كان عليك إزار فاقرا القرآن إن شئت كلّه» (٢).

و من هنا يظهر أن الإطلاق النهي عن القراءة في الحمام محمول على ما لم يكن معه إزار.

كما أن إطلاق نفى البأس عنها

في خبر علي بن يقطين عن الكاظم عليه السلام: «أقرأ في الحمام، و أنكح فيه؟ فقال عليه السلام: لا بأس» (٣)

و مثله غيره من الأخبار إنَّما هو للإشعار بالجواز الذي هو أعم من الكراهة، و إن كان معها في بعض الأفراد، أو أنه مقيد بخصوص الستر.



(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٧٧ ح ١١٦٥.

(٣) الفقيه ج ١ ص ٦٣ ح ٢٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥١

بل لعلّه يستفاد من فحوى الخبرين دوران النهي المحمول على الكراهة مدار كشف العورة وجودا و عدما، و لو فى غير الحَمَام، و لذا لم تقيد العنوان به.

نعم هل العبرة فى عورة المرأة بعورة الصلاة، أو النظر لغير المماثل، أو المماثل؟ وجوه، و الأظهر الثالث، فترتفع الكراهة بستر العضوين كالزجل.

و التأمل فى شمول الحكم لها مع تعليقه فى الخبر الأول على الرجل و لا دليل على الاشتراك، مدفوع بظهور، من الفحوى، مضافا الى أنّ المسئول عنه فى الخبر الثانى هو نفس القراءة.

الرابع من الآداب الاستعاذه، للأمر بها كتابا و سنّه، قال الله تعالى: فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ «١» أى إذا أردت القراءة، كما فى قوله تعالى: إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ «٢»، و كما يقال: إذا لقيت العدو فخذ سلاحك.

و الأخبار الآمرة بها كثيرة، و ستسمع إنشاء الله تعالى تمام الكلام فيها، و فى وجوبها، و ندبها، و محلها، و كيفيتها، و معناها فى مفتح فاتحة الكتاب و عند تفسيرها.

الخامس من الآداب القراءة من المصحف و إن كان حافظا للقرآن، قادرا، على قراءته عن ظهر القلب، فإنّ النظر إلى المصحف عبادة مستقلة، مع ما يوجب من سلامة البصر، فالقراءة منه بمنزلة الجمع بين العبادتين، بل لعلّ القراءة فى المصحف أفضل منها عن ظهر القلب مع قطع النظر عن استحباب النظر.

(١) النحل: ٩٨.

(٢) المائدة: ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٢

فعن الصدوق فى «ثواب الأعمال» مرفوعا عن الصادق عليه السلام قال: «من قرأ القرآن فى المصحف نظرا متّع ببصره، و خفّف على والديه و إن كانا كافرين» «١».

و

فيه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه و آله: «ليس شيء أشدّ على الشيطان من القراءة فى المصحف نظرا» «٢».

و

فى «أمالى الطوسى»، عن أبى ذرّ قال: النظر إلى على بن أبى طالب عليه السلام عبادة، و النظر الى الوالدين برأفة و رحمة عبادة، و النظر فى الصحيفة، يعنى صحيفة القرآن عبادة، و النظر الى الكعبة عبادة» «٣».

و روى الصدوق مثله ... الى أن قال: «و النظر إلى المصحف من غير قراءة عبادة» «٤».

و

فى «الكافى» عن إسحاق بن عمّار، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إننى أحفظ القرآن على ظهر قلبى، فأقرأه على ظهر قلبى أفضل أو أنظر فى المصحف؟ فقال عليه السلام لى: بل اقرأه و انظر فى المصحف فهو أفضل، أما علمت أنّ النظر فى المصحف عبادة» «٥».

و

فيه عنه عليه السلام، قال: «قراءة القرآن في المصحف تخفف العذاب عن الوالدين و لو كانا كافرين» (٦).

(١) ثواب الأعمال ص ١٢٨- الوسائل ج ٦ ص ٢٠٤ ح ٧٧٣٥.

(٢) ثواب الأعمال ص ١٢٩- الوسائل ج ٦ ص ٢٠٤ ح ٧٧٣٥.

(٣) أمالي الطوسي ج ٢ ص ٧٠- الوسائل ج ٦ ص ٢٠٥ ح ٧٧٣٨.

(٤) الفقيه ج ٢ ص ١٣٢ ح ٥٥٦- الوسائل ج ٦ ص ٢٠٥ ح ٧٧٣٩.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٤٤٩ ح ٥- الوسائل ج ٦ ص ٢٠٤ ح ٧٧٣٨.

(٦) الكافي ج ٢ ص ٤٤٩ ح ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٣

و

في «قرب الإسناد» عن أبي جعفر عليه السلام، قال: يستحب أن يعلق المصحف في البيت يتقى به من الشياطين. قال: ويستحب أن لا يترك من القراءة فيه (١).

أقول: ويستفاد منه جهة ثالثة للاستحباب، وهو استعمال المصحف وعدم ترك القراءة فيه، فلا تغفل.

السيّادس من الآداب خفض الصوت والإسرار بالقراءة لأنه أبعد من الرياء، وأقرب الى الخلوص وأحدى بتوجه النفس وحضور القلب، لنيل المقامات، والتحقق بحقائق الآيات، فإن الصوت كلما ازداد جهارته ازداد توجه النفس إليه، واشتغال القلب به، فإنه ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (٢) فينصرف، شطر من توجه القلب إلى ضبط ميزان الصوت والتحسين، والتحرير، والانتقال، وغير ذلك من الأحوال.

و أما خفض الصوت فالقارئ معه يتمكن من صرف تمام القلب الى التدبر في المعاني، والتحقق بحقائقها، ولذا يمكن في الإسرار من التدبر والتفكير ما لا يمكن في الإجهار، بل لعله يحصل في الاستماع من الالتفات ما لا يحصل في القراءة، ولا تغفل عن هذه الدقيقه، فإنها كثيرة الفائدة.

هذا مضافا الى قوله تعالى: اذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٣) أي المجاوزين ما أمروا به في الدعاء من الإخفات، و

لذا

قال

(١) قرب الاسناد ص ٤٢ المطبوع بطهران بأمر آية الله العظمى البروجردى قدس سره.

(٢) الأحزاب: ٤.

(٣) الأعراف: ٥٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٤

الصادق عليه السلام على ما رواه في «مصباح الشريعة»: «استعن بالله في جميع أمورك متضرعا إليه أثناء الليل والنهار، قال: والاعتداء من صفة قراء زماننا هذا و علامتهم.

و

في «المجمع» عن النبي صلى الله عليه وآله: أنه كان في غزاة، فأشرف على واد، فجعل الناس يهللون، ويكبرون، ويرفعون أصواتهم فقال صلى الله عليه وآله: «أيها الناس اربعوا (١) على أنفسكم، أما إنكم لا تدعون أصم، ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا، إنه معكم» (٢).

وقال سبحانه: وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ «٣».

و

قد ورد في تفسيره، عن أحدهما عليهما السلام: أنه لا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس الرجل غير الله لعظمته «٤».

و

في «مجالس الشيخ» بالإسناد عن أبي ذر، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي وَصِيَّتِهِ لَهُ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ اخْفِضْ صَوْتَكَ عِنْدَ الْجَنَائِزِ، وَعِنْدَ الْقِتَالِ، وَعِنْدَ الْقُرْآنِ» «٥».

و

في «الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: مَنْ قَرَأَ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يَجْهَرُ بِهَا صَوْتَهُ كَانَ كَالشَّاهِرِ سَيْفِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا سِرًّا كَانَ كَالْمَتَشَحِّطِ

(١) اربعوا على أنفسكم: توقفوا.

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص ٧٨، وأخرجه أبو داود في صحيحه ج ١ ص ٣٥٠، والترمذي ج ١٣ ص ١٤ و مسلم ج ٨ ص ٧٣ بتفاوت يسير.

(٣) الأعراف: ٢٠٥.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٢٠٥.

(٥) المجالس والأخبار ص ٣٣٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٥

بدمه في سبيل الله «١».

هذا مضافا إلى ما يدل على فضليته العبادة سرًا عليها علانية،

كالنبوي: «أعظم العبادة أجرا أخفاها» «٢»

و

الجعفرى: «والله العبادة في السر أفضل منها في العلانية» «٣».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة، وربما يرجح الجهر على الإخفات لاقتضاء الحال، أو لإعلاء كلمة الدين، أو لتعليم المؤمنين، أو لانزجار النفس من الإخفات، أو لاهتداء الناس في البرارى، سيما الليلية، أو لتنبية الغافلين، أو إيقاظ النائمين، أو إسماع المستمعين، أو لغير ذلك من المصالح التي لعله لا يمكن ضبط خصوصياتها، فيرجح الإجهار حينئذ على حسب ما اقتضته المصلحة.

وعلى شيء من ذلك أو غيره يحمل ما

رواه الحلبي في آخر «السرائر» بالإسناد، عن إسحاق بن عمير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل لا يرى أنه صنع شيئاً في الدعاء وفي القراءة حتى يرفع صوته، فقال عليه السلام: لا بأس، إن على بن الحسين عليه السلام كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، و كان يرفع صوته حتى يسمعه أهل الدار، وإن أبا جعفر عليه السلام كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، و كان إذا قام من الليل وقرأ رفع صوته، فيمر به ما رآه الطريق من الساقين «٤»، وغيرهم، فيقومون

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٥٤ ح ٦- الوسائل ج ٦ ص ٢٠٩ ح ٢٣.

(٢) الوسائل ج ١ ص ٧٩ ح ٨- قرب الاسناد ص ٦٤ وفيه: أعظم العبادات.

(٣) الكافي ج ٤ ص ٨ ح ٢- الوسائل ج ١ ص ٧٧ ح ٢.

(٤) في المصدر: السقائين. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٦

و يستمعون الى قراءته «١».

و ستمتع رواية أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في الأمر بالقراءة بين القرائتين «٢»، يعنى المتوسط في الرفع و الخفض.

السابع من الآداب الظاهرية تحسين الصوت في قراءة القرآن بما لا يبلغ حد الغناء، لما سمعت من خبر إسحاق بن عمّار، و لما رواه الصدوق في «العيون» عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله «حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حَسَنًا» «٣».

و في رواية أخرى مثله، و زاد: «و قرأ عليه السلام: يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ» «٤».

قلت: و يستفاد منه أنّ الصوت الحسن نعمة زائدة منه سبحانه.

و يؤيده ما

في «المجمع» عن النبي صلى الله عليه و آله في هذه الآية: «إنّه هو الوجه الحسن، و الصوت الحسن، و الشعر الحسن» «٥».

و

عن الصادق عليه السلام في معنى الترتيل: «هو أن تمكث و تحسن به صوتك» «٧».

و

فيه، عن علقمة بن قيس، قال: كنت حسن الصوت بالقرآن، و كان

(١) مستطرفات السرائر ص ٩٧.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٤٥١ ح ١٣.

(٣) عيون اخبار الرضا عليه السلام ص ٢٢٧- البحار ج ٧٩ ص ٢٥٥ ح ٤.

(٤) فاطر: ١.

(٥) عيون الاخبار ج ٢ ص ٦٩ ح ٣٢٢ و عنه في البحار ج ٦٩ ص ١٩٣ ح ٦.

(٦) مجمع البيان ج ٨ في تفسير سورة الملائكة ص ٤٠٠.

(٧) مجمع البيان ج ١٠ ص ٢٧٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٧

عبد الله بن مسعود يرسل إليّ فأقرأ عليه، فاذا فرغت من قراءتي، قال: زدنا من هذا فداك أبي و أمي، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «إنّ حسن الصوت زينة القرآن» «١».

و

عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه و آله: «إنّ لكلّ شيء حلية، و حلية القرآن حسن الصوت» «٢».

و

في «الكافي» عن النوفلي «٣»، عن أبي الحسن عليه السلام قال: ذكرت الصوت عنده، فقال عليه السلام: إنّ علي بن الحسين عليه السلام كان يقرأ، فربما مرّ به المارّ فصعق من حسن صوته، و إنّ الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه، قلت: و لم يكن رسول الله صلى الله عليه و آله يصلّي بالناس و يرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان يحمل الناس من خلفه ما يطيقون» «٤».

و فيه عن أبي عبد الله عليه السلام ما مرّ عن أنس، عن النبي صلى الله عليه و آله «٥».

و

عنه عليه السّلام، قال: كان علي بن الحسين صلوات الله عليه أحسن الناس صوتا بالقرآن، و كان السقاؤون يمرون، فيقفون ببابه يسمعون قراءته و كان أبو جعفر عليه السّلام أحسن الناس صوتا «٦».

إلى غير ذلك ممّا يدلّ على استحباب تحسين الصوت، بل و إنّه من منه

(١) مجمع البيان ج ١ ص ١٦ الفن السابع من مقدّمه الكتاب.

(٢) جامع الاخبار ص ٥٧- بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٩٠ عن الجامع.

(٣) هو علي بن محمّد بن سليمان النوفلي رمي، روايات عن ابي الحسن العسكري عليه السّلام.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٦١٥ ح ٤.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٦١٥ ح ٩.

(٦) الكافي ج ٢ ص ١٦ ح ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٨

العظيمة، و نعمه الجسيمة على عبده، و أنّ النبي و الإمام أكمل الناس في ذلك.

و أمّا ما بلغ من ذلك حدّ الغناء و الترجيح فقد عبّر عنه في الأخبار بلحون أهل الفسق، و أهل الكبائر.

كما

في «الكافي» عن الصّادق عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «اقرأوا القرآن بألحان العرب و أصواتها، و إياكم و لحون أهل الفسق، و أهل الكبائر، فإنّه سيجيء من بعدى أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء و النوح، و الرهبانية، لا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة، و قلوب من يعجبه شأنهم» «١».

و

في «المجمع» عن عبد الرحمن بن سائب، قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص، فأتيته مسّلمًا عليه، فقال: مرحبا يا ابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن، قلت: نعم و الحمد لله، قال: إنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «إنّ القرآن نزل بالحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتابكوا و تغنّوا به، فمن لم يتغنّ بالقرآن فليس منّا» «٢».

قال شيخنا الطبرسي قدّس سرّه: تأول بعضهم تغنّوا به بمعنى استغنوا به، قال: و أكثر العلماء على أنّه تزيين الصوت و تحزينه «٣».

قال الفيض قدّس سرّه في «الصفّاء» بعد ذكره، و ذكر بعض ما سمعت من الأخبار: إنّ الاستفادة منها جواز التغنّي بالقرآن و الترجيع به، بل استحبابهما، فما ورد من النهي عن الغناء كما يأتي في محلّه ينبغي حمله على لحون أهل الفسوق و الكبائر، و على ما كان معهودا في زمانهم عليهم السّلام في فساق الناس، و سلاطين بني

(١) الكافي ج ٢ ص ٦١٤ ح ٣.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٣٦- الفن السابع من مقدّمه الكتاب.

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ٣٦- الفن السابع من مقدّمه الكتاب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٩

أميّة، و بني العباس من تغنّي المغنّيات بين الرّجال، و تكلمهنّ بالأباطيل، و لعبهنّ بالملاهي من العيدان، و القصب، و نحوها «١».

قال في «الفتاوى»: سأل رجل علي بن الحسين عليهما السّلام عن شراء جارية لها صوت، فقال عليه السّلام: ما عليك لو اشتريتها فذكرتك الجنّة «٢».

قال: يعنى بقراءة القرآن، و الزهد، و الفضائل التى ليست بغناء، و أمّا الغناء فمحظور.

و

فى «الكافى» و «التهذيب» عن أبى عبد الله عليه السلام قال: أجز المغنّية التى تزف العرائس ليس به بأس، ليست بالثى تدخل عليها الرجال «٣».

و فى معناه أخبار أخرى، و كلام الفقيه يعطى أنّ بناء الحلال و الحرمة على ما يتغنى به، و الحديث الآخر يعطى أنّ السماع صوت الأجنبية مدخلا فى الحرمة، فليتأمل انتهى.

### حرمة الغناء:

أمّا حرمة الغناء فى الجملة فلا ريب فيه، و كأنه من ضروريات المذهب، بل الدين، و ادعوا عليه إجماع المسلمين، نعم ربما يحكى عن بعض أهل الخلاف فى الغناء، كما حكاه بعض العامة عن معاوية «٤»،

(١) الصافى ج ١ ص ٤٦- المقدمه الحادية عشرة.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٤٢ ح ١٣٩.

(٣) الكافى ج ٥ ص ١٢٠ ح ٣- التهذيب ج ٦ ص ٣٥٧ ح ١٠٢٢.

(٤) معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب الأموى المولود (٢٠) قبل الهجرة و المتوفى (٦٠) ه حكى العيني فى عمدته القارى شرح صحيح البخارى ج ٥ ص ١٦٠ أنّ معاوية كان ممن ذهب إلى إباحتها الغناء.

و قال الغزالي فى احياء العلوم ج ٢ ص ١٣٨: نقل أبو طالب المكى إباحتها السماع عن جماعة، فقال: سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر، و عبد الله بن الزبير، و المغيرة بن شعبه، و معاوية و غيرهم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٠

و المغيرة «١» بن شعبه، و ابن الزبير «٢»، و عبد الله «٣» بن جعفر، بل كان يعد ذلك من مطاعنهم.

و لذا قال ابن أبى الحديد: ما ينسب الى معاوية من شرب الخمر سرا لم يثبت إلا أنه لا خلاف فى أنه كان يسمع الغناء «٤».

و حكى الشيخ فى «الخلاف» عن أبى حنيفة «٥»، و مالك، و الشافعى «٦» كراهة الغناء، و عدم حرمة «٧».

و ما ربما يوجد فى أخبارنا مما يوهم الإباحة محمول على التقية قطعاً، فإن الإمامية قديماً و حديثاً على الحرمة، بل عدّها المحدث «٨» الحرّ العاملى فى «الفوائد الطوسية»، و المدقق «٩» القمى من الضروريات، و الأخبار متواترة على التحريم فى الجملة، بل قال فى «الفوائد

الطوسية»: إنى اعتبرتها من جميع كتب

(١) المغيرة بن شعبه بن أبى عامر الثقفى المتوفى (٥٠)- الاعلام ج ٨ ص ١٩٩.

(٢) عبد الله بن الزبير بن العوام المقتول (٧٣)- تاريخ ابن الأثير ج ٤ ص ١٣٥.

(٣) عبد الله بن جعفر بن أبى طالب المتوفى (٨٠)- العبر ج ١ ص ٩١.

(٤) شرح «النهج» لابن أبى الحديد ح ٥ ص ١٣٠ و فيه: أنّ نوم معاوية كان بين القيان المغنّيات و اصطحابه معهنّ.

(٥) ابو حنيفة: النعمان بن ثابت الكوفى المتوفى (١٥٠)- تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣٣.

(٦) الشافعى: محمد بن إدريس القرشى المتوفى بمصر (٢٠٤)- تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٢٩.

(٧) لم أظفر على هذه: الحكاية فى خلاف الشيخ، نعم فى «الرسالة القشيرية» ص ٤٦٧: من قال بإباحته (أى السماع و الغناء) من السلف

مالك بن أنس، و أهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء، إلى ان قال: و أما الشافعي فإنه لا يحرمه، و يجعله في العوام مكرها.

(٨) هو محمد بن الحسن بن عليّ العاملي المتوفى (١١٠٤) - الاعلام ج ٦ ص ٣٢١.

(٩) هو أبو القاسم بن محمد حسن الجيلاني الشفتي القمي المتوفى (١٢٣١هـ) - معجم المؤلفين ج ٨ ص ١١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦١

الحديث التي عندي فوجدتها تقارب ثلاثمائة حديث وردت بلفظ الغناء، و بألفاظ آخر توافق معناه، ثم تعجب من الأردبيلي «١» في «شرح الإرشاد» حيث اعتمد في تحريمه على الإجماع، قائلا: إنه لو لاه لما جزم بتحريمه مدعيا ضعف الأخبار بعد نقل يسير منها «٢».

«٣» أقول: و لعل تأمل الأردبيلي ناشئ عن قلة التبع، فإن الأخبار الدالة على حرمة مستفيضة جدا، بل متواترة قطعا، و فيها الصّحاح، و غيرها، بل يستفاد أيضا من بعض الآيات، و لو بمعونة بعض الأخبار الواردة في تفسيرها، إذ

قد ورد في تفسير قول الزور في قوله تعالى: وَ اجْتَبُوا قَوْلَ الزُّورِ «٤» أنه الغناء، كما في صحيحة الشّخام «٥»، و موثقة أبي بصير «٦»، و حسنة هشام «٧»، و مرسله ابن «٨» عمير،

(١) هو احمد بن محمد الأردبيلي الفقيه المتوفى بكرىلاء سنة (٩٩٣هـ) - الاعلام ج ١ ص ٢٢٣.

(٢) قال في مجمع الفائدة ج ٨ ص ٥٩: ما رأيت رواية صريحة في التحريم ... إلخ.

(٣) الفوائد الطوسية ص ٨٤ - ٨٨.

(٤) الحج: ٣١.

(٥) هو زيد بن يونس ابو اسامة الشّخام الكوفي كان من أصحاب الباقر و الصادق صلوات الله عليهما، و ثقة النجاشي، معجم رجال الحديث ج ٧.

و صحيحة ما

روى في الكافي الفروع منه ج ٢ ص ٢٠١: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز و جل:

وَ اجْتَبُوا قَوْلَ الزُّورِ قال: قول الزور الغناء.

(٦) ابو بصير كنية لخمسة أشخاص و إذا أطلق فالمراد به يحيى بن القاسم الأسدي المتوفى حدود (١٤٨) و موثقة ما

روى في فروع الكافي ج ٢ ص ٢٠٠: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ:

فَاجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَ اجْتَبُوا قَوْلَ الزُّورِ قال: الغناء.

(٧) حسنة هشام ما

رواها علي بن إبراهيم في تفسيره ص ٤٤٠ عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام عن الصادق عليه السلام أنه قال في تفسير قول الزور: الغناء

، و هشام الذي روى عن الصادق عليه السلام و روى عنه ابن ابي عمير مشترك بين هشام بن الحكم و هشام بن سالم، و كلاهما موثقان.

(٨) مرسله ابن أبي عمير ما رواها

في فروع الكافي ج ٢ ص ٢٠١ باسناده عن ابن أبي عمير عن بعض تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٢

و رواية يحيى بن عباد «١».

و به فسر الزور في قوله تعالى: وَ الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ «٢».

و لهو الحديث في قوله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ «٣» في أخبار مستفيضة، كصحيحة أبي الصباح «٤»، و خبر محمد

بن مسلم «٥»، و مهرا ن «٦» بن محمد، و الوشاء «٧»، و الحسن «٨» بن هارون، و عبد الأعلى «٩»، و غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي تمرّ عليك ان شاء الله تعالى

أصحابه عن الصادق عليه السلام أنه قال: قَوْلَ الزُّورِ الغناء.

(١) هو يحيى بن عبادة المكي، عدّه البرقي من أصحاب الصادق عليه السلام، و روايته هي التي رواها الصدوق منه باسناده في «معاني الاخبار» ص ٣٤٩ في باب فَاجْتَبِئُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَ اجْتَبِئُوا قَوْلَ الزُّورِ ح ١.

(٢) الفرقان: ٧٢.

(٣) لقمان: ٦.

(٤) هو أبو الصباح الكناني إبراهيم بن نعيم العبدي من أصحاب الباقر و الصادق عليهما السلام، وثقه النجاشي و قال: كان أبو عبد الله عليه السلام يسميه «الميزان»

لثفته، و المراد بصحيحه هي التي رواها الكليني في الكافي ج ٦ كتاب الأشربة ص ٤٣٣ ح ١٣ في معنى الزور في لا يشهدون الزور.

(٥) هو محمّد بن مسلم بن رباح الثقفي أبو جعفر الطحان عدّ من أصحاب الباقر و الصادق و الكاظم عليهم السلام وثقه النجاشي و قال: كان من أوثق الناس، توفي سنة (١٥٠) و المراد بخبره، ما رواه في الكافي ج ٦ ص ٤٣٣ كما رواه أيضا عن أبي الصباح الكناني.

(٦) هو مهرا ن بن محمد بن أبي نصر السكوني، ترجمه النجاشي و قال: له كتاب، و المراد بحديثه ما رواه الكليني في الكافي ج ٦ باب الغناء ص ٤٣٣ ح ١٦.

(٧) هو الحسن بن علي بن زياد الوشاء البجلي الكوفي من وجوه أصحاب الرضا عليه السلام، و المقصود من خبره ما رواه في الكافي ج ٦ ص ٤٣٢ ح ٨ في باب الغناء.

(٨) هو من أصحاب الصادق عليه السلام و حديثه هو الذي رواه مهرا ن بن محمد المتقدم ذكره.

(٩) هو مشترك بين عشرة رجال ثلاثة منهم موثّقون و الباقرن مجاهيل و أمّا رواية عبد الأعلى هي التي

رواها الصدوق في معاني الاخبار ص ٩٩ عن الصادق عليه السلام أنه قال: قَوْلَ الزُّورِ الغناء. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٣ في تفسير الآيات، و إنّما طويناها في المقام حذرا من التكرار.

بل

في «المقنع» للصدوق: «شرّ الأصوات الغناء «١».

الغناء مميّا وعد الله عليه النار، و تلا- قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ «٢». «٣» و

في «العيون» عن الزّريان بن الصلت، قال: سألت الرضا عليه السلام يوما بخراسان فقلت: يا سيدي إنّ هشام «٤» بن إبراهيم العباسي حكى عنك أنّك رخصت له في استماع الغناء؟ فقال عليه السلام: كذب الزنديق، إنّما سألتني عن ذلك فقلت له: إنّ رجلا سأل أبا جعفر عليه السلام عن ذلك، فقال أبو جعفر عليه السلام: إذا ميز الله بين الحقّ و الباطل فأين يكون الغناء؟ فقال: مع الباطل، فقال أبو جعفر عليه السلام: قد قضيت «٥».

و

عن إبراهيم بن محمّد المدني عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سئل عن الغناء، و أنا حاضر، فقال عليه السلام: «لا تدخلوا بيوتا الله معرض عن أهلها» «٦».

و



فى «تفسير القمى» بالإسناد عن عبد الله بن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى حديث قال: «إن من أشراط القيامة إضاعة الصلاة، واتباع الشهوات، و الميل

(١) المقنع للصدوق ط قم ص ٤٥٦ رواه عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام.

(٢) سورة لقمان: ٦.

(٣) الوسائل ج ١٢ كتاب التجارة باب ٩٩ ص ٢٢٦ ح ٦ عن أبى جعفر عليه السلام.

(٤) هشام بن إبراهيم العبّاسى الكذاب كان شيعيًا، ثم انقلب الى الزندقة كان ينقل أخبار الإمام الرضا عليه السلام إلى ذى الرياستين و المأمون فولّاه المأمون حجابة الإمام عليه السلام فكان لا يتكلم فى داره بشيء إلا أوردته هشام على المأمون و وزيره- معجم رجال الحديث ج ١٩.

(٥) عيون الأخبار ص ١٤٨ و عنه الوسائل ج ١٢ ص ٢٢٧ ح ١٤.

(٦) فروع الكافى ج ٢ ص ٢٠٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٤

الى الأهواء ... إلى أن قال صلى الله عليه وآله: فعندها يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله، و يتخذونها مزامير ... إلى أن قال صلى الله عليه وآله: و يتغنّون بالقرآن الى أن قال: فأولئك يدعون فى ما ملكوت السماوات الأرجاس الأنجاس «١».

و

فى «العيون» عن الرضا عن آباءه عن على عليهم السلام قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنى أخاف عليكم استخفافا بالدين، و قطيعة الرحم، و أن تتخذوا القرآن مزامير» «٢».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التى لا ينبغى معها الإصغاء إلى ما يظهر من الكاشانى فى «الوافى» تبعاً للغزالي، و غيره من العامة من عدم حرمة الغناء فى نفسه، و من حيث إنه صوت، بل الحرمة إنما تعرض للعوارض التى تعرضه عن دخول الرجال على المغنيات، و تكلمهنّ بالأباطيل، و لعبهنّ الملاهى من العيدان، و المزامير، و القصب، و غيرها «٣».

و ربما يميل الى ذلك الخراسانى «٤» فى «الكفاية» حيث قال بعد نقل جملة من الأخبار الأثرة بتحسين الصوت ما لفظه:

يمكن الجمع بين هذه الأخبار و الأخبار الكثيرة الدالة على تحريم الغناء بوجهين:

أحدهما تخصيص تلك الأخبار بما عدى القرآن، و حمل ما يدل على ذمّ التغنى بالقرآن على قراءة تكون على سبيل اللهو، كما يصنع الفساق فى غنائهم.

(١) تفسير على بن إبراهيم القمى ج ٢ ص ٣٠٤-٣٠٧.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٤٢- بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٩٤ ح ٨ عن العيون.

(٣) الوافى ج ٣ ص ٣٥ كتاب المعاش و المكاسب باب ٣٤.

(٤) هو المولى محمد باقر بن محمد مؤمن الخراسانى السبزوارى المتوفى (١٠٩٠ هـ).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٥

و ثانيهما أن يقال: المذكور فى تلك الأخبار «الغناء»، و المفرد المعرف لا يدل على العموم لغه، و عمومه إنما يستتبط من حيث إنه لا قرينة على ارادة الخاص، و إرادة بعض الأفراد من غير تعيين ينافى غرض الإفادة و سياق البيان و الحكمة، فلا بد من حمله على الاستغراق و العموم، و هاهنا ليس كذلك، لأنّ الشائع فى ذلك الزمان الغناء على سبيل اللهو من الجوارى المغنيات فى مجالس الفجور و الخمر، و غيرها، فحمل المفرد المعرف على تلك الأفراد الشائعة فى ذلك الزمان غير بعيد، و فى عدّه من الأخبار إشعار

بكونه لهوا باطلا، و صدق ذلك في القرآن و الدعوات، و الأذكار المقروءة بالأصوات الطيبة المذكورة للآخرة و المهيجة للأشواق إلى عالم القدس محلّ تأمل.

فحيثُ ان ثبت الإجماع في غير الغناء على سبيل اللّهُو كان متّبعا، و إلّا بقى حكمه على أصل الإباحة.

ثمّ ذكر استثناء الحدى، و فعل المرأة له في الأعراس ... الى أن قال: و عن بعضهم استثناء مرائى الحسين عليه السلام «١».

أقول: قد ظهر ممّا سمعت أنّ عروض الشبهة في هذه المسألة القطعية إنّما حصل لبعض الأمور أو كلّها:

أحدها: الوسوسة في أصل الحرمة، و قد عرفت أنّ عليها الضرورة القطعية، فضلا عن الإجماع بقسميه، و الآيات، و الاخبار المتواترة.

و أمّا ما

في خبر عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام المروى في «قرب الإسناد» قال: سألته عن الغناء هل يصلح في الفطر، و الأضحى، و الفرحة؟

(١) مكاسب الشيخ المطبوع بالنجف الأشرف بتحقيق كلانترج ٣ ص ٢٤٣ إلى ص ٢٤٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٦

قال عليه السلام: لا بأس به ما لم يعص به «١».

و في كتاب علي بن جعفر مثله، إلّا أنّ فيه: «ما لم يزم به»

، أى ما لم يلعب معه بالمزمار «٢».

فمع اضطرابه، و احتمال حمله على ارادة التغنّى بالشعر على وجه لا يصل الى حدّ الغناء، أو على خصوص العرس في اليومين، أو على غير ذلك.

محمول على التقيّة، لما سمعت من ولوع أكثر الاموية و العباسية بذلك، و موافقة فقهاءهم لهم عليه.

كما يحمل عليها ما

رواه القمى عن أبى جعفر عليه السلام قال: «و رجع بالقرآن صوتك، فإنّ الله عزّ و جلّ يحبّ الصوت الحسن يرجع فيه ترجيعا «٣».

مع احتمال حمله على ترجيع دون حدّ الغنا كما تعرف، مع أنّا لنأبى عن طرح مثله، بعد ما سمعت من الأدلّة القطعية التي لا تأمل معها في ثبوت أصل الحكم.

ثانيها: التأمل في عموم الحكم الذى لا ينبغى التأمل فيه، نظرا إلى.

استفادته من الإطلاقات المتقدّمة التي هي كالعموما.

فمناقشة الخراسانى في دلالتها على العموم ضعيفة جدّا، و حمل اللام في المعرّف بها على العهد، مع ظهورها في الماهية من حيث هي،

أو الشائعة مع مساعدة غيرها من الإطلاقات و الانساق بعيد قطعا.

(١) قرب الاسناد ص ١٢١- و عنه الوسائل ج ١٣ ص ٨٥ ح ٥.

(٢) الوسائل ج ١٢ ص ٨٥ ذيل ح ٥.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٦١٦ باب ترتيب القرآن بالصوت الحسن ح ١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٧

و منه يظهر أيضا ضعف ما يحتمل إرادته في كلام الكاشانى، من أنّ المحرّم خصوص الصوت الغنائى المقترن للأباطيل و الملاهى من المزامير، و الأوتار، و غيرها، حيث إنّ كلامه محتمل له، كما أنّه محتمل لما نسبه إليه المشهور من أنّ حرمة ليس لكونه فردا من الصوت مشتملا على كفيته خاصة، بل لاقترانه بغيره من المحرّمات، كدخول الرجال، و التكلم بالباطل، و اللّعب بالملاهى، و غيرها.

و أما تخصيص الحكم بغير القرآن كما هو أحد وجهي الخراساني، أو بغير المراثي كما عن الأردبيلي وغيره، أو بغير ما كان من القرآن، و الدعاء، و الذكر، و غيرها مما يذكر الآخرة، و يهيج الشوق، و يتعش القلب، كما عن آخرين، فكل ذلك ممّا لا دليل عليه، بل يردّها ما سمعت من الأخبار، و غيرها.

نعم ربما يستدلّ له بالعمومات أو الإطلاقات الآمرة بقراءة القرآن، و الدعاء، و عموم أدلّة الإيكاء، و الإرشاد الشاملة لما كان على هذه الكيفيّة الخاصّة، و على فرض شمول أدلّة تحريم الغناء للمقام فهو من تعارض العموم من وجه يجب فيه الرجوع الى المرجّحات، أو الأدلّة الخارجيّة، و قضيتها في المقام الإباحة للأصل، مضافا الى خصوص ما دلّ على الأمر بالتغنّي في القرآن كقول النبي صلى الله عليه و آله في خبر «المجمع»: «تغنّوا به فمن لم يتغنّ بالقرآن فليس منّا» (١).

و

قول أبي جعفر عليه السلام في خبر أبي بصير: «و ترجع بالقرآن صوتك، فإنّ الله تعالى يحبّ الصوت الحسن يرجع فيه ترجيعا» (٢). و ما مرّ من الأخبار الآمرة بتحسين الصوت، و أنّه حلية القرآن (٣).

(١) مستدرک الوسائل ج ٤ ص ٢٧٣ ح ٤٦٨١- مجمع البيان ج ١ ص ١٦.

(٢) الوسائل ج ٤ ص ٢٤ من أبواب قراءة القرآن ح ١.

(٣) أصول الكافي ص ٥٩٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٨

و في الكلّ نظر: أمّا العمومات الآمرة بالقراءة فلاّنها إنّما يدلّ على استحبابها حيث لم يشتمل على جهة محرّمة، أمّا معها فالتحكيم لأدلّة التحريم، من دون فهم التعارض أصلا، و لذا لم يتأمّل أحد في تقديم ما دلّ على حرمة الزنا، و اللواط، و شرب الخمر على ما دلّ على استحباب قضاء حوائج المؤمنين، و إدخال السرور في قلوبهم، و إن كان بين الدليلين العموم من وجه، و ذلك لأنّ أدلّة الإباحة و الاستحباب و الكراهة لا يعارض شيء منها شيئا من أدلّة الوجوب و المحرمة.

نعم لو قلنا بجواز اجتماع الأمر و النهي على جميع الوجوه اتّجه اجتماع الجهتين المستلزمتين للحكمين كالصلاة في الحمام، و لو مع تعينه لتضييق الوقت، أو عدم مباح غيره، فيتصوّر حينئذ اجتماع حرمة القراءة و استحبابها في قراءة القرآن بكيفيّة محرّمة كالغناء، أو في هواء مغضوب، أو بلسان مغضوب عينا كلسان العبد الأبق أو العاصي، أو منفعه كالأجير لقراءة غير القرآن.

و أمّا خبر «المجمع» فمع ضعفه، و كونه من طريق العامّة، و ظهور الحمل على التقيّة، سيّما مع شيوع المذهب بين العامّة، محمول على ما مرّ في كلام الطبرسي في المعنيين.

و يؤيّد ما

في «النهاية» لابن الأثير، قال: «في حديث القرآن: «من لم يتغنّ بالقرآن فليس منّا»

أى من لم يستغن به من غيره، يقال: تغنّيت، و تغانيت، و استغنيت.

قيل: أراد من لم يجهر بالقراءة فليس منّا.

و قد جاء مفسرا

في حديث آخر: «ما اذن الله لشيء كإذنه للنبي يتغنّي

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٩

بالقرآن يجهر به» (١).

قيل: إنّ قوله: «يجهر به» تفسير لقوله «يتغنّي به».

وقال الشافعي «٢»: معناه تحسين القراءة و ترقيقها، و يشهد له

الحديث الآخر: «زِينُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»

و كلّ من رفع صوته و والاه فصوته عند العرب غناء.

قال ابن الأعرابي «٣»: كانت العرب تتغنى بالركباني «٤» إذا ركبت، و إذا جلست في الأفيئة، و على أكثر أحوالها، فلمّا نزل القرآن أحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أَنْ يَكُونَ هَجِيرَتَهُمْ «٥» بالقرآن مكان التغنى بالركباني، الى أن قال: و في حديث عائشة: «و عندي جاريتان يتغنيان بغناء بعث» «٦»، أي تنشدان الأشعار التي قيلت يوم بعث، و هو حرب كانت بين الأنصار، و لم ترد الغناء المعروف بين أهل اللهو و اللعب «٧».

و حكى السيد المرتضى عن أبي عبيد القاسم بن سلام مستشهدا له بيت الأعشى «٨»:

(١) المسند لابن حنبل ج ٢ ص ٢٧١- و ص ٢٨٥- و ص ٤٥٠.

(٢) هو محمد بن إدريس الشافعي امام الشافعية توفي سنة (٢٠٤)- تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦٥.

(٣) هو محمد بن زياد الأديب اللغوي الكوفي المتوفى (٢٣١)- تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٨٢.

(٤) الركباني: نشيد بالمدّ و التمطيط- الفائق ج ١ ص ٤٥٨.

(٥) الهجيري (بكسر إلهها و الجيم المشددة و آخرها الألف المقصورة): العادة و الدأب.

(٦) قال الطريحي في «المجمع»: بعث بالضم كعزاب يوم حرب في الجاهلية بين الأوس و الخزرج و كان الظفر للأوس، استمرّ مائة و عشرين سنة حتّى ألفت بينهم الإسلام.

(٧) نهاية ابن الأثير ج ٣ ص ٣٩١-٣٩٢ في كلمة (غنا).

(٨) هو عامر بن الحارث بن رباح الباهلي من همدان، شاعر جاهلي- الاعلام ج ٤ ص ١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٣٩٩

و كنت امرا زمتنا بالعراق عفيف المناخ طويل النغن «١»

و قول الآخر:

كلانا غنى عن أخيه حياته و نحن إذا متنا أشدّ تغانيا «٢»

و احتج أيضا بقول ابن مسعود: «من قرأ سورة آل عمران فهو غني» أي مستغن.

و

بخبر مرفوع، عن عبد الله بن «٣» نهيك أنّه دخل على سعد «٤» بيته، فاذا مثال رثّ، و متاع رثّ، فقال: يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: «ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن».

قال أبو عبيد «٥»: فذكره المتاع الرثّ و المثال الرثّ يدلّ على أنّ التغنى بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال، و المثال هو الفراش، و لو كان التغنى معناه الترجيح لعظمت المحنة علينا بذلك، إذا كان من لم يرجع بالقرآن فليس منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله.

و ذكر غير أبي عبيد جوابا آخر، و هو أنّه عليه السلام أراد: من لم يحسن صوته بالقرآن و لم يرجع فيه.

(١) ديوان الأعشى: ٢٢.

(٢) نسبه صاحب «اللسان» في (غنى) إلى المغيرة بن حبناء التميمي، و ذكره المبرّد في «الكامل» ج ٣ ص ١٤ في ضمن أبيات لعبد الله

بن معاوية و قبله: فعين الرضا عن كل عيب كليله و لكن عين السخط تبدى المساويا

(٣) أورده ابن أبي حاتم فى الجرح و التعديل ج ٥ ص ١٨٣ و قال: سمع عليا رضى الله عنه و روى عنه أبو إسحاق الهمداني.

(٤) هو سعد بن ابى وقاص مالك القرشى الزهرى الصحابى المتوفى بالعقيق على عشرة أعيان من المدينة سنة (٥٥ هـ) - الاعلام ج ٣ ص ١٣٧.

(٥) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى الخراسانى البغدادى المتوفى (٢٢٤)، الاعلام ج ٦ ص ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧١

و احتج صاحب هذا الجواب

بحديث عبد الرحمن «١» بن السائب قال: أتيت سعدا- و قد كفّ بصره- فسلمت عليه، فقال: من أنت؟ فأخبرته، فقال: مرحبا بابن

أخى، بلغنى أنك حسن الصوت بالقرآن، و قد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتابكوا، فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا»

... الى أن قال السيد:

و قد ذكر محمد بن القاسم «٢» الأنبارى وجها ثالثا فى الخبر، قال: أراد عليه السلام:

من لم يتلذذ بالقرآن و لم يستحله، و لم يستعذب تلاوته كاستحلاء أصحاب الطرب للغناء و التذاذهم به.

ثم قال السيد: و جواب أبى عبيد أحسن الأجوبة و أسلمها، و جواب أبى بكر أبعدا ... إلى أن قال: و يمكن أن يكون فى الخبر وجه

رابع خطر لنا، و هو أن يكون

قوله عليه السلام: «من لم يتغن»

من غنى الرجل بالمكان إذا طال مقامه به، و منه قيل: المغنى و المغانى، قال الله تعالى: كَأَنْ لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا «٣» أى لم يقيموا بها ...

إلى أن قال: فيكون معنى الخبر على هذا الوجه: من لم يقيم على القرآن فيتجاوزه و يتعداه الى غيره و لم يتخذ مغنى و منزلا و مقاما

فليس منا «٤».

أقول: و هذه الوجوه أكثرها تكلفات مستغنى منها بعد ما سمعت من ضعف الخبر، و عاميته، و مخالفته، على فرض ظهوره فيما استدلوا

له به، للكتاب

(١) هو عبد الرحمن بن السائب بن أبى السائب صيفى بن عابد القرشى المخزومى، قتل يوم الجمل.

(٢) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنبارى الأديب اللغوى ولد فى الأنبار سنة (٢٧١) و توفى ببغداد سنة (٣٢٨ هـ).

قيل: كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد فى القرآن- الاعلام ج ٧ ص ٢٢٦.

(٣) الأعراف: ٩٢.

(٤) درر القلائد و غرر الفوائد للسيد المرتضى ج ١ ص ٣١-٣٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٢

و السنة، و الإجماع، بل الضرورة حسبما سمعت، و لعل الأظهر فيه حمله على الاستغناء، لما سمعت مضافا الى التصريح به فى

«الصحاح» و «القاموس» و «مصباح المنير» و غيرها، و أما غيره من المعانى فبعيد جدا.

و مثلها فى البعد ما حكاه السيد عن بعض السلاطين من معاصريه، من حمله على ما يشبه الغنا كالتباكى لما يشبه البكاء للإتيان بما

يمتاز عن الباطل مع تحسين الصوت فيه، و الأمر سهل بعد ما سمعت.

و أما خبر أبى بصير فلا دلالة فيه على ذلك، فإن التحسين و الترجيع أعظم من الغناء، و منه يظهر النظر فى غيره من الأخبار أيضا.

الثالث من الأمور التي صارت موجبة لعروض الشبهة في هذه المسألة توهم كون الغناء من صفات اللفظ و المقروء، لا الصوت و القراءة كما عن البعض.

و ربما يؤيد باستظهاره من الأخبار المفسرة للزور، و لقول الزور، و للهو الحديث، حيث إن الظاهر منها بل من الآيات كونه من مقولة الكلام، و لذا عبر عنه بقول الزور أي الباطل، و للهو الحديث الذي هو من إضافة الصفة الى الموصوف.

بل قد يؤيد أيضا بما

في بعض الأخبار من أن قول الزور أن يقول للذي يغنى: أحسنت «١».

و

بقول علي بن الحسين عليهما السلام في مرسله «الغناء» المتقدم في الجارية التي لها صوت: «لا بأس لو اشتريتها فذكرتك الجنة» «٢»  
يعنى بقرأة القرآن في الزهد،

(١) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢٢٩- الباب ٩٩ من أبواب ما يكتسب به ح ٢١.

(٢) الوسائل ج ١٢ ص ٨٦- الباب ١٦ من أبواب تحريم بيع المغني و شرائها ح ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٣

و الفضائل التي ليست بغناء، و لو مع احتمال كون التفسير من الصدوق أيضا.

قلت: و فساد هذا الوهم أيضا واضح، إذ من المقطوع به بعد التأمل في كلمات اللغويين و الفقهاء كون الغناء من صفات الأصوات لا الألفاظ و لذا عزّفوه بالصوت، و بمده، و بالصوت المطرب، و بتطريبه، و ترجيعه، بل لو استقصيت كلمات الجميع وجدتها راجعة الى شيء مما سمعت، بل في «المصباح المنير»: «الغناء مثل كتاب: الصوت» و

في «المقنع» للصدوق مرسل عن الصادق عليه السلام: قال: «شر الأصوات الغناء» «١»

مضافا الى أن للأقوال المحرمة عنوانات أخر كالكذب، و النميمه، و البهتان، و الكفر، و نحوها، و من البين أنهم لم يقصدوا بتحريم الغناء إلا التنبيه على حرمتها من حيث هي، بل كما أن في الألفاظ حراما يجب تركه، فكذلك في الأصوات.

و أما ما جعلوه مؤيدا لهذا التوهم من الظواهر المتقدمة فهو بمكان من الضعف و القصور، إذ يكفي في جواز اتّصاف الحديث باللّهو، و القول بالزور اتصافهما بكيفية لاهية باطله، و لعله من المقطوع الذي لا ينبغي التأمل فيه بعد ما سمعت و غيره.

و من العجيب ركون الشيخ التستري «٢» أدام الله بقاءه الى ذلك، حيث إنه بعد نقل المناقشة بما سمعت من التأيد، قال: فالإنصاف أنّها لا تدلّ على حرمة نفس الكيفية إلا من حيث إشعار لهو الحديث بكون اللّهو على إطلاقه مبغوضا لله تعالى، و كذا الزور بمعنى الباطل، و إن تحقّقا في كيفية الكلام لا في نفسه كما إذا

(١) المقنع ص ٤٥٦ و عنه الوسائل ج ١٢ ص ٣٠٩.

(٢) هو الشيخ مرتضى بن محمد أمين الدزفولي الأنصاري المتوفى (١٢٨١) بالنجف الأشرف.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٤

تغنى في كلام حق من قرآن، أو دعاء، أو مرثية «١».

و فيه مع الغض عما سمعت أنه مع ظهور الأدلة في نفس الكلام لا إشعار فيها بحرمة اللّهو، فضلا من أن يكون له إطلاق شامل لهذا الفرد الذي هو من كفيات الصوت، مع أن المقطوع أن الغناء نفسه أيضا من الموضوعات المستنبطة العرفية و اللغوية التي ثبت له حكم الحرمة بالضرورة من الدين، فيجب الرجوع في معناه الى العارفين بالعرف و اللغه، و قد سمعت و تسمع أيضا اتفاهم على أنه

من كَيْفِيَّاتِ الأصوات.

و أما ما اختاره من أنَّ حرمة الغناء إنّما هو من جهة كونه لهوا فستسمع تمام الكلام في فساده.

رابعها: تخصيص موضوع الغناء بأنّه إنّما يتحقّق بالنسبة الى بعض الألفاظ والكلمات دون بعض، وإن كان من صفات الأصوات، ولا أعرف من المتفكّهة قائلاً به.

نعم ذكر الشيخ التستري زيد قدره: أنّه قد ظهر من بعض من لا خبرة له من طلبه زماننا تقليدا لمن سبقه من أعياننا منع صدق الغناء في المراثي، و هو عجيب، فإن أراد أن الغناء ممّا يكون لموادّ الألفاظ دخل في صدقه فهو تكذيب للعرف و اللّغة، إذ لا ريب أن من يستمع من بعيد صوتا مشتملا على الإطراب المقتضى للرفض أو ضرب آلات اللّهُو لا يتأمّل في اطلاق الغناء، عليه، و إن لم يعلم موادّ الألفاظ.

و إن أراد أن الكيفية التي يقرأ بها للمراثية لا يصدق عليه الغناء فهو تكذيب

(١) المكاسب مع تعليقات الكلانترج ٣ ط النجف ص ١٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٥

للحسّ «١».

قلت: وهذا الكلام منه سلّمه الله صريح في نقض ما ذكره أولاً، حيث استفاد من الأدلة كون الغناء من صفات الألفاظ، فلا حظ تمام كلامه.

ثم إنّ القول المحكّي عن بعض الأعيان لعلّه هو الذي سمعت فيما حكيناه من «الكفاية». حيث قال: و صدق ذلك في القرآن و الدعوات ... الى آخر ما تقدّم منه، سيّما بعد ملاحظة قوله فيما بعد: «فإذن إن ثبت إجماع في غير الغناء على سبيل اللّهُو كان متّبعا و إلّا بقي حكمه على أصل الإباحة.

و لعلّ إليه، أو الى غيره أشار كاشف الغطاء «٢» تفرّيعاً على مسألة أصولية بقوله: ففي مسألة الغناء قد ظهر في العرف الجديد تخصيصه لما لم يكن في قرآن، أو تعزیه، أو ذكر، أو دعاء، أو أذان، أو مدح النّبى صلّى الله عليه و آله، و الأئمة عليهم السّلام، و قد علم من تتبع كلمات أهل اللّغة و أحوال الأمويين، و العباسيين، و إسحاق «٣» بن إبراهيم شيخ المغنين: أنّ الكثير أو الأكثر، أو الأحقّ في تسميته غناء ما كان في القرآن، و مدح النّبى صلّى الله عليه و آله، و لا يعرف في أيامهم الفرق من جهة ذوات الكلمات، و إنّما المدار على كَيْفِيَّاتِ الأصوات، و هو الظاهر من كلام أهل اللّغة قدمائهم و متأخريهم ممّن عاصر زمان ورود النّبى صلّى الله عليه و آله، أو تقدّمه، أو تأخّر عنه، و ما رأينا أحدا منهم أخذ فيه عدم القرآنيّة و المدح و الذكر و نحوها فيه، و لم يذكر بينهم

(١) المكاسب مع التعليقات للكلانترج ٣ ص ٢٦٩.

(٢) هو جعفر بن خضر الحلبي النجفي الفقيه المتوفى بالنجف الأشرف سنة (١٢٢٧ هـ) - الاعلام ج ٢ ص ١١٧.

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون الموصلي المعروف بابن النديم المغني تفرّد بصناعة الغناء، ولد سنة (١٥٥) و مات ببغداد سنة (٢٣٥)، كان نديما للرشيد و المأمون، و الواثق العباسيين. - الاعلام ج ١ ص ٢٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٦

خلاف في معناه، مع اختلاف عباراتهم، فما ذلك إلّا لاتّحاد المعنى العرفي، و الإشارة إليه، و المسامحة في التعريف بالأعم و الأخصّ، فمدار تحقيق الغناء و خلافه على كَيْفِيَّاتِ الأصوات من غير ملاحظة لذوات الكلمات، فقد ظهر خطأ للعرف الجديد الذي هو بمنزلة المرأة الكاشفة عن العرف القديم، كما أخطأ بديهة في تخصيص اسم الغناء بغير الجارى على وفق العربية و الفصاحة.

و ليس هذا بأول قارورة كسرت في الإسلام، فقد أخطأ في كثير من المقامات، فلا يحمل لفظ الغناء على المعنى الجديد، كما لا تحمل ألفاظ التربة، و القهوة، و اللبن، و النهر، و البحر، و الساعة، و غيرها على المعاني الجديدة.

قلت: و لعله رحمه الله تسلّم المعنى الجديد للغناء على الوجهين على سبيل الفرض و المماشاة، و إلا فمن البين أنه في حيز المنع، و لذا ترى المتورّعين في الدين الدين إذا سمعوا قارئ القرآن، أو راى الحسين عليه السلام يرجع و يطرب بصوته ينكرون عليه و يمنعونه، معلّين بأنّه غناء محرّم.

خامسها: ما اختاره شيخنا التستري زيد علاه في المسألة، حيث قال بعد ذكر ما سمعت طرفا منه، ما لفظه: إنّ المحصل من الأدلة المتقدمة حرمة الصوت المرجح فيه على سبيل اللهو، فإنّ اللهو كما يكون بآله من غير صوت كضرب الأوتار، و نحوه، و بالصوت في الآلة كالمزمار، و القصب و نحوهما، فقد يكون بالصوت المجرد، فكلّ صوت يكون لهوا بكيفية، و معدودا من ألحان أهل الفسوق و المعاصي فهو حرام، و إن فرض أنه ليس بغناء.

و كلّ ما لا يعدّ لهوا فليس بحرام و إن فرض صدق الغناء عليه فرضا غير محقّق لعدم الدليل على حرمة الغناء إلّا من حيث كونه باطلا و لهوا، أو لغوا و زورا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٧

ثمّ إنّ اللهو يتحقّق بأمرين:

أحدهما: التلهّى و إن لم يكن لهوا.

و الثانى: كونه لهوا فى نفسه عند المستمعين، و إن لم يقصد به التلهّى.

ثمّ إنّ المرجع فى اللهو الى العرف، و الحاكم بتحقيقه هو الوجدان، حيث يجد الصوت المذكور مناسبا لآلات اللهو، و الرقص، و لحضور ما تستلذه القوى الشهوية، من كون المغنى جارية، أو أمرد، و نحو ذلك، و مراتب الوجدان المذكور مختلفة فى الوضوح و الخفاء، فقد يحسّ بعض الترجيع من مبادئ الغناء و لم يبلغه.

و ظهر ممّا ذكرنا أنّه لا فرق بين استعمال هذه الكيفية فى كلام حقّ أو باطل، فقراءة القرآن، و الدعاء و المراثى بصوت يرجع فيه على سبيل اللهو لا إشكال فى حرمتها، و لا فى تضاعف عقابها لكونها معصية فى مقام الطاعة و استخفافا بالمقروء و المدعوّ و المرثى.

و من أوضح تسويلات الشيطان أنّ الرجل المتستر قد تدعوه نفسه لأجل التفرّج و التلذذ، إلى ما يوجب نشاطه و رفع الكسالة عنه من الزمزمة الملهية، فيجعل ذلك فى بيت من الشعر المنظوم فى الحكم و المراثى و نحوها، فيتغنى به، أو يحضر عند من يفعل ذلك «١»... إلى آخر ما ذكره زيد قدره.

و فيه أولا: أنّ الظاهر من كلامه أنّ حرمة الغناء إنّما هو من جهة كونه لهوا، لا لكونه غناء كما صرّح به أيضا، مع أنّك قد سمعت أنّ الغناء بنفسه ممّا قد علّق عليه الحكم فى الشريعة، و أنّ حرمة ضرورى من المذهب، فإناطة الحرمة على

(١) المكاسب بتحقيق الكلا تترط النجف ج ٣ ص ٢١٥-٢٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٨

صدق اللهو وجودا و عدما الترام بعدم ثبوت الحكم الحرمة للغناء فى الشريعة.

فإن قلت: صريح كلامه هو الحرمة، غاية الأمر تعليقه بكونه لهوا و زورا و باطلا، و هذا لا ينافى الحكم، بل هو مستفاد من الأدلة.

قلت: الجهة فى المقام تقييدية تفيد تباير الموضوع و اختلافه، و الحاصل أنّ الحكم عنده ثابت للهو و إن لم يكن غناء، لا للغناء و إن لم يكن لهوا، فالغناء من حيث هو لا حرمة له فى الشريعة كما صرّح معلّلا بعدم الدليل، و قد مرّ أنّ أدلة حرمة الغناء غير منحصرة فى الأخبار المفسرة للآيات، بل هناك أدلة أخرى من الضرورة، و الإجماع، و الأخبار.



على أن التمسك بتلك الأخبار أيضا غير متوقف على صدق اللهو والباطل عندنا، سيما مع القطع على عدم الإناطة على مصاديقهما العرفية.

مضافا إلى أن حرمة اللهو بمصاديقه العرفية غير ثابت قطعاً، ولذا قال سلمه الله في موضع آخر بعد إقامة جملة من الأدلة على حرمة: ما لفظه: لكن الإشكال في معنى اللهو فإنه إن أريد به مطلق اللعب كما يظهر من «الصحاح» و«القاموس» فالظاهر أن القول بحرمة شاذ مخالف للمشهور والسير، فإن اللعب هي الحركة لا لغرض عقلائي، ولا خلاف ظاهراً في عدم حرمة على الإطلاق.

نعم لو خص اللهو بما يكون من بطر، وفسر بشدة الفرح كان الأقوى تحريمه، ودخل في ذلك الرقص، والتصفيق، والضرب بالطست بدل الدف، وكلما يفيد فائدة آلات اللهو.

ولو جعل مطلق الحركات التي لا يتعلّق بها غرض عقلائي مع انبعاثها عن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٩

القوى الشهوية ففي حرمة تردّد «١».

قلت: والأظهر هنا العدم بإطلاقه، بل وفي ما كان عن بطر أيضا إلّا في موارد خاصّة، ولتحقيق المسألة مقام آخر.

وثانياً: أن صدق اللهو بمجرد صدق التلهي وإن لم يكن لهوا بعيد جداً، ومع فرضه فالحكم غير منوط به قطعاً، ولذا لم يقل أحد بأن الصوت الخالي عن الترجيع، بل معه أيضا إذا كان في غاية الكراهة والرداءة، غناء، أو أنه حرام وإن لم يكن غناء، لكونه صوتاً لهوياً. لكنّه سلمه الله ملتزم به.

بل التحقيق أن بين الصوت للهوى والغناء عموم من وجه، والقول بحرمة غير الثاني من الأوّل وحليّة غير الأوّل من الثاني في غاية الغرابة.

وأغرب منه ما جعله من تسويلات الشيطان، فإنّ التفرّج والتنزّه ودفع الكسالة بيت من الشعر ولو مع عدم الترجيع وكراهة الصوت ممّا ليس به بأس قطعاً.

إذا عرفت مواقع عروض الشبهة في المسألة ودفعها، وأنه لا شبهة في حرمة، وفي كونه من صفات الأصوات، فاعلم أنه قد يعرف بأنه الصوت المطرب، كما عن «الإيضاح» و«السرائر»، بل في «القاموس»: أنه من الصوت ما أطرب به، وفي «الصحاح»: أنه من السماع، في «المصباح»: أنه مدّ الصوت والتطويل، ومن شهادات «القواعد» وبعض كتب اللّغة: أنه ترجيع الصوت ومدّه، وعن بعض كتب الأصحاب: أنه مدّ الصوت المشتمل على الترجيع المطرب،

(١) المكاسب بتحقيق السيّد محمد كلانترط النجف ج ٤ ص ٢٤٤-٢٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٠

ونسبه الأردبيلي، والحرّ العاملي الى المشهور.

وعن بعض المتأخرين: الحوالة على العرف، وليس بجديد، لعدم استقرارهم فيه على معنى محصّل، بل قد عرفت أن هؤلاء العلماء الذين هم أعرف بالمعاني العرفية من غيرهم قد اختلفوا في موضوعه على أقوال كثيرة، فمن أين يسع للعامي الاستقلال بتميز معناه.

ومن هنا يظهر أن التردد بين التعريف الأخير، وبين الحوالة على العرف كما عن بعض الأجلّة ليس بشيء.

بل الظاهر الذي يساعده العرف أيضاً: أنه المشتمل على الترجيع والإطراب لنصّ أهل اللّغة على كلّ منهما على وجه يظهر من المقتصرين على أحد الأمرين إرادتهما معاً، كما يظهر بالتأمل في كلامهم، على أنه يكفي نصّ البعض على البعض بعد وضوح كون مقصودهم على ما هو ديدنهم بيان بعض الخواص والآثار، بحيث ربما يظهر منهم المسامحة في التعبير، أو الحوالة على ما هو المعروف، أو كون المعرف من هذا الجنس كما في قولهم: سعدانة نبت، ولذا ربما ترى بعضهم يعرفونه بتحسين الصوت، أو مدّه، أو

إطالته، مع أن من المقطوع أن شيئاً منها بانفراده ليس من الغناء في شيء.

هذا مضافاً إلى ما

رواه في «الكافي» عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اقرأوا القرآن بألحان العرب و أصواتها، وإياكم و لحون أهل الفسوق و أهل الكبائر، فإنه سيجيء بعدى أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء و النوح و الرهبانية، لا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة، و قلوب من يعجبه

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨١

شأنهم (١)».

حيث إنه صلى الله عليه وآله قيد الترجيع بخصوص المضاف إلى أحد الثلاثة فهو مصدر نوعي، و لعل ذكر النوح و الرهبانية عقيب الغناء من باب التنبيه على الخاص بعد ذكر العام، سيما مع كونهما من الأفراد الخفية، فلهذا المراد بترجيع الغناء هو الموجب لسرور و الفرح و البطر، و بالنوح هو الموجب للحزن، فإن الطرب المصرح به في كلمات أهل اللغة و الفقهاء يشملهما. و لذا قال في «القاموس»: إن تخصيص الطرب بالفرح و هم و في «الصيحا»: «الطرب: خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور، و في الأساس»: هو خفة سرور، أو هم.

بل صرح بعض الأجامة: بأنه يفهم من كتب اللغة أن التغنى، و التطريب، و الترجيع، و اللحن، و التغريد، و الترنم ألفاظ متقاربة المعنى، لأنهم يذكرون بعضها في تفسير بعض، و لعله لما سمعت.

و المراد بالزهبانية (في الحديث) خصوص ما يستعمله الصوفية المبتدعة حيث إنهم جعلوا التغنى سبباً لحصول ما يسمونه عندهم بالوجد و الشوق و الحال، و الانبعاث، و لهم في ذلك أقاويل، و ترهات لا ينبغي تدنيس الكتاب بالتعرض لها، و لعل عليهم عمدة التعريض

بقوله صلى الله عليه وآله: «لا يجوز تراقيهم»

أى ليس مقصودهم التقرب به إلى الله، و لا التدبر في معاني القرآن، بل هو مجرد الصوت المتردد في حناجرهم الموجب للإطراب. و المراد

بقوله صلى الله عليه وآله: «قلوبهم مقلوبة»

أى انقلبت وجوه قلوبهم من أعلى

(١) الكافي ج ٢ ص ٦١٤ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٢

عليين إلى أسفل السافلين، فيتصاعد عليها من ظلمات غواست سجين.

و المقصود

بقوله صلى الله عليه وآله: «و قلوب من يعجبه شأنهم»

: أن يريد بهم قد اقتدوا بهم في ضلالتهم، و غوايتهم، حيث إنهم قد ضلوا و أضلوا كثيراً، و ضلوا عن سواء السبيل.

و من جميع ما مر يظهر النظر في كثير من كلمات القوم، حتى فيما ذكره الشيخ الأكبر عطر الله مرقده في شرحه على «القواعد» حيث قال في جملة كلام له: «فلم يبق سوى الرجوع إلى العرف الذي هو المرجع و المنفزع في فهم المعاني من المباني و هو لا- يكال بمكيال، و لا يوزن بميزان».

فقد تراه يرى تحقق الغناء في صوت خال عن الحسن و الرقة مشتمل على الخشونة و الغلظ، و في خال عن المد مشتمل على التقطيع و

التكسير، و في خال عن الترجيع متصف بالخفاء، و في المهيج المطرب بمعنى الخفة المقرونة بالانشراح، و اللذة، و في مقرح للفؤاد مهيج على البكاء للعشاق إلى غير ذلك.

إذ فيه: أن صدق اسم الغناء على كثير مما ذكره لا يخلو عن تأمل واضح، بل لعل المقطوع في جملة منها عدم الصدق عرفا و لغه.

### بقي في المقام أمور:

أحدها: المرجع في الترجيع و الطرب هو العرف حيث إنه ليس لهما معنى شرعي، و العرف فيهما موافق للغه.

قال في «القاموس»: الترجيع في الأذان تكرير الشهادتين جهرا بعد إخفائهما و في الصوت ترديد الصوت في الحلق.

و في «الصّحاح»: الترجيع ترديد الصوت في الحلق كقراءة أصحاب

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٣

الألحان.

و مثله من شمس العلوم، و غيره.

و قد سمعت الكلام في الطرب الذي هو أيضا من الموضوعات العرفية فلا تأثير للتيه خلافا و وفاقا فيهما وجودا و عدما، و إنما العبرة

بتحققهما بالنسبة الى غالب أفراد النوع، فلا- عبرة بالطرب الخفيف الذي ينفعل عمّا لا- ينفعل عنه غالب أفراد النوع، و لا بالغليظ

المزاج الذي لا- يكاد يتأثر بشيء من ذلك، بل كأنه عندهم سقيم القلب، عديم اللب، و لذا قالوا: من لم يهيجه الربيع و الأزهار، و

العود و الأوتار، و الأصوات و الأطيار فهو فاسد المزاج محتاج الى العلاج.

ثانيها: إذا شك في صدق الغناء على فرد من أفراد الأصوات فإن كان الشك مصداقيا فالأصل الحلية، كما لو شك في كون فرد من

أفراد المايح خلا، أو خمرا، و كأنه لا خلاف فيه بين الأصحاب حتى من الأخباريين المتوقفين في الشبهة الحكمية، و الأخبار به كثيرة،

مثل

قوله عليه السلام: «كل شيء هو لك حلال حتى تعلم أنه حرام» (١)

و ،

«كل شيء يكون فيه حلال و حرام فهو لك حلال» (٢)

، بناء على التقريب المذكور في موضعه كغيره من أدلة المسألة.

و أما إذا كان الشك مفهوما، و كان الشك في الفرد مسببا عن الشك في معنى اللفظ، فلعل الأصل الإشتغال، و لزم تحصيل الامتثال

و لو بالاحتياط بلا- فرق بين كون التردد بين العامّ و الخاصّ المطلقين، أو العامّين من وجه، للقطع بالتكليف بمسماه المرّد بين

الأمرين على أحد الوجهين، و قضيه لزوم تحصيل

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٧٣ ح ١٢ عن الكافي.

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٨٢ رقم ٥٧ عن التهذيب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٤

القطع بالامتثال.

و توهم أن المتيقن من التكليف إنما هو بالنسبة الى مصداق العنوانين، فانتفاء الشرط و هو العلم يمنع من تعلق التكليف بغيره.

مدفوع بأن العلم التفصيلي به و إن كان منتفيا لكنه ليس مانعا، و لا وجوده شرطا، و المفروض القطع بتحقيق التكليف بأحد العنوانين، و

العلم الاجمالي حاصل به، و الامتثال بالنسبة إليه ممكن، كما في الشبهة المحصورة، و غيرها من الموارد التي يجب فيها الاحتياط كما

في المقام.

و من هنا يظهر النظر فيما ذكره شيخنا «١» النجفي عطر الله مرقدته في «الجواهر» حيث حكم بأن قضية الأصل إباحة الأفراد المشكوكه لكونه من شبهة الموضوع الراجعة إلى شبهة الحكم، فالقدر المتيقن هو حرمة الأفراد المعلومة بالتفصيل، فيشكك حينئذ في حرمة الزائد لاحتمال كون تمام ماهية الغناء ما اشتملت عليه تلك الأفراد خاصة، فله الرجوع في غيرها إلى أصل الإباحة «٢».

قلت: فعلى هذا فاللازم عليه هو التفصيل بين العام والخاص المطلقين، وغيره، فيحكم بالإباحة في الأول والاحتياط في الثاني سواء كانا متباينين أو من العامين من وجه كما في المقام، فإن من يفسره بالصوت المطرب يعمم من جهة الترجيع، وكذا العكس.

ثالثها: ربما يقال: إن تحريم الغناء عقلي لا يتطرق إليه تقييد، ولا

(١) هو الشيخ محمد حسن النجفي شيخ الفقهاء و امام المحققين المتوفى (١٢٦٦).

(٢) الجواهر ج ٢٢ ص ٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٥

تخصيص، لظواهر الآيات، و تواتر الأخبار، و الإجماع، بل الضرورة.

و هو كما ترى، إذ قوة الأدلة لا تجعل الحكم عقلياً، مع أن ما مر من الأدلة إنما هو على حرمة في الجملة، و لذا ترى المشهور قد حكموا باستثناء المغتية في الأعراس، أو بإباحة أجرتها المستلزمة لذلك، و إن قيده بعضهم بما إذا لم تتكلم بالباطل، و لم تلعب بالملاهي، و لم تدخل عليها الرجال، و بالجملة إذا لم يقتترنه حرام آخر.

و الأصل فيه

قول الصادق عليه السلام في خبر أبي بصير: «أجرة المغتية التي ترف العرائس ليس به بأس، ليس بالتي تدخل عليها الرجال» «١».

و

قوله عليه السلام في خبره الآخر حين سأله عن كسب المغتيات، فقال عليه السلام: «التي يدخل عليها الرجل حرام، و التي تدعى إلى الأعراس لا بأس به و هو قول الله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ «٢». «٣»

قلت: و لا بأس باستثنائه بعد قوة السند، و الاعتضاد بعمل الجماعة و غير ذلك.

و أما الحداء (بضم الحاء المهملة) كدعاء، للصوت الذي يرجع فيه للسير بالإبل، فلم أجد ما يصلح لاستثنائه، و إن اشتهر ذلك بينهم كما حكاها في «الكفاية»، و غيره أيضاً.

(١) فروع الكافي ج ١ ص ٣٦١- الفقيه ج ٢ ص ٥٣.

(٢) سورة لقمان: ٦.

(٣) فروع الكافي ج ١ ص ٣٦١- التهذيب ج ٢ ص ١٠٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٦

و النبوي «١» المشتمل على فعل عبد الله بن رواحة، ضعيف سنداً، و متنا و لعله من بدع الثاني، و لذا نسبه إليه ابن الأثير في «النهاية» قال: و قد رخص عمر في غناء الأعراب، و هو صوت كالحداء «٢».

إلا أن يقال: إنه غير ذلك، و لذا شبهه به.

و على كل حال فلا دليل على استثناءه، كما أنه لا دليل على استثناء مرثي الحسين عليه السلام، و غيره.

(١)

رواه البيهقي في «السنن» ج ١٠ ص ٢٢٧ أن النبي عليهما السلام قال لعبد الله بن رواحة: حرّك بالنون فاندفع يرتجز، و كان جيد الحداء و كان مع الرجال، و كان أنجشة مع النساء فلما سمعه تبعه، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَنْجَشِهِ: رويدك، رفقا بالقوارير.

(٢) النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ٣٩٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٧

## الفصل الثاني

### الترتيل

لا إشكال في مطلوبية الترتيل في الجملة، بل عليه الإجماع تحصيلا و نقلا، بعد ورود الأمر به في ظاهر الكتاب، مضافا الى الأخبار المستفيضة التي تأتي الى كثير منها الإشارة.

إنما الإشكال في تحقيق معناه، و في أن مطلوبته هل هي على سبيل الوجوب أو الاستحباب.

أما الأول فالمرجع فيه كغيره من الموضوعات المستنبطة هو العرف و اللغة.

قال في «الصّحاح»: الترتيل في القراءة: الترسّل فيها، و التبيين بغير بغى، و كلام دتل، بالتحريك أى مرتّل.

قلت: و لعل المراد بالبغى مجاوزة الحد في الترجيع و المدّ بحيث يشبه الغناء، كما يرمى اليه ما يأتي من عبارة «نهاية الأحكام».

و في «القاموس»: الرتل محرّكٌ حسن تناسق الشىء، و بياض الأسنان، و الحسن من الكلام ... الى أن قال: و رتل الكلام ترتيلا: أحسن تأليفه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٨

و في «المصباح»: رتل القرآن ترتيلا: تمهلت في القراءة و لم أعجل.

و

في «النهاية»: «في صفة قراءة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان يرتل آية آية ، ترتيل القراءة:

الثاني فيها، و التمهّل، و تبيين الحروف و الحركات تشبيها بالثغر المرتل و هو المشبه بنور الأقحوان، يقال: رتل القراءة، و ترتل فيها.

و عن «المغرب» «١»: الترتيل في الأذان و غيره أن لا يعجل في إرسال الحروف، بل يتثبت فيها، و يبينها تبينا، يوفّيها حقّها من الإشباع من غير اسراع.

و عن قطرب «٢»: أن الرتل بمعنى الضعف و اللين، و المراد بالترتيل تحزين القران، أى قراءة بصوت حزين.

و قيل: إنه أن تقرأ على نظمه و تواليه و لا تغتير لفظا، و لا تقدّم مؤخرا. و هو مأخوذ من ترتل الأسنان إذا استوت و حسن انتظامها، و ثغر رتل ككيف إذا كانت أسنانه مستوية لا تفاوت فيها.

الى غير ذلك من عباراتهم التي يتراءى منها الاختلاف في معناه، و لذا اختلفت فيه كلمات المفسرين و الفقهاء أيضا:

ففي «مجمع البيان» في قوله تعالى: وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً «٣»: أى بينه بيانا، أو اقرأه على هينتك «٤» ثلاث آيات، و أربعا، و خمسا، الى آخر ما حكاه عن المفسرين «٥».

(١) «المغرب» في اللغة لأبي الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزي المتوفى (٦١٠).

(٢) قطرب: محمد المستنير بن أحمد النحوي اللغوي المتوفى (٢٠٦) - الاعلام ج ٧ ص ٣١٥.

(٣) المزمّل: ٥.

(٤) الهينة (بكسر الهاء و سكون الياء و فتح النون) السكينة و الوقاء.

(٥) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٧٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٩

و عن المحقق في «المعتبر»، و العلامه في «المنتهى»: أنه تبين الحروف من غير مبالغة، و ربما كان واجبا إذا أريد به النطق بالحروف بحيث لا يدمج بعضها في بعض، و يمكن حمل الآية عليه، لأن الأمر عند الإطلاق للوجوب.

و عن «نهاية الأحكام»: أنه بيان الحروف و إظهارها، و لا تمدّ بحيث يشبه الغناء.

و من «الذكري»، و «فوائد الشرائع»، و «تعليق النافع»: أنه حفظ الوقوف، و أداء الحروف.

و عن «المدارك»: أنه الترسل و التبيين، و حسن التأليف.

و في «النفليّة»: أنه تبين الحروف بصفات المعبرة من الهمس و الجهر، و الاستعلاء، و الإطباق، و الغنة، و غيرها، و الوقف التام، و الحسن.

إلى غير ذلك ممّا لعله راجع الى شيء ممّا سمعت، لكنّ التأمّل الصادق شاهد بأنّ كثيرا مما سمعت من الاختلاف يرجع الى الاختلاف في التعبير دون المراد، و لذا عبروا بعبارات متقاربة.

و لعلّ الأولى تعريفه بأنّه الترسل، و التمهّل، و التأنّي بالقراءة لإيفاء حقوق الحروف و الحركات، و الكلمات، مادّة، و هيئته، فصلا، و صلا، كي يظهر تبينه، و يحسن تأليفه، و تنزيده مع ملاحظه التوسط بين الإسراع، و الفصل الكثير بالمدّ، و الإبطاء.

و هذا هو المستفاد من متفرقات كلماتهم، بل قد يستفاد من الأخبار أيضا:

كخبر عبد الله بن سليمان أنّه سأل الصادق عليه السلام عن قوله عزّ و جلّ و رتّل

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٠

الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً «١» فقال عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «بينه تبيانا، و لا تهذّه هذّ الشعر، و لا تنثره نثر الرمل، و لكن افزعوا «٢» قلوبكم القاسية، و لا يكن همّ أحدكم آخر السورة» «٣».

و

عن «دعائم الإسلام» عنه عليه السلام: «و لا تنثره نثر الدقل» «٤» و لا تهذّه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه، و حرّكوا به القلوب، و لا يكن همّ أحدكم آخر السورة» «٥».

قال ابن الأثير في «النهاية»: في حديث ابن مسعود، و حذيفة في القراءة:

«هذا كهذّ الشعر، و نثرنا كثر الدقل» أراد: لا تسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر، و الهذّ: سرعة القطع، و الدقل: ردىّ التمر، أى كما يتساقط الرطب اليابس من العذق إذا هزّ.

و ظاهره كما قيل: إرادة نفي الإسراع من الفقرتين، لكنّ الأظهر حمله على ما هو الظاهر من الخبر الأوّل أيضا، إذ كما أنّ نثر الرّمّل اشارة إلى المدّ و التطويل الكثير، و المبالغة في التأنّي، بحيث يكون الفصل بين الحروف و الكلمات متفحشا جدّا، كالرمل المنثور، فكذلك نثر الدقل اشارة إليه، فالمقصود التنبيه على التوسط بين الأمرين.

و ربما يعتبر فيه أيضا حفظ الوقوف و مراعاة أقسامها و أحكامها، كما مرّ

(٢) فى الوسائل: اقرعوا به.

(٣) الكافى ج ٢ ص ٦١٤ باب ترتيب القرآن ح ١.

(٤) الدقل: أردأ التمر.

(٥) دعائم الإسلام ج ١ ص ١٦١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩١

فى جملة من التعاريف.

بل

قد روى فى كتب الفروع من مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «أنه أداء الحروف، و حفظ الوقوف» «١».

ولذا اعتبر فيه بعض الأصحاب كالشهيد وغيره حسبما سمعت عن النفلية مراعاة الوقف التام و الحسن.

بل و منه، أو الأولى منه بالمراعاة كون الوصل بالحركة، و الوقف بالسكون، أو غيره من وجوه حذرا من الوصل بالسكون، و الوقف بالحركة الذين يقال بحرمتهما، و أنّ التحرز منهما من الترتيل الواجب.

كما أنه يعدّ منه أيضا مراعاة الحروف التي منها التشديد و مراعاة بعض أقسام المدّ و الإدغام الصغير مطلقا، و خصوصا عند حروف (يرملون) المشتملة على الغنة و عدمها.

و يعدّ من الترتيل المستحبّ مراعاة صفات الحروف من الهمس، و الجهر و أخواتهما، و الترقيق، و التفخيم، و بعض أقسام المدّ، و الوقف، و الإمالة، و غير ذلك ممّا يشمله اسم الترتيل الذى هو التحسين، و التبيين، و التنضيد، و التجويد، بعد ثبوت مطلوبته فى الجملة، و بعد تحقّق صدق الموضوع عليه شرعا، أو عرفا خاصا، أو عامّا.

لكن لا يخفى أنّ المراد بالترتيل الواجب ما يجب مراعاته ممّا يصدق عليه هذا الاسم وجوبا شرطيا يتوقف عليه صدق القراءة، أو صحّة الامتثال، أو

(١)

بحار الأنوار ج ٨٤ كتاب الصلاة ص ١٨٨ و فيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه (أى الترتيل) حفظ الوقوف و بيان الحروف. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٢

شرعيّا من جهة تعلق الأمر ندبا بمطلق القراءة، أو وجوبا فى الصلاة، و فى امتثال النذر، و غيره، و منه يظهر الكلام فى المندوب.

و حيث إنّ كثيرا ممّا سمعت لا يخلو من إجمال موضوعا، أو خفاء حكما، فلنشر الى كلّ منها موضوعا و حكما إشارة مقنعة.

فنقول: أمّا مراعاة موادّ الحروف و حركاتها، و تمييز كلّ منها من غيره فلا ريب فى وجوبها شرطا مطلقا و شرعا حيث تكون القراءة واجبة بلا خلاف فيه فيما أعلم، بل عليه الإجماع نقلا و تحصيلا، مضافا إلى عدم صدق الامتثال مع الإخلال، و لو بحرف واحد، تركا، أو إبدالا ممنوعا أو غيرهما، فإنّ كلّا من السورة، و الآية، و الكلمة و غيرها موضوعة للمجموع المركّب من الأجزاء الخاصّة المنتفى بانتفاء كلّ جزء منها.

بل غير القرآن أيضا من الدّعاء، و الذكر، و المناجاة، بل الكتب، و المحاورات يعدّ اللحن فيها غلطا، بلا فرق بين الكتابة و القراءة، حيث إنّ لا يتأمل أحد من أهل العرف فى نسبة الغلط و التحريف باللحن الحاصل بحرف واحد، أو أزيد، و لا بين تغيّر المعنى به و عدمه، بل و لا بين كون الإخلال، بموادّ الحروف أو بهيئتها من حيث الحركات الإعرائية و البنائية.

فما يحكى عن المرتضى فى بعض رسائله «١»، وفاقا للمحكّى فى «المعتبر» «٢» عن بعض الجمهور من أنّه لا يقدر فى الصحّة الإخلال بالإعراب الذى لا يغيّر المعنى.

(١) رسائل السيد المرتضى ج ٢ ص ٣٨٧.

(٢) المعتبر ج ٢ ص ١٦٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٣

لا ريب في ضعفه، كضعف ما يستدل له من صدق القراءة معه.

لتطرق المنع إليه بعد فرض كون القرآن المنزل من الرحمن على خلافه، بلا- فرق بين كون هذا المخالف للمنزل مصححا بحسب القواعد العريية و لو بوجه ضعيف، أو قوئى، أولا، كضم «الرحمن الرحيم» أو فتحهما للقطع عن الوصفية.

و أضعف منه ما يحكى عن «الذخيرة» من أن بهذا القدر من التغيير لا يخرج الحمد مثلا عن كونه حمدا عرفا، لبناهم على المسامحة، فيصدق المسمى على من قرأه بهذا الوجه.

وفيه: أن المسامحات العرفية لا يترتب عليها شيء من الأحكام الشرعية، بل الأصل الحمل على الحقيقة سيما في الأمور التعبدية و إلا فقد يصدق باعتبار المسامحة مع الإخلال ببعض الحروف، بل وبعض الكلمات أيضا.

و أميا ما استشكله في «جامع المقاصد» بعد حكاية نفي الفرق في البطالان بالإخلال بالاعراب بين كونه مغيرا للمعنى مثل ضم تاء (أنعمت)، أولا كفتح دال (الحمد)، حيث قال: و لا يكاد يتحقق ذلك، لأن اختلاف الحركة يقتضى اختلاف العامل فيتغير المعنى لا محالة.

فالظاهر اندفاعه بأن المراد المعنى الظاهر المقصود.

و بالجملة لا إشكال في لزوم اعتبار مواد الحروف و هيئاتها الاعرابية و البنائية و عدم حصول الامتثال باللحن في شيء منها لما سمعت، و لظواهر بعض الأخبار

كالمروى في «الخصال» عن الصادق عليه السلام قال: «تعلّموا العريية، فإنها كلام الله الذى كلم به خلقه و نطق به للماضين» (١).

(١) الخصال ج ١ ص ١٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٤

و

في «الكافي» عنه: قال: أعرب القرآن فإنه عربى (١).

و

في «المعاني» عنه، عن آباء عليهم السلام، قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «تعلّموا القرآن بعرييته، و إياكم و النبر فيه يعنى الهمز» (٢).

فإن الأمر بتعلم العريية لحفظ قواعدها، و إعمال حدودها، و النبر المنهى عنه هو تبديل الياء بالهمزة، و إظهار الهمزة الغير الاصلية، و كانت قريش لا تنبر.

ولذا

قال الصادق عليه السلام بعد ذكر الخبر: «الهمز زيادة في القرآن إلا الهمز الأصلي مثل قوله تعالى: أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ (٣) و قوله تعالى: لَكُمْ فِيهَا دِفٌّ (٤)، و قوله تعالى: فَادَارَأْتُمْ (٥)».

قال ابن الأثير في «النهاية»: في الخبر قيل له: يا نبى الله، فقال صلى الله عليه و آله: «إنّا معشر قريش لا نبر»

و-



في رواية: «لا تنبر باسمي».

ثم قال: النبر همز الحرف، و لم تكن قریش تهمز في كلامها، و لما حجَّ المهدي «٦» قدم الكسائي يصلّي بالمدينة فهمز، فأنكر أهل المدينة عليه و قالوا:

إنه ينبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله بالقرآن «٧».

و

روى ابن فهد الحلبي في «عدّة الداعي» عن مولانا أبي جعفر الجواد عليه السلام

(١) الكافي كتاب فضائل القرآن باب ترتيب القرآن بالصوت الحسن ح ٥ ص ٥٩٩.

(٢) معاني الأخبار ص ٩٨ و لكن فيها كما في الوسائل أيضا: إياكم و النبز، (بالزاي المعجمة).

(٣) النمل: ٢٥.

(٤) النحل: ٥.

(٥) البقرة: ٧٢.

(٦) هو محمّد بن عبد الله المنصور العباسي المتوفّي (١٦٩) - الاعلام ج ٧ ص ٩١.

(٧) النهاية لابن الأمرج ٥ ص ٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٥

قال: «ما استوى رجلان في حسب و دين قطّ إلّا كان أفضلهما عند الله آدبهما».

قال: قلت: قد علمت فضله عند الناس في النادي و المجلس، فما فضله عند الله؟ قال عليه السلام: «بقراءة القرآن كما انزل، و دعاءه الله من حيث لا يلحن، فإنّ الدعاء الملحون لا يصعد الى الله تعالى «١»».

قال: و يقرب منه

قول الصادق عليه السلام: «نحن قوم فصحاء إذا رويتم عنّا فأعربوه» «٢».

أقول: و اللحن على ما في «الصحاح» و «القاموس» و غيرهما، هو الخطأ في الإعراب، و في القراءة.

الى غير ذلك من الأخبار التي لا بأس فيها من ضعف في السند، أو قصور في الدلالة، بعد ما سمعت من توقّف صدق القراءة الصحيحة على مراعاة مواد الحروف و تمييزها، و لو بالنسبة الى الحروف المشتركة في المخارج كالذال و الزاي، أو المتشابهة من حيث لحن العامّة كالغين و القاف، و الهاء و الحاء، و غيرها.

نعم: المحكّي من أحد وجهي الشافعي عدم لزوم مراعاة المخرج في الضاد و الظاء، فتصحّ القراءة، بل الصلاة أيضا مع إخراج كلّ منها من مخرج الآخر، نظرا الى العسر و المشقّة.

وفيه: أنّ العسر و المشقّة اللّازمين من أداء الحروف من مخارجها إن بلغ حدّا لا يتحمّل مثلها عادة، أو انتفت معها القدرة فلا ريب في المعذوريّة،

(١) عدّة الداعي ص ١٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ١٥١ و فيه: أعربوا كلامنا فإنّا قوم فصحاء.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٦

و الاكتفاء بالمقدور، للشريعة السمحة السهلة.

و لما ورد في الأخرس، و الألغ «١» و التتم «٢».

و

للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ سَيْنَ بِلَالٍ عَنْهُ اللهُ شَيْنٌ» (٣).

و عليه يحمل

النبي الآخر: «إِنَّ الرُّجْلَ مِنَ الْأَعْجَمِيِّ مِنْ أُمَّتِي لِيَقْرَأَ الْقُرْآنَ بِعَجْمَتِهِ، فَتَرْفَعُهُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى عَرَبِيَّتِهِ» (٤).

و مع إمكان التعلّم، و تيسر الأداء من المخرج فلا ريب في وجوبه حيث تجب القراءة، لتوقف الواجب عليه، مع أن التمييز بين الحروف إنما هو باختلاف المخارج، و إن كان للصفات مدخليّة في بعضها، و قد ذكروا أن الضاد و الظاء مشتركان في الصفات الخمسة: من الجهر، و الرخوة، و الإطباق، و الإصمات، و الاستعلاء، و إنما انفردت الضاد بالاستطالة التي اختصت بها، و من المعلوم أنها ليست مغيرة للحقيقة، بل التمييز بينهما، منحصر في التأدية من المخرجين المقررين لهما.

نعم حكى شيخنا البهائي قدس سرّه عن أبي عمرو (٥) بن العلاء الذي قيل: إنه إمام في اللغة أنه ذهب إلى اتحادهما و أقام على ذلك أدلة و شواهد.

و لعلها عند التأمل من المناقشة في البديهيّات التي لا ينبغي الإصغاء إليها، لضرورة المغايرة بحسب الأداء و المخرج، و جزئيتها للكلمات المتخالفة لغه،

(١) الألتغ: الذي ينطق بالسین كالثاء.

(٢) التتمام (كالصمصام): الذي يعجل في كلامه و لا يفهمه.

(٣)

سفينة البحار ج ١ ص ٣٩٠ و فيه: و في عدة الداعي عنهم عليهم السلام: إن سينا بلال عند الله شين.

(٤) أصول الكافي ص ٦٠١.

(٥) هو زيان بن عمّار العلاء أبو عمر و المازني البصري المتوفى (١٥٤) - الاعلام ج ٣ ص ٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٧

و عرفا، و ضعفا، و استعمالا، و لعله لحن من العرب بتبديل أحدهما بالآخر.

و لذا قال في «المصباح المنير»: الضاد حرف مستطيل، و مخرجه من طرف اللسان إلى ما يلي الأضراس، و مخرجه من الجانب الأيسر أكثر من الأيمن، و العامة تجعلها ظاء فتخرجها من طرف اللسان و بين الثنايا، و هي لغة حكاها الفراء (١) عن المفضل (٢).

قال: و من العرب من تبدل الضاد ظاء فتقول: عظت الحرب بنى تميم، و من العرب من يعكس فتبدل الظاء ضادا، فتقول: ضهيرة في الظهير.

و هذا و إن نقل في اللغة و جاز استعماله في الكلام و لكن لا يجوز العمل به في كتاب الله تعالى لأن القراءة سنة متبعة، و هذا غير منقول فيها انتهى كلامه.

أقول: و ممّا مرّ يظهر أيضا فساد القول المحكى عن بعضهم من تبديل الضاد طاء مهملة، أو دالا، بل ربما يحكى عن عوام الخاصّة و علماء العامة من المصريين و الشاميين حيث إنهم نطقوا بها ممزوجة بالبدال المفخمة و الطاء المهملة معرضين عن الضاد الصحيحة الخالصة التي نطق بها أهل البيت عليهم السلام، و أخذها عنهم العراقيون و الحجازيون.

قال شيخنا في «الجواهر»: و هذا الاختلاف على قديم الدهر، و سالف الزمان بين علماء الخاصّة و العامة، و إن حكى عن جماعة منهم موافقة الخاصّة في ذلك كالشيخ على المقدسي (٣) الذي قد صنّف في ذلك رسالة و رجّح فيها ضاد

(١) هو يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي النحوى الكوفى المتوفى (٢٠٧) الاعلام ج ٩ ص ١٧٨.  
 (٢) هو المفضل بن محمد أبو العباس الضبى الكوفى المتوفى (١٦٨) - الاعلام ج ٨ ص ٢٠٤.  
 (٣) هو على بن محمد بن خليل الحنفى نزيل القاهرة المعروف بابن غانم المقدسى الفقيه اللغوى ولد سنة (٩٢٠) و توفى (١٠٠٤) له مصنفات منها: «بغية المرتاد لتصحيح الضاد» - معجم المؤلفين ج ٧  
 تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٨  
 العراقيين و الحجازيين، وردّ عليه الشيخ على المنصورى «١» فى رسالته ألفها و كان ممّا ردّ فيها عليه أنّ النطق بالضاد قريب من الظاء ليس من طريق أهل السنة المتبعة، و إنّما هو من طريق الطائفة المبتدعة.  
 و هى شهادة منه على طريقتنا المأخوذة يدا بيد الى  
 النبى صلى الله عليه و آله القائل: «إنى أفصح من نطق بالضاد».  
 و فيه إشعار أيضا بالمطلوب، ضرورة تيسر ضادهم لكلّ أحد حتى النساء و الصبيان، فلا يناسب ذكر اختصاصه صلى الله عليه و آله بالأفصحية، بخلاف الضاد الذى ذكرناه، فإنه ممّا يعسر فعله بحيث يميّز عن الظاء و كما اعترف به بعضهم.  
 قال راجزهم:

و الضاد و الظاء لقرب المخرج قد يؤذنان بالتباس المنهج  
 و قال:

و يكثر التباسها بالضاد إلا على الجهابذ النقاد

و يقرب من ذلك المحكى عن السخاوى «٢»، و الجزرى «٣»، و ابن أم قاسم، بل قال الأخير منهم: إنّ التفرقة بينهما محتاجة إلى  
 الرياضة التامة.

ص ١٩٥.

(١) هو على بن سليمان بن عبد الله المنصورى المصرى المقرئ النحوى المتوفى (١١٣٤) من آثاره: «ردّ الإلحاد فى النطق بالضاد» - معجم المؤلفين ج ٧ ص ١٠٤.

(٢) هو على بن محمد بن عبد الصمد المصرى السخاوى الشافعى المقرئ المتوفى (٦٤٣) - الاعلام ج ٥ ص ١٥٤.

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد شمس الدين المعروف بابن الجزرى المتوفى (٨٣٣) - الاعلام ج ٧ ص ٢٧٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٩

إلى غير ذلك ممّا ليس هاهنا محلّ ذكره.

نعم ينبغى أن يعلم أن المدار فى صدق امتثال الأمر بالكلمة المشتملة على الضاد صدق ذلك عليه فى عرف القارئ كغيره من الحروف، فوسوسة كثير من الناس فى الضاد و ابتلاءهم بإخراجه و معرفة مخرجه فى غير محلّها، و إنّما نشأ ذلك من بعض جهال من يدعى المعرفة بعلم التجويد من بنى فارس المعلوم صعوبة اللغة العربية عليهم، و إلّا فمتى كان اللسان عربيا مستقيما خرج الحرف من مخرجه من غير تكلف ضرورة، و إلّا لم يصدق عليه اسم ذلك الحرف عرفا، كما هو واضح.

و على ذلك بنوا وصف مخارج الحروف إلى شفووية مثلا، و غيرها، لبعض الأغراض المتعلقة لهم بذلك، و ليس المقصود منه تميّز النطق بالحروف قطعاً، فإنّ ذلك يكفى فيه صدق الاسم و عدمه، و لا يحتاج الى هذا التدقيق الذى لا يعلمه إلا الأوحى من الناس، بل لا يمكن معرفته على وجه الحقيقة إلّا لخالق الخلق الذى أودعهم قوة النطق، و الله أعلم «١».

و أمّا البحث عن مخارج الحروف، و أنّها هل هى ثلاثة كما عن بعضهم، أو أنّها ثمانية، كما عن آخرين، أو أربعة عشر، كما عن

قطرب، و الفزراء، و ابن دريد «٢»، أو ستّة عشر، كما عن كثير من القراء و النحاة، أو سبعة عشر، كما عن الخليل «٣»، و بعض القدماء، و اختاره جمهور المتأخرين فلا يهمنّا البحث عنه، و لا عن تعيين مخرج كل حرف من الحروف بعد فقد التعبد في شيء من ذلك،

(١) جواهر الكلام ج ٩ ص ٣٩٩-٤٠٠.

(٢) هو محمد بن الحسن بن دريد اللغوي المتوفى ببغداد سنة (٣٢١) - الأعلام ج ٦ ص ٣١٠.

(٣) هو الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي اللغوي المتوفى (١٧٠ هـ) - الأعلام ج ٢ ص ٣٦٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٤٣٩

و ظهور الرجوع الى العرف الّذى هو المرجع في مثله، مع القطع بأنّ القدر المعبر منه هو التلقظ بالحروف على وجه يمتاز به كل منها عن غيره، بلا- فرق بين أدائه عن المخرج المشهور لذلك الحرف أم لا- على الأظهر، إذ لا دليل على اعتبار أمر زائد، و التعبد بلزوم مراعاة المخارج المعهودة غير ثابت، و الأصل براءة الذمّة عنه.

و نحن و إذ قلنا بلزوم الاحتياط في الشكوك الثانوية المتعلقة بكيفيات الشرائط، و الأجزاء، إلّا أنّه جار فيما إذا لم يكن هناك إطلاق صادق في صورتين، و أمّا معه فهو المتبع.

و من هنا يتّجه الاكتفاء بإخراج الواو من بطن الشفّة السفلى مع رؤوس الثنايا العليا كما لهجت له عوامّ العجم، بل و بعض خواصّهم، مع أن يخرجها بين الشفتين بلا خلاف ظاهر بينهم، فكأنّهم يكتفون عن الشفّة العليا بثناياها، و لذا يؤدّى به الحرف ممتازا عن غيره، من غير خروج عن حقيقة الواوئية.

بل و منه يظهر أيضا سهولة الخطب في الصفات التي ذكروها للحروف من الهمس، و الجهر، و غيرهما للقطع بعدم وجوب شيء منها إلّا ما له مدخلية في أداء مادّة الحرف.

بل يشكل الحكم باستحبابها أيضا، و إن مرّ عن «النقلية» تفسير الترتيل المستحبّ بمراعاتها، بل نسب الشهيد الثاني في «شرحها» اعتبارها إلى علماء التجويد و أهل العربية، و ربما يستفاد من بعض المتأخرين أيضا اعتبارها على وجه الاستحباب، و لو للمسامحة في دليله، و لا ريب في أنّه لا يخلو من رجحان إذا لم يؤدّ إلى الإخلال في معاني القرآن و الدعاء و حضور القلب عند القراءة، و التحقّق بحقايقها، فإنّ هذه الأمور هي العمدة في الباب بعد إحراز المسمّى بما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠١

يصدق عليه ذلك عرفا، حسبما سمعت و أمّا مع التمهّر فيها، و جريان اللسان بها من غير كلفه و مشقّة، فلا شبهة في أولويّة مراعاتها، سيّما مع الالتفات إلى عدّ كثير منهم الإخلال بها من اللحن الخفى، مضافا الى قاعدة التسامح، مع أنّ الإخلال ببعض الصفات ربما يمنع من الإفصاح بمادّة الحرف و إن حصل الامتياز في الجملة.

و بالجملة الصفات التي لها ضدّ خمس قد أشير إليها مجتمعة و الى أضدادها بالترتيب في كلام الجزرى:

صفاتها جهر «١»، و رخو «٢»، مستفل «٣» منفتح «٤»، مصمتة، و الضدّ قل

مهموسها (فحّته شخص سكت) شديدها لفظ (أجد قط بكت)

و بين رخو و الشديد (لن عمر) و سيع علو (خصّ ضغط قط) حصر

و (صاد ضاد طاء ظاء) مطبقة و (قرّ من لب) الحروف مذلقة «٥»

(١) الجهر هو عدم جريان النفس عند النطق بالحرف و هي (١٩) حرفا و ضدّه الهمس و هو جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف

الاعتماد على المخرج و عدد حروفه (١٠) حروف.

(٢) الرخو و الرخاوة: إرخاء الصوت و جريانه عند النطق بالحرف و حروفها (١٥) حرفا، و ضدها الشدة و هو امتناع جرى الصوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج و حروفها (٨) كما فى البيت.

(٣) الاستفال هو الانخفاض و هو انحطاط اللسان الى قاع الضم عند النطق بالحرف و حروفه (٢١) حرفا و ضده الاستعلاء اى الارتفاع اللسان عند التكلم بالحرف الى الحنك الأعلى و حروفه (٧) أحرف كما فى البيت.

(٤) الانفتاح الافتراق بين اللسان و الحنك الأعلى و خروج النفس من بينهما عند النطق و حروفه (٢٤) حرفا و ضده الاطباق و هو التصاق اللسان على الحنك الأعلى و حروفه (٤) كما فى البيت.

(٥) طيبة النشر للجزرى فى ضمن اتحاف البررة فى المتون العشرة ص ١٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٢

و أما ما لم يذكروا لها ضداً من الصفات التى تتصف بها أحرف خاصه، فهى ست قد أشير إليها فى هذه الأبيات:

صفيها «١» صاد، و زاي، سين فلقلة «٢» (قطب جد) و اللين «٣»

واو، و ياء سكونا و انفتاحقبلهما و الانحراف «٤» صححا

فى اللام و الراء بتكرير جعل و للتفشى «٥» الشين ضادا استطل «٦» «٧»

و أما التغليظ فى اللام و التفخيم فى الراء، و التريق فيهما فى بعض المواضع و فى حروف الاستفالة، و فى الهمزة فى بعض المواضع، و بالباء فى البسمله، و غيرها، و إظهار الإطباق فى مثل أَحَطْتُ «٨»، و بَسَطْتُ «٩» بعد الإدغام، و الغنة فى النون و الميم المشددين فلا دليل على اعتبارها.

نعم، يلزم التحرز من الإدغام فى مثل قوله تعالى: فَسَبَّحُهُ «١٠» و قوله

(١) كل صوت يمتدّ و لا يغلظ و هو خال من الحروف يسمّى صفيرا، و حروف الصفيرو: «الصاد، و الزاي، و السين» تخرج من رأس اللسان و بين أسنان مقدّم الفم أى الثنايا.

(٢) القلقلة: تحريك الصوت، و حروفها خمسة مذكورة فى البيت، تحصل من اجتماع صفتى الجهر و الشدة، و تلك الحروف تسمى أيضا المضغوطة.

(٣) اللين ضدّ الخشونة، و الواو و الياء إذا كانتا ساكنتين، و ما قبلهما مفتوحا تسميان حرفى اللين.

(٤) الانحراف هو الميل و سميت اللام و الراء المنحرفة لأنّ اللسان حين التلّفظ باللام يميل الى اللثة و الأسنان، و حين التلّفظ بالراء يميل قليلا الى الحنك الأعلى.

(٥) التفشى: الانتشار و تفخيم الحرف عند النطق به و حرفه الشين.

(٦) الاستطالة: طلب الطول و احرفها الضاد لأنها فى حال السكون. يطول التلّفظ بها.

(٧) اتحاف البررة فى المتون العشرة- المقدّمة فى علم التجويد لابن الجزرى ص ٣٧٤.

(٨) النمل: ٢٢.

(٩) المائدة: ٢٨.

(١٠) ق: ٤٠- الطور: ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٣

تعالى: فَاصْفَحْ عَنْهُمْ «١» و قوله تعالى: قَالُوا وَ هُمْ «٢» بل يلزم إظهار الحاء فى الأولين، و الواو فى الثالث كيلا يسبق النطق بها مشددة.

كما يلزم إظهار الياء المكسور ما قبلها، نحو في يَوْمٍ (٣) وإظهار الغين في قوله: لا تُرْعِ قُلُوبَنَا (٤) واللام الساكنة في قوله: قُلْ نَعَمْ (٥) وإن كانا متجانسين عند بعضهم، إلى غير ذلك مما هو جار على مقتضى الأصل، مضافا إلى اتفاقهم عليه ظاهرا كما تبهوا عليه، وصرح به الجزري، وغيره.

وأما سائر ما يعد من معاني الترتيل مما مرّت إليه الإشارة فستسمع الكلام في كل منها في موضعه إنشاء الله تعالى. تذييب: في حفظ الوقوف ومعناه: حفظ الوقوف الذي به فسّر به الترتيل في العلوى المرسل في جملة من كتب الجماعة المشتهر بين العامة حكايته عنه عليه السلام، كما أنهم حكوه عن ابن عباس أيضا. وفسّر مرّة كما من كشف اللثام، بأن لا يهدّ هذا الشعر، ولا ينثر نثر الرمل، قيل: ويؤيده روايتهما في تفسيره بذلك عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. أقول: ومجرد ذلك لا يقضى بالاتحاد، سيما مع عدم ظهور المعنى وكون الخبر مصدرا بتبيين الحروف، أو أدائها حسبما مرّ، و ظهور أولوية التأسيس على التأكيد.

(١) الزخرف: ٨٩.

(٢) الشعراء: ٩٦.

(٣) السجدة: ٥.

(٤) آل عمران: ٨.

(٥) الصفات: ١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٤

وفسّر اخرى بالمحافظة على تحقيق الوقف في موارد بحفظ حدوده، وذلك بأن لا يقف على آخر الكلمة أو الآية بإظهار الحركة، وذلك لأنه لا يجوز الوقف بالحركة، كما أنه لا يجوز الوصل بالسكون لمخالفتها لطريقة أهل اللسان و ظهور الاتفاق على بطلان القراءة في الصلاة بهما، وقد صرح كثير من أهل اللسان بأن لغة العرب أن لا يوقف على متحرك. ونقل شيخنا التقى المجلسي رحمه الله عليه: اتفاق القراء وأهل العربية على عدم جوازهما، ولذا جعله من الترتيل الواجب. ومن هنا يظهر ضعف ما في «كشف الغطاء» من نفى البأس عن الوقف على المتحرك، و وصل الساكن. إذ قد سمعت أنه مما اتفق على فساده أهل العربية، بل يمكن الاستدلال له أيضا بما

ورد من أن «الأذان والاقامة مجزومان» (١).

قال الصدوق: وفي خبر آخر: «موقوفان» (٢).

وذلك أنه عبر عن الوقف بالجزم وترك الحركة.

نعم عن الشهيد الثاني في «الروض» أنه لو فرض ترك الوقف أصلا سكن أواخر الفصول أيضا، وإن كان ذلك في أثناء الكلام، ترجيحاً لفضيلة ترك الإعراب على المشهور من حال الدرّج.

وفيه تأمل واضح، نعم يمكن حمله على السكت الذي ينبغي إخراجها عن حكم الوصل، وإحاقه بالوقف.

(١) الفقيه ج ١ ص ٩١.

(٢) الفقيه ج ١ ص ٩١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٥

و ذلك أن هاهنا أموراً ثلاثة: الوقف، و القطع، و السكت.

و الوقف عندهم عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زماناً يتنفس فيه عادةً بتية استئناف القراءة عليه، فإن لم يكن هنا تية استئناف القراءة فهو القطع، و لذا شرطوا فيه أن لا يكون إلا على رأس آية، و إن لم يكن الشرط في محله.

و أما السكت فهو قطع الصوت زماناً هو دون زمن الوقف عادةً من غير أن يتنفس.

قال في «شرح طيبة النشر»: و قد اختلفت عباراتهم في التأديء مما يدل على طول زمن السكت و قصره، و المشافهة حاكمه عليه بحقه.

و يستفاد منه أن هذا من اصطلاح متأخريهم، و أنه كان المتقدمون كلًا منها على الآخر.

و ثالثة فسّر حفظ الوقوف بالمحافظة على شرائط الوقف، و مراعاة الرسم، بأن يوقف على ما حذف لفظاً بالإثبات كالألف من قوله: وَ قَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ «١»، و الياء من قوله: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ «٢» و الواو من قوله: وَلَا تَسْئُبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ «٣»، و كذا إبدال التنوين ألفاً في مواضعه كقوله تعالى: حَوْفًا وَ طَمَعًا «٤».

و ذلك لأنهم وقفوا في آخر الكلمة على وجوه تسعة: الأول: السكون على

(١) النمل: ١٥.

(٢) البقرة: ٢٦٩.

(٣) الانعام: ١٠٨.

(٤) الأعراف: ٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٦

ما مرّ.

و الثاني: الروم (بفتح الراء) بمعنى القصد، و هو النطق ببعض حركة الموقوف عليه، و ربما حدّوه بالتلفظ بثلاث الحركة و ترك الثلاثين، و الاختلاس عكسه، يعنى التلفظ بثلاثي الحركة و ترك الثلاث، و لذا لم يعدّوه من أقسام الوقف.

و الثالث: الإشمام و هو الإشارة إلى الحركة بضمّ الشفتين بعد الإسكان، و لذا قالوا: إن الروم لا يدركه الأصم، و الإشمام لا يدركه الأعمى.

و الرابع: الإبدال و هو بالألف في الاسم المنسوب المنون غير المؤنث كقوله: (أحدا)، و بالهاء في (الرحمة) و (رحمة) معرّفه، و مجردة و بالألف في مثل (يشاء) فتسقط أحدهما، و هو متروك عندنا، و إن حكوه عن حمزة و هشام، كما حكى عنهما أيضا النقل.

و الخامس: النقل في مثل قُرُوءٍ «١» و النَّسِيءُ «٢» حيث ينقل حركة الهمزة الى الواو أولياء، و تقلب الهمزة واوا في قُرُوءٍ و ياء في النَّسِيءِ ثم تدغم الواوان في الأول، و الياء ان في الثاني، و هو أيضا متروك عندنا.

السادس: الإدغام كما عرفت في قُرُوءٍ و النَّسِيءِ.

السابع: الحذف لبعض الياءات التي ربما تثبت في الوصل على بعض القراءات كقوله: إِلَى الدَّاعِ «٣» و قوله: فَهُوَ الْمُهْتَدِ «٤».

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) التوبة: ٣٧.

(٣) القمر: ٨.

(٤) الإسراء: ٩٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٧

و الثامن: الإثبات لبياءات الزوائد المخذوفة في الوصل نحو وال «١» و واق «٢».

و التاسع: إلحاق هاء السكت في نحو (فبمه) و (ممّه).

و لا يخفى عليك أن كثيرا من هذه الأقسام تصنّعات، و تكلفات و استحسانات لم يقيم عليها شاهد، فضلا عن حجة، بل الظاهر أنه لا يجوز الوقف بمثل النقل و الإدغام و غيرهما ممّا يوجب تغييرا في الحرف أو الحركة من غير شهادة به من أهل اللسان، و لعله لا عبرة بقراءة واحد من القرّاء، أو لحن طائفة من العرب لم يعلم نزول القرآن بلغتهم.

و رابعة فسّر حفظ الوقوف بمراعاة الإثنين من الأربعة المشهورة كما في «شرح النفلية» للشهيد الثاني تبعا للأول فيها، قال بعد إرسال الخبر: و ليس المراد مطلق الوقف، بل الوقف التام، و هو الذي لا يكون للكلام قبله تعلّق بما بعده لا لفظا و لا معنى، و الحسن و هو الذي يكون له تعلّق من جهة اللفظ دون المعنى.

قال: و من ذلك يعرف وجه الوصف بالتمام و الحسن، فإنّ الوقف على الحسن حسن في نفسه مفيد، لحسن النظم، و سهولة الضم، لكن لا يحسن الابتداء بما بعده للتعلّق اللفظي فهو دون التام، و هذا كلّه مع التمكن و اليسر، و أمّا عند فراغ النفس فيحسن الوقف مطلقا، سواء كان أحدهما أو غيرهما من الأنواع المرخصّة و الممنوعة ... الى أن قال:

و في الفاتحة أربعة وقوف توأم: على البسلمة، و مالك يوم الدين

(١) الرّعد: ١١.

(٢) الرّعد: ٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٨

و نستعين، و آخرها، و عشرة حسنة: على «بسم الله»، و على «الرحمن» و على «الحمد لله» و على «رب العالمين» و على «الرحمن» و على «الرحيم» و على «إياك نعبد» و على «المستقيم» و على «أنعمت عليهم» و على «غير المغضوب عليهم».

أقول: و القسمان الباقيان هما الكافي و القبيح.

و وجه الحصر على ما في «شرح طيبة النشر»: أنّ الكلام إمّا تامّ أولا، و التامّ إمّا لا يكون له تعلّق بما بعده لا لفظا و لا معنى، أو يكون له تعلّق، فالأول هو التام فيوقف عليه، و يتبدأ بما بعده.

و الثّاني لا يخلو إمّا يكون تعلّقه من جهة اللفظ فهو الحسن الذي يجوز الوقف عليه لتمامه و لا يجوز الابتداء بما بعده لتعلّقه بما قبله لفظا، إلّا أن يكون رأس آية فإنه يجوز عند الأكثر، كما هو المحكّي «١» عن النبي صلّى الله عليه و آله.

و إمّا يكون تعلّقه بما بعده من جهة المعنى و هو الوقف الكافي كالتمام يجوز أن يوقف عليه و يتبدأ بما بعده.

و أمّا إذا لم يكن الكلام تامّا فالوقف قبيح، لا يجوز الوقف عليه و لا الابتداء بما بعده.

أقول: و ظاهره كصريح غيره اختيار الكافي على الحسن، لكنّ الخطب سهل بعد عدم الدليل على شيء من ذلك سوى الاستحسان الذي لا عبرة به عندنا.

(١)

النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٢٢٦ روى عن أم سلمة أنّ النبي صلّى الله عليه و آله كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية ... تفسير

الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٩

و رجوعه مطلقا الى الترتيل و التزيين المأمور بهما غير معلوم و إلّا فلا بأس به.

مضافا إلى حدوث هذا الاصطلاح منهم بحيث لا يصلح حمل العلويّ و غيره عليه، فإنه منسوب إلى أبي عمرو «١»، صاحب «التيسير».



كما يحكى عن رجل آخر معروف بالسجاوندى «٢» اصطلاح آخر فى الوقف، فإنه قسمه الى خمسة أقسام:

الوقف اللازم، و هو الذى يحصل بتركه فى المعنى شناعة مثل قوله تعالى:

وَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ «٣»، فلو وصلت بما بعدها يكون قوله: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ «٤» صفة الأصحاب النار، و هو شنيع و محال.

٢- الوقف المطلق، و هو الذى يحسن الابتداء بما بعده، و الوقف عليه لعدم ثبوت الاتصال، كقوله تعالى: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ لَأَنَّهُ ثُمَّ ذَكَرَ الْأَوْصَافَ، وَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ابْتِدَاءً تَضَرَّعَ.

٣- الوقف الجائز، و هو الذى حصل دليل الوقف و دليل الوصل فيه، كقوله تعالى حكاية عن بلقيس:

(١) هو أبو عمرو بن عثمان بن سعيد الدانى الأندلسى المتوفى (٤٤٤) و من مصنفاته «التيشير».

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن طيفور السجاوندى الغزنوى المتوفى (٥٤٤) أو (٥٦٠) و من مصنفاته «الإيضاح فى الوقف و الابتداء»- البرهان فى معلوم القرآن للزرشى ج ١ ص ٤٩٦.

(٣) غافر: ٦.

(٤) غافر: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٠

إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً «١» و الوقف عليها جائز، لأن قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ «٢» يمكن أن يكون قول بلقيس فينبغى الوصل، و يمكن أن يكون قوله تعالى توقيعا لقول بلقيس فينبغى الوقف.

٤- الوقف المجوز، و هو الذى لكل من الوقف و الوصل فيه وجه، لكن الوصل أظهر و أقوى كقوله تعالى: وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ «٣».

٥- الوقف المرخص، هو ما بين كلامين تعلق أحدهما بالآخر، و كل واحد منهما تام مستقل فى إفادة المعنى كقوله تعالى: جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً «٤»، لأن قوله: وَ أَنْزَلَ عَطْفَ عَلَى (جعل) و كلاهما صلة (الذى)، و لكن كل واحد منهما يفيد معنى تاما لو انقطع النفس عليه:

و هذا كله استحسانات، بل تصرف فى الأحكام الشرعية بدون إذن صاحب الشريعة، و ذلك لأنهم يثبتون بذلك رجحانا وجوبيا، أو نديبا و كلاهما من الأحكام الشرعية التى يجب فيها التوقيف، لا الأخذ بالاستحسانات و الظنون.

بل لا يخفى أن فيها شوب التشريع الذى يحرم معه الفعل، و لو مع اشتماله على جهة الحسن الذى لا يصلح دليلا للحكم، و هل هذا إلا مثل قول (آمين) الذى هو استجابة لما تضمنه الحمد من الدعاء.

قال السيد نعمه الله طاب ثراه فى جملة كلام ذكره فى «الأنوار»: قد بقى

(١) النمل: ٣٤.

(٢) النمل: ٣٤.

(٣) البقرة: ٧.

(٤) البقرة: ٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١١

القرآن حتى وقع فى أيدي القراء فتصرفوا فيه بالمد، و الإدغام، و التقاء الساكنين، و غيرها تصرفا نفرت الطباع منه، و حكم العقل بأنه

ما تزل هكذا.

ثم قال: ظهر رجل اسمه سجاوندى، أو نسبة الى بلدة فكتب هذه الرموز على كلمات القرآن، وعلّمه بعلامات أكثرها لا يوافق لا تفاسير الخاصة، ولا تفاسير العامة، والظاهر أنّ هذا إذا مضت عليه مدّة عديدة يدعى أيضا فيه التواتر، و أنّه جزء القرآن فيجب كتابته واستعماله (١).

أقول: و كأنّ فيه تعريضا على بعض أصحابنا حيث توهموا تواتر السبع أو العشر، وكذا تواتر المدّ، وغيره من الكيفيات حسبما مرّت اليه الاشارة و تأتي إنشاء الله تعالى.

و بالجملة فلا وجه للاعتماد على شىء من تلك الوجوه و الكيفيات سيّما مع جعلهم بعض الأقسام منه واجبا، وبعضها حراما، من دون الاستناد الى آية أو رواية، أو حجة شرعية، أو دلالة عقلية.

كما يحكى عن بعضهم: أنّ الوقوف الواجبة ثلاثة و ثمانون وقفا، منها الوقف على لفظ الجلالة فى قوله تعالى: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ (٢).

و عن الإمام أبى منصور (٣) أنّه جعل الوقف الحرام ثمانية و خمسين وقفا و من وقف على واحد منها متعمّدا فقد كفر، و جعل منها الوقف على صراط الذين (٤)، و على ملك سليمان (٥).

(١) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٣٦٢ ط تبريز.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) ابو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى المتوفى (٤٢٩) - الاعلام ج ٤ ص ١٧٣.

(٤) الفاتحة: ٧.

(٥) البقرة: ١٠٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٢

و قد ذكر بعضهم مضافا الى ما مرّ وقوفا أربعة آخر:

الوقف اللّازم الذى يجب الوقف عليه، و عدّوا منه قوله تعالى: وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (١) لأنّه لو وصل بقوله: يُخَادِعُونَ اللَّهَ (٢) لصارت الجملة صفة لقوله: بِمُؤْمِنِينَ (٣).

و منه قوله تعالى: إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظّالِمِينَ (٤)، إذ لو وصل لصار الذين آتيناهم الكتاب (٥) صفة للظالمين، و خطره ظاهر، بل هو كلام مبتدأ من الله تعالى، الى غير ذلك ممّا عدّوه منه.

و وقف المعانقة، و يسمّى المراقبة، و هما وقفان متقاربان، إذ اوقفت على الأول ينبغى وصل الثانى بما بعده، و إذا اوقفت على الثانى ينبغى وصل الأول بما قبله ليحسن ذلك الوقف.

و هو فى القرآن ثمانية عشر موضعا متّفقا عليها، منها فى البقرة فى ثلاثة مواضع: لا ريب فيه (٦) و على حياة و من الذين أشركوا (٧). و فى ستة عشر موضعا مختلفا فيها.

(١) البقرة: ٨.

(٢) البقرة: ٩.

(٣) البقرة: ٨.

(٤) البقرة: ١٤٥.

(٥) البقرة: ١٤٦.

(٦) البقرة: ٢.

(٧) البقرة: ٩٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٣

ووقف الغفران الذي رووا فيه

عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «من ضمن أن يقف عشرة في القرآن ضمن له الجنة».

وهو في المائة: لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ «١».

وفي الأنعام: إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ «٢».

وفي السجدة: أَمْ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا «٣».

وفيها أيضا: لَا يَسْتَوُونَ «٤».

وفي يس: وَآثَارُهُمْ «٥».

وفيها أيضا: يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ «٦».

وفيها أيضا: مِنْ مَرْقَدِنَا «٧».

وفيها أيضا: وَأَنْ اعْبُدُونِي «٨».

وفيها أيضا: مِثْلَهُمْ «٩».

وفي سورة الملك: وَيَقْبِضَنَّ «١٠».

ووقف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

، رووا منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَنَّهُ اخْتَارَ الْوَقْفَ فِي سَبْعَةِ عَشْرَ مَوْضِعًا «١١»:

(١) المائة: ٥١.

(٢) الانعام: ٣٦.

(٣) السجدة: ١٨.

(٤) السجدة: ١٨.

(٥) يس: ١٣.

(٦) يس: ٢٠.

(٧) يس: ٥٢.

(٨) يس: ٦١.

(٩) يس: ٨١.

(١٠) الملك: ١٩.

(١١) قال الحصري في «معالم الاهتداء في الوقف و الابتداء»: مسمى الوقف في غيره المواضع وقف السنة تفسير الصراط المستقيم،

ج ٢، ص: ٤١٤

ففي البقرة قوله تعالى: فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ «١»، وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ «٢».

وفي آل عمران: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ «٣».

- وفي سورة المائدة: مِنَ النَّادِمِينَ «٤» وَفَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ «٥» وَفَقَدْ عَلِمْتَهُ «٦»، وفي رواية: مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّي «٧».
- وفي سورة يونس: أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ «٨» وَإِي وَرَبِّي «٩».
- وفي رواية: أَحَقُّ، هُوَ «١٠»، وفي رواية: إِنَّهُ لَحَقُّ «١١».
- وفي سورة يوسف: أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ «١٢».
- وفي سورة الرعد: كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ «١٣».
- وفي سورة النحل: وَاللُّعَامَ خَلَقَهَا «١٤».

ووقف جبريل ووقف الابتداء، و لم أعر على اثر صحيح أو ضعيف يدل على أن الوقف في جميع غيره المواضع من السنة.

(١) البقرة: ١٤٨.

(٢) البقرة: ١٩٧.

(٣) المائدة: ١١٦.

(٤) المائدة: ١٣١.

(٥) المائدة: ٤٨.

(٦) المائدة: ١٦١.

(٧) المائدة: ١١٦.

(٨) يونس: ٢.

(٩) يونس: ٥٣.

(١٠) يونس: ٥٣.

(١١) يونس: ٥٣.

(١٢) يوسف: ١٠٨.

(١٣) الرعد: ١٨.

(١٤) النمل: ٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٥

وفي سورة لقمان: لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ «١».

وفي سورة المؤمن: أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ «٢».

وفي سورة الحشر: لِأَوَّلِ الْحَشْرِ «٣».

وفي سورة النازعات: فَحَشَرَ «٤».

وفي سورة القدر: مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ «٥».

وفي سورة النصر: وَاسْتَغْفِرُهُ «٦».

وعن بعضهم أيضا في أواخر البقرة: غَنِيٌّ حَمِيدٌ «٧».

وفي سورة القدر: مِنْ كُلِّ أَمْرٍ «٨».

ولا يخفى عليك أنه لم يثبت الرواية بشيء منهما، لكونهما عاميتين، وبعض أصحابنا أخذهما عنهما.

وأما لزوم الوقف ووجوبه في المواضع التي ذكروها فمن المقطوع انتفاء الوجوب فيها كانتفاء الحرمة فيما حكموا بها فيه، ولذا صرح

بعضهم بأنهم لم يقصدوا ما يترأى من ظاهر كلامهم.

قال الجزري في «طيبة النشر»:

و ليس في القرآن من وقف وجب ولا حرام غير ما له سبب

(١) لقمان: ١٣.

(٢) المؤمن: ٦.

(٣) الحشر: ٢.

(٤) النازعات: ٢٣.

(٥) القدر: ٣.

(٦) النصر: ٣.

(٧) البقرة: ٢٦٧.

(٨) القدر: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٦

و فسر ما له السبب بما أريد به تغيير المعنى.

وقال بعض شراحه من أفاضل المتأخرين: إنه وقع في كلام كثير ممن ألف في الوقوف قولهم: الوقف على هذا واجب أو لازم، أو حرام، أو لا يحل، و نحو ذلك من الألفاظ الدالّة على الوجوب والتحریم، و لا يريدون بذلك المقرّر عند الفقهاء ممّا يثاب على فعله و يعاقب على تركه، أو يعاقب على فعله و يثاب على تركه، بل المراد أنّه ينبغي للقارئ أن يقف عليه لنكته، أو لمعنى يستفاد من الوقف، أو يتوهم من الوصل تغيير المعنى المقصود، أو نحو ذلك، أو لا- ينبغي الوقف عليه أو الابتداء بما بعده لما يتوهم من تغيير المعنى و بشاعة اللفظ، و نحو ذلك.

فمن الأوّل: قوله تعالى: وَلَا يَخْزُنْكَ قَوْلُهُمْ «١».

قال السخاوى: الوقف عليه واجب، لثلاث يتوهم أنّ ما بعده و هو إنّ العزّة لله من قولهم، بل هو من قول الله تعالى، و يؤكّد هذا التوهم كسر (إنّ) فإنّها تكسر بعد القول.

و من الثانى: الوقف على (الموتى) فى قوله تعالى: إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ «٢» فإنّه إنّ وقفنا على (الموتى) يتوهم أنّ الموتى يستجيبون مع الذين يسمعون، و ليس كذلك و إنّما المعنى أنّ الموتى لا يستجيبون بل يبعثهم الله تعالى. و كذلك الوقف على (لا يستحيى) فى قوله تعالى:

(١) يونس: ٦٥.

(٢) الانعام: ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٧

إنّ الله لا يستحيى «١»، و الوقف على (لا يهدى) فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ «٢»، كلّ ذلك لا يجوز، فإن قصد أحد ذلك عمدا مع الالتفات، و العياذ بالله بتغيير المعنى المراد الى غيره كان حراما معاقبا عليه بهذا السبب.

بقى الكلام فى أنّ مراعاة تلك الوقوف، مع القطع بعدم وجوبها، هل هى مندوبة أم لا؟، ذهب الشهيدان، و المجلسيان، و البهبهاني، و غيرهم إلى الأوّل، و قد سمعت آنفا تمام الكلام بما يستدلّ به للوجهين.

نعم، ربما يستشكل فى تفسير الوقوف الواردة فى الخبر بالأربعة المشهورة المتقدّمة فعلا و تركا، بأنّ هذه الوقوف إنّما وضعوها على

حسب ما فهموه من التفاسير، و المعانى التى هى أبعد شىء من عقول الرجال، بل قد ورد: انّ معانى القرآن لا يفهمها إلا أهل البيت عليهم السلام الذين نزل فى بيوتهم القرآن ، و يشهد له أنا نرى كثيرا من الآيات كتبوا فيها نوعا من الوقف، بناء على ما فهموه، و وردت الأخبار المستفيضة بخلاف ذلك المعنى الذى فهموا، كما أنّهم كتبوا الوقف اللازم فى قوله سبحانه: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ» (٣) على آخر كلمة الجلالة، لزعيمهم أنّ الراسخين فى العلم لا يعلمون تأويل المتشابهات، و قد وردت الأخبار المستفيضة فى أنّ الراسخين فى العلم هم الائمة عليهم السلام و هم يعلمون تأويلها، مع أنّ المتأخرين من مفسرى العامة و الخاصة رجحوا فى كثير من الآيات تفاسير لا توافق ما اصطالحوا عليه فى الوقف. نعم، ربما يجاب عن الأشكال بأنّ المراد المحافظة على معنى الوقف التام

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) المائدة: ٥١.

(٣) آل عمران: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٨

و الحسن، لا خصوص ما تخيلوه.

و أنّ ما ورد من اختصاص علم القرآن بهم لا ينافى إتباع الظاهر لنا فيما لم يرد فيه نصّ منهم.

أقول: و على هذا فيسقط التوقيف على خصوص ما عيّنه مصداقا لتلك الأقسام فى الفاتحة و غيرها على ما زعموه.

مضافا الى أنّه لا دليل على حسن المحافظة على تلك المعانى أيضا، و لو فى غير ما عيّنه من المصاديق.

سيما مع ملاحظة عموم البلوى بها للناس عند القراءة فى الصلاة و غيرها، و عدم ورود نصّ فى ذلك عن الأئمة عليهم السلام، مع شيوع علم القراءة فى تلك الأزمنة بين العامة، مع أنّه كان بين روايتهم من الإمامية أهل الديانة و العبادة، و التقوى، و لم يعهد من أحد منهم السؤال عن كيفية الوقف موارد، كما لم يقع عنهم السؤال قطّ ممّا زخرفوا بقرايتهم البتراء مثل أقسام المدّ، و الإمالة، و الاختلاس، و الإشمام، و الروم، و غير ذلك ممّا ملثوا بها كتب القراءة، و صرفوا فيها أعمارهم، و هذا كلّ دليل على عدم المطوبية بوجه، بل مطلوبية ترك التعرّض و الالتفات إليه رأسا، بل لعلّ فى بعض الأخبار إشعارا عليه أيضا.

مثل ما

أرسله فى «مجمع البيان» عن أمّ سلمة: «كان النبى صلّى الله عليه و آله يقطع قراءته آية آية» (١).

فإنّ ظاهره الذى من المقطوع إرادته أنّه صلّى الله عليه و آله كان يقف على الآيات، مع أنّ مقتضى ما ذكره أنّ المدار على ملاحظة المعانى، فربما يحسن الوقف على

(١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٧٨ فى تفسير الترتيل من سورة المزمل.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٩

بعض الآيات، و ربما يحسن الوصل بين الإثنين عندهم.

و ما

رواه على بن جعفر فى الصحيح عن أخيه موسى عليه السلام، عن الرجل يقرأ الفاتحة، و سورة اخرى فى النفس الواحد، قال عليه السلام: إن شاء قرأ فى نفس واحد، و إن شاء فى غيره (١).

إلّا أنّ الظاهر منه إرادة مجرد الجواز، و إن كان الأظهر كراهة قراءة سورة واحدة بنفس واحد فضلا عن السورتين، و ذلك لا للإخلال

بالوقف، بل لمنافاته للترتيل المأمور به في الكتاب والسنة.

ولنا

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بعد الأمر بالترتيل بما مرّ: «و لكن اقرعوا به قلوبكم القاسية و لا يكن همّ أحدكم آخر السورة»  
«٢».

و

قال مولانا أبو عبد الله عليه السلام في خبري محمّد بن الفضيل، و محمد بن يحيى: «يكره أن يقرأ قل هو الله أحد في نفس واحد»  
«٣».

و

قال عليه السلام في الترتيل: «هو أن تتمكث فيه و تحسن به صوتك» «٤».

و

من إسحاق بن عمّار، عن جعفر الصادق، عن أبيه عليهما السلام: «أنّ رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله اختلفا في صلاة رسول الله صلى الله عليه و آله فكتبنا إلى أبي بن كعب: كم كانت لرسول الله صلى الله عليه و آله من سكتته؟ قال: سكتتان: إذا فرغ من أمّ القرآن، و إذا فرغ من السورة «٥».

(١) التهذيب ج ١ ص ٢٢٠- قرب الاسناد ص ٩٣.

(٢) الأصول من الكافي ص ٥٩٨.

(٣) أصول الكافي ص ٥٩٩- و فروع الكافي ج ١ ص ٨٦.

(٤) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٧٨ و عنه البحار ج ٩٢ ص ١٩١.

(٥) مجمع البيان ج ١٠ ص ١٧٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٠

و لعلّ المراد من السكتة غير الوقف، بل هو وقف معه سكوت ما، كيلا يكون قراءتهما بنفس واحد.

بل قد ورد في رواية «١» حماد تقدير السكتة بعد السورة بنفس، مع أنّك قد سمعت كراهة قراءة التوحيد بنفس واحد، و لعلّ ثبوتها في الحمد أظهر.

ولذا حكى المولى البهبهاني عن بعضهم أنّه قال: و الأولى أن لا يقرأ مقدار سورة التوحيد من غيرها أيضا بنفس واحد، ثمّ قال: و لعلّه كذلك، بل لعلّ الأقلّ منها أيضا كذلك لاستحباب الترتيل.

أقول: و مع كلّ ذلك فعمل الأظهر أن مراعاة الوقف في مواضعه التي هي مقاطع الكلام من الترتيل المندوب اليه، و مثل هذا الترتيل يحسن مراعاته و لو في المناجاة و الأدعية، و في الكلمات العرفية، بل و كذا في الخطب و الأشعار، فإنّ في كلّ كلام مواضع للفصل و الوصل يعرفها أهل العرف، و أرباب دراية المعنى، بحيث يعرفون بالوجدان حسن الفصل في مواضع منها، و الوصل في غيرها كما يقضى به التأمل في مخاطباتهم العرفية.

و في كلام الأردبيلي في «مجمع الفائدة» ما يؤذن بدعوى الإجماع على أولويته في مواضعه.

بل و لعلّ إليه إشعارا فيما رواه الكليني قدس سرّه

في «الكافي»، من حفص، قال: «ما رأيت أحدا أشدّ خوفا على نفسه من موسى بن جعفر عليهما السلام، و لا أرجى للناس منه، و كانت قراءته حزنا، فإذا قرأ فكأنّه يخاطب إنسانا» «٢».

بل و من هنا عدّ غير واحد من أصحابنا من الترتيل: أو الوقف المستحبّ

(١) بحار الأنوار ج ٨٤ ص ١٨٩.

(٢) أصول الكافي ص ٥٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢١

أن يقف على غير المضاف، بل و على غير الموصوف أيضا.

و إن أطنب في ذلك بعض أرباب القراءة فألحق به ما ليس منه، حيث ذكر أنه ينبغي للقارئ أن يجتنب عن الوقف بين العامل و المعمول، و بين الفعل و ما يتعلّق به من فاعل و مفعول، و ظرف، و مصدر، و غيرها، و بين الشرط و الجزاء، و بين الأمر و جوابه، و بين المبتدأ و الخبر، و بين الصلّة و الموصول، و بين الصّيغة و الموصوف، و بين البدل و المبدل منه و بين المعطوف و المعطوف عليه، و بين المؤكّد و المؤكّد، و بين المضاف و المضاف إليه، و بين المستثنى و المستثنى منه، و بين «كان» و «إن» و أخواتهما، و أسمائها، و بين القسم و جوابه، و بين الحرف و مدخوله «١».

و أنت ترى أنه لا- يقضى به العرف على وجه الكلّيّة، فربما يحسن الوقف في كثير من الموارد مع دخولها تحت بعض المذكورات، لطول الكلام، أو لغيره من مقتضيات المقام.

و هذا كلّه فيما لم يقصر النفس، و أمّا مع قصره فالأحسن الوقف حيث شاء، نعم ذكر في «كشف اللثام» و غيره أنه لا ينبغي إكثار الوقف بحيث يختلّ النظم، و يلحق بذكر الأسماء المعدودة.

(١) النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٢٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٢

### في مراعاة المدّ

عرّفوا المدّ بإطالة الصوت بحرف مدّي من حروف العلة، و القدر الواجب منه ما يتوصّل به إلى أداء الحرف الساكن الذي يسمّونه سبب المدّ، و ذلك لأنّ التلّفظ بالحروف إنّما يتمشّي بتحركّها أو اتصالها بالمتحرّك، أو بالساكن الذي يتوصّل بمدّه الى التلّفظ بها، و ذلك على فرض توقّف الإفصاح بها عليه، مقدّر بقدره، و إلّا فالقدر الزائد على ذلك لا دليل على وجوبه، و لا على ندبه، و إن توسّع فيه أرباب القراءة حيث قسّموه إلى الطبيعي، و هو الامتداد الحاصل لذات الحروف الثلاثة بقدر التلّفظ بها كما في قوله: أتونى «١»، و يسمّى أصلياً و ذاتياً، و لذا قدروها بألف واحدة، و هو قدر التلّفظ بها.

و غير طبيعي، و هو ينقسم إلى ما له سبب معنويّ و هو ما قصد به المبالغة في النفي، كما عن حمزة في مثل لا ريب «٢»، و لا لا جرّم «٣» و لا مقام «٤».

و منه مدّ التعظيم في لا إله إلا الله

و ما له سبب لفظي، و هو إمّا السكون، و إمّا الهمزة، و السكون ينقسم الى

(١) الكهف: ٩٦.

(٢) البقرة: ٢.

(٣) هود: ٢٢.



(٤) الأحزاب: ١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٣

أصلِيّ و عارضِيّ، فالأصلِيّ مظهر في فواتح السور، و مدغم في مثل دَائِبَةٍ «١» و الضَّالِّينَ «٢»، و كلاهما لازم، و مقداره، فيهما عند ورش، و حمزة أربع ألفات، و عند غيرهما ثلاث، و عن ثالث خمس، و عن رابع ألفات. و العارضِيّ المدغم في الرَّحِيمِ مَالِكٍ «٣» على فرض الإدغام. و المظهر في نَسْتَعِينُ «٤»، و جَوَزُوا فيها الطول و القصر و التوسط. و أمّا الهمزة فإن كان بعد حروف المدّ في كلمة، مثل (جاء) و (جىء) و (سوء) فالمدّ متّصل لازم عندهم، محدود بالخمس إلى الألفين، على الاختلاف بينهم، أو في كلمتين فمفصل جائز. و لهم اختلافات كثيرة في عدّها، و حدّ مدّها، حتى أنهاها بعضهم إلى خمسة عشر قسما. قال قائلهم:

و للمدّ أنواع لدى الحصر خمسة و عشر لتمكين «٥» و بسط «٦» مفضّلا

(١) البقرة: ١٦٤ و سور أخرى.

(٢) فاتحة الكتاب: ٧ و سور أخرى.

(٣) فاتحة الكتاب: ٣-٤.

(٤) فاتحة الكتاب: ٥.

(٥) مدّ التمكين في نحو (أولئك) و (الملائكة) و (شعائر) و هي مدّة تليها همزة، لأنّه جلب ليتمكّن به من إخراجها من يخرجها- الإتيان ج ١ ص ٣٣٨.

(٦) مدّ البسط و يسمّى أيضا مدّ الفصل في نحو (بما أنزل) لأنّه يبسط بين كلمتين و يفصل بين متصلتين- الإتيان ج ١ ص ٣٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٤ و عدل «١» و فرق «٢» بنية «٣» عوض و لازم عارض و حجز و أصل تأصلا

كذا مع روم مبدل شبه مبدل مبالغة، إمعان فافهم مكتملا

و في بعض هذه الأقسام اختلافات عندهم في تحديده.

فمن الغريب ما في «مجمع البحرين» من دعوى اتّفاقهم في كثير من الأقسام، حيث قال في كتاب الدال باب أوّله الميم: و حروف المدّ هي حروف العلة، و في مصطلح القراء إن كان بعدها حمزة تمدّ بقدر ألفين إلى خمس ألفات، و إن كان بعدها تشديد تمدّ بقدر أربع ألفات اتّفاقا منهم مثل (دائبة)، و إن كان ما بعدها ساكن تمدّ بقدر ألفين اتّفاقا (كصاد)، و إن كان بعدها غير هذه الحروف لم تمدّ إلّا بقدر خروجها من الفم، فمدّ بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن إلّا بقدر خروج الحرف من الفم، إلّا (الرحيم) عند الوقف فيمدّ بقدر ألفين «٤».

أقول: لكنّ الخطب في كلّ ذلك سهل عندنا بعد ما سمعت من عدم وجوب شيء منها، و لا استجابته عدى ما يتوقّف عليه أداء الحروف على فرض التوقف و إلّا فلا دليل على مطلوبتيه شيء زائد عليه.

نعم عدّ في «النفلية» في المستحبات المدّ المنفصل و توسطه مطلقا.

و لعلّه عدّ في «الألفية» المتّصل من الواجبات، و ليست عندي كى الأحظ.

(١) مدّ العدل في كلّ حرف مشدّد قبله حرف مدّ و لين نحو (و لا الضّالّين) لأنّه يعدل حركة و يقوم مقامها في الحجز بين الساكنين.

(٢) مدّ الفرق في نحو (الآن) لأنه يفرق به بين الاستفهام والخبر.

(٣) مدّ البنية في نحو (ماء) و (دعاء) و (نداء) و (زكرياء) لأن الاسم بنى على المدّ، فرقا بينه وبين المقصور.

(٤) مجمع البحرين ج ٣ ص ١٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٥

وقال الشهيد الثاني في «شرح النفلية»: يجوز حينئذ القصر، والمد هو أفضل لما فيه من تحقيق الحرف.

وقال بعد قوله: «و توسطه مطلقا»: سواء كان مدا منفصلا أم غير منفصل، واجب المدّ، أم جائزة، فإن زيادته عن التوسط كمدّ ورش يكاد يخرج عن حدّ الفصاحة، وتفوّت لذاذة استماعه، ومحاسن أداءه، ودون التوسط لا يبيّن معه حروف المدّ بيانا شافيا، ولا تفصح معه إفصاحا كافيا، وخير الأمور أوسطها.

ولا يستشكل بأنّ الجميع متواتر، إذ لا بعد في تفضيل بعضه على بعض، وإن اشترك الجميع في أصل البلاغة و وصف الفصاحة، و من البيّن أنّ في بعض تركيب القرآن العزيز ما هو أفصح من بعض، و أجمع لدقائق البلاغة و مزايا الفصاحة.

وقد عدّ الأردبيلي المدّ الواجب في عداد ما يجب مراعاته، بل كأنه قد أرسله إرسال المسلمات حيث قال: و معلوم من وجوب القراءة بالعربية المنقولة تواترا عدم الإجزاء و عدم جواز الإخلال بها حرفا، و حركة بنائية و اعرابية، و تشديدا، و مدا واجبا، و كذا تبديل الحروف، لعدم صدق القراءة، فتبطل الصلاة مع الاكتفاء بها.

وقال السيد «١» الطباطبائي في «إصلاح العمل»: صرح جماعة بوجوب مراعاة المدّ المتصل، و فيه أشكال، و لكنّه أحوط.

قال: و لا- يجب المنفصل، و قيل: هو أفضل، ثمّ حكى عن صريح بعض الأصحاب أنّ المراد بالمدّ المتصل ما يكون حرف المد و موجه في كلمة واحدة،

(١) هو السيد المجاهد محمد بن الأمير السيد على الطباطبائي الحائري المتوفى (١٢٤٢).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٦

و بالمنفصل ما كان حرف المدّ في كلمة، و موجه في اخرى، فيدخل في الأوّل مدّ «أولئك» و مدّ «و لا الضالين»، و مدّ كهيعص و لكن يظهر من جماعة منهم السيوطي في «الإتقان» «١»، و بعض شراح «الشاطبية» أنّ المتصل عبارة عمّا كان سببه وقوع الهمزة في كلمة واحدة فيخرج الأخيران عنه، و يدخل في الثاني مدّ «لا إله إلا الله».

أقول: المشهور، بل كاد أن يكون إجماعا منهم هو التفسير الأوّل، و به صرح الشهيد الثاني في «شرح النفلية» كما صرح به أيضا كثير من شراح «الشاطبية» و الجزري في «طية النشر» و غيرهم من أئمة القراءة، من دون اشارة إلى خلاف أصلا، لكنّ الخطب فيه سهل جدّا بعد عدم الدليل على وجوبه في شيء من الأقسام، بلا فرق بين تسميته متصلا أو منفصلا، و استقرار طريقة أهل اللسان على مراعاته غير معلوم، بل المعلوم خلافه.

ألا ترى أنّهم في محاوراتهم و تكلماتهم العرفية لا يراعون شيئا من ذلك، و إنّما يقتصرون على أداء موادّ الحروف، بل لو تكلف أحد بمراعاة ذلك لكان ذلك منكرا مستهجنا عندهم.

هذا مضافا الى خلوّ الأخبار، بل خلوّ كتب القدماء، و أكثر المتأخرين عن ذلك، بل أوّل من تعرّض لذلك من فقهاء أصحابنا هو الشهيد في الألفية» و «النفلية»، و لم يتعرّض له في «الذكرى»، أصلا.

و كأنّ الّذى دعاه إلى ذلك إكمال العدة في الكتابين، و لذا عدّ من المندوب في «الثاني» بعد ذكر المدّ، عدم الإفراط في التشديد، و إشباع كسرة كاف

(١) الإتقان ج ١ ص ١٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٧

«ملك»، و ضمّ دال «نعبد» و الإتيان بالواو بعدها سلسا، و إخلاص الدال في «الدين» و الياء في «إيّاك» و الفتحة في الكاف من «إيّاك» بلا إشباع، و التحرز من تشديد الباء في «نعبد» و نحوه، و التاء في «نستعين» و تصفية الصاد في «الصراط» المختارة أي إذا اختار الصاد، فإن اختار السين فليحافظ على همسه، و تمكين حرف المدّ و اللين بغير افراط، و كذا فتحة نون «الذين» و اجتناب تشديد تاء «أنعمت» و ضاد «المغضوب» و اجتناب تفخيم الألف، و إخفاء الهاء، بل تكون ظاهرة، الي غير ذلك ممّا لم يقم على مطلوبيته شاهد، فضلا عن حجة، عدا بعض الاعتبارات التي ترجع إلى ملاحظة صفات الحروف أو إلى تبيينها، و الإفصاح عنها، كما يشهد له التأمل فيما ذكره ثاني الشهيدين في الشرح، و أنت تعلم أنّ المعبر إنّما أداء الحروف، و أمّا الصفات فلا دليل على اعتبارها فضلا عن الأمور المحقّقة لها، بل لا يخفى أنّ التوغلّ و الاستغراق في هذا القدر الذي ذكره الشهيد فضلا عن غيره ممّا اعتنى به أئمّة هذه الصناعة من صفات الحروف و غيرها يسلب الخشوع الذي هو المطلوب بالقراءة.

و لذا ورد الأمر في الكتاب و السنّة بالتدبّر فيها و التحقّق بحقائقها، و استجلاب الخشوع عندها على ما ستسمع تمام الكلام فيه إنشاء الله.

و أمّا ما ذكره المحقّق الثاني، بل الشهيد الثاني أيضا من أنّه لو ترك المدّ المتّصل تحقّق الإخلال بمثل الإخلال بحرف فهو على إطلاقه ممنوع، نعم قد سمعت أنّه لو توقّف عليه أداء الحرف وجب بلا فرق بين كون الموجب الهمزة أو الساكن في كلمة أو كلمتين، و ذلك لا لكونه مدّا، بل لتوقّف الحرف الساكن عليه، إذ الساكن الواقع بعد حرف المدّ لا بدّ من اعتماده على ما يتوصّل به إلى النطق به، و ذلك في أمثال المقام امتداد حرف المدّ لفقد الحركة السابقة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٨

و من هنا يظهر أنّه يمكن القول باستحباب المدّ عند السكون العارض كما في «الرّحيم» و «نستعين» حيث يتوقّف الإفصاح عن حرفي المدّ و الساكن عليه، بل يمكن الاستدلال له بما ورد في المعبرة من الأمر بإفصاح الألف و الهاء في التهليل من الأذان كما في صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السّلام.

و

عنه عليه السّلام: الأذان جزم بإفصاح الألف و الهاء «١».

بل

عن «المنتهى» عن النبيّ صلّى الله عليه و آله: «لا يؤذّن لكم من يدغم الهاء، قيل:

و كيف يقول؟ قال صلّى الله عليه و آله: يقول: أشهد أنّ لا إله إلّا الله «٢».

و قد اختلفوا في تعيين الهاء التي نهينا عن إدغامها على وجوه لا داعي للتعرّض لها في المقام، إلّا أنّ الظاهر أنّ المراد الهاء الأخيرة، و لو بقريته ما في الخبر المتقدّم، و غيره من الأمر بالجزم أي الوقف على فصول الأذان مع إفصاح الألف و الهاء، فالمراد بالإدغام المنهى عنه ترك المدّ بحيث يؤدّى إلى إخفاء الهاء.

و لعلّ ما ذكرناه في معنى الخبر أولى ممّا ذكره الحلّي «٣»، و شيخنا البهائي، و العلّامة المجلسي عطر الله مراقدهم، فلاحظ.

(١) التهذيب ج ١ ص ١٥٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٨٤ ص ١٥٩.

(٣) قال ابن إدريس الحلّي على ما حكى في البحار: المراد بالهاء هاء (إله) لا هاء (أشهد) و لا هاء (الله).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٩

### في مراعاة التشديد

يجب مراعاة التشديد الذي منه التلّفظ بالحرفين، فإنّ الحرف المشدّد أقيم مقامهما، والإخلال به بكلّ من التّخفيف و الفكّ إخلال بالقراءة الموسوعة التي وقع التعبد بقراءتها مع مخالفتها الطريقة العرف و القواعد اللّغويّة.

فما في «التذكّرة» عن بعض الجمهور من جواز ترك الشدّة لعدم ثبوتها في المصحف ضعيف جدّا كدليله، فإنّه في الحقيقة إخلال بالحرف، و بالكيفيّة المعبّرة، و لذا نفى غير واحد منّا الخلاف في عدم الإجزاء مع الإخلال به الشامل للوجهين معا، بل للثالث الذي هو التحريك بعد الفكّ.

قال في «كشف اللّثام»: و فكّ الإدغام من ترك الموالاة إن تشابه الحرفان، و إلّا فهو إبدال حرف بغيره، و على التقديرين من ترك التشديد، نعم، لا بأس به بين كلمتين إذا وقف على الأوّل نحو لَمْ يَكُنْ لَهُ و مفهومه كما ترى ثبوت البأس بالفكّ عند الوصل، و تنقيح البحث يستدعي بسط الكلام في أقسام التشديد و الإدغام مع التعرّض لما له من الأحكام.

فنقول: إنّ التشديد على ما صرّح به بعضهم، و يستفاد من كلام آخرين على وجوه ستّة: أحدها: التشديد الأصلي «كثّوب» و «أواب» و «وهّاب» و نحوها، و هذا لا خلاف و لا إشكال في وجوبه، و عدم الاجتزاء بالتخفيف و بالفكّ الذي لعلّه لا يحصل إلّا بالسكت بين الواوين لما عرفت.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٠

ثانيها: التشديد البدلي الحاصل من إدغام لام التعريف في الحروف الشمسيّة «كالرحمن» و «الرحيم». و ذلك لأنّهم قسّموا الحروف إلى شمسيّة تدغم فيها اللّام، و قمرية تظهر عندها، و كلّ منهما أربعة عشر حرفا، فالقمرية هي حروف قولك: «ابح حجك و خف عقيمه» و الشمسيّة ما سواها، و التسمية باعتبار لفظه الشمس و القمر، تسمية لكلّ بملاحظه الجزء. و لا يهّمنا البحث في أنّ سبب الإدغام في المقام هل هو قرب المخرج، أو غيره بعد استقرار طريقة أهل اللسان عليه بلا خلاف و لا إشكال فيه من أحد، و إن تضمّن إبدالا من الحرف الأصلي الذي هو اللام فالإخلال به بفكّ الإدغام، أو بترك الإبدال إخلال بالقراءة المعهودة الموظّفة.

و توهم جواز موافقة الخطّ الذي يوافق الأصل أيضا مدفوع بما سمعت. و أمّا إبقاء الخطّ على الأصل فربّما علّوه بكون اللام من كلمه، و الحرف المدغم فيه من كلمه أخرى، و بالأمن عن اللبس في المنكر المدخول لهزمة الاستفهام، و الخطب فيه سهل.

ثالثها: التشديد اللّازم، و هو الذي في الأدوات مثل «لّمّا» و «أمّا» و «ثمّ» و «حتّى» و «كلّا» و نحوها، و هو في الوجوب و عدم الاجتزاء مع الإخلال به كالسابقين.

رابعها: تشديد الغنة، و كأنّه تغليب في التسمية، حيث إنهم عبّروا به عن الإدغام في حروف «يرملون» مع وضوح انتفاء الغنة في اللام و الراء، و قد اتّفقت كلمة القراء على إدغام النون الساكنة و التنوين في هذه الحروف و صرّح في شرح «طيبة النشر»، و «إبراز المعاني» بالإجماع، بل في «الشاطبية» أيضا حيث قال:

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣١ و كلّهم التنوين و النون أدغموها بلا غنة في اللام و الراء ليجملا

و كل ينمو أدغموها مع غنة و في الواو و اليا دونها خلف تلا «١»

و هو المحكي عن «التيسير» و «سراج القاري»، و غيرهما أيضا.

بل في «إبراز المعاني»: التصريح بأن الإدغام في حروف «يرملون» الستة، والإظهار في حروف الحلق الستة، والقلب عند الباء، والإخفاء في البواقي هي الوجوه التي لها في اللغة، بل قد استفاد من الشاطبية أيضا، وإن كانت استفادته لا تخلو من نظر فلاحظ. وأمّا الفقهاء: فقد سمعت أن مفهوم كلام كاشف اللثام وجوبه، وهو الظاهر من الشهيد في «البيان» و«الألفية» و ثاني المحققين و الشهيدين، وغيرهم ممن صرح بوجوب الإدغام الصغير، حيث إن غير واحد منهم صرحوا بكون المقام منه وإن افردوه بالبحث لاختصاصه ببعض الأحكام.

وفي «إصلاح العمل» أنه صرح جماعة بوجوب الإدغام الصغير، ولكنه أحوط، قال: وفسره بعض يادغام التنوين و النون الساكنة في أحد حروف «يرملون»، و على كل حال ففي وجوبه إشكال:

من الأصل، و جواز القراءة بالمرسوم، و عدم الإشعار بوجوبه في شيء من كلمات قدماء الأصحاب، فضلا من الأخبار. و من ظهور إجماع المتأخرين عليه، فإنهم بين مصرح به و ساكت عنه، مقرّر له مع ظهور إيكالهم كيفية القراءة على الرجوع الى علماء هذا الفن، و الكتب المصنفة فيه، بل و لعله السر أيضا في عدم تعرّض القدماء و لغيره ممّا لا تأمل في وجوبه، كإخراج الحروف من مخارجها، و مراعاة التشديد، و غيره.

(١) حرز الأمانى المعروف بالشاطبية ص ٢٤ باب احكام النون الساكنة و التنوين.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٢

هذا مضافا الى أن كثيرا من موارد هذا الإدغام يرجع الى رسم الخط الذي لا يجوز تغييره مثل عمّ يتساءلون «١» و ممّا خطبتاهم «٢»، و عمّا يعملون و نحوها.

و إلى ما سمعت عن «شرح الشاطبية» من أن هذا الإدغام من مقتضى اللغة، و اتفاق القراء السبعة، و غيرهم على لزوم مراعاته، و لا ريب في وجوب إتباع قراءتهم، إمّا للتواتر كما عليه جماعة، أو لوقوع التعيد لنا من الائمة عليهم السلام كما استفاد من الأخبار، إلا أن الأظهر مع كل ذلك عدم الوجوب، لمنع الإجماع، بل الاتفاق أيضا، و كيف يحصل لنا العلم بفتوى الإمام عليه السلام من مجرد فتوى بعض المتأخرين، و لذا لم يدعه عليه أحد منهم.

مع أنه من المحتمل قويا أنهم أرادوا بالوجوب غير المعنى المصطلح، حسبما سمعت في الوقف، بل قد سمعت أيضا أنه قد تبعه فيه بعض المتأخرين.

و أمّا ما مرّ من إيكالهم كيفية القراءة على علماء الفن... إلخ ففيه ما لا يخفى، مع إشعار كثير منهم بتصريحا أو تلويحًا بالقدر الواجب الراجع الى مادّة الكلمة و هيئتها الظاهر في نفي أمر زائد، بل هو صريح بعضهم أيضا.

قال في «مجمع الفائدة»: و أمّا باقى الصفات فى الحروف من الترقيق، و التفتيح، و الغنة، و الإظهار، و الإخفاء فالظاهر عدم الوجوب، بل عدم الاستحباب، لعدم الدليل شرعا، و صدق القراءة بدونها لغة و عرفا، و إن كان عند القراء واجبا. و نفي البأس فى «كشف الغطاء» عن فكّ المدغم من كلمتين.

(١) النبأ: ١.

(٢) نوح: ٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٣

و أمّا إدراج الإدغام فى الرسم فى بعض المواضع فمع معارضته بالعدم فى الأكثر مدفوع بعدم العبرة بالرسم المتعارف الذى لا شك فى اختلافه بحسب الأعصار، بل لا ريب فى استناده أولا الى المصاحف العثمانية، التى خولف فيها طريقة العرف مع أنه وقع كثيرا

مخالفة الرسم في المعرف باللام وغيره.

و أما نسبه إلى اللغة فمع عدم ثبوتها لعل المراد مجرد الجواز لا لزوم، بل لعله الظاهر.

و أما اتفاق القراء عليه فمع الغض عن احتمال ارادة غير المصطلح من الوجوب، لا ريب في أنه إنما يلزم متابعتهم في مواد الحروف، لا في هذه التصرفات التي ربما يؤدي إلى تغيير مواد الأصول، و لذا لم يقل أحد بوجوب الإدغام الكبير، بل الظاهر من أكثر الأصحاب إختيار تركه لزوما أو احتياطا.

نعم يمكن دعوى القطع من جميع ما مرّ، و غيره بالجواز، بل لعل عليه إجماع الفقهاء أيضا، فقضية الاحتياط في المقام مراعاته لارتباط المشكوك فيه بالمأمور به، سيما إذا وجبت القراءة الصلاة أو نذر، أو استيجار، أو غيرها.

ثم لا يخفى عليك أن معقد الإجماعات المحكيّة، بل و دعوى قضاء العرف و اللغة هو كلّ من الأمور الأربعة، أعنى الإدغام في حروف «يرملون»، و الإظهار في حروف الحلق، و القلب في الباء، و الإخفاء في البواقي.

أما الإدغام فهو بلا غنة في اللام و الراء، و مع الغنة في حروف «ينمو» الأربعة، إلّا عن خلف (بن هشام المتوفى ٢٢٩) في الواو و الياء للقرب القريب في الأولين الموجب لتمحّض الإدغام دون الأربعة الأخيرة فلم يذهب بغنتها، بل حكى في «شرح الشاطبية» عن بعضهم أنه في الواو و الياء إخفاء لا إدغام، و إنما يقولون له إدغام مجازا، و إلّا فهو إخفاء على مذهب القائلين ببقاء الغنة، لأنّ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٤

ظهورها يمنع من تمحّض الإدغام إلّا أنه لا بدّ من تشديد يسير فيهما.

قال: و هو قول الأكابر حيث قالوا: الإخفاء ما بقيت معه الغنة.

و أمّا عند النون و الميم فهو إدغام محض، لأنّ في كلّ واحد من المدغم و المدغم فيه غنة، فاذا ذهبت إحداهما بالإدغام بقيت الاخرى.

نعم هو على مذهب خلف في اللام و الراء إدغام محض، و لذا اختار ترك الغنة فيهما، بل هو المحكي عن الكسائي أيضا في احدى الحكايتين.

و في «إبراز المعاني»: أن في اللغة حذف الغنة و ابقاؤها جائز عند الحروف الستة، ثم إنهم أطبقوا على وجوب إظهارها في نحو «الدنيا» و «بنيان» و «قنوان» و «صنوان»، حذرا من الاشتباه بالمضاعف نحو حيان، و بوان، و من اجتماع ثلاث من حروف العلة في كلمة واحدة. كما أنهم أطبقوا على الإظهار في حروف الحلق، و قلب النونين ميم عند الباء في كلمة أو كلمتين مع إظهار الغنة على الأشهر منهم، و على الإخفاء في البواقي مع بقاء غنتهما، لأنها لم يستحکم فيها البعد و لا القرب عنهما، فلما توسّطت أعطيت حكما وسطا بين الإظهار و الإدغام و هو الإخفاء بلا فرق بين كونها في كلمة أو كلمتين.

خامسها: تشديد المدغم بالإدغام الصغير الذي يكون فيه أول الحرفين ساكنا، و سمى لاختصاصه ببعض الحروف، و عدم تأثيره في إسكان المتحرّك قبل ادغامه دون الكبير الذي هو إدراج المتحرّك بعد إسكانه في المتحرّك.

ثم الإدغام الصغير ينقسم الى واجب، و ممتنع، و جائز.

فالواجب ما أوجه أئمة الصرف بشروطه الأحد عشر المذكورة في موضعه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٥

و الممتنع هو بعض موارد اختلال الشروط حسبما أشاروا اليه.

و الجائز ما تصدّى لذكره أئمة القراء و ينقسم الى ثلاثة أقسام:

الأول: إدغام حرف من كلمة عند حروف متعدّدة من كلمات.

كادغام الذال المعجمة في كلمة (إذ) في الصاد، نحو و إذ صِرْفْنَا «١»، و السين، نحو إذ سَمِعْتُمُوهُ «٢»، و الزاي، نحو و إذ زَيْن «٣»، و

التاء نحو إِذِ تَبَرَّأَ «٤»، و الدال، نحو إِذِ دَخَلُوا «٥»، و الجيم، نحو إِذِ جَعَلَ «٦».

و كادغام الدال المهملة من كلمة (قد) في ثمانية أحرف: الجيم، و الصاد، و السين، و الزاي، و الذال، و الضاد، و الشين، و الظاء، نحو

قَدْ جَعَلَ «٧»، لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ «٨».

قَدْ سَلَفَ «٩»، وَ لَقَدْ زَيَّنَّا «١٠» وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا «١١» قَدْ ضَلُّوا «١٢»،

(١) الأحقاف: ٢٩.

(٢) النور: ١٢.

(٣) الأنفال: ٤٨.

(٤) البقرة: ١٦٦.

(٥) الحجر: ٥٢.

(٦) المائدة: ٢٠.

(٧) مريم: ٢٤.

(٨) الفتح: ٢٧.

(٩) النساء: ٢٢ و ٢٣- الأنفال: ٣٨.

(١٠) الملك: ٥.

(١١) الأعراف: ١٧٩.

(١٢) النساء: ١٦٧- المائدة: ٧٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٦

قَدْ شَغَفَهَا «١»، لَقَدْ ظَلَمَكَ «٢».

و إدغام تاء التانيث في ستة: الجيم، و الظاء، و التاء، و الصاد، و السين، و الزاي، نحو نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ «٣» وَ حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا «٤»،

كَذَّبَتْ ثَمُودُ «٥»، لَهْدَمْتَ صَوَامِعَ «٦»، أَنْزَلْتَ سُورَةَ «٧»، حَبَّتْ زِدَانُهُمْ «٨».

و إدغام اللام من كلمتي (بل) و (هل) في ثمانية: التاء، و الثاء و السين، و الزاي، و الطاء، و الظاء، و النون، و الضاد.

نحو بَلْ تَأْتِيهِمْ «٩»، هَلْ تُوِبَ «١٠» بَلْ سَوَّلَتْ «١١»، بَلْ زَعَمْتُمْ «١٢»، بَلْ طَبَعَ «١٣» بَلْ ظَنَنْتُمْ «١٤»، بَلْ نَقَذِفُ «١٥»، بَلْ نَحْنُ «١٦»

(١) يوسف: ٣٠.

(٢) ص: ٢٤.

(٣) النساء: ٥٦.

(٤) الانعام: ١٤٦.

(٥) القمر: ٢٣- الحاقة: ٤.

(٦) الحج: ٤٠.

(٧) التوبة: ٨٦- ١٢٤- ١٢٧.

(٨) الإسراء: ٩٧.

(٩) الأنبياء: ٤٠.

(١٠) المطففين: ٣٦.

(١١) يوسف: ١٨-٨٣.

(١٢) الكهف: ٤٨.

(١٣) النساء: ١٥٥.

(١٤) الفتح: ١٢.

(١٥) الأنبياء: ١٨.

(١٦) الحجر: ١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٧

بَلْ صَلُّوا «١».

و لا يخفى أن هذه المواضع المذكورة، و غيرها من الموارد التي لم نتعرض لها كلها مما وقع فيه الخلاف عندهم.

نعم مما أجمعوا عليه إدغام ذال كلمة (إذ) في نحو إِذْ ذَهَبَ «٢» و إِذْ ظَلَمْتُمْ «٣».

و إدغام كلمة (قد) في قَدْ دَخَلُوا «٤» و قَدْ تَعَلَّمُونَ «٥».

و إدغام تاء التانيث في فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ «٦»، أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا «٧»، فَأَمَنْتَ طَائِفَةً «٨».

و إدغام لام كلمة (هل) و (بل) في هَلْ لَنَا، و في بَلْ لَا تُكْرِمُونَ «٩»، «هل رأيتم»، بَلْ رَانَ «١٠».

و إدغام لام كلمة (قل) في قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ «١١».

بل قال الشاطبي تعميما للحكم:

(١) الأحقاف: ٢٨.

(٢) الأنبياء: ٨٧.

(٣) الزخرف: ٣٩.

(٤) المائدة: ٦١.

(٥) الصف: ٥.

(٦) البقرة: ١٦.

(٧) يونس: ٨٩.

(٨) الصف: ١٤.

(٩) الفجر: ١٧.

(١٠) المطففين: ١٤.

(١١) الإسراء: ٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٨ و ما أول المثلين فيه مسكن فلا بد من إدغامه متمثلا «١»

و في شرحه المسمى «إبراز المعاني»: كل مثلين التقياء، و أولهما ساكن فواجب إدغامه في الثاني لغه، و قراءة، سواء كان ذلك في

كلمة، نحو يُدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ «٢»، يُوجِّهُهُ «٣»، أو في كلمتين نحو فَقَلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ «٤».

و لا يخرج من هذا العموم إلا حرف المد، نحو قَالُوا وَاَقْبَلُوا «٥»، فِي يَوْمَيْنِ «٦»، فإنه يمد عند القراء و لا يدغم.

بل قد ادعى عليه الإجماع جماعة منهم أبو على الأهوازي قال: المثلان إذا اجتماعا، و كانا واوين قبل الاولى منهما ضمة، أو ياءين قبل



الاولى منهما كسرة فإنهم أجمعوا على أنهما يمدان قليلا، و يظهران بلا تشديد و لا إفراط، مثل آمَنُوا وَعَمِلُوا «٧»، فِي يَوْسُفَ «٨» فِي يَتَامَى «٩».

قال: و على هذا وجدت أئمة القرائة في كلِّ الأمصار، و لا يجوز غير ذلك، فمن خالف هذا فقد غلط في الرواية، و أخطأ في الدراية.  
قال: و أما الواو و إذا انفتح ما قبلها و أتى بعدها واو من كلمة أخرى فإنَّ عدم

(١) حرز الأمانى المعروف بالشاطبية ص ٢٣.

(٢) النساء: ٧٨.

(٣) النحل: ٧٦.

(٤) البقرة: ٦٠.

(٥) يوسف: ٧١.

(٦) البقرة: ٢٠٣.

(٧) البقرة: ٢٥.

(٨) يوسف: ٧.

(٩) النساء: ١٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٩

إدغامها حينئذ إجماعى مثل عَصَوْا وَ كَانُوا «١» آوَوْا وَ نَصَرُوا «٢»، ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا «٣» و نحو ذلك.

و ذكر أن بعض شيوخنا خالف في هذا.

و أما في مَالِيهِ هَلَكَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةُ «٤»، فقد اختلفوا فيه، و المختار عندهم الوقف.

و أما إذا كان الحرفان في كلمة واحدة مختلفتين، إلَّا أنَّهما من مخرج واحد، نحو حَصَدْتُمْ «٥» وَ إِنِ عُدْتُمْ «٦» أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ «٧» وَ إِنِ

طَرَدْتُهُمْ «٨»، فالمحكى عن بعضهم وجوب الإدغام أيضا لكونهما من مخرج واحد في كلمة واحدة.

الثانى من أقسام الإدغام الصغير الجائز: هو إدغام حروف آخر غير ما ذكر من التى قربت مخارجها:

كإدغام الباء في خمسة مواضع: أَوْ يَغْلِبَ فَسَوْفَ «٩»

(١) البقرة: ٦١.

(٢) الأنفال: ٧٢.

(٣) المائدة: ٩٣.

(٤) الحاقة: ٢٩.

(٥) يوسف: ٤٧.

(٦) الإسراء: ٨.

(٧) المرسلات: ٢٠.

(٨) هود: ٣٠.

(٩) النساء: ٧٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٤٧٩

إِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ «١»، وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ «٢» أَذْهَبَ فَمَنْ «٣» فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ «٤».

ولبعضهم خلاف في وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ «٥».

وإدغام اللام المجزومة في الذال المعجمة في قوله: وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ فِي الْقُرْآنِ «٦»، بخلاف غير المجزومة نحو فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ «٧».

وإدغام الفاء المجزومة في الباء نحو نَخَسِفُ بِهِمْ «٨».

وإدغام الذال المعجمة في التاء في قوله: عُدْتُ «٩» فَتَبَدَّتْهَا «١٠».

وإدغام الراء في اللام، نحو فَاصْبِرْ لِحُكْمِ «١١» أَنْ اشْكُرْ لِي «١٢» يَغْفِرْ لَكُمْ «١٣».

(١) الرعد: ٥.

(٢) الحجرات: ١١.

(٣) الإسراء: ٦٣.

(٤) طه: ٩٧.

(٥) الحجرات: ١١.

(٦) البقرة: ٢٣١- آل عمران: ٢٨.

(٧) البقرة: ٨٥.

(٨) سبأ: ٩.

(٩) غافر: ٢٧- الدخان: ٢٠.

(١٠) طه: ٩٦.

(١١) الطم: ٤٨- الطور: ٤٨.

(١٢) لقمان: ١٤.

(١٣) آل عمران: ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤١

وإدغام الدال المهملة في التاء المثلثة نحو وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا «١».

الثالث من الأقسام: هو إدغام النون الساكنة والتنوين في الستة المتقدمة، بل الميم الساكنة أيضا، حيث ذكروا أَنَّ حَكْمَهَا الإِدْغَامُ فِي مِثْلِهَا نَحْوُ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ «٢».

والإخفاء مع الغنة في الباء الموحدة نحو مَا هُمْ بِضَارِّينَ «٣» وَإِنْ يَحْكِي فِيهَا الإِدْغَامُ مِنْ بَعْضِهِمْ، وَالإِظْهَارُ عَنْ بَعْضِ آخَرٍ، سَيِّمًا فِي الْوَاوِ وَالْفَاءِ.

ثُمَّ إِنَّ الأَقْسَامَ الثَّلَاثَةَ وَإِنْ اشْتَرَكْتَ فِي كَوْنِهَا مِنَ الإِدْغَامِ الصَّغِيرِ الَّذِي أَفْتَى غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِنَا بِوَجُوبِهِ، بَلْ عَنْ «فَوَائِدِ الشَّرَائِعِ»: لَا نَعْرِفُ فِيهِ خِلَافًا إِلَّا أَنَّهُ لَا- يَخْفَى عَلَى مَنْ أَطَّلَعَ عَلَى كَثْرَةِ الخِلَافِ الْوَاقِعِ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا أَنَّهُ يَنْبَغِي التَّأَمُّلُ فِي جَوَازِهِ بِإِطْلَاقِهِ فَضْلًا عَنْ وَجُوبِهِ، نَظْرًا إِلَى أَنَّهُ إِخْلَالٌ بِالْحُرُوفِ وَإِبْدَالٌ لَهَا بِغَيْرٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمَوْضُوعَةِ، وَجَوَازِهِ غَيْرَ مَعْلُومٍ.

نعم ما علم اتفاقهم عليه لا يبعد جوازه، بل رجحانه، دون وجوبه حسبما سمعت في القسم الرابع.

سادسها: الإِدْغَامُ الْكَبِيرُ الَّذِي قَدْ سَمِعْتَ تَعْرِيفَهُ وَتَسْمِيَتَهُ فِي سَابِقِهِ، وَ لَا أَعْرِفُ أَحَدًا قَالَ بِوَجُوبِهِ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِي جَوَازِهِ فِي كُلِّ مَنْ

المثلين، و المتجانسين، و المتقاربين.  
و المشهور عندهم أنه مخصوص بقراءة أبي عمرو بن العلاء البصرى (المتوفى ١٥٤) من طريق السوسى (صالح بن زياد المتوفى ٢٤١) و عن عاصم الذى على قراءته سواد مصاحفنا الإدغام فى خصوص كلمتين.

(١) آل عمران: ١٤٥.

(٢) البقرة: ٢٤٩.

(٣) البقرة: ١٠٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٢

و هما: ما مَكَّنِي «١»، و لا تَأْمَنَّا «٢»، مع روم، أو إشماع فى الأخير عن الجميع إلّا عن أبي جعفر (يزيد بن القعقاع المدنى المتوفى ١٣٢) و إن أخل أحدهما أو كلاهما بتمام الإدغام.

و شرط الإدغام الكبير عندهم أن يتحرك الحرفان، فإن سكن الأول أدغم للجميع مثل إِذْ ذَهَبَ «٣» قَدْ دَخَلُوا «٤»، و قد مرّ.

و إن سكن الثانى فلا إدغام للجميع نحو إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا «٥» كَمَثَلِ الْعُنُكُوتِ اتَّخَذَتْ «٦».

و أمّا إن تحركا فلا فرق بين كونهما فى كلمة نحو ما سَيَلَكُمُ فِي سَيَقَرَّ «٧» و مَنَاسِكَكُمْ «٨» و يَزُوقُكُمْ «٩» و نحوه من المتماثلين و المتجانسين، فإن المثلين منحصرة فى المثلين، أو فى كلمتين، و هو عامّ كثير بالنسبة الى أكثر الحروف، و قد تصدوا لذكر موارده فى القرآن على سبيل الكلية، و منهم من رتبته على ترتيب السور، و منهم من حذفه رأسا.

و حكى الشهيد فى «شرح النفلية» عن أكثر القراء أنهم تركوه، و عن أبي عبيد القاسم ابن سلّام (المتوفى ٢٢٤) أنه لم يذكره فى مصنفاته لكرهته له، و أنه

(١) الكهف: ٩٥.

(٢) يوسف: ١١.

(٣) الأنبياء: ٨٧.

(٤) المائدة: ٦١.

(٥) المائدة: ٥٨.

(٦) العنكبوت: ٤١.

(٧) المدثر: ٤٢.

(٨) البقرة: ٢٠٠.

(٩) يونس: ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٣

قال فى بعض كتبه: القرائة عندنا هى الإظهار، لكرهتنا الإدغام إذا كان تركه ممكنا.

و جعل تركه فى «النفلية أفضل، و علله فى «شرحه» بأن التفكيك أفصح، و أكثر حروفا، فيكثر معه ثواب القرائة، و لأنّ فيه إيتاء كلّ حرف حقّه من إعرابه، أو حركته التى يستحقّها، و الإدغام يلبس على كثير من الناس وجه الإعراب، و يوهم من المقصود من المعنى فى قوله: يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ «١» الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى «٢».

و على كلّ حال فالأقرب عدم جواز القرائة به لاستلزامه تغيير كيفية الحروف بالإسكان و مادّته بالإبدال.

و أما ما في «الجواهر» من التوقف في جوازه لو لا الإجماع المدعى على القراءة بالسبع أو العشر. ففيه أن التوقف في موضعه، و الإجماع على فرض تسليمه إنما هو في غير هذه الكيفيات الخارجة عن مواد الكلمات. فهو في الحقيقة تصرف في الكلمات القرآنية بغير حجة شرعية.

و أمّا ما في بعض كتب هذا الفن من الاستشهاد لهذا الإدغام ببعض أشعار العرب فمع الغض عن عدم ثبوت مثله لا ريب أنه ربما دعتهم الضرورة فيه إلى تسكين المتحرّك و تحريك الساكن من غير الاقتصار في ذلك الى مواضع الإدغام، و لذا يغتفر ما لا يغتفر في غيره، بل قد اشتهر عندهم الاعتذار بضرورة الشعر، و إن أجيب بأنه لا ضرورة في الشعر.

(١) النمل: ٤٠- لقمان: ١٢.

(٢) الحشر: ٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٤

و بالجملة فلا دليل على جوازه في المثليين، مثل الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ «١»، فضلا عن المتقاربين و المتجانسين نحو يُعَذَّبُ مَنْ يَشَاءُ «٢» قَدْ سَمِعَ اللَّهُ «٣» قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا «٤» قَدْ جَاءَكُمْ «٥».

إذ فيها الإبدال، مضافا الى ترك الإعراب و الإدغام الذي هو تغيير في الهيئة.

فعدم الجواز في الأول من وجهين، و في الأخيرين من وجوه ثلاثة.

ولذا، أو لكثرة سمي كبيراً، حسبما سمعت.

ثم إن الأمر في الأول واضح.

وقد ذكروا في ضبط الأخيرين: أن الحرفين إن اتفقا في المخرج و اختلفا في الصفة أو بالعكس كانا متقاربين، و إن اتفقا فيهما فمتجانسان، أو اختلفا فيهما فمتباينان.

و عن الأكثر تعريف المتماثلين بالمتفقين في المخرج و الصفة كاللامين و الدالين، و المتجانسين بالمتفقين في المخرج دون الصفة، كاللام و الراء، و المتقاربين بالمتفقين في أحدها، أو خصوص الثاني، و الخطب عندنا سهل بعد عدم الاعتبار بالأصل.

(١) الفاتحة: ٣- ٤.

(٢) البقرة: ٢٨٤.

(٣) المجادلة: ١.

(٤) يوسف: ٣٠.

(٥) آل عمران: ١٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٥

### الفصل الثالث

في الوظائف الباطنية لقارئ القرآن لا- بدّ لقارئ القرآن من مراعاة الوظائف الباطنية و ملازمتها، و الاستمرار عليها كما وجبت عليه رعاية الوظائف الظاهرية التي مرت الإشارة إليها، حيث إن من الواضح أنه ليس المقصود من التلاوة مجرد التلفظ بالكلمات و الآيات، و لو مع حفظ الحدود الظاهرة.

بل

ورد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «رَبَّ تَالٍ لِلْقُرْآنِ وَ الْقُرْآنَ يَلْعَنُهُ» (١).

و

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عند نزول بعض الآيات: «وَيْلٌ لِمَنْ لَأَكْهَأَ بَيْنَ لِحْيَتَيْهِ وَ لَمْ يَتَدَبَّرْهَا» (٢).

و

في «الكافي» و «الأمالي» و «الخصال» عن مولانا ابي جعفر عليه السّلام قال: «قَرَأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ: رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاتَّخَذَهُ بَضَاعَةً، وَ اسْتَدْرَجَ بِهِ الْمَلُوكَ وَ اسْتَطَالَ بِهِ عَلَيَّ النَّاسَ.

و رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَحَفِظَ حُرُوفَهُ، وَ ضَيَّعَ حُدُودَهُ، وَ أَقَامَهُ إِقَامَةَ الْقَدْحِ، فَلَا

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٨٤ عن جامع الأخبار ص ٥٦.

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص ٥٥٤ و فيه فويل لمن لا كها بين فكيه و لم يتأمل ما فيها. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٦  
كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن.

و رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَوَضَعَ دَوَاءَ الْقُرْآنِ عَلَيَّ دَاءَ قَلْبِهِ فَاسْهَرُ بِهِ لَيْلَهُ، وَ أَظْمَأَ بِهِ نَهَارَهُ، وَ قَامَ بِهِ فِي مَسَاجِدِهِ، وَ تَجَافَى بِهِ عَن فِرَاشِهِ، فَبَأُولَئِكَ يَدْفَعُ اللَّهُ الْبَلَاءَ، وَ بَأُولَئِكَ يَدِيلُ اللَّهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَ بَأُولَئِكَ يَنْزِلُ اللَّهُ الْغَيْثَ مِنَ السَّمَاءِ، فَوَاللَّهِ لَهُؤُلَاءِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ (١).

و

في «الخصال» عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قَرَأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ: قَارِئٌ لِلْقُرْآنِ لَيْسَتْ دَرَجَةُ الْمَلُوكِ، وَ يَسْتَطِيلُ بِهِ عَلَيَّ النَّاسَ، فَذَلِكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

و قَارِئٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَحَفِظَ حُرُوفَهُ، وَ ضَيَّعَ حُدُودَهُ، فَذَلِكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

و قَارِئٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَتَرَ بِهِ تَحْتَ بَرْنَسِهِ، فَهُوَ يَعْمَلُ بِمَحْكَمِهِ، وَ يُؤْمِنُ بِمُتَشَابِهِهِ، وَ يَقِيمُ فَرَائِضَهُ، وَ يَحِلُّ حَلَالَهُ، وَ يَحْرَمُ حَرَامَهُ، فَهَذَا مِمَّنْ يَنْقِذُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَضَلَّاتِ الْفِتَنِ، وَ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَ يَشْفَعُ فِيمَنْ يَشَاءُ (٢).

إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التي ستسمع كثيرا منها إنشاء الله في الشروط و الوظائف الباطنية.

منها: التخلّي عن الشواغل القلبية و القلبية،

قال مولانا الصادق عليه السّلام على ما في «مصباح الشريعة»: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَ لَمْ يَخْضَعْ لَهُ، وَ لَمْ يَرِقْ قَلْبُهُ، وَ لَمْ يَنْشَأْ حَزْناً وَ وَجْلاً فِي سِرِّهِ فَقَدْ اسْتَهَانَ بِعَظَمِ شَأْنِ اللَّهِ وَ خَسِرَ خَسْرَاناً مَبِيناً، فَقَارِئُ الْقُرْآنِ يَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: قَلْبٌ خَاشِعٌ، وَ بَدَنٌ فَارِعٌ، وَ مَوْضِعٌ خَالٍ، فَإِذَا خَشِعَ لَلَّهِ قَلْبُهُ فَرَّ عَنْهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(١) أصول الكافي ص ٦٠٥-الأمالي ص ١٢٢-الخصال ج ١ ص ٦٩.

(٢) الخصال ج ١ ص ٧٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٧

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (١) و إذا تفرّغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه لقراءة القرآن، فلا- يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن، و إذا اتخذ مجلساً خالياً، و اعتزل عن الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليين استأذن روحه و سرّه بالله، و وجد حلاوة مخاطبات الله تعالى عباده الصالحين، و علم لطفه بهم، و مقام اختصاصه لهم بفنون كراماته، و بدائع إشاراته، فإذا شرب كأساً من هذا المشرب، فحينئذ لا- يختار على ذلك الحال حالا، و لا- على ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كلّ طاعة و عبادة، لأنّ فيه المناجاة مع الربّ بلا واسطة، فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك، و منشور ولايتك، و كيف تجيب أوامره و نواهيته، و كيف تمثّل حدوده،

فإنه كتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فرتله ترتيلاً، وقف عند وعده ووعيده، وتفكر في أمثاله ومواعظه، واحذر أن تقع من إقامة حروفه في إضاعة حدود «٢».

اعلم أن المقصود الأصلي من الذكر، والدعاء، والتلاوة، ونحوه إنما هو التجنب عن مهوى الغفلة، والجهالة، والتخلص عن فيافي بدياء الضلالة، والتحقق بحقيقة العبودية للحق المعبود، والاستغراق في بحار الأنوار الشهود، والتمكن على بساط حريم حرم القدس، واستشمام نفحات مواهب الأنس، وكشف سبحات الجلال، لإشراق أنوار تجليات الجمال، وذوق لذة المناجاة التي هي لذائد ثمار جنات الوصال.

وهذا كله لا يحصل ما لم يحصل الطهارة الكلية عن أرجاس الشواغل القلبية والبدنية، فكما أن من ليس له الطهارة البدنية يحرم عليه مس ظاهراً خطاً

(١) النحل: ٩٨.

(٢) مصباح الشريعة، الباب الرابع عشر - المحجة البيضاء ج ٢ ص ٢٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٨

المصحف بظاهر بدنه، كذلك من ليس له الطهارة القلبية عن الأفكار الرديئة النفسانية، والأخلاق الرذيلة الشيطانية محروم عن إدراك حقائق القرآن، والصعود في مدارج مراتب الإيمان.

فالحرمة في الأول تشريعية، وفي الثاني تكوينية، كما أن الاستعاذة المندوب إليها عند القراءة قولية و فعلية، بل النافع منها هي الثانية.

كما لوح إليه الإمام عليه السلام

في قوله: «فاذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم»

مستشهداً بالآية الشريفة.

بل

ورد في النبوي: «لو لا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت» «١».

ومن البين أن التدبر في معاني القرآن وأسراؤه إنما هو من الملكوت التي لا تدرك إلّا بالإدراكات القلبية التي هي من عالم النور،

فلا يدركها مدارك المحجوبين المنغمسين في غواصق عالم الغرور، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

ولذا جعل بالجعل التكويني الثانوي بمقتضى الفطرة المغيرة الشيطانية بسوء اختيارهم في قلوبهم أكنة أن يفقهوه، وفي آذانهم وقراً، و

قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقراً ومن بيننا وبينك حجاب «٢».

وهو الحجاب المشار إليه بقوله:

(١) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٥٩ ح ٣٩ عن أسرار الصلاة.

(٢) فصلت: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٩

وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا «١».

وهذا الحجاب وهو حجاب الكفر أول الحجب وأعظمها، وأشدّها على أهلها، وأبعدها من قبول الحق واستماع الصدق.

وثاني الحجب: حجاب الفسق والخروج عن الطاعة باقتراف كبيرة، أو بالإصرار على صغيرة، أو بالتخلّق بشيء من الأخلاق الرديئة

المهلكة كالكبر، والعجب، والرياء، وغيرها ممّا يجمعها متابعه الأهواء التي قد ورد أنّها الشرك الخفي.

بل

في النبوى: «أبغض إله في الأرض الهوى».

و هذا كله مما يوجب ظلمة القلوب و كدورتها و زيفها، و صداها، كالمرآة الصافية إذا تراكمت عليها الغبار، و حجبها عن إشراق الأنوار.

و لذا شرط الله تعالى الإنابة في الفهم و التذكر، قال تعالى: «وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ» (٢) و قال تعالى: «تَبَصَّرْهُ وَ ذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» (٣) و قال تعالى:

«إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ» (٤).

و من البين أن الذي آثر غرور الدنيا العاجلة الفانية الدائرة على الفوز بالتقرب إلى الله، و نعيم الآخرة فليس من ذوى الألباب، و لذا يتراكم على مرآة قلبه أغطية القسورة و الارتباب، و لا ينكشف له أسرار الكتاب، لأن بينه و بين

(١) الإسراء: ٤٥.

(٢) غافر: ١٣.

(٣) ق: ٨.

(٤) الرعد: ١٩ - الزمر: ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٠

فهمها حجابا و أى حجاب، بل ربما تورث ذلك للقلب الانطباع و الانقلاب.

فقد ورد عن مولانا الباقر عليه السلام: «ما من شيء أفسد للقلب من خطيئته، إن القلب ليوافق الخطيئة فما تزال به حتى يقبل عليه فيصير أعلاه أسفله» (١).

و

قال الصادق عليه السلام: «يقول الله تعالى: إن أدنى ما أصنع بالعبد إذا أثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي».

و

عن النبي صلى الله عليه و آله: «إذا عظمت أمتى الدينار و الدرهم نزع عنها هيبه الإسلام، و إذا تركوا الأمر بالمعروف حرموا بركة الوحي».

ثالثها: الإشتغال بالملاهي و العادات و فضول العيش بل التكسب، و غيرها من الأفعال المباحة التي توجب اشتغال القلب بها، و صرفه عن غيرها إذ ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه (٢)، فمن اشتغل بشيء من المباحات، بل المندوبات، فضلا عن غيرها، صرفت إليها همته، و اجتمع له قلبه، فمن أين يمكن له الإقبال و فراغ البال لفهم أسرار كلام ذى الجلال، و الاستيناس به في حريم حرم بساط الوصال.

و لذا

قال الإمام عليه السلام في الخبر المتقدم: «إنه إذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه لقراءة القرآن» (٣).

بل شرط مع ذلك خلو المجلس، و الاعتزال عن الخلق في حال القراءة، بل مطلقا، فإن من يستكثر من معاشره الخلق و معاملتهم و محادثتهم لا بد أن يقع

(١) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٥٤ ح ٢٢ عن الأمامي للصدوق ص ٢٣٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٤.

(٣) مصباح الشريعة الباب الرابع عشر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥١

بينه وبينهم علائق وارتباطات مختلفة متعلقة بالأموال والأحوال، والأفعال، والأقوال، فإذا خلى بنفسه ساعة ليستريح، ترائت له تلك الارتباطات، وحدثت بها نفسه، واشتغل بها قلبه، وأقبل على التفكير فيها إقبال المحب للمحوب، أو الكاره للمرهوب عنه، لاشتمال تلك الخطرات على الأمور المطلوبة التي تسره، أو الأفكار الرديئة الموحشة التي تسوؤه وتضره، مضافا إلى مالا مخلص له عنه من التفكير في تدبير المعاشرات المستأنفة، وحفظ الارتباطات السابقة في الأزمنة المستقبلية، بل ربما يصل به الحال إلى أن لا يملك البال، بل لا يزال الخيال في تحوّل وانتقال من شيء إلى شيء فينتقل معه القلب من حال إلى حال.

ولذا

قال مولانا الصادق عليه السلام: «إعراب القلوب على أربعة أنواع: رفع، وفتح، وخفض، ووقف، فرفع القلب في ذكر الله تعالى، وفتح القلب في الرضا عن الله تعالى، وخفض القلب في الاشتغال بغير الله، ووقف القلب في الغفلة عن الله تعالى، ألا ترى أن العبد إذا ذكر الله بالتعظيم خالصا ارتفع كلّ حجاب كان بينه وبين الله تعالى من قبل ذلك، وإذا انقاد القلب لمورد قضاء الله بشرط الرضا عنه كيف يفتح القلب بالسرور والراحة والروح، وإذا اشتغل قلبه بشيء من أسباب الدنيا كيف تجده منخفضا مظلما كبيت خراب ليس فيه عمران، ولا مؤنس، وإذا غفل عن ذكر الله كيف تراه بعد ذلك موقوفا محجوبا قد قسى وأظلم منذ فارق نور التعظيم.

فعلامه الرفع ثلاثة أشياء: وجود الموافقة، وفقد المخالفة، ودوام الشوق.

وعلامة الفتح ثلاثة أشياء: التوكل، والصدق، واليقين.

وعلامة الخفض ثلاثة أشياء: العجب، والزياء، والحرص.

وعلامة الوقف ثلاثة أشياء: زوال حلاوة الطاعة، وعدم مرادة المعصية،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٢

والتباس علم الحلال بالحرام «١».

و

قال عليه السلام: من رعى قلبه عن الغفلة، ونفسه عن الشهوة وعقله عن الجهل فقد دخل في ديوان المتبتهين، ثم من رعى عمله عن الهوى، ودينه عن البدعة، وماله عن الحرام فهو في جملة الصالحين.

و

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلم.

وهو علم الأنفس، فيجب أن يكون نفس المؤمن على كل حال في شكر، أو عذر، على معنى إن قبل ففضل، وإن ردّ فعدل، وتطالع الحركات في الطاعات بالتوفيق، ويطالع السكون عن المعاصي بالعصمة، وقوام ذلك كله بالافتقار إلى الله تعالى، والاضطرار إليه، والخشوع والخضوع ومفتاحها الإنابة إلى الله تعالى، مع قصر الأمل بدوام ذكر الموت، وبيان الوقوف بين يدي الجبار، لأنّ في ذلك راحة من الحبس، ونجاة من العدو وسلامة للنفس، وسببا للإخلاص في الطاعة بالتوفيق، وأصل ذلك أن يردّ العمر إلى يوم واحد.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الدنيا ساعة فاجعلها طاعة».

وباب ذلك كله ملازمة الخلوة بمداومة الفكرة، وسبب الخلوة القناعة، وترك الفضول من المعاش، وسبب الفكرة الفراغ، وعماد الفراغ الزهد، وتمام الزهد التقوى، وباب التقوى الخشية ودليل الخشية التعظيم لله، والتمسك بخالص طاعته وأوامره، والخوف و

الحذر مع الوقوف عن محارمه، ودليلها العلم، قال الله تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (٢). «٣»



(١) مصباح الشريعة ص ٣.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) مصباح الشريعة ص ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٣

رابعها: حجاب الجهل بمعاني القرآن حتى ترجمه ظاهر ألفاظه، لأنّ الجاهل. بمعاني القرآن، والصلاة، والدعاء، والأذكار، وغيرها كالعجمي البحت الذي لا يعرف شيئا من ترجمه الألفاظ العربيّة التي ورد التوظيف بها، أو لا يعرف كثيرا من لغاتها بل ربما يلحن في موادّ ألفاظها وهيئتها ليس له من الفضل والثواب ما للعالم المطّلع على معانيها ومبانيها، ووجوب ظاهرها. و تنزيلها، كما أنه ليس لهذا العالم من الأجر والثواب ما للعالم المطّلع بأنوار التنزيل، وأسرار التأويل، بل التفضيل بينهم على حسب مراتب العلم و درجات المعرفة، ولذا قال الله سبحانه: وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ «٤» وقال: وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ «٥»، وقال: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ «٦».

و

عن أبي جعفر عليه السّلام قال: ما استوى رجلان في حسب و دين قطّ إلّا كان أفضلهما عند الله عزّ و جلّ آدبهما، قال: قلت: جعلت فداك قد علمت فضله عند الناس في النّادى و المجالس، فما فضله عند الله عزّ و جلّ؟ قال عليه السّلام: بقراءة القرآن كما أنزل، و دعائه لله عزّ و جلّ من حيث لا يلحن، و ذلك أنّ الدعاء الملحون لا يصعد عند الله عزّ و جلّ «٧».

و الأدب في الظاهر بمراعاة الحروف، و إعراب الألفاظ، و في الباطن بحفظ الحدود و نور الاستيقاظ كما يومئ إليه أيضا قوله عليه السّلام: «كما أنزل».

(٤) المجادلة: ١١.

(٥) سورة يوسف: ٧٦.

(٦) الزمر: ٩.

(٧) عدّه الداعي ص ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٤

اعلم أنه ربما يتوهّم أنّ الجاهل بمعاني القرآن، والأذكار، والأدعية ليس له أجر و ثواب في ذلك، و هو واضح الفساد، بل مخالف لما هو الضروري من ثبوت الوظائف الشرعيّة الواجبة و المندوبة لعامة المكلفين، و حصول الأجزاء بمجرّد امتثال الظواهر، و لو في الصلاة و القرائة، و عدم وجوب المعرفة بالمعاني و الحقائق، نعم يختلف مراتب العقول، و درجات الفضل و الثواب باختلاف الناس في ذلك و لا كلام فيها.

خامسها: حجاب القرائة، و الاستقصاء في مراعاة تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها و حفظ صفاتها، و هذا الحجاب كالحجب المتقدّمة من الحجب الظلمانيّة التي تمنع القلوب من مشاهدة أنوار الغيوب، بل لا يزال الرجل معه مشتغلا بتريد الحروف و تكريرها، مستغرق الهيمّة في مراعاة صفاتها، و آدابها التي ملأوا منها كتب التجويد و القرائة، بل لو لم يكن إلّا مراعاة الصفات المتعدّدة المعدودة لكل حرف لكان كفى به شغلا شاغلا عن التدبّر في معاني القرآن، و التفكير في حقائقه و قد يقال: إنّه قد وكلّ بذلك شيطان يصرف الناس عن فهم معاني كلام الله تعالى، و لا يزال يحملهم على تديد الحروف يخيّل إليهم أنّه لم يخرج من مخرجه، حتى يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فهو أعظم أضحوكة للشيطان، و أبعد عمّا يراد به من التدبر في القرآن.

و ربّما ينضمّ الى ذلك الميل الى التغنى و ترجيع الصوت به، و التردّد في صنوف الألحان.

بل يلحقهما أمر ثالث و هو ملاحظة الإعراب و البناء، و وجوه القراءات.

و لذا ورد في الخبر: «من انهمك في طلب النحو سلب الخشوع».

و كلّ من هذه الثلاثة حجاب قوى لمن ابتلى بها، إلّا ما كان منها صادرا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٥

على وجه الملكة، بحيث لا حاجة معها إلى التفات جديد أصلا، فضلا عن التكلّف و التشدّد الذي لا ينفك عنه غالبا أرباب هذه الصناعة، و لله درّ من قال:

و آخر منهم بالقراءات قد بلى يغنى بقول الشاطبي و حمزة

يلوى بها شذقيه عند إمالة كأنّ بها من ميلها ربح لقوة

سادسها: حجاب العلم بمعنى العقائد التي استمرّ عليها أكثر الناس بالتعلّم من المحجوبين، و تقليد الآباء و أهل الضلال، و الرجوع الى تفاسير العامّة و بياناتهم، و تأويلهم المتشابهات على مقتضى آرائهم و أهوائهم الباطلة.

ثم إنّ هذه العقائد الباطلة ربما تصير راسخة في النفس بحيث لا يكاد يلتفت معها الى غيرها، و قد تكون مسموعة مترددة في الذهن بحيث يمنعه الالتفات إليها عن التوجه إلى غيرها، أو الشوق الى تحصيله، بل ربّما يكون العلم ببعض الظواهر حجابا عن الالتفات إلى الحقائق و البواطن، و إن كان كلّ منهما حقّا و صدقا بالنسبة الى رتبته و مقامه، فلا ينبغي الجمود على شيء من الظواهر، و إن كان حقّا منطبقا على القواعد العربيّة، لأنّه يؤدّي الى جحود الحقائق، و البواطن المقصودة.

و لا-تظنّ أنّ الغرض من هذا الكلام تسهيل الأمر و جواز التصرف في الآيات القرآنيّة بحسب الأهواء الباطلة و الآراء الزائفة، إذ المقصود ترك الجمود، و مجانبة اللجاج و الجحود، و عدم الاقتصار على خصوص الظواهر المشهورة، أو بعض البواطن المأثورة، فإنّي أرى كثيرا من أهل هذا الزمان قد هجروا القرآن، و نبذوه وراء ظهورهم و اشتروا به ثمنا قليلا. فبئس ما يشتركون، فاذا احتاجوا الى تفسير آية رجعوا الى ظواهر اللّغة العربيّة و التفاسير العاميّة، بل ربما تصرّفوا في معناها بقريحتهم البتراء، و بصيرتهم العمياء، من غير رجوع إلى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٦

أخبار الأئمّة عليهم السّلام، و لا استضاءه من أنوار أهل العصمة، بل يردونها بعد الاطلاع عليها، معلّنين بمخالفة الظاهر.

و قد يرد عليهم في تفسير آية واحدة أخبار يظنّون اختلافها، فيعملون فيها قواعد الترجيح مع أنّه لا بأس بالجمع بينهما بحملها على وجوه التنزيل و التأويل.

و بالجملة قد أشرنا سابقا الى الميزان الكلّي في هذا الباب، و أنّه يلزم في جميع ذلك الرجوع الى الأئمّة الذين هم الحجاب و الأبواب مع ملازمة التقوى، و دوام الانقطاع، و الأئس التام بأصولهم و قواعدهم، و الاطلاع على أخبارهم و آثارهم، و الاقتباس من أشعة أنوارهم، إلى غير ذلك ممّا مرّت الإشارة إليه.

و من الوظائف الباطنية: حسن التّية و الإخلاص في القرائة، فإنّها من العبادات و الطاعات المندوب إليها، و صحّتها إنّما تكون بقصد التقرب، و تجريد العمل من كلّ شوب، و حظّ نفساني، أو دنيوي، و التّية روح الأعمال، و العمل بلا تّية كالجسد الملقى بلا روح، بل ينبغي للبصير قصد العبوديّة، و تخليص التّية في كل حركة و سكون حتّى في الأمور العادية و الحظوظ البدنيّة، كي تكون عاداته عبادات، و يتّصف بسلامة القلب.

قال مولانا الصادق عليه السّلام: «صاحب التّية الصادقة صاحب القلب السليم».

لأنّ سلامة القلب من هواجس المحذورات، فخلّص التّية لله في الأمور كلّها قال الله تعالى: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتى اللَّهَ

بَقَلْبٍ سَلِيمٍ «١». «٢»

(١) الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٢) مصباح الشريعة ص ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٧

بل ينبغي له أن يقصد في كل شيء من الطاعات جميع الغايات المترتبة عليها،

«فإنما لكل امرئ ما نوى، وإنما الأعمال بالنيات» «١»

و إن اختلفت غايات الأفعال باختلاف المراتب والأحوال على اشتراك الجميع في الارتباط الى الحضرة القدسية.

كما يؤمى اليه

العلوي: «ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك و لكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك» «٢».

و

الجعفرى: «العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله تعالى خوفا، فتلك عبادة العبيد، و قوم عبدوا الله عز و جل طلبا للثواب، فتلك عبادة الأجراء، و

قوم عبدوا الله حبا له فتلك عبادة الأحرار» «٣».

بل يستفاد منه و من غيره من الآيات و الأخبار جواز كون الباعث طلب الثواب أو المرضاة، أو الخوف، أو التعظيم، أو الحياء، أو الحب

أو الغفران، أو الأهلية، أو التقرب، أو الأنس، أو المناجاة، أو غير ذلك من المقاصد الكثيرة، و ربما تسمع فى ضمن الآيات البحث

عنها، و عن قول من توهم منافاة قصد الخوف و الطمع للتقرب، و عن سائر مباحث التية و بطلانها بالزياء و العجب مقارنا و لا حقا

كبطالنه فى المقام بالتغنى، و قصد اللهو و غيرهما.

بل يجب فى المقام قصد التعيين أيضا لو وجبت بندر، أو إجارة، أو شرط فى ضمن عقد، أو إمهارة، أو غيرها.

(١) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢١١.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ١٩٧.

(٣) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٠٥ عن الأمالى للصدوق مع تفاوت فى الألفاظ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٨

و قد ظهر من جميع ما مرّ اعتبار قصد اللفظ فيها، و فى سائر، العبادات القولية من الدعاء، و الزيارة، و الذكر، و غيرها.

نعم، هل يعتبر فيها قصد الدلالة و المدلول أم لا؟ و جهان قوى أولهما كاشف الغطاء، و فيه خفاء، إذ لا يعتبر فيهما العلم بهما فضلا

عن قصدهما تفصيلا أو إجمالا.

نعم لا يبعد مانعية قصد العدم، بل معه يمكن التأمل فى صدق الموضوع، و أما مجرد عدم قصد المعنى فلا يقدر فى الصدق، بل

التوظيف و لذا قال رحمه الله فى موضع آخر: إن كلاً من القراءة، و الذكر و الدعاء لا يخلو من ثلاثة أحوال:

لفظ مجرد عن المعنى، و معنى مجرد من اللفظ، مقرون بالكلام النفسى، و جامع للأمرين، و الجميع مستحبّ لكتها مرتبة، فالمتقدم

فيها مفضول بالنسبة الى المتأخر، و ان كان يمكن الجمع بين الكلامين بظهور الفرق بين قصد المعنى و لو اجمالا، و بين فهمه كما لا

يخفى.

و من الوظائف أيضا: استشعار عظمة المتكلم و الكلام، و مقام التلاوة، فينبغى للقارىء إذا أراد الشروع فى التلاوة أن يحضر فى قلبه

شيئا من عظمة الخالق الحكيم، و القادر العليم، و العلى العظيم الذى عجزت العقول عن إدراك شيء من عظمتة و جلاله، و انحسرت

البصائر والأبصار دون النظر الى سبحات وجهه و نور جماله، الطريق مسدود، و الطلب مردود، دليله آياته، و آياته مرآقه. و شيئاً من عظمة الكلام، فإنه النور الشاطع، و الضياء اللامع، و الشفاء النافع، و القول الجامع، و السحاب الهامع، و هو ربيع القلوب و مفتاح الغيوب، فيه منار الهدى، و مصابيح الدجى، ظاهره أنيق، و باطنه عميق، لا تحصى عجائبه، و لا تبلى غرائبه، قد نزله روح القدس من رب العالمين على قلب سيد المرسلين،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٩

ليشّر به المؤمنين، و ينذر به المنافقين، بعد أن كان مجرداً في عالم الأنوار، مصوناً عن مسّ الأغيار مرفوعاً عن عالم الأكدار، فنزله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه، مكسواً بكسوة الألفاظ و العبارات، مملؤاً بحار معانيها من كنوز الحقائق، و رموز الإشارات، حسبما مرّ تفصيل الكلام في حقيقته و كيفية نزوله في الأبواب المتقدمة.

و شيئاً من عظمة مقام التلاوة، فإنه مقام وعر صعب، عزيز المنال، خارج عن إحاطة البيان و المقال، لأنّ العبد يجد فيه روح الاستيناس و الوصال، و يذوق فيه حلاوة مخاطبات ذى الجلال.

ولذا

قال الإمام في ضمن الخبر المقدم ذكره: «فاذا شرب كأساً من هذا المشرب فحيث لا يختار على ذلك الحال حالاً، و لا على ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كل طاعة و عبادة، لأنّ فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة ... الخبر (١)».

و

في «مجمع البيان»: عن النبي صلى الله عليه و آله قال: «من قرأ القرآن فظنّ أنّ أحداً أعطى أفضل ممّا أعطى، فقد حقر ما عظم الله، و عظم ما حقر الله (٢)».

و

في تفسير مولانا العسكري عليه السلام عن النبي صلى الله عليه و آله قال: «حملته القرآن هم المخصوصون برحمة الله، المقرّبون عند الله، من والاهم فقد والى الله، و من عاداهم فقد عادى الله، يدفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا، و عن قارئه بلوى الآخرة، و الذى نفس محمد صلى الله عليه و آله بيده لسامع آية من كتاب الله و هو معتقد ... الى أن قال: أعظم أجراً من ثبير ذهباً يتصدق به، و لقارئ آية من كتاب الله معتقداً

(١) الحجّة البيضاء ج ٢ ص ٢٤٩ عن مصباح الشريعة.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ١٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٠

أفضل ممّا دون العرش إلى أسفل التخوم (١)».

الى غير ذلك ممّا مر من الأخبار المتقدمة الدالّة على شرف القرآن و حملته.

ثمّ إنّ استشعار العظمة ربما يحمل صاحبه على تحمّل المشاقّ العظيمة و الأخطار الجسميّة، بل ربما لا يشعر بها أصلاً.

ففى «البحار» عن بعض تواريخ أسفار النبي صلى الله عليه و آله: أنّه قصد قوماً من أهل الكتاب قبل دخولهم فى الذمّة، فظفر منهم بامرأة قريبة من زوجها، و عاد من سفره، و بات فى طريقه، و أشار الى عمّار و عبّاد بن بشر أن يحرساه، فاقسما الليلة قسمين، و كان لعمّاد بن بشر النصف الأوّل، و لعمّار بن ياسر النصف الثانى، فنام عمّار، و قام عبّاد يصلى و قد تبعهم اليهودى يطلب امرأته أو يغتنم، فنظر الى عبّاد بن بشر يصلى فى موضع العبور فلم يعلم فى ظلام الليل هل هو شجرة أو دابة، أو إنسان، فرماه بسهم فأثبته فيه فلم يقطع الصلاة، فرماه بآخر، فحفف الصلاة و أيقظ عمّار، فرأى عمّار السهم فى جسد عبّاد فعاتبه و قال: هلاً أيقظتني فى أوّل سهم؟ فقال: كنت بدأت بسورة الكهف فكرهت أن أقطعها، و لو لا خوف أن يأتى على نفسى و يصل الى رسول الله صلى الله عليه و آله، و أكون

قد ضيّعت ثغرا من ثغور المسلمين لما خففت صلاتي و لو أتى على نفسي ... فدع العدو عما أراه» (٢).  
 و في تفسير الإمام عليه السلام: خبر صلاة أبي ذر الغفاري و استشعاره عظمة الرب فيها، و توكيل الله تعالى أسدا لحفظ قطيعه غنمه  
 «٣» على ما يأتي إنشاء الله تعالى

(١) تفسير الإمام عليه السلام ص ٤- بحار الأنوار ج- ٩٢ ص ١٨٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١١٦ عن الأمان من اخطار الأسفار و الأزمان ص ١٢٢.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٩٣ عن تفسير الامام عليه السلام ص ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦١

في تفسير و يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ من سورة البقرة.

و من الوظائف الباطنية: حسن الإصغاء إلى آيات القرآن و إشاراته قارئاً و مستمعاً، فإنَّ القرائة لا تنافي الاستماع، و للتهيؤ لحسن التدبر  
 و القبول، و ذلك لأنَّ القارئ إنما يتلو كتاب الله و يحكيه على ما أنزله، لا أن ينشأوه من نفسه.

ولذا

قال مولانا الصادق عليه السلام: «فانظر كيف تقرأ كتاب ربيك و منشور ولايتك، و كيف تجيب أوامره و نواهيه، و كيف تمثّل  
 حدوده» (١).

و

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في كلام طويل في وصف المتقين: «أمّا الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن، يرتلون  
 ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم، و يستثيرون به دواء دائهم» (٢)، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا، و تطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، و  
 ظلّوا أنّها نصب أعينهم، و إذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، و ظلّوا أنّ زفير جهنم و شهيقها في أصول آذانهم» (٣).  
 و اعلم أنّ القارئ حال قراءته متكلم من وجه، و مستمع من وجه آخر، فمن الجهة الاولى لا بد له من حسن المخاطبة و استشعار  
 حضور المخاطب، و من الجهة الثانية لا بد له من حسن الإصغاء و الاستماع.

ولذا

ورد من مولانا الصادق عليه السلام قال: «إنَّ الله عزَّ و جلَّ أوحى الى موسى بن عمران: إذا وقفت بين يدي فقف موقف الفقير الذليل،  
 و إذا قرأت التوراة

(١) المحجّة البيضاء ج ٢ ص ٢٤٩ عن مصباح الشريعة ص ١٣ و ١٤.

(٢)

في بعض النسخ: و يستثيرون به تهييج احزانهم بكاء على ذنوبهم.

(٣) نهج البلاغة خ ١٩٢- المجالس للصدوق ٣٤١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٢

فأسمعنيها بصوت حزين» (١).

و

عن حفص، قال: «ما رأيت أحداً أشدَّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليهما السلام، و لا أرجى للناس منه، و كانت قراءته حزناً،  
 فكأنّه يخاطب إنساناً» (٢).

و

روت العامة و الخاصة: أن مولانا الصادق عليه السلام لحقته حالة في الصلاة عند القراءة حتى خر مغشياً عليه، فلما سرى عنه ذلك قيل له في ذلك؟ فقال عليه السلام: «ما زلت أردد هذه الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها» (٣).

و من الوظائف: التواضع و الخشوع عند التلاوة بل في جميع الأحوال تعظيماً لله سبحانه، و إكراماً للقرآن، بل ينبغي لحامل القرآن و قارئه ملازمتها، و ملازمة سائر العبادات الشرعية، و الأخلاق الحسنة و الأحوال الزكية.

ففي «الكافي» عن الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «إن أحق الناس بالتخشع في السر و العلانية لحامل القرآن، ثم نادى بأعلى صوته: يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله و لا تعزز به فيذكرك الله، يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله، و لا تعزز فيه فيذكرك الله، يا حامل القرآن تزين به لله يزينك الله به، و لا تزين به للناس فيشينك الله به، من ختم القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه و لكنه لا يوحى إليه، و من جمع القرآن فنوله (٤) لا يجهل مع من يجهل عليه و لا

(١) الأصول من الكافي ص ٥٩٤.

(٢) أصول الكافي ص ٥٩٤.

(٣)

بحار الأنوار ج ٨٤ ص ٢٤٧ عن فلاح السائل ص ١٠٧ و ص ١٠٧ و فيه: «ما زلت اكرر آيات القرآن حتى بلغت الى حال كأنني سمعتها مشافهة ممن أنزلها.

(٤) فنوله: أي حقه. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٣

يغضب فيمن يغضب عليه، و لا يحد فيمن يحد عليه، و لكنه يعفو، و يصفح و يغفر و يحلم لتعظيم القرآن. الخبر (١).

أقول: و ذلك لأن الثواب و العقاب يضاعفان بشرف الفاعل و الفعل و مشخصاته من الزمان و المكان و غيرها.

و لذا

ورد: «أنه يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنبا واحدا» (٢).

و انزل في أزواج النبي صلى الله عليه و آله اللأئي لسن كأحد من النساء في لزوم زيادة الاهتمام على الوظائف و الآداب: يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشه مبينه يضاعف لها العذاب ضة عفين و كان ذلك على الله يسيراً\* و من يفتن منكن لله و رسوله و تعمل صالحاً تؤتها أجرها مرتين و اعتدنا لها رزقاً كريماً (٣).

و

ورد: «أن الخير و الشر يضاعفان في ليلة الجمعة و يومها» (٤).

بل و كذلك في سائر الأزمنة الشريفة و أمكنتها من المشاهد و المساجد و غيرها.

فحامل القرآن، و حافظه، و قارئه لا بد له من ملازمة التقوى و الخشوع و الانقياد لله تعالى في جميع الأحوال و الاستمرار على الوظائف الشرعية في الأقوال و الأفعال القلبية و البدنية.

فعن النبي صلى الله عليه و آله: أنه رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته فقال: أما إنه لو

(١) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٤٤٢.

(٢) أصول الكافي ج ١ ص ٤١.

(٣) الأحزاب: ٣٠ - ٣١.

(٤)

الخصال- ٣١- ٣٢ وفيه: إن العمل يوم الجمعة يضاعف. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٤  
خشع قلبه لخشعت جوارحه» (١).

و من الوظائف: استشعار الحزن و البكاء و التباكي، لما

روى عن الصادق عليه السلام قال: «إن القرآن نزل بالحزن فاقروه بالحزن» (٢).

و قد مرَّ

من القدسيات لموسى بن عمران: «إذا قرأت التورات فأسمعنيها بصوت حزين» (٣).

و

أن موسى بن جعفر عليهما السلام كانت قراءته حزنا» (٤).

و

روى أن النبي صلى الله عليه و آله أتى شبانا من الأنصار، فقال: أريد أن أقرأ عليكم فمن بكى فله الجنة، و من تباكى فله الجنة» (٥).  
و معنى نزول القرآن بالحزن نزوله على من أنزل عليه مقترنا به، حيث إنه صلى الله عليه و آله كان عند نزوله تأخذه الغشوة و الرقة و الانقطاع الكلي، و الرجوع الى المبدأ الأصلي.

أو نزوله لأجل الحزن، و لذا كان نزوله منجما مفرقا لأجل التأثير و اجتلاب الحزن، قال الله سبحانه: وَ قُرْآنًا فَرَقْنَا لِنُنَظِّرَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَ يَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا

(١) بحار الأنوار ج ٨٤ ص ٢٦١ عن أسرار الصلاة.

(٢) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٥٩٨.

(٣) المصدر ج ٢ ص ٥٩٨.

(٤) أصول الكافي ج ٢ ص ٥٩٤.

(٥) المجالس للصدوق ص ٣٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٥

وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشوعًا» (١).

و قال سبحانه: وَ إِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ  
(٢).

و

قد روى الصدوق في «المجالس» و «ثواب الأعمال» عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه و آله أتى شبانا من الأنصار فقال: إني أريد أن أقرأ عليكم فمن بكى فله الجنة، فقرأ آخر الزمر: وَ سَيَقِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا» (٣) إلى آخر السورة، فبكى القوم جميعا إلا شابا، فقال: يا رسول الله قد تباكيت فما قطرت عيني، قال صلى الله عليه و آله: إني معيد عليكم فمن تباكى فله الجنة، فأعاد عليهم فبكى القوم، و تباكى الفتى فدخلوا الجنة جميعا» (٤).

و

في «العيون» بالإسناد، عن رجاء بن أبي ضحّاك من الرضا عليه السلام إنه كان يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن، فإذا مرّ بآية فيها ذكر جنّة أو نار بكى و سأل الله الجنة و تعوّد به عن النار» (٥).

و من الوظائف الباطنية: التدبّر والتفكّر، فإنّه لا خير في ذكر من دون تفكّر، ولا تلاوة من دون التدبّر، قال الله سبحانه: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا «٦».

(١) الإسراء: ١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩.

(٢) المائدة: ٨٣.

(٣) الزمر: ٧١.

(٤) المجالس ص ٣٢٥- ثواب الأعمال ص ٨٨.

(٥) عيون الأخبار ص ٣١٠.

(٦) سورة محمد (ص): ٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٦

وهذه الأفعال هي أفعال الكفر والشرك، والنفاق، والجهل، والقسوة و متابعة الأهواء النفسانية، والآراء الباطلة، والإشغال بالحظوظ الدنيوية والشهوات العاجلة البدئية، و صرف النظر عن شيء من ذلك سيما في حال القراءة، فإن هذه كلها حجب و موانع عن حسن الإصغاء والتدبّر، فضلا عن التذكّر، قال الله تعالى: وَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا «١».

ولذا خصّ التذكّر بعد ما عمّ التدبّر في قوله: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ «٢».

فبعد التذكّر يتأثر قلبه من كلّ آية من الآيات على ما هي عليه من بواعث الخوف الرجاء، وإن قيل: إنّه مهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه، فإنّ التضييق غالب على آيات القرآن فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة إلّا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها، ولذا ذكر شروطا أربعة لنفى الخسران فيما استثناه في سورة العصر، وللمغفرة في قوله: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى «٣».

لكنّ الإنصاف أنّ ذلك كله إنّما هو بالنظر إلى أعمالنا القاصرة الناقصة المشوبة، و أمّا بالنظر إلى فضله و رحمته فأيات الرجاء كثيرة أيضا: قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ «٤».

(١) الإسراء: ٤٥.

(٢) ص: ٢٩.

(٣) طه: ٨٢.

(٤) يونس: ٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٧

ولذا قدّم في أكثر الآيات أسباب المغفرة والبخارة بها.

تَبَيَّنَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ «١».

بل اشتقّ من المغفرة والرحمة لنفسه اسمين، واقتصر على توصيف العذاب و جمع بين الأمرين في قوله: وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا «٢».

و بالجمله لا بدّ أن يكون العبد دائما راجيا منه خائفا و جلا مترددا.

قال مولانا الصادق عليه السلام: «إنّ لك قلبا و مسامع، و إنّ الله تعالى إذا أراد أن يهدي عبدا فتح مسامع قلبه، و إذا أراد به غير ذلك

ختم مسامع قلبه فلا يصلح أبدا، و هو قول الله عزّ و جلّ: أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا «٣». «٤»



ثم إنه قد يفرق بين التدبر و التفكير بأن الأول تصرف القلب بالنظر في عواقب الأمور، والثاني تصرفه بالنظر في الدلائل، لكنه لا يخفى أن لكل من اللفظين، مجموع الأمرين.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا لا خير في علم ليس فيه تفكير، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه» (٥).

و

في «الكافي» عن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول:

(١) الحجر: ٤٩-٥٠.

(٢) النور: ٢١.

(٣) سورة محمد (ص): ٢٤.

(٤) الأصول من الكافي ص ١٨- معاني الأخبار ص ٦٧.

(٥) بحار الأنوار ج ٢ ص ٤٨ عن معاني الأخبار. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٨

«آيات القرآن خزائن العلم، كلما فتحت خزائنه ينبغي لك أن تنظر فيها» (١).

و من الوظائف: التذكر والتأثر، بأن يتأثر قلبه يعد التفكير والتدبر بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات ومقتضياتها، فيكون له عند التلاوة أو الاستماع بحسب عبور كل آية من آياته، بل وكلمة من كلماته على مسامع قلبه، ومجامع فؤاده، ولبه حال، وانتقال، وجد، وجل يتصف به قلبه من الخوف والحزن، والشوق، والرجاء.

وليس كلما حصل التفكير حصل التذكر، بل له شروط وآداب سابقة ومقارنته مرجعها بين الرجاء بفضلته ورحمته، والخوف من عدله، ونقمته، بحيث لو وزنا معا في قلبه لما رجح أحدهما على الآخر، ولا ينبغي أن يغلب عليه الخشية التي هي أعلى من الخوف وأصغى منه على ما ستمع.

ولذا قيل: ما أصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به إلا أكثر حزنه، وقل فرحه، وأكثر بكاءه وقل ضحكته، وأكثر نصبه وشغله، وقل راحته وبطالته.

وقد مر في حسن الإصغاء

عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ما ينبغي للقارى عند المرور بآية فيها تشويق أو تخويف (٢).

وحاصل ما يستفاد منه ومن غيره أن تأثر العبد بالتلاوة هو أن يصير بعد التلاوة ومراعاة الوظائف المتقدمة بصفة الآية المتلو، بأن يوجد أثرها على قلبه وقلبه من شوق، أو خوف، أو فرح، أو بكاء، أو تعظيم، أو حياء، أو حب، أو وجد، أو انبساط، أو غيرها.

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٢١٦ ح ٢٢ عن عدة الداعي.

(٢) نهج البلاغة خ ١٩١- المجالس للصدوق ص ٣٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٩

فعد التوسيع والمغفرة والرحمة والفضل ينبسط قلبه ويستبشر حتى يظهر آثار البشارة على بشرته كأنه يطير من الفرحة، قال سبحانه: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون (١).

وعند الوعيد، واشتراط المغفرة بالشروط يستشعر الخشية لما يعلم من نفسه من التقصير والعصيان، فيملأ قلبه خوفاً، ويقشع جلد وجهه، ويظن أن زفير جهنم وشهيقها بمسمع منه ومنظر لقوة يقينه، وإيمانه بالغيب، وهم الذين من خشيته مشفقون.

و

روى عن ابن عباس: «أن أبا بكر قال: يا رسول الله ما أسرع إليك الشيب؟! فقال صلى الله عليه وآله: شيبتنى اليهود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون» (٢).

و

عنه صلى الله عليه وآله قال: «إني لأعجب أنى كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن» (٣).  
وعند ذكر التوحيد والصفات الجلائية والحمائية وأسماء الله الحسنى، وأمثلة العليا، يتحقق في مقام الذلّة، والعبوديّة، والاستكانة والتضرّع، والخشوع كى يستعد لإشراق أشعة أنوار الجلال، ويمرّ على وجوده نفحة من نفحات روح الوصال.  
ومما ذكرناه يعلم الحال فى الآيات المتعلقة بحكايات أحوال الأمم السالفة ممن نجى وممن هلك، ومقالات الكفار، ومقامات الحبّ والرضا نحو يُجِبُّهُمْ وَيُجِبُّونَهُ «٤» وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ «٥»

(١) التوبة: ١٢٤.

(٢) المجالس ص ١٤١- الخصال ج ١ ص ٩٣.

(٣) الأصول من الكافي ص ٦٠٧.

(٤) المائدة: ٥٤.

(٥) البقرة: ١٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٠

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ «١».

وبشارة اللقاء وغير ذلك مما يتعسّر حصاؤه، وإنما المعيار هو التحقق فى مقام القبول والإقبال وتكون الوجود بما يمرّ عليه من آيات ذى الجلال حتى يتكرّر عليه الكسر والصوغ مرّة بعد أخرى، ويستكمل وجوده عما كان عليه إلى ما هو أليق وأخرى.  
ومن الوظائف الباطنية: التخصيص بأن يقدر، بل يعلم أنه المقصود بكلّ خطاب فى القرآن، وإن لم يكن تمام المقصود، فالخطابات العامة شاملة له أيضا.

وأما الخطابات الخاصّة، وقصص الأولين والأمثال، وغيرها فليعلم أنه ليس المقصود منها مجرد المسامرة، بل العبرة، والتذكّر، والالتفات الى أسباب الهلاك والنجاة، فإنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه قرابة، ولا رحم، ولا صداقة سابقة، ولا عهد، ولا ميثاق.

فلينظر فى أن من نجى من الأمم السالفة بما نجى فليأخذ به، وفى أن من هلك منهم بما هلك فليتنجّب عنه.  
وليتأمل فى الأمثال التى ضربها الله للناس لعلهم يتفكّرون، وإن كان لا يعقلها إلّا العالمون، وذلك لأنّ تلك الأمثال أمور حقيقية، وحقائق نورانية منزلة فى كسوة الأمثال المحسوسة تمثيلا للمعقول بالمحسوس، وتقريبا لأفهام الناس لعلهم على عالم الحس الظاهر، وإعراضهم عن عالم الأنوار والعقول، ومع

(١) المائدة: ١١٩- التوبة: ١٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧١

ذلك فقليل ما يذكرّون، لأنهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون «١».

وبالجملة فلا بدّ من أن يخصّص نفسه بكلّ ما يتأهّل من خطباته، وأوامره، ونواهيته، وعده، وعيده، وبشارته، وتخويفه، و

قصصه، و أمثاله، و أحكامه.

و حينئذ فلا يتخذ دراسة القرآن علما، بل قراءة كقراءة العبد كتاب مولاه الذى كتبه إليه ليتدبره، و يطّلع على ما فيه، و يعمل بمقتضاه. و إن كان ظاهر الخطاب بغيرك فاعلم أنّ القرآن قد نزل بأيّاك أعنى و اسمعى يا جارة، كما قال مولانا الصادق عليه السلام «٢».

و عن أبى جعفر عليه السلام: «لو أنّ الآية إذا نزلت فى قوم ثمّ مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقى من القرآن شىء، و لكنّ القرآن يجرى أوّله على آخره ما دامت السماوات و الأرض» «٣».

و ورد أيضا: «أنّ القرآن غضّ طرى لا يبلى أبدا» «٤».

و عن الصادق عليه السلام: «القرآن عهد الله إلى خلقه، فينبغى للمرء المسلم أن ينظر الى عهده، و أن يقرأ منه فى كلّ يوم خمسين آية» «٥».

و من الوظائف الباطنية: حسن الإجابة فى المقامات الثلاثة، و هى

(١) الروم: ٧.

(٢) تفسير الصافى فى المقدمة الرابعة عن تفسير العياشى.

(٣) الصافى فى المقدمة الثالثة عن العياشى.

(٤) مستدرک الوسائل ج ٤ ص ٢٣٧ مع تفاوت.

(٥) الوسائل ج ٤ ص ٨٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٢

الأقوال، و الأفعال، و الأحوال.

أما الإجابة القولية فهى كثيرة جدّا، و قد أشير إلى كثير منها فى الأخبار، كالتلبية عند النداء، و سؤال الرحمة، و الاستعاذة من النقم عند آية الوعد و الوعيد، و نفى الأنداد و الأضداد عند ذكر مقالة الكفار، و غير ذلك.

فمن الصادق عليه السلام قال: «ينبغى للعبد إذا صلّى أن يرتل فى قراءته، فإذا مرّ بآية فيها ذكر الجنة، أو ذكر النار سأل الله الجنة، و تعوّد بالله من النار، و إذا مرّ بآية فيها أمنوا، يقول: لبيك ربّنا» «١».

و فى بعض الأخبار: «لبيك اللهم لبيك» سرّا.

و عنه عليه السلام: «ينبغى لمن قرأ القرآن إذا مرّ بآية من القرآن فيها مسألة، أو تخويف أن يسأل عند ذلك خير ما يرجو، و يسأل العافية عن النار، و من العذاب» «٢».

و فى «مجمع البيان» عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ «٣».

قال عليه السلام: حقّ تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة و النار، يسأل فى الاولى، و يستعيد من الاخرى «٤».

بل يستحبّ ذلك و لو كان فى الصلاة أيضا كما

رواه الحلبي فى الصحيح

(١) التهذيب ج ١ ص ١٧٠-الوسائل ج ٤ ص ٧٥٣.

(٢) التهذيب ج ١ ص ٢١٨.

(٣) البقرة: ١٢١.

(٤) الصافي ص ٤٥ عن المجمع و العياشي. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٣

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن الرجل يكون مع الإمام، فيمّر بالمسألة، أو بآية فيها ذكر جنّة أو نار، قال عليه السلام: لا بأس بأن يسأل ذلك، ويتعوذ من النار، ويسأل الله الجنة» (١).

و

في «الكافي» عن جابر بن عبد الله قال: «لَمَّا قرأ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله على الناس سكتوا، فقال (ص): الجنّ أحسن جوابا منكم لَمَّا قرأت عليهم: فَبَئِىَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ قالوا: لا ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب» (٢).

و

عن الصادق عليه السلام: «و من قرأ سورة الرحمن فقال عند كلِّ فَبَئِىَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لا بشيء من الاثك ربّ اكذب، فإذا قرأها ليلا، ثمّ مات شهيدا، وإن قرأها نهارا ثم مات شهيدا» (٣).

و

قد ورد أيضا أن يقول بعد قراءة الحمد مطلقا، أو فى خصوص الجماعة:

الحمد لله رب العالمين (٤).

و بعد ختم التوحيد أن يقول: كذلك الله ربى مرّة، أو مرّتين، أو ثلاث مرّات (٥)، على اختلاف الأخبار.

و بعد قراءة لا أُعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ أن يقول: أعبد الله وحده.

و بعد قراءة: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ أن يقول: ربى الله و دىنى الإسلام (٦).

(١) الوسائل ج ٤ ص ٧٥٤.

(٢) نور الثقلين ج ٥ ص ١٨٨ عن الكافي.

(٣) تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ١٨٧ عن ثواب الأعمال.

(٤) نور الثقلين ج ١ ص ٢٥ عن الكافي، و عيون الأخبار.

(٥) نور الثقلين ج ٥ ص ٧٠٠.

(٦) نور الثقلين ج ٥ ص ٦٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٤

و

روى: «و دىنى الإسلام» ثلاثا.

و

ورد أيضا: أن يقول بعد قراءة ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١):

كذب العادلون بالله (٢).

و أن يقول بعد قراءة سورة وَالتَّيْنِ بلى و نحن على ذلك من الشاهدين «٣».  
و أن يقول بعد قراءة سورة وَ الشَّمْسِ صدق الله و صدق رسوله «٤».  
و أن يقول بعد قراءة: أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى «٥»:  
سبحانك اللهم و بلى «٦».  
و أن يقول بعد قراءة آله خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ «٧»: الله خير، الله أكبر «٨».  
و أن يقول بعد قراءة الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا إِلَى قَوْلِهِ: وَ كَبُرَتْ تَكْبِيرًا «٩»: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر «١٠».  
و أن يصلّى على النبي و آله بعد قراءة

- 
- (١) سورة الأنعام: ١.  
(٢) بحار الأنوار ج ٨٥ ص ٣٤.  
(٣) نور الثقلين ج ٥ ص ٦٠٨.  
(٤) نور الثقلين ج ٥ ص ٥٧٥ ح ٣.  
(٥) سورة القيامة: ٤٠.  
(٦) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٢١٩ ح ٣.  
(٧) النمل: ٥٩.  
(٨) البحار ج ٨٥ ص ٣٤ عن الذكرى.  
(٩) الإسراء: ١١١.  
(١٠) البحار ج ٨٥ ص ٣٤ عن الذكرى. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٥  
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا «١» مفتتحا بقوله: لِيبيك اللهم لبيك، إجابة للنداء في الآية «٢».  
و أن يقول بعد قراءة قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ إِلَى وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ «٣»: آمَنَّا بِاللَّهِ «٤».  
و أن يقول سرًا بعد قوله تعالى: سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى «٥»: سبحان الله الأعلى، أو «سبحان ربي الأعلى و بحمده» «٦».  
و نحوه بعد قوله: فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ «٧».  
إلى غير ذلك مما يستفاد من الأخبار.

بل ربما يستفاد منها الإذن في غير الموارد الخاصّة المنصوصة، لأنّه من جنس الاجابة المندوب إليه، كما يستفاد من ملاحظة أخبار

الباب.

بل و من

النبيّ المتقدّم حيث قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله عتابا على أصحابه: «إِنَّ الْجَنِّ كَانُوا أَحْسَنَ جَوَابًا مِنْكُمْ ... إلخ» «٨».  
و من هنا يقوى القول باستجابته مطلقا و لو في الصلاة.  
و أمّا الإجابة الفعلية فالمراد بها امتثال أوامر القرآن و نواهيه، و القيام

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٨٣.

(٣) البقرة: ١٣٦.

(٤) الخصال ج ٢ ص ١٦٥.

(٥) سورة الأعلى: ١.

(٦) عيون الاخبار ج ٢ ص ١٨٣.

(٧) سورة الواقعة: ٧٤.

(٨) نور الثقلين ج ٥ ص ١٨٨ عن الكافي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٦

بوظائفه و سنته، فإن الإطاعة و الامتثال بمطلق الأوامر الشرعية و إن كانت مطلوبة لكل مكلف إلا أن أحق الناس بذلك إنما حامل القرآن و حافظه، و قارئه لما سمعت من علو درجته و سمو مقامه، بحيث لا ينبغي منه إلا الإطاعة و العبودية و الانقياد. و قد سمعت

من خبر «مصباح الشريعة» أن الصادق عليه السلام قال: «فانظر كيف تقرأ كتاب ربك و منشور ولايتك، و كيف تجيب أوامره و نواهيه، و كيف تمثل حدوده» (١).

فأحق الناس بمتابعة منشور السلطان إنما هو من يتدئ بقراءته، و يلازم حفظه و حملة، و قد قال الله سبحانه: وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ (٢).

و من هنا ذكرنا سابقا أن الثواب و العقاب يضاعفان لقارئ القرآن بل قد سمعت في النبوي المتقدم: «أن أحق الناس بالتخشع في السر و العلانية لحامل القرآن، و أن أحق الناس في السر و العلانية بالصلاة و الصوم لحامل القرآن» (٣).

و

في «عقاب الأعمال» عن النبي صلى الله عليه و آله قال: «من تعلّم القرآن فلم يعمل به، و أثر عليه حبّ الدنيا و زينتها استوجب سخط الله، و كان في الدرجة مع اليهود و النصارى الذين يبنذون كتاب الله وراء ظهورهم. و من قرأ القرآن يريد به سمعته، و التماس الدنيا لقي الله تعالى يوم القيامة

(١) محجّة البيضاء ج ٢ ص ٢٤٩ عن مصباح الشريعة ص ١٣-١٤.

(٢) البقرة: ٤١.

(٣) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٤٤٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٧

و وجهه عظم ليس عليه لحم، و زجّ القرآن في قفاه حتى يدخله النار، و يهوى فيها مع من يهوى. و من قرأ القرآن و لم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى، فيقول: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١)، فيؤمر به الى النار (٢).

و من قرأ القرآن ابتغاء وجه الله و تفقّها في الدين كان له من الثواب مثل جميع ما يعطى الملائكة و الأنبياء، و المرسلون (٣). و من تعلّم القرآن يريد به رياء و سمعه ليمارى به السفهاء و يباهى به العلماء، و يطلب به الدنيا بدد الله عزّ و جلّ عظامه يوم القيامة، و لم يكن في النار أشدّ عذابا منه، و ليس نوع من العذاب إلا و يعذب به من شدّة غضب الله عليه و سقطه (٤). و من تعلّم القرآن و تواضع في العلم و علّم عباد الله و هو يريد ما عند الله لم يكن في الجنة أحد أعظم ثوابا منه، و لا أعظم منزلة منه، و لم يكن في الجنة منزل، و لا درجة رفيعة و لا نفيسة إلا كان له منها أوفر النصيب و أشرف المنازل (٥).

و

فى النبوى أيضا: «إن فى جهنم واديا يستغيث أهل النار كل يوم سبعين

(١) طه: ١٢٦.

(٢) مقام الأعمال ص ٤٥ و ص ٤٧.

(٣) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٣٨.

(٤) عقاب الأعمال ص ٥٢.

(٥) بحار الأنوار ج ٧٦ ص ٣٧٣ عن ثواب الأعمال. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٨

ألف مره منه ... فقيل: لمن يكون هذا العذاب؟ قال صلى الله عليه وآله: لشارب الخمر من أهل القرآن و تارك الصلاة «١».

و

عن الصادق عليه السلام عن آباءه عن النبى صلى الله عليه وآله فى حديث المنهى قال: «من قرأ القرآن ثم شرب عليه حراما، أو آثر عليه حب الدنيا وزينتها استوجب عليه سخط الله إلا أن يتوب، ألا و أنه إن مات على غير توبة حاجه يوم القيامة فلا يزياله إلا مدحوضا «٢».

و

فى الخطبة العلوية: «و تعلموا القرآن فإنه ربيع القلوب، و استشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، و أحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذى لا يستفيق من جهله بل الحجّة عليه أعظم، و الحسرة له ألزم، و هو عند الله ألوم «٣».

و أما الإجابة الحالية: فهى التخلّق بأخلاق القرآن، و إن كان لا يستطيع غير من نزل عليه و أهل بيته عليهم السلام على ذلك كما هو حقّه لأنه كان خلقه صلى الله عليه وآله حتى وصفه الله العظيم بالعظمة فقال: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ «٤».

إلا أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، و أخذ القليل خير من ترك الكثير و قد ورد: أن المؤمنين قد خلقوا فى ذواتهم و كينوناتهم من أشعة أنوار محمّد و آل محمّد عليهم السلام، فلهم رشحة من رشحات صفاتهم.

(١) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ١٤٨ عن جامع الأخبار.

(٢) البحار ج ٩٢ ص ١٨٠ عن أمالى الصدوق ص ٢٥٦.

(٣) نهج البلاغة ص ١٦٤ و منه الوسائل ج ٤ ص ٨٢٥ ح ٧.

(٤) القلم: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٩

ولذا ورد الأمر بالتخلّق بأخلاق الله، و بأخلاق الروحانيين، بل هو مفتاح لكنوز القرآن، و مصباح يتجلّى به خفايا المعانى و البيان. ففى العلوى كما عن المسيح النورانى ما معناه: «ليس العلم فى السماء فينزل عليكم، و لا- فى تخوم الأرض فيصعد إليكم، و لكنّه مجبول فى قلوبكم بأخلاق الله يظهر كم».

وقد ورد فى تفسير قوله تعالى: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ «١»: أن المراد بقوة فى الأبدان و القلوب، فالقوة فى الأبدان هى الأفعال، و الأعمال التى منها الأقوال حسبما سمعت، و فى القلوب هى الملكات و الأخلاق الحسنه، و الأحوال الجميلة التى مرجعها إلى التخلّق عن الرذائل، و التحلّى بأنواع الفضائل.

و هذا هو المراد باختلاط القرآن باللحم و الدّم فيما

روى عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال: «من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله مع السفرة الكرام البردة، وكان القرآن حجيزاً» (٢) عنه يوم القيامة يقول: يا رب إن كل عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملي فبلغ به أكرم (٣) عطائك، قال: فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلل الجنة، ويوضع على رأسه تاج الكرامة، ثم يقول له: هل أرضيناك فيه؟ فيقول القرآن: يا رب قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا، قال: فيعطى الأمن بيمينه، والخلد بيساره، ثم يدخل الجنة، فيقال له: اقرأ آية فاصعد درجة، ثم يقال له: هل بلغنا به

(١) البقرة: ٦٣.

(٢) في البحار: حجيجا عنه.

(٣) في البحار: كريم عطاياك. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٨٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٥١٩

و أرضيناك؟ فيقول: نعم (١).

و

روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لابن مسعود: «اقرأ عليّ»، قال: فافتتحت سورة النساء، فلما بلغت فكيف إذا جئنا من كل أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً (٢) رأيت عينيه تدرقان من الدمع فقال لي: حسبك (٣). وذلك لاستغراق تلك الحالة لنفسه بالكلية.

و

روى أنه جاء إليه صلى الله عليه وآله واحد ليعلمه القرآن، فانتهى الى قوله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٤) فقال الرجل يكفيني هذا وانصرف، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: انصرف الرجل وهو فقيه (٥). وذلك إنما كان لتأثره وحسن إجابته، واستعداده للعمل.

وقد تحصل لك ممّا سمعت أنّ لكلّ جزء من أجزاء وجود الإنسان وظيفة في قراءة القرآن، فوظيفة اللسان هو الترتيل، وحسن البيان، ووظيفة الأركان المبادرة إلى الامتثال للتحقق بكمال الإذعان، ووظيفة العقل تفسير المعاني وإدراك البرهان، ووظيفة الجنان هو الاستبشار وزيادة الإيمان، ووظيفة الفؤاد الذي هو أعلى مشاعر الإنسان هو الشهود والعيان، والاستيناس بمناجاة الملك المّان. ومن الوظائف الباطنية: التبرّي من حوله وقوّته، لأنه يعلم أنّه لا يملك

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٨٧ ح ٩ عن ثواب الأعمال ص ٩١.

(٢) النساء: ٤١.

(٣) جامع الأخبار والآثار ج ١ ص ٢٩١ عن تيسير المطالب.

(٤) سورة الزلزال: ٧.

(٥) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٠٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٨١

لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا يستطيع موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً، بل الفضل كلّه بيد الله يؤتیه من يشاء، فلا يلتفت إلى نفسه أصلاً، فضلاً عن أفعاله، وأحواله، وطاعته التي هي كلّها تقصير، وقصور، خالية من الثور والسرور، فليتهم نفسه في كلّ حال، وليتدارك ما فات عنه من الفضائل وتركيب الأعمال، وليتوسّل في كلّ ذلك إلى النبيّ محمّد وآله خير آل مستشفعا بهم صلوات الله عليهم إلى الله



ذی العزّ والجلال، و لیکن بما ورد عنهم علیهم السّلام فی تفسیر الآیات من الأخبار والآثار، فإنّها مفاتيح كنوز الأسرار، و لوامع الأنوار، و لیتعظ بها قلبه بالانبساط و الانزجار الذین هما ثمرة البشارة و الإنذار.

و من الوظائف: الترقی بحسب تدرّج الأحوال إلى درجات الكمال و الاستغراق فی مقام التوجّه و الإقبال للوصول إلى الأنس بمناجات ذی الجلال.

و قد یقال: إن درجات القرآن ثلاث:

أدناها: أن یقدّر العبد كأنه یقرأ علی الله تعالی واقفا بین یدیه، و هو ناظر الیه، و مستمع منه، فیکون حاله عند هذا التقدير الثناء و السؤال، و التضرّع و الابتهاال.

و أوسطها: أن یشهد بقلبه كأنه سبحانه یخاطبه بألفافه، و یناجیه بانعامه و إحسانه، و هو مقام الحیاء و التعظیم له و الإصغاء الیه و الفهم منه.

و أعلاها: أن یرى فی الكلام و المتکلم الصّیفات، فلا ینظر الی قلبه، و لا إلى قراءته، و لا إلى تعلق الإنعام به من حیث إنّه منعم علیه، بل یقتصر همّه علی المتکلم، و یوقف فکره علیه و یستغرق فی مشاهدته.

و هذه درجة المقرّبین، و عنه

أخبر مولانا الصادق علیه السّلام حیث قال: «لقد

تفسیر الصراط المستقیم، ج ٢، ص: ٤٨٢

تجلّى الله تعالی لخلقه فی كلامه و لكنهم لا یصبرون» (١).

و

عنه علیه السّلام أيضا و قد سأله عن حاله لحقته فی الصلاة حتّى خرّ مغشیا علیه، فلما أفاق قیل له فی ذلك، فقال علیه السّلام: «ما زلت أردّد هذه الآیة علی قلبی حتى سمعتها من المتکلم بها، فلم یثبت جسمی لمعاينة قدرته» (٢).

ففی مثل هذه الدرجة تعظیم الحلاوة، و بهذا الترقی یرى العبد ممثلا لقوله تعالی: فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ (٣).

و بمشاهدة المتکلم دون ما عداه یرى العبد ممثلا لقوله تعالی: وَ لَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ (٤)، فإنّ رؤیة غیر الله معه شرک خفی لا یخلص منه إلّا برؤيته وحده.

ثمّ إن المراد بالتجلّى المذكور فی الخبر هو التجلّى الفعلى بصفة التکلم التی هی من صفات الأفعال، فمن أدرك بظهوره له به فقد عرف نفسه، و من عرفها فقد فقدّها: لأنّه لا یتجلّى له حیث إنّ الّا الواجب الحقّ، و القیوم المطلق الذی بیضه قامت السّماوات و الأرض، و حیث إنّ یندک بل إتیته و لا یقدر علی الاستقرار، و لذا یخرّ مغشیا علیه، كما كان یرض كثيرا للنبي صلی الله علیه و آله و للأئمة المعصومین علیهم السّلام علی ما هو معلوم من أحوالهم فی آناء الليل و أطراف النهار.

بل الغشوة العارضة له عند نزول الوحي و الإلهام، و سماع الكلام من الملك العلام علی ما مرّت الإشارة إلیه، و الی ما

قاله مولانا الصادق علیه السّلام لما سئل عن

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٠٧.

(٢) مستدرک الوسائل ج ٤ ص ١٠٧ عن فلاح السائل ص ١٠٧.

(٣) الذاریات: ٥٠.

(٤) الذاریات: ٥١. تفسیر الصراط المستقیم، ج ٢، ص: ٤٨٣

تلك الغشوة التي عرضت للنبي صلی الله علیه و آله تارة، هل كان عروضها عند هبوط جبريل علیه السّلام؟ فقال علیه السّلام: لا، إنّ

جبريل عليه السّلام كان إذا أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يدخل عليه حتى يستأذنه، فإذا دخل قعد بين يديه قعدة العبد، وإنما ذلك عند مخاطبة الله عزّ وجلّ إياه بغير ترجمان وواسطة (١).  
أقول: وإليه الإشارة بقوله تعالى: وَإِنَّكَ لَتَلَقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٢).  
بل ربما تعرّض له عليه السّلام تلك الحالة بالسّماع من البشر المؤدّي إليها أحيانا  
ففى «المجمع» عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنه سمع قارئاً يقرأ: إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (٣) الآيات فصعق عليه صلوات الله (٤).  
لكنه ينبغي أن يعلم أنّ هذه الدرجة ليست سهلة التناول لكلّ طالب، فلا يصدّق بنيلها كلّ مدّع، وإن ادّعاها بعض أرباب التكلّف من أهل التصوف، بل ربما يشتعل فى قلوبهم نيران محبّة المرد، ومشاهدة الوجوه الحسان، أو لغير ذلك من الرّياء، وطلب الدّنيا، واغترار النّاس ونحوها من أغراضهم الباطلة، فيتغنّون بالقرآن، ويتخذونها من المزامير والملاهي، ويرجعون به ترجيع الملاعب اللاهي، بل ربما يسمع منهم زفير وشهيق، ويجمع الزبد فى أشداقهم كالصديد المغلى على نار ذات الحريق.

(١) بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦٠ عن كمال الدين ص ٥١.

(٢) سورة النمل: ٦.

(٣) المزمّل: ١٢.

(٤) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٨٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٨٤

و

قد حدّرتنا مولانا الصادق عليه السّلام منهم بقوله: «إياكم ولحون (١) أهل الفسق وأهل الكبائر، فإنّه سيّجىء من بعدى أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانيّة، لا يجوز تراقبهم، قلوبهم مقلوبة، وقلوب من يعجبه شأنهم (٢)».  
وقد مرّ شرح الخبر.

و

فى «الكافى» و«المجالس» للصدوق عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قلت: إن قوما إذا ذكروا شيئا من القرآن أو حدّثوا به صعق أحدهم حتى ترى أن أحدهم لو قطعت يده ورجلاه لم يشعر بذلك؟ فقال عليه السّلام: سبحان الله ذاك من الشيطان، ما بهذا أمروا (٣)، إنّما هو اللّين، والرّقّة والدمعة، والرجل (٤).

(١) لحن فى قراءته أى طوب بها.

(٢) الكافى ج ٢ ص ٦١٤ باب ترتيل القرآن ح ٣.

(٣)

فى الكافى: «ما بهذا نعتوا» وفسر بأنّ الله تعالى لم يصف المؤمنين فى كتابه بتلك الأوصاف بل وصفهم باللين والرّقّة والوجل.

(٤) الكافى ج ٢ ص ٦١٦ باب فيمن يظهر الغشية عند قراءة القرآن ح ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٨٥

## الباب الثالث عشر

فى أحكام القراءة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٨٧

القراءة تتصف بكل من الأحكام الخمسة عدى الإباحة لكونها عبادة، فالواجب منها قد يكون بأصل الشرع كما فى الصلوة وفى خطبة الجمعة والعيدىن، وقد يكون لعارض كالإجارة، والنذر، وشبهه.

والمحرّم منها ما كان مشتتلا على الغناء، أو مؤذيا للمصلين، أو مفضّتا لعبادة واجبة، أو بلسان مغصوب كلسان العبد مع منع مولاه، أو الأجير مع منع مستأجره، أو وجوب الإشتغال بغيرها، أو كانت عزيمة فى فريضة، أو على وجه الإهانة والاستخفاف، أو موجبة للضرر لترك تقية، ونحوه، أو القران بين السورتين، والعزائم للجنب وأخته، كما أن قراءة غير العزائم للثلاثة مكروهة مطلقا، أو ما زاد منه على سبع أو سبعين آية.

و

روى أيضا: أنه لا ينبغى قراءة القران من سبعة: الراكع، والساجد، وفى الكنيف، وفى الحمام، والجنب، والنفساء، والحائض «١». و المندوب ما عدا ذلك وربما يتأكد استحباب القراءة فى بعض الأماكن كالبيوت، والمساجد، ومكة المعظمة. وفى «الكافى» بالإسناد عن النبى صلى الله عليه وآله قال: «نوروا بيوتكم بتلاوة القران، ولا تتخذوها قبورا، كه فعلت اليهود والنصارى، صلّوا فى الكنائس والبيع و عطّلوا بيوتهم، فإنّ البيت إذا كثر فيه تلاوة القران كثر خيره واتّسع أهله وأضاء

(١) الخصال ج ٢ ص ٣٥٧ ح ٤٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٨٨

لأهل السماء، كما تضىء نجوم السماء لأهل الدنيا» «١».

و

فيه، عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: البيت الذى يقرء فيه القران، ويذكر الله عزّ وجلّ فيه تكثر بركته، وتحضر الملائكة وتهجره الشياطين، ويضىء لأهل السماء كما تضىء الكواكب لأهل الأرض، وإنّ البيت الذى لا يقرأ فيه القران، ولا يذكر الله عزّ وجلّ فيه تقلّ بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين «٢».

و

فيه، عن الصادق عليه السلام، عن أبيه فى حديث قال عليه السلام: «كان يجمعنا فى أمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منّا، ومن كان لا يقرأ منّا أمره بالذكر، والبيت الذى يقرأ فيه القران، ويذكر الله عزّ وجلّ فيه تكثر بركته «٣».

و

فيه، عنه عليه السلام قال: «إنّ البيت إذا كان فيه المسلم يتلوا القران يترأى لأهل السماء كما يترأى لأهل الدنيا الكوكب الدرّى فى السماء» «٤».

و

فى خبر آخر: «إنّ الدار إذا تلى فيها كتاب الله كان لها نور ساطع فى السماء تعرف من بين الدور» «٥».

و

فى «عدّة الداعى» عن الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام عن النبى صلى الله عليه وآله، أنه قال: «اجعلوا لبيوتكم نصيبا من القران، فإنّ البيت إذا قرئ فيه القران يسرّ على أهله، وكثر خيره، وكان سكّانه فى زيادة، وإذا لم يقرأ فيه القران ضيق على

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٢٠٠ ح ١٧ عن عدّة الداعى ص ٢١١.

(٢) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٥ أبواب قراءة القرآن الباب (١٧) ح ٢ من أصول الكافي ص ٥٩٦.

(٣) الوسائل ج ٤ ص ٨٥٠ ح ٢ عن أصول الكافي ص ٥٣٠.

(٤) الوسائل ج ٤ ص ٨٤٩ و ص ٨٥٠ ح ١ عن أصول الكافي ص ٥٩٦.

(٥)

الوسائل ج ٤ ص ٨٥١ ح ٦ عن رجال الكشي ص ١٤٤ وفيه: (و الدار). تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٨٩. أهله، و قل خير، و كان سكانه في نقصان «١».

و

ورد عنهم عليهم السلام: «إنما بنيت المساجد للقرآن» «٢».

و

عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «من ختم القرآن بمكة من جمعة الى جمعة، أو أقل من ذلك أو أكثر و ختمه في يوم جمعة، كتب الله له من الأجر و الحسنات من أول جمعة كانت في الدنيا إلى آخر جمعة تكون فيها، و إن ختمه في سائر الأيام فكذلك» «٣».

و ربما يتأكد استحباب القراءة في بعض الأزمنة كشهر رمضان، و الليالي، و في الصباح و المساء، و غيرها.

ففي «الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لكل شيء ربيع، و ربيع القرآن شهر رمضان» «٤».

و

فيه، و في «ثواب الأعمال»: «ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع الى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن، فيكتب له مكان كل آية يقرأها عشر حسنات، و تمحى عنه عشر سيئات» «٥».

و

فيهما، و «المعاني» و «المجالس» عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، و من قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، و من قرأ مائة آية كتب من القانتين، و من قرأ مائة آية كتب من

(١)

الوسائل ج ٤ ص ٨٥٠ ح ٥ عن عدة الداعي ص ٢١٢ وفيه: (تيسر على اهله).

(٢)

بحار الأنوار ج ٨٣ ص ٣٦٣ عن التهذيب ج ٣ ص ٣٥٩ وفيه: (إنما نصبت المساجد).

(٣) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٥٢ ح ١ عن أصول الكافي ص ٥٩٧.

(٤) الوسائل ج ٤ ص ٨٥٣ ح ٢ عن أصول الكافي ص ٦٠٦.

(٥) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٥١ ح ١ عن أصول الكافي ص ٥٩٧ و ثواب الأعمال ص ٥٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٠.

الخشعين، و من قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين و من قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، و من قرأ ألف آية كتب له قنطار «١».

و

في «المجالس»: خمسون ألف قنطار، و القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب، و المثقال أربعة و عشرون قيراطا، أصغرهما مثل جبل أحد، و أكبرها ما بين السماء و الأرض «٢».

و

روى الشيخ بالإسناد عن الرضا عليه السلام قال: «ينبغي للرجل إذا أصبح أن يقرأ بعد التعقيب خمسين آية» (٣).

و

في «الأمالي» لابن الشيخ بالإسناد عن بكر بن عبد الله: أن عمر دخل على النبي صلى الله عليه وآله وهو موقوذ (٤) أو محموم، فقال: يا رسول الله: ما أشدّ وعكك (٥)، أو حماك؟! فقال صلى الله عليه وآله له: ما منعتي ذلك أن قرأت الليلة ثلاثين سورة منها السبع الطول، فقال: يا رسول الله غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وأنت تجتهد هذا الاجتهاد؟! فقال صلى الله عليه وآله: أ فلا أكون عبدا شكورا (٦).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي مرّت إلى بعضها الإشارة.

و يستحبّ قراءة القرآن على كلّ حال و في كلّ زمان.

ففي «الكافي» و «المحاسن» عن الصادق عليه السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام

(١) الوسائل ج ٤ ص ٨٥٢ ح ٢ عن الكافي ص ٥٩٧.

(٢) الوسائل ج ٤ ص ٨٥٢ عن المجالس ص ٣٦.

(٣) الوسائل ج ٤ ص ٨٤٩ ح ٣ من التهذيب ج ١ ص ١٧٤.

(٤) الموقوذ: الشديد المرض.

(٥) الوعك (بفتح الواو و سكون العين المهملة): ألم الحمى.

(٦) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٤٤ ح ١٩ عن أمالي ابن الشيخ ص ٢٥٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩١

قال: و عليك بقراءة القرآن على كلّ حال» (١).

و

في «عده الداعي» عنه صلى الله عليه وآله قال: قال الله تعالى: «من شغل بقراءة القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين» (٢).

و

في «المجالس» عن الصادق عليه السلام، قال: «عليكم بتلاوة القرآن، فإنّ درجات الجنة على عدد آيات القرآن فاذا كان يوم القيامة يقال: لقارئ القرآن:

اقرأ و ارق، فكلّما قرأ آية رقى درجة» (٣).

و

في «المجمع» عن النبي صلى الله عليه وآله: «أفضل العبادة قراءة القرآن» (٤).

وقد مرّ في الأبواب المتقدمة أخبار كثيرة تدلّ على ذلك فلاحظ.

و يستحبّ الحلّ و الارتحال، و فسّر بفتح القرآن و ختمه.

ففي «الكافي» عن الزهري قال: قلت لعليّ بن الحسين عليهما السلام: أيّ الأعمال أفضل؟ قال عليه السلام: الحال المرتحل، قلت: و ما

الحال المرتحل؟ قال عليه السلام: فتح القرآن و ختمه، فكلّما جاء بأوله ارتحل بآخره» (٥).

و عن الصادق عليه السلام في «معاني الاخبار» مثله، إلّا و فيه: «كلّما حلّ في أوّله ارتحل في آخره» (٦).

و

في «ثواب الأعمال» عن الصادق عليه السلام: أنّه قيل له: يا بن رسول الله أيّ

(١) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٣٩ ح ١ عن روضة الكافي ص ١٦٢.

(٢) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٤٤ ح ٢٠ عن عدّة الداعي ص ٢١١.

(٣) الوسائل ج ٤ ص ٨٤٢ ح ١٠ عن المجالس ص ٢١٦.

(٤) مجمع البيان ج ١ ص ١٥.

(٥) أصول الكافي ص ٥٩٤.

(٦) معاني الأخبار ص ٥٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٢

الرّجال «١» خير؟ قال عليه السّلام: الحالّ المرتحل، قيل: يا بن رسول الله، و ما الحالّ المرتحل؟ قال عليه السّلام: الفاتح الّذى يفتح القرآن و يختمه، فله عند الله دعوة مستجابة «٢».

أقول: قال ابن الأثير في «النهاية»: سئل أى الأعمال أفضل؟ فقال: الحالّ المرتحل، قيل: و ما ذاك؟ قال: الخاتم المفتوح.

ثم قال: هو الذى يختم القرآن بتلاوته، ثم يفتح التلاوة من أوله، شَبَّهه بالمسافر يبلغ المنزل فيحل فيه، ثم يفتح سيره أى يبتدأ به، و كذلك قراء مكّة إذا ختموا القرآن بالتلاوة ابتدأوا و قرءوا الفاتحة، و خمس آيات من أول سورة البقرة الى قوله: وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ثم يقطعون القرائة، و يسمون فاعل ذلك الحالّ المرتحل، أى إنه ختم القرآن و ابتدأ بأوله، و لم يفصل بينهما بزمان. و قيل: أراد بالحالّ المرتحل الغازى الذى لا يرجع عن غزو إلا عقبه بأخر «٣».

و مثله فى «مجمع البحرين» باختصار.

و هذا الحكم مشهور بين العامة أيضا فتوى و رواية، سيما بين قرائهم.

ففى «التيسير» بعد حكاية التكبير عن ابن كثير، قال: فاذا كبر فى آخر سورة الناس قرأ فاتحة الكتاب و خمس آيات من أول سورة البقرة على عدد

(١) فى الوسائل ج ٤ ص ٨٤٣: (أى الرجال خير).

(٢) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٤٢ ح ٩ عن ثواب الأعمال ص ٥٧.

(٣) نهاية ابن الأثير ج ١ ص ٤٣٠ فى حرف الحاء بعده اللّام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٣

الكوفيين الى قوله: وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ «١» ثم دعا بدعاء الختمه، و هذا يسمّى الحالّ المرتحل.

قال: و فى جميع ما قدّمناه أحاديث يرويها العلماء يؤيد بعضهم بعضا تدلّ على صحّة ما فعله ابن كثير.

و مثله فى «نظم الشاطبية» و «طيبة النشر» و فى «شرح الأخير»: إن قوله:

«حلا و ارتحالا» إشارة إلى

الحديث المرفوع: «أفضل الأعمال الى الله الحالّ المرتحل»

الّذى إذا ختم القرآن عاد فيه، ثم حكى فعل ابن كثير، قال: و له فى فعله هذا دلائل من آثار مروية وردت عن النّبي صلّى الله عليه و آله و أخبار مشهورة مستفيضة جاءت عن الصحابة و التابعين و من بعدهم.

الى غير ذلك من كلماتهم المتّفقه على هذا المعنى، إلا أنّ فيه عندى إشكالا لم أر من تنبّه عليه، و هو أنّ ظاهر الخبرين المرويين فى

«الكافي» «٢» و «ثواب الأعمال» «٣» من طرفنا هو أنّ الحالّ المرتحل هو الذى يفتح القرآن و يأخذ فى قراءته و يستمرّ على ذلك

مراعيا للترتيب حتّى يختمه، و الظاهر أنّ المراد أنّ قراءته ليست غير منظّمة، بحيث كلّما بدأ قرأ من موضع فرّبما يتكرّر منه قراءة بعض

الآيات، و ربّما لا يتفق منه قراءة بعضها أصلا، بل ينبغى أن يكون اهتمامه بالختمه التى بها عند الله تعالى دعوة مستجابة، و لعلّ

قوله في الخبر الأول: «فتح القرآن و ختمه و كلما جاء بأوله ارتحل بآخره»  
صريح في ذلك، و كذا الخبر الثاني، فالحال هو المفتتح بالقراءة، و المرتحل هو الفارغ عنه بالاختتام.

(١) البقرة: ٥.

(٢) أصول الكافي ص ٥٩٤.

(٣) ثواب الأعمال ص ٥٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٤

و أمّا ما رواه ابن الأثير في «النهاية»، و المرفوع المتقدم «١» عن «شرح طيبة النشر» فالمراد منهما ان لم يكن ذلك على تقدير صحّة الخبر هو الحثّ و الترغيب على الاستكثار من القراءة و المواظبة عليها بحيث كلما فرغ عن ختمه شرع في اخرى.  
و اين هذا ممّا قدره ابن كثير و اختلفه و افتراه على رسول الله صلى الله عليه و آله، ثم تبعه فيه بعض من تأخر عنه على غزّة و غفلة، مع أنّ الأخبار ساطعة الأنوار فيما ذكرناه من الحثّ على الانتظام و الاستكثار.  
و يؤيد ما ذكرناه ما يحكى عن الزمخشري في «الفائق» أنّه قال بعد نقل الخبر: أراد بالحال المرتحل المواصل لتلاوة القرآن الّذى يختمه ثم يفتتحه، شبهه بالمسافر الّذى لا يقدم على أهله فيحلّ إلّا أنشأ سفرا آخر فيرتحل.  
بل قد تأمل بعض العامة في صحّة الخبر، و في كون المراد ذلك، و في كون التفسير عن النبي صلى الله عليه و آله.  
ففي «إبراز المعاني في شرح حرز الأمانى»: أنّ طرق رواية هذا الخبر كلّها تنتهى الى صالح «٢» المرّى و هو و إن كان عبدا صالحا، لكنّه ضعيف عند أهل الحديث.

قال البخارى في «تاريخه»: منكر الحديث، و قال النسائي: متروك.

و على تقدير صحته فقد اختلف في تفسيره:

ف قيل: المراد به ما ذكره القرّاء.

(١) المراد به:

«أفضل الأعمال الحال المرتحل» رواه في كنز العمال ح ٩٥ / ١٥ ح ٤٣٦٤٩.

(٢) هو صالح بن بشير، ابو بشر المرّى الواعظ البصرى المتوفّى (١٧٣) - ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٨٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٥

و قيل: هو إشارة الى تتابع الغزو و ترك الإعراض عنه فلا يزال في حلّ و ارتحال، و هذا ظاهر اللفظ، إذ هو حقيقة في ذلك، و على ما أوّل به القرّاء يكون مجازا.

ثم قال: و قد رووا التفسير فيه مدرجا في الحديث، و لعله من بعض رواته.

ثم حكى عن ابن قتيبة تفسير الخبر بالوجهين، و ساق الكلام في ترجيح الثانى، و أنّ الخبر ضعيف، فلا ينبغي أن تغترب بقول مكى إنّّه صحيح، و أنّ التفسير غير منسوب في كثير من طرق الخبر الى النبي صلى الله عليه و آله بل روى الأهوازي، و غيره هذا الخبر بعينه، و لم ينسب التفسير اليه.

إلى أن قال: و لو صحّ هذا الحديث و التفسير لكان معناه الحثّ على الاستكثار من قراءة القرآن و المواظبة عليها، فكلمّا فرغ من ختمه شرع في اخرى، اى أنّه لا يصرف عن القرآن بعد ختمه، بل تكون القرآن دأبه و ديدنه.

في رواية أخرى خزجها الأهوازي في «الإيضاح»: الحال المرتحل الذي إذا ختم القرآن رجع فيه ، ثم ذكر أن ابن كثير قد انفرد بهذا الفعل الذي هو التكبير، وزيادة الحمد والآيات من البقرة الى «أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١). بل عن ابن غلبون «٢»: أنه من طريق البرى وحده، و لم يفعل هذا قبل ولا غيره من القراء. بل قد حكى عن أحمد بن حنبل نفيه رأسا. انتهى ملخصا.

(١) البقرة: ٥.

(٢) هو ابو الحسن طاهر بن أبى التّطّيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي نزيل مصر و المتوفى بها سنة (٣٩٩) - تقريب النشر ص ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٦

وقد ظهر من جميع ما مرّ أنّ الظاهر من أخبار الباب هو ما مرّت إليه الإشارة من المعنيين المتقدمين. نعم

قد حكى من طريق العامية عن أبى بن كعب: أنّ النبي صلّى الله عليه وآله كان إذا قرأ قل أعوذ بربّ الناس افتتح من الحمد، ثم قرأ من البقرة إلى «أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١) ثم دعا بدعاء الختم، ثم قام.

بل المحكى عن الجزرى أنّه صار العمل على هذا فى أمصار المسلمين حتّى لا يكاد واحد يختم ختمه إلّا و شرع فى اخرى، سواء ختم ما شرع فيه أم لم يختمه، نوى ختمه أو لم ينوه، بل جعل ذلك عندهم من سنّة الختم، و يسمّون من يفعل هذا الحال المرتحل، أى الذى يحلّ فى قراءة آخر الختم و ارتحل الى ختمه اخرى.

و عكس بعض أصحابنا هذا التفسير كالسخاوى، و غيره، فقالوا: الحال الذى يحلّ فى ختمه عند فراغه من اخرى، قال: و الأوّل أظهر، و هو الذى يدلّ عليه تفسير الحديث عن النبي صلّى الله عليه وآله.

أقول: قد سمعت أنّ الأوفق بل الظاهر من أخبار الأئمة عليهم السّلام الذين هم حملة الوحي و خزّان العلم هو المعنى الذى مرت إليه الإشارة، بل يعضده ما سمعت من الزمخشري و غيره.

و ممّا ينبغى أن يعلم أنّه يجب تعلّم القرآن و تعليمه كفاية، و يستحبّ عينا أما الأوّل: لحفظ الشريعة، و بقاء المعجزة، و توقّف استنباط الأحكام عليه فى الجملة، مع أنّه من المصالح المهمّة التى يجب القيام عليها كفاية، مضافا إلى

(١) البقرة: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٧

اطلاق الأوامر التى ظاهرها الوجوب، و الحمل على الوجوب الكفائى أقرب إلى الحقيقة من الحمل على الاستحباب. هذا مضافا الى ظهور الإجماع عليه، كالإجماع على الثانى الذى هو استحبابهما عينا، مع أنّ الاخبار به مستفيضة.

ففى النبوى: «خياركم من تعلّم القرآن و علمه» (١).

و

فى العلوى: «تعلّموا القرآن فإنّه ربيع القلوب» (٢).

و

عن أبى جعفر عليه السلام فى خبر سعد المتقدم بتمامه: «تعلّموا القرآن» (٣).

و



عن الصادق عليه السلام: «ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو يكون في تعليمه» (٤).

و

في «مجمع البيان» عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: ما من رجل علم ولده القرآن إلّا توجّ الله أبويه يوم القيامة بتاج الملك، و كسبا حلتين لم ير الناس مثلهما» (٥).

و

عنه صلى الله عليه وآله: «إذا قال المعلم للصّبي: قل: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصّبي: بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الله سبحانه براءة للصّبي، و براءة لأبويه، و براءة للمعلم من النار» (٦).

و

في «الكافي» عن الصادق عليه السلام: «قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تعلموا القرآن،

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٨٦ ح ٢ عن أمالي الطوسي ج ١ ص ٣٦٧.

(٢) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٢٥ ح ٧ عن نهج البلاغة.

(٣) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٥٩٦.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٦٠٧ ح ٣- و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٢٤ ح ٤.

(٥) مجمع البيان ج ١ ص ٩- و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٢٥ ح ٨.

(٦) المجمع ج ١ ص ١٨- و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٢٦ ح ١٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٨

فإنه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون، فيقول له: أنا القرآن الذي كنت أسهرت ليلك، و أظمأت هو أجرك، و أجففت ريقك، و أسبلت دمعك ... إلى أن قال: فأبشر، فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه، و يعطى الأمان يمينه، و الخلد في الجنان بيساره، و يكسى حلتين، ثم يقال له: اقرأ و ارق، فكلما قرأ آية صعد درجة، و يكسى أبواه حلتين إن كانا مؤمنين، ثم يقال لهما:

هذا لما علمتما القرآن» (١).

الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي مرّت إليها الإشارة في الباب الثاني.

و من الأمور التي ينبغي أن يعلم أيضا استحباب حفظ القرآن عن ظهر القلب كلّا أو بعضا، و لو مع مقاساة الشدّة و تحمّل المشاقّ. ففي «المجمع» عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من قرأ القرآن حتّى يستظهره و يحفظه أدخله الله الجنة، و شفّعه في عشرة من أهل بيته كلّهم قد وجبت له النار» (٢).

و

عنه عليه السلام قال: «حملة القرآن في الدنيا عرفاء أهل الجنة يوم القيامة» (٣).

و

في «الكافي» عن الصادق عليه السلام قال: «الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة» (٤).

و

فيه، و في «ثواب الأعمال» عنه عليه السلام قال: «من شدّد عليه في القرآن كان له أجران، و من يسر عليه كان مع الأولين» (٥).

- (٢) مجمع البيان ج ١ ص ١٦- و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٢٦ ح ١٤.  
 (٣) مجمع البيان ج ١ ص ١٦.  
 (٤) الكافي ج ٢ ص ٦٠٣ ح ٢.  
 (٥) الكافي ج ٢ ص ٦٠٦ ح ٢- ثواب الأعمال ص ١٢٥ ح ١ و عنهما الوسائل ج ٤ ص ٨٣٣ ح ٣.  
 تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٩

و

فيهما، عنه عليه السلام قال: «إِنَّ الَّذِي يَعَالِجُ «١» الْقُرْآنَ وَيَحْفَظُهُ بِمَشَقَّةٍ مِنْهُ وَقَلَّةٍ حَفَظَهُ لَهُ أَجْرَانِ» (٢).  
 اعلم أنه

قد روى الشيخ أبو جعفر الطوسي في «مصباح المتعبد»: أنه من أراد حفظ القرآن فليصل أربع ركعات ليلة الجمعة يقرأ في الأولى: فاتحة الكتاب و سورة يس، و في الثانية: الحمد، و الدخان، و في الثالثة: الحمد و الم تنزيل (السجدة)، و في الرابعة: الحمد، و تبارك الذي بيده الملك، فاذا فرغ من التشهد حمد الله و أثنى عليه و صلى على النبي صلى الله عليه و آله و استغفر للمؤمنين، و قال: اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني، و ارحمني من أن أتكلف طلب ما لا يعينني، و ارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهم يا بديع السماوات و الأرض، ذا الجلال و الإكرام، و العزة التي لا ترام، أسئلك يا الله، يا رحمن، بجلالك و نور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني، و ارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني و أسألك أن تتور بكتابك بصري، و تطلق به لساني، و تفرج به قلبي، و تشرح به صدري، و تستعمل به بدني، و تقويني على ذلك و تعينني عليه، فإنه لا يعينني على الخير غيرك، و لا يوفق له إلا أنت «٣».

و من الوظائف: أنه بعد تعلمه، أو حفظه، كلاً، أو بعضاً لا ينبغي تركه تركاً يؤدي إلى النسيان.  
 ففي «الكافي» بالإسناد عن يعقوب الأحمر، قال: قلت: جعلت فداك إنه أصابني هموم، و أشياء لم يبق شيء من الخير إلا و قد تفلت مني منه طائفة،

(١) عالج الشيء: زواله.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٠٦ ح ١- ثواب الأعمال ص ١٣٧.

(٣) مصباح المتعبد ص ١٨٤ و عنه البحار ج ٨٩ ص ٢٨٨ ح ٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٠.  
 حتى القرآن لقد تفلت مني طائفة منه.

قال: ففرغ عند ذلك حين ذكرت القرآن، ثم قال عليه السلام: إن الرجل لينسى السورة من القرآن فتأتيه يوم القيامة حتى تشرف عليه من درجة من بعض الدرجات فتقول: السلام عليك، فيقول: و عليك السلام من أنت؟ فتقول: أنا سورة كذا و كذا، ضيعتني و تركتني، أما لو تمسكت بي بلغت بك هذه الدرجة ...  
 الخبر «١».

و قد مرّ أيضاً أن الأخبار الدالة بظاها على حرمة الترك المؤدى إلى النسيان

كالمروى في «الفيح» و «عقاب الأعمال» عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام في حديث المناهى أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: ألا و من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة مغلولاً يسلط الله بكل آية منها حية تكون قرينة إلى النار إلا أن يغفر له «٢».

فلعله محمول على ترك العمل به، أو على الترك الناشئ من التهاون و الاستخفاف به.

و يؤيده أن

في «عقاب الأعمال»: «ثم نسيه متعمدا»

، على ما فسّر في الأخبار.

و يؤيده أيضا نفي الحرج عنه

في قول الصادق عليه السلام لسعيد بن عبد الله الأعرج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يقرأ القرآن ثم ينساه، ثم يقرأه ثم

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٠٨ ح ٦- منه الوسائل ج ٤ ص ٨٤٦ ح ٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ١٢- عقاب الأعمال ص ٣٣٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠١

ينساه، أ عليه فيه حرج؟ فقال عليه السلام: لا «١».

و

للهيثم بن عبيد، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل قرأ القرآن ثم نسيه، فرددت عليه ثلاثا، أ عليه فيه حرج؟ فقال عليه السلام: لا «٢».

و أمّا

النبي المروي عن طرق الفريقين: «من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله تعالى و هو أجزم» «٣».

فقد اختلفوا في معناه: فقيل: إنّه مقطوع اليد، من جزم الرجل (بكسر الذاة المعجمة): إذا صار أجزم أي مقطوع اليد.

و مثله

العلوي: «من نكث بيعته لقي الله تعالى و هو أجزم، ليست له يد» «٤».

و هذا هو المحكى عن أبي عبيد، و اعترضه ابن قتيبة بأنّ العقوبات من الله سبحانه لا تكون إلّا وفقا للذنوب و بحسبها، و اليد لا مدخل لها في نسيان القرآن.

و قال: الأجزم هاهنا الذي ذهب أعضاؤه كلها، يقال: رجل أجزم و مجذوم إذا قُتت أعضاؤه من الجذام و هو الداء المعروف.

و اعترض «٥» بأنّ قضية الموافقة عقوبة الزاني بفرجه و القاذف بلسانه.

و بأنّ الجذام غير مشتق من الجذم الذي هو القطع، و إلّا لوجب كلّ داء يقطع الجسد و يفرق أوصاله كالجدري، و الأكله يسمّى

جذاما، و يسمّى المبتلى به

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٣٣ ح ٢٤.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٠٨ ح ٥.

(٣) أمالي السيد المرتضى ج ١ ص ٥ و عنه مستدرك الوسائل ج ٤ ص ٢٦٣.

(٤) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٦٧.

(٥) المعترض هو ابن الأنباري محمد بن القاسم المتوفى (٣٢٨)، قال: معنى الحديث أنّه لقي الله و هو أجزم الجمّة لا لسان لا يتكلم و

لا حجة في يده- البحار ج ٢ ص ٢٦٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٢

أجزم، و هو باطل.

مع أنّ الجوهرى ذكر أنه مشتقّ من جذم الرجل (بضمّ الجيم) فهو مجذوم، ولا يقال: أجذم. وقال الفيومى: قالوا: ولا يقال فيه من هذا المعنى: فهو أجذم وزان أحمر.

وقيل «١»: معناه لقيه خالى اليد من الخير، صفرها من الثواب، فكُنّى باليد عما تحويه و تشتمل عليه من الخير. وقيل: معناه لقيه منقطع السبب، يدلّ عليه قوله: «القرآن سبب بيد الله و سبب بأيديكم، فمن نسيه فقد قطع سببه. و التخصيص فى العلوىّ المتقدّم بذكر اليد لخصوص البيعة التي تباشرها اليد من بين الأعضاء» (٢).

وقال السيّد المرتضى رضى الله عنه بعد الاعتراض على المعنيين الأولين ببعض ما سمعت، وغيره ممّا لا يخلو عن تأمل: إنّ عليه السلام أراد المبالغة فى وصفه بالنقصان عن الكمال، و قد ما كان فيه بالقرآن من الزينة و الجمال. قال: و التشبيه له بالأجذم من حسن التشبيه و عجيبه، لأنّ اليد من الأعضاء الشريفة التي لا يتمّ كثير من التصرفات و لا يوصل الى كثير من المنافع إلّا بها، ففانقدها يفقد ما كان فيه من الكمال، و تفوتها المنافع و المرافق التي كان يجعل يده ذريعة الى تناولها، و هذه حال ناسى القرآن و مضيعه بعد حفظه، لأنّه

(١) قاله ابن الأعرابى محمّد بن زياد المتوفى (٢٣٠).

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٣

يفقد ما كان لابسا له من الجمال و مستحقّا له من الثواب «١».

أقول: أمّا اشتقاقه من الجذام، ففيه مع بعده، أنّه مردود بنصّ أهل اللّغة على خلافه و هجر استعماله كما مرّ عن الجوهرى و الفيومى. نعم فى «القاموس»: جذم كعنى (أى بضمّ الجيم و كسر الذال المعجمة) فهو مجذوم و مجذّم و أجذم، و وهم الجوهرى فى منعه. و لكنّه غير صالح للمعارضة لما مرّ، و لو مع تقديم الشهادة على الإثبات، لأنّه فرع التكافؤ، سلّمنا لكنّه لا بدّ عن الشذوذ و الندره. و أمّا المعانى المتقدّمة فلا يبعد الحمل عليها و لو على جهة الاجتماع، فإنّ الكلمة من محمّد و آله صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين لتصرف على سبعين وجها من كلّها المخرج، سيّما مع عدم تعاند المعانى فى المقام، بل و تناسبها، فإنّه يمكن أن يراد أنّه يلقي الله تعالى مقطوع اليد أى قليل الحظّ من الثواب، فاقد الخير و البهجة، فائت الزينة و الكمال.

نعم، قد يقال: إنّ فى هذا الحديث سراً يتّضح بالحديث الآخر الذى تواتر نقله

عنه صلى الله عليه و آله من طرق الفريقين: «إنّى تارك فيكم الثقلين: أحدهما كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الأرض».

فلمّا شبّه الكتاب بالجبل الذى يتعلّق به و يجعل سببا للتوقى الى المراتب، و التوقى عن المعاطب، عبّر عن تاركة و الغافل عنه بالأجذم، و إنّما يخيل اليه بكلمة الأجذم الشنعة و اللفظ المستكره لأنّه إذا انقطع الجبل لم يكن تمسّك، و إذا كانت اليد جذماء أيضا لم يمكن التمسّك، فأراد بذلك أن عدم حصول التمسّك

(١) أمالى المرتضى ج ١ ص ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٤

و الإمساك إنّما هو لأمر راجع الى اليد الممسكة لا إلى الجبل، فإنّ الممدود من السماء الى الأرض و هو القرآن باق بحاله. و يمكن أن يكون المراد من النسيان ترك العمل بما فيه من ولاية آل محمّد عليهم السّلام، كقوله تعالى: فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ «١»، فيلقى الله تعالى حينئذ مقطوع اليد عن التثبيت بجبل ولائهم عليهم السلام فإنّهم جبل الله المتين الذى أمرنا بالتمسك به. و من أحكام القراءة: أنّه يستحب ختم القرآن فى ثلاث و صاعدا إلى شهر، مع الاهتمام فى إظهار الترتيل و حسن التدبّر و سائر

الوظائف على كثرة القراءة.

ففى «العيون» بالإسناد عن إبراهيم بن العباس، قال: ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شىء قطّ إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان فى الزمان الأوّل إلى وقته وعصره، و كان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شىء فيجيب فيه، و كان كلامه كلّ، و جوابه، و تمثله انتزاعات من القرآن، و كان يختمه فى كلّ ثلاث و يقول عليه السلام: لو أردت أن أختمه فى أقرب من ثلاثة لختمت، و لكننى ما مررت بأية قطّ إلا فكّرت فيها، و فى أى شىء أنزلت، و فى أى وقت، فلذلك صرت أختم فى كلّ ثلاثة «٢».

و

فى «الإقبال» للسيد ابن طاوس رحمه الله عليه: عن وهب بن حفص، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: سألته: الرجل فى كم يقرأ القرآن؟

(١) الانعام: ٤٤.

(٢) العيون ج ٢ ص ١٨٠ ح ٤، الأمالى ص ٥٢٥ ح ١٤، و عنهما البحار ج ٤٩ ص ٩٠ ح ٣، و ج ٩٢ ص ٢٠٤ ح ١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٥

قال عليه السلام: فى ستّ فصاعدا، قلت: فى شهر رمضان؟

قال عليه السلام: فى ثلاث و صاعدا «١».

و

عن ابن قولويه باسناده إلى أبى عبد الله عليه السلام قال: «لا يعجبني أن يقرأ القرآن فى أقلّ من شهر» «٢».

و مثله فى «الكافى» عنه عليه السلام بعد ما قيل له: «أقرأ القرآن فى ليلة» «٣».

و

فيه بالإسناد: عن حسين بن خالد، عنه عليه السلام قال: قلت له: «كم أقرأ القرآن؟ قال عليه السلام: أقرأه أخماسا، أقرأه أسبعا، أما إنّ عندى مصحفا مجزّءا أربعة عشر جزءا «٤».

و

فيه: عن على بن أبى حمزة قال: سألت أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام و أنا حاضر، فقال له: جعلت فداك أقرأ القرآن فى ليلة؟ قال عليه السلام: لا، فقال: فى ليلتين؟ فقال: لا، حتّى بلغ ستّ ليال، فأشار بيده و قال: ها، ثم قال عليه السلام: يا أبا محمد انّ من كان قبلكم من أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله كان يقرأ القرآن فى شهر و أقلّ، إنّ القرآن لا يقرأ هذرمه، و لكن يرتل ترتيلا، إذا مررت بأية فيها ذكر النار و قفت عندها و تعوّذت بالله من النار، فقال أبو بصير: أقرأ القرآن فى رمضان فى ليلة؟

فقال عليه السلام: لا، فقال: فى ليلتين؟ فقال عليه السلام: لا، فقال: فى ثلاث؟ فقال عليه السلام: ها! و أوما بيده، نعم، إنّ شهر رمضان لا يشبهه شهر من الشهور، له حقّ و حرمة، أكثر

(١) إقبال الأعمال ص ١١٠ و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٦٤ ح ٩.

(٢) الإقبال ص ١١٠ عن ابن قولويه.

(٣) الكافى ج ٢ ص ٦١٧ ح ١.

(٤) الكافى ج ٢ ص ٦١٧ ح ٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٦

من الصلاة ما استطعت «١».

و مثله عنه بطريق آخر، و زاد بعد قوله: ترتيلا: «و إذا مررت فيها ذكر الجنة فقف عندها و سل الله الجنة» (٢).

و

فيه: عن علي بن المغيرة، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: إن أبي سأل جدك عليه السلام عن ختم القرآن في كل ليلة، فقال له جدك: في كل ليلة، فقال له: في شهر رمضان، فقال له جدك: في شهر رمضان فقال له أبي نعم ما استطعت، فكان أبي يختمه أربعين ختمة في شهر رمضان، ثم ختمته بعد أبي، فربما زدت و ربما نقصت على قدر فراغى و شغلى و نشاطى، و كسلى، فإذا كان في يوم الفطر جعلت لرسول الله صلى الله عليه و آله ختمة: و لعلي عليه السلام أخرى، و لفاطمة عليهما السلام أخرى، ثم للأئمة عليهم السلام حتى انتهيت إليك، فصيرت لك واحدة، منذ صرت في هذه الحال، فأى شيء لى بذلك؟ قال عليه السلام: لك بذلك أن تكون معهم يوم القيامة، قلت: الله أكبر فلى بذلك؟ قال عليه السلام: نعم، ثلاث مرات (٣).

أقول: و قد استدلل به على استحباب إهداء ثواب القراءة الى النبي صلى الله عليه و آله، و الأئمة عليهم السلام و إلى المؤمنين من الأحياء و الأموات، و لا بأس بذلك، سيما بعد الاعتضاد بالاعتبار، و بعموم ما دل على من عمل من المسلمين من ميت عملا صالحا أضعف الله له أجره للذى يفعله و للميت، و خصوصا ما دل على إهداء خصوص السور لأهل القبور، و لمن يريد صلته من الأموات.

بل

في «دعوات» الزاوندى: عن ابن عباس: أن رجلا ضرب خباء على

(١) الكافي ج ٢ ص ٦١٨ ح ٥ و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٦٢ ح ٣.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦١٧ ح ٢ و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٦٢ ح ٤.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٦١٨ ح ٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٧.

قبر، و لم يعلم أنه قبر، فقرأ: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ فسمع صالحا يقول:

هى المنجية، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه و آله، فقال: «هى المنجية من عذاب القبر» (١).

و

عنه صلى الله عليه و آله: «من دخل المقابر و قرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ، و كان له بعدد من فيها حسنات» (٢).

و أما الإهداء للأحياء فلا بأس به بعد دلالة الخبر المتقدم عليه فى الجملة.

بل و

عن «مشكاة الأنوار» و «عده الداعى» عنه صلى الله عليه و آله: «ما يمنع أحدكم أن يبزر والديه حيين و ميتين، يصلى عنهما، و يتصدق عنهما، و يصوم عنهما، فيكون الذى صنع لهما، و له مثل ذلك فيزيده الله ببره خيرا كثيرا» (٣).

و من أحكام القرآن: أنه يستحب تصحيح المصحف من الأغلاط مادّة و هيئة إذا كان ملكا له، أو مأذونا من مالكه، و لو بالفحوى، أو شاهد الحال بل يستحب تصحيح المصحف الموقوفة للموقوف عليهم، أو بإذنهم إذا لم يؤد إلى تضييع الخطوط، أو الورقة بالمحو، و المزق، و الخرق.

و هل يجوز إثبات الساقط أو الممحو منها بالخط الذى دونها فى الحسن؟

الأقرب الجواز، إلا أن يكون بعيدا عن مجانسته جدا أو بالغافى الرذائى بحيث لا يكاد يقرأ.

و منها: أنه يستحب اتخاذ المصحف فى البيت و تعليقه فيه، من غير أن يترك القراءة منه.

(١) الدعوات ص ٢٧٩ ح ٨١١ و عنه البحار ج ٨٢ ص ٦٤ ح ٨.

(٢) مجمع البيان ج ٨ ص ٤١٣.

(٣) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٤٦ ح ٧ عن الكافي ج ٢ ص ١٥٩ مع تفاوت.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٨.

في «الكافي» و «ثواب الأعمال» عن الصادق عليه السّلام، قال: «إنّه ليعجبنى أن يكون في البيت المصحف يطرد الله عزّ و جلّ به الشياطين» (١).

و

في «قرب الإسناد» عن الباقر عليه السّلام، قال: «يستحبّ أن يعلّق المصحف في البيت، و يتقى به من الشياطين، قال: و يستحبّ أن لا يترك من القراءة فيه» (٢).

و

في «الكافي»: عن الصادق عليه السّلام قال: «ثلاثه يشكون إلى الله عزّ و جلّ:

مسجد خراب لا يصلّى فيه أهله، و عالم بين جهّال، و مصحف معلق قد وقع عليه الغبار، لا يقرأ فيه» (٣).

و من أحكام القرآن: حرمة بيعه و شرائه، صرّح جماعة من الأصحاب بحرمتها، بل مطلق نقله، و انتقاله بالعقود المعاوضيه، كلّاً أو بعضاً، و لو ورقة منه، أو آية، أو كلمة.

و هو فتوى «النهاية»، و «السرائر» و «الشرائع» و «الدروس»، و «جامع المقاصد»، و غيرها، بل عن «نهاية الأحكام» منع الصحابة عنه.

و الأصل فيه أخبار مستفيضة ظاهرة، أو صريحة في تحريم بيعه.

و فيها كما في الفتاوى أنّه إنّما يباع الجلد و الورق، و غيرهما من الآلات.

ففي «الكافي» عن عبد الرحمن بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: سمعته يقول: إنّ المصاحف لن تشتري، فاذا اشترت فقل: إنّما أشتري منك

(١) الكافي ج ٢ ص ٦١٣ ح ٢- ثواب الأعمال ص ١٢٩ ح ١.

(٢) قرب الاسناد ص ٤٢ و عنه البحار ج ٩٢ ص ١٩٥ ح ٢.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٦١٣ ح ٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٩.

الورق و ما فيه من الأدم و حليته و ما فيه من عمل يدك بكذا و كذا» (١).

قيل: و لعلّ المراد ما عملت يده ممّا عدا الكتابة.

و

عن سماعة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: لا- تبيعوا المصاحف، فإنّ بيعها حرام، قلت: فما تقول في شرائها؟ فقال عليه

السّلام: اشتر منه الدفتين، و الحديد (٢)، و الغلاف، و إرباك أن تشتري منه الورق و فيه القرآن مكتوب، فيكون عليك حراماً، و على

من باعه حراماً (٣).

و لعلّ المراد في الخبر الأوّل حال التجرد، أو خصوص الأجزاء المجردة من كتابة القرآن، و في الثاني ما اشتمل عليه، و لذا قيل: إنّ

قوله: «و فيه القرآن»

يعنى تجعله المقصود بالشراء، فيلزم التحريم.

و

عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: سألته عن بيع المصاحف و شرائها، فقال عليه السّلام: لا تشتري

كتاب الله، و لكن اشتر الحديد، و الجلود، و الدفتين، و قل: اشتر هذا منك بكذا و كذا «٤».

و

عن عبد الله بن سليمان، قال: سألته عن شراء المصاحف، فقال عليه السلام: إذا أردت أن تشتري فقل: اشترى منك ورقه و أديمه و عمل يديك بكذا و كذا «٥».

أقول: و الذى يظهر من أخبار الباب بالتأمل وفاقا لبعض أجلة المحققين

(١) فروع الكافى ج ٥ ص ١٢١ و عنه الوسائل ج ١٧ ص ١٥٨.

(٢) الحديد الذى يعلق على جلد المصحف ليغلق و يقفل كما هو المشهود فى زماننا (تعليقات الغفارى على الكافى).

(٣) الوسائل ج ١٧ / ١٦٠ عن التهذيب ج ٧ ص ٢٣١.

(٤) فروع الكافى ج ٥ ص ١٢١ ح ١ و عنه الوسائل ج ١٧ ص ١٥٨.

(٥) الوسائل ج ١٧ ص ١٥٩ ح ٦ عن التهذيب ج ٦ ص ٣٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١٠

كصاحب الجواهر و غيره، بل و لظاهر الأكثر على ما تسمع أن النهى نهى تعظيم لا نهى تحريم، و ذلك لأن قضية تعظيم كتاب الله و كلامه أن لا يساوم فى معرض البيع و الشراء، و لا يشتري بآيات الله ثمنا قليلا، بل يجعل البيع الصورى بالنسبة الى الجلد، و الغلاف، و غيرهما مما يتعلق به، و إن كان المقصود الأصلي هو الكتابة، بل يتفاوت البذل باختلافها فى مراتب الجودة.

و بالجملة قضية الأصول و الإطلاقات و العموم جواز بيعه، بل عليه السيرة القطعية فى سائر الأعصار و الأمصار، و إن اشتهر بين أهل العرف من جهة حسن الأدب تسمية بيعه أو ثمنه هديئة.

بل

فى خبر عنبسة الوراق، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: أنا رجل أبيع المصاحف، فإن نهيتنى لم أبعها؟ فقال عليه السلام: أ لست تشتري ورقا و تكتب فيه؟

قلت: بلى و أعالجها، قال عليه السلام: لا بأس بها «١».

بل و لعل فيه إشارة إلى إثبات المقتضى لجواز البيع و نفى المانع عنه، و ذلك أن كلاً من الورق و المداد الذى يكتب به كانا قبل الكتابة ملكا له، و مجرد الكتابة غير موجب لخروج شىء منهما عن ملكه، و لا لخروجهما عن قابلية الانتقال، سواء قلنا إن المكتوب و هو النقوش الواقعة على سطح الورق من الأعيان التى يكون بإزائها جزء من الثمن كما هو الأظهر، أو قلنا: إنها من الأعراض و الصفات التى تزيد بها قيمة الورق.

هذا مضافا الى أن ما يحرم بيعه أو نقله مطلقا إمّا أن يكون هو خصوص النقوش، أو النقوش بمحالتها من الورق، أو الورق المنقوش باعتبار موضع

(١) الوسائل ج ١٧ ص ١٥٩ عن الكافى ج ٥ ص ١٢٢ ح ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١١

الكتابة أو مطلقا، و هو على الوجوه كلها ملك للبايع قبل البيع، و أمّا بعده فإن بقى على ملكه فهو كما ترى لاستلزامه الشركة و توقّف جواز التصرف فيه على إذنه، و غيره ممّا لا يلتزم به أحد، و إن انتقل إلى المشتري بجزء من الثمن فهو المطلوب، أو تبعا، أو مجاناً، أو قهرا فهو خلاف المقصود، بل لا- أرى أحدا يلتزم بنفى خيار العيب و الغبن، و خلاف الوصف إذا اشتمل على أغلاط، و سقطات



كثيرة، أو اختلاف في خط، أو مخالفة للوصف أو غير ذلك، كما لا ينبغي أن يلتزم أحد بأن خط المصحف لا يدخل في الملك شرعا.

نعم الذى يظهر من الأخبار كراهة البيع الصورى بالنسبة اليه، تعظيما لكتاب الله تعالى، كما علق عليه النهى فى الأخبار، و أما صحته فلا- ينبغى التأمل فيها بعد ما سمعت من السيرة القطعية و غيرها و إطلاق الفتاوى فى مقام شرائط البيع و غيره، حتى فى مسألة بيع المصحف من الكافر الظاهر فى جواز بيعه من المسلم من غير تقييد بالآلات.

مضافا الى ما

فى خبر عبد الرحمن بن أبى عبد الله، عن أبى عبد الله عليه السلام: «أنَّ أمَّ عبد الله بن الحارث أرادت أن تكتب مصحفا فاشتريت ورقا من عندها و دعت رجلا فكتب لها على غير شرط، فأعطته حين فرغ خمسين دينارا، و أنه لم تبع المصاحف إلَّا حديثا» (١).

لظهوره فى كون السيرة حاصله فى زمانه عليه السلام أيضا، و إن كانت فيه إشارة الى حسن الأدب للسلف الصالح حيث كانوا لا يشارطون الاجرة على الكتابة.

كما أشير إليه أيضا مع دلالة على المطلوب من وجهين، أو وجوه فى خبر

(١) الوسائل ج ١٧ ص ١٦٠ ح ١٠ عن التهذيب ج ٦ ص ٣٦٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١٢

روح بن عبد الرحيم قال: سألت الصادق عليه السلام من شراء المصاحف و بيعها، فقال عليه السلام: إنَّما كان يوضع الورق عند المنبر، و كان ما بين المنبر و الحائط قدر ما تمر الشاة، أو رجل منحرف، قال: فكان الرجل يأتى فيكتب من ذلك، ثم إنَّهم اشتروا بعد، قلت: فما ترى فى ذلك؟ فقال لى: أشتري أحبَّ إليَّ من أن أبيع، قلت: فما ترى أن أعطى على كتابته أجرا؟ قال عليه السلام: لا بأس، و لكن هكذا كانوا يصنعون (١).

و

خبر أبى بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن بيع المصاحف و شرائها، فقال عليه السلام: إنَّما كان يوضع عند القامة (٢) و المنبر، قال: و كان بين الحائط و المنبر قيد (٣) ممر شاة أو رجل منحرفا، فكان الرجل يأتى و يكتب البقرة، و يجيء آخر و يكتب السورة، كذلك كانوا ثم اشتروا بعد ذلك، قلت: فما ترى فى ذلك؟

فقال عليه السلام: أشتريه أحبَّ إليَّ من أن أبيع (٤).

حيث إنَّ الاقتصار فى الصدر الأوّل على الكتابة دون البيع و الشراء إنَّما كان للتعظيم، ثم استمرت الطريقة على المعاملة.

و قوله بعد السؤال عمّا جرت السيرة عليه من شراء:

«أن أشتري أحبَّ إليَّ من أن أبيع»

كالصريح فى جوازهما، و إن كان بذل الثمن بإزائه أحبَّ إليه من أخذه به.

(١) الوسائل ج ١٧ ص ١٥٩ ح ٤ عن الكافي ج ٥ ص ١٢١ ح ٣.

(٢) قال المحدث الكاشانى فى الوافى: أراد بالقامة الحائط فإنَّ حائط مسجد الرسول (ص) كان قدر قامه.

(٣) القيد: القدر- الصحاح- قيد ج ٢ ص ٥٢٩.

(٤) الوافى ج ٣ ص ٣٨- الوسائل ج ١٧ ص ١٦٠ عن التهذيب ج ٦ ص ٣٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١٣

و بالجملة لا ينبغي للفقهاء التأمل في الجواز مع الكراهة، و ان اختلفت شدة و ضعفا بالنسبة الى البيع و الشراء، حسبما يدل عليه الخبران، مضافا الى شهادة الإعتبار بذلك.

بل قد يقال: بكراهة بيع غير المصحف أيضا من الكتب المشتملة على بعض الآيات قلت أو كثرت.

بل و كتب الحديث المشتملة على أخبار أولياء الله الذين كلامهم كلام الله تعالى.

بل و كتب اللغة سيما المشتملة على تفسير لغات الكتاب و السنن، و أولى منها التفاسير و ان لم يشتمل على تمام الآية.

و كذا كتب الفقه المشتملة على الآيات و الأخبار، و الخطب سهل بعد ما سمعت، و التعظيم و الإكرام مطلوب في كل مقام.

هذا كله بالنسبة إلى بيعه من المسلمين، و أما بيعه من أعداء الدين فالمشهور بين المتأخرين عدم جواز بيعه من الكافر و لو على الوجه الذي يجوز بيعه من المسلم، لفحوى ما دلّ على عدم تملك الكافر للمسلم، من الآية و الخبر، و ان الإسلام يعلو و لا يعلى عليه.

مضافا إلى فحواي ما دلّ على وجوب التعظيم للشعائر، خصوصا القرآن، و حرمة الإهانة به، و نفى السلطنة و السبيل لهم، و أن في تملكهم له إهانة للإسلام، و أهله.

بل قد يلحق به أبعاضه و كلماته المتصلة المتفرقة، بل المقطعة المكتوبة بالحروف، أو الرقوم الهندية، أو الخطوط المختلفة الغربية جوهرية و عرضية،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١٤

و لو بالانطباع و العكس، و منسوخ الحكم و غيره، و تمام الكلام فيه و في سائر الفروع في الفقه.

و منها: أنه يكره تذهيبه بمعنى استعمال الذهب المحلول في جداوله، و مفتتحات سوره و كتابه أعشاره، و أخماسه، و أجزاءه، و أعلام آياته، و وقوفه، و اختلافات قراءاته، و وجوه إعرابه، و بين سطوره، و أطراف صفحاته.

لموثق سماعة، قال: سألته عن رجل يعشّر المصاحف بالذهب، فقال عليه السلام: لا يصلح، قال: إنَّها معيشتي، فقال عليه السلام: إنَّك إن تركته لله جعل الله لك مخرجا «١».

و ربما يقال بالحرمة نظرا الى نفى الصلاحية في الخبر الظاهر في الحرمة و الفساد و على ما هو أظهر الأقوال فيه.

و فيه: أنه مع تسليمه ينبغي الخروج عنه، و لو لشهرة الفتوى و ظاهر الأخبار.

كخبر محمد بن الوراق، قال: عرضت على أبي عبد الله عليه السلام كتابا فيه قرآن معشّر بالذهب، و كتب بآخره سورة بالذهب، فأريته إياه، فلم يعجب فيه شيئا إلا كتابه القرآن بالذهب، فإنه قال عليه السلام: لا يعجبني أن يكتب القرآن إلا بالسواد كما كتب أول مرة «٢».

و فيه أيضا دلالة على استحباب كتابته بالسواد، دون غيره.

(١)

الوسائل ج ١٧ ص ١٦٢ ح ١ عن التهذيب ج ٦ ص ٣٦٦ و فيه: إنه معيشتي.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٢٩ ح ٨- التهذيب ج ٦ ص ٣٦٧ ح ١٧٧ و الوسائل عنهما ج ١٧ ص ١٦٢ ح ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١٥

و

خير آخر: «لا بأس بتجليء المصاحف و السيوف بالذهب و الفضة» «١».

و نفى البأس صريح في نفى التحريم، و إن استفيدت الكراهة منه، أو من غيره على ما مرّ.

بل و ممّا

روى في كتاب «المختصر» للحسن بن «٢» سليمان، عن النبي صلى الله عليه و آله في علامات ظهور القائم عجل الله تعالى فرجه قال:

«يكون ذلك إذا رفع العلم، و ظهر الجهل، و كثر القراء، و قلّ العمل و حليت المصاحف، و زخرفت المساجد» (٣).

(١)

الوسائل ج ٥ ص ١٠٥ عن الكافي ج ٦ ص ٤٧٥ ح ٣ و فيه: «ليس بتحلية المصاحف و السيوف بالذهب و الفضة بأس».

(٢) الحسن بن سليمان بن خالد الحلّي المجاز من الشهيد الأول سنة (٧٥٧) - الذريعة ج ٢٠ ص ١٨٢.

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٠ عن كمال الدين ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١٧

## الباب الرابع عشر

في جملة من الفوائد التي ينبغي التنبيه عليها

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١٩

و هي أمور:

الأول: أن القرآن شفاء من كلّ داء.

لا-ريب في أن القرآن بجميع معانيه، و بطونه، و إشارات، و لطائفه و حقائقه شفاء من العيوب النفسية، و الأمراض القلبية التي هي الجهالات و الضلالات، و الانحرافات، و متابعة الأهواء النفسانية، و الوسوس الشيطانية، و إليه الإشارة بقوله تعالى: وَ نُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (١).

و

روى العياشي عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «إنما الشفاء في علم القرآن لقوله: وَ نُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ (٢) لأهله لا شكّ فيه و لا مرية» (٣).

و

في تفسير الإمام عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «إنّ هذا القرآن هو النور المبين، و الجبل المتين، و العروة الوثقى، و الدرجة العليا، و الشفاء الأشفي، و الفضيلة الكبرى، و السعادة العظمى، من استضاء به نوره الله، و من عقد به أموره عصمه الله، و من تمسك به أنقذه الله، و من لم يفارق أحكامه رفعه الله، و من استشفى به شفاه الله، و من آثره على ما سواه هداه الله، و من طلب الهدى في غيره أضله الله».

و قد مرّ كثير من الأخبار المتعلقة بالمقام في الباب الثاني.

(١) الإسراء: ٨٢.

(٢) الإسراء: ٨٢.

(٣) تفسير الامام ص ٢٠٣ و عنه البحار ج ٩٢ ص ٣١ ح ٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ٥٣

و كما أنّ باطنه و معانيه، و علمه، و العمل به شفاء من الأمراض الباطنية كذلك ألفاظه و حروفه شفاء من الأمراض البدنية، ففي معانيه شفاء الروح و الجنان بنور العلم و الإيمان، و في ألفاظه شفاء الأبدان، و قوّة الأركان، بل و في كلّ من الأمرين كلّ من الأمرين، و لذا

يجوز بل يستحب الاستشفاء به من الأمراض الظاهرة و الباطنة.

و أما ما

في «البصائر» عن الحارث «١» النصرى قال: رأيت على بعض صبيانهم تعويذا، فقلت: جعلني الله فداك أما يكره تعويد القرآن يعلق على الصبي؟ قال عليه السلام: «إنّ ذا ليس بذا، إنّما ذا من ريش الملائكة، إنّ الملائكة تطأ فرشنا، و تمسح رؤس صبياننا» «٢».

فلا دلالة فيه على الكراهة تقريراً، و لا فحوى كما لا يخفى، سيما بعد تظافر الأخبار على الجواز، بل على الاستحباب. ففي «طب الأئمة»: عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن رقية العقرب و الحية و النشرة و رقية المجنون و المسحور الذي يعذب؟ فقال:

يا بن سنان لا بأس بالرقية و العوذة و النشرة إذا كانت من القرآن، و من لم يشفه فلا شفاه الله تعالى، و هل شيء أبلغ في هذه الأشياء من القرآن، أو ليس الله يقول:

وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ «٣»؟ أليس يقول الله جل ثناؤه: لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ «٤»؟ سلونا نعلمكم و نوقفكم على قوارع القرآن لكلّ داء «٥».

(١) هو الحارث بن المغيرة النصرى البصرى الموثق الراوى عن الباقر و الصادق و الكاظم عليهم السلام.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٣٥٤ ح ١٢ عن البصائر ص ٢٦.

(٣) الإسراء: ٨٢.

(٤) الحشر: ٢١.

(٥) بحار الأنوار ج ٩٥ ص ٤ عن طب الأئمة ص ٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢١

و

عنه عليه السلام في الرجل تكون به العلة فيكتب له القرآن فيعلق عليه أو يكتب له فيغسله و يشربه، قال: لا بأس به كلّ «١».

و

عنه عليه السلام: «لا بأس بالتعويد أن يكون على الصبي و المرأة» «٢».

و

عن الحلبي، قال: سألت جعفر بن محمد عليهما السلام هل نعلق شيئاً من القرآن و الرقى على صبياننا؟ فقال عليه السلام: نعم إذا كان في أديم تلبسه الحائض، و إذا لم تكن في أديم لم تلبسه المرأة «٣».

و

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن التعويد يعلق على الصبيان، فقال عليه السلام: علقوا ما شئتم إذا كان فيه ذكر الله تعالى «٤».

و

عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: أيتعوذ بشيء من هذه الرقى؟ قال عليه السلام: لا، إلّا من القرآن، إنّ علينا عليه السلام كان يقول: إنّ كثيراً من الرقى و التمام من الإشراك «٥».

و

عن الصادق عليه السلام: «إنّ كثيراً من التمام شرك» «٦».

أقول: و ذلك لما فيه من التوسل بغير الله، و لو بالأرقام و الخطوط و اللغات التي لا معرفه بها لعامة الناس، و قد بقي كثير منها عند

ضعفهُ الناس، و غنائهم و عوامهم و نسوانهم، بل عند الأبحار، و الرهبان، و القسيسين، و غيرهم ممن يرجع إليهم ضعفهُ الناس في ذلك، فإنّ منهم من كان يفزع في مهمّات أموره الى صور الكواكب و هياكلها، و منهم من يستمدّ من روحانياتها و قوبها، و الملائكة

(١) البحار ج ٩٥ ص ٥ ح ٦ عن طبّ الاثمة ص ٤٩.

(٢) البحار ج ٩٥ ص ٥ ح ٧ عن طبّ الاثمة ص ٤٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٥ ص ٥ ح ٨ عن طبّ الأثمة ص ٤٩.

(٤) البحار ج ٩٤ ص ١٩٢ ح ٢ عن قرب الاسناد ص ٥٢.

(٥) البحار ج ٩٥ ص ٥ ح ٣ عن طبّ الاثمة ص ٤٨.

(٦) البحار ج ٩٥ ص ٥ ح ٤ عن طبّ الاثمة ص ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٢

الموكلين بها.

و منهم من يستمدّ من النور و الظلمة.

و منهم من يرجع الى الأرواح الظلمانية، و القوى الناسوتية.

و منهم من يرى التأثير في قوى الحروف و الألفاظ و الأشكال و الأعداد، و تمزيج القوى السالفة بالصور العالية.

و عبدة الأصنام كانوا يرجعون الى أصنامهم و يتقربون بها.

و بالجملة كان الناس في الجاهلية على فرق شتى في الإلحاد و الكفر و الشرك و قد بقيت عندهم كثير من الآداب و العادات و الرسوم

التي تنتهى إليها عند التأمل فلا تغفل.

قال ابن الأثير في «النهاية»: قد تكرر ذكر الرقية، و الرقا، و الرقى، و الاسترقاء في الحديث، و الرقية: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة

كالحمى، و الصرع، و غير ذلك من الآفات، و قد جاء في بعض الأحاديث جوازها، و في بعضها النهى عنها، و الأحاديث في القسمين

كثيرة.

و وجه الجمع بينهما، أنّ الرقى يكره منها ما كان بغير اللسان العربى، و بغير أسماء الله و صفاته و كلامه في كتبه المنزل، و أن يعتقد

أنّ الرقيات نافعة لا محالة فيتكل عليها، و إيّاها أراد

بقوله صلى الله عليه و آله: «ما توكل من استرقى» (١).

و لا يكره منها ما كان في خلاف ذلك كالتعوذ بالقرآن و أسماء الله تعالى و الرقى المروية. و لذا

قال صلى الله عليه و آله للذى رقى بالقرآن و أخذ عليه أجرا: «من أخذ برقية باطل فقد أخذت برقية حق» (٢).

و

كقوله صلى الله عليه و آله في حديث جابر: «اعرضوها علىّ فعرضناها، فقال (ص): «لا

(١) الإتحاف ج ٩ ص ٣٨٩.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤١٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٣

بأس بها إنّما هي موثيق» (١).

كأنه صلى الله عليه و آله خاف أن يقع فيها شيء ممّا كانوا يتلفظون به و يعتقدونه من الشرك في الجاهلية، و ما كان بغير اللسان

العربى ممّا لا يعرف له ترجمه، و لا يمكن الوقوف عليه فلا يجوز استعماله.

و أمّا

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لَا رَقِيَّةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حَمَّةٍ» (٢) «(٣)»

فمعناه لَا رَقِيَّةَ أُولَى وَ أَنْفَع، كَمَا

قِيلَ: لَا فَتَى إِلَّا عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَام.

وَ قَدْ أَمَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالرَّقِيَّةِ، وَ سَمِعَ بِجَمَاعَةٍ يَرْقُونَ فَلَمْ يَنْكَرْ عَلَيْهِمْ.

وَ أَمَّا الْحَدِيثُ الْآخَرُ فِي صِفَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ:

«الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَ لَا يَكْتُونُ، وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (٤).

فَهَذَا مِنْ صِفَةِ الْأَوْلِيَاءِ الْمَعْرُضِينَ عَنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا الَّذِينَ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ عِلَاقَتِهَا، وَ تِلْكَ دَرَجَةٌ لَا يَلْبِغُهَا إِلَّا الْخَوَاصُّ، وَ أَمَّا الْعَوَامُّ فَمُرْخَصٌ لَهُمْ فِي التَّدَاوِي وَ الْمَعَالِجَاتِ (٥).

أَقُولُ: وَ ذَلِكَ بَأَنَّ يَكُونُ الْإِعْتِمَادُ فِيهَا عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ الَّذِي جَعَلَ فِيهَا تِلْكَ الْآثَارَ، كَالْإِصْطِلَاقِ بِالنَّارِ، ثُمَّ بَأَنَّ يَرَى الْآثَارَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ مِنْ دُونَ الْوَسَائِطِ وَ إِنْ كَانَ الْإِفَاضَةُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ عِنْدَ دَعَاءِ الْعَبْدِ، أَوْ تَوَسُّلِهِ بِتِلْكَ الْأُمُورِ، بَلْ بِالْإِعْتِمَادِ أَيْضًا مِنْ جِهَةِ مَحْضِ الْعِبَادَةِ وَ الذَّلَّةِ، وَ إِظْهَارِ الْإِقْنَادِ وَ الطَّاعَةِ، مَعَ أَنَّ الْإِعْمَاضَ الْكُلِّيَّ عَنِ الْمَقَاصِدِ أَوْ عَنِ التَّوَسُّلِ إِلَيْهَا بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ، ثُمَّ بَعْدَهَا مَرَاتِبَ أُخَرَ

(١) مجمع الزوائد ج ٥ ص ١١١.

(٢) سنن أبي داود ح ٣٨٨٤- و سنن الترمذى ح ٢٠٥٧.

(٣) مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٤٠٦.

(٤) نهاية ابن الأثير ج ٢ ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٥) نهاية ابن الأثير ج ٢ ص ٢٥٤-٢٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٤

سنشير إليها في تفسير الآيات المتعلقة بالدعاء إنشاء الله تعالى.

و كيف كان فقد ورد في كثير من الأخبار الاستشفاء و الاسترقاء بكثير من الآيات.

ففي «الكافي» عن الأصعب بن نباته عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: و الذي بعث محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ، وَ أَكْرَمَ أَهْلَ بَيْتِهِ مَا مِنْ شَيْءٍ يَطْلُبُونَهُ «١» مِنْ حَرْزٍ، أَوْ غُرْقٍ، أَوْ سَوْقٍ، أَوْ إِفْلَاطٍ دَائِيَّةٍ مِنْ صَاحِبِهَا، أَوْ ضَالَّةٍ، أَوْ آبَقِ الْآلِ وَ هُوَ فِي الْقُرْآنِ، فَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَلْيَسْئَلْنِي مِنْهُ.

قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَمَّا يَأْتِي مِنَ الْحَرْقِ وَ الْغُرْقِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اقْرَأْ هَذِهِ الْآيَاتِ: إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (٢) وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَكَ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣)، فَمَنْ قَرَأَهَا فَقَدْ أَمِنَ مِنَ الْحَرْقِ وَ الْغُرْقِ، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَجُلٌ، فَاضْطَرَمَّتِ النَّارُ فِي بَيْوتِ جِيرَانِهِ، وَ بَيْتِهِ وَ سَطَّهَا، فَلَمْ يَصِبْهُ شَيْءٌ.

ثُمَّ قَالَ إِلَيْهِ آخَرَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ دَابَّتِي اسْتَصَعَبَتْ عَلَيَّ، وَ أَنَا مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ، فَقَالَ: اقْرَأْ فِي أُذُنَيْهَا الْيَمْنَى: وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٤) فَقَرَأَهَا فَذَلَّتْ لَهُ دَابَّتُهُ.

وَ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ أَرْضِي مَسْبُوعَةٌ، وَ إِنَّ السَّبَاعَ تَغْشَى مَنْزِلِي وَ لَا تَجُوزُ حَتَّى تَأْخُذَ فَرِيستَهَا (٥)، فَقَالَ: اقْرَأْ:

(١) في المصدر: تطلبونه.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٦.

(٣) سورة الزمر: ٦٧.

(٤) آل عمران: ٨٣.

(٥) الفريسة (بفتح الفاء) ما تفترسه و تصتاده السبع. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٥

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ «١» فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ «٢» فقرأهما الرجل فاجتنبته السباع.

ثم قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين إن في بطني ماء أصفر «٣»، فهل من شفاء؟ فقال: نعم بلا درهم ولا دينار، ولكن أكتب على بطنك: آية الكرسي.

و تغسلها و تشربها و تجعلها ذخيرة في بطنك، فتبرأ بإذن الله عزّ و جلّ، ففعل الرجل، فبرئ بإذن الله.

ثم قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الضالّة، فقال: اقرأ يس في ركعتين، و قل: يا هادي الضالّة ردّ عليّ ضالّتي، ففعل، فردّ الله عزّ و جلّ عليه ضالّته.

ثم قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الآبق، فقال: اقرأ:

أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَيَّحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ فقالها الرجل فرجع إليه الآبق.

ثم قام إليه الآخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن السرّيق، فإنّه لا يزال قد يسرق لى الشىء بعد الشىء، ليلا، فقال عليه السلام: اقرأ إذا أويت إلى فراشك: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَ لَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَ لَا تُخَافُوا بِهَا وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَ كَبْرُهُ تَكْبِيرًا

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) التوبة: ١٢٩.

(٣) هي الصغراء التي تدفع من المئانة ممزوجة بالبول. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٦

«١».

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: من يأت بأرض قفر فقرا هذه الآية: إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا- لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ «٢» حرسه الملائكة و تباعدت عنه الشياطين.

قال: فمضى الرجل، فاذا هو بقريه خراب فبات فيها، فلم يقرأ هذه الآية فتغشاه الشيطان، فاذا هو أخذ بخطمه «٣»، فقال له صاحبه: أنظره و استيقظ الرجل، فقرأ الآية، فقال الشيطان لصاحبه، أرغم الله أنفك أحرسه الآن حتى يصبح، فلما أصبح رجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره، و قال له: رأيت في كلامك الشفاء و الصدق، و مضى بعد طلوع الشمس فاذا هو بأثر شعر الشيطان مجتمعاً في الأرض.

«٤».

قسّم ابن فهد في «عدّة الداعي» هذا الباب من القرآن الى ثلاثة أقسام:

الاستشفاء، و الاستكفاء، و ما يتعلّق بإجابة الدعاء.

و روى في الأول

عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَنَّهُ شَكَكَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَجَعَا فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ (ص): اسْتَشَفَّ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ «٥». «٦»

(١) الإسراء: ١١٠-١١١.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) الخطم بفتح الخاء: أنف الإنسان، منقار الطائر.

(٤) أصول الكافي ج ٢ من الطبع الحديث ص ٦٢٤-٦٢٦.

(٥) سورة يونس: ٥٧.

(٦) عدّة الداعي ص ٢٧٤-الكافي ج ٢ ص ٦٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٧

و

عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «شَفَاءُ أُمَّتِي فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ لَعْقَةً «١» مِنْ عَسَلٍ، أَوْ شَرْطَهُ حِجَّامٍ «٢».

و

عن الباقر عليه السلام: «مَنْ لَمْ يَبْرَأْهُ الْحَمْدُ لَمْ يَبْرَأْهُ شَيْءٌ» «٣».

و

عن أبي الحسن عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ عَلَى مَرِيضٍ، أَوْ مَحْمُومٍ، كَانَتْ عَلَيْهِ الْحَمَى بَرْدًا وَسَلَامًا، وَ مِنْ كِتَابِهَا فِي مَهْدٍ مَرْتَضِعٍ عِنْدَ مَنَامِهِ لَمْ يَخْفِ الْفَالَجُ، وَ مِنْ قَرَأَهَا دَبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذُو حَمَةٍ» ..، وَ مِنْ قَرَأَهَا عِنْدَ كُلِّ فَرَضٍ حَفِظَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ خِصْمٍ لَهُ «٤».

و في القسم الثاني

روى عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: «مَنْ اسْتَكْفَى بِآيَةِ مِنَ الْقُرْآنِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ كَفَى إِذَا كَانَ لَهُ يَقِينٌ» «٥».

و

عنه عليه السلام: «يَا مَفْضَلُ احْتَجِزْ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَ بَ قَلِّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اقْرَأْهَا عَنْ يَمِينِكَ، وَ عَنْ شِمَالِكَ، وَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ، وَ مِنْ خَلْفِكَ، وَ مِنْ فَوْقِكَ، وَ مِنْ تَحْتِكَ، وَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى سُلْطَانٍ جَائِرٍ حِينَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ فَاقْرَأْهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَ اعْقِدْ بِيَدِكَ الْيَسْرَى ثُمَّ لَا تَفَارِقْهَا حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ عِنْدِهِ» «٦».

ثم ذكر للحفظ من السراق: يقرأ حين يأوى إلى فراشه: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ «٧» إلى آخر السورة ثم يقول:

(١) اللعقة (بضم اللام و سكون العين): ما يؤخذ بالملعقة أو بالأصبع.

(٢) عدّة الداعي ص ٢٧٤ و عنه البحار ج ٩٢ ص ١٧٦ ح ٥.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٦٢٦ و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٧٤ ح ٣.

(٤) عدّة الداعي ص ٢٧٤.

(٥) عدّة الداعي ص ٢٧٥ و عنه البحار ج ٩٢ ص ١٧٦ ح ٢.

(٦) عدّة الداعي ص ٢٧٥ و عنه البحار ج ٩٢ ص ٣٥١ ح ٢٢.

(٧) الإسراء: ١١٠-١١١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٨



خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً «١».

و

عنهم عليه السّلام: «من قرأ هاتين الآيتين حين يأخذ مضجعه لم يزل في حفظ الله تعالى من كلّ شيطان مرید و جبار عنيد الى أن يصبح» «٢».

و

أنّ قراءة إنا أنزلناه في ليله القدر على ما يدخر و يخبأ حرز له «٣».

و

أنّ قراءة آية السخرة و هي إِنْ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ... الى آخرها «٤» حرز عن الشياطين كما في الخبر المتقدم «٥».

و

عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله: «من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة، و آية الكرسي و آيتين بعدها، و ثلاث آيات من آخر السورة لم ير في نفسه و ماله شيئا يكرهه، و لا يقربه شيطان، و لا ينسى القراءة» «٦».

و

عن الصادق عليه السّلام: «من دخل على سلطان يخافه فقرأ عند ما قابله:

«كهيعص» و يضم بيده اليمنى كلما قرأ حرفاً ضم أصبعاً، ثم يقرأ: «حمعسق» و يضم أصابع يده اليسرى كذلك، ثم يقرأ: وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَ قَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا «٧» و يفتحها في وجهه كفى شره» «٨».

و

عن أبي الحسن عليه السّلام: «إذا خفت أمراً فاقراً مائة آيد من القرآن من حيث

(١) البقرة: ٧.

(٢) عدّة الداعي ص ٢٧٥ ح ٣ و عنه البحار ج ٩٢ ص ٢٨٢ ح ٣.

(٣) عدّة الداعي ص ٢٧٥ ح ٤ و عنه البحار ج ٩٢ ص ٣٢٩ ح ٩.

(٤) الأعراف: ٥٤.

(٥) العدّة ص ٢٧٥ و عنه البحار ج ٩٢ ص ٢٧٦ ح ٢.

(٦) الكافي ج ٢ ص ٦٢١ ح ٥- العدّة ص ٢٧٦ ح ٦.

(٧) طه: ١١١.

(٨) عدّة الداعي ص ٢٧٦ ح ٧ و عنه البحار ج ٩٢ ص ٢٨٤ ح ٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٩

شئت، ثم قل: أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، وَ ادْفَعْ عَنِّي الْبَلَاءَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «١».

و

عن الرضا عن أبيه عن مولانا الصادق عليهم السّلام للاحتجاب عن الأعداء و الكفّار، و لسلامة النفس و المال: ثلاث آيات: آية في النحل: أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ سَمِعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ «٢».

و آية في الكهف: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَ نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَ إِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا «٣».

و آية في الجاثية: أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾.

قال الكسروى (٥): فعلمتها رجلا من أهل همدان كانت الديلم أسرته فمكث فيهم عشر سنين، ثم ذكر الثلاث الآيات، قال: فجعلت أمر على محالهم و على مراصدهم فلا يرونى، و لا يقولون شيئا، حتى إذا خرجت الى أرض الإسلام.  
قال أبو المنذر: و علمتها قوما خرجوا فى سفينة من الكوفة الى بغداد، و خرج معهم سبع سفن، فقطع على ست و سلمت السفينة التى قرئ فيها هذه الآيات.

(١) عدّة الداعى ص ٢٧٦ ح ٨.

(٢) النحل: ٥٧.

(٣) الكهف: ١٠٨.

(٤) الجاثية: ٢٣.

(٥) هو أبو عمران موسى بن عمران الكسروى. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٠

و روى أيضا أن الرجل المسئول عنه هذه الآيات هو الخضر عليه السلام (١).

و لحلّ المربوط يكتب فى رقعة و يعلّق عليه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾، ثم يكتب سورة النصر ثم يكتب: وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ ﴿٥﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي وَ اخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٦﴾ وَ تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَ نَفَخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٧﴾ كذلك حللت فلان بن فلان عن فلان بنت فلان لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت و هو رب العرش العظيم (٨). (٩) و فى القسم الثالث: أى ما يتعلق بإجابة الدعاء، ما يأتى فى فضائل الحمد.

و

فى بعض الروايات: أن الدعاء بعد قراءة الجحد عشر مرّات عند طلوع

(١) عدّة الداعى ص ٢٧٧ ح ٩.

(٢) الفتح: ١-٢.

(٣) الروم: ٢١.

(٤) المائدة: ٢٣.

(٥) القمر: ١١-١٢.

(٦) طه: ٢٥-٢٨.

(٧) الكهف: ٩٩.

(٨) التوبة: ٢٨-٢٩.

(٩) عدّة الداعى ص ٢٧٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣١

الشمس من يوم الجمعة مستجاب «١».

و

أن من قرأ مائة آية من أى آى القرآن شاء، ثم قال: يا الله، سبع مرّات، فلو دعاها على صخرة لفلقها الله تعالى «٢».

ثم

روى ابن فهد فى خواص القرآن المتفرقة عن الصادق عليه السلام: «ما من عبد يقرأ آخر الكهف «٣» إلّا تيقظ فى الساعة التى يريد» «٤».

و

عن النبى صلّى الله عليه وآله: «من قرأ هذه الآية: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ... الآية و سطع له نور الى المسجد الحرام، حشو ذلك النور ملائكة يستغفرون له حتى يصبح» «٥».

أقول: خواص الآيات القرآنية و منافعها الماثورة عن النبى و الائمة عليهم الصلاة و السلام فضلا عن غيرها ممّا ذكره المجربون كثيرة جدًا منفردة بتصانيف جمّة و لعلنا نشير الى كثير ممّا وجدنا منه من الأخبار فى مطاوى هذا التفسير مع الإشارة الى خواص السورة و غيرها إنشاء الله تعالى.

الأمر الثانى ممّا ينبغى التنبيه عليه: أنه لأى علة يخالف خطّ القرآن لغيره فى القواعد و الرسوم.

لا يخفى أن الأصل فى كلّ كلمة فى أى لغة من اللغات أن تكتب بصورة لفظها على تقدير الابتداء بها و الوقوف عليها، إلّا أن كثيرا من الكلمات فى الخطّ العربى ليست جارية على الأصل الذى هو متابعه اللفظ، و قد يحذف من الكتابة ما يثبت فى اللفظ، كالألف من (الله) و (الرحمن)، و اللام فى مفردات الموصولة

(١) العدة ص ٢٧٨ ح ٢ و عنه البحار ج ٨٩ ص ٣٦١.

(٢) العدة ص ٢٧ ح ٣- و البحار ج ٩٢ ص ١٧٦ عن المكارم ص ٣٩٠.

(٣) فى الكافى بعد كلمة (الكهف): عند النوم.

(٤) الكافى ج ٢ ص ٦٣٢-٢١ العدة ص ٢٨٠ ح ١٢.

(٥) الفقيه ج ١ ص ٤٧٠ ح ١٣٥٥- العدة ص ٢٨٢ ح ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٢

دون تشنيتها.

و قد يثبت فى الكتابة ما ليس فى اللفظ كالالف بعد واو الجمع المتطرّفة، و الواو فى (عمرو) و أولئك) و (أولو الألباب).

و ربما وصلوا حرفا بحرف نحو بما، و ممّا.

و ربّما أبدلوا حرفا من حرف مع إبقاء صورة الأصل كلام التعريف المبدلة عند الحروف المعدودة.

و ربما يكتب الكلمة بالواو و الياء، و يكون اللفظ بالألف، كالصلاة و الزكاة، فيقرأ فى التلفظ: الصلاة و الزكاة، و كذا (حتى)، و

(إلى)، و (على)، و (متى)، و (موسى)، و (عيسى) و (يحيى).

الى غير ذلك ممّا تعرّض له المتصدّون لذلك فى علم الخطّ الذى لا يهمنّا تعرّض له، و إنّما المقصود فى المقام: أنه لما عمّت البليّة

على أمة خير البرية، و كان ما كان ممّا لست أذكره،

جلس مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فى بيته مشتغلا بجمع القرآن و تأليفه بوصية النبى صلّى الله عليه وآله فلما جمعه كما انزل و

لم يكن يعلم ذلك غيره أتى به إلى الناس فقال لهم: هذا كتاب الله انزل، فقال بعضهم: لا حاجة لنا إليك و لا الى قرآنك،

و كان القرآن عندهم يومئذ متفرقا في الأكتاف والأخشاب والألواح، و كان عند بعضهم السورة و السورتان أو أقل أو أكثر، إلى أن أمروا زيد بن ثابت بجمعه، و كتب عثمان في أيام خلافته نسخا منه بخطه الذي يخالف رسم الخط و القواعد العربية، مثل كتابة الألف بعدوا و المفردة، و عدمها بعدوا و الجمع، و مثل كتابة التاء من كلمة واحدة كرحمة، و نعمة، مدورة في بعض المواضع، و مطولة في بعضها، و كتابة اللام الجارة، و (إن) مشددة أو مخففة، و (عن) و غيرها موصولة بما بعدها و مفصولة عنها الى غير ذلك مما أفردوه بالتصنيف.

بل قد روت العامة أن عثمان لما علم أن فيما كتبه من القرآن لحنا كثيرا قال:

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٣

أرى فيه شيئا من لحن ستقيمه العرب بألسنتها «١».

فوا عجباً هل كان هذا اللحن من الله، أو من رسوله، أو أن الخليفة لم يعلم كيفية الكتابة و القراءة فأخطأ فيهما، و التمس من العرب إقامتها بألسنتها، و من هنا اختلفت كلماتهم في الجواب عن الخبر، فردّه بعضهم «٢» بالضعف و عدم الثبوت.

و أوله آخرون بأن المراد اشتمال القرآن على الإشارات و الرموز التي سيطلع عليها الآخرون.

و قال ثالث: إن معنى الخبر: أرى فيه مواضع من الرسم الاصطلاحي في صورة خط يخالف اللفظ لو قرأت لكان لحنا.

و الكل كما ترى.

و ذكروا أيضا: أنه كتب عثمان مصحفا لنفسه، و نسخ منه أربعة نسخ و سبورها إلى الكوفة و البصرة و الشام، و أبقى مصحفا منها بالمدينة و هو المعتمد عندهم بالمدنى العام، و يعتبرون عن النسخة الأولى بالمصحف الإمام.

و قيل: سبّر نسخة خامسة إلى مكّة، و سادسة إلى البحرين، و سابعة إلى اليمن.

و كان المصاحف خالية عن النقط، و التشديد، و الإعراب، و كانت هذه المصاحف أيضا مختلفة، كما عن الجزرى الشافعى، و غيرهم من علمائهم، و صرح به بعض فضلائهم في شرح أرجوزة مؤلفه في اختلاف الرسم و ذكروا الاختلافات الواقعة بين المصاحف مع التنبيه على ما في مصحف إمامهم.

(١) كنز العمال ج ٢ ص ٥٨٦.

(٢) قال ابن الأبارى: حديث عثمان لا يصح لأنه غير متصل، و محال أن يؤخر عثمان شيئا ليصلحه من بعده - تفسير ابن تيمية ج ٥ ص ٢٠٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٤

و اختلفوا أيضا في أن المصحف الإمام هل كان موجودا عندهم أم لا، فحكوا عن أبي عبيدة القاسم بن سلام في كتابه المؤلف في القرآن: أن بعض الأمراء أخرج لى من خزائنه مصحف عثمان المرسوم بخطه لعلّو منزلتى و رتبتي عنده، و كان ذلك المصحف في حجره حين أصيب، و رأيت آثار الدم في مواضع منه.

الأمر الثالث: في سجّادات القرآن، و هى خمس عشرة:

منها أربع عزائم يجب فيها السجود إجماعا من الإمامية بل و غيرهم من الامّة، و نصّا مستفيضا من الأئمّة عليهم السّلام، و هو بين أمر بالسجدة عندها، و مشتمل على إطلاق العزيمة الظاهرة، بل الصريحة في الواجب عليها.

ففى خبر أبى بصير عن الصادق عليه السّلام: «إذا قرئ شيء من العزائم الأربع فسمعتها فاسجد» «١».

و

فى صحيح أبى عبيدة الحذاء: «إذا قرأ أحدكم السجدة من العزائم فليقل فى سجوده: «سجّدت لك تعيدا و رقما لا مستكبرا عن

عبادتك ولا مستنكفا ولا متعظما، بل أنا عبد ذليل خائف مستجير» (٢).

و

في صحيح داود بن سرحان عنه عليه السلام: «إِنَّ الْعَزَائِمَ الْأَرْبَعُ: أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ وَ النَّجْمِ وَ تَنْزِيلِ السَّجْدَةِ، وَ حَمِّ السَّجْدَةِ» (٣).

و

في «مجمع البيان» عن ابن سنان، عنه عليه السلام قال: «العزائم: الم تنزيل، و حم السجدة، و النجم إذا هوى، و إقرا باسم ربك، و ما عداها في جميع القرآن مسنون

(١) التهذيب ج ١ ص ٢١٩.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٣٢٨.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٤٠ ح ١ عن الخصال ج ١ ص ١٢٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٥

و ليس بمفروض» (١).

الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الظاهرة في وجوبها للأربع التي لا ينبغي التأمل معها في أصل الحكم سيما بعد الإجماع عليه بل الضرورة.

فلا ينبغي الإصغاء الى وسوسة بعض المتأخرين في ثبوت أصل الحكم لضعف الدليل دلالة، و لا الى تكلف من استدلل له بصيغة الأمر الظاهرة في الوجوب فيما عدى (الم) منها، أما فيها فبحصر المؤمن بآياته بمن إذا ذكرها سجد، المقتضى لسلب الإيمان عند عدم السجود.

إذا التصدى لمثل هذا الاستدلال فضلا عن الإطناب فيه بالقياس و القال بعد ظهور الحال لا يليق بالمحصلين فضلا عن أهل الكمال. و محلّ السجود في الجميع بعد إتمام الآية، حتى في حم السجدة، إجماعا منّا (٢)، و توهم الخلاف فيها في غير محلّه على ما تسمعه في محلّه إنشاء الله.

و أما غير العزائم فأحدى عشر:

١- الأعراف عند قوله تعالى: وَ لَهُ يَسْجُدُونَ آية: ٢٠٦.

٢- الرعد عند قوله تعالى: وَ ظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ ١٥.

٣- النحل عند قوله تعالى: وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٥٠.

٤- الإسراء عند قوله تعالى: وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعًا: ١٠٩.

٥- مريم عند قوله تعالى: خَرُّوا سُجَّدًا وَ بُكْيًا: ٥٨.

٦- الحجّ عند قوله تعالى: يَفْعَلْ مَا يَشَاءُ: ١٨.

٧- الحجّ عند قوله تعالى: وَ أَفْعَلُوا الْخَيْرَ: ٧٧.

(١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥١٦ و عنه البحار ج ٨٥ ص ١٦٩.

(٢) قال المحقق في المعتمد: قال الشيخ في الخلاف: موضع السجدة في حم السجدة عند قوله: «و اسجدوا لله» و قال في «المبسوط»: «ان كنتم إياه تعبدون» و الأول أولى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٦

٨- الفرقان عند قوله تعالى: وَزَادَهُمْ نُفُورًا: ٦٠.

٩- النمل عند قوله تعالى: رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٢٦.

١٠- ص عند قوله تعالى: وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ٢٤.

١١- الانشقاق عند قوله تعالى: وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ٢٢.

و هذا التفصيل و إن خلت عنها خصوص الأخبار، إلّا أنك قد سمعت فيما رواه الطبرسي: «إن ما عداها (اي الأربع العزائم) في جميع القرآن مسنون» (١).

و

عن مستطرفات «السرائر»: كان علي بن الحسين عليهما السلام يعجبه أن يسجد في كل سورة فيها سجدة» (٢).

و

عن «العلل» بالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام: «إن أبي عليه السلام ما ذكر لله تعالى نعمه عليه إلّا سجد، و لا قرأ آية من كتاب الله عزّ و جلّ فيها سجدة إلّا سجد ... الى أن قال: فسَمِيَ السَّجَادَ لذلك» (٣).

الى غير ذلك من الفحوى و الظواهر، فضلا عن الإطلاقات و العمومات، سيّما مع ما قرّر في محلّه من التسامح في أدلته السنن و الكراهة.

و لعلّه لما سمعت ذهب ابن بابويه الى استحباب السجدة في كل آية فيها سجدة حتّى في مثل يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي (٤).  
و تبعه في ذلك كاشف الغطاء، و ليس ببعيد عندي، لما سمعت من عموم المعتمدة المتقدمة، و غيرها.

(١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥١٦.

(٢) السرائر ص ٤٩٦ و عنه البحار ج ٨٥ ص ١٧٠.

(٣) علل الشرائع ج ١ ص ٢٢٢ و عنه البحار ج ٨٥ ص ١٧١.

(٤) آل عمران: ٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٧

و حملها على السجدة المعروفة لا- شاهد عليه، مضافا إلى أنه مردود بظاهر العموم، فالأقرب استحبابها في سورة التوبة: الرَّاكَعُونَ السَّاجِدُونَ

١١٢.

و في سورة البقرة: وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ: ١٢٥.

و في سورة الحج: وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ: ٢٦.

و في الزمر: أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا: ٩.

إلى غير ذلك من المواضع.

و أمّا أحكام سجدة التلاوة و كيفيتها فهي بتفاصيلها و أدلتها مذكورة في الفقه.

الأمر الرابع: في الاستخارة بالقرآن و غيره.

الإستخارة على ما في «القاموس» و «النهاية» و «المصباح» طلب الخير من الله تعالى، من باب الاستفعال، من خار الله تعالى في الأمر يخير خيرة، بسكون الياء، و خيرا، و خيرة كعنب و عنبة: جعل له فيه الخير، أو هداه إليه بالإلهام من عنده، أو إرشاد من غيره، و الخيرة بسكون الياء و تحريكها اسم من الإختيار أيضا.

و ما يقال من أن الإستخارة هي الدعاء فكأن المراد أنه طلب الخيرة بالتوسل إلى الله تعالى بالدعاء و الصلاة و غيرهما.  
و الأخبار على الحث و الترغيب اليه و كراهة تركه كثيرة جدًا:  
فعن الصادق عليه السلام: أنه قال: «ما أبالي إذا استخرت الله على أي طرفي وقعت، قال: و كان أبي يعلمني الإستخارة كما يعلمني  
السورة من القرآن» (١).

(١) فتح الأبواب ص ١٤٨- بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٢٢٣ و فيه بعد ذكر الحديث: قوله: (على أي طرفي) أي طرفي الراحة و البلاء، أو  
الحياة و الموت، أو الأمر الذي أتردد فيه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٨

و

عنه عليه السلام، قال: ما استخار الله عبد مؤمن إلّا خار له و إن وقع ما يكره (١).

و

عنه عليه السلام: «من دخل في أمر بغير استخارة، ثم ابتلى لم يؤجر» (٢).

و

عنه عليه السلام: قال: قال الله عزّ و جلّ: «إنّ من شقاء عبدي أن يعمل الأعمال: لا يستخيرني» (٣).

بل

ورد عنهم عليه السلام: «أنّ من استخار الله مرّة واحدة، و هو راض بما صنع الله به، خار الله له حتما» (٤).

و ورد أنّه ينبغي أن يكون الإستخارة و ترا، كما

في النبوي: «من استخار فليوتر» (٥). (٦)

و ينبغي أيضا أن تكون خيرة في عافية كما

عن الصادق عليه السلام: أنّه قال: «و لتكن استخارتك في عافية فإنّه ربما خير للرجل في قطع يده، و موت ولده، و ذهاب ماله» (٧).

الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المأثورة فيها بمعانيها المختلفة:

منها: طلب الخيرة من الله تعالى بمعنى أن يسأل الله تعالى في دعائه أن يجعل الخير، و البركة، و التوفيق له في الأمر الذي يريد.

و منها: أن يسأل الله تعالى تيسر ما يريد من الأمر بعد تعيينه.

و منها: أن يطلب العزم على ما فيه الخيرة عند التردد في الأمر.

(١)

فتح الأبواب ص ١٤٩ و فيه: و إن وقع فيما يكره

- بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٢٢٤.

(٢) فتح الأبواب ص ١٣٥- البحار ج ٨٨ ص ٢٢٣.

(٣) فتح الأبواب ص ١٣٢- بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٢٢٢ عن المقنع و فتح الأبواب.

(٤) المحاسن ص ٥٩٨- فتح الأبواب ص ٢٥٧ و فيه: و هو راض به.

(٥) أوتر الشيء: جعله و ترا اي فردا.

(٦) المحاسن ص ٥٩٩- بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٢٦٢ عن المحاسن.

(٧) فتح الأبواب ص ٢٣٢- الكافي ج ٣ ص ٤٧٢- تهذيب الأحكام ج ٣ ص ١٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٩

و منها: أن يطلب تعرّف ما فيه الخيرة.

و في كلّ منها كفيّيات و آداب، و وظائف كثيرة من الغسل و الصلاة و الدعاء و غير ذلك، مذكورة في كتب الأخبار و الأدعية و الفقه.

و للاستخارة بمعنى الأخير (اي طلب تعرّف ما فيه الخير) وجوه كثيرة من الاستخارة بالمصحف، و ذات الرقاع الستّ، و الرقعتين المشتملتين على (لا) و (نعم)، أو (افعل) و (لا تفعل) في بندقتين، و القبض على السبحة مطلقا، أو خصوص الحسيّية، أو القبض على الكفّ من الحصى، أو الحبوب أو غيرها، و لكلّ منها طرق مذكورة في مواضعها إلّا أنّ المقصود بالذكر في المقام هو الإستخارة بالمصحف التي ورد فيها

عن الصادق عليه السّلام في خبر اليسع «١» القمي: «افتح المصحف فانظر الى الأوّل ما ترى فيه فخذ به إن شاء الله تعالى «٢».

و ضعفه سنداً مدفوع باشتهار العمل به بين الإماميّة، و إمكان الاعتضاد بالعمومات المتقدّمة، مع أنّه ربما يشاهد في كثير من الاستخارات سيّما بالمصحف الشريف شبه الإلهام، بل أنّه عندى جزء من أجزاء النبوة التي اختصّ بها سيّد الأنام، أو بقيّة ممّا تركه آل محمّد و على عليهم السّلام فإنّي رأيت كثيرا المطابقة التامة بين مفاد الآيه فوق الصفحة مع الأمر الذي أستخير له، بل لو شئت لقلت: إنّ بعض محبيهم عليهم السّلام كثيرا ما يطلب منه الاستخارة من غير اطلاع له على المقصد،

(١) هو اليسع بن عبد الله القمي روى عن الصادق عليه السّلام، و روى الحسن بن الجهم، و هو على ما صرّح به غير واحد من أرباب التراجم مجهول، انظر معجم رجال الحديث ج ٢٠ رقم (١٣٧٠٢).

(٢)

التهذيب ج ١ ص ٣٤٠ و رواه المجلسي قدّس سرّه في بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٢٤٣ عن كتاب الغايات ... عن أبي علي اليسع بن عبد الله القمي عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: انظر إذا قمت الى الصلاة فإنّ الشيطان أبعد، يكون من الإنسان إذا قام الى الصلاة أي شيء يقع في قلبك فخذ به، و افتح المصحف فانظر الى أوّل ما ترى فيه فخذ به ان شاء الله. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٤٠ و لكن بالتأمّل في آية الاستخارة فقط يحصل له العلم بالمقصد و بعاقبة الأمر فيكون مطابقا لما في ضمير السائل من السؤال، و لما ينتهي الأمر إليه في المآل.

فلا يلتفت الى ما عن الحلّي من الاقتصار في الإستخارة على ذات الصلاة و الدعاء، ثم فعل ما يقع في القلب، و لا يلتفت إلى التشديد في الإنكار على الاستخارة بغيرها، من الرقاع، و البنادق، و القرعة، بل المصحف أيضا.

نظرا إلى ما أغنانا ظهور الأمر عن التعرّض له و التصدّي للجواب عنه.

كما لا يصغى الى ما ربما يستشكل في خصوص الإستخارة بالمصحف

للمروى في «الكافي» عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: «لا تتفأل بالقرآن» «١».

إذ فيه مع ضعفه في نفسه، و عدم مقاومته لما مرّ عموما و خصوصا أنّه ربما ينفى التعارض بينهما رأسا بظهور الفرق بين التفأل و الإستخارة كما صرّح به غير واحد من الأجلّة.

حيث إنّ المراد بالتفأل هو استكشاف الأمور المستقبلية و استبانة الأمر فيها وجودا و عدما، و إن لم يتعلّق بأفعال المكلفين و لم يدخل تحت قدرتهم كشفاء المريض، و موته، و وجدان الضالّة و عدمه، و قدوم المسافر، و حصول الغناء، و التوفيق للحجّ، و نحوها ممّا يؤوّل الى استعجال تعرّف ما في الغيب الذي ورد النهي عنه و عن الحكم به لغير أهله.



و لكن المراد بالاستخارة طلب معرفة الرشد في الأمر الذي يراد فعله أو تركه مع التردد و عدم الجزم، استشارة منه سبحانه كما ورد: «تشاور ربك» (٢).

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٢٩- و بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٢٤٤ عن الكافي.

(٢)

مكارم الأخلاق ص ٣٦٧ وفيه: قال الصادق عليه السلام: إذا أردت أمرا فلا تشاور فيه أحدا حتى تشاور ربك، قال: وكيف أشاور ربّي؟ قال: تقول: أستخير الله، مائة مرة ثم تشاور الناس فإن الله يجرى لك الخيرة على لسان من أحب. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٤١

بل قيل: إنه قد يعارض عن النهي المذكور في الزواية ما يحكى عن ابن «١» طاوس في «كتاب الاستخارات» من أنه ذكر للتفأل بالقرآن بالمعنى المذكور وجوها يستبعد، بل يمتنع عدم وصول نصوص فيها إليه، بل ظاهر بعض عبارته أو صريحها وقوفه على ذلك. فإن منها: أنه يصلّى صلاة جعفر، و يدعو بدعائها، ثم يأخذ المصحف، و ينوي فرج ال محمد بدءا و عودا، ثم يقول: اللهم إن كان في قضائك و قدرك أن تفرج عن وئيك و حجّتك في خلقك في عامنا هذا و في شهرنا هذا فأخرج لنا رأس آية من كتابك نستدل بها على ذلك، ثم يعدّ سبع ورقات، و يعدّ عشرة أسطر من ظهر الورقة السابعة، و ينظر ما رأته في الحادي عشر من السطور، ثم يعيد الفعل ثانيا لنفسه - فإنه تتبين حاجته إن شاء الله تعالى.

ثم إنه بين معنى قوله: (في عامنا هذا) أن العلم بالفرج عن وئيه حينئذ يتوقف على أمور كثيرة، فيكون كل وقت يدعى له بذلك في عامي هذا و شهرى هذا يفرج الله من تلك الأمور الكثيرة فيسمى ذلك فرجا.

و ذكر أيضا عن بدر «٢» بن يعقوب في صفة الفأل بالمصحف بثلاث روايات من غير صلاة، فقال: تأخذ المصحف و تدعو فتقول: اللهم إن كان من قضائك و قدرك أن تمنّ على أمه نبيك بظهور وئيك و ابن بنت نبيك فعجل ذلك و سهله

(١) هو السيد الجليل أبو القاسم على بن موسى بن طاوس الحلّي المولود سنة (٥٨٩) و المتوفّى سنة (٦٦٤) - الذريعة ج ٢ ص ٣٤٣، و كتابه في الاستخارات هو «فتح الأبواب بين ذوى الألباب و بين ربّ الأرباب».

(٢) ترجم له الأستاذ الكبير المجيز في الزواية قدّس سرّه في طبقات الشيعة في المائة السابعة ص ٢٤ فقال: بدر الأعجمي الشيخ الصالح، نزيل بغداد في أيام المستنصر (م ٦٤٠) و قد توسّط رضى الدين على بن طاوس له عند الخليفة فرسم له خمسين ديناراً، ذكر تفصيله في الباب الخامس من «فرج المهموم».

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٤٢

و يسره و كمله، و أخرج لى آية أستدلّ بها على أمر فأتممر، أو نهى فأنتهى أو ما تريد الفأل فيه - في عافية.

ثم تعدّ سبع أوراق، ثم تعدّ في الوجهة الثانية من الورقة السابعة ستّة أسطر، و تتفأل بما يكون في السطر السابع.

و قال في رواية اخرى: إنه يدعو بالدعاء، ثم يفتح المصحف الشريف و يعدّ سبع قوائم، و يعدّ ما في الوجهة الثانية من الورقة السابعة، و ما في الوجهة الاولى من الورقة الثامنة من لفظ اسم الله جلّ جلاله، ثم يعدّ قوائم بعدد لفظ (الله)، ثم يعدّ من الوجهة الثانية من القائمة التي ينتهى العدد إليها، و من غيرها ممّا يأتى بعدها سطورا بعدد لفظ اسم (الله) جلّ جلاله، و يتفأل بآخر سطر من ذلك «١».

تمّت مقدّمة تفسير الصراط المستقيم و سيلها إن شاء الله تعالى تفسير فاتحة الكتاب

(١) فتح الأبواب ص ٢٧٧ - ص ٢٧٩ و نقله المجلسي في بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٢٤١.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين الذي من على الفقير المذنب الرجائي عفوهُ و صفحهُ أن وفقني لتحقيق هذا الكتاب و أرجوه التوفيق لتحقيق التفسير بمنه و كرمه.

- العبد الذليل غلام رضا بن علي أكبر مولانا البروجردى -

## الجزء الثالث

### إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و آله الطيبين الطاهرين

### سورة الفاتحة

### إشارة

السورة في الأصل منقولة من سور المدينة، إلا أنها تجمع على سور بالسكون، و سورة القرآن على سور بالفتح، سميت لإحاطتها بطائفة من القرآن إحاطة سورة المدينة بها، كذا قيل «١».

(١) قال الزيدى في «تاج العروس» ج ١٢ / ١٠٢ ط الكويت: قال المصنف «صاحب القاموس» في «البصائر»: و قيل سميت سورة القرآن تشبيها بسور المدينة، لكونها محيطة بآيات و أحكام، إحاطة السور بالمدينة.

و قال العلامة المحقق المصطفوي في «التحقيق في كلمات القرآن الكريم» ج ٥ / ٢٩٩:

التحقيق أن الأصل الواحد في هذه المادة (س و ر) هو هيجان مع اعتلاء و رفعة و هذا المعنى يختلف خصوصية باختلاف المصاديق، يقال: سار غضبه إذا هاج و ظهر و اعتلى أثره، و سارت الحية إذا هاجت و حملت على شخص، و سار البناء إذا اعتلى و ارتفعت مراتبه و طبقاته من دون انتظار.

و هذه المناسبة يطلق السور على جدار عظيم و سد يمنع عن المخالف، و بهذه المناسبة أيضا تسمى سور القرآن كل واحدة منها سورة، فإن كل سورة منها كالسور يسد به و يدفع المخالفون كما قال تعالى: **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عِبَادِنَا فَآتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ۚ** ٢ / ٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦

لكن لا يخفى أن السورة اسم لتلك الطائفة لا للمحيط بها.

فالوجه أن يقال: إنها أحاطت بجملة من الحقائق و المعارف و اللطائف إحاطة سور المدينة على ما فيها بحيث يحفظها و يسترها و يكشف عنها.

أو من السورة التي هي الرتبة «١»، لترتيبها وضعاً شرعياً أو جعلياً أو لترقي القارئ لها فيها أو بها إلى جزيل الثواب و حسن المآب، و تدرج المتخلق بها إلى مدارج القدس و معارج الأُنس «٢».

هذا كله إذا جعلت واوها أصلياً، و إن جعلت مبدلة من الهمزة فمن السور التي هي الفضلة و البقية و القطعة من الشيء لأنها اقتطعت من القرآن لفوائد نشير إليها، بل هي حقايق متأصلة ممتازة في أنفسها مقطوع كل منها عما سويها «٣».

فكل سورة في الحقيقة بين المؤمنين و الكافرين، يدفع بها أى نوع من و وساوس المخالفين، و هو مظهر هيجان الحق و امتلائه و ظهوره فى قبال المعاندين.

(١) قال الزبيدى: و من المجاز (السورة) بالضم: (المنزلة)، و خصها ابن السيد فى كتاب «الفرق» بالرفعة، و قال النابغة: أ لم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

و قال الزبيدى أيضا: السورة: الشرف و الفضل و الرفعة، قيل: و به سميت سورة القرآن لإجلاله و رفعتة، و هو قول ابن الأعرابى. (٢) قال الشيخ البهائى فى «العروة الوثقى» ص ٢: السورة إما مستعارة من سور المدينة لإحاطتها بما تضمنته من أصناف المعارف و الأحكام كإحاطة السورة بما يحتوى عليه، أو مجاز مرسل من السورة بمعنى الرتبة العالية و المنزلة الرفعة، إذ لكل واحدة من السور الكريمة مرتبة فى الفضل عالية و منزلة فى الشرف رفيعة، أو لأنها توجب علو درجة تاليها و سمو منزلة عند الله سبحانه.

(٣) قال أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى المتوفى (٣٧٠) هـ فى «تهذيب اللغة» ج ١٣ ص ٥٠: قال أبو الهيثم: السورة من سور القرآن عندنا: قطعة من القرآن سبق وحدانها جمعها، كما أن الغرفة سابقة للغرف و أنزل الله عزّ و جل القرآن على نبيه صلى الله عليه و سلم شيئا بعد شىء، و جعله مفصلا، و بين كل سورة بخاتمتها و بادئتها، و ميزها من التى تليها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧

### [السورة فى الاصطلاح]

و على كل حال فالمراد بها شرعا، لا متشرعا، و لا عرفا عاما على الأظهر، طائفة من القرآن مصدره فيه بالبسملة أو براءة. و نقض طرده بصدور السور، فزيد: متصل آخرها فيه بإحديهما، فنقض عكسه بالسورة الأخيرة من القرآن، لعدم اتصالها بغيرها، فزيد: أو غير متصل فيه بشىء منه.

و اعترض عليه شيخنا البهائى قدس سرّه «١» بانتفاض طرده ببعض سورة النمل و بسورتين فصاعدا.

قلت: و كأنّ أبا الهيثم جعل السورة من السور القرآن من أسارت سؤرا، أى أفضلت فضلا، إلّا أنها لما كثرت فى الكلام و فى القرآن ترك فيها الهمز كما ترك فى الملك (و أصله ملاك).

(١) الشيخ بهاء الدين العاملى: محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثى من مفاخر الإمامية ولد ببعلبك سنة (٩٥٣) هـ و توفى سنة (١٠٣١) هـ و قبره بالمشهد الرضوى سلام الله و صلواته على مشرفها معروف، له كتب قيمة منها «العروة الوثقى» فى تفسير الفاتحة. و قال فيها ص ٣: اختلفوا فى رسمها (أى السورة) فقيل: طائفة من القرآن مصدره فيه بالبسملة أو براءة، فأورد على طرده الآية الأولى من كل سورة، فزيد «متصل آخرها فيه بإحديهما، فأورد على عكسه سورة الناس، فزيد عليه: «أو غير متصل فيه بشىء منه» فاستقام، كذا قيل.

و لعله مع هذا عن الاستقامة بمعزل، لورود بعض سورة النمل أعنى أوائلها المتصلة بالبسملة آخرها، و أواخرها المتصل بها أولها. و قيل: طائفة من القرآن مترجمة بترجمة خاصة، و نقض طرده بآية الكرسي. ورد بأن المراد بالترجمة الاسم، و تلك إضافة محضة لم تبلغ حد التسمية.

و أنت خبير بأن القول ببلوغ سورتى الإسراء و الكهف مثلا- حد التسمية دون آية الكرسي لا- يخلو من التعسف، و الأولى أن يراد بالترجمة ما يكتب فى العنوان، فالمراد به ما جرت العادة برسمه فى المصحف المجيد عند أول تلك الطائفة من لقبها و عدد آياتها و نسبتها إلى أحد الحرمين الشريفين فيسلم الطرد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٨

وقيل: إنها طائفة منه ذات ترجمة أى مسماء باسم مخصوص كسورة الفاتحة و سورة الإخلاص و نحوهما.

و نقض طرده بآية الكرسي و آية السخرة، و نحوهما.

و أوجب بأنه مجرد إضافة لم يصل إلى حد التسمية و التغليب.

و فيه منع، نعم، ربما يراد بالترجمة ما يكتب فى العنوان من اسم السورة و عدد آيها اللذين جرت العادة بإثباتهما فى المصاحف فى سلم الطرد.

قيل: و لا يظن انتقال العكس حينئذ بالسورة قبل اعتياد الرسم إذ يكفى صدق الرسم الآن على ما قبل الرسم «١».

و ربما يقيد الحد المذكور بكون أقلها ثلاث آيات.

و لعله للتنبية على خروج البسمة إشارة إلى الكوثر.

و بالجملة فشىء مما ذكره فى المقام لا يخلو من شىء.

و مما يرد على الجميع صدق كل منها على كل من الضحى، و ألم نشرح، و كل من الفيل، و لإيلاف، مع أن الأولين كالأخرين سورة

واحدة، كما ورد به الخبر عن أصحاب العصمة و الطهارة، فيجرى عليهما حكم الوحدة فى الصلاة و فى النذر و غيرهما.

و لذا حملوا

قول الصادق عليه السلام: «لا تجمع بين سورتين فى ركعة واحدة إلا الضحى و ألم نشرح، و ألم تر كيف، و لإيلاف قريش» «٢»

، على كون الاستثناء منقطعا أو الحمل على التقيء.

(١) قال الشيخ بهاء الدين فى «العروة الوثقى»: و ما يترأى من فساد العكس لعدم صدق الرسم حينئذ على شىء من السور قبل اعتياد رسم الأمور المذكورة فى المصاحف فمما لا يخفى وجه التفصى عنه.

(٢) رواه فى «الوسائل» ج ٢ كتاب الصلاة ب ١٠، ح ٥، عن مجمع البيان ج ١٠، ص ٥٤٤،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٩

«المعتبر» ص ١٧٨، و قال: يحتمل كون الاستثناء منقطعا و يحتمل التقيء، و على كل حال فالحكم هنا واحد.

قال فى «العروة الوثقى»: فإن قلت: قد ذهب جماعة من قدماء الأمة إلى أن «الضحى» و «ألم نشرح» سورة واحدة، و كذا «الفيل و

الإيلاف»، و هو مذهب جماعة من فقهاءنا رضوان الله عليهم، فقد انتقض طرد كل من هذين التعريفين بكل واحدة من تلك الأربع.

قلت: هذا القول و إن قال به جمع من السلف و الخلف إلا- أن الحق خلافه، و استدلالهم بالارتباط المعنوى من كل و صاحبها، و

بقول الأخصف، و الزجاج: إن الجار فى قوله عزّ و جل [الإيلاف قريش متعلق بقوله جل شأنه [فجعلهم كعصف مأكول، و بعدم الفصل

بينهما فى مصحف أبى بن كعب ضعيف لوجود الارتباط بين كثير من السور التى لا خلاف بين الأمة فى تعددها فىكون هذا من ذاك.

و كلام الأخصف لا ينهض حجة فى أمثال هذه المطالب، و تعليق الجار بقوله تعالى:

[فليعبدوا رب هذا البيت لا مانع عنه، و عدم الفصل فى مصحف أبى لعله سهو منه، على أنه لا يصلح معارضا لسائر مصاحف الأمة.

و أما ما ذكره جماعة من مفسرى أصحابنا الإمامية رضوان الله عليهم كشيخ الطائفة أبى جعفر الطوسى فى تفسير المسمى بالتيان ج

١٠ / ٣٧١ فى تفسير الإنشراح، و ثقة الإسلام أبى على الطبرسى فى تفسيره الموسوم ب «مجمع البيان» ج ١٠ / ٥٠٧ أيضا فى تفسيره

الإنشراح من ورود الرواية بالوحدة عن أئمتنا عليهم السّلام فهذه الرواية لم نظفر بها\* و ما اطلعنا عليه من الروايات التى تضمنتها

أصولنا لا تدل على الوحدة بشىء الدلالات بل دلالة بعضها على التعدد أظهر و أقصى ما تستنبط منها جواز الجمع بينهما فى الركعة

الواحدة: و هو الدلالة على الوحدة بمراحل، و ما تشرفنا بمشاهدته فى مشهد مولانا و إمامنا أبى الحسن على بن موسى الرضا عليه

السّلام من المصاحف التي قد شاع و ذاع في تلك الأقطار أن بعضها بخطه عليه السّلام، و بعضها بخط آبائه الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين يؤيد ما قلناه من التعدد، فإن الفصل في تلك المصاحف بين كل من تلك السور الأربع و صاحبها على وتيرة الفصل بين البواقي، و الله أعلم بحقايق الأمور.

\* أقول:

في الوسائل ج ٧٤٤/٤، ب ١٠، ح ٦، روى عن «مجمع البيان» ج ١٠/٥٤٤ عن أبي العباس عن أحدهما عليهما السّلام قال: «ألم تر كيف فعل ربك، و لإيلاف قريش سورة واحدة».

و

في «المستدرک» ج ١٦٣/٤، ح ٤٣٨٢ روى عن كتاب التنزيل ص ٦٨ لأحمد بن محمد تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٠ و مع كل ذلك فلا ادعى إلى تحديدها بحيث يسلم طردا و عكسا.

و إن كان و لا بد فلعل الأولى تعريفه بما يجزى قراءته في المكتوبة بعد الفاتحة للقادر المختار لو لا اشتماله على العزيمة «١»، و القيد الأخير لدفع النقض بالعزائم.

### [أسماء السورة المباركة]

اعلم أن لهذه السورة الشريفه أسماء منيفه:

منها: «الفاتحة» مجردة و مضافة إلى الكتاب، و فاتحة الشيء اسم لأوله كالخاتمة لآخره.

و هي في الأصل إما مصدر بمعنى الفتح ك «الكاذبة» في الآية «٢» بمعنى الكذب، و الباقية في قوله: فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ «٣» بمعنى البقاء، و العافية بمعنى المعافاة، و العاقبة بمعنى العقب، نقلت إلى أول ما يفتح به إطلاقا للمصدر على المفعول، لأنه أول المفتوح من الشيء «٤».

و إما صفة و التاء للمبالغة كما في رواية و علامه سميت بها لأنها كالباعثة على

السيارى، عن البرقى، عن القاسم بن عروة، عن أبي العباس عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: «الضحى و ألم نشرح سورة واحدة» ،

في نفس المصدر عن التنزيل ص ٧١ عن الصادق عليه السّلام أنه قال: «ألم تر و لإيلاف سورة واحدة».

و لعل الشيخ البهائي قدس سره لم يظفر بهذه الروايات أو ظفر و لكنه لم يعتمد عليها لأن في سندها القاسم بن عروة، و اختلفوا في جواز الاعتماد على رواياته.

(١) و لكن يبقى إشكال دخول السور الأربعة المذكورة إلا أن نقول بوحدة السورتين.

(٢) سورة الواقعة: ٢.

(٣) سورة الحاقة: ٨.

(٤) قال أبو البقاء الكفوى المتوفى (١٠٩٤) ه بعد نقل الفاتحة بمعنى الفتح: رد بأن (فاعلة) في المصادر قليلة، و لكن الزمخشري في الكشف قال: الفاعل و الفاعلة في المصادر غير عزيزة كالخارج و القاعد و العافية و الكاذبة. - الكليات ص ٦٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١١

فتحه، أو للنقل من الوصفية إلى الاسمىة كالنطيحة، فإن الصفات إذا لم تذكر معها موصوفاتها تغلب عليها الاسمىة فتلحقها التاء لتدل على غلبة الاسمىة و عدم احتياجها إلى الموصوف.

و إما اسم آلة كالسّامعة و الباصرة لأنها آلة الفتح، و هذا الاحتمال ذكره بعض الأعلام، و لا يخفى ما فيه و في جعل ما ذكر من المثالين من الآلة.

و ربما يترجح كونها وصفا بقله مجيء المصادر عليها، بل قد ينكر ذلك رأسا، و يأول كلما جاء عليها إلى الأوصاف، حتى الكاذبة و الباقية في الآيتين و فيه تعسف.

نعم، لا بأس بترجيح الوصفية كما لا بأس بترجيح كون التاء للنقل في المقام إذا لم يقصد بها المبالغة «١».

ثم إنها قد تطلق مجردة عن الإضافة، إمّا لكونها علما بالغلبة كالمضاف إلى الكتاب، فتلزم اللام، أو اختصارا لعدم الالتباس، و اللام للمح الوصفية الأصلية و ليكون كالخلف عن الإضافة.

قيل: و نظيره في الاختصار

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ:

(١) قال الألوسي السيد محمود البغدادي المتوفى سنة (١٢٧٠) هـ في «روح المعاني» ج ١ / ٣٤: الفاتحة في الأصل صفة جعلت اسما لأول الشيء لكونه واسطة في فتح الكل، و التاء للنقل، أو المبالغة، و لا اختصاص لها بزنة علامة، أو مصدرا طلقت على الأول تسمية للمفعول بالمصدر إشعارا بأصلته، كأنه نفس الفتح إذ تعلقه به أولا، ثم بواسطته يتعلق بالمجموع لكونه جزءا منه، و كذا يقال في «الخاتمة» فإن بلوغ الآخر يعرض الآخر أولا ثم بواسطته يتعلق بالمجموع. و ليس هذا كالأول لقله فاعلة في المصادر، إلا أنه أولى من كونه للآلة أو باعثة لأن هذه ملتبسة بالفعل و مقارنة له، و الغالب أن لا تتصف الآلة و لا يقارن الباعث، على أن الآلة هنا غير مناسبة لإيهام أن يكون البعض غير مقصود. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٢

«من أراد أن يسمع القرآن غضا طريا كما أنزل فليسمع من ابن أم عبد» «١».

أي عبد الله بن مسعود «٢».

و قد تطلق بل كثيرا مضافة إلى الكتاب الذي هو مصدر لكتب بمعنى خط أو جمع أو ثبت، و إضافة السورة إليها لامية كيوم الجمعة و علم التفسير كما صرحوا به و إن كان فيه بعض التأمل.

و كذا إضافة الفاتحة إلى الكتاب لكون المضاف إلى مبينا للمضاف، إذ المراد بالكتاب الكل لا المفهوم الصادق على الكل و البعض حتى الآية كما في يد زيد.

و كان ينبغي من حيث القياس أن يصدق على أول آية بل كلمة أو كلام من الكتاب، لكنها جعلت عاما لهذه السورة.

نعم، ربما يجعل الإضافة بمعنى من نظرا إلى أن كل ما هو جزء من الشيء فإضافته إليه بمعنى من، و كأن منشأ التوهم هو الخلط بين الجزء و الجزئي، فإن

(١)

قال ابن عبد البر القرطبي المتوفى (٤٦٣) هـ في الإستيعاب في معرفة الأصحاب المطبوع بهامش الإصابة ٢ / ٣١٩: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: «من أحب أن يسمع القرآن غضا فليسمعه من ابن أم عبد».

و بعضهم يرويه: «من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد»

و

حدث عن سعيد، عن قاسم، عن وضاح، عن ابن أبي شيبه، عن معاوية بن عمرو، عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله أنه أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و كان عبد الله يصلي فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل

فليقرأ على قراءة ابن أم عبد».

و

روى الذهبي المتوفى (٧٤٨) ه في «سير النبلاء» ج ١ / ٥٠٠ بإسناده عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ سَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْ قِرَاءَةَ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ»

. (٢) ابن أم عبد هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من أكابر الصحابة، وكان من أهل مكة و من السابقين إلى الإسلام، و أول من جهر بقراءة القرآن بمكة، كان قصيرا جدا يكاد الجلوس يوارونه، و يحب الإكثار من التطيب، روى القوم عنه (٨٤٨) حديثا، توفي بالمدينة سنة (٣٢) ه عن نحو ستين عاما- الأعلام، ج ٤ / ٢٨٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٣

الإضافة في الثاني بمعنى من دون الأول، و لذا اشترطوا في الإضافة بمعنى من كون المضاف إليه جنسا للمضاف و صادقا عليه كخاتم فضة «١».

نعم، ربما يوجه ذلك بأن المراد حاصل المعنى، فإنها و ان كانت بمعنى اللام لكن مؤداها مؤدى «من» التبعية، أو أن الكتاب القرآن يطلق على البعض كالكل، فالفاتحة جزئى له لا جزء منه، فتكون الإضافة كخاتم فضة، لكنه لا يخلو من تكلف، بل قد يقال: إن «من» التبعية لا تكون للإضافة أصلا فتأمل.

و على كل حال فإنما سميت بها لأنه يفتح بها المصحف، و التعليم، و القراءة في الصلاة، بل قيل: إنها أول كل كتاب أنزل.

و الإختصاص المستفاد من قوله تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي «٢» محمول على المجموع لا كل من الآيات، و

قد ورد في الخبر «٣»: «أنه ما نزل كتاب من السماء إلا أوله بسم الله الرحمن الرحيم» «٤».

(١) قال الألوسى البغدادي: (الكتاب) هو المجموع الشخصى و فتح الفاتحة بالقياس إليه لا إلى القدر المشترك بينه و بين أجزاءه، و هو متحقق في العلم أو اللوح أو بيت العزة، فلا ضير في اشتهاار السورة بهذا الاسم في الأوائل، و الإضافة الأولى من إضافة الاسم إلى المسمى و هى مشهورة، و الثانية بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لأن المضاف جزء لا جزئى قاله شيخ الإسلام أبو السعود، و هو مذهب بعض في كل، و قال ابن كيسان و السيرافى و جمع: إضافة الجزء على معنى (من) التبعية، بل في اللمع و شرحه:

إن (من) المقدره في الإضافة مطلقا كذلك من غير فرق بين الجزء و الجزئى، و بعضهم جعل الإضافة في الجزئى بيانية مطلقا، و بعضهم خصها بالعموم و الخصوص الوجهى كما في المثال، و جعلها في المطلق كمدينة بغداد لامية، و الشهرة لا تساعده- روح المعانى ج ١ / ٣٤.

(٢) سورة الحجر: ٨٧.

(٣) البحار: ج ٩٢ / ٢٣٤، ح ١٧.

(٤) قال الشيخ بهاء الدين: فاتحة الشيء أول أجزاءه كما أن خاتمة آخرها، فهى في الأصل

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٤

### [الكتاب التدوينى و التكوينى]

ثم اعلم أن الكتاب كتابان: تدوينى و تكوينى.

فالكتاب التدوينى هو هذا القرآن الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد «١» و هو الحاوى لجميع

الحقائق الكلية والجزئية، والمهمين على جميع الكتب الإلهية، و (تبيان كل شيء) «٢»، و تفصيل كل حقيقة ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين «٣».

والكتاب التكويني هو تمام عالم الوجود من الدرّة «٤» إلى الدرّة فجميع العالم

إما مصدر بمعنى الفتح كالكاذب بمعنى الكذب، أو صفة والتاء فيها للنقل من الوصفية إلى الاسم كالدبيحة، وقد يجعل للمبالغة كعلامة، ثم إن اعتبرت أجزاء الكتاب سورا فالأولية هنا حقيقية، وإن اعتبرت آيات أو كلمات مثلا فمجازية تسمية لكل باسم الجزء. وإضافة السورة إلى الفاتحة من إضافة العام إلى الخاص كبلادة بغداد، وإضافة الفاتحة إلى الكتاب من إضافة الجزء إلى الكل كرأس زيد فهما لاميتان، وربما جعلت الثانية بمعنى «من» التبعية تارة والبيانية أخرى، والأول وإن كان خلاف المشهور بين النحاة إلا أنه لا يحوج إلى حمل الكتاب على غير المعنى الشائع المتبادر والثاني بالعكس. ثم تسمية هذه السورة بهذا الاسم إما لكونها أول السور نزولا- كما عليه جم غفير من المفسرين، وإما لما نقل من كونها مفتتح الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ، أو مفتتح القرآن المنزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا، أو لتصدير المصاحف بها على ما استقر عليه ترتيب السور القرآنية وإن كان بخلاف الترتيب النزولي، أو لافتتاح ما يقرأ في الصلاة من القرآن، فهذه وجوه خمسة لتسميتها بفاتحة الكتاب- العروة الوثقى المطبوع مع الحبل المتين ص ٣٨٩.

(١) سورة فصلت: ٤٢.

(٢) اقتباس من آية ٨٩ في سورة النحل: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ.

(٣) سورة الأنعام: ٥٩.

(٤) الدرّة (بضم الدال المهملة وتشديد الراء): العقل في مصطلح العرفاء و توصف بالبيضاء تارة ويقال: (الدرّة البيضاء) والمراد بها العقل الأول، قال المتصوّف نعمّة الله الماهاني الكرمانى المتوفى (٨٢٥) هـ بالفارسية:

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٥

بأجزائها المرتبة صعودا و نزولا كتاب «١» واحد كتبه الله تعالى بيده و أحصاه بعلمه و أمسكه بقدرته و جعل فاتحة هذا الكتاب مشيته الكلية، و هو الوجود المطلق والقلم الأعلى، و الاسم الأعظم، و الحجاب الأقدم، و التجلى الأول، و النور الذى أشرق من صبح الأزل، و هو نور نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

ولذا

ورد: «أول ما خلق الله نوري «٢»، أول ما خلق الله روحى «٣» خلق الله المشية بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشية «٤» و هو نور محمد و أوصيائه الطيبين، خلقهم الله تعالى نورا واحدا قبل الخلق، و جعلهم أعضاءا و أشهادا و حفظة و روادا

روشن است از نور رويش ديده بيناي ما\* دره بيضا بود غواص اين درياى ما فرهنگ معارف اسلامى ج ٢، ص ٣٩٠.

(١) قال محمود الشبستري المتوفى (٧٢٠) هـ فى (گلشن راز) بالفارسية:

بنزد آنکه جانش در تجلى است\* همه عالم كتاب حق تعالى است عرض اعراب و جوهر چون حروف است\* مراتب مثل آيات و وقوف است از آنها هر يکى يك سوره خاص\* يکى زان فاتحة آنکديگر اخلص

(٢) بحار الأنوار: ج ١ / ٩٧، ح ٧، عن غوالى اللالى، و ج ١٥ / ٢٤، ح ٤٤، و ج ٢٤ / ٢٢، ح ٣٨، و ج ٥٧ / ٧١٧٠، ح ١١٧.

(٣) لم أظفر على هذا الحديث بعينه و لكن يمكن أن يستفاد معناه من أحاديث أخر منها: ما

رواه فى البحار ج ٥٧ / ١٩٣، ح ١٤٠، عن الكافى ج ١ / ٤٤٠، عن الصادق عليه السلام قال: «قال الله تبارك و تعالى: يا محمد إني



خلقتك و عليا نورا- يعنى روحا لا بدن- قبل أن أخلق سماواتى و أرضى و عرشى و بحرى ... إلخ».

(٤)

البحار: ج ٤ / ١٤٥، ح ١٩ عن توحيد الصدوق و فيه: قال أبو عبد الله عليه السلام: «خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيئة».

و

فى ح ٢٠: «خلق الله المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة».

و قال المجلسى قدس سره بعد ذكر الحديثين:

بيان: هذا الخبر الذى هو من غوامض الأخبار يحتمل وجوها من التأويل ...، ثم ذكر خمسة وجوه أعرضنا عن ذكرها للاختصار و من

أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى ج ٤ / ١٤٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٦

كما ورد فى الدعاء الرجئية «١».

و

عن كتاب «المعراج» للصدوق «٢» بالإسناد عن ابن عباس «٣» قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يخاطب عليا عليه السلام:

«يا على إن الله تبارك و تعالى كان و لا شىء معه، فخلقنى و خلقك روحين من نور جلاله فكنا أمام عرش رب العالمين، نسبح الله و نقدسه و نحمده و نهله، و ذلك قبل أن يخلق السموات و الأرضين» «٤».

و

فى «رياض الجنان» «٥» بإسناده عن جابر «٦» الجعفى، عن أبى جعفر عليه السلام

(١) المفاتيح للقمى: ١٣٠.

(٢) هو على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى أبو الحسن شيخ القميين فى عصره و متقدمهم، و فقيههم، و ثقتهم، و هو الذى سأل الحسين بن روح رحمه الله أن يوصل رقعته له إلى صاحب عليه صلوات الله و سألته فيها الولد فكتب إليه: «قد دعونا الله لك بذلك و سترزق ولدين ذكرين خيرين» فولد له: أبو جعفر و أبو عبد الله من أم ولد،

توفى سنة (٣٢٩) هـ، و له كتب منها: كتاب «المعراج»- رجال النجاشى: ج ٢ / ٨٩، رقم: ٦٨٢.

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى، أبو العباس حير الأمة ولد بمكة المكرمة سنة (٣) ق هـ، لازم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و روى عنه الأحاديث، و شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام الجمل و صفين، و كف بصره فى آخر عمره فسكن الطائف حتى توفى بها سنة (٦٨) هـ. الأعلام للزركلى: ج ٤، ص ٢٢٨.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣ / ٢٥، ح ٥، عن كنز الفوائد: ٣٤٧ عن كتاب «المعراج» للصدوق.

(٥) قال شيخنا العلامة المميز آقا بزرگ الطهرانى قدس سره: «رياض الجنان» فيه أخبار غريبة فى المناقب ينقل عنه فى البحار، للشيخ المحدث فضل الله بن محمود الفارسى تلميذ الشيخ المتقدم أبى عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد بن العباس بن الفاخر العيسى الدوريسى (المعاصر للشيخ الطوسى)، ينقل عنه فى «فضائل السادات» الذى فرغ منه مؤلفه سنة (١١٠٣) هـ، و لعله الذى ينقل عنه الكاشفى (المتوفى سنة ٩١٠ هـ) فى جواهر التفسير- الذريعة ج ١١ / ٤٢١.

(٦) هو جابر بن يزيد بن الحرث بن عبد يغوث بن كعب الجعفى أبو عبد الله عدده الشيخ فى رجاله تارة من أصحاب الباقر عليه

السلام، و أخرى من أصحاب الصادق عليه السلام، توفى سنة (١٢٨) هـ تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٧

قال: «يا جابر! كان الله ولا شيء غيره لا معلوم ولا مجهول، فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمداً وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظله خضراء بين يديه، حيث لا سماء، ولا أرض، ولا زمان، ولا مكان، ولا ليل، ولا نهار، ولا شمس، ولا قمر، يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس، نسبح الله ونقدس، ونحمده ونعبده حق عبادته» (١).

و  
في «الكافي» عن محمد بن سنان (٢)، قال: كنت عند أبي جعفر الثاني، فأجريت اختلاف الشيعة فقال:  
«يا محمد! إن شاء الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيتها، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون، ولن يشاءوا إلى أن يشاء الله تبارك وتعالى.

ثم قال: يا محمد! هذه الديانة التي من تقدمها مرق، و من تخلف عنها محق،

و أقوال أرباب الرجال فيه مختلفه، قال المامقاني بعد ذكرها: الذي يستفاد من مجموع ما مر من الأخبار أن الرجل في غاية الجلالة و نهاية النبالة و له المنزلة العظيمة عند الصادقين عليهما السلام، بل هو من أهل أسرارهما و مورد الطافهما الخاصة- تنقيح المقال ج ١ / ٢٠١، رقم: ١٦٢١.

(١) البحار: ج ١٧/٢٥، ح ٣١ عن رياض الجنان.

(٢) هو محمد بن الحسن بن سنان مولى زاهر أبو جعفر، توفي أبوه الحسن و هو طفل، و كفله جده سنان فينسب إليه، قال في التنقيح: إن الدائر على الألسنة أن محمد بن سنان أدرك ثلاثة من الأئمة و روى عنهم: الكاظم و الرضا و الجواد عليهم السلام، و الحق أنه أدرك أربعة رابعهم مولانا الهادي عليه السلام، توفي سنة (٢٢٠) هـ.

و قد اختلف العلماء في توثيقه و تضعيفه على قولين، ذكر في التنقيح أقوالهم و ذيله بقوله: إن الأقوى كون الرجل ثقة صحيح الاعتقاد معتمداً مقبول الرواية ... إلخ. - تنقيح المقال:

ج ٣ / ١٢٤ - ١٢٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٨

و من لزمها لحق، خذها إليك يا محمد» (١).

فكما أن الكتاب التكويني طبق الكتاب التشريعي، (فيه تبيان كل شيء) (٢)، فكذاك النسبة بين فاتحتهما، و لذا فضلت الفاتحة على جميع السور، و خصت بها الصلاة التي هي إنسان العبادات، لاشتمالها على العبادة القولية و الفعلية، و الحالية و البالية، و الذكورية و الفكرية، و غيرها من الحقائق التي سنشير إليها إن شاء الله.

ولذا

قال: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» (٣)

، و لعل من بطونها أن لا- وصول إلى الله لأحد من الأنبياء و الأولياء، من الأولين و الآخرين، و من الملائكة المقربين، إلا بواسطة التوسل بنينا و آله صلى الله عليهم أجمعين، و الاستشفاع بهم (٤)، فإنه

(١) الكافي: ج ١، ب ١٦٩، ص ٤٤١، ح ٥.

(٢) اقتباس من آية ٨٩ في سورة النحل: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٤، ص ١٥٨، ح ٥، رقم: ٤٣٦٥.

(٤) أورد المجلسي قدس سره روايات دالة على ما ذكر، منها ما

عن الصادق عليه السلام: «أتى يهودى النبی صلی الله علیه وآله وسلم، فقام بين يديه يحد النظر إليه، فقال: يا يهودى ما حاجتك؟ قال:

أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله و أنزل عليه التوراة، والعصا، و فلق له البحر، و أظله بالغمام.

فقال له النبي صلی الله علیه وآله وسلم: إنه يكره للعبد أن يزكى نفسه، و لكنى أقول: إن آدم لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني أسئلك بحق محمد و آل محمد لما غفرت لي فغفرها الله له، و أن نوحا لما ركب في السفينة و خاف الغرق قال: اللهم إني أسئلك بحق محمد و آل محمد لما أنجيتني من الغرق فنجاه الله عنه، و أن إبراهيم لما ألقى في النار قال: اللهم إني أسئلك بحق محمد و آل محمد لما أنجيتني منها فجعلها الله بردا و سلاما، و أن موسى لما ألقى عصاه و أوجس في نفسه خيفة، قال: اللهم إني أسئلك بحق محمد و آل محمد لما آمنتني، فقال الله جل جلاله: لا تخف إنك أنت الأعلى.

يا يهودى! إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي و بنبوتى ما نفعه إيمانه شيئا، و لا نفعته النبوة، يا يهودى! و من ذريتى المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم عليه السلام لنصرته، فيقدمه و يصلى خلفه». البحار: ٢٦، ص ٣١٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٩ و ذريته فاتحة كتاب الوجود «١» و الوسيلة لاهتداء العابد إلى المعبود، و الحجر الذي ينفجر منه عيون الفيض و الجود. و منها: «أم الكتاب» و «أم القرآن».

فإن أم الشيء في الأصل أصله، و هذه السورة أهل القرآن كله، فإنها حقيقته الإجمالية التي لم ينسب بعد في عالم التفصيل و قد سمعت سابقا أن نسبته في القرآن كنسبة خاتم الأنبياء صلی الله علیه وآله وسلم في الأكوان، و كما أنه دحيت و انبسطت من سورتها البلدية المكانية و هي أم القرى جميع الأراضي و البلدان، كذلك تفصل و تحصل من سورتها القرآنية جميع سور القرآن. و كذا

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أن جميع ما في القرآن فهو في فاتحة الكتاب» «٢».

(١) كما قال نابغة الدهر و فيلسوف الزمن و فقيه الأمة الشيخ محمد حسين الأصفهاني قدس سره: فاتحة الوجود خاتم الرسل جل عن الثناء ما شئت فقل

كل وجود هو من وجوده فكل موجود رهين جوده

و عالم الإبداع من ظهوره و نشأة التكوين ظل نوره

الأنوار القدسية لمحمد حسين الاصفهاني، ط مؤسسة الوفاء بيروت ١٤٠٢ هـ.

(٢) في ملحقات الإحقاق ج ٧ / ٦٠٨ عن «ينابيع المودة» ص ٦٩ و ص ٤٠٨، ط إسلامبول، و في «الدر النظيم»:

اعلم أن جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، و جميع ما في القرآن في الفاتحة، و جميع ما في الفاتحة بالبسملة، و جميع ما في البسملة في باء البسملة، و جميع ما في باء البسملة في النقطة التي تحت الباء، قال الإمام كرم الله وجهه: «أنا النقطة التي تحت الباء».

قال صاحب تفسير «المنار» في ج ١ / ٣٥: الفاتحة مشتمل على مجمل ما في القرآن، و كل ما فيه تفصيل للأصول التي وضعت فيها ثم بين مراده باشمال الفاتحة على مجمل القرآن بما خلاصته أن ما نزل القرآن لأجله أمور: التوحيد و الوعد للمطيعين و الوعيد للعاصين، تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٠

و قد قيل: إن العرب تسمى كل جامع أمر أو متقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه أما، فيقولون: أم الرأس للجلدة التي تجمع الدماغ، و أم القرى لمكة لأن الأرض دحيت من تحتها «١».

و قيل: سميت لأن سور القرآن تتبعها كما يتبع الجيش أمه و هي الراية.

و العبادة التي تحيي التوحيد، و بيان سبيل السعادة في الدنيا والآخرة، و قصص الواقفين عند حدود الله أي المؤمنين و اخبار المتجاوزين عن حدود الله.

فالحمد لله إشارة إلى التوحيد، و بسم الله ... إشارة إلى الوعد بالرحمة و مالك يوم الدين إشارة إلى الوعد و الوعيد كليهما، و إياك نعبد إشارة إلى العبادة، و الصراط المستقيم إشارة إلى سبيل السعادة. فالفاتحة جديرة بأن تسمى أم الكتاب كما أن النواة أم النخلة. (١) قال الطريحي في «مجمع البحرين» في ذيل كلمة (أمم) قوله تعالى: وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ الْآيَةُ، يعنى في أصل الكتاب، يريد اللوح المحفوظ و أم الكتاب أيضا فاتحة الكتاب، و سميت أما لأنها أوله و أصله، و لأن السورة تضاف إليها و لا تضاف هي إلى شيء، و قيل: سميت أما لأنها جامعة لأصل مقاصده و محتوية على رؤوس مطالبه، و العرب يسمون ما يجمع أشياء متعددة أما كما يسمون الجلدة الجامعة للدماغ و حواسه أم الرأس، و لأنها فذلكة لما فصل في القرآن المجيد لاشتمالها على المعاني في القرآن من الثناء على الله بما هو أهله، و من التبعذ بالأمر و النهي، و الوعد و الوعيد، فكانه نشأ و تولد منها بالتفصيل بعد الإجمال، كما سميت مكة أم القرى لأن الأرض دحيت منها.

و قال الشيخ البهائي قدس سره في «العروة الوثقى»: وجه اشتمال هذه السورة الكريمة على مقاصد الكتاب العزيز إما أن تلك المقاصد راجعة إلى أمرين: هما الأصول الاعتقادية و الفروع العملية، أو هما معرفة عز الربوبية و ذل العبودية، و إما إنها ترجع إلى ثلاثة هي: تأدية حمده و شكره جل شأنه، و التبعذ بأمره و نهيه، و معرفة وعده و وعيده، و إما إلى أربعة هي: وصفه سبحانه بصفات الكمال و القيام بما شرعه من وظائف الأعمال، و تبين درجات الفائزين بالنعم و الأفضال، و تذكر دركات الهاوين في مهاوى الغضب و الضلال، و إما إلى خمسة هي:

العلم بأحوال المبدأ و المعاد، و لزوم جادة الإخلاص في العمل و الاعتقاد، و التوسل إليه جل شأنه في طلب الهداية إلى سبيل الحق و السداد، و الرغبة في الاقتداء بالذين ربحت تجارتهم بإعداد الزاد ليوم التناد، و الرهبة من اقتفاء أثر الذين خسروا أنفسهم بترك الزاد و إهمال الاستعداد، و لا مزية في تضمين هذه السورة الكريمة جميع هذه المطالب العظيمة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢١

و قد وقعت تسميتها بأمر الكتاب في قوله: وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ «١» و الضمير للكتاب المبين، و هو أمير المؤمنين على عليه السلام، كما ورد عن الكاظم عليه السلام في جواب النصراني حيث سئل عن تفسيره في الباطن «٢». و من اللطائف مطابقتها في العدد فلاحظ «٣».

و

في «المعاني» عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عز و جل: اهدنا الصراط المستقيم «هو أمير المؤمنين و معرفته، و الدليل على أنه أمير المؤمنين عليه السلام قوله عز و جل: وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ و هو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب في قوله: اهدنا الصراط المستقيم «٤».

و هنا مسلك آخر و هو أن هذه السورة لاشتمالها على الحقائق الكلية المتأصلة التي لا تزول و لا تزال أبدا، فهي بمنزلة اللوح المحفوظ الذي لا يتطرق إليه المحو أصلا، إذ التغيرات الجزئية لا يظهر أثرها في الكلى، و لذا

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أفر من قضاء الله إلى قدره» «٥».

قال الله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ «٦».

و الوعيد، لتضمنها تعليم حمده، و الاستغائه به، و المقاصد الكلية منحصرة في

(١) الزخرف: ٤.

(٢) الكافي: ج ١ / ٤٧٩، ح ٤، كتاب الحجّة، الباب ١٧٨.

(٣) عدد كل من (الكتاب المبين) و (أمير المؤمنين علي) يساوي (٥٨٧) و لكن بشرط أن لا يحسب (أ) في المؤمنين كما لا يلفظ بها في التلفظ.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٤ / ١٢، ح ٤، كتاب الإمامة، الباب (٢٤)، عن معاني الأخبار للصدوق: ٣٢، ح ٣.

(٥) توحيد الصدوق: ٣٦٩، ح ٨، و البحار ج ٥ / ٩٧، ح ٢٤ و ص ١١٤، ح ٤١ عن التوحيد.

(٦) سورة الرعد: ٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٢

الثلاثة، فإنه لما كان التحقق بالسعادة العظمى التي هي المعرفة العيانة للوهاب الحق جل ذكره شهودا عينيا في هذه الدار و في دار القرار متفاوتا حسب تفاوت مراتب أصناف المقربين و درجات الأبرار، و الاتصاف بالأخلاق الربانية المعبر عنه بالتخلي و التحلي موقوفا على تمييز مقام العبودية من الربوبية، ثم التوجه نحو من بيده الخير كله بالكلية، و كان الكتاب الكريم كافلا للمتمسك به أن ينال من هذه السعادة الحظ الأوفى و الشرب الأصفى لزم أن ينحصر مقاصده في الثلاثة المذكورة، فالثناء عليه بما هو أهله يتضمن معرفة الرب جل جلاله بصفات الجلال و الإكرام، مع الاعتراف بأن العبد و ما هو متقلب فيه قطرة من بحر جوده و يدخل فيه الإيمان بالله تعالى و صفاته و أفعاله، و التعبد بأوامره و نواهيه يتضمن معرفة أنه عبد مربوب مكلف لا بد له من اللجوء إلى مولاه حسب ما استدعاه بعده أو أدناه، و لا يخفى تأخره عن الأول، إذ لو لا الاعتراف السابق لم يلزم طلب كيفية التوجه.

و ذلك لأن التعبد في الحقيقة راجع إلى طلب الكمال من مفيضه على الوجه الذي يؤدي إلى المطلوب و يدخل في الإيمان بالنبوت و الولايات و الملائكة و الكتب و العبادات القلبية و القلبية.

و الإتيان بالوعد و الوعيد يتضمن التنبيه على السعادة المذكورة، و على ما يقابلها من الشقاوة، و اختلاف درجاتهما و هما الكمال المطلوب بالتعبد، و النقصان المهروب عنه بالتجرد، و لو لا ذلك لم يتميز الطلب عن التوجه العبثي فبالثلاثة تمت الكفالة، و من رضى بها كافلا فطوبى له.

و لبعض أرباب الطريقة مسلك آخر و هو أنّ هذه السورة مشتملة على مراتب الربوبية، و مراتب العبودية و الأمور الدنيوية و الأخروية. مراتب الربوبية عشرة: أولها: مرتبة الاسم بأن الله تعالى له اسم، و الثاني:

الذات، و الثالث: الصفات، فهذه المراتب الثلاثة حاصلة في بسم الله الرحمن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٣

الرحيم، و الرابع: الثناء، و الخامس: الشكر، و هما حاصلان في الحمد، و السادس:

الألوهية بمعنى الخالقية، و هي الحاصلة في الله تعالى، و السابع: الملكية بالمالكية، و هي حاصلة في مالك، و الثامن: الربوبية بالوحدانية في الخالقية، و هي الحاصلة في رب العالمين، و التاسع: المعبودية بالألوهية و الوحدانية، و هي حاصلة في إياك نعبد، و العاشر: الهداية بالحق و الإنعام من الأزل إلى الأبد، و هي حاصلة من اهدانا الصراط المستقيم.

و كذلك مراتب العبودية عشرة، أولها: معرفة الله تعالى بهذه المراتب، و الثاني: الإقرار بالربوبية لله تعالى، و الثالث: معرفة النفس و خلوها عن مراتب الربوبية بعبودية نفسه، و الرابع: العلم باحتياجه إلى الله و استغنائه عنه، الخامس:

عبادة الله تعالى على ما هو أهله بأمره، و السادس: الاستعانة بالله في العبودية للتوفيق و القدرة و التعليم و الإخلاص، و السابع: الدعاء بالخضوع و الخشوع و المحبة، فإنه خلق لهذا كما قال الله تعالى: قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ «١»، و الثامن: الطلب بوجدان

صفاته و نعمه، و هو المقصد الأعلى و المنيّة القصوى، و التاسع: الاهتداء عنه ليهتدى به إليه، و ينعم عليه بإرشاد طريق الهداية، و العاشر: الاستدعاء منه بأن يحسن إليه و يديم نعمته عليه و لا يغضب عليه فيرده إلى الضلالة و الغواية.

و هذه المراتب كلها حاصله في إياك نعبد إلى آخر السورة، و من هنا

قال عليه السّلام: يقول الله تعالى:

«قسمت الصلاة بيني و بين عبدى نصفين فنصفها لى و نصفها لعبدى و لعبدى ما سأل فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، يقول الله تعالى: حمدنى عبدى، و إذا

(١) الفرقان: ٧٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٤

قال العبد: الرحمن الرحيم، يقول الله تعالى: أثنى على عبدى، و إذا قال العبد: مالك يوم الدين، يقول الله تعالى: مجدنى عبدنى، و إذا قال العبد: إياك نعبد و إياك نستعين، يقول الله تعالى: هذه الآية بينى و بين عبدى و لعبدى ما سأل» (١).

و مراتب الأمور الدنيوية أربعة، الملك، و الملك، و التصرف فيهما بالمالكية و الملكية، و مراتب الأمور الأخروية أربعة: العبادة لله تعالى، و الاسترشاد به و الاستعانة به فى جميع ذلك و حسن الخاتمة بدوام النعمة و عدم الضلالة و النعمة، و فاتحة الكتاب مشتملة على جميع هذه المراتب كلها.

لكنك ترى أن هذه كلها جعليات لا تخلو من تكلفات، نعم هذه السورة الشريفة مشتملة على أصول العقائد التى لا يتطرق إليها النسخ أصلا كما لا يخفى، و لذا سميت أم الكتاب، أى أصله الذى لا يتغير أصلا، بل هو أحد الوجوه أيضا فى قوله: مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ (٢).

و منها: «السبع المثاني» بل ظاهر «المجمع» إطلاق كل من الكلمتين عليها (٣).

و إنما سميت بها لأنها سبع آيات اتفاقا منا و من أهل الخلاف، و إن ذهب بعض هؤلاء إلى عدّ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ آية دون البسمة.

(١) المسند لابن حنبل ج ٢ / ٤٦٠، و كنز العمال ٧ / ٢٨٨، ح ١٨٩٢٠، و صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة رقم ٣٩٥، و للحديث بقیة فى أوله و فى آخره.

و رواه الطبرسى فى مجمع البيان عن صحيح مسلم، و رواه الصدوق فى العيون ج ١ / ٢٣٤، ح ٥٩، و فى الأمالى: ١٤٧، ح ١، و رواه فى البحار عنهما ج ٩٢ / ٢٢٦، ح ٣ مع اختلاف.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) قال فى «مجمع البيان»: من أسمائها: «السبع» سميت بذلك لأنها سبع آيات لا خلاف فى جملتها. و «المثاني» سميت بذلك لأنها تشنى بقرائتها فى كل صلاة فرض و نقل. و قيل: لأنها نزلت مرتين.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٥

نعم، لبعضهم أقوال آخر شاذة جدا: كالقول بكونها ستا بإسقاط البسمة (١)، و ثمانى بعد إِيَّاكَ نَعْبُدُ وحدها آية (٢) و تسع آيات بعد كل من منه و من أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ آية (٣) و سميت مثانى لأنها تشنى فى ركعتى الصلاة كما

روى الصدوق فى العيون عن مولانا الصادق عليه السّلام عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب، و هى سبع آيات تمامها بسم الله الرحمن الرحيم، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: إن الله تبارك و تعالى

قال: يا

(١) والقائل به الحسين بن علي بن الوليد الجعفي الحافظ المقرئ الكوفي، قرأ القرآن على حمزة الزيات وأتقنه، وأخذ الحروف عن أبي عمرو بن العلاء، ولد سنة (١١٩) هـ وتوفي سنة (٢٠٣) هـ - سير أعلام النبلاء ج ٩ / ٣٩٧، رقم ١٢٩.

(٢) القائل به هو عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان البصري المعتزلي، كان من تلامذة الحسن البصري ولكن يكذب عليه، وهو مطرود الفريقين، أنظر: تنقيح ج ٢ / ٣٣٥، رقم ٨٧٤٩، قال ما ملخصه: هو معاند للحق من رؤوس الضلال.

و انظر أيضا: ميزان الاعتدال ج ٣ / ٢٧٣، رقم ٦٤٠٤ في ترجمة عمرو بن عبيد: قال: قال ابن معين: لا يكتب حديثه، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال الدار قطنى وغيره:

ضعيف.

و ترجمة الخطيب البغدادي في بغداد ج ١٢ / ١٨٦ و قال: مات عمرو سنة (١٤٣) هـ.

(٣) قال أبو عبد الله القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري المتوفى (٦٧١) هـ في تفسيره ج ١ / ١١٤: أجمعت الأمة على أن فاتحة الكتاب سبع آيات إلا ما روى عن حسين الجعفي أنها ست وهذا شاذ، وإلا ما روى عن عمرو بن عبيد أنه جعل إِيَّاكَ نَعْبُدُ آيَةً، وهي على عدة ثمانى آيات وهذا شاذ، وقوله تعالى: لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (الحجر: ٨٧) و قوله تعالى في الحديث القدسي: (قسمت الصلاة...) يرد هذين القولين.

وقال المفسر الجليل السيد الشهيد آية الله السيد مصطفى الخميني قدس سره في تفسيره ج ١ / ٢٥:

عدد آياتها بإجماع أهل الفن سبعة إجماعاً مركباً لاختلافهم في البسملة أنها من السورة أم هي من القرآن أو ليست منها، ومن أخرجها منها اعتبر الآية الأخيرة آيتين: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ آيَةٌ، وَغَيْرِ الْمُعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَمَّا الضَّالِّينَ آيَةٌ أخرى. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٦

محمد، ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم «١»، فأفرد الامتنان على بفاتحة الكتاب، وجعلها بإزاء القرآن العظيم «٢».

و

في تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام: «إنما سميت المثاني لأنها تثني في الركعتين «٣» وفيه: عن أحدهما قال: لأن فاتحة الكتاب يثنى فيها القول «٤».

وقيل: إنه مثنى من حيث النزول، فإنها نزلت بمكة مرة و بمدينة أخرى.

وقيل: مثنى باعتبار أن نصفها ثناء العبد للرب، و نصفها عطاء الرب للعبد، كما قال: قسمت الصلاة أو فاتحة الكتاب بيني وبين عبدى نصفين «٥» إلى آخر ما مر.

وقيل: إن المثاني من الثناء فإن العبد يثنى فيها ربه أو الرب يثنى بها.

وقيل: لأن آياتها سبع بعدد أبواب النيران التي هي مطابقة للقوى الخمس الحاسة بإضافة النفس والبدن، إذا يفتح بكل منها باب إلى الجحيم، و باب إلى

(١) سورة حجر: ٨٧.

(٢) عيون الأخبار: ج ١ / ٣٠١، ح ٦٠، والأمالى: ١٠٦، و عنهما البحار ج ٩٢ / ٢٢٧، ح ٥.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ / ١٩، ح ٣، و عنه البحار: ج ١٨ / ٣٣٥ و ج ٩٢ / ٢٣٥، ح ٢٣.

(٤) تفسير العياشي ج ٢ / ٢٤٩، ح ٣٤، و عنه البحار: ج ٩٢ / ٢٣٥، ح ٢٤.

(٥) قال الرازي المتوفى (٦٠٦) هـ في مفاتيح الغيب ج ١٩ / ٢٠٧ في ذيل «سبعا من المثاني» في سورة الحجر: للناس فيه أقوال: الأول

قول أكثر المفسرين و هو أنه فاتحة الكتاب و هي سبع آيات و تسميتها بالمثنائي لوجوه: الأول: أنها تنفي في كل صلاة، و الثاني: لأنها يثنى بعدها ما يقرء معها، الثالث: لأنها قسمت قسمين لما روى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: «قال الله سبحانه: قسمت الصلاة بيني و بين عبدى» الحديث مشهور.

و الرابع: لأنها قسمان: ثناء و دعاء، و أيضا التصف الأول منها حق الربوبية و هو الثناء، و النصف الثاني حق العبودية و هو الدعاء، و الخامس لأن كلماتها مثناء، مثل الرحمن الرحيم، إياك نعبد و إياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٧

الجنة، و الجنة باب ثامن ليس بإزائها باب إلى النار، و هو الباب المفتوح من العقل، و لذا صارت أبواب الجنان ثمانية «١» إذ ليس للعقل خروج من طاعة الله، فإن العقل على ما عرفه الإمام عليه السلام هو ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان «٢» و أما النكراء

(١) قال الحكيم الإلهي صدر المتألهين الشيرازي المتوفى (١٠٥٠) ه في الحكمة المتعالية ج ٩ / ٣٣٠ الفصل (٢٦) في أبواب الجنة و النار: اعلم أنه وقع الاختلاف في تعيين هذه الأبواب، فقيل: هي المدارك السبعة للإنسان و هي الحواس الخمس و الحاستان الباطنتان أعنى الخيال و الوهم، أحدهما مدرك الصور و ثانيهما مدرك المعاني الجزئية و هذه الأبواب كما أنها أبواب دخول النيران كذلك هي أبواب دخول الجنان إذا استعملها الإنسان في الطاعات، و بالجملة استعملها فيما خلقت لأجلها و للجنة باب ثامن مختص بها هو باب القلب.

وقيل: هي الأعضاء السبعة التي وقع التكليف بها.

وقيل: هي الأخلاق السيئة مثل الحسد، و البخل، و التكبر و غيرها للنار، و مقابلاتها من الأخلاق الحسنة للجنة، و القول الأول أولى و أوفق ...

قال الجنابذي المتوفى (١٣٢٧) ه في «بيان السعادة ج ٢ / ٢٠٢ بعد نقل الأقوال: لكن الحق و التحقيق أن الجحيم و أبوابها حقيقة موجودة في خارج هذا العالم في الملكوت السفلى، و ما ذكروا مناسبات لعدد طبقاتها و أبوابها لا أنه هي بعينها و في الخبر: «إن للنار سبعة أبواب، باب يدخل منه فرعون و هامان و قارون، و باب يدخل منه المشركون و الكفار، و من لم يؤمن بالله طرفه عين، و باب يدخل منه بنو أمية هو لهم خاصة لا يزارهم فيه و هو باب لظى و هو باب سعير ... إلخ (٢).

معاني الأخبار: ٢٣٩ ح ١، و في المحاسن: ١٩٥ ح ١٥ و عنهما البحار ج ١ / ١٦، ح ٨ و رواه الكليني في الكافي ج ١ / ١١، ح ٣، و متن الحديث هكذا: عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان، قال: قلت: و الذي كان في معاوية؟ قال: تلك النكراء و تلك الشيطنة و هي شبيهة بالعقل و ليست بالعقل.

و قال المجلسي في بيان الحديث: النكراء: الدهاء و الفطنة، و جودة الرأي و إذا استعمل في مشتريات جنود الجهل يقال له: الشيطنة، و لذا فسره عليه السلام بها، و هذه إما قوة أخرى غير العقل أو القوة العقلية، و إذا استعملت في هذه الأمور الباطلة و كملت في ذلك تسمى بالشيطنة و لا تسمى بالعقل في عرف الشر ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٨

التي هي الشيطنة فهي من جنود الجهل و من قوى الشيطان.



و

روى أن جبرئيل على نبينا وآله وعليه السلام قال للنبي: كنت أخشى العذاب على أمتك، فلما نزلت الفاتحة أمنت، قال صلى الله عليه وآله وسلم: لم يا جبرئيل؟ قال: لأن الله تعالى قال: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْشُورٌ «١» و آيات الفاتحة سبع، من قرأها صارت كل آية طباقاً على باب من أبواب جهنم، فيمر أمتك عليها سالمين «٢».

بل ربما يقال: لهذا أثبت فيها جميع حروف التهجي إلا السبع التي هي أوائل ألفاظ دالة على نوع مما يعذب به، وهي جهنم، والثبور، والخزي، والشهيق، والزفير، والظلمة، والفراق «٣».

(١) سورة الحجر: ٤٤.

(٢) لم أظفر على مصدر له.

(٣) إشارة إلى ما حكى الفخر الرازي المتوفى (٦٠٦) هـ في «مفاتيح الغيب» ج ١ / ١٧٨ قال:

قالوا: هذه السورة لم يحصل فيها سبعة من الحروف وهي: الثاء والجيم والخاء والزاي والشين والظاء والفاء. والسبب فيه أن هذه السبعة مشعرة بالعذاب، فالثاء تدل على الثبور، قال تعالى: لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً الفرقان: ١٤، والجيم أول «جهنم»، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ الحجر: ٣٧. والزاي والشين أول حروف الزفير والشهيق، قال تعالى: لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ هود: ١٠٦، والظاء تدل على لظى كَلَّا إِنَّهَا لَظَى الماعراج: ١٥، والفاء تدل على الفراق، قال تعالى: يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ «الروم ١٤».

فإن قالوا: لا حرف من الحروف إلا وهو مذکور في شيء يوجب نوعاً من العذاب فما يبقى لما ذكرتم فائدة، فنقول: أنه تعالى قال في صفة جهنم: لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ وَأَسْقَطَ سَبْعَةً مِنَ الْحُرُوفِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَهِيَ أَوَائِلُ أَلْفَاظٍ دَالَّةٌ عَلَى الْعَذَابِ تَنْبِيهاً عَلَى مَنْ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ وَآمَنَ بِهَا وَعَرَفَ حَقَائِقَهَا صَارَ آمِناً مِنَ الْمَدْرَكَاتِ السَّبْعِ فِي جَهَنَّمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال الآلوسی المتوفى (١٢٧٠) هـ في (روح المعاني) ج ١ / ٣٦: لا يقال: إذا كانت الفاتحة جامعة لمعاني الكتاب فلم سقط منها سبعة أحرف: الثاء، والجيم، والخاء، والزاي، تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٩

والشين، والظاء، والفاء.

لأننا نقول: لعل ذلك للإشارة إلى أن الكمال المعنوي لا يلزمه الكمال الصوري، ولا ينقصه نقصانه، وكانت سبعة موافقة لعدد الآي المشتمل على كثير من الأسرار وكانت من الحروف الظلمانية التي لم توجد في المتشابه من أوائل السور وجمعها بعد أسقاط المكرر (صراط على حق نمسكه) وهي النورانية المشتملة عليها بأسرها الفاتحة للإشارة إلى غلبة الجمال على الجلال المشعر بها تكرر ما يدل على الرحمة في الفاتحة، وإنما لم يسقط السبعة الباقية من هذا النوع فتخلص النورانية ليعلم أن الأمر مشوب، فلا يأمن مكر الله إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (الأعراف: ٩٩) وفي قوله تعالى: تَبَيَّنَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عِبَادِي هُوَ الْعَذَابُ الْمَأْلُومُ (الحجر: ٤٩) إشارة و أي إشارة إلى ذلك لمن تأمل حال الجملتين.

على أن في كون النورانية وهي أربعة عشر حرفاً مذكورة بتمامها والظلمانية مذكورة منها سبعة وإذا طوبقت الآحاد بالآحاد يحصل نوراني معه ظلماني ونوراني خالص إشارة إلى قسمة المؤمنين فمؤمن لم تشب نور إيمانه ظلمة معاصيه، ومؤمن قد شابه ذلك، وفيه رمز إلى أنه لا منافاة بين الإيمان والمعصية، فلا تطفئ ظلمتها نوره، وأما حديث «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»

فمحمول على الكمال.

و إذا لوحظ الساقط و هو الظلماني المحض المشير إلى الظالم المحض الساقط عن درجة الاعتبار و المذكور و هو النوراني المحض المشير إلى المؤمن المحض، و النوراني المشوب المشير إلى المؤمن المشوب يظهر سر التثليث في فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ «فاطر: ٣٢».

و إنما كان الساقط هذه السبعة بخصوصها من تلك الأربعة عشر و لم يعكس، لسر علمه من علمه و جهله من جهله، نعم في كون الساقط معجما فقط إشارة إلى أن الغين في العين و الرين في البين فلهذا وقع الحجاب و حصل الارتباب.

و للعلامة فخر الدين الرازي في هذا المقام كلام ليس له في التحقيق أدنى إلمام، حيث جعل سبب إسقاط هذه الحروف أنها مشعرة بالعذاب. و لا يخفى ما في كلامه و جوابه لا يغنيه و لا ينفعه إذ لقاتل أن يقول: فلتسقط الذال، و الواو، و النون، و الحاء، و العين، إذ هي من الذل و الويل و النار و الحميم، و العذاب و تكون الفائدة في إسقاطها كالفائدة في إسقاط تلك من غير فرق أصلا، و أما نسبتها لأمير المؤمنين كرم الله وجهه حين سأل قيصر الروم معاوية عن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٠

و يمكن أن يقال إن المثاني هي القرآن كما قال الله تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّشَابِهًا مَّثَانِيَ «١» لتكرر قراءته أو قصصه و مواضعه أو وجوه.

إعجازه و بلاغته، أو لكونه كتابا تدوينيا مطابقا للكتاب التكويني، أو لاشتماله على الثناء على الله بما هو أهله و مستحقه، فإن غيره لا يطبق الثناء.

عليه، كما

قال أكمل المخلوقات و أفضلهم: «سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» «٢»

، فالسبع سبع آيات منها و هي السورة أو سبع سور، و هي الطول سابعها الأنفال، أو مع التوبة، فإنهما في حكم سورة واحدة و لذا لم يفصل بينهما بالبسمة.

ثم إنه

قد روى في «التوحيد» و «تفسير العياشي» و «القمي» و «فرات» و «البصائر» عن الأئمة الصادقين عليهم السلام بأسانيد عديدة أنهم قالوا: «نحن و الله السبع المثاني و نحن المثاني التي أعطها الله نبينا» «٣».

و المراد بالسبع في هذه الأخبار إما السورة بناء على شيء من الوجوه المتقدمة، و يكون المراد بتلك الأخبار أن الله إنما امتن بهذه السورة على النبي صلى الله عليه و آله و سلم في مقابلة القرآن العظيم لاشتمالها على وصف الأئمة عليهم السلام و مدح طريقتهم و ذم

ذلك فسأل عليا عليه السلام فأجاب فلا أصل له. و على تقدير التسليم فما مرام الأمير عليه السلام بالاكتماء على هذا المقدار إلا التنبيه للسائل و المسؤول على ما لا يخفى عليك من الأسرار فافهم ذلك الله تعالى هداك. انتهى.

(١) سورة الزمر: ٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦/ ٢٥٣، ح ٣٥، و ج ١٧/ ٢٣، و ج ١٥/ ١٧٠، ح ٧، و ج ٩٣/ ١٥٩، ح ٣٣.

(٣) رواه عن المصادر المذكورة البحار: ج ٢٤/ ١١٤، ح ١ و ١١٦، ح ٣ و ٩٦/ ح ٢٢ و في ج ٢٥/ ٥، ح ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣١

أعدائهم «١»، و إما سبعة من الأئمة عليهم السلام لأن أكثر انتشار العلوم منهم و لذا خصهم به، و إما كلهم فإن أسمائهم سبعة بعد إسقاط المكرر «٢»، و على هذه الوجوه فالمثاني من الثناء لأنهم الذين أثنى الله تعالى عليهم في كتابه التدويني بل التكويني، أو هم

الذين يثنون عليه تعالى حق ثنائه و يعلمون يثنون عليه تعالى حق ثنائه و يعلمون غيرهم تسيحه و تهليله، حتى الأنبياء و الملائكة و جميع من دونهم من أهل العالم، كما يستفاد من أخبار مستفيضة بل متواترة «٣» أو من التثنية لأنهم ذو جهتين: جهة عالية لاهوتية و جهة سافلة ناسوتية، أو لثنيهم مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم أو مع القرآن، كما أشار إليه الصدوق «٤» أو يكون المراد كما هو الأظهر بل أولى من جميع ما مر المعصومون جميعا، لكون السبع باعتبار تثنية أربعة عشر، و هذا العدد الشريف هو عدد قوى يد الله الباسطة، و تجليات أنوار وجهه النيرة الساطعة، و لذا طابقهما العدد الذي هو الأربعة عشر.

ثم إن انتهت أن تسمع نمطا آخر من الكلام فاعلم أن الله تعالى خلق المشية بنفسها، من غير سبق مادة، و لا هيولى، و لا صورة و لا كم، و لا كيف، و لا جهة، ثم خلق الأشياء بالمشية.

و المشية مشيتان: إمكانية و كونية، فبالمشية الإمكانية خلق إمكانات الأشياء بلا مد و لا نهاية و لا تناه، و إن شئت فقل بحدود و نهايات غير متناهية، فلكل شيء إمكان كل شيء و من هنا قيل كل شيء فيه معنى كل شيء، فتفتن، و اصرف الذهن

(١) البحار: ج ٢٤ / ١١٥، في ذيل الحديث الأول المنقول عن تفسير على بن إبراهيم.

(٢) البحار: ج ٢٤ / ١١٥، في ذيل الحديث، باب أنهم عليهم السلام السبع المثاني.

(٣) راجع: البحار: ج ٢٥ / ١، ح ٢، عن الاختصاص، و ص ٣، ح ٣، عن فضائل الشيخ الصدوق: ٧-٨، و ص ١٧، ح ٣١، عن كمال الدين.

(٤) البحار: ج ٢٤ / ١١٦، عن توحيد الصدوق: ١٥٠، ح ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٢

إلى كثرة لا تتناهى عددا.

و بالمشية الكونية خلق الأ-كوان، و هى عالم الحدود و النهايات و التناهى، و لكل من المشيتين سبعة مراتب هى أسباب الفعل و مقتضياته و متمماته، بحيث لا يوجد شيء من الموجودات الإمكانية و الكونية إلا بها كما

فى الكافى فى خير حريز «١» و ابن مسكان «٢» عن أبى عبد الله عليه السلام «٣» قال: «لا يكون شيء فى الأرض و لا فى السماء إلا بهذه الخصال السبع: بمشيته، و إرادة و قدر، و قضاء، و إذن، و كتاب، و أجل، فمن زعم أنه يقدر على نقض «٤»

(١) حريز بن عبد الله أبو محمد السجستاني الأزدي الكوفي أكثر التجارة إلى سجستان فعرف بها، وثقه الشيخ، و عده فى رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام، و له كتب فى العبادات منها كتاب فى الصلاة الذى كان يعتمد عليه الأصحاب و يعملون به. و فى رواية حماد المشهورة قال للصادق عليه السلام: أنا أحفظ كتاب حريز فى الصلاة، و الصادق عليه السلام أقره على العمل بكتابه، قتل فى سجستان مع أصحابه بأيدى الشراة، كما نقل تفصيل القتل و علته فى البحار ج ٤٧ / ٣٩٤.

قال العلامة النورى نور الله مرقده فى «المستدرک»: حريز من أعظم الرواة و عيونها، ثقة ثبت لا مغمز فيه، و حديث الحجب واضح التأويل ظاهر الحكمة متين المراد قد أكثر الأجلاء من الرواية عنه. هذه موجزة من ترجمته و طالب التفصيل فلينظر معجم رجال الحديث ج ٤ / ١٩٤، رقم: ٢٦٣٧.

(٢) هو عبد الله بن مسكان (بضم الميم و سكون السين المهملة) الكوفي، عده الشيخ فى رجال من أصحاب الصادق عليه السلام، و عده المفيد من فقهاء أصحاب أبى جعفر و أبى عبد الله عليهم السلام، و الأعلام الرؤساء المأخوذ عنهم الحلال و الحرام و الفتيا و الأحكام الذين لا يطعن عليهم و لا طريق إلى ذم واحد منهم، و هم أصحاب الأصول المدونة و المصنفات المشهورة، و عده الكشى ممن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم و تصديقهم لما يقولون، و أقرؤا لهم بالفقه. - تنقيح المقال ج ٢ / ٢١٦.

(٣) في البحار عن المحاسن: عن أبي جعفر عليه السلام.

(٤) في البحار عن المحاسن: على نقص (بالصاد المهملة). تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٣  
واحدة فقد كفر» «١».

و

فيه عن ذكريا «٢» بن عمران عن الكاظم عليه السلام قال: «لا يكون شيء في السموات ولا في الأرض إلا بسبع: بقضاء وقدر، وإرادة، ومشية وكتاب، وأجل، وإذن، فمن زعم «٣» غير هذا فقد كذب على الله أو ردّ على الله» «٤».

إلى غير ذلك من الأخبار، والمراد بالمشية المذكورة فيها معناها الخاص، وإن كان الكل يجمعها اسم المشية كما يأتي الكلام فيها في تفصيل مراتبها في موضع أليق إن شاء الله، وحيث إنك قد سمعت أن فاتحة الكتاب هي المشية الكلية للكتاب التدويني كما أن المشية الكلية هي فاتحة الكتاب للكتاب التمكيني والتكويني وأن المشية إمكانية وكونية، ففاتحة الكتاب هي السبع المثاني والنور الشعشعاني والبشر الأول والثاني ورتبة البيان والمعاني فافهم لحن المقال ولا تكثر السؤال فإن العلم نقطة كثرها الجهال.

ومنها: «الشفاء» و«الشافية» لأنها شفاء من كل داء.

فمن العياشي «٥» في تفسيره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) الكافي: ج ٣، باب «في أنه لا يكون شيء في السماء ولا في الأرض إلا سبعة» ح ١.

و البحار ج ٥ / ١٢١، ح ٦٥، عن المحاسن ص ٢٤٤.

(٢) هو زكريا بن عمران القمي، روى عن الكاظم عليه السلام و عن هارون بن الجهم و روى عنه محمد بن خالد، و الحسين بن سعيد.

(٣)

في البحار: فمن قال غير هذا فقد كذب على الله ...

(٤) الكافي: ج ٣، باب «في أنه لا يكون شيء» ح ٢. و البحار: ج ٥ / ٨٨، ح ٧، عن الخصال ص ٣٥٠، ح ٣٦.

(٥) هو الشيخ الأجل أبو النضر (بالضاد المعجمة) محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمى السمرقندي، ثقة، صدوق، عين من عيون هذه الطائفة وكبيرها، جليل القدر، له كتب كثيرة تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٤  
«إنها شفاء «١» من كل داء إلا السام، و السام الموت» «٢».

وقضية العموم شموله للأمراض الروحانية والجسمانية، إذ كما أن للأبدان أمراضا يرجع في رفعها وعلاجها إلى أطباء الأبدان، كذلك للقلوب أمراض وآلام يجب الرجوع في علاجها إلى أطباء النفوس والقلوب المطلعين على خفايا العيوب والذنوب، بل الاهتمام بدفع هذا الداء أكثر، فإن بقاءه أضر.

وهذه السورة كما أنها تدفع الأمراض الجسمانية بالرقية والتعويد مع الاعتقاد الصحيح والتوسل الصريح، فكذلك تدفع الأمراض الروحانية والأسقام القلبية بالتحقق بحقائقها والتخلق بمراتبها، إذ به يتحقق العبد في مقام العبودية ويتخلق بالأخلاق القدسية، و يحصل له الانقطاع إلى الله بالكلية، فيتمكن من محله الأمن والأمان والاطمئنان، ويندحر عنه جنود الجهل وأعوان الشيطان بزواج خطاب، إنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ «٣».

ومنها: «الأساس»، لأنها أصل القرآن وأساسه على ما مر فيما مر، ولما في «مجمع البيان» عن ابن عباس: «إن لكل شيء أساسا وأساس القرآن الفاتحة وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم» «٤». ولأنها أساس إذ لا صلاة إلا بها «٥».

تزيد على مائتي مصنف منها كتاب التفسير المعروف، و كان يروى عن الضعفاء، و في أول النديم في الفهرست: إنه من بنى تميم من

فقهاء الشيعة الإمامية و كان أوحده دهره و زمانه فى غزارة العلم - سفينة البحار فى لفظ (عيش).

(١) فى المصدر: هى شفاء.

(٢) تفسير العياشى: ج ١، ص ٣، ح ٩.

(٣) سورة الحجر: ٤٢.

(٤) مجمع البيان: ج ١، ص ١٧، ط صيدا.

(٥) فى تفسير القرطبي ١/١١٣:

شكا رجل الى الشعبى وجع الخاصة، فقال: عليك بأساس القرآن فاتحة الكتاب، سمعت

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٥

و منها: «الكافية»، إذ هى تكفى عمّا سويها، و لا يكفى عنها ما سويها فى خصوص الصلوة، أو مطلقا على بعض الوجوه المتقدمة، و يؤيده

النبوئى المروى فى «المجمع» عن عبادة بن الصامت «١»، عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: «أم القرآن عوض عن غيرها و ليس غيرها عوضا عنها» «٢».

و منها: «الصلوة»

لقول النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «قال الله تعالى: قسمت الصلوة بينى و بين عبد نصفين»

الى آخر ما مرّ فى تسميتها بأَم الكتاب «٣» و المراد بها «الفاتحة» كما يظهر من تمام الخبر، و ان احتمال أيضا ارادة «الصلوة» باعتبار اشتمالها على «الفاتحة» و لان منزلتها فى القرآن منزلة الصلوة فى العبادات لجامعتها و اشتمالها على ما يشتمل عليه غيرهما.

و منها: «الكنز» لما

روى فى العلوى «أنها نزلت من كنز تحت العرش» «٤».

و منها غير ذلك من الأسماء الكثيرة التى قيل بإطلاقها عليها و لم نر لها كبعض ما مرّ أثرا فى أخبارنا، و ان أمكن التقريب فيها ببعض الوجوه كالوافية

ابن عباس يقول: لكلّ شىء أساس؛ و أساس الدنيا مكة، لأنها منها دحيت، و أساس السموات عريبا و هى السماء السابعة، و أساس الأرض عجيبا و هى الأرض السابعة السفلى، و أساس الجنان جنة عدن و هى سرّة الجنان عليها استجنت الجنّة، و أساس النار جهنم و هى الدرّة السابعة السفلى عليها أسست الدركات، و أساس الخلق آدم، و أساس الأنبياء نوح، و أساس بنى إسرائيل يعقوب، و أساس الكتب القرآن، و أساس القرآن الفاتحة و أساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم، فاذا اعتلت أو اشتكيت فعليك بالفاتحة تشفى.

(١) عبادة بن الصامت ابو الوليد الخزرجى أحد النقباء ليلة العقبة ولى قضاء القدس و مات بالرملة أو ببيت المقدس سنة اربع و ثلاثين (العبر ١/٣٥).

(٢) مجمع البيان ١/١٧.

(٣) فى ص ٢١ من كتب الفريقين.

(٤) لم أظفر على مصدر له - و

فى البحار ج ٨٥ ص ٢١ عن تفسير العياشى ج ١ ص ٢٢: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إن الله تعالى منّ علىّ بفاتحة الكتاب من كنز الجنة .... الخبر. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٦

و الشكر و الدعاء و التعليم و القرآن العظيم، فأنه مقام الإجمال كما ان الفرقان مقام التفضيل و النور و الرقية و سورة المناجاة و سورة

التفويض و سورة السؤال و سورة الحمد و سورة الحمد الاولى و سورة الحمد القصرى بالراء و الواو و سورة التمحيص و التخليص و سورة التقسيم لقوله تعالى: «قسمت» إلى آخره، و سورة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ لما سمعت و سورة تعليم المسألة و سورة أمير المؤمنين لطلب الهداية الى الصراط المستقيم المفسر بولايته عليه السلام.

### [عدد آياتها]

سبع آيات، و هي مكية أما كونها سبع آيات فكأنه لا خلاف فيه بين من خالفنا فضلا عما بيننا، و لذا نسب إلى الشذوذ ما يحكى عن الجعفى «١» منهم من عدم عدّ شيء من التسمية، و صراط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ آيةً مستقلةً نظرا إلى أنها ستة، و أشد منه ما يحكى عن عمرو بن عبيد «٢» من كونها آيتين ذهابا إلى أنها ثمانية، و أشد منهما ما عن ثالث من كون أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ آيةً ثامنةً فالتاسعة ما بعدها إلى غير ذلك من الأقوال الشاذة التي لا ينبغي التعرض لها فضلا عما لها و ما عليها.

نعم، قد طال التشاجر بينهم فى أنها آية أو بعض آية فيها أو فى غيرها من السور، و ستسمع تمام الكلام عند التعرض لتفسير البسملة.

و أما كونها مكية فقد حكاها فى «المجمع» عن ابن عباس و قتادة «٣» و حكى

(١) الجعفى: الحسين بن على بن الوليد المتوفى (٢٠٣) هـ، تقدمت ترجمته.

(٢) هو عمرو بن عبيد بن باب البصرى المعتزلى المتوفى (١٤٣) هـ، تقدمت ترجمته.

(٣) هو قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز أبو الخطاب الدوسى البصرى الضرير الأكمه، كان من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٧

عن مجاهد «١» كونها مدنية، و عن بعضهم أنها نزلت مرتين: مرة بمكة و مرة بالمدينة «٢».

روى الفخر الرازى «٣» فى تفسيره عن الثعلبى «٤» بإسناده عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش» «٥».

المفسرين الحفاظ و الرؤساء فى العربية و مفردات اللغة و أيام العرب و النسب، ولد سنة (٦١) هـ و مات بواسط فى الطاعون سنة (١١٨) هـ - تذكرة الحفاظ: ج ١ / ١١٥.

(١) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكى مولى بنى مخزوم كان من المفسرين أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت و كيف كانت؟ ولد سنة (٢١) هـ و توفى سنة (١٠٤) أو قبلها - الأعلام: ج ٦ / ١٦١.

(٢) قال السيوطى فى الإتقان ص ١٢: سورة الفاتحة، الأكثرون على أنها مكية، بل ورد أنها أول ما نزل، و استدل لذلك بقوله تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي فِي سُوْرَةِ الْحَجْرِ و قد فسرها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ بالفاتحة كما فى الصحيح، و سورة الحجر مكية بالاتفاق و قد امتن على رسوله فيها بها فدل على تقدم نزول الفاتحة عليها، و بأنه لا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة و لم يحفظ أنه كان فى الإسلام صلوة بغير الفاتحة، ذكره ابن عطية و غيره و

قد روى الواحدى و الثعلبى من طريق العلاء بن المسيب عن الفضل بن عمرو عن على بن أبى طالب قال: «نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش».

و اشتهر من مجاهد القول بأنها مدنية، و قال الحسين بن فضل: هذه هفوة من مجاهد لأن العلماء على خلاف قوله.

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين المعروف بفخر الدين الرازى كان من المهرة فى عهده فى المعقول و المنقول و علوم الأوائل، أصله من طبرستان، و ولد فى الرى سنة (٥٤٤) هـ و توفى فى هراء سنة (٦٠٦) هـ و له مصنفات منها: «مفاتيح الغيب» فى التفسير -

الأعلام:

ج ٢٠٣ / ٧

(٤) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري، مفسر من كتبه «الكشف والبيان» يعرف بتفسير الثعلبي، توفي (٤٢٧) هـ وفيات: ج ١ / ٢٢.

(٥) مفاتيح الغيب: ج ١ / ١٧٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٨

و

عنه بإسناده عن عمرو «١» بن شرحبيل أنه قال: «أول ما نزل من القرآن الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ ذَلِكَ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أُسْرَ إِلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ خَالِطَنِي شَيْءٌ، فَقَالَتْ: مَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ سَمِعْتُ النِّدَاءَ: اقْرَأْ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى وَرْقَةَ «٢» بن نوفل و أسأله من تلك الواقعة، فقال له ورقة: إذا أتاك فاثبت له، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: قل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ «٣».

وقد يستدل له أيضا بالاتفاق على كون سورة الحجر مكية مع أن من آياتها قوله: وَ لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَيِّعًا مِنَ الْمَثَانِي «٤» الآية ... الدالة على أنه تعالى آتاه فيما تقدم السبع المثاني المفسر بالفاتحة بالأخبار المستفيضة «٥» وغيرها، و بأنه يبعد أن يقال: إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أقام بمكة بضع و عشر سنين و صلى هو و أصحابه من دون فاتحة الكتاب مع أنه ورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: أنه لا صلاة إلا بها «٦».

(١) هو عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الهمداني الكوفي تابعي جليل، شهد صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام، توفي في أيام عبيد الله بن زياد، و صلى عليه شريح القاضي.

(٢) هو ورقة بن نوفل بن أسد القرشي، حكيم اعتزل الأوثان قبل الإسلام، توفي سنة (١٢).

(٣) مفاتيح الغيب: ج ١ / ١٧٧.

(٤) الحجر: ٨٧.

(٥)

في تفسير الصافي: العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال:

«هي سورة الحمد، و هي سبع آيات منها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إنما سميت بالمثاني لأنها يثنى في الركعتين».

و

عن أحدهما عليهما السلام أنه سئل عنها فقال:

«فاتحة الكتاب يثنى فيها القول».

و كذا

في «المجالس» عن السجاد عليه السلام، و في «المجمع» عن علي عليه السلام و هكذا عن الباقر و الصادق عليهما السلام و في «الاحتجاج» عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث: «زاد الله محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ السبع الطول، و فاتحة الكتاب و هي السبع المثاني ... إلخ».

(٦) تقدم عن المستدرک: ج ٤ / ١٥٨، ح ٥، عن عوالي اللئالي ج ١ / ١٩٦، ح ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٩

و أما كلماتها فتسع و عشرون كلمة مع البسملء، و ربما يقال بخلاف ذلك على زيادة أو نقيصة لاختلاف الاعتبارات في عدّ الكلمات، فإنهم لم يعدّوا مثل الواو و الفاء و الباء و ساير الحروف المفردة بل الألف و اللام كلمة مستقلة، مع أنها كلمات من الحروف، و الخطب سهل فيه، و كذا في اختلافهم في اعتبار الحروف و أن المعدود منها هل هو الحروف الملفوظة أو المكتوبة أو كل منهما، و إن لم أجد في ذلك كلاما محرّرا لهم و لا لعلماء الحروف و الأعداد.

نعم، ذكر الشهيد الثاني «١» في «الروضه» في شرح قول الشهيد «٢» رحمه الله عليه: «فإن لم يحسن يعنى المصلى شيئا من الفاتحة قرء من غيرها بقدرها» قال:

أى بقدر الحمد حروفا فإن حروفها مائة و خمسة و خمسين حرفا بالبسملء إلا لمن قرء (مالك) فإنها يزيد حرفا «٣». و اعترضه جمال المحققين «٤» بأنه إما أن يعتبر الحروف الملفوظة أو المكتوبة

(١) الشهيد الثانى: زين الدين بن نور الدين على بن أحمد بن محمد العاملى الشامى الجبعى، أمره فى الثقة و الجلالة و العلم و الزهد و العبادة و الورع و كثرة التحقيق أشهر من أن يذكر، و محاسنه و أوصافه الحميدة أكثر من أن تحصر، ولد ثالث عشر شوال سنة (٩١١) هـ و ختم القرآن و عمره تسع سنين، و استشهد فى رجب سنة (٩٦٦) هـ.

قال المؤلف فى منظومته «نخبة المقال» فى تاريخ ولادته و عمره و شهادته: و شيخ والد بهاء الدين القدوة التحرير زين الدين ميلاده «شاهد الثانى» و قد عمر خمسين و خمسا فشهد (٩١١)

(٢) الشهيد إذا أطلق أو قيد بالأول فهو الشيخ لأجل الأفقه أبو عبد الله محمد بن مكى بن محمد بن العاملى رئيس المذهب و الملة، كان بعد المحقق على الإطلاق أفقه فقهاء الآفاق، ولد سنة (٧٣٤) و استشهد بالسيف و الصلب و الرجم و الإحراق بدمشق سنة (٧٨٦) هـ رضوان الله عليه.

(٣) شرح اللمعة الدمشقية: كتاب الصلاة، الفصل الثالث فى كيفيتها.

(٤) جمال المحققين: محمد جمال الدين بن آقا الحسين بن جمال الدين محمد الخوانسارى تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٠

فعلى الأول غاية مبلغ الحروف مائة و تسعة و ثلاثون حرفا. و ذلك على تقدير الوقف على الرحيم، و العالمين، و نستعين، و عدّ المد حرفا، و المشدد حرفين، و إلا فينقص منه أيضا، و على الثانية أصل الحروف مائة و اثنان و أربعون، و إذا أضيف التشديدات الأربعة عشر فيصير مائة و ستة و خمسون، و لو اعتبر المد أيضا حرفا كما هو الظاهر فيزيد حرفا آخر، و على التقادير لا يستقيم ما ذكره الشهيد، اللهم إلا أن يقال: إنه اعتبر المكتوبة و أضاف إلى الحروف الأصول التشديدات التى لم يكتب معها الحروف المدغمة دون البواقى، فإنه بعد اعتبار المدغم و المدغم فيه على حرفين لا وجه لاعتبار التشديد معهما حرفا، إذ لا يزيد المدغم و المدغم فيه على حرفين لو لم ينقصا منه، و التشديدات المذكورة خمسة فيصير المجموع مائة و سبعة و أربعين، و لو أعتبر المد أيضا حرفا كما هو الظاهر فيزيد حرفا آخر، و على التقادير لا يستقيم ما ذكره الشهيد، اللهم إلا- أن يقال: إنه اعتبر المكتوبة و أضاف إلى الحروف الأ-صول التشديدات التى لم يكتب معها الحروف المدغمة دون البواقى، فإنه بعد اعتبار المدغم و المدغم فيه على حرفين لا وجه لاعتبار التشديد معهما حرفا، إذ لا يزيد المدغم و المدغم فيه على حرفين لو لم ينقصا منه، و التشديدات المذكورة خمسة فيصير المجموع مائة و سبعة و أربعين، و اعتبر المد أيضا، و كذا اعتبرت همزة الاسم، فإنه لا تترك فى الكتابة إلا فى خصوص البسملء لكثرة

الإصفهاني، عالم مشارك فى الأخبار، و الفقه و الأصول، و الكلام و الحكمة، كان مجازا من المجلسى الأول، و له تصانيف كثيرة



منها: حاشيته على اللمعة، توفي في ٢٦ من شهر رمضان سنة (١١٢١) هـ كما جاء في «نجوم السماء» ص ١٩١ مادة تاريخ لوفاته من فاتح الشاعر بالفارسية:

سال فوتش را بفاتح هاتفي از غيب گفت كرد ايزد با حسين بن علي حشر جمال (١١٢١) هـ و جاء تاريخ وفاته في «الروضات» سنة (١١٢٥).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤١

الاستعمال فاعتبر الأصل، و كذا ألفى الله و كذا الرَّحْمَنِ فَإِنِ الْقَاعِدَةُ تَقْتَضِي كِتَابَهُمَا، و إنما شاع تركهما في خصوصهما، فإنه اعتبر فيهما أيضا الأصل و كذا اللام و الهمزة من الله فَإِنِ الْأَصْلُ فِيهِ كَمَا قِيلَ أَنَّ يَكْتُبُ لِلَّهِ لَكُنْهُمْ نَقَصُوا الْهَمْزَةَ لِاتِّبَاسِهِ بِالنَّفْيِ فَصَارَ لِلَّهِ فَاسْتَكْرَهُوا اجْتِمَاعَ ثَلَاثِ لَامَاتٍ. فحذفوا إحداها فصار لله، و إذا اعتبر جميع ما ذكرناه بلغ إلى ما ذكرناه، لكن اعتبار الحروف المكتوبة بعيد جدا، و الظاهر أن الاعتبار هنا بالحروف المملوطة و يحتمل أن يكون الشهيد أيضا اعتبر المملوطة لكن مملوطة كل كلمة على تقدير التلغظ بها منفردة بالابتداء بها و الوقف عليه، و هو يوافق ما ذكرناه من اعتبار المكتوبة، فإن القاعدة في كتابه كل كلمة هو كتابة ما يتلفظ به منه على ذلك التقدير إلا- أنه خولف ذلك في بعض المواضع لنكتة، فإذا اعتبر المكتوبة على القاعدة بتوافي المكتوبة على ذلك الوجه ضم التشديدات الخمسة و حرف المد يبلغ ما ذكره، لكن اعتبار المملوطة على ذلك الوجه أيضا كأنه بعيد. أقول: و هذا كله كما ترى تكلف في تكلف، و لا- يبعد اختلاف الاعتبارات باختلاف المقامات فيعتبر المملوطة في باب القراءة، و المكتوبة في نحو الكتابة.

## الاستعاذة

### إشارة

الاستعاذة: استفعال من عاذ يعوذ عوذا و عياذا و معاذا و معاذة:

إذا التجأ و استجار به و امتنع، فالمستعيذ طالب العوذ و الالتجاء الى رحمته و عصمته، بخلاف العائد فإنه الملتجئ، قيل: و يستعمل بمعنى الالتصاق أيضا، فمعناه حينئذ ألصق نفسه بفضل الله و رحمته.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٢

## حكم الاستعاذة

و لا خلاف بيننا في استحباب الاستعاذة قبل القراءة بلا فرق بين كون المقروء تمام السورة أو بعضها، مفتتحا بالبسملة أو لا، حتى بعض الآيه، و بالجملة كل ما يصدق عليه القرآن، لقوله تعالى: فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ «١».

و

في «تفسير العياشي» عن الصادق عليه السلام، قال: سئلته عن التعوذ من الشيطان عند كل سورة نفتحتها؟ قال: نعم، فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم «٢».

و يحمل الأمر في الآية عليه، و إن كان ظاهرا في الوجوب، بل يمكن أن يقال بعد تسليم ذلك في موضعه: ليس الأمر في الآية ظاهرا فيه لكون المطلوب فيه غيريا، فلا يتجاوز مطلوبيه مطلوبيه ذلك الغير، و هي على وجه الاستحباب من حيث الذات، و أما العوارض فلا عبرة بها.

و من جميع ما مر مضافا إلى الأصل و الاستصحاب و عدم مزية المقدمة على ذيتها، يظهر ضعف ما حكاها في «الذكري» عن أبي على

«٣» ابن الشيخ رحمه الله عليه من القول بوجوبها في خصوص الصلاة، لكونه مردودا بما سمعت، بل مسبوفا بالإجماع حسب ما ادعاه والده شيخ الطائفة «٤» مضافا إلى ما رواه

(١) سورة النحل: ٩٨.

(٢) تفسير العياشي ٢ / ٢٧٠ ح ٦٨ الحلبي عن ابي عبد الله عليه السلام قال: سألته ... إلخ - وعنه البحار ١٩ / ٥٤.

(٣) أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي، أجازته والده في سنة (٤٥٥) هـ، وقرأ على والده أبي جعفر جميع تصانيفه، وله كتاب الأمالي وشرح النهاية.

(٤) شيخ الطائفة علي الإطلاق هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي تلمذ على الشيخ المفيد والسيد المرتضى وغيرهما، وكان فضلاء تلامذته المجتهدون يزيدون علي ثلاثمائة من الخاصة ومن العامة ما لا تحصى. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٣ الصدوق «١» قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتم الناس صلاة وأجزهم، كان إذا دخل في صلاته قال: الله أكبر بسم الله الرحمن الرحيم «٢».

وما يحكى عن بعض العامة كعطاء «٣» بن أبي رباح، والرازي، وداود «٤» وأصحابه وغيرهم من القول بوجوبها، مطلقا نظرا إلى ظاهر الآي، بل عن داود وأصحابه بطلان الصلاة بتركها، وعن ابن سيرين «٥» وجوب التعوذ في العمر مرة واحدة نظرا إلى حصول الامتثال به، كضعف ما حكاه العلامة «٦» في «المنتهى» عن

ولد في شهر رمضان سنة (٣٨٥) هـ و قدم العراق سنة (٤٠٨) هـ و كان ببغداد ثم هاجر إلى النجف الأشرف و بقى هناك إلى أن توفي سنة (٤٦٠) هـ.

(١) هو الشيخ الأجل أبو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي. يقال: ولد بدعاء صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف، سنة (٣٠٦) هـ كان ثقة حافظا للأحاديث بصيرا بالرجال له نحو (٣٠٠) مصنف منها «من لا يحضره الفقيه» توفي بالري سنة (٣٨١) هـ وقبره مزار معروف في بقعة عالية.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١ / ٣٠٦، ح ٩٢٠.

(٣) عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان، تابعي، كان من الفقهاء و كان بنو أمية يعظموه جدا حتى أمروا المنادي ينادي: لا يفتي الناس إلا- عطاء و إن لم يكن فعبد الله بن أبي نجيح، ولد عطاء سنة (٢٧) هـ باليمن و مات بمكة المكرمة سنة (١١٤) هـ - تذكرة الحفاظ: ج ١ / ٩٣، - سفينة البحار: ج ٦ / ٢٩٥.

(٤) هو داود بن علي بن خلف أبو سليمان الظاهري الاصبهاني ولد بالكوفة سنة (٢٠١) هـ و توفي ببغداد سنة (٢٧٠) هـ - الأعلام ج ٣ / ٨.

(٥) هو محمد بن سيرين أبو بكر البصري الأنصاري بالولاء، تابعي ولد سنة (٣٣) بالبصرة و توفي بها سنة (١١٠) هـ، نشأ بزازا في أذنه صمم، و تفقه و روى الحديث و اشتهر بالورع و تعبير الرؤيا و قصيته مع التي راودته عن نفسه و غلقت الأبواب و قالت: هيت لك، معروفة فلمكان احترازه عن المعصية أعطاه الله سبحانه علم التعبير، و هذا لا ينافي ما قيل في نصبه كما نقل المحدث القمي عن شيخه الطبرسي النوري قدس سرهما: أن ابن سيرين كان مؤدب ولد الحجاج، و كان يسمعه يلعن عليا فلا ينكر عليه، فلما لعن الناس الحجاج خرج من المسجد و قال: لا أطيق أسمع شتمه. - سفينة البحار: ج ٤ / ٣٥٥.

(٦) هو جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر العلامة الحلبي، لا نظير له

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٤

محمد بن سيرين من أنه كان يتعوذ بعد القراءة «١»، بل ربما يحكى عن النخعي «٢»، و داود الأصفهاني أيضا، لكونها شرط المطلوبة في ظاهر الآية و هو متقدم على المشروط.

و فيه أن المراد إرادة القراءة فوضعوا الفعل مقام إرادته و التهيؤ له، على حد قوله: إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ «٣» و إذا لقيت العدو فخذ سلاحك، و يعضده تظافر الروايات من الخاصة و العامة على تقديمه،

كالمروى عن أبي سعيد الخدرى «٤» عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أنه كان يقول قبل القراءة: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» «٥».

بل

في تفسير العسكري عليه السلام و غيره ما يدل على تفسير الآية بهذا الوجه أيضا، قال: و أما قوله الذي ندبك الله و أمرك به عند قراءة القرآن: أعوذ بالله، الخبر بطوله «٦».

في عصره في المعقول و المنقول و الفقه و الأصول، ولد سنة (٦٤٨) هـ و توفي سنة (٧٢٦) هـ قدس الله روحه.

(١) منتهى المطلب ج ١ ص ٢٩٦.

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعي الكوفي، كان فقيه العراق في عصره و له مذهب، ولد سنة (٤٦) هـ، و توفي سنة (٩٦) هـ. - الأعلام ك ج ١ / ٧٦.

(٣) سورة المائدة: ٦.

(٤) هو أبو سعيد الخدرى سعيد بن مالك بن سنان الخزرجي، صحابي كان من ملازمي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، له (١١٧٠) حديثا، ولد سنة (١٠) قبل الهجرة، و توفي بالمدينة سنة (٧٤) هـ. - الأعلام: ج ٣ / ١٣٨.

(٥)

قال الشوكاني محمد بن علي اليماني المتوفى سنة (١٢٥٠) هـ في «نيل الأوطار» ج ٢ / ٢١٣: عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أنه كان إذا قام إلى الصلاة استفتح ثم يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزة و نفخه و نفثه»، رواه أحمد و الترمذى.

(٦) تفسير الإمام عليه السلام: ص ١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٥

فلا إشكال في ضعف القول بتأخيره بعد استقرار المذهب منا و من العامة على خلافه «١»، مضافا إلى ما قيل: من أن المقصود من الاستعاذة نفى وسوسة الشيطان عند القراءة، قال الله تعالى:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ «٢».

ولذا أمر الله تعالى بتقديمها.

بل و لا في ضعف ما حكاه الرازى قولاً ثالثاً، و هو قراءتها قبل القراءة للخبر، و بعدها للقرآن جمعا بين الدليلين حسب الإمكان «٣»، إذ فيه المنع من التعارض، و الأخبار للبيان، و حسن الاحتياط ممنوع في مثل المقام بعد وضوح الحكم، بل قد يؤدي إلى التشريع لو قصد المشروعية.

### محل الاستعاذة في الصلاة

كما أنه لا إشكال في أنه في خصوص الصلاة يتعوذ في أول ركعة منها خاصة، ثم لا يتعوذ في كل ركعة.

(١) قال الرازي في «مفاتيح الغيب» ج ٢٠ / ١١٤، في تفسير آية الاستعاذة من سورة النحل:

الفاء في قوله تعالى: فَاسْتَعِذْ لِلتَّعْقِيبِ، فظاهر هذه الآية يدل على أن الاستعاذة بعد قراءة القرآن وإليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين، قالوا: والفائدة فيه أنه إذا قرأ القرآن استحق به ثوابا عظيما، فإن لم يأت بالاستعاذة وقعت الوسوسة في قلبه و تحبط بها ثواب القراءة، أما إذا استعاذ بعد القراءة اندفعت الوسوس و بقي الثواب مصونا عن الإحباط.

أما الأ-كثرون من علماء الصحابة والتابعين فقد اتفقوا على أن الاستعاذة مقدمة على القراءة وقالوا: معنى الآية إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعد، ونظيره قوله تعالى: إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا... أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة.  
(٢) سورة الحج: ٥٢.

(٣) مفاتيح الغيب: ج ١ / ٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٦

قال في «المنتهى» (١): وهو مذهب علماءنا وهو قول عطاء والحسن (٢) والنخعي والثوري (٣)، لأن القصد هو التعوذ من الوسوسة، وهو حاصل في أول الركعة.

ولأن الصلاة كالفعل الواحد، فيكفي الاستعاذة الواحدة كالتوجه.

هذا مضافا إلى استمرار الطريقة عليه، و كونه المعهود من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام بعد كون العبادات توقيفية يلزم أخذها من صاحب الشريعة سيما بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «صلوا كما رأيتموني أصلي» (٤)

و ،

«خذوا عني»

(١) منتهى المطالب: ج ١ / ٢٧٠، وهكذا قال ابن منذر النيسابوري في «الأوسط» ج ٣ / ٨٩:

اختلفوا في الاستعاذة في كل ركعة فقالت طائفة يجزيه أن يستعيد في أول ركعة كذلك قال النخعي والحسن البصري وعطاء بن أبي رباح وسفيان الثوري وفيه قول ثان وهو أن يستعيد في كل ركعة هكذا قال ابن سيرين، وقال الشافعي وقد قيل: إن قاله يعنى الاستعاذة في كل ركعة قبل القراءة فحسن ولا أمر به في شيء من الصلاة أمرى به في أول ركعة، قاله في كتابه «الأم» ج ١ / ١٠٧.

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، سببت أمه من ميسان وهي حامل به و ولدته بالمدينة سنة (٢١) هـ وقيل: كانت أم سلمة تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو طفل فتسكته أم سلمة بشديها، وشب في كنف أمير المؤمنين عليه السلام، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة إلى أن توفي بها سنة (١١٠) هـ وهو عندنا غير مرضى لورود مطاعن شديدة فيه عن أهل البيت عليهم السلام، قال المؤلف في منظومته «نخبه المقال»:

فالحسن البصري مبغض الولي\* قد ساء جهاده فليخذل وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: قيل: و ممن كان يبغض عليا عليه السلام و يذمه الحسن البصري-. بهجة الآمال في شرح زبدة المقال: ج ٣ م ٦٩.

(٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ولد بالكوفة سنة (٩٧) هـ، كان محدثا فقيها سكن مكة والمدينة ومات بالبصرة سنة (١٦١) هـ.

(٤) صحيح البخاري بشرح ابن حجر و تحقيق عبد الباقي ج ٢ / ١١١، ح ٦٣١، و صحيح مسلم بتحقيق عبد الباقي ج ١ / ٢٩٣، و رواه

أحمد في «المسند» ج ٥ / ٥٣ بلفظ آخر

قال: عن تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٧

«مناسككم» (١)

مع دلالة بعض الأخبار عليه، وقيام الإجماع به نقلا بل تحصيلا، فلا يلتفت إلى ما يحكى عن الشافعي في أحد قوليهِ و عن ابن سيرين من استحباب التعوذ في كل ركعة، نظرا إلى صدق القراءة في كل منها، و هو على فرضه يجب الخروج عنه لما سمعت، مضافا إلى ما روى من طريق الجمهور عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه كان إذا نهض من الركعة الثانية استفتح بقراءة الحمد (٢). ثم إنه قد اختلف أهل العلم في كيفيتها و في أن المندوب هل هو الجهر بها أو الإخفات. فالمشهور بين الأصحاب بل بين المخالفين أيضا أن صورتها «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». قال في «التذكرة»: و به قال أبو حنيفة (٣)، و الشافعي (٤) لأنه لفظ القرآن. و قال الثوري، و ابن سيرين: يزيد بعد ذلك: إن الله هو السميع العليم.

مالك بن الحويرث أبي سليمان أتى إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو و صاحب له فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لهما: «إذا حضرت الصلاة فأذنا و أقيما و ليؤمكم أكبركما و صلوا كما تروني أصلي».

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ج ٥ / ١٢٥.

(٢)

رواه الحاكم في «المستدرک» ج ١ / ٢١٥ قال: عبد الواحد بن زياد حدثنا عمارة بن القعقاع، حدثنا أبو زرعة عن أبي هريرة قال: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا نهض في الثانية استفتح بالحمد لله رب العالمين و لم يسكت». هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه هكذا.

(٣) هو النعمان بن ثابت أبو حنيفة الكوفي إمام الحنفية، قيل: أصله من الفرس، ولد بالكوفة سنة (٨٠) هـ و توفي ببغداد سنة (١٥٠) هـ، و له «مسند» في الحديث مطبوع. - الأعلام:

ج ٩ / ٤.

(٤) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي، إمام الشافعية، ولد في غزة بفلسطين سنة (١٥٠) هـ و توفي بمصر سنة (٢٠٤) هـ، و قبره معروف بالقاهرة و له مصنفات أشهرها «الأم» في الفقه مطبوع في سبع مجلدات - طبقات الشافعية: ج ١ / ١٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٨

و قال أحمد (١): أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

و قال الحسن (٢) بن صالح بن حبي: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم.

و احتجوا بقوله: وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣).

و الأخير ليس بداخل في الأمر بالاستعاذة، بل خبر بعده، و الأمر قبله (٤).

و في «التيسير»: أن المستعمل عند الحدائق من أهل الأداء في لفظها «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» دون غيره لموافقه الآية و لما

رواه نافع (٥) بن جبير بن مطعم، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه استعاذ بهذا اللفظ بعينه (٦).

بل

في «شرح الشاطبية» عن ابن مسعود أنه قرأ على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أعوذ بالله السميع العليم، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» (٧).

(١) هو أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني إمام المذهب الحنبلي، ولد ببغداد سنة (١٦٤) هـ و توفي سنة (٢٤١) هـ. - الأعلام: ج ١ / ١٩٢.

(٢) الحسن بن صالح بن حي الهمداني الثوري الكوفي من زعماء الفرقة البترية من الزيدية، ولد سنة (١٠٠) هـ و توفي بالكوفة سنة (١٦٨) هـ. تهذيب التهذيب: ج ٢ / ٢٨٥.

(٣) سورة فصلت: ٣٦.

(٤) تذكرة الفقهاء: ج ١ / ١١٤.

(٥) نافع بن جبير بن مطعم أبو عبد الله التابعي، وثقه العجلي و أبو زرعة و ابن خراش، روى عن أبيه، و الزبير بن العوام، و العباس بن عبد المطلب و عثمان بن أبي العاص، و علي بن أبي طالب عليه السلام، و آخرين، توفي سنة (٩٩) هـ، و والده جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف أبو محمد المدني أسلم قبل حنين أو يوم الفتح، و له ستون حديثا و توفي بالمدينة سنة (٥٩) هـ تهذيب التهذيب: ج ١٠ / ٤٠٤، و خلاصة تهذيب الكمال: ج ١ / ١٦١.

(٦) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد المدني ص ١٧، ط إستانبول، و ما رواه عن نافع أخرجه أحمد بن حنبل في «المسند»: ج ٤ / ٨٠، و الحاكم في «المستدرک»:

ج ١ / ٢٣٥، ولكنه ليس بعين اللفظ، بل لفظه هكذا: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم».

(٧) عوالي اللئالي: ج ٢ / ٤٧، ح ١٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٩

ثم قال: و لا أعلم خلافا بين أهل الأداء في الجهر بها عند افتتاح القرآن و عند الابتداء برؤوس الأجزاء، و غيرها في مذهب الجماعة إتباعه للنص و اقتداء بالسنة.

ثم حكى عن نافع «١» أنه كان يخفيها في جميع القرآن، و عن حمزة «٢» أنه كان يجهر بها في أول أم القرآن خاصة، و يخفيها بعد ذلك في سائر القرآن.

و في «التذكرة» يستحب الإسرار بها و لو في الصلاة الجهرية، ثم حكى عن أحد قولى الشافعية الجهر بها في الجهرية تمسكا بعمل أبي هريرة «٣». «٤».

ثم قال: و عمل الأئمة عليهم السلام أولى «٥»، و ظاهره نسبة الإسرار إليهم عليهم السلام.

و في «مجمع البيان» عن ابن كثير «٦»، و عاصم «٧»، و أبي عمرو «٨»: «أعوذ بالله

(١) هو نافع بن عبد الرحيم بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني، أحد القراء السبعة المشهورين، أصله من أصبهان، اشتهر في المدينة و أقرأ الناس نيفا و سبعين سنة و توفي بها سنة (١٦٩) هـ.

غاية النهاية: ج ٢ / ٣٢٠.

(٢) هو حمزة بن حبيب بن عماره بن إسماعيل الزيات القارى أحد القراء السبعة ولد سنة (٨٠) هـ و توفي بحلول سنة (١٥٦) هـ - الأعلام: ج ٢ / ٣٠٨.

(٣) أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسى الصحابى، ولد سنة (٢١) قبل الهجرة و قد المدينة و أسلم سنة (٧) هـ، و روى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم (٥٣٧٤) حديثا نقلها عن أبي هريرة أكثر من (٨٠٠) رجل، و ولى إمرة المدينة مدة و استعمله عمر على

البحرين ثم عزله، مات بالمدينة سنة (٥٩) هـ. - الأعلام: ج ٤ / ٨٠. تفسير الصراط المستقيم ج ٣ / ٨٩

(٤) سنن البيهقي: ج ٢ / ٣٦.

(٥) تذكرة الفقهاء: ج ١ / ١١٤.

(٦) هو عبد الله بن كثير الدارى المكى أحد القراء السبعة، ولد بمكة المكرمة سنة (٤٥) هـ و توفي بها سنة (١٢٠) هـ. وفيات الأعيان: ج ١ / ٣٥٠.

(٧) عاصم بن أبى النجود بهدلة الكوفى أحد القراء اسبعة، توفي بالكوفة سنة (١٢٧) هـ. - الأعلام: ج ٤ / ١٢.

(٨) أبو عمرو: زبان بن عمار العلاء المازنى البصرى أحد القراء السبعة، ولد بمكة المكرمة سنة (٧٠) هـ و توفي بالكوفة سنة (١٥٤) هـ. - الأعلام: ج ٣ / ٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٠

من الشيطان الرجيم.

و عن نافع، و ابن عامر «١»، و الكسائى «٢» زيادة «إن الله هو السميع العليم».

عن حمزة: «نستعين بالله من الشيطان الرجيم».

و عن أبى حاتم «٣»: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» «٤».

و عند العامة أقوال أخر فى كيفيتها كقولهم: «اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم» «٥».

و «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم» «٦».

و «أعوذ بالله العظيم السميع العليم من الشيطان الرجيم» «٧».

إلى غير ذلك مما لا طائل تحت حكايته، إذ العبرة بما يستفاد من أخبار أهل البيت عليهم الصلاة و السلام.

فالمشهور

فى الأخبار بل عند الأصحاب «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»،

و هو الأوفق بلفظ الآية.

بل

ورد ذلك فى خطبة عيد الفطر لأمير المؤمنين «٨»، و كذا فى خطبته لصلاة يوم الجمعة «٩» و عيد الأضحى، و أرسل الشهيد فى

«الذكرى» عن أبى سعيد الخدرى

(١) هو عبد الله بن عامر بن يزيد أبو عمران الشامى أحد القراء السبعة، ولى قضاء دمشق فى خلافة الوليد بن عبد الملك، و توفي بها سنة (١١٨) هـ.

(٢) الكسائى: على بن حمزة الكوفى اللغوى النحوى القارى المتوفى (١٨٩) هـ.

(٣) هو أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود الرازى المتوفى (٢٧٧) هـ.

(٤) مجمع البيان: ج ١ / ١٨.

(٥) تقدم الحديث عن مسند ابن حنبل ج ٤ / ٨٠ و مستدرک الحاكم ج ١ / ٢٣٥.

(٦) خلاف الشيخ: ج ١ / ٣٢٥ عن سفيان الثورى و حلية العلماء: ج ٢ / ٨٣.

(٧) هذا قول أحمد رواه ابن قدامة فى المغنى: ج ١ / ٥٥٤.

(٨) بحار الأنوار: ج ٩١ / ٣١، ح ٥، عن المصباح ص ٤٥٨.

(٩) البحار: ج ٨٩ / ٢٣٤، ح ٦٧، عن مصباح المتجهد ص ٣٤٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥١

عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنه كان يقول قبل القراءة: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» «١».

و  
 فى «العوالى اللآلى» بالإسناد إلى ابن مسعود قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: أعوذ بالله السميع العليم، فقال لى:

«يا بن أم عبد! قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرأنيه جبرئيل» «٢».

و

فى بعض خطب أمير المؤمنين عليه السلام: «أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم» «٣».

و

مثله فى معتبرة سماعة «٤» عن الصادق عليه السلام بزيادة «إن الله هو السميع العليم» «٥».

و

روى العياشى عنه عليه السلام قال: «تقول: أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» «٦».

و من هنا يظهر ضعف ما عن بعض العامة من عدم صحة «أستعيذ» نظرا إلى أن المستعيذ طالب العوذ بخلاف العائد، و فرق بين الفاعل و طالب الفعل.

(١) الذكري: ج ١ / ١٩٠.

(٢) عوالى اللآلى ك ج ٢ / ٤٧، ح ١٢٤ تقدم.

(٣) الكافى: ج ٨ / ١٥٣.

(٤) هو سماعة بن مهران بن عبد الرحمن الحضرمى، قال المامقانى فى «تنقيح المقال» ج ٢ / ٦٧: إن فى سماعة قولين: أحدهما أنه واقفى كما صرح به الشيخ و جماعته من فقهاء الأواخر و لكن مع اعترافهم بوقفه عملوا بروايته. و ثانيهما أنه اثنا عشرى كما قال به النجاشى و وثقه مرتين، و وجد فى بعض الكتب أنه مات سنة (١٤٥) ه فى حياة الصادق عليه السلام.

(٥) تهذيب الشيخ: ج ١ / ١٧٧.

(٦) تفسير العياشى: ج ٢ ص ٢٧٠ ح ٦٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٢

و فيه أنه على فرض الطلب يكون المطلوب هو الحاصل بالمصدر و طلب الحاصل نفس مباشرة الفعل، إذا الطلب فعلى و القول حكاية حسب ما تسمع، على أن كثيرا من أهل اللغة عدّهما بمعنى.

قال فى القاموس: العوذ: الانتجاع كالعباد، و المعاذ، و المعاذة، و التعوذ، و الاستعاذة.

مضافا إلى ما سمعت عن الصادق و عن جده أمير المؤمنين عليهما الصلاة و السلام، و قولهما هو الحجة.

و

فى بعض الأخبار: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» «١».

و هو المذكور فى «الفقيه» «٢» و «المقنع» للصدوق «٣» و «المقنعة» للمفيد «٤».

و

روى الشهيد الثانى فى «شرح النلفية» عن الصادق عليه السلام: «أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أعوذ بالله أن يحضرون إن الله هو السميع العليم» «٥».

و



في «قرب الإسناد عن حنان» (٦) بن سدير قال: صليت خلف أبي عبد الله عليه السلام

- (١) تقدم عن «مجمع البيان»: ج ١ / ١٨.
- (٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١ / ٣٠٤.
- (٣) الموسوعة الفقهية، المقنع للصدوق: ج ١ / ٥٣.
- (٤) الموسوعة الفقهية، المقنعة للمفيد: ج ١ / ١٠١.
- (٥) الحدائق: ج ٨ / ١٦٤ عن النفلية ص ٨١.
- (٦) حنان بن سدير الصيرفي، ثقة، واقفي روى عن الصادق و الكاظم عليهما السلام، كان معمرًا، و روى عنه ابن عمير، و ابن محبوب، و إسماعيل بن مهران.
- قال في «التنقيح»: إن في الرجل أقوالاً: أحدها أنه ثقة و هو صريح «الفهرست» و يؤيده رواية الحسن بن محبوب المجمع على تصحيح ما يصح عنه و غيره من الأجلء عنه، و كونه تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٣
- المغرب، فتعوز بإجهار: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم و أعوذ بالله أن يحضرون «١».
- و
- في «الذكري»: عن البنظي «٢» عن الصادق عليه السلام: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» «٣».
- و مثله
- في رواية الحسن «٤» بن راشد عن الصادق عليه السلام و هو المذكور في تفسير الإمام عليه السلام قال: «و هو القول الذي ندبك الله إليه و أمرك به عند قراءة القرآن» «٥».
- و رواه في دعائم الإسلام «٦» عن الصادق عليه السلام
- ، و لذا ربما يرجح هذا القول على سائر الأقوال.
- لكن المستفاد من اختلاف هذه الأخبار، بعد ملاحظة إطلاق الآية، و جملة من المعبرة، و عدم دليل من إجماع أو نص تعيين صيغة خاصة، جواز الإتيان بكل من هذه الصيغ و غيرها حتى في الصلاة.

- كثير الرواية و سديد الراوى، و مقبول الرواية.
- و ثانيهما أنه موثق ... و ثالثهما أنه ضعيف و هو صريح «التنقيح» حيث قال: حنان ضعيف ... - تنقيح المقال: ج ١ / ٣٨١.
- (١) قرب الإسناد: ص ٥٨ - ٥٩ // الوسائل: ج ٤ / ٨٠٠، ح ٥، عن قرب الإسناد.
- (٢) هو أحمد بن محمد بن أبي نصر البنظي الكوفي، كان من أصحاب الرضا و الجواد عليهما السلام، عظيم المنزلة عندهما توفي سنة (٢٢١) هـ - و طرائف المقال: ج ١ / ٢٧٩.
- (٣) الوسائل: ج ٤ / ٨٠١، ح ٧ عن «الذكري».
- (٤) الحسن بن راشد مول بني العباس كوفي من أصحاب الصادق عليه السلام، ضعفه و لكن كتابه معتمد عليه عند العلماء. - تنقيح المقال: ج ١ / ٢٧٧.
- (٥) تقدم عن تفسير الإمام عليه السلام ص ١٨. و لا يخفى أن المصنف نقله بالمعنى، و إلا لفظ الحديث هكذا: «أما قوله الذي ندبك الله إليه و أمرك به عند قراءة القرآن: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم».
- (٦) دعائم الإسلام ج ١ ص ١٥٩ ح ٤٥٨ و عنه البحار ج ٨٥ ص ٤٨ ح ٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٤

و إن كان الأحوط فيها الاقتصار على الصيغة المروية، بل خصوص المشهور، إلا أن الأقوى جواز غيرها أيضا، و النبوى المروى فى «العوالى» عامى، و لذا لا يصلح للتقييد مضافا إلى عدم صراحته فى التعيين، بل يكفى فى مثله الأولوية.

نعم فى «شرح النفلية» لثانى الشهيدين أن المعنى فى أعوذ و أستعيذ واحد قال الجوهري «١»: عدت بفلان، و استعدت به: أى لجأت إليه، و فى أستعيذ موافقه للفظ القرآن، إلا أن أعوذ فى هذا المقام أدخل فى المعنى، و أوفق لامثال الأمر الوارد بقوله: «فاستعد» لنكتة دقيقة، و هى أن السين و التاء شأنهما الدلالة على الطلب فوردتا فى الأمر، إيذانا بطلب التعوذ فمعنى «استعد» أى أطلب منه أن يعيدك فامثال الأمر أن يقول: أعوذ بالله، أى التجئ إليه، لأن قائله متعوذ قد عاذ و التجأ، و قائل أستعيذ ليس بعائد، إنما هو طالب العياد به، كما تقول: أستخير بالله، أى أطلب منه الخيرة و أستغفر أى أطلب مغفرتة.

لكنهما «٢» دخلتا هنا فى فعل الأمر بخلاف الاستعاذة، و بذلك يظهر الفرق بين الامثال بقوله «استغفر الله»، دون استعد بالله، لأن المغفرة إنما تكون من الله فيحسن طلبها، و الالتجاء يكون من العبد فلا يحسن طلبه.

ثم اعترض على كلام الجوهري، و حكى عن جماعة من المحققين ردوه و اعترضه بعض «٣» المحققين فى تلك النكتة بأنه إذا كان معنى استعد اطلب منه ما يعيدك

(١) الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر كان من أئمة اللغة و خطه يذكر مع خط ابن مقلة، أشهر كتبه «الصحاح» و هو أول من حاول الطيران و مات فى سبيله، صنع جناحين من خشب و ربطهما بحبل و صعد سطح داره و نادى فى الناس: لقد صنعت ما لم أسبق عليه و سأطير الساعة، فازدحم أهل نيسابور ينظرون إليه، فتأبط الجناحين و نهض بهما، فخانه اختراعه فسقط إلى الأرض قتيلًا. - الأعلام: ج ١ / ٣٠٩.

(٢) أى السين و التاء.

(٣) المراد به كما قال فى الهامش هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن على بن عمار الماحوزى من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٥

فامثال الأمر بقوله: أستعيذ ظاهر، إذ معناه اطلب من الله أن يعيدنى، و أما الامثال بقوله: أعوذ بالله فغير ظاهر، ألا أن يجعل هذه الجملة مرادا بها الطلب و الدعاء، و أمّا الإخبار بالالتجاء فلا يتحقق الامثال به و بالجملة فالقائل بكل من اللفظين أراد طلب الإعادة منه سبحانه، لكن دلالة اللفظ الثانى عليه ظاهرة لقضية السين و التاء، و أما الأول فمبنى على إرادة الإنشاء لا الإخبار.

و حيث قد عرفت سهولة الخطب فى لفظها فلا ينبغى تطويل الكلام فيه، بل المهم فى المقام فهم معناها و مؤديها ليتمكن المستعيذ من التحقق بحقيقتها، و الوصول إلى كبرياء القدس و حریم حرم الأنس، و ذلك ببيان المراد من المستعيذ و المستعاذ منه و المستعاذ به، و كيفية الاستعاذة.

### فهنا مباحث:

الأول: فى المستعيذ و هو و إن كان القارئ نفسه، لكن لا بنفسه بل بحول الله و قوته و توفيقه و عصمته، فإنه عبد ذليل لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا، و لا يستطيع خيرا و لا شرا و لذا

قال مولانا سيد الشهداء روحى له الفداء و عليه آلاف التحية و الثناء: «أم كيف أترجم لك بمقالى و هو منك برز إليك» «١».

و

فى دعاء أبى حمزة «٢» عن السجاد عليه السلام:

أهل الماحوز (من قرى البحرين) كان من فقهاء عصره، و المحدثين البارعين و من الخطباء الشعراء، ولد سنة (١٠٧٥) و توفي سنة (١١٢١) هـ، له تصانيف منها «الفرائد النجفية» و فيه الاعتراض. - أعيان الشيعة: ج ٣٥ / ٣٧٧.

(١) بحار الأنوار: ج ٩٨ / ٢٢٥، ح ٣.

(٢) هو ثابت بن دينار المعروف بابي حمزة الثمالي الكوفي،

نقل عن الإمام الرضا عليه السلام أنه كان يقول: «أبو حمزة لقمان زمانه».

توفي سنة (١٥٠) هـ. - الأعلام: ج ٢ / ٨١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٦

«من أين لي الخير يا رب و لا يوجد إلا من عندك، و من أين لي النجاة و لا استطاع إلا بك» «١».

و لا- تتوهم أنه مجبور في أفعاله و أقواله، أو أنه مسلوب الإختيار في أفعاله و فيما يخطر بباله، بل التوفيق من الله و الفضل من عنده و الأمر كله له: ما أصابك من حسنة فمن الله و ما أصابك من سيئة فمن نفسك «٢».

و ستمع الكلام في فساد القول بكلا الطرفين، و إن الصحيح هو المنزل بين المنزلتين.

و لكن ينبغي أن تستحضر في نفسك حال الاستعاذة أن الله قد وفقك و ألهمك، و قذف في قلبك إرادة التوجه إليه، و الالتجاء به من عدوه، و أنت تعلم أن حصن الله حصين، و كهفه حريز متين و أن عدوه مترصد لك حتى يختلسك و يختطفك بمكائده و مصائده، فاشكر الله تعالى على ما ألهمك من التحصن بحصنه قبل أن يكون منك طلب، و إن كان نفس هذا الطلب منك بتوفيقه، فيكون الشكر موجبا لمزيد النعمة و دفع النعمة و مستدرا للتوفيقات السيالة الباعثة على التشمير عن ساق الجذ للدخول في باب اللجأ إليه و التوكل عليه، قبل أن يسبق إليك نزغات الشيطان، أو يحول بينك و بين الرحمن حجاب الغفلة و سواد العصيان.

قال بعض العارفين: إن الشيطان قاسم أباك و أمك أنه «لهما لمن الناصحين» «٣» و قد رأيت ما فعل بهما، و أما أنت فقد أقسم على غوايتك كما حكى الله سبحانه عنه فِعَزَّتْكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ «٤» فما ذا ترى يصنع بك، فشمّر عن ساق الخوف و الحذر منه و من كيده و خديعته.

(١) البحار: ج ٩٨ / ٨٢، دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٢) النساء: ٧٩.

(٣) إشارة إلى آية ٢١ من سورة الأعراف و هي: وَ قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ

(٤) سورة ص: ٨٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٧

### المستعاذ منه

الثاني: المستعاذ منه و هو الشيطان، و وزنه إما فيعال من الشطن و هو البعد، و منه بثر شطون أي بعيدة القعر، سمي لبعده عن الله، أو عن رحمته، أو عن صراطه السوي، أو عن الخير، و إن كان مرجع الجمل أو الكل إلى واحد.

أو أنه علم شخصي أو اسم لكل عات متمرد من جن أو إنس، و منه شياطين الإنس و الجن «١».

أو فعلا من الشيط أي الا-حتراق، و الهلاك، و البطلان، لا حتراقه بشهب السماء، أو بشهب قلوب المؤمنين، و هي الأنوار المحرقة للنيران، أو بنفسه حنقا و غيظا، إذا رأى متقربا يتقرب إلى ربه، و لأنه هالك في نفسه باطل في ذاته، مبطل في دعواه و لمصالحه و مصالح من يتبعه.

و كيف كان، فلا- خلاف بين المسلمين، بل بين كافة المتشرعين، و لو بالشرائع السالفة في وجود الشياطين، بل عليه إجماع جميع الأنبياء و الأولياء، كما يكشف عنه اتفاق أممهم في جميع الأعصار و الأمصار، مضافا إلى تواتر أخبارهم بتمثله لهم، و الأمر بالتعود منه، و مكالمته مع غير واحد من الأنبياء و غير ذلك مما يتعلق بوجوده، بل ينبغي أن يعد التصديق بوجوده من ضروريات المذهب بل الدين المبين، فيكون منكره خارجا عن زمرة المسلمين.

هذا كله مع الغض عن الآيات القرآنية كآية الاستعاذة «٢» و آيتي النزغ بل آياته «٣»، كقوله:

(١) الأنعام: ١١٢.

(٢) سورة النحل: ٩٨.

(٣) يوسف: ١٠٠، الإسراء: ٥٣، الأعراف: ٢٠٠، فصلت: ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٨

أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي «١».

و قوله:

وَ اتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ «٢».

وَ الشَّيَاطِينُ كُلٌّ بَنَاءٌ وَ عَوَاصٍ «٣» وَ آخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَضْفَادِ «٤».

وَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ «٥».

وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا «٦».

إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا «٧».

إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ «٨».

وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ «٩».

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة بل الأخبار المتواترة التي يقطع المتأمل فيها بفساد قول من أنكرها رأسا، و أولها بالنفوس الشريرة الإنسانية كبعض الزنادقة من أتباع الفلاسفة المحجوبين عن كشف الملكوت «١٠»، كما يقطع المتأمل في أدلتهم

(١) يوسف: ١٠٠.

(٢) سورة البقرة: ١٠٢.

(٣) سورة ص: ٣٧.

(٤) سورة ص: ٣٨.

(٥) سورة الصافات: ٧.

(٦) سورة النساء: ١٢٠.

(٧) سورة النساء: ٧٦.

(٨) سورة الأعراف: ٣٠.

(٩) سورة البقرة: ١٦٨.

(١٠) قال الرازي: اختلف الناس قديما و حديثا في ثبوت الجن و نفيه، فالنقل الظاهر من أكثر الفلاسفة إنكاره، قال أبو علي سينا في «رسالته في حدود الأشياء»: الجن حيوان هوائي متشكل بأشكال مختلفة، ثم قال: و هذا شرح الاسم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٩

بفسادها إذا غاية ما استدلوا به أنها لو كانت موجودة فإن كانت أجساما غليظة كثيفة لرآها كل سليم الحس، و تجويز عدم رؤيتها حينئذ سفسطة محضة، كتجويز أن يكون بحضرتنا جبال شاهقة و بحار غامرة لا نراها. و إن كانت لطيفة لتلاشت و تمزقت بأدنى قوة فضلا من أن تقاوم المصادمات القوية، أو تقدر على الأعمال الشاقة التي ينسبها إليها مثبتوها.

و أن وجودهم مع ما نسب إليهم يرفع الوثوق بالمعجزات لجواز استناد كل من المعجزات إليهم، سيما مع إيحائهم إلى أوليائهم، و انفتاح باب الكهانة.

و أن كثيرا ممن ادعى علم العزائم و مشاهدة الروحانيين بعد أن تابوا كذبوا أنفسهم فيما نسبوا إليهم. و أن الآثار المنسوبة إلى الجن و الشيطان إذا تأملتها وجدتها راجعة إلى

فقوله: هذا شرح الاسم يدل على أن هذا الحد شرح للمراد من هذا اللفظ، و ليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج، و أما جمهور أرباب الملل و المصدقين للأنبياء فقد اعترفوا بوجود الجن، و اعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة و أصحاب الروحانيات و يسمونها بالأرواح السفلية. - مفاتيح الغيب: ج ٣٠ / ١٤٨.

و قال إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني المتوفى سنة (٤٧٨) هـ في كتابه «الشامل» في أصول الدين: إن كثيرا من الفلاسفة و جماهير القدرية و كافة الزنادقة أنكروا الشياطين و الجن رأسا، و لا يبعد لو أنكروا ذلك من لا يتدبر و لا يثبت بالشريفة، و إنما العجب من إنكار القدرية مع نصوص القرآن و تواتر الأخبار و استفاضة الآثار.

و قال أبو القاسم الأنصاري سليمان بن ناصر الفقيه الشافعي المتوفى سنة (٥١٢) هـ في كتابه «شرح الإرشاد» في أصول الدين: قد أنكروهم معظم المعتزلة، و دل إنكارهم إياهم على قلة مبالاتهم و ركافة دياناتهم، فليس في إثباتهم مستحيل عقلي و قد دلت نصوص الكتاب و السنة على إثباتهم، و حق على اللبيب المعتصم بحبل الدين أن يثبت ما في العقل بجوازه و نص الشرع على ثبوته. - عن آكام المرجان في إثبات وجود الجن: ص ١٥، تأليف: بدر الدين محمد الشبلي الحنفي المتوفى (٧٦٩) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٠

مجرد الدعوى و الكذب، أو إلى تمثل المتخيل و توهمه موجودا في الخارج، لاستيلاء الوهم أو لقوة النفس و ضعفها، أو إلى بعض النفوس الخيرة أو الشريرة.

و أنهم لو خالطوا البشر لحصل بينهم بسبب طول المدّة و كثرة المخالطة صداقة أو عداوة موجبة لبعض الآثار من المسار و المضار، و ليس فليس.

و أن الطريق إلى إثباتها إما الدليل العقلي و المعلوم انتفاؤه، أو الحسى و المشاهدة فكذلك.

و أما من يدعى مشاهدتهم فإما من الكذابين المقترحين أو من الممرورين و المجانين و غيرهم من المرضى و الضعفة الذي يتخيلون أشياء لا حقيقة لها بسبب فساد أمزجتهم.

و أما إثباتها من طريق أخبار الأنبياء فلا يتم إذ قد عرفت أن في إثباتها إبطال النبوة «١».

فهذه وجوه ستة مشتركة في الضعف، إذ الجواب عن الأول أنها أجسام لطيفة مادية أو مثالية هورقلياوية «٢» أو أرواح مجردة، و أما وجوب تلاشيها بأدنى قوة فلا- دليل عليه، و قياسها على بعض الأجسام المخصوصة قاصر عن إثباته، و حسبك في ذلك ملاحظة كونها أجساما نارية مختارة متمردة، كما قال:

خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ «٣».

و قال: وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٤﴾.

(١) مفاتيح الغيب: ج ١ / ٧٦، مع اختلاف في الألفاظ.

(٢) هورقليا (بضم الهاء و فتح القاف) مأخوذة من العبرى و يقال اصطلاحا على العالم العلوى.

(٣) سورة الأعراف: ١٢، و سورة ص: ٧٦.

(٤) سورة الحجر: ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦١

و من البين أن النار الجامدة تفعل الأفعال العجيبة القوية السريعة مع أنها ألطف من الهواء بمراتب بل ألطف من جميع العناصر. و أما ما يتوهم من استبعاد تعلق الحياة بالنار مع كونها مفرقة للمزاج غير قابلة لتعلقه بها فمما لا ينبغي الإصغاء إليه، بعد دلالة الآيات و الأخبار، و ملاحظة حصول الحياة من الحرارة الغريزية، بل ربما يقال: إن كره النار مملوءة من الروحانيات. و عن الثانى: أن المعجزة تفارق السحر فى سبقتها بالدعوة و التحدى و الطلب، و لا يجرى معه السحر لقضية اللطف، و فى كونها بلا آلات و أدوات و مرور زمان يمكن فيه تلك الأعمال بخلاف السحر، فإنه لا يمكن إلا بعد استعمال تلك الأمور و مرور الزمان إلى غير ذلك من الفروق الواضحة عند أهله.

و لذا قال شيخنا البهائى رحمه الله عليه: إنه لو كان خروج الماء من بين أصابع النبى صلى الله عليه و آله و سلم مع قبض يده و ضم أصابعه إلى كفه كان يحتمل السحر و أما مع بسط الأصابع و تفرجها فلا يحتمل السحر، و ذلك واضح عند من له دربة فى صناعة السحر.

و من الثالث بالمنع من ذلك و أين يقع تكذيب هؤلاء من تصديق الأنبياء و الأوصياء و الأولياء بعد دلالة كتاب الله حسب ما سمعت. و عن الرابع: أن صدور الكذب عن بعض و تمثل المتخيل عن آخر لمرض أو مرض لا- يقدح فى صدق نسبة الآثار الصادرة من الروحانيين إليها.

و لعمري أن هؤلاء الذى قصرت أبصارهم بالنظر إلى المحسوسات و أنكروا ما سوى المشاهدات، قد أقدموا على إنكار أكثر العالم، فإن المحسوس المشاهد منه و هو العناصر و ما تركب عنها أقل قليل من أجزاء العالم بل الهواء و النار من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٢

جملة العناصر أيضا ليسا بمشاهدين.

و من الخامس: أن عدم التجانس، و عدم المزاحمة فى الحوائج و اختلافها فى كثير من الأمور، و احتجاب كل منهما عن ملاقاته الآخر و الانكشاف له كلما شاء، و غير ذلك من الأمور التى اقتضتها العناية الربانية، اقتضت سد أبواب الصداقة و العداوة بينهما إلا لبعض العوارض التى لا يقتضى المقام شرحها، نعم، من جملتها ما أوجب تسخيرها لسليمان على نبينا و آله و عليه السلام، و صرف نفر من الجن إلى نبينا صلى الله عليه و آله و سلم «١»، و إسلام شيطانه على يديه «٢»، و إيمان هام بن هيم «٣»، و إيمان كثير

(١) إشارة إلى الآية (٢٩) من سورة الأحقاف و هى: وَإِذْ صَيَّرْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَشْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ

قال الفيض فى «الصابى»: سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خرج من مكة إلى سوق عكاظ و معه زيد بن حارثة يدعو الناس إلى الإسلام فلم يجبه أحد و لم يجد أحد يقبله، ثم رجع إلى مكة فلما بلغ موضعا يقال له: وادى مجنة تهجد بالقرآن فى جوف الليل فمر به نفر من الجن فلما سمعوا قراءته قال بعضهم لبعض: أنصتوا!- يعنى أسكتوا- فلما قضى أى فرغ رسول

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَ لَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ... فَجَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَ أَسْلَمُوا وَ آمَنُوا وَ عَلمَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ قُلُوبًا أُوحِيَ إِلَيْهَا أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ... فَحَكَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلَهُمْ، وَ ولى عَلَيْهِمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ وَ كَانُوا يَعُودُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ وَقْتٍ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَعْلَمَهُمْ وَ يَفْقَهُهُمْ، فَمِنْهُمْ مُؤْمِنُونَ وَ كَافِرُونَ وَ نَاصِبُونَ وَ يَهُودٌ وَ نَصَارَى وَ مَجُوسٌ.

و رواه أيضا في نور الثقلين: ج ١٨ / ٥، ح ٣٠ و ص ٢٠، ص ٣٢.

(٢)

روى مسلم عن ابن مسعود أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: ما منكم من أحد إلا وكل له قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير. - صحيح مسلم: ج ٤ / ٢١٦٢، ح ٦٩.

(٣) هام بن هيم: قصة لقاءه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

مروية في البحار: ج ٨٣ / ٦٣، ح ٣٩، و رواه ابن حجر في «لسان الميزان»: ج ١ / ٣٥٦، عن عمر، قال: بينا نحن قعود مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ وفي يده عصا فسلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فرد عليه السَّلام و قال: أنت من؟ قال: أنا هامة بن الهيم بن لا- قيس بن إبليس، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: و ليس بينك و بين إبليس إلا تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٣

من الجن على يد أمير المؤمنين عليه السَّلام «١»، و مكالمة الشيطان مع يحيى «٢» و عيسى «٣» و نوح «٤» و غيرهم «٥» من الأنبياء و الأولياء على محمد و آلِهِ و عليهم السَّلام، بل مكاشفة كثير من الروحانية السفلية لبعض المؤمنين، و لأرباب التسخير و غيرهم حسب ما شاهدوها في رياضاتهم الشرعية و غيرها، على وجه لا ريب فيه و لا شك يعتريه.

و مما يظهر الجواب عن السادس أيضا، نعم ربما يظهر من بعض «٦» أتباع الفلاسفة نفى الوسوسة المنسوبة إليه، نظرا إلى ما ثبت لديهم من أن المصدر القريب للأفاعيل الحيوانية هو هذه القوى المحركة المركوزة في العضلات، بعد انضمام الميل و الإرادة التي هي من لوازم حصول العلم بكون ذلك الشيء لذيدا أو مكروها، و أن ذلك الشعور لا بد أن يكون بخلق الله ابتداء كما عن بعضهم، أو بواسطة مراتب كما عن آخرين، و حينئذ فالكلام في كل من تلك المراتب في استلزام ما بعده على

أبوان؟ قال ك نعم، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فكم أتى لك من الدهر؟ قال: قد أفنيت الدنيا عمرها خلا قليلا، ليالى قتل قابيل هابيل كنت أنا غلام ابن أعوام، أفهم الكلام و أمر بالأكام، و أمر بإفساد الطعام و قطيعة الأرحام، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: بئس عمل الشيخ المتوسم أو الشاب المتلوم، قال: ذرني من التعذر فإنني تائب إلى الله إني كنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على قومه حتى بكى عليهم و أبكاني .... إلى أن قال: فعلمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سورة المرسلات، و عم يتساءلون، و إذا الشمس كورت، و المعوذتين و قل هو الله أحد ... إلخ.

(١) أنظر البحار: ج ١٨ / ٨٦، ح ٤، و ج ٣٩ / ١٦٨، ح ٩، و ج ٦٣ / ٩٠، ح ٤٥ عن عيون المعجزات للشيخ حسين بن عبد الوهاب المعاصر للسيد المرتضى ص ٤٣-٤٦.

(٢) انظر البحار: ج ٦٣ / ٢٢٣، ح ٧٠ عن مجالس ابن الشيخ: ج ١ / ٣٤٨، ح ٣.

(٣) بحار: ج ٦٣ / ٢٣٩، ح ٨٣ عن مجالس الصدوق ص ١٧١، ح ١.

(٤) البحار: ج ٦٣ / ٢٥٠، ح ١١١ و ١١٢ و ١١٣.

(٥) أنظر مكالمة الشيطان مع موسى بن عمران عليه السلام في البحار: ج ٦٣ / ٢٥١.

(٦) المراد به هو الفخر الرازي المتوفى (٦٠٦) ه في «مفاتيح الغيب»: ج ١ في المقدمة السادسة من المسألة العاشرة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٤

الوجه الذي قرر، فترتب كل من هذه المراتب على ما قبله حتم لازم لزوما ذاتيا واجبا، ألا ترى أنه ربما يقع صورة الشيء في النفس ابتداء من غير إرادة واختيار وصنع، ولا- بواسطة الانتقال من المحسوس إليه، فإذا حصلت و عرف كونه مطلوباً ملائماً مال إليه، و تحركت القوى المحركة القريبة إلى الطلب فيحصل الفعل بعد هذه المراتب لا محالة، سواء حصل الشيطان أم لم يحصل، فلا يبقى فعل يستند إليه، بل هذه المراتب إن اتفق حصولهما في الطرف النافع فالهيام، أو الضار فوسوسة، و هو مجرد التسمية، و مبدء الفعل ما عرفت «١».

و ربما يجاب عنه بأنه حق و صدق و لكن قد يكون الإنسان غافلاً فيذكره الشيطان، فيترتب عليه الميل ثم الفعل، فليس من الشيطان إلا ذلك التذكير، و هو المراد بقوله:

وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي «٢». «٣» أقول: و كأن هذا القائل قد غفل أن تغافل عن المطاردة الواقعة بين الملائكة و الشياطين، فإن الإنسان و إن كان فاعلاً مختاراً في جميع شؤونه، إلا أنه إذا بدا له أمر من الخيرات أو الشرور، و كان متمكناً من اختيار كل منهما على الآخر بقصده و إرادته يقع التجاذب و المطاردة بين حزب الله و هم الملائكة الموكلون على يمين القلب و هم جنود العقل و بين الشياطين و هم الموكلون على يسار القلب و هم جنود الجهل. و جملة الكلام في المقام مع الإشارة إلى أسباب الوسوسة و الإلهام أن الإنسان مجبول في بدو خلقته و أصل طبيعته على حب الكمال، و اقتناء الخيرات

(١) مفاتيح الغيب: ج ١ / ٨٦.

(٢) مفاتيح الغيب: ج ١ / ٨٧.

(٣) سورة إبراهيم: ٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٥

و اجتناب الشرور، و هو صبغة الله التي لا أحسن منها و فطرة الله التي فطر الناس عليها، و هو المراد بالنبوي: «كل مولود يولد على فطرة الإسلام و أبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه» «١».

ثم إن الإنسان لما كان مخلوقاً من العوالم السبعة التي هي الفؤاد، و العقل، و النفس، و الطبيعة، و المزاج، و المثال، و الأجسام المادية، و كان فيه قبضة من كل هذه العوالم فإنه أنموذج ما في العالم الكبير، و إليه الإشارة بقول أمير المؤمنين عليه السلام:

أ تزعم «٢» أنك جرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبر

فله من كل هذه العوالم شوب و أثر و حكم، و من جملتها عالم النفس التي من جملة قواها الوهم و الخيال، و لما كان الإنسان في هذا العالم بعد كونه مخلوقاً في أحسن تقويم، مردوداً إلى أسفل السافلين، و هو هذا العالم الجسماني الظلماني الهولاني العنصري، و من هذا العالم يأخذ في الصعود و التدرج إلى أعلى عليين و فيه يتأهل لمجاورة أولياء الله المقربين.

فأول ما يفاض عليه في النشأة الرحمية الصغوية و الكبروية هي النامية النباتية، ثم يفاض عليه القوة البهيمية، فيعرف الأكل و الشرب و يلتذ بهما و يشتاق



البحار: ج ٣ / ٢٨١، ح ٣٢ عن عوالي اللئالي: ج ١ / ٣٥، ح ١٨. ورواه السيد المرتضى في «أماليه» في الجزء الرابع مرسلًا عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

و رواه أبو يعلى في «مسنده» والطبراني في «الكبير» والبيهقي في «السنن» عن الأسود بن سريع واللفظ هكذا: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه ... إلخ».

قاله السيوطي في «الجامع الصغير»: ج ٢ / ٩٤، ورواه البخاري في «الصحیح»: ج ٢ / ١٢٥، وابن حنبل في «المسند»: ج ٢ / ٢٣٣ و ٢٧٥ و ٢٨٢ و ٣٩٣ و ٤١٠ و ٤٨١ و ج ٣ / ٣٥٣.

(٢) في نسخة من الديوان: أ تحسب أنك ... إلخ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٦

إليهما، ثم يفاض عليه القوّة السبعية والشهوية الفرجية، فلا يزال مشغولًا بتحصيل أسبابها، وقضاء وطره منها، مستعملًا لجميع القوى والحواس الظاهرة والباطنة في التمتع بها وتمهيد ما يؤدي إليها، والاحتياط بدفع من يزاحمها فيها من بنى نوعه أو غيره، فتصير جنود الجهل والشيطان مستولية على مملكة البدن، مستعملة لجميع قواها وأدواتها في حظوظها العاجلة ومقاصدها الدائرة الفانية، ثم يدخل عند البلوغ أو قبله سلطان العقل مملكة البدن، على حين غفلة من أهلها، ويسعى في إصلاحها وتسخير أهلها ويؤيده الله تعالى بألوف من الملائكة مردفين ومسومين، ويستمد الجهل من الشيطان بألوف من الشياطين فلا يزال يزئ له العقل طريق الخير والهدى والجهل سبيل الغي والردى، وتذكره العقل باليقين الشهودي، إذ قد عرفت أن الله تعالى خلق الإنسان على هيكل التوحيد، فإنه يحب الخير ويبغض الشر مع قطع النظر عن الدواعي الشهوانية والأغراض النفسانية التي هي في الحقيقة أمراض كسبية وأسقام اعتيادية، ولا يذكره أيضا بالمواعيد الحقة الإلهية، والتخويات السماوية، وبما هو محسوس مشاهد لكافة الأنام من فناء اللذات وبقاء الآثام، ولا يزال يؤيد بملائكة الله الصافين والحافين عن يمين قلبه بإذن ربه.

و أما الشيطان فلمجانسه النفس الأماره بالسوء وللجهل و جنوده و أحزابه قد تقرب إليه و استشرف عليه من كوة الجهل و أيد بجنوده جنود الجهل، فإن له سبعين جندا، كما أن للعقل أيضا سبعين جندا، فلا يزال يقرب له الهوى، و يزئ له حب الدنيا، و يأمره بالحبوة، و يسوف له التوبة، و يريجح عنده الشهوات العاجلة الفانية على السعادات الآجلة الباقية كما قال الله سبحانه: زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْخَرْبِ ذَلِكَ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ «١».

(١) آل عمران: ١٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٧

و المزيّن لها هو الشيطان.

و أما قوله:

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا «١».

فلا ينافيه إذ جعله زينة للأرض الفانية الظلمانية لا يستلزم جعله زينة للناس، سلّمنا لكن لا محذور في نسبة التزيين إليه أيضا، و لو لكونه خالقا لما يترتب على وجوده ابتلاء العباد و اختبارهم، و لذا علله بقوله: لِنَبْلُوَهُمْ

و بالجملة فلا يزال التطارد و التدافع بين الحزبين و الجنود المتقابلة من الطرفين، كما

في «الكافي» عن الصادق عليه السلام قال: «ما من قلب إلا و له أذنان، على إحداهما ملك مرشد و على الأخرى شيطان مفتن، هذا يأمره، و هذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي و الملك يزجره عنها، و ذلك قوله الله: عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ

إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ «٢» «٣».

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما من مؤمن إلا- ولقلبه في صدره أذنان: أذن ينفث فيها الملك، وأذن ينفث فيها الوسواس الخناس، فيؤيد الله المؤمن بالملك، وهو قول الله: وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا «٤» وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ «٥» «٦». وبعد هذا فأفراد الإنسان من حيث إطاعتهم للرحمن أو الشيطان على ثلاثة أصناف:

(١) الكهف: ٧.

(٢) سورة ق: ١٧-١٨.

(٣) أصول الكافي: ج ٢/٢٢٦، ح ١، والبحار: ج ٦٣/٢٠٥، ح ٣٤، وج ٦٨/٢٧٤، ح ٣٠.

(٤) سورة التوبة: ٤٠.

(٥) سورة المجادلة: ٢٢.

(٦) البحار: ج ٦٣/١٩٤ عن تفسير العياشي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٨

الصنف الأول: «من سبقت لهم من الله الحسنى» «١» و تكشف لديهم عن معايها الدنيا، فميزوا اليسرى من اليمنى، وهم المتقون «الذين إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون» «٢»، فإن التقوى لباس قد أنزله الله تعالى سترا للسوءة الإمكانية و العورة الهيولانية، كما قال سبحانه:

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَ لِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ «٣».

وهؤلاء المتقون باقون على فطرتهم الأصلية، و صورتهم الإنسانية، فلا يصدر منهم فعلا قولاً و حالاً و خيالاً و فطرة إلا الخير المحض، فكل إناء بالذى فيه ينضح:

وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ «٤».

وَ الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ «٥».

و فى الإنجيل: إن اللسان يتكلم بزوائد القلب فيستولى البياض و النور على وجه قلبه و يمنحى السواد و الظلمة بالكلية، و يصير قلب الإنسان مستوى الرحمن و هذا قوله:

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى «٦».

فإنه فى الإنسان الذى هو العالم الصغير مثال للعرش العظيم فى العالم الكبير، و لذا ورد فى الحديث القدسى:

(١) اقتباس من آية (١٠١) فى سورة الأنبياء.

(٢) اقتباس من آية (٢٠١) فى سورة الأعراف.

(٣) الأعراف: ٢٦.

(٤) سورة الأعراف: ٥٨.

(٥) النور: ٢٦.

(٦) طه: ٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٩

«لن تسعنى أرضى و لا سمانى و لكن يسعنى قلب عبدى المؤمن» «١».

ولا تحوم الشياطين حول هذه القلوب النورانية الإلهية إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ (٢) وهذه الشهب شهب نورانية مطفئة للنار، فإن النار لا تنطفئ بالنار بل بالنور، ولذا تقول جهنم للمؤمن حين يمر عليها: جز عنى سريعا فإن نورك أطفأ نارى (٣).  
 الصنف الثانى: نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ (٤) وهم اللذين اختاروا دواعى الشر على دواعى الخير، و نصروا جنود الشيطان حتى فارقتهم ملائكة الرحمن، و لم يزالوا كذلك حتى فارقهم نور الإيمان بالكلية، و استولت الظلمة و القسوة و الجفوة و السواد على قلوبهم حتى انمحي النور و البياض بالكلية، و انسدت مشاعر عقولهم فهم فى طغيانهم يعمهون (٥) صُمَّ بُكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٦) و لا يسمعون و لا يفقهون و لا يعقلون، كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٧) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (٨)، فتغيرت خلقتهم و تبدلت طبيعتهم و مسخت حقيقتهم، فهم بين بهيمية و سبعية و شيطانية، فهو متجاذب بين خنزير و كلب

(١)

البحار: ج ٥٨ / ٣٩، و فيه: فى الحديث القدسى: «لم يسعنى سمائى و لا أرضى و وسعنى قلب عبدى المؤمن».

(٢) سورة الحجر: ١٨.

(٣)

البحار: ج ٨ / ٢٤٩ و فيه: عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال: «يقال النار للمؤمنين يوم القيامة: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهي».

فى ج ٩٢ / ٢٥٨، ح ٥٢ عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «إذا مر المؤمن على الصراط طفئت لهب النيران و يقول: جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهي».

(٤) سورة الحشر: ١٩.

(٥) البقرة: ١٥. الأنعام: ١١٠. الأعراف: ١٨٦. يونس: ١١. المؤمنون: ٧٥.

(٦) سورة البقرة: ١٨.

(٧) المطففين: ١٤.

(٨) المطففين: ١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٠

و شيطان، فى أمره الأول بأفعال البهائم من عبودية البطن و الفرج و الحرص على الأكل و الجماع، و الثانى بأفعال السباع من الغضب و البغضاء و التوثب على الناس بأنواع الأذى، و الثالث: باستناب الحيلة و المكر و الخديعة و التوصل إلى الأغراض الشهوانية و العصبية و الشيطنة بأنواع الحيل و الخدع و إنما المطيع لهذه الثلاثة المتبع لشهواتها كالواقف بين أيديها فى خدمتها، يأمره الكلب مرة، و الخنزير أخرى، و هو مشر عن ساق الجد للخدمة و الإطاعة و امتثال الأمر و النهى، لا يبغى عن خدمتها حولا و لعمري إنه بئس للظالمين بدلا.  
 الصنف الثالث: أرباب النفوس اللوامة، و هم الذين يقدمون على الطاعة مرة و على المعصية أخرى مُدْبِئِينَ بَيْنَ ذَلِكَ ... (١) غير مستقرين على شىء مما هنالك، و هؤلاء فطرتهم الأصلية بعد باقية، و لذا يلومون أنفسهم باقتراف السيئات و يستبشرون باقتناص الفضائل و الطاعات، و المطاردة بين جنود العقل و الجهل باقية دائمة فى أراضى صدورهم، و كيفية هذه المطاردة فى معركة القلب المعنوى للإنسان على ما ذكره بعض أهل العلم، أن خاطر الهوى مثلا يتبدأ أولا فيدعوه إلى الشر، فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير، فتنبعث النفس بشهواتها إلى نصره خاطر الشر فيقوى الشهوة، و يحسن التمتع و التنعم، فيبعث العقل إلى خاطر العقل، و يدفع فى وجه الشهوة و يقبح فعلها و ينسبها إلى الجهل، و يشبهها بالبهيمية و السبع فى تهجمها على الشر و قلّة اكرائتها بالعواقب، و يميل النفس إلى نصح العقل، فيحمل الشيطان حملته على العقل و يقوى داعى الهوى، فيقول: ما هذا الزهد البارد؟ و لم تمنع عن هواك فتؤذى

نفسك، و هل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو ترك عزمته أفتترك ملاذ الدنيا لهم يستمتعون منها و تحجر على

(١) النساء: ١٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧١

نفسك حتى تبقى محروما مطعونا يضحك عليك أهل الزمان، تريد أن يزيد منصبك على فلان و فلان و قد فعلوا مثل ما اشتيت و لم يمتنعوا، ما نرى العالم الفلاني ليس يحترز عن مثل ذلك الفعل، و لو كان شرا لا تمتنع منه، مع أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ «١»، غُفُورٌ رَحِيمٌ «٢» قد فتح لعباده باب التوبة و الإنابة، و وعد على نفسه الرحمة و العفو و المغفرة، و ورد: إن الله يحب المفتن التواب

، فارتكب هذه المعصية، ثم تب إلى الله في يومك أو في آخر يوم من أيام عمرك ليجتمع لك التلذذ باللذات العاجلة الدنيوية و التمتع بالنعم الباقية الآخروية، فحينئذ تميل النفس إلى الشيطان و تقلب إليه، فيحمل الملك حملة على الشيطان، و يقول: هل هلك إلا من اتبع لذة الحال و نسي العاقبة، أفتنقع بلذة يسيرة و تترك الجنة و نعيمها أبد الآباد، أو تستثقل ألم الصبر عن شهوة و لا تستثقل ألم النار، أن تغتر بغفلة الناس عن أنفسهم و اتباعهم هواهم و مساعدتهم للشيطان مع أن عذاب النار لا يخفف بمعصية غيرك، أ تسوف التوبة، و تقع في الحوبة و لعل الأجل يدركك في حال المعصية، أو في النوم، أو في شىء من آناء الليل و النهار، و أنت غافل عن التوبة مشتغل القلب بالوحشة و الدهشة، ألم تسمع الله تعالى يقول:

وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَ لَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا «٣».

ألم تر أن فرعون لما أدركه الغرق قال: آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ «٤».

(١) النور: ١٠.

(٢) البقرة: ١٧٣، ١٨٢، ١٩٣، ١٩٩، ٢١٨، ٢٢٥.

(٣) سورة النساء: ١٨.

(٤) سورة يونس: ٩٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٢

فضرب جبرئيل على فمه بالوحل و قيل له: آلاَّنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ «١». ألم تسمع الله يقول: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا «٢».

أ تدفع السيئة العاجلة بالتوبة الآجلة؟ ألم تر أن كثيرا ممن تقحم الشهوات و اجترح السيئات قد تبدلت فطرتهم و تغيرت خلقتهم، كما أشير إليه بقوله:

فَلْيَعْيُرَنَّ خَلَقَ اللَّهُ «٣» فلم يلتفتوا بعد ذلك إلى التوبة، و لم يخطر ببالهم قبح الخطيئة، فلما صرف الله قلوبهم و عميت أبصارهم فلم يبصروا عيوبهم، فهل كان ذلك التغير إلا من ملازمة الشهوات، و هل تأمن أن تكون مثلهم بعد تكرار الفعل الموجب لحصول الملكة، و عند ذلك يميل القلب إلى قول الملك، فلا- يزال يردد بين الجندين متجاذبا إلى أن يغلب على القلب ما هو أولى به، فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية غلب الشيطان، و مال القلب إلى حزب من أحزابه معرضا عن حزب الله و أوليائه، فيكله الله تعالى إلى نفسه في حال المعصية، و يفارقه روح الإيمان، كما

ورد «ولا يزني الزانى حين يزنى و هو مؤمن و لا يسرق السارق حين يسرق و هو مؤمن» «٤».

أو مطلقاً. نعوذ بالله من ذلك، فيعود إلى الصنف الثاني و يفارقه العقل الذى به يطاع الرحمن و يكتسب الجنان أولئك الذين طبع الله على قلوبهم و سمعهم و أبصارهم و أولئك هم الغافلون لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون «٥».

(١) سورة يونس: ٩١.

(٢) سورة غافر: ٨٥.

(٣) النساء: ١١٩.

(٤) عوالى اللثالى: ج ١ / ٤٠، ح ٤٢ و ص ١٦٧، ح ١٨٤ و رواه النورى فى «مستدرک الوسائل» كتاب الحدود و التعزيرات، الباب (١) من أبواب حد السرقة.

(٥) سورة النحل: ١٠٨ - ١٠٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٣

و إن كان الغالب على القلب الصفات الملكية لم يثق القلب إلى إغواء الشيطان و تحريضه إياه على العاجلة و تهيئته أمر الآجلة، بل يميل إلى حزب الله و تظهر الطاعة على جوارحه بموجب ما سبق من القضاء، و «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن» (١).

أى متجاذب بين هذين الحزبين أو يقبله الله حسب إرادته كما يشاء، فهو كالبيت بين يدي الغسال.

ثم إن بعض القلوب عاكفة فى مقام التريد بالنسبة إلى جميع الشهوات و بعضها بالقياس إلى بعض الشهوات دون بعض، كالذى يتورع عن بعض الأشياء و لكن إذا تمكن من مال حرام لا يملك نفسه فيه، أو فيما فيه الكبر و الرئاسة و الجاه إلى غير ذلك، فإن للجهل جنوداً بعدة جنود العقل و هى سبعون على ما

رواه فى أول الكافى عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السلام و عنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل و الجهل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «اعرفوا العقل و جنده و الجهل و جنده تهتدوا»، قال سماعة: فقلت: جعلت فداك! لا نعرف إلا ما عرّفتنا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله جل ثناؤه خلق العقل و هو أول خلق خلقه من الروحانيين عن يمين العرض من نوره فقال: أقبل! فأقبل، ثم قال له: أدبر! فأدبر، فقال الله تبارك و تعالى: خلقتك خلقاً عظيماً و كرمتهك على جميع خلقى، قال: ثم خلق الجهل من البحر الأجاج الظلمانى، فقال له: أدبر! فأدبر، ثم قال له: أقبل! فلم يقبل، ثم قال

(١)

عوالى اللثالى ك ج ١ / ٤٨، ح ٦٩، و سنن الترمذى كتاب الدعوات ن الباب (٩٠) ح ٣٥٢٢ و لفظه: قال صلى الله عليه و [آله و سلم: «يا أم سلمة إنه ليس آدمى إلا و قلبه بين أصبعين من أصابع الله».

اختلفوا فيما هو المراد من الحديث، قال بعض: هو مثل قوله تعالى: وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ فَمَا لا يصح أن يقال: اليمين فى الآية بمعنى الجارحة، كذلك لا يصح أن يقال:

الأصبع فى الحديث مثل أصابعنا، بل تؤمن بذلك كله، و لا نحمله على الحقائق المعلومة عندنا بل يجب حمله على معان أخرى. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٤

له: استكبرت فلغنه، ثم جعل للعقل خمسة و سبعين جنداً، فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل و ما أعطاه أضمر له العداوة، فقال الجهل: يا رب! هذا خلق مثلى خلقته و كرمته و قوته و أنا ضده و لا قوة لى به، فأعطى من الجند ما أعطيته، فقال: نعم، فإن عصيتى بعد ذلك أخرجتك و جندك من رحمتى، قال: قد رضيت، فأعطاه خمسة و سبعين جنداً (١).

أقول: وهذا الخبر لاشتماله على علوم عزيزة المنال بعيدة عن عقول الرجال لا يناسب شرحه في هذا المقال، وإنما المراد الإشارة إلى كثرة جنود الجهل وأن عالمي الروحانيين متطابقان متساوقان وأن بإزاء كل حق باطلاً وفي الخروج عن كل استقامة انحرافاً بل انحرافات غير متناهية، ولذا

قال هرمس «٢» الهرامسة في دعائه: «اللهم أنقذني من بدن الطبيعة إليك على خط مستقيم، فإن المعوج لا نهاية له». بناء على أحد الوجهين في مفاده، وإلى الإشارة بقوله تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» (٣).

فانظر كيف جمع السبل ووحّد الصراط والسبيل ولذا خطّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند نزوله خطاً مستقيماً على الأرض وخطوطاً عن أطرافه «٤».

و بالجمله جنود الشيطان متكررة منتشرة في العالم متشعبة لإضلال بني آدم،

(١) الكافي: ج ١ / ٢٠، ح ١٤.

(٢) المراد به إدريس النبي على نبينا وآله وعليه السلام، قيل له باليونانية: أرميس وعرب بهرمس.

(٣) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٤)

أخرج الحاكم في «المستدرک»: ج ٢ / ٣١٨: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه خط خطاً ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطاً، ثم قال: هذا سبيل الله، وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه وأن هذا صراطى مستقيماً... إلخ. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٥

فإن الله تعالى جعل له بإزاء كل شيء شيئاً.

ففي النبوي: «إِنَّ إبليس قال لربه: يا رب! قد أهبط آدم وقد علمت أنه سيكون كتب و رسل، فما كتبهم و رسلهم، قال: رسلهم الملائكة والنيون و كتبهم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، قال: فما كتابي؟ قال: كتابك الوشم، وقراءتك الشعر، و رسلك الكهنة، و طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه، و شرابك كل مسكر، و صدقك الكذب، و بيتك الحمام، و مصائدك النساء، مؤذنك المزمار، و مسجدك الأسواق «١».

فكل ما يصدك عن سبيل الخير أو يأمرك و يقرب لك و يوقعك في نهج الضر و الضير، فهو من أعوان الشيطان و جنوده و أحزابه و هو المشار إليه بقوله:

وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسِيَّتْ طَعْتِ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا «٢».

وقوله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا «٣».

و

في «الكافي» عن الباقر عليه السلام: «إن هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، وإن أحدكم إذا غضب احمرت عيناه و انتفخت أوداجه، و دخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم من نفسه فليزِم الأرض فإن رجز الشيطان ليذهب عنه عن ذلك» «٤».

و

في «المتهجد» في العوذة التي كتبها أبو الحسن الثاني لابنه عليهما السلام:

(١) البحار: ج ٦٣ / ٢٨١، ح ١٧٣.

(٢) سورة الإسراء: ٦٤.

(٣) سورة الأنعام: ١٢.

(٤) الكافي: ج ٢ / ٣٠٤، و عنه البحار: ٦٣ / ٢٦٥، ح ١٤٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٦

«أمتنع من شياطين الإنس والجن، و من رجلهم و خيلهم ركضهم و عطفهم، و رجعتهم، و كيدهم، و شرهم و من شر الدناهش «١» و الحس و اللبس و اللبس «٢» و من عين الجن و الإنس، و من شر كل صورة و خيال، أو بياض أو سواد أو مثال، أو معاهدا و غير معاهد، ممن يسكن الهواء و السحاب و الظلمات و النور، و الظل و الحرور، و البر و البحور، و السهل و الوعور، و الخراب و العمران، و الآكام و الآجام، و المغائض «٣» و الكنايس و النوايس «٤» و الفلوات و الجبانات ... الدعاء «٥».

عن الصادق عليه السلام: «إن لإبليس عوناً يقال له «تمريح» إذا جاء الليل ملاً ما بين الخافقين» «٦».

و

روى أن الله تعالى قال لإبليس: «لا أخلق لآدم ذرية إلا ذرأت لك مثلها فليس أحد من ولد آدم إلا و له شيطان قد قرن به» «٧».

وقيل: إن الشيطان فيهم الذكور و الإناث يتوالدون من ذلك، و أما إبليس فإن الله خلق له في فخذة اليمنى ذكراً و اليسرى فرجاً فهو ينكح هذه بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات «٨».

(١) قال الكفعمي: الدناهش: جنس من أجناس الجن.

(٢) الموجود في المصدر: (اللمس) فقط، و جعل اللبس في هامش الكتاب بدلاً منه.

(٣) المغايز جمع المغيضة و هي الأجمة أي منبت الشجر و القصب.

(٤) النوايس: مقابر النصارى.

(٥) مصباح المتعبد: ٣٤٠، و عنه البحار: ج ٦٣ / ٢٦٦، ح ١٥١.

(٦) روضة الكافي: ٢٣٤ و عنه البحار: ج ٦٣ / ٢٦٣، ح ١٤٥.

(٧) البحار: ج ٦٣ / ٣٠٦.

(٨) البحار: ج ٦٣ / ٣٠٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٧

و عن مجاهد أن من ذرية إبليس «لا-قيس»، و «ولها» «١»، و هو صاحب الطهارة و الصلاة، و «الهبات»، و هو صاحب الصحارى، و «مرة» و به يكنى أبا مرة، و «زلنبور» و هو صاحب الأسواق يزين اللغو و الحلف الكاذب و مدح السلعة، و «تبرو» و هو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه و لطم الخدود و شق الجيوب، و «الأبيض» و هو الذى يوسوس للأتبياء، و «الأعور» و هو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل و عجز المرأة، و «داسم» و هو الذى إذا دخل الرجل بيته و لم يسلم و لم يذكر اسم الله تعالى دخل معه و وسوس له و ألقى الشر بينه و بين أهله، فإن أكل و لم يذكر اسم الله تعالى أكل معه، فإذا دخل الرجل بيته و لم يسلم و لم يذكر الله و رأى شيئاً يكره فليقل: «داسم داسم أعوذ بالله منه»، و «مطرش» «٢» و هو صاحب الأخبار يأتي بها فليلقها في أفواه الناس و لا يكون لها أصل و لا حقيقة، و «الأقبض» و أمهم طرطبة «٣».

و

في تفسير الإمام عليه السلام عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «تعوذوا بالله من الشيطان الرجيم، فإن من تعوذ بالله أعاده الله، و تعوذوا من همزاته و نفضاته و نفضاته، أ تدررون ما هي؟»

أما همزاته: فما يليه في قلوبكم من بغضنا أهل البيت، قالوا: يا رسول الله! وكيف نبغضكم بعد ما عرفنا محلکم من الله و منزلتكم، قال: بأن تبغضوا أوليائنا و تحبوا أعدائنا «٤».

و أما نفخاته: فهي ما ينفخون به عند الغضب في الإنسان يحملونه على

(١) في المصدر: و لهان.

(٢) في المصدر: و مطوس.

(٣) البحار: ج ٣٠٧ / ٦٣.

(٤) تفسير الإمام عليه السلام: ص ٥٨٤، ح ٣٤٧، و عنه البحار: ج ٢٧ / ٦، ح ٢٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٨

هلاکه في دينه و دنياه، و قد ينفخون في غير حال الغضب بما يهلكون به.

أ تدررون ما أشد ما ينفخون به؟ هو ما ينفخون بأن يوهموه أن أحدا من هذه الأمة فاضل علينا، أو عدل لنا أهل البيت «١».

و أما نفثاته: فإن يرى أحدكم أن شيئا بعد القرآن أشفى له من ذكرنا أهل البيت و من الصلاة علينا، و أن الله عزّ و جل جعل ذكرنا

أهل البيت شفاء للصدور، و جعل الصلوات علينا ماحية للأوزار و الذنوب، و مطهرة من العيوب و مضاعفة للحسنات «٢».

### تبصرة عرفانية

قد تبين لك من تضاعيف ما تلونا عليك و ألقينا إليك أن الشيطان شيطان لفعله و صورته و إغوائه و صدّه عن سبيل الله، فكل ما يصرفك عن المنهج القويم و يصدك عن الصراط المستقيم فإنما هو شيطانك، و إن كان في أصله و حقيقته رحمة لك و نعمة عليك.

الأ- ترى أن كلا- من أدواتك و جوارحك و مشاعرك الظاهرة و الباطنة إذا كانت سليمة فهي نعمة ليس لها قيمة، و أنت تقدر بقدرتك و إرادتك بعد الاستمداد من فضل الله و رحمته أن تكتسب بها الجنان و تطفئ بها النيران، و أن تصل بها إلى مجاورة أولياء الرحمن، فلا تثبت حينئذ في أرض نفسك الطيبة إلا المخاطر الإيمانية و اللمعات النورانية و النفخات الربانية، فيترشح على الأعضاء و الجوارح

(١)

في المصدر: أو عدل لنا أهل البيت، كلا- و الله- بل جعل الله تعالى محمدا صلى الله عليه و آله و سلم، ثم آل محمد عليهم السلام فوق جميع هذه الأمة، كما جعل الله تعالى السماء فوق الأرض، و كما زاد نور الشمس و القمر على السهوى.

(٢) تفسير الإمام عليه السلام: ص ٥٨٥، ح ٣٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٩

من طفاحة «١» الأنوار القلبية و الفيوض الرحمانية.

و إليه الإشارة

بقوله في الدعاء الذي يقرء ليلة الجمعة: «اللهم اجعل لي نورا في قلبي، و نورا في قبري، و نورا بين يدي، و نورا تحتي، و نورا فوقي، و

نورا في سمعي، و نورا في بصري، و نورا في شعري، و نورا في بشري، و نورا في لحمي، و نورا في دمي، و نورا في عظامي» «٢».

و أما إذا أمرت على مملكة البدن النفس الأمارة التي هي سفير الشيطان و وزيره فيبتدأ بتسخير الآلات و الأدوات و الأعضاء و المشاعر

ثم يسعى في هدم الأرض الأقدس و البيت المقدس و هو بيت الإيمان و العرش الذي هو مستوى الرحمن، و إليه الإشارة بقوله:



وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا «٣». و الأمر أمر تكويني.

و

في قراءة أمير المؤمنين عليه السلام «٤» [أمرنا]

بالتشديد أى جعلناهم أمراء، فلما سخرت النفس قرية البدن و استخدمت قواها و استعملت مشاعرها و وطأتها سنابك الشيطان و فارقتها ملائكة الرحمن و سائر الأعوان يبقى العقل وحيدا فريدا ضيق الصدر، مجهول القدر، منبوذ الأمر، فينادى ربه بلسان الخشوع و الاستكانة:

(١) الطفاحة- بضم الطاء- ما طفح فوق الإناء كزبد القدر إذا غلا.

(٢) جمال الأسبوع: ص ١٣٣، و مصباح المتعجب: ص ١٨٧، و عنه البحار: ج ١٨٩ / ٢٩٣، ح ٥.

(٣) سورة الإسراء: ١٦.

(٤) سهى المؤلف قدس سره في نسبة هذه القراءة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فإن القراءة المنسوبة إليه هي بمد الهمزة، كما قال الطبرسى في «مجمع البيان»: ج ١/ ٤٠٥، في ذيل الآية، هذه عبارته: القراءة العامة [أمرنا] بالتخفيف غير ممدود، و قرأ يعقوب [أمرنا] بالمد، و هو قراءة على بن أبى طالب عليه السلام و الحسن، و أبى العالى، و قتادة، و جماعة، و قرأ [أمرنا] بتشديد الميم ابن عثمان، و أبو عثمان النهدي، و أبو جعفر محمد بن على بخلاف، و قرأ [أمرنا] بكسر الميم الحسن، و يحيى بن يعمر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٨٠

رَبَّنَا! أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا «١».

و هو قوله: فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ «٢».

فلما فارقه العقل يصير القلب مقلوبا منكوسا ينسدّ بابه إلى الملكوت و العلين، و يفتح منه باب إلى سجّين، فينطبع فيه صور الباطل، و لا يخطر بباله شىء من الحق، فإن القلب لادراك الحقائق و المعقولات و انطباعها فيه كالمرآة للمحسوسات، فإذا كان صافيا نقيا من كدورة الشهوات و ظلمة الخطيئات حاذى بوجهه جانب الملكوت، فينطبع فيه صور الحقائق المركوزة فى الألواح السماوية و الخزائن الغيبية، و أما إذا انسدّ بابه الأعلى إلى علين و انفتح له باب أسفل إلى سجّين انطبع فيه صور الأباطيل و الانحرافات و العكوس الظلمانية و الخيالات الشهوانية، فلا ينطبع فى مرآة قلبه إلا المكر و الخديعة و طلب الشهوات و غيرها مما هو من نسخ الظلمات، فإن القلب سريع التقلب و التحول، و لذا قيل:

قد سمى القلب قلبا من تقلبه فاحذر على القلب من قلب و تحويل

و إليه الإشارة بقوله: وَ نُقَلِّبُ أَفئِدَتَهُمْ وَ أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ «٣».

و مبادئ هذه الأحوال إختيار الشرور و المعاصى عند التردد، ثم المعاشرة مع الفساق و الظلمة و أعوان الشياطين، ثم التولى و التودد لشياطين الإنس و الجن كما قال: إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ «٤».

(١) سورة النساء: ٧٥.

(٢) سورة الذاريات: ٣٥-٣٦.

(٣) سورة الأنعام: ١١٠.

(٤) سورة الأعراف: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٨١

و أما قوله: إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ «١».

فالجعل تكويني بعد الاختيار إذ لا إكراه في الدين «٢»، أَمَا أَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ «٣»، فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ «٤»، نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ «٥».

فإذا استحکم عقد الولاء بينهم تنزلوا في الدرجات إلى مقام الإيحاء:

وَ إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ «٦»، وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا «٧».

فيدخلون في حزب الشيطان و يسلب عنهم اسم الإنسان، إذ الإنسان بقلبه لا- بقلبه، و الشيطان شيطان بمكره و خديعته و تمرده و عصيانه لا- بصورته، هؤلاء هم الذين: اسْتَتَحَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا- إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ «٨».

المبحث الثالث: في المستعاذ به، و هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم لكل شيء علما و صنعا و تربيته، و لذا علق الاستعاذة باسم الذات المستجمع للصفات الكمالية في الآيات الثلاثة المتقدمة، و في قوله: فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ «٩».

(١) سورة الأعراف: ٢٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) سورة يونس: ٩٩.

(٤) سورة الصف: ٥.

(٥) سورة الحشر: ١٩.

(٦) سورة الأنعام: ١٢١.

(٧) سورة الأنعام: ١١٣.

(٨) سورة المجادلة: ١٩.

(٩) سورة الذاريات: ٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٨٢

إذ بيده ملكوت السموات و الأرض و هو يجير و لا يجار عليه، فلا ملجأ و لا منجى و لا مهرب و لا مناص و لا مفر عنه و من غيره إلّا إليه، لكنّ الله تعالى جعل لنفسه أبوابا و سبلا و وسائل و شفعاء، و جعلهم أحسن أسمائه و مظاهر نعوته و صفاته، و أمرنا بأن نأتي البيوت من أبوابها، و أن نتوصل إلى الغايات بأسبابها فجعل محمدا و آل محمد صلى الله عليهم أجمعين أبوابه و أسبابه. ففي الزيارة الجامعة: «من أراد الله بدأ بكم، و من وحده قبل عنكم، و من قصده توجه إليكم» «١».

و

فيها: «مستجير بكم، زائر لكم، لائذ بقبوركم، مستشفع إلى الله عزّ و جل بكم، متقرب بكم إليه، و مقدمكم أمام طلبتي و حوائجي و إرادتي في كل أحوالي و أموري» «٢».

و

عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يا علي! و الذي بعثني بالنبوة و اصطفاني على جميع البرية، لو أن عبدا عبد الله ألف عام ما قبل الله ذلك منه إلا بولايتك و ولاية الأئمة من ولدك، أخبرني بذلك جبرئيل، فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر» «٣».

و

في تفسير الإمام عليه الصلاة والسلام قال:

«قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: ألا فاذكروا يا أمه محمد محمدًا وآله عند نوابئكم وشدائدكم لينصر الله بهم ملائكتكم على الشياطين الذي يقصدونكم، فإن كل واحد منكم معه ملك عن يمينه يكتب حسناته، وملك عن يساره يكتب سيئاته، و معه شيطانان من عند إبليس يغويانه، فإذا وسوسا في قلبه ذكر الله تعالى وقال: لا حول

(١)

البحار: ج ١٠٢ / ١٣١، ح ٤ وفيه: «و من قصده توجه بكم».

(٢) البحار ج ١٠٢ / ١٣١، ح ٤، وهذه الجملات متقدمة على الفقرات المذكورة من قبل.

(٣) البحار: ج ٢٧ / ٦٣، ح ٢٢، و ص ١٩٩، ح ٦٦ عن كتر الكراجكي ص ١٨٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٨٣

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، و صلى الله على محمد وآله، حبس الشيطانان ثم صارا «١» إلى إبليس فشكواه و قالوا: قد أعيانا أمره فأمدنا بالمرء، فلا يزال يمدهما حتى يمدهما بألف مارد فيأتونه فكلما راموه ذكر الله و صَلَّى على محمد و آله الطيبين لم يجدوا إليه طريقا و لا منفذا، قالوا للإبليس: ليس له غيرك تباشره بجنودك فتغلبه و تغويه، فيقصده إبليس بجنوده ألا فقاتلوه، فيقاتلهم بإزاء كل شيطان رجيم منهم مائة ألف ملك و هم على أفراس من نار، بأيديهم سيوف من نار و رماح من نار و قسي و ناشيب و سكاكين من نار، فلا يزالون يخرجونهم و يقتلونهم بها و يأسرون إبليس فيضعون عليه تلك الأسلحة، فيقول: يا رب! وعدك وعدك قد أجلتني إلى يوم الوقت المعلوم، فيقول الله تعالى لملائكته: وعدته ألا أميته، و لم أعده أن لا أسلط عليه السلاح و العذاب، اشتفوا منه ضربا بأسلحتكم فياني لا- أميته فيثخنونه بالجراحات، ثم يدعونه، فلا يزال سخين العين على نفسه و أولاده المقتولين المقتلين، و لا يندمل شيء من جراحاته إلا بسماعه أصوات المشركين بكفرهم، فإن بقي هذا المؤمن على طاعة الله و ذكره و الصلاة على محمد و آله، بقي إبليس على تلك الجراحات، و إن زال العبد عن ذلك و انهمك في مخالفة الله عزّ و جل و معاصيه، اندملت جراحات إبليس، ثم قوى على ذلك العبد حتى يلجمه فيسرج على ظهره و يركبه، ثم ينزل عنه، و يركب ظهره شيطانًا من شياطينه، و يقول لأصحابه: أما تذكرون ما أصابنا من شأن هذا من الذل و انقاد لنا الآن حتى صار هذا، ثم قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: فإن أردتم أن تديموا على إبليس سخنة عينيه و ألم جراحاته، فداوموا على طاعة الله و ذكره و الصلاة على محمد و آله، و إن زلتم عن ذلك كنتم أسراء فيركب أقيتكم بعض مردته» «٢».

(١) في البحار: سارا.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ط الجديد: ٣٩٨، ح ٢٧٠، و عنه البحار:

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٨٤

فيستفاد من الأخبار المتقدمة و غيرها أن التوسل و الاستشفاع بهم موجب للنجاة و أنه لا يمكن الوصول إلى الله تعالى إلا بولايتهم و محبتهم.

ولذا

ورد في الدعاء المهدوية الرجبية على منشه ألف صلاة و سلام و تحية: «أعضاء و أشهاد و حفظة و رواد» «١».

و

في الزيارة الجامعة انهم الذادة الحماء «٢».

و الذادة جمع الذائد من الذود و هو الدفع و الحماة جمع الحامى و هو الحافظ، فإنهم عليهم السّلام يحفظون شيعتهم و يدفعون عنهم فى الدنيا و الآخرة أعدائهم من الجن و الإنس و الشياطين و حزبهم الظالمين، فإن من توسل بهم يجعلونه فى حفظهم و عنايتهم و صيانتهم و حرزهم و كهفهم.

و

فى عوذة يوم الخميس: «أعيذ نفسى بقدرة الله، و عزة الله، و عظمة الله، و سلطان الله، و جلال الله، و كمال الله، و بجمع الله، و برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لاة أمر الله من شر ما أخاف و أهدر» «٣».

و المراد بقوله: «قدرة الله» مع روافدها إنما هو إذ مقدور مع ما يتبعه، إذ لا تعدد فى بحت الذات لا حقيقة و لا مفهوما و لا خارجا و لا اعتبارا، و لذا

قال أمير المؤمنين روى له الفداء و عليه آلاف التحية و الثناء: «كمال التوحيد نفى الصفات عنه» «٤».

فلا يحمل على إذ لا مقدور، و ذواتهم نفس الفعل، لأنها المشيئة الكليّة

ج ٢٧١ / ٦٣ - ٢٧٢.

(١) بحار الأنوار: ج ٣٩٣ / ٩٨، ح ١.

(٢) البحار: ج ١٠٢ / ١٢٨، ح ٤.

(٣) البحار: ج ٩٠ / ٢١٥، ح ٤٠.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة الأولى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٨٥

و القدرة الإلهية و العزة الربانية و العظمة الصمدانية، كما

قالوا: «نحن أسماء الله الحسنى، و أمثاله العليا» «١».

أو أنهم مظاهر الصفات الفعلية و الشؤون الربانية، و الترديد هو إنما هو باعتبار اختلاف مراتبهم.

و أيضا

قد ورد: أنهم الأعراف الذى لا يعرف الله إلا بسبيل ولايتهم و انهم وجه الله الذى يؤتى منه.

ففى «البصائر» عن الصادق عليه السلام فى قوله كَلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ «٢» قال: «دينه و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم

و أمير المؤمنين عليهما السلام دين الله و وجهه و عينه فى عباده و لسانه الذى ينطق به و نحن وجه الله الذى يؤتى منه» «٣».

و

فى زيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «السّلام على اسم الله الرضى و وجهه المضىء و جنبه العلى ... إلى قوله: و أشهد أنك

جنب الله و وجهه الذى يؤتى منه و أنك سبيل الله ....» «٤».

و أيضا قد قال الله تعالى: وَ مَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَ إِنَّهُمْ لَيَصِيدُونَ عَنْ السَّبِيلِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

مُهْتَدُونَ «٥».

و الذكر هو النبى كما قال: ذَكَرًا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ «٦».

أو الوصى، و هو المراد بالسبيل أيضا، و الترديد باعتبار الجهات و الحثيات و المراتب و إلا فما أمرنا إلا واحدة.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٥، ح ٧.

(٢) سورة القصص: ٨٨.

(٣) أورده الصدوق «التوحيد»: ١٥١، ح ٧ و عنه البحار: ج ٢٤ / ١٩٧، ح ٢٣.

(٤) البحار: ج ١٠٠ / ٣٠٦.

(٥) سورة الزخرف: ٣٦-٣٧.

(٦) سورة الطلاق: ١٠-١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٨٦ عباراتنا شتى و حسنك واحدو كل الى ذاك الجمال يشير

و من هنا يتضح وجه ما فى الأدعية المعصومية تعليماً لنا و عبودية لله سبحانه من الاستعاذة بكلمات الله التى هى أسماؤهم الشريفة و حقائقهم الكلية الإلهية كما ورد فى تفسير قوله:

فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ «١»، وَ إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ «٢»، مَا نَفَذَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ «٣»، و غير ذلك.

بل بغيرها مما هو بمعناها،

ففى «المتهجد» فى الدعاء الخاص عقيب الثامنة من صلاة الليل: «أعوذ بنور وجهك الكريم الذى أشرقت له الظلمات و أصلحت عليه أمر الأولين و الآخرين» «٤».

و

فى عوذة يوم الخميس: «أعيد نفسى بقدره الله و عزة الله...» «٥»

إلى آخر ما مر.

و مثله ما فى عقيب الفجر «٦»، و الكل إشارة إلى وجهه الباقى بعد فناء كل شىء، كما فى الأخبار المفسرة للآية

و هو وجهه الذى ملاً نوره كل شىء و هو حيث لا يدركه شىء «٧»، كما فى عوذة ليلة الجمعة فى المتهجد

«٨». فالتوجه إليهم توجه إلى الله و الاستعاذة بهم استعاذة بالله، لأن الله تعالى جعلهم أبوابه و صراطه و نوره

(١) سورة البقرة: ٣٧.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

(٣) سورة لقمان: ٢٧.

(٤) مصباح المتهجد، فى نافلة الليل: ص ١٤٨، رقم الدعاء: ٢٣٨ / ٣٤.

(٥) مصباح المتهجد: ص ٤٩٠، رقم الدعاء: ٥٧٧ / ٣٢.

(٦) مصباح المتهجد: ص ٢٠٤، رقم الدعاء: ٢٩٦ / ٣٤.

(٧) فى المصدر: حيث لا يراه شىء.

(٨) مصباح المتهجد: ص ٤٩٠، رقم الدعاء: ٥٧٨ / ٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٨٧

و سبيله، فهم السبيل الأعظم و الصراط الأقوام و شهداء دار الفناء، و شفعاء دار البقاء و الرحمة الموصولة، من أراد الله بدأ بهم، و من قصده توجه إليهم صلوات الله عليهم و على أنوارهم و على أرواحهم و على أجسادهم و على أجهالهم و على ظاهرهم و على باطنهم و على أولهم و على آخرهم و رحمة الله و بركاته.

[المبحث الرابع: فى الكشف عن حقيقة الاستعاذة و كيفيةها] اعلم أن لا يمكن أن يتحقق العبد فى مقام الاستعاذة و الالتجاء و الانقطاع إلا بعد العلم بأمر ثلاثة:

أحدها: أن له عدوًا قويًا قاصداً له مترصداً لإيصال الضرر إليه في نفسه ودينه وعياله وماله بحيث يعجز العبد عن مقاومته وكف ضرره عن نفسه.

ثانياً: أن الملجأ الذي يهرب إليه ويتوسل به قوياً قاهر قادر على قهر ذلك العدو وإذلاله، ودفع شره عنه، والحيلولة بينه وبينه بحيث لا يمسّه شره أصلاً.

ثالثها: أن هذا الملجأ ناصح مشفق برّ لطيف رؤف رحيم، قد وعد على نفسه أن يجير من استجاره وأن يعيد من استعاذ به، وكلما كانت العلوم المتعلقة بهذه المقاصد الثلاثة أقوى وأصفى وأجلى، كان التحقق بمقام الاستعانة والالتجاء أتم وأدوم وأكمل سيما إذا انضم إليه العلم بانحصار الملجأ به دون غيره، وهذه العلوم الثلاثة بل الأربعة حاصله في المقام، وإن كان في شيء منها ضعف فمن الشك في الدين، أو من ضعف اليقين، وإلا فينبغي أن تنتهي هذه العلوم من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين، بل حق اليقين.

أما العدو القوي المترصد فهو الشيطان اللعين بالضرورة من الدين بل بالشهود والعيان واليقين، مضافاً إلى الآيات الكثيرة التي نبه الله فيها عباده بعداوة هذه العدو وأمرهم بالتجنب والتحرز عنه كقوله: يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا، إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٨٨

وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ «١».

وقوله: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا، إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ «٢».

وقوله: أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ، بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا «٣».

وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ «٤».

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ، وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ «٥».

هذا كله مضافاً إلى ملاحظته منشأ عداوته لبني آدم وإنه صار مطروداً مدحوراً بترك سجدة آدم، فأضمر العداوة له ولذريته حتى أقسم على إيصال الضرر إليهم في أشرف ما لديهم وهو دينهم الذي هو حياتهم، وبه بقاؤهم ونجاتهم، فقال:

فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ «٦».

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ «٧».

بل أمره الله تعالى أمراً تهديداً إمهالياً بقوله:

وَأَسَدِّقُزَّزَ مِنْ أَسَدِّقَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا «٨».

(١) سورة الأعراف: ٢٧.

(٢) سورة فاطر: ٦.

(٣) سورة الكهف: ٥٠.

(٤) سورة الزخرف: ٦٢.

(٥) سورة يس: ٦٠-٦١.

(٦) سورة ص: ٨٢-٨٣.

(٧) سورة الحجر: ٣٩-٤٠.

(٨) سورة الإسراء: ٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٨٩

و ذلك

لأنه عبد الله تعالى في الجانّ اثني عشر ألف سنة فلما أهلك الله الجانّ، شكى إلى الله الوحده، فخرج به إلى السماء الدنيا فعبد الله تعالى فيها اثني عشر ألف سنة أخرى في جملة الملائكة، كما رواه الصدوق في «العلل» و «المجالس» (١)

بل

في «نهج البلاغة» في خطبة على أمير المؤمنين عليه السلام أنه عبد الله تعالى سنة آلاف سنة لا يدري أمن سنى الدنيا أم من سنى الآخرة (٢).

و إن كان المستفاد

من بعض الأخبار أن عبادته في تلك المدة لم تكن لله تعالى بل لطلب زخارف الدنيا ، كما

قال مولانا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام في جواب الزنديق على ما في «الإحتجاج»: «إنه سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام لم يرد بها غير زخرف الدنيا، و التمكين من النظرة» (٣).

و كيف كان فالطريق صعب ذو خطر، و العدو قويّ مترصد لإيصال الضرر، و بعد ذلك لا بدّ للعبد من استشعار ضعفه و عجزه عن جلب شيء من المنافع أو دفع شيء من المضارّ إلّا بحول الله و قوته في المقامات العلمية و العلمية، و إن كان الأول هو الأصل للثاني، فالإنسان فيه في غاية العجز و لذا كثيرا ما يهلك من حيث لا يشعر و لا يلتفت، فيقع في العقائد الباطلة و الشبهات و الشكوك و الوسوس الشيطانية المفضية به إلى إنكار الحق بل الإلحاد و الزندقه و هو بزعمه باق على استقامة الفطرة و حسن السليقة، و لعلّ الجاهل مغرور باستعمال القواعد الميزانية، مبتهج بإصابته في عقائده و لا يدري أن حال من خالفه في هذه العقيدة أو في سائر العقائد إنما هو كحاله في زعمه في حق نفسه و ابتهاجه بإصابته، و لعلّ غيره أولى

(١) علل الشرائع: ج ١ / ١٣٦-١٣٧، المجالس للصدوق: ٢٠٩.

(٢) نهج البلاغة: ج ١ / ٣٩٦-٣٩٩ في الخطبة القاصعة.

(٣) الإحتجاج: ج ١ / ٣٦٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٩٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ١٣٠

بالإصابة منه لقوة نظره و نفوذ بصيرته و استقامة سليقته، و لهذا ترى أهل العالم بل المتسمين بالعلم منهم مختلفين في العقائد، بل في الأديان، و كل فرقة منهم تزعم النجاة لنفسه و يستدل له في زعمه بالبراهين القطعية مع إعمال القوانين المنطقية، فكل منهم يدفع الخطأ عن نفسه إلى خصمه مع أنهما متساويان في كفتي ميزان الإصابة و البطلان، بل ربما يصيب الأعمى رشده و يخطئ البصير قصده، و قد يوفق الغبي للدليل، و ينحرف الفطن عن قصد السبيل، بل رأينا كثيرا من العلماء المشهورين بالعلم و المعرفة قد أخطئوا في بعض العقائد طول عمرهم أو بقوا في شبهة واحدة أيام دهرهم، و ظنوا الباطل حقا، و الكذب صدقا، ثم المستبان بنور الهداية و الكشف خلاف ما فهموه، بل كثيرا ما يقع الرجوع و العدول عن بعض العقائد و يحصل لهم صورة ادراكية مشبه ما كان سابقا في طرف الضد، و حيث إن الأمر كذلك فلا خلاص من هذه الظلمات إلا بإعانة إله الأرض و السموات، فما أشد احتياج الإنسان بالاستعاذة إلى واهب الحكمة و العرفان و مسدد العقول و الأذهان، و من بيده ناصية الإنس و الجن من الشيطان، و لذا أمر نبيه بالاستعاذة تعليما للعباد بقوله: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (١).

قيل: وهذه الاستعاذة مطلقه غير مقيدة بحاله مخصوصه.

و أما قوله تعالى: فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ «٢».

فهى استعاذه مخصوصه، حيث إن لكل أحد، و فى كل حاله و مقام شيطانا مخصوصا يجب الاستعاذه منه.

و أما الملجأ و المنجى و المعاذ فهو الله الحى القيوم القادر القاهر المقتدر الذى قد وعد عباده بحفظهم من شرّ الشيطان، و ضرّه و وسوسته بمجرد الدخول فى حصن

(١) المؤمنون: ٩٧.

(٢) النحل: ٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٩١

عبوديته، و لذا قال: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ... «١».

و قال بعد الأمر بالاستعاذه به منه: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ «٢».

و فى هذه الآيه انقسام لظهور أرباب العصيان، لدلالاتها على انتفاء الإيمان بمجرد إطاعة الشيطان، و إنه ليس له سلطان إلا على المشرك بالرحمن، و ذلك

للأخبار المستفيضة الداله على أن «من أصغى إلى ناطق عبده فإن كان الناطق ينطق عن الله فقد عبد الله، و إن كان الناطق ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان» «٣».

و

«أن من أطاع المخلوق فى معصيه الخالق فقد عبده أو فقد أشرك» «٤».

كما قال الله تعالى: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ «٥».

فعن الصادق عليه السلام: «أما و الله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، و لو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم، و لكن أحلوا لهم حراما، و حرّموا عليهم حلالا، فعبدوهم من حيث لا يشعرون» «٦».

بل يستفاد من قوله تعالى، خطابا للمجرمين الممتازين: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، وَ أَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

(١) الإسراء: ٦٨.

(٢) النحل: ٩٩-١٠٠.

(٣)

بحار الأنوار: ج ٧٢ / ٢٦٤، و فيه: و إن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٢ / ٩٤، عن تفسير على بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام.

(٥) التوبة: ٣١.

(٦) الكافي: ج ٢ / ٣٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٩٢

«١».



بعد ملاحظة عموم الخطاب لأهل العصيان، وفقد من يزعم ربوبية الشيطان، أن من أطاع الشيطان، بل من خالف الله تعالى في أمر أو نهى فقد عبد الشيطان، بقرينة المقابلة، ولذا قال تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» (٢).

وقال سبحانه: «فَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ...» (٣).

و

في النبوى: «أبغض إله عبد في الأرض، الهوى».

ولعل هذا هو المشار إليه

بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الشرك أخفى في أمتي من ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء» (٤).

وحينئذ تجد نفسك ضعيفاً من مقاومة هذا العدو، إذ الإنسان قد خلق ضعيفاً، ولذا

ورد في الدعاء: «اللهم لا تكني إلى نفسي طرفه عين أبداً، ولا أقل من ذلك ولا أكثر، فإنك إن تكني فإن نفسي هالكة أو تعصمها» (٥).

فخذ حذرَكَ، وشدد أزرَكَ، واعرف قدرَكَ، وفوض أمرَكَ.

فإن التجأت بربك الرؤوف اللطيف، فاعلم أن كيد الشيطان هين ضعيف، وإن

(١) يس: ٦٠-٦١.

(٢) يوسف: ١٠٦.

(٣) الجاثية: ٢٣.

(٤) مضمون الحديث مروى بعبارات مختلفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين عليهم السلام منها: ما

رواه الطبرسي في مجمع البيان ج ٤ ص ٣٥٩ عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الشرك أخفى من ديب النمل على صفوانة سوداء في ليلة ظلماء... الخبر» ورواه عنه البحار ج ١٨ ص ١٥٨.

(٥) بحار الأنوار ج ١٤ ص ٣٨٧ عن الكافي ج ٢ ص ٥٨١ إلى: (و لا أكثر).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٩٣

احتجبت بحجابه الذي يحتجب به، وتوجهت إلى بابه الذي يؤتى منه، وأنت من غيره راجع تائب، فقد نلت أقصى المطالب، ومنتهى المآرب.

وإن قصدك الشيطان أتبعه شهاب ثاقب، لأنك حينئذ قد أقسمت بدمام الله المنيع الذي لا يطاول ولا يحاول، وهذا الدمام ولايتهم

عليهم الصلاة والسلام، ولذا

ورد في دعاء الصباح على ما في «المتهجد»: «أصبحت اللهم معتصماً بدمامك المنيع، الذي لا يطاول ولا يحاول، من كل غاشم و

طارق، من سائر من خلقت و ما خلقت من خلقك الصامت والناطق، في جنه من كل مخوف بلباس سابغة، وبأهل بيت نبيك (و في

بعض النسخ): سابغة ولاء أهل بيت نبيك، محتجبا من كل قاصد لى بأذية بجدار حصين الإخلاص فى الاعتراف بحقهم، و التمسك

بحبلهم، موقنا أن الحق لهم و معهم و فيهم و بهم، أوالى من والوا و أجانب من جانبوا، فأعدنى اللهم بهم من شر ما أتقيه ... الدعاء».

(١)

و مجمل الإشارة فى المقام إلى الاعتصام بذلك الدمام الذى هو ولايتهم عليهم السلام أن يتأدب بالآداب الشرعية و يستقيم على

الوظائف الدينية، و لا ينحرف عنهم فى شىء من الأفعال و الأقوال و الأحوال و الخطوات و التيات و القصود و المقاصد، فإذا فعل

ذلك فهو من شيعتهم الذى خلقوا من فاضل طيبتهم، و سقوا بماء ولايتهم.

ولذا

قال مولانا الرضا عليه التحية و الشاء: «شيعتنا المسلمون لأمرنا، الآخذون بقولنا، المخالفون لأعدائنا، فمن لم يكن كذلك فليس منا» (٢).

و

قال الصادق عليه السلام: «ليس شيعتنا من قال بلسانه، و خالفنا في أعمالنا و آثارنا،

(١) مصباح الشيخ ص ١٤٨ و عنه البحار ج ٨٦ ص ١٤٨ ح ٣١.

(٢) صفات الشيعة للصدوق: ص ١٦٤، و عنه بحار الأنوار: ج ١٦٧/٦٨، ح ٢٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٩٤

و لكن شيعتنا من وافقنا بلسانه و قلبه، و اتبع آثارنا، و عمل بأعمالنا، أولئك شيعتنا» (١).

و

في «إرشاد المفيد» و «الأمالى» و «صفات الشيعة»: أن أمير المؤمنين عليه السلام خرج ذات ليلة من المسجد، و كانت ليلة قمرء فأتم

الجبانة و لحقه جماعة يقفون أثره، فوقف عليهم، ثم قال: من أنتم؟

قالوا: شيعتك يا أمير المؤمنين.

فتفرس في وجوههم ثم قال: فمالى لا أرى عليكم سيما الشيعة؟

قالوا: و ما سيما الشيعة يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: «صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من البكاء، حديث الظهر من القيام، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من

الدعاء، عليهم غبرة الخاشعين» (٢).

و

روى العياشى عن الصادق عليه السلام قال: «نحن أهل بيت الرحمة، و بيت النعمة، و بيت البركة، و نحن فى الأرض بنيان، و شيعتنا

عرى الإسلام، و ما كانت دعوة إبراهيم إلنا لنا و لشيعتنا، و لقد استثنى الله إلى يوم القيامة على إبليس، فقال: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ

عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» (٣) «٤».

و

فى رواية أخرى: «و الله ما أراد الله بهذا إلا الأئمة و شيعتهم» (٥).

(١) بحار الأنوار: ج ١٦٤/٦٨، ح ١٣.

(٢) إرشاد المفيد: ص ١١٤، و أمالى الطوسى: ج ١/٢١٩. و عنهما بحار الأنوار ج ١٥٠/٦٨ - ١٥١، ح ٤.

(٣) الحجر: ٤٢.

(٤) تفسير العياشى: ج ٢/٢٤٣، و عنه البحار: ج ٦٨ م ٣٥.

(٥)

تفسير الفرات: ص ٨٣، و عنه البحار: ج ٥٧/٦٨، و فيه: و الله ما أراد بها إلا الأئمة و شيعتهم. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٩٥

فهذا الصنف من الشيعة ليس للشيطان عليهم سلطان، كيف و هم فى ظل ولايتهم يعيشون، و فى جوار الرحمن يتعمون، ألا إن أولياء

الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون.

و أميا محبوهم و مواليهم الذين ليسوا من مخلصى شيعتهم لاقترافهم بعض الخطيئات، و انهماكهم فى عاجل اللذات، فلا ريب أن

الاستعاذة والالتجاء بهم والاعتصام بحبلهم من شر شياطين الجن والإنس، والنفس الأمارة الشهوانية والبهيمية والسبعية، ومن خيلها ورجلها وفتنتها وسوستها توبه لهم ورجوع إليهم فيوقفون بها لقله التريص وحسن التخلص، مع أنهم عليهم السلام قد ضمنوا لشيعتهم ذنوبهم، وأصلحوا لهم عيوبهم.

فعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير قوله تعالى: إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ «١» قال: «إذا كان يوم القيامة ولينا حساب شيعتنا، فمن كان مظلمته فيما بينه وبين الله استوهبناها فوهبت لنا، ومن كان مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحق من عفى وصفح» «٢».

و

عن رضى الدين بن طاوس أنه قال: سمعت القائم عجل الله فرجه بسر من رأى يدعو من وراء الحائط وأنا أسمع ولا أراه وهو يقول: «اللهم إن شيعتنا منا، خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بماء ولايتنا اللهم اغفر لهم من الذنوب ما فعلوه اتكالا على حينا وولائنا يوم القيامة، ولا تؤاخذهم بما اقترفوه من السيئات، إكراما لنا، ولا تقاصهم يوم القيامة مقابل أعدائنا، وإن خفت موازينهم فثقلها بفاضل حسانتنا» «٣».

(١) الغاشية: ٢٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ / ٥٧، و عنه البحار: ج ٦٨ / ٩٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٣ / ٣٠٢ و ٣٠٣، وفيه هذه الحكاية بعبارتين مختلفتين.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٩٦

### تنبيه

يمكن إبطال القول بالجبر بصحة الاستعاذة كما استدلل به، نظرا إلى أنه اعتراف بكون العبد فاعلا لتلك الاستعاذة، ولو كان الفعل من الله كذب العبد، وإن الله إذا خلق فعلا في العبد امتنع لكل أحد دفعه، وإذا لم يخلقه امتنع تحصيله، وإن الاستعاذة بالله إنما يحسن إذا لم يكن خالقا للأمر التي يستعاذ منها، ومع كونه خالقا لها يلزم الاستعاذة به منه، فالوسوسة حينئذ ليست فعلا للشيطان فكيف يستعاذ منه.

ولله در ابن «١» الحجاج حيث قال:

المجبرون يجادلون بباطل وخلاف ما يجدون في القرآن

كلّ مقالته: الإله أضلني وأراد بي ما كان عنه نهاني

أ يقول ربك للخلايق آمنوا جهرا ويجبرهم على العصيان

إن صحّ ذا فتعودوا من ربكم وذرّوا تعوذكم من الشيطان

وقال بعض الأجلاء: إن قريشا كانت في الجاهلية على الجبر، وقد نزل الكتاب بإبطاله، لكن أحياء بنو أمية، فنسبوا شقاوتهم إلى الله، ولذا قيل: العدل والتوحيد علويان، والجبر والتشبيه أمويان.

والحق أن بطلان القول بالجبر مما يقضى به بعد الكتاب والسنة ضرورة وجدان الاختيار في كل ما يصدر منا من الأفعال.

مضافا إلى أن فيه انهدام أساس الشرائع والسياسات والأحكام، بل المعاد وما فيه من الثواب والعقاب.

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج الأديب الشاعر الشيعي البغدادي المتوفى (٣٩١ هـ) - العبر: ج ٣ / ٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٩٧

فلا يصغى إلى ما ربما يقال مرة: إنه تعالى عالم بجميع المعلومات، و وقوع الشيء على خلاف علمه يقتضى انقلاب علمه جهلا، و ذلك محال و المؤدى إلى المحال محال، و أخرى أن قدرة العبد إن كانت معينة لأحد الطرفين فالجبر لازم و إن كانت حاصلة لهما فمع المرجح إن كان من العبد عاد التقسيم فيه و يتسلسل، أو الله فيلزم عليكم ما ألزمتونا، و مع عدمه لا يمكن حصول الفعل، مع أن الرجحان حينئذ اتفاقى، فيعود الجبر.

إذ الوجهان فى غاية الضعف و إن استصعبهما بعض الأعلام، لل منع من كون العلم علّة للمعلوم أو مؤثرا فيه بوجه سيمّا فى العلم الذاتى الذى لا تعلق فيه أصلا، و قدرة العبد صالحه للطرفين بالضرورة الوجدانية، و الإختيار هو المرجح لأحدهما، و العبد إنما يفعل الإرادة و يحدثها بنفسها لا بإرادة حادثه قبلها حتى يلزم التسلسل أو الانتهاء إلى الواجب حسب ما تسمع تمام الكلام فى الموضع اللاتق به إن شاء الله.

نعم، من بعض أهل التشكيك فى مقام الاستعاذه شكوك واهية:

منها: أن المطلوب من قولك «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، إنما أن يمنع الله الشيطان من عمل الوسوسة بالنهى و التحذير، أو على سبيل القهر و الجبر.

أما الأول فهو حاصل منه و تحصيله بالطلب محال لأنه تحصيل للحاصل، و الثانى باطل لأنه يناهى التكليف الذى دل الدليل على ثبوته، و لو بالنسبة إلى الشياطين.

و منها: أن الله تعالى إن أراد إصلاح حال العبد فالشيطان غير قادر على إغوائه و إلا فلا يفيد الاعتصام أيضا.

و منها: أن صدور الوسوسة من الشيطان إن كان بواسطة شيطان آخر

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٩٨

لزم التسلسل، و إلا فلم لا يجوز مثله فى البشر، و لم يختص الشيطان بالاستعاذه منه.

و الجواب من الأول: أن المسؤول هو- التوفيق للتحقق فى مقام العبودية التى ينكشف معها فساد و وساوس الشيطان، و لذا قال سبحانه: **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** «١».

فإنهم دخلوا فى حزب الرحمن، فلا يؤثر فيهم تلك الوسواس، فالمطلوب هو العصمة الحاصلة بالاعتصام و الالتجاء إليه سبحانه.

و من الثانى: أنه يريد ذلك إرادة عزيمة لا حتمية، و لذا صحّ عندنا تكليف الكفار.

و من الثالث: أن المراد بالشيطان هو كل ما يدعو إلى غيره سبحانه من الجن و الإنس، و لذا جعل عبادته فى مقابلة عبادته سبحانه فى قوله:

**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ، وَ أَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** «٢».

مع أنك لا تكاد ترى أحدا يزعم أنه يعبد الشيطان، لأن جميع الأمم يتبرءون منه، فدواعى الشرور من كل موجود منتهية إليه انتهاء فطريا أو فعليا.

(١) الحجر: ٤٢.

(٢) يس: ٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٩٩

تفسير الصراط المستقيم

## في تفسير بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## إشارة

لا خلاف في أن البسملة بعض آية في سورة النمل. ولا في أن بعضها بعضها في هود، ولا في أنها ليست بآية ولا بعضها في براءة، إما لأنها سورة السيف، ونزلت لرفع الأمان، وبسم الله أمان، أو لأنها مع الأنفال سورة واحدة، ولذا عدتاً معاً سابعه السبع الطول. وإنما الخلاف في أنها جزء من سائر السور أم لا؟

فالشيعة الإمامية على أنها جزء من الفاتحة وغيرها من السور، يجب قراءتها معها، وهو مذهب أهل البيت روي لهم الفداء وعليهم آلاف التحية والثناء، وتبعهم بعض فقهاء العامة كأحمد، وإسحاق «١»، وأبي ثور «٢»، وأبي عبيدة «٣»، وعطاء، والزهرى «٤» وعبد الله بن المبارك «٥».

وهو مذهب ابن عباس، وأهل مكة، وأهل الكوفة كعاصم، والكسائي، وغيرهما، سوى حمزة، وغالب أصحاب الشافعي. وقال بعض الشافعية وحمزة: إنها جزء في الفاتحة فقط دون بقية السور.

لكن حكى العلامة في «المنتهى» عن الشافعي: أنها بعض آية من أول الحمد بلا خلاف، وفي كونها آية من كل سورة قولان:

(١) هو إسحاق بن إبراهيم المروزي المعروف بابن راهويه المتوفى سنة (٢٣٧) هـ.

(٢) هو إبراهيم بن خالد صاحب الشافعي أبو ثور الكلبي المتوفى (٢٤٠) أو (٢٤٦) هـ.

(٣) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري المتوفى (٢١٠) هـ.

(٤) هو محمد بن مسلم المدني الزهرى المتوفى (١٢٤) هـ.

(٥) عبد الله بن المبارك الفقيه المروزي المتوفى (١٨١) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٠٠

أحدهما: أنها آية من كل سورة.

والآخر: أنها بعض آية من أول كل سورة وتتم بما بعدها آية.

وعن أبي حنيفة، ومالك «١»، والأوزاعي «٢»، وداود «٣»: أنها ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور، وهو المشهور بين المتأخرين من الحنفية، بل من أهل المدينة، والشام والبصرة.

نعم، ذكر البيضاوي «٤» أن أبا حنيفة لم ينص بشيء، فظن أنها ليست من السورة عنده والظان صاحب «٥» الكشاف وأتباعه.

وعن مالك وتاليه «٦»: يكره أن يقرأها في الصلاة، وربما يجعل محل الخلاف أنها آية واحدة غير متعلقة بشيء من السور، أو مائة وثلاث عشر آية من مائة وثلاث عشر سورة كآيات المكررة في بعض السور، مثل فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

وعلى كل حال، فالذي ينبغي القطع به أنها آية من كل سورة من الفاتحة وغيرها لإجماع الإمامية، بل وإجماع أهل البيت عليهم السلام الذي هو الحجة عند المخالف فضلا عن المؤلف لآية التطهير وأخبار الفريقين، وغير ذلك مما حرر في الأصول،

(١) هو مالك بن أنس الأصبحي المدني المتوفى (١٧٩) هـ. - العبر: ج ١ / ٢٧٢.

(٢) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الفقيه الشامي المتوفى (١٥٧) هـ. - العبر:

ج ١ / ٢٢٧.

(٣) هو داود بن علي الأصبهاني الظاهري المتوفى (٢٧٠) هـ، تقدم ذكره.

(٤) البيضاوي: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر الشافعي المتوفى (٦٨٥) هـ - سفينة البحار: ج ١ / ٤٣٥.

(٥) هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى (٥٣٨) هـ.

(٦) هما الشافعي و أحمد بن محمد بن حنبل.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٠١

و الأخبار المستفيضة لو لم تكن متواترة

كخبر معاوية «١» بن عمار عن الصادق عليه السلام قال: قلت له: إذا قمت للصلاة اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب؟

قال: نعم، قلت: فإذا قرأت فاتحة الكتاب اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم مع السورة؟ قال: نعم «٢».

و

صحيح محمد «٣» بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السبع المثاني و القرآن العظيم أ هي الفاتحة؟ قال: «نعم هي

أفضلهن» «٤».

و

خير يحيى «٥» بن أبي عمران الهمداني قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك! ما تقول في رجل ابتداء بسم الله الرحمن

الرحيم في صلاته في أم الكتاب وحده، فلما صار إلى غير أم الكتاب من السورة تركها؟

فقال العياشي: ليس بذلك بأس، فكتب عليه السلام بخطه: يعيدها مرتين على رغم أنفه «٦» - يعنى العياشي -.

و المراد إعادة الصلاة لا البسمة و الحمل على تركها سهوا مع بقاء المحل بعيد من السياق.

و ذكر بعض المحدثين أن العياشي إن حمل على الرجل المشهور صاحب التفسير فينبغي تخصيصه بكون ذلك في أول عمره، فإنه

كان من فضلاء العامة ثم

(١) معاوية بن عمار بن أبي معاوية خباب بن عبد الله الكوفي، كان من ثقات أصحاب الصادق و الكاظم عليهما السلام.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢ / ٧٤٦، ح ٥ عن فروع الكافي: ج ١ / ٨٦.

(٣) محمد بن مسلم بن رباح الطحان الكوفي الفقيه الوجيه المتوفى (١٥٠) هـ. رجال النجاشي:

٣٢٣.

(٤) الوسائل: ج ٢ / ٧٤٥ عن التهذيب: ج ١ / ٢١٨.

(٥) يحيى بن أبي عمران الهمداني من أصحاب الرضا عليه السلام و ثقة أرباب الرجال.

(٦) الوسائل: ج ٢ / ٧٤٦، ح ٦ عن فروع الكافي: ج ١ / ٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٠٢

استبصر و رجع إلى مذهب الشيعة، فالحمل عليه غير بعيد «١»، و يحتمل غيره.

قلت: لكن الموجود في بعض نسخ الوسائل و غيره «العباسي» بالموحدة و المهملة، و عليه فالمراد بعض العباسيين أو بعض فقهاءهم

«٢».

و

عن أمير المؤمنين روى له الفداء عليه آلاف التحية و الثناء أنه بلغه أن أناسا يتزعون بسم الله الرحمن الرحيم فقال عليه السلام: «هي

آية من كتاب الله أنساهم إياها الشيطان» (٣).

و

في «العيون» بالإسناد إنه قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: أخبرنا عن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أهي من فاتحة الكتاب؟ فقال: «نعم، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأها ويعدّها آية» (٤).

و

عن الصادق عليه السلام: «ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظهرها، وهي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» (٥).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المستفيضة المعتمدة بالشهرة العظيمة بل بإجماع الطائفة المحقة.

و من هنا يظهر أن ما دل على خلافه

كصحيحه محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام في الرجل يكون إماما فيستفتح الحمد ولا يقرء

(١) الحمل عليه بعيد جدا لأنه كان معاصر للكيني، وتوفي على ما في معجم المؤلفين:

ج ٣٠ / ١٢ سنة (٣٢٠) هـ، ولعله لم يولد في عصر الإمام الجواد عليه السلام.

(٢) الظاهر أنه هشام بن إبراهيم العباسي الذي قالوا في ترجمته: إنه كان مؤمنا في أول أمره و صار زنديقا في آخره، راجع: معجم رجال الحديث، رقم ١٥٣٨٨.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ / ٢١، ح ١٢.

(٤) عيون الأخبار: ص ١٨١، و عنه الوسائل: ج ٢ / ٧٤٧، ح ١٠.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٤ / ١٦٦، عن تفسير العياشي: ج ١ / ٢١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٠٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فقال: «لا يضره ولا بأس» (١).

و

موثق مسموع (٢)، قال: صلّيت مع أبي عبد الله عليه السلام، فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ثم قرأ السورة التي بعد الحمد و لم يقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثم قام في الثانية فقرأ الحمد و لم يقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣).

و

صحيح محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألته عن الرجل يفتتح القراءة في الصلاة أ يقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال: «نعم، إذا افتتح الصلاة فليقلها في أول ما يفتتح ثم يكفيه ما بعد ذلك» (٤).

ينبغي حملها على التقية أو على عدم الإجهار بها. أو على عدم وجوبها في السورة أو كون الصلاة نافلة، أو غيرها، وإن كان الأظهر حملها على الأول كما يظهر من سياق بعضها، وإلا فيتعين طرحها لندرتها و شذوذها و مخالفتها لما مر كشدوذ ما يحكى عن ابن الجنيد (٥) من أنها في الفاتحة بعضها، و في غيرها افتتاح لها.

و بالجملة فأصحابنا كأكثر المخالفين على عدّها آية جميع السور، و لذا أثبتوها في المصاحف بخط القرآن مع شدة اهتمامهم بعدم كتابه غيره بخطه، و لذا

(١) الوسائل: ج ٢ / ٧٤٩، ح ٥ عن التهذيب: ج ١ / ١٥٣.

(٢) هو مسموع بن عبد الملك بن مسموع بن مالك أبو سيار كردين الكوفي البصرى، كان من أصحاب الباقر و الصادق و الكاظم عليهم

السلام، وثقه الشيخ.

(٣) الوسائل: ج ٢/٧٤٨، ح ٤، عن التهذيب: ج ١/٢١٨.

(٤) الوسائل: ج ٢/٧٤٨، ح ٣، عن التهذيب: ج ١/١٥٣.

(٥) ابن الجنيد: محمد بن أحمد بن الجنيد أبو علي الكاتب من أكابر علماء الإمامية و من أفاضل قدمائهم و أكثرهم علما و فقها و أدبا و تصنيفا، وثقه النجاشي و روى عنه المفيد، قيل:

توفى بالرى سنة (٣٨١) هـ - سفينة البحار ك ج ١/٦٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٠٤

كتبوا تراجم السورة و الأجزاء و أنصافها و الأحزاب و ركوعاتها بالتغير، مضافا إلى الأخبار الكثيرة الواردة من طرق العامة أيضا. بل حكى شيخنا البهائي عن صريح بعض محدثهم أنها تجاوز العشرة «١».

نعم، للقراء تفصيل في البسملة، و هو أنها تأتي في ثلاثة مواضع: إذا ابتدأ سورة أو موضعا منها أو بين السورتين.

ففي الأول: أجمعوا على البسملة كما حكاها في «شرح طيبة النشر في القراءات العشر»، نعم، استثنا منها سورة التوبة، لكونها من الأنفال كما حكوه عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، أو لنزولها بالسيف و رفع الأمان.

و في الثاني و هو أوساط السور، قالوا: القارى فيه مخير بين الإتيان بالبسملة فيه بعد الاستعاذة، و بين الاقتصار على الاستعاذة، يرجح البسملة إذا كان مفتتح الآية شيئا من أسماء الله تعالى، و الاستعاذة إذا كان اسم الشيطان، و ذلك كله في سوى برائه، فإنه يحتمل التخيير فيها كغيرها، و يحتمل المنع من البسملة.

قلت: أما التخيير يمكن استفادته من الإطلاقات الآمرة بالاستعاذة من الكتاب و السنة بضميمة ما

رواه في «الكافي» عن فرات «٢» بن أحنف عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول:

«أول كل كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم فلا تبالي أن لا تستعبد، و إذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم سترتك

(١) لم أظفر على هذه الحكاية عن الشيخ بهاء الدين قدس سره لا في «العروة الوثقى» و لا في «الحبل المتين».

(٢) فرات بن الأحنف العبد الهاللي أبو محمد، روى عن السجاد و الباقر و الصادق عليهم السلام، ضعفه أرباب التراجم و قالوا: يرمى بالغلو. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٠٥

فيما بين السماء و الأرض» «١».

و هذا المعنى يستفاد من غيره من الأخبار أيضا تصریحا و تلويحا.

مضافا إلى ما سمعت من أن حقيقة الاستعاذة هي الالتجاء و التفويض و التوكل، و التسمية مشتملة على تلك المقامات حسب ما تسمع إن شاء الله، و لذا

قال مولانا الرضا عليه آلاف التحية و الثناء: «بسم الله يعنى أسم نفسى بسمه من سمات الله، و هى العبادة، قيل: و ما السمء؟ قال: العلامة» «٢».

بل التحقيق أن التسمية و الاستعاذة بمنزلة التولى و التبرى الذين إذا اجتماعا افترقا، و إذا افترقا اجتماعا كغيرهما من الألفاظ التى حالها كذلك كالفقراء و المساكين.

إلا أنه لا يخفى أن هذا كله لا يدفع استحباب الاستعاذة عينا بعد تعلق الأمر به فى ظاهر الكتاب، و تعليقه على الشرط المفيد للعموم حسب تحقق الشرط.



مضافا إلى أن البسملة أيضا من القرآن الذي أمرنا الله سبحانه عند إرادته قراءته بالاستعاذة، وغاية ما يدل عليه خبر فرات مع الغض عن ضعفه، وقصوره عن تخصيص ظاهر الكتاب إنما هو حصول الغاية التي هي حجب الشيطان وطرده كما هو الظاهر من مساقه، و أين هذا من سقوط الحكم الندبي الثابت بظاهر الآية.

وقد ظهر من جميع ما مر أن الأولى هو الجميع بين الاستعاذة والبسملة مطلقا في مفتتح السور و أوساطها، و أما أوساط سورة برائة فلا وجه لاستثنائها أو التردد فيها مطلقا، نعم، قد سمعت أن البسملة ليست جزءا منها و أين هذا من عدم

(١) الوسائل: ج ٢ / ٧٤٦، ح ٨، عن فروع الكافي: ج ١ / ٨٦.

(٢) عيون الأخبار: ج ١ / ٢٦٠، ح ١٩، و عنه كنز الدقائق: ج ١ / ٤٢، ط مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٠٦

استحباب البسملة أو المنع منها في قراءة بعض آياتها.

و أما في الثالث: و هو البسملة بين السورتين فاختلفوا على أقوال ثلاثة:

البسملة بينهما، و الوصل، أى وصل آخر الأولى بأول الثانية من دون وقف و لا سكت و لا بسملة، و السكت و هو عبارة عن قطع الصوت زما دون زمن التوقف عادة من غير تنفس، و قد اختلف عبارتهم في التأدية عنه من حيث طول زمن السكت و قصره.

قالوا: و المشافهة أصدق حاكم به، و على كل حال فأصحاب البسملة قالون «١»، و عاصم «٢»، و ابن كثير، و أبو جعفر «٣»، و الكسائي بغير خلاف من أحد منهم، و كذا الإصفهاني «٤»، عن ورش «٥».

و أما الوصل فهو المحكى عن حمزة، و أما أصحاب السكت فورش، و أبو عمرو «٦»، و ابن عامر.

و عن ابن مجاهد «٧» كل من الوصل و السكت كما حكاها عنه في «التيسير»،

(١) هو أبو موسى عيسى بن مينا الزهرى مولاهم المدني، صاحب نافع و كان قارئ أهل المدينة توفى سنة (٢٢٠) هـ. - العبير ج ١ / ٣٨١.

(٢) هو عاصم بن أبي النجود (بهذلة) الأسدي الكوفي، أحد القراء السبعة، توفى سنة (١٢٧) هـ.

(٣) أبو جعفر القرى: يزيد بن القعقاع المدني أحد العشرة، قرأ على مولاة عبد الله بن عياش، مات حدود سنة (١٣٠) هـ. - التمهيد: ج ٢ / ١٩٦.

(٤) هو محمد بن عبد الرحيم المقرئ الإصفهاني، توفى ببغداد سنة (٢٩٦) هـ.

(٥) هو عثمان بن سعيد المصري المقرئ الملقب ب (ورش) لشدة بياضه، توفى سنة (١٩٧) هـ، التمهيد: ج ٢ / ٢٠٣.

(٦) هو: أبو عمرو بن العلاء المازني المقرئ البصري و اسمه زبان، كان أحد السبعة، روى عن الإمام الصادق عليه السلام، توفى سنة (١٥٤) هـ.

(٧) ابن مجاهد: أحمد بن موسى بن العباس البغدادي المقرئ، توفى (٣٢٤) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٠٧

لكن في «طيبة النشر» عن ابن عامر، و أبي عمرو، و يعقوب «١»، و ورش من طريق الأزرق «٢» الأوجه الثلاثة و هي: السكت، و الوصل، و البسملة.

لكن اختار أصحاب الوصل في (ويلين) و في (لا أقسمين) السكت، و أصحاب السكت في الاربعة البسملة، لكن الحق ما سمعت أولا فلا داعي للتعرض لنقل كلامهم إلا الإفصاح عن فساد مرامهم.

نعم، بقى الإشكال في الفصل بين (الضحى) و (ألم نشرح) و كذا بين (الفيل) و (لإيلاف) بالبسملة و عدمها، حيث إنك قد سمعت

أن الأوليين سورة واحدة كالآخرين، ففي «مجمع البيان» عن أبي بن كعب أنه لم يفصل بينهما بالبسملة في مصحفه. وقال الشيخ في «الاستبصار» أن هاتين السورتين سورة واحدة عند آل محمد صلى الله عليهم أجمعين، و ينبغي أن يقرئهما موضعاً واحداً، ولا يفصل بينهما بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في الفرائض «٣».

و

في «الفتحة الرضوى» عنه عليه السلام قال: «و لا تقرأ في صلاة الفريضة (و الضحى)، و (ألم نشرح)، و (ألم تر كيف)، و (إيلاف)، لأنه روى أن (و الضحى) و (ألم نشرح) سورة واحدة، و كذا (ألم تر كيف)، و (إيلاف) سورة واحدة، إلى أن قال: فإذا أردت قراءة بعض هذه السور فاقرا: (و الضحى) و (ألم نشرح) و لا تفصل بينهما، و كذلك (ألم تر كيف)

(١) هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي القاري البصري المتوفى (٢٠٥) هـ.

(٢) هو أبو يعقوب الأزرق يوسف بن عمرو المدني المصري، لزم ورشا مدة طويلة، مات حدود سنة (٢٤٠) هـ.

(٣) الاستبصار: ج ١/٣١٧، في ذيل الحديث الرابع. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٠٨

و (إيلاف) «١».

لكن المحكى عن العلامة و غيره البسملة بينهما للإثبات في المصاحف، و عدم منافاة ذلك لوحدة السورة كما في سورة النمل، كما أنه لا ملازمة بين تركها و الوحدة كما في سورة براءة، بل ربما يقال: إن

في صحيح زيد «٢» الشحام: قال: صلى بنا أبو عبد الله عليه السلام فقرأ (و الضحى) و (ألم نشرح) في ركعة «٣»

، دلالة عليه، إذ لو ترك عليه السلام البسملة لذكره الراوى أيضا كما ذكر الجمع، و لذا قيل: إن البسملة أحوط، و الأحوط منها تركهما في الفريضة رأساً، و تمام الكلام في مقام آخر، و قد سمعت بعض الكلام في المقدمات.

و على كل حال فحيث قد ثبت كون البسملة جزءاً من السور، بل آية برأسها، بل ستمتع اشتغالها على جميع ما في القرآن من الأمور التشريعية و التكوينية مما كان أو يكون فلنشر بعض حقائقها في فصول:

(١) فقه الرضا: ص ٩، و عنه مستدرك الوسائل: ج ٤/١٦٤، ح ٤٣٨٤.

(٢) هو زيد بن محمد بن يونس أبو أسامة الشحام الكوفي، من أصحاب الباقر و الصادق و الكاظم عليهم السلام، وثقه النجاشي في رجاله: ص ١٧٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢/٧٤٣، الباب ١٠ من أبواب القراءة في الصلاة، عن التهذيب:

ج ١/٢٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٠٩

## الفصل الأول

### الباء

في الباء و البحث فيها مرة في الأحكام اللفظية، و أخرى في الحقائق العلمية.

أمّا الأحكام اللفظية فاعلم أنّ الباء من الحروف المفردة المعانيّة التي لها معنى حرفي لا المباتية التي يتركب منها الكلام، و من حقّها أن تفتح فإنهم لما بالغوا في تخفيفها بوضعها في الأصل على حرف واحد، و كانت مبتية، و الأصل في البناء السكون، و تعذر الابتداء

بالساكن بنوها على الفتح، لأنه أخف الحركات لكنهم قالوا: إنها لما اختصت من بين الحروف بلزوم الحرفية، و الجرم المقتضى لزوم كل منهما لمناسبة الكسر مناسبة ضعيفة لاقتضاء الحرفية عدم الحركة و الكسر يناسب العدم لقلته، بل لعدمه في الفعل، و اقتضاء الجر موافقه حركتها لأثرها، فلذلك كسروها، كما كسروا لام الجارة، و لام الأمر دفعا لالتباسهما بلام الابتداء، و لذا فتحو الداخلة على المضمر سوى ياء المتكلم المكسورة للمناسبة، إذ اللبس مرتفع بجوهر المدخول عليه، بخلاف الداخلة على المظهر. و الفرق بالإعراب لا يجدى في المبنى و ما قدر إعرابه أو وقف عليه، و لم يعكسوا بأن يجر و الجارة على الأصل الذى هو الفتح دون الابتدائية لملاحظة ترافق العامل و أثره.

و أما الداخلة على المستغاث فإنما فتحت لتتميز من المستغاث له مع أنه فى موضع ضمير أدعوك، فكأنها داخلة على المضمر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١١٠

و سميت بحروف الجارة لأنها وضعت كأخواتها لأن تجر معنى الفعل إلى الاسم و لذا سميت أيضا حروف الإضافة و الحروف المفضية لقضية الإضافة و الإفضاء.

و من هنا قال الزمخشري: حروف الجر كلها تسمى حروف الإضافة لأنها تضيف معانى الأفعال إلى الأسماء، فإنك إذا قلت مررت بزيد لا يصل معنى المرور إلى زيد إلا بواسطة الباء التى هى للتعدية.

و معانيها و إن كانت كثيرة، بل أنهاها بعضهم إلى أربعة عشر، و آخر إلى أزيد، لكن أم معانيها و الأصل فيها هى الإلصاق، و لذا قيل: إنه معنى لا يفارقها، و به علل اقتصار سيويه عليه، لكن الحق أنها معان متغايرة تحمل فى كل موضع على ما هو الأنسب بها، و إن كان غير الإلصاق، و لذا اختلفوا فى المقام بعد القطع بعدم كونها له فى أنها للمصاحبة أو للاستعانة على قولين:

فعن البعض الأول و اختاره الزمخشري و أتباعه، و رجح بأن التبرك باسمه تعالى أدخل فى الأدب من جعله آله، لتبعية الإله و ابتدائها. و بأن باء المصاحبة فى نفسها أكثر استعمالا من باء الاستعانة، لا سيما فى المعانى و ما يجرى مجراها. و بأن جعله آله يشعر بأنه غير مقصود لذاته.

و بأن ابتداء المشركين باسم آلهتهم كان على وجه التبرك، فقصد التبرك أدخل فى الرد عليهم.

و بأن باء المصاحبة أدل على ملابسة أجزاء الفعل لاسم الله تعالى من باء الآلهة و الاستعانة.

و بأن كون اسم الله تعالى آله للفعل ليس إلّا- باعتبار أنه يتوصل إليه ببركته، فقد رجع إلى معنى التبرك به فليقل به أولا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١١١

و يضعف الأول بأن الاستعانة غير منحصرة فى الآلات التى لا يصلح استناد الفعل إليها لضعفها، و إنما الوسائط بين الفاعل و فعله بالاستعانة بمعنى طلب العون و القوة، و لذا يكون كثيرا بالقوى السديد، و الإيواء إلى ركن شديد.

و

فى كلام أمير المؤمنين روى له الفداء فى وصيته لابنه الحسن عليه السلام: «و استعن بالذى خلقك و رزقك» (١).

و لعل ما ذكرناه هو المراد بما قيل من أن للآله جهتين: جهة تبعية و ابتدال و جهة توقف و احتياج، و هذه الثانية هى الملحوظة فى المقام.

و الثانى بأن مجرد كثرة الاستعمال على فرضها إنما يصلح مرجحا لأحد المعنيين على فرض تساوى نسبة اللفظ إليهما و عدم رجحان أحدهما فى نفسه، و لعل للمانع دعوى رجحان الاستعانة فى المقام بالنظر إلى المعنى، بل دعوى الغلبة النوعية المقدمة على الغلبة الجنسية.

و الثالث: بما مر فى الأول.

و الرابع: بأن الاستمداد و الاستعانة أقرب إلى التبرك به لاشتماله مضافا إليه على ما هو كالحج و البرهان على أنه ينبغى التبرك به لا

بغيره، و ستعرف أنه لا مانع من إرادتهما معا في المقام، مع أن كون المراد خصوص ردّ المشركين ممنوع. والخامس: بالمنع من عدم دلالة بقاء الاستعانة على ملابسة جميع أجزاء الفعل لما هو ظاهر من أن الاستعانة في الكل استعانة في الأجزاء.

مع أنه يمكن أن يقال: إن كون الباء للمصاحبة أقرب إلى توهم الشرك و مقابله فعل العبد لفعل الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا، و بقاء الاستعانة أدل على

(١)

في نهج البلاغة: الكتاب (٣١) و تحف العقول: ص ٤٩: فاعتصم بالذي خلقك ... تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١١٢ التوحيد و التفريد، كما قال الله تعالى: ما أصابك من حسنة فمن الله (١). و قوله تعالى: قل كل من عند الله (٢).

و قوله سبحانه على ما

أخبر به عنه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «يا ابن آدم! بمشيتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، و بإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد، و بفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي، و بعصمتي و عفوي و عافيتي أدت إلى فرائضي، فأنا أولى بحسناتك منك، و أنت أولى بذنوبك مني» الخبر (٣).

و السادس: بأن المصاحبة و الاستعانة مشتركتان في معنى التبرك، إلا أنك قد سمعت الفرق بينهما بأن الأولى أقرب إلى الشرك، و الثانية أدل على التوحيد.

و من جميع ما سمعت يظهر وجوه آخر لترجيح كونها للاستعانة على ما ذهب إليه كثير من المتأخرين، مضافا إلى إشعاره على كونه تعالى هو المفيض للقوى و الآلات و الأدوات التي بها يتمكن العبد و يقتدر على فعل الطاعات و المعاصي، بل جميع الأفعال، و أنه هو الملهم الموفق لاختيار الحسنات و اجتناب السيئات بعد صلوح الآلات و الأدوات للأمرين و معرفته للنجدين، كما أشير إليه في الحوقلة لا حول من المعاصي، و لا قوة على شيء من الطاعات، بل الأفعال إلا بإعانة الله تعالى، و في بعض الانتقالات الصلواتية: بحول الله و قوته أقوم و أقعد، و أنه تعالى هو القيوم الحق، و الفيض المطلق، فكل شيء سواه قام بأمره، كما في الخطبة العلوية بلا فرق بين الذوات و الصفات و الأفعال، و اليه الإشارة بقوله تعالى: و من آياته أن تقوم السماء و الأرض بأمره (٤) و أن ذكر الاسم الكريم عند ابتداء الفعل، بل

(١) النساء: ٨٩.

(٢) النساء: ٨٨.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ / ١٤٤ - ١٤٥، مع تفاوت في العبارات.

(٤) الروم: ٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١١٣

للتوسل في الأفعال سيما الخيرات بالأسماء اللفظية فضلا عن الحقيقية التي هي السبل و الوسائل و الشفعاء عند الله باذنه تعالى وسيلة إلى إتمام الفعل و وقوعه على الوجه الأكمل الأفضل الأسهل حتى كأنه لا يتأتى له ذلك بل لا يوجد أصلا إلا بذلك.

و أما ما ذكره ثاني الشهيدان في شرح اللمعة: من أن كونها للملابسة أدخل في التعظيم، و للاستعانة لتمام الانقطاع لاشعاره بأن الفعل لا يتم بدون اسمه تعالى.

ففيه أنّ المفضّل عليه في الأوّل ليس هو المفضّل في الثاني و إن جمعهما الاستعانة فإنّه أحدهما أولاً على وجه الآلية و الابتذال، و أخيراً على معنى العون و القوة فلا تغفل.

ثمّ إنّ هذه الوجوه و إن دلّت على إرادة الاستعانة منها إلّا أنّها لا تمنع من إرادة غيرها أيضاً فإنّ المصاحبة على بعض الوجوه اللاتئة بالمقام ملازمة للاستعانة.

و توهم أنه من قبيل استعمال اللفظ في المعنى الحقيقي و المجازي، أو المشترك في معنييه، و إن كلا- منهما غير جازي، بعيد عن الصواب بمراحل، فإنه مع الغض عما في الحكم بعدم الجواز على بعض الوجوه حسبما قرر في محله لا- يخفى أن الأصل في معاني الباء و أمها و أسها على ما يظهر من إشارات كلماتهم هو الإلصاق، و غيره من المعاني راجعة إليه بإضافة بعض الخصوصيات التي يقتضيها خصوص الموارد، فحقيقته الاستعانة هو الالتصاق و الاتصال الحسي أو المعنوي بالمعنى أو بالآلة، و معنى المصاحبة هو المعية الوجودية أو الفعلية أو الانفعالية حسية كانت أو معنوية و مرجعها إلى نحو من الإلصاق مغاير للمعنى المتقدم.

و للسببية التي هي إصاق المسبب لسببه لقضية السببية، إلى غير ذلك من معانيها التي مرجعها إلى الإلصاق، و إن كان إرجاع بعضها إليه لا يخلو من تكلف،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١١٤

و لذا أشرنا سابقاً إلى أنها معان مختلفة متغايرة.

و أما متعلق الباء ففيه وجوه ثمانية، فإنه إما فعل، أو اسم يشبهه و على الوجهين إمّا عام أو خاص مؤخر عن الظرف أو مقدم عليه.

لكن قد يقال: إن الأولى هو الأوّل و هو الخاص الفعلي المؤخر.

أما الخصوص فلأن العام كمطلق الابتداء يوهم بظاهرة قصر الاستعانة على ابتداء الفعل فيفوت شمولها لجملته.

أقول: و يؤيده أن المناسبة في كل فعل أن يقدر ذلك الفعل، فتكون الاستعانة سارية في جميع أجزاء الفعل، على أن القصد و هو العمدة في المقام متوجه نحو التوسل و الاستمداد في خصوص ما يباشره من الفعل و لذا ينبغي لكل فاعل أن يضم ما يجعل التسمية مبداء له، فالداخل يضم «بسم الله أدخل» و الخارج يضم «بسم الله أخرج» و المتكلم يضم «بسم الله أتكلم»، و القارئ يضم «بسم الله أقرأ» و هكذا.

و إنّما حذف المتعلق لدلالة المقام و سياق الكلام عليه.

و يدل عليه أيضاً ما

روى في «تفسير الإمام عليه السلام»، و في «التوحيد» عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «بسم الله يعني بهذا الاسم أقرأ أو أعمل هذا العمل» (١).

نعم،

في رواية أخرى عنه عليه السلام قال: «بسم الله أي أستعين على أمورى كلها بالله الذي لا تحق العبادة إلا له، المغيث إذا استغيث، و المجيب إذا دعي» (٢).

و لعل المراد التعبير عن معنى الباء، أو أن الجمع باعتبار الموارد، لبيان خصوص المتعلق، فلا- يكون منافياً لما مر، بل فيه دلالة على كون الباء للاستعانة كما مر.

(١) تفسير الصافي: ج ١ في تفسير سورة الفاتحة: ص ٥٠ عن التوحيد، و تفسير الإمام عليه السلام.

(٢) نفس المصدر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١١٥

نعم ها هنا مقام آخر، و هو أن العارف ربما يكون في مقام الانبساط الجمعي فلا يخصص شيئاً من الأفعال بالاستعانة فيه و إن كان مشتغلاً به، و قد يكون أيضاً ملتفتاً إلى شؤونه الجزئية المتكثرة التي لا تحصى فيحمل الجميع بالذكر باعتبار الجمع، مع أنه ربما يكون في التخصيص الإيهام بعدم الحاجة إلى الاستعانة في غيره، و إن كان قد يكون لزيادة الاهتمام فيه بالخصوص.

و  
في «العيون» و «المعاني» عن الرضا عليه السلام قال: «بسم الله يعني أسم نفسي بسمه من سمات الله و هي العبادة، قيل له: ما السمة؟ قال: العلامة» (١).

و هو مبنى على أن الاسم من الوسم بمعنى العلامة، يعني أعلم نفسي بعلامة الله و هي العبادة التي جعلها علامة و سمة لعباده بها يمتازون عن غيره، فالمتعلق حينئذ ما يشق منه.

و أما الفعلية فلأنها لدالاتها على التجدد و الحدوث أقرب إلى التوسل و التذلل و دوام الانقياد و الاستمداد من منبع الفيض و الجود و سيلان الاستفاضة من تجليات شمس الجود.

هذا مضافاً إلى احتوائه على ركني الكلام الذين هما المسند و المسند إليه، مع أن إضمار المسند إليه يوجب تعلق الباء بغيره. ثم إنه قد ذكر ثاني الشهيدين و بعض من تأخر عنه أن الباء إن كانت للملابسة فالظرف مستقرّ حال من ضمير أبتداء الكتاب كما في دخلت عليه بثياب السفر، و إن كانت للاستعانة فالظرف لغو كما في كتبت بالقلم، و فيه نظر، إذ كما يمكن استفادة الاستعانة من الباء في الثاني مع تعلقها بالكتابة، كذلك يمكن في الثاني استفادة

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ / ٢٦٠ - ٢٦١، ح ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١١٦

التلبس منها مع تعلقها بالدخول، فيحتمل الأمرين كما تبّه عليه نجم الأئمة (١) و غيره.

و أما التأخر فلدالاته على حصر المستعان به في اسم الله تعالى.

و قد يؤيد أيضاً بأنه سبحانه لقدمه سابق في الوجود فيستحق اسمه السابق في الذكر مع كونه أدخل في التعظيم و أنسب بقوله: إِيَّاكَ نَعْبُدُ (٢) و أقرب إلى قوله: «ما رأيت شيئاً إلا و رأيت الله قبله» (٣).

و لعل الخطاب في ذلك كله سهل، سيما بعد وروده في القرآن على الوجهين كقوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا (٤).

و قوله: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ (٥).

بل قد سمعت ورود الخبرين المتقدمين على الوجهين.

و قد تبين مما ذكرنا أن موضع المجرور منصوب على المفعولية، و قيل: إنه مرفوع على تقدير مبتدأ، و هو ابتدائي، أو قراءتي، على أن يكون المقروء ما يلي البسمة، و أما إذا أردتها به فعلى الحكاية.

و أما الحقائق العلمية فاعلم أن الباء هي الحجاب الأعظم و الباب الأقدم، و النقطة الجواله، و الرحمة السيالة، و باكورة الجنان، و نفس الرحمن، و سر الخليفة، و مفتاح الحقيقة، و الاستقامة على الطريقة، و مظهر الوجود، و امتياز الشاهد من

(١) نجم الأئمة: الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترآبادي النحوي شارح الكافية و الشافية، توفي سنة (٦٨٦) هـ - سفينة البحار:

ج ٣ / ٣٧٣.

(٢) الفاتحة: ٤.

(٣) مرصاد العباد: ص ٣٠٥ و فيه: ما نظرت في شيء و قائله محمد بن واسع الزاهد البصري المتوفى سنة (١٢٣) هـ.

(٤) هود: ٤١.

(٥) العلق: ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١١٧

المشهود، و العابد من المعبود، و القاصد من المقصود.

فروى الشيخ الجليل البرسى «١» فى «مشارك الأنوار» عن مولانا أمير المؤمنين روى و روح العالمين له الفداء و عليه و على أخيه و ذريته آلاف التحية و الثناء أنه قال: «ظهرت الموجودات من باء بسم الله و أنا النقطة التى تحت الباء» «٢».

و

قال عليه السلام: «من الباء ظهر الوجود، و من النقطة تميز العابد من المعبود» «٣».

و

قال عليه السلام: «بالباء عرفه العارفون، و ما من شىء إلّا و الباء مكتوبة عليه، و هى الحجاب» «٤».

و

قال عليه السلام كما فى «أسرار الصلاة» و غيره: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير باء بسم الله» «٥».

و

عن ابن عباس عنه عليه السلام: «أن كل ما فى العالم فى القرآن و كل ما فى القرآن بأجمعه فى فاتحة الكتاب، و كل ما فى الفاتحة فى البسملة، و كل ما فى البسملة فى الباء، و أنا النقطة تحت الباء» «٦».

قال الشيخ الجليل محمد «٧» بن أبى جمهور فى «المجلى»: اعلم أن قائل

«أنا

(١) الحافظ الشيخ رجب البرسى، فاضل، محدث، شاعر، أديب من علماء الإمامية فى أواخر القرن الثامن و فرغ من كتابه «المشارك» سنة (٧٧٤) هـ تقريبا و لا يعتمد المتأخرون على ما تفرد بنقله.

(٢) مشارق الأنوار: ص ٢١ و ٣٨.

(٣) مشارق الأنوار: ص ٣٨، و فيه: و بالنقطة تبين العابد عن المعبود.

(٤) نفس المصدر: ص ٣٨.

(٥)

عوالى اللثالى: ج ٤ / ١٠٢، ح ١٥٠. المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢ / ٤٣. و رواه فى منهج الصادقين: ج ١ / ٢٣ و فيه: سبعين بعيرا فى تفسير فاتحة الكتاب.

(٦) فى شرح توحيد الصدوق للقاضى سعيد القمى ص ٣٢ ما فى معناه بتفاوت يسير.

(٧) هو أبو جعفر محمد بن على بن إبراهيم بن أبى جمهور الأحسانى الهجرى المتوفى تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١١٨

النقطة تحت الباء»

هو على عليه السلام دون غيره من الكمّل، نقله عنه أكابر الصحابة كسلمان، و أبى ذر، و كميل بن زياد، و غيرهم، و أولاده عليهم السلام» «١».

و رواه عنه ذلك فى الخطبة الطويلة الافتخارية التى

قال فيها ما هو أعظم من هذا، حتى قال فيها:

«أنا وجه الله، أنا جنب الله، أنا يد الله، أنا عين الله، أنا القرآن الناطق، أنا البرهان الصادق، أنا اللوح المحفوظ، أنا القلم الأعلى، أنا ألم ذلك الكتاب، أنا كهيعص، أنا طه، أنا حاء الحواميم، أنا طاء الطواسين، أنا الممدوح في هل أتى، أنا النقطة التي تحت الباء» (٢).

و

روى فيه في موضع آخر: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم» (٣).

و

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من باء بسم الله الرحمن الرحيم» (٤).

قال: و تكلم فيه لابن عباس من أول الليل إلى آخره و

قال: يا بن عباس! لو طال الليل لطلنا لك.

و

ورد عن الكمل: بالباء ظهر الوجود، و بالنقطة تميز العابد من المعبود (٥).

(٩٤٠) هـ. - الردود و النقود لآية الله المرعشي ص ١.

(١) المجلى لابن أبي جمهور الاحسائي: ص ٤٠٩.

(٢) راجع مشارق الأنوار: ص ١٦٠ - ١٧٢، فإنه نقل خطبا عنه عليه السلام في تعريف ذاته.

(٣) المشارق: ص ٢١ و ٣٨.

(٤)

عوالى اللثالى: ج ٤ / ١٠٢. و فى لطائف المنن: ج ١ / ١٧١: لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بعيرا من معنى الباء.

(٥)

مشارق الأنوار: ص ٣٨ و فيه: و بالنقطة تبين العابد عن المعبود. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١١٩

قال شيخنا التقى (١) المجلسى رحمه الله عليه فى «روضه المتقين»: فى المشهور بين الخاصه و العامه عن عبد الله بن عباس أنه قال: كنت ليله عند أمير المؤمنين عليه السلام و سألت عن تفسير الحمد، فشرع فى تفسير بسم الله و قاله حتى أصبحنا فقلت له: يا أمير المؤمنين طلع الصبح و لم يتم تفسير بسم الله، فقال عليه السلام: لو أردت بيانها لأوقرت سبعين جملا من تفسيرها (٢).

ثم قال المجلسى رحمه الله: و ذكر العالم الربانى، و الفاضل الصمدانى السيد حيدر الآملى (٣): «إنه صلوات الله عليه تكلم على قدر فهم الخلاق، و إلا فأنا عبد من عبده و استفضت من أنواره صلوات الله عليه قادر على أكثر من ذلك.

أقول: و مجمل الإشارة إلى بعض اسرار النقطة أن الكتاب التدوينى طباق و وفاق للكتاب التكوينى، و قد قوبل به فما زاد منه و لا نقص بحرف من الحروف، و لذا قد وضع لكل حقيقه من الحقائق و لكل سر من الأسرار، و نور من الأنوار عبارة من العبارات، و كلمه من الكلمات و حرف من الحروف.

نعم، لو لم يكن الإذن فى إظهاره يقفل باب البيان و اللسان و الجنان بقفل غيبى ملكوتى لا يهتدى صاحبه إلى مفتاحه سبيلا إلا بعد حصول الإذن، و إلا - فجميع الحقائق و المراتب و العوالم و المقامات المترتبة فى السلسله العرضيه و الطوليئه فى قوسى الهبوط، و الصعود مندرجه متزلئه فى كسوه الحروف و الألفاظ فى كتاب الله المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، كما قال عز من قائل:

(١) هو المولى محمد تقى بن على المجلسى المولود (١٠٠٣) هـ و المتوفى (١٠٧٠) هـ.



(٢) روضة المتقين: ج ٢/٣١٣، باب وصف الصلاة.

(٣) هو السيد حيدر بن علي حيدر الحسيني الآملي الصوفي كان حيا في سنة (٧٨١) هـ وفي تلك السنة صنف في تأويل القرآن في سبع مجلدات. - أعلام الشيعة ج ٣/٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٢٠

نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ «١» وَ لَكِنَّ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ «٢» وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ «٣» وَ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ «٤».

و الأخبار في هذا المعنى متظافرة متكاثرة، بل متواترة، فبساط الكلمات و هي الحروف محتوية على بسائط العالم و حقائقها. و لذا

قال مولانا الرضا عليه السلام في خبر عمران الصابى: «اعلم أن الإبداع و المشيئة و الإرادة معناها واحد و أسماؤها ثلاثة، و كان أول إبداعه و مشيئته و إرادته الحروف التي جعلها أصلا لكل شيء، و دليلا على كل مدرك، و فاصلا لكل مشكل، و بتلك الحروف تفريق كل شيء من اسم حق أو باطل أو فعل، أو مفعول، أو معنى، أو غير معنى، و عليها اجتمعت الأمور كلها، و لم يجعل للحروف في إبداعها لها معنى غير أنفسها يتناهى و لا- وجود لها، لأنها مبدعة بالإبداع، و النور في هذا الموضوع أو فعل الله الذي هو نور السماوات و الأرض، و الحروف هي المفعول بذلك الفعل، و هي الحروف التي عليها الكلام و العبارات» «٥».

فالحروف باعتبار انبساط النقطة فيها و احتوائها عليها تسمى فعلا، كما عبر به الإمام عليه السلام أولا، و باعتبار تميزها عن النقطة و تحصلها منها تسمى مفعولا كما أشار إليه ثانيا. فعلى هذا فالفعل الذي هو المشيئة و الإرادة و الإبداع هو النقطة التي خلقها الله تعالى بنفسها و خلق الحروف بها.

(١) النحل: ٨٩.

(٢) يوسف: ١١١.

(٣) الأنعام: ٥٩.

(٤) يس: ١٢.

(٥) بحار الأنوار: ج ١٠/٣١٤، عن توحيد الصدوق و عيون الأخبار.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٢١

كما

روى في «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خلق الله المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة» «١».

و هذه هي المشيئة التدوينية التي تطابق المشيئة التكوينية، بل هي هي بعينها، نزلت من جبروت الحقيقة إلى ناسوت الحروف، فهي مادة المواد، و حقيقة الحقائق، و الواحد البسيط في الممكنات و الموجودات و اسطقش الأسطقسات و منها ظهرت الموجودات كما في الخبر النبوي المتقدم.

و هي القطب الذي تدور رحي الكائنات، و إليه الإشارة

في الخطبة الشقشقية بقوله: «و إنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحي».

أى من الخلافة المطلقة الكلية التكوينية و التشريعية، و لذا عقبه

بقوله: «ينحدر عنى السيل و لا يرقى إلى الطير» «٢».

فهى القطب الأعظم و العماد الأقوم، و إليها الإشارة بقوله تعالى:

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا «٣».

و لله در من قال:

قد طاشت النقطة في الدائرة ولم تزل في ذاتها حائرة

محجوبة الإدراك عنها بهامنها لها جارحة ناظرة

سمت على الأسماء حتى لقد قومت الدنيا على الآخرة

و مما مر ظهر سر ما في الخبر من ظهور الموجودات بها و منها، فإن المشية الكلية هي الوجود المطلق المفاض من الوجود الحق، فإن الوجود ثلاثة:

(١) بحار الأنوار: ج ٤ / ١٤٥، ح ٢٠ عن «التوحيد» للصدوق.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة الثالثة.

(٣) البقرة: ١٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٢٢

الوجود الحق.

و الوجود المطلق.

و الوجود المقيد.

و الأول: هو المجهول المطلق الذي لا سبيل إلى معرفته بوجه من الوجوه، من اسم أو رسم، أو نعت، أو وصف، أو إضافة، أو جهة، أو غير ذلك من السبحات و الإضافات، فإن إلى ربك المنتهى، و في النبوى: «إذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا» (١).

و

عن الباقر عليه السلام: «كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم...» الخبر «٢».

و الوجود المطلق هو المحبة الكلية، و المشيئة الإلهية، و الإبداع الأول و النور الذي أشرق من صبح الأزل.

إلى غير ذلك من ألقابه الشريفة، و هو المعبر عنه في المقام بالنقطة، و باء بسم الله، و الحجاب الأعظم.

و لذا

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «بالباء عرفه العارفون، و ما من شيء إلا و الباء مكتوبة عليه، و هي الحجاب» «٣».

أما إن العارفين عرفوه بها فلأن المشيئة الكلية لها جهتان:

جهة بسيطة واحدة متوجهة نحو المبدأ الفياض، و له المقام الإقبالي

(١) بحار الأنوار: ج ٣ / ٢٤٦، ح ٢٢، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام.

(٢) شرح مسألة العلم لنصير الدين الطوسي: مسألة ١٥، ص ٤٣، و جامع الأسرار للسيد حيدر الآملى: ص ١٤٢، نقلا عنه، و القبسات للمحقق الداماد ك ص ٣٤٣ نقلا عن الطوسي أيضا.

(٣) مشارق أنوار اليقين: ص ٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٢٣

الاستفاضى. و جهة متعددة بتعدد الموجودات، و له المقام الإدبارى الإفاضى، فإن لكل موجود من الموجودات وجها من المشيئة يعبر

عنه بالمشية الجزئية، و هي ذاته و حقيقته و كنهه الذي يبقى بعد كشف جميع الصفات و السبحات و الاعتبارات و هي كنه الذات، و سر الارتباط كما

لوح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ إِلَيْهِ الْإِشَارَةَ بِقَوْلِهِ فِي الْعَقْلِ: «إِنَّهُ مَلِكٌ وَ لَهُ رُؤُوسٌ بَعْدَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ مِنْ خَلْقٍ وَ مِنْ يَخْلُقُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَ لِكُلِّ رَأْسٍ وَجْهٌ، وَ لِكُلِّ آدَمِيٍّ رَأْسٌ مِنْ رُؤُوسِ الْعَقْلِ...» الْخَبَرُ (١).

فالعارف إذا قرع باب المعرفة، و أراد الصعود إلى سرادق القدس، و حريم حرم الأنس فليس له سبيل و طريق إلى الصعود إلّا من الطريق الذي نزل منه و ذلك بكشف سبحات الجلال، و التجرد و الانخلاع عن غواشى جهات الأوصاف و الأحوال، بشرط اضمحلال الإِنَانِيَّةِ، و هو المراد بسلب الإِشَارَةَ فِي قَوْلِهِ:

«كشفت سبحات الجلال من غير إِشَارَةٍ».

و إليه أشار القائل بقوله:

بيني و بينك (إِنِّي) يِنَازِعُنِي فَارْفَعْ بِلُطْفِكَ (إِنِّي) مِنْ الْبَيْنِ

فإذا ارتفعت الإِنْتِيَّةُ وَ اضمحلت الهويَّةُ، و لم تبق سوى المشية الجزئية المتصلة بالكلية، بل المنتهية إليها، بل المتبدلة بها لا بحقيقة التبدل، بل بمعنى أنه لم يبق سواها، لأن الجزئي إذا ألقى جلبات المشخصات و تجرد عن التقيد بالخصوصيات فهو الكلي بعينه لا من حيث إنه كلي، بل من حيث هو هو، فتجلى الحق سبحانه له به فيه، كما

قال مولانا علي بن موسى الرضا عليهما آلاف التحية و الثناء.

«بها تجلى صانعها للعقول» (٢).

(١) بحار الأنوار: ج ١ / ٩٩، ح ١٤.

(٢) البحار ج ٤ ص ٢٣٠ من التوحيد، و العيون.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٢٤

و قال الشاعر:

إذا رام عاشقها نظره و لم يستطعها فمن لطفها

أعارته طرفا رآها به فكان البصير بها طرفها

و أما كتابة الباء على كل شيء فلأن شمس المشية الكلية أشرقت على كل شيء فظهر بها كل شيء، و لولاها لم يظهر شيء.

فكل جميل حسنه من جمالها معار له بل حسن كل مليحة

و هذه الكتابة كتابة تكوينية إِمَكَانِيَّةٌ أَوْ كَوْنِيَّةٌ بِهَا ظَهَرَ كُلُّ مَا دَخَلَ فِي صَقْعِ الْإِمَكَانِ أَوْ الْأَكْوَانِ، وَ هَذِهِ الْكِتَابَةُ أَدَلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْ مَجْرَدِ النَّقْشِ الَّذِي هُوَ مِنْ نَهَائِيَّاتِ مَرَاتِبِ الْوُجُودِ، بَلْ هِيَ عَيْنُ الْمَكْتُوبِ وَ الْمَكْتُوبِ فِيهِ بَلَا مَغَايِرَةَ أَصْلًا.

ثم اعلم أن من القواعد المصونة المكونة في علم الحروف أن لكل كلمة من الكلمات و جهها و قلبها، فوجه الكلمة هو الحرف الأول و قلبها هو الحرف الوسط و على هذا المطلب دلالات و إشارات من الكتاب و السنة، و لذا

ورد في تفسير بِسْمِ اللَّهِ الْبَاءُ بِهَاءِ اللَّهِ، وَ السِّينُ سِنَاءُ اللَّهِ، وَ الْمِيمُ مَجْدُ اللَّهِ (١).

و

عن الكاظم عليه السّلام: «أما حم فهو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ وَ هُوَ فِي كِتَابِ هُودِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ، وَ هُوَ كِتَابٌ مَنْقُوصٌ الْحُرُوفِ» (٢).

و

عن الحجّة عجل الله فرجه الشريف في تفسير كهيعص أن الكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك العترة، والياء يزيد لعنه الله، والعين عطش الحسين عليه السلام وعترة، والصاد صبره» (٣).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الواردة في تفسير فواتح السور وغيرها، بل

(١) الكافي: ج ١/١١٤، ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٤/٨٧، ح ٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٢/٣٧٧، ح ٨ عن «إكمال الدين».

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٢٥

وقع ذلك كثيرا في رموز الحكماء وإشارات العلماء.

قال الشيخ الرئيس ابن سينا «١» في قصيدته الروحية التي مطلعها:

إلى أن قال:

هبطت إليك من المحلّ الأرفع و رقاء ذات تعزّز و تمنع

حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها عن ميم مركزها بذات الأجرع

علقت بهاء ناء الثقل فأصبحت بين المعالم و الطلوع الخضع

الآيات ...

ولذا يعبرون عن علم الكيما بعلم الكاف.

وسمعت عن بعض الأعلام: أن مجنون ليلي، و زيد المجنون، أو بهلول العاقل لما اشتد عليهما أمر التقيّة كتبنا إلى بعض الأئمة، و لعله أبو محمد العسكري عليه السلام يسألانه بيان كيفية التخلص من كيد المخالفين، فكتب عليه السلام على ظهر كتاب مجنون ليلي حرف العين هكذا: (ع) يشير به إلى العشق، و على ظهر كتاب زيد المجنون حرف الجيم هكذا: (ج) إشارة إلى الأمر بالمجنون، فأظهر الأول الأول و الثاني الثاني، فاشتهرا بالأمرين، حتى صارا أعجوبة للأعيان و أضحوكة للصبيان.

و

كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول لابن عباس: «كيف إذا ظلمت العيون العين؟

فقال له: يا مولاي كلمتني بهذا مرارا و لم أعلم معناه.

فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم في جوابه ما حاصله:

إنّ العين هو على بن أبي طالب و عترة: و العيون هم الذين يعادونه، و صرّح

(١) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن الفيلسوف الطيب المتوفى (٤٢٧) هـ. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٢٦

بأسماء بعضهم» (١).

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ الباء إشارة إلى باب مدينة العلم و الحكمة، كما

قال النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: «أنا مدينة العلم و على بابها» (٢).

و

في بعض الأخبار: «أنا مدينة الحكمة و على بابها، فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها» (٣).

و إليه الإشارة بقوله تعالى: وَ لِكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَ اتُّوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا (٤).

وقوله تعالى: يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ «٥».

في حب أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام حيث أظهروا الولايه، و أضمروا العداوة، لذا وصفهم برذيله النفاق للذين آمنوا بألسنتهم و قلوبهم و عقائدهم و جوارحهم، انظرونا نقتبس من نوركم «٦» فنسعى معكم بنور الولايه و يشملنا مواهب العنايه و الهدايه قبل ارجعوا وراءكم «٧» أى إلى الدنيا فإنها هي دار الزراعة و التجاره، و موطن تحصيل المحبه و الولايه، و لذا أمرنا سخرية و استهزاء

(١)

في معانى الأخبار: ص ٣٨٧، ح ٢١ مسندا عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إذا ظلمت العيون العين كان قتل العين على يد الرابع من العيون فإذا كان ذلك استحق الخاذل له لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، فقيل له: يا رسول الله! ما العين و ما العيون؟ فقال صلى الله عليه و آله و سلم أما العين فأخى على بن أبى طالب، و أما العيون فأعداؤه، رابعهم قاتله ظلما و عدوانا.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٠ / ٣٠٦.

(٣) البحار: ج ٦٩ / ٨١.

(٤) سورة البقرة: ١٨٩.

(٥) سورة الحديد: ١٣.

(٦) الحديد: ١٣.

(٧) الحديد: ١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٢٧

بالرجوع إلى الدنيا لالتماس نور الولايه فُضِرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورِ «١» مدينة العلم و الحكمة، و هو حقيقة النبوة التى ما رعوها حق رعايتها، و ما أجابوها حق إجابتها، و لهذا السور باب و هو باب مدينة العلم، و هو باب الأبواب و فصل الخطاب، و صاحب المبدأ و المآب، و من عنده علم الكتاب و هو الذى إليه الإياب، و عليه الحساب، الملقب بأبى تراب، باطنه لمحبيه الرحمة، و ظاهره لمبغضيه من قبله العذاب، و لذا

قال النبى صلى الله و آله فى تفسير الآيه: «أنا السور و على الباب» «٢».

ثم إن مقتضى البايه هو التصرف و الوساطة و الولايه المطلقة فى جميع الأمور التكوينية و التشريعية، و فى جميع الفيوض و الظاهرية بحيث لا يصل إلى ذرة من ذرات وجود الشىء من الفيوض الإيجادية و الإبقائية، و مدد من الإمدادات الذاتية و الصفاتية إلا بولايته و وساطته و إحاطته، و هذا هو الذى أشير إليه

فى الحديث القدسى على ما قيل أنه من تتمه الخبر: «لولاك لما خلقت الأفلاك، و لولا على لما خلقتك» «٣»

أى لولا على لم يكن لمدينة علمك و حكمتك التى ينتفع بها جميع العالم حتى آدم و من دونه باب ينتفع به منها.

ولذا

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «أنا صاحب اللواء و فى تحتها آدم و من دونه من الأنبياء، و على حاملها» «٤».

و إلى هذه الإحاطة و الوساطة

أشار الحجة عجل الله فرجه الشريف فى الدعاء الرجبية بقوله: «أعضاء، و أشهاد، و مناة، و أزواد، و حفظة، و رواد» «٥».

(١) الحديد: ١٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧ / ٢٢٧، ح ١٤٨.

(٣)

في بحار الأنوار: ج ١٥ / ٢٨ «لولاك لما خلقت الأفلاك»

و

في ينابيع المودة: ج ١ / ٢٤ «لولاك لما خلقت الأفلاك»

، و الجملة الثانية غير مذكورة فيهما.

(٤) ينابيع المودة: ج ٢ / ٢٦٣، ح ٧٣٧ و «على حاملها» غير موجود فيه.

(٥) مصباح الكفعمي: ص ٥٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٢٨

و

في «الكافي» عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال عليه السلام: «يا محمد إن الله تبارك و تعالى لم يزل متفردا بوحدانته، ثم خلق محمدا و عليا و فاطمة، فمكتوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها و أجرى طاعتهم عليا، و فوض أمورها إليهم، فهم يحلون ما يشاءون، و يحرمون ما يشاءون، و لن يشاءوا إلا أن يشاء الله تبارك و تعالى.

ثم قال: يا محمد! هذه الديانة التي من تقدمها مرق و من تخلف عنها محق، و من لزمها لحق خذها إليك يا محمد» (١).

فالباء إشارة إلى باب مدينة العلم و بيت الحكمة و هو أول بيت وضع للناس، و من دخله كان آمنا.

ولذا

قال الرضا عليه آلاف التحية و الثناء: «إن الله سبحانه و تعالى يقول: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني وجبت له الجنة، ثم قال عليه السلام: بشرطها و شروطها و أنا من شروطها» (٢).

و إنما لم يكتف عليه السلام بذكر الشروط من الشرط مع وضوح شمول الجمع للمفرد، للإشارة إلى ترتب المراتب، و صيانة للأدب مع جده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فإن الشرط إشارة إلى التصديق بنبوته النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و الشرائط إشارة إلى الإيمان بأوصيائه و كافة شريعته و لذا عدّ نفسه الشريفة من جملة الشروط لا الشرط.

و حيث إن الباء في «بسم الله» - الباب الذي هو أمير المؤمنين عليه السلام، فالسين هو سيد المرسلين صلوات الله عليه و آله أجمعين، كما قال [يس على أن الياء للنداء].

و قال: سبحانه: سلامٌ على إِيَّاسِينَ (٣).

(١) بحار الأنوار: ج ١٥ / ١٩، ح ٢٩ عن أصول الكافي: ج ١ / ٤٤١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ج ١ / ٢٣٨ في شرح خطبة (٢).

(٣) الصفات: ١٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٢٩

و ذلك لما تبهت عليه في موضع آخر من أن السين من الحروف النورانية و هي نظير الألف في الترتيب الأبجدي، و الألف إشارة إلى الصادر الأول الذي هو مقام الفعل أي المشيئة الكلية، أو المفعول المطلق، أي العقل الكلي، و هو على الوجهين نور محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و هذا من جهة البساطة و الوجه الإقبالي و الاستفاضى الجبروتى فيتجلى في عالم الناسوت، و في الوجه الإدبارى



(٣) الكافي ج ٢ / ٢٧٦، ح ٢.

(٤) الكافي ج ١ / ١١٤، ح ١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٣١

و السنين سناء الله، و الميم ملك الله.

قال السائل: الله، فقال: الألف: آلاء الله على خلقه و المنعم بولايتنا، و اللام إلزام خلقه و لايتنا.

قال: قلت: فالهاء؟ قال: هو ان لمن خالف محمدا و آل محمد، قال: قلت:

الرحمن؟ قال: بجميع العالم، قال: قلت: الرحيم؟ قال: بالمؤمنين، و هم شيعه آل محمد خاصة» (١).

أقول: و المراد بيهاء الله، جلاله الذى هو مقام القهر و الغلبة و الاستيلاء و التمتع، و المراد بسناء الله جماله الذى هو مقام المحبة و المشاهدة و الأئس و كل من إليها، و السناء و إن كان كثيرا ما يطلق فى الأخبار على ما يعم الآخر كالجمال و الجلال، لكنهما إذا اجتماعا افترقا، و لما كان قلب الجمال محتويا على قلب محمد صلى الله عليه و آله و سلم دل على الأئس و الايتلاف بالميم التى هى كمال الأربعة الحاكية عن الشكل المربع المقرون بالاتحاد و الائتلاف.

كما أن قلب الجلال لاحتوائه على قلب على عليه السلام يدل على القهر و الغلبة باللام التى هى كمال الثلاثة الحاكية عن الشكل المثلث، و هو الشكل التفريق و التضاد و العناد.

و لله درّ ابن «٢» أبى الحديد المعتزلى حيث قال خطابا لمولاي و مولى العالمين أمير المؤمنين روى له الفداء و عليه آلاف التحية و الثناء:

صدمت قريشا و الرماح شواجر فقطعت من أرحامها ما تشجرا

فلو لا أناة فى ابن عمك جعجت بعصبك أجرى من دم القوم أبحرا

(١) التوحيد ص ٢٣٠ و عنه كنز الدقائق ج ١ ص ٣٨.

(٢) هو عبد الحميد بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبى الحديد المدائنى توفى ببغداد سنة (٦٥٥) ه و هو معتزلى و من تصانيفه شرحه على نهج البلاغة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٣٢ و لكن سرّ الله شطران فيكما فكننت لتسطو ثم كان ليغفرا

و لحفظ أدب البايه قدم السطوة على المغفرة، كما قدم الباء على السين فى البسمله، هذا فى القوس الصعودى و بالنسبة إلينا، و أما فى القوس النزولى فالنبوه مقدمه على الولاية بثمانين ألف سنة، فإن النبى صلى الله عليه و آله و سلم مظهر جلال القدرة، و كان يطوف حول جلال العظمة، و الولي مظهر العظمة و كان يطوف حول جلال القدرة.

كما

روى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم على ما رواه فى «البحار» عن جابر بن عبد الله الأنصارى أنه سأله عن أول ما خلق الله؟ فقال صلى الله عليه و آله و سلم: أول ما خلق الله نور بينك يا جابر كان يطوف حول جلال القدرة ثمانين ألف سنة فلما وصل إلى جلال العظمة خلق فيه نور على عليه السلام، فكان نورى يطوف حول جلال العظمة و نور على يطوف حول جلال القدرة... الخبر (١).

و ذلك لأن القدرة مقدمه على العظمة، فإن أول ما يظهر من القادر هو قدرته التى يصدر بها جميع أفاعيله و آثاره و شؤونه و لذا كانت لها الاستطالة على كل شىء كما أشير إليه

بقوله فى دعاء السحر و غيره: «اللهم إنى أسئلك من قدرتك بالقدرة التى استطلت بها على كل شىء و كل قدرتك مستطيلة».

و هذه هى الولاية المطلقة التى هى باطن النبوه لا الولاية التى تقابلها، و هى الكلمة التى انزجر بها العمق الأكبر يعنى الإمكان فضلا عن الأكوان، و هى اليد التى فى قبضتها السموات و الأرض و ملكوت كل شىء الآخذة بناصية كل دابة بل كل شىء.



و أما العظمة فهي مقام الكثرة و الظهور، و هي تحت القدرة إذ القدرة مقام الإجمال، و العظمة مقام التفصيل، و القدرة الأصل القديم و العظمة الفرع الكريم،

(١) بحار الأنوار: ج ١١٧ / ٥٧ و ج ٢٥ / ٢٢، ح ٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٣٣

و العظمة مظهر الإرادة و لذا يعبر عن الأولى بالكاف و عن الثانية بالنون، و استدارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ حول جلال القدرة استدارة ذاتية افتقارية استمدادية استفاضية على التوالى، و هذه هو القدم الذى أشير إليه فى الخطبة العلوية بقوله: «و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، استخلصه فى القدم على سائر الأمم على علم منه، انفرد عن التشاكل و التماثل من أبناء الجنس، و انتجبه آمرا و ناهيا عنه ... إلخ» (١).

و لم يزل متحركا بالحركة المتواليه السريعه إلى أن قطع المنازل الثمانية التى هى الاستعداد و التمکن من الأسفار الأربعة فى الغيب و الشهادة، و هى السفر من الخلق إلى الحق، و السفر فى الحق بالحق، و السفر من الحق إلى الخلق، و السفر فى الخلق بالحق، و المراد بالخلق نفسه لا غيره، و إلا فهو بعد لم ينزل إلى مقام غيره، فهذه الأسفار الأربعة فى مرتبتى الغيب و الشهادة ثمانية تنتهى بكمال العدد و ترقية إلى ثمانين، و لما كان مقامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ حينئذ مقام الربوبية إذ لا مربوب عينا لا ذكرا، رجعت المراتب إلى الأيام الربوبية، إذ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٢)، فلذلك كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ يطوف حول جلال القدرة ثمانين ألف سنة، فلم يخصه سبحانه بمزيد الألفاظ، و تم ميقات هذا الطواف انتهى إلى أدنى درجات حجاب القدرة و هو أعلى مقامات حجاب العظمة، فخلق منه نور على عليه السلام، كما قال عليه السلام: «أنا من محمد كالضوء من الضوء» (٣) و

قال عليه السلام: «أنا عبد من عبيد محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ» (٤).

(١) بحار الأنوار: ج ١١٣ / ٩٧، ح ٨.

(٢) الحج: ٤٧.

(٣)

جملة من كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف و فيه: أنا من رسول الله كالصنو عن الصنو- رقم ٤٥ من الكتب فى نهج البلاغة. (٤) لم أظفر على مصدر له.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٣٤

فطواف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ حركة إدارية على خلاف التوالى للإفاضة و التربية، و طواف أمير المؤمنين حول جلال القدرة حركة إقبالية على التوالى للاستفاضة، فظهرت القدرة بالعظمة و ظهرت العظمة بالملك المشار إليه بالميم فى بسم الله و لذا كانت أئمتنا صلوات الله عليهم أجمعين شهداء على الناس، و كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ شهيدا عليهم، كما قال تعالى فيهم: وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (١).

و

فى قراءة الأئمة عليهم السلام: أئمة وسطا (٢).

و الناس يشمل جميع الأنام، بل في تفسير الباطن يشمل كافة الموجودات، و عامة الكائنات، و جميع الذرات من الجمادات و النباتات، و الحيوانات، و الأمم السالفة مع أنبيائهم، بل الملائكة المقربين و الكروبيين، و الملائكة العالين.

و هذه الجملة مع تظافر الأخبار عليها مستفادة أيضا من بعض الآيات كقوله تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ» (٣).

و قوله: «وَأَنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ» (٤).

و قوله تعالى: «إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا».

و هذه الشهادة هي الشهادة المستفادة إثباتا لا نفيا من قوله:

«مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَ مَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا»

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) لم أظفر على هذه القراءة، نعم في المقام روآيات عشر فسرت الأمة فيها بالأئمة عليهم السلام، راجع تفسير البرهان: ج ١ / ١٥٩ و ص ١٦٠، و تفسير نور الثقلين: ج ١ / ١٣٤ و ١٣٥.

(٣) الأنعام: ٣٨.

(٤) فاطر: ٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٣٥

(١).

ولذا

وصفهم الحجة عجل الله فرجه في الدعاء الرجيب بقوله: «أشهاد و أعضاء».

فرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هو الحجة الشاهد المفيض عليهم، و هم المستفيضون منه المستضيئون بنوره المفيضون على الخلائق أجمعين حتى الملائكة المقربين و الأنبياء و المرسلين.

### إيراد مقال لدفع إشكال

و لعلك تقول: قد تكاثرت الأخبار و تواتر الآثار على أن النبي و الأئمة عليهم الصلاة و السلام كانوا في أول الخلق نورا واحدا و أنه لا تفاضل بينهم في أصل الخلقة على وجه الحقيقة، و لذا قالوا: «أولنا محمد، و أوسطنا محمد، و آخرنا محمد».

و

في «تأويل الآيات» بالإسناد عن الثمالي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تبارك و تعالى أحد واحد، و تفرد في وحدانيته ثم تكلم بكلمة فصارت نورا، ثم خلق من ذلك النور محمدا صلى الله عليه و آله و سلم و خلقتني و ذريتي، ثم تكلم بكلمة فصارت روحا فأسكنه الله في ذلك النور، و أسكنه في أبداننا، فنحن روح الله و كلماته، و بنا احتجب عن خلقه» (٢).

و

فيه عن جابر عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، قال: «إن الله تبارك و تعالى لما أراد أن

(١) الكهف: ٥١.

(٢) بحار الأنوار ج ٩ / ١٥، ح ١٠ «كتر» من كتاب الواحدة، عن أبي محمد الحسن بن عبد الله؟؟؟؟؟ تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٣٦

يخلقني خلقني نطفة بيضاء، فأودعها صلب آدم، فلم يزل ينقلها من صلب طاهر إلى رحم طاهر إلى نوح و إبراهيم، ثم كذلك إلى عبد المطلب، ثم افترت تلك النطفة شطرين: إلى عبد الله و إلى أبي طالب فولدني أبي عبد الله، فختم الله بي النبوة، و ولد عمي أبو طالب عليا، فتمت به الوصية، ثم اجتمعت النطفتان منى و من على و فاطمة فولدنا الجهر و الجهيرة، فختم الله بهما أسباط النبوة...» الخبر «١».

و

فيه: عن الشيخ أبي جعفر الطوسي بالإسناد عن الكاظم عليه السلام قال: إن الله تعالى خلق نور محمد صلى الله عليه و آله و سلم من نور اختراعه من نور عظمته و جلاله، و كان ذلك النور محمدا فلما أراد أن يخلق محمدا منه قسم ذلك النور شطرين فخلق من الشطر الأول محمدا و من الشطر الآخر على بن أبي طالب صلوات الله عليهما، و لم يخلق من ذلك النور غيرهما، خلقهما الله بيده، و نفخ فيهما بنفسه من نفسه لنفسه و صورهما على صورتهم، و جعلهما أمناء له و شهداء على خلقه، و خلفا على خليقته و عينا له عليهم، و لسانا له إليهم، و جعل أحدهما نفسه و الآخر روحه، لا يقوم واحد بغير صاحبه، ظاهرهما بشريه و باطنهما لاهوتية ظهرا للخلق على هياكل الناسوتية حتى يطبقوا رؤيتهم، و هو قوله:

وَلَبَّشْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ (٢).

فهما مقام رب العالمين، و حجاب خالق الخلائق أجمعين...» الخبر بطوله «٣».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالة عليه، و

فى الزيارة الجامعة: «و أشهد أن أرواحكم و نوركم و طينتكم واحدة، طابت و طهرت، بعضها من بعض، خلقكم

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ / ١١١، ح ٧٦.

(٢) الأنعام: ٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٥ / ٢٨، ح ٢٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٣٧

الله تعالى نورا فجعلكم بعرشه محققين، حتى من علينا بكم، فجعلكم فى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه».

و حاصل البحث أن يقال:

أولاً: مقتضى الأخبار الكثيرة اتحاد نور نبينا صلى الله عليه و آله و سلم مع أنوار الأئمة عليهم السلام اتحاد حقيقيا واقعا بحيث لا مجال معه للقول بالفصل أو الفصل.

و ثانيا: أنه قد يترأى من صريح بعض أهل العلم، بل من فحاوى بعض الأخبار أيضا فضل الولاية المطلقة الكلية على النبوة، و لا ريب أن نبينا صلى الله عليه و آله و سلم صاحب النبوة المطلقة و أن وصيه صاحب الولاية المطلقة، و قضية ما سمعت تعكس الأمر فكيف التوفيق؟

و الجواب من الأول: أن لهم عليهم السلام مقامين:

أحدهما: مقام نسبهم إلى ما سواهم من المخلوقين، و كلهم فى هذه النسبة و هى معرفة الخلق لهم و الإيمان بهم متحدون متساوون لا نفرق بين أحد منهم، و نحن لهم مسلمون، و عليه يحمل الأخبار الدالة على تساويهم فى الخلقة و الدرجة و المرتبة، و إن أمرنا واحد، و علمنا واحد، و حكمنا واحد، و نورنا واحد.

روى الشيخ المفيد «١» بإسناده عن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيهما أفضل الحسن أم الحسين؟ فقال عليه السلام: «إن فضل أولنا يلحق بفضل آخرنا، وفضل آخرنا يلحق بفضل أولنا، وكل له فضل. قال: قلت له: جعلت فداك وسع عليّ في الجواب، فأني والله ما سألتك إلا

(١) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد، توفي ببغداد سنة (٤١٣) هـ. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٣٨ مرتادا «١» فقال:

نحن من شجرة طيبة، برأنا الله من طينة واحدة، فضلنا من الله، و علمنا من عند الله، ونحن أمتنا على خلقه، والدعاة إلى دينه، والحجاب فيما بينه وبين خلقه.

أزيدك يا زيد؟

قلت: نعم، فقال: خلقنا واحد، و علمنا واحد، و فضلنا واحد، و كلنا واحد عند الله عزّ وجل في مبتدأ خلقنا، أولنا محمد، و أوسطنا محمّد، و آخرنا محمد «٢»

صلى الله عليهم أجمعين.

و ثانيهما: مقام نسبتهم إلى ربهم في كيفية الإجابة و تقدّمها و تأخرها، و هم مختلفون في ذلك، فمن تقدّم في الإجابة و التلبية كان هو الأفضل المقدم، و لذا دلت الأخبار على تقديم بعضهم على بعض، و أفضليّة بعضهم من بعض.

و لعل إجماع المسلمين واقع على أفضليّة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم على أمير المؤمنين عليه السّلام و على سائر الأئمة عليهم السّلام، و إليه يرمى

قوله: «أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه و آله و سلّم «٣»، و علّمني ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب «٤»

و ،

قوله: أنا من محمد صلى الله عليه و آله و سلّم كالضوء من الضوء «٥»

و لا ريب أنّ السراجين من طينة واحدة إلّا أنّ الأول مقدّم و الثاني اشتعل منه.

و

في «بصائر الدرجات» عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السّلام قالوا: «إنّ الله خلق محمّدا صلى الله عليه و آله و سلّم من طينة من جوهره تحت العرش و أنه كان لطينته

(١) مرتادا: طالبا، أي طالبا لمعرفةكم و الاطلاع على فضائلكم.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٣٦٣، ح ٢٣ عن كتاب المتحضر: ص ١٦٠.

(٣) لم أظفر على مصدره.

(٤) رواه غير واحد من الفريقين منهم التفتازاني في شرح المقاصد ج ٢ ص ٢٢٠، و القندوزي في الينابيع ص ٧٧.

(٥)

نهج البلاغة كتابه عليه السلام الى عثمان بن حنيف رقم ٤٥. و فيه كالصنو من الصنو. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٣٩

نضج فجيل طينة أمير المؤمنين عليه السّلام من نضج طينة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم، و كان لطينة أمير المؤمنين عليه

السِّلام نضج فجبَل طينتنا من فضل طينته أمير المؤمنين عليه السِّلام، و كانت لطينتنا نضج فجبَل طينه شيعتنا من نضج طينتنا، فقلوبهم تحنّ إلينا، و قلوبنا تعطف عليهم تعطف الوالد على الولد» (١).

و

في «البحار» نقلا من كتاب «المقتضب» عن سلمان الفارسي، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: «يا سلمان! خلقتني الله من صفاء نوره فدعاني فأطعته، و خلق من نوري عليا فدعاه إلى طاعته فأطاعه، و خلق من نوري و نور علي فاطمة فدعاهما فأطاعته، و خلق مني و من علي و من فاطمة الحسن و الحسين فدعاهما فأطاعاه فسمانا الله عز و جل بخمسة أسماء من أسمائه، فالله المحمود و أنا محمد، و الله العلي و هذا علي، و الله فاطر و هذه فاطمة، و الله قديم الإحسان و هذا الحسن، و الله المحسن و هذا الحسين. ثم خلق من نور الحسين تسعة أئمة، فدعاهم فأطاعوه، قبل أن يخلق الله سماء مبيته، أو أرضا مدحية، أو هواء أو ماء، أو ملكا أو بشرا و كذا يعلمه أنوارا نسبحه، و نسمع له و نطيع...» (٢) الخبر.

و

فيه عن «رياض الجنان» عن جابر قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: «أول ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، و اشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيما، ففتق منه نور علي عليه السلام».

و

فيه بإسناد آخر عنه صَلَّى الله عليه و آله و سلم لما سأله جابر: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٨، ح ١١ عن بصائر الدرجات ص ٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٦، ح ٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٤٠

فقال صَلَّى الله عليه و آله و سلم: «نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير...» (١).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالة على ما سمعت تصريحا أو تلويحا كما لا يخفى على من أحاط خبرا بما ورد من الآثار، و جاس خلال تلك الديار.

و أيضا

ورد في تسميته صَلَّى الله عليه و آله و سلم بأبي القاسم أنه أبو أمته و من جملة أمته في زمانه أمير المؤمنين عليه السِّلام، و هو قسيم الجنة و النار، فهو القاسم

، نقلته بالمعنى و الخبر مذکور في «علل الشرائع» (٢).

و أيضا أسماؤهم الشريفة مكتوبة على العرش و غيره بالترتيب و قضية الإمكان الأشرف و التطبيق تقديم الأشرف.

و أيضا لا ريب في أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام على الحسين و على سائر الأئمة عليهم السلام، كما

في النبوى: «الحسن و الحسين سيذا شباب أهل الجنة، أبوهما خير منهما» (٣).

فيما ذكرناه و نقلناه كفاية لمن كان من أهل الدراية، و إلا فالإحاطة بمقامهم و حقائقهم مخصوصة بهم دون غيرهم ليس لأحد ممن سواهم أن يحوم حول حرم كبرياء ذواتهم و أنوارهم إذ يخطف دون النظر إلى سبحات أنوار جلال جلالهم البصائر و الأبصار، و يضمحل بملاحظة أشعة شمس وجودهم سائر الأنوار، بل لا

(٢)

علل الشرائع: ص ٥٣ و ٥٤، ومعاني الأخبار: ص ٢٠، و عيون الأخبار: ص ٣٨ و عنها البحار: ج ١٦ / ٩٥ في العيون عن علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت له: لم كنى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأبي القاسم؟ قال عليه السلام: «أما علمت أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أب لجميع أمته، و علي عليه السَّلام منهم؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أن عليا قاسم الجنة و النار؟...» الخبر.

(٣) هذا الحديث من الأحاديث المتواترة المشهورة عند الفريقين و أخرجه غير واحد منهم الذهبي في سير أعلام النبلاء: ج ٣ / ١٨٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٤١

يقدر البصائر و العقول النظر إلى أشعة أنوار شيعتهم فضلا عن حقيقتهم و طينتهم.

كما

ورد في «البصائر» و «السرائر» عن الصادق عليه السَّلام: «ان الكرويين قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قسم نور واحد منهم على الأرض لكفاهم.

ثم قال عليه السَّلام: إن موسى على نبينا و آله و عليه السَّلام لما سأل ربه ما سأل، أمر واحدا من الكرويين فتجلى للجبل فجعله دكا، و ذلك لأنه مرفوع عن علمنا، متعال عن إدراكنا، و هو فوق حقيقة ذواتنا، و نحن لا ندرك إلا ما هو في مرتبتنا، و لا نصل إلا إلى مقامنا و درجة ذواتنا، و لا نقرأ إلا حروف أنفسنا، و ما متنا- إلا له مقام معلوم» (١).

و الجواب عن الثاني: أن تفضيل الولاية على النبوة و إن صرح به البعض كالشيخ ابن أبي الجمهور، و غيره إلا أنني لم أظفر به في شيء من الأخبار، و مرادهم على ما صرحوا به ترجيح الولاية التي هي التصرف و الوساطة في الأمور التكوينية و التشريعية على النبوة التي هي مجرد السفارة، و هذا الترجيح يمكن أن يعتبر بين وصفين من شخص أو شخصين كما هو المشهور عندهم، و المعروف لديهم، فإن الولاية المطلقة رياسة عامة و تصرف كلي في جميع الأمور التكوينية و التشريعية و هي الوساطة العامة بين المخلوق و الخالق. و لذا ذكر بعض الأعلام:

«أن الإمامة و الولاية و الخلافة إذا أخذت على الوجه المطلق كانت شيئا واحدا و ألفاظا مترادفة، و قد تطلق بالمعنى الأخص فتكون الإمامة و الولاية و الخلافة يراد بها التصرف المذكور المأخوذ من النبوة، بحيث يلاحظ فيها كون

(١) بحار الأنوار: ج ١٣ / ٢٢٤، ح ١٨ عن البصائر: ص ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٤٢

الكمالية المشتملة عليها ذلك الشخص المجتمع فيه شرائط الخلافة و الولاية بسبب قربه من مشكاة النبوة، و أخذ العلوم الحقيقية و الكمالات النفسية منها، فيكون بينها و بين النبوة عموم و خصوص مطلق، لصدق الولي على كل نبي و ولي و خليفة و إمام و لا عكس، فإن مرتبة النبوة أقوى من مرتبة الولاية الخاصة، لأن هذه الولاية مبدؤها النبوة بخاصية كمال متابعتها له، و قوة سلوكه مواطئ أقدام مقاماته، حتى يصير متكملا بجميع كمالاته، فيقوم مقامه في الخلافة و الولاية، فهو مقتبس لها من مشكاة النبوة، مستفيد لأنوارها منه بغير واسطة شيء خارج فيوجب له الاستغناء من المرشد و المعلم، بل يفيض عليه الكمال الأعلى، و النور الأسنى، بسبب مقابلة نفسه لنفسه و شدة اتصالها بها، فينطبع فيها جميع الصور المنتقشة فيها من عالم الغيب، لكون نفسه نفسا قدسية كنفسه لشدة اتصالها بالعالم العلوي و المبدء الأعلى، و جمعها بين القوتين، إلا أن ذلك الاتصال لها مشروط باتصالها بمشكاة النبوة التي هي الطريق لها إلى الوصول إلى ذلك الاتصال.

فعلم من ذلك أن الولاية المطلقة أجل و أعلى و أشرف من مرتبة النبوة.

لأن الولاية مبدء لها، إذ النبي لا يكون نبيا حتى يكون وليا، فالولاية مبدء النبوة، وإذا كانت مبدء لها كانت سابقة عليها، وعلّة في حصولها فتكون ولاية النبي المطلقة أجل و أعلى و أشرف من نبوته.

و لأنّ مقام الولاية هي الوحدة المطلقة التي هي مقام لا يسعه ملك مقرب ولا نبي مرسل، و كمال النبوة من جهة الكثرة الحاصلة بسبب الرد إليها بعد مقام الوحدة المشار إليها

بقوله صلى الله عليه و آله و سلم: «فإني أباهى بكم الأمم» (١).

ولا ريب أن مقام الوحدة أجل و أعلى من مقام الكثرة.

(١) بحار الأنوار: ج ٥ / ٢٩٣، ح ١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٤٣

و لأن الولاية تصرّف، و إحاطة و سلطانه بإذن الله في الأمور التشريعية و التكوينية، فلسان الولي لسان الله، و يده يد الله، و قلبه وعاء لمشية الله، كما قالوا: «إنّ قلوبنا أوعية لمشية الله، فإذا شاء الله شئنا» (١).

و ما تشاؤون إلّا أن يشاء الله (٢).

و اما النبوة فهي سفارة و رسالته و وساطة في التشريعات و ما على الرسول إلّا البلاغ المبين (٣)، هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ (٤).

و قد تبين مما ذكرناه أنّ لخاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله و سلم بل لغيره من الأنبياء و المرسلين مقامات أعلاها و أسناها مقام ولايتهم المطلقة أو المقيدة، كلّ على حسب مرتبته، و ولاية كلّ منهم إذا قيست إلى ولاية وصيه المقتبس من مشكاة نوره المستضيء بتجلّي ظهوره كانت أعلى و أشرف و أسنى منها، فلا يلزم من ترجيح الولاية و تفضيلها على النبوة و الرسالة تفضيل الوصي على النبي، بل هو مؤيد و مؤكّد للعكس، و لذا أثبت الله الولاية لنفسه أولا، ثم للنبي و الوصي على الترتيب فقال:

إِنَّمَا وَتَيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥).

و قال تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا (٦).

و قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «من كنت مولاه فعلى مولاه» (٧).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٣٣٧، ح ١٦ عن غيبة الطوسي: ص ١٦٠.

(٢) سورة الإنسان: ٣٠ و سورة التكويد: ٢٩.

(٣) سورة النور: ٥٤ و سورة العنكبوت: ١٨.

(٤) سورة الكهف: ٤٤.

(٥) المائدة: ٥٥.

(٦) سورة محمد صلى الله عليه و آله و سلم ص ١١.

(٧) رواه غير واحد من أعلام الفريقين من غير واحد من الصحابة و التابعين، راجع عبقات تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٤٤

إلى غير ذلك من فحواي الآيات و الأخبار.

و من هنا يظهر أنّ من أسخف الآراء و أضعف الأهواء مقالة قوم يزعمون أنّ أفضلية الولاية على النبوة تقتضى أفضلية الولي على النبي

مطلقاً، ثم فرّعوا على ذلك كون مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام هو ولي الله و حامل الولاية المطلقة أفضل من رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلم الذي هو حامل النبوة المطلقة لأنه قد ظهر بالنبوة، و علىّ بالولاية، و الظاهر بالولاية أفضل من الظاهر بالنبوة، بل ربما أيده بعضهم

بالحديث القدسي خطاباً للنبي صلّى الله عليه وآله و سلم: «لولاك لما خلقت الأفلاك، و لولا علىّ لما خلقتك» (١). فإنه كما يقتضى شرافة النبي صلّى الله عليه وآله و سلم على من دونه من الأفلاك و غيره كذلك يقتضى شرافة أمير المؤمنين عليه السلام عليه صلّى الله عليه وآله و سلم، إذ الأصل و الظاهر جعل النسبتين من نوع واحد في الشرف و الكرامة.

و

بقول النبي صلّى الله عليه وآله و سلم: «يا علىّ! أنت منى بمنزلة الرأس من الجسد» (٢). و لا شك أن الرأس أشرف من الجسد.

و

بقوله: «يا علىّ! أنت نفسى التى بين جنبى» (٣).

و من البيّن أنّ النفس أشرف من البدن، و بما ظهر من أمير المؤمنين عليه السّلام من المعجزات و خوارق العادات و غرائب الخطب و المراسلات، و سائر الأطوار و العجائب ممّا لم يظهر من النبي صلّى الله عليه وآله و سلم حتى ادّعت جماعة فيه الربوبية دون النبي صلّى الله عليه وآله و سلم، و خطأ آخرون جبرئيل فى نزوله على النبي صلّى الله عليه وآله و سلم، لأنهم يقولون: إنه

الأنوار، و الغدير و غيرهما.

(١) جنة العاصمة.

(٢)

مشارك أنوار اليقين للبرسى عن سلمان و أبى ذر عن أمير المؤمنين عليه السّلام ص ١٦١ و فيه: «أنت منى بمنزلة الروح و الجسد»، و فى البحار: ج ١٩ / ٨٢: «أنت منى بمنزلة السمع و البصر و الرأس من الجسد».

(٣)

فى المشارق: ص ١٦١ «أنت روحى التى بين جنبى». تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٤٥

كان مأموراً بالنزول على أمير المؤمنين عليه السلام.

إلى غير ذلك من الشبهات التى قد غطت على بصائر معرفتهم، و مدارك علومهم، فضلوا و أضلوا كثيراً، و ضلوا عن سواء السبيل.

لكن لا يخفى على المتأمل ضعف هذه الوجوه.

أما الأول: و هو تفضيل الولاية على النبوة فلما سمعت من أنه كذلك إذا اعتبرناهما فى مرتبة واحدة كما إذا اعتبرت نبوة نبي بالنسبة إلى ولايته، و أما بالنسبة إلى شخصين فلا- يمكن الحكم بترجيح الولاية مطلقاً، إذ لكل منهما عرض عريض يعبر كل مرتبة من إحدهما مع سابقة الأخرى و لاحقها فكيف يحكم بالترجيح على الإطلاق، سيما فى مثل النبي و وصيه الذى هو بمنزلة حسنة من حسناته، و هو المستمد بفضل نوره المتشعشع بشعاع ظهوره و لذا سمي بالبشر الثانى نظراً إلى أولية النبي صلّى الله عليه وآله و سلم.

نعم، يظهر من بعض الأعلام (١) أنّ الترجيح فى المقام إنما هو باعتبار الكمّية لا الكيفيّة فإنّ النبي صلّى الله عليه وآله و سلم له مقامان: مقام النبوة و الولاية، و هو جامع المرتبتين بخلاف الولي فإن له الولاية خاصة دون النبوة، فالجامع بين الأفضل و غيره أشرف من المتفرد بواحد و إن كان أفضل، فالنبي باعتبار الجامعية أفضل من الولي.

قال: «و إلى هذا المعنى يشير



قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا أصغر من ربي بسنتين» (٢) ،  
و المراد من الرب هو المربي، و هو رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم.

(١) هو السيد كاظم بن قاسم الحسيني الجيلاني الرشتي، كان من تلامذة الشيخ أحمد الأحسائي، توفي سنة ١٢٥٩، و لا يخفى أن نقل هذا الكلام كان قبل ظهور انحراف المنقول عنه للنقل، لأن مقامه أجل من أن ينقل ممن ظهر انحرافه و يعبر عنه ببعض الأعلام، و إن كان ضعف كلامه و ردّ عليه كما سيأتي.

(٢) لم أظفر على مصدر له،

قال النراقي في مشكلات العلوم: ص ٢٠: روى عن عليّ عليه السلام أنه تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٤٦  
و السنة: المرتبة، يعني هو جامع المرتبتين، و أنا عندي مرتبة واحدة، فهو أكبر بتينك المرتبتين و هاتان المرتبتان صارتا سببا لكونه أصغر من رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم بمرتبة فله صَلَّى الله عليه و آله و سلم الجامعية بخلافه عليه السلام.  
لا كما يزعمون من أن الرب هو الله و المرتبتان هي الألوهية و النبوة (١).

فإن هذا الكلام باطل و قول مجتث ذابل، لأن ذات الله لا- تنسب و لا- توصف، و لا- بينه و بين غيره نسبة و اتصال». انتهى كلامه ملخصا.

و فيه ضعف ظاهر لأن قضية ما سمعت من الأخبار و فحوى كلمات علمائنا الأخيار، إنما هو أفضلية النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم في مرتبة الولاية أيضا من حيث الإحاطة و التصرف و سبق الخلق و شدة التوجه و الاتصال كما مر الخبر في سبق خلقته بثمانين ألف سنة و إن مقام النبي مقام القدرة و مقام وصيه صَلَّى الله عليه و آله و سلم مقام العظمة.

بل هذا القائل ذكر في موضع آخر: إن جلال القدرة التي هي الولاية الحقيقية إنما هي للنبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم لكنها قد ظهرت في أمير المؤمنين عليه السلام كما ظهرت الكواكب المدبرات و البروج و المنازل و ساير المبادئ في الكرسي دون العرش مع أنه أعظم و أقوى و الكرسي حينئذ طائف حول جلال القدرة في عالم الظهور، و لأن الفيوضات الواردة في العالم المنتشرة في أقطار الكرسي كلها من الكرسي و كان الكرسي لا يستمد إلا من العرش.

فمحمد صَلَّى الله عليه و آله و سلم و علي عليه السلام نسبتها في العالم الباطن نسبة العرش و الكرسي،

قال: «أنا أصغر من ربي بسنتين»

ثم احتمل له معنيين أولهما بعيد جدا، و سأنقل كلامه إن شاء الله تعالى.

(١) لعل مراده من الزاعم هو المرحوم المهدي النراقي المتوفى (١٢٠٩ هـ)، فإنه بعد ما نقل الحديث في «مشكلات العلوم»: ص ٢٠، و فسر السنة بالمرتبة قال: المراد من الرب إما ربه الحقيقي و هو الله سبحانه فالمراد أن جميع مراتب كمال الوجود المطلق حاصله لي سوى مرتبتين و هما: مرتبة الألوهية و وجوب الوجود، و مرتبة النبوة ... إلخ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٤٧

فالعرش كان طائفا حول جلال القدرة قبل خلق الكرسي، أي كان حاملا لولاية الله، فلما خلق الله الكرسي ظهرت له إتيته النورانية بظهور النفس القدسية المطمئنة، فكانت سببا لتفاصيل ظهور الولاية الإجمالية التي كانت للعرش.

فالولاية ظهرت في الكرسي و ثبتت الكرسي و بقي العرش على محض الرسالة و الترجمة المعبر عنه بالنبوة.

و أما ما ذكره في معنى خبر أنا أصغر من ربي بسنتين، فلعل الأمر بالعكس فإن المعنى الذي ذكره لا ينطبق على العبارة، بل لا يساق مثل هذه العبارة لمثل ذلك المعنى، سيما مع اختلافه في نفسه حسب ما سمعت.

نعم، المنساق كونه فاقدا للمرتبتين: الألوهية والنبوة، ولذا كانت الشهادة بولايته عليه السلام في المرتبة الثالثة من الشهادة، و كان اسمه الشريف مكتوبا في السطر الثالث من العرش، و كل ذلك لا يقتضى أن بينه وبين خالقه نسبة و لا اتصالا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، بل إنما هو لمجرد التعبير عن حقارة الصغير، لا لتحديد الكبير كما لا يخفى على الخبير البصير.

و اعلم أن هذا الخبر لم أظفر به في شيء من الأصول و كتب الأخبار، و لا في شيء من مصنفات من تقدم من علمائنا الأخيار، و لا بأس به بعد موافقة مؤداه لسائر الآثار.

و أما الثاني: و هو خير

«لولا على لما خلقتك»

فلأن قصارى ما يدل عليه أن وجود أمير المؤمنين عليه السلام مما يتوقف عليه وجود رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و أين هذا من الأفضلية، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم لما كان في مقام الولاية الكلية المطلقة العامة التشريعية و التكوينية، و لذا كان حقيقة النعمة و مدينة الحكمة، فلا يكاد ينتفع به أحد من الناس إلا بوساطة سفيره و وزيره و هو وصيه المتشعشع بشعاع نوره، المتشخص بتجليات أنوار ظهوره، و لولاه لم يصلح أحد من الأنام لنيل هذا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٤٨

المقام، فلم يكن حينئذ مخلوقا لهذا المقام الشامخ و القدر الباذخ، و لذا عبر عن تعيين وصيه بإكمال الدين و إتمام النعمة في قوله: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** «١»، بل نفى مع عدمه التبليغ رأسا في قوله: **وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغَتْ رِسَالَتَهُ** «٢».

و بالجملة مجرد التوقف لا يدل على الأفضلية ضرورة توقف الشيء على جملة من الأجزاء و الشروط في التشريعات و التكوينيات، ألا ترى أن الصلاة أفضل من الوضوء مع توقفه عليه لقوله: «لا صلاة إلا بطهور».

و كذا القلب أشرف من الكبد من أنه لا-ريب في توقف حياته بوجودها بل بوجود غيرها من الأجزاء الشريفة و الخسيسة فمجرد التوقف لا يقضى بالأفضلية.

و اعلم أن هذا الخبر أيضا لم أظفر به في شيء من الأصول و المصنفات، و إن كان في بعض الأخبار ما يدل عليه كما في تفسير الإمام عليه السلام في حديث «الشجرة» التي انقلعت بأصولها و عروقتها حتى دنت من رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و نادت بصوت فصيح: «ها أنا ذا يا رسول الله، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: دعوتك لتشهدي لى بالنبوة بعد شهادتك لله بالتوحيد ثم تشهدي لعلى بالإمامة و أنه سندی، و ظهري، و عضدى، و فخرى، و لولاه لما خلق الله تعالى شيئا مما خلق...» الخبر «٣».

و قضية العموم كما ترى شموله للنبي و غيره فيوافق ذلك الخبر أيضا.

و

في كتاب «رياض الجنان» في خبر طويل على ما رواه «البحار» و فيه: «ثم قال سبحانه لمحمد صلى الله عليه وآله و سلم: و عزتى و جلالى و علو شأنى لولاك و لولا على و عترتكما الهادون المهديون الراشدون ما خلقت الجنة و لا النار و لا المكان

(١) المائدة: ٣.

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٧/٣١٧، ح ١٤، عن تفسير المنسوب إلى الإمام عليه السلام. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٤٩ و لا الأرض و لا السماء و لا الملائكة و لا خلقا يعبدنى.

نعم، سئل عنه الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (المتوفى سنة ١٢٤٣ هـ)، فأجاب بقوله:

«اعلم أن صدر هذا الحديث مستفيض بل متواتر معنى لا يختلف في معناه أحد من المسلمين، و أما عجزه فلم أقف عليه في كتاب، نعم، سمعناه من الأفواه بل منقولا عن يعتمد على قولهم ونقلهم.

أخبرني شيخي الشيخ محمد بن محسن بن الشيخ على القرني الأحسائي تغمده الله برحمته و أسكنه بحبوحه جنته، و كان صادق الحديث، قال: سئلت الشيخ الفاجر، زبده الأوائل و الأواخر الشيخ الآقا محمد باقر بن الشيخ محمد أكمل أكمله الله رفيع رتبته و قدس طيب تربته

عن قول الله تعالى: «لولاك لما خلقت الأفلاك»

و عن معناه.

فقال: هذا لا إشكال فيه و إنما الإشكال في تتمه الحديث و هو

قوله: «لولا على لما خلقتك»

و كلامه مع شدة فحصه في تصحيح الأخبار وجوده فكره و عظيم اطلاعه و سابقته في ذلك المضمار كالنص على ثبوته عنده، و إن احتمل أنه إنما أورده كما سمعه إيرادا و إن لم يثبت عنده إلا من السماع الأفواهي إلا أن الأول هو الظاهر.

ثم ذكر فيه وجوها ذكر أن كلها مرادة لله تعالى:

أحدها: أن الله تعالى خلق محمدا و عليا من نور واحد فقسم ذلك النور قسمين، فقال للقسم الأول: كن محمدا و للآخر كن عليا فيصدق أنه لو لا أحد القسمين لم يخلق القسم الآخر، و إلا لم يكن الشيء شيئا و إلى ذلك أشار علي عليه السلام في جوابه لليهودي لما سئل من نصف الشيء فقال مؤمن متلي، فافهم.

ثانيها: أن العلة في خلق النبي من حيث هو نبي الإخبار عن الله و التبليغ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٥٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ١٦٩

لرسالة فيما يحتاج إليها الخلق، و لا ريب أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم في ذلك محتاج إلى وجود علي عليه السلام لأنه نصف النور الآخر و هذا

قول علي عليه السلام في خطبته في حق النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «فعلمني علمه و علمته علمي» (١).

ثالثها: أنه صلى الله عليه و آله و سلم من حيث إنه بشير نذير يتوقف على هاد و مضل يعني على مورد و ذائد و هو علي عليه السلام، قال الله تعالى:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٢) و بيان هذا الحرف يوجب كشف الستر عن مفتاح من الألف الباب الذي كل باب يفتح منه ألف باب بل و من كل باب أيضا ألف باب.

رابعها: أنه من حيث هو نبي لا بد له من آية تدل على نبوته و هي علي عليه السلام،

قال علي عليه السلام كما رواه الفريقان: «الست آية نبوة محمد صلى الله عليه و آله و سلم»

و ،

قال عليه السلام: «ليس لله آية أعظم مني» (٣).

خامسها:

أنه قال: «يا علي! أنت منى بمنزلة الروح من الجسد، و أنت نفسى التي بين جنبي».

و

روى الفريقان أنه قال: «أنت منى بمنزلة الرأس من الجسد».

وقال تعالى: وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ﴿٤﴾.

ولا ريب أن الروح والنفس والرأس يتوقف وجود الجسد عليه.

سادسها: أن النبوة مسبوقة بالولاية وهذا ظاهر، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الظاهر

(١) الخطبة التنجية نقلها صاحب الزام الناصب و عنه الدكتور عبد العلي گويا في شرحه على الخطبة ص ١٣٦.

(٢) الرعد: ٧.

(٣)

في ينابيع المودة: ج ٣ / ٤٠٢: ما لله نبأ أعظم منى ولا لله آية أكبر منى.

(٤) آل عمران: ٦١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٥١

بالنبوة و على عليه السلام هو الظاهر بالولاية، و لا نبوة إلا بالولاية، و محمد صلى الله عليه وآله وسلم صاحب التنزيل، و على عليه

السلام صاحب التأويل، و إلى هذا الإشارة

بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أعطيت لواء الحمد و علىّ حامله» (١).

سابعها: أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم من حيث أنه خاتم النبيين يتوقف ختمه للنبوة على كون على عليه السلام خاتم الوصيين، إذ لو تختم الوصية لم تختم النبوة، و لا يخفى في الظاهر أن الأمر في هذا الوجه على العكس و لكن في الحقيقة لا منافاة في كون المعلول علته لكون علته من باب التضاييف إذ الشيء لا يكون علته إلا يكون المعلول معلولا له، فافهم.

ثامنها: أن الأشياء كلها بحكم شيء واحد، بل هو شيء واحد في الحقيقة يتوقف بعضها على بعض لكون العالى مجازا و درجة لما تحته في الصعود و وسيلة له إلى المعبود، و كون السافل مجازا للعالى و مظهرا في النزول و رابطة بين العلة و المعلول حتى أنه لو تغير البعض تغير الكل.

كما

ورد في الخبر: أن نبيا من الأنبياء شكى بعض ما ناله من المكروه إلى الله تعالى، فأوحى الله تعالى إليه: أ تشكونى و لست بأهل ذم لا شكوى، هكذا بدو شأنك في علم الغيب فلم تسخط قضائي عليك، أ تريد أن أغير الدنيا لأجلك أو أغير اللوح المحفوظ بسببك، فأقضى ما تريد دون ما أريد و يكون ما تحب دون ما أحب؟ فبغزتي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لأسلبنك ثواب النبوة و لأوردتك النار و لا أبالي.

الخبر فإنه صريح في توقف الأشياء بعضها على بعض». انتهى كلامه.

(١)

في البحار ج ٣٩ ص ٢١٩ ح ١٣ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أعطيت في على خمس خصال ... الى أن قال: و أما الثانية

فلواء الحمد بيده و آدم و من ولد تحته. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٥٢

لكنه لا يخفى عليك أن هذه الوجوه مع ضعف بعضها و رجوع بعضها إلى بعض لا يحسم كلها مادة الإشكال، بل ربما يزيد في

الإعضال، نعم، لا بأس ببعضها حسبما أشرنا إليه، و من جميع ما مر قد ظهر الجواب عن الثالث و الرابع و هما الخبران.

و أما الخامس: و هو ما ظهر منه عليه السلام من المعجزات.

فاعلم أن كل ما صدر منه عليه السلام بل و من غيره من الأنبياء و المرسلين و الملائكة المقربين، فإنما هو تفصيل و بيان و شرح و ظهور لشؤون خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله و سلم لأنه الفاتح الخاتم، و الشاهد على الجميع، و المهيم على ذلك كله، و أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينه علمه و فواره ينبوع حكمته، و هو لسانه الناطق عنه فى أمته كما فى قوله تعالى:

فَإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تَنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا «١».

عن الصادق عليه السلام أن اللسان هو أمير المؤمنين عليه السلام «٢»

و هو يده الباسطة على الله تعالى بالنعمة و النعمة، و لذا كان نعمة الله على الأبرار و نعمته على الفجار، و هو نفسه فى قوله: وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ «٣».

و أخوه فى عقد المؤاخاة:

«أنت أخي و وصيى و قاضى دينى و منجز وعدى» «٤»

و ابنه لأنه من أمته و هو قاسم الجنة و النار، و النبى صلى الله عليه و آله و سلم أبو أمته فهو أبو

(١) مريم: ٩٧.

(٢) لم أظفر على مصدر لذاك الحديث، نعم

فى تفسير القمى فى ذيل آية ٥٠ من سورة مريم: وَ جَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا قَالَ: يعنى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، حدثنى بذلك أبى عن الحسن بن على العسكري عليه السلام.

(٣) آل عمران: ٦١.

(٤) بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٩٠ ح ١٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٥٣

القاسم كما فى الخبر المذكور فى «العلل» «١» و هو المرتضى منه المشار إليه بقوله:

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ «٢»

ففى الخبر «٣» أنه المرتضى من الرسول.

بل هو النفس المضافة إلى الضمير المتكلم فى قوله:

وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي «٤».

باعتبار كون الإضافة لامية و اللام للتمليك كما سميت النفس الملكوتية بذات الله العليا.

و بالجملة كل ذلك ظهور و بروز لشؤون خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله و سلم و تطوراته و تجلياته فهو الأصل القديم و خليفته الفرع الكريم، و لذا

ورد فى زيارته: «السلام على النور الشعشعانى و البشر الثانى».

و ذلك لأن الإجمال أصل للتفصيل و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل.

«عود إلى المرام و ختام للمقام».

قد سمعت أن الباء إشارة إلى مقام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فهى الباب، و الحجاب، و المبدأ و المآب، و طريق الصواب، و لب الأبواب، و الشمس الساطعة من وراء السحاب، و لها شؤون ربانية، و قوى ملكوتية.

فهى للاستعانة لما مر من الخبر الدال «٥» على طوف مولانا أمير المؤمنين روحى له الفداء حول سرادق القدرة التى بها كان ما كان، و

وجد الأكوان و الأعيان،

(١) علل الشرائع ص ٥٣-٥٤ و معانى الأخبار ص ٢٠.

(٢) سورة الجن: ٢٧.

(٣) تفسير فرات بن إبراهيم: ص ٥١١.

(٤) طه: ٤١.

(٥) تقدّم الخبر نقلا عن البحار ج ٢٥ ص ٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٥٤

و هو الإنسان علمه البيان، فهو السبيل الأعظم، و المنهج الأقوم، به يفوز الفائزون، و ينجو الصالحون، و يصل الواصلون، و به تمت الكلمة، و عظمت النعمة، و ائتلفت الفرقة.

و هى للإصاق لإيصال الفيوض الإلهية إلى الأرواح الملكوتية و الأشباح الناسوتية، فيعطى بإذن الله كل ذى حق حقه، و يسوق إلى كل مخلوق رزقه، و لإيصال الخلق إلى الله بحبل ولايته، و عروءة و ثقى محبته، و جذبته إحاطته و تصرفه، فهو جبل الله المتين و جنبه المكين.

قال الله تعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا «١».

و قال: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ «٢».

و للمصاحبة مع الله تعالى كما

قالوا عليهم السلام: «إن قلوبنا أوعية لمشية الله، فإذا شئنا شاء الله» «٣».

و

قال عليه السلام: «ظاهرى إمامة و باطنى غيب لا يدرك».

و لمصاحبته مع الخلق كما

قالوا: «إن لنا مع كل ولى لنا أذن سامعة و عين ناظرة».

و

فى الخطبة النطنجية: «لقد علمت ما فوق الفردوس الأعلى و ما تحت السابعة السفلى و ما فى السموات العلى و ما تحت الثرى، كل ذلك علم إحاطة لا علم إخبار» «٤».

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) الزمر: ٥٦.

(٣)

غيبه الشيخ الطوسى: ص ١٦٠ عن الإمام الحسن العسكرى فى جواب المفوضة، و فيه: كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشية الله فإذا شاء شئنا و الله يقول: وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

(٤) على عليه السلام و خطبة تطنجية للدكتور عبد العلى گويا ص ١٦٧ عن الزام الناصب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٥٥

و للتعدية إذ به يصل الواصلون و يفوز الفائزون فإن كل ذرة من ذرات الوجود لا تصل وصولا فعليا إلى حقيقتها الكمالية الإمكانية إلا

بنور الهداية و شرف الولاية، فتتعدى اللوازم إلى إظهار مستجنات «١» الإمكان في عالم العيان في الأكوان والأعيان. وللسببية، فإنهم عليهم السلام أسباب كينونات العباد، و وجوداتهم، و هدايتهم إلى مصالح المعاش و المعاد، و نزول البركات الدينية و الدنيوية عليهم، كما يستفاد ذلك كله من تضاعيف الأخبار المتواترة الدالة على بدو أنوارهم و أرواحهم، و أنّ كل ما سواهم من الذوات و الأنوار و الخيرات و السعادات و البركات إنما خلقت من أشعة أنوارهم، بهم فتح الله و بهم يختم، و بهم ينزل الغيث و بهم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، و بهم ينفس الهم و يكشف الضر، و بهم علمنا الله معالم ديننا و أصلح ما كان فسد من ديانا.

و

في «التوحيد» عن الصادق عليه السلام قال: «إن الله خلقنا فأحسن خلقنا، و صورنا فأحسن صورنا، و جعلنا عينه في عباده، و لسانه الناطق في خلقه، و يده المبسوطة على عبادة بالرفقة و الرحمة، و وجهه الذي يؤتى منه، و بابه الذي يدل عليه، و خزانه في سمائه و أرضه، بنا أثمرت الأشجار، و أينعت الثمار، و جرت الأنهار، و بنا نزل غيث السماء، و نبت عشب الأرض، و بعبادتنا عبد الله، و لو لا نحن ما عبد الله» «٢».

و الأخبار بهذا المضمون كثيرة لا تحصى مذكورة في «البحار» و غيره.

قال مولانا محمد صالح المازندراني طاب ثراه في شرح

قوله عليه السلام: «بنا أثمرت الأشجار»

: أى بوجودنا و بركتنا أو بأمرنا صارت الأشجار مثمرة.

(١) مشارق الأنوار: ١٦٧.

(٢) توحيد الصدوق: ص ١٤٠-١٤١ و عنه بحار الأنوار: ج ٢٤/١٩٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٥٦

أما الأول: فلأن وجودهم سبب لبقاء نظام العالم، فلو لم يكن وجودهم لم يكن عالم و لا نظام و لا أشجار و لا أثمار. و اما الثانى: فلأنهم المدبرون فى هذا العالم بإذن ربهم.

أقول: و لعل الأولى ترك التقييد بهذا العالم فى كلامه الأخير لما ورد من انهم الحجج لله سبحانه على خلقه فى جمع العوالم التى ورد فى بعض الأخبار أنها ألف عالم على ما يأتى فى تفسير قوله تعالى رَبِّ الْعَالَمِينَ و بالجملة فهم المقصود فى جميع النشآت و العوالم، و لذا خوطب النبى صلى الله عليه و آله و سلم بقوله: «لولاك لما خلقت الأفلاك» «١».

و

بقوله: «خلقتك لأجلى و خلقت الأشياء لأجلك».

و

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فى بعض خطبة المذكورة فى «نهج البلاغة»: نحن «صنائع الله و الخلق بعد صنائع لنا أو صنائع الله لنا» «٢».

و إن كانت العبارة أيضا صالحة للإشارة إلى كونهم العلة الفاعلية.

و

فى الخبر المذكور فى كتاب «الأنوار» على ما حكاه فى البحار عن مولانا أمير المؤمنين روى له الفداء: «إن نور نبينا محمد صلى الله

عليه وآله وسلم بقى الف عام بين يدي الله عز وجل واقفا يسبحه ويحمده والحق تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول: يا عبدى أنت المراد والمريد وأنت خيرتى من خلقى، وعزتى وجلالى لولاك لما خلقت الأفلاك» (٣).

(١)

بحار الأنوار: ج ٢٨ / ١٥ و ج ١٩٩ / ٥٧ وفيه «لولاك ما خلقت الأفلاك»  
من غير اللام.

(٢)

نهج البلاغة: الكتاب ٢٨، وفيه: فإننا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا. وفي البحار ج ٣٥ ص ١٧٨ عن الاحتجاج من توقيع الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف: وفخر صنائع ربنا والخلق بعد صنائعنا.

(٣)

بحار الأنوار: ج ٢٨ / ١٥، وفيه: «لولاك ما خلقت الأفلاك»  
من غير اللام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٥٧

وما ذكرناه من معانى حرف الباء أنموذج يظهر لك باقى معانيها وأمير المؤمنين عليه السلام هو غيب ذلك كله و حقيقته و مبدؤه و أصله و منشؤه.

و إليه الإشارة

بقوله: «أنا النقطة تحت الباء»

أى غيبها و سرها المستتر المقنع بالسر و حقيقتها المحجوبة فى ذاتها المتنزلة إلى عالم الناسوت، إذ ليس المراد هو النقطة الواقعة تحت حرف الباء بالمداد و السواد بحيث نميز الباء عن التاء و الثاء و الياء، فإنها حدود عرضية و صفات خارجية و علامات مميزة لا دخل لها فى جوهر الذات، بل المراد أن الوحدة إما وحدة حقية لا تعرف بكم و لا كيف و لا جهة و لا إضافة و لا ذات و لا وصف و لا نعت و لا حقيقة و لا اعتبار، بل هو الواجب الحق و المجهول المطلق من حيث الذات لا من حيث الآثار، و لذا ينبغى قطع الطمع عن التكلم فيه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

و إما وحدة خلقية و لها تجليات و مظاهر فى جميع العوالم المرتبة فى السلسلة الطولية من الدرّة إلى الدرّة ففى عالم الجبروت هى الوحدة و هى المشية الكلية، و نور محمد و على عليهما السلام، و هذه الوحدة لا تزال تنزل من عالم إلى عالم حتى تظهر فى عالم الحروف الكتيبة المنقوشة فى الألواح و السطور بالنقطة التى هى أصل كل الحروف.

فإن أول ما يقع القلم فى اللوح تظهر النقطة و لو قبل الجريان، فتظهر هى بنفسها و تتجلى ساير الحروف بها فهى آية نقشية ناسوتية المشية الكلية الإلهية، كما

قال عليه السلام: «خلق الله المشية بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشية» (١).

ثم اعلم أن الحروف تنقسم إلى حروف كتيبة و لفظية و نفسية، فالباء مثلا لها صورة كتيبة منقوشة بالأفلام على الألواح، و صورة لفظية حاصلة من تقطيع الهواء

(١) بحار الأنوار: ج ٤ / ١٤٥، عن توحيد الصدوق عن الصادق عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٥٨



الخارجة بالاستنشاق عند مخرج ذلك الحرف المركب من مادة و صورة فمادته هي الهواء الخارج و صورته اعتماده و تقطيعه عند خصوص مخرجه.

و لا- ريب أن الباء المعبر بها عن الباب الأقدم و الحجاب الأعظم مخرجها باب الفم و هو الشفه لأن الله تعالى اخترعها بالخطاب الفوهانى الشفاهى بل لا يمكن التكلم إلا بعد انطباق الفم، لأنه النور الفائق لظلمة العدم.

أ و لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا (بولايه أمير المؤمنين) أَنَّ السَّمَاوَاتِ (سموات العقول و المجردات) وَ الْأَرْضِ (أرض النفوس و الماديات) كَأَنَّا رَتَقًا فَفَتَقْنَاهُمَا «١» بنور المشية الذى هو الفيض الأول، و النور الذى أشرق من صبح الأزل و هو الماء المطهر النافذ فى العمق الأكبر و لذا قال:

وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ «٢».

أ و لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ (و هي أرض الإمكان) فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ «٣».

(١) الأنبياء: ٣٠.

(٢) الأنبياء: ٣٠.

(٣) السجدة: ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٥٩

## الفصل الثانى

### فى الاسم

اعلم أن الناس اختلفوا فى اشتقاق الاسم:

فعن الكوفيين: أن أصله (وسم) حذف الواو و عوضت عنها همزة الوصل ليقل إعلاله، إذ زيادة الهمزة ينجر نقصان إذ الحذف يوجب مع انعدام خصوصية الحرف نقصان كمية ما تركبت منه و بالتعويض ينجر الثانى.

و رد بأن الهمزة لم تعهد داخله على ما حذف صدره فى كلامهم المطرد فيه تعويض الهاء فى الآخر كما فى (وعد) إذ لم يقولوا (أعد) بل قالوا (عدة)، كما أن المطرد فيما حذف عجزه تعويض الهمزة، كما فى (ابن و أخواتها).

و فيه بعد تسليم اطراد القاعدة فى المقامين أن قضيتها فى المقام (سمه) و قد استعملت أيضا كما

فى الخبر عن الرضا عليه السلام فى تفسير بسم الله قال «أسم نفسى بسمه من سمات الله» «١».

غاية الأمر أنه استعمل فى المقام على وجه آخر أيضا استعمالا شاعرا، كما أنه استعمل بدون العوض أيضا، إذ ذكروا أن من لغاته (سم و سم) بالكسر و الضم، كقول رؤبه «٢»:

(١) نور الثقلين ج ١ / ١١، ح ٣١ عن عيون الأخبار.

(٢) هو رؤبه بن عبد الله بن الحجاج بن رؤبه التميمى من الفصحاء المشهورين و من مخضرمى الدولتين: الأموية و العباسية، توفى سنة (١٤٥) هـ - الأعلام: ج ٣ / ٦٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٦٠ باسم الذى فى كل سورة سمه أرسل فيها باذلا يقرمه

وقيل: إنه لا- حذف و لا- تعويض و إنما قبلت الواو همزة كإعلاء و إشاح، ثم كره استعماله فجعل همزته همزة وصل فوزنه (فعل) لا

(أعل).

و عن البصريين: أنه من (السمو) لأنه رفعة للمسمى و شعار له، فأصله (سمو) بسكون العين مع كسر الفاء أو ضمه لا فتحه، لأنه لا يجمع على أفعال.

قالوا: و هي من الأسماء العشرة التي حذفت أعجازها لكثرة الاستعمال و هي (اسم و است و ابن و ابنة و ابنم، و اثنان، و اثنتان، و إمرا، و امرأ، و أيمن) قسما فبنيت أوائلها على السكون، فتوصلوا إلى الابتداء بها بهمزة الوصل حذرا من الابتداء بالسكن المستحيل عند بعضهم المستنكر عند آخرين، و ربما استشهدوا بشيوع استعماله في جمعه الأسماء و الأسماء.

لكن عن «الصحاح» و «القاموس» أن الثاني جمع الجمع و في تصغيره سمى و في إسناد الفعل الضمير الحاضر سميت، و مجيء سمى كهدى لغة فيه كما أنشدوا:

و الله أسماك سما مباركا آثر ك الله به تباركا

و إن قيل إنه لا حجة في هذا الأخير لاحتمال أنه على لغة من قال (سم) و نصبه لوقوعه مفعولا.

و بالجملة قضية التصريف المتقدمة كونه مأخوذا من (السمو) إذ لو كان معتل الأول كما قال الكوفيون لقالوا في جمعه (أوسام) و في تصغيره (و سيم) و في الإسناد (و سمت) و توهم حصول القلب المكاني فيها بأن يقال: أصل (أسماء أو سام). و هكذا البواقي مع بعده لكونه خلاف الأصل مردود بأنه غير مطرد في سائر صيغ الاشتقاق و من هنا يتجه أن الأشبه بقواعد الاشتقاق هو الثاني.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٦١

و أما الرضوى «١» المتقدم فكأنه مبني على الاشتقاق المعنوي لا اللفظي.

ثم إن فيه سبع لغات قد نظمها بعضهم بقوله:

في الاسم سبع لغات كلها سمعت و إنني قد جمعت الكل مرتجلا

اسم بكسر و ضم مع سم بهما و في سما بثلاث حيثما نقلا

و نظمها آخر مقتصر على السنة:

اسم بفتح أول و الكسر مع همزة و حذفها و القصر

ثم اعلم أن اسم الشيء ما يدل عليه دلالة لا يشارك مسماه في مرتبة دلالة شيء، فاللفظ الذي تكثر معناه يدل على كل من مسمياته دلالة لا يشارك مسماه غيره في مرتبة تلك الدلالة الجزئية، و ذلك لقضية تعدد الوضع، و لا ينافيه دلالة على مسماه الآخر أيضا، إذ ذلك أيضا بوضع وحداني مختص به لا يشاركه فيه غيره.

و لذلك يحصل التردد إذا استعمل اللفظ المشترك من دون قرينه معينة.

و من هنا قال الأصوليون:

«إن عدم صحة سلب المعنى عن المورد دليل على مجازية اللفظ في غيره بالنسبة إليه، و كذا العكس، و مثل اللفظ المشترك الأوصاف المشتركة التي هي من الأسماء المعنوية، فإن دلالة كل منهما على موضوعه من حيث عروضه لا يشاركه فيها غيره.

و بالجملة: قد سمعت أن الاسم مشتق من (الوسم) الذي هو العلامة اشتقاقا لفظيا أو معنويا، فكل ما كان علامة لشيء من الأشياء فهو من هذه الحثية اسمه و ذلك مسماه.

(١) نور الثقلين: ج ١ / ١١، ح ٣١ عن عيون الأخبار.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٦٢

و من هنا لا غرو أن يكون كل من الفعل و الفاعل و المفعول، و كل من الأثر و المؤثر، و كل من العلة و المعلول، و كل من اللازم و الملزوم اسما للآخر، فكل منها اسم باعتبار و مسمى باعتبار.

و من هنا يظهر أن أسمائه سبحانه تنقسم إلى أقسام أربعة: ذاتية و فعلية و معنوية و لفظية.

فالذاتية: هي المعاني التي يعبر عنها بالذات و عن الذات بها، بل هي الذات حقيقة بلا مغايرة حقيقية أو اعتبارية، و لذا لا فرق بينها و بين اطلاق المبادئ و المشتقات كالعلم و القدرة و الحياة، فهو علم و عالم، قدرة و قادر، حي و حياة.

كما

قال الصادق عليه السلام: «هو نور لا ظلمة فيه، و حياة لا موت فيه، و علم لا جهل فيه، و حق لا باطل فيه» (١).  
و الفعلية: نفس فعله تعالى المعبر عنها بالإرادة و المشية و الإبداع.

كما

قال الرضا عليه السلام: «إن أسمائها ثلاثة و معناها واحد» (٢).

و هذا الاسم أقدم الأسماء و أعظمها، و أكرمها، و أتمها، و أحسنها، و أشرفها.

و هو الاسم العظيم الأعظم، الأجل الأكرم الذي وضعه الله على النهار فأضاء و على الليل فأظلم (٣).

فإنه المشية التي دان لها العالمون و لها انقادت السموات و الأرضون (٤).

و أما الأسماء المعنوية: فهي الحقائق المخلوقة الجعلية من الكلية و الجزئية

(١) بحار الأنوار: ج ٤ / ٧٠، ح ١٦ عن توحيد الصدوق.

(٢) البحار: ج ٥٧ / ٥٠، ح ٢٧، و فيه: و اعلم أن الإبداع و المشية و الإرادة معناها واحد و أسماؤها ثلاثة ...

(٣) اشارة إلى ما في الدعاء الرجبية الخارجة من الإمام عليه السلام على يد أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد، رواها المجلسي قدس سره في البحار: ج ٩٨ / ٣٩٣.

(٤) اشارة إلى ما في دعاء السمات المروية في البحار: ج ٩٠ / ٩٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٦٣

و المادية و المجردة، الملكوتية و الناسوتية، و البسيطة و المركبة، و العلوية و السفلية، فإن كلا منها اسم من الأسماء الإلهية، و هي المشار إليها

في دعاء الكميل بقوله: «و بأسمائك التي ملأت أركان كل شيء، و بنور وجهك الذي أضاء له كل شيء» (١).

و

في دعاء شهر رمضان: «اللهم إني أسألك باسمك الذي دان له كل شيء» (٢).

و بالجملة فكل حقيقة من الحقائق أو ذات من الذوات، أو وصف من الأوصاف، أو عرض من الأعراض، أو اسم من أسماء الله، و أعظمها أعظمها، و أكبرها أكبرها، و كل أسمائه عظيمة كبيرة، كما

في دعاء السحر: «اللهم إني أسألك من أسمائك بأكبرها، و كل أسمائك كبيرة» (٣).

و ذلك لانتسابه إليه.

فشرافة الاسم بشرافة المسمى و عظمتة و كبريائه، فلذلك استأنف الدعاء

بقوله: «اللهم إني أسألك بأسمائك كلها»

، حيث أنها بأجمعها تدل على العظمة و الكبرياء.

و من هنا قيل: إن قوله تعالى: وَالتَّيْنِ وَالرَّيْتُونَ أَوْ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وقوله: وَالصُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى وغيرهما مما أقسم الله تعالى به من قليل و جليل و صغير و كبير إنما هو بمنزلة قوله: «و عزتي و جلالتي و كبريائي و قدرتي و جبروتي» إلى غير ذلك من الصفات الجمالية و الجلالية، فإن كل شيء من الأشياء مظهر لتلك الصفات الذاتية و الفعلية. ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

(١) البحار: ج ١٨٦ / ٣٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٧ / ٣٤١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٧ / ٣٧٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٦٤

و

في الزيارة يسبح الله بأسمائه جميع خلقه «١».

و

قال مولانا الرضا عليه السلام: «الاسم صفة لموصوف» «٢».

فكل صفة من صفاته الفعلية أو الذاتية اسم من أسمائه، و كذا مظاهرها، و آثارها، و أسبابها و علائقتها، و لوازمها، و هي الأسماء التي علمها الله أبانا آدم على محمد و آله و عليه السلام كما في قوله: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا «٣».

فإن الله تعالى خلقه من صفو جميع العالم، و أودع فيه قبضة من جميع العوالم، فأدم مجمع قوى العالم، كما

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: أتزعم أنك جرم صغير\* و فيك انطوى العالم الأكبر

و سيجيء الإشارة إلى هذا في تفسير الآية إن شاء الله تعالى.

و أما الأسماء اللفظية: فهي الألفاظ المؤلفة من الحروف الموضوعه للاقسام الأول لغرض التفهيم و التعليم و التعبير، كما

قال أبو الحسن الرضا عليه السلام في خطبة: «فأسماءه تعبير و صفاته تفهيم» «٤».

و هذه في الحقيقة أسماء أسمائه، بل بأزيد من واسطه، فإن المعاني بعضها عنوان للآخر، فالإسم بهذه المعاني كلها غير المسمى، و

ليس المعبود الحق هذه الأسماء اللفظية الوضعية، و لا معانيها المرتسمه منها في الأذهان، و لا الحقائق الكلية التي وضعت هذه الألفاظ

بإزائها مع قطع النظر عن تحققها في الذهن أو في الخارج، فإن هذه كلها أسماء و صفات، و المسمى الحق وراء ذلك كله.

(١) بحار الأنوار: ج ٨٩ / ٣٠٣، ح ٣.

(٢) البحار: ج ٤ / ١٥٩، ح ٣، عن التوحيد و المعاني و العيون.

(٣) البقرة: ٣١.

(٤)

بحار الأنوار: ج ٤ / ٢٢٨، ح ٣، عن «التوحيد» و «العيون» عن أبي الحسن على بن موسى الرضا عليهما السلام و فيه: «فأسماءه تعبير و

أفعاله تفهيم». تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٦٥

كما

عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «من عبد ربه بالتوهم فقد كفر، و من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر «١»، و من عبد الاسم و

المعنى فقد أشرك، و من عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه و نطق به لسانه في سر امره و علانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقا.

و

في خبر آخر: «أولئك هم المؤمنون حقا» (٢).

فالعادة بالتوهم أن يعبد الحقيقة المعقولة المتصورة في الذهن، فإن من يعبد ما في الأذهان كمن يعبد الأوثان و هم الذين يعبدون ما ينحتونه بأذهانهم و الله خلقهم و ما يعملون.

ولذا

قال مولانا الباقر عليه السلام: «كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم، مردود إليكم» (٣).

و مما ذكرنا يظهر ما هو الحق في المسألة المعروفة و هي أن الاسم هل هو عين المسمى أو غيره.

و قد طال التشاجر فيه بين المتكلمين، فجّل الأشاعرة بل كلّهم على الأول، و أصحابنا الإمامية و المعتزلة على الثاني.

و قد وردت بذلك جملة من الروايات عن الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين

كقول الصادق عليه السلام في خبر هشام: «و الاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر و لم يعبد شيئا، و من عبد

الاسم و المعنى فقد كفر، و عبد اثنين، و من عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد، أفهمت يا هشام؟

قال: فقلت: زدني جعلت فداك.

(١)

في البحار: و من عبد الاسم و لم يعبد المعنى فقد كفر.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤ / ١٦٦، ح ٧ عن «التوحيد».

(٣) البحار: ج ٦٩ / ٢٩٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٦٦

قال: إن لله تعالى تسعة و تسعين اسما، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلها، و لكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء، و كلها غيره يا هشام، الخبز اسم للمأكل، و الماء اسم للمشروب، و الثوب اسم للملبوس، و النار اسم للمحرق» (١).

و غير ذلك من الأخبار و كان هذا الخلاف في زمن الأئمة عليهم السلام أيضا و لذا ورد السؤال عنه في بعض الأخبار.

ففي «الاحتجاج» عن أبي هاشم الجعفرى و قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل، فقال: أخبرني عن الرب تبارك و

تعالى أله أسماء و صفات في كتابه؟ و هل أسماؤه و صفاته هي هو؟ فقال أبو جعفر عليه السلام:

«إن لهذا الكلام وجهين: إن كنت تقول: هي هو أنه ذو عدد و كثرة، فتعالى الله عن ذلك، و إن كنت تقول: هذه الأسماء و الصفات

لم تزل فإن لم تزل تحتل معنيين، فإن قلت: لم تزل عنده في علمه و هو يستحقها (٢) فنعم، و إن كنت تقول: لم تزل تصويرها (٣) و

هجاؤها و تقطيع حروفها، فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله تعالى ذكره و لا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه و بين خلقه،

يتضرعون إليه و يعبدونه و هي ذكره، و كان الله سبحانه و لا- ذكر، و المذكور بالذكر هو الله القديم الذى لم يزل، و الأسماء و

الصفات مخلوقات (٤) (٥) الخبر.

ثم إن المتأخرين لما رأو شناعة مقاله الأشعرية حيث ذهبوا إلى أن الاسم

(١) بحار الأنوار: ج ٤ / ١٥٧-١٥٨، ح ٢، عن «التوحيد» و «الاحتجاج».

(٢)

في الكافي والتوحيد: و هو مستحقها.

(٣)

في البحار نقلا عن «الاحتجاج»: لم يزل صورها و هجاؤها.

(٤)

في التوحيد: «و الصفات مخلوقة المعاني».

و

في الكافي: «و الأسماء و الصفات مخلوقات و المعاني».

(٥) بحار الأنوار: ج ٤ / ١٥٣، ح ١، عن «الاحتجاج».

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٦٧

عين المسمى و أن العبارة التي يعبر بها عن المسمى تسميته تحيروا في تحرير محل البحث على نحو يكون حريّا لهذا التشاجر، فعن بعضهم حمل كلامهم على ظاهره و الحكم بسخافته.

و لذا قال الرازي في تفسيره: «إن هذا البحث يجري مجرى العبث» (١).

و قال بعضهم: «إنّ الاسم إن أريد به اللفظ فغير المسمى، لأنه يتألف من أصوات مقطّعة غير قارّة، و يختلف باختلاف الأمم و الأعصار و يتعدد تارة كألفاظ مترادفة و يتحد أخرى، و المسمى لا يكون كذلك، و إن أريد به ذات الشيء فهو المسمى و لكنه لم يشتهر بهذا المعنى، و إن أريد به الصفة كما هو رأى الشيخ أبي «٢» الحسن الأشعري، انقسم انقسام الصفة عنده إلى ما هو نفس المسمى و إلى ما هو غيره، و إلى ما ليس هو نفسه و لا- غيره، فإنّ الصفة عنده منها عين الموصوف كالوجود و منها غيره، و هي ما يمكن مفارقتها كالخلق و الرزق، و منها لا هو و لا غيره، و هي ما يمتنع انفكاكها كالقدرة و العلم.

و عن بعض الصوفية: إنّ الاسم هو الذات المتعيّنة بصفة، فتعين ذاته المقدسة بصفة العلم اسمه العليم و بصفة القدرة هو القدير.

قال القيصرى «٣» في «شرح الفصوص»:

«الذات مع صفة معيّنة و اعتبار تجلّ من تجلياته تسمّى بالاسم، فإنّ الرحمن ذات لها الرحمة، و القهار ذات لها القهر، و هذه الأسماء المملوطة هي أسماء الأسماء.

(١) مفاتيح الغيب: ج ١ / ١٠٩.

(٢) أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبي بشر المتكلم البصرى، توفي سنة (٣٢٤) هـ - العبر:

ج ٢ / ٢٠٨.

(٣) هو داود بن محمود بن محمد القيصرى الرومى، المتوفى سنة (٧٥١) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٦٨

و من هنا يعلم أنّ المراد بأن الاسم عين المسمى ما هو «(١)».

قلت: و فيه، أنّه إن أراد بالصفة الصفات الذاتية التي لا- مغايرة لها مع الذات الأحديّة لا حقيقة و لا اعتبارا انتفى التعدّد، و إن أراد الفعلية أو الأعم انتفت العينية.

و فى الكلمة الشيعية من «الفصوص» أنّ الأسماء الإلهية عين المسمى من حيث الوجود و أحديّة الذات، و إن كانت غيرا باعتبار كثرتها «(٢)».

و بعض الأعلام جعل النزاع فى المقام فى أنّ المفهوم من اسم الله مثلا هل هو عين المفهوم من الله أم لا؟

و على كل حال فاستدل القائلون بالانحداد بقوله تعالى:

« مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا ... » (٣).

و هم إنما عبدوا الذات لا العبارة.

و أيضا التسمية إنما يكون للذات لا العبارة.

و بقوله: «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ فَإِنَّهُ أَمْرٌ بِالتَّسْبِيحِ، وَهُوَ التَّنْزِيهِ الَّذِي يَكُونُ لِلذَّاتِ الْقَدِيمِ الْمُنَزَّهِ عَنِ النَّقْصَانِ، لَا لِلعِبَارَةِ الَّتِي هُوَ فِي حَيْزِ الْحُدُوثِ وَ الْإِمْكَانِ.»

و بالبسملة فإن المستعان به هو الله الحي القيوم.

و بقوله: «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ» (٤).

و أُجِيبُ عَنِ الْجَمِيعِ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالاسْمِ فِي الْآيَاتِ اللَّفْظَ لِأَنَّهُ كَمَا يَجِبُ تَنْزِيهِ ذَاتِهِ وَ صِفَاتِهِ عَنِ النَّقَائِصِ يَجِبُ تَنْزِيهِ الْأَلْفَاظِ الْمَوْضُوعَةِ لَهَا مِنَ الرَّفْثِ وَ سُوءِ

(١) شرح فصوص الحكم: ص ١٣.

(٢) شرح الفصوص: ص ٢٧١.

(٣) سورة النجم: ٢٣.

(٤) الرحمن: ٨٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٦٩

الأدب.

و بأن الاسم فيه مقحم كما في قول لبيد «١» يخاطب ابنتيه وقت وفاته:

إلى الحول - ثم اسم السلام عليكما من ييك حولاً كاملاً فقد اعتذر

و بأن معنى قوله «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ سَبِّحْهُ، وَ هِيَ مَا يَسْبَحُ بِهِ وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ:

«سَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» (٢) أى سبح ربك باسمه.

و بأن من جملة صنوف التعظيم أن لا يصرح بمن يراد تعظيمه، بل يذكر ما يتعلق به الحضرة و الجنب كما يقول: السلام على الحضرة العالمة و السدة السنية و الجنب الرفيع.

ثم بعد تسليم إطلاق الاسم و إرادة المسمى لا يلزم منه كون أحدهما عين الآخر، بل كما في ساير المجازات.

و احتج من ذهب إلى المغايرة بقوله: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا» (٣) و بقوله: «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ» (٤).

و بالأخبار الكثيرة التي مرّت إلى بعضها الإشارة، سيما مع اشتمالها على بعض الأدلة القوية

كقوله: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ تِسْعِينَ اسْمًا فَلَوْ كَانَ الْاسْمُ هُوَ الْمَسْمُوعِ لَكَانَ كُلُّ اسْمٍ مِنْهَا إِلَٰهَا.»

(١) هو لبيد بن ربيعة العامري من مشاهير الشعراء و من المعمرين، قيل: توفي في إمرة عثمان بالكوفة، و قيل: في سنة (٤١) هـ عن مائة و

خمسين سنة. - العبر: ج ١ / ٥٠.

(٢) الواقعة: ٧٤.

(٣) الأعراف: ١٨٠.

(٤) الإسراء: ١١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٧٠

و

تفسير الصراط المستقيم ج ٣، ٢٠١٣

قوله: «الخبز اسم للمأكل» (١).

فإنه إشارة إلى بيان الفرق بين الاتحاد في المفهوم والاتحاد في المصداق، فإن مسمى الخبز مصداق المأكل، و مفهوم المأكل لا يتصف بما يتصف به مصداقه، فإن معنى المأكل غير مأكل، و معنى المشروب غير مشروب، إنما المأكل و المشروب شيء آخر غير المعنيين، و هما الخبز و الماء، فمجرد صدق الأسماء على الله لا يدل على اتحادهما في أنفسهما، و لا على عينيتها له سبحانه. و بأنه لو كان الاسم عين المسمى لصح أن يقال: (عبدت اسم الله) و (رزقني اسم الله) و (أكلت اسم الخبز) و (شربت اسم الماء) و هذا مما ينسب قائله إلى الجهل.

و بأنه إذا سئل عن اسم شخص يقال في جوابه اللفظ الموضوع له، و لا يشار إلى عينه.

هذا حاصل ما ذكروه في المقام مع زيادة تحرير و تحبير.

و قد تبين من جميع ما مر أن الاسم بأى معنى من المعاني، و فى كل مرتبة من المراتب غير المسمى فى تلك المرتبة، لأنه قضية التسمية، فإن الواجب تعالى هو الوجود الحق الذى ليس إطلاق، و لا تقييد، و لا عموم، و لا خصوص، و لا مهية أخرى غير الوجود، بل إتيته مهية، و مهية إتيته، فجميع الأسماء و الصفات بألفاظها و معانيها و مفاهيمها خارجة عنه مغايرة له، نعم، إنما خلقها الله تعالى ليدعوه بها عباده، و إنما المراد بها كلها هو المعبود الحق.

قال الصادق عليه السلام فى خبر الزنديق: «إنه هو الرب و هو المعبود، و هو الله، و ليس قولى الله إثبات هذه الحروف:

ألف و لام، و هاء لكنى أرجع إلى معنى هو شيء خالق الأشياء و صانعها، وقعت

(١) نفس المصدر. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٧١

عليه هذه الحروف و هو المعنى يسمى به الله، و الرحمن، و الرحيم و أشباه ذلك من أسمائه، و هو المعبود جل جلاله» (١).

ثم لا يخفى عليك أن ما ذكرناه من المغايرة إنما هو فى غير الصفات الذاتية التى هى عينه بلا مغايرة حقيقية أو اعتبارية كالعلم الذاتى و القدرة و الحياة و الوجود.

فإن هذه الصفات الذاتية عين ذاته تعالى بلا مغايرة أصلاً، حتى أنه لا فرق بين اتصافه بتلك المبادئ أو بما اشتق منه كالعالم و القادر، بل علمه عين قدرته، و قدرته عين علمه، لاتحاد كل منهما مع الذات.

ففى «التوحيد» عن الصادق عليه السلام: «لم يزل الله جل و عز ربنا و العلم ذاته و لا معلوم، و السمع ذاته و لا مسموع، و البصر ذاته و لا مبصر، و القدرة ذاته و لا مقدور» (٢).

و

فيه عن هشام بن سالم قال: دخلت على أبى عبد الله عليه السلام، فقال لى:

«أنتع الله تعالى؟ قلت: نعم، قال: هات! فقلت: هو السميع البصير، قال:

هذه صفة يشترك فيها المخلوقون، قلت: و كيف تنعته؟ فقال: هو نور و لا ظلمة فيه، و حياة لا موت فيه، و علم لا جهل فيه، و حق لا باطل فيه» (٣).



روى ثقة الإسلام في «الكافي» و الصدوق في «التوحيد» مسندا عن الصادق عليه السلام قال: «إن الله تبارك و تعالی خلق اسما بالحروف غير مصوت «٤»،

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ / ١٩٦، ح ٣ عن «التوحيد».

(٢) بحار الأنوار: ج ٤ / ٧١، ح ١٨ عن «التوحيد».

(٣) بحار الأنوار: ج ٤ / ٧٠، ح ١٦ عن «التوحيد».

(٤)

في الكافي: «غير متصوت»

، و

في التوحيد «غير منعوت». تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٧٢

و باللفظ غير منطوق، و بالشخص غير مجسد، و بالتشبيه غير موصوف، و باللون غير مصبوغ، منفي عنه الأقطار، مبعده عنه الحدود، محبوب عنه حس كل متوهم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معا ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها و حجب واحدا منها، و هو الاسم المكنون المخزون، فهذه الأسماء الثلاثة التي ظهرت، فالظاهر هو الله تبارك و تعالی، و سخر سبحانه لكل اسم من هذه الأسماء أربعة أركان، فلذلك اثني عشر ركنا، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسما فعلا منسوباً إليها فهو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، الخالق، البارئ، المصور، الحي، القيوم، لا تأخذه سنة و لا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبار، المتكبر، العلي، العظيم، المقتر، القادر، السلام، المؤمن، المهيم، البارئ «١»، المنشئ، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرزاق «٢»، المحيي، المميت، الباعث، الوارث.

فهذه الأسماء و ما كان من الأسماء الحسنی حتى تتم ثلاثمائة و ستون اسما، فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة.

و هذه الأسماء الثلاثة أسماء «٣» و حجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة، و ذلك قوله عزّ و جل: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ، أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى «٤» «٥».

أقول: و المراد بهذا الاسم و الله أعلم و قد علمه معادن علمه، هو الصادر

(١) مكرر، و لعله من النساخ.

(٢) في البحار: الرزاق.

(٣)

في البحار: و هذه الأسماء الثلاثة أركان.

(٤) الإسراء: ١١٠.

(٥) بحار الأنوار: ج ٤ / ١٦٦، ح ٨ عن توحيد الصدوق.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٧٣

الأول عن الواجب، و هو الوجود المطلق، و النفس الرحمانی، و النور الشعشعانی، و البشر الأول بل الثاني، و السبع المثاني، و مقام البيان و المعاني، و الغيب الأول، و النور الذي أشرق من صبح الأزل، و فلك الولاية المطلقة و الكاف المستديرة على نفسها، و المشية الكلية، و المحبة الحقيقية، و الحضرة الواحديّة، و الحقيقة المحمدية، و الولاية العلوية، و السرّ المستتر، و السرّ المقنع بالسر، و مبدأ

الأسماء و الصفات، و أول مقام شؤون الذات، و الشمس الطالعة في أفق لم يزل، و وجه الله عزّ و جلّ، و القديم الأول، إذ الحق تعالى هو القديم المطلق الذي لا ثاني له، و إليه الإشارة

في الخطبة الأميرية الغديرية على منشئها آلاف الثناء و التحية بقوله: «استخلصه الله في القدم على سائر الأمم، أقامه في سائر عوالمه مقامه في الأداء، إذ كان لا تدركه الأبصار و لا تحويه خواطر الأفكار» (١).

و هذا الاسم هو قطب الأقطاب، و باب الأبواب، و حقيقة أم الكتاب، و منه المبدأ، و إليه المآب، و بحر الإمكان و الأ-كوان، و المقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان و صاغورة الجنان، و باكورة نفس الرحمان، و الإنسان الذي علمه البيان و باء البسملة و سر الحوقلة، و مظهر الحمدلة، و حقيقة السمعة، إلى غير ذلك من الأسماء الشريفة و الألقاب المنيفة.

و هذا الاسم بالحروف غير مصوت، لأن الصوت من الأعراض الضعيفة، و الأوصاف السخيفة، و حروف هذا الاسم عالية لامعة، و كلماتها متعالية جامعة، و هي المشار إليها

بقول مولانا الرضا عليه السلام و روى و روح العالمين له الفداء و عليه و على آباءه و أبناؤه آلاف التحية و الثناء في خبر عمران الصابي حيث قال: «و اعلم أن الإبداع و المشيئة و الإرادة معناها واحد و أسماؤها ثلاثة، و كان

(١) بحار الأنوار: ج ١١٣ / ٩٧، عن مصباح الزائر. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٧٤

أول إبداعه و أرادته و مشيئته الحروف التي جعلها أصلا لكل شيء و دليلا على كل مدرك و فاصلا لكل مشكل، و بتلك الحروف تفريق كل شيء من اسم حق أو باطل، أو فعل أو مفعول، أو معنى أو غير معنى، و عليها اجتمعت الأمور كلها» (١).

لكن الحروف في هذا الخبر هو الركن الرابع من هذا الاسم كما ستعرف.

و باللفظ غير منطوق، لما سمعت، بل نطق به الله سبحانه من غير لفظ، يقول و لا يلفظ، و يرى و لا يلحظ.

ففي «تأويل الآيات» بالإسناد عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تبارك و تعالى أحد واحد تفرد في وحدانيته، ثم تكلم بكلمة فصارت نورا، ثم خلق من ذلك النور محمدا صلى الله عليه و آله و سلم، و خلقني و ذريتي، ثم تكلم بكلمة فصارت روحا فأسكنه الله في ذلك النور، و أسكنه في أبداننا، فنحن روح الله و كلماته، و بنا احتجب من خلقه» (٢).

و

في «مصباح الأنوار» أنه سئل العباس: كيف كان بدو خلقكم يا رسول الله؟

فقال: «يا عم! لما أراد الله تعالى أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نورا، ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحا، ثم خلط النور بالروح فخلقني و خلق عليا و فاطمة و الحسن و الحسين» (٣).

و بالشخص غير مسجد لتقدس ذاته عن الاتصاف بعوارض الماديات من التجسد و التجسم و التجزية و التفكيك و التحليل.

و بالتشبيه غير موصوف، فإنه ليس كمثل شيء بناء على أن الكاف للتشبيه و ليست زائدة، لأن المثل بكسر الميم و سكون المثناة و المثل بالفتحتين عندنا بمعنى

(١) بحار الأنوار: ج ٣١٤ / ١٠، ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٠ / ١٥، ح ١٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٩٣ / ٥٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٧٥

واحد و المراد به الصفة، فإن صفة الشيء مثله، بل لا يعرف الشيء إلا بصفة التي هي مثله، و لله المثل الأعلى في السموات و الأرض.  
و  
في الأدعية: «أستلک بأسمائك الحسنی و أمثالك العلیا».

و  
في الجامعة الكبيرة: «انهم المثل الأعلى».

و ذلك لأنهم الآيات التي يستدل بها عليه سبحانه، فهم مثله أي مثل صفته التي تدل عليه كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «صفة استدلال عليه، لا صفة تكشف له».

فصح بذلك ثبوت المثل و اتضح نفي المثل، و لا يستلزم ذلك نفي الذات كما توهم لأن الموصوف لا يصح أن يكون صفة لصفته. و باللون غير مصبوغ لا بالألوان بل بصبغة الله التي هي حكاية فعله، و تجوهر أنوار قدسه «و من أحسن من الله صبغة» (١).  
منفى عنه الأقطار لبساطته المطلقة التي لا أبسط منه في أفق الأكوان و الوجود، فلا يتصف بشيء من الأقطار و الحدود. محبوب عنه حس كل متوهم لأنه عال متعال من أن تناله الأوهام أو تدركه الأنفهام، و ذلك لأنه إنما تحدد الأدوات أنفسها، و تشير الآلات إلى نظائرها، و توهم كل متوهم إنما هو من سنخ رتبته لا يجاوز طوره و مقامه، فالمحجوب إنما هو حس المتوهم لقصوره في ذاته و انجابه بنفسه، لا ذلك الاسم، فإنه ظاهر مكشوف باهر معروف، هذا كاحتجاب الشمس عن أعين الخفافيش.  
نعم، في تعليق الحكم على الموصوف إيماء إلى أنه يمكن إدراكه بنور الفؤاد الذي هو أعلى مشاعر الإنسان، و ذلك لأنه المشية الجزئية، و الكلية الإلهية، و ذلك،

(١) سورة البقرة: ١٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٧٦

بعد محو الموهوم، و صحو المعلوم، لتكشف سبحات الجلال من غير إشارة، إذ مع الإشارة إلى الكشف و المكشوف يكون الحجاب نفس الإشارة، فافهم الإشارة مع قصور العبارة.  
مستتر غير مستور، فإن الاستتار و الاحتجاب من المشاعر يكون على وجوه ثلاثة: ضعف الشيء في نفسه، و حيلولة الحجاب بينه و بين المدرك، و ضعف المدرك و قصوره عن إدراكه و الإحاطة عليه، لاضمحلال نوره، و تلاشي ظهوره، بمجرد إشراق شمس وجوده عليه.

بل هاهنا وجه رابع: و ذلك أن يكون الشيء في نهاية الاستغراق و الشمول و في غاية الإطلاق و العموم بحيث لا يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات و الأرض، و قد أحاط بسلطانه و هيمنته و إشراقه و أشعته على جميع الكائنات من الدرّة إلى الذرة فصار ظهوره سبب خفائه.

و لا غرو في ذلك، فإن الأشياء تستبان بأضدادها «١»، و ما عمّ وجوده حتى لا- ضد له عسر إدراكه و مثاله كما قيل: نور الشمس المشرق على الأرض، فإننا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض و يزول عند غيبة الشمس، فلو كانت الشمس دائمة الإشراق لا- غروب لها لكننا نظن أن لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها و هي السواد و البياض و غيرهما، فإننا لا نشاهد في الأسود إلا السواد، و في الأبيض إلا البياض و هكذا.

(١) قال الرومي: بد نداني تا نداني نيك راضد را از ضد توان ديد أي فتي

و قال الشبستري: ظهور جمله اشيا بضد استولى حق را نه مانند و نه ند است

اگر خورشید بر یک حال بودی شعاع أو بیك منوال بودی

ندانستی کسی کاین پرتو اوست نبودی هیچ فرق از مغز تا پوست تفسیر الصراط المستقیم، ج ٣، ص: ١٧٧  
و أما الضوء فلا ندرکه وحده، و لكن لما غابت الشمس و أظلمت المواضع أدرکنا التفرقة بين الحالتين، فعلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء، و اتصفت بصفه فارتقتها عند الغروب، فعرفنا وجود النور بعدمه، و ما كنا نطلع عليه لو لا عدمه إلا بعسر شديد، و ذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام و النور.

هذا مع أن النور أظهر المحسوسات فهو الظاهر بنفسه المظهر لغيره، و قد خفي أمره بسبب ظهوره لو لا طريان ضده.

فالوجود المطلق فضلا عن الحق حرقى بالاختفاء لفرط ظهوره و شدة نوره «١».

فجعله بالجعل الإبداعي التكويني كلمة تامه لتمايمه المتكلم به و كماله في صفتي الجلال و الجمال على أربعة أجزاء فإن للمشيه الكلية أربعة مقامات:

الأول: مقام اسم الفاعل و مثاله القايم من زيد فإن زيدا لما ظهر بصفه القيام قيل له: القائم، ففعله قيامه، و هو القائم لكن لا بذاته، و لذا لو قعد لم يكن قائما، بل بفعله، فهو اسم للفاعل من حيث هو فاعل، و هو الذي خلقه الله بنفسه و أمسكه بظله، فإنه تعالى لا ظل له يمسكه، و هو يمسك الأشياء بأظلتها، و هو المشار إليه

في الدعاء الرجبية المهدوية عجل الله فرجه بقوله: «و مقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك، لا فرق

(١) قال الحكيم المتأله السبزواری:

يا من هو اختفى لفرط نوره\* الظاهر الباطن في ظهوره و قال الشبستري:

جهان جمله فروغ نور حق دان\* حق اندر وی زبیدائی است پنهان تفسیر الصراط المستقیم، ج ٣، ص: ١٧٨

بینک و بینها إلا أنهم عبادک و خلقتک «١».

الثاني: مقام الفعل الذي

قال الرضا عليه السلام: «أسماءه ثلاثة و معناه واحد، و هي الإبداع و الإرادة و المشيه...» «٢».

الثالث: مقام المفعول المطلق و هو الوجود المنبسط و الظل الممدود.

الرابع: مقام المفعول الأول و هو التعین الأول، و النور الذي أشرق من صبح الأزل، و صبح الأزل هو المشيه، و هذا النور هو النور المحمدي صلى الله عليه و آله و سلم و هو أول فائض عن الفعل، و من أشعته خلق الله سبحانه كل شيء المؤمن من نفس الشعاع، و الكافر من عكس الشعاع.

و هذه الأربعة لها معية وحدانية، ليس منها واحد قبل الآخر، و إنما التفكيك و التحليل بينها في التنزيل الفؤادي، و إلا فهي واحدة و ما

أمرنا إلا واحدة «٣» و هي المشار إليها

بقوله: «خلق الله المشيه بنفسها» «٤».

فأظهر منها الثلاثة الأخير لفافة الخلق و حجب منها: الأول، فإنه المكون المخزون، حارث دونه الأفكار و كلت عن رؤيته الأبصار.

ثم إنه لما كانت هذه المراتب و المقامات حادثه ما استغنت كل مرتبه منها من أربعة أركان: الخلق و الحياه و الرزق و الموت، و هي

الأركان الأربعة للعرش الإلهي في الدنيا المشار إليها بقوله: **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** «٥».

(١) بحار الأنوار: ج ٩٨ / ٣٩٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٠ / ٣١٤، ح ١.

(٣) سورة البقرة: ٥٠.

(٤) بحار الأنوار: ١٤٥ / ٤، ح ٢٠ عن توحيد الصدوق.

(٥) سورة الروم: ٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٧٩

فإن من جملة إطلاقات العرش هو المشية الكلية، بل هو أول إطلاقاته، و أعلى مقاماته، و هى المشار إليها بقوله فى الجامعة الكبيرة: «خلقكم الله تعالى أنوارا فجعلكم بعرشه محققين» (١).

و هو العرش الأعظم الذى استوى عليه الرحمن برحمانيته، الجامع للمقامات الأربعة المتقدمة، فإذا اعتبرت الأركان الأربعة فى العوالم الثلاثة كان المجموع اثني عشر.

ثم إن الله تعالى لما نزلها من علو و سمو مكانها، و مقامها سار بكل مرتبة من تلك المراتب فى ثلاثين عالما، و أظهرها فى جميع هذه العوالم، فتتمت كلمته، و عظمت نعمته، و بلغت حجتة، و كملت عطيته فسار بكل منها فى عالم الوجود المقيد، ثم فى عالم العقل، ثم فى عالم الروح، ثم فى عالم النفس، ثم فى عالم الطبيعة، ثم فى عالم الهيولى، و هى المادة ثم فى عالم الصورة، ثم فى عالم المثال، ثم فى عالم العناصر الجسمائية، ثم فى عالم الأعراض، و لكل منها ثلاث مراتب:

الأعلى، و الأوسط، و الأسفل، فتمام الأدوار و الأطوار و المراتب تنتهى الى ثلاثمائة و ستين.

لكن لا يخفى أن هذا العدد إنما هو باعتبار ما عندنا، و إلا إن يوماً عند ربك كآلف سنة مما تعدون (٢). و لما كان العرش الأعظم من عالم الربوبية، كان عدد أركان ثلاثمائة و ستون ألفا كما

رواه مولانا أبو محمد العسكري روى له الفداء و على ابنه و آباءه آلاف التحية و الثناء فى تفسيره، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إن الله لما خلق العرش خلق له ثلاثمائة و ستين ألف

(١) الجامعة الكبيرة المروية عن الامام الهادى عليه السلام كما فى الفقيه و العيون و غيرهما.

(٢) الحج: ٤٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٨٠

ركن، و خلق عند كل ركن ثلاثمائة ألف و ستين ألف ملك، لو أذن الله تعالى لأصغرهم فالتقم السموات السبع و الأرضين السبع ما كان ذلك بين لهواته إلا كالرمل فى المفازة الفضفاضة (١)، فقال لهم الله: يا عبادى احتملوا عرشى هذا، فتعاطوه، فلم يطبقوا حمله و لا تحريكه، فخلق الله عز و جل مع كل واحد منهم واحدا فلم يقدروا أن يزعموه، فخلق الله مع كل واحد منهم عشرة فلم يقدروا أن يحركوه فخلق الله بعدد كل واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا أن يحركوه، فقال الله عز و جل لجميعهم: خلوه على أمسكه بقدرتى، فخلوه فأمسكه الله عز و جل بقدرته، ثم قال لثمانية منهم: احملوه أنتم، فقالوا: يا ربنا لم نطقه نحن و هذا الخلق الكثير و الجم الغفير فكيف نطقه الآن دونهم؟ فقال الله عز و جل: لأنى أنا الله المقرّب للبعيد، و المخفف للشديد و المسهل للعسير، أفعل ما أشاء و أحكم ما أريد، أعلمكم كلمات تقولونها يخفف بها عليكم، قالوا: و ما هى؟ قال: تقولون: بسم الله الرحمن الرحيم، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم، و صلى الله على محمد و آله الطيبين، فقالوها، فحملوه و خف على كواهلهم كشعرة نابتة على كاهل رجل جلد قوى.

فقال الله عز و جل لسائر تلك الأملاك: «خلوا على هؤلاء الثمانية عرشى ليحملوه و طوقوا أنتم حوله و سبحونى، و مجدوني، و قدسونى، فأنا الله القادر على ما رأيتم و على كل شىء قدير» (٢).

و أما بيان أن حمله العرش فى الدنيا أربعة، و فى يوم القيامة يحمله ثمانية، فسيأتى الإشارة إليه فى موضع آخر.

(١) الفضفاضة: الواسعة.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٧ / ٩٧، ح ٦٠ عن التفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٨١

و هذا بيان الخبر على ما أفيض على من بركات أئمة الأنام عليهم الصلاة و السلام.

ولا علينا أن نقص عليك بعض ما قد وصل إلينا في بيانه من علمائنا الأعلام رفع الله أقدارهم في دار السلام.

قال مولانا التقى الورع المجلسي على ما حكاها ولده المجلسي الثاني في شرحه على الكافي:

«إن الاسم الأول كان اسما جامعا للدلالة على الذات و الصفات، و لما كان معرفة الذات محجوبة عن غيره تعالى جزء ذلك الاسم على أربعة أجزاء، و جعل الاسم الدال على الذات محجوبا عن الخلق، و هو الاسم الأعظم، و الأسماء التي أظهرها الله للخلق على ثلاثة أقسام:

منها ما يدل على التقديس مثل: العلي العظيم العزيز الجبار المتكبر.

و منها ما يدل على علمه تعالى.

و منها ما يدل على قدرته تعالى.

و انقسام كل منها إلى أربعة أقسام بأن يكون التنزيه إما مطلقا أو للذات أو للصفات أو الأفعال.

و يكون ما يدل على العلم: إما لمطلق العلم، أو للعلم بالجزئيات كالسميع و البصير أو الظاهر و الباطن.

و ما يدل على القدرة: إما للرحمة الظاهرة أو الباطنة أو الغضب ظاهرا أو باطنا أو ما يقرب من هذا التقسيم.

و الأسماء المفردة على ما ورد في القرآن و الأخبار يقرب من ثلاثمائة و ستين اسما ذكرها الكفعمي في مصباحه، فعليك بجمعها و

التدبر في ربط كل منها بركن من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٨٢

تلك الأركان» (١). انتهى كلامه زيد مقامه.

و نسج على منواله مولانا ولده العلامة المجلسي قدس سره في «البحار» لكنه تبه على ذكر الأسماء الثلاثة في الخبر، قال:

«و هو (الله تبارك و تعالى) على نسخة «الكافي و (سبحانه) بدل (تعالى) على نسخة «التوحيد»، فالله موضوع للذات المستجمع

للصفات الذاتية الكمالية و (تبارك) إشارة إلى أنه معدن الفيوض، و منبع الخيرات التي لا تنهاى، و إليه «٢» يرجع جميع الصفات من

الخالقية، و الراقية، و المنعمية، و غيرها، كما أن الأول «٣» جامع للصفات الذاتية الجمالية.

و أما الثالث و هو (تعالى) أو (سبحانه) فإشارة إلى الصفات الجلالية المنزهة له من جميع النقايس، و لكل من الثلاثة أربعة أركان.

أما الله فدعائمه الأربع و هى وجوب الوجود المعبر عنه بالصمدية و القيومية و العلم و القدرة و الحياة.

و أما البركة «٤» فلها الإيجاد و التربية في الدارين و الهداية في الدنيا و المجازات في الآخرة.

و أما التنزيه «٥» فللذات عن مشابهة الممكنات و من إدراك الأوهام و العقول و لصفاته عن النقايس، و لأفعاله عن الظلم و العجز.

إلى أن قال: و ظاهر أن لكل منها شعبا كثيرة، فجعل عليه السلام شعب كل منها

(١) مرآة العقول: ج ٢ / ٢٩.

(٢) في البحار: و هو رئيس جميع الصفات الفعلية.

(٣) في البحار: كما أن الأول رئيس الصفات الوجودية من العلم و القدرة و غيرهما.

(٤) في البحار: و أما (تبارك) فله أركان أربعة: هى الإيجاد ...

(٥) في البحار: و أما (سبحان) فله أربعة أركان لأنه إما تنزيه الذات عن مشابهة الممكنات أو تنزيهه عن إدراك الحواس والأوهام ...

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٨٣

ثلاثين، و ذكر بعض أسماء الله الحسنى على وجه التمثيل و أجمل الباقي «١»، إلى آخر ما ذكره قدس روحه.

و للصدر الأجل الشيرازي كلام مبسوط في شرح الخبر حاصله أن الاسم هو الوجود المطلق و أما كونه على أربعة أجزاء فتلك الأجزاء ليست أجزاء خارجية و لا مقدارية و لا حديية بل إنما هي معاني و اعتبارات و مفاهيم اسمائية و صفاتية، فالأربعة هي: الحياة و العلم و الإرادة و القدرة، فإنها أمهات الأسماء الإلهية، و ما سواها كلها مندرجة تحت هذه الأربعة، ثلاثة منها مضافة إلى الخلق، لأن العلم و الإرادة و القدرة من صفات الإضافة فهي طالبة لمعلوم، و مراد، و مقدور، و واحد منها ليس كذلك و هو الاسم المكنون المخزون. و بوجه آخر: للصادر الأول أربع حيثيات: الوجود، و الوجود، و الهيئة الإمكانية، و التشخص.

فالأول هو الاسم المكنون، و الثلاثة هي الأسماء البارزة لحاجة الخلق، و كما أن الاسم الجامع و إمام الأئمة هو اسم الله المتضمن لجميع الأسماء، فكذلك خليفة الله في الأرض و السماء، مختصر جامع لمدلولات الأسماء و كلمة جامعة لمعانيها، و العالم كله تفصيل ذاته، بصورها القائمة بالنفس الرحمانى، و الفيض الانبساطى بحسب منازل و مراتبه، و ذلك قوله: فالظاهر هو الله تبارك و تعالى، إذ الاسم عين المسمى بوجه، و الظاهر عين المظهر بوجه.

و أما الأركان الأربعة فلكل من الأسماء الأربعة مراتب أربعة هي كالأركان

(١) بحار الأنوار: ج ٤ / ١٦٦ - ١٧٢.

و فى مرآة العقول: ج ٢ / ٢٨ بعد ما شرح الحديث قال: هدانى إلى ذلك ما أورده ذريعتى إلى الدرجات العلى و وسيلتى إلى مسالك الهدى بعد أئمة الورى عليهم السلام، أعنى والدى العلامة قدس الله روحه فى شرح هذا الخبر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٨٤

لها، فمراتب العلم تعقل للعقل، و تفكر للنفس الناطقة، و تخيل للنفس الحيوانية، و شهوة للطبيعة الحسية، و مراتب الإرادة عشق و هوى، و شوق و شهوة، و مراتب القدرة: الإبداع و الاختراع و هو التصوير، و الفعل، و هو الإعداد و التحريك. و الأول من الكل للعقل الى آخر ما مرّ من الترتيب.

ثم استقرب وجها آخر و هو أن هذه الأسماء الثلاثة لما كانت اسما لكلمة واحدة، و كلها فى مرتبة واحدة، لا تقدّم لواحد منها على الآخر فالمسخر المربوب لكل واحد هو بعينه المسخر المربوب للآخر، فالأركان الأربعة المسخرة لهذه الأسماء الثلاثة يجب أن يكون أعيانها يازاء العين لهذه الكلمة، و أوصافها الاسمية يازاء هذه الأسماء الثلاثة. فكل من الأسماء الثلاثة مشتمل على الأركان الأربعة و بالعكس.

إلى أن قال: و لهذه المناسبة انقسمت الأفلاك بما فيها باثنى عشر قسما هي البروج المشهورة على وجه التربيع التثليثي لظهور كل من الطبائع الأربعة العنصرية التى هي يازاء العقل و النفس و الطبيعة و المادة فى ثلاثة مواضع من الفلك الأقصى، و لذا صار كل ثلاثة من البروج متعلقا بعنصر من العناصر، و إذا أجرى فى كل من هذه الأسماء و مربوباتها حكم الأسماء الثلاثة الأصلية التى هي الأئمة الكبرى بعد إمام الأئمة، صارت ستة و ثلاثين عدد الأسماء المذكورة فى هذا الحديث من الرحمن إلى الوارث.

و إذا ضوعف كل منها عشرة باعتبار الأسماء التى للمقولات العشر: الجوهر، و الكم و الكيف، و الأين، و المتى، و الوضع و الفعل، و الانفعال، و الملك، و الجدة، إذ يازاء كل منها حقيقة ربانية و اسم إلهي، ارتقى عدد الأسماء و مربوباتها إلى ثلاثمائة و ستين عدد الدرجات الفلكية، فيكون تحت كل اسم من الأسماء الاثنى عشر ثلاثين اسما من الأسماء العقلية التى هي دون الأسماء القضائية و القدريّة، و كذلك

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٨٥

انقسم كل برج فلكى و ركن سماوى إلى ثلاثين اسما و فعلا منسوبا إليها إلى آخر ما ذكره قدس سره «١».

و ذكر الشيخ أحمد الأحسائي في «شرح الزيارة» فى شرح

قوله: «و له المثل الأعلى»

: أن المراد بهذه الاسم المذكور فى الخبر هو جميع ما سوى الله، و الأسماء الثلاثة التى ظهرت عالم الجبروت، و هى العقول، و عالم الملكوت، أى النفوس، و عالم الملك، أى الأجسام، و الجزء المحجوب هو فعل الله المسمى بالمشية و الارادة، و الإبداع، قال قدس سره و قد ذكرت لشرحه رساله من أراد الوقوف على ذلك طلبها.

قلت: و نحن لم نقف عليها إلى الآن، و وقفت بعد ذلك على كلام للقاضى سعيد «٢» القمى تلميذ المحدث الفيض «٣» فى «أربعينه» قال:

«إنّ الاسم هذا عبارة عن العقل الأول الكلى الذى هو عبارة عن جملة الموجودات على الإجمال العقلى، و تسميته اسما لكونه مظهر اسم الله الأعظم الجامع لجميع الأسماء، إذ كما كان اسم الله جامعا لجميع الأسماء، كذلك العقل الأول جامع لجميع الموجودات التى هى مظاهر أسماء الله.

و أيضا الألوهية إنما تحقق بوجود المألوهية، و لو لا مألوهية العقل لم يتحقق الألوهية كما أشير

فى الحديث: ما العقل؟ قال: «ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان» «٤».

(١) شرح أصول الكافى: باب حدوث الأسماء، ص ٢٨٤-٢٨٥، ح ١.

(٢) هو القاضى سعيد محمد بن محمد مفيد القمى المتوفى (١١٠٧) هـ.

(٣) هو محمد بن مرتضى المعروف بمحسن الملقب بالفيض الكاشانى توفى سنة (١٠٩١) هـ.

(٤) بحار الأنوار: ج ١/ ١١٦، ح ٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٨٦

أى العقل ما صار به الرحمن معبودا، لأنّ العقل أول من قرع باب الأحديّة، و أسلم للحضرة السبحانية، و الحروف عبارة عن جهات

العقل لأن الحرف طرف الشىء و الأطراف هى الجهات، و هى للعقل أربعة:

أحدها: كونه عقلا كليا صادرا عن المبدأ الأول بلا واسطة.

ثانيها: كونه متوجها إلى الله سبحانه مستفيضا منه الكمالات.

ثالثها: نظره إلى نفسه و أنه نفس النظام الكلى العقلى لجميع الأشياء قابل للظهور.

رابعها: كونه طالبا للظهور و البروز شائيا لإظهار الجواهر الغيبية المختلفة المكنونة فى الكنوز، حمدا لنعم الله، و شكرا لآلائه، فأظهر

منها ثلاثة بأن أوجد من ثلاثة من تلك الجهات ثلاثة أشياء فصدر من الثانية العقل و من الثالثة الهيولى، و من الرابعة النفس، و ليس

هو من الجهة الأولى بمصدر لشيء من الأشياء، لأنها جهة تأله، و تضرعه، و توجهه إلى بارئه، لا التفات له من هذه الجهة إلى ما

دونه.

و هو الواحد المحجوب عن الأ-كوان، المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التى أظهرت تلك الثلاثة ذلك الواحد بأن صارت

مظاهر لأحكامه، حاكية لأفاعيله.

فالعقل مكنون فى معقولاته الثلاثة و هى مظاهر له، لأن العلة كما تكون ظاهرة بالمعلول بمعنى أن المعلول إنما هو أثر العلة و الحاكي

لأفاعيلها كذلك مختفية فيه لأن المعلول شأن من شؤونه، و لباس يتلبس به العلة.



و حيث إنّ العقل بجهاته مظاهر اسم الله الأعظم قال الصادق عليه السلام: «الظاهر في الحقيقة في هذه الأسماء، بل في كل ذرة في الأرض و السماء، هو الله سبحانه، ليس لها في أنفسها ظهور، بل هي على سلبها البسيط ما شمت

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٨٧

رائحة الظهور، إنّ هي إلّا أسماءً سمّيتُها أنتم و آباؤكم» (١).  
سخر سبحانه لكل اسم من هذه الأسماء الثلاثة أربعة أركان: أما أركان النفس الكلية فهي الأركان الأربعة المقربون حملة عرش الله العظيم.

أولهم و أعلاهم إسرافيل، صاحب الصور، و باعث من في القبور، و شأنه نفخ الروح في القوالب المتجددة، و إفاضة الصور و الكمالات على الموادّ المستعدة.

ثم ميكائيل الموكل على التغذية و التنمية، و إيصال الرزق و التقديرات و التحريكات.

ثم جبرائيل صاحب الوحي المطاع في السموات و المتحمل للكلمات، و الواسطة في إفاضة المعارف الحقيقية و الأنوار الربانية.

ثم عزرائيل، القابض للأرواح، الفاعل للانقلابات و الاستحالات.

و أما أركان المادة الكلية فهي القابلة لفيضان النفوس و الأرواح و الصور و القابلة للنمو الاغذاء، و الحركات، و المستعدة لقبول الكمالات الحقيقية و المعارف الإلهية، و القابلة للانقلابات و الاستحالات و التبدلات، فهذه أربعة.

و أما أركان الطبيعة الكلية فهي الصورة الكمالية المنفوخة في الأجساد القابلة من الصور و النفوس و الأرواح، و الصور الكمالية الحائلة في المادة المغتذية من القوى المباشرة للطلب و الدفع و التأدي و الإيصال، و صورة الكمالات العلمية الفائضة على النفوس الشريفة، و الصورة الحادثة من الانقلابات و الاستحالات و الانتقالات و الترقيات من موطن إلى موطن، فهذه أيضا أربعة.

ثم ساق الكلام في ذكر الأسماء الثلاثين لكل ركن منها من دون حصر فيها

(١) النجم: ٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٨٨

و لا استقصاء لها.

أقول: و أنت ترى أنّه كأكثر ما حكيناه عن غيره أيضا كلها تكلفات و تصنّعات في معنى الخبر. و لعل المعنى الأول الذي ذكرناه هو الأظهر.

#### تنبيه نبيه

ربما علّل الافتتاح بالاسم في البسملة بكونه مقحما كما مرّ خروجا للكلام من صورة اليمين إلى التيمّن، أو لإجراء الكلام موافقا للعرف و عادات الناس الذين كانوا من عبدة الأصنام، حيث إنهم كانوا يقولون باسم اللات و العزى، أو لاستصغاء القلوب عن العلايق، و استخلاص الأسرار من غواشى العوائق، قبل التلفظ باسم الخالق، كي يحصل التوسّل به بعد التخلي عن الأغيار و التحلي بالأسرار، و صفاء الأنوار، أو لغرض التوصل إلى التبرّك و الاستعانة بذكر اسمه تعالى، حيث إنّ يحصل بالتلبس بالألّة نحو كتبت بالقلم، و من اليبين أنّه بالاسم لا بالذات، و لو قال بالله لأوهم التلبس بالذات، أو لئلا يخص التبرك باسم دون اسم.

فالاستعانة بذكر اسمه يشمل جميع أسمائه، لأن إضافة اسم الجنس إلى المعرفة تفيد العموم، يحصل الاستعانة بجميع أسمائه التي منها لفظة (الله) لا بلفظة (الله) فقط.

أو لأنَّ الابتداء باسم الله تعالى أشدَّ وفاقاً لحديث الابتداء وهو النبوى: «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر» (١).  
إلى غير ذلك مما لا يخلو بعضها من تأمل.  
لكن الذى ينبغى أن يقال فى المقام: أنك قد سمعت أن الله سبحانه خلق

(١) مفاتيح الغيب: ج ١/ ١٩٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٨٩

لنفسه أسماء أظهرها لعباده كى يدعوها بها، فقال عز من قائل: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا (١).

و

ورد فى الأخبار المستفيضه عن الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين: «نحن أسماء الله الحسنى» (٢).

و

عن أبى جعفر عليه السلام (٣): «إنه جعل محمدا وآل محمد الأبواب التى يؤتى منها». و ذلك قوله: لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا (٤).

و

عن الصادق عليه السلام: «نحن والله الأسماء الحسنى التى لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا» (٥). فهم الأسماء الفعلية الأولية الإبداعية الذين جعلهم الله أبوابا لعباده، و وسائل إلى مرضاته. وقد قال الله سبحانه: وَآتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا (٦).

وقال: وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ (٧).

وقال: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا (٨).

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢)

بحار الأنوار: ج ٥/ ٢٥، ح ٧، وفيه: نحن الأسماء الحسنى التى لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا.

(٣) بحار الأنوار: ج ٨/ ٣٣٦، ح ٥.

(٤) البقرة: ١٨٩.

(٥) الكافى: ج ١/ ١٤٣-١٤٤.

(٦) البقرة: ١٨٩.

(٧) المائدة: ٣٥.

(٨) آل عمران: ١٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٩٠

و فى كثير من الأدعية: «اللهم إنى أسألك باسمك العظيم الأعظم» أو «باسمك الذى» أو «بأسمائك الحسنى و أمثالك العليا». وبالجملة قد علمنا الله سبحانه فى مفتتح كتابه الجامع التدوينى الذى جعله مصدقا لما بين يديه من الكتاب، و مهيمنا عليه كيفية التوسل إليه و التقرب لديه بالاستعانة بأبوابه و حجابيه و شفعاؤه، و هم أسماؤه الحسنى، و أمثاله العليا، فبهم تاب الله على من تاب، و

توجه على من أناب، بعد الدخول من الباب، و الوصول إلى الحجاب.

قال الله تعالى: فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ «١».

و المراد بها أسماءهم الشريفة كما في الأخبار الكثيرة.

و

في الجامعة الكبيرة: «من أراد الله بدء بكم و من وحده قبل عنكم و من قصده توجه إليكم» «٢».

فافتتح كتابه باسمهم بل بهم، و علمنا الاستعانة بهم، فهم المستعانون بهم لكن بإذن ربهم، فإنهم عبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ «٣».

و على هذا إضافة الاسم إلى الله لامية لا بيانية، فإنهم الاسم الله، لا الاسم الذي هو الله.

ثم إن ألف الاسم و إن كان للوصل يسقط في الدرج لكنه يثبت في الرسم و الكتابة كقوله: فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ «٤»، أقرأ باسم ربك «٥»، و إنما أسقطوه في

(١) البقرة: ٣٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٠٢ / ١٣١، ح ٤.

(٣) الأنبياء: ٢٦-٢٧.

(٤) الواقعة: ٩٦. الحاقة: ٥٢.

(٥) العلق: ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٩١

البسمة لكثرة الاستعمال.

و من الخليل «١»: التعليل بأن الهمزة إنما أدخلت في بسم الله بسبب تعذر الابتداء بالساكن، و هو السين، فلما دخلت الباء على الاسم نابت عن الألف، فسقطت في الخط، و لم تسقط من قوله: أقرأ باسم ربك لأن الباء لا تنوب منه فيه دون البسمة. و هو كما ترى، قيل: و طوّلت الباء عوضاً عنه.

و قيل: لأنها مبدء كتاب الله فابتدأه بصورة التفخيم تعظيماً له، و اطرده ذلك في بقية السور.

ثم الحذف مختص عند الفراء «٢» بالله، و بالباء، فلا تحذف في غيره كاسم ربك، و لا في غير الباء من حروف الجر نحو ليس اسم كاسم الله.

و عن الأخفش «٣» أنه لا يختص باسم الله بل يجري في غيره كبسم الرحمن و بسم الخالق.

لكن الجمهور على خلافه و كذا نقصوا الألف من اسم الله و الرحمن مطلقاً سواء كان في البسمة أو لا لكثرتهما في الكلام.

### إشارة لأهل البشارة

اعلم أن الألف أول الحروف ظهوراً و وجوداً، و له حكم السريان و الانبساط

(١) هو الخليل بن أحمد الأزدي البصرى العروضى، توفي سنة (١٧٥) هـ أو قبلها أو بعدها. - العبر: ج ١ / ٢٤٨.

(٢) هو يحيى بن زياد الأسلمى الكوفى النحوى، توفي سنة (٣٠٧) هـ. العبر: ج ١ / ٣٥٤.

(٣) هو سعيد بن مسعدة البلخى البصرى المعروف بالأخفش الأوسط، توفي سنة (٢١٥) هـ.

الأعلام: ج ٣ / ١٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٩٢

في سائر الحروف، بل قيل مجموع هذه الحروف في سرّ العقل كان ألفا واحدا، و أما في سرّ الروح فهو شكل ضلعين من أضلاع المثلث متساوي الأضلاع، ضلع قائم، و آخر مبسوط، و القائم ضلع الألف، و المبسوط ضلع الباء، فهما ألفان: ألف قائم و الف مبسوط. على أن الأول حامل الأسرار الوحده، و الثاني كافل لمراتب الكثرة، و الأول هو المحبوب المحجوب، و الثاني هو الباب و الحجاب، و لذا قالوا: إن الألف يشار به إلى الذات الأحديه.

و ذلك لما أفيض عليه من خلع الكرامة ما استحق بها للقيام في عالم الحروف مقامه لأولية المطلقة السارية في جميع الأطوار و الأدوار كما في ترتيب أبجد، و أيقع، و ابتث، و أهطم، و غيرها من الدوائر السبع، أو العشر، أو السبعين، و لتجرده من القيود و إضافات النقاط و الحركات.

و لقيومته المطلقة التي اختص بها من بين الحروف لقيامه بنفسه و قيام غيره به، و لانفصاله عن الحروف. فلا يتصل بشيء منها ابتداء أصلا.

و لافتقار جميع الحروف إليه افتقارا أوليا كالباء و الحاء و الواو، أو ثانويا كالجيم و السين و الميم لتمامية الباء به. و هو أول الحروف و آخرها لانتهائها إليه من حيث البيئة و ظاهرها، كما لا يخفى و باطنها كما سمعت، فهو من جملة الآيات التدوينية في عالم الحروف، و هو الظاهر بنفسه المحتجب بخلقه. كما

قال مولانا أمير المؤمنين عليهم السلام: «خلق الله الخلق حجاب بينه و بينهم» (١).

(١) بحار الأنوار: ج ٤ / ٢٢٨، ح ٢ عن التوحيد و العيون. و فيه عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٩٣

و

قال مولانا الصادق عليه السلام: «إنه هو المشيئ و نحن الشيء، و هو الخالق و نحن المخلوق، و هو الرب و نحن المربوب، و هو المعنى و نحن أسماؤه، و هو المحتجب و نحن حجه» (١).

فكان كما قلت شعرا:

ففى أزل الأزال قبل الخليفة تجلى له فيه بسرّ الهويّة

فلما تجلّى نوره بأشعة ربويّة كانت بنفس المشيئة

بدا ظاهرا للكل بعد احتجابه بكل ففى الأشياء أسرار وحده

فافهم الإشارة بسر العبارة تغفلها القلوب اللاهية و تعيها أذن واعية.

و ربما يقال: إن من جملة أسرار افتتاح الكتاب التدويني بالباء و اختتامه بالسين أنه كفى بهذا النور اللامع و الضياء الساطع و الكتاب الجامع، إذ المؤلف من الحرفين كلمه (بس) يقال: بسك، أى حسبك، كما فى «القاموس» و غيره، فكأنه يشير فيما أضمّر: حسبك من الكونين ما أعطيناك بين الحرفين لتقرّ به العين.

و إليه أشار الحكيم الغزنوي فيما أنشده بالفارسية:

أول و آخر قرآن زجه با آمد و سين يعنى أندر ره دين رهبر تو قرآن بس

و يقال: إن الباء فى بسم كشف البقاء لأهل الفناء، و السين كشف سناء القدس لأهل الأنس، و الميم كشف الملكوت لأهل النعوت.

و إن الباء بزه للعموم، و السين سرّه للخصوص، و الميم ملك الولاية.

و

روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ الْبَاءَ بِهَاؤُهُ، وَ السَّيْنُ سَنَاؤُهُ، وَ الْمِيمُ مَجْدُهُ» (٢).  
وقيل: إن البهاء بمعنى الضياء الذي هو الأصل، و السناء هو النور و الشعاع الذي هو الفرع.

(١) لم أظفر على مصدر له.

(٢) الكافي: ج ١ / ١١٤، و التوحيد: ص ٢٣٠، و فيهما عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٩٤

و ذلك لقضية التقديم و الترتيب الوجودى الجارى على حكمة الاختراع و الابتداء و يؤيده قوله: يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ «١». فإن البرق هو حامل النور الذى حملته الكرة الأثيرية بواسطة الشمس، فالبرق تابع للشمس فى الوجود و الاقتضاء و التحقق و التدوت. لكنك قد سمعت سابقا أن الباء إشارة إلى الباب الأقدم و الحجاب الأعظم، و هو سر الولاية و مقام الحجابة و السقاية و مظهر السر و الوقاية، و مجلى العناية و الكفاية.

و هو مقام مولانا و مولى العالمين أمير المؤمنين عليه السلام.

و السين إشارة إلى السيادة الكبرى، و الرياسة العظمى، و الغاية القصوى و النذير العريان من النذر الأولى و هو سيدنا و سيد العالمين خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ.

و منه يظهر أن تقديم الباء على السين ليس تقديم شرف و علو رتبة، بل تقديم بائية و حجابية.

ولذا

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا مَدِينَةُ الْحِكْمَةِ وَ عَلَى بَابِهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا» (٢).

و قال الله تعالى: وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا «٣».

و كذلك تقديم السين على الله تقديم للفعل على الفاعل، و للجعل على الجاعل، و للقمر على الضياء، و للبهاء على السنا، بل للضياء على الشمس.

(١) يونس: ٥.

(٢) الجامع الصغير للسيوطى: ج ١ / ١٠٨، حرف الهمزة.

(٣) البقرة: ١٨٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٩٥

وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «١».

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ «٢».

فافهم الكلام و على من يفهمه السلام.

و

روى الثعلبى «٣» فى «العرايس» عن الإمام الهمام كهف الأنام على بن موسى، عن أبيه عن جده جعفر بن محمد عليه الصلاة و السلام، أنه قال فى بِسْمِ اللَّهِ «الباء بقاؤه، و السين أسماؤه، و الميم ملكه، قال: فإيمان المؤمن ذكره ببقائه، و خدمة المريد ذكره بأسمائه، و استغناء العارف عن المملكة بالمالك».

قلت: و لعل الخبر إشارة إلى أقسام الوجود الثلاثة.

فبقائه إشارة إلى الوجود الحق الذي هو المجهول المطلق، و هو الأحديّة المحضّة، و الوحدة الصرفة، و الهوية الغيبية، و الذات الأزلية. و أسماؤه إشارة إلى مقام الواحدية، و تجلي الربوبية و ظهور الجلال في مرآة الجمال، و تجلي الجمال في قدس الجلال، و هو الوجود المطلق، و مظهر الحق و المشيئة الكلية و المحبة الحقيقية و حجاب الغيب و سرّ للارباب.

و أما الملك فهو الوجودات المقيّدة، و المفاعيل المطلقة من المجردات، و الملكوتيات، و الناسوتيات، و بالجملة من الدرّة إلى الدرّة، و من العقل الكلي إلى الجهل الكلي.

و

في خبر مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام في جواب اليهودي على ما رواه في

(١) الروم: ٢٧.

(٢) التوبة: ١٢٨.

(٣) هو أبو إسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، المتوفى: (٤٢٧) هـ. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٩٦

«التوحيد» و «المعاني» قال عليه السّلام: «ما من حرف إلا و هو اسم من أسماء الله عزّ و جل» (١).

ثم فسر الألف بالله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، و الباء ببقائه بعد فناء خلقه، و السين بالسميع البصير، و الميم بملك الملك.

و

في خبر آخر مروى عنه في الكتابين و في «العيون» و «الأمالي» قال: «إن أول ما خلق الله عزّ و جل ليعرف به خلقه الكتابة حروف المعجم» (٢).

إلى أن قال: «الألف آلاء الله و الباء بهجته الله و السين سناء الله و الميم ملك الله يوم لا مالك غيره».

فيقول عزّ و جل: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ (٣).

ثم ينطق أرواح أنبياءه و رسله و حججه فيقولون: لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤) فيقول جل جلاله: الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥).

ثم إن لبعضهم في الافتتاح بالباء إشارات آخر مثل ما يقال: إنه ورد أن كل ما في الكتب المنزلة فهو مندرج في القرآن، و كل ما في القرآن ففي الفاتحة، و كل ما في الفاتحة ففي البسملّة، و كل ما في البسملّة ففي الباء «٦» المفيدة للإصاق الدالة

(١) بحار الأنوار: ج ٢ / ٣٢٠، ح ٤ عن التوحيد و المعاني.

(٢) البحار: ج ٢ / ٣١٨، عن المعاني، و العيون، و الأمالي، و التوحيد.

(٣) سورة غافر: ١٦.

(٤) سورة غافر: ١٧.

(٥) سورة المؤمن: ١٧.

(٦)

قال القاضي سعيد في «شرح التوحيد» ص ١٣٢: صدر عن مولانا علي بن أبي طالب عليه السّلام: أن حقائق القرآن مندرجة في

الفاتحة، و جميع معارف الفاتحة في البسملّة، و علوم البسملّة تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٩٧

على أن المقصود من إرسال الرسل و إنزال الكتب إنما هو القرب و الوصال و دوام الاتصال.

بل المقصود من جميع ذلك هو الوصل والإيصال، وهو باطن النبوة و سر الولاية.

وعن ابن العربي فيما سماه ب «الفتوحات»: إن في الحروف مراتب خمس:

الخاصة و هي الفواتح المقطعات، و خاصة الخاصة و هي حروف أوائل السور، و الخلاصة و هي أواخر السور، و صفاء الخلاصة و هي حروف البسملة، و عين صفاء الخلاصة و هي الباء، و لها رتبة التقدم على سائر الحروف، و لذا وقعت أول البسملة في كل سورة، بل في سورة براءة أيضا، و إن لم تفتح بالبسملة.

بل ذكر أنه قال له واحد من أحبار بني إسرائيل: ليس لكم حظ من التوحيد، فإنه قد افتتحت كتابكم بحرف الباء الدالة على الاثنية فأجابه: بأن التوراة أيضا كذلك لافتتاحها بقوله: بشيم اردناى «١».

مع أنه لا يتحقق حقيقة التوحيد إلا بهذا الحرف النائب عن الألف التي يمتنع الافتتاح بها، و كأنه أشار إلى التعيين الأول و الثانى، كما قيل، بل إلى مقام الفعل و المفعول المطلق.

في بائها، ثم قال عليه السلام: و أنا النقطة تحت الباء.

و في ذيل الكتاب: قال ابن أبى جمهور فى المجلد ص ٤٠٩: القائل هو على عليه السلام دون غيره، نقله عنه أكابر الصحابة كسلمان و أبى ذر و كميل ...

و لصدر المتألهين الشيرازى بيان مفيد فى شرح هذا الكلام فى الأسفار: ج ٧ / ٣٢ - ٣٤.

(١) الفتوحات المكية ج ١ ص ٨٣ مع تفاوت يسير.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ١٩٩

## الفصل الثالث

### فى المباحث المتعلقة بلفظة الله

اعلم أنه كما عجزت العقول عن إدراك كنه جماله، و انحسرت البصائر و الأبصار دون النظر إلى سبحات وجهه و عزّ جلاله، لاحتجابه بأنوار العظمة و الكبرياء و أشعه سرادق البهاء و السناء.

كذلك تحيروا أيضا فى لفظه (الله) كأنه انعكس إليه من تلك الأنوار أشعه بهرت أعين المستبصرين، و لذا تحير فيه أفكار الناظرين، فاختلّفوا فيه أنه سريانى، أو عبرانى، اسم، أو صفة، مشتقّ، و مم اشتقاقه، أو غير مشتق، علم أو غير علم.

و حاصل الأقوال فيه أربعة:

أحدها: أنه ليس بعربى، بل هو معرب، أصله (لاها) بالسريانية، و قيل بالعبرانية، فعرب بحذف الألف الأخيرة، و إدخال الألف و اللام عليه، و ردّ بأن فيه إثبات العجمة بغير دليل.

مضافا إلى ما ستسمع من الشواهد الدالة على اشتقاقه من الأخبار و غيرها.

ثانيها: انه اسم عربى علم غير مشتق، بل مرتجل.

قيل: و عليه الأكثر و هو المحكى عن الخليل - و أتباعه من أكثر الأصوليين و الفقهاء، و اختاره الرازى، و نسبه إلى سيبويه «١» أيضا.

(١) سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان البصرى، توفى سنة (١٨٠) هـ - العبر: ج ١ / ٢٧٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٠٠

و احتجوا بأنه لو كان مشتقا لكان معناه كليا لا يمنع نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه، فلا يفيد كلمة التوحيد التوحيد المحض، ولا الكافر يدخل بها في الإسلام، كما لا يدخل فيه بقولنا: لا إله إلا المعبود أو الملك أو العالم ونحوها بالاتفاق. و بقوله: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا «١».

و ليس المراد الصفة، و إلزام خلاف الواقع للاشتراك في أسماء الصفات و عدم الحظر في الإطلاق، فالمراد اسم العلم، و ليس إلا الله.

و بأنه يوصف بسائر الأسماء و لا توصف به، و لذا قدّم على الجميع مع الاجتماع فتقول: الله الرحمن الرحيم العليم الحكيم، كما تقول: زيد العالم الشجاع السخي و لا يجوز العكس فيهما، و لذا جعلوا في قوله: إلی صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، (الله) «٢» على قراءة الجر عطف بيان للعزیز لا نعتا.

و بأنه سبحانه يوصف بصفات مخصوصة، فلا بدّ له من اسم خاصّ يجرى عليه تلك الصفات، لأن الموصوف إما أخص أو مساو للصفة، و لا يصلح له من الأسماء التي يطلق عليه سواه.

و بأنّ كل شيء يتوجه الأذهان إليه، و يحتاج إلى التعبير عنه قد وضع له اسم توقيفي أو اصطلاحی فكيف يهمل خالق الأشياء و مبدعها و لم يوضع له اسم يجرى عليه ما يعزى إليه.

و الجواب عن الأول: أنه يجوز أن يكون أصله الوصفية، إلّا أنّه نقل إلى العلمية، و غلب عليه سبحانه كما قيل: إنه لم يطلق على غيره سبحانه، لا في

(١) مريم: ٦٥.

(٢) سبأ: ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٠١

الجاهلية و لا في الإسلام، فلثبوت اختصاصه به سبحانه و عدم إطلاقه على غيره أستفيد من كلمته.

هذا مضافا إلى جواز الاختصاص من نفس المفهوم لا من الغلبة، ككونه المعبود الحق، أو المفزع لجميع الموجودات، أو المحتجب بلوامع الأنوار عن البصائر و الأبصار فلا يكون لعنوانه مصداق غيره سبحانه.

و ربما يجاب أيضا بالمعارضه بأنه لو كان علما لفرد معين من ذلك المفهوم- لم يكن قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مفيدا للتوحيد، لجواز أن يكون لذلك المفهوم فردان أو أكثر في نفس الأمر، و يكون لفظه الجلالة علما لأحدهما، مع أنهم جعلوا السورة المباركة من الأدلة السمعية على التوحيد.

و ردّ بأنّ أوّل هذه السورة يدل على الأحديّة الذاتية التي هي عدم قبول القسمة بأجزاءها.

و أما الواحدية بمعنى نفى الشريك، فمستفاد من آخر السورة.

و عن الثاني أنّ المراد كماله الذي لا- يشاركه فيه غيره، و هو ربوبيته الكبرى و رحمته الواسعة كما يومى إليه صدر الآية: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا «١».

و لذا قيل فيه: أى مثلا و نظيرا، و إنما قيل للمثل سمى لأن كل متشابهين يسمى كل منهما سميا لصاحبه.

و عن الثالث أنّه إنما يدلّ على نفس الوصفية، لا على ثبوت العلمية، إذ أسماء الأجناس، و لفظ الشيء أيضا كذلك، و بأنّ الصفات الغالبة تعامل معاملة الأعلام في كثير من الأحكام.

(١) مريم: ٦٥.



تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٠٢

تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ٢٤٨

و بأنه منقوض بلفظ (هو)، فإنه اسم من أسمائه تعالى يوصف ولا يوصف به.

و في الأخير نظر، إذ مع أن الكلام ليس في مثله، لا توصف الضمائر، ولا بها.

و عن الرابع أن كثيرا من صفاته التي يتصف بها ذاته تقع على الذات من حيث هي، من دون اعتبار مغايرة حقيقية أو اعتبارية ذهنية أو خارجية.

مضافا إلى ما قيل: من أنه مغالطة من باب الاشتباه بين أحكام اللفظ و أحكام المعنى، إذ الاتصاف بالأوصاف يوجب المساواة أو الأخصية بالقياس إلى معنى الصفة لا وقوع لفظ مخصوص بإزاء الذات.

على أنه بعد التسليم لا يلزم كونه على وجه العلمية، بل يكفي غلبة الوصفية و منه يظهر الجواب عن الخامس أيضا. ثالثها: أنه علم مشتق غالب.

رابعها: أنه صفة مشتقة غالب، قيل: و الفرق بينهما أن الاشتقاق في الأول عارضى، و في الأخير أصلى، إذ اعتبار المعنى في التسمية على ثلاثة أنواع:

أحدها: أن يكون المعنى باعنا على تعيين الاسم خارجا عن الموضوع له، كأحمر علما لما فيه حمرة.

و الثاني: أن يكون داخلا في الموضوع له، و مفهومه مركب من ذات و معنى معين، كاسم الآلة و الزمان و المكان.

و الثالث: أن يكون داخلا في الموضوع له، و مفهومه مركب من ذات مبهم و معنى معين كقائم، و خالق، و هذا يسمى صفة، و الأولان من الأسماء يوصفان، و لا يوصف بهما، عكس الصفة، و لفظ (الله) إن قلنا إنه صفة لكنه لا يوصف به.

و فيه أن الصفات المشتقة أيضا لا يوصف بها إلا مع لمح الوصفية لا العلمية.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٠٣

و عن التفازاني «١»: أن اللفظ إن وضع للشئ باعتبار بعض معانيه و أوصافه من غير ملاحظة لخصوصية الذات، حتى أن اعتبار الذات عند ملاحظته لا تكون إلا لضرورة، إذ المعنى لا يقوم إلا بالذات، فهو صفة كالمعبود، و لذا فثيروا الصفة بما تدل على ذات باعتبار معنى هو المقصود، أو على ذات مبهم و معنى معين، و اسم الصفة ما دل على ذات ما باعتبار معنى ليس مقصودا، فلفظة الإله دال على ذات مقدسة باعتبار معنى هو المعبودية بالحق و المقصود الذات المقدسة لا غير، و لفظ المعبود بالحق دال على الذات المقدسة باعتبار معنى هو المعبودية بالحق و هو المقصود لا غير، فهذا هو نفس الصفة و الأول اسمها، و إن وضع له بدون ملاحظة ما فيه من المعاني كرجل و فرس، أو مع ملاحظة بعض ذلك أى مع ملاحظة خصوصية الذات كالكتاب للشئ المكتوب، و النبات للجسم النبات و كجميع أسماء الزمان و المكان و الآلة، فهو اسم غير صفة و يستدل على أن المقصود هو المعنى أو الذات بأن الأول لا يوصف و يوصف به، و الثاني بالعكس، و لا خفاء في أن الإله من قبيل الثاني، إذ ثبت في الاستعمال إله واحد، و لم يثبت شئ إله فيكون اسما.

و اعترض بأنه لو كان تعيين الذات معتبرا في الإله دون المعبود، و في الكتاب دون المكتوب لاستفيد منها تعيين لا يستفاد من المعبود و المكتوب، و ليس كذلك.

و فيه أن التعيين مستفاد منها، و ذلك أن المكتوب هو العنوان، و الكتاب هو المعنون و له المثل الأعلى في السماوات و الأرض «٢».

نعم، ربما يمنع من اعتبار تعيين الذات في أسماء الزمان و المكان و الآلة أيضا، إذ لو كان معتبرا فيها لدلت عليه تلك الأسماء، و ليس فليس، فكما أن معنى

(١) التفتازانى مسعود بن عمر بن عبد الله، توفى سنة (٧٩٢) هـ أو قبلها. - معجم المؤلفين:

ج ٢٢٨/١٢.

(٢) الروم: ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٠٤

الضارب من له الضرب، ومعنى المقتول من عليه القتل، كذلك معنى المقتل ما فيه القتل من الزمان والمكان، ومعنى المفتاح ما به الفتح، وكما يعين خصوص الذات فى الضارب والمقتول ببعض أفراد الإنسان، كذلك يعين فى المقتل ببعض أشخاص الزمان والمكان، وفى المفتاح بشخص من أشخاص الخشب مثلا، ولذا قيل: إنَّ الأظهر أن يقال: لا يكفى فى الصفة أن يدل على ذات مبهم باعتبار معنى معين بل لا بد مع ذلك أن يقع صفة ولا يقع موصوفا، وبهذا القيد يخرج مثل الكتاب والآلة وأسماء الزمان والمكان ونظائرها من تعريف الصفة.

وعلى كل حال فاحتج القائلون بالاشتقاق وهم معظم أصحابنا الإمامية عطر الله مراقدهم، وجمهور المتصوفة، وكثير من العامة بقوله تعالى: وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ «١».

إذ لو كان علما لم تفد الآية معنى صحيحا.

قيل: لا لأنه يشعر بالمكانية، إذ ذلك لا يتعلق بمباحث الألفاظ، والألفاظ الموهمة للتجسم فى القرآن كثيرة، بل لأن الاسم الجامد لا يصلح معناه للتقييد بالظرف، ولذا لا يصح أن يقال: زيد إنسان فى الأرض، والطير حيوان فى الهواء.

وفيه: أن الاسم قد يلاحظ فيه معنى وسمى اشتهر مسماه به، فيتعلق به الظرف لذلك كقوله: «أسد علىّ و فى الحروب نعامه» (٢) لتضمنه معنى الصائل أو المقدم وقوله: «هو حاتم فى البلد أى جواد».

و أما ما يقال من أن ملاحظة المعنى فى أمثال الحاتم والأسد ليس إلا

(١) الأنعام: ٣.

(٢) مصراعه الآخر: فتخاء تنفر من صفيير الصافر.

و البيت لعمران بن حطان السدوسى يهجو به الحجاج الثقفى، ويستهزئ به. - جامع الشواهد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٠٥

لاشتهارهما بذلك، وأما فى اللفظة المقدسة فعليكم أن تثبتوا أن ذلك لدليل الاشتهار لا الاشتقاق، ودون إثباته خرط القتاد.

ففيه أن الاحتمال كافى فى دفع الاستدلال.

وبأن الاسم الموضوع إنما يحتاج إليه فى الشىء الذى يدرك بالحس ويتصور فى الوهم، وينضبط فى العقل، حتى يشار بذلك الاسم الموضوع إلى ذاته المخصوصة، والحق سبحانه يمتنع إدراكه بالحواس، وكذا تصوره بالأوهام وانضباطه بمدارك العقول، فيمتنع وضع الاسم العلم له، وإنما يذكر سبحانه بالألفاظ الدالة على شىء من صفاته الجمالية أو الجلالية.

وفيه منع واضح لمسيس الحاجة إلى التعبير عن ذاته المقدسة، فوجب فى الحكمة وضع اسم لها كما قرّر فى محله، مع أنه لا يتم على ما هو الحق من كون الواضع هو الله سبحانه.

وبأن المراد من وضع الاسم الإشارة بذكره إلى المسمى ليعرف ذلك المسمى عن غيره، والواجب الحق هو المجهول المطلق، فلا مطمع لأحد فى تعريفه وتعرفه، فلا يبقى لوضع الاسم لهذه الحقيقة فائدة.

وفيه أنه ليس المقصود من وضع الاسم الإحاطة بكنه الحقيقة، ولا معرفة الذات الإلهية، بل فى أى موضع حصل من وضع الاسم لحقيقة من الحقائق اكتناهاها والإحاطة بحقيقتها، وإنما المراد رفع حاجة المخلوق فى دعائه والتوسل إليه والتعبير عنه والتوكل عليه،

و هذا قد يكون باعتبار ذاته المطلقة، و قد يكون باعتبار تجليّه بشيء من الصفات الجمالية الذاتية أو الفعلية أو الجلالية. و أما ما يقال: من أن الذات المقدسة إما أن تدرك بمفهومات كلية منحصرة في فرد، فيكون اللفظ موضوعا في الحقيقة لمفهوم ذلك الكلي لا لجزئي حقيقي فلا يكون علما، و إن جعل المفهوم الكلي آله للوضع، و جعل الموضوع له الخصوصية تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٠٦

التي يصدق عليها هذا المفهوم، كما في الضمائر و أسماء الإشارة على ما قيل، فلم يكن أيضا علما، بل ينتظم في سلك المضمرات و أسماء الإشارة.

و أيضا البرهان قائم على أن التصور بوجه في حقه تعالى ممتنع إذ في المرتبة الأحادية لا اسم و لا رسم و لا نعت و لا وصف. فلا يخفى عليك ما فيهما بعد ما سمعت، لضعف الأول بأن الملحوظ هو العنوان لا على وجه يحتمل الشركة إذ نفيها من مشخصاته، مضافا إلى ملزومية سلبها لغيره كالقيومية المطلقة، و مبدئية الكل، و وجوب الوجود و غيرها. و الثاني: بأن الحدود السلبية المذكورة أيضا من المشخصات المصححة للوضع، هذا مضافا إلى ما قيل، بل لعله الحق من أن الواضع هو الله مطلقا أو في أسمائه خاصة.

و بأن المقصود من وضع الاسم علما أن يتميز المسمى عما يشاركه في نوعه أو جنسه، و تعالى الله سبحانه أن يكون تحت جنس أو نوع، فيمتنع وضع اسم علم له. و فيه ما يظهر مما مر.

و بأن الاسم العلم لا يوضع إلا- لما كان معلوما، و الخلق لا يعلمون الحق من حيث ذاته، فوضع الاسم له محال، و أيضا فالألفاظ إنما تدل على ما تشخص في الأذهان لا على ما في الأعيان، و لهذا قيل: الألفاظ تدل على المعاني و المعاني هي التي عنها العاني و هي أمور ذهنية متشخصة مقيدة متميزة عن سائر المتشخصات الذهنية، و الحق سبحانه منزّه عن جميع ذلك.

و فيه أنه إن أريد بالعلم ما يمتاز به المعلوم من غيره فهو حاصل في المقام و لو بعنوان أنه واجب الوجود، أو مبدء الكل، بأن يكون المقصود هو المتعين بهذا الاسم لا من حيث الخصوصية، و إن أريد العلم بالحقيقة و كنه الذات فهو غير لازم تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٠٧

في شيء من المسميات.

و أما حكاية وضع الألفاظ للأمور الذهنية: فهو مما طال التشاجر فيه بين العلماء، فعن بعضهم ذلك، و عن آخرين أن الموضوع له هو الموجودات الخارجية، و لكل منهما أدلة يمنع ضعفها عن التعرض بها في المقام.

نعم، ربما بينى الخلاف فيها على الخلاف في مسألة أخرى، و هو أن المعلوم بالذات هل هو الصورة الذهنية كما ذهب إليه الفارابي «١»، و الشيخ الرئيس، و أتباعهما بناء على أن الحاصل في الذهن حقيقة هو الصورة الذهنية، و ذو الصورة إنما يحصل فيه بناء على أن صورة المطابقة و عدمها حاصلة فيه، مع أنا نتصور بل نحكم على أشياء لا وجود لها في الخارج.

أو أنه هو ذو الصورة، كما ذهب إليه المحقق الطوسي «٢»، و الرازي، و السيد الشريف، و غيرهم نظرا إلى أن ذا الصورة هو الملتفت إليه بالذات و الصورة إنما هي من مراتب ملاحظته، و لذا قد يحصل الالتفات إلى الأمر الخارجي من دون توجه إلى الصورة، بل المتكلمون ذهبوا إلى نفي الوجود الذهني.

فالقائلون بالأول قالوا بالأول و بالثاني بالثاني.

و ربما يزداد في المسألة قول ثالث و هو أن اللفظ في الموجود الخارجي موضوع لما هو موجود في الخارج، و فيما عدى ذلك للأمر الذهني كما يظهر من صاحب «المحاكمات» «٣».

بل ربما يدعى رجوع القولين المتقدمين إليه، فيرجع النزاع لفظيا، و يرتفع

(١) الفارابي أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان التركي الحكيم المتوفى (٣٣٩ هـ) - العبر:

ج ٢ / ٢٥٧.

(٢) هو محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الحكيم المتكلم المتوفى (٦٧٢ هـ).

(٣) صاحب المحاكمات: قطب الدين محمد بن محمد الرازي المتوفى (٧٦٦ هـ).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٠٨

الخلافاً من البين في كلتا المسألتين.

نعم، ربما يقال بوضع الألفاظ للماهية من حيث هي مع قطع النظر من كونها موجودة في الخارج أو الدّهن، وهو جيّد بالنسبة إلى الطبائع الكلّية. فالحقّ كما قيل أن يقال: إنّ اللفظ في الكلّيات موضوع للماهية من حيث هي، وفي الجزئيات الخارجية للشخص الخارجي، وفي الذهنية للشخص الذهني، فلفظ الله على فرض كونه علماً موضوع للذات من حيث هي، وأما الخارج والذهن فهما طرفان للأشخاص والصور الكائنة في سرادق الإمكان، تعالي الله عن ذلك علواً كبيراً.

نعم لا بأس فيه على فرض تعميم الخارج.

ومن جميع ما مرّ يظهر ضعف ما ذكره الشيخ صدر الدين القونوي «١» في تفسير الفاتحة من إختيار وضع الألفاظ للمعاني الذهنية نظراً إلى أنه إذ رأى جسم من بعيد وظنّ أنه صخرة فاذا قرب وشوهدت حركته قيل: طير فاذا قرب جداً قيل: إنسان، فاختلف الأسماء لاختلاف التصورات الذهنية يدلّ على أنّ مدلول الألفاظ هو الصّور الذهنية ثمّ أيده بأنه على فرض الوضع للموجود الخارجي إذا قال إنسان:

العالم قديم، وقال غيره: إنّه حادث لزم كون العالم قديماً حادثاً معاً وهو تناقض، أما على فرض الوضع للمعاني الذهنية يكون هذان القولان دالّين على حصول هذين الحكمين من هذين الانسانين بحسب تصوّرهما الذهني ولا تناقض في ذلك انتهى.

إذ فيه أنّ تغيير التسمية لتغيير الأمر الخارجي في اعتقاد المتكلم إذ الصّخرة والطير والإنسان قد وضع كلّ منهما للأمر الخارجي إلّا أنّ المتكلم لما توهم الشّبح

(١) هو محمد بن إسحاق صدر الدين القونوي من تلامذة ابن عربي توفى سنة (٦٧٢) - معجم المؤلفين ج ٩ ص ٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٠٩

صخرة أطلق عليه لفظها ثمّ لما تبين خطأه وظنّ كونه طيراً أطلق عليه الطير وهكذا فتغير الصورة الذهنية إنّما هو لتغيير الشّبح في نظره فالعبرة بتغيير الصورة الخارجية لا الذهنية التي هي تابعة.

و أما ما أيده به فهو بمكان من الضعف والقصور.

ثمّ إنّ هذا الشيخ ذكر أنّه لا يصحّ أن يكون للحقّ اسم علم يدلّ عليه دلالة مطابقة بحيث لا يفهم منه معنى آخر واستدلّ عليه بالأدلة العقلية التي مرّ الكلام مستقصى في نقلها وتزييفها.

وبالدليل الدّوقي الذي أطال الكلام في بيانه وحاصله أنّ الحقّ من حيث ذاته المجردة عن جميع التعلّقات لا يقتضي أمراً ولا يناسبه شيء ولا يتقيّد بحكم ولا اعتبار، ولا يتعلّق به معرفة ولا ينضبط بوجه، وكلّ ما سمّي أو تعقل بواسطة اعتبار أو اسم أو غيرها فقد تقيّد من وجه وانحصر باعتبار وانضبط بحكم ولا يجوز شيء من ذلك عليه سبحانه، ولا يصحّ عليه حكم سلبي أو ايجابي أو جمع بينهما أو تنزّه عنهما، بل إدراك حقايق الأشياء من حيث بساطتها و وحدتها متعذّر، إذ الواحد البسيط لا يدركه إلّا الواحد البسيط، فاذا عجزنا عن إدراك حقايق الأشياء من حيث تجرّدها، والمناسبة ثابتة بيننا من عدّة وجوه، فعجزنا عن إدراك حقيقة الحقّ أولى و

أحدى، و على هذا فتسميتها لها باسم يدل عليها بالمطابقة دون استلزامه معنى زائدا على كنه الحقيقة متعذر ضرورة. و توهم أنه يجوز أن يسمي الحق نفسه باسم يدل على ذاته بالمطابقة ثم يعرّفنا ذلك الاسم فيكون هو المسمى نفسه على ما يعلمها لا نحن.

مدفوع أولا بالاستقراء فإن هذا النوع لم نجده في الأسماء و لا نقل إلينا عن الرّسل الذين هم أعلم الخلق باللّه سميّا نبينا و آله صلّى الله عليه و آله و سلّم الذينهم أعلم الرّسل و أفضلهم و أكملهم و الشّاهد لهم و المهيمن عليهم مع أنّه كان يقول في دعائه: اللهم إنّي أسئلك  
تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢١٠

بكلّ اسم سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحدا من عبادك، أو استأثرك به في علم غيبك «١». فلو حصل له هذا الاسم، مع ما تقرّر أنّ مثل هذا يكون أجلّ الأسماء و أشرفها و أكملها لكمال مطابقة الذات و اختصاصه بكمال الدلالة عليها دون تضمّنه معنى آخر يوهم اشتراكا أو يفهم تعدّدا أو كثرة أو غير ذلك، لم يحتج في دعائه إلى هذه التقاسيم. و أمّا ما يقال من أنّ جماعة من عباد الله عرفوا أسماء للحقّ تصرّفوا بها في كثير من الأمور و كانوا يدعون الحقّ بذلك فلم يتأخر إجابته أيّاهم فيما سئلوا كما دعا بلعلم على موسى على نبينا و آله و عليه السلام و على قومه حتّى ماتوا في التّيه بعد أن بقوا فيه حيارى ما شاء الله من السنين، مع أنّه كان من الغاوين فلم يكن إلّا لخاصية الاسم. ففيه أنّ لا نمنع أن يكون لله أسماء يتصرّف بها في عالم الأكوان لكنّ المقصود منع دلالته على ذات الحقّ بالمطابقة التامة و أين هذا من ذاك.

و ثانيا بأنّ التعريف الواصل إلينا من الحقّ بهذا الاسم لا يمكن أن يكون بدون واسطة أصلا كما قال عزّ من قائل: و ما كان لبشر أن يُكلّمه الله إلّا وحيا أو من وراء حجاب أو يُرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء «٢» مع أنّ أقلّ ما يتوقّف عليه الخطاب حجاب واحد و هو نسبة المخاطبة الحاصلة بين المخاطب و المخاطب، و الخطاب من احكام التجلى و لوازمه، و التجلى لا يكون إلّا في مظهر يتبعه احكامه فينصبغ بحكم ما يصل إليه و يمرّ عليه و المخاطب مقيد باستعداد خاصّ و مرتبة

(١) بحار الأنوار ج ٩٥ ص ٢٧٩ باب ١٠٨ في أدعية دفع المهموم ح ١ عن دعوات الراوندى، عن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم مع تفاوت يسير.

(٢) الشورى: ٥١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢١١

و حالة و غيرها من القيود التي يتقيد بها الخطاب فلا يبقى على إطلاقه.

أقول لا ريب أنّ مجرّد التسمية غير متوقف على الاحاطة التامة و معرفة كنه الحقيقة ضرورة أنّ مثل هذه المعرفة غير حاصل لنا في شيء من المسميات، و لا بالنسبة إلى أنفسنا أيضا بل على وجه يمتاز به المسمى عن غيره بلا فرق بين امتيازه عن الغير أو امتياز الغير عندكما في الواجب الحقّ و لذا

قال مولينا على بن موسى الرضا عليه و على آباءه المطهرين و على ذرّيته المعصومين آلاف التّحية و الثناء: كنهه تفريق بينه و بين خلقه، و غيوره «١» تحديد لما سواه «٢».

مع أنّ واجب الوجود و إن كان من حيث الكنه و الحقيقة أخفى الأشياء لكنّه من حيث الاثنية و التّحقق أجلاها و أظهرها، قال مولينا سيّد الشهداء عليه الصلوة و السّلام في دعاء عرفه: متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك و متى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها- رقبيا. آه. «٣»

و لك أن تعتبر شيئاً من العنوانات المختصة كالواجب الحق، و المجهول المطلق، و القديم بالذات، و نحوها و تعريه من جميع الملاحظات و الاعتبارات حتى من الجهة التي صار بها عنواناً للملاحظة و هذا الذي أشار إليه مولينا

(١) في بحار الأنوار: و غيوره (بالياء التحتانية) و قال في بيانه: الغيور إمّا مصدر، أو جميع غير، اي كونه مغايراً له تحديد لما سواه، فكل ما سواه مغاير له في الكنه، و في شرح التوحيد للقاضي سعيد القمي: و غوره (بالياء الموحدة) و هو من الأضداد بمعنى الذهاب و المكث إلا أن المراد هو الثاني أي البقاء، فيصير المعنى أن بقاءه سبحانه هو الذي يحدّد وجود ما سواه ... إلخ.

(٢) البحار ج ٤ ص ١٢٨ ح ٣ عن التوحيد و العيون- و شرح التوحيد للقاضي سعيد القمي ج ١ ص ١٣٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٨ في اعمال السنين و الشهور و الأيام ص ٢٢٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢١٢

أمير المؤمنين عليه السلام في بيان الحقيقة بقوله: «كشف سبحات الجلال من غير اشارة» (١).

فسبحات الجلال هي الشؤون الربانية و الصفات الجمالية و الجلالية، و بعد كشفها و إلقائها بأجمعها لكونها أجنبيّة عن مقام الذات يظهر سرّ الحقيقة بشرط عدم الإشارة رأساً كيلا يغشاها غشاوة التقيد و التعين.

و هذا كما يعتبر العالم الأصولي الفرد من الماهية و يجعله مرآة لملاحظة الطبيعة من حيث هي بإلغاء جميع القيود و المشخصات، فآلة الملاحظة هي الفرد، و الملحوظ هو الطبيعة من حيث هي، لكن لله المثل الأعلى، فلا ملاحظة في المقام.

و لا ملحوظ أصلاً إلا على نحو التنزيه و التقديس عن احاطة الأوهام و إدراك الأفهام.

ثم إن هذا كله على فرض كون الواضع هو البشر، و لكنّ الخطب أسهل فيه لو قلنا بأنه هو الله تعالى في جميع الألفاظ كما يستفاد من بعض الأخبار و عليه جمع من علمائنا الأخيار.

و

قد أشار الإمام عليه السلام في تفسير قوله: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (٢) قال: «علمه أسماء كل شيء» (٣).

و

في صحف النبي إدریس علی نبینا و آله و علیه السّلام: «إن الله أنزل علی آدم کتابا بالسريانية و قطع الحروف فی إحدى و عشرين ورقة، و هو أول کتاب أنزل الله تعالى فی الدنيا و أنزل الله علیه الألسن كلها، فكان فيه ألف ألف لسان لا يفهم

(١) ذیل شرح التوحيد للعارف القاضي سعيد القمي ج ٢ ص ٥٢٢ بتحقيق الدكتور نجفقلی الحبيبي قال: هذا الحديث المنقول عن كميل النخعي صاحب مولينا أمير المؤمنين عليه السلام حيث سأله عن الحقيقة نقله السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ص ٢٨.

(٢) البقرة: ٣١.

(٣)

في بصائر الدرجات ص ٤٣٨، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: «أما إن جبرئيل أخبرني أن الله علمك اسم كل شيء كما علم آدم الأسماء كلها. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢١٣

فيه أهل لسان من أهل لسان حرفاً واحداً بغير تعليم» (١).

أو في بعض الأسماء التي منها خصوص أسماء الله تعالى، و لذا قيل: إنها توقيفية لا يجوز إطلاقها إلا بعد الوصول من صاحب الشريعة، كما

قال مولانا الرضا عليه السلام: «إن الله تبارك و تعالى قديم، و القدم صفة دلت العاقل على أنه لا شيء قبله و لا شيء معه في ديمومته،

ثم وصف نفسه تبارك و تعالى بأسماء دعا الخلق إذ خلقهم و تعبدهم و ابتلاهم إلى أن يدعوها بها، فسمى نفسه سمياً بصيراً قادراً حياً قيوماً» (٢).

و

سأل محمد بن سنان أبا الحسن الرضا عليه السلام، هل كان الله عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: «نعم» إلى أن قال: «فليس يحتاج إلى أن يسمى نفسه و لكنّه اختار لنفسه أسماءً لغيره يدعوها بها، لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف. فأول ما اختاره لنفسه العليّ العظيم، لأنه أعلى الأسماء كلها، فمعناه الله، و اسمه العليّ العظيم» (٣).

### تجديد للكلام و عود للمرام

و حيث قد سمعت ضعف أدلة الفريقين القائلين بالعلمية و بالاشتقاق، فاعلم أن الحق الذي لا محيص عنه هو القول بالاشتقاق لجريان قواعد الاشتقاق فيه على حسب غيره من الألفاظ المشتقة التي لا تحتاج إلى تجسّم الاستدلال على اشتقاقها

(١) بحار الأنوار: ج ١١ / ٢٥٧، ح ٣ عن سعد السعود ص ٣٧.

(٢) البحار: ج ٤ / ١٧٦، عن التوحيد و العيون.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤ / ٨٨، عن التوحيد و المعاني و العيون.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢١٤

غير ملاحظة اتحاده مع أصله الذي هو مادته في جوهر الحروف، و حقيقة المعنى حسبما تسمع الكلام فيه إن شاء الله تعالى. و للأخبار الكثيرة الدالة على ذلك،

ففي «الكافي» و «التوحيد» و «الاحتجاج» عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله و اشتقاقها، فقلت: الله ممّا هو مشتق؟ فقال: «يا هشام! الله مشتق من إله و إله يقتضى مألوها، و الاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر» (١).

و

في «التوحيد» عن أبي جعفر عليه السلام قال:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «معنى الله الذي يأله فيه الخلق و يؤله إليه، و «الله» هو المستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام و الخطرات».

ثم

قال أبو جعفر عليه السلام: «الله معناه المعبود الذي إله الخلق عن درك ماهيته و الإحاطة بكيفية و تقول العرب: إله الرجل إذا تحير في الشيء، فلم يحط به علماً، و له إذا فرغ إلى شيء مما يحذره و يخافه، فالإله هو المستور عن حواس الخلق» إلى أن قال: «فمعنى قول «الله أحد» أي المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه و الإحاطة بكيفية» (٢).

و

في تفسير الإمام الهمام عليه و على ابنه الحجة و على آباءه الكرام آلاف التحية و السلام: «الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج و الشدائد كل مخلوق و عند انقطاع الرجاء من كل من دونه، و تقطع الأسباب من جميع من سواه، تقول بسم الله، أي أستعين على أمورى كلها بالله الذي لا يحقّ العبادة إلا له، المغيث إذا استغيث،

(١) البحار: ج ٤/ ١٥٧، ح ٢، عن الاحتجاج.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣/ ٢٢٢-٢٢٣، ح ١٢، عن التوحيد. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢١٥

والمجيب إذا دعي» إلى أن قال: «قال جدى أمير المؤمنين عليه السلام: الله أعظم اسم من أسماء الله تعالى، وهو الاسم الذى لا ينبغي أن يسمّى به غير الله، و لن يسمّ به مخلوق» قيل: فما تفسيره؟ قال عليه السلام: «هو الذى يتأله إليه عند الحوائج» (١).

إلى آخر ما مر عنه عليه السلام.

و

فى الخطبة الرضوية: «رب إذ لا مربوب، إله إذ لا مألوه» (٢).

و دلالة الأخبار على الاشتقاق واضحة من حيث التصريح به، والتعبير عن الاسم الشريف بالمعبود، وغيره من المعانى الوصفية، كالفرع إليه، والتحير فيه، والعجز من إدراكه.

و يؤيده الوجوه المتقدمة لإثبات الاشتقاق وإبطال العلمية وإن أشرنا إلى بطلان جملة منها.

و على كل حال، فالقائلون باشتقاقه اختلفوا فى المبدأ، فقيل: إنه من الآلهة كالعبادة وزنا ومعنى، و يؤيده

قراءة مولانا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام:

وَيَذَرُكَ وَآلِهَتِكَ (٣)

أى عبادتك (٤).

و رواه الجمهور عن ابن عباس، و حكى عنه أنه قال: «أصل هذا الاسم (إله) على فعال بمعنى مفعول، لأنه مألوه أى معبود كقولنا: (إمام) فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به».

(١) بحار الأنوار: ج ٩٢/ ٢٣٢، عن التوحيد ص ١٦٣.

(٢) البحار: ج ٤/ ٢٨٥، عن التوحيد.

(٣) الأعراف: ١٢٧.

(٤) المختصر فى شواذ القرآن: ص ٤٥، لابن خالويه الحسين بن أحمد المتوفى سنة (٣٧٠) أو (٣٧١) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢١٦

كذا فى «الصحاح» ثم أدخلت عليه الألف و اللام فصار (الإله) ثم خففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على اللام الساكنة قبلها و حذف فصار (الله)، ثم أجريت الحركة العارضة مجرى الحركة اللازمة فأدغمت اللام الأولى فى الثانية بعد أن سكنت حركتها فقيل: (الله). قالوا: و ليست الألف و اللام عوضين عن الهمزة المحذوفة و إلا اجتمعا مع المعوض عنه فى قولهم (الإله).

و لكن قال الجوهري (١): «سمعت أبا على (٢) النحوى يقول: إنهما عوض عنها، قال: و يدل على ذلك استجازتهم لقطع الهمزة الموصولة الداخلة على لام التعريف فى القسم و النداء، و ذلك قولهم: أ فالله ليفعلن، و يا الله اغفر لى، الا- ترى أنه لو كانت غير عوض لم تثبت كما لم تثبت فى غير هذا الاسم. قال: و لا يجوز أن يكون للزوم الحرف لأن ذلك يوجب ان تقطع همزة الذى و التى قال: و لا يجوز أيضا أن يكون لأنها همزة مفتوحة و إن كانت موصولة، كما لم يجرى فى أيم الله و أيمن الله التى هى همزة وصل فإنها مفتوحة».

قال: و لا- يجوز أن يكون ذلك أيضا لكثرة الاستعمال لأن ذلك يوجب أن تقطع الهمزة أيضا فى غير هذا مما يكثر استعمالهم له، فعلمنا أن ذلك لمعنى اختصت به ليس فى غيرها و لا شىء أولى بذلك المعنى من أن يكون المعوض من الحرف المحذوف الذى



هو الفاء» (٣). انتهى ما حكاه في الصحاح.

(١) الجوهري: إسماعيل بن حماد أبو نصر الأديب اللغوي، اختلفوا في تاريخ وفاته بين (٣٣٣، ٣٥٣، ٣٩٦، ٣٩٨، و ٤٠٠) - ريحانة الأدب: ج ١ / ٤٣٨.

(٢) أبو علي الفارسي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي المتوفى (٣٧٧ هـ) - العبر: ج ٣ / ٤.

(٣) الصحاح: ج ٦ / ٢٢٢٣، باب الهاء، ط بيروت.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢١٧

وقيل: إنها من الألهانية على وزن الرهبانية بمعنى العبادة أيضا، كما في الخبر: «إذا وقع العبد في ألهانية الرب...» (١).  
أو من ألهت إلى فلاح، أي سكنت، فإن النفوس لا تسكن إلا إليه، والعقول لا تقف إلا لديه، لأنه المقصود المطلوب ألا يذكر الله تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ (٢).

أو من أله الرجل يأله إذا تحير في الشيء، لتحير الأوهام من إدراك كنه جلاله، وذهول الأفهام دون النظر إلى سبحات وجهه.  
ولذا

ورد النهي عن التفكير في الله

، وإليه الإشارة بقوله: وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُتَّبِعِي (٣).

و

قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا» (٤).

ولبعض المتحيرين:

قد تحيرت فيك خذ بيدي يا دليلا لمن تحير فيكا

و يؤيده ما مر

عن «التوحيد» عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام معنى الله المعبود الذي يأله فيه الخلق و يؤله إليه «٥».

فقوله: (يأله فيه)، أي يتحير فيه، و يؤله إليه، أي يسكن إليه.

(١) قال ابن منظور الإفريقي في لسان العرب ج ١٣ حرف الهاء، فصل الهمزة: الألهانية، في حديث وهيب بن الورد: إذا وقع العبد في

ألهانية الرب. مهمية الصديقين، و رهبانية الأبرار لم يجد أحدا يأخذ بقلبه.

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٥٠ رقم ٧٨١١: وهيب بن الورد بن أبي الورد القرشي ... كان من العباد المتجردين

لترك الدنيا مات سنة (١٥٣).

(٢) الرعد: ٢٨.

(٣) النجم: ٤٢.

(٤) في بحار الأنوار: ج ٣ / ٢٥٩، ح ٦ و ص ٢٤٦، ح ٢٢ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام.

(٥) بحار الأنوار: ج ٣ / ٢٢٢، ح ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢١٨

أو من أله الرجل بالكسر فيه كسابقه يأله إذا فرغ من أمر نزل به، فألهه بمد الألف و فتح اللام و همزته للسلب، أي أجاره، فإنه المجير

لكل الخلايق من كل المضار و هو الذى بيده بيده مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لَا يُجَارُ عَلَيْهِ «١».

أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه، لأن العباد فى البليات يتضرعون إليه، و فى المهمات يتوكلون عليه و إذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ «٢».

أو من لاه يلوه إذا احتجب لاحتجاب نوره بكمال ظهوره، و لأن خلق الله حجاب بينه و بينهم، كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «و الله هو المستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام و الخطرات» «٣».

أو من لاه بمعنى ظهر فهو من الأضداد لظهوره لمخلوقاته.

سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ «٤».

أو من لاه بمعنى ارتفع لارتفاعه عن مشابهة الممكنات، و عن إحاطة العقول و الإدراك.

أو أنه على هذين الوجهين أصله لاه، مصدر لاه يلوه ليها بالكسر و لاهها بالفتح، إذا احتجب و ارتفع، لاحتجابه عن إدراك البصائر و الأبصار، و ارتفاعه عما تدركه العقول و الأفكار لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ «٥».

و مما يؤمى إلى ذلك الخبر الآتى فى بحث الاشتقاق

المروى عن الكاظم عليه السلام قال: «إن الله تبارك و تعالى خلق نور محمد صلى الله عليه و آله و سلم من اختراعه- من نور عظمته

(١) المؤمنون: ٨٨.

(٢) الروم: ٣٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣ / ٢٢٢، ح ١٢، عن التوحيد.

(٤) فصلت: ٥٣.

(٥) الأنعام: ١٠٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢١٩

و جلاله، و هو نور لاهوتيته الذى تبدى «١».

من لاه، أى من آلهيته.

أو انه من و له إذا تحير و تخبط عقله، و أصله ولاه، فقلبوا الواو همزة لاستئصال الكسرة عليها استئصال الضم فى وجوه، فقيل: إلاه، كما قيل: إعاء، و إشاح، و أصلهما وعاء و وشاح.

قيل: و يرده الجمع على (آلهة) دون (أولهة)، فإن جمع الكثرة كالتصغير يرد الأشياء إلى أصولها، كما جمع إعاء و أشاح على أوعية و أوشحة.

و ربما يدفع بأنه لما أبدلت الواو همزة فى جميع تصاريف (اله) عولمت معاملة الأصلية.

و يؤيده كلام الجوهرى: «أله ياله ألهها و أصله وله يوله ولها».

و على كل حال فالأقوال فى اشتقاقه كثيرة جدًا، و إن أمكن إرجاع بعضها إلى بعض.

بل قال فى «القاموس»: «أله إلهة و ألوهة و ألوهية عبد عبادة، و منه لفظ الجلالة، و اختلف فيه على عشرين قولاً ذكرتها فى المبسوط، و أصحها أنه علم غير مشتق، أو أصله إله كفعال، بمعنى مألوه، و كل ما أتخذ معبوداً إله عند متخذه بين الإلاهة بالكسر، و الألاهة بالضم، و الألهانية كرهبانية.

و قال فى لاه يليه ليها بمعنى تستر: أنه جَوَزَ سبويه اشتقاق لفظ الجلالة منها» انتهى.

لكن قد سمعت أن الأظهر الأقوى فيه الاشتقاق للمعتبرة المستفيضة عن أئمة الدين عليهم السلام الذين هم أعلم الخلق بالله، و بصفاته العليا، و أسمائه الحسنی، سيما بعد حقوق شرائط الاشتقاق فيه، و مناسبة لما اشتق منه مادة و صورة.

(١) بحار الأنوار: ج ٣٥ / ٢٨، ح ٢٤، عن كنز الدقائق.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٢٠

نعم، يمكن الإشكال فيها من حيث اختلافها في نفسها لتضمن بعضها اشتقاقه من و له بمعنى فرع، أو من أله بمعنى تحيّر أو عبد أو احتجب، أو غير ذلك.

لكن مع ذلك لا ينبغي التأمل في أصل الاشتقاق للأخبار التي يستفاد منها كون هذا البحث مطرحة للأنظار في عصر الأئمة الأطهار عليهم السلام، بل يمكن دفع الإشكال أيضا بعد إمكان إرجاع الجميع إلى مادة واحدة لو لم يرجع إلى معنى واحد. مضافا إلى إعمال حكم الترجيح بينها حسب ما هو قضية التعارض بعد جواز اشتقاقه عن كل منها، و اشتراك الكل في عدم دلالة على الذات المقدسة من حيث هي لدلالاتها على الشؤون و السبحات التي هي فرع المخلوقين إليه أو تحيرهم فيه أو عبادتهم إلى غير ذلك.

بل ربما يقال بجواز اشتقاق هذه المواد بتلك المعاني عن ذلك الاسم المقدس، سيما على مذهب بعض أصحاب العريية، بل قطع الشيخ الأحسائي (١) طاب ثراه، حيث قال في «شرح التبصرة» بعد حكاية جملة من الأقوال: «إن هذه الأقوال كما ترى، لأن استعمال المشتق من شيء مسبق باستعمال ذلك الشيء و لا كذلك هذا، بل الحق أنّها كلها مشتقة منه و فائضة عنه. و لعل ما ذكره قدس سره بالنسبة إلى الاشتقاق المعنوي، و إلا فهو بالنسبة إلى الاشتقاق اللفظي ضعيف كما لا يخفى.

(١) تقدم أنه الشيخ أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الإحسائي المتوفى بالمدينة المنورة سنة (١٢٤٢) هـ أو بعدها، و قيل في تاريخ وفاته: الشيخ أحمد بن زين الدين ذو العلم و الشهود و اليقين

فواره النور جليل أمجد بعد (دعاء) رحم الشيخ أحمد

و لا يخفى أن العلماء في عصره و بعده مختلفون في حقه بين من ثن عليه و قادح فيه، و الله تعالى هو العالم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٢١

و على كلّ حال فالحقّ جواز اشتقاقه من كل منها، بل الجميع على فرض التغير بناء على عموم المجاز، أو استعمال المشترك في أكثر من معنى واحد.

و من هنا ذكر بعض الأجلّة أن التحقيق على ما يظهر من جملة الأخبار هو أن في اشتقاق اللفظة المقدسة لوحظ جميع هذه المعاني ليذهب الذهن منه إلى كل مذهب، و هذا من خواص ذلك الاسم الشريف.

ذكر في «مجمع البيان»: «أن معنى (الله) و (الإله) الذي تحق له العبادة، و إنما تحق له العبادة لأنه قادر على خلق الأجسام و إحيائها و الإنعام عليها بما يستحق به العبادة، و هو تعالى إله للحيوان و الجماد، لأنه قادر على أن ينعم على كل منهما بما معه يستحق العبادة.

فأما من قال: معنى الإله هو المستحق للعبادة فيلزمه أن لا يكون إله في الأزل، لأنه لم يفعل الإنعام الذي يستحق به العبادة و هذا خطأ «١».

أقول: و الظاهر أنه أراد أن إطلاق الألوهية إنما هو باعتبار القدرة التي هي من صفات الذات، سواء تعلقت بابتداء الخلق أو بالإنعام على المخلوق، لكنه لا يخفى أن الفرق غير «٢» ظاهر بين من تحق له العبادة و بين المستحق للعبادة، حيث اثبت الأول و نفى الثاني.

اللهم إلا أن يقال: إنه باعتبار التعبير بالثاني من الصفات الفعلية و هي الربوبية إذ مربوب، و بالأول من الصفات الذاتية و هي الربوبية إذ لا مربوب.

إلّا أنّ العبارة لا تساعده، بل لعلّ اقتصاره على ما ذكره متعلقا للقدرة لتوهم أنّ غيره غير محتاج في بقائه إلى الفيوض الإلهية و

الإمدادات الغيبية، و هو غريب

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٢١.

(٢) الفرق ظاهر لأن الأول من له الحق سواء طلب حقه أم لا و أما الثاني فهو من له الحق و طلب حقه فإنه من باب الاستفعال.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٢٢

جدًا و كون التعرض له على وجه المثال يرده التفكيك في العبارة.

و ما أشبه هذا الكلام بالكلام المحكى عن السيد المرتضى «١» الدال على أن المركبات محتاجة في بقائها إلى المدد، و الجوهر الفرد

و الأعراض غير محتاجة إليها، حيث قال ما عبارته المحكية: و يوصف بإله بمعنى أن العبادة تحق له، و إنما تحق له العبادة لأنه القادر

على خلق الأجسام و إحيائها و الإنعام عليها بالنعم التي يستحق بها العبادة عليها، و هو تعالى كذلك فيما لم يزل.

و لا- يجوز أن يكون إلهًا للأعراض و لا الجواهر الآحاد لاستحالة أن ينعم عليها بما يستحق به العبادة و إنما هو إله للأجسام الحيوان

منها و الجماد، لأنه تعالى قادر على أن ينعم على كل جسم بما معه يستحق العبادة إلى آخر ما ذكره.

### إيراد مقال لدفع إشكال

استشكل بعض الأجلة «٢» فيما يعزى إلى الأكثر من اشتقاق هذا الاسم من أله بالفتح كعبد وزنا و معنى الهة كعبادة بأن الظاهر من

الأخبار بل صريحها خلافه.

ففي الخطبة الرضوية المذكورة في «توحيد الصدوق» له معنى الربوبية إذ لا مربوب، و معنى الإلهية «٣» إذ لا مألوه، و معنى العالم إذ لا

معلوم «٤»، و معنى الخالق إذ لا مخلوق «٥»، و تأويل السمع إذ لا مسموع «٦» «٧».

(١) الشريف المرتضى على بن الحسين الموسوي نقيب الطالبين بالعراق و رئيس الإمامية في عصره، توفي سنة (٤٣٦) و له (٨١)

سنة. - العبر: ج ٣ / ١٨٦.

(٢) هو على ما حكى عن المصنف القاضي سعيد القمي المتوفى (١١٠٧) ه. ذكر الإشكال في أربعينه.

(٣) في البحار: و حقيقة الإلهية.

(٤) في البحار: و لا معلوم.

(٥) في البحار: و لا مخلوق.

(٦)

في البحار: و لا مسموع.

(٧) بحار الأنوار: ج ٤ / ٢٢٩، ح ٣ عن التوحيد و العيون.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٢٣

و هو صريح في أن المألوه بمعنى العابد لا بمعنى المعبود، كما في أخواتها.

و

في «الكافي» في خير هشام: «اللّه مشتق من إله و الإله يقتضى مألوها» «٨».

و الإله لما كان بمعنى المعبود، و العبادة من الأمور النسبية التي لا بد معها من المنتسبين، فالمعبود يقتضى عابدا، فيكون المألوه بمعنى

العابد، و يؤيده

قوله بعد ذلك: «فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر» (٩).

و أوجب بوجوه: أحدها ما ذكره الصدر الأجل الشيرازي قدس سره من أن الإله مصدر بمعنى المفعول أى المألوه و هو الحق.

قوله: الإله يقتضى مألوها

معناه أن هذا المفهوم المصدرى يقتضى أن يكون فى الخارج موجود هو ذات المعبود الحقيقى، ليدل على أن مفهوم الاسم غير المسمى، و لذا عقبه بقوله: و الاسم غير المسمى.

و تبعه فى ذلك صهره المحدث الكاشانى و اعترض بأن حاصل المعنى حينئذ هو أن المألوه يقتضى مألوها، و مثل هذا الكلام لا يصدر عن مثل الإمام عليه السلام.

ثم على تسليم أن المراد بالمألوه فى الأول الاسم، و فى الثانى الذات، فللخصم أن يقول: لا نسلم ذلك الاقتضاء، فإن كثيرا من الأسماء المتداولة بين الجمهور لا ذات لمسمّاها، و لا تحقق لمعناها كعقواء المغرب و أمثاله.

وفيه أن التغاير المشار إليه فى الجواب من حيث المفهوم و المصادق كاف فى انسياق الكلام له، بل الظاهر من مساق الخبر بيان مغايرة اللفظ للمعنى، و أن الأول يدل على الثانى، حيث قال: «فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، و من عبد الاسم

(٨) بحار الأنوار: ج ٤ / ١٥٧، عن الاحتجاج.

(٩) بحار الأنوار: ج ٤ / ١٥٧، عن الاحتجاج. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٢٤

و المعنى فقد عبد اثنين، و من عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد» (١).

ثم استدلل عليه السلام بأن لله تسعة و تسعين اسما فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهًا، و لكن لله معنى يدل عليه بهذه الأسماء، و كلها غيره، ثم تمثل لذلك بأن الخبز اسم للمأكول، و الماء اسم للمشروب، و الثوب اسم للملبوس، و النار اسم للمحرق. و من البين أن ظاهر صدر الخبر فضلا عما ذيل به من الدليل و التمثيل بيان مغايرة اللفظ للمعنى، و الاسم للمسمى، رداً على من توهم الاتحاد فيهما على ما مرّت الإشارة إلى الكلام فى أصل المسألة.

و من هنا يضعف ما ذكره شيخنا البهائى فى كشكوله من أن أصحاب القلوب على أن الاسم هو الذات مع صفة معينة و تجلّى خاص، و هذا الاسم هو الذى وقع فيه التشاجر أنه هل هو عين المسمى أو غيره و ليس التشاجر فى مجرد اللفظ كما ظنّه المتكلمون فسودوا قراطيسهم و أفنوا كرايسهم بما لا يجدى بطائل و لا يفوق العالم به على الجاهل.

إذ فيه أنه مخالف لظاهر الخبر و غيره على ما مرّ بل قد سمعت حكايته عن القيصرى أيضا و لقد أجاد الفاضل المازندراني حيث قال فى شرح قوله: و إله يقتضى مألوها أى متحيراً مدهوشاً فى أمره أو متعبداً له أو مطمئناً بذكره أو معبوداً و هو الأنسب بقوله فى الاسم غير المسمى.

ثانيها: ما ذكره صهره المحدث الفيض رحمه الله من احتمال جعله بفتح الالف و سكون اللام مصدر اله بالفتح إلهًا بالسكون بمعنى العبادة، ثم قال: إن العبادة يقتضى أن يكون فى الموجودات ذات معبود، و لا يكفى فيه مجرد الاسم من دون

(١) بحار الأنوار: ٤ / ١٥٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٢٥

أن يكون له مسمى.

حكاه عنه تلميذه القاضي سعيد القمي قدس سره و اعترضه أولا بأنه لم يجيء في اللغة اله بفتح الألف و سكون اللام مصدر اله بمعنى عبد، و ما نقل هو من الصراح من قوله اله بالفتح الهه اي عبد عبادة فأنما هي إلهة بكسر الهمزة و فتح اللام مع الألف كما صرح به شيخنا البهائي و صاحب مجمل اللغة و أكثر أئمة اللغة نعم إنما جاء بفتح الألف و إسكان اللام مصدر اله بمعنى تحير.

و ثانيا: بأنه لمانع أن يمنع ذلك الاقتضاء إن أراد ان العبادة أي وقوعها يقتضى معبودا حقيقيا، و إن أراد مطلق المعبود فلا مانع من الاقتضاء و لا يجدى نفعا.

قلت: يمكن دفع الثاني على تكلف لكن لا وجه للترامه، كما لا وجه لتكلف جعله بفتح الهمزة و سكون اللام، و لو على فرض جوازه لشذوذه، بل الظاهر كونه بكسر الهمزة و فتح اللام بعدها ألف و منه

قراءة مولينا أمير المؤمنين عليه السلام: و يذرك و الهتك

اي عبادتك حسبما مر فحذفت منها التاء.

ثالثها ما ذكره القاضي الماضي ذكره أنه مما ألهمني الله معتصدا بالعقل الصريح و الوجدان الصحيح و هو أن الإله فعال مشتق من أله بالفتح بمعنى عبد على صيغة المجهول، كولع بمعنى أولع، و أمثال ذلك كثيرة كما هو غير خاف على من له تدرب في العلوم الأدبية، و لا-ريب أن صيغة المفعول للفعل الذي معلومه بمعنى مجهول فعل آخر يكون ذلك المفعول بمعنى صيغة الفاعل من هذا الفعل الاخر، لأن اسم الفاعل بمنزلة الفعل المعلوم و اسم المفعول بمنزلة الفعل المجهول، و أيضا إذا كان الفعل المعلوم بمعنى فعل مجهول متعد معلوم ذلك المجهول إلى مفعول واحد فيجب بالضرورة أن يكون الفعل المعلوم الأول لازما، و لا-شك أن اسم الفاعل و المفعول في الأفعال اللازمة يكونان بمعنى واحد و لهذا اکتفوا في تلك الأفعال اللازمة بواحد من اسمي الفاعل و المفعول حسبما اقتضاه ذلك الفعل، ففي مثل اليافع

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٢٦

و المائت اجتروا باسم الفاعل، و هو بمعنى المفعول حقيقة و في نحو المشعوف و المنهوم اکتفوا باسم المفعول أي ذو الشّعف و التهمة أو الذي أظهر الشّعف و الحرص على الشىء، و من الدليل على أن اله بمعنى عبد على صيغة المجهول أن مصادرها مقابلة لمصادر عبد بصيغة المعلوم كاللوهية و الالهة و الإلهة بضم الهمزة في الأوليين و كسرهما في الأخيرة و في قراءة ابن عباس و يذرك و إلهتك، اي الوهيتك.

و بالجملة على ما حققنا يكون الإله فعلا بمعنى المعبود، و أما المألوه فهو بمعنى الذي له الأله فيكون بمعنى العابد.

و قال ابن العربي في الفصوص: لولا- مألوهيتنا لم يكن إلهنا يعني لولا عابديتنا لم يكن معبودا بالفعل، كما أنه لولا مرزوقيتنا لم يكن رازقا بالفعل، إذ الألوهية معنى نسبي لا يتحقق إلا بالمنتسبين كما مر في الخبر المتقدم في قوله و الإله يقتضى مألوها ثم قال فاحتفظ بذلك فإنه من الإلهامات و لم ينل إليه أيدي الطلبات.

أقول لا يخفى أن الاشتقاق من الأفعال المجهولة لكونه على خلاف الأصل و القياس مقصور على السماع المفقود في مثل المقام، بل الظاهر اختصاصه بالأفعال التي تستعمل مجهولا دائما أو غالبا.

قال في القاموس عنى بالضم عناية و كرضى قليل فهو به عن، إلخ.

على أن اشتقاق الوصفين معا من مثل هذا الفعل غير معهود كي يكون المفعول من المجهول بمعنى الفاعل من المعلوم، سيما في هذه المادة التي اشتقوا ما اشتقوا من معلومها.

و بالجملة لا داعي للالتزام بمثل هذا التكلف في الجواب بعد وضوح الجواب من الخبرين، إنما من

قوله له معنى الألوهية إذ لا مألوه

، فلأنَّ المراد بالمألوه من له

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٢٧

الأله كما صرَّح به المجلسي في البحار «١» بل هذا الفاضل في كلامه المتقدِّم.

و أما من الخبر الثاني فلما أشرنا إليه في الجواب الأول.

كما أنه لا- داعى لما تكلفه القيصرى في توجيه ما ذكره ابن العربى في الفصوص من أنَّ الألوهية تطلب المألوه و الربوبية تطلب المربوب حيث قال: إن الشيخ يستعمل المألوه في جميع كتبه و يريد به العالم و اللغة يقتضى أن يطلق على الحقِّ إلَّا في بعض معانيه لاشتقاقه من اله إلهة بمعنى العبادة و الفزع و الالتجاء و الثبات و السكون و التحير، و لا ريب أنَّ المعبود و المفزع و المسكون إليه هو الحقُّ و المتحير و المثبت هو العالم، ثم قال و يمكن أن يستعمل لغة في معانٍ آخر تليق بالعالم.

أقول و بما ذكرنا في توجيه الخبر المتقدم يظهر وجه كلام شيخه بحيث لا حاجة إلى التزام استعمال اللفظ في المعاني الشاذة التي لا يكاد ينساق إلى الذهن إلَّا بعد نصب القرينة المفقودة في المقام.

### تنبيه

ربما يقال إنَّ هذا الاسم العظيم هو الاسم الأعظم لاختصاصه بمزايا خواص لا توجد في غيره، و لتقدمه على جميع الأسماء الكريمة الواردة في الكتب الإلهية و على السنة الرسل، و لذا يوصف بالجميع و يقدم عليها، و لا يوصف شيء منها به. و لدلالته على الذات المستجمع لصفات الكمال بحيث لا يخرج من تحت حيطته شيء من الصفات الجمالية و الجلالية، و لذا يشار بغيره من الأسماء إلى شيء منها.

(١) بحار الأنوار: ١٥٩ / ٤ في ذيل ح ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٢٨

و لاشتهاره بلفظه بين جميع الأمم و الطوائف و الملل مع اختلاف ألسنتهم و أديانهم و لئِنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ «١».

و لتكرره في كتاب الله المجيد المهيمن على غيره من الكتب أكثر من غيره من الأسماء حتى قيل: إنَّ عدده فيه مع ما في البسملة ألفان و ثمان مائة و اثنا عشر، و ليس لغيره من الأسماء هذا العدد في كتاب الله.

و لإناطة التوحيد عليه في كلمتي الشهادة لا اله إلَّا الله محمَّد رسول الله.

و لانتساب أشرف الأنام إليه في أشرف أسمائه و هو عبد الله و لذا قدَّمه على الرسالة في التَّشَهُد: و أشهد أن محمدا عبده و رسوله.

و لما يستأنس له من بعض الأدعية الدالة عليه

كقوله عليه السلام في دعاء سحر و أيام شهر رمضان اللهم إنِّي أسئلك بما تجيبني به حين أسئلك به فأجبنى يا الله، و في بعضها نعم دعوتك يا الله

إلى غير ذلك من التقريرات التي لا تحقيق معها لأصل القصد الذي هو أنَّ الاسم أعظم هل هو من سنخ الألفاظ و من عالم الحروف و الكلمات كما هو ظاهر الأكثر بل صريح غير واحد من المحققين أو أنه من عالم المعاني و المراتب الكونية كما يظهر من البعض، بل لعله الظاهر ممَّن ينفي الأعظمية في الأسماء كالطريحي و غيره و لذا قد ينزل عليه ما

ورد من أنه تعالى خلق اسما بالحروف غير مصوت «٢»، و باللفظ غير منطوق، و بالشخص غير مجسد، و بالتشبيه غير موصوف، و باللون

غير مصبوغ منفى عنه الأقطار، مبعَّد عنه الحدود، و محبوب عنه حسَّ كلِّ متوهم، مستتر غير مستور، إلخ «٣».

و ذلك لما قد يقال من أن كل ما خلقه الله تعالى فأنما هو من أسمائه بما توسم

(١) الزمر: ٣٨.

(٢)

في البحار عن التوحيد: بالحروف غير منعوت.

(٣) بحار الأنوار: ١٦٦/٤ ح ٨ عن التوحيد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٢٩

به من اثار الصنيع و دلائل التربية و كلها من حيث انتسابها إلى الله العظيم عظيمه كما إليه الاشارة في بعض الآيات و الاخبار و الأدعية سيما في جميع فقرات دعاء سحر شهر رمضان و ذلك لأن الله سبحانه عظيم لا يصدر عن العظيم إلا العظيم فكل شيء خلقه الله تعالى و جعله لنفسه اسما و دليلا و آية إنما خلقه على وجه العظمة لا غير، فليس معنى الدعوة بالاسم الأعظم أن الاسم على قسمين أعظم و غير أعظم، بل المراد أن دعوة الداعي بالاسم تكون على قسمين: قسم يصرف الداعي هذا الاسم الذي يدعو به على ما هو عليه من العظمة و الجلالة و رتبته من الوجود بل يتحقق بحقيقته التي خلقه الله تعالى عليها، و قسم يضل و فيه و لا يهتدى اليه و لا يعرفه على ما هو عليه من الجلالة و العظمة.

أقول الظاهر أنه لا مجال إلى إنكار الاسم الأعظم من حيث اللفظ لدلالة ظواهر كثير من الأخبار عليه و اشتهاؤه بين الأصحاب، بحيث قد يدعى قيام ضرورة المذهب بل الدين عليه، نعم قد سمعت انقسام الأسماء إلى الأقسام الأربعة، و الظاهر اشتمال كل منها على العظمة و غيرها فمحمّد صلى الله عليه و آله و سلم و أوصيائه الطيبون عليهم السلام هم أعظم الأسماء الالهية، و لذا ورد أنهم الأسماء الحسنی و الأمثال العليا كما في الجامعة الكبيرة و كثير من الأدعية، و لهذا ينكشف بعض الاستتار عن وجه بعض الأخبار.

ففي البصائر عن مولينا أبي جعفر عليه السلام قال: إن اسم الله الأعظم على ثلاثة و تسعين حرفا و إنما عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فحسف بالأرض ما بينه و بين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفه عين، و عندنا نحن من الاسم اثنان و سبعون حرفا، و حرف عند الله استاثر به

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٣٠

في علم الغيب عنده، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم «١».

و

فيه عن الصادق عليه السلام قال: إن الله عزّ و جلّ جعل اسمه الأعظم على ثلاثة و سبعين حرفا فأعطى آدم منها ستة و عشرين حرفا، و أعطى نوحا منها خمسة و عشرين حرفا، و أعطى منها إبراهيم ثمانية و عشرين حرفا، و أعطى موسى منها أربعة و عشرين حرفا، و أعطى عيسى منها حرفين، و كان يحيى بهما الموتى، و يبرئ بهما الأكمه و الأبرص، و أعطى محمدا صلى الله عليه و آله و سلم اثنين و سبعين حرفا و احتجب حرفا لئلا يعلم ما في نفسه، و يعلم ما في نفس العباد «٢».

و ظاهر هذه الأخبار هو الاسم اللفظي، و إن قيل بجواز حمله على الكوني أيضا، و يدل على ما ذكرناه مضافا إلى ذلك، و الأخبار المختلفة في تعيين الاسم الأعظم.

فعن الصادق عليه السلام قال: «بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها» «٣».

و

عن الرضا عليه السلام: «إنه أقرب إلى الاسم الأعظم من بياض «٤» إلى سوادها» «٥».



و

عن مولانا الباقر عليه السلام: «حدثني أبي عن جده أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: رأيت الخضر في المنام قبل بدر بليئة، فقلت له: علمني شيئاً أنتصر به على الأعداء، فقال: قل: يا هو يا من لا هو إلا هو، فلما أصبحت قصصت ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا على علمت الاسم الأعظم فكان على لساني يوم بدر،

(١) بحار الأنوار: ج ٢١٠ / ٤ عن البصائر.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١١ / ٤، ح ٥، عن البصائر.

(٣) البحار: ج ٣٧١ / ٧٨، ح ٦.

(٤)

في البحار: من سواد العين إلى بياضها.

(٥) البحار: ج ٢٢٣ / ٩٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٣١

و كان يقول ذلك يوم صفين و هو يطارد، فقال له عمار بن ياسر: يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات؟ قال: اسم الله الأعظم «الخبير» (١).

و

في «المشارك» أنه لما دخل مولانا الصادق عليه السلام على داود قاتل المعلّى بن خنيس فقال:

«يا داود! قتلت مولاي و وكيلى، و ما كفاك القتل حتى صلبته، و الله لأدعوك عليك فيقتلك الله كما قتلته».

فقال داود: أتهددني بدعائك؟ أذع الله فإذا استجاب لك فادعه على، فخرج أبو عبد الله عليه السلام مغضبا، فلما جنّ الليل اغتسل و استقبل القبلة ثم قال:

«يا ذا ذى يا ذوات إرم داود بسهم من سهام قهرك تقلقل به قلبه» ثم قال لغلامه: «أخرج و اسمع الصائح»، فجاء الخبير أن داود قد هلك، فخرّ الإمام عليه السلام ساجدا و قال:

«لقد دعوت بثلاث كلمات لو قسمت على أهل الأرض لزلزلت بمن عليها» (٢).

قلت: و لعلّ ذا إشارة إلى الله سبحانه الحاضر القريب الذى لا- أقرب منه من حيث حضوره و ظهوره و تجلّيه فى كل شىء بفعله و صنعه و نوره، و ذى إشارة إليه من طريق النفس التى هى أعظم آية و أقرب لها إليه، إذ ليس شىء أقرب و لا أدلّ من نفس الشىء عليه.

و الذوات إشارة إليه من طريق جميع الذوات التى هو سبحانه مذوتها فأينما تولّوا فثمّ وجهه الله (٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٣٢ / ٩٣، ح ٣، عن التوحيد.

(٢) مشارق الأنوار: ص ٩٢-٩٣.

(٣) البقرة: ١١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٣٢

و على كلّ حال فليكن هذا الإجمال على ذكر منك حتى نفصل الكلام إن شاء الله تعالى فى تحقيق الاسم الأعظم و معنى أعظميته و أنّ الاستجابة به مشروطة بشرط أم لا فى موضع أليق على وجه أتم.

نعم، مما ينبغى التعرض له فى المقام اختصاص هذا الاسم الشريف و هو (الله) بمزايا لا توجد فى غيرها و قد أشار إلى بعضها بعض المحققين.

منها: أن جميع أسماء الحق تنسب إليه، ولا ينسب إلى شيء منها كما نسب سبحانه في قوله: لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى «١» جميع الأسماء إليه، فكأنه عنوان و لو في الجملة لغير من الأسماء.

و منها: أنه لم يسم به أحد من الخلق لا تسمية و لا توصيفا لقوله: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا و قد مرّ تمام البحث فيه. و منها تعويض الألف و اللام فيه من الهمزة المحذوفة عند من يرى أن أصله إله كما هو الحق المستفاد من الأخبار المتقدمة، و لم يعوض في غيره أداة التعريف عن المحذوف.

قال في «المجمع» حكاية عن أحد قولى سيويه أن أصله إله فحذفت الفاء التى هى الهمزة و جعلت الألف و اللام عوضا لازما عنها، بدلالة استجازتهم قطع هذه الهمزة الموصولة الداخلة على لام التعريف فى القسم و النداء نحو قولهم: أ فالله لتفعلن، و يا الله اغفر لى، و لو كانت غير عوض لم تثبت الهمزة فى الوصل «٢».

و منها: أنهم جمعوا فيه بين أداة التعريف و حرف النداء عند كونه مناديا، و لم يرد ذلك فى غيره إلا شاذا فى ضرورة الشعر كقوله:

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) مجمع البيان: ج ١ / ١٩، فى تفسير البسمل.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٣٣ فى الغلامان اللذان قرأ إياكما أن تكسبانا شرا «١»

و لذا قيل: إن من قال: إن لفظه الجلالة من الأعلام الواقعة على سبيل الارتجال من غير أن يؤخذ من أصل آخر و أن الألف و اللام فيه جزء اللفظ لم يرد عليه الاعتراض ببناء ما فيه الألف و اللام.

و أما من يقول: بأن الألف و اللام فيه للتعريف فقد أجابوا عن الاعتراض بأن اللام فيه بمنزلة الأصل، للزومها و كونها عوضا عن الهمزة التى هى فاء.

أو لأن النداء فيه أكثر من غيره فحفظت بحذف الوصلة بدخول كلمة (أل) و لم يخفف بانتزاع اللام لأنه يفضى إلى تغيير الاسم و زوال ما قصد به التعظيم.

أو لأنهم كرهوا بأن يأتوا باسم مبهم يطلقونه على الله عز اسمه.

أو لأن إطلاق الأسماء عليه توقيفية و لم يرد الإذن بمثل (يا أيها الله)، كى لا يحصل الفصل بين حرفى التعريف بالاسم المبهم.

و منها: امتناع دخول كلمة أى و الهاء للتنبية عليه مع حرف النداء بخلاف غيره من الأسماء و الأوصاف كقوله: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ و لعله يرجع إلى ما مر، فإن أى جعلت و صلة إلى نداء المعرف باللام نظرا إلى امتناع دخول اللام عليه لتعذر الجمع بين حرفى التعريف، فإن حرف النداء لتعريف المنادى.

و لذا قيل فى الضابطة: إنَّ مدخول لام التعريف إما أن يكون علما أو غير علم، فإن كان غير علم فلا يخلو إما أن يصح نزع اللام منه أو لا، فإن لم يصح نزع اللام منه كالصعق و الثريا لا يصح نداؤه، إذ لا ينزع منه اللام، و معها لا يدخله حرف النداء، فالطريق فى ندائه أن يؤتى بمن فيقال (يا من هو الصعق) و إن كان علما يصح

(١) لم يسم قائله و لكن استشهد النحويون كالسيوطى و الجامى به فى باب المنادى. و فى شرح ابن عقيل: إياكما أن تعقبانا شرا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٣٤

نزع اللام منه كالحارث و العباس فقيل: إنه ينادى بنزع اللام، و قيل: لا يجوز نداؤه لا مع اللام لا امتناع الجمع، و لا بدونها لاستلزامه تغيير صورة العلم.

و فيه: أنه إن كان علما بدونها فلا محذور فى حذفها، أو معها فهى كالجزم، كما لو سمي بمركب، بل بجملة فعلية كيا تأبط شرا، أو

اسمية كيا الرجل منطلق.

و أما المعرف باللام الذى ليس علما فلا يباشره حرف النداء و لكن يؤتى بأبيها أو ذا، أو أيهدا، أو هذا، فيقال: يا أيها الرجل، أو يا ذا الرجل، أو يا أيهدا الرجل، أو يا هذا الرجل.

كأنهم كرهوا أن يجمعوا بين حرفى التعريف و حرف النداء، كما كرهوا حذف اللام فيه، لما فيه من الانتقال من التعريف الأقوى إلى التعريف الأضعف، فأتوا باسم مبهم مجرد عن حرف التعريف جعلوه المنادى فى اللفظ و أجروا عليه حكم المعرف باللام المقصود بالنداء.

و منها: تعويض الميم المشددة فى آخره عن حرف النداء، و لذا لا- يجتمعان إلا- شاذا و شدّد لكونها عوضا عن حرفين، و هذا هو المشهور، و قيل: أصله يا الله أمنا بخير، فحُفّف لكثرة الاستعمال بحذف حرف النداء و متعلقات الفعل و همزته. و هذا أيضا من خواصّ هذا الاسم بل فيه الإشارة إلى كثرة التوسل بهذا الاسم فى الدعوات كى استحق مثل هذا التخفيف. و منها: ما قد يقال: إنه قد يسقط الألف و اللام أيضا مع إلحاق الميم المشددة و يقال لاهم. قال أبو خراش «١» فى الشوط الخامس: لا همّ هذا خامس إن تمّا.

(١) هو أبو خراش خويلد بن مرة، شاعر فحل من شعراء هذيل، مخضرم أدرك الجاهلية و الإسلام فأسلم و مات سنة (١٥) ه فى خلافة عمر بن الخطاب، نهشته أفعى فمات. - الأغانى: ج ٢١ / ٢٠٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٣٥

و منها اختصاصه بتاء القسم، فلا تستعمل التاء مع غيره. و منها: اختصاصه بلفظ أيمن الموضوع للقسم، فيقال: أيمن الله، و كذا سائر لغاته، و هى ثمان و عشرون لغة، أشار إليها فى «القاموس» قال: «و أيمن الله، و أيم الله، و بكسر أولهما، و أيمن الله بفتح الميم و الهمزة و تكسر، و إيم الله بكسر الهمزة و الميم، و قيل: أله ألف الوصل، و هيم الله بفتح الهاء، و ضمّ الميم، و أم الله مثلثة الميم، و إم الله بكسر الهمزة و ضمّ الميم و فتحها، و من الله مثلثة الميم و النون، و م الله مثلثة، و ليم الله، و ليمن الله: اسم وضع للقسم، و التقدير أيمن الله قسمى» «١». انتهى بعبارة. و منها: أنهم كتبوه بلامين فى الخط مع حذف الألف و وصل الهاء، أما كتابته باللامين فلعله الأصل فى مثله كما فى اللعب و اللمم و اللحم و نحوها.

إلا- أنهم كتبوا (الذى) بلام واحدة مع تساويهما فى كثرة الدوران و لزوم التعريف لنقصانه الناشى من بنائه فأدخلوا فيه النقصان فى الخط أيضا، فإذا ثنى ضعفت مشابهته بالحرف حيث إنه لا يثنى فيكتب بلامين.

و على هذا فإثبات التشديد فى غير الذى على خلاف القياس، و لعله علامة لفظية لا للنيابة الخطية، و أما الحذف و الإيصال فلكثرة الاستعمال على أن الثانى مع فرض الأول على القياس.

و منها: أنه لا يعزب بتثنية أو جمع أو تصغير أو تكسير.

و منها: أنه بعد حذف الجار قد يبقى فى القسم مجرورا نحو الله- لأفعلن.

بل قيل: قد يحذف مع ذلك أيضا الألف و اللام، فيقال: لاه لأفعلن، حكاه أبو حاتم.

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادى: ٤ / ٢٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٣٦

و منها: تفخيم لاه إذا كان ما قبله مفتوحا أو مضموما.

قال في «شرح طيبة النشر»: «و أما اسم الله تبارك و تعالى فكل القراء على تفخيمه إذا وقع بعد فتح نحو: قال الله، و شهد الله، و كذا إذا ابتدئ به نحو: الله لطيف بعباده «١»، و كذا إذا وقع بعد ضم، نحو رسل الله «٢»، و إذ قالوا اللهم «٣».

و ما حكاه الأهوازي «٤» عن السوسى «٥» من الترقيق فيه فهو شاذ لا يؤخذ به و لا يصح تلاوته.

نعم، اختلفوا فى ترقيقه و تفخيمه إذا وقع بعد حرف ممال و ذلك فى موضعين: نرى الله «٦» و سیرى الله «٧» فى رواية السوسى، قالوا: و الوجهان صحيحان.

قلت: بل عن أبى البقاء عن بعضهم تفخيم لاهم مطلقا و لو بعد الكسر، إلا أن هذا القول مناف لنقل جمع الاتفاق على أنه لا يفخم عند الكسر.

قال الرازى: «أطبق القراء على ترك تغليظ اللام فى قوله بِسْمِ اللَّهِ و فى قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ و السبب فيه أن الانتقال من الكسرة إلى للام المفخمة ثقيل». ثم حكى عنهم فى ضابط التفخيم ما لا يخلو من نظر واضح فلاحظ.

نعم، حكى عنهم أن المقصود من هذا التفخيم أمور كالفرق بينه و بين لفظ

(١) الشورى: ١٩.

(٢) الأنعام: ١٢٤.

(٣) الأنفال: ٣٢.

(٤) الأهوازي: أبو على الحسن بن على بن إبراهيم الأستاذ فى القراءة و كان بدمشق، توفى سنة (٤٤٦) هـ. - النشر فى القراءات العشر: ج ١ / ص ٣٥.

(٥) السوسى: أبو شعيب صالح بن زياد المتوفى (٢٦١) هـ. - النشر: ج ١ / ١٣٤.

(٦) البقرة: ٥٥.

(٧) التوبة: ٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٣٧

اللات فى الذكر، و أن التفخيم مشعر بالتعظيم، و هذه اللفظة تستحق المبالغة فيه، و المرققة تذكر بطرف اللسان، و المغلظة بكله، فأوجب لزيادة القصد و العمل فيه كثرة الثواب، مع أن ذكره بكل اللسان يشعر بذكره بكل القلب، فيكون امتثالا لما عن «التوراة»: «يا موسى! أجب ربك بكل ذكر».

أقول: و لعل الأولى من كل ذلك الاستناد إلى قراءة العرب الذين هم من أهل اللسان، و إن كان لا يعلل عندهم أيضا بشيء إليه، فإن ذلك يرجع إلى الحرف و كيفية أدائه، لا إلى جوهره و مادته.

و من هنا يظهر الجواب عما استشكله الرازى من أن نسبة اللام الرقيقة إلى اللام الغليظة كنسبة الدال إلى الطاء، و كنسبة السين إلى الصاد، و حيث اعتبروا التغيرات بين كل من الحرفين فليعتبر أيضا بين هاتين.

و وجه وحدة النسبة على ما صرح به أن الرقيقة كالتاء يؤدى بطرف اللسان و المغلظة كالتاء كالتاء بكله.

و فيه أن العمدة ما سمعت من أن امتياز الحروف إنما هو بجواهرها و موادها، لا مجرد الاختلاف فى المخارج، مع تحقق المغايرة، هذا مع أن الإجماع حاصل على عد الرقيقة و المغلظة حرفا واحدا، و على عد الدال و الطاء و كذا السين و الصاد حرفين، و اعتبار المغايرة مبنى على فرض التغيرات المفقود فى المقام.

و الحق على ما هو المقرّر فى محله أن لكل حرف من الحروف مخرجا على حدة، و لو باعتبار اختلاف كيفية الاعتماد و تحريك العضلات و الأعصاب اللسانية و غيرها، على ما يشهد به الوجدان.

و منها: ما قيل: من أنه إذا ألقيت من هذا الاسم الألف بقى (لله)، لله الأَمْرُ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٣٨

مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ (١)، و إن تركت اللام الأولى بقيت البقية على صورة (له)، لَهْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ (٢)، و إن تركت اللام الثانية أيضا بقى الهاء المضمومة من هو، لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ (٣)، و الواو زائدة حاصلة من الإشباع، و لذا يسقط فى (هما) و (هم) إلى غير ذلك من الخواص التى يختص بها هذا الاسم.

و اعلم أن أصل هذا الاسم و أسه و أساسه هو الهاء التى تدلّ عليه مجردا عن سائر حروف الاسم و لو مشبعا بالواو، أو مع سائر الأدوات الجارّة، و هى النقطة الجوّالّة، و الدائرة السيّالّة، و عددها خمسة، و هى قوى الباب، و فصل الخطاب و منه المبدأ، و إليه المآب.

مع أنّ فى هذا العدد خصوصية فى ظهوره فى المظاهر، و عدم احتجابه بالسواتر، و لذا سمّاه أرباب الارثماطيقى «٤» بالعدد الدائر، فإنه إذا ضرب فى نفسه كان بعينه محفوظا فى الحاصل، و كذا إذا ضرب فى الحاصل، أو الحاصل فى الحاصل، و هكذا متصاعدا إلى ما لا نهاية له، فتكون الخمسة محفوظة فى المال و الكعب، و مال المال، و مال الكعب، و كعب الكعب، و هكذا، و لذا كنّوا و أشاروا به إلى الواحد البحت الحقّ الظاهر بصنعه و آثاره فى كل شىء كما

قال سيد الشهداء عليه السّلام: «أنت الذى تعرّفت إلىّ فى كل شىء فرأيتك ظاهرا فى كل شىء، فأنت الظاهر لكل شىء» «٥»، «متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك، و متى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك» «٦».

(١) الروم: ٤.

(٢) النساء: ١٧١.

(٣) البقرة: ١٦٣.

(٤) الإرثماطيقى Aritmetic (هو علم الحساب النظرى).

(٥) بحار الأنوار: ج ٩٨ / ٢٢٨.

(٦) بحار الأنوار: ج ٩٨ / ٢٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٣٩

مع ما فيه من الإشارة إلى كليات الجواهر الخمسة، و العوالم الخمسة الكلية:

و هى: الأزل سبحانه و تعالى.

و عالم السرمد، و هو عالم الرجحان و الأمر، و المشية الكلية، و الفعل، و الإبداع.

و عالم الجبروت، أى العقول و المعانى المجردة عن المادة و المدّة و الصورة و عالم الملكوت، أى النفوس و الصور المجردة البرزخية و الجوهريّة.

و عالم الملك، أى الأجسام التى أعلاها محدّد الجهات، و هو المساوق فى الوجود للزمان و المكان، بحيث لا يسبق شىء من هذه الثلاثة الآخرين فى الغيب و الشهادة، بل لا يفضل شىء منها عن أخويه و لا ينقص عنه.

و إلى الخمسة العبايئة «الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا» «١» و هو أول المخمّسات البسيطة، و أول أعداد المربعات النارية، و ليس فى الأفراد ما يدلّ على تركيب ما هو أوله سواه.

و هذا الحرف هو الاسم الأعظم و النور المعظم، و الحرف المقدم عند كثير من أرباب التحقيق، بل هو فى الحقيقة اسم الله العظيم جل جلاله، و الألف و اللام للتعريف، و اللام و الألف لئفى الغير، فهو إشارة إلى الهوية المجرّدة الغيبية الإلهية.

بل قيل: إنه الذكر الجارى على الدوام فى أنفاس الحيوانات فى حركتها و سكونها، و نومها و يقظتها، و اختيارها و اضطرارها.  
بل قيل: إن الحكماء الإلهيين وضعوا الأرقام التسعة المشهورة التى هى أصول الأعداد الباقية، و كذا الحروف المفردة التى يحاذى الأعداد التسعة بحساب الجمل بإزاء الأصول التسعة للموجودات و هى (البارى) عزّ شأنه، و (العقل)،

(١) اقتباس من آية التطهير فى سورة الأحزاب (٣٣).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٤٠

و (النفس)، و (الطبيعة) و (الهيولى).

و الأربعة الأول لما كانت من الفواعل فاعتبارها من حيث ذاتها غير مضافة إلى ما بعدها، ثم من حيث تأثيرها فى معلولاتها يحصل ثمانية و مع الهيولى تسعة، و هى أصول الموجودات.

فقالوا: الألف إنما يدلّ بها على الأحديّة الصرفة تعالى شأنه من غير اعتبار الإضافة، و الباء للعقل كذلك، و الجيم للنفس كذلك، و الدال للطبيعة كذلك، ثم الهاء للبارى تعالى باعتبار إضافتها إلى ما تحتها و هى مرتبة الألوهية و الواو للعقل كذلك، و الزاى للنفس كذلك، و الحاء للطبيعة كذلك.

ثم الطاء للهيولى لأنها فى أخيرة المراتب، و ليس لها إلا حيثية واحدة.

و هذه الوجوه و إن كانت فى الظاهر مناسبات اعتبارية، إلا أنها حاكية عن حقايق متأصلة أشرفت عليها بتجلى ظهورها و فاضل نورها، فكانت مرآة لها و دليلا عليها.

نعم فى بعض ما فى عباراتهم من الإضافة إلى البارى و عدّه من جملة المراتب و غيرهما بعض المسامحات.

ثم إنه إذا أشبع بعد ضمّه و توجهه إلى مبدأه ظهر بظاهره و باطنه، و هو ستة عدد قوى الواو الذى هو أيضا من الأعداد الدائرة الكرية التى تظهر بنفسها و بصورتها فى جميع مربعاتها و مكعباتها و مضروباتها، و ذلك أن العدد الدائر ليس بعد الواحد إلا الخمسة و الستة، و يقال له الكرى أيضا.

و قد اجتمعا فى كلمة (هو) و هو الإشارة إلى الهوية الثانية الأحديّة.

و لذا

قال مولانا الباقر عليه السلام فى قوله: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ قال: «قل أى أظهر ما أوحينا إليك و تبتأناك به بتأليف الحروف التى قرأناها لك ليتهدى بها من ألقى السمع و هو شهيد، و هو اسم مشار و مكنتى إلى غائب، فالهاء

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٤١

تنبيه عن معنى ثابت، و الواو إشارة إلى الغائب عن الحواس، كما أن قولك: هذا إشارة إلى الشاهد عند الحواس، و ذلك أن الكفّار تبهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك، فقالوا: هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذى تدعو إليه، حتى نراه و ندركه، فأنزل الله تبارك و تعالى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فالهاء تثبيت للثابت، و الواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار و لمس الحواس».

ثم

روى عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «رأيت الخضر على نبينا و آله و عليه السلام فى المنام قبل بدر بليلة فقلت له: علّمنى شيئا أنصر به على الأعداء، فقال: قل: يا هو يا من لا هو إلا هو، فلما أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال: يا على علّمت الاسم الأعظم» «١» الخبر.

ثم إنه بقواه العددية يساوى قوى حرف النداء الذى يتوصل به إلى نداء البعيد و القريب فإنه أقرب من كل قريب و أبعد من كل بعيد.

فإذا استنطقته في مقام الانبساط و التفصيل ظهر اسم مولانا أمير المؤمنين على عليه السّلام فإنه الحجاب و الباب و أمّ الكتاب و فصل الخطاب، فينتهي الأحد عشر بعد بسط الآحاد بالعشرات إلى مائة و عشرة.

بل يستفاد من تضاعيف الأحاديث المأثورة من أهل البيت عليهم السلام أنه انطوى اسمه الأعظم على أسمائهم، و على ولايتهم، و لذا قال مولانا الصادق عليه السّلام على ما مر في «توحيد الصدوق» قدس سرّه في تفسير لفظه (الله): «إنّ الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا، و اللام إلزام الله خلقه على ولايتنا، و الهاء هوان لمن خالف محمّدا

(١) بحار الأنوار: ج ٣ / ٢٢١-٢٢٢، ح ١٢، عن التوحيد. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٤٢  
و آله محمد» (١).

فهم مظاهر الاسم، بل هو الاسم الأعظم، و النور الأقدم.

ثم إنك قد سمعت أنّ الألف إشارة إلى الذات الأحدى الحقة، و الهاء دالة على مرتبة الألوهية التي هي الذات المستجمعة لصفات الكمال و الجلال، و هي مدلوله هذا الاسم الشريف فيصير الباقي بعد وضع الطرفين (لا) و فيه إشارة إلى أنه هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن، و أن لا شيء في الوجود بحقيقته الشئيه إلّا هو سبحانه، فكلّمه لا إله إلا الله هي تفصيل ما أجمل في هذه اللفظة لدلالاتها على نفى الاعتبار، و إثبات الواحد القهار، و هذا بحسب المعنى، بل هي كذلك بحسب اللفظ أيضا، فإن حروف الكلمة هي تكرار حروف اللفظة من غير زيادة.

### أيقاظ و استيقاظ في تحقيق الاشتقاق

قد مرّ الكلام في اشتقاق لفظ الجلالة، و بقى الكلام في أقسام الاشتقاق، و أحكامه و لا علينا أن نشير إلى نبذة يسيرة من القول فيه، تكون أصلا لما يأتي فنقول: الاشتقاق على قسمين: لفظي و معنوي، فاللفظي اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه على حروف ذلك الأصل لو لا المقتضى لتغير بعضها بحذف أو نقل أو قلب، و أقسامه خمسة عشر قسما: فإنه إمّا بزيادة أو بالنقصان أو بهما معا، و كل من الأولين، إمّا في الحرف، أو في الحركة، أو فيهما معا فهذه ستّة و يحصل من الثالث تسعة أقسام: لأن الزيادة مع النقصان إمّا أن يقع في الحركة فقط، أو في الحرف فقط، أو فيهما معا.

فالذي في الحركة نقصانها مع زيادتها، نقصانها مع زيادة الحرف، نقصانها مع

(١) بحار الأنوار: ج ٩٢ / ٢٣١، ح ١٢، عن التوحيد و المعاني.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٤٣

زيادة الحركة و الحرف.

و الذي في الحرف نقصانها مع زيادته، نقصانها مع زيادة الحركة، نقصانها مع زيادتهما.

و الذي فيهما معا نقصانها مع زيادتهما معا، نقصانها معا مع زيادة الحركة، نقصانها معا مع زيادة الحرف.

فهذه تسعة، و مع الستة الأولى خمسة عشر قسما، فتأمل فإن الخطب فيه سهل كسهولة الخطب فيما اختلفوا فيه من اشتقاق الفعل من المصدر كما عن البصريين أو العكس كما عن الكوفيين.

و إن ذهب الجمهور إلى الأول، نظرا إلى أن المصدر جزء من الفعل الذي مدلوله الحدث و الزمان، إذ مدلول المصدر هو الحدث خاصة، فيقدم عليه تقدم الجزء على الكل، فلو اشتقّ المصدر من الفعل لتأخر عنه، لكنّه متقدم عليه فيدور.

و فيه: أن التقدم الرتبي المعنوي على فرضه لا يقضى بالاشتقاق اللفظي، سيما مع كون المعنى المصدرى من المعاني النسبية الربطية

التي لا تحقق لها إلا باستناد الفعل إلى الفاعل.

اللهمّ إلا أن يقال: إنهم لما رأوا المصدر كالأصل المحفوظ بجوهره، و مادته مع اعتوار الصور المختلفة عليه باعتبار اختلاف الحركات والسكنات و زيادة الحروف و نقصانها لتحصيل معان مختلفة بالاعتبارات و الجهات.

و إن كان كلها تدور على ذلك المعنى الواحد السارى فى الجميع الذى هو بمنزلة الصور المعتورة عليها، فلذا حكموا بكون المصدر هو الأصل من جهة القواعد اللفظية الاشتقاقية التى نظرهم مقصور على ملاحظتها و اعتبارها.

ولذا أخذوا الفاعل من أجزاء الفعل و متمماته و اعتباراته، و إن كان مقتضى القواعد المعنوية الحقيقية كون الأصل هو الفاعل، بل هو و لا سواه، بمعنى أنه ليس

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٤٤

له ثان فى رتبة وجوده و تحققه، و كل من الفعل و غيره من جملة شؤونه و تجلياته و تطوراته التى يكون له، لا فى مرتبة الذات، بل فى مرتبة الظهور و التجلى بصفة من صفاته الفعلية.

فأول ما يظهر منه و هو الفعل المعبر عنه بالإبداع و المشية و الإرادة، و هى و إن كانت أسماؤها مختلفة إلا أن معناها واحد، كما نبه عليه مولانا الرضا عليه التحية و الثناء فى خبر عمران الصابى «١».

ولذا

قال الصادق عليه السلام: «خلق الله المشية بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشية» «٢».

فالفاعل مقدم على المصدر الذى هو المفعول المطلق كما فى قولك: ضربت ضربا، فضربا الذى هو المصدر و هو المفعول المطلق قد تحصل و انوجد من الفعل، لأن الموجود بعد الوجود، بل الوجود بعد الإيجاد، بل الإيجاد بعد أوجد فافهم الكلام حتى تعرف الفرق بين الاشتقاين الذين أحدهما عكس الآخر.

فلك تصحيح كل من القولين بالاعتبارين، إلما أنه لما كان مدار علمهم و بحثهم و اصطلاحهم على الألفاظ اللغوية، لا الحقائق المعنوية كان الجدير بهم الاتفاق على اشتقاق الفعل من المصدر، كما اختاره الجمهور منهم.

و لعل الفرقه الأخرى قد آنتست من جانب طور الحقائق نارا و برقا، فرأى أن الأمر هكذا بحسب الحقيقة و المعنى، و لكن سنا برقه ذهب ببصره و ما استشعر أن هذا فى عالم الحقائق لا الألفاظ التى هى محل بحثهم.

و من جميع ما مر ظهر بعض الكلام فى الاشتقاق المعنوى أيضا، و إن تنوع

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ / ٣١٤، ح ١ عن التوحيد و العيون.

(٢) البحار: ج ٤ / ١٤٥، ح ٢٠، عن التوحيد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٤٥

على أنواع شتى كلها ترجع إلى معنى واحد عند التحقيق على بعض الوجوه.

فمنها الاشتقاق العينى المشار إليه فى كثير من الأخبار و الأدعية المعصومية، كما

فى دعاء يوم السبت المروى فى «المتهمد»: «أنت الجبار تعزرت بجبروتك، و تجبرت بعزتك، و تملكست بسلطانك، و تسلطت بملكك، و تعظمت بكبريائك، و تشرفت بمجدك، و تكرمت بجدك، و جدت بكرمك، و قدرت بعلوك، و تعاليت بقدرتك»

«١».

فإن كلاً من هذه الصفات الجلالية و الجمالية عين الأخرى، بل الكل واحد فى الحقيقة بلا مغايرة أو تعدد حقيقى أو اعتبارى أو ذهنى أو خارجى، و هو الذات البحت المجرد عن جميع الاعتبارات و الإضافات و الشؤون و الكثرات.



ولذا

قال مولانا أمير المؤمنين روحنا له الفداء وعليه وعلى نفسه وذريته آلاف التحية والثناء: «وكمال توحيد الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه» (٢).

ثم لو حملنا الدعاء على ذكر الصفات الفعلية فالأمر فيه أيضا ما مر.

قال الله تعالى: وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ (٣).

ويمكن الحمل على الاشتقاق الفعلي، وفائدة استدارة كل منها على الآخر الإشارة إلى أن كلاً من تلك الصفات ذاتي وفعلي كأنقسام الربوبية إذ لا مربوب

(١) بحار الأنوار: ج ١٤٩ / ٩٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة الأولى.

(٣) القمر: ٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٤٦

و إذ مربوب.

ولعله يحمل على المعنيين الأخيرين أو الثالث أو كل من الثلاثة

قوله عليه السلام في تعقيب صلاة التسيح على ما رواه في «المتهدج»: «أسألك باسمك الذي اشتقته من عظمتك وأسألك بعظمتك التي اشتقتها من كبريائك وأسألك بكبريائك التي اشتقتها من كينونيتك، وأسألك بكينونيتك التي اشتقتها من جودك، وأسألك من جودك الذي اشتقته من عزك، وأسألك بعزك الذي اشتقته من كرمك» الدعاء (١).

ومنها الاشتقاق الفعلي الإبداعي الذي هو نفس المشيئة الكلية والعناية الربانية والنفس الرحمانى، والنور الشعشعاني.

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما رواه في كتاب «المعراج»: «يا على! إن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه، فخلقني وخلقك روحين من نور جلاله» (٢).

و

في «رياض الجنان» عن أبي جعفر عليه السلام: «كان الله ولا شيء غيره، لا معلوم ولا مجهول، فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته» إلى أن قال عليه السلام: «يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس» (٣).

و

في «تأويل الآيات» عن الشيخ الطوسي قدس سره بالإسناد عن الكاظم عليه السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم من نور اخترعه من نور عظمته وجلاله، وهو نور لاهوتيته الذي تبدى وتجلّى لموسى عليه السلام في طور سيناء، فما استقر له، ولا أطاق موسى لرؤيته، ولا ثبت له حتى خرّ صعقا مغشيا عليه، وكان ذلك النور نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلما أراد أن يخلق محمدا صلى الله عليه وآله وسلم منه قسم ذلك النور

(١) بحار الأنوار: ج ١٩١ / ١٩٥، عن جمال الأسبوع.

(٢) كنز الفوائد: ص ٣٧٤، و عنه بحار الأنوار: ج ٣/٢٥، ح ٥.

(٣) بحار الأنوار ج ١٧/٢٥: عن رياض الجنان. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٤٧

شطين، فخلق من الشطر الأول محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ مِنْ الشطر الآخر على بن أبي طالب عليه السلام، و لم يخلق من ذلك النور غيرهما خلقهما بيده، و نفخ فيهما بنفسه لنفسه، و صورهما على صورتها، و جعلهما أمناء على خلقه، و خلفاء على خليفته، و عينا له عليهم، و لسانا له إليهم، قد استودع فيهما علمه، و علمها البيان، و استطلعهما على غيبه، و جعل أحدهما نفسه، و الآخر روحه، لا يقوم واحد بغير صاحبه، ظاهرهما بشريه، و باطنهما لاهوتيه، ظهرا للخلق على هياكل الناسوتية حتى يطبقوا رؤيتهما.

و هو قوله تعالى وَ لَكُنَّا عَلَيَّهِمْ مَا يَلْبِثُونَ ﴿١﴾، فهما مقام رب العالمين، و حجاب خالق الخلائق أجمعين.

بهما فتح بدء الخلق و بهما يختم الملك و المقادير، ثم اقتبس من نور محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فاطمة ابنته، كما من نور محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ابنته كما اقتبس نوره من نوره، و اقتبس من نور فاطمة و على عليه السلام الحسن و الحسين كإقتباس المصايح ...» الخبر «٢».

و فيه شهادة لما يأتي أيضا و لذا نقلنا كثيرا منه مع ما فيه من الفوائد الشريفة و العوائد المنيفة.

و منها الاشتقاق النفسى المشار إليه بقوله: وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ «٣».

و

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يا على أنت نفسى التى بين جنبي» «٤».

(١) الأنعام: ٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٥/٢٨، و فيه بعد «و استطلعهما على غيبه»: بهما فتح بدء الخلق ... و أما جملة «و جعل أحدهما ... إلى حجاب خالق الخلائق أجمعين» فليست موجودة فيه.

(٣) آل عمران: ٦١.

(٤) لم أظفر على مصدر له بهذه الألفاظ، نعم

فى مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ص ٤١، «على نفسى»

و

فى مفتاح النجا للبدخشي ص ٤٣: (على بن أبي طالب منى كروحي فى جسدى». تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٤٨

و

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كالضوء من الضوء» «١».

و

فى نهج البلاغة: «أنا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كالضوء من الصنو و الذراع من العضد» «٢».

و فى الخبر المتقدم إشارة إليه، بل هو المقصود من الاقتباس المذكور فى ذيله، و إن شبهه باقتباس المصايح كما شبهه باقتباس نور فاطمة عليها السلام من نوره باقتباس نوره من نور الله عزّ و جل، إلا أن بين التشبيهين فرقا بينا أبعد مما بين السماء و الأرض.

و لهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «٣».

و

فى «أمالى الصدوق» عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إن الله خلق ماء من تحت العرش» إلى أن قال: «فلم يزل ينتقل ذلك الماء من ظهر إلى ظهر حتى صار إلى عبد المطلب «٤» فشقه الله فصار نصفه فى أبي عبد الله و نصفه فى أبي طالب، فأنا من نصف الماء و

على من النصف الآخر» (٥).

و

في «رياض الجنان» عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أول ما خلق الله نوري، ففتق منه نور علي عليه السلام» (٦).  
إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي مرت الإشارة إلى بعضها، وإلى  
أن نور علي عليه السلام خلق بعد نور نبينا محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بثمانين ألف سنة، وهو في هذه المدّة

(١)

في البحار: ج ٢١ / ٢٦: «أنا من أحمد كالضوء من الضوء».

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥، كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري.

(٣) الروم: ٢٧.

(٤)

في البحار: «في عبد المطلب».

(٥) بحار الأنوار: ج ١٥ / ١٣.

(٦) البحار: ج ٥٧ / ١٧٠، ح ١١٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٤٩

تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ٢٦٩

يطوف حول حجاب العظمة، فلما انتهى في القوس النزولي التفصيلي إلى حجاب القدرة خلق منه نور علي عليه السلام  
حسبما مر (١).

ومنها: الاشتقاق الفرعي الشعاعي بواسطة أو بوسائط، كاشتقاق شيعتهم منهم، ولذا

قالوا: «شيعتنا منا بدؤوا وإلينا يعودون» (٢).

و

في خبر آخر: «وإنما سموا شيعاً لأنهم خلقوا من شعاع نورنا» (٣).

و

في «الأمالي» عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال لعلي عليه السلام: «يا علي! أنت مني وأنا منك، روحك من روحي، و  
طينتك من طينتي، وشيعتك خلقوا من فضل طينتنا، فمن أحبهم فقد أحبنا، ومن أبغضهم فقد أبغضنا» (٤).

و

في «بشارة المصطفى» عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في خبر طويل: «يا علي! إن الله عزّ وجل اختار شيعتك بعلمه لنا من بين  
الخلق وخلقهم من طينتنا واستودعهم سرنا، و الزم قلوبهم معرفة حقنا» (٥).

و

عن رضى الدين بن طاووس قدس سرّه أنه قال: «سمعت القائم عجل الله فرجه بسر من رأى يدعو من وراء الحائط وأنا أسمعه ولا  
أراه وهو يقول:

«اللهم إن شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بماء ولايتنا اغفر لهم من الذنوب ما فعلوه اتكالا على حبنا، ولنا يوم القيامة أمورهم،  
ولا- تؤاخذهم بما اقترفوه من السيئات، إكراما لنا ولا- تقاصصهم يوم القيامة مقابل أعدائنا، وإن خفت موازينهم فثقلها بفاضل  
حسناتها» (٦).

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٢٢، ح ٣٨، عن رياض الجنان.

(٢) البحار: ج ٢٥ / ٢١، ح ٣٤.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٥ / ٢٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٨ / ٧، ح ١.

(٥) البحار: ج ٣٩ / ٣٠٩، ح ١٢٢.

(٦) بحار الأنوار: ج ٥٣ / ٣٠٣، ح ٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٥٠

و

في «رياض الجنان» عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «اتقوا فراسة المؤمن فإن ينظر بنور الله»، قيل: يا أمير المؤمنين! كيف ينظر بنور الله؟ قال: «لأننا خلقنا من نور الله، وخلق شيعتنا من شعاع نورنا، فهم أصفياء أبرار أطهار متوسمون، نورهم يضيء على من سواهم كالقدر في الليلة الظلماء» (١).

و

في «البصائر» عن الصادقين عليهما السلام قالوا: «إن الله خلق محمدا صلى الله عليه وآله وسلم من طينة من جوهرة تحت العرش، وإنه كان لطينته نضح فجب طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان لطينة أمير المؤمنين عليه السلام نضح فجب طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت لطينتنا نضح فجب طينة شيعتنا من نضح طينتنا، فقلوبهم تحن إلينا، وقلوبنا تعطف عليهم تعطف الوالد على الولد، نحن خير لهم وهم خير لنا، ورسول الله لنا خير، ونحن له خير» (٢).

و

فيه عن الباقر عليه السلام: «يا جابر! خلقنا نحن ومحبونا من طينة واحدة بيضاء نقيه من أعلى عليين، فخلقنا نحن من أعلاها، وخلق محبونا من دونها، فإذا كان يوم القيامة التفت العليا بالسفلى، وإذا كان يوم القيامة ضربنا بأيدينا إلى حجرة نبينا، وضرب أشياعنا بأيديهم إلى حجرتنا، فأين ترى يصير الله نبيه وذريته؟ وأين ترى يصير ذريته محبيها» (٣).

و

فيه عن محمد بن عيسى، عن أبي الحجاج عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله خلق محمدا وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من طينة عليين، وخلق قلوبهم من طينة فوق ذلك، وخلق شيعتنا من طينة دون عليين، وخلق قلوبهم من طينة عليين،

(١) البحار: ج ٢٥ / ٢١، ح ٣٢، عن رياض الجنان.

(٢) بصائر الدرجات: ص ٥، و عن البحار ج ٢٥ / ٨، ح ١١.

(٣) البصائر: ص ٦، و عنه البحار: ج ٢٥ / ١١، ح ١٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٥١

فقلوب شيعتنا من أبدان آل محمد عليهم السلام» (١).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالة على ذلك، وإن اختلفت في التعبير عنه بالنضح الذي هو الرش من قولهم نضحت الثوب بالماء أي رششته به، أو من نضحت القربة أي رشحت و منه «فكل إناء بالذي فيه ينضح».

و بالفضل، و الشعاع، و الدون، و غيرها مما يثول إلى معنى واحد، و كلها تعبير و استعارة عن الحقيقة التي لا يحيط بها الكلام، و لا يجرى عليها الأقلام.

نعم، ينبغي أن يعلم أن طينة سائر الأنبياء و المرسلين و الملائكة و المقربين مشتقة من أنوارهم في هذه المرتبة. و لذا

ورد عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ» (٢) على ما رواه في تأويل الآيات بالإسناد: «إن الله لما خلق إبراهيم عليه السلام كشف له عن بصره، فرأى أنوار النبي صلى الله عليه وآله و سلم و الأئمة عليهم السلام فقال: إلهي! ما هذه الأنوار؟ فقيل له: إنها أنوار صفوتي من خلقي و خيرتي من بريتي، ثم قال إبراهيم: الهى و سيدى! أرى أنوارا قد أحدقوا بهم لا يحصى عددهم إلما أنت، قيل: يا إبراهيم! هؤلاء شيعتهم، شيعه أمير المؤمنين عليه السلام، قال إبراهيم: اللهم اجعلنى من شيعه أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فأخبر الله تعالى في كتابه فقال: «وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ» (٣)».

و فيه عن النبي صلى الله عليه وآله و سلم: إن الله خلقني و خلق عليا قبل أن يخلق آدم بأربعين ألف عام، و خلق نورا فقسمه نصفين، فخلقني من نصفه، و خلق عليا من النصف

(١) بصائر الدرجات: ج ١/١٤، الباب ٩، ح ٢.

(٢) الصافات: ٨٣.

(٣) الصافات: ٨٣، و الحديث منقول بالمعنى و مختصر عن الحديث الذي أورده في البحار:

ج ٣٦ / ١٥١ - ١٥٢، ح ١٣١، عن الكنز. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٥٢

الآخر قبل الأشياء كلها، ثم خلق الأشياء كلها فنورها من نوري و نور علي» (١).

و بالجملة المستفاد من الأخبار الكثيرة أنه قد خلق من شعاع أنوارهم جميع الأنوار و الأرواح الطيبة من الأنبياء و المرسلين و الملائكة المقربين و العباد الصالحين.

بل الجنة، و الرضوان، و الحور، و القصور، و الأفلاك، و الأملاك، و الشمس و القمر، و النجوم، بل الأعمال الحسنه و الأفعال الصالحة.

و لذا

قال الصادق عليه السلام في خبر المفضل بن عمر: «نحن أصل كل خير، و من فروعنا كل بر، و من البر: التوحيد، و الصلاة و الصيام و كظم الغيظ عن المسيء، و رحمة الفقير، و تعاهد الجار، و الإقرار بالفضل لأهله.

و عدونا أصل كل شر، و من فروعهم كل قبيح و فاحشه، فمنهم الكذب و النميمه، و البخل، و القطيعه» إلى أن قال: «و كذب من قال: إنه معنا و هو متعلق بفرع غيرنا» (٢).

و منها: الاشتقاق العكسي الظلي التبعية، و إن كان إطلاق الاشتقاق عليه لا يخلو من نوع تسامح، و ذلك كاشتقاق الظل من الشاخص و الظلمه من النور، و الحزن من السرور و العدم المضاف من الوجود، و الطينه الخبيثه من الطيبه، و السجين من عليين، فإن الله تعالى كان في أزليته فردا متفردا ليس معه شيء فخلق الأشياء لا من شيء، فأول ما خلقه من الأكوان هو المشيه الكونيه، خلقها بنفسها و خلق الأشياء بها سعيدها و شقيها طيبها و خبيثها برها و فاجرها، إلا أن المسميات الأوليات خلقت من سنخ المشيه، و هو العبوديه التي حقيقتها المعرفه بالله و التقرب إليه.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦ / ٣٤٥، ح ١٨، عن إرشاد القلوب.

(٢) البحار: ج ٢٤ / ٣٠٣، ح ٤٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٥٣

ولذا

فسر مولانا الصادق عليه السلام العبد بقوله: «العين علمه بالله، والباء: بعده عن غيره، والبدال: دتوه منه» (١).

فيتحصّل من العلم الجهل، و من القرب البعد، و هذا معنى فرعيّة الماهية للوجود و ترتبها عليه، بل و تأخر خلقه الجهل عن العقل كما في الخبر، و كذا تأخر خلقه الطينة الخبيثة من الطيبة، بل ترتب كل متأخر على المتقدم و فرعيه له، و ذلك قوله و مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ (٢)، هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ و أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ (٣).

و

قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: «بمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له، و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له» (٤).

فالماهية زوج الوجود و ظلّه و لباسه و ضده، و هي جهة توجه الشيء إلى نفسه، كما أن الوجود توجهه إلى ربه، و هو جهة فقره إلى الله، و بفقره إليه استغنى من غيره، قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ (٥).

و

قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «الفقر فخرى و به أفتخر على الأنبياء» (٦).

و الماهية جهة استغنائه الذي صار سببا لفقره و افتقاره، و هذا الفقر هو سواد الوجه في الدارين، لتوجه الوجه معه إلى الظلمة لا إلى النور الله و لِيَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ (٧) ظلمة العدم، و ظلمة الجهل، و ظلمة الكفر و الشرك و العصيان إلى النور. نور العبودية، و هو نور ولاية مولانا أمير المؤمنين الذي هو المنهج القويم و الصراط المستقيم، و الَّذِينَ كَفَرُوا كَفَرُوا الْجَهْلُ أَوْ الْجُحُودُ أَوْ

(١) مصباح الشريعة الباب المائة في حقيقة العبودية، و فيه: الباء بونه عمّن سواه.

(٢) الذاريات: ٤٩.

(٣) البقرة: ١٨٧.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة: ١٨٦.

(٥) فاطر: ١٥.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٢ / ٣٠ - ٤٩، و جملة «و به أفتخر على الأنبياء غير موجودة فيه».

(٧) البقرة: ٢٥٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٥٤

الشقاق و النفاق أو الشرك أو العصيان أولياؤهم الطاغوت

و الإتيان بصيغته الجمع لأن الباطل ليس له حدّ ينتهي إليه، و لذا قال سبحانه:

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ (١).

و قال حكاية من العبد الصالح يوسف بن يعقوب على نبينا و آله و عليهما السلام: يا صاحبي السّجن أربابٌ متفرّقون خيرٌ أم الله الواحد القهار (٢).

يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ (٣) نور ولاية ولى الحق إلى الظلمات (٤).

فالوجود المطلق الذي لا يشوبه ظلمة الماهية والالتفات إلى الإتيئة، هو الفيض المطلق، وولى الحق و باب الجبروت و حجاب اللاهوت و بحر الرحموت و وجه الحي الذي لا يموت.

و الماهية المحضة هي الغاسقة في ظلمة العدم، و هي التي ما شمت رائحة الوجود و بينهما عرض عريض، و طول طويل أبعد مما بين السماء و الأرض، بل مما بين أعلى عليين إلى أسفل سافلين، و يفتح منه باب آخر و هو سر المزج بين الطينتين و العقد بين الزوجين امتزاج الطينتين و تقاطع المنطقتين و تقابل (الجوهريين، كما ورد في أخبار الطينة: «و إن الله جمع بين الطينتين: طينة أوليائه و طينة أعدائه، فخلطهما و عركهما عرك الأديم و مزجها بالمائين» «٥». و ستسمع تمام الكلام في موضعه إن شاء الله تعالى.

(١) الانعام: ١٥٣.

(٢) يوسف: ٣٩.

(٣) البقرة: ٢٥٧.

(٤) البقرة: ٢٥٧.

(٥) منقول بالمعنى عن حديث مبسوط رواه الصدوق بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام و ختم بهذا الحديث كتاب العلل و عنه بحار الأنوار ج ٥ / ٢٢٨ - ٢٣٣، ح ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٥٥

## الفصل الرابع

### في المباحث المتعلقة بالاسمين العظيمين الكريمين

و هما الرحمن الرحيم المشتقان على ما قيل من رحم بكسر العين للمبالغة على وزن ندمان و نديم و اشتقاق الصفة المشبهة من المتعدى مع لزوم صوغها من اللازم مبنى على ما نص عليه غير واحد من أئمة الأدب من أن المتعدى قد يجعل لازما بمنزلة و الغرائز، فينقل إلى فعل بضم العين، ثم يشتق منه الصفة المشبهة.

قالوا: و هذا باب مطرد في المدح و الذم، و لذا قيل في قوله: رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ «١»: رفيع درجاته لا رافع للدرجات. بل ربما يرفع الإشكال عن «الرحيم» مضافا إلى ذلك بنص سيبويه على كونه صيغة مبالغة من قولهم «هو رحيم فلانا». و كيف كان فالرحمة لغة قيل بمعنى الرقة و الانعطاف الموجب للتفضل و الإحسان، و منه الرحم لانعطافها على ما فيها. و تستعمل مضافا إليه سبحانه بمعنى إيصال الفضائل و دفع المكاره، و بمعنى الحياة مطلقا أو الحياة الإيمانية، بمعنى المغفرة كقوله: «يا باري خلقى رحمة لى» «٢»

و لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم «٣»،

(١) غافر: ١٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨٥ / ٢٣٥ ح ٥٩ عن مصباح الشيخ.

(٣) هود: ٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٥٦

فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ ﴿١﴾.  
 وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢﴾.  
 أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّا اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾.  
 وربما يقال: إنها قد استعملت في العافية والسلامة في قوله:  
 هَلْ هُنَّ مُمَسِكَاتٌ رَّحِمَتِهِ ﴿٤﴾.  
 وفي الرزق في قوله: قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴿٥﴾.  
 بل من «بصائر الكلمات» إنهاء معانيها إلى عشرين معنى.

و عن بعضهم: أن المعنى الحقيقي له هو رقة القلب خاصة، ولذا لما لم يجز إطلاق «الرحمن» على غيره سبحانه، بل هو من أسمائه الخاصة اضطربت كلماتهم في إطلاقه على الله سبحانه، لاستلزامه المجاز بلا حقيقة، ولا يسوغ بمجرد الوضع بل لا بد من الاستعمال. فقيل: إنه غير مشتق، بل هو من الأسماء الجامدة، وإلا لا تصل بالمرحوم، فلا يقال: رحمن بعباده كما يقال: رحيم بعباده. وقيل: إنه غير عربي، بل عبري كما عن ثعلب «٦»، ولذا كانت الجاهلية لا تعرفه كما يستفاد من قوله تعالى:

(١) الروم: ٥٠.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

(٣) التوبة: ٩٩.

(٤) الزمر: ٣٨.

(٥) الإسراء: ١٠٠.

(٦) ثعلب: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الكوفي الشيباني بالولاء، أمام الكوفيين في النحو واللغة ولد سنة (٢٠٠) في بغداد و مات بها (٢٩١) هـ، من كتبه في اللغة «الفصيح» مطبوع. - الأعلام ج ١ / ٢٥٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٥٧

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴿١﴾.

و قوله: وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴿٢﴾.

و من ثم كان مذكورا في التوراة و لذا قيل: إن عبد الله «٣» بن سلام أو غيره من اليهود قال: يا رسول الله! إنك لتقل ذكر الرحمن و قد أكثره الله تعالى في التوراة فنزلت: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴿٤﴾.

لكنه لا- ينبغي التأمل في عربيته و لا في اشتقاقه للأصل بمعنى الظاهر، و قواعد الاشتقاق، و الأخبار الآتية و قولهم: و ما الرحمن «٥» مثل قول فرعون: وَ مَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ إنكار و تحقير و تعجيب، و مجرد ذكره في التوراة على فرضه مع أنه غير ثابت لا يخرج عن العربية، و لعله في الكتاب المحرف عندهم لا المنزل من عند الله.

هذا مضافا إلى ما قيل من أن هذا اللفظ كانت مشهورة في الجاهلية عند العرب موجودة في أشعارهم كما من الشنفرى «٧»:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمن ربّي يعينها

و قال سلامة «٨» بن جندل: «و ما يشأ الرحمن يعقد و يطلق».

(١) الفرقان: ٦٠.

(٢) الرعد: ٣٠.



(٣) عبد الله بن سلام الإسرائيلي حليف الأنصار المتوفى سنة (٤٣) هـ.

(٤) الإسراء: ١١٠.

(٥) الفرقان: ٦٠.

(٦) الشعراء: ٢٣.

(٧) هو عمرو بن مالك الشنفرى: شاعر جاهلى يمانى مات نحو (٧٠) قبل الهجرة- الاعلام:

ج ٥ / ٢٥٨.

(٨) سلامة بن جندل بن عبد عمرو، أبو مالك: شاعر جاهلى من الفرسان من أهل الحجاز، مات سنة (٢٣) قبل الهجرة).- الاعلام: ج ٣ / ١٦٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٥٨

و على ما سمعت فلا ينهض شىء من الوجهن لدفع الإشكال، كما لا ينهض له ما قيل: من منع اختصاصه بالله سبحانه، فإنه ليس فى محله لما صرح به كثير منهم من اختصاصه به، بل يومى إليه الأمر بالسجود له فى قوله: وَإِذَا قِيلَ لَهُم اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا «١» الآية. و يصرّح به

قول الصادق عليه السلام: «الرحمن اسم خاص بصفة عامة، و الرحيم اسم عام بصفة خاصة» (٢).

يعنى أن الرحمن اسم خاص بالله لا يصح إطلاقه على غيره تعالى لما ستعرفه.

و أما قول بنى حنيفه: مسيلمه (٣) رحمن اليمامة، و قول شاعرهم فيه: و أنت غيث الورى لا زلت رحمانا.

فقد قيل: إنه من تعنتهم و كفرهم فلا يعبا به سيما مع وصول المنع من الشرع.

ولذا قال الصدوق فى كتاب «التوحيد»: «إنه يقال للرجل رحيم القلب و لا يقال: الرحمن، لأن الرحمن يقدر على كشف البلوى و لا يقدر الرحيم من خلقه على ذلك، و قد جوز قوم أن يقال للرجل: رحمن، و أرادوا به الغاية فى الرحمة، و هذا خطأ» (٤) انتهى.

و فى «مجمع البيان»: «إن الرحمن بمنزلة اسم العلم، من حيث لا يوصف به إلا الله، فوجب لذلك تقديمه بخلاف الرحيم، لأنه يطلق عليه و على غيره» (٥).

(١) الفرقان: ٦٠.

(٢) مجمع البيان: ج ١ / ٢١.

(٣) مسيلمه الكذاب المدعى للنبوّة المقتول فى وقعة اليمامة سنة (١٢) هـ.

(٤) التوحيد: ص ٢٠٣، باب أسماء الله تعالى.

(٥) مجمع البيان: ج ١ / ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٥٩

و لا ما قيل من أن أسماء الله تعالى إنما تؤخذ باعتبار الغايات التى هى أفعال دون المبادئ التى تكون انفعالات (١).

فإنه تسليم للشبهة و التزام بإطلاق السبب على المسبب، بل الحق أن يقال:

إن الأسماء المشتركة بين الله و بين خلقه بحسب الإطلاق ليس لها اشتراك بينهما بحسب المعنى، بأن يكون إطلاقه عليهما بمعنى واحد، و حقيقة واحدة كى يكون المبدء مشتركا معنويا بينهما، فإن ذلك مستلزم لأحد المحذورين: إمكان الواجب أو وجوب الممكن «تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا»، بلا فرق فى ذلك بين الصفات الجلالية أو الجمالية الذاتية أو الفعلية، فإن صفات الممكن إنما هى على سبيل العروض، و مغايرتها للذات و اتصافها بها على وجه الاستعداد و القبول و الاستكمال، و لا يجرى عليه سبحانه ما

هو أجراه على خلقه، ولذا

قال مولانا الرضا عليه السلام في خبر طويل رواه في «التوحيد» و«الاحتجاج» و«العيون»: «إن الله تعالى سمي نفسه سمياً بصيراً، قادراً، قاهراً، حياً، قيوماً، ظاهراً، باطناً، لطيفاً، خبيراً، قوياً، عزيزاً، حكيماً، عليماً، و ما أشبه هذه الأسماء، فلما رأى ذلك من أسمائه الغالون المكذبون وقد سمعونا نحدث عن الله أنه لا شيء مثله، ولا شبه له من الخلق، قالوا أخبرونا إذ زعمتم أنه لا مثل الله ولا شبه له كيف شاركتموه في أسمائه الحسنى فتسميتهم بجمعها؟ فإن في ذلك دليلاً على أنكم مثله في حالاته كلها أو في بعضها دون بعض. قيل: لهم: إن الله تبارك وتعالى ألزم العباد أسماء من أسمائه على اختلاف المعاني، وذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين مختلفين».

إلى أن قال: «و إنما نسمى الله بالعالم بغير علم حادث علم به الأشياء

(١) كما في تفسير روح البيان: ج ١/ ٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٦٠

و استعان به على حفظ ما يستقبل من أمره و الروية فيما يخلق من خلقه مما لو لم يحضره ذلك العلم و يغيبه كان جاهلاً ضعيفاً، كما أننا رأينا علماء الخلق إنما سموا بالعلم لعلم حادث، إذ كانوا قبله جاهلين، و ربما فارقهم العلم فصاروا إلى الجهل، و إنما سمي الله عالمًا لأنه لا يجهل شيئاً، فقد جمع الخالق و المخلوق اسم العلم و اختلف المعنى».

ثم فصل عليه السلام الكلام في غيره من الأسماء المذكورة في صدر الخبر إلى أن قال في ذيله: «و هكذا جميع الأسماء و إن كنا لم نسمها كلها فقد تكفى للاعتبار بما القينا إليك» (١).

و بالجملة فالرحمة إذا اتصف بها الله سبحانه فليست بالمعنى الذي يتصف به خلقه، فهي من الله يده المبسوطة على خلقه بالفيض المقدس، أي الفيض الجاري على يده، فإن كانت اليمين و كلتا يديه يمين كما في الخبر (٢) فهو الفضل و إلا فالعدل الذي هو الرحمة الرحمانية كما أن فضله هو الرحمة الرحيمية.

و لعله إلى ما ذكرناه يرجع قول الصدوق رضي الله عنه: «إن الرحمة هي النعمة لا الرقة، لأنها من الله منتفية و إنما سمي رقيق القلب من الناس رحيمًا لكثرة ما يوجد الرحمة منه» (٣).

قلت: و هو كما ترى صريح في أن معنى الرحمة مطلقاً هو النعمة، لا الرقة حتى باعتبار إطلاقه على الناس، و استعمالها في الرقة على الضرب من المجاز، كما أنه إليه يرجع ما قيل: إنها فيض الله سبحانه الجاري على أطوار الموجودات، فإن جرى على مقتضى المشيئة الحتمية فهي الرحمة الواسعة، و إن جرى على مقتضى

(١) التوحيد: ص ١٨٦، باب أسماء الله تعالى، ح ٢.

(٢) الكافي: ج ٢/ ١٢٦، و عنه البحار: ج ٧/ ١٩٥، ح ٦٤.

(٣) التوحيد: باب أسماء الله تعالى: ص ٢٠٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٦١

المشيئة العزيمة فهي المكتوبة.

أقول: و ستمتع عن قريب تمام البحث في مغايرة المادة التي اشتق منها اسم الرحمن، و ما اشتق منه اسم الرحيم بحسب المعنى الملحوظ فيهما.

بقي الكلام في تحقيق هذين القسمين من الرحمة، و إن كان سيأتي إن شاء الله في الآية المتضمنة لهما رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ (١)، إلا أنه لا بد في المقام من شرح الاسمين الذين أحدهما إشارة إلى الواسعة و هو الرحمن،

و الآخر إلى المكتوبة، و هو الرحيم.  
و ذلك أن الله تعالى و هو الفعال لما يريد، علم و شاء و أراد و قدر و قضى و أمضى أن يجرى فيض جوده على حسب قبول الأعيان و اختياراتها و استعداداتها من السعادة و الشقاوة و الخير و الشر و النعيم و الجحيم و الاستقامة و الاعوجاج و غير ذلك مما يختاره الشيء حين تشيئه و حين ما هو شيء و من حيث ما هو مختار.  
إذ الحق أنه لا- جبر و لا إكراه و لا اضطرار في الشرع التكويني و لا في الكون التشريعي لا إكراه في الدين «٢»، أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ «٣».  
أنزل من السماء سماء الوجود و منبع الجود، عرش الإمكان و الأ-كوان، و مستوى الرحمن، ماء، و هو ماء الإفاضة و الإيجاد و مادة المواد، و مفيض القابلية و الاستعداد فَسَأَلَتْ أُوْدِيَّةٌ بِقَدْرِهَا «٤» و انوجدت الأشياء على حسب قبولها و اختياراتها، و هذه الرحمة التي هي مقتضى تلك المشيئة الحتمية يسمى رحمة العدل

(١) الأعراف: ١٥٦.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) يونس: ٩٩.

(٤) الرعد: ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٦٢

المشار إليها بقوله تعالى: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ «١» فإن كلا من الخيرات و الشرور، و الجنان و النيران، و السعادة و الشقاوة، يطلق عليها اسم الشيء، بل المبعدون المطرودون عن منبع النور أشد تحقفا في الشيئية من حيث أنفسها و إنياتها.  
و لذا

لَمَّا سئل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن الشيء أجاب عليه السلام بأنه كافر مثلك «٢».

سيما مع مطابقتها أعداده للمنكر الذي هو الثاني المطرود المبعد عن معدن النور أبو الشرور.

ثم إن اسم الرحمن هو الظاهر بهذه الرحمة الواسعة و النعمة الجامعة، قد استوى على عرش الوجود و فتح أبواب خزائن الرحمة و الجود، و لذا قال سبحانه:

إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا «٣»، لإفاده الوجود و الفيوض الموجبة للعبودية، و هو القدر المعلوم المشار إليه بقوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ «٤»، و هو و إن كان متساوي النسبة إلا أن الاختلاف لاختلاف القوابل و الأسولة فيعطى من سئله قدر سؤاله، و لو سئلته القوابل على نسبة واحدة لأعطاهم كذلك.

و لذا قال سبحانه: سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ «٥»، و قال: يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ «٦» بالسنة قبولهم و اختياراتهم و استعدادهم كل يوم، أى  
آن من الآتات،

(١) الأعراف: ١٥٦.

(٢) لم أظفر على مصدر له.

(٣) سورة مريم: ٩٣.

(٤) الحجر: ٢١.

(٥) فصلت: ١٠.

(٦) الرحمن: ٢٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٦٣

أو رتبة من المراتب الإمكانية والكونية من الطولية والعرضية هو في شأن من شؤون الربوبية برحمته الواسعة و يده الباسطة، فإن له الربوبية إذ لا مربوب، وهذه ربوبية إذ مربوب، فافهم الكلام و على من يفهم السلام.

و أما الرحمة المكتوبة المشار إليها بقوله: فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ «١».

ثم فسر الآيات بمتابعة: النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ «٢» و الإيمان بالنور الذي معه و هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

و بقوله تعالى: وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا «٣» الآية.

و هذه الرحمة هي التي بها يسعد من سعد، و يفوز من يفوز، و يشقى من يشقى و هو العقل الذي به يثيب و به يعاقب، و به يعبد الرحمن و يكتسب الجنان، و هي مقتضى المشيئة العرضية، فإن الله تعالى أحب لعباده الخير ليوصلهم إلى جنات و نهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، بل إنما خلقهم لهذا لا لغيره، و لذا قال:

وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ «٤»، و قال: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ «٥».

و الظاهر بهذه الرحمة بل مظهرها هو اسمه تعالى الرحيم، و لذا قال الصادق صلى الله عليه و آله و سلم على ما رواه في «التوحيد» و «تفسير الإمام»: الرحمن الذي يرحم

(١) الأعراف: ١٥٦.

(٢) الأعراف: ١٥٧.

(٣) الأنعام: ٥٤.

(٤) هود: ١٨ - ١٩.

(٥) الذاريات: ٢٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٦٤

ببسط الرزق علينا «١».

و

في تفسير الإمام: «العاطف على خلقه بالرزق، لا يقطع عنهم مواد رزقه و إن انقطعوا عن طاعته، و الرحيم بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعته، و بعباده الكافرين في الرفق بهم في دعائهم إلى موافقته».

قال الإمام عليه السلام في معنى الرحمن: «و من رحمته أنه لما سلب الطفل قوة النهوض و التغذى جعل تلك القوة في أمه و رققها عليه، لتقوم بتربيته و حضنته فإن قسى قلب أم من الأمهات أوجب تربيته هذا الطفل على سائر المؤمنين، و لما سلب بعض الحيوانات قوة التربية لأولادها و القيام بمصالحها جعل تلك القوة في الأولاد لينهض حين تولد و تسير إلى رزقها المسبب لها».

إلى أن قال عليه السلام:

«فأما الرحيم فإن أمير المؤمنين عليه السلام قال: رحيم بعباده المؤمنين، و من رحمته أنه خلق مائة رحمة، و جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم فيها يترحم الناس، و ترحم الوالدة لولدها، و تحنوا الأمهات «٢» من الحيوانات على كل أولادها «٣»، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة إلى تسعة و تسعين رحمة فيرحم بها أمه محمد صلى الله عليه و آله و سلم، ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملة حتى أن الواحد ليحجى إلى مؤمن من الشيعة فيقول: اشفع لي، فيقول: و أى حق لك على؟ فيقول:

سقيتك يوما ماء فيذكر ذلك له، فيشفع له فيشفع فيه، و يحجى آخر فيقول له: إن لي عليك حقا فاشفع لي، فيقول: و ما حقك على؟

فيقول: استظلمت بظل جدارى ساعة فى يوم حارّ، فيشفع له فيشفع فيه، و لا يزال يشفع حتى يشفع فى جيرانه و خلطائه

(١) التوحيد: ص ١٦٤، و عن البحار: ج ٩٢ / ٢٣٣.

(٢)

فى البحار: و تحنن.

(٣)

فى البحار: على أولادها. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٦٥

و معارفه فإن المؤمن أكرم على الله مما يظنون» (١).

و روى فى «المجمع» عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم ما يقرب منه (٢).

و من جميع ما مر يظهر معنى

قول مولانا الصادق عليه السلام على ما رواه فى «المجمع» قال: «الرحمن اسم خاص بصفة عامة و الرحيم اسم عام بصفة خاصة» (٣).

و فى بعض النسخ اللام عوض الباء.

و على كل حال، فالمعنى أن الرحمن اسم خاص بالله سبحانه لا يطلق على غيره حسب ما مر، و إطلاقه عليه إنما هو باعتبار صفة عامة

يعم الخلق جميعا: البر منهم و الفاجر، و الباطن منهم و الظاهر، لأنه يشملهم فى مقام التكوين بعد التمكين و فى رتبة جريان الماء على

الطين قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٤).

و أن الرحيم اسم عام يطلق عليه و على غيره، لكن باعتبار تعدد المعنى لا اتحاده حسبما سمعت، و إطلاقه عليه سبحانه باعتبار معنى

خاص يشمل المؤمنين خاصة.

نعم، ربما يقال: إنَّ الرحمن هو معطى الرحمة و الخير و البركة و الرزق و الحياة فى الدنيا و الرحيم هو معطى النور و الكرامة و المغفرة

و الثواب فى الآخرة فخصوا الرحمة الدنيوية فضلا كانت أو عدلا باسم الرحمن، و الأخروية من الصنفين جميعا

(١) بحار الأنوار: ج ٩٢ / ٢٤٠ - ٢٥٧، ح ٤٨ عن التفسير المنسوب إلى الإمام العسكرى عليه السلام.

(٢) مجمع البيان: ج ١ / ٢١.

(٣) المجمع: ج ١ / ٢١.

(٤) الملك: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٦٦

باسم الرحيم.

و ربما يستدل له بما

رواه فى «المجمع» عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «إن عيسى بن مريم قال: الرحمن رحمن الدنيا و

الرحيم رحيم الآخرة» (١).

قلت: و هذه الرواية كأنها عامية مع أن الكلمتين عربيتان.

و على كل حال فهو لا يعارض الأخبار المتقدمة الظاهرة فى إطلاقهما فى كل من الدارين، سيما بعد ما

ورد فى الدعاء: «يا رحمن الدنيا و رحيمها» كما فى الدعاء الرابع و الخمسين من «الصحيفة السجادية» و غيرها.

و لعل المراد بالنبوى المتقدم أنه الرحمن فى الأمور الدنيوية، الرحيم فى الأمور الأخروية، فعبر بالأول عن الفضل و بالثانى عن العدل،

مع وقوع كل من الأمرين في الدنيا والآخرة وأن يد الله ليست مغلوله في الدنيا ولا في الآخرة، بل يدها مبسوطتان بالعدل والفضل فيهما ينفق كيف يشاء بالمشية الحتمية أو العرفية حسبما سمعت.

ولذا

قال مولانا الصادق عليه السلام على ما رواه في «الكافي» و«التوحيد» و«العياشي» في تفسير البسملة: «إن الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مجد الله».

و

في رواية «ملك الله و الله إله كل شيء الرحمن بجميع خلقه الرحيم بالمؤمنين خاصة» «٢».

و

في «التوحيد»: «الرحمن بجميع العالم والرحيم بالمؤمنين وهم شيعته»

(١) مجمع البيان: ج ١ / ٢١.

(٢) التوحيد للصدوق: ص ٢٠٣، ح ٢ و ٣، باب معنى بسم الله. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٦٧

آل محمد خاصة» «١».

قلت: وإليه الإشارة بقوله وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا «٢» وَإِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ «٣».

فالعدل يشمل كل العالم في الدنيا والآخرة بلا فرق بين البر والفاجر إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا «٤»، إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ «٥».

والفضل يشمل المؤمنين في الدنيا بالتوفيق للصالحات والعصمة عن السيئات وإدراك الرزق، ورفع البلاء، وجميل العطاء، وفي الآخرة بالمغفرة والجنة التي لا يستحقه أحد بعمله.

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا «٦».

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ «٧».

بالمشية العزيمة الفضلية بل ورد في تفسير قوله: قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ «٨».

في «المجمع» عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «والذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله»

(١) التوحيد للصدوق: ص ٢٠٣، ح ٣، وفيه: بالمؤمنين خاصة.

(٢) الأحزاب: ٤٣.

(٣) الأعراف: ٥٦.

(٤) يونس: ٤٤.

(٥) النساء: ٤٠.

(٦) يونس: ٥٨.

(٧) النور: ٢١.

(٨) الأنعام: ١٥-١٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٦٨

برحمته منه و فضل» «١».

ويشمل الكافر أيضا من جهة إدراك الرزق، ودفع البلاء ونحوه، إلا أنه مع كونه بتبعية المؤمنين لأنفسهم وإصلاح معاشهم إمهال و

استدراج لهم.

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُنَمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ «٢».

فقد تبين مما مرّ أن الفرق بين الاسمين باعتبار الشمول و العدل لا الدنيا و الآخرة.

### إيراد مقال لدفع إشكال

ربما يورد على ما ذكرناه من انقسام الرحمة إلى القسمين و أن الرحمانية هي العامة الواسعة التي يشترك فيها الموافق و المنافق إشكال حاصله أنه

ورد في الدعاء: «اللهم إنك قلت و قولك الحق: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ «٣» و أنا شيء فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين «٤».

و من البين أن الرحمة المسؤولة هي الفضل الذي بيد الله، يؤتیه من يشاء قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا «٥».

و هو الرحمة الرحيمية الإيمانية المشار إليها بقوله:

(١) مجمع البيان: ج ٢ / ٢٨٠، و عنه البحار: ج ٧ / ١١.

(٢) آل عمران: ١٧٨.

(٣) الأعراف: ١٥٦.

(٤) مصباح المتعجب: ص ٢٥٠، و عنه البحار: ج ٨ / ٩٠.

(٥) يونس: ٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٦٩

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ «١» و قوله: أَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ «٢».

و أما رحمة العدل فلا بد أن يجرى على حسب القبول و الاستعداد و الحكمة و التربية، و لذا يشترك فيها المؤمن و الكافر، و البر و الفاجر.

بل رحمة العدل ليس شيء منها يسأل أو يطلب، لأن الخوف كل الخوف من عدله تعالى، و لذا

ورد: «إلهي ربّ عاملنا بفضلك و لا تعاملنا بعدلك»

و

في الدعاء: «كل خوفي من عدلك»

و

ورد في قوله: وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ «٣»، أن المراد هو الاستقصاء و المدافعة فسماه سوء الحساب.

و على هذا فكيف يستقيم الاستشهاد بالآية سيما بعد ملاحظه ما سبق، و مقابلتها بالمكتوبة مع أن ظاهره الاستدلال بعموم الشيء.

و ربما يجاب بأن الله تعالى حيث أنه عالم السر و الخفيات يعلم مراد السائلين، و يطلع على ضمائر الطالبين، خاطبه الداعي بما عنده مما يعلمه أن الله يعلم ما في سره و قلبه، فكأنه أراد بقوله: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ فَضْلِكَ شامل، فوسع كل من رضيت دينه، و أنا يا إلهي ممن ترضى دينه لإيماني بالتوحيد و النبوة و الولاية، و إتياني بما أمرتني به خاضعا مسلما، فلتسعني رحمتك، و لا تؤاخذني بالمعاصي الذي اقترفت و اغفرها لي.

و حاصله كما صرح به هذا القائل تخصيص الشيء في الآية و إطلاق الرحمة الواسعة على رحمة الفضل.

قلت: و يمكن أن يكون الإطلاق في الدعاء على فرضه، حيث إنني لا

(١) البقرة: ١٠٥.

(٢) هود: ٣.

(٣) الرعد: ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٧٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ٢٩٩

يحضرني موضعه «١» مبتيا على تنزيل ما سوى المرحوم بالرحمة الرحيمية بمنزلة المعدوم، و أن الشيء حقيقة هو المرحوم بالرحمة الإيمانية، و أما المرحوم بالرحمة الرحمانية خاصة فهو لا شيء، كما هو المستفاد من قوله تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعٍ يَخْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا «٢».

ولذا

لما سئل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن لا شيء أجاب بأنه سراب.

و من هنا نفى عنهم الحياة و السمع و البصر في كثير من الآيات كقوله:

أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ «٣»، أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ «٤» الآية، و غيرها من الآيات.

فكانه ادعى أن رحمتك هي الرحمة الإيمانية، و هي وسعت كل شيء بالمعنى المتقدم كقوله: لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ «٥».

و أما قوله: «و أنا شيء» فمعناه بالتوجه إليك، و السؤال منك، و الإقبال عليك.

على أن هذا النوع من التلطف في السؤال مبنئ على ضرب من الإدلال، لا- يعرفه أصحاب القيل و القال، و مثله كثير في المناجاة المأثورة عن النبي و آل عليهم صلوات الله الملك المتعال.

#### تنبيه

ما ذكرناه في اشتقاق الرحمة إنما هو بحسب الاشتقاق اللفظي، و أما من

(١) تقدم الموضوع: مصباح المتهجد ص ٢٥٠ و عنه البحار: ج ٨ / ٩٠.

(٢) النور: ٣٩.

(٣) النحل: ٢١.

(٤) الفرقان: ٤٤.

(٥) يس: ٧٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٧١

حيث المعنوي الذي قد سمعت جملة الكلام فيه فهي مشتقة من رحم محمد و آل محمد صلى الله عليهم أجمعين، و ذلك أنهم هم الرحمة الموصولة المشار إليها في الزيارة الجامعة أي الموصولة بفعله سبحانه، فهم نفس فعله الموصول به سبحانه، اتصال الفعل بالفاعل، و الصنع بالصانع، و شيعتهم موصولون بهم اتصال شعاع الشمس بالشمس، و النور بالمنير، بأنحاء التجليات و الإشراقات الواقعة في السلسلة الطولية، و في عرض تلك السلسلة، و ذلك أنه إن ذكر الخير كانوا أوله و أصله و معدنه و مأواه و منتهاه، فطينة



شيعتهم مشتقة من فضل طينتهم، و أفعالهم من أفعالهم و أقوالهم من أقوالهم، و أحوالهم من أحوالهم، و إرادتهم من إرادتهم. فمن أخذ بالمنهج القويم، و سلك الصراط المستقيم، و اتبعهم في جميع الأفعال و الأقوال بلا تخلف عنهم في أمر من الأمور فقد اقتبس من أنوارهم، و اقتفى على آثارهم و وصل رحمهم، و من خالفهم في الجميع فقد قطع رحمهم، و بين هذين درجات و مراتب يسير فيها السائرون، و يسلكها السالكون، فأصل هذه الرحم هو الولاية، و من فروعها كل خير و برّ و إحسان.

ولذا

قال الصادق عليه السلام في الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ (١): «إنها نزلت في رحم آل محمد عليهم السلام و قد يكون في قرابتك» ثم قال عليه السلام:

«فلا تكونن ممن يقول للشئ: إنه في شئ واحد» (٢).

و في تفسير الإمام عليه الصلاة و السلام عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «أنّ الرحمن مشتقّ من الرحمة، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: قال الله عزّ و جلّ: أنا الرحمن و هي الرحم، شققت لها اسما من اسمي، من وصلها وصلته،

(١) الرعد: ٢١.

(٢) بحار: ج ٧٤ / ١٣٠، ح ٩٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٧٢

و من قطعها قطعته».

ثم قال على عليه السلام: «أو تدري ما هذه الرحم التي من وصلها وصله الرحمن، و من قطعها قطعه الرحمن؟» فقيل: يا أمير المؤمنين حتّ بهذا كلّ قوم أن يكرموا أقربائهم و يصلوا أرحامهم، فقال لهم: أحثّهم على أن يصلوا أرحامهم الكافرين، و أن يعظّموا من حقره الله و أوجب احتقاره من الكافرين؟ قالوا: لا و لكنه حثّهم على صلة أرحامهم المؤمنين، قال: فقال: أوجب حقوق أرحامهم لاتصالهم بأبائهم و أمهاتهم، قلت: بلى يا أخا رسول الله، قال: فأبائهم و أمهاتهم، إنّما غدّوهم في الدنيا و وقوهم مكارهها و هي نعمة زائلة، و مكروه ينقضي، و رسول ربهم ساقهم إلى نعمة دائمة لا تنقضي، و وقاهم مكروها مؤبدا لا يبدا.

فأى النعمتين أعظم؟ قلت: نعمة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أعظم و أجل و أكبر، قال:

فكيف يجوز أن يحثّ على قضاء حقّ من صغّر الله حقّه، و لا- يحثّ على قضاء من كبر الله حقّه؟ قلت: لا يجوز ذلك، قال فإذا حقّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أعظم من حق الوالدين، و حقّ رحمه أيضا أعظم من حقّ رحمهما، فرحم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أولى بالصلة و أعظم في القطيعة، فالويل كلّ الويل لمن قطعها، و الويل كل الويل لمن لم يعظّم حرمتها، أو ما علمت أنّ حرمة رحم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حرمة الله؟ و أنّ الله أعظم حقا من كل منعم سواه، فإنّ كل منعم سواه إنما أنعم حيث قيضه له ذلك ربّه و وقّعه، أما علمت ما قال الله تعالى لموسى بن عمران حيث قال: يا موسى أتدرى ما بلغت رحمتي إياك؟ فقال موسى عليه السلام: أنت أرحم بي من أبي و أمي، فقال الله: يا موسى! إنما رحمتك أمك لفضل رحمتي، فأنا الذي رفقته عليك، و طيب قلبها لتترك طيب و سنّها لتربيته، و لو لم أفعل ذلك بها لكانت و سائر الناس سواء، يا موسى أتدرى أنّ عبدا من عبادي مؤمنا تكون له ذنوب و خطايا تبلغ أعنان السماء فأغفرها له و لا أبالي، قال: يا رب! و كيف لا تبالي؟

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٧٣

قال: لخصلة شريفة تكون في عبدي أحبها، و هي أن يحبّ إخوانه الفقراء المؤمنين، و يتعاهدهم و يساوى نفسه بهم، و لا- يتكبر عليهم، و إذا فعل ذلك غفرت له ذنوبه و لا أبالي.

يا موسى إنّ العظمة ردائي، و الكبرياء ازارى، فمن نازعني في شئ منهما عدّته بناري.

يا موسى إن من إعظام جلالى إكرام عبدى الذى أنلته حظا من الدنيا عبدا من عبادى مؤمنا قصرت يده فى الدنيا، فإن تكبر عليه فقد استخفَّ بعظيم جلالى.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الرحم الذى اشتقها الله من رحمته بقوله: أنا الرحمن، هى رحم آل محمد، وإن إعظام الله تعالى إعظام محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كل مؤمن و مؤمنة من شيعتنا هو من رحم آل محمد، وإن إعظامهم من إعظام محمد، فالويل لمن استخفَّ بشيء من حرمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وطوبى لمن عظم حرمة، و أكرم رحمه و وصلها... «١» الخبر.

و هذا الذى ذكرته شعبة من الصلة و إلأ

فقد ورد أنهم أصل كل خير، و من فروعهم كل برّ و عمل صالح من الصلاة و الصوم و الزكاة و الحج و الصدق و الأمانة و التقوى و غير ذلك من العبادات القلبية و القلبية، و أنّ عدوّهم أصل كل شرّ و من فروعهم كل شرّ، فمن انقطع منهم و أخذ بفروع أعدائهم قولاً و فعلاً و عملاً فقد انقطع عنهم و قطع رحمهم و لذا قالوا: «كذب من زعم أنّه من شيعتنا و هو أخذ بفروع غيرنا» «٢».

ثم لا يخفى عليك أنّ الرحمة الإيمانية كما أنها مشتقة منهم، فكذلك الرحمة الرحمانية فإنهم الرحمة الكلية و المشية الإلهية، بهم فتح الله و بهم يختم، و بهم ينزل

(١) بحار الأنوار: ج ٢٣ / ٢٦٦ / ٢٦٨، عن تفسير الإمام عليه السلام.

(٢)

بحار الأنوار: ج ٢٤ / ٣٠٣ - ٣٠٤، ح ١٥ عن كنز الفوائد و فيه: كذب من قال: إنه معنا و هو متعلق بفروع غيرنا. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٧٤

الغيث، و بهم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا- بإذنه، و ذلك أنّ اله تعالى فتح بهم كل بر و خير، بل كل خلق و إيجاد و إمكان.

كما

رواه جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وآله و سلم على ما هو المروى فى «رياض الجنان» قال: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم أول شيء خلقه الله ما هو؟ فقال:

«نور نبيك يا جابر خلقه الله، ثم خلق منه كل خير، ثم أقامه بين يديه فى مقام القرب ما شاء الله ثم جعله أقساماً، فخلق العرش من قسم، و الكرسي من قسم، و حملة العرش و خزائن الكرسي من قسم.

و أقام القسم الرابع فى مقام الحب ما شاء الله، ثم جعله أقساماً فخلق القلم من قسم، و اللوح من قسم و الجنة من قسم. و أقام الرابع فى مقام الخوف ما شاء الله، ثم جعله أجزاء، فخلق الملائكة من جزء، و الشمس من جزء، و القمر و الكواكب من جزء، و أقام القسم الرابع فى مقام الرجاء ما شاء الله، ثم جعله أجزاء فخلق العقل من جزء، و العلم و الحلم من جزء، و العصمة و التوفيق من جزء، و أقام القسم الرابع فى مقام الحياء ما شاء الله، ثم نظر إليه بعين الهيئة فرشح من ذلك النور قطرات: مائة ألف و أربعة عشرون ألف قطرة، فخلق الله من كل قطرة روح نبى و رسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء و الشهداء الصالحين» «١» الخبر بطوله.

فهم الرحمة العامة، و الكلمة التامة، و مبدء الإيجاد و مادة المواد، و معطى القابلية و الاستعداد، بإذن الوهاب الجواد. فإن المشية الكلية تقوّمت بالحقيقة المحمدية تقوّم ظهور، فظهرت و أشرقت أرض الإمكان و الأ-كوان بنورها، و ظهرت الأشعة بإشراقها، هى الزيتون التى يكاد زيتها يضىء و لو لم تمسسه نار.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٢١-٢٣، ح ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٧٥

### تبصرة

قد تبين لك مما سمعت سابقا السر في تقديم اسم الرحمن على الرحيم، وذلك أن الرحمن إشارة إلى الرحمة الواسعة السابقة في عالم الناسوت من حيث الظهور والبروز، كتقدم الشجرة على الثمرة، وإن كانت الثمرة هي الأصل في الشجرة، وكتقدم الأنبياء على خاتم النبيين صلوات الله عليهم أجمعين مع أنه كان نبيا و آدم بين الماء والطين.

هذا مضافا إلى وسعتها وعمومها واختصاصها بالله سبحانه، حيث إنك قد سمعت أنه لا يجوز إطلاقه على غيره، ولذا قرنه مع اسم الذات في مقام الدعاء الذي لا ينبغي أن يشرك به أحدا في قوله: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ «١» وإن أمكن أن يقال: أن ليس المراد ذكر خصوصية للإسمين، بل التسوية بينهما وبين سائر الأسماء لقوله: أَيَّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى «٢»، كما في قوله: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا «٣».

إلا أن الظاهر من الاقتصار عليهما والاقتران مع اسم الذات، بل وضعهما موضعه في الآية الثانية تقدمه على سائر الأسماء.

ولذا

ورد في النبوي: «أحب الأسماء إلى الله عبد الله و عبد الرحمن» «٤».

و أيضا

ورد في الخبر المشهور: «إن لله تسعة و تسعين اسما، من أحصاها

(١) الإسراء: ١١٠.

(٢) الإسراء: ١١٠.

(٣) الأعراف: ١٨٠.

(٤)

بحار الأنوار: ج ١٠٤ / ٩٣، ص ٩٣ عن مكارم الأخلاق: ص ٢٥٢ وفيه: «أحسن الأسماء»

و

في نفس المصدر ص ١٢٧، ح ٢ عن الخصال: ج ١ / ١٧١ «خير الأسماء»

و أيضا

في البحار: ج ١٠٤ / ١٣٠، ح ٢١ عن نوادر الراوندي ص ٩٠ «نعم الأسماء». تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٧٦

دخل الجنة و هي: الله، الإله، الواحد، ... الرحمن، الرحيم ... «١».

فقدمه على غيره من أسماء الصفات مع أن الرحمة الرحمانية كالمادة الأولية لعامة الخلق، و الرحيمية كالصورة الإيمانية، و الأولى في رتبة النبوة، و الأخرى في مقام الولاية بها تمام النبوة بل إكمال الدين و إتمام النعمة هذا في الظاهر.

و أما في الباطن فالأمر على العكس، فإن الولاية التامة العامة الكاملة للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و ظهور النبوة بوصيته لأنه الباب و الحجاب، و لذا قال: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ إِلَى قَوْلِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُفٌ رَحِيمٌ «٢» أى بوصيته الذى هو نفس الإيمان و مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ «٣».

و أيضا قد ورد اسم «الرحمن» في القرآن المجيد بعد تكرره في أوائل السور في البسملة في بضع و أربعين موضعا و لم يذكر في شيء منها بعد اسم من الأسماء إلا بعد كلمة «الله» أو الضمير الدال عليه، كما في قوله: هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ «٤». فإنه قد وقع رديفا لكثير من الصفات الفعلية كالغفور، و الرب، و الرؤوف، و العزيز، بل لم يأت متصلا بما يدل على الذات من الاسم الظاهر و المضمّر.

و أيضا ربّما يعلل التقديم مرة باختصاص الأول بالدنيا و الأخير بالأخرى، و فيه ما سمعت.

و باختصاص الرحمن بالعرش الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى «٥» كالرحيم

(١) بحار الأنوار: ج ٤ / ١٨٦، ح ١ عن التوحيد و الخصال.

(٢) التوبة: ١٢٨.

(٣) المائدة: ٥.

(٤) البقرة: ١٦٣.

(٥) طه: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٧٧

بالكرسى، و لا ريب في فضل الأول على الثاني، و إن كان كل منهما بابا من أبواب الغيوب، إلى غير ذلك من المناسبات التي ينبغي أن يقال: إن الصحيحة منها نكات بعد الوقوع.

و أخرى بأنه صار كالعلم لله، لا من حيث إنه موضوع لذاته تعالى، بل من حيث إنه لا يوصف به غيره، فهو أليق بلصوق لفظ الجلالة، و بكونه بمنزلة الموصوف للرحيم، و بالتوسط بينهما لكونه ذا جهتين.

بل عن بعض المحققين أنه بدل من لفظ الجلالة، و الرحيم صفة له، لا للجلالة، إذ حق النعت التقديم على البدل.

و ذكر بعض الأجلة أن الرحمن صفة للجلالة و الرحيم صفة الرحمن، مضافا إلى اختصاص معناه به سبحانه، و ذلك لأن معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها، و ذلك لا يصدق على غيره، لأن من عداه فهو مستفيض بلطفه و إنعامه، يريد جزيل ثواب، أو جميل ثناء، أو إزالة الرقة الناشئة من الجسدية، كمن رأى بعض أبناء جنسه في بليء، فتألم قلبه ورق له و خلصه منها، طلبا لإزالة ذلك التألم بالتخليص المذكور، أو إزالة حب المال و رذيلة البخل، الذي هو أقبح الخصال، و أشنع الرذائل كمن يفرّق أمواله في الناس تكميلا لنفسه و تخليصا لها من تلك الرذيلة، فمبالغة الرحمة حيث اختصت به سبحانه أفادت اختصاص الوصف به.

نعم، ربما يناقش فيه بأن ذلك يتصور بأحد وجهين:

أحدها: أن يكون الذات المعتر فيه معينا بأنه المنعم الحقيقي لا من حيث المفهوم.

و الآخر: أن الزيادة المبالغة في الصيغة تستدعي البلوغ إلى الغاية، و يلزم منه أن لا يصدق إلّا على المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها و هو الله، فيأول معناه إلى ذلك و كلاهما فاسدان.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٧٨

أما الأول، فلأنه مع تعيين الذات يكون اسما لا صفة، و المفروض خلافه.

و أما الثاني فلأن زيادة المبالغة في الصفة لو استدعى البلوغ إلى الغاية لكان العلام لا يصدق إلّا عليه سبحانه، فإنه البالغ إلى غاية العلم، و كذا الكبار بالتشديد لا يصدق إلّا عليه، لأنه البالغ إلى غاية العظمة و الكبرياء، فإذا معنى لفظ الرحمن لا يستدعي أن يختص هذا الاسم به سبحانه، و مقتضى القياس صحّة إطلاقه على كل من وجد فيه معناه، لكنّه خص الاستعمال عليه تعالى، فلم يصح إطلاقه على غيره تعالى اتباعا للاستعمال، كما أوجب حذف عامل سقيا و ورعا اتباعا له و القياس جواز ذكره.

أقول: وهو مدفوع بأن المراد هو الوجه الثاني، لكن الصفات على قسمين:

صفات ربوبية و صفات عبودية، وقد سمعت سابقا أن إطلاق ما يجوز إطلاقه على الله و على خلقه ليس على سبيل الاشتراك المعنوي، بل إطلاقه على كل منهما بمعنى غير الآخر، كما وقع التصريح به في أخبار أهل البيت عليهم السلام. فالرحمة التي وضع الرحمن للمتصف بها هي الرحمة التي لا يمكن صدورها من غيره كالإبداع و إنشاء الرحمة الواسعة و المشيئة الكلية، و الحقيقة المحمدية، بل هكذا غيرها من الفيوض الدنيوية و الأخروية، فإن جميعها منه سبحانه، و هو المنعم بها على خلقه لا غيره، و لو كان لغيره مدخلية فيها، فإنما هي على وجه الوساطة و التبعية و التلقى. فالرحمة المأخوذة مادة للرحمن إنما أخذت بهذا المعنى، و هيئة المبالغة الحاصلة بزيادة الألف و النون إنما أفادت عموما في الخصوص.

و من هنا يسقط النقص بمثل العلام فإن الاختصاص لم يصل من مجرد المبالغة، و لذا لا نقول به في الرحيم المأخوذ مادته من مطلق الرحمة.

و في المقام وجه آخر و هو البناء على اتحاد المادة فيهما إلا أن بناء فعلا من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٧٩

هذه المادة لإفادة المبالغة الخاصة المتقدمة لا مطلق المبالغة التي يبنى لإفادتها ساير الصيغ و بكل من الوجهين يحصل الجمع بين المنع عن إطلاقه إلى غيره تعالى شرعا و لغة و بين ما هو الأظهر الأشهر.

بل ادعى بعض المحققين عليه الإجماع من كونه وصفا لا- علما، و لذا وصف به في البسمله و غيرها و أضيف فيما يظهر فيه معنى الوصفية كما في الدعاء: «يا رحمن الدنيا و الآخرة» و غير ذلك مما ينافي العلمية.

و أمّا ما ذكره أخيرا من أن عدم صحة الإطلاق إتباع للاستعمال ففيه ما لا يخفى، سيما بعد ورود الشرع بالمنع عنه، ضرورة أنه لا يكون ذلك إلا باعتبار المعنى.

و مما يؤيد ما ذكرناه من المغايرة بحسب المعنى ما ذكره الصدوق في كتاب «التوحيد» حيث قال: أنه يقال للرجل: رحيم القلب، و لا يقال: الرحمن، لأن الرحمن يقتدر على كشف البلوى و لا يقدر الرحيم من خلقه على ذلك.

قال: و قد جوز قوم أن يقال للرجل: رحمن، و أرادوا به الغاية في الرحمة و هذا خطأ «١».

أقول: فانظر كيف أخذ الرحمن من الفعل الربوبي الذي يعجز عنه الرحيم من خلقه، و كيف حكم بخطأ من أخذه من الرحمة التي هي مادة الرحيم مع اعتبار المبالغة فيها.

و من تصانيف ما مرّ يظهر لك ضعف ما قيل أيضا من أن السبب في أبلغية اسم الرحمن زيادة البناء لأنها تدل على زيادة المعنى كما في قطع و قطع، و كبار و كبار.

(١) توحيد الصدوق: ص ٢٠٣، باب أسماء الله تعالى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٨٠

فإنه مبنى على اتحاد المعنى الذي أخذت منه الصيغتان، و قد سمعت أنه قد أخذ كل منهما من غير ما أخذت منه الأخرى.

ثم إن قاعدة دلالة زيادة المباني على زيادة المعاني قد نقضت بحذر و حاذر، فإن الأول أبلغ كما صرحوا به، و أجيب بأن الشرط اتحاد الكلمتين بأن يكون كل واحد منهما اسم فاعل أو صفة مشبهة مثلا، سلّمنا لكن القاعدة أغلبية لا كلية سلّمنا لكن أبلغية حذر إنما نشأت من إلحاقه بالغرائز كنههم و فطن، فجاز أن يكون حاذر أبلغ لدلالته على زيادة الحذر بسبب زيادة لفظه، فأبلغية حذر إنما هو من حيث الثبوت و الاستمرار، و أبلغية حاذر من حيث الشدة من غير إفادة الاستمرار، فتأمل، فإن الزيادة منتفية حيثئذ بل الحاصل

المساوات في جهة الزيادة.

وهذه الوجوه وإن كانت بحذافيرها ساقطة في خصوص المقام على ما أصيّلناه لك سابقا من اختلاف المادّة معني، إلّا أن القاعدة لا بأس بها على وجه الغلبة لو لم ندع الكلية بعد التأمل في قواعد الاشتقاق، وكون الداعي في زيادة الحروف على المبادئ واعتوار الهيئات المختلفة عليها إفادة الخصوصيات الزائدة.

ولذا ربما يستشهد عليها بالكلام الموروث عن العبد الصالح آصف بن برخيا حيث قال: إن الأشكال مغناطيس الأرواح، فإنّ الروح في الجسد كالمعنى في اللفظ، كما في العلوى.

ثمّ إنه قد ظهر مما مرّ كون الرحمن وصفاً، وأنّه تابع لاسم الجلالة معني وإعراباً، وربما يحكى عن جماعة كابن مالك والأعلم وابن هشام كونه علماً بالغلبة، فلا يجوز كونه وصفاً، بل يتعيّن كونه بدلاً من لفظ الجلالة، وبه أسقطوا سؤال الزمخشري وغيره عن سبب تقديم الرحمن مع أنّ عاداتهم تقديم غير الأبلغ كقولهم عالم نحير، و جواد فياض.

بل استدّلوا أيضاً لذلك بمجيئه كثيراً غير تابع نحو الرَّحْمَنُ عَلَّمَ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٨١

الْقُرْآنَ «١»، قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ «٢»، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ «٣».

وقد طعن غير واحد منهم على من استعمله مجرداً من اللام.

قال ابن هشام: وأما قول الزمخشري: وإذا قلت: الله رحمن أ تصرفه أم لا.

وقول ابن الحاجب: إنّه اختلف في رحمن أى في صرفه فخارج عن كلام العرب من وجهين: لأنّه لم يستعمل صفةً ولا مجرداً من أل في الضرورة.

ثم إن منشأ الاختلاف في صرفه وعدمه هو الاختلاف في أنّ شرط تأثير الألف والنون هل هو عدم قبول الوصف للحق التاء إمّا لأنه لا مؤنث له أصلاً كالحيان الكبير اللحيه، أو لأن مؤنثه فعلى فهو على الأول ممتنع صرفه لانتفاء رحمانه، وعلى الثاني منصرف لانتفاء رحمى.

وقد تكلم نجم الأئمة وغيره في ترجيح أحد المذهبين على الآخر بما لا يعود إلى طائل، فلاحظ.

### ختام و تكملة في انتظام الأسماء الثلاثة في البسملة

اعلم أنّ الله سبحانه من حيث ذاته المطلقة لا اسم له ولا رسم، ولا نعت ولا وصف، وهو مقام الأحدى المطلقة والهوية الغيبية، و أما في مقام الواحدية فهذه صفات ذاتية و فعلية، و الفعلية عدلية و فضلية، و لما كان مقام البسملة هو الوسيلة الكلية و العناية الإلهية و الإقبال الكلى و الرجوع إلى الفقر الأصلي و كان حقيقة العبد

(١) الرحمن: ١-٢.

(٢) الإسراء: ١١٠.

(٣) الفرقان: ٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٨٢

هى نفس الفقر الكلى المحيط به من جميع جهاته، لا جرم ينبغى له الاستعانة و الالتجاء إلى الله سبحانه بجميع أسمائه و صفاته و هى و إن كانت غير متناهية ليس لأحد الوقوف على شىء منها إلا بإلهامه و تعليمه سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا «١».

إلا أن هذه الأسماء الثلاثة جامعة لجميعها، و لذا بدأ سبحانه فى تعليمه لنا بالبسملة التى هى كنز من كنوز الغيبية، بل مفتاح كلى

للخزائن الإلهية بالاسم الدال على الذات المستجمع لجميع الصفات الكمالية من الجمالية والجلالية. ولذا لا يعرف منه شيء إلا تحير العقول فيه حسب ما يشهد به اشتقاقه الذي مر الكلام فيه، ثم بالصفات الفعلية التي مرجعها بكثرتها إلى القسامين ولذا افتتحت بها السور القرآنية التي هي الحبل الممدود بين السماء والأرض.

بل

عن الصادق عليه السلام: «ما نزل كتاب من السماء إلا أوله بسم الله الرحمن الرحيم» (٢).

و

عن أبي جعفر عليه السلام: «أول كل كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم فلا تبالي أن لا تستعيز، وإذا قرأتها سترتك فيما بين السماء والأرض» (٣).

بل يظهر من الأخبار أن التسمية باسمه سبحانه لا يتأتى للعبد إلا بعد الانسلاخ عن العلايق البشرية والانصبغ بالأنوار الإلهية، وعبور النفس عن

(١) البقرة: ٣٢.

(٢)

بحار الأنوار: ج ١٨٥ / ٢٠، ح ١٠، عن تفسير العياشي: ج ١ / ١٩ ح ٥، وفيه: «ما أنزل الله من السماء كتابا إلا و فاتحته بسم الله...».

(٣) الكافي: ج ٣ / ٣١٣، ح ٣، و عنه البحار: ج ٦ / ٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٨٣

مقاماتها الكلية وانغماسها في البحار الغيبية.

ففي «العلل» عن الصادق عليه السلام في حديث علّة الصلاة: «ثم إن الله عزّ وجل قال: يا محمد! استقبل الحجر الأسود و هو بحياي و كبرني بعدد حجبي، فمن أجل ذلك صار التكبير سبعا لأن الحجب سبعة، و افتتح القراءة عند انقطاع الحجب، فمن أجل ذلك صار الافتتاح سنّة، و الحجب مطابقة ثلثا بعدد النور الذي أنزل على محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم ثلاثا، فلذلك كان الافتتاح ثلاث مرات، فلأجل ذلك كان التكبير سبعا و الافتتاح ثلاثا، فلما فرغ من التكبير و الافتتاح قال الله عزّ وجل: الآن وصلت إليّ فسمّ باسمي، فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فمن أجل ذلك جعلت في أول السورة» (١) الخبر.

ثم إن الانتظام الأسماء الثلاثة فيها وجوها آخر لا بأس بالإشارة إليها:

منها: أن أصول العقائد الإسلامية و منتهى المقاصد الدينية هي التوحيد و النبوة و الإمامة المشار إلى جملتها بالأسماء الثلاثة، فإن الأصل الأول و إن كان هو التوحيد إلا- أن الإقرار به لا- يتم و لا- يقبل و لا- ينفع إلا بالإقرار بالنبوة كما أن الإقرار بالنبوة لا يتم إلا بالإقرار بالولاية، فهو الكاشف الأخير عن الأول كما يستفاد ذلك من الأخبار الكثيرة التي تعرّضنا لها في غير المقام، بل كل من التالين لا يتم و لا يتحقق إلا بسابقه كما

في دعاء الحجّة عجل الله فرجه الإشارة إليه: «اللهم عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك، ألهم عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، ألهم عرّفني حجّتك، فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني» (٢).

(١) بحار الأنوار: ج ١٨٨ / ٣٥٨، ح ٦٦، باب إثبات المعراج.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٤٧ / ٥٢، ح ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٨٤

و أما الحكم بطهارة المنكرين للولاية الحقّة و إسلامهم، و إجراء أحكامه عليهم من جواز التناكح و حل الذبائح و التوارث و غيرها، فإنما هي أحكام ظاهريّة جعلت و شرعت للترقيق على الشيعة الإمامية حيث كانوا مختلطين بهم، مقهورين تحت أيديهم معدودين في زمريتهم، بل لم يقدّم لهم سوق لغلبة أهل الفجور و الفسوق، و لذا يسيّر الله لهم بإجراء أحكام الإسلام في ظاهر الشريعة مع ثبوت الكفر الباطني لهم، بل لعلهم أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا، فإنهم يهود هذه الأمة لمتابعتهم عجلها و سامريها و هما صنما قريش و جبتهاها، و طاغوتاها و إفكهاها، و لذا عبر عن الولاية بالإيمان و عن عدمها بالكفر في قوله: وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ «١».

بل عن الثلاثة بالثلاثة في قوله: وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ «٢». فإكمال الدين و إتمام النعمة إنما هو بالولاية، و لذا ارتدّ الناس بعد النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم إلا أربعة، فرجعوا على أعقابهم القهقري أفران مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم «٣». هذا مضافا إلى أنّ النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و الولي هما الواسطتان في تلقى الفيوض الإلهية من التشريعية و التكوينية، كما مرّ غير مرّة، فالمستعين بالله و المتوجه إليه لا بدّ له من حفظ المراتب للوصول إلى ماله من المطالب و المآرب، و لذا علمنا الاستعانة بالله الذي أنشأ المشية الكلية و الحقيقية المحمدية الذي هو الرحمة الرحمانية و الرحمة الرحيمية الإيمانية.

(١) المائة: ٥.

(٢) الحجرات: ٧.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٨٥

و منها: أن للعبد حالات ثلاثة:

الأولى: حاجته إلى الوجود، و هو لم يكن شيئا مذكورا، بل لم يكن شيئا أصلا أو لا يذكر الإنسان أننا خلقناه من قبل و لم يك شيئا «١».

الثانية: حاجته بعد الوجود إلى أسباب البقا.

الثالثة: حاجته في القيامة إلى العفو و المغفرة إذ لو لا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى منكم من أحد أبداً «٢».

و في الأسماء الثلاثة إشارة إلى هذه المقاصد، فالمستعين المتوسّل بها سائل لها طالب إياها، فالله هو: الخالق البارئ المصور «٣»، قلّ الله خالق كلّ شيء «٤».

و الرحمن هو الذي وسعت رحمته كلّ شيء و لم يخرج عن تربيته شيء و إنّ ربكم الرحمن «٥».

و الرحيم هو المتعطف على المؤمنين بئى عبادى أنى أنا الغفور الرحيم «٦»، و كان بالمؤمنين رحيماً «٧».

و منها ما قيل من أنّ النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم كان مبعوثا إلى الناس كافة، و كان أهل العالم في زمانه على أصناف ثلاثة: عبدة الأصنام، و اليهود، و النصرى.

فالفرقة الأولى كانوا يعرفون من أسمائه سبحانه اسم الجلالة

(١) مريم: ٦٧.

(٢) النور: ٢١.

(٣) الحشر: ٢٤.



(٤) الرعد: ١٦.

(٥) طه: ٩٠.

(٦) الحجر: ٤٩.

(٧) الأحزاب: ٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٨٦

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ «١».

ولذا كانوا يقولون هؤلاء - أي هذه الأصنام - شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ «٢».

و الثانية: كانوا يعرفون الرحمن الذي قيل «٣»: إِنَّهُ فِي لَعْنَتِهِمْ رَحْمَنٌ بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ، وقد تقدّم أنه قد تكرر ذكره في التوراة، بل عن

ابن سلام أنه قال: يا رسول الله إنك لتقلّ ذكر الرحمن وقد أكثره الله في التوراة، فنزلت قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ «٤».

و الثالثة: كانوا مشعوفين بذكر الرحيم الذي قيل: إنه في لغة الإنجيل رهما أو رهيما، و كان جاريا على ألسنتهم، فلما أمر الله سبحانه

نبيه بدعوة تلك الفرق الثلاثة إلى الصراط المستقيم افتتح كتابه بل كل سورة منه بما يعرفونه من الأسماء و هو الله الرحمن الرحيم،

ليستأنسوا به و لا يتنفروا إذ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ «٥».

و منها أن الأسماء الثلاثة للأصناف الثلاثة الذين هم أهل الحقيقة و الطريقة، و الشريعة، فأصحاب الحقيقة هم المنسوبون إلى الله

سبحانه بالوصول إلى مقام الولاية و نيل الهداية، هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ «٦»، اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا «٧».

و أصحاب الطريقة هم السائرون إلى حريم القدس، و حرم الأنس، بأقدام

(١) لقمان: ٢٥.

(٢) يونس: ١٨.

(٣) قاله ثعلب و المبرد، و الزجاج.

(٤) الإسراء: ١١٠.

(٥) الروم: ٣٢.

(٦) الكهف: ٤٤.

(٧) البقرة: ٢٥٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٨٧

المودّة و المحبّة، و لذا يدعونه باسم الرحمن سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا «١».

و أرباب الشريعة هم أهل الإيمان الذين توسلوا باسم الرحيم في سلوك الصراط المستقيم و كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا «٢».

و منها: أنها إشارة إلى المعبود الحق و الصنفين من عبدة اللذين هما المراد و المرید، كما

أشار مولانا الصادق عليه السّلام على ما رواه عنه في «العرايس» قال: «إنهما واقعان على المریدين و المرادين، فإسم الرحمن للمرادين

لاستغراقهم في أنوار الحقائق، و الرحيم للمریدين لبقائهم مع أنفسهم و اشتغالهم بالظاهر».

**تتمه مهمه في فضائل البسملة المروية عن الأئمة عليهم السلام**

قد ظهر مما مر أن البسملة مشتملة على أصول الحقائق التي هي الأساس للعقائد الحقّة الإسلامية و المناهج المستقيمة الإيمانية التي هي

بجملتها من أشعة أنوار التوحيد و النبوة و الولاية حسبما أشير إليها بالأسماء الثلاثة.

بل قد سمعت أنه

قد ورد من طرق الفريقين أن فيها جميع ما في القرآن مع أن فيه تفصيل كل شيء «٣». وفي «تفسير القمي» عن عبد الكريم بن عبد الرحيم أن كتاب أصحاب اليمين بسم الله الرحمن الرحيم. وقد مر الخبر

عن مولانا الرضا عليه السلام أنه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم أقرب

(١) مريم: ٩٦.

(٢) الأحزاب: ٤٣.

(٣) في شرح العيون و عنه مصابيح الأنوار: ج ١ / ٤٣٥، و عنها جامع الأخبار و الآثار:

ج ٢ / ٤٨، ح ٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٨٨

إلى الاسم الأعظم من بياض العين إلى سوادها» «١».

و

إن الصادق عليه السلام قال: «ما نزل كتاب من السماء إلا و أوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» «٢».

و أنها من السبع المثاني و هي أفضلهن «٣».

و ذلك أنها هي الكلمة الجامعة المتشعبة لتجليات أنوار الجمال، و لذا أمر النبي صلى الله عليه و آله و سلم في خبر المعراج بذكرها بعد رفع الحجب عند هبوب نفحات روح الوصال، على ما

رواه في «العلل» في خبر طويل مرت إليه الإشارة و إلى قوله تعالى: «الآن وصلت إلى فسّم باسمي» «٤».

و

في «المجمع» و «جامع الأخبار» و غيرهما عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: «إذا قال المعلم للصبي قل: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الله برائة للصبي و برائة لأبويه و برائة للمعلم» «٥».

و

عن ابن مسعود عنه صلى الله عليه و آله و سلم قال: «من أراد أن ينجيته الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فإنها تسعة عشر حرفاً يجعل الله كل حرف منها جنّة من واحد منهم» «٦».

و

روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: «ما لهم قاتلهم الله، عمدوا إلى أعظم آية في

(١)

تفسير العياشي: ج ١ / ٢١، ح ١٣ و العيون: ج ٢ / ٥، ح ٤١، و فيه: «من سواد العين إلى بياضها.

(٢)

العياشي: ج ١ / ١٩، ح ٥، و فيه: «ما انزل الله من السماء كتاباً إلا و فاتحته بسم الله الرحمن الرحيم» نور الثقلين ج ١ / ٦.

(٣) تهذيب الأحكام، و عنه تفسير نور الثقلين: ج ١ / ٨، ح ٢٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٨ / ٣٥٨، ح ٦٦، باب إثبات المعراج.

(٥) مجمع البيان: ج ١ / ١٨، و جامع الأخبار: ص ٤٩ و عنه البحار: ج ٩٣ / ٢٥٧.

(٦) المجمع: ج ١ / ١٩ و جامع الأخبار: ص ٤٩ و عنه البحار: ج ٩٢ / ٢٥٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٨٩  
 كتاب الله فزعوا أنها بدعة إذا أظهوها، و هي بسم الله الرحمن الرحيم «١».  
 و فيه رد على العامة على ما مر.

و

عن الباقر عليه السلام أنه قال: «سرقوا أكرم آية من كتاب الله بسم الله الرحمن الرحيم» «٢».

و

في «تفسير القمي» عن الصادق عليه السلام: «إنها أحق ما يجهر به، و هي الآية التي قال الله عز و جل وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ  
 وَخِدَّةً وَلَوْ آ عَلَى أذْبَارِهِمْ نُفُوراً» «٣» «٤».

بل

في «الخصال» عنه عليه السلام: «إن الإجهار بها في الصلوات واجب» «٥».

و المراد تأكيد.

و

في «جامع الأخبار» عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله و سلم قال: «من قرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كتب الله له  
 بكل حرف أربعة آلاف حسنة، و محى عنه أربعة آلاف سيئة، و رفع له أربعة آلاف درجة» «٦».

و

فيه عنه صلى الله عليه وآله و سلم: «من قال بسم الله الرحمن الرحيم بنى الله في الجنة سبعين ألف قصر من ياقوته حمراء، في كل  
 قصر سبعون ألف بيت من لؤلؤة بيضاء، في كل بيت سبعون ألف سرير من زبرجد خضراء، فوق كل سرير سبعون ألف فراش من  
 سندس و إستبرق، و عليه زوجة من حور العين، و لها سبعون الف ذؤابة مكللة بالدر

(١) تفسير العياشي: ج ١ / ٢١، ح ١٦، و عنه البحار: ج ٨٥ / ٢١.

(٢) العياشي: ج ١ / ١٩ و عنه البحار: ج ٨٥ / ٢٠، ح ١٠.

(٣) الإسراء: ٤٦.

(٤) تفسير القمي: ص ٢٥، و عنه البحار: ج ٨٥ / ص ٨٢، ح ٢٥.

(٥)

الخصال: ص ٦٠٤، ح ٩، و عنه البحار: ج ٨٥ / ٧٥، ح ٥. و فيه: الإجهار بسم الله الرحمن الرحيم في الصلوة واجب.

(٦) جامع الأخبار: ص ٤٩، و عنه البحار: ج ٩٢ / ٢٥٨، ح ٥٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٩٠

و اليواقيت مكتوب على خدّها الأيمن: محمد رسول الله، و على خدّها الأيسر: على ولي الله، على جبينها: الحسن، و على ذقنها:

الحسين و على شفيتها: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قلت: يا رسول الله! لمن هذه الكرامة؟

قال: لمن يقول بالحرمة و التعظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ «١».

و

عنه صلى الله عليه وآله و سلم: «إذا قال العبد عند منامه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يقول الله: يا ملائكتي اكتبوا له الحسنات إلى

الصباح» «٢».

و

عنه صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: «إذ مرَّ المؤمن على الصراط فيقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طَفَّتْ لَهيب النيران، و تقول: جز يا يا مؤمن فإنَّ نورك أطفأ لهبي» (٣).

ثم أنه قد ورد الأمر بالتسمية عند كثير من العبادات وغيرها كالوضوء والغسل والأكل والشرب ودخول المسجد والبيت والخروج منهما والتذكية والاصطياد بل دخول الخلوَّة وخروجها، وكل فعل من الأفعال.

حتى

ورد عن مولانا الصادق عليه السَّلام قال: «إذا توضأ أحدكم أو أكل أو شرب أو لبس لباسا ينبغي له أن يسمي عليه فإن لم يفعل كان للشيطان فيه شرك» (٤).

و

عنه عليه السَّلام: «إنَّ رجلا توضأ و صَلَّى، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم أعد وضوئك و صلاتك، ففعل و توضأ و صَلَّى، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: أعد وضوئك و صلاتك، ففعل و توضأ و صَلَّى، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: أعد وضوئك و صلاتك، فأتى أمير المؤمنين عليه السَّلام فشكا إليه ذلك، فقال له: هل سميت حيث توضأت؟ قال: لا، قال: سم علي

(١) الجامع: ص ٤٩، و عنه البحار: ج ٩٢، ص ٢٥٨، ح ٥٢، و المستدرک: ج ٥ / ٣٨٧، ح ٢٠.

(٢)

جامع الأخبار: ص ٥٠، و عنه البحار ج ٩٢ / ٢٥٨، و فيه: «اكتبوا نفسه إلى الصباح».

(٣) الجامع: ص ٥٠، و عنه البحار: ج ٩٢ / ٢٥٨.

(٤) المحاسن للبرقي: ص ٤٣٣، و عنه البحار: ج ٦٦ / ٣٧٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٩١

وضوئك، فسمي و توضأ و صلى، فأتى النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم فلم يأمره أن يعيد».

و

في «المحاسن» عن الصادق عليه السَّلام قال: «إذا أكلت الطعام، فقل بسم الله في أوله و آخره، فإن العبد إذا سمى في طعامه قبل أن يأكل لم يأكل معه الشيطان، و إذا سمى بعد ما يأكل و أكل الشيطان معه تقياً ما كان أكل» (١).

و

عنه عليه السَّلام: «إن الرجل إذا دنى من المرأة و جلس مجلسه حضره الشيطان، فإن هو ذكر اسم الله تنحى الشيطان عنه، و إن فعل و لم يسم أدخل الشيطان ذكره فكان العمل منهما جميعاً، و النطفة واحدة» (٢).

و في معناه أخبار كثيرة.

و

فيه عنه عليه السَّلام أنه قال له قائل: إني صاحب صيد سبع و أبيت بالليل في الخرابات و المكان الموحش، فقال: «إذا دخلت فقل بسم الله، و ادخل برجلك اليمنى، و إذا خرجت فاخرج برجلك اليسرى قل: بسم الله فإنك لا ترى مكروها إن شاء الله» (٣).

و

في «جامع الأخبار» عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم أنه سئل هل يأكل الشيطان مع الإنسان؟ فقال: «نعم، كل مائدة لم يذكر بسم الله الرحمن الرحيم عليها يأكل الشيطان معهم و يرفع الله البركة عنها» (٤).

و

في «الكافي» عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا رَكِبَ الرَّجُلُ الدَّابَّةَ، فَسَمَّى، رَدَفَهُ مَلَكٌ يَحْفَظُهُ حَتَّى يَنْزَلَ، وَإِنْ رَكِبَ وَ لَمْ يَسْمِ رَدَفَهُ شَيْطَانٌ فَيَقُولُ لَهُ: تَعَنَّ، فَإِنْ قَالَ

(١) المحاسن: ص ٤٣٢، و عنه بحار الأنوار: ج ١٦٦ / ٣٧٢.

(٢) التهذيب: ج ٧ / ٤٠٧، و عنه البحار: ج ٦٣ / ٢٠٢.

(٣) المحاسن: ص ٣٧٠، و عنه البحار: ج ٧٦ / ٢٤٨، ح ٣٩.

(٤) جامع الأخبار: ص ٥٠ و عنه البحار: ج ٩٢ / ٢٥٨، ح ٥٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٩٢

له: لا أحسن، قال له: تمن، فلا يزال يتمنى حتى ينزل» (١).

و

فيه عن الصادق عليه السلام: «إِنْ عَلَى ذُرْوَةِ كُلِّ جَسْرٍ شَيْطَانًا، فَإِذَا انْتَهَيْتَ إِلَيْهِ، فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، يَرْحَلُ عَنْكَ» (٢).  
إلى غير ذلك من الأخبار الآمرة بها عموماً و خصوصاً عند كل فعل مما سمعت، و غيرها من حقير أو خطير، يسيراً و كثيراً.

بل

عن مولانا الصادق عليه السلام: «لَا تَدْعُ بِسْمِ اللَّهِ وَ إِنْ كَانَ بَعْدَهُ بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ» (٣).

و ذلك لما عرفت من أن ما يدل على شيء من غير الألفاظ يسمى أثراً و اسماً للشئ، بل لعل الأثر أدل على الشئ من اللفظ الموضوع له، لأن دلالة أتم و أظهر، بل هي أشبه بالطبيعة العقلية، و دلالة اللفظ وضعية، و قد سمعت أن الاسم ما يدل على المسمى. ثم إن الأثر هو الفعل، و الفعل إمّا مضاف إلى الله تعالى صادر منه، أو إلى العبد صادر منه. و الصادر من الله هو خلق الأسباب و الآلات و الأدوات و المشاعر و القوى و المبادئ، و كل ما يحتاج إليه في بقائها من الإضافات و الإمدادات و غيرها.

و الصادر من العبد هو صرف هذه الأسباب و الآلات فإن صرفها فيما خلقت له فهو الطاعة، أو في غيره فهو المعصية، فالأسباب و الآلات في الطاعات و المعاصي واحدة.

(١) فروع الكافي: ج ٦ / ٥٤٠، و عنه البحار: ج ٦٣ / ٢٠٤.

(٢) فروع الكافي: ج ٤ / ٢٨٧، و عنه البحار: ج ٦٣ / ٢٠٢.

(٣) الكافي: ج ٢ / ٦٧٢، ح ١، و عنه الوسائل: ج ٨ / ٤٩٤، ح ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٩٣

نعم من جهة صرفها في الطاعات التي هي مرضات الله، يطلق التوفيق الذي هو موافقة إرادة العبد لصرف الأسباب فيما يحبه الله تعالى و يرضاه، و من جهة صرفها في المعاصي التي هي موجبات سخطه يطلق الخذلان الذي هو ترك العبد و ما يشتهي و تخليته و ما يريده.

و قد قيل: لا تدع النفس و هواها، فإن في هواها رداها، و ترك النفس و ما تهوى شفاها، و ردع النفس عما تهوى هداها و شفاها.  
و بالجملة فقول القائل: بسم الله عند كل فعل من الأفعال معناه الاستعانة فيه به سبحانه و بأسمائه الحسنى تيمناً و تبركاً بذكر اسمه الشريف على الوجه الذي مرت إليه الإشارة من حفظ الحدود مع قصد الاستعانة بما أنعم و أفاض عليه من الآلات و الأدوات المصروفة في إتمام هذا الفعل لفائدة شكر تلك النعم و صرفها فيما خلقت لأجله على الوجه اللائق بحاله في الكون التشريعي موافقا

لمحبته كى يقع الفعل على جهة العبودية تحصيلا لمرضاته سبحانه، فيظهر عليه أثر العبودية. و لعله إليه الإشارة  
 بقول مولانا الرضا عليه التحية و الثناء فى معنى البسمله «أسم نفسى بسمه الله تعالى» (١).  
 و كأنه مأخوذ من الوسم الذى يتميز به مواشى السلطان أو السيماء الذى يتميز به حواشيه.  
 و هو المشار إليه بقوله تعالى: صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً (٢).  
 و بقولى فى القصيدة المهدوية شعرا:  
 ترى صبغة الرحمن صاغت وجوههم و إن صباغ الحب صبغ التجمل

(١) تفسير نور الثقلين: ج ١ / ١١، ح ٤١ عن العيون.

(٢) البقرة: ١٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٩٤

فالتسمية سمة الطاعة و صبغة العبودية و شكر النعمة و حد المائدة.

ولذا

ورد فى أخبار كثيرة عن مولانا الصادق عليه السلام: «إن حد المائدة أن تقول إذا وضعت بسم الله و إذا رفعت الحمد لله» (١).

و

فى «العلل» عنه عليه السلام قال: «لَمَّا جاء المرسلون إلى إبراهيم على نبينا و آله و عليه السلام جاءهم بالعجل فقال: كلوا، فقالوا: لا نأكل حتى نخبرنا بثنمه، فقال عليه السلام: «إذا أكلتم فقولوا: بسم الله، و إذا فرغتم فقولوا: الحمد لله، قال: فالتفت جبرئيل إلى أصحابه و كانوا أربعة و جبرئيل رئيسهم، فقال: حق لله أن يتخذ هذا خليلا» (٢).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة فإذا توسم العبد بسمه طاعته و سمي عند كل فعل من الأفعال ابتغاء مرضاته، فقد جمع بين التسمية الفعلية و القولية، و أظهر فيه العبودية المحضة التى لا يشاركه فيها الشيطان، لأنه قد يس من الاستيلاء بعباد الرحمن بقوله: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (٣).

و أما إذا نسيها فقد شاركه فيه، ثم إن استدركته العناية الربانية و تدارك التسمية

فقد ورد فى الأخبار: «إن الشيطان تقياً ما أكله» كما فى الخبر المتقدم المروى عن «المحاسن» (٤).

و لعل المراد أنه يرجع عن المشاركة فى ذلك الفعل، و يعود كله خالصاً لله من أوله، إذ الأمور الملكوتية المقيدة بالزمان يتساوى عندها جميع الأزمنة فيتأثر منها

(١)

المحاسن: ص ٤٣١، و عنه البحار: ج ٣٧ / ٦٦، ح ٩، و فيه: «إذا وضع قيل: بسم الله، و إذا رفع قيل: الحمد لله».

(٢) علل الشرائع: ص ٢٣-٢٤، و عنه البحار: ج ٥ / ١٢.

(٣) الحجر: ٤٢.

(٤) المحاسن: ص ٤٣٢، و عنه البحار: ج ٦٦، ص ٣٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٩٥

الحوادث و إن سبقت فى الزمان.

ولذا

ورد في العلوي على ما رواه في «المحاسن»: «من أكل طعاما فليذكر اسم الله عليه فإن نسي ثم ذكر الله بعده تقياً الشيطان ما أكل، و استقبل الرجل طعامه» (١).

لكن

المحكي عن «الكافي» (٢) في هذا الخبر «و استقل».

قال في «البحار»: «و هو الصواب أى وجده قليلا- لما قد أكل الشيطان منه فإن ما يتقيأه لا يدخل في طعامه، أو هو على الحذف و الإيصال، أى استقل في أكل طعامه، قال: و الأول أظهر» (٣).

قلت: لكن الرواية الأولى هي أظهر، و على الثانية فالثاني ينطبق على ما سمعت.

و على كل حال فالتسمية فضل جميل، و ثواب جليل، و لها بل لكل اسم من الأسماء الثالثة المشتملة عليها عند أهل التصريف و التفسير فوائد عظيمة و منافع جسيمة سيما مع مداومة عليها و التحقق بحقائقها و التخلق بأخلاقها إلى غير ذلك مما لا ينبغي التعرض لها.

بل

روى أنه لما نزلت البسمة اقشعرت منها الجبال (٤).

و

أنها تسعة عشر حرفا بعدد زبانية النار، من قرأها نجى منها (٥).

(١) المحاسن: ص ٤٣٤ و عنه البحار: ج ٦٦ / ٣٧٤، ح ٢٠.

(٢) الكافي: ج ٦ / ٢٩٣.

(٣) البحار: ٦٦ / ٣٧٤.

(٤) في الدر المنثور ج ١ / ٩ عن ابن مردويه، و الثعلبي، عن جابر الأنصاري: «لما نزلت بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هرب الغيم إلى المشرق و سكنت الريح، و هاج البحر، أصغت البهائم بأذانها، و رجمت الشياطين من السماء.

(٥)

في «مجمع البيان»: ج ١ / ١٩: عن ابن مسعود عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «من أراد أن ينجيه الله من تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٩٦

و

في بعض الكتب عن مولانا الصادق عليه السلام: «من كانت له حاجة كلية فليكتب في رقعة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عبده الذليل إلى ربه الجليل «رب إني مَسْنَى الضُّرِّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ و ليطرحها في نهر عظيم قائلا: أَللَّهُمَّ بِمُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَ صَحْبِهِ الْمَرْضِيِّينَ، اقض حاجتي يا أرحم الراحمين، و ليذكر حاجته، فإنه تقضى إن شاء الله تعالى».

و لنختم المقام بذكر ما

أورده الإمام أبو محمد العسكري عليه السلام في فضل البسمة، قال عليه السلام:

«قال الصادق عليه السلام: و لربما ترك في افتتاح أمر بعض شيعتنا بسم الله الرحمن الرحيم، فيمتحنه الله بمكروه ليتبته على شكر الله تعالى و الثناء عليه و يمحو عنه و صمته تقصيره عند تركه قوله بسم الله، لقد دخل عبد الله بن يحيى على أمير المؤمنين عليه السلام و بين يديه كرسى، فأمره بالجلوس، فجلس عليه فمال به حتى سقط على رأسه، فأوضح عن عظم رأسه و سال الدم، فأمر أمير المؤمنين

عليه السّلام بماء فغسل عنه ذلك الدم، ثم قال: أدن مني! فدنا منه، فوضع يده على موضحته، وقد كان يجد من ألمها ما لا صبر له معه، ومسح يده عليها و تفل فيها حتى اندمل، و صار كأنه لم يصبه شيء قط، ثم قال أمير المؤمنين عليه السّلام: يا عبد الله! الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحنتهم لتسلم لهم طاعتهم، و يستحقوا عليها ثوابا. ثم ساق الخبر إلى أن قال: «فقال عبد الله بن يحيى: يا أمير المؤمنين! قد أفدتني و علمتني فإن رأيت أن تعرّفتني ذنبي الذي امتحنت به في هذا المجلس حتى لا أعود إلى مثله، قال: تركك حين جلست أن تقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فجعل

الزبانية التسعة عشر فليقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فإنها تسعة عشر حرفا....».

كما تقدّم. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٩٧

الله ذلك بسهوك عما ندبت إليه تمحيصا بما أصابك، أما علمت أن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم حدثني عن الله عزّ و جل أنه قال: كلّ امر ذى بال لم يذكر اسم الله فيه فهو أبتّر؟

فقلت: بلى بأبى أنت و أمى لا أتركها بعدها، قال: إذا تحظى بذلك و تسعد، ثم قال عبد الله بن يحيى: يا أمير المؤمنين! ما تفسير بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال:

إن العبد إذا أراد أن يقرأ و يعمل عملا فيقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أى بهذا الاسم أعمل هذا العمل، فكل عمل يعمله يتبدأ فيه ب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فإنه يبارك له فيه.

ثم ساق الخبر إلى أن قال: إن رجلا قام إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ما معناه؟ فقال:

إن قولك: «الله» أعظم الأسماء من أسماء الله تعالى، هو الاسم الذى لا ينبغي أن يسمّى به غير الله تعالى و لم يتسم به مخلوق.

فقال الرجل: فما تفسير قوله «الله»؟

فقال: هو الذى يتأله إليه عند الحوائج و الشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من دونه و يقطع الأسباب من كل من سواه، و ذلك أن كل مترأس فى هذه الدنيا أو متعظم فيها و إن عظم غناؤه و طغيانه، و كثرت حوائج من دونه إليه، فإنهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعظم، و كذلك هذا المتعظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها، فينقطع إلى الله عند ضرورته و حاجته و فاقته حتى إذا كفى همه عاد إلى شركه، ألم تسمع الله عزّ و جل يقول: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَ تَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (١). فقال الله تعالى لعباده: «يا أيها الفقراء

(١) الأنعام: ٤١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٩٨

إلى رحمتى إني قد ألزمتكم الحاجة إلى فى كل حال، و ذلّة العبودية فى كل وقت، فإلى فافزعوا فى كل أمر تأخذون فيه و ترجون تمامه و بلوغ غايته، فإنى إن أردت أن أعطيك لم يقدر غيرى على منعكم، و إن أردت منعكم لم يقدر غيرى على إعطائكم، فأنا أحقّ من سئل و أولى من تضرّع إليه، فقولوا عند افتتاح كل أمر عظيم أو صغير: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أى أستعين على هذا الأمر بالله الذى لا تحقّ العبادة لغيره، المغيث إذا استغيث، و المجيب إذا دعى، الرحمن الذى يرحم ببسط الرزق علينا، الرحيم بنا فى أدياننا و دنياننا و آخرتنا، خفف علينا الدين و جعله سهلا خفيفا، و هو يرحمنا بتمييزنا عن أعدائه.

ثم قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم: من حزنه أمر تعاطاه فقال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ و هو مخلص لله عزّ و جل يقبل بقلبه إليه، لم ينفك من أحد الشيتين (١): إما بلوغ حاجته الدنياوية، و إما ما يعد له عنده و يدخر لديه، و ما عند الله خير و أبقى للمؤمنين».



وقال الحسن بن علي عليهما السلام: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ آيةٌ من فاتحة الكتاب و هي سبع آيات تمامها ب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن الله عز وجل قال لي: يا محمد ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم» (٢) فأفرد الامتنان على فاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم وأن فاتحة الكتاب أعظم وأشرف مما في العرش وإن الله تعالى خص بها محمداً و شرفه، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان على نبينا وآله وعليه السلام فإنه أعطاه منها بسم الله الرحمن

(١)

في البحار: «عن احدى اثنتين».

(٢) الحجر: ٨٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٢٩٩

الرحيم، ألا تراه إنه يحكى عن بلقيس حين قالت: إِنِّي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ «١». ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد وآله الطيبين منقاداً لأمرهم، مؤمناً بظاهرهم و باطنهم أعطاه الله عز وجل بكل حرف منها حسنة منها أفضل له من الدنيا وما فيها من أصناف أموالها و خزائنها، و من استمع قارياً يقرأها كان له قدر ثلث ما للقارىء، فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعروض لكم، فإنه غنيمَةٌ فلا يذهبن أوانه فتبقى في قلوبكم الحسرة» (٢). أقول: وهذا الخبر وإن مرت الإشارة إلى جملة منها فيما تقدم إلا أنا ذكرناه بتمامه في المقام تنبيهاً على الفوائد التي لا تستفاد إلا بتمام الكلام.

(١) النمل: ٢٩.

(٢) تفسير الإمام: ص ٩-٢٤، و عنه بحار الأنوار: ج ٩٢ / ٢٤٠-٢٥٧، ح ٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٠١

تفسير الصراط المستقيم

[سورة الفاتحة(١): آية ٢]

[في تفسير الحمد لله رب العالمين]

الفصل الأول فيما يتعلق بالحمد

إشارة

تفسير الصراط المستقيم ج ٣، ص ٣٣٠

ثم إن الله سبحانه و له الحمد و المنة لما علمنا كيفية التبرك بالاستعانة به و التوسل بأسمائه و الانصباع بصغته مع التنبيه على أن جميع النعم الدنيوية و الأخروية و التشريعية و التكوينية كلها منه، و الأمور كلها بيده، و هو المبتدئ بالنعم قبل استحقاقها، و السائق إلى المستحقين حقوقها، أراد أن يحمد نفسه بالثناء عليه على نعمه الجميلة الجليلة و آلائه الجزيلة النبيلة، تعليماً للعباد، و هداية لهم إلى سبيل الرشاد، فقال: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الحمد في الأصل مصدر (حمد) كسمع، حمدا و محمدا و محمده بكسر الثالث و فتحه فيهما بمعنى الثناء، كحمدته عل فعله، و الشكر كحمدته على نعمه، و الرضا كحمدت بسيرة فلان، و المدح كحمدت فلانا على فضله، لكن الغالب عليه في الاستعمال هو المعنى الأول، هذه المعاني متغايرة و إن تقاربت، و لذا كان لكلّ منها نقيض غير نقيض الآخر، فالنقيض للحمد الذم، و للشكر الكفر، و للمدح الهجاء، و الذم أيضا و لعله الأغلب.

و بالجملة فقد عزّفوا الحمد بالثناء باللسان على الجميل الاختيارى من نعمه و غيرها. فهو أخصّ من المدح الذى هو الثناء على الجميل المطلق اختيارا كان أو غيره، و لذا يقال: مدحت زيدا على حسنه، دون حمدته، و يطلقان بالنسبة إلى علمه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٠٢

و من الشكر الذى هو تعظيم المنعم بالاعتراف بالنعم الواصلة إليه باللسان و الأركان و الجنان، إلا أن أخصيته من المدح على الإطلاق و من الشكر من وجه، فهو أعمّ من كل الأولين من وجه، لوجوده دونهما فى أفعال القلب و الجوارح. و إن اجتمع الكلّ فى فعل اللسان و ترتب الحمد و المدح على كل من الفضائل التى هى المزايا الغير المتعدية، و الفواضل التى هى المزايا المتعدية، و هى المواهب و العطايا، إلا أن هذا كأنه مجرد اصطلاح لا يساعده تتبع موارد إطلاقاتها. و لذا أنكر بعضهم تقييد الحمد بكون الجميل اختياريا، بل ذكر شيخنا البهائى أن هذا التقييد غير موجود فى كلام الأكثر، بل أنكره البعض لقولهم: الصبر يحمد فى المواطن كلها، و عاقبة الصبر محمودة، بل فى القرآن: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً «١».

و فى كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «فعد الصباح يحمد القوم السرى» «٢».

فلا داعى للتكلف فى تلك الإطلاقات بأنه استعمل فى معنى المدح أو الرضا مجازا، أو أنه من قبيل وصف الشىء بحال متعلقه، أى المقام محمود صاحبه، و السرى محمود عليه كالصبر.

هذا مضافا إلى تصريح اللغويين بعموم معناه.

قال فى «الصحاح»: «الحمد أعم من الشكر، و ظاهره الإطلاق، و لذا قال:

و المحمّد الذى كثرت خصاله المحمودة» «٣».

(١) الإسراء: ٧٩.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١٦٠) آخرها. و لا يخفى أن هذه الجملة من الأمثال و معناها: إذا أصبح النائمون و قد رأوا السارين ليلا وصلوا إلى مقاصدهم حمدوا سراهم و ندموا على نوم أنفسهم. و السرى بضم السين المهملة و فتح الراء: السير ليلا.

(٣) الصحاح: باب الدال، فصل الحاء، و استشهد بقول الأعشى: إلى الماجد القرم الجواد المحمد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٠٣

و فى «القاموس»: الحمد: الشكر، و الرضاء، و الجزاء، و قضاء الحق.

و فى «المصباح المنير» للفيومي: حمدته على شجاعته و إحسانه حمدا:

أثنت عليه.

و من هنا كان الحمد غير الشكر لأنه يستعمل لصفة فى الشخص و فيه معنى التعجب، و يكون فيه معنى التعظيم للممدوح و خضوع المادح، كقول المبتلى: إلى الحمد لله، إذ ليس هناك شىء من نعم الدنيا و يكون فى مقابلة إحسان يصل إلى الحامد.

و أما الشكر فلا يكون إلا فى مقابلة الصنيع، فلا يقال: شكرته على شجاعته و يقال غير ذلك. انتهى.

و بالجمله، الأظهر أنه موضوع للمعنى الأعم من دون أن يؤخذ في مفهومه كونه باللسان أو على الجميل الاختيارى. أما الأول فلثناؤه سبحانه على نفسه، و لقوله: وَ إِن مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ «١» و غير ذلك. و احتمال التجوز فى اللسان، أو فى الحمد، أو تكلف التأويل مما لا ينبغى الإصغاء إليه، و ما يقال: من أنه لما ثبت الاختصاص بالنقل عن الثقات من أرباب اللغات فيحمل أمثال ذلك على المجاز مردود بما سمعت. و أما الثانى فلشهادة الإطلاق، و نص أهل اللغة، و أصالة الحقيقة، و أولويتها مع عموم المعنى على المجاز. نعم، بعض هؤلاء المنكرين للتقييد بالاختيارى من الفلاسفة الذين يزعمون أن الله تعالى فاعل بالإيجاب و العلية دون الإرادة فالتزموا بقدم العالم، نظرا إلى أن

(١) الإسراء: ٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٠٤

ذات الواجب تعالى إما أن يستجمع جميع شرائط التأثير فى الأزل أو لا؟ فعلى الأول يلزم القدم، ضرورة امتناع تخلف المعلول عن علته العامة.

و على الثانى يتوقف وجود الأثر و هو العالم على شرط حادث، و نقل الكلام إليه حتى يلزم التسلسل الذى قامت القواطع العقلية على استحالتها، بل استدلوا على نفى إرادته الحادثه بأدلة ضعيفة واهية، سنشير إن شاء الله تعالى إلى الجواب عنها، و عن ساير ما استدلوا به للقدم فى موضع أليق.

و لعل اختيار الحمد فى المقام على المدح للإشعار بكون محامده اختيارية و بعد الإحسان، إذ المدح على ما قيل أعم من كون الممدوح به اختياريا أو لا، صدر قبل الإحسان أو بعده.

مضافا إلى ما قيل: إن المدح مذموم،

للعلى: «أحتوا التراب فى وجوه المداحين» «١».

و الحمد مأمور به

لقوله: «من لم يحمد الناس لم يحمد الله» «٢».

و إن كان لا يخلو من تكلف، إذ منشأ الذم فيه بعض الجهات الخارجيه كالإطراء، و مجاوزة الحد، و شوب النفاق و نحوها. و اما اختياره على الشكر فلأن الشكر إنما هو بإزاء ما وصل من النعم إلى الشاكر، و أما الحمد فإنما هو بإزاء ما عليه النعم من المحامد. و لذا

ورد: «الحمد لله كما هو أهله و مستحقه» «٣».

(١)

بحار الأنوار: ج ٧٣ / ٢٩٤، ح ١ عن أمالى الصدوق: ص ٢٥٦، و فيه: «أحتوا فى وجوه المداحين التراب»

، و جعله من مناهى النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى: ج ١ / ٢١٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٨٦ / ١٦٣، ح ٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٠٥

في الدعاء: «و لك الحمد بجميع محامدك كلها على جميع نعمك كلها» (١).

و كم الفرق بين الثناء عليه سبحانه بما هو أهله و مستحقه مع الأغماض و قطع النظر عن الإنعام على الحامد أو غيره، أو العدم مطلقاً، و بين مجازات نعمه الجميلة الجليلة بالسنة قصيرة و أزمته يسيرة يحتاج شكر كل زمان منها إلى أزمته كثيرة. و على هذا فيستوعب الحمد شكر جميع الشاكرين مع الزيادة، فإن الصفات الذاتية و النعم التي لم يصل بعد إلى أحد من المخلوقين محامد توجب الحمد لا الشكر.

قال مولانا الصادق عليه السّلام على ما رواه «الكافي»: «ما أنعم الله على عبد بنعمه صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله إلا أدى شكرها» (٢).

و

في دعاء الصحيفة السجادية: «الحمد لله الذي هدانا لحمده، و جعلنا من أهله لنكون لإحسانه من الشاكرين» (٣).

و

في «كشف الغمّة» عن الصادق عليه السّلام: «إن أبا جعفر عليه السّلام فقد بغلة له، فقال: لئن ردها الله لأحمدنه بمحامد يرضاهها، فما لبث أن أتى بها بسرجهما و لجامهما، فلما استوى عليها و ضم عليها ثيابه رفع رأسه إلى السماء فقال: «الحمد لله» فلم يزد، ثم قال: ما تركت و لا أبقيت، شيئاً جعلت كل أنواع المحامد لله عزّ و جل، فما من حمد إلا و هو داخل فيما قلت» (٤).

و

في «تفسير الإمام» و «الاحتجاج» عن مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام أنه سئل عن

(١) البحار: ج ٩٥ / ٤١٣.

(٢) الكافي: ج ٢ / ٩٦، و عنه البحار: ج ٧١ / ٣٢، ح ٩.

(٣) صحيفة السجادية الجامعة: ص ٢٠٩، دعائه عليه السّلام إذا دخل شهر رمضان.

(٤) كشف الغمّة: ج ٢ / ٣١٩، و عنه البحار: ج ٤٦ / ٢٩٠، ح ١٥، و أخرجه ابن طلحة في مطالب السؤل: ص ٨١، و أبو نعيم في الحلية: ج ٣ / ١٨٣ بتفاوت. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٠٦.

تفسير «الحمد لله»، فقال: «هو أن الله عزّ ق عباده بعض نعمه عليهم جملاً إذ لا يقدرّون على معرفة جميعها بالتفصيل، لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف، فقال لهم: قولوا: الحمد لله على ما أنعم به علينا» (١).

و

عن مولانا الصادق عليه السّلام في معنى الحمد، قال: «معناه: الشكر لله و هو المنعم بجميع نعمائه على خلقه» (٢).

و

قال عليه السّلام: «من حمده بصفاته كما وصف نفسه، فقد حمده، لأن الحمد حاء و الميم و دال، فالحاء من الوجدانية و الميم من الملك و الدال من الديمومة، فمن عرفه بالوجدانية و الملك و الديمومة فقد عرفه».

رواهما القاضي سعيد في «أسرار الصلاة» عنه عليه السّلام مرسلًا و يأتي الأخير بلفظ آخر عن السلمى عنه عليه السّلام.

بل ربما يستفاد من بعض الأدلة و فحواي الأخبار اختصاص الحمد بالله سبحانه بحيث ليس أحد ممّن سواه أهلاً لأن يحمده كما في «المتهجد» في دعاء يوم الجمعة: «اللهم لك الحمد كما توليت الحمد بقدرتك، و استخلصت الحمد لنفسك، و جعلت الحمد من خاصتك، و رضيت بالحمد من عبادك، ففتحت بالحمد كتابك، و ختمت بالحمد قضائك، و لم يعدل إلى غيرك، و لم يقصر الحمد دونك، فلا مدفع للحمد عنك، و لا مستقر للحمد إلا عندك، و لا ينبغي الحمد إلا لك» (٣).

و لعل ذلك الاختصاص لدلالة الحمد على كون المحامد ذاتية أصلية قائمة بالمحمود بقيومية المطلقة التي لا يشاركها فيه غيره.

(١) تفسير الإمام: ص ١١.

(٢) تفسير القمي: ص ٢٦، و عنه البحار: ج ٩٢ / ٢٢٩.

(٣) مصباح المتعبد: ص ٣٤٨، و عنه البحار: ج ٩٠ / ١٢٩ - ١٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٠٧

ولذا

ورد في الخطبة الأميرية الغديرية: «الحمد لله الذي جعل الحمد من غير حاجة منه إلى حامديه، طريقا من طرق الاعتراف بلاهوتيته و صمدانيته و ربانيته و فردانيته، و سببا إلى المزيد من رحمته، و محجة للطالب من فضله، و كمن في إبطال اللفظ حقيقة الاعتراف له بأنه المنعم على كل حمد باللفظ، و إن عظم» (١).

فجعله طريقا من طرق الاعتراف بالألوهية دليل على اختصاصه مطلقا أو على بعض الوجوه به سبحانه.

و المراد

بقوله: «و كمن في إبطال اللفظ»

الإشارة إلى أنه سبحانه قد أنزل الحقائق الكلية من الخزائن الغيبية إلى العوالم النازلة الناسوتية بكسوة الألفاظ و الحروف الصورية، فسهل بذلك حمده و ذكره على قاطبة البرية.

ثم إنه قد ظهر ممّا مر أنّ الحمد من الألفاظ الجامدة الموضوعه، نعم ربّما يقال: إنه مشتق من الحمد (بالتفحات) و هي صوت النهاب النار، حيث إنّ العبد بعد مشاهدة النعماء الغير المتناهية يشتغل في قلبه نيران المحبة، فيستتير بنور معرفته الجنان و ينطبق بحمده اللسان.

و إمّا من الحمادي كجباري بمعنى الغاية و النهاية، و منه

الخبر: حماديات النساء غصّ الطرف» (٢).

أي غاياتهن و منتهى ما يحمد منهم غصّ الطرف عمّا حرّم الله، و ذلك أنّ الحمد منتهى مقصد القاصدين، و اجتهاد المجتهدين، سيما مع توقفه على معرفة المنعم بالنعمه، و انبساط يديه بالرحمة.

(١) مصباح المتعبد: ص ٥٢٤، و أخرجه المجلسي قدس سره في البحار: ج ٩٧ / ١١٣، عن مصباح الزائر الفصل السابع.

(٢) الاحتجاج: ج ١ / ١٦٧، ط بيروت و عنه البحار: ج ٣٢ / ١٥١، و هذه الكلمة من كلام أم سلمة بنت أمية قالتها لعائشة لما أزمعت الخروج إلى البصرة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٠٨

و الحق أنّ اشتقاقه منهما تكلف مستغنى عنه، بل لعلّ المعنيين مأخوذان منه على ضرب من الاشتقاق، و إن كان فيه إشعار بالمعنيين، سيما مع إضافته إلى الله، كما أنّه مشتقّ بالاشتقاق المعنوي من الصفات الربانية و النعوت الكمالية.

كما

رواه السلمى «١» في «الحقائق» عن مولانا و مولانا و مولى الخلائق جعفر بن محمد الصادق عليه الصلاة و السلام أنه قال: «الحمد ثلاثة أحرف الحاء و الميم و الدال. فالحاء: من الوجدانية، و الميم:

من الملك، و الدال: من الديمومية، فمن قال: الحمد لله، فقد وصف الله بالوجدانية و الملك و الديمومية».

و لعل الوجه فيه أنّ الحمد التام الكامل الذي يفوق جميع المحامد ما كان المحمود فيه كاملا تاما في جميع الصفات الذاتية و الفعلية،

و الوجدانية إشارة إلى كماله في صفاته الذاتية التي هي عين ذاته تعالى بلا مغايرة حقيقية و اعتبارية، و إلا لانثلت الوجدانية، فإن كمال التوحيد نفى الصفات عنه بدليل أن كل صفة غير الموصوف و كل موصوف غير الصفة.

و أما الصفات الفعلية لم تكن قديمة عين الذات و لا شريكا له مع الذات، بل حادثه بحدوث الفعل و المفاعيل كانت ملكا له، فلذا عبر عنها به، و حيث إن فيضه عزّ و جل في صقع الإمكان و الحدوث لا يزال و لم يزل، إذ كل يوم هو في شأن، و لا يشغله شأن عن شأن، فلذا استحق المحامد الجميلة الجليلة خلود دوام ربوبيته و هو المشار إليه بالديمومية.

(١) السلمى: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي النيسابوري المحدث الحافظ المفسر المتوفى سنة (٤١٢) هـ من تصانيفه: حقايق تفسير القرآن. - معجم المؤلفين ج ٩ ص ٢٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٠٩

### تبصرة عرفانية

روى السيد الجليل ابن طاووس في «سعد السعود» نقلا عن النقاش مسندا إلى ابن عباس قال: قال لى على عليه السلام: «يا بن عباس! إذا صليت الآخرة، فالحقنى إلى الجنة»، قال: فصلبت و لحقته، و كانت ليلة مقمرة، فقال لى: «ما تفسير الألف من الحمد جميعا؟» قال: فما علمت حرفا أجيبه، قال: فتكلم فى تفسيرها ساعة تامة، ثم قال لى: «ما تفسير اللام من الحمد؟» قال: فقلت: لا أعلم، قال: فتكلم فى تفسيرها ساعة تامة، ثم قال: «ما تفسير الحاء من الحمد؟» قال: فقلت، لا أعلم، فتكلم فى تفسيرها ساعة تامة، ثم قال: «ما تفسير الميم من الحمد؟» فقلت: لا أعلم، فتكلم فى تفسيرها ساعة، ثم قال «فما تفسير الدال من الحمد؟» قلت: لا أدري، فتكلم فيها إلى أن برق عمود الفجر، قال: فقال: «قم يا بن عباس إلى منزلك فتأهب لفرضك، فقامت و قد وعيت كلما قال، قال: ثم تفكرت فإذا علمى بالقرآن فى علم على عليه السلام كالقرارة فى المثعنجر، قال: و القرارة: الغدير، و المثعنجر: البحر «١».

أقول: فى «القاموس»: المثعنجر بفتح الجيم وسط البحر، و ليس فى البحر ماء يشبهه.

و قول ابن عباس و ذكر عليا عليه السلام: علمى إلى علمه كالقرارة فى المثعنجر، أى مقيسا إلى علمه كالقرارة موضوعه فى جنب المثعنجر، انتهى.

و فيه: القرارة بالضم ما بقى فى القدرة، أو ما لزق بأسفلها من مرق أو حطام، و القرارة مثلثة الماء البارد الذى يصبّ فى القدر.

قلت: فتفسيرها بالغدير ليس على ما ينبغى، بل التشبيه ليس فى محله و لو

(١) سعد السعود: ص ٢٨٤، و عنه البحار: ج ٩٢ / ١٠٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣١٠

بالقطرة و الذرة، و الصواب ترك النسبة، بل الانتساب، فأين التراب و أبو تراب؟ و لو كانت بينهما نسبة لتكلم ابن عباس بحرف واحد، أو بكلمة واحدة، مع أن ما تكلم عليه السلام به فى تلك الليلة مع ضيق الوقت إنما هو على قدر فهمه و حسب مقامه، لأنهم مأمورون بتكلم الناس على قدر عقولهم.

و لذا قال ابن عباس: «فقامت و قد وعيت كل ما قال»، و إلا- فهو عليه السلام كان قادرا على استخراج جميع العلوم و المعارف و الأحكام المتعلقة بالإمكان و الأكوان من الحقائق التكوينية و العلوم التشريعية من كلمة واحدة بل من حرف واحد.

و لذا

قال عليه السلام: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير باء بسم الله».

و في خبر آخر: «من تفسير فاتحة الكتاب» رواه الشهيد في «أسرار الصلاة» (١).

و

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله حملةً لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد، وكيف لي بذلك ولم يجد جدى أمير المؤمنين عليه السلام حملةً لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء» (٢) و يقول على المنبر: «سلونى قبل أن تفقدونى» فإن بين الجوانح منى لعلمنا جمًا، هاهاه ألا لا أجد من يحمله، ألا وإنى عليكم من الله الحجة البالغة «فلا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور» (٣).

و بالجملة، فالحروف والكلمات لها مراتب و درجات و أطوار علوية و سفلية، مجردة و مادية، جبروتية و ملكوتية و ناسوتية، و المدرک منها بالمشاعر الظلمانية

(١) بحار الأنوار: ج ٩٢ / ١٠٣ عن «أسرار الصلاة».

(٢) الصعداء - بضم الصادر و فتح العين - التنفس الطويل من أو تعب.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣ / ٢٢٥، ١٥ والآية بلا لفظ الغاء في سورة الممتحنة: ٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣١١

المادية الناسوتية هو المتمنزل منها إلى هذا العالم الجسماني بالصور اللفظية و الكتبية، فما يرى سواد العين إلا سواد المداد بالألحاظ و لا تسمع الأذن إلا الأصوات و الألفاظ، و أنى لهما الدخول فى حريم هذه المعانى و الاستقصاء عما لها من المباني من العالى و الدانى.

و أما العقل الإنسانى فقد ابتلى بالثقيد عن التجرد، و احتجب عن مشاهدة الأنوار الملكوتية بالحجب الناسوتية، فوقع من القربة فى الغربية، مع أن كل شىء لا يدرك ما فوق عالمه، و لا يتجاوز عن معالمه، و كيف يدرك العقل الجزئى الحقائق الكلية إلا بعد الوصل الكلى، بقطع جبل الإتيه، و التجرد عن العلايق الجسمانية و الخروج من عرف قدره لا يتعدى طوره.

و لذا لو أنزل الله هذا القرآن على ما هو عليه من قدس ملكوته و عز جبروته (١)، و لذا أتى بما يشار به إلى القريب، تنبيها إلى أنه بعد باق على علوه و رفعتة على جبل عظيم من الجبال التى هى مظاهر العظمة فى هذا العالم الجسمانى، أو على جبله من جبال الإنيه الواقعة فى صقع النفوس لرأيتته خاشعاً متصدعاً من خشية الله لعدم صبره و تحمله و ثباته، و لذا أنزله الله تبارك و تعالى بكسوة الألفاظ و الحروف التى هى أمثلة و أظلة للحقائق الكلية و تلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (٢)، فيصلون بالألفاظ إلى المعانى، و من المعانى إلى المباني و من المباني إلى النور الشعشعانى، أعنى معرفة البشر الثانى.

(١) مقتبس من الآية (٢١) من سورة الحشر: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

(٢) الحشر: ٢١

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣١٢

### نفحات قدسية

ينقسم الحمد باعتبار الحامد إلى: حقى، و حقيقى، و خلقى، و إطلاقى.

فالحقى من حيث الذات: هو الهوية الغيبية التى ليس لها اسم و لا رسم و لا نعت و لا وصف، و بذلك أثنى على ذاته بذاته، فثناؤه ذاته، و ذاته ثناؤه، فامتنع بعز قدسه من أن تناله الأوهام، أو أن تصل إلى معرفته ثواقب العقول و الأفهام.

و من حيث الفعل هو المشيئة الكلية، و هو الفعل الذى خلقه بنفسه و أسكنه فى ظلّه، و هو فى صقع الإمكان و الأكوان، حقيقة الحقائق و مبدء المبادئ، و أصل الأصول، و أسطقس الأسطقسات، فالثناء على الله تعالى بعد ثنائه على ذاته لا يكون إلا فى مظهر من المظاهر الكونية، فأعلى المظاهر أجلاها و أسناها ثناء على الله.

و حيث إنّ المشيئة الكونية و الإمكانية أعلى المظاهر و أوّل الأوائل فى عالم الأكوان و الإمكان، كان هذا الحمد له، و أفضل الحمد عنده، و أحقّ الحمد لديه، و أحبّ الحمد إليه، كما فى دعاء يوم الإثنين «١».

ثم إنّ الحمد الحقى فى مقام الفعل هو بعينه الحمد الحقيقى فى مقام الذات، و إن كان هناك تغاير بحسب الاعتبار، فإنّ ذات المشيئة هو فعل الرب سبحانه و هو إبداعه و إرادته كما أشار إليه مولانا الرضا عليه السلام.

فالحمد الحقيقى ينقسم أيضا إلى ذاتى هو ما سمعت، و إلى فعلى و هو دوام توجهه و افتقاره و انقطاعه إلى الله سبحانه بالتضرع و السؤال و الابتهاال و الاستمداد لتحصيل الاستعداد، و هو الحمد الذى يصل إليه أوله، و لا ينقطع آخره، لم يجعل له أمدا، و لا ينفد أبدا، و هو الذى أشار إليه فى الدعاء:

(١) مصباح المتهجد: ص ٢١٧، و عنه البحار: ج ٩٠ / ١٧٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣١٣

«حمدا دائما يدوم ما دام سلطانك، و يدوم ما دام وجهك، و يدوم ما دامت جنتك، و يدوم ما دامت نعمتك، و يدوم ما دامت رحمتك، حمدا يصعد و لا ينفد، يبلغك أوله و لا ينقطع آخره، حمدا سرمدا لا يحصى عددا و لا ينقطع أبدا» «١».

كما أن الحقيقى الذاتى هو المشار إليه

بقوله: «فتحت بالحمد كتابك» «٢».

بناء على أن المراد بالكتاب هو الكتاب التكوينى أو الإمكانى، و إن كان ابتداء الكتاب التدوينى به أيضا، و

بقوله: «حمدا سعة علمك و مقدار عظمتك و كنه قدرتك و مبلغ مدحك و مداد كلماتك...» «٣».

و أما الحمد الخلقى فيكون أيضا فى مقام الذات و فى مقام الفعل، فالذاتى يشترك فيه جميع العالم من حيث التحقق و الوجود، و إن كان بين أفرادها من الاختلاف ما لا يحصى و لا يستقصى كاختلاف ذوات الذرات فى السلسلة الطولية و العرضية و هو المعبر عنه بالتسيح الذاتى المشار إليه بقوله يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ «٤»، وَ إِنِّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ «٥».

لكن التسيح المذكور فى الآيتين و غيرهما يراد به مضافا إلى ما ذكر من التسيح الفطرى الذاتى، التسيح الشعورى الاختيارى التكليفى الذى نطقت به الآيات و الأخبار حسبما يأتى بيانه إن شاء الله. و لذا قال سبحانه:

(١) البلد الأمين ص ٨٢. مصباح المتهجد: ص ٣٤٣، دعاء يوم الجمعة.

(٢) نفس المصدر.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٠ / ١٣٠، دعاء الجمعة.

(٤) الجمعة، و التغابن: ١.

(٥) الإسراء: ٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣١٤



أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴿١﴾.

فإنه نسب السجود إلى غير الناس على سبيل الكليّة وإيهم على وجه الجزئية، وهذا هو السجود الاختياري والتكليف الشعوري الإرادي.

و أما التسييح الفطري الذاتي فيشترك فيه جميع الأشياء والأكوان مما دخل في صقع الإمكان أو في بقعة الوجود حتى أن الكافر والمشرک في حال كفره وشركه موحد لله تعالى مسيح له، ولذا قيل بالفارسية: «عين إنكار كافر إقرار است».

وقيل أيضا:

هر گیاهی که از زمین روید و وحده لا شریک له کوید

و

في «الجامعة الصغيرة»: «يسبح الله بأسمائه كل شيء».

و ذلك لأن كل ما دخل في عالم الوجود من الأكوان والأعيان والمجردات والماديات والفلكيات والعنصریات والجمادات والنباتات والحيوانات فهو ينادى بأعلى صوته بل بجميع ألسنة وجوده بأني عبد عاجز مصنوع لا أقدر على شيء ولا أملك لنفسي شيئا، بل لست بشيء وإن لي ربا قادرا، عالما، قيوما، حيا، قديما، جامعا لصفات الكمال ونعوت الجلال وإنه شيأني بمشيتته وأوجدني بقدرته وأفاض علي من رحمته، وأقامني بأمره قيام صدور و ظهور، بحيث لو قطع فيضه عني لكنت عدما محضا، وهذه المقالة مما جرت عليها ألسنة جميع الذرات والكائنات من جميع جهات وجودها و كينونها في جميع الأدوار والأكوار والأطوار والأوطار، فقد ملأ الدهر قدسه لا يرى فيه نور إلا نوره، ولا يسمع فيها صوت إلا

(١) الحج: ١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣١٥

صوته كما في الدعاء.

و أما الحمد الخلقى الفعلي فيكون بالجنان والأركان وباللسان ولذا قيل: «إن الثناء للسلطان باللسان ينجيك من سيف السلطان، و يسلمك من آفة الكفران، و شكر الأركان ينجيك من دركات النيران، و يبلغك إلى أعلى درجات الجنان، و الحمد بالجنان يقربك إلى الرحمن و يشرفك بالعرفان».

و أدنى درجات حمده في هذا المقام انفراد اللسان بالثناء عليه من دون موافقة الجنان والأركان، و ربما كان مذموما لأنه من شعب النفاق.

و أعلاها و أغلاها و أرفعها في هذه المرتبة توافق الثلاثة، و إن كان الأصل فيها معرفة المحمود، و وقوع عظمته في القلب، فإن الأركان حتى اللسان بمنزلة الآلات و الأدوات للقلب تجرى بحكمه و يترشح عليها ما وقع فيه، فكل إناء بالذي فيه ينضح.

و لذا قال روح الله عيسى على نبينا و آله و عليه السلام: «إن اللسان يتكلم بزوائد القلب، فإذا وقعت في القلب عظمة شخص و كماله و جلاله بادرت الأركان و الألسنة إلى تعظيمه و الثناء عليه، حتى ربما تقع لها شبه الاضطراب من شدة البدار، و لذا اضطرت العقول بالاستكانة لديه و نظقت الألسن بالثناء عليه، بل كل ركن من الأركان، و كل مشعر من المشاعر لسان من الألسنة بل و كذا الأوصاف و الأعراض و الأحوال و الخيالات و الخطرات و النيات و الأعمال».

و أما الحمد الإطلاقي فهو العام التام الكامل الشامل لجميع ما ذكرناه و ما لم نذكره، مما لم يثبت في الدفاتر، و لم يجر على الخواطر.

و إلى ما ذكرناه من مراتب الحمد إشارة

بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعَاءِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا حَمِدَ اللَّهُ شَيْئًا، وَكَمَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُحْمَدَ، وَكَمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَكَمَا يَنْبَغِي لِكْرَمِ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣١٦

وجبه و عز جلاله» (١).

فقوله «الْحَمْدُ لِلَّهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَمْدِ الْإِطْلَاقِيِّ الْعُمُومِيِّ الشَّامِلِ لِجَمِيعِ الْمُحَامِدِ، وَ لَذَا قَالَ مَوْلَانَا الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْخَيْرِ الْمَتَقَدِّمِ «٢» بَعْدَ وَجْدَانِ الْبَغْلَةِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ لَمْ يَزِدْ، ثُمَّ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ وَ لَا بَقِيَتْ شَيْئًا جَعَلَتْ كُلَّ أَنْوَاعِ الْمُحَامِدِ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَمَا، مِنْ حَمْدٍ إِلَّا وَ هُوَ دَاخِلٌ فِيهَا قَلْتُ».

و

قوله «كلما حمد الله شيء»

، إشارة إلى الحمد الخلقى الشامل لمحامد جميع المخلوق في رتبة المفعول بجميع أدواتهم و مشاعرهم و ألسنتهم و أركانهم و لغاتهم و أحوالهم.

و

قوله «و كما يحب الله أن يحمد»

، إشارة إلى الحمد الخلقى الذاتي أو الحقيقي، فإنهما في رتبة واحدة و إن كانا متغايرين بالاعتبار، و جعله أثرا للمحبة لكونه من آثار المشية التي هي المحبة الكلية الأصلية المشار إليها بقوله: «كنت كنتا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق كي أعرف» (٣).

فعبر فيه عن الوجود المطلق الذي هو الواسطة بين الوجود الحق و هو الكثر المخفى أي المجهول المطلق، و بين الوجود المقيد و هو الخلق بالمحبة التي هي جذبه التوحيد و مقام التفريد، و الآخذ بناصية كل شيء، فهو راجع إليها رجوع الفيء أ و لَمْ يَزُوا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَ هُمْ دَاخِرُونَ (٤).

(١) بحار الأنوار: ج ٨٦ / ٤٤، في ما يستحب عقيب الصلاة.

(٢) كشف الغمة: ج ٢ / ٣١٩.

(٣) الحديث مشهور تارة نسب إلى داود النبي عليه السلام و اخرى نسب إلى النبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ وَ لَكِنْ قَالَ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرَرِ الْمُنْتَرَةِ ص ١٩٣: لا- أصل له، و قال ابن العربي في الفتوحات ج ٢ ص ٣٩٩: الحديث صحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ كَشْفًا لَا نَقْلًا.

(٤) النحل: ٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣١٧

و

قوله «و كما هو أهله»

: إشارة إلى الحمد الحقيقي الذاتي الحقي الفعلي الذي قد عرفت سابقا اتحادهما أيضا من وجه، و إن تغايرا من وجه آخر، فإن فعله سبحانه أهل له، و هو أهل لفعله، و هذا التأهل إنما هو في مقام الفعل لا الذات.

و

قوله «و كما ينبغي لكرم وجهه و عز جلاله»

، إشارة إلى الحمد الحقى الذاتى فى مقام الواحدية لا الأحديّة التى هو الغيب المطلق، فله فى مقام الواحدية الظهور بالصفات الكمالية من الجمالية و الجلالية.

فقوله «لكرم وجهه»

إشارة إلى ظهوره بالصفات الكمالية من العلم و القدرة و الحياة و القدم و غيرها،

«و عز جلاله»

إشارة إلى تقدسه عن كل ما يعدّ فى النقصان أو ينتهى إلى رتبة الإمكان.

فانظر كيف أطلق الحمد أولاً بالإطلاق الشمولى الإحاطى، ثم فصّله فى مراتبه و درجاته متدرّجا من الأدنى إلى الأعلى، كما هو القانون فى التوجهات و الأسفار و الترقيات الواقعة فى عالم المواد، و صقع الاستعداد إليه يَصِيحُ عَدُّ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحِ يَرْفَعُهُ (١).

ثم بعد تفصيل المراتب فى المقامات الأربعة التى هى الأركان الأربعة لعرش المعرفة و التقديس، و هى التسبيح و التهليل و التحميد و التكبير، فضّل بعد الإجمال و أجمل بعد التفصيل

فقال: و سبحانه الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر على كل نعمة أنعم بها على و على كل أحد من خلقه، ممن كان أو يكون إلى يوم القيامة (٢).

ثم اعلم أن الثناء الواقع من كل أحد لله سبحانه إنما هو على حسب مقامه و رتبته و قابليته و استعداده و الله سبحانه منزّه عن كل ذلك، فإنه قد انتهى المخلوق

(١) فاطر: ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨٦ / ٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣١٨

إلى مثله و ألجأه الطلب إلى شكله، و أتى له و الثناء على الله بما هو أهله و مستحقه إلا بمجرد إطلاق القول بذلك و الحوالة على ما هنالك، و لذا

ورد فى الدعاء: «الحمد لله كما هو أهله و مستحقه».

و

قال أشرف الأنبياء و المرسلين صلى الله عليه و آله و عليهم أجمعين: «سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» (١).

و ذلك لأن الخلق و إن بالغ فى السعى و الاجتهاد و أتى بما فى وسعه من القوة و الاستعداد، فلا يمكن له الخروج من حدود الإمكان المحفوف بالقصور و النقصان فى جميع العوالم من الإمكان و الأعيان و الأكوان، فمن أين له الإحاطة بكمال الواجب سبحانه و تعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

فالعجز عن درك الإدراك إدراك و الخوض فى طلب الإدراك إشراك

و لذا نرّه عن أوصافهم و توصيفاتهم فى قوله: سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٢).

ثم استثنى توصيف عباده الذين يصفونه بما وصف به نفسه بقوله: إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (٣) و توصيفهم هو الذى أشار إليه فى الآية التالية: سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ الْعَلِيَّةِ وَ الْكِبْرِيَاءِ عَمَّا يَصِفُونَ وَ سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ يصفونه بما وصف به نفسه و هو قولهم: وَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ «٤».

ورد في النبوي أنه دعوة أهل الجنة «٥»

كما في الآية «٦».

(١) بحار الأنوار: ج ٧١ / ٢٣.

(٢) الصفات: ١٥٩.

(٣) الصفات: ١٦٠.

(٤) الصفات: ١٨٠ - ١٨٣.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ / ٢٣.

(٦) يونس: ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣١٩

و

في «الاحتجاج» عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِنَعِيمِ الدُّنْيَا مَوْصُولًا بِنَعِيمِ الآخِرَةِ وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي يَقُولُهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا وَيَنْقَطِعُ الْكَلَامُ الَّذِي يَقُولُونَهُ فِي الدُّنْيَا مَا خِلا «الْحَمْدُ لِلَّهِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (١) «٢».

و أما حمده سبحانه على نعمه و آلائه فمع توفقه على معرفة المنعم موقوف على العلم التفصيلي بالنعم و أجناسها و أنواعها و أصنافها و مبادئها و أسبابها و غاياتها و افتراقاتها في إبداع فؤاده، و خلق عقله، و روحه و نفسه، و طبيعته و مزاجه، و مثاله و عنصره، و جسمه و جسده، و أعضاؤه و أخلاطه، و قواه و مشاعره، و ظاهره و باطنه، و سره و علانيته، و أغذيته الروحانية و الجسمانية، و ملاحظة مبادئها و نزولها من البحر الذي هو تحت العرش بأيدي الملكة الحفظة الكرام، من الذاريات، و الحاملات و الجاريات، و المقسمات، و المدبرات، و غيرها من عمال الكائنات و المكنونات، و عبودها من أطباق السموات إلى أن حملتها الرياح، ثم السحاب، ثم الهواء، ثم الأرض، ثم النبات، ثم الحيوانات و ما له فيما بين ذلك من الكيموسات و الكيلوسات و الاستحالات و التنقلات، و الإشراقات و الإمدادات و الإفاضات و القرانات و المقابلات و المزاحمات و المدافعات.

فمن أين للعبد الذليل الضعيف المسكين المستكين أن يشكر واحدة من نعمه الكثرة الجميلة الجزيلة الجليلة التي لا تحصى و لا تستقصى، و لذلك أفرد النعمة في قوله: «وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» (٣) أي من حيث الشكر عليها من حيث المبادئ و الأسباب و غيرها مما ذكرناه و مما لم نذكر.

(١) يونس: ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩ / ٢٩٥، ح ٥.

(٣) يونس: ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٢٠

و من هنا

قال مولانا سيد الشهداء صلى الله عليه و على الأرواح التي حلت بفناءه في دعائه يوم عرفه بعد الإشارة إلى جملة من نعمه سبحانه:

«فأى نعمك يا إلهي أحصى عددا و ذكرا، أم أى عطايك أقوم بها شكرا؟»

وهي يا رب أكثر من أن يحصيها العادون أو يبلغ علما بها الحافظون، ثم ما صرفت ودرأت عنى، اللهم من الضرّ والضرّ أكثر مما ظهر لى من العاقبة والسرّاء، وأنا أشهد يا إلهى بحقيقة إيمانى، وعقد عزمات يقينى، وخالص صريح توحيدى، وباطن مكنون ضميرى، وعلائق مجارى نور بصرى، وأسارير صفحة جيبى، وخرق مسارب نفسى، وخذاريف مآرن عرنينى، ومسارب صماخ سمعى، وما ضمت وأطبقت عليه شفتاى، وحركات لفظ لسانى، ومغرز حنك فمى وفكى، ومنابت أضراسى، وبلوغ حبال بارع عنقى، ومساع مأكلى ومشربى، وحماله أم رأسى، وجمل حمائل جبل وتينى، ما اشتمل عليه تامور صدرى، ونياط حجاب قلبى، وأفلاذ حواشى كبدى، وما حوته شراسيف أضلاعى، وحقاق مفاصلى، وأطراف أناملى، وقبض عواملى، ولحمى ودمى وشعرى وبشرى وعصبى وقصبى وعظامى ومخى وعروقى وجميع جوارحى، وما انتسج على ذلك أيام رضاعى، وما أقلت الأرض منى، ونومى ويقظتى وسكونى وحركتى، وحركات ركوعى وسجودى، أن لو حاولت واجتهدت مدى الأعصار والأحقاب لو عمرتها أن أودى شكر واحدة من أنعمك ما استطعت ذلك إلا بمنك الموجب على شكرا أنفا جديدا، وتناء طارفا عتيدا، أجل ولو حرصت أنا والعادون من أنامك أن نحصى مدى إنعامك سالفه وأنفه لما حصرناه عددا ولا أحصيناه أبدا، هيهات أنى ذلك وأنت المخبر عن نفسك فى كتابك

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٢١

الناطق والنبا الصادق: وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا «١» «٢».

وإنما ذكره بطوله لما فيه من الشهادة بجميع أعضائه وجوارحه وظاهره وباطنه على قصوره من أداء شكر نعمة واحدة من نعمه سبحانه، فإذا كان مولانا سيد الشهداء روحى له الفداء عاجزا عن ذلك، فما ظنك بغيره! بل غاية المطلوب منا إنما هو الاعتراف بالعجز والقصور، بل التفاوت فى الدرجات واختلاف مراتب الممكنات إنما هو بحسب اختلاف معرفتهم وتصديقهم بالعجز عن ذلك واعترافهم بذلك وهو التحقق بمقام العبودية والإذعان بالعجز عن إحصاء شؤون الربوبية.

### درّة بيضا فى حقيقة اللواء

اعلم أن اللواء بالهمزة واللواى واللواية بالياء بدون الهاء ومعها، بمعنى العلم بالفتحتين أو العلم الكبير. وقد تظافرت الأخبار بل تواترت بأنه أعطى نبينا محمد صلى الله عليه وآله لواء الحمد وهو حامله. وفى أكثر الأخبار أنّ حامله مولانا أمير المؤمنين وأن آدم ومن دونه من الأنبياء والمرسلين تحت هذا اللواء. ولم أر لأحد من العلماء الأعلام رفع الله قدرهم فى دار السلام كلاما فى هذا المرام، فلا بأس بالإشارة إلى بعض الأخبار فى المقام ثم التعرض لبعض المقاصد التى يصل إليها أكثر الأفهام، فإنه ليس كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال حضر له

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١٨ / ٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٢٢

رجال، ولا كلما حضر له رجال حان له المجال.

ففى «العيون» عن مولانا الرضا عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا على! أنت أول من يدخل الجنة ويترك لوائى، وهو لواء الحمد، وهو سبعون شقة الشقة منه أوسع من الشمس والقمر» «١».

و

فيه عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «يا على! إنى سألت ربي فيك خمس خصال فأعطانيها، أحدها أن يجعلك حامل لوائى، وهو لواء

اللّه الأكبر مكتوب عليه المفلحون هم الفائزون بالجنة» (٢) الخبر.

و في «المناقب» عن مقاتل، و الضحّاك، و عطاء، و ابن عباس في قوله تعالى:

و مِنْهُمْ أَى مِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ يَسْتَمِعْ إِلَيْكَ و

أنت تخطب على منبرك تقول:

إنّ حامل لواء الحمد يوم القيامة على بن أبى طالب

حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ تَفَرَّقُوا و قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا على المنبر استهزاء بذلك كأنهم لم يسمعوا، ثم قال: أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ «(٣)» (٤).

و

في «العلل»: «يا على! أنت أول من يدخل الجنة، فقلت: يا رسول الله أدخلها قبلك؟ قال: نعم، لأنك صاحب لوائي في الآخرة كما أنك صاحب لوائي في الدنيا و حامل اللواء هو المتقدم ثم قال عليه السلام: يا على! كأنى بك و قد دخلت الجنة و بيدك لوائي و هو لواء الحمد تحته آدم فمن دونه «(٥)».

و

في «تفسير فرات بن إبراهيم» عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم: «إني أعطى يوم القيامة أربعة

(١) العيون: ص ١٦٨، و عنه البحار: ج ٨ / ٤.

(٢) العيون: ص ١٩٨، و عنه البحار: ج ٨ / ٤.

(٣) سورة محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم: ١٦.

(٤) المناقب: ج ٢ / ٢١، و عنه البحار: ج ٣٩ / ٢١٣.

(٥) علل الشرائع ص ٦٨ و عنه البحار ج ٣٩ ص ٢١٧ ح ٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٢٣

ألوية فواء الحمد بيدي، و أدفع لواء التهليل لعلى، و أوجهه في أول فوج و هم الذين يحاسبون حسابا يسيرا، و يدخلون الجنة بغير حساب عليهم، و أدفع لواء التكبير إلى حمزة، و أوجهه في الفوج الثاني، و أدفع لواء التسيب إلى جعفر، و أوجهه في الفوج الثالث، ثم أقيم على أمتي أشفع لهم ثم أكون أنا القائد و إبراهيم السائق حتى أدخل أمتي الجنة» (١).

و

في «الأمالى» بالإسناد: إن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: آخى بين المسلمين ثم قال: «يا على أنت أخى و أنت منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدى، أما علمت يا على أنه أول من يدعى به يوم القيامة يدعى بى، فأقوم عن يمين العرش فأكسى حلّة خضراء من حلال الجنة، ثم يدعى بأبينا إبراهيم فيقوم سماطين «(٢)» عن يمين العرش في ظلّه فيكسى حلّة خضراء من حلال الجنة، ألا و إنى أخبرك يا على إن أمتي أول الأمم يحاسبون يوم القيامة، ثم أبشرك يا على إن أول من يدعى يوم القيامة يدعى بك هذا لقربتك منى و منزلتك عندي، فيدفع إليك لوائي و هو لواء الحمد فتسير به بين السماطين، و إن آدم و جميع من خلق الله يستظلون بظل لوائي يوم القيامة، و طوله مسيرة ألف سنة، سنانه ياقوته حمراء، قصبه فضة بيضاء، زجه «(٣)» درة خضراء، له ثلاث ذوائب من نور، ذوائب في المشرق، و ذوائب في المغرب، و ذوائب في وسط الدنيا، مكتوب عليها ثلاث أسطر:

السطر الأول «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، و الآخر «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ و الثالث «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، طول كل سطر مسيرة ألف سنة، و عرضه مسيرة

(١) تفسير فرات ص ٢٠٦ و عنه البحار ج ٨ ص ٧ ح ١١.

(٢) السماط (بكسر السين المهملة): الشيء المصطف.

(٣) الزج (بضم الزاي): الحديد التي في أسفل الرمح. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٢٤

ألف سنه، فتسير باللواء و الحسن عن يمينك، و الحسين عن يسارك حتى تقف بيني و بين إبراهيم في ظل العرش فتكسى حلة خضراء من حلل الجنة، ثم ينادى مناد من عند العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، و نعم الأخ أخوك علي، ألا و إني أبشرك يا علي إنك تدعى إذا دعيت و تكسى إذا كسيت و تحيي إذا حييت «١».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة.

و الإشارة الإجمالية أنك قد سمعت أن الحمد الحقي الفعلي هو الحقيقي الذاتي الذي هو المشيئة الكلية، و الحقيقية المحمدية، و اسمه في السماء أحمد، و في الأرض محمد كما في الخبر يعني أن اسمه في سماء الرفعة و الوجود و الإقبال و الاستفاضه هو احمد بزيادة الألف في أوله للإشعار إلى مقام الإقبال و شدة التوجه و التجريد و الانغماس في بحر التوحيد و لذا أفاد معنى التفضيل فإنه خير مظهر و مظهر أول المحامد الربانية فظهر به مجده و ثنائه، و تجلى فيه قدسه و بهائه، تجلى له ربه فأشرق، و طالعه فتألأ، و ألقى في هويته مثاله فأظهر عنه أفعاله.

و في أرض الانوجد و الإمكان و الإديار و الإفاضة على غيره هو محمد بزيادة الميمين إشارة إلى المقام المخصوص به صلى الله عليه و آله و سلم دون على عليه السلام و هو طوافه حول جلال القدرة ثمانين ألف سنه.

كما

في خبر جابر الأنصاري عنه صلى الله عليه و آله و سلم في تفسير قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ «٢»، قال صلى الله عليه و آله و سلم: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ابتدعه عن نوره و اشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنه، ثم سجد لله تعظيماً، ففتق منه نور على، فكان نورى محيطاً

(١) أمالي الصدوق ص ١٩٥ و عنه البحار ج ٨ ص ١ ح ١.

(٢) آل عمران: ١١٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٢٥

بالعظمة، و نور على محيطاً بالقدرة، ثم خلق العرش و اللوح و الشمس «١» الخبر و قد مر الكلام في بيان الخبر فلاحظ.

فبيننا صلى الله عليه و آله و سلم مشتق من الحمد على الوجهين بالاشتقاق اللفظي و المعنوي ليطابق الظاهر الباطن، بل هو مشتق من اسمه سبحانه الحميد و المحمود بالاشتقاق المعنوي، فهو العزيز الحميد، و هذا محمد.

و

في الخبر: «أنا المحمود و أنت محمد شقت لك اسماً من اسمي» «٢».

و إليه أشار أبو طالب (رضى الله عنه) في قصيدته في مدح النبي صلى الله عليه و آله و سلم:

ألم تر أن الله أرسل عبده ببهانه و الله أعلى و أمجد

و شق له من اسمه ليحله فذو العرش محمود و هذا محمد «٣»

فالحمد و الثناء كله لله و بالله و من الله إلا- أنه ليس في مرتبة ذاته الأحادية المجردة الذي ليس له اسم و لا- رسم و لا وصف و لا نعت، بل إنما هو في مرتبة فعله، و فعله حادث ليس معه قديماً بالقدم الأزلية سبحانه له القوة القوية و القدم الأزلية، بل القدم المضاف إلى الفعل إنما هو القدم في عالم الإمكان و في صقع الوجود المطلق و المشيئة الكلية و الحقيقية المحمدية.

كما

في الخطبة الغديرية الأميرية على ما رواه شيخنا أبو جعفر الطوسي رحمه الله في «المتهدج» بالإسناد عن مولانا الرضا عليه السلام و فيها: «و أشهد أن محمدا عبده و رسوله استخلصه في القدم على سائر الأمم ... إلى قوله عليه السلام: «و أن الله اختص لنفسه بعد نبيه صلى الله عليه و آله و سلم من بريته خاصة علاهم بتعليته و سما بهم إلى رتبته و جعلهم الدعاء بالحق إليه، و الأدلاء بالإرشاد إليه لقرن

(١) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٢ ح ٣٨.

(٢) أمالي الصدوق ص ٢١٣ و عنه البحار ١٨ ص ٣٣٨.

(٣) بحار الأنوار ج ١٦ ص ١٢٠ و قيل: الشعر لحسان. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٢٦

قرن و زمن زمن.

أنشاهم في القدم قبل كل مذروء و مبروء، أنوارا أنطقها بتحميده، و ألهمها شكره و تمجيده، و جعلها الحجج على كل معترف له بملكه الربوبية و سلطان العبودية و استنتق بها الخرسان بأنواع اللغات بخوعا «١» له بأنه فاطر الأرضين و السموات و أشهدهم خلق خلقه و ولأهم ما شاء من أمره و جعلهم تراجمة مشيته، و ألسن إرادته، عبيدا لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون» «٢».

و قد ظهر من هذه الخطبة الشريفة كما في الأخبار المتواترة أنهم هم الفيض الأول، و النور المشرق من صبح الأزل، و أن الله أنشأهم في القدم قبل كل شيء، و ولأهم أمر كل شيء، فظهر بوجودهم محامده الفعلية الأولية، و بوساطتهم لخلق الخلائق و رزقهم و ساير فيوضهم و تجلياتهم نعمه الجليلة الجميلة التي لا تحصى و لا تستقصى على جميع خلقه، فاللواء هو العلم الذي يرفعه الأمير للشهرة و لظهور النصر و لتحقيق الإمرة، و حيث أنه صلى الله عليه و آله و سلم هو الواسطة لجميع الإفاضات الربانية و النعم الإلهية، بل به ظهر مجده و ثناؤه، و قدسه و فعله، و أمره و مشيته، فهو الظاهر و المظهر و المظهر، و هو المخصوص بلواء الحمد و الثناء و المجد و البهاء و القدس و السناء و النور و الضياء و النعمة و العطاء.

و أما إن حامله على عليه السلام فلأنه صلى الله عليه و آله و سلم مدينة العلم و الحكمة و على بابها، و قد قال الله تعالى: وَ أَتُوا بُيُوتَ مَنْ أَبْوَابِهَا «٣».

و لذا كان صلى الله عليه و آله و سلم صاحب التنزيل و على عليه السلام صاحب التأويل، فإن المراد بالعلم في خبر المدينة الأعم من التكويني و التشريعي، فلا يصل شيء من الفيوض إلى

(١) البخوع: المبالغة في الإذعان و الإقرار.

(٢) مصباح المتهدج ص ٥٢٤ و عنه البحار ج ٩٧ ص ١١٣.

(٣) البقرة: ١٨٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٢٧

أحد من الخلائق إلا بواسطته، و الخروج من يده، لأنه من حجاب القدرة، و طائف حول حجاب العظمة، و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من حجاب العظمة، و طائف حول حجاب القدرة، و بالجملة فالولاية المطلقة التامة العامة للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، و الحامل لتلك الولاية و المتصدى لإحيائها إنما هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع العوالم التكوينية و التشريعية. و لذا يكون تحتها آدم و من دونه من الأنبياء و المرسلين و الأوصياء و الصديقين و الملائكة المقربين صلى الله عليه و آله و سلم و عليهم أجمعين.



و هذا لضرب من البيان و إلا- فتحتها جميع العالم من الدرّة إلى الدرّة، و من أعلى عليين إلى أسفل سافلين، بل جميع ما خلق الله سبحانه من ألف ألف عالم، و ألف ألف آدم في جميع الأكوار و الأدوار و الأوطار و الأطوار إلى غير ذلك مما لا يعلمه أحد إلا الله العزيز الجبار و لذا

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فِي خَبَرِ «الْأَمَالِي»: «إِنَّ آدَمَ وَ جَمِيعَ مَنْ خَلَقَ اللهُ يَسْتَظِلُّونَ بِظِلِّ لَوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

و من هنا يظهر أن الإختصاص و الحمل للواء ليس في خصوص الآخرة، بل في الدنيا أيضا و لذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فِي الْخَبَرِ الْمَتَقَدِّمِ عَنِ «الْعَلَلِ»: «إِنَّكَ صَاحِبُ لَوَائِي فِي الْآخِرَةِ كَمَا أَنْتَ صَاحِبُ لَوَائِي فِي الدُّنْيَا» (١).

نعم ظهور هذا اللواء أعنى الولاية المطلقة إنما يكون في الآخرة يوم تبلى السرائر، هنالك الولاية لله الحق، إذ له الملك و له الحمد، هو المالك لما ملكهم، و القادر على ما عليه أقدرهم.

و أما إن له سبعين شقّة كل شقّة منه أوسع من الشمس و القمر فهو إشارة إلى كماله و تماميته في عالم الإمكان و الأكوان، و أنه ليس له في هذا العالم قصور و لا

(١) العلل ص ٦٨ و عنه البحار ج ٣٩ ص ٢١٧ ح ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٢٨

نقصان، فإن السبعة هي العدد الكامل، و النور الشامل من أول الأفراد إلى ثاني الأزواج، و من أول الأزواج إلى ثاني الأفراد، و ظهور انبساطه و ترقيه إنما هو بالترقى إلى العشرات، و لذا يعبر به عن الأعداد الكاملة التي لها الغاية القصوى كقوله «إِنْ تَشَاءُ تَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ» (١).

و

للنبوي: «إِنَّهُ لِيَغَانِ عَلَيَّ قَلْبِي وَ إِنِّي لِأَسْتَغْفِرَ اللهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً» (٢).

مع أن تعدد الشقّة باعتبار تعدد العوالم، فإن كل شقّة منها محيطه بعالم من العوالم، و لذا تكون أوسع من الشمس و القمر في الإحاطة و الضياء و البهاء و النور.

بل في كلام بعض السادة الأعلام: أنه ورد أن له سبعين ألف شقّة، لكن الخطب سهل بعد ما علم أنه يعبر عن الكثرة العددية بهذا العدد و إن لم يكن مقصودا بالخصوص كما يعبر عنها بعدد الألف أيضا، منه ما في خبر «الأمالي» من أن طول كل سطر و عرضه ألف سنة (٣).

و كأنه من سنى الربوبية الصغرى أو الكبرى، و «إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» (٤) و له كل يومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٥).

بل عرض كل من الأسطر الثلاثة و طولها بقدر عالم الأكوان و الإمكان، فإن كل شيء من الموجودات رقت عليه الأسطر الثلاثة بحيث قد استوعب جميعه من ظاهره و باطن و ملكه و ملكوته، بل لا تراحم بين الأسطر و لا تدافع فيها فكل سطر منها محيط بكله فكل شيء موسوم بسمه الله.

(١) التوبة: ٨٠.

(٢) كشف التوبة ص ٢٥٤ و عنه البحار ج ٢٥ ص ٢٠٤.

(٣) أمالي الصدوق ص ١٩٥ و عنه البحار ج ٨ ص ١ ح ١.

(٤) الحج: ٤٧.

## (٥) المعارج: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٢٩

كما عن الرضا عليه السلام في تفسير البسمله (١).

مظهر لثنائه سبحانه، بل مظهر له بأفصح لسانه دال بجميع وجوده و جهات ظهوره على توحيد خلقه و تربيته من سمات الحدوث و النقصان و الإقرار بالبايئة الكبرى، و الوساطة العظمى للنورين الأولين القديمين في عالم الكون و الإمكان، و هو محمد و على (صلوات الله عليهما و آلهما) فإن من لم يقر لهما بهذا المقام لم يخرج من غسق العدم إلى عتبه الوجود، و الأخبار بذلك كثيرة، بل يدل عليه أيضا ما ورد من أن أسمائهم مكتوبة على العرش الذي أظهر إطلاقاته في المقام هو جملة العالم.

نعم لو أطلق في مقابلة غيره أريد منه الخصوصية كما

في «الإحتجاج» عن الصادق عليه السلام و فيه ما يدل على أصل المقصود أيضا قال عليه السلام: «لما خلق الله العرش كتب على قوائمه: لا- إله إلا- الله، محمد رسول الله، على أمير المؤمنين، و لَمَّا خلق الله الماء كتب على مجراه لا إله إلا الله، محمد رسول الله، على أمير المؤمنين، و لَمَّا خلق الله (عزّ و جل) إسرافيل كتب على جبهته: لا- إله إلا الله محمد رسول الله، على أمير المؤمنين، و لما خلق الله (عزّ و جل) جبريل كتب على جناحيه: لا- إله إلا- الله، محمد رسول الله، على أمير المؤمنين، و لما خلق الله (عزّ و جل) السموات كتب على أكتافها: لا- إله إلا- الله، محمد رسول الله، على أمير المؤمنين، و لما خلق الله (عزّ و جل) الأرضين كتب في أطباقها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، على أمير المؤمنين».

ثم ذكر عليه السلام الجبال و الشمس و القمر، ثم قال: «و هو السواد الذي ترونه في القمر، فإذا قال أحدكم: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فليقل: على أمير المؤمنين

(١) معاني الأخبار ص ٣ و عنه البحار ج ٩٢ ص ٢٣٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٣٠

ولي الله الخبر (١).

و هذه السطور و الأرقام كلها في هذه اللواء، بل سائر الأشياء كلها مرقومة بقلم النور من مداد السرور في صحيفة الظهور و قد كتبه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بإملاء رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من الله سبحانه حين أشهدهم خلقها و ولاهم أمرها كما في الخطبة الأميرية الغديرية المتقدمة (٢)، و في خبر محمد بن سنان و غيره فالتوحيد الذي فطر الله عليه الخلق لا يتم إلا بالإسلام الذي هو رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و بالإيمان الذي هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، و لذا يستنطق الإسلام من بينات اسم محمد (٣) صلى الله عليه و آله و سلم و الإيمان من بينات اسم على عليه السلام (٤) فلا يقبل التوحيد إلا بالإسلام إن الدين عند الله الإسلام (٥) مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ (٦).

و لا- يقبل الإسلام إلا- بالإيمان يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلِمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧).

## تنبيه

تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ٣٥٩

ربما يقال إن قوله: (الحمد لله) يحتمل الإخبار و الأمر و الابتداء و لعل المراد بالآخر هو الإنشاء لا مطلقه، فإن الأمر نوع منه، بل إنشاء الحمد كالدعاء، فالأولى

(١) الإحتجاج ص ٨٣ و عنه البحار ج ٢٧ ص ١ ح ١.

(٢) مصباح المتعجد ص ٥٢٤ و عنه البحار ج ٩٧ ص ١١٣.

(٣) فإن بينات كل منهما بحسب العدد يساوى (١٣٢).

(٤) لأن بينة (على) بحسب لعدد (١٠٢) و هو يساوى كلمة (إيمان).

(٥) آل عمران: ١٩.

(٦) الحج: ٧٨.

(٧) الحجرات: ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٣١

أن يقال: إنه يحتمل الإنشاء و الإخبار.

و على كل من الوجهين إما بتقدير القول و ما معناه، كاحمدوا و أشكروا و نحوهما، أولاً، فالاحتمالات أربعة.

فعلى الإنشاء هو إنشاء من الله لحمد ذاته بذاته فيتحد الحامد و المحمود و الحمد، و إن كان فى مقام الواحدية لعدم إيجابه التغير أو بفعله فيتغير الحمد الحامد و المحمود.

و يؤيد الإنشاء على الوجهين أو على الوجه الثانى خاصة

قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» (١)

إشارة إلى ذلك إذ هو مع ظهوره فى كون الثناء منه سبحانه، ظاهر فى الإنشاء أيضاً، و إن أوجب ذلك تعليم غيره أيضاً، فإنه لا يوجب انحصار الفائدة فيه، و على فرضه لا يستلزم أن يكون الكلام مسوقاً على وجه الأمر.

و على الثانى لا بد من إضمار، و أنسبه على ما قيل: لفظ القول لاقتترانه فى مواضع كقوله: وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً «٢» وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَّرِيكُمْ آيَاتِهِ «٣» قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ «٤».

فالمعنى قولوا: الحمد لله.

أو أنه حمد من الله على لسان عبده كقوله: «سمع الله لمن حوله».

و على الإخبار إخبار منه سبحانه بأن المحامد كلها منه، و له، فهو المختص

(١) الإقبال ص ٤٧-٥٧ و عنه البحار ج ٩٧ ص ٣٢٨ و فيه / لا- أحصى الثناء عليك و لو حرصت، و أنت كما أثنيت على نفسك سبحانك و بحمدك.

(٢) الإسراء: ١١١.

(٣) النمل: ٩٣.

(٤) النمل: ٥٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٣٢

بها، أو أن الأمر له كقوله: قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ «١» بناء على ما قيل: من أن الحمد بمعنى الأمر بل عليه يحمل قوله: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ «٢».

و لعله بناء على كون الأمر بمعنى الشأن، ليشمل جميع الشؤون التكوينية و التشريعية فى العوالم كلها، فيرجع إلى اختصاصه سبحانه بالمحامد كلها لكنه على إضمار القول لما كان العبد عاجزاً عن عدّ نعمه سبحانه و إن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها «٣» و عن الشكر عليها كما هو أهله و مستحقه، فلذا أجمل القول و عمّم، فأثبت جميع المحامد الشامل للمحامد الذاتية و الفعلية من الحقيّة و الحقيقة و

الخليقة له سبحانه، و إلاً فإحصاء محامده مما لا يطيقه البشر بل لا يطيق شكر نعمة واحدة من نعمه الكثيرة التي لا تتناهي. حسب ما سمعت في كلام مولانا سيد الشهداء روحى و روح العالمين له الفداء «٤».

بل  
في دعاء سجود الشكر للسيد السجاد عليه السلام: «إلهى لو أنى منذ بدعت فطرتى من أول الدهر عبدتك دوام خلود ربوبيتك بكل شعرة فى كل طرفة عين سرمد الأبد بحمد الخلاق و شكرهم أجمعين لكنت مقصراً فى بلوغ أداء شكر أخفى نعمة من نعمك» «٥».

و بالجملة فلكون الغرض إفادة الشمول و العموم أتى بالمصدر المعرف بلا م الجنس، أو الاستغراق، حسب ما تسمع مرفوعاً على الابتداء، و خبره لله ليدل على

(١) آل عمران: ١٥٤.

(٢) النصر: ٣.

(٣) النحل: ١٨.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢١٨ / ٩٨ دعاء عرفه.

(٥) البحار: ج ٩٤ / ٩٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٣٣

الإستيعاب و الاستقصاء مضافاً إلى إفادته الدوام و الثبات، و عدم تقيده بواحد من الأزمنة مطلقاً، بناء على عدم ثبوت المحامد الذاتية و الفعلية له سبحانه قبل خلق الزمان و المكان، فإنهما من أنزل مراتب الأكوان و الإمكان.

و هذه الفوائد لا تستفاد من المصدر المنكر إذ المرفوع منه يدل على ثبوت الفرد الواحد المنتشر على البدلية، و المنسوب منه مفعول مطلق لفعل محذوف لا- يكاد يستعمل معه كقولك سقيا و رعيا، و هو مع إفادته للفرد لكونه مفعولاً مطلقاً نوعياً، لا توكيدياً لكون مدلوله معرفاً باللام زائداً على مدلول الفعل، و لا عددياً لانتهاء ما يدل عليه يدل على التجدد و الحدوث و التقييد بشيء من الأزمنة خاصة.

و لهذه الجملة لم يأت بالجملة الفعلية أيضاً، فإنها تدل على ثبوت حمد خاص عن حامد واحد فى واحد من الأزمنة، و أين هذا ممّا سمعت من ثبوت المحامد كلها من جميع الحامدين له سبحانه على سبيل الدوام و الاستقرار و الثبوت.

### إشارة إلى معنى الالف و اللام فى الحمد

اعلم أن الألف و اللام فى قوله (الحمد لله) يمكن أن يكون للإشارة إلى الطبيعة الجنسية فإن هذه الطبيعة لا- يستحقه بحقيقة الاستحقاق إلا- الله لاختصاصه به، أو لكونه ملكاً له، و للحقيقة المتقررة لما مر، و للعهد الذهنى و معناه على ما قيل الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو.

بل فى بعض حواشى «الكشاف»: أن تعريف الحقيقة راجع إلى تعريف العهد الذهنى كما عليه المحققون نظراً إلى أن اللفظ الدال على الماهية من غير نظر إلى وحدة و كثرة و استغراق و عدمه و تعيين و إبهام ذهنياً أو خارجياً و إن لم يخل عن أحدها هو المطلق، و الدال عليها باعتبار تعيينها ذهنياً بنفسه علم الجنس، و بأداة التعريف هو

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٣٤

المعروف بتعريف الماهية، و الفرق بين ملاحظة التعيين و مصاحبة التعيين بين.

و قولك: أدخل السوق لمن بينك و بينه سوق معهود من هذا القبيل، لأن الدال على الحقيقة صالح للإطلاق على الفرد الخارجى

المشتمل عليها معينا كان فيه أو لا، و قد جعل قسما برأسه و ضم النشر بقدر الإمكان أولى.

قلت: لكن لا يخفى أن الماهية الملحوظة من حيث تحصيلها في ضمن فرد ما و لو مع عدم التعيين كما هو المعهود في العهد مغايرة للملحوظة من حيث نفسها مع قطع النظر عن تحققها في ضمن الأفراد أو مع ملاحظة العدم كما هو الملحوظ في القسمين الأولين من الأقسام المتقدمة فضم النشر خير مع الإحصاء لا الضياع و للاستغراق الجنسى أو الخصائصى أو الإفرادى نظرا إلى اختصاصه سبحانه بجميع المحامد و بالحقيقة الملحوظة في ضمنها أو المستجمعة لخصائصها.

و قد حكى حمل اللام على الاستغراق عن الجمهور بل المشهور و يحتمل الحمل على كل من الثلاثة و إن كان محط أنظارهم بل الظاهر من عباراتهم هو الإفرادى و لعل غيره أبلغ و للعهد بإرادة أكمل أفراده و هو حمده تعالى لذاته كما يليق بكماله و ينبغي لكرم وجهه و عز جلاله كما في التحميد الذى تقدمت الإشارة إلى مراتبه الأربعة، و لذا

قال سيد المرسلين (صلى الله عليه و آله أجمعين): «سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» (١).

و لعل هذا هو الوجه في حمل اللام على العهد في المقام، كما عن بعض الأعلام لكنه لا يخفى عليك بعد ملاحظة ما مر من أقسام الحمد الحقى و الحقيقى و الإطلاقى من حيث الذات و الفعل بشئونه و أطواره أنه من حيث الحقيقة و الفرد مخصوص به سبحانه فجميع المحامد منه و له، فإن أبيت عن حمل اللام على جميع

(١) بحار الأنوار: ج ٧١ / ٢٣ ح ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٣٥

معانيها و لو لإرجاعها إلى معنى واحد أو لاعتبار مراتب البطون، فإن القرآن ذلول ذو وجوه و له ظهور و بطون، فلا- أقل من حملها على الاستغراق الجنسى الدال على استيعاب جميع الأفراد التى تقدمت إليها الإشارة و أما ما فى «الكشاف» من أنه لتعريف الجنس و معناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو نحو التعريف فى «أرسلها العراك» (١) و إن الاستغراق الذى يتوهمه كثير من الناس و هم منهم (٢)- انتهى.

ففيه أنه أولى بالوهم لما سمعت، نعم ذكر المتعرضون لكلامه فى توجيهه وجوها.

منها: أنه مبنى على مسألة خلق الأعمال، فإن أفعال العباد لما كانت مخلوقة لهم عند المعتزلة الذين هو منهم كانت المحامد كلها راجعة إليهم، فلا يصح اختصاص المحامد كلها به سبحانه، و فيه: أنه لا يمنع أن تمكين العباد و إقذارهم على الأعمال التى يستحقون بها الحمد إنما هو منه سبحانه بل لوح إليه فى سورة التغابن حيث قال فى قوله: لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ (٣) قدم الظرفان ليدل بتفديهما على اختصاص الملك و الحمد بالله تعالى لأنهما على الحقيقة، لأنه مبدء كل شىء و مبدعه، و أصول النعم و فروعها منه، ثم قال: و أما حمد غيره فاعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (٤) انتهى.

و بالجملة فالأفعال و إن كانت منسوبة إلى العبيد من حيث إن لهم الإختيار

(١) من كلام لبيد العامرى ان ربيعة الشاعر المخضرم المتوفى فى أول خلافة معاوية فى بيت: و أرسلها العراك و لم يذدها و لم يشفق على نغص الدخال

(٢) الكشاف ج ١ ص ٤٩ ط بيروت دار الفكر.

(٣) الغابن: ١.

(٤) حاشية الكشاف للسيد الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى (٨١٦) ص ٥٢ ر ط بيروت دار الفكر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٣٦

فيها إلا- أن جميع ما للعبد من الآلات والأدوات والأعضاء والجوارح والمشاعر والقوى وغيرها كلها فائضة من الله وهو سبحانه يستحق الحمد والشكر على إفاضتها وإبقائها في كل آن من الآتات بما لا يقوم به أحد من عباده حسب ما مرت إلى جملة منها الإشارة.

هذا مضافا إلى أن البناء على مسألة خلق الأعمال، كما أنه يمنع من الحمل على الاستغراق كذلك يمنع من الحمل على الجنس فإنه لا يصح حينئذ اختصاص الجنس به سبحانه، والحمل على التوسع وأصول النعم مشترك بالنسبة إلى المعنيين.

وقد ذكر في «الكشاف» في قوله «اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» (١) أن اللام فيه للجنس فيتناول كل محسن (٢)، وفي قوله: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٣) أنه للجنس مع وجود الاستثناء الدال على شمول الأفراد.

إلا أن يقال: إنه قد أراد بالجنس هنا غير ما أراد به هناك كما قيل، وهو كما ترى.

ومنها أن هذه المصادر نائبة مناب الفعل وسادة مسده والأصل فيها النصب والعدول إلى الرفع بجمل الجملة اسمية للدلالة على الدوام والثبات، والفعل إنما يدل على الحقيقة دون الاستغراق فكذا ينوب منابه.

وفيه أن النائب عن الفعل إنما هو المصدر المجرد القائم مقامه إذ هو المؤدى لمدلوله، وأما المعروف باللام فلا مانع من استفادة الاستغراق منه من جهة التعريف الذي هو بمنزلة القرينة، أو من باب تعدد كل من الدال والمدلول.

على أن النيابة إنما هي في جوهر الكلمة لا في جميع مقتضيات الصورة

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٢) الكشاف: ج ١ / ٤٦٤ ط بيروت.

(٣) العصر: ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٣٧

والهيئة وإلا لامتنع التغاير من حيث الاسمىة والفعلية ومقتضياتها ومع ضرورة التغاير فيها نقول: إنه منها.

ومنها: أن الجنس هو المتبادر إلى الفهم الشائع في الاستعمال سيما في المصادر، وعند خفاء قرائن الاستغراق.

وفيه المنع عن التبادر والغلبة سيما في مقام المخاطبة وعند الامتنان والتعليم والتعظيم والشكر، بل قيل: أى مقام أدل بملاحظة الشمول والاستغراق من مقام تخصيص الحمد بالله سبحانه تعظيما له فقرينه الاستغراق فيما نحن فيه كمنار على علم.

ومنها: ما ذكره غياث المحققين (١) من أن الحق أن السبب في الإختيار هو أن اختصاص الجنس مستفاد من جوهر الكلام، وهو مستلزم لاختصاص جميع الأفراد به تعالى فلا- حاجة في تأدية المقصود الذي هو ثبوت الحمد له تعالى وانتفاؤه من غيره إلى أن يلاحظ الشمول والإحاطة ويستعان فيه بالأمر الخارجة عن اللفظ (٢).

وفيه مع الغض عن منع الاستلزام بحيث يتعلق المقصود به لاختلاف المقاصد في ذلك ولو باعتبار تطرق الانصراف إلى العموم الجنسى في الجملة دن الاستغراق، وعن منع الحاجة في إفادة الشمول إلى الاستعانة بالأمر الخارجة أزيد مما تحتاج إليه في إفادة الجنس لاستفادة كل منهما من اللام ولو بمساعدة المقام للقرينة على المرام.

أن الظاهر من كلام الزمخشري كما فهمه غير واحد منه نفى الاستغراق في

(١) المراد به السيد الشريف الجرجاني المتوفى (٨١٦) المتقدم ذكره.

(٢) حاشية الكشاف للجرجاني ج ١ ص ٥٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٣٨

المقام، و عدم الحمل عليه، و ظاهره أنه من جهة عدم الصلاحية، لا من جهة الحاجة إلى الاستعانة بالأمور الخارجة و عدمها في إفادته أو كونه مجازا محتاجا إلى القرينة و لذا تربه في كثير من الموارد يذكر الوجوه و الاحتمالات الظاهرة و غيرها من غير اقتصار منه على المعاني الحقيقية أو الوجوه الراجعة.

هذا كله بعد تسليم التجوز و عدم الظهور أو ظهور العدم بالنسبة إلى الاستغراق.

و من جميع ما مر يظهر النظر بما ذكره التفتازاني و تبعه بعض من تأخر عنه من أن اللام للتعريف إجماعا و معناه التعيين و الإشارة، و هذا ليس في شيء من الإحاطة و الشمول الذي هو معنى الاستغراق.

قال و هذا معنى ما حكى عن بعض النحاة أن اللام لا يفيد سوى التعريف و الإشارة، و الاسم لا يدل إلا على مسماه، فإذا لا يكون تمت استغراق، و لذا حصر في «المفصل» فائدة اللام في التعريف في العهد و الجنس، ثم ذكر تحقيقا حاصله أن إفادة اللام الاستغراق إنما هي لدلالاتها على الماهية من حيث وجوده في ضمن الأفراد و عدم وجدان القرينة البعضية ففي المقام الخطابي يحمل على العموم و الاستغراق احترازا عن ترجيح أحد المتساويين، و مثله لفظ كل مضافا إلى النكرة، و في مقام الاستدلال على الأقل لأنه المتيقن، بل في «كشف معضلات الكشاف»:

الدال على الماهية مع كثرة غير معينه اسم الجمع و مع الكثرة المستوعبة الاسم المستغرق و هو العام عند الأصولي.

قال: و منه ظهر أن الاستغراق ليس من التعريف في شيء، و كفاك استغراق نحو «لا رجل» و «ثمرة خير من جراءة» شاهدا فلا بد معه من اعتبار تعين ذهني أو خارجي، فلا يخرج من القسمين أعني تعريف الحقيقة أو العهد الخارجي.

ثم ذكر أن إرادة الاستغراق إنما هو على وجه التجوز حتى عند الأصوليين

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٣٩

إلا أن هذا التجوز مستمر عند أكثرهم في الجموع المعرفة باللام، و عند بعضهم في المفرد الجنسي المعرف بها أيضا عند عدم العهد فيهما، لكن الأكثر على منع الاستمرار.

و منه يظهر أن الاستغراق في المقام أولا- و هم، و ثانيا يأبى المقام عنه لأن اختصاص حقيقة الحمد به سبحانه أبلغ من اختصاص أفرادها جمعا و فرادى.

و فيه أن حصر وجه إفادة اللام الاستغراق فيما ذكره غير جيد، فإنه قد يكون من جهة الوضع و من جهة قرينة المقام و دلالتها على استيعاب الأفراد و تعليق الحكم على كل فرد منها، و أين هذا من الحمل على العموم إذا وقع في كلام الحكيم احترازا عن ترجيح أحد المتساويين المعبر عنه عند الأصوليين بالعموم من جهة الحكمة.

و أما ما ذكره صاحب «الكشف» من حصر معنى اللام في تعريف الحقيقة و العهد الخارجي، ففي غاية الغرابة، كيف و قد جعلوا الاستغراق قسيما لهما بعد اعتبار التعيين بالنسبة إلى الأفراد، من أنك قد سمعت أن اللام وضعت للإشارة إلى مدلول مدخولها الذي ربما يكون هي الماهية من حيث تحصلها في ضمن جميع الأفراد، و قد أجمعوا على أن الجمع المحلي باللام يفيد العموم على وجه الاستغراق إذا لم يكن هناك قرينة على إرادة الجنس أو العهد، بل قيل: إنه ظاهر، بل حقيقة في العموم الإفرادي، لا الجمعي، و المجموعى، حسب ما هو ظاهر من ملاحظة العرف و اللغة لقضية التبادر و غيره من أماراة الحقيقة نعم قد يتأمل في كون ذلك هل هو على وجه تعدد الدال و المدلول أو من جهة أن هذا وضع مستقل للهيئة التركيبية بحيث صار سببا لهجر المعنى الذي كان يقتضيه الأصل، و هو كلام آخر محرر في الأصول.

و على كل حال فلا ريب في كون الاستغراق من المعاني التي يفيد المعرف باللام كسائر ما يفيد و لو بقرينة المقام من العهد و الجنس و غيرهما حسب ما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٤٠

سمعت، فالفضل بينهما ليس بالفضل بل هو قول هزل.

و مرادهم من إطلاق الاستغراق هو التعريف على هذا الوجه نظير إطلاقهم الجنس والعهد، فيسقط ما ذكره من دعوى أن الاستغراق ليس من التعريف في شيء وإرجاعه مع التعيين الذهني أو الخارجي إلى أحد القسمين حسبما ذكره من الغرائب، وأغرب منه نسبته إلى الأصوليين كون ذلك في الجموع على وجه التجوز وحمله على التجوز من حيث اللغة أو وضع المفردات كما ترى.

و أما دعوى كون اختصاص حقيقة الحمد به أبلغ من اختصاص أفرادها.

ففيها أنك قد سمعت أن للحمد مقامات و درجات كالحمد الحقي والحقيقي والخلقي والإطلاقي و كل ذلك إما في مقام الذات أو الفعل و بعضه إما بالجنان أو بالأركان أو باللسان أو بالجميع، و من بين أن الأكمل في مقام الثناء إثباته له بجميع مقاماته و درجاته كما

في الدعاء: «الحمد لله كلما حمد الله شيء، و كما يحب الله أن يحمده، و كما هو أهله و كما ينبغي لكرم وجه و عز جلاله» «١».

فالأول يدل على الإستيعاب، و الثالث الآخر على الكيفية.

و أما ما ذكره في «الكشف» و غيره من أن المستغرق لا يجوز أن يختص به تعالى، بل الحمد الحقيقي الكامل الذي يقتضيه إجراء هذه الصفات فاللام للحقيقة و يراد أكمل أنواعه من باب «ذلك الكتاب» و حاتم الجواد، إشعاراً بأنه هو الحمد الذي يحق أن يطلق عليه الحقيقة كأنه كل الحقيقة.

ففيه أنه يمكنه أيضاً إختيار الاستغراق، بناء على تنزيل ما عدا محامده سبحانه منزلة العدم، إذ لا يعبؤ بمحامد غيره بالقياس إلى محامده، فلا فرق بين المعنيين في صلاحيتهما لتأويل يصح معه الإختصاص.

(١) بحار الأنوار: ج ٨٦ / ٤٤ ح ٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٤١

نعم ربما يقال: إن الوهم الذي ردّه صاحب «الكشاف» هو كون الاستغراق معنى تعريف الجنس لا كونه مستفاداً من المعرف بلام الجنس على الشمول والإحاطة.

بل في بعض حواشي «الكشاف» استنباط القول عن ذلك حيث قال: أنه توهم كثير من الناس أن معنى تعريف الجنس هو الاستغراق.

قال: و يبطله أن الاستغراق قد يتحقق في النفي والإثبات و ليس معه تعريف أصلاً كما في «لا رجل و ثمرة خير من جراد».

أقول: و هذا بمعزل عما يستفاد من ظاهر العبارة على ما فهمه الناظرون في كلامه أن تعريف الجنس بالاستغراق لم نعرفه من أحد فضلاً من أن يعزى إلى توهم كثير من الناس.

و كأنه إنما دعاهم إلى توهم القول و النسبة مجرد تصحيح العبارة و هو كما ترى.

و أما الخلط بين الاستغراق و تعريفه فقد مرت الإشارة إليه.

نعم، عن الزركشى «١»: «يشبه أن يكون مراد الزمخشري أن المطلوب من العبد إنشاء الحمد لا الإخبار به، و حينئذ يستحيل كونها للاستغراق إذ لا يمكن للعبد أن ينشئ جميع المحامد منه، و من غيره بخلاف كونها للجنس و فيه نظر.

(١) الزركشى: محمد بن عبد الله بن بهادر الفقيه الأصولي المحدث الشافعي المتوفى (٧٩٤) هـ - حسن المحاضرة: ج ١ / ٢٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٤٣

**الفصل الثاني فيما يتعلق بقوله تعالى «لله»**



قد أسلفنا بعض ما يتعلّق بهذا الاسم الأعظم والجامع المقدم.

و نقول الآن: إنما نسب الحمد إليه دون سائر الأسماء لأنه سبحانه حسب ما سمعت لا يمكن الإحاطة بذاته ولا بحقائق صفاته حيث إنّه لا يحيط به الأفهام ولا يدركه خواطر الظنون والأوهام.

كما

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام: «الطريق مسدود والطلب مردود».

و أما من حيث ظهوره في الظاهرة بشؤونه و أفعاله فله الأسماء الحسنى و إن كانت مختلفة من حيث العموم و الشمول بحسب المظاهر، و قد مر أن عموم الظهور يستلزم خصوص الاسم و حيث إن أول ظهوره و أشمله و أعمه إنما هو بالألوهية كان هذا الاسم هو المقدم الجامع لجميع الأسماء و الصفات و قد وسع و ملأ جميع فضاء الإمكان و الأعيان و الأكوان، و شيء من الأسماء ليس له هذه الإحاطة و العموم، فليس له هذا الاختصاص من حيث المفهوم، و لذا نسب الحمد إليه دون غيره من الأسماء للإشعار على ثبوت الحمد له و اختصاصه به بالألوهية الجامعة لجميع الصفات و الأسماء من القدس و الإضافة و الخلق في عالمي الإمكان و الأكوان لما ستعرف من أن الحق مجعوليّ الإمكان خلق الله المشيئة الإمكانية بنفسها و خلق الإمكانات بها، فحمده قد ملأ و وسع جميع فضاء الإمكان، فما بقي في الإمكان و لا في الأكوان فضاء و لا مكان إلا و قد ملأ حمده من جميع الجهات و الاعتبارات كما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٤٤

وسعه ألوهيته.

و هو

قوله: «قد ملأ الدهر قدسه و أحاط بكل شيء علمه، و كما أنه أعلم الأسماء و أشملها فهو أعلاها و أولها» (١).

فالحمد الذي علقه عليه أعلى المحامد و أولها، و لذا نبه على اختصاصه به باللام المفيدة له إفادة أولية أصلية، فإنه الأصل في معانيها المتكثرة التي أنهارها بعضهم إلى نيف و عشرين معنى و هو المراد بها في المقام، لكنه ينبغي أن يعلم أن المراد بالاختصاص هو الربط الملحوظ بين الشئيين على الوجه المعتبر في النسبة، و هذا قد يكون بالاستحقاق نحو: الحمد لله، و الملك لله، و العزة لله، و ويل للمطففين، و نحوها...، قيل: و هو المراد بها حيث وقعت بين معنى و ذات، و قد يكون بالملك نحو:

«لَكَ يَا إِلَهِي وَحِدَانِيَةُ الْعَدَدِ» (٢) على ما في الصحيفة السجادية

، أي إنها ملك له سبحانه، فهي من جملة خلقه، لانه يتصف بها في ذاته.

و مثله: لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ (٣) و هذا هو الملكية الحقيقية الأصلية و أما الفرعية الظلية فكقولك: هذا المال لزيد، و له على عشرة دراهم، فإنها ملكية شرعية اعتبرها الشارع الحكيم في صقع الناسوت بين بني آدم بأسباب جعلية شرعية حفظا للنظام و لطفاً على الأنام، مع أنهم لا يملكون لأنفسهم شيئاً، هو المالك لما ملكهم و القادر على ما عليه أقدارهم.

و قد يكون بمجرد الاختصاص و إن لم يبلغ الملكية الاعتبارية أيضاً نحو الجل للفرس، و الحصير للمسجد، و المنبر للخطيب.

(١) بحار الأنوار: ج ٩٣ / ٢٥٥، ح ١.

(٢)

الصحيفة السجادية: الدعاء ٢٥، أولها: اللهم إني أخلصت بانقطاعي إليك.

(٣) طه: ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٤٥

وقوله: فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ «١»، وقوله: جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا «٢».

وربما يعدّ هذا الأخير من شبه التمليك، لكن الوجه ما سمعت من رجوع الجميع إلى معنى الاختصاص الذى يختلف وجوهه باعتبار الموارد و وجوه النسب التى بين الشئيين.  
ولذا قسّمه بعض الأعلام ثلاثة أقسام:

اختصاص السافل بالعالى على وجه الملك، نحو: لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ «٣»، والعكس نحو: رَبُّ الْعَالَمِينَ «٤»، و مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ «٥»، إذ الإضافة فيهما بتقدير اللام، والعالى وإن كان لا يلتفت إلى السافل إلا أن السافل من جهة استمداده منه و لوأذه به و التجائه إليه ظهر به فليس له حقيقة إلا ظهور العالى به و تعريفه له بنفسه، كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «بها تجلّى صانعها للعقول» «٦».

فيكون للعالى أيضا اختصاص به من حيث الإفضاء و الإمداد و الإبقاء و اختصاص بعض المتباينين بالبينونة الاعترالية بالآخر، و ذلك من جهة التناسب الواقع بينهما فى صقع الاعتبار و الافتقار.  
و على كل حال، فحقيقته الاختصاص و تمامه إنما هو اختصاص السافل بالعالى لأنه اختصاص من جميع الوجوه و بكل الاعتبار، فإن السافل كله للعالى على الإطلاق، و هو رب الأرباب، إذ منه ذاته و وجوده و صفاته و آثاره و أفعاله.

(١) النساء: ١١.

(٢) النحل: ٧٢، الشورى: ١١.

(٣) التغابن: ١.

(٤) فاتحة الكتاب: ٢.

(٥) فاتحة الكتاب: ٤.

(٦) بحار الأنوار: ج ٤ / ٢٣٠، ح ٣ و ص ٢٥٤، ح ٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٤٦

و استمداده فى كل ذلك لأنه قائم بأمر الله بالقيام الصدورى كما

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «كل شىء سواك قام بأمرك».

و إليه الإشارة بقوله تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ «١».

ثم إن الأصل فى كل كلمته على حرف واحد كالواو، و الفاء، و السين، و اللام، و غيرها هو الفتح، لأن الحرف الواحد لا حظ له فى الإعراب بل يقع مبتدأ فى الكلام و لا يتبدأ بساكن، فاختر له الفتح، لأنه أخف الحركات، و الأنسب الابتداء بالأخف، فنقول: جاء زيد و عمرو أو فعمرو، و سيخرج زيد.

و قد خرج من هذه القاعدة الباء الجارة التى مضى الكلام فيها، و اللام الجازمة فى «ليفعل» فرقا بينها و بين لام التوكيد، و اللام الجارة فى مثل المقام فرقا بين لام الملك و لام التوكيد، فإذا قلت: إن المال لهذا- أى فى ملكه- و أن المال لهذا أى هو هو.  
و إنما قيّدناه بمثل المقام لأنها إذا دخلت على المضمر ردت إلى الأصل و هو الفتح، فنقول: له و لك و لنا، لارتفاع اللبس لتغاير ضمير الجبر للرفع.

نعم، كسروها مع ياء المتكلم لأن هذا الياء لا يكون قبلها مكسورا بلا فرق بين الاسم و الفعل و الحرف، نحو: غلامى و ضربنى ولى.

و لذا لما كان الجرّ لا يدخل الفعل زادوا قبل الياء نون الوقاية، و قايه للفعل من كسر آخره.

بقى الكلام فيما يتعلق بقراءة الآية الشريفة، و قد ادّعى فى «المجمع» و غيره إجماع القراء على ضم الدال من الحمد و كسر اللام من

لَّهُ

قال: «و روى فى الشواذ بكسر الدال و اللام، و بضم الدال و اللام، و بفتح الدال

(١) الروم: ٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٤٧

و كسر اللام، و أجمعوا على كسر الباء من رب، و روى عن زيد «١» بن على نصب الباء، و يحمل على أنه بين جوازه لا أنه قراءة «٢». و حكى فى «الكشاف» القراءة بالكسرتين عن الحسن «٣» البصرى، و بالضميتين عن إبراهيم «٤» بن أبى عبلة للاتباع فيهما، قال: و الذى جسرهما على ذلك، و الاتباع إنما يكون فى كلمة واحدة كقولهم: منحدر الجبل و مغيره تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالها مقترنتين، و جعل الأفضل قراءة إبراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للإعرابية التى هى أقوى بخلاف قراءة الحسن «٥». لكنه لا يخفى أن هذه القرائات كلها مشتركة فى الشذوذ، فلا يجوز القراءة بشيء منها فى الصلاة و غيرها، و كذا نصب الرب المحكى عن زيد بن على عليه السلام و إن أمكن توجيهه بالنصب على المدح أو بما دل عليه الحمد لله كأنه قيل «نحمد الله رب العالمين». ثم إنه قد ذكر بعض العامة فى كتاب أورد فيه ضبط رسوم الكلمات أن لله كتب بلامين، و القياس يوجب أن يكون بثلاث لا مات، و كذا كل كلمة يجتمع فيها ثلاث لا مات حذف منها واحدة نحو: و اللئيل إذا يغشى أقول: و فيما ذكره من المثال ما لا يخفى، و لعل الأولى رسمه بلام واحدة لمكان التشديد كما لا يخفى.

(١) هو: زيد بن على بن الحسين بن على عليهم السلام المعروف يزيد الشهيد، استشهد بالكوفة سنة (١٢٠) هـ كما فى إرشاد المفيد ص ٢٨٦ أو سنة (١٢٣) هـ. كما فى الأعلام: ج ٣ / ٩٨.

(٢) مجمع البيان: ج ١ / ٢١.

(٣) الحسن البصرى المتوفى (١١٠) هـ.

(٤) إبراهيم بن أبى عبلة شمر بن يقطان الدمشقى توفى بفلسطين سنة (١٥٢) هـ. الثقات لابن حبان: ج ٤ / ١١.

(٥) الكشاف: ج ١ / ٥١ - ٥٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٤٩

### الفصل الثالث فى معنى كلمة «رب»

#### إشارة

اعلم أن الربّ فى الأصل إما مصدر من ربّه يربه ربا بمعنى التربيّة، بل يقال:

إنّ التربيّة كان فى الأصل مضاعفا خفف بتبديل الباء الثانى ياء كما فى التمطى و التظنى، فإن أصلهما التمتع و التظنن، و يستعمل أيضا بمعنى الإصلاح، و الجمع و الزيادة و اللزوم، و الإقامة و التطب، و الملك، كما يظهر من «القاموس»، فالوصف به حينئذ للمبالغة على حد قولك: زيد صوم، و عمرو عدل.

و أما اسم من قولك: رب يرب فهو رب كبر من برير و أصله بار.

و إما صفة مشبهة منه كتم ينم فهو نم، قيل: و المصدر حينئذ الربابة.

لكن فى «القاموس» الرب باللام لا يطلق لغير الله عزّ و جل، و قد يخفف و الاسم الربابة بالكسر و الربوبية بالضم، و على ربوبى بالفتح

نسبة إلى الرب على غير قياس، و ربّ كل شيء مالكة و مستحقّه أو صاحبه، و الجمع أرباب و ربوب و الرباني المتأله العارف بالله عزّ و جل.

و في «توحيد الصدوق»: الرب المالك و كل من ملك شيئا فهو ربّه، و منه قوله عزّ و جل: اَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ «١» أى إلى سيدك و مليكك، و قال قائل يوم حنين: لئن

(١) يوسف: ٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٥٠

يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن «١»، يريد يملكني و يصير لي ربا و مالكا، و لا يقال لمخلوق: الرب بالألف و اللام، لأن الألف و اللام دالتان على العموم، و إنما يقال للمخلوق: ربّ كذا، فيعرف بالإضافة لأنه لا يملك غيره «٢». و ظاهرهما كصريح بعض المفسرين هو الثالث، أى كونه صفة مشبهة بعد نقل المشتق منه إلى فعل اللازم، جعل له بمنزلة الغرايز كما سبق في اشتقاق الرحمن و الإضافة معنوية من قبيل البلد لا انتفاء عامل النصب فلا إشكال في وصف المعرفة به. و في «الكشاف» ترجيح المصدرية على الوصفية و علل بأبلغيته و سلامته عن تكلف جعل المتعدى لازما «٣». و فيه: منه كونه تكلفا بعد اطراده في باب المدح و الذم كما صرح به السكاكي «٤» في «المفتاح». بل الزمخشري أيضا في «الفايق» عند ذكر فقير و رفيع فالترجيح بالأبلغية حجة عليه مضافا إلى أن التريية من الصفات الفعلية التي ينبغي حملها عليه سبحانه

(١) هو صفوان بن أمية بن خلف الجمحي أسلم بعد الفتح و مات بمكة سنة (٤١) هـ، هرب يوم الفتح، ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و شهد معه حنينا و هو كافر و صار من المؤلفه القلوب، أعطاه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم من غنائم حنين حين أسلم، و لما هرب المسلمون يوم حنين في أول القتال استبشر أبو سفيان و قال: غلبت و الله هوازني، إذن لا يردهم إلا البحر، فرد عليه صفوان قائلا: بفيك الكنكث - دقاق الحجارة -، لأن يربني رجل من قريش ... إلخ.

(٢) كتاب التوحيد: باب أسماء الله تعالى، ص ٢٠٣، ط قم، مؤسسه المدرسين.

(٣) في الكشاف ج ١ / ٥٢: و يجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل، انتهى، و ليس فيه ترجيح و لا علة ترجيح، ما حكاه المصنف قدس سره عنه لم أظفر عليه في الكشاف.

(٤) السكاكي: يوسف بن أبي بكر المتوفى (٦٢٦) هـ - الأعلام: ج ٣ / ١٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٥١

بذو هو في ملكه لا هو هو في ذاته و بالمبالغة على الوجه الثاني ينثلم تنزيهه سبحانه و لذا يستفاد من ظاهر الأكثر كصريح بعضهم ترجيح الوصفية، و يؤيده ما

في الدعاء: «يا ربّ كل شيء و صانعه» «١».

و على كل حال فهو يطلق على السيّد المطاع، و حمل عليه قوله اذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ «٢».

بل عن ابن عباس حمل قوله رَبِّ الْعَالَمِينَ عليه، لكنه غير جيّد، إذ السيد لا- يضاف إلى غير ذوى العقول، فلا يقال: فلا يقال: سيد السموات و الأرض كما يقال: رب السموات و الأرض، و حمل العالمين على ذوى العقول لذلك تكلف في تكلف، مع أن المقام تأبى عنه لوجوه لا تخفى، نعم المعنى المستفاد من السيادة مقصود في المقام على وجه أبلغ مما يستفاد من المعاني الآتية.

و على المرابي الذي يبلغ بالشىء إلى كماله شيئا فشيئا بالتدريج و عليه حملة في «التيسير» بل يحمل عليه قول فرعون لموسى عليه

السَّلام: أَلَمْ نُزَبِّكَ فِينَا وَلِيداً «٣»، بناء على ما مر من التخفيف بتبديل الباء ياء.

ولا- بأس بإرادته في المقام على الوجه الذي يليق بعزّ جلاله من كون التربيّة له من جميع الوجوه، و على وجه القيوميّة المطلقة لا لغرض ولا لعوض يعود إليه حسب ما يأتي.  
و على المالك كما يقال: ربّ الدار و ربّ الغنم.  
و على الصاحب، تقول: زيد رب عمرو أى صاحبه، و يطلق عليه سبحانه كما

(١) دعاء الجوشن الكبير، الفصل (٩٤).

(٢) يوسف: ٤٢.

(٣) الشعراء: ١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٥٢

ورد في الدعاء: «اللهم أنت رب الصاحب في السفر» «١».

و على المدبر، و منه ربّاني الأمّة لمدبّر أمور دينهم و المصلح من رب القيعه «٢»- أى أصلحها- و الجامع من التربب بمعنى الاجتماع و الثابت من ربّ بالمكان أى ثبت، و الدائم من أربّت السحابة أى أدامت.

و هذه المعاني و إن صحّ إطلاقها على الله سبحانه على وجه الأصل و الذاتية و القيوميّة المطلقة التي لا تليق بغيره سبحانه، إذ كل شيء سواه قام بأمره، إلّا أنّ أمّ المعاني في هذا الباب و أصلها و أساسها بل جامعها الذي يرجع جميعها إليه إنما هو التربيّة، و هو تبليغ الشيء إلى كماله أو حال أحسن من حاله، و بالجملة إلى كماله الحقيقي أو الإضافي شيئاً فشيئاً.

و هذا المعنى سار في جميع المعاني المتقدمة كما يظهر بأدنى تأمل، فالربّ إن كان مربياً أو مصلحاً و مفيضاً للظاهر و الباطن من كل الجهات و في جميع الأحوال، فهو الرب على الإطلاق الذي هو المنعم الحقيقي أو من بعض الجهات دون بعض، و ذلك لا يكون إلا بعض وسائل الفيض، فإن الله جعل لكل شيء سبباً، و أبى الله أن يجرى الأمور إلا بأسبابها.

و لذا

ورد: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» «٣».

لكنه لا بد من حفظ الحدود كي لا ينقلب الشكر شركاً بمجرد التغيير و لو بالتقديم و التأخير.

كما

في رواية العياشي عن الصادق عليه السّلام في قوله:

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ / ١١٢، ح ١.

(٢) القيعه- بكسر القاف- المستوى من الأرض.

(٣)

في البحار ج ٧١ / ٤٤، ح ٤٧: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عز». تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٥٣  
و ما يُؤمّنُ أَكثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلَهاً وَ هُمْ مُشْرِكُونَ «١» قال عليه السّلام: «هو الرجل يقول: لو لا فلان لهلكت، و لو لا فلان لأصابني «٢» كذا و كذا، و لو لا فلان لضاع عيالي، أ ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه و يدفع عنه».

قيل: فيقول: لو لا أن منّ الله، علىّ بفلان لهلكت.

قال عليه السّلام: «نعم، لا بأس بهذا» «٣».

فالرب من بعض الجهات من الوسائط لا المبدأ، إذ لو كان من هذه الجهة ربا لذاته و مفيضا لا بواسطة غيره لكان ربا على الإطلاق بالذات من كل الجهات، وهذا خلف، وهذا معنى إطلاقه على العبيد حيث أطلق كقوله تعالى: اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ «٤». ولذا لا يطلق حينئذ إلا- مضافا لأن المخلوق ليس ربا مطلقا بل واسطة لتربية بعض الأشياء من بعض الجهات في بعض الأحوال، فأضيف إلى مرباه أو بعض جهاته الملايسة له لكفاية أدنى الملايسة في الإضافة. ومنه يظهر أن المضاف المطلق على المخلوق غير المطلق على الخالق سواء أضيف حينئذ إلى العام نحو رب الناس، و رب العالمين، و رب كل شيء، أو الخاص نحو ربي و ربك و ربه، فإن المعنيين متغايران من دون جامع حقيقى بينهما و إن كان من حيث بعض الاعتبارات حسب ما هو المقرر في سائر الأسماء المشتركة بحسب الظاهر بين الخلق و الخالق كالعالم و القادر و الحى و غيرها. و أما مطلق المعرف باللام فلا يطلق إلا على الله سبحانه كما صرح به

(١) يوسف: ١٠٦.

(٢)

في تفسير العياشى: ط طهران العلمية الإسلامية: «لأصبت كذا و كذا...».

(٣)

في تفسير العياشى: لو لا أن الله منّ على بفلان لهلكت.

(٤) يوسف: ٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٥٤

الصدوق و الفيروزآبادى «١» و غيرهما لما عرفت من أن الاستفادة من لام الجنس أو الاستغراق كونه ربا لكل شيء من كل وجه في كل حال، و هذا لا يكون إلا الملك الحق جلّت عظمته. و إن أمكن المناقشة في المعرف بلام الجنس فضلا من الدالة على العهد كقولك في جواب من ربّ هذه الدار؟ زيد الربّ، إلّا أنّ الخطاب فيه سهل، لأن اللام عوض عن المضاف إليه، و المعنى زيد رب الدار. و أما المنون بتنوين التمكين فلا يستعمل كالمعرف إلّا على الحق القيوم و بتنوين النكرة و عوض عن المضاف إليه يجوز إطلاقه على المخلوق.

أما الطرفان فلما مرّ، و أما الوسط فإنّ تنكيه يدلّ على انتشار الأفراد و تكثرها و الأرباب المتكثرة لا يمكن كون كل واحد منها ربا مطلقا و مبدأ أوليا لجميع الفيوض.

فلا بد من حملها على الوسائط الجزئية للفيوض الجزئية أو على مجرد الدعوى الباطلة التى دليل بطلانها معها، و لذا أبطل العبد الصالح يوسف بن يعقوب على نينا و آله و عليهما السلام مقاتلهم بقوله: يا صاحبي السجن أ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار «٢» فإنهم إذا كانوا أربابا متكثرين فلا يصلح شيء منهم للربوبية، إذ الربّ من كان ربا حقا و مطلقا، و تعددهم دليل على تقيدهم فليس شيء منهم مطلقا فى الربوبية، و قد سمعت أنّ عدم مطلقيتهم فيها ملزوم لعدم حقيقتهم و تأصلهم فى الفيوض التى هى أمداد التريية، و لذا عقبه بقوله

(١) الفيروزآبادى: محمد بن يعقوب الشيرازى اللغوى، توفى سنة (٨١٨) هـ - بغية الوعاة:

ص ١١٧.

(٢) يوسف: ٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٥٥

ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ «١».

وهذه مناقضة لطيفة لإبطال آراء المشركين و هو نظير الاستدلال للتوحيد بقوله عز من قائل: وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ «٢» و هو دليل رقيق لطيف جدا على نوعى التوحيد بل أنواعه لمن تأمله.

ثم إنه يؤيد ما ذكرناه من معنى الربوبية، بل و إرجاع معانيها إلى ما سمعت ما رواه مولانا العسكرى عليه و على ابنه الحجّة و على آبائه آلاف الثناء و التحية فى تفسيره.

و

فى «الاحتجاج» أيضا عن السّجاد عليه السّلام أنّ رجلا أتى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال:

أخبرنى عن قوله عزّ و جل: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ما تفسيره؟ فقال:

«الحمد لله هو أن عزّف الله عباده بعض نعمه عليهم جملا، إذ لا يقدرّون على معرفه جميعها بالتفصيل، لأنها أكثر من أن تحصى أن تعرف، فقال لهم: قولوا الحمد لله على ما أنعم به علينا ربّ العالمين، يعنى مالك العالمين، و هم الجماعات من كلّ المخلوق من الجمادات و الحيوانات، فأما الحيوانات فهو يقبّلها فى قدرته، و يغذّيها من رزقه، و يحوطها بكنفه، و يدبّر كلا منها بمصلحته.

و أما الجمادات فهو يمسكها بقدرته يمسك ما اتصل منها أن يتهافت، و يمسك المتهافت منها أن يتلاصق، و يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، و يمسك الأرض أن تنخسف إلّا بأمره، إنه بعباده رؤف رحيم.

قال عليه السّلام: و «رَبِّ الْعَالَمِينَ مالكهم و خالقهم و سائق أرزاقهم من حيث يعلمون و من حيث لا يعلمون، فالرزق مقسوم، و هو يأتي ابن آدم على أى سيرة سارها من

(١) يوسف: ٤٠.

(٢) سورة النحل: ٥١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٥٦

الدنيا ليس تقوى متقى بزائده، و لا- فجور فاجر بناقصه، و بينه و بينه ستر «١» و هو طالبه، و لو أن أحدكم يتربص «٢» رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «فقال الله لهم: قولوا الحمد لله على ما أنعم به علينا و ذكرنا به من خير فى كتب الأولين من قبل أن نكون».

ففى هذا إيجاب على محمد و آله محمد بما فضّله و فضّلهم و على شيعتهم أن يشكروه بما فضّلهم به على غيرهم.

و ذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: لما بعث الله تعالى موسى بن عمران و اصطفاه نجيا، و فلق البحر فنجى بنى إسرائيل، و أعطاه التوراة و الألواح رأى مكانه من ربه عزّ و جل فقال: يا ربّ لقد أكرمتنى بكرامة لم تكرم بها أحدا قبلى، فقال الله عزّ

و جل: يا موسى! أما علمت أن محمّدا أفضل عندى من جميع ملائكتى و جميع خلقى؟ قال موسى: يا ربّ فإن كان محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم أفضل عندك من جميع خلقك فهل فى آل الأنبياء أكرم من آلى؟ قال الله عزّ و جل: يا موسى! أما علمت أن فضل

آل محمد على جميع آل النبيين كفضل محمّد على جميع المرسلين؟ فقال: يا ربّ فإن كان آل محمد عندك كذلك، فهل فى صحابة الأنبياء أكرم من صحابتي؟ قال الله عزّ و جل: يا موسى! أما علمت أن فضل صحابة محمد على جميع صحابة المرسلين كفضل

آل محمّد على جميع آل النبيين، و كفضل محمّد على جميع المرسلين؟ فقال موسى: يا ربّ! فإن كان محمد و آله و صحبه كما وصفت فهل فى أمم الأنبياء أفضل عندك من أمتى ظلّلت عليهم الغمام و أنزلت عليهم المنّ و السلوى و فلقت لهم البحر؟ فقال الله: يا

موسى! أما علمت أن فضل أمّة محمد على جميع

(١)

فى التفسير: شبر.

(٢)

فى البحار: يفر من رزقه. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٥٧

الأهم كفضلى على جميع خلقى؟ قال موسى: يا رب ليتنى كنت أراهم، فأوحى الله إليه: يا موسى! إنك لن تراهم فليس هذا أو ان ظهورهم، و لكن سوف تراهم فى الجنة «١» جنات عدن و الفردوس بحضرة محمد فى نعمتها يتقلبون، و فى خيراتها يتبحون، أ فتحب أن أسمعك كلامهم؟ فقال: نعم يا إلهى قال: قم بين يدى و اشدد مئزرك قيام العبد الذليل بين يدى السيد الملك الجليل. ففعل ذلك موسى فنادى ربنا: يا أمه محمد! فأجابوه كلهم و هم فى أصلاب آبائهم و أرحام أمهاتهم: لبيك اللهم لبيك، إن الحمد و النعمة و الملك لك لا شريك لك لبيك.

قال: فجعل الله تلك الإجابة منهم شعار الحج، ثم نادى ربنا عز و جل: يا أمه محمد! إن قضائى عليكم، إن رحمتى سبقت غضبى، و عفوى سبق عقابى، فقد استجبت لكم من قبل أن تدعونى و أعطيتكم من قبل أن تسألونى، من لقينى منكم بشهادة أن إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله صادق فى أقواله، محق فى أفعاله، و أن على بن أبى طالب أخوه و وصيه من بعده و وليه يلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمد و أن أولادهم المصطفين الأخيار المطهرين الميامين لعجائب «٢» آيات الله، و دلائل حجج الله من بعدهما أولياؤه، أدخله «٣» جنتى و إن كان ذنوبه مثل زبد البحر.

قال: فلما بعث الله نبينا محمدا صلى الله عليه و آله و سلم قال: يا محمد! و ما كنت بجانب الطور إذ نادينا أمتك بهذه الكرامة، ثم قال عز و جل لمحمد صلى الله عليه و آله و سلم: قل الحمد لله رب العالمين على ما اختصاصتنا به من هذه الفضيلة.

(١)

فى البحار: «سوف تراهم فى الجنان جنات عدن».

(٢)

فى البحار: «بعجائب».

(٣)

أدخلته جنتى. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٥٨

و قال لأتمته: قولوا أتمت: الحمد لله رب العالمين على ما اختصاصنا به من هذه الفضائل «١».

## تبصرة

ربما يقال: إن الرب هو الاسم الأعظم نظرا إلى اختصاصه من بين الأسماء بجواز إطلاق مقلوبه على الله سبحانه، إذ «البر» أيضا من أسماء الحسنى إنه هو البر الرحيم «٢».

و كأنه مع ملاحظة الاختلاف فى التخفيف و التشديد أيضا بالنسبة إلى الحرفين.

بل ربما يحكى ذلك عن الخضر النبى على نبينا و آله و عليه السلام مؤيدا بإشراق أشعة أنوار التوحيد منه فى البداية و النهاية كما فى الآيتين أ لست بربكم قالوا بلى «٣»، و أن إلى ربك المنتهى «٤» و يجعله فى الأولى إقرارا بالتوحيد بمنزلة لا إله إلا الله، و لذا ذكر كلمتى الرحمن و الرحيم فى الفاتحة بعد هذا الاسم، و فى البسملة بعد لفظة الجلالة تبيها على أنه بمنزلة.



و بأنه أوقع في القرآن كثيرا حتى أنه لم يذكر بعد لفظه الجلالة شيء من الأسماء بكثرته «٥» و هو مذكور في أربع و تسعين من السور.

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١١-١٢. عيون الأخبار: ص ١٥٦-١٥٨، و عنهما بحار الأنوار: ج ٢٦، ص ٢٧٤-٢٧٧، ح ١٧.

(٢) الطور: ٢٨.

(٣) الأعراف: ١٧٢.

(٤) النجم: ٤٢.

(٥) هذا الاسم الشريف ذكر في القرآن (نحو ٩٦٩) مرة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٥٩

و بأنه هو المذكور عند الأمر بالدعاء اذعوا رَبُّكُمْ تَضَرُّعًا وَ خُفْيَةً «١» وَ قَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ «٢» و عند البشارة بالاستجابة كقوله:

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ «٣» بعد تكرار الرب خمس مرات في الحوائج المسؤولة في الآيات المتقدمة.

و بأنه مختص من بين الأسماء بإضافته إلى أقسام المضمرات من الغائب و الحاضر و المتكلم بأنواعها كقوله: وَ لِيَدْعُ رَبَّهُ «٤» وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُفَّتْ «٥» وَ اعْبُدْ رَبَّكَ «٦» اذْجِعِي إِلَى رَبِّكَ «٧» إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ «٨» إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ «٩» اللَّهُ رَبُّنَا «١٠» و إلى أنواع المظهرات من عمومها و خصوصها ك رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا «١١» فَو رَبِّ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ «١٢»، هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ «١٣»، فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَ الْمَغَارِبِ «١٤»،

(١) الأعراف: ٥٥.

(٢) غافر: ٦٦.

(٣) آل عمران: ١٩٥.

(٤) غافر: ٢٦.

(٥) الانشقاق: ٥.

(٦) الحجر: ٩٩.

(٧) الفجر: ٢٨.

(٨) يونس: ٣.

(٩) يوسف: ١٠٠.

(١٠) الشورى: ١٥.

(١١) مريم: ٦٥.

(١٢) الذاريات: ٢٣.

(١٣) المؤمنون: ١١٦.

(١٤) المعارج: ٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٦٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ٣٩٩

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ «١»، رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ «٢»، وَرَبُّ النَّاسِ «٣»، وَرَبُّ الْفَلْقِ «٤» وَرَبُّ هَذِهِ الْبُلْدَةِ «٥» وَرَبُّ هَذَا الْبَيْتِ «٦»، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ «٧».

و بالجمله فلعوم ربوبيته و ظهور تربيته في جميع الأشياء أضيف إليها خصوصا كما سمعت و عموما كقوله: رَبُّ الْعَالَمِينَ وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ «٨» فهو منتهى مطلب الحاجات، و عنده نيل الطلبات، و مفتاح الكرامات، و وسيلة العناية.

و لذا توسل المتوسلون بل الأنبياء و المرسلون به سبحانه من جهة ظهوره و تجليه بشأن الربوبية الجامعة لجميع صفات الفعل بل الذات حسب ما تعرف إن شاء الله.

فدعاه أبونا آدم على نبينا و آله و عليه السلام لتوبته: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا «٩».

و النبي نوح عليه السلام بقوله رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ «١٠»، وَ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ «١١».

(١) الرحمن: ١٧.

(٢) الشعراء: ٢٨.

(٣) الناس: ١.

(٤) الفلق: ١.

(٥) النمل: ٩١.

(٦) قريش: ٣.

(٧) سورة الرحمن.

(٨) الأنعام: ١٦٤.

(٩) الأعراف: ٢٣.

(١٠) نوح: ٢٨.

(١١) نوح: ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٦١

و خليل الرحمن بقوله: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى «١».

و يوسف الصديق بقوله: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ «٢».

و النبي شعيب بقوله: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ «٣».

و موسى الكليم بقوله: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي «٤».

و سليمان بن داود بقوله: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكًا «٥» وَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ «٦».

وَ أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ «٧».

و زكريا النبي عليه السلام بقوله: رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي «٨».

و المسيح النوراني بقوله: رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ «٩».

و نبينا خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أجمعين بقوله: أَطَغْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ «١٠».

«وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَ هُمُ الْأُئِمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبَّنَا «١١»».

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) يوسف: ١٠١.

(٣) الأعراف: ٨٩.

(٤) طه: ٢٥.

(٥) ص: ٣٥.

(٦) النمل: ١٩.

(٧) الأنبياء: ٨٣.

(٨) مريم: ٤.

(٩) المائدة: ١١٤.

(١٠) البقرة: ٢٨٥.

(١١) آل عمران: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٦٢

وقد خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ولاية أمير المؤمنين و المعصومين من ذريته بقوله: بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ «١» في على.

و بقوله: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا «٢»، إلى قوله:

وَيَسْأَلُوا تَسْلِيمًا «٣» أى لأمر المؤمنين عليه السلام.

و مولانا سيد الشهداء حين بلغ أشده و بلغ أربعين سنة قال: رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ «٤».

و مولانا القائم عجل الله فرجه كان مكتوبا على عضده الأيمن حين ولادته وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا «٥».

و أصحاب الكهف إذ أوا إلى الكهف فقالوا: رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً «٦».

و الحواريون إذ قالوا: رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ «٧».

و الصحابة بقولهم: رَبَّنَا لَا تَرْغُ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا «٨» لولاية أمير المؤمنين و أولاده الطيبين.

و التابعون بقولهم: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ «٩».

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) النساء: ٦٥.

(٣) النساء: ٦٥.

(٤) الأحقاف: ١٥.

(٥) الأنعام: ١١٥.

(٦) الكهف: ١٠.

(٧) آل عمران: ٥٣.

(٨) آل عمران: ٨.

(٩) الحشر: ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٦٣

و آسِيَهُ امْرَأَهُ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ: رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ «١».  
 و بلقيس ملكة سبأ قالت: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ «٢».  
 و مريم إذ قالت: رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ «٣».  
 و حملة العرش: رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً «٤».  
 و الآباء: رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيَّتِنَا قُوَّةً أَعْيُنٍ «٥».  
 و الأولاد: رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا «٦».  
 و أهل الجنة: رَبَّنَا أْتَمِّمْ لَنَا نُورَنَا «٧» وَ سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا «٨».  
 و أهل النار: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا «٩» رَبَّنَا عَلَّيْنَا شِقْوَتُنَا «١٠» رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَ سَمِعْنَا «١١».  
 و إبليس اللعين: رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ «١٢».  
 و أتباع الجبت و الطاغوت: رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلًا

(١) التحريم: ١١.

(٢) النمل: ٤٤.

(٣) آل عمران: ٤٧.

(٤) غافر: ٧.

(٥) الفرقان: ٧٤.

(٦) الإسراء: ٢٤.

(٧) التحريم: ٨.

(٨) الإنسان: ٢١.

(٩) المؤمنون: ١٠٧.

(١٠) المؤمنون: ١٠٦.

(١١) السجدة: ١٢.

(١٢) الحجر: ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٦٤

«١»، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُوهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا «٢».

و بالجملة فجميع الفيوض التي تصل من الله إلى عبده إنما تصل من جهة التريية و الإفاضة و التكميل، و قد سمعت أنه سبحانه من حيث ذاته هو المجهول المطلق، و ليس للخلق طريق إلى معرفته إلا- من حيث ظهوره في المظاهر الفعلية، و تجليته في المجالى الأسمائية، و هذا هو السر في تعدد أسمائه قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى «٣».

فمن حيث ظهور فعله بصفة الخلق خالق، و بصفة الرزق رازق، و بصفة الرحمة الواسعة و المكتوبة هو الرحمن الرحيم، و من حيث ربوبيته لخلقه يسمّى بالرب، و هذه الربويية جامعة لأركان العرش الأربعة و هى الخلق، و الرزق، و الإحياء، و الإمامة المشار إليها في الآية الكريمة: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ «٤».

فالربويية بشمولها جامعة لجميع الفيوض الواصلة إلى الخلق حين الخلقة و بعدها في الوجود و البقاء و أسباب المعاش و المعاد للأبرار و الفجار كلًا نَمِدُّ هُوَ لَاءٍ وَ هُوَ لَاءٍ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَ مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا «٥» إذ لا بخل في المبدء الفياض، و به يسعد السعيد و

به يشقى الشقى قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ «٦» وَ الْبَلْدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا «٧».

(١) الأحزاب: ٦٧.

(٢) الأحزاب: ٦٨.

(٣) الإسراء: ١١٠.

(٤) الروم: ٤٠.

(٥) الإسراء: ٢٠.

(٦) النساء: ٧٨.

(٧) الأعراف: ٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٦٥ كقطرة الماء فى الأصداف درّو فى بطن الأفاعى صار سما نعم له سبحانه نوع من الإفاضات القدسيّة و الإمدادات الإيمانيّة الغيبية، و هو الفضل الذى بيده يؤتاه من يشاء، «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات إلا فتعزّضوا لها» «١».

فانظر كيف جعله من شؤون الربوبية و أضافه إلى الأيام الدهرية التى هى وعاء للنفوس القدسيّة و العقول الجبروتية دون الأزمنة التى هى وعاء للأجسام الغاسقة الناسوتية، و النفوس المنهمكة فى الشهوات الجسمانية، فهو سبحانه قد تجلّى فى خلقه لخلقه بخلقه، بها تجلّى صانعها للعقول، بحيث قد ملأ العمق الأكبر بشؤون ربوبيته كما

قال الإمام عليه السلام: «لا يرى فى نور إلا نورك و لا يسمع فيها صوت إلا صوتك» «٢»

فظهر لكل شىء بصفة ربوبيته، و لذا علّق المعرفة باسم الرب دون غيره من الأسماء

فى قوله: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» «٣»

و

«أعرفكم بنفسه أعرّفكم بربه»

، فكلّ من طلب منه حاجة من حوائج الدنيا و الآخرة، أو انتجع منه فائدة فلا بد أن يدعوه بهذا الاسم الذى هو رب نوع المطالب و المقاصد، و حلّ طلسم العوائد و الفوائد، بل فى دعائه باسم الربوبية إذعان له بحقيقة العبودية التى هى جوهره كنهها الربوبية كما فى الخبر «٤» الذى تأتى إلى تحقيق معناه الإشارة، و لذا جعلوه مفتاحاً لحوائجهم، تحقيقاً لعبوديتهم و تصديقاً بربوبيته، و توصلاً بما هو كالمفتاح للكنوز الغيبية، و الخزائن الإلهية، و كالتاليع للمواليد القدسيّة و النفحات الملكوتية، بل أضيف فى المقام إلى «العالمين» المحلى بالألف و اللام المفيدة للعموم

(١) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٢١، و ج ٩٠، ص ٩٥، ح ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠٤/٩٠، ح ٣٤، دعاء ليلة الخميس.

(٣) البحار: ج ٣٢/٢، ح ٢٢.

(٤) مصباح الشريعة: الباب الأول فى العبودية.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٦٦

تنبيهها على ظهور ربوبيته و سريان فيض تربيته فى جميع الإمكان و الأ-كوان من الدرّة إلى الدرّة، و عقّبه باسمى الرحمن و الرحيم إشعاراً بأن إتمام النعمة إنما هو بصفته الرحمّة، و هذه الجملة كالأستدلال على استحقاقه لجميع المحامد التى سمعت الكلام فى

عمومها وإحاطتها.

### إحقاق وإزهاق

كما أن الرب حسبما سمعت إما مطلق لا يطلق إلا عليه سبحانه، أو مقيد يطلق على غيره أيضا، كذلك ينقسم إلى حقيقي واسطى، وعبارة أخرى إما أصلى أو ظلى آلى، و الحقيقى الأصلى هو الله سبحانه سواء اعتبر مطلقا أو مقيدا، لا من حيث التقييد والقصور فى نفسه، بل من حيث التعبير وملاحظة المورد، فهو الرب الحقيقى لكل شىء من كل وجه، ولذا قال: رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ «١» وَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ «٢».

و

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «توحد بالربوبية و خص نفسه بالوحدانية» «٣»،

فهو الرب الحق، و الرب المطلق، و لذلك تنقطع عنده الوسائط، و تضمحل الكثرات، و يستند الكل إليه، لأنه معطى القابليات و مفيض الاستعدادات، و مسبب الأسباب، و رب الأرباب.

و إلى هذا أشار كليم الله على نبينا و آله و عليه السلام بعد قول فرعون: فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى «٤».

(١) الأنعام: ١٦٤.

(٢) مريم: ٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤ / ٢٧٠، ح ١٥.

(٤) طه: ٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٦٧

يعنى أعطاه وجوده و استعداده و قابليته، ثم سبب الأسباب لوصوله إلى مراتب الكمال للتحقق بحقيقة الإقبال، و أما اختلاف المرئيات من أصناف الكائنات فإنما هو مستند إلى اختلافهم فى اختياراتهم و قبولهم فى بقعة التكوين و صقع التشريع بعد أن بين لهم سبيل الخير و الشر، و أمرهم فى الموقفين بارتكاب الخيرات و اجتناب الشرور لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ «١».

و أما ما ربما يقال من استناد الاختلاف إلى مراتب الاستعدادات و إمكانات الأشياء فى أنفسها بالذات و عدم تعلق الجعل بالإمكان لكونه من الأمور الاعتبارية ففساده واضح عندنا بعد القول بالتوحيد و نفى الشريك، إذ كان الله و لم يكن معه شىء، و هو أمكن الإمكان حيث لا إمكان، و هى بقسميها خلقها الله بنفسها و خلق بها الإمكان و الأكوان و الإمكانات بعد تسليم كونها أعداما المقيدة و إن تمايزت من حيث القيود أو التقييدات إلا أنها معتبرة حينئذ باعتبارات وجودية.

فما قيل من أن إمكان الألف مثلا مغاير لإمكان الواو، لاعتبار الاستقامة فى الأول، و الاعوجاج فى الثانى، و لو أن الكاتب كتبهما على غير هذا الوجه فكأنه لم يكتبهما لأن ما بالذات لا يتخلف بل الذات لا تبدل.

ففيه: أن هذا الاختلاف المستند إلى الإمكان بل نفس الإمكان إن كان مجعولا من الله سبحانه و لم يكن قبل ذلك شيئا أصلا فهو المطلوب، و إلا فلا بد أن يكون ثابتا فى القدم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

و هذا هو القول بالأعيان الثابتة الذى أسس عليه بناء القول بوحدة الوجود و تشعبت منه أنواع الزندقة و الجحود، قال قائلهم و هو عبد الرحمن الجامى «٢»:

(١) الأنفال: ٤٢.

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد الجامي الشيرازي توفي سنة (١٨٩٨) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٦٨

أعيان

همه شیشه های گوناگون بود کافتاد بر او پرتو انوار وجود

هر شیشه که بود سرخ یا زرد و کبود خورشید در آن آینه آن رنگ نمود

بل أفرط بعضهم في القول وقال: إن الماهيات كما هي غير مجعولة فكذلك الوجودات و اتصاف الماهيات بها.

قال المحدث الفيض فيما سماه ب «الكلمات المكنونة» بعد أن ذكر أن الماهيات ليست بجعل جاعل، و كذلك الوجود، قال: «بل تأثيره في الماهية باعتبار الوجود، بمعنى أنه يجعلها متّصفة بالوجود، لا- بمعنى أنه يجعل اتصافها موجودا متحققا في الخارج، فإنّ الصباغ مثلا إذا صبغ ثوبا فإنه لا يجعل الثوب ثوبا و لا الصبغ صبغا، بل يجعل الثوب متّصفا بالصبغ في الخارج، لا أن يجعل اتصافه به موجودا في الخارج.

فليست الماهيات في أنفسها مجعولة و لا وجوداتها في أنفسها أيضا مجعولة، بل الماهيات في كونها موجودة مجعولة، و الوجودات من حيث تعييناتها و خصوصياتها مجعولة، و ذلك لأن الإمكان إنما يتعلّق بالوجود من حيث التعيين و التخصص، لا من حيث الحقيقة و الذات، فإنه واجب من هذه الحيشة، فالوجود وجود أزلا و أبدا، و الماهية ماهية أزلا و أبدا، غير موجودة و لا معدومة أزلا و أبدا. و ليست هي في منزلة بين الوجود و العدم، بل إنما وجوداتها بالعرض و بتبعية الوجود لا بالذات، و لهذا لا يسمى وجودا بل ثبوتا. و من هنا يعلم أن الماهيات عين الوجود و الحقيقة و إن كانت غيره بالاعتبار إلى آخر ما ذكره.

فوا عجباً كيف احتمل الوجود البحث الواجب لجميع الوجودات و جميع الماهيات، بل و جميع الاتصافات بحيث لم يخرج شيء من هذه الثلاثة من العدم إلى الوجود بل الكل عين الوجود البسيط المجرد (تعالى الله عن ذلك و عما يقولون

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٦٩

علوا كبيرا).

و مع اتحاد الجميع فمن أين حصل التغير في هذا البين، و ما شؤون الربوبية؟

و ما حدود الخلق؟ و كيف تنزيه الخالق بعد اتحاده مع الخلق، بل الكثافات و القاذورات، و أنت تعلم أن الصباغ لم يؤثر في خلق الثوب، و لا- في خلق الصبغ، و قد أوجد الانصبغ و اتصاف الثوب بالصبغ و لو بالتسبب، فإذا كان الله تعالى لم يوجد شيئا من الماهيات و لا من الوجودات، بل و لا شيئا من اتصاف الماهية بالوجود، فكيف يكون خالقا موجدا مبدعا فردا واحدا قديما متفردا في أزليته منزها عما يجوز على خلقه.

و بالجمله القول بوحدة الوجود ينثلم معه جميع أساس التوحيد بل الشرائع كافة، و لهذا ظهر منهم القول بالحلول و الاتحاد و انقطاع العذاب و غيرها من المقالات التي سنفصل الكلام في تحريرها و إبطالها في موضع أليق إن شاء الله تعالى.

و إن كان بطلانها غنيا عن ذلك، فإنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور و مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (١).

تتميم نفعه عميم

اعلم أن الربوبية من الرب مطلقا أو مقيدا لها درجات و مقامات يجمعها أمران:

أحدهما: الربوبية إذ لا- مربوب لا- ذكرا و لا عينا و لا ظهورا و هي الذات البحث القديم الذي لا اسم له و لا رسم، و لا وصف و لا

نعت، ولا عبارة، ولا إشارة،

(١) النور: ٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٧٠

الطريق مسدود و الطلب مردود.

و ربما يذكر بعده قسم آخر و هو دليل تلك الربوبية و صفتها و آيتها، أى العين التى تستدل بها عليها، و هى لا ذكر و لا عين و لا ظهور للمربوبية فيها بوجه من الوجوه لأنها وجه الله و دليله، فلو كانت فيها كثرة لعرفنا الله بالكثرة، لأن معرفة الوجه عين معرفة ذى الوجه، و هو معنى

قول أمير المؤمنين عليه السلام: «يا من دل على ذاته بذاته» (١).

قلت: و هذه الربوبية إما عين الأولى أو غيرها، فعلى الأول لا تعدد، و على الثانى ليست إذ لا مربوب على ذلك الوجه، مع أنه إذا لم يكن للمربوبين فيها ذكر و لا عين و لا ظهور، فكيف تكون دليلا لهم «تعالى الله عن ذلك».

و أما

قوله: «يا من دل على ذاته بذاته»

، فكل من الذات المدلول عليها و الذات الدالة هى الذات البحت، لكن الدلالة هى ما خلق من وصفه لخلقه بذواتهم فى الخطاب الفهوانى.

كما

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «بها تجلى صانعها للعقول» (٢).

أو بآياته و أمثاله فى الآفاق و فى أنفسهم أو بما أشرق على خلقه من صفته وحدته التى يستدلون بها على وحدانيته، أو أن المدلول عليها هى الذات البحت أيضا و الدلالة هى معانيه، أى معانى أفعاله المشار إليها

فى خبر جابر بقوله: يا جابر أو تدرى ما المعرفة؟ المعرفة إثبات التوحيد أولا ثم معرفة المعانى ثانيا، ثم معرفة الأبواب ثالثا إلى أن قال: و أما المعانى فنحن معانيه صلوات الله عليهم (٣).

أو أن المدلول عليها هى المعانى عليهم السلام، و الدلالة هى العلامات و المقامات التى

(١) بحار الأنوار: ج ٨٧ / ٣٣٩، ح ١٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤ / ٢٣٠، ح ٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٦ / ١٣-١٤ ح ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٧١

لا تعطيل لها فى كل مكان يعرفه بها من عرفه، و إن أبيت من إطلاق الذات عليهم فلاحظ

قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فى خبر الأعرابى حيث سئله عن النفس إلى أن قال عليه السلام فى النفس اللاهوتية الملكية: «إنها قوة لاهوتية، و جوهره بسيطة حية بالذات، أصلها العقل منه بدت، و عنه دعت، و إليه دلت و أشارت، و عودتها إليه إذ كملت و شابهته، و منه بدت الموجودات، و إليها تعود بالكمال، فهى ذات الله العليا، و شجرة طوبى، و سدره المنتهى، و جنه المأوى» (١).

و أيضا فى الخبر المشهور فى الألسنة و إن لم يحضرنى موضعه الآن:

«لا تسبوا عليا فإن ذاته ممسوس أو ممسوس بذات الله» (٢).



ثانيهما: الربوبية إذ مربوب ذكرنا أو عينا و ظهورا، و هذه الربوبية بهذا القيد من صفات الفعل، كما أن الأولى من صفات الذات. إذا عرفت هذا فاعلم أنه

قد ورد في خطبة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و كذا في خطبة مولانا الرضا عليه السلام: «له معنى الربوبية إذ لا مربوب» (٣) و الظرف إما قيد للربوبية و إما ظرف للثبوت الذي تعلق به الجار و يؤيده

قوله عليه السلام بعد ذلك: «و له حقيقة الالهية إذ لا مألوه و معنى العالم إذ لا معلوم، و معنى الخالق و لا مخلوق، و تأويل السمع و لا مسموع، ليس مذ خلق استحق معنى الخالق، و لا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئ، كيف و لا تغييه مذ، و لا تدنيه قد، و لا يحجبه لعل، و لا يوقته متى، و لا يشتمله حين، و لا تقارنه مع، إنما تحدّ الأدوات أنفسها، و تشير الآلة إلى نظائرها» (٤).

(١) شرح الأسماء الحسنى، ملا هادي السبزواري: ج ٢ / ٤٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٩ / ٣١٣، «مناقب آل أبي طالب» ج ٣ / ٢٢١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤ / ٢٨٥، ح ١٧، عن «التوحيد».

(٤) بحار الأنوار: ج ٤ / ٢٢٩، ح ٣، عن «التوحيد» و «العيون».

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٧٢

و على الأول ينقسم الربوبية إلى قسمين و معناه الإشارة إلى ثبوت معنى الربوبية له سبحانه بالمعنى الأول بمعنى أنه ربّ بهذا المعنى، فربوبيته نفس ذاته تعالى بلا مغايرة بينهما، بوجه من الوجوه، فهو حينئذ من الصفات الذاتية التي لا حاجة في اتصافه بها إلى غيره، و مرجعها إلى العلم و القدرة و سائر الصفات الذاتية.

و أما الربوبية بالمعنى الثاني بمراتبه و درجاته فهي ثابتة له سبحانه في ملكه، لا في ذاته.

فاللام للتمليك فهو يملك الربّ و التربية و الربوبية كلّها بغير المعنى الأول في ملكه و خلقه، و هم الأبواب الذين أمر الله تعالى بمعرفتهم و ولايتهم و لا تمسك بحبلهم، فإن الله تعالى جعلهم أبوابا لفيوضه و أعضاءا لبريته، و أشهادا على خليقته و هم المقامات و العلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفهم به من عرفه، و هم السبيل الأعظم، و الصراط الأقوم، و شهداء دار الفناء، و شفعاء دار البقاء.

فالربوبية المطلقة المقترنة بالمربوب و لو ذكرنا حادثه في عالم الإمكان و هي المشية الكلية، و أمر الله الفعلي الذي به قامت السموات و الأرض قياما صدوريا ركنا.

فمن عرفهم فقد عرف الله، و من أنكرهم فقد أنكر الله، و من اعتصم بهم فقد اعتصم بالله.

و

في الزيارة: «من أراد الله بدأ بكم، و من وحده قبل عنكم، و من قصده توجه إليكم» (١).

و ذلك أن الله تعالى جعلهم وسائل فيوضه، و مرآة أنوار جلاله و جماله، و أشهدهم خلق خلقه.

(١) الجامعة الكبيرة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٧٣

بل يستفاد من بعض الأخبار و الخطب المأثورة عنهم عليهم السلام أنه سبحانه فوض إليهم جميع شؤون الربوبية في الخلق و الرزق و الإحياء و الإماتة، لكن لا تفويض تشريك، و لا عزله و تخيير، و لا تفويض توكيل، كما يفوض أحدا من أموره إلى وكيله، فيتصرف في أموره بعد إذن الموكل بقوته بالاستقلال، فإن هذه المعاني للتفويض كلها كفر و زندقة.

و هذا معنى

قول مولانا الصادق عليه السلام على ما رواه شيخنا المجلسي قدس سره: «من قال نحن خالقون بأمر الله فقد كفر» (١).  
فإن المراد نفي الاستقلال و الاستبداد الذى يكون لو كىل بعد إذن الموكل، إذ ليس لهم توهم هذه الاستقلال و الإتيية بىل عباد مؤكروم لا- يشبقونه بالقول و هم بأمره يعملون (٢) إلى قوله تعالى: وَمَنْ يَتَّخِذْ مِنْهُمْ إِيَّاهُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٣).

بل المراد بالتفويض الذى نقول به هو تفويض الوساطة و الآلية و الإشراف و العبودية كما قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ (٤).  
و بالجملة الأخبار الدالة على تفويض الأمور التكوينية و التشريعية إليهم السلام كثيرة جدا بالغة حد التواتر لمن تتبعها فى مظانها، لكن ينبغى حملها على وجهها الذى أريد منها، و هو أن جميع الآثار من الخلق و الرزق و غيرها منه سبحانه، إلا أنه لما جرت عادته سبحانه بأن يكون له وسائل لإفاضته التكوينية كما أن له

(١) لم أظفر على مصدره بعد التفحص فى البحار.

(٢) الأنبياء: ٢٦-٢٧.

(٣) الأنبياء: ٢٩.

(٤) آل عمران: ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٧٤

وسائل لإفاضته التشريعية مع عدم قابلية الدانى لتلقى الفيض إلا بالوسائل، فهم كالمرآة المحاذى لشمس وجود الحق قد تجلى لها ربها فأشرفت، و طالعها فتلاآت، و ألقى فى هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله.  
و لذا قال من قال:

فعلوا فعال الرب إلا أنهم بشر فضاع على الغلاة الفارق

جعلوا الذى قد كان نفس نبىهم هو نفس خالقهم تعالى الخالق

لا عذر للنصاب و الغالى له عذر لبعض ذوى العقول موافق

كفرت به الفتان لكن ليستاشرا «١» فإن النصب كفر خارق

لا ينسب الإسلام للغالى له فإن ادعى الإسلام فهو منافق

لو شاء تعطى لأفلاك السماء ما عاقه عن مثل ذلك عائق

و بكفه القلم الذى فى جبهة الأشهاد يكتب مؤمن أو فاسق

ساووا كتاب الله إلا أنه هو صامت و هم الكتاب الناطق

و قال ابن أبى الحديد فى قصيدته البائية:

تقتلت «٢» أفعال الربوبية التى عذرت بها من شك أنك مربوب

و بالجملة، فلهم الربوبية الفعلية، بل هم نفس الربوبية فى مقام الفعل، لكونهم نفس المشية أو محالها، كما عن الحجة عجل الله فرجه:  
«إن قلوبنا أوعية لمشيئة الله فإذا شاء الله شئنا و ما تشاؤون إلا أن يشاء الله» (٣).

و فى مقام الفعل يتحد الوصف و الموصوف، فافهم.

(١) الشرع - بكسر الشين -: المثل.

(٢) تقيل: قال في «المنجد»: تقيل أباه: أشبهه.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٣٣٧، ح ١٦، عن غيبة الطوسي: ص ١٥٩، والآية في سورة الدهر: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٧٥

ولذا

ورد أن رسول الله و أمير المؤمنين عليهما السلام أبوا هذه الأمة، و أن الأب هو الرب الأصغر «١».

و

ورد في تفسير قوله تعالى: وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا «٢» عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «رب الأرض إمام الأرض. قيل: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذا يستغنى الناس عن ضوء الشمس والقمر و يجتزون بنور الإمام» «٣».

و مثله في «إرشاد المفيد» و «غيبه الشيخ» و «الدعائم» و «إكمال الدين» و غيرها.

بل

في الزيارة الجامعة تبيننا لمعنى الآية و خطابا للأئمة عليهم السلام: «و أشرفت الأرض بنوركم» و ذلك لأنهم الخلفاء فيها، و فيهم ورد قوله تعالى: وَ عَيَّدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ «٤».

أو لأنهم مالكتها كما

ورد: «أن الأرض كلها للإمام عليه السلام».

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه و آله: خلق الله آدم و أقطعه الدنيا قطيعه، فما كان لآدم عليه السلام فهو لرسول الله صلى الله عليه و آله، و ما كان لرسول الله صلى الله عليه و آله فهو للأئمة من آل محمد عليهم السلام» «٥».

و

قال مولانا الصادق عليه السلام في خبر أبي سيار: «إن الأرض كلها لنا فما أخرج الله منها من شيء فهو لنا» «٦».

(١) بحار الأنوار: ج ٣٦ / ٩، ١١، ١٤، ٢٥٥.

(٢) الزمر: ٦٩.

(٣) البحار: ج ٧ / ٣٢٦، ح ١، عن «تفسير القمي»: ص ٥٨١.

(٤) النور: ٥٥.

(٥) الكافي: ج ١ / ٤٠٩، ح ٧.

(٦) الكافي: ج ١ / ٤٠٨، ح ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٧٦

و

عنه عن كتاب أمير المؤمنين: «أنا و أهل بيتي الذي أورثنا الله الأرض و نحن المتقون و الأرض كلها لنا» «١».

و

قال عليه السلام لأبي بصير: «أما علمت أن الدنيا و الآخرة للإمام عليه السلام يضعها حيث يشاء، و يدفعها إلى من يشاء، جاز له ذلك

من الله» (٢).

و

عنه عليه السلام: «إن الدنيا (٣) و ما فيها لله تبارك و تعالى و لرسوله و لنا» (٤).

و لذا حكموا بأن ما فى أيدى مخالفهم من الأرض غصب حرام عليهم التصرف فيه، بل فى بعض الأخبار حرمة مشيهم على الأرض و شربهم الماء.

أو لأنهم المتصرفون فيها بإذن ربهم حيث جعلهم الله وسائل فيوضه و خزان رحمته.

ولذا

روى القمى رحمه الله فى قوله: صراط الله الذى له ما فى السموات و ما فى الأرض (٥)، قال: «يعنى عليا- إنه- جعله خازنه على ما فى السموات و ما فى الأرض من شىء و ائتمنه عليه» (٦).

### عود إلى الحقيق بطرز أنيق

اعلم أن الربوبية إن اعتبرت من صفات الذات فهى فيها حقيقة و ذاتا و اعتبارا و وجودا و مفهوما و خارجا و واقعا، و إلا فمع فرض التغاير و لو اعتبارا تنلّم الوحدة،

(١) الكافى: ج ١ / ٤٠٧، ح ١، باب أن الأرض كلها للإمام عليه السلام.

(٢) الكافى: ج ١ / ٤٠٨ و ٤٠٩، ح ٤.

(٣)

فى المصدر: الدنيا و ما فيها

و ليس فيه كلمة إن.

(٤) الكافى: ج ١ / ٤٠٨، ح ١.

(٥) الشورى: ٥٦.

(٦) تفسير القمى ص ٦٠٦ و عنه البحار ج ٣٥ / ٣٦٧ ح ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٧٧

و كذا الحال فى سائر الصفات الذاتية من العلم و الوجود و القدرة و السمع و البصر و غيرها.

ولذا

قال مولانا الصادق عليه السلام: «كان الله (١) ربنا عزّ و جل و العلم ذاته و لا- معلوم، و القدرة ذاته و لا مقدور، و السمع ذاته و لا مسموع، و البصر ذاته و لا مبصر» (٢) الخبر.

على حد ما

سمعت من خطبهم عليهم السلام له معنى الربوبية إذ لا مربوب و حقيقة الإلهية إذ لا مألوه و معنى العالم و لا معلوم و معنى الخالق و لا مخلوق و تأويل السمع و لا مسموع» (٣).

و مرجع الجميع إلى إثبات وجود هو علم، هو قدرة، هو حياة، هو ربوبية، إلى غير ذلك حسب ما يأتى بيانه فى مقامه، و لذلك كان كمال التوحيد نفى الصفات، لأن الاقتران دليل الحدوث و التعدد و التجربة و الافتقار، و هذه الربوبية هى التى يجب تنزيلهم عنها.

كما

ورد عنهم: «نزلونا عن الربوبية و ارفعوا عنّا حظوظ البشرية، فإنّا عنها مبعدون، و عما يجوز عليكم منزهون، ثم قولوا في حقنا ما استطعتم فإن البحر لا ينزف، و سر الغيب لا يعرف، و كلمة الله لا توصف، و من قال لم و بم و مم فقد كفر» (٤).

و

في الخطبة النورانية: «لا تدعونا أربابا و قولوا فينا ما شئتم، ففينا هلك من

(١) في المصدر: «لم يزل الله عزّ و جل ربنا و العالم ذاته ...».

(٢) الكافي: ج ١ / ١٠٧، ح ١، باب صفات الذات.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤ / ٢٢٩، ح ٣.

(٤)

في مشارق الأنوار: ص ٦٩: «نزهونا عن الربوبية و ارفعوا عنا حظوظ البشرية، يعنى الحظوظ التي تجوز عليكم فلا يقاس بنا أحد من الناس، فإننا نحن الأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية، و الكلمة الربانية الناطقة في الأجساد الترابية، و قولوا بعد ذلك ما استطعتم فإن البحر لا ينزف ...». تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٧٨

هلك، و بنا نجى من نجى» (١).

و

عنهم عليهم السلام: «اجعلوا لنا رباً نؤب إليه ثم قولوا فينا ما استطعتم و لن تبلغوا، فإنه لم يخرج منا إليكم إلا ألف غير معطوفة» (٢).

و إن اعتبرت من صفات الفعل فمن البين أن صفات الفعل حادثة ليست في مرتبة الذات في القدم.

ولذا

قال الصادق عليه السلام لما قيل له: لم يزل الله مريدا: «إن المرید لا يكون إلا لمراد معه، بل لم يزل الله عالما قادرا ثم أراد» (٣).

و

قال مولانا الرضا عليه السلام: «إن المشية و الإرادة من صفات الأفعال، فمن زعم أن الله لم يزل شائيا مريدا فليس بموحد» (٤) و هو سر تقييد الربوبية له سبحانه بقوله: إذ لا مربوب، فإن الربوبية إذ مربوب علما أو عينا أو وجودا لها صفة الاقتران مع المربوب، و الاقتران دليل الحدوث.

و لأنها نفس المشية التي

قال الإمام عليه السلام انها محدثة «٥» و أن الله تعالى خلقها بنفسها و خلق الأشياء بها «٦».

و لأنها لو كانت في مرتبة الذات لا اعتورتها حالتان: ربوبية إذ مربوب

(١) مشارق أنوار اليقين: ص ١٦٢.

(٢) في «بصائر الدرجات» ص ١٤٩ بإسناده عن كامل التمار، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم، فقال لى: «يا كامل!

اجعل لنا رباً نؤب إليه و قولوا فينا ما شئتم ... إلى أن قال:

و عسى أن نقول: ما خرج إليكم من علمنا إلا ألف غير معطوفة».

(٣) بحار الأنوار: ج ٤ / ١٤٤، عن «التوحيد».

(٤) في البحار: ج ٤ / ١٤٥ عن «التوحيد»، عن الرضا عليه السلام، قال: «المشيئة من صفات الأفعال، فمن زعم أن الله لم يزل مريدا شائيا

فليس بموحد».

(٥) بحار الأنوار: ج ٤ / ١٤٤.

(٦) البحار: ج ٤ / ١٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٧٩

و ربوبية إذ لا مربوب، فيكون ذاته محلا للحوادث (تعالى الله عن ذلك).

و إن كانتا قديمتين تعددت القدماء، فإذا ثبت حدوثها فلا تخلو إما أن تكون من الأمور الاعتبارية التي ليس لها تحقق و لا تحصل في الخارج إلا مجرد الفرض و الاعتبار، كما هو الشأن في الأمور الاعتبارية، أو أنها من الأمور المتأصلة في الوجود المتحصلة في الشهود الخاضعة لحضرة المعبود، لا سبيل إلى الأول إذ النسبة تقتضى تحقق النسبتين معها في صقع عالمها، و مجرد الفرض و الاعتبار فرع الفارض و المعبر، و تعالى الحق عن ذلك - لأنه لا يهّم و لا يفكر و لا يضمّر و لا يروى، بل فعله إيجاده لا من شيء، و إنما الفعل منه إحداثه و إبداعه فلا يجرى عليه ما هو أجراه على خلقه.

مع أن المربوبات من أنواع الكائنات منتسبون إلى الربوبية، منها نشأت، و إليها انتسبت.

فإذا كانت الربوبية أمرا اعتباريا فالمربوب أولى و أخرى بالاعتبارية.

فإن قلت إن الربوبية من جملة الكائنات لا ريب في تدوّتها و تجوهرها و تحققها في الأعيان و إن كان ذلك بقيوميّة الحق سبحانه، و أمّا الربوبية فهي من المعاني المصدرية النسبية التي لا تحقق لها بنفسها و لو بقيوميته تعالى، لعدم تأهلها لذلك، فإنها في أصل الجعل مجعولة على وجه الارتباط و التعلق، ألا ترى أن الضرب لا تحصل له في الأعيان إلا بعد وجود المضروب و تعلقه به و وصوله من الضارب إليه، فمع فرض عدم وجود المضروب و لو في حال تحقق الضرب كيف يتصور وجوده في الأعيان؟

نعم يمكن تصوره في الأذهان لكنه خلاف المقصود.

قلت: هذا تمثيل بأفعالنا الناقصة القاصرة لإبداع الخلاق المتعالى و قد قال

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٨٠

سبحانه: فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ «١».

و من البين أن إبداع المبدع ليس أثرا ارتباطيا و أصلا منه إلى موجود آخر غيره، و إلا لزم قدم المتعلق شخصا أو نوعا، و هذا إنكار للإبداع، فالفعل المتعدى مّا صدور الأثر عن الفاعل و وقوعه على المفعول، و فعله سبحانه هو إحداثه لا غير، و ليس لفعله ارتباط به أصلا، إلا ارتباط الصنع بالصانع على وجه الإبداع في ملكه و لا بالمفعول لانتفاء أثر الوقوع بفقد المتعلق.

فلا بد من أن يكون فعله أول إبداعه و لذا

قال مولانا الرضا عليه السلام في خبر عمران: «اعلم أن الإبداع و المشيئة و الإرادة معناها واحد و أسماؤها ثلاثة» «٢».

و من البين أنه لا يجوز اتصافه بالفعل و الإرادة و المشيئة بمعانيها المعروفة التي يتصف بها المخلوق، لأنها بتلك المعاني عن الكيفيات النفسانية، و من الأعراض القائمة بالمحل، و الضرورة قضت باستحالة اتصافه سبحانه بمثل هذه المعاني، فلا يمكن اعتبارها أعراضا قائمة به لذلك، و لا بغيره لسبقها على غيرها.

فلا بد أن تكون موجودة بإيجاده قائمة بقيوميته واسطة في إيصال الفيض منه إلى غيره.

و بالجملة فالربوبية في هذا الموضع هو الرب المخلوق و العبد المرزوق و هو الفعل الذي خلقه بنفسه، و أقامه في ظله، و التعبير عنه بالمعنى المصدرى النسبى سهل الاندفاع، و إن شئت فعبر عنه بالمعنى الوصفى لكونه مصدرا لفعل الحق، بل هو المفعول المطلق لكنه لا بد من حفظ الحدود و لحظ القيود، بأن يعلم عدم تأصل الوجود لتقومه بفعل الحق المعبود، فهو عبد ذليل خاضع خاشع منقاد لله سبحانه،

(١) النحل: ٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٠ / ٣١٤، عن «التوحيد» و «العيون».

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٨١

بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون.

و إنما نال ما نال من القرب و الكرامة بحقيقته العبودية التي أركانها ثلاثة:

فالعين علمه بالله «١»، لأنه نفس العلم الفعلى المخلوق الواقع على المعلوم المشار إليه بقوله: فلما خلق الأشياء وقع العلم منه على

المعلوم، و السمع على المسموع، و البصر على المبصر «٢».

و الباء: بونه عن الخلق و انقطاعه عنهم، لعلمه بأنهم لا- يملكون له نفعاً و لا ضراً، و بأنهم فقراء محتاجون أذلاء، فكيف يسأل محتاج

محتاجاً، و أنى يفرغ معدوم إلى معدوم.

و بينونة العالى سيما الواقف «٣» على التطنجين، و الناظر فى المشرقين عن السافل بينونة صفة و افتقار، لا بينونة عزلة و انقطاع، فإن له

قوسى الإقبال و الإدبار، و صفتى الاستفاضة و الإفاضة.

و الدال دنوه من الخلق لأنه باب حطه الوجود، و أول عابد للمعبود قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ «٤»، و هذه الأركان قد

أشار إليها الصادق عليه السلام «٥».

(١) إشارة إلى ما نقل عن الإمام الصادق عليه السلام كما

فى «شرح الزيارة الجامعة»: ج ١ / ٣٠٨: قال الصادق عليه السلام فى تفسير قوله تعالى: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا: «العين

علمه بالله، و الباء بونه من الخلق، و الدال دنوه من الخالق بلا- إشارة و لا كيف» ٩- و نقل أيضاً فى مصباح الشريعة باب ١٠٠ فى

حقيقته العبودية

. (٢)

بحار الأنوار: ج ٤ / ٧١، عن التوحيد و فيه: فلما أحدث الأشياء و كان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم ...

(٣) المراد به أمير المؤمنين عليه السلام كما

نقل عنه فى «مشارك أنوار اليقين» فى خطبة سماها الطننجية، لما فيه: «أنا الواقف على طننجين أنا الناظر إلى المغربين و المشرقين».

(٤) الزخرف: ٨١.

(٥) تقدم نقله عن شرح الزيارة للشيخ أحمد الاحسائي: ج ١، ص ٣٠٨، و مصباح الشريعة:

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٨٢

و بالجملة فلما كمل الميزان و تمت الأركان و تحقق فى مقام العبودية ظهر بصفة الربوبية، كما

قال مولانا الصادق عليه السلام: «العبودية جوهرة كنهها الربوبية، فما فقد من العبودية وجد فى الربوبية، و ما خفى عن الربوبية أصيب

فى العبودية، قال الله عزّ و جل: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَ فِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدٌ «١» «٢»

أى موجود فى غيبتك و فى حضرتك.

فالعبد إذا تمكن فى مقام العبودية و انقطع نظره عن نفسه و دام توجهه إلى ربه اضمحلت ماهيته و إنيته، و لذا قيل:

بينى و بينك إنى ينازعى فادفع بلطفك إنى من البين

و قد يقال: إن المشية هى الوجود المطلق الذى لا ماهية له أصلاً لانقطاع نظره عن نفسه، فليس إلا ظهور الرب به و من ثم ظهر بصفة

الربوبية إذ مربوب كما

ورد في الخبر القدسي: «عبدى إنى أقول للشىء كن فيكون، أطعنى تكن مثلى تقول للشىء كن فيكون» (٣).

### نفحات غيبوية في أن العبودية جوهره كنهها الربوبية

قد سمعت في الخبر المتقدم المروى في «مصباح الشريعة» عن مولانا

باب ١٠٠.

(١) فصلت: ٥٣.

(٢) مصباح الشريعة: باب (١٠٠) في العبودية.

(٣) شرح توحيد الصدوق: ج ١/ ٣١٦ في شرح الحديث السابع عشر لقاضى سعيد القمى المتوفى (١١٠٧) هـ. تفسير الصراط المستقيم،

ج ٣، ص: ٣٨٣

الصادق عليه السلام: «إن العبودية جوهره كنهها الربوبية» (١)

إلى آخر ما مرّ و حيث قد استصعب فهمه على الأفهام تصدّى لبيانه جمع من علمائنا الأعلام رفع الله قدرهم في دار السلام.

ولا بأس بالتعرض لما ذكره مع ذكر ما من الله على هذا الفقير الذى لهم من جملة الخدام.

فمنها ما ذكره المجلسى الثانى حيث سئل عن معنى الخبر قال: «إن هذا الخبر مأخوذ من مصباح الشريعة و قد وصل إلينا برواية شقيق

البلخى الذى هو من صوفية العامة مع اشتماله على جملة من النقل المعلوم انتفائها عن الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و على تقدير صحة الخبر لعل المراد أن العبودية و الربوبية متقابلان فيعرف كل منهما بمقابله، كما قيل: «تعرف الأشياء بأضدادها»، و

لذا فسر

الخبر المشهور: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» (٢)

بما يتول إليه و ذلك أن عرف نفسه بالفقر و القصور و الحاجة و النقصان و صفات الإمكان فقد عرف ربه بالغنى و الكمال و التقديس

عن سمة الحدوث و التغير و صفات الإمكان، و كذلك من عرف نفسه بالدنائة و الخسة، فقد عرف ربه بالعلو و الرفعة، و من عرف

نفسه بالجهل و العلم الخارج عن الذات فقد عرف ربه بالعلم الذى هو عين الذات، إلى غير ذلك.

و الحاصل إن العبودية يعرف كنهها من معرفة الربوبية، فما فقد في العبودية من صفات القدس و الكمال كوجوب الوجود و التجرد و

الاستغناء المطلق و العلم الذاتى إلى غير ذلك من الكمالات التى لا حظ للممكن فيها، وجد في الربوبية و ما

(١) مصباح الشريعة: باب (١٠٠).

(٢) كلام مشهور رواه الفريقان عن نبينا صلى الله عليه و آله و عن على عليه السلام، و عن عيسى المسيح عليه السلام، و عن بعض

الحكماء.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٨٤

خفى عن الناس من صفات الربوبية وجد في العبودية، يعنى يعرف من إضافة الصفات إلى العبودية، أن الله سبحانه يرى منها.

ثم قال: و للخبر معان بعيدة عن الأذهان، و لذلك تركنا التعرض لها.

أقول: أما القدح فى سند الرواية بل الكتاب فهو و إن كان فى موضعه إلا أنه لا يخلو من نوع اعتبار، و لذا ذكر السيد على بن طاووس

فى كتاب «أمان الأخطار» قال: «و يصحب المسافر معه كتاب مصباح الشريعة و مفتاح الحقيقة عن الصادق عليه السلام، فإنه كتاب



لطيف شريف في التعرض بالتسليك إلى الله جل جلاله و الإقبال عليه، و الظفر بالأسرار التي اشتملت عليه. و أما ما ذكره من أن راويه شقيق البلخي فالوجه فيه ما أشار إليه في أول «البحار» من أن الشيخ روى في مجالسه بعض أخباره هكذا: أخبرنا جماعة عن أبي الفضل الشيباني بإسناده عن شقيق البلخي عن أخبره من أهل العلم. قال و هذا يدل على أنه كان عند الشيخ قدس سره و في عصره و كان يأخذ منه و لكن لا يثق به كل الوثوق، و لم يثبت عنده كونه مرويا عن الصادق عليه السلام و أن سنده ينتهي إلى الصوفية، و لذا اشتمل على كثير من اصطلاحاتهم و على الرواية عن مشايخهم، و من يعتمدون عليه في رواياتهم». (١). انتهى.

أقول: و إنني لم أظفر بمثل هذا السند في «أمالى» الشيخ المنسوب إلى ابنه بعد الفحص البليغ إلا أنه كفى بشيخنا المجلسي عطر الله مرقده ناقلا بصيرا و ناقدا خبيرا.

نعم، ما ذكره جيد بعد ملاحظة الأسلوب و الحكاية عن بعض مشايخهم و غير ذلك، لكنه لا يمنع من الاعتبار في الجملة سيما بعد شهادة السيد له بما سمعت.

(١) بحار الأنوار: ج ١ / ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٨٥

و أما ما ذكره في معنى الخبر فبعيد جدا خصوصا بعد التعبير بالكنه، و تفرغ الوجدان و فقدان عليه. و لعل فيما أشار إليه من المعاني البعيدة عن الأذهان كفاية و بلاغا لو وجد مساعدا للبيان.

و منها ما ذكره الفاضل المحقق القمي صاحب «القوانين» قدس سره حيث سئل عن ذلك، فأجاب قدس سره عنه بقوله: «إن العبودية يحتمل كونه مصدرا من صفة الذات بمعنى كون الشخص عبدا أو صيرورة الشخص عبدا، و يمكن أن يكون مصدرا لصفة الفعل مثل عابد، و حينئذ فالمراد كون الشخص عابدا، أو صيرورته عابدا متعبدا أو مطيعا.

و الربوبية تحتمل المعاني الثلاثة، فالمعنى أن ماهية العبودية و حقيقة إطاعة العبد و انقياده لمولاه جوهرية، يعنى خصلة نفيسة عزيزة، تشبيها لها بالجواهر العالية الثمينة، كنهها يعنى ذاتها و جوهرها و ما به قوامها الربوبية، يعنى التشبه بالرب و التخلص بأخلاقه في جميع صفاته و أفعاله حتى في الخلق و الإيجاد، لا- بمعنى خلق الأجسام بل بمعنى إحياء النفوس و إيلادها بالتعليم و الإرشاد و مَنْ أحيأها فَكَأَنَّهَا أَخْيَا النَّاسَ جَمِيعاً» (١)، أو المراد صيرورته ربا لقواه البهيمية، و مالكا لها، و مسلطا عليها بالرياضات و المجاهدات، فإذا فعل ذلك فيصل له حقيقة العبودية يعنى لا يحصل حقيقة العبودية إلا مع حصول حقيقة الربوبية بأحد المعنيين اللذين هما التشبه بالرب في صفاته و الترب على قوته الشهوية و الغضبية، فما فقد من العبودية بعد التدبر و التفكير في حقيقتها و الفحص عن أركانها و مقدماتها و أجزائها بأن لم يبلغ إليه فطنته و لم تصل إليه معرفته وجد في الربوبية، فإن معرفة حقيقة

(١) المائدة: ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٨٦

العبودية محولة على معرفة حقيقة الربوبية بأحد المعنيين، فبعد الاطلاع عليها يعثر حينئذ على ما فقد من العبودية و يطلع عليه و يصير خبيرا على ما فقد من شرائطها و أطوارها.

و ما خفى عن الربوبية و أشكل عليك الإحاطة بمقامها بأحد المعنيين أصيب العلم به في مرحلة العبودية بأن تعبد و تطيع بقدر علمك، كما

قال عليه السلام: «من عمل بما يعلم ورّثه الله علم ما لم يعلم» (١).

فحاصل الكلام أن كنه العبودية هو المشى على طريقة الربوبية، ولو كان على وجه المشابهة فما وصل إليه عقلك في استدراك طريقة الربوبية، فالعمل عليه هو نفس العبادة، والمشى عليه هو المشى على طريقة العبودية، وما لم يصل إليه عقلك من طريقة الربوبية فعليك بالعمل فيما عرفته من العبودية فإنه يوصلك إلى ما لم تعرفه من الربوبية التي هي كنهه وأصله فتصير بعد ذلك كاملاً في العبودية واصلًا إلى كنهها وهو المشى على طريقة الربوبية بأحد المعنيين.

ثم ذكر أن المراد من الاستشهاد بالآية الاستدلال بقوله: «أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (٢) على أنه سبحانه موجود في غيبتك و حضرتك، يعني أن حقيقة العبودية و كنهه هو التشبه بالرب، و التخلُّق بأخلاقه، أو التربُّب على القوتين كي يحصل بذلك التجرد و قطع العلائق و صرف النظر عما سوى الله و الانقطاع إليه بشرائه.

و وجه كون حقيقة العبودية ذلك و لزوم بلوغ العبد في العبادة إلى هذه المرتبة أنه تعالى شهيد على كل شيء و موجود و رقيب في حال حضورك مع الله، و حال غيبتك و غفلتك منه، يعني إذا كان الله مع العبد بهذه المثابة من القرب

(١) بحار الأنوار: ج ٤٠ / ١٢٨.

(٢) فصلت: ٥٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٨٧

و الحضور فلا بد للعبد أن يسلك في عبادته هذا المسلك الذي هو التشبه بالرب و التسلك على القوتين. و لذلك

قال عليه السلام بعد ذلك: «و تفسير العبودية بذل الكلية و سبب ذلك منع النفس عما تهوى و حملها على ما تكره و مفتاح ذلك ترك الراحة و حب العزلة و طريقة الافتقار إلى الله عزّ و جل، قال رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم: أعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (١). (٢)

أقول: هو رحمة الله و إن أجاد فيما أفاد لكنه لم يأت بتمام المراد، فالتحقيق أن يقال: إن المراد بالربوبية إذ هو الربوبية إذ مربوب التي هي من مراتب الفعل حسب ما مرت إليه الإشارة.

و بالعبودية هي القيام بجميع وظائف الانقياد و الطاعة في جميع نشأت الوجود بحيث لا يحصل له الفتور في شيء من العبادات القلبية و القالبيه، بل و لا في شيء من التوجهات الإقبالية العلمية و العملية على ما هو مقتضى الولاية الكلية و لاستقامته في الطريقة الإلهية إلى أن يتحقق في مقام الولاية التي هي الإحاطة و التصرف في الملك و الملكوت بإذن الله بعد إجابته نداء:

«عبدى أطعنى فكن مثلى» (٣)

حيث إنه قد وصل حينئذ إلى درجة المحبة و صار محبوباً لله سبحانه

«فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به، و بصره الذي يبصر به، و يده التي يبطش بها، إن دعاه أجابه، و إن سأله أعطاه» (٤)

، بل قد يمزج بالمحبة لحمه و دمه

(١) مصباح الشريعة: باب (١٠٠).

(٢)؟؟؟؟

(٣) لم أظفر بهذه العبارة على الحديث، نعم قد مر مضمونه

عن شرح التوحيد للقاضي سعيد القمي: ج ١، ص ٣١٦ هكذا: «يا بن آدم! أطعنى أجعلك مثلى، إذا قلت لشيء: كن، فيكون».

(٤) إشارة إلى

الحديث القدسي المروي في «محاسن البرقي»: ص ٢٩١ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص:

٣٨٨

فضلا عن قلبه و فؤاده إلى أن يغيب عن نفسه، و يذهل عن حسه فضلا عن غيره فيكون كما قيل:

جنوني فيك لا يخفى و نارى فيك لا تخبوفأنت السمع و الأبصار و الأركان و القلب

و حينئذ فيضمحلّ من أنانيتة، و يحيى حياة طيبة بالتوجه إلى ربه، و يصير قلبه وعاء لمشيته، و محلا لإرادته، فيفعل بإرادته ما يشاء في التكوين، و لا يشاء إلا ما يشاء الله رب العالمين.

و هذا هو تجلي الرب له بصفة الربوبية المشار إليه

في العلوى «تجلى لها ربّها فأشرقت، و طالعتها فتلاآت و ألقى في هويتها مثاله فأظهر منها أفعاله» (١).

و هذا المقام الذى هو نهاية قوس الإمكان إنما يحصل بالتحقق فى مقام العبودية التى كنهها الربوبية إذ مربوب فى عالم الملك و الملكوت حسبما سمعت، و هو الفقر الكلى الإقبالى الذاتى الذى افتخر به سيد الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيث

قال: «الفقر فخرى و به أفتخر على الأنبياء من قبلى» (٢).

و من ثم اشتقت العبودية من الحروف الثلاثة التى مر تفسيرها فى كلام مولانا الصادق عليه السلام، بل إنما ذكر ذلك التفسير فى ذيل الكلام المتقدم (٣).

و من هنا يظهر وجه أولوية إطلاق العبد على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فى قوله:

«قال الله: ما تحبب إلى عبدى بشى أحب إلى مما افترضته عليه، و إنه ليتحبب إلى بالنافله حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به و لسانه الذى ينطق به، يده التى يبطش بها و رجله التى يمشى بها، إذا دعانى أحبته و إذا سألتنى أعطيتة».

(١) البحار: ج ٤٠ / ١٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٣٠ و ٤٩.

(٣) مصباح الشريعة: باب (١٠٠).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٨٩

وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ (١) و تقديمه على الرسالة التى هى أشرف من كل شرف فى الشهادة العامة «و أشهد أن محمدا عبده و رسوله».

بل و أولوية إطلاقه عليه أيضا كما يظهر من أخبار بدو كينونتهم (٢) و من قوله تعالى: قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلْمَدِّ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٣) على أحد الوجوه فى الآية.

و بالجملة قد ظهر من تضاعيف ما مر أن مطلق العبودية لها عرض عريض أعلاه العبودية المطلقة، و حينئذ فما فقد من العبودية فى شىء من المراتب النازلة من التشبه بالمبادئ العالية و الاتصاف بالحقائق الملكوتية وجد فى الربوبية لأن المفقود من الأعدام الإمكانية و النقصانات الخلقية التى ينجر بالاتصاف بالأخلاق الإلهية و التشبه بالمبادئ العالية القدسية.

و ما خفى من الربوبية لغلبة أحكام الإمكان و ظهور النقصان و الخسران فى الميزان أصيب فى العبودية المطلقة بعد التحقق بحقيقتها حسب ما سمعت، و لهذا استشهد الصادق عليه السلام بعد ذلك قوله: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا (٤) إلى آخر الآية التى أشير فى أولها إلى مطلق العبودية الحاصلة بالنظر إلى آياته الآفاقية و الأنفسية و فى آخرها إلى العبودية المطلقة التى لا تحصل إلا بعد التحقق بالفناء الأصلى و الشهود الكلى.

هذا ما أدى إليه النظر السقيم وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥).

- (١) سورة الجن: ١٩.  
 (٢) راجع بحار الأنوار: ج ١٥ / ١ - ٢٦.  
 (٣) الزخرف: ٨١.  
 (٤) فصلت: ٥٣.  
 (٥) البقرة: ٢١٣.  
 تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٩٠

### إشارة إلى ما يسمونه ربّ النوع

اعلم أنّه قد ذهب جم غفير من الحكماء الإلهيين و العرفاء الربانيين كأفلاطون و من يحدو حذوه من المتألهين و صاحب حكمه الإشراق و «المطارحات» و غيرهما، و صدر المتألهين في كتبه، و غيرهم من أهل الإشراق إلى أن لكل نوع من الأفلاك و الكواكب و بسائط العناصر و مركباتها ربا في عالم القدس، و هو عقل مدبّر لذلك النوع، و له عناية به و تربية له، لكونه واسطة له في إيصال الفيوض إليه حتى يوصله إلى كماله النوعي أو الشخصي، و لذلك يسمونه رب النوع، و رب الصنم، و رب الطلسم.

و ربما يحكى ذلك عن هرمس «١»، و أغثاديمون «٢» و جميع حكماء الفرس فإنهم كانوا أشد مبالغة في أرباب الطلسمات و قد سمّوه أردى بهشت.

و ربما يحكى عن معلم الفلاسفة أرسطاطاليس و لعله في كتاب «أثولوجيا» المنسوب إليه المترجم بمعرفة الربوبية.

فإنه أشار إليه في مواضع من هذا الكتاب كقوله: إن في الإنسان الجسماني الإنسان النفساني، و الإنسان العقلي، و لست أعنى أنه هما لكنى أعنى به أن متصل بهما، و أنه منه لهما، و ذلك أن يفعل بعض أفاعيل الإنسان العقلي و بعض أفاعيل الإنسان النفساني، و ذلك أن في الإنسان الجسماني كلتا الكلمتين أعنى النفسانية و العقلية، إلا أنهما فيه قليلة ضعيفة نزره، لأنه صنم للصنم فقد بان أن الإنسان الأول حساس إلا أنه بنوع أعلى و أفضل من الحس الكائن في الإنسان

(١) هو إدريس النبي عليه السلام، ولد في مصر و اسمه بالعبراني خنوخ. - تاريخ الحكماء للقفطي: ص ٧.

(٢) أغثاديمون المصري، كان أحد الأنبياء اليونانيين قبل هرمس.  
 تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٩١

السفلى، و أن الإنسان السفلى إنما ينال الحس من الإنسان الكائن في العالم الأعلى العقلي.

و قال في موضع آخر: إن الباري الأول أبدع جميع الأشياء بغير رويّة و لا فكرة، فأبدع العالم الأعلى، و فيه جميع الصور تامّة كاملة من غير رويّة لأنه أبدعها بأنه فقط لا بصفة أخرى غير الإنيئة، ثم أبدع هذا العالم الحسى و صيره صنما لذلك العالم.

فإن كان هكذا قلنا: إنه لما أبدع الفرس و غيره من الحيوان لم يبدع ليكون هنا، لكنه أبدعه ليكون في العالم التام الأعلى الكامل، و أنه أبدع جميع صور الحيوان و صيرها هنالك بنوع أعلى و أشرف و أكرم و أفضل، ثم أتبع ذلك الخلق هذا الخلق إلى غير ذلك من عباراته المكررة في «أثولوجيا» حيث إنه صرح بثبوت الإنسان العقلي، و الفرس العقلي، و النباتات، و الحبوب، و الحيوانات العقلية، بل السموات العلى العقلية، و الأرضين السفلى الحية الشاعرة و ساير الصور الحية المدركة المجردة الإلهية، و يجعلها وسائط للفيوض النازلة إلى هذه الأجسام السفلية الناسوتية و مربية لها.

لكن الشيخ الرئيس فى كتبه بل و سائر المشائين لما لم يسلكوا مسلكهم و لم يشربوا مشربهم، لم يذهبوا مذهبهم بل بالغوا فى الرد و الإنكار عليهم بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه و لما يأتهم تأويله.

و لذا طفق «١» الشيخ الرئيس يقدر على أفلاطون و سقراط قدحا عظيما و كأنه لم ينظر إلى ما ذكره المعلم الأول فى «أثولوجيا» أو أنه لم ينسبه إليه بل إلى أفلاطون، كما قيل لكنه بعيد جدا لأنه يحكى عن أفلاطون كثيرا، كما فى شرح

(١) طفق: ابتدأ و أخذ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٩٢

النفس و غيره فلاحظ، بل فى أوله التصريح بنسبته إليه.

و على كل حال فكلام هذا الفيلسوف العظيم فى هذا الكتاب يشير إلى شيئين أحدهما إثبات عالم المثال و المقادير المجردة و الهور قليا، و أن فى ذلك العالم جميع ما فى هذا العالم من الفلكيات و العنصریات و المواليد بأجناسها و أنواعها و أصنافها على وجه أشرف و أطف و أعلى و أبهى و أصفى و هذا هو الذى أشير إليه فى الأخبار بمدينة جابلسا و جابلقا، و جنه أبينا آدم، و هما الجنتان المدهاقتان اللتان تظهران فى آخر الزمان.

و لعل هذا هو المراد المثل الأفلاطونية التى يحكى عنه القول بها، حيث ذهب إلى أن بين عالمى المحسوس و المعقول واسطة تسمى عالم المثل و هو برزخ بين العالمين من حيث التجرد و التعلق و فيه لكل موجود من الموجودات مثال قائم بذاته معلق لا فى مادة، و ربما يظهر للحس بمعونه مظهر كالمراة و الخيال و الماء و غيرها من الأجسام الصيقلية.

و الآخر أن الأشياء كلها و إن كانت صدرت و أفيضت من الصانع الحق و المبدع المطلق إلا أن بعضها صدرت منه بلا واسطة و بعضها بالواسطة، و هذه الأشياء المحسوسة من جميع ما فى هذا العالم لها وسائط عالية و مبادئ متعالية تتلقى بواسطتها الفيوض الإلهية و الأنوار الربانية، و للنفس الإنسانية خاصية الإحاطة و الاستيلاء و الاطلاع على تلك المبادئ و إن لم يشاهدها بالعين الحاسة الناسوتية.

قال: و الدليل على صدق ما قلناه قيدارس الصانع فإنه لما أراد أن يعمل صنم المشتري لم يره فى شىء من المحسوسات، و لم يلق بصره إلى شىء يشبه به لكنه ترقى توهمه فوق الأشياء المحسوسة فصوّر المشتري بصورة حسنة جميلة فوق كل حسن و جمال من الصور الحسنة، فلو أنّ المشتري أراد أن يتصور بصورة من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٩٣

الصور لتقع تحت أبصارنا لما تقبل إلا الصورة التى عملها قيدارس الصانع.

و كيف كان فقد استدّلوا لإثبات أرباب الأنواع بوجوه: أحدها: أنّ لكل نوع من أنواع النباتات و الحيوانات و المعادن أفاعيل خاصة به لا يشاركه فيها غيره، بل ربما تكون تلك الآثار و الخواص مختلفة باختلاف القوابل و سائر المشخصات، و صدور تلك الأفاعيل من القوى الطبيعية التى لا شعور لها أصلا ممتعة جدا، كيف و لو تأمل المتأمل لم يجد فيها شيئا من الاختلاف و النقصان و التخلف بوجه من الوجوه، فحفظ تلك الا و صدورها على طريقة مستمرة مستقرة دليل على أن لكل نوع من تلك الأنواع ربا ملكوتيا عالما شاعرا مفيضا على الأشخاص الجزئية التى تحت نوعها ممدا لها بأنواع الإمدادات و الإفاضات و الخيرات، حافظا لها من الزيادة و النقصان حسب ما يقتضيه نوعه بعد ملاحظة المشخصات الفاعلية و القابلية.

ثانيها: أن الأفراد التى تحت نوع واحد من الأنواع من اختلافها بحسب المشخصات الفردية بحيث لا يكاد يوجد فيها فردان متفقان فى جميع الخصوصيات و المشخصات متفقة فى حد عرضى محفوظ عن الزيادة و النقصان و لو مع اعتبار الطوارى و العوارض و المقتضيات الخارجة مثلا- لأشخاص الإنسان حد من الطول و العرض و اللون و القوة و الإدراك و الفهم و سائر الكمالات، و كل شخص من أشخاصه متردد بين طرفى حدود نوعه و ليس لهذه الحدود حافظ سوى رب النوع، فهو حافظ الكمالات و مصدرها و

ممددا.

و لذا قيل: إن هؤلاء يتعجبون ممن يقول: إن الألوان العجيبة في ريش من رياش الطواويس إنما كان لاختلاف أمزجة تلك الريشة من غير قانون مضبوط و رب نوع حافظ.

و سبب التعجب أنك ترى تلك الألوان مترتبة على مناسبات صناعية و مشاكلات تعمدية لا اتفافية مع توافق المتقابلين منها في المقادير و الألوان

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٩٤

و الاشكال و حصول شكل واحد متناسب من ملاحظة المجموع.

و لذا

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الطاووسية: «و من أعجبها خلقا الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل، و نضد ألوانه في أحسن تنضيد» (١).

إلى آخر ما ذكره في «نهج البلاغة».

فلاحظ بل هذه الهيئات العجيبة عندهم ظلال لإشراقات نورية و نسب معنوية في تلك الأرباب النورية، كما أن الصور و الروائح و الطعوم و الأشكال و المقادير و القوى و غيرها كلها منسوبة إلى تلك الأرباب، و لعله لذلك قال خاتم الحكماء و المحققين في «التجريد»: «و المصورة عندي باطلة لاستحالة صدور هذه الأفعال المحكمة المركبة من قوة بسيطة ليس لها شعور أصلا» (٢).

بل قيل: إن الغزالي (٣) بالغ في ذلك حتى أبطل القوى مطلقا، و ادعى أن الأفعال المنسوبة إلى القوى صادرة عن ملائكة موكله بهذه الأفعال تفعلها بالشعور و الاختيار (٤).

نعم ذكر العلامة الحلبي رحمه الله في شرح «حكمة العين» (٥) أن المصورة تفيد التخليق و التشكيل و القوى الحاملة و الأعراض الخاصة.

ثم قال رحمه الله: و عندنا أن استناد التصوير إلى الله تعالى ابتداء من غير توسل هذه

(١) نهج البلاغة: ص ٥٢٠، ط فيض.

(٢) تجريد الاعتقاد للخواجه نصير الدين الطوسي في المسألة الثانية عشرة، في القوى النباتية.

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي المتوفى (٥٠٥) هـ.

(٤) شرح تجريد الاعتقاد للقوشجي: ص ٢٠٧.

(٥) مصنف «حكمة العين» هو نجم الدين علي بن عمر القزويني المعروف بدبيران، توفي سنة (٦٧٨) و كان من أساتذة العلامة الحلبي، و العلامة قدس سره أول من شرح «حكمة العين» و سماه إيضاح المقاصد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٩٥

القوة، فإنه من المستحيل استناد هذه الآثار العجيبة المختلفة الدالة على حكمة تؤثرها إلى قوة تفعل من غير توسط إرادة و شعور.

و قال رحمه الله: في كتابه الموسوم ب «الأسرار الخفية»: «إن المولدة هي التي تفصل جزءا من فضل الهضم الأخير و يودعه قوة من جنسه.

قالوا: و من شأنها تخليق البزر و تطبيعه و إفادة أجزائه هيأت تناسبها مما يصلح لمبدئية شخص آخر من نوعه، و هذا مما يجزم ببطلانه، فإن القوى الطبيعية يستحيل أن يصدر منها آثار مختلفة.

ثالثها: ما قيل من أن هرمس و سقراط و أفلاطون و أغاذيمون و غيرهم من الحكماء المتألهين بل قاطبة الإشرقيين و إن لم يذكروا

الحجة على إثبات أرباب الأنواع إلا أنهم قد ادعوا فيها المشاهدة الحقة المتكررة المتينة على رياضاتهم و مجاهداتهم و خلعتهم أبدانهم في إرصادهم الروحانية و معارجهم النوراتية، كما أشار إليه المعلم الأول في كلامه المذكور في «أثولوجيا» حيث قال: إنى ربما خلوت بنفسى إلى آخر ما ذكره، و فى كلمة المحكى من قيدارس الصانع كما سمعت، و على هذا فليس لنا أن نناظرهم، كما أن المشائين لا يناظرون بطلميوس و أبرخس «١» و أضرابهما، حتى أن أرسطو عوّل على إرصاد بابل.

و إذا اعتبر رصد شخص أو أشخاص معدودة من أصحاب الإرصاد الجسمانية فى الأمور الفلكية حتى تبعهم من تلاهم، و بنوا عليه علوما كالهئية و النجوم فكيف لا يعتبر قول أساطين الحكمة و التأله فى أمور شاهدوها بإرصادهم الروحانية فى خلواتهم و رياضاتهم، بل هذا أولى، و ليس للمشائين دليل على حصر

(١) كان من حكماء الكلدانيين و ماهرا فى الرياضيات سيما الأرصاد و النجوم و اعتمد عليه بطلميوس اليونانى و ذكره كثيرا فى «المجسطى».

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٩٦

العقول فى عشرة أو عشرين، بل العقول كما بينه شيخ الإشراق «١» يحصل منها مبلغ كثير على الترتيب الطولى، و يحصل من تلك الطبقة على نسب بينها طبقة اخرى عرضية تجرى مجرى الفروع يحصل من الفروع الأجسام الفلكية و العنصرية من البسائط و المركبات.

رابعها: أن أرباب الطلسمات إذا بالغوا فى التجريد و التفريد و الرياضة و الانخلاع عن الشواغل الجسمانية و الاتصال بالمجردات النوارنية يحصل لهم قوة الاقتدار على تسخير أرباب النوع فينفذ عليها أمرهم و يجرى فيها مشيتهم و لذا ترى أو تسمع أن بعضهم رفع الطاعون عن بعض البلاد و حبسه منهم ما دام حكم الطلسم باقيا، و بعضهم حبس البقّ عن أرض معينة، و قد صنع بعضهم قدحا مملوا ماء يشرب منه العساكر العظام فلا ينقص منه شىء، و بعضهم حوضا على باب النبوة من رخام أسود و لا ينقص على الدهر، و جميع أهل المدينة يشربون منه و لا ينقص ماؤه، و إنما صنع لهم ذلك لبعدهم عن النيل، و قريهم من البحر المالح.

و المعروف فى الألسنة عن شيخنا البهائى رحمه الله أنه حبس الطاعون عن أصبهان.

و سمعت عن بعض الثقات أن المير فندرسكى «٢» حبس البقّ عن حجرته التى كان مقيما فيها بأصبهان، حتى أن بعض الأعاظم أراد امتحان ذلك فوضع فيها الحلوات من العسل و غيره فلم يقربه البقّ أصلا.

(١) هو شهاب الدين أبو حفص السهروردى، قتل بقلعة حلب فى أواخر سنة (٥٨٦) و له من العمر نحو (٣٦) سنة، و له تصانيف منها «حكمة الإشراق» - معجم المؤلفين: ج ٧، ص ٣١٠.

(٢) هو أبو القاسم الميرفندرسكى الفيلسوف المتأله المتوفى سنة (١٠٥٠) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٩٧

و قد ذكر الفاضل الجلدكى «١» فى كتاب «البرهان فى علم الميزان» أن من طلاس جلب المنافع ما فى دير الزراير بالروم، فإنه صنع قبة هائلة و حولها محيط كبير بجدران قائمه، و وضع على رأس القبة زرزورا «٢» له جسم مختلط تحت كل من أرجله صفة زيتونه و هو ماسك لها بأظفاره، ثم ركبها على أعلى القبة فى وقت رصده و طالع اختاره، فكلما ينقضى العام، و يأتى مثل ذلك اليوم الذى كان فى نصب هذا الطلسم تأتى الزراير من أقطار الدنيا من غامض علم الله تعالى بعدد لا يحصى لكثرتة، و كل طائر منها فى منقاره زيتونه سوداء، و فى رجله زيتونتان، فيلقى الثلاث زيتونات على رأس الطلسم الذى فى أعلى القبة، فيجتمع من ذلك الزيتون فى ذلك اليوم الواحد فى ذلك المحيط شىء كثير فيعصرونه زيتا، و يأكلون منه من العام - العام فى تلك الأماكن التى ليس بها شىء من شجر

الزيتون أصلاً لقوة البرد هنالك، فليت شعري من أين تنقل تلك الزرايزر ذلك الزيتون الذي تحمله لذلك الطلسم، وليت شعري ما السبب المسخر لها والمحرك لأن تفعل ذلك، وليت شعري هل هن زرايزر؟ أم أرواح روحانية متطورة على صفاتها؟ وهل ينقلون ذلك الزيتون من محظور أو مباح؟ وربما أقامت الزرايزر تنقل الزيتون إلى ذلك اليوم من اليوم إلى مدة سبعة أيام.

إلى أن قال: ومن جلب المنافع أيضاً ما هو مشاهد إلى الآن في ساحل مدينة يافا «٣» من اجتماع الأسماك من جميع أنواعها إلى طلسم موضوع لهم هنالك.

ومن العجب أن الجهال يظنون أن السمك يحجّون إلى ذلك المكان من العام

(١) هو أيد مر بن علي بن أيدمر الجلدكي عز الدين كان من علماء الكيمياء، توفي بالقاهرة سنة (٧٤٣) أو (٧٥٠) أو (٧٦٢). - معجم المؤلفين: ج ٣، ص ٢٨.

(٢) الزرور - بضم الزاين - طائر أكبر من العصفور.

(٣) مدينة في قرب بحر الروم - المسمى مديترانه بالفارسي -

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٩٨

إلى العام، ولا يصيدون منها شيئاً، وإنما كان الناس يصيدون منها الأسماك فيأكلون ويملحون منها ما يكفيهم من الحول إلى الحول. إلى غير ذلك من الطلاسم الكثيرة التي منها دثر ومضى وتعطلت منافعها، ومنها باق إلى الآن مثل طلسم العقارب وطلسم الحيات في مدينة حمص، وهما باقيتان إلى الآن، فالعقارب لا تؤذى ولا الحيات في إقليم حمص من الجانب الشرقي من النهر أبداً، وأما في الجانب الغربي فهي قاتلة.

وكان بمدينة حمص طلسم للنمل في قبة منيعة ففتحتها جاهل من الجهال ووجد في صدرها صفة مبنية، ومن فوقها مكان مربع، ومن فوقه طبق من فضة، وفيه نمل من ذهب صغار، ومن فوقها نمل من فضة، وعليها أخرى من ذهب، فلما رفع الطبق من مكانه تسلط النمل على الناس في مدينة حمص.

وفي إقليم الهرمل طلاسمة عظيمة باقية وكذلك الأهرامات والبراني من إقليم مصر وغير ذلك في كثير من الأقاليم. وأما طلاسمة الكنوز والموانع فإنها من العجائب التي لا يكاد أن يصدق الأخبار عنها إلا من له نظر وعقل وجنان فافهم ذلك، وتعجب مما صنع الرحمن انتهى.

إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصى، ولعل وقوع نوعه من المقطوعات، وذلك إنما هو بتسخير رب هذا النوع والحكم عليه بما يريد. بل ولعل من هذا الباب الأطلاع على الأعمال العجيبة والصنائع الدقيقة التي ربما يعد في السحر وخوارق العادات وكذا الاستشراق على العلوم والمعارف.

ولذا يحكى عن هرمس: أنه كان يقول: إن ذاتا روحانية ألقى إلى المعارف فقلت لها: من أنت؟ فقال: أنا طباعك التام.

لكنك لا يخفى عليك أن ما ذكرناه في هذا البحث إنما هو مع الجري على

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٣٩٩

مقاصد القوم، فإنه لَمَّا كانوا مختلطين مع أوساخ الدهرية والطباعية زعموا أن الأفعال الصادرة عن العناصر والمعادن والنباتات منسوبة إلى قوى طبيعية صادرة عنها من دون شعور واختيار وإرادة، بل لم يثبتوا الشعور والإرادة إلا للحيوان من حيث إنه حيوان، أى حساس متحرك بالإرادة.

وأما من حيث كونه جسماً أو نامياً فلم يثبتوا له الإرادة بل زعموا أن أفعاله طبيعية، ولذا وقعوا في مثل المصورة في حيص وبيص، حيث إن القوة البسيطة العديمة الشعور كيف يمكن أن يصدر عنها أفعال مختلفة وأشكال وتخاطب متناسبة فالتجئوا في خصوص



المصوّرة أو في مطلق القوى حسب ما سمعت إلى إثبات الملائكة.

والذى يظهر من التأمل التام في الكتاب العزيز وكلمات أهل البيت عليهم السلام أنّ كل شيء دخل في صقع الوجود فله نحو من الشعور.

ولذا قيل: إنّ الوجود كله شعور واختيار وإرادة وتمييز وفهم وحياء، فهذه الصفات ثابتة لكل شيء من الأشياء على حسب رتبها في الوجود فما كان قريبا بالمبدء كانت فيه هذه الأوصاف أقوى وأظهر وأشد كالإنسان الكامل الذى هو خليفة الرحمن وما كان بعيدا عنه كانت في أضعف وأخفى كالحركات والألوان سائر الأعراض والجمادات والأفاعيل الصادرة عنها إنما تصدر بالشعور والإرادة أيضا ولذا نطقت الشريعة الحقّة بتسيح الأشياء كلها من الدرّة إلى الدرّة، كما قال الله سبحانه: يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ «١».

وقال:

(١) الجمعة: ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٠٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ٤٤٩

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ «١».

وقال: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِمَّنَّ النَّاسِ ... «٢».

وقال: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ «٣».

وقال: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ «٤».

وورد في موضعين من القرآن شهادة الأدوات والجوارح كالأيدي والأرجل وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء «٥».

ولذا قال شيخنا المجلسي رحمه الله على ما حكاه عن بعضهم فى الآية الثالثة: «إنّ هذه الآية تدلّ على أنّ العالم كلّ فى مقام الشهود والعبادة إلاّ كلّ مخلوق له قوة التفكير، وليس إلاّ النفوس الناطقة الإنسانية والحيوانية خاصة من حيث أعيان أنفسهم، لا من حيث هياكلهم، فإنّ هياكلهم كسائر العالم فى التسيح له والسجود، فأعضاء البدن كلّها مسبحة ناطقة، ألا تراها تشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيامة من الجلود والأيدي والأرجل والألسنة والسمع والبصر وجميع القوى.

ثم قال المجلسي قدس سره: والأرواح والنفوس أيضا لها جهتان: فمن جهة مسخرة منقادة لربها فى جميع ما أراد منها، ومن جهة أخرى عاصية مخالفة لربها بل من هذه الجهة أيضا مسخرة ساجدة خاضعة لإرادة ربها حيث أقدرها على ما

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) الحج: ١٨.

(٣) النور: ٤١.

(٤) سبأ: ١٠.

(٥) فصلت: ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٠١

أرادت و دالة على وجود صانعها الذي جعلها مختارة مريدة قادرة على الإتيان بما أردت، فهي من هذه الجهة أيضا مسبوحة لربها ذاكرة له دالة عليه، منادية بلسان حالها من جهة إمكانها و حدوثها و افتقارها بأن لى ربا جعلنى مريدا مختارا لحكمته و كماله و عنايته الأزلية، كما قال بعض العارفين: «عين إنكار منكر إقرار است».

ثم قال: و الكلام فى هذا المقام دقيق، لا يمكن إجراء أكثر من ذلك منه على الأقلام و يصعب دركها على الأفهام، و قد أومأت إلى شىء منه فى شرح كتاب توحيد «الكافى» (١).

قلت: و بعد ثبوت هذه المقدمة لا ريب أنه قد جرت عادته بأن لا يصل الفيض إلى الأدنى إلا بواسطة الأعلى، و لا إلى الماديات إلا بواسطة المجردات، حسب ما هو مشروح فى موضعه، و أن لله تعالى ملائكة موكلة بمصالح العالم و أموره، أشرفهم أربعة موكلة على الأركان الأربعة العرشية، و هى الخلق و الرزق و الإحياء و الإماتة، و ملائكة أخر موكلة على الأملاك و العناصر و الكواكب و السحاب و الرياح و الأشجار و النباتات و الحيوانات و أفراد الإنسان و ألقاظهم و ألقاظهم و حركتهم و سكونهم و فكرهم و نظرهم و قواهم و على القوى الطبيعية من الجاذبة و الدافعة و الممسكة و الهاضمة و المولدة و المصورة و غيرها. و منهم الملكان الخلاقان يخلقان فى الأرحام ما يشاء الله و يشكلانه و يصورانه و يكتبان عليه ما يشاء الله من الرزق و الحياة و العمر و الشكل و السعادة و الشقاوة إلى غير ذلك.

و منهم الملائكة الموكلة بقطر الأمطار و إنزالها و بلوغها إلى مواقعها، فإنه ينزل مع كل قطرة من المطر ملك لا يصعد أبدا.

(١) بحار الأنوار: ج ١٦٠ / ١٦٨ ط طهران دار الكتب الاسلاميه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٠٢

و منهم الملائكة المشار إليها بقوله: وَ الصَّافَّاتِ صِيْفًا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (١) و بقوله فى سورة الذاريات: فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا (٢) حيث فسره مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فى خبر ابن الكوا بالملائكة (٣).

و بقوله تعالى: وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (٤) الآيات، و بقوله: وَ النَّازِعَاتِ غُرْقًا (٥) إلى قوله: فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا (٦) المفسرة بالملائكة، تدبر أمر العباد من السنة إلى السنة، كما عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (٧)، أو بالملائكة الأربع الموكلة الحاملة لعرش التكوين أو بالأفلاك التى يقع فيها أمر الله فيجرى بها القضاء فى الدنيا، كما رواه على بن إبراهيم (٨).

إلى غير ذلك من الملائكة التى لا تحصى و لا تستقصى و ما يعلم جنود ربك إلا هو و ما هى إلا ذكرى للبشر (٩).

و

فى «الصحيفة السجادية»: «و الذين على أرجائها إذا نزل الأمر بتمام وعدك، و خزان المطر، و زواجر السحاب، و الذى بصوت زجره يسمع زجل الرعود (١٠)، و إذا سبحت به حفيفة (١١) السحاب التمتع (١٢) صواعق البروق،

(١) الصفات: ١-٢-٣.

(٢) الذاريات: ٤.

(٣) احتجاج الطبرسى: ص ٣٨٦.

(٤) المرسلات: ٤.

(٥) النازعات: ١.

(٦) النازعات: ٥.

(٧) نور الثقلين: ج ٥، ص ٤٩٨، ح ١٢، عن مجمع البيان.

(٨) نفس المصدر: ج ٥، ص ٤٩٨، ح ١٣ عن علي بن إبراهيم.

(٩) المدثر: ٣١.

(١٠) الزجل: الصوت العالى.

(١١) حيفة السحاب: دويّه.

(١٢) التمتع: أضائت. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٠٣

و مشيى الثلج و البرد، و الهابطين مع قطر المطر إذا نزل، و القوام على خزائن الرياح، و الموكلين بالرجال فلا تزول، و الذين عرفتهم مثاقيل المياه و كيل ما تحويه لواعج الأمطار و عواجها و رسلك من الملائكة إلى الأرض بمكروه ما ينزل من البلاء، و محبوب الرخاء و السفره الكرام البره، و الحفظه الكرام الكاتين» «١» الدعاء.

ثم إن استناد الشؤون الإلهية و الفيوض الربانية إلى هذه الملائكة الذين هم مسخرة بأمر الله تعالى لا يقدر في التوحيد، بل لعله لا يتم الآيه بعد ملاحظه اختلاف المراتب و تفاوت الدرجات، و بطلان الطفره، و عموم الفيض، كما أنه لا يقدر فيه ما أشرنا إليه مرارا من وساطه نبينا و آله المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لجميع الخلق في الفيوض التكوينية و التشريعية، و أنه لا يصل إلى شىء من ذرات العالم شىء من الفيوض إلا بحجابتهم و وساطتهم و بايبتهم، مع أن الفيوض كلها منه سبحانه، بل يصح أن يقال: إنه لا مؤثر في الوجود إلا الله، له الخلق و الأمر تبارك الله رب العالمين.

و لذا نسب قبض الأرواح مرة إليه سبحانه: **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا «٢».**

و مرة إلى ملك الموت: **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ «٣».**

و أخرى إلى الرسل الذين هم أعوان ملك الموت من الملائكة

(١) الصحيفة السجادية: دعائه عليه السلام فى الصلاة على حملة العرش و كل ملك مقرب. رقم (١٢).

(٢) الزمر: ٤٢.

(٣) السجدة: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٠٤

**حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ «١» الْآيَةَ وَ تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا «٢»، تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ «٣»، تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ «٤».**

و

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فى خبر الزنديق الذى ادعى التناقض فى القرآن على ما رواه فى «الاحتجاج»: «إن الله تعالى أجل و أعظم من أن يتولى ذلك بنفسه، و فعل رسله و ملائكته فعله، لأنهم بأمره يعملون، فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلا و سفرة بينه و بين خلقه، و هم الذى قال الله فيهم: **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ «٥».**

فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، و من كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النعمة، و لملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة و النعمة يصعدون عن أمره، و فعلهم فعله، و كل ما يؤتونه منسوب إليه، فإذا فعلهم فعل ملك الموت، و فعل ملك الموت فعل الله، لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء و يعطى و يمنح و يثيب و يعاقب على يد من يشاء، فإن فعل أمثاله فعله، كما قال: **وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ «٦» «٧».**

فهؤلاء الملائكة المسخرون المدبرون بأمره المتصرفون فى صقع التقدير بملكة التسخير هم الذى سماهم هؤلاء الفلاسفة بأرباب الأنواع، فإن رجح الخلاف إلى مجرد التسمية فالأمر سهل، و إلا فينبغى إنكار الملائكة نظرا إلى استناد تلك

(١) الأعراف: ٣٧.

(٢) الأنعام: ٦١.

(٣) النحل: ٣٢.

(٤) النحل: ٢٨.

(٥) الحج: ٧٥.

(٦) الإنسان: ٣٠.

(٧) الاحتجاج: ج ١، ص ٣٦٧، ط قم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٠٥.

الأفاعيل إلى قوى طبيعية غير شاعرة، كما صدر عن بعض متأخري الفلاسفة المتشبهين بأذيال أو ساخ الدهرية و الطباعية. ولعل من أمعن النظر في كلمات قدماء الفلاسفة يعلم أنه لا خلاف بينهم في ذلك، بل هم موافقون للشريعة الحققة في إثبات هذه الأنوار المجردة الفلكية و الأرضية المسماة بالملائكة، و ستمتع إن شاء الله تمام الكلام في المقام في ذكر قصة نبينا آدم عليه الصلاة و السلام.

و مما يظهر النظر في كثير مما أسلفنا منهم من الكلام و الله ولى الفضل و الإنعام.

و أما المذهب المحكى عن أفلاطون فقد اختلفوا في تأويل كلامه، و بيان مرامه على أقوال كثيرة.

فعن الفارابي الملقب عندهم بالمعلم الثاني في مقاله المسماة بالجمع بين الرأيين: أن مراده من المثل هي الصور العلمية القائمة بذاته تعالى علما حصوليا لأنها باقية غير دائرة و لا متغيرة و إن تغيرت و زالت الأشخاص الزمانية و المكانية.

و عن شيخهم الرئيس أن المراد منها وجود الطبائع النوعية في الخارج أى الكلى الطبيعي للأشخاص و هو الماهية لا بشرط شىء، فحكموا بوجود الماهيات المجردة عن العوارض في الخارج بناء على وجودها بعين وجود أشخاصها، مع عوارضها و لواحقها المادية وجودا متكثرا في العين، متوحدا في الحد و النوع.

و عن شيخ الإشراق أنها عبارة عن سلسلة الأنوار العقلية الغير المترتبة في العلية النازلة في آخر مراتب العقول فيصدر منها أنواع الأجسام البسيطة فلكية كانت أو عنصرية و المركبة حيوانية كانت أو نباتية أو جمادية.

و عن بعضهم أنها الأشباح المثالية المقدرية الموجودة في عالم المثل الذى هو المتوسط بين عالم المفارقات و عالم الماديات، و حملة الصدر الأجل الشيرازى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٠٦.

على أن لكل نوع من الأنواع الجسمانية فردا كاملا في عالم الإبداع، و أنه هو الأصل و المبدأ لسائر أفراد النوع و هي فروع و معاليله و آثاره، و ذلك الفرد لتمامه و كماله لا يفتقر إلى محل، بخلاف هذه الشخصيات التى هي لضعفها و نقصها مفتقرة إلى المادة و عوارضها، و لذا جاز اختلاف أفراد حقيقته واحدة في القيام بالمادة و عدمه لاختلافها كمالا و نقصا.

إلى غير ذلك من الاحتمالات التى لا داعى للتعرض لها بعد وضح ضعفها على أن نسبة تلك المطالب السخيفة إلى ذلك القائل رجم بالغيب و اتهام بالغب فإن الصور العلمية منفية عندنا، بل عند معشر الموحدين، و ترتب العقول غير ثابت و أدلتهم ضعيفة، كعدم ثبوت الفرد الكامل من النوع بنفسه.

نعم، قد قررنا في موضعه أن الذوات و الماهيات و الذاتيات، بل كل ما كان له نحو من الامتياز كلها مجعولة مخلوقة لله سبحانه في صقع الإمكان أو الأ-كوان، غير مفتقرة في تحققها إلى شىء من المشخصات الفردية، و يترتب عليها في صقع وجودها جملة من الأحكام و الآثار و الخواص و هي المعبر عنها بالأمر الواقعية و القضايا النفس الأمرية و بحسبها يعتبر الصدق و الكذب.

و لعل كلام الشيخ الرئيس لا يأبى عن حمله على هذا، كما أن كلام أفلاطون يمكن حمله على إرادة عالم المثال الذى هو البرزخ بين المحسوس و المعقول، و لذا سموه ب «المثل الأفلاطونية».

و كيف كان فالخطب فيه سهل، إذ المهم إنما هو تحقيق الحقائق لا تعيين المقاصد، مع أن ما ذكرناه على وجه الاحتمال لا التسجيل وَ  
اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٠٧

## الفصل الرابع فى البحث عن قوله تعالى «العالمين»

### إشارة

و هو جمع عالم بالفتح من العلم بالفتحتين بمعنى العلامة، و لذا سميت به الرأية اسم لما يعلم به كالتابع و القالب و الخاتم بفتح العين فيها لما يطبع أو يقلب أو يختم.

و لذا قال الراغب: «فاعل كثيرا ما يجيء اسما للآلة التى يفعل بها الشئ كما سمعت لكنه غلب هنا فى الأجناس التى يعلم بها الصانع تعالى، لا- فى الأفراد و لا- فيما يعلم به غيره، و لذا لا- يقال: عالم زيد و عمرو، و إنما يقال: عالم الأفلاك و عالم الأرواح، و عالم الملكوت و الجبروت و الناسوت، بل و لا يطلق باعتبار ما يعلم به غيره تعالى و من العلم بالكسر، و لعله لا يأبى عنه إطلاق كثير عنهم، لو لم يكن ظاهرا أو صريحا فيه، بل الأصل فيهما واحد.

نعم، ربما يقال: إنه جمع لا واحد له من لفظه كالقوم و الرهط.

و عن أبى البقاء أنه اسم موضوع للجمع و لا واحد له فى اللفظ.

و عن الزجاج «١» أنه لا واحد لعالم من لفظه لأنه لما جمع أشياء مختلفة فإن جعل له مفرد صار جمعا لأشياء متفقة.

و فيه: أنه لا وجه للقول بكونه جمعا بعد جريان حكم المفرد عليه، و أما

(١) الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السرى النحوى، توفى سنة (٣١٩) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٠٨

بحسب المعنى فهو الجميع لا الأفراد المجتمع.

مع أن الظاهر أن إفادة الكلية مستندة إلى حذف المتعلق الذى هو المضاف إليه على وجه الظهور، لا الوضع فغلب استعماله مطلقا على ما سوى الله، و مضافا إلى شئ من كليات العوالم فيما أضيف إليه، كما أن الغالب كون المضاف إليه جنسا من أجناس ذوى العلم أو من أجناس ما سوى الله، فيقال: عالم الجبروت، و عالم العقول و عالم النفوس، و هكذا.

و أما أفراد الجنس فقيل: إنه لا يجوز إطلاقه عليها، فلا يقال: عالم زيد و عمرو، و لذا أورد عليه بأنه إذا لم يطلق على شئ من أفراد الجنس المسمى به، فإذا عرّف باللام امتنع استغراقه لأفراد جنس واحد، فإن اللفظ المفرد إنما يستغرق أفرادا يطلق على كل واحد منها و كذا إذا جمع و عرّف لم يتناول إلا الأجناس التى يطلق عليها دون أفرادها.

و أجيب بأن العالم لما كان مطلقا على الجنس بأسره نزل منزلة الجمع، و من ثم قيل: هو جمع لا واحد له من لفظه، فكما أن الجمع إذا عرف استغرق آحاد مفردة و إن لم يكن صادقا عليها كقوله: وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ «١» أى كل محسن، و يقال: لا أشتري العبيد أى كل واحد منهم، كذلك العالم إذا عرف يشمل أفراد الجنس المسمى به.

و فيه تأمل، فإن شمول العالم لأفراد الجنس ليس كشمول الجمع لمفرداته، بل كشمول الكل لأجزائه.

و لذا ربما قيل: بشمول العالمين لكليات العوالم، لا لأجزائها، فالفرق بينه و بين العالم دلالة على استغراق الأجناس، دون العالم الدال على جنس واحد منها،

(١) آل عمران: ١٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٠٩

متعين بالتعريف أو منتشر بالتنكير، و يمكن تأييده بما

فى تفسير الإمام عليه الصلاة و السلام قال عليه السلام رَبِّ الْعَالَمِينَ يعنى مالك العالمين و هم الجماعة و فى بعض النسخ الجماعات من كل مخلوق من الجمادات و الحيوانات «١» إلى آخر ما مر فى تفسير الرب.

و لعل الخطب فيه سهل فإنّ تربية الكل مشتمل على تربية جميع الأجزاء و الجزئيات، و البحث فى صدق العالم من العالمين على كل فرد من الأجناس هين جداً، نعم لو كان المراد بالعالم مجموع ما سوى الله كان مع العالمين متحدا فى المصداق حينئذ. و لذا قيل: إن العالم و العالمين كعرفة و عرفات، فإنّ عرفات جمع بحسب الصيغة و اللفظ لا بحسب المعنى و الحقيقة إذ لم يستعمل إلا علما، و لم يوجد له واحد، و عرفة ليس واحد عرفات، لأن مدلولهما واحد، إذ ليس ثمة أماكن متعددة كل منها عرفة حتى يقال: إنها جمعت على عرفات، فالعالم إذا أريد به المجموع من حيث المجموع فليس هناك غيره شىء من الأفراد حتى يجمع على العالمين، فهو جمع لفظا لا معنى.

و فى «القاموس»: العالم الخلق كله أو ما حواه بطن الفلك و لا يجمع فاعل بالواو و النون غيره، و غير باسم «٢».

و ربما يقال: إن العالم اسم لذوى العلم من الملائكة و الثقلين و تناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع، و لعله من باب استعمال الفاعل بالفتح فى معنى الفاعل بالكسر، لكنه غير معهود، بل غير صحيح سيما مع أن المفتوح لم يستعمل إلا فى

(١) تفسير الإمام العسكرى عليه السلام: ص ١١.

(٢) يقال: الياسمون و الياسمين: نبات زهرة طيب الرائحة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤١٠

الآلة، فالأظهر كونه عند هذا القائل أيضا اسم آله لما يعلم به الصانع، لكن لا لمطلقه بل لجنس واحد منه، و هو ذو العلم. و ربما يقال: على أحد الوجهين المذكورين أن المراد به أفراد الإنسان، فإن كل واحد منهم عالم من حيث اشتماله على كل ما فى العالم الكبير من العقول و النفوس و الأرواح و الظلال و قوى الأفلاك و العناصر و المعادن و النباتات و الحيوان بل روى بعض أهل العلم عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال: «العالم عالمان، عالم كبير، و هو الفلك و ما فيه، و عالم صغير و هو الإنسان».

و قال: «سمى كل إنسان عالما لأن فيه جواهر العالم الأكبر من الأخلاط الأربعة لأن لحمه كالارض و عظامه كالجبال و دمه فى العروق كال مياه فى الأنهار، و نفسه كالرياح و شعره كالنبات و فيه من الملك العقل، و من البهائم الشهوة، فصار عالما يعلم به وحدانيته كما يعلم بالعالم الكبير» «١».

قلت: و الذى ينبغى أن يقال فى المقام: أن العالم حسب ما سمعت له إطلاقات عديدة، فيطلق على مجموع ما سوى الله، و على خصوص ذوى العقول منهم، و على كل ما يعلم به الصانع، و على خصوص جنس من المخلوق، بلا فرق بين الأجناس العالمة المنطقية كعالم الأجسام، و السافلة كعالم الحيوان، و الإنسان، و على كل فرد من أفراد الإنسان، لكونه مما يعلم به الصانع، أو لاشتماله على

جميع ما فى العالم الكبير و على كل جزئى من جزئيات عالم الأكوان بلا فرق بين الأجزاء

(١) لم أظفر على مصدره و لكن

فى «الاختصاص»: ص ١٤٢ روى عن العالم عليه السّلام ما يقرب منه، قال: «خلق الله عالمين متصلين: فعالم علوى، و عالم سفلى، و ركب العالمين جميعا فى ابن آدم و خلقه كرويا مدورا فخلق الله رأس ابن آدم كقبة الفلك، و شعره كعدد النجوم، و عينيه كالشمس و القمر، و منخرية كالشمال و الجنوب و أذنيه كالمشرق و المغرب، و جعل لمحاه كالبرق، و كلامه كالرعد، و مشيه كسير الكواكب ... إلخ»

و سيأتى تمامه فى المتن إن شاء الله.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤١١

الروحانية و الجسمانية و هذه الإطلاقات و إن كانت جارية فى العالم، فلا يستوعب جميع المخلوق على بعض الوجوه، إلا أن العالمين يستوعب جميع الأفراد من جميع الأجناس، و بالجملة جميع ما سوى الله بالشمول الجمعى أو المجموعى أو الأفرادى، فيحمل عليه ما لم يقم قرينه على خلافه، فلا يصغى حينئذ إلى ما ربما يقال: من أن العالمين أيضا له إطلاقات يطلق على الإنس و الجن كقوله لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا «١» و على الإنس كقوله: بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ «٢» و على أهل الكتاب كقوله: وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ على خصوص المؤمنين كقوله: وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ و على المنافقين: أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ و على أهل كل قرن من القرون: وَ أَنَّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ و على مجموع السموات و الأرض و ما بينهما كما فى قوله: قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، و على كل ما سوى الله كما فى آية الحمد.

إذ فيه: أن الظاهر إرادة المعنى الأخير منه فى سائر الموارد أيضا، و اختصاص المورد لا- يقتضى باختصاص المعنى بعد صلاحية الإطلاق فى الجميع، و مساعدة الوضع فى توافق العالمين.

قد سمعت التصريح فى الخبر المتقدم عن مولانا الصادق عليه السلام بانقسام العالم إلى العالم الصغير و الكبير، و قد وقع التلويح به فى أخبار آخر أيضا، كما

روى عنه عليه السّلام أن الصورة الإنسانية هى أكبر حجة لله على خلقه، و هى الكتاب الذى كتبه بيده، و هى الهيكل الذى بناه بحكمته، و هى مجموع صور العالمين، و هى المختصر

(١) الفرقان: ١.

(٢) الأنبياء: ٧١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤١٢

من العلوم فى اللوح المحفوظ، و هى الشاهد على كل غائب، و هى الحجة على كل جاحد، و هى الطريق المستقيم إلى كل خبر، و هى الصراط الممدود بين الجنة و النار «١».

و

فى الأشعار المنسوبة إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: دوائك و ما تشعر\* و دائك منك و لا تبصر و تحسب أنك جرم صغير\* و

فيك انطوى العالم الأكبر و أنت الكتاب المبين الذى\* بأحرفه يظهر المضمّر فلا حاجة لك فى خارج\* تخبر عنك بما تنظر

و إليه الإشارة فى التفسير الباطن بقوله: فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ «٢»، فإن الإنسان مطرح لأشعة الأنوار القدسية، و بقوله: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا «٣» أى جعله مظهرا لجميع الأسماء الإلهية، و التجليات الربانية و لذا اختص من بين الموجودات بالخلافة الإلهية فى العوالم الكلية، فإن نسخة وجود آدم موافقة لما فى العالم و أنموذج له، و لذا يقال: إن الإنسان عالم صغير و العالم إنسان كبير، و ربما

يقال بالعكس على بعض الوجوه، فقد اندرج في الإنسان على وجه الإجمال و الاختصار كليات ما في العوالم كلها، فإنه قد تنزل منها و انصبغ بصبغها.

ففي الشخص الإنساني نشأة إجمالية قرآنية، و في الإنسان الكبير نشأة تفصيلية فرقانية.  
كما

رواه صاحب كتاب «الاختصاص» قال العالم: خلق الله عالمين: فعالم علوى و عالم سفلى، و ركب العالمين جميعا فى ابن آدم و خلقه كرويا مدورا، فخلق

(١) شرح الأسماء الحسنى: ج ١ / ١٢.

(٢) الواقعة: ٧٥.

(٣) البقرة: ٣١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤١٣

الله رأس ابن آدم كقبة الفلك، و شعره كعدد النجوم، و عينيه كالشمس و القمر، و منخرية كالشمال و الجنوب، و أذنيه كالمشرق و المغرب، و جعل لمحاه كالبرق، و كلامه كالرعد، و مشيه كسير الكواكب، و قعوده كسرفها، و غفوه «١» كهبوطها، و موته كاحتراقها، و خلق فى ظهره أربعة و عشرين فقرة كعدد ساعات الليل و النهار، و خلق له ثلاثين معنى كعدد الهلال ثلاثين يوما، و خلق له اثني عشر وصلا كعدد السنة اثني عشر شهرا، و خلق له ثلاثمائة و ستين عرقا كعدد السنة ثلاثمائة و ستين يوما، و خلق له سبعمائة عصبه و اثني عشر عضوا، و هو مقدار «٢» ما يقيم الجنين فى بطن أمه، و عجنه من مياه أربعة: فخلق المالح فى عينيه، فهما لا يدوبان فى الحر، و لا يجمدان فى البرد، و خلق المر فى أذنيه لكيلا تقربهما الهوام، و خلق المنى فى ظهره لكيلا يعتريه الفساد و خلق العذب فى لسانه ليجد طعم الطعام و الشراب، و خلقه بنفس و جسد و روح، فروحه التى لا- تفارقه إلا- بفراق الدنيا، و نفسه التى يرى بها الأحلام و جسمه هو الذى يبلى و يرجع إلى التراب «٣».

و ذكر بعض أرباب التحقيق فى بيان هذا التطبيق أن نظير الأفلاك طبقات أعضائه التسعة المتناضدة المصلح كل عال لسافله من المخ و العظم و العصب و اللحم و الدم و الأوردة و الشرائين و الجلد و الشعر و الظفر.

و نظير الأقسام الاثني عشر المسماة بالبروج الثقب الاثني عشر التى نصفها فى اليمين الجنوبي و نصفها فى الشمال الشمالى، و هى ثقبان فى كل من العين و الأذن و الأنف و الثدي و الفرج مع الفم و السرة.

و نظير السيارات الأعضاء الرئيسية السبعة و هى الدماغ و القلب و الكبد

(١) الغفو: النوم الخفيفه.

(٢) «و هو مقدار ما يقيم» أى الإثنا عشر، فإن أكثر الحمل إثنا عشر شهرا على الأشهر.

(٣) بحار الأنوار: ج ١ / ٢٥٣-٢٥٤، ح ٦، عن «الاختصاص»: ص ١٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤١٤

و الطحال و الرئة و الكلىة و الأثنيان، أو الأعضاء الآلية و هى اليد و الرجل و العين و الأذن و اللسان و البطن و الفرج.

و نظائر روحانيات الكواكب السبعة الفعالة القوى السبعة المدركة، فالحواس الظاهرة كالمتحيرة، و العاقله كالشمس، و الناطقه كالقمر، إذ الناطقه مستفيدة للنور من العاقله، و لذلك عدد حروف النطق كعدد منازل القمر.

و كما أن لكل من الخمسة المتحيرة بيتين لكل من الحواس الخمس مجريان، فللذوق الفم و الفرج، و للمس اليدان، و الباقي ظاهر.

و كما أن لكل من الشمس و القمر بيتا واحدا، فللعاقله بيت واحد هو وسط الدماغ كوسط الأفلاك للشمس، و للناطقه اللسان، و نظير



الجوزهرين الصحة و السقم حيث لا- يدرك ذاتهما بل أثرهما و لذلك غلب آثارهما في الدماغ و القلب كآثار الجوزهرين في الشمس و القمر بالكسوف و الخسوف. و لذلك يسرى صحتهما و سقمهما في سائر الأعضاء سريان حال الشمس و القمر في سائر الكواكب، و نظير الأركان الأخلاط.

ثم البدن كالأرض، و العظام كالجبال، و البطن كالبحر، و العروق كالأنهار، و المخ كالمعدن، و الشعر كالنبات، و القدم كالمشرق، و الخلف كالمغرب، و اليمين كالجنوب، و الشمال كالشمال، و الأنفاس كالرياح، و الصوت كالرعد و البكاء كالمطر، و الفم كظلمة الليل، و النوم كالموت، و اليقظة كالحياء، و الصبي كالربيع، و الشباب كالصيف، و الكهولة كالخريف، و الشيخوخة كالشتاء، و الحركة كدوران الكواكب، و الحضور كالطلوع، و الغيبة كالغروب، و استقامة أموره كاستقامة الكواكب، و التوقف كالوقوف، و الندامة كالرجوع، و الجاه و الرفعة كالشرف، و الأوج و عكسه كالهبوط، و النفس الإنسانية كالمملك، و الجسد كالمدينة، و القوى كالعسكر، و الملائكة و الأعضاء كالرعايا و الخدم، و الحواس الظاهرة كأصحاب الأخبار

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤١٥

المنصوبة في كل ناحية معينة من المملكة لاتصال خبر مخصوص لا مشارك له.

ثم القوى الخمس الباطنة للنفس الناطقة ثلاثة منها كالندماء و الحجاب و الخواص المطلعة على أسرار الملك و هي المتخيلة في مقدم الدماغ، و المفكرة في وسطه، و الحافظة في آخره.

و الرابعة و هي الناطقة كالترجمان المعبر عما في ضمير الملك.

و الخامسة و هي العاقلة كالوزير المدبر لأمر المملكة و سياسة الرعية.

و هذه القوى متفاوتة في إتمام أمر الملك، فالمتخيلة تأخذ صور المحسوسات من الحواس الظاهرة و يسلمها للمفكرة التي يتصرف فيها و يميز بين الحق و الباطل و يسلمها إلى الحافظة ليأخذ منها الذاكرة، و يظهرها الناطقة بعبارة توافق إرادة النفس لتستعلمها العاقلة في أعمالها المذكورة.

إلى غير ذلك من وجوه المطابقة و الموافقة، لكنها مع ابتنائها على بعض المناسبات كما ترى لا يخلو جملة منها من بعض التكلف. و الذي ينبغي أن يقال في المراد بهذا التطبيق مع عدم المنع عما ذكر، سيما مع ورود بعض النصوص به: أن الإنسان و إن كان من حيث حقيقته و نورانيته و ملكوته سابقا على الأشياء كلها في رتبة الوجود إلما أنه في عالم الناسوت متأخر عنها جميعا، إذا الحقائق الملكوتية يتأخر عنها في الناسوت ما كان مقدما منها في الملكوت كتأخر ظهور الثمرة عن كينونة الشجرة مع أنها الأصل و المادة للشجرة، و تأخر خاتم الأنبياء صلى الله عليه و اله و سلم عن سائرهم مع أنه كان نبيا و آدم بين الماء و الطين، بل آدم و من دونه تحت لوائه، و كلهم خلقوا من أشعه نوره، و فاضل ظهوره، و تأخر إفاضة الأرواح عن خلق الأبدان مع أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأبدان بأربعة آلاف عام أو سبعين ألف عام، فلما خلق الله سبحانه كليات العوالم مبتدأ بالأعلى الأسمى الألف الأشرف إلى أن انتهى الأمر إلى الأسفل الأكتف خلق الإنسان في أنزل

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤١٦

مراتب الوجود و آخرها، و لذا خلقت السموات و الأرض في سبته أيام «١» أي سموات العقول و الأرواح و غيرها من المجردات التي لا تعلق لها بمادة أو بمدة، و أرض النفوس و الأجسام و غيرها من الماديات التي هي كالقشور و الأكمات الكثافات، فلما تمت الأدوار و عادت الأكوار و كملت الأنوار و استخبت الأسرار بدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من ماء مهين في قرار مكين، و حيث إن أول السنة يوم السبت المتعلق برسول الله صلى الله عليه و اله و سلم لكنه أول ما خلق الله فكان خلق الإنسان في يوم الجمعة لكونه مجمعا للعوالم الكلية، و لذا سمي به.

و إليه الإشارة

يقول مولانا الصادق عليه السلام على ما رواه في «الكافي» قال: «إن الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم على نينا وآله وعليه السلام بعث جبرئيل في أول ساعة من يوم الجمعة فقبض بيمينه قبضة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأخذ من كل سماء تربة، وقبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى فأمر الله كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمينه والقبضة الأخرى بشماله» (٢) «الخبر».

وذلك أن الله تعالى خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم، ونحن في آخر العوالم وآخر الأدميين، فأول ساعة من يوم الجمعة إشارة إلى أول آخر مراتب العوالم بأجمعها، وهو يوم جمع فيه مراتب الوجود الكلية من عالم المشية والعقل والنفس والروح والمثال والطبيعة والعنصر، فبدأ خلقه من الطين الذي هو مجمع القابليات، ومحل الاستعدادات، ومطرح أشعة التجليات والإشراقات، ثم أفيض عليه من القوى والأنوار مبتدأ من الأخس الذي هو القوى النباتية ثم الحيوانية

(١) الأعراف: ٥٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨٧ / ٦٧، ح ١٠، عن «الكافي»: ج ٥ / ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤١٧

وهكذا إلى أن ينتهي إلى الناطقة القدسية والكلية الإلهية، عكس القوس الأولى هبوطا وصعودا، فالإنسان قد اجتمعت فيه قوى المعادن والنباتات والحيوانات والملائكة، بل قوى بسائط العالم من العناصر الأربعة، والأفلاك السبعة التي لكل منها روحانية خاصة، وكونها محل القلب منها، فإن الشمس ينبوع القوة الحيوانية، والقمر ينبوع القوة الطبيعية، وزحل ينبوع القوة الماسكة، والمشتري ينبوع القوة النامية، وعطارد ينبوع القوة الفكرية والذكورية، والمريخ ينبوع القوة الغضبية، والزهرة ينبوع القوة الشهوية، ولذلك يكون عطارد والمريخ والزهرة في المواليد أدلة على أخلاق صاحبها وصناعته.

كما ذكر معلم الأحكام بطلميوس في كلمته من كلماته، وربما تساعده التجارب الأحكامية في زائجه المواليد.

نعم، ذكر بعض مشايخنا عطر الله مرقدته أن روحانية القوة العلمية في فلک المشتري، والخيالية في فلک الزهرة، والفكرية في عطارد، والوهمية في المريخ، والتعقلية في زحل، والحياء في فلک القمر، والوجود الثاني من الشمس، فقبض من كل هذه الأفلاك قبضة، ومن محدد الجهات قبضة خلق منها قلبه، ومن الكرسى قبضة خلق منها صدره، حكاها من بعض العارفين ثم قال: وأنا أكتب هذا فيما كتبت حيث أفرّ به قلبي استنادا إلى اعتبارات منها قطعية ومنها ظنية متآخمة للعلم، والمستند ما يشير إليه الأخبار.

قلت: ولست بصدد ترجيح أحد القولين على الآخر، لكن المقصود المشترك بينهما كون الإنسان مجمعا لقواها وروحانيتها مطرحا لأشعة نجومها، ولذا سماه الله تعالى في باطن قوله: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ» (١).

(١) الواقعة: ٧٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤١٨

ومنه انكشف السر

عن قول مولانا سيد الشهداء روى له الفداء: «يا من استوى برحمانيته على العرش، فصار العرش غيبا في رحمانيته كما كانت العوالم غيبا في عرشه، محقت الآثار والآثار، ومحوت الأغيار بمحيطات الأفلاك الأنوار» (١).

فالمراد بالعرش في المقام هو قلب المؤمن الذي صارت العوالم غيبا فيه واستوى عليه الرحمن برحمانيته.

ولذا

ورد: «لا يسعني أرضى ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن» (٢).

فكما أن القلب عرش للعالم الصغير فكذلك العرش العظيم قلب للإنسان الكبير، وإدراك الإنسان لكل من العوالم والمراتب إنما هو بواسطة ما خمر فيه من اقبضة المأخوذة من ذلك العالم.

فالعوالم متطابقة متوافقة، وتلك القبضات كالجداول والأنهار المتصلة بالبحر، و كالكوى والشبابيك التي يدخل منها الضوء في البيت.

فظاهر الإنسان ناسوتى جسمانى عنصرى، و فى بدنه العنصرى بدن مثالى برزخى، و له سبيل آخر إلى عالم المثال المسمى بعالم الهور قليا و بالخيال المنفصل و المراد بالسبيل هو الخيال المتصل الذى يحصل به الاطلاع على المقادير المجردة عن المواد العنصرية، و لذا يسمى بالخيال المقيّد، كما أن عالم المثال يسمى بالخيال المطلق، و عند تحقق النوم و انقطاع توجه النفس عن التصرف فى هذا البدن، يفتح الباب بينها و بين هذا العالم، فيشاهد ما فيها من الحقائق المتجلية التى يعبر عنها

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢٧/٩٨، عن «الإقبال»: ص ٣٥٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٩/٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤١٩

بالرؤيا الصادقة و بالمبشرات، أو من التجليات الفاسدة التى يخلقها بواسطة الوهم المعبرة عنها بأضغاث الأحلام.

و له أيضا باب متصل إلى عالم النفوس بأقسامها الأربعة الآتية و إلى العقول بأقسامها، فإن للعقل رؤوسا بعدد الخلائق، كما ورد فى الخبر: «و لكل آدمى رأس من رؤوس العقل» (١).

و هذا الباب قد ينسد فيعرض الجنون الذى هو ستر العقل بحجاب الغفلة، أو المعصية أو الأمور البدنية، و غلبه الاخلاط الغير طبيعية.

و مع انفتاحه قد يتسع فيكمل العقول و يتم الأحلام فيصير القلب مجتمعا و المدينة حصينة، و الصدور أمينة و الأحلام و زينة.

و هذا إذا انفتح الباب و نطق الغراب، و أزيل ريشه لكيونة العقاب، و وضع الله يده على رؤوس أولى الألباب بظهور ولى الله الذى عليه الحساب و إليه الإياب.

و لذا

قال مولانا الباقر عليه السلام على ما رواه فى «الكافي»: «إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم و كملت به أحلامهم» (٢).

و له أيضا باب إلى عالم المشية يسمى بالفؤاد و باب الاستعداد و مادة المواد، و مجمع الأضداد، و غاية المراد، و أقصى البلاد من أرض السواد و فاقد الأنداد، و هو المشية الجزئية و الكلية الإلهية به يشاهد بعين اليقين، و يصل إلى حق اليقين، و هو المعبر عنه بالوجود الأول، و الوجود المطلق أى بالنسبة إلى الشخص، و إلا فهو مقيّد

(١)

بحار الأنوار: ج ١/ ٩٩، عن «علل الشرائع» عن على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال: «إن النبى صلى الله عليه و اله و سلم سئل مما خلق الله عزّ و جل العقل؟ قال: خلقه ملك له رؤوس بعدد الخلائق من خلق و من يخلق إلى يوم القيامة و لكل رأس وجه، و لكل آدمى رأس من رؤوس العقل و اسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب ... إلخ».

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٢٨/٥٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٢٠

ينتهى إلى المطلق، كما أن المشية الجزئية تنتهى إلى الكلية التى هو العقل.

ثم إنك إذا تتبعته أنحاء الموجودات و تطوّر الكائنات وجدت في كل نوع من أنواعها أو جنس من أجناسها صفة غالبية يختص بها، بحيث كأنه صار مظهرا لها من بين سائر الموجودات، و لذا لا يكاد يفقدها فرد من أفرادها.

و أما الإنسان فهو الجامع لجميع هذه الصفات و الأطوار بحسب القبول و الاستعداد، و لذا يتصف بها أفرادها على وجه الجمعية أو التوارد أو الاختصاص الناشئ من الفعل لا الذات لبقاء قبول غيرها، بل فعليه غيرها في غيره من الأفراد، و لذا ترى فيه خاصية الملائكة من الطاعة و الحياة، بل التقوى و الانتعاش و التغذى بالعبادة، و الخاصية الكلية لجميع الحيوانات من جلب المنفعة و دفع المضرة إما قهرا و غلبة كالسباع، و هم الملوك و الجبابرة و الفراعنة، الذي يسعون في الأرض علوا و فسادا، أو تملقا كالكلاب و الهرة، أو حيلة كالعنكبوت و الثعلب، ففيهم الزاهد العابد كالملائكة، و الطاغى المتمرد كالشياطين و الخناس في صدور الناس كالوسواس، و الشجاع القوى المتهوّر كالأسد، و المتكبر المتمتر كالنمر، و الجبان كالأرنب، و السخى كالديك، و البخيل كالكلب، و المتسلح كالقنفذ، و الهارب كالطير، و الفخور كالطاووس، و السارق المودى كالفأرة، و الوحشى كالنمر، و الأنيس كالحمام، و الحقيير كالحمار، و الصانع المهندس كالنحل، و السليم كالغنم، و الحمول كالبقرة، و الحقود كالجمل، و الحريص كالخنزير، و الجامع الذخار كالنمل، و الشموس كالبعل، و المبارك كالطوطى، و الشوم كالبوم، إلى غير ذلك من الصفات الظاهرة في مظاهر الموجودات المجتمعة في المؤخر الجامع الذي هو الإنسان، و لذا كان مظهرا في كينونته للمقدم الجامع الذي هو اسم الله، لاحتوائه على جميع النشآت و التجليات، و قابليته للتعرض لقاطبة النفحات، و توسطه بين العوالم الخمس الكلية التي يعبر عنها بالحضرات، لا على الوجه الذي فسرها الصوفية من أن أولها حضرة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٢١

الغيب المطلق، و عالمها عالم الأعيان الثابتة في الحضرة العلمية، لابتنائها على رأيهم الفاسد الكاسد من وحدة الوجود، و الغيب المطلق مما لا اسم له و لا رسم، و الحضرة العلمية ليس فيها شيء، و الأعيان الثابتة غير ثابتة عندنا، بل معها ينثلم التوحيد. بل على الوجه المستفاد من طريق أهل البيت عليهم الصلاة و السلام، و هو أن الحضرة الأولى هي الحضرة المشية، و هو الغيب المطلق و عالمها عالم الجبروت و الرحموت، و تقابلها عالم الشهادة المطلقة المعبر عنها بعالم الملك و الناسوت، و حضرة الغيب المضاف. و هي تنقسم إلى ما يكون أقرب إلى الغيب المطلق، و عالمها عالم العقول و النفوس، و الأرواح الملكوتية المجردة من التعلقات الذاتية بالمواد الناسوتية.

و إلى ما يكون أقرب إلى الشهادة، و عالمها عالم المثال، و هو المقادير المجردة عن المواد حسب ما يأتي إليه الإشارة. و أما الخامسة فهي الحضرة الجامعة للحضرات الأربعة المذكورة، و عالمها عالم الإنسان الجامع لجميع العوالم، و ما فيها حسب ما سمعت إشارة إلى تعدد العوالم، و قد استفاضت الأخبار بل تواترت بتعدد العوالم و كثرتها و ترتيبها في السلسلة الطولية و العرضية، بل يستفاد من بعضها أن هذا العالم الجسماني المحاط بالجسم الأعظم المسمى بمحدد الجهات بما فيه من البسائط و المركبات، و ما تعلق به من الأرواح و القوى عالم من تلك العوالم الكثيرة التي أنهاها بعض الأخبار إلى ألف عالم، كما أن أبانا أبا البشر و ذريته آدم من أولئك الآدميين الألف ألف.

ففي «الخصال» و «التوحيد» عن جابر بن يزيد، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٢٢

قول الله عزّ و جل: أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ «١» فقال:

«يا جابر! تأويل ذلك أن الله عزّ و جل إذا أفنى هذا الخلق و هذا العالم، و أسكن أهل الجنة الجنة، و أهل النار النار جدد الله «٢» عزّ و جل عالما غير هذا العالم، و جدد خلقا «٣» من غير فحولة و لا إناث، يعبدونه و يوحدونه، و خلق لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم، و سماء غير هذه السماء تظلمهم، لعلك ترى أن الله عزّ و جل إنما خلق هذا العالم الواحد، و ترى أن الله عزّ و جل لم يخلق بشرا

غيركم، بلى و الله! لقد خلق الله تعالى ألف ألف عالم، و ألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم و أولئك الآدميين» (٤).

و

في «الخصال» و «منتخب البصائر» عن الصادق عليه السلام قال: «إن لله عزّ و جل اثني عشر ألف عالم، كل عالم منهم أكبر من سبع سماوات و سبع أرضين ما يرى عالم منهم أن لله عزّ و جل عالما غيرهم و أنا الحجة عليهم» (٥).

و لعلّ اختلاف العدد فيهما منزّل على ملاحظة كليات العوالم و جزئياتها، و كذا في غيرهما من أخبار الباب، مع ظهور الحمل في بعضها على خصوص السلسلة الطولية أو العرضية أو العموم.

فإنّ أخبار هذا الباب مختلفة جدا، فمنها ما سمعت من الالف ألف، و الاثني عشر ألف، و منها ما

روى عن ابن عباس عن رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم أنه قال: «إن من وراء قاف سبع بحار و كل بحر خمسمائة عام، و من وراء ذلك سبع أرضين يضيء نورها

(١) سورة ق: ١٥.

(٢)

في بعض النسخ: «أوجد الله».

(٣)

في الخصال: «و جدد عالما».

(٤) الخصال: ج ٢ / ٦٥٢، ح ٥٤، ط قم مؤسسه النشر الإسلامى ١٤١٤ و «التوحيد»:

ص ٢٧٧، باب ٣٨، ح ٢.

(٥) الخصال: ج ٢ / ٦٣٩، ح ١٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٢٣

لأهلها، و من وراء ذلك سبعون ألف أمة خلقوا على أمثال الطير، و هو و فرخه في الهواء لا يفترون عن تسيحة واحدة، و من وراء ذلك سبعون ألف أمة خلقوا من ريح، طعامهم ريح و شرابهم ريح، و ثيابهم من ريح، و آنيهم من ريح، و دوابهم من ريح، لا تستقرّ حوافر دوابهم إلى الأرض إلى قيام الساعة، أعينهم في صدورهم، ينام أحدهم نومة واحدة، يتبته و رزقه عند رأسه، و من وراء ذلك ظل العرش، و في ظل العرش سبعون ألف أمة ما يعلمون أنّ الله خلق آدم و لا ولد آدم، و لا إبليس و لا ولد إبليس، و هو قوله تعالى: وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ (٢).

و منها ما

رواه في «الكافي» عن ابن عباس، قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلق، فقال: «خلق الله ألفا و مائتين في البرّ، و ألفا و مائتين في البحر، و أجناس من بنى آدم سبعون جنسا، و الناس ولد آدم ما خلا يأجوج و مأجوج» (٣).

و منها ما

رواه في «البصائر» عن مولانا أبي الحسن عليه السلام قال: «إن لله خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء، فمن خضرتها (٤) اخضرت السماء، قيل (٥): و ما النطاق؟

قال: الحجاب، و لله وراء ذلك سبعون ألف عالم، أكثر من عدد الإنس و الجن، كلهم يلعن فلانا و فلانا» (٦).

و منها أخبار القباب،

ففي «الكافي» عن أبي حمزة، قال: قال أبو جعفر عليه السلام ليله و أنا عنده و نظر إلى السماء: يا أبا حمزة! هذه قبة أينا آدم، و إن لله عزّ و جل

(١) النحل: ٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٧ / ٣٤٨، ح ٤٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦ / ٣١٤، عن «الكافي».

(٤)

في البحار: «منها اخضرت السماء».

(٥) في البحار: قلت- و القائل هو الراوى عبيد الله بن عبد الله الدهقان-.

(٦) بحار الأنوار: ج ٥٨ / ٩١، ح ١٠، عن «منتخب البصائر». تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٢٤

سواها تسعة و ثلاثين قبة فيها خلق الله ما عصوا الله طرفه عين» (١).

و

فيه، عن عجلان أبي صالح، قال: دخل رجل «٢» على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: جعلت فداك! هذه قبة آدم؟ قال: «نعم، والله قباب كثيرة، ألا إن خلف مغربكم «٣» هذا تسعة و ثلاثين مغربا أرضا بيضاء مملوءة خلقا يستضيئون بنورنا لم يعصوا الله عز و جل طرفه عين، لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه، يتبرءون من فلان و فلان» (٤).

و

في «البصائر» عن الصادق عليه السلام: «إن من وراء عين شمسكم هذه أربعين عين شمس فيها خلق كثير، و إن من وراء قمركم أربعين قمرا فيها خلق كثير لا يدرون أن الله خلق آدم أم لم يخلقه ... إلخ» (٥).

و

فيه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه يقول: «إن من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس، ما بين شمس إلى شمس أربعون عاما فيها خلق كثير ما يعلمون أن الله عز و جل خلق آدم أو لم يخلقه، و إن من وراء قمركم هذا أربعين قمرا، ما بين قمر إلى قمر مسيرة أربعين يوما فيها خلق كثير ما يعلمون أن الله عز و جل خلق آدم أو لم يخلقه ... إلخ» (٦).

و

في خبر السحابة المروى بطرق عديدة عن سلمان رضى الله عنه ... إلى أن قال: و قمنا ندور في قاف، فسألت مولاي أمير المؤمنين عليه السلام مما وراء قاف، فقال:

(١) بحار الأنوار: ج ٥٧ / ٣٣٥، عن روضة الكافي، ح ٣٠٠.

(٢)

في بحار الأنوار: عن عجلان أبي صالح قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قبة آدم فقلت له: هذه قبة آدم؟ ...

(٣)

في البحار: «أما إن خلق مغربكم ...».

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٧ / ٤٥، ح ٥، عن «البصائر» ص ١٤٥.

(٥) بحار الأنوار: ج ٥٧ / ٣٢٩، عن «البصائر».

(٦) بحار الأنوار: ج ٢٧ / ٤٥، عن «البصائر» ص ١٤٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٢٥

«ما ورائه» (١) أربعون دنيا، كل دنيا مثل هذه الدنيا أربعين مرة».

فقلنا: كيف علمك بذلك؟

فقال عليه السلام: كعلمي بهذه الدنيا و من فيها و بطرق السماوات و الأرضين» (٢).

و

عن ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إن من وراء هذه الآفاق عالما لا يصل إليه أحد غيري، و أنا المحيط بما وراء، و علمي به كعلمي بدنياكم هذه، و أنا الحفيظ الشهيد عليها، و لو أردت أن أجوب الدنيا بأسرها و السموات السبع و الأرضين في أقل من طرفة عين لفعلت، لما عندي من الاسم الأعظم ... إلخ» (٣).

فقبه أبينا آدم هي محدد الجهات المحيط بجميع أجسام هذا العالم، و لكونه بحركته بجميع أجسام هذا العالم، و لكونه بحركته الدورية و عاء للزمان عبر عنه بقبه الزمان على بعض الوجوه

في دعاء السمات، حيث قال: و بمجدك الذي ظهر لموسى بن عمران على قبه الزمان (٤)

- بناء على قراءته بالزاي المعجمة-.

و إنما قلنا: على بعض الوجوه لأن فيها وجوها آخر على هذه القراءة، إذ قد فسرت بالمساجد و بيوت الأنبياء، و بيت المقدس، و بالقبة التي بناها موسى و هارون على التيه بأمره تعالى فكان معبدا لهم.

قيل: و قد تكرر ذكر هذه القبة في التوراة.

(١)

في «نفس الرحمن في فضائل سلمان»: قال عليه السلام: «ورائه ما لا يصل إليكم علمه»، فقلنا:

تعلم ذلك يا أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال عليه السلام: «علمي بما ورائه كعلمي بحال هذه الدنيا و ما فيها ... إلخ».

(٢) نفس الرحمن للنوري: ص ٤٧١-٤٧٦، و رواه البحراني في «مدينة المعاجز» عن «منهج التحقيق».

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٧ / ٣٣٦، ح ٢٦.

(٤) مصباح المتهجد- البلد الأمين: ص ٩١، جمال الأسبوع: ص ٣٢٣، و عنهما البحار: ج ٩٠، ص ٩٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٢٦

و

في تفسير القمي عن الصادق عليه السلام في حديث إبراهيم على نبينا و آله و عليه السلام أنه لما بلغ إسماعيل مبلغ الرجال أمر الله إبراهيم أن يبنى البيت، فقال: يا رب في أي بقعة؟ قال: في البقعة التي أنزلت على آدم القبة فأضاء لها الحرم فلم تزل القبة التي أنزلها على آدم قائمة حتى كان أيام الطوفان، أيام نوح، فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة و غرقت الدنيا إلا موضع البيت فسميت البيت العتيق (١).

و منها

خبر الخيام المروي في «البصائر» عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فركض برجله الأرض فإذا بحر فيه سفن من فضة، فركب و ركبت معه حتى انتهى إلى موضع في خيام من فضة، فدخلها، ثم خرج، فقال:

«رأيت الخيمة التي دخلتها أو لا؟» فقلت: نعم، قال: «تلك خيمة رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم، و الأخرى خيمة أمير المؤمنين

عليه السلام، و الثالثة خيمة فاطمة عليها السلام، و الرابعة خيمة خديجة، و الخامسة خيمة الحسن عليه السلام، و السادسة خيمة الحسين

عليه السلام، و السابعة خيمة علي بن الحسين عليه السلام و الثامنة خيمة أبي عليه السلام و التاسعة: «خيمتي و ليس أحد منا يموت إلا

و له خيمة يسكن فيها» (٢).

و

في «البصائر» خبر طويل في إرائة أبي جعفر عليه السّلام جابرا ملكوت الأرض، وفيه: فقال لي: «هل تدري أين أنت؟»، قلت: لا، قال: «أنت واقف على عين الحياة التي شرب منها الخضر عليه السّلام»، وخرجنا من ذلك العالم إلى عالم آخر، فسلطنا فيه فرأينا كهيئة عالمنا في بنائه و مساكنه و أهله، ثم خرجنا إلى عالم ثالث كهيئة الأول و الثاني حتى وردنا خمسة عوالم، قال: ثم قال عليه السّلام: «هذه ملكوت الأرض و لم يرها إبراهيم، و إنما رأى ملكوت السموات، و هي إثنا عشر عالما، كل عالم

(١) بحار الأنوار: ج ١٢ / ٩٩، ح ٤٦، عن «تفسير القمي»: ص ٥١ - ٥٣.

(٢) بصائر الدرجات: ص ١١٩، و عنه «البحار»: ج ٦ / ٢٤٥، ح ٧٥، و ج ٤٧: ص ٩١، ح ٩٧، و ج ٥٧ / ٣٢٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٢٧

كهيئة ما رأيت، كلما مضى منا إمام سكن أحد هذه العوالم حتى يكون آخرهم القائم في عالمنا الذي نحن ساكنوه» (١) الخبر.

و

فيه: إن عالم المدينة - و أراد به نفسه - يقطع اثني عشر شمسا و اثني عشر قمرا، و اثني عشر مشرقا و اثني عشر مغربا و اثني عشر برا و اثني عشر بحرا و اثني عشر عالما...» (٢) الخبر.

و منها ما

رواه ابن طاووس في كتاب «النجوم» قال: إن رجلا أتى علي بن الحسين عليهما السّلام و عنده أصحابه فقال له: من الرجل؟ قال: أنا منجم قائف عراف، فنظر إليه ثم قال: هل أدلك على رجل قد مرّ منذ دخلت علينا في أربعة آلاف عالم؟ قال: من هو؟ قال عليه السّلام: أما الرجل فلا اذكره، و لكن إن شئت أخبرتك بما أكلت و ادّخرت في بيتك، قال: نبئني، قال: أكلت في هذا اليوم حيسا (٣)، و أما في بيتك فعشرون دينارا، منها ثلاثة دنانير و ازنه، فقال له الرجل: أشهد أنك الحجة العظمى و المثل الأعلى و كلمة التقوى، فقال له: و أنت صدّيق امتحن الله قلبك بالإيمان فأثبت (٤).

و

في «البصائر» ما يقرب منه، إلا أن فيه: هل أدلك على رجل قد مرّ منذ دخلت علينا في أربعة عشر عالما، كل عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرات لم يتحرك من مكانه (٥).

(١) البصائر: ص، و عنه «بحار الأنوار»: ج ٥٧ / ٣٢٧ - ٣٢٨.

(٢) بصائر الدرجات: ص ٤٠١، ح ١٦، مع تفاوت يسير.

(٣) الحيس: بفتح الحاء المهملة و سكون الياء - طعام مركب من تمر و سمن، و سويق. و في «البحار»: (الجبن) بالجيم و الباء الموحدة.

(٤) فرج المهموم في معرفة الحلال و الحرام من النجوم: ص ١١١، ط النجف، و عنه «بحار الأنوار»: ج ٤٦ / ٤٢، ح ٤٠.

(٥) بصائر الدرجات: ج ٨ / ٤٠٠ - ٤٠١، ح ١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٢٨



لا يخفى عليك أن المقصود الأصلي في المقام من نقل الأخبار المتقدمة إنما هو التنبيه على كثرة العوالم و تعددها و وسعتها، و جميع ما سمعت في الأخبار المتقدمة إنما هو فيما وراء هذه العالم الجسماني الناسوتى و أما هذا العالم بما فيه من الأرواح القدسية و الإنسية و الأجسام الفلكية العنصرية البسيطة و المركبة و المواليده الثلاثة فلا يخفى عليك ما فيه من الوسعة، و لعلك تسمع فيما يأتى فى الآيات المتعلقة بخلق السموات و الأرض كلاما مشبعا فى ذلك، و كفاك للدلالة على السعة المكانية ملاحظة خبر زينب العطاره المروى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم المستغنى لشهرته عن الذكر «١».

و غيره من الأخبار الكثيرة التى منها ما

روى عن مولانا السجاد عليه السلام أن لله ملكا يقال له: حزوقايل، له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام فخطر له خاطر: هل فوق العرش شىء فزاد الله مثلها أجنحة أخرى فكانت له ست و ثلاثون ألف جناح ما بين الجناح و الجناح خمسمائة عام، ثم أوحى الله إليه:

أيها الملك طر! فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل رأسه قائمه من قوائم العرش، ثم ضاعف الله له فى الجناح و القوة و أمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام لم ينل أيضا، فأوحى الله: أيها الملك! لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك و قوتك لم تبلغ إلى ساق عرشى، فقال الملك: سبحان ربي الأعلى، فقال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: اجعلوها فى سجودكم «٢».

و يدل على السعة الزمانية أيضا أخبار كثيرة.

(١) الكافي: ج ٨ / ١٥٣، و «التوحيد»: ص ١٩٩، و عنهما «البحار»: ج ٦٠ / ٨٣ - ٨٥، ح ١٠.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج ٥ / ٥٥٤، ح ١٣، عن «روضه الواعظين».

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٢٩

### إزهاق و إحقاق

من المذاهب السخيفة المحكية عن بعض أوساخ الفلاسفة أن العالم واحد، و هو المحاط بمحدّب محدّد الجهات، و استدّلوا له بوجوه:

الأول: أنه لو وجد عالم آخر كان شكله الطبيعى الكرة، فيلزم وقوع الخلاء بين الكرتين.

و توهم أنه لا خلاء و لا ملاء مدفوع بكونه محصورا بين الحاصرين، فالبعد الذى هو المكان حاصل.

الثانى: لو وجد عالمان فى كل منهما نار و أرض لزم أن يكون للأجسام المتّفقه الطبيعه أحياء مختلفه، و هو باطل، لأنّ طبعها يقتضى جواز الاتصال، فإذا اتّصلت فى أحد المكانين كان ذلك المكان طبيعيا لها، فلا يكون الآخر طبيعيا و إلا لكان لجسم واحد مكانان طبيعيان، و هذا خلف.

الثالث: أنه قد ثبت عندهم أنّ فوق محدّد الجهات لا خلاء و لا ملاء، فلو كان هناك عالم آخر لكان ملاء، و هذا خلف.

و لا يخفى عليك ضعف هذه الوجوه، أما الأول فلاّنه يجوز أن لا يكون كرويا، و مجرد كون الطبيعى ذلك لا يقضى بالمنع، إذ مع تسليمه ربما يمنع عنه المانع فيشكّل على غيره قسرا.

مع أنه مبنى على امتناع الخلاء، و الكلام فيه مشهور، مضافا إلى أنه يجوز أن يكون بين الكرتين أجسام آخر بحيث يكون ذلك البعد مكانا طبيعيا لها مع فرض كرة محيطه على جميع الكرات المتماسيه بنقطه أولا، و أن يكون هذا العالم بجملته مركزا فى ثخن فلك آخر كالتدوير فى ثخن الحامل فلا يلزم الخلاء.

و أما الثانى فلجواز أن يكون فى ذلك العالم أجسام آخر مخالفة لأجزاء هذا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٣٠

العالم جنسا و نوعا و طبيعة و دعوى انحصار الأجسام أو الجواهر أو الموجودات الممكنة فيما ذكره شخصا أو جنسا أول الكلام، مضافا إلى ضعف ما تمسكوا به في امتناع استحقاق الجسم مكانين.

و أما الثالث فللمنع من ثبوته لضعف ما تمسكوا به مضافا الى بعض ما مرّ في الجواب عن الأول.

و بالجملة فبمثل هذه الوجوه لا ينبغي انكار عالم آخر غير هذا العالم المحسوس المشاهد، كما أنه لا ينبغي نفيه بمجرد الاستبعاد كما فعله معلّم الفلاسفة أرسطاطاليس حيث إنه أبطل القول بالمثل الافلاطونية و لم يبرهن عليه إلا أن قال:

يلزم أن يكون في الخارج أملاك سوى هذه الأفلاك، و عناصر سوى هذه العناصر، و حركات و سكونات، إلى غير ذلك.

و هذا كما ترى مجرّد استبعاد لا ينفي به المحتمل بعد شهادة جمّ غفير من أرباب المشاهدات و المكاشفات بوجوده بل بمشاهدته، سيّما بعد ما سمعت من الأخبار الكثيرة الدالّة على تعدّد العوالم، و أنّ هذه القبة واحدة من قباب كثيرة، و أنّ فوق العرش الذي يسمونه محدّد الجهات عوالم كثيرة و مخلوقات لا تحصى من الكروبيين و الحجب و السرادقات و غير ذلك مما تظافرت به الروايات.

بل الظاهر من كثير الأخبار أنّ جميع ذلك من أجزاء هذا العالم، و هناك عوالم آخر.

و لذا

قال مولانا الصادق عليه السلام فيما رواه في التوحيد و الخصال: لعلك ترى أنّ الله عزّ و جلّ إنّما خلق هذا العالم الواحد، أو ترى أنّ الله تعالى لم يخلق بشرا غيركم، بلى و الله لقد خلق الله ألف ألف عالم و ألف ألف آدم، و أنت في آخر تلك

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٣١

العوالم و أولئك الآدميين «١».

و

فيما رواه في الخصال و منتخب البصائر: أنّ لله عزّ و جلّ اثني عشر ألف عالم إلى آخر ما مرّ «٢».

و

في تفسير القمي عن ابن عباس قال: إنّ الله عزّ و جلّ خلق ثلاثمائة عالم و بضعة عشر عالما خلف قاف- و خلف البحار السبعة، لم يعصوا الله طرفه عين قطّ، و لم يعرفوا آدم و لا ولده، كل عالم منهم يزيد عن ثلاثمائة و ثلاثة عشر مثل آدم و ما ولد، فذلك قوله: «إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» «٣» «٤».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي مضت إلى بعضها الإشارة.

و حمل هذه العوالم على العوالم الكليّة الروحانيّة، و انحصار الجسماني فيما ذكره بعيد، بل المتأمل في أخبار الباب يقطع بخلافه، فمن ليس من أهل التصديق و الإقرار فلا ينبغي له البدار الى الإنكار، سيّما بعد تظافر الشواهد بل الأدلّة على المذهب المختار.

### نمط آخر في تعدّد عالم الأكوان

قد سمعت في خبر الخصال «٥» و البصائر، و غيرهما من الأخبار المتقدّمة بأنّ الإمام عليه السلام هو الحجّة على جميع تلك العوالم، بل المستفاد من الأخبار المستفيضة أنّ له الولاية المطلقة في جميع العوالم الكليّة و الجزئية في الأمور التكوينية

(١) التوحيد ص ٢٠٠- الخصال ص ١٨٠ و عنهما بحار الأنوار: ج ٥٧ / ٣٢١ ح ٣.

(٢) الخصال ص ١٧٢ و عنه بحار الأنوار ج ٥٧ / ٣٢٠ ح ٢.

(٣) التكوير: ٢٩.

(٤) تفسير القمى ص ٧١٥ و عنه بحار الأنوار ج ٥٧ / ٣٢٢ ح ٤.

(٥) الخصال: ١٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٣٢

و التشريعية، لأنه الحجاب و الباب فى المبدأ و المآب و هو المراد

بقول الحجة عجل الله فرجه: «أشهاد و أعضاء» (١).

مشيرا إلى فحوى قوله تعالى: ما أشهدتهم خلق السماوات و الأرض و لا خلق أنفسهم و ما كنت متخذ المصلين عضداً (٢).

و قد سمعت خبر ابن سنان، و الخطبة الغديرية الأميرية، و غيرها فيما تقدم، فهم المشية التي خلقها الله بنفسها، و خلق الأشياء بها (٣) كما

أشار مولينا أمير المؤمنين عليه السلام فى الخطبة التي رواها السيد الرضى رضى الله عنه فى نهج البلاغة: فإننا صنائع ربنا و الناس بعد صنائع لنا (٤)

و اللام للصلة و إن أفاد العلية أيضا، و لذا

قال مولينا الحجة عجل الله فرجه على ما رواه فى الاحتجاج عنه عليه السلام: «و نحن صنائع ربنا و الخلق بعد صنائعنا» (٥).

فقد استفيد منه قسمان من العلية، و أما الآخرا فبوجوه قد مرت إلى بعضها الاشارة، فالمشية هى آدم الأول.

و فى بعض خطب أمير المؤمنين عليه السلام الاشارة إليه، بل التصريح، و من صلبه ذلك الألف ألف آدم، و الألف ألف عالم، و لذا قال سبحانه: و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (٦).

(١) مفاتيح الجنان ص ١٣٠ ط طهران ١٣٩١ نقلا عن الشيخ أنه صدر من الناحية المقدسة على يد الشيخ الكبير أبى جعفر محمد بن عثمان هذا التوقيع الشريف: اقرأ فى كل يوم من أيام رجب ...

(٢) الكهف: ٥١.

(٣) بحار الأنوار ج ٤ ص ١٤٥ عن توحيد الصدوق، و مجمع النورين ص ١٢٥.

(٤) منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة ج ١٩ / ١٠٤.

(٥) غيبة الشيخ ص ١٨٤-١٨٥- الاحتجاج ص ٢٥٣.

(٦) سورة الأنبياء: ١٠٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٣٣

فإنه هو الرحمة الكلية و المشية الإلهية التي خلقت العوالم بجملتها من أشعة نوره، و ظهرت بفاضل ظهوره، بل الأنبياء عليهم السلام خلقوا كافة من رشحات ناسوته و طفحات رحموته، و لذا

ورد فى الخبر الذى رواه فى البحار عن ابى الحسن البكرى (١) «أستاذ الشهيد الثانى فى كتاب الأنوار عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام أن نور نبينا صلى الله عليه و آله و سلم بعد ما سبج الله فى الاثنى عشر حجبا و فى العشرين بحرا حسب ما فصل فى الخبر، قال: فلما خرج من آخر الأبحر قال الله تعالى: يا حبيبي و يا سيد رسلى و يا أول مخلوقاتي، و يا آخر رسلى أنت الشفيع يوم المحشر، فخرّ النور ساجدا ثم قام فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف و أربعة و عشرين ألف قطرة فخلق الله تعالى من كل قطرة من نوره نبيا من الأنبياء، فلما تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور محمد صلى الله عليه و آله و سلم كما تطوف الحاج حول بيت الله الحرام ... الخبر بطوله (٢)»

و الأخبار بهذا المعنى كثيرة، و لذا قال شيخنا المجلسى فى أول البحار: إنه قد ثبت بالأخبار المستفيضة أنهم عليه السلام الوسائل بين

الحق و الخلق في افاضة جميع الزحمات و العلوم و الكمالات على جميع الخلق، فكلمًا يكون التوسل بهم

(١) البكرى أبو الحسن أحمد بن عبد الله البكرى و لكنّه ليس من أساتذته الشهيد الثانى، بل هو من العلماء الإمامية المتقدّمية و لتشييعه صار متّهما بالكذب و انتسابه إلى المذاهب الفاسدة و كتابه «الأنوار» فى مولد النبى المختار كما ترجمه شيخنا المجيز آقا بزرگ الطهرانى قدّس سرّه فى سبعة أجزاء كما ذكره كشف الظنون و جعله العلامة المجلسى مع كتابيه الآخرين: «مقتل أمير المؤمنين عليه السّلام و وفاة فاطمة الزهراء سلام الله عليها» من مآخذ البحار عند ذكر كتب الخاصّة و نسب الثلاثة الى أبى الحسن البكرى المصرى الذى قرأ عليه الشهيد الثانى بمصر و توفى بها سنة (٩٥٣) و لكن نسبة الكتب الثلاثة الى ذلك المصرى سهو بل هى من مصنّفات البكرى المتقدّم و صرّح به ابن تيميّة المتوفى (٧٢٨) فى كتابه منهاج السنّة، راجع الذريعة ج ٢ / ٤٠٩ - ٤١٠ رقم ١٦٣٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٧ / ١٩٨ - ٢٠٠، ح ١٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٣٤

و الإذعان بفضلهم أكثر كان فيضان الكمالات من الله تعالى أكثر، انتهى «١».

فهو صلّى الله عليه و آله و سلّم و أوصيائه عليهم السّلام هم الواسطة فى إيصال الفيوض الإلهية على جميع من سواهم فى جميع العوالم المتناهية الامكانية، بلا فرق بين أفراد العالم و جمعه، لشموله للكلى على الوجهين شمول الكلى لأجزائه أو الكلى لجزئياته. فاذا اعتبر العالم مفردا على الإطلاق غير مضاف و لا مقيدا بشيء دخل فيه جميع ما سوى الله، و إذا اعتبر متعددا، اثنين فصاعدا فلا بدّ من فصل ذاتى أو عرضى مقسّم للجامع. فيقال: إنّه اثنان عالم الغيب و الشهادة، أو الظاهر و الباطن، أو الأمر و الخلق، أو العقل و المعقول، أو الوجود المطلق و المقيد، أو المادى و المجرد، أو البسيط و المركّب، لكن لا يخفى عليك أنّ التجرد و البساطة لا ينافيان التركيب فى رتبة الإمكان و لو من المادّة و الصورة، فإنّ كلّ ممكن زوج تركيبى حتى العقل، بل المشيئة أيضا و إن اضمحلت فيهما سيما الثانى جهة الماهية التى توجب التركيب فى كلّ ممكن، بل المراد التجرد عن المادّة العنصرية و المدّة الزمانية. فما ربما يحكى عن شيخنا المجلسى فى أوّل البحار من الحكم بكفر من قال: بإثبات مجرّد غير الله تعالى ليس فى محلّه على الإطلاق بل لعلّه لا نزاع فيه أصلا على أنّ عبارة المجلسى ليست صريحة فى ذلك، بل لعلّها ظاهرة فى خلافه حيث قال: المعنى السادس ممّا يطلق عليه العقل ما ذهب اليه الفلاسفة و أثبتوه بزعمهم من جوهر مجرّد قديم لا تعلق له بالمادّة ذاتا و لا فعلا، و القول به كما ذكره مستلزم لإنكار كثير من ضروريّات الدين من حدوث العالم و غيره، و بعض المنتحلين منهم للإسلام أثبتوا عقولا حادثه و هى أيضا على ما أثبتوها مستلزمة لإنكار كثير من الأصول المقرّرة الاسلاميّة مع أنّه لا يظهر من الأخبار وجود مجرّد

(١) بحار الأنوار: ج ١ / ١٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٣٥

سوى الله .... الى أن قال:

فلو قال أحد بجوهر مجرّد لا يقول بقدمه و لا بتوقّف تأثير الواجب فى الممكنات عليه، و لا بتأثيره فى خلق الله الأشياء و يسميه العقل و يجعل بعض الأخبار الواردة فى العقل منطبقا عليه فيمكنه أن يقول: إنّ إقباله عبارة عن توجيهه إلى المبدأ، و إدباره عبارة عن توجيهه الى النفوس لإشراقه عليها. انتهى «١».

و ظاهره عدم الثبوت لا ثبوت العدم فضلا عن التكفير بإثباته.

و أمّا العوالم الثلاثة فالوجود الحقّ و الوجود المطلق الذى هو الفعل و الارادة و المشيئة، و الوجود المقيد الذى ما دونه من عالم الخلق،

و الى هذه الثلاثة الاشارة

بقوله في الحديث القدسي: «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق كي أعرف» (٢)

فالكنز المخفى هو غيب الغيوب و المجهول المطلق لا اسم له و لا رسم، الطريق مسدود، و الطلب مردود، و جوده إثباته، و دليله آياته، و المحببة الكليئة هي عالم المشيئة أول من قرع باب الإمكان و أشرق على أفق الأكوان، و الثالث المخلوق الذى هو فى رتبة المفعول. و إذا اعتبرت الثلاثة فى رتبة الإمكان فهى جبروت المشيئة بالصفات الفعلية، و ملكوت المجردات، و ناسوت الماديات العنصرية، و المدّة الزمائية، أو فى رتبة المفعول فهى العقول المجردة من المادّة ذاتا و فعلا، و النفوس المجردة ذاتا لا فعلا، و الأجسام الغاسقة فى ظلمة الهوى أو أنّها الأرواح الشاملة للعقول و النفوس و الأبدان و المثال الذى هو برزخ كلي بينهما، بل العوالم الثلاثة سارية فى العمق

(١) بحار الأنوار ج ١/ ص ١٠١-١٠٣.

(٢) حديث مشهور نقل عن داود النبى و نقله بعضهم عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن ربه.

قال ابن عربى فى الفتوحات ج ٢/ ٣٩٢: ورد فى الحديث الصحيح كشافا الغير الثابت نقلا عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن ربه قال: «كنت كنزا...». تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٣٦

الأكبر طولاً و عرضاً كلّاً و بعضاً، حيث إنّ له بكلّ الاعتبار جهتين و بينهما برزخ لا يبغيان.

و العوالم الأربعة هى اللاهوت الذى لا يبغي فيه إلّا السكوت خضوعاً للحى الذى لا يموت، و الجبروت هو عالم الإبداع و العقل، و الملكوت و الناسوت، و فى رتبة الإمكان بل الأكوان هى الرحموت و الجبروت و تاليها، فالرحموت عالم المشيئة لأنّها الرّحمة التى وسعت كلّ شىء. و الجبروت بهذا الاعتبار هو عالم العقول، كما أنّ المراد بالملكوت النفوس.

أو أنّها هى الأركان الأربعة لعرش الرحمة و الكرامة الذى استوى عليه الرحمن برحمانيته، و هى المشار إليها بقوله تعالى: اللّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ «١» و حملتها الملائكة الأربعة، و من الأنبياء أولو العزم الأربعة عليهم السّلام، و أمّا خامسهم و هو نبينا صلى الله عليه و آله و سلم فهو الشاهد المهيمن عليهم و على جميع أهل العالم، «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً» (٢)، و لذا جعل كتابه مصدقاً لما بين يديه من الكتاب و مهيمناً عليه، و باقيات العوالم الجزئية فى ثخن العمق الأكبر الذى هو الحامل المحرّك لها حول مركز العالم كثيرة جداً.

كالطبائع الأربعة التى هى حرارة الكون المتكونة من حركة بحر الوجود و من دوام دورانه على نفسه على خلاف التوالى دوران فناء و تصرّم و انقضاء، و على أمر ربه بالتوالى دوران تجدد و استفاضة و بقاء. و برودته الذاتية اللازمة لإمكانه و افتقاره فإنّ البرودة طبيعة الموت.

(١) الروم: ٤٠.

(٢) النساء: ٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٣٧

و رطوبته الحاصلة من جعله قابلاً مستعداً بعد أن لم يكن شيئاً أصلاً، فإنّه سبحانه هو معطى القابليات و الاستعدادات، فأعطى كلّ شىء خلقه ثمّ هدى الى ما يحصل به الفعلية و الكمال.

و يبوسته الحافظة للعطايا المفاضة عليه، و هذه الطبائع الأربعة سارية فى جميع أجزاء الكون. و الكون متقدّم بها قيام تحقّق، و لذا قيل مشيراً الى ذلك و الى ما تقدّم من أنّ لكلّ شىء ملكاً و ملكوتاً و برزخاً بينهما: «إنّ كلّ شىء مثّلت الكيان مربع الكيفية، و هذا هو

الحق في تفسير العبارة التي قضيه كليتها سريان حكمها في كل شيء، لا ما قيل: من أن المقصود المواليد الثلاثة و الأركان الأربعة التي هي العناصر الأربعة.

و أما الأربعة المحسوسة الملموسة فهي من أشعة ظهورها الساطعة في عالم الناسوت على وجه يقتضيه المظهر، و حيث إن تنتين منها فاعلتان، و الآخرين منفعلتان، حصلت من اجتماع كل مع كل الأصول و الأربعة التي هي الإمكان و العناصر و الأسطقتات، كل باعتبار، و من تركبها و ازدواجها المواليد الثلاثة بأنواعها و أصنافها و جزئياتها و خواصها و آثارها ما يترتب عليها، و كالنفوس الأربعة المذكورة في خبر كميل و الأعرابي عن مولينا أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام «١».

و حيث إن بيانها و تحقيق مراتبها يفضى الى التطويل اقتصرنا فيها كغيرها من العوالم السابقة و اللاحقة على نوع الإشارة روما للاختصار و حذرا من التكرار، فإنك ستسمع الكلام في كل منها إن شاء الله تعالى في الموضوع اللائق به.

(١) رواه المجلسي قدس سره في البحار ج ٦١ ص ٨٤-٨٥ عن بعض كتب الصوفية، و لكن قال: هذه الاصطلاحات لم تكد توجد في الاخبار المعبرة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٣٨

و العوالم الخمسة هي الأربعة الكونية المتقدمة بعد عالم الأزل، و إن كانت حضرة التنزيه تأبي من عدّه في عداد خلقه، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة «١»، إلا أن بينوته عن خلقه بينونه صفة لا بينونه عزله، داخل في الأشياء لا كولوج شيء في شيء، و خارج لا كخروج شيء من شيء، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم و لا خمسة إلا هو سادسهم، و لا أذنى من ذلك و لا أكثر إلا هو معهم

الى غير ذلك من العوالم الكلية و الجزئية التي لا يمكن إحصائها و استقصائها، و لذا عبّر عنها «٢»، العالم عليه السلام بألف الف عالم، مشيرا الى نوع الكثرة و الزيادة، و إلا فلعلها على فرض كونها متناهية أكثر من ذلك بكثير، بل العوالم المندرجة تحت عالم الإمكان لا تحدّ بحدّ و لا تعدّد بعدد، إذ لا نهاية لكل جزئي من جزئياته، فسبحان الله ذي الملك و الملكوت، سبحان الله ذي العزّ و الجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت.

### تذييل و تكميل

قال البيضاوي: إن في قوله تعالى: رَبِّ الْعَالَمِينَ دليلا على أن الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقى حال بقائها بناء على ما ذكر سابقا أن معنى التربية تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا، و بينه شيئا البهائي في حواشيه بأن الصفة المشبهة دالة على الثبوت و الاستمرار فتربيتها التي هي تبليغها على التدريج حدّ كمالها مستمرة ثابتة له تعالى، و من جملة ذلك إبقائها الى الأمد الذي يقتضيه حالها بل هو من أعظم افراد التربية التي

(١) المائة: ٧٣.

(٢) المجادلة: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٣٩

يقضيه مقام التمدح.

و اعترض صدر المحققين على البيضاوي بأنه ليس فيه دليل على ذلك إذ الشيء التدريجي لما كان حصوله على هذا الوجه فجميع زمان وجوده هو بعينه زمان حدوثه، فالنأمي مثلا- زمان نموّه من أول نشوّه الى منتهى كماله المقدارى هو زمان حدوث مقداره

الحاصل له شيئاً فشيئاً و كفعّل الصلوة فان زمانه من لدن أول تكبيره الافتتاح إلى آخر تسليم الاختتام كله وقت الحدوث لا وقت البقاء.

نعم فيه دليل على أنّ العالم تدريجيّ الحصول متدرّج في التكوّن بناء على أنّ جواهر هذا العالم و الصور الطبيعيّة للأجرام السماويّة و الأسطسيّة كلّها تدريجيّة الكون سيّالة الحصول غير قارّة الوجود كالحركة القطعيّة و مقدارها من الزّمان «١».

قلت: أمّا دلالة الآية على حدوث العالم بجميع أجزائه و جزئياته بمعنى افتقاره إلى القيوم المبدع فمّا لا - خفاء فيها غير أنّ معنى الحادث يختلف باختلاف أجزائه لتبعيته للحوادث فحدوث عالم الملك من الأجسام الفلكيّة و العنصريّة أعنى من المحدّد الأعلى إلى الأرض السابعة السّفلى حدوث زمانى أى حدثت مصاحبة مساوقة له من دون تقدّم لأحدهما على الآخر فأنهما كفرسى رهان و رضيعى لبنان، بل هما كذلك مع المكان فالثلاثة متساوقة في الوجود و حدوث عالم الملكوت، أى الأرواح المجرّدة دهرى بنحو ما مرّ في الزّمان و حدوث عالم الجبروت.

أعنى الفعل و الإبداع سرمدىّ و الكلّ حادث ذاتى، و إن كان الثّانى قديما

(١) تفسير صدر المتألّهين ج ١ / ٨١ - ٨٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٤٠

زمانيا لسبقه على الزّمان بل الزّمان الذى ليس له أول و لا آخر زمانى بالنسبة إلى عالم الدّهر كحلقة ملقاة في فلاة قى و كذلك الثّالث قديم دهرى و النسبة ما سمعت، و توهم أنّ العالم كله بجميع أجزائه حادث زمانى أى مسبق بالزّمان نظرا إلى أنّه الظاهر من الأدلّة الشرعيّة و المتحصّل من مذهب المتشرّعة ممّا يقضى بطلانه ضرورة الوجدان، فإنّ من جملة أجزاء العالم هو الزّمان، و كيف يتعقّل كونه مسبقا بعدم زمانى ضرورة أنّه يلزم من فرض عدمه تحقّق وجوده، بل كيف يتصوّر حدوث السّرادقات الدهريّة و السّرمديّة في الزّمان مسبوقة به، مع أنّه لا يصحّ نسبتها إلى الزّمان أصلا ألا ترى أنّ الأعداد و النسب المقداريّة التى بينها بل جميع لوازمها كزوجيّة الإثنين و كونه نصف الأربعة مثلا من جملة المحدثات، و من أجزاء العالم مع أنّه لا يصحّ نسبتها إلى الزّمان أصلا بأن يقال إنّما خلقت منذ ألف سنة أو أزيد أو أقلّ.

و توهم كونها من الأمور الاعتباريّة التى لا وجود لها في الخارج كما ترى، لضرورة أنّ لا تمايز في الأعداد و سيجىء تمام الكلام عند قوله تعالى: **بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** «١» و قوله: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآيَةَ** «٢».

و أمّا دلالتها على افتقار الممكنات إلى المبقى فالإنصاف أنّه لا دلالة في الآية عليه بوجه فإنّ الظاهر من التّربية حسب ما صرّحوا به تبليغ الشّىء إلى كماله، و التبليغ إلى الكمال إنّما هو بإفاضة المفقود لا - بإبقاء الموجود، إلّا أن يقال إنّ الإبقاء أيضا من الأوّل، لأنّ البقاء في الآن الثّانى غير موجود في الآن الأوّل، أو أنّ التّربية لا تكون إلّا حال البقاء فتوقّف عليه فتأمل، فإنّه لا يستفاد من افتقاره إلى المربى

(١) البقرة: ١١٧.

(٢) البقرة: ١٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٤١

افتقاره إلى المبقى إذ لعلّ للشّىء بقاء بعد وجوده نعم الحقّ أنّ مسألة الحاجة إلى المبقى أوضح من أن يستدلّ عليه بمثل هذه الظواهر، بل الإمكان الدّاتى الذى لا ينفكّ منه أصلا دليل الافتقار، و بعد ثبوت الحاجة به أو بوجه آخر تدلّ الآية على أنّه سبحانه هو المنعم بالإبقاء لا غيره.

و مِمَّا مَرَّ يَظْهَرُ النَّظْرُ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ الْبَهَائِيُّ عَطَّرَ اللَّهُ مَرْقَدَهُ مِضَافًا إِلَى مَا قِيلَ مِنْ أَنَّ تَوْجِيهَهُ لَا يُوَافِقُ مَذْهَبَ الْبَيْضَاوِيِّ، إِذْ مَخْتَارُهُ كَوْنُ الرَّبِّ مُصَدَّرًا لَا وَصْفًا فَتَأَمَّلْ.

و أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الصِّدْرُ الْأَجَلُّ فِيهِ أَوْلَا أَنْ مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْمُنَاقَشَةِ كَأَنَّهُ مَبْنَى عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ آخِرًا مِنْ كَوْنِ الْمَوْجُودَاتِ كَافَةً تَدْرِيجِيَّةَ الْحُصُولِ، وَ عَلَى هَذَا فَلَا مَعْنَى لِلتَّرْبِيَةِ إِلَّا الْإِفَاضَةُ السِّيَالَةُ التَّجْدِيدِيَّةُ الَّتِي هِيَ الْإِبْقَاءُ لَطَرَوْ الْفَنَاءِ بَعْدَ مَهَا فِتْرِيَّةِ الْجَمَادِ مِثْلًا بَدْوَامِ إِفَاضَةِ الْوُجُودِ عَلَيْهِ حَيْثُ إِنَّ وَجُودَهُ وَ كَيْنُونَتَهُ مِنْ حَيْثُ الْمَادَّةُ وَ الصُّورَةُ سَيَالٌ مُتَصَرِّمٌ غَيْرُ قَارَةٌ- الذَّاتِ، وَ عَلَى هَذَا فَمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْمُنَاقَشَةِ كَأَنَّهُ تَحْقِيقٌ لِمَعْنَى التَّرْبِيَةِ وَ إِثْبَاتٌ لَهَا.

وَ ثَانِيًا: إِنَّ مَا ذَكَرَهُ مِنْ دَلَالَةِ الْآيَةِ عَلَى كَوْنِ الْعَالَمِ تَدْرِيجِيَّ الْحُصُولِ غَرِيبٌ جَدًّا إِذْ مَدْلُولُ الْآيَةِ كَوْنُهُ سَبْحَانَهُ مَرَبِّيًّا لِلْعَالَمِ، مُوَصَّلًا لَهُ إِلَى كَمَالِهِ، وَ أَمَّا إِنَّ هَذَا الْإِيصَالَ هَلْ هُوَ مُجَرَّدُ الْإِبْقَاءِ أَوْ بِإِعْطَاءِ الْكَمَالَاتِ الْمَفْقُودَةِ أَوْ بِتَجَدُّدِ الْأَمْثَالِ بِالْإِيْجَادِ بَعْدَ الْفَنَاءِ أَوْ بِسَيْلَانِ الْفَيْضِ الْمَوْجِبِ لِلصُّوْغِ بَعْدَ الْكُسْرِ حَسْبَمَا تَسْمَعُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَا دَلَالَةَ فِيهَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا بُوْجُوهٍ مِنَ الْوُجُوهِ وَ مِنْ أَيْنَ يَسْتَفَادُ مِنْهَا كَوْنُ الْعَالَمِ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ الْجَوْهَرِيَّةِ سَيَالَةَ الْحُصُولِ غَيْرُ قَارَةٌ الْوُجُودِ كَالْحَرَكَةِ الْمُتَّصِلَةِ، بَلِ الْإِنْصَافُ أَنَّ فِيهَا دَلَالَةَ عَلَى ثُبُوتِهَا وَ تَقَرُّرِهَا وَ بَقَائِهَا كَيْ يَصِحَّ نِسْبَةُ التَّرْبِيَةِ الظَّاهِرَةِ فِي تَكْمِيلِ الشَّيْءِ بَعْدَ ثُبُوتِهِ وَ تَقَرُّرِهِ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٤٢

## وصل

لَمَّا تَبَّهَ سَبْحَانَهُ عَلَى اخْتِصَاصِ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْحَمْدِ وَ أَنْوَاعِهِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ بِأَلْسِنَةِ ذَوَاتِهِمْ وَ صِفَاتِهِمْ وَ وَجُودَاتِهِمْ وَ اسْتِعْدَادَاتِهِمْ وَ قَابِلِيَّاتِهِمْ فِي جَمِيعِ شُؤْنَاتِهِمْ وَ ظَهُورَاتِهِمْ وَ تَطَوُّرَاتِهِمْ وَ تَجَلِّيَّاتِهِمْ وَ مَرَاتِبِهِمْ بِهِ سَبْحَانَهُ بِحَيْثُ لَا يَشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ وَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِمَا هُوَ كَالْبِرْهَانِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ كَوْنِهِ مَرَبِّيًّا لِجَمِيعِ ذَوَاتِ الْوُجُودِ مِنَ الْغَيْبِ وَ الشُّهُودِ بَلِ لِجَمِيعِ الْعَوَالِمِ الْكَلْبِيَّةِ وَ الْجَزَائِيَّةِ مِنَ الدَّرَةِ إِلَى الدَّرَةِ حَسَبَ مَا سَمِعْتَ عَقْبَهُ بِذِكْرِ وَصْفِ ثَانٍ وَ ثَالِثٍ وَ رَابِعٍ تَفْصِيلًا لَمَّا أَجْمَلَ أَوْلَا مِنْ ذِكْرِ التَّرْبِيَةِ وَ بَيَانًا لِأَرْكَانِهَا وَ مَقُومَاتِهَا وَ سَرِيَانِ حَكْمِهَا وَ لَوْ عَلَى وَجْهِ الْاِقْتِضَاءِ لَوْ لَا الْمَانِعُ مِنَ الْمَحَلِّ فِي جَمِيعِ الْعَوَالِمِ وَ النِّشْآتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَ الْمَكُونَاتِ وَ لِذَا قِيلَ: إِنَّ الثَّلَاثَةَ وَصَفَ لِلأَوَّلِ لَا لِلَّهِ وَ عَلَى كُلِّ حَالٍ فَقَدْ تَبَّهَ سَبْحَانَهُ بِالتَّفْصِيلِ بَعْدَ الْإِجْمَالِ عَلَى مَا هُوَ كَالِاسْتِدْلَالِ فَقَالَ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا الْأَسْمَانُ الْكَرِيمَانُ فَقَدْ مَرَّ بَعْضُ الْقَوْلِ فِيهِمَا وَ فَائِدَةُ التَّكْرِيرِ زِيَادَةُ التَّقْرِيرِ وَ إِيقَاعُ الْحَكْمِ فِي الضَّمِيرِ، سَيِّمًا مَعَ ذِكْرِ الْمَنْعَمِ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْإِشْعَارِ عَلَى أَنَّ مِنْ فَقْدِ شَيْءٍ مِنَ النِّعَمِ فَلَيْسَ ذَلِكَ لِقُصُورِ الْكُرْمِ، لِأَنَّ رَحْمَتَهُ وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى حَسَبِ قَابِلِيَّتِهِ وَ اسْتِعْدَادِهِ وَ قَبُولِهِ، فِتْرِيَّتُهُ عَامَةٌ تَامَةٌ شَامِلَةٌ لِجَمِيعِ الْأَكْوَانِ فِي كَيْنُونَاتِهِمْ وَ اخْتِيَارَاتِهِمْ وَ شُؤْنِهِمْ التَّكْوِينِيَّةِ وَ التَّشْرِيْعِيَّةِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ عَلَى مَقْتَضَى الْعَدْلِ وَ الْفَضْلِ، وَ لِذَلِكَ كَانَ أَهْلُ الْحَمْدِ وَ مُسْتَحَقُّهُ بِحَقِيقَةِ الْحَمْدِ كَمَا يَنْبَغِي لِكُرْمِ وَجْهِهِ وَ عَزِّ جَلَالِهِ وَ بِجَمِيعِ تَطَوُّرَاتِهِ بِأَلْسِنَةِ خَلْقِهِ حَسَبَ مَا سَمِعْتَ مِنْ أَقْسَامِ الْحَمْدِ، فَتَقْدِيمُ مِثْلِ هَذَا التَّحْمِيدِ كَالْتَمَهِيدِ لِلتَّمْجِيدِ بِاسْتِحْقَاقِهِ لِاخْتِصَاصِهِ بِالْعِبَادَةِ لَهُ وَ الْاسْتِعَانَةِ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٤٣

وَ هَذَا أَوْلَى مِمَّا قِيلَ فِي وَجْهِ التَّكْرِيرِ: أَنَّ فِي الأَوَّلِ ذِكْرَ الْإِلَهِيَّةِ فَوْصِلَ بِذِكْرِ النِّعَمِ الَّتِي بِهَا يَسْتَحَقُّ الْعِبَادَةَ، وَ هُنَا ذِكْرَ الْحَمْدِ، فَوْصِلَهُ بِذِكْرِ مَا يَسْتَحَقُّ بِهِ الْحَمْدَ وَ الشُّكْرَ عَلَى النِّعَمِ فَتَأَمَّلْ.

نَعَمْ رَبِّمَا يُقَالُ فِي وَجْهِ إِجْرَاءِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ بَعْدَ ذِكْرِ اسْمِ الذَّاتِ الْجَامِعِ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ أَنَّ الَّذِي يَحْمَدُهُ النَّاسُ وَ يَعْظُمُونَهُ إِنَّمَا يَكُونُ حَمْدُهُ وَ تَعْظِيمُهُ لِأَحَدِ أُمُورٍ أَرْبَعَةٌ إِمَّا لِكُونِهِ كَامِلًا فِي ذَاتِهِ وَ صِفَاتِهِ، وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ إِحْسَانٌ إِلَيْهِمْ، وَ إِمَّا لِكُونِهِ مُحْسِنًا إِلَيْهِمْ وَ مَنْعَمًا عَلَيْهِمْ، وَ إِمَّا لِأَنَّهُمْ يَرْجُونَ لَطْفَهُ وَ إِحْسَانَهُ فِي الْاسْتِقْبَالِ، وَ إِمَّا لِأَنَّهُمْ يَخَافُونَ قَهْرَهُ وَ كَمَالَ قُدْرَتِهِ وَ سَطْوَتِهِ وَ هَذِهِ هِيَ الْجِهَاتُ الْمَوْجِبَةُ



للحمد والتعظيم فكأنه تعالى يقول أيها الناس ان كنتم تحمدون و تعظمون للكمال الذاتى و الصِّفاتى فاحمدونى فأنى أنا الله، و ان كان للإحسان و التربية و الانعام، فأنا رب العالمين، و إن كان للرجاء و الطمع فى المستقبل، فأنا الرحمن الرحيم، و إن كان للخوف عن كمال القدرة و الشطوة فأنا مالك يوم الدين.

و قد يقال إن وصفه سبحانه بقسمى الرحمة للدلالة على أنه سبحانه مفضل بالإيجاد و التربية مختار فيهما ليس يصدر عنه شىء لا يجاب بالذات كما هو رأى الفلاسفة أو وجوب عليه قضية لسوابق الأعمال حتى يستحق به الحمد كما هو رأى المعتزلة القائلين بوجوب إيصال الثواب إلى العباد فى مقابل سوابق أعمال الخير التى صدرت عنهم، فإن كلاً من المذهبين يقتضى عدم استحقاقه الحمد على تلك الأمور لكونها لازمة لذاته أو واجبة عليه فليس مختاراً مفضلاً بها بخلاف الأشاعرة فإنهم لا يوجبون صدور تلك الآثار عنه، فصدورها عنه ليس إلا على سبيل التفضل و الرحمة على العباد.

أقول و مراده ان تعقيب الحمد الذى هو الثناء على الجميل الاختيارى بالتربية و قسمى الرحمة دليل على صدورها عنه تعالى لا على وجه اللزوم و الوجوب كما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٤٤

عليه الفلاسفة و المعتزلة بل على وجه الإختيار كما هو مختار الأشاعرة.

و فيه نظر أمّا أولاً- فلان مذهب الحكماء فى كونه سبحانه فاعلاً- بالعناية و إن كان باطلا فى نفسه لتفسيرهم العناية بالعلم بالوجه الأحسن الأكمل فى كل شىء فمرجعه إلى العلم الذى هو ذاته كما صرحوا به فيلزمه فاعلاً بالإيجاب لكون ذاته علمة تامة لمعلوماته، فهو غير فاقد لما قدمه، ضرورة استحالة انفكاك المعلول عن علته التامة إلا أنهم لا ينكرون التفضل و الجود منه، و إن أنكروا الغرض و الغاية، و لذا فسروا الجود بإفادته ما ينبغى لا لعوض حق المدح و الثناء و التخلص من الذم إلا أنه لا يخفى أن عدم قصد التمديح و التخلص غير لازم لعدم استحقاقه فإن الاستحقاق إنما هو على فعل الحسن من حيث هو حسن و إن لم يقصد به التمديح و التخلص عن المذمة.

بل ربما يقال إن مذهبهم فى الإيجاب يؤكد التفضل فإنهم يوافقون الملتين على أنه تعالى إن شاء فعل و ان شاء لم يفعل، إلا أنهم يقولون الفعل الذى هو خير لازم لذاته الذى هو خير محض لأنه الجواد الحق و الفيض المطلق فيستحيل انفكاكه عنها فقدم الشرطية الاولى واجب صدقه فقد شاء و فعل و مقدم الشرطية الثابتة ممتنع الصدق لاستحالة النقص عليه تعالى، و صدق الشرطية لا يقتضى صدق الطرفين و لا صدق إحداهما، إلا أن يدعى أن الاختيار المأخوذ فى تعريف الحمد هو الإختيار بمعنى جواز الفعل و الترك و هو ممنوع، بل سمعت كون الحمد أعم من كل ذلك و إن ما أخذوه قيدها فى تعريفه من كونه الثناء على الجميل الاختيارى إنما هو فى اطلاق البعض و أمّا الأكثر فلا يوجد هذا التقييد فى كلامهم كما تبه عليه شيخنا البهائى قال: بل أنكروه بعضهم مستشهدا بقولهم عند الصباح يحمد القوم السرى، و فى قولهم: عاقبة الصبر محمودة، و يكفى فى ذلك قوله: عسى أن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٤٥

يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً (١)، ثم قال: و حينئذ يستغنى عن بعض التكاليف.

ثم بعد تسليم التقييد لا يخفى فى كون أفعاله سبحانه على مذهبهم اختيارياً حسب ما سمعت.

و لذا عدّ الصدر الأجل الشيرازى و غيره من أفاخم الطائفة الفاعل بالعناية من أقسام الفاعل بالاختيار ضرورة أنهم لم يقصدوا صرف العلية التى ليس معها إدراك و علم و إرادة و قدرة أصلاً فإنهم يثبتون هذه الصفات له سبحانه على الوجه الأجل الأفضل الأكمل، و قضية ذلك ثبوت الاختيار له فى فعله و لو على الوجه الذى سمعت، هذا كله مضافاً إلى ما سمعت من عدم اختصاص الحمد باللسان فضلاً عن كونه اختيارياً لشموله للحمد الذاتى و الفعلى و غير ذلك من الأقسام فى جميع النشآت و شؤون الوجودات الثلاثة.

و أمّا ثانياً فلأن ما أورده على المعتزلة غير وارد عليهم، فإنهم لم يقولوا إن جميع ما يصدر عنه سبحانه من النعم و الإحسان و كل ما

يفاض عنه من الكرم والامتنان واجبه عليه حتى لا يوصف بالنسبة إلى شيء منها بالتفضل كي يستحق به المدح والثناء كيف وهو سبحانه مبتدئ بالنعم قبل استحقاقها، بل إنما ذهبوا إلى وجوب بعض الأشياء عليه كبعض الألفاظ المقربة بالطاعات والباعثة على فعل العبادات.

و توهم أنهم كالإمامية عطر الله مراقدهم قالوا بوجوب الأصلح عليه سبحانه، و من البين أن كل فرد من أفراد الإحسان لحسن بحال لوجوبه لا يكون متفضلاً كي يستحق الحمد عليه مدفوع بأن هذا تقول عليه و جهل بمذهبه حيث ما صرح به محققوهم.

(١) الإسراء: ٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٤٦

و لذا قال في التجريد: و الأصلح قد يجب عليه تعالى، و الشارح لما لم يتفطن بما يقتضيه لفظه قد التقليلية اعترض بما لا يرد عليه، و لذا تبه عليه الورع الأردبيلي و شيخنا البهائي و غيرهما، سلمنا كون القضية عندهم كلية بالنسبة إلى الإمدادات الوجودية و الكمالية بعد الإيجاد لكن الإيجاد غير واجب عليه عندهم، كما صرحوا به و به يستحق الثناء عليه بل على جميع الفيوض الواصلة منه بعد الإيجاد لترتبه عليه.

هذا مضافاً إلى أن وجوب الأصلح عليه لا ينافي استحقاق الثناء بفعله، إذ لا يخرج الفعل بوجوبه عن كونه اختياريًا، و لذا لم يقيدوا الجميل في تعريف الحمد بعدم الوجوب بل بكونه اختياريًا، و ليت شعري كيف يستحق تعالى الحمد على صفاته التي يستحيل انفكاكها منه مع أنه غير مختار فيها و لا موصوف بالتفضل بها و لا يستحق الحمد على أفعاله الجميلة الاختيارية بمجرد القول بكونها واجبة عليها.

### إيراد كلام لنقض إبرام

قد سمعت وجه اختصاص الرحمن به سبحانه و أنه لا يجوز إطلاقه على غيره و إن جاز إطلاق الرحمة كقوله: وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً «١» و قوله:

وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ «٢» و

قولهم: «ارحم ترحم» «٣»

و

«إن الله قسم جزء من الرحمة بين خلقه به يتراحمون و يتعاطفون» «٤».

إلى غير ذلك من الإطلاقات الكثيرة

(١) الروم: ٢١.

(٢) يوسف: ٦٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤ / ١٠٠ ح ٤٨.

(٤) لم أظفر على مصدره و لكن قريب منه ما

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من رحمته أنه خلق تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٤٧

الظاهرة في كونها على وجه الحقيقة بل لعلها مقطوعة نعم ذكر بعض الأعلام في المقام أن إطلاق الرحمة على غيره مجاز رأساً و استدلل بوجوه:

الأول: انّ الجود إفادة ما ينبغي لا لعوض و كلّ أحد غير الله لا يعطى شيئا إلّا ليأخذ عوضا، لأنّ الأعراض و الأغراض بعضها جسمانيّة و بعضها حسنيّة و بعضها خياليّة و بعضها عقليّة، فالأول كمن أعطى دينارا ليأخذ ثوبا، و الثاني كمن يعطى المال لطلب الخدمة و الإعانة، و الثالث كمن يعطيه لطلب الثناء الجميل، و الرابع كمن يعطيه لطلب الثواب الجزيل، أو لإزالة حبّ الدّنيا من قلبه، و هذه الأقسام كلّها أعراض، فيكون ذلك الإعطاء بالحقيقة معاوضة و معاملّة، و لا يكون جودا و لا هبة، و أمّا الحقّ تعالى فهو لما كان كاملا في ذاته و صفاته فيستحيل أن يعطى شيئا ليستفيد به كاملا و هو الجواد المطلق و الرّحم الحقّ، و هذا إنّما يتمّ على مذهب أهل الحقّ القائمين بأنّه تعالى تامّ الفاعليّة بحسب ذاته و صفاته، لا يعتربه قصد زائد، و لا لفعله غاية سوى ذاته، و كان صدور الأشياء منه على سبيل العناية و الفيض دون القصد و الروية.

الثاني: انّ كلّ ما سوية ممكن الوجود بحسب مهيتته و الممكن مفترق في وجوده إلى إيجاد الواجب إياه ابتداء إذ إمكان الشىء علّة احتياجه إلى المؤثر الواجب و كلّ رحمة تصدر عن غير الله فهي إنّما دخلت في الوجود بإيجاد الله، لا بإيجاد غير الله إذ ليس لغيره صفة الإيجاد بل إنّما شأن غيره الاعداد و التخصيص في الاستناد فيكون الرّاحم في الحقيقة هو الله.

الثالث: إنّ فلانا يعطى الحنطة مثلا و لكن لا يقع الانتفاع بها ما لم يحصل

مائة رحمة جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلّهم فيها يترحم الناس...» البحار ج ١٨٣ / ٤ ج ٤٤ / ٨ ج ٢٥٠ / ٩٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٤٨

المعدة الهاضمة للطعام، و الشهوة الرّاغبة إلى أكله، و القوى الناهضة لذلك، و الآلات المعدّة لنقله و طحنه و عجنه و طبخه و غير ذلك، و ما يتوقّف عليها من الخشب و الحديد و النّجار و الحدّاد و الأرض التي يقومون عليه، و الهواء الذي يتنفسون به، و الفلك الذي يحدّد جهات أمكنتهم و أزمنتهم، و الكواكب التي تتورّ في الليل و النهار بحركاتها أكتافهم و يسخن أطرافهم و تنضج حبوبهم و اثمارهم التي يتغذّون بها إلى غير ذلك من الآلات و المعدّات و الملائكة الموكّلة بذلك و وسائط فيوضهم فما لم يخلق الله هذه الأشياء لم يحصل الانتفاع بتلك الحنطة فخالق تلك الحنطة و الممكن لنا من الانتفاع بحفظ هذه الأسباب حتّى يحصل الانتفاع هو الرّاحم.

أقول لا يخفى عليك ضعف هذه الوجود، و عدم مطابقتها للمدعى رأسا، إذا المدعى كما صرّح به كون إطلاق الرّحمة على غيره سبحانه مجازا و أين هذا من إثبات أنّ الفيوض كلّها من الله ابتداء و أصله و إن جرت على أيدي الخلق من حيث التوسّط و قيوميّة الحقّ.

على أنّ هذا لا اختصاص له بالرّحمة بل يجري في جميع الأفعال الاختياريّة التي تصدر من العبيد بحسب الظاهر حسب ما يؤمى إليه، دليله الثاني، و في خصوص الخيرات على بعض الوجوه و كان مراده و إن لم يساعده عنوانه بيان قيوميّة الحقّ سبحانه، و أنّ الكلّ منه و بيده، هو المالك لما ملكهم، و القادر على ما عليه أقدرهم، لكن في بعض ما ذكره بعض المناقشات و ان اشتمل أيضا على بعض الفوائد و لذا حكيناها بطوله.

و أمّا أنّ أفعال العباد هل هو منهم على وجه الاستقلال أو من الله كذلك أو منهما على وجه التبعية أو الألية أو القيوميّة أو الإشراق و الافاضة أو غير ذلك فلا يناسب المقام بسط الكلام فيه فارتقبه في موضعه إن شاء الله.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٤٩

## القراءة

اعلم أنّ في قوله: ما ليك يوم الدين قراءتان مشهورتان و قراءات أخر شاذة، فالمحكي عن عاصم، و الكسائي و خلف، و يعقوب

الحضرمي «مالك» بالألف مجرورا، و الباقون من القراء «ملك» من دون الألف مجرورا، و المحكى عن الأعمش بالألف منصوبا على المدح أو الحال، و عن شاذ آخر مالك بالرفع منونا، و عن ثالث به مضافا على أنه فيهما خبر مبتدأ محذوف، و عن رابع ملك بلفظ الفعل فما بعده منصوب به، فهو جملة خبرية منصوبة المحل بالحالية، و إن قال أبو حيان لا محل لها من الإعراب، و عن خامس و سادس مضافا مرفوعا و منصوبا على الخبرية، أو النداء و الاضافة فيهما بمعنى اللام كما عن أبي حيان لا بمعنى في كما عن بعضهم، و عن سابع و هو ربيعة بن نزار ملك فصار مجرورا مخففا بتسكين اللام كما يقال: فخذ و فخذ فهذه تسع قراءات، سبعة منها شاذة ساقطة بالشذوذ مع الجهل بقائل الجلل.

أمّا الأوليان فهما المشهورتان إلّا أنّ لهما وجوها في ترجيح كلّ منهما على الاخرى، فمما يرحح به الأولى أنّ المالك أعمّ شمولاً و أكثر إحاطة لإضافته إلى الملك و الملك بالضم و الكسر، فيقال: مالك الملك و مالك الملك، و لا يضاف الملك إلّا إلى الثاني، و المالك يضاف إلى كلّ شيء فيقال: مالك الطير و الدواب و العبيد و الإماء و الملك لا يضاف إلّا إلى الثقلين، و المالك يضاف إلى الذات و الفعل فيقال مالك الملك و مالك التصرف، و الملك لا يضاف إلّا إلى الذات، و أنّ المالك أقوى سلطته من الملك من حيث التملك إذ المملوك لا يملك لنفسه الخروج من الملكية بخلاف الرعية و الملك ينفذ أمره و نهيه دون ساير التصرفات بخلاف المالك، و أنّ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٥٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ٤٩٩

الملك بالضم قد يكون بالتغلب و غير الاستحقاق بخلاف الملك بالكسر، و إنّ المملوك لا يقدر على شيء و هو كلّ على موليه بخلاف الرعية، فلهم التصرف في أمورهم فسلطته المالك أقوى، لأنه مالك الرعية و الملك ملك الرعية و رحمته أوسع إذ لا يختار الملك إلّا القوى الصّحيح المنتفع به، و لذا قيل: إنّ المالك نافع و الملك طامع، و إنّ المنساق من المالك هو الرّحمة و العناية و من الملك هو الهيبة و السّياسة، و المرجو المناسب للمقام الموعد لكافة الأنام يوم القيمة هو الأول، و أنّ زيادة الحروف مع إيجابه فضل الثواب إذ يعطى القارى بكلّ حرف عشر حسنات، تدلّ على زيادة المعاني أيضا و أنّه الأوفق بقوله تعالى: يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَ الْأَمْرُ يُؤَمَّرُ لِلَّهِ «١» فإن اختصاصه سبحانه بالأمر بعد نفي المالكية من غيره يشعر بأن المراد بالأمر الملك و إثبات الملك له في هذا اليوم هو المقصود بقوله:

مالك يوم الدين و إنّ الملك يملك من بعض الوجوه مع قهر و سياسة، و المالك يملك على كلّ حال و بعد الموت له الولاء، و أنّ الحق سبحانه يمدح بكونه مالك الملك بضم الميم في قوله: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ «٢» و لم يمدح بكونه ملك الملك بالكسر، و حيث إنّ- الملك بالضم أشرف فالمالك أولى، فإن الملك بالضم كما قيل و إنّ كان يرجع مع الملك بالكسر إلى أصل واحد و هو الرّبط و الشّدّ كقولهم: ملكت العجين اى شددته و قوله: ملكت بها كفى فأنهت فتحها «٣» أى شددت بالطعنة كفى لكن المراد به نسبة من قام به و من تعلق به، و إنّ شئت قلت صفة قائمة بذاته متعلّقة بالغير تعلق التصرف التام المقتضى استغناء المتصرف و افتقار المتصرف فيه، و لهذا لا

(١) الإنفطار: ١٩.

(٢) آل عمران: ٢٦.

(٣) قائله قيس بن الحطيم الأوسى، و مصراعه الآخر: يرى قائم من دونها ما ورائها. لسان العرب في مادة نهر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٥١

يصحّ على الإطلاق إلّا لله تعالى و هو أخصّ من الملك بالكسر لأنه تعلق الاستيلاء مع ضبط و تمكّن من التصرف في الموضوع

اللغوى، و بزيادة كونه حقاً في الشرع من غير نظر إلى استغناء و افتقار لكنهما في الاطلاق قد لا يتصادقان من الطرفين إذ بينهما العموم من وجه فينفك كل منهما عن الأخرى لكن المالكية سبب لإطلاق التصرف و الملكية ليست كذلك.

و مما يرجح به الأخرى أن المالك مندرج في الاسم الربّ فإنه أحد معانيه كما سمعت و القرآن ورد بسرّ الاعجاز و الإيجاز فقضية نفى التكرار تعيين الملك، على أن الكشف التام أفاد أن لا تكرار في الوجود أصلاً، و أن هذه الصفة أمدح إذ لا يكون إلا مع التعظيم و الاحتواء على الجمع الكثير من الأشياء، و لذا قيل: ان كل ملك مالك، و ليس كل مالك ملكاً و إنما قال تعالى: مالِكِ الْمُلْكِ «١» لأنه يملك ملوك الدنيا و ما ملوكوا فملكهم له يوليه فيها من يشاء منهم، و أما يوم الدين فالملك يومئذ لله، و ان الله سبحانه وصف نفسه في خاتمة الكتاب بعد وصفه بالربوبية فقال:

ربّ التّياس ملك الناس، فناسب أن يكون وصفه في فاتحة الكتاب جارياً على هذا المنوال لمطابقة الفاتحة و كشف كل منهما عن الآخر و أن قضية قوله: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ «٢» و قوله: الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ «٣» أنه الملك و لذا يقال أنه ملك بين الملك بضم الميم و مالك بين الملك بكسر الميم و فتحها و ضم الميم فيه لغة شاذة فتكرّر إثبات الملك بالضم له في الآيتين و في قوله: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ «٤» في آيات كثيرة يؤيد قراءة الملك مع تكرر وصفه به أيضا في قوله تعالى:

(١) آل عمران: ٢٦.

(٢) غافر: ١٦.

(٣) الحج: ٥٦.

(٤) الفرقان: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٥٢

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ «١» و الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ «٢» و مَلِكِ النَّاسِ «٣».

و إنّ الأسماء المستقلة لها تقدّم على الأسماء المضافة و اسم الملك ورد مستقلاً بخلاف المالك و يؤيد التقدّم مضافاً إلى البساطة أنّ الأسماء المضافة، «كفالق الإصباح» و «مخرج الحى من الميت» و ذى الملك و الملكوت و غيرها لم تنقل في الأسماء التسع و التسعين التي من أحصيتها دخل الجنّة و أنّه

قد ورد في بعض الأدعية النبوية: لك الحمد لا اله إلا أنت ربّ كلّ شيء و مليكه

، و لم يرد و مالكة و هذا السياق مناسب لسياق الأسماء المذكورة في أوّل الفاتحة و انّ الملك قراءة أهل الحرمين الذين هم أدرى بما انزل في الحرم.

و أنّ الملك من الأسماء المذكورة في خبر الإحصاء دون المالك، و انّ الملك لما كان أقدر على ما يريد من متصرفاته من المالك كان نسبة الجزاء إليه أنسب و أولى، و أنّه أنسب بالإضافة إلى يوم الدين كما يقال: ملك المصّر، و أنّ هذه القراءة غتية من توجيه وصف المعرفة بما ظاهره التنكير، و إضافة اسم الفاعل إلى الظرف لإجرائه مجرى المفعول به توسّعا إذا المراد مالك الأمور كلّها في ذلك اليوم، و سوغ وصف المعرفة به و ارادة معنى المضى تنزيلاً لمحقّق الوقوع منزله ما وقع أو ارادة الاستمرار الثبوتى، و أما قراءة ملك فغتية عن التوجيه لأنها من قبيل كريم البلد.

هذا قصارى ما قيل في ترجيح كلّ من القراءتين على الأخرى لكنّه لا يخفى عليك اشتراك الجميع في الضعف إذ الوجوه اللفظية كما ترى في القصور و مرجع الوجوه المعنوية من الطرفين إلى التّرجيح في المعانى المضافة إلينا تعالى الله عن ذلك.

(١) طه: ١١٤.

(٢) الحشر: ٢٣.

(٣) الناس: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٥٣

وقد سمعت فيما أسلفناه أن الأسماء المشتركة لا تطلق على الله و على خلقه بمعنى واحد من باب الاشتراك المعنوي، و ليس إطلاقه على خلقه من باب السنخية و الفرع و الظل و غير ذلك بل المغايرة بين الوصفين كالمغايرة بين الذاتين فله معنى المالكية إذ لا مملوك و الملكية إذ لا ملك و بهذا الاعتبار يكونان من صفات الذات بمعنى اتحادهما للذات بلا مغايرة حقيقية أو اعتبارية أو خارجية كرجوع الصفات الذاتية إلى الوجود الحق البحت المجرد و له معنى المالكية و الملكية في فعله بمعنى له الخلق و الأمر في يده ناصية كل شيء و حكمه نافذ في كل شيء و بقتوميته قامت الأشياء كلها فمالكيته عامة تامّة و لا تتم إلا بالملكية، و ملكية تامّة عامة و لا تتم إلا بالمالكية، و أين هذا من معنى المالكية في المخلوق إذ ليس إلا أمرًا جزئيًا ارتباطيًا اعتباريًا شرعيًا قد اعتبر الشارع بين العباد لرفع حوائجهم و إصلاح حالهم في أمر المعاش و المعاد، مع أنه هو المالك لما ملّكهم و القادر على ما عليه أقدرهم، و كذا معنى الملكية فيه استيلاء لغيره أو جعله شرعيًا لو قيل بشمولها لمثل الإمامة و يؤمى إلى احتواء كل من الملكية و المالكية في حقه تعالى على الآخر قوله: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ (١) فأضاف المالك إلى مبدء الآخر و إليه الإشارة بلام التملك في قوله: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (٢)، وَ إِن لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٣).

ثم لو سلمنا اختلاف المعنيين في قوله تعالى، و رجحان أحدهما على الآخر في نفسه لكن لا يخفى أن ذلك لا يقضى بتعين الزاجح في المقام إذ لا خلاف في كونهما اسمين لله و قد وردا معا في الكتاب العزيز، فالتعيين بالمرجح من قبيل إثبات اللغة بالقياس، سيما بعد ورود القراءة بكل منهما و ورود الرخصة بل الأمر عن

(١) آل عمران: ٢٦.

(٢) الحديد: ٢ و ٥.

(٣) الليل: ١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٥٤

موالينا الأئمة الأنام عليهم الصلوة و السلام بالقراءة كما يقرء الناس (١)، و أنه لا يحاج بالقرآن اليوم (٢).

ثم أنه يمكن ترجيح قراءة مالك بما

في تفسير الإمام عليه السلام قال: مالك يوم الدين أي قادر على إقامة يوم الدين و هو يوم الحساب قادر على تقديمه عن وقته و تأخيره بعد وقته و هو المالك أيضا في يوم الدين و هو يقضى بالحق لا يملك الحكم و القضاء في ذلك اليوم من يظلم و يجور كما يجور في الدنيا من يملك الأحكام (٣).

نظرا إلى التعبير في الموضعين بالمطلوب مضافا إلى إرجاع ملك الأحكام إليه و منه يظهر وجه آخر للترجيح فإن مالكيته مطلقة بالنسبة إلى كل شيء حتى ملك الأحكام و نفوذ الأمر و التهيى الاستفادة من الملك.

هذا مضافا إلى ما

رواه في المجمع عن العياشي عن الصادق عليه السلام في فضل الفاتحة إلى أن قال: و مالك يوم الدين قال جبرئيل ما قالها مسلم قط إلا صدقها الله و أهل سماواته (٤).

و

في العيون و تفسير الإمام عليه الصلوة و السلام عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم في فضلها إلى أن قال: فإذا قال مالك يوم الدين

قال الله: أشهدكم كما اعترف بأنّي أنا الملك «٥» يوم الدين لأسهلّ يوم الحساب حسابه ولأفضلنّ حسناته ولأتجاوزنّ عن

(١) بصائر الدرجات ص ١٩٣ و عنه البحار: ج ٨٨ / ٩٢.

(٢)

بحار الأنوار: ج ٢ / ٢٤٥ عن أمير المؤمنين عليه السّلام انه قال لابن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج: لا تخصمهم بالقرآن فان القرآن حمّال ذو وجوه.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٢ / ٢٥٠ عن تفسير الامام.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ / ٢٢.

(٥)

في البحار عن تفسير الامام و الأمالي و العيون: اعترف عبدی أنّی مالک يوم الدين. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٥٥ سيّاته «١».

و في تفسير المالک بالملک إشارة إلى ما ذكرناه من رجوعهما إلى معنى واحد في حقّه تعالى، و لعلّه لذا و لما ذكرناه من جواز القراءة في زمان الغيبة بكلّ ما قرء الناس قرء مولينا الصادق عليه السّلام إرشادا و تعليما لشيعة بالقراءة الأخرى أيضا كما في «المجمع» عنه عليه السّلام أنّه كان يقرء ملك يوم الدين و إن كان في التّعير بلفظة كان الإشعار بالاستمرار «٢».

و

في الصّافي عن العياشي أنّه قرأ الصادق عليه السّلام ما لا يحصى «٣».

و فيه أيضا دليل على الوجهين، فالعمدة ما سمعت من الإذن لنا خصوصا في المقام، و عموما في القراءة بما يقرأ الناس، لا ما قيل من دعوى تواتر القراءات السبعة لعدم تحقّق التواتر بشرائطه التي منها بلوغ العدد في جميع الطبقات بالنسبة إلى شيء منها سيّما بعد ما ذكره بعض العامة، و هو كذلك من أنّ منشأ اختلاف القراء السبعة اختلاف المصاحف العثمانية الغير المعربة. ثم لا يخفى أنّ الرّسم في كثير من المصاحف القديمة بل في كلّها ترك الألف في كثير من الكلمات كأصبح و الشّيطين، و الصّعقة، و الكتب، و مالک أيضا من الكلمات التي يكتب في الرّسم ملك فلعلّ هذا هو الوجه في الاختلاف، بل رأيت كتابا من بعض العامة ألفه في ضبط الرّسوم قال ملك كتب بغير الف، و لا يجوز أن يكتب بإثباتها لأنّ في إثباتها يؤدّي إلى مخالفة من قرء بغير الف و مخالفة مصحف الإمام و مراده الثالث - قال: و مخالفة الإمام لا يجوز بوجه ما،

(١) تفسير الامام ص ٢٧ - أمالي الصدوق ص ١٠٥ - العيون ج ١ / ٣٠٠ و عنها البحار:

ج ٩٢ / ٢٢٦.

(٢) مجمع البيان ج ١ / ٣١ عن تفسير العياشي: ج ١ / ٢٢ ح ٢١.

(٣) تفسير الصّافي ج ١ / ٧١ عن تفسير العياشي ج ١ / ٢٢ ح ٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٥٦

و لهذا وجب مراعاة حروف الإمام، لأنّ في كلّ حرف فائدة تزول بتغيير ذلك ألا ترى إلى قوله: يَقْضِي بِالْحَقِّ «١» كتب بغير ياء، و لو كتب بالياء لبطل قراءة من قرء بالصاد، و كذلك قوله: غَايَبَتِ الْجُبِّ «٢» كتب بالتّياء من غير الف إذ لو كتب الألف بطل قراءة من قرء غيابة على الواحدة، و لو كتب بالهاء بطل قراءة من قرء بالجمع.

أقول: وهو كما ترى مبنى على ملاحظة الوجوه الاعتبارية والزسوم الغير المعتره من دون استناد كل من الزسوم والقراءات إلى ما يصلح الاعتماد عليه، وعلى فرض انتهاء الجميع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالواسطه بينهم وبينه صلى الله عليه وآله وسلم ما ذكره في كتبهم ممن لا يخفى حاله وعدده، ومع ذلك فلعل الأولى ترجيح قراءة مالك لما سمعت نعم ربما يقال: إن الأولى القراءة بكل منهما في ركعه، وتقديم المد في الأولى لزيادته نظرا إلى تطويل الأولى على الثانية فتأمل.

### تنبيه

اعلم أن لليوم إطلاقات أحدها: مجرد الوقت والزمان طويلا- كان أو قصيرا حتى الآن كقوله: كُملَ يومٌ هو في شأنٍ (٣) فإن شئون الربوبية دائمة مستمرة سيالة كاستمرار الزمان و سيلانه ففي كل آن له شأن بل شئون وقوله: وآتوا حقه يوم حصاده (٤) أى وقته ومن يؤلّهم يومئذٍ دبره (٥)،

(١) غافر: ٢٠.

(٢) سورة يوسف: ١٠-١٥.

(٣) الرحمن: ٢٩.

(٤) الانعام: ١٤١.

(٥) الأنفال: ١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٥٧

لَمَسِجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ (١)، فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيدِنَاكَ (٢)، يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ (٣) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ (٤)، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٥)، يَوْمَ ظَلَعْنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ (٦)، إلى غير ذلك من الموارد الكثيرة الواردة في القرآن وفي كلام أهل اللسان كقوله: فيوم علينا ويوم لنا. بل ربما يقال: إن اليوم في الأصل موضوع لمطلق الوقت والزمان، وأما ما كان بعده ليلة أو بعد الليل فهو المخصوص باسم النهار، لذا عدل إليه في قوله:

وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ (٧).

ومن هنا يظهر أنه في أكثر إطلاقاته في الكتاب محمول عليه حتى في مثل قوله: يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ (٨) وَيَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٩) وَيَوْمَ يُنظَرُ الْمُزْمَأُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ (١٠)، وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ (١١) وَيَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ (١٢) إلى غير ذلك مما أريد فيه التنبيه على خصوص الفعل ولو بذكر وقته لا

(١) التوبة: ١٠٨.

(٢) يونس: ٩٢.

(٣) الأنعام: ١٥٨.

(٤) السجدة: ٢٩.

(٥) مريم: ٣٣.

(٦) النحل: ٨٠.

(٧) يس: ٣٧.



(٨) التوبة: ٣٥.

(٩) النازعات: ٣٥.

(١٠) النبأ: ٤٠.

(١١) مريم: ٣٩.

(١٢) ق: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٥٨

الإشارة إلى مجموع الوقت المشتمل على غيره من الشدائد أيضا كما هو أحد الاحتمالين في هذه الآيات أيضا، نعم ينبغي تعميم الوقت و الزمان بحيث يشمل الوعاء الدهرى و السرمدى أيضا.

ثانيها: مرادف النهار و المقابل لليل المحدود شرعا بطلوع الفجر الثاني إلى ذهاب الحمرة المشرقية على الأطهر الأشهر و إلى غيبوبة قرص الشمس عند بعض، و عرفا عامًا أو خاصًا عند المنجمين بل قيل عند أهل فارس و الروم أيضا من طلوع الشمس إلى غروبها بل ذكر أبو ريحان «١» أن هذا التحديد بتعارف من الناس قاطبة فيما بينهم و اتفاق من جمهورهم لا يتنازعون فيه إلا أن بعض علماء الفقه في الإسلام حدّ أول النهار بطلوع الفجر و آخره بغروب الشمس تسوية منه بينه و بين مدّة الصوم، ثم استدل لإثبات مذهب المنجمين بوجوه مرجعها إلى أنه مقتضى الحساب و القواعد النجومية لكنّه لا إشكال في استقرار عرف الشرع على كونه من الفجر الثاني، و عليه ينزل يوم الصوم و يوم الاعتكاف، و يوم التراوح، بل ادعى المجلسى و غيره استقرار العرف العامّ عليه أيضا قال: و أما استقرار العرف العامّ و الخاصّ على جعل أول النهار الفجر و أول الليل الغروب لأنّ الناس لما كانوا في الليل فارغين عن أعمالهم الضرورية للظلمة المانعة فاغتنموا شيئا من الضياء لحركتهم و توجههم إلى أعمالهم الدنيوية و الدنيوية و في الليل بالعكس لأنهم لما كلوا و ملوا من حركات النهار و أعماله اغتنموا شيئا من الظلمة لتركهم ذلك فلذلك اختلف الأمر في أول النهار و آخره.

و بالجملة فالعمدة استقرار الشرع عليه و تبعية العرف له حتى ظن استقرار

(١) هو ابو الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى الحكيم الرياضى الطيب الأديب ولد سنة (٣٦٢) و توفي سنة (٤٤٠) هـ - معجم المؤلفين ج ٨ / ٢٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٥٩

العرف العامّ عليه أيضا بحيث يحمل عليه الإطلاق في مثل النذر، و شبهه، و فى الإجارة، و غيرها على تأمل فى بعضها بالنسبة إلى بعض الأعمال التى يقضى العرف و العادة استقرارا أو غلبة بوقوعه فى النهار النجومى.

ثالثها: مجموع الليل و النهار و هذا الإطلاق شايع عند المنجمين بل قال العلامة الشيرازى: أنه يراد به اليوم بليته حيث أطلق و ينقسم عندهم إلى حقيقى و وسطى فالحقيقى هو الزمان المتخلل بين مفارقة مركز الشمس نصف عظمة يتوهم ثابتا كأحد نصفى دائرة الأفق أو أحد نصفى دائرة نصف النهار و بين عوده إلى ذلك الموضع بعد دورة تامة بالحركة الاولى و هى دورة تامة للمعدّل مع قوس تقطعها الشمس بحركتها الخاصة إلى أن تعود إلى موضعها الأول و التردد فى نصف العظمة بين الدائرتين إنما هو للاختلاف فى تعيين المبدأ، مع اتحاد الجميع فى المقدار فإنّ كلّ واحد من العظام أفق بالقوة بل أفق حقيقى لمسكن من المساكن، فمبدأ اليوم بليته عند العرب غروب الشمس من أفق البلد إلى غروبها من الغد لأنّ مبادئ شهورهم من الهلال و رؤيته بعد الغروب غالبا، أو لأنّ الظلمة أصل فى الترتبة مقدّم بالطبع و لذا قدّمه فى قوله: وَ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَ النُّورَ «١» و النور طار عليه، و الابتداء بالأصل المقدّم بالطبع أولى، و لذا جرت عادتهم بتقديم الليالى على الأيام إذا نسبوها إلى أسماء الأسابيع أو عدد أيام الشهور.

و عند الروم و الفرس و من وافقهم طلوع الشمس من أفق المشرق إلى طلوعها منه بالغد إذ شهورهم حسابية غير متعلّق بشىء من

الكواكب فرجحوا النور على الظلمة تفضيلا للوجود على العدم.  
و أما المنجمون و أهل الحساب سيما المغاربة و أهل الأوساط فاليوم بليته

(١) الأنعام: ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٦٠

عندهم من موافاة الشمس دائرة نصف النهار إلى موافاتها إتياء في نهار الغد، فجعلوا المبدأ النصف الظاهر من الدائرة و بنوا عليه حسابهم في زيجاتهم و تقاويمهم، و ذلك لوجوه يظهر لمن مارس حسابهم و انس بصناعتهم، نعم آثر بعضهم النصف الخفي للبدائية فجعلوا المبدأ نصف الليل، فصار حاصل الأقوال في تعيين المبدأ أربعة، و أما الوسطى فهو مقدار دورة من المعدل مع مطالع قوس تقطعه الشمس بالسير الوسطى، و لأجل الاختلاف بين الحركة الوسطية و الحركة التقويمية يختلف الأيام بالمعنيين اختلافا يسيرا يحس به بعد اجتماعه في أيام كثيرة حسب ما فصل في موضعه، و لا يهمننا التعرض له في المقام، نعم ينبغي أن يعلم أن هذا المعنى لليوم و هو إطلاقه على مجموع الليل و النهار أى دورة واحدة للشمس من دون اعتبار خصوص وضع من الأوضاع من طلوع أو غروب في المبدأ من المعاني العرفية المشهورة بيني عليها كثير من إطلاقاتهم بل لعله المنساق منها إذا لم يقابل بها الليالي سيما إذا كانت بصيغة الجمع أو التثنية، و هذا المعنى مع كونه مصرحا به في كلام جمع من الأساطين بيني عليه و المواعيد، و الآجال العرفية، بل الشرعية أيضا.

### معتزلة استطرادية في مسألة فقهية

قد ورد في أخبار أهل البيت عليهم السلام إطلاق الأيام و قد أنيط بها كثير من الأحكام كخيار الحيوان المحدود بثلاثة أيام، و خيار التأخير، و قصد إقامة عشرة أيام، و إقامة الثلثين من دون قصد، و أيام العدد، و الاستبراء، و أجل الدين، و السلم، و مدة الإجارة، إلى غير ذلك.

و الأظهر في جميع ذلك تلفيق المنكسر و الابتداء من حين السبب إلى تمام العدد و لو مع التلفيق فيدخل الليالي في مفهوم الأيام اسما و حكما، فلو اشترى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٦١

الحيوان في ظهر الخميس كان آخر زمان الخيار ظهر يوم الأحد فإنه ثلاث دورات للشمس و الكل اثنان و سبعون ساعة، و مثله البحث في أيام الإقامة و التردد و العدد و غيرها من الآجال المحدودة بالأيام.

نعم ذكر شيخنا العلامة في جواهر الكلام عند التعرض لمسقطات خيار الحيوان التي منها انقضاء الثلاثة أن الظاهر دخول الليلتين المتوسطتين في الحكم دون الاسم، إذ ليس اليوم لغة و شرعا و عرفا إلما البياض المقابل لليل بل الظاهر دخول المنكسر من اليوم كذلك أيضا فاذا وقع العقد مثلا ظهر يوم الخميس فالخيار متصل إلى أن يتحقق مصداق مضي ثلاثة أيام، و لا يكون ذلك إلا بانتهاء يوم الأحد و هو غروب الشمس منه، و لو وقع في أول ليلة الخميس مثلا فالخيار فيه إلى مضي الثلاثة فتدخل الليلة في الحكم لا في اسم اليوم، بل هذا كاد أن يكون صريح

قول الصادق عليه السلام في صحيح ابن رثاب فإذا مضت ثلاثة أيام فقد وجب الشراء «١»

إذ مفهومه أن العقد على الخيار إن لم تمض، فالمنكسر في النهار و الليل حينئذ داخلان في حكم البقاء على الخيار إلى حصول الغاية، لا في مفهوم الأيام المنافي للغة و الشرع و العرف، كدعوى صدق اليوم على الملق من يوم آخر أو من الليل المنافية للثلاثة أيضا، و حينئذ فالخيار في الزيادة على الأيام الثلاثة مستفاد من دليل الخيار بالتقريب الذي ذكرناه، ثم قال: فتأمل جيدا فإنه دقيق نافع في كثير

من المقامات فإنني لم أجد من تتبّه له، مع أنّه بالتأمل في المقام وغيره يمكن القطع به لمن رزقه الله تعالى اعتدال الذهن «٢».

أقول: وفيه مع الغصّ عمّا يلزمه بل قد صرح به في المثال من كون مدّة

(١) بحار الأنوار: ج ١٠٣ / ١٠٩ باب الخيار ح ٢ عن قرب الإسناد ص ٧٨ و الوسائل الباب الثالث من أبواب الخيار ح ٩.

(٢) جواهر الكلام ج ٢٣ / ٣٠ كتاب التجارة في خيار الحيوان.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٦٢

الخيار ثلاثة أيام ونصف أن جميع ما ذكره رحمه الله عليه مبني على فرض عدم دخول الليالي في مفهوم الأيام بوجه بناء على أن اليوم مرادف للنهار، وقد سمعت أن له إطلاقاً آخر شاعرا في العرف والشرع وهو استعماله في مقدار مجموع الليل والنهار من الزمان، ولا يهمني بين كون ذلك من باب الاشتراك أو المجاز، وإن كان قد يظهر من بعض الأعظم دعوى الغلبة والانصراف بل التبادر بالنسبة إلى ما ذكرناه، وبالجملة فالظاهر أن المعنى المستعمل فيه في مثل قوله صاحب الحيوان بالخيار، في ثلاثة أيام هو المقدار المجموع.

ولذا قال بعض الأفاضل: إن دخول الليالي إنما هو على التحقيق لأنه الأصل في التحديد والظاهر دخول اللياليتين أصالة فتدخل الثالثة و إلا اختلف معنى الآحاد في استعمال واحد «١» انتهى وإن اعترض عليه في الجواهر بما لا يرد عليه فإن الإلحاق في الحكم مع عدم شمول الاسم ممّا لا يساعده دليل سوى الإجماع الذي يقضى على أنهم قالوا بدخول الأخيرة كالمتموسّيتين، إذ ليس المراد به مجرد ظهور الاتفاق أو تحقّقه حتى يقال: إن الفرض وقوع الخلاف، على أن المسألة غير مذكورة في كلام أكثر رأسا فكيف يدعى الوفاق، بل المراد ما هو الحجّة عند الفرقة المحقّقة من مسلك الحدس وغيره بل ربما يظهر ما ذكرناه من فحوى بعض الأخبار أيضا بل في بعضها عبر عنها بالليالي تغليبا.

ومن الغريب ما وقع لشيخنا في الجواهر في بحث استبراء البائع الأمّة الموطوءة حيث وقع في عبارة جملة من الأصحاب التعبير عن مدّة الاستبراء بخمسة وأربعين يوما، وفي جلّ الأخبار بل كلّها التعبير بالليالي، ومع ذلك فقد حكى عن شرح استاذّه أنّه تدخل في الخمسة وأربعين يوما الليالي المتوسطة دون

(١) الجواهر: ج ٢٣ / ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٦٣

الاولى والاخرة والمنكسر لا يحسب يوما مستقلا ويقوى احتسابه بالإكمال ثم قال وهو جيد «١».

إذ فيه مضافا إلى ما مرّ أن الحكم في خصوص المقام معلق في صريح الأخبار بالليالي فالقاء الطرفين اعتبارا بالأيام على الوجه الذي ذكره في خيار الحيوان لا وجه له، مع أن قضيه ما سمعت منه فيما مرّ عدم احتساب المنكسر بالإكمال، بل عدم احتسابه رأسا تكميلا للعدة من الأيام التامة حسب ما ذكره، ثم إن الليالي الأولى التي ذكرها لم أر لها وجهها، وكذا قضيه ذلك الاجتزاء بثلاثة وأربعين ليلة بإسقاط اللياليتين بعد إحراز اليومين وهو كما ترى، سيما بعد ملاحظة نصوص الباب.

ومما يؤمى إلى ما ذكرناه ما ذكره كثير من الفقهاء في تحديد أقلّ الحيض من أن الليالي داخله، بل عن التذكرة أنّه لا خلاف فيه بين فقهاء أهل البيت وإن قيل إن معقد الإجماع فيه، وفي المنتهى: ليس خصوص دخول الليالي.

وقال المحقّق «٢» الثاني في جامع المقاصد: لا ريب أن الليالي معتبرة في الأيام إمّا لكونها داخله في مسماها أو تغليبا قال: وقد صرح بدخولها في بعض الأخبار من طرق العامة «٣» وفي عبارة بعض «٤» الأصحاب و ادعى المصنّف الإجماع على ذلك في المنتهى «٥».

(١) الجواهر: ج ٢٤ / ١٩٨ - ١٩٩.

(٢) هو الشيخ الجليل أبو الحسن علي بن الحسين العاملي الكركي المولود سنة ٨٦٨ و المتوفى سنة (٩٤٠) هـ.

(٣) سنن النسائي ج ١ / ١٨٢.

(٤) المعبر ج ١ / ٢٠٢ وفيه: قال أبو علي ابن الجنيد في المختصر: أقله ثلاثة أيام بلياليها.

(٥) المنتهى ج ١ / ٩٧.

(٦) جامع المقاصد: ج ١ / ٢٨٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٦٤

و مثله من الوجهين للدخول عن الرّوض وغيره، بل يمكن استظهاره من بعض الأخبار و الفتاوى في حكم من سافر إلى أربعة فراسخ فصاعدا حيث أرادوا باليوم ما يشمل اللّيلة، و في بعض أخبار ناوى الإقامة عشرة أيام ذكر العشر بدون التّاء مع حذف التّمييز، و مع كلّ ذلك فللتأمّل في هذا مسألة مجال واسع و تمام الكلام في الفقه.

و رابعها اليوم الملكوتى و يعبر عنه باليوم الرّبوبى اقتباسا من قوله تعالى:

وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ «١».

خامسها: اليوم الجبروتى المعبر عنه بالأيام الإلهية المشار إليها بقوله:

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ «٢».

و التعبير بالرّبوبى و الإلهى إنّما هو لمجرد الإشارة و التّمييز، و إنّما فمن الواضح أنّه عند ربك لا صباح و لا مساء، و حديث الزّمان منقطع هناك رأسا بل لا ذكر الزّمان فى عالم الدّهر الذى هو وراء النفوس و العقول فضلا عن السرمد فما ظنك بالأزل جلت عظمتة. و هذان اليومان فى القرآن لعلهما إشارتان إلى الوعائين المتقدّمين على الزّمان فإنّ الأزل غير داخل فى الأوعية رأسا بل هو عين الدّات، بلا مغايرة حقيقيّة أو اعتباريّة، و هو عين الأبد فأولّيته عين آخرّيته، و هما عين الدّات بلا مغايرة أصلا، و إنّما لزم التعدد المحال مضافا إلى استلزامه لما هو المستحيل أيضا من الطّرفيّة و الشّمول و الإحاطة و الافتقار فأولّيته و سبقه على الأشياء ليست بالزّمان و لا بالامتداد الموهوم كما ربما يختلقه بعض الأوهام و لا

(١) سورة الحج: ٤٧.

(٢) المعارج: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٦٥

بالرتبة و لا بالأوليّة الدّهريّة و التّيرمدية، بل أوليّة حقيّة ذاتيّة قيوميّة، لا يحيط بها الأفهام و لا يعبر عنها الكلام، و أمّا الأوعية الثّلاثة الواقعة فى حيز الإمكان فأعلاها السّيرمد، و هو ظرف للمشية ليس قبله شيء من الممكنات و لا من الكائنات، و ذلك بالنسبة إلى المشية الإمكانية و الكوتية و ما لهما من الوعاء فافهم، و ليس للسرمد نهاية فى نفسه إنّما بالنسبة إلى غيره، و به فارق الدّهر و الزّمان لانتهائهما إلى الغير، و أمّا لا تناهيها فلعدم انتهائها إلى شيء و عدم تعلّقها بشيء فليس لها حدّ تقف عنده، ألا ترى أنّ كلّ شيء من الأشياء يجوز أن يلبس فى إمكانه كلّ صورة من الصّور فى السّلسلة الطّوليّة و العرضيّة بلا نهاية، فيجوز أن يكون عقلا أو نفسا أو طبيعة أو كليّا أو جزئيا و خيرا و شرا، و أرضا و سماء و زيدا و عمروا، و شجرا و حجرا إلى غير ذلك من جزئيات العالم التى لا يمكن إحصاؤها و استقصاؤها مع قياس كمياتها و كفاءتها و أمكنتها و حدودها و أوضاعها و آجالها المتساوية نسبة كلّها إليها، فليس شيء أقرب إليها من شيء، و لا شيء أبعد منها من شيء، و إليها الإشارة

بقول مولينا الصادق عليه السلام في تفسير قوله: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (١) استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء (٢).

و

في خبر آخر: استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء لم يبعد منه بعيد و لم يقرب منه قريب، استوى من كل شيء (٣). فالآن الواحد من السرمد يطوى المتعدد مع تباين أمكنتها وأوقاتها وحدودها من دون انثلام وحدته، ولا طرؤ تكثر في انبساطه لا حقيقة ولا معنى ولا صورة وأوسطها الدهر، وهو وعاء وظرف للمجردات من المادة العنصرية والمدّة الزمانيّة،

(١) طه: ٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣ / ٣٣٦ ح ٤٥ - ٤٦ عن التوحيد و تفسير القمي.

(٣) البحار: ج ٣ / ٣٣٧ ح ٤٧ عن التوحيد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٦٦

سواء كان تجزّده عن المادة بحسب الذات و الفعل كالعقول، أو بحسب الذات خاصّة كالنفوس التي لا يتم أفعالها إلّا بواسطة الأجسام، على حسب اختلاف مراتبها و درجاتها في التعلّق و التجرد و المعاني المعقولة و المهيّات الكليّة و الاعداد و النسب العددية التي بينها كلّها من حوادث هذا العالم فليس لها حدوث زمني، لأنّ الزّمان كلّه في رتبة الدهر، كنقطة محدودة و الحوادث الدهرية ليس لها حدود زمانيّة و لذا لا يصحّ أن يقال إنّ زوجيّة الأربع مثلا، أو سلسلة الأعداد، أو كون عدد نصف آخر، و ثلث ثالث، و ربع رابع مثلا كم لها من السنين أو متى حدثت، و اين مكانها و إلى أين تنتقل، و متى تفنى؟

و بالجملة لما كان الزّمان و المكان متساوقين للأجسام فلا يقال شيء منهما على المعاني المعقولة بنفى و لا إثبات.

و توهم أنّ هذه المعاني من الأمور الاعتباريّة التي ليس لها وجود متأصل عينيّ فليست من الموجودات و لا من الحوادث حتّى يقال أنّ لها ظرفا و وعاء و ان وقتها الدهر.

مدفوع بأنّه إن أريد بكونها من الأمور الاعتباريّة فليست من الموجودات المتأصلة الخارجيّة المتخيّزة التي هي الأجسام أو مع لواحقها و عوارضها فمسلّم، لكن التّفريع في غير موضعه، لعدم انحصار الموجودات فيها، و إن أريد أنّها ليست موجودة أصلا بل إنّما هي باعتبار المعبر و فرض الفارض فيه منع واضح، كيف و لكلّ من هذه المعاني و النسب واقع متأصل قد يطابقه القضيه و قد يخالفها، و من أين يتطرّق الصّيدق و الكذب في القضايا التي ليست للنسب الحكميّة التي فيها تحقّق سوى مجرد الفرض و الاعتبار، و ما أشبه هذا التّوهم بهذيانات أوساخ الفلاسفة و حمقاء المتكلّمين من العامّة العمياء الذين ينكرون نصف العالم بل أكثر و أكثر و أكثر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٦٧

و لذا حصروا الموجودات في الأشياء المحسوسة بالحواس الظاهرية و أنكر كثير من المنتسبين إلى الفلسفة الموجودات الواقعيّة المسماة عندهم بالموجود الذهني، بل المتكلّمون كافّة أنكروا بعد الواجب ما سوى المتخيّز و الأعراض القائمة به.

قال في المواقف و شرحه: الموجود اي في الخارج (إذ لا يشتون الوجود الذهني) إمّا لا يكون له أوّل و هو القديم، أو يكون له أوّل و هو الحادث، و الحادث إمّا متخيّز بالذات أو حالّ في المتخيّز بالذات، أو لا متخيّز و لا حالّ فيه، فالمتخيّز هو الجوهر، و نعى به المشار إليه إشارة حسيّة بأنّه هنا أو هناك، و الحالّ في المتخيّز هو العرض، و ما ليس متخيّزا و لا حالّا فيه لم يثبت وجوده عندنا.

و منهم من قنع بهذا القدر، و منهم من جزم بامتناعه لوجهين: أحدهما أنّه لو وجد لشاركه في هذا الوصف الذي هو عدم التخيّز و عدم الحلول في المتخيّز، و لا بدّ من أن يمايزه بغيره فيلزم التركّب في الباري من المشترك و المميّز و هو محال.

و الثّاني: أنّ هذا الوصف أخصّ صفات الباري فإنّ من سئل عنه لا يجاب إلّا به، و لو شاركه فيه غيره لشاركه أيضا في الحقيقة، فيلزم

إمّا قدم الحادث أو حدوث القديم، ثمّ أجاب عن الوجهين بجواز الاشتراك في عارض ثبوتى و بالمنع من كونه أخصّ صفاته. إذا عرفت هذا فاعلم أنّ هذين القسمين من الأيام أعنى الأيام الربويّة و الأيام الإلهيّة يمكن أن يكونا إشارتين إلى الوعاء الدهرى و السرمدى و حينئذ فالتحديد بألف سنة أو بخمسين ألف سنة ليس على وجهه، بل المراد به مجرد الإشعار على الكثرة و التقريب على الأفهام كتقريب الكثرة بالسبعين في قوله: **إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ** «١»، و يمكن أن يكونا إشارتين إلى الزّمان

(١) التوبة: ٨٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٦٨

الذى هو قبل خلق الأفلاك و الزّمان الذى بعد فنائها، كما في الآيتين «١».

و قد حمل بعض الأعلام «٢» السنّة الأيام التى خلق الله فيها السموات و الأرض «٣» على هذه الأيام، و عليه حمل ما في الأخبار من اختزال السنّة الأيام من أيام السنّة «٤» مؤيدا بما

ورد من أنّ رباط يوم في سبيل الله خير من عبادة الرّجل في أهله سنة ثلاثمائة و ستين يوما كلّ يوم ألف سنة و إنّ صلوة المغرب هي السّاعة التى تاب الله عزّ و جلّ فيها على آدم و كان بين ما أكل من الشّجرة و بين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من أيام الدّنيا، بل عن الطبرى في تاريخه: إنّ حمل تلك الأيام السنّة على الأيام الربويّة أمر مقرر بين أهل الإسلام «٥» إلى غير ذلك من الشّواهد التى تسمع إن شاء الله تمام الكلام فيها و فى تحقيق المرام عند تفسير الآية و لعلّه لا تمانع بين الوجهين فإنّ الجنّة التى خرج منها أبونا آدم من عالم المثال الذى هو فى الإقليم الثامن و ليس فى أفق الزّمان، و لذا كان يوم أيامه كألف سنة من هذا العالم، و كذلك عالم الآخرة من عالم الملكوت و ليس من عالم الزّمان و لذا يحشر فيه جميع الأزمنّة.

و من البين أنّ الزّمان لا يمكن أن يحشر فيه زمان آخر، و

قد ورد أنّه يحشر الأزمنّة بما فيها من الأفعال و تشهد للعباد

، و

فى خطبة مولينا أمير المؤمنين عليه السلام المذكورة فى نهج البلاغة: و أنّه سبحانه يعود بعد فناء الدّنيا وحده لا شىء معه كما

(١) الحج: ٤٧- و المعارج: ٤.

(٢) هو العلامة المجلسى قدس سرّه كما فى البحار ج ٥٧ / ٢١٨.

(٣) الأعراف: ٥٤ و غيرها.

(٤) إشارة إلى ما

رواه الكليني فى الكافى كتاب الصوم ب ٧ ح ٣ عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: إن الله تبارك و تعالى خلق الدنيا فى سنّة أيام، ثمّ اختزلها عن أيام السنّة، فالسنّة ثلاثمائة و اربعة و خمسون يوما ...

(٥) بحار الأنوار: ج ٥٧ / ٢١٥ الى ص ٢٢٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٦٩

كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت و لا مكان و لا حين و لا زمان عدت عند ذلك الآجال و الأوقات و زالت السّينون و السّاعات. «١» الخطبة.

و

فى تفسير الامام عليه السّلام: إن اللّيالى و الأيام و الشّهور شهوده له أو عليه إلى أن قال: و يحشر اللّيالى و الأيام و يستشهد البقاع و

الشَّهور على أعمال العباد فمن عمل صالحا شهدت له جوارحه وبقاعه و شهوره و اعوامه و ساعاته و أيامه و ليالي الجمع و ساعاتها و أيامها فيسعد بذلك سعادة الأبد إلى أن قال:

و ينادى مناد يا رجب و يا شعبان و يا شهر رمضان كيف عمل هذا العبد فيكم و كيف كانت طاعته لله عزّ و جلّ؟ فيقول رجب و شعبان و شهر رمضان: يا ربنا ما تزود منا إلا استعانته على طاعتك فقال للملائكة الموكّلين بهذه الشهور ما ذا تقولون في هذه الشهادة لهذا العبد؟ فيقولون: يا ربنا صدق رجب و شعبان و شهر رمضان، الخبر بطوله «٢».

فالمستفاد منه و من غيره بل من بعض الآيات أيضا كقوله: قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ عَلَى تَقْرِبِ لَا يَخْفَى أَنَّهُ يَحْشُرُ الزَّمَانَ فِي الْمَحْشَرِ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَأَعْمَالِهِمْ فَلَوْ كَانَ يَوْمَ الْحَشْرِ أَيْضًا زَمَانِيًا لَمْ يُمْكِنَ ذَلِكَ لِعَدَمِ كَوْنِ الزَّمَانِ ظَرْفًا لِمِثْلِهِ بَلْ جَمِيعُ الزَّمَانِ فِي جَنْبِ الدَّهْرِ كَنَقْطَةِ مَحْدُودَةٍ وَقَدْ اسْتَفِيدَ مِنَ الْخَبْرِ أَيْضًا أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ حَشْرِ الزَّمَانِ وَ شَهَادَتِهِ شَهَادَةُ الْمَلَائِكَةِ الْمَوْكَلَّةِ بِهِ عَلَى الْعَامِلِينَ فِيهِ حَسَبِ مَا هُوَ صَرِيحُ الْخَبْرِ.

و أما كَيْفِيَّةُ امْتِدَادِ الْعَالَمِ الْآخِرِ فِي الْمَحْشَرِ، وَ فِي الْجَنَّةِ وَ النَّارِ فَلَا تَدْرِكُهُ عَقُولُنَا بِحَقِيقَتِهِ، وَ عَلَى فَرَضِ كَوْنِهِ مِنْ سَنَخِ هَذَا الْاِمْتِدَادِ الْمَحْسُوسِ فِي هَذَا الْعَالَمِ لَعَلَّ الْمُرَادَ بِحَشْرِ الزَّمَانِ فِيهِ مَعْنَى آخَرَ، أَوْ أَنَّهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ أُخْرَى لَا تَدْرِكُهُ

(١) نهج البلاغة الخطبة (١٨٦).

(٢) بحار الأنوار: ج ٧ / ٣١٥-٣١٦ ح ١١ عن تفسير الامام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٧٠

عقولنا و الله العالم.

سادسها: الحوادث الزمانيّة بل مطلق الشئون الزبانيّة، فإنّ كلًّا من الحوادث و الشئون يوم من الأيام و منه أيام العرب لوقائعها أو حروبها، و فسّرت في قوله:

و ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ «١» بنعم الله و شئون ربوبيّته كنعمته إنجائهم من آل فرعون، و قبول توبتهم، و تظليل الغمام، و إنزال المنّ و السيلوى، إلى غير ذلك و بنقمة التي انتقامها الله من الأمم السالفة فيكون أيام الله كناية عن عقوباته التي نزلت بمن مضى في الأيام الخالية.

و

فسرها مولينا الباقر عليه السلام بيوم يقوم القائم عليه السلام، و يوم الكرة، و يوم القيامة.

و مولينا الصادق عليه السلام: بنعم الله و آلائه «٢».

و

عن مولينا أبي الحسن الثالث عليه السلام في معنى قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا تعادوا الأيام فتعاديكم انّ السبب اسم محمّد عليه السلام، و الأحد أمير المؤمنين، و الاثنين الحسن و الحسين و الثلاثاء عليّ بن الحسين و محمد بن عليّ و جعفر بن محمّد، و الأربعاء موسى بن جعفر و عليّ بن موسى و محمّد بن عليّ و أنا، و الخميس إبنى الحسن، و الجمعة إبنى إبنى، و اليه تجتمع عصابة الحقّ، و هو الذي يملأها قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا فهذا معنى الأيام فلا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الآخرة «٣».

و لعلّ ذلك لكونهم من الشئون الجليلة الإلهيّة بناء على اطلاق الأيام عليها سواء كان من الحوادث الزمانيّة أو من الإبداعات الملكوتيّة لكنهم عليهم السلام لما كانوا أوّل الشوون و أعلاها و أقدمها اختصوا باسم الأيام على الإطلاق.

(١) سورة إبراهيم: ٥.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ / ٢٢٢ ح ٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٤ / ٢٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٧١

### تفسير [سورة الفاتحة(١): الآيات ٤ الى ٥]

#### فصل الدين

#### إشارة

اعلم أن الدين هو الحساب وقيل: هو الجزاء، ومنه قولهم: كما تدين تدان، الأول بالفتح للفاعل والثاني بالضم للمفعول أي كما تجزى تجزى.

قال أخو عبد قيس:

واعلم و أيقن أن ملكك زائل واعلم بأنك ما تدين تدان

بل

عن النبي: البر لا يبلى والذنوب لا ينسى «١» والديان لا يفنى فكن كما شئت كما تدين تدان «٢».

وقيل غير ذلك من المعاني التي يستعمل فيها في خصوص الموارد بل أنها في القاموس إلى بضع وعشرين قال: الدين بالكسر الجزاء، وقد دنته بالكسر دينا و يكسر، والإسلام، وقد دنت به بالكسر، والعبادة، والعبادة، والمواظب من الأمطار، واللين منها والطاعة كالدينه بالهاء فيهما، والذل، والداء والحساب، والقهر، والغلبة، والاستعلاء، والسلطان، والملك، والحكم، والسيرة، والتدبير، والتوحيد، واسم لجميع ما يتعبد الله عز وجل به، والملة، والورع، والمعصية، والإكراه، ومن الأمطار ما تعاهد موضعاً صار ذلك له عادة، والحال، والقضاء.

لكنها مع رجوع بعضها إلى بعض آخر لا يصلح إرادته كلها في المقام وان

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ / ١٠٠.

(٢) البحار: ج ١٣ / ٣٥٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٧٢

أمكن ذلك على تكلف فالجزاء كقوله: إنا لمدينون و كما تدين تدان، ولعل إرادته في المقام أنسب من غيره من المعاني كما قال: **الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ «١»**، **الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ «٢»**.

والجزاء بعد الحساب فهو يشمل، والحساب للجزاء فيدل عليه، ولذا

فسيره مولينا العسكري عليه السلام في تفسيره بيوم الحساب قال: و يوم الدين هو يوم الحساب «٣» و رواه في «المجمع» عن أبي جعفر عليه السلام.

ومن يظهر أنه لا داعي إلى تكلف غيره من المعاني، وان كانت المناسبة التي بينه وبين كثير منها كافيته في التسمية، فإنه يوم جزاء الإسلام بتقدير المضاف، وكذا لو أخذ بمعنى العبادة، أو الطاعة، أو الملة، والتوحيد، أو أنه يوم أصحاب التوحيد، أو يوم ظهور الوحداية له تعالى و بطلان الشرك بتبري الذين اتبعوا من الذين اتبعوا فإنهم و ما يعبدون من دون الله حصب جهنم فهو يوم ذلة



المشركين بل المجرمين، وَ لَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ «٤»، آه و يوم القهر و الغلبة بمعنى الفاعل و المفعول، و يوم ظهور السلطنة و العلو و الملك و الحكم و سيرة العدل و التدبير لله رب العالمين، و لأوليائه القوامين بأمره العاملين بإرادته. ثم انك إذا اعتبرت معاني اليوم و معاني الدين على وجه الظهور و البطون، أو عموم المجاز أو الحقيقة بعد الحقيقة، أو استعمال اللفظ في المعنيين الحقيقيين، أو المعنى الحقيقي و المجازي على فرض جوازهما يظهر لك معان كثيرة و شئون غفيرة للربوبية.

(١) الجاثية: ٢٨.

(٢) غافر: ١٧.

(٣) مجمع البيان: ج ١ / ٢٤.

(٤) السجدة: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٧٣

و اعلم أنه على قراءة ملك تكون الإضافة معنوية موجبة لتعريف المضاف كي يصح توصيف المعرفة التي هو الله به لأن الصفة المشبهة لا- تعمل النصب حتى تكون مضافة إلى المفعول به لاشتقاقها من اللّازم، و إضافتها اللفظية منحصرة في إضافتها إلى فاعلها فالإضافة في ملك يوم الدين مثل كريم البلد حقيقة يكسب التعريف.

و أما تجويز سبويه هو رحيم فلانا و جليس زيدا فقد قيل إنه نص على أن الأول من ابنيه المبالغة، و حكمه حكم اسم الفاعل حينئذ، و الثاني بمعنى مجالس و إلا لم يكن متعديا.

و احتمال كون ملك في المقام من ابنيه المبالغة نظرا إلى كونه متعديا، مع أنهم صرحوا بلزوم اشتقاق الصفة من الفعل اللّازم مدفوع بما مر من تصريحهم بتقدير اللّزوم فيه و في نظائره في باب المدح و الذم بنقل الفعل إلى القرائن بل قيل: إن تقدير اللّزوم في المتعدي كثير في كلامهم كقولهم يعطى و يمنع أو يفعل الإعطاء و المنع، من غير اعتبار أنه من يعطيه و ما يعطيه. و أما على قراءة مالك فقد أجيب عن إشكال وقوعه صفة للمعرفة بوجهين:

أحدهما تجريده عن معنى الحدوث و التجدد بمعنى أن له الملك في هذا اليوم على وجه الثبوت و الدوام و الاستمرار فلا يكون مشابها لفعل في التجدد و الحدوث، نعم ربما يقال لا مانع من عمله حينئذ أيضا و يستشهد له بقوله: جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْبَانًا «١» نصب الشمس و القمر عطفًا على محلّ الليل مع قصد الاستمرار من اسم الفاعل كما عطف على محلّه في قوله:

هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد ربّ أخاعون بن محراق

بنصب عبد، و قد يجاب بأن الاستمرار يحتوي على الأزمنة الماضية و الآتية

(١) الأنعام: ٩٦ على قراءة (جاعل) لا القراءة الموسومة إنها (جعل).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٧٤

و الحال، فتارة يعتبر جانب الماضي فتجعل الإضافة حقيقية، و تارة جانب الآتي و الحال فتجعل لفظية، و التعويل على القرائن و المقامات.

و توهم منافاة التقييد بيوم الدين للاستمرار نظرا إلى صراحته في الاستقبال مدفوع بأن المراد الثبوت و الاستمرار من غير اعتبار حدوث في أحد الأزمنة، و مثل هذا المعنى لا يمتنع أن يعتبر بالنسبة إلى يوم الدين كأنه قيل هو ثابت المالكية في ذلك اليوم.

و ربما يقال: إن الاستمرار في مالك يوم الدين ثبوتى، و في جاعل الليل تجددى، لتعاقب أفراده فكان الثاني عاملا و إضافته لفظية لورود المضارع بمعناه دون الأوّل، و الثاني أنه بمعنى الماضي تنزيلا لما تحقّق وقوعه و لو في زمان من الأزمنة منزلة الواقع، و مثله

كثير في القرآن، و أميا إضافته إلى الظرف مع عدم كونه فاعلا- و لا الوصف عاملا فعلى الاتساع و التجوز عند الأكثر فأجرى الظرف مجرى المفعول به حيث لا يقدر معه في، بل ينصب نصبه و يضاف إليه على حسبه.

و فيه: مع أنه التزام بكونه حينئذ عاملا- أنه مشتمل على تكلف لا- داعى إليه، و هو جعل اسم الفاعل بمعنى الماضى لتكون الاضافة معنوية ثم جعل الماضى بمعنى المستقبل، و هو كما ترى.

مع أن هذا كله بناء على الجرى على طريقة القوم و إلا فلا يخفى أن الأزمنة كلها منقطعة في حقه سبحانه إذ ليس عند ربك صباح و لا مساء فجميع الأزمنة عند فعله بل عند ملكوته كنقطة محدودة و إنما يتوارد الأزمنة بحدودها و أطوارها و اكوارها علينا في هذا العالم الناسوت.

و من هنا يظهر أن الأظهر في الجواب هو الوجه الأول لضعف الثاني كضعف ما قيل أيضا في الجواب من كونه بدلا ليحصل التخلص من تلك التكاليفات، نظرا إلى ما هو المختار عند المحققين من التحوين من جواز إبدال النكرة الغير

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٧٥

الموصوفة من المعرفة، إذ فيه أن البدل هو التابع المقصود بالحكم بلا- واسطة و من البين أن المقصود في المقام إثبات الحمد لله باعتبار هذه الصفات لا أنه ثابت للوصف الأخير فالله هو المقصود بالحكم و هو المتبوع لا التابع.

ثم أنه يستفاد من تفسير الامام عليه السلام جواز كون الإضافة إلى الظرف و إلى المفعول

قال عليه السلام: مالک يوم الدين أى قادر على إقامة يوم الدين و هو يوم الحساب، قادر على تقديمه عن وقته و تأخيره بعد وقته و هو المالك أيضا في يوم الدين فهو يقضى بالحق لا يملك الحكم و القضاء في ذلك اليوم من يظلم و يجور كما قد يجور في الدنيا من يملك الأحكام، قال و قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم الدين هو يوم الحساب «١».

### أسماء القيامة

اعلم أن للقيمة أسماء كثيرة باعتبار الشؤون الواقعة في ذلك اليوم، و قد ضبطها بعضهم بواحد و مائة يستفاد أكثرها بالتلويح كيوم النشور، و يوم الفراق، و يوم القضاء، و يوم الزلفة، و يوم السكرة، و غيرها المصرح بها منها في الكتاب العزيز أربع و ثلثون منها المجرد من لفظه اليوم، و هى أحد عشر اسما الساعة، و الحاقه، و الطامة، و الآزفة، و الغاشية، و القارعة، و الزجاجفة، و الزادفة، و الواقعة، و الخافضة، و الزافعة، و منها المقترنة بها بالإضافة و التوصيف كاليوم الآخر، و يوم الآزفة، و يوم التلاق، و يوم تبلى السرائر، و يوم التغابن، و يوم التناد، و يوم الجمع، و يوم الحسرة، و يوم الحساب، و اليوم الحق، و يوم الخروج، و يوم الخلود، و يوم عبوس قمطرير، و يوم عظيم، و يوم عسير، و يوم الفصل، و يوم القيمة، و يوم معلوم، و يوم مجموع له

(١) بحار الأنوار: ج ٩٢ / ٢٥٠ عن تفسير الامام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٧٤

الناس، و يوم مشهود، و يوم الوعيد، و يوم الموعود، و يوم الدين الذى قد سمعت وجه تسمية به بمعانيه، لكنه خصه بإضافة المالك أو الملك إليه مع ثبوت الوصفين له في جميع العوالم و النشآت بكل الاعتبارات لإفادة تعظيم ذلك اليوم، فإن الانتساب إلى العظيم تنبيه على التعظيم، و لأن الملك و الملك الحاصلان في هذا العالم ربما ينتسبان إلى غيره انتسابا ثانويا بواسطة أو بوسائط مجعولا من قبله لانتفاع الخلق بهما كما قال سبحانه: يُؤْتِي مَلِكُهُ مَن يَشَاءُ «١»، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ «٢»، وَ جَعَلْنَا لِمُلُوكِهَا «٣» وَ قَالَ: أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ «٤».

و ذلك لاحتياجهم في أمر معاشهم و معادهم و نظام أمورهم إلى هذه الأمور الاعتبارية، و الارتباطات التي لا حقيقة لها سوى جعله مع أنه هو المالك لما ملكهم و هو المالك لهم بل شتان بين الملكية المجعولة لنا في أموالنا و أرقامنا لفائدة لانتفاعنا بها و بالتصرف فيها في الحياة الدنيا و بين الملكية التي له سبحانه فيما أنشأه و قدره و قضاه و أمضاه و خلقه و صوره و رزقه و أتقن خلقه، و أفاض عليه الإفاضات السببية الدائمة اللأزالية الغير المنقطعة، بحيث لو انقطع عنها فيضه لكان عدما محضا بحتا، و أما في يوم القيمة تنقطع تلك العلائق و ترتفع تلك الاعتبارات لعدم الحاجة إليها بل لعدم الانتفاع بها فإن الأشياء المملوكة في هذه الدنيا من سنخ هذا العالم، فيحصل الانتفاع بها في هذه الدار دون الدار الآخرة كما لا يحصل الانتفاع لأهل هذا العالم بدم الحيض و إن كانوا ينتفعون بها في عالم الأرحام، و كما لا يحصل للملك الانتفاع بالأغذية الجسمانية الناسوتية، و لذا لا يكون الملك

(١) البقرة: ٢٤٥.

(٢) آل عمران: ٢٦.

(٣) المائدة: ٢٠.

(٤) يس: ٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٧٧

و الملك مجعولا- لهم يوم القيمة، فيكون الأمر و الملك كله لله كما كان في الدنيا إلا أنه في الدنيا ربما ينصرف النظر إلى بعض الاعتبارات و الجعليات الظلية فيتوهمها من الحقائق المتحصلة المتأصلة كما قال فرعون: أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ «١».

و

في مصباح الشريعة: يقول ابن آدم: ملكي ملكي و مالي مالي، يا مسكين اين كنت حيث كان الملك و لم تكن، و هل لك إلا ما أكلت فأفريت. إلخ «٢».

و أميا في الآخرة فينكشف الغطاء من البصائر و الأبصار و ينجلي لهم حقائق الأسرار كما قال سبحانه: لقد كنت في غفلة من هذا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَ كَفَبَصْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ «٣» فيرى الملك كله لله كما يحكى سبحانه عن السائلين و المجيبين في ذلك اليوم و هم الأنبياء عليهم السلام كما في الخبر لمن الملك اليوم لله الواحد القهار «٤». «٥» و لأنّ بالربوبية المطلقة الكلية التامة العامة المشار إليها بقوله: رب العالمين سيما بعد تعقيبه بذكر الرحمتين اللتين هما العدل و الفضل اللذين يتم و يكمل بهما الربوبية قد ثبت له سبحانه جميع الشؤون التي منها الملك و الملك في عالم التربية التي هو عالم الترقى و الكسب و ظهور الأمور و حيث كانت الإشارة فيها خفية على ثبوت تلك الشؤون بل الشؤون التي يناسبها يوم الجزاء في ذلك اليوم أظهرها و أكدها بقوله: مالك يوم الدين.

(١) الزخرف: ٥١.

(٢) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٣٥٦ ح ١٧ عن مصباح الشريعة الباب (٣٧) عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

(٣) ق: ٢٢.

(٤) غافر: ١٦.

(٥) نور الثقلين ج ٤ / ٥١٤ ح ٢٥ عن التوحيد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٧٨

ثم ان هذا كله على فرض اختصاص يوم الدين بيوم القيامة و إنما فالأظهر شموله لجميع الثنات و العوالم بجميع معاني الدين عن

الإسلام و الجزاء و الحساب و الحكم و غيرها فإن شئون الربوبية لا تعطيل لها في شيء من المراتب و الأمكنة و النشآت و العوالم غاية الأمر أنه في كل عالم بحسبه فالدين يعني الإسلام ثابت في جميع العوالم و هو مالكة و معطيه و ممدّه و المجزى عليه، و بمعنى الجزاء ثابت في الدنيا و في البرزخ أيضا غاية الأمر أن الجزاء الذي هو في الدنيا من سنخ الأمتعة الدنيوية كما يقال للكفار: أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا (١). و أيضا من سنخ الإمدادات و الإفاضات و التوفيق و الخذلان و غيرها، بل في كل أن يحصل لكل موجود من الموجودات في كل عالم من العوالم كسر و صوغ فينكسر و يتلاشى من حيث إتيته و يصوغ صيغته على حسب رتبته و درجته و نيته و شاكلته و منه يتحصّل معنى الحساب أيضا.

و لذا قيل: إن معنى سرعة الحساب إن الله سبحانه يحاسب العبد في الدنيا في كل أن و لحظة و يجزيه على عمله، و في كل حركة و سكون و يكافي طاعاته بالتوفيقات و معاصيه بالخذلان، فالخير يجزى الخير و الشر يدعو إلى الشر، و من حاسب نفسه في الدنيا عرف هذا المعنى كما

قال عليه السلام: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا و زنوها قبل أن توزنوا» (٢).

### تبصرة

قد سمعت أن مالك يوم الدين بجميع معانيه في جميع العوالم هو الله سبحانه لا شريك له في ذلك و لا معين و لا ظهير له في شيء منه فليس له شريك في الملك

(١) الأحقاف: ٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠ / ٧٣ ح ٣٦ عن محاسبه النفس.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٧٩

و لا له ولي من الدّل إلا أنه بعزته قد اتخذ لنفسه أولياء من خلقه و جعلهم أمناء و حججه على بريته و هم محمّد و آل محمّد عليهم الصلاة و السلام فولّاهم أمر خلقه في جميع الشؤون التي مرجعها إلى الفعل، فإنهم أمر الله الفعلي الذي بهم قامت السموات و الأرض قياما صدوريًا و قياما ركينًا، فإنهم إياب الخلق و عليهم حسابهم كما في الزيارة الجامعة بل في الاخبار المستفيضة بل المتواترة في تفسير الآيه و في كونهم قسيم الجنة و النار و في باب الشفاعة و غير ذلك، و لا غرو في التفويض السيلائي بالنسبة إليهم، فإن هذا ثابت في حق شيعتهم أيضا كما

روى في مشكاة الأنوار عن مولانا الباقر عليه السلام إن المؤمن ليفوض الله إليه يوم القيمة فيضع ما شاء فسأله جابر الجعفي عنه من كتاب الله فقال قوله: لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا وَ لَدُنَا مَرِيدٌ فمشيئة الله مفوضة إليه و المزيد من الله ما لا يحصى.

ثم قال يا جابر و لا تستعن بعدونا في حاجة، و لا تستطعمه و لا تسأله شربة ماء أنه ليخلد في النار فيمر به المؤمن، فيقول: يا مؤمن أ لست فعلت بك كذا و كذا؟

فيستحي منه فيستقذه من النار، و إنما سمى المؤمن مؤمنا لأنه يؤمن على الله فيجيز الله أمانه (١).

فالدين إن كان بمعنى الحساب عليهم و كذا بمعنى الجزاء لقضيته القسمة بل في الزيارة الرجبية: أنا سائلكم و املككم فيما إليكم التفويض، و عليكم التعويض فبكم يجبر المهيض و يشفى المريض.

و

من كلام مولانا أمير المؤمنين قبل موته «غدا ترون أيامي و تكشف لكم من سرائري» (٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٨ / ٤٢ ح ٣٦ عن محاسن البرقى ص ١٨٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٢ / ٢٠٧ ح ١١ عن الكافي ج ١ ص ٣٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٨٠

## إِيَّاكَ نَعْبُدُ

### فصل

ثمّ أنه لما ثبت لنفسه على لسان عبده الرّبوبيّة والرّحمه والملك بحيث لا يشاركه في شيء منها غيره بل قد انحصر أسباب الخوف والرّجاء فيه سبحانه بحيث ليس للعبد مطمع في غيره ولا له خوف إلّا منه مع أطباق العقول على ضرورة وجوب شكر المنعم وعبادته سيّما بعد كون المعاد إليه والجزاء من لديه المشعرين بامرهم وطلبه وإيجابه التفت من مقام الغيبه والحكاية إلى مشهد الحضور والعناية فصار ما هو الثّابت بالبرهان مشاهدا بالعيان فتعرض لفتحات القدس وتمكّن على سرير الأنس وتخلّى بحليّة العبادة وتخلّى عن الاستعانة بغيره في الفوز بالسّعادة، فقال بلسان عبيده تعليما لهم على وجه الاخبار والإنشاء إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. وهذه هي الآية المتوسطة بين الرّب وبين عبده فإنّ أوّل السّورة تحميد وتمجيد ومدحه لله سبحانه وآخرها دعاء ورغبة ورهبة وفي هذه الآية بيان انتساب العبد إلى ربّه وافتخاره به وافتقاره إليه ولذا جعلها واسطة بين تمجيده بأتم الصّفات ودعائه لأعظم المهمّات بل بين الإفاضة والاستفاضة.

## اللّغة و القراءه

### بحث نحوي في إِيَّاكَ

اختلفوا في إِيَّاكَ وأخواته من الصّمائر المنصوبه المنفصله هل الصّمير منه إِيَّا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٨١

خاصية؟ أو الصّمائر المتّصلة به من الهاء والكاف والياء وغيرها؟ أو المجموع من حيث المجموع، أو الجميع بمعنى كلّ منهما على أقوال.

فالجمهور على أنّ إِيَّا اسم للمضمّر المنصوب، و لواحقه حروف للخطاب وغيره أكد بها الصّمير لا محلّ لها من الاعراب كما لا محلّ للكاف وأخواته في قولك: ذلك ذلكم ذلكم، وقولك: أرايتك أرايتكما أرايتكم بمعنى طلب الإخبار عن علم. حيث إنّه لو كان الكاف مفعولا لزم الجمع بين ضميري الفاعل والمفعول في غير أفعال القلوب، وكان قولك أرايتك زيدا ما شأنه بمعنى أرايت نفسك زيدا ما شأنه، فيلزم أن يكون معدّى إلى ثلاثه مفاعيل، مع عدم استقامه المعنى أيضا، وهذا مذهب الأفضل والمحكي عن البصريين بل عن الكوفيين أيضا.

وعن الرّجاج وغيره أنّ إِيَّا اسم للمضمّر المنصوب، إلّا أنّه ظاهر يضاف إلى سائر المضمّرات فتقول: إياه ضربت، وإِيَّاكَ أكرمت، وإِيَّاى أعطيت، فموضع إِيَّا النّصب بالفعل، وموضع الصّمائر الخفض بالاضافه إلّا أنّه لا يضاف إلى غيرها إلّا شاذّا كما حكى الخليل عن العرب: إذا بلغ الرّجل السّتين فإياه وإِيَّا الشّواب أي فليحذر من النّسوة الشّابهة.

و ردّ بأنّ إيّا ليس بظاهر بل مضمّر لتغيّر ذاته و امتناع ثباته في حال الرّفْع و الجزّ و الظّاهر يتوارد عليه الحركات في اخره من غير أن يتغيّر بنفسه.

و فيه المنع من تغيّره في ذاته لأنّ المتغيّر هو اللّواحق مع إمكان أن يكون لنوع من الضّمير، و هو المنصوب خاصّة. فالاولى في الجواب أن يقال: إنّ إيّا إذا كان اسما للمضمّر فهو يفيد إفادته بإضافته إليه تكرر أو تأكيد غير مستفاد من اللفظ، و بهذا يبطل أيضا ما يحكى عن بعضهم إنّ إيّا اسم مضمّر نائب مناب الضّمير و لعلّه يرجع إلى ما مرّ و إن قيل: إنّ تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٨٢

سبويه إنّما عدل إليه نظرا إلى أنّ الضّمير لا يضاف سيّما مع كونه أعرف المعارف.

و ربّما يقال: إنّ اسم مشتقّ من أوى يأوى، و أصله عند هذا القابل إويا على وزن فعلى فقلبت الواو ياء و أدغمت في الياء لاجتماعهما و سبقه أولهما بالسكون.

و ربّما يقال: إنّ اسم ظاهر لازم للإضافة مثل سبحان، و عن ابن درستويه أنّه متوسط بين الظّاهر و المضمّر كاسم الإشارة. و عن المبرّد أنّه اسم مبهم أضيف إلى ما بعده كإضافة كلّ و بعض، و عن سيبويه و الأخفش و أكثر المتأخّرين أنّ الضّمير هو إيّاه و اللّواحق لمجرّد الدّلالة على الغيبة و الخطاب و التكلّم و الإفراد و الجمع و غير ذلك.

و عن بعضهم أنّ كلّ واحدة من الصّيغ التي هي إيّاه و أيّاهما إيّاهما إلى إيّاي إيّانا صيغة مستقلة، و الضّمير هو مجموع الكلمة، و لا داعي إلى جعلها بعضها بعد الاستفادّة من الكلّ، سيّما مع عدم مرجّح للبعض على الكلّ و على بعض آخر.

و ربّما يقال: إنّ إيّا اسم بمعنى النفس التي تضاف إلى الأشخاص و الأعيان فمعنى إيّاك نعبد نفسك نعبد كما قال تعالى: تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَ لَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ (١) إلى غير ذلك من الأقوال الضّعيفة التي لم تتعرّض لأدلتها لضعفها جدا و لعل الأقوى و إن خالف المشهور بينهم في الجملة إذ لا بأس به أنّ الضّمير هي الهاء و الياء و ما اشتقّ منها للمثنى و الجمع هو بعينها الضّمير المتّصلة المنصوبة في قولك أكرمته و أكرمهما، إلخ.

و أكرمتك و أكرمتكما و أكرمتني و أكرمتنا و بالجملة هذه الضّمير المتّصلة المنصوبة هي بعينها الضّمير المنفصلة المنصوبة غاية الأمر أنّها لما كانت ممّا لا يبتدأ بها توصلوا إلى الابتداء بها بلفظ أيّا و لذا سمّاه الكوفيون عمادا لما يأتي

(١) المائدة: ١١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٨٣

بعدها من اللّواحق، و لعلّه أيضا مراد من سمّاه سلّم اللسان حيث إنّ سبب التمكن اللسان من التلّفظ بها عند ارادة تقديمها على الفعل أو تأخيرها عن ارادة الاستثناء و التفكيك بين حالتى الاتصال و الانفصال بالإعمال و الإهمال لا يخلو عن شوب الإشكال، و على كلّ حال فيتوصل بالعماد إلى التكلّم بهذه الضّمير عند ارادة تقديمها على الفعل كما في المقام أو الفصل بالاستثناء نحو ما أردت إلّا إيّاك أو العطف نحو ذكرتك و إيّاه أو التكرار نحو: أدعوك و إيّاك أو لضرورة الشّعور.

و ممّا يؤيد ما ذكرناه ما ذكره الجوهري حيث قال: إنّ اسم مبهم و يتصل به جميع المضمّرات المتّصلة للنصب نحو: إيّاي و إيّاك و إيّاه و إيّانا، و جعلت الكاف و الياء و الهاء بيانا عن المقصود ليعلم المخاطب من الغائب، و لا موضع لها من الإعراب، فهي كالکاف في ذلك و أرايتك و كالألف و النون التي في أنت، فيكون إيّا الاسم و ما بعدها للخطاب «١».

و في القاموس ما يقرب منه و صرح فيه بأنّ إيّا بالكسر و الفتح، و أنّ همزته تبدل هاء و تارة واوا ففيه ستّ لغات و قد قرئ في المقام بأربعة منها، و هي ما سوى الواو مكسورة و مفتوحة لكنّ الثلاثة غير الاولى من الشواذ.

و قرئ بكسر النون في الفعلين (اي نعبد و نستعين قيل: و هي لغه بنى تميم فإنهم يكسرون حرف المضارعة سوى الياء إذا لم ينضم ما

بعدها، فإن انضم ما بعدها كتقوم لم تكسر لثقل الانتقال عن الكسر إلى الضم.  
و في الكشاف قرأ ابن حبيش «٢» نستعين بكسر النون.

(١) الصحاح ج ٦/ باب الألف اللينة.

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن حبيش الأندلسي المقرئ ولد سنة (٥٠٤) و توفي سنة (٥٨٤).- غاية النهاية ج ١/ ٣٧٨.  
تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٨٤  
قلت: ذكر الشيخ الرضى «١» رضى الله عنه أن كسر حروف المضارعة إلّا الياء لغة غير الحجازيين إذا كان الماضى مكسور العين و يكسرون الياء أيضا إذا كان ما بعدها ياء اخرى.  
قوله نعبد إِمّا من العبادة، أو من العبودية، فإنّ الأتى منهما مضموم العين، و إن كان الماضى من الأول بالفتح، و من الثانى بالضم، فصاحب العبادة عابد مطيع، و صاحب العبودية عبد منقاد.  
و العبادة أن تفعل ما يرضيه الله، و العبودية أن ترضى بما يفعله الله، و أصل الباب هو الذلّة و الانقياد تقول: طريق معيد: أى مدلل بكثرة الوطى، و المعيد على ما فى القاموس من الأضداد يطلق على المدلل و على المكرم، و ذلك لأنّ ذلّة العبودية توجب الفوز بالكرامة و السلامة و الاقامة فى دار المقامة، و هذه العبودية هى التى افتخر بها نبينا خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله و سلم على سائر الأنبياء

فى قوله: «الفقر فخرى و به أفتخر على سائر الأنبياء» «٢»

، إذ المراد به هو الافتقار و الانقطاع الكلى إلى الله تعالى. و بالجملة كلّ من العبادة و العبودية على فرض تغايرهما تصلح لاشتقاق الفعل منه، و لذا اثنى الله تعالى على الأنبياء و الملكة فى قوله: بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ «٣»، لا يَشْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ «٤»، و اذُكِرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ «٥» و كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ «٦».

(١) هو محمد بن الحسن رضى الدين الإسترابادى شارح الكافية و الشافية لابن الحاجب توفى سنة (٦٨٦) هـ.- معجم المؤلفين ج ٩/ ١٨٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٩/ ٣٠ و ليس فيه: (على سائر الأنبياء).

(٣) الأنبياء: ٢٦.

(٤) الأعراف: ٢٠٦.

(٥) ص: ٤٥.

(٦) الأنبياء: ٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٨٥

و شرف المؤمنين باتسابهم إلى عبوديته و كرمهم و فضلهم بقوله: يا عِبَادِ الَّذِينَ أُسْرَفُوا «١»، يا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ «٢»، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ «٣».

و وصفهم بأحسن الحلية فى قوله: النَّاتِبُونَ الْعَابِدُونَ «٤».

و العبودية أصل للعبادة و لذا قال سبحانه: لَنْ يَشْتَكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ يَشْتَكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ يَشْتَكِرْ «٥» آه تنبيهها على أنّ العبودية تقتضى العبادة و الاستنكاف عنها استنكاف عن الأولى.

ثمّ إنّ العبودية و إن قيل أنّها تجيء فى اللغة لمعان خمسة: الذلّة و المقهورية كقوله: أَنْ عَبَدْتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ «٦» أى ذللتهم و قهرتهم،

و التكليف بالأمر و النهى كقولك تعبد فلانا أى كلفه بالأمر و النهى، و شدّة نسيح الثوب و قوّته من قولهم: ثوب ذو عبدة إذا كان فى غاية الصفاء و قوّة، و تحمّل العناء من قولك: بعير معبد إذا كان مطليا بالقطران، و الانكسار و الخضوع عن قولهم طريق معبد. إلّا أنّ الحقّ رجوعها إلى ما سمعت و إن كان بين كلّ منها و بين العبوديّة المضافة إلينا من المناسبة ما لا يخفى، و كذا سائر مستعملاتها ممّا سوى الخمسة، بل و كذا معانى العبادة التى قيل هى التوحيد فى قوله: وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً «٧» و الدعاء فى قوله: إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَكِبُونَ عَنْ عِبَادَتِي «٨» و الطاعة فى

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) الزخرف: ٦٨.

(٣) الحجر: ٤٢.

(٤) التوبة: ١١٢.

(٥) الأنبياء: ١٧٢.

(٦) الشعراء: ٢٢.

(٧) النساء: ٣٦.

(٨) غافر: ٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٨٦

قوله: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَ أَنْ اعْبُدُونِي «٩».

ولذا

قال مولينا عليه السّلام: من أصغى إلى ناطق فقد عبده فان كان الناطق ينطق عن الله فقد عبد الله و ان كان الناطق ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان «١٠».

و الكرامة فى قول حاتم الطائي «١١»: أرى المال عند الباخلين معبدا «١٢» أى مكرّما.

و يؤيّده ما سمعت من القاموس، و التجريد فى قول الأعشى يجوب البوادى كالبعير المعبد أى المجرد بل قد يحكى عن ابن السكيت إنّ العبادة هى التجرد.

و مناسبة المعانى الخمسة للمطلوب واضحة أمّا التوحيد فلأنّ أوّل الدّين معرفته و كمال معرفته توحيده «١٣»، و أمّا الدعاء

فلقول الصادق عليه السّلام أنّه العبادة، و حقيقة العبادة و أفضل العبادة «١٤».

و ذلك لما فيه من الانقطاع الكلى إلى الله، و الاعتراف حالا و بالا و قالا بالعبوديّة و الافتقار الكلى إلى الغنى المطلق و القيوم الحقّ الذى هو منتهى مطلب

(٩) يس: ٦٠-٦١.

(١٠)

فى البحار: ج ٢٦/ ٢٣٩ ح ١ عن العيون ص ١٦٨ عن الامام الرضا عليه السّلام عن آباءه الكرام عليهم السّلام، عن النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: من أصغى الى ناطق فقد عبده ... الى أن قال: و ان كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس.

(١١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي القحطاني، شاعر، فارس، جواد جاهلي مات (٤٦) قبل الهجرة.

(١٢) فى تاج العروس ج ٧ ط الكويت: تقول: ألا تبقى عليك فإننى أرى المال عند الممسكين معبدا



(١٣) نهج البلاغة أوائل الخطبة الأولى.

(١٤)

بحار الأنوار: ج ٢٩٨ / ٩٣ وفيه: هي والله العباد، هي والله العباد... تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٨٧  
الحاجات و من عنده نيل الطلبات و لذا قال سبحانه: قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ «١»، و ذلك لأنه حقيقة العباد التي خلق  
العباد لأجلها.

و أما الطاعة فلائها من مقتضيات التوحيد و مراتبه، و لذا يعدّ المخالف فيها مشركا كما في قوله:

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ «٢»، و إن

ورد في الخبر: أنه شرك طاعة و ليس شرك عبادة «٣».

فأنه بالنظر إلى إطلاقها الخاص الذي هو للعمامة لا للعام الذي هو للخاصة فالتوحيد بداية مراتب الطاعة، و الطاعة نهاية مراتب التوحيد،  
و العباد بكل من المعنيين تتضمن الآخر، و أما الكرامة فهو الافتخار الناشى من الافتخار المشار اليه  
بقوله صلى الله عليه و آله و سلم «الفقر فخري و به افتخر على سائر الأنبياء»

لتحققه في مقام العبودية و استقامته في طريق الجنة حتى أقر له بالربوبية و الألوهية مخلصا صادقا في جميع أفعاله و أقواله و أحواله و  
خطراته و نجاته و ظاهره و باطنه و سره و علانيته فهو آدم الأول الأقدم، و السيد معظم المكرم و لقد كرم الله نبيه، و ذرّيته بفضل  
كرامته، بأن من عليهم بأشراق أشعة أنوار طاعته و عبادته فقال: وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ «٤»، الآية فاذا أخلص الطاعة لله و محض العبادة  
له تجرد عن الإضافات و العلائق الجسمانية و العوائق الهيولانية و الغواصق الظلمانية فيتحقق في مقام العبودية و يجنى من ثمار الربوبية  
و يتمكن على بساط الأنس المستمر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

(١) الفرقان: ٧٧.

(٢) سورة يوسف: ١٠٦.

(٣) تفسير القمي ج ١ / ٣٥٨ باسناده عن أبي جعفر عليه السلام.

(٤) الإسراء: ٧٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٨٨

ثم أنه يستفاد من تفسير الإمام عليه السلام أن الكلام على تقدير القول حيث

قال: قال الله تعالى: قولوا يا أيها الخلق المنعم عليهم إياك نعبد أيها المنعم علينا و نطيعك مخلصين مع التذلل و الخضوع بلا رياء و  
لا سمعة، و إياك نستعين منك نسئل المعونة على طاعتك لتؤديها كما أمرت و نتقى من دنيانا ما نهيت عنه، و نعتصم من الشيطان  
الزّجيم من سائر مردة الجنّ و الانس من المضلّين و من المؤذنين الظالمين بعصمتك «١».

### نقل و افادة في تحقيق العبادة

العبادة قيل هي سياسة النفس على تحمّل المشاق في الطاعة، و ردّ بانّ للملائكة عبادة ليست فيها شيء من المشقة لكونها على مقتضى  
كينوناتهم المجردة المحضة و لذا  
ورد أن غذائهم التسبيح

بل و كذا غيرهم من الذين يتبهجون بالعبادة و يتنعمون بها و بأنّه قد يصدق على طاعة الابن لأبيه و العبد لسيدّه و الأجير للمستأجر و

نحوها، وقيل: إنها الطاعة للمعبود وهو مشتمل على دور ظاهر مضافا إلى انتقاضه طردا بإطاعة كل مطيع لكل مطاع و عكسا بعبادة الكفار للأصنام التي ليس لها أمر ولا نهى بل لا يتحقق الامتثال بالنسبة إليها.

ويمكن دفع الأول بأن التعريف لفظي أريد به مجرد تصور المعنى، والثاني بعدم صدق المعبود على كل مطاع والشاهد العرف، والثالث: بأن المعبود حقيقة عند عبادة الأصنام هو الشيطان، ولذا قابله بعبادة الرحمن في قوله: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

(١) تفسير الامام العسكري عليه السلام ص ١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٨٩

«١» إلا أن يقال إنه لا يمنع من إطلاقه على غيره أيضا.

وقيل: إنها الخضوع بأعلى مراتب الخضوع مع التعظيم بأعلى مراتب التعظيم، ولا يستحق ذلك إلا بأصول النعم وأعظمها من الوجود والحيوة والأرزاق والإمدادات الجسمائية والروحانية مما لا يقدر عليه أحد إلا الله، ولذلك اختص سبحانه بأن يعبد دون غيره، فلا يستحق بعضنا على بعض العبادة وإن استحق عليه الشكر والطاعة.

وهذا التعريف ذكره أكثر المحققين كالطبرسي والبهائي والصدر الشيرازي وغيرهم إلا أنه يخرج عنه كثير من أفراد العبادة مما ليس في أعلى مراتب الخضوع والتعظيم، سواء اعتبر التفضيل على الإطلاق أو بالاضافة في كل أحد بالنسبة إلى حده ومقامه ودرجته.

اللهم إلا أن يقال: إن الطاعة بأنواعها وإن كانت مشتملة على الخضوع والتعظيم إلا أن نوعا منها مفضل على غيره من الأنواع وهو ما كان على وجه العبودية للاله الحق أو الباطل مما يتخذونه آلهة فإن هؤلاء وإن لم يكونوا آلهة في الحقيقة، ولذا لا تحق لها العبادة لكن اللغة بل العرف لا تأبى عن إطلاق العبادة على تعظيم عبدة الأصنام لآلهتها.

وعلى كل حال فالأمر سهل هين في التعاريف اللفظية التي هي مجرد القشور، ولا يحتوى على شيء من التور، وإنما الخطب في تحقيق حقيقة العبادة بل في التحقق بها، ولذا قيل: إنها خلوص النفس عن رق كل حظ من الحظوظ الدنيوية والأخروية ليعبد الله للحق لا للحظ.

والحق أن هذا أكمل مراتبها وأرفع درجاتها فلا ترفع التسمية عن غيرها،

(١) يس: ٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٩٠

ولذا

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك بل وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك «١» ، حيث أن ظاهره صدقها على الأولين أيضا وان اختص عليه السلام بالثالث.

وأظهر منه ما

روى عن مولانا الصيادق عليه السلام قال: العباد ثلاثة قوم عبدوا الله خوفا فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله طمعا فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله حبا فتلك عبادة الأحرار «٢».

وأما أركان العبادة وحدودها الموجبة للتحقق بحقيقتها فهي ما

أشار إليه مولانا الصادق عليه السلام في خبر عنوان البصري على ما رواه شيخنا المجلسي في البحار قال عليه السلام: ليس العلم بالتعلم إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه فان أردت العلم فاطلب أولا في نفسك حقيقة العبودية واطلب العلم

باستعماله و استفهم الله يفهمك قال: قلت: فما حقيقة العبودية؟ قال: ثلاثة أشياء أن لا يرى العبد لنفسه مآ خوله الله ملكا، لأن العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به، و لا يدبر العبد لنفسه تدبيراً، و جملة اشتغاله فيما أمره الله به و نهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله ملكا هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه، و إذا فوض العبد تدبير نفسه على مدبره هان عليه مصائب الدنيا، و إذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى و نهاه لا يتفرغ منهما إلى المرء و المبالاة مع الناس، فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا و إبليس و الخلق، و لا يطلب الدنيا تكاثراً و تفاخراً، و لا يطلب ما عند الناس عزاً و علواً، و لا يدع

(١) شرح غرر و درر للخوانساري ج ٢ / ٥٨٠.

شرح التوحيد للقاضي سعيد القمي ج ١ / ٧٣٣.

(٢) الكافي ج ٢ / ٨٤ و عنه البحار: ج ٧٠ / ٢٥٥ ح ١٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٩١

أيامه باطلا فهذا أول درجة التقى «١»، الخبر

فهذه الأمور الثلاثة التي ذكرها عليه السلام منازل و مراحل يقطعها النساك و الثلاك في التوصل إلى حقيقة العبودية لله سبحانه توصلاً مبنياً تحقيقياً و هي مترتبة متدرجة من الأدنى إلى الأعلى فأولها أن لا يرى العبد لنفسه ملكاً مآ خوله الله تعالى من الوجود و البقاء و الإدراكات و الإيرادات و الآلات و الأدوات و الأفعال و الأعمال و الأقوال و الأموال و غيرها مآ ينسب إليه و لو بالنسبة الجعلية أو يضاف إليه بالاضافات الاعتبارية، و بالجملة يرى كل شيء منه سبحانه و في قبضته و إرادته كما قال مولينا الرضا عليه السلام هو المالك لما ملكهم و القادر على ما عليه أقدارهم،

و بعد كشف السبحات و سقوط الإضافات يفتح باب الفؤاد و يبشر بنيل السداد و ينتهي إلى المقام الثاني و يرى نفسه في قبضته فالأرض جميعاً قبضته و سموات العقول مطويات بيمينه، فيرى ذاته و حقيقته فائضاً من الله قائماً بفعله سبحانه قيام صدور، و لذا لا يدبر لنفسه شيئاً إذا لأمر كله لله، و هو عبد مملوك لا يقدر على شيء و هو كل على مولاه لا يستطيع لنفسه نفعا و لا ضراً و لا يملك موتاً و لا حيوةً و لا نشوراً، فإذا لم يهّمه أمر نفسه و شئونه ذاته في صقع التمكين و التكوين و مقام الاستعداد و سائر شئونه في عالم الملك و عرصه التضاد، و شمر من ساق الجد و الاجتهاد لطاعة رب العباد فيجعل جملة اشتغاله فيما أمره الله به و نهاه عنه، و يصرف كل نعمه من النعم التي أنعم الله بها عليه من القوى الباطنة و الظاهرة و الآلات و الأدوات و الأموال و غيرها من الإضافات فيما خلق لأجله، و هو حقيقة الشكر الذي يجب للمنع الحقيقي على العبيد.

و لذا قال غير واحد من المحققين: إن العبادة ضرب من الشكر، بل هو أعلاه و أغلاه، فيرى العبد حينئذ جميع نعمه من الله فيصرفه فيما أمره به، لأن الله تعالى

(١) بحار الأنوار: ج ١ / ٢٢٤-٢٢٦ ح ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٩٢

استخلفه فيه كما قال: وَ أَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ «١»، و

روى العياشي عن مولينا الصادق عليه السلام: قال أ ترى الله أعطى من أعطى من كرامته عليه، و منع من منع من هوان به عليه، لا و لكن المال مال الله يضعه عند الرجل و ودائع، و جوز لهم أن يأكلوا قصداً، و يشربوا قصداً، و يعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين، و يلتموا به شعنتهم، فمن فعل ذلك كان يأكل حلالاً و يشرب حلالاً و يركب و ينكح حلالاً، و من عدا ذلك كان عليه حراماً ثم قال: وَ لَا تُشِيرُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُشِيرِينَ «٢» أ ترى الله ائتمن رجلاً على مال خول له أن يشتري فرساً بعشرة آلاف درهم و

يجزيه فرس بعشرين درهما و يشتري جارية بألف دينار و يجزيه بعشرين دينارا و قال: و لا تسرفوا إنّه لا يحبّ المسرفين (٣).  
و بالجملة إذا تحقّق العبد في مقام العبوديّة حسب ما ذكره عليه السّلام هانت عليه جميع الطّاعات القلبيّة و القاليّة و المائيّة و هانت عليه جميع الآلام و المصائب لأنّه حينئذ كالمتّ بين يدي الغسّال و ليس له نظر إلّا إلى العزيز المتعال، فاندكّت جبل إنيته و اضمحلت إرادته في إرادته، فلا يشاء إلّا ما أراد الله، لصيرورة قلبه و عاء لمشيئة الله، فيكون سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به، و لسانه الذي ينطق به كما في الحديث القدسي (٤).

اعلم أنّ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب من جملة فنون البلاغة التي يتفنّن بها مصاقع البلغاء، و ذلك لأنّه لما كانت الدّنيا دار التعب و الكلال و النّصب و الملال و تطوّر الأحوال، فمن عادة الفصحاء التفنّن في الكلام، و العدول من طرز إلى طرز،

(١) الحديد: ٧.

(٢) الأعراف: ٣١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٥ / ٣٠٥ ح ٦ عن تفسير العياشي ج ٢ / ١٣.

(٤) البحار: ج ٧٠ / ٢٢ ح ٢١ عن محاسن البرقي ص ٢٩١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٩٣

و من نمط إلى نمط، تنشيطا للسمع، و تنبيهها للغافل و الدّاهل.

فمنه العدول عن كلّ من الخطاب و الغيبة و التكلّم إلى الآخر، و هذا أحسن من الجرى على نمط واحد، و اللّزوم لمسلوك متكرّر، و مع ذلك فربما يختصّ مواقع الالتفات بزوائد فوائد من النكات، فإنّ الألفاظ إشكال و أشباح، و الأشباح مغناطيس الأرواح، و لذا ورد عن مولينا أمير المؤمنين: انّ الرّوح في الجسد كالمعنى في اللفظ،

فكلّ طور من أطوار المباني مصيدة و شبكة لفرّ من فنون المعاني و قد ذكر الموافقون للتّظرف في أنوار التّنزيل و اسرار التّأويل للالتفات من الغيبة إلى الخطاب في المقام و جوها من الكلام لعلّ كلّها بعض المقصود من كلام الملك العلّام، مثل ما قيل من أنّ القراءة ينبغي أن تكون صادرة عن قلب حاضر و تأمّل وافر، بحيث يجد القارى عند الشّروع فيها محرّكا للإقبال إلى المنعم الحقيقي الّمدى أنطق لسانه بتحميده، و وقفه للقيام بتمجيده، ثمّ كلّما مجده بصفة من صفاته العليا و سمّاه باسم من أسمائه الحسنى قوى ذلك المحرّك و ازداد، حتّى إذا انتهى إلى مالكيّة الأمر يوم المعاد، تنهى في القوّة و الاشتداد و آل الأمر بالضرورة إلى دفع الحجاب، و الإقبال عليه بالخطاب، و إنّ المقام مقام عظيم و خطب جسيم يدّش فيه الإنسان، و يتلجّج فيه اللّسان، فيتغيّر الكلام، و يخرج عن الأسلوب و النّظام، و هو كما ترى فإنّ الكلام كلام الملك العلّام و إنّ من أوّل السّورة إلى هذا المقام تعداد لصفاته التي لا يليق عدّها في الحضور بل الأنسب طريق الغيبة بلا ريبه لأنّ الثناء في الغيبة أولى منه في الحضور لكنّ العبادة و الاستعانة ينبغي إظهارها للمعبود دون غيره. و إنّ في الالتفات إشعارا بأنّ العبادة السّالمة عن القصور ما يكون العابد حين الإشتغال مستغرقة في بحر الحضور يشاهده بنور العلم و العرفان و يخاطبه بالجنان و اللّسان.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٩٤

و إنّ حقّ الكلام أن يجري من أوّل الأمر على طريق الخطاب لأنّه تعالى حاضر لا يغيب بل هو أقرب من كلّ قريب، لكنّه جرى على طريق الغيبة رعاية لقانون الأدب الّذي هو دأب السّالكين، و منهاج العارفين، و طريقة عاشقين كما قيل:

بأدب در طريق عشق كه هست طرق عشق كلّها آداب

در پس پرده رمزها است بسی فاستلوهن من وراء حجاب

فبعد رعاية الأدب تقرب إليه و اقترب، و تمكّن في بساط الحضور و استنار بإظهار العبوديّة من معدن النور.

و انَّ العابد لما حَقَّرَ عبادته النَّاقِصَةَ القاصِرةَ و البائرةَ و أراد ترويجا لكساده و إصلاحا لفساده أن يمزج عبادته بعبادة جميع العابدين من الأنبياء و المرسلين و الملكة المقربين و يعرض الكلَّ دفعة واحدة على حريم قدس رب العالمين رجاء أن يصير الانضمام سببا لقبول التمام بفضل ذى الجود و الانعام، فلذا أتى فى الفعل بنون المتكلم مع الغير، ليندرج عبادته فى عبادتهم، و تصير مقبولة ببركتهم، فساق الكلام على التَّمط اللّايق بحالهم، و الأسلوب المناسب لمقامهم الذى هو الحضور و الخطاب لحضرة المعبود لارتقائهم عن عالم الغيبة إلى مقام الشهود لو قال إياه نعبد لكان كالإزراء بشأنهم، و الإفضاء عن علو مكانهم، و انَّ من لزم جادة الأدب و الانكسار و رأى نفسه بعيدا عن ساحة القرب لكمال الاحتقار فهو الحقيق بان تدركه الرّحمة و تناله النعمة فيتخطى على بساط الاقتراب فائزا بعزّ الحضور و سعادة الخطاب.

و انَّ لآيات القرآن المجيد سيما ما كان مشتملا على التّحميد و التّمجيد لشأنا عجيبا و أثرا غريبا فى الإيصال إلى مقام القرب و الكمال فيستأهل بعد رفع الحجاب للتشرف بمقام الحضور حتّى أن العبد باجرائه هذا القدر منه على لسانه و نقشه على تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٩٥

صفحة جنانه يخرج من الظلمة إلى النور و من الغياب إلى الحضور فكيف لو لازلّم وظائف الأذكار و دوام على تلاوته آناء الليل و أطراف النهار فحينئذ يرتفع الحجب من البين و يصل من الأثر إلى العين كما روى عن الإمام الهمام كشاف الحقائق جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام لقد تجلّى الله لعباده فى كلامه و لكن لا يبصرون.

و روى عنه عليه السّلام: انه كان يصلى فى بعض الأيام فخرّ مغشيا عليه فى أثناء الصلاة فسئل عن ذلك فقال: ما زلت اردّد آية من كتاب الله حتّى سمعتها من قائلها «١».

قال بعض أصحاب القلوب ان الآيه كانت هذه الآيه بل

ذكر شيخنا البهائى قدس سرّه الخبر هكذا ما زلت اردّد هذه الآيه إلخ

ثم حكى عن بعض العارفين: أن لسان جعفر الصادق عليه السّلام كان فى ذلك الوقت كشجرة الطور عند قول إنى أنا الله ثم قال:

و ما أحسن قول الشيخ الشبستري «٢» بالفارسيّة نظما:

روا باشد أنا الله از درختى چرا نبود روا از نيك بختى «٣»

قلت: أمّا التشبيه فالأظهر فيه التّعكيس لكن مع حفظ الحدود للأمن عن التّلبس، و أمّا قول الشبستري ففيه إيماء إلى وحدة الوجود، و تضييع الحدود، و عدم تميّز العابد عن المعبود، و لعلّه إشارة إلى تصحيح قول من قال أنا الله، و ليس فى جبتى سوى الله، و غيرها من المزخرفات الباطلة و الترهات العاطلة و بين المقامين بون بعيد لا يخفى على من له قلب أو القى السمع و هو شهيد «٤».

(١)

كنز الدقائق ج ١ / ٦٠ و فيه: ما زلت اردّد الآيه حتى سمعتها من المتكلم بها.

(٢) هو الشيخ محمود بن عبد الكريم الشبستري المتوفى (٧٢٠) ه و كان عمره (٣٣) سنة.

(٣) مفتاح الفلاح ص ٧٧٧.

(٤) قال العلامة الخواجوى فى تعليقه على المفتاح: قوله: چرا نبود روا از نيك بختى لأنه يكون من مقولة قول فرعون «أنا ربكم الأعلى بل يكون أقبح منه، لأنّ هذا يمكن تأويله بأن المراد بالرب هنا ملك مصر فى قوله «ارجع إلى ربك فى سورة يوسف: ٥٠، و بالأعلى انه أعلى شأن من سائر الملوك، بخلاف كلمة أنا الله، فإنه علم الذات الواجب الوجود ... إلخ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٩٦

وأنه قد تقرّر في العلوم الإلهية أنّ شدة الإدراك و تأكّد الصورة العلمية في الوضوح والإنارة وقوة الشوق إلى المدرك و رسوخه يوجبان حضور المعلوم، و لذا قيل: إنّ المشاهدة و الرؤية ثمرة اليقين، فلما ذكر الله سبحانه و وصفه بصفات كماله و نعوت جلاله و جماليته و خصائص إلهيته من كونه حقيقا بالحمد، ربيا للعالمين، موجدا لكل منعم عليهم بالنعمة كلها جليلها و دقيقتها دنيويها و أخرويها ظاهرها و باطنها، مالكا لأموارهم يوم الجزاء و اللقاء تميّز بها ذاته عن سائر الدّوات، و تتورّ القلب بأنوار معرفة هذه الصفات، و انفتحت عين البصيرة بتلاوة هذه الآيات فينتقل من الغياب إلى الخطاب قائلا يا من هو بالحمد حقيق، و بهذه الصفات الكماله يليق، نخصّك بالعبادة و الاستكانة، و نطلب منك السّداد و الإعانة.

و أنّ العباد أراد بذلك أن ينخرط في سلك أرباب الشّهود و الحضور، و يجبر ما في عبادته من القصور و الفتور، نظرا إلى أن من تشبهه يقوم كاد أن يكون منهم، و أنّه لا حجاب بين المملوك و المالك إلّا حجاب ملك نفس المملوك، فاذا عبر عن حجاب ملك النفس وصل إلى مشاهدة مالك النفس.

كما

ورد في تفسير قوله تعالى: فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴿١﴾ عن مولينا جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام: ان التوبة هي قتل النفس، و ناجى بعض الأنبياء ربه كيف الوصول إليك؟ فخطب دع نفسك.

و للنفس صفات أربع كلّها حجب لها ظلماته و نورانيته، و هي كونها أماره إنّ النفس لآماره بالسوء ﴿٢﴾ لؤامة و لا أقسم بالنفس اللؤامة ﴿٣﴾ و ملهمة

(١) سورة البقرة: ٥٤.

(٢) سورة يوسف: ٥٣.

(٣) القيامة: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٩٧

و نفس و ما سواها فالهّمها فُجورها و تقواها ﴿١﴾ و مطمئنة: يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي ﴿٢﴾ فأمر العبد المملوك بأن يذكر المالك بالصفات الأربع التي هي الإلهية و الربوبية و الرحمانية و الرحيمية، فيعبر بجذبات مدح الإلهية و شكر الربوبية و تمجيد الرحيمية عن حجب مهالك الصفات الأربع للنفس فيتخلص من ظلمات ليله نفسه بطلوع صبح صادق مالكية يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا و الأمر يومئذ لله ﴿٣﴾ فيذكره بفضل و رحمته إنجازا لوعده كما قال: فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴿٤﴾، و يشرفه بخطاب يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ثم يجذبه عن غيبة نفسه إلى شهود مالكية فيقول له: ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ فيشاهد جمال المالك، و يهيم في بيدا فيافي تلك المسالك، و يناديه نداء عبد ذليل خاضع خاشع كما قرأ بعضهم مالك يوم الدين بالنصب على النداء.

و أنّه لئلا كان الحمد إظهار صفات الكمال لا يتفاوت بالنظر إلى غيبة المحمود و حضوره، بل هو مع ملاحظة الغيبة أدخل و أتم و كانت العبادة لا يليق بها الغائب، و إنّما يستحقّها من هو حاضر لا يغيب كما حكى سبحانه عن الخليل على نبينا و آله و عليه السّلام فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٥﴾، لا جرم عبّر سبحانه عن الحمد و إظهار الكمال بطريق الغيبة و عنها بطريق الخطاب إعطاء لكل منهما ما يليق به على التّمط المستطاب.

و أنّه لما لم يكن في ذكر صفات الكمال مزيد كلفه بخلاف العبادة التي فيها

(١) الشمس: ٧.

(٢) الفجر: ٢٨.

(٣) الانفطار: ١٩.

(٤) البقرة: ١٥٢.

(٥) الانعام: ٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٩٨

من الكلفة والمشقة ما لا يخفى، ومن عادة المحب أن لا يحسّ بالمشاق في حضور المحبوب بل يتحمل منها في الحضور مع غاية الابتهاج والسرور ما لا يتحمل جزء منها حال الغفلة والغيبه، ولذا قرن سبحانه العبادة بما يشعر بحضوره ونظره إلى العابد تداركا و انجارا لما فيها من الكلفة والمشقة كما

قال مولينا الصادق عليه السلام على ما رواه في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ «١»: لَذَّةُ مَا فِي النَّدَاءِ أَزَالَ مَا فِي الْعِبَادَةِ مِنَ التَّعَبِ وَالْعَنَاءِ «٢».

فحينئذ يأتي بها العابد مع غاية البهجة والسرور لما أشرق على قلبه من أنوار قدس الشهود والحضور.

و أن مقام الحمد والثناء مقام البعد عن ساحة الكبرياء فإنه كما قيل: إظهار صفات الكمال على الغير فما دام للأغيار وجود في نظر السالك فهو يواجههم بإظهار مزايا المحبوب، و أما إذا زال الحجاب من بين وصل من الأثر إلى العين، وانكشف له غطاء الخفاء عن وجه قوله: أنا جليس من ذكرني «٣»، فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ «٤» فينخرق الأستار، و يضمحل الأقدار و ينكشف الأسرار، فلا جرم ينعطف عنان لسانه إلى جنبه و يصير كلامه منحصرًا في خطابه.

و مثل ما قلت مضافا إلى بعض ما سبق من أن في سوق الكلام على الغيبه في مقام الحمد والثناء، و على الخطاب في مقام إظهار العبودية و طلب الاستعانة إشعارا بأن العبد و إن بالغ في الثناء على ربه حتى لو مجّده بكلامه المنزل عن عزّ جلاله، فهو بعد ذلك قاصر عن ذلك، بعيد عما هنالك، أين التراب و ثناء ربّ

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) مجمع البيان ج ١ / ٢٧١.

(٣) خاتمة مفتاح الفلاح ص ٧٧٦.

(٤) البقرة: ١١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٤٩٩

الأرباب و كمال التنزيه عن الكمال، و كمال التوحيد نفى الصفات، و الله أكبر من أن يوصف، فما دام العبد في مقام الحمد فهو بعد بعيد، غائب عن ساحة الكبرياء.

و أما العبادة فينبغي أن تكون مع كمال التوجه و الإقبال إلى حضرة ذى العزّ و الجلال، و لذا

ورد «أَنَّ الصَّلَاةَ مَعْرَاجُ الْمُؤْمِنِ» «١»

، و

«المصلّى مناخ ربّه» «٢»

، و

«أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْهَا إِلَّا مَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ» «٣»

، و

«إِنَّ مِنَ الصَّلَاةِ مَا يَقْبَلُ نِصْفَهُ وَ ثَلَاثَهُ وَ رُبْعَهُ» «٤»

، وذلك على حسب التوجه والإقبال و لذا علمنا الله تعالى و اذبنا بالانتقال و الإياب إلى حالة الحضور و الخطاب عند عبادة ربّ الأرباب، و انّ حمده سبحانه ينبغي أن يكون بما حمد به نفسه لتزهره عن وصف الواصفين و نعت الناعتين، سبحانه الله عمّا يصفون إلّا عباد الله المخلصين الذين لا يصفونه إلّا بما وصف به نفسه، و لذا قال بعد ذلك مثنيا على المرسلين الذين يصفونه بما وصف به نفسه، و سلام على المرسلين و الحمد لله ربّ العالمين، و من هذا قال سيّد الكونين و ختم المصطفين سبحانه لا أحصى ثناء عليك كما أثبتت على نفسك فالحمد ثناء من المحمود على نفسه و العبادة تذلل و خضوع من العابد للمعبود.

و انّ من أول السورة إلى هذه الآية بيان لمراتب الوجود التكويني الذي يقال له الشرع الكوني، و من هذه الآية إلى آخر السورة بيان لمراتب الوجود التشريعي الذي يقال له الكون الشرعي، و لا ريب أنّ الاختيار في الأول جبلي فطري، و في الثاني إرادي و شعوري ظهوري قد قام به كون التشريع في هذا العالم الذي ما دام

(١) مستدرک سفینه البحار ج ٦ ص ٣٣٣.

(٢) عوالمی اللثالی ج ٤ ص ٣٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٨٤ / ٢٣٧.

(٤) عوالمی اللثالی ج ١ / ٤١١ ح ٧٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٠٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ٥٤٩

المكلف فيه ناظرا إليه فهو غائب من الأول، و الأول غائب عنه، و إن لم يكن الحجاب عنه إلّا التطورات الوجودية الثابتة الناشئة في هذا العالم، و إن فيه تعليما له لتحقيق مسلك التوحيد و الخروج عن ربه التقليد و التحقق بحقيقة العبادة و الفوز بشهود المعبود الذي هو تمام السيادة و ذلك انّ الله سبحانه لم يخلق الجنّ و الإنس إلّا للعبادة التي لا بدّ فيها من معرفة المعبود كي يستقيم توجهه إليه بعين الشهود و السبيل العاري عن شوب التقليد إلى معرفة المعبود للعامة إنّما هو ملاحظة الآيات الافاقية و الأنفسية و لذا قال: سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ «١»، الآية وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَ فِي أَنْفُسِكُمْ «٢».

و

قال صلى الله عليه و آله و سلم: من عرف نفسه «٣»، و أعرفكم بنفسه «٤»

إلى غير ذلك.

فالعابد الداعي لما أراد التوجه إليه بالعبادة و الدعاء الذي هو مخرجها و حقيقتها، نظر بقلبه إلى العالم بجميع أجزائه و جزئياته فرأى فيه آثار الألوهية و مراتب الربوبية، و الرحمة الكلية التامة العامة الواسعة، و الخاصة المكتوبة المقتضى كلّ ذلك نظرا إلى العدل و إتمام الدورة لانشاء النشأة الآخرة، فلما انتقل من البرهان إلى العيان تحوّل من الغياب إلى الخطاب، فالتمجيد الذي من أول السورة إلى هنا كأنه ليس حمدا للثابت بل إثباتا للمحمود.

و هذه الوجوه و ان اشتمل بعضها على ضعف أو تكرار، إلّا أنّه لا بأس بالالتفات إليها للتأدب بأداب العبودية بين يدي الله سبحانه و ان كانت بمراحل عمّا هو المقصود بالذات من الالتفات.

(١) فصلت: ٥٣.

(٢) الذاريات: ٢٠ - ٢١.



(٣) عوالى اللثالى ج ١٠٢ / ٤ ح ١٤٩.

(٤) معارج اليقين للسبزواري ص ٣٥ ح ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٠١

### فى سرّ تقدّم المفعول

إنّما قدّم المفعول، وحقّه التأخير لتقدّمه فى الوجود، وللإشعار على التّعظيم، و لزيادة الاهتمام النّاشى عن شدّة اقتضاء الكلام السّابق الخطاب حسبما سمعت، و لشدّة العناية به فى ذكره، و الاستمداد به و لو فى إظهار عبادته و طلب إعانتته، و للدّلالة على حصر المعبود و المستعان به حقيقة فيه سبحانه و لذا حكى عن ابن عباس أنّ معناه نعبدك لا نعبد غيرك «١».

و ما يقال من منع دلالة التقديم على الحصر و إنّما غايه ما يدلّ عليه هو الإختصاص و لذا عبّر به فى الكشّاف هنا بدل الحصر، و الحصر هنا لم يستفد منه، بل من خصوص المادّة و هى العبادة و الاستعانة.

ففيه أنّ الظّاهر اتحاد مفاد العبارتين حسب ما صرّحوا به، و الفارق قد فرّق بينهما بما لا يصلح إلّا للفرق بين الحصر و الاختصاص المفاد بلامه لا الاختصاص المرادف للقصر، و لذا قيل لا يصرّ فى ترادفهما اشتراك الاختصاص بين الحصر و الاختصاص المفاد بلامه كما لا يمنع من إفادة التقديم الحصر عدم إفادته له فى مواضع، لأنّ الحكم على الغلبة لا الأطراد، و الأطراد بمعونة القرينة أو ما لم يكن قرينة على الخلاف.

نعم قال بعض المحقّقين: إنّ فى خطابنا له تعالى بأنّ خضوعنا التّام و استعانتنا منحصران فيه جلّ شأنه و تكرارنا ذلك فى كلّ يوم و ليلة مرارا عديدة مع خضوعنا الكامل لأهل الدنيا من الملوك و الوزراء و من يحذوا حذوهم و استعانتنا فى حوائجنا و استمدادنا فى نجاحها منهم جرأة عظيمة توجب مزيد الخذلان و عظيم الحرمان لو لا أن تداركنا رحمته الكاملة و عنايته الشّاملة، روى عن مالك بن دينار أنّه كان

(١) تفسير روح المعانى ج ١ / ٨٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٠٢

يقول لو لا- أنّى مأمور بقراءة هذه الآية من الله تعالى ما قرأتها قطّ لأنّى كاذب فيها، ثمّ حكى عن بعض الفضلاء: أنّ فى العدول فى فعل العبادة و الاستعانة من الأفراد إلى الجمع نكتة هى التّحرّز عن الوقوع فى الكذب إذ يمكن فى الجمع أن يقصد تغليب الأصفياء الخالصاء من الأولياء المقربين على غيرهم بخلاف صيغة المفرد فأنّه لا يتأتّى فيه ذلك.

قلت: الخضوع لغير الله و الاستمداد منه و الاستعانة به و صرف الحوائج إليه إن كان بأمر الله و على القدر المحدود منه، من حيث الكميّة و الكيفيّة و سائر المشخصات الوجوديّة فلا ريب فى كونه عبادة مطلوبة مرغوبة عند الشّارع كطاعة الولد للوالدين، و العبد للسيد، و المتعلّم للمعلّم، و الصّغير للكبير، بل المؤمن مطلقا كلّ ذلك فى غير معصية الله، بل لكونه مأمورا بذلك فى الشّريعة، بل ربّما يربّح و يقدّم بعض أفرادها لما فيه من الخصوصيات على بعض العبادات البدنيّة المحضه من المندوبات، بل ربما يجب أو يندب تعظيم الظّلمة و الوزراء و السّلاطين بل المخالفين و الكافرين حفظا للدين أو على بعض المؤمنين و للتقيّة الّتى هى من دين سيّد المرسلين بل و يندب شكر من حصل أو وصل بواسطته شىء من النّعم الإلهيّة، فإنّ من لم يشكر النّاس لم يشكر الله، و لعن الله قاطعى سبيل المعروف بترك الشكر، فضلا عن الكفران، لكنّ المسلك و عر صعب دقيق.

و لذا

قال مولينا الصادق عليه السلام في تفسير قوله: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» (١) أنه هو الرجل يقول: لو لا فلان لهلكت، و لو لا فلان لأصبت كذا و كذا، و لو لا فلان لضاع عيالي، ألا ترى أنه قد جعل لله شريكا في ملكه يرزقه

(١) سورة يوسف: ١٠٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٠٣

و يدفع عنه قيل: فيقول: لو لا أن من الله عليّ بفلان لهلكت قال: نعم لا بأس بهذا (١).

و بالجملة مراعاة الصّدق في المقام يقتضى حفظ حدود العبوديّة و القيام بوظائفها، و أمّا إذا لم يكن بأمر الله فرّما يكون مثل هذا الخطاب نفاقا بل شركا في الطّاعة لو لم يكن في العبادة بل قد ورد: من أصغى إلى ناطق فقد عبده (٢).

و لذا ينبغي قبل الدّخول في الصّلوّة تطهير القلب بالتّصميم على إخلاص الطّاعة و العبادة له دون غيره، لئلا يخاطب بخطاب المنافق و المستهزء كما أنه ينبغي الحضور التّام عند تلاوة هذه الآية بحصر النّفس على كمال الإقبال و التّوجّه إلى جناب ربّ الأرباب كيلا يخاطب غيره ممّا يخطر بباله بهذا الخطاب. و لذا قيل بالفارسيّة:

إياك نعبد بر زبان دل در خيال این و آن

كفر است اگر لاخوانی یکی شرک است اگر گوئی دو تا

و لأنّ في تقديم المعبود تنبيها للعابد كيلا يتكاسل في شرائط العبادة، و يقبل على آدابها بحسن الرّعاية تحصيلًا للسّعادة، مع ما في ملاحظه من تخفيف التكليف بل الاستغراق التّام في حضرة القدس، و حریم حرم الأنس، بحيث لا ذكر معه لغيره حتّى لنفسه، إلّا من جهة ارتباطه و انتسابه من حيث العبوديّة و الافتقار إليه سبحانه، و لذا فضّل ما حكى الله عن حبيبه صلّى الله عليه و آله و سلّم حين قال لا- تَحَزَنَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا (٣) على ما حكاه عن كليمة حيث قال: إِنَّ مَعِيَ رَبِّي (٤) مع ما في الآية الأولى من الانتساب إلى الاسم الأعظم المقدّم الجامع، و الإتيان بضمير الجمع المشعر برياسته

(١) تفسير نور الثقلين ج ٢ / ٤٧٦ عن تفسير العياشى بتفاوت سير.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٦ / ٢٣٩ ح ١ عن العيون ص ١٦٨.

(٣) سورة التوبة: ٤٠.

(٤) سورة الشعراء: ٦٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٠٤

الكلية و بايئته المطلقة، و هيمنته على من سواه.

فالنظر في «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» من المعبود إلى العبادة بحيث لا يرى العبادة إلّا و يرى الله قبلها، و في نعبدك من العبادة إلى المعبود، فمن كان نظره إلى المعبود فقد فاز بالسعادة، و من كان نظره إلى العبادة فقد احتجب عن المعبود بالعبادة، فإنّ العبادة من أعظم الحجب النورانيّة التي بين العابد و المعبود، كما

ورد: «ان لله سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره» (١).

فالحجب غير منحصرة في الظلماتيّة الهولائيّة الغاسقة، بل منها حجاب العلم، و حجاب المعرفة، و حجاب المحبّة، و حجاب العبادة، و كلها من سبحات حجاب الذات الذي هو أعظم الحجب كما قيل:

فقلت و ما أذنبت قالت مجيبة و جودك ذنب لا يقاس به ذنب

فلا بدّ أن يكون النظر عند كلّ شأن من شؤون العبوديّة أو الربوبيّة إلى المبدأ الأعلى الذي هو المقصد الأسنى.

ولذا قيل: من كان نظره في وقت النعمة الى المنعم لا الى النعمة كان نظره عند البلاء الى المبلى لا الى البلاء، فيكون جميع حالاته فريقا ملاحظة الحق، متوجها الى الحبيب المطلق، وهذه أعلى درجات السعادة، و معه يحصل الانس بالله و الفرار عما سواه فيتحقق بحقيقته الزهد المجتمعة في كلمتين من القرآن: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ «٢».

ولأن في تقديم المعبود الحق إقناطا كليا لإبليس وغيره مما يعبد من دون الله من وقوع عبادته لغيره تعالى استقلالاً أو تشريكا، سيما مع إشعاره من أجل

(١) بحار الأنوار: ج ٥٥ / ٤٥ باب ٥.

(٢) الحديد: ٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٠٥

الخطاب بكون العابد شاهدا لتجليات أنوار القدس، متمكنا في حريم حرم الانس، متحصينا من أحزاب مردة أتباع الشيطان بحصينه إن عبادي ليس لك عليهم سلطان «١»، وهذا بخلاف ما لو أطلق العبادة، ثم يذكر المعبود.

ولأن فيه إشعارا بالتوسل اليه و الاستعانة باسمه في عبادته، فكأن الجملة الثانية من حيث المقال حكاية للأولى باعتبار الحال.

### استكشاف و استعانة عن حقيقة الاستعانة

الاستعانة استفعال من العون بمعنى الظهير، يقال: استعنته، و به فأعنتى و قواني، و الاسم العون و المعانة و المعونة كمقولة، و المعونة كمكحلة.

ثم إن المعونة إما كونية و إما شرعية، و كل منها إما ضرورية أو غير ضرورية، فأقسامها أربعة: الكونية الضرورية، و هي التي لا يتحقق التكوين بدونها من الوجود و الماهية، و حدود القابلية و الهندسة التكوينية و غيرها مما أشير إليها اجمالا بقوله عليه السلام: لا يكون شيء في الأرض و لا في السماء إلا بعلم فمشيئة، و إرادة، و قدرة، و قضاء و أيضا «٢»، حسب ما نفصل الكلام فيها في موضعها (إن شاء الله).

و طلب هذه المعونة إنما هو بلسان القبول و الاستعداد المفاض عليه حين الإعطاء لا قبله، إذ ليس له قبل ذلك ذكر في شيء من العوالم، و هو سبحانه مشيئ الأشياء لا من شيء، و معطى الاستعدادات و القابليات، و مفيض التقررات و الكينونات الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى «٣» و المبتدء بالنعم قبل استحقاقها.

(١) الحجر: ٤٣.

(٢) الكافي ج ١ / ١٤٨ - ١٥٢ فيه أحاديث كثيرة في هذا الباب.

(٣) سورة طه: ٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٠٦

فالسؤال في قوله سواء للسائلين «١» و غيره ميا ورد في الآيات و الأخبار محمول على السؤال الجعلي الإبداعي الأولي الذي حين العطاء و حين القبول.

و أما القول بالأعيان الثابتة، و أن الماهيات في أنفسها غير مجعولة، و أن لها استعدادات و قابليات ذاتية غير مفاضة بالجعل الإبداعي، و هي الموجبة لاختلاف قبولها و مراتبها فمما يابى عنه القول بالتوحيد و تمجيده سبحانه بالتفريد، لاستلزامه تعدد القدماء، إذ ليست

أعداما محضة، ضرورة عدم التمايز فيها، ولا واسطة بين الوجود والعدم، لبطانها في نفسها، مع أن أصحاب الأعيان يصرحون بنفيها فلم يقولوا به من جهتها، وظاهر أكثر المعروفين بالعلم والمعرفة وإن كان إثبات الأعيان، إلا أن العقل القاطع يأبى عن متابعتهم بعد قيام صريح البرهان، فإن الحق حق بالتصديق والإذعان.

هذا كله بالنسبة الى بدو التكوين، و أميا في الإمدادات السيالة والفيوض المتصلة فيها مضافا إلى ما مر من السؤال نظرا الى القول بتجدد الأمثال سؤال آخر استعدادى متأخر عن الكينونة المتقدمة و باقترانه بالإجابة يتحصل التقرر والبقاء، وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب (٢).

وقد ينضم إليهما سؤال ثالث يظهر أولا في الجنان، ثم يتجلى بآثاره وبأشعة أنواره على الأركان واللسان.

و أما الكينونة الغير الضرورية فهى ما لا يتوقف عليه الوجود والبقاء من النعم التي توجب الوسعة في المعيشة، وسؤالها على الوجهين الأولين وقد يقترنان بالثالث.

(١) سورة فصلت: ١٠.

(٢) سورة النحل: ٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٠٧

و أما الشرعية الضرورية فهى التي مرجعها إلى أسباب التمكين من الفعل بحيث لا يتأتى الفعل بدونه كعلم المكلف وقدرته في نفسه، والتمكن من الآلات والأدوات التي لا يتوصل إلى الفعل بدونها فيقبح التكليف مع انتفائها عندنا، وإن جاز عند الأشاعرة القائلين بجواز التكليف بما لا يطاق و طلب المحال بل الطلب المحال وإن لم يقولوا بوقوعه.

وسؤالها مرة ذاتى جلى فطرى، من حيث أن فى كينونة الإنسان الشوق الى الكمال والابتهاج بالإقبال، والسرور بالتشرف بمقام الامتثال الذى به الفوز والنجاة والخروج عن حضيض البهيمية إلى أوج ذروة الوصال.

و أخرى ظاهرى مقالى على اللسان كقوله: رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ (١).

و أميا الشرعية الغير الضرورية أى التي يمكن الفعل بدونها، ولذا لا يتوقف صحة التكليف عليها، لكن يتيسر به الفعل ويسهل كمقربات الطاعة ومبعدات المعصية، والمرغبات التي توجب الحث على الفعل من الوعد والوعيد ونحوها مما لا يؤدي الى الإلجاء والاضطرار، وهذا فى الجملة حسب ما تأتى الإشارة اليه هو المسمى عندهم باللطف، وقد أطلقت الفرقة المحقة الامامية على وجوبه على الله، بمعنى أنه سبحانه كتبه على نفسه، ولا يتجاوز عنه فى تشريعه وتكليفه على خلقه، و وافقهم فى ذلك المعتزلة، و به يشبتون وجوب بعث الأنبياء ونصب الأوصياء وإرسال الرسل وإنزال الكتب، و ما تكرر فيها من الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب وعدم خلؤ الأرض من حجة، وغير ذلك من المباحث المهمة نظرا إلى أن ترك اللطف يوجب نقض غرض المكلف (بكسر اللام)، فإنه إذا علم أن المكلف (بفتح

(١) سورة البقرة: ٢٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٠٨

اللام) لا يطيع إلا باللطف، فلو كلفه من دونه كان ناقضا لغرضه، ونقض الغرض عليه سبحانه محال.

و توهم أن أفعاله تعالى غير معللة بالأغراض كما زعمته الأشاعرة نظرا إلى أن الغرض هو السبب الباعث للفاعل على الفعل فهو المحرك الأول للفاعل، و به يصير الفاعل فاعلا لذلك الفعل، ولذلك قيل: إن العلة الغائية علة فاعلة لفاعلية الفاعل و من بين أنه سبحانه أجل أن يفعل من شىء أو يستكمل بشىء فلا يكون معللا بغرض، و أيضا كل من يفعل لغرض فوجود ذلك الغرض بالنسبة

إليه أولى من عدمه، فلو كان لفعله تعالى غرض لزم كونه سبحانه مستكملاً بغيره و هو ذلك الغرض. مدفوع بأنه إنما يلزم الاستكمال إذا كان الغرض عائداً إلى الفاعل: و أما عوده إلى غيره فلا يلزم ذلك. فان قلت: إن نفع غيره إن كان أولى بالنسبة إليه تعالى من عدمه عاد المحذور، و إلا لم يصلح أن يكون غرضاً له، فالفاعل الذي يفعل فعلاً لغرض غيره لا بد أن يكون له في تحصيل ذلك الفوض غرض عائداً.

قلت: نختار الأول و نقول: إن إيصال النفع إلى غيره أولى من عدمه لا بالنسبة إلى ذاته حتى يكون في ذاته مستكملاً بغيره، بل بالنسبة إلى فعله الذي هو في رتبة الإمكان و صقع الحدوث، فإن فعل الكامل يلزم أن يكون على أكمل الوجوه و أتمها، و الضرورة قضت بقبح العبث في أفعال الحكيم.

و بالجملة فالفرق واضح بين الغرض المستلزم للاستكمال أو لإظهار الكمال، و بين الغاية اللازمة في أفعال الكامل، و الأول نقص و الثاني كمال، لأن كمال الفعل إنما هو باعتبار اشتماله على الحكم و المصالح و الأغراض النافعة. و أيضاً الفعل إذا لوحظ في ذاته مرةً مشتملاً على جهات الحسن و وجوه

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٠٩

المنافع العائدة إلى المستحقين، و أخرى عارية عنها، بل مشتملة على مفسد لا تعد و لا تحصى، فالضرورة القطعية قاضية بترجيح الأول على الثاني و ترجيح المرجوح على الراجح قبيح عقلاً و شرعاً.

نعم لا ينبغي التكلم بمثل هذا الكلام مع الأشاعرة الذين يكابرون الضرورة و ينكرون الحسن و القبح العقليين و يقتحمون في أغلاط لا يليق التكلم معهم فيها، فالأولى الاقتصاد في جوابهم على ما ذكرناه أولاً- و إن عميت قلوبهم من إدراكه أيضاً حيث لم يفرقوا بين الذات و الفعل و جعلوا جملة من الصفات الفعلية قديماً ثابتاً للذات، بل التزموا بإثبات قدماء سبعة أو ثمانية، إلى غير ذلك من الشناعات التي خرجوا بها من الدين المبين، بل اعتزلوا بها عن شريعة سيد المرسلين، و لذا قيل:

إنهم يلزمهم خلاف العقل لما سمعت و النقل لتعليق الأحكام في الكتاب و السنة على العلل و المصالح و الأغراض كقوله تعالى: وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ «١»، وَ لِذَلِكَ خَلَقَهُمْ «٢»، لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ «٣»، لِيُهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ «٤»، لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ «٥»، لِيُنَالُوا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ «٦»، إلى غير ذلك من الآيات، بل الأخبار التي لا تحصى و لا تستقصى.

بل ربما يدعى عليه الإجماع بمعنى الاتفاق أيضاً، فإن المعتزلة و من يحذو حذوهم قائلون به، و الأشاعرة و من تابعهم قائلون بالقياس الفقهي، و هو فرع العلة

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة هود: ١١٩.

(٣) المائدة: ٩٥.

(٤) الأنفال: ٤٢.

(٥) المائدة: ٩٤.

(٦) النساء: ١٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥١٠

و الغرض لما صرحوا به من لزوم كون العلة باعثة و غرضاً للشارع من شرع الحكم في الأصل لا مجرد أماره و مظنة فيلزمهم إما بطلان القياس أو هذا الأصل.

و لعله لذا حكى في شرح المواقف عن الفقهاء جواز كون الأفعال معللة و ان لم يجب، مع أن قضية دليلهم حسب ما سمعت عدم

الجواز.

و بالجمله فبطلان مقالهم أوضح من أن يستدل عليه بمثل هذه الوجوه التي ربما يوهم تطرق بعض المناقشات إليها. و حيث قد سمعت فساد أو هام الأشاعرة فقد صحّ اتصافه سبحانه بالإعانة و أنه هو المعين لخلقه في الأمور التكوينية و التشريعية بالإعانة الضرورية و غيرها و منه الاستعانة في جميع الفيوض و الإمدادات الابتدائية و الاستعدادية و الاستحقاقية، كلاً نمدُّ هؤُلاءِ وَ هؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَ مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (١).

و لذا حذف مفعول الفعل الذي هو متعلق الاستعانة تنبيها على عمومه و شيوعه للجميع، نظرا إلى أن حذف المتعلق يدل على العموم الذي من أظهر مصاديقه في المقام و أهمها من بين المهام طلب المعونة في أداء العبادة. و لعلّه لذا

فسيره الإمام عليه السلام بقوله: منك نسأل المعونة على طاعتك لنؤديها كما أمرت، و نتقى من ديانا ما نهيت عنه، و نعتصم من الشيطان الرجيم و من ساير مرده الجنّ و الإنس من المضلين و من المؤذنين الظالمين بعصمتك ... الى أن قال: قال رسول الله: قال الله عزّ و جلّ: قولوا: وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ على طاعتك و عبادتك و على دفع شرور أعدائك و ردّ مكائدهم، و المقام على ما أمرتنا به (٢).

(١) الإسراء: ٢٠.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ص ١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥١١

فلا تتوهم منه و من بعض المفسرين الذين فسروه بالاستعانة في العبادة كما يحكى عن ابن عباس أيضا حصره فيها «١»، فإنّ القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه.

نعم ربما يقال: باشتقاقها من العين، إمّا بمعنى الناظرة فكما أنّ مطلب أصحاب الرسوم طلب المعونة لعبادة المعبود كذلك مقصد أرباب المكاشفات و حقايق العلوم طلب النور المتجلّى على قلوبهم للتحقق بمقام المعاينة و الشهود، و هو الفوز بمقام الإحسان، فإنّ كلّ عابد ليس بمحسن في عبادته بل

الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه (٢)، فمعنى الاستعانة طلب المعاينة من قولهم: لا أطلب أثرا بعد عين أى بعد معاينة.

و إمّا بمعنى النابعة، فكأنّه يطلب جريان ينابيع الحكمة و المعرفة في قلبه و من قلبه على لسانه.

لكنّ الاشتقاق منه على الوجهين مع بعده في نفسه و مخالفته لما في تفسير الإمام عليه السلام موجب للاختصاص في الفائدة الذي لا داعى إليه في المقام.

بقى الكلام في أمور: أحدها في الجمع بين العبادة و الاستعانة، و تقديم الأولى على الثانية، و ذلك أنه لما نسب جميع الشئون حتّى التربية و إفاضة الرحمة إليه سبحانه إلى أن تمكّن في مقام الاستغراق في بحر الشهود و التشرّف بمخاطبة الربّ المعبود أقر على نفسه بالعبودية، و أضاف إليها فعل العبادة التي هي التربية الحقيقية، و حقيقة الرحمة الرحيمية، ثمّ لما أوهم هذا أنّ له استقلالاً في ذلك، أو أنّ له أنانيّة هنالك، فينثلم به أساس التوحيد، و ينمحق به ما أسسه أوّلا من التمجيد

(١) في تفسير البصائر ج الفاتحة ص ١٢٨: وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فيه قولان: قال ابن عباس:

أى إياك نستعين على طاعتك و على أمورنا كلّها.

(٢) نور الثقلين ج ١/ ٥٥٣ ح ٥٧٩ عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥١٢

والتفريد سلب من نفسه الحول والقوة وأضاف الى ربه الإمداد والمعونة على وجه الطلب والسؤال الذي هو وظيفة العبودية إزالة لغبار الشرك في الأفعال من أوهم الأغيار، وإرجاعا لجميع الفيوض والإمدادات الى الله الواحد القهار. فالعبادة وان كانت هي المقصودة بالذات من العباد ولذا قدمها، إلا أنها لا تتم إلا بمعونة الحق وإمداده وإفاضته، لا بحول العبد وقوته، فإنه لا حول من المعاصي، ولا قوة على شيء من الطاعات إلا بمعرفة الله وتوفيقه، فقرنها بالاستعانة.

ولذا ربما قيل: إن الجملة الثانية حالية والواو للحال، إشعارا على كون العبادة في حال الاستعانة، فالاستعانة بل الإعانة أيضا مقدمة على العبادة رتبة وإن أخرها لفظا، نظرا إلى ما سمعت.

مضافا إلى أن العبادة مطلوب الله من العباد، والاستعانة مطلوبهم منه، فناسب أن يقدم مطلوبه على مطلوبهم. وأن اقتران العبادة بالاستعانة للجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهة، وتقديم العبادة على الاستعانة كتقديم الوسيلة على طلب الحاجة رجاء الاجابة كما نبه سبحانه على ذلك بقوله: «ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ» (١). مضافا إلى أن المعبود بالحق هو الذات البحت المجرد عن جميع الإضافات والأوصاف المشار إليها بالأحذية المطلقة، بل بالهوية الغيبية، والمستعان به هو المتجلى بصفة الإعانة التي هي من صفات الفعل، فالعبادة توحيد ذاتي والاستعانة توحيد فعلي، بل العبادة إذعان بالتوحيد، والاستعانة تصديق بالولاية التي هي باطن النبوة، فإن صفات الفعل كلها حادثه، عندنا، وستمع (إن شاء الله تعالى)

(١) المائة: ٣٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥١٣

مزيد بيان لهذا الكلام.

هذا كله مضافا إلى ما قيل من توافق الفواصل كلها في متلو الحرف الأخير، سواء كانت البسمله آية منها أولا، وإنهما وان كانا فعلين للعبد إلا أن العبادة من مدلولات الاسم المقدس الذي معناه المعبود بالحق فكانت أخرى بالقرب منه، بل بالتقديم كما أن ذلك الاسم هو المقدم الجامع، وأن العبادة أنسب بذكر الجزاء، كما أن الاستعانة ألصق بطلب الهداية.

وأن زيادة الاهتمام بشأن العبادة وإظهارها تقتضى تقديمها على الاستعانة التي متعلقها حسب ما سمعت أعم من العبادة وغيرها، وهي في نفسها وان كانت عبادة أيضا إلا أنها لعموم متعلقها ربما كانت مشوبة ببعض الحظوظ النفسية والفيوض الدنيوية.

وأن مبدأ الإسلام الحث على العبادة والتحريض عليها على وجه الإخلاص ونفى الشرك، وأما التخصيص بالاستعانة فإنما يحصل بعد الرسوخ التام في الدين فكانت أخرى بالتأخير.

وبالجملة الجملة الاولى للتخلص من الشرك الظاهر، والثانية للتخلص من الشرك الخفي، وأن الاولى اشارة الى التحلي بحلية العبادة التي هي أصل الفضائل، والثانية تنبيه على التحلي عن الالتفات الى النفس والى غيره تعالى، بل عن الانانية التي هي أم الرذائل.

وتقديم الأول لكونه الغاية المقصودة وإعانتة على الثاني، والإشعار على أنه ينبغي الكون على الفطرة الأولية الاصلية التي يكون المقصود منها حفظ الصحة لا رفع المرض فتأمل.

و

في علل فضل بن شاذان عن مولينا الرضا عليه السلام، قال: إِيَّاكَ نَعْبُدُ رَغْبَةً وَتَقَرَّبًا إِلَى اللَّهِ وَإِخْلَاصًا بِالْعَمَلِ لَهُ دُونَ غَيْرِهِ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اسْتِزَادَةً مِنْ بَرِّهِ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥١٤

وتوفيقه وعبادته واستدامه لما أنعم عليه ونصره (١).

ثم اعلم أن في هذه الآية الشريفة تحقيقا للمنزلة بين المنزلتين، وإثباتا للأمر بين الأمرين حيث أبطل بقوله: إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ مذهب

الجبرية الذين ينسبون الأفعال كلها إلى الله و يقولون: لا مؤثر و لا فاعل في الوجود إلا الله، لقوله تعالى:

هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ (٢)، و

قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «ما شاء الله كان، و ما لم يشأ لم يكن» (٣)، حتى أن بعضهم كجهم بن صفوان (٤) و غيره لا يفرقون بين حركة المرتعش و غيره، و لا بين سكون الزمن و غيره، و يقولون: إن جميع الخيرات و الشرور من ناحية القدر، و لا قدرة للعبد في شيء منها، بل هو مجرد الآلة يفعل بإرادة حادثه فيه من الله تعالى فهو المرید و هو الفاعل.

فأبطل مقاتلهم: بنسبة العبادة التي هي الخضوع و التذلل الى العبد، كما أبطل مقالة المفوضه الذين يعزلون الله عن خلقه و عن ملكه، بطلب المعونة منه، فإنه يدل على افتقار العبد في عبادتهم و في سائر حوائجهم و مهماتهم الى معونته و توفيقه و إمداده.

بل في قوله: إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ إشارة الى بطلان المذهبين معا لدلالته على أن الطلب من العبد و المعونة من الله، فتحقق أن لا جبر و لا تفويض، بل أمر بين الأمرين.

ثم إن التفويض إما في التشريعات و إما في التكوينية و بالأولى يبطل الأول

(١) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٠٣-٢١٤ ضمن ح ٩٢٧- العيون ج ص ١٠٧.

(٢) فاطر: ٣.

(٣) بحار الأنوار ج ١٠ / ١٠٩ ح ١ و ج ٧٣ ص ٣٩٤ ح ١٠.

(٤) جهم بن صفوان: أبو محرز السمرقندي رأس الجهمية قتل بأمر نصر بن سيار سنة (١٢٨) هـ - الأعلام ج ٢ / ١٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥١٥

و بالثانية الثانية.

ثم إن بعض الجبرية لما رأوا فساد مذهبهم و شناعة مقاتلهم قسموا الجبر الى أقسام أربعة:

الجبر الجزئي، و جبر التيقن، و جبر التخلق، و جبر التحقق، فنقوا الأول لما فيه من إبطال التكليف و الشرائع كافة، و مخالفة الحس و الضرورة، و أثبتوا الثلاثة، مفسرين لها بتوحيد الأفعال و الصفات، و بمرتبة البقاء بعد الفناء كما قيل:

و كل الذي شاهدته فعل واحد بمفرده لكن بحجب الأكنة و

في الحديث القدسي: لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به (١).

قلت: و هو حق بالنسبة الى انكار الأول، و أما إثبات الثلاثة فعلى تفصيل يأتي اليه الإشارة كما يأتي تمام الكلام إن شاء الله تعالى في مسألة الجبر و القدر في موضع أليق، و إنما المقصود في المقام الإشارة الى دلالة الآية.

ثانيها: في إثبات الجمع على ضمير الوحدة في الفعلين، بل و في الثالث المتعقب لهما في سؤال الهداية.

و ذلك إما باعتبار الحفظه و الكرام الكاتبين، و المعقبات الذي من خلفه و من بين يديه (٢)، و غير ذلك من الملائكة الموكلين بحفظه و بحفظ أعماله و أفعاله و أعضائه و جوارحه و قواه و مشاعره، و قبضات وجوده و المأمورين بإيصال الفيوض و الإمدادات إليه من جميع الجهات في كل العوالم في جميع المراتب و الوسائط.

و إما باعتبار جميع الأجزاء و الجزئيات، و قبضات الوجود التي تركب منها

(١) أصول الكافي كتاب الايمان و الكفر باب من أذى المسلمين و احتقرهم ح ٧ و ٨- بحار الأنوار ج ٦٧ / ٢٢.

(٢) اقتباس من الآية (١١) من سورة الرعد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥١٦



المعجمون الإنساني الذي هو نسخة مختصرة من مجموع العالم الكبير لانطوائه فيه بجميع أجزاءه من الدرّة الى الذرّة، فإنّ فيه من كلّ شيء شيئاً، ففيه رأس من المشيئة المعبر عنه بالمشيئة الجزئية، وفيه قبضة من العقل، وقبضة من النفس، وقبضة من الطبيعة، وقبضة من المزاج، وقبضة من عالم المثال، وقبضة من الأفلاك السبعة، وقبضة من العناصر الأربعة، وقبضة من المواليد الثلاثة حسب ما نفضّل كلّاً منها في موضعه إن شاء الله، وكلّ شيء من الأشياء شاعر بنفسه مسبح لربه، لئذ في فناء الفناء إلى باب قدس الجود والبقاء، و لذا قال سبحانه:

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ «١».

وقال سبحانه: تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ «٢».

و ذلك لما قرّر في محلّه من أنّ الوجود الإمكانى يساوق الشعور، والشعور التذلل والاستكانة، حتى أنّ الكافر بجميع أجزائه مسبح لله تعالى في جميع العوالم المرتبة إلّا بقلبه ولسانه أحيانا في مقام الشعور الإنساني و لذا في دعاء الركوع: خشع لك سمعي و بصرى و شعري و بصرى و لحمى و دمي و مخي و عصبى و عظامي «٣».

و في دعاء عرفه المتقدم ذكر بعضه ما سمعت.

و أما باعتبار التمهيد لعموم الدعاء، حيث إنّه لما مجدّ الله و وصفه بصفاته الحسنى، و أظهر له العبودية أراد أن يسأله الهداية التي هي الجامعة لخير الدنيا والآخرة عمّم المسألة لأنّه أقرب الى الاجابة، مع ما ورد من أنّه من دعا لأخيه

(١) الجمعة: ١ و التغابن: ١.

(٢) الإسراء: ٤٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٨٥ / ١١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥١٧

بظهر الغيب نودي من العرش: و لك مائة ألف ضعف مثله «١» و لذا عمّمهم في إظهار العبودية تمهيدا لسؤال الهداية للكافة فنسب كلّ من يعبد الله الى العبادة ثمّ طلب لهم الهداية.

و أما باعتبار الوسائط المترتبة بين المشيئة الكلية و بين العابد، و ذلك أنّ العبادة و المعونة من جملة الفيوض الواصلة الى العبد، و قد تقرّر في محلّه أنّ الفيض لا يصل الى السافل إلّا بواسطة العالی و بايئته و حجابيته و أنّ الباب الأقدم و الحجاب الأعظم هو الحقيقة المحمدية و عترته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين، فالعبادة و الاستعانة لهما كانت بالتوجه الى المبدأ الأوّل بالتوسيل إلى المبادئ العالیة و الاستشفاع بهم و بالاستفاضة من تلك المبادئ و الاشراق عليه منها، فسيلان فيض العبودية و الاستكانة للاستفاضة في جميع السلسلة عبادة للجميع و هو المفروض باب الأحديّة جبرا للنقصان، و استدعاء للقبول و الإحسان و هذا الاعتبار الذي لوحنا إليه يتكثّر به الواحد الذي هو المشيئة الكلية و الوجود المطلق و الفيض الانبساطي و يتحد به المتكثّر الذي هو الوجودات الجزئية المقيدة الواقعة في صقع المفعول برجوع الكل إليه، و خضوع الجمع لديه.

و الى هذا المعنى

أشار رأس الجالوت أعلم علماء اليهود حيث سأل من مولينا الرضا عليه التحية و الثناء و قال: يا رئيس المسلمين ما الواحد المتكثّر. و ما المتكثّر المتوحد، و ما الجارى المنجمد، و ما الناقص الزائد، فأجاب عليه السّلام يا ابن أبيه أيّ شيء تقول و ممّن تقول، و لمن تقول، و بمن تقول؟ بينا أنت أنت صرنا نحن نحن، و هذا جواب موجز ... الخبر «٢».

(١) بحار الأنوار: ج ٩٣ / ٣٨٤ ح ٨.

(٢)؟؟؟؟

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥١٨

و هذا الخبر و إن لم أظفر به فى أصول أصحابنا الاعلام إلّا أنّه حكاة بعض السادة الكرام رفع الله قدره فى دار السلام و مجمل الاشارة الى مفاده أن رأس الجالوت لما اقتبس من أنوار النبوة و الولاية بالاطلاع على الصحف السابقة، أو من تجليات أنوار الامام انقسام ما فى الكون الى الوجود المطلق الذى هو الفعل و المشيئة الكلية و الوجود المقيّد الذى هو المفعول و المشيئة الجزئية، و قد تبين عنده أنّه لا يصل الفيض الى السافل إلّا بواسطة العالى، فلذا سأل عن الواحد المتكثّر و هو الوجود المطلق المنبسط، فوحدته فى نفسه و تكثّره بانبساطه و فيضانه، و من المتكثّر المتوحد و هو المفعول أى عالم الخلق بجملته لتكثّره فى نفسه و انتهائه فى سيره و توجهه الى الله الى الباب الأعظم الذى هو الوجود المطلق.

و ممّا أشرنا إليه يظهر ان الأوّل هو الجارى السيال المنبسط فى نفسه المنجمد المقيّد باعتبار محلّه و متعلّقه، و أن الثانى هو الناقص فى نفسه الزائد باعتبار الانتهاء الى مبدئه بالإقبال و الاستكمال، فأجابه الإمام عليه السّلام مخاطبا له بآبىه خطاب مدح لأنهم، إذ قد يسمّى به من لا يليق به أن ينسب الى آبيه الناسوتى لرفعته عنه اشعارا بأنه ينبغى انتسابه الى الآباء الروحانية النورانية، و لعل المقام منه، تعجّبا من دقّة مسئلته، و غموض حكمته.

و قد يسمّى به من ينفى عن آبيه عهدا و سفاحا، كزياد بن آبيه «١».

ثمّ عظم المسألة بالسؤال عنها و عمّن قالها، و لمن قالها، و كشف له عن حقيقة الأمر، و بين له أنّه فى مقام المشيئة حيث ذكر له: أنّك حيث أنت أنت توجهت الى مقام المشار إليه بقوله: انا و أنت بعد قطع جميع العلائق فحينئذ صرنا

(١) زياد بن آبيه ولد بالطائف، كان مع أمير المؤمنين عليه السّلام فى مشاهدته و مع الحسن عليه السّلام الى زمان صلحه ثم لحق معاوية، و هلك بالكوفة سنة (٥٣) - سفينة البحار ج ٣ / ٥٧٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥١٩

نحن نحن لرجوع المقيّد الى المطلق، و الجزء الى الكلّ، و السافل الى العالى و الموجود الى الوجود، فافهم الكلام و على من فهمه السلام.

و إمّا لان العبادة لا تقبل إلّا من أهل الولاية و أصحاب الولاية الذين تقبل منهم طاعتهم و عبادتهم إذا كان فى عبادتهم قصور و فتور كما هو الغالب الدائم، فالظاهر من الأخبار أنّه يجبر ذلك النقصان بفاضل حسنات الإمام عليه السلام و ذلك عند عرض اعمال العباد عليهم عليهم السلام.

ولذا

ورد عنهم عليهم السلام فى الزيارة الرجبية على ما فى «المتهجّد»: أنا سائلكم و آملككم إليكم التفويض، و عليكم التعويض، فبكم يجبر المهيض و يشفى المريض «١».

و

فيما سمعه السيّد ابن طاوس عن الحجة عجل الله فرجه فى الناحية المقدّسة: اللهم إنّ شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا و عجنوا بماء ولايتنا، اللهم اغفر لهم من الذنوب ما فعلوه اتكالا على حبنا، و ولنا يوم القيامة أمورهم، و لا تؤاخذهم بما اقترفوه من السيئات إكراما لنا و لا تقاصصهم «٢» يوم القيامة مقابل أعدائنا، و إن خفّت موازينهم فنقلهم بفاضل حسناتنا «٣».

و إمّا حكاية منه سبحانه عن كافة عبيده، فكأنّه قال: يا عبادى قولوا: إياك نعبد.

و يؤيده ما

فى تفسير الامام عليه السلام حيث قال: قال الله تعالى: قولوا يا أيها الخلق المنعم عليهم: إِيَّاكَ نَعْبُدُ أَيُّهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْنَا، وَ نَطِيعُكَ مَخْلَصِينَ مَعَ التَّدَلُّلِ وَ الْخُضُوعِ بِلَا

(١) مصباح المتهجد ص ٧٥٦ الزيارة الرجبية.

(٢)

فى البحار: و لا تقاصهم. (٣) بحار الأنوار: ج ٥٣ / ٣٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٢٠

رياء و لا سمعة، و إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ مِنْكَ نَسْأَلُ الْمَعُونَةَ عَلَى طَاعَتِكَ «١».

و حكاة فى المجمع عن الكسائى، قال: تقديره قولوا: إِيَّاكَ نَعْبُدُ، و لهذا كما قال الله: وَ لَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَ سَمِعْنَا «٢» اى يقولون: رَبَّنَا، و قال: وَ الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ «٣»، اى يقولون: سلام «٤». و إِيَّا لَمَّا ذَكَرَهُ الْقَوْمُ مِنْ أَنَّ الْمَقْصُودَ الْإِشْعَارَ بِحِقَارَةِ نَفْسِهِ مِنْ عَرْضِ الْعِبَادَةِ مِنْفَرِدًا وَ طَلَبِ الْإِعَانَةِ مُسْتَقِلًا مِنْ دُونِ الْإِنْضِمَامِ وَ الدِّخُولِ فِي جَمَلَةِ جَمَاعَةٍ يَشَارِكُونَ فِي عَرْضِ الْعِبَادَةِ عَلَى بَابِ الْعِظَمَةِ وَ الْكِبْرِيَاءِ، كَمَا هُوَ الدَّأْبُ عِنْدَ عَرْضِ الْهَدَايَا عَلَى الْمُلُوكِ وَ رَفْعِ الْحَوَائِجِ إِلَيْهِمْ.

و أَنَّ فِي خَطَابِنَا لَهُ عِزٌّ وَ عِلَاءٌ بِأَنَّ خُضُوعَنَا التَّامَّ وَ اسْتِعَانَتَنَا فِي الْمَهَامِّ مَنْحَصِرَانِ فِيهِ سَبْحَانَهُ مَعَ خُضُوعِنَا الْكَامِلِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْمُلُوكِ وَ الْوُزَرَاءِ وَ مَنْ يَحْذُو حَذْوَهُمْ جَرَأَةً عَظِيمَةً وَ جَسَارَةً جَسِيمَةً، فَقَصْدُ بَيِّنَاتِ ضَمِيرِ الْجَمْعِ تَغْلِيْبِ الْأَصْفِيَاءِ الْخَلَصِ عَلَى غَيْرِهِمْ كَى يَحْتَرِزَ بِذَلِكَ عَنِ الْكُذْبِ الظَّاهِرِ وَ التَّهَوُّرِ الشَّيْخِ.

و أَنَّ هُنَا مَسْأَلَةٌ فِقْهِيَّةٌ وَ هِيَ أَنَّ مِنْ بَاعِ أَمْتَعَةٍ مُخْتَلَفَةٍ صَفْقَةٍ وَاحِدَةً فَخَرَجَ بَعْضُهَا مَعِيَا فَلِلْمَشْتَرِي أَنْ يَقْبَلَ الْجَمِيعَ أَوْ يَرُدَّ الْجَمِيعَ، وَ لَيْسَ لَهُ التَّبَعُّضُ، فَكَأَنَّ الْعَابِدَ أَرَادَ أَنْ يَحْتَالَ لِقَبُولِ عِبَادَتِهِ النَّاْقِصَةَ بِأَنَّ أَدْرَجَهَا فِي عِبَادَاتِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَ الْمُقَرَّبِينَ، وَ عَرْضَ الْجَمِيعِ صَفْقَةً وَاحِدَةً عَلَى حَضْرَةِ ذَى الْجُودِ وَ الْإِفْضَالِ فَهُوَ عَزَّ شَأْنُهُ أَجَلٌّ مِنْ أَنْ يَرُدَّ الْمَعِيْبَ وَ يَقْبَلَ الصَّحِيْحَ، كَيْفَ وَ قَدْ نَهَى

(١) تفسير الامام عليه السلام ص ١٨ و عنه كنز الدقائق ج ١ / ٦٤.

(٢) السجدة: ٢.

(٣) الرعد: ٢٣.

(٤) مجمع البيان ج ١ / ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٢١

عبيده عن تبعيض الصفقة.

و أَنَّهُ يُمْكِنُ إِرَادَةُ التَّفْخِيمِ وَ التَّعْظِيمِ، إِذَا الْمَقَامُ وَ إِنْ اسْتَدْعَى الذَّلَّةَ وَ الْإِنْكَسَارَ تَحْقِيقًا لِلْعُبُودِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ إِشْعَارًا بِأَنَّهُ لَا فَخْرَ لِلْعَبْدِ إِلَّا فِي عُبُودِيَّتِهِ، وَ لِذَا قِيلَ: كَفَى لِي فَخْرًا أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْدًا، فَيَنْبَغِي الْإِفْتِخَارَ لِعُبُودِيَّتِهِ، فَكَأَنَّ مَنْ يَعْبُدُهُ، وَ يَعْظُمُهُ وَ يَجَلِّلُهُ يَبْتَدَأُ أَوَّلًا بِتَعْظِيمِ نَفْسِهِ بِتَحَقُّقِهِ فِي مَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ.

و أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْعَبْدُ قَالَ: إِيَّاكَ أَعْبُدُ لَكَانَ يَشْمُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْإِسْتِقْلَالِ الَّذِي رَبَّمَا يُوَدَّى إِلَى الْعَجَبِ وَ تَعْظِيمِ الْعِبَادَةِ فَأَدْرَجَ نَفْسَهُ فِي زِمْرَةِ الْعَابِدِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِشْعَارًا بِأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ جَمَلَتِهِمْ، كَى يَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى التَّوَاضُعِ وَ الْإِنْكَسَارِ.

و ذَكَرَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي الْفَتْوحَاتِ: أَنَّ الْعَارِفَ يَنْظُرُ إِلَى تَفْصِيلِ عَوَالِمِهِ، وَ أَنَّ الصَّلَاةَ قَدْ عَمَّ حِكْمَهَا جَمِيعَ حَالَاتِهِ ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا لَمْ يَنْفَرِدْ

بذلك جزء عن آخر، فإنه يقف بكله، و يركع كذلك، و يسجد كذلك، و يجلس كذلك، فجميع عالمه على عبادة ربه، طالبا منه المعونة على عبادته، فجاء بنون الجمع في الفعلين، فعلم من الحق سبحانه لما قيده بالنون أنه يريد منه أن يعبده بكليته، و يستعين به بكليته، و متى لم يكن المصلّي بهذه المثابة من جمع عالمه على عبادة ربه كان كاذبا في قراءته، فإن الله ينظر اليه فيراه ملتفتا في صلاته أو مشغولا بخاطره و قلبه في دكانه و تجارته، و هو مع هذا يقول: نعبد، يقول الله له كذبت في كنايتك بجمعيّتك على عبادتي، ألم تلتفت ببصرك الى غير قبلتك، ألم تصغ بسمعك الى حديث الحاضرين تسمع ما يقولون. ألم تمش بقلبك و فكرك في سوقك، فأين صدقك في قولك: نعبد، فيحضر العارف هذا كله في خواطره فيستحق أن يقول: إياك نعبد لئلا يقال له كذبت، فلا بد أن يجتمع من هذه تلاوته على عبادة ربه حتى يقول الحق له: صدقت في جمعيّتك على عبادتك و طلب معونتي.

ثم قال: رويانا في هذا الباب من بعض المعلمين من الصالحين أن شابا صغيرا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٢٢

كان عليه القرآن فرآه مصفّر اللون فسأل عن حاله، فقيل له: إنّه يقوم الليل بالقرآن كله، فقال له: يا ولدي أخبرت أنك تقوم الليل بالقرآن كله؟ فقال: هو ما قيل لك، فقال: يا ولدي إذا كان في هذه الليلة فاحضرني في قبلتك و اقرأ القرآن عليّ في صلاتك و لا تغفل عني، فقال الشاب: نعم، فلما أصبح، قال له: هل فعلت ما أمرتك به؟ قال: نعم يا أستاذ، قال: و هل ختمت القرآن البارحة؟ قال: لا- ما قدرت على أكثر من نصف القرآن، قال: يا ولدي هذا أحسن، إذا كان هذه الليلة فاجعل من الصحابة أمامك الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم و اقرأ عليه و احذر و احذر، فإنهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم فلا تزل في تلاوتك، فلما أصبح سأله الأستاذ عن ليلته، فقال: ما قدرت على أكثر من ربع القرآن، فقال: يا ولدي أتله هذه الليلة على رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم الذي نزل القرآن، و اعرف بين يدي من تلاوه، فقال: نعم، فلما أصبح، قال: يا أستاذ ما قدرت طول ليلتي على أكثر من جزء من القرآن أو ما يقاربه، فقال: يا ولدي إذا كان هذه الليلة فلتكن تقرأ القرآن بين يدي جبرئيل الذي نزل به على قلب محمد صلى الله عليه و اله و سلم و احذر و اعرف من تقرأ عليه فلما أصبح قال: يا أستاذ ما قدرت على أكثر من كذا و ذكر سورا قليلة من القرآن، قال: يا ولدي إذا كان هذه الليلة تب الى الله و تأهب، و اعلم أن المصلّي يناجي ربه، و أنك واقف بين يديه تتلو عليه كلامه فانظر حظك من القرآن و حظّه و تدبّر ما تقرأ. فليس المراد جمع الحروف و لا تأليفها، و لا حكاية الأقوال، و إنما المراد بالقراءة التدبّر لمعاني ما تلاوه، فلا تك جاهلا، فلما أصبح انتظر الأستاذ الشاب فلم يجيء إليه، فبعث من يسئل من شأنه، فقيل له: إنّه أصبح مريضا يعاد، فجاء إليه الأستاذ فلما أبصره الشاب بكى و قال: يا أستاذ جزاك الله عنى خيرا، ما عرفت أنى كاذب إلا البارحة، لما قمت الى مصلاي و أحضرت الحق و انا بين يديه أتلو عليه كتابه، فلما استفتحت الفاتحة و وصلت الى قوله: إياك نعبد، نظرت الى نفسي فلم أرها تصدق في قولها فاستحييت أن أقول

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٢٣

بين يديه إياك نعبد و هو يعلم أنني أكذب في مقالتي، فاني رأيت نفسي لاهية بخواطرها عن عبادته، فبقيت أردد القراءة من أول الفاتحة الى قوله مالك يوم الدين و لا أقدر أن أقول إياك نعبد، فإنه ما خلصت لي، فبقيت أستحيي أن أكذب بين يديه فيمنعني، فما ركعت حتى طلع الفجر و قد رصت كبدى، و ما أنا إلا راحل اليه على حاله لا أرضاها من نفسي. فما انقضت ثلثه حتى مات الشاب فلما دفن أتى الأستاذ الى قبره فسأل عن حاله فسمع صوت الشاب من قبره و هو يقول: يا أستاذ أنا حتى عند حتى لم يحاسبني بشيء، فرجع الأستاذ الى بيته، و لزم فراشه مريضا ممّا أثر فيه حال الفتى فلحق به، فمن قرأ إياك نعبد على قراءة الشاب فقد قرأ «١».

الثالث: في تكرير الضمير، و الوجه فيه على ما قيل إما التأكيد كما يقال: الدار بين زيد و بين عمرو، مع جواز الاقتصار بأحدهما، بأن يقال: الدار بين زيد و عمرو، و منه تكرار لا النافية في قوله تعالى: وَ لَا الظُّلُمَاتُ وَ لَا النُّورُ وَ لَا الظُّلُّ وَ لَا الْحُرُورُ «٢» و ما يستوى الأحياء وَ لَا الْأَمْوَاتُ «٣»، و تكرير بين في قول عدى بن زيد «٤»:

و جاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار و بين الليل قد فصلا و ردّه في المجمع بأنّ التكرير إنّما يكون إذا لم يكن محمولا على فعل ثان، و إياك الثاني في الآية محمول على نستعين و مفعول به فكيف يكون تأكيدا «٥».

(١) الفتوحات المكيّة ج ١ ص ٤٢٥ عن أبي بكر المقرئ محمد بن خلف المعدي الإشبيلي المتوفى (٥٨٦) هـ.

(٢) فاطر: ٢١.

(٣) فاطر: ٢٢.

(٤) هو عدى بن زيد بن حمّاد التميمي الشاعر الجاهلي من أهل الحيرة مات سنة (٣٥) قبل الهجرة - معجم المؤلفين ج ٦ ص ٢٧٤.

(٥) مجمع البيان ج ١ / ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٢٤

و يمكن الجواب بأنّ المراد معنى التأكيد و هو التنصيص على التخصيص بالاستعانة، و لو اكتفى بمجرّد العطف من دون تكرير الضمير ربما أوهم أنه قد يستعين بغيره و لا يخصّه بالاستعانة كما يخصّه بالعبادة.

على أنّ نفى الشرك في الاستعانة أبلغ في نفى الشرك في العبادة، فمع إفادته فائدة جديدة في الثانية يؤكد الأولى أيضا.

و إنّما التنصيص على حصول التقرب بكلّ من الفعلين، فإنّه لو اقتصر على واحد منهما ربما توهم متوهم أنّه لا يحصل التقرب إلّا بهما معا، مضافا إلى ما فيه من الإشعار بمراعاة النكات المتقدّمة لضمير الجمع و غيره في كلّ من الفعلين لا فيهما معا.

و لعلّه أيضا مراد من عبر عنه بالتأكيد ممثلا له بقوله تعالى: كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَ نَذُكِّرَكَ كَثِيرًا «١».

و إنّما الاستلذاذ بطول الخطاب مع المحبوب و بسط الكلام عنده كما في قول موسى على نبينا و آله و عليه السلام: هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيَّهَا وَ أَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي «٢» الآية.

و إنّما لأنّ الواو للحال، و الجملة حاليّة، أي نعبدك مستعينين بك، فلو ترك التكرار لفات المقصود.

و إنّما لأنّ متعلّق الإشارة في إِيَّاكَ نعبدك ليس بمتعلّق الإشارة في و إِيَّاكَ نستعين، نظرا إلى أنّ الأوّل إشارة إلى الأمر الذي ثبت استحقيقه للعبادة عند العابد، و صار منتهى مدى مقصده و وجهته بحسب علمه أو شهوده، أو اعتقاده المتحصّل

(١) طه: ٣٣.

(٢) طه: ١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٢٥

من موادّ الظنون و التخيلات المتّبة عليها من قبل، و متعلّق الإشارة في الثاني ليس من حيث كونه معبودا فقط، بل من حيث إنّ له صلاحية أن يعين من يعبده فيما لا يستقلّ به العابد إذا طلب الإعانة منه، كذا ذكره الشيخ القونوي «١» في تفسير الفاتحة.

و فيه مضافا إلى ابتناؤه على تخيّل المعبود و توهمه الذي ينبغي تنزيهه عنه بل لا- يتمّ التوحيد إلّا بذلك، إذ من يعبد المتوهم فهو مشرك أو كافر، أنّ قيد الإطلاق، و الحيثيات و القيود مسلوّبة هناك.

و ما أشار إليه بحيثيّة صلاحية الإعانة ليس من الذات في شيء، بل إنّما هو في صقع الفعل حسب ما أشرنا إليه سابقا. (ختام للمقام) قال في مجمع البيان: قد أخطأ من استدللّ بهذه الآية على أنّ القدرة مع الفعل، من حيث إنّ القدرة لو كانت متقدّمة لما كان لطلب

المعونة وجه، لأنّ الرغبة إلى الله في طلب المعونة على وجهين:

أحدهما أن يسأل الله تعالى من الطاقة و ما يقوى دواعيه و يسهّل الفعل عليه ما ليس بحاصل، و متى لطف له بأن يعلمه أنّ له في فعله الثواب العظيم زاد ذلك في نشاطه و رغبته.

و الثاني أن يطلب بقاء كونه قادرا على طاعته المستقبلية، بأن يجدد له القدرة حالا بعد حال عند من لا يقول ببقائها، و أن لا يفعل ما يضادها و ينفياها عند من قال ببقائها «٢».

أقول: هذا إشارة الى المسألة المعروفة بين المتكلمين، و مجمل الإشارة إليها

(١) هو محمد بن إسحاق صدر الدين الصوفي الرومي القونوي المتوفى سنة (٦٧٢) هـ - معجم المؤلفين ج ٩ ص ٤٣.

(٢) مجمع البيان ج ١ / ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٢٦

في المقام مع تحقيق ما لأصل المرام، هو أنهم في أن القدرة على الفعل هل هي معه فيمتنع قبله فضلا عن تعلقها به، أو أنها قبله و يتعلق به حينئذ، فيستحيل تعلقها به حال حدوثه، فالأشاعرة على الأول نظرا إلى أن قبل الفعل لا يمكن الفعل، بل يمتنع وجوده فيه و ألا فلنفرض وجوده فيه فالحالة السابقة ليست كذلك، بل هي حال الفعل.

و لأنها عرض لا يبقى زمانين فلو كان قبله لا نعدم حاله، و لزم وجود المقدور بدون القدرة.

و لأنه يلزم من فرض وقوع الفعل قبل وقوعه حيث إنه ممكن و يلزم اجتماع النقيضين: وجود الفعل و عدمه.

و هذه كلها كغيرها من حججهم بل كأصل المذهب واهية جدا، لضعف الأول بأن الممتنع حصول الفعل في زمان بشرط كونه قبل الفعل، و أما وجوده في زمان عدمه لا بأن يجتمع فيه الوجود و العدم بل بأن يكون مكان العدم الوجود فلا محذور فيه أصلا، و أما النقص بالقدرة القديمة فمع عدم الحاجة إليه غير صحيح عندنا إذ الحق كون القدرة عين ذاته بدون مغايرة حقيقية و لا اعتبارية فليس فيها تعلق و لا مطابقة و لا غير ذلك من صفات الإمكان و الحدوث.

و لضعف الثاني أيضا بالمنع من عدم بقاء العرض زمانين، و أدلتهم على ذلك واهية جدا كما قرر في محله.

و بعد ذلك فربما يجاب أيضا بعد التسليم بتأثير القدرة المتقدمة في الفعل المتأخر و منع اعتبار المقارن، سلمنا لكن يجوز حدوث مثلها بناء على القول بتجدد الأمثال على سبيل الاستمرار الى حال الفعل.

و توهم أن وجود المقدور حينئذ إنما بالقدرة الزائلة فيعود المحذور، أو الحاصلة و هو المطلوب، مدفوع بأنه بالحاصلة لكنها حاصلة من الزائلة على سبيل

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٢٧

الكسر و الصوغ فهي هي و هي غيرها.

على أنه لا نزاع في لزوم القدرة حال الفعل، و إنما البحث في جوازها قبله و العدم، فبطلت الشرطية، فإن استناد الفعل الى اللاحقة لا يخرج السابقة من كونها قدرة لكفاية التأهل و الصلوح في ذلك، و إن لم يكن هناك فعلية.

و أما النقص بالقدرة القديمة فلا يصح عندنا كما في السابق، إذ صفاته ليست بأعراض، و من الغريب الاعتذار عن ذلك بأن الكلام في المعاني لا في اطلاق الألفاظ.

و أما ضعف الدليل الثالث فيظهر مما سمعت في ضعف الأول.

و أميا المعتزلة فإنهم وافقوا الامامية في إثبات القدرة قبل الفعل، و استدلوا أولا- بأنها لو لم تكن قبل الفعل لما كان الكافر مكلفا بالإيمان حال الكفر.

و أجيب بأن الكافر مكلف في الحال بإيقاع الإيمان في ثاني الحال، و بالجملة فزمان التكليف غير زمان الفعل، و الحاجة الى القدرة في الثاني.

و يجوز أن لا يكون مقدورا في الزمان الأول الذي هو زمان التكليف خاصة، كالمكلف في ليالي شهر رمضان بإيقاع الصوم في نهاره،

فإن إيقاع الصوم النهاري غير مقدور في الليل، مع أن المحققين من الفقهاء قالوا بجواز تعلق الوجوب قبل زمان الأداء، و لذا قالوا بوجوب الغسل على الجنب قبل الفجر.

و فيه أن من التكاليف ما يكون زمان أدائه مستوعبا لجميع أزمته التكليف كالإيمان فيلزم من ذلك أن لا يكون مكلفا بالإيمان في جميع أزمته كفره، فحال تعلق التكليف بالإيمان مع تركه إن كان مكلفا به ثبت المطلوب و إلا بطل بالإجماع.

و توهم أنه يكفي في تعلق التكليف به حصول القدرة عليه حال الفعل، فالقدر اللازم أن يكون المكلف به مقدورا في زمان وجوده، و أما كون القدرة مجامعة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٢٨

للتكليف فلا.

مدفوع بأنه على هذا لو مات كافر على كفره و لم يؤمن يلزم منه أن لا يكون الإيمان مقدورا له، لأن القدرة مع وجود الفعل و لم يقع منه، فيلزم أن يكون ذلك الكافر مكلفا بشيء لم يكن مقدورا له، و هو وقوع التكليف بما لا يطاق، إلا أنك تعلم أن الالتزام بهذا و نحوه ليس ببدع من الأشاعرة الذين ينكرون الحسيات، و يردون العقول و يخالفون الشرائع.

و لذا أجاب في المواقف عن أصل الدليل بجواز التكليف بالمحال. بل التزم بجواز التكليف بخلق الجواهر و الأعراض مما ليس مقدورا له.

و حكى العلامة الحلّي في أنوار الملكوت عن الرازي الاعتراض عليه بأن لزوم تكليف ما لا يطاق وارد على المعتزلة، لأن المكلف حال حصول القدرة على الإيمان أعني حال الكفر بزعمهم لا- يمكنه الفعل أعني الإيمان لاستحالة الجمع بين المتقابلين، و هما الإيمان و الكفر، و حال حصول الفعل أعني الإيمان لا قدرة عليه لوجوبه.

ثم أجاب عنه الفاضل بأن القدرة على الفعل ليست بأن يوجد الفعل أول زمان وجودها بل بأن يوجد ثانيا الحال، و حينئذ لا يكون قول المعتز: إنه لا يمكنه لا فعل يعنى الإيمان حال الكفر صادقا و حال الكفر يتعلق بمكنته لا بالفعل.

قلت: و الأوضح في الجواب أن يقال: ببقاء القدرة في كل من الحالين، أما حال الكفر فلا قدرة على تبديل الكفر بالإيمان قبل أن يستمر عليه الكفر، فالتعبير بحال الكفر إنما هو لعدم الإيمان، و معه هو حال الإيمان فلا يجتمع المتقابلان و أما حال الإيمان فللقدره على إزالته و تبديله بالارتداد في كل حال من أحوال استمراره.

و ثانيا بان المراد من القدرة هي القوة التي هي مبدأ الأفعال المختلفة بحيث

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٢٩

لو انضم إليها إرادة أحد الضدّين عمل ذلك الضدّ و تحقّق في الوجود، و لو بمزاولة الآلات و مباشرة الأفعال، و هذا المعنى وجوده قبل الفعل ضروري لكل أحد، و لعل إنكاره أشبه بإنكار الضروريات.

و لذا ربما يحمل القدرة التي ينكر الأشعري تقدّمها على الفعل على معنى آخر و هو القوة المستجمعة لشرائط التأثير بأجمعها و لا شك أنها لا- تتعلق بالضدين و المألزم اجتماعهما في الوجود، بل هي بالنسبة الى كل مقدور غيرها بالنسبة إلى المقدور الآخر، لاختلاف الشرائط المعتمدة في تحقّق المقدورات، إذ لخصوص كل مقدور شروط خاصّة لا يتعدىها بجملتها.

و من هنا نقل عن الأشعري استحالة تحقّق القدرة بالضدّين بناء على المعنى الثاني من القدرة، و المعتزلة أرادوا الأول، نعم اعترض عليه في المواقف بأن القدرة الحادثة ليست مؤثرة عند الأشعري فكيف يصحّ أن يقال: إنه أراد بالقدرة القوة المستجمعة لشرائط التأثير.

و فيه أن المراد بالقوة المستجمعة لشرائط التأثير القوة المستوفية لجميع الشرائط إلا عدم هذه القدرة القديمة المانعة من فعلية تأثيرها و وقوعه، و ليس المراد به فعلية التأثير، بل الصلاحية المشروطة بشرائط من جملتها عدم تأثير القدرة القديمة، و هو ليس بمتحقّق، فلا يتحقّق التأثير لعدم شرطها.

مع إنَّ ربما يقال: إنَّه في الكلام استثناء، و القرينة عليه أنه بصدد توجيه مذهب الأشعري القائل بعدم تأثير القدرة الحادثة لمانعيتها القدرة القديمة، بناء على جعل الشرط شاملا لعدم المانع.

و مع كل ذلك فلعلَّ النزاع مرتفع بأسره، بل لعلَّ الضرورة قاضية على بطلان مقالتهم على فرض مخالفتهم.

و أما استدلالهم بالأية فضعيف جداً، إذ لا إشعار في طلب المعونة على كون

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٣٠

القدرة مع الفعل، بل يمكن أن يقال: إنَّ فيها دلالة على تقدّم القدرة على الفعل، و كونها من العبد، خلافاً للأشعري في المسئلتين، نظراً إلى أنَّ في طلب المعونة دعوى ضرب من الاستطاعة و الاستقلال، كما في قول ذي القرنين: ما مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْمًا «١» فكأنه يقول: إنَّك قد أعطيتني قوَّة أقتدر بها على تحصيل مقاصدي و مآربي في الدنيا و الآخرة لكنني غير مستغن عن لطفك و معونتك و إمدادك و إبقاء قوتك.

هذا مضافاً إلى أنَّه نسب طلب المعونة إلى نفسه فهو فعل منه، و المطلوب حصول المعونة قبل المستعان فيه لاقتران الإجابة بالسؤال.

(١) الكهف: ٩٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٣١

[سورة الفاتحة (١): الآيات ٦ إلى ٧]

تفسير في اهدنا الصراط المستقيم

(وصل)

و حيث إنَّه سبحانه علّمنا بعد تمجيد و ثنائه و دعائه بأحسن صفاته و أعظم أسمائه أن نقرّ له بالعبودية، و نطلب منه المعونة اعترافاً له بمراتب التوحيد، و عروجا على معارج التحميد و التمجيد أراد أن يقرن الإجابة بالسؤال و الجود بالإفضال و الجمال بالجلال، تحقيقاً للتحقق بحقيقته العبودية التي كنهها الربوبية، و تنبيها على أن تمام العناية هو الاستقامة في مرتبة الولاية، فجمع بين السؤال و الإجابة، إنجازاً للوعد و تعليماً للعبد، فاستجاب طلب طالب المعونة، بأن وفقه لطلب الهداية، و عبر بالصراط المستقيم من مقام الولاية، تنبيها على أن النهاية معيار البداية، فقال في أوّل النصف الذي لعبده، و لعبدي ما سأل، أي الولي المطلق، أو الداعي، أو الأوّل الأوّل، و الثاني الثاني: اهدنا الصراط المستقيم تفصيلاً للتوحيد بعد الإجمال، و تنبيها على أن الولي المطلق صلوات الله عليه و آله مظهر أشعة أنوار الجلال و الجمال، فإنهم عليهم السلام مقاماته، و علاماته التي لا تعليل لها في كل مكان يعرفه بهم من عرفه، كما في الدعاء المهدوية الرجبية عليه و على آباءه آلاف الثناء و التحية.

القراءة

اختلفوا في قراءة الصراط كيف وقع في القرآن أعنى معرّف باللام، أو غير

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٣٢

معرّف بها منكر أو مضافاً إلى الظاهر أو الضمير كما وقع في موضعين في هذه السورة، و في قوله: صراطٌ عَلَيَّ «١» على الوجهين «٢»،



و صراطِ اللَّهِ «٣».

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا «٤»، على أقوال:

أحدها عن قبل «٥»، عن ابن كثير «٦» على خلاف، و عن رويس «٧» عن يعقوب «٨» بلا خلاف بالسين، على الأصل حسب ما تسمع. ثانيها ما عن البعض من القراءة بالزاي الخالصة.

ثالثها قراءة الباقي بالصاد كيفما وقع، إلا أن خلفا «٩» عن حمزة «١٠» يشمها الزاي.

و أما خلاد «١١» فقد اختلفت عنه، فروى عنه بعضهم الإشمام في الأول من الفاتحة فقط.

و آخر له الإشمام في الأول و الثاني منها فحسب.

(١) الحجر: ٤١.

(٢) المراد بالوجهين: إضافة صراط الى علي، و عدمها.

(٣) الشورى: ٥٣.

(٤) الانعام: ١٥٣.

(٥) هو محمد بن عبد الرحمن المخزومي مولا هم المكي المعروف بقنبل قارئ أهل مكة المكرمة توفي سنة (٢٩١) هـ عن (٩٦) سنة -

العبر ج ٢ / ٩٥.

(٦) ابن كثير: هو عبد الله بن عمرو بن عبد الله المتوفى (١٢٠) هـ - العبر ج ١ ص ١٥٢.

(٧) رويس: محمد بن متوكل اللؤلؤي البصري المتوفى سنة (٢٣٨) هـ.

(٨) هو يعقوب بن إسحاق بن زيد البصري المتوفى (٢٠٥).

(٩) هو خلف بن هشام البغدادي المتوفى سنة (٢٢٩).

(١٠) هو حمزة بن حبيب التيمي الكوفي الزيات أحد القراء السبعة توفي (١٥٦) هـ - العبر ج ١ ص ٢٢٦.

(١١) هو خلاد بن خالد الصيرفي الكوفي قارئ الكوفة، توفي سنة (٢٢٠) هـ - العبر ج ١ ص ٣٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٣٣

و ثالث: بالمعزف باللام فقط أينما وقع.

و رابع: عدم الإشمام مطلقا.

قالوا: و الأصل فيه السين من قولهم: سرت الطعام، إذا ابتلعه، و مسرت الطعام لممره، و اليسير طواط للفالودج، و السرواط بالكسر

للأكل، و سرطه كهزمة: سريع الابتلاع، في المثل: الأخذ سريطي و القضاء سريطي، بالضمين، ثم المشددين المفتوحين، أو

بالكسرات، و فيهما لغات آخر، أي يأخذ الدين فيبلعه، فاذا طوب للقضاء أضرب به، قال في القاموس: السراط بالكسر السبيل أو

الطريق الواضح، لأنّ الذاهب فيه يغيب غيبة الطعام المسرط.

و الصاد أعلى المضارعة و السين الأصل.

و قول من قال بالزاي المخلصه خطأ خطأ.

قلت: و لعلّ الاقتصار على الأول أولى، و لذا قيل: إنّ الصراط، و السبيل، و الطريق، و السرب، و الشعب للمطلق، و المنهج، و المنهاج،

و المرصد، و المرصاد، و الشارع و الجادة، و اللقم، و الحجة للواضح، و علل التسمية مضافا الى ما ذكره بوجه آخر، و هو أنّ السابله

تسرت الطريق أي تبتلعه بقطعه، فهم يسترطون السبيل، أو هي تسترطهم، كما يقال: أكلته المفازة إذا أضمرته و أهلكته، و أكل المفازة

إذا قطعها، بل يجري الوجهان في اللقم و الملتقم، و المراد بالمضارعة التي عمل بها علو الصاد مع الأصل السين مطابقتها للطاء في

الاستعلاء و الاطباق مع مناسبتها للسين التي هي الأصل في الهمس و اتحاد المخرج.

مضافا الى كراحتهم للجمع بين السين الموصوفة بالسكون و التسفل و الرخاوة و الهمس و الانفتاح و الطاء المتصرفة بأضداد تلك الصفات من الغلظة و الاستعلاء و الشدة و الجهر و الإطباق، و لذا ربما اطرده بعضهم ذلك في مثل يبسط و سيطر، بل في كل كلمة اجتمعتا فيها، و رام بعضهم زيادات المجانسة فصارع الصاد الزاي،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٣٤

و معنى المضارعة أن تشرب الصاد شيئا من صوت الزاي فتصير بين بين، اي تصير حرفا مخرجه بين مخرج الصاد و مخرج الزاي كيلا يذهب ما يختص بكل منهما بالكثية.

بل أبدلها بعضهم بالزاي الخالصة، بل في «عين المعاني» أن هذه الحروف الثلاثة يتبدل كل منهما من غيرها، فيقال في سقر: صقر و زقر.

و أن الصاد لغة قريش، و السين لبني قيس، و الزاي لبني عذرة.

و لعله لهذا قال في الكشف: إن فصحاء إخلاص الصاد، و هي لغة قريش و ذلك أن قريشا فصحاء العرب، مع أن المكتوب في المصاحف، بل المأثور

في أخبار أهل البيت عليهم السلام إنما هو الصاد.

و لعل في انتقال بداية الصراط من حضيض التسفل و الرخاوة الى أوج قوة الاستعلاء التي للصاد اشارة الى أن اتصال الضعيف بالقوى و سلوكه في الصراط المستقيم للتوصل إليه موجب لقوته و خروجه من حضيض ضعفه و طبيعته الى أوج شرف القدس و التشرف.

### دراية في معنى الهداية

اعلم أن الهدى و الهداية ضد الضلال و الضلالة، و يستعمل في اللغة لازما بمعنى الاهتداء و الرشد كقوله: وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ «١»، و متعديا بمعنى الإراءة أو الإيصال، فيقابله الإضلال، و يعدى بنفسه، و باللام، و ب إلى، و الفعل كضرب. قال في القاموس: الهدى بضم الهاء و فتح الدال: الرشاد و الدلالة، هداه هدى

(١) سبأ: ٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٣٥

و هديا و هداية و هدية بكسرهما: أرشده، فتهدى، و اهتدى.

و الاستفادة منه كغيره اتحاد الهدى و الهداية معنى إذا استعملا متعديين، لكن قد يفرق بينهما باختصاص الأول بإراءة طريق الدين خاصة دون الثاني فإنه يعم إراءة كل طريق، مضافا الى أنه لا يستعمل إلا متعديا دون الهدى فإنه قد يستعمل لازما أيضا.

و الحق أنه لا اختصاص لشيء منهما بشيء بشهادة اللغة و العرف تصريحا و استعمالا، و لاتحاد المادة، و الغلبة غير معلومة لو لم تكن معلومة العدم، كما أنه لا اختصاص لهما بل لا اختصاص لمشتقاتها أيضا بالدلالة الموصلة أو بالإيصال الى المطلوب، و لا بالدلالة على ما يوصل، و إن ذهب الى كل فريق، بل فصل ثالث أو رابع بأنها إن تعدت بنفسها كانت بمعنى الإيصال و لا يسند حينئذ إلا الى الله كقوله:

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا «١»، و إن تعدت باللام أو الى كانت بمعنى اراءة الطريق، فكما يسند حينئذ الى الله تعالى يسند أيضا الى القرآن و الى النبي صلى الله عليه و اله و سلم، كقوله تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

«٢»، إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ «٣».

و فيه: أنه لا- يختص المعنى باختصاص المورد، سيما بعد الاشتراك في المادة، و منع الغلبة الموجبة للنقل، و لذا قيل: إن أصله أن يعدى باللام، أو إلى فعومل في تعديه بنفسه معاملة لفظة (اختار) في قوله: وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا «٤».

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) الإسراء: ٩.

(٣) القصص: ٥٦.

(٤) الأعراف: ١٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٣٦

نعم صرح بعضهم بأنه مأخوذ في أصله اللطف في الدلالة، و لذا اشتقوا منه الهدية لدالتها على الوصلة بين المهدي و المهدي اليه بلطف، مع ما فيها من الحث على الإسعاف بالمطلوب الذي هو زيادة المحبة و الالفه أو غيرها.

بل هكذا هو ادى الوحش لأول جماعه يتقدمها فيتبعها الوحش فتدلها على الكلاء و الماء.

و أما الدلالة الخالية عن لطف كقوله: فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ «١»، فَإِنَّهَا عَلَى حَدِّ فَبَشْرُهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ «٢» تنزيلا- للتضاد منزلة التناسب، و إن احتمل بعض الأجلة و روده على حقيقته من غير تهكم، نظرا إلى أنهم لما قطعوا بأن لا منزل لهم سوى الجحيم و لا بد لهم منها، فاللطف بهم أن يعرفوا طريقها ليسهل عليهم الوصول إليها استخلاصا من تعب الطريق.

لكنه هين جدا فإن تعب الطريق راحة لهم بالنسبة الى ما ينزلونه من العذاب و المضيق.

و بالجملة فأصل الباب هو الدلالة بلطف، و قيل: إنه الميل، و لذا يقال:

التهادى للمشى المتمايل، و الهدية تميل القلوب الى المحبة، يقال: تهادوا تحابوا.

ثم إنه بعد ذلك يستعمل في الكتاب العزيز و غيره بمعنى التوفيق كقوله تعالى:

بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ «٣».

و قال الشاعر:

فلا تعجلنّ هداك المليك فإن لكلّ مقام مقالا

(١) الصافات: ٢٣.

(٢) لقمان: ٧.

(٣) الحجرات: ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٣٧

و الدلالة و الإرشاد كقوله: إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى «١».

و النجاة و الفوز كقوله: لَوْ هَدَانَا اللّٰهُ لَهَدَيْنَاكُمْ «٢».

و الجزاء و الثواب كقوله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ «٣».

و الحكم و التسمية أ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا مَنْ أَضَلَّ اللّٰهُ «٤»، يعنى أن تسموا مهتديا من سماه الله ضالا و حكم عليه بذلك.

و الدعوة كقوله: وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ «٥»، أى داع.

و البيان كقوله: وَ أَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ «٦» أى بينا لهم، و إن كان الحق رجوعهما الى الثانى.

- و الغلبة بالحجة كقوله في محاجة إبراهيم لعدو الله: وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ «٧».
- و الإصلاح كقوله: أَنْ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ «٨».
- و الإلهام كقوله: وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى «٩».
- و التقديم كقوله: فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ «١٠».

(١) الليل: ١٢.

(٢) إبراهيم: ٢١.

(٣) سورة يونس: ٩.

(٤) النساء: ٨٨.

(٥) الرعد: ٧.

(٦) فصلت: ١٧.

(٧) البقرة: ٢٥٨.

(٨) يوسف: ٥٢.

(٩) الأعلى: ٣.

(١٠) الصافات: ٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٣٨

و خلق الهداية في العبد: يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ «١».

و الإثبات و الدوام على الهداية: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ «٢».

و كثير من هذه المعاني و إن أمكن إرجاعه الى غيره بل هو راجع اليه لكن الخطب فيه سهل، إنَّما الكلام في جواز نسبتها بمعانيها كلاً أو بعضاً الى الله سبحانه و العدم، فالأشاعر نسبوا اليه سبحانه بناء على أصلهم الباطل من نفى الحسن و القبح العقليين، و عدم قبح شيء عليه تعالى و جواز الجبر و التكليف بالمحال سبحانه عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

و أمَّا على مذهب العدلية و أصولهم فنسبتها بكثير من معانيها إليه جائزة، بل في الجملة واجب، إذ من جملتها اللطف الذي أطبقت العدلية على وجوبه في الجملة، و إن لم يقولوا بوجوب جميع الألفاظ، بل القدر الواجب منه ما لا يمكن حصول الغرض من التكليف إلَّا به، فهذا القدر منه يشمل المطيع و العاصي، و السعيد و الشقي، و أمَّا الهداية المختصة بالصلحاء دون الأشقياء كقوله تعالى: يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ «٣» فالمراد بها اللطف الخاص الذي لا يوجب وجوده الإلجاء و الجبر و لا عدمه نقض الغرض، و ذلك لأنه لما كان العباد مختلفين في إرادتهم و شؤونهم، و اختباراتهم بعد ثبوت الاختيار لهم، فإنه لا إكراه في الدين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ «٤»- لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ «٥»،

(١) يونس: ٢٥.

(٢) الفاتحة: ٦.

(٣) فاطر: ٨.

(٤) البقرة: ٢٥٦.

(٥) الأنفال: ٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٣٩

وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١﴾.

فاذا عمهم اللطف المقرب الى الطاعة المبعد عن المعصية فليس للناس على الله حجة بعده، لكنه قد يخص من يعلم أنه يطيع باختياره لمجرد اللطف السابق ببعض الألفاظ الذى ليس بواجب عليه كى يوجب زيادة تقريبه الى الطاعة لما يعلم من نيته بامثال ما يرد عليه من الأوامر وإن لم يفضل عليه بهذا القسم من اللطف، كما أنه يوكل من يعلم منه المعصية باختياره وإرادته إلى ما هيتا له من اللطف الذى معه إتمام الحجة وإبلاغ المعذرة من دون أن يتفضل عليه بالقسم الآخر من اللطف.

ولذا ربما يمثل لذلك بمولى له عبدان، أحدهما سلس القياد، طيب السريرة، جميل السيرة، مطيع لمولاه، والآخر عاص معاند خبيث الباطن كثير المخالفة لمولاه و لكنهما مشتركان فى القدرة على كل من الفعل والترك، من دون أن يكون هناك شىء يوجب شيئا من الطرفين على أحد العبدین على وجه الإلجاء والاضطرار، ثم إن المولى أمرهما بأمر من أوامره، وقدم إليهما الوعد والوعيد، ثم تلطف فى الخلوة الى الذى هو أحب اليه عن الآخر لحسن سيرته و طيب سريرته بالرفق والرأفة، والعطية الخاصة الموجبة لمزيد رغبته فى الامتثال، ولم يفعل ذلك بالنسبة الى الآخر، فامثال الأول وخالف الآخر، فأحسن الى المطيع لعمله، وفى له بوعده، وأدب العاصى وزجره لمخالفته، فلا ريب أن مثل هذا المولى موصوف بالعدل والفضل، ولا ينسب إليه شىء من الظلم والقبیح. فإن قلت: ما السبب فى هذا اللطف الخاص بالنسبة الى العبد الأول، وما المرجح الذى خصه به مع أن العاصى كان أولى به. قلت: إن هذا تفضل من الله، والله يختص برحمته من يشاء، والمفروض أن

(١) هود: ١١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٤٠

منع الأول منه لا يوجب خروجه الى زمرة العاصين، والتفضل على الثانى به لا يوجب دخوله فى فرقة المطيعين. على أن هاهنا بابا آخر من العلم، وهو الأصل فى المقام، وذلك أن الله تعالى أنعم على كل فريق من المطيعين والعصاة ما أنعم على الآخر، إلا أنه يوجب نجاه الفرقة الأولى بإطاعتهم واختيارهم موافقة المولى وامثاله كما أنه يعينه يوجب هلاك العاصين بمخالفتهم، ولذا قيل:

أرى الإحسان عند الحرّ ديناو عند النذل منقصة و ذمّا

كقطر الماء فى الأصداف درّو فى جوف الأفاعى صار سمّا

وقال سبحانه: يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴿١﴾.

وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢﴾.

و

ورد فى زيارة مولينا أمير المؤمنين عليه السلام «٣»، بل فى زيارة مولينا الحجة الخلف أيضا عجل الله فرجه: أنه نعمة الله على الأبرار و نقمته على الفجّار.

ولهذا الكلام شرح تسمعه فيما يأتى إن شاء الله تعالى.

نعم ذكر الفاضل القمى رحمة الله عليه جوابا من الشبهة المتقدمة حكاية عن غيره بأن وجه استحقاقه ذلك اللطف هو طيب نفس ذلك و حسن نيته فى الطاعة، و وجه منع الآخر خبث ذاته و الترامه طريقة المخالفة.

ثم أورد سؤالاً آخر، وهو أن السبب إذا كان مقتضى الذات، و الذات هى الداعية الى الامتثال و ان لم يكن هذا اللطف الخاص أيضا، فيرجع الكلام الى أن

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) الإسراء: ٨٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٠٥ / ١٠٠ عن الشيخ المفيد قدس سره.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٤١

سبب اختلاف العباد في أفعالهم هو اختلاف قابليّاتهم، لكن يعود البحث في القابليّة حينئذ، فيقال: إن سبب افاضة القابليّة ما هو، و مفيضها من هو؟

و الجواب عنه كالجواب عن افاضة الوجودات على الماهيات و اختلافها فإنّه تعالى خلق الذوات على ما هي عليها في علمه، لا أنّه ذوّت الذوات، ثم أوجدها فإنّ ماهيّة الأربعة من حيث هي أربعة يقتضى الزوجيّة و التركيب من الآحاد الأربعة، بخلاف الخمسة، و كذا الجسم ماهيّة بحيث وجد في الخارج فهو قائم بنفسه بخلاف اللون، فلو خلق الله الأربعة خمسة أو الجسم عرضا فقد خلق الخمسة و العرض لا أنّه جعل الأربعة خمسة أو الجسم عرضا، و بالجمله فمراتب الأعداد ممّا لا بدّ منها في نفس الأمر، و كلّ منهما غير الآخر، و كلّ منها في مرتبته يقتضى وجودا خاصا لا يتداخل مع الآخر، و كذلك سائر الماهيات من الحيوانات و النباتات، فإنّ ماهيّة الإنسان على ما هي عليه غير ماهيّة الكلب على ما هي عليه، فلو خلق الكلب إنسانا فقد خلق الإنسان لا أنّه جعل الكلب إنسانا، فهو من فيض الشامل أفاض على مرتبة ما هو أهل لها، و منه يظهر القابليّة، إذ القابليّة تابعة للموادّ، و باختلاف الموادّ و الماهيات اختلفت القابليّات و بالجمله لا يمكن جعل ماهيّة الكلب إنسانا كما لا يمكن جعل ماهية الزوج فردا، و الأربعة خمسة، و كذا قابليّتها لا لعدم شمول قدرة الله، بل لعدم مقدوريّة ذلك و امتناعه انتهى.

و فيه: أنّه مبنيّ على القول بالأعيان الثابتة التي قلّ من سلم من القول بإثباتها للغفلة عن مفسدها لا يكاد يمكن الجمع بين التوحيد و بين الالتزام بها، فإنّه لو كان للأشياء ثبوت و تفرّد في أنفسها بحيث يمتاز بعضها من بعض لم تكن أعدامها محضه، إذ من البين أنّه لا تمايز في الأعدام، فقوله رحمه الله: إنّّه تعالى خلق الذوات على ما هي عليها في علمه.

فيه أولا أنّ الهويّة التي خلق عليها الأشياء إن كانت حادثه فقبل خلقها

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٤٢

و تعلق الوجود بها لم تكن شيئا أصلا، فمن أين اختلاف الذوات في أنفسها بعد القول بحدوث كلّ من الاختلاف و الذوات و الأنفس، و بعد الإقرار بأنّه كان الله و لم يكن معه شيء حتى المفاهيم و الاعتبارات و التفردات و الامتيازات الواقعيّة.

و ان كانت قديمه غير متعلقه للخلق، كما هو ظاهر كلامه بل لعلّه صريحه لزم تعدّد القدماء.

فان قلت: إنّها من الأمور الاعتبارية التي لا تحصل و لا تحقّق لها في الخارج، و أما الأمور الحقيقية التي هي الموجودات العينية فكلّها حادثه و لا كلام لنا فيها.

قلت: إن أردت بكونها من الأمور الاعتبارية أن ليس لها تحصل و وجود إلّا بفرض الفارض و اعتبار المعبر فممنوع كونها كذلك، كيف و هي أمور واقعيّة متقرّرة يتحقق بالنسبة إليها الصدق و الكذب، كما تبّه عليه بقوله: و بالجمله مراتب الأعداد ممّا لا بدّ منها في نفس الأمر و كلّ منها غير الآخر ... الى قوله: و كذلك سائر الماهيات من الحيوانات و النباتات ... إلخ.

على أنّها حينئذ ليست صالحه لأن تكون منشأ لاختلاف الماهيات و الاستعدادات و ساير الذاتيات و العوارض مع أنّ سياق الجواب استناد الجميع إليها.

و إن أردت بها أنّها ليست من الموجودات العينية الخارجيّة و لكنّ الموجودات الإمكانية غير منحصرة فيها، فإنّ المفاهيم و المعاني و النفوس و قواها ليست من الموجودات العينية الزمانيّة.

و ما أشبه القول بعدم وجودها بعد الالتزام بثبوتها و تقرّرها و تمايزها في أنفسها بقول الأشاعرة المثبتين للحال، و هي الواسطة بين الوجود و العدم.

و ثانياً أنّ جعل علمه سبحانه ظرفاً لها ليس على ما ينبغي، فإنّ علمه سبحانه ليس بحصول الصورة، و لا الصورة الحاصلة، و لا غيرها من الإضافات

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٤٣

و الأعراض و التعلّقات، و ذلك لأنّ علمه الذاتى عين ذاته سبحانه بلا مغايرة حقيقيّة أو اعتباريّة، فكما يمتنع تعلّق ذاته سبحانه بغيره فكذا علمه لأنّه هو، بل ليس لشيء من الممكنات ذكر في حضرة الذات، و إن كان سبحانه عالماً بها في إمكاناتها و حدودها، حيث لا يخفى عليه شيء منها في رتبة الأحديّة و الواحديّة.

ثم إنّ حكي عن العارف الرومى أبياتا يخالف ما ذكره، قوله بالفارسيّة:

آنچنان دلها كه بدشان ما و من نعتشان شد بل أشدّ قسوة

جاده آن دل عطای بی دلی است داد او را قابليت شرط نيست

بلکه شرط قابليت داد او است داد لبّ و قابليت هست پوست

نيست از أسباب تصريف خدا است نيستها را قابليت از کجا است

قابلي گر شرط فعل حق بدی هيچ معدومی بهستی نامدی

إلى آخر ما حكاه، ثمّ اعترض عليه .... إلى أن قال:

و أمّا ثانياً فتسمّى به بقبول المعدومات الوجود لا- يلائم مقصوده، فإنّ المراد بقابليّة المعدوم للوجود هو كونه ممكناً فإنّ بعض المعدومات ممتنع وجوده كاجتماع النقيضين.

و أمّا قبوله للنوع الخاصّ من الوجود فلا غائله فيه أيضاً، إذ المعدوم إذا كان قابلاً للوجود بسبب الإمكان المطلق، فيمكن أن يكون قابلاً لنوع خاصّ من الوجود بسبب الإمكان المخصوص.

و أمّا ما توهمه بعض المحشين في هذا المقام في توجيه كلامه من أنّ ذلك لأجل أنّ ثبوت شيء لشيء فرع ثبوت المثبت له، و القابليّة أمر وجودى فلا بدّ أن لا يثبت للمعدوم.

ففيه منع كون القابليّة من الموجودات العينيّة، و منع لزوم كون المثبت له من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٤٤

جملتها، بل الوجود العلمى كافى في إثبات شيء له.

أقول: و فيه مضافا الى ما مرّ، أنّ الأظهر كما حقّق في محلّه كون الإمكان مجعولاً، و القول بكونه من الأمور الاعتباريّة مدفوع بما سمعت من التريد فيه بين المعنيين، فأوّل ما خلق الله سبحانه هو المشيئة الإمكانية، خلقها الله بنفسها، و خلق إمكانات الأشياء بها. فلكلّ شيء إمكانات غير متناهية باعتبار المشخصات الوجوديّة من الذاتية و العرضيّة، بعد أن لم يكن شيئاً أصلاً، حتى الإمكان الذى ذهب الجمهور الى عدم كونه مجعولاً، بل أمراً اعتبارياً غير متأصل في الوجود.

و بالجملة لا ريب في امتياز الإمكان من كلّ من الوجوب و الامتناع بحسب المفهوم، و بحسب نفس الأمر، و الامتياز دليل الوجود، إذ لا تمايز في الأعدام فلو لم يكن مجعولاً لكان متقرّراً في ذاته، ثابتاً في نفسه.

ثمّ إنّ المفاهيم المعدومة الّتى أشار إليها، إن أراد كونها معدومة من حيث المفهوم فمن أين التحصّل و التعدّد كى يستقيم التعبير عنها بصيغته الجمع، أو من حيث المصداق فمسلّم، لكنّ المفاهيم أيضاً من جملة الموجودات الحادثة، و لها وجودات واقعيّة في نفس الأمر، و ظرف وجودها الدهر لا الزمان، و لذا لا يصحّ أن يقال: إنّها منذ كم سنة حدثت، فإنّ الحوادث الكائنة في صقع الدهر و أفق السرمذ

لا نسبة لها الى الزمان و الزمانيات المتجددة المتصرمة أصلا، و كذلك مراتب الأعداد، فإنها مرتبة متميزة و العدم المحض كيف يكون كذلك، بل كيف يكون قابلا لشيء دون شيء، بل كيف يصح أن يشار اليه، أو يحكم عليه أو يخبر عنه بالإثبات و النفي.

و من هنا يظهر المناقشة في قوله: يمكن أن يكون قابلا لنوع خاص من الوجود.

و أما ما أورد بعض المحشين ففيه أولا أن منع كون القابلية من الموجودات

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٤٥

العيئية مسلم بناء على تفسير الوجود العيني بالخارجي الذي يكون منشأ للآثار و لكن الكلام في نفي الوجود الإمكانى، على أنه يمكن المناقشة في ذلك أيضا، فإن الوجود العيني في كل عالم من العوالم إنما هو بحسبه، و كذلك يختلف الآثار باختلاف العوالم التي هي ظرف للتأثير و ترتب الأحكام، فانتفاء بعض الآثار في بعض العوالم لا يدل على انتفاء المنشئية مطلقا، سيما مع تبدل الآثار.

و ثانيا أن المراد بالوجود العلمي الذي أضافها الى الماهيات و القابليات إن كان هو العلم الذاتى فلا ذكر للأشياء فيه أصلا، أو العلم الفعلى عند من يقول بثبوتة فهو بجميع متعلقاته عندهم حادث سرمدى أو دهرى أو زمانى بحسب اختلاف المتعلق من حيث القرب و البعد.

و كأن القول بالصور العلميه مبنى على مذهب أفلاطون في إثبات الصور المفارقة و المثل العقلية التي يقال لها رب النوع على ما أشرنا اليه آنفا، أو على مذهب المعتزلة القائلين بثبوت المعدومات الممكنة قبل وجودها، بناء على أن علم البارى عندهم بثبوت صور هذه الممكنات في الأزل، أو على مذهب الصوفية، بل لعله المتعين، لأنهم القائلون بالصور العلميه في مقابل المعتزلة القائلين بالصور العيئية، لكن المذاهب الثلاثة مع فساد بعضها مطلقا، و كلها على بعض الوجوه، مشتركة في عدم افادة مطلوبه بأن هذه الصور إن كانت قديمة غير مسبوقه بالجعل و الحدوث لزم تعدد القدماء، و إن كانت حادثه في الإمكان و ان لم يدخل في صقع الأكوان لزم الجعل و الحدوث و إفاضة القابلية و حدوث العلم على زعمهم.

نعم ذكرت الصوفية أن أسمائه التي هي عين ذاته هي المتجليه بصور العالم فالعالم مظهر ذاته و أسمائه و صفاته، و علمه بها نفس علمه بالعالم.

و لذا أجابوا عميا ربما يورد من أنه كيف يكون ذاته تعالى و علمه الذي هو عين ذاته محلا للأمر المتكثرة مع عدم انثلام الوحدة الحقة الحقيقية التي لا أبسط

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٤٦

منها في الوجود، بأنه إنما يلزم ذلك إذا كانت تلك الأمور المتكثرة غيره تعالى كما هو عند المحجوبين عن الحق، أما إذا كانت عينه من حيث الوجود و الحقيقة، و غيره باعتبار التعيين و التقيد فلا يلزم ذلك، بل قالوا: إنه ليس حالا و لا محلا، بل شيء واحد ظهر بالمحلية تارة و بالحائية اخرى.

و لا أظن الفاضل المتقدم يوافقهم في مقالتهم التي هي كفر صريح، و هي القول بوحدة الوجود المبني على إثبات الأعيان الثابتة و الصور العلميه.

و بالجملة فالقول بكل منها مخالف لضرورة مذهب الإمامية، و لعله رحمه الله أطلق القول بإثبات الصور العلميه سيما على وجه التمايز و ترتب بعض اللوازم و الآثار غفلة عن حقيقة الحال و عما يرد عليه من الإشكال.

### إشارة إلى مراتب الهداية

اعلم أن اسم الهداى من جملة أسماء الله الحسنى التي أمرنا بدعائه سبحانه بها، بل من الأسماء التسع و التسعين التي من أحصاها و



تحقق بمراتب مبادئها وجبت له الجنة فهو فيها في الدنيا ولا يخرج منها في الآخرة التي تنكشف فيها الضمائر، وتبلى السرائر. والهادي يطلق على الله سبحانه وإنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «١» أي آمنوا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى ولاية مولينا أمير المؤمنين عليه السلام، أو آمنوا بالولاية وذلك نفس الهداية. وعلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما في قوله:

(١) الحج: ٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٤٧

وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «١».

و

في الخطبة العلوية التطنجية: ابتعثه هاديا مهديا حلالا «٢» طلسميا «٣». «٤»  
و على مولينا أمير المؤمنين عليه السلام كما في قوله تعالى: وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ «٥».  
فقد ورد مستفيضا: أنه نزل: و على لكل قوم هاد، «٦»

و ما أحسن من قال:

إنما أنت منذر لعباد و على لكل قوم هاد

و

في الإحتجاج عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام في خبر الزنديق ان الهداية هي الولاية كما قال الله تعالى: وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ «٧»، وقال عليه السلام: و الذين آمنوا في هذا الموضع هم المؤمنون على الخلائق من الحجج والأوصياء في عصر بعد عصر «٨».

فان الله تعالى هو الهادي بمحمد وإليه و محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو الهادي بعلي وإليه، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ «٩» و هو مولينا أمير المؤمنين عليه السلام كما في الخبر «١٠».

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) الحلال (بضم الحاء الاولى و كسر الثانية) هو الرئيس في القوم.

(٣) قيل: انه مركب من الظل بمعنى الأثر، و الاسم اي اثر الاسم، و قيل: هو يوناني و معناه عقد لا ينحل، و قيل: هو مقلوب مسلط.

(٤) شرح الخطبة للسيد محمد كاظم الرشتي ج ١ ص ٤٧٣.

(٥) الرعد: ٧.

(٦) لم أظفر على حديث واحد دال على نزوله هكذا: (و على لكل قوم هاد) نعم توجد روايات في كتب التفاسير و الأحاديث بأن المراد بالهادي في الآية الكريمة أمير المؤمنين و الائمة المعصومين من ولده عليهم السلام راجع بحار الأنوار ج ٣٥ / ٤٠٠ الى ص ٤٠٧.

(٧) المائدة: ٥٦.

(٨) الإحتجاج ص ٢٤٨ ط بيروت و الأعلمی.

(٩) الشورى: ٥٢-٥٣.

(١٠)

في البحار ج ٣٥ ص ٣٧٠ عن بصائر الدرجات ص ٢١-٢٢ عن ابي جعفر الباقر عليه السلام أنه تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص:

٥٤٨

و عليّ هو الهادي الى الله و الى رسوله، قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴿١﴾.  
و لقد قلت:

فالأمر متّحد و الاسم مختلف و النكر مفترق و العرف مؤتلف  
لوحدة الحقّ أهل الحقّ متّحد لكثرة الغيّ أهل الغيّ مختلف  
فمستقيم الحدود واحد أبدأو لا تكثّر إلّا حين ينحرف  
بأنّ هذا صراطى مفردا و كذا بالنهي عن سبل التفريق ينكشف  
و هذا إشارة الى قوله تعالى: وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿٢﴾، فإنّه أمر باتّباع الصراط  
الذي هو السبيل كما أشار إليه أخيرا بصورة الأفراد، و نهى عن متابعة السبل التي يستلزم تكثّرها البطلان و عدم الإصابة.  
و لذا

ورد أنّه لما نزلت نكت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بيده خطّا مستقيما ثم نكت من طرفيه خطوطا كثيرة يلزمها من الاتصال  
بالأول الاعوجاج المستلزم للانحراف و عدم الإصابة و بعد المسافة، و لذا قيل: أقصر الخطوط الخطّ المستقيم، و عرفوه بأنه أقصر  
الخطوط الواصلة بين الطرفين.

ثم انّ الهداية لها اعتبارات و أقدار في عالم الأنوار و الاكدار بحسب الأطوار و الأدوار و الأكوار:

قال: و أما قوله: وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ إِنَّكَ لِتَأْمُرُ بِالْوَالِيَةِ عَلَىٰ وَ تَدْعُو إِلَيْهَا وَ هُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.  
و في المصدر: و هو الصراط المستقيم.

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٤٩

فمنها الهداية التكوينية السارية في جميع ذرّات العالم على الوجه الأتم لا يشدّ عن حكمه شيء من العمق الأكبر و هو سرّ الحقيقة و  
مفتاح الطريقة، و بحر القدر الذي من غرق فيه فقد كفر، و إليه الإشارة

بقول أمير المؤمنين عليه السلام حيث سئل عنه: بحر عميق فلا تلجوه، طريق مظلم فلا تسلكوه، سرّ الله فلا تتكلفوه ﴿١﴾.

و هو المشار اليه بقوله تعالى: الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٢﴾ و بقوله: رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٣﴾.

و هذه الهداية كانت في أرض الإمكان قبل خلق الأكوان و الأزمان، و هي الأرض الجزر التي ساق الله اليه ماء الوجود الذي أخرج  
الله به زراعا تأكل منه أنعامهم و أنفسهم، (بضم الفاء أو بفتحها)، فإنّ البدن مركب الروح، و هو أنفوس من البدن، و القلب أنفوس من  
القلب، و رسول الله أنفوس من ساير الخلق، و لذا قرأ الإمام عليه السلام بفتح الفاء في قوله تعالى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴿٤﴾.  
و هي الهداية المكتوبة على جميع ذرّات الكائنات من المجردات و الماديات، السعداء و الأشقياء في الذرّ الأول، فاهتدوا أوّلا الى  
قبول الوجود و هو الإيجاد بالاختيار و الشعور، ثم إلى قبول الاستعدادات و القابليات و الشؤون الصلوحية الاختيارية.

و إنّما كان هذا بعد عرض جميع مراتب الكون على كلّ شيء فاختار كل شيء شيئا، فخلقهم كما كانوا لعلمهم بما كانوا أي تكونوا و  
اختاروا في رتبة الانوجاد و القبول لأنفسهم، فلا جبر في الإيجاد و التكوين، و لا إكراه في الدين،

(١) نهج البلاغة باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام رقم ٢٨٧.

(٢) الأعلى: ٣.

(٣) طه: ٥٠.

(٤) التوبة: ١٢٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٥٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ٥٩٩

و عند ذلك تميزت الماهيات و اختلفت الاستعدادات.

و منها الهداية التشريعية الأولية في عالم الأرواح و الأظلة و الأعيان قبل خلق الأبدان و الأكوان في أفق الأزمان، و المتحمل لأعباء هذه الهداية و الرسالة هو رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و الأئمة الطاهرون عليهم السلام في عالم الانبساط و التجرد و الوحدة، و اليه الإشارة

بقوله: كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين «١».

و

في أخبار كثيرة: أن أنوارهم سبحت فسبحت بتعليمهم و إرشادهم جميع الأشياء حتى الأنبياء و المرسلين و الملائكة المقربين «٢».

و

في رياض الجنان في خبر طويل عن الباقر عليه السلام الى أن قال: فخلق الله و أول خلق عبد الله و سبحه، و نحن سبب الخلق و سبب تسبيحهم و عبادتهم من الملائكة و الآدميين ... الخبر «٣».

و

في العلل في خبر طويل عن الصادق عليه السلام يذكر فيه: أن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام قسيم الجنة و النار ... إلى أن قال: يا مفضل أما علمت أن الله تبارك و تعالى بعث رسول الله و هو روح الى الأنبياء عليهم السلام و هم أرواح قبل خلق الخلق بألفى عام، قلت: بلى، قال: أما علمت أنه دعاهم الى توحيد الله و طاعته، و أتباع أمره، و وعدهم الجنة على ذلك، و أوعدهم ما خالف ما أجابوا إليه ... الخبر «٤».

و إنما عبرنا عنه بالتشريع الأولى، بالنظر إلى الثانوى في هذا العالم الناسوتى، و إلا فهي ثانوية في عالم الرقائق و الذرات فهدى الله الذين آمنوا (بولاية

(١) سنن الترمذى ج ٥ ص ٥٨٥- بحار الأنوار ج ١٦ ص ٤٠٢.

(٢) كنز الفوائد ص ٤٦١ و عنه البحار ج ٢٤ ص ٨٨ ح ٣.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٠ ح ٣١.

(٤) بحار الأنوار ج ١٥ ص ١٤ ح ١٧ عن علل الشرائع ص ٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٥١

أمير المؤمنين عليه السلام) لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ «١».

أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ «٢».

و هذه القلوب المكتوب عليها الايمان من الناس هي المعبر عنها في كلام أهل البيت عليهم السلام بورق الآس، على ما فى الأخبار

كما

في ثواب الأعمال بالإسناد عن سهل بن سعد الأنصاري قال: سألت رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم عن قول الله عزّ و جل: وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الطُّورِ «٣» قال: كتب الله عزّ و جلّ كتابا قبل ان يخلق الخلق بألفى عام في ورق آس أنبتها ثم وضعها على العرش، ثم نادى يا أمّة محمّد إنّ رحمتى سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني، و غفرت لكم قبل أن تستغفروا فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا أنا، و محمّد عبدي و رسولي أدخلته الجنّة برحمتي «٤».

و

في تأويل الآيات عن الشيخ أبي جعفر الطوسي بالإسناد عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن قوله تعالى: وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا «٥» قال: كتاب كتبه الله عزّ و جلّ قبل أن يخلق الخلق بألفى عام في ورقة آس فوضعها على العرش، قلت: يا سيدي و ما في ذلك الكتاب؟ قال: في الكتاب مكتوب: يا شيعه آل محمّد أعطيتكم قبل أن تسألوني و غفرت لكم قبل أن تعصوني، و عفوت عنكم قبل أن تذبوا، من جئني بالولاية أسكنته جنّتي برحمتي «٦».

اعلم أنّ الآس شجر معروف كثير بأرض فارس في الجانب الغربي منه،

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) القصص: ٤٦.

(٤) بحار الأنوار ج ٣ / ١٢ ح ٢٤.

(٥) القصص: ٤٦.

(٦) كنز الفوائد ص ٢١٥ و البحار ج ٢٤ / ٢٦٦ عن تفسير فرات بتفاوت يسير.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٥٢

و خضرته دائمة ينمو حتى يكون شجرا عظيما، و يسمّى بالفارسيّة «مورد» له زهر بيضاء طيبة الرائحة، و ثمره سوداء، طعمها مرّك من حلاوة و عفوصة و قليل مرارة كذا ذكره سيد الكاذروني في شرح الموجز.

و ذلك أنّ هذه الهداية في عالم الأرواح، بل في صقع الأطلّة و الأشباح خضرة نضرة، دائمة بالديمومة الدهريّة التي هي نقطة محدودة

في عالم السرمد، و منبت هذه الشجرة أرض فارس التي هي مادّة المواد و مجمع التضادّ لكمال الاستعداد و التهيؤ لنيل المراد، و لذا

لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس «١» كما ورد عنهم عليهم السّلام في تفسير قوله تعالى: وَ آخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا

بِهِمْ «٢».

و منها: نصب الدلائل و اقامة الحجج و إراءة الطريق الموصل الى الحقّ في هذا العالم الجسماني الظلماني الذي امتزج فيه الحقّ

بالباطل، و الصدق بالكذب لأنّه ملتقى الأبخرة الصاعدة من سجين، و الرشحات النافلة من عليين، فهو مجمع البحرين و ملتقى

التطنجين، و المنزلة بين المنزلتين، و البرزخ بين العين و الغين.

و لذا خلق الإنسان فيه من نطفة أمشاج، و انحرفت طبيعته عن الاعتدال الحقيقي في المزاج، و إن كان هو أقرب الى الاعتدال من ساير

الأزواج، و لذا خصّ بمزايا بين البرايا، و من هنا قالوا: إنّ عطاياهم لا تحملها إلا قطاياهم.

و تلك الدلائل المنصوبة المعبر عنها بإراءة الطريق منصوبة أولا في عالم

(١)

في مسند ابن حنبل ج ١٥ ص ٢١٨ ح ٦٧ - ٨٠: لو كان الدين عند الثريا لذهب من فارس أو أبناء فارس حتى يتناوله و في ص ٩٦ من

نفس المصدر ح ٧٩٣٧: لو كان العلم بالثرياء لتناولته أناس من أبناء فارس. و في سنن الترمذى ج ٥ ص ٣٨٤ ما يقرب منه.

و

في مجمع البيان ج ١٠ ص ٢٨٤: روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ هَذِهِ آيَةَ فُقِيلَ لَهُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟  
فوضع يده على كتف سلمان وقال: لو كان الايمان في الثريا لنالته رجال من هؤلاء.  
(٢) سورة الجمعة: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٥٣

الأفئدة التي هي من رؤوس المشيئة، ثم في عالم العقول، ثم النفوس، ثم الطبائع، ثم الرقائق، ثم المثال، ثم في العالم الجسماني الظلماني الهولواني، فظهرت تلك الدلائل في الأنفس، و في جميع الآفاق من العلوية و السفلية و المجردة، و المادية، و البسيطة و المركبة من جميع جهاتها و أحوالها و أطوارها و شئونها و مبادئها و نهاياتها، و عللها، و أسبابها، و لوازمها، فبهم ملأت سماءك و أرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت.

و

في الدعاء: أسألك بأسمائك التي ملأت أركان كل شيء «١»

فإن هذه الأسماء أسماء فعلية، قامت بها الأشياء قيام صدور و ظهور و تحقق، و الفعل أول شيء دلالة على الفاعل، بل أدل عليه من غيره هذا خَلَقَ اللهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ «٢».

و

قال الامام عليه السلام: بصنع الله يستدل عليه «٣».

بل لكل حقيقة من الحقائق آيات بينات في الكتاب التدويني، و بيانات واضحات مطابقات في الكتاب التكويني أن على كل حق حقيقة، و على كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه، و ما خالفه فذروه.

و تلك الآيات ظاهرة لأهلها، واضحة الدلالات للمتأمل فيها، و لا يتدكر بها إلا أرباب الألباب و العقول الذين هديهم الله لمتابعة عتره الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ «٤».  
و في سورة البقرة:

(١) دعاء كميل.

(٢) لقمان: ١١.

(٣) تحف العقول ص ٤٣- روضة الواعظين ج ١ ص ٢٠.

(٤) آل عمران: ١٩٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٥٤

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ الْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ... الى قوله تعالى: لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «١» و قال تعالى: وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى «٢».

و ذلك للإعراض و الإغفال و لذا قال تعالى: وَ كَأَيُّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَ هُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ «٣».

و بالجملة من تأميل في جزئيات الحوادث الكائنة في الآفاق و في الأنفس يعلم أن كل حقيقة من الحقائق لها ظهورات و تجليات و بيانات و تحقيقات في كل عالم من العوالم المترتبة النازلة، سواء كانت تلك الحقيقة من علوم التوحيد و المبدأ و المعاد، أو مقامات

النفس و منازل السائرين.

و قد جعل الله تعالى عقل الإنسان كمرآة مجلوة منصوبة شطر الحق بحيث ينطبع فيه لو خلى و طبعه إذا لم يكن مشوبا بشوب الاكدار، و التعلق بالأغيار جميع الحقائق على ما هي عليها في مراتبها.

و بعد ذلك كله فقد بعث الله تعالى رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، و الرسل شامله للأنبياء و الأوصياء و خلفائهم و نوابهم الخاصة و العامة.

و بالجملة يندرج فيها القرى المباركة و القرى الظاهرة التي يسير الناس فيها ليالي و أياما آمنين الى تلك القرى المباركة، فإن الجميع رسل من قبله، ينطقون عنه، و يبلغون معارفه و أحكامه، و يبثون في الناس حلاله و حرامه، حتى أنه ورد أن

(١) البقرة: ١٦٤.

(٢) طه: ١٢٤-١٢٦.

(٣) يوسف: ١٠٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٥٥

المسكين رسول الله إليكم فانظروا كيف تعاملون مع رسوله «١».

فكل من تلك الإشارات و الدلائل هداية و رشاد لقوم، و غي و ضلالة لآخرين، يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا.

ولذا

ورد في شأن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام، و كذا في الحجج الخلف عجل الله فرجه نعمه الله للأبرار، و نعمته على الفجار «٢».

اعلم أن الأصل في الهداية بهذا المعنى هو الدلالة على الخيرات و المصالح التي يتوصل بها الى النعيم المقيم و يحصل بها الفوز العظيم و الثواب الجسيم، كقوله تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ «٣».

و يطلق على سبيل التهكم أو الانسلاخ عن خصوص المتعلق، أو لعلاقة المضادة، أو لأن المعنى مطلق الدلالة و الإرائة، أو لخصوص ما يطلبه طالبه و يرومه قاصده، أو التغليب في بعض ما تسمع على الدلالة على المعاطب و المهالك، كقوله تعالى: فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ «٤» و هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ «٥» إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا «٦».

و السبيل «٧» و ان كان مولينا أمير المؤمنين عليه السلام لكنه هو الهادي أيضا، فهو الذي

(١)

في نهج البلاغة تحت الرقم ٣٠٤ من قسم الحكم: إن المسكين رسول الله فمن منعه فقد منع الله، و من أعطاه فقد أعطى الله.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٠٠ / ٣٠٥.

(٣) الإسراء: ٩.

(٤) الصافات: ٢٣.

(٥) البلد: ١٠.

(٦) الإنسان: ٣.

(٧)

في البحار: ج ١٧ / ٢٤ مسندا عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا الفرقان (٢٧) قال: يعنى

على بن أبي طالب عليهم السلام. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٥٦

هدى الناس بهدايته و أرشدهم الى ولايته فى جميع العوالم و المواقف و المراتب، فدل على ذاته بذاته، و لم يرشدهم إلا على رضوان الله و كرامته، إلا أن من قبل ذلك فقد اهتدى بصفة القبول و الاجابة، و من خالفه ضلّ و خاب بإرشاده لصفة الردّ و المخالفة. فالهداية قد ظهرت فى هذا العالم بصفة التكليف الذى هو نور إلهى سار فى كينونات جميع الخلايق سريان الروح فى الجسد، و به يصل المسافرون و السالكون الى منازلهم الحقيقية و أوطانهم الأصلية، التى حبها من الإيمان، و بغضها من الكفر، بتيسير الأعمال و الأقوال، و تسهيل الإرادات و الأفعال، و الوصول الى المسببات و اللوازم. و منها: التوفيق للوصول إلى سواء الطريق المعبر عنه فى بعض العبارات بالايصال الى المطلوب. كما قال تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ «١».

و هذا المعنى و إن كان عامياً شاملاً- للمعاني الآتية إلا أن المقصود به فى المقام هو المعنى العام الشامل لجميع مراتب الايمان و درجاته، و بالجملة المراد مطلق الهداية لا الهداية المطلقة. و منها: الزيادة فى كل مرتبة من مراتب الايمان و اليقين فى كل حال من الأحوال، و فى ولاية الاثنية الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، فإن السالك لا- يزال كلما يتدرج الى مرتبة من المراتب يلوح له بعض الأنوار، و يكشف له عن بعض الأسرار، و كل نور يلوح له فى درجة من الدرجات يكون أشدّ إشراقاً من السابق، فإن لله تعالى سبعين الف حجاب من نور و ظلمة لو كشفها لا حرق

(١) القصص: ٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٥٧

سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره «١» فلعل السالك المتغرق يزعم أنه قد حصل المنية و ليس وراء عبادة قريه مع أنه ليس لهذه المنازل غاية و لا نهاية. كما

ورد فى الخبر القدسي: كلما رفعت لهم عليا وضعت لهم حلما و ليس لمحبتى غاية و لا نهاية «٢». و لعل الى ما ذكرناه الاشارة بما حكى الله سبحانه عن خليله: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا «٣» الآيات، إذ وقع نظره أولاً- الى الكوكب، ثم انجلي له القمر، ثم انكشفت له الشمس، ثم انتقل عليه السلام من ملاحظة زوال كل منها و تغييرها الى التنزيه المطلق و التوجه الى المعبود الحق بقوله: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ «٤» فلا يزال المؤمنون يترددون و ينتقلون فى هذه الدرجات التى هى منازل القدس و مراحل الانس، و قد أشير فى الكتاب العزيز الى زيادة الايمان و الهداية بقوله تعالى: وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ «٥»، وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى «٦» و قوله تعالى: وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا «٧». و قوله تعالى فى أصحاب الكهف:

(١) بحار الأنوار: ج ٥٨ / ٣٩.

(٢)

فى الجواهر السنية ص ١٥١ عن إرشاد القلوب عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم عن الله سبحانه أنه قال: يا محمد ليس لمحبتى غاية و لا نهاية، كل ما رفعت لهم عملا وضعت لهم علما.

(٣) الانعام: ٧٦.

(٤) الانعام: ٧٩.

(٥) محمد صلى الله عليه و آله و سلم: ١٧.

(٦) مريم: ٧٦.

(٧) الأنفال: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٥٨

إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى «١».

فى الكافى عن مولينا الصادق عليه السّلام قال: للايمان حالات و درجات و طبقات و منازل، فمنه التامّ المنتهى تمامه، و منه الناقص البين نقصانه، و منه الراجح الزائد رجحانه ... الخبر «٢».

و منها: الهداية فى طريق الوصول الى مقامات القدس و حظاير الانس بالانخلاع عن العلايق الجسمانيّة و العوائق الناسوتيّة الهيولانيّة ثم الاستغراق فى ملاحظة أسرار الكمال، و مطالعة أنوار الجمال، باضمحلال الإنيّة، و استيلاء حكم الوجود على مقتضيات الماهيّة، فيصير السالك حينئذ فى طريق المحبّة و الوداد، فتقرّ عينه بنيل المقصود و المراد،

فاذا أحبّه كان سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يسمع به و يده التى يبطش بها، إن دعاه أجابه، و ان ناداه لباه «٣».

و كيف لا- يجيبه و لم يبق له إرادة و لا- اختيار، و من دون أن يصل الى حدّ الاضطرار، بل صار قلبه وعاء لمشيّته و محلا لإرادته و مخزنا لمحبّته.

و هذه الهداية هى الجذبة الربانيّة، و العناية الإلهيّة، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء، و ممّن شاء لهم ذلك الأنبياء، و لذا وصفهم بعد ذكرهم بقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَ «٤».

(١) الكهف: ١٣.

(٢) الكافى ج ٢ ص ٤٢ و عنه بحار الأنوار: ج ٢٣ / ٦٩ ح ٦.

(٣) نقل بالمعنى

من حديث قدسى رواه الشيخ الحرّ العاملى فى الجواهر السّنية ص ١٠١ نصّه: ما يتقرّب إلى عبد من عبادى بشىء أحبّ إلى ممّا افترضته عليه، و إنّه يتقرّب إلى بالنوافل حتى أحبّه، فاذا أحبّته كنت سمعه الذى يسمع به، و بصره الذى يبصر به، و لسان الذى ينطق به ... إلخ.

(٤) الأنعام: ٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٥٩

و قال خليل الرحمن: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِينِ «١».

و قال تعالى فى نبيّه الأفضل الأكمل: وَوَحِّدَكَ صَالًّا فَهَدَى «٢»، أى هدى العالم حتّى الأنبياء إلى ولايتك و ولاية وصيّك، أو هداك الى ما تحققت عليه فى كينونتك.

و لذا

ورد فى النبوى: و الله لولا الله ما اهتدينا\* و لا تصدّقنا و لا صلّينا «٣»

و فى العبارة بشارة لأهل الإشارة.

و بالجملة فالهداية بهذا المعنى هى قصوى الدرجة الايمانيّة و المرتبة الإحسانيّة الحاصلة بعد العبادة التامّة العامّة الجهاديّة المشار إليها بالمعنىة الإحسانيّة فى قوله تعالى: وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ «٤».

و هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، المعبر عنهم عند القوم بالمجذوب السالك.

و لذا قيل: جذبة من جذبات الربّ توازى عبادة الثقلين.



و ستسمع إن شاء الله تعالى بيانا وافيا في أن هذه الهداية لم تحصل لأحد من الأنبياء إلّا بالاعتصام بحبل ولاية محمد وآله الطاهرين الذين هم الصراط

(١) الصافات: ٩٩.

(٢) الضحى: ٧.

(٣)

في البحار ج ٢٠ / ١٩٩: عن البراء بن عازب، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينقل معنا التراب يوم الأحزاب، وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول:

لا همم لولا أنت لما اهتدينا\* ولا تصدقنا ولا صلينا\* وفي صحيح البخارى ج ٥ ص ١٣٩ و ص ١٤٠: اللهم لولا أنت ما اهتدينا وفي رواية: والله لولا الله ما أهدينا.

(٤) العنكبوت: ٦٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٦٠

المستقيم، و فقنا الله و إياكم الاعتصام بحبلهم بلطفه العميم و فضله الجسيم، إنه هو البر الرحيم، ذلك فضل الله يؤتية من يشاء و الله ذو الفضل العظيم.

### كلام في المقام لبعض الاعلام

قال في المجلى: في الهداية أقوال: أحدها قول أهل الظاهر، فإنهم قالوا:

هداية الله للإنسان على أربعة أوجه:

الأول: الهداية العامة لكل مكلف، و هي العقل، و الفطنة، و إزاحة العلة، و نصب الأدلة.

الثاني: الهداية الحاصلة للإنسان بدعائه إياه على السنة الأنبياء و الأولياء و إنزال الكتب و الشرائع و الإنذار و الترهيبات و الترغيبات.

الثالث: اللطف الخاص الذي يختص به من سلك طريق السعادة الاخرى المشار اليه بقوله تعالى: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى «١».

الرابع: الهداية في الآخرة الى طريق الجنة للثواب: سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِهِمُ بِالْحَمْدِ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ «٢».

و في هذا الوجه نسبوا الهداية الى الجنة و الثواب الى الآخرة، و هو خارج من الأصول، لأن دخول الجنة عند بعض ليس إلّا بالايمان، و عند الآخرين بالايمان مع الأعمال الصالحة، و على التقديرين إذا حصل وجب دخول الجنة بلا خلاف، فلا يحتاج صاحبها الى إرشاد و هداية إليها، و إن لم يحصل فلا هداية له و لا جنة و لا ثواب، فلا تصلح نسبة الهداية إلى الآخرة لأنها دار الجزاء لا دار العمل فيكون

(١) محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ١٧.

(٢) محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٦١

سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِالْحَمْدِ ... بسبب ذلك لأن السين فيه للاستعمال لا للاستقبال.

ثانيها: قول أهل الباطن فالهداية عندهم ثلاثة أقسام: هداية العام، و هداية الخاص، و هداية الأخص، فهداية العام بالإسلام و الإيمان، و

هداية الخاصّ بالإيقان والإحسان، وهداية الأخصّ بالكشف والمشاهدة من حيث العيان. وقالوا: الهداية على قدر التقوى فلمّا كانت ثلاثة أقسام فكانت الهداية أيضا كذلك، فتقوى العام عن الشرك والكفر، وتقوى الخاصّ عن الذنب والعصيان، وتقوى الأخصّ عن ملاحظة غير الرحمن، وهذا طريق أهل السلف. ثالثها: قول المتأخرين فالهداية الحقيقية هي الهداية من الكثرة إلى الوحدة، ومن التفرقة إلى الجمع، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الشكّ إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الوجودات المقيّدة إلى الوجود المطلق، ومن مشاهدة الخلق إلى مشاهدته الحقّ.... وكلّها موقوفة على التقوى التي أدناها الاتقاء عن المحرّمات، وأعلىها الاتقاء عن رؤية وجود الغير مطلقا. قلت: ما حكاها في الهداية الاخرية فلا ريب أنّها بعينها الهداية الدنيوية التي توجب الفوز بالجنة، بل هي الجنة الظاهرة في الدنيا بالصورة المثالية، ولذا

قال الامام عليه السلام: الدنيا في الآخرة، والآخرة محيطة بالدنيا والدنيا رسم الآخرة، والآخرة رسم الدنيا... الخبر (١). وبالجملة، فلا وجه لتخصيص الهداية بالهداية الاخرية إلى الجنة، كما تبّه عليه، ولا بأس في حمل السين على الاستقبال باعتبار ما بقي من الأعمار، أو باعتبار مراتب القرب التي لا تعدّ ولا تحصى. وأما كون السين للاستعمال فلم أفهم له معنى واضحا.

(١) لم أظفر على مصدر له.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٦٢

وما حكاها أخيرا عن المتأخرين، فلعله من القائلين الذين ينبغي التبرّي منهم ومن كلماتهم، وإن كان للكلمات المحكيّة في المقام محامل صحيحة.

## إيراد و دفع

ربما يستشكل في حمل الهداية في الآية على بعض المعاني المتقدّمة كالإرشاد والاعلام وإرائة الطريق بأنّ طلبها على المسلمين والمؤمنين تحصيل للحاصل، وتوصيل للواصل، سيّما مع تفسير الصراط المستقيم بالإسلام والإيمان كما ورد في بعض الأخبار. بل ويسرى الاشكال أيضا بناء على تفسيره بالولاية كما في أكثر الأخبار، فإنّ المؤمنين الذين يدعون الله بهذا الدعاء في الصلوات كلّها كلّهم من أهل الولاية، ويمكن الجواب بوجوه:

أحدها: أنّ التالي لهذه الآية والداعى بها إن كان من أهل المرتبة الدانية فالمسئول هو المرتبة العالية التي بعدها، أو العالية على الإطلاق، وإن كان واجدا، للمرتبة العالية والدرجة القصوى فالمسئول هو الثبات عليها.

و يؤيّده ما

في تفسير الإمام عليه السلام حيث فسر الآية بقوله: آدم لنا توفيقك الذي به أطعناك فيما مضى من أيّامنا، حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا (١).

و

فسره مولينا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ثبتنا على ما روى عنه.

بل لعله الظاهر أيضا

من قول مولينا الصادق عليه السلام في تفسير الآية على ما حكاها الإمام عليه السلام في تفسير الآية قال: أرشدنا الصراط المستقيم،

أرشدنا للزوم الطريق المؤدى الى محبتك، و المبلغ جنتك، و المانع من أن نتبع أهوائنا فنعطب، أو

(١) كنز الدقائق ج ١ ص ٧٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٦٣  
تأخذ بآرائنا فنهلك «١».

و

روى فى البصائر و غيره أنه وقع شىء من القرآن فى عهد الثانى إلى أهل الروم فأرسلوا وفدا من النصارى الى المدينة لإشكالات زعموا و رودها منها ما يتعلّق بهذه الآية و هو أنّ طلب الهداية و الرشاد دعاء من ليس على الطريق القويم و النهج المستقيم، فإن لم تكونوا أنتم على سبيل الرشاد فما لكم و إرشاد العباد؟

و حيث عجز الثانى عن الجواب سأل عنه مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام فأجاب بأنّ معنى اهدنا ثبتنا، فقالت النصارى: إذا كان الداعى على الصراط المستقيم فما الحاجة الى طلب الثبات؟ فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ لكل حق باطلا و لكلّ قائم مائلا، و لكل ثابت زائلا، فإذا لم يحصل الهداية المطلوبة التى هى الثبات لم تنفع الاولى التى هى مجرد الرشاد «٢».

قلت: و لعله الى هذا يشير أيضا ما قيل فى تفسير الثبات: بأنّ الله تعالى قد هدى الخلق كلّهم إلّا أنّ الإنسان قد يزلّ و ترد عليه الخواطر الفاسدة، فيحسن أن يسأل الله تعالى أن يشبته على دينه و يديمه عليه، و يعطيه زيادات الهدى التى هى أحد أسباب الثبات على الدين كما تقول لمن يأكل: كل أى أدم الأكل.

ثانيها: أنّ الهداية هى لقوله تعالى: يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ «٣»، فالمعنى أرشدنا الى طريق الجنة ثوبا لنا، و لذا قالوا بعد دخولها: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا «٤».

(١) كنز الدقائق ج ١ ص ٧٢ عن شرح الآيات الباهرة.

(٢) لم أظفر على مصدره.

(٣) يونس: ٩.

(٤) الأعراف: ٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٦٤

و هو كما ترى سيّما بعد ما سمعت عن صاحب المجلى.

ثالثها: أن المسؤل هو الزيادة مطلقا، إذ ليس لفيوض الحق و هداياته نهاية و لا غاية، و لذا قال: وَ زِدْنَاهُمْ هُدًى «١».

رابعها: أنه يجوز تعلّق السؤال بالأمر الحاصل إذا كانت فيه فائدة كقوله:

قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ «٢»، و دعاء إبراهيم خليل الرحمن: وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ «٣»، و قوله: وَ لَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ «٤».

و الفائدة فى المقام إظهار الدلّة و الاستكانة و العبوديّة التى هى أفضل أنواع العبادة، كما

ورد: انّ الدعاء مخّ العبادة و أصلها و أفضلها «٥».

بل فى التنزيل: مَا يَعْبُورُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ «٦»، اذعوني أسدّيجب لكم إنّ الذين يسدّ تكبرون عن عبادتى سيّدخلون جهنم داخرين «٧».

و هذا كما إنّ الله و ملائكتّه يصيّلون على النبي «٨»، و قد أمرنا بسؤال الصلوات عليه، و إنما الفائدة فيه حصول الانتساب و تأكّد الارتباط بيننا و بينه صلى الله عليه و آله و سلّم لنيل الشفاعة الكلية و الرحمة الالهية.

خامسها: ما هو الحق في المقام، وإن لم يتب عليه أحد من الأعلام، و يساعده الأخبار المأثورة عن أهل البيت عليهم السّلام، و هو أن يكون الطلب متعلّقا

(١) الكهف: ١٣.

(٢) الأنبياء: ١١٢.

(٣) الشعراء: ٨٧.

(٤) البقرة: ٢٨٦.

(٥) البحار: ج ٩٣ ص ٣٠٠.

(٦) الفرقان: ٧٧.

(٧) غافر: ٦٠.

(٨) الأحزاب: ٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٦٥

بالهداية و مقتضياتها و لوازمها و آثارها التي من جملتها سريرانها في القلب و القلب و على جميع الأعضاء و الجوارح و الثبات عليها في جميع الأحوال و الأحوال و الاستمرار عليها في جميع الخطرات التي تخطر بالبال، و في جميع الأفعال و استزادتها مع كلّ ذلك من كلّ أحد في كلّ حال، إذ لا نهاية لها باعتبار الفيوض الإلهية اللايزالية فإنها من الأنوار اللامعة التي تلوح آثارها على هياكل التوحيد.

فيكون المسئول جميع أنواع الهداية لجميع الناس، و جميع مراتب الإسلام و الإيمان و الإحسان الذي

فسره جبرئيل عليه السلام بأن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فإنه يراك «١».

و لذا فسّرت الهداية في المقام بالإرائة التي لا يراد بها مجرد الاعلام، بل الرؤية القلبية الفؤادية، كما قال سبحانه: ما كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى «٢».

و

قال مولينا أمير المؤمنين عليه السّلام حين سأله ذعلب: هل رأيت ربك؟ فأعبد مالا أرى؟ و قال عليه السّلام: لم تره العيون بمشاهدة العيان، و لكن تراه القلوب بحقايق الإيمان «٣».

و لعلّه المراد بما

رواه الكاشفي «٤» في جواهره عن مولينا الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تفسيره: أن اهدنا بمعنى أرنا، ثم قال عليه السلام: إن كلّ فرقة يطلبون الهداية على حسب أحوالهم، فهداية التائبين بالإنابة، و العارفين بالمعرفة، و المخلصين بدقائق حقايق الإخلاص، و المحيئين باستعلام أعلام المحبّة، و المريرين بطلب طريق السلوك و الانقطاع، و الأولياء بالانخلاع عن رؤية الوسائط

(١) في تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥٥٣ رواه عن النبي صلى الله عليه و اله و سلم.

(٢) النجم: ١١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤/٣٠٤ و ج ١٠ ص ١١٨.

(٤)؟؟؟؟؟ تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٦٦

و مشاهدة الروابط، كيلا يحجبوا برؤية العبادة عن المعبود، و بالاشتغال بوظائف الطريق من المقصود ... الخبر.

## كشف ايماني بتعليم رباني

«اهدنا» دعاء و سؤال للعبد من الله سبحانه على وجه الذلّة و المسكنة بتلقينه و تعليمه سبحانه فضلا منه على عباده، و لذا ورد في الخبر: «قسمت الصلوة بيني و بين عبدى نصفين، فنصفها لى و نصفها لعبدى ... الى ان قال: فاذا قال: اهدنا الصراط المستقيم الى آخره، قال: هذا لعبدى و لعبدى ما سأل» (١).

فعلّمنا في هذا التلقين كيفية الدعاء المقترن بما يوجب الإجابة من الأمور التي ينبغى للداعى مراعاتها، و هي كثيرة راجعة الى الداعى أو المسألة أو كيفية الدعاء، أو زمانه و مكانه و غير ذلك ممّا تسمع تفصيل الكلام فيه في موضع آخر إن شاء الله تعالى. لكنّ الذى ينبغى التنبيه عليه فى المقام، استفادة من كلام الملك العلّام، و جوه:

منها: الابتداء بالاستعانة به سبحانه و التيمّن باسمه الشريف و ذكره بأسمائه الحسنى التي أمرنا أن ندعوه بها مع تحميده و تمجيده و ثنائه قبل دعائه، و التنبيه على إلهيته الكبرى و ربوبيته المطلقة، و أنّه المَنَّان على عباده بالرحمة الرحمانية و الرحيمية، و بيده مقاليد الأمور كلّها.

ولذا

قال مولينا الصادق عليه السلام: إنّ فى كتاب أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أنّ المدحة قبل المسألة، فإذا دعوت الله عزّ و جلّ فمجده (٢).

(١) عيون الأخبار ج ١ ص ٣٠١ و عنه كنز الدقائق ج ١ ص ٨٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٣ / ٣١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٦٧

و

قال الصادق عليه السلام: إنّما هي المدحة، ثمّ الثناء، ثمّ الإقرار بالذنب، ثمّ المسألة (١).

و

قال لعثمان بن المغيرة: إذا أردت أن تدعو فمجّد الله عزّ و جلّ، و احمده، و سبّحه، و هلّله، و أثن عليه، و صلّ على محمّد النبي و آله، ثمّ صلّ تعط (٢).

و

قال عليه السلام لعيسى: إذا طلب أحدكم الحاجة فليش على ربّه، و ليحمده، و ليمجّده، فإنّ الرّجل إذا طلب الحاجة من السلطان هيّا له من الكلام أحسن ما يقدر عليه، فإذا طلبتم الحاجة فمجّدوا الله العزيز الجبار، و امدحوه، و اثنوا عليه ...

إلى أن قال عليه السلام: إنّ رجلا دخل المسجد، فصلّى ركعتين، ثمّ سأل الله عزّ و جلّ، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: أعجل العبد ربّه، و جاء آخر فصلّى ركعتين، ثمّ أثنى على الله عزّ و جلّ، و صلّى على النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: سل تعط (٣).

الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة.

و منها: التعميم فى الدعاء فإنّه أقرب له إلى الإجابة كما فى النبوى (٤)، و لذا عدل فى الضمير المتصل بالفعل من المفرد الى الجمع تعميما للدعاء و توسّلا الى الإجابة، مضافا الى الوجوه المتقدّمة فى العدول فى «نعبد و نستعين».

مع أنّه

قد ورد أنه سبحانه أوحى الى بعض أنبيائه عليهم السّلام: ادعنى بلسان لم تعصنى به، فقال: يا ربّ كيف أدعوك بلسان لم أعصك به، و ما هو إلّا لسان واحد و لم أزل أعصيك به؟ فقال الله سبحانه: ادعنى بلسان غيرك فإنّك لم تعصنى به «٥».

(١) البحار: ج ٩٣ / ٣١٨.

(٢) البحار: ج ٩٣ / ٣١٤ عن مكارم الأخلاق.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٣ / ٣١٥ عن مكارم الأخلاق.

(٤)

البحار: ج ٩٣ / ٣١٣ عن النبي صلّى الله عليه وآله و سلّم قال: إذا دعا أحد فليعمّ فإنه أوجب للدعاء.

(٥)

البحار: ج ٩٣ / ٣٤٢: روى أنّ الله سبحانه أوحى الى موسى: ادعنى عن لسان غير ... تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٦٨  
فمن فوائد العموم فى الدعاء أنّه فى حق الغير مقرون بالإجابة فكذا فى حق الداعى لقضيّة عدم تبعض الصفة، فلاّنه يأبى عنه كرم الكريم ما هكذا الظنّ به، و لا هو المعروف من فضله.

و منها: الدعاء لإخوان المؤمنين بظهر الغيب لإرادتهم من ضمير الجمع المتصل بالفعل، و ذلك أنّه وسيلة لإجابة الدعاء فى حقهم و فى حقّه لما مرّ، و للتفضل عليه بمثل ما يدعو لجميعهم، أو بأضعافه.

فقد روى عن مولينا الباقر عليه السّلام: أسرع الدعاء نجحا للإجابة دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب «١».

و

عن مولينا الصادق عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: ما من مؤمن دعا للمؤمنين و المؤمنات إلّا ردّ الله عزّ و جلّ عليه مثل الذى دعا لهم به من كل مؤمن و مؤمنة معنى من أول الدهر أو هو آت الى يوم القيامة، إنّ العبد ليؤمر به الى النار يوم القيامة فيسحب، فيقول المؤمنون و المؤمنات: يا ربّ هذا الذى كان يدعو لنا فشفّعنا فيه، فشفّعهم الله عزّ و جلّ فيه فينجو «٢».

و

عن إبراهيم بن هاشم، قال: رأيت عبد الله بن جندب فى الموقف فلم أر موقفا كان أحسن من موقفه، فما زال مادّا يديه الى السماء و دموعه تسيل على خديّه حتى تبلغ الأرض، فلما صدر الناس قلت له: يا أبا محمّد ما رأيت موقفا قط أحسن من موقفك، قال: و الله ما دعوت إلّا لإخوانى، و ذلك أنّ أبا الحسن موسى عليه السّلام أخبرنى: أنّ من دعا لأخيه بظهر الغيب نودى من العرش: و لك مائة ألف ضعف، فكرهت أن أدع مائة ألف ضعف مضمونة لواحدة لا أدرى تستجاب أم لا «٣».

(١) بحار الأنوار: ج ٧٦ / ٦٠ و ج ٩٣ / ٣٨٧.

(٢) البحار: ج ٩٣ / ٣٨٤ عن أمالى الطوسى ج ٢ / ٩٥ بتفاوت يسير.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٣ / ٣٨٤ - ٣٨٥ عن أمالى الصدوق ص ٢٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٦٩

و

فى عدّة الداعى عن معاوية بن عمّار، عن الصادق عليه السّلام: من دعا لأخيه فى ظهر الغيب نادى ملك من السماء الدنيا: يا عبد الله لك مائة ألف ضعف ممّا دعوت، و ناداه ملك من السماء الثانية يا عبد الله و لك مائة ألف ضعف ممّا دعوت، و ناداه ملك من السماء الثالثة: يا عبد الله و لك ثلاثمائة ألف ضعف ممّا دعوت، و ناداه ملك من السماء الرابعة: يا عبد الله و لك أربعمائة ألف

ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء الخامسة: يا عبد الله و لك خمسمائة ألف ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء السادسة: يا عبد الله و لك ستمائة ألف ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء السابعة: يا عبد الله و لك سبعمائة ألف ضعف مما دعوت.

ثم يناديه الله تبارك و تعالى: أنا الغنى الذى لا افتقر يا عبد الله لك ألف ألف ضعف مما دعوت. الخبر (١).

و منها: الإلحاح فى الدعاء، فإنّ هذا الدعاء يتكرّر فى الصلوات اليوميّة، مرات مديدة، و الإلحاح من أسباب الإجابة.

عن مولانا أبى جعفر عليه السلام أنّه قال: و الله لا يلحّ عبد مؤمن على الله عزّ و جلّ إلّا استجاب له (٢).

و منها: الإقبال على الدعاء.

قال الصادق عليه السلام: إنّ الله لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فاذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الإجابة (٣).

و استفادة هذا من تقديم الخطاب و تكريره المنافى لحالة الغياب، إذ عند الخطاب يفتح الباب و ينكشف الحجاب، و يتوجّه العبد بقلبه الى ربّ الأرباب،

(١) بحار الأنوار: ج ٣٨٧ / ٩٣ ح ١٩ عن دعوات الراوندى.

(٢) الكافى ج ٢ / ٤٧٥ - بحار الأنوار: ج ٣٧٤ / ٩٣ عن عدّة الداعى.

(٣) البحار: ج ٣٠٥ / ٩٣ عن عدّة الداعى ص ١٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٧٠

فيقبل الثناء و يجيب الدعاء.

و منها: اشتمال الدعاء على الاستشفاء و التوسّل بمحمد و آله الأطهار عليهم السلام فإنّه يوجب الإجابة.

ولذا

قال مولانا الصادق عليه السلام: من كانت له الى الله عزّ و جلّ حاجة فليبدأ بالصلاة على محمّد و آله ثم يسئل حاجته ثم يختم بالصلوة على محمد و آل محمّد، فإنّ الله عزّ و جلّ أكرم من أن يقبل الطرفين و يدع الوسط، إذ كانت الصلاة على محمّد لا تحجب عنه (١).

و ستمسح أنّ المراد بالصراط المستقيم هو ولاية مولينا أمير المؤمنين عليه السلام فطلب الهداية إليه استشفاع بهم، و توسّل الى الله تعالى بولايتهم، و كما أنّه دعاء لاستفاضة جميع المؤمنين بهم كذلك دعاء لهم بإفاضة ربّ العالمين من فيوضه على المؤمنين أجمعين بسبب ولاية أهل البيت و فجتهم صلوات الله عليهم.

و هو حقيقة الصلوات المأمور بها، فإنّه من الصلّة، أو الوصل، و اختتام الدعاء ينبغى أن يكون بالصلوات عليهم حتى يكون الختام مسكا و فى ذلك فليتنافس المتنافسون.

و ممّا مرّ يظهر وجه العدول من الضمير المفرد الى الجمع.

مضافا الى أنّ الأرض لا تخلو أبدا من حجّة و وليّ ممّن يستجاب له، و لا يردّ دعائه، فإذا عمّ الدعاء استجيب لغيره أيضا ممّن لا يحقّ له ذلك.

مع أنّه إذا كان الداعى هو العالى فينبغى أن يقترن بالدانى اقترانا إفاضية و معيّة اشراقية، و إذا كان الداعى هو الدانى فلا بدّ له من معيّة استفاضية استشفاعية.

(١) بحار الأنوار: ج ٣١٦ / ٩٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٧١

و من هنا يظهر أيضا معنى ما

روى أن الله عزّ وجلّ حمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذنوب شيعتنا، ثم غفرها له بقوله: لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ «١». «٢»

### إرشاد و هداية في تفسير الصراط

الصراط في الأصل مطلق الطريق، أو الطريق الواضح، أو خصوص المتسع منه، من سرّطه إذا ابتلعه، سمى به لأنه يسرط المازة، أى يبتلعها، وهو كالطريق و السبيل في التذكير و التأنيث، إذ قد يذكر صفة كل منهما باعتبار اللفظ، و قد تؤنث باعتبار المعنى، كذا قيل، لكنّه لا- يخلو من تأمير، إذ الظاهر من كلام أهل اللغة و الاستعمالات العرفية أنّ الصراط لا يؤنث، و الطريق قد يؤنث، و السبيل قد تذكر.

و يفرّق بحسب المعنى بينها بأنّ الطريق ما يطرقه طارق، و السبيل ما كان معتاد السلوك و الصراط كالسبيل إلاّ أنّه يستقيم غالبا. و الخطب سهل بعد وضوح استعمال كل منها موضع الآخر، إنّما الكلام في المقصود بالصراط المستقيم في المقام. فقول:

إنّه كتاب الله تعالى، بل في «المجمع» أنّه المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و عن أمير المؤمنين عليه السلام «٣»، و لذا فسره به ابن مسعود.

وقيل: إنّ الإسلام، و هو المحكى عن جابر و ابن عباس، و لعله المراد

(١) الفتح: ٢.

(٢) كنز الدقائق ج ١٢ ص ٢٦٩ عن تأويل الآيات الباهرة ح ٥٩١ عن محمد بن سعيد المروزي قال: قلت لرجل: أذنب محمد صلى الله عليه وآله وسلم قط؟ قال: لا، قلت: فقول الله تعالى: «لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» ما معناه؟ قال: إنّ الله سبحانه حمل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ذنوب شيعته على عليه السلام ثم غفر له ما تقدم منها و ما تأخر.

(٣) مجمع البيان: ج ١ / ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٧٢

بالمحكى عن محمد بن الحنفية من أنّه دين الله الذي لا يقبل عن العباد غيره.

وقيل: إنّ النبي و الأئمة القائمون مقامه صلوات الله عليهم أجمعين، و هو المروي في أخبار كثيرة.

روى الشيخ الصدوق في معاني الأخبار عن المفضل، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط فقال: هو الطريق الى معرفة الله عزّ وجلّ، و هما صراطان:

صراط في الدنيا، و صراط في الآخرة، فاما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض «١» الطاعة، من عرفه في الدنيا و اقتدى بهده مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، و من لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم «٢».

و

في تفسير مولينا الامام العسكري عليه السلام: الصراط المستقيم صراطان: صراط في الدنيا و صراط في الآخرة، فأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر من الغلو، و ارتفع عن التقصير و استقام فلم يعدل الى شيء من الباطل، و أمّا في الآخرة فهو طريق المؤمن الى



الجنة الذي هو مستقيم، لا يعدلون من الجنة الى النار، ولا الى غير النار سوى الجنة (٣).

و

في الأمالي بالإسناد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قال: إذا كان يوم القيامة، و نصب الصراط على جهنم، لم يجز عليه إلا من كان معه جواز فيه ولاية على بن أبي طالب عليه السلام، و ذلك قوله تعالى: وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٤) يعنى عن ولاية على

(١)

في المصدر: المفترض الطاعة.

(٢) كنز الدقائق ج ١ ص ٦٩ عن معانى الأخبار ص ٢٨ ح ١.

(٣) كنز الدقائق ج ١ / ٧٠ - نور الثقلين: ج ١ / ٢٢.

(٤) الصافات: ٢٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٧٣

ابن أبي طالب عليه السلام (١).

و

في الخصال عن الصادق عليه السلام عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام: أن للجنة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيون و الصديقون، و باب يدخل منه الشهداء و الصالحون، و خمسة أبواب يدخل منه شيعةنا و محبونا، فلا أزال واقفا على الصراط أدعو و أقول: رب سلم شيعةى و محبى و أنصارى و من تولانى فى دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتك، و شفعت فى شيعةك، و يشفع كل رجل من شيعةى و من تولانى، و نصرنى و حارب من حاربنى بفعل أو قول فى سبعين ألفا من جيرانه و أقربائه، و باب يدخل منه ساير المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلا الله، و لم يكن فى قلبه مثقال ذرة من بغضا أهل البيت (٢).

و

في الأمالي عن الصادق عليه السلام قال: الناس يمزون على الصراط طبقات، و الصراط أدق من الشعر و أحد من السيف، فمنهم من يمز مثل البرق، و منهم من يمز مثل عدو الفرس، و منهم من يمز حبوا، و منهم من يمز مشيا، و منهم من يمز متعلقا قد تأخذ النار منه شيئا و تترك شيئا (٣).

و

في تفسير فرات: ان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أتاه جبرئيل، فقال: أبشرك يا محمد بما تجوز على الصراط؟ قال: قلت: بلى، قال: تجوز بنور الله، و يجوز على بنورك، و نورك من نور الله، و تجوز أمتك بنور على، و نور على من نورك، و مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤). (٥)

(١) نور الثقلين: ج ٤ / ٤٠١ عن أمالى شيخ الطائفة.

(٢) الخصال ص ٤٠٨ باب الثمانية ح ٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٨ / ٦٤ - ٦٥ عن أمالى الصدوق ص ١٠٧.

(٤) سورة النور: ٤٠.

(٥) البحار: ج ٨ / ٦٩ عن تفسير فرات ص ١٠٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٧٤

و

فى المعانى و عقائد الصدوق، و تأويل الآيات و غيرها عن النبى صلى الله عليه و آله: يا على إذا كان يوم القيامة أقعد أنا و أنت و جبرئيل على الصراط، فلم يجر أحد إلا من كان معه كتاب فيه براءة بولايتك «١».

و

فى الكنز عن النبى صلى الله عليه و آله: إذ كان يوم القيامة أمر الله مالكا أن يسعر النيران السبع، و يأمر رضوان أن يزخرف الجنان الثمان، و يقول: يا ميكائيل مدّ الصراط على متن جهنّم و يقول: يا جبرئيل انصب ميزان العدل تحت العرش، و يقول: يا محمد قرب أمتك للحساب، ثم يأمر الله أن يعقد على الصراط سبع قناطر طول كل قنطرة سبعة عشر ألف فرسخ، و على كل قنطرة سبعون ألف ملك، يسألون هذه الأئمة رجالهم و نساءهم فى القنطرة الأولى عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام و حبّ أهل بيت محمد صلى الله عليه و آله، فمن أتى به جاز القنطرة الأولى، كالبرق الخاطف، و من لم يحبّ أهل بيته سقط على أم رأسه فى قعر جهنّم و لو كان معه من أعمال البرّ عمل سبعين صديقا «٢».

و

روى فى المناقب عن الصادقين عليهما السلام فى الهدى الصراط المُستقيم قالوا:

دين الله الذى نزل به جبرئيل على محمد صلى الله عليه و آله، صراط الذين أنعمت عليهم، فهديتهم بالإسلام بولاية على بن ابى طالب، و لم تغضب عليهم و لم يضلّوا، فالمغضوب عليهم اليهود و النصارى و الشكّاك الذين لا يعرفون إمامة أمير المؤمنين عليه السلام و الضالّين عن إمامة على بن أبى طالب عليه السلام. و فيه عن تفسير وكيع، عن ابن عباس فى قوله تعالى: اهدنا الصراط المُستقيم قال: قولوا معاشر العباد: أرشدنا الى حبّ النبى و أهل بيته عليهم السلام.

(١) البحار: ج ٨ / ٦٦ عن المعانى ص ١٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧ / ٣٤١ ح ١٢، عن الكنز.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٧٥

و عن تفسير الثعلبى، و ابن شاهين عن بريده فى هذه الآية قال: صراط محمد و آله «١».

و فى كشف الغمّة ممّا أخرجه المحدث الحنبلى فى هذه الآية، قال بريده صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله: هو صراط محمد و آله «٢».

و

فى المناقب عن التهذيب و المصباح فى دعاء الغدير: و أشهد أنّ الامام الهادى الرشيد أمير المؤمنين الذى ذكرته فى كتابك. فقلت: و إنّهُ فى أمّ الكتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ «٣»: إنّ أمّ الكتاب الفاتحة، يعنى أنّ فيها ذكره عليه السلام «٤».

و

فيه بالإسناد عن النبى صلى الله عليه و آله: لكلّ شىء جواز، و جواز الصراط حبّ على بن أبى طالب عليه السلام «٥».

و

فى المعانى عن السجّاد عليه السلام قال: نحن أبواب الله، و نحن صراطه المستقيم، و نحن عيبه علمه، و موضع سرّه و قال: ليس بين الله و بين حجّته حجاب، و لا لله دون حجّته سرّ «٦».

و

فى خبر معرفتهم بالنورانية: محمد خاتم النبیین، و أنا خاتم الوصیین، محمد صاحب الدعوة، و أنا صاحب السيف و السطوة، محمد

النبي الكريم، و أنا الصراط المستقيم «٧».

(١) بحار الأنوار: ج ٢٤ / ١٦ عن المناقب ج ٣ / ٧٣.

(٢) البحار: ج ٢٤ / ١٧ عن كشف الغمة ص ٩١.

(٣) الزخرف: ٤.

(٤) المناقب ج ٣ / ١٠٧.

(٥) بحار الأنوار: ج ٣٩ / ٢٠٢ عن المناقب ج ١ ص ٣٤٦.

(٦) معاني الأخبار: ص ١٤ و عنه البحار: ج ٤ / ١٢ مع تقديم و تأخير في بعض العبارات.

(٧)

بحار الأنوار: ج ٢٦ / ٤ و ٥ و فيه: صار محمد خاتم النبيين و صرت أنا خاتم الوصيين. و أنا تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٧٦

و

في فضائل الشيعة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: أثبتكم قدما على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتي «١».

و

فيه: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أَنَّهُ قَالَ: يَا عَلِيُّ مَا ثَبِتَ حَبِّكَ فِي قَلْبِ امْرِئٍ مُّؤْمِنٍ فَزَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَّا ثَبِتَ لَهُ قَدَمٌ حَتَّى أَدْخَلَهُ اللهُ بِحَبِّكَ الْجَنَّةَ «٢».

و

في البصائر عن الصادق عليه السّلام في قوله تعالى: هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ «٣» قَالَ: هُوَ وَ اللهُ عَلَيَّ، هُوَ وَ اللهُ عَلَيَّ الصِّرَاطُ وَ الْمِيزَانُ «٤».

و

في المناقب عن مولينا الصادق عن أبيه، عن جده عليهم السّلام قَالَ: قَالَ يَوْمَا الثَّانِي لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: إِنَّكَ لَا تَزَالُ تَقُولُ لِعَلَيٍّ: أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ هَارُونَ فِي أُمَّ الْقُرَى وَ لَمْ يَذْكَرْ عَلِيًّا. فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: يَا غَلِيظُ يَا جَاهِلُ أَمَا سَمِعْتَ يَقُولُ: صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ «٥».

و فيه و في الطرائف عن قتادة، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ يَقْرَأُ هَذَا الْحَرْفَ:

هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ قُلْتُ: مَا مَعْنَاهُ؟ قَالَ: هَذَا طَرِيقٌ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ، وَ دِينُهُ طَرِيقُ دِينِ مُسْتَقِيمٍ فَاتَّبِعُوهُ وَ تَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّهُ وَاضِحٌ لَا عُوجَ فِيهِ «٦».

و فيه عن تفسير مقاتل عن ابن عباس في قوله تعالى:

النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون، و لا أحد اختلف الا في ولايتي، و صار محمد صاحب الدعوة، و صرت أنا صاحب السيف ... إلخ.

(١) بحار الأنوار: ج ٨ / ٦٩ عن فضائل الشيعة للصدوق.

(٢) البحار: ج ٨ / ٦٩ عن الفضائل.

(٣) الحجر: ٤١.

(٤) روى العياشي في ج ٢ ص ٢٤٢ ح ١٥ مثله مع تفاوت يسير.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ / ١٠٧ و في ذيل الحديث قال المؤلف: و قرئ مثله في روآية جابر.

(٦) المناقب ج ٣ / ١٠٧ عن أبي بكر الشيرازي في كتابه بالإسناد عن شعبة، عن قتادة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٧٧

يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ (١): لا يعذب الله محمداً والذين آمنوا معه، لا يعذب على بن ابى طالب وفاطمة، والحسن، والحسين، و حمزة، وجعفر، نورهم يسعى، يضىء على الصراط لعلى وفاطمة مثل الدنيا سبعين مرة، فيسعى نورهم بين أيديهم ويسعى من إيمانهم وهم يتبعونها، فيمضى أهل بيت محمد وآله زمرة على الصراط مثل البرق الخاطف، ثم قوم مثل الريح، ثم قوم مثل عدو الفرس، ثم يمضى قوم مثل المشى، ثم قوم مثل الحبو، ثم قوم مثل الزحف، ويجعله الله على المؤمنين عريضا، وعلى المذنبين دقيقا (٢).

والتعرض للأخبار العامية من الصحابة والتابعين فى مثل المقام وغيره إنما هو للتمسك به على الخصم الذى هو المخالف المعاند، فإن الفضل ما شهدت به الأعداء.

و على كل حال فتمام الكلام فى المقام بذكر فوائد:

إحداها اعلم أن الأرواح الانسانية والنفوس الملكوتية لما خلقها الله فى أحسن تقويم، وذلك قبل خلق الزمان والزمانيات حيث لا أين، ولا متى، لتقدم عالم الدهر بجملته على عالم الزمان الذى هو وعاء الأجسام والجسمانيات، نزلت تلك الأرواح الى دعوى الربوبية والاستغناء والقيومية المطلقة، فخطبت بنداء اهبطوا منها جميعاً (٣) اى مجتمعين حال الهبوط، وذلك لمرورها على جميع العوالم المترتبة المتنزلة وتعلقها بشيء من تلك العوالم فلها من كل عالم من العوالم قيضة مخالفة فى الكينونة والاقتضاء لغيرها، لذا قال: بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ (٤)،

(١) التحريم: ٨.

(٢) تفسير البرهان ج ٤ / ٣٥٧ عن المناقب لابن شهر آشوب.

(٣) البقرة: ٣٨.

(٤) البقرة: ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٧٨

لاستدامة التجاذب والتمازج والتدافع بينها، لكونه فى هذا العالم معترك القوى النورية العقلية، والشهوات النفسية، والشيطانية الوهمية، والحيوانية البهيمية، والظلماتية الجسمية، وله فى أرض عالم الناسوت مستقر حال العمر، ومتاع الى حين الأجل.

و اليه الاشارة بقول الشيخ ابن سينا فى شعره:

هبطت إليك من المحل الأرفع وورقاء ذات تعزز وتمنع

قيل: إنه سئل أفلاطون عن سبب هبوط الأرواح، فقال: إنها احترقت رباشها لبعض الأوهام الرديئة فسقطت الى هذا العالم، فلما ارتاشت (١) صعدت.

و الى الاشارة بقوله تعالى: فَأَمَّا يَا تِئْتِكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢).

فدعا الناس الى إتباع هدايه ليخرجهم من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد.

فلإنسان فى هذه النشأة الدنيوية انتقالات رتبية، وترقيات نفسية، واستفاضات نورية عقلية إليه يضيء الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (٣).

فلا تزال النفوس الانسانية تسير فى المراتب النفسانية متدرجة فى الأطوار بعد الأطوار، مستعدة لإشراق أشعة الأنوار، يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث (٤):

ظلمة البلاده البهيمة، و الجموده الجسميه، و الانحرافات النفسائيه.

(١) ارتاش: أصاب خيرا و صلحت حاله.

(٢) البقره: ٣٨.

(٣) فاطر: ١٠.

(٤) سورة الزمر: ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٧٩

و هذه الانتقالات ليست بحركات جوهرية، و تبدلات ذاتية و انتقالات طبيعية اشتدادية، كما ذهب اليه بعض الأعلام، نظرا الى القول بثبوت الحركة في مقولة الجوهر، بل ربما ينسب اليه القول بتبدل كل من الجواهر الى غيره، حتى تبدل الهيولى صورة، و الصورة جسما، و الجسم نفسا، و النفس عقلا.

و ظني أنه ينبغي تنزيهه عن هذه النسبة، بل ربما يأتي عنه كلامه حيث ذكر في بيان هذه الحركة: أن أول نشأة الإنسان بحسب جسميته و قلبه قوة استعدادية، ثم صورة طبيعية شأنها حفظ المزاج للتركيب، ثم صورة مغذية لمادة بدئية، ثم صورة حيوانية يدرك المحسوسات و يتحرك بالإرادة، و هذا آخر درجات الصور الحسية.

و أول درجات الصور العقلية قوة تسمى عند الحكماء بالعقل المنفعل، ثم تنتقل من صورة الى صورة حتى تتصل بالعالم العقلي، و يلحق بالمال الأعلى إن ساعده التوفيق، أو يحشر مع الشياطين و الحشرات في عالم الظلمات إن ولّاه الطبع و الشيطان و قارنه الخذلان.

و ربما يقال: إنه لما اثبت التعقل و إدراك المعقولات، و أنكر وجود العقل، فلا بد له من أن يحكم على النفس بالوصول الى هذه الرتبة، فمراده بصيرورتها عقلا أنها تعقل الأشياء، لا أنها تنقلب عقلا عنده، لأنه لا يثبت العقل.

و فيه: أن النفس مادتها التأيدات العقلية، و هي إشراقات من العقل، محلها منه محل الإشراق من الشمس، و النور من المنير، و الضوء من السراج، فكما لا يكون الإشراق شمسا، و لا الضوء سراجا، و لو بالترقي و الاشتداد في جوهره و نوعه كذلك لا تكون النفس بترقيها عقلا، و إنما غاية ما يحصل لها من الترقى هو الوصول الى أقصى مراتب النفس التي هي دون أفق العقل، كما أن مراتب الجسم دون أفق النفس، فكما لا يكون الجسم نفسا كذلك لا تكون النفس عقلا، نعم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٨٠

يحصل لكل منهما الترقى و التنزل في مراتب عرض رتبته.

و إنكار وجود العقل ضعيف بالأدلة السمعية و العقلية الدالة على وجوده، و لعلنا نشير إليها في موضع أليق إن شاء الله تعالى.

و على كل حال فللنفس انتقالات و ترقيات في عرض المراتب و الدرجات، أو في طولها أيضا، فينتقل من حال الى حال، و من درجة الى درجة، فجميع الناس سائرون في هذه النشأة الدنيوية بأقدام أعمالهم و علومهم، طائرون بجناحي العلم و العمل.

و هم في سيرهم إميا واصلون الى ربهم، أي الى مرضاته و محلّ قربه و كرامته، فيرون ما تشتهيهِ الأنفس و تلد الأعين، لسيرهم في الطريق الذي أمروا بسلوكه، لأنهم تخففوا فلحقوا، و صاروا من عباده الذين هم بالبداء إليه يسارعون، و هم الممتقون الذين هم في جنات و نهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

و إمّا واقفون للعطالة، و البطالة، أو لترددهم في سيرهم بين الصعود و الهبوط، و مثاله ما كان لبني إسرائيل في التيه حيث لبثوا أربعين سنة في سته فراسخ.

و ما ذكرناه ليس مبتيا على القول بالإحباط و التكفير، و إن قلنا بهما على بعض الوجوه الصحيحة.

و أميا غير الفريقين السابقين فهم الراجعون، ناكسوا رؤوسهم عند ربهم لانتكاس أعمالهم بترك العمل أو فسادهم، فهم السائرون على

غير الطريق المستقيم لا يزيدهم سيرهم إلّا بعدا كلّاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، كلّاً إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون «١». ثانياً: اعلم أنّ للإنسان قوتين هما له كجناحين يطير بهما:

(١) سورة المطففين: ١٤-١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٨١

قوة نظريّة علميّة، وقوة عمليّة، فإنّ له قوّة الإدراك وقوّة التحريك، ولكل منهما شعبتان: العقل النظري، والعقل العملي، والشهوة، والغضب.

الأول مبدء التأثر عن المبادئ العالية لقبول الصور العلميّة.

و الثانية مبدء تحريك البدن في الأفعال الجزئية بالروية.

و الثالثة مبدء جلب الملائم، والرابعة مبدء رفع غير الملائم على وجه الغلبة.

فإن كانت الاولى قاهرة غالبه على غيرها يحصل انتظام الأمور الانسانية في الحال والمآل، ويحصل الوفاق والتسالم بين القوى الأربعة، ويدخلن في السلم كافة، ولا يتبعن خطوات الشيطان، فينزل الله السكينه، وتكون المدينة حصينه فيحصل من تهذيب العاقله الحكمة، و من تهذيب الغضب الحكمة والشجاعة، و من تهذيب الشهوة العفة، و من رعاية الاعتدال في جميع القوى العدالة.

و ليعلم أيضاً أنّ هذه الأربعة بمنزلة الأوساط ولكلّ وسط طرفاً إفراطاً وتفريطاً.

اليمين والشمال مضلّة والطريق الوسطى هي الجادة كما أثر عن أمير المؤمنين عليه صلوات الله «١».

ولما كان أجناس الفضائل أربعة كانت أجناس الرذائل ثمانية. فصد الحكمة في طرف الإفراط الجريزة مأخوذة من جريز اي ذهب أو انقبض أو سقط، أو إنها معربة كبرزة اي الخداع الخبيث كما في القاموس «٢»، وعلى كل حال يحصل من هذا الإفراط أخلاق رديّة كالمكر والخداع والشيطنة والوسوسة، وسوء الظن، والتهمة، والغدر.

(١) نهج البلاغة الخطبة (١٦).

(٢) باب الزاي فصل الجيم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٨٢

و في طرف التفريط البلاهة والبلاهة التي لا- ينتقل معها إلى شيء لفرط الخمود و الجمود، وقلة فطانتها لدقائق الأمور فينشأ منها الحماقه والغفلة والانخداع والحيرة والسفاهة.

و ضدّ العفة في طرف الإفراط الفجور الذي لا يبالي معه صاحبه من السرقة و أكل الحرام و الزنا، و ساير الفواحش.

و في طرف التفريط الخمول من حمل إذا سقط فإنّ الخامل الساقط الذي لا نباهة له.

و ضدّ الجراءة في طرف الإفراط التهور الذي لا يبالي معه صاحبه من الوقوع في المهالك، فيقدم على ما ينبغى الحذر منه.

و في طرف التفريط الجبن الذي تسكن معه النفس عن دفاع الضارّ، و جلب الضرورى، و يكون معه الكسالة و البطالة.

و من عدّ العدالة فضيلة رابعة خارجة عن مجموع الثلاثة قال: إنّ ضدها في طرف الإفراط الظلم بالتصرّف في حقوق الناس و أموالهم بغير حقّ.

و في طرف التفريط الانظلام اي قبول الظلم و تمكين الظالم من الظلم عليه و انقياده له فيما يريد من التعدي فيما يتعلّق به.

لكن ربما يقال: إنّ للعدالة مع ملاحظة ما لا ينفك عنه من لازمه طرفاً واحداً و هو الجور و الظلم، و يشمل جميع ذمائم الصفات و لا يختصّ بالتصرّف في حقوق الناس و أموالهم بدون جهة شرعية، لأنّ العدالة بهذا المعنى عبارة عن ضبط العقل العملي تحت إشارة

العقل النظري، فهو جامع للكلمات بأسرها، و الظلم الذي هو مقابلها جامع للنقائص بأسرها، إذ حقيقة الظلم وضع الشيء في غير موضعه، و هو يتناول جميع الذمائم و منها الانظام فإنه تمكين الظالم في ظلمه و هو أيضا ظلم.

و فيه أن الغرض ضبط المعاني و أطراف الأوساط و التعبير فيها بالألفاظ الدالة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٨٣

عليها، و لا- ريب أن للعدالة طرفين يعبر عنهما بلفظين، و تكلف التعبير عنهما بلفظ واحد أو إرجاعهما الى جامع واحد و لو بالتلازم قليل الجدوى، و الكلام في العدالة بالمعنى الخاص الذي يقابله الظلم بالمعنى الخاص، و أما العدالة بالمعنى العام الشامل لجميع الأوساط كما هو الحق فهو امتزاج القوى و تسالمها و انقيادها تحت العاقله بحيث يرتفع بينها التنازع.

ثالثها: أن الحقيقة الواحدة ربما تظهر في العوالم المتعددة على صور متكررة مختلفة غاية الاختلاف حتى في الجوهرية و العرضية، فإن الجواهر القائمة بنفسها في الخارج المستغنية عن غيرها فيه باعتبار وجودها في الذهن أعراض قائمة به حسب ما ذكره الحكماء المشاؤون. و ان كان لا يخلو من شيء، لكنه لا يقدح في أصل القاعدة.

فالعالم مثلا- يظهر في الدنيا على المشاعر بصورة عرضية قائمة بها، و في النوم الذي هو المثال المنفصل يظهر بصورة اللب كما في الخبر: و في الآخرة بصورة النور و الحياة.

و الظلم الذي هو من عوارض الأفعال و الأقوال في هذه النشأة ظلمات يوم القيامة.

و من يتفككه بغيبه أخيه المسلم فإنما يأكل لحم أخيه ميتا.

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴿١﴾.

و من يشرب من آنية الذهب و الفضة فإنما يجر جر في بطنه نار جهنم، و الجرجرة «٢»: الصب.

(١) النساء: ١٠.

(٢) اشارة الى ما

في المجازات النبوية ص ٩٠ قال النبي صلى الله عليه و آله للشارب في آنية الذهب و الفضة: «إنما يجر جر في بطنه نار جهنم».

و عنه البحار: ج ٦٦ / ٥٣١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٨٤

و ذلك أن كل حقيقة محفوظة بنفسها في جميع العوالم، لكنها تختلف ظهورا و خفاء، و حقيقة و مثالا باعتبار العوالم، ففي الدنيا بصورة الجواهر و الأعراض الكائنة فيها، و في الآخرة، و هي اليوم الذي فيه تبلى السرائر و تكشف الضمائر، يظهر كل شيء بحقيقته التي هو عليها من دون مثال و حكاية، فيظهر نور الإيمان و الولاية بحقيقته النورية و لذا قال تعالى: يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ ﴿١﴾.

و هو النور المشار اليه بقوله: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿٢﴾.

و لذا يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا.

في الدنيا «انظرونا» اي انظروا إلينا «نقتبس من نوركم»، على سبيل الاستضاءة و الاستشراق، «قيل ارجعوا وراءكم يعني الى الدنيا فالتمسوا نورا» ﴿٣﴾.

فإن هناك يكتسب النور، و هذا يوم الظهور، فالدنيا عمل و لا جزء و الآخرة جزء و لا عمل، بل الدنيا هي أرض المحشر و الطبقة الاولى من جهنم و هي سجن المؤمن و ناره، و إن منكم إلا واردها ﴿٤﴾، و لذا يقول المؤمنون يوم القيامة:

جزناها، و هي نار خامدة، و الحمى حظ المؤمن من قبح جهنم، و التكاليف الدنيوية هي النار المؤججة في عالم الذرات فمن دخلها كانت عليه بردا و سلاما.

و سوء الخلق هو الذى يوجب ضغطة القبر، بل هو هى بعينها، بل البدن الدنيوى قبر متصل لصاحبه قبل القبر المنفصل، و لذا جعلت من بيانيته فى قوله

(١) الحديد: ١٢.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

(٣) الحديد: ١٣.

(٤) سورة مريم: ٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٨٥

تعالى: كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ «١» وقال: وَمَا أَنْتَ بِمُشْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ «٢»، و اليه الاشارة بقول مولينا أمير المؤمنين عليه السلام.

و فى الجهل قبل الموت موت لأهله\* و أبدانهم قبل القبور قبور و كل امرء لم يحيى بالعلم ميّت\* و ليس له حتى النشور نشور «٣» و بالجملة صاحب الخلق السديى ترى صدره ضيقا حرجا و هو لا يزال فى ضيق و ضنك من العيش، و هو ضمّة القبر له فى الدنيا و فى البرزخ أيضا.

و لذا

لَمَّا مَاتَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ «٤» و شيعة سبعون الف ملك، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله فى تشييعه بلا حذاء و لا رداء تأسيا بالملائكة، و لحده رسول الله صلى الله عليه و اله و سوى عليه اللبن بيده الشريفه، فقالت ام سعد يا سعد هنيئا لك الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: يا ام سعد مه لا تجزى على ربك، إن سعدا قد أصابته ضمّة، إنه كان فى خلقه مع أهله سوء «٥». و بعد ذلك كله ينكشف سرّ قوله: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ «٦» و قوله: وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ «٧» و قوله: يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ «٨».

(١) الممتحنة: ١٣.

(٢) فاطر: ٢٢.

(٣) الديوان المنسوب الى أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) سعد بن معاذ الصحابى الأنصارى كان سيّد الأوس توفى سنة (٥) ه بعد غزوة الأحزاب بسهم أصابه فى تلك الغزوة- العبر ج ١ ص ٧.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٣ / ٢٩٧.

(٦) العنكبوت: ٥٤.

(٧) الصفات: ٣٩.

(٨) الزلزال: ٦-٧-٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٨٦



إن تقصد و الرشد لدين قويم فالترمو صراطه المستقيم

من جاء بالحب له في الوري فقد أتى الله بقلب سليم

اعلم أن مقتضى الألوهية أن يعرف الله تعالى نفسه لعباده حتى يعرفوه و إذا عرفوه عبدوه، كما ورد في اخبار مستفيضة، و مقتضى الربوبية أن يسوق إليهم ما يمد وجودهم و بقائهم و تنقلهم و تحولهم في كل عالم من العوالم، الأرواح، و الأشباح، و الأصلاب، و الأرحام إلى البرزخ و الحشر ثم إلى الجنة أو النار.

و قضية الإمكان أن الإنسان في كل العوالم يحتاج إلى جملة من الإمدادات و الفيوضات بحسب أجزائه و أعضائه و مشاعره و قواه، و لا تصل تلك الفيوضات إلا من الله سبحانه، و حيث إنه تعالى أبي أن يجرى الأمور إلا أسبابها، و منها الطريق الموصل للإفاضات إلى العبد و هذا الطريق هو صراط الله إلى عبده، فكل من كان واسطة لإيصال شيء من الفيوض هو صراط منه سبحانه، لكن الصراط الأتم الأقوم هو النبي الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم، و أمير المؤمنين، و ذريته الطيبون صلوات الله عليهم أجمعين، فإنهم صراط الله الذي له ما في السموات و ما في الأرض «١» على أحد الوجهين من كون الوصف و الضمير للصراط على وجه التحمل و الوساطة لا الشركة و الاستقلال.

و لذا عقبه بقوله: «ألا إلى الله تصير الأمور» (٢) و لا- ينافيه قوله: «إن إنا إياهم أي إياب هذا الخلق ثم إن علينا حسابهم» (٣) بعد حفظ الحدود، و أفاض عليهم من رحمته، و قامت بهم غيرهم قياما إفاضيا اشراقيا كالإشراقات

(١) الشورى: ٥٣.

(٢) الشورى: ٥٣.

(٣) الغاشية: ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٨٧

الساطعة من المرآة المجلوة الموضوعة شطر الشمس، بل كالشعاع الذي هو أثر فعل الشمس في انبساطه، و تجليه و فيضانه على الأشياء. نعم إنهم عليهم السلام الصراط المستقيم من الحق إلى الخلق في جميع الشؤون الفائضة منه سبحانه إلى الخزائن الغيبية النازلة إلى الخلق أجمعين و من هنا يقال:

إنهم العلة في خلق الأشياء فإن الاستفادة من الأخبار الماثورة أن الله تعالى خلق من نور محمد و آله صلى الله عليه و آله أنوار جميع الأنبياء و الملائكة و الجنة و العرش و الكرسي، و الحجب و السماوات، و الأرضين.

قال شيخنا المجلسي في رسالة اعتقاداته: اعلموا أن الله تعالى كرم نبيه محمدا صلى الله عليه و آله و أهل بيته سلام الله عليهم أجمعين و فضلهم على جميع خلقه، و جعلهم معادن رحمته و علمه و حكمته، فهم المقصودون في إيجاد عالم الوجود، المخصوصون بالشفاعة الكبرى و المقام المحمود، و معنى الشفاعة و سائط فيوض الله تعالى في هذه النشأة و النشأة الآخرة، إذ هم القابلون للفيوض الإلهية، و بتطفلهم تفيض الرحمة على سائر الموجودات.

و هذه هي الحكمة في لزوم الصلوات عليهم، و التوسل بهم في كل حاجة، لأنه إذا صلى عليهم لا يرد، لأن المبدأ فياض، و المحل قابل، ببركتهم تفيض على الداعي بل على جميع الخلق. إلى أن قال: فكذلك سائر الفيوض و الكمالات هم و سائط بين ربهم و بين سائر الموجودات، فكل وجود يتبدأ بهم، ثم ينقسم على سائر الخلق، ففي الصلاة عليهم استجلاب الرحمة إلى معدنها.

فقد صرح في أوائل البحار بمثل ذلك، و أنه قد ثبت في الاخبار كونهم علة غائية لجميع المخلوقات، و أنه لولاهم لما خلق الله الأفلاك و غيرها ... إلى أن قال:

فالحاصل أنه قد ثبت بالأخبار المستفيضة أنهم عليهم السلام الوسائل بين الخلق و بين الحق في افاضة جميع الرحمت و العلوم و

الكلمات ....

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٨٨

**إيراد كلام لدفع أوهام**

و كائى بصائل يصول و يقول هذه كلها من مقالات الغالين المنحرفين عن الدين المبين، الهالكين فى مولينا أمير المؤمنين عليه السلام كما

قال عليه السلام: قد هلك فى رجلان محبّ غال و مبغض قال «١».

و ذلك لأن هذه كلها شؤون الربوبية و خواصّ الألوهية، و كيف ينسب تدبير نظام العالم إلى المستحدث من التسم، و الموجود بعد العدم، الذى ليس له حظّ من القدم، و هل هذا إلّا الشرك فى خلاق العالم، أول القول بالتفويض الذى اطبق على عناده كافة الأمم. و الاخبار الدالة على إثبات بعض هذه الشؤون لهم يجب إطراحها أو تأويلها لشذوذها فى نفسها، و ضعف أسانيد أكثرها، و مخالفتها للأخبار الصحيحة الصريحة المعتبرة، بل للآيات المحكمه القرآنية.

كقوله: هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ «٢».

و قوله: هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ «٣».

و قوله: اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَ إِيَّاكُمْ «٤».

و قوله:

(١)

فى بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٢٨٥ عن المناقب ج ١ ص ٢٢٧: يهلك فى اثنان: محبّ غال، و مبغض قال.

(٢) فاطر: ٣.

(٣) لقمان: ١١.

(٤) العنكبوت: ٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٨٩

اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ «١».

و قوله: قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ «٢»، و قوله: مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُّسَمًّى «٣»، و قوله: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ «٤».

و ما يدعونه هؤلاء من أنّ هذه الشؤون منهم لما كانت باذنه سبحانه فكأنها وقعت منه فلا تنافيه الآيات.

مدفوع بصريح

قول مولينا الصادق عليه السلام: إنّ من زعم أنّا خالقون بأمر الله فقد كفر «٥».

بل ذكر الصدوق وفاقا لشيخه ابن الوليد «٦»: أنّ أول مرتبة الغلو نفى السهو عن النبى و الأئمة عليهم السلام.

و ذهب الشيخ المفيد و السيد المرتضى و العلامة و غيرهم من أجله الإمامية إلى بطلان القول بسبق خلق الأرواح على الأبدان.

مع أنّ القول باستناد تلك الشؤون إليهم و وساطتهم لها من بدو العالم لا يتمّ إلا على القول بالسبق ضرورة حدوث أبدانهم الشريفة فى

آخر الزمان، فكيف تكون أرواحهم الشريفة مخلوقة قبل ذلك، مدبرة متصرفة بإذن الله و لذا أنكروا عالم الذرّ،

(١) الروم: ٤٠.

(٢) الرعد: ١٦.

(٣) الروم: ٨.

(٤) الذاريات: ٥٨.

(٥) لم أظفر على مصدره و لكن في البحار ج ٢٥ / ٣٤٣، عن اعتقادات الصدوق أنا أرباب فنحن منه براء، و من زعم أن إلينا الخلق و علينا الرزق فنحن براء منه.

(٦) هو محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، ثقة، ثقة، عين، عارف بالرجال له كتب، روى ٧١ رواية. و كان من شيوخ الصدوق المتوفى (٣٨١) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٩٠

حتى قال المفيد في شرح اعتقادات الصدوق: إن القول به من مذاهب أصحاب التناسخ، و منهم من دخلت الشبهة على حشوية الشيعة فتوهموا أن الذوات الفعالة المأمورة المتهية كانت مخلوقة في الذرة و تتعارف و تتعقل و تفهم و تنطق ثم خلق الله لها أجسادا بعد ذلك فركبها فيها، و لو كانت ذلك كذلك لكننا نعرف نحن ما كنا عليه و إذا ذكرناه به ذكرناه.

إلى آخر ما ذكره رحمه الله حسبما تسمع حكايته عند قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ «١».

و الجواب عن ذلك و عن القدح فيما ينسب إليهم من علم الغيب و غيره من غرائب الأحوال و عجائب الأفعال أن هاهنا مقامين لتقرير الإشكال:

أحدهما أن هذه المراتب و الشؤون بجميع معانيها أو على الوجه المرادة منها ليست من المراتب الإمكانية التي أمكن اتصاف أحد من المخلوقين بها بل كلها من الشؤون الإلهية التي تفرد بها خالق الملك و الملكوت و مشاركة غيره تعالى له فيها شرك صريح مردود بحكم المعقول و الأثر المنقول.

و ثانيهما أنها مراتب إمكانية ممكنة في حق الممكنات إلا أنه لا دليل على ثبوتها للائمية عليهم السلام، و الأخبار الدالة عليه أحاد ليست بحجة مطلقا سلمنا لكن حجيتها مقصورة على الفروع لا مثل هذه المسائل التي من الأصول أو من فروع الأصول دون الفروع، سلمنا لكنها فاقدة لشرائط الحجية من صحة السند و قوة الدلالة و الاستناد بالعمل و غيرها أو واجدة لموانعها كمخالفة الكتاب و وجود المعارض الأقوى، و إعراض الاصحاب عن العمل بها.

أما المقام الأول فالكلام فيه طويل عريض و حاصله أن هذه الشؤون

(١) الأعراف: ١٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٩١

و الأحوال بل كل فعل من الأفعال إذا نسب إليهم أو غيرهم على وجه الاستقلال بان يكون الفعل منهم بحولهم و قوتهم من دون إفاضة و تأثير من الله تعالى أصلا، أو مع ابتدائية إنشائية لا مستمرة متجددة سيالة أو من الله و عبده على سبيل اشتراك كل منهما للآخر على وجه الثابت له، فهذه الوجوه الثلاثة كلها كفر صريح مخالف للعلم الصحيح، و نحن برآء من الذين يدينون الله بها و يعتقدونها في حق أحد من المخلوق.

و عليه يحمل الاخبار الدالة على شرك القائل بالتفويض

كالمروى في الإحتجاج عن ابى الحسن الرضا عليه السلام من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعدبنا عليها فقد قال بالجبر، و من زعم أن

اللّه فَوْضَ أمر الخلاق و الرزق إلى حججه عليهم السّلام فقد قال بالتفويض، و القائل بالجبر كافر، و القائل بالتفويض مشرك «١». بل الحقّ أنّ القول باستغناء الباقي في بقائه عن المؤثّر و أنّ الموجد للشئ مبق له بنفس الإيجاد من دون إفاضة متجدّدة مستمّرة راجع إلى الوجوه المتقدمة الموجبة للشرك و انثلام التوحيد، و إن ذهب إليه بعض علماء الإسلام، بل ربما مال إليه بعض مشايخنا العظام، غفلة عن حقيقة الحال، و نحن لا- نقول بثبوت شئ من تلك الشؤن على شئ من هذه الوجوه، بل المراد أنّهم عبيد مربوبون محتاجون مفتقرون، بحيث قد فاق فقرهم على فقر العالمين لأنّ الخلق كلّهم عيال لهم و لذا قال مولينا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: الفقر فخرى و به أفتخر على الأنبياء قبلى «٢». لكن الله تعالى قد اصطفاهم و فضّلهم على جميع الخلق أجمعين و اختارهم على علم على العالمين، فجعلهم أبوابه و سبله و حملة فيضه، و ترجمان و حيه.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٣٢٨ - ٣٢٩ عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام ص ٧٠.

(٢) عوالى اللآلى ج ١ / ٣٩ ح ٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٩٢

و بالجملة التوسط في الفيوض التكوينية و التشريعية غير مستنكر في الشريعة بل ربّما توجه الحكمة الربانية، و عليه جرت السنّة الالهية في التشريع، فأرسل أنبياء و جعل لهم أوصياء و خلفاء، و جعل بين الناس و بين القرى المباركة قرى ظاهرة في كينونات الأشياء أيضا فخلق لكلّ شئ شيئا فأضاء بالشمس، و أنار بالقمر، و سخّن بالنار، و برد بالماء، و وكل بكلّ شئ ملائكة يحفظونه بأمر الله، بل وكل بالشؤن الأربعة التي هي أركان عرش التكوين الملائكة الأربعة المقربين، كما ورد في كثير من الأخبار و الأدعية، و وكل بخلق المولود و تصويره ملكين خلاقين يقتحمان رحم المرء، فيقولان يا ربّ نخلقه ذكرا أم أنثى، سعيدا أم شقيا، مليحا أم قبيحا، و وكل بالامانة و قبض الأرواح ملكة هم أعوان للملك الجليل عزرائيل ياذن الرب الجليل، و لذا نسب القبض و التوفى في صريح القرآن إليه و إلى كلّ منهما، و

قد أجاب مولينا أمير المؤمنين عليه السّلام عن الزنديق المدعى للتناقض في آى من القرآن كقوله: قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ «١» اللّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا «٢»، الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ «٣»، حيث إنّه تعالى يجعل الفعل مرّة لنفسه، و مرّة لملك الموت، و مرّة للملائكة بقوله عليه السّلام: ان الله أجل و أعظم من ان يتولى ذلك بنفسه و فعل رسله و ملائكة فعله لأنهم بامرهم يعملون فاصطفى جلّ ذكره من الملائكة رسلا و سفرة بينه و بين خلقه و هم الذين قال الله فيهم: اللّهُ يَصِطْفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا و مِنَ النَّاسِ «٤» فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملكة الرحمة، و من كان من أهل المعصية تولّى قبض روحه ملائكة النعمة.

(١) السجدة: ١٤.

(٢) الزمر: ٤٢.

(٣) النحل: ٢٨.

(٤) الحجّ: ٧٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٩٣

و لملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة و النعمة يصدرن عن أمره، و فعلهم فعله، و كلّ ما يأتونه منسوب إليه، و إذا كان فعلهم فعل ملك الموت، و فعل ملك الموت فعل الله لأنّه يتوفى الأنفس على يد من يشاء و يعطى و يمنع و يشيب، و يعاقب على يد من يشاء و إنّ فعل امنائه فعله كما قال تعالى: وَا مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ «١». «٢» إلى أن قال عليه السّلام.

و امّا ما أراك من الخطاب بالانفراد مرّة و بالجمع اخرى، من صفة البارى جلّ ذكره فان الله على ما وصف به نفسه بالانفراد و

الوحدانية هو النور الأزلي القديم الذي ليس كمثل شىء لا يتغير، و يحكم ما يشاء و يختار و لا معقب لحكمه، و لا راد لقضائه، و لا ما خلق زاد فى ملكه و عزه و لا نقص منه عالم يخلقه، و انما أراد بالخلق إظهار قدرته و إبداء سلطانه، و تبين براهين حكمته، فخلق ما شاء كما شاء، و أجرى فعل بعض الأشياء على أيدى من اصطفى من امنائه، و كان فعلهم فعله، و أمرهم امره كما قال: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ «٣». تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ٦٢٩

و جعل السماء و الأرض و وعاء لمن شاء من خلقه ليمتيز الخبيث من الطيب، مع سابق علمه بالفريقين من أهلها، و ليجعل ذلك مثالا لأوليائه و امنائه، و عزف الخليقة فضل منزلة أوليائه، و فرض عليهم من طاعتهم مثل الذى فرضه منها لنفسه، و ألزمهم الحجة بأن خاطبهم خطابا يدل على انفراده و توحده و بأن له أولياء تجرى أفعالهم و أحكامهم مجرى فعله، فهم العباد المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون، و هم الذين أيدهم بروح منه، و عزف الخلق اقتدارهم على علم الغيب، بقوله:

(١) الإنسان: ٣٠- التكوير: ٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٣ / ١٠٨ - ١٠٩ عن الإحتجاج.

(٣) النساء: ٨٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٩٤

عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ «١» و هم النعيم الذى يسئل العباد عنه، لان الله أنعم بهم على من اتبعهم من أوليائهم.

قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال على عليه السلام: هم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و من حل محلّه من أصفياه الله الذين قرنهم الله بنفسه و برسوله، و فرض على العباد من طاعتهم مثل الذى فرض عليهم منها لنفسه و هم ولاة الأمر الذين قال الله فيهم: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ «٢»، و قال فيهم: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ «٣».

قال السائل ما ذاك الأمر؟ قال على عليه السلام: الذى به تنزل الملكة فى الليلة التى يفرق فيها كل امر حكيم من خلق و رزق، و أجل و عمل و حيوة و موت، و علم غيب السموات و الأرض، و المعجزات التى لا ينبغى إلا لله و أصفياه و السفارة بينه و بين خلقه، و هم وجه الله الذى قال: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ «٤».

هم بقیة الله يعنى المهدي الذى يأتى عند انقضاء هذه النظرة، فيملا الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما. و من آياته الغيبية و الاكتتام عند عموم الطغيان و حلول الانتقام، و لو كان هذا الأمر الذى عرفتك نبأه للنبي صلى الله عليه و آله و سلم دون غيره لكان الخطاب يدل على فعل ماض غير دائم لا مستقبل، و لقال نزلت الملكة و فرق كل امر حكيم، و لم يقل: تنزل الملكة و يفرق كل امر حكيم، الخبر بطوله «٥».

(١) الجن: ٢٦.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) النساء: ٨٣.

(٤) البقرة: ١١٥.

(٥) بحار الأنوار: ج ٩٣ باب ردّ التناقض فى القرآن ص ٩٨ - ١١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٩٥

و انما زينا المقام بنقل كثير منه لاشتماله على فوائد مهمية فى المقام و غيره كالبينة على أن ضمائر الجمع فى كثير من آيات القرآن

لاقتران أوليائه بنفسه في تلك الشؤون مع كونه سبحانه على توحده و انفراده.

ولذا قال مولينا المجلسي رحمه الله بعد ذكر ما ورد في تفسير قوله تعالى: **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ** «١»، من الأخبار الدالة على أن المراد بضمير الجمع هو النبي و الائتمة عليهم السلام: هذا تأويل ظاهر شائع في كلام العرب جار في كثير من الآيات إذ عادة السلاطين و الأمراء جارية بأن ينسبوا ما يقع من خدمهم بأمرهم إلى أنفسهم مجازا، بل أكثر الآيات التي وردت بصيغة الجمع و ضميره كذلك كما لا يخفى على المتتبع. انتهى كلامه زيد مقامه «٢».

و كالتصريح بأنهم عليهم السلام و لاء الأمر حسب ما فسّر به الآيتين «٣» بل صرح بأن ذلك الأمر الذي هم ولاته هو من جملة الأمور التكوينية من خلق و رزق و أجل و عمل إلى آخر ما ذكره.

بل فسّر بهما الأمر في قوله: **كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا** «٤» و العمل في قوله: **وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** «٥» كما اليه الإشارة في الخطبة الاميرية الغديرية.

و بالجملة المتوسط في مثل تلك الشؤون على الوجه الذي سمعت ليس غلوا فيهم، و لا اثباتا للصفات الربوبية المطلقة الالهية لهم، و قد قال مولينا أمير المؤمنين عليه السلام على ما يحكى عن بعض الأصول: نحن اسرار الله المودعة في الهيأ

(١) الغاشية: ٢٥.

(٢)

ج ٢٤ / ٢٦٨ و من الأخبار الدالة ما رواه الكليني في الكافي ج ٨ / ١٦٢ ح ١٦٧ عن الكاظم عليه السلام: إينا إياب هذا الخلق و علينا حسابهم ...

(٣) المراد بهما آية (٥٩) و آية (٨٣) من النساء.

(٤) الدخان: ٤-٥.

(٥) الأنبياء: ٢٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٩٦

كل البشرية، يا سلمان نزلونا عن الربوبية و ادفعوا عنا حظوظ البشرية، فانا عنها مبعدون، و ممّا يجوز عليكم منزهون، ثم قولوا فينا ما استطعتم فإن البحر لا ينزف، و سرّ الغيب لا يعرف، و كلمة الله لا توصف، و من قال هناك لم و بم و ممّ فقد كفر «١».

و

قال مولينا الصادق عليه السلام على ما رواه في البصائر و غيره: اجعلوا لنا ربا نؤب إليه و قولوا فينا ما شئتم و لن تبغوا فقال له السائل نقول ما شئنا قال عليه السلام و عسى أن نقول: و الله ما خرج إليكم من علمنا إلا الف غير معطوفة.

قال المجلسي رحمه الله: ألف غير معطوفة أى نصف حرف كناية عن نهاية القلة فان الالف بالخط الكوفي نصفه مستقيم و نصفه معطوف هكذا «ل» و قيل: أى الف ليس بعده شىء، و قيل: ألف ليس قبله صفراى باب واحد ثم قال: و الاول هو الصواب و المسموع من اولى الألباب «٢».

قلت: و

قد ذكر السيد السند رحمه الله في شرح الخطبة قال: و قد روى الكليني في الكافي ما معناه أنه قيل للصادق عليه السلام: إن ما علمه النبي عليا من الأبواب التي يفتح من كل باب ألف باب هل ظهرت لشيعةكم كلها؟ قال عليه السلام: ما ظهر منها باب أو بابان، قال فما ظهر من فضلكم لشيعةك إلا باب أو بابان؟ قال: و ما عسى أن يظهر لكم، و الله ما ظهر لكم من فضلنا إلا ألف غير معطوفة «٣».

(١) مشارق الأنوار ص ٦٩-٧٠ مثله بتفاوت.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٨٣ / ٢٥ مع تفاوت يسير عن بصائر الدرجات ص ١٤٩.

(٣) ذكر المصنف هذا الحديث بالمعنى ونحن نذكره هنا بالنص تيمنا وتبركا،

ففى الكافى ٢٩٧ / ١ عن يونس بن رباط قال: «دخلت أنا و كامل التمار على ابي عبد الله عليه السّلام فقال له كامل: جعلت فداك حديث رواه فلان فقال: أذكره، فقال: حدثنى أن النبى صلّى الله عليه و آله حدّث عليا عليه السّلام بألف باب يوم توفّى رسول الله صلّى الله عليه و آله كل باب يفتح الف باب فذاك ألف ألف باب، فقال: لقد كان ذلك، قلت: جعلت فداك، فظهر ذلك لشيعتكم و مواليكم؟ فقال: يا كامل باب تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٩٧

ثمّ قال رحمه الله: إن المعانى و الدلالات كلّها انما تحصل بالحروف و تأليفها و ترتيبها على نظم معيّن، و الحروف تحصل من انعطاف الالف اللينية إلى الأطوار و الأحوال الثمانية و العشرين فقبل انعطاف الالف لم تظهر الحروف، فضلا عن ظهور المعانى المختلفة المتعدّدة الغير المتناهية فالالف الغير المعطوفة من حيث هى ليس فيها شىء أصلا من المعانى التى تظهر بالحروف. أقول: و لعلّ التعبير حينئذ بالألف الغير المعطوفة إشارة إلى عدم ظهور شىء من حقائقهم و معانى ذواتهم، و معرفة كينوناتهم، و مراتبهم عند الله تعالى لأحد من شيعتهم، فضلا عن غيرهم.

و

فى حديث معرفتهم بالنورانية: إنّ المؤمن الممتحن هو الذى لا يرد من أمرنا اليه شىء إلّا شرح صدره و لم يشكّ و لم يرتدد «١»، اعلم يا أبا ذر انا عبد الله عزّ و جلّ و خليفته على عباده لا تجعلونا أربابا و قولوا ما شئتم فى فضلنا فإنكم لا تبلغون كنه ما فىنا و لا نهايته فإنّ الله عزّ و جلّ قد أعطانا أكبر و أعظم عمّا يصفه و أصفكم أو يخطر على قلب أحدكم فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون «٢».

و

فى الاحتجاج و تفسير الامام عن مولينا أمير المؤمنين عليه السّلام: لا تجاوزوا بنا العبودية ثمّ قولوا ما شئتم و لن تبلغوا و إياكم و الغلوّ كغلو النصارى فانى برىء من الغالين «٣».

و فيه اشارة إلى معنى الغلوّ المنهى عنه فيهم، و انه ما قيل فيهم من الصفات

أو بابان؟ فقلت: جعلت فداك، فما يروى من فضلكم من الف باب أو بابان؟ قال:

فقال: و ما عسيتم أن ترووا من فضلنا ما تروون من فضلنا إلّا ألفا غير معطوفة».

(١) و فى البحار: و لم يرتب.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٦ / ٢ عن والده.

(٣) البحار: ج ٢٥ / ٢٧٤ ح ٢٠ عن تفسير الامام عليه السّلام ص ١٨ و الاحتجاج للطبرسى ص ٢٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٩٨

الإمكانية التى تساوق العبودية فليس غلوا فى شىء، و لذا بين الغلو بتشبيهه بخلو النصارى القائلين بالحلول و الاتحاد و التثليث و إضافة النبوة إلى النبوة، و ذلك لقصور أنظارهم و ضيق صدورهم عن ملاحظة ما منّ الله تعالى على أوليائه من التصرف فى الملك و الملكوت مع أنّ الأمر كله بيده سبحانه وحده لا شريك له حسب ما سمعت.

و من هنا يعلم أنّ الأخبار الناهية عن الغلوّ محمولة على المعانى الثلاثة المتقدّمة كما هو معلوم من حال عبد الله بن سبا «١» أوّل الغلاة المذكور حاله فى الرجال.

و

في بصائر الدرجات و كتاب الدلائل للحميري عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: قال لي ابو عبد الله عليه السلام: يا إسماعيل ضع لي للمتوضأ ماء قال: فقلت فوضعت له فدخل فقلت في نفسي: أنا أقول فيه كذا و كذا و يدخل المتوضأ و يتوضأ.  
قال فلم يلبث أن خرج، فقال: يا اسمعيل لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم اجعلونا مخلوقين و قولوا فينا ما شئتم و لن تبلغوا، فقال إسمعيل و كنت أقول إنّه هو و أقول و أقول «٢».

أقول: قيل: المراد أنّه الربّ تعالى الله عن ذلك، و أقول أي لم أرجع بعد عن هذا القول، أو المعنى كنت مصرّاً على هذا القول.

و

في حديث الأربعمائة عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام: إياكم و الغلوّ فينا فإنّا

(١) قال المحدث القمي قدس سرّه في سفينة البحار ج ٦ ص ٦٨: عبد الله بن سبأ غال ملعون استهواه الشيطان و كان يأتيه و يلقي في روعه ما اعتقده من الباطل فكان يدعى النبوة و أنّ أمير المؤمنين هو الله تعالى فحبسه أمير المؤمنين عليه السلام و استتابه فلم يتب فأحرقه بالنار.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٢٧٩ ح ٢٢ عن بصائر الدرجات ص ٦٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٥٩٩  
عباد مربوبون و قولوا في فضلنا ما شئتم «١».

بل يستفاد من تتبع مذاهب الغلاة حسب ما نشير إليها في تفسير غير المغضوب عليهم: أنّ مساق الأخبار الرادة عليهم ما سمعت من الحلول و الاتحاد و الالهية و النبوة و غيرها ممّا يأتي اليه الإشارة و لذا

شبه مولينا أبو محمد العسكري عليه السلام على ما في تفسيره و في الإحتجاج بما يحكى عن قصورهم حيث قال راويا عن جدّه الرضا عليه السلام أنّهم كانوا كطلاب ملك من ملوك الدنيا ينتجعون فضله، و يأملون نائله، و يرجون التفيؤ بظله، و الانتعاش بمعرفه، و الانقلاب إلى أهلهم بجزيل عطائه الذي يعينهم على طلب الدنيا، و ينقذهم من التعرّض لدنى المكاسب و جنس المطالب، فيبناهم يسئلون عن طريق الملك ليرصدوه و قد وجهوا الرغبة نحوه و تعلقت قلوبهم برؤيته، إذ قيل سيطع عليكم في جيوشه و مراكبه و خيله و رجله، فاذا رأيتموه فأعطوا من التعظيم حقّه، و من الإقرار بالمملكة واجبه، و إياكم أن تسمّوا باسمه غيره، أو تعظّموا سواه كتعظيمه فتكونوا قد بخستم الملك حقه و أزرتم عليه، و استحققتم بذلك منه عظيم عقوبته فقالوا نحن كذلك فاعلون جهدنا و طاقتنا فما لبثوا أن طلع عليهم بعض عبيد الملك في خيل قد ضمّها إليه سيده و رجل قد جعلهم في جملته، و أحوال قد حباه بها، فنظر هؤلاء و هم للملك طالبون و استكثروا ما رأوه بهذا العبد من نعم سيده، و رفعوه عن أن يكون من هو المنعم عليه بما وجدوا معه عبدا، فأقبلوا يحيونه تحية الملك، و يسمّونه باسمه، و يجحدون أن يكون فوقه ملك، أو له مالك.

فأقبل عليهم العبد المنعم عليه و سائر جنوده بالزجر و النهي عن ذلك و البرائة مما يسمّونه به، و يخبرونهم بأن الملك هو الذي أنعم عليه بهذا و اختصّه به.

(١) الخصال: ج ٢ / ٣٧ و عنه البحار: ج ٢٥ / ٢٧٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٠٠

و ان قولكم ما تقولون يوجب عليكم سخط الملك و عذابه و يفوتكم كلّ ما أملتموه من جهته و اقبل هؤلاء القوم يكذبونهم و يزدري عليهم قولهم فما ذاك كذلك حتى غضب عليهم الملك لما وجد هؤلاء قد ساووا به عبده و أزرروا عليه في مملكته و بخسوه حقّ تعظيمه فحشرهم أجمعين إلى حبسه، و وكل بهم من يسومهم سوء العذاب، فكذلك هؤلاء وجدوا أمير المؤمنين عليه السلام عبدا أكرمه الله ليبيّن فضله و يقيم حجته فصعّروا عندهم خالقهم ان يكون جعل علينا له عبدا و كبروا علينا من أن يكون الله تعالى له ربا فسمّوا بغير اسمه فنهاهم هو و أتباعه من أهل ملّته و شيعته و قالوا لهم يا هؤلاء إنّ علينا و ولده عباد مكرمون مخلوقون مدبرون لا



يقدرُونَ إِيَّاهُ مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَلَا يَمْلِكُونَ إِلَّا مَا مَلَكَهُمْ اللَّهُ، وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا وَلَا قَبْضًا وَلَا بَسْطًا وَلَا حَرَكَةً وَلَا سَكُونًا إِلَّا مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ وَطَوَّقَهُمْ وَأَنَّ رَبَّهُمْ وَخَالِقَهُمْ يَجَلُّ عَنْ صِفَاتِ الْمُحَدَّثِينَ وَيَتَعَالَى عَنْ نَعْوَتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَأَنَّ مَنْ اتَّخَذَهُمْ أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَقَدْ ضَلُّوا سِوَاءَ السَّبِيلِ، فَأَبَى الْقَوْمُ إِلَّا جَمَاهَا، وَامْتَدَّوا فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْهَمُونَ، فَطَلَّتْ أَمَانِيَّتُهُمْ وَخَابَتْ مَطَالِبُهُمْ، وَبَقُوا فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ «١».

وَبِالْجُمْلَةِ إِنْ كَوَّنَ الشُّؤْنُ الْمَذْكُورَةَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَتَقَدِّمِ مِنَ الْمَرَاتِبِ الْإِمْكَانِيَّةِ الَّتِي يَجِبُ تَنْزِيهِ الْوَاجِبِ عَنْهَا وَيُمْكِنُ اتِّصَافُ بَعْضِ الْمُمْكِنَاتِ بِهَا مِمَّا لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَا شَبَهَةَ يَعْتَرِيهِ وَلَعَلَّ تَطْوِيلَ الْكَلَامِ فِيهِ مِنَ الْإِشْتِغَالِ بِالْوَاضِحَاتِ.  
وَمَا أَحْسَنَ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُ فَلَاسِفَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَنَّهُ كَلَّمَ مَا لَمْ يَقُمْ عَلَى امْتِنَاعِهِ صَحِيحَ الْبِرْهَانِ فَذَرَوْهُ فِي بَقْعَةِ الْإِمْكَانِ.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٢٧٧ - ٢٧٨ عن احتجاج الطبرسي ص ٢٤٢ و تفسير الامام عليه السلام ص ١٨ - ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٠١

وَأَمَّا الْمَقَامُ الثَّانِي فَلَعَلَّ الْخُطْبَ فِيهِ سَهْلٌ بَعْدَ التَّدْبِيرِ فِي الْآيَاتِ الْمَفْسُورَةِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامِ إِنْ لَمْ تَكُنْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا وَ كَذَا بِمِلَاحِظَةِ الْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي مَوَاضِعَ شَتَّى بَلْ يَسْتَفَادُ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ بَعْضِ الْخُطْبِ وَالْأَدْعِيَةِ وَالزِّيَارَاتِ الْمَأْثُورَةِ عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

فَفِي الْخُطْبَةِ الْأَمِيرِيَّةِ الْغَدِيرِيَّةِ: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، اسْتَخْلَصَهُ فِي الْقَدَمِ عَلَى سَائِرِ الْأَعْمَمِ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ بِهِ أَنْفَرِدَ عَنِ التَّشَاكُلِ وَالتَّمَاثُلِ مِنْ أَبْنَاءِ الْجِنْسِ انْتَجَبَهُ وَآمَرًا وَنَاهِيًا عَنْهُ، أَقَامَهُ فِي سَائِرِ عَالَمِهِ فِي الْأَدَاءِ مَقَامَهُ إِلَى قَوْلِهِ:

وَإِخْتِصَّ مِنْ تَكْرَمَتِهِ بِمَا لَمْ يَلْحَقْهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ بَرِيَّتِهِ، فَهُوَ أَهْلٌ ذَلِكَ لِخَاصَّتِهِ وَخَلَّتِهِ، إِذْ لَا يَخْتَصُّ مِنْ يَشُوبَةِ التَّغْيِيرِ وَلَا يَخَالِلُ «١» مِنْ يَلْحَقُهُ التَّنْظِينَ، وَإِنَّ اللَّهَ اخْتَصَّ لِنَفْسِهِ مِنْ بَعْدِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَاصِيَّةً عَلَمًا بِتَعْلِيَّتِهِ، وَسَمَا بِهِمْ إِلَى رَتْبَتِهِ، وَجَعَلَهُمُ الدَّعَاءَ بِالْحَقِّ إِلَيْهِ، وَالْأَدْلَاءَ بِالْإِرْشَادِ عَلَيْهِ، لِقَرْنِ قَرْنٍ، وَزَمَنِ زَمَنِ، أَنْشَأَهُمْ فِي الْقَدَمِ قَبْلَ كُلِّ مَذْرُوءٍ وَمَبْرُوءٍ، أَنْوَارًا أَنْطَقَهَا بِتَحْمِيدِهِ، وَأَلْهَمَهَا بِشُكْرِهِ وَتَمْجِيدِهِ، وَجَعَلَهَا الْحَجَجَ عَلَى كُلِّ مُعْتَرِفٍ لَهُ بِمَلَكَةِ الرَّبُوبِيَّةِ وَسُلْطَانِ الْعِبُودِيَّةِ، وَاسْتَنْطَقَ بِهَا الْخَرَسَانَ بِأَنْوَاعِ اللُّغَاتِ بِخَوْعَا «٢» لَهُ بِأَنَّهُ فَاطِرُ الْأَرْضِينَ وَالسَّمَوَاتِ، وَأَشْهَدُهُمْ خَلَقَ خَلْقَهُ، وَوَلَّاهُمْ مَا شَاءَ مِنْ أَمْرِهِ، وَجَعَلَهُمْ تَرَاجِمَ مَشِيئَةٍ، وَالسَّنَّ إِرَادَتِهِ، وَعَيَّدَا لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

الخطبة رواها الشيخ أبو جعفر الطوسي بالإسناد في متهجدته

وفيها وجوه من الدلالة لا تخفى على من تأملها و

روى أيضا التوقيع الخارج من الناحية المقدسة المشتمل على قوله: و مقامك التي لا تفصيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك،

(١) يخالته: يصادقه و يتخذة خليلا.

(٢) بخع له بخوعا: أقر له إقرار المدعن. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٠٢

لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ فَتَقَهَا وَرَتَقَهَا بِيَدِكَ بَدُوَهَا مِنْكَ وَوَجُودَهَا إِلَيْكَ أَعْضَاءَ وَأَشْهَادَ وَمَنَاةَ وَأَزْوَادَ وَحِفْظَةَ وَرَوَادَ فِيهِمْ مَلَاتِ سَمَاةَ كَ وَأَرْضُكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ «١». الدَّعَاءُ.

وَسَتَسْمَعُ تَمَامَ الْكَلَامِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الشَّرِيفَةِ النُّورَانِيَّةِ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: مَا أَشْهَدُ تَهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُنْجِدَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا «٢».

و

فِي الْكَافِي فِي بَابِ نَوَادِرِ التَّوْحِيدِ عَنْ مَوْلَانَا الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا فَأَحْسَنَ خَلْقَنَا، وَصَوَّرَنَا فَأَحْسَنَ صُورَنَا، وَجَعَلَنَا

عينه في عباده، و لسانه الناطق في خلقه، و يده المبسوطة على عباده بالرأفة و الرحمة، و وجهه الذي يؤتى منه، و بابه الذي يدلّ عليه، و خزائنه في أرضه، بنا أثمرت الأشجار، و أينعت الثمار، و جرت الأنهار، و بنا ينزل غيث السماء، و نبت عشب الأرض، و بعبادتنا عبد الله و لو لا نحن ما عبد الله «٣».

و

فيه في باب مولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بالإسناد عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السّلام فأجريت اختلاف الشيعة فقال يا محمد إن الله تبارك و تعالى لم يزل متفرّدا بوحدانيته ثم خلق محمداً و علياً و فاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها و أجرى طاعتهم عليها، و فوّض أمورها إليهم، فهم يحلّون ما يشاؤون، و يحرمون ما يشاؤون، و لن يشاءوا إلّا أن يشاء الله تبارك و تعالى ثم قال يا محمد هذه الديانة التي من تقدّمها مرق، و من تخلّف عنها محق، و من لزمها لحق،

(١) بحار الأنوار: ج ٩٨ / ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٢) الكهف: ٥١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٤ / ١٩٧ ح ٢٤ - و ج ٢٥ ص ٥ ح ٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٠٣.

خذها إليك يا محمّد «١».

و مثله في الاختصاص عنه عليه السّلام «٢».

و

في الخرائج عن مولينا الصادق عليه السّلام انه قال لداود الرقيّ يا داود لو لا اسمي و روحى لما أطردت الأنهار و لا أينعت الثمار و لا اخضرت الأشجار «٣».

و قد مرّ في مواضع من هذا التفسير بعض الأخبار الدالّة على هذا المرام، و سيأتي جملة مقنعة منها أيضا فيما يأتي من الكلام، فان تطويل الكلام بذكر الاخبار يخرجنا عمّا نحن بصدده من الإيجاز و الاختصار.

و الإنصاف أنّ من كان مانوسا مطالعا على الآثار الماثورة في هذه الشريعة الحقّة النبويّة المصطفوية على صاعدها ألف صلوة و سلام و تحيّة يحصل له العلم اليقيني البرهاني بل الشهودي العياني أولا باستحقاق مولينا أمير المؤمنين و ذريته الطيبين صلوات الله عليهم أجمعين للخلافة الحقّة و الوصاية المطلقة الاتصاليّة، و ثانيا بثبوت تلك الفضائل و المقامات و المراتب التي ربّهم الله تعالى فيها حسب ما وقع التصريح بها في الأخبار المتواترة التي تصدّى لجمعها علماؤنا الأعلام رفع الله أقدارهم في دار السلام و كفاك في ذلك التدبر في الزيارة الجامعة الكبيرة فإنّها بحر الأنوار، و مخزن كنوز الأسرار، و هو الكتاب الناطق بمفاخر الائمة الأطهار.

و المناقشة بضعف السند أو الدلالة في هذه الأخبار ضعيفة جدّا بعد تتبعها و الاطلاع بها و قوّة دلالتها و تكررهما في الأصول و تلقّيها بالقبول عن كثير من الفحول، و موافقتها لحكم الأئمة و القبول.

و من التعجب أنّ كثيرا ممّن أسئل الله العافية من الابتلاء بهم يتلقّى الزيارة

(١) أصول الكافي ج ١ ص ٤٤٠ و ٤٤١ و عنه البحار ج ٢٥ ص ٣٤٠ ح ٢٤.

(٢) الاختصاص ص ٣٢٧ و عنه البحار ج ٢٥ ص ٣٣٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٧ / ١٠٠ ح ١٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٠٤.

الجامعة و غيرها من الزيارات و الأدعية و الاخبار المشتملة على غرائب أحوالهم عليهم السّلام على وجه التسليم و القبول ثم إذا سمعوا

منك شيئاً من فضائلهم سلقوك بألسنة حداد، وقالوا: هذا غلوٌ وإلحاد، وأعجب منه أنني رأيت غير مرة بعض الشعراء قد انشد القصائد الغراء في مدح بعض العلماء الأجلّاء، و ذكر فيها ان القدر نافذ بإذنك والقضاءها وبأمرك وغيره ممّا يساوق هذا المعنى فقرأها عليهم في محضرهم فسكتوا عنه بل اطروا في الثناء عليه، وأحضروا الجوائز بين يديه، وإذا سمعوه في حقّ مولينا أمير المؤمنين عليه السّلام زعموا العالی غاليا والقالی موالیا فبادروا فی الإنكار عليك أو همّوا وحسبوا أن لا تكون فتنه فعموا و صمّوا، و ممّا يحضرني الآن من الأشعار التي أنشدوها في مدح هؤلاء الفضلاء هذا:

دست تو رازق است و ضمير تو غيب دان بي دعوى خدائي و لاف پيغمبري

فان قلت: إنّ الوساطة و الباطية في مثل الشؤون المتقدمة و ان كانت ثابتة لهم للأخبار و غيرها إلا أنّ ذلك لا يسمّى خلقاً و رزقا، و لا فاعله خالقا و رازقا ضرورة عدم استقلاله في شيء من ذلك، و من البين اعتبار الاستقلال و التّأصل في مفهوم اللّفظين و غيرهما يأبى عن صدقه على غيره سبحانه.

قلت: مع الغصّ عن رجوع ذلك إلى الوضع اللفظي الذي لا ينبغي البحث فيه لا ريب في إطلاق الخلق و الرزق في حقّ غيره سبحانه في الآيات و غيرها كخلق المسيح، و السامريّ، و الملكين الخالقين، و حسبك في ذلك ملاحظة التفضيل المثبت للشركة في قوله: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١) سيّما بعد ما

ورد في تفسيره عن مولينا الرضا عليه السّلام أنّه سئل أو غير الخالق الجليل خالق؟ فقال: إنّ الله

(١) المؤمنون: ١٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٠٥

تعالى قال: أحسن الخالقين، و قد أخبر أنّ في عباده خالقين و غير خالقين، منهم عيسى بن مريم خلق لهم من الطين كهيئة الطير بإذن الله، و السامريّ خلق لهم عجلا جسدا له خوار (١).

بل

روى النعماني عن مولينا الصادق عليه السّلام أنّه سئل أمير المؤمنين عن متشابه الخلق فقال عليه السّلام: هو على ثلاثة أوجه: فمنه خلق الاختراع كقوله: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ (٢).

و خلق الاستحالة كقوله: يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ (٣)، و قوله: خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ (٤).

و خلق التقدير كقول الله تعالى لنبية عيسى على نبينا و آله و عليه السلام:

وَ إِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ (٥)، (٦)

و قد سمعت أنّ نسبة الخالقيّة و غيرها اليه سبحانه و الي عباده المكرمين و ملائكته المقربين على وجوه مختلفة، و إن كانت من جهات اخرى غير مذكورة في الخبر فإنّ المراد الإشارة إلى نوع الاختلاف، و من هنا و غيره ممّا مرّ يظهر الجواب عن الاستدلال بالآيات الدالة على نسبة الخالقيّة اليه سبحانه دون غيره، فإنّ فعل عبيده فعله، لأنّهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بامرهم يعملون، كما أجاب به مولينا أمير المؤمنين في خبر سؤال الزنديق المتقدم ذكره.

بل لما اندكت جبل اتياتهم من أشعة تجليات العظمة و الجلال، و أشرقت على

(١) بحار الأنوار: ج ٤ / ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) الأعراف: ٥٣، يونس: ٣، هود: ٥٧، الحديد: ٤.

(٣) الزمر: ٦.

(٤) غافر: ٦٧.

(٥) المائدة: ١١٠.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٠ / ٣٣٣ عن النعماني.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٠٦

حقائقهم القدسيّة في مقام الوصال عند انتهاء قوس الإقبال أنوار الكمال و الجمال كانت قلوبهم أوعية لمشيئة الله التي هي أصل صفات الأفعال.

ولذا

روى في الخرائج عن مولينا القائم المهدي عجل الله فرجه و سهّل مخرجه و أوسع منهجه أنّه سئل عن المفوضة فقال عليه السلام: كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله عز و جلّ فاذا شاء شئنا. ثمّ تلا قوله تعالى: وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ «١». «٢»

فتدبّر في اشتغال هذا الخبر على نوعي التفويض اللذين أحدهما شرك و الآخر ايمان، حسب ما مرّ بيانه كي يظهر لك الجواب عمّا في السؤال أيضا من

قول مولينا الصادق عليه السلام: من زعم أنّا خالقون.

و أمّا عدّ نفى السهو عنهم عليهم السلام غلوا فليس يبدع منهم بعد ما اشتهر من القميين بل و بعض أئمة الرجال أيضا كابن الغضائري، وغيره من نسبة الراوي إلى الغلو و الارتفاع بمجرد رواية بعض الأخبار الدالّة على ثبوت بعض المراتب و الفضائل للنبي و الأئمة عليهم السلام، و لذا طعنوا في كثير من الرواة بذلك، بل رماوا به كثيرا من خواص أصحابهم و ثقافتهم و بطانتهم كمحمّد بن سنان، و المعلى بن الخنيس، و المفضل بن عمر، و نصر بن صباح، و غيرهم من الاجلّة و المشايخ الذين قلّ من سلم من الطعن بذلك، و غيره من المفسد الذين هم منزّهون منه كما تبّه عليه المحقّق البهبهاني في تعليقاته الرجاليّة بل قال: إنّ نسب ابن طاووس، و الخواجه نصير الدين، و ابن فهد، و الشهيد الثاني، و شيخنا البهائي و جدّي العلامة التقى المجلسي و غيرهم من الاجلّة إلى التصوّف، و غير خفي أنّ ضرر التصوّف إنّما هو فساد

(١) الدهر: ٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٣٣٧ عن غيبة الطوسي ص ١٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٠٧

الإعتقاد من القول بالحلول، أو الوحدة في الوجود، و الاتحاد أو فساد الأعمال كالأعمال المخالفة للشرع التي يرتكبها كثير من المتصوّفة في مقام الرياضة أو العبادة، و غير خفيّ على المطلعين على أحوال هؤلاء الاجلّة أنّهم منزّهون عن كلا الفسادين قطعا، و نسب جدّي العالم الرباني محمد صالح المازندراني و غيره من الاجلّة إلى القول باشتراك اللفظ، و المحمّدون الثلاثة كابن الوليد إلى القول بتجويز السهو على النبي صلى الله عليه و آله و سلّم.

و نسب الصدوق بل و ابن الوليد منكر السهو إلى الغلو، و بالجملة أكثر الاجلّة ليسوا بخالصين عن أمثال ما أشرنا اليه.

أقول و لله درّه قدس سرّه حيث شمر عن ساق الجدّ و الاجتهاد لدفع المطاعن التي قد حوا بها في كثير من رواة الأخبار و أصحاب الأئمة الاطهار، حتّى انه أصلح كثيرا من الجراحات الواقعة عليهم من مطاعن الشيخ الحسين بن عبد الله الغضائري الذي قيل لا يكاد يسلم جليل من قدحه و جرحه، و غيره من المشايخ سيّما القميين الذين لا ينبغي ان يقال فيهم بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه و لما يأتهم تأويله، و ذلك لأنّه كان ناشيا من شدّة ورعهم و احتياطهم في الدين و إن كان ذلك سببا للقدح في أخبار عديده مستمرا الى مدّة مديدة سيّما مع تنوع الأخبار إلى أقسام الاربعة، و غيرها من الاصطلاحات الجديدة، و بالجملة الظاهر أنّ منشأ كلّ ذلك عدم استقرار المذهب و اختلاط أهله مع العامّة العمياء خذلهم الله، و شدّة التقية، و عموم البلية و تشتت المؤمنين في البلاد، و ظهور الفساد

من أهل العناد، و اختلاط الأخبار، و عدم اجتماع الآثار الواردة في كل باب من الأبواب، و قصور كثير من الأنظار، و عدم تفرغهم للتدبر في الآيات و الأخبار.

و لذا صدرت من بعضهم جملة من المذاهب الفاسدة التي ربما قامت الضرورة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٠٨

على عنادها في مثل هذه الأزمنة، كما تبه عليه الشيخ سليمان «١» صاحب «المعراج» و غيره من الأجلة فإن العلامة حكى في «الخلاصة» عن الشيخ أبي جعفر الطوسي قدس سره انه كان يذهب إلى مذاهب الوعيدية، و هو و شيخه المفيد إلى أنه تعالى لا يقدر على غير مقدور العبد كما هو مذهب الجبائي «٢» و السيد المرتضى رضى الله عنه إلى مذهب البهشمية من أن إرادته تعالى عرض لا في محل. و الشيخ الجليل ابو سهل إسماعيل النوبختي «٣» إلى جواز اللذة العقلية عليه سبحانه، و ان مهيته تعالى معلومة كوجوده، و ماهيته الوجود المعلوم، و أن المخالفين يخرجون من النار و لا يدخلون الجنة.

و محمد بن ابى عبد الله الأسدي «٤» إلى الجبر و التشبيه، و الصدوق، و شيخه ابن الوليد، و الطبرسي في مجمع البيان إلى جواز السهو على النبي عليه السلام و غير ذلك مما يطول به الكلام.

و من ذلك ما مر في السؤال من إنكار عالم الذرات، بل إنكار سبق خلق الأرواح على الأبدان كما ذهب إليه الشيخ المفيد و السيد المرتضى و غيرهما، لكن المتتبع المطلاع على أخبار الأئمة الاطهار يعلم أن إثباتهما كان من ضروريات

(١) هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن علي البحراني المتوفى (١١٢١) ه و كتابه معراج أهل الكمال الى معرفة الرجال شرح لفهرست شيخ الطائفة لم يتم بل خرج منه حرف الألف و الباء و التاء فقط- الذريعة ج ٢١ ص ٢٢٨.

(٢) هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب أبو هاشم الجبائي من شيوخ المعتزلة توفي سنة (٣٢١) ه- معجم المؤلفين ج ٥ ص ٢٣٠.

(٣) هو إسماعيل بن علي بن إسحاق أبو سهل النوبختي المتكلم الامامي البغدادي المعاصر لأبي القاسم الحسين بن روح السفير للإمام عليه أفضل الصلاة و السلام.

(٤) هو محمد بن أبي عبد الله جعفر بن محمد بن عون الأسدي الرازي الامامي الثقة، روى عنه الكليني المتوفى (٣٢٩) ه كثيرا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٠٩

مذهب الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

و لذا قال شيخنا المجلسي بعد نقل جملة منها في جامعة بحار الأنوار و حكاية هذا القول عنهم أن طرح هذه الأخبار بأمثال تلك الدلائل الضعيفة و الوجوه السخيفة جراءة على الله و على أئمة الدين، و لو تأملت فيما يدعوهم إلى ذلك من دلائلهم و ما يرد عليها من الاعتراضات الواردة لعرفت أن بأمثالها لا- يمكن الاجترار على طرح خبر واحد فكيف يمكن طرح تلك الاخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها و بأمثالها «١». انتهى.

على أن الشيخ المفيد مع غاية مبالغته في إنكار الأمرين لما لاحظ صحة أخبار الباب و قوة دلالتها ألجأه ذلك إلى أن قال: و الصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقات بان آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحا فسئل الله تعالى عنها، فأوحى اليه أنها أشباح رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أمير المؤمنين و الحسن و الحسين و فاطمة صلوات الله عليهم، و أعلمه أن لو لا الأشباح التي راها ما خلقه، و لا خلق سماء و لا أرضا.

و الوجه فيما أظهره الله تعالى من الأشباح و الصور لآدم أن دله على تعظيمهم و تبجيلهم، و جعل ذلك إجلالا- لهم، و مقدمه لما يفترضه من طاعتهم و دليلا على أن مصالح الدين و الدنيا لا تتم إلا بهم، و لم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيئة، و لا أرواحاً ناطقة لكنها كانت على مثل صورهم في البشريّة يدل على ما يكونون عليه في المستقبل في الهيئة و النور الذي جعله عليهم يدل على نور

الدين بهم و ضياء الحق بحججهم، و  
قد روى أن أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش و أن آدم عليه السّلام لما تاب إلى الله عز و جلّ و ناجاه بقبول توبته سئله  
بحقّهم عليه و محلّهم عنده

(١) بحار الأنوار: ج ٥ / ٢٦٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦١٠.  
فأجابه.

و هذا غير منكر في العقول و لا مضادّ للشرع المنقول و قد رواه الصالحون الثقات المأمونون و سلّم لروايته طائفة الحق و لا طريق إلى  
إنكاره. «١» انتهى.

فانظر كيف اضطره صحّة الخبر إلى حمله على ما يقطع بفساده من له أدنى اطلاع باخبار الباب، و ليت شعري ما المانع من حمل هذه  
الأخبار على ظواهرها؟

و ما الصارف عنها إلى مثل هذه المحامل، و لعلّ هذا كلّه ناش عن الاستيناس بأصول غير مؤسّسة كلامية عامية، و لذا ليس عندهم  
للإمام فضل على غيره من الأنام إلّا في قليل من العلوم المتعلّقة بالاحكام، و يتحاشون عن إثبات ما تقتضيه العصمة و الولاية في الأمور  
التشريعية، فضلاً فتبعهم من ليس منهم غفلة عن حقيقة الحال، حتّى أنكروا كون النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و الأئمّة عليهم  
السّلام حجّة لله على جميع ما خلق، مع أنّهم بهم فتح الله و بهم يختم، و بهم ينزل الغيث، و بهم يمسك السماء أن تقع على الأرض  
إلّا باذنه، طأطأ كلّ شريف لشرفهم، و بزع كلّ متكبر لفضلهم، و ذلّ كلّ شيء لهم، و أشرقت الأرض بنورهم، و فاز الفائزون  
بولايتهم، و قد أخذ الله ميثاق ولايتهم على جميع الأنبياء و الأوصياء و الشهداء و الصديقين و الصالحين، و الملكة المقربين، و الخليل  
لما عهدوا منه الوفاء ألّبسوه حلة الاصطفاء، و روح القدس في الجنان الصاقورة ذاق من حدائقهم الباكورة، و بهم ابتلى من ابتلى من  
الأولين و الآخرين، و نجا من نجا و هلك من هلك، ما من مولود يولد و لا أحد يموت و يبعث إلّا بحضورهم و بايتهم و وساطتهم و  
هم الحجج على العوالم لاثنى عشر ألف عالم كلّ عالم أكبر من السموات و الأرض أو الألف ألف عالم و ألف ألف آدم، و لا يكون  
الحجّة على قوم إلّا من يعلمهم و يشهدهم، فهم يد الله الباسطة، و قدرته القاهرة،

(١) بحار الأنوار: ج ٥ / ٢٦٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦١١

و مشيئة النافذة، و عينه الناظرة.

و لذا

قال الصادق عليه السّلام لليمنى الذى حضر مجلسه: إنّ عالم المدينة يسير فى ساعة من النهار مسير ألف ألف سنة حتى يقطع الف  
عالم مثل عالمكم هذا «١».

و

قال ابو جعفر عليه السّلام لميسر الذى قال: قمت ببابه فخرجت جارية خماسية فوضعت يدي على رأسها فنادانى عليه السّلام من أقصى  
الدار: ادخل لا أبأ لك لو كانت هذه الجدر تحجب أبصارنا كما تحجب أبصاركم لكننا نحن و إياكم سواء «٢».

و

فى الآثار الجعفرية روحى له الفداء: الدنيا ممثلة للإمام كفلقة الجوزة فى يد أحدكم «٣».

و

عنه عليه السّلام يا مفضل إنّ العالم منا يعلم كلّ شيء حتّى تقلّب جناح الطير في الهواء و من أنكر من ذلك شيئاً فقد كفر بالله من فوق عرشه و أوجب لأوليائه الجهل، و هم حلماء علماء أبرار أتقياء يا مفضل من زعم أنّ الإمام من آل محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم يعزب عنه شيء في السموات و الأرض من الأمر المحتوم فقد كفر بما أنزل الله على محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و في البحار عن نواذر الحكمة عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: يا حمران إنّ الدنيا عند الامام و السموات و الأرضون إلّا هكذا، و أشار بيده إلى راحته، يعرف ظاهرها و باطنها و داخلها و خارجها و رطبها و يابسها «٤».

و فيه عن أبي بصير قال كنت عند أبي عبد الله عليه السّلام فدخل عليه المفضّل بن عمر

(١)

في البحار ج ٢٢٨ / ٥٥ عن البصائر: يسير في ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتى يقطع اثني عشر الف عالم مثل عالمكم هذا ... (٢) البحار: ج ٢٥٨ / ٤٦.

(٣) البحار: ج ٣٦٨ / ٢٥ عن البصائر ص ١٢١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٨٥ / ٢٥ ح ٤٢ و فيه بعد ذكر الحديث: بيان: (إن الدنيا): إن نافية، أو حرف النفي ساقط، أو مقدّر، أو إلّا زائدة. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦١٢

فقال: مسألة يا بن رسول الله قال: سل يا مفضل، قال: ما منتهى علم العالم؟ قال:

قد سئلت جسيما و لقد سئلت عظيما ما السماء الدنيا في السماء الثانية إلّا كحلقة درع ملقاة في أرض فلاة، و كذلك كلّ سماء اخرى، و كذلك السماء السابعة عند الظلمة، و لا الظلمة عند النور، و لا ذلك كلّ في الهواء و لا الأرضون بعضها في بعض، و لا مثل ذلك كلّ في علم العالم يعني الامام إلّا مثل مدّ من خردل دقته دقا ثم ضربته بالماء حتّى إذا اختلط و رخا «١» أخذت منه لعقة يا صبيحك و لا علم العالم في علم الله تعالى إلّا مثل مدّ من خردل دقته دقا ثم ضربته بالماء حتى إذا اختلط و رخا انتهزت منه برأس ابرة نهزة «٢».

إلى غير ذلك من الاخبار الكثيرة التي ستسمع الكلام فيها عند تفسير قوله تعالى: و ما كان الله ليطلعكم على الغيب و لكنّ الله يجتبي من رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ «٣».

و

كان مولينا أمير المؤمنين عليه السّلام يقول غير مرّة على ما رواه المخالف و المؤالف: سلوني قبل ان تفقدوني فأنا بطرق السماء اعلم مني بطرق الأرض «٤».

قد علّم بعض أصحابه علم البلايا و المنايا، و قصّة رشيد الهجري و حبيب بن مظاهر، و ميشم التّمار مشهورة مذكورة في كتب الرجال و غيرها، و إرائتهم ملكوت السموات و الأرضين لأبي بصير و غيره مشهور مستفيض.

و انكار غرائب أحوال سلمان ممّا لا يليق باهل الإيمان فاذا عرفت أحوال أصحابهم فما ظنّك بهم فإنّهم نور الله المخزون، و سرّ الله المكنون، و امره بين الكاف

(١) رخا اللين: صار له رغوّة أى الزيد.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٨٥ / ٢٥ ح ٤٣- و الانتهاز: الأخذ بالسرعة.

(٣) آل عمران: ١٧٩.

(٤) ينابيع المودة ص ٦٦ ط اسلامبول و عنه ملحقات الإحقاق ج ٧ ص ٦١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦١٣

و النون، خلقهم الله تعالى نورا فجعلهم محددين بعرش العظمة و الجلالة حتى من الله تعالى علينا بهم فجعلهم فى بيوت من أبدانهم الناسوتية و هياكلهم البشرية كما

قالوا نحن اسرار الله المودعة فى الهياكل البشرية

فهم من الله و الكل منهم كما

فى الخبر و خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة، و هم صنائع الله، و الخلق بعد صنائع لهم، أو صنائعهم على اختلاف الخبر، فإن الأول مروى عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام مذکور فى نهج البلاغة «١» و الثانى عن الحجة المنتظر عجل الله فرجه كما نقله فى الاحتجاج «٢».

أشهدهم الله خلق الأشياء، و أجرى طاعتهم عليها، فميتهم إذا مات لم يمت، بل هم أحياء عند ربهم يرزقون، و غائبهم إذا غاب لم يغب، بل هم للأشياء مشاهدون، فلا يعزب عنهم شىء فى الأرض و لا فى السماء بإذن خالقهم و بارئهم.

فلا ينبغى الإصغاء الى ما يقال: من أنه لا علم لهم بما غاب عنهم و بما استقبل من أحوالهم و أحوال غيرهم نظرا إلى أنه تعالى: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول و ما كان الله ليطلعكم على الغيب و لكن الله يجتبي من ربه من يشاء.

إذ مع الغص عن الاستثناء فى الأول و الإستدراك فى الثانى لا يخفى أن علمهم ليس علما بالغيب بل هو تعلم من ذى علم كما أجاب به مولينا أمير المؤمنين عليه السلام من اعترضه بمثل ذلك على ما فى نهج البلاغة «٣».

على أنه لا ينكر و لا يدافع علمهم بالكتاب الذى فيه تفصيل كل شىء مما كان أو يكون إلى يوم القيمة من الأمور التكوينية و التشريعية و الجزئية و الكلية، كما

(١) نهج البلاغة: الرسالة (٢٨) و عنه البحار ج ٣٣ ص ٥٨ ح ٣٩٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٣/١٧٨ ح ٩ عن الاحتجاج.

(٣) نهج البلاغة ج ١ ص ٢٤٥ و عنه البحار ج ٢٦ ص ١٠٣ ح ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦١٤

فى الآيات الكثيرة و الأخبار المستفيضة بل المتواترة.

إلا أن بعض من لم يطلع على غرائب أحوالهم قاس حالهم بحالهم، و لذا قال السيد المرتضى رضى الله عنه فى كتابه «تنزيه الأنبياء» معترضا على نفسه بما حاصله أنه ما العذر فى خروج مولينا سيد الشهداء روى له الفداء من مكة بأهله و عياله إلى الكوفة و المستولى عليها أعدائه و كيف خالف ظنه ظن جميع نصحائه فى الخروج؟

و ابن عباس يشير بالعدول عن الخروج و يقطع على العطب فيه، و ابن عمر لما ودعه يقول له: أستودعك من قتيل، ثم كيف لم يبايع يزيد حقنا لدمه و دماء من معه من أهله و شيعته و مواليه؟ و لم ألق بيده إلى التهلكة؟ الى آخر ما ذكره.

ثم أجاب بما حاصله أن الإمام متى غلب على ظنه أنه يصل إلى حقه و القيام بما فوض اليه بضرب من الفعل، و جب عليه ذلك، و ان كان فيه ضرب من المشقة يتحمل مثلها، و سيدنا ابو عبد الله عليه السلام لم يسر إلى الكوفة إلا بعد توثق من القوم و عهود و عقود، و

بالجملة أسباب الظفر بالأعداء كانت لائحة، و ان الاتفاق السبى هو الذى عكس الأمر و قلبه حتى تم فيه ما تم ... الى أن قال:

و ليس يمتنع أن يكون عليه السلام فى تلك الحال مجوزا أن يفىء اليه قوم ممن بايعه و عاهده، ثم قعد عنه و يحملهم ما يرون من صبره و استسلامه و قلة ناصره على الرجوع إلى الحق دينا أو حمية فقد فعل ذلك تفر منهم حتى قتلوا بين يديه شهداء و مثل هذا



يطمع فيه و يتوقع في أحوال الشدة.

فأما الجمع بين فعله و فعل أخيه الحسن فواضح صحيح، لأن أخاه سلم كفاً للفتنة و خوفاً على نفسه و أهله و شيعته و إحساساً بالعدو من أصحابه و الحسين عليه السلام لئلا يلقى قويا في ظنه النصره ممن كاتبه و وثق له، و رأى من أسباب قوة نصار الحق و ضعف نصار الباطل ما وجب معه عليه الطلب و الخروج، فلما انعكس ذلك و ظهر أمارات العدو و سوء الاتفاق رام الرجوع، و المكافئة و التسليم كما فعل أخوه فمنع

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦١٥

من ذلك، و حيل بينه و بينه، فالحالان متفقان إلا أن التسليم و المكافئة عند ظهور أسباب الخوف لم يقبل منه عليه السلام «١». انتهى ملخصاً فانظر إلى هذا الجليل الذي لا يجوز عنده إلا العمل على العلم لانسداد باب الظن عنده للمجتهد كيف فتح باب العمل بالظن للإمام عليه السلام سيما مثل هذا الظن الذي أطبق على خلافه جميع نصحاءه و هم مصيبون، ثم كيف التزم بإصابة ابن عباس و عبد الله بن عمرو غيرهما في ظنونهم، و خطأ الإمام عليه السلام في ظنه، ثم كيف اعتمد عليه السلام على مثل هذا الظن، و متى رام الرجوع و التسليم فلم يقبل منه فوا عجابه كيف لم يكن عليه السلام عالماً بما يجرى عليه من الرزايا و البلايا و قد أخبر الله تعالى نبيه في آيات كثيرة من القرآن تأويلاً و تنزيلاً بما يجرى عليه كقوله:

كِهِيعصَ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا «٢»، وَ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ «٣».

وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ «٤»، فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ «٥»، يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ «٦»، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ «٧»، فَانظُرْ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ «٨»، وَ قَدِينَاهُ بِذُبْحٍ عَظِيمٍ «٩»، فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ «١٠».

إلى غير ذلك من الآيات التي لا يخفى على من لاحظ الاخبار المأثورة في

(١) تلخيص الشافى ج ٤ ص ١٨٢ مع التلخيص - تنزيه الأنبياء ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) الإسراء: ٣٣.

(٣) التكوير: ٨.

(٤) الأحقاف: ١٥.

(٥) البقرة: ٢٤٦.

(٦) الفجر: ٢٧.

(٧) الحج: ٤٠.

(٨) الصافات: ٨٨.

(٩) الصافات: ١٠٧.

(١٠) البقرة: ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦١٦

تفسيرها و تأويلها، أن الله تعالى أخبر ساير الأنبياء أيضا بذلك، و قد أخبر رسول الله و أمير المؤمنين و فاطمة الزهراء، و السبط المسموم، و الشهيد المظلوم، صلى الله عليهم أجمعين كلهم بذلك في أخبار كثيرة متفردة بالتصانيف إلى دعاء الثالث من شعبان: بكته السماء و من فيها و الأرض و من عليها و لما يطأ لابتيتها «١» و هو تأويل قوله: فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ «٢» من باب مفهوم المخالفة.

فهل كان عليه السلام و العياذ بالله جاهلاً بجميع تلك الآيات و الأخبار التي قرع الأسماع، و ملأ الأصقاع، حتى أخبروا عليهم السلام

الكفرة الفجرة الذين يقتلونهم و يظلمونهم بذلك، إلى غير ذلك، مما لا يحتمل المقام ذكرها، و لا ذكر أسباب الشهادة و اسرارها من نيل الشفاعة، و حفظ الدين، و كشف الكفر عن العالمين، و لا استقصاء الاعتراضات الواردة على عبارة السيد «ره» و ان صدر عن بعض المتأخرين أيضا ما يقرب منه.

فإن الفاضل القمي رحمه الله في باب ترك الاستفصال من قوانينه تمسك بأصالة عدم علم الإمام فلاحظ «٣».

و شيخنا الفقيه صاحب جواهر الكلام استشكل في باب تحديد الكر بالوزن و المساحة و عدم انطباقهما معا بل نقصان الوزن عن المساحة بالمذهب المشهور دائما بأنه لا داعى إلى هذا التقدير المختلف بعد علمه بنقص الوزن عن المساحة دائما مع القدرة على ضابط بغير ذلك منطبق عليه.

ثم أجاب عنه بأن دعوى علم النبى صلى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السلام بذلك ممنوعة و لا غضاضة لأن علمهم عليهم السلام ليس كعلم الخالق عز و جل فقد يكون قدره بأذهانهم

(١) مصباح المتعجب: ص ٧٥٨.

(٢) الدخان: ٢٩.

(٣) قوانين الأصول الباب الثالث في العموم و الخصوص ص ٢٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦١٧

الشريفة و أجرى الله الحكم عليه «١».

أقول: و لنا على جواهر الكلام حواشى و تعليقات ذكرت في هذا الموضوع منها: قوله: و لا غضاضة، آه، بل فيه غضاضة و أى غضاضة لأنه لو أنكر علم النبى و الأئمة عليهم السلام بالنسبة إلى التكويتات فلا سبيل إلى إنكاره فى التشريعات يتعلق بها من الموضوعات سيما بعد شهادة الله تعالى له بقوله: و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى «٢»، و قوله: إن أتبع إلا ما يوحى إلى «٣»، و لا ريب أن الكر و إن كان الموضوعات لكنه يناط به كثير من الأحكام بل لعله من الموضوعات الشرعية من حيث التّحديد، و بالجملة دعوى جهل النبى و الأئمة عليهم السلام بالكر الحقيقى أو بتفاوت التقرين لعله إقرار بجهلهم بالشرع المبين أو تقولهم على الله تعالى بالخرص و التخمين، و قد قال الله تعالى: و لو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين «٤».

و لعمري إن مثل شيخنا الشارح لا ينبغي ان ينسب اليه مثل هذا التقريب الذى هو أقرب إلى التباعد، فكيف إلى النبى صلى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السلام الذين هم مهبط الوحي و خزان العلم فكيف يقدرّون بأذهانهم الشريفة مثل هذا التقدير، و كيف يقع إجراء الحكم عليه من اللطيف الخبير.

هذا كله مع الغض عن علمهم بالقرآن الذى فيه كل شىء من الحلال و الحرام مما يحتاج اليه الامة إلى يوم القيامة بل جميع الحوادث و الكينونات و لو من غير

(١) الجواهر ج ١ ص ١٨٢.

(٢) النجم: ٣.

(٣) الأنعام: ٥٠.

(٤) الحاقة: ٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦١٨

الأحكام لقوله: ما فرطنا فى الكتاب من شىء «١»، و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء «٢»، و لا رطب و لا يابس إلا فى كتاب مبين

«٣».

و

عن الباقر عليه السلام ان الله لم يدع شيئاً يحتاج إليه الا أنزله في كتابه و بينه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم «٤».

و

عن الصادق عليه السلام ما من امر يختلف فيه اثنان و له أصل في كتاب الله و لكن لا تبلغه عقول الرجال «٥».

و

عنه عليه السلام ان الله انزل في القرآن تبيان كل شيء حتى و الله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتى لا يستطيع عبد يقول لو كان هذا انزل في القرآن «٦».

إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة الدالة على علمهم بما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة، و بخبر السماء و بخبر الأرض، و خبر الجنة و النار، و ان ذلك كله بتعليم من الله فلا ينافي ذلك ظاهر قوله: و ما كان الله ليطلعكم على الغيب و لكن الله يجتبي من رسله من يشاء «٧» و قوله: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول «٨»، فإن النبي و الائمة عليهم السلام هم المستثنون في الآيتين، بل هو المرتضى و هم المجتوبون كما يؤمى إليه بعض الأخبار.

مضافاً إلى أن لنا طرقاً أخرى إلى إثبات علمهم عليهم السلام بجميع الأمور التكوينية

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) الانعام: ٥٩.

(٤) الكافي ج ١ ص ٥٩ ح ٢.

(٥) الكافي ج ١ ص ٦٠ ح ٦.

(٦) الكافي ج ١ ص ٥٩ ح ١.

(٧) آل عمران: ١٧٩.

(٨) الجن: ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦١٩

و التشريعية لعموم ولايتهم في الأمرين و برزخيتهم الكبرى في البين، مع كونهم الأشهاد في خلق الأرض و السموات و الأعضاء لبارئ الكائنات إلى غير ذلك مما قصرت عن نيل إدراكه أكثر الأفهام فالأولى أن نقبض عنان الكلام كيلا تتحرك سلسلة جحود اللثام و على الله التوكل و به الاعتصام.

(نصيحة): اعلم يا أخي و حبيبي أنه لم يسعنا في المقام إقامة الحجّة على غرائب أحوالهم عليهم السلام على وجه الاستقصاء لتوقفها على مقدمات كثيرة، و إثبات أمور لا يهمننا البحث عنها في المقام، و لعلنا نشير إلى جملة وافيه منها في مواضع من هذا التفسير، فإن حصل لك التصديق التفصيلي أو الإجمالي بها أو شيء منها فكن لله من الشاكرين، و ألا فإياك ثم إياك أن تبادر إلى الإنكار و التكذيب لما بلغك عنهم أو نسب إليهم فتكون من الهالكين.

قال مولينا الصادق عليه السلام: لا تكذبوا بحديث أتاكم أحد فإنكم لا تدرّون لعلّه من الحقّ فتكذبوا الله فوق عرشه «١».

و

عن أبي الحسن عليه السلام أنه كتب في رسالته كتبها إلى علي بن سويد السائي: و لا تقل لما بلغك عنّا أو نسب إلينا: هذا باطل، و ان

كنت تعرف خلافه فإنك لا تدري لم قلنا، و على أى وجه و صفة «٢».

بل

روى الصدوق «فى العلل» بالإسناد عن أحدهما عليهما السّلام: لا تكذبوا بحديث آتاكم مرجئى و لا قدرئى و لا خارجئى نسبة إلينا، فإنكم لا تدرون لعلّ شىء من الحقّ فتكذبوا الله عز و جلّ فوق عرشه «٣».

إلى غير ذلك من الاخبار الدالّة على وجوب التسليم لهم و الرّد إليهم، و أنّ

(١) بحار الأنوار: ج ٢ / ١٨٦ ح ١٠ عن بصائر الدرجات.

(٢) البحار: ج ٢ / ١٨٦ ح ١١ عن البصائر.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢ / ١٨٧-١٨٨ عن علل الشرائع.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٢٠

الكلمة لتنصرف على سبعين وجها من كلّها المخرج، فإنهم لا يعدّون الرجل من شيعتهم حتّى يلحن له فيعرف اللحن، و أنّ حديث آل محمّد صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان «١».

فإنّ من الملكة مقرّبين و غير مقرّبين، و من الأنبياء مرسلين و غير مرسلين، و من المؤمنين ممتحنين و غير ممتحنين، فعرض ولايتهم على الملكة فلم يقربه إلاّ المقرّبون، و عرض على الأنبياء فلم يقربه إلاّ المرسلون، و عرض على المؤمنين فلم يقربه إلاّ الممتحنون «٢».

بل

من أخبارهم و أحوالهم ما لا يحتمله ملك مقرب و لا نبيّ مرسل و لا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، قيل فمن يحتمله قال عليه السّلام نحن نحتمله «٣».

و فى خبر آخر: من شئنا «٤».

و لذا كان لأخبارهم و أسرارهم مراتب مختلفة: منها، ما لا يحتمله غيرهم، و منها ما يحتمله بعض الأنبياء عليه السّلام أو بعض الملائكة أو خواص شيعتهم، و فى كلّ من هذه الأقسام عرض عريض و ذلك لاختلاف الهويات و المهيات فى الكينونات و الاقتضاءات و القابليات و الاستعدادات، و كلّ أحد لا يدرك فوق رتبته، و لا يتجاوز إدراكه عن قوس كماله، إلاّ على سبيل الاشراق و التّجلى و الإفاضة من العالى إلى السافل بحسب اختلاف القابل فى الصقالة و الكدورة و القرب و البعد و التّهيؤ للقبول و العدم و زيادة الحجب و قلّتها و غلظتها و رقّتها و نورها و ظلّمتها إلى غير ذلك من الأسباب و المعدّات و الموانع التى ربّما تفضى إلى الإنكار البحت، و لله درّ من قال

(١) البحار: ج ٢ / ١٨٩ ح ٢١ عن البصائر.

(٢) فى البحار: ج ٢ / ١٩٠ ح ٢٣ ما يقرب منه.

(٣) البحار: ج ٢ ص ١٩٣ ح ٣٦ عن البصائر.

(٤) البحار: ج ٢ / ١٩٢ ح ٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٢١

بالفارسية:

از همه محروم تر خفّاش بود كوى آفتاب فاش بود

فإن كنت من أهل الحكمة التى هى معرفة الامام عليه السّلام كما فى بعض الكتب المعترّبة فقد أوتيت خيرا كثيرا، و إلاّ فأسلم تسلم

فإنَّ الإسلام مشتقٌّ من التسليم بل الإيمان مشروط به فلا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فِي وَلِي الْأَمْرِ - ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. «١» و اعلم أنَّ ما أشرنا إليه في هذا الباب وغيره من الأبواب من رتبة الإمام و أحواله و شؤنه فكله مأخوذ من أخبارهم و آثارهم، مقتبس من أنوارهم، و مع ذلك فهو من مكنون أسرارهم فإن افتريته فعلى إجرامى و على من يفهم كلامى سلامى.

### عود إلى الكلام لإتمام المرام:

قد سمعت أنَّ الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين صراط الله سبحانه إلى عبيده في جميع نعمه و فيوضه التكوينية و التشريعية، فاعلم أنَّهم عليهم السلام الصراط المستقيم لكافة الخلق كلهم إلى الله سبحانه إلى مرضاته و محبته و رحمته و نعمته و مشيئته، فإنَّ الخلق سائرون متوجهون بأقدام أعمالهم القلبية و القلبية بل طائرون مسرعون بأجنحتهم الروحية الإيمانية من حضيض أبدان طبائعهم العنصرية المكنتى عنها بأرض الموقف إلى فضاء عالم القدس و حريم حرم الانس و دار الاقامة و منزل الكرامة و إنما يتم سيرهم في سفرهم هذا بالاستقامة فى أمور:

أحدها القيام بأوامر الله و نواهيه، و سائر وظائفه الشرعية من فعل ما امر به

(١) النساء: ٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٢٢

و لو بالأمر الاستجابى و ترك ما نهى عنه و لو بالنهى التزهيى، و الاستدامة على ذلك فى جميع الحالات و الأوقات ما لم يوجب شىء منها سقوط التكليف لتعذر أو تعسر أو تبدل حال أو انقلاب موضوع، أو غير ذلك مما يوجب اختلاف الحكم، و بالجملة يكون بين يدى الله سبحانه كالعبد المطيع المنتظر لصدور الأمر من مولاه كى يبادر إلى قبوله و امتثاله، حسب وسعه و طاقته فى إيقاعه على أحسن وجوهه و أكملها من حيث اشتماله على جميع المتممات و المكملات، و اقترانه بالتيه الصيحة الحاوية لملاحظة جميع الغايات التى ربما يرجح العمل اليسير معها على أضعافه بدونها، فإنَّ لكل امرئ ما نوى و إنما الأعمال بالنيات.

و لذا

قال رسول الله صلى الله عليه و آله لمولينا أمير المؤمنين عليه السلام يا على إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع العمل فتقرب إليه بأنواع التيه تسبقهم

و لذا ترى الأولياء بل الأنبياء موافقين لغيرهم فى الأعمال الظاهرة و إن كان ما بين أعمالهم من حيث إيجابها للتقرب و العدم بون بعيد أبعد مما بين السماء و الأرض.

بل تعلم أنَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله كانوا يصلون خلفه كلهم صلوة واحدة متوافقة فى الأقوال و الأفعال الظاهرة التى هى جسم الصلوة و ناسوتها و إن لم تكن صلوتهم متوافقة فى كيفة القبول و كمية الأجر و الثواب التابعين للحضور و الإقبال و التوجه و الإخلاص و المعرفة التى هى روح العبادة و لبها و حقيقتها و أصلها.

بل لا يكاد تتوافق صلوة إثنين منهم لضرورة اختلافهم فى أحوالهم و أخلاقهم و نياتهم و عقائدهم و ضمائرهم إلى غير ذلك. بل لعل صلوة واحد من أصحابه صلى الله عليه و آله مثل مولينا أمير المؤمنين عليه السلام حقيقة الإيمان و محضه و خالصه و كماله، و صلوة بعض المنافقين الذين يصلون خلفه و أحزابهم الشياطين حقيقة الكفر و الشرك و النفاق، فإنَّ سجودهم كان لأصنامهم الحقيقة التى كانت بين يديهم أو الظاهرة التى كانت بين رجليهم كما فى الصك الذى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٢٣

كتبه الثانى الى و اليه و قد أراها ابنه لابنه عليهم جميعا لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين.

ثانيها: صدور هذا الامتثال لا- على وجه الكلفة و المشقة و الانزجار التي ربما توجب بغض عبادة الله و الاستراحة في تركها، و الاستبدال عنها بغيرها، و طلب الإذن و الرخصة في القعود عنها، و التعلل في تركها بكل علة، و التوصل للفرار منها بكل حيلة.

بل على وجه المحيية و الاشتياق و اللذة و البهجة و السرور فإن العبادة قوة قلوب العارفين، و قرّة أعين الصالحين، و لذة نفوس المشتاقين، و غاية آمال المجتهدين الذين دأبهم الارتياح اليه و الحنين، و ديدنهم الزفرة و الأنين، فإن عباده هم الذين بالبدار اليه يسارعون و بابه على الدوام يطرقون، و آياه في الليل و النهار يعبدون، فصفى الله لهم المشارب، و بلغهم المآرب، و أنجح لهم المطالب و ملأ لهم ضمائرهم من حبه، فبه إلى لذيذ مناجاته و صلوا، و منه أقصى مقاصدهم حصلوا.

ثالثها: ولاية أولياء الله الذين هم ولاة الأمر، و سباط الخلق إلى الخالق، و لذا قرن الله طاعتهم بطاعته و ولايتهم بولايته، و محبتهم بمحبته فقال: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ «١» و مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ «٢».

و

قال النبي صلى الله عليه و آله: من كنت مولاه فعلي مولاه «٣».

فيجب معرفتهم، و الإقرار بجملتهم، و الموالاة لأوليائهم، و المعادات لاعدائهم، و الاقتداء بهديهم، و الالتزام بطاعتهم التي هي بعينها طاعة الله.

ولذا

قال عليه السلام في الجامعة الكبيرة: من أطاعكم فقد أطاع الله، و من عصاكم

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) النساء: ٨٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٧ / ١٢٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٢٤

فقد عصى الله، و من أحبكم فقد أحب الله، و من أبغضكم فقد أبغض الله، و من اعتصم بكم فقد اعتصم بالله.

و

في الكافي و التوحيد عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ «١»: قال: إن الله تعالى لا يأسف كأسفنا لكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون و يرضون، و هم مخلوقون مربوبون، فقد جعل رضيهم رضى نفسه، و سخطهم سخط نفسه «٢».

إذ بولايتهم تقبل الطاعة المفترضة، و لهم المودة الواجبة.

ولذا

ورد عن مولينا أبي جعفر عليه السلام في خبر بناء الإسلام على الخمسة التي هي الصلوة و الزكاة و الحجّ و الصوم و الولاية إلى أن قال عليه السلام: ذروة الأمر و سنامه و مفتاحه و باب الأنبياء، و رضى الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته ان الله عز و جلّ يقول: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا «٣».

أما لو أن رجلا قام ليله و صام نهاره و تصدق بجميع ماله، و حجّ جميع دهره، و لم يعرف ولاية ولى الله فيواليه و يكون جميع أعماله بدلالته اليه ما كان له على الله حقّ في ثوابه، و لا كان من أهل الايمان «٤».

بل

ورد مثله من طرق العامة فعن ابن مردويه في كتابه بالإسناد عن النبي صلى الله عليه و آله: يا على لو أن عبدا عبد الله مثل ما قام نوح

في قومه، و كان له مثل جبل أحد ذهاباً فأنفق في سبيل الله و مدّ في عمره حتى حجّ ألف عام على قدميه ثم قتل

(١) الزخرف: ٥٥.

(٢) نور الثقلين: ج ٤ / ٦٠٨ عن التوحيد و الكافي.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٣ / ٢٩٤ عن تفسير العياشي ج ١ ص ٢٥٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٢٥

بين الصفا و المروة مظلوماً ثم لم يوالك يا علي لم يشم رائحة الجنة و لم يدخلها «١».

و

في المناقب عن تاريخ النسائي و شرف المصطفى و اللفظ له عنه: لو أنّ عبداً عبد الله تعالى بين الركن و المقام ألف عام ثم ألف عام و لم يكن يحبنا أهل البيت لأكبه الله على منخره في النار «٢».

و

عن الفردوس و الرسالة القوامية عنه صلى الله عليه و آله: حبّ علي بن ابي طالب يأكل الذنوب كما يأكل النار الحطب «٣».

ثم إنّ هذا الأمر الثالث و إن عددناه واحداً من تلك الأمور إلّا أنّه جامع لجملة محتو على حدودها و مقاماتها و ذلك أنّ مقتضى القوام بولاية النبي و الأئمة عليهم السلام هو حفظ جميع الحدود و الأحكام الشرعية من التكليفية و الوضعية و الإقامة عليها و امتثالها بالاشتغال بما يرضاه الله و الاجتناب عمّا يسخطه بل عمّا لا يرضاه لينحصر فيه فعله في الوجوب و الاستحباب لا الإباحة و ذلك كلّه بحسب جميع نشأة وجوده و كونه من الأفعال و الأقوال و الأحوال و التيات و الخطرات و الاعتقادات.

ولذا

قال مولينا أمير المؤمنين عليه السلام في حديث معرفته بالنورانية: إنّ إقامة الصلوة إقامة ولايتي فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلوة، و إقامة ولايتي صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان فالملك إذا لم يكن مقرباً لا يحتمله، و النبي إذا لم يكن مرسلًا لم يحتمله، و المؤمن

(١) ينابيع المودة ج ٣ ص ٢٩٣ ح ٨٤٥ و رواه ابن شهر آشوب في المناقب ج ٣ ص ١٩٨ عن ابن مردويه.

(٢) المناقب ج ٣ ص ١٩٨ عن تاريخ النسائي و شرف المصطفى.

(٣) ينابيع المودة ج ٢ ص ٢٤٦ عن الفردوس ج ٢ ص ٢٢٦ ح ٢٥٤٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٢٦

إذا لم يكن ممتحنًا لم يحتمله «١».

فصوره ولايتهم و محبتهم و طاعتهم هو الطريق المستقيم إلى الله، و ذلك هدى الله يهدي به من يشاء.

و هذا الصراط لا يقطعه في هذه الدنيا بسهولة إلّا محمّد و أهل بيته الطاهرون و شيعته المنتجبون، و لو من الأنبياء و المرسلين، و الملكة المقرّبين، فإنهم يقطعونها بفضل عصمتهم و ولايتهم و عنايتهم برفق و سهولة.

قال عليه السلام في خبر النورانية بعد ما سمعت يا سلمان تصديق ذلك قوله تعالى في كتابه العزيز: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ «٢».

فالصبر رسول الله صلى الله عليه و آله و الصلوة إقامة ولايتي فمنها قال الله تعالى: و إنّها لكبيرة و لم يقل: و إنّهما لكبيرة لأنّ الولاية كبير حملها إلّا على الخاشعين، و الخاشعون هم الشيعة المستبصرون «٣».

ثم إنّ من تأمل في الأخبار الكثيرة الدالة على العوالم الكثيرة التي منها الأربعة عالم، و الاثنى عشر ألف عالم، أو الألف ألف عالم،

و الألف ألف آدم، و على كونهم حجّية على جميع تلك العوالم و انّ الله قد أخذ ميثاق و لايتهم على جميع الذرات و الكائنات و الموجودات إلى غير ذلك من الأخبار المختلفة الواردة في الموارد المتفرقة: أنّه لم يعص الله تعالى أحد من أوّل الدهر إلى آخره، بل في جميع العوالم و النشآت إلّا بالانحراف عن ولايتهم و محبتهم، و لم يطعه أحد من جميع ما سمعت إلّا بذلك، هنالك الولاية لله الحق.

و لو أردنا استقصاء الأخبار بذلك في هذا المقام لطال بنا الكلام، غير أنّي

(١) بحار الأنوار: ج ٢ / ٢٦ ح ١.

(٢) البقرة: ٤٥.

(٣) البحار: ج ٢ / ٢٦ ح ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٢٧

أذكر حديثا واحدا في هذا الباب مع حواله الباقي إلى ساير المواضع من هذا الكتاب.

في «البحار» عن أبي حمزة الثمالي أنّه دخل عبد الله بن عمر على مولينا زين العابدين روى له الفداء و عليه و على آباءه و أولاده آلاف التحية و الثناء و قال: يا عليّ بن الحسين أنت الذي تقول: إنّ يونس بن متى إنّما لقي من الحوت ما لقي لأنه عرضت عليه ولاية جدّي فتوقّف قال عليه السّلام: بلى ثكلتك أميك قال فأرني أنت ذلك إن كنت من الصادقين قال: فأمر بشدّ عينيه بعصابه و عيني بعصابه ثم أمر بعد ساعة بفتح أعيننا فإذا نحن على شاطئ البحر تضرب أمواجه، فقال ابن عمر: يا سيّدی دمی فی رقتک الله الله فی نفسی فقال عليه السّلام: هیه و أراه إن كنت من الصادقين ثم قال عليه السّلام أيتها الحوت قال: فاطلع الحوت من البحر مثل الجبل العظيم، و هي تقول:

ليبك يا وليّ الله فقال عليه السّلام: من أنت قالت: أنا حوت يونس يا سيّدی، قال: ايتينا بالخبر، قالت: يا سيّدی إنّ الله لم يبعث نبيا من آدم عليه السّلام على نبينا و آله و عليه السلام إلى أن صار جدّك محمّد صلّى الله عليه و آله إلّا و قد عرضت عليه و لايتكم أهل البيت فمن قبلها من الأنبياء سلم و تخلّص، و من توقّف عنها و تمّنّع في حملها لقي ما لقي، فمن ذلك ما لقي آدم من المعصية، و ما لقي نوح من الغرق، و ما لقي إبراهيم من النار، و ما لقي يوسف من الجبّ، و ما لقي أيوب من البلاء، و ما لقي داود من الخبيثة، إلى أن بعث الله تعالى يونس فأوحى الله تعالى إليه: أن يا يونس تولّ أمير المؤمنين عليه السّلام و الأئمّة الراشدين من صلبه عليهم السّلام في كلام، قال: و كيف أتولّي من لم أراه و لم أعرفه و ذهب مغاضبا فأوحى الله تعالى إليّ: أن القمى يونس، و لا- توهني له عظما، فمكث في بطني أربعين صباحا يطوف معي في البحار في ظلمات ثلاث ينادي: لا اله إلّا أنت سبحانك إنّني كنت من الظالمين، قد قبلت ولاية علي بن أبي طالب و الأئمّة الراشدين من ولده صلوات الله عليهم أجمعين، فلما آمن بولايتكم أمرني ربّي فقذفته على

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٢٨

ساحل البحر فقال زين العابدين عليه السّلام: إرجع أيّها الحوت إلى و كرك «١» و استوى الماء «٢». الخبر.

إلى غير ذلك من الأخبار الدالّة على عرض ولايتهم على جميع الأنبياء و الأوصياء و الأمم، بل و جميع الملكة من العالين و الكرويين و المقرّبين و غيرهم، بل على جميع السموات و الأرض و النجوم و العناصر و المياه و الجبال و غيرها من الجواهر و الاعراض، فمن قبلها منها سعد، و طاب، و صفى، و من أنكرها أو تأمل فيها أو لم يقم بوظائفها أو لم يحفظ حدودها أو قصر عن نيل مقام الإذعان و التصديق و الاعتقاد بتفاصيلها شقى أو خبث أو ابتلى بالبلايا و الرزايا على المراتب التي لا يحيط بها الكلام، بل لعلّه لا يخطر تفاصيلها على الأفهام، إلّا أنّ المقصود الإشارة إلى نوع المراد ليصل الطالب إلى سبيل الرشاد، و ذلك أنّ مقتضى ولايتهم التي هي من أشعة أنوار كينوناتهم النورانية للمعاني التي هي نفس مشيئة الله و إرادته و رحمته و محبته و رضاه و قربه و جواره أن يطاع الله و لا يعصى



في ملكه أبدا بأن لا- يقع في ملكه من كل مخلوق في جميع الأزمنة و الأمكنة إلما ما يوافق رضاه و محبته و إرادته، لأن هذه صور أعمالهم و أفعالهم و أحوالهم و إرادتهم الفانية في إرادة الله سبحانه، فلا يشاؤون إلما ما يشاء الله، لاندكاك جبل إنياتهم، فهم كالميت بين يدي الغسال، و قلبهم بين إصبعين من أصابع الرحمن، بل لا- فرق بينه و بينهم إلما أنهم عباده و خلقه، فمن أشرق عليه من أنوار ولايتهم الكونية في صقع الرحمة الرحمانية بأن تدوت إنيته و حقيقته من فاضل أشعة أنوار أجسادهم على حسب الاختلاف، و مراتب القرب و البعد في ذلك ترشحت عليه فضفاض من رشحات

(١) الوكر: عش الطائر.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٦ / ٣٩ - ٤٠ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٢٩

تجليات أنوار أجساد عباداتهم التي هي أفعالهم الشرعية في ناحية الرحمة الرحيمية، و هم الذين قالوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا «١» فاستجابوا لله و للرسول و لولئ الأمر من بعده فلما أجابوا خلقوا بصورة الإجابة على هيكل التوحيد الذي هو صبغة الله، فيكون مبدؤه من النور، إلى النور، و منقلبه في النور، فيشرح الله صدره للإسلام بالطاعة التامة العامة لولئ الأمر عليه السلام.

و أما الذين أنكروا بقلوبهم أو في مقام التفصيل بعد ما أقروا بألسنتهم في مقام الإجمال فخلقهم الله من الظلمة التي هي حقيقة الإنكار و ولاية الجبت و الطاغوت فبانكارهم خلقوا من الظلمة، و لو أقروا لخلقوا من النور حين أقروا و لكنهم أنكروا فخرجوا عن ولاية أولياء الله التي هي مطرح أشعة أنوار الإيمان إلى ولاية أعدائه التي هي بحر الظلمة، و دار النعمة المخلوقة من جهة المقابلة، فإن الله تعالى خلق النور و خلق الظلمة فالمؤمن بحسن اختياره بأفعاله خلق من النور، و المنافق بسوء اختياره و قبح أفعاله خلق من الظلمة المخلوقة من الظلم، إن الله لا يظلم الناس شيئا و لكن الناس أنفسهم يظلمون.

### نقد و تحصيل

لعلك بعد التأمل فيما ذكرناه ينكشف لك النقاب عن وجوه الأخبار الواردة في الباب فإنك قد عرفت أن معرفتهم و محبتهم و إطاعتهم هي الطريق المستقيم للخلق إلى الخالق بشرط أن يكون عدلا متوسطا بين الغلو و التقصير، فإن ذلك هو مقتضى ولايتهم دون غيره كما أن مقتضاها الاعتدال و التوسط في جميع الأحوال و الأخلاق التي قد سمعت أن فضائلها هي الأوساط المتوسطة بين طرفي الأضداد

(١) فصلت: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٣٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ٦٤٩

التي هي الرذائل الواقعة في طريق الإفراط و التفريط فبعد تحقق ذلك كله يحصل حقيقة الإيمان بجميع حدوده و شرائطه و مراتبه، و لذا

فسر الإيمان في قوله: وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ «١» بالولاية في أخبار كثيرة بل من طرق العامة أيضا كما فسّر بها أيضا و الثلاثة بالثلاثة في قوله: وَ لَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَ زَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَ كَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعُضْيَانَ «٢» فلا إيمان إلما بالولاية و معها، بل هي هو و هو هي، و لا تنال الشفاعة فاقتدا لها.

ولذا

ورد في النبوي من طرق الخاصة و العامة: حَبَّ عَلَىٰ حَسَنَةً لَا تَضُرُّ مَعَهَا سَيِّئَةٌ وَ بَغْضٍ عَلَىٰ سَيِّئَةٍ لَا يَنْفَعُ مَعَهَا حَسَنَةٌ (٣).  
فالتصديق بالولاية كاشف عن التصديق بالنبوة كما أَنَّ التصديق بالنبوة كاشف عن التصديق بالتوحيد، بمعنى أن كلاً منها مصحح و  
متمم لسابقه و كاشف عن صحته و وقوعه بل إذا وقع السابق على الوجه المرضي المأمور به لحقه المتأخر لا محالة و إلا لم يكن  
السابق أصلاً بمعنى أنه لم يتحقق.

ولذا لا- يعدّ اليهود و النصارى من أهل التوحيد و لو عدّوا فلا- ينفعهم توحيدهم، كما لا- ينفع أهل السنّة تصديقهم الظاهري  
بالشهادتين، فإنّ هذا كلّ من شعب التصديق الظاهري الأولى في عالم الذات قبل الابتلاء و التمحيص، و ليس منه في القلب أثر، و لذا  
ينتفي بل ينقلب كفراً بالامتحان ليميز الله الخبيث من الطيب، و كذا الذين قالوا آمناً بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم، فإن الإيمان الظاهري  
البدني تتبعه الأحكام الظاهرية البدئية، و الإيمان الحقيقي القلبي تتبعه الأحكام الواقعة المعنوية الحقيقية.

ولذا

قال السيّد السّجّاد في دعائه الذي رواه الثمالي: اللَّهُمَّ إِنَّ قَوْمًا آمَنُوا

(١) المائة: ٥.

(٢) الحجرات: ٧.

(٣) ينابيع المودة ج ١ ص ٢٧٠ عن المناقب للخوارزمي ص ٧٦ ح ٥٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٣١  
بلسانهم ليحققوا به دمائهم فأدر كوا ما أملوا و إنا آمنا بألسنتنا و قلوبنا لتعفو عنا فأدر كنا ما أملنا.

ثم انّ هذا الإيمان الجامع للحدود الظاهرية و الحقائق الواقعية من الاعتقادات و النيات و الأخلاق و الأعمال و غيرها من الشرائع  
التكوينية و التكوينية الشرعية هو الطريق الأقرب للسالكين الى الله و الوافدين عليه، و هو بمنزلة الخطّ المستقيم الذي هو أقصر  
الخطوط الواصلة بين النهايتين و ان كان سبحانه يجلّ عن اكتناه الحدود و الأطراف و النهايات فأينما تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ (١).

بل قد انتهى المخلوق إلى مثله و ألجأه الطلب إلى شكله، فهو طريق إلى قرب و جواره، بل هو طريق إلى حقيقة العبد و هي العبودية  
التي كنهها الربوبية فإنّ الطريق إلى الله مسدود، و الطلب مردود، و لا يتجاوز الممكن مقام نفسه وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ (٢) و خلق  
الله الخلق حجاب بينه و بينهم، و لا- يرتفع الحجاب إلّا بفتح الباب، و سدّ الأبواب يا صاحبي السّجنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ  
الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ (٣) فلا ينصب العبد بصبغة الله و لا يتخلق بأخلاقه ما دام فيه تلؤن من عقله و نفسه الناطقة فضلاً عن الأرواح الحيوانية و  
السبعية و البهيمية و الشيطانية و الجسمانية فاذا استسلم و تعلّم كلب الكهف باسطة ذراعيه فنائه كان لون الماء لون إنائه فيقلبهم الله  
ذات اليمين و ذات الشمال، و يصير العبد بحقيقة مرآة مجلوة لإشراق أشعة أنوار الجلال و الجمال، و هذا هو الطريق الموصل إلى  
قرب الحقّ و جواره الذي هو صورة ولاية مولينا أمير المؤمنين عليه السّلام في الدنيا بل متفرّع من هيئات أعماله و أفعاله و آثاره، بل  
مقتبس من إشراق أشعة أنواره، و هو الذي يتجوهر في يوم القيمة الذي تبلى فيه السرائر، و تنكشف الضمائر، فيكون على صورة  
الصراط جسراً ممدوداً على متن

(١) البقرة: ١١٥.

(٢) الحديد: ٤.

(٣) يوسف: ٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٣٢

جهنم الذي هو تجوهر البعد عن ساحة قربه سبحانه للاشتغال بالهواجس النفسانية والانغماس في الكدورات الظلمانية والاستغراق في الغواسق البدنية ولذا يكون في تجوهره أدق من الشعر وأحد من السيف والناس يمرّون عليه على طبقات فمنهم من يمرّ مثل البرق أو عدو الفرس، أو المشى أو متعلقا بيديه قد تأخذ النار منه شيئا وترك شيئا أو على الصدر إلى غير ذلك من الطبقات والمراتب التي يشاهد مثلها في هذا العالم في سلوكك الدين المبين والاهتداء بشريعة سيّد المرسلين فمنهم الذين استسهلوا ما استوعره المترفون بل انخمدت نار طبيعتهم، وفنوا عن إيتيهم فتمتعوا بلذيت مناجاته، وحملوا في سفن نجاته وأوردوا حياض حبه وأذيقوا حلاوة ودّه وقربه، ومنهم غير ذلك إلى آخر المراتب.

ولذا

ورد فيما روينا سابقا عن تفسير المقاتل أنه يجعله الله على المؤمنين عريضا وعلى المذنبين دقيقا.

و

في النبوى على ما رواه بعض الأجله مرسلا أن الصراط يظهر يوم القيمة للأبصار على قدر نور المارين عليه، فيكون دقيقا في حق بعض، وجليلا في حق آخرين.

قيل: و يصدقه قوله تعالى: نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ «١».

نعم ربما تقول في معنى كونه أدق من الشعر وأحد من السيف أن كمال الإنسان في سلوكه إلى الحق منوط باستكمال قوته، أما العلميه فبحسب إصابه الحق في الأنظار الدقيقة التي هي أدق من الشعر في المعالم الالهيه واما العمليه فبحسب قوة الشهويه والغضبيه والفكرية في الأعمال لتحصيل ملكة العدالة وهي أحد من السيف فللصراط المستقيم وجهان: أحدهما أحد من السيف من وقف عليه شقه فيشقّ قدم من مشى أو وقف عليه لحدته ودقته وصعوبة الثبات واجتماع

(١) التحريم: ٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٣٣

المشاعر عليه، بل أكثر من يمرّ عليه تتفرق مشاعره وحواسه الظاهرة والباطنة، بل يفترق بالعبور عنه كل من الحق والباطل عن الآخر ليميز الله الخبيث من الطيب.

وثانيهما أدق من الشعر لشدة اضطرابه بالسائر عليه فلا يزال يمرّ و يضطرب ولا يثبت عليه إلّا من ثبته الله بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة.

و الوقوف على الأول يوجب القطع والفصل أي تفريق الإدراك والعمل، حيث لا يقدر السائر على تخلص الحق عن شائبة الباطل، ولا على إخلاص العمل عن شائبة الشرك والأغراض الباطلة، فيكون النظر والعمل شقين لأنه أحد من السيف فيشقّ القدم العابر به عن بصيرة النظر ونية العمل، ولكن الإنصاف أن هذا كله كغيره ممّا في «شواهد الربوبية» و «العرشيه» وغيرهما تكلف مستغن عنه، بل وكذا ما في شرح الثاني «١» للعارف الصمداني نظرا إلى أن المقصود من التشبيه تصوير دقته وشدة صعوبة العبور عليه، وليس كل من الوصفين نعتا لوجه دون الآخر، بل ليس له وجهان متغيران من حيث الاقتضاء والحكم، فإنه أمر وحداني معنوي أو صوري حسب ما سمعت من أنه صورة ولاية مولينا أمير المؤمنين عليه السلام.

نعم ربما يستشكل في المقام بأن نفس النبي صلى الله عليه وآله وطريقته وولايته التي هي باطن النبوة بل نبوته التي هي حقيقة الولاية أقوم وأتم وأكمل وأجمل من ولاية مولينا أمير المؤمنين عليه السلام فإنه عبد من عبيده، ولذا كنى صلى الله عليه وآله بأبي القاسم حيث إنّه صلى الله عليه وآله كان أبو أمته الذين كان واحدا منهم وهو وصيه وخليفته قسيم الجنة والنار، كما ورد التصريح به في بعض الأخبار، وعلى هذا فما السبب في تفسير الصراط بولاية مولينا أمير المؤمنين عليه السلام وإضافته إليه دون النبي صلى الله

عليه وآله كما في الأخبار المتقدمة المروية من طريق الخاصة والعامه.  
والجواب ما أشرنا اليه سابقا من أن الولاية ولاية واحدة، وهي قوله:

(١) مراده شرح العرشية في المبدأ والمعاد تصنيف المولى صدر الدين الشيرازي المتوفى (١٠٥٠) ه للشيخ احمد بن زين الدين الاحسائي المتوفى (١٢٤٣).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٣٤

قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ «١»، فمَرَّةٌ تضاف إلى الله، و مَرَّةٌ إلى رسوله، و أخرى إلى أمير المؤمنين عليه السلام و لذا قال إِنَّمَا وَثَّقْتُكُمْ لِلَّهِ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا «٢»، و قال: هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ «٣».

و

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: من كنت مولاه فعلى مولاه «٤».

لكن لما كان الكاشف الحق عن ولايته سبحانه التصديق بنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و عن التصديق بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و ولاية ولاة الأمر من بعده، فولايتهم ولاية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و ولاية النبي ولاية الله، و الآخذ بحجزتهم آخذ بحجزه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و الآخذ بحجزه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و الآخذ بحجزه الله سبحانه كما في الاخبار الكثيرة «٥».

بل فيما قدمناه

عن «تفسير فرات» أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أتاه جبرئيل فقال:

أبشرك يا محمد بما تجوز على الصراط قال: قلت بلى قال تجوز بنور الله و يجوز على بنورك و نورك من نور الله، و تجوز أمتك بنور على، و نور على من نورك، و من لم يجعل الله له نورا فماله من نور «٦».

ولذا فسّر الصراط في كثير من الأخبار المتقدمة بصراط محمد و آله، فنورهم واحد، و صراطهم واحد، و سيّلتهم واحد، و طريقتهم واحدة، ألا- إن الناس لم يختلفوا في الله و لا في رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و إنما اختلفوا في مولينا أمير المؤمنين، فبولايته يسلك إلى الرضوان، و على من جحد ولايته غضب الرحمن، فهو و الأئمة الطاهرة من ذريته أبوابه و سبله جعلهم الله ائمة وسطا ليكونوا

(١) سبأ: ٤٦.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) الكهف: ٤٤.

(٤) الإصابة ج ١ ص ٥٧٧ و عنه ينابيع المودة ج ١ ص ١٠٨.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ١٣٤.

(٦) تفسير فرات ص ٢٨٧ ح ٣٨٧- و الآية من سورة النور: ٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٣٥

شهداء على الناس و يكون الرسول شهيدا عليهم «١».

فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله يدعو الناس إلى ولايتهم، و هم يدعون الناس إلى ولايته، قال الله تعالى: وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «٢».

عن القمي قال عليه السلام يعني إنك لتأمر بولاية عليّ و تدعو إليها، و عليّ هو الصراط المستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات

وَمَا فِي الْأَرْضِ «٣» قال: يعنى علينا إنه جعله خازنه على ما فى السموات و ما فى الأرض من شىء، و ائتمنه عليه «٤».  
 و قال سبحانه: وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
 القمى قال عليه السلام إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام «٥».  
 وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَا كِبُونَ «٦»:  
 القمى قال عليه السلام: عن الإمام لحاندون «٧».  
 و يؤيده ما

فى «الكافى» عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه الصلوة و السلام ان الله تبارك و تعالى لو شاء لعرف العباد نفسه لكن جعلنا أبوابه، و صراطه، و سبيله، و الوجه الذى يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لنا كيون «٨».

هذا لكن الشيخ الأكبر الأجدد عطر الله مرقدته استشعر فى «شرحه للعرشية»

(١) نقل بالمعنى من سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٢) الشورى: ٥٢.

(٣) الشورى: ٥٣.

(٤) تفسير القمى ج ٢ / ٢٨٠.

(٥) تفسير القمى ج ٢ / ٩٢.

(٦) المؤمنون: ٧٤.

(٧) تفسير القمى ج ٢ / ٩٢.

(٨) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٢٥٣ عن بصائر الدرجات ص ١٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٣٦

لهذا الإشكال فى شرح قول الملام صدرًا: و أتم الصراطات المستقيمة نفس أمير المؤمنين عليه السلام ثم نفوس أولاده المقدسين، فقال: إنه يحتمل وجوها حيث لم يذكر نفس النبى صلى الله عليه و آله مع أنها أتم من نفس أمير المؤمنين، و نفوس ذريته المعصومين: الاول أنه ورد أن الصراط المستقيم أمير المؤمنين و أهل بيته الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين، فاستطرد عند ذكره و وصفه بالصراط المستقيم تفسير الصراط المطلق المشتمل على المستقيم و غيره، و بين أن نفسه و نفوس أولاده المعصومين عليهم السلام أتم الصراطات المذكورة لأن المذكور هنا هو و أولاده عليهم السلام، و النبى صلى الله عليه و آله لم يذكر فى الموصوفين بالصراط المستقيم و إن كان فسّر مطلق الصراط لأن الموجب لذكر المطلق هو ذكره بالصراط المستقيم قال قدس سره: و لعل المصنّف يرد غير هذا الوجه.

الثانى أنه عليه السلام هو المشتهر بالولاية و النبى صلى الله عليه و آله اشتهر بالنبوة، و الولاية فسّرت بالصراط المستقيم دون النبوة. الثالث: أن نفس النبى صلى الله عليه و آله هى الغاية التى الصراطات كلها تؤدى إليها لما دلّت عليه الأدلة النقلية و العقلية فردّه و مصيره إلى الله تعالى، و قد دلّت الأدلة عقلا- و نقلا على أن الردّ إلى الله و الرجوع و المصير إليه هو الردّ و الرجوع و المصير إلى رسوله صلى الله عليه و آله فى الدنيا و الآخرة، لأنّ الحوادث لا تنتهى إلّا إلى مثلها كما قال مولينا أمير المؤمنين: انتهى المخلوق الى مثله و ألجأه الطلب إلى شكله.

قوله عليه السلام في شأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْغَدِيرِ قَالَ: أَقَامَهُ فِي سَائِرِ عَالَمِهِ مَقَامَهُ فِي الْأَدَاءِ إِذْ كَانَ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَلَا تَحْوِيهِ خَوَاطِرُ الْأَفْكَارِ (١).

ثُمَّ قَالَ: وَإِذَا قَطَعْنَا النَّظَرَ مِنْ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ وَعَنْ مَرَادِهِ فَلَيْكَ أَنْ تَعْتَبِرَ الْوَجْهَ الثَّلَاثَ لِأَنَّهُ الْجَارِي عَلَى تَفْسِيرِ بَاطِنِ الْبَاطِنِ وَبَيَانِ السَّرِّ الْمَقْنَعِ بِالسَّرِّ وَلَيْكَ أَنْ تَفَسِّرَ

(١) بحار الأنوار: ج ٩٧/١١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٣٧

الصَّرَاطَاتِ الْمَطْلُوقَةَ يَعْنِي الشَّامِلَةَ لِكُلِّ أَحَدٍ فَانْ قَلْتِ أَكْمَلَهَا تَعَيَّنَتْ نَفْسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنْ قَلْتِ أْتَمَّهَا فَكَمَا قَالَ الْمُصَنِّفُ، وَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ أَتَمَّ بِصِغَةِ التَّفْضِيلِ الْمَطْلُوقِ، فَتَقُولُ أَتَمَّهَا نَفْسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتِلْكَ الْأَتْمِيَّةُ الْحَقِيقَةُ، وَإِنْ أَرَدْتَ الْأَتْمِيَّةَ الْإِضَافِيَّةَ فَكَمَا قَالَ الْمُصَنِّفُ، انْتَهَى كَلَامُهُ زَيْدَ مَقَامِهِ.

لَكِنْ لَا يَخْفَى أَنَّ كَلَامَهُ فِي تَعَدُّدِ الصَّرَاطَاتِ فِي الْمَقَامِ جَارٍ عَلَى مَنَوَالٍ مَا ذَكَرَهُ الْمَلَا صَدْرًا مِنْ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ صَّرَاطٌ إِلَى الْآخِرَةِ بِوَجْهِهَا كَمَا أَنَّهَا سَالِكَةٌ أَيْضًا بِوَجْهِهَا، فَالْمَتَحَرِّكُ وَالْمَسَافَةُ شَيْءٌ وَاحِدٌ بِالذَّاتِ، مَتَغَايِرَةٌ بِالِاعْتِبَارِ، فَالْنَفُوسُ صَّرَاطَاتٌ إِلَى الْعَاقِبَةِ بَعْضُهَا مُسْتَقِيمَةٌ، وَبَعْضُهَا مُنْحَرَفَةٌ، وَبَعْضُهَا مُنْكَوسَةٌ، وَالمُسْتَقِيمَةُ بَعْضُهَا وَاقِفَةٌ، وَمَعْطَلَةٌ، وَالْوَاصِلَةُ بَعْضُهَا سَرِيعَةٌ، وَبَعْضُهَا بَطِيئَةٌ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَهُ فِي «عَرَشِيَّتِهِ» وَ«شَوَاهِدِهِ» وَأَسْفَارِهِ، وَتَفْسِيرِهِ وَغَيْرِهَا مِنْ كِتَابِهِ الَّتِي بَنَى الْأَمْرَ فِيهَا عَلَى الْحَرَكَاتِ الْجَوْهَرِيَّةِ وَالِانْتِقَالَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ فِي نَشْأَةِ ذَاتِيَّةٍ حَسَبَ مَا أَشْرْنَا سَابِقًا إِلَيْهَا وَإِلَى التَّأْمَلِ فِيهَا.

بَلْ يَنْبَغِي التَّأْمَلُ أَيْضًا فِي بَعْضِ مَا حَكِيْنَاهُ فِي الْمَقَامِ فَإِنَّ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَّ لَا يَحْسُمَانِ مَادَّةَ الْإِشْكَالِ، بَلْ لَعَلَّهُمَا سَيِّمَا الثَّانِيَّ أَقْرَبَ إِلَى الْمَصَادِرَةِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَلَعَلَّ الْوَجْهَ مَا ذَكَرْنَاهُ أَوْلًا.

ثُمَّ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ كَثِيرَةً بَعْدَ نَفُوسِ الْخَلَائِقِ، بَلْ بَعْدَ أَنْفَاسِهِمْ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ فِي الْاسْتِقَامَةِ وَسُرْعَةِ الْوُصُولِ وَشَرَفِ الْقَبُولِ، وَغَيْرِهَا بَيْنَ الصَّرَاطِ الْمَطْلُوبِ الْمَسْئُولِ، بَعْدَ تَوْصِيْفِهِ بِالِاسْتِقَامَةِ الْمَطْلُوقَةِ الْجَامِعَةِ الْمَجْمَلَةِ، تَأْكِيدًا بَلْ تَكْرِيرًا لِلسُّؤَالِ وَتَفْصِيلًا بَعْدَ الْإِجْمَالِ فَأَبْدَلَ عَنْهُ قَوْلَهُ: صَّرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِدَلِّ الْكُلِّ الْأَمْدَى هُوَ بِمَنْزِلَةِ تَكْرِيرِ الْعَامِلِ فِيهِ، وَلِذَا ذَهَبَ الْأَخْفَشُ، وَالزَّمْخَشَرِيُّ، وَأَكْثَرُ الْمُتَأَخِّرِينَ عَلَى مَا قِيلَ إِلَى أَنَّ الْعَامِلَ فِي الْبَدَلِ مَقْدَّرٌ مِنْ جِنْسِ الْمَذْكُورِ، نَظَرًا إِلَى أَنَّهُ وَإِنْ عَدَّ مِنَ التَّوَابِعِ إِلَّا أَنَّهُ مُسْتَقَلٌّ بِرَأْسِهِ مَقْصُودٌ بِالْحُكْمِ وَلِذَا لَمْ يَشْتَرَطْ مَطَابَقَتَهُ لِلْمَبْدَلِ مِنْهُ تَعْرِيفًا وَتَكْرِيرًا، وَمَقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ عَامِلُهُ أَيْضًا مُسْتَقَلًّا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٣٨

عَلَى حِدَةٍ، لَا عَامِلًا فِي شَيْءٍ قَبْلَهُ، غَايَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُ لِدَلَالَةِ سَابِقِهِ عَلَيْهِ أَطْرَدَ حَذْفَهُ عَنِ الْكَلَامِ فَيَقْدَّرُ كَمَا يَقْدَّرُ الْفِعْلُ بِدَلَالَةِ اللَّاحِقِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١).

لَكِنْ قَدْ يُقَالُ: إِنَّ هَذَا الدَّلِيلَ بَعِيْنَهُ اسْتَدَلَّ بِهِ أَصْحَابُ الْقَوْلِ الْآخِرِ الَّذِي هُوَ أَنَّ الْعَامِلَ فِيهِ هُوَ الْعَامِلُ فِي الْمَبْدَلِ مِنْهُ كَغَيْرِهِ مِنَ التَّوَابِعِ الَّتِي عَدَّ وَاحِدًا مِنْهَا بَلْ قِيلَ: إِنَّهُ أُلْصِقَ بِمَدْعِيْهِمْ حَيْثُ إِنَّهُمْ قَالُوا: اسْتِقْلَالُ الْبَدَلِ، وَكَوْنُهُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالنِّسْبَةِ يُؤْذَنَانِ بِأَنَّ الْعَامِلَ فِيهِ هُوَ الْأَوَّلُ لَا مَقْدَّرَ آخَرَ، إِذَا الْمَتْبُوعُ كَالسَّاقِطِ، فَكَأَنَّ الْعَامِلَ لَمْ يَعْمَلْ فِي الْأَوَّلِ وَلَمْ يَبْأَشِرْ أَصْلًا.

وَشَيْخُنَا الطَّبْرَسِيُّ قَدَّسَ سِرَّهُ جَعَلَهُ صِفَةً لِلصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا عَنْهُ، وَالْفَصْلُ بَيْنَ الصِّفَةِ وَالْبَدَلِ أَنْ فِي تَقْدِيرِ تَكْرِيرِ الْعَامِلِ بِدَلَالَةِ تَكْرِيرِ حَرْفِ الْجَزِّ فِي قَوْلِهِ: قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ (٢) وَلَيْسَ كَذَلِكَ الصِّفَةُ فَكَمَا أُعِيدَتْ اللَّامُ الْجَارَةُ فِي الْأَسْمِ، فَكَذَلِكَ الْعَامِلُ الرَّافِعُ أَوْ النَّاصِبُ فِي تَقْدِيرِ التَّكْرِيرِ فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَهْدَانَا صَّرَاطِ الَّذِينَ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْبَدَلُ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ تَبْيِينٌ لِلأَوَّلِ كَمَا أَنَّ الصِّفَةَ كَذَلِكَ وَلهَذَا لَمْ يَجْزِ سَبِيْوِيَهُ بِبِي الْمَسْكِينِ كَانَ الْأَمْرُ وَلَا بِكَ الْمَسْكِينِ كَمَا أَجَازَ ذَلِكَ فِي الْغَايِبِ نَحْوَ مَرَرْتُ بِه الْمَسْكِينِ (٣).

قلت: أما جعله صفةً فبعيد جداً سيما مع التكرير، و لذا جعلوا ناصيةً في قوله: بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةً كاذِبَةً «٤» بدلا لا نعتا بل هو قد صرح به كغيره مع أن في عبارته تسامحا في جعل الموصوف الوصف مع الموصوف، و أما ما ذكره في الفرق

(١) الانشاق: ١.

(٢) الأعراف: ٧٥.

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ٢٩.

(٤) العلق: ١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٣٩

بين الصفة و البدل فهو مبنى على اعتبار تكرير العامل في البدل نظرا إلى ما سمعت ضعفه و إلى ما ذكره من تكرير الجارة في الآية و في قوله: لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ «١».

و فيه أن الجار و المجرور بدل من الجار و المجرور، و العامل و هو الفعل في الموضوعين غير مكرر كما صرح به الشيخ الرضوي رضي الله عنه.

بل أورد على نفسه أنه لو لم يكن المجرور وحده بدلا من المجرور لم يسم هذا بدل الاشتمال، لأن الجار و المجرور ليس بمشتمل على الجار و المجرور بل البيت مشتمل على الكافر، كما أن من آمن ببعض الذين استضعفوا.

و أجاب بأنه لما لم يحصل من اللام فائدة إلا التأكيد جاز لهم أن يجعلوه كالعدم، و يسموه بدل الاشتمال نظرا إلى المجرور، و لا يكرر في اللفظ في البدل من العوامل إلا حرف الجر لكونه كبعض حروف المجرور.

و بالجملة الأظهر في البدل بل في سائر التوابع وفاقا للاكثر أن العامل فيها هو العامل في المتبوع، لأن المنسوب إلى المتبوع في قصد المتكلم منسوب إليه مع تابعه و لذا قالوا: إن الفعل لا يرفع أزيد من واحد بالأصالة إخراجا للتبعية.

هذا مضافا إلى ضعف القولين الآخرين فيها و هو تقدير العامل كما سمعت أو كونه معنويا كما في المبتدأ، و هو المحكى عن الأخفش لكونهما على خلاف الأصل، و الظاهر سيما مع شذوذ الثاني.

و أما ما

ذكره الإمام عليه السلام في المقام تفسيراً للآية من قوله: أي قولوا: صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك و طاعتك «٢» ... آه.

فلا دلالة على التقدير بل هو مبنى على ما ذكره من أن المبدل منه في درجة السقوط و إن كان الحق فيه أنه ليس على وجه الكلية أيضا لكونه المرجع

(١) الزخرف: ٣٣.

(٢) كنز الدقائق ج ١ ص ٧٥ عن معاني الأخبار ص ٣٢ ح ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٤٠

لضمير البدل أحيانا.

و على كل حال ففائدة البدل مطلقا و إن كان تأكيدا لحكم بتكرير ذكر المنسوب إليه، و تكرير النسبة تقديرا أو اعتبارا إلا أنه يفيد في المقام مضافا إليه الإشعار بأن استقامة الصراط إنما هو بكونه محصورا بين المنعم و المنعم عليهم، و إن كان المخلوق إنما ينتهي إلى مثله، لأن الطلب إنما يلجئه إلى شكله، و إن الصراط المستقيم نعمه منه سبحانه لا من غيره، و أن في سلوكه اشتياقا لنفوس المشتاقين و ابتهاجا لأرواح السالكين بسبب مرافقه تلك الأرواح القدسية و الأشباح الإنسية فأولئك مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ

الصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا «١».

بل قد يقال: إنه بدل البعض من الكل طلبا لا قرب السبل، فإنَّ المستقيم وإن أفاد تخصيص الصراط بإخراج الطرق المعوجة التي لا يزيد سالكها إلا بعدا من الله إلا أنه يشمل بعد ذلك طريق المقرّبين وأصحاب اليمين، بل يشمل الفرق الثالث الذين أورثهم الله كتابه فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ «٢».

و طرق الجميع وإن كانت مشتركة في الانتهاء إلى الله لاشتراكها في المنتهى، إلما أنها مختلفة في المبدأ قربا وبعدا، بل في نفس المسلك و كفيته السلوك أيضا فإنَّ بعضهم يتوجهون إلى الله بأبدان الأعمال، وآخرون بأرواحها التي هي نفس التوجه والإقبال، و لذا قيل: إن الآية متضمنة لجملة من السؤال والجواب، فكأنَّ لسان الربوبية لما قال العبد: اهدنا الصراط، سأله أي الصراط فإنَّ الطرق كثيرة فيجيبه لسان العبودية باستدعاء الصراط المستقيم ثم خاطبه ثانيا بأنَّ الطرق المستقيمة أيضا كثيرة مختلفة لا في نفسها فإنَّ المستقيم الواصل بين النهايتين لا يزيد على

(١) النساء: ٦٩.

(٢) فاطر: ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٤١

واحد، بل باعتبار المبدأ بحسب القرب والبعث وإن كان الكل ينتهي إليه سبحانه، فأجاب العبد، بل الرب بلسان عبد: بأنَّ المسئول طريق الذين أنعمت عليهم بشرف الوصال، من دون شوب الغضب والضلال، فهم أرباب المنحة لا المحنة وأصحاب النعمة لا النعمة، بل هم الواصلون، وغيرهم الضالون المضلون.

خليلي قطاع الطريق إلى الحمى كثير ولكن واصلوه قليل

ثم إنَّ الذين في موضوع الجزر بإضافة الصراط إليه، و هو جمع الذي من لفظه لذوى العلم في الأحوال الثلاثة عند الأكثر، و هو الأصح والأفصح، واللذون رفعا هذليته ومنه قولهم:

نحن اللذون صبّحوا الصباحا.

نعم ربما يقال: إن إعراب الجمع لغة من شدّد الياء في الواحد، وهذا يقوى قول الجزولي: إن الذي مشدّد الياء معرب وأصله اللذيون فحذف أحد اليائين، ثم عمل ما عمل بقاضون، و عن بعضهم عدم الحذف والعمل أصلا، بل الجرى على الأصل بالواو رفعا، و بالياء مع الياء المشدّدة نصبا و جدّا.

وهذا كله من أضغاث أحلام المعربين الذين وجدوا الألفاظ مستعملة ثم تكلموا فيها بما هو شبيه برجم الغيب، كما تكلموا في الذي أيضا بمثل ذلك، حيث زعم الكوفيون أن أصله الذال الساكنة فلما أرادوا إدخال اللام الساكنة عليها زادوا قبلها لا ما متحركة لئلا يجمعوا بين الذال الساكنة و لام التعريف الساكنة، ثم حرّكوا الذال بالكسر، و أشبعوا الكسر فتولدت ياء.

و البصريون أن أصله لذ بالفتح و الكسر ألزمت اللام التعريف التي لا تفيدها تعريفا، لكونها من المعارف تحسينا للفظها و أشبعت الكسرة ياء.

لكنه غيره من تكلفاتهم مما لا ينبغي الإصغاء إليه، بل و لا إلى ما ذكره عارفهم الشيخ صدر الدين القونوي من أن الذي أصله الذي، و لكثرة التداول والاستعمال أفضى فيه الأمر إلى أن حذفت ياءه المشدّدة، ثم تدرّجوا فحذفوا الياء

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٤٢

الآخري فقالوا اللذ ثم حذف بعضهم الذال أيضا فلم يبق إلا اللام المشدّدة الذي هو عين الفعل، فإنَّ اللام الآخري لام التعريف، فاذا قلت زيد الذي قام، أو قلت القائم، كان المعنى واحدا فلام القائم ناب مناب قولك: الذي، و الياء و النون في الذين ليس للجمع، بل



لزيادة الدلالة لما تقرّر أنّ الموصولات لفظ الواحد، و الجمع فيهن سواء، لأنّه لو كان الياء و النون في الّذين للجمع لا عيد إليه حين الجمع الياء الأصليّة المحذوفة على العادة الجارية في مثل ذلك، و لم يكن أيضا نبيّا بل معربا و الّذين مبنى بلا شكّ انتهى.

إذ فيه أنّه من أين علم أنّ اللام الموصولة أصلها الذيّ و أنّ أصله أيضا بتشديد الياء، و ما الداعي إلى ذلك و هل رأت النحاة إلا بعض الاستعمالات التي ربما استنبط بعضهم منها بعض النكات التي ليست بعلة أوليّة.

نعم ربما يقال: إنّ في المفرد أربع وجوه، بل لغات يختلف باعتبارها صيغ المثنى و المجموع: أحدها بالياء المشدّدة كالنبيّ، و المثنى اللذيات بزيادة الألف و النون بعد الياء المشدّدة، و الجمع اللذيون بضمّ الياء المشدّدة رفعا و اللذين بكسرها نصبا و جزّا على وزن النبيّين.

ثانيها اللغّة المشهورة التي هي تخفيف الياء في المفرد، و حذفها مع زيادة الألف و النون رفعا و الياء و النون نصبا و جزّا مع فتح الذال في الأحوال كقوله:

وَ الذانِ يَأْتِيَانِهَا «١» أَرَنَا الذّينِ «٢».

و إن قيل: إنّه ربّما يشدّد النون حينئذ كما قيل: إنّ هذه الملحقات ليست علائم للإعراب و إنّ توهمها بعض القاصرين فإنّ الموصولات بأسرها مبتيات وضعت صيغتها للدلالة على معانيها، و لذا كان جمعه في الأحوال بالياء و النون و إن اشتهرت عن هذيل بالواو رفعا، بل ربما يقال: إنّ الياء و النون في الّذين ليست

(١) النساء: ١٦.

(٢) فصلت: ٢٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٤٣

علامة للجمع أصلا، بل لزيادة الدلالة، بل قيل: من لطائف الغرائب أنّ المفرد و المثنى يعمّ ذوى العقول و غيرهم، بخلاف الجمع فإنّه يختصّ بذوى العقول، و لعلّها قيست بالجمع السالم.

ثالثها حذف الياء اكتفاء بالكسرة الدالّة عليها على حدّ قوله: يَوْمَ يَدْعُ الدّاعِ «١» لكنّها شاذّة كالوجه الرابع الذي يحذف فيه الكسرة أيضا، و كأنّهما وقعا في ضرورة الشعر فظنّوهما لغتين، بل لعلّ الوجه الأول أيضا كذلك.

## تبصرة

للصراط اعتبارات ثلاثة لأنّه في نفسه طريق معنوي محصور بين المبدأ و المنتهى، و هو مشروع مجعول من الله سبحانه لسلك العبد فيه، و لذا وصفه أولا بالاستقامة التي هي صفة ذاتية له، ثمّ أضافه في السالكين الذين أنعم الله عليهم بسلك هذا الصراط المستقيم في التوجه إليه و الإقبال عليه، ثمّ أشار الى أنّه نعمته منه، و أنّه هو المنعم به على عبيده، و إنّما أضافه إلى المنعم عليهم بالفتح دون المنعم بالكسر للتنبية على كون هذا الصراط الموصوف بالاستقامة طريقا لهم نعمته من الله عليهم، و لذا قال بعد قوله: وَ لَهْدَيْتَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ... فَأُولَئِكَ مَعَ الذّينِ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصّٰدِقِينَ وَ الشّٰهَدَاءِ وَ الصّٰلِحِينَ «٢».

و أنّه ليس لأحد التّنعم بهذه النعمة الجليلة المحتوية على خير الدنيا و الآخرة إلاّ بمتابعتهم و مشايعتهم و الاقتداء بهديهم و الاهتداء بنورهم أُولَئِكَ الذّينِ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ أَقْتَدِهِ «٣».

(١) القمر: ٦.

(٢) النساء: ٦٨ - ٦٩.

(٣) الانعام: ٩٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٤٤

فإن القرآن نزل على حدّ إيتاك أعنى و اسمعى يا جاره، و من هنا يظهر أنّه يمكن الاستدلال بهذه الآية على أنّ النبي صلّى الله عليه و آله و الأئمّة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين و سائط الخلق إلى الله سبحانه و أنّهم الأبواب و الحجاب و النواب، سيّما بعد ما سمعت أنّ ولايتهم هو الصراط المستقيم الذى نجى به من نجى و هلك من هلك، فبهم تمّت الكلمه، و عظمت النعمه، و هم السبيل الأعظم إلى الله، و الصراط الأقوم إليه، و شهداء دار الفناء، فلا يغيب منهم عمل عامل من حق أو باطل، و شفعاء دار البقاء فيشفعون لمن ارتضى الله دينه بولايتهم، و محبتهم و الانقطاع إليهم، و الأخذ منهم و العمل بمقتضيات ولايتهم.

و الآية و إن لم يكن فيها تصريح بالتعيين فضلا عن الحصر إلّا أنّه يتمّ ذلك بضميمة الأخبار المستفيضة المتقدمة المصرحة بكونهم الصراط المستقيم، مضافا إلى ما سمعت من الإشارة إلى ذلك فى آيات كثيرة يقطع الناظر فيها سيّما بعد التأمل فيما ورد فى تفاسيرها من الطريقتين لو كان من أهل الشك و الارتياب.

أمّا المؤلف المؤتمن فضلا عن المؤمن الممتحن فلعلّه لا يستريب فى وساطتهم المحققة و بايتهم المطلقة فى جميع الفيوض التكوينية و التشريعية على وجه لا يوجب الإلحاد و لا التعطيل حسب ما أشرنا إليه، كما أنّه يستفاد من الآية أيضا مضافا إلى ما استفيد من الآية المتقدمة حسب ما أشرنا إليه تقرير الأمر بين الأمرين على أتم الوجوه و أبلغها بالنسبة إلى المنعم عليهم الذين هم قادة الأمم و أولياء النعم، نظرا إلى أنّه سبحانه أضاف الصراط إليهم أولا نفيًا لتوهم الجبر و أضاف النعمة إليه سبحانه، ثانيا دفعا لشوب التفويض الذى توهمته الغلاة أو المفوضة إليهم أو إلى أنفسهم، و لذا أضاف إلى نفسه و إلى خلقه معا الصراط كما فى هذه الآية،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٤٥

و فى قوله: «أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ» (١) و الدين فى قوله: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ» (٢)، و الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» (٣) و الهداية فى قوله: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ» (٤) و إن كان مرجع الثلاثة الى واحد.

ثمّ إنّ إضافة الصراط إلى الموصولة لامية تفيد اختصاصه بهم فإن أريد بهم المتبوعون فلاختصاص بهم واضح، و إن أريد التابعون فاختصاصه بهم من حيث السلوك و الاستطراق و إن كان مختصا بالنبي صلّى الله عليه و آله و عترته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من حيث الإشراف و الاشتقاق، و بالله سبحانه من حيث الانوجاد و الانخلاق لكفاية أدنى الملاسة فى باب الإضافة.

و لذا أضيف إليه سبحانه فى قوله: «صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهُ» (٥) الآية و قوله: «صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ» (٦) و إلى النبي صلّى الله عليه و آله: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ» (٧).

و إلى مولينا أمير المؤمنين روى له الفداء فى قوله: «هذا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ» (٨) على وجه البيان أو الاضافة، و ان كان محتملا للأول، و لتقدير اللام.

ثمّ إنّ التعبير بالذين فى المقام دون من و غيره من الأسماء الموصولة إنّما هو لزيادة الإشعار فيه بالتعظيم و التفضيم، بل التصريح بالجمعيّة الداعية إلى الالتحاق

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) آل عمران: ٨٣.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) الانعام: ٩٠.

(٥) إبراهيم: ١-٢.

(٦) الشورى: ٥٣.

(٧) يوسف: ١٠٨.

(٨) الحجر: ٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٤٦

بهم والانخراط في زمرةهم إثارة لموافقتهم و مرافقتهم، ولذا ندب سبحانه إلى طاعته و طاعته رسوله موافقة أوليائه في قوله: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا «١».

نعم قرء شاذا صراط من أنعمت عليهم و نسبه في الكشاف إلى عبد الله بن مسعود، بل رواه مرسل شيخ الطائفة في «البيان» و الطبرسي في «مجمع البيان» «٢» عن أهل البيت عليهم السلام لكنه لا ريب في شذوذه و عدم ثبوته لهذه الرواية المرسله التي لا جابر لها، مضافا إلى أن الموجود في تفسير الامام عليه السلام بل و في غيره من الأخبار المشتملة على تفسير هذه المباركة و الآية الشريفة هو القراءة المشهورة، هذا مضافا إلى أنه نسب في «البيان» و في «مجمع البيان» هذه القراءة الشاذة إلى شاذ من الناس كالثاني و الزبيرى و من البين أن الرشد في خلافهما.

نعم

روى القمى في تفسيره عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قرأ صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و غير الضالين «٣».

و لعل الأولى حملة على التقيئة لما سمعت.

### بسط في الكلام لبيان معنى الإنعام

الإنعام إفعال من النعمة بمعنى إعطائها و إيصالها، و هى بالكسر و إن قيل: إنها مأخوذة من النعمة بالفتح بمعنى اللين، و منها النعمة فى البدن، و النعامى بالضم ربح

(١) النساء: ٦٩.

(٢)

فى مجمع البيان ج ١ ص ٢٨ قرأ: «صراط من أنعمت عليهم» عمر بن الخطاب و عمرو بن عبد الله الزبيرى، و روى ذلك عن أهل البيت عليهم السلام.

(٣) تفسير القمى ج ١ ص ٢٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٤٧

الجنوب لكنها بالفتح اسم بمعنى التمتع كما صرحوا مضافا إلى قوله: وَنَعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ «١»، و لذا قيل: بأن الموجود فى كتب اللغة أنها بالفتح هى التمتع، و بالكسر هى المال، و نحوه، و من كلامهم: كم من ذى نعمة لا نعمة له، أى كم من ذى مال لا تنعم له. و قيل: إنها من النعمة بالضم بمعنى المسرة و البهجة فالنعمة ما توجبها و تقربه العين.

و قيل: إن الإنعام الإتمام تقول: أنعمت دقة إذا بالغت فيه و أتممته، و لعل أصل الباب للمبالغة و الزيادة لكن على وجه الرفق و السهولة، و لذا اقتصر عليها فى «مجمع البيان» و إن لم يذكر القيد، و على كل حال فالنعمة فى الأصل و إن كانت هى الحالة المستلذة

للإنسان لكونه صحيحاً مليئاً وجيهاً إلى غير ذلك مما تشتهيهِ الأنفس و تقربه الأعين، إلّا أنّها أطلقت على نفس الشيء المستلذّ به كالمال، و الصّحة، و الجاه إطلاقاً لاسم المسبب على السبب، نعم يختلف النعمة باختلاف الأشخاص و الأحوال و الأزمان إلى غير ذلك من المشخصات التي قد يكون الشيء معها نعمة و نعمة من جهتين، فالمال مثلاً في نفسه و بالنسبة إلى بعض الأشخاص أو مطلقاً نعمة، و قد يكون نعمة على غيره، إذ يسعد به قوم، و يشقى به آخرون إنّ الإنسان ليَطغى أن رآه اسْتَعْنَى «٢» و وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ «٣»، أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ «٤».

(١) الدخان: ٢٧.

(٢) العلق: ٦.

(٣) الشورى: ٢٧.

(٤) إبراهيم: ٢٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٤٨

كما أنّه ربما يكون الشخص حيث يتلذذ و يتنعم بكلّ ما يرد عليه و لو من البلى و المحن الدنيوية كالفقر و المرض و الذلّة و غيرها من البلى و المصائب.

ولذا

ورد في الخبر: إنّ العبد إذا بلغ حقايق اليقين، فالبلاء عنده نعمة.

و

في العلوى الّذى رواه كميل بن زياد أنّ النفس الكليّة الالهية لها خمس قوى بقاء في فناء، و نعيم في شقاء، و عزّ في ذلّ، و فقر في غناء، و صبر في بلاء، و لها خاصيتان: الرضا و التسليم «١».

و ذلك لا لإيثار الفقر و الذلّة و البلاء على أضرارها من حيث هي، فإنّ الكلّ نعمة منه تعالى مع أنّ النعمة في أضرارها أتمّ و أعمّ، بل إنّما ذلك لما يلزمها من قطع العلائق و الانقطاع عن الخلاق، و التوجّه التام إلى جناب الخالق، أو لأنّ العبد يلزم أن يكون في مقام التسليم بحيث يتلقّى و يرضى بما يرد عليه، و لذا عدّ في العلوى المتقدّم من خواصّ النفس الكليّة الالهية الرضا و التسليم، و هو من أسنى المقامات على ما يستفاد من أخبار كثيرة.

ثمّ إنّ نعم الله سبحانه على كلّ عبد من عباده ممّا لا تعدّ و لا تحصى و لذا قال: وَ إِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا «٢» كيف و لا يمكن لأحد الاطلاع على الاستقصاء بجميع الارتباطات التي بينه و بين كلّ جزئى من جزئيات العالم، ممّا جعله الله تعالى من روابط فيوضه الروحانية و الجسمانية بلا- واسطة أو معها مع وحدتها أو تكثرها بل لعل الفيض الواحد الجزئى، فضلاً عن الفيوض الكثيرة الغير المتناهية التي لا يعلمها أحد إلّا هو سبحانه له ارتباط بجميع مراتب الفيوض الواقعة

(١) بحار الأنوار ج ٦١ ص ٨٥ عن بعض كتب الصوفية.

(٢) إبراهيم: ٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٤٩

في السلسلة الطولية و العرضية لإستحالة الطفرة في الوجود و انقطاع الروابط بين العابد و المعبود، بل كلّ عال مجاز و درجة لما تحته في الصعود، و وسيلة له إلى واجب الوجود، و كلّ سافل مجاز للعالي و مظهر له في النزول، و رابطة بين العالمة و المعلول، حتّى أنّه لو تغير البعض تغير الكل، و لذا قال سبحانه: وَ مَا أَمْزَنَّا إِلَّا وَاحِدَةً «١».

و

ورد أبى الله أن يجرى الأمور إلّا بأسبابها «٢».

و بالجمله فرحمته عامية شاملة و عنايته تامة كاملة، و حينئذ فيفتح بهذا المقال باب للسؤال، و هو أن المنعم عليهم جميع الخلق أجمعين من المسلمين و المشركين و الكافرين، و قضيه عموم الموصول، و حذف متعلق النعمة، و عدم التعرض لخصوصيتها شمول الموصول لكل من أنعم الله تعالى عليه بأى نعمة كان، فيكون المسئول طرق جميع أهل العالم، و لا يمكن الجمع بين طرق الجميع الشامل للمؤمن و الكافر و المشرك و المنافق و المطيع بمراتب الإطاعة و درجاتها- و العاصى بفسوق المعصية و دركاتهما، و لا ريب أن المقصود بالسؤال خلافه.

لكن الخطب سهل فى دفعه بعد افتتاح الآية فى الهداية الظاهرة فى طريق الصواب الموصول إلى الأحباب، و نيل الثواب، سيما مع توصيفه بالمستقيم الذى هو صفة مخصصة للصراط إن لم نقل: إن اللام فيه للإشارة إلى الفرد الكامل الذى هو تمام الحقيقة، أو إلى المعهود الذى هو المقصود، أو أن غيره لا ينبغى أن يسمى صراطا، و لا الإرشاد إليه و إرائته هداية إلّا على وجه التهكم. هذا مع أن الذين أنعمت عليهم ظاهر فى المعهودية فى خصوص قوم، و هم

(١) القمر: ٥٠.

(٢)

فى عوالى اللآلى ج ٣ ص ٢٨٦ ح ٢٧ عن الصادق عليه السلام: أبى الله أن يجرى الأشياء إلّا على الأسباب و فى الكافى كتاب الحجّة ح ٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٥٠  
تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ٦٩٩

الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصّديقين و الشهداء و الصالحين، و لو لاستفادته من التعبير بالموصول أو ظهور النعمة فى الفرد الأكمل، أو جميع أفرادها التى يختص بها المؤمن الكامل، أو لأنّ النعمة لم تبق على الكفار نعمة، بل جعلوها نعمة عليهم، و لذا كان مولينا أمير المؤمنين عليه السلام، بل كلّ نعمة من نعم الله التى هو عليه السلام أعظمها نعمة على الأبرار، و نعمة على الفجار أ لم ترّ إلى الذين يبدّلوا نعمت الله كُفراً «١» مضافا إلى تعقيه بالمخّصّص المتّصل الذى هو غير المغضوب عليهم و لا الضالّين على فرض عمومهم و إلّا فقد عرفت اختصاصه من وجوه عديدة.

ولذا

قال مولينا الإمام عليه السلام: إن هؤلاء هم الذين قال الله تعالى: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ «٢». «٣» و حكى هذا بعينه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال ثم قال عليه السلام ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال و صحّة البدن، و إن كان كلّ هذا نعمة من الله ظاهرة ألا ترون أن هؤلاء قد يكونون كفّارا أو فساقا فما ندبتهم أن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم، و أنما أمرتم بالدعاء لأن ترشدوا إلى صراط الذين أنعم عليهم بالإيمان بالله و تصديق رسوله، و بالولاية لمحمّد و الله الطيبين و أصحابه الخيرين المنتجبين، و بالتقيّة الحسنه التى يسلم بها من شرّ عباد الله و من شرّ الزنادقة فى أيام أعداء الله بكفرهم بأن تداريهم فلا تغريهم بأذاك و لا أذى المؤمنين، و بالمعرفة بحقوق الإخوان من المؤمنين فإنّه ما من عبد و لا أمة و الى محمّدا و آل محمّد و أصحاب محمد و عادى من عاديتهم إلّا كان قد اتّخذ من عذاب الله حصنا منيعا و جنّة حصينه، و ما من عبد و لا أمة دارى عباد الله بأحسن المداراة فلم يدخل بها فى باطل، و لم يخرج بها عن

(١) إبراهيم: ٢٨.

(٢) النساء: ٦٩.

(٣) تفسير العسكري: ص ٢٢-٢٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٥١

حقاً إلا جعل الله نفسه تسيحاً و زكى عمله، و أعطاه بصيرة على كتمان سرنا و احتمال الغيظ لما يسمعه من أعدائنا ثواب المتشحط بدمه في سبيل الله، و ما من عبد أخذ نفسه بحقوق إخوانه فوفاهم حقوقهم جهده و أعطاهم ممكنه، و رضى عنهم بعفوهم، و ترك الاستقصاء عليهم فيما يكون من زلهم و غفرها لهم إلا قال الله عز و جل له يوم القيمة: يا عبدى قضيت حقوق إخوانك و لم تستقص عليهم فيما لك عليهم، فإنى أجود و أكرم، و أولى بمثل ما فعلته من المسامحة و التكرم، فأنا أقضيك اليوم على حق وعدتك به و أزيدك من الفضل «١» الواسع، و لا أستقصى عليك فى تقصيرك فى بعض حقوقى قال عليه السلام فيلحقه بمحمد و آله و أصحابه و يجعله من خيار شيعتهم «٢».

ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله لبعض أصحابه ذات يوم: يا عبد الله أحب فى الله و أبغض فى الله، و وال فى الله و عاد فى الله، فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك، و لا يجد رجل طعم الإيمان و ان كثرت صلواته و صيامه حتى يكون كذلك، و قد صارت مواخاة الناس يومكم هذا أكثرها فى الدنيا عليها يتوادون و عليها يتباغضون، لا يغنى من الله شيئاً فقال الرجل: يا رسول الله فكيف أن أعلم أتى قد واليت فى الله و عاديت فى الله و من ولى الله حتى أوليه، و من عدو الله حتى أعاديه فأشار له رسول الله صلى الله عليه و آله إلى على عليه السلام فقال: أت ترى هذا؟ قال: بلى قال: ولى هذا ولى الله فواله، و عدو هذا عدو الله فعاده، و وال ولى هذا و لو أنه قاتل أبيك و ولدك، و عاد عدو هذا و لو أنه أبوك و ولدك «٣».

(١) فى البحار: من فضلى الواسع.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٤ / ١٠ - ١١ عن تفسير الإمام ص ١٧ - ١٨.

(٣) البحار ج ٢٧ ص ٥٤ ح ٨ عن تفسير الامام ص ١٨ و معانى الاخبار ص ١١٣ و عيون الأخبار ص ١٦١ و علل الشرائع ص ٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٥٢

### تتمة مهمة فى أن النعمة هى الولاية

قد سمعت تواتر الأخبار و شهادة الإعتبار على أن المراد بالصراط المستقيم هى ولاية مولينا أمير المؤمنين عليه السلام، و هى طريقته فى معرفته لله تعالى و لرسول الله صلى الله عليه و آله و فى عبادته و عبوديته لوقوفه على التنجيين و برزخيته الكبرى فى البين. و نزيد فى المقام أن قضية الإنعام أن هاهنا أموراً ثلاثة: المنعم و المنعم عليهم و النعمة، فالأول هو الله تعالى، و الثانى قد مر أنه جميع من أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين بل و الكروبيين و العالين، بل و غيرهم من صنوف الملكة و الجنة و الناس أجمعين، و اما الثالث فهو ولاية مولينا أمير المؤمنين عليه السلام إذ بولايته و محبته و مشايعته فى عبادة ربه و متابعتة فى طريق معرفته قد فاز الفائزون، و نجى الصالحون، و لذا

ورد: أن الله تعالى قد أخذ ميثاق ولايته على الأنبياء و المرسلين و جميع الخلق أجمعين

فسعد من صدقه بتصديقه، فخلق بهيئة التصديق، و هيكل التوحيد، و شقى من كذبه بتكذيبه، فإن ولايته متضمنة لولاية الله تعالى و ولاية رسوله، بل لإطاعة الله عز و جل فى كل ما دق و جل من الأصول و الفروع و الآداب و السنن و الأحكام الاقتضائية و التخيرية و الوضعية على حسب حال موضوعاتها من العموم و الخصوص و الإطلاق و التقييد و الظاهر و الباطل.

و لذا

قال مولينا الصادق عليه السلام: إن الدهر فينا قسّمت حدوده و لنا أخذت عهوده «١».

بل

ورد من طريق العامة أيضا عن انس بن مالك قال دفع على بن ابي طالب عليه السلام إلى بلال درهما ليشتري به بطيخا قال: فاشترت به بطيخة فوجدها مرة فقال: يا بلال ردّ هذا إلى صاحبه و أتني بالدرهم إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال لي: إن الله أخذ حبك على البشر و الشجر و الثمر و البذر فما أجاب إلى حبك عذب و طاب، و ما

(١) لم أظفر على مصدره. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٥٣

لم يجب خبث و مرّ، و إنّي أظنّ أنّ هذه ممّا لم يجب «١».

و ممّا يصرح بكون ولايته عليه السلام تمام النعمة قوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ «٢».

لما ستسمع من استفاضة الأخبار بل تواترها من الفريقين على أنّ المراد بها في الآية تنزيلا و تأويلا ولايته عليه السلام و نصبه علما للناس.

ولذا

قال مولينا الصادق عليه السلام في الدعاء المروي في «التهذيب» و غيره بعد صلوة الغدير: و مننت محمّدا و ذريته «٣».

و في تفسير قوله تعالى: أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَ أَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ «٤»

عن القمي عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام قال عليه السلام: ما بال قوم غيروا سنة رسول الله صلى الله عليه و آله و عدلوا عن وصيته لا يخالفون أن ينزل بهم العذاب، ثم تلا هذه الآية، ثم قال: نحن النعمة التي أنعم الله على عباده، و بنا يفوز من فاز يوم القيمة «٥».

و

فيه عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ «٦» قال: أ تدرى ما آلاء الله؟ قلت: لا، قال: هي أعظم نعم الله على خلقه و هي ولايتنا «٧».

و

روى القمي و غيره عن مولينا الباقر عليه السلام في قوله تعالى: وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً «٨»، قال: أمّا النعمة الظاهرة فالنبي صلى الله عليه و آله و ما جاء به من معرفة

(١) ينابيع المودة ج ٢ ص ١٨٠ ح ٥٢٠ و ذخائر العقبى ص ٩٢.

(٢) المائة: ٣.

(٣) معاني الاخبار ص ٣١ ح ٧.

(٤) إبراهيم: ٢٨.

(٥) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٢٢.

(٦) الأعراف: ٦٩.

(٧) البحار: ج ٥٩ / ٢٤ عن الكافي ج ١ ص ٢١٧.

(٨) لقمان: ٢٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٥٤

الله و توحيده، و أمّا النعمة الباطنة فولايتنا أهل البيت و عقد مودتنا «١».

و بمعناه أخبار آخر، بل  
في بعضها أن النعمة الظاهرة الإمام الظاهر و الباطنة الإمام الباطن.

و

في «المحاسن» مسندا عنه عليه السلام، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَا أَبَا ذَرٍّ مِنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فليحمد الله على أول النعم، قال: يا رسول الله و ما أول النعم؟ قال: طيب الولادة لا يحبنا أهل البيت إلا طاب مولده «٢».

و

في الزيارة الجامعة: بمولاتكم تمت الكلمة، و عظمت النعمة.  
ثم إنه قد فسرت النعمة في هذه الآية و في غيرها أيضا بالدين، و الإسلام، و الإيمان، و المعرفة، و التقوى، و التوحيد، و غيرها من  
التعبيرات المختلفة التي مرجعها إلى حقيقة الولاية بالحدود المعتبرة.  
عبارتنا شتى و حسنك واحدو كل إلى ذاك الجمال يشير  
و لذا فرض الله طاعته و إقامة ولايته على الناس أجمعين بل جعل ولايته المعرف الصحيح، و الكاشف الأخير لتوحيده و نبوة رسوله.

و

ورد في النبوي: أن الله تعالى لما خلق آدم و نفخ فيه من روحه عطس آدم فقال: الحمد لله، فأوحى الله تعالى إليه حمدتني، و عزتني  
و جلالي لو لا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا «٣» ما خلقتك يا آدم قال: إلهي فيكونان مني، قال: نعم يا آدم ارفع رأسك و  
انظر، فرفع رأسه فإذا مكتوب على العرش: لا اله إلا الله، محمد نبي الرحمة، و علي مقيم «٤» الحجّة، من عرف حق علي زكي و طاب،  
و من أنكر حقه لعن و خاب، أقسمت بعزتي أن أدخل الجنة من أطاعه و إن عصاني، و أقسمت

(١) البحار: ج ٢٤ / ٥٤ عن المناقب ج ٣ ص ٣١٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٧ / ١٥٠ عن أمالي ابن الشيخ ص ٣٨ - ٣٩.

(٣)

في البحار: في آخر الدنيا.

(٤)

في البحار: و على مفتاح الجنة. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٥٥

بعزتي أن أدخل النار من عصاه و إن أطاعني «١».

بل

قد ورد أخبار كثيرة في تفسير قوله تعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ هُمْ مِنْ فَرْعِ يَوْمِئِذٍ آمِنُونَ وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ  
فِي النَّارِ «٢».

الآية: أن المراد بالحسنة و الله ولاية أمير المؤمنين، و السيئة و الله أتباع أعدائه.

و

في الكافي عن مولينا الصادق عليه السلام عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية قال عليه السلام: الحسنه معرفة الولاية و  
حبنا أهل البيت، و السيئة إنكار الولاية و بغضنا أهل البيت «٣».

و مثله أخبار كثيرة تأتي في موضعها، بل ورد مثله في طرق العامّة عن عبد الله بن مسعود و غيره عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فعن «المناقب» للخوارزمي عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لو اجتمع الناس على حبّ عليّ بن أبي طالب لما خلق الله عزّ و جل النار «٤».



و

عن كتاب «الفردوس» عن معاذ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: حَبَّ عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَسَنَةٌ لَا تَضُرُّ مَعَهَا سَيِّئَةٌ وَبَغْضُهُ سَيِّئَةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَهَا حَسَنَةٌ، وَادْخَلَ الْجَنَّةَ مَنْ أَطَاعَهُ وَإِنْ عَصَانِي وَادْخَلَ النَّارَ مَنْ عَصَاهُ وَإِنْ أَطَاعَنِي «٥».

بل في المحكى عن الزمخشري في بيانه أنه قال: هذا رمز حسن، وذلك أَنَّ حَبَّ عَلِيٍّ هُوَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ، وَالْإِيمَانُ الْكَامِلُ لَا تَضُرُّ مَعَهُ السَّيِّئَاتُ قَوْلُهُ: وَإِنْ عَصَانِي فَأِنِّي أَغْفِرُ لَهُ إِكْرَامًا وَادْخَلَ الْجَنَّةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ بِالْإِيمَانِ، وَ لَهُ بِحَبِّ عَلِيٍّ الْعَفْوُ وَالْغُفْرَانُ، وَقَوْلُهُ: ادْخَلَ النَّارَ مَنْ عَصَاهُ وَإِنْ أَطَاعَنِي، وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يُوَالِ عَلِيًّا فَلَا

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٣٠ ح ٦١ عن بشارة المصطفى ص ٨٢ وليس فيه: (أدخل الجنة من أطاعه و إن عصاني ...) نعم في ذيله: أقسم بعزتي أن أرحم من تولاه و أعدب من عاداه.

(٢) النمل: ٨٩-٩٠.

(٣) أصول الكافي ج ١ ص ١٨٥ ح ١٤.

(٤) المناقب للخوارزمي ص ٦٠٧ الفصل ٦ ص ٣٩.

(٥) الفردوس ج ٢ ص ١٤٢ ح ٢٧٢٥ و ليس فيه: (و ادخل الجنة ... إلخ).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٥٦

إيمان له و طاعته هناك مجاز حقيقة، لأن الطاعة الحقيقية هي المضاف إليها سائر الأعمال، فمن أحب علينا فقد أطاع الله و نجى. فعلم أن حبه هو الإيمان و بغضه هو الكفر، و ليس يوم القيمة إلا محب و مبغض، فمحب لا سيئه له و لا حساب عليه، و من لا حساب فالجنة داره، و مبغضه لا- إيمان له، و من لا- إيمان له ينظر الله إليه بغير رحمته، و طاعته عين المعصية إلى آخر ما ذكره في مادة «عصاني» مجمع البحرين «١» و كأنه حكاه عن الشيخ البرسي الذي خلط كلامه بكلام الزمخشري فلاحظ «٢».

و حيث إنك قد سمعت أن المنعم عليهم هم الأنبياء و المرسلون، و الملكة أجمعون، و العباد الصالحون حسب ما هو قضية عموم الآية بل خصوص الآية الأخرى المتقدمة، سيما مع ملاحظة تفسير الإمام عليه السلام فالنعمة عليهم جميعا في ولاية مولينا أمير المؤمنين، حسب ما مرّت الإشارة إليها آنفا من أن المراد بولايته هو القيام بحدود العبودية و وظائفها، و ملازمة التقوى، و الطاعة الكاملة المطلقة في جميع ما شاء الله و أحب من الأمور التشريعية و غيرها، فكل من ارتكب منهم شيئا خلاف ما هو الأولى و الأخرى فقد خرج عن حدود ولايته، كما أنه خرج عن وظائف عبودية الله سبحانه، و لا تتوهم من هذا شركا أو إلحادا فإن الله تعالى جعل ولايتهم ولايته، و طاعتهم طاعته، و معصيتهم معصيته، و محبتهم محبته، و إن شئت فقل: جعل ولايته ولايتهم للأول إلى الاتحاد من غير إلحاد، و في البين ما تقرّبه العين فمن أطاعهم فقد أطاع الله، و من عصاهم فقد عصى الله، و من أحبهم فقد أحب الله، و من أبغضهم فقد أبغض الله، لا لقضية الملازمة فإنها بعيدة غير ملائمة، بل لأنها هي، لا لأنهم هو، بل لأنهم الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل محبتهم و معرفتهم و ولايتهم لأنه جعلهم أبوابه و سبله و حجه، و معادن لكلماته و أركانا لتوحيده و آياته

(١) مجمع البحرين ج ١ ص ٢٥٩ في ذيل كلمة (عصى) ط بيروت.

(٢) مشارق أنوار اليقين للبرسي ص ٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٥٧

و مقاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفه بها من عرفه لا فرق بينه و بينهم إلا أنهم عباده و خلقه فإنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون.

ثم إن سبل الذين أنعم الله عليهم من هؤلاء المعدودين وإن كانت بمختلفة جدًا لاختلاف مراتب القبول التي يختلف بها الوصول لكنّ المسؤول هو النوع الذي لأفرادها عرض عريض جدًا حتى أن الهداية اللائقة بشخص واحد خاص من حيث الاستعداد و القبول لها جزئيات مختلفة من حيث خصوصيات الأزمان والأحوال، و من هنا يسقط ما لو ربّما توهم من أنه كيف يصحّ سؤال الصراط المبهم و سؤال ما لا- ينال قطعاً إذ مع أن سبيل كل واحد لا يتعداه لا ريب أن سبيل الأنبياء والأوصياء المخصوصين بالعصمة على اختلاف مراتبها لا يتعداهم إلى غيرهم، و مع فرضه فمن البين أنه لا يناله كل أحد ممن امر بهذا الطلب في كل صلوة وغيرها.

ثم إنه قد ظهر من جميع ما مرّ أن النعمة التي من الله تعالى بها عليهم هو نفس هدايتهم إلى الصراط المستقيم، أو نفس الصراط على بعض الوجوه، فكأنه جعل المقصد الصراط الذي هو النعمة العظمى: منه سبحانه على جميع المؤمنين و الشهداء و الصالحين بل الأنبياء و المرسلين و لذا جمعهم في الهداية مع الامتنان عليهم بالنعمة في الآية بل في صريح الآية المتقدمة و في قوله: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي (١)**، و إن لم يصرح بالصراط لأنّ الآية في حقّه و في يوم نصبه، و في قوله تعالى: **خطاباً لنبيه صلى الله عليه و آله و سلم و يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢)** و إتمام النعمة عليه صلى الله عليه و آله و سلم بجعل وصيه بابه و حجابه ليتّم بولايته نبوته من حيث التبليغ و الإرشاد و هداية الخلق.

و أما هدايته إلى الصراط المستقيم فإما باعتبار نيل ذلك المقام الذي به إتمام

(١) المائة: ٣.

(٢) الفتح: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٥٨

القوسين و الوقوف على التطنجين.

و لذا

ورد في القدسيات على ما مرّ: **لولاك لما خلقت الأفلاك، و لو لا علي لما خلقتك (١)**

، و إما للتعبير به عن هداية أمته، حيث

إنه صلى الله عليه و آله و سلم تحمّل ذنوب أمته ليغفر له الله ما تقدّم من ذنب أمته و ما تأخر، كما ورد عن الإمام عليه السلام في تفسير صدر الآية.

ثمّ إنه يظهر لك ممّا مرّ أن تفسير المنعم عليهم بخصوص المتقين أو السالكين، أو التائبين، أو المشتاقين، أو المنقطعين إليه سبحانه، أو الفنانين عن هويّات وجوداتهم و ذواتهم فيه به له، إلى غير ذلك من المقامات التي لا- تدركها العقول، و لا تنالها الأوهام إلا بعد الوصول تخصيص من غير مخصّص بعد اشتراك الجميع في الهداية و الاستقامة، و إن اختلفت في مراتب الفضل و الكرامة، فإنّ هذه كلّها كالفروع و الجزئيات لما ذكرناه من الولاية التي هي الأصل المحتوى على جميع ذلك و على غيره ممّا لم يذكر في المقام، و لم تجربها الأقلام، بل لم تخطر على الأوهام.

و أما تعيين الفرقة المنعم عليهم من بين فرق الإسلام فقد لوحنا لك أنه الفرقة الناجية الإمامية الاثني عشرية، و ستسمع تمام الكلام في إقامة البرهان من طريق العقل و النقل على أنهم هم المخصوصون بالهداية و العناية و الكرامة و الاستقامة من بين الفرق الاسلاميّة الذين أضافوا إليهم اسمه و أضاعوا رسمه، و هم بضع و سبعون فرقة كلّهم في النار فضلاً عن غيرهم من فرق الكفار، و لانحرافهم بالغلوّ و الإلحاد عن الصراط المستقيم الذي هو الإقتصاد في الأقوال و الأفعال و الاعتقاد فيمن سّمّاهم الله تعالى بالمنذر و الهاد.

(١) بحار الأنوار ج ١٥ ص ٢٨ ح ٥- و ج ٥٧ ص ٩٩ ح ٣ و الجملة الثانية ليست موجودة فيه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٥٩

## غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

### وصل

و حيث قد سمعت أن الاستقامة يلزمها طرفان نوعيتان محصوران بكثرة أفرادهما في القصور و التقصير أراد سبحانه بعد التلويح به بوصف الصّراط بالاستقامة التصريح ببيان أحوال الفرق الثلاث و اعدادها فإنّ الأشياء تعرف بأضدادها فجعل المسئول المأمول صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصّديقين و الشهداء و الصالحين.

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ بالتقصير و التفريط في ولاية أوليائه حتى ألحقوا بتهودهم و رجوعهم إلى الجاهلية الاولى و إتباعهم لعجل الائمة و سامريها بمن لعنه الله و غضب عليه و جعل منهم القردة و الخنازير و عبد الطاغوت فإنّ المسخ الباطني غير منسوخ في هذه الائمة. و لآ الضّالّين الذين أفرطوا و غلوا في حبهم و طاعتهم حتّى اتبعوا بغلوهم أهواء النصارى الذين قد ضلّوا من قبل و أضلّوا كثيرا و ضلّوا عن سواء السبيل.

و لذا فسّر في بعض الأخبار باليهود و النصارى، و في بعضها بالغلاة و القلاة:

و في ثالث تنزيل كلّ من الوصفين على كلّ من الفريقين، بل جميع الفرق المنحرفة كما

في «تفسير الامام عليه السّلام» عن مولينا أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ الله أمر عباده أن يسألوه طريق المنعم عليهم، و هم النبيون و الصّديقون و الشهداء.

و أن يستعيدوا به من طريق المغضوب عليهم، و هم اليهود الذين قال الله تعالى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٦٠

فيهم: قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مُتُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ «١».

و أن يستعيدوا به من طريق الضّالّين و هم الذين قال الله فيهم: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ «٢» الآية و هم النصارى.

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السّلام: كلّ من كفر بالله فهو مغضوب عليه، و ضالّ عن سبيل الله عز و جل «٣».

و قال الرضا عليه السّلام مثله و زاد فيه: من تجاوز بأمر المؤمنين العبوديّة فهو من المغضوب عليهم و من الضّالّين «٤».

إلى آخر ما تسمعه في مقالة الغلاة.

و

روى القمي عن مولينا الصادق عليه السّلام قال: إنّ المغضوب عليهم النصارى و الضّالّين أهل الشكوك الذين لا يعرفون الإمام عليه السّلام «٥».

إلى غير ذلك ممّا تسمعه في بيان حال الفرقتين بعد التنبيه على أنّ الغير من الأسماء المتوغلة في الإبهام مثل المثل و الشبه، إلّا أنّ هذين للمماثلة و المشابهة و ذلك للمغايرة في الذات أو في الصفات، أو الآثار، أو من كلّ وجه أو مطلقا أو مطلقها، و على كلّ حال لا يزول إبهامها و لو بالإضافة إلى المعارف إلّا إذا وقعت بين ضدّين كما في المقام، و في قولهم: الحركة غير السكون، فيضعف إبهامها، كما عن الأكثر أو يزول رأسا كما عن السيرافي فتعرّف عنده، و تكون بدلا لا صفة و من

(١) المائة: ٦٠.

(٢) المائة: ٧٧.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٧٣-٢٧٤ ح ٢٠ عن الاحتجاج و تفسير الإمام عليه السلام.

(٤) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٧٣-٢٧٤ ح ٢٠ عن الاحتجاج و تفسير الإمام عليه السلام.

(٥) تفسير القمي ج ١ ص ٢٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٦١

حقها في الأصل أن يوصف بها لما فيها من معنى اسم الفاعل الذي هو المغايرة، فمعنى قولك زيد غير عمرو: مغاير له، و موصوفها نكرة محضة نحو: نَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ «١» أو معنى خاصة كما في المقام على أحد الوجهين و إن كان في اللفظ معرفة.

قال في «القاموس»: إنها بمعنى سوى، و تكون بمعنى لا فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ «٢» أي جائعا لا باغيا، و بمعنى إلّا.

قلت: و مثله عن «التيسير» في استعمالها على الوجوه الثلاثة، بل ربما يقال بجوازها في المقام أيضا.

فالأولان على قراءة الجزر، و ان كان الفرق بينهما أنها في الأول بمعنى المغايرة كقوله تعالى: لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَةً «٣» أي سواه، و في الثاني لمجرد النفي كقوله تعالى: فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ «٤» أي لا متجانف، و عليهما تكون مجرورة بالتبعية كما تسمع.

و الثالث على قراءة النصب على الحال أو الاستثناء أو الإضمار.

ثم إنها لشدة إبهامها و نسبيته معناها تلزمها الإضافة في المعنى، و ربما قطعت عنها لفظا إن فهم معناه، و تقدمت عليها ليس، لا غيره من ألفاظ الجحد، و لذا قيل:

إن لا غير لحن و ردّ بأنه مسموع في قول الشاعر:

جوابا به تنجو اعتمد فو ربنا لئن عمل أسلفت لا غير تسئل

قيل: و قد سمع قبضت عشرة ليس غيرها بالرفع و بالنصب، و ليس غير بالفتح

(١) فاطر: ٣٧.

(٢) البقرة: ١٧٣، الأنعام: ١٤٥، النحل: ١١٥.

(٣) الإسراء: ٧٣.

(٤) المائة: ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٦٢

على حذف المضاف و إضمار الاسم، و ليس غير بالضم، و يحتمل كونه ضمّه بناء و إعراب، و ليس غير بالرفع، و ليس غيرا بالنصب. و على كل حال فإذا كانت للاستثناء تكون معربة بما يستحقّه المستثنى بإلّا في ذلك الكلام، و إن حكى في «الصحاح» عن الفراء أنّ بعض بني أسد و قضاة ينصبون غير إذا كانت بمعنى إلّا تمّ الكلام قبلها أو لم يتمّ، يقولون: ما جائني غيرك فإنه على فرض صحته النقل شاذّ جدّا.

نعم قد يقال: إنها تفارق إلّا في خمس مسائل.

و هي أنّ إلّا تقع بعدها الجمل دون غير.

و أنّه يجوز عندي درهم غير جيد على الصفة، و يمتنع عندي درهم إلا جيد.

و أنّه يجوز قام غير زيد، دون قام إلّا زيد.

و أنّه يجوز ما قام القوم غير زيد و عمرو بجزّ عمرو على لفظ زيد، و رفعه حملا على المعنى لأنّ المعنى ما قام إلّا زيد و عمرو، و مع

إلا لا يجوز إلا مراعاة اللفظ.

و أنه يجوز ما جئتك إلا ابتغاء معروفك بالنصب، ولا يجوز مع غير إلا بالجر فتقول: ما جئتك لغير ابتغاء معروفك.

## القراءة والإعراب

اعلم أن لهم في هذه الآية اختلافات ثلاثة:

أحدها أن المشهور في «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ قِراءَةُ الْجِرِّ وَ يَحْكِي فِي الشَّوَاذِ النَّصْبِ، لَكِنَّ الْأَكْثَرَ عَلَى الْأَوَّلِ، وَ إِنْ اخْتَلَفُوا فِي وَجْهِهِ.

فبين من جعله بدلا من ضمير الجمع و هو الهاء و الميم في «أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٦٣

لجواز إبدال الظاهر من ضمير الغائب مطلقا نحو: وَ أَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا «١» على أحد الوجوه، و قوله:

على حاله لو أن في القوم حاتما على جوده قد ظن بالماء حاتم «٢»

فجر حاتم على البديل من الهاء في جوده.

أو بدلا من قوله: «الَّذِينَ بِنَاءَ عَلَى أَنْ الْمَقْصُودِ بِالْمَنْعَمِ عَلَيْهِمْ هُمُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنَ الْغَضَبِ وَ الضَّلَالِ.

وَ إِنَّمَا سَاغَ جَعْلُهُ عَلَى الْوَجْهِينِ بَدَلًا نَظْرًا إِلَى غَلْبَةِ الْأَسْمِيَّةِ عَلَيْهَا، فَيَسْقُطُ مَا قَدْ يُقَالُ مِنْ ضَعْفِ بَدَلِيَّتِهَا نَظْرًا إِلَى أَنْ أَصْلَ وَضَعِهَا

الوصف، حسب ما سمعت أن معناها المغاير، و البديل بالوصف ضعيف عندهم، و لذا قَوِيَ بَعْضُهُمُ الْوَجْهَ الثَّلَاثِ فِي جِزِّهَا، وَ هُوَ كَوْنُهَا

صِفَةً لِمَوْصُولَةٍ، وَ إِنْ كَانَ يَرِدُ عَلَيْهِ أَيْضًا أَنْ أَصْلَ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ صِفَةً لِلنَّكَرَةِ كَمَا مَرَّ تَقُولُ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ غَيْرِكَ، فَإِنَّهَا وَ إِنْ أُضِيفَتْ

إِلَى أَحْصَى الْمَعَارِفِ الَّذِي هُوَ ضَمِيرُ الْحَاضِرِ، لَكِنَّهَا وَصِفَتْ بِهَا النَّكَرَةُ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ آخَرَ أَوْ بِرَجُلٍ لَيْسَ بِكَ، وَ مِنْ هُنَا

مع ملاحظة لزوم تطابق الصفة للموصوف اضطرّوا إلى التأويل.

إِذَا بَتَّنِ الْوَصُوفِ الَّذِي هُوَ الْمَوْصُولَةُ إِجْرَاءً لَهَا مَجْرَى النَّكَرَةِ، نَظْرًا إِلَى مَعْنَاهُ، حَيْثُ لَمْ يَقْصِدْ بِهَا عَامَّةَ الْمُسْلِمِينَ خَاصَّةً، وَ لَا طَائِفَةَ

مِنْهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ، بَلْ طَائِفَةٌ غَيْرٌ مَعْيِنَةٌ مِنْهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ، وَ إِنْ كَانُوا مَعْلُومِينَ بِأَوْصَافِهِمْ، فَيَجُوزُ حِينَئِذٍ أَنْ يَعْمَلَ مَعَامِلَةَ الْمَعْرِفَةِ بِالنَّظَرِ إِلَى

لفظه فيوصف بالمعرفة، و يجعل مبتدءا، و ذا حال، و معاملة النكرة بالنظر إلى المعنى فيوصف بالنكرة كما يوصف بها المحلى

(١) الأنبياء: ٣.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٢٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٦٤

باللام في قوله:

و لقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت ثمّة قلت لا يعينني

أى لئيم يسبني إذ لا مرور على الكل، و لا دلالة على التعيين، و إن كان يمكن حمله على ضرب من العهد: فتأمل فإن مراد القائل مدح

نفسه بالحلم و إغماض العين، و قصد التنكير من المعارف باب وسيع تقول: إني لأمر على الرجل مثلك فيكرمني، بل يجري في

الأعلام الشخصية على تأويل المسمى بهذا الاسم، و لذا ذكروا أن غير المنصرف بالعلمية و سبب آخر ينصرف عند التنكير كقوله:

مررت بأحمدكم.

و إمّا بتعريف اللفظ نظرا إلى زوال إبهامها في المقام رأسا كما مرّ حكايته عن السيرافي، و غيره، و لذا قال السراج: إن غيرا في هذا

الموضع مع ما أضيف إليه معرفة لأنّ حكم كلّ مضاف إلى معرفة أن يكون معرفة، و إنّما تنكرت غير و مثل، مع إضافتهما إلى

المعارف من أجل معناهما، وذلك أنك إذا قلت رأيت غيرك فكلّ شيء يرى سوى المخاطب فهو غيره، وكذلك إذا قلت رأيت مثلك فما هو مثله لا يحصى، وأما إذا كان شيء معرفة له ضدّ واحد وأردت إثباته ونفى ضده، وعلم ذلك السامع، فوصفت بغير وأضفت غير إلى ضده فهو معرفة، وذلك نحو قولك: عليك بالحركة غير السكون، فغير السكون معرفة وهي الحركة، فكأنك كزرت الحركة تأكيدا وكذلك قوله: الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ فغير المغضوب عليهم هم الذين أنعم عليهم، فمتى كانت غير بهذه الصفة فهي معرفة، وكذلك إذا عرف إنسان بأنه مثلك في ضرب من الضروب فقبل فيه: قد جاء مثلك، كانت معرفة إذا أردت المعروف بمثلك.

قال: ومن جعل غير بدلا استغنى من هذا الإحتجاج، لأنّ النكرة قد تبدل من المعرفة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٦٥

قلت: وهذا الوجه أولى من تنكير الموصول، سيما بعد ما سمعت من تفسيره بالأخبار بالنبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وغيرهم من أولياء مولينا أمير المؤمنين عليه السلام.

مضافا إلى استفادة حصر أصناف الناس كافّة حينئذ في الثلاثة الراجعة إلى الإثنين: أهل الحق وهم أهل ولاية من يدور مع الحق حيثما دار، وأهل الباطل الذين انحرفوا عن الحق بالغلو والتقصير، فلا داعى إلى التكليف بتنكير الموصول الذي هو في غاية البعد. نعم عن عليّ بن عيسى الرّمانى أنّه قال: إنّما جاز أن يكون نعتا للمّدين لأنّ اللّذين بصلتها ليست بالمعرفة المعينة كالإعلام نحو زيد وعمرو، إنّما هي كالنكرات إذا عرّفت نحو الرّجل والفرس، فلما كانت اللّذين كذلك، كانت صفتها كذلك أيضا كما يقال: لا أجلس إلا إلى العالم غير الجاهل، ولو كانت بمنزلة الإعلام لما جاز كما لم يجز مرت بزيد غير الظريف بالجرّ على الصفة.

ثمّ إنّ على فرض كونها صفة قيل بجواز كونها صفة مبيّنة له، على تقدير أن يراد بالنعمة في أنّعمت عليهم النعم الاخروية، وما يتوصّل إلى نيلها من الدنيوية، أو مقيدة على فرض إرادة مطلق النعم أو الدنيوية مطلقا لدخول الكافر حينئذ.

لكن في «الحواشى البهائية» أنّ الأولى التفصيل بأنّه قد سبق أنّ اللّذين أنّعمت عليهم هم المؤمنون أو الأنبياء أو أصحاب موسى و عيسى على نبينا وآله وعليهما السلام قبل التحريف والنسخ، فعلى الأوّل إن أريد بهم من اتّصف بالايمان ولو في الجملة، و بالمغضوب عليهم والضّالّين العصاة منهم، و الجاهلون ببعض العقائد فالصفة مقيدة، و إن أريد به الكاملون في الإيمان فمبيّنة أيضا، و إن أريد بالمغضوب عليهم والضّالّين اليهود والنصارى فمبيّنة أيضا سواء أريد بالمؤمنين

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٦٦

الكاملون أو في الجملة، و على الثانى الصفة مبيّنة لا غير باى تفسير فسّر المغضوب عليهم والضّالّين، و على الثالث كالأوّل. أقول: و لعلّ الأولى من هذا التطويل المذى لا- طائل تحته لابتناؤه على تفسير المخالفين الاقتصار على ما استفاد من أخبار الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم، من كون الصفة مبيّنة فإنّه و إن كان التأسيس أولى، للتبيين هنا مزيد فائدة، و هو التنبيه على انقسام الناس كافّة إلى أقسام ثلاثة: التالى الموالى، و القالى، و الغالى، أو إلى المتوسطين على الصراط السوى المستقيم، و المنحرفين عنه بالقصور و التقصير.

و بالجملة فهؤلاء لهم صفتان وجودية هو كونهم منعما عليهم بذلك الصراط، و عدميّة هو عدم الغضب عليهم و عدم ضلالتهم. و على كلّ حال فقراءة النصب محكيّة عن ابن كثير، و نسبت في غير واحد من التفاسير إلى الشذوذ، بل في بعضها أنّ الرواية شاذّة، و قضيتها عدم ثبوت القراءة عنه، لكن في «الكشاف» أنّها قراءة رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلم، قيل يريد أنّها عادته قبل العرضة الأخيرة و ألا فكلّ القراءات قراءته عليه السلام.

لكن قد يقال: كلّ من القراءات السبع المتواترة إنّما نسب إلى واحد من الأئمة السبعة لاشتهاره بها، و تفرّده فيها بأحكام خاصّة، و أمّا غيرها فإذا لم يشتهر بها أحد نسب إليه صلّى الله عليه وآله سواء كان عادته أم لا، قيل: و هذا هو المختار عند المحقّقين، و لا يخفى

فساده بعد ما سمعت في المقدمات من سبب حدوث الاختلاف فيها وأن القرآن واحد، نزل من عند واحد. ثم إن نصبه إما على الحائثة من المضمرة في عَلَيْهِم والعامل في الحال وصاحبها معا هو أَنْعَمْتَ والعبرة بالمجرور، فإن الجار صلة تجر معنى الفعل إليه، فالمجرور بالحرف بنفسه منصوب المحلّ بالفعل، وبهذا الاعتبار وقع ذا حال، فلا يرد أن العامل في ذى الحال هو الحرف الجارّ، مع أنه لا بدّ من اتحاد العامل في

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٦٧

الحال وصاحبها.

و إما على الاستثناء المنقطع كما صرح به في «المجمع» وغيره، بناء على التقريب المتقدم الذي ظهر منه أن المَغْضُوبِ عَلَيْهِم من غير جنس المنعم عليهم، أو المتصل كما يظهر من البيضاوي حيث اشترط فيه تفسير المنعم بما يعمّ القبيلتين، ولعله لأولوية التأسيس، أو أصالة الاتصال، أو إطلاق النعمة.

لكن الكل كما ترى بعد ما سمعت من تفسير النعمة سيما مع البيانات الواردة عن الأئمة صلى الله عليهم أجمعين.

نعم عن الرقاني أن من نصب على الاستثناء جعل «لا صلة» كما أنشد أبو عبيد: «في بئر لا حور سرى و ما شعر».

أى في بئر هلكته، وتقديره غير المغضوب عليهم والضالين، كما قال: ما مَنَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ «١»، «٢» وستسمع الكلام فيه، بل وفي أن «لا» في آية السجود ليست بزائدة وإن اطبقوا عليه ظاهرا.

و إما على القطع بتقدير أعنى، و اعلم أنه على فرض التبعية أو القطع لا يلزم بل لا يجوز أن يقال غير المغضوبين عليهم لمراعاة المطابقة نظرا إلى الاستغناء عن الجمع بضمير الموصول به بالحرف الجارّ، بل قيل: إن هذا حكم كل ما يعدى بحرف جرّ تقول: رأيت القوم غير مذهوب بهم، فاستغنيت بالضمير المجرور في بهم عن جمع المذهب.

ثانيها اختلافهم في الهاء والميم من عليهم هنا، وفيما تقدم وإن أغفلنا ذكره هناك، لكون الجميع آية واحدة ولنظمه مع غيره من الاختلافات، وبالجملة اختلفوا

(١) الأعراف: ١٢.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٦٨

في ضمير عليهم في كل موضع، وكذلك لديهم، وإيهم، بل كل هاء قبلها ياء ساكنة في التشبيه و جمع المذكر والمؤنث وغيرها نحو عليهما، وإليهما، وفيهما، وعليهما، وفيهم، وعليهنّ، وفيهنّ، واتيهم، و صياصيههم، و يزكيهم، و أيديهم، و أيديهنّ و إن اختلفوا في التعميم والعدم أيضا، فقرأ يعقوب ثلاثة منها، و هي: عليهم، وإيهم، و لديهم، حيث وقعت بضمّ الهاء، و مثله حمزة فيها و إن في التعميم في جميع ما مرّ فإنه لم يستثن من الهاء الواقعة بعد الياء الساكنة إلا ضمير المفرد، و قرء الباقون في الجميع بكسر الهاء، فالأقوال فيها ثلاثة:

الضمّ مطلقا للأصل، فإنها تضمّ مبتدئة نحوهم فعلوا، و كذا بعد الألف و الفتحة و الضمة و الواو و السكون في سوى الياء، بل و الياء سوى الساكنة نحو رأيهم، يعلمهم، أخوهم، منهم، يغنيهم، فيظهر من ذلك أن الضمة هي الأصل فيها لا يعدل عنها إلا بسبب طار، و هو مفقود في المقام.

بل عن السراج أنها القراءة القديمة، و لغة قریش، و أهل الحجاز، و من حولهم من فصحاء اليمن.

و الكسر مطلقا لمناسبته للياء و خفته بالإضافة، و الفرار من ثقل الانتقال من الياء التي تجانس الكسرة إلى الضمّ، و للتفصيل بين الألفاظ الثلاثة و غيرها انقلاب الياء فيها عن الألف بدليل على زيد، و إلى عمرو، ولدى بكر، و الألف بضمّ الهاء بعدها نحو: و ما هم

بِمُؤْمِنِينَ «١» فكذلك بعد المنقلب منها إجراء لحكم الأصل و دلالة عليه.  
ثم إنهم قد أطبقوا على عدم الضم في قوله: وَمَنْ يُولِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ «٢».

(١) البقرة: ٨.

(٢) الأنفال: ١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٦٩

بل قيل: لا خلاف بينهم في كسرها إذا كان ما قبلها مشددة مكسورة، فإنها بمنزلة الكسرتين اللتين يتعسر الانتقال منهما إلى الضم لثقله جدا، كما أنهم قد اتفقوا على الكسر أيضا إذا سقطت الياء بسبب جزم أو بناء نحو: وَيُخْزِرُهُمْ «١» وَإِنْ يَأْتِهِمْ «٢» وَفَأْتِهِمْ «٣» وَفَاشْتَفْتِهِمْ «٤».

إذ لا خلاف بينهم في كسرها حينئذ مطلقا إلا فيما يحكى عن رويس، حيث إنه يرفع الأصل و لم يعتد بعارض السقوط.  
نعم اختلف النقل عنه في وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمْلُ «٥» في سورة الحجر وَفِهِمُ السَّيِّئَاتِ «٦»، وَفِهِمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ «٧» كلاهما في غافر، يُغْنِيهِمُ اللَّهُ «٨» في النور، فروى عنه بعضهم ضمها في الجميع طردا للباب، و روى آخرون كسرها لأجل الساكن بعدها إلحاقا بنحو بِهِمُ الْأَشْيَابِ «٩».

ثم إن لهم في المقام اختلافا آخر في الميم، حاصله أن ميم الجمع بعد الهاء إما أن يكون بعدها متحرك أو ساكن فعلى الأول كما في هذه السورة في موضعين، و في قوله: هُمْ يُوقِنُونَ «١٠» وَ قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) التوبة: ١٤.

(٢) الأعراف: ١٦٩.

(٣) الأعراف: ٣٨.

(٤) الصفات: ١١ - ١٤٩.

(٥) الحجر: ٣.

(٦) غافر: ١٩.

(٧) غافر: ٧.

(٨) النور: ٣٧.

(٩) البقرة: ١٦٦.

(١٠) البقرة: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٧٠

«١».

فالمحكى عن أبى جعفر، و ابن كثير، و قالون بخلاف عنه في حالة الوصل، وصل الميم بواو انضمت الهاء قبلها أو انكسرت فيقولون: عليهم و همو و قلوبهمو، و سمعهمو إلى غير ذلك.

و نسبه في الجمع إلى أهل الحجاز، قال: إلاً أن نافعاً اختلف عنه، و أما الباقون فبالإسكان من غير صلة.

و حكى في «المجمع» عليهم بالضمتين قراءة ابن أبى اسحق، و عيسى الثقفى، و عليهمى بالكسر و الياء قراءة الحسن البصرى و عمرو بن فائد، و عليهم مكسورة الهاء مضمومة الميم بغير واو و عليهم مضمومة الهاء و الميم من غير بلوغ واو، مرويتان من الأعرج قال:



فهذه سبع قراءات «٢».

قلت: و لعله باعتبار انضمام الاختلاف الاول إليه فالثامن ما حكاه الجزرى فى «طيبة النشر» عن ورش، و هو الوصل و الإشباع قبل همزة القطع كما فى عَلَيْهِمْ أ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ «٣» و أَنَّهُمْ إِلَيْنَا «٤».

أما الحجة على هذه القراءات فلعل العمدة اختلاف اللغات بالنسبة إلى الجلّ أو الكلّ، و إن قال فى «المجمع». أن من قرء عليهم فإنه اتبع الهاء ما أشبهها و هو الياء أو ترك ما لا يشبه الياء و الألف على الأصل و هو الميم. و من قرء عليهم فكسر الهاء و أسكن الميم فلائنه أمن اللبس، إذ كانت الألف

(١) البقرة: ٧.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٢٨.

(٣) البقرة: ٦.

(٤) القصص: ٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٧١

فى التثنية قد دلّت على الإثنين و لا ميم فى الواحد، فلما لزمت الميم الجمع، حذفوا الواو و أسكنوا الميم، طلبا للتخفيف إذا كان ذلك لا يشكل، و إنما كسر الهاء مع أن الأصل الضمّ للياء التى قبلها.

و من قرء عليهم فلائنه الأصل لأنّ هذه الواو فى الجمع وسيلة الألف فى التثنية أعنى أن ثبات الواو كثبات الألف.

و من قرء عليهم فإنه كسر الهاء لوقوع الياء قبلها ساكنة و كسر الميم كراهة للخروج من كسرة الهاء إلى ضمّ الميم، ثم انقلبت الواو ياء لسكونها و انكسار ما قبلها.

و من كسر الهاء و ضمّ الميم و حذف الواو فإنه احتمال الضمّ بعد الكسرة لأنها غير لازمة إذا كانت ألف التثنية يفتحها لكنه حذف الواو تفاديا و تخلّصا من ثقلها مع ثقل الضمّ.

و من قرء عليهم فإنه حذف الواو استخفافا و احتمال الضمّ قبلها دليلا عليها، انتهى «١».

لكنّ الكل كما ترى إن لم تكن مرجعها إلى لغات العرب التى لا- يجوز الخروج عنها، و يجوز الأخذ بكل منها مع عدم شدوده و جحوه فضلا عن صحّته و شيوعه.

نعم ذكر شارح «منظومة الجزرى» أن كسر الهاء و إسكان الميم و اشباعها لغتان صحيحتان فصيحتان كما ذكر أن هذا كله فى حال الوصل، إذ كلهم متفقون على الوقف عليها بالسكون.

و أما على الثانى الذى يكون بعد الميم ساكن فعن أهل الحجاز، و عاصم،

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٢٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٧٢

و ابن عامر كسر الهاء و ضمّ الميم نحو: بِهِمُّ الْأَشْبَابُ «١»، عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ «٢»، فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلُ «٣» لإجراء الميم على الأصل الذى هو الضمّ فيها كما سمعت، و بقاء الهاء على كسرها نظرا إلى أنها تبعت الكسرة أو الياء، و لم يتبعها الميم لبعدها، و لم يشبعوا الميم فى المقام حذرا عن التقاء السالكين، و عن المدّ الحاصل من الواو الساكنة بعدها سكون، فلما اضطروا إلى تحريكها ترجّح الأصل الذى هو الضم، و عن أبى عمرو كسر الميم حالة الوصل لأنه كما كسرت الهاء لا تباع ما قبلها كسرت الميم لا تباع الهاء، مع أنه اتبعت الكسر الكسر لثقل الضمّ بعد الكسر، و عن حمزة و الكسائى و خلف ضمّ الهاء قبلها اتبعا، و إذا وقفوا كسروا الهاء، إلّا حمزة فهو على أصله

فى ضَمِّ الهاء فى نحو عَلَيهِمُ الْقِتَالُ «٤» وِإِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ «٥».

و عن يعقوب إتباع الهاء الميم على ما تقرّر من مذهبه فيضمّ الميم إذا وقعت بعد الهاء المضمومة فى مذهبه نحو: عَلَيهِمُ الْقِتَالُ «٦» و يُرِيهِمُ اللَّهُ «٧» و يكسرها إذا وقعت بعدها مكسورة نحو: بِهِمُ الْأَسْبَابُ «٨» و قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ «٩»، هذا كلّ فى الوصل. و أما فى الوقف فعلى الميم الساكنة و كسر الهاء سواء كان قبلها ياء ساكنة أو

(١) البقرة: ١٦٦.

(٢) البقرة: ٢٤٦.

(٣) البقرة: ٩٣.

(٤) البقرة: ٢٤٦.

(٥) يس: ١٤.

(٦) البقرة: ٢٤٦.

(٧) البقرة: ١٦٧.

(٨) البقرة: ١٦٦.

(٩) البقرة: ٩٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٧٣

كسرة، نعم عن حمزة فى عليهم، و إليهم، و لديهم ضمّ الهاء وصلا و وقفا.  
ثالثها ما قرء فى الشواذ:

«و غير الضالّين» قال فى «المجمع»: و روى ذلك عن مولينا أمير المؤمنين روحى له الفداء و عليه و على أخيه و ذريته آلاف التحية و الثناء بعد ما حكاه عن أشقى الأشقياء أبى الشورر «١».

و دلالة الحكاية على وضع الرواية أو حملها على التقيّة فى غاية الظهور، سيّما بعد ما ورد فى أخبار كثيرة كتفسير الإمام عليه السّلام و غيره موافقا للقراءة المشهورة التى اتّفقوا عليها.

نعم قد مرّ عن القمى أنّه رواه فى الصحيح عن الصادق عليه السّلام.

و

فيه فى الصحيح أيضا عنه عليه السّلام فى قوله: «غير المغضوب عليهم و غير الضالّين» قاله: المغضوب عليهم النّصاب، و الضالّين الشكاكون الذين لا يعرفون الإمام «٢».

و فيه مع ضعف الثانى دلالة، أنّه لا يثبت القراءان بمثله سيّما بعد ما سمعت، ثمّ إنّّه ينبغي أن يعلم أنّ (لا) ليست فى المقام للعطف، إذ شرط عطفها أن تسبق بإيجاب، و لذا جىء بالواو للعطف، نعم قد يقال: إنّها زيدت لتوكيد النفى، كما عن البصريين، بل ذكروا أنّ (لا) بعد الواو العاطفة إنّما تزداد إذا كانت فى سياق النفى و فائدتها التوكيد، و التصريح بشموله لكلّ واحد من المعطوف و المعطوف عليه لئلا يتوهّم أنّ المنفى هو المجموع من حيث هو مجموع، فلا ينافيه ثبوت أحدهما معيّنا أولا على التّعيين، و قد سمعت أنّ لفظ غير فى الأصل وصف بمعنى المغاير تفيد النفى إمّا بالاستلزام كما إذا وصف به إثباتا للمغايرة كما فى الآية الكريمة فإنّ

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٢٨.

(٢) تفسير القمى ج ١ ص ٢٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٧٤

وصف الشيء بكونه مغايرا للموصوف بوصف من حيث هذا الوصف تفيد نفى الوصف، و إما بالصراحة كما قيل في قولهم: أنا غير ضارب زيدا حيث إن المراد لست ضاربا له، لا أنا مغاير لشخص ضارب له، فالإضافة إنها هي في اللفظ، و الأ فلا إضافة معنى، و لذا جؤزوا تقديم معمول المضاف إليه على المضاف في قلوبهم:

أنا زيدا غير ضارب كما جاز ذلك في قولهم: أنا زيدا لا ضارب، فنزلوا غيرا منزلة لا في صيرورته جزء الكلمة كالمعدولة فينتفى الإضافة من غير أن يتطرق تخصيص إلى ما ذكره من عدم جواز تقديم معمول المضاف إليه على المضاف.

و لذا لا يقال في أنا مثل ضارب زيدا أنا زيدا مثل ضارب لامتناع وقوع المعمول حيث يمتنع وقوع العامل.

و الحاصل جواز تقديم ما في حيز النفي و لو بغير عليه دون ما في حيز الإثبات لا لمجرد الإثبات و النفي بل لما سمعت.

نعم قيل: شرط حرف النفي أن يكون لا- أولم أو لن، دون ما و إن، و عللة التفتازاني بأن ما تدخل على القبيلتين أى الاسم و الفعل فيشبه الاستفهام، و لم و لن مختصان بالفعل، و يكونان كالجزم منه و أما لا فهي و إن دخلت على القبيلتين إلا أنها حرف متصرف فيها جاز عمل ما قبلها فيما بعدها، مثل جئت بلا شيء و أريد أن لا يخرج، فجاز العكس أيضا.

قلت: و لعل الأولى من كل ذلك الاقتصار على السماع، و تتبع موارد الاستعمال و ما أحسن الكسائي حيث سئل في حلقه يونس لم لا يجوز أعجبنى أيهم قام؟ فقال: أى كذا خلقت.

رابعها ما قرء في الشواذ أيضا و لا الضالين بالهمزة المفتوحة مقلوبة عن الألف و اللام المشالة في لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين حتى في مثل المقام الذى قد صرحوا بجوازه فيه، لكون أول الساكنين حرف لين و الثانى مدغما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٧٥

فيه مع كونهما في كلمة، من غير فرق بين كون حركة ما قبل حرف اللين من جنسه أولا، و إن سمي في الأول حرف المد أيضا، و الدليل على جوازه بعد جريان اللغة عليه و وروده في كلمة أهلها أن في حرف اللين نوعا من المد الذى يتوصل به إلى النطق بالساكن بعده، مع أن المدغم و المدغم فيه بمنزلة حرف واحد، إذ اللسان يرتفع عنهما دفعة واحدة و الثانى متحرك فالأول الذى هو ثانى الساكنين بمنزلته.

نعم يظهر من أبى البقاء عدم جريان هذه اللغة في حروف المد فضلا عن اللين، حيث قال: إنها لغة ناشية في كل ألف وقع بعدها حرف مشددة.

و عن الفيروز آبادى: أن الذى نص عليه جمهور النحاة أن ذلك لا يقاس عليه، و إنما سمع منه ألفاظ دائية و شابة ثم حكى عن أبى زيد سمعت عمرو بن عبيد يقرأ فيؤمئذ لا يسئل عن ذنبيه إنس و لا جان «١»، فظننته قد لحن حيث حتى سمعت من العرب دابة و شابة.

### تحقيق لمعنى الغضب

اعلم أن الغضب بالتحريك مصدر أو اسم من غضب كسمع، عليه، و له إذا كان حيا و غضب به إذا كان ميتا كما في «القاموس» و غيره، و هو ضد الرضا فى الخالق و الخلق، و لذا ينسب إلى الله سبحانه أيضا كما فى قوله: لا تتولوا قوما غضب الله عليهم «٢» و كذا فى آية اللعان «٣» و غيره، و إن كان لا يسمى بالغضبان كما لا يسمى باللعان فإنه فىنا كيفية نفسانية يتبعها حركة الروح إلى الخارج دفعة طلبا

(٢) النور: ٩.

(٣) ٤٤٤٤؟

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٧٦

للاتنقام، وهذه الحركة لما كانت شديدة عنيفة يتبعها شدة سخونة الروح و ثوران الحرارة المودعة في بدن الإنسان و اشتعالها فيغلي بهادم القلب، و ينتشر في العروق، و يرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار و الماء الذي في القدر فيظهر الحمرة و الحرارة و الالتهاب في أعالي البدن سيما الوجه و العين اللذين هما مظهران للنفس الإنسانية خصوصا بعد ما لهما من اللطافة و الصفاء، بل يصعد حينئذ من البدن فضلا عن خصوص القلب الذي هو مستودع الحرارة الحيوانية أبخرة رديئة مظلمة، شديدة الالتهاب، فيمتلأ بها الشريانات الدماغية و لذا شبهوا هيكل الإنسان عند ثوران الغضب بالنور المتوقد باللهيب و الحريق فلا يكاد يسمع منه إلّا زفير و شهيق.

و

قد ورد في الخبر: الغضب شعله من النار تلقى صاحبها في النار.

و

فيه أيضا: الغضب من الشيطان و إن الشيطان خلق من النار «١».

و

في الكافي: عن أبي جعفر عليه السلام: إن هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في جوف ابن آدم و إن أحدكم إذا غضب احمرت عيناه و انتفحت أوداجه، و دخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليزِم الأرض فإن رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك «٢».

و على كل حال فهو من الانفعالات الرديئة النفسانية التي لا يليق بأوليائه فضلا عنه سبحانه.

و لذا

قال مولينا الباقر عليه السلام لعمر بن عبيد بعد ما سئله عن الغضب في قوله:

وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى «٣»، إنه هو العقاب، يا عمرو إنه من زعم أن

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ٥٥٠ عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٣ ص ٢٦٥ عن الكافي ج ٢ ص ٣٠٥.

(٣) طه: ٨٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٧٧.

الله قد زال من شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين «١».

و

سئل مولينا الصادق عليه السلام عن الله تعالى هل له رضى و سخط؟ فقال: لهم، و ليس على ما يوجد من المخلوقين، و لكن غضب الله عقابه و رضاه ثوابه «٢».

و

في المناقب عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ «٣» قال: إن الله أعظم و أعزّ و أجلّ من أن يظلم لكن خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه و ولايتنا ولايته، حيث يقول: إِنَّمَا وَكَّيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا «٤» يعنى الائمة ثم قال في موضع آخر وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ «٥».

و

فيه عن مولينا الصادق عليه السلام في قوله: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ «٦»، فقال:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَأْسِفُ كَأَسْفِنَا وَلَكِنَّهُ خَلَقَ أَوْلِيَاءَ لِنَفْسِهِ يَأْسِفُونَ وَيَرْضَوْنَ، وَهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ «٧»، فَجَعَلَ رِضَاهُمْ رِضَا نَفْسِهِ، وَسَخَطَهُمْ سَخَطَ نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ جَعَلَهُمُ الدَّعَاءَ إِلَيْهِ وَالْأَدْلَاءَ عَلَيْهِ، فَلِذَلِكَ صَارُوا كَذَلِكَ، وَلَيْسَ إِنْ ذَلِكَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ كَمَا يَصِلُ إِلَى خَلْقِهِ لَكِنْ هَذَا مَعْنَى مَا قَالَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ: أَيْضًا مِنْ أَهَانَ لِي وَلِيَّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمَحَارَبَةِ وَدَعَانِي إِلَيْهَا، وَقَالَ: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ «٨»،

(١) التوحيد للصدوق ص ١٦٨ ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤ / ٦٣.

(٣) البقرة: ٥٧.

(٤) المائدة: ٥٥.

(٥) البحار ج ٢٤ ص ٢٢٢ عن المناقب عن أبي الحسن الماضي عليه السلام.

(٦) الزخرف: ٥٥.

(٧)

في البحار: مدبرون.

(٨) النساء: ٨٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٧٨

وقال: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ «١»، فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك ولو كان يصل إلى الله «٢» الأسف والضجر وهو الذي خلقهما وأنشأهما لجاز لقائل ان يقول: إِنَّ الْخَالِقَ «٣» يبيد يوما لأنه إذا دخله الغضب دخله التغيير وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة ثم لم يعرف المكون من المكون، ولا القادر من المقدر، ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، بل هو الخالق للأشياء لا لحاجة، فاذا كان لا حاجة استحال الحد والكيف فافهم ذلك إن شاء الله «٤».

و روى الصدوق مثله في التوحيد والمعاني

إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على أن إطلاق هذه الأفعال عليه سبحانه ليس باعتبار المبادى التي هي من أفعال أو انفعالات دالة على التغيير والنقصان وغيرهما من لوازم الإمكان الدالة على الإبادة والفناء كما أشار إليه

بقوله: إذا دخله الغضب دخله التغيير وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة،

و ذلك لما قيل من أن هذه الأمور كصفات قابلة للاشتداد، والاشتداد يلزمه التضاد، والمتضادان متفاسدان، ولذا ينقلب الماء هواء، بل نارا باشتداد السخونة المفسدة لصورته المائية والهواء ينقلب ماء باشتداد البرد، والإنسان يموت فجأة عند اشتداد كل من الخوف والغضب والفرح ومن أن كل متغير لا بد له من متغير خارج من ذاته، إذا الشيء لا يتحرك من نفسه وكل ما له متغير قاهر عليه متصرف فيه قادر على إهلاكه وأن كل ما دخله التغيير فهو مركب من أمرين: أحدهما شيء

(١) الفتح: ١٠.

(٢)

في البحار: ولو كان يصل إلى المكون الأسف.

(٣)

في البحار: إنَّ المكوّن يبید.

(٤)

في البحار: ولو كان يصل إلى المكوّن الأسف. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٧٩  
بالفعل والآخر بالقوة لاستحالة أن يكون الشيء من جهة ما هو بالفعل بالقوة ومن جهة ما هو موجود معدوما إذ القوة ضرب من العدم فلا بدّ فيه من تركيب من مادّة و صورة، وكلّ مرّكب مسبق بالعدم، قابل للانحلال والزوال، وأنّ ما كانت له قوّة غير متناهية فلا يؤثر فيه شيء وهو لا يتأثر ولا ينفعل من شيء، إذا الضعيف القوة لا يتقاوم قويا فضلا عن أن يغلب على القوى، فحينئذ كيف الحال إذا كان القوى ذا قوّة غير متناهية فدلّ ذلك بعكس النقيض على أن كلّ متغيّر منفعل فقوته متناهية إلى حدّ وكلّ ما هو كذلك فلا بدّ من أن ينتهي إلى الفناء والدثور إلى غير ذلك من القواطع الدالّة على أنّ إطلاقها كإطلاق ما يضاهيها من المكر والكيد والاستهزاء والأسف والمجىء ونحوها ليست باعتبار مبادئها، بل إنّما هو لأحد الوجهين المشار إليهما في الأخبار المتقدّمة: أحدهما باعتبار الغايات ولذا فسر في كثير منها الغضب بالعقاب، والرضاء بالثواب المحتملين لارادة المصدر، واسمه وهو ما يعاقب به وما يرضى به كالنار والجنّة، لا المعنيين المصدريين اللذين ينبغي تنزيهه سبحانه عنه أيضا ألا أن يكون على وجه التشبيه والتمثيل بناء على أنّه واقع في صقع صفات الأفعال التي لا-ريب في حدوثها، و برائته ساحه كبرياء الذات عنها، ولذا ورد نسبة جميع الأفعال المتقدّمة إليه، وإن كانت باعتبار المشاكلة والازدواج لأفعال العباد كقوله: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ «١» إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ «٢» إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ «٣» إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا «٤».

(١) آل عمران: ٥٤.

(٢) النساء: ١٤٢.

(٣) البقرة: ١٤-١٥.

(٤) الطارق: ١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٨٠

اي يفعل بهم فعل الماكر، والمخادع، والمستهزاء على حدّ قوله: وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا «١» المنساق لمجرّد المشاكلة على أحد الوجوه، أو باعتبارات ما يعود جزاء عليهم هو بعينه نفس أعمالهم الملازمة الغير المنفكّة عنهم، للزومها لهم لزوم الظلّ للشاخص، ولذا قال سبحانه: وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ «٢» و مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ «٣» فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ «٤».

ولذا قيل بتجوهر الأعمال وتجسّم العقائد والإرادات والأحوال يوم القيمة مستشهدا له ببعض الظواهر كقوله: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ «٥»، وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ «٦»، وَإِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا «٧».

بل

روى الشيخ الأمد عن مولينا الصادق عليه السلام ما معناه إنه سمع رجلا من محبيه يقول: اللهم أدخلنا الجنّة فقال عليه السلام إنكم في الجنّة ولكن اسألوا الله أن لا يخرجكم منها إن الجنّة هي ولايتنا وهي تأويل قوله: وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ «٨».

و ذكر في موضع آخر أنّهم عليهم السلام صرّحوا بأنّ النار موجودة في الدنيا في أهلها و يوم القيمة أهلها فيها

إلى غير ذلك من الظواهر والشواهد العقلية التي ستسمع

(١) الشورى: ٤٠.

(٢) فاطر: ٤٣.

(٣) آل عمران: ١١٧.

(٤) الفتح: ١٠.

(٥) التوبة: ٤٩.

(٦) الإنفطار: ١٦.

(٧) النساء: ١٠.

(٨) هود: ١٠٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٨١

الكلام فيها في مواضعها إن شاء الله.

ثانيهما باعتبار أنه سبحانه خلط أوليائه المقربين بنفسه فجعل ظلمهم وقوعا وصدورا ظلمه، و رضاهم رضاه و سخطهم سخطه، و حبهم حبه كما صرح به الامام عليه السلام في الخبرين الأخيرين.

و ذلك لما ذكره صدر المحققين في شرح الخبر الأخير من أن الولي الكامل و الفاني المضمحل هو الذي يستغرق وجوده في وجود الحق المعبود لأنه الموجود في مقام العبودية و الشهود الراجع إلى عالم الوحدة الجمعية بعد طي منازل الكثرة في مراحل التفرقة و قد خرج من البين و الأين، و وصل و في في العين، فحينئذ إن بقي على هذه الحالة في المحو و لم يرجع إلى الصحو كان محجوبا بالحق عن الخلق على عكس حالة المحجوبين بالخلق عن الحق، فحينئذ لا شغل له في هذا العالم و لا أسف و لا ضجر و لا غضب و لا رضى و لا غير ذلك مع الخلق لأن جميع ذلك فرع الالتفات إليهم و لا معاملة معهم فإذا صارت تلك الحالة ملكة راسخة له و قويت ذاته بحسب وسع شخصه و قلبه انشرح صدره و صار جالسا في مقام التمكين على الحد المشترك بين الحق و الخلق غير محتجب أحدهما عن الآخر فحينئذ كل ما يصدر عنه من الأعمال و الأفعال و المجاهدات و المخاصمات و غيرها كان لله و بالله و من الله و في الله، فإن غضب كان غضبه بالله و لله، و إن رضى كان رضاه كذلك و هكذا في جميع ما يفعل أو يفعل فكان غضبه غضب الحق و رضاه رضاه من دون أن يكون انضجاره راجعا إلى أسف الخلق و انضجارهم بوجه.

لكن يجب أن يعلم لدفع الإشكال الوارد هنا بأن هذه الانفعالات و التغيرات كيف تنسب إلى الحق تعالى، إن الأولياء الكاملين الكاملين للخلق ما داموا في هذا العالم لا مخلص لهم عن الإشتغال بالخلق و المخالطة معهم و إصلاحهم و تأديبهم و تعليمهم و أمرهم بالمعروفات و نهيبهم عن المنكرات، و حينئذ تلحقهم لوازم البشرية

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٨٢

و نقائص الخلقية من الأذى و الألم و الانضجار و الأسف و غيرها من الانفعالات و الاستحالات و إليه الإشارة

بقول الامام عليه السلام في الخبر المتقدم: يأسفون و يرضون و هم مخلوقون مربوبون،

و لكن لما كان أصل اشتغالهم بأمور الدنيا و التفاتهم إلى الخلاق بواسطة أمر الله و طاعته و عبارته فكما يلحقهم من ذلك و يصل إليهم كان لله و في سبيله، فجعل رضاهم رضا نفسه، و سخطهم سخط نفسه.

و الحاصل الذي يستحيل على الله من الانفعالات و التغيرات هو الذي يكون وصفا له بالذات و بالحقيقة و يصل إلى ذاته بذاته، و الذي لا يكون أولا و بالذات بل بالعرض و بواسطة العبد و بواسطة العروض لا واسطة في الثبوت و لا في الإثبات، و إليه الإشارة بقوله: لأنه جعلهم الدعاء إليه و الأدلاء عليه، و لذلك صاروا كذلك،

فإن لهم لتوسطهم بين الله و بين خلقه جهتين ظاهريه مع الخلق، و باطنية مع الحق.

ثم ذكر أن

في قوله في الخبر: «و ليس ذلك يصل إلى الله كما يصل إلى خلقه»

تنبيهها لطيفا على أن كلما هو من الصفات من الأمور الوجودية التي هي مظاهر أسمائه و صفاته فهو ثابت للحق تعالى على وجه أعلى و أشرف، فإن صفات الوجود كالوجود نفسه في كل موطن من المواطن و عالم من العوالم بحسب ذلك الموطن و المقام، فالغضب مثلا في الجسم جسماني و صفي كما يشاهد من ثوران الدم و حرارة الجلد و حمرة الوجه، و في النفس نفساني إدراكي و هو إرادة الانتقام و التشفي من الغيظ، و في العقل عقلي، و هو الحكم الشرعي و التصديق بتعذيب طائفة، و المحاربة لأعداء الله، و إقامة الحدود و ما يجري مجرى ذلك، و غضب الله ما يليق بمفهومات صفاته بوجوه ذاته، و كذا الشهوة فإنها في النبات الميل إلى جذب الغذاء و النمو، و في البدن الحيواني انفتاح العضو المخصوص و امتلاء أوعية المنى، و جذب الرحم الإحليل، و في نفسه التلذذ النفساني بالمباشرة، و في النفس الإنساني محبة الإخوان و المؤلفه و الصداقة و العشق العفيف الذي منشؤه تناسب

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٨٣

الأعضاء و الشرائع الحسنه لحسان الوجوه، لا غلبه الشهوة و استيلاء الحيوانية البهيمية، و في العقل الابتهاج بمعرفة الله و صفاته و أفعاله و كيفية ترتيب الوجود و سلسلتى البدو و النهايه، و الخلق و الأمر، و الملك و الملكوت، و قد مر سابقا أنه تعالى بحسب كل صفة و نعت هو له ليس كمثل شىء في تلك الصفة، و المخلوقات و صفاتها رشح و تبع لذاته و صفاته، و المجمع لا يساوى جاعله في وجوده و لا- في صفات وجوده، فليس كمثل شىء في كل الوجوه و الجهات، و لكن الجميع فيه على وجه أعلى و أشرف. انتهى كلامه زيد مقامه.

و فيه مع الغض عما في بعض كلامه من جواز عروض بعض الصفات و لو بواسطة العبد و كونه واسطة في العروض لوضوح فساده إلا أن يريد به جواز الإطلاق لا العروض و من إثبات العشق العفيف حسبما أجمله في المقام و فضله في أسفاره، و ستسمع تمام الكلام في إبطاله عند تفسير قوله: «و مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا» آه.

أن صفات الإمكانية و المعاني الكلية لا يتصف بشىء منها ذات الواجب جلّ عظمته، و القول بالرشح و النسخ و التنزل و غيرها مما تقوله بعض الصوفية القائلين بوحدة الوجود باطل جدا حسبما أسلفنا بعض القول فيه، و بينا أن العلم و القدرة و غيرها من صفات الذات أو من صفات الفعل ليس إطلاقه عليه سبحانه من باب الاشتراك المعنوي بأن يكون للعلم مثلا معنى واحد مختلف المراتب بحسب الشرافة و اللطافة و الإحاطة و البساطة و امتدادها فيتصف الواجب به على وجه أشرف و غيره على حسب مرتبته، فإن هذا المعنى الواحد إن كان واجبا غير الذات فيتعدّد الواجب، و كيف يتصف به غيره أو عينه فليس وصفا لغيره و إلا لكان

(١) البقرة: ١٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٨٤

الذات و صفا للممكن أو من الممكنات فلا- يجرى عليه ما هو أجراه على خلقه فهو بمعزل عن أن يكون وصفا للواجب، فالقول بالشركة المعنوية باطل في نفس الوجود، و في الصفات الذاتية و الفعلية كما وقع التصريح به في أخبار أهل البيت عليهم السلام. و مثله القول باتحاد المعنى مع نسبة الاختلاف إلى المراتب و الإضافات و الإعتبار كما يقوله الصوفية.

بل صرح هذا الفاضل في موضع آخر أنه ما من صورة إمكانية و صفة خلقية إلا و لها حقيقة أصلية في عالم الإلهية و عالم الأسماء الربانية لكن على وجه أعلى و أشرف، ألا ترى أن الوجود حقيقة واحدة نوعية، و هو في مرتبة جسم، و في مرتبة نفس، و في مرتبة عقل، و في مرتبة حق تعالى عن المثل و التشبيه، و كذا حكم كل حقيقة وجودية، إذ الاختلاف بالشدة و الضعف قد ينتهي إلى غاية التخالف. انتهى.

و هو كما ترى صريح في ان الوجود الحقي و الخلقى متحد بحسب الحقيقة، و أنه حقيقة واحدة نوعية، و الاختلاف إنما هو بحسب



المراتب، بل صرح بأن الاختلاف بالشدّة و الضعف، فيا لله و للتوحيد، متى كان ذكر للإمكان و للممكنات في عالم الوجود كى يتحد معه فى الحقيقة النوعية الوحداية، و هل هذه الاعتبارات و المراتب و القيود كانت قديمة أو حادثه، و الأول واضح الفساد، و الثانى خلاف مدّعاهم، لكنهم يقولون: إن جميع ما فى الكون كلها إشراقات و إضافات و اعتبارات للحقيقة الواحدة التى هى الوجود، فلا يثبتون فى الكون و الإمكان إلا سلوبا و غيرا، و إنهم ليقولون منكرا من القول و زورا، فإذا سئلت عن كل منهم بل عن كل شىء فى العالم فإما عدم محض عندهم، أو أنه واجب الوجود تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

و ما أحسن ما وصاه به شيخنا الأفخم الأجدد قدس سره فى شرحه للعرشيه حيث

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٨٥

قال: و أنا أقول للمصنّف لا يتعب نفسه فإنه إن صعد السماء أو نزل الأرض أو قتل نفسه أو غير ذلك لا يكون ربّا و لا يكون قديما، و لا أصل له فى الأزل أبدا و لا يقبل منه ذلك إلا من كان يريد مثل هذه المرتبه، و هم معه مثل ما قيل فى ذمّ أبى الحسين الجزارة.

إن تاه جزاركم عليكم بفظنه فى الورى و كيس

فليس يرجوه غير كلب و ليس يخشاه غير كيس

و عن الشيخ علاء الدولة السمنانى فى حاشيته الحتوفات المسماء بالفتوحات عند قول ابن عربى: سبحان من أظهر الأشياء و هو عينها أنه قال: يا شيخ إن الله لا يستحيى من الحق شيئا لو قيل: إن فضل الشيخ عين وجود الشيخ لا تسامحه بل تغضب عليه، فكيف يجوز ذلك أن تنسب هذا الهديان إلى الملك الديان تب الى الله تعالى لتنجو من هذه الورطه الوعره التى تستنكف عنها الطبيعيون و الدهريون.

### نمط آخر من الكلام لتنتيخ المرام

اعلم أن الله تعالى لم يخلق شيئا فردا لا ضد له كما قال: وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ «١».

و

فى خبر عمران الصابى عن مولانا الرضا عليه السلام: إن الله لم يخلق شيئا فردا قائما بنفسه دون غيره للذى أراد من الدلالة على نفسه و إثبات وجوده «٢».

و ذلك لأن التماثل و التضاد و الاقتران كلها من صفات الإمكان التى لا يتّصف الواجب بشىء منها لتنزّهه عن الأنداد و الأضداد.

(١) الذاريات: ٤٩.

(٢) التوحيد ص ٣١٨- العيون ج ١ ص ١٦٩ و عنهما البحار ج ٥٧ ص ٥٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٨٦

ولذا

ورد فى الخطبة العلوية و مثلها فى الخطبة الرضوية: فبتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له و بتجهيره الجواهر عرف ان لا جوهر له و بمضاداته بين الأشياء عرف ان لا ضد له و بمقارنته بين الأمور عرف ان لا قرين له ضادّ النور بالظلمة و اليبس بالبلل، و الصرد بالحرور، مؤلفا بين متعادياتها مفرقا بين متدانياتها دالة بتفريقها على مفرقها و بتأليفها على مؤلفها، و ذلك قوله تعالى: وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ آه «١».

فالممكن لا يمكن إيجاده بمعنى أنه لا يوجد إلا أن يكون له ضدّ، لأن كل ممكن زوج تركيبى، فيه جهة من ربه، و جهة من نفسه، و

ما هو عليه من رتبة إمكانه و فعليته وجوده جهة إمكانية يمكن فقدانها و زوالها، و هو بعينه طرو ضدها، فلما خلق الله الرحمة محبة لها و عناية بها أولا و بالذات، لأنها من فيض جوده و تمام محبته و مقام قربه استلزم إيجادها خلق الغضب الذي حقيقته البعد عن الرحمة و خلاف المحبة، لأن خلق الغضب من تمام قابلية الرحمة للخلق، فخلق الرحمة أولا و بالذات و الغضب ثانيا و بالعرض، لأنه بخلاف محبته و رضاه فلم يرد له لذاته بل إنما اراده لتمام الرحمة، فمراده و محبوبه هو الرحمة التي وسعت كل شيء فكان خلقه قبل خلق الغضب قبلية ذاتية، و لذا سبقت رحمته غضبه كما في الدعاء.

و

عن مولينا الباقر عليه السلام: إن الله خلق الجنة قبل أن يخلق النار، إلى ان قال و خلق الرحمة قبل أن يخلق الغضب «٢». فنسب الرحمة و المغفرة إلى نفسه و اشتق لها أسماء منها ليفزع المخلوق بها اليه سبحانه فقال: نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ «٣» ثم لم يشتق من الغضب

(١) تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ١٣٠ ح ٤٩ عن التوحيد.

(٢) البحار ج ٨ ص ٣٠٨ ح ٧٢ عن الكافي ج ٨ ص ١٤٥ ح ١١٦.

(٣) الحجر: ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٨٧

لنفسه اسما بل وصف العذاب بقوله: وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ «١» فسبقت رحمته غضبه من وجهين بل من وجوه. و لذا

قال أبو الحسن موسى عليه السلام: إن الله جل ثناؤه خلق العقل و هو أول خلق خلقه الله من الروحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له اقبل فاقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال الله تعالى خلقتك خلقا عظيما و كرمتك على جميع خلقي، ثم خلق الجهل من البحر الأجاج الظلmani «٢».

ثم جعل لكل منهما جنودا من جملتها الرحمة و الغضب «٣» كما في الخبر

و ان احتمل فيه ان لا يكونا بالمعنى الكلي الذي نحن بصدده فإن حقيقة الرحمة و أصله موافقة الرضا و المحبة و مقام القرب خلقها الله بنفسها لنفسها و خلق من أشعة أنوارها كل خير حتى الجنة و أهلها و من فروعها الأنبياء و الأولياء و الصالحاء و الأخيار و الأبرار و الملكة و الروحانيين و غيرهم من المقربين الذين فازوا بمقام القرب الذي هو حقيقة الرحمة و لذا عبر عنها بالولاية الكلية المختصة بنبيينا خاتم النبيين و اله الظاهرين صلوات الله عليهم أجمعين فإنهم حقيقة الرحمة و مقام المحبة و تمام النعمة و من ثم أرسله الله تعالى رحمة للعالمين و أكمل بوصية الدين المبين و جعل من فروعهم كل خير و بر من الأكوان و الأعيان و الكينونات التشريعية و التكوينية حتى الأخلاق و الأحوال الحسنه و العبادات الواجبة و المندوبة و غيرها مما هو مقتضى الولاية الكلية التي عرضها الله على جميع ذرات العالم فما قبلها طاب و طهر، و تكون على وفق مشيئته و إرادته و محبته و رضاه.

(١) الحجر: ٥٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٠٩ ح ٧ و ص ١٥٨ ح ٣٠ و ج ٧٨ ص ٣١٦ ح ١ باب مواظب ابي الحسن موسى الكاظم عليه السلام عن تحف العقول ص ٣٨٣.

(٣) ليس الغضب من جملتها، نعم من جملتها، الانتقام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٨٨

و هذا معنى

الدعاء المأثور في ليالى شهر رمضان: «اللهم برحمتك فى الصالحين فأدخلنا، و فى عليين فارفعنا، و بكأس من معين من عين سلسبيل فاسقنا. الدعاء.

فإن جميع ما ذكره هنا و فى سائر المواضع من شئون الرحمة و مقتضياتها و مظاهرها، و كذا قولهم بعد التوسلات و التضرعات و السؤالات: «برحمتك يا أرحم الراحمين» فإنه توسل بالرحمة فى طلب النعمة التى هى من مظاهرها و أشعتها و فروعها، و لذا يحشر المتقون إلى الرحمن و فدا و يساق المجرمون إلى جهنم و ردا، فإن الرحمن هو الظاهر بالرحمة التى مظهرها فى القيمة هو الجنة أعنى دار القرب و الكرامة و الفوز و السلامة التى خلقها الله برحمته كما أنه من رحمته جعل لكم الليل و النهار، و غير ذلك مما من الله على عباده من مقتضيات الرحمة الواسعة، و المكتوبة المشار إليهما بالكلمتين فى البسمله، و بالرحمتين فى الآية، و بقوله فى دعاء السمات: «و برحمتك التى مننت بها على جميع خلقك»

، فيطلق على النعمة الرحمة قال: هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي «١» و وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَ كَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ «٢» و منه قولهم بعد التسليم: «و رحمة الله و بركاته»، و يطلق عليها أثر الرحمة فأنظر إلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا «٣» أى أرض جزر الإمكان بماء رحمة الوجود المشار اليه بقوله: وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ «٤».

إذ ليس المراد به الماء العنصرى الذى هو أحد بسط الأقسام، مع أنه لم يخلق منه إلا بعض الأقسام المركبة، و الالتزام بالتخصيص مع استغراق العموم و قلة

(١) الكهف: ٩٨.

(٢) المؤمنون: ٧٥.

(٣) الروم: ٥٠.

(٤) الأنبياء: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٨٩

الباقى مستهجن جدا، و هو كما ترى و لو مع جواز التخصيص بالأكثر فى نفسه، و الحيوة ساريه فى جميع الأكوان. و أما الغضب نستجير بالله منه فقد سمعت أن حقيقته هو البعد من الله و لذا لم يرضه و لم يرده لذاته، بل لم يزل بغیظا له سبحانه، و لذا لم ينظر اليه بعين الرحمة و العناية أبدا، و كذا إلى ما خلق منه كطينه سجين، و أرض الخبال، و الشقاوة و الأشقياء الذين هم مظاهر تلك الشقاوة بكليتها و كافة جنودها و أجزائها كأبى الدواهى، و أبى الشرور و أبى الملاهى، و أتباعهم و أعوانهم، و الراضيين بأفعالهم، و المائلين إليهم.

و بالجملة فكل منهم مظهر للغضب الإلهى على حسب رتبته من الشقاوة، بل من جملة مظاهره الكلية التى يتجوهر فى الآخرة بل فى الدنيا أيضا و لو بصورة اخرى هى نار جهنم و طبقاتها و دركاتهما، و جميع ما فيها من الأمور المكروهة المناسبة لها من الحميم، و الغسلين، و الأغلال و النكال، و اللهب، و الشرر و غيرها.

فكما يطلق الغضب على كل هذه المذكورات كذلك يطلق أيضا على ولاية أعداء الله، و عداوة أوليائه، و ما يتفرع عليها من الأعمال القبيحة الخبيثة الطالحة التى كلها من فروع الشجرة المجتته، فهذه الأعمال الشريرة كعاملها الأشرار كلها من النار و إلى النار إلا ما كان منها من قبيل التلطح و العروض فإنه يرد إلى صاحبه يوم الفصل الأكبر و ليحملن أثقالهم و أثقالا مع أثقالهم.

و أما ما سواه

فقد ذكروا عليهم السلام أنه ليس منا من يدعى ولايتنا وهو متمسك بفروع غيرنا.

ولذا

قال مولينا الصادق عليه السلام في جواب المفضل على ما رواه الصفار في «البصائر» في خبر طويل وفيه: إن أعدائنا هو الحرام المحرم، وهم الفواحش ما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٩٠

ظهر منها وما بطن، ومن فروعهم «١» الخمر والميسر والزنا والربا أو الدم والميتة ولحم الخنزير فهم الحرام المحرم، وأصل كل حرام، وهم الشر وأصل كل شر، ومنهم فروع الشر كله ومن ذلك الفروع الحرام واستحلالهم إيها، من فروعهم تكذيب الأنبياء، و جحود الأوصياء، و ركوب الفواحش: الزنا والسرقه و شرب الخمر و المسكر و أكل مال اليتيم و أكل الربا و الخدعة و الخيانة و ركوب الحرام كلها و انتهاك المعاصي، و إنما يأمر الله بالعدل و الإحسان و إيتاء و هم المنهى عن مودتهم و طاعتهم.

إلى ان قال: و اعلم أن الله قد حرّم هذا الأصل و حرّم فرعه و نهى عنه، و جعل ولايته كمن عبد من دون الله أو ثانا و لو أتى قلت إن ذلك كله هو فلان لصدقت إن فلانا هو المعبود المتعدى حدود الله التي نهانا عن تعدّيها «٢».

الخبر بطوله كما تسمعه إن شاء الله في تفسير قوله: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ «٣»، الآية.

و بالجملة فللغضب أيضا آثار و مظاهر كثيرة في عوالم متعدّدة، و من مظاهرها الفسوق و الفجور و الخيانة و غيرها من المعاصي.

و منها الأخلاق السيئة و الإعتقادات الباطلة، و الإرادات و الشهوات الرديئة النفسانية و البهيمية و السبعية و الشيطانية.

و منها المسخ في الدنيا سواء كان صوريا ظاهريا كما في سائر الأمم، أو باطنيا معنويا كما في هذه الامة المرحومة.

و منها الشرك و الكفر بجميع أقسامها و أحكامها و لوازمها.

(١) ليس في البحار: «و من فروعهم».

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٢٩٠ ح ١ عن بصائر الدرجات ص ١٥٤.

(٣) الأعراف: ٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٩١

و منها كينونات الأشقياء و الخبائث و الكدورات و الظلمات و الظلمات في جميع العوالم و النشآت.

و منها الاستدراج و الإمهال في الدنيا لإبداء السرائر و كشف الضمائر، و إن كان ذلك باستدامة النعمة و العافية.

و منها الزواجر و العقوبات الدنيوية البرزخية و الاخروية من سوء الموقف و سوء الحساب و النار أنواع العذاب المعدة لهم فيها إلى غير

ذلك ممّا هي آثار و لوازم و فروع لولاية أعداء الحق أعنى الجب و الطاغوت و الشياطين و حزبهم الظالمين كما في الزيارة الجامعة.

إذ المراد بالأولين الأولان، و بالشياطين بنو أمية قاطبة و منهم الثالث، و حزبهم أشياعهم و أتباعهم و الراضين بفعالهم، ممّن كان أو

يكون إلى يوم القيمة، فإنّ كينونات أصولهم أصل الغضب المذى هو تجوهر البعد من الله سبحانه و المخالفة لإرادته و رضاه في

الكينونة و الكيفوفة و مراحل التكوين و منازل التمكين و مراتب التشريع و التفريع، و قد ظهر ممّا مرّ عموم «المغضوب عليهم» كما هو

قضية العرف و اللغة لكل معاند للحق جاهد له قد سخط الله عليه بإنكاره و عناده و نصبه و عداوته لأولياء الحق بلا فرق بين اليهود و

النصارى و المجوس و غيرهم من فرق الكفار بل و كذا المخالفين الذين هم يهود هذه الأمية و أتباع عجلها و سامريها فغضب الله

عليهم يمسخهم في الباطن، و جعل منهم القردة و الخنازير و عبد الطاغوت أولئك شرّ مكانا من فرق الكفار الذين ليسوا من أهل

الجحود و النصب و العداوة لولى الأمر و أضلّ عن سواء السبيل الذى هو ولاية مولينا أمير المؤمنين بل قيل: إنّ الغضب أشدّ من اللعنة

فخصّ باليهود أشدّ عداوة لأهل الحق العاملة الناصبة الجاحدة المعاندة لأهل البيت عليهم السلام و ذريتهم و شيعتهم و محبيهم

فالغضب عليهم أشد و أغلظ.

ولذا

ورد في النبوى على ما رواه فى المجالس و تفسير العياشى عنه صلى الله عليه و آله

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٩٢

قال: غضب الله على اليهود حين قالوا عزير ابن الله، و اشتد غضب الله على النصارى حين قالوا المسيح ابن الله و اشتد غضب الله على من أراق دمي و آذاني فى عترتى «١».

و اشتداد الغضب هو الذى عبر عنه بالمقت فى قوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ إِذِ تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ «٢».

فعن القمى قال: إن الذين كفروا يعنى بنو أمية، و تدعون إلى الايمان، يعنى إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام «٣».

و مثله فى المناقب عن مولانا الباقر و الصادق عليهما السلام

، بل فى المقام أخبار كثيرة نذكرها إن شاء الله فى تفسير قوله: و غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ «٤» و مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي «٥»، و لا تتولوا قوماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ «٦»، و كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ «٧» إلى غير ذلك من الآيات.

تفصيل للاجمال فى تحقيق معنى الضلال: اعلم هداك الله بنور اليقين و أرشدك إلى ولاية الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين أن الضلال فى الأصل ضد الرشاد، قال فى القاموس: الضلال و الضلالة و الضل و يضم و الضلضلة و الاضلولة و الضلة بالكسر و الضلل محركة ضد الهدى، ضللت كزللت و مللت، و هذا إشارة إلى ما أشار اليه الفيرمى تبعاً للجوهري، قال: ضل الرجل الطريق، و ضل عنه يضل من باب ضرب ضلالاً و ضلالة، ضل عنه فلم يهتد اليه فهو ضال،

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٧١ ح ٨ عن أمالى ابن الشيخ ص ٨٨.

(٢) غافر: ١٠.

(٣) تفسير القمى ج ٢ ص ٢٥٥.

(٤) الفتح: ٦.

(٥) طه: ٨١.

(٦) الممتحنة: ١٣.

(٧) غافر: ٣٥ و الصف: ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٩٣

هذه لغة نجد، و هى الفصيحة، و بها جاء القرآن فى قوله تعالى: إِنَّ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي «١».

و فى لغة لأهل العالية من باب تعب، و الأصل فى الضلال الغيبة، و منه قيل للحيوان الضائع ضالماً بالهاء للذكر و الأنثى إلى آخر ما ذكره.

و قد يقال: إنه فى الأصل خفاء الشىء و هلاكه فى الشىء من قولهم: ضل الماء فى اللبن.

و يقال: إنه قد استعمل فى القرآن على وجوه اثنى عشر: طلب الزلة، لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ «٢»، و الكفر و الشرك: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ «٣» و الخسران: و مَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ «٤» اى خسار، و فرط المحبة:

إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ «٥» و الشقاء: وَ لَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ «٦»، و البطلان: الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا «٧» و أضل أعمالهم «٨» و النسيان: أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى «٩»، و التلاشى و الاضمحلال: وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ «١٠»، و

## الجميل:

(١) سبأ: ٥٠.

(٢) النساء: ١١٣.

(٣) الواقعة: ٥١.

(٤) غافر: ٢٥.

(٥) يوسف: ٣.

(٦) ق: ٢٧.

(٧) الكهف: ١٠٤.

(٨) محمد (ص): ٨.

(٩) البقرة: ٢٨٢.

(١٠) السجدة: ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٩٤

قَالَ فَعَلَّتْهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ «١» و الحرمان و الياس: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَ شِعْرٍ «٢» و الخطاء: لَا يَضِلُّ رَبِّي وَ لَا يَنْسَى «٣»، و الإغواء: لَأُضِلَّتْهُمْ «٤».

لكنه مع ظهور التكرار فيه في الجملة و رجوع البعض إلى البعض لا يخفى أن المثال في بعضها غير مطابق للممثل سيما قوله في قصته موسى على نبينا و آله و عليه السلام: فَعَلَّتْهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ «٥».

فإنه ليس من الجهالة، بل الضلال عن الطريق كما عن الإمام عليه السلام: مضافا إلى أنه لم يستوف جميع معانيها التي ورد عليها في القرآن كالإضلال من الله في قوله:

يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا «٦» و الضلال للنبي صلى الله عليه و آله و سلم في قوله: وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى «٧».

فضلا عن المعاني المستعملة فيها في العرف و اللغة كالخفاء، و الضياع، و الغياب، و الحيرة، و الحذق بالدلالة، و كون الولد لغير رشده إلى غير ذلك مما في القاموس و غيره الذي لا داعي إلى الإطناب في نقله، فضلا عن إرجاع بعضها إلى بعض و إن قيل: إن الأصل في معانيه الهلاك أو الميل عن الشيء.

نعم

في تفسير النعماني بالإسناد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: الضلال على وجوه فمنه محمود و منه ما هو مذموم و منه ما ليس بمحمود و لا مذموم و منه ضلال النسيان، فاما الضلال المحمود و هو المنسوب إلى الله تعالى كقوله:

(١) الشعراء: ٢٠.

(٢) القمر: ٤٧.

(٣) طه: ٥٢.

(٤) النساء: ١١٥.

(٥) الشعراء: ٢٠.

(٦) البقرة: ٢٦.

(٧) الضحى: ٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٩٥

يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ «١»، و هو ضلالهم عن طريق الجنة بفعلهم، و المذموم هو قوله تعالى:

وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ «٢»، وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَ مَا هَدَى «٣» و مثل ذلك كثير.

و أما الضلال المنسوب إلى الأصنام فقوله تعالى فى قصة إبراهيم: وَ اجْتَنِبْنِي وَ ابْنِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ «٤»، الآية.

و الأصنام لا يضلن أحدا على الحقيقة إنما ضلَّ الناس بها و كفروا حين عبدوها من دون الله عز و جل.

و أما الضلال الذى هو النسيان هو قوله تعالى: أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا «٥».

و قد ذكر الله تعالى الضلال فى مواضع من كتابه فمنه ما نسبه إلى نبيه على ظاهر اللفظ كقوله سبحانه: وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى «٦» فمعناه وجدناك فى قوم لا يعرفون نبوتك فهديناهم بك.

و أما الضلال المنسوب إلى الله تعالى الذى هو ضد الهدى، و الهدى هو البيان و هو معنى قوله: أَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ «٧» معناه أولم يبين لهم

مثل قوله: فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسِدَاتِهِمْ فَاسِدَاتُ الْعَمَى عَلَى الْهُدَى «٨»، أى بينا لهم و هو قوله: وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ «٩».

(١) المدثر: ٣١.

(٢) طه: ٨٥.

(٣) طه: ٧٩.

(٤) إبراهيم: ٣٦.

(٥) البقرة: ٢٨٢.

(٦) الضحى: ٧.

(٧) طه: ١٢٨.

(٨) فصلت: ١٧.

(٩) التوبة: ١١٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٩٦

و أمّا معنى الهدى فقوله عز و جل: إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ «١»، و معنى الهدى المبين لما جاء به المنذر من عند الله، و قد احتج قوم من المنافقين على الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا «٢» و ذلك أن الله تعالى لما أنزل على نبيه صلى الله عليه و آله و سلم و لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ، قال طائفة من المنافقين:

ما ذا أراد الله بهذا مثلا يضلُّ به كثيرا فأجابهم الله تعالى بقوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي الْآيَةَ.

فهذا معنى الضلال المنسوب إلى الله سبحانه لأنه أقام لهم الإمام الهدى لما جاء به المنذر فخالفوه و صرفوا عنه بعد أن أقروا بفرص طاعته، و لما بين لهم ما يأخذون و ما يذرون فخالفوه و ضلوا.

هذا مع علمهم بما قاله النبي صلى الله عليه و آله و سلم: لا تصلوا على صلاة مبتورة إذا صليتم على بل صلوا على أهل بيتى و لا تقطعوهم عنى فإن كل سبب و نسب منقطع يوم القيامة إلا سببى و نسبى، و لما خالفوا الله تعالى ضلوا و اضلوا فحذر الله الأمة من إتباع الهوى، فقال سبحانه: وَ لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ «٣» و السبيل هاهنا الوصى و قال سبحانه: وَ لَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَ صَاكُمُ «٤»، الآية، فخالفوا ما وصاهم الله تعالى به و اتبعوا أهواءهم فحرفوا دين الله جلَّت عظمتة و شرانعه و بدلوا فرائضه و احكامه و جميع ما أمروا به كما عدلوا عمَّن أمروا بطاعته و أخذ عليهم العهد

بموالاته، واضطرهم ذلك إلى استعمال الرأى و القياس فزادهم ذلك حيرة و التباسا،

(١) الرعد: ٧.

(٢) المائدة: ٧٧.

(٣) المائدة: ٧٧.

(٤) الأنعام: ١٥٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٩٧

و منه قوله سبحانه: **وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ** (١). فكان تركهم إتباع الدليل الذى أقام لهم ضلالة لهم، فصار ذلك كأنه منسوب إليه تعالى لما خالفوا أمره فى إتباع الإمام ثم افترقوا و اختلفوا و لعن بعضهم بعضا و استحل بعضهم دماء بعض: **فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ** (٢). «٣» الخبر. و على كل حال فقضية الإطلاق و حذف المتعلق، سيما بمعونة اختلاف الأخبار الواردة فى تفسيره حسبما مر فى أول تفسير الآية و يأتى أيضا حمل الضلال فى المقام على كل انحراف و عدول عن الحق الذى هو الدين القويم، و الصراط المستقيم، بلا فرق بين أن يكون ذلك الانحراف فى الإعتقاد أو العمل أو اللسان فيما يتعلق بأصول الدين كلها أو بعضها أو فروع الدين كذلك، أو أصول الفروع و فروع الأصول سواء كان ذلك على وجه الجحود و العناد، أو على سبيل الإعتقاد و توهم الصواب و السداد، أو من جهة الاستضعاف و عدم التميز بين الفساد و الرشاد، ان الضلالة تشتمل جميع ذلك منفردا و مجتمعا مع غيره حتى المجموع، و إن فسرت فى بعض الأخبار بالغلو و فى بعضها بالنصب الذى هو الضلال عن سبيل الله كما مرّت حكايتهما عن تفسير الامام عليه السلام و غيره.

بل

فيه أيضا عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَ لَكِنْ يَقْبِضُهُ بَقْبُضِ الْعُلَمَاءِ فَإِذَا لَمْ يَنْزِلْ عَالَمٌ إِلَى عَالَمٍ تَصْرَفَ عَنْهُ طَلَّابُ حَطَامِ الدُّنْيَا وَ حَرَامِهَا وَ يَمْنَعُونَ الْحَقَّ مِنْ أَهْلِهِ، وَ يَجْعَلُونَهُ لغير أَهْلِهِ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤْسَاءَ**

(١) المدثر: ٣١.

(٢) يونس: ٣٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥ / ٢٠٨ - ٢٠٩ ح ٤٨ عن تفسير النعمانى ص ١٧ - ٢٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٩٨

جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا و أضلوا (١).

و فى كثير من الأخبار أن أهل الضلال هم المستضعفون بل فى بعضها تثليث الإيمان و الكفر بالضلالة.

عن العياشى عن مولينا الصادق عليه السلام قال: **الناس على ست فرق يؤتون كلهم إلى ثلاث فرق: الإيمان، و الكفر، و الضلال، و هم أهل الوعد من الذين وعدهم الله الجنة و النار المؤمنون و الكافرون و المستضعفون و المرجون لأمر الله إما يعذبهم و إما يتوب عليهم، و المعترفون بذنوبهم خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا و أهل الأعراف (٢).**

و

فيه عن زرارة قال دخلت أنا و حمران أو أنا و بكير (٣) على أبى جعفر عليه السلام قال قلنا له **إِنَّمَا نَمِدُ الْمَطْرَ قَالَ: وَ مَا الْمَطْرُ؟ قُلْنَا: التَّرْفَمُ وَ افْقِنَا مِنْ عَلْوَى أَوْ غيرهِ تَوْلِينَاهُ، وَ مَنْ خَالَفَنَا مِنْ عَلْوَى أَوْ غيرهِ بَرَثْنَا مِنْهُ، فَقَالَ لِي: يَا زَرَّارَةُ قَوْلَ اللَّهِ أَصْدَقُ مِنْ قَوْلِكَ فَأَيْنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: **إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ لَا يَسْمَعُونَ حِيلَةً وَ لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا** (٤)، أين المرجون لأمر الله، أين الذين خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا، أين أصحاب الأعراف، أين المؤلفه قلوبهم.**

و زاد حماد فى الحديث قال زرارة: **فارتفع صوت أبى جعفر عليه السلام و صوتى حتى كان يسمعه من على باب الدار.**



و زاد فيه جميل عن زرارة: فلما كثر الكلام بيني وبينه قال لي: يا زرارة حقًا

(١) بحار الأنوار: ج ٢ / ٨٣ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٢) البحار: ج ٧٢ / ١٦٥ - ١٦٦ عن تفسير العياشي ج ٢ / ١١١.

(٣) في البحار و تفسير العياشي ليس «أو أنا و بكير».

(٤) النساء: ٩٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٦٩٩

على الله أن يدخل الضلال الجنة «١».

قلت: في «مجمع البحرين» المطمر بكسر الميم الأولى و فتح الثانية خيط يقوم عليه البناء، و يسمى التّر أيضا و قال في التّر: إنه بالضم و التثقيل خيط البناء المطمر مثله ثم نقل الخبر و غيره «٢».

و مراد زرارة به في الخبر إمّا الضال عن الاستقامة المطلقة في الأصول و الفروع و إمّا عن ولاية الائمة الطاهرين.

و ظاهر الخبر أن كلّ من عدّه الإمام عليه السلام داخل في الضلال بالضمّ و التشديد جمع الضالّ، و استحقاق الجنة لعدم تمامية الحجّة عليهم.

و يؤيده ما

في غيبة الشيخ قدّس سرّه في الصحيح عن زرارة عن مولينا الصادق عليه السلام قال: حقيق على الله أن يدخل الضلال الجنة.

فقال زرارة كيف ذلك جعلت فداك؟

قال: يموت الناطق، و لا ينطق الصامت فيموت المرء بينهما فيدخله الله الجنة «٣».

على الأوّل لا- إشكال فيه لإحراز الإسلام و الإيمان، و إن لم يكن على سبيل الكمال، و على الثاني لعلّ المراد كونهم حينئذ من المستضعفين الذين لم يتمّ عليهم الحجّة في الدنيا بل يؤجج لهم في البرزخ أو في الآخرة نار يمتحنون بها كغيرهم ممّن لم يتمّ عليهم الحجّة مثل الأطفال، و المجانين، و

الذي مات في الفترة بين النبيين و الأبله، و الأصمّ و الأبكم كما رواه في «المعاني» و «الخصال»

بل في بعض الأخبار إطلاق الضلال على المخالفين مع تثليث القسمة.

(١) تفسير العياشي ج ٢ ص ٩٣ و عنه البحار ج ٧٢ ص ١٦٤ ح ٢٦.

(٢) مجمع البحرين حرف الراء باب ما أوله التاء.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥ / ٢٩٠ عن غيبة الطوسي ص ٢٩٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٠٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٤ ٥

ففي الكافي بالإسناد عن سليم بن قيس الهلالي عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل أدنى ما يكون به العبد مؤمنا و أدنى ما يكون به العبد كافرا و أدنى ما يكون به العبد ضالّا فقال عليه السلام قد سئلت فافهم «١» الجواب.

أمّا أدنى ما يكون به العبد مؤمنا أن يعرفه الله تبارك و تعالی نفسه فيقرّ له بالطاعة، و يعرفه نبيّه فيقرّ له بالطاعة و يعرفه إمامه و حجته في أرضه، و شاهده على خلقه، فيقرّ بالطاعة، قلت: يا أمير المؤمنين و إن جهل جميع الأشياء إلّا «٢» ما وصفت؟ قال: نعم إذا أمر أطيع و إذا نهى انتهى.

و أدنى ما يكون به العبد كافرا من زعم أن شيئا نهى الله عنه أن الله أمر به، و نصبه دينا يتولّى عليه، و يزعم أنّه يعبد الذي أمره به و

إنما يعبد الشيطان.

و أدنى ما يكون به العبد ضالماً أن لا يعرف حجّة الله تبارك و تعالی و شاهده على عباده الذى أمر الله عزّ و جل بطاعته و فرض ولايته.

قلت: يا أمير المؤمنين صفهم لى فقال: الذين قرنهم الله عز و جلّ بنفسه و نبیه فقال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ «٣».

قلت: يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك أوضح لى، فقال: الذين قال الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم فى خطبته يوم قبضه الله عز و جلّ اليه: إنى قد تركت فيكم أمرين لن تضلّوا بعدى ما إن تمسّكتم بهما: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، فإنّ اللطيف الخبير قد عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، و جمع بين مسبتيه و لا أقول كهاتين و جمع بين المسبحة و الوسطى فسبق إحداهما الأخرى فتمسكوا بهما لا تزلّوا و لا تضلّوا و لا تقدّموهم فتضلّوا «٤».

(١)

فى البحار: فاسمع الجواب.

(٢)

فى البحار: غير ما وصفت.

(٣) المائدة: ٩٥.

(٤) الكافى ج ٢ ص ٤٠٤-٤٠٥ ح ١ و رواه المجلسى قدّس سرّه فى البحار عن كتاب سليم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٠١

و إنما نقلناه بطوله لأنه فى تثليثه كالتفسير للفرق الثلاث المذكورة فى هذه السورة الشريفة مع ما فيه من الإشعار بأن المخالف يسمّى ضالاً ما لم يكن من أهل الجحود و النصب و العداوة، و انّ نسبتهم إلى الضلال إنّما استفيد من خبر الثقلين المتواتر بين الفريقين بل المتلقى عندهم بالقبول من غير شك و دين، و قضيتة ذلك التزامهم بضلاتهم حسب ما تأتى الإشارة اليه.

و أمّا ما

رواه فى الكافى أيضا عن مولينا الصادق عليه السّلام فى قوله: الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ «١»: قال: الفواحش الزنا و السرقة و اللمم الرجل يلّم بالذنب فيستغفر الله منه، فلت: بين الضلال و الكفر منزلة؟ فقال ما أكثر عرى الإيمان «٢».

فعلّ الظاهر أنّ المراد الإشارة إلى التثليث المتقدم، فالمنزلة افتراق كلّ من الضلال و الكفر عن الآخر، أو إلى وسعته مقام الضلالة و كثرة أفرادها، فالمنزلة بين أول الضلالة و الكفر بسائر افراد الضلالة، و لذا أشار إلى كثرة عرى الإيمان، فإنّ انقطاع كلّ عروة منها ضلالة و إن لم يكن كفرا فتشمل جميع المذاهب التى افتقرت عليها أمة النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم على الفرقة المحققة الامامية الاثنى عشرية الذين هم مع الإيمان و الايمان معهم.

بقى فى المقام وجوه آخر فى بيان المراد من الفريقين مثل أن يكون المراد بالمغضوب عليهم المتمسكين بالظاهر مع رفض الباطن رأسا، و بالضالين العكس، و لذا فسر الاول باليهود و الثانى بالنصارى، و هما مشتركان فى الانحراف عن الحق، إذ لا يكون ظاهر إلاً بالباطن و لا باطن إلاً بالظاهر كما فى الخبر و لذا قال:

(١) النجم: ٢٢.

(٢) الكافى: ج ٢ / ٤٤٢ ح ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٠٢

وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ «١».

و

فى الخبر عن الصادق عليه السلام: إن قوما آمنوا بالظاهر و كفروا بالباطن فلم ينفعهم شىء، و جاء قوم من بعدهم فأمنوا بالباطن و كفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئا فلا إيمان بظاهر إلا بباطن، و لا بباطن إلا بظاهر «٢».

أو أن المغضوب عليهم هم الذين خرجوا إلى الظلمة من النور بعد الشهود و الحضور، و أهل الضلال هم الذين أخطئوا الطريق بالاشتغال بالفسق و الفجور.

أو الغضب لأهل الإلحاد و العصبية و العناد لقوله تعالى: وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ «٣» و الضلال لأهل التقليد و الإتياع لقوله: إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا «٤».

أو الغضب الكفار و الضلال للفساق و الفجار.

أو الغضب لأهل البدع المنحرفين فى العلم و الضلال للعصاة المخالفين فى العمل.

أو الغضب لمن أتبع القوى الغضبية السبعية، و الضلال لمن انهمك فى متابعة الشهوة البهيمية، إلى غير ذلك من الوجوه التى مرجعها إلى ما سمعت من اشتراك الفرقتين فى الانحراف عن متابعة من جعله الله سيلا إلى معرفته و وسيلة إلى مرضاته و هو النبأ العظيم، و الصراط المستقيم، و قسيم النعيم و الجحيم، و إنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم.

(١) الانعام: ١٢٠.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٥٧ و عنه البحار ج ٢٤ ص ٣٠٢ ح ١١.

(٣) الشورى: ١٦.

(٤) الأحزاب: ٦٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٠٣

### تبصرة و إستبصار لمن أراد حسن الإختيار

إذا شئت أن تختبر لنفسك مذهباينجيك يوم الحشر من لهب النار فدع عنك قول الشافعى و مالك و أحمد و المروى عن كعب أحبار و وال أناسا قولهم و حديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن البارى و لقد أجاد من قال:

إذا كان كل الناس سبعين فرقه و نيفا كما قد جاء فى واضح النقل

و لم يك منهم ناجيا غير فرقه فما ذا ترى يا ذا البصيرة و العقل

أفى الفرقة الناجين آل محمد أم الفرقة الهلاك أيهما قل لى

رضيت عليا لى إماما و سيدا و أنت من الباقيين فى سائر الحل

اعلم أن جميع الفرق المتقدمة من المسلمين

روى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم باختلاف النقلة و تشابه العبارة أنه قال: ستفترق أمتى على ثلاثة و سبعين فرقه، فرقه منها

ناجية، و الباقي في النار.

ففي أمالي الطوسي عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرأس اليهود: على كم افتقرتم؟ فقال: على كذا و كذا فرقة، فقال علي عليه السلام كذبت.

ثم أقبل على الناس و قال: و الله لو ثبت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل القرآن بقرآنهم، افتقرت اليهود على إحدى و سبعين فرقة سبعون منها في النار، و واحدة منها في الجنة، و هي التي أتبع يوشع بن نون، و افتقرت النصارى على اثنين و سبعين فرقة، إحدى و سبعون في النار، و واحدة منها في الجنة و هي التي أتبع شمعون وصي عيسى عليه السلام، و تفترق

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٠٤

هذه الامة على ثلاث و سبعين فرقة، اثنتان و سبعون فرقة في النار، و واحدة في الجنة و هي التي اتبعت وصي محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و ضرب بيده على صدره، ثم قال ثلاث عشر فرقة من الثلاث و سبعين فرقة كلها تنتحل مودتي و حبي واحدة منها في الجنة، و هم التمت الأوسط، و اثنتي عشرة في النار «١».

بل

ورد من طريق العامة أيضا فعن موفق بن أحمد من علمائهم بالإسناد عن زاذان عن علي عليه السلام قال تفترق هذه الامة على ثلاث و سبعين فرقة ثنتان و سبعون في النار و واحدة في الجنة و هم الذين قال الله عز و جل في حقهم: وَ مِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَْعْدِلُونَ «٢» و هم انا و شيعتي «٣».

و هو كما ترى مشتمل على تعيينه، بل

قد رووا هذه الرواية بطرق عديدة و في آخرها: و هي أي الواحدة الناجية التي تتبع وصي عليا.

و

روى الحافظ محمد بن موسى الشيرازي في كتابه الذي استخرجه من التفاسير الاثني عشر التي هي لأبي يوسف يعقوب بن سفيان، و ابن جريح، و مقاتل بن سليمان، و كيع بن جراح، و يوسف بن موسى القطان، و قتادة، و أبي عبيدة القاسم بن سلام، و علي بن حرب الطائي، و السدي و مجاهد، و مقاتل بن حيان، و أبي صالح، و كلهم من جمهور المخالفين، عن أنس بن مالك قال كنا جلوسا عند رسول الله فتذاكرنا رجلا يصلي و يصوم و يتصدق و يزكي فقال لنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا أعرفه، فقلنا يا رسول الله أنه يعبد الله و يسبحه و يقده و يوحيده، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا أعرفه، فبينما نحن في ذكر الرجل إذ قد طلع علينا فقلنا هو ذا فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قال لأبي بكر: خذ سيفي هذا و امض إلى هذا الرجل و اضرب

(١) الاحتجاج ص ١٤٠ - ١٤١ و عنه البحار ج ٢٨ ص ٤ - ٥ ح ٥.

(٢) الأعراف: ١٨١.

(٣) المناقب للخوارزمي ص ٣٣١ ح ٣٥١ و عنه ينابيع المودة ج ١ ص ٣٣٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٠٥

عنقه، فإنه أول من يأتيه حزب الشيطان فدخل ابو بكر المسجد فرآه راكعا فقال و الله لا اقلته، فإن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نهانا عن قتل المصلين فرجع الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال يا رسول الله اني رايتك يصلي فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اجلس فلست بصاحبه، قم يا عمر فخذ سيفي من يد أبي بكر و ادخل المسجد و اضرب عنقه، قال عمر: فأخذت السيف من يد أبي بكر و دخلت المسجد فرأيت الرجل ساجدا فقلت و الله لا اقلته فقد استامنه من هو خير مني، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقلت يا رسول الله اني رأيت الرجل ساجدا، فقال يا عمر اجلس فلست بصاحبه، قم يا علي

فانك أنت قاتله إن وجدته فاقتله فإنك إن قتلته لم يقع بين أمتي اختلاف أبدا قال علي عليه السلام فأخذت السيف و دخلت المسجد فلم أره، فرجعت إلى رسول الله عليه السلام و قلت يا رسول الله ما رأيته، فقال لي يا أبا الحسن إن أمية موسى افترقت علي إحدى و سبعين فرقه، فرقه منها ناجية، و الباقيون في النار فقلت: يا رسول الله و ما الناجية فقال المتمسك بما أنت عليه و أصحابك، فأنزل الله تعالى في ذلك الرجل ثانياً عَظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ «١» يقول: هذا أول من يظهر من أصحاب البدع و الضلالات، قال ابن عباس و الله ما قتل ذلك الرجل إلّا أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين «٢».

قلت فانظر إلى هذا الخبر الذي رواه غير واحد من الجمهور المصرح بمخالفتها للرسول صلى الله عليه و آله و سلم فيما أمرهما به في مثل هذا الأمر الذي صار سبباً لافتراق الائمة فكأنهما صارا سببين لضلالتها و ارتدادها عن طريق الهدى بمخالفتها له في حيوته و بعد وفاته.

و لذا جعل علامة الفرقة الناجية مشايعة أمير المؤمنين عليه السلام و أصحابه و التمسك

(١) الحج: ٩.

(٢) صوابه يوم النهروان.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٠٦

بما هم عليه في الأصول و الفروع «١».

ثم إن هذه الأخبار المروية من الطريقتين ما بين مصرح بأن الفرقة الناجية هي الإمامية حسب ما سمعت، و بين مطلق لها إلّا أنه على فرضه يستفاد التعيين أيضاً من خبر صحيح متفق على نقله و صحته بين الفريقين، و هو قوله عليه السلام: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجي و من تخلف عنها غرق

، و لا- ريب أن الإمامية هم المختصون بركوب هذه السفينة فإنهم لا يرجعون في شيء من أحكامهم و مذهبهم إلّا إلى أهل البيت عليهم السلام كما أن غيرهم من الفرق يرجعون إلى غيرهم كأصحاب أبي حنيفة، و أصحاب الشافعي، و مالك، و احمد، و غيرهم. مضافاً إلى أن المحكي عن أفضل المتأخرين نصير الملة و الحق و الدين الطوسي عطر الله مرقدته أنه باحث أصحاب المذاهب فاستدل بالخبر على أن الناجية هي الإمامية، قال و ذلك أتى و قفت على جميع المذاهب أصولها و فروعها فوجدت من عدا الإمامية مشتركين في الأصول المعتمدة في الايمان و ان اختلفوا في أشياء يساوي إثباتها نفيها بالنسبة إلى الايمان.

ثم وجدت أن طائفة الإمامية هم يخالفون الكل في أصولهم، فلو كانت فرقة ممن عدتهم ناجية لكان الكل ناجين فيدل على أن الناجية هم الإمامية لا غير.

أقول: و لعل الظاهر من كلامه نوع الاعتقادات الاصولية المرتبطة بالايمان كالجبر، و التفويض، و القدر، و الرؤية، و الصفات، و الأحوال، و غيرها مما ستمتع إليها الاشارة بل يكفي في ذلك خصوص مسألة الإمامة.

و لذا قد يقال في تحرير كلامه: أن جميع الفرق متفقون على أن مناط النجاة و دخول الجنة هو الإقرار بالشهادتين و خالفهم الإمامية في ذلك و قالوا لا بد من ضم

(١) نفحات اللاهوت لعلي بن عبد العال الكركي ص ٨٦ ط الغري و عنه إحقاق الحق ج ٧ ص ١٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٠٧

ولاية أهل البيت و البرائة من أعدائهم و هي التي يدور عليها النجاة و الهلاك في الآخرة، لا خصوص الحكم بالإسلام و الكفر في الدنيا، فإنه من الأحكام الظاهرة التي قد شرعت تسهيلاً على أهل الحق.

و اما ما يقال من أنه لو أريد الخلود فيها هو خلاف الإجماع، فإنّ المؤمنين لا يخلدون فيها و إن أريد مجرد الدخول فهو مشترك بين الفرق إذ ما من فرقة إلّا و بعضها عصاة، و القول بأنّ معصية الفرقة الناجية مغفورة بعيد جدّا، و لا يبعد أن يكون المراد استقلال مكثهم في النار بالنسبة إلى سائر الفرق ترغيباً في تصحيح الاعتقاد.

ففيه أنّ عدم خلود المؤمنين و إن كان مسلماً إلّا أنّ إيمان من عدا الفرقة الناجية ممنوع كيف و قد أطبقت الطائفة الحقّة على عدم إيمان من سويهم و إنّ الولاية من شرائط الإيمان و الركن الأعظم الذي عليه السّلام من غير عكس.

مضافاً إلى انفرادهم النصّ و العصمة و عدم انقطاع الحجّة و غير ذلك من الأصول التي انفردت بها من بين الفرق.

هذا كلّه مع الغصّ عن الوجوه المشخصة الخارجة التي منها خبر السفينة، و خبر الثقلين اللذين مرّت إليهما الإشارة في المقدمات. و اما ما وقع في كلامه استبعاد الغفران لمعاصي الفرقة الناجية فهو أولى بالاستبعاد، بل المرجوّ من فضلهم ذلك كيف و قد وعدنا الله تعالى على لسان أوليائه و هو لا يخلف الميعاد، و

قد ورد به أخبار مستفيضة بل متواترة متضمنة لبذلهم حسناتهم لشيعتهم، و أنّ الله تعالى أعطاهم الوسيلة و الفضيلة و الشفاعة لأصحاب الكبائر من شيعتهم، و أنّ الله تعالى قد قال إني غفرت لشيعة علي و محبيه ذنوبهم جميعاً، و أنّ الله تعالى يبتلى شيعتهم بالسّقم، و الفقر، و العاهة، و الذلّة في أهلهم و مالهم كفارة لما اقترفوه من الذنوب الموبقة، حتّى أنّ منهم من يشدّد عليه خروج

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٠٨

نفسه كي يلقي الله تعالى حين يلقاه و هو عنه راض.

بل

روى ابن المغازلي الشافعي بالإسناد عن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم قال يدخل الجنّة من أمّتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ثمّ التفت إلى علي عليه السّلام فقال هم من شيعتك و أنت إمامهم «١».

و

قال اخطب خوارزم في فضائله و ابن حجر في صواعقه بالإسناد إلى بلال بن حمام قال طلع علينا النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و وجهه مشرق كدائرة القمر فقام إليه عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ما هذا النور؟ فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: بشارة أتتني من ربّي في أخي و ابن عمّي و ابنتي فاطمة ان الله تعالى زوج علينا «٢» من فاطمة، و امر رضوان خازن الجنان فهزّ شجرة طوبى فحملت رفاقاً يعني صكاً كما بعدد محبّي أهل بيتي و أنشأ من تحتها ملئكة من نور، و دفع إلى كلّ ملك صكاً فإذا استوت القيمة بأهلها نادى الملكة في الخلائق فلا تلقى محباً لنا أهل البيت إلّا دفعت إليه صكاً فيه فكاكه من النار «٣».

إلى غير ذلك مما تسمع في موضع أليق الإشارة إليها و إلى الجمع بينها و بين آيات الوعيد و أخباره حتى بالنسبة إلى المعنى العام للشيعة.

نعم ينبغي أن يعلم أنّ خبر الإفتراق قد رواه أصحاب جميع المذاهب، و أنّ كثيراً من العامة و الخاصية قد شتموا عن ساق الجدّ و الاجتهاد لتكميل ما ذكره عليه السّلام في الخبر من الأعداد فإنّ الاختلافات الكلية لا تبلغ هذا العدد، و الجزئية تجاوزها، و لذا ترى كثيراً منهم قد التجأ إلى عدّ الاختلاف الواقع في الجبر و الإختيار و التفويض و غيرها من فروع الأصول، بل في بعض الأصول الكلامية من المذاهب

(١)

المناقب لابن المغازلي ص ٢٩٣ ح ٣٣٥ و عنه ينابيع المودة ج ١ ص ٣٧٤ و في آخره: التفت إلى علي عليه السّلام و قال: هم الذين جاهدوا و امامهم هذا.

(٢)

في ينابيع المودة: إن الله تبارك و تعالی زوج فاطمة بعلي.

(٣) الينابيع ج ٢ ص ٣٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٠٩

الثلاث و السبعين و أهمل كثيرا من الاختلافات الراجعة إلى الامامة في مذهب الامامية، و غيره.

على أنك ترى بعضهم قد تكلف في ذلك أمورا تنادي بأعلى صوتها بأن الداعي لتكلفتها إنما هو تكميل العدة، مع أن بعض ما أهملوه يضاهاى ما ذكروه بل لعله أولى بالذكر، و كثير المذاهب التي لبعض الفرق قد انقطع اسمه و رسمه لانقراض أهله، و قد حدث كثير من المذاهب بعدها بل كثير من المذاهب المتقدمة المعدودة إنما حدثت في أزمته متطاوله على سبيل التدرج، و بعد حصر المذاهب قد حدث بعض البدع أيضا، و لعله يحدث أيضا غيرها في مستقبل الزمان.

و بالجملة فالذى يقضى به الإنصاف أن كل ما ذكروه لإكمال العدة تعسف و تكلف، لا داعى لحمله، بل و كذا ما ربما يقال من أن المراد نوع الاختلافات الواقعة في المسائل الأصولية التي منها مسألة الإمامة التي يعد الاختلاف فيها اختلافا واحدا أو أزيد إذ في الأول ربما تمس الحاجة إلى إدخال الاختلافات الفروعية لإكمال العدة، و في الثاني ربما تزيد الاختلافات الفروعية الواقعة في مسألة الإمامة خاصة فضلا عن غيرها من الاختلافات الاصولية على العدة المذكورة.

و بذلك يتضح لك ضعفه كضعف ما قد يقال أيضا أن الفرق الأحد و السبعين كانت في أمه موسى عليه السلام و زيد عليها واحد في أمه عيسى و ثنتان في أمه نبينا محمد صلى الله عليه و عليهم أجمعين، فإنه مخالف لصريح الخبر الدال على ان الامه بعد الإقرار بالشهادتين مفترقة على تلك العدة.

بل الذى لا يزال يختلج بالبال في حل الاشكال أن المراد بالسبعين كمال العدد فإن السبعة يسمى عندهم عددا كاملا لتركبه من زوج الزوج، و فرد الفرد أو لأنها تقوم من أول الأزواج إلى ثانی الأفراد، و من أول الأفراد إلى ثانی الأزواج،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧١٠

فاذا حصل له الترقى بالبسط إلى العشرات صار سبعون، و لذا يعبر به عن كمال العدد، من غير أن يقصد منه الخصوص كما في قوله: **إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ** «١».

و

قوله صلى الله عليه و آله و سلم **إِنِّي لِيغان على قلبي و إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً** «٢»،

و قوله تعالى: **فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً** «٣».

الى غير ذلك من الإطلاقات التي يستفاد من جملتها أنهم يطلقون هذا العدد من غير قصد إلى خصوصية، بل للإشعار بكمال الحكم المنوط به و هو في المقام الاختلاف الذى بلغ فرق الكمال في أمه موسى عليه السلام و زيد عليه في أمه عيسى عليه السلام و زيد عليه أيضا في أمه نبينا صلى الله عليه و آله و سلم فيكون في هذه الامية جميع الاختلافات الواقعة في تلك الأمم مع زيادات، و له إشارات في الاخبار.

كقوله صلى الله عليه و آله و سلم: **«التركبن سنن من كان قبلكم»** «٤»

و غيره و حينئذ فالمراد كمال الاختلاف الواقع في هذه الأمة أزيد من غيرها فلا يهنا التكلف إلا كمال العدة.

نعم

في كتاب سليم بن قيس عن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام: أن الامه تفرقت على ثلاث و سبعين فرقة اثنتان و سبعون فرقة في النار، و فرقة في الجنة و ثلاث عشرة فرقة من الثلاث و السبعين تتحل مودتنا أهل البيت، واحدة منها في الجنة و اثنا عشرة منها في النار. إلى

أن قال: قيل يا أمير المؤمنين عليه السّلام أ رأيت من قد وقف فلم يأتكم بكم و لم يعاندكم و لم ينصب لكم و لم يتولكم و لم يبرأ من عدوّكم و قال: لا أدري هو صادق؟

قال عليه السّلام: ليس أولئك من الثلاث و السبعين فرقة إنّما عنى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم

(١) التوبة: ٨٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٢٠٤.

(٣) الحاقّة: ٣٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٣ ص ١٨٠ عن العياشى. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧١١

بالثلاث و السبعين فرقة الباغين النصّابين الذين قد شهروا أنفسهم و دعوا إلى دينهم، فرقة واحدة منها تدين بدين الرحمن، و اثنتان و سبعون تدين بدين الشيطان «١» الخبر بطوله.

و قد مرّ أيضا

فى العلوى المروى فى «الأمالى» ثلث عشر فرقة من الثلث و سبعين فرقة كلّها تتحل مودّتى و حبّى واحدة منها فى الجنة و هم النمط الأوسط و اثنتا عشرة فى النار.

و لعلّه يستفاد منهما تحقيق العدد و من خصوص الأول أنّ المتحير الخالى عن الولاية و العناد ليس من الأعداد.

و على كلّ حال فىنبغى البحث حينئذ بعد الإغماض عمّا سمعت أولا من الاستفادة من نفس الخبر حسب ما مرّ فى أنّ من تلك الفرق المعدودة من الإسلام من الناجى الذى هداه الله إلى الصراط المستقيم، و الضالّ، و المغضوب عليهم بالعذاب الأليم.

فنقول: إن كثيرا من تلك الفرق قد كفينا مؤنة إبطاله و ردّه لانقراض أهله الذى هو أدلّ دليل على بطلانه كجمل فرق الشيعة بل كلهم

غير الإماميّة الاثنى عشرية، و لذا ذهب كثير من الأساطين إلى أنّ الوقف على الشيعة تنصرف إليهم لذلك. لا- للوضع كما أنّه قد

انقرض أكثر فرق الغلاة و أكثر فرق النواصب، نعم بقيت من الاولى شردمة فى أطراف البلاد ربّما لا- يعرفون فى الناس لشذوذهم

كشذوذ أقوالهم و حججهم الّتى لا ترجع نحو شبهة فضلا عن حجة، سيّما مع الاطلاع بالآيات و الأخبار القطعية، و الأصول العقلية الّتى

قضيتها بطلان الحلول، و الأتحاد و تنزل الالوهية و غيرها من خرافاتهم، خصوصا بعد ما تواتر نقله عنه عليه السّلام من النهى

(١) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ١٤-١٥ ح ٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧١٢

عن الغلوّ فيه

فى قوله: هلك فى رجلا «١»

و غيره، بل برائتهم عن عبد الله بن سبا «٢»، و البزيعية «٣» و الخطابية «٤» و غيرهم من الغلاة الذين كانوا فى عصرهم عليهم السّلام و

كونه عليه السّلام فى عصره واحدا من أمة النبى و رعيتته متعبدا بالعبادات، مجتهدا فيها يجرى عليه ما يجرى على غيره من أفراد البشر

من العوارض النفسانية و البدئية الدالة على الحدوث حتى المرض و القتل كما وقع عليهم عليهم السّلام حتى

قالوا: «ما منا إلّا مسموم أو مقتول» «٥».

بل فى القرآن الإشارة إلى بطلان مذهبهم فى آيات كثيرة كقوله: لا تغلّوا فى دينكم «٦» و مَن يَقْلُ مِنْهُمْ إِنّى إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ

نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ «٧»، و ما كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ التَّيْوَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لى «٨»، و لذا كانوا لم يزالوا

يتضرّعون إلى الله و يبتهلون إليه فى برائتهم ممّن اعتقد فيهم ذلك حتى



أَنْ مَوْلَانَا الرضا عليه السَّلام كان يقول في دعائه: اللَّهُمَّ إِنِّي إِلَيْكَ مِنَ الَّذِينَ أَدْعُوا لَنَا مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقٍّ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرءُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا فِيْنَا مَا لَمْ نَقُلْهُ فِي أَنْفُسِنَا اللَّهُمَّ لَكَ الْخَلْقُ وَ مِنْكَ الْأَمْرُ «٩» أَيَاكَ نَعْبُدُ وَ أَيَاكَ

(١) نهج البلاغة ص ٤٨٩ قصار الجمل: ١١٧.

(٢) كان يهوديا فأسلم، ثم ادعى النبوة و أن علينا عليه السَّلام هو الله تعالى فحبسه أمير المؤمنين عليه السَّلام و استتابه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار- سفينة البحار ج ٦ ص ٦٨.

(٣) أصحاب بزيع الحائك المدعى للنبوة كان من أصحاب أبي الخطاب لعنه الصادق عليه السَّلام- سفينة البحار ج ١ ص ٣٠٢.

(٤) الخطابيُّ أصحاب أبي الخطاب محمد بن مقلص الكوفي ادعى النبوة و إنَّ جعفر بن محمد الصادق عليه السَّلام هو الله تعالى و استحلَّ المحارم كلها- سفينة البحار ج ٢ ص ٦٤٦.

(٥) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٣٩ ح ٦.

(٦) النساء: ١٧١.

(٧) الأنبياء: ٢٩.

(٨) آل عمران: ٧٩.

(٩)

في البحار: و منك الرزق. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧١٣

نستعين، اللهم أنت خالقنا و خالق آباءنا الأولين و أبناءنا الآخريين اللهم لا- تليق الربوبية إلا بك، و لا تصلح الالهية إلا لك فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك، و العن المضاهين لقولهم من بريتك، اللهم انا عبيدك و أبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا ضراً و لا نفعاً و لا موتاً و لا حيوة و لا نشورا، اللهم من زعم أننا أرباب فنحن إليك منه براء، و من زعم أن إلينا الخلق و علينا الرزق فنحن إليك منه براء كبراء عيسى من النصارى، اللهم إننا لم ندعهم الى ما يزعمون فلا تؤاخذنا بما يقولون رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَ لَا يَلِدُوا إِلَّا فَاِجْراً كَفَّاراً «١»، «٢»

إلى غير ذلك مما لا نطيل به الكلام لوضوح المرام، نعم العبرة في معنى الغلو ما سمعت سابقاً و منه يظهر وجه الجمع بين قوله في هذا الخبر: «و من زعم أن إلينا الخلق» و بين ما في الزيارة الجامعة: و إياب الخلق إليكم و حسابهم عليكم، بل الأخبار بمعناها قريبة من التواتر فإن المنفى على وجه الاستقلال و الاستبداد و الأصالة، و المثبت على وجه البايئة و الوساطة و الاستفاضة حسبما مر.

نعم يبقى الكلام فيما ربما يصدر عن بعض الغلاة من خوارق العادات كدخول النار، و عدم التأثر من السيف و غيره حسب ما حكاه شيخنا المجلسي قدس سره إذ لا يخفى أنه لا يدل على إصابتهم بوجه من الوجوه، إذ مع الغض عن كونه أخذاً بالعيون من قبيل السحر و الشعبة و غيرها يمكن أن يكون منشؤه بعض الرياضات التي يرتاضون بها أنفسهم كالمرتاضين من الهنود سيما الجوكية منهم، و ذلك لأن الله لا- يضيع عمل عامل من الناس، و مخالفة النفس مع كونها مطلوبة بالذات في جميع الملل لها خاصية ذاتية في نيل المقصد الذي جعله الإنسان نصب عينيه، خصوصاً

(١) نوح: ٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٣٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧١٤

إذا كان صاحبه كافراً فإنه يعجل له طبياته في الدنيا الدنيئة العاجلة، و لذا يقال لهم يوم القيمة: أذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَ

اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا (١).

ولعله يقرب منه الرياضة الارتدادية التي ابتلى بها بعض الأشقياء في زماننا بإغواء بعض شياطين الإنس، وذلك أنه تدرج في مراتب الارتداد بكيفية لا ينبغي نشرها في السطور إلى ان بلغ إحراق المصحف وغيره مما هو أعظم منه، نعوذ بالله عن الغواية بعد الهداية حتى بلغ حدا لا يؤثر فيه شيء من المؤذيات كالنار والحديد وغيرهما، وحينئذ ندم على ما فرط منه فكان يصلي عامة ليله ونهاره و وضع على جنبه منجزا يمتحن بها بدنه كل يوم و ليلة إذ قال له من أمره بذلك أن علامة قبول توبتك أن ترجع إلى حالك السابقة و يؤثر فيك الحديد وغيره.

و بالجمله فعدم التأثير عن بعض المؤذيات بخصوصه أو عن كلها ليس من علامات الحقيقة والإصابة، كما أن التأثير فيها ليس من علامات البطلان والخطاء، ولقد سم رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة خيبر فما زالت الأكلة في فؤاده حتى قطعت أظفاره فمات منها، وأمير المؤمنين عليه السلام ضربه عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله في موضع ضربة عمرو بن عبد ود و دفن بالغرى، و جرى بعدهما على الحسين بل على سائر الأئمة ما جرى، بل في الأنبياء من قتلوه ضربا أو حبسا أو غرقا أو حرقا.

و على كل حال فالأئمة في هذه الأيام بل في بدو الإسلام بعد رحله سيد الأنام عليه وآله الصلوة والسلام على فريقتين: الأولى من أوفى بما عاهد عليه الله و رسوله من متابعه ولي الأمر الذي بايعوا معه يوم الغدير و اختص من بين الصحابة بالنص و العصمة فقدموا من قدمه الله، و والوا أوليائه، و هم الأئمة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين، فإن الله تعالى أنما خصهم بالعصمة ليأمن الناس من

(١) الأحقاف: ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧١٥

خطائهم و سهوهم و غلظهم فينقادوا إلى أوامرهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد ذلك و ليهلك من هلك عن بينة، و يحيى من حي عن بينة، و حيث إن العصمة فضيلة موهبية لا يطلع عليها الناس و جب النص عليهم من النبي صلى الله عليه وآله بل و من كل إمام سابق على إمام بعده.

الثانية منها هم الذين انقلبوا على أعقابهم فأنكروا النص و الوصاية، و لم يوجبوا العصمة و الطهارة و قالوا: إن الأئمة: بل الأنبياء غير معصومين و أنه يقع منهم الخطأ و السهو و النسيان بل الفسوق و الكذب و أما وسعوا الباب ليتمكنوا من القول بخلافه مشايخهم الذين انقضت أكثر أعمارهم في الكفر و الشرك و عبادة الأوثان و شطر منها في التفاق و عداوة أهل الإيمان كما أنهم قالوا إن الخلفاء كالأنبياء يجتهدون في الأحكام و المسائل كي يستندوا إليه فيما يقع من مخالفة خلفائهم للنبي صلى الله عليه وآله كالوضوء المنكوس و المسح على الخفين وغيرهما، بل لم يشترطوا في الخلافة العلم و العدالة، فجوزوا إمامة الجاهل و الفاسق فضلا عن غير المعصوم، بل كثير منهم لم يثبتوا العدل و الحكمة في أفعاله تعالى و جوزوا عليه الظلم و القبيح و العبث و ما فيه الفساد للعباد، و أنه تعالى لا يفعل لغرض من الأغراض بل جميع أفعاله خالية عن الأغراض و الحكم و المصالح، و أثبت كثير منهم قدما كثيرة سموها بالمعاني، و جوزوا رؤيته في الدنيا أو في الآخرة للكل، أو للصلحاء، تعالى الله عن ذلك، و عن سائر مقالاتهم التي يتبرأ منها الإسلام و أهله، هذا مجمل حالهم في الأصول، و أما في الفروع ففتحوا على أنفسهم باب الآراء و الظنون و القياس و الاستحسان و المصالح المرسله و غيرها فأدخلوا في دين الله ما ليس منه، و حرّفوا أحكام الشريعة، و أوجبوا أن يكون التماس في الفروع تابعا لواحد من المذاهب الأربعة التي لم تكن في عصر النبي صلى الله عليه وآله و لا في عصر صحابته، بل قد أحدثوها بعد مدة طويلة و ذهبوا معها إلى أمور شنيعة، فأباحوا التبيذ و الفقاع، بل الوضوء به،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧١٦

و أباحوا اللواط بالعبيد و بالأجير بل الزنا بالأمر إذا لف على ذكره خرقه، و كذا أباحوا الملاهي من الغناء و الشطرنج و غيرها، و قالوا:

إن الغاصب إذا غير صفته المغصوب ملكه، حتى إنهم قالوا: لو أن سارقاً دخل دار شخص له فيه رحي وحنطة فطحن السارق الطعام برحي المالك ملكه، فلو جاء المالك ونازعه فيه كان المالك ظالماً والسارق مظلوماً، وجوزوا الصلوة في جلد الكلب والسيجود على العذرة اليابسة.

وذكر العلامة أنه حكى بعض الفقهاء لبعض الملوك و عنده بعض الفقهاء الحنفية صفة صلاة الحنفي فدخل داراً مغصوبة وتوضأ بالبيد، وكبر بالفارسية من غير نية، وقرأ مدهامتان لا غير بالفارسية، ثم طأ رأسه من غير طمأنينة، وسجد كذلك ورفع رأسه بقدر حد السيف ثم سجد وقام، ففعل كذلك ثانية ثم أحدث، فتبرأ الملك وكان حنياً من هذا المذهب واعترف بالحق. وعلى كل حال فيدل على وجوب التمسك بمذهب الإمامية الاثنا عشرية مضافاً إلى ما سمعت عنا وفي تحرير المذاهب وجوه كثيرة كآيات التي سنشير إلى كل منها وما يتعلق بها في مواضعها وكالأخبار التي أشير فيها إلى تعيين الفرقة الناجية المروية من طرق الفريقين.

كقوله: خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض «١».

و

عن مناقب ابن المغازلي عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ناصب علياً للخلافه بعدى فهو كافر قد حارب الله ورسوله، ومن شك في علي فهو كافر «٢».

(١) الصواعق المحرقة ١٢٢ وفي ذيله: روى هذا الحديث، ثلاثون صحابياً.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ١٥٠ عن مناقب ابن المغازلي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧١٧

و

عن ابن شيرويه في «الفردوس» عنه صلى الله عليه وآله قال: خلقت أنا وعلي من نور واحد قبل أن يخلق الله آدم بأربعة آلاف عام فلما خلق آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ففني النبوة وفي علي الخلافه «١».

و

عن حلية الأولياء وفضائل السمعاني وكتاب الطبراني والنظري عنه صلى الله عليه وآله: ادعوا إلى سيد العرب، يعني علياً فقالت عائشة ألسنت سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب، فلما جاء أرسل إلى الأنصار فقال: معاشر الأنصار أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: هذا علي فأحبوه لحبي وكرموا لكرامتي فإن جبرئيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل «٢».

و

عن معجم الطبراني عنه صلى الله عليه وآله: لكل نبي وصي ووارث، وإن علياً وصي ووارثي «٣».

و

عن كتاب الأربعين للحافظ أبي بكر محمد بن أبي نصر عنه صلى الله عليه وآله: أنا وعلي حجة الله على عباده «٤».

و

رواه المحدث الحنبلي عنه صلى الله عليه وآله، وعن كفاية الطالب عن حذيفة قال: قالوا يا رسول الله ألا تستخلف علياً؟ قال إن تولوا علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم «٥».

(١) البحار ج ٣٨ / ١٥٠ عن ابن شيرويه فى الفردوس.

(٢) البحار ج ٣٨ / ١٥٠ عن المناقب لابن شهر آشوب.

(٣) البحار: ج ٣٨ / ١٥٤ عن معجم الطبرانى.

(٤) مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ٥٧٦ عن الفردوس.

(٥) كشف الغمّة ص ٤٥ عن كفاية الطالب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧١٨

و

عن السّمعانى فى فضائل الصّحابة عنه صلّى الله عليه وآله: علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ لا يفترقان حتّى يردا علىّ الحوض «١».

و

فى مسند أبى يعلى عن الخدرى قال: مرّ علىّ بن أبى طالب فقال النبىّ صلّى الله عليه وآله: الحقّ مع ذا الحقّ مع ذا «٢».

و

سئل أبو ذر عن اختلاف النّاس عنه صلّى الله عليه وآله فقال: عليك بكتاب الله و الشيخ علىّ بن أبى طالب فإنّى سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: علىّ مع الحقّ و الحقّ معه و علىّ لسانه و الحقّ يدور حيث ما دار علىّ «٣». و مثله عن السّمعانى فى فضائل الصّحابة.

و

فيه عنه صلّى الله عليه وآله: لا تضادّوا علينا فتكفروا و لا تفضّلوا عليه فتردّوا «٤».

و

عن مناقب ابن مردويه عنه عليه السّلام: علىّ خير البشر من أبى فقد كفر «٥».

و

فيه عن سلمان: إنّ وصيّى و خليفتى و أخى و وزيرى و خير من أخلفه بعدى علىّ بن أبى طالب يؤدّى عنّى و ينجز موعدى «٦».

و

عن أبى مجاهد فى التّاريخ و الطّبرى فى الولاية و الدّيلمى فى الفردوس و أحمد فى الفضائل و اعمش عن أبى وائل عنه عليه السّلام قال: علىّ خير البشر فمن أبى فقد كفر و من رضى فقد شكر «٧».

و

عن موفق بن أحمد من أعيان علمائهم بالإسناد عن مولانا

(١) رواه أيضا الخطيب فى تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٢١.

(٢) مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٤ عن أبى يعلى.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٢٨ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٥٥٢.

(٤) البحار ج ٣٨ ص ٢٩ عن المناقب ج ٢ ص ٦.

(٥) كنز العمّال ج ١١ ص ٦٢٥.

(٦) البحار ج ٣٨ ص ١٢ عن كشف الغمّة ص ٤٥.

(٧) البحار ج ٣٨ ص ٧ عن المناقب ج ١ ص ٥٥٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧١٩

أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال لي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: يا عليّ مثلك في أمّتي مثل عيسى بن مريم افترق قومه ثلاث فرق فرقة مؤمنون وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الايمان، وان أمّتي ستفترق فيك ثلاث فرق فرقة هم شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة هم أعداؤك وهم الناكثون، وفرقة غلوا فيك وهم الضالون، وانت يا عليّ وشيعتك في الجنّة، وعدوك والغالي فيك في النار «١».

و

عن ابن مردويه وهو من ثقاتهم مسندا إلى أبان بن تغلب عن سليم قال: سمعت أبا ذر والمقداد وسلمان يقولون: كنا نعودا عند النبي صَلَّى الله عليه وآله إذ أقبل ثلاثة من المهاجرين فقال صَلَّى الله عليه وآله: تفترق أمّتي بعدى ثلاث فرق: أهل حق لا يشوبونه باطل مثلهم كالذهب كلما فتنهم النار زاد جوده وإمامهم هذا وأشار إلى أحد الثلاثة، وهو الذي أمر الله تعالى في كتابه إماما ورحمة، وفرقة أهل الباطل لا يشوبونه بحق مثلهم كمثل الحديد كلما فتنه النار زاد خبثا وإمامهم هذا أحد الثلاثة فسألته عن أهل الحق وإمامهم؟ فقال: علي بن أبي طالب عليه السلام وأمسك عن آخرين فجهدت في الآخرين أن يسميها فلم يفعل. «٢»

و

عن ابن عباس قال: رأيت حسان بن ثابت واقفا بمنى والنبي صَلَّى الله عليه وآله بمنى مجتمعين فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله: معاشر المسلمين هذا علي بن أبي طالب سيد العرب والوصي الأكبر منزلة منى منزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى لا تقبل التوبة إلا بحبه يا حسان قل فيه شيئا وقال حسان:

(١) المناقب للخوارزمي ص ٣١٧ ح ٣١٨.

(٢) و

رواه المجلسي في بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ١٠ ح ١٦ عن كشف اليقين عن كتاب أخطب خوارزم مع تفاوت يسير عن أصبغ بن نباته عن سلمان، وفيه: فسألته عن أهل الحق وإمامهم، فقال: هذا علي بن أبي طالب إمام المتقين، وأمسك عن الإثنين، فجهدت أن يسميها فلم يفعل. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٢٠ لا تقبل التوبة من تائب إلا بحبّ ابن أبي طالب أخو رسول الله بل صهره والصهر لا يعدل بالصاحب ومن يكن مثل عليّ وقديأتى له الشمس من المغرب ردت عليه الشمس في ضوئها أيضا كأن الشمس لم تغرب «١»

و

عن ابن مردويه عن عليّ عليه السلام: تفترق هذه الفرقة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنّة وهم الذين قال الله تعالى: وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ «٢» وهم أنا وشيعتي «٣».

و

عن الجمع بين الصحيحين للحميدى عنه: سيكون بعدى اثني عشر أميرا كلهم من قريش «٤».

و

في حديث ابن أبي عمير قال صَلَّى الله عليه وآله: لا يزال أمر الناس ما ضيا ما ولّاهم اثني عشر رجلا «٥».

و

في رواية مسلم عنه صَلَّى الله عليه وآله: لا يزال هذا الدين عزيزا منيعا ما ولّاه اثني عشر خليفه كلهم من قريش «٦».

و

في جامع الأصول عن صحيح البخارى و مسلم و الترمذى و سنن أبى داود عن جابر بن سمره قال: سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول: يكون بعدى اثنى عشر أميراً فقال كلمة لم أسمعها فقال أبى أنه قال: كلهم من قريش «٧».

(١) بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٢٦٠ عن بشاره المصطفى ص ١٨٠.

(٢) الأعراف: ١٨١.

(٣) المناقب للخوارزمى ص ٣٣١ ح ٣٥١.

(٤) صحيح البخارى ج ٨ ص ١٢٧، و صحيح مسلم ج ٢ ص ١٨٣ ح ١٨٢١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٦٦ عن المناقب.

(٦) البحار: ج ٣٦ ص ٢٦٦ عن المناقب.

(٧) المصدر السابق: ج ٣٦ ص ٢٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٢١

و الأخبار بهذا المعنى كثيرة من طرقهم بل

قد تواتر أخبارهم عنه صلى الله عليه و آله في الأخبار عن القائم المهدي و أنه من صلب الحسين عليه السلام: و أنه يملأ الأرض قسطاً و عدلاً بعد ما ملئت ظلماً و جوراً.

عن البغوى فى شرح السنه و البخارى و مسلم بالإسناد عنه صلى الله عليه و آله: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم و إمامكم منكم «١».

و  
عن أبى داود و الترمذى عنه صلى الله عليه و آله: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً منى أو من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى يملأ الأرض قسطاً و عدلاً بعد ما ملئت ظلماً و جوراً «٢».

و

عن محمّد بن يوسف الشافعى فى كفاية الطالب عن أبى سعيد الخدرى فى حديث طويل عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال يا فاطمة أما علمت أن الله أطلع إلى الأرض اطلاعاً فاختار منهم أباك فبعثه نبياً ثم أطلع ثانياً فاختار منهم بعلك فأوحى إلى فأنكحته و اتخذته وصياً أما علمت أنك بكرامة الله إياك زوجك أغزهم «٣» علماً و أكثرهم حلماً و أقدمهم سلماً.

قال: و استبشرت فأراد رسول الله صلى الله عليه و آله أن يزيدهما مزيد الخير كله الذى قسّمه لمحمد و آل محمد فقال: يا فاطمة و لعلّى ثمانية أضراس يعنى مناقب:

الإيمان بالله و رسوله و حكمته، و زوجته، و سبطاه الحسن و الحسين، و أمره بالمعروف، و نهيه عن المنكر.

يا فاطمة إنا أهل بيت أعطينا ستّ خصال لم يعطها أحد من الأولين و لا يدركها أحد من الآخرين غيرنا: نبينا خير الأنبياء، و هو أبوك، و وصينا خير

(١) صحيح البخارى ج ٤ ص ١٤٣ صحيح مسلم ج ١ ص ٨٦ ح ٢٤٤.

(٢) الفصول المهمة عن أبى داود و الترمذى ص ٢٧٦ ط الغرى.

(٣)

فى البحار: أعلمهم علماً. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٢٢

الأوصياء و هو بعلك، و شهيدنا خير الشهداء و هو حمزة عمّ أبيك، و منّا سبطا هذه الأمة و هما ابناك، و منّا مهديّ الأمة الذى يصلى

عيسى خلفه.

ثم ضرب على منكب الحسين فقال: من هذا مهدي الأمة. «١»

إلى غير ذلك من الأخبار التي أفردتها الخاصة بالتصنيف بل العامة أيضا كما تصدى لنقل ذلك عنهم شيخنا العلامة المجلسي قدس سره في البحار.

و

عن كفاية الطالب عن ابن عباس قال: ستكون فتنة فمن أدركها منكم فعليه بخصلتين: كتاب الله تعالى و علي بن أبي طالب فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو آخذ بيد علي عليه السلام وهو يقول: هو أول من آمن بي، و أول من يصفحني. وهو فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب الدين، و المال يعسوب الظلمة، و هو الصديق الأكبر و هو بابي الذي أوتى منه، و هو خليفتي من بعدي «٢».

و

عن الحافظ التطري عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن علي بن أبي طالب وصيي و إمام أمتي، و خليفتي عليها بعدي، و من ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما، و الذي بعثني بالحق و نذيرا إن الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر.

فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله و للقائم من ولدك غيبة؟ قال: إي و ربي ليخص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين «٣».

يا جابر، إن هذا أمر من أمر الله عز و جل و سر من سر الله، علمه مطوى عن عباد الله إياك و الشك في أمر الله عز و جل فإنه كفر «٤».

(١) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ١١ ح ١٦ عن كشف الغمّة ص ٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٢٧.

(٣) آل عمران: ١٤١.

(٤) البحار: ج ٣٨/١٢٦-١٢٧ عن اليقين ص ١٩١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٢٣

و

عن الحافظ أبي نعيم في كتاب ما نزل الله من القرآن في علي بالإسناد عن أبي سعيد الخدري قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا الناس إلى علي عليه السلام في غدير خم و أمر بما تحت الشجرة من شوك فقم فدعا عليا عليه السلام فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظرنا إلى بياض إبطي رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: التَّوَمَّ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ «١» الآية. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة و رضى الرّب برسالتي و بالولاية لعلي من بعدي ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه: اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه و انصر من نصره، و اخذل من خذله.

قال حسّان: ائذن لي يا رسول الله فأقول في علي أبياتا فقال: قل على بركة الله فأنشده:

يناديهم يوم الغدير نبيهم\* بخم و أسمع بالنبي مناديا و يقول فمن مولاكم و وليكم\* فقالوا و لم يبدوا هناك التعاديا إلهك مولانا و أنت ولينا\* و لم تجدن منا لك اليوم عاصيا فقال له قم يا علي فأنتي\* رضيتك من بعدي إماما و هاديا هناك دعا اللهم وال وليه\* و كن للذي عادى عليا معاديا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حسّان لا تزال مؤيدا بروح القدس ما نافحت «٢» عنا بلسانك.

بل قال ابن الجوزي: إنه اتفق علماء السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع رسول الله من حجة الوداع في الثامن عشر ذي الحجة و كان معه من الصحابة

(١) المائدة: ٣.

(٢) نافع عنه: دافع عنه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٢٤

و من الاعراب و ممن يسكن حول مكة و المدينة مائة و عشرون ألفا، و هم الذين شهدوا معه حجة الوداع و سمعوا منه هذه المقالة، و قد أكثر الشعراء في يوم الغدير ثم نقل أشعار حسان و ما أنشده سعد بن عبادَةَ الأنصاري بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين في حكاية الغدير ثم حكى ما أنشده كمي: و يوم الدوح دوح غدِير خَمَّ أبان له الولاية لو أطيعا و لكنَّ الرجال تدافعوها فلم أر مثلها خطرا منيعا فلم أر مثل ذاك اليوم يوما و لم أر مثله حقاً أضيعا «١» إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي أفردوها بالتصانيف، و ستسمع كثيرا منها في هذا التفسير و إن كان كل ما ذكرناه كغيرنا قليلا من كثير.

هذا مضافا إلى انتهاء جميع الفضائل و الكمالات إليه عليه السلام و كونه أعلم الصحابة و أفضلهم و أزهدهم و أعبدهم و أتقيهم، و رجوع جميع الصحابة حتى الخلفاء إليه في الأحكام و القضايا، حتى قال عمر سبعين مرة: لو لا عليّ لهلك عمر «٢»، و كانت الصحابة يرجعون إليه في حلّ المشاكل و كشف المعاضل.

كل ذلك مع الغض عن المطاعن و الرذائل التي كانت للآخرين بحيث ملئوا منها الطوامير، و سطوروا فيها الأساطير، بل أقرّ بجلبها لو لم نقل كلها أكثر الجماهير و إن كان كل ما ذكره قليلا من كثير، فلاشتغال بذكرها لا يناسب ما نحن بصدده من الاكتفاء بالإشارة في هذا التفسير.

(١) بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ١١٢ و ص ١٥٠.

(٢) المناقب للخوارزمي ص ٩٧ ح ٩٨ و ليس فيه ذكر العدد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٢٥

### ختم به الإتمام

بقي في المقام شيان أحدهما في التأمين الذي هو قول آمين بعد الحمد، و هو في الأصل كلمة سرية أو عبرية كما عن الأخفش و عطية، أو فارسية معرب همين أي لا نطلب شيئا سوى هذا كما عن التيسير، أو عربية بالمدّ و تشديد الميم بمعنى قاصدين، منصوبا بفعل محذوف كدعوناك و نحوه كما رواه بعض المفسرين من العامة عن مولانا الصادق عليه السلام، و لم يثبت ذلك منه عليه السلام، و على تقديره فلا دلالة فيه على جواز قولها بعد الحمد في الصلوة كي يعارض ما صح عنه و عن غيره من أئمة الأنام عليهم الصلوة و السلام من المنع عن قولها في الصلوة للمأموم و للإمام، أو أنه فعيل و الالف لإشباع الحركة لعدم كون فاعيل و افعل و فيعيل من أوزان كلمات العرب كما عن أبي عليّ.

و جوّز نجم الائمة أن يكون أصله أمين بالقصر، ثم مدّ فيكون عربيا مصدرا في الأصل كالتندير و النكير، جعل اسم فعل.



و في الكشاف أنه صوت يسمّى به الفعل الذي هو استجب كما أن رويد و حيهل و هلمّ أصوات سميت بها الإفعال التي هي أمهل و أقبل و اسرع.

و في المصباح المنير: أمين بالقصر في الحجاز، و بالمدّ في لغة بني عامر و المدّ إشباع بدليل أنه لا يوجد في العربية كلمة على فاعيل، و معناه اللهم استجب.

و قال أبو حاتم: معناه يكون كذلك، و عن الحسن البصري: أنه اسم من أسماء الله تعالى.

و الموجود في مشاهير الأصول المعتمدة أنّ التشديد خطأ، و قال بعض أهل

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٢٦

العلم: التشديد لغة قديم و هو وهم قديم، و ذلك أنّ أبا العباس أحمد بن يحيى قال:

و أمين مثل عاصين لغة فتوهم أنّ المراد صيغة الجمع لا أنّه قابل بالجمع، و هو مردود بقول ابن جنى و غيره أنّ المراد موازنة اللفظ لا غير، و يؤيده قول صاحب التمثيل في «الفصيح» و التشديد خطأ، ثمّ المعنى غير مستقيم على التشديد، لأنّ التقدير و لا الضالين قاصدين إليك و هذا لا يرتبط بما قبله.

قلت: و لعله جعله حالا من الفاعل فعاد نقضا على المطلوب، و أمّا على ما ذكرناه سابقا فلا محذور، غير أنّ الظاهر أنّه اسم فعل لا اسم فاعل بمعنى استجب بنى على الحركة لالتقاء الساكنين و الفتح للخفة.

و في القاموس أمين بالمدّ و القصر و قد يشدّد الممدود و يمال أيضا.

عن الواحدى في «البيسط»: اسم من أسماء الله أو معناه اللهم استجب، أو كذلك فليكن، أو كذلك فافعل:

و عن ابن الأثير هو اسم مبنى على الفتح، و معناه: اللهم استجب لى، و قيل:

معناه كذلك فليكن، بمعنى الدعاء، و عن المغرب معناه استجب.

و بالجملة فالظاهر كونه اسما مبيّنا على الفتح لطلب الحاجة، و هو بالتخفيف و التشديد لغة أو غلط كما أنّ الأكثر مدّه، و به ورد في الأدعية الكثيرة عن أهل بيت العصمة، و أنشد مجنون بنى عامر:

يا ربّ لا تسلبني حبّها أبدا و يرحم الله عبدا قال آمينا

نعم قد يقصّر لضرورة الشعر كقوله:

تباعد عني فطلح إذ سئلته أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

و تقديمه على الدعاء لمزيد الاهتمام، و يظهر من صريح بعض كظاهر آخرين جواز قصره في غير الضرورة.

لكن الخطب فيه سهل كسهولته في القطع بعدم استحبابه في الصلوة بعد

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٢٧

الفتاحه للمتفرد و الإمام و المأموم جهريّة كانت الصلوة أو اخفائيّة، و أمّا هو من بدع أهل البدعة المتسمين باسم السينة للتضاد لرواية رواها أبو هريرة الذي كان أكذب الناس أو أكذب الأحياء على رسول الله صلى الله عليه و آله كما

روى عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، بل عن الجاحظ في التوحيد أنّ أبا هريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه و آله

، قال: و لم يكن على يوثقه في الرواية بل يتهمه، و يقدر فيه، و كذلك عمر، و عائشة.

و في مناقب الخوارزمي: أنّ رجلا سئل أبا هريرة بصقّين في مجلس معاوية فقال: أنشدك بالله ان سألتك عن حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه و آله أ تجيبني؟ قال:

نعم، قال الرجل: أ سمعت

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ لَعَلِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ كُنْتُمْ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ وَ عَادَ مِنْ عَادَاهُ  
قال: نعم.

قال: فَإِنِّي رَأَيْتُكَ وَالِيَتْ أَعْدَائِهِ، وَ عَادِيَتْ أَوْلِيَاءَهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.  
بل قد يحكى عنهم أنه اتفق له مع عمر بن الخطاب واقعة شهد فيها عليه بأنه عدو لله و عدو للمسلمين، و حكم عليه بالخيانة و أوجب  
عليه عشرة ألف دينار و ألزمه بها بعد ولاية البحرين.

و حكى أبو المعالي الجويني الشافعي المعروف بإمام الحرمين عدم عمل أبي حنيفة برواية أبي هريرة إلى غير ذلك مما اشتهر عنهم  
فضلا عن غيرهم في القدح فيه و في غيره ممن استندوا اليه في هذا الحكم و غيره.

هذا مضافا إلى الاحتياط اللازم المراعاة في مهية العبادات و مرجعه إلى قاعدة الاشتغال، و ان ترك التأمين لا يقدح في صحة العبادة  
إجماعا من الفريقين، و فعله بدعة يوجب بطلان العبادة عند الإمامية الذين استفادوا علومهم و أحكامهم من أئمتهم. أهل البيت الذين  
هم أدرى بما في البيت، مع أنه قد صح عن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٢٨

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنَّ هَذِهِ الصِّلْوَةُ لَا يَصْلِحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْآدَمِيِّينَ، وَ مِنْ الْبَيْنِ أَنَّ قَوْلَ آمِينَ، مِنْ كَلَامِهِمْ  
أَمَا عَلَى كَوْنِهِ سَرِيَانِيًّا أَوْ عِبْرِيًّا أَوْ مَعْرَبًا حَسِبْنَا ذَهَبَ إِلَى كُلِّ مِنْهَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ كَمَا مَرَّ فَوَاضِحٌ.

و إما مع كونه عربيًا فلأن المراد من كلام الآدميين ما ليس بقرآن و لا دعاء و لا تسبيح و لا ذكر، و لذا

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ الْخَيْرِ الْمَتَّقِمِ إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَ التَّكْبِيرُ وَ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ

أَمَا عَدَمُ كَوْنِهِ قِرْآنًا فَظَاهِرٌ كَظُهُورِ عَدَمِ كَوْنِهِ تَسْبِيحًا وَ أَمَا عَدَمُ كَوْنِهِ دَعَاءً فَلِأَنَّهُ اسْمٌ لِلدَّعَاءِ الَّذِي هُوَ اسْتَجَبَ كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْبِيضَاوِيُّ  
وَ غَيْرُهُ، وَ الْإِذْنَ فِي أَحَدِهِمَا لَا يَسْتَلْزِمُ الْإِذْنَ فِي الْآخَرِ.

بل ذكر السيد المرتضى رضي الله عنه في «الانتصار» أنه لا خلاف في أن هذه اللفظة ليست من جملة القرآن و لا مستقلة بنفسها في  
كونها دعاء و تسبيحا فجرى التلطف بها مجرى كل كلام خارج عن القرآن و التسبيح و الدعاء.

و عن التنقيح: اتفق الكل على أنها ليست قرآنا، و إنما هي اسم للدعاء، و الاسم غير المسمى.

و في كشف اللثام بعد أن حكى عن «الخلاف» تعليل البطلان بأنه من كلام الآدميين الذي لا يصلح قال: و هو مبنى على أنه ليس دعاء  
كما هو المشهور المروي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَرْفُوعًا فِي «مَعَانِي الْأَخْبَارِ» عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ أَمَا هُوَ كَلِمَةٌ تَقَالُ أَوْ  
تَكْتَبُ لِلخْتَمِ كَمَا رَوَى أَنَّهَا خَاتَمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَ قِيلَ: إِنَّهَا تَخْتَمُ بِهَا بَرَاءَةُ أَهْلِ الْحَنَّةِ وَ بَرَاءَةُ أَهْلِ النَّارِ.

ثم إنه مع كونها من أسماء الأفعال فقد سمعت أن معناها لفظ استجب أو غيره مما مررت حكايته عن القاموس و غيره، بل عن بعض  
الأجلة أنها اسم للفظ الفعل بإجماع أهل العربية، قال: بل هو بديهي عندهم.

لكنه في «الحدائق» استظهر كونه دعاء كقولك: اللهم استجب، قال: و قد

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٢٩

صرح بذلك نجم الأئمة الرضى رضي الله عنه فقال: و ليس مما قال بعضهم إن صه مثلا اسم للفظ اسكت الذي هو دال على معنى  
الفعل، فهو علم للفظ الفعل لا لمعناه بشيء لأن العربي القح يقول: صه مع أنه ربما لا يحضر في باله لفظ أسكت، و ربما لم يسمعه  
أصلا و لو قلت اسم لا صمت أو امتنع، أو أكف عن الكلام أو غير ذلك مما يؤدي هذا المعنى لصح، فعلمنا أن المقصود المعنى لا  
اللفظ.

قلت و فيه: أن الظاهر من كلام أهل اللغة بل صريح غيرهم أنها موضوعة للفظ الفعل، و لذا سميت بأسماء الأفعال، و ان كان ربما  
يكتفى في الإضافة بأدنى الملاسة لكنه بمجرد غير دافع للظاهر، بل قد سمعت من غير واحد من الأساطين دعوى الاتفاق على ذلك،

نعم في «التصريح» أنّ أسماء الأفعال هل هي أسماء لألفاظ الأفعال، أو لمعانيها من الأحداث و الأزمنة، أو أسماء للمصادر النَّائبة عن الأفعال أو هي أفعال أقوال:

قال بالأول جمهور البصريين، و بالثاني صاحب البسيط، و نسبه إلى ظاهر قول سيبويه و الجماعة، و بالثالث جماعة من البصريين، و بالزابع الكوفيون.

و على القول بأنّها أفعال حقيقة أو أسماء لألفاظ الأفعال لا موضع لها من الإعراب عند الأخص و طائفة، و اختاره ابن مالك، و على القول بأنّها أسماء للمصادر النَّائبة عن الأفعال موضعها بأفعالها النَّائبة عنها لوقوعها موقع ما هو في موضع نصب، و هو قول المازني. و الصحيح أنّ كلّا منها اسم لفعل، و أنّه لا موضع لها من الإعراب: انتهى.

و منه بل و من غيره ممّا مرّ يظهر قوة القول المذكور مع المنع من التبادر الذي قد استدللّ به نجم الأئمة، مع أنّ المعنى الفعلي لا يمكن وضع الاسم له ضرورة المغايرة الظاهرة المانعة عن ذلك. و استبعاد الوضع للفظ غير مسموع بعد تصريح أئمة الفن.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٣٠

على أنّه قد يقال بالبطلان أيضا و لو مع تسليم كون معناه استجب، أو اللهم استجب أو غير ذلك ممّا مرّ نظرا إلى اعتبار ورودها عرفا بعد الدعاء دون القرآن، و دون انفرادها فلا يكون حينئذ دعاء، و لذا قيل إنّه لو قال: اللهم استجب لم يجز فكذا ما بمعناه.

بل ذكر بعض المشايخ أنّه لو قيل: إنّ معناه كذلك فليكن، أو كذلك فافعل، لم يجز قطعا للزوم تعقبها للدعاء حينئذ، قال: و دعوى الاكتفاء بتعقبها لما يصلح للدعاء و ان لم يكن ذلك أو منع اعتبار وقوعه بعده فيها على التفسير الأول لها، و هو المعنى المعروف، إذ لا مانع من إرادة طلب الاستجابة لكلّ ما دعا به في الزمن السابق، و يدعو به في الزمن اللاحق، أو يلتزم قصد الدعائية مع القرآنية و لا تنافي بينهما، و إن حكى عن «تبيان» الشيخ المنع من جمعها بالقصد للزوم استعمال المشترك في معنييه، إذ التحقيق ضعفه بما في «الذكرى» من أنّ المعنى هنا متحد، و هو الدعاء المنزل قرآنا، و من المعلوم أنّ الله إنّما كلّف بهذه الصيغة لإرادته الدعاء، فكيف يبطل الصلوة بقصده، فإذا صحّ وقوعها حينئذ بعد المقصود به الدعاء من القرآن صحّ بعد غيره، لعدم القول بالفصل.

يدفع الأول منها شهادة تتبع استعمالها و معلومية قبح وقوعها بعد غير المقصود به الدعاء من اللغو و الهذر، و إن كان صالحا لأن يقصد به الدعاء على معنى طلب الاستجابة فعليه السؤال بالأول قطعا.

بل و الثاني أيضا، و صحّته مستقلا في اللهم استجب مثلا لا يقتضى صحّته في آمين، و العرف أعدل شاهد على ذلك، و قد سمعت نفي الخلاف في «الانتصار» على عدم كونها دعاء مستقلا.

و الثالث بمنع جواز القصد بهما أولا بناء على ما عندهم من وجوب تعيين المشترك بالقصد و التية كما ذكروه في البسملة، و ان كان قد يناقش فيه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٣١

اللهم إنا أن يفرّق بأنّه لا ينافي القرآن بقصد الدعاء بالمنزل منه، و لا يوجب الاشتراك لاتحاد المعنى، بخلاف غيره من المشترك بين القرآن و غيره فلاحظ و تأمل.

و ثانيا بالقلب على معنى عدم الصّحة إذا لم يقصد كما هو الغالب في الفارثين من العرب و العجم و لا قائل بالفصل.

قلت: هذا غاية ما قيل أو يمكن أن يقال في المقام لكنّها لتطرّق وجوه المناقشة إليها لا تنهض بإثبات المرام لظهور صدق الدعاء على اللفظ الدالّ على طلب الإجابة و سؤالها، و لو باعتبار وضعه للفظ استجب و نحوه، فإنّ المدار على دلالة عليه و استفادة ذلك منه و لو بالواسطة، بل و لو مع عدم قصد الداعي للدعاء و عدم إنشائه لذلك، فإنّ العبرة في مثل ذلك بصلاحيّة اللفظ و كونه موضوعا لذلك مستعملا في هذا المقصد لا بفعليّة القصد و الإنشاء كما هو الحال في الأدعية الكثيرة المشتملة على هذه الكلمة و غيرها المنسوب

قراءتها للقاصد المتذكر وغيره، بل للعجمي البحث المذموم لا- يفهم المعنى أصلا فضلا عن أن يكون في مقام الطلب و السؤال كى يكون تلاوته دعاء، ضرورة كونه دعاء بملاحظة نفسه مع قطع النظر عن أحوال الداعي به و إن كان مراتب فضل قراءته تختلف باختلاف مراتب أحواله.

و أميا المنع من جواز قصد الدعاء بالقرآن بل التأميل في رجحانه فضلا عن جوازه فغريب جدا، و أغرب منه توهم كونه من باب استعمال المشترك في معنييه.

بل و مما ذكرناه يظهر النظر فيما ذكره السيد في «الغنية» أيضا لا في قوله: و لا يقول: آمين آخر الحمد بدليل الإجماع المشار اليه، و طريقة الاحتياط و اليقين ببرائة الذمة من الصلوة فانه جيد وجيه.

بل في قوله بعد ذلك: و قولهم لفظة آمين و إن لم يكن دعاء و لا تسيحا و لا من جملة القرآن فهي تأمين على دعاء تقدم عليها، و قوله: اهدنا الصراط المستقيم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٣٢

لا يصح الاعتماد عليه لأن اللفظ إنما يكون دعاء بالقصد إلى ذلك، و القارى إنما يقصد التلاوة دون الدعاء، و لو قصد الدعاء دون التلاوة لم يكن قاريا للقرآن و لم يصح صلوته، و إن جاز أن يقصد التلاوة و الدعاء معا جائز منه أن لا يقصد الدعاء و إذا لم يقصده لم يجز أن يقول آمين، و المخالف يقول إنها مسنونة لكل مصل من غير أن يعتبر قصده الدعاء، و إذا ثبت أن قولها لا يجوز لمن لم يقصده ثبت أنه لا- يجوز لمن قصده، لأن أحدا لم يفرق بين الأمرين، إذ فيه المنع من انتفاء القراءة إذا كان داعيا بالقرآن، بل لعله القسم الأخير الذي ظاهره تسليمه من هذا الوجه و إن ناقش فيه من وجه آخر.

مدفوع بجواز التعبد به على فرضه بمجرد الصلوح و لذا

ورد في القدسيات: قسمت فاتحة الكتاب بيني و بين عبدى، فنصفها لى و نصفها لعبدى، و لعبدى ما سئل إلى أن قال فاذا قال العبد: اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة قال الله جل جلاله هذا لعبدى، و لعبدى ما سئل فقد استجبت لعبدى و أعطيته ما أمل و أمته مما منه و جل «١».

رواه فى العيون و تفسير الامام عليه السلام عن مولانا الصادق عن النبى صلى الله عليه و آله عز و جل.

و حاصل الكلام أن هذه الوجوه التى عللوا الحكم بها إن كان المقصود بها إبطال مذهب العامة فى توهمهم تشريع هذه البدعة فالأولى ترك محاجتهم بها إذ الأدلة و الوجوه الضعيفة ربما توجب و هن المدعى و ضعفه فى نظر بعض القاصرين لتوهمهم انحصار الدليل فيها، و إن كان المقصود إبطال القول بالكراهة أو الحرمة من غير إبطال الصلوة كما ربما يعزى إلى بعض أصحابنا فالأولى الاستدلال بظهور إجماعهم على ذلك، بل قد سمعت عن الانتصار و الغنية عليه الإجماع كما هو

(١) عيون الأخبار ج ١ ص ٣٠١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٣٣

المحكى أيضا عن الخلاف و «التحرير» و «نهاية الأحكام» و «التذكرة» و «احقاق الحق» و ظاهر «كشف الالتباس» و «المنتهى» و «جامع المقاصد» و غيره.

بل عن الصيدوق فى أماليه من دين الإمامية الإقرار بأنه لا يجوز قول آمين بعد فاتحة الكتاب، و فى «الغنية» أيضا: لا يجوز، لأن ذلك كان يقوله النصارى، و فى «المقنعة» للمفيد قدس سره: و لا يقل بعد فراغه من الحمد آمين كقوله اليهود، و إخوانهم النصاب إلى غير ذلك من تضاعيف كلماتهم و حكاية إجماعاتهم التى يستفاد منها أن طلب تركه بل حرمة و بطلان الصلوة به مذهب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

ولذا استفاضت بها أخبارهم

كالصحيح عن مولينا الصادق عليه السلام إذا كنت خلف إمام قرء الحمد تفرغ من قراءتها فقل أنت الحمد لله رب العالمين، ولا تقل آمين «١».

و

صحيح زرارة عن مولينا الباقر عليه السلام ولا تقولن إذا فرغت من قراءتك: آمين فإن شئت قلت: الحمد لله رب العالمين «٢».

و

صحيح الحلبي و ان كان فيه محمّد بن سنان للاعتماد به بل عن جامع البزنطي روايته بإسناد آخر عن الصادق عليه السلام انه سئل أقول إذا فرغت من فاتحة الكتاب آمين قال لا «٣».

و

عن دعائم الإسلام مرسلًا عنهم عليهم السلام: أنهم حرّموا أن يقال بعد قراءة فاتحة الكتاب آمين كما تقول العامة قال جعفر بن محمد عليه السلام إنما كانت النصارى تقولها،

و

عنه عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزال أمتي بخير و على شريعته من دينها حسنة جميلة ما لم يتخطوا القبلة باقدامهم و لم ينصرفوا قياما كفعل أهل

(١) الكافي ج ١ ص ٣١٣ ح ٥- تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٧٤ ح ٢٧٥.

(٢) علل الشرائع ج ٢ ص ٤٧.

(٣) التهذيب ج ٢ ص ٧٤ ح ٢٧٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٣٤

الكتاب و لم تكن لهم ضجة بآمين «١».

و

في مجمع البيان عن فضل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا قرأت الفاتحة و قد فرغت من قراءتها و أنت في الصلوة فقل الحمد لله رب العالمين «٢».

و

صحيح معاوية بن وهب: أقول آمين إذا قال الامام غير المغضوب عليهم و لا الضالين فقال عليه السلام هم اليهود و النصارى «٣».

اي الفرقتان المشار إليهما في الآية، أو الذين يقولون آمين بعدها هم اليهود و النصارى من هذه الأمة و إلا فمن بين أن اليهود و النصارى لا يقرؤون الحمد كي يقولوا بعده آمين، و لعل الأخير أظهر بل هو المتعين لمن تدبر.

ولذا قال شيخنا الشارح: ان فهم السائل بقريته ما زاده في الوسائل في الخبر: و لم يجب من هذا ان هذا جواب للمراد بالضالين لا لسؤاله ليس حجة فلا حاجة حينئذ لحمله على ترك الجواب للتقية بل يمكن ارادة الامام في الجواب الجمع بين التقية و سؤال السائل بالإيهام في العبارة.

و من هذا كله يظهر ضعف القول بالكراهة على فرض القائل به و إن لم أحققه عن أحد من المتقدمين.

نعم قد يحكى عن الإسكافي و أبي الصيلاح لكن قد يقال: إنهما مع كونها غير قادحين فيه قد حكى عن ثانيهما في «الذكري» أنه لم يتعرض لذلك بنفى و لا- إثبات كابن أبي عقيل، و الجعفي، و صاحب الفاخر، و لا صراحة في كلام أولهما بل ظاهر بعض كلامه المحكى عنه الموافقة.

- (١) دعائم الإسلام ج ١ ص ١٦٠.
- (٢) مجمع البيان ج ١ ص ٣١.
- (٣) التهذيب ج ٢ ص ٧٤ ح ٢٧٥ و عنه الوسائل ج ٦ ص ٦٧ ح ٧٣٦٣ و قال المصنف: عدول الامام عليه السلام عن الجواب للتقية دليل على عدم جواز التأمين.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٣٥
- قال: ولا يصل الإمام ولا غيره قراءة ولا الضالين بآمين لأن ذلك يجرى مجرى الزيادة في القرآن مما ليس منه، وربما سمعها الجاهل فقرأها من التنزيل.
- وقد روى سمرة و أبي بن كعب السكتين و لم يذكر فيها آمين، ثم قال بعد ذلك: و لو قال المأموم في نفسه: اللهم اهدنا إلى صراطك كان أحبّ إلى: لأن ذلك ابتداء دعاء منه، و إذا قال آمين تأمينا على ما تلاه الإمام صرف القراءة إلى الدعاء الذي يؤمن عليه سامعه.
- قلت و لعلّ نهيه الاول أن لا يريد المحبة المقتضية للجواز و أمّا حكاية السكتين فإشارة إلى ما روى من السكتين اللتين كانتا لرسول الله صلى الله عليه و اله في القراءة و إن اختلفت الرواية في موضعهما.
- فعن مولينا الصادق عليه السلام أنّ رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و اله اختلفا في صلوة رسول الله صلى الله عليه و اله فكتبا إلى أبي بن كعب كم كانت لرسول الله من سكتة قال:
- كانت له سكتتان: سكتة إذا كبر، و سكتة إذا فرغ من قراءة أمّ القرآن «١».
- و
- عن ابن الجنيد أنّه روى سمرة و أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه و اله أنّ السكتة الأولى بعد تكبيرة الافتتاح، و الثانية بعد الحمد. و قد مرّت رواية الخصال «٢» في المقدمة فلاحظ.
- و على كلّ حال فلا ريب في ضعف القول المذكور و شدوذه كشدوذ القائل به، و إن احتمله المحقق في المعبر مستدلا له بما رواه الحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن جميل في الصحيح قال: سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الناس في الصلوة جماعة حين يقرأ فاتحة الكتاب آمين؟ قال: ما أحسنها و أخفض الصوت بها «٣».

(١) المستدرک الباب ٣٤ من أبواب القراءة في الصلاة ح ١ - ٢.

(٢) الخصال للصدوق ج ١ ص ٧٤ ح ١١٦.

(٣) الوسائل ج ٦ ص ٦٨ ح ٧٣٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٣٦

إذ فيه مع حملة على التعجب أنّه مخالف لإجماع الإمامية بل لضرورة مذهبهم، لعدم قائل منّا بالاستحباب، بل يعرف إنكاره من مذهبنا كلّ مخالف و مؤالف، فيجب حملة على التقية، سيما مع اشتماله على الأمر بخفض الصوت الذي هو عندهم، مستحب في مستحب.

و مع حملة على نفى التحسين و استفادة الجواز عن الأمر بخفض الصوت بها أنّه مخالف للظاهر المنساق، بل قد يقال للإجماع أيضا، إذ المتبادر من الاقتصار على نفى الحسن انتفاء القبح أيضا.

مع أنّه من المحتمل لو لم يكن الظاهر أنّ قوله ما أحسنها على صيغة التكلم من الإحسان أو التحسين بمعنى الحكم بالحسن و قوله: أخفض الصوت بها على صيغة الماضي من كلام الراوى فالفاعل الامام و هو مشعر بالتقية و تعبير به عن طلب تركه.

و بالجمله فالقرائن الداخليه والخارجيه متطابقه على ورود الروايه مورد التقييه ان لم تحمل على ما ذكرناه لموافقته للعامة الذي جعل الله الرشد في خلافهم، ولذا اجمعت الطائفة المحقة على الحرمة بل وعلى بطلان الصلوة بها لظهور التعبير عنه بالتهى وبالحرمة في الأخبار المتقدمه، وفي فتاوى الجماعة ولذا لم يفصل أحد منهم بين الأمرين عدا صاحب المدارك الذي سبقه الإجماع و لحقه مضافا إلى الأخبار الكثيرة المتقدمه الظاهرة في عدم مطلوبية العبادة على هذا الوجه، بل عدم كونها حينئذ متعلق الأمر باعتبار اشتغالها على التشريع المحرم الذي هو بدعه، وكل بدعه ضلالة، وكل ضلالة سبيلها إلى النار.

هذا مضافا إلى قاعدة التوظيفيه ولزوم تحصيل البراءة عن الإشتغال بالعبادة وغيرها من الأصول والقواعد، فضلا عن خصوص التصوص.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٣٧

### فضل سورة الفاتحة

ثانيهما في فضل هذه السورة المباركة ويدل عليه مضافا إلى ما سمعت من اشتغالها على الحقائق الكلية والعلوم الالهية، ونعوت الجمال والجلال، و اسرار المبدأ والمعاد، وإرشاد العباد إلى طريق السداد، وغير ذلك كما مر تفصيل الكلام فيه، جمله من التصوص الماثورة عن أهل الخصوص.

ففي «عدة الداعي» وغيرها عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لما أراد الله عز وجل أن ينزل فاتحة الكتاب، وآية الكرسي، وشهد الله، وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب، فقلن: يا رب تهبطنا إلى دار الذنوب، وإلى من يعصيك ونحن متعلقات بالطهور والقدس، فقال سبحانه: وعزتي وجلالي ما من عبد قرأكن في دبر كل صلوة إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان، وإلا نظرت إليه بعيني المكنونه في كل يوم سبعين نظرة، وإلا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة، ولأعدته من كل عدو ونصرته عليه، ولا يمنع دخول الجنة إلا الموت.

«١».

و

في الأمالى لابن الشيخ عن الصادق عليه السلام قال: من نالته علة فليقرأ في جيبه الحمد سبع مرات فإن ذهب العلة وإلا فليقرأها سبعين مرة وأنا الضامن له العافية «٢».

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٤٢٦ وعنه كنز الدقائق ج ١ ص ٦.

(٢) أمالى الطوسي ج ١ ص ٢٩٠ وعنه البحار ج ٩٢ ص ٢٣١ ح ١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٣٨

و

في العلل والعيون بالإسناد عن مولينا الرضا عليه السلام فإن قال: فلم أمروا بالقراءة في الصلوة؟ قيل: لئلا يكون مهجورا مضيعا، و ليكون محفوظا مدروسا، فلا يضمحل ولا يجهل.

فإن قال: فلم بدء بالحمد في كل قراءة دون سائر السور؟ قيل: لأنه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد، وذلك أن قوله: «الحمد لله إنما هو أداء لما أوجب الله تعالى على خلقه من الشكر، وشكر لما وفق عبده للخير، «رب العالمين» تمجيد له، و تحميد، وإقرار بأنه هو الخالق المالك لا غيره، «الرحمن الرحيم» استعطاف وذكر لآلائه، و نعمائه على جميع خلقه «مالك يوم الدين» إقرار بالبعث والحساب والمجازات، وإيجاب له ملك الآخرة كما أوجب له ملك الدنيا «إياك

نَعْبُدُ» رغبةً و تقرباً إلى الله تعالى و إخلاصاً بالعمل له دون غيره «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ استزادةً من توفيقه و عبادته و استدامه لما أنعم عليه و نصره، «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ استرشاداً لأدبه و استعصام بحبله و استزادةً في المعرفة بربه و بعظمته و كبريائه: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» توكيد للسؤال و الرغبة، و ذكر لما تقدم من نعمه على أوليائه، و رغبةً في مثل تلك النعم: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ استعاذة عن أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفين به و بأمره و نهيه، «وَلَا الضَّالِّينَ اعتصام من أن يكون من الضالين الذين ضلوا عن سبيله من غير معرفة، و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

فقد اجتمع فيه من جوامع الخير و الحكمة في أمر الآخرة و الدنيا ما لا تجمعها شيء من الأشياء (١)».

و

في «العيون» و «تفسير الامام عليه السلام» قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: فاتحة

(١) علل الشرائع ج ١ ص ٢٤٧- عيون الأخبار ج ٢ ص ١٠٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٣٩

الكتاب أعطاه الله محمداً صلى الله عليه و آله و أمته بدء فيها بالحمد و الثناء عليه ثم ثنى بالدعاء لله عز و جل، و لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: قال الله عز و جل: قسمت الحمد بيني و بين عبدى نصفين، فنصفها لى و نصفها لعبدى و لعبدى ما سألت، فإذا قال العبد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال الله عز و جل: بدأ عبدى باسمى و حقّ على أن أتم له أموره: و أبارك له فى أحواله، فإذا قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قال الله عز و جل: حمدنى عبدى و علم أن النعم التى له من عندى، و أن البلىا التى اندفعت عنه فبطولى (١) أشهدكم يا ملائكتى انى أضيف له نعم الدنيا إلى نعم الآخرة، و أدفع عنه بلىا الآخرة كما دفعت عنه بلىا الدنيا.

و إذا قال: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال الله عز و جل: شهد لى عبدى بأننى الرحمن الرحيم، أشهدكم لأوفرن من رحمتى حظّه، و لأجزلن من عطائى نصيبه، فإذا قال:

مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ قال الله تعالى: أشهدكم كما اعترف بأنى أنا الملك يوم الدين لأسهلن يوم الحساب عليه حسابه، و لأقبلن حسناته، و لأتجاوزن عن سيئاته. فإذا قال العبد: إِيَّاكَ نَعْبُدُ: قال الله تعالى: صدق عبدى إياى يعبد، أشهدكم لأثيبه على عبادته ثوابا يغبطه كل من خالفه فى عبادته لى، فإذا قال: وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قال الله عز و جل: بى استعان عبدى، و إلى التجأ، أشهدكم لأعينه فى شدائده و لأخذن بيده يوم نوائبه، فإذا قال: أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ إِنْخ قال الله عز و جل: هذا لعبدى و لعبدى ما سألت، قد استجبت لعبدى، و أعطيته ما أملت، و أمنت عماً منه و جل (٢)».

و فى كتاب العلل لمحمد بن على بن إبراهيم فى تفسير الحمد لله يعنى الشكر

(١) فى البحار: فبتطولى.

(٢) تفسير الامام عليه السلام ص ٢٧- عيون الأخبار ج ١ ص ٣٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٤٠

لله و هو أمر و لفظه خبر، و الأمر مضمرة فيه، و معناه قل الحمد لله رب العالمين و معنى رب اى خالق و العالمين كل مخلوق خلقه الله، الرحمن بجميع خلقه الرحيم بالمؤمنين خاصة مالىك يوم الدين يعنى يوم الحساب و المجازات، إِيَّاكَ نَعْبُدُ مخاطبة من رسول الله صلى الله عليه و آله عز و جل و إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ مثل ذلك، أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

حدثنى أبى عن جدى، عن حماد، عن الحلبي، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ أمير المؤمنين، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ يعنى التصاب و لا الضالين اليهود و النصارى.



ثم قال: إن أول ما نزل على رسول الله عليه السلام بمكّة بعد أن نبيّ الحمد «١». في المجمع و جامع الاخبار بالإسناد عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أعطى من الأجر كأنما قرأ ثلثي القرآن، و أعطى من الأجر كأنما تصدق على كل مؤمن و مؤمنة «٢». وفيهما أنه روى هذا الخبر عن طريق آخر إلا أنه قال كأنما قرء القرآن.

و  
عن أبي قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله فاتحة الكتاب فقال: و الذي نفسى بيده ما أنزل الله في التوراة و لا في الإنجيل و لا في الزبور و لا في الفرقان مثلها و هي أم القرآن، و هي السبع المثاني و هي مقسومة بين الله و بين عبده و لعبده ما سئل «٣».

و  
عن العياشي بالإسناد ان النبي صلى الله عليه وآله قال لجابر بن عبد الله الانصاري يا جابر ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله تعالى في كتابه؟ قال: فقال له جابر: بلى بأبي

(١) بحار الأنوار: ج ٨٢ ص ٥١-٥٣ كتاب الصلاة باب القراءة.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ١٧.

(٣) نفس المصدر. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٤١

أنت و أمي يا رسول الله علمنيها، قال فعلمه الحمد لله أم الكتاب، ثم قال يا جابر ألا أخبرك عنها؟ قال: بلى بأبي أنت و أمي فاخبرني قال هي شفاء من كل داء إلا السام، و السام الموت «١».

و  
عن سلمة بن محرز عن الصادق عليه السلام قال: من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيء «٢».

و  
عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ان الله عزّ و جلّ قال لي: يا محمّد و لقد آتيناك سبعاً من المثاني و القرآن العظيم «٣» فأفرد الامتنان على فاتحة الكتاب، و جعلها نظير «٤» القرآن و إن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، و ان الله تعالى خصّ محمّداً و شرفه بها، و لم يشرك فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان على نبينا و آله و عليه السلام فإنه أعطاه بسم الله الرحمن الرحيم ألا- ترى يحكى عن بلقيس حين قالت إنني ألقى إليّ كتاب كريم إنّه من سليمان و إنّه بسم الله الرحمن الرحيم «٥».

و  
ألا- فمن قرأها متعمّداً بموالاته محمّداً صلى الله عليه وآله و آله منقاداً لأمرها مؤمناً بظاها و باطنها أعطاه الله عزّ و جلّ بكلّ حرف منها حسنة كلّ واحد منها أفضل له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها و خزائنها، و من استمع إلى قارئ يقرأها كان له قدر ثلث ما للقارئ، فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعروض له فإنه غنيمه لا يذهبن أوانه فتبقى في قلوبكم الحسرة «٦».

(١) مجمع البيان ج ١ ص ١٧.

(٢) نفس المصدر.

(٣) الحجر: ٨٧.

(٤)

في مجمع البيان: و جعلها بإزاء القرآن.

(٥) النمل: ٢٩.

(٦) مجمع البيان ج ١ ص ١٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٤٢

و مثله في تفسير مولينا العسكري عليه السلام «١».

و

في «المكارم» عن الصادق عليه السلام: لو قرئت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الزوح ما كان ذلك عجباً «٢».

و

روى عن المفضل النوفلي مرفوعاً قال: ما قرئت الفاتحة على وجع سبعين مرة إلا سكن «٣».

و

عن الباقر عليه السلام: من لم تبرئه الحمد لم تبرئه شيء «٤».

و

في طب الأئمة عن الصادق عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كسل أو أصابته عين أو صداع بسط يديه فقرأ فاتحة الكتاب، و المعوذتين ثم يمسح بهما وجهه فيذهب عنه ما كان يجده «٥».

و

عن الباقر عليه السلام قال: من لم تبرئه سورة الحمد و قل هو الله أحد لم يبرئه شيء و كل علة تبرء بهاتين السورتين «٦».

و

عن أحدهم عليهم السلام قال: ما قرئت الحمد على وجع سبعين مرة إلا سكن بإذن الله و إن شتم فجزبوا و لا تشكوا «٧».

و

في الخصال عن الصادق عليه السلام قال: رن إبليس أربع رنات: أولهن يوم لعن، و حين اهبط إلى الأرض، و حين بعث محمد صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل، و حين

(١) تفسير الامام عليه السلام و عنه البحار ج ٩٢ ص ٢٤٥.

(٢) مكارم الأخلاق ص ٤١٨ و عنه البحار ج ٩٢ ص ٢٥٧.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٢ / ٢٣٥ عن طب الأئمة ص ٥٤.

(٤) نفس المصدر عن طب الأئمة ح ١٩.

(٥) نفس المصدر ح ١٨.

(٦) نفس المصدر ح ١٩.

(٧) طب الأئمة ص ٥٤ و عنه البحار ج ٩٢ / ٢٣٥ ح ٢١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٣، ص: ٧٤٣

أنزلت أم الكتاب «١».

و في تفسير القمي عنه عليه السلام مثله لكنه اقتصر فيه على الأخيرتين «٢».

الحمد لله أولاً- و آخراً و ظاهراً و باطناً و الشكر له على أن وفقني على تحقيق هذا السفر القيم الكريم في تفسير فاتحة الكتاب من الصراط المستقيم تأليف العالم الجليل و الحبر المفسر النبيل آية الله العظمى السيد حسين البروجردى قدس الله سره.

و ساعدني على طبعه السيد المؤمن الذي لم يرض بذكر اسمه في مؤسسه المرحوم السيد حسن بن الحسن الموسوي الخيرية.

و أنا العبد الذليل غلام رضا بن علي أكبر مولانا البروجردى الراجي رحمة رب العالمين، تم التحقيق في غرة رجب المرجب سنة

- (١) الخصال ج ١ ص ٢٦٣ باب الأربعة ح ١٤١.  
 (٢) تفسير القمي ج ١ ص ٢٩ وفيه: إن إبليس أن أتينا.

## الجزء الرابع

### إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تفسير سورة البقرة

#### وجه التسمية:

سميت بها لاشتمالها على قصة ذبحها التي فيها الإشارة إلى ما هي الغاية القصوى و السعادة العظمى أعنى تحصيل الحياة الطيبة الأبدية، و السعادة الدائمة السرمديّة، بذبح بقرة نفسه الحيوانية، و القوى الشهوانية بأسياف الرياضة على الاستقامة التي هي الموت الأصغر و الجهاد الأكبر إذا صلحت لذلك حيث لا- فارض متهاكك، و لا بكر غير متمالك، بل عوان بين ذلك- على ما تسمع تمام القصيدة هنالك.

و ربما يستكره أن يقال: سورة البقرة، بل قيل: ينبغي أن يقال:

السورة التي يذكر فيها البقرة.

و لعله لما يوهمه الإضافة، أو للتأسي بالنبي صلى الله عليه و آله في

قوله: «السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن» «١».

(١) رواها شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي المتوفى (٥٠٩) هـ ش في فردوس الأخبار ج ٢ ص ٣٤٤ رقم ٣٥٥٩ قال: عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه و اله: «السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة. و تركها حسرة، و لا يستطيعها البطلة».

و رواها أيضا السيوطي في الجامع الصغير رقم ٤٨٤١ و شرحها عبد الرؤوف المناوي في فيض القدير ج ٤ ص ١٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٦

و ضعف الوجهين واضح- سيما مع ورودها على وجه الإضافة في الأخبار المعتبرة هنا «١» و في النحل، و النمل، و غيرها. و التوصيف في النبوي تحقيق للتسمية، كما أنه لعله الوجه في العنوان الذي في تفسير الإمام بمثل النبوي- و لذا عبر عنها فيما رواه من الخبر بطريق الإضافة نعم يستفاد منه اسم آخر للسورة و هو فسطاط القرآن نظرا إلى اشتمالها على معظم أصول الدين و فروعه. و الإرشاد الى كثير من مصالح العباد مما فيه نظام المعاش و نجاه المعاد، بل تسمع في النبوي الآتي أنها سنام القرآن، و أنها و آل عمران هما الزهراوان، واحدها زهراء (بفتح الزاي) لنورهما و إشراقهما، من الزهرة و هي البياض التير المشرق، لا من الزهراء للبقرة الوحشية، و أنها أول المثاني على ما مرت «٢» الى غير ذلك من الألقاب الشريفة التي ربما أشير إليها في الأخبار.

## فضل السورة

في «ثواب الأعمال» بالإسناد، و في «المجمع» مرسلًا عن مولانا الصادق عليه السلام

(١) ستأتى الأخبار فى فضلها إنشاء الله تعالى.

(٢) راجع ج ٣ ص ٣٠ من الصراط المستقيم ط قم مؤسسه المعارف الإسلاميه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٧

قال: «من قرأ سورة البقره و آل عمران جاء تا يوم القيامة تظلانه على رأسه مثل الغمامتين، أو مثل الغيابتين» (١) يعنى المظلتين.

و مثله فى تفسير الإمام عليه السلام، و زاد بعد قوله: (أو غيابتان): أو فرقان (٢) من طير صواف يحاجان عن صاحبهما و يحاجهما ربّ العزة، و يقولان: يا ربّ الأرباب إنّ عبدك هذا قرأنا، و أظمانا نهاره، و أسهرنا ليله، و أنصبنا بدنه، فيقول الله عزّ و جلّ: يا أيها القرآن فكيف كان تسليمه لما أمرته (خ ل) (لما أنزلته فيك) من تفضيل على بن أبى طالب أخى محمد رسول الله؟ فيقولان: يا ربّ الأرباب و إله الآلهة و الاله، و والى وليه (أولياءه خ ل) و عادى أعدائه، إذا قدر جهره، و إذا عجز اتقى و استتر، فيقول الله عزّ و جلّ: فقد عمل إذا بكما كما أمرته، و عظّم من خطبكما ما أعظمته، يا علىّ أما تسمع شهادة القرآن لوليك هذا؟ فيقول علىّ: بلى يا ربّ، فيقول الله تعالى: فاقترح له ما تريد، فيقترح له ما يريد علىّ أمانى هذا القارى من الأضعاف المضاعفات ما لا يعلمه إلا الله عزّ و جلّ، فيقول الله عزّ و جلّ: قد أعطيته ما اقترحت يا علىّ.

ثم قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله إنّ والدى القارئ ليتوجان بتاج الكرامه يضىء نوره من مسيره عشرة آلاف سنه، و يكسيان حلّه لا يقوم لأقلّ سلك منها مائة ألف ضعف ما فى الدنيا بما يشتمل عليه من خيراتها.

ثم يعطى هذا القارى الملك يمينه فى كتاب، و الخلد بشماله فى كتاب.

يقرأ من كتابه بيمينه: قد جعلت من أفاضل ملوك الجنان، و من رفقاء محمّد سيّد الأنبياء، و علىّ خير الأوصياء، و الأئمة بعدهما سادة الأتقياء.

و يقرأ من كتابه بشماله: قد أمنت الزوال و الانتقال عن هذه الملك، و أعذت

(١) ثواب الأعمال ص ١٣٣- مجمع البيان ج ١ ص ٣٢.

(٢) الفرقان (بكسر الفاء): طائفتان، قسمان من كل شىء.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٨

من الموت و الأسقام و كفيّة الأمراض و الأعلال، و جنّبت حسد الحاسدين و كيد الكائدين.

ثمّ يقال له: اقرأ و ارق و منزلتك عند آخر آية تقرأها.

فإذا نظر والداه إلى حليتهما و تاجيهما قالوا:

«ربنا أنى لنا هذا الشرف و لم تبلغه أعمالنا؟ فيقال لهما: أكرم الله عزّ و جلّ هذا لكما بتعليمكما ولدكما القرآن» (١).

و فى النبوى: «اقرأوا الزهراوين: البقره و آل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان» (٢)، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما (٣)، أى قطعتان من طير باسطات أجنحتها.

و فى بعض نسخ الحديث: كأنهما خرقان

بالحاء المعجمة المفتوحه و الراء المهمله من الخرق، أو ما انخرق من الشىء و بان منه، أو بكسر الخاء من الخرقه القطعه من الجراد.

و قيل: الصواب حرقان بالحاء المهمله و الزاى من الحزقه و هى الجماعه من الناس و الطير و غيرهما، كذا فى نهاية ابن الأثير.

و كأن التردد بين الثلاثة وقع منه صَلَّى الله عليه و آله باعتبار المراتب، و لذا قيل: إنَّ الأوَّل للقارئ، و الثاني للمداوم على القراءة، و الثالث لمن يقرئ مع ذلك، بناء على أنَّ الكلام على الترقى، إذ في الغيبة مزيد اختصاص لكونهما مظلة الشخص نفسه، و الفرق من الطير فيها مع ذلك زيادة المحاجة، و يمكن الحمل على التنزل باعتبار

(١) بحار الأنوار ج ٧ كتاب العدل و المعاد ص ٢٩٢ ح ٥ عن تفسير الإمام عليه السَّلام و ج ٩٢ كتاب القرآن ص ٢٦٨ ج ١٦ عن تفسير الامام عليه السَّلام ٤ ص ٢٨.

(٢) الغيبة: السحابة المفردة.

(٣) في سنن الدارمي ج ٢ ص ٤٥٠: تعلّموا سورة البقرة و آل عمران فإنّهما الزهراوان.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٩

الشمول و الإحاطة، و ضمير المحاجة للسورتين.

و عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: «من قرأ أربع آيات من أول البقرة و آية الكرسي و آيتين بعدهما، و ثلاث آيات من آخرها لم ير في نفسه و ماله شيئا يكرهه، و لا يقربه الشيطان و لا ينسى القرآن» (١).

و في «المجمع» عن أبي بن كعب عن النبي صَلَّى الله عليه و آله: «من قرأها فصلوات الله عليه و رحمته، و أعطى من الأجر كالمرباط في سبيل الله سنة لا تسكن روعته» (٢).

قال: و قال لي رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: يا أباي مر المسلمين أن يتعلّموا سورة البقرة، فإنّ تعلّمها بركه، و تركها حسرة و لا يستطيعها البطلة، قلت: يا رسول الله ما البطلة؟

قال: السحرة (٣).

و لعلّ المراد أنّهم لا يوقفون لقراءتها.

و عن سهل بن سعد، عنه صَلَّى الله عليه و آله: إنّ لكل شيء سناما، و سنام القرآن سورة البقرة، من قرأها في بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلاثة أيام، و من قرأها في بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلاث ليال (٤).

و روى أنّ النبي صَلَّى الله عليه و آله بعث بعثا، ثم أخذ تتبعهم يستقرأهم، فجاء إنسان منهم، فقال: ماذا معك من القرآن؟ حتّى على أحدتهم سنّا، فقال له: ماذا معك من القرآن؟

قال: كذا و كذا و سورة البقرة، فقال: أخرجوا و هذا عليكم أمير.

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٢١ ح ٥ و عنه البرهان ج ١ ص ٢٤٤ ح ١ و تفسير العياشي ج ١ ص ٢٥ ح ٣- و ثواب الأعمال ص ١٣٠ ح ١ و عنه بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٢٦٥ ح ٩.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٣٢.

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ٣٢.

(٤) مجمع البيان ج ١ ص ٣٢ و عنه نور الثقلين ج ١ ص ٢٢ ح ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٠

قالوا: يا رسول الله هو أحدثنا سنّا! قال: معه سورة البقرة (١).

و سئل النبي صَلَّى الله عليه و آله: أيّ سور القرآن أفضل؟

قال: البقرة، قيل: أيّ آي البقرة أفضل؟ قال: آية الكرسي (٢).

و عن ابن عتيّاس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الأول، و أعطيت طه و الطواسين من ألواح موسى، و أعطيت فواتح القرآن، و خواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش، و أعطيت المفصل نافلة «٣».

و اعلم أنه

قد ورد في قصّة حنين: أنه لما رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هزيمة أصحابه عنه قال للعبّاس، و كان رجلا جهوريا صيتا: ناد بالقوم، و ذكرهم العهد، فنادى العبّاس بأعلى صوته: يا أهل بيعة الشجرة، و يا أصحاب سورة البقرة إلى أين تفرّون؟ أذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «٤».

قال شيخنا المجلسي رحمه الله: كأنه وبّخهم بذلك لقوله تعالى فيها:

فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ... «٥». أو لاختتامها بقوله: فَانصُرْنَا عَلَى الْكُافِرِينَ «٦». أو لاشتمالها على آيات الجهاد، كقوله:

اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ \* «٧».

و قوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ \* «٨» - أو لأن أكثر آيات النفاق ذم

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٣٢ و عنه نور الثقلين ج ١ ص ٢٢ ح ٣

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٣٢ و عنه نور الثقلين ج ١ ص ٢٢ ح ٣

(٣) مجمع البيان ج ٧ ص ١٨٣ و عنه نور الثقلين ج ٤ ص ١٠٧ ح ٤

(٤) بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٥٦ ح ٦ عن الإرشاد ص ٧٢.

(٥) سورة البقرة: ٢٤٦.

(٦) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٧) سورة البقرة: ١٩٠.

(٨) سورة البقرة: ١٩٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١١

المنافقين فيها، أو لأنها أول سورة ذكر فيها قصّة مخالفة بنى إسرائيل موسى بعبادة العجل، و ترك دخول حطّة و الجهاد مع العمالق، أو أراد جماعة حفظوا سورة البقرة، تعريضا بأنه لا يناسب حالهم تلك فعلهم ذلك.

أقول: و لعل الأولى من الجميع اشتمالها على قوله تعالى: اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ «١». و لذا ذكرهم ببيعة الشجرة، و هي بيعة الرضوان، و أمرهم بعده بذكر العهد الذي عاهدوا عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

و أمّا ما يحكى عن بعض العامة حيث

ورد في أخبارهم: هذا مقام الذي أنزل عليه سورة البقرة

، و قالوا: خصّها لأنّ معظم أحكام المناسك فيها سيّما ما يتعلّق بوقت الرمي «٢» ففيه ما لا يخفى.

## نزول السورة

أمّا نزولها فهي على ما في «المجمع» كلّها مدنيّة إلا آية واحدة منها و هي قوله تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ الْآيَةَ «٣» فإنّها نزلت في حجة الوداع بمنى.

لكن فيه عند التعرّض لتفسيرها: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حِجَّةِ الْوُدَاعِ نَزَلَتْ عَلَيْهِ فِي الطَّرِيقِ: وَيَسِيْرَتُنَّكَ فِي النِّسَاءِ قُلَّ اللهُ يُفْتِيكُمْ... «٤» فَسَمِيَتْ آيَةٌ

(١) سورة البقرة: ٤٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٨١.

(٣) سورة البقرة: ٢٨١.

(٤) سورة النساء: ١٢٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٢

الصيف، ثم نزل عليه وهو واقف بعرفة: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ... الآية «١» فعاش بعدها أحد وثمانين يوماً، ثم نزلت عليه آيات الرِّبَا، ثم نزلت بعدها: وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُزْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ... «٢» وهي آخر آية نزلت من السماء. بل صرّح أيضاً في كثير من الآيات بنزولها في غير المدينة، كنزول قوله تعالى: وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ... الآية «٣» حيث قالت كفّار قريش: يا محمّد صف لنا ربك، وانسب لنا ربك.

وقوله تعالى: وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ... «٤» في صلح الحديبية.

وقوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ... «٥» بين مكة والمدينة، أو ليلة مبيت أمير المؤمنين عليه السلام على فراش رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى غير ذلك مما تأتي الإشارة في مواضعها إنشاء الله تعالى. واحتمال أن يكون المراد بكونها مدنيّة نزولها بعد الهجرة وإن نزلت في غيرها مدفوع بما في كلامه من استثناء آية واحدة نزلت في حجة الوداع بمضى.

### عدد الآيات

وأما عدد آياتها ففي «المجمع» مائتان وست وثمانون آية في العدد الكوفي، وهو العدد المروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، و سبع في العدد البصري، وخمس

(١) المائة: ٣.

(٢) البقرة: ٢٨١.

(٣) البقرة: ١٦٣.

(٤) البقرة: ١٨٩.

(٥) البقرة: ٢٠٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٣

حجازي، وأربع شامي، خلافاً إحدى عشر آية، عدّ الكوفي الم آية، و عدّ البصري إلاً خائفين «١» آية، وقولاً معزوفاً «٢» بصري، عذاب أليم «٣» شامي، مُضْلِحُونَ «٤» غيرهم، يا أولي الألباب «٥» عراقي، والمدني الأخير «٦»، من خلاق «٧» الثاني غير المدني الأخير، يسئلونك ما ذا يُنْفِقُونَ «٨» مكّي والمدني الأول، تتفكرون «٩» كوفي وشامي والمدني الأخير، الحى القيوم «١٠» مكّي بصري والمدني الأخير، من الظلمات إلى النور «١١» المدني الأول، و روى عن أهل مكة: وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ «١٢» «١٣».

أقول: وفيه أنه مخالف من وجوه لما يظهر منه رحمه الله عند التعرّض لتفصيل الآيات، حيث إن ظاهره كما يأتي أنه لا خلاف في

## عدم كون

- (١) سورة البقرة: ١١٤.
- (٢) سورة البقرة: ٢٣٥.
- (٣) سورة البقرة: ١٠.
- (٤) سورة البقرة: ١١.
- (٥) سورة البقرة: ١٧٩-١٩٧.
- (٦) قال السيوطي في الإتقان ج ١ ص ٢٣٢: اختلف في عدّ الآي أهل المدينة و مكّة، و الشام، و البصرة و الكوفة، و لأهل المدينة عددان: عدد أوّل و هو عدد أبي جعفر يزيد بن القعقاع، و شيبه بن نصاح، و عدد آخر و هو عدد إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري.
- (٧) سورة البقرة: ٢٠٠.
- (٨) سورة البقرة: ٢١٥.
- (٩) سورة البقرة: ٢١٩.
- (١٠) البقرة: ٢٥٥.
- (١١) البقرة: ٢٥٧.
- (١٢) البقرة: ٢٨٢.
- (١٣) مجمع البيان ج ١ ص ٣٢.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٤
- عَذَابٌ أَلِيمٌ «١» آية، و كذا يا أولى الألباب «٢»، و كذا يَسْتَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ «٣»، و كذا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ «٤» و لا- في كون مُضِلِّحُونَ «٥»، و كذا مِنْ خَلْقٍ «٦» الثاني، و قال في قوله: تَتَفَكَّرُونَ «٧» إِلَى عَزِيزٍ حَكِيمٍ «٨»: آيتان في الكوفي و آية واحدة فيما عداه، عدّ الكوفي تَتَفَكَّرُونَ آية و تركها غيره «٩».
- و في قوله: قَوْلًا مَعْرُوفًا إِلَى عَفُورٍ حَلِيمٍ «١٠»: آية في الكوفي و آيتان في غيرهم يترك قَوْلًا مَعْرُوفًا الكوفي «١١».
- و في قوله: الْحَيُّ الْقَيُّومُ «١٢» إِلَى الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ: آيتان بصري، و آية واحدة عند غيرهم، عدّ البصري الْحَيُّ الْقَيُّومُ آية «١٣» و هذا كله مخالف لما صرّح به أوّلا هذا مضافا إلى أن المحصّل ممّا صرّح به أوّلا مخالف أيضا للأقوال الأربعة

(١) البقرة: ١٠.

(٢) البقرة: ١٧٩-١٩٧.

(٣) البقرة: ٢١٥.

(٤) البقرة: ٢٥٧.

(٥) البقرة: ١١.

(٦) البقرة: ٢٠٠.

(٧) البقرة: ٢١٩.

(٨) البقرة: ٢٢٠.



(٩) مجمع البيان ج ١ ص ٣١٤.

(١٠) البقرة: ٢٣٥.

(١١) مجمع البيان: ج ١ ص ٣٣٨.

(١٢) البقرة: ٢٥٥.

(١٣) مجمع البيان ج ١ ص ٣٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٥

التي نبت عليها في صدر كلامه كما لا يخفى.

و أما تحقيق الحق في أعدادها و اختلافاتها فلا يحضرني شيء من الكتب المصنفة في ذلك لأصحابنا و غيرهم، و الخطب سهل في مثله، كسهولته في ضبط كلماتها و حروفها بعد اختلافهم في كيفية اعتبارهما حسب ما مرت الإشارة إليه في الفاتحة.

### [سورة البقرة (٢): آية ١]

#### إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الم الكلام فيها و في غيرها من فواتح السور القرآنية التي هي المفاتيح للغيوب الإمكائية، و الحقائق العرفانية يستدعى رسم مباحث:

#### البحث الأول: العوالم الإلهية

اعلم أن لله تعالى في ملكه عوالم كلية و جزئية، ملكية و ملكوتية، غيبية و شهودية، و هذه العوالم مترتبة متناسبة متطابقة صعودا و نزولا، و أمر الله المفعولى ينزل في هذه العوالم المتناسبة في السلسلة الطولية، كما أشير إليه بقوله: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ (١)، و إن كانت تلك الأوامر كالأوامر الجزئية المتنزلة فيها متناسبة أيضا في السلسلة العرضية.

#### عالم الحروف

#### إشارة

و من جملة تلك العوالم المتنزلة الى الناسوت عالم الحروف، فإنها مع

(١) سورة السجدة: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٦

انحصارها و تناهيا يشار بها إلى جميع المعارف و الحقائق، بل جميع الماهيات و الأكوان الكلية و الجزئية.

ولذا

قال مولانا الصادق عليه السلام: إن الكتاب الذي أنزل على آدم على نبينا و آله و عليه السلام أب ت ت ... إلخ.

بل الحروف الحقيقية هي الحقائق الكلية المعبرة عنها بالخزائن الغيبية المشار إليها بقوله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا

نُزِّلَتْ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ (١) و هذه الخزائن الغيبية هي الأصول الكلية التي

أشار إليها مولانا الرضا عليه التحية و الثناء في خبر عمران الصابي المروي في «العيون» و «الاحتجاج» بقوله:

«و اعلم أن الإبداع و المشيئة و الإرادة معناها واحد، و أسماؤها ثلاثة، و كان أول إبداعه و إرادته» الحروف التي جعلها أصلا لكل شيء، و دليلا- على كلّ مدرك و فاصلا لكلّ مشكل، و بتلك الحروف تفرق كل شيء من اسم حقّ و باطل أو فعل أو مفعول، أو معنى أو غير معنى، و عليها اجتمعت الأمور كلّها» (٢).

و جملة الكلام أن للحروف باعتبار درجاتها و تنزلاتها مراتب:

## مراتب الحروف

### إشارة

أحدها:

### الحروف الأصلية الأولية:

و هي مراتب الفعل المعبر عنها بالعلم

(١) سورة الحجر: ٢١.

(٢) عيون الأخبار ص ٨٧- ١٠٠- التوحيد ص ٤٢٨- ٤٥٧- الإحتجاج ص ٢٢٦- ٢٣٣ و عنها بحار الأنوار ج ١٠ و هذه القطعة في ص ٣١٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٧

و المشيئة و الارادة، و الإبداع، و القدر، و القضاء، و الإمضاء، و الأجل، و الكتاب.

و هي الأمور التي لا يكون شيء في الأرض و لا في السماء إلا بها، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحد منها فقد كفر.

و تمام الكلام في حقائقها يأتي في محلها ان شاء الله تعالى و هذه الحروف يتألف منها الكلمات التامات الربانية، و الحقائق القادسة النورانية، تجلّى لها ربّها فأشرق، و طالعها فتلاّأت، ألقى في هويّتها مثاله فأظهر منها أفعاله، و به سبحانه سمّى متكلمًا، و كلماته التامات التي تكلم بها سبحانه بمشيئته و إرادته و ابداعه آل محمّد عليهم السلام.

كما

في الخبر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك و تعالى تفرد في وحدانيته، ثمّ تكلم بكلمة فصارت نورا، ثمّ خلق من ذلك النور محمّدا و عليا و عترته عليهم السلام، ثمّ تكلم بكلمة فصارت روحا و أسكنه في ذلك النور و أسكنه في أبداننا، فنحن روح الله و كلمته و بنا احتجب عن خلقه ...

الخبر (١).

و في كثير من أخبارهم وقع التصريح بذلك

كقولهم: «نحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا و لا تستقصى» (٢).

بل و في الكتاب العزيز إشارات لذلك كقوله تعالى:

وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ (٣).

وقوله تعالى:

(١) بحار الأنوار ج ١٥ ص ١٠ عن كنز الفوائد.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٧٤ ح ١ و ج ٥٠ ص ١٦٦ ح ٥١.

(٣) سورة لقمان: ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٨

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي ... «١».

وقوله تعالى:

فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ... «٢».

وقوله تعالى:

وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ... «٣» وقد عبّر الله تعالى عن المسيح على نبينا و آله و عليه السلام «بِكَلِمَةٍ مِنْهُ» «٤» و ستسمع ان شاء الله كثيرا من أخبار الباب فى طي تلك الآيات و غيرها.

### الحروف الحقيقية المعنوية

ثانيها: الحروف الحقيقية المعنوية و هى الذوات المتقررة المخلوقة فى صقع الإمكان فى عالم الأمر، و تنقسم إلى جبروتية و ملكوتية، و الكلام فيها هو الكلام فى حقايق الأشياء. و قد يعبر بكل من الحروف عن شىء من مراتب الوجود من الدرّة الى الدرّة كما تأتى الإشارة إليه بمشيئة الله سبحانه.

### الحروف الشبعية الظلية

ثالثها: الحروف الشبعية الظلية الفكرية المنتزلة الى المعانى العقلية، أو الرقائق الروحية، أو الصور الشخصية، و هى صور انتزاعية شخصية قد تنزلت من

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) سورة البقرة: ٣٧.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) آل عمران: ٤٥

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٩

الملكية على أحد الوجهين اللذين مرّت إليهما الإشارة فى المقدمة الاولى فى تعريف العلم «١».

### الحروف المنتزلة الفكرية

رابعها: الحروف المنتزلة الفكرية الصورية، و ذلك أن المعانى إذا ارتسمت أو خطرت فى الذهن فرّما يعبر الفكر عنها بألفاظ نفسية تعبيرية يعبر عنها بالكلام النفسى على ما مرّ فى مسألة حدوث القرآن.

### الحروف العددية

خامسها: الحروف العددية التي يراد بها قوى الحروف من الأعداد التي هي بمنزلة الأرواح. وهي إما مواهب إلهية ذاتية غير متخلّفة و لذا استخرجوا منها الروحانيات و الملائكة العلويات و الخدام السلفيات، و بنوا عليها أنواع التصرفات و العمليات.

و إما أمور جعلية اصطلاحية موضوعه، و لذا اختلفت باختلاف الاصطلاحات من الأمم في ترتيب الأبجد و غيرها من الدوائر، و إن كان المستفاد من بعض الأخبار أنّ المعبر المشتهر في زمن الأئمة عليهم السلام هو الترتيب الأبجدي المعروف من الألف الى الغين.

ففي موقّ سماعه عن الصادق عليه السلام قال: قلت له: رجل ضرب لغلام «٢» ضربةً فقطع بعض لسانه، فأفصح ببعض، و لم يفصح ببعض، فقال عليه السلام: يقرء المعجم فما

(١) الصراط المستقيم للمؤلف ج ١ ص ١٣٨-١٣٩ ط قم انصاريان.

(٢) في التهذيب ج ١٠ ص ٢٦٣ ح ١٠٤٣: غلامه

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٠

أفصح به طرح من الديو، و ما لم يفصح الزم الديو، قال: قلت: كيف هو؟ قال: على حساب الجمل ألف ديتة واحد، و الباء ديتها اثنان، و الجيم ثلاثة، و الدال أربعة، و الهاء خمسة، و الواو ستة.

ثم ساق الكلام في تفصيل أعداد الحروف إلى قوله: و التاء أربع مائة و كل حرف يزيد بعد هذا فله مائة درهم.

و هذا الخبر و إن دلّ على صحّة الترتيب الأبجدي المشتهر إلّا أنّه مطعون بما ذكره الشيخ و غيره من أنّ تفصيل الديو على الحروف يجوز أن يكون من كلام بعض الرواة «١»، حيث سمعوا أنّه قال: يفرق الديو على حروف الجمل ظنوا أنّه على ما يتعارفه الحساب و لم يكن القصد ذلك، بل القصد أنّها تقسم أجزاء متساوية «٢».

أقول: و على فرض كونه من كلام بعض الرواة أيضا يدلّ على اشتهاه بينهم.

لكنّ الظاهر من خبر أبي ليلى ابتناؤه على حساب المغاربة على ما يأتي.

## الحروف اللفظية

سادسها: الحروف اللفظية التي هي كغيرها من الممكنات بلا فرق بين الماديات و المجردات زوج تركيبى من مادّة و صورة، و يعبر عنها بالوجود و الماهية.

فمادّتها هي الهواء المستنشق في الرية و قصبتها الفائدة ترويح الروح و دفع فضلاتها و أبحرتها، و الصوت إنّما يكون بنفس الإنسان، و أصله دوى في أصل الرية و إنّما يصير صوتا عند طرف القصبه المسمّى برأس المزمار لتضايقه ثم اتساعه عند

(١) مراده انّ قوله: ألف ديتة واحد ... إلخ من كلام بعض الرواة.

(٢) الإستبصار ج ٤ ص ٢٩٣ ح ١١٠٨ و قال: لو كان الأمر على ما تضمّنته هذه الرواية لما استكملت الحروف كلّها الديو على الكمال لأنّ ذلك لا يبلغ الديو إن حسبناها على الدراهم و ان حسبناها على الدنانير تضاعفت الديو، و كل ذلك فاسد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢١

الحنجرة فيبتدئ من سعة إلى ضيق، ثم إلى فضاء أوسع كما في المزمار، إذ لا بدّ للصوت من ضيق ليحبس الدوى و يقدره، و لا بدّ

أيضا من الانضمام و الانفتاح ليحصل بهما قرع الصوت.

و صورتها هي الحدود و الأطراف التي ينقطع عندها الصوت، مع تكيفه بالكيفية الخاصة بكل حد من تلك الحدود التي هي المخارج المشهورة المتعددة بتعدد الحروف فإن القوة النطقية الإنسانية تتبع بالإرادة من باطن القلب بواسطة النفس الانساني و الصوت. فيمر على المخارج المشهورة و تستعين باللسان في التقطيع بكل منها فيصحب ذلك خصوص حكم الإرادة المتعلقة بإظهار بعض الحروف مفردة و مركبة ليوصل بعض ما في نفسه الى المخاطب، فحيث انتهى قوة دفع و امتداد من امتدادات نفسه، و ذلك لا يكون إلا عند مخرج من المخارج ظهر للنفس حين الانتهاء تعين خاص بالصدر الفاصل فينقطع الصوت به منتها إليه، متكيفا بكيفيته، و لذا يسمى حرفا، اي طرفا مع كونه اسما لا حرفا بمعنى قسيمه، مع أن الأخير اصطلاح مستحدث، و الأول مبنى على أصل اللغة.

ثم من مننه سبحانه و له الحمد أن هذه الحروف المعدودة الميسرة يعتبر بها عن المعاني الكثيرة التي لا تكاد تنتهي، بل عن اللغات الكثيرة المنتشرة بين الأمم من لدن آدم عليه السلام، و ذلك لاختلاف وجود تأليف الكلمات في أنفسها و مع غيرها، و إن كانت الأعداد الحاصلة بالاعتبار الأول ليست بهذه الكثرة.

قال شيخنا البهائي رحمه الله: إذا قيل: كم يحصل من تركيب الحروف المعجم كلمة ثنائية سواء كانت مهملة أو مستعملة؟ فاضرب ثمانية و عشرين في سبعة و عشرين فالحاصل جواب.

فإن قيل: كم يتركب منها كلمة ثلاثية بشرط ان لا يجتمع حرفان من جنس واحد؟ فاضرب ثمانية و عشرين في سبعة و عشرين، ثم المبلغ في ستة و عشرين

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٢

يكن تسعة عشر ألفا و ستمائة و ستة و خمسين، و إن سئل عن الرباعية فاضرب هذا المبلغ في خمسة و عشرين، و القياس فيه مطرد في الخماسي فما فوقه.

### الحروف الكتيبة

سابعها: الحروف الكتيبة، و تسمى بالرقمية، و النقشية، و الرسمية و الخطية، و هي الحاصلة من انبساط الألف اللينة بأطوار الحدود و القيود من الاستقامة و أنحاء الاعوجاج.

فمادتها هي المداد الكائن في الدواة أو على القلم الصالح لكتابة كل حرف من الحروف به من مستقيم و معوج و طويل و قصير، و غيرها.

و صورتها هي الأطراف و الحدود التي ينتهي بها ظهور المداد على اللوح من جميع الوجوه في كل الجهات.

ثم اعلم أن المداد و نفس الإنسان في الحروف المثالية الظلية بمنزلة مثال لنفس الرحمن المشار اليه

بقوله صلى الله عليه و آله: «أشَمَّ نفس الرحمن من قبل يمن» «١» في الحروف الحقيقية المعنوية و هذا النفس هو المعبر عنه بالمشية الكلية و المحية الحقيقية، و الفيض الأول، و الوجود المطلق، و اللاتعين الأول، و القدم المخلوق، و حضرة الفعل، و سرادق الإرادة، الى غير ذلك من الألقاب الشريفة المستفادة من الكتاب و السنة تصريحاً او تلوياً يفهمه من يفهمه، فإذا تقيّد هذا الوجود بلواحق الماهيات و مقتضياتها و حدودها حصل الوجودات المقيّدة المسماة

(١) لم أجده بهذا اللفظ و لكن ورد في عوالي اللئالي: ج ١ ص ٥١ ح ٧٤، بهذا اللفظ: إنى لأجد نفس الرحمن يأتي من قبل اليمن.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٣

بالحروف العليات، و هذا مقام المفعول كما أن الأول رتبة الفعل، و هذه الحروف الحقيقية بحار زخارة عميقة، بل حقائق كلية غير

متناهية يظهر رشحاتها و آثارها فيما دونها بطريق الإشراق و الانعكاس فيتحصّل باعتبار الحدود و التقييدات و التكررات عوالم كليه غير متناهية لا يحيط بها الّا خالقها و من أشهدهم خلقها، و هم النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم و الأئمة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين.

كما

قال مولانا الحجة عجل الله فرجه: «أعضاء، و أشهاد، و مناء، و أزواد، و حفظة، و رواد» (١) بل هو المقتبس تلويحا من قوله تعالى في حق أعدائهم: ما أشهدتُهُم خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٢).  
و قد صرّح به مولانا الباقر عليه السلام على ما رواه  
في «الكافي» عن ابن سنان قال:

كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت إختلاف الشيعة فقال: يا محمّد إنّ الله تبارك و تعالى لم يزل متفرّدا بوحدانيته، ثم خلق محمّدا، و عليّ، و فاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، و أجرى طاعتهم عليها و فوّض أمورها إليهم، فهم يحلون ما يشاؤون و يحرمون ما يشاؤون، و لن يشاءوا إلّا أن يشاء الله تبارك و تعالى.  
ثم قال: يا محمد هذه الديانة التي من تقدّمها مرق، و من تخلف عنها محق، و من لزمها لحق، خذها إليك يا محمد (٣).

(١) بحار الأنوار ج ٩٨ ص ٣٩٣.

(٢) الكهف: ٥١.

(٣) اصول الكافي ج ١ ص ٤٤٠ و ٤٤١ و عنه بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٤٠ ح ٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٤

الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي لا يخفى تواترها على من اطّلع عليها.

## [البحث الثاني عدد الحروف العربية]

### إشارة

قد طال التشاجر بين أهل اللغة في عدد الحروف المستعملة في اللغة العربية، فالمشهور بينهم أنّها ثمانية و عشرون حرفا بعدّ الهمزة و الألف حرفا واحدا، و لذا سبّوه إلى لئنه و متحرّكه و ربما يظهر ذلك أيضا من المحكّي عن الخليل و الجوهري، و غيرهما من أهل اللغة، بل هو المشهور بين الفقهاء أيضا، بل قد استفيض عليه دعوى الإجماع منهم، و قالوا في القول الآخر الآتى بالطرح و الشذوذ، و هو المصرّح به في كثير من الأخبار،

كخبر السكوني عن الصادق عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أتى برجل ضرب فذهب بعض كلامه، و بقى بعض كلامه، فجعل ديته على حروف المعجم كلها ... إلى أن قال: و المعجم ثمانية و عشرون حرفا (١).

و في «الفقه» المنسوب الى مولانا الرضا عليه آلاف التحية و الثناء: «يقرء حروف المعجم، ... الى أن قيل له: كيف ذلك؟ قال: بحساب الجمل، و هو حروف أبي جاد، من واحد إلى الألف، و عدد حروفه ثمانية و عشرون حرفا (٢).

و في خبر عمران الصابي عن الرضا عليه السلام: أنّها ثمانية و عشرون حرفا تدلّ على لغات العربية (٣).

و هو المستفاد من جدول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و جدول إدريس النبي

(١) التهذيب ج ٢ ص ٥١٩ والاستبصار ج ٤ ص ٢٩٣ ح ٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٠٤، ص ٤١٥، ح ٣١٨.

(٣) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٣١٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٥

على نبينا و آله و عليه السلام المرويين عنهما في طبائع الحروف.

بل قيل: إن هذا العدد هو المشهور المعروف بين أهل الشرع و العرف و الفنّ، و أنّ كلّ أعمالهم ينطبق عليها، و يظهر ذلك أيضا من بعض الأخبار المفسرة لحرف أبجد.

و في صحيح ابن سنان من طريق الصدوق التصريح بهذا العدد أيضا. لكن فيه من طريق الكليني أنّها تسعة و عشرون حرفا.

و روى عن أبي ذرّ الغفاري أنّه قال: قلت: يا رسول الله أيّ كتاب أنزل الله على آدم؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم: كتاب المعجم، قلت: أيّ كتاب المعجم؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم: اب ت ث الى آخرها قلت: يا رسول الله كم حرف؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم: تسعة و عشرون، قلت: يا رسول الله عددت ثمانية و عشرين حرفا، فغضب رسول الله حتى احمرت عيناه، فقال: يا أبا ذر و المذى بعثنى بالحق نبيا ما أنزل الله على آدم إلّا تسعة و عشرين حرفا، فقلت: يا رسول الله أليس فيها لام و ألف؟ فقال: ألف حرف واحد قد أنزل الله على آدم في صحيفة واحدة و معه سبعون ألف ملك، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل الله على «١».

و ستسمع في الرضوى الآتي، و الخبر الآخر المتضمن لسؤال اليهودى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن فائدة حروف الهجاء و تفسيرها عدّ لام ألف أيضا في طيها و تفسيرها بلا إله إلّا الله.

و هذا هو المشهور بين اهل العربية على ما يحكى عنهم، و اختاره بعض الفقهاء أيضا كيحيى بن سعيد، و غيره.

بل عن الأردبيلي أنه مقتضى الوجدان. و كأنه يشير الى مخالفتها للهمزة في

(١) ينابيع المودة لذوى القربى ج ٣ ص ٢٠٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٦

المخرج، على ما صرح به غير واحد من أصحاب هذا الشأن.

بل عن سيبويه التصريح بأنّ أصل الحروف العربية تسعة و عشرون حرفا.

و هى الهمزة، و الألف، و الهاء ... إلخ و عنه و عن الأخفش، و ناظم الشاطبية و شراحة أنّ حروف الحلق سبعة بزيادة الألف، و جعلوا مخرجها بعد الهمزة قبل الهاء، أو بعدها. و فى «طبيعة النشر» للجزرى: أنّ للحروف الثلاثة اللينة و هى الجوفية هواء الفم، و لذا تسمى هوائية أيضا.

الى غير ذلك مما يدل على مغايرتها للهمزة، و لذا اضطرب كلمات الفريقين فى الجمع بين الدليلين، و تحقيق ما هو الحقّ فى البين.

فعن بعضهم القطع بالتغاير مع اختلاف المخرجين، و احتمال الأمرين مع الاتحاد، و عن صاحب «الكشاف»، و غيره أنّها تسعة و عشرون حرفا و اسمها ثمانية و عشرون.

و اختار بعض مشايخنا عطر الله مرقده كونها تسعة و عشرين نطقا و ثمانية و عشرين دية، و جمع بذلك بين كلام أهل العربية و الفقهاء.

أقول: أمّا اختلاف المخرجين فلا بدّ من التزامه على فرض القول به فى الواو و الياء اللينتين أيضا كما عن الجزرى، إلّا أنّ هذا القول شديد الشذوذ جدّا، فإنّ مخرج كلّ من الواو و الياء على فرض كونها لينة و غيرها متّحد عند الجمهور، و مثلها الهمزة و الألف، و لا

يخفى أن مجرد الإختلاف في المخرج لا يقضى بالتعدد فإن الحروف اللينة مخارجها مغايرة لأصولها عند الجزرى، ولا أراه ولا غيره يلتزم بزيادة عددها على أعداد الحروف، ومن هنا يظهر ترجيح القول بكونها ثمانية وعشرين على ما هو المشهور المستفاد من المعبرة المتقدمة كما ظهر منه أيضا ضعف الوجوه المتقدمة المحكية عنهم حتى الخبرين المتعارضين بأرجح منهما تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٧

سندا و عددا و دلالة، و اعتضادا، على أنه يمكن الجمع بينهما بما يأتى.  
و أما الجمع بالفصل على أحد الوجهين المقدم فضعيف جدا بعد التأمل فى الأخبار المتقدمة سيما قوله: «فجعل ديته على حروف المعجم كلها»، و غيره مما مر.

## منازل القمر

نعم، ربما يستدل لترجيح ما رجحناه من العدد بمطابقته لمنازل القمر «١».

- (١) اصطلاح هيوى و نجومى و هو مسافة يقطعها القمر فى مدة «٢٨» يوما تقريبا و اسماء المنازل على ما اصطلاحوا هكذا:
- ١- سرطان (بفتح الشين و الراء) أو بضمّ الشين، هو المنزل الأوّل و علامته نجمان زهران على قرنى الحمل بعد أحدهما عن الآخر ذراع واحد.
  - ٢- بطين (بضمّ الباء و فتح الطاء): المنزل الثانى و علامته نجوم ثلاثة.
  - ٣- الثريا (بضمّ الثاء و فتح الراء): المنزل الثالث و علامته ستّة نجوم متقاربة على شكل المسدّس.
  - ٤- الدبران (بفتح الدال و الباء): المنزل الرابع مشتمل على خمسة كواكب فى برج الثور.
  - ٥- الهقعة (بفتح الهاء و سكون القاف) المنزل الخامس و علامته ثلاثة كواكب تيرة فوق منكبى الجوزاء قريب بعضها من بعض كالأثافي ٦- الهنعة (بفتح الهاء و سكون النون) المنزل السادس و علامته خمسة أنجم مصطفة على مؤخر الجوزاء ٧- الذراع (بكسر الذال): المنزل السابع و علامته كوكبان بمنزلة الرأس من التوأمين و كل تلك المنازل السبعة تكون فى فصل الربيع.
  - ٨- النثر (بفتح النون و سكون الثاء): المنزل الثامن و هو فى السرطان و علامته كوكبان بينهما قدر شبر، و فيهما لطح بياض كأنه قطعة سحاب.
  - ٩- الطرف (بفتح الطاء): لا منزل التاسع للقمر فى الصيف.
  - ١٠- الجبهة: المنزل العاشر علامته أربعة كواكب على جنوب الأسد، و على زعم العرب هذه الكواكب الأربعة على جهة الأسد.
  - ١١- الزبرة (بفتح الزاى): المنزل الحادى عشر فى الأسد، علامته كوكبان على مؤخر صورة الأسد بينهما ذراعان.
  - ١٢- الصرفة (بفتح الصاد و سكون الراء): المنزل الثانى عشر، و علامته كوكب تير بمنزلة ذنب الأسد، أو قضييه.
  - ١٣- العراء (بفتح العين): المنزل الثالث عشر كواكبه اثنا و عشرون كوكبا على صورة رجل مدّ يديه.
  - ١٤- السماك (بكسر السين المهملة): المنزل الرابع عشر فى برج السنبله علامته كوكبان تيران يقال لأحدهما: السماك الرامح، و للآخر: السماك الأعزل، و هذه المنازل السبعة تكون فى فصل الصيف.
  - ١٥- الغفر (بفتح الغين و سكون الفاء): المنزل الخامس عشر و علامته ثلاثة أنجم صغار فى برج الميزان على خطّ مقوس.
  - ١٦- الزبانا (بضمّ الزاى): المنزل السادس عشر و علامته كوكبان على كفتى الميزان و العرب تقول: الكوكبان واقعان فى زباني العقرب.



١٧- الإكليل (بكسر الهمزة): المنزل السابع عشر و علامته ثلاثة كواكب على جهة العقرب.

١٨- القلب: المنزل الثامن عشر و علامته كوكب أحمر واقع بين كوكبين على خط مقوس تحت الإكليل و كأنه واقع في محل قلب العقرب.

١٩- الشولة (بفتح الشين): المنزل التاسع عشر و علامته كوكبان بينهما شبر.

٢٠- النعائم: المنزل العشرون، و علامته ثمانية كواكب في المجرة و خارجها على صورة النعامة أربعة منها داخله في مجرة، و أربعة منها خارجه.

٢١- بلدة الثعلب: المنزل الواحد و العشرون و هي فضاء واسعة بين النعائم و بين ذابح، و ليس فيها كوكب و هذه المنازل السبعة في فصل الخريف.

٢٢- سعد الذابح: المنزل الثاني و العشرون و علامته كوكبان من كواكب صورة الجدى: الأول و الثالث كأنهما على قرني الجدى.

٢٣- سعد البلع، أو سعد البالع: المنزل الثالث و العشرون و علامته كوكبان واقعان على يسار صورة ساكب الماء.

٢٤- سعد السعود: المنزل الرابع و العشرون و علامته كوكبان أحدهما في الشمال على المنكب الشمالي لساكب الماء، و الآخر واقع تحت إبطه.

٢٥- سعد الأخبية: المنزل الخامس و العشرون، و علامته أربعة كواكب وقعت على الكف اليمنى من ساكب الماء.

٢٦- الفرغ الأول، أو الفرغ المقدم: المنزل السادس و العشرون و علامته كوكبان نيران من كواكب الفرس الأعظم.

٢٧- الفرغ الثاني أو الفرغ المؤخر: المنزل السابع و العشرون و علامته أيضا كوكبان نيران من كواكب الفرس الأعظم.

٢٨- بطن الحوت: الثامن و العشرون و علامته كوكب تير على رأس المرأة المسلسلة.

و هذه المنازل السبعة منازل القمر في فصل الشتاء.

و من أراد التفصيل فليطلبه في المفصلات في النجوم و الهيئة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٩

و بأن أجزاء السبعة التي هي العدد الكامل ثمانية و عشرون، فإنه الحاصل من جمع الواحد الى السبعة على النظم الطبيعي، و هو مرتبة الكمال للعدد.

و بأن مراتب الأعداد التي يعبر عنها بالحروف تسعة لآحاد، و تسعة للعشرات، و تسعة للمئات، و واحد للألف.

و بأن الأصل في الموجودات كلها الطبائع الأربع التي ظهرت في الأكوار السبعة، و هي الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات و الأرض، و اليوم السابع المذى أكملها فيه، فلما ظهرت تلك الطبائع في هذه المراتب على حسبها في الشدة و الضعف صارت لكل طبيعة سبع طبقات في قوتها و ضعفها، فكان تمام الأمر في ثمانية و عشرين، و الحروف اللفظية على طبقها، و لذا قسمت على أربعة أقسام:

نارية، و هوائية، و مائية، و ترابية، و قسم كل منها سبعة أقسام الى آخر ما ذكره «١».

(١) الحروف النارية: ا ه ط م ف ش ذ.

و الحروف الهوائية: ب و ي ن ص ت ض.

و الحروف المائية: ج ز ك س ق ث ظ.

و الحروف الترابية: د ح ل ع ر خ غ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٠

و بأن الأصل و العلة في إحداث الموجودات و إبرازها ظهور الإسم الأعظم الظاهر في الأركان الأربعة التي حدود بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ\*، كما

قال مولانا موسى بن جعفر عليهما السّلام: إنّ الإسم الأعظم أربعة أحرف: الحرف الأوّل لا إله إلّا الله، و الحرف الثاني محمد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و الحرف الثالث نحن و الرابع شيعتنا.

و لما كانت الأشياء بنيت على الكمال، و حدّ الكمال في الأعداد سبعة فكانت مراتب الأشياء سبعة، و لكلّ من هذه الأربعة يجب أن يكون ظهور في كلّ من هذه السبعة فكان تمام الوجود و كماله بثمانية و عشرين مرتبة، و كل مرتبة حرف من حروف الكلمة التامة الكونية الوجودية التي تعلق بها الكلمة التامة الفعلية، و الحروف اللفظية صفة للحروف الكونية المعنوية، فوجب أن تطابقها و لا تخالفها.

و لا يخفى عليك أنّ هذه الوجوه كلّها استحسنات اعتبارية، و اعتبارات جعلية لا ينبغي الإصغاء إليها، فضلا عن الاعتماد عليها «١». نعم قد يقال: إنّ الألف اللينة هي مادّة الموادّ لجميع الحروف، من حيث إنّ الصوت الممتدّ في الفضاء من غير تقطيع، فبأنواع التقطيع انحائها يتنوّع منه الحروف، فهو الأصل فيها، و كلّ منها إنّما يتحصّل بظهوره في الصور الكثيرة. و لعله هو المراد بقول مولانا الصادق عليه السّلام فيما رواه الثعلبي عنه على ما يأتي

(١) و إلّا فيمكن الاستدلال لمن يقول بأنّها تسع و عشرون بأنّ الألف اللينة غير المتحركة بدليل اختلاف مخرجهما، و ثانياً يحتمل أنّ كون (الم) في أول سورة البقرة دليلاً على أنّ الحروف التي تركّب عنها القرآن تكون تسع و عشرين لأنّ: عدد آلف و اللام و الميم بحساب الأبجد الوضعي يكون تسع و عشرين لأنّ عدد الالف: (١٢) و عدد اللام: (٨) و عدد الميم: (٩).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣١

في البحث السابع من عدّ الصفات الستة للألف

الى أن قال عليه السّلام: و معناه من الألفة، فكما أنّ الله تعالى سبب الفة الخلق فكذلك الألف عليه تألّف الحروف و هو سبب ألفتها «١».

كما أنّه هو المراد أيضا بقول بعضهم: إنّ الحروف الثمانية و العشرين أولاد تولدت من أب واحد و أمّهات شتى، فإذا لوحظت الأولاد فهي ثمانية و عشرون، و إذا لوحظ الأب معها كانت تسعة و عشرين، و لذا ورد الخبر بهما معا، و ذلك كما ربّما يعدّ الأئمة الإثني عشر عليهم السّلام، و قد يعدّ معهم النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، و ابنته الصديقة الطاهرة سلام الله عليها فيقال: إنّهم أربعة عشر. و أمّا اختيار خصوص اللام للتوصّل إلى التلفّظ بالألف التي لا تقبل الحركة فيمتنع الابتداء بها، فقد يعلّل بأنها الأصل في حروف العلة، بل العلة المادية لسائر الحروف فيناسب تركبها مع الحرف الحاصل لقوى تمام القابلية و هي ثلاثون، مع أنّها في هذه الرتبة بعد عدّ تسعة و عشرين.

و بأنّ كلّاً منهما قلب الآخر.

و بأنّهم عوضوه من التوصّل باللام الساكنة التي للتعريف.

و الأولى من الجميع الاستناد فيها الى ما مرّ من خبر أبي ذر، و ما يأتي من الأخبار المتضمنة لمعاني الحروف.

و روى في بعض كتب علم الحروف عن مولانا سيد الشهداء عليه السّلام أنّه قال: علم الحروف في لام ألف، و علم لام ألف في الألف، و علم الألف في النقطة، و علم النقطة في المعرفة الأصلية، و علم المعرفة الأصلية في علم الأزل، و علم الأزل في المشية

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٢

أى المعلوم، و علم المشيئة فى غيب الهويئة، و هو الذى دعى الله إليه نبيه قال تعالى: فَاَعْلَمُ أَنَّهُ «١» ... و الهاء راجع الى غيب الهويئة «٢».

ثم إن هذه الحروف هى المستعملة فى اللغة العربية التى هى الأصل فى اللغات و الألسنة و الكتب الإلهية على ما تأتى الإشارة إليه فى موضعه، و أما غيرها من اللغات فربما يستعملون بعضها، و ربما يزيدون عليها كما قال مولانا الرضا عليه آلاف التحية و الثناء: و العبارات كلها من الله عز و جلّ علمها خلقه و هى ثلاثة و ثلاثون حرفا، فمنها ثمانية و عشرون حرفا تدلّ على اللغات العربية، و من الثمانية و العشرين اثنان و عشرون حرفا تدلّ على اللغات السريانية و العبرانية، و منها خمسة أحرف متحرّفة فى سائر اللغات من العجم لأقاليم اللغات كلها، و هى خمسة أحرف تحرّفت من الثمانية و العشرين الحروف من اللغات فصارت الحروف ثلاثة و ثلاثين حرفا، فأما الخمسة المختلفة فبحجج لا يجوز ذكرها أكثر مما ذكرناه «٣».

أقول: و هذه الخمسة المتحرّفة هى الباء «٤»، و الجيم «٥»، و الزاى «٦»، و التاء الهندية. و الكاف «٧». و هى التى تحرّفت من الثمانية و العشرين فى اللغة العجمية التى يراد بها ما سوى العربية مطلقا.

لكنه قد يقال: إن الذى وجدناه بالتتبع فى الحروف المتحرّفة فى اللغات

(١) سورة محمد (ص): ١٩.

(٢) ينابيع المودة لذوى القربى ج ٣ ص ١٩٨.

(٣) التوحيد ص ٣١٨ و العيون ج ١ ص ١٦٩ و عنهما البحار ج ٥٧ ص ٥٠.

(٤) مثل «بياده» بمعنى الراحل.

(٥) نحو «چه ميگويى» أى ماذا تقول.

(٦) مثل «ژاله» أى الندى، الطلّ، المطر الضعيف.

(٧) مثل «بگو» أى قل.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٣

وجدنا أكثر من ذلك.

و أما قوله عليه السلام: (فبحجج) فقد يقال: إن الموجود فى النسخ فبحجج: جمع الحجّة أى بعلل و أسباب من انحراف لهجات الخلق، و اختلاف منطقتهم.

أو أن الأظهر أنه عليه السلام ذكر تلك الحروف فاشتبه على الرواة و صحّفوها.

وقد يقال: أنه مضارع ثلاثى من الخجّ (بالخاء المعجمة و الجيم) بمعنى الاتواء و الدفع و النسف فى التراب، و يكون حاصل معناه أن هذه الخمسة ينبغى أن تدفع و تنسف فى التراب لاستهجان التلفظ بها فى لغة العرب.

أو أنّها من باب التفعيل بالخاء المعجمة أيضا بمعنى الإخفاء فى النفس أى هذه الخمسة ينبغى أن تخفى فى النفس.

### البحث الثالث: اقسام الحروف

ربما تنقسم الحروف باعتبارات شتى الى اقسام مختلفة:

كانقسامها الى الحروف العليّة و الدنيّة، فالعليّة ما كان قوامها بالألف مع اختتامها مطلقا أو وصلا بالهمزة، و هى أحد عشر حرفا يجمعها: (خطير ثبت حفظه) و الدنيّة ما لم يختتم بالهمزة و هى سبعة عشر حرفا، و منها الزاى لاختتامها بالياء.

و الى القمرية و الشمسية، فالقمرية ما يظهر لام التعريف عندها من دون إدغام، و هي اربعة عشر حرفا يجمعها قولك: (ابغ حجك و خف عقيمه)، و الشمسية بخلافها كما في اللفظتين فهو من تسمية الكل باسم الجزء.

و الى ناطقة معجمة، و صامتة عارية عن النقطة، و الصوامت ثلاثة عشر، و إن قلنا بمغايرة الالف للهمزة فأربعة عشر، و على الوجهين فالنواطق أزيد، و لذا سمي الكل بالمعجم تغليبا، أو الإعجام هو الإبهام و الهمزة للسلب، فبالنقطة تزول عجمته. و تنقسم أيضا الى النورانية و الظلمانية، و الروحية و الجسمية، و الحارة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٤

و الباردة، و الرطبة و اليابسة، و غير ذلك من الأقسام التي ينبغي الرجوع فيها الى أرباب تلك الصناعة.

إنما الكلام في المقام في انقسامها الى النورانية و الظلمانية فالنورانية هي المقطعات في فواتح السور و هي أربعة عشر حرفا بعد حذف المكررات يجمعها قولك: «صراط على حق نمسكه»، أو «على صراط حق نمسكه».

و تنقسم النورانية أيضا الى على و أعلى، فالعلى سبعة يجمعها قولك: طريق سمح» و الأعلى أيضا سبعة يجمعها «صانعك له» فالمجموع «صانعك له طريق سمح».

و تسمية تلك الحروف بالنورانية في مصطلح القوم إنما هو لشرف الاختصاص بالافتتاح، و ان كان ذلك لخواص واقعية، و منح ربانية تختص بها دون غيرها.

نعم قد ذكر بعضهم أنها مختصة بمزايا لا تكاد بجملتها في غيرها، مثل أن مجموع الحروف النورانية الواقعة في الفواتح على تكرار الحروف ثمانية و سبعون حرفا، و هي مع كونها نصف الحروف كأنها قائمة مقام جميعها، لأن عدد هجاء حروف المعجم التسعة و العشرين مجموعها ثمانية و سبعون.

و أنه ليس اسم من أسماء الله تعالى الا و فيه من هذه الحروف النورانية، و ليس شيء من الأسماء خلوا منها إلا اسمه «الودود»، و له سر غريب عند أهله.

و أن الحروف الظلمانية لا ينتظم منها كلام عربي تام و هي: (غ ض ش ج ب ث خ ذ ز د ف ت ظ) بخلاف الحروف النورانية التي يتألف منها أنواع من الكلم التامة حسبما سمعت.

و أنك إذا استقرت الكلم و تراكيبها رأيت هذه الحروف اكثر وقوعا و أشيع دورانا في تراكيب الكلم من الحروف التي لم يجر لها ذكر في الفواتح.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٥

بل قد يؤيد ذلك بأن الألف و اللام لهما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين كما في التسع من البقرة الى الحجر، و في الروم، و العنكبوت، و لقمان، و السجدة.

و أن هذه الحروف الأربعة عشر إذا تأمل فيها المتأمل وجدها مشتملة على أنصاف أصناف الحروف.

إما تحقيقا كما في الحروف المهموسة التي يضعف الاعتماد على مخرجها تجمعها (فحثة شخص سكت) «١» نصفها: (ح ه ص س ك).

و فيها من المجهورة التي هي البواقي نصفها: (ل ن ي ق ط ع ا م ر).

و فيها من الشديدة التي ينحصر فيها جرى الصوت عند مخرجه و هي الثمانية المجموعة في (أجدت قطبك) نصفها: (ا ق ط ك).

و فيها من ضد الشديدة أي الرخوة التي هي بواقي الحروف نصفها: (ح م س ع ن ص ل ي ر ه).

و فيها من المطبقة و هي التي ينطبق فيها اللسان على الحنك الأعلى فينحصر الصوت حينئذ بين اللسان و ما حاذاه من الحنك الأعلى، و هي: (الصاد، و الضاد، و الطاء، و الظاء) نصفها: (ص ط).

و فيها من البواقي التي هي ضدّها المسماة بالمنفتحة نصفها: (ال ح ق ن ي م ع س ك ه).  
و إما تقريبا كما في المستعليّة التي يتصعدّ الصوت بها في الحنك الأعلى و هي سبعة: (ق ص ض ط ظ خ ع) و لا نصف لها تحقيقا،  
و فيها أربعة منها و هي:

(١) و تجمعها أيضا: (ستحتك خصفه) الخصفه اسم امراه و معنى الجملة: ستصّر خصفه في سؤالها عنك.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٦

(ق ص ط ع).

و كما في حروف القلقلة و هي خمسة مجتمعة في (قد طبع) و فيها اثنان منها و هما: (ق ط).

الى غير ذلك من أصناف الحروف على ما حرره القاضي «١» تبعا للزمخشري «٢» و غيره.

و يظهر بالتأمل فيما مرّ و غيره أنّ تخصيص تلك الحروف مع ما هي عليها من الخواصّ و المزايا سيّما إذا وقع من الأمّي الذي لم يعهد له دراسة و لا كتابه و لا خلطة مع أبواب تلك الصناعة مشتمل على ضرب من الإعجاز.

### البحث الرابع: اشتمال الحروف على علوم جمّة

#### إشارة

في اشتمال الحروف على العلوم الجمّة، و المقاصد المهمّة.

اعلم أنّ هذه الحروف المثاليّة الكليّة هيولا قابلة لصور جميع المعاني الكليّة و الجزئية، و هي مفاتيح الإلهيّة للخزائن الغيبية يؤلفها من  
اتتمنه الله على سرّه، و اطلعه على غيبه فيفتح بها الأبواب التي يفتح من كلّ منها ألف باب، كما يستفاد ممّا يمرّ عليك من الأخبار.  
بل

ورد في تفسير قوله: (الم)\* و (عسق). و غيرهما أنّها من حروف اسم الله

(١) هو ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر القاضي البيضاوي الشافعي المفسر المتوفّي (٦٨٥هـ).

(٢) هو ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المولود (٤٦٧) و المتوفّي (٥٣٨) و ما أشار المصنّف اليه المذكور في  
الكشاف للزمخشري ج ١ ص ١٠١-١٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٧

الأعظم المقطع في القرآن الذي يؤلفه النبي صلى الله عليه و آله و سلم أو الامام عليه السلام فإذا دعا به أجيب «١».

و لذا نسبوا علم الحروف و الجفر الى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و الى ذريته الطيبين صلوات الله عليهم أجمعين، كما نظقت به  
الأخبار الكثيرة التي يضيق عن التعرض لها نطاق الكلام في المقام، بل هو المسلّم عند الخاصّ و العامّ، كما وقع التصريح به كثيرا في  
كلمات العامّة «٢».

و قد مرّت عبارة السيّد الشريف في المقدّمه الاولى من هذا التفسير «٣».

و عن الغزالي في «سرّ المصون و الجوهر المكنون» أنّ كتابه هذا مشتمل على لوح المثلث و مستخرج مما جمعه مولانا أمير المؤمنين  
عليه السلام في كتابه المسّمى بجفر جامع الدنيا و الآخرة، و لم يطّلع على كشف خفايا ما فيه من الأسرار النورانيّة و الأنوار الربانيّة الّا

سبطه جعفر الصادق عليه السلام.

و كتب مولانا الرضا عليه السلام في آخر ما كتبه بعد ما أخذ المأمون له ولاية العهد:  
«و الجفر و الجامعة يدلان على ضد ذلك، و ما أدري ما يُفعل بي و لا بكم، إن الحكم إلا لله يقضى بالحق و هو خير الفاصلين، لكني امتثلت أمر أمير المؤمنين، و آثرت

(١) معاني الأخبار باب معنى الحروف المقطعة في القرآن ص ٢٣.

(٢) قال القندوزي الحنفي في «الينابيع» ص ٤١٤ ط اسلامبول: على أول من وضع مربعاً في مائة في الإسلام و قد صنّف الجفر الجامع في أسرار الحروف ... إلخ و نقل عن ابن طلحة الشافعي في الدر المنظم أنه قال: جفر الامام على بن ابي طالب رضی الله عنه و هو ألف و سبعمائة مصدر من مفاتيح العلوم المعروف بالجفر الجامع و قال العلامة الأمر تسرى في أرجح المطالب ص ١٦٣ ط لاهور: علم الجفر و الحساب كان لعلّي عليه السلام.

(٣) ج ١ من الصراط المستقيم ص ٣٥ ط طهران انتشارات الصدر: قال المحقق الشريف في شرح المواقيف: الجفر و الجامعة كتابان لعلّي عليه السلام قد ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث ... الى انقراض العالم.  
تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٨  
رضاه، و الله يعصمني و آياه «١» ...

قال الإربلي «٢» في «كشف الغمة»: رأيت خطه عليه السلام في واسط سنة سبع و سبعين و ستمائة (٦٧٧) «٣».  
قيل: و منه استنباط فتح بيت المقدس في شهور سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة (٥٨٣) من قوله تعالى: الم غلبت الروم ... إلى قوله تعالى: في بضع سنين «٤»، كما ذكره في الباب الثاني من الفتوحات «٥».

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ١٧٩ و عنه البحار ج ٤٩ ص ١٥٣.

(٢) الإربلي: على بن عيسى بن ابي الفتح أبو الحسن بهاء الدين الأديب المؤرخ كان حياً في سنة (٦٨٧) و له مصنفات منها كشف الغمة في معرفة الأنمة.

(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ١٨٠ و عنه البحار ج ٤٩ ص ١٥٤.

(٤) سورة الروم: ١-٤.

(٥) قال ابن عربي في الفتوحات ج ١ ص ٦٠: إن البضع الذي في سورة الروم ثمانية و خذ عدد (الم) بالجمال الصغير فتكون ثمانية. فتجمعها الى ثمانية البضع فتكون ستة عشر، فتزيل الواحد الذي للألف للاثني عشر، فتمسكها عندك ثم ترجع الى العمل في ذلك بالجمال الكبير فتضرب ثمانية البضع في أحد و سبعين و تجعل ذلك كله سنين يخرج لك في الضرب خمسمائة و ثمانية و ستون فتضيف إليها الخمسة عشر التي أمرتك أن ترفعها فتصير ثلاثة و ثمانين و خمسمائة سنة و هو زمان فتح بيت المقدس على قراءة من قرأ غلبت بفتح الغين و اللام و سيغلبون بضم الياء و فتح اللام.

ولا- يخفى على المتأمل ما في كلام صاحب «الفتوحات» حيث أتعب نفسه و تفوه بكلمات واهية ليثبت أن ما أخبر الله سبحانه إشارة الى فتح بيت المقدس في سنة (٥٨٣) و استدلل لما رآه بالحروف و أعدادها الصغيرة و الكبيرة، و جمعها و ضربها و حذف واحد منها بلا دليل، ثم التشبث بقراءة شاذة حتى ينطبق مع التاريخ المذكور الذي فيه فتح الله سبحانه بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي يوسف بن أيوب بن شادي.

و من نظر في كتب التفاسير للفريقيين يعلم أنّ ما استخرجه الرجل مخالف لمقالات كل المفسرين الخاصة و العامة.

نعم أنه تبع في مقالته أبا الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الإشبيلي المعروف بابن بزجان المتصوف المتوفى (٥٣٦) هـ وله كتاب في تفسير القرآن، أكثر كلامه فيه على طريق الصوفية.

قال صاحب الفتوحات في ج ١ ص ٥٩: جملتها: فواتح السور) على تكرارها ثمانية و سبعون حرفا فالثمانية حقيقة البضع، قال عليه السلام: «الإيمان بضع و سبعون» وهذه الحروف (٧٨) حرفا، فلا يكمل عبد أسرار الإيمان حتى يعلم حقايق هذه الحروف في سورها. فإن قلت إن البضع مجهول في اللسان فإنه من واحد الى تسعة، فمن أين قطعت بالثمانية عليه، فإن شئت قلت لك من طريق الكشف وصلت اليه فهو الطريق الذي عليه أسلكك و الركن الذي اليه أستند في علمي كلها، و إن شئت أبديت لك طرفا من باب العدد. و إن كان أبو الحكم عبد السلام بن بزجان لم يذكره في كتابه من هذا الباب الذي نذكره، و إنما ذكره من جهة علم الفلك، و جعله سترًا على كشفه حين قطع بفتح بيت المقدس سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة، فكذلك إن شئنا نحن كشفنا، و إن شئنا جعلنا العدد على ذلك حجابا، فنقول:

إن البضع في سورة الروم ثمانية، و خذ عدد (الم) ... إلى آخر ما نقلناه عنه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٩

و عن ابن عباس: أن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كان يستخرج الفتن و الحوادث من (حم عسق). و عن تفسير الثعلبي، و رسائل القشيري: أنه لما نزلت هذه الآية ظهر على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الحزن و الكآبة فليل له في ذلك؟ فقال: نبئت عن فتن تكون في آخر الزمان من خسف، و قذف، و نار تجمعهم، و ريح تسوقهم، و علامات بعد علامات. و سئل مولانا أبو عبد الله الحسين عليه السلام عن (كهيعص) فقال عليه السلام: (لو أخبرتكم به لمشيتم على الماء). و روى عن الباقر عليه السلام أن كل شيء في (عسق).

و روى الصفار بالإسناد عن أبان بن تغلب، و المفيد في الاختصاص عن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٠

الحلي، و الكليني عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليهم السلام، و اللفظ للأول، قال: كان في ذؤابة سيف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم صحيفة صغيرة، و ان علينا عليه السلام دعا ابنه الحسن عليه السلام فدفعها إليه، و دفع إليه سكينًا و قال له: افتحها فلم يستطع فتحها، ففتحها له، ثم قال له: اقرأ، فقرأ الحسن عليه السلام: الألف، و الباء، و السين، و اللام، و حرفا بعد حرف، ثم طواها، فدفعها الى ابنه الحسين عليه السلام فلم يقدر أن يفتحها، ففتحها له فقال له: اقرأ يا بني فقرأها كما قرأ الحسن عليه السلام ثم طواها فدفعها الى ابنه ابن الحنفية فلم يقدر على ان يفتحها ففتحها له، فقال له: اقرأ فلم يستخرج منها شيئا، فأخذها على عليه السلام و طواها، ثم علقها من ذؤابة السيف.

قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أي شيء كان في تلك الصحيفة؟ قال: هي الأحرف التي يفتح كل حرف ألف حرف.

قال أبو بصير: قال ابو عبد الله عليه السلام: فما خرج منها إلّا حرفان الى الساعة «١».

أقول: و لعلّ عدم قدرة الحسينين عليهما السلام على فتحها لعدم انتقال الوصاية الفعلية إليهما في حياة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و إن كانا ممنوحين حينئذ بالعلم و العصمة، و لذا قدرا على قراءتها.

و أما محمّد بن الحنفية فحيث لم يكن له علم الامامة لم يقدر على قراءة شيء منها، و كأنه للتنبيه على جهله و عدم استحقاقه للامامة كيلا ينازعهما فيها و لا المعصومين من ذرية الحسين عليهم السلام.

و أمّا قصّته مع علي بن الحسين عليهما السلام حتى استشهدا من الحجر الأسود فكأنه إنما وقع لردع الناس كما ورد في بعض الأخبار «٢».

(١) بصائر الدرجات ص ٣٠٧ باب فيه الحروف التي علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا عليه السلام.

(٢) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ج ٣ ص ٦-٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤١

## الحروف المقطعة في القرآن

روى العياشي في تفسيره عن أبي ليلى المخزومي عن مولانا الباقر عليه السلام قال:

قال عليه السلام: «إن في حروف القرآن المقطعة لعلمًا جمًا إن الله تعالى أنزل «الم ذلك الكتاب لا ريب فيه» فقام محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى ظهر نوره، وثبت كلمته، وولد يوم ولد وقد مضى من الألف السابع مائة سنة و ثلاث سنين. ثم قال عليه السلام: وتبينه في كتاب الله تعالى في الحروف المقطعة إذا عددها من غير تكرار، وليس في الحروف المقطعة حرف ينقضى الا وقيام قائم من بنى هاشم عند انقضائه.

ثم قال عليه السلام: الألف واحد، واللام ثلاثون والميم أربعون، والصاد تسعون، فذلك مائة وإحدى وستون. ثم كان بدو خروج الحسين عليه السلام الم الله، فلما بلغت مدته قام قائم ولد العباس عند المص، ويقوم قائمنا عند انقضائها ب الر\* فافهم ذلك وعه و اكتبه «١».

أقول: لا يخفى أن الألف الستة الماضية ليست بالنسبة الى بدو خلق العالم، ولا خلق الأفلاك والكواكب ولا حركتها لأنها أكثر من ذلك بكثير، بل من خلق أبينا آدم على نبينا وآله وعليه السلام أو هبوطه، أو إنزال الصحيفة والشرية عليه، وان كان الأوسط، ويستفاد منه أن السنة الأولى من كل ألف سنة مبدأ تاريخ، فلما كملت ستة آلاف سنة وانقضت من الدورة السابعة مائة و ثلاث سنين تولد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) تفسير العياشي ج ٢ ص ٣ و عنه بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٠٦ ح ١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٢

والإمام عليه السلام بين بأنه يمكن استنباط هذا التاريخ من جميع الحروف المبسوطة في فواتح السور بعد إسقاط الفواتح المكررة، دون الحروف المكررة.

هكذا: ألف لام ميم - ألف لام ميم صاد - ألف لام را - ألف لام ميم را - كاف ها يا عين صاد - طا ها - طا سين ميم - طا سين - يا سين - صاد - حا ميم - حا ميم عين سين قاف - قاف - نون - فجميع هذه الحروف المستنطقه مائة و ثلاث.

قوله عليه السلام: «وليس من حروف مقطعة حرف ينقضى الا وقيام قائم من بنى هاشم عند انقضائه»

المراد بالحرف نوعه الشامل لكل فاتحة من الفواتح وإن كانت مشتملة على حروف فابتداء دولة بنى هاشم من عبد المطلب، ومن ظهور دولة عبد المطلب الى دولة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إحدى وسبعون سنة كما ذكره بعض «١» الأعلام في المقام، وهو المشار اليه «ب الم» البقرة.

وأما الم آل عمران إشارة الى خروج الحسين عليه السلام، إذ من رواج دولة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى وقت خروجه عليه السلام أحد وسبعون سنة تقريبا، فإن بعثته كانت قبل الهجرة نحو من ثلاث عشرة سنة، وكان شيوخ أمره وظهوره بعد سنتين من البعثة.

و كان خروج الحسين عليه السلام في أواخر سنة ستين من الهجرة.



و أما المص فهو إشارة الى دولة بنى العباس، كما أشار اليه الصادق عليه السلام فيما رواه الصدوق في «معاني الأخبار» مسندا عن رحمة بن صدقة قال: أتى رجل من بنى امية، و كان زنديقا الى جعفر بن محمد عليهما السلام فقَالَ لــــال لــــه: قــــول اللــــه في كــــتابه: المص

(١) هو العلامة المجلسي قدس سره في بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٠٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٣

أى شىء أراد بهذا، و أى شىء فيه من الحلال و الحرام، و أى شىء فى ذا ممّا ينتفع به الناس؟ قال فاغتاض لذلك جعفر بن محمد عليهما السلام فقال: أمسك و يحك الألف واحد، و اللام ثلاثون، و الميم أربعون، و الصاد ستون، كم معك؟ فقال الرجل: أحد و ثلاثون و مائة، فقال جعفر بن محمد عليهما السلام: إذا انقضت سنة إحدى و ثلاثين و مائة انقضى ملك أصحابك. قال: فنظرنا فلما انقضت إحدى و ستون و مائة يوم عاشوراء دخل المسودة «١» الكوفة و ذهب ملكهم «٢».

أقول: و لعله مبنى على حساب المغاربة كما قيل «٣»، فإن ترتيب أجد عندهم:

أبجد- هوز- حطى- كلمن- صعفض- قرست- تحذ- طعش-

فالصاد المهملة عندهم ستون، و حينئذ يستقيم إذا بنى على البعثة، أو نزول الآية كما قيل «٤».

و أما لو بنى على ما هو المعروف من ترتيب أبى جاد فلا يستقيم، لأن عدد الحروف حينئذ أحد و ستون و مائة، و الموجود فى اكثر نسخ الكتاب أحد و ثلاثون و مائة، مع أنه لا يتم حينئذ على تاريخ الهجرة، و لا على تاريخ عام الفيل، و لا على مدة ملكهم لكونه ألف شهر.

و أما فى ذيل

خير أبى لييد: «و يقوم قائمنا عند انقضائها «ب الر»» فقد تكلم فيه

(١) المسودة (بكسر الواو): لابسوا السواد و المراد أصحاب الدعوة العباسية لأنهم يلبسون ثيابا سوداء.

(٢) رواه: البحار ج ١٩ ص ٩٢ ط الكمباني عن العياشى فى تفسيره ج ٢ ص ١.

(٣) احتمله المجلسي فى البحار ج ٥٣ ص ١٠٨ و ج ١٩ ص ٩٢ ط الكمباني.

(٤) المصدر السابق.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٤

بعض «١» الأعلام، و ذكر احتمالات كثيرة فى المقام مع انقضاء بعضها الى هذا العام، و عدم ظهور الحجّة عليه الصلاة و السلام لكن الأولى السكوت عمّا سكت الله تعالى و أوليائه عنه، و ترك الفحص عمّا حجّبنا عنه حملة العلم و خزّان الوحي، كيلا يكذبنا الصادق عليه السلام

بقوله: كذب الوقّاتون.

فالأولى ترك البحث عنه و عمّا

وجد بخط الامام أبى محمد العسكري عليهما السلام على ما رواه فى البحار، من كتاب «المحتضر» للحسن بن سليمان تلميذ الشهيد

الثانى، و فيه: «قد سعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة و الولاية». الى أن قال:

و سيسفر، و فى بعض النسخ: و سيفجر لهم، أى لشيعتهم، ينايع الحيوان بعد لظى النيران لتمام الروطه و طواسين من السنين «٢».

لأن العلم بمعرفته و استنباطه مختصّ بهم و بمن منحوه علمه من شيعتهم.

مضافا الى احتمال تطرق البداء فيما أريد به من الاحتمالات.

بل

في كتاب الغيبة للشيخ النعماني في الصحيح عن ابي حمزة الثمالي قال:

قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن عليا عليه السلام كان يقول: الى السبعين بلاء، و كان يقول: بعد البلاء رخاء، و قد مضت السبعون و لم نر رخاء.

فقال أبو جعفر عليه السلام: يا ثابت إن الله تعالى كان وقت هذا الأمر في السبعين، فلما قتل الحسين عليه السلام اشتد غضب الله تعالى على اهل الأرض فأخره الى أربعين و مائة سنة فحدثناكم فأذعتم الحديث، و كشفتم قناع الستر فأخره الله و لم يجعل له بعد ذلك وقتا عنـدنا، و يَمْخُجُ \_\_\_\_\_ وَاَللّٰهُ مِمَّا يَشِـئُءُ وَ يَشِـئُءُ وَ عِنـْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ «٣»

(١) هو العلامة المجلسي قدس سره في البحار ج ٥٢ ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٢٦٥.

(٣) الرعد: ٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٥

قال ابو حمزه: و قلت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام، فقال: قد كان ذاك «١».

و لكن نحن نردّ علم هذا الخبر أيضا إليهم عليهم السلام.

و بالجملة فلا يصلح التعويل على شيء من احتمالات الخبرين رجما بالغيب من دون بينة واضحة على ذلك، و لذا أبطل أمير المؤمنين عليه السلام مقالة اليهود في استنباطهم لمدّة الدولة النبويّة الخاتميّة من هذه الحروف المقطّعة، كما رواه الإمام عليه السلام في تفسيره. و رواه الصدوق في «المعاني»، قال عليه السلام: ثمّ اليهود يحرفونه عن جهته، و يتأولونه على غير وجهه، و يتعاطون التوصل الى علم ما قد طواه الله عنهم من حال أجل هذه الاية و كم مدّة ملكهم فجاء الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم منهم جماعة، فولّى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم عليا عليه السلام لمخاطبتهم، فقال قائلهم: إن كان ما يقول محمد صلى الله عليه و آله و سلّم حقا فقد علمناكم قدر ملك امّته، هو احدى و سبعون سنة: الألف واحد، و اللام ثلاثون، و الميم أربعون.

فقال على عليه السلام: فما تصنعون بالمص و قد أنزلت عليه؟ قالوا: هذه إحدى و ستون و مائة سنة قال عليه السلام: فماذا تصنعون «ب الر\*»؟ و قد أنزلت عليه، فقالوا: هذه أكثر، هذه مائتان و احدى و ثلاثون سنة، فقال على عليه السلام: فما تصنعون «ب المر»؟ قالوا: هذه مائتان و إحدى و سبعون سنة.

فقال على عليه السلام: فواحدة من هذه له، أو جميعها له؟

فاختلط كلامهم، فبعضهم قال: له واحدة منها، و بعضهم قال: بل يجمع له كلّها و ذلك سبعمائة و أربع و ثلاثون سنة، ثم يرجع الملك إلينا، يعنى الى اليهود.

فقال على عليه السلام: أ كتاب من كتب الله نطق بهذا، أم آراؤكم دلّتكم عليه؟ فقال

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٠٥ ح ١١ عن كتاب الغيبة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٦

بعضهم كتاب الله نطق به، و قال آخرون منهم: بل آراؤنا دلّت عليه.

فقال عليه السلام فأتوا بالكتاب من عند الله ينطق بما تقولون، فعجزوا عن إيراد ذلك، و قال للآخرين: فدلوّنا على صواب هذا الرأى،

فقالوا: صواب رأينا دليله أن هذا حساب الجمل.

فقال عليه السّلام: كيف دلّ على ما تقولون و ليس في هذه الحروف ما اقترحتم بلا بيان (و في نسخة: و ليس في هذه الحروف دلالة على ما اقترحتموه)، أرايتم إن قيل لكم: إن هذه الحروف ليست دالّة على هذه المدّة لملك امّة محمّد صلّى الله عليه وآله و سلّم، و لكنها دالّة على أنّ كلّ واحد منكم قد لعن بعدد هذا الحساب، أو أنّ عند كلّ واحد منكم دينا مثل عدد هذا الحساب؟ قالوا: يا أبا الحسن ليس شيء مما ذكرته منصوصا عليه في الم\*، و المص، و الر\* و المر.

فقال عليّ عليه السّلام: و لا شيء مما ذكرتموه منصوص عليه في الم\*، و المص، و الر\*، و المر، فإن بطل قولنا لما قلتم بطل قولكم لما قلنا «١» ...

الى آخر ما يأتي ان شاء الله من تتمّة الخبر في تفسير قوله تعالى: لا ريب فيّه.

(١) بحار الأنوار ج ١٠ ص ١٦-١٧ عن معاني الاخبار ص ١٢-١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٧

### البحث الخامس دلالة الحروف قبل التركيب

ربما يتوهم أنّ الحروف المفردة قبل التركيب و الترتيب ليس لها وضع و دلالة على معان أصلا، و أنّ فائدتها منحصره في تركيب الكلمات منها و طرو الوضع عليها.

و قد يؤيد ذلك بما

روى في «العيون» و «الاحتجاج» و غيرهما عن مولانا الرضا عليه السّلام في خبر عمران الصابى.

قال الإمام عليه السّلام: و الإبداع سابق للحروف، و الحروف لا تدلّ على غير أنفسها.

قال المؤمنون: و كيف لا تدلّ على غير أنفسها قال الرضا عليه السّلام: لأنّ الله تبارك و تعالى لا يجمع منها شيئا لغير معنى أبدا، فإذا ألّف منها أحرفا أربعة أو خمسة أو ستة، أو أكثر من ذلك أو أقلّ لم يؤلّفها لغير معنى، و لم يك إلّا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيئا.

قال عمران: فكيف لنا بمعرفة ذلك؟ قال الرضا عليه السّلام: أمّا المعرفة فوجه ذلك و بيانه أنّك تذكر الحروف إذا لم ترد بها غير أنفسها ذكرتها فردا فقلت: أ ب ت ث ج ح خ ... حتى تأتي على آخرها، فلم تجد لها معنى غير أنفسها، فإذا ألّفتها و جمعت منها أحرفا و جعلتها اسما و صفة لمعنى ما طلبت و وجه ما عنيت كانت دليلا على معانيها داعية الى الموصوف بها ... الخبر «١».

نظرا الى أنّ الدلالة على أنفسها الثابتة قبل التركيب بالفحوى هي تعيين مسميّاتها من النقوش و الألفاظ كما يستفاد ذلك من ملاحظة ذيل الخبر، و لكنّ

(١) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٣١٤-٣١٥ ح ١ عن التوحيد و العيون

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٨

الأظهر أنّه لا دلالة في الخبر على ذلك أصلا بل الظاهر منه أنّ سبيل الألفاظ الموضوعه لتلك الحروف أو الحروف أنفسها سبيل الأعلام الشخصية التي لا يستفاد منها عند إطلاقها غير أنفسها من دون أن نجعلها موضوعات لشيء من القضايا، أو نحكم عليها بشيء من الأحكام كما إذا قلت: محمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السّلام، فإنّ هذه الأسماء الشريفة عند إطلاقها، و عدّها لا

تدل على غير أنفسها وإن كانت معانيها من أعلى مراتب الوجود مشتملة على شئون لا تحصى و مناقب لا تستقصى.

هذا مضافا إلى الأخبار الكثيرة الدالة على أنها من الأسماء الإلهية و النعوت الربانية، بل قد ورد الحثّ الأكيد الشديد على معرفة مسمياتها و معانيها.

ففى المعانى، و الخصال، و الأمالى، و التوحيد بالإسناد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: سأل عثمان بن عفان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال يا رسول الله ما تفسير أبجد؟

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: تعلموا تفسير أبجد فإن فيه الأعاجيب كلها ويل لعالم جهل تفسيره، فقيل: يا رسول الله ما تفسير أبجد؟ فقال صلى الله عليه و آله و سلم: أما الألف فالألف الله، حرف من أسمائه، و أما الباء فبهجة الله، و أما الجيم فجنة الله و جلال الله و جماله، و أما الدال فدين الله.

و أميا هوز فالهاء الهاوية فويل لمن هوى فى النار، و أميا الواو فويل لأهل النار، و أما الزاي فزاوية فى النار نعوذ بالله مما فى الزاوية يعنى زوايا جهنم.

و أميا حطى فالحاء حطوط الخطايا عن المستغفرين فى ليلة القدر و ما نزل به جبرئيل مع الملائكة الى مطلع الفجر، و أما الطاء ف طوبى لهم و حسن مآب، و هى شجرة غرسها الله عز و جل بيده و نفخ فيها من روحه، و إن أغصانها لترى من وراء سور الجنة تنبت بالحلى و الحلل و الثمار متدلية على أفواههم.

و أما الياء فيد الله فوق خلقه سبحانه و تعالى عما يُشركون\*.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٩

و أما كلمن فالكاف كلام الله لا تبديل لكلمات الله و لن تجد من دونه ملتحداً، و أما اللام فالمام أهل الجنة بينهم فى الزيارة و التحيّة و السلام و تلاوم أهل النار فيما بينهم، و أما الميم فملك الله الذى لا يزول و دوام الله الذى لا يفنى ... و أما النون ف ن و القلم و ما يسطرون، فالقلم قلم من نور و كتاب من نور فى لوح محفوظ ... يشهده المقرّبون ...، و كفى بالله شهيداً\*.

و أما سعفص فالصاع بصاع، و فصّ بفصّ، يعنى الجزاء بالجزاء، و كما تدين تدان، إن الله لا يريد ظلما بالعباد.

و أما قرشت يعنى قرشهم فحشرهم و نشرهم إلى يوم القيامة ف قضى بينهم بالحقّ و هم لا يظلمون «١».

و فيها و فى العيون عن مولانا الرضا عليه السلام قال: إن أول ما خلق الله عزّ و جلّ ليعرف به خلقه الكتابة حروف المعجم ... إلى أن

قال: و لقد حدثنى أبى - عن أبيه - عن جدّه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين فى (ا ب ت ث) قال: الألف آلاء الله، و

الباء بهجة الله، و التاء تمام الأمر بقائم آل محمّد، و التاء ثواب المؤمنين على أعمالهم الصالحة، (ج ح خ) فالجيم جمال الله و جلال

الله، و الحاء حلم الله، و الخاء خمول ذكر أهل المعاصى عند الله عزّ و جلّ، (د ذ)، فالدال دين الله، و الذال من ذى الجلال، (ر، ز)،

فالراء من الرءوف الرحيم، و الزاي زلازل القيامة، (س ش) فالسين سناء الله و الشين شاء الله ما شاء، و أراد ما أراد، و ما تشاؤون إلا أن

يشاء الله\*، (ص ض) فالصا صا من صادق الوعد فى حمل الناس على الصراط، و حبس الظالمين عند المرصاد، و الضاد ضلّ من خالف

محمدا و آل محمّد، (ط ظ) فالطاء طوبى المؤمنين و حسن مآب\*، و الظاء ظنّ المؤمنين بالله خيرا، و ظنّ الكافرين به سوءا (ع غ)،

فالعين من

(١) الخصال ج ١ باب الستة ح ٣٠

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٠

العالم، و الغين من الغى، (ف ق) فالفاء فوج من أفواج النار، و القاف قرآن على الله جمعه و قرآنه (ك ل) فالكاف من الكافى، و

اللام لعن «١» الكافرين فى افتراءهم على الله الكذب (م ن) فالميم ملك الله يوم لا مالك غيره و يقول عزّ و جلّ: لمن المُلْكُ اليوم،

ثم ينطق أرواح أنبيائه ورسله وحججه فيقولون: **لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**، فيقول **جَلَّ جلاله**:

**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** (٢) والنون نوال الله للمؤمنين، ونكاله بالكافرين (وه) فالواو ويل لمن عصى الله، والهاء هان على الله من عصاه (لاى) فلام ألف لا إله إلا الله، وهى كلمة الإخلاص، ما من عبد قالها مخلصاً إلا وجبت له الجنة، والياء يد الله فوق خلقه باسطة بالرزق سبحانه وتعالى **عَمَّا يُشْرِكُونَ**.\*

ثم قال عليه السلام **إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ الَّتِي يَتَدَاوَلُهَا جَمِيعُ الْعَرَبِ**، ثم قال: **قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** (٣) «٤».

وفى التوحيد والأمالى، والمعانى بالإسناد عن أبى جعفر محمد بن على الباقر عليهما السلام قال: **لَمَّا وَلَدَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ ابْنُ شَهْرَيْنَ، فَلَمَّا كَانَ ابْنُ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ أَخَذَتْ وَالِدَتُهُ بِيَدِهِ وَجَاءَتْ بِهِ إِلَى الْكِتَابِ وَأَقْعَدَتْهُ بَيْنَ يَدَيْ الْمُؤَدَّبِ، فَقَالَ لَهُ الْمُؤَدَّبُ: قُلْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ لَهُ الْمُؤَدَّبُ:**

(١) فى الأصل: لغو الكافرين

(٢) غافر: ١٧.

(٣) الإسراء: ٨٨.

(٤) بحار الأنوار ج ٣ كتاب العلم ص ٣١٥-٣١٩ ح ٣ عن المعانى والعيون، والأمالى، والتوحيد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥١

قل: أبجد فرغ عيسى على نبينا وآله وعليه السلام رأسه، فقال: هل تدرى ما أبجد؟

فعلاه بالذرة ليضربه، فقال: يا مؤدب لا تضربنى إن كنت تدرى، وإلا فاستلنى حتى أفسر ذلك، فقال: فسّر لى، فقال عيسى على نبينا وآله وعليه السلام: **أَمَّا الْأَلْفُ فَآلَاءُ اللَّهِ، وَالْبَاءُ بِهَجَةِ اللَّهِ، وَالجِيمُ جَمَالُ اللَّهِ، وَالدَّالُ دِينُ اللَّهِ، (هَوَز):** الهاء هى هول جهنم، والواو: ويل لأهل النار، والزاي: زفير جهنم، (حطى): **حَطَّتِ الْخَطَايَا عَنِ الْمُسْتَغْفِرِينَ، (كلمن) كَلَامُ اللَّهِ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ، (سعفص):** صاع بصاع، والجزاء بالجزاء، (قرشت): **قَرَشَهُمْ** (١) فحشرهم.

فقال المؤدب: **أَيَّتَهَا الْمَرْأَةُ خَذَى بِيَدِ ابْنِكَ فَقَدْ عَلِمَ، وَ لَا حَاجَةَ لَهُ فِي الْمُؤَدَّبِ** (٢).

وفى التوحيد والمعانى، عن الكاظم عليه السلام، عن جدّه الحسين بن على عليهما السلام، قال: **جَاءَ يَهُودَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: مَا الْفَائِدَةُ فِي حُرُوفِ الْهَجَاءِ؟** فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **لَعَلِّى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَجَبَهُ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ وَفَّقَهُ وَسَدَّدَهُ** فقال على بن أبى طالب عليه السلام: **مَا مِنْ حَرْفٍ إِلَّا وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا الْأَلْفُ فَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ\***، و **أَمَّا الْبَاءُ فَبِاقٍ بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ، وَأَمَّا التَّاءُ فَالتَّوَابُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَمَّا الثَّاءُ فَالثَّابِتُ الْكَائِنُ، يُبَيِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، وَأَمَّا الْجِيمُ فَجَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَأَمَّا الْحَاءُ فَحَقَّ حَيِّ حَلِيمٍ، وَأَمَّا الْخَاءُ فَخَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُ الْعِبَادُ، وَأَمَّا الدَّالُ فَدَيَانُ الدِّينِ، وَأَمَّا الذَّالُ فَذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَأَمَّا الرَّاءُ فَرُؤْفٌ بِعِبَادِهِ، وَأَمَّا الزَّايُ فَزَيْنُ الْمَعْبُودِينَ (و فى نسخة:**

(١) قرشه يقرشه: قطعته وجمعه من هاهنا وهاهنا وضم الى بعض.

(٢) بحار الأنوار ج ٢ كتاب العلم ص ٣١٦-٣١٧ ح ١ عن المعانى والأمالى والتوحيد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٢

فزين العابدين) و أما السين فالسميع البصير، و أما الشين فالشاعر لعباده المؤمنين، و أما الصاد فصادق في وعده و وعيده، و أما الضاد فالضار النافع، و أما الطاء فالظاهر المطهر، و أما الظاء فالظاهر المظهر لآياته، و أما العين فعالم بعباده، و أما الغين فغياث المستغيثين، و أميا الفاء ف فائق الحبّ و النوى و أما القاف فقادر على جميع خلقه و أما الكاف فالكافي المذى لم يكن له كفواً أحد و لم يلد و لم يولد، و أميا اللام ف لطيف بعباده، أما الميم فمالك الملك، و أما النون ف نور السماوات و الأرض من نور عرشه، و أما الواو فواحد صمد لم يلد و لم يولد، أما الهاء فهاد لخلقها، أما اللام ألف فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أما الياء فيد الله بأسطه على خلقه، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

هذا هو القول الذي رضى الله عزّ و جلّ لنفسه من جميع خلقه، فأسلم اليهودى «١».

و روى عنهم عليهم السلام فى أدعية التعقيب: «اللهم بألف الابتداء، و بياء البهاء، بقاء التأليف، بقاء الشفاء، بجم الجلال، بقاء الحمد، بقاء الخفاء، بدال الدوام، بذال الذكر، براء الربوبية، بزاي الزيادة، بسين السّلام، بشين الشكر، بصاد الصبر، بضاد الضوء، بطاء الطهر، بطاء الظلام، بعين العلم، بغين الغفران، بفاء الفردانية، بقاف القدرة، بكاف الكلمة التامة، بلام اللوح، بميم الملك، بنون النور، بواو الوحداية، بهاء الهيبة، بلام ألف لا إله إلا أنت، بياء يا ذا الجلال و الإكرام و الدعاء.

و هذه الأخبار يستفاد منها و من غيرها مما ورد فى تفسير البسملة و فواتح السور و غيرها أن كل حرف من الحروف اسم من أسماء الالهية المفتحة بتلك الحروف، و لذا وقع الاختلاف فى التعبير من تلك الأسماء.

و به قد يفسر النفس فى قوله: «لا تدلّ على غير نفسها» بناء على أنها هى النفس التي من عرفها فقد عرف الله، و هو الحقيقة المشار إليها فى

حديث كميل

(١) البحار ج ٢ ص ٣١٨ ح ٢، عن المعانى و الأمالى و التوحيد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٣

بكشف سبحات الجلال من غير إشارة، و بمحو الموهوم و صحو المعلوم «١»، و هو تجليّه سبحانه بها لها.

بل قيل: إنّ المستفاد من تضاعيف أخبار الباب هو أنّ كل اسم و صفة إلهية، و كلّ حادثه رباتية مبدوئة بهذه الأحرف، أو مناسبة لها بأتم المناسبة فهى دالة عليها و اسم لها، و إن كان من غير أسماء الله تعالى، أو منها و من غيرها كما ورد فى تفسير (كهيعص) و (حم عسق)، و غيرهما.

و قد أشرنا فيما أسلفنا، فى تفسير الفاتحة أنّ لكل اسم و جها و قلبا و ربما يعبر بكلّ منهما، فوجه الكلمة حرفها الأول، و قلبها حرفها الأوسط، و الحروف التي هى وجوه الكلمات و قلوبها دلالات و إشارات الى الحقائق الكلية، و المعارف الإلهية، و مصالح العباد، و جزئيات المبدء و المعاد، يعرفها من يعرفها، و يستنكرها من يجهلها و لذا

قال مولانا الباقر عليه السلام فى جواب أهل فلسطين حيث سأله و فدهم عن تفسير الصمد فأجاب عليه السلام بتفسير حروفه الخمسة التي هى وجوه الكلمات إلى أن قال: لو وجدت لعلمى الذى آتاني الله عزّ و جلّ حملة لنشرت التوحيد و الإسلام و الإيمان، و الدين و الشرائع من الصمد، و كيف لى بذلك، و لم يجد جدى أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء و يقول على المنبر: سلونى قبل أن تفقدونى «٢».

قال بعض المحققين: إنّ قوله هذا ليس خاصا بالصمد، بل كلّ كلمات الله عزّ و جلّ على هذا النحو،

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٦٠٣ و فيه: قال المجلسي: هذه الاصطلاحات لم تكد توجد فى الأخبار المعتبرة.

(٢) بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٢٥ عن التوحيد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٤

و كما أنّ للوليّ المطلق أن يستخرج من كلمة الصمد كلّما يحتاج إليه الخلق، فكذلك سائر كلمات الله تعالى للوليّ المطلق أن يستخرج من كلّ كلمة منها كلّما يحتاج إليه الخلق، نعم لاستنباطها طرق خاصّة مختصّة بهم لا يشاركونهم في علمها غيرهم، ولذا قال سبحانه: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» (١).

## البحث السادس دلالة الحروف والألفاظ على مدلولاتها هل هو بالوضع أو ذاتي

### إشارة

قد ظهر ممّا مرّ أنّ للحروف التي هي أسماء لمسمياتها قبل التركيب دلالات على مداليل جزئية و كلية، نوعيّة أو جنسيّة ناشئة من وضع الواضع الذي هو الله تعالى، كما ذهب اليه جماعة من المحققين مستندا إلى ظاهر قوله تعالى: «وَ اٰخْتِلاَفُ اَلْسِنَتِكُمْ» (٢) و «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ و عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» (٣).  
سيّما مع ملاحظة ما ورد في تفسيرها من الأخبار حسبما تأتي الإشارة إليه إن شاء الله تعالى.  
أو البشر كما هو القول الآخر.

(١) سورة النساء: ٨٣.

(٢) سورة الروم: ٢٢.

(٣) البقرة: ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٥

أو من مناسبة ذاتيّة بين الألفاظ والمعاني، كما من أهل التكسير، و بعض الاصوليين، و اختاره الشيخ الأحسائي و السيد الرشتي فالدلالة عندهم طبيعيّة غير ناشئة من الوضع، و ستسمع إنشاء الله تعالى تفصيل ذلك الكلام في تفسير قوله تعالى و «عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» (١).

فإذا صدر الكلام من الحكيم العالم بأوضاع الحروف البسيطة و المركبة و دلالتها من حيث الأفراد و التركيب و الترتيب و حقائقها و ذاتياتها و عوارضها و غير ذلك مما يتبعها، فلا ريب أنّ مقتضى الكمال الكلامي هو إرادة جميع تلك الوجوه و مراعاة ما يلحظ في الدال و اعتبار المداليل، سيّما و أن يكون المتكلّم هو الله سبحانه المتعالى عن وصمة النقصان.

و المخاطب أوّل من قرع باب الوجود من سرادق الإمكان.

و الكلام هو القرآن الذي لكل شيء فيه تبيان.

و المعلم هو الرّحمن الذي علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان.

و التعليم في سرادق القدس و حضرة الأنس، فوق صاقورة (٢) الجنان، فوق احساس الكرويين، فوق غمائم النور، و فوق تابوت الشهادة، فوق عمود النار، بلا زمان و لا مكان.

هذا مضافا الى ما مرّ من اشتمال القرآن على الظهور و البطون و الوجوه التي لها الإحاطة التدويّية بجميع أحوال الأكوان و الكينونات و الحوادث و التشريعات، و لذا كان للإمام عليه السلام أن يستنبط جميع ذلك من الحروف الخمسة في الصمد بل و من

(١) البقرة: ٣١.

(٢) اشارة الى الحديث المروى عن الإمام العسكري عليه السلام رواه فى البحار ج ٢٦ ص ٢٦٥ عن كتاب المحتضر. تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٦  
كل آية من آيات القرآن، وكل كلمة من كلماته، سيما هذه الحروف المقطعة التي افتتحت بها طائفة من السور.

### تفسير الحروف المقطعة فى القرآن

ففى معانى الأخبار عن مولانا الصادق عليه السلام قال: الم\* هو حرف من حروف اسم الله الأعظم المقطع فى القرآن الذى يؤلفه النبى أو الإمام فإذا دعا به أجب «١». وورد مثله فى تفسير (حم عسق) وفى «المجمع» وغيره عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لكل كتاب صفوة، و صفوة هذا الكتاب حروف التهجى» «٢» وفى (كهيعص): إنه من أنباء الغيب. وفى (عسق): إنه عدد سنى القائم. الى غير ذلك مما مرّ، ومما تأتى الإشارة إليه. والحاصل أنه لا علم لنا إلا ما تعلمناه من أنوار آثار ائمتنا عليهم السلام الذين هم عيبة علم الله، ومهابط وحيه، وحملة كتابه.

(١) معانى الأخبار باب معنى الحروف المقطعة ص ٢٣.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٣٢- تفسير الفخر الرازى ج ١ ص ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٧

### الوجه الستة المستفادة من الأحاديث

#### إشارة

وقد استفيد مما وصل إلينا من أخبارهم فى هذه الحروف وجوه نشير إلى جملة منها: منها: أنها ظروف الحقائق ومباني المعانى، وهى مفاتيح الغيوب، ورموز بين المحبّ والمحبوب و يفتح من كل حرف منها ألف باب، وإن اختص بعلمه من خوطب به وَمَنْ عِنْدَهُ «عِلْمُ الْكِتَابِ». وقد مرّ فى ذلك مضافا الى ما فى المقام خبر ما فى ذوابه سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخبر أبى لبيد، وغير ذلك مما مرّ.

بل

فى بعض حواشى الكشاف مرويا عن الإمام الناطق جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أنه قال: الم\* رمز وإشارة بينه تعالى وبين حبيبه عليه السلام أراد أن لا يطلع عليه سواه أخرجه بحروف وبعده عن درك الأخبار.

ومنها: أنها من حروف اسم الله الأعظم الذى يؤلفه العالم من آل محمد عليهم السلام فيستجاب له إذا دعى به.

ولذا



ورد في الأدعية عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على ما روته العامة و الخاصة: يا كهيعص، يا حم عسق.

و

ورد فيما يدعى عقيب السادسة من ركعات صلاة الليل: اللهم إني أسئلك يا قدوس يا قدوس يا قدوس يا كهيعص ... الدعاء «١».

و في مشارق الأمان: روى في معنى قوله تعالى: الم\* أنها اسم الله الأعظم

(١) بحار الأنوار ج ٨٧ ص ٢٥١ ح ٥٩ عن مصباح المتعجد ص ١٠١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٨

ظاهرا و باطنا «١».

إلى غير ذلك مما يدل على أنها من الإسم الأعظم و الحجر المكرم.

بل

عن ابن الجوزي من العامة: أن عليا رضي الله عنه و كرم وجهه قال: إن هذه الحروف أسماء مقطعة لو علم الناس تأليفها علموا اسم الله الذي إذا دعي به أجاب.

و منها: أن كلا- منها إشارة إلى اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته المفتحة بذلك الحروف، أو مطلقا بناء على الاكتفاء ببعض الكلمة عن تمامها كما مرّت الإشارة إليه في الأخبار المتقدمة لتفسير حروف التهجي، و يأتي في تفسير خصوص الفواتح ما يدلّ عليه.

و قد يجعل من ذلك أيضا

قول النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم: «كفى بالسيف شا» أى شاهدا

، فحذف العين و اللام، و أبقى الفاء، و قد مرّ في تفسير البسملة ما يؤيد ذلك.

و لذا قيل: إن معنى قوله: الم\* أنا الله أعلم، و المر: أنا الله أعلم و أرى، و المص: أنا الله أعلم و أفضل.

و قد ورد في الخبر أن معنى كهيعص: أنا الكافي الهادي العليم الصادق.

و في الم في آل عمران: أنا الله المجيد، كما في المعاني عن الصادق عليه السلام.

و في المجمع عن أبي إسحاق الثعلبي في تفسيره مسندا الى علي بن موسى الرضا عليهما السلام قال: سئل جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام عن قوله تعالى: الم\* فقال عليه السلام:

في الألف ست صفات من صفات الله تعالى:

(١) في البحار ج ٩٣ ص ٢٢٤ عن مهج الدعوات عن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم قال: اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث: في البقرة، و آل عمران، و طه، قال أبو أمامة راوى الحديث: في البقرة، آية الكرسي و في آل عمران: الم، الله لا إله إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ، و في طه: وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٩

الابتداء فإن الله ابتداء جميع الخلق، و الألف ابتداء الحروف.

و الإستواء عادل غير جائر، و الألف مستوفى ذاته.

و الانفراد، و الله فرد، و الألف فرد.

و اتصال الخلق بالله، فالله لا يتصل بالخلق، و كلهم محتاجون الى الله و الله غنى عنهم، فكذلك الألف لا يتصل بالحروف و الحروف

متّصلة به.

و هو منقطع عن غيره، و الله تعالى باين بجميع صفاته عن خلقه.

و معناه من الألفه: فكما أنّ الله تعالى سبب ألفه الخلق، فكذلك الألف عليه تألفت الحروف و هو سبب ألفتها «١».

و لا يخفى أنّ

قوله عليه السلام: «و هو منقطع عن غيره»

ليبان عدم احتياج الألف إلى غيره.

و

قوله عليه السلام: «و الله سبحانه باين بجميع صفاته عن خلقه»

تأكيد لعدم اتصاله بالخلق لكونه قد بعد عن المقام، أو جملة استينافية لرفع توهم أنّ اتّصاف الألف بتلك الصفات لعلّه من جهة الاشتراك في المعنى و الموافقة فيه، فرفع بها ذلك التوهم، و بين أنّه باعتبار الظنّية و المظهرية لأنّه سبحانه لا يشركه شيء في شيء و لا يشبهه شيء.

و يحتمل أنّ يكون الانفصال و عدم الاحتياج عبارة عن وجه واحد و هو رابع الوجوه الستة، و

قوله: «و هو منقطع»

يعنى الألف الى

قوله: «من خلقه»

هو الوجه الخامس، لكن غير الأسلوب هنا حديث قدّم حكم الألف بخلاف المتقدّم، و لا بأس.

ثم لا يخفى أيضا أنه عليه السلام ذكر خمسة أوجه فيها لمسمى الألف و هو ما يعدّ

(١) نور الثقلين ج ١ ص ٣٠-٣١ ح ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٦٠

من حروف التهجي، و ذكر الوجه السادس لمعنى الاسم حيث قال: معناه من الألفه.

سبب ألفه الخلق فكذلك الألف عليه تألفت الحروف و هو سبب ألفتها «١».

و ذكر بعض المحققين أنّ من مداليل كلّ حرف من الحروف جميع الأسماء المفتحة بذلك من أسماء الله الحسنى، و لعلّ في اختلاف الأخبار المفسرة للحروف بالأسماء إشارة الى ذلك كما تبّهنا عليه، و بنى عليه آخرون التوسّل بتلك الأسماء التي لها الإحاطة و التصرف في الكائنات لنيل المطالب، و استجلاب المآرب، بأن يؤخذ لكلّ حرف من حروف اسم الطالب أو المقصد اسما من الأسماء الحسنى، أوّل ذلك الحرف فيذكرها بعدد أعدادها، أو بعدد حروف هجائها.

أو بعدد حروف أعدادها، أو غير ذلك من الوجوه المذكورة في موضعها.

و منها: أنّ فيها تواريخ حوادث العالم، أو خصوص ما يتعلّق بدولة بنى هاشم المحقّقين منهم، و المبطلين، و ما يتعلّق بقيام القائم عجل الله فوجه حسبما سمعت في خبر أبي ليبيد، و وجادة العسكرى و تفسير عسق، و غير ذلك.

و منها: أنّ فيها إفحاما للمشركين المعاندين، و إيقاظا لمن تحدّاهم به منهم، و تنبيهها لهم على أنّ المتلوّ عليهم كلام منظوم ممّا ينظمون منه كلامهم و يتحاورونها في خطبهم و أشعارهم، فلو كان من عند غير الله تعالى لما عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله، سيّما مع تظاهرهم، و توقّف دواعيهم و شدّة حرصهم على ذلك، و هو صلوات الله عليه يتلو عليهم: قُلْ لئن اجتمعت الإنس و الجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا «٢».

و غير ذلك من الآيات المشتملة على التحدى.

(١) نور الثقلين ج ١ ص ٣٠-٣١ ح ٩.

(٢) الإسراء: ٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٦١

و منها: أن فيها إزاما لليهود، و حجّة عليهم، حيث علموا بأخبار أنبيائهم أن الكتاب المنزل على خاتم النبيين صلى الله عليه و آله و سلم مفتحة سورها بالحروف المقطعة.

و الى هذين الوجهين

أشار مولانا العسكري عليه السلام فى تفسيره حيث قال: كذبت قريش و اليهود بالقرآن و قالوا: سحر مبين تقوله، فقال الله عزّ و جلّ الم ذلك الكتاب أى يا محمّد هذا الكتاب الذى أنزلته عليك هو بالحروف المقطعة التى أ ل م، و هو بلغتكم و حروف هجائكم فأتوا إن كنتم صادقين، و استعينوا على ذلك بسائر شهدائكم، ثم بين أنهم لا يقدرّون عليه بقوله: قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ ... الآية. قال الله عزّ و جلّ: الم هو القرآن الذى افتتح بالم هو «ذِكْرُ الْكِتَابِ» الذى أخبر به موسى، و من بعده من الأنبياء، و أخبروا بنى إسرائيل أنى سأنزل عليك يا محمد كتابا عربيا عزيزا لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ... لا ريب فيه لا شكّ فيه لظهوره عندهم كما أخبرهم أنبيأؤهم أن محمدا ينزل عليه كتاب لا يمحوه الماء «١» يقرأه هو و أمته على سائر أحوالهم «هيدى» بيان من الضلالة «للمتقين» الذين يتقون الموبات، و يتقون تسليط السفه على أنفسهم، حتى إذا علموا ما يجب عليهم علمه عملوا بما يوجب لهم رضا ربهم.

ثم قال: و قال الصادق عليه السلام: ثم الألف حرف من حروف قولك: الله، دلّ بالألف على قولك: الله، و دلّ باللام على قولك: الملك العظيم القاهر للخلق أجمعين، و دلّ بالميم على أنه المجيد المحمود فى كل أفعاله، و جعل هذا القول حجّة على اليهود، و ذلك أن الله تعالى لما بعث موسى بن عمران، ثم من بعده من الأنبياء إلى بنى إسرائيل، لم يكن فيهم قوم إلّا أخذوا عليهم العهود و المواثيق ليؤمننّ بمحمد العربى

(١) فى نور الثقلين: لا يمحوه الباطل.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٦٢

الأمى المبعوث بمكة الذى يهاجر منها الى المدينة يأتى بكتاب الله بالحروف المقطعة افتتاح بعض سوره، يحفظه أمته فيقرءونه قياما و قعودا و مساء و صباحا، و على كل حال، يسهل الله حفظه عليهم، و يقرون بمحمد أخاه و وصيه على بن أبى طالب الآخذ منه علومه التى علمها، و المتقلد عنه أماناته التى قلدها، و مدلل كل من عاند محمدا بسيفه الباتر، و مفحم كل من جادله و خاصمه بدليله القاهر، يقاتل عباد الله على تنزيل كتاب الله حتى يقودهم الى قبوله طائعين و كارهين، حتى إذا صار محمدا الى رضوان الله تعالى، و ارتد كثير ممن كان أعطاه ظاهرا الإيمان، و حرفوا تأويلاته، و غيروا معانيه و وصفوها «١» على خلاف وجهها. قاتلهم بعد ذلك على تأويله حتى يكون إبليس الغاوى لهم هو الخاسئ الذليل المطرد المغلول.

قال: فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه و آله و سلم أظهره بمكة و سيّره منها الى المدينة و أظهره بها، ثم أنزل عليه الكتاب و جعل افتتاح سوره الكبرى الم يعنى ال م ذِكْرُ الْكِتَابِ، و هو الكتاب الذى أخبرت أنبيائى السالفين أنى سأنزله عليك يا محمّد لا ريب فيه.

فقد ظهر كما أخبر به أنبيائه، و أن محمدا ينزل عليه كتاب مبارك لا يمحوه الماء يقرئه هو و أمته على سائر أحوالهم ...

الى آخر ما مرّ «٢».

و لعلّ المراد بقوله عليه السّلام «لا يمحوه الماء» أنّه لا ينسخه شيء إلى يوم القيامة.

و في «النهاية الأثرية»: في الخبر أنّه قال فيما يحكى عن ربّه: «و انزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما و يقظانا» أراد أنّه لا يمحي أبدا، بل هو محفوظ في صدور الذين أوتوا العلم... لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و كانت الكتب

(١) في نور الثقلين: و وضعوها على خلاف وجوها.

(٢) نور الثقلين ج ١ ص ٢٧-٢٨ ح ٧ عن تفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السّلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٦٣

المنزلة لا تجمع حفظا، و إنّما يعتمد في حفظها على الصحف، بخلاف القرآن فإنّ حفظه أضعاف مضاعفة لصفحه.

و

قوله: «تقرأه نائما و يقظانا»

أى تجمعه في حالتى النوم و اليقظة، و قيل: أراد تقرأه في يسر و سهولة.

#### تنبيه

اعلم أنّ هذه الوجوه الستة المتقدمة الاستفادة من آثار أهل البيت عليهم السّلام ممّا لا تنافى بينها أصلا بعد ما سمعت من اشتغال كلمات القرآن و آياته على العلوم الغزيرة و البطون الكثيرة التي لا يعلمها إلا الله و الراسخون في العلم، و على هذا فيصح إرادة الجميع، و إن كان كلّ ذلك بعضا قليلا من أبعاض ما أريد منها ممّا لا نحيط به علما، و لم يبلغنا علمها عن العالم بها، و لذا قال عليه السّلام: «إنّ فيها لعلما جمّا» (١)، و لعلّه هو المراد بقول من قال: إنّها من المتشابهات. بل قد سمعت أنّ بعض الأخبار الواردة في تفسيرها، مثل ما يتعلّق بعدد سنّى القائم عليه صلوات الله و زمان ظهوره أيضا من المتشابهات.

بل في «مجمع البيان»: أختلف العلماء في هذه الحروف: فذهب بعضهم إلى أنّها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها، و لا يعلم تأويلها إلا هو، و هذا هو المروي عن أئمتنا عليهم السّلام،

و روت العامّة عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: إنّ لكل كتاب صفوة و صفوة هذا الكتاب حروف التهجي.

و عن الشعبي قال: الله تعالى في كتاب سرّ، و سرّه في القرآن سائر حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور.

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٠٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٦٤

قال: و فسرها الآخرون على وجوه، ثم ساق الكلام في عدّها «١».

و لعلّه أراد بكونها من المتشابهات عدم استفادة شيء منها أصلا حتّى الإفحام و الإعجاز و التسكيت و غيرها ممّا عدّها في أقوال الآخريين، و لذا قابله بها فيه و في كثير من كتب التفاسير، و هو و إن لم يكن به بأس في نفسه، و إن لم أعرف قائله بالخصوص، إلا أنّه لا ينبغي حمل ما روى عن أئمتنا عليهم السّلام، لورود بعض البيانات عنهم فيها.

فالأولى هو القول بكونها باعتبار تمام ما هو المراد من معانيها و إشارتها و كيفيات تأليفها و الاستخراج منها من المتشابهات و الأسرار، و إن فرنا ببركة أهل البيت عليهم السّلام برشحة من السحاب الماطر، و قطرة من البحر الزاخر.

و أما في تفسير الرازي نقلا عن المتكلمين من أنهم أنكروا القول بالمشابهة فيها، بل في القرآن مطلقا، نظرا إلى الآيات الآمرة بالتدبر و التذكر، أو الدالة على كون القرآن هدى، و ذكرا، و نورا، و تبيانا، و بينا، و بلاغا، و عربيا، و غير ذلك مما يستفاد منه وضح معانيه لعامة العارفين باللغة.

مضافا إلى أنه لو ورد شيء لا سبيل إلى العلم به لكانت المخاطبة تجري مجرى مخاطبة العربي باللغة الزنجية.

و إن المقصود من الكلام الإفهام، فلو لم يكن مفهوما لكانت المخاطبة عبثا لا يليق بالحكيم.

و أن التحدي وقع بالقرآن، و ما لا- يكون معلوما لا يجوز وقوع التعدي به «٢» فضعفه واضح جدا بعد ما سمعت في المقدمات من اشتمال القرآن على

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٣٢.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ج ٢ ص ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٦٥

المتشابه الذي لا يعلم تفسيره إلا الله و الراسخون في العلم «١».

بل بعد دلالة ظاهر الآية بل صريحها عليه، فكان الوجوه المذكورة في الرد على الله سبحانه و تعالى في صريح كلامه.

مضافا إلى ما فيها من الضعف و القصور، فإن التدبر و غيره حاصل بالنسبة إلى غير المتشابه مطلقا، و إلى المتشابه بعد رده إلى

المحكم، و وصول البيان من أهل الذكر، و المخاطبة الكثيرة إنما كانت إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و لذا

ورد: إنما يعرف القرآن من خوطب به «٢» إشعارا على أنه لا علم به بتمامه لغيره من علمه إياه.

مع أنه قد يقال: إن من جملة المحكم في إنزال المتشابهات أن المبطل لما علم اشتمال القرآن عليها يتأمله و يصغى إليه، و يجتهد في

التفكر فيه رجاء أنه ربما وجد بيانه في بقیة كلامه، أو يجد فيها شيئا يقوى قوله، و ينصر مذهبه في إبطاله، فيصير ذلك سببا لوقوفه

على المحكمات المخصصة له من الضلالات.

و أما ما ربما يترأى من كلام المفسرين في المقام من التنافر بين تلك المعاني بحيث يمنع من الجمع بينها، و لذا حكوا الاختلاف فيها

و نسبوا كلا من الأقوال إلى قائل.

بل قال الرازي: إن المفسرين ذكروا وجوها مختلفة، و ليست دلالة هذه الألفاظ على بعض ما ذكروه أولى من دلالتها على الباقي، فإما

أن يحمل على الكل و هو متعذر بالإجماع لأن كل واحد من المفسرين إنما حمل هذه الألفاظ على معنى واحد من هذه المعاني

المذكورة، و ليس فيهم من حملها على الكل «٣».

(١) راجع سورة آل عمران: ٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ١٣٩ ط، القديم باب تأويل «سیرُوا فيها ليالي» (٣) تفسير الفخر الرازي ج ٢ ص ٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٦٦

ففيه أنه لا- مانع من الحمل المذكور بعد قيام الدليل عليه من الأخبار المتقدمة، بل و كذا الحال في كثير من الكلمات و الآيات، بل

كلها بعد ما هو المعلوم من إرادة ظاهرها و باطنها إلى سبعة أبطن أو سبعين بطن، قد تبيننا في المقدمات أنه لا مانع من استعمال اللفظ

في أكثر من معنى واحد مع كون الجميع حقايق أو مجازات أو ملفقا منهما، بل يجوز مع ذلك إرادة الإشارات المدلولة عليها بصور

الحروف و ترتيبها و تركيبها و إعدادها و غير ذلك بعد توجيه الخطاب إلى العالم بالدلالة و الإرادة.

و أما ما ادّعى من الإجماع فلا ينبغي الإصغاء إليه، سيما بعد الإطلاع على ما هو الحجّة منه عند الإمامية.

بل قد ظهر مما مرّ جواز حملها مضافا إلى الوجوه المتقدمه التي تضمنها الروايات على غيرها أيضا من الوجوه.

### الوجه السابع أنها أسماء للسور

بل الأقوال الكثيرة التي منها: أنها أسماء للسور ونسبه الرازي الى أكثر المتكلمين و في موضع آخر الى أكثر المحققين، و حكاه عن الخليل و سيويه و في الكشاف و تفسير القاضى أن عليه إطباق الأ-كثر، و في المجمع أنه أجود الأقوال و عن القفال: أن العرب قد سمّت بهذه الحروف أشياء فسّموا بلام والد حارثه بن لام الطائي، و قالوا: جبل قاف، و بحر صاد، و سمّوا السحاب عينا، و الحوت نونا، و النحاس صادًا، الى غير ذلك.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٦٧

و استدللّ عليه القاضى تبعًا للرازي و غيره بأنها لو لم تكن مفهومة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل، و التكلم بالزنجي مع العربى، و لم يكن القرآن بأسره بيانًا و هدى، و لمّا أمكن التحدّى به، و إن كانت مفهومة فإمّا أن يراد بها السورة التي هي مستهلها على أنها ألقابها، أو غير ذلك، و الثانى باطل، لأنه إمّا أن يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب، و ظاهرًا أنه ليس كذلك، أو غيره و هو باطل، لأن القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى:

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١﴾، فلا يحمل على ما ليس في لغتهم.

و لا يخفى ضعفه من وجوه قد مرّ التنبيه على كثير منها، كما لا يخفى ضعف ما في «مجمع البيان» بعد أن جعله أجود الأقوال قال: لأنّ أسماء الأعلام منقولة إلى التسمية من أصولها للترقية بين المسميات، فيكون حروف المعجم منقولة إلى التسمية، و لهذا في أسماء العرب نظير، نحو أوس بن حارثه بن لام الطائي، و لا خلاف في جواز التسمية بحروف المعجم، كما يجوز أن يسمّى بالجمل، نحو تأبط شراً، و برق نحره، و كل كلمة لم يكن على معنى الأصل فهي منقولة إلى التسمية للفرق إلى آخر ما ذكره «٢».

إذ فيه مع كونه أعمّ من المدعى، أنه شبه مصادرة، للشكّ في طرفي النقل فضلا عن كون المنقول اليه السور.

نعم يمكن التقريب له بما ورد في الأخبار الدالّة على أنّ من قرأ سورة يس، و صاد، و حم، و نون، و إلى غير ذلك من السور، فإنّ الظاهر منها كونها أسماء لتلك المسميات.

(١) النحل: ١٠٣.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٦٨

و بقوله: حم\* لا ينصرون، بل

عن الفائق أنه صلى الله عليه وآله وسلم جعله شعارا لقوم يوم الأحزاب

، و معناه على ما قيل: و منزل حم\*، على النصب و الجزّ، بناء على التثنية و الإضافة، و لا ينصرون جواب القسم، أو أنه مرفوع على الابتدائية أو الخبرية، أى مقولى حم\*، أو هو مقولى، و لا ينصرون استيناف، كأنه قيل: ماذا يكون إذا؟ فقال: لا ينصرون.

و بقول شريح بن أوفى العنسى قاتل محمد بن طلحة، حيث شدّ عليه برمحه، و هو قد شلّ درعه بين رجله و قام عليها، و كلّما حمل عليه رجل قال: نشدتك ب حم\* حيث كان شعار حرب الحق يومئذ حم\*، لقوله تعالى فيها: قُلْ لَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴿١﴾ و كان محمد المعروف بالسجاد يظهر بذلك أنه ليس من حزب المخالفين، فقتله شريح و هو يقول:

و اشعث قوام بآيات ربّه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم شككت له بالرمح جيب قميصه فخرّ صريعا للدين و للفم على غير شيء غير

أن ليس تابعا عليًا و من لا- يتبع الحقّ يظلم يذكرني حاميم و الرمح شاجر فهلّا تلى حاميم قبل التقدّم حيث أنه أشار بها إلى السورة المشتملة على الآية.

و المناقشة في الوجوه المذكوره بكفاية أدنى الملابس في الإضافة مدفوعة بأنّها لا تدفع الظهور المستفاد من الانسباق بمجرّد الإطلاق. و أمّا ما يقال في ابطال القول بالتسمية: من أنّها لو كانت اسماء السور لوجب أن يعلم ذلك بالتواتر، لأنّها من الأمور العجيبة التي تتوفر الدواعي على نقلها.

و أنّ السورة الكثيرة قد اتفقت في الم\* ... و الر\*، و حم\*، فالاشتباه حاصل،

(١) الشورى: ٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٦٩

و المقصود من التسمية إزالته.

و أنّ القرآن قد نزل بلغه العرب الذين لم يتجاوزوا في التسمية عن اسم أو اسمين كعلبك و تأبط شرا، و لم يسمع منهم التسمية بثلاثة أسماء فضلا عن الأربعة و الخمسة، و القول بكونها أسماء للسور خروج عن طريقتهم التي يجب التوقف عليها. و أنّها لو كانت أسماء السور لوجب اشتهاها بها لا بسائر الأسماء، لكنّها قد اشتهرت بسورة البقرة، و آل عمران، و الأعراف، و غيرها ممّا أثبتوها في التراجم، دون تلك الحروف.

و لوجب أيضا أن لا يخلو سورة من سور القرآن من اسم على هذا الوجه، مع أنّه ليس كذلك.

و أنّ هذه الحروف من كل سورة جزئها، و من البين أنّ وضع الجزء للكّل يؤدّي إلى اتحاد الاسم و المسمّى الذي هو المجموع و لو ضمنا.

و أنّها تستدعي تأخر الجزء عن الكّل، من حيث إنّ الإسم يتأخر عن المسمى رتبة.

و أنّ جعله جزءا يتوقف على كونه اسما إذ يمتنع من البليغ جعل المهمل جزءا من كلامه، و جعله اسما يتوقف على جعله جزءا، إذ هو اسم للمركّب من حيث هو مركّب.

ففيه: أنّ الجميع مشترك في الضعف، و غير ناهض لإثبات المطلوب، لاندفاع الأوّل بمنع الملازمة، و منع توفّر الدواعي على النقل، و إن توفّرت على الاستعمال، و كم أمر أهم من ذلك لم ينقل لنا النقل فيه و إن ثبت من وجوه آخر، كإثبات الحقيقة الشرعية في ألفاظ العبادات و غيرها.

و الثاني بجواز التميّز ببعض المشخصات بعد فرض التسمية و حصول

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٧٠

الاشتراك كغيرها من المشتركات.

و الثالث باختصاص الامتناع بما إذا ركبت و جعلت اسما واحدا كما في بعلبك لا فيما نثرت نثر أسماء العدد، و لذا سوى سبويه بين التسمية بالجملة، و البيت من الشعر و طائفة من أسماء حروف المعجم.

و الرابع بالمنع منه، و أما ترك الإثبات في تراجم المصاحف فلعلّه لضرب من التوقيف الملحوظ فيها، مع أنّ تلك التراجم غير محفوظة عن أصحاب العصمة، و قد ورد كثير من الأخبار التعبير عن السور بتلك الحروف.

و الخامس بمنع الملازمة سيّما مع اقتضاء الحكمة للتسمية في موضع دون موضع.

و السادس بكفاية المغايرة الاعتبارية، و لذا لم يقدح ذلك في الأسماء المتعارفة كالبقرة، و آل عمران الى آخر سور القرآن و غيرها ممّا هو شائع.

و مما ذكرنا وغيره يتضح الجواب عن السابع و الثامن ايضا.

ثم إنه قد ظهر مما مرّ أنّ أدلة الفريقين لم تنهض لإثبات شىء من الأمرين، و قضية الأصل العدم و ما ذكرناه، إنّما يثبت به الاستعمال أو غلبته و لو لا اشتمال السورة على الكلمة بعد النزول، و أما نزولها على هذا الوجه فلا، إلّا أن يقال بالاكْتفاء بالأول و استلزامه للثاني و لو لا الأصل سيّما مع كون الدليل ظهور الأخبار المأثورة عنهم عليهم السلام.

إلّا أنّه قد يقال: إنّ الإطلاق فيها نظير قول الناس: فلان يروى: «قفا نبك» و «عفت الديار»، و يقول الرجل لصاحبه: ما قرأت: يقول: الْحَمْدُ لِلَّهِ\*، و بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ، و يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ، و اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، و ليست هذه الجمل بأسامى هذه القصائد، و هذه السور و الآي، و إنّما يعنى رواية القصيدة التي ذاك استهلالها، و تلاوة السورة و الآية التي تلك فاتحتها، فلما جرى الكلام على أسلوب

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٧١

من يقصد التسمية، و استفيد منها ما يستفاد من التسمية، قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة.

أقول: و يؤيده شيوخ التعبير بكلمات أوائل السور، و لو مع عدم كونها من المقطعة، و لا مكتوبة في الترجمة، كسورة سُجْحَانَ الَّذِي و سورة آتَى أَمْرُ اللَّهِ، و نحوهما.

ثمّ إنه على فرض التسمية يكون هذا الوجه سابع الوجوه فلا تغفل.

### الوجه الثامن أنّها أسماء القرآن

و منها: أنّها من أسماء القرآن كما توهمه جمع من مفسّري العامية، كقتادة، و مجاهد، و ابن جريح و السدي و الكلبي، و لا وجه له عدى ما قيل: من أنه أخبر عنها بالكتاب و القرآن، و نحوهما، و هو كما ترى.

و منها: أنّها أبعاض أسماء الله تعالى، كما عن ابن عباس، و سعيد بن جبیر، و الحسن البصري، بل حكوا عن الأخير أنّ هذه الحروف المقطعة في أوائل السور أسماء الله تعالى لو أحسن الناس تأليفها لعلّمو اسم الله الأعظم، ألا ترى أنّك تقول:

الر\*، و تقول حم\*، و تقول: ن، فيكون الرّخمن، و كذلك سايرها على هذا القول، إلّا أنّا لا نقدر على وصلها و الجمع بينها.

أقول: و لعلّهم سمعوا الخبر المتقدم «١» عن مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام في هذا المعنى، فراموا أن يتكلّموا ما لم يمنحوا علمه، و لم يكونوا من أهله.

(١) معاني الأخبار ص ٢٣ باب معنى الحروف المقطعة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٧٢

### الوجه التاسع أنّها أبعاض أسماء الله عزّ و جلّ

و منها: ما يحكى عن ابن عباس و غيره من أنّها أقسام أقسم الله بها، و على هذا يحتمل كونها من أسماء الله أو من أسماء القرآن أو السور، أو من مبادئ الأسماء أو أبعاضها.



أو أن المراد نفس الحروف المعجمة باعتبار معانيها، أو لشرفها و تركيب الألفاظ منها.  
 أو لأنها مباني كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة، و أصول كلام الأمم كلها بما يتعارفون و يذكرون الله و يوحّدونه و يعبدونه مع أنه ممّا كرم الله به بنى آدم.  
 أو لأنها من جملة خلقه سبحانه، و له الإقسام بكلّ شىء من خلقه، من خطير أو حقير، كالسما و الشمس، و القمر، و التين و الزيتون، فإنّ الجميع من مظاهر قدرته و كماله، و آثار صفة جماله، كأنه سبحانه يقول فى كل ذلك و «عزتى و جلالى و ربوبيتى و كبريائى»، و أداة القسم فيها مقدّرة حسبما يأتى فى اعرابها.  
 و هذا الوجه و إن كان جائزاً إلّا أنّى لم أجد عليه دليلاً.  
 و منها: أن يكون المراد بها مدّة بقاء هذه الأئمة، حكاه فى «المجمع» عن مقاتل بن سليمان، قال: حسبتها فبلغت بعد إسقاط المكرّر: (٧٤٤) و هى بقيّة مدّة هذه الأئمة.

و هو كما ترى غلط واضح، و مثله ما عن على بن فضال المجاشعى النحوى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٧٣

إلّا أن يكون مراده مجرّد بيان العدد لا تحديد البقاء، و لذا قال: إنى حسبتها فبلغت (٣٠٦٥) فحذفت المكرّرات فبقى (٦٩٣) «١».  
 و أمّا ما

يروى من أن اليهود لما سمعوا (الم)\* قالوا: مدّة ملك محمد قصيرة إنّما تبلغ إحدى و سبعين سنة، فلما نزلت الر\*، و المر، و المص، و كهيعص، اتّسع عليهم الأمر «٢».

و أنّه عليه السّلام لما أتاه اليهود تلى عليهم الم البقرة فحسبوه قالوا: كيف ندخل فى دين مدّته إحدى و سبعين سنة: فتبسّم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقالوا: و هل غيره؟ فقال:

المص، و الر\*، و المر، فقالوا: خلطت علينا و لا ندرى بأيها نأخذ «٣» فيه: أنّه لا دلالة فىهما أصلاً على ذلك، و لعلّ الأصل فى الخبر ما مرّت حكايته عن تفسير العسكرى عليه السّلام، و قد سمعت فيه ما أجابهم به مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام و منه يظهر أنّ تبسّمه صلّى الله عليه و آله و سلّم كان تعجباً من جهلهم، لا من اطلاعهم على هذا الرمز.

و أمّا ما يحكى عن أبى العالیه من أنّها إشارة الى مدد أقوام و آجالهم بحساب الجمل فلا بأس به، و لعلّه استفاد ذلك من الأنوار المقتبسة من مهابط الوحى و التنزيل و معادن العلم و التأويل.

و منها غير ذلك من الأقوال التى لا شاهد على شىء منها. مثل أنّ المراد بها الحروف المعجمة، استغنى بذكر ما ذكر منها فى أوائل السور عن ذكر بواقيتها التى هى تمام الثمانية و العشرين حرفاً، كما يستغنى بذكر قفا نبك عن ذكر باقى القصيدة،

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٣٣.

(٢) البرهان ج ١ ص ٥٥ عن تفسير المنسوب الى الإمام العسكرى عليه السّلام.

(٣) البرهان ج ١ ص ٥٥ عن تفسير المنسوب الى الإمام العسكرى عليه السّلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٧٤

و كما يقال: ا، ب فى أبجد «١».

و مثل ما يقال: إنّها تسكيت للكفار، حيث إنّ المشركين كانوا تواصلوا فيما بينهم أن لا يسمعوا لهذا القرآن و ان يلغوا فيه، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله:

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢﴾، فكانوا ربّما صَفَرُوا، و ربّما صَفَقُوا، و ربّما لَغَطُوا لِيُغْلَبُوا النَّبِيَّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْحُرُوفَ حَتَّى إِذَا سَمِعُوا شَيْئًا غَرِيبًا اسْتَمَعُوا إِلَيْهِ، وَ تَفَكَّرُوا وَ اسْتَغْلَبُوا مِنْ تَغْلِيظِهِ. فَيَقَعُ الْقُرْآنُ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا مُوَصِّلًا لَهُمْ إِلَى اسْتِمَاعِهِمْ وَ فَهْمِهِمْ وَ هِدَايَتِهِمْ ﴿٣﴾.

و نحو ما قيل: أَنَّ بَعْضَهَا يَدُلُّ عَلَى اسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَ بَعْضُهَا عَلَى أَسْمَاءِ غَيْرِهِ تَعَالَى، كَمَا قِيلَ فِي الْمِمْ: إِنَّ الْأَلْفَ مِنَ اللَّهِ، وَ اللَّامَ عَنْ جِبْرِيَلِ، وَ الْمِيمَ مِنْ مُحَمَّدٍ، أَيْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْكِتَابَ عَلَى لِسَانِ جِبْرِيَلِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ.

وَ مِثْلُ مَا قِيلَ: إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَدُلُّ عَلَى فِعْلٍ مِنَ الْأَفْعَالِ، فَالْأَلْفُ مَعْنَاهُ أَلْفُ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَبَعَثَهُ نَبِيًّا، وَ اللَّامَ أَيْ لَامَهُ الْجَاحِدُونَ، وَ الْمِيمَ أَيْ مِيمَ الْكَافِرُونَ، مِنْ الْمَوْمِ بِمَعْنَى الْبِرْسَامِ.

وَ نَحْوُ مَا قِيلَ: إِنَّهَا فِي التَّقْدِيرِ اسْمَعُوهَا مَقْطَعَةً حَتَّى إِذَا أُورِدَتْ عَلَيْكُمْ مُؤَلَّفَةٌ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُوهَا قَبْلَ ذَلِكَ، كَمَا أَنَّ الصَّبِيَانَ يَعْلَمُونَ هَذِهِ الْحُرُوفَ أَوَّلًا مَفْرَدَةً، ثُمَّ يَعْلَمُونَ الْمَرْكَبَاتِ.

وَ مِثْلُ مَا يُقَالُ: إِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى انْقِطَاعِ كَلَامٍ وَ اسْتِيْنافِ كَلَامٍ آخَرَ، وَ حَكَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ تَغْلِبَ أَنَّ الْعَرَبَ إِذَا اسْتَأْنَفَ كَلَامًا فَمِنْ شَأْنِهِمْ أَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٣٣

(٢) فضّلت: ٢٦.

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٧٥

غير الكلام الذى يريدون استينافه فيجعلونه تنبيها للمخاطبين على قطع الكلام الأوّل و استيناف الكلام الجديد.

و نحو ما قيل: إِنَّهَا تَنَاءُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ.

وَ مِثْلُ مَا قِيلَ: إِنَّ إِخْبَارَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِأَسْمَاءِ الْحُرُوفِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْآدَمِيِّينَ يَعْلَمُ مِنْهُ أَنَّهُ تَعَلَّمَ مِنْ مَعْلَمِ آدَمِ الْأَسْمَاءِ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَا يَسْمَعُ مَعْجَزَةً دَالَّةً عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

وَ مِثْلُ مَا قِيلَ: إِنَّهَا لِلرَّدِّ عَلَى مَنْ قَالَ بِقَدَمِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ لَمَّا عَلِمَ اللَّهُ فِي الْقَدَمِ أَنَّ قَوْمًا سَيَقُولُونَ بِقَدَمِ الْقُرْآنِ ذَكَرَ هَذِهِ الْحُرُوفَ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مُؤَلَّفٌ مِنَ الْحُرُوفِ الْحَادِثَةُ فَلَا يَكُونُ قَدِيمًا.

وَ مِثْلُ مَا قِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْمِ الْمِ بِكُمْ ذَلِكَ الْكِتَابِ، أَيْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ نَزْوِلُ الزَّائِرِ، لِأَنَّ الْإِلْمَامَ الزِّيَارَةَ، فَإِنَّ جِبْرِيَلِ نَزَلَ بِهِ نَزْوِلُ الزَّائِرِ.

وَ مِثْلُ مَا قِيلَ: إِنَّ الْأَلْفَ مِنَ أَقْصَى الْحَلْقِ، وَ هُوَ أَوَّلُ الْمَخَارِجِ، وَ اللَّامُ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ وَ هُوَ وَسْطُ الْمَخَارِجِ، وَ الْمِيمُ مِنَ الشَّفَةِ وَ هُوَ آخِرُ الْمَخَارِجِ، فَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ ذِكْرِ الْعَبْدِ وَ وَسْطَهُ وَ آخِرَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَ مِثْلُ مَا قِيلَ: إِنَّ الْأَلْفَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا لَا بَدَّ مِنْهُ مِنَ الْاسْتِقَامَةِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَ هُوَ رِعَايَةُ الشَّرِيعَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴿١﴾.

وَ اللَّامُ إِشَارَةٌ إِلَى الْإِلْجَاءِ الْحَاصِلِ عِنْدَ الْمَجَاهِدَاتِ وَ هُوَ رِعَايَةُ الطَّرِيقَةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴿٢﴾، وَ

الْمِيمُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْعَبْدُ فِي مَقَامِ الْعِبَادَةِ كَالدَّائِرَةِ الَّتِي تَكُونُ نَهَائِهَا عَيْنَ بَدَائِهَا، وَ بَدَائِهَا عَيْنَ نَهَائِهَا،

(١) فضّلت: ٣٠، الأحقاف: ١٣.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٧٦

و ذلك إنما يكون بالفناء في الله بالكليّة و هو مقام الحقيقة، قال الله تعالى: قُلِ اللَّهُ تَمَّ ذَرُهُمْ «١». الى غير ذلك من الأقوال و الاحتمالات التي لا شاهد على شيء منها.

### البحث السابع احكام الحروف و عوارضها

في مستطرفات من أحكام تلك الحروف و عوارضها و هي أمور:

منها: أنّها و إن اشتهرت بالحروف إلا أنّها أسماء لمسمياتها التي تتركب منها الكلم لما هو واضح من دخولها تحت حدّ الاسم، و اعتداد ما يختص به من التعريف و التنكير، و الجمع، و التصغير و غيرها عليها، فكما أنّ الإنسان موضوع للمهيئة المعينة لها أفراد خارجيّة، فكذلك الجيم مثلاً- اسم لمهيئة الحرف المفرد البسيط المعلوم الصادق على الحرف الأوّل من جعفر، و جاء، و جعل، و نحوها.

و من هنا قيل: إنّها من أسماء الأجناس لا من الأعلام الشخصية، و لا أظنّ أحدا ينكر اسميتها.

و به صرح الخليل حيث سأل أصحابه: كيف تنطقون بالجيم من جعفر؟ فقالوا:

جيم، فقال: إنّما نطقتم بالاسم و لم تنطقوا بالمسئول عنه، و الجواب (ج)، لأنّه المسمّى.

بل قد يحكى الصريح به عن غير واحد من الأدباء.

و أمّا ما يحكى عن متقدمي النحاة من تسميتها حروفاً فمحمول على ضرب

(١) الأنعام: ٩١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٧٧

من التسامح، و مثله كثير في كلامهم كتسميتهم الباء من حروف الجارّة، فإنّ مدخول اللام اسم قطعاً، نعم مصاديقه من الحروف كالباء في مررت بزيد، و كذا اللام، و الواو، و غيرهما من الحروف المفردة التي يعبر عنها بأسمائها.

و أمّا ما ورد في الأخبار الكثيرة في فضل القراءة من أنّ للقارئ بكل حرف خمسين حسنة، أو عشر حسنات، أو غير ذلك، بل في بعضها: لا أقول بكلّ آية، بل بكل حرف، باء، أو تاء، أو شبههما.

و في خبر آخر أما إنّي لا أقول: الم\* عشر، و لكن ألف عشر، و لام عشر، و ميم عشر

فالمراد بالحرف فيها غير المعنى المصطلح عند النحاة، لأنّه عندهم من المنقولات العرفية الخاصّة، و في العرف العام يطلق على ما يعمّ الإسم و غيره، فالمراد به في الخبر هو ما يتركب منه الكلم سواء لوحظت مفردة أو في ضمن المركب.

ثمّ إنهم راعوا في التسمية الدلالة على المسميات بصدور الأسماء إعمالاً للمناسبة و ترجيحاً للخصوصية، و ليكون هو أوّل ما يقرع السمع من الإسم، و هذه المناسبة ملحوظة في الجميع إلّا الألف الساكنة التي هي المدّة كوسط حروف (قال) فإنّه لا يمكن الافتتاح بها، لضرورة استحالة الابتداء بالساكن مطلقاً، أو في لغة العرب، و لذا اختاروا لها اللام لما مرّ.

و إنّما قيّدنا هنا بالساكنة التي هي المدّة احترازاً عن المتحركة التي راعوا فيها المناسبة و أتمّيا الهمزة فليست من الأسماء الأصلية للحروف، بل هي اسم محدث كما حكى عليه النصّ عن ابن جنّي و غيره، و لذا قال الفيروز آبادي في (القاموس): الألف ككتف الرجل العزب، و أول الحروف، و بوب في آخر الكتاب للألف اللينة بابا، و ذكر فيه أنّ أصول الألفات ثلاثه، و يتبعها الباقيات: أصلية كألف (أخذ)، و قطعياً كأحمد و أحسن، و وصلية كاستخرج و استوفى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٧٨

ثمّ عدّ من التوابع الألف الفاصلة بعد واو الجمع، و نون الإناث، و ألف الإشباع، و الصلّة، و غيرها.

و في: «الصحاح» و «مجمع البحرين»: أن الألف على ضربين لينية، و متحرّكة، فاللينة تسمى ألفا، و المتحرّكة همزة ثم ذكر أن الهمزة على قسمين: ألف وصل، و ألف قطع ... إلخ و منه يظهر أن للألف إطلاقين، و الهمزة قسم منه يقابله بمعناه الأخص، و لعله إنما خص هذا القسم منه بها لما يظهر عند التلقظ به من الغمز و العصر و الانضغاط.

و لذا قال في «الصحاح» بعد تفسير الهمز بالغمز و الضغط: و منه الهمز في الكلام، لأنه يضغط، و قد همزت الحرف فانهمز، و قيل لأعرابي: أ تهمز الفاء؟ فقال:

السُّنور يهزها.

و في «مصباح المنير» و غيره ما يقرب منه.

و منها: أنه لا ريب في أن هذه الأسماء ما لم يتعلّق بها شيء من العوامل تقدمت عليها أو تأخرت عنها ساكنة الأعجاز، سواء كانت متفصلة عند النطق بها أو متواصلة، فنقول: ألف - با، جيم، دال، من دون أن يظهر أثر الاعراب، بل شيء من الحركات في أعجازها. بل و كذا الأعداد المسرودة، و الأسماء المعدودة، فتقول: واحد، اثنان، ثلاثة، كما تقول: زيد، عمرو، بكر.

و إنما الكلام في أن سكونها هل هو للوقف، أو للبناء، فصريح الزمخشري و تابعيه هو الأول، و هو المحكّي عن جمهور المحقّقين من النحويين، حيث حصروا سبب بناء الأسماء في مناسبتها ما لا تمكن له أصلا، و سمّوا الأسماء الخالية منها معربة، و جعلوا سكون أعجازها وقفا و لو مع اتصال الكلام في الظاهر، إذ ليس في شيء منها ما يوجب الوصلة، فكان بمنزلة الوقف عليها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٧٩

و ربّما استدّلوا عليه بأنّ العرب جوّزوا في الأسماء قبل التركيب التقاء الساكنين كما في الوقف فقالوا: زيد، عمرو، بكر، صاد، قاف، و لو كان سكونها بناء لما جمعوا بينهما كما في ساير الأسماء المبتئية، نحو (كيف) و أخواتها، و لذا تحرّكها إذا أعددتها وصلا، فتقول: كيف، أين، حيث، فلم يجوّزوا في المعدودة منها التقاء الساكنين.

و بأنهم عزّفوا المعرب بما يختلف آخره باختلاف العوامل في أوله، و أرادوا ما يمكنه الاختلاف على قانون اللغة، سواء اتصف به بالفعل، أو كان من شأنه ذلك إمّا قريبا كما وقع في التركيب و لم يعرب أو بعيدا كما في التحديد.

و بأنّ القول ببنائها يؤدّي إلى الفرق بين سببي البناء أعنى وجود مانع الإعراب، و هو مشابهة الحرف و فقدان المقتضى كما في هذه الأسماء بتجويز التقاء الساكنين في الثاني دون الأول و هو تحكّم.

و يضعّف الدليل الأوّل بأنّ سكون أعجازها سردا وقفا و وصلا مع التقاء الساكنين و عدمه لعله من أثر البناء، فلا يغيّر، كما لا يغيّر الحركة في كيف و أخواتها، و انحصار جواز التقاء الساكنين في صورة الوقف ممنوع، كيف و هو أوّل الكلام.

و الثاني أيضا يضعّف بأنّه تعريف من البعض و ليس حجّة على غيره.

و الثالث أيضا ضعيف بأنّه مجرد استبعاد، بل قد يستقرب الفرق بأنّ تلك الأسماء قد استمرّ بها السكون قبل التركيب فأشبهت الموقوف فاغتفر فيها ما جاز فيه.

و ذهب ابن الحاجب و بعض المتأخرين إلى أنّها مبتئية، و قد عدّ غير واحد منهم من مقتضيات البناء الشبه الإهمالي المذموم ضبطوه بمشابهة الإسم الحرف في كونه غير عامل و لا معمول كأسماء الأصوات و الأسماء المسرودة، و الفواتح.

و حكى عن ابن مالك إدخاله في الشبه المعنوي، و عن غيره الشبه الاستعمالي

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٨٠

و لكنّ الخطب فيه هيّن جدّا لعدم ظهور شدة للنزاع سيّما مع الاتفاق على سكونها على القولين إلّا في موضعين: أحدهما (ميم) أوّل العنكبوت على قراءة ورش «١»، و الآخر (ميم) أوّل آل عمران على قراءة جميع القراء إلّا أبا بكر بن عيّاش، عن عاصم «٢».

إمّا لالتقاء الساكن الثالث الذي هو لام التعريف بعد سقوط الهمزة في الدرج في لفظ الجلالة على مذهب سيويه.

و إما لنقل حركة همزة لفظ الجلالة إلى ميم (الم) \* كما عن آخرين.

وعلى الوجهين فلا دلالة له على أحد القولين، لأنّ المبنى ربما يحرك لضرورة التقاء الساكنين نحو (مِنَ اللَّهِ)\*.

ومن جميع ما مرّ يظهر النظر فيما يستدلّ به لكلّ من القولين من فقد المقتضى للآخر، إذ مع إمكان المعارضة ربما يقال: إنّما ضدّان فلا يكونان من قبيل الأعدام والملكات حتى لا يمكن رفعهما.

بل قد ذكر بعض الأعلام في المقام أقوالاً ثلاثة قال: قد اختلف في أنّ الأسماء قبل التركيب معربة، أو مبيّئة، أو لا معربة ولا مبيّئة ولكن قابلة للإعراب، وربما يعزى إلى البيضاوي.

وأما ما في «مجمع البيان» من أنّ هذه الحروف موقوفة على الحكاية كما يفعل بحروف التهجي لأنّها مبيّئة على السكت، كما أنّ العدد مبنى على السكت، يدلّ على ذلك جمعك بين ساكنين في قولك: لام، ميم، وتقول في العدد: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، فتقطع ألف إثنين مع أنها همزة وصل، وتذكر الهاء في ثلاثة

(١) هو عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش ... ولد سنة (١١٠) و مات بمصر سنة (١٩٧) هـ

(٢) هو عاصم بن أبي النجود الكوفي القاري المتوفى (١٢٨).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٨١

و أربعة و لو لا أنّك تقدّر السكت لقلت: ثلاثة بالتاء و يدلّ عليه قول الشاعر «١».

أقبلت من عند زياد كالخرف تخط رجلاى بخطّ مختلف تكتبان فى الطريق لام ألف حيث ألقى حركة همزة الألف على الميم ففتحها «٢».

فالظاهر أنّ مراده من البناء معناه اللغوى، و أنّ سكونها عنده للوقف لا البناء المصطلح كما يظهر من تضعيف أدلته، مع أنّه ذكر فى أوّل سورة الأعراف: أنّا قد بينا فى أوّل سورة البقرة أنّ حروف الهجاء توصل على نية الوقف فرقا بينها و بين ما يوصل للمعاني «٣». و منها: أنّه قد يتلفظ بما آخره ألف من هذه الأسماء مقصورا حالة التهجي فتقول: با، تا، ثا، حا، خا، بالقصر فى الجميع عند التعداد، فإذا ركبتها و علق عليها شيئا من العوامل مددتها فتقول: كتبت الباء معرّفاً، و كتبت باء منوّنا، و كذا أخواته ممّا آخره ألف، و يلحق بالجميع أحكام الممدود من التثنية، و الجمع و التصغير و النسبة، و غيرها.

نعم ربما يبدل الهمزة أو الألف منها و اوأ أو ياء فى النسبة و غيرها، و لذا قال فى القاموس: التاء حرف هجاء، و قصيدة تائيّة، و تاوية، و تيويّة.

و أمّا ما فيه و فى الصحاح من جواز المدّ و القصر فى الهاء، فلعله مبنى على الوجهين.

(١) هو ابو النجم الراجز الفضل بن قدامة العجلي الشاعر كان يحضر مجالس عبد الملك و هشام، مات سنة (١٣٠) هـ

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٣٤.

(٣) مجمع البيان ج ٤ ص ٣٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٨٢

ثمّ إنّ لا ينبغي التأمّل فى كونها أسماء على الحالتين حسبما مرّ الكلام فيه.

و ربما يتوهم كونها حروفا مقصورة و أسماء ممدودة حملا على (لا) فإنّ ممدودتها اسم لمقصورتها فتعرب الممدودة بمقتضى الكلام و تدخلها التنوين و الإضافة و غيرهما، كقول حسان «١» فى مدح النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم:

ما قال لا قطّ إلّا فى تشهده لولا التشهد لم يسمع له أذلاء و فى قول فرزدق «٢» فى مدح مولانا السّجاد عليه صلوات الله:

ما قال لا قَطَّ إلَّا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم و كقول الآخر:

كأنك في الكتاب وجدت أذلاء محرمة عليك فلا تحلّ وفيه المنع من كون (لا) حرفا في البيتين بعد كونه مسندا و لو على وجه الحكاية.

و أما تلك الحروف و الظاهر اطباقهم على اسميتها لما سمعت.

بل عليه يتفرع الإختلاف في اعرابها و بنائها.

مضافا إلى أنهم قد صرحوا بأن الأسماء لمسمياتها إنما هي المقصودة من تلك الكلمات، و أنها موضوعة على القصر، و أنها في الأصل أسماء ثنائية إلّا أنهم إذا أرادوا أن يعربوها بادراجها في الكلام زادوا عليها ألفا و قلبوها همزة حذرا لالتقاء الساكنين. و إنما حملهم على تلك الزيادة الحذر من بقاء الاسم على حرف واحد بعد

(١) حسان بن ثابت بن المنذر الانصارى الخزرجى الشاعر عاش (١٣٠) سنة و توفى سنة (٥٤) هـ.

(٢) هو همام بن غالب الشاعر المعروف بفرزدق توفى سنة (١١٠) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٨٣

دخول التنوين و سقوط الألف لالتقاء الساكنين، كما تبه عليه نجم الائمة «١»، و غيره.

قالوا: و أميا (زاي) فهو على ثلاث أحرف آخرها الياء كالواو، أعربته أو لم تعرب، و فيه لغة أخرى: (زى) نحو كى، فإذا ركبتها أو أعربتها تزيد عليها ياء، فتقول: كتبت زيا بالتشديد كما يشددون فى كل كلمة ثنائية ثانيا حرف علة إذا أعربوها، نحو (لو) و (فى) و (هو) و (هى)، فتقول: كتبت لؤا «٢»، و هذه فى، بالتشديد فيهما.

أقول: و فيه لغات آخر أشار إليها فى القاموس، قال: و الزاي إذا مدّ كتب بهمزة بعد الألف، و وهم الجوهري، و فيه لغات: الزاي، و الزاء، و الزاء، و الزى كالعلى، و زى نحو كى، و زا منون.

و ما اعترض به على الجوهري هو قوله: يمدّ و يقصر، و لا يكتب إلا بياء بعد الألف.

و منها: أنهم قد قرروا فى أسماء حروف الهجاء أنها لا تخلو إلّا أن يقصد بها نفس الأسماء، أو مسمياتها التى هى مصاديق أسمائها أو غير ذلك من المعانى التى سميت بها، كما لو سمي رجل بشيء من الحروف المفردة أو المركبة.

فعلى الأول يجب الإتيان بالاسم كتبا و لفظا، فيقال: كتبت ألفا، و رأيت جيما.

و على الثانى يؤتى بالحرف المفرد خطأ و لفظا لأنه المسمى حقيقه، فإذا قيل:

اكتب: جيم، فالمراد أول حرف من حروف جعفر و هو (ج) فإنه هو المصداق لمفهوم مسماه، و كذا عند النطق به و إن وصل به هاء السكت حينئذ حذرا من الوقف على

(١) هو رضى الدين محمد بن الحسن الأسترابادى النحوى المحقق توفى سنة (٦٨٦) هـ

(٢) نحو قول الشاعر كما فى البهجة المرضية للسيوطى:

الأم على لؤ و إن كنت عالما بأذنان (لؤ) لم تفتنى أوائله

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٨٤

المتحرك، و الابتداء بالساكن بل فى الكتابة أيضا، لأن الأصل فى كل كلمة أن تكتب بصورة لفظها بتقدير الابتداء بها و الوقف عليها، و لذا يكتب: ره زيدا، و قه عمروا.

و حكاية سؤال الخليل أصحابه فى كيفية النطق بالجيم من جعفر مشهورة.

و أمّا على الثالث فاللازم فيه كتابة ألفاظها بحروف هجائها كالأول، وربما يحكى فيه مذاهب آخر فيكون كالثاني، و لعله و هم، بل الإطباق حاصل منهم على الأول.

نعم قد اتفقوا في رسم المصحف على كتابة تلك الحروف المقطعة الواردة في بعض فواتح السور على صورها التي هي مصاديق مسمياتها سواء قلنا إنها أسماء للسور أو للقرآن، أو لأشياء أخرى، مثل (ق) للجبل و (ص) للنهر، أو أنها أبعاض من أسماء الله تعالى، أو رموز لأعمور، أو أسماء لحروف التهجي تنبئها على أن القرآن مركب من هذه الحروف كألفاظكم التي تكلمون بها فهاتوا بمثلها إن قدرتم على ذلك، الى غير ذلك من الوجوه التي مرّت الإشارة إليها، فإنهم مع اختلافهم في المراد بها، على أقوال كثيرة قد اتفقوا على رسمها بصورها و النطق بها بصورها الهجائية فأعملوا فيها القاعدة الموجبة لتفريع الرسم على المذاهب، و خالفوا بينه و بين النطق بها، و ذلك لمتابعة الرسم الذي قيل:

إنه سنة متبعة، و لذا روعي التوقيف في التلاوة و الكتابة.

مضافا إلى ما لعله الوجه في ذلك من أنها لما أريد منها معان متعدّدة متخالفة الأحكام حسبما اخترناه سابقا، و كان بعض هذه المعاني مقتضيا لإرادة المصاديق، و بعضها مقتضيا لإرادة نفس الأسماء أو المسميات التي هي غير المصاديق فراعوا فيها حكم الأول رسما، و حكم الأخيرين نطقا كي ينصرف نظر الناظر فيها الى الأمرين و لا يهمل بعض المقصود في البين.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٨٥

و منها: أنهم عدّوا بعض هذه الفواتح أية دون بعض من دون استناد فيه إلى ما يصلح مرجحا لذلك، بل لمجرد التوقيف و التوظيف، فعّدوا (الم) \* آية حيث وقعت من السور المفتحة بها، و هي ستّ، و كذلك (المص) آية، و (طسم) \* آية في سورتها و (طه) آية، و (يس) آية، (حم) \* آية في سورها كلّها، و (حم عسق) آيتان، و (كهيعص) آية واحدة. و لكن لم يعدّوا من الآيات (الر) \* في سورها الخمس، و (المرا)، و (طس) و (ص)، و (ق)، و (ن). و هذا البناء على مذهب الكوفيين، و أمّا غيرهم فلم يعدّوا شيئا من الفواتح آية على ما حكاها عنهم الزمخشري في الكشاف و غيره معتمدين فيها على مجرد التوقيف.

نعم قال الطبرسي في «المجمع»: إنّما عدّ الكوفيون (المص) آية و لم يعدّوا (ص) آية لأنّ (المص) بمنزلة الجملة، مع أن آخره على ثلاثة أحرف بمنزلة المردف، فلمّا اجتمع هذان السببان و كلّ واحد منهما يقتضى عدّه عدّوه، و لم يعدّوا (المرا) لأنّ آخره لا يشبه المردف، و لم يعدّوا (ص) لأنّه بمنزلة اسم مفرد، و كذلك (ق) و (ن) «١». و قال في (المرا): إنه لم يعدّها أحد آية، و عدّ الكوفي (طه) و (حم) آية لأنّ (طه) مشاكلة لءوس الآي التي بعدها بالألف، مع أنّه لا يشبه الاسم المفرد كما أشبه صاد، و قاف، و نون، لأنها بمنزلة باب، و نوح «٢». أقول: و لعلّ البناء على مجرد التوقيف أولى من ذلك كله.

(١) مجمع البيان ج ٤ سورة الأعراف ص ٣٩٤.

(٢) مجمع البيان ج ٦ ص ٦ سورة الرعد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٨٦

سيما بعد ما هو المشهور من أن عدد الكوفي هو المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام.

نعم إنّما الكلام في تشخيص الموضوع، إذ قد يحكى عن كتاب المرشد «١».

أنّ الفواتح في السور كلّها آيات عند الكوفيين من غير تفرقة بينها.

بل قد يناقش أيضا في قولهم: «إنّ (الم) \* آية حيث وقعت» بأنّها في سورة آل عمران ليست بآية، و كأنّه إنّما توهم ذلك من جهة

الوصل بفتح الميم فيه على ما يأتي ان شاء الله تعالى، ولا يخفى ما فيه، نعم الرواية عنهم في ذلك لا تخلو من تدافع، والخطب سهل. ومنها: أنّ هذه الفواتح على أربعة أنواع، فإنها إما أسماء مفردة ك ص، و ق، و ن، أو مركبة مجموعها على زنة مفرد ك حم\*، و طس، و يس، فإنها على زنة هابيل وقابيل، أو ليست على زنة مفرد لكن يمكن اعتبار التركيب فيها، ك طسم\*، بفتح النون مضمومة الى الميم كأنهما جعلتا اسما واحدا كالمركب المزجي نحو بعلبك، أو مركبة غير القسمين مثل (المر) و (كهيعص).  
المتعين في النوع الأخير هو الحكاية، و أما الثلاثة قبله فيجوز فيها الأمران:

الإعراب، و الحكاية بصورة الوقف كالأعداد قبل التركيب، هذا كله على مذهب الزمخشري و أتباعه.  
و اعترض عليه نجم الأئمة رضى الله عنه بأن المبنى إذا سمي به غير ذلك اللفظ فالواجب فيه الإعراب، و قد سمعت أنّ مذهب الزمخشري في هذه الأسماء الإعراب لكنّها لم تعرب لعدم مقتضى للإعراب، و على هذا فكيف تحكى و لا

(١) المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبى شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي المتوفى (٦٦٥) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٨٧

تعرب مع حصول مقتضى للإعراب إذا سميت بها السور.

و أما حكاية الحكاية فقد يورد عليها بأنها إنما تجرى في بعض المركبات المنقولة الى العلمية، و فى أعلام الألفاظ المحكية الملاحظ فيها مسمى تلك الألفاظ نحو «ضرب فعل ماض» و «كم» للتكثير، لأنّ ضرب علم جنس لنحو ضرب زيد، و ضرب بكر، ففيه مجانسة مع المسمى و اعتبار له فأوجب الحكاية إشعارا بأنه ليس منقولاً من الأصل من كلّ وجه، أما إذا جعل علما لرجل فيتعين فيه الإعراب على كلّ حال.

و أوجب عنه بأنّ هذه الأسماء شايح الاستعمال للدلالة على الحروف المبسوطة لمجرد التعداد، بل الأغلب عليها ذلك، فلما نقلت إلى جعلها أسماء للسور روى الأصل فى حكاية الوقف، و ليس لغيرها من الأسماء هذه الخاصية و إلاّ لجوّزت حكايتها، على أنّ فيها شمة من ملاحظة الأصل، لأنّ مدلولاتها مركبات من تلك الحروف المبسوطة، و الغرض من هذه التسمية الإيقاظ، و قرع العصا. و فيه: أنّ مجرد شيوع الاستعمال لا يقضى بالإلحاق، سيّما بعد وجود مقتضى للإعراب و ملاحظة الأصل متعينة بعد التسمية. و لذا أجمعوا على وجوب الإعراب لو سميت بها غير تلك السور إنسانا كان المسمى أو غيره، و كذا لو ركبت ساير حروف المعجم مع عواملها، فإنّه لا يجوز الحكاية فى الموضوعين قولاً واحداً.

و الفرق بما توهموه فى المقام غير فارق اللهمّ إلاّ أن يستندوا فيه كغيره إلى السماع و التوقيف، و لا بأس به على فرض المساعدة.

نعم قسم بعض المحققين أسماء السور على أقسام:

أحدها: ما فيه أل، و حكمه الصرف، كالأنعام، و الأعراف، و الأنفال.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٨٨

الثانى: العارى منها، فإن لم تضاف إليه سورة منع من الصرف، كهذه هود، و قرأت هود، و إن أضيف إليه سورة لفظاً أو تقديراً صرف، كقرأت سورة هود، ما لم يكن فيه مانع يمنعه، كقرأت سورة يونس.

الثالث: الجملة نحو «قُلْ أَوْحَى» و «أَتَى أَمْرُ اللَّهِ» فيحكى فإن كان أولها همزة وصل قطعت، لأنها لا تكون فى الأسماء إلاّ فى ألفاظ معدودة تحفظ و لا يقاس عليها، أو فى آخره تاء التأنيث قلبت هاء فى الوقف إذ هو شأن التاء التى فى الأسماء، و تعرب لكونها اسما و لا موجب للبناء و يمنع الصرف للعلمية و التأنيث، نحو «قرأت اقتربت» بفتح التاء، و فى الوقف «اقتربه».

الرابع: حروف الهجاء كصاد، و قاف، و نون، يجوز فيها الحكاية، لأنها حرف فتحكى كما هى، و يجوز فيها الإعراب لجعلها أسماء لحروف الهجاء، و على هذا يجوز فيها الصرف و المنع، بناء على تذكير الحرف و تأنيته، و سواء أضيف إليه سورة أم لا، نحو «قرأت



«صاد» أو «سورة صاد» بسكون الدال، و مثل «قرأت صاد أو قرأت صاد» و قرأت سورة صاد أو قرأت سورة صاد.  
الخامس: في حم\*، و طس، و يس اختلفوا، فأوجب ابن عصفور «١» فيها الحكاية، لأنها حروف مقطعة، و جَوَزَ الشلوين «٢» فيها الحكاية و الإعراب غير منصرف لموازنتها هاييل و قابيل، و قد قرء ياسين بفتح النون، و سواء في جواز

(١) هو على بن مؤمن بن محمد بن على أبو الحسن بن عصفور النحوى الحضرمى الإشبلى حامل لواء العربية فى زمانه بالأندلس ولد سنة (٥٩٧هـ)، و مات سنة (٦٦٣) أو (٦٦٩).

بغية الوعاء ص ٣٥٧

(٢) هو عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله أبو على الإشبلى المعروف بالشلوين و معناه بلغة الأندلس الأبيض الأشقر، كان من ائمة العربية فى عصره ولد سنة (٥٦٢) و مات سنة (٦٤٥) هـ بغية الوعاء ص ٣٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٨٩

الأمرين أضيفت إليها سورة أم لا.

السادس: المركب نحو طسم\* إذا لم تضاف إليها سورة ففيها يجوز الوجهان المتقدمان: الحكاية، و الإعراب، و وجه ثالث أيضا و هو بناء الجزئين على الفتح كخمسة عشر.

و إن أضيف إليها سورة لفظا أو تقديرا ففيه الوجهان، و يجوز على الإعراب فتح النون و اجراء الإعراب على الميم نحو بعلبك، و إجراؤه على النون مضافا الى ما بعده، و على هذا يجوز فى (ميم) الصرف و عدمه على تذكيره و تأنيته.

و أما كهيعص و حم عسق فلا يجوز فيهما إلا الحكاية سواء أضيف إليها سورة أم لا، و لا يجوز فيهما الإعراب لفقد النظير فى الأسماء المعربة، و لا تركيب المزج لأنه لا يتركب عن أسماء كثيرة.

و أجاز يونس «١» فى كهيعص أن يكون كلة مفتوحة، و الصاد مضمومة معربة، و وجهه أنه جعله اسما أعجميا، و أعربه و إن لم يكن له نظير فى الأسماء المعربة.

أقول: لكن الذى حكاه عنه نجم الأئمة البناء على أن يكون كاف مركبا مع صاد و الباقي حشو لا يعتد به، و هو كما ترى.

و من جميع ما مرّ يظهر الوجه فى قراءة من قرأ صاد، و قاف، و نون، مفتوحات، أو ياسينا منصوبا، أو غير ذلك من القراءات.

و منها: أن هذه الفواتح على فرض كونها أسماء الله تعالى أو للقرآن، أو للسورة، أو غيرها، لها حظ من الإعراب.

فيجوز أن يكون محلها الرفع على الابتداء، و غيرها، مذكور أو محذوف، أو

(١) يونس بن حبيب النحوى المتوفى (١٨٢) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٩٠

على الخبر، و مبتدئها مذكور أو محذوف.

و أن يكون محلها النصب بتقدير فعل مضمّر خبرى أو إنشائى نحو (أذكر) أمرا، أو (أذكر) مضارعا، أو بتقدير فعل القسم فيما يصلح لذلك بنزع الخافض و إيصال فعل القسم إليها، كما فى قولهم: الله لأفعلن.

و أما ما يقال: من أنه غير مرضى لتخلفه فى (وَالْقُرْآنِ)\* بعد يس، و ص، و ق.

و فى «وَالْقَلَمِ» بعد ن، لورودهما مجرورين، فلا- يمكن العطف لتخالف المتعاطفين إعرابا، و لا جعل الواو للقسم لانحداد المقسم عليه الدال على كون الواو للعطف و لذا استكره الخليل و سيويه فى قوله تعالى: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَ مَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى «١» كون الواوين الأخيرين بمنزلة الأولى، بل ذهبوا إلى أنّهما للعطف.

فيه: أن الاستكراه لا يدل على المنع، والخلاف في المسألة مشهور بين النحاة و عدم استقامته او صحته في البعض لا يقتضى إطراحه في الكل.

و يجوز أن يكون محلّها الجرّ، إبقاء للخفض بعد إسقاط الخافض فيما يصلح منها للقسم إضماما للباء القسميّة، كقولهم: الله لأفعلن بالجرّ، وقولهم: «لاه أبوك» في التعجب، أصله لله، أضمرت اللام الأولى فبقى لآمان، أو لاهما ساكنة و لم يمكن الإدغام لتعدّر الابتداء بالساکن فحذفت الأولى فبقى (لاه).

لكنّها مع الجرّ موقوفة للحكاية، أو مفتوحة لمنع الصرف فيما اجتمع فيه سببان.

و أما من كسر (صاد) فلا اجتماع الساكنين، أو لأخذه من المصاداة بمعنى المعارضة على ما يأتي الكلام فيه إن شاء الله.

(١) الليل: ١-٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٩١

ثم لا يخفى أنّه لو جعل هذه الحروف اختصارا من كلام، او حروفا مسرودة للإيقاظ، أو التحدى، أو للإشعار على تاريخ، أو لفائدة التأليف على بعض الوجوه، فلا حظ لها من الإعراب أصلا و إن أقيمت مقام شيء من الجمل، أو أفادت فائدتها.

ثم إنّ كلا من هذه الحروف لما كان كلمة جاز في الكناية عنها بالضمير أو الإشارة إليها التذكير باعتبار الإسم أو الحرف، و التأنيث باعتبار الكلمة أو السورة باعتبار الوضع لها.

و منها: أنّه يجب المدّ في هذه الفواتح فيما اجتمع فيه حرف المدّ و سببه: و في حرف اللين و الحركة العارضة و جهان بل و جوه، و لا مدّ مع فقد أحد الأمرين.

بيان ذلك أن حروف الفواتح على أربعة أقسام:

أحدها ما هو على ثلاثة أحرف، و التقى فيه حرف المدّ و الساكن و حركة ما قبل حرف المدّ مجانسة له و هو ممدود بالاتفاق، و ذلك في سبعة أحرف: للألف أربعة: صاد، قاف، كاف، لام، و للياء اثنان: سين، ميم، و للواو واحد و هو نون، فإن تحرك الساكن نحو ميم في أول آل عمران على قراءة الجميع، و في أول العنكبوت على قراءة ورش، و نحو صاد، و قاف على قراءة بعضهم، ففي المدّ و جهان، و الأقيس عندهم المدّ.

و ثانيها مثل الأوّل إلّا أن حركة ما قبل حرف المدّ لا تجانسه و هو حرف واحد، و هو (عين) في كهيعص، و حم عسق، و فيه ثلاثة أقوال: المدّ، و التوسط، و القصر.

الثالث ما لم يلتقى الساكن نحو (حا).

و الرابع ما فقد فيه حرف المدّ نحو الألف، فلا مدّ في شيء منهما.

[سورة البقرة (٢): آية ٢]

إشارة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٩٢

تفسير الآية (٢) ذِئِكَ الْكِتَابُ ذِئِكَ إِشَارَةٌ صَدْرَتْ عَنْ سِرَادِقِ مَجْدِ الْعَزِّ، وَ قَدَسَ كِبْرِيَاءُ الْجَبْرُوتِ إِلَى الْكِتَابِ الْمَنْزَلِ فِي كَسْوَةِ الْمَعَانِي وَ الْحُرُوفِ إِلَى الْأَرْوَاحِ النَّائِثَةِ فِي فَيَافِي بِيَدَاءِ الْمَلَكُوتِ، وَ الْأَكْوَانِ الْغَاسِغَةِ فِي ظِلْمَاتِ عِلَاقِ النَّاسُوتِ، فَإِنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ هُوَ النُّورُ الْمُبِينُ، وَ الْمَاءُ الْمَعِينُ، وَ الْحَاكِي لِمَرْتَبَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ فِي صَقْعِ التَّدْوِينِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَجْمَعِينَ، وَ قَدْ

تنزلت تنزلات كثيرة في عوالم مترتبة.

ولذا أشير إليه بما يشار إلى البعيد.

أو أنه إشارة إلى ما كان عليه في رتبته في أول الظهور، و فوق سرادق النور.

تنبيهها على عظمة المشير، و غاية انحطاط تجليات ظهور النور عن الوصول إلى رتبة المنير.

أو على عظمة المشار إليه، سوق الكلام مساق إجرائه على لسان عبيده لانحطاط درجاتهم عن رتبته.

و منه قولهم:

أقول له و الزمح ياطر منته تأمل خفافا إننى أنا ذلكا «١» أى أنا ذلك الرجل العظيم الذى سمعت جلالته.

أو إشارة إلى (الم) باعتبار تأويله بالمؤلف من هذه الحروف.

أو كونه اسما للقرآن أو للسورة حيث إنه جرى له ذكر و تقضى جاز.

أن يعتبر متباعدة فيشار إليه بما يشار به إلى البعيد، كما فى

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٩٣

قوله تعالى: لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك «١» و قوله تعالى حكاية عن يوسف: ذلكم مما علمنى ربى «٢».

أو إشارة إلى ما نزل بمكة قبل هذه السورة، فإنها مدنية، بناء على اطلاق الكتاب كالقرآن على البعض كالكل، و يؤيده قول الجن: إنا

سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى «٣» و هم لم يسمعوا إلا البعض، و تبعد الإشارة باعتبار بعد الزمان.

أو إلى المجموع من حيث المجموع باعتبار وجوده الجمعى الملكوتى المثبت فى اللوح المحفوظ، كما قال: يلى هو قرآن مجيد فى

لوح محفوظ «٤»، و قال: و إنه فى أم الكتاب لدينا «٥».

أو باعتبار نزوله الجمعى الأولى فى السماء الأولى على ما دلّت عليه الأخبار، بل و قوله تعالى إنا أنزلناه فى ليله القدر «٦».

أو إشارة إلى الكتاب الحاضر حضورا ذكريا أو ذهنيا، و ذلك بمعنى هذا، كما عن الأخفش، و غيره، بل و لعله إليه الإشارة بما

ذكره الإمام عليه السلام فى تفسيره حيث قال: كذبت قريش و اليهود بالقرآن، و قالوا: سحر مبين تفوهة، فقال: الله عز و جل: الم ذلك

الكتاب أى يا محمد هذا الكتاب الذى أنزلته عليك هو بالحروف المقطعة «٧» ..

من الخبر على ما تقدم.

(١) سورة البقرة: ٦٨.

(٢) سورة يوسف: ٣٧.

(٣) سورة الأحقاف: ٣٠.

(٤) البروج: ٢٢.

(٥) الزخرف: ٤.

(٦) القدر: ١.

(٧) نور الثقلين ج ١ ص ٢٧-٢٨ ح ٧ عن تفسير الإمام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٩٤

أو أن الله تعالى وعد نبيه ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء و لا يخلق على كثرة الرد، كذا فى بعض الأخبار «١».

أو وعده سبحانه أن يلقي عليه قولاً ثَقِيلاً، كما في الآية «٢»، فلما أنزل القرآن قال: هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدتك. أو أن الله عز وجل وعد الأنبياء في الكتب السالفة أن ينزل على نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً مفتوحاً بالحروف المقطعة، فلما بعثه الله سبحانه وأنزل عليه الكتاب جعل افتتاح سورته الكبرى ب الم، يعني أن هذا هو ذلك الكتاب الذي أخبرت أنبياء السالفين، وخصوصاً وسائر أنبياء بني إسرائيل أتى سأنزل عليك يا محمد.

و هذا الوجه هو المستفاد مما ذكره الإمام عليه السلام في تفسيره وقد حكيناه بطوله في البحث السابع «٣».

و يؤيده أيضاً ما

رواه في المناقب عن أبي بكر الشيرازي في كتابه، و أبي صالح في تفسيره عن ابن عباس في قوله ذلك الكتاب يعني القرآن و هو الذي وعد الله موسى وعيسى أنه ينزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم في آخر الزمان، إلى آخره وسيأتي ان شاء الله تعالى.

فهذه وجوه تسعة، عاشرها المكمل لها أن يكون ذلك إشارة إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك أنه هو كتاب الله الناطق بأوامره ونواهيه، ولسانه الصادق الذي لا ريب فيه.

روى العياشي عن الصادق عليه السلام قال: كتاب علي لا ريب فيه «٤».

(١) الخبر المتقدم ذكره المروى من تفسير الإمام.

(٢) المزمّل: ٥.

(٣) نور الثقلين ج ١ ص ٢٧ ب ٢٨ ح ٧ عن تفسير الإمام.

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٩٥

### ما هو المراد بالكتاب

أقول: والمراد أن ذلك إشارة إلى علي عليه السلام، والكتاب عطف بيان له، وإضافة كتاب إلى علي في الخبر بيانية، والمعنى الكتاب الذي هو علي عليه السلام لا مريّة فيه، وفي كونه علماً هادياً للمتقين.

وفي تفسير القمي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قوله: «ذلك الكتاب» فقال عليه السلام:

الكتاب علي عليه السلام لا شك فيه هدى للمتقين، بيان لشيعتنا «١»....

وفي «مشارك الأمان» أنه روى في معنى «ذلك الكتاب»: أنه قال: الكتاب علي عليه السلام.

و يؤيد ذلك ما

رواه في «الكافي» عن الكاظم عليه السلام في جواب النصراني الذي سأل عن تفسير قوله تعالى: حم و الكتاب المبين \* «٢» في الباطن، فقال عليه السلام: أمّا حم فهو محمد و هو في كتاب هود الذي أنزل عليه و هو منقوص الحروف، و أمّا الكتاب المبين فهو أمير المؤمنين علي عليه السلام «٣».

أقول: و ذلك لما أشرنا إليه في مفتتح تفسير الفاتحة «٤»: من أن الكتاب كتابان:

تدويني و تكويني، أحدهما بيان و حكاية للآخر الذي هو الأصل في الجعل و الإبداع، و هذان الكتابان، أعنى القرآن و أمير المؤمنين عليه السلام هما الثقلان اللذان خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمته، و أمرهم بالتمسك بهما، و أنهما لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض، و النسختان متطابقتان في الاشتمال على حقايق المعارف

(١) تفسير القمى ص ٣٠.

(٢) الدخان: ١-٢.

(٣) اصول الكافى ج ١ ص ٤٧٩ وعنه البحار ج ١٦ ص ٨٨.

(٤) الصراط المستقيم ج ٣ ص ١٤-١٥ ط قم المعارف الاسلاميه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٩٦

و مراتب الإيمان، وفيما يجرى لهما به الذكر والبيان، إلا أن أحدهما صامت والآخر ناطق، فلصامت دلالات وبيانات لا يطّلع عليها على ما هي عليها إلا ذلك الناطق الذي منحه الله تعالى علمه، وأورثه شأنه، وبيانه، وتنزله وتأويله، ولذا يفسّر به في تفسير الباطن كما أشير إليه في الخبر.

و من هنا يظهر أنه لا منافاة بين إرادته باعتبار الباطن، وبين إرادته ما هو المنساق من ظاهر اللفظ على ما هو الظاهر من تفسير الإمام عليه السلام، وغيره، مع أن استعمال الكتاب في الإنسان الكامل سيما هو وذريته المعصومون سلام الله عليهم شايح مستفيض. بل الظاهر من

الشعر المنسوب الى امير المؤمنين عليه السلام:

دوائك فيك و ما تشعر و دائك منك و ما تبصر

و أنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمّر

و من

قول الصادق عليه السلام: إن الصورة الإنسانية هي أكبر حجة لله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده «١» ...

الخبر على ما تقدم «٢» في تفسير «العالمين» إطلاقه على مطلق الإنسان باعتبار اشتماله على حروف العالم الكبير و بسائطها في صقع الاستعداد و التكوين.

ثم إن ذلك أصله ذا، وهو الاسم الموضوع للإشارة، والأصل فيه أن يشار به إلى الحاضر القريب الذي يصلح أن يقع مخاطبا إلا أنه لما اتصلت كاف الخطاب به أخرجته عن هذه الصلاحيّة، إذ لا يخاطب اثنان في كلام واحد إلا مع العطف الموجب للإضراب، أو اجتماعهما في كلمة الخطاب نحو أنت و أنت فعلتما، أو أنتما

(١) شرح الأسماء الحسنى ج ١ ص ١٢.

(٢) الصراط المستقيم ج ٣ ص ٤١١ ط مؤسسه المعارف الاسلاميه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٩٧

فعلتما، فكاف الخطاب توجب كون ما وليته غائبا في التعبير عنه، نحو غلامك قال كذا، و إن كان حينئذ غلامه حاضرا، إلا أنه لم يعتبر حضوره.

فهكذا في ذلك عبّروا بالجمع بين ما دلّ على الحضور و ما دلّ على الغيبة عن حال التوسط، ثم لما أرادوا التنصيص على البعد جاءوا بعلامته و هي اللام، فقالوا: ذلك، و هذه الكاف حرفيّة و إن كانت تصرّف تصرّف الكاف الاسميّة غالبا ليتبين بها أحوال المخاطب من الأفراد و التثنية و الجمع و التذكير و التأنيث، نعم قد يستبان الأخيران بمجرد الفتح و الكسر.

و ربما حمل عليه قوله تعالى في هذه السورة: ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ «١»، و قوله سبحانه: ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ «٢» في سورة المجادلة.

و إن قيل: إن الخطاب فيهما للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، أو لكل أحد.

## الكتاب بحسب اللغة

مصدر سَمِيَ به المفعول للمبالغة، وأصله بمعنى الجمع و منه: تَكْتَبُوا أى تَجْمَعُوا، و الكتبية: الجيش لانضمام بعضهم إلى بعض. وقيل: إنه اسم جامد بنى بمعنى المفعول، و على الوجهين إن كان معناه هو المنظوم لفظاً أو وجوداً فالإطلاق حقيقة، أو خطأ فمن مجاز الأوّل باعتبار ما يكتب، اللهم إلا أن يعتبر إثباته فى الألواح السماوية فكالأوّل حقيقة. و ربما يطلق الكتاب على المكتوب فيه، بل اقتصر عليه فى القاموس، و إن ذكر معه معانٍ آخر و ليس بجيد، فإنّ إطلاقه عليه باعتبار ما كتب فيه.

(١) سورة البقرة: ٢٣٢.

(٢) سورة المجادلة: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٩٨

و تذكير الإشارة مع كون المشار إليه اسم السورة باعتبار اللفظ، أو كونها بعض القرآن أو لمراعاة الخبر على بعض الوجوه. و أما ما يقال من المنع من كون المشار إليه مؤنثاً، لأنّه إمّا المسمّى و هو ذلك البعض أو الاسم و هو الم فكذلك، نعم لذلك المسمّى اسم آخر مؤنث، لكن الاسم المذكور مذكّر. فففيه أنّهم ربما يعتبرون التأنيث فى المسمّى بمجرد اعتبار تأنيث أحد الاسمين، ألا ترى أنّ كلّ حرف من الحروف يجوز تأنيث الضمير الراجع إليه باعتبار كونه كلمة، بل فى «المصباح المنير» عن أبى عمرو «١» قال: سمعت أعرابياً يماثياً يقول: فلان لغوب جاءته كتابى فاحتقرها، فقلت: أتقول: جاءته كتابى؟ فقال: أليس بصحيفة؟

## قراءة غريبة

نقل عن عبد الله بن مسعود أنّه قرأ: ألم تنزّل الكتاب «٢».

(١) هو ابو عمرو إسحاق بن مراد الشيبانى الكوفى المعروف بأبى عمرو الأحمر كان لغويًا من أهل بغداد مات سنة (٢٠٥) او (٢٠٦) او (٢١٣) و قد بلغ مائة و عشر سنين - بغيّة الوعاء ص ١٩٣.

(٢) نقله الزمخشرى فى الكشاف ج ١ ص ١١٢.

و لا يخفى أنّ هذه القراءة مردودة لأنّها صريحة فى تحريف الكتاب الإلهى الذى وعد الله سبحانه حفظه بقوله تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ و أخبر بأنّه ليس فيه اختلاف بقوله سبحانه: وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا و هذه القراءة المنقولة عن ابن مسعود ليس من الاختلافات القرائية الراجعة إلى الهيئات او الموادّ الراجعة إلى الهيئات، مثلاً إذا قرء لا ريب فيه برفع الباء فهو من الإختلاف فى الهيئة. و إذا اختلف فى يَعْلَمُونَ\* فى مورد مثلاً- هل هذه الكلمة بالياء أو بالتاء فهو اختلاف فى المادة الراجعة إلى الهيئة، أما تعويض ذلك بكلمة تنزّل فهو من التحريف الذى لا نعتقده.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٩٩

## تفسير لا زيب فيه

## إشارة

الريب في الأصل مصدر رابنى الشيء إذا حصل فيك الريبة (بكسر الراء) وهى قلق النفس واضطرابها، ومنه النبوى: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» (١) فإن الشك ريبه، والصدق طمأنينه.  
 ومن هنا قيل: إنه الشك كما فى الصحاح، وغيره، وقيل: إنه أسوء الشك، وقيل: شك مع تهمة.  
 ولعلّ الثانى ينزل على الثالث وإن كان أعمّ بحسب المفهوم، وفزق بينهما فى «فروق اللغات» على الوجه الثالث مستدلا عليه بهذه الآية، نظرا الى أنّ المشركين مع شكهم فى القرآن كانوا يتهمون النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه هو الذى افتراه، وأعانه عليه قوم آخرون.  
 قال: وأمّا قوله: «إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي» (٢) فيمكن أن يكون الخطاب مع أهل الكتاب أو غيرهم ممن يعرف النبى بالصدق والأمانة ولا ينسبه الى الكذب والخيانة.  
 أقول: وفيهما نظر- أمّا فى الأوّل فلأنه أعمّ من المطلوب، كيف وأتهمهم له فى موضع آخر لا يدلّ على دخوله تحت المنفى، وأمّا الثانى فلأنّ الشكّ غير مقيد بعدم الاتّهام- بل هو أعمّ من الريب مطلقا، كما يظهر من أوّل كلامه، حيث عرّف الشكّ بتردد الذهن بين أمرين على حدّ سواء، والريب بأنّه شكّ مع تهمة.

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٥٩ ح ٧ و ص ٢٦٠ ج ١٦.

(٢) يونس: ١٠٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٠٠

وعلى هذا فلا حاجة الى ما تكلفه فى المقام، نعم الظاهر أنّ الريب كما يطلق على الشكّ الذى معه تهمة كذلك يطلق كلّ من القيد منفردا عن الآخر- ولذا فسره فى «القاموس» بالظنّ والتهمة.  
 وفى العلوى: «لا ترتابوا فتشكّوا ولا تشكّوا فتكفروا» (١) وقد فسّر فى المقام بمطلق الشكّ فى أخبار كثيرة:  
 ففى تفسير الإمام عليه السّلام: لا ريب فيه، لا شكّ فيه، لظهوره عندهم كما أخبرهم أنبياءهم أنّ محمّدا صلى الله عليه وآله وسلم ينزل عليه كتاب لا يمحوه الماء، يقرأه هو وأمّته على سائر أحوالهم (٢).  
 وفى بعض نسخ تفسير القمى عن الباقر عليه السّلام بعد تفسير الكتاب بأمر المؤمنين عليه السّلام قال:  
 لا شكّ فيه أنّه إمام وشيعتنا هم المتقون (٣).  
 وفى «مشارك الأمان»: لا ريب فيه قال: لا شكّ فيه.  
 ومثله ما فى المناقب عن ابن عباس.  
 و (لا-) موضوعة لنفى الجنس، ويلزمه نفى الإفراد على وجه الاستغراق، إذ ما من فرد إلّا والجنس حاصل فى ضمنه، ركب معهما مدخولها فبنى على الفتح.  
 والنفى إمّا على حقيقته مع تقييد المتعلّق والمراد أنّ الكتاب لوضوح شأنه و سطوع برهانه بحيث لا ينبغى لأحد أن يرتاب فيه بعد التأمل الصحيح والنظر البالغ فى بلاغته وإيجازه ووجوه إعجازه، فلا ينافيه وقوع الريب فيه كما قال: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (٤).

(١) بحار الأنوار ج ٣ ص ٣٩ ح ٦٩.

(٢) تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٢٧-٢٨ ح ٧ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٣) تفسير القمى ج ١ ص ٣٠ وفي النسخة المعروفة لا شك فيه أنه إمام هدى.

(٤) سورة البقرة: ٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٠١

على أن الشرطيّة لا تستلزم صدق المقدم، وإنما سبقت التعريف طريق مزيل له على فرض وجوده بأن يجتهدوا غايةً جهدهم، و يبذلوا نهايةً وسعهم في معارضة أقصر سورة من سوره، حتى إذا عجزوا عن آخرهم عنها تحقّق لهم أن ليس مجال فيه للشبهة، ولا مدخل للريبة وإن كانوا بعد ذلك قد جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً.

أو أن المراد أنه لا ريب فيه للمتقين الذين جانبوا العصبية ونظروا بعين البصيرة، فيكون (هدى) حالاً من الضمير المجرور.

والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفى أو خبراً عن النافية.

أو على حذف المضاف والمعنى: لا سبب شك فيه، إذ الأسباب التي توجب الشك في الكلام هي التلبس والتعقيد واختلال النظم والتناقض والدعاء، والدعاوى العارية من البرهان، والاختلاف، ولذا قال تعالى: أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (١).

وإمّا بمعنى إنشاء الترك وإن كان لفظه الخبر، والمعنى لا- ترتابوا ولا تشكوا فيه، على حد قوله تعالى: فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ (٢)، والمراد تحريم تعاطى أسبابه، أو مجرد إظهاره.

وقد ظهر من جميع ما مرّ ضعف ما يحكى عن بعض الملاحدة من الطعن في الآية بأنه إن عنى نفى الشك فيه عندنا فنحن نشك فيه، وإن عنى نفى الشك عنده فلا فائدة فيه.

(١) سورة النساء: ٨٢.

(٢) سورة البقرة: ١٩٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٠٢

### قراءة شاذة

عن أبي الشعثاء (١) أنه قرأ لا- ريب بالرفع على ان تكون (لا) هي المشبهة بليس، والفرق بينها وبين القراءة المشهورة أن المشهورة صريحة في نفى جميع الأفراد ولو من جهة الاستلزام وهذه ظاهرة من جهة وقوع النكرة في سياق النفي، مع احتمال أن يراد به معنى لا يشمل المثني والمجموع.

وإنما أحر الظرف هنا بخلاف «لا فيها غول» (٢) لأنهم يقدمون الأهم، وهو في المقام نفى الريب بالكلية من الكتاب، وإثبات أنه حق وصدق، لا باطل وكذب، ولو قدّم فيه الظرف لأوهم وجود كتاب آخر فيه الريب لا في هذا، كما قصد في قوله:

«لا فيها غول» تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بفقد الصفة المصرحة بها.

وهذا الوهم ممّا لم تسق الآية للإشعار بها، مع ما فيه من الإزراء بالمعنى الأول الذي هو المقصود.

### الوقف



الوقف على «فيه» هو المشهور، و عن نافع «٣»، و عاصم «٤»: أنهما وقفا على «لا رَبِّبَ» بناء على حذف الخبر كما هو الشائع في هذا الباب للعلم به، و منه قوله تعالى:

قَالُوا لَا ضَبِيرَ «٥» و قولهم: لا بأس، و التقدير: لا ريب فيه، فيه هدى و لا بد أن

(١) ابو الشعثاء سليم بن أسود المحاربي الكوفي التابعى قتل يوم الزاوية مع ابن الأشعث في سنة (٨٥) - تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٤٩.

(٢) الصافات: ٤٧.

(٣) نافع بن أبي نعيم المدني من القراء السبعة توفى (١٦٩) أو (١٧٦).

(٤) هو عاصم بن أبي النجود بن بهدلة الكوفي القارى المتوفى (١٢٧) أو (١٢٨).

(٥) الشعراء: ٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٠٣

ينويه الواقف عليه، كيلا يكون الوقف ناقصا.

## القراءة

قرأ ابن كثير «١»: فيه هدى بوصل الهاء بياء آخر فى اللفظ إشباعا لكسرة الهاء هنا و فى كل هاء كناية قبلها ياء ساكنة إذا لم يلق الهاء ساكن، و إلا فلا إشباع نحو إِلَيْهِ الْمَصِيرُ\* «٢» و نحو يَعْلَمُهُ اللَّهُ\* «٣».

و الباقون من القراء متفقون على ترك الإشباع فى كل ما قبله ساكن.

نعم وافق ابن كثير هشام «٤» على صلة (أَرْجِهْ)\* «٥» بواو، و حفص «٦» على صلة فِيهِ مُهَانًا «٧» بياء.

و اللمدى ذكره شيخنا الطبرسى أخذا من كتاب «الحجّة» لأبى على الفارسى «٨» أنه يجوز فى العريضة فى (فيه) أربعة أوجه: «فيهو» و «فيهى» و «فيه» و «فيه».

و صرح غير واحد منهم بأن الضمير المتصل الغائب منصوبه و مجروره مختصر من الغائب المرفوع المنفصل بحذف حركة واو (هو)، لكنهم لما قصدوا التخفيف فى المتصل لكونه كجزء الكلمة لم يأتوا فى الوصل بالواو و الياء الساكنين فيما كان قبل الهاء ساكن نحو

(منه)، و عليه فلا يقولون على الأكثر: «منهو»

(١) هو عبد الله بن كثير القارى المكى المتوفى (١٢٠).

(٢) المائدة: ١٨.

(٣) البقرة: ١٩٧.

(٤) هو هشام بن عمّار بن نصير بن ميسرة ابو الوليد السلمى الدمشقى المتوفى (٢٤٥) - غايه النهاية ج ٢ ص ٣٥٤.

(٥) الأعراف: ١١١.

(٦) هو حفص بن سليمان الكوفى المتوفى (١٨٠) هـ

(٧) الفرقان: ٦٩.

(٨) هو ابو على الحسن بن عبد الغفار الفارسى المتوفى (٣٧٧) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٠٤

و «عليه» لثقل الواو والياء، و لكون الهاء لخفائها كالعدم. فكأنه يلتقى ساكنان.

نعم قد ضمّوا هاء المذكر إلّا أن يكون قبلها ياء، أو كسرة، فحينئذ أهل الحجاز يبقون ضمّها على ما حكاه نجم الأئمة، و غيرهم يكسرونها.

و أمّا إن كان الساكن غير الياء فعن قوم من بكر بن وائل كسر الهاء فى الواحد و المثنى و المجموع فيقولون: «منه، منها، منهم، منهم» و الباقون على الضمّ.

و أمّا الإشباع، فإنّ وليت متحركا نحو «به، و له، و ضربه» ففيه لغات، و المشهور الإشباع لا-غير، و عن بنى عقيل، و كلاب تجويز التخفيف بالحذف مع إبقاء الضمّة و الكسرة، و عن بعضهم التخفيف أيضا بتسكين الهاء اختيارا، و عن غيرهم تجويزهما ضرورة.

و إن وليت ساكنا فالأشهر ترك التوضيل مطلقا، و عن ابن كثير إثباته مطلقا، و فضل سيويوه بين ما إذا كان الساكن الذى قبلها حرفا صحيحا فالصلة نحو (منهو) و (أصابتهو)، أو حرف علّة فعدم الصلة نحو (ذوقوه) و (فيه).

و اعترض عليه نجم الأئمة بأنّه لو عكس لكان أنسب لأنّ التقاء الساكنين إذا كان أولهما ليّنا أهون منه إذا كان أولهما صحيحا.

فقد تحصل من ذلك أنّ المذهب فى نحو (فيه) أربعة: ضمّ الهاء، و كسرها مع الصلة و تركها.

قال نجم الأئمة: و قد قرئ بها كلّها فى الكتاب العزيز.

و قد سمعت شهادة الطبرسى و الفارسى بجوازها فى العريّة فلا يبعد جواز القراءة بكلّ منها فى القرآن و الصلاة بعد ورود الإذن بالقراءة كما يقرء الناس، و إن كان الحكم بالجواز فى بعضها لا يخلو من تأمل، بل الأحوط الاقتصار على ما هو المشهور.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٠٥

### تفسير فيه هدى

### إشارة

هيدى بيان و شفاء للمؤمنين من شيعه محمد و على عليهما السلام الذين اتقوا أنواع الكفر و تركوها، و اتقوا أنواع الذنوب الموبقات فرفضوها، و اتقوا إظهار أسرار الله تعالى و أسرار أزكيا عباده الأوصياء بعد محمد صلى الله عليه و آله و سلم فكتموها، و اتقوا ستر العلوم عن أهلها المستحقين لها، و فيهم نشرها.

و قال عليه السلام أيضا: (هدى) بيان من الضلالة للمؤمنين الذين يتقون الموبقات، و يتقون تسليط السفه على أنفسهم، حتى إذا علموا ما يجب عليهم علمه عملوا بما يوجب لهم رضاء ربهم.

### أقسام الهداية

و الهدى مصدر على وزن فعل (بضم الفاء و فتح العين) و ان كان هذا الوزن قليلا- فى المصادر، بل قيل: إنّه يمكن أن يختص به المعتل نحو (السرى) و (العلى).

و قد مرّ فى الفاتحة عدم الفرق بين الهدى و الهداية، خلافا لمن فرّق بينهما باختصاص الأول بإراءة طريق الدين خاصه دون الثانى الذى يعم إرائه كلّ طريق، و تبّنها هناك أيضا على أنّه لا اختصاص لها و لمشتقاتها بشىء من الدلالة الموصلة أو إرائه الطريق، بل

يستعمل في كليهما على وجه الحقيقة.

نعم قد يقال: إنَّ (الهدى) الدلالة الموصلة الى البغية، بدليل وقوع الضلالة في مقابله، قال تعالى: **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى** «١» وقال سبحانه:

(١) البقرة: ١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٠٦

لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ «١»، و لا- ريب أنَّ عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلالة، فلو لم يعتبر الوصول في مفهوم الهدى لما صحَّت المقابلة، ولأنَّه يقال:

مهدى في موضع المدح كالمهتدى- بل لا يطلقان إلَّا على من وصل الى المطلوب.

ولأنَّ اهتدى مطاوع هدى و لا- يكون المطاوع في خلاف معنى أصله، لأنَّ المطاوع و المطاوع يشتركان في أصل المعنى، و إنما الإفتراق في التأثير و التأثر، و من البين أنَّ الوصول معتبر في اهتدى فكذا في أصله، كما يقال: غمته فاغتم، و كسره فانكسر.

و لكن يضعف الدليل الأول بأنَّ عدم الوصول المعتبر في مفهوم الضلال ليس لكونه فقدان المطلوب بل فقدان شرط الإيصال، مع أنَّ الهدى في مقابل الإضلال فلما قوبل بالضلال أريد به الاهتداء تجوزاً.

و يضعف الثاني بأنَّ التمدح لعله لمكان استعداد الكمال، و التمكن من الوصول إليه.

و دعوى انحصار إطلاقها على خصوص الواصل الى البغية ممنوعة جداً، و لذا يقال: هديته فلم يهتد، قال سبحانه: **وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ** فَاسْتَجَبُوا أَعْمَى عَلَى الْهُدَى «٢».

و من هنا يظهر الجواب عن الثالث أيضاً، فإنَّ سبيله سبيل قولك: أمرته فلم ياتمر، و زجرته فلم ينزجر.

و أمَّا ما يقال: من أنَّ معناه و جهت الأمر إليه فتوجهه، ثم أستعمل في الامتثال مجازاً.

(١) سبأ: ٢٤.

(٢) فصلت: ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٠٧

ففيه أنه بعد تسليمه جاز في المقام أيضاً.

### وجه اختصاص الهدى بالمتقين

فإن قلت: لو كان الهدى مطلق الدلالة حصل به الوصول أم لا فما وجه الإختصاص بالمتقين في هذا المقام باللام المقيدة له؟

قلت: إنَّ الهدى قد يستعمل مرّة باعتبار أصل معناه الذي هو الدلالة و الإرائة، و أخرى يستعمل باعتبار حصول الثمرة و وصول النفع، و المقام من الثاني، كما أنَّ قوله تعالى: **أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ «١»** من الأول، و حيث إنَّ المتقين هم المنتفعون المتعظون بزواجه خصّهم به دون غيرهم- و إن كانت دلالته عامية تامه لكل ناظر من مسلم و كافر، و هذا على حد قوله تعالى: **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا «٢»** باعتبار انتفاعهم بإنذاره، و إن كان رسولا إلى الناس كافةً\* ... بشيراً و نذيراً\*.

هذا مع أنه ربما يقال: إنه لا يهدى إلَّا الموصوفين بالمرتبة الأولى من التقوى و هم الذين تأملوا الدلائل و اتصلوا بالإسلام.

و فيه نظر، لأنَّه هدى للكفار و المشركين أيضاً بالنظر الى وجوه إعجازه و وقوع التحدى به، و اشتماله على الإخبار من السرائر

المكنونة، و الحوادث المستقبلية.

و أمّا كونه هدى للمتقين مع أنهم المهتدون الواصلون إلى البغية، فإنّما هو باعتبار مراتب الهداية و درجاتها فإنّ أهل كل درجة يهتدون به إلى الدرجة العالية،

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) النازعات: ٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٠٨

كما قال تعالى: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ «١»، و قال تعالى: لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ «٢».

أو باعتبار الثبات و البقاء عليه بعد حصوله على ما مرّ في الفاتحة «٣».

أو أنّ المراد بالمتقين المشارفون للتقوى، فإنّ أثر الهداية ظاهرة فيهم.

أو أنّه لا حاجة إلى ارتكاب التجوّز في شيء من الطرفين، بل هو على حدّ قولهم: السلاح عصمة للمعتصم، و المال غنى للغنى، فإنّه على قصد السببية، و إن كان تحقّق الموضوع باعتبار الوصف.

و (هُدًى) ليس بمعنى الفاعل حتى يراد به الحدوث، و على فرضه فقد يراد به اللزوم و الاستمرار.

و المتقى مفتعل من الوقاية، أصله الموتى قلبت الواو تاء و أدغمت في تاء الافتعال، و أمّا قلب الواو تاء في التقوى حيث إنّ أصله و قوى فلخصوص المادّة كالتراث، دون الهيئة، بخلاف الأوّل فإنّه مطّرد الجواز في ذلك الباب كالاتّحاد، بل قال الجوهري: إنّ له لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أنّ التاء من نفس الحرف فجعلوه (اتقى، يتقى) بفتح التاء فيهما مخفّفه، ثمّ لم يجدوا له مثالا في كلامهم يلحقونه به فقالوا: تقى يتقى مثل قضى يقضى.

و معنى التقوى في الأصل الصيانة و الحجز بين الشئين، يقال: اتقاه بالترس أى جعله حاجزا بينه و بينه.

(١) سورة محمد صلى الله عليه و آله و سلّم: ١٧.

(٢) سورة الفتح: ٤.

(٣) تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ص ٥٦٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٠٩

قال الشاعر:

فألقت قناعا دونه الشمس و اتّقت بأحسن موصولين كفّ و معصم و غلب شرعا على ما يحجز عن سخط الله و عقابه من قول أو فعل أو ترك، فيشمل فعل الطاعات و ترك المعاصي.

ثمّ أن التقوى يطلق مرّة باعتبار نفس تلك الأفعال و التروك، و أخرى على الملكة الباعثة على ملازمة الامتثال و الموافقة في ابتغاء مرضاته و له درجات:

### درجات التقوى

أحدها أن يتقى الكفر و الشرك و المحادة لله و لرسوله و لأوصياء رسوله الذين أمر الله تعالى بطاعتهم و ولايتهم و محبتهم، و هذا

أول درجات التقوى، وقبله لا يطلق هذا الاسم كما لا يصدق اسم الإيمان، فالإيمان والتقوى والهداية متساوية في هذه الدرجة، ولا يصدق شيء منها على أحد من المخالفين فضلا عن الكفار والمشركين.  
وهذا المعنى هو المراد بقوله تعالى: «وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى» (١)، حيث فسرت بكلمة الشهادة، وفي بعض الأخبار: أنه الإيمان (٢) و  
عنهم عليهم السلام في أخبار كثيرة: «نحن كلمة التقوى» (٣).

(١) النسخ: ٢٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ٢٠٠.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٨٤ و ج ٢٦ ص ٢٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١١٠

وبقوله تعالى: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» (١)، يعنى المقرين بالولاية للولى.

الدرجة الثانية: أن يتقى ارتكاب الكبائر، بأن لا يخل بالواجبات ولا يقترف شيئا من السيئات التي تعد في الكبائر، حتى الإصرار على شيء من الصغائر، وأما ارتكابها من غير إصرار فلا يخل بهذه الدرجة، بناء على ما هو الحق من انقسام المعاصي الى القسمين، وأن الصغائر مكفرة باجتناب الكبائر، كما يأتي إن شاء الله مشروحا في تفسير الآيه، وهذا المعنى هو المراد بقول تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا» (٢)، وقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا ...» (٣).

بل هو المراد بقول الفقهاء في تعريف العدالة: إنها ملكة نفسانية باعثة على ملازمة التقوى والمروءة.

الدرجة الثالثة: أن يتقى ارتكاب الصغائر والأفعال المباحة، بأن يكون له في كل من الأفعال المباحة في ذاتها قصد غاية من الغايات الراجحة حتى تصير بذلك عاداته كلها عبادات ولعله هو المراد بقوله تعالى: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» (٤) وقوله تعالى: «وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ» (٥).

الدرجة الرابعة: أن يتقى مع كل ذلك ذمائم الأخلاق و ذائل الخصال مالا يحاسب به ولا يعاقب عليه فضلا عما فيه الحساب والعقاب، ولعله المراد

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) الأحزاب: ٧٠.

(٣) الأعراف: ٩٦.

(٤) البقرة: ١٩٧.

(٥) الأعراف: ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١١١

بقوله تعالى: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (١).

خامسها وهي الدرجة العليا: ان يتقى مع جميع ذلك الالتفات الى ما سوى الله تعالى، وذلك إنما يكون بدوام التوجه والانقطاع إليه سبحانه بهواجس قلبه، و شراشر سره.

و إليه الإشارة بقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» (٢)، و بقوله تعالى: «وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» بعد قوله: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» (٣)، و بقوله سبحانه «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا» (٤).

و إن كان الأظهر صلاحية كل من هذه الآيات للدرجات السابقة، بل وكذا في المقام: هُدى للمتقين، وذلك لاختلاف مراتب

الهداية، و الإيمان بالغيب المكنن في التقوى في المقام فيؤخذ باعتبار كل درجة منه ما يناسبه من مراتب الطرفين. و جميع ذلك إنما هو من شئون الولاية، و مقتضيات الإيمان بالولي، و لذا ورد أن المراد بالمتقين شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، ففي بعض نسخ تفسير القمي عن الباقر عليه السلام قال: الكتاب أمير المؤمنين لا شك فيه أنه إمام، و شيعتنا هم المتقون «٦».

(١) الطلاق: ٣.

(٢) آل عمران: ١٠٢.

(٣) البقرة: ١٩٧.

(٤) البقرة: ٢٨٢.

(٥) الأنفال: ٢٩.

(٦) تفسير القمي ج ١ ص ٣٠ في بعض نسخه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١١٢

### المتقون شيعة أمير المؤمنين عليه السلام

و في المعاني و تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام قال: المتقون شيعتنا «١». و في مشارق الأمان قال: روى في قوله تعالى: هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ: أن التقوى ما ينجي به من النار، و لا ينجي من النار إلا حبّ عليّ عليه السلام، فلا تقوى على الحقيقة إلا حبّ عليّ عليه السلام. و في المناقب عن أبي بكر الشيرازي في كتابه و أبي صالح في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى: هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ قال: تبيان و نذير للمتقين عليّ بن أبي طالب الذي لم يشرك بالله طرفه عين و أخلص لله العبادة فدخل الجنة بغير حساب، و شيعته «٢». و في الإكمال عن الصادق عليه السلام في هذه الآية، قال: المتقون شيعة عليّ عليه السلام «٣». و التقوى بهذا المعنى هو الذي ورد الحثّ عليها في الآيات و الأخبار، مثل أنه خير الزاد و شرط قبول الأعمال. و عن الصادق عليه السلام أنه قال: اتق الله و كن حيث شئت، و من أيّ قوم شئت فإنه لا خلاف لأحد في التقوى، و المتقى محبوب عند كلّ فريق، و فيه جماع كلّ خير و رشد، و هو ميزان كلّ علم و حكمه، و أساس كل طاعة مقبولة، و التقوى ماء ينفجر من عين المعرفة بالله، يحتاج إليه كلّ فن من العلم، و هو لا يحتاج إلا إلى تصحيح المعرفة بالخمود تحت هيبة الله و سلطانه. و مزيد التقوى يكون من أصل اطلاع الله

(١) العياشي ج ١ ص ٢٦ ح ١ و عنه البرهان ج ١ ص ٥٣.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٥٦٥ و عنه البحار ج ٣٥ ص ٣٩٧.

(٣) البرهان: ج ص ٥٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١١٣

عزّ و جلّ عليّ سرّ العبد بلطفه، فهذا أصل كل حقّ «١» و قال عليه السلام: و قد جمع الله ما يتوصى به المتواصون من الأولين و الآخرين في خصلة واحدة و هي التقوى، قال الله جلّ و عزّ: وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ «٢»، و فيه جماع كلّ عبادة صالحة، و به وصل من وصل الى الدرجات العلى، و الرتبة القصوى، و به عاش من عاش مع الله بالحياة الطيبة و

الأنس الدائم، قال الله عزَّ وجلَّ: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ «٣» «٤».

وقال عليه السلام: التقوى على ثلاثة أوجه: تقوى بالله و في الله، و هو ترك الحلال فضلا عن الشبهة، و هو تقوى خاصَّ الخاص، و تقوى من خوف النار و العقاب، و هو ترك الحرام و هو تقوى العام، و مثل التقوى كماء يجري في نهر، و مثل هذه الطبقات الثلاث في معنى التقوى كأشجار مغروسة على حافة ذلك النهر، من كل لون و جنس، و كل شجرة منها يستمض الماء من ذلك النهر على قدر جوهره و طعمه و لطافته و كثافته، ثم منافع الخلق من ذلك الأشجار و الثمار على قدرها و قيمتها، قال الله تعالى: صَبَّأُوا فِي صُنُوفٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ، وَنُفِّسَ بِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ «٥».

فالتقوى في الطاعات كالماء للأشجار، و مثل طبائع الأشجار و الثمار في لونها و طعمها مثل مقادير الإيمان، فمن كان أعلى درجة في الإيمان و أصفى جوهرًا

(١) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٣٩٤ ج ٤٠ عن مصباح الشريعة ص ٤٤.

(٢) سورة النساء: ١٣١.

(٣) سورة القمر: ٥٤.

(٤) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٢٠٠.

(٥) سورة الرعد: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١١٤

بالروح كان أتقى، و من كان أتقى كانت عبادته أخلص و أطهر، و من كان كذلك كان من الله أقرب، و كلَّ عبادة غير مؤسَّسة على التقوى فهو هباء منثور، قال الله عزَّ وجلَّ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ «١». الآية و تفسير التقوى ترك ما ليس بأخذه بأس، و هو في الحقيقة طاعة و ذكر بلا نسيان، و علم بلا جهل، مقبول غير مردود «٢» أقول: الأخبار في فضل التقوى و شرح مراتبه و درجاته كثيرة جدًا، و ستسمع إن شاء الله شطرا منها مضافا الى ما سمعت في تفسير الآيات المتضمنة لذكره.

### وجوه إعراب الآية

أمَّا الم فقد ظهر ممَّا تقدَّم أنَّه يجوز فيه الرفع على الابتداء باعتبار من أسماء القرآن أو السورة، أو بتأويل المؤلف من الحروف المتداولة، و خبره ذلك الكتاب.

أو على الخبرية بتقدير مبتدأ أي هذا المؤلف، أو المتلو، أو المقروء، أو المنزل، و نحوها.

أو الفاعلية لفعل مقدر بناء على كونها من أسماء الله سبحانه، و كونها محذوفة الأعجاز المكتفى عنها بصدورها لو قلنا بجواز الإسناد إليها حينئذ، فكأنه قال: قال الله اللطيف المالك، أو أنزل، و نحوه.

(١) سورة التوبة: ١٠٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٩٥-٢٩٦ ح ٤١ عن مصباح الشريعة ص ٥٦-٥٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١١٥

و يجوز أن يكون محلها نصب بإضمار فعل «١»، أو بنزع الخافض، و يمكن أن يكون محلها الجرّ مع حذف الجار و قد تقدّم فراجع. و أمَّا ذلك فهو مرفوع على الخبرية لمبتدأ مذکور، أو محذوف، أو البدئية على بعض الوجوه، أو على الابتدائية و خبره الكتاب، أو أن

الكتاب عطف بيان لذلك، أو صفة له، أو بدل منه والخبر حينئذ جملة لا ريب فيه.

و أمّا هذه الجملة يجوز أن تكون خبراً، كما ذكر، ويجوز أن تكون حالاً- والعامل فيها معنى الإشارة، أو الفعل العامل فى الم على تقديره.

و لا فيها لنفى الجنس مبنى اسمها على الفتح على المشهور، و على ما مرّ عن أبى الشعثاء بمعنى ليس، و فيه خبره.

و هُدى مرفوع على الخبرية، أو أنه خبر ثان بعد لا- ريب فيه، و يمكن أن يكون حالاً و يكون خبر لا- محذوفاً كما هو الشائع فيه كقولهم: لا بأس، و لا ضير، و لا صلاة إلا بطهور، و قيل: هُدى مرفوع على أنه مبتدأ مؤخر و فيه خبره قدّم عليه لتكثيره، و التقدير لا ريب فيه فيه هدى، و يؤيده ما يحكى عن نافع و عاصم أنّهما وقفا على لا ريب، إلى غير ذلك من الاحتمالات التى لا خفاء فى ضعف أكثرها، و لذا كان الأولى الإعراض عن الاشتغال بها، و الإقبال على دقايق المعانى و دقايق البلاغة.

بأن يقال: إنّها أربع جمل متناسبة تقرّر اللاحقة منها السابقة، و لذا لم يؤت بحرف نسق ينظم بينها فإنّ الجمل متآخية متعاقبة بأنفسها من دون أداء، ف الم جملة محذوفة المبتدأ أو محذوفة الخبر، و إن قيل: إنّ الأبلغ أن يقدر هذه الم إشارة إلى أنه الكلام المنزل المتحدى به، فإنّ الخبر عن اسم الإشارة بأنّ القرآن يقتضى ذلك،

(١) نحو أذكر، أو أذكر (إنشاء، أو إخباراً)

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١١٦

و هذا هو المستفاد من تفسير الإمام عليه السلام حيث قال: كذبت قريش و اليهود بالقرآن و قالوا: سحر مبين تَقَوْلُهُ، فقال الله تعالى: الم ذلِكَ الْكِتَابُ أَى يا محمّد هذا الكتاب الذى أنزلته عليك هو بالحروف المقطعة التى منها ألف و لام و ميم، و هو بلغتكم و حروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين «١» إلخ.

فدلّ على أنّ المتحدى به هو المؤلّف من جنس ما يركبون منه كلامهم.

و ذلِكَ الْكِتَابُ جملة ثانية مقرّرة لجهة التحدى بأنّه الكامل الذى لا يحقّ غيره أن يسمّى كتاباً فى جنسه أى فى باب التحدى و الهداية إلى صدق من جاء به، و أنّه هو الكتاب المبارك الذى لا يمحوه الماء المختار من بين الكتب السماوية بإعجاز اللفظ و فخامة المعنى الذى أخبرت أنبيائى السالفين أنى سأنزله ... الى آخر ما مرّت إليه الإشارة من كلام الإمام عليه السلام.

و لا ريب فيه جملة ثالثة نافية لأن يتثبت به طرف من الريب فكان شهادة و تسجيلاً بكماله، إذ لا كمال أكمل ممّا للحق و اليقين كما أنّه لا نقص أنقص ممّا للباطل و الشبهه.

قيل لبعض العلماء: فيم لذتكَ؟ قال: فى حجّة تتبختر اتّضاحاً، و فى شبهة تتضائل افتضاحاً.

و هُدى لِلْمُتَّقِينَ بما قدر له مبتدأ جملة رابعة مؤكّدة لكماله بافادة الهداية التى هى من شأن الكتب السماوية.

فدلّت الجمل الأربعة على أنّه هو الحقيق بأن يتحدى به و يهتدى بنوره الأمة هو المبشّر به فى الكتب السالفة، و لكمال نظمه فى باب البلاغة، و كماله فى نفسه، و فيما هو المقصود منه.

(١) البرهان ج ١ ص ٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١١٧

و قد يقال: إنّ الارتباط بين الجمل كأنه من روابط العلية و المعلوليه و يقرّر مرّة بأنّ كلّاً منها كأنه مدلول عليه بسابقه مترتب عليه ترتّب المدلول على الدليل، و ذلك أنّه لما نبه أولاً على إعجاز المتحدى به من حيث إنّه من جنس كلامهم، و قد عجزوا عن معارضته رتب عليه أنّه الكتاب البالغ حدّ الكمال المبشّر به فى الكتب السالفة، و استلزم ذلك أن لا يحوم حومه شكّ و ريبه، و ما كان كذلك كان



لا محالة هدى للمتقين.

و أخرى على عكس الأولى حملا على الاستيناف على ما باله صار معجزا؟

فأجيب بأنه كامل بلغ أقصى الكمال لفظا و معنا، ثم سئل عن سبب الإختصاص؟

فأجيب بأنه لا يحوم حوله ريب لكونه من عند الله، ثم لما طول بالدخول على ذلك استدلل بكونه هدى للمتقين.

و لا يخفى أن طريقة الاستنتاج غير بعيد عن السياق، و أما الاستيناف فغير مستحسن بعد ظهور عدم كون السؤال ظاهر الورد مع أن

بعض الأجوبة لو لم نقل كلها على وجه المصادرة مضافا الى أن كونه هدى مسبب عما سلف فلا يصح دليلا له.

[سورة البقرة (٢): آية ٣]

### إشارة

تفسير الآية (٣) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ شروع في بيان صفات المتقين، فبدأ بما هو كالأساس لغيره من صفاتهم الشريفة التي تترتب على

ذلك ترتب الفروع على الأصل و تبنتى عليه ابتناء البناء على الأساس و على هذا فالموصول موصول للمتقين.

و محلّه الجرّ على أنه صفة موضحة لحال المتقين، مبيّنة لما هم عليه في عقائدهم و أعمالهم و أموالهم إن فسّر التقوى بما يعمّ فعل

الطاعة و ترك المعصية، أو

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١١٨

بغيره من الدرجات الرفيعة المتقدمة.

أو مقيدة لإطلاقه إن فسّر بترك المعاصي أو ما لا ينبغي فعله.

أو محلّه النسب بتقدير أعنى، أو أمدح، أو أخصّ، أو الزّفع على أنه خبر لمحدوف و التقدير هم الذين، أو على الابتداء و خبره

(أولئك) فيكون مفصولا- عنه، سواء جعلناه استينافا بيانيا في جواب يقول: ما بال المتقين قد خصّوا بهداية الكتاب لهم، أو استينافا

نحويا.

و الإيمان إفعال من الأمن، يقال: أمنت و أنا أمن، و أمنت غيري، فالهمزة للتعدية، و يستعمل كثيرا بمعنى التصديق، حتى قال الأزهري:

اتفق العلماء على أن الإيمان هو التصديق، و استشهد بقوله تعالى: وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا «١» أى بمصدق.

و من هنا قد يتوهم أن التصديق معنى آخر حقيقى له لغوى أو عرفى، و لا بأس به و إن كان فى الأصل مأخوذا من الأمن ضد الخوف،

و ذلك أن آمنه بمعنى صدقه كان فى الأصل آمنه التكذيب و المخالفة لكنّه قد يعدى باللام كما فى الآية المتقدمة لإرادة معنى

التصديق، و قد يعدى بالباء لتضمينه معنى الإقرار و الاعتراف.

### حقيقة الإيمان

ثم إن المراد به شرعا أو متشرعا هو التصديق بالعقائد الإسلامية من التوحيد، و النبوة و المعاد، و غيرها، و القول بالأئمة الإثنى عشر

صلوات الله عليهم أجمعين، مع عدم ما يوجب الخروج من الدين أو المذهب، و على هذا المعنى ينزل كثير من الآيات و الأخبار، و

هذا المعنى هو المراد به عند الإمامية، فلا يتصف سائر الفرق من

(١) يوسف: ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١١٩

الزبدية، و الفطحية، و الإسماعيلية، و غيرهم، فضلا عن المخالفين بالإيمان، و لذا لو وقف على المؤمنين، أو أوصى لهم أو نذر لهم انصرف إلى الإثني عشرية بلا خلاف فيه بينهم كما صرحوا في الفقه.

نعم اختلفوا في أنه هل يعتبر فيه اجتناب الكبائر أولا؟ فعن بعض القدماء كالشيخين، و القاضي و ابن حمزة هو الأول، و المشهور عندهم هو الثاني، بل هو المحكى عن الشيخ في التبيان قائلا: إنه كذلك عندنا مشعرا بدعوى الاتفاق عليه.

و في الرياض، و غيره أن عليه كافة المتأخرين، و في الجواهر: إنه استقر المذهب الآن على ذلك.

أقول: و الظاهر أنه كذلك لظهور إجماع الفرقة، و لعطف عمل الصالحات على الإيمان في آيات كثيرة، و لعدم صحه سلب المؤمن عمن ارتكب شيئا من الكبائر، و لعدم الدليل على اعتباره فيما استدلوا به.

نعم يمكن الاعتراض عليه بأن هاهنا أحاديث كثيرة تدل على اعتبار العمل في إطلاقه، مثل ما رواه الصدوق في العيون بأسانيد عديدة عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: الإيمان اقرار باللسان و معرفة بالقلب و عمل بالأركان (١).

و في المعاني عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال ليس الإيمان بالتحلى و لا بالتمنى، و لكن الإيمان ما خلق في القلب و صدقه الأعمال (٢).

و في الأمالي بالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال:

(١) الخصال ج ١ ص ٨٤- عيون الأخبار ج ١ ص ٢٢٧ الأمالي ص ١٦٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٢٠

الإيمان قول مقول، و عمل معمول، و عرفان العقول (١).

و فيه عن الامام الرضا عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الإيمان إقرار باللسان، و معرفة بالقلب و عمل بالجوارح (٢).

و في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: من شهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله كان مؤمنا؟ قال عليه السلام: فأين فرائض الله تعالى (٣).

قال: كان على عليه السلام يقول: لو كان الإيمان كلاما لم ينزل فيه صوم و لا صلاة، و لا حلال، و لا حرام (٤).

قال أبو الصلاح الكناني: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن عندنا قوما يقولون: إذا شهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله فهو مؤمن، قال: فلم يضربون الحدود؟ و لم يقطع أيديهم؟ و ما خلق الله عز و جل خلقا أكرم على الله عز و جل من مؤمن، لأن الملائكة خدام المؤمنين، و ان جوار الله للمؤمنين، و ان الجنة للمؤمنين، و ان الحور للمؤمنين، ثم قال: فما بال من جحد الفرائض كان كافرا (٥).

و في كنز الكراچكى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ملعون، ملعون من قال: الإيمان قول بلا عمل (٦).

و في «الكافي» عن محمد بن الحكيم، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: الكبائر تخرج من الإيمان؟ فقال: نعم، و ما دون الكبائر، قال: رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لا يزنى

(١) مجالس المفيد ص ١٦٩- أمالي الطوسي ج ١ ص ٣٥.

(٢) أمالي الطوسي ج ١ ص ٣٧٩.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٣٣ و عنه البحار ج ٦٩ ص ١٩.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٣٣ و عنه البحار ج ٦٩ ص ١٩.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٣٣ و عنه البحار ج ٦٩ ص ١٩.

(٦) كنز الكراچكى و عنه البحار ج ٦٩ ص ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٢١

الزاني و هو مؤمن و لا يسرق السارق و هو مؤمن «١».

و فيه بالإسناد عن عبيد بن زرارة، قال: دخل ابن قيس الماصر، و عمر بن زرة و أظنّ معهما أبو حنيفة على أبي جعفر عليه السّلام، فتكلم ابن قيس الماصر فقال: إنّنا لا نخرج أهل دعوتنا و أهل ملّتنا عن الإيمان في المعاصي و الذنوب.

قال: فقال له أبو جعفر عليه السّلام: يا ابن قيس أمّا رسول الله صلّى الله عليه و آله فقد قال: لا يزني الزاني و هو مؤمن و لا يسرق السارق و هو مؤمن فاذهب أنت و أصحابك حيث شئت «٢».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي يستفاد منها اعتبار العمل في حقيقة الإيمان و في صدقه، بل يستفاد من بعضها كالخبر الأخير أنّ المسألة كانت مطرحة للأنظار في عصر الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم، و أنّه كان مذهب الإمام عليه السّلام اعتباره في معناه، و لعلّ هذه الأخبار هي التي ركن إليها متقدّموا أصحابنا فيما يعزى إليهم.

### إطلاقات الإيمان

و الذي يظهر لي من التأمل في الأخبار و الآيات هو أن له باعتبار مراتبه إطلاقات: أحدها ما مرّت إليه الإشارة من أنّه التصديق بالعقائد الحقّة و الأصول الخمسة، و هذا هو الذي يترتب عليه حقن الدماء و الأموال، و صحّة الأعمال و استحقاق الثواب و النجاة من الخلود في النار، و استحقاق العفو و الشفاعة و غيرها

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٨٤ و عنه البحار ج ٦٩ ص ٦٣.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٨٥ و عنه البحار ج ٦٩ ص ٦٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٢٢

مما يعمّ خصوص الفرقة الحقّة دون غيرهم من أرباب المذاهب و الملل، و هذا المعنى هو الذي يبحث عنه الفقهاء في مسألة شرايط الإمام و مستحقّ الزكاة، و الكفاءة في النكاح و نحوها، و عليه ينزل كثير من الآيات و الأخبار.

بل

في المعاني عن حفص الكناسي «١» قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: ما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً؟ قال: يشهد أن لا إله إلا الله و أنّ محمّدا عبده و رسوله، و يقرّ بالطاعة، و يعرف إمام زمانه، فإذا فعل ذلك فهو مؤمن «٢».

و في الكافي عن الصادق عليه السّلام قال: المؤمن مؤمنان: فمؤمن صدق بعهد الله، و وفي بشرطه، و ذلك قوله عزّ و جلّ: رجالاً صيّدقوا ما عاهدوا الله عليه «٣»، فذلك الّذي لا تصيبه أهوال الدنيا و لا أهوال الآخرة، و ذلك ممّن يشفع و لا يشفع له، و مؤمن كخامة الزرع تعوج أحيانا و تقوم أحيانا، فذلك ممّن تصيبه أهوال الدنيا و أهوال الآخرة، و ذلك ممّن يشفع له و لا يشفع «٤».

أقول: الخامة من الزرع هي الطاقة اللينة من الزرع، و المراد باعوجاج المؤمن ميله الى الشهوات النفسانية و بقيامه استقامته على طريق الحقّ و مخالفته الأهواء الباطلة.

و في الكافي مرفوعاً عن الصادق عليه السّلام قال: إنّ الله علم أنّ الذنب خير للمؤمن من العجب، و لو لا ذلك ما أبتلى مؤمن بذنوب أبداً «٥».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالة على ابتلاء المؤمنين بالذنوب،

(١) في البحار: عن جعفر الكناسي.

(٢) معاني الأخبار ص ٣٩٣ و عنه البحار ج ٦٩ ص ١٦.

(٣) الأحزاب: ٢٣.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٢٤٨ و عنه البحار ج ٦٧ ص ١٨٩ ح ١.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٣١٣ و عنه البحار ج ٧٢ ص ٣٠٦ و فيه: لما أبتلى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٢٣

و تمحيص ذنوبهم بالبلاء و أنواع المصائب في الدنيا، و بشدة النزاع عند الاحتضار، و ببعض أنواع العذاب في البرزخ، و في المحشر، و أن شفاعته و الأئمة صلى الله عليهم أجمعين مدخرة لأهل الكبائر من المؤمنين، بل الظاهر تواترها معنى عليه، و لذا ادعى غير واحد منهم الإجماع على ذلك، و إنما عدوا المخالف بعض المخالفين و سائر الفرق.

قال المحقق الطوسي في «قواعد العقائد»: اختلفوا في معنى الإيمان، فقال بعض السلف: إنه إقرار باللسان، و تصديق بالقلب، و عمل صالح بالجوارح، و قالت المعتزلة: أصول الإيمان خمسة: التوحيد، و العدل، و الإقرار بالنبوة، و بالوعد و الوعيد و القيام بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و قال الشيعة: أصول الإيمان ثلاثة: التصديق بوحدانية الله تعالى في ذاته و العدل في أفعاله، و التصديق بنبوة الأنبياء و بامامة الأئمة المعصومين صلى الله عليهم أجمعين، و التصديق بالأحكام التي يعلم يقينا أنه صلى الله عليه و آله و سلم حكم بها، دون ما فيه الخلاف ...

إلى أن قال: و صاحب الكبيرة عند الخوارج كافر، لأنهم جعلوا العمل الصالح جزء الإيمان، و عند غيرهم فاسق، و المؤمن عند المعتزلة و الوعيدية لا يكون فاسقا، و جعلوا الفاسق الذي لا يكون كافرا منزلة بين المنزلتين: الإيمان و الكفر، و هو عندهم يكون في النار خالدا، و عند غيرهم المؤمن قد يكون فاسقا و قد لا يكون، و تكون عاقبة الأمر على التقديرين الخلود في الجنة.

و يقرب منه ما ذكره في كتاب المسائل.

و قال الخواجه الطوسي (ره) في التجريد: الإيمان التصديق بالقلب و اللسان ...

إلى أن قال: و الفسق الخروج من طاعة الله مع الإيمان به.

و قال العلامة أعلى الله مقامه في شرحه: اختلف الناس في الفاسق، فقالت

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٢٤

المعتزلة: إن الفاسق لا مؤمن و لا كافر، و اثبتوا له منزلة بين المنزلتين، و قال الحسن البصري: إنه منافق، و قالت الزيدية: إنه كافر نعمه، و قالت الخوارج: إنه كافر، و الحق ما ذهب إليه المصنف، و هو مذهب الإمامية و المرجئة، و أصحاب الحديث، و جماعة الأشعرية من أنه مؤمن «١».

إلى غير ذلك من كلماتهم الصريحة أو الظاهرة في إطباق الإمامية عليه، بل وافقنا فيه كثير ممن خالفنا مستدلين بظواهر كثير من الآيات، ملخصها لعطف عمل الصالح عليه، و اقترانه بالمعاصي في قوله تعالى:

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ «٢».

و قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ «٣».

و قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ «٤»، و غيرها من الآيات الكثيرة.

الإطلاق الثاني للإيمان هو الإقرار بالعقائد الحقمة المتقدمة مع الإتيان بجملته من الفرائض، أو خصوص ما ثبت وجوبه من القرآن و

ترك الكبائر التي أوعد الله عليها النار.

و على هذا المعنى أطلق الكافر على تارك الصلاة و الزكاة و الحج، إن لم تكن الأخبار محمولة على صورة الاستحلال، و يحمل عليه أيضا ما ورد من أنه لا يزنى

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ص ٣٣٧-٣٣٨ ط قم المصطفوي.

(٢) الحجرات: ٩.

(٣) البقرة: ١٧٨.

(٤) التوبة: ٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٢٥

الزاني و هو مؤمن و لا يسرق السارق و هو مؤمن «١».

الإطلاق الثالث للإيمان بالإقرار بالعقائد المذكورة مع فعل جميع الفرائض، و ترك جميع المحرمات.

رابعها: أن الإيمان- مضافا- إلى الأمور السابقة:

فعل المندوبات و ترك المكروهات بل المباحات.

و بين كل مرتبة و تاليتها مراتب متفاوتة و درجات متفاضلة و لذا

ورد: أن من الإيمان التام الكامل تمامه، و منه الناقص المبيّن نقصانه، و منه الزائد البيّن زيادته «٢».

و في «الخصال» عن عبد العزيز، قال: دخلت على ابي عبد الله عليه السلام فذكرت له شيئا من أمر الشيعة و من أقاويلهم، فقال: يا عبد العزيز الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم له عشر مراقى و ترتقى منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنّ صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شيء و لا يقولنّ صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شيء، حتى انتهى إلى العاشرة، ثم قال: و كان سلمان في العاشرة و أبو ذر في التاسعة، و المقداد في الثامنة فيها، يا عبد العزيز لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، و إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعا رفيعا فافعل، و لا تحملنّ عليه ما لا يطيقه فتكسره فإنّ من كسر مؤمنا فعليه جبره لأنك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسخته «٣».

و من هنا يظهر أن إختلاف الأخبار محمولة على إختلاف المراتب

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٨٤ و عنه البحار ج ٦٩ ص ٦٣.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٤٠-٤٢ ج ٦ و عنه البحار ج ٦٩ ص ٢٣.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٤٤ و عنه البحار ج ٦٩ ص ١٦٥-١٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٢٦

و الدرجات باعتبار ما يختصّ به كل منها من الفوائد و الثمرات، و بهذا الاعتبار قد ينفي الإيمان عمّن فقد شيئا من المراتب.

ففي «الكافي» عن علي بن جعفر قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ليس كل من يقول بولايتنا مؤمنا و لكن جعلوا انسا للمؤمنين «١».

و ورد في أخبار كثيرة أن المؤمن قليل قليل، و أنه أعزّ من الكبريت الأحمر، و الغراب الأعصم «٢».

و يظهر من بعضها أن المؤمنين هم الأئمة المعصومون عليهم صلوات الله.

بل قد ورد في وجه تسمية المؤمن مؤمنا ما يدل على اختصاصه بمن يسمع شفاعته لغيره في الدنيا والآخرة.

ففي العلل عن الصادق عليه السلام قال: إنما سمي المؤمن مؤمنا لأنه يؤمن على الله فيجيز أمانه «٣».

و في المحاسن عن سنان بن طريف عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لم سمي المؤمن مؤمنا؟ فقلت: لا أدري إلا أنه أراه يؤمن بما جاء من عند الله، فقال:

صدقت، و ليس لذلك سمي المؤمن مؤمنا، فقلت: لم سمي المؤمن مؤمنا، قال: إنه يؤمن على الله يوم القيامة فيجيز إيمانه «٤».

أقول: و قد تضمن هذا الخبر وجهين للتسمية، و يظهر من غيرها وجوه أخر، مثل ما

رواه في العلل عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: ألا- أتبتكم لم سمي المؤمن مؤمنا؟ لإيمانه الناس على أنفسهم و أموالهم، ألا أتبتكم من المسلم؟ من سلم الناس من يده

(١) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ١٦٥ عن الكافي.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٤٢ و عنه البحار ج ٦٧ ص ١٥٩ ح ٣.

(٣) علل الشرائع ج ٢ ص ٣١٩ و عنه البحار ج ٦٧ ص ٦٠.

(٤) المحاسن ص ٢٢٩ و عنه البحار ج ٦٧ ص ٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٢٧

و لسانه «١».

و في صفات الشيعة باسناده عن عمّار الساباطي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل لم سمي المؤمن مؤمنا؟ قال: لأنه اشتق للمؤمن اسما من أسمائه تعالى فسماه مؤمنا، و إنما سمي المؤمن لأنه يؤمن من عذاب الله و يؤمن على الله يوم القيامة فيجيز له ذلك، و أنه لو أكل أو شرب أو قام أو قعد، أو نام، أو نكح، أو مرّ بموضع قدر خوله الله تعالى من سبع أرضين طهرا لا يصل إليه من قدرها شيء «٢».

ثم إنه بعد ما علم عدم مدخلية الأعمال مطلقا أو في الجملة في أدنى الإيمان و مسماه فهل المعبر فيه هو التصديق بالجنان أو الإقرار باللسان، أو الأمران معا؟

ذهب الى كل فريق، و الأظهر الأشهر هو الأول، لأنه سبحانه قد أضاف الإيمان إلى القلب في قوله: كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ «٣»، و قوله تعالى: مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ «٤»، و قوله تعالى: وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ «٥»، و قوله تعالى: وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ «٦»، و قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ «٧».

هذا مضافا الى أنه أقرب الى معناه اللغوي الذي قد سمعت أنه مطلق

(١) علل الشرائع ص ٢١٩ و عنه البحار ج ٦٧ ص ٦٠.

(٢) مستدرک سفینه البحار ج ١ ص ٢٠٣.

(٣) المجادلة: ٢٢.

(٤) المائدة: ١٤١.

(٥) الحجرات: ١٤.

(٦) النحل: ١٠٦.

(٧) الفتح: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٢٨

التصديق، فإنه من أفعال القلوب، وإن اختلفوا في أن المعبر من التصديق هل هو التصديق اليقيني الثابت الجازم الناشئ من الأدلة، أو أنه يتحقق مع فقد بعض القيود، أو كلها، على أقوال لا داعي للتعرض لها في المقام.

و مما سمعت وغيره يظهر ضعف القول الثاني المنسوب إلى الكراميه «١»، وإن استدلوا له بالنبوى عليه السلام: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله «٢».

و بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأسامه «٣» حين قتل من تكلم بالشهادتين: هل شققت قلبه «٤».

و استدلوا أيضا بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الصحابه كانوا يكتفون في الخروج عن الكفر بكلمتي الشهادة.

و لكن ضعف المجموع واضح، فإن اعتبار اللسان إنما هو بالنسبة إلى الحكم الظاهري في الكشف عن حقيقة الإيمان، و اين هذا من اعتباره في نفس الحقيقة.

(١) هم أتباع محمد بن كرام السجستاني المتكلم المتوفى سنة (٢٤٤) في بيت المقدس.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٧ ص ١١٣.

(٣) هو اسامه بن زيد بن حارثة الكلبى و أمه أم ايمن توفى سنة (٥٤) - العبر في خبر من غير ج ١ ص ٥٩.

(٤) بحار الأنوار ج ٢١ ص ١١ عن تفسير القمى في تفسير «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ كَسْتُمْ مُؤْمِنًا... (سورة النساء: ٩٤).

قال بعث النبي (ص) اسامه بن زيد في خيل الى بعض قرى اليهود في ناحية فدك ليدعوهم الى الإسلام و كان رجل من اليهود يقال له مرداس بن نهيك فلما أحس بالخيل جمع أهله و ماله و صار في ناحية الجبل فأقبل يقول: اشهد ان لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله، فمّر به أسامه فطعنه و قتله، فلما رجع الى رسول الله (ص) و أخبره بذلك فقال له رسول الله (ص): قتلت رجلا شهد ان لا إله إلا الله و انى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله إنما قالها تعوذا من القتل، فقال رسول الله (ص): «فلا شققت الغطاء عن قلبه، لا ما قال بلسانه قبلت و لا ما كان في نفسه علمت ... إلخ تفسير القمى ص ١٣٦-١٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٢٩

و لعل من هذا وغيره يظهر أيضا ضعف القول الثالث، و ان اختاره المحقق الطوسى في التجريد، مستدلًا بأنه لا يكفى التصديق بالقلب دون اللسان لقوله تعالى: وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا «١» حيث أثبت للكفار الاستيقان النفسى و هو التصديق القلبى، فلو كان الإيمان هو التصديق القلبى فقط لزم اجتماع الكفر و الإيمان و هو باطل لأنهما متقابلان، و لقوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ «٢» حيث أثبت لهم الكفر مع المعرفة القلبية، و لا يكفى الإقرار باللسان دون التصديق أيضا ... لقوله تعالى: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ «٣»، و قوله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ «٤» حيث نفى عنهم الايمان مع اعترافهم به باللسان.

إذ فيه أن الاستدلال على الثانى و ان كان صحيحا موجهًا جدًا، إلا أن دليله على الأول أخص من المدعى فإن الآية إنما دلت على ثبوت الكفر مع الجحود و الإنكار الذى هو سبب مستقل للحكم بالكفر كإنكار الضرورى وغيره، و اين هذا من الحكم بالكفر بمجرد ترك الإقرار باللسان مع التصديق بالجنان، و لعله هو السبب لرجوعه عن ذلك في غير التجريد من كتبه كقواعد العقائد، و الفصول على المحكى و ان كان استفادته منهما لا يخلو عن تأمل.

و لقد أجاد شيخنا الطبرسى حيث ذكر أن أصل الإيمان هو المعرفة بالله تعالى و برسله و بجميع ما جاءت به رسله، و كل عارف بشيء فهو مصدق به، و استدلل عليه

(١) النمل: ١٤.

(٢) البقرة: ٨٩.

(٣) الحجرات: ١٤.

(٤) البقرة: ٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٣٠

بهذه الآية من حيث دلالة عطف إقامة الصلاة وغيرها على المغايرة، و

بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم: الايمان سرّ و أشار الى صدره، و الإسلام علانية

، قال: و قد يسمّى الإقرار إيماناً كما يسمّى تصديقاً، إلّا أنّه متى صدر من شكّ أو جهل كان إيماناً لفظياً لا حقيقياً، و قد يسمّى أعمال الجوارح أيضاً إيماناً استعاره و تلويحاً كما يسمّى تصديقاً كذلك، فيقال: فلان يصدّق أفعاله مقالته، و لا خير في قول لا يصدّقه الفعل، و الفعل ليس بتصديق حقيقى باتّفاق أهل اللغة، و إنّما استعير له هذا الإسم على الوجه الذى ذكرناه، فقد آل الأمر مع صحّة الرضى الذى رواه الخاصّ و العامّ من أنّه هو التصديق بالقلب، و الإقرار باللسان، و العمل بالأركان، و أنّه قول مقول، و عمل معمول، و عرفان بالعقول، و إتباع الرسول الى أنّ الإيمان هو المعرفة بالقلب و التصديق به على نحو ما تقتضيه اللغة، و لا يطلق لفظه إلّا على ذلك، إلّا أنّه يستعمل فى الإقرار باللسان او العمل بالأركان مجازاً و اتّساعاً «١»، انتهى كلامه زيد مقامه.

ثم إنك بعد الإحاطة بما قرّره لا يخفى عليك ضعف سائر الأقوال فى المسألة و إن أنهاها بعضهم الى عشرة فصاعداً إلا أنّ الجميع مشترك فى الضعف مردود بإجماع الإمامية على خلافه بعد الكتاب و السنّة و إن ذهب إليها بعض المخالفين و الخوارج و النصاب.

### الإيمان بالغيب

- تبصرة:- انظر كيف بدء الله سبحانه فى أوّل هذه السورة التى هى أساس القرآن، و هو مفتتح كتابه بأنّه هو النور المبين و هو هدى للمتقين، ثمّ سمّاهم

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٣٨-٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٣١

بأحسن أسمائهم، و وصفهم بأشرف صفاتهم و نعتهم بما هو الأصل و الأساس لسائر أسمائهم الحسنى و صفاتهم العليا، و هو إيمانهم بالغيب، حتّى صار ما غاب عنهم لقوة الإيمان بمنزلة العيان، فإنّ الإيمان نور إلهى ينقذ فى القلب من التصديق و الإذعان لله تعالى و لأنبيائه و أوليائه، و هو يقبل الشدّة و الضعف، و الزيادة و النقصان بحسب الكمية و الكيفية فيزيد شيئاً فشيئاً بزيادة الإعتبار و الإستبصار، و العلم الموجب لزيادة العمل و حسنه و خلوصه المؤدى إلى زيادة المعرفة و جلاء البصيرة، فإنّ كلّاً من العلم و العمل يدور على الآخر، الى ان ينتهى الى اليقين متدرّجاً فى مراتبه إلى أن يصل إلى معاينة الحقائق و التحقق بها فى جميع المراتب. و هذا كلّه من مراتب الإيمان الذى تنفتح معه البصيرة الباطنة، و لذا ورد: إنّ المؤمن له أربعة أعين، عينان فى ظاهر البدن، و عينان فى باطن القلب، و بهما يطّلع على الحقائق، و ينجلي ضياء المعرفة فى قلبه، و يترشّح النور من قلبه على سائر جوارحه فلا يصدر شىء منها من حركة أو سكون أو فعل أو انفعال إلّا ما هو مقتضى الإيمان، و رضى الرحمان، و مطردة الشيطان.

و ذلك لأنّه قد استولى و غلب على قلبه التصديق و الإذعان و المعرفة بالله و بأنبيائه و رسله و حججه، و باليوم الآخر، و وعده، و وعيده، و غير ذلك ممّا رأته القلوب بحقائق الايمان، و شهود الأنوار، و إن لم ترها العيون التى فى الأبدان بمشاهدة الأبصار، بحيث لم يبق فى قلبه متسع لغير ذلك، فصار إيمانه هو الحاكم المتصرّف فى نفسه فضلاً عن بدنه على جهة الاستقامة على مقتضى الولاية



التي هي حقيقة العبودية لله سبحانه طوعا و اختيارا بحيث لا يكاد يميل قلبه إلى غيرها رغبا أو رهبا بعد استقرار السكينة في قلبه. والحاصل أن للإيمان الكامل آثارا من حيث التخلق بالأخلاق الفاضلة الروحانية، و الإشتغال بالأعمال الصالحة البدئية، و كلها ناشية عن كمال الإذعان

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٣٢

و التصديق بالأصول الحقيقية، و العقائد الايمانية تفصيلا أو إجمالا و لو على وجه التسليم و ردّ العلم بالتفصيل أو الكيفية إلى عالمه. ولذا ورد في أخبار كثيرة الأمر بالتسليم و ترك الإنكار فيما يعجز عقولنا عن إدراكه و الإحاطة بكيفيته كعرفته سبحانه، و كون صفاته عين ذاته بلا مغايرة اعتبارية، إلى غير ذلك من غرائب علم التوحيد، و غرائب أحوال النبي و الأئمة صلى الله عليهم أجمعين من بدء كينونتهم و اتحادهم في عالم الأنوار و احاطتهم الكليّة على ما في صقع عالم الأكوان، و كينونة سائر الأنبياء و الملائكة من فاضل طبيبتهم، و أن قائمهم المهدي عجل الله فرجه الشريف يملأ الأرض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا. و غير ذلك من أطوار البرزخ و أحوال القيامة و أهوالها، و الجنة و النار ممّا علم من الدين إجمالا او تفصيلا، فإن ذلك كله من الإيمان بالغيب الذي يتبعه العبودية و العمل الصالح من حيث الشدة و الضعف و الزيادة و النقصان.

### البداء و دفع الإشكال

لعلك يختلج في بالك أن من الغيب الذي يلزمنا الإيمان به هو القول بالبداء، فإنه ما عبد الله عزّ و جلّ بشيء مثل البداء «١»، و ما عظّم سبحانه بمثله «٢»، و ما بعث الله تعالى نبيا قطّ حتى يأخذ عليه الإقرار بالعبودية و خلع الأنداد، و أن الله تعالى يقدم ما يشاء و يؤخر ما يشاء «٣».

(١) بحار الأنوار ج ٤ ص ١٠٧ ح ١٩ عن توحيد الصدوق.

(٢) البحار ج ٤ ص ١٠٧ ح ٢٠ عن توحيد الصدوق.

(٣) البحار ج ٤ ص ١٠٨ ح ٢١ عن توحيد الصدوق.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٣٣

و قد تواترت به الأخبار عن أهل البيت عليه السلام، بل قد علم ذلك من ضرورة المذهب و إن طعن به علينا بعض الجهلة من المخالفين، حسبما تسمع إن شاء الله تمام الكلام في تحقيقه و في رفع شبه المخالفين في تفسير قوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ «١».

ثم إن مقتضى الإيمان به أن له سبحانه محو ما شاء من التكوينيّات و تبديله بغيره ما لم يظهر في الوجود العيني، و من البين أن ما أخبر به النبي صلى الله عليه و آله و سلّم و الأئمة عليه السلام من ظهور الحجّة، و أحوال الرجعة، و تحقق القيامة، و الحساب، و الصراط، و الميزان، و الجنة للمطيعين، و النار للعاصين، و غير ذلك من الأمور الكثيرة كلّها من التكوينيّات التي يتطرّق إليها احتمال البداء، و يلزمنا الإيمان به و معه كيف يمكن التصديق العلمي و الاعتقاد الجزمي بتلك الأمور من حيث التحقق و الوقوع سيّما مع وقوعه فيما هو من اصول الامامية، كإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام، و غيره ممّا وقع فيه البداء.

و الجواب أن هذه الأمور التي قد تواتر الأخبار بها من الأنبياء و الأئمة عليه السلام حتى صارت من ضروريات الدين بل من الأصول العلميّة التي يجب اعتقادها على جميع المؤمنين ممّا لا يتطرّق إليها احتمال المحو و التغير و التبدّل، و لا مجال للقول بالبداء فيها، حتّى أن الوعيدية قالوا: بوجود العذاب مع كثرة ما ورد من الوعد بالعفو و الصفح، فتلك الأمور و ما ضاهاها من العقائد الايمانية لم تؤمر باعتقاد البداء فيها بل أمرنا فيها بالاعتقاد بالتحقق و الوقوع كما هي كذلك في الواقع.

ولذا

قال مولانا الباقر عليه السلام على ما رواه في المحاسن و العياشي في تفسيره قال عليه صلوات الله: العلم علمان: علم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحدا من خلقه،

(١) سورة الرعد: ٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٣٤

و علم علمه ملائكته و رسله، فأما ما علمه ملائكته و رسله فإنه سيكون لا يكذب نفسه و لا ملائكته و لا رسله، و علم عنده مخزون يقدم فيه ما يشاء و يؤخر ما يشاء و يثبت ما يشاء «١».

و روى العياشي باسناده عنه عليه السلام، قال: من الأمور أمور محتومة جائئة لا محالة، و من الأمور أمور موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء و يمحو ما يشاء و يثبت ما يشاء لم يطلع على ذلك أحدا (يعنى الموقوفة) فأما ما جاءت به الرسل فهي كائنه لا يكذب نفسه و لا نبيه و لا ملائكته «٢».

و المراد بالاطلاع المنفى هو إطلاع الخلق على وجه التبليغ و إيصال الأنبياء من الله سبحانه، و لذا قوبل بقوله: و أما ما جاءت به الرسل. و من هنا يرتفع التنافي أيضا بين ما دل منها على عدم وقوعه فيما وصل إليهم علمه و ما دل على وقوعه في ذلك مثل ما دل على البدء في ظهور الحجّة عجل الله فرجه للتوقيت و الإفشاء «٣».

و في دفع ميتة السوء عن اليهودى الذى سلم على نبيتنا صلى الله عليه و آله و سلم بالسام ثم أتبعه بالصدقة «٤».  
و عن المرأة التى أخبر بموتها عيسى على نبيتنا و آله و عليه السلام فى ليلة زفافها «٥» إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة.  
و أما وقوع البدء فى إسماعيل فهو ممنوع بجمله من معانيها التى هى البدء

(١) بحار الأنوار ج ٤ ص ١١٣ ح ٣٦ عن المحاسن و العياشى.

(٢) البحار ج ٤ ص ١١٩ ح ٥٨ عن العياشى.

(٣) البحار ج ٥٢ ص ١١٧ ح ٤٢.

(٤) البحار ج ٤ ص ١٢١ ح ٦٧ عن الكافى.

(٥) البحار ج ٤ ص ٩٤ ح ١ عن امالى الصدوق.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٣٥

فى العلم، أو فى الإرادة، أو فى الأمر، أو فى العقل، لذا أنكره المحقق الطوسى، و غيره، بل من الواضح المتواتر من طرق الامامية و غيرهم عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم ضبط أسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام و صفاتهم، و أنها مكتوبة على الألواح السماوية و على العرش، معروضة على الأنبياء عليهم السلام لا- يتطرق إليهم النقص و التبديل قد اختارهم الله تعالى على علم على العالمين.

و لذا قال شيخنا الصدوق رحمه الله فى التوحيد: إن معنى

قول الصادق عليه السلام:

ما بدا لله بدء كما بدا له فى إسماعيل ابنى

أنه ما ظهر لله أمر كما ظهر له فى إسماعيل ابنى إذ اخترمه «١» قبلى ليعلم بذلك أنه ليس بإمام بعدى «٢».

قال الصدوق بعد الرواية: و قد روى لى من طريق أبى الحسين الأسدى رضوان الله عليه فى ذلك شىء غريب، و هو أنه

روى أن الصادق عليه السلام قال: ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل أبي، إذ امر أباه بذبحه ثم فداه بذبح عظيم. وفي الحديث على الوجهين جميعاً عندى نظر (٣).

هذا مع أنه لم يرد النص على إسماعيل من أحد من الأئمة عليهم السلام فكيف البداء، نعم كان الصادق عليه السلام يحبّه حباً شديداً، ويكرمه إكراماً عظيماً بحيث يتوهم بعض الناس أنه الإمام بعده.

و روى أنه لما مات في حياة الإمام عليه السلام بالعريض قرب المدينة قبل وفاة الإمام بعشرين سنة حمل على أعناق الرجال و جزع أبو عبد الله عليه السلام عليه جزعا شديداً، و تقدّم سريره بغير حذاء و لا رداء، و أمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه

(١) احترامه: أهلكه.

(٢) بحار الأنوار ج ٤ ص ١٠٩ في ذيل ح ٢٦ عن التوحيد.

(٣) البحار ج ٤ ص ١٠٩ عن توحيد الصدوق.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٣٦

مرارا، و كان يكشف عن وجهه و ينظر إليه، يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده و إزالة الشبهة عنهم في حياته.

بل روى أنه عليه السلام عقد على وفاته محضراً و أشهد عليه عامل المنصور بالمدينة، و قد ظهر قريباً سرّ الإشهاد على موته و كتابة المحضر عليه، و لم يعهد ميت سجّل على موته، و ذلك أنه لما رفع الى المنصور أن إسماعيل بن جعفر رثى بالبصرة واقفاً على رجل مقعد فدعا له، فبرأ باذن الله، بعث المنصور الى الصادق عليه السلام أن ابنك إسماعيل في الأحياء، و أنه رثى بالبصرة، فأنفذ عليه السلام السجّل إليه، و عليه شهادة عامله بالمدينة فسكت.

## تفسير و يقيمون الصلاة

### إشارة

الإقامة إفعال من القيام بمعنى الانتصاب، أو القوام بفتح القاف بمعنى العدل، و منه: قوله تعالى: وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً «١» و الظاهر كونه حقيقة فيه كما هو الصّحيح و القاموس و المحكى عن تغلب و غيره، بل قد يشعر به الخبر المروى في تفسير الآية، و الهمزة للتعدية فمعنى أقام الشيء على الأوّل جعله منتصباً، و إذا قوّم العود قيل: أقامه أى سوّاه و أزال اعوجاجه، ثم استعيرت الإقامة من تسوية الأجسام التي قيل إنها حقيقة فيها إلى تسوية المعاني كإقامة الصلاة بمعنى تعديل أركانها.

إلّا أنّ الأظهر كما قيل أنه لا- حاجة إلى التزام التجوّز فإنّها حقيقة في التسوية و التعديل من غير اختصاص بشيء من الأجسام و المعاني، و التسوية و التعديل في

(١) الفرقان: ٦٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٣٧

الصلاة بحفظ حدودها و احراز قيودها و رفض نواقصها و موانعها.

أو مأخوذة من قامت السوق إذا نفقت و أقامها أى جعلها نافقة غير كاسدة، فكأنه جعلت المداومة عليها أو حسن المحافظة على

حدودها و وظائفها بمنزلة نفاق السوق و عدم كسادها حيث إن كلاً من النفاق و المداومة و حسن المحافظة جعل متعلقه مرغوباً فيه متوجّهاً إليه، و منه قول الشاعر:

أقامت غزاة سوق الضراب لأهل العراقين حولاً قميماً أو مأخوذة من قامت الحرب على ساقها، أو قام فلان بالأمر، إذا تجلّد و تشمّر لأدائها من دون توان فيها و لا فتور منها، فإن حقيقة قيام الشخص بالأمر تلبسه به قائماً و يلزمه عرفاً اعتنائه بشأن ذلك الأمر و تشمّره له و تجلّده فيه، و لذا يقال في ضده: قعد عن الأمر و تقاعد.

أو من القيام الذي هو من أجزاء الصلاة المتّصف بالوجوب الركني و غيره و بالاستحباب و لذا قال عليه السلام: «من لم يقم صلبه في الصلاة فلا صلاة له» (١).

قيل: و منه: قد قامت الصلاة، و إنّه إنما ذكر القيام لأنّه أوّل أركانها و أمدها، مع أنّه ربما يعتبر عنها بغيره من أركانها كالركوع و السجود، بل و من سائر أجزائها كالقنوت و التسبيح.

أو مأخوذة من القائم للشئ بمعنى الراتب الدائم، و منه قولهم: فلان يقيم أرزاق الجنّد، أي يديمها، قال في الصحاح: أقام الشئ أي أدامه من قوله تعالى: وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ.

أو أنّه بمعنى الفعل و الأداء على وجه التجريد، و قد يحمل عليه

قول الصادق عليه السلام لحمّاد: «ما أقبح بالرجل منكم فأتى عليه ستون سنة أو سبعون سنة فلا

(١) الحدائق ج ٨ ص ٦٠ عن المحاسن و الكافي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٣٨

يقيم صلاة واحدة بحدودها تامّة» (١) لكنّه بعيد في الآية، بل في الخبر أيضاً.

نعم ربما يرجح المعنى الأوّل على غيره نظراً إلى أنّه أشهر، و إلى الحقيقة أقرب، و أفيد، لتضمّنه التنبية على أنّ الحقيق بالمدح من يراعى حدودها الظاهرة من الفرائض و السنن و حقوقها الباطنة من الخشوع و الإقبال بقلبه على الله تعالى، لا المصلّون الذين هم عن صلاتهم ساهون، و لذلك ذكر في سياق المدح «و الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ» (٢) و في معرض الذمّ «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ» (٣).

أقول: و فيه أنّ دعوى الأشهرية ممنوعة، بل و كذا الأقربية، و لو سلّمنا الأخيرة فهو إنّما يوجب الترجيح على غير الحقيقة، و قد سمعت كونه حقيقة على الوجه الثاني.

و أمّا ما أفاده عن زيادة الفائدة فمن البين أنّه لا اختصاص له بالأوّل، بل المداومة و التجلّد و النفاق أوجب لحسن القبول بسبب الكمال أيضاً كذلك و إن كان كلّ منها موجبا للكمال من وجه.

و من هذا من بعد ملاحظة ما مرّت الإشارة إليها غير مرّة يظهر أنّ الأولى الحمل على المستجمع لجميع صفات لكمال من جهة حسن الفعل و تسويته و نفاقه و حسن الاهتمام به و التشمّر لأدائه و المداومة على فعله بعد اشتماله على الآداب و الوظائف الداخلة و الخارجة.

ولذا

ورد في النبويّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: «أنّ تسوية الصفّ من إقامة الصلاة» (٤)، و في

(١) الحدائق ج ٨ ص ٢ عن الوسائل الباب ١ من أفعال الصلاة.

(٢) النساء: ١٦٢.

(٣) الماعون: ٤.

(٤) الحدائق ج ١١ ص ١٦٨ عن صحاح العامة مثل سنن ابى داود و صحيح مسلم و صحيح البخارى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٣٩

تفسير الإمام عليه السلام أنه تعالى قال: وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ يَعْنِي بِإِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَحِفْظِ مَوَاقِيتِهَا وَحُدُودِهَا، وَضِيَاغَتِهَا عَمَّا يَصْدَهَا وَيَنْقُضُهَا، ثُمَّ قَالَ:

و حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِهِ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي غَنِيمَاتٍ قَدَرِ سِتِّينَ شَاءَ أَكْرَهُ أَنْ أَبْدُو فِيهَا وَأَفَارِقَ حَضْرَتَكَ وَخِدْمَتَكَ، وَ أَكْرَهُ أَنْ أَكْلَهَا إِلَى رَاعٍ فَيُظْلِمَهَا أَوْ يَسِيءَ رَعِيهَا فَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اِبْدَأْ فِيهَا، فَبَدَأَ فِيهَا، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، قَالَ: لِيَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:

مَا فَعَلْتَ غَنِيمَاتِكَ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَهَا قِصَّةً عَجِيبَةً، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَا أَنَا فِي صَلَاتِي إِذْ عَدَا الذَّنْبُ عَلَيَّ غَنَمِي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ صَلَاتِي وَ يَا رَبِّ غَنَمِي، فَآثَرْتُ صَلَاتِي عَلَيَّ غَنَمِي، وَ أَخْطَرَ الشَّيْطَانَ بِيَالِي: يَا أَبَا ذَرٍّ أَيْنَ أَنْتَ إِنْ عَدْتَ الذَّنْبَ عَلَيَّ غَنَمِكَ وَأَنْتَ تَصَلِّي فَأَهْلِكْتَهَا وَمَا يَبْقَى لَكَ فِي الدُّنْيَا مَا تَتَعَيَّشُ بِهِ؟

فَقُلْتُ لِلشَّيْطَانِ: يَبْقَى لِي تَوْحِيدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَ الْإِيمَانَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَ مَوَالِيَةَ أَخِيهِ سَيِّدِ الْخَلْقِ بَعْدَهُ عَلَيَّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ مَوَالِيَةَ الْأُمَّةِ الْهَادِيَةِ الطَّاهِرِينَ مِنْ وَلَدِهِ، وَ مَعَادَاةَ أَعْدَائِهِمْ، وَ كُلِّ مَا فَاتَ مِنَ الدُّنْيَا بَعْدَ ذَلِكَ سَهْلًا، فَأَقْبَلْتُ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَجَاءَ ذَنْبٌ فَأَخَذَ حَمَلًا- وَ ذَهَبَ بِهِ وَ أَنَا أَحْسَنُ بِهِ إِذْ أَقْبَلْتُ عَلَيَّ الذَّنْبُ أَسَدٌ فَقَطَّعَهُ نَصْفَيْنِ وَ اسْتَنْقَذَ الْحَمْلَ وَ رَدَّهُ إِلَى الْقَطِيعِ، ثُمَّ نَادَانِي يَا أَبَا ذَرٍّ أَقْبَلْ عَلَيَّ صَلَاتِكَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَكَّلَنِي بِغَنَمِكَ إِلَى أَنْ تَصَلِّيَ، فَأَقْبَلْتُ عَلَيَّ صَلَاتِي وَ قَدْ غَشِيَنِي مِنَ التَّعَجُّبِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى فَرَّغْتُ مِنْهَا فَجَاءَنِي الْأَسَدُ وَ قَالَ لِي امْضِ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبِرْهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَكْرَمَ صَاحِبِكَ الْحَافِظَ لِشَرِيعَتِكَ، وَ وَكَّلَ أَسَدًا بِغَنَمِهِ يَحْفَظُهَا. فَعَجِبَ مِنْ كَانَ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صَدَقْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ، وَ لَقَدْ آمَنْتَ بِهِ أَنَا وَ عَلِيٌّ وَ فَاطِمَةُ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ، فَقَالَ بَعْضُ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٤٠

المنافقين: هذا المواطاة بين محمد و أبى ذر، يريد أن يخذعنا بغروره، و اتفق منهم عشرون رجلا و قالوا: نذهب إلى غنمه و ننظر إليها و ننظر إليه إذا صلى هل يأتي الأسد فيحفظ غنمه؟ فذهبوا و نظروا و أبو ذر قائم يصلى، و الأسد يطوف حول غنمه و يرعاها، و يرد إلى القطيع ما شد عنه منها، حتى إذا فرغ من صلاته ناداه الأسد:

هاك قطعك مسلمة و افره العدد سالمه، ثم ناداهم الأسد: معاشر المنافقين أنكرتم لولى محمد و على و آلهما الطيبين و المتوسل إلى الله بهم أن يسخرنى الله ربى لحفظ غنمه، و الذى أكرم محمدا و آل الطيبين الطاهرين لقد جعلنى الله طوع يد أبى ذر حتى لو أمرنى بافتراسكم و هلا- ككم لأهلككم، و الذى لا يحلف بأعظم منه لو سئل الله بمحمد و آل الطيبين أن يحول البحار دهن زنبق و بان و الجبال مسكا و عنبرا و كافورا، و قضبان الأشجار قضب الزمرد و الزبرجد لما منعه الله ذلك.

فلما جاء أبو ذر الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يا أبأ ذر إنك أحسنت طاعة الله فسخر الله لك من يطيعك فى كف العوادي «١» عنك، فأنت من أفاضل من مدحه الله عز و جل بأنه يقيم «٢» الصلاة «٣».

### الصلاة بحسب اللغة

(و الصَّلَاةُ) فعله بالتحريك من صَلَّى كَالزُّكَاةِ مِنْ زَكَى لَا- مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ، وَ إِثْبَاتُهَا فِيهِمَا خَطًّا لِلتَّفْخِيمِ أَى إِمَالَةَ الْآلِفِ نَحْوَ مَخْرَجِ الْوَاوِ، وَ لَا ثَالِثَ لَهَا، وَ هُوَ

(١) العوادي جمع العادية من العدوان، أو من عدا على الشيء إذا اختلسه.

(٢) في نسخة: بأنهم يقيمون الصلاة.

(٣) التفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السلام ص ٢٦-٢٧ و عنه بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٩٣-٣٩٤ ح ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٤١

اسم يوضع موضع المصدر، يقال: صَلَّى صلاةً، لا تصليته، و هي في الأصل بمعنى الدعاء و منه قوله تعالى: وَ صَلَّى عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ «١» أي أدع لهم بعد أخذ الصدقة بقبولها.

و الخبر «إذا دعى أحدكم إلى طعام فليجب و إن كان صائماً فليصل» «٢» أي فليدع له بالخير و البركة.

و الخبر الآخر: «إذا متنا صلى لنا عثمان بن مظعون»

أي دعا لنا بالمغفرة.

أو أنه من صليت العود بالنار إذا لئنته، لأن المصلي في توجهه إلى الله تعالى يقوم ميله إلى الباطل و اعوجاجه الحاصل من الالتفات إلى ما عداه و التوجه إلى ما سواه بالحرارة التي حصلت له من الحركة الصعودية و التقرب من شهود الحقيقة المعنوية.

بل قد يحتمل كون التفعيل للسلب كالإفعال، و إن كان نادراً، فيكون التصليته بمعنى إطفاء الحرارة كما

في النبوي صَلَّى الله عليه و آله و سلم: «قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلواتكم» «٣» أي الأتقال المحمولة عليهما من الذنوب و المعاصي المتوقدة بنيرانها الباطنة التي هي تجورها أو جزاؤها.

أو من اللزوم و منه قوله:

«و إني لحرّها اليوم صال»

أي ملازم لحرّها، فكان معنى الصلاة ملازمة العبادة على الحد الذي أمر الله تعالى به.

أو أنها في اللغة بمعنى التعظيم، و لذا قال في النهاية: إن قولنا: «اللهم صلّ محمد» معناه عظّمه في الدنيا بإعلاء ذكره و إظهار دعوته و إبقاء شريعته، و في

(١) التوبة: ١٠٣.

(٢) المحلى، ج ٩ ص ٤٥١.

(٣) اقبال الأعمال ج ٣ ص ٣٦٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٤٢

الآخرة بتشفيعه في أمته، و تضعيف أجره. سميت بها العبادة الخاصة لما فيها من التعظيم و العبودية له سبحانه.

أو أنها من الصلى (بفتح الصاد و الألف المقصورة) و التثنية صلوان، و هي على ما في «القاموس» وسط الظهر من كل ذي أربع، أو ما انحدر من الوركين، أو الفرجة بين الجاعرة و الذنب، أو ما عن يمين الذنب و شماله، فمعنى صلي حرّك الصلويين، لأن أول ما يشاهد من احوال الصلاة المميزة لها من غيرها إنما هو تحريكهما للركوع و السجود، و أما القيام فلا يختص بها، و منه المصلي بكسر اللام للفرس الذي بعد السابق لأن رأسه عند صلي السابق.

و في الكافي و المناقب عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ «١» قال عليه السلام: عنى بها لم نك من أتباع الأنبياء الذين قال الله تبارك و تعالى فيهم: «و السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» «٢»، أما ترى الناس يسمون الذي يلي السابق في الحلبة مصلياً، فذلك الذي عنى حيث قال: «لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ» «٣» أي لم نك من أتباع السابقين «٤».

و في خبر بناء الإسلام على الخمسة، انّ الأفضل من ذلك هو الولاية لأنها مفتاحهنّ، و الوالى هو الدليل عليهنّ، ثمّ الّذى يليها فى الفضل الصلاة ...

الخبر «٥»، فهى التى تلى السابق فى حلبة التقرب إلى الله.  
و احتمال أخذه من كون المصلّى ثانيا فى الرتبة على ما يستفاد من خبر

(١) المدثر: ٤٣.

(٢) الواقعة: ١٠.

(٣) المدثر: ٤٣.

(٤) الكافى: ج ١ ص ٤١٩.

(٥) راجع أصول الكافى، ج ٢ ص ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٤٣

«قسّمت الصلاة بينى و بين عبدى ...» (١) «سخيف جدّا.

و أمّا ما ذكره الرازى من أنّ هذا الاشتقاق يفضى الى طعن عظيم فى حجّية القرآن، لأنّ لفظ الصلاة من أشدّ الألفاظ شهرة و أكثرها دورانا على السنة المسلمين، و اشتقاقه من تحريك الصلوتين من أبعد الأشياء اشتهاها فيما بين أهل النقل، و لو جوّزنا أن يقال: مسمّى الصلاة ما ذكرتم أنّه خفى و اندرس حتّى صار بحيث لا يعرفه إلّا الآحاد لجاز مثله فى سائر الألفاظ، و لو جوّزنا ذلك لما قطعنا بأنّ مراد الله تعالى من هذه الألفاظ ما يتبادر أفهامنا إليه من المعانى فى زماننا، لاحتمال كونها فى زمان النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم موضوعه لمعان آخر و كان مراد الله تلك المعانى إلّا أنّها قد خفيت فى زماننا و اندرست كما وقع فى هذه اللفظة، و هو باطل بالإجماع فكذا ذلك.

ففيه أنّ هجر المعنى الأوّل فى الألفاظ المنقولة ليس ببدع، و قياس غيرها بها كما ترى، و أصالة عدم النقل بل الهجر محكّمة فى الإطلاقات العرفية التى ينزل عليها الخطابات الشرعية.

و على كلّ حال فقد يقال كما عن الباقلانى و غيره: بقائها كغيرها من ألفاظ العبادات على المعانى اللغوية و الأكثر على أنّها منقولة شرعا كما هو الأظهر الأشهر، أو متشرّعا كما عن جماعة إلى ذات الأركان و الكيفيات المخصوصة و إن اختلفت باختلاف أحوال المكلفين من حيث اعتبار الأجزاء و الشرائط و الكيفيات و غيرها كلّا أو بعضها، عينا أو بدلا.

و هذا كلّه ممّا يتعلّق بصحتها و أجزاءها، و لها آداب و وظائف تتعلّق بالقبول من الإقبال، و الخشوع، و التوجّه، و غير ذلك ممّا ستسمعها فى موضعها إن شاء الله

(١) رواه فى العيون ج ١ ص ٢٣٤ ح ٥٩ و فى الأمالى ص ١٤٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٤٤

تعالى، و لذا لم تتعرّض لها إلّا عدى ما

رواه السيّد «١» بن طاوس طاب ثراه. قال:

جاء الحديث أنّ رذام مولى خالد بن عبد الله، و كان من الأشقياء، سأل الإمام جعفر بن محمّد عليهما السّلام بحضرة أبى جعفر المنصور عن الصلاة و حدودها، فقال عليه السّلام: للصلاة أربعة آلاف حدّ لست تفى بواحد منها، فقال: أخبرنى بما لا يحلّ تركه، و

لا- تتم الصلاة إلّا به، فقال عليه السّلام: لا تتم الصلاة إلا لذي طهر سابغ، و تمام بالغ غير نازغ و لا زائغ، عرف فاخبت و ثبت و هو واقف بين اليأس و الطمع، و الصبر و الجزع، كأنّ الوعد له صنع و الوعيد به وقع، بذل عرضه، و تمثّل غرضه، و بذل في الله المهجّة و تنكّب إليه المحجّة، غير مرتغم بارتغام، يقطع علائق الاهتمام بغير من له قصد، و إليه وفد، و منه استرفد، فإذا أتى بذلك كانت هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء و المنكر.

فالتفت المنصور إلى أبي عبد الله عليه السّلام فقال: يا أبا عبد الله لا تزال من بحرك نغترف، و إليك نزدلف، تبصير من العمى، و تجلو بنورك الطخياء فنحن نقوم في سبحات قدسك، و طامى بحرك ...  
الخبر «٢».

و لعلّ

قوله عليه السّلام: و تمام بالغ

، إشارة إلى آيتي تمام النعمة و التبليغ، غير نازغ و لا زائغ كلاهما بالغين و الزاي المعجمتين - أي غير ناصب عداوة لأهل البيت، و لا مائل عنهم، و العرض بالمهملة المتاع، و بالمعجمة الهدف، أي بذل رأس ماله، و جعل نفسه هدفا لما يرمى إليه، و الارتغام اللصوق بالرغام و هو التراب.

(١) هو السيّد علي بن موسى بن جعفر الحسنى الداودى المعروف بابن طاوس توفى سنة (٦٦٤) هـ.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ٩٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٤٥

### تأويل الصلاة بالولاية

روى الشيخ شرف الدين النجفى «رحمه الله» باسناده عن الشيخ أبى جعفر الطوسى «ره» مسندا إلى الفضل بن شاذان، عن داود بن كثير، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: أنتم الصلاة فى كتاب الله عزّ و جلّ و أنتم الزكاة، و أنتم الحجّ؟ فقال: يا داود نحن الصلاة فى كتاب الله عزّ و جلّ، و نحن الزكاة، و نحن الصيام و نحن الحج، و نحن الشهر الحرام، و نحن البلد الحرام، و نحن كعبة الله، و نحن قبلة الله، و نحن وجه الله، قال الله تعالى: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ «١» و نحن الآيات، و نحن البيئات. و عدونا فى كتاب الله عزّ و جلّ، الفحشاء و المنكر و البغى، و الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام و الأوثان و الجبت و الطاغوت و الميتة و الدم و لحم الخنزير.

يا داود إنّ الله خلقنا فأكرم خلقنا و فضّلنا و جعلنا أمناؤه و حفظته و خزّانه على ما فى السّماوات و ما فى الأرض و جعل لنا أصدادا و أعداء، فسّمانا فى كتابه و كتّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء و أحبّها إليه، و سمّى أصدادنا و أعدائنا فى كتابه و كتّى عن أسمائهم، و ضرب لهم الأمثال فى كتابه فى أبغض الأسماء إليه و الى عباده المتّقين «٢».

وفيه بالإسناد عنه عليه السّلام أنّه قال: نحن أصل كل خير، و من فروعنا كلّ برّ، و من البرّ التوحيد و الصلاة و الصيام، و كظم الغيظ، و العفو عن المسيء، و رحمة الفقير، و تعاهد الجار، و الإقرار بالفضل لأهله، و عدونا أصل كلّ شرّ، و من فروعهم كلّ قبيح و فاحش، فمنهم الكذب، و النميّة، و البخل، و القطيعة، و أكل الربا، و أكل مال



(٢) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٣٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٤٦

اليتيم بغير حقّه، وتعدى الحدود التي أمر الله عزّ وجلّ، وركوب الفواحش ما ظهر منها وما بطن\* من الزنا والسرقه، وكلّ ما وافق ذلك من القبح، وكذب من قال: إنّه معنا وهو متعلّق بفرع غيرنا «١».

وفي البصائر بالإسناد عن الصادق عليه السّلام فيما كتبه إلى المفضّل في خبر طويل، وفيه: ثمّ إنّي أخبرك أنّ الدّين وأصل الدّين هو رجل، وذلك الرّجل هو اليقين، وهو الإيمان، وهو إمام أمته. أو أهل زمانه، فمن عرفه عرف الله ودينه، ومن أنكره أنكر الله ودينه، ومن جهله جهل الله ودينه، والمعرفة على ضربين: معرفة ثابتة على بصيرة يعرف بها دين الله، ويوصل بها إلى معرفة الله، فهذه المعرفة الباطنة الثابتة، ومعرفة في الظاهر، فأهل المعرفة في الظاهر الذين علموا أمرنا بالحق على غير علم لا يلحقون بأهل المعرفة في الباطن على بصيرتهم، ولا يصلون بتلك المعرفة إلى حقّ معرفة الله... إلى ان قال عليه السّلام: وأخبرك أنّي لو قلت: إنّ الصلاة، والزكاة، وصوم شهر رمضان، والحجّ، والعمرة، والمسجد الحرام، والبيت الحرام، والمشعر الحرام، والطهور، والاعتسال من الجنابة، وكل فريضة كان ذلك هو النبي الذي جاء به من عند ربه لصدقت، لأنّ ذلك كلّها إنّما يعرف بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولولا معرفة ذلك النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والإيمان والتسليم له ما عرف ذلك، فذلك من من الله تعالى على من يمتّ عليه...

الخبر «٢».

وفي مشارق الأنوار، وغيره على ما رواه جملة من الأصحاب منهم الجليلان المجلسيان طاب ثراهما في خبر معرفتهم بالنورانيّة، وفيه: يا سلمان، ويا جندب إنّ معرفتي بالنورانيّة معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي، وهو الدين الخالص بقول الله

(١) بحار الأنوار: ج ٢٤، ص ٣٠٤.

(٢) بصائر الدرجات: ص ٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٤٧

سبحانه: وما أمروا إلّا ليعبدوا الله «١».

إلى قوله: وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ قال: وهي ولايتي، فمن والاني فقد أقام الصلاة، وهو صعب مستصعب...

الخبر بطوله. وستسمع ان شاء الله تمامه في تفسير قوله تعالى: **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** «٢» حيث فسّرهما فيه بمحمّد وعلى صلّى الله عليهما وعلى آلهما.

وجملة الكلام في المقام أنّه قد تضافرت الأخبار بل تواترت على أنّه لا يقبل الله تعالى من شيئاً من الطاعات والعبادات إلّا بولايتهم ومحبتهم، وأنّها مما بنى عليه الإسلام والإيمان، بل هي أشدّها وأكدها.

ففي الكافي، والأمالى، والمحاسن، والخصال وغيرها عن أبي جعفر عليه السّلام قال: بنى الإسلام على خمس: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ، والولاية، ولم يناد بشيء كما نودى بالولاية، فأخذ الناس بأربع، وتركوا هذه «٣»، يعنى الولاية.

وفي خبر آخر: أنّه تعالى رخص في أربع ولم يرخّص في واحدة «٤».

أقول: والترخيص للضرورة وغيرها من الأعذار، ولا ضرورة في الولاية التي هي من عمل القلب.

وفي الكافي، والمحاسن، وتفسير العياشي عنه عليه السّلام: بنى الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والصوم، والحجّ، والولاية، قال زرارة: فقلت: و أي شيء من ذلك أفضل، قال عليه السّلام: الولاية أفضل لأنّها مفتاحهنّ والوالى هو الدليل

(١) البيئنة: ٥.

(٢) البقرة: ٤٥.

(٣) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٣٢٩ من الكافي.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٤٨

عليهنّ ... إلى أن قال عليه السلام: إنّ ذرّوة الأمر و سنامه و مفتاحه، و باب الأشياء، و رضى الرّحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، إنّ الله عزّ و جلّ يقول: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا «١»، أما لو أنّ رجلا- قام ليله و صام نهاره، و تصدّق بجميع ماله، و حجّ جميع دهره، و لم يعرف ولاية و لىّ الله فيواليه و يكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حقّ فى ثوابه، و لما كان من أهل الإيمان «٢».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالّة على توقّف صحّة الأعمال و قبولها على معرفتهم و ولايتهم و أنّهم الأعراف الذين لا يعرف الله و لا يعبد إلّا بسبيل معرفتهم، و أنّهم أبواب الإيمان و أمناء الرّحمن، و أنّ لهم المودّة الواجبة، و بهم تقبل الطاعة المفترضة، و أنّ من مات و لم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهليّة، و أنّ من عرفهم فقد عرف الله، و من أنكرهم فقد أنكر الله. و الذى يستفاد ممّا أشرنا إليه و غيرها أنّ تسميتهم أو تسمية ولايتهم بالصلوة و غيرها من أسماء العبادات و أفعال الخير يمكن أن يكون لوجوه:

أحدها: أنّ وجوداتهم و كينوناتهم فى عالم التكوين هى الأصل و الأساس لسائر الطاعات، لأنّها هى الحاصلة من هيات أفعالهم و أقوالهم و أحوالهم، و لذا

قال فى الخبر المتقدّم: نحن أصل كلّ خير، و من فروعنا كلّ برّ «٣» الخبر.

و فى أخبار خلق الطينة و مزج الطينتين، و رجوع كل عمل الى أهله، و تجسّم الأعمال، و تسمية الشيعة، و غيرها إشارة إلى ذلك أيضا، لدلالته على أنّ الله تعالى

(١) النساء: ٨٠.

(٢) وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٦٦.

(٣) الكافي ج ٨ ص ٢٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٤٩

خلق أنوارهم قبل خلق الأشياء كلّها، ثم خلق من أشعة أنوارهم جميع الخيرات من الذوات و الصفات و الأخلاق و الأفعال الحسنّة. ثانيها: أنّه تعالى عبّر عنهم بهذه الأسماء الشريفة و الألقاب المنيفة، و عن أعدائهم بأضدادها تكنية عن أسمائهم، و حفظا لها عن تحريف المبطلين، و تأويل الجاهلين كما يومئ إليه الخبر الأوّل «١» و قد أشير إليه فى العلوى المروى فى الإحتجاج و غيره جوابا عن الزنديق الذى سنله عن جملة من المتشابهات، حيث قال بعد تفسير جنب الله بأصفيائه و أوليائه ما لفظه عليه السلام: و إنّما جعل الله فى كتابه هذه الرموز التى لا يعلمها غيره و غير أنبيائه و حججه فى أرضه لعلمه بما يحدثه فى كتابه المبطلين و تأويل الجاهلين.

ثالثها: أنّ الصلاة و غيرها من العبادات و الأفعال الحسنّة لمّا كانت من شئون ولايتهم و لوازم معرفتهم و الإذعان بمراتبهم فلذا عبّر بها عن الولاية و الولى.

رابعها: أنّ هذه العبادات لمّا كانت مشروطة بالولاية بحيث لا يقبل شىء منها بدونها كما أشير إليه فى خبر بناء الإسلام و غيره.

خامسها: أنّ هذه الفرائض لما علم وجوبها و حسنها و اشتغالها على مصالح الدارين و سعادة النشأتين بتعريفهم و بيانهم و تبليغهم ناسب أن تعتبر فيهم بها، كما يستفاد من خبر البصائر، و إن كان محتملا لبعض الوجوه المتقدمه أيضا.

سادسها: أنّ هذه التعبيرات مبتنية على بعض القواعد الحسابية المصنونه المكونه المقرره في علم الجفر و غيره من العلوم المختصه بهم و خواص شيعتهم، و لعل من جمله ذلك ملاحظه أعداد الحروف و قوياها و نظائرها من الدوائر السبع أو السبعين و ملاحظه زبر الحروف و بيناتها و استنطاق قواها، و غير ذلك مما لا يخفى

(١) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٩٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٥٠

على أهله، بل لعلّه إليه الإشارة بقوله عليه السّلام في الخبر: تكنية عن العدد كما هو الموجود في تأويل الآيات للشيخ شرف الدين النجفي، و ان احتمل كونه بالواو، و لذا عداه بعن.

و بالجملة فقد ظهر من جميع ما مرّ أنه لا غضاضة في إطلاق تلك الأسماء عليهم و تأويلات الآيات المشتملة عليها بهم عليه السّلام كما دلّت عليه الأخبار المتقدمه و غيرها مما لم نتعرض لها بكثرتها.

و أما ما يستفاد منه المنع من ذلك

كالخبر المروى في رجال الكشي عن الصادق عليه السّلام أنه كتب الى أبي الخطّاب: بلغني أنّك تزعم أنّ الزنا رجل، و أنّ الخمر رجل، و أنّ الصلاة رجل، و الصيام رجل، و أنّ الفواحش رجل، و ليس هو كما تقول، إنا أصل الحقّ و فروع الحقّ طاعة الله، و عدونا أصل الشرّ و فروعهم الفواحش، و كيف يطاع من لا يعرف، و كيف يعرف من لا يطاع «١».

و فيه عنه عليه السّلام أنه قيل له: روى أنّ الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجال، فقال: ما كان الله عزّ و جلّ ليخاطب خلقه بما لا يعلمون «٢».

ففيه مع قصوره عن المعارضة لما سمعت أنّ الظانّ أنّ الخطّاب و أصحابه كانوا يؤولون تلك الآيات بالرجال و يرفضون نفس العبارات و الأعمال و يزعمون أنّه يكفي في الإيمان مجرّد الولاية و البرائة كما يظهر ذلك من بعض الأخبار، و لذا قال الصادق عليه السّلام لداود بن فرقد على ما رواه في البصائر: لا تقولوا لكلّ آية هذه رجل و هذه رجل، من القرآن حلال، و منه حرام، و منه نبأ ما قبلكم و حكم ما بينكم،

(١) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٢٩٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٥١

و خبر ما بعدكم «١».

و المعنى على ما ذكره شيخنا المجلسي و غيره أي لا تقتصروا على هذا بأنّ تنفوا ظاهرها.

و أمّا ما ذكره السيّد الداماد في شرح الخبر الأوّل المروى في رجال الكشي من أنّ فيه وجهين:

أحدهما أن يكون الطاعة جمع طائع أو طييع، كما أنّ السادة جمع سيّد، و القادة جمع قائد، و على هذا فروع الحقّ الشيعة و معنى الكلام أنا أصل الحقّ و فروع الحقّ من شيعتنا إنّما هم المطيعون الطائعون المطيعون لله عزّ و جلّ.

و الثاني أن تكون هي اسم الجنس فيعني بها جنس الطاعات و الحسنات، أو المصدر أي إطاعة الله، و التبعيد له فيما أمر به من العبادات، و نهى عنه من المعاصي، و حينئذ يقدر حذف المضاف الى الضمير في اسم انّ، و التقدير إنّ معرفة حقنا و الدخول في

ولايتنا أصل الحق و أسّ الدين و فروع الحقّ و متمّات الدين هي ضروب الطاعات و العبادات، و كذلك الفواحش. إمّا بمعنى الطواغى جمع الفاحشة و الطاغية بالغاء للمبالغة لا بالتأنيث، فكلّ فاحش جاوز الحدّ فى الفحش و السوء. و طاغ تعدّى الحدّ فى الطغيان و العتوّ فهو فاحشة و طاغية من باب المبالغة، فالمعنى عدوّنا أصل الشرّ و أساس الظلم، و فروعهم الفواحش الطواغى من أصحاب الغواية و الضلالة.

و إمّا بمعنى الفاحشات من الآثام، السيئات من المعاصى، يعنى أنّ الدخول فى حزب عدوّنا و الانخراط فى سلوكهم أصل الشرّ و الضلال فى الدين و فروع ذلك فواحش الأعمال و موبات المعاصى.

(١) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٠١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٥٢

فلا يخفى ما فيه من البعد و التكلّف من وجوه عديدة سيّما بعد ما سمعت من المعانى المستفادة من الأخبار.

### تفسير وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

#### إشارة

الرزق فى اللغة هو الحظّ و النصيب من الخير أو مطلقاً، و منه قوله:

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ «١».

و فى الصحاح إنّه ما ينتفع به و مثله فى القاموس و غيره، و المصدر بالفتح، قيل: و يكسر أيضاً، و خصّص عرفاً بتخصيص الشىء بالحيوان، أو بسوق الله الى الحيّ ما يتمكّن من الانتفاع به، لكن الأشهر تفسيره بالمختص و المسوق على أنّه بمعنى المرزوق، نعم خصّه بعضهم بالغذاء أو ما يؤكل، أو يؤكل و يستعمل، أو ما يملك، أو ما يقع الانتفاع به.

و فى المجمع إنّه العطاء الجارى، و هو نقيض الحرمان، لكنّه لا- ينبغى التأمّل فى شموله للغذاء و غيره كما يقال: رزقنى الله ولداً و علماً، و المأكول و المبذول لقوله تعالى: وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ و للملوك و غيره كما لو أبيع له الأكل من مال غيره، سواء قلنا بحصول الملك عند النفع أو التلف أو لا كما هو الأظهر، و كالمصروف فى غذاء البهائم فإنّه أرزاقهم.

و لا- ينبغى التأمّل أيضاً فى اختصاص صفة الرزاقية بالله سبحانه، فإنّه تعالى هو الرزاق، و لا ينبغى الإصغاء الى ما يحكى عن بعض المعتزلة من التفصيل فى

(١) الواقعة: ٨٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٥٣

ذلك بأنّه إن جعل بكّد الحيوان و تعبّه فهو رازق و لنفسه حقيقة، و الله سبحانه غير رازق له، و إن حصل بدون كّد و تعب فالرازق له هو الله سبحانه.

نعم قد يستعمل بمعنى الإطعام و التهليل، و منه قوله تعالى: وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ «١»، على أنّه قد نصّ فى المجمع و غيره على أنّ الرزاق هو خالق الرزق.

## الإِنْفَاقُ لُغَةً وَتَفْسِيرًا

و الإِنْفَاقُ إفعال من نفق البيع بفتح الفاء أى راج، أو من نفق الزاد كفرح و نصر بمعنى نفد و فنى أو قل، و أصله بمعنى الخروج و الذهاب، بل قيل: إنّه الأصل فى كلّ ما وافقه فى الفاء و العين كنفد، و نفع بالمهملة و المعجمة فيهما، و نفر، و نفص، و نفى، و إن كان لا يخلو عن تكلف فى الكلّ أو البعض.

و الإِنْفَاقُ يستعمل لازما بمعنى الافتقار، يقال: أنفق الرجل أى افتقر و ذهب ماله، و منه: «إِذَا لَأْمَسَ كُتْمٌ خَشِيَةَ الْإِنْفَاقِ» «٢»، و يستعمل متعديا بنفسه، و بالحروف بمعنى إخراج المال و بذله النفقة.

و هذه صفة ثالثة للمتقين على تقدير الصلّة، و الواو تفيد الجمعيّة لاشتراط كلّ من هذه الأعمال على الآخر و احراز الجمع فى معنى التقوى.

و حمل الموصولة على الزكاة المفروضة كما عن بعضهم، أو نفقة الرجل على أهله نظرا إلى نزول الآية قبل وجوب الزكاة كما عن آخر، أو التطوع بالنفقة كما عن ثالث.

(١) النساء: ٨.

(٢) الإسراء: ١٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٥٤

تخصيص من غير تخصّص، و مجرد اقترانه بالصلوة الّتى هى شقيقه الزكاة لا يصلح مخصّصا للموصولة بالزكاة، فضلا عن خصوص المفروضة منها.

و أمّا ما

فى المعانى، و المجمع، و العياشى عن الصادق عليه السّلام من تفسيره بقوله:

«و ممّا علمناهم بيّنون»

فهو تنبيه على الفرد الأخرى الذى ينبغى أن يكون الاهتمام به أشدّ و أولى نظرا إلى أن الأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات للحيوان، و باطنة للقلوب و الأذهان كالمعارف و العلوم، و حقايق الإيمان.

فالأولى حملها على ما يشمل المال و الجاه و الخلق و قوى الأبدان، و تعليم العلوم و الهداية الى مراتب الإيمان، و لذا قال الإمام عليه السّلام فى تفسيره: يعنى وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ، و القوى فى الأبدان و الجاه و المقدر يُنْفِقُونَ، و يؤدّون من الأموال الزكاة و وجودون بالصدقات، و يحملون الكلّ، و يؤدّون الحقوق اللّازمات كالنفقة فى الجهاد إذا لزم هو و إذا استحبّ، و كسائر النفقات الواجبات على الأهلين، و ذوى الأرحام القربيات و الآباء و الأمّهات، و كالنفقات المستحبّات على من لم يكن فرضا عليهم النفقة من سائر القربيات، و كالمعروف بالاسعاف و القرض، و الأخذ بيد الضعفاء، و يؤدّون من قوى الأبدان المعونات كالرجل يقود ضريرا، او ينجيه من مهلكة، أو يعين مسافرا، أو غير مسافر على حمل متاع على دابة قد سقط عنها او كدفع عن مظلوم قصده ظالم بالضرب أو بالأذى، و يؤدّون الحقوق من الجاه بأن يدفعوا به عن عرض من يظلم بالوقعة فيه، أو يطلبوا حجة بجاههم لمن قد عجز عنها بمقداره، فكلّ هذا إنفاق ممّا قد رزقه الله تعالى.

ثمّ روى عن النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم أخبارا كثيرة فى فصل الصلوة و الزكاة و اشتراط قبول كل منها بالآخر، و عقوبة تاركهما، و فضل الجهاد و الصدقة و اشتراط قبول الجميع بالولاية ... الى أن قال عليه السّلام: و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: ثمّ كلّ معروف بعد ذلك و ما وقّيتم به أعراضكم و صنتموها من ألسنة كلاب الناس كالشعراء الواقعين فى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٥٥

الأعراض تكفونهم فهو محسوب لكم في الصدقات.

و سئل امير المؤمنين عليه السلام من النفقة في الجهاد إذا لزم او استحب؟ فقال عليه السلام: أما إذا لزم الجهاد فهو بأن لا يكون بإزاء الكافرين من ينوب من ساير المسلمين فالنفقة هناك الدرهم بسبعمائه ألف، فأما المستحب الذي هو قصد الرجل و قد ناب عنه من يسعه و استغنى عنه فالدرهم بسبعمائه حسنة كل حسنة خير من الدنيا و ما فيها مائة ألف مرة، و أما القرض فقرض درهم كصدقة درهمين سمعته من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال: هو الصدقة على الأغنياء «١».

و قال امير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: من قاد ضريرا أربعين خطوة على أرض سهلة لا خوف عليه اعطى بكل خطوة قصرا في الجنة مسيرة ألف سنة في ألف سنة لا يفي بقدر إبرة منه طلاع الأرض أى ملؤها ذهباً، فإن كان فيما قاده مهلكة جوزة وجد ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة أوسع من الدنيا مائة مرة و رجح بسيناته كلها و محققها و أنزله في أعالي الجنان و غرفها.

و ما من رجل رأى ملهوفاً في طريق بمركوب له قد سقط و هو يستغيث و لا يغاث فأغاثه و حمله على مركوبه و سوى له إلاً قال الله عز و جل: كدت نفسك و بذلت جهدك في إغاثه أخيك لأكدن ملائكة هم أكثر عددا من خلائق الإنس كلهم من أول الدهر إلى آخره، و أعظم قوة، كل واحد منهم ممن يسهل عليه حمل السماوات و الأرضين لينوا لك القصور و المساكن، و يرفعوا لك الدرجات فإذا أنت في جناني كأحد ملوكها الفاضلين، و من دفع عن مظلوم قصد بظلم ضررا في ماله أو بدنه خلق الله عز و جل من حروف أقواله و حركات أفعاله و سكونها أملاكا بعدد كل حرف منها مائة ألف ملك كل ملك منهم يقصدون الشياطين الذين يأتون لإغوائه فيثخنونهم ضربا

(١) تفسير الإمام العسكري ص ٨٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٥٦

بالأحجار الدافعة «١»، و أوجب الله عز و جل بكل ذرة ضرر دفع عنه، و بأقل قليل جزء ألم الضرر الذي كف عنه مائة ألف من خدام الجنان و مثلهم من الحور الحسنان يدلونه هناك و يشرفونه، و يقولون: هذا بدفعك عن فلان ضررا في ماله أو بدنه.

و من حضر مجلسا قد حضره كلب يفترس عرض أخيه أو إخوانه و اتسع جاهه فاستخف به، و ردّ عليه، و ذبّ عن أخيه الغائب قيض الله الملائكة المجتمعين عند البيت المعمور لحجهم، و هم شطر ملائكة السماوات و ملائكة الكرسي و العرش، و هم شطر ملائكة الحجب، فأحسن كل واحد بين يدي الله محضره، يمدحونه و يقربونه و يقرظونه و يسئلون الله تعالى له الرفعة و الجلالة، فيقول الله تعالى: أما أنا فقد أوجبت له بعدد كل واحد من مادحيكم مثل عدد جميعكم من الدرجات و قصور، و جنان، و بساتين و أشجار مما شئت مما لا يحيط به المخلوقون «٢».

ثم ساق الكلام في أخبار كثيرة في إنفاق أمير المؤمنين عليه السلام بماله و بدنه و جاهه في سبيل الله ابتغاء مرضاته.

### اختصاص الرزق بالحلال

: بقى الكلام في امور: أحدها: أنه قد طال التشاجر بين المتكلمين في اختصاص الرزق بالحلال، أو شموله للحرام أيضا سواء كانت الحرمة عينية كالخمر و الخنزير، أو لانتفاء الملك كالغصب، أو لشيء من العوارض كالمرضى الذي يجب عليه الحمية إذا أكل ما يضره، فالعدلية على الأول، و الأشاعرة على الثاني، و من هنا

(١) في المصدر: فيشجونهم ضربا بالأحجار الدامغة.

(٢) تفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام ص ٢٩-٣٠ و عنه البحار ج ٧٥ ص ١٥ و ص ٢٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٥٧

وقع الاختلاف بين الفريقين في تعريف الرزق.

قال المحقق الطوسي في التجريد: الرزق ما صح الانتفاع به و لم يكن لأحد منعه منه.

### حقيقة الرزق

و قال العلامة الحلّي أعلى الله مقامه في نهج المسترشدين: الرزق عند العدليّ ما صحّ الانتفاع به و لم يكن لأحد منع المنتفع به منه لأنّه تعالى أمر بالإنفاق و لا يأمر بالحرام، و عند الأشعريّ الرزق ما أكل، فالحرام عندهم رزق.

أقول: و التقييد بقولهم: و لم يكن لأحد منعه لإخراج الطعام المباح للضيف، فإنّه يصحّ الانتفاع به لكنّه لا- يسمّى رزقا له حتّى يستهلك، إذ قبله يجوز للمضيف منعه من الأكل، و كذلك البهيمة قبل الأكل لا يسمّى طعامها رزقا لها، إذ لمالكها منعه، و الحرام أيضا لا يسمّى رزقا إذ لا يصحّ الانتفاع به شرعا مع أنّ لمالكه منعه منه بل الله سبحانه قد منعه منه.

و استدلوا بهذه الآية و نحوها ممّا وقع فيه المدح على انفاق الرزق او الأمر به الدال على استحقاق الثواب بامتثاله نظرا الى أنّه لو كان الحرام رزقا و جب أن يتحقّق المدح و الامتثال بإنفاقه.

و بقوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَ حَلَالًا «١» الدالّ على حليّة الرزق و أنّ تحريمه افتراء على الله سبحانه.

و

بقوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ الله تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالا و لم يقسمها حراما «٢».

(١) سورة يونس: ٥٩.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٨٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٥٨

و بأنّه سبحانه هو الرازق و الرزاق، و قاسم الأرزاق و لا يجعل الشئ رزقا لمن حرّمه عليه لقبحه و مخالفته للتكليف.

و احتجت الأشاعرة لما ذهبوا إليه بأنّ الرزق في اللّغة الحظّ و النصيب، فمن انتفع بالحرام صار ذلك الحرام حظّا و نصيبا له فوجب أن يكون رزقا له.

و بأنّه تعالى قال: ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا «١»، و قد يعيش الرّجل طول عمره لا يأكل إلّا من السرقة و الخيانة و الرشوة و الربا و غيرها من أنواع الحرام، فوجب أن يقال: إنّ طول عمره لم يأكل من رزقه شيئا.

و بما

رووه عن صفوان بن اميّة، قال: كنّا عند رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، إذ جاء عمر بن قرّة، فقال: يا رسول الله إنّ الله كتب عليّ الشقوة فلا أرزق إلّا من دقّي فأذن لي في الغناء من غير فاحشة، فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: لا آذن لك و لا كرامة و لا نعمة أي عدو الله لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرّم الله عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله، أما إنك لو قلت بعد

هذه المقالة ضربتك ضربا وجيعا «٢».

و من طرقتنا عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ان الروح الأمين جبرئيل أخبرني عن ربي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، واعلموا أن الرزق رزقان: فرزق تطلبونه و رزق يطلبكم، فاطلبوا أرزاقكم من حلال فإنكم إن طلبتموها من وجوهها أكلتموها حلالا، و إن طلبتموها من غير وجوهها أكلتموها حراما و هي أرزاقكم لا بد لكم من أكلها «٣».

(١) سورة هود: ٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٥ ص ١٥٠.

(٣) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٢٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٥٩

و التحقيق أن يقال: إنه لا ينبغي التأمل في أن هذا النزاع بين الفريقين ليس في مجرد وضع اللفظ و محض اللغء، كيف و المرجع فيها الى أربابها، مع أن الخطب في مثله سهل.

و لا في أن كثيرا من الناس بل أكثرهم ينتفعون بالحرام، بل ربما يعينون به طول أعمارهم.

و لا في أن صفة الحرمة الشرعية ثابتة لكل من الأخذ، و الأكل، و القنية إذا لم يكن على الوجه المباح المأذون فيه في الشرع.

إنما الكلام بين الفريقين في أن الله تعالى هل جعل أرزاق العباد في الأشياء الطيبة المباحة و إن اختاروا بسوء اختيارهم غيرها، بل و عاشوا بالأشياء الخبيثة المحرمة طول عمرهم، أو أنه جعل أرزاقهم في كل ما يعيشون به و ينتفعون منه، فالعدلية لما ذهبوا الى التحسين و التقيح العقلين و استحالوا القبح على الله سبحانه اختاروا الأول، و الأشاعرة لما لم يقولوا بالعدل ذهبوا الى الثاني.

و من هنا يظهر أن الأولى تفرغ هذه المسألة على ذلك الأصل، و كأنهم إنما استدلوا ببعض هذه الوجوه في المقام تأييدا و تقريبا للأصل.

## أقسام الرزق

و الحق أن الرزق ينقسم إلى أقسام ثلاثة: أصلي، و بدلي، و فضلي.

فالأصلي ما قدرة الله تعالى لعبده إذا استقام على مقتضى العبودية، و طلب رزقه من الوجه الذي شرع له.

و البدلي ما طلبه العبد من غير وجهه و أخذه من غير حله، و إليهما الإشارة ما

رواه في الكافي و التهذيب عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٦٠

حجة الوداع:

ألا- إن الروح الأمين نفث في روعي أنه لا- تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله و أجملوا في الطلب و لا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله تعالى، فإن الله تبارك و تعالى قسم الأرزاق بين خلقه حلالا، و لم يقسمها حراما، فمن اتقى و صبر أتاه الله برزقه من حله، و من هتك حجاب الستر و عجل فأخذه من غير حله قص به من رزقه الحلال و حوسب عليه يوم القيامة «١».

و الفضلي ما كان فضلا له من قدر الحاجة و الضرورة التي يشترك فيها جميع الخلق على أحد الوجهين المتقدمين، و إليه الإشارة ما



في قرب الإسناد عن جعفر ابن محمد، عن أبيه عليه السّلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الرزق ينزل من السماء إلى الأرض على عدد قطر المطر الى كلّ نفس بما قدّر لها و لكن لله فضول ف سئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ «٢».

و عن ابى جعفر عليه السّلام: ليس من نفس إلّا و قد فرض الله لها رزقها حلالا يأتيها في عافية و عرض لها بالحرام من وجه آخر، فإن تناولت شيئا من الحرام قاصّها من الحلال الذى فرض لها، و عند الله سواهما فضل كثير، و هو قوله عزّ و جلّ: وَ سئَلُوا اللَّهَ ... «٣».

و في المقنعة عن الصادق عليه السّلام: الرزق مقسوم على ضربين: أحدهما واصل الى صاحبه و إن لم يطلبه، و الآخر معلق بطلبه، و الذى قسم لأحد على كلّ حال آتية و إن لم يسع له، و الذى قسم له بالسعى فينبغى أن يلتمسه من وجوهه، و هو ما أحله

(١) الكافي ج ٥ ص ٨٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٥ ص ١٤٥.

(٣) النساء: ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٦١

الله له دون غيره، فإن طلبه من جهة الحرام فوجده حسب عليه رزقه و حوسب به «١».

الى غير ذلك من الأخبار.

### الانفاق ببعض الرزق

الأمر الثانى: أن فى إدخال من التبعية على الموصولة دلالة على أن الإنفاق ممّا رزقه الله تعالى من مال، أو حال، أو جاه، أو قوة بدنيّة أو غيرها ينبغى أن يكون بعضها لتحرى الأعدل الأوسط بين طرفى الإفراط و التفريط كما مدحهم الله تعالى بقوله: وَ الَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا «٢»،

و فى أخبار كثيرة أنه تعالى عدّ من الأصناف الذين يدعون الله فلا يستجاب لهم من رزقه الله مالا كثيرا فأنفقوه، ثم أقبل يدعو يا ربّ ارزقنى فيقول الله عزّ و جلّ: «لم أرزقك رزقا واسعا فهلا اقتصدت فيه كما أمرتك» «٣».

إلى غير ذلك من الأخبار التى تسمعها ان شاء الله تعالى فى تفسير الآية المتقدمة و فى تفسير قوله تعالى: وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا «٤».

و ورد فى أخبار كثيرة عن مولانا الكاظم و الرضا و غيرها عليهم السّلام: لا تبذل لإخوانك من نفسك ما ضرّه عليك أعظم من منفعتهم لهم «٥».

(١) الفصول المهمة فى أصول الاثمة ج ١ ص ٢٧٣.

(٢) الفرقان: ٦٧.

(٣) الكافي ج ٥ ص ٦٧.

(٤) الإسراء: ٢٩.

(٥) الكافي ج ٤ ص ٣٣ ح ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٦٢

الأمر الثالث: أنه قد مرّ فى

خبر العياشي وغيره عن الصادق عليه السلام في تفسير الآية بقوله: وَمَا عَلَّمْنَاهُمْ يَتُونَ «١». وفي بعض نسخ تفسير القمي عن الباقر عليه السلام قال: مِمَّا عَلَّمْنَاهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ يَتُونَ، وفي بعض النسخ: يتلون «٢». وفي مشارق الأنوار مرسلًا قال عليه السلام: ينفقون معرفة آل محمد عليهم السلام على فقرائهم المؤمنين. ولا خفاء فيه بناء على ما سمعت من شمول الموصول على ما هو قضيته عمومها للنعم الروحانية التي بها الحياة الأبدية والسعادة السرمديّة، ومن البين أن العلوم الحقيقيّة والمعارف الإيمانيّة من جملة هذه النعم، بل هي أصلها وأساسها، نعم في المقام إشارة أخرى في التعبير بالضمير المتكلم مع الغير، وهو مع دلالة على التعظيم والتفخيم يؤيد ما استفاضت به الأخبار من أنهم القوامون بأمر الله تعالى العاملون بإرادته، وأنهم الحجاب والأبواب، ومحالّ مشيئته، وألسن إرادته. فالفيوض الصادرة عنهم في التكوين والتشريع لما كانت بأمره وإذنه وإرادته ومشيتته فهو منه سبحانه، وهم عبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، فافهم المراد، ولا تظنّ الغلوّ والإلحاد، ولا الحلول والاتحاد والله الهادي إلى سبيل الرشاد. الأمر الرابع: أن حذف متعلق الفعل دليل على شموله للإلحاق على نفسه وغيره ممن تجب نفقته وعلى سائر الأقارب والأجانب إذا كان الإلحاق لاستحقاق المنفق عليه، أو لكفّ شرّه ودفع ضرره عن عرضه وماله أو حريمه أو عن غيره من

(١) بحار الأنوار ج ٦٤ ص ١٨.

(٢) تفسير القمي ج ١ ص ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٦٣

إخوانه المؤمنين، أو غير ذلك من غرض ديني أو دنيوي مندوب إليه على ما يساعده الإطلاق، ويعضده ما مرّ عن تفسير مولانا العسكري عليه السلام. ومن هنا يظهر أنه ربما يصير الرزق الجسماني روحانيًا حيث إنه يكتب في بذله المثوبة الاخروية، وأنه يمكن أن يكون شيء واحد رزقا لأشخاص متعدّدة من جهات شتى بملاحظة الاعتبارات.

[سورة البقرة (٢): آية ٤]

**إشارة**

تفسير الآية (٤) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ عَظِفَ عَلَى «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» فيجري فيه الوجه الثلاثة المتقدمة موصولاً ومحلّه الرّفْع موصولاً أو عطف على المتّقين، والمعطوف على الوجهين إمّا نفس المعطوف عليه أو بعضه، أو غيره.

والأرجح أن الحكم معلق على المتّقين، وأن هذه كلّها أوصاف لهم، وإن كان بعضها يدخل في بعض دخول الخاصّ تحت العامّ، فإنّ الايمان بما انزل إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم، وما أنزل من قبله تحت الايمان بالغيب، بل لعلّك تراهما متكافئين من حيث التصادق والصدق على الأفراد بعد ملاحظة العموم حكمه ووضعاً، وإن كان الثاني بعد الأول لتوقّفه على ركني الإسلام، فالنكتة في التكرير والتفصيل تلقين الدليل، وإهداء السبيل إلى الايمان الاجمالي حيث يتعدّد التفصيل.

واحتمال أن الجملة الأولى من صفات المتّقين الذين آمنوا من شرك أو كفر، والثانية لأهل الكتاب الذين انتقلوا من ايمان الى ايمان، أو أن الأولى في الذين لم يشركوا بالله طرفه عين، والثانية فيمن تجدد ايمانهم.

مدفوع بأنّه تخصيص في كلّ من الجملتين على كلّ من الوجهين من غير

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٦٤

مخصّص.

و توهم أنّ إيمان غير أهل الكتاب بالمنزل من قبل في ضمن إيمانهم بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بخلافهم، و أفراد هما بالذكر في الآية دليل على انفرادهم به.

ضعيف بأنّ مجرد الإفراد لا يدلّ على الانفراد، و لذا أمرنا بالإيمان بالله و ما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأَسْبَاطِ «١».

على أنّ من أهل الكتاب من لم يؤمن بالجميع قبل إيمانه بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم كاليهود لم تؤمن بعيسى عليه السلام. و ما ذكرناه هو الأرجح على فرض استيناف الذين يؤمنون بالغيب أيضا، و الأصل في العطف و ان كان هو المغايرة فيما توسط العاطف بين الذاتين أو ما يكتنى به من الذات، لكنّه كثيرا ما يتوسط بين الوصفين، كقوله:

إلى الملك القرم و ابن الهمام و ليث الكتيبة في المزدحم و قد يكرّر الموصوف الواحد للتنبية على خصوص الأوصاف، و قد مرّ في المقدمات معنى الإنزال و التنزيل و الفرق بينهما، و الإشارة الى قسمي النزول و كيفيته.

و أصل «إِلَيْكَ» إلى الجارة وصلت بالضمير لكنّ الألف فيها أبدلت ياء، كما في عليك، و لديك، للفصل بين الألف في الإسم المتمكن و بينها في آخر غير المتمكن الذي تلزمها الاضافة أو ما في معناها، بل قيل: شبّهت بها كلا إذا أضيفت إلى المضمّر، و هو كما ترى، و أمّا الكلم الثلاث فقلب الألف فيها ياء مع المضمّر المخاطب و غيره هو الغالب.

و عن سيبويه أنّه حكى عن قوم من العرب: (لداك و إلاك و علاك) قال قائلهم:

طاروا علاهنّ فطر علاها، لكنّه شاذّ، و إن ضعف التعليل للانقلاب بما مرّ، و بما قيل

(١) اشارة الى آية (١٣٦) من سورة البقرة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٦٥

من تشبه الألف فيها بألف (رمى) إذا اتصل بالمضمّر المرفوع نحو رميت دون المنصوب نحو رماك، نظرا إلى أنّ الجارّ مع الضمير المجرور كالكلمة الواحدة، كالرافع مع الضمير المرفوع، بخلاف الناصب مع المنصوب.

إذ فيه ما لا يخفى، بل العمدة فيه هو السماع.

و إثارة الموصولة على غيرها للتكريم و لتفخيم المنزل و إجمال المفصل.

و إثارة «يؤمنون» على آمنوا للتنبية على أنّ إيمانهم لم يكمل بعد عرضا لعدم نزول كثير من الأحكام و الشرائع التي أجلّها نصب وصيه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الذي به يكمل الدين و يتمّ النعمة، و طولا لاختلاف مراتب الإيمان و تدرّجه كمالا و شرفا الى أنّ ينتهى الى أعلى مراتب اليقين.

و قضيه عموم الموصولة شمولها لجميع ما أنزل إليه صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن و الشرائع و الأحكام، و التعبير فيه بلفظ الماضى مع ترقب البعض لنزول الكلّ عليه في عالم آخر سابق على هذا العالم، أو لتغليب المتحقّق على المترقب، أو لتنزيل المتوقع منزلة الواقع على ما هو مقتضى الإيمان كما فى قوله:

إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى «١» فَإِنَّ الْجَنّ لَمْ يَسْمَعُوا جَمِيعَهُ بَلْ لَمْ يَنْزَلْ حِينَئِذٍ كُلَّهُ.

و بناء الفعل للمفعول لتعظيم الفاعل، و تكرير الموصولة لاختلاف المنزل إن كان المراد الفروع، و زيادة الاهتمام بالإيمان به إن أريد الأصول، فإنّ الشرائع كلّها متفقّة على الأمر و الإيضاء بها.

و من هنا يظهر أنّ للإيمان بما فى الكتب السابقة معنيين: الإيمان بكونه حقّا منزلا من عند الله سبحانه، و الإيمان بمقتضياته و ما فيه

يكمل بالعمل، لكنّه في المقام

(١) الأحقاف: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٦٦

بمعنى التصديق سيّما مع ما يدعى من الإجماع على كونه بمعناه إذا عدّى بالباء فيشمل الأمرين وضعا واقتضاء، وإن كان أهمّها التصديق بما تكرر الإيحاء به في الكتب السماوية من العقائد الايمائية التي من جملتها ولايته مولانا أمير المؤمنين و ذريته الطيبين عليه السلام على ما وقع فيها الإشارة إليها.

بل

قد ورد أن الله تعالى قد أخذ ميثاق الأنبياء وأوصيائهم وأمههم عليها، وأن من أنكر فضل واحد منهم فضلا عن الجميع فكأنما أنكر فضل جميع الأنبياء والمرسلين وكذب بما في الكتب المنزلة على الأنبياء.

وفيه: قال الإمام: ثم وصف بعد هؤلاء الذين يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ فقال: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الْمَاضِينَ، كالتوراة، والإنجيل، والزبور، و صحف ابراهيم، و ساير كتب الله تعالى المنزل على أنبيائه بأنّها حقّ و صدق من عند ربّ العالمين العزيز الصادق الحكيم، وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، بالدار الآخرة بعد هذه الدنيا يوقنون، لا يشكّون فيها أنّها الدار التي فيها جزاء الأعمال الصالحة بأفضل مما عملوه، و عقاب الأعمال السيئة بمثل ما كسبوا.

ثم قال عليه السّلام: قال الحسن بن علي عليه السّلام: من دفع فضل مولانا امير المؤمنين عليه السّلام على جميع من بعد النبي صلّى الله عليه وآله و سلّم فقد كذب بالتوراة، والإنجيل، و الزبور، و صحف ابراهيم، و ساير كتب الله المنزلة، فإنّه ما نزل شيء منها إلّا و أهمّ ما فيه بعد الأمر بتوحيد الله تعالى و الإقرار بالنبوة الاعتراف بولاية عليّ عليه السّلام و الطيبين من ولده «١».

قال: و قال الحسين بن علي عليه السّلام: إنّ دفع الزاهد العابد لفضل عليّ على الخلق كلّهم بعد النبي صلّى الله عليه وآله و سلّم، ليصير كسعلة نار في يوم ريح عاصف، و يصير ساير أعمال الدّافع لفضل عليّ عليه السّلام على كلّ الخلفاء و إن امتلأت منه الصحارى اشتعلت فيها تلك

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٢٨٥، تفسير الامام العسكري: ص ٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٦٧

النار و تغشيتها تلك الريح حتى تأتي عليها كلّها فلا تبقى لها باقية.

و لقد حضر رجل عند عليّ بن الحسين عليه السّلام فقال له: ما تقول في رجل يؤمن بما أنزل الله تعالى على محمد صلّى الله عليه وآله و سلّم و ما أنزل من قبله، و يؤمن بالآخرة و يصلّي، و يزكّي، و يصل الرّحم، و يعمل الصّالحات، لكنّه مع ذلك يقول: لا أدري الحقّ لعلّي أو لفلان؟

فقال له عليّ بن الحسين عليه السّلام: ما تقول أنت في رجل يفعل هذه الخيرات كلّها إلّا أنّه يقول: لا أدري أنّ النبي محمّد أم مسيلم، هل ينتفع بشيء من هذه الأفعال؟

فقال: لا، قال عليه السّلام: و كذلك صاحبك هذا، كيف يكون مؤمنا بهذه الكتب من لا يدري أم محمد صلّى الله عليه وآله و سلّم النبي أم مسيلم الكذاب، و كذلك كيف يكون مؤمنا بهذه الكتب أو منتفعا بها من لا يدري أم عليّ محقّ أم فلان! «١».

تفسير وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

## إشارة

الآخرة مؤنث الآخر بكسر الخاء فاعل من آخر بمعنى تأخر وإن لم يستعمل، وهي صفة الدار لقوله تعالى: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ «٢» أو النشأة، لقوله تعالى ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ «٣» صفة غالبه، كالدنيا، سميت لتأخرها، كما سميت الدنيا لدنوها أو دنائتها.

(١) تفسير الامام العسكري: ص ٨٩، بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٢٨٦.

(٢) القصص: ٨٣.

(٣) العنكبوت: ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٦٨

في العلل عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جواب اليهودي: إنّما سميت الدنيا دنيا لأنها أدنى من كل شيء، وسميت الآخرة آخرة لأن فيها الجزاء والثواب «١».

ولعله إشارة إلى تأخر الجزاء عن العمل وترتبها عليه، كما أنه أخذ الدنيا من الدنوّ.

وفيه أن زيد بن سلام سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الدنيا: لم سميت الدنيا؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: لأن الدنيا دنيئة خلقت من دون الآخرة لم يفق أهلها كما لا يفنى أهل الآخرة، قال: فأخبرني لم سميت الآخرة آخرة؟ قال: لأنها متأخرة تجيء من بعد الدنيا، لا توصف سنوها، ولا تحصى أيامها ولا يموت سكانها «٢».

ويحتمل أن يراد بالدون الحسيّة والقلمة أيضا ولذا قيل: إن الأدنى والدنيا يصرفان على وجوه فتارة يعبر بالأدنى عن الأقل فيقابل بالأكثر والأكبر، وتارة أخرى يعبر به عن الأردل فيقابل بالأعلى والأفضل، وثالثة يعبر به عن الأقرب فيقابل بالأقصى والأبعد. ثم إن الآخرة تطلق على تمام النشأة، وعلى بعض ما فيها.

## معنى اليقين لغة واصطلاحاً

و«اليقين» مصدر ثالث من يقنت الأمر من باب فرح يقنا بسكون القاف وفتحها، ويقينا، وهو العلم وإزاحة الشك بعد الاستدلال والنظر، ولذا لا يوصف به علم الباري تعالى، ولا العلوم الضرورية.

(١) علل الشرائع ج ١ ص ٢، بحار الأنوار ج ١٠ ص ١٣.

(٢) علل الشرائع ج ٢ ص ٤٧٠، بحار الأنوار ج ٩ ص ٣٠٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٦٩

وقيل: إنه العلم بالحق مع العلم بأنه لا يكون غيره، وعليه ينزل ما يحكى عن المحقق الطوسي من أنه مركب من علمين، وهو كما ترى.

ويطلق بمعنى الصدق، ومطلق العلم، وخصوص ما يوجب سكون النفس من القلق والاضطراب، ويظهر آثاره العملية على الجوارح والأعضاء.

ومعناه في المقام: يعلمون علما يزول معه الشك بالدار الآخرة، وما فيها من الوعد، والوعد.

ففيه مع إسناد الفعل إلى «هم» تعريض على أهل الكتاب الذين قالوا: «لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً»، وأن الجنة لن يدخلها إلا من

كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا عَتَقَدُوا فِيهِ الْخِلَافَ ، أَوْ وَقَعَ بَيْنَهُمْ فِيهِ الْاِخْتِلَافَ .

ولا يخفى أنّ اليقين وإن كان مرغوباً إليه في جميع موارد الإيمان إلّا أنّ تخصيص الآخرة بالذكر في المقام لكونه أساساً لغيره من شرايع الإسلام، فإنّ الإيمان اليقيني بالآخرة وأهوالها يؤدّي إلى الزهد الحقيقي في الدنيا، ولذا ورد الحثّ على الإكثار من ذكر الموت وغيره من شدائدها.

ففي الكافي و تفسير القمي وغيرهما عن مولينا الباقر عليه السّلام يا أبا عبيدة أكثر ذكر الموت فإنّه لم يكثر ذكره إنسان إلّا زهد في الدنيا «١».

وعنه، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: الموت، ولا بدّ من الموت ... إلى أن قال: إذا استحققت ولاية الله والسعادة جاء الأجل بين العينين و ذهب الأمل وراء الظهر، وإذا استحققت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الأمل بين العينين و ذهب الأجل وراء الظهر «٢».

(١) الكافي ج ٢ ص ١٣١ ح ١٣، و ج ٣ ص ٢٥٥ ح ١٨.

(٢) أمالي الطوسي ص ٢٥٨ ح ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٧٠

و في المجالس عن أبي بصير قال: قال لي الصادق عليه السّلام: أما تحزن، أما تهتمّ، أما تألم؟ قلت: بلى و الله، قال عليه السّلام: فإذا كان ذلك منك فاذا ذكر الموت و وحدتك في قبرك، و سيلان عينيك على خديك، و تقطّع أوصالك، و أكل الدود من لحمك: و انقطاعك عن الدنيا، فإنّ ذلك يحثّك على العمل، و يردعك عن كثير من الحرص على الدنيا «١».

ثمّ إنّه قد تضافرت الأخبار بل تواترت على الحثّ و الترغيب على اليقين

ففي الكافي عن جابر الجعفي، قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: يا أبا جعفر إنّ الإيمان أفضل من الإسلام، و إنّ اليقين أفضل من الإيمان، و ما من شيء أعزّ من اليقين «٢».

## مقام اليقين

و عن الوشاء، عن أبي الحسن عليه السّلام، قال: سمعته يقول: الإيمان فوق الإسلام بدرجة، و التقوى فوق الإيمان بدرجة، و اليقين فوق التقوى بدرجة، و ما قسم في الناس شيء أقلّ من اليقين «٣».

و في خبر أبي بصير عنه عليه السّلام مثله، و زاد: فما أتى الناس أقلّ من اليقين، و إنّما تمسّكتم بأدنى الإسلام، فإياكم أن ينفلت من أيديكم «٤».

و مثله في خبر آخر: قال: قلت: فأى شيء اليقين؟ قال: التوكّل على الله

(١) أمالي الطوسي ص ٤٢٦ ح ٥٦١.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٥١ ح ١.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٥١ ح ٢.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٥٢ ح ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٧١

و التسليم لله، و الرضاء بقضاء الله، و التفويض الى الله تعالى «١».

و عن إسحاق بن عمار، عنه عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بالناس الصبح، فنظر الى شاب في المسجد، و هو يخفق و يهوى برأسه، مصفراً لونه، قد نحف جسمه، و غارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقناً، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله، و قال: إن لكل يقين حقيقة، فما حقيقة يقينك؟ فقال: يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنتني و أسهر ليلي، و أظماً هواجرى فعزفت نفسي عن الدنيا و ما فيها حتى كآنى أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة و يتعارفون على الأرائك متكؤن، و كآنى أنظر إلى أهل النار و هم فيها معذبون مصطرخون، و كآنى الآن أسمع زفير النار يدوى في مسامعي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: هذا عبد نور الله قلبه بالإيمان، ثم قال له:

الزم ما أنت عليه، فقال الشاب: ادع الله لى يا رسول الله أن أرزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يك أن خرج فى بعض غزوات النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فاستشهد بعد تسعة نفر، و كان هو العاشر «٢».

و فى أخبار آخر مثله، و فيها أن الشاب كان حارثة بن مالك بن نعمان الأنصارى «٣».

و عنه عليه السلام: إن العمل الدائم على اليقين أفضل عند الله تعالى من العمل الكثير على غير يقين.

و كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٢ ح ٥.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٥٣ ح ٢.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٥٤ ح ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٧٢

لم يكن ليخطئه و أن ما أخطئه لم يكن ليصيبه، و إن الضارّ النافع هو الله عزّ و جل «١».

و عن على بن أسباط قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: كان فى الكثر الذى قال الله عزّ و جلّ: وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا «٢»:

بسم الله الرحمن الرحيم، عجت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، و عجت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، و عجت لمن رأى الدنيا و تقلبها بأهلها كيف يركن إليها «٣».

و عن الصادق عليه السلام أن ذلك الكثر لم يكن ذهاباً و لا فضةً، و إنما كان أربع كلمات:

لا إله إلا أنا، من أيقن بالموت لم يضحك سنه، و من أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، و من أيقن بالقدر لم يخش إلا الله «٤».

و عن على بن الحسين عليه السلام: الزهد عشرة أجزاء، أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، و أعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، و أعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا «٥».

و فى وصية لقمان لابنه: يا بنى لا استطاع العمل إلا باليقين، و لا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، و لا يقصر عامل حتى ينقص يقينه «٦».

و فى خبر سؤال شمعون عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم: أنه سئله عن علامة المؤمن، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن علامة المؤمن ستة: أيقن أن الله حقّ فآمن به، و أيقن بأن الموت حقّ

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٨ ح ٧.

(٢) الكهف: ٨٢.

- (٣) الكافي ج ٢ ص ٥٩ ح ٩.
- (٤) الكافي ج ٢ ص ٥٨ ح ٦.
- (٥) الدعوات للراوندى: ص ١٦٤، الخصال ص ٤٣٧ ح ٢٦.
- (٦) الدر المنثور للسيوطي: ج ٥ ص ١٦٢.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٧٣
- فحدّره، و أيقن بأنّ البعث حقّ فخاف الفضيحة، و أيقن بأنّ الجنّة حقّ فاشتاق إليها، و أيقن بأنّ النار حقّ فظهر سعيه للنّجاة منها، و أيقن بأنّ الحساب حقّ فحاسب نفسه «١».
- و عن الصادق عليه السّلام أنّه قيل له: ما بال أصحاب عيسى على نبيّنا و آله و عليه السّلام كانوا يمشون على الماء؟ فقال عليه السّلام: إنّه لو زادوا يقينا لمشوا على الهواء «٢».
- و فى النبويّ: من أقلّ ما أوتيتم اليقين و عزيمة الصبر، و من أوتى حظّه منهما لم يبال.
- و سئل صلّى الله عليه و آله و سلّم عن رجل حسن اليقين كثير الذنوب، و رجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين؟ فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: ما آدمي إلا - و له ذنوب و لكن من كان من غريزته العقل و سجيّته اليقين لم تضرّه الذنوب، لأنّه كلّما أذنب ذنبا تاب فاستغفر و ندم فتكفّر ذنوبه، و يبقى له فضل يدخل به الجنّة، و قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: اليقين الإيمان كلّ «٣».
- و روى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام جلس إلى حائط مائل يقضى بين النّاس، فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط فإنّه معور فقال عليه السّلام: حرس أمره أجله، فلمّا قام سقط الحائط، قال: و كان أمير المؤمنين عليه السّلام ممّا يفعل هذا و أشباهه، و هذا من اليقين «٤».
- إيقاظ: لعلّك تظنّ أنّ المراد باليقين ما توهمه كثير من العوامّ من أنّه التصديق الجزميّ بالشىء سواء كان مستندا إلى الإدراك الحسى أو البرهان العقلى حتّى أنّهم إذا سمعوا بفضيل اليقين. و أنّه أفضل من الإيمان و التقوى، و أنّه ما عبد الله بشىء

(١) تحف العقول: ص ٢٠.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٧١ ح ٣.

(٣) راجع شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج ٢٠ ص ٤٠، ينابيع المودة ج ٢ ص ٨٨ ح ١٧٩.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٥٨ ح ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٧٤

أفضل منه، و أنّ من نجى بفضيل اليقين، إلى غير ذلك ربّما غرّتهم أنفسهم بنيل تلك المرتبة، حيث إنّهم يجدون من أنفسهم القطع بالتوحيد و الموت و المعاد إلى غير ذلك من العقائد و الحقائق الّتى ساقهم إليها الدليل و ان لم يكن لهم إلى سكون القلب سبيل، و لو فهموا معنى اليقين لعلموا أنّهم ما يتقنوا فإنّ المراد باليقين عند أهل الدين، و فى آثار المعصومين عليه السّلام هو استيلاء التصديق بالشىء و غلبته على القلب بحيث لم يبق فيه متسع لغيره، و صار هو الحاكم المتصرّف فى نفسه طوعا و اختيارا، بحيث لا يكاد يميل قلبه إلى غيره رغبا أو رهبا، و اليقين بهذا المعنى كثيرا ما يحصل للعوامّ فى الأمور الحسيّة المتعلّقة بحياتهم الدنيويّة فى أبدانهم و أموالهم و أعراضهم، و غيرها من أغراضهم، فإنّ من رأى السمّ و علم أنّه سمّ مهلك بمجرد تناول يحصل له اليقين بضرره فلا يتناول منه شيئا قطّ، لأنّه يرى هلاكه فى شربه و استولى ذلك على قلبه بحيث لم يبق فيه متسع لغيره، فصار هو الحاكم عليه.

و بالجملة عقول الناس مفطورة على اليقين بهذا المعنى فى أمور معاشهم، بل البهائم أيضا مجبولة عليه، فإنّ البهيمة إذا رأت نارا قد



أضمرت، أو قبرا قد حفرت فلا تدخلها باختيارها وإن قطعت أعضائها بالضرب، بل إذا رأت شكلا مهيبا بغته، أو سمعت صوتا مفرعا اضطربت و شردت و نفرت كأنها يكاد أن يقطع قلبها، وهذا كله من آثار اليقين حاصل من توهم الضرر لا القطع به، و أما الإنسان العاقل فإنه إذا راجع وجدانه يجد قلبه مصدقا بما جاء به النبي صلى الله عليه و آله و سلم مع قطعه و جزمه بأنه صادق في وعده و وعيده و أن المجازات الموعود بها في كلامه ليست من زخرف القول و أباطيل الكلام و مع ذلك فإنه يغفل أو يتغافل كأنه لم يسمع من ذلك شيئا، أو سمعه سماع من علم أن هؤلاء الأنبياء السرفاء عليه السلام كلهم كذابون مفترون بحيث لا يحتمل صدقهم، إذ لو احتمل صدقهم لحذر من وعيدهم حذر الخائف المحتاط، ألا ترى أن من أخبره الطبيب الذي رأى منه الخبط و الإصا به معا، بأنك لو شربت الدواء الفلاني

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٧٥

لهلكت من فورك أو أخبره المنجم الذي استمع منه الصدق و الكذب بأنك لو خرجت هذا اليوم إلى الصحراء لقتلت بالسيف و لم يحصل له من قولهما قطع و لا ظن، بل حصل مجرد الاحتمال، فلا ريب في أن الخوف يغلب على قلبه و يأخذ في هواجسه فلا يقرب من ذلك الدواء و لا الصحراء، و هذا حال أخبار الكذابين المشتهرين بالكذب في امور متعلقه بالمال أو البدن أو الزوح في هذه النشأة الدائرة الفانيه، و لعمرى إنه بينه و بين اخبار الله تعالى و أنبيائه بون أبعد من بعد المشرقين، و بافتراقهما في أمرين: الأمر الأول القطع بصدقهم، فإن الله تعالى لا يكذب، و كذا رسوله و أمينه «ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» (١)، «و لو تقول علينا...» الآية (٢) فأخبارهم بشيء بمنزلة إحساسه في الوجود العيني، بل هو أقوى منه كثيرا، لأن الحس قد يغلط، إذ البصر و هو أقوى الحواس قد يرى الساكن متحركا، و القريب بعيدا، و الصغير كبيرا، و الواحد متعددا، و بالعكس في الجميع أو البعض، إلى غير ذلك مما دونوه في علم الناظر، و غيره، و الله سبحانه برىء من الكذب و كذلك رسوله.

فكن أيها المسكين أحد رجلين: إما مكذب بالله و رسوله، كافر بالدين، جاحد لرسالة سيد المرسلين، و ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، و لعمرى إنه لا ينبغي التعمى بعد البصر و الإغماض بعد النظر، و الضلالة بعد الهدى، و الانحراف عن الطريقة المثلى.

ثم هب إنك أنكرت فكيف تطيب نفسك و أنت ممن قال الله تعالى فيهم: وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ

(١) النجم: ٤.

(٢) الحاقة: ٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٧٦

«١».

أم كيف تجيب ربك إذا خاطبك بقوله: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢) بل كيف تجرده و تعانده و ناصيتك في يده و قبضته، تصبح و تمسى في نعمته، و تتقلب في ملكه و هو مطلع عليك، ناظر إليك، حاضر لديك قال الله سبحانه: إِنِّي مَعَكُمْ \* (٣) وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ (٤)، وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (٥) وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٦).

فإن استطعت أن تخرج من ملكه، و تبعد من حضوره فاعصه، و إلّا فاستحي من الله تعالى، لا أقول: حقّ الحياء، بل بعض الحياء. و إما مصدق بالله و برسوله قولاً و فعلاً و حالاً، و خطرة، و خيالا، فقد باشر قلبه روح اليقين، و حينئذ لا يمكن أن يستلذ بشيء من معصية الله، و كيف يستلذ بأكل مال اليتيم ظلماً و هو يسمع الله سبحانه يقول: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا (٧).

فهل رأيت أحداً يستلذ بأكل النار، سيما مع كونها لا تطفأ أبداً، وكذا غيره من وعده ووعيده.

(١) النمل: ١٤.

(٢) يس: ٦٠.

(٣) المائدة: ١٢.

(٤) الحديد: ٤.

(٥) ق: ١٦.

(٦) الواقعة: ٨٥.

(٧) النساء: ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٧٧

الأمر الثاني أنه لا نسبة بين العقوبات الإلهية و المخاوف الدنيوية كما لا نسبة بين الأمتعة الفانية الدائرة، و بين النعم الباقية الآخرة، و هذا أمر لا يكاد يرب فيه مستريب، لكن الغفلة منه عجيب عجيب، فإن المخاوف الدنيوية راجعة إما الى خوف سلب المال، أو الجاه، أو الحياة العاجلة، و لا ريب أن مطلوبة المال و الجاه إنما هو للعيش الرغيد، و أما الحياة العاجلة فالغرض الاصلى منها تحصيل الحياة الباقية الدائمة، و إن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون «١»، فمن بذل الحياة الفانية فاز بالنعمة الدائمة، إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون و وعداً عليه حقا في التوراة و الإنجيل و القرآن و من أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم «٢».

و أنه قد ظهر مما مر أنه يمكن تعلق اليقين بكل شيء من الأمور الدنيوية و الاخروية من العقائد الديتية و غيرها.

و أما ما في الخبر المتقدم أنه التوكل على الله و التسليم لله، فهو تعريف باللائم باعتبار بعض المتعلقات المهمة.

و كذا ما في النبوي من كون علامة المؤمن ستة «٣»، و ذلك لأن المقصود تعريف اليقين فيما هو المهم من أمر الدين، و لذا قال بعض المحققين: اليقين أن يرى الأشياء كلها من سبب الأسباب و لا يلتفت إلى الوسائط، بل يرى الوسائط كلها مسخرة لا حكم لها، ثم الثقة بضم الله سبحانه للرزق، و أن ما قدر له سيساق إليه،

(١) العنكبوت: ٦٤.

(٢) التوبة: ١١١.

(٣) تحف العقول: ص ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٧٨

ثم أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره، ثم المعرفة بأن الله مطلع عليه في كل حال، و شاهد له و أحسن ضميره و خفايا خواتره فيكون متأدبا في جميع أحواله و أعماله مع الله تعالى، فتكون مبالغته في عماره باطنه و تطهيره و تزيينه لعين الله أشد من مبالغته في تزيين ظاهره للناس.

و في «مصباح الشريعة»: قال الصادق عليه السلام اليقين يوصل العبد إلى كل حال سنئ و مقام عجيب، كذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن عظم شأن اليقين حين ذكر عنده أن أصحاب عيسى بن مريم عليه السلام كانوا يمشون على الماء، فقال صلى الله عليه و آله و سلم: لو زاد يقينهم لمشوا في الهواء.

فالمؤمنون متفاوتون في قوة اليقين و ضعفه، فمن قوى منهم يقينه فعلامته التبري من الحول و القوة إلا بالله و الاستقامة على أمر الله و

عبادته ظاهرا و باطنا، قد استوت عنده حالتا العدم و الوجود، و الزيادة و النقصان، و المدح و الذم، و العز و الذل، لأنه يرى كلها من عين واحدة.

و من ضعف يقينه تعلق بالأسباب و رخص لنفسه بذلك و اتبع العادات و أقاويل الناس بغير حقيقة، و السعى فى أمور الدنيا و جمعها و إمساكها، مقرا باللسان أنه لا مانع و لا معطى إلا الله و أن العبد لا يصيب إلا ما رزق و قسم له، و الجهد لا يزيد فى الرزق، و ينكر ذلك بفعله و قلبه، قال الله تعالى: **يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ** «١».

و إنما عطف الله لعباده حيث أذن لهم فى الكسب و الحركات فى باب العيش ما لم يتعدوا حدوده و لا يتركوا من فرائضه و سنن نبيه فى جميع حركاتهم و لا يعدلوا عن محجة التوكل و لا يقفوا فى ميدان الحرص، و أما إذا أبوا ذلك كانوا من الهالكين

(١) آل عمران: ١٦٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٧٩

الذين ليس لهم إلا الدعوى الكاذبة، و كل مكتسب لا يكون متوكلا لا يستجلب من كسبه الى نفسه إلا حراما و شبهة. و أما أسباب ضعف اليقين لأكثر الناس بالنسبة الى أكثر الأمور الدينية فتأتى ان شاء الله تعالى فى تفسير **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** «١».

ثم ان المحكى عن نافع تخفيف قوله تعالى: **بِالْمَآخِرَةِ** بحذف الهمزة و إلقاء حركتها على اللام فصار «باخرة كما قيل فى قوله تعالى: **دَابَّةُ الْأَرْضِ** «٢»: دابة لرض.

و عن ابى حنيفة النميرى: «يوقنون» بقلب الواو همزة لضم ما قبلها، إجراء لها مجرى المضموم فى «وجوه» و «وقنت» حيث يقال فيهما: أجوه، و أقتت، فجعل الضمة فى الجيم و الواو كأنها فيه.

و ربما يستشهد بقول جرير على رواية سيويه

[سورة البقرة (٢): آية ٥]

**إشارة**

تفسير الآية ٥ **أُولَئِكَ** - الموصوفون بالصِّفات المتقدِّمة، أو بما فى الآيتين، أو خصوص الأخيرة، و إن استلزم البعض الكل، و المراد المؤمنون على اختلاف درجاتهم و مراتبهم فى الإيمان المنطبقة على درجات الهداية و إن اتحدا فى الحقيقة - على هدى - نور، و رشاد، و دلالة، و بيان، - **مِنْ رَبِّهِمْ** - أفاضه عليهم، و وهبه إياهم، و أوصله إليهم على ما هو مقتضى الربوبية المطلقة الكلية من تربية النفوس بما يقتضى السعادة الأبدية و الحياة السرمديّة.

و (أولاء) اسم مبهم تعرّفه الإشارة و هو جمع (ذا) من غير لفظه، يمدّ فلا- تلحقه اللام لئلا يجتمع ثقل الزيادة و ثقل الهمزة، و يقصر فتلحقه، قال الشاعر:

ألا لك قوم لم يكونوا أشباهه و هل يعظ الضليل الا لك

(١) الحجر: ٩٩.

(٢) سبأ: ١٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٨٠

و نسب الفرء في لغات القرآن المد إلى الحجازيين، و عليه نزل الكتاب، لشذوذ القصر في قوله: «هُمُ أَوْلَاءِ عَلِيٍّ أَثْرِي»، و القصر إلى أهل نجد من بني تميم، و قيس، و ربيعة، و أسد.

و تبعيد الإشارة في المقام بالمد و كاف الخطاب لعظمة المشير، و تكريم المشار إليه، او لبعد الموصوف لفصل الصفات الكثيرة. و معنى الاستعلاء في «علي هدى» مثل لتمكّنهم من الهدى و استعدادهم له و إقبالهم إليه، و استقرارهم عليه و تمسكهم به في جميع أحوالهم و أمورهم على يسر و سهولة، شَبَّهت حالهم بحال من اعتلى الشيء و ركبته، و نحوه قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ عَلِيًّا بَيْنَهُ مِنْ رَبِّهِ\* «١»، و قوله تعالى: وَلَقَدْ اخْتَرْنَا هُمْ عَلَى عِلْمٍ «٢».

و للتفتازاني، و المحقق الشريف و غيرهما كلمات في المقام قد تعرّض لجملة منها صدر المحققين في شرح الصمدية في بحث (على) الجارة لا طائل تحت التعرض لها.

و نكر (هدى) للتعظيم و التفضيم، فإن الهدى هدى الله، و هو الصراط المستقيم المفسر بولاية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فإن حبه عليه السلام حسنة لا تضرّ معها سيئة، و بغضه سيئة لا تنفع معها حسنة، كما ورد من طرق الخاصة و العامة، و قد مرّت الأخبار الدالة على تفسير الهداية بهم عليه السلام.

و في تفسير الإمام عليه السلام قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين إن بلالا كان يناظر اليوم فلانا فجعل يلحن في كلامه، و فلان يعرب و يضحك من بلال، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبد الله إنما يراد إعراب الكلام و تقويمه

(١) محمد: ١٤.

(٢) الدخان: ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٨١

لتقويم الأعمال، و تهذيبها، ماذا ينفع فلانا إعرابه و تقويمه لكلامه إذا كانت أفعاله ملحونة أقبح لحن، و ما يضرّ بلال لحنه في كلامه إذا كانت أفعاله مقومة احسن تقويم، مهذبة احسن تهذيب، قال الرجل: يا أمير المؤمنين كيف ذاك؟ قال عليه السلام: حسب بلال من التقويم لأفعاله و التهذيب بها أنه لا يرى نظيرا لمحمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، ثم لا يرى أحدا بعده نظيرا لعلي بن أبي طالب و يرى أن كل من عاند علينا فقد عاند الله و رسوله، و من أطاعه فقد أطاع الله و رسوله.

و حسب فلان من الاعوجاج و اللحن في أفعاله التي لا- ينتفع معها بإعرابه لكلامه بالعربية و تقويمه للسانه أن يقدم الأعجاز على الصدور، و الأستاذة على الوجوه، و أن يفضل الخل في الحلاوة على العسل، و الحنظل في الطيب و العذوبة على اللبن، يقدم على ولي الله عدو الله الذي لا يناسبه في شيء من خصال فضله، هل هو إلا كمن قدم مسيلمة على محمد صلى الله عليه و آله و سلم في النبوة و الفضل، ما هو إلا من الذين قال الله تعالى: هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا «١»، هل هو إلا من إخوان أهل حرورا «٢».

ثم إن الجملة في محلّ الرفع على أنها خبر لقوله: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ»، بناء على ما سمعت من احتمال كونها مفصولة من المتقين، و عطف الموصول الثاني عليه، و ذلك لأنه لما قيل: إنه هدى للمتقين فخصّ المتقين بأن الكتاب هدى لهم، كأنه قيل: ما بالهم خصوا بذلك؟ فأجيب بذكر السبب.

أو للموصول الثاني بعد استتباع الأول، تعريضا بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا

(١) الكهف: ١٠٣.

(٢) تفسير الامام العسكري ص ٩١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٨٢

برسول الله طائين أنهم على الهدى فى العاجل طامعين أنهم ينالون الفلاح فى الآجل.

أو أنها مستأنفة إن لم يكن شىء من الموصولين مفصولاً، بل جعل الأول صفة للمتقين، و الثانى معطوفاً عليه.

استينافاً نحوياً، فكأنه فذلكه و نتيجة للأحكام و الصفات المتقدمة، مع ما فيها من البشارة لهم بنيل الفلاح، بل اختصاصهم به من بين الأنام.

أو استينافاً بيانياً بكونه جواباً عن سؤال مسائل، كأنه قيل: ما بال الموصوفين اختصوا بالهدى؟ فأجيب بأن أولئك الموصوفين بتلك الصفات هم المستحقون دون غيرهم للتصاف بالهداية و نيل الفلاح.

و هاهنا وجه آخر، و هو أن تكون الجملة إشارة الى ما لهم من الجزاء و الثواب، فالهدى هدى إلى الجنة و الرضوان فى الآجل، كما أن الكتاب هدى لهم فى العاجل، و لذا قالوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ «١»، فختم لهم بالهداية لما اختاروها أولاً.

و أولئك هم المُفْلِحُونَ إشارة إلى ما أشير إليه بالأول، و التكرير للتشريف، إذ فى إشارة الله تعالى إليهم تنويه لقدرهم، و إعلاء لشأنهم.

و فى تفسير الإمام عليه السلام: ثم أخبر عن جلاله هؤلاء الموصوفين بهذه الصفات

(١) الأعراف: ٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٨٣

الشريفة فقال: «أُولَئِكَ» أهل هذه الصفات «على هدى» و بيان و صواب «مِنْ رَبِّهِمْ» و علم بما أمرهم به «و أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» الناجون مما منه يوجلون الفائزون بما يؤملون «١».

و قد عرفت معنى الهداية و اختصاصها بأهل الولاية.

و فى بشاره المصطفى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: إن علينا و حزه هُمُ الْمُفْلِحُونَ يوم القيامة «٢».

و توسط العاطف بين الإشارتين للتنبيه على استقلال الجزئين، و إختلاف مفهوى الجملتين فى المقام، بخلاف قوله تعالى: أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ «٣»، فإن مفهوم التشبيه بالأنعام و إثبات الغفلة و إن اختلفا لغة إلا أن كلا من الكلامين إنما يساق عرفاً لإثبات الغفلة و فرط الغباوة و هو المفهوم منهما عرفاً.

مضافاً الى ما قيل: من أن مفهوم أولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ بمعونه المقام هو حصر الفلاح فى المتقين، و نفيه عن ليس بمتق، و مفهوم أولئك على هدى مِنْ رَبِّهِمْ إثبات الهداية لهم، فاختلف المفهومان بخلاف الآية الأخرى، إذ لا يراد من إثبات الغفلة حصرها فيهم، لأنه لم يتعلّق الغرض بنفيها عن غيرهم، فهو بعينه ما يفهم عرفاً من أولئك كالأنعام.

و «هُمُ» إما فصل فصل به لفصل الخبر عن الصفة، لأنه إنما يتوسط بين المبتدأ و الخبر لتأكيد النسبة بزيادة الربط، و قصر المسند على المسند إليه.

(١) تفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام ص ٤٣.

(٢) ملحقات احقاق الحق ج ٧ ص ٣٠٥.

(٣) الأعراف: ١٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٨٤

و أما ما يقال: من أن هذا الأخير يخالف لما صرح به المحققون من علماء المعاني من أنه إنما يفيد القصر إذا لم يكن الخبر معرّفا بلام الجنس، و إلا فالقصر من تعريف المسند، و هو لمجرد التأكيد، إلا أن يجعل اللام في المفلحون عهدية لا جنسية. ففيه: إنه مفيد للقصر على كل حال، و إن استفيد ذلك من غيره أيضا في بعض الموارد. نعم لعل الفصل بين القصر و التأكيد إنما هو لاستفادته في الثاني من المسند الذي هو أحد ركني الكلام أولا باعتبار الرتبة، و ان كان الضمير متقدما بحسب الذكر، فما أفاده من القصر تأكيدا للحاصل و لذا جرى الاصطلاح على الفصل بينهما، و هو سهل. و إما مبتدأ و المفلحون خبره، و الجملة خبر أولئك، و إن جعلنا لضمير الفصل محلا من الاعراب فالاختلال واحد.

### معنى الفلاح

و الفلاح و الفلاح لغة هو الفوز و الظفر بالمقصود، و منه قوله: «و لقد أفلح من كان عقل» أي ظفر بحاجته.

و بمعنى البقاء كقوله: «و لكن ليس للدنيا فلاح» أي بقاء، و قول لبيد «١»:

نحـلّ بلاـدا كلّهـا حـلّ قبلنـا و نرجـو الفلاـح بعـد عـاد و تبعا

(١) هو لبيد بن ربيعة العامري الشاعر المشهور توفي سنة (٤١) عن مائة و خمسين سنة - العبر ج ١ ص ٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٨٥

و بمعنى النجاة، قال في «الصحاح»: حتى على الفلاح أي أقبل على النجاة، و أصله بالحاء و بالجيم بمعنى الشقّ و القطع، و منه سمى الأكاد فلاحا، و الفلاح، الحرائث، و في المثل: إن الحديد بالحديد يفلح، أي يشقّ و يقطع، و الأفلاح: المشقوق الشفة السفلى، و في رجليه فلوح أي شقوق، و إطلاقه على السحور في الحديث: حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح «١» لكونه سببا لبقاء الصوم، أو للفوز به. بل قيل: إن ما شاركه في الفاء و العين نحو «فلق» و «فلذ» يدلّ على الشقّ و الفتح، و لكن هذا ليس كليا، كما لا يخفى على من لا حظ المواد الكثيرة المشتملة على الحرفين.

و فلاح المتقين بالنجاة من النار، و فضيحة العار، و الفوز بقاء الله في دار القرار و جوار الأخيار، و دوام الخلود في الجنة التي تجرى من تحتها الأنهار.

و اللام في «المُفْلِحُونَ» للجنس بناء على ارادة حصر الجنس في المسند إليه، كما يقال: زيد هو العالم، كأنه ليس لغيرهم فلاح، و لا يعتد بفلاح غيرهم، أو دعوى اتحاد طرفي الإسناد، كأنه قيل: هم هم حقيقة، أو ادعاء، فلا مصداق، بل لا مفهوم لأحدهما مغايرا للآخر.

أو للعهد إشارة إلى أن المتقين هم الذين بلغك أنهم الفائزون بالبيعة في الآخرة المخلدون في الجنة، أو أنهم المخصوصون بالله، المشرفون بكراماته، المعروفون بحزب الله ألا إن حزب الله هم المُفْلِحُونَ «٢».

ثم إنه ربما يحكى عن الوعيدية القائلين بخلود أصحاب الكبائر في النار، أو عدم العفو عنهم إن ماتوا بغير توبة كما عن الخوارج و أكثر المعتزلة، الاستدلال بهذه

(١) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٢١ ح ١٣٢٧، السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٤٩٤.

(٢) المجادلة: ٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٨٦

الآية مَرَّةً من جهة الإختصاص المستفاد من الحصر، فوجب نفى الفلاح عَمَّنْ أُخْلِ بِشَيْءٍ من الصلاة و الزكاة، و اخرى من حيث إشعار ترتب الحكم على الوصف بالعلية، فعلمة الفلاح هي مجموع الأمور المتقدمة التي يستلزم انتفاؤها كلاً أو بعضاً لانتفاء معلومها ضرورة انتفاء المعلول بانتفاء علته.

و يضعف الأول بعد الغض عن فهم الإختصاص بحيث يكون حجة بأن المختص بالمتقين إنما هو الفلاح الكامل، و هو لا ينافي حصوله في الجملة لغيرهم على حسب مراتبهم في الإيمان.

و الثاني بعد تسليم فهم العلية بالمنع من انحصار العلة فيه، سيما بعد ما دل على العفو و سببته للفلاح من الآيات الكثيرة و الأخبار المتواترة حسبما تسمع إن شاء الله تعالى تمام الكلام فيها و في ابطال مذهبهم و ساير أدلتهم فلي تفسير قوله تعالى: وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ\* (١).

على أن فساده لعله ضروري من المذهب، و ما يحكى عن الشيخ أبي جعفر الطوسي من الميل إليه لا يخلو من تأمل. ثم إنه سبحانه بعد ما افتتح كتابه المبين بذكر المتقين و ما يختص بهم من الصفات الجميلة، و المثوبات الجزيلة عقبهم بذكر الكافرين و ما اجترحوه من الخطايا الموجبة لنبو قلوبهم و قر أسماعهم، تعريفا لأهل السداد، حيث إنه تعرف الأشياء بأضدادها، و تسلياً للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، و خزيا على الكفار، مع أن مدار التبليغ على الوعد و الوعيد فقال عز من قائل: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا كَفَرُوا جُحُودًا مَعَ الْمَعْرِفَةِ و عدمها بالتوحيد و غيره من اصول الإيمان، فإن وجه الكفر كثيرة على ما رواه في

(١) النساء: ٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٨٧

الكافي (١) عن مولانا الصادق عليه السلام قال: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود على وجهين، و الكفر بترك ما أمر الله تعالى، و كفر البرائة، و كفر النعم، فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية، و هو قول من يقول: لا رب، و لا جنه، و لا نار، و هو قول صنفيين من الزنادقة، يقال لهم الدهرية، و هم الذين يقولون: و ما يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ (٢) و هو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان منهم على غير تثبت منهم و لا تحقيق لشيء مما يقولون، قال الله عز و جل: و إِنَّهُمْ إِلَّا يَطُؤُونَ (٣).

[سورة البقرة (٢): آية ٦]

إشارة

تفسير الآية ٦ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا و قال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٤) يعنى بتوحيد الله.

أقسام الكفر في كتاب الله

فهذا أحد وجوه الكفر و أما للوجه الآخر من الجحود فهو الجحود على معرفة، و هو أن يجحد الجاحد و هو يعلم أنه حق قد استقرّ عنده، و قد قال الله عز و جل: و جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا و عُلُوًّا (٥)، و قال الله عز و جل:

(١) اصول الكافي ج ٢ ص ٣٨٩ و عنه البحار ج ٩٣ ص ٦١.

(٢) الجاثية: ٢٤.

(٣) البقرة: ٧٨.

(٤) البقرة: ٦.

(٥) النمل: ١٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٨٨

وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ «١».

فهذا تفسير وجهي الجحود.

و الوجه الثالث من الكفر كفر النعم، و ذلك قوله تعالى يحكى قول سليمان:

هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ «٢»، و قال: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ «٣» و قال: فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونِ «٤».

و الوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله عز و جل به، و هو قول الله عز و جل:

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ لَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ، ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ إِنْ يَأْتُواكُمْ أُسَارَى فَتَادُوهُمْ وَ هُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ ... «٥».

فكفرهم بترك ما أمر الله عز و جل به، و نسبهم إلى الإيمان و لم يقبل منهم و لم ينفهم عنده، فقال: فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ «٦».

(١) البقرة: ٨٩.

(٢) النمل: ٤٠.

(٣) ابراهيم: ٧.

(٤) البقرة: ١٥٢.

(٥) البقرة: ٨٤-٨٥.

(٦) البقرة: ٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٨٩

و الوجه الخامس من الكفر كفر البرائة، و ذلك قوله عز و جل يحكى قول ابراهيم على نبينا و آله و عليه السلام: كَفَرْنَا بِكُمْ وَ بَدَا لَنَا وَإِنَّا لَكَاذِبُونَ وَ يَبْنِيكُمْ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ «١» يعنى تبرأنا منكم.

و قال يذكر إبليس و تبريه من أوليائه الإنس يوم القيامة: إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ «٢».

و قال: إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا «٣»، يعنى تبرأ بعض من بعض «٤».

ثم إن الكفر بالضم و يفتح أيضا يقابل به الايمان و الشكر، و هو فى الأصل:

التغطية، و الستر، و الجحود، قال لبيد:

«فى ليلة كفر النجوم غمامها»

أى سترها، و الكافر: الليل المظلم، لأنه ستر بظلمته كل شىء، و يقال للزارع، لأنه يعطى البذر بالتراب.

و منه قوله تعالى: أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ «٥».



و سَمَى الكافر كافراً، لأنه يستر نعم الله عليه، أو يستر ما يجب الإقرار به.

و المراد به شرعاً من خرج عن الإسلام بادياً أو طارياً بالارتداد قولاً أو فعلاً، حقيقةً أو حكماً و لو تبعاً، كالذراري، و المجانين، و لقيط دار الحرب، بلا فرق بين أن لا يكون منتحلاً للإسلام أصلاً، أو انتحله و لكن جحد ما يعلم من الدين

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) ابراهيم: ٢٢.

(٣) العنكبوت: ٢٥.

(٤) اصول الكافي ج ٢ ص ٣٨٩ - ٣٩١.

(٥) الحديد: ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٩٠

ضرورة كالخوارج، و ساير النواصب و الغلاة، بل و كذا من أنكر شيئاً من الأحكام الفرعية الضرورية أو الإجماعية، أو الأحكام القطعية التي حصل له القطع بها و ان لم يعلم بها غيره، ضرورة استلزام كل منها لإنكار الدين الموجب للكفر قطعاً.

مضافاً الى الأخبار الكثيرة الدالة عليه،

ففي مكاتبة عبد الرحيم القصير للصادق عليه السلام المروى في الكافي أنه عليه السلام قال فيها: لا يخرجك - أي المسلم - إلى الكفر إلا الجحود و الاستحلال أن يقول للحلال: هذا حرام، و للحرام: هذا حلال، و دان بذلك، فعندها يكون خارجاً عن الإسلام و الإيمان، داخلًا في الكفر «١».

و عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يرتكب الكبيرة فيموت هل يخرجك ذلك عن الإسلام، و إن عذب كان عذابه كعذاب المشركين أم له مدة و انقطاع؟ فقال عليه السلام: أما من ارتكب كبيرة من الكبائر فزعم أنه حلال أخرجه ذلك من الإسلام، و عذب أشد العذاب، و إن كان معترفاً أنه أذنب و مات عليها أخرجه من الإيمان، و لم يخرجك من الإسلام، و كان عذابه أهون من عذاب الأول «٢».

و في بصائر الدرجات، عن عمر بن يزيد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أ رأيت من لم يقر بما يأتيكم في ليلة القدر كما ذكر و لم يجحده؟ قال: أما إذا قامت عليه الحجّة ممن يثق به في علمنا فلم يثق به فهو كافر، و أما من لم يسمع ذلك فهو في عذر حتى يسمع «٣».

و في تحف العقول عن الصادق عليه السلام في حديث، قال: و يخرج من الإيمان

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٧.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٨٥ ح ٢٣.

(٣) بصائر الدرجات ص ٢٢٤ و منه البحار ج ٩٧ ص ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٩١

بخمسة جهات من الفعل كلها متشابهات معروفة: الكفر، و الشرك، و الضلال، و الفسق، و ركوب الكبائر، فمعنى الكفر كل معصية عصي الله بها بجهة الجحد و الإنكار و الاستخفاف و التهاون في كل ما دق و جلّ، و فاعله كافر، و معناه معنى الكفر من أي ملّة كان و من أي فرقة كان بعد أن تكون منه معصية بهذه الصفات فهو كافر ... إلى أن قال: فان كان هو الذي مال بهواه الى وجه من وجوه المعصية لجهة الجحود و الاستخفاف و التهاون فقد كفر.

و إن هو ما بهواه الى التدين لجهه التأويل و التقليد و التسليم و الرضا بقول الآباء و الاسلاف فقد أشرك «١».

و فى كتاب سليم بن قيس الهلالي و الكافى عن مولانا امير المؤمنين عليه السلام قال:

أدنى ما يكون به العبد كافرا ان يتدين بشيء فيزعم أن الله تعالى أمره به مما نهى الله عنه «٢».

الى غير ذلك من الأخبار.

نعم قد صرح غير واحد من الأصحاب بأن سبب انكار الضرورى للحكم بالكفر إنما هو مع ثبوته يقينا، و لذا لم يفرقوا بينه و بين سائر القطعيات من المسائل الاجماعية و الحلافية لأن مآل إنكار الجميع الى انكار الدين و الشريعة و تكذيب النبى صلى الله عليه و آله و سلم فالمدار على حصول العلم و الإنكار و عدمه، لكنه لما كان غالب الحصول فى الضرورى أنيط علمه الحكم، و أما إذا كان الإنكار لشبهة دخلت عليه، أو لبعد دار أو تجدد إسلام، أو غير ذلك اعتقد معها خلاف الواقع أو احتمله مع

(١) تحف العقول ص ٢٤٤.

(٢) الكافى ج ٢ ص ٤١٥ و فيه: ادنى ما يكون به العبد كافرا من زعم أن شيئا نهى الله عنه أن الله أمر به و نصبه دينا يتولى عليه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٩٢

علمنا باستناد الإنكار إليه او الشك فيه فلا يحكم بكفره لعدم الدليل عليه من اجماع و غيره.

و اطلاق حكمهم بكفر منكر الضرورى ظاهر فى صورة تحقق الموضوع عنده فى اعتقاده، مع أنه مقتيد بصورة العلم على ما صرح به غير واحد منهم، مع سكوت الآخرين عنه.

كما أن إطلاق بعض الأخبار مقتيد بالتصريح فى كثير منها بكون المعصية و الإنكار على جهة الاستخفاف و الجحود و التهاون مضافا الى ظهور الانصراف فى الأخبار المطلقة كما لا يخفى.

و من هنا يظهر ضعف المناقشة فى ذلك بأنه مناف لما يظهر من الأصحاب من إناطة الحكم على إنكار الضرورى، حتى نقل عن غير واحد منهم ظهور الإجماع عليه من غير اشارة منهم الى الاستلزام المذكور.

بل اقتصر بعضهم فى ضابط الكفر على جحود ما يعلم من الدين ضرورة، و آخرون عطفوه على الخروج من الإسلام، مضافا إلى اطلاق النصوص الكثيرة و ترك الاستفصال فى كثير منها.

بل وجه شيخنا فى «الجواهر» مضافا إلى ذلك كله: فإن إنكار الضرورى ممن لا ينبغى خفاء الضرورة عليه كالمتولد فى بلاد الإسلام حتى شاب إنكار للشريعة و الدين.

و احتمال الشبهة فى حقه بل و تحققها بحيث علمنا أنه لم يكن ذلك منه لإنكار النبى صلى الله عليه و آله و سلم، أو الصانع، غير مجد، إذ هو فى الحقيقة كمن أظهر انكار النبى صلى الله عليه و آله و سلم بلسانه عنادا، و كان معتقدا بنبوته بجنانه لأن إنكاره ذلك الضرورى بمنزلة قوله: إن هذا الدين ليس بحق فلا يجدى اعتقاده حقيقته و يؤيده حكمهم بكفر الخوارج و نحوهم ممن يلحقه أحكام الكفار، مع العلم اليقيني بأن منهم ان لم يكن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٩٣

جميعهم من لم يدخله شك فى ربه أو نبيه فضلا عن إنكاره لهما بقلبه.

نعم لو كان المنكر بعيدا من بلاد الإسلام بحيث يمكن فى حقه خفاء الضرورة لم يحكم بكفره بمجرد ذلك.

و الحاصل أنه متى كان الحكم المنكر فى حد ذاته ضروريا من ضروريات ثبت الكفر بإنكاره ممن أطلع على ضروريته من أهل الدين، سواء كان ذلك الإنكار لسانا خاصة عنادا، أو لسانا و جنانا.

و منه يظهر الفرق حينئذ بين الضرورى و غيره من القطعى كالمجمع عليه و نحوه، فإنه لا يثبت الكفر بالثانى إلا مع حصول العلم ثم

الإنكار، بخلافه في الضروري فيثبت و ان لم يكن إنكاره كذلك «(١)».

أقول: أما استظهاره من إطلاق الفتاوى و الأخبار فقد سمعت الكلام فيه، و ما ذكره في الضابط اقتصاراً أو عطفاً لا شاهد فيه أصلاً، مع ظهور الجحود في الإنكار عن علم، سيما مع تقييد كثير منهم بما سمعت من دون نكير. ثم إن تحقيق الشبهة لمنكري الضروري إن كان لشبهة في الدين فالأمر واضح، و إن كان للشك في كون الحكم من صاحب الشريعة، و إن تلقاه أهل الدين بالقبول و أرسلوه إرسال المسلمات بل الضروري، لكنه لم يظهر ذلك لصاحب الشبهة و لو من جهة قضاء الضرورة لشبهة عرضت في أصل الاستناد و الصدور، بحيث لو ثبت له بشيء من الأدلة كونه من صاحب الدين لأقرب به و لم يجحده قلباً و لساناً فالحكم بتحقيق الكفر بمجرد مشكل جداً، و لذا حكم من البعيد الذي يمكن في حقه خفاء الضرورة. و أما من أطلع على ضروريته فلا يتصور في حقه طرق الشك و الشبهة فيه مع

(١) الجواهر ج ٦ ص ٤٨ - ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٩٤

بقائه على الإقرار بالدين قلباً و لساناً، إلا أن يكون المراد شيوع القول به بين جملة من أهل الدين يرسلونه عندهم إرسال الضروريات، و إطلاق ضرورة الدين أو اهله على مثله كما ترى. و من هنا يظهر النظر فيما استحصله في آخر كلامه، و النقص بالخوارج ساقط من أصله، لأن الخروج على الامام عليه السلام بنفسه كفر.

### كفر الخوارج و الغلاة

و لذا قال المحقق الطوسي: و محاربوا علي كفرة، و الأخبار كثيرة على

أنه صلوات الله و سلامه عليه قال علي ما رواه في «نهج البلاغة» لا تقاتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه «(١)».

و لعل المراد أن هؤلاء الذين قتلتهم من الثاني لعلمهم بضلاتهم و الذين يأتون بعدهم من الأول، و لذا نهى عن قتلهم. أو المراد التعريض بأصحاب معاوية عليه اللعنة، و أن تجريد السيف على أهل القبلة مما يختص به عليه السلام كما أشار إليه في خبر آخر فتأمل.

ثم أنه قد ظهر مما مرّ و ممّا لم نتعرض له لظهوره الحكم بكفر غير منتحلي الإسلام بلا فرق بين أهل الكتاب و غيرهم من الوثنية و الثنوية و الدهرية و غيرها.

بقي الكلام في فرق من منتحليه و ربما يقع الإشكال فيهم موضوعاً أو حكماً، و منهم: الغلاة، و لا-ريب في الحكم بكفرهم و نجاستهم، و عليه الإجماع نقلاً و تحصيلاً.

(١) نهج البلاغة الخطبة: ٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٩٥

بل قال الصدوق في عقائده: اعتقادنا في الغلاة و المفوضة أنهم كفار بالله جلّ جلاله، و أنهم شرّ من اليهود، و النصارى، و المجوس، و القدرية، و الحرورية، و من جميع أهل البدع و الأهواء المضلّة، و أنه ما صغر الله عزّ و جلّ تصغيرهم شيء، قال الله جلّ جلاله: ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب و الحكم و النبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله و لكن كونوا ربّانيين بما كنتم تعلمون

الْكِتَابِ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ «١».

وقال الله عز وجل: لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ... «٢» الى آخر ما ذكره.

وبالجملة لا- اشكال في ذلك، إنما الكلام في تحقيق الموضوع فالمحكى عن كثير من القميين بل وغيرهم من بعض القدماء أيضا الحكم بالغلو والارتفاع بمجرد التعدي عما اعتدوه في النبي صلى الله عليه وآله وسلم والائمة عليهم السلام بحسب اجتهاداتهم فلا يجوزون التعدي عنها ويعدون غلوا ويتهمون به من روى فيهم شيئا من المناقب و خوارق العادات و جهات علومهم، و أحوالهم الغريبة، و جعل الصدوق نقلا عن شيخه ابن الوليد «٣» أول درجة الغلو نفى السهو عن النبي و الأئمة عليه السلام.

وقال في العقائد: إن علامة المفوضة و الغلاة و أصنافهم نسبتهم مشايخ قم و علمائهم إلى القول بالتقصير.

لكن المتأخرين رموه بقوس واحدة، و نسبوه كغيره من القميين الى القصور

(١) آل عمران: ٧٩- ٨٠.

(٢) النساء: ١٧١.

(٣) بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٩٦

و التقصير في حقهم عليهم السلام و هجروا قولهم في معنى الغلو، و مدحوا من قدحوا به فيه من رجال الأئمة عليهم السلام حتى قيل: إنه لا يكاد يسلم جليل من قدح ابن الغضائري الى غير ذلك مما لا يخفى على من له انس بالرجال.

و إن اعتذر المحقق البهبهاني و غيره من ذلك بأن الغلاة كانوا مختفين في الشيعة و مخلوطين و مدلسين أنفسهم عليهم فبأقل شبهة كانوا يتهمون الرجل بالغلو و الارتفاع.

و بأنه ربما كان المنشأ روايتهم المناكير، او وجدان رواية ظاهرة فيه منهم، أو ادعاء أرباب ذلك القول كونه منهم.

او أن القدماء كانوا مختلفين في المسائل الاصولية فربما كان شيء عند بعضهم فاسدا، أو كفرا أو غلوا، و عند آخرين عدمه، بل مما يجب الاعتقاد به.

الى غير ذلك من الاعتذارات التي لا يهمنها البحث عنها، إنما المهم تحقيق معنى الغلو و التقصير.

قال شيخنا المفيد في شرح ما قدمناه عن الصدوق: الغلو في اللغة هو تجاوز الحد، و الخروج عن القصد، قال الله تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ... الآية «١».

فنهى عن تجاوز الحد في المسيح، و حذر عن الخروج عن القصد في القول و جعل ما ادعته النصارى فيه غلوا، لتعديده الحد على ما بيناه، و الغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين و الأئمة عليهم السلام الى الإلهية و النبوة، و وضعوهم من الفضل في الدين و الدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد، و خرجوا عن القصد و هم ضلال كفار حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل و التحريق بالنار ... الى

(١) النساء: ١٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٩٧

أن قال: و أميا نصه بالغلو على من نسب مشايخ القميين و علمائهم الى التقصير فليس نسبة هؤلاء القوم الى التقصير علامة على غلو الناس و في جملة المشار إليهم بالشيخوخية و العلم من كان مقصيرا، و إنما يجب الحكم بالغلو على من نسب المحققين الى التقصير سواء كانوا من أهل قم او غيرها من البلاد، و سائر الناس.

وقد سمعنا حكاية ظاهرة عن أبي جعفر محمد بن الحسن ابن الوليد «ره» لم نجد لها دافعا في التقصير، و هي ما حكى عنه أنه قال: أول درجة في الغلو نفى السهو عن النبي و الامام عليهم الصلاة و السلام، فإن صحّت هذه الحكاية عنه فهو مقصّر مع أنه من علماء القميين و مشيختهم، و قد وجدنا جماعة وردت إلينا من قم يقصّرون تقصيرا ظاهرا في الدين ينزلون الأئمة عليهم السلام عن مراتبهم، و يزعمون أنّهم كانوا لا- يعرفون كثيرا من الاحكام الدينيّة حتى ينكت في قلوبهم، و رأينا من يقول إنّهم كانوا يلجئون في حكم الشريعة الى الرأى و الظنون، و يدعون مع ذلك أنّهم من العلماء.

و هذا هو التقصير الذي لا شبهة فيه. و يكفي في علامة الغلو نفى القائل به عن الأئمة عليهم السلام سمات الحدوث و حكمه لهم بالالهيّة و القدم، أو قالوا ما يقتضى ذلك من خلق أعيان الأجسام و اختراع الجواهر، و ما ليس بمقدور العباد من الأعراض.

و قال شيخنا المجلسي «ره» في «البحار»: اعلم أنّ الغلو في النبي و الإمام عليهم السلام إنّما يكون بالقول بالوهيتهم أو بكونهم شركاء لله تعالى في العبوديّة، أو في الخلق أو في الرزق، أو أنّ الله تعالى حلّ فيهم أو اتحد بهم، أو أنّهم يعلمون الغيب بغير وحى أو إلهام من الله تعالى.

أو بالقول في الأئمة عليهم السلام أنّهم كانوا أنبياء أو القول بتناسخ أرواح بعضهم الى بعض، أو القول بان معرفتهم تغنى عن جميع الطاعات و لا تكليف معها بترك المعاصى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٩٨

و القول بكلّ منها إلحاد و كفر و خروج من الدين كما دلّت عليه الأدلة القطعية و الآيات و الأخبار، و قد ورد أنّ الأئمة عليهم السلام تبرأوا منهم، و حكموا بكفرهم، و أمروا بقتلهم.

و إن قرع سمعك شيء من الأخبار الموهمة لشيء من ذلك فهي أمّا مؤوّلّة.

أو هي من مفتريات الغلاة.

و لكن أفرط بعض المتكلمين و المحدّثين في الغلو لقصورهم عن معرفة الأئمة عليهم السلام، و عجزهم عن إدراك غرائب أحوالهم و عجائب شئونهم فقدحوا في كثير من الرواة الثقات لنقلهم بعض غرائب المعجزات، حتى قال بعضهم من الغلو نفى السهو عنهم، أو القول بأنهم يعلمون ما كان و ما يكون، و غير ذلك، مع أنه

قد ورد في أخبار كثيرة: «لا تقولوا فينا ربّا و قولوا: ما شئتم و لن تبلغوا» (١) و

ورد: إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان» (٢).

و

ورد: «لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله»

، و غير ذلك ممّا مر و سيأتي.

فلا بدّ للمؤمن المتدين أن لا يبادر بردّ ما ورد من فضائلهم و معجزاتهم و معالى أمورهم إلّا إذا ثبت خلافه بضرورة الدين أو بقواطع البراهين، أو بالآيات المحكمة، أو بالأخبار المتواترة. انتهى كلامه زيد مقامه.

(١) الكافي ج ١ ص ٤٠١.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ١٩٩

والذى يستفاد من النقل الصحيح و العقل الصريح فى معنى الغلوّ الموجب للكفر هو ما أشار إليه مولانا الرضا عليه السّلام على ما رواه فى العيون حيث قال له المأمون: يا أبا الحسن بلغنى أن قوما يغلون فيكم و يتجاوزون فيكم الحدّ، فقال عليه السّلام:

حدّثنى أبى، عن جدّى، عن النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: لا ترفعونى فوق حدّى فإنّ الله تبارك و تعالى اتّخذنى عبدا قبل أن يتخذنى نبيا، و قال على عليه السّلام: يهلك فى اثنان و لا ذنب لى: محبّ مفرط، و مبغض مفرط، و إنّا لنبرء إلى الله عزّ و جلّ ممّن يغلو فينا فيرفعنا فوق حدّنا كبرائه عيسى بن مريم على نبينا و آله و عليه السّلام من النصارى ... إلى أن قال عليه السّلام: فمن ادّعى للأنبياء ربوبيّة او ادّعى للأئمّة ربوبيّة، او نبوّة، او لغير الأئمّة إمامة فنحن منه براء فى الدنيا و الآخرة. الخبير «١».

و الحاصل أنّ لكلّ من الأنبياء و الأئمّة عليهم السّلام، بل و لسائر الناس رتبة ربّهم الله تعالى فيها، فمن زعم انخفاضهم منها فهو مقصّر فى حقّهم و من زعم ارتفاعهم عنها فهو غال فيهم، و لا شبهة فى ذلك. و إنّما الكلام فى الرتبة التى ربّهم الله تعالى فيها و منحهم إياها و نحن لا نحيط بها علما تفصيليا لقصورنا عن ذلك. و لكن نعلم إجمالا أنّ الربوبيّة المطلقة و ما يساوقها من وجوب الوجود، و القدم، و التجرد المطلق، و اتحاد صفات الكمال للذات، و الإبداع و غيرها من سمات الوجوب الذاتى لا يمكن اتّصاف الممكن بها، و القول بثبوت شىء منها فى النّبى و الأئمّة عليهم السّلام غلوّ و الحاد. و كذا القول باستغنائهم عنه سبحانه فى شىء من الفيوض، و استقلالهم منه فى شىء من الأحوال، او استناد شىء من الفيوض او العلوم إليهم على وجه

(١) عيون الاخبار: ٣٢٤-٣٢٥ و عنه البحار ج ٢٥ ص ٢٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٠٠

الاستقلال و الأصالة، فضلا عن القول باستقلالهم أو شركتهم فى الخلق أو الرزق و غيرهما من الشئون، هذا خلق الله فأرونى ما ذا خلق اللّين من دونه «١»، أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء و هو الواحد القهار «٢».

نعم الذى يستفاد من الآيات و الاخبار أنّه سبحانه و هو الفاعل لما يشاء سبب الأسباب، و قدر المقادير، و خلق ببعض مصنوعاته بعضا، و لبعضها بعضا، و من بعضها بعضا، فنسب الحرارة إلينا و إن كان هو الزارع: أفرأيتم ما تحرثون أ أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون «٣».

و نسب الخلق و نفخ الروح الى عيسى عليه السّلام فى قوله: أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله «٤» و ان كان هو الخالق لكل شىء، و نسب التوفى و قبض الأرواح الى ملك الموت و الأعوان فى جملة من الآيات مع أنّه قال الله يتوفى الأنفس حين موتها «٥» و جعل ميكائيل موكلا بالأرزاق و هو الرزاق ذو القوة المتين «٦».

و قد ورد فى الأخبار أنّ لله سبحانه ملائكة موكلة بالرزق، و ملائكة خلاقين، الى غير ذلك مما تقدم إليه الإشارة فى تفسير الفاتحة. و بالجملة المستفاد من الأخبار أن لهم الدرجة القصوى من عالم الإمكان،

(١) لقمان: ١١.

(٢) الرعد: ١٦.

(٣) الواقعة: ٦٣-٦٤.

(٤) آل عمران: ٤٩.

(٥) الزمر: ٤٢.

(٦) الذاريات: ٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٠١

و الشؤون المتقدمه إذا كانت جاريه باذن الله، واقعه بأمره كلها شئون امكانيه كغيرها من الكرامات، و خوارق العادات الصادره منهم كالتصرف في الملك و الملكوت، و الاحاطه العلميه و التدبيريه باذن الله سبحانه، و غير ذلك من غرائب أحوالهم التي لا يحيط بها أحد غيرهم فلا بأس بالقول بها بعد دلالة قواطع الأدلة عليها.

### التفويض و معناه الصحيح

و من جميع ما مرّ مضافا الى ما سمعت في تفسير الصراط المستقيم يظهر لك وجه الجمع بين الأخبار المختلفه في التفويض إليهم فإنّ التفويض الاستقلالي سواء كان منهم بالذات أو من الله سبحانه على وجه الشريك أو الاستبداد كفر و شرك بالله العظيم، و أمّا على وجه التوسط في الفيض و الاستفاضه فهو الذي دلّت عليه الأخبار بعد مساعده الاعتبار.

نعم ذكر شيخنا المجلسي للتفويض إليهم في الأمور التكوينيّه معنيين:

أحدهما: أنّهم يخلقون و يرزقون و يميّتون و يحيون و أنّهم يفعلون جميع ذلك بقدرتهم و ارادتهم، و هم الفاعلون حقيقه، قال: فهذا كفر صريح دلّت على استحالته الأدلة العقلية و النقلية، و لا يستريب عاقل في كفر من قال به.

و ثانيهما أنّ الله تعالى يفعل ذلك مقارنا لإرادتهم، كشق القمر، و إحياء الموتى، و قلب العصا حية، و غير ذلك من المعجزات، فإنّ جميع ذلك إنما يحصل بقدرته تعالى مقارنا لإرادتهم لظهور صدقهم، فلا يأبى العقل من أن يكون الله تعالى خلقهم و اكملهم و ألهمهم ما يصلح في نظام العالم، ثم خلق كل شيء مقارنا لإرادتهم و مشيئتهم.

قال: و هذا و إن كان العقل لا يعارضه كفاحا، لكن الأخبار السالفه تمنع من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٠٢

القول به فيما عدى المعجزات ظاهرا بل صراحا، مع أنّ القول به قول بما لا يعلم، إذ لم يرد ذلك في الأخبار المعتره فيما تعلم.

و ما ورد من الأخبار الداله على ذلك كخطبه البيان و أمثالها فلم يوجد إلّا في كتب الغلاة، و أشباههم، مع أنه يحتمل ان يكون المراد كونهم علّة غائبه لإيجاد جميع المكونات، و أنه تعالى جعلهم مطاعين في الأرضين و السماوات، و يطيعهم باذن الله كل شيء حتى الجمادات، و أنّهم إذا شاءوا امرا لا يردّ الله مشيئتهم، و لكنهم لا يشاءون إلّا أن يشاء الله\*.

و أمّا ما ورد من الأخبار في نزول الملائكه و الروح لكل أمر إليهم و أنه لا ينزل ملك من السماء لأمر إلّا بدأ بهم فليس ذلك لمدخليتهم في ذلك و لا للاستشارة، بل له الخلق و الأمر تعالى شأنه و ليس ذلك إلّا لتشريفهم و إكرامهم و اظهار رفعة مقامهم «١».

### التفويض الموجب للكفر

أقول: أمّا المعنى الأوّل فهو المتيقن من التفويض الموجب للكفر لانتهائه الى الغلو بل هو الظاهر من اللفظ أيضا كما هو المحكّي عن المفوضه على اختلاف أقوالهم في ذلك، فمنهم من قال: إنّ الله تعالى خلق محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم و فوّض إليه خلق الدنيا، فهو الخلاق لما فيها، و عن آخر أنه تعالى فوّض ذلك إلى عليّ عليه السّلام، و عن ثالث تفويضه إليهما، و عن رابع و هم المخمّسه أنّ الله فوّض الأمر الى سلمان، و ابي ذر، و المقداد، و عمّار، و عمرو بن أمية الصيمري، فهم المدبّرون للدنيا الى غير ذلك

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٠٣

من أقوالهم الفاسدة المشتركة في نسبة الأفعال و الحوادث الى غيره تعالى من غير تجدد فعل أو تأثير أو إفاضة منه سبحانه، و هو الأوفق بالتفويض المقابل للجبر كما يأتي ان شاء الله، و عليه يحمل ما

رواه الصدوق في العقائد عن زرارة أنه قال: قلت للصادق عليه السلام: إن رجلا من ولد عبد الله بن سبأ يقول بالتفويض، فقال عليه السلام: و ما التفويض؟ قلت: يقول: إن الله عزّ و جلّ خلق محمداً صلى الله عليه و آله و سلم و عليّاً عليه السلام ثم فوض الأمر إليهما، فخلقا، و رزقا، و أحيا و أماتا.

فقال: كذب عدو الله، إذا رجعت إليه فاقراء عليه الآية التي في سورة الرعد:

أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ «١» فانصرفت الى الرجل فأخبرته بما قال الصادق عليه السلام، فكأنما ألقمته حجرا، أو قال: فكأنما خرس «٢».

و عن الرضا عليه السلام: اللهم من زعم أننا أرباب فنحن منه براء، و من زعم أن إلينا الخلق و علينا الرزق فنحن منه براء كبرائه عيسى بن مريم عليهما السلام من النصارى «٣».

الى غير ذلك مما ينبغى حمله على شىء من المعانى المتقدمة جمعا بينها و بين ما دلّ على ثبوته بالمعنى الذى أشير اليه فى تفسير الفاتحة من التوسط فى تلك الفيوض شبيه توسط المرأة فى الشعاع الواقع بتوسطها على الجدار فإنها تحكى فعل الشمس و تظهره.

و إليه الإشارة بما

فى العلوى فى جواب الزنديق من أن لله تعالى أولياء تجرى أفعالهم و أحكامهم مجرى فعله و هم ولاء الأمر، و هذا الأمر هو الذى به تنزل

(١) الرعد: ١٦.

(٢) الاعتقادات للصدوق ط قم مؤسسة الامام الصادق عليه السلام ص ١٠٠.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٠٤

الملائكة فى الليلة التى فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ «١» من خلق، و رزق، و أجل، و عمل، و حيات، و موت، و علم غيب السماوات و الأرض، و المعجزات التى لا ينبغى إلا لله، و أصفياه ...

الخبر «٢».

و فى الخطبة الغديرية ما مرّ غير مرّة، و فى رياض الجنان على ما رواه فى البحار عن ابى جعفر عليه السلام: انّ الله لم يزل فردا متفردا فى الوجدانية، ثم خلق محمدا و عليّاً و فاطمة عليهم السلام، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق الأشياء و اشهدهم خلقها، و أجرى عليها طاعتهم، و جعل فيهم ما شاء و فوض أمر الأشياء إليهم، فى الحكم، و التصرف، و الإرشاد، و الأمر و النهى، لأنهم الولاة فلهم الأمر و الولاية و الهداية، فهم أبوابه و نوابه و حجابيه، يحلّون ما شاءوا، و يحرمون ما شاءوا، و لا يفعلون إلا ما شاء، عباداً مكرّموّن لا يسبقونّه بالقول و هم بأمره يعملون ... الخبر «٣».

و أما المعنى الثانى فهو و إن قيل: إنّه بمعزل عن معنى التفويض الظاهر فى إنهاء الأمر و إيصاله إليهم و إذا كان الله سبحانه هو الفاعل فأين معنى التفويض.

إلّا أنّه لعل المراد عنه أنّه تعالى جعل إرادتهم بمنزلة إرادته فى تحقق المراد معها و عدم تخلفه منها و تعلّقها على حسب الحكمة و المصلحة، و ذلك لفناء هويّاتهم، و اضمحلال إنيّاتهم، فظهرت على قلوبهم ارادة الحق سبحانه فهم عباداً مكرّموّن لا يسبقونّه بالقول و



هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

و في الزيارة الجامعة: أنهم الفاعلون بإرادته.

و في غيبة الشيخ ابي جعفر الطوسي بالإسناد عن الحجة عجل الله تعالى

(١) الدخان: ٤.

(٢) تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٤.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٠٥

فرجه: أنه قال للكامل بن ابراهيم حيث دخل على أبي محمد العسكري عليه السلام للسؤال عن جملة من المسائل ما لفظه عليه السلام: و جئت تسأله عن مقاله المفوض، كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشية الله، فإذا شاء شئنا، و الله يقول: وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ \* «١» «٢». فنفي عليه ما يفيد ظاهر التفويض من المعنى الأول، و أثبت تبعية مشيتهم لمشيته سبحانه، و لعله إليه يرجع المعنى الذي أشير إليه في ذيل الخبر المروي

في الاحتجاج عن ابي الحسن على بن أحمد الدلال القمي، قال: اختلف جماعة من الشيعة في الله عز و جل فوض الى الأئمة صلوات الله عليهم أن يخلقوا و يرزقوا، فقال قوم: هذا محال، لا- يجوز على الله تعالى، لأن الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عز و جل، و قال آخرون: بل الله عز و جل أقدر الأئمة على ذلك و فوض إليهم فخلقوا، و رزقوا، و تنازعوا في ذلك تنازعا شديدا، فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان فتسألونه عن ذلك ليوضح لكم الحق فيه فإنه الطريق الى صاحب الأمر عليه السلام؟ فرضيت الجماعة بابي جعفر و سلمت و أجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة و أنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته: إن الله تعالى هو الذي خلق الأجسام، و قسم الأرزاق، لأنه ليس بجسم، و لا حال في جسم، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، فأما الأئمة عليهم السلام فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق، و يسألونه فيرزق إيجابا لمسألتهم و إعظاما لحقهم «٣». أقول: و هذا السؤال سؤال مستمر عام، مستجاب لهم فيمن سواهم في جميع

(١) الدهر: ٣٠.

(٢) غيبة الطوسي ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٣) الاحتجاج ص ٢٦٤ و عنه البحار ج ٢٥ ص ٣٢٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٠٦

الفيوض الدنيوية و الاخروية و هو الذي يعبر عنه في حقهم بالشفاعة الكلية و المقام المحمود، و هذا المعنى و إن تأمل فيه شيخنا المجلسي في المقام إلا أنه قد صرح به في رسالته في اعتقاداته حيث قال بعد التصريح بأنهم المقصودون في إيجاد عالم الوجود و المخصوصون بالشفاعة الكبرى و المقام المحمود: إن معنى الشفاعة أنهم وسائط فيوض الله تعالى في هذه النشأة و النشأة الآخرة، إذ هم القابلون للفيوض الإلهية و الرحمت القدسية و بتفليهم تفيض الرحمة على ساير الموجودات، إلى أن قال: إنهم وسائط بين ربهم و بين ساير الموجودات، فكل فيض وجود يتبدأ بهم، ثم ينقسم على سائر الخلق، و في الصلاة عليهم استجلاب الرحمة إلى معدنها و الفيوض الى مقسمها ليقسم على سائر البرايا.

و قد مر أيضا تصريحه في أول البحار في شرح أخبار العقل بأنه قد ثبت بالأخبار المستفيضة أنهم الوسائل بين الخلق و بين الحق في إفاضة جميع الرحمت و العلوم و الكمالات على جميع الخلق.

## المعصومون عليهم السلام وسائط بين الخالق و الخلق

و بالجملة فالمستفاد من الأخبار و شواهد الاعتبار أنهم الوسائط بين الحق و بين الخلق، و أنه بسؤالهم و بشفاعتهم و بابتئهم يصل إلى الخلق ما يصل إليهم من الفيوض و الشؤون.

و لذا قيل: إن الله سبحانه خلقهم على هيئة مشيئة و صورة ارادته، و أودعهم اسمه الأكبر الذي هو سر سلطنته في برئته، و أخذ على جميع الأشياء الميثاق

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٠٧

بطاعتهم

كما أشار الحسين عليه السلام في الخبر المذكور في ترجمة عبد الله بن شداد «١» حين عاده، و هو مريض فهربت الحمى عن عبد الله، فقال له: قد رضيت بما أوتيتم حقًا حقًا، و الحمى لتهرب منكم، فقال: و الله ما خلق الله شيئًا إلّا و قد أمره بالطاعة لنا يا كناسه (يا كباسه)، قال: فإذا نحن نسمع الصوت و لا نرى الشخص يقول:

ليبيك، قال: أليس أمير المؤمنين عليه السلام أمرك ألا تقربى إلّا عدوًا أو مذنبًا لكي تكون كفارة لذنوبه فما بال هذا؟ «٢» الخبر.

فإنه لا مانع من القول به بهذا المعنى، سيما بعد دلالة كثير من الأخبار عليه، بل و ثبوته بالنسبة إلى الملائكة الذين هم خدام أهل البيت المخلوقين من أنوارهم، إذ منهم الموكّل بالسحاب، و بالبحار، و تصريف الرياح، و الخلق، و الرزق، و الإحياء و الاماتة، و منهم المدبرّات، كلّ ذلك على وجه لا يلزم منه الغلوّ و التفويض بالنسبة إليهم و إلى الملائكة أيضًا، و الحاصل أنّ هذا المعنى لم يتضح الحكم بكفر قائله فإن اتّضح لك من التأمل في الآيات و الأخبار صحة القول به فالحقّ أحقّ بالاتباع، و إلّا فعليك التسليم و ردّ العلم إلى أهله و لا حول و لا قوة إلّا بالله، و كذا الكلام في سائر المعاني للتفويض إليهم عليهم السلام كالتفويض إليهم في أمر الدين، لا بمعنى أن يفوض إليهم عموماً أن يحلّوا ما شاءوا، و يحزّموا ما شاءوا من غير وحى و إلهام، أو يغيروا بأرائهم ما وحي إليهم، فإنه باطل قطعاً، بل بمعنى أنه تعالى لمّا أكملهم بحيث كانوا لا يختارون من الأمور شيئاً إلّا ما يوافق الحقّ و الصواب، و جعل قلوبهم أوعية لمشيئة في كلّ باب فوّض إليهم تعيين بعض الأمور كالزيادة في الصلاة، و تعيين

(١) هو عبد الله بن شداد بن هاد الليثي الكوفي من اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام بل عدّد من خواص أصحابه كما في معجم رجال الحديث ج ١٠ ص ٢١٧ الرقم ٦٩١٨.

(٢) معجم رجال الحديث ج ١٠ ص ٢١٧ الرقم ٦٩١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٠٨

النوافل في الصلاة و التطوع في الصوم، و طعمه الجدّ، و غير ذلك، و هذا لا مانع من القول به بعد دلالة الأخبار عليه كما صرح به جماعة، و التفويض في سياسة الخلق و تكميلهم و تعليمهم و جوب طاعتهم، كما يدلّ عليه قوله تعالى: «و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا» (١)، و في تبليغ الأحكام إليهم بحسب الواقع أو التقيّة، أو بحسب ما يحتمله عقل كل سائل على ما يريهم الله من مقتضيات الأزمان و مصالح الأشخاص، و به أخبار كثيرة، و في القضاء و الحكومة بحسب ظاهر الشريعة، أو على ما هو الواقع كما دلّت عليه الأخبار، أو في العطاء، فإنّ الله خلق لهم الأرض و ما فيها، و جعل لهم الأنفال و الخمس و الصفايا، و غيرها، فلم أن يعطوا من شاءوا، و يمنعوا من شاءوا، كما في اخبار باب الخمس و غيره.

و في البصائر، و الإختصاص عن أبي جعفر عليه السلام: أن الأنمة منا مّفوّض إليهم، فما أحلّوا فهو حلال، و ما حرّموا فهو حرام «٢».

و بالجملة للتفويض معان، بعضها معلوم الفساد، و بعضها مقطوع الصحة، و بعضها مختلف فيه، فلا ينبغي البدار إلى التكفير أو الإنكار

أو ردّ الأخبار إذا وقع في أسانيدھا من نسب إليه.

و منهم المجبرة و المفوضة الواقعة في الطرفين من الأمر بين الأمرين فعن الشيخ في «المبسوط» و بعض من تأخر عنه هو الحكم بكفرهم و نجاستهم، و علل بأنّ القول بهما إنكار لما هو الضروري من الأمر بين الأمرين و باستتباعه لإبطال النبوات و التكاليف رأسا، و إبطال كثير ممّا علم من الدين ضرورة، و لقوله تعالى:

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ

(١) الحشر: ٧.

(٢) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ١٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٠٩

شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا (١).

و للأخبار الكثيرة،

ففي الخصال عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: صنفان من امتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة، و القدرية (٢)، و قد فسرت القدرية بكلّ من الفريقين، و في خبر آخر: الغلاة و القدرية.

و فيه و في «التوحيد»، عن الصادق عليه السلام: الناس في القدر على ثلاثة أوجه:

رجل زعم أنّ الله عزّ و جلّ أجبر الناس على المعاصي، فهذا قد ظلم الله عزّ و جلّ في حكمه، و هو كافر، و رجل يزعم أنّ الأمر مفوض إليهم فهذا و هنّ الله في سلطانه فهو كافر، و رجل يقول: إنّ الله عزّ و جلّ كلّف العباد ما يطيقون، و لم يكلفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله و إذا أساء استغفر الله، فهذا مسلم بالغ (٣).

### المجبرة و المفوضة

و في «العيون» عن الرضا عليه السلام في حديث: «فالقائل بالجبر كافر، و القائل بالتفويض مشرك» (٤).

و في رسالة عليّ بن محمد العسكري عليه السلام إلى أهل الأهواز الطويلة، و فيها:

فمن زعم أنّه مجبور على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله عزّ و جلّ، و ظلمه في عقوبته له، و من ظلم ربّه فقد كذب كتابه، و من كذب كتابه لزمه الكفر (٥).

(١) الانعام: ١٤٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٥ ص ٩-١٠ ح ١٤ عن الخصال و التوحيد.

(٣) بحار الأنوار ج ٥ ص ٩-١٠ ح ١٤ عن الخصال و التوحيد.

(٤) العيون ص ٧٨ و عنه البحار ج ٥ ص ١٢ ح ١٨.

(٥) الاحتجاج ص ٢٤٩-٢٥٢ و عنه البحار ج ٥ ص ٢٠-٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢١٠

و في العيون و التوحيد عن الرضا عليه السلام: من قال بالتشبيه و الجبر فهو كافر و مشرك، و نحن منه براء في الدنيا و الآخرة (١).

و في العيون: انّ أمير المؤمنين عليه السلام قال للشيخ الذي أتاه من أهل الشام: مهلا يا شيخ لعلك تظنّ قضاء حتما، و قدرا لازما، و لو كان كذلك لبطل الثواب و العقاب و الأمر و النهي و الزجر، و لسقط معنى الوعد و الوعيد، و لم تكن على مسيء لائمة، و لا لمحسن

محمدة، و لكان المحسن أولى باللائمة من المذنب، و المذنب أولى بالإحسان من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان، و خصماء الرحمن، و قدرية هذه الائمة و مجوسها، يا شيخ إن الله عزّ و جلّ كلّف تخييراً، و نهى تحذيراً، و اعطى على القليل كثيراً، و لم يعص مغلوباً، و لم يطع مكرهاً، و لم يخلق السماوات و الأرض و ما بينهما باطلاً، ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (٢)». الى غير ذلك من الاخبار التي يمكن استفادة ذلك منها، مضافا الى منافاته للعدل، بل للتوحيد، و غيره.

إلا أنّ المسألة بنفسها ليست من الضروريات التي يوجب إنكارها الكفر، كيف و هي من المسائل المعضلة التي طال التشاجر فيها بين الحكماء و المتكلمين و صنّفوا فيها الكتب و الرسائل، و استدللّ كلّ فريق منهم بجملة من الآيات و الأخبار المتعارضة بظواهرها في هذا الباب، و مجرّد استلزام أحد القولين لإنكار بعض الأصول و الضروريات لا يؤثّر شيئاً مع عدم التزام قائله بذلك، و من هنا صرح بعضهم بأنّ المدار على إنكار الضروريات صريحا لا لازما.

أمّا الآيات و الأخبار فالظاهر تنزيلها على صورة الالتزام بتلك اللوازم، او

(١) العيون ص ٨١-٨٢ و التوحيد ص ٣٧٢-٣٧٣ و عنهما البحار ج ٥ ص ٥٣.

(٢) العيون ص ٧٩ و عنه البحار ج ٥ ص ١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢١١

الالتفات و العلم باللزوم، او إنكار مذهب الحقّ عنادا مع العلم بشبوته من صاحب الشريعة، أو غير ذلك ممّا يثول إلى انكار الدين، أو إنكار ما علم منه ضرورة.

على أنّه ربما يقال: إنّ المراد هو الكفر الباطني بالنسبة إلى الأمور الاخروية كما ورد مثله في حقّ المخالفين و فيمن أنكر واحدا من الأئمة عليه السلام.

و أمّا مجرّد القول بالجبر و التفويض سيّما على بعض المعاني التي لا يتّضح فسادها فالتكفير به مشكل جدّا، و لذا يحكى عن أكثر الأصحاب القول بطهارتهم و إسلامهم.

بل في كشف الغطاء نسبته الى ظاهر الفقهاء، مستدلّين بالأصل و العمومات، و استمرار السيرة المظنون او المعلوم أنّها في زمن المعصوم على عدم اجتناب سور كلّ من الفريقين بل و سور المخالفين الذين أكثرهم المجبرة.

بل ربما يحكى هذا القول عن بعض أصحابنا مع عدم القدح في عدالته فضلا عن دينه بذلك، فعن النجاشي و العلامة في الخلاصة أنّ محمد بن جعفر الأسدي ثقة صحيح الحديث الا أنّه روى عن الضعفاء، و كان يقول بالجبر و التشبيه.

و ما يقال: من أنّ النجاشي إنّما حكم بذلك لما توهم من كتبه و لذا لم يطعن عليه الشيخ به فعلى فرض قبوله لا يدفع موضع الشهادة، إذ المقصود أنّ النجاشي مع توهمه ذلك حكم عليه بالوثاقه و الصّحة.

### المجسّمه و كفرهم

و منهم المجسّمه الذين أطلق أكثر الأصحاب بكفرهم و نجاستهم.

لأنّ القول بالتجسيم إنكار لله سبحانه.

و صرح بعضهم بعدم الفرق بين القول بالتجسيم حقيقه أو تسميه بكونه جسما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢١٢

لا كالأجسام.

و قيده الشهيدان و بعض من تأخر عنهما بالأول، نظرا إلى أنّهم موافقون لأهل الحقّ في العقيدة و إنّما تجوّزوا في التسمية كإطلاق

العين و الجنب فيما ورد به الكتاب و السنّة.

و ربما يؤيد بما يحكى عن هشام بن الحكم من القول به، و إن قيل: إنّه أوردته على سبيل المعارضة للمعتزلة، فقال لهم: إذا قلت: إنّ القديم شيء لا كالأشياء فقولوا: إنّه جسم لا كالأجسام.

نعم بعض المتأخرين منع من كفرهم على الوجهين حتى لو استلزم تلك الدعوى الحدوث فى نفس الأمر إذا لم يعترفوا بزعمهم، و اختاره فى «الجواهر».

و ربما يحكى عن كثير من الفقهاء أيضا حيث أطلقوا القول بطهارتهم.

لكن الأظهر وفاقا للاكثر أنه كالقول بالتشبيه على وجه الحقيقة لا مجرد التسمية يوجب الكفر و الشرك لأنّ معبودهم حينئذ غير الله سبحانه.

و للأخبار المستفيضة.

ففى «البحار» عن يونس بن ظبيان، قال: دخلت على الصادق عليه السلام، فقلت:

يا ابن رسول الله إني دخلت على مالك و أصحابه فسمعت بعضهم يقول: إنّ لله وجها كالوجه، بعضهم يقول: له يدان. و احتجوا لذلك بقول الله تبارك: **بِيَدَيَّ أَسْتَكْبِرُ** (١)، و بعضهم يقول: هو كالشباب من أبناء ثلاثين سنة، فما عندك فى هذا يا ابن رسول الله؟ قال: و كان متكئا فاستوى جالسا، و قال: اللهم عفوك عفوك ثم قال: يا يونس من زعم أنّ لله وجها كالوجه فقد أشرك، و من زعم أنّ لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله، فلا تقبلوا شهادته، و لا تأكلوا ذبيحته، تعالى الله

(١) سورة ص: ٧٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢١٣

عَمَّا يَصِفُهُ الْمَشْبَهُونَ لَهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ، فَوَجَّهَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَهُ وَ أَوْلِيَاءَهُ، وَ قَوْلُهُ: **لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبِرُ** (١) اليد القدرة كقوله: وَ **أَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ** (٢) «الخير» (٣).

و فى «التوحيد» و «الأمالى» عن على بن محمّد عليه السلام: من زعم أنّ الله جسم فنحن منه براء فى الدنيا و الآخرة يا ابن دلف إنّ الجسم محدث و الله محدثه و مجسّمه (٤).

و فيه إشارة إلى ظهور استلزام القول بكونه جسما للقول بحدوثه، كما أنّ فى الخبر الأوّل إشارة الى الفرق بين التشبيه على وجه الحقيقة أو التسمية المؤولة بما ذكره عليه السلام.

و فى «العيون» عن الرضا عليه السلام قال: من شبه الله بخلقه فهو مشرك، و من نسب إليه ما نهى عنه فهو كاذب (٥).

و قد مرّ منه، و من «التوحيد» من قال بالتشبيه و الجبر فهو كافر مشرك (٦).

و فى «التوحيد» عنه صلى الله عليه و آله و سلّم: من شبهه بخلقه فهو مشرك، و من وصفه بالمكان فهو كافر، و من نسب إليه ما نهى عنه فهو كاذب (٧).

أقول: و فيه إشارة الى فرق بين مطلق التشبيه و خصوص التوصيف بالمكان، و لعلّ الوجه فيه أنّ المشبه مقرّ بالله إلّا أنّ منوعته غير الله تعالى فقد أشرك به،

(١) سورة ص: ٧٥.

(٢) سورة الأنفال: ٢٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٨٧.

(٤) البحار ج ٣ ص ٢٩٢.

(٥) البحار ج ٣ ص ٢٩٩.

(٦) البحار ج ٣ ص ٢٩٤ عن التوحيد والعيون.

(٧) البحار ج ٣ ص ٢٩٩ عن التوحيد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢١٤

والقائل بكونه محاطا بالمكان لا يقرب غيره فهو كافر، فتأمل.

وفي التوحيد أيضا عن أبي جعفر عليه السلام: من قال بالجسم فلا تعطوه من الزكاة، ولا تصلوا وراءه «١».

الى غير ذلك من الاخبار الكثيرة.

و من جميع ما مرّ يظهر النظر فيما أظن فيه شيخنا النجفي في «الجواهر» حيث اختار القول بالطهارة بلا فرق بين القسمين إذا لم يعترفوا بذلك اللازم لاتحادهما حينئذ في المقتضى و عدم المانع.

إذ فيه أنّ المانع و هو طرؤ الكفر في التجسيم و التشبيه على وجه الحقيقة موجود حسبما سمعت.

### التناسخ

و منهم التناسخية بالمعنى الأعمّ الشامل للفسخ بالمعنى الأخص و المسخ و الرسخ، فإنّ القول بكلّ منها إنكار لضرورة الدين، مع أنّها على بعض الوجوه موجب لإنكار المعاد و حشر الأجساد.

و مثله في سبب الكفر إنكار المعاد الجسماني و تأويل الآيات و الأخبار فيه كما ربما يظهر من بعض الحكماء و الفلاسفة، و كذا إنكار شيء من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، و لو بطريق الاستلزام مع التصريح باللوازم، لا مطلقا.

و الحاصل أنّ للكفر سببين:

أحدهما: ما يوجب بالذات كإنكار وجود الصانع، أو وحدته، أو قدمه، أو

(١) البحار ج ٣ ص ٣٠٣ عن التوحيد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢١٥

إنكار نبيه، أو المعاد، أو الشكّ في شيء منها، بلا فرق في المنكر باللسان مع الجنان، أو المقرّ بهما مع إظهار العناد، أو المقرّ بأحدهما دون الآخر.

و من هنا يظهر أنّ المعاند المتظاهر بالمشاقّة لله أو لرسوله محكوم عليه بالكفر، و هكذا الهاتك لحرمة الإسلام المستخفّ بالدين و لو بترك المندوب أو فعل المكروه، و يلحق به السابّ للنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم أو الزهراء أو أحد الأئمّة عليه السّلام، بل و كذا السابّ لأحد من الأنبياء السابقين، أو الملائكة المقرّبين، فهذا كلّ ممّا يوجب الكفر، و لا يقبل معه العذر.

نعم الأظهر وفاقا للشيخ الأكبر أنّه ربما يعذر الثالث لبعده الدار أو لكونه في محلّ النظر خاليا عن الاستقرار و إن جرى عليهما حكم الكفّار في غير المؤاخذه كالتعذيب بالنار.

ثانيهما: ما يترتب عليه الكفر على وجه الاستلزام مع التصريح باللوازم أو اعتقادها كانكار بعض الضروريات الاسلاميّة و المتواترات عن سيّد البرية صلّى الله عليه و آله و سلّم، كالقول بالجبر و التفويض، و انكار العدل، و مغايرة الصفات الذاتية للذات، و اتحاد الصفات الفعلية لها، و إثبات المعاني و الأحوال، و الأعيان الثابتة، و التجسيم، و التشبيه بالحقيقة، و وحدة الوجود أو الموجود، و الاتحاد، و ثبوت الزمان و المكان، و الكلام النفسى، و قدم القرآن، و الرؤية البصرية في الدنيا و الآخرة، و انكار الإمامة المستلزم لإنكار النبوة، و

البغض لبعض الأئمة، و إنكار البرزخ و عذابه، و القول بانقطاع عذاب الكفار، و صيرورة العذاب راحة لهم.

قال في «كشف الغطاء» بعد التصريح ببعض ما سمعت: إن هذه إن صرح فيها باللوازم أو اعتقدها كفر و جرى عليه حكم الارتداد الفطرى، و إلا فإن يكن عن شبهة عرضت له إن احتمل صدقه في دعواها استتيب و قبلت توبته، و لا- يجرى عليه حكم الارتداد الفطرى، و إن امتنع عزّر ثلاث مرّات، و قتل في الرابعة، و إن لم يمكن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢١٦

ذلك و ترتبت على وجوده فتنة العباد، و بعثهم على فساد الإعتقاد اخرج من البلاد، و نادى المنادى بالبرائة منه على رؤوس الأشهاد.

ثم لا يخفى أن هذه العقائد و نحوها مختلفة في إيجاب الكفر.

فمنها ما يوجب عدم العلم بها، فضلا عن العلم بعدمها او الشك فيها كوجود الصانع و توحيده، و علمه، و قدرته، و أزليته و ابديته، و نبوة النبي صلى الله عليه و آله و سلم و ثبوت المعاد الجسماني.

و منها ما يوجب العلم بعدمها دون عدم العلم بها كنفى التحيز و الجسمي، و اثبات ضغطة القبر و حياته، و الوزن في المحشر و الحساب و الصراط و غيرها مما يعدّ من فروع الأصول بعد ثبوتها من الدين في الجملة و إن اختلفوا في كيفياتها.

و منها ما لا يقتضى شيئا منها كالمسائل و المباحث الخلافيّة المتعلقة بفروع الأصول و كيفياتها.

ثم إن البحث عن خصوص المسائل و تشخيص الصغريات له عرض عريض، و لا يهمنّا التعرّض له.

و منهم النواصب، و قد استفاضت الأخبار بل تواترت على الحكم بنجاستهم و كفرهم و أنّهم شرّ خلق الله، و لا خلاف بين الأصحاب في الحكم بكفرهم، و إن اختلفوا في تشخيص الموضوع هل هو خصوص الخوارج، أو الفرق الثلاثة و هم أصحاب الجمل و النهروان و صفين، أو كلّ من أظهر العداوة لأهل البيت عليه السّلام، أو أنكر شيئا من فضائلهم، أو أنكر النصّ على امير المؤمنين عليه السلام، أو كلّ من قدّم الجبت و الطاغوت إلّا المستضعفين منهم.

بقي الكلام في أمور تتعلق بالمقام: أحدها: أن هذه الآية: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢١٧

سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ «١» و نحوها ممّا تضمّنت الأخبار بصيغته الماضى نحو: إِنَّا أُرْسِلْنَا\* ممّا احتجّت به القائلون بحدوث القرآن كاصحابنا الإماميّة و المعتزلة، نظرا إلى أنه لو كان كلامه قديما لزم الكذب في أمثال تلك الإطلاقات لعدم سبق وقوع النسبة.

و أوجب بأنّ كلامه تعالى غير متصف في الأزل بالمضى و آخريه لعدم الزمان، و إنما يتّصف بذلك فيما لا يزال بحسب التعلقات و حدوث الأزمنة غاية الأمر حدوث المتعلّق لا المتعلّق كما قيل في علمه سبحانه.

و فيه: أنّهم قد صرّحوا بكون الكلام النفسى مدلول الكلام اللفظى و لا يعقل أن يكون مدلول الماضى إلّا ماضيا، و التأويل بالعلم خارج عن محلّ البحث على ما مرّ تمام الكلام فيه في المقدمات.

الأمر الثانى: أنّ من غرائب الكلام ما ذكره الرازى في المقام، و هو أنّ الجمع المعرف باللام اى الَّذِينَ كَفَرُوا بظاهره للاستغراق، و لا نزاع في أنّه ليس المراد منها هذا الظاهر لأنّ كثيرا من الكفار أسلموا، فعلمنا أنّ الله تعالى قد يتكلّم بالعامّ و يكون مراده الخاصّ.

إمّا لأجل أنّ القرينة الدالّة على أنّ المراد من ذلك العموم ذلك الخصوص كانت ظاهرة في زمن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فحسن ذلك لعدم التليس و ظهور المقصود ...

و إمّا لأجل أنّ التكلم بالعامّ لإرادة الخاصّ جائز و ان لم يكن مقرونا بالبيان عند من يجوز تأخير بيان التخصيص عن وقت الخطاب.

و إذا ثبت ذلك ظهر أنّه لا يمكن التمسك بشيء من صيغ العموم على القطع بالاستغراق لاحتمال أنّ المراد منها هو الخاصّ، و كانت القرينة الدالّة على ذلك

(١) سورة البقرة: ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢١٨

ظاهرة في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلا- جرم حسن ذلك، وأقصى ما في الباب أن يقال: لو وجدت هذه القرينة لعرفناها، وحيث لم نعرفها علمنا أنها ما وجدت، إلا أن هذا الكلام ضعيف لأن الاستدلال بعدم الوجدان على عدم الوجود من أضعف الأمارات المفيدة للظن فضلا عن القطع «١».

وعقب كلامه هذا قال: إذا ثبت ذلك ظهر أن استدلال المعتزلة بعمومات الوعيد على القطع بالوعيد في نهاية الضعف، والله اعلم. وهو كما ترى.

### شأن نزول الآية

الأمر الثالث: اختلف المفسرون في شأن نزول الآية: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا قِيلَ: إنها نزلت في قوم من أخبار اليهود ممن كفر بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم عنادا وكنتم أمره حسدا و بغيا.

وقيل: نزلت في أبى جهل و خمسة من أهل بيته قتلوا يوم بدر.

وقيل: نزلت في مشركى العرب أو قريش.

وقيل: هى عامه فى جميع الكفار و أخبر الله تعالى بأن جميعهم لا يؤمنون، فلا ينافيها إيمان بعضهم، فهو كقول القائل: لا يقدم جميع إخوتك اليوم، فلا ينكر إن يقدم بعضهم.

و هذا الوجه ضعيف جدا، و التخصيص بشىء من الوجوه المتقدمه غير ثابت، و قضيه العموم شمولها تنزيلا لمن كان على هذه الصفه، غاية الأمر أن قوله:

(١) مفاتيح الغيب لفخر الرازى ج ٢ ص ٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢١٩

### تفسير سَوَاءَ عَلَيْهِمْ

سَوَاءَ عَلَيْهِمْ قَرِينَةٌ عَلَى خُرُوجِ غَيْرِ الْمُصْرِيِّينَ عَلَى كُفْرِهِمْ، فَيَعْمُ جَمِيعُ الْمُصْرِيِّينَ مِمَّنْ كَانَ أَوْ يَكُونُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ وَجْهِ الْكُفْرِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَ غَيْرِهَا حَتَّى الْكُفْرَ بَوْلَايَةَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَ أَمْنَائِهِ كُلِّمَا أَوْ بَعْضًا، وَ كُفْرَ النِّعَمِ وَ غَيْرِهِمَا، وَ يُقَابَلُهُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَعَانِيهِ، وَ لِكُلِّ مِنْ مَرَاتِبِهِ وَ عَقُوبَةٍ، فَتَشْمَلُ الْآيَةُ جَمِيعَ الْكُفَّارِ وَ الْعَصَاةِ، وَ الْمُخَالَفِينَ وَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

و لذا

قال الإمام عليه السلام في تفسيره: أنه لما ذكر الله تعالى هؤلاء المؤمنين ومدحهم بتوحيد الله تعالى و بنوّه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و وصيه على ولى الله عليه السلام، ذكر الكافرين المخالفين لهم، فقال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا آمَنَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَ بِنُورَةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ وَ بُوَصِيَّةِ عَلِيِّ وَ لِي اللَّهِ وَ بِالْأَثْمَةِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، خيار عباده الميامين القوامين بمصالح خلق الله تعالى «١».

سَوَاءَ عَلَيْهِمْ سَوَاءَ اسْمٌ بِمَعْنَى الْإِسْتَوَاءِ وَ هُوَ الْإِعْتِدَالُ، وَ السَّوَاءُ: الْعَدْلُ، وَ مِنْهُ قَوْلُهُ: فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ «٢» وَ بِمَعْنَى وَسْطِ الشَّيْءِ



كقوله: سَوَاءِ الْجَحِيمِ\* (٣) و يوصف به كالمصادر نعتا نحويا، كقوله: إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ (٤).

(١) تفسير الامام عليه السلام ص ٤٣-٤٤.

(٢) الأنفال: ٥٨.

(٣) الصفات: ٥٥.

(٤) آل عمران: ٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٢٠

و أَرْبَعَةٌ أَيَّامٍ سَوَاءٍ «١» على قراءة الجرّ، أو معنويًا كما في المقام مرفوع.

أما لكونه خبر إنَّ على القول بإعمالها في الجزئين، أو على بقائه على ما كان عليه قبل دخول الحرف على الخلاف في ذلك.

و حيث إنَّ سواء اسم للمصدر مؤوّل به بمعنى الفاعل، فقوله: أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ في موضع الرفع على الفاعليّة كأنه قيل: إنَّ الذين كفروا مستو عليهم إنذارك و عدمه.

و ما يقال: إنّه اسم غير صفة، فالأصل فيه أن لا يعمل، مع أن القصد من الوصف بالمصادر المبالغة في شأن محالها كأنها صارت عين ما قام بها فقولك: زيد عدل معناه أنّه عين العدل كأنه تجسّم منه، و مع التأويل يفوت المقصود، بل و كذا مع الحمل على حذف المضاف.

مدفوع بأنَّ الأصل غير دافع للاحتمال، مع إعمال مثله كثيرا، مضافا الى رجحانه على غيره من المحتملات.

و إما بأنّه خبر مقدّم، و الفعل مع ما عطف عليه مأوّلين بالمصدر مبتدأ مؤخر و المعنى إنذارك و عدمه سيان عليهم، و توحيد حيتنذ للمصدرية كما أنّه على الأوّل لكونه كالفعل المسند إلى فاعله.

نعم قد يورد عليه، بل و على الأوّل أيضا بأنَّ الفعل كيف وقع مسندا إليه فاعلا او مبتدأ، و أنّ تصدير الاستفهام ينافيه، و أنّ الهمزة و أم موضوعتان لأحد الأمرين و ما يسند إليه سواء يجب أن يكون متعدّدا.

و أوجب عن الأوّل بأنَّ الفعل إنّما يمتنع الإسناد إليه على جهة الإخبار او الفاعليّة أو الاضافة إذا أريد به تمام ما وضع له من الزمان و الحدث و الانتساب إلى

(١) فصلت: ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٢١

الفاعل، أما لو أطلق و أريد به مجرد اللفظ نحو ضرب فعل ماض، و يضرب فعل مضارع، أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الإخبار عنه، كقولهم: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، و كقوله تعالى: ثُمَّ يَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَ جُنُنًا «١»، و قوله: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا\* «٢»، أو الإضافة كقوله تعالى: يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ «٣».

و فيه أنّ ما أريد به مجرد اللفظ اسم للفعل كما أنّ الأدوات في قولك: الباء للإلصاق، و من للابتداء و في للظرفيّة أسماء للحروف و لذا تدخل اللام على ما بنى منها على حرف واحد. و أمّا إرادة المعنى المصدرى من الفعل غير سائغ إلّا مع التأويل المغيّر لصيغته و لذا قرأ المشهور تسمع بالمعيدي بفتح العين بتقدير أن الناصبة، و ذكروا في بدا لَهُمْ: أنّ الفاعل مضمّر تفسيره لَيْسَ جُنُنًا، و هو بداء، او السجن في الآية الاولى، و كذا القول في الثانية.

فالأولى في المقام إضمار الفاعل بما يفسره الجملة الفعلية و هو إنذارك و عدمه.

منه يظهر الجواب عن الثاني أيضا، على أنه قد يجاب عنه و عن الثالث بأنَّ الهمزة و أم قد انسلخ عنهما في مثل المقام معنى الاستفهام

رأسا حتى زال عنهما الدلالة على أحد الأمرين و صارتا لمجرد معنى الاستواء، فإنّ اللفظ المتضمن لمعنيين قد يجرد لأحدهما و يستعمل فيه وحده منسلخا عن الآخر، كما أنّ حرف النداء و إن وضع للاختصاص الندائي إلّا قد يجرد لمطلق الاختصاص كما تبه عليه

(١) سورة يوسف: ٣٥.

(٢) سورة البقرة: ١٣.

(٣) المائدة: ١١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٢٢

سيبويه في قولهم: اللهم اغفر لنا ايّتها العصابة، فإذا جرّدتا في مثل المقام لمجرد الاستواء زالت الصدارة و كونها لأحد الأمرين. و توهم من قال: المعنى حينئذ تسوية المستويين، و هو تكرار بلا فائدة، مدفوع بأنّ المراد كون المستويين في صحّة الوقوع مستويين في عدم النفع.

و من جميع ما مرّ يظهر النظر فيما ذكره الطبرسي في «مجمع البيان من إبطال كون سواء خيرا بأنه ليس في ظاهر الكلام مخبر عنه، و بأنّ قبل الاستفهام لا يكون في حيز الاستفهام» (١).

و إما بالابتداء و يكون خبره الجملة التالية كما هو المحكى عن أبي علي، و اختاره الطبرسي و جعله أوّل الوجهين، قال: و الجملة في موضع رفع بأنّها خبر إن (٢)، و لا يخلو من ضعف.

و إما بأنّه خبر من مبتداء محذوف تقديره: الأمران سواء، ثمّ بين الأمرين بقوله: أأنذرتهم أم لم تنذرهم.

قال نجم الأئمة: و هذا هو الذي يظهر لى في مثل هذا المقام، و هو وقوع أم بعد همز التسوية الواقعة بعد كلمه سواء، و ما أبالي، و لا أدري، و ليت شعري، و نحوها، كما يقدر المبتداء في قوله: فأصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم (٣) اي الأمران سواء، و سواء لا يثنى و لا يجمع، فكأنّه في الأصل مصدر.

قال: و حكى أبو حاتم تشيته و جمعه، و ردّه أبو علي، ثمّ اطب الكلام في أنّ الفعل بعد تلك الأدوات يتضمن معنى الشرط و الاسمية السابقة دالة على جوابه،

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٤٢.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٤٢.

(٣) سورة الطور: ١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٢٣

فقولك: سواء عليّ أقت أم قعدت معناه ان قمت أو إن قعدت فالأمران سواء و استشهد له باستهجان الأخفش وقوع الابتدائية بعدهما، و أمّا قوله: سواء عليكم أ دعوتهم أم أنتم صامتون (١).

فلتقدم الفعلية، و إلا- لم يجز، و باستقباحه وقوع المضارع بعدهما و يدلّ عليه أنّ ما جاء في التنزيل من هذا النحو جاء على مثال الماضي نحو سواء عليّنا أ جزعنا أم صبرنا (٢) و سواء عليهم أسغفرت لهم أم لم تستغفروا لهم (٣).

قال: و إنّما أفادت الهمزة فائدة إن الشرطية لأنّ إن تستعمل في الأغلب في أمر مفروض مجهول الوقوع و كذلك حرف الاستفهام يستعمل فيما لم يتيقن حصوله فجاز قيامها مقامها مجردة عن معنى الاستفهام، و كذا أم جرّدت عن معناه و جعلت بمعنى أو لأنّها مثلها في إفادة أحد الشئيين أو الأشياء، و معنى سواء عليّ أقت أم قعدت إن قمت أو قعدت، و الدليل على أنّ سواء سادّ مسدّ جواب الشرط لا خبر مقدّم أنّ معنى سواء عليّ أقت أم قعدت، و لا أبالي أقت أم قعدت واحد في الحقيقة، و لا أبالي ليس خيرا للمبتدأ،

بل المعنى إن قمت او قعدت فلا أبالي.

و إنما اختص استعمال الهمزة و أم في هذا المعنى بما بعد سواء، و لا أبالي و ما يجرى مجراهما لأن المراد التسوية في الشرط بين أمرين فاشترط فيما يقع موقع الجزاء أن يشتمل على معنى الاستواء قضاء لحق المناسبة، و لهذا وجب تكرير الشرط، و لم يصح لا أبالي أقام زيد.

و على هذا فالجملة الشرطية خبر إن، و المعنى إن الذين كفروا إن أنذرتهم أم

(١) الأعراف: ١٩٣.

(٢) ابراهيم: ٢١.

(٣) المنافقون: ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٢٤

لم تنذرهم فهما سواء عليهم.

لا يُؤْمِنُونَ حال من الضمير المجرور أو المنصوب، مؤكدة لمضمون الجملة باعتبار كونها في مقام الإخبار عن الكفار.

أو جملة مفسرة لإجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء.

و يجوز أن يكون بدلا، و أن يكون خبر إن.

او جملة معترضة مبيئة لعل الحكيم.

### الإنذار و حقيقته

و الإنذار هو الإعلام و التخويف، أو لإبلاغ و لا يكون إلّا في التخويف كما في «الصحاح»، أو أكثر ما يستعمل فيه كما في «المصباح» كقوله تعالى: «وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَقِ» (١) أى خوّفهم عذابه، أو الإسلام و التحذير و التخويف فى إبلاغه كما فى «القاموس»، او إعلام معه تخويف كما فى «مجمع البيان»، و لعل الاختلاف مبنى على المسامحة فى التعبير، نعم قد يقال: إنه تحذير من مخوف يتسع زمانه للاحتراز منه، فإن لم يتسع فهو إشعار.

و بالجملة هو إفعال من نذره بالفتح، و نذر به كفرح اى علمه فحذره و بالهمزة يتعدى إلى مفعولين كقوله تعالى: «إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا» (٢) و قد يتعدى الى الثانى بالباء، نحو قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ (٣).

(١) سورة الغافر: ١٨.

(٢) النبأ: ٤٠.

(٣) الأنبياء: ٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٢٥

و يظهر من الآيتين و غيرهما جواز اتصافه تعالى به، و كذا اتصاف النبى صلى الله عليه و آله و سلم به، مضافا الى ما قيل من أن الإعلام يجوز و صفه به، و كذا التخويف لقوله تعالى:

ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ (١)، فإذا جاز وصفه بالمعنيين جاز وصفه بما يشتمل عليهما او يتحد بأحدهما

و فى الحديث عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم انه قال: أنا النذير العريان (٢).

و هذا المثل كما فى «القاموس» قيل لكل منذر محق لأن الرجل إذا أراد إنذار قومه تجرد عن ثيابه و أشار بها.

و لعل إطلاقه عليه صلى الله عليه وآله وسلم لأنه المنذر بالحق، أو أنه المتفرد بالتجرد مع الشواغل والعلائق في إعلاء كلمة الإسلام و تبليغ الحلال و الحرام، أو أنه المتّصف بهذا الوصف في عالم التجرد و الأنوار قبل خلق الأجسام لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان نبيا و آدم بين الماء و الطين، و بعثه الله تعالى في عالم الأرواح إلى الملائكة و النبيين، فهو البشير النذير، و السراج المنير، و الاقتصار عليه دون البشارة في المقام لكنه أوقع في القلب و أشدّ تأثيرا في النفس لأنّ دفع الضرر أهم من جلب النفع فحيث لم ينفع الإنذار لم تنفع البشارة بالأولوية.

و إثارة الفعل على المصدر للدلالة على التجدد و تكرار الوقوع، و نبو قلوبهم عن الإصغاء إلى ما فيه نجاتهم و حياتهم الأبدية مع كمال مبالغته فيها و إصراره عليها.

(١) الزمر: ١٦.

(٢) و من أمثال العرب في الإنذار: أنا النذير العريان قال ابن منظور في لسان العرب في لفظ نذر:

النذير العريان رجل من خثعم حمل عليه يوم الخلصة عوف بن عامر فقطع يده و يد امرأته ...

إلى ان قال: قال الأزهرى: من أمثال العرب في الإنذار: انا النذير العريان، قال ابو طالب: إنّه قالوا له: النذير العريان لأنّ الرجل إذا رأى الغارة قد فجتهم، و أراد إنذار قومه تجرد من ثيابه و أشار بها ليعلم أن فجتهم الغارة، ثم صار مثلا لكل شيء تخاف مفاجئته.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٢٦

و حذف المفعول الثانى بواسطة أو بدونها للتنبية على أنّهم لا يرتدعون عن غيهم و انهماكهم فى الشهوات بالإنذار بشيء من العقوبات على شيء من فعل المعاصى و ترك الطاعات.

و إضافة التسوية إليهم للدلالة على أنّها بالنسبة إلى حالهم، و إلّا فهو صلى الله عليه وآله وسلم قد حاز فضل الإصرار، فضلا عن الإبلاغ.

و فى صلتها بعلى إشعار باشتراكهم فى نوع الضرر و إن افرقوا فيه بحسب الإقرار باعتبار الخصوصيات.

بقى الكلام فى أمور: أحدها أنّ فى أُنذَرْتَهُمْ سبع قراءات:

### القراءة

١- تحقيق الهمز كما عن عاصم، و حمزة، و الكسائى إذا حَقَّقَ لأنه الأصل فى كلّ همزة الاستفهام و الإفعال، إلّا أنّه قيل: إنّ التخفيف عند اجتماعها أفصح و اكثر «١».

٢- و تخفيف الثانية بين بين، اى بين الهمزة و الألف فى المقام لفتحها تخفيفا لنبرها، و تسهيلا لأدائها، كما هو المحكى عن نافع، و ابن كثير، و أبى عمرو و الكسائى إذا خَفَّفَ، و يقال: إنّه القياس.

٣- و قلب الثانية ألفا كما فى حكاية أهل مصر عن ورش، و قيل: إنّه لغة لبعض العرب إلحاقا للمتحرّكة بالساكنة، لكن فى الكشاف: أنّ فيه لحنًا و خروجًا من كلام العرب لوجهين: أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حدّه، إذ

(١) الكشاف ج ١ ص ١٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٢٧

حدّه أن يكون الأول حرف لين و الثانى حرفا مدغما نحو «وَلَا الضَّالِّينَ» و خويصّة «١»، و الآخر إخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحرّكة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين.

و أما القلب ألفا فهو تخفيف للساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس «٢».

وقد يعتذر من الأول بانّ من يقلبها ألفا يشيع الألف إشباعا زائدا لتقوم مقام الحركة كما قرىء في «محيّاي» «٣» بإسكان الياء وصلا. ومن الثاني بقراءة منساة «٤» بقلب المتحركة ألفا، مع وقوعه في شعر حسان «٥»: «سالت هذيل رسول الله فاحشئة» اي عن فاحشئة، و مع ذلك كيف فكيف يكون خارجا عن كلام العرب «٦».

٤- و توسط ألف بينهما محققين كما عن ابن عامر استثقالا لاجتماع المثلين كما فصل بين النونين في نحو اضربنآن استثقالا لاجتماع النونات، و منه قول ذي الرمة «٧»:

فيا ظبية الوعاء بين جلاجل و بين النقاء ء أنت امّ سالم «٨» ٥- و توسطها بينها و الثانية بين بين تخفيفا لها من جهتي الفصل و التلحين، لأنك إذا لئنتها فقد أمّتها، و صار اللفظ كأنه لا استفهام فيه، ففي المدّ توكيد الدلالة على

(١) خويصة الإنسان: الذي يختصّ بخدمته.

(٢) الكشاف ج ١ ص ١٥٤-١٥٥.

(٣) سورة الانعام: الآية ١٦٢.

(٤) سورة سبأ: ١٤.

(٥) حسان بن ثابت الانصاري الشاعر توفّي سنة (٥٤) عن مائة و عشرين سنة.

(٦) حاشية الكشاف للسيد الشريف الجرجاني ج ١ ص ١٥٤.

(٧) ذو الرمة: غيلان بن عقبه من فحول شعراء العرب مات بأصبهان سنة (١١٧) هـ.

(٨) مجمع البيان ج ١ ص ٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٢٨

الاستفهام كما في تحقيق «١».

فهذه وجوه خمسة، و أما الأخيرتان المشتركتان في الضعف فالاولى:

الاكتفاء بالثانية اطراحا لهزمة الاستفهام كما قال عمر بن «٢» أبي ربيعة:

لعمر ك ما أدري و إن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان و الاخرى: إلقاء حركة الهزمة المحذوفة على الميم لتلحين الاولى و تحقيق الثانية، فإنّ العرب إذا لئنوا الهزمة المتحركة و قبلها ساكن ألقوا حركتها على ما قبلها و قالوا: من بوك، و من مك، و كم بلك «٣».

و عن ابي اسامة في شرح الشاطبية أنه حكى عن حمزة في أنّذرتهم نقل حركة الاولى و تسهيل الثانية على فرض التحقيق في السابقة، فهي ثامنة.

و منه يتضح سقوط اعتراض شراح الكشاف على عبارته.

### جواز التكليف بالمحال و عدمه

الثاني من الأمور أنّ هذه الآية و نحوها ممّا تضمّنت الإخبار عن عدم إيمان أشخاص بأعيانهم كقوله تعالى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ «٤»، ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً «٥» مما استدلت بها الأشاعرة على جواز التكليف بالمحال و وقوعه على ما هو المشهور عنهم، بل

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٤١.

(٢) هو ابو الخطاب عمر بن عبد الله بن ربيعة القرشي الشاعر المشهور توفى سنة (٩٣) هـ.

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ٤١.

(٤) يس: ٧.

(٥) المدثر: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٢٩

و على نفى الاختيار، و اثبات الجبر فى الأفعال.

و قرروه مرةً بأنه سبحانه أخبر عن قوم بأعيانهم بعدم الإيمان مع الإنذار و عدمه، فلو آمنوا لا نقلب هذا الخبر كذبا، و الكذب محال على الله تعالى، و المفضى الى المحال محال فكان صدور الايمان عنهم محالا مع أنه تعالى كان يأمرهم به فكانوا مكلفين بالمحال. و اخرى بأنه تعالى عالم فى الأزل بأنهم لا يؤمنون، و صدور الإيمان منهم يستلزم انقلاب علمه جهلا، و هو محال و ما يستلزم المحال محال و التكليف متحقق فالأمر بالمحال واقع.

و ثالثه بأنه تعالى كلف أبا لهب بالإيمان، و من جملة ما يؤمن به تصديق الله تعالى فيما أخبر عنه بأنه لا يؤمن فقه صار مكلفا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن و هذا تكليف بالجمع بين النقيضين.

و رابعة بأن علمه سبحانه بعدم إيمانهم مطابق المعلوم البتة، و المطابقة إنما تحصل إذا كان الواقع عدم الإيمان، و ايمانهم يقتضى وجوده فتكليفهم تكليف بالجمع بين وجوده و عدمه.

و خامسة بأن القدرة على خلاف ما علمه سبحانه قدرة على قلب علمه جهلا، و هو محال فالقدرة متنفية و الخطاب متعلق فالتكليف بما لا يطاق ثابت.

و سادسة بأنه تعالى عاب الكفار على أنهم حاولوا فعل شىء على خلاف ما أخبر عنه فى قوله: يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ «١»، و ذلك منهى عنه، و ترك محاولة الإيمان يكون أيضا مخالفة لأمر الله فىكون الذم حاصلًا على الترك و الفعل.

قال الرازى فى تفسيره: هذا الكلام هو الهادم لأصول الاعتزال، و لقد كان

(١) الفتح: ١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٣٠

السلف و الخلف من المحققين معولين عليه فى دفع اصول المعتزلة و هدم قواعدهم، و لقد قاموا و قعدوا و احتالوا فى دفعه فما أتوا بشىء مقنع «١».

و قال فى «اربعينه» بعد التقرير الثانى: لو أن جملة العقلاء اجتمعوا و أرادوا أن يوردوا على هذا الكلام حرفا لما قدروا عليه، إلا أن يلتزموا مذهب هشام بن الحكم «٢» و هو أنه تعالى لم يعلم الأشياء قبل وجودها لا بالوجود و لا بالعدم، إلا أن أكثر المعتزلة يكفرون من يقول بهذا القول.

أقول: أميا استحالة التكليف بما لا- يطاق فلعمري إنه من الضروريات القطعية التى قامت عليها دلائل العقل و السمع حسبما حرره أصحابنا الإمامية عطر الله مراقدهم فى الأصولين، و لعلك تسمع جملة مقنعة من البحث عنها فى تفسير قوله تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا «٣»، و تشكيك أمثالهم من المشككين لا يقدح فى العلم بكونها ضرورية بعد بناء أصولهم على إنكار البديهييات كإنكار الحسن و القبح و الاختيار، و تجويز الظلم، و القول بالجبر الذى منشأه هذه الشبهة الى غير ذلك مما التزموا به، أو يلزمهم على أصولهم من القول بنفى التكليف و إنكار النبوات، و إنكار الثواب و العقاب الى غير ذلك من الفصائح الكثيرة التى لا يهمننا البحث

عنها في المقام، بل تقتصر على الجواب من شبهة العلم والإخبار التي بها افتخار الشياطين و تشكيك المشككين و ابتغاء الفتنة لهدم أصول الشريعة و قواعد الدين.

(١) تفسير الرازي ج ٢ ص ٤٢-٤٣.

(٢) هشام بن الحكم كان من أصحاب الصادق و الكاظم عليه السلام له أصل و كتب كثيرة و مناظرات مع المخالفين دلت على جلالته و عظمته و ما نسب إليه الرازي ليس إلا افتراء عليه، كما سيصرح المصنف قدس سره بأنه افتراء.

(٣) البقرة: ٢٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٣١

### جواب شبهة العلم و الإخبار

ف نقول: يمكن الجواب عنها بوجوه:

الأول: معارضتها بالآيات الكثيرة الدالة على أنه لا يكلف الله نفساً إلا وسعها «١»، وإلا ما آتاها «٢»، و أنه ما جعل عليكم في الدين من حرج «٣».

و على أنه لا مانع لأحد من الإيمان، و أنهم يستحقون الدم و الإنكار بتركه كقوله تعالى: و ما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى «٤»، فما لهم عن التذكرة مغرضين «٥» فما لهم لا يؤمنون «٦»، و ما ذا عليهم لو آمنوا بالله و اليوم الآخر و أنفقوا مما رزقهم الله «٧»، ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك «٨».

فلو كانوا ممنوعين من الإيمان غير قادرين عليه لما استحقوا الدم و العقاب ألبته، و كيف يجوز من له حظ من الشعور أن يأمر المولى عبده بالطيران في الهواء مع علمه بعجزه عن ذلك، أو يكلفه بالذهاب الى السوق مع حبسه عنه بحيث لا يقدر عليه، ثم يذمه و يعاقبه على العصيان و المخالفة.

ألا ترى أن العقلاء مطبقون حينئذ على ذمه و توبيخه و الحكم عليه بارتكاب

(١) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٢) سورة الطلاق: ٧.

(٣) سورة الحج: ٧٨.

(٤) الإسراء: ٩٤-الكهف: ٥٥.

(٥) سورة المدثر: ٤٩.

(٦) الانشقاق: ٢٠.

(٧) سورة النساء: ٣٩.

(٨) سورة الأعراف: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٣٢

القيح و الظلم، فهل ترى الله سبحانه و هو العليم الحكيم الرؤوف الرحيم أن يرتكب ما ينسب فاعله الى السفاحة و سخافة الرأى و الجهالة و الظلم.

و لقد أجاد فيما أفاد الصاحب بن عباد «١» حيث قال: كيف يأمر الله الكفار بالإيمان و قد منعهم عنه أو ينهاهم عن الكفر و قد حملهم

عليه، و كيف يصرفهم عن الايمان ثم يقول: أَنَّى يُصْرَفُونَ «٢» و خلق فيهم الإفك ثم قال: أَنَّى يُؤْفَكُونَ\* «٣»، و جعل فيهم الكفر، ثم يقول: كَيْفَ تَكْفُرُونَ\* «٤»، و جبلهم على الصد، ثم يقول: لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ «٥» و حال بينهم و بين الايمان ثم قال: وَ مَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ «٦» و ذهب بهم عن الرشد ثم قال: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ «٧» و أضلهم حتى أعرضوا عن الدين، ثم قال: فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ «٨».

و اعلم أن التعبير بالمعارضه إنما هو مع تسليم ما ذكره من دلالة الآية على وقوع التكليف بما لا يطاق و لو بمعونه ما ذكره من المقدمات، و إلا فعلى ما هو الحق من عدم دلالة الآية أصلا فلا تعارض بينهما على وجه حسبا تسمع. الجواب الثاني النقص بعلمه سبحانه بالنسبة إلى أفعاله و تروكه، حيث إنه يلزم على ما قرره أن لا يكون سبحانه قادرا على شىء من الممكنات التي يوجد

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد الطالقاني المتوفى (٣٨٥) هـ.

(٢) المؤمن: ٦٩.

(٣) المائدة: ٧٥.

(٤) البقرة: ٢٨.

(٥) آل عمران: ٩٩.

(٦) النساء: ٣٩.

(٧) التكوير: ٢٦.

(٨) المدثر: ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٣٣

فى ظرف الخارج أولا، فإن ما علم وقوعه واجب الوقوع، و الذى علم عدم وقوعه و لو مع إمكانه الذاتى فهو ممتنع الوقوع، كيف و لو وجد هذا، أو لم يوجد الأول لا نقلب علمه جهلا حسبا قرره، و قضيه بطلانه سلب القدرة عنه، و هو كفر صريح على اتفاق منهم. بل و يلزمهم نفى القدرة من العبيد أيضا فيما ينسب إليهم من الأفعال و التروك، لأن ما علم الله تعالى وقوعه منهم كان واجب الوقوع و الذى علم عدمه كان ممتنع الوقوع، و لا قدرة على الواقع و لا على الممتنع و الضرورة قاضيه بإثبات القدرة بالنسبة الى طرفى الفعل، مضافا الى خصوص ما ذكرناه فى غير هذا الموضع من اثبات الاختيار.

الثالث ما ينحل به أصل الشبهة، و هو أن قضيه العلم انكشاف، الواقع على ما هو عليه لا التأثير فى وقوعه أو تغييره عما هو عليه، و لذا لو فرضنا فاعلا- يصدر عنه أفعاله باختياره، و فرضنا أن لا- علم لأحد بشىء من أفعاله بوجه كانت أفعاله جارية على ما هو عليه من الاختيار، فلو فرضنا علم عالم بها قبل وقوعها منه فمن البين أنه لا يتغير حال ذلك الفاعل المختار فى الواقع من جهة علم العالم بها و لو مع فرض استحالة عدم مطابقتها علم ذلك العالم للواقع، لأن مرجعها إلى استحالة انكشاف غير ما يقع من الفاعل باختياره له، لا إلى تأثير علمه فى وقوع ما يقع منه.

ألا ترى أن علمك بحرارة النار، و إضاءة الشمس و طلوعها فى غد، و قيام الساعة و نحوها من المعلومات الحالية أو الآتية مما تقضى به الضرورة القطعية بحيث لا- تجد مساعا للشك فيها و لا لاحتمال مخالفتها للواقع، و مع ذلك فأنت تعلم علما ضروريا بأنه لا تأثير لعلمك فى شىء منها و لا مدخلية له فى وقوعها أصلا، و بالجملة لا فرق بين أن يكون متعلق العلم من الأفعال الإرادية أو الطبيعية أو الإبداعية فى عدم التأثير فيها بتغييرها عما هى عليها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٣٤



و من هنا يتضح الجواب عن أصل الشبهة بوجوها المقررة.

أمّا على التقرير الأوّل فلاّنه سبحانه إنّما أخبر عنهم بعدم الإيمان لكونه هو الواقع منهم باختيارهم، و لو كانوا يختارون الإيمان فكان سبحانه يخبر عنهم بالإيمان، ألا- ترى أنّه لو أخبرك مخبر صادق بأنّ زيدا يعطيك درهما بإرادته و اختياره فلا ريب أنّه في حال الإيعطاء قادر مختار و قد اختار بإرادته الإيعطاء، و لو شاء لم يعطك الدرهم، لكنّه لما كان يختار الإيعطاء تعلّق به علم العالم و إخباره، و هو واضح جدًا.

و لذا ترى كثيرا من الذاهيين الى مذهب الأشعريّة و المعتقدين بأصولهم قد ضعّفوا الاستدلال بالآية، حتى أنّ القاضي «١» قال: و الحقّ أنّ التكليف بالمتنع لذاته و إن جاز عقلا من حيث إنّ الأحكام لا يستدعي غرضا سيّما الامتثال لكنّه غير واقع للاستقراء، و الإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة عليه، كإخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره.

و ممّا ذكرناه يظهر الجواب عن الثاني أيضا.

و عن الثالث أنّ أبا لهب كان مكلفا بالإيمان و لم يؤمن بالنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، و لما علم سبحانه أنّه لم يؤمن و لا يؤمن بعد ذلك أخبر عمّا يقع منه و لو كان في الواقع ممّن يؤمن لكان خبر الصادق مطابقا له، فهو مكلف بتصديق الصادق و صدق كفره إنّما لوقوعه في متن الواقع فكان من مصاديق الصدق و إذا لم يكن منه كفر فلا علم و لا إخبار و لا تكليف بالتصديق بعدم الإيمان و إن كان التكليف بالتصديق مستمرّ.

و منه يظهر الجواب عن الرابع أيضا.

(١) هو القاضي الباقلاني ابو بكر محمد بن الطيب البغدادي ناصر طريقة الاشاعرة توفّي سنة (٤٠٣) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٣٥

و عن الخامس أنّه و إن لم يكن للعبد قدرة على قلب علمه تعالى إلّا أنّ ذلك لا ينافي القدرة على خلاف ما اختاره، فإنّ الإيمان من كل أحد ممكن في ذاته و القدرة قائمة بالنسبة إليه وجودا و عدما، و لا بدّ أن يكون علمه بالفعل الاختياري على ما هو عليه من وقوعه من فاعله على وجه الإختيار، و حينئذ فيرجع الحاصل إلى أنّه سبحانه عالم بأنّ الفاعل المختار يفعل كذا مختارا حال قدرته على خلاف ما يفعله.

و أمّا استحالة قلب علمه سبحانه جهلا فمرجعها إلى استحالة علمه تعالى بخلاف ما يقع منك بقدرتك إلى استحالة قدرتك على خلاف ما علمه، فأنت قادر في نفسك على خلاف ما علمه، و إن استحال في حقّه سبحانه أن يعلم خلاف ما عمله.

و عن السادس أنّه اجنبيّ عن المقام حسبا تسمعه في تفسير الآية ان شاء الله تعالى.

و أمّا ما يقال في الجواب من أصل الشبهة: من أنّ الإيمان في نفسه ممكن، فلو تعلّق علم الواجب بإيجابه كان جهلا، أو بإمكانه فلا يكون واجبا، و لو انقلب بالعلم واجبا لكان العلم مؤثرا في الانقلاب و هو غير معقول.

فمرجه الى ما سمعت، و إن كان لا يخلو من تسامح في التعبير.

و كذا ما يحكى عن المحقّق الطوسي: من أنّ العلم تابع للمعلوم فلا يكون مقتضيا للوجوب أو الامتناع.

نعم قد يورد عليه بأنّه إنّما يستقيم في العلم الانفعالي لا الفعلي، و فيه تأمل يظهر بما ستمعه في معنى علمه المتعالي عن إحاطة البشر به و بكيفيته، فإنّه عين ذاته بلا مغايرة أصلا، نعم نعلم أنّه لا يخفى عليه شيء كما علمنا في كتابه.

و من جميع ما مرّ يظهر النظر فيما سمعت عن الرازي الناشئ عن فرط

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٣٦

قصوره، و ضعف شعوره حيث تعامى عن الحق فلم يشعر بحسّه و لمسّه، و قاس غيره بنفسه.

و أغرب من ذلك ما افتراه على هشام، مع أنه من أجلة أصحابنا في الكلام، و من خواص الإمام عليه الصلاة و السلام، و له إلزامات و تشنيعات على المخالفين حتى اشتهر بذلك بين الفريقين، و لعله مضافا الى عدم فهم مقاصده هو العمدة في نسبة أمثال تلك الافتراءات عليه حتى حكى الرازي في تفسيره عنه أنه قال: إن الله سبحانه لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، أو أنه يجوز البداء على الله تعالى، و أنه قال:

إِنَّ قَوْلَهُ: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ... إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِدْلَالِ بِالْأَمَارَةِ وَ يَجُوزُ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ خِلَافُ مَا ذَكَرَهُ. وَ هُوَ كَمَا تَرَى فَرِيَةً بِلَا مَرِيَّةٍ.

### إعجاز الآية الكريمة

في هذه الآية معجزة من حيث تضمنها للإخبار من الغيب الذي هو عدم إيمان هؤلاء الكفار فيما بعد بناء على نزولها في حق أشخاص بأعيانهم على ما

روى عن مولانا الإمام العسكري عن الإمام الباقر عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قدم المدينة و ظهرت آثار صدقه و آيات حقه، و بينات نبوته كادته اليهود أشد كيد، و قصدوه أقبح قصد، يقصدون أنواره ليطمسوها، و حججه ليطلوها، فكان ممن قصده بالرد عليه و تكذيبه مالك بن الصيف، و كعب بن الأشرف، و حيي بن الأخطب، و أبو ياسر بن الأخطب، و أبو لبابة بن عبد المنذر فقال مالك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا محمد ترعم أنك رسول الله؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كذلك قال الله خالق الخالق أجمعين، قال: يا محمد لن تؤمن أنك رسول الله حتى يؤمن لك هذا البساط الذي تحتنا، و لن نشهد أنك من الله جئنا حتى يشهد لك هذا البساط.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٣٧

و قال أبو لبابة بن عبد المنذر: لن تؤمن لك يا محمد أنك رسول الله و لا نشهد لك به حتى يؤمن و يشهد لك به هذا السوط الذي في يدي.

و قال كعب بن الأشرف: لن تؤمن لك أنك رسول الله و لن نصدق به حتى يؤمن لك هذا الحمار الذي أركبه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنه ليس للعباد الاقتراح على الله تعالى، بل عليهم التسليم لله، و الانقياد لأمره و الاكتفاء بما جعله كافيا، أما كفاكم أن أنطق التوراة و الإنجيل و الزبور و صحف ابراهيم بنوتي، و دل على صدقي، و بين فيها ذكر أخي و وصيي، و خيلفتي في أمتي، و خير من أتركه على الخلائق من بعدى على بن أبي طالب، و أنزل علي هذا القرآن الباهر للخلق أجمع، المعجز لهم أن يأتوا بمثله و إن تكلفوا شبهه، و أما هذا الذي اقترحموه فلست أقترحه على ربي عز و جل، بل أقول:

إن ما أعطانيه ربي تعالى من دلالاته هو حسبي و حسبكم فإن فعل عز و جل ما اقترحموه فذاك زائد في تطوله علينا و عليكم، و ان منعنا ذلك فلعلمه بأن الذي فعله كاف فيما أراد منّا.

قال: فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كلامه هذا انطق البساط فقال: أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له إلهها واحدا أحدا صمدا قيوما أبدا لم يتخذ صاحبة و لا وكدا و لم يشرك في حكمه أحدا، و أشهد أنك يا محمد عبده و رسوله أرسلك بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون\*، و أشهد أن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أخوك و وصيك و خيلفتك في امتك و خير من تركته على الخلائق بعدك، و أن من والاه فقد والاك، و من عاداه فقد عاداك، و من أطاعه فقد أطاعك، و من عصاه فقد عصاك، و من أطاعك فقد أطاع الله و استحق السعادة برضوانه، و أن من عصاك فقد عصى الله و استحق أليم العذاب.

قال: فعجب القوم، و قال بعضهم لبعض: ما هذا إلا سحر مبین، فاضطرب

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٣٨

البساط و ارتفع و نكس مالك بن الضيف و أصحابه عنه حتى وقعوا على رؤوسهم و وجوههم، ثم أنطق الله تعالى البساط ثانيا، فقال: أنا بساط أنطقني الله و اكرمني بالنطق بتوحيده و تمجيده و الشهادة لمحمد نبيه بأنه سيد أنبيائه و رسله الى خلقه، و القائم بين عباد الله بحقه، و بامامة أخيه و وصيه، و وزيره، و شقيقه و خليله، و قاضي ديونه، و منجر عداته و ناصر أوليائه، و قامع أعدائه، و الانتقاد لمن نصبه إماما و وليا، و البراءة ممن اتخذ منابذا و عدوا، فما ينبغي لكافر أن يطنني و لا أن يجلس عليّ، إنما يجلس عليّ المؤمنون. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لسلمان، و مقداد، و أبي ذر، و عمار: قوموا فاجلسوا عليه.

ثم أنطق الله سوط أبي لبابة بن عبد المنذر، فقال: أشهد أن لا اله إلا الله، خالق الخلق، و باسط الرزق، و مدبر الأمر و القادر على كل شيء، و أشهد أنك يا محمد عبده و رسوله و صفيه و خليله، و حبيبه، و نجيّه، و جعلك السفير بينه و بين عباده لينجي، بك السعداء، و يهلك بك الأشقياء، و أشهد أن علي بن أبي طالب المذكور في الملاء الأعلى بأنه خير الخلق بعدك، و أنه المقاتل على تنزيل كتابك ليسوق مخالفه الى قبوله طائعين و كارهين، ثم المقاتل بعدك على تأويله المنحرفين الذين غلبت أهوائهم عقولهم، فحرفوا تأويل كتاب الله و غيروه، و السابق الى رضوان الله أولياء الله بفضل عطيته، و القاذف في نيران الله اعداء الله بسيف نقمته، و المؤثرين لمعصيته و مخالفته.

قال: ثم انجذب السوط من يد أبي لبابة و جذب أبا لبابة فخرّ لوجهه، ثم قام بعد فجذبه السوط فخرّ لوجهه ثم لم يزل كذلك مرارا حتى قال أبو لبابة: و يلي ما لي؟ فانطق الله عزّ و جلّ السوط، فقال: يا أبا لبابة إنني سوط قد انطقني الله بتوحيده، و اكرمني بتحميده، و شرفني بتصديق نبوة محمد سيد عبيده، و جعلني ممن يوالي

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٣٩

خير خلق الله بعده، و أفضل أولياء الله من الخلق أخيه و المخصوص بابنته سيده النسوان، و المشرف بيتوته على فراشه أفضل الجهاد، و المذل لأعدائه بسيف الانتقام، و الميّن لأمتة علوم الحلال و الحرام، و الشرائع و الأحكام، ما ينبغي لكافر مجاهر بالخلاف على محمد أن يتذلني و يستعملني، لا أزال أجذبك حتى أثنك ثم أقتلك و أزول عن يدك، أو تظهر الايمان بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم.

فقال أبو لبابة: فأشهد بجميع ما شهدت به أيها السوط و اعتقده و أو من به، فنطق السوط: ها أنا ذا قد تقررت في يدك لإظهارك الإيمان، و الله أعلم بسريرتك، و هو الحاكم لك أو عليك في يوم الوقت المعلوم. قال عليه السلام: و لم يحسن إسلامه، و كانت منه هنات، و هنات.

فقام القوم من عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فجعلت اليهود يسرّ بعضها إلى بعض بأن محمدا لمؤتى له، و مبخوت «١» في أمره، و ليس بنبي صادق.

و جاء كعب بن الأشرف يركب حمارة فشبّ به الحمار و صرعه على رأسه فأوجعه، ثم عاد ليركبه فعاد إليه الحمار بمثل صنيعه، ثم عاد ليركبه فعاد عليه الحمار بمثل صنيعه، فلما كان في السابعة أو الثامنة أنطق الله تعالى الحمار فقال: يا عبد الله بشس العبد أنت، شاهدت آياتي و كفرت بها.

أنا حمار قد اكرمني الله بتوحيده، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خالق الأنام ذو الجلال و الإكرام، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، سيد أهل دار السلام، مبعوث لإسعاد من سبق علم الله له بالسعادة، و إشقاء من سبق الكتاب عليه بالشقاوة و اشهد أن علي بن أبي طالب وليه و وصي رسول الله، يسعد الله من يسعده إذا وفقه الله لقبول مواعظته، و التأدب بأدبه، و الايتمار بأوامره و الانزجار بزواجره، و أن

(١) المبخوت: المحظوظ في أمره.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٤٠

اللّه تعالى بسيف سوطته وصولات نعمته يكتب و يخزي أعداء محمّد حتى يسوقهم بسيفه الباتر و دليله الواضح الباهر إلى الايمان به، أو يقذفه اللّه في الهاوية إذا أبى إلّا تماديا في غيه، و امتدادا في طغيانه و عمه «١».

ما ينبغي الكافر أن يركبني، بل لا يركبني إلّا مؤمن باللّه مصدّق بمحمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في أقواله مصوّب له في جميع أفعاله و في فعل أشرف الطاعات في نصبه أخاه عليا وصيا و وليا، و لعلمه وارثا، و بدينه قيما، و على أمته مهيمنا، و لديونه قاضيا، و لعداته منجزا، و لأوليائه مواليا، و لأعدائه معاديا.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا كعب بن الأشرف حمارك خير منك قد أبى أن تركبه، فلن تركبه أبدا، فبعه من بعض إخواننا المؤمنين.

فقال كعب: لا حاجة لي فيه بعد أن ضرب بسحرك، فداده حمار: يا عدو اللّه كفّ عن تجهم محمّد رسول اللّه، و اللّه لولا كراهيته مخالفته لقتلتك و وطأتك بحوافري، و لقطعت رأسك بأسناني، فخزي و سكت، و اشتدّ جزعه ممّا سمع من الحمار، و مع ذلك غلب عليه الشقاء، و اشترى منه الحمار ثابت بن قيس بمائة دينار، و كان يركبه و يجيء الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و هو تحته هين لئذ دليل كريم يقيه المتالف، و يرفق به في المسالك، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا ثابت هذا لك و أنت مؤمن ترتفق بحمار مؤمن.

فلما انصرف القوم من عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لم يؤمنوا أنزل اللّه يا محمّد:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ، و وعظتهم و خوفتهم، أم لم تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ، لا يصدّقون بنبوتك، و هم قد شاهدوا هذه الآيات و كفروا فكيف

(١) العمه: التخيّر و التردد في الضلال.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٤١

يؤمنون بك عند قولك و دعائك «١».

## [سورة البقرة (٢): آية ٧]

### إشارة

تفسير الآية (٧) خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ و عَلَى سَمْعِهِمْ و عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً لِّمَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُمْ لا يختارون الايمان، و أن الإنذار و عدمه عليهم سيان، أشار في هذه الآية إلى ما هو بمنزلة التعليل لا حكمين، مع ما فيها من التنبيه على ترتبه بين المسببين و الإشارة إلى الأمر بين الأمرين.

و الختم نظير الطبع و هو التأثير في الطين و نحوه، يضرب الخاتم عليه (بالفتح) و الختام: الطين، يختم عليه لكنمه، و من هنا قيل: الختم و الكتم أخوان، و ختمت القرآن: بلغت آخره، و ختم له بالخير: انتهى إليه خاتمته و هي عاقبته و آخرته،

### معنى الختم و القلب

و ختم على قلبه: جعله لا- يفهم شيئا و لا- يخرج منه شيء من الخير، كأنه وسم بعلامته، او ضرب عليه ما يمنعه من دخول الخير منع

الختم الأوانى.

و الصلة فى مثله بعلى، و فى مثل ختم له بالخير باللام، و لم يسمع استعماله من دون صلة، و إن قيل: لا يمتنع فيه ذلك.

(١) التفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام ص ٣٣-٣٦ و عنه بحار الأنوار ج ١٧ ص ٣٠٢-٣٠٧ ح ١٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٤٢

### معنى القلب و أقسامه

و القلب قلبان:

قلب ظاهرى، و هو اللحم الصنوبرى الذى له أذنان و تجوفان يتخلص إليه لطائف الكيموس فتستحيل فيه بخارا يتكون منه الروح الحيوانى الذى هو أصل الأرواح و مادتها و مركبها.

و قلب باطنى، و هو لطيفة ربانية يعبر عنها باللب، و العقل، و الفؤاد، و الروح، و النفس، و المشار إليه بأنا، و مقرّ اليقين، و مدرك المعانى، و ملك البدن، و غيرها من الألقاب التى إذا اجتمعت افترت، و إذا افترت اجتمعت، و هو بالمعنيين المضغة التى فى بدن ابن آدم إذا صلحت صلح البدن كله، و إذا فسدت فسدت البدن كله.

و سمي ذلك لتقلبه فى معانى مدركاته، و انقلابه بخواطره، و لذا قيل:

ما سمي القلب إنما من تقلبه و الرأى يعزب و الإنسان أطوار أو لأن قلب كل شىء خالصة و ليه، أو لأنه الأوسط من قلب النخلة لشحمتها، أو أجود خصوصها، أو لأنه تقلب فيه المعانى أى تفرغ.

أو أنه قالب الخواطر بفتح اللام على الأكثر لانطباعها فيه على حسب هيئته و شكله، فإن القلب الصالح يخطر فيه الأفكار الحسنه، و التيات الصالحه، و ينبعث منه العزم و القوة على الطاعات، و القلب الطالح لا يخطر فيه إلا الشرور و القبائح و الوسوس الشيطانية، و الأوهام الرديئة الحيوانية، و ينبعث منه الحيل و الانحرافات، و اتباع الشهوات.

و فى الخبر: القلوب أربعة: قلب فيه نفاق و إيمان، إذا أدرك الموت صاحبه على نفاقه هلك، و إن أدركه على إيمانه نجى، و قلب منكوس، و هو قلب المشرك، و قلب مطبوع و هو قلب المنافق، و قلب أزهر أجرد، و هو قلب المؤمن، فيه كهية

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٤٣

السراج، إن أعطاه الله شكر، و إن ابتلاه صبر (١).

و هذا الأخير هو المشار إليه فى الآية الكريمة: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ (٢)، أى حاضر القلب، فإن أصحاب القلوب هم العلماء الربانيون، و أرباب الأسماع هم المتعلمون على سبيل النجاة، و الفرقة الثالثة همج راع، أتباع كل ناعق يميلون مع كل ربح، و هم المشار إليهم بالآيات المشتملة على الختم و الطبع، و نحوهما.

و أما ما فى «الذهبية» التى كتبها مولانا الرضا عليه التحية و الثناء إلى المأمون

حيث قال: فملك الجسد هو القلب، و العمال هم العروق و الأوصال و الدماغ، و بيت الملك قلبه، و أرضه الجسد ... الخبر (٣).

فالمراد بالقلب الأول هو الروح، و بالثانى اللحم الصنوبرى، أو الأولى النفس، و الثانى الروح البخارى.

و بالجملة للقلب إطلاقات كثيرة فى الكتاب و السنه، و ربما يخص كل من النفس، و الروح، و الصدر، و القلب، و العقل، و الفؤاد، و سرّ الفؤاد بمعنى من المعانى، أو مرتبة من المراتب، و كأنه اصطلاح حادث فلا مشاحية فيه، لكنه لا يحمل عليها المطلقات من تلك الألفاظ، فإنها بالنسبة الى تلك الألفاظ شرع سواء، نعم ربما يستفاد من خصوص المقام إرادة البعض.

و يقال كل من السمع و البصر للجارحة، و للقوة، و لفعالها، و بمعنى المفعول، و لإدراك النفس، و هو من مشاعر القلب الباطنة كما أن

## الحاسنين من مشاعرها

(١) منقول بالمعنى عن البحار ج ٦٧ ص ٥٠ عن معانى الاخبار ص ٣٩٥.

(٢) سورة ق: ٣٧.

(٣) بحار الأنوار ج ٥٩ ص ٣٠٩ ط بيروت.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٤٤

الظاهرة، و يقال: البصيرة فى مقابلة البصر، و بصرت (بضم الضاد و كسرهما) أى علمت بصرا.

## علة وحدة السمع

و إنما وُحِدَ السَّمْعُ لاعتبار الأصل فإنه فى الأصل مصدر، و المصادر لا يثنى و لا يجمع، كقوله تعالى: هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ «١»، هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ «٢»، وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ «٣».

أو للأمن من اللبس كما فى قوله: كلوا فى بعض بطنكم تعيشوا.

يفعلون ذلك إذا أمنوا اللبس، فإذا لم يؤمنوا كقولك: عبدهم، و دارهم و أنت تريد الجمع رفضوه.

أو على تقدير مضاف مثل و على حواس سمعهم، و هو كما ترى، مضافا الى اشتراك الكل فى إفادة صحه إفراده لا إيثار إفراده من بين أخويه.

و عن سيويه: أنه و إن وُحِدَ لفظه إلا أنه ذكر مال قبله و ما بعده بلفظ الجمع.

و عن بعضهم: أن النكتة فى توحيد أن مدركاته نوع واحد و هو الصوت، و مدركاتها أنواع مختلفة.

و ما قيل: من أن دلالة وحدته على وحدة متعلقه لا تعلم من أى الدلالات مدفوع بأنها من الدلالات الالتزامية التى يكتفى فيها بأى لزوم كان، و لو بحسب الاعتقاد فى اعتبارات البلغاء.

(١) سورة ص: ٢١.

(٢) سورة الذاريات: ٢٤.

(٣) سورة فصلت: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٤٥

و لكن مع ذلك كله لا يخفى أن كلها تكلفات و تحرصات و المتجه هو الوجه الأول.

و توهم أن القلب و البصر مشتركان معه فى النقل من المصدرية مدفوع بأنه قد غلب عليهما حكم الاسم دون السمع لبقائه على حكم الأصل و لذا وُحِدَ لفظا و لو فى سياق الجمع كما ذكر فى القرآن كقوله تعالى: إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُولُونَ «١»، وَ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ «٢»، وَ جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ \* «٣»، وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ «٤»، وَ جَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْئِدَةً «٥».

الآية مع أن مرادفه على بعض الوجوه و هو الأذن قد جمعت فى مثل هذا السياق كلما ذكرت كقوله: لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا «٦»، أ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا «٧»، أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا «٨»، وَ قَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَ فِي آذَانِنَا وَقْرٌ «٩».

- (١) الشعراء: ٢١٢.
- (٢) يونس: ٣١.
- (٣) النحل: ٧٨.
- (٤) المؤمنون: ٧٨.
- (٥) الأحقاف: ٢٦.
- (٦) الأعراف: ١٧٩.
- (٧) الحج: ٤٦.
- (٨) الأعراف: ١٩٥.
- (٩) فصلت: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٤٦

ومن التأمل في هذه الآيات و غيرها مما مرّ يظهر أنّه لا يجدى جعل السّمع عبارة عن القوّة و الأذن عبارة عن الجارحة او العكس، و لأكون أحدهما من الحواس الظاهرة و الآخر من الباطنة، بل الأولى ما سمعت و يؤيّده ما فى «القاموس» قال: السّمع حسّ الأذن و الأذن إلى أن قال: و يكون للواحد و الجمع آه.

إلى غير ذلك ممّا يستفاد منه أنّ السّمع دلّ على ذلك فلا يقاس عليه غيره حتّى الأذن، نعم إذا كان بمعنى المقابل لما يقال له كان للواحد و الجمع كالسمع كما أنّه قد دلّ على تأنيث الأذن فلا يقاس عليه السّمع. و الغشاوة و الغشوة بالتثني فيهما هو الغطاء و كذا الغشاء بالكسر.

قال فى «المصباح»: هو اسم من غشيت الشىء بالثقل إذا غطيته و يقال: إنّ هذا البناء و هو فعالة لما يشتمل على الشىء كالعصابة و العمامة و القلادة، و كذلك كلّ ما استولى على شىء فان اسم ما استولى عليه الفعالة كالإمارة و الخلافة إمّا تسمية أسماء الصّناعات بها كالخياطة و النّساجة و القصارة فلما فى معنى الصّناعة من الحياطة الحاصلة بالمزاولة و حصول الملكة.

و «على سَمِعِهِمْ» و إن احتمل اتّصاله بما قبله و بما بعده إلا أنّ الأوّل أولى، فيكون معطوفا على قلوبهم للتخلّص عن مخالفة الأصل من تقديم ما حقه التأخير و حذف المبتدا على وجه، و لما يأتى عن الإمام عليه السّلام فى تفسيره لمعنى الختم حسبما تسمع، و للوقف عليه اتفاقا على ما قيل، و لقوله: وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً «١».

و لأنّ القلب و السّمع لهما اشتراك فى الإدراك من جميع الجهات جعل ما يمنعها من فعلهما الختم المانع من جميع الجهات بخلاف الأبصار التى إدراكها

- (١) الجاثية: ٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٤٧

مختص بجهة المقابلة و المحاذات و لذا جعل المانع لها عن فعلها الغطاء المختص بتلك الجهة. و توهم أنّ الغشاوة تابع للمغشى إدراكا و ضعافا فإن كان إدراك المغشى من جهة واحدة منعتها منها أو من جميع الجهات فمن الجميع. مدفوع بأنّ المتعارف فى الغشاوة التى هى الستارة و الغطاء اختصاص منعها بجهة واحدة و إن مرّ التصريح عنهم بان زنة فعالة للمشتمل على الشىء فتأمل.

و في تكرير الجار دلالة على شدة الختم لدلالة زيادة المبني على زيادة المعنى و دلالة الجار على الاحاطة، و لظهور استقلال كل من الرّبطين في الحكم، و لم يقصد إفادة هذه الشدة في قوله: وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ و لذا اُخْرِفَ فِيهِ الْقَلْبَ الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ فِي الْخَتْمِ دُونَ الْمَقَامِ الَّذِي قُصِدَ فِيهِ بَيَانُ شِدَّةِ إِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ مَعَ الْإِنذَارِ وَ عَدَمِهِ، وَ تَنْكِيرُ غِشَاوَةٍ لِلتَّعْظِيمِ أَيْ غِشَاوَةٍ عَظِيمَةٍ تَحْجُبُ أَبْصَارَهُمْ وَ بَصَائِرَهُمْ بِالْكَلِيَّةِ فَلَا تَنْجِحُ فِي رَفْعِهَا وَ الْكُشْفِ عَنْهَا الْآيَاتِ وَ النَّذْرِ أَوْ لِإِفَادَةِ النُّوعِيَّةِ أَيْ نَوْعٍ مِنَ الْأَغْشِيَّةِ غَيْرِ مَا يَتَعَارَفُهُ النَّاسُ وَ هُوَ التَّعَامِي عَنْ آيَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ النَّظَرِ إِلَى الدُّنْيَا لَا بِهَا وَ فِيهَا،

فَإِنَّ مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصِيرَتَهُ وَ مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ كَمَا عَنْ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «١». وَ فِي كَلَامِ آخِرِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَ إِنَّمَا الدُّنْيَا مَنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى لَا يَبْصُرُ مِمَّا وَرَائِهَا شَيْئًا وَ الْبَصِيرُ يَنْفِذُهَا بِبَصَرِهَا وَ يَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَائِهَا فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ وَ الْأَعْمَى

(١) فِي الْبَحَارِ ج ٧٥ ص ٢٣: وَ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ، وَ مَنْ بَصَرَ بِهَا بَصْرَتَهُ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٤٨

إِلَيْهَا شَاخِصٌ وَ الْبَصِيرُ مِنْهَا مَتْرُودٌ وَ الْأَعْمَى لَهَا مَتْرُودٌ «١».

### تتمّة في أمور مهمّة

### وجوه القراءة في الآية

أحدها: أَنَّ فِي الْآيَةِ وَجُوهًا مِنَ الْقِرَاءَةِ.

مِنْهَا مَا فِي «الْكَشَافِ» وَ «تَفْسِيرِ الرَّازِي» عَنْ ابْنِ أَبِي عِبْلَةَ «٢» وَ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ وَ كَأَنَّهُ لَلْقِيَاسِ بِطَرْفِيهِ وَ قَدْ مَرَّ مَا فِيهِ. وَ مِنْهَا: اخْتِلَافُهُمْ فِي غِشَاوَةٍ مِنْ حَيْثُ الْإِعْرَابِ وَ الْهَيْئَةِ وَ الْمَادَّةِ فَالْمَشْهُورُ فِيهَا كَسْرُ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةُ وَ الرَّفْعُ بِالْإِبْتِدَاءِ عِنْدَ سَيِّبِيهِ، وَ بِالظَّرْفِ يَعْنِي بِالْفِعْلِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ ذَلِكَ كَمَا عَنْ الْأَخْفَشِ فِي نِظَائِرِ الْبَابِ. وَ فِي الشَّوَاذِ عَنْ عَاصِمٍ غِشَاوَةٌ بِالتَّصْبِ بِإِضْمَارِ فِعْلِ أَيْ وَ جَعَلَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَ إِنَّمَا حَذَفَ لِلْعِلْمِ بِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: عَلَفَتْهَا تَبْنَا وَ مَاءٌ بَارِدًا أَيْ وَ سَقَيْتَهَا.

وَ أَمَّا خُصُوصُ الْفِعْلِ فَلِلْأَيَةِ الْآخَرَى وَ جَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً «٣».

أَوْ بِنَزْعِ الْخَافِضِ كَأَنَّهُ قَالَ: وَ خَتَمَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ بِغِشَاوَةٍ وَ ضَعَّفَ بِأَنَّهُ فَصَلَ بَيْنَ حُرْفِ الْعَطْفِ وَ الْمَعْطُوفِ بِهِ وَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَجُوزُ فِي الشَّعْرِ كَمَا أَنَّ الْأَوَّلَ وَ هُوَ حَذْفُ التَّصَابُحِ لَا- يَوْجَدُ أَيْضًا فِي حَالِ الْإِخْتِيَارِ وَ فِيهِ تَأَمُّلٌ وَ الْغِشَاوَةُ يُمْكِنُ تَعَلُّقُهَا بِالْفِعْلِ الْمُضَافِ إِلَى الثَّلَاثَةِ فَيَنْدَفِعُ الْمَحْذُورُ إِلَّا أَنَّ قِضِيَّةَ التَّوْقِيفِ الْحُكْمِ بَتَعْيِينِ الْمَشْهُورِ بِلَا

(١) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ مِنَ الْخُطْبَةِ ١٣٣.

(٢) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي عِبْلَةَ شَمْرُ بْنُ يَقْظَانَ الدَّمَشْقِيُّ الْمَقْرِيُّ تَوَفَّى سَنَةَ «١٥٢» بِدَمَشْقٍ عَنْ سَنِّ عَالِيَةٍ.

(٣) الْجَائِيَةُ: ٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٤٩

فَرَقَ بَيْنَ كَوْنِ الشَّدُوذِ قِيدًا لِقِرَاءَةِ عَاصِمٍ، أَوْ لِلزَّوَايَةِ عِنْدَ فَكَاثَتِهِمْ رَفْضُهَا رَأْسًا، وَ لَذَا لَمْ يَحْكُهَا عَنْهُ فِي «التَّيْسِيرِ» وَ «الشَّاطِئِيَّةِ» وَ «طَبِيبَةِ النَّشْرِ» وَ غَيْرِهَا مِنَ الْكُتُبِ الْمَعْدَّةِ لِبَيَانِ الْخِلَافِيَّاتِ.



كما أنّ من الشواذ أيضا ما حكاه في المجمع عن الحسن البصرى بضمّ الغين و رفع الآخر، و ما عن بعضهم من الفتح و النصب، و غشوة بالكسر و الرفع، و غشوة بالفتح و الرفع و النصب، و غشاوة بالعين المهملة و الرفع و هذه كلّها من الشواذ التي لا تجزى القراءة بها شرعا و إن اتحدت أو تقاربت لغة بحسب المعنى، فإنّ الغشاوة و الغشوة بمعنى مع جواز التثليث فيهما، و بالإهمال من العشا بالفتح و القصر كأنهم لا يرون الآيات النيرة الواضحة في ظلمات كفرهم و شركهم و جحودهم لما في أعينهم من العشاء و لولاها لأبصروها، لأنّها لظهورها لا تمنع الظلمة من رؤيتها إلّا لمن هو أعشى. و منها أنّه قرأ أبو عمرو، و الكسائي على أبصارهم بالإمالة و الباقون بالتفخيم.

## أقسام حجب القلب

### إشارة

ثانيها: إنّ الختم من جملة الحجب القلبية المانعة عن سطوع إشراق أنوار العلم و الهداية و المعرفة على قلب العبد، و ذلك أنّ للقلوب حجبا مختلفة في الرقة و الغلظة يختلف معها مراتب الإيمان و مراتب الكفر و هي سبعة.

### أولها و أرقها هو الغين

لغة في الغيم أو هو السحاب الرقيق الذي يكاد يضمحل و يتلاشى لرقته و لطافته أجزاءه و ورد في النبوي، أنّه ليغان على قلبي و أنّي تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٥٠ لأستغفرن في كلّ يوم سبعين مرّة «١». و في بعض الأخبار: مائة مرّة.

و هو و عفوه في حقهم عليه السلام لتحملهم ذنوب أوليائهم و شيعتهم و محبّهم، و لذا بناه للمفعول، و وصله بعلى، فيصيبهم من ذنوب أوليائهم ما يصيب أصل الشجرة إذا رهقت أوراقها الغبرة و ذلك أنّهم أصل الشجرة الطيبة و شيعتهم أوراقها كما في المقبرة «٢».

### ثانيها: الصدء

و في النهاية: «إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد»

هو أن يركبها الرين بمباشرة المعاصي و الآثام، فيذهب بجلائه «٣».

فإن الصدأ حجاب رقيق ينجلي بالتصفيه، و يزول بنور التجلي لبقاء الايمان معه، و لذا

قال الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إنّ للقلوب صداء كصداء النحاس فاجلوها بالاستغفار «٤».

و في معناه الترع المشار اليه بقوله تعالى: وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ \* «٥» و كذا المس في قوله: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ «٦».

(١) قال الطريحي في مجمع البحرين في كلمة «غين»: في الخبر: إنه ليغان على قلبي ... إلخ قال ابو عبيدة في معنى الحديث: اي يتغشى قلبي ما يلبسه، و قد بلغنا عن الأصمعي انه سئل عن الحديث فقال: عن قلب من يروى هذا؟ فقال السائل عن قلب النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال: لو كان عن غير النبي صلى الله عليه و آله و سلم لكنت افسره لك.

(٢) بحار الأنوار ج ٩ ص ١١٢.

(٣) البحار ج ٣٢ ص ٣٤٩.

(٤) البحار ج ٧٧ ص ١٧٤.

(٥) الأعراف: ٢٠٠.

(٦) الأعراف: ٢٠١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٥١

### ثالثها: الزبغ بمعنى الميل عن الحق

و لا يكون إلّا بعد الهداية و ارائة النّجدين:

طريق الهداية و الضّلاله، و هذا الميل مقتضى الطبيعه البشريّه و الظلمه الهيولانيّه و الشرور الامكانيّه و ازدحام القوى المتخالفه فى معترك النفس الإنسانيّه، و لا نجاه منها لأحد إلّا من أدركته من صلّه رحم آل محمد عليه السّلام رحمه رحيميّه، يعتصم بها بفاضل عصمتهم عليه السّلام، و يتقوى بها فى سلوك نجد الخير كلّما لاح له النّجدان.

و إلى كلّ ذلك و غيره الإشارة بقوله تعالى: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ «١».

ولذا

قال الصادق عليه السّلام: أكثروا و من ان تقولوا: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَ لَا تَوَمَّنُوا الزَّبِغَ «٢».

أقول: لأنّه أسرع إلى القلوب من اللّحظه إلى العين و كثيرا ما يخفى فى غير القلوب المصفاة إلى أن يستحکم.

ولذا ورد أنّ القلوب تزبغ و تعود إلى عماها و رداها «٣».

### رابعها: الطبع الذى هو فى الأصل الوسخ الشديدي يغشى السيف

ثمّ استعمل فيما يغشى القلب من ظلمة الآثام و درن الأوزار حتّى يكاد أن تكون طبيعه و سجيّه فيقلّ منه الخير جدّا بلّ طبع اللّهُ عَلَيَّهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا «٤» اى منهم، أو ايماننا قليلا، يعنى ببعض ما أنزل اللّهُ تعالى.

و روى العياشى عن الصّيادق عليه السّلام قال: إنّ رسول اللّهُ صلّى اللّهُ عليه و آله و سلّم كان يدعو أصحابه فمن أراد اللّهُ بهم خيرا سمع و عرف ما يدعوّه إليه، و من أراد به شرا طبع على قلبه

(١) آل عمران: ٨.

(٢) تفسير العياشى ج ١ ص ١٦٤ و عنه الصّافى ج ١ ص ٢٤٧ و البرهان ج ١ ص ٢٧٢.

(٣) تفسير البرهان ج ١ ص ٢٧٢ عن الكافى.

(٤) النساء: ١٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٥٢

فلا يسمع و لا يعقل و هو قوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ سَمِعَهُمْ وَ أَبْصَارِهِمْ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ «١» «٢».

### [خامسها: الختم

### الوجوه التى قيلت فى الختم

خامسها: الختم المشار اليه في هذه الآية المفسر بشدة الطبع بحيث لا يوصل إلى الشيء المختوم عليه او يوسم القلوب بسمه يعرفها من يعرفها من الملائكة و الأنبياء و الأولياء.

و في العيون عن الرضا عليه السلام قال: الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم «٣».

سادسها: الرين الذي

فسره مولانا الباقر عليه السلام بتغطية النكتة السوداء البيضاء فإذا غطي البياض لم يرجع صاحبه إلى خير ابدا

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ «٤» «٥».

سابعها: الإقفال بالكسر و هو سد جميع مسامع القلب و منافذه سدا بليغا ثم إقفالها بتيسير سبل الشر خزيا و خذلانا و تخليه بين العبد و نفسه.

قال الصادق عليه السلام: إن لك قلبا و مسامع، و إن الله إذا أراد أن يهدى عبدا فتح مسامع قلبه و إذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه فلا يصلح أبدا، و هو قول الله

(١) النحل: ١٠٨.

(٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٧٣.

(٣) عيون الاخبار ج ١ ص ١٢٣.

(٤) المطففين: ١٤-١٥.

(٥) راجع تفسير البرهان ج ٤ ص ٤٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٥٣

عزّ و جلّ أمّ على قلوب أقفالها «١» «٢».

و هذا مجمل الكلام في الإشارة إلى الحجب القلبي على ما يظهر لى من الآيات و الاخبار و المقصود الإشارة إلى نوع الحجب، و إلّا فقد وردت في المقام ألفاظ أخرى، بل المراتب المتقدمة ربما يطلق على بعضها اسم غيرها، و قد أشرنا إلى الحجب على نمط آخر عند التعرّض لوظائف التلاوة.

انّ في هذه الآية و التي قبلها اشارة لطيفة إلى الأمر بين الأمرين فانه نسب إليهم الكفر و الإصرار عليه و على ترك الايمان بحيث لا ينجح التبليغ و الإنذار عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم فضلا عن غيره فيهم أصلا و ذمهم على ذلك حتّى أوعدهم بالعذاب العظيم لكنّه نسب الختم إلى نفسه تعالى تنبيها على أنّ فيضه تعالى غير مقطوع عنهم في حال من الأحوال سواء اختاروا الكفر أو الايمان كما قال: كَلَّا نِمْدُ هُوَ لَاءِ وَ هُوَ لَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَ مَا كَانَ عَطَاءِ رَبِّكَ مَحْظُورًا «٣».

فالعطايا الالهية و الإمدادات الربانية من القدرة و الاستطاعة و ساير الأدوات و الآلات و غيرها واصلة إلى كلّ أحد في كلّ حال وصولا سيالا- اتصاليا بلا فرق بين أن يصرفها في الطاعة أو في المعصية، فان كان الفعل طاعة فقد أرشده الله و أمره و أقدره عليها و أتابه بفعالها، و إن كان معصية فقد بين له و نهاه و زجره و اقدره كيلا يكفّ الظالم من ظلمه قسرا و جبرا.

و إليه

أشار الصادق عليه السلام بقوله: شاء الله أن أكون مستطعا لما لم يشأ أن أكون فاعله «٤».

(١) سورة محمد صلى الله عليه و آله و سلم: ٢٤.

(٢) تفسير البرهان ج ٤ ص ١٨٦.

(٣) الإسراء: ٢٠.

(٤) التوحيد ص ٣٥٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٥٤

و

الرّضا عليه السّلام حيث ذكر عنده الجبر و التفويض فقال لأعطينكم «١» فى هذا أصلا لا تختلفون فيه و لا يخاصمكم عليه أحد إلّا كسرتموه، قلت إن رأيت ذلك، فقال، إنّ الله عزّ و جلّ لم يطع بإكراه، و لم يعص بغلبة، و لم يهمل العباد فى ملكه هو المالك لما ملكهم و القادر على ما أقدرهم عليه فإن ائتم العباد بطاعته لم يكن الله تعالى منها صادًا و لا عنها مانعا و إن ائتمرا بمعصيته و شاء أن يحول بينهم و بين ذلك فعل، و إن لم يحل و فعلوه فليس هو الذى أدخلهم فيه «٢»، الخبير.

و منه يظهر جواز استناد الآثار المترتبة على المعصية من الختم و الزين و الزين و غيرها حسبما سمعت إلى العبد لأنّه الفاعل المختار إلى الله تعالى لأنّه الواهب للفيوض و ربما يشعر به قوله تعالى: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ «٣»، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ «٤»، بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ «٥».

و من هنا يظهر الوجه فى نسبة الختم إليه سبحانه بناء على ما هو المعلوم من قواعد العدلية.

و ربما يذكر فيه وجوه آخر منها: أن المراد بالختم العلامة و إذا انتهى الكافر فى كفره إلى حالة يعلم الله تعالى أنّه لا يؤمن فإنّه تعالى يعلم على قلبه علامة يعرفه بها الملائكة و الأنبياء كما أنه تعالى جعل للمؤمنين سمة يعرفهم بها من يعرفهم، فيستغفرون له و يحفظون عليهم، قالوا و الفائدة فى تلك العلامة إما عائدة إلى الملائكة و الأنبياء و الأوصياء لأنهم متى علموا بتلك العلامة كونه كافرا ملعونا عند الله صار

(١) فى البحار ج ٥ ص ١٦: ألا أعطيكم.

(٢) بحار الأنوار ج ٥ ص ١٦.

(٣) الصف: ٥.

(٤) المنافقون: ٣.

(٥) النساء: ١٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٥٥

ذلك سببا منقرا لهم عنه، او إلى المكلف، فإنّه إذا علم أنّه متى آمن أحبته الملائكة و استغفروا له و انتشر له الذكر الجميل عندهم و صار ذلك باعثا قويا له فى الميل إلى الطاعات كما أنه إذا علم أنّه مع كفره يتنفر منه الملائكة و يبغضونه و يتبرءون منه و يلعنونه صار ذلك زاجرا له عن الكفر، و هذا الوجه هو المستفاد من كلام الامام عليه السلام حيث

قال فى تفسير الآية بعد ذكرها: أى وسمها بسمه يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظر إليها بأنهم الذين لا يؤمنون، و على سماعهم، كذلك بسمات و على أبصارهم غشاوة و ذلك أنهم لمّا أعرضوا عن النظر فيما كلفوه و قصّروا فيما أريد منهم جهلوا ما لزمهم الايمان به فصاروا كمن على عينيه غطاء لا- يبصر ما أمامه، فإنّ الله عزّ و جلّ يتعالى عن العبث و الفساد و عن مطالبه العباد بما قد منعهم بالقهر منه، فلا يأمرهم بمغالبة و لا بالمسير إلى ما قد صدّهم بالعجز منه «١».

أقول: و فيه إبطال لمذهب الأشاعرة القائلين بالجبر، حيث ذهبوا إلى أنّ الختم حتم من الله سبحانه بالنسبة إلى الكفار، و أنّه لا صنع للعبد فيه أصلا لا إيجادا و لا إبقاء و لا إزالة، و استراحوا عن الوجوه التى ذكرها العدلية فى الآية بحملها على كون الفعل منه سبحانه من دون ان يكون للعبد فيه صنع و اختيارا أصلا.

وقد قرّر في الأصول بل علم من ضرورة مذهب آل الرسول أنّ القول به مخالف لما هو المتواتر القطعي من المنقول كما أنّه مخالف لضرورة العقول.

ثمّ اعلم أنّ هذا الختم المضروب على قلوبهم وسمعهم والحجاب المضروب على أبصارهم ليس من الأمور الاعتبارية الغير المتأصلة بل إنّما هي من الأمور الحقيقة المتقرّرة في الملكوت السّفلّي ولذا ينكشف على ما هو عليه لمن أراه الله تعالى ملكوت الأشياء وإن كان مستورا على المنغمسين في الغواصق الظلماتية كما

(١) تفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام ص ٣٣-٣٦ وعنه البحار ج ٩ ص ١٧٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٥٦

قال سبحانه: وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّشِيئًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا\* «١».

وفي تفسير الامام عن الصادق عليه السلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لما دعا هؤلاء النفر المعيّنين في الآية المتقدمة و هي قوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ «٢» وأظهر لهم تلك الآيات فقابلوها بالكفر أخير الله عزّ وجلّ عنهم بأنّه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم ختما يكون علامة للملائكة المقرّبين القراء لما في اللوح المحفوظ من أخبار هؤلاء المذكورين فيه أحوالهم حتّى إذا نظروا إلى أحوالهم و قلوبهم و أسماعهم و شاهدوا هؤلاء المختومين على جوارحهم يجدون على ما قرءوه من اللوح المحفوظ و شاهدوه في قلوبهم و أسماعهم و أبصارهم ازدادوا بعلم الله عزّ وجلّ بالغايات يقينا فقالوا: يا رسول الله فهل في عباد الله من يشاهد هذا الختم كما يشاهده الملائكة؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بلى محمد صلّى الله عليه وآله وسلم يشاهده بأشهاد الله تعالى له، و يشاهده من أمته أطوعهم لله عزّ وجلّ و أشدّهم جدّا في طاعة الله، و أفضلهم في دين الله فقالوا: من هو يا رسول الله؟ و كلّ منهم يتمنى أن يكون هو، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم دعوه يكن ممّن شاء الله، فليس الجلالة في المراتب عند الله تعالى بالتمنّي و لا بالتظنّي و لا بالافتراح و لكنّه فضل من الله عزّ وجلّ على من يشاء يوفّقه للأعمال الصّالحة يكرمه بها فيبلغه أفضل الدرجات و أشرف «٣» المراتب، إنّ الله تعالى سيكرم بذلك من يريكموه في غد فجدّوا في الأعمال الصّالحة فمن وفّقه الله لما يوجب عظيم كرامته فلله عليه بذلك الفضل العظيم «٤».

(١) الإسراء: ٤٥-٤٦.

(٢) البقرة: ٦.

(٣) في البحار: و أفضل المراتب.

(٤) بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٢١-٢٢ عن تفسير الامام عليه السلام ص ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٥٧

ثمّ ساق الكلام في أعمال صالحة لمولانا امير المؤمنين عليه السلام، كقضاء دين أخيه المؤمن، و قلب الحجر و المدر ذهابا بدعائه عليه السلام.

وقتله رجلا غضبا لله و لرسوله.

وسدّه خلّة رجل بقرصين شعيرين له.

و كشفه لملكوت السموات و الحجب لرجل من المنافقين حتّى صار مؤمنا.

و أنّه عليه السلام وقى نفس رجل مؤمن بنفسه: في كلام طويل يراجعه من اراده «١».

إلى أن قال:

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذا الأفضل الأكرم محبة محب الله ورسوله، و مبغضه مبغض الله ورسوله، هم خيار خلق الله تعالى من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: انظر فنظر إلى عبد الله بن أبي وإلى سبعة من اليهود فقال عليه السلام: قد شاهدت ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنت يا علي أفضل شهداء الله في الأرض بعد محمد رسول الله قال فذلك قوله تعالى: ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة تبصرها الملائكة فيعرفونهم بها و يبصرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و يبصرها خير خلق الله بعده علي بن أبي طالب عليه السلام «٢».

أقول: ويدل عليه مضافا إليه الاخبار الكثيرة الدالة على أنهم المتوسمون في كتاب الله تعالى، وأنه لا يحجب عنهم شيء في السموات والأرض وأنهم يعرفون الرجل إذا رأوه بحقيقته الايمان و بحقيقته الكفر أو النفاق إلى غير ذلك من الاخبار الكثيرة التي سيمر عليك شطر منها في مواضعها.

(١) راجع البحار ج ٤٢ ص ٢٣-٢٧.

(٢) تفسير البرهان ج ١ ص ٥٨-٥٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٥٨

ومنها أن الآية من قبيل مجاز الكناية فإسناد الختم إليه سبحانه كناية عن شدة تمكن الإعراض عن الحق والإصرار على الكفر جحودا و عنادا فيهم و فرط رسوخه في قلوبهم و أسماعهم بحيث كانه صار كسائر الجليات الطبيعية و الصفات الخلقية الصادرة عن الله سبحانه من دون صنع و اختيار للبعد فيها فأراد الانتقال إلى الملزوم الذي هو المقصود بذكر اللآزم الذي هو الختم كما يقال: فلان مجبول على الشر و مفطور على الظلم، من غير أن يراد تخلقه عليهما حقيقة بل المراد صدورهما عنه كصدورهما عن المتخلق المفطور بهما تبيينها على شدة الرسوخ و الثبات و التمكن، و حيث لم يكن إرادة الحقيقة في اسناد الختم إليه سبحانه فهو مجاز متفرع عن الكناية.

ومنها أن الجملة كما هي بتمامها استعارة تمثيلية شبهت حال قلوبهم في النبوة عن الحق و عدم قبوله بحال قلوب مختوم عليها حقيقة كقلوب البهائم أو تقديرا ثم استعير ختم الله على القلوب بتمامها مبقاة على ظاهرها، فالختم المسند إليه سبحانه ختم حقيقي أو تقديري باسناد حقيقي، و قد مثلت بها حال قلوبهم في التجافي عن الحق و الاعراض عن الايمان و عدم الاتعاظ و التذكر و ذلك كما يقال: سال به الوادي إذا هلك طارت به العنقاء إذا طالت غيبته، و ليس للوادي و لا للعنقاء عمل في هلاكه و لا في طول غيبته، و إنما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي، و في طول غيبته بحال من طارت به العنقاء.

ومنها أن ذلك الختم و إن كان حقيقة فعل الكافر أو مرتبا على فعله صادرا عنه باختياره و إرادته إلا أن صدوره منه لما كان باقدار الله سبحانه آياه و ابقائه عليه ما أعطاه من المشاعر و الأعضاء و الأدوات و سائر اسباب التمكن من الفعل و الاستطاعة عليه فلذا أسنده

إليه اسناد الفعل إلى المسبب، و مثله شايح في الإطلاقات كما يقال: بنى الأمير المدينة بل قد يسند الفعل إلى سائر الملابسات

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٥٩

كالمصدر و الزمان و المكان كقولهم: شعر شاعر، و نهاره صائم، و صلى المقام إلى غير ذلك و هذا الوجه قريب مما ذكرنا.

ومنها أن الختم من الله تعالى على قلوبهم هو الشهادة منه عليهم بأنهم لا يؤمنون، و على قلوبهم بأنها لا تقبل الحق، و على أسماعهم بأنها لا تصغي إليه، كما يقول الرجل لصاحبه أراك تختم على ما يقوله فلان، أي تصدقه و تشهد بأنه حق، و قولهم: ختمت دليلك

بانك لا تفلح، أى شهدت و هذا الوجه و إن ذكره فى «المجمع» و غيره لكنّه ضعيف.

و منها أنّ الختم عبارة عن ترك القسر و الإلجاء إلى الايمان فيجوز إسناده إلى الله تعالى حقيقة فمعنى ختم الله على قلوبهم أنّه لم يقسرهم على الايمان، حيث إنّ الختم عليها لا يكون إلّا بترك القسر الذى ليس مقصودا بنفسه، بل ينتقل منه إلى أنّ مقتضى حالهم الإلجاء لولا- ابتناء التكليف على الإختيار، حيث لا تغنى عنهم الآيات و النذر، و لا تجدى عليهم الألفاظ المحصّلة و لا المقربّة، و ذلك لانهماكهم فى الغي و الضلال و تناهيهم فى الإصرار على الكفر و الإنكار.

و منها أن يكون ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه لا- بعبارتهم كما حكى عنهم: و قالوا: قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَ فِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنَكَ حِجَابٌ «١».

و الغرض التّهكم و الاستهزاء بهم و بمعتقدهم فى إسناد القبائح إليه سبحانه كما تهكّم بهم فى قوله: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ «٢» اشارة إلى ما كانوا يقولونه قبل البعثة من أنّا لا ننفك عن

(١) فصّلت: ٥.

(٢) البيّنة: ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٦٠

ديننا حتّى يبعث الله النّبى الموعود المبشّر به فى الكتب السماوية و هو نبيّنا صلّى الله عليه و آله و سلّم فلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ وَ لَذَا تَهَكَّمُ بِهِمُ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ «١».

و منها غير ذلك ممّا يقال فى المقام أيضا من أنّ الآية إنّما جاءت فى قوم مخصوصين من الكفار فعل الله بهم هذا الختم و الطبع فى الدنيا عقوبة عليهم فى الأجل كما عجل لكثير من المشركين عقوبات فى الدنيا فلا غرو أن يسقط عنهم التكليف بذلك كما سقط عمّن مسخه الله قرده و خنازير و أنّه يجوز أن يجعل الله على قلوبهم الختم من غير أن يكون ذلك حائلا بينهم و بين الايمان بل يكون ذلك كالبلادة التى يجدها الإنسان فى قلبه، و القذى فى عينيه، و الطنين فى اذنه، فيضيق به صدورهم و يكون ذلك نوع عقوبة على بعض أعمالهم و أنّه يجوز أن يفعل بهم هذا الختم فى الآخرة كما قال سبحانه: وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَ بِكُمًّا وَ صُمًّا «٢».

و أنت ترى أنّ أنّ كثيرا من هذه الوجوه لا يخلو عن تكلف مع بعدها عن مساق الآيه، و عدم مساعدة القرينة بل الوجه ما تبّهنا عليه أولا و كذا الوجه الأوّل المروى عن الامام عليه السّلام، حيث إنّّه لا تنافى بينهما كما لا يخفى.

و ممّا مرّ يظهر الوجه فى نسبة الطبع و الزيغ و الإضلال و غيرها إليه سبحانه من دون نسبة الظلم إليه سبحانه، و الإنكار لعدله، و لا التزام بالقول بالجبر، و إن اضطرّت إليه الأشاعرة فاخطأ و الصواب، كما أخطأت القدرية فى قولهم بالتفويض.

و ما يقال من أنّ كلا الفريقين لم يطلبوا إلّا اثبات جلال الله و علوّ كبريائه إلّا أنّ

(١) البقرة: ٨٩.

(٢) الإسراء: ٩٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٦١

الأشاعرة عظّموه فنسبوا كلّ شىء إلى الله و قالوا لا مؤثّر فى الوجود إلّا الله، و القدرية نزهوه عن أفعال العباد، و قالوا: لا يليق بجلال حضرته و علوّ كبريائه هذه القبائح.

ففيه أنّ الإنصاف إصابة كلّ من الفريقين فيما نسب إلى الآخر من الضلال و الرين، إذ الحقّ المأثور عن الأئمة المصطفين هو القول

بالمنزلة بين المنزلتين، و هو امر أوسع من بين الخافقين، بل هو مقتضى الجمع بين الشهادتين، و ذلك أن إثبات الإله موجب لنسبة الحوادث كلها إليه، و إثبات الرسول ملجئ إلى القول بالقدر، إذ لو لم يقدر العبد على الفعل فأى فائدة فى بعث الرسل و الوعد و الوعيد و المعاد و غيرها، فالجمع بينهما إنهما هو بالأمر بين الأمرين حسبما لوحنا إليه آنفا، و ستمتع إن شاء الله تمام الكلام فيه و فى الجواب عن شبه الفريقين فى موضع أليق.

### أفضلية السمع من البصر

رابعها: قد يستدل بهذه الآية و نحوها مما قدم فيه السمع كقوله: **إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** «١» على أفضلية السمع من البصر مضافا إلى أن السمع شرط النبوة دون البصر، و لذا لم يبعث رسولا- أصم و كان فيهم من ابتلى بالعمى، و ان به يتوصل إلى معرفة نتائج العقول و الأفكار، فهو سبب لإدراك المحسوس و المعقول، و لأن السمع يدرك من الجهات كلها و لو مع الحيلولة، دون البصر الذى يتوقف إدراكه على المحاذاة و عدم الحيلولة، و لأن التوم يغلب أولا على البصر ثم يغلب على السمع و القلب.

ولذا

قال الصادق عليه السلام إنه قد تنام العين و لا ينام القلب و الأذن فإذا نامت العين

(١) الإسراء: ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٦٢

و القلب و الأذن و جب الوضوء «١».

إلى غير ذلك من الوجوه التى ربما تعارض بكون آله القوة الباصرة أشرف و أجمع لدقائق الحكمة، و أن متعلقها هو النور، و متعلق القوة السامعة هو الريح، و ان الآية المتقدمة من باب الترقى من الأدنى إلى الأعلى، لتأخر الفؤاد عنهما فهى حجة لنا لا علينا، و غير ذلك مما لا يخلو كثير منها من قصور، مع أن الخطب فى البحث عن الأفضلية هين جدا.

### معنى العذاب العظيم

و لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ تهديد و وعيد، و العذاب النكال بناء و معنى من أعذبتة عن الأمر إذا منعتة عنه كما أن النكال اسم لما يصنع به مما يحذر و غيره و ينحيه عما قبله.

قال فى «الكشاف»: و منه الماء العذب، لأنه يجمع العطش و يردعه، و يدل عليه تسميتهم إياه نقاحا لأنه ينقح العطش أى يكسره و فراتا لأنه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسسمى كل الم فادح ثقيل عذابا و ان لم يكن نكالا أى عقابا يرتدع به الجانى عن المعاودة انتهى.

قوله لأنه يرفته أى يفتته كما يفت المدر و العظم البالى، و معنى قوله على القلب أى جعل العين موضع الفاء و الفاء موضع العين، فوزن فرات عفال لكته لا

(١) لم أظفر على مصدره بهذه الألفاظ و لكن معناه يستفاد من حديث مروى عن الصادق عليه السلام فى الوسائل ج ١ ح ٨ عن الكافى.



تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٦٣

يخلو عن تأمل فأنه على ما صرح به في «القاموس» وغيره مشتق من فرت بالفم فروته بمعنى عذب و الفرات هو الماء العذب و التزام القلب فيه مع مخالفته للأصل و ما فيه في المقام من التكلف البين، لا يقضى به شيء من أدلته، سيما مع ما صرحوا به من ندوره جدا في غير المعتل و المهموز و أنه اكثر ما يكون في غير الفاء و العين.

وقيل: إنه استمرار الألم من عذبه تعذبا و عذابا و منه عذب الماء إذا استمر في الحلق و حمار أو فرس عاذب و عذوب إذا استمر به العطش فلم يأكل شيئا من شدة العطش.

وقيل إنه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية لازالة القذى و هو ما يسقط في العين و الشراب، و التمرير لحسن القيام بما يحتاج إليه المريض فجعل ذلك ازالة للمرض لأن له مدخلا تاما في زواله.

و على كل حال فالمراد به حيث يطلق كل ألم سواء كان ابتداء أو بعد جناية قصد به الردع، أم لا مع الاستحقاق و عدمه فيكون أعم مطلقا من النكال و العقاب و القصاص.

و أميا ما ذكره مبيت «١» الدين و خبره من أن العذاب نعيم لأهل الشقاء، و أنهم يستعذبونه و يلتذون به، فسمى بذلك لعذوبة طعمه بالنسبة إليهم، حيث أنه مشتق من العذب حتى أنه أنشد في ذلك.

فلم يبق إلما صادق الوعد وحده و ما لوعيد الحق عين تعين فإن دخلوا دار الشقاء فأنهم على لذة فيها نعيم مابين جنان الخلد فالامر واحد و بينهما عند التجلي تباين

(١) مراده محمد بن علي بن محمد الطائي المعروف بمحيي الدين المتوفى (٦٣٨).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٦٤

يسمى عذابا من عذوبة طعمه و ذاك له كالقشر و القشر صاين فهو مبنى على ما خرج به عن زمرة المسلمين، لإنكاره ما هو ضروري من الدين حيث ذهب إلى القول بانقطاع العقوبة عن الكفار، و أنهم لا يتألمون بالنار و ما فيها من العذاب و النكال ابتداء أو بعد مدة و أنهم يتلاعبون بها فيها أو يخرجون منها على حسب اختلافهم في ذلك على ما تسمع تمام الكلام فيها و في تزييفها و تزييف الشبهات التي أيدهم بها أخوهم رئيس المشككين في المقام عند تفسير قوله:

وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً «١».

و العظيم ربما يفسر بالكبير، بل قد يفسر كل منهما بالآخر، و ربما يقابل بالحقير كما أن الكبير يقابل بالصغير، فإذا قيل هذا كبير دفع بأنه صغير، او قيل إنه عظيم دفع بأنه حقير و لما كان الحقير دون الصغير كان العظيم فوق الكبير و هذا كما يقابل الأخس بالأشرف و الخسيس بالشريف.

فلا ينبغي الإصغاء في مثل المقام إلى ما قيل من لزوم كون نقيض الاخص اعم في مثل المقام، نعم يمكن التأمل في تحقيق التقابلين، و في كون الأول و مقابله في طرفي الآخرين إذ لا-تساعده اللغوة و لا-العرف على إطلاقه، و على كل حال فيستعمل كل منهما في المحسوس و غيره، فيقال هو عظيم الجثة و عظيم القدر و الشأن، و كذا الكبير، و لا يبعد أن يقال إن الحقارة تشعر بالهوان و الذلة دون الصغر و العظم يشعر بانقهار النفس بملاحظة من جهة استعظامه في سنخه دون الكبير.

و توصيف العذاب و تنكيهه للتعظيم أو للتنوع و لو باعتبار تلفيق النوع من مختلفات الأنواع فلا ينافي ذلك ما في تفسير الإمام عليه السلام من شمول العذاب لما في الآخرة و في الدنيا بقسميه قال عليه السلام بعد قوله: وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ: يعني في

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٦٥

الآخرة العذاب المعد للكافرين و في الدنيا أيضا لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الاستصلاح ليُتَبَّه لطاعته أو من عذاب الاصطلام ليعيره إلى عدله و حكمته «١».

أقول: عذاب الاستصلاح هو ما يتلى به العبد مِمَّا يراد به صلاح حاله و عوده إلى القيام بوظائف العبودية أو بما يتعقبه ذلك كما قال: وَ لَتَبْلُوَنكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ «٢» الآية.

و هذا إنما يكون فيمن يرجى منه الخير أيضا لأنَّ الختم ليس من نهايات الحجب كما تبيننا عليه، و الاصطلام هو الاستيصال بالخسف و المسخ و القتل و ساير اسباب الموت و سائر الابتلاءات التي هي العقوبات المعجلة، و إثارة اللام للتهكم كقوله: فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ\* «٣» و لوقوعه موقع النفع الذي هو ثمرة الأعمال.

### [سورة البقرة (٢): آية ٨]

#### إشارة

تفسير الآية (٨) وَ مِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ شُرُوعِ فِي ذِكْرِ أَحْوَالِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ، وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ بعد الفراغ من شرح أحوال المؤمنين الذين أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فِي آيَاتٍ إِلَى أَنْ خَتَمَ لَهُمُ بِالْفَلَاحِ وَ الْفَوْزِ بِالْتَّعِيمِ وَ عَنِ الشَّرْحِ أَحْوَالِ أَضْدَادِهِمُ الَّذِينَ هُمُ أَهْلُ الْكُفْرِ وَ الْجُحُودِ وَ الْعِنَادِ فِي آيَاتِنَا إِلَى أَنْ خَتَمَ لَهُمُ بِالْعَذَابِ الْعَظِيمِ فَتَلَّثَمَا بِالْمَذْبُذِبِينَ بَيْنَهُمَا

(١) الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٢٦٠ عن الإمام العسكري عليه السلام.

(٢) البقرة: ١٥٥.

(٣) آل عمران: ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٦٦

تكميلاً للتقسيم، و طول شرح أحوالهم في ثلاث عشر آية، و بين فيها كذبهم في دعوى الإيمان، و نفاقهم و خبثهم و فساد عقائدهم و أعمالهم و سخافة آرائهم و استهزائهم و الاستهزاء بهم و انهماكهم في طغيانهم و عمههم، و ضرب لهم الأمثال الشنيعة و سجل عليهم بالردائل الفظيعة و ذلك لأنهم أشد الكفار نكايه على الإسلام و المسلمين و أحرصهم على هدم الشريعة و تخريب الدين و أفواهم على شق العصا و إيقاع نائرة الفتنة بين المؤمنين فزادوا إلى رجس كفرهم رجس النفاق و لم يقصروا في إطفاء نور الهدى كلما اهتدوا سيلاً إلى إظهار الشقاق، و هؤلاء المنافقون معروفون بأسمائهم و سماتهم، كعبد الله بن أبي سلول، و جد بن قيس، و معتب بن قشير، و غيرهم من اليهود و مثل أبي الدواهي و أبي الشور، و أبي الملاهي، و أصحاب العقبة، و أصحاب الصحيفة الملعونة و غيرهم من المنافقين الذين نابذوا أمير المؤمنين و غصبوه حقه و اشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون، و لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم و في العذاب هم خالدون.

و الاخبار كثيرة في كون الآية و أمثالها ناعية على هؤلاء و اضرابهم تنزيلاً و تأويلاً تنبيهاً على أنهم أصل الغي و الضلال، و معدن الكفر و النفاق.

روى الامام عليه السلام في تفسيره عن العالم موسى بن جعفر عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لما أوقف علي بن ابي طالب أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير موقفه المشهور المعروف ثم قال يا عباد الله انبوني فقالوا أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ثم قال: ايها الناس أ لست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى يا رسول الله فنظر صلى

اللّه عليه وآله وسلم إلى السّماء وقال: اللهم اشهد بقول هؤلاء وهو يقول ويقولون ذلك ثلاثاً، ثم قال: فمن كنت مولاه وأولى به فهذا عليّ مولاه وأولى به، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، ثم قال:

قم يا أبا بكر فبايع له بإمرة المؤمنين فقام فبايع له، ثم قال: قم يا عمر فبايع له بإمرة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٦٧

المؤمنين فقام فبايع له، ثم قال بعد ذلك لتمام التسعة ثم لرؤساء المهاجرين والأنصار، فبايعوه كلهم، فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطّاب فقال: بخّ بخّ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، ثم تفرّقوا عن ذلك، وقد وكدت عليهم العهود والمواثيق، ثم إنّ قوماً من متمرّديهم وجابرتهم تواطوا بينهم لئن كانت لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم كائنه ليدفعنّ هذا الأمر عن علي ولا يتركونه له، فعرف الله ذلك من قبلهم، وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون لقد أقمنا علينا أحب خلق الله إلى الله وإليك وإلينا فكفيتنا به مؤنة الظلمة لنا والجابرين في سياستنا، وعلم الله من قلوبهم خلاف ذلك من مواطاة بعضهم لبعض أنّهم على العداوة مقيمون ولدفع الأمر عن مستحقّه موثرون، فأخبر الله عزّ وجلّ محمّدا عنهم، فقال: يا محمّد و من النّاس من يقول آمناً بالله الذي أمرك بنصب عليّ عليه السّلام إماماً و سائساً لأمتك و مدبراً، و ما هم بمؤمنين بذلك و لكنهم يتواطون على إهلاكك و إهلاكه، و يوطّون أنفسهم على التمرّد على عليّ عليه السّلام إن كانت بك كائنه «١».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي يمرّ عليك في تصاعيف هذا التفسير نقلا من طريق الفريقين.

ثم إنّ الآية وإن نزلت فيهم إلّا أنّها جارية في كلّ من تبعهم في النفاق والانحراف عن أهل بيت العصمة والطهارة إلى يوم القيمة، و لذا

قال مولانا الصادق عليه السّلام على ما رواه في البصائر والكافي: إنّ الحكم «٢» بن عتيبة ممّن قال الله تعالى: و من النّاس من يقول آمناً بالله و باليوم الآخر و ما هم بمؤمنين فليشرّق

(١) تفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السّلام ص ٥٤ و عنه كتر الدقائق ج ١ ص ١٦٠-١٦٢.

(٢) الحكم بن عتيبة الكوفي كان من فقهاء العامّة و كان زيدا مات سنة (١١٥) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٦٨

الحكم و ليغزّب أما و الله لا يصيب العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السّلام «١».

### (الناس) و اشتقاقه

و الناس أصله أناس بالضمّ من الأنس، خفف بترك الهمزة و حذفها مع لام التعريف، و ان كان كاللازم إلّا أنّه ليس عوضا عنها كما صرح به في «الصّحاح» و إلا-لا-جتمع مع المعوّض عنه في قوله: إنّ المنايا يطلّعن على الأناس الآمنينا، و هو على ما في القاموس جمع إنس.

و في «المصباح»: اسم وضع للجمع كالقوم و الرّهط، و واحده إنسان من غير لفظه، و علله البيضاوي و غيره بأنّه لم يثبت فعال بالضمّ في أبنية الجمع، و لذا احتمل بعضهم أن يكون أصله بالكسر على أبنية الجموع، ثم ضمّ للدلالة على زيادة قوة كما في سكارى و غيارى، نظرا إلى أنّها ليست من الثمان التي جاءت أبنيتها على فعال بضم الفاء جمعا، و هي المندرجة في هذه الأبيات:

ما سمعنا كلما غير ثمان هي جمع و هي في الوزن فعال فتوأم «٢»، و رباب «٣»، و فرار «٤»، و عراق «٥» و غرام «٦»، و رخال «٧»، و

ظوار «٨»

(١) الكافي ج ١ ص ٣٩٩ ح ٤.

(٢) التوأم: جمع التوأم: المولود مع غيره من بطن واحد.

(٣) الرباب: جمع الربى و هى الشاة إذا ولدت.

(٤) فرار: من أولاد المعز، صغر جسمه قال ابو عبيدة: لم يأت على فعال شىء من الجمع إلا أحرف هذا أحدها.

(٥) العراق: العظام إذا لم يكن عليها شىء من اللحم.

(٦) العرام: هى العظام أيضا مجردة عن اللحم.

(٧) الرخال: جمع رخل و هى الأنثى من الضأن.

(٨) ظوار: اسم جمع واحده ظئر و هى التى تعطف على ولد غيرها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٦٩

و بساط «١» جمع بسط هكذا فيما يقال.

لكن الحصر لا يخلو عن تأمل لمجىء رجال جمع راجل.

و فراد، و ثناء، و براء، و غيرها، بل قيل: إنه منتقض بأناس قطعاً، و الفرق بأنها جموع، و أناس اسم جمع محكم.

و قد يقال: إن فى قوله: فى الآيات فيما يقال تعريضا بما فيه من الاعتراض.

ثم إنه كغيره مما اشتق من مادته كإنس، و إنسان و اناسى يطلق على الرجل و المرأة من دون عليهما التاء، و قول الشاعر: إنسانه فتانه

شاذ، و فى «القاموس»:

كأنه مولد «٢».

و هو مأخوذ من أنس لاستيناسهم بأمثالهم، أو من أنس بمعنى أبصر، و منه:

آنست نارا\* «٣» لأنهم ظاهرون مبصرون، و لذا سموا بشرا، كما أن الجن سموا جئا لاجتنانهم، و قضية الاشتقاق و التبادر، و المقابلة

فى كثير من الإطلاقات، عدم إطلاقه على الجن الأعلى وجه التجوز، و لعله المراد بما فى «المصباح» أنه يكون من الانس و من الجن

لقوله تعالى: الذى يؤسوس فى صدور الناس من الجنة و الناس «٤»، و لأن العرب تقول: رأيت ناسا من الجن.

و لكن لا يثبت بهما إلا مجرد الاستعمال.

(١) البساط: جمع البسط و هى الناقة المخلاة على أولادها.

(٢) و الشعر كما فى القاموس:

لقد كستنى فى الهوى ملابس الصب الغزل

إنسانه فستانه بدر الدجى منها خجل

إذا زنت عيني بها فبالدموع تغسل

(٣) طه: ١٠.

(٤) سورة الناس: ٥-٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٧٠

على أن النقل غير ثابت، و الآية غير دالة.

و أما نويس فى تصغيره فقيل:

على خلاف مكسره مثل أنيسيان و رويجل، و أن الألف لما كانت باينة زائدة أشبهت ألف فاعل فقلبت واوا.

و قيل: إنه مشتق من النوس، و هو الحركة و التذبذب، لتحركهم و ترددهم فى امور معاشهم و معادهم.

ولذا قال في «المصباح»: إنه مشتق من ناس ينوس إذا تدلى و تحرك.

قيل: و يؤيده تصغيره على نويس، و وزنه على هذا فعل و على الأول فعال.

و قيل: إنه من النسيان كما أن الإنسان مشتق منه، و أصله إنسيان لأن جماعته أناسي، و تصغيره أنسيان.

و يدل عليه ما

في «العلل» عن الصادق عليه السلام قال: سمى الإنسان إنساناً لأنه ينسى قال الله تعالى: وَ لَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَسَيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً «١».

و قد أنشدوا:

يا أكثر الناس إحساناً إلى الناس يا أكثر الناس إفضالاً على الناس نسيت وعدك و النسيان مغتفر فاغفر فأول ناس أول الناس «٢» و لام التعريف فيه إما للجنس الشامل للاستغراق أيضاً بناء على اعتبارهم قسماً ثالثاً مقابلاً للقسمين الأولين اللذين أريد فيهما الجنس على وجه، و لذا يعد المنافق ثالثاً للمؤمن و الكافر.

(١) طه: ١١٥.

(٢) قاله أبو الفتح البستي على بن محمد المتوفى ببخارى حدود سنة (٤٠٠).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٧١

### المنافقون من الناس

بل

في كتاب المناقب لأحمد بن مردويه بالإسناد عن أبي ذر و المقداد و سلمان رضوان الله عليهم قالوا كنا قعوداً عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما معنا غيره إذ أقبل ثلاثة رهط من المهاجرين البدرين فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يفترق أمتي بعدى ثلاث فرق فرقة أهل حق لا يشوبونه بباطل مثلهم كمثل الذهب كلما فتنته النار ازداد طيباً و إمامهم هذا لأحد الثلاثة و هو الذي ذكر الله تعالى في كتابه: إماماً وَ رَحْمَةً\*، و فرقة أهل الباطل لا يشوبونه بحق مثلهم كمثل خبث الحديد كلما فتنته النار ازداد خبثاً و نتنا و امامهم هذا لأحد الثلاثة، و فرقة أهل الضلال مذنبين لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء إمامهم أحد الثلاثة قال فسألته عن أهل الحق و امامهم فقال علي بن أبي طالب إمام المتقين و أمسك عن الإثنين «١».

و أمياً للعهد إشارة إلى أن الكفار المصيرين الذين مر ذكرهم بناء على اشتراكهم مع هؤلاء في الكفر و جحود الحق و الإصرار على الباطل و شدة العقوبة و الخلود في النار كما تواترت به الأخبار و إن اختصوا من بينهم بالنفاق و تمويه الباطل و منع الحق عن أهله و إزالة عمود الدين عن مقره.

و (من) في «من الناس» على الوجهين للتبعيض و فتح نونها عند التقاء الساكنين للخفة و استثقال توالى الكسرتين.

و أما (من) فعلى الأول موصوفة كأنه قيل: و من الناس ناس يقولون كذا كقوله: من المؤمنين رجال «٢» و على الثاني، موصولة كقوله:

(١) بحار الأنوار ج ٢٨ ص ١٠ مع تفاوت يسير.

(٢) الأحزاب: ٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٧٢

و منهم الذين يؤذون النبي «١» كذا في «الكشاف» و تبعه غيره و علل بأن فيه رعاية للمناسبة و الاستعمال.

أما المناسبة فلأنّ الجنس مبهم لا توقيت فيه مناسب أن يعبر عن بعضه بما هو نكرة، و العهود معيّن فناسب أن يعبر من بعضه بمعرفة. و أما في الاستعمال فكما في الآيتين لما أريد بالمؤمنين الجنس عبر عن بعضهم بالنكرة، و أريد بالضّمير جماعة معيّن من المنافقين عبر عن بعضهم بالمعرفة.

و الوجهان كما ترى ضعيفان و ظاهر مساق الآية و ما مرّ من الخبر أنّها نزلت في أقوام بأعيانهم و لذا يحكى عنهم خصوص أقوالهم و أفعالهم، و إن جرى حكمها على غيرهم فمن موصولة على الوجهين.

و توهم أنّه بناء على الجنسيّة لا فائدة في الإخبار بأنّ من يقول و كذا و كذا من الناس، و على العهديّة يكون قوله: و ما هم بمؤمنين بمنزلة التكرير عريا من الفائدة.

مدفوع بأنّ الفائدة في الأول التنبية على أنّ الصفات المذكورة تنافي الانسانيّة فينبغي التعجب من الجمع بين اسم الإنسان و سمات الشيطان من الخدع و النكراء و التلون بالألوان.

على أنّه من الممكن بل الظاهر كون مضمون الجار و المجرور مبتداء على معنى و بعض الناس من اتّصف بما ذكر، و حيثذ يتم الفائدة بالمسند من حيث تقييده بالصلة و يكون في التعبير عنهم ببعض الناس تحقير لهم.

و بأنّ الظرف قد يقع موقع المبتدأ بتقدير الموصوف كقوله:

(١) التوبة: ٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٧٣

و مّا دُونَ ذَلِكَ «١» أى جمع مّا، لكنّ المشهور عندهم تقدير الموصوف في الظرف الثّاني على أنّه مبتداء، و الظرف الأول خبره، و يشهد لهم أنّ المسموع عنهم قولاً واحداً إنّ من الناس رجالاً كذا و كذا، و لم يسمع الرفع من واحد، و قد مرّ بعض الكلام في سؤاّ عَلَيْهِمْ و في الثّاني الاشارة بأنّ هذا القول غير مجد لهم فهم باقون على عدم إيمانهم مع أنّه كالتمهيد لما يتعقّبهُ مّا هو بمنزلة التعليل. ثمّ إنّ الموصولة تقع للمفرد و المشى و المجموع، و المراد بهما في المقام الأخير، و ان كان لفظها لفظ المفرد و لذا أفرد ضميرها في يَقُولُ و جمعه في و ما هم بمؤمنين لجواز مراعاة كلّ من اللفظ و المعنى في ذلك.

و القول مصدر بمعنى التلقظ بما يفيد فائدة ما و إن كان مفرداً لكنّه قد يستعمل بمعنى المقول و المعنى النفسى، و الراى و الفعل، و مقوله في المقام الجملة الفعلية بصلتيه و المراد إخبار كلّ منهم عن إيمانه، و يجوز أن تكون الجملة مقولة لكلّ منهم، فيجمع بين دعوى الايمان لنفسه و الشهادة به لغيره ممّن جمعهم النفاق.

و الاقتصار على ذكر الايمان بالله و اليوم الاخر في كلامه سبحانه أو في قولهم لتخصيص ما هو المقصود الأعظم من الايمان بالذكر، سيّما مع ما سمعت من أنّ المنافقين كانوا من كفّار قريش مولعون بعبادة الأوثان للإشارة بأنّ قضية صدق الايمان بهما الأخذ بجميع عرى الإسلام و شرائعه من حيث العقائد و الأعمال بملاحظة احتساب الأفعال الصادرة و مراقبة الله سبحانه و الاستعداد للقائد بأخذ الرّاد إلى المعاد و للاكتفاء عن الجميع بالطرفين المكتنفتين به أعنى الايمان بالمبدإ و المعاد، و للتنبية على أنّهم منافقون فيما يدعون فيه الإخلاص فما ظنّك بما يقصدون به النفاق، فإنّ ايمانهم بالله كان على وجه التشبيه و الحلول و الاتّحاد

(١) الجن: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٧٤

و التجسّم و التعدد و اتّخاذ الولد و غير ذلك و باليوم الاخر على غير ما هو عليه لأنّهم قالوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى «١» و لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيّاماً مَّعْدُودَةً «٢».

إلى غير ذلك من عقائدهم الفاسدة، فقولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق و عقيدتهم عقيدتهم فهو كفر الايمان فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين و استهزاء بهم و تشبها بهم في الايمان الحقيقي كان كفرا إلى كفر، مع أنهم قد أظهروا الايمان طمعا في أن يردوا الناس على أعقابهم القهقري بالرجوع عن الإسلام بعد إظهاره، و بإظهار البدع الشنيعة في الدين و الإضرار على الإسلام و المسلمين كما فعلت اليهود كما قال الله: وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣﴾ و كما فعلت الثلاثة و غيرهم من المنافقين الذين لم يؤمنوا بالله طرفه عين ابدأ و إنما أظهروا الايمان خوفا من المسلمين و رغبة في مساهمتهم في المغنم و المناصب، و طمعا في انتهاز الفرصة لإظهار البدع الشنيعة، و حمل الناس عليها، و ردهم على أديارهم القهقري، فضلوا و أضلوا كثيرا، و ضلوا عن سبيل.

و المراد باليوم الآخر يوم الحساب المقدر في الآية «٤» بخمسين ألف سنة، أو بعده حيث ينقطع الأوقات المحدودة إلى ما لا ينتهي، و هو يوم الجزاء كما

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «اليوم عمل و لا جزاء و غدا جزاء و لا عمل»

أو ما يشملها بناء على كون الحاجز هو البرزخ أو ما يشملها أيضا بناء على أن الايمان به و بما فيه مما جاءت به

(١) البقرة: ١١١.

(٢) البقرة: ٨٠.

(٣) آل عمران: ٧٢.

(٤) سورة العارج: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٧٥

الشريعة و لو اجمالا من اركان الايمان.

و في تكرير الباء دعوى استقلال الايمان و تأكده بكل منهما، و ما هم يعني هؤلاء المنافقين و أتباعهم بمؤمنين تكذيب لهم و انكار عليهم فيما أخبروا عنه من التصديق و الإذعان.

و مطابقتها الرد للدعوى و ان اقتضت أن يقال: و ما آمنوا إلا أنه عدل عن ذكر شأن الفعل كما فعلوا إلى ذكر شأن الفاعل لأن الركن الأهم في الأول هو المحكوم به و في الثاني هو المحكوم عليه، فلذا عدل من الفعلية إلى الاسمية أيضا و ذلك كقوله: يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا «١» مع ما فيه من سلوك طريق الكناية في رد دعواهم الباطلة فإن انخراطهم في سلوك المؤمنين من لوازم ثبوت الايمان الحقيقي لهم، و انتفاء اللآزم أبلغ في الدلالة على انتفاء ملزومه.

و أيضا إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفى صفة الايمان عنهم سيما مع دلالة الأول على الدوام المستلزم لانتفاء حدوث الملزوم مطلقا و تقييد الثاني بالزمان الماضي ثم أنه أكد النفي بالباء المتمخضة لذلك و لذا سموا زائدة و فيها تأكيد النفي لا النفي كما أن النفي في الجملة الاسمية المفيدة للاستمرار يرجع إلى استمرار النفي لا- نفى الاستمرار، لأن الإثبات و النفي هو الحكم و الاستمرار و عدمه من مقتضيات الاسمية و الفعلية.

و حذف المتعلق إما للشاعر على العموم بناء على أنهم ليسوا من الايمان في شيء و لا كرامته، و إما لظهور التقييد فالمنفى إيمانهم بالأمرين معا و بكل منهما و إن اتحدا في الحكم و الاسم ضرورة أن التصديق بشيء من الأصول الايمانية لا يستحق اسم الايمان و لا حكمه ما لم ينضم إليه التصديق بسائرهما، و لذا لم نحكم

(١) المائدة: ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٧٦

إيمان أهل الكتاب و إن أقروا بالتوحيد بل بالمعاد أيضا، و لا بإيمان المخالفين و ان اعترفوا بما سوى الإمامة من الأصول، فإن انكار شيء منها كانكار الجميع حيث إن الإقرار بكلّ منها مشروط بالإقرار بغيره من حيث القبول، أو من حيث تحقّق الموضوع، و لذا صرح في الآية بعدم إيمانهم مع نزولها في طائفة من أهل الكتاب، و في مناقبي قريش الذين كانوا يحضرون الجماعات و الجمعيات. ثم إن الآية دالة على كفر المنافقين و أنه لا يغني عنهم مجرد الإقرار باللسان مع مخالفة قلوبهم. قال الرازي: انها تدلّ على أن من لا يعرف الله تعالى و أقرب به فإنه لا يكون مؤمنا لقوله: و ما هم بمؤمنين و قالت الكرامية: يكون مؤمنا. و تدلّ أيضا على بطلان قول من قال: إن المكلفين عارفون بالله و من لم يكن عارفا لم يكن مكلفا. أما الأول فلأن هؤلاء المنافقين لو كانوا عارفين بالله و قد أقروا به لكان يجب أن يكون إقرارهم بذلك إيمانا لأن من عرف الله و أقرب به لا بد أن يكون مؤمنا.

و أما الثاني فلأن غير العارف لو كان معذورا لما ذمّ الله هؤلاء على عدم العرفان.

فبطل قول من قال: إن من لا يعرف هذه الأشياء يكون معذورا.

و اعترضه القاضي بأنها تدلّ على أن من ادعى الايمان و خالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لا أن من تفوّه بالشهادتين فارغ القلب عمّا يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمنا و الخلاف مع الكرامية «١» في الثاني فلا ينتهض حجة عليهم. أقول: لكنّ الذي يحكى عنهم في ذلك هو أن الايمان مجرد الإقرار باللسان

(١) هم أتباع محمد بن كزّام بن عواف السجستاني المتوفى (٣٤٤) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٧٧

و انّ المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة فاخراجهم من عداد المؤمنين دليل على فسادهم كما تبّه عليه في «المجمع» «١» أيضا و أما ما ذكره ثانيا فهو كما ترى.

[سورة البقرة (٢): آية ٩]

إشارة

تفسير الآية (٩) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا ... يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا «٢» تعليل للحكم السابق و تفصيل لفظايع أعمالهم و شنايع أحوالهم، فوصفهم أولا بما يكشف عن تمويههم الكفر في إظهار إيمانهم يقال: خدعه كمنعه خدعا بالفتح و الكسر: أوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه على غزّة و غفلة، من قولهم: صبّ خادع و خدع إذا أمر الحارث «٣» يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر، و أصله الإخفاء و منه المخدع بالتثليث للخزانة، و الأخدعان لعرقين خفتين في موضع الحجامه، و خدعت الضباب استرت و تعيّبت في حجرتها لأنهم طلبوها و مالوا عليها للجدب الذي أصابهم، لكنّه غلب عرفا على صفه فعليته قائمة بالنفس عقيب استحضار مقدمات في الذهن يتوصّل بها توصيلا مستقبحا إلى استجرار منفعة لنفسه، أو إصابة مكروه بغيره مع خفائهما على الموجه نحوه القصد، بحيث لا يتأتى ذلك النيل أو الإصابة بدونه، و هي من الصفات الدائمة التي تجرّ بصاحبها إلى النار. قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لولا أن المكر و الخديعة في النار لكنت أمكر الناس «٤».

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٤٦.



(٢) البقرة: ٩.

(٣) الحارث: الصائد.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٣٣٦ و عنه البحار ج ٧٥ ص ٢٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٧٨

**الخدعة و المكر من صفات المنافقين**

و عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ليس منا من ماكر مسلماً (١).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة، و أما

النَّبِيُّ المشهور: الحرب خدعة (٢) فإنه، و ان أريد منه الحث على استعمالها في محاربة أعداء الدين، لا- أنه من الجائز بل الواقع

اختلاف الاحكام بحسب اختلاف الوجوه و المصالح بناء على ما هو المقر عند العدلية.

على أنه قد يقال إنه في صورة الخداع، لأن من كاشفته بالمحاربة فقد جاهرت به باصاغة المكروه فلو لا طفت معه في تفصيل الإصاغة لم

يكن خداعاً، و لهذا لو أظهرت ما يدل على أمان أو لم يتقدم إنذار لم يحمده.

و كما أن الخدع ليست من الصفات المحموده، فكذا الانخداع الدال على الغفلة و البلاهة، و قلة الفطنة، و جمود الطبيعة و نقصان

الفطرة.

و توهم كونه من الصفات المحموده

للنَّبِيُّ: «المؤمن غر كريم و الفاجر خب لئيم» (٣).

و لوقوع المدح بها في قول عدى بن الرقاع: و استمطروا من قريش كل منخدع.

(١) ثواب الأعمال ص ٢٤٢ و عنه البحار ج ٧٥ ص ٢٨٥.

(٢) في البحار ج ٢٠ ص ٢٢٨ باب غزوة الأحزاب: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي ما كرته؟ قال:

نعم يا رسول الله الحرب خديعة.

(٣) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٢٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٧٩

و في قول ذي الرمة: إن الحليم و ذوا الإسلام يختلب.

ضعيف جداً بعد ما سمعت، و أما النبوي فالمراد به التخاذل لا الانخداع، و المعنى أنه يتغافل عن بعض الأمور و يترك البحث عنه، و

لذا عقبه بالكرم تنبيها على أن ذلك ليس جهلا منه، و لكنّه كرم و حسن خلق، و أما قول عدى فما ذكرناه ظاهر منه حيث قال:

لا خير في الخب لا يرجي نوافله فاستمطروا من قريش كل منخدع تخال فيه إذا خاتلته بلها عن ماله و هو وافي العقل و الورع

**المراد بالمخادعة**

نعم في بعض النسخ تمامه: انّ الكريم إذا خادعته انخدعا، و فيه أيضا دلالة لطيفة من حيث التعليق على الكرم و منه يظهر أيضا سقوط

الآخر، و قد ظهر ممّا مرّ انّ المخادعة بظاها من حيث المادة و الهيئة لا يصح اضافتها إلى الله تعالى فانّ العالم الحكيم لا يخدع و لا

يخدع، و لا إلى المؤمنين لأنهم و إن كانوا يخدعون بمعنى الانخداع أو التخاذل لكنهم لا يخدعون و لذا ذكروا فيه وجوها: أحدها أن

المراد مخادعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على حذف المضاف، أو لما ثبت له من الخلافة الكبرى والرياسة العظمى، بحيث كان أمره أمره ونهيه نهيه وطاعته طاعته، ومعصيته معصيته.

قال الله تعالى: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ «١» وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى «٢»

(١) النساء: ٨٠.

(٢) الأنفال: ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٨٠

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ «١».

والاخبار به كثيرة سنشير إليها في تفسير الآيات المتضمنة لنسبة الأسف والرضا والغضب إليه سبحانه.

وفي تفسير الامام عليه الصلوة والسلام عن موسى بن جعفر عليه السلام بعد ما مرّ عنه عليه السلام في الآية المتقدمة قال لما اتصل ذلك من موافقاتهم وقيلهم في عليّ عليه السلام وسوء تدبيرهم عليه برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فدعاهم وعاتبهم فاجتهدوا في الايمان وقال أولهم يا رسول الله والله ما اعتددت بشيء كاعتدادي بهذه البيعة ولقد رجوت ان يفسح الله لي في قصور الجنان، ويجعلني فيها من أفضل النزال والسكان، وقال ثانيهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما وثقت بدخول الجنة والنّجاة من النار إلا بهذه البيعة والله ما يسرّني أن نقضتها أو نكثت بعد ما أعطيت من نفسي ما أعطيت وان لي طلاع ما بين الثرى إلى العرش لا لي رطوبة وجواهر فاخرة وقال ثالثهم يا رسول الله لقد صرت من الفرح بهذه البيعة والفسح من الآمال في رضوان الله ما أيقنت أنه لو كانت ذنوب أهل الأرض كلّها عليّ لمحصت عني بهذه البيعة وحلف علي ما قال من ذلك ولعن من بلغ عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خلاف ما حلف عليه، ثم تتابع بمثل هذا الاعتذار من بعدهم من الجابرة والتمتردين فقال الله عزّ وجلّ لمحمد:

يُخَادِعُونَ اللَّهَ يَعْني يخادعون رسول الله بأيمانهم خلاف ما في جوانحهم وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ أَيْضاً الَّذِينَ سَيَدُهُمْ وَفَاضَلَهُمْ عَلِيّ بن ابي طالب عليه السلام «٢».

ثم لا يخفى أنّ هذا الوجه غير حاسم لمادة الاعتراض إلا بمعونه شيء مما يأتي وإن استقلّ بدفع بعض الغوائل كما لا يخفى.

(١) الفتح: ١٠.

(٢) تفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام ص ٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٨١

ثانيها: أنّ المراد تشبيه صورة صنعهم مع الله وعبوديتهم له من حيث إظهار الإيمان، واستبطان الكفر والسعي في إيذاء الرسول والإصرار في دفع الحق عن وصيه، وشق عصا المسلمين، ومحادّة النبي والمؤمنين وصنع الله بهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم، وهم عنده أخص الكفار، وأهل الدرك الأسفل من النار، وإبقاء ما منحهم من قوّة ونعمة وعافية، وغيرها من الفيوض التكوينية وامتثال الرسول والمؤمنين أمر الله تعالى في إخفاء حالهم وإجراء حكم الإسلام عليهم، كلّ ذلك استدراجاً لهم من حيث لا يعلمون\*، وإملاء لهم ليؤدوا إثمًا ولهم عذابٌ مهينٌ بصورة صنع المخادعين اللذين يخفي كلّ منهما لصاحبه المكروه حتى يوقعه فيه.

و يشير إليه

ما رواه العياشي عن الصادق عليه السلام انّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سئل فيما النّجاة غدا؟ قال: إنّما النّجاة أن لا تخادعوا الله

فيخدعكم فإن من يخادع الله يخدعه، و يخلع منه الإيمان و نفسه يخدع لو يشعر، قيل له و كيف يخادع الله؟ قال: يعمل ما أمره الله عزّ و جلّ ثم يريد به غيره، فاتّقوا الرياء فإنه شرك بالله تعالى «١».

و في التوحيد و المعاني و العيون و الاحتجاج عن الرضا عليه السلام: أنه سئل عن قول الله عزّ و جلّ: سَيَخِرُّ اللَّهُ مِنْهُمْ «٢» و عن قوله: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ «٣» و عن قوله: وَ مَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ «٤» و عن قوله: يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ «٥» فقال: إن الله عزّ و جلّ لا يسخر، و لا يستهزئ، و لا يمكر، و لا يخادع، و لكنّه عزّ و جلّ يجازيهم جزاء السخرية، و جزاء الاستهزاء، و جزاء المكر و الخديعة، تعالى الله عما

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٢٨٣ و عنه البحار ج ٨٣ ص ٢٢٧.

(٢) التوبة: ٧٩.

(٣) البقرة: ١٥.

(٤) آل عمران: ٥٤.

(٥) النساء: ١٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٨٢

يقول الظالمون علوا كبيرا «١».

ثالثها: أن يكون ذلك مبتيا على ما يعتقدونه من عدم اتصافه سبحانه بالصفات الجمالية و الجلالية لعدم معرفتهم به و صفاته و بأسمائه الحسنی و صفاته العليا فيزعمون أنه ممن يصحّ خداعه و إيصال المكروه إليه من وجه خفي لا يعلم به و كانوا إذا تكلموا فيما بينهم يقولون أسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فانزل الله تعالى: وَ أَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ «٢» و لذا سيق الكلام على حسب معتقدهم تبكيثا بهم و تهكما عليهم.

رابعها: أنهم يعملون عمل المخادع الحريص على دفع كيد عدوّه و إيصال الضرر إليه و المخادعة معه في جلائل الأمور و دقائقها فإن الزنة أصلها للمغالبة و المبارات و الفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ و احكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب و لا مبار لزيادة قوى الداعي إليه و الحرص عليه.

خامسها: أن فاعل بمعنى فعل كسافرت، و ناولته الشيء، و إنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ «٣» و عافاه الله، و عاقبت اللص، و يؤيد قراءه من قرأ يخدعون الله، و هو أبو حيوة على ما حكاه عنه في «الكشاف» «٤» و ان ادعى في شرح طيبة النشر و بعض شروح الشاطبية الإجماع على يُخَادِعُونَ اللَّهَ، و كأنهم أرادوا اجماع السبع أو العشر، و على الوجهين فهما بمعنى، و بناء الفعل على المفاعلة و إن دلّ على المبالغة لكنّها لا تبلغ المبالغة في الوجه المتقدم.

سادسها: أن يكون من قولهم: أعجبني زيد و كرمه، فيكون المعنى: يخادعون

(١) العيون ص ٧١-٧٢ و عنه البحار ج ٦ ص ٥١.

(٢) الملك: ١٣.

(٣) الحج: ٣٨.

(٤) الكشاف ج ١ ص ١٧٣ ط بيروت دار الفكر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٨٣

الذين آمنوا بالله فإن هذه طريقة يسلكونها إذا أرادوا افادة قوة الاختصاص، و لما كان المؤمنون الذين أميرهم أمير المؤمنين بمكان من

اللَّهِ تَعَالَى سَلَكَ بِهِمْ ذَلِكَ الْمَسْلُوكَ كَمَا سَلَكَ نَبِيِّهِ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ «١»، وقوله: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ «٢».

والسر في افادته قوة الاختصاص أنك في المثال إذا أسندت الإعجاب إلى زيد والمعجب كرمه فقد أوهمت أن كرمه شاع فيه بحيث سرى في جميع أعضائه وقواه و صار شخصه معجبا بإعجاب كرمه، ولذا أسند الإعجاب الذي هو من كرمه إلى ذاته، ومثل هذا العطف يكون جاريا مجرى التفسير و إزالة الإبهام، وكذا يستفاد من الآية أن المؤمنين الذين فيهم أهل العصمة والطهارة لشدة اختصاصهم بالله و انقطاعهم إليه صاروا من حزبه بل هم القوامون بأمره العاملون بإرادته الناطقون بمشيئته ولذا جعل خداعهم خداعه و ثنى بهم إيضاحا للمرام و افصاحا عما لهم من المقام و لذا عرّفهم بالموصول تعظيما و تكريما و أطلق إيمانهم تنبيها على تعلقه بكل ما ينبغي أن يؤمنوا به.

وجملة يُخَادِعُونَ في موضع التّصّب لكونها حالا- عن الضمير في قوله: مَنْ يَقُولُ أَوْ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، أو بيان ل يَقُولُ، أو استيناف لذكر ما هو كالتعليل لعدم إيمانهم و أمّا الذي كانوا عنه يخادعون فاعراض شتى لهم كالاعتصام بظل الإسلام في حفظ دمائهم و أموالهم و أعراضهم، و الدخول في حوزة المسلمين و المشاركة معهم في نيل الحظوظ من المغانم و ساير الفوائد، و الاطلاع على الأسرار التي كانوا حراسا على إذاعتها إلى منابذهم، و غير ذلك من المقاصد التي كان

(١) التوبة: ٦٢.

(٢) الأحزاب: ٥٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٨٤

أعظمها و أهمها نيل المناصب العظيمة و الرياسات الجليلة كما أخبرت الكهنة بذلك الجبت و الطاغوت و غيرهما من رؤوس المنافقين الذين نصبوا شبكة الخداع لأهل الدين و شتوا الغارة بعد الغارة على الإسلام و المسلمين و غضبوا حق مولانا أمير المؤمنين و ذرّيته المعصومين صلى الله عليهم أجمعين.

### تفسير و ما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ

و ما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ و لا يثول ضرر خداعهم إِلَّا إليهم، لانحيازهم بفروعه و أصله و لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ «١» فأن المنخدع هو الخادع لغرته عن وخامة أمره، و سوء تدبيره و جنائته على نفسه.

و هذه قراءة المشهور، و عن نافع و ابن كثير و أبي عمرو: و ما يخادعون.

و ربما يستدل للأولى بأنها الأنسب مضافا إلى قوله: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ «٢».

و للثانية بموافقة الصدر، مع تنزيل ما يخطر بباله من الخدع بمنزلة آخر يجازيه ذلك و يعارضه إياه، فيكون الفعل كأنه من اثنين كقول الكميّ في حمار أراد الورد:

تَذَكَّرَ مَنْ أُنِّيَ وَ مَنْ أَيْنَ شَرِبَهُ يَأْمُرُ نَفْسِيهِ كَذَى الْهَجْمَةَ الْإِبِلَ «٣»

(١) فاطر: ٤٣.

(٢) النساء: ١٤٢.

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٨٥

و أنت ترى قصور مثل هذه الوجوه، سيّما في ما يجب فيه التوقيف.

نعم يصحّ المعنى على الوجهين كما يصحّ على القراءات الاخر التي ليست من العثر حكاها في «الكشاف» مجهولة القائل و لذا لا يجوز القراءة بها، و هي: و ما يخدعون، من خدع بالتشديد للفاعل، و يخدعون بفتح الياء بمعنى يخذعون، و يخدعون و يخذعون كلاهما على لفظ ما لم يسمّ فاعله، و يكون نصب أنفسهم حينئذ على حذف الجار، و يجوز أن يكون حرف المجاوزة أو الابتداء. و أنفس جمع نفس تحقيرا أو تقليلا، بناء على اعتبار الفرق بين القلب و الكثرة، و هي في الأصل ذات الشيء و حقيقته، و هي المشيئة الجزئية، و يطلق على الروح بأقسامها الأربعة: و

هي النامية النباتية، و الحسية الحيوانية، و الناطقة القدسية، و الكلية الالهية كما في العلوي المشتهر «١»

، و على ما يقابل العقل بمراتبها السبعة، و على ما يقابل الغير، و على الروح البخاري، و القلب الصنوبري، و الدم، و البدن، و الزاي، و غيرها.

إلا أن المراد بها في المقام هو الأول و يحتمل ارادة غيره من المعاني على تكلف في بعضها.

و المراد أن الخداع لا يصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم و لا يتخطاهم إلى من سواهم، فأنهم قد هلكوا بنفاقهم فضلا عن خداعهم و إيذائهم و إن نالوا من المؤمنين ما نالوا من المال و الجاه و الرياسات و غيرها، فإن جميع ذلك مما يستحقرون دون يسير مما أعد لهم من الخسارة اللازمة و العقوبة الدائمة، و الإبقاء عليهم إنما هو على جهة الإمهال و الاستدراج.

(١) في البحار ج ٦١ ص ٨٥: هذه الاصطلاحات لم تكند توجد في الاخبار المعتمدة المتداولة، و هي شبيهة بأضغاث أحلام الصوفية.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٨٦

قال الإمام عليه السلام في قوله: «و ما يخذعون» ما يضرّون بتلك الخديعة إلا أنفسهم، فإن الله غنى عنهم، و عن نصرتهم، و لولا إمهاله لهم لما قدروا على شيء من فجورهم و طغيانهم «١».

و ما يشعرون أن الأمر كذلك، و أن الله تعالى يطلع نبيه على نفاقهم و كذبهم و كفرهم، و يأمره بلعنهم في لعنة الظالمين الناكثين، و ذلك اللعن لا يفارقهم في الدنيا و يلعنهم خيار عباد الله، و في الآخرة يتلون بشدائد عقاب الله ، إلى هنا كلام الامام عليه السلام.

و أصل الشعر بالكسر مصدر شعرت من باب قعد شعرا و شعرة بمعنى فطنت، و هو الإحساس بالشيء من جهة تدق، و منه اشتقاق الشعر لأن الشاعر يفتن لما يدق من المعنى و الوزن.

قيل: و لا يوصف الله سبحانه بأنه يشعر لما فيه من التلطف و التخيل، و لعل الأولى التعليل بما فيه من استعمال الحاسة في الإدراك، فإن الشعور هو الإحساس، و مشاعر الإنسان حواسه، و ليس إدراكه بمعونة الآلات و الأدوات.

و إنما لم يشعروا لأن حواسهم و إدراكاتهم مقصورة على إدراك ظاهر الحياة الدنيا، و هم عن الآخرة هم غافلون، و ذلك للختم المضروب على قلوبهم و سمعهم و الغشاوة المغطاة على أبصارهم.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام خطابا للحسينين عليهما السلام:

ابني إن من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر

فطن بكل رزية في ماله و إذا أصيب بدينه لم يشعر

(١) تفسير المنسوب الى الامام عليه السلام ص ٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٨٧

## [سورة البقرة (٢): آية ١٠]

## إشارة

تفسير الآية (١٠) في قلوبهم مَرَضٌ في قلوبهم التي هي محلّ النكراء و الشيطنة و الخيالات النفسانية و الأفكار الشيطانية، أو في ذواتهم المصوغة بصيغة الجهل و المخالفة و الأدبار المنصبغة بصيغة الشيطان.

مَرَضٌ أى مرض، أو نوع منه هو رأس جميع الأمراض القلبية فضلا عن الأمراض البدئية التي لا يبالي بها بالنظر إلى ما يوجب الهلاك الأبدى و الموت السيرمدى، و أصله السقم في البدن، و يقابله الصحة تقابل التضاد، أو العدم و الملكة على ما قرّر في محلّه، و كما أنّ المرض في البدن هيئة بدئية لا تكون الأفعال كلّها معها لذاتها سليمة، بل يخرج بعضها أو كلّها عن الاعتدال و السلامة بواسطة عروضة، فكذلك المرض القلبي صفة قلبية لا يكون معها الأفعال القلبية و الأخلاق النفسية و الأعمال البدئية جارية على الاعتدال و الاستقامة التي هي مقتضى العبودية، و هي صبغة الإسلام، و فطرت الله التي فطر الناس عليها. و قيل: إنّ أصل المرض الفتور، فهو في القلب فتوره عن الحق، كما أنّه في البدن فتور الأعضاء.

## لكل من الجسم و الروح سنة احوال

و في التوحيد عن امير المؤمنين عليه السلام: إنّ للجسم سنة احوال: الصّحة، و المرض، و الموت، و الحيوة، و النوم، و اليقظة، و كذلك للروح فحياتها علمها،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٨٨

و موتها جهلها، و مرضها شكها، و صحتها يقينها، و نومها غفلتها، و يقظتها حفظها «١».

## المراد بالمرض في قلوب المنافقين

و بالجملة الأمراض القلبية أصعب الأمراض، و أشدّها نكايّة، و أسوأها إهلاكا لأنها تورث الهلاك الأبدى في الدنيا و الآخرة، و لذا عبّر عنهم بالأعموات في كثير من الآيات، و المرض الراسخ في قلوبهم إنّما هو العناد للحق، و الحسد لأهله، و حبّ الرياسات الباطلة الناشئة عن التفاق و الشك.

و في التعبير بالجملة الظرفية دلالة على تمكّنه و استقراره في قلوبهم.

فزادهم الله مَرَضاً لأنّ الله سبحانه لفيضه الشامل وجوده الكامل لا يزال يمدّهم بالفيوض الرّحمانية، و ينزل عليهم من الخزائن الغيبية ما يستمرّ به ذواتهم و صفاتهم و قلوبهم و وجودهم و مشاعرهم و حواسهم و غير ذلك ممّا يصلح صرفه في الطاعة و في المعصية، فإن اختاروا صرفها في تحصيل الطاعة و طلب القرب فقد فازوا بها و ازدادوا إيماناً مع إيمانهم، و إن اختاروا صرفها في تحصيل المعصية و طلب البعد عن ساحة قربه و رضوانه، فما كان الله ليَجبرهم على الطاعة، أو يقسرهم عن المعصية، أو يسلب عنهم الاختيار أو يحول بينهم و بين الآلات و الأدوات و سائر الأسباب كي يثول أمرهم إلى الاضطرار لا إكراه في الدّين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ «٢»، و لذا يكون آلاؤه و نعمائهم أسباباً صالحة لكلّ من الطاعة و المعصية.

و من هنا يتّضح الوجه في ما ورد من أنّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام نعمه الله

(٢) البقرة: ٢٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٨٩

على الأبرار، و نغمته على الفجار (١).

و كذا سائر الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

بل و كذا كل جزء و جزئي، حقير أو جليل من مواهبه سبحانه، من حيث صلوحه و قابليته لصفه في كل من التجدين.

و لذا قال سبحانه بعد قوله: و إذا ما أنزلت سورة\*، آه فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً و هم يستبشرون و أما الذين في قلوبهم مرض

فزادتهم رجساً إلى رجسهم (٢).

مع أن السورة لم تزد على وجه الحقيقة لكنهم لما ازدادوا رجسا عند نزولها، كما كفروا قبل ذلك، أضافه إليها.

و مثله قوله: و ليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً و كُفراً\* (٣).

و قوله: فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً\* (٤).

و قوله: حكاية عن نوح على نبينا و آله و عليه السلام رب إني دعوت قومي ليلاً و نهاراً فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً\* (٥).

إلى غير ذلك مما يستفاد منه جواز استناد الشيء إلى شيء من أسبابه.

و مما مر يظهر النظر فيما يقال من أن الزيادة من جنس المزيد عليه فلو كان المراد من المرض هنا الجهل أو الكفر، لكان قوله «فزادهم

الله مرضاً» محمولاً على الجهل و الكفر، فيلزم أن يكون الله سبحانه فاعلاً لهذين تعالَى الله عنه و عمّا يقول

(١) مصباح الزائر ص ٧٧-٧٨ و فيه: السلام على نعمه الله على الأبرار، و نغمته على الفجار.

(٢) التوبة: ١٢٤-١٢٥.

(٣) المائدة: ٦٨.

(٤) فاطر: ٤٢.

(٥) نوح: ٥-٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٩٠

الظالمون علواً كبيراً، و بما ذكرناه يندفع الأشكال برمته.

مع أن في الآية وجوهاً أخر منها: أن يحمل المرض على الغم و الحزن كما يقال: مرض قلبي في أمر كذا، و المعنى أن المنافقين

مرضت قلوبهم لما رأوا من ثبات أمر النبي صلى الله عليه و آله و سلم و استعلاء شأنه يوماً فيوماً، و ذلك كان يؤثر في زوال

رئاساتهم.

كما قد روى أنه صلى الله عليه و آله و سلم أوقف أسامة على حمارة يعود سعد بن عبادة قبل وقعة بدر فمرا على مجلس فيه عبد الله

بن أبي فقال له نخ حمارك يا محمد فقد اذاني ريحه، فلما دخل على ابن عبادة فقال: يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب يريد ابن

أبي فقال يا رسول الله اعف عنه و اصفح، فو الله لقد أعطاك الله الذي قد أعطاك و لقد اصطاح أهل هذه البحيرة أن يعصيه بوه

بالعصاة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شوق بذلك.

و كما قد روى أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بينما هو جالس إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله

عليه و آله و سلم إن فيك شهماً من عيسى بن مريم و لولا أن يقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصراني في عيسى بن مريم لقلت

فيك قولاً لا تمرّ بملا من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة فغضب الاعرابيان و المغيرة بن شعبه و

عدة من قريش فقالوا: ما رضى أن يضرب لابن عمه مثلاً إلا عيسى بن مريم فانزل الله على نبيه و لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا الآيات (١).

قال فغضب حارث بن عمرو الفهرى فقال اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ قَالَ فَلَمَّا صَارَ الْحَارِثُ بظَهْرِ الْمَدِينَةِ أَتَتْهُ جَنْدَلَةٌ فَرَضَتْ هَامَتَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ

(١) الزخرف: ٥٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٩١

انطلقوا الى صاحبكم فقد آتاه ما استفتح به «١»، الى غير ذلك مما تسمعها في مواضعه إن شاء الله. ومنها أن يحمل المرض على ألم القلب، حيث إن الإنسان إذا صار مبتلى بالحسد والنفاق ونحوهما، ودام به ذلك فربما صار ذلك سببا لتغير مزاج قلبه، ويسرى ذلك في بدنه، فإن الأبدان سريعة الانفعال من العوارض النفسانية، ويكون المراد من قوله تعالى: فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا سراية المرض من قلوبهم إلى أبدانهم.

أو أن المراد به بناء على هذا الوجه وغيره المنع من زيادة الألفاظ فيكون بسبب ذلك خاذلا لهم. ومنها أن ذلك على سبيل الدعاء عليهم كقوله تعالى: ثُمَّ أَنْصِرْهُمْ وَأَنْصِرْ فَوْقَهُمْ رُفُوعًا صَيَّرَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ «٢» فيكون دعاء عليهم بأن يخليهم وأنفسهم إملاء واستدرجا كي يزدادوا إثما.

ومنها أن المراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبر. حين شاهدوا شوكة المسلمين، وإمداد الله تعالى لهم بالملائكة المنزلين وقذف الرعب في قلوب الكافرين، وبزيادة المرض تضعيفه بما زاد لرسوله من النصر والغلبة وإعلاء الكلمة.

(١) تفسير البرهان ج ٤ ص ١٥٠-١٥١ مع تفاوت يسير- والبحار ج ٣٥ ص ٣٢٤.

(٢) التوبة: ١٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٩٢

### القراءة الشاذة في مَرَضٍ

وقرأ أبو عمرو «١» في رواية الأصمعي (مرض) و (مرضا) بسكون الراء فيهما، قيل: و هي ليست من المتواترة. وعن ابن جنى «٢»: لا يجوز أن يكون مرض بسكون الراء تخفيف مرض بفتحها، لأن المفتوح لا يخفف إلا شاذًا بخلاف المضموم و المكسور، بل يجب أن يكون لغة أخرى فيه.

وقال الفيومي «٣» في «المصباح المنير»: مرض مرضا (بالسكون) لغة، قليل الاستعمال، قال الأصمعي «٤»: قرأت على ابى عمرو ابن العلاء: «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» فقال لى: «مرض» يا غلام، اى بالسكون، و الفاعل من الأولى مريض، و من الثانية مريض.

و فى «القاموس»: مرض كفرح مرضا و مرضا فهو مرض، و مريض، و مريض.

و بالجملة لا ريب فى صحتها لغة، لكن جواز القراءة بها غير ثابت.

و لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مَوْلَم، و هو الموجع الذى يبلغ إيجاعه غاية البلوغ، فعيل بمعنى مفعول بالكسر، كالبديع بمعنى المبدع فى قوله تعالى: بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ \* «٥»، و النذير بمعنى المنذر، و السميع بمعنى المسمع فى قول عمرو بن

(١) هو أبو عمرو بن العلاء المازنى المقرئ البصرى المتوفى «١٥٤» هـ.

(٢) هو ابو الفتح عثمان بن جنى الموصلى النحوى الأديب المتوفى (٣٩٢) هـ.

(٣) هو احمد بن محمّد المصرى الأديب اللغوى المقرئ، المتوفى نحو «٧٧٠» هـ.



(٤) الأصمعي عبد الملك بن قريب البصرى اللغوى المتوفى (٢١٦) هـ.

(٥) سورة البقرة: ١١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٩٣

معدى كرب «١»:

أمن ريحانه الداعى السميع يؤزقنى وأصحابى هجوع وقد صرّح به غير واحد من ائمة اللغة، فلا يصغى إلى إنكار الزمخشري، وغيره مجيء فعيل بمعنى مفعول بالكسر، وجعل الآية من المجاز فى الإسناد كقوله: تحية بينهم ضرب وجيع، بمعنى المرجع بالفتح على ما قيل، وقولهم: جدّ جدّه، والألم فى الحقيقة للمتألم، كما أنّ الجدّ للجادّ، لكنّ العذاب وصف به للمبالغة، كأنّ العذاب لشدّته يتألم من نفسه، ولا بأس به غير أنّ الأوّل أظهر.

بما كانوا يكذبون «٢» بسبب كذبهم فى قولهم: آمنا ولم تؤمن قلوبهم، وفى قولهم: إنّك لرسول الله، والله يشهد بكذبهم، وفى إقرارهم وتصديقهم بوصية الذى بايعوا معه يوم الغدير، حتى قال له الثانى ما قال، ثم نكثوا بيعته ونقضوا عهده، ونبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون.

وفى إشار مادة الكون، وهيئة الجملة الفعلية دلالة على استمرارهم على الكذب وإصرارهم وتحققهم به قولا وفعلا، حتى كأنّه كانت كينونتهم عليه من باب الفطرة الثانية، والخلقة المغيرة الشيطانية.

### القراءة الشاذة فى يكذبون

والتخفيف قراءة حمزة، وعاصم، والكسائى، وقرأ الباقون يكذبون بالتشديد. وعلل الأوّل بأنّه أشبه بما قبل الكلمة وما بعدها، لأنّ قولهم: آمنا بالله كذب

(١) عمرو بن معدى كرب الزبيدى فارس اليمن وفد على المدينة سنة (٩) هـ و اسلم، ولما توفى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ارتدّ عمرو، ثم تاب، فشهد القادسيه، وتوفى قرب الرى عطشا سنة (٢١) هـ.

(٢) البقرة: ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٩٤

منهم فلهم عذاب أليم بكذبهم، وما وصلته بمعنى المصدر، وأيضا قولهم فيما بعد لإخوانهم الشياطين: إنّنا معكم إنّما نحن مشيتهمون «١» يدل عليه.

و أما الثانى فعّل بموافقه لما هو المذكور فى آيات كثيرة، كقوله تعالى:

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ «٢»، وقوله: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ «٣»، وغيرهما.

ولكنّ الدليلين كما تراهما بمكان من القصور، كقصور ما عن بعض من كون الثانى أنسب بالمقام لسببته للكفر وشدّة العذاب، ودوامه، وعدم الإيمان، وغير ذلك ممّا يستفاد، دون الأوّل الذى هو بمجرد من أسباب الفسق لا الكفر.

إذ مع أنّ الأنسب بحال المناق هو الدّم على الكذب، لا ينبغى تعيين القرآن او ترجيح القراءة بمثل هذه الوجوه، سيما بعد ترخيص الأخذ بكلّ منهما فى زمان الغيبة، كشف الله عنّا الحيرة بظهور الحجّة عجل الله فرجه.

ثمّ المشدّد إمّا من كذبه، لأنّهم كانوا يكذبون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقلوبهم، وإذا خلوا إلى شياطينهم فيما بلغهم من الشرائع، سيما خلافه وصيه، كما قال: وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ «٤» فلا تطع المكذبين، ودوا لو تدهن فيدهنون «٥».

أى فى ولاية ولي الأمر.

و إما من كذب الذى هو المبالغة فى اصل الفعل، أو لتكثير الفاعل أو المفعول،

(١) البقرة: ١٤.

(٢) آل عمران: ١٨٤.

(٣) يونس: ٣٩.

(٤) الأنعام: ٦٦.

(٥) القلم: ٨-٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٩٥

نحو بين الشيء، و مَوَّت الآبال، وَ عَلَّقَتِ الأبوابَ «١»، أو من كذب عن أمر قد أراده، إذا أحجم و لم يقدم، لأنهم نكثوا البيعة، و نقضوا الصفة، أو من كذب الوحشى إذا جرى شوطا فوقف لينظر ما ورائه، لتردد المنافقين، و تحيرهم فى أمر الدين و فى صرف الولاية عن أمير المؤمنين عليه السلام.

### تعريف الكذب

اعلم أن الكذب هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه، و هو من جنود الجهل. كما أن الصدق الذى هو مطابقة الخبر للواقع، أو لاعتقاد المخبر، أولهما، من جنود العقل، و تقابل الكذب له تقابل العدم و الملكة، لأنه عدم الصدق عما من شأنه الصدق، و الكذب قد يكون صادرا لمصلحة دينية أو دنيوية مجوزة له شرعا و لا بأس به، بل قد لا يسمى كذبا.

عن الصادق عليه السلام: الكلام ثلاثة: صدق، و كذب، و إصلاح بين الناس، قال:

تسمع من الرجل كاملا لو بلغه لصاقت نفسه، فتقول: سمعت من الفلان قال فيك الخير كذا و كذا، خلاف ما سمعت منه «٢». و فى خبر آخر عنه عليه السلام: المصلح ليس بكذاب «٣».

و قد يكون صادرا لغير ضرورة مسوغه، و هو من اسباب الفسق، و قد يكون صادرا عن الملكة و الانطباع عليه، و إليه الإشارة بالنبوى: إن الكذب يهدى إلى الفجور، و الفجور يهدى إلى النار، و إن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا «٤».

(١) سورة يوسف: ٢٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٥١ عن الكافى ج ٢ ص ٣٤١ بتفاوت يسير فى بعض الألفاظ.

(٣) البحار ج ٢٥ ص ٢٩٢.

(٤) البحار ج ٧٢ ص ٢٥٩ عن الأمالى للصدوق ص ٢٥٢ و فيه: ما يزال أحدكم يكذب حتى لا يبقى فى قلبه موضع أبرة صدق فيسمى عند الله كذابا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٩٦

و قال عبد الرحمن بن الحجاج: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: الكذاب هو الذى يكذب فى الشيء؟ قال: لا ما من أحد إلا و يكون ذلك منه، و لكن المطبوع على الكذب «١».

و لعل هذا هو المراد مما

ورد من أن المؤمن يزنى و لا يكذب «٢».

و عن أبى جعفر عليه السلام قال: إن الله عز و جل جعل للشر أقبالا و جعل مفاتيح تلك الأقبال الشراب، و الكذب شر من الشراب

(٣).

و أما ما

روته العامة من أن ابراهيم على نبينا وآله وعليه السلام كذب ثلاث كذبات فهو مفترى عليه، و سيجيء الإشارة إليه و الى معنى الخبر على فرضه في تفسير قوله: **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ** «٤»، و قوله: **إِنِّي سَقِيمٌ** «٥».

### [سورة البقرة (٢): آية ١١]

#### إشارة

تفسير الآية (١١) **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ «٦» عطف على يَقُولُ آمَنَّا أو على يُخَادِعُونَ اللَّهَ أو على يَكْذِبُونَ، و ربّما يرجح الأخير على الأولين بقربه، و بافادته سببته الفساد**

(١) البحار ج ٧٢ ص ٢٥٠ عن الكافي ج ٢ ص ٣٤٠.

(٢) البحار ج ٧٢ ص ٢٦٣ عن دعوات الراوندى بتفاوت يسير.

(٣) البحار ج ٧٢ ص ٢٦٢ و فيه: و أشر من الشراب الكذب.

(٤) الأنبياء: ٦٣.

(٥) الصافات: ٨٩.

(٦) البقرة: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٩٧

للعذاب، و لسلامته من تخلّل البيان، أو الاستيناف و ما يتعلّق به بين أجزاء الصلّة، و الأقرب الأوّل لظهور كون الآيات حينئذ على نمط واحد من تعداد قبائحهم، و إفادتها اتّصافهم بكلّ تلك الأوصاف استقلالاً و قصداً، و دلالتها على أنّ لحوق العذاب الأليم بسبب كذبهم الذي هو أدنى أحوالهم في كفرهم و نفاقهم فما ظنك بسائرهما.

و ربّما يتوهم أنّ عطفه على الجملة الاسميّة أعنى قوله: **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا أو في بتأديته هذه المعاني.**

و فيه نظر لعدم دلالة على اندراج هذه الصفة و ما بعدها في قصّتهم، بل تكون قصّة في مقابلة الاولى، فلا يحسن عود الضمائر التي فيها إليهم، نعم يمكن الاستيناس له بما يأتي روايته عن سلمان، و ستمتع الجواب عنه.

#### القراءة في قيل

و في (قيل) و نحوه من الفعل الماضي الذي لم يسمّ فاعله قرأ الكسائي، و رويس، و هشام بالإشمام، بأن ينحى بكسر أوائلها نحو الضمّة و بالياء بعدها نحو الواو، فهي حركة مركّبة من حركتين، لأنّ أوائلها و إن كانت مكسورة فأصلها الضمّ فاشتمت الضمّة دالّة على أنّه أصل ما تستحقّه.

قالوا: هو لغة للعرب فاشية، و أبقوا شيئاً من الكسر تنبيها على ما استحقّته هذه الأفعال من الاعتدال.

و قرأ الباقون من القراء بإخلاص الكسر لأجل الياء الساكنة بعده، نحو ميزان، و ميقات، قالوا: و هو اللغة الفاشية المختارة.

و عن نافع، و ابن ذكوان الجمع بين اللغتين، و فيه لغة ثالثة، و هي (قول) بالواو المضموم ما قبلها، و في جواز القراءة بها إشكال، و الأولى الاقتصار على إخلاص

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٩٨

الكسر.

و إدغام اللام فى اللام من الإدغام الكبير الذى تبهنا على عدم جوازه.

و (إذا) ظرف للزمان، و فيها معنى الشرط أضيفت إلى الجملة الفعلية، و إنما يعمل فيها جوابها، و هو (قالوا).

لا- تُفْسِدُوا فى الأرضِ جملة فى موضع الرفع بيان للمقول، و الإفساد إحداث الفساد، و هو خروج الشيء عن حال استقامته و كونه منتفعا به، و يقابله الصلاح و هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة.

و الأرض مستقرّ الحيوان، و يقال لقوائم الفرس أيضا لاستقراره عليها، و لكلّ ما سفل، و لعلّ منه إطلاقها على القوائم، و لذا قال فى «الصحاح»، و «القاموس»: إنّها أسفلها.

و الأظهر أنّها فى الأصل هذه التى جعلها الله تعالى فراشا، و مهادا، و ان كان ربّما يوسّع فى معناها من جهة الاستقرار، أو التسفل، أو الخضرة و النضرة فى قولهم: أرض أريضة، أى زكية نضرة معجبة للعين، أو التواضع و البركة فى قولهم: رجل أريض، أى متواضع خليق للخير، أو الثقل فى قولهم: تأرّض فلان إذا تثاقل الى الأرض، و غير ذلك ممّا ينزل معها الجامد منزلة المشتق.

### معنى الفساد فى الأرض

و معنى الفساد فى الأرض هيج الحروب و الفتن، لأنّ فى ذلك فساد حال الإنسان الذى هو أشرف المواليد، و يتبعه فساد سائر الحيوانات و النباتات.

قال الله تعالى: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٢٩٩

وَالنَّسِيلَ ... «١» نزلت فى المنافقين الذين نزلت فيهم الآيات المتقدمة، و هم الذين عقدوا فيما بينهم أن يمنعوا أمير المؤمنين عليه السلام حقه، و ينازعوه فيما جعله الله تعالى له من الرياسة العامة و الولاية الكلية.

و يؤيد

ما روته الخاصة و العامة عن سلمان المحمّدى رضى الله عنه أنّ أهل هذه الآية لم يأتوا بعد «٢» و حمله الطبرسى و البيضاوى و غيرهما من الفريقين على أنّه أراد به أنّ اهله ليس الذين كانوا فقط، بل سيكون بعد من حاله حالهم، قالوا:

لأنّ الآية متصلة بما قبلها بالضمير فيها.

أقول: و الأظهر أنّ سلمان إنّما أبهم البيان خوفا و تقيّة، و مراده ما

أشار اليه الصادق عليه السلام على ما رواه فى المناقب أنّه سئل عن هذه الآية، فقال: بها قوتل أهل البصرة «٣».

فقول سلمان: لم يأتوا بعد، معناه لم يأتوا. بإفسادهم، و ان كانوا موجودين بأعيانهم، كطلحة، و الزبير، و غيرهما من المنافقين الناكثين لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّهم بايعوه أولا طائعين طامعين فى نيل الأموال و المناصب، فلما رأوا أنّه عليه السلام يعدل بالحق، و يقضى بالقسط، و يقسم بالسوية، و يعدل بين الرعية جاء طلحة و الزبير إليه يستأذنانه للعمرة و قد أرادا الغدرة، فخرجوا يجزون حرمة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم كما تجرّ الأمة عند شرائها و أوقدوا نار الحرب التى قتل فيها منهم ما يقرب من عشرين ألفا، و قتل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام نحو ألف رجل و سبعون فارسا، إلى أن وضعت الحرب أوزارها.

(٢) راجع هامش رقم (١) في تفسير الصافي ج ١ ص ٩٦.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٣٤ و عنه البحار ج ٣٢ ص ٢٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٠٠

ولا يخفى أن نكث هؤلاء بيعتهم الثانية بعد قتل عثمان وإن أوجب الفساد، و سفك الدماء، و تفريق الكلمة، و إثارة فتن الشام و النهروان، إلا أن أساس ذلك كله، بل و غيره من الفتن و المفاصد الواقعة بعد رحلة النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلى ظهور الحجّة عجل الله فرجه إنما هو نكث البيعة الكبرى الواقعة في يوم الغدير.

ولذا

قال موسى بن جعفر على ما تفسير الامام عليهم السلام: «إِذَا قِيلَ» لهؤلاء الناكثين للبيعة في يوم الغدير لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِإِظْهَارِ نَكْثِ الْبَيْعَةِ لِعِبَادِ اللَّهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَتَشْوِشُونَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ، و تحيرونهم في مذاهبهم.

قالوا إنما نحن مُضِلُّوهُنَّ لِأَنَّا لَا نَعْتَقِدُ دِينَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ وَ لَا غَيْرَ دِينَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، وَ نَحْنُ فِي الدِّينِ مُتَحَيِّرُونَ، فنحن نرضى في الظاهر محمدا بإظهار قبول دينه و شريعته، و نقضى في الباطن على شهواتنا فممتنع و نتركه، و نعق أنفسنا من رق محمد، و نفكها من طاعة ابن عمه علي لكي لا نذل في الدنيا، كنا قد توجهننا، و إن اضمحل أمره كنا قد سلمنا من سبى أعدائه. الخبر «١».

و فيه مبالغة على إنكار الناصح و ردّ قوله، و دعوى تمخض أفعالهم و أحوالهم عن شرب الفساد، و انحصارها في الصلاح المحض لأن كلمة (إنما) تفيد قصر ما دخلته على ما بعده، فمعنى إنما زيد قائم، ما زيد إلا قائم، و معنى إنما قائم زيد: ما قائم إلا زيد، و المراد أن ما تسمونه فسادا هو عندنا صلاح، لما في قلوبهم من الزينغ و المرض، فهم من الذين ضلّ سبيلهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا «٢»، و ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا «٣».

(١) تفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السلام ص ٥٧ و عنه البرهان ج ١ ص ٦١ ج ١.

(٢) الكهف: ١٠٤.

(٣) فاطر: ٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٠١

أو إنكار ما ينسب إليهم من النفاق، و إيلاف الكفار، و معاندة أهل الحق، كما قالوا: آمنا و لم يؤمنوا.

### [سورة البقرة (٢): آية ١٢]

تفسير الآية (١٢) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ أَلَا إِنَّهُمْ «١» اعلّموا أن هؤلاء المنافقين المصريين على كفرهم الذين يعدون الفساد صلاحا هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ تكذيب من الله لهم و ردّ على ما ادّعوه أبلغ ردّ بحيث لا يرجى نجاتهم، لانهما كهم في غيهم و ضلالهم و عدم شعورهم بذلك، أو بما يستحقونه من العذاب الأليم، فإنهم يحسبونه هيناً و هو عند الله عظيم.

و كلمة أَلَا حرف استفتاح يتبدأ به الكلام لتوكيد مضمون الجملة، مركب من همزة الإنكار، و حرف النفي، و الإنكار نفي، و نفي النفي إثبات، ركبتا لإفادة الإثبات و التحقيق، و نظيره أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى «٢» إذا لا- يجوز للمجيب إلا الإقرار ببلى، لكنهما بعد التركيب صارتا كلمة تدخل على ما لا يجوز أن يدخله حرف النفي، كما في الآية، و لا تكاد تذكر إلا و الجملة بعدها مصدره بما يتلقى به القسم، كإِنَّ، و اللام، و حرف النفي.

ففي الآية وجوه من المبالغة كتصدير الجملة بها و بيان المقررة لمضمونها و الاستيناف، فإنّ العدول اليه من العطف يقصد به تمكّن

الحكم في ذهن السامع،

(١) البقرة: ١٢.

(٢) سورة القيامة: ٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٠٢

و الإستدراك بلا يشعرون الدال على أن كونهم مفسدين، أو استحقاقهم لعظيم العقوبة قد ظهر المحسوس، لكن لا حس لهم ليدرخوا ذلك، إذ لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها. و تعريف الخبر، و توسط الفصل على أحد الوجهين يجعل الضمير له و إن قيل: إن الأول منهما يفيد قصر المسند على المسند إليه، و الثاني يفيد تأكيد هذا الحصر، نحو زيد العالم، إلا أنه قد يفيد العكس أيضا بقرينة المقام نحو الكرم التقوى، فيؤكد الفصل أيضا، مع ما فيه من رد قولهم: إنما نحن مُصلِحُونَ، تعريضا على المؤمنين.

[سورة البقرة(٢): آية ١٣]

إشارة

تفسير الآية (١٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمَنُوا

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ لَهُؤْلَاءِ النَّاكِثِينَ لِلْبَيْعَةِ، قال لهم خيار المؤمنين كسلمان، و ابى ذرّ، و مقداد: آمَنُوا برسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم، و بعلى الذي أوقفه موقفه، و أقامه مقامه، و أناط مصالح الدين و الدنيا كلّها به، آمَنُوا بهذا النبي، و سلّموا لهذا الإمام، و سلّموا له في ظاهر الأمر و باطنه.

كما آمَنَ النَّاسُ الْمُؤْمِنُونَ كسلمان، و المقداد، و أبى ذرّ، و عمار، قالوا في الجواب لمن يفيضون إليهم، لا لهؤلاء المؤمنين، فإنهم لا يجسرون على مكاشفتهم بهذا الجواب، و لكنهم يذكرون لمن يفيضون إليه من أهلهم الذين يثقون بهم من المنافقين و من المستضعفين او المؤمنين الذين هم بالستر عليهم واثقون بهم، يقولون لهم: أُنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ الشُّفَهَاءُ يعنون سلمان و أصحابه لما أعطوا علينا خالص ودهم، و محض طاعتهم، و كشفوا رؤسهم بموالاة أوليائه و معاداة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٠٣

أعدائه.

و ما ذكرناه في تفسير الآية أخذناه عن تفسير الامام عليه السلام «١»

و بناء الفعل في هذه الآية و ما قبلها للمفعول لتعظيم القائل، و الاهتمام بذكر المقول، و أن القائل به غير منحصر في واحد، بل هو قول الله تعالى، و رسوله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم، و المؤمنين، و الملائكة الذين يلهمونهم الرشد على سبيل الخطرة و القذف في القلوب إرشادا لهم، و إتاما للحجة عليهم بدلالتهم الى ركني الايمان الذين هما التخلّي عن الرذائل المقصود بقوله: لَا تُفْسِدُوا و التخلّي بالفضائل المطلوب بقوله:

آمَنُوا.

و الكاف في كَمَا آمَنَ النَّاسُ في موضع نصب بكونه صفة لمصدر محذوف، و (ما) مصدرية، و المعنى آمَنُوا إيماننا مثل إيمان الناس. أو كآفة مثلها في ربما، و المعنى حققوا إيمانكم كما تحقّق إيمانهم، فالتشبيه على الأول بين مفردين، و على الثاني بين مضموني

الجمليتين، و مجرد حصول الغرض بالأول على فرضه غير دافع الثاني.

و اللام فى الناس إما للجنس، و المراد به الكاملون فى الإنسانيّة، المقيمون على وظائف العبوديّة فى جميع شؤونهم و أطوارهم و مراتب وجودهم قولاً و فعلاً و إرادة و اعتقاداً فى جميع الأحوال. و هذه مرتبة تساوق العصمة، و لذا فسّر الناس فى كثير من الأخبار بالأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، قالوا: نحن الناس، و شيعتنا شبه الناس، و سائر الناس نسناس «٢».

(١) تفسير المنسوب الى الامام العسكرى عليه السلام ص ٥٨ و عنه البرهان ج ١ ص ٦٢ ح ١.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٩٤-٩٥ عن تفسير الفرات ص ٨ و الكافى الروضة ص ٢٤٤-٢٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٠٤

و فى «البصائر» عن الصادق عليه السلام: انّ الله خلقنا من نور عظمته، ثم صوّر خلقنا من طينه مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه فكنا نحن خلقاً و بشراً نوراً تيراً، لم يجعل لأحد فى مثل الذى خلقنا منه نصيباً، و خلق أرواح شيعتنا من أبداننا، و أبدانهم من طينه مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينه، و لم يجعل الله لأحد فى مثل ذلك الذى خلقهم منه نصيباً إلاّ الأنبياء و المرسلين، فلذا صرنا نحن و هم الناس، و سائر الناس «١» همجا فى النار، و إلى النار «٢».

فالأمر فى الآية بالتشبه بهم فى الايمان أمر بتشيعهم و موالاتهم كى يندرج الممثل فى القسم الثانى.

و بعد الغض عن هذا المعنى الذى يستفاد من الأخبار، بل و من قوله تعالى:

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ «٣» على ما يأتى ان شاء الله.

و لا ريب أن اسم الجنس يطلق مرّة على مطلق مسماه، و اخرى على المستجمع للفضائل المحموده، و المحامد المقصوده فى جنسه، و يجمعهما قوله:

ديار بها كنا و نحن نجبها إذا الناس ناس و الزمان زمان و المقصود فى الآية هو الثانى، مع دعوى أن الفاقد لهذه الدرجة من الإيمان لا ينبغى أن يسمّ باسم الإنسان، و المراد به حينئذ سلمان و حزبه من خواص شيعتهم، فإنهم الكاملون فى مقام التصديق بهم. و إما للعهد و المراد به أحد المعنيين أيضاً.

و اللام فى «السفهاء» أيضاً يحتمل الجنس ادعاء منهم أنهم البالغون فى

(١) الهمج محرّكة: ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجه الغنم و البعير.

(٢) البصائر ص ٧ و عنه البحار ج ٢٥ ص ١٣-١٤.

(٣) النساء: ٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٠٥

السفاهة، و العهد.

و دعوى أن اللام فى الموضوعين للعهد لا للجنس ضعيفة.

### معنى السفاهة فى المناقنين

و السفاهة من خفّ عقله و سخف رأيه، من قولهم: ثوب سفاهة إذا كان بالياً رقيقاً، و إليه يثول ما قيل: إنّه الضعيف الرأى الجاهل القليل المعرفة بمواقع المنافع و المضارّ، بل و ما عن قطرب «١» من أنّه العجول الظلوم القائل خلاف الحقّ، فإنّ هذا كلّ من آثار الخفّة و

السخافة.

و إنما سفهوههم لاسترذالهم و تحقير شأنهم و تضعيف أحلامهم، حيث إن أكثر المؤمنين كانوا فقراء منهم أصحاب الصفة، و منهم موال، و نظيره قوله: «و ما نراك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي» ٢.

أو لأن منهم من ترك الحظوظ العاجلة و المناصب الموطئة، و الرياضات العظيمة، و منهم من هاجر الأوطان، و فارق الأهل و الأولاد و الإخوان، و منهم من بذل نفسه في سبيل الله، و كل ذلك عند هؤلاء المنافقين كان إثارة للمضار على المنافع العاجلة التي طمحت إليها آمالهم، و تآقت إليها نفوسهم، و لذا حملوه على خفة الأحلام و قلة المعرفة بمواقع المنافع و المضار. إلا إنهم هم السفهاء لا غيرهم، هم المؤثرون للباطل على الحق، لأن في إقامتهم على غيهم و ضلالتهم فضلا من شماتتهم بأهل الدين موت قلوبهم، و هلاك نفوسهم، و هدر دمائهم، و نهب أموالهم و سبي ذراريهم، مع ما يستحقونه من

(١) قطرب: ابو على محمد بن المستنير البصرى النحوى اللغوى المتوفى (٢٠٦) هـ.

(٢) هود: ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٠٦

الشقوة اللازمة، و العقوبة الدائمة، فأى سفاهة أعظم من سفاهتهم؟! و لكن لا يعلمون حق العلم الذى يقترنه العمل، فإن من آثر الباطل على الحق و إن كان عالما فإنه جاهل كما فى الخبر و يشهد له قوله: «ما فعلتم يوسف و أخيه إذ أنتم جاهلون» ١، و قوله: «إنما التوبة على الله للذين يعملون سوءا بجهالة» ٢.

أو أنهم مقصرون فى تحصيل العلم مع تمكنهم منه و إعراضهم عنه، و لذا حقت عليهم كلمة العذاب، أو أنهم لا يعلمون أن المدار فى النفع و الضرر إنما هو ملاحظة الأجل لا العاجل، و ذلك لقصور نظرهم على الحظوظ الدنيوية، و لذا حقروا أهل الحق. فى «الكافى» عن الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «إن أعظم الكبر غمص الخلق و سفه الحق»، قال الراوى، و هو عبد الأعلى بن أعين: قلت: و ما غمص الخلق و سفه الحق؟ قال: يجهل الحق و يطعن على أهله «٣»، و فى معناه أخبار أخر.

و فى الآية و جوه من المبالغة فى الرد عليهم، و تجهيلهم، و تسفيه آرائهم، و لذا فصلها بنفى العلم، مع أن الوقوف بأمر الدين و البصيرة مما يحتاج الى مزيد نظر و تفكر دون معرفة النفاق و الفساد الحاصلة بأدنى تفتن، و لذا فصلت الآية السابقة ب لا يشعرون، و هذه الآية ب لا يعلمون، و هى جارية على كل من أنكر شيئا من الحق و طعن على أهله، سواء كان متعلقا بأصول العقائد، او بالفروع العملية، و إن اختلفت مراتب السفاهة باختلاف، متعلق الإنكار، فإن أشدها تعلق الإنكار بشيء من

(١) يوسف: ٨٩.

(٢) النساء: ١٧.

(٣) الكافى ج ٢ ص ٣١٠ و عنه البحار ج ٧٣ ص ٢١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٠٧

الأصول الايمانية التى منها ولاية ولى الأمر بعد النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

بل قد سمعت فيما مرّ نقله ما ظاهره نزول الآية فى المنافقين الناكثين لبيعته.

و ربما يقال: إن فيها دلالة على أن الإقرار إيمان، و إلا لم يفد التقييد بقوله:

«كما آمن الناس» للاستغناء عنه بقوله: «آمنوا».



وفيه أن الإِطلاق مبنى على الإقرار الظاهر الموجب للحكم به ظاهرا، و أما الإيمان الحقيقي فقد مرّ أنه لا يحصل إلّا بالإخلاص القلبي.

### [سورة البقرة (٢): آية ١٤]

#### إشارة

تفسير الآية (١٤) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَإِذَا لَقُوا يَعْنِي هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الْجَاهِدِينَ لِنُبُوَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَوْ الْوَاقِفِينَ لِبَيْعَةِ وَصِيَّتِهِ وَخَلِيفَتِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا كَأَيْمَانِكُمْ بِالنَّبِيِّ وَالْوَصِيِّ، فَحَنُّ وَ أَنْتُمْ إِخْوَانٌ فِي الدِّينِ أَوْلِيَاءٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

و اللقاء: المصادفة و الاستقبال، تقول: لقيته: إذا صادفته و استقبلته قريبا منه.

و مساق الآية لبيان معاملتهم مع المؤمنين و الكفار في الظاهر و الباطن.

و أمّا ما صدرت به القصيدة فبيان لمذهبهم على ما هم عليه، حيث إنهم قد ادّعوا حيازة الإيمان بقطريه، و ما هم فيه من شيء، فلا تكرر، مع ما في الثاني من تقييد إطلاق الأول بأن تفوههم بالإيمان خداعا إنمّا كان عند لقاء المؤمنين الذي هو مظان الحاجة الى التفوه بالكلمة، و أنّهم ضموا الى الخداع الاستهزاء.

بل قد يقال: إنّ الأوّل إخبار عن حدوث نفس الإيمان، و الثاني من حدوث خلوصهم فيه و رسوخه في قلوبهم، و لذا قيل: معنى قالوا آمَنَّا أخلصنا بقلوبنا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٠٨

و في «الحواشي البهائية»: لا- يبعد أن يحمل قولهم: آمَنَّا في احدى الآيتين على الإنشاء، كما يقول القائل: آمنت بالله، و في الاخرى على الإخبار، فإن حملت الثانية عليه لم يحتج إلى توجيه إخلائها من التوكيد.

أقول: و لعلّ من فوائد التكرير مضافا الى ما مرّ كونه تمهيدا لما قوبل به ممّا يسجل عليهم نفاقهم و خداعهم و استهزائهم بالمؤمنين.

روى في المناقب عن تفسير الثعلبي، و في كشف الغمّة عن ابن عباس أنّ عبد الله بن أبيّ و أصحابه تمعكوا مع علي عليه السّلام في الكلام، فقال علي عليه السّلام: يا عبد الله اتق الله و لا- تناق فإنّ المنافق شرّ خلق الله، فقال: مهلا- يا أبا الحسن و الله إن أيماننا كإيمانكم، ثمّ تفرقوا، فقال عبد الله: كيف رأيتم ما فعلت؟ فأثوا عليه، فنزلت.

و رواه موفق بن أحمد، و هو من أكابر العامّة في كتابه، ثمّ قال بعد نقل الخبر:

دلّت الآية على إيمان علي عليه السّلام كرم الله وجهه ظاهرا و باطنا، و على قطعه موالاة المنافقين و إظهار عداوتهم، و المراد بالشياطين رؤساء الكفار. انتهى (١).

و في تفسير الامام عن الكاظم عليه السّلام أنه قال: و إِذَا لَقُوا هَؤُلَاءِ الْوَاقِفِينَ الْمُنَافِقِينَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى مَخَالَفَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ دَفْعِ الْأَمْرِ عَنْهُ الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا كَأَيْمَانِكُمْ، إِذَا لَقُوا سَلْمَانَ وَ الْمُقَدَّادَ وَ أَبَا ذَرٍّ وَ عَمَّارًا قَالُوا آمَنَّا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَ سَلَّمْنَا لَهُ بَيْعَةَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ فَضْلَهُ وَ أَنْفَذْنَا أَمْرَهُ كَمَا آمَنَّا، إِنَّ أَوْلَهُمْ وَ ثَانِيَهُمْ وَ ثَالِثَهُمْ إِلَى تَسْعِهِمْ رَبَّمَا يَلْقَوْنَ فِي بَعْضِ طَرَفِهِمْ مَعَ سَلْمَانَ وَ أَصْحَابِهِ، فَإِذَا لَقَوْهُمْ إِشْمَازُوا مِنْهُمْ وَ قَالُوا: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ السَّاحِرِ وَ الْأَهْوَاجِ، وَ هُوَ الَّذِي يَهْجِعُ فِي الْحَرْبِ، يَعْنُونَ مُحَمَّدًا وَ عَلِيًّا، ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ: احْتَرَزُوا مِنْهُمْ لَا- يَقْفُونَ مِنْ فَلَاتٍ كَلَامِكُمْ عَلَى كَفْرِكُمْ فَيَكُونُ فِيهِ هَلَاكِكُمْ، فَيَقُولُ أَوْلَهُمْ: انظروا إلى كيف أسخر منهم و أكفّ عاديتهم عنكم، فإذا التقوا

(١) كشف الغمّة ص ٨٩ و عنه البحار ج ٣٦ ص ١٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٠٩

قال: مرحبا بسلامان ابن الإسلام الذي قال فيه محمد سيد الأنام: لو كان الدين معلقا بالثرثيا لتناولوه رجال من أبناء فارس، و قال فيه: سلمان منا أهل البيت، ثم يقول للمقداد و عمّار و غيرهما ما قاله فيهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فيقبل سلمان و أصحابه ظاهرهم كما أمرهم الله، و يجوزون عنهم.

فيقول الأوّل لأصحابه: كيف رأيتم سخرتني بهؤلاء و كفى عاديتهم عني و عنكم، فيقولون: لا- تزال بخير ما عشت لنا، فيقول لهم: فهكذا فلتكن معاملتكم لهم إلى أن تنتهزوا الفرصة فيهم، فإنّ اللبيب العاقل من تجرّع على الغصّة حتى ينال الفرصة «١». و إذا خلّوا إلى شياطينهم، الشياطين الذين من حزبهم و خدّتهم و سنخهم من مردة الإنس الذين يوجي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، أو سادتهم و كبرائهم الذين أضلّوهم السبيلا، و لذا أضافهم إليها. و في «المجمع» عن مولانا باقر عليه السلام: أنّهم كهانهم «٢».

و في التفسير عن الكاظم عليه السلام: أنّهم أخذانهم من المنافقين المتمرّدين المشاركين لهم في تكذيب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فيما أتاه إليهم عن الله تعالى من ذكر تفضيل امير المؤمنين عليه السلام، و نصبه إماما على كافّة المكلفين «٣». و التعبير الأوّل باللقاء، و هنا بالخلاء للتنبه على كذبهم و نفاقهم، و أنّه لا- حظّ لهم من الايمان إلّا دعوا باللسان، و معتقدهم ما يظرونه إذا خلوا.

و هي من خلوت به و إليه، و معه خلوا و خلوة إذ انفردت معه، أو من خلى

(١) تفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام ص ٥٨-٥٩.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٥١.

(٣) التفسير المنسوب الى الامام عليه السلام ص ٥٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣١٠

بمعنى مضى و منه: إلّا خلا فيها نذير «١» أي مضى، و خلاك ذمّ أي عداك و مضى عنك، أو من خلوت به إذا سخرت منه، من قولهم: خلا فلان بعرض فلان يعيب به. و عدى يالى لتضمن معنى الإنهاء، لأنهم أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم و حدّثوهم بها كما تقول: أحمد إليك فلانا، و أذمه إليك.

### قراءة شاذة في خلوا إلى شياطينهم

حكى الطبرسى في المجمع أنّ قراءة أهل الحجاز في (خلوا إلى و أمثاله بحذف الهمزة و إلقاء حركتها على الواو قبلها أي (خلولا). و أما الشيطان فقد مضى معناه تفصيلا في الاستعاذة و المستعاذ منه «٢».

قالوا إنّنا معكم في الدين و الاعتقاد و الاعتضاد لا نفارقكم في قول أو فعل، بل نوافقكم على ما واطئتم عليه من دفع على عليه السلام عن هذا الأمر إن كانت لمحمد صلى الله عليه و آله و سلم كائنه: فلا يغرتكم و لا يهولتكم ما تسمعونه منا و ترونه من دعوى الايمان و مداراتهم هي مجرد قول لا حقيقة له.

إنّما نحن مستهزون بهم الاستخفاف بدينهم.

و هو استيناف مشتمل على المبالغة من وجوه كترك العاطف، و كون الجملة اسمية مفتحة بما يؤكّد مضمونها، و يفيد قصر أحوالهم في الاستهزاء الذي هو شرّ وجوه الإنكار، فكانّ الشياطين قالوا لهم لما قالوا إنّنا معكم: إن صحّ ذلك فما بالكم

(١) فاطر: ٢٤.

(٢) الصراط المستقيم ج ٣ فاتحة الكتاب ص ٥٧ - ٨٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣١١

توافقون المؤمنين و تدعون الإيمان؟ فأجابوا بذلك.

و لظهور المجرى للسؤال فى المقام و كون الجملتين على وجه الاستيناف مقصودتين، مع ما فيه من البيان و التقرير كان ذلك أولى من جعل الجملة تأكيداً للسابقة نظراً إلى أن قوله: **إِنَّا مَعَكُمْ** معناه الثبات على الكفر، و هذه ردّ للإسلام و دفع له منهم، لأنّ المستخفّ بالشىء دافع لكونه معتداً به، و دفع نقيض الشىء تأكيداً لثباته، أو بدلاً منها حيث عظّموا كفرهم بتحقيق الإسلام و أهله.

بل أفادوا أمراً زائداً على مجرّد المصاحبة و الموافقة، و هو قيامهم مع المؤمنين مقام المستهزئ المستخفّ بهم و بالدين، تنبيهاً على أنّهم فى غيهم و ضلالهم أرسخ قدما من شياطينهم، و دفعا لما يوهمه ظاهر إقرارهم.

ولذا خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية الدالة على دعوى حدوث الإيمان و خاطبوا الشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بأنّ، تحقيقاً لثباتهم و استقرارهم على ما كانوا عليه من الكفر و النفاق، فهم فى الخطاب الأوّل بصدد الإخبار بحدوث الإيمان منهم، و لا باعث لهم على التأكيد.

### معنى الاستهزاء

معنى الاستهزاء

و الاستهزاء: السخرية و الاستخفاف من الهزاء بالفتح، و هو القتل السريع، و هزأ يهزأ بالفتح فيهما: مات على المكان، و هزأت و استهزأت بمعنى، و رجل هزأه بسكون الزاى اى يهزء به، و بفتح الزاى اى يهزأ بالناس.

و الأ-كثر على تحقيق الهمزة فى **مُسْتَهْزِؤْنَ** و عن سبويه تخفيفها بين بين، و هكذا كل همزة مضمومة إذا كان قبلها كسرة، و عن الأ-خفش قلب الهمزة ياء فى المقام و نحوه لأجل الكسرة التى قبلها، و هنا وجه آخر و هو حذف الهمزة و ضم ما قبلها، قرأ بها أبو جعفر وقفا و وصلا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣١٢

### [سورة البقرة (٢): آية ١٥]

### إشارة

تفسير الآية (١٥) **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمُ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمُ** استيناف فى غاية الجزالة و الفخامة حيث إنهم بالغوا فى استهزائهم أشنع مبالغه و أعظمها على وجه يحرك السامع أن يقول: هؤلاء الذين هذا شأنهم ما مصير أمرهم و عاقبة حالهم و كيف صنع الله تعالى بهم فى مجازاتهم؟

فصدّره باسمه المقدم الجامع تنبيهاً على أنه سبحانه هو الذى يستهزأ بهم الاستهزاء الأبلغ الذى لا اعتداد معه باستهزائهم، و ذلك لصدوره عنّ تضمحلّ قدرتهم و علمهم فى جنب علمه و قدرته، و إيذاناً بأنّه سبحانه يكفى مؤنة عباده المؤمنين و ينتقم لهم من أعدائهم فى الدين، و لا يحوجهم الى معارضة المنافقين كيلا يفتروا بمكائدتهم عن عبادته.

## معنى الاستهزاء بالنسبة الى الله سبحانه

و أثر الفعلية على الاسميه و إن كان فيها المطابقة تنبيها على أن استهزاه تعالى إنما يحدث حالا فحالا، و يتجدد وقتا بعد وقت كما جرت به سنته في سائر عقوباته في الدنيا كما قال: أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ «١»، و في الآخرة أيضا كما قال سبحانه: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ «٢».

(١) التوبة: ١٢٦.

(٢) النساء: ٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣١٣

ثم إن الاستهزاء و إن كان لا يخلو من التليس و العبث، بل الجهل. كما قالوا: أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ «١»، و الكل محال عليه سبحانه إلا أنه قد شاع تسمية جزاء الشيء باسمه. كما في قوله تعالى:

وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا «٢».

فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ «٣»، إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا «٤»، وَ مَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ «٥» و قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: اللهم إن فلانا هجاني اللهم فاهجه «٦».

و ذلك إما لمقابلة اللفظ باللفظ، أو لكونه مماثلا له في القدر، أو أن المراد إرجاع استهزائهم إليهم، و رد كيدهم في نحورهم، فإنهم و إن أصرّوا في استهزاء المؤمنين إلا أنه يعود و باله إليهم، فيكونون كالمستهزء بهم، أو لأنه سبحانه ينزل بهم لوازم الاستهزاء من الحقارة و الذلّة و الهوان و غيرها في الدنيا و الآخرة، تسمية لللازم باسم الملزوم، أو أنه يعاملهم معاملة المستهزئ المستخف، حسبما مرّ في قوله تعالى: يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ «٧».

روى في العيون، و المعاني، و التوحيد، و الاحتجاج عن مولانا الرضا عليه السلام انه قال: إن الله عزّ و جل لا يسخر و لا يستهزئ و لا يمكر و لا يخادع، و لكنّه عزّ و جل يجازيهم

(١) البقرة: ٦٧.

(٢) الشورى: ٤٠.

(٣) البقرة: ١٩٤.

(٤) الطارق: ١٥-١٦.

(٥) آل عمران: ٥٤.

(٦) البحار ج ٣٣ ص ٢٢٩ مع تفاوت.

(٧) النساء: ١٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣١٤

جزاء السخرية و جزاء المكر و الخديعة، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا «١».

و في تفسير الإمام عليه السلام: قال العالم، يعنى الكاظم عليه السلام: فأما استهزاء الله تعالى بهم في الدنيا فهو إجراؤه إياهم على ظاهر أحكام المسلمين لإظهارهم السمع و الطاعة، و أما استهزاء بهم في الآخرة فهو أن الله عزّ و جل إذا أقرهم في دار اللعنة و الهوان و

عذبهم بتلك الألوان العجيبة من العذاب، وأقر هؤلاء المؤمنين في الجنان بحضرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، صفى الله الملك الديان أطلعهم على هؤلاء المستهزئين بهم في الدنيا حتى يروا ما هم فيه من عجائب اللعائن و بدائع النقمات: فيكون لذتهم و سرورهم بشماتهم ك لذتهم و سرورهم بنعيمهم في جنان ربهم، فالمؤمنون يعرفون أولئك الكافرين المنافقين بأسمائهم و صفاتهم، و الكافرون و المنافقون ينظرون فيرون هؤلاء المؤمنين الذين كانوا بهم في الدنيا يسخرون لما كانوا من موالاة محمد و علي و آلها عليه السلام يعتقدون، فيرونهم في أنواع الكرامة و النعيم، فيقول هؤلاء المؤمنون المشرفون على هؤلاء الكافرين المنافقين: يا فلان، و يا فلان، و يا فلان- حتى ينادوهم بأسمائهم، ما بالكم في مواقف خزيكم ما كنون؟ هلموا إلينا نفتح لكم أبواب الجنان لتخلصوا من عذابكم، و تلحقوا بنا، فيقولون: يا ويلنا أنى لنا هذا؟ فيقول المؤمنون: انظروا إلى هذه الأبواب، فينظرون إلى أبواب من الجنان مفتحة، يخيل إليهم أنها إلى جهنم التي فيها يعذبون و يقدرون أنهم يتمكنون من أن يخلصوا إليها فيأخذون في السباحة في بحار حميمها، و عدو من بين أيدي زبانيتها «٢»، و هم يلحقونهم بضربونهم بأعمداتهم، و مرزباتهم «٣»، و سياطهم، فلا

(١) بحار الأنوار ج ٣ ص ٣١٩ عن التوحيد و المعاني و العيون.

(٢) الزبانية عند العرب: الشرط، سموا بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها.

(٣) المرزبة: عصية من حديد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣١٥

يزالون هكذا يسيرون هناك، و هذه الأصناف من العذاب تمسهم حتى إذا قدروا أن قد بلغوا تلك الأبواب وجدوها مردومة «١» عنهم و تدهدهم «٢» الزبانية بأعمدتها فتتكسهم إلى سواء الجحيم، و يستلقى أولئك المؤمنون على فرشهم في مجالسهم يضحكون منهم، مستهزئين بهم، فذلك قول الله عز و جل: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ و قوله عز و جل: فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ «٣» «٤».

و روى ابن شهر آشوب عن الباقر عليه السلام أنها نزلت في ثلاثة لما قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالولاية لأمير المؤمنين عليه السلام أظهروا الإيمان و الرضا بذلك، فلما خلوا بأعداء أمير المؤمنين عليه السلام قالوا: إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ «٥».

و في المناقب عن تفسير الهذيل و مقاتل عن محمد بن الحنفية في خبر طويل إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ بعلى بن أبي طالب عليه السلام و أصحابه، فقال الله تعالى: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ يعني يجازيهم في الآخرة جزاء استهزائهم بأمر المؤمنين عليه السلام.

قال ابن عباس: و ذلك أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله الخلق بالجواز على الصراط فيجوز المؤمنون إلى الجنة و يسقط المنافقون في جهنم، فيقول الله: يا مالك استهزأ بالمنافقين في جهنم، فيفتح مالك بابا في جهنم إلى الجنة و يناديهم: معشر المنافقين ها هنا ها هنا فيسبح المنافقون في نار جهنم سبعين خريفا حتى إذا بلغوا ذلك الباب و هموا بالخروج أغلقه دونهم و فتح لهم بابا إلى الجنة في موضع آخر

(١) المردومة: المسدودة.

(٢) ددهه: دحرجه.

(٣) المطففين: ٣٤.

(٤) البحار ج ٦ ص ٥١-٥٢ و البرهان ج ١ ص ٦٣-٦٤.

(٥) تفسير البرهان ج ١ ص ٦٤ عن المناقب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣١٦

و يناديهم مثل الأول، و هكذا أبدا الأبدن «١».

وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ.

المد هو الزيادة في الشيء بما يقيمه ويقويه، يقال: مدّ الجيش و أمده إذا زاده و ألحق به ما يكثره ويقويه، و منه الدواة و الأرض، و المادة ما يكون مددا لغيره، و مدّ، و أمدّ في الكلّ بمعنى واحد.

و اختصاص (مدّ) بما يحدث في الشيء من نفسه، و (أمدّ) بما يحدث فيه من غيره، او من غير سنخه غير ثابت، بل الظاهر لغة و استعمالا خلافه.

و كذا ما قيل من أنّ المدّ في الشرّ كما في الآية: وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ «٢» و في قوله تعالى: وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا «٣» و الإمداد في الخير كما في قوله تعالى: وَ أَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَيْنَ «٤» أو الفرق بأنّ المدّ ما كان بطريق الزيادة كقوله تعالى: وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ «٥»، و الإمداد ما كان بطريق التقوية و الإعانة، أو أنّ المدّ إعانة القوم بنفسه، و الإمداد إعانتهم بغيره، ... الى غير ذلك من الفروق التي لا شاهد لها، و إن استفيد بعضها تصريحاً أو تلويحاً من بعض ائمة اللغة.

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٦٤ عن المناقب.

(٢) سورة البقرة: ١٥.

(٣) سورة مريم: ٧٩.

(٤) الإسراء: ٦.

(٥) لقمان: ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣١٧

### القراءة في يمدّهم

و أما اشتقاقه في المقام من المدّ في العمر بمعنى الإملاء و الإمهال فقد بالغ الزمخشري في الردّ على من ذكره نظراً إلى قراءة ابن كثير و ابن محيصن: «و يمدّهم» بضم الياء، و قراءة نافع: و إخوانهم يمدّونهم «١» بضم الياء، و قول الحسن في تفسيره: في ضلالتهم يتمادون و أنّ هؤلاء من أهل الطبع على أنّ الذي بمعنى أمهله إنّما هو مدّ له مع اللام ك أملى لهم\*.

ثمّ ذكر أنّه قد استجزمهم الى ذلك خوف الإقدام على أنّ يسندوا إلى الله ما أسند إلى الشياطين «٢»، ثمّ طعن فيهم بما ليس عنه بعيد. و الحقّ أنّ أصل المعنى هو ما سمعت، و منه مدّ في العمر، فإنّ قوام الوجود للإنسان بالحياة التي تنقضى شيئاً فشيئاً، فإذا استمرّ وصول مدد البقاء إليه دام وجوده، و إلّا انصرم عمره، و هذا كقولك: مددت السراج إذا أصلحته بالزيت.

و أما القراءةان فليست فيهما شهادة لاشتراك الإمداد للمدّ في معنى الإمهال كما صرح به في القاموس، و غيره.

و تفسير الحسن على فرض اعتباره إنّما هو باعتبار ما يثول اليه أمرهم بعد الإملاء و التمادي في الغي، و لذا قرنه بكونهم من أهل الطبع، و تعديته باللام ليس على الدوام، مع أنّه قد يقال: أصله يمدّ لهم، على الحذف و الإيصال، و أمّا المحذور فمندفع على الوجهين، و الطغيان بالضم و الكسر مجاوزة الحدّ في الكفر و العلوّ في العتوّ من قولك: طغى الماء يطغى إذا تجاوز الحدّ و البحر هاجت أمواجه.

(١) لقمان: ٢٧.

(٢) الكشاف ج ١ ص ١٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣١٨

و عن زيد بن علي: قراءته بكسر الطاء، و هما لغتان كلقيان و لقيان، و فيه لغة ثالثة بالواو، بل و رابعة و العمه بالفتحتين: التحير في الضلال و التردد في منازعة أو طريق، من عمه كمنع و فرح فهو عمه ككتف و عامه، و الجمع عمه كركع، كما في قول رؤبة: و مهمة أطرافه في مهمة أعمى الهدى بالجاهلين العمه أى الذين لا معرفة لهم بالطرق، و قد يقال: إنه مثل العمى إلا أن العمى عام في البصر و الرأى، و العمى في الرأى خاصية و حاصل المعنى أنه سبحانه يعطيهم المدد في طغيانهم حال كونهم متحيرين في ضلالتهم، فالطرف متعلق بالفعل، و يعمهون حال من الضمير.

و لا محذور في إسناد الإمداد إليه سبحانه بعد ما سمعت من أن الفيوض الإلهية و الإمدادات الرحمانية كلها بيده و من عنده يمنح به عباده بزهم و فاجرهم و سعيدهم و شقيهم، و مطيعهم و عاصيهم أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها «١» غير أن السعيد بحسن توفيقاته الله له و حسن اختياره و قبوله للأمر التشريعي يصرف تلك النعم فيما خلقت لأجله، فيحصل صورة الطاعة و الانقياد و العبودية فيسمى شاكرا و يشكر ذلك منه، و الله شاكرا لأعمالهم، يقبله بأحسن القبول، و يجزيهم بأحسن الجزاء، و الشقى يصرف نعم الله سبحانه من القوة و الاستطاعة و الآلات و الأدوات البدئية و المائيه و غيرها في خلاف رضاه سبحانه، بسوء اختياره، و ما اعتراه من الخذلان الذى هو التخليه بينه و بين نفسه، فالإمدادات الواصلة الى العبد فى كل من الطاعة و المعصية قائمه به سبحانه قيام صدور بقيوميته المطلقة، و هى كلها من فيوضه و نعمائه، و آثار رحمته الرحمانية، إلا أنها تختلف

(١) الرعد: ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣١٩

باختلاف المحل، فتصير نعمة لقوم بحسن اختيارهم و قبولهم و شكرهم، و نعمة لآخرين بخذلانهم و إنكارهم و كفرهم، فالمادة واحدة فالصور مختلفة، و ذلك كالمداد الذى يصلح و هو فى الدواء للكتابة كل من الخير و الشر، و مادة الهواء المستنشق الصالحة لجميع الأضداد، و القطر النازل الموجب لنمو كل من السكر و الحنظل و لنعم ما قيل: أرى الإحسان عند الحرّ دينا و عند النذل منقصة و ذمّا كقطر الماء فى الأصداف درّ و فى جوف الأفاعي صار سماً و حيث إن المدد قائم به قياماً صدورياً يصح نسبة الفعل اليد سبحانه مع إضافة الطغيان و العمه إليهم لانهما كهم فيه و عكوفهم عليه بالإرادة و الإختيار، فارتفع الأشكال من البين، و اتضح الأمر بين الأمرين. أو أنه سبحانه يمدّهم فى حال طغيانهم استصلاحاً لهم، و هم مع ذلك لا يراعون عن غيهم، فهم يعمهون فى ضلالتهم. أو أنه يمدّهم حال كونهم يعمهون فى طغيانهم.

[سورة البقرة (٢): آية ١٦]

إشارة

تفسير الآية (١٦) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أو أنه يمدّ لهم فى أعمارهم استدراجاً من حيث لا يعلمون\* ... ليزدادوا إثماً أو استصلاحاً كى يتبهاوا و يطيعوا، فما زادوا إلا طغياناً و عمها، و المعانى متقاربة و ان كان الأخير هو الظاهر من قول الإمام عليه السلام حيث قال فى تفسيره: يمهلمهم و يتأنى بهم برفقه، و يدعوهم إلى التوبة، و يعدهم إذا أنابوا المغفرة، و هم يعمهون لا يراعون عن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٢٠

قبيح، و لا يتركون أذى لمحمد و على يمكنهم إيصاله إليهما إلا بلغوه «١» أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى غيروا فطرتهم الأصلية

التي فطرهم الله عليها، من التوحيد والإسلام، و قبول الحق، و الاستقامة في الأفعال و الأقوال و الإيرادات و المخاطر إلى الخلقه المغيرة الشيطانية التطبعية الثانوية التي تدعو إلى الشرك و الكفر و سائر الاعوجاجات و الانحرافات في مراتب الوجود، فأعطوا ما لهم من الهداية الفطرية و اعتاضوا عنها الضلالة، أو اختاروا الضلالة على الهدى، و الهلاك على النجاة، و اليم العذاب على حسن الثواب، بعد التمكّن من الأمرين، و الاهتداء إلى النجدين، من الإطاعة و العصيان، أو ولاية أولياء الحق و ولاية الجبت و الطاغوت و سائر الشياطين، و لذا فسرت الضلالة بهم، كما فسّر الهدى بمولانا أمير المؤمنين عليه السلام على ما مرّ في أول السورة.

### معنى اشتراء الضلالة

و في تفسير الامام عليه السلام: باعوا دين الله تعالى و اعتاضوا منه الكفر بالله تعالى (٢) و الجملة مقررة لقوله: وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ أَوْ مُسْتَأْنَفَةٍ تَعْلِيلًا لِاسْتِحْقَاقِهِمُ اسْتِهْزَاءَ الْأَبْلَغِ وَ الْمَدِّ فِي الطُّغْيَانِ. و اصل الاشتراء قبول انتقال الشيء من الأعيان إليه بالثمن المبدول منه، بلا فرق بين أن يكون أحدهما أو كلاهما من النقود أو لا، فإن تعيين المشتري إنما هو بكونه باذلاً للثمن الذي هو مدخول الباء، أو ما بمنزلته في المعاطاة، ثم استعير لاستبدال شيء بغيره سواء كان أحدهما أو كلاهما من الأعيان أو المعاني، و منه

(١) البرهان ج ١ ص ٦٣.

(٢) البرهان ج ١ ص ٦٤ عن تفسير الامام عليه السلام

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٢١

قوله: كما اشترى المسلم إذ تنصّيرا فيمن استبدال النصرانية بالإسلام، ثم اتسع فيه فاستعمل فيما لم يكن مالكا للعرض واجدا له بالفعل كما في المقام على بعض المعاني بناء على تفسيره بالاختيار و نحوه.

و لذا قيل إن العرب تقول لمن تمسك بشيء و ترك غيره قد اشتراه و ليس ثم شراء و لا بيع.

و في كونه حقيقة فيه أو في الاستبدال مطلقا أو على بعض الوجوه و جوه بل أقوال، و لعل الأوسط أوسط، و ما ذكرناه أولا مبنى على الأخير و لو لكونه حقيقة عرفية خاصة شرعية أو متشعبة، و لذا أضفنا إليه الاستعارة و الاتساع.

و على كل حال فقد ظهر اندفاع ما ربما يورد من الإشكال من أنهم لم يكونوا على هدى فكيف اشتروا الضلالة به مع أنه قد يقال إن الآية نزلت في قوم استبدلوا الكفر بالإيمان الذي كانوا عليه قبل البعث، لأنهم كانوا يبشرون بمحمد و يؤمنون به فلما بعث كفروا به، فكأنهم استبدلوا الكفر بالإيمان على أن في الآية وجه آخر و هو أن تكون الباء للبدلية، و المعنى أنهم اشتروا الضلالة بدل الهدى و ذلك أن الله تعالى و هو المالك لما ملكنا قد أحلنا في سبيل العبور إلى الآخرة التي هي دار الباقية في هذه الدار الفانية التي هي متجر أولياء الله و مزرع أحبائه و سوق التجارة بها قائمة و قد أعطانا رأس المال و هو ما منحنا من العمر و المال و القوة و غيرها، و دلنا على تجارة رابحة بقوله تعالى فيما أنزل على نبيه صلى الله عليه و آله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٢٢

وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشْرُ الْمُؤْمِنِينَ (١) فحقيقه هذه التجارة هي بذل النفس و المال و صرف العمر و القوى في طاعة الله و تحصيل رضاه، و به يحصل الهداية إلى الصراط المستقيم الذي هو مقتضى القيام بحدود الولاية و حقوقها فإذا بذلوا و صرفوها بمقتضى الأهواء بمقتضى الأهواء المردية في تحصيل المشتهايات النفسانية، و الحظوظ الحيوانية، و الانحرافات الشيطانية، فقد اشتروا الضلالة بدلا عن



الهدى الذى أمروا بتحصيله و اشترائه، و رأس المال فى الجميع هو ما سمعت.

و ذلك كمن يعطى عبده دينارا ليشتري به لنفسه غذاء صالحا فيشتري العبد به سمًا مهلكا و يهلك به نفسه، و لعل ما ذكرناه هو الأوفق بالمقام و بقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَامَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ «٢» و قوله: إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ «٣» و الواو فى اشْتَرُوا الضَّلَامَةَ مضمومَةٌ و صلا، و فاذا لجميع القراء للمجانسة بعد التقاء الساكنين بسقوط ألف الوصل، و الفصل بالضم بينها و بين واو (أو) و (لو) و فى الشواذ عن يحيى بن يعمر أنه كسر الواو فى المقام، و مثله تشبيها بواو لو فى قوله: «لَوْ اسْتِطَعْنَا» «٤». كما أن المحكى عن يحيى بن وثاب «٥» أنه ضم واو (لو) تشبيها بواو الجمع الذى اتفق الجميع على ضمه نحو: كَتَبُوا «٦» و لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ «٧».

(١) سورة الصف: ١٠-١٣.

(٢) البقرة: ١٧٥.

(٣) آل عمران: ١٧٧.

(٤) التوبة: ٤٢.

(٥) يحيى بن وثاب المقرئ الكوفى الاسدى مولاهم توفى سنة ١٠٣.

(٦) آل عمران: ١٨٦.

(٧) التكاثر: ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٢٣

فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ: فما ربحوا فى تجارتهم لأنهم اشتروا التطبّع بالخلق المغيرة الشيطانية بتضييع الفطرة الأصلية الايمانية، و استبدلوا الكفر بالإيمان، و صرفوا أعمارهم فيما صرفهم عن نيل المثوبات إلى استحقاق المثالات و العقوبات.

لذا

قال الامام عليه السلام فى تفسيره: أى ما ربحوا فى تجارتهم فى الآخرة لأنهم اشتروا النار و أصناف عذابها بالجنة التى كانت معدة لهم لو آمنوا «١».

و التجارة فى الأصل مصدر ثان لتجر من باب قتل نقلت إلى معنى الحرفة و الصنعة، و الربح الزيادة على رأس المال، و اسناده إلى التجارة و هو لأربابها على التجوز لتبئسها بالفاعل، أو لمشابهتها إياه من جهة سببها للربح و الخسران، و شاع فى إطلاقهم ضل سعيه و خسرت صفقته و ربح بيعه.

و لعل النكتة فى المقام التنبيه على أن هذه التجارة بنوعها فى نفسها خاسرة لا تفارقها الخسران أبدا، و لذا أضافها إليهم، فإنها نشأت من تطبعهم و عملهم، بخلاف التجارة الربحة التى علمهم الله تعالى.

و ذكر الربح و التجارة بعد استعارة الاشتراء للاستبدال أو الاختيار ترشيحا للمجاز اتباعا له بما يشاكلة تحقيقا لحالهم و تمثيلا لخسارهم، كما يقال جاوزته بحرا يتلاطم أمواجه و له اليد الطولى قال:

و لما رأيت النسر عن ابن دأية «٢» و عشش فى و كرية جاشت له صدرى فشببه الشيب بالنسر و الشعر الفاحم بالغراب مرشحة بذكر العش و الوكرين و هما الرأس و اللحية و للغراب و كران صيفى و شتوى «٣».

(١) البرهان ج ١ ص ٦٤ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٢) ابن دأية: الغراب.

(٣) راجع الكشف ج ١ ص ١٩٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٢٤

وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «١». فَلَمْ يَنَالُوا الْهَدَايَةَ وَارْتَكَبُوا فِي تِيهِ الضَّلَالَةَ، أَوْ لَطَرَقِ التَّجَارَةَ فَيَكُونُ تَرْشِيحًا آخَرَ، فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا لِمَنْ يَتَعَاطِيهَا أَمْرَانِ: سَلَامَةُ رَأْسِ الْمَالِ، وَحُصُولُ الرَّيْحِ، وَهَؤُلَاءِ قَدْ ضَلُّوا الطَّلِبَتَيْنِ، وَ أَضَاعُوا الْأَمْرِينَ، فَإِنَّ رَأْسَ مَالِهِمْ هُوَ الْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ وَالْعَقْلُ الْمُنْذِي بِهِ يَعْبُدُ الرَّحْمَنَ وَيَكْتَسِبُ الْجَنَانَ، أَوْ سَائِرَ مَا مَنَحَهُمْ مِنَ الْعَمْرِ وَالْقُوَى وَالْآلَايَةِ، فَلَمَّا جَحَدُوا الْحَقَّ وَعَانَدُوهُ وَأَنْكَرُوا شَيْئًا مِنَ التَّوْحِيدِ وَالنَّبُوَّةِ وَالْوَلَايَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَصُولِ الْإِيمَانِيَّةِ بَطَلِ اسْتِعْدَادِهِمْ، وَتَغَيَّرَتْ فِطْرَتُهُمْ، وَاخْتَلَّ عَقْلُهُمْ، وَتَمَكَّنَ فِيهِمُ النِّكَرَاءُ وَالشَّيْطَانَةُ وَصَرَفُوا أَعْمَارَهُمْ فِيْمَا لَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا وَخَسْرَانًا، فَخَسَرُوا الْأَصْلَ وَالرَّيْحَ مَعًا.

وَإِنَّمَا نَفَى عَنِ تِجَارَتِهِمُ الرَّيْحَ مَعَ أَنَّ خَسْرَانَ الْأَصْلَ أَوْلَى بِالذِّكْرِ وَأَلْيَقُ بِشَرْحِ حَالِهِمْ، مُضَافًا إِلَى كَوْنِهِ أَخْصَّ مِنَ الْأَوَّلِ يَسْتَعْنَى بِذِكْرِهِ عَنْهُ مَعَ اسْتِمَالِهِ عَلَى فَائِدَةٍ زَائِدَةٍ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ الْأَصْلِيَّ مِنَ التَّجَارَةِ هُوَ الْاسْتِرْبَاحُ لَا الْحِفْظُ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْأَهْمُ فِي بَابِهِ فَيَسْبِقُ الْكَلَامَ عَلَى مَسَاقِ التَّجَارَةِ ثُمَّ حَصَلَ التَّرْقِيَّ إِلَى خَسْرَانَ الْأَصْلِ بِقَوْلِهِ: «وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» أَوْ لِأَنَّهُ اسْتَعْنَى بِذِكْرِ لَفْظِ الضَّلَالَةِ عَنْ ذَلِكَ، حَيْثُ إِنَّهُ قَدْ دَلَّ بِالِاشْتِرَاءِ عَلَى بَذْلِ رَأْسِ الْمَالِ الْمُنْذِي هُوَ الْهَدْيِ، وَ لِذَا دَخَلَتْهُ الْبَاءُ كَمَا تَدَخَّلُ الْأَثْمَانُ فَلَمْ يَبْقَ فِي أَيْدِيهِمْ عَوْضٌ عَنْهُ غَيْرُ الضَّلَالَةِ الَّتِي هِيَ مُحْضُ الْخَسْرَانِ، فَتَرَبَّ عَلَيْهِ انْتِفَاءُ الرَّيْحِ أَيْضًا عَطْفًا بِالْفَاءِ. أَوْ لِلِاشْعَارِ عَلَى رَيْحِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا هُوَ قَضِيَّةُ الْمَقَابَلَةِ، فَذَكَرَ أَنَّ الَّذِينَ

(١) البرهان: ج ١ ص ٦٤ عن تفسير الامام العسكري عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٢٥

اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ لَمْ يَرْبِحُوا كَمَا أَنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْهَدْيَ بِالضَّلَالَةِ رَبِحُوا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ فَمَرْجِعُهُ إِلَى التَّرْشِيحِ إِشَارَةً إِلَى عَدَمِ اهْتِدَائِهِمْ لَطَرَقِ التَّجَارَةَ، عَلَى أَنَّهُ رُبَّمَا يُقَالُ: إِنَّ الْأَوَّلَى عَطْفُهُ عَلَى قَوْلِهِ: اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ».

وَ فِي تَفْسِيرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ حَضَرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَوْمٌ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ سَبْحَانَ الرَّزَاقِ أَلَمْ تَرَ أَنَّ فُلَانًا كَانَ يَسِيرُ الْبِضَاعَةَ خَفِيفَ ذَاتِ الْيَدِ خَرَجَ مَعَ قَوْمٍ يَخْدُمُهُمْ فَدَفَعُوا لَهُ حَقَّ خِدْمَتِهِ، وَ حَمَلُوهُ مَعَهُمْ إِلَى الصِّيْبِ وَ عَيْنُوا لَهُ يَسِيرًا مِنْ مَالِهِمْ قَسَطُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَهُ، وَ جَمَعُوهُ فَاشْتَرَوْا لَهُ بِضَاعَةً مِنْ هُنَاكَ فَسَلِمَتْ فَرِيحُ الْوَاحِدَةِ عَشْرَةَ فَهُوَ الْيَوْمَ مِنْ مِيَاسِيرِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَ قَالَ قَوْمٌ آخَرُونَ بِحَضْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَمْ تَرَ فُلَانًا كَانَتْ حَسَنَةُ حَالِهِ وَ كَثِيرَةُ أَمْوَالِهِ جَمِيلَةً أَسْبَابُهُ وَافِرَةٌ خَيْرَاتُهُ مَجْتَمَعًا شَمَلَهُ أَبِي إِلَّا طَلَبَ الْأَمْوَالَ الْجَمِيَّةَ، فَحَمَلَهُ الْحَرَصَ عَلَى أَنْ تَهْوَرَ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فِي وَقْتِ هَيْجَانِهِ، وَ السَّفِينَةَ غَيْرَ وَثِيقَةً، وَ الْمَلَّاحُونَ غَيْرَ فَارِهِينَ إِلَى أَنْ تَوَسَّطَ الْبَحْرَ حَتَّى إِذَا لَعِبَتْ بِسَفِينَتِهِ رِيحٌ فَازَعَجَتْهَا إِلَى الشَّاطِئِ وَ فَتَّتَتْهَا فِي لَيْلٍ مُظْلَمٍ، وَ ذَهَبَتْ أَمْوَالُهُ، وَ سَلِمَ بِحَشَاشَتِهِ فَقِيرًا وَ قَتِيرًا، يَنْظُرُ إِلَى الدُّنْيَا حَسْرَةً.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَلَا أَخْبَرَكُمْ بِأَحْسَنِ مِنَ الْأَوَّلِ حَالًا وَ بِأَسْوَأِ مِنَ الثَّانِي حَالًا؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: أَمَّا أَحْسَنُ مِنَ الْأَوَّلِ حَالًا فَارْجُلٌ اعْتَقَدَ صَدَقًا لِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ صَدَقًا فِي إِعْظَامِ عَلِيِّ أَخِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ وَلِيِّهِ، وَ ثَمَرَةً لِقَلْبِهِ، وَ مُحْضَ طَاعَتِهِ، فَشَكَرَ لَهُ رَبَّهُ وَ نَبِيَّهُ وَ وَصِيَّ نَبِيِّهِ، فَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ بِذَلِكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ، وَ رَزَقَهُ لِسَانًا لِآلَاءِ اللَّهِ ذَاكِرًا، وَ قَلْبًا لِنِعْمَائِهِ شَاكِرًا، وَ بِأَحْكَامِهِ رَاضِيًا، وَ عَلَى اِحْتِمَالِ مَكَارِهِ أَعْدَاءِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ نَفْسَهُ مَوْطِنًا، لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاهُ عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ أَرْضِهِ وَ سَمَاوَاتِهِ وَ حَيَاهُ بَرِضَوَانَهُ وَ كَرَامَاتِهِ، فَكَانَتْ تِجَارَتُهُ هَذَا أَرْبَحَ،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٢٦

و غنيمته أكثر و أعظم.

و أما أسوء من الثاني حالا فرجل أعطى أخا محمداً رسول الله بيعته، و أظهر له موافقته، و موالاته أوليائه، و معاداة أعدائه، ثم نكث بعد ذلك و خالفه و والى عليه أعدائه، فحتم له بسوء أعماله فصار إلى عذاب لا يبيد و لا ينفد، قد خسر الدنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين. ذلك من الدرجات و المنازل ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر فيقولون يا ربنا هل بقي من جناتك شيء إذا كان هذا كله لنا فأين تحلل ساير عبادك المؤمنين و الأنبياء و الصديقين و الشهداء و الصالحين و يخيل إليهم أن الجنة بأسرها قد جعلت لهم فيأتي النداء من قبل الله تعالى يا عباد هذا ثواب نفس من أنفاس علي الذي قد اقترحموه عليه قد جعله لكم فخذوه و انظروا فيصرون هم و هذا المؤمن الذي عوضهم علي عليه السلام عنه إلى تلك الجنان ثم يرون ما يضيفه الله تعالى إلى ممالك علي في الجنان ما هو أضعاف ما بذله عن وليه الموالى له مما شاء الله عز و جل من الأضعاف التي لا يعرفها غيره ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله أ ذلك خير نزل أم شجرة الزقوم المعدة لمخالفي أخي و وصيي علي بن ابي طالب عليه السلام.

### [سورة البقرة (٢): آية ١٧]

#### إشارة

تفسير الآية (١٧) مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً مثلهم قصتهم الغريبة و حالهم العجيبة التي لا شأن لا يكاد يقع في الأذهان بمجرد البيان إلا بضرب المثل الذي يرى فيه المتخيل متحققاً، و المعقول محسوساً و الغائب حاضراً، فإن المثل في الأصل بمعنى النّظير يقال: مثل و مثل و مثيل كشبه و شبه و شبيه، و يقال المثل أيضاً ثم جعل للقول السائر الذي يشبه

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٢٧

مضربه بمورده، و لم يضربوا مثلاً إلا ما فيه غرابه و لو من بعض الوجوه، و من ثم يحافظ على لفظه، و لو مع مغايرة المورد كقولهم في الصيف ضيعت اللبن، ثم اتسع فيه فاستعمل في كل ما يحكى معنى من المعانى المقصودة المضروبة لها، و ان لم يحم لفظه عن التغيير و منه قول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لنا مثلاً و ما مواعيده إلا الأباطيل ثم استعير للحال أو الصيغة أو القصيدة إذا كانت فيها غرابه و لها شأن، كما في المقام.

و في قوله: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار «١» و قوله: مثل الجنة التي وعد المتقون \* «٢» يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له «٣».

و يطلق على الحكم و المواعظ التي لها شأن كما

في العلوى يا كميل هللك خزان الأموال و العلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة، و أمثالهم في القلوب موجودة ، أى حكمهم، و الحقائق المأخوذة عنهم محفوظة عند أهلها يعملون بها و يهتدون بمنارها «٤» ثم أنه قد شاع في ألسنة الأمم من بنى آدم ضرب الأمثال في خطاباتهم و خصوماتهم و مقاصدهم، لأن إبرازها في كسوة الأمثال أعون على فهم الجاهلين، و إرشاد المسترشدين، و قمع حجج المعاندين، سيما مع غموض المطالب و بعدها عن الفهم أو الأذهان، و لذا أكثر الله سبحانه فيما نزل من كتابه التدوينى الكافل للكون التشريعى من الأمثال الواضحة التي يعرفها كل أحد مما يتعلق بأمر معاشهم كى يعبروا منها إلى الأمور الحقيقية الشرعية عبوراً من المحسوس إلى

(٢) الرعد: ٣٥.

(٣) الحج: ٧٣.

(٤) نهج البلاغة ح ١٤٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٢٨

المعقول، و من الظاهر إلى الباطن، و من الملك إلى الملكوت فقال: وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿١﴾ وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ بل الآيات التكوينية المشار إليها بقوله: وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَ هُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿٤﴾.

و غير ذلك كلها أمثال و دلالات على الأمور الحقيقية الثابتة مما يتعلّق بالبدء و المعاد و مراتب الايمان و الكفر، و ما يترتب عليها من الثواب و العقاب، فإنّ هذه الأمور كلّها من عالم الغيب و الملكوت، و الناس و هم متغمسون في الشواغل الحسية و الغواسق البدنية محجوبون عن إدراك تلك الحقائق على ما هي عليها في العوالم العالية القادمة أو النازلة السافلة لأنهم بعد في نوم الدنيا كما قال صلى الله عليه و آله الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ﴿٥﴾ فما في هذا العالم كلّها صور و أمثلة لما في عالم الآخرة، فما من صورة و مثال في الدنيا بل في الشهادة إلّا و له حقيقة في الآخرة بل في الغيب، و ما من معنى حقيقي في الآخرة إلّا و له مثال في الدنيا، فالموجودات الدنيوية أمثلة لما في الآخرة، كما أنّ المراتب في النوم أمثلة لما في هذه الدنيا، فما سيكون في اليقظة يظهر لك في النوم بضرب الأمثال المحوجة إلى التعبير، و ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا إلا بكسوة الأمثال لمن أراد أن يعبر منها إلى تلك الحقائق، و لذا ترى القرآن مشحونا بذكر الأمثال، بل قد كثرت أيضا في السنة

(١) العنكبوت: ٤٣.

(٢) الروم: ٥٨.

(٣) يوسف: ١٠٥.

(٤) فصلت: ٥٣.

(٥) بحار الأنوار ج ٤ ص ٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٢٩

الأنبياء الذين أمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم، فقدر عقولهم أنّهم في النوم و النَّائم لا يكشف له شيء إلّا بمثل، فإذا ماتوا انتبهوا و عرفوا أنّ المثال مطابق للممثل لذا يخاطب الكافر بقوله: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿١﴾.

ثمّ أنّه قد يفرق بين المثل محرّك و المثل ساكنة بما لا يرجع إلى محضّل، و سترسم تمام الكلام في تفسير قوله: وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴿٢﴾ وَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿٣﴾ كما أنّه قد يفرق أيضا بين المثل و المثال بأنّ الأوّل المشارك في تمام الحقيقة و لذا نفى عنه تعالى في الآية، و الثّاني المشارك في بعض الأعراض فإنّ الإنسان المنتقش في الجدار مثال للإنسان الطبيعي لمشاركته له في المقدار و الجهة و نحوهما، و ليس مثالا له و هو كما ترى.

### مثل المنافقين في أعمالهم

و على كلّ حال فمعنى المثل المضروب للمنافقين في المقام أنّ حالهم و صفتهم الغريبة أو قصّةتهم الحاكية عنها كمثّل الذي استوفد ناراً الكاف صلة مثلها في قوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و ان قيل بالمنع من زيادتها فيه أيضا أو أصليّة، و المراد تشبيه الصفة أو القصة بمثلها

على حدّ قوله: مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ «٤» على الثاني و قوله:

(١) ق: ٢٢.

(٢) النحل: ٦٠.

(٣) الشورى: ١١.

(٤) الجمعة: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٣٠

يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ «١» على الأول.

و به يسقط السؤال عن تمثيل الجماعة بالواحد فإنه لم يشبه ذوات المنافقين بذات المستوقد، بل المضاف إليها من صفة أو قصة. وقد يجاب عنه أيضا أن المقصود به جنس المستوقد لما في الئدى من معنى الإبهام إذا لم يرد به تعريف واحد بعينه، و بان يقدر الموصوف لفظا مفردا معناه الجماعة، أى الفوج أو الجمع الئدى استوقد، و لذا جاز فى ضميره متابعه المعنى أيضا بناء على كون الضمير فى قوله بِنُورِهِمْ له كما أجز ذلك فى قوله وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا «٢» و قوله: وَ الَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ «٣» و بأن الئدى يكون للجمع أيضا فى اللغة الفصيحة كما صرّح به الأخفش و تبعه غيره، و حملوا عليه الآيات بلا فرق بين ما لو قصد به مخصوص أولا، و ان قيده ابن مالك بالثانى و لذا حمل على الضرورة- قول أشهب بن زميلة: و ان الئدى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أمّ خالد و فيه أنه كان للشاعر فيه المندوحة بأن الأولى حانت. و لذا قال أبو حيان أنه لا يعرف أصحابنا هذا التفصيل بل أنشد و البيت على الجواز فى فصيح الكلام لا على الضرورة. و بأن المعنى و مثل كل واحد منهم كقوله: يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً «٤» أى يخرج كل واحد منكم ذكره الرازى و فيه نظر لأنّ الطفل لكونه مصدرا يستوى فيه الأفراد و الجمع، و الآية على حدّ قوله:

(١) محمّد: ٢٠.

(٢) التوبة: ٦٩.

(٣) الزمر: ٣٣.

(٤) غافر: ٦٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٣١

أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ «١» و بأن الئدى وضع موضع الئذين بطريق الحذف و التخفيف، و إنّما جاز ذلك فيه و لم يجز وضع الصفات المفردة موضع جموعها بحذف علاماتها كوضع القائم موضع القائمى فى نحو: رأيت الرجال القائمى، و لو مع كون اللام فيها موصولة لأنه غير مقصود بالوصف، بل الجملة الئى هى صلة، و أنّما هى وصلة إلى وصف المعرفة بها. و ربّما يعلّل أيضا بكونه مستطالا بصلته فاستحق التخفيف، و لذا نهكوه بتخفيفه من وجوه كثيرة، فحذف يائه ثم كسرتة ثم اقتصر على اللام فى أسماء الفاعلين و المفعولين، فجرى فى جمعه أيضا هذا النوع من التخفيف و بأن الياء و التون فى الئذين ليست كالياء و النون فى جموع السلامة فى قوة الدلالة على الجمعيّة حتى يمتنع حذفها، و لذا لم يختلف فى حالات الاعراب، بل إنّما ذاك علامة زيدت للدلالة على زيادة المعنى مع ان الئدى حقّه أن لا يجمع كما لم يجمع أخواتها ممّا يستوى فيه الواحد و الجمع كمن و ما وال. و فيهما نظر أمّا فى الأول فلا بدّ كون اللام الئتى تعدّ من الموصلات هى تلك الئتى فى الئدى لكونه تخفيفا منه مجرد دعوى من الرّمخسرى، لا شاهد له عليها، و إن تبعه فيها من تبعه، بل قد صرّح المحققون منهم بأنّ الأصل فى الموصول لذ على وزن عم، و ان

اللّام زائدة، و أنّما الزموها لثلاث يوهم كونها للتعريف، و به صرح في الصّحاح وغيره، مع أنّ تجويز نوع من التخفيف في كلمة ليس دليلاً على غيره في غيرها، و منه يظهر ضعف الثاني أيضاً.  
و ممّا يضعف به أصل طريقة التخفيف في مثل المقام ممّا أفرد فيه الضّمير أنّ اللازم على فرضه أن يجمع حينئذٍ لأنّه جمع مخفّف، و الجواب بكونه مفرداً في

(١) النور: ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٣٢

الصورة ضعيف في الغاية لضرورة الفرق بين ما هو جمع لفظاً و معنى أو معنى خاصية، بل لم يجوز و مررت بالرجال القائم بإرجاع الضمير إلى اللّام التي هي في صورة المفرد، نعم ما روعي فيه ذلك احتمال التخفيف كما في كالأذى خاصوا (١) و لذا قال في «الصحاح» أنّ في جمع الأذى لغتين الذين و الأذى بحذف النون و استشهد بالبيت (٢) المتقدم.  
و قد يؤيد أيضاً بحذف النون في قوله:

ابن كليب إنّ عمى اللّذا قتل الملوک و فككا الاغلالا. و من جميع ما مرّ ينقدح الأشكال في احتمال التخفيف في مثل المقام ممّا لم يجمع فيه الصّلة.

و الاستيقاد طلب الوقود و السّعي في تحصيله و هو بالضمّ اشتعال النّار و سطوعها و ارتفاع لهبها، و قيل: أنّه بمعنى الإيقاد كالاستجابة و الإيجاب، و النّار جوهر لطيف مضيء حارّ محرق، و أصله من نار ينور نورا إذا نفر لأنّ فيها حركة و اضطراباً و النور مشتق منها يقال: نار و أنار و استنار بمعنى، فلما أضاءت النّار بالنور المكتسب الأذى نالته من الانغماس في بحار الرحمة حين أمرت بالكون في هذا العالم لانتفاع النّاس، و استصلاح أمورهم في معاشهم، و إلّا فليس لها في ذاتها نور و ضياء أصلاً، و إنّما هي أصل الظلمة و مظهرها، و الإضاءة فرط الإنارة و استدلال بقوله:

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً (٣) و بأنهم قالوا أضوء من الشمس و أنور من البدر، و قيل: إنّهما مترادفان لغة، و قيل: إنّ الضّوء ما كان من ذات الشّيء

(١) التوبة: ٦٩.

(٢) لأشهب بن زميلة النهشلي.

(٣) يونس: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٣٣

المضيء، و النور ما كان مستفاداً من غيره نظراً إلى الآيه، و قيل غير ذلك، و لكن الترادف بحسب اللّغة لا ينافي الإبلغيّة في غلبة الاستعمال.

و يستعمل لازماً و متعدّياً يقال: أضاء الشّيء بنفسه و أضاءه غيره، و هي في الآيه متعدّية بوقوعها على ما حوله أي حول المستوقد، و يحتمل كون الفعل لازماً مسنداً إلى ما حوله، و التأنيث باعتبار المعنى، أي صارت الأشياء و الأماكن التي حوله مضيئة بالنار، و اعتضد بقراءة ابن أبي عبلة (١) «ضاءت» أو إلى ضمير النّار، مع كون كلمة ما مزيدة و حوله ظرفاً لغوا لأضاءت، أو موصولة وقعت عبارة عن الأمكنة فتكون مع صلتها مفعولاً فيه للفعل.

و توهم أنّ النّار يلزم أن توجد حينئذٍ حول المستوقد كي يتصوّر إضاءتها و إشراقها فيه.

مدفوع بأنّه جعل إشراق ضوء النّار بمنزلة إشراق النّار نفسها فيه فاسند إليها اسناد الفعل إلى السّبب كما في بنى الأمير، و تأليف الحول

للدوران والإطافة ومنه الحول للعلم لأنه يدور، و أحوال الدّهر لصروفه، و حال الإنسان، و التحويل و الاستحالة يقال هو حوله و حوالبه و حوالة و أحواله بفتح اللام فى الجميع بمعنى، و لما ظرف أو حرف تدلّ على تحقق شىء لتحقيق غيره، و لذا قيل: أداة وجود لوجود، و وجوب لوجوب، و ان كان الأولى الاقتصار على الأوّل أو على الطّرفين مقلوبا، و معناها التّوقيت أو مجرد الارتباط و العامل فيه جوابه و هو قوله: ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَ الصَّمِيرِ لِلَّذِي، و جمعه باعتبار المعنى، كما أنّ توحيدَه فى اسْتَوْقَدَ، و حَوْلَهُ باعتبار اللفظ، و وجوب سببِيَّة شرط لما لجوابها مطلقا ممنوع، و لذا قد تستعمل لمجرد الظرفية كما فى قوله:

(١) هو ابراهيم بن أبى عبلة أبو إسحاق العقيلي الشامي المتوفى (١٥١ هـ) أو بعدها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٣٤

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة فلما رأوها أقشعت و تجلّت و حمل النار على نار لا يرضاها الله تعالى كى تتم السببية تكلف مستغنى عنه، و إثارة نورهم على نارهم لكونه المراد من إيقادها أو الجواب محذوف و الضمير للمناقين.

و كان حقّ النظم أن يكون اللفظ؛ فلما أضاعت ما حوله أطفأ الله ناره، أو طفئت ناره حين أضاعت، لمشاكله الجواب للشرط، و لكن لما كان إطفاء النار مثلا لإذهاب نورهم أقيم مقامه و حذف الجواب ايجازا أو اختصارا مع أمن اللبس، كما حذف فى قوله: فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ «١» و عليه فالجملة مستأنفة جوابا عمّا ربما يسئل ما بالهم، شبهت حالهم بحال المستوقد انطفت ناره، أو بدل من جملة التمثيل على وجه البيان و الإيضاح لا الاسقاط، و لكنّه قد يريخج كونها جوابا بأنّ الأوضح الذكر مع عدم استطالة الكلام، و انّ زيادة المبالغة فى المشبه به تلزمها المبالغة فى المشبه ضمنا، مع أنّ ظهور وجه الشّبهه يضعف الاستيناف، و فوات المعنى الذى حذف جواب لما لأجله يوهن البدئية، لدلالاتها على أنّ المذكور لفظا أوفى بتأديته الغرض ممّا حذف لقصور العبارة عنه.

و هذه الوجوه و إن تطرّق إليها بعض المناقشة إلّا أن مقتضى الأصل و ظاهر السياق مؤيدا بما سمعت بعد ضعف المناقشة هو الأوّل، فتكون الجملة من تتمّة المثل مضافا إلى أنّه الظاهر

من كلام الكاظم على ما فى تفسير الامام عليه السّلام قال: مثل هؤلاء المناقنين كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً كى يبصر بما حوله فلما أبصر ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ بريح أرسلها عليها فاطفأها أو مطر «٢» إلى آخر ما يأتى.

(١) يوسف: ١٥.

(٢) تفسير البرهان ج ١ ص ٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٣٥

و منه يظهر أيضا أنّ اسناد الفعل إلى الله تعالى إنّما هو لحصول الإطفاء بأمر سماوى من ريح أو مطر، كما صرّح بهما أو غيرهما من الأسباب الجليّة و الخفية إن كان ذكرهما على وجه المثال.

و يمكن التعليل أيضا بكون الكلّ منه على ما مرّ فى ختم الله فيتّجه على مذهب العدلية و غيرهم بناء على الوجهين.

و بأنّ الاسناد مجازى من قبيل الاسناد إلى المسبّب و فائدته المبالغة فى إذهاب النور.

و بأنّ النار ممّا لا يرضاها الله لمستوقدها و لذا أطفأها، سواء أريد بها نار حقيقيّة أو قدّها بعض الغواة ليهتدوا بها إلى طرف الضلالة و يستضيئوا بها فى التوصل إلى بعض المعاصى فخيّب الله آمالهم بإطفائها، أو نار مجازيّة كمنار الحرب و الفتنة و العداوة للإسلام، و هى التى تكفل الله تعالى لأهل هذا الدّين بإطفائها كما قال نارهم كلّما أوقدوا نارا للحزب أطفأها الله «١».

و توصيفها حينئذ بإضائه ما حول المستوقد ترشيح للمجاز، و تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من الدلالة على الاستصحاب و الاستمساك، فإنّ معنى أذهب ازاله و جعله ذاهبا، و معنى ذهب به استصحبه و مضى معه، قال الله تعالى فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ «٢» أى مضوا

معه، و ذهب السلطان بماله أخذه، و المعنى أخذ الله نورهم، و أمسكه و ما يُمَسِّكُ فلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ «٣» كذا ذكره الزمخشري و غيره بناء على الفرق بين التعديتين بما يرجع إلى اعتبار الإمساك و العدم، و ان كان

(١) المائدة: ٦٤.

(٢) يوسف: ١٥.

(٣) فاطر: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٣٦

ظاهره كتصريح غيره كون المرجع اعتبار الاستصحاب و العدم، و لذا ذكر ابن هشام أنه مردود بالآية لتعدّر أتصافه تعالى بالذهاب، اللهم إنا أن يقال إنه على الوجه الأول معنى آخر للثاني لا محذور في نسبه إليه سبحانه. لكن الأظهر أنّ الفرق المذكور في نفسه غير ظاهر إلا باعتبار كون الباء للإلصاق أو للمصاحبة.

و من الشواذ قراءة اليماني «١»: أذهب الله نورهم و إيثار النور على الضوء للتبني على إزالة النور عنهم بالكليّة كما هو المقصود، و لو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم إذهاب الكمال و بقاء ما يسمّى نورا و هو مبنّى على الفرق بينهما بالضعف و الغلبة، كما يدعى عليه الغلبة على ما مرّ لكنّه قد يقال: التحقيق أنّ الضوء فرع النور، يقع على الشعاع المنبسط، و لذا يطلق النور على الذوات الجوهرية بخلاف الضوء، و الإبصار بالفعل لما كان بمدخلية الضوء جاء المبالغة من هذا الوجه، و لهذا كان جعل الشّمس سراجا أبلغ من جعل القمر نورا لأنّ الإبصار من ضوء السّراج أتمّ من ضوء القمر، و على هذا فالنكتة في الإيثار التبني على ذهاب الأصل برمته فضلا عن الضياء الذي هو الشّعاع.

و ترَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ من تتمة المثل على ما مرّ، و فيه تقرير و تأكيد للجمله السابقة و إن لم يمحص لذلك، و لذا آثر العطف على الفصل، فإنّ تركهم في الظلمات المتراكمة المبهمة العمياء التي لا يترأى فيها شيء أصلا، سيما مع تعددها و احاطة بعضها ببعض كأنه أمر مغاير لمجرد إذهاب النور، و من هنا يظهر أنه لا داعى إلى التكلّف بجعل الواو للحال بتقدير قد. و ترك إذا علّق بواحد كان بمعنى طرح و خلى، و إذا علّق بشيئين كان متضمنا

(١) هو طاوس بن كيسان اليماني التابعى المتوفى (١٠٦) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٣٧

معنى صير، فيجرى مجرى أفعال القلوب، كما في قول الشاعر «١»:

فتركته جزر السباع ينشئه «٢»

و منه ما في المقام، لأنّه في الأصل هم في ظلمات فعلق بهما ترك مع احتمال تعلّقه بالأوّل على أن يكون بمعنى خلى و يكون في ظلمات لا- يُبْصِرُونَ حالين مترادفين أو متداخلين و أمّا على الأوّل فقوله: لا يُبْصِرُونَ بيان لقوله في ظلمات و يجوز أن يكون حالا و الظلمة عدم النور و زيادة عمّا في شأنه النور لا يساعدها اللّغة و لا العرف و ان اصطلحوا عليها في عرف خاص و هى مأخوذة من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أى ما منعك و شغلك لأنها تسدّ البصر، و تمنع الرؤية، أو من ظلمه حقّه إذا نقصه، و منه قوله تعالى: وَ لَمْ تَظْلَمْ مِنْهُ شَيْئاً أى لم تنقص، و قول الشاعر:

و من يشابه أبه فما ظلم

أى ما انقص حق الشبه.

و من الشواذ قراءة الحسن: في ظلمات بسكون اللام، و اليماني في ظلمة على التوحيد، و أمّا جمعها فباعتبار شدتها و تراكمها كأنها



ظلماتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، أو باعتبار جمعيتها المفعول لاختلاف مراتبهم في النفاق و الشقوة الموجب لاختلافهم في مقادير الظلمة، أو المراد ظلمة إنكار التوحيد و إنكار النبوة و إنكار الولاية، أو ظلمة الضلال، و ظلمة سخط الله و ظلمة العقاب السرمد، أو ظلمة الكفر،

(١) هو عنتره بن شداد من الشعراء الفرسان في الجاهلية قتل (٢٢) قبل الهجرة.

(٢) و آخر البيت: يقضن حسن بنانه و المعصم.

جزر السباع: اللحم الذي تأكله، و ينشئه من النوش أى التناول السهل، و القضم: الأكل بمقدم الأسنان، و المعصم: موضع السوار من الساعد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٣٨

و ظلمة النفاق، و ظلمة يوم القيامة يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ «١» أو الظلمات الحاصلة بترك الطاعات و فعل المعاصي فإن كل فعل أو ترك منها سبب لظلمة حاصلة في القلب، متجوهره محيطه به يوم القيامة. و لذا ورد الظلم ظلمات يوم القيامة «٢».

و فسرها الامام عليه السلام بظلمات أحكام الآخرة و جعل مرجعه إلى الأخير «٣».

ثم إن هذه الوجوه مختصة بالمثل و أما الأول فيجرى فيه و في المثل، و المفعول الساقط من لا يُبَصِّرُونَ متروك مطرح لم يقصد إلى اخطاره بالبال أصلا فضلا عن تقديره و إضماره، حتى كان الفعل معه غير متعد، و يمكن أن يقدر منكرا عاما أى لا يبصرون شيئا، و أن يكون المراد أنهم لا يفعلون الإبصار إذ فرق بين فقد الإبصار و فقد البصر أو المبصر.

ثم أنه ربما يتوهم أن الآية مثل ضربه الله لمن أتاه ضرب من الهدى فاضاعه و لم يتوصل إلى نعيم الأبد فبقى متحيرا و متحسرا تقريرا و توضيحا لما تضمنته الآية الاولى، و يدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون و من آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة أو ارتد عن دينه بعد ما آمن و من صح له أحوال الارادة فادعى أحوال المحبة فاذهب الله عنه ما أشرق عليه من نور الارادة.

و فيه أنه لا-عموم في الآية بل ظاهرها كون المثل للمنافقين الذين سيقت الآيات المتقدمة للكشف عن حالهم و شرح غيهم و ضلالتهم، نعم لا بأس في شمول

(١) الحديد: ١٣.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٣٣٢.

(٣) البرهان ج ١ ص ٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٣٩

اسم النفاق أو غيره ممتا جعل موضوعا للآيات للفرق المتقدمة و غيرها، و أعظمهم في باب النفاق و أشدهم نكايه على الإسلام و المسلمين، و أحرصهم على تخريب الدين هم الذين نافقوا في ولاية مولانا أمير المؤمنين حيث أظهروا الإسلام و البيعة و ابطنوا النفاق و المخالفة، فلما أمكنوا الفرصة رجعوا على أعقابهم القهقري، و ارتدوا عن الدين و صدوا عن سبيل الله الذي هو أمير المؤمنين عليه السلام.

ففي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث إلى أن قال: و قال الله عز و جل لمحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقَضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ «١» قال ألو أتى أمرت أن أعلمكم الذي أخفيتم في صدوركم من استعجالكم بموتى لتظلموا أهل بيتى من بعدى، فكان مثلكم كما قال الله كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ «٢» يقول: أضاءت الأرض بنور محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله كما تضيء الشمس، فضرب الله مثل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله الشمس و مثل الوصى القمر، و هو قوله تعالى:

جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا «٣». وقوله ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ «٤» الآيةُ يعنى قبض محمدا صلى الله عليه وآله فظهرت الظلمة فلم يبصروا فضل أهل بيته وهو قوله: وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ «٥» «٦». قال شيخنا المجلسي طاب ثراه فى شرح الخبر إنه عليه السلام لم يفسر الجزاء لظهوره أى لقضى الأمر بينى وبينكم لظهور كفركم و نفاقكم و وجوب قتلكم.

(١) الانعام: ٥٨.

(٢) البقرة: ١٧.

(٣) يونس: ٥.

(٤) البقرة: ١٨.

(٥) الأعراف: ١٩٨ و فيها: إِنْ تَدْعُوهُمْ.

(٦) الكافي ج ٨ ص ٣٨٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٤٠

وقوله عليه السلام: فكان مثلكم، لبيان ما يترتب على ذهابه صلى الله عليه وآله من بينهم من ضلالتهم وغوايتهم، و به إشعار الى تأويله لآية أخرى، و تشبيه تام كامل فيها و هى ما ذكره الله تعالى فى وصف المنافقين حيث قال فمثلكم كمثل الذى استتوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله فالمراد استضاءة الأرض بنور محمد صلى الله عليه وآله من العلم و الهداية، و استدلل عليه السلام على أن المراد بالضوء هاهنا نور محمد صلى الله عليه وآله بأن الله تعالى مثل فى جميع القرآن الرسول بالشمس و نسب إليها الضياء، و الوصى بالقمر و نسب إليه النور، فالضوء للرسالة و النور للامامة، و هو قوله عز و جل: جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا و ربما يستأنس لذلك بما ذكره، من أن الضياء يطلق على ضوء التبر بالذات و النور على نور المضىء بالتبر، و لذا ينسب النور إلى القمر لأنه يستفيد النور من الشمس و لما كان نور الأولياء مقتبسا من نور الرسول صلى الله عليه وآله و علمهم عليهم السلام من علمه عبر عن علمهم و كمالهم بالنور و عن علم الرسول صلى الله عليه وآله بالضياء، و أشار به إلى تأويل آية أخرى و هى قوله عز و جل: وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ «١» فهى إشارة إلى ذهاب النبى صلى الله عليه وآله و غروب شمس الرسالة، فالناس مظلومون إلا أن يستضيئوا بنور القمر و هو الوصى عليه السلام ثم ذكر عليه السلام تيمية الآية السابقة بعد بيان أن المراد بالإضاءة إضاءة شمس الرسالة فقال المراد باذهاب الله بنورهم هو قبض النبى صلى الله عليه وآله فظهرت الظلمة فلم يبصروا فضل أهل بيته عليه السلام.

الى آخر ما ذكره طاب ثراه.

و فى تفسير الامام عليه السلام عن الكاظم بعد ما مر عنه آنفا: كذلك مثل هؤلاء المنافقين الناكثين لما أخذ الله تعالى عليهم من البيعة لعلى بن أبى طالب عليه السلام اعطوا ظاهرا شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، و أن

(١) يس: ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٤١

عليا وليه و وصيه و وارثه و خليفته فى أمته و قاضى ديونه و منجز عدااته و القائم بسياسته عباد الله مقامه، فورث موارث المسلمين بها، و نكح فى المسلمين بها، و والوه من أجلها و أحسنوا عنه الدفء بسببها و اتخذوه أبا يصونونه مما يصونون عنه أنفسهم بسماعهم منه لها، فلما جاءه الموت وقع فى حكم رب العالمين العالم بالأسرار الذى لا تخفى عليه خافية فاخذهم العذاب بباطن كفرهم، فذلك حين ذهب نورهم، و صاروا فى ظلمات أحكام الآخرة، و لا يرون منها خروجا و لا يجدون عنها محيصا «١».

و ظاهره كما ترى تشبيه الإقرار بظاهر الشهادة بالاستيقاد، و إجراء أحكام الظاهرة من حقن الدماء و الأموال و مشاركة المسلمين في الاستغنام و غيره من الأحكام بالإضاءة، و الموت بإذهاب النور للرد إلى أحكام الآخرة، و لذا عقبه عليه السلام بقوله: ثم قال: صُمَّ يعنى يصمّون في الآخرة في عذابها إلى آخر ما يأتي.

و ربما يقال: إنّ الإذهاب بالنور مثل لاطلاع الله سبحانه عن حالهم و كشفه عن سريرتهم و افتضاحهم بين المسلمين، و إجراء أحكام الكفر عليهم من القتل و السبى و سائر العقوبات أو للطبع الحاصل لقلوبهم بعد الاستمرار على النفاق.

و الأولى الحمل على العموم، فيعمّ جميع ذلك و غيرها، و اختصاص العذاب الأخرى بالذكر في كلام الامام عليه السلام لكونه أشدّ و أبقي و أعمّ و أوفى لجميع الأفراد بخلاف غيره من العقوبات التي يختص بها في الدنيا بعضهم دون بعض.

و من جميع ما مر يظهر دفع ما ربما يتوهم من أنّ المنافقين ليس لهم نور فضلا من أن ينتفعوا به فكيف شبّهوا بالمستوقد الذي انتفع بضوء ناره قليلا، مع أنّه ربما يقال في الآية: وجوه آخر مثل ما قيل: من أنّها نزلت في قوم أسلموا عند

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٦٣-٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٤٢

وصوله صلى الله عليه و آله إلى المدينة، ثم أنّهم نافقوا فالتشبيه حينئذ في محلّه لأنهم أولا اكتسبوا نورا ثم بنفاقهم أبطلوه، فوقعوا في حيرة عظيمة و حسرة دائمة، و أنّها نزلت في اليهود و انتظارهم لخروجه صلى الله عليه و آله و استبشارهم بقرب بعثته و الوصية بالإيمان به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به «١» و ذلك أنّ قريظة و النضير و بنى قينقاع قدموا من الشام إلى يثرب حين انقطعت النبوة من بنى إسرائيل و أفضت إلى العرب، فدخلوا المدينة يشهدون لمحمد بالنبوة و أنّ أمته خير الأمم، و كان يغشاهم رجل من بنى إسرائيل يقال له عبد الله بن هيبان، قبل أن يوحى إلى النبي كلّ سنة فيحضهم على طاعة الله تعالى و إقامة التوراة و الإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله، و يقول إذا خرج فلا تفرّقوا عليه و انصروه، و قد كنت أطمع أن أدركه، ثم مات قبل خروج النبي صلى الله عليه و آله فقبلوا منه ثم لما خرج النبي صلى الله عليه و آله كفروا به، فضرب الله لهم بهذا المثل، و أنّه ليس المراد التشبيه في تمام المثل كى يستلزم نورا للمنافق بل الوجه في تشبيهه بهذا المستوقد أنّه لما زال النور عنه تحيّر و وقع في ظلمة شديدة لأنّ التحيّر و ظهور الظلمة لمن كان في نور ثم زال عنه أشدّ من تحيّر سالك الطريق على ظلمة مستمرة، فذكر النور لتصوير هذه الظلمة الشديدة و التمثيل بها.

و أنت خبير بأنّ شيئا من التنزيلين على فرضه فيها لا يدفع جريانها في النفاق في الإمامة على ما فى الخبر، بل و لا فى غيرها أيضا، و أمّا جعل التشبيه مفردا فلا داعى إليه بعد الدلالة على شدة الظلمة على الوجهين، و تحقّق وجه المشابهة فى الجزئين.

و إمّا إسناد الترك فى المثل على أحد الوجهين إليه سبحانه مع انتفاء المماثلة من هذه الجهة حيث أنّ ما حصل للمنافق من الحيرة و الخيبة فأنما أتى به من قبل

(١) البقرة: ٨٩

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٤٣

نفسه، فالخطب فيه سهل بعد ما ظهر ممّا مر من الخبر المفسّر للظلمات بالعقوبة الأخرى، مع أنّ الفعل منه سبحانه و ان كان مترتبا على وجه الجزاء على أعمالهم السيئة، أو أنّه على منع الألفاظ و العنايات و التخليّة بينهم و بين نفوسهم الشريرة.

و لذا

قال مولانا الرضا عليه السلام على ما رواه فى العيون، أنّ الله لا يوصف بالترك كما يوصف به خلقه و لكنّه متى علم أنّهم لا يرجعون عن الكفر و الضلال منعهم المعاونة و اللطف و خلّى بينهم و بين اختيارهم «١».

## التمثيل في هذه الآية المباركة

ثم أنه قد ظهر مما مر أن التمثيل في الآية والتي بعدها يحتمل كونها من التمثيلات المؤلفة والتشبيهات المركبة التي تشبه فيها كيفية حاصله من ملاحظة مجموع أشياء قد لوحظت بانفرادها قصدا وانضم بعضها إلى بعض بحيث وقع على مجموعها ملاحظة واحدة فصارت بذلك شيئا واحدا بكيفية أخرى منتزعة من مثلها، وهو فن من البيان جزل بليغ قد جرت عليه طريقة أهل اللسان ورد به القرآن ومنه قوله تعالى: **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** «٢» وقوله: **وقد لاح في الصبح الثريا لمن يرى كعنقود ملاحية حين نورا** «٣». كما أنه يحتمل أيضا كونه من التشبيه المفرد الذي يؤخذ فيه أشياء فرادى فتشبه بأمثالها وإن قيل إن الأول أولى بالمقام لما في ذكر المثل من الإنباء عن التركيب

(١) عيون الاخبار ج ١ ص ١٢٣.

(٢) الجمعة: ٥.

(٣) **العنقود من العنب ما تراكم من حبه، وملاحية: عنب أبيض في حبه طول، و نور: تفتح نوره (بفتح النون) اي الزهر أو الأبيض منه-** **و البيت لأبي قيس بن الأسلت على قول.**

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٤٤

و كونه أقوى في الغرابة والتعجب و حذرا عن التكلف الظاهر في تشبيه المفردات و اعتبار الترتيب لكنته لا يخلو من نظر، بل الاولى ملاحظة الجهتين الاولى بعد الثانية فقد شبه ذوات المنافقين بالمستوقدين و اظهارهم الإيمان باستيقاد النار، إذ به يستكشف الحقائق و يتعرف طرق الحق و الباطل و يتوصل الخلائق إلى معرفة الخالق و نيل مرضاته، كما أن النار بضوئها كذلك بالنسبة إلى الطرق المحسوسة و هداية الشابلة و غيرها في ظلمة الليل، و لذا وقع كثيرا في القرآن و غيره تشبيه الإيمان و الكفر و ما ينتمى إليهما بالنور و الظلمة كقوله: **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** «١» وقوله **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ إِلَى قَوْلِهِ: وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ** «٢» وقوله: **أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا** «٣» و في التعبير في المقام بالنار دون النور إشارة إلى أنهم لم يصلوا بعد إلى حقيقة الإيمان، و إنما أظهروه لحقن دمائهم و سلامة أموالهم و أولادهم، و لذا شبه ذلك بإضافة النار ما حول المستوقدين كما شبه زواله منهم على القرب في حياة النبي صلى الله عليه و آله أو بعد وفاته بارتدادهم عن الدين و اتباع الجبت و الطاغوت، و اظهار ما في قلوبهم من الكفر و النفاق و البغض لأمير المؤمنين و استحقاتهم بذلك الشقوة الدائمة و الخسارة اللازمة بإطفاء نارهم و الذهاب بنورهم و تركهم في ظلمات لا يبصرون.

روى القمي في تفسيره عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) النور: ٤٠.

(٣) الأنعام: ١٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٤٥

وفاء رسول الله صلى الله عليه و آله في المسجد و الناس مجتمعون بصوت عال: **الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** «١» فقال له ابن عباس يا أبا الحسن لم قلت ما قلت؟ قال: قرأت شيئا من القرآن، قال: لقد قلته لأمر قال: نعم إن الله يقول في كتابه:

ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (٢) أفتشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله أنه استخلف أبا بكر؟ قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى إلما إليك قال: فهلما بايعتنى؟ قال: اجتمع الناس على أبي بكر فكنت منهم، فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه كما اجتمع أهل العجل على العجل هاهنا فنتتم، و مثلكم كمثل الذي استيقَد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون» (٣).

### [سورة البقرة (٢): آية ١٨]

#### إشارة

تفسير الآية (١٨) صم بكم عمى صم بكم عمى من تمام المثل فالمتبدأ ضمير عائد إلى المستوقدين، وذلك أنه لما وصفهم بكونهم متروكين في ظلمات لا يبصرون أراد أن يتبته أن ذلك ليس لفقد البصر، ولا لمجرد الظلمة الطارية، بل لما أذهب الله بنورهم تركهم في ظلمات هائلة مدهشة موحشة بحيث اختلت حواسهم و سلبت قواهم، فاتصفوا بالصفات الثلاثة على وجه الحقيقة، وانتفت عنهم الإدراكات لفقد الآلة أو بيان لحال

(١) سورة محمد صلى الله عليه وآله: ١.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٣٠١ و عنه نور الثقلين ج ٥ ص ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٤٦

الممثل له كما هو الأظهر وهو المستفاد من تفسير الإمام عليه السلام على ما مر بل هو المتعين على أحد الوجهين من استيناف قوله: ذهب الله بنورهم، والمراد ثبوتها لهم في الدنيا حيث سدوا مسامعهم عن الإصغاء إلى الحق، وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم، وأعرضوا عن النظر في الآيات والتدبر فيها والاتعاظ بها إلى أن ختم على قلوبهم و سمعهم و غشى على أبصارهم، فانتفت عنهم المشاعر الإيمانية، وإن قويت فيهم المشاعر الجسمانية كما قال و تراهم ينظرون إليك و هم لا يبصرون (١) فإنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور (٢) لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم أعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها (٣) و في الآخرة حيث يردون إلى ظلمات أحكام الآخرة على ما في تفسير الامام عليه السلام.

#### صم المنافقين و وجه التشبيه

قال: صم يعني يصمون في الآخرة و في عذابها، بكم يبكمون هناك بين أطباق نيرانها، عمى يعمون هناك قال: و ذلك نظير قوله عز و جل و نحشروهم يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكمياً و صمماً ما واهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً (٤).

و في الكافي عن الصادق عليه السلام في رسالته إلى أصحابه التي أمرهم بمدارستها و النظر فيها و تعاهدها و العمل بها و فيها: و كفوا ألسنتكم إلما من خير، و إياكم أن تذلقوا ألسنتكم بقول الزور و البهتان و الإثم و العدوان، فإنكم إن كفتم ألسنتكم عما يكره الله مما نهاكم عنه كان خيراً لكم عند ربكم من أن تذلقوا ألسنتكم به فان ذلق اللسان

(١) الأعراف: ١٩٨.

(٢) الحج: ٤٦.

(٣) الأعراف: ١٧٩.

(٤) الإسراء: ٩٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٤٧

فيما يكره الله و ما نهى عن مرادة للعبد عند الله و مقت من الله، و صمم و بكم و عمى يورثه إياه يوم القيامة تصيروا كما قال الله تعالى: **صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ**، يعنى **لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ** «١».

ثم أنه قد ظهر ممّا ذكرناه أنّ إطلاقها فى المقام باعتبار الحواس القلبية الايمانية كما هو الظاهر من الخبرين أيضا، و ربما يجعل باعتبار المشاعر الظاهرة تشبيها لهم بمن ايفت مشاعرهم و انتفت قويمهم كقوله:

أصمّ عن الشيء الذى لا أريده و أسمع خلق الله حين أريد و قوله:

و أصممت عمروا و أعميته عن الجود و الفخر يوم الفخار و قوله:

صمّ إذا سمعوا خيرا ذكرت به و إن ذكرت بسوء عندهم أذنوا و على هذا فالكلام على طريقة التمثيل لا الاستعارة إذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له و يجعل الكلام خلوا عنه، صالحا لحمله على المستعار منه لولا فحوى الكلام و قرينه المقام، و لذا يرشّحون

الاستعارات كى يضربوا صفحا عن توهم التشبيه كقول زهير:

لدى أسد شاك السلاح مقذّف له لبد أظفاره لم تقلّم و لأبى تمام:

و يصعد حتّى لظنّ الجهول بأنّ له حاجة فى السماء و للآخر:

لا— تحسبوا أنّ فى سرباله رجلا— ففيه غيـث و ليـث مسـبل «٢» مشـبل «٣».

(١) الكافي: ج ٨ ص ٤٠٦.

(٢) المسبل: الهطال.

(٣) المشبل: أى و الشبل و هو الولد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٤٨

و المستعار له فى المقام و إن كان محذوفا و هو المبتدأ لكنّه فى حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج أسد علىّ و فى الحروب نعامه «١» فتخاء «٢» تنفر من صفير الصّيف. و الصّيم أصله السدّ، و منه: صممت القارورة أى سددها و صمامها سددها، و قناه صمّاء صلبه مكنزة الجوف لسدّ جوفها بامتلائها سمّى به فقدان حاسة السّمع لانسداد باطن الصّماخ معه بحيث لا- ينفذ إلى الصّماخ شىء من الهواء المتموّج بالصّوت، و لذا فرقوا بين الطرش و الوقر و الصّيم بأنّ الأول نقصان السّمع، و الثانى بطلانه، و الثالث فقدان تجويف الصّماخ، و اصل البكم الاعتقال فى اللسان، يقال:

رجل أبكم أى أخرس بين البكم من ولد كذلك، كما أنّ الأخرس من ولد على الصّفه، و العمى عدم البصر عمّا من شأنه أن يبصر.

### وجه تقديم الصّم على البكم و تأخير العمى فى الآية

و قدّم الصّيم على البكم لأنّ التكلّم مترتب على السّماع و لذا يكون الأصم ابكم فروعى هذا التّرتيب فى ضدّهما أو لأنّ الشرع يدعوا إلى سماع الحقّ ثمّ التكلّم به، فذكر أنّهم لا يسمعونه ثمّ أنّهم لا يتكلّمون به.

و أمّا تأخير العمى فقد يعلّل بأنّ السّماع أعظم مدخلا فى درك الشرائع من البصر، فتأخّر ضد الأخير عن ضدّ الأوّل و عمّا هو لصيقه و قرينه، و بأنّ العمى شامل لعمى الفؤاد، و هى آفة تمنع من الفهم و لعمى العين، بل قد يقال بكونه حقيقةً فيهما

(١) النعامة: حيوان له عنق كالجمال و ريش كالطائر و يقال له بالفارسية شتر مرغ.

(٢) الفتحاء: أسد عريض الكف.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٤٩

يفرق بينهما في الاستعمال يقال: ما أعماه من عمى القلب، و لا يقال ذلك في العين و إنما يقال ما أشدّ عماء، و هو بالمعنى الأول معقول صرف فاستحقّ التأخير لذلك، و دعوى الحقيقة فيهما و إن كانت ممنوعة إلّا أنّ الثلاثة تستعمل لفقد كلّ من المشاعر الجسمانيّة و الايمانيّة و ان كانت على الوجهين من قوى النفس، إلّا أنّها على الأول للحسيّة الحيوانيّة و على الثاني للناطقّة القدسيّة.

ثمّ أنّ الثلاثة قرأت بالنصب على الحال من مفعول تَرَكَهُمْ ... فَهُمْ لا- يَزْجِعُونَ إلى الهدى بعد أن باعوه، أو عن الضلالة بعد أن اشتروها، فان الرجوع إلى الشئ هو الانصراف إليه بعد الذهاب عنه، و عنه هو الانصراف عنه بعد الذهاب إليه، و ذلك في الدنيا لاستحكام الطبع على قلوبهم، فكأنهم مسحوا بهائم كما قال: وَ لَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِضِيًّا وَ لَا يَرْجِعُونَ «١» أى لا يستطيعون مضيا إلى الدرجات الرفيعة الإيمانيّة و لا رجوعا إلى فطرتهم الأصليّة كي يجددوا العمل في مهل الأجل، و فى الآخرة بامتناع العود الى الدنيا، و إن التمسه القائل منهم بقوله: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ «٢» نعم قد يقال لهم: ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا «٣» سخرية بهم حيث يقولون لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظِرُونَا نَفْتِسُ مِنْ نُورِكُمْ «٤».

و ربما يحتمل إرادة كونهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين فى مكاناتهم لا يرجعون، و لا يدرون أ يتقدمون أم يتأخرون.

قيل: و هذا يناسب عود الضمير للمستوقدين و العطف بالفاء للاشعار على

(١) يس: ٦٨.

(٢) مؤمنون: ٩٩-١٠٠.

(٣) الحديد: ١٣.

(٤) الحديد: ١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٥٠

الترتب و السببية.

## [سورة البقرة (٢): آية ١٩]

### إشارة

تفسير الآية (١٩) أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ «١» تمثيل آخر لزيادة الكشف و الإيضاح عن حالهم و سوء مالهم، و وخامه عاقبتهم، و عدم انتفاعهم بالآيات و النذر.

و تكرير الأمثال سيما مع تعلّقها بجهاث الكشف و وجوه البيان ممّا بلغت فيه البلغاء، خصوصا عند مزيد الاهتمام بالإفهام و غموض المرام عن الأفهام، و إذا أكثر الله منه فى التنزيل بل تبه عليه بقوله: وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ قَوْلُهُ: وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا «٢».

### وجه ذلك التمثيل

و أو لأحد الأمرين مطلقا، و هو الأصل فى معناها فى موارد إطلاقاتها من الإخبار و الإنشاء، و أمّا الشك و الإبهام و التّخبير و الإباحة و

غيرها فليس شىء منها داخلا فى مفهومها لغه، و إنما تستفاد منها بحسب خصوص الموارد كقصد المتكلم و حال المخاطب، و امتناع الجمع بين المتعاطفين و غيرها، و ذلك للتبادر و أصالة الحقيقة، و من هنا يضعف ما قيل: من كونها مجازا فى غير ذلك بل و فى غير الخبر مطلقا نظرا إلى أنها فى أصلها للتساوى فى الشك، و لذا اشتهرت أنها كلمة شك

(١) الإسراء: ٨٩.

(٢) الإسراء: ٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٥١

فتكون مخصوصة بالخبر ثم استعيرت للتساوى فى غير الشك فاستعملت فى غير الخبر. و معناها فى المقام أن القصتين سواء فى صحة التمثيل و تشبيه حال المنافقين بهما فإن شئت مثلت بهما أو بواحد منهما أيهما شئت، و هذا هو المعبر عندهم بالإباحة كما فى قولهم: جالس الفقهاء أو المحدثين. و (الصيب) المطر الذى يصب أى ينزل من عل، و أصله صيوب، من الصوب أيضا، بمعنى نزول المطر و الإنصباب، و يقال: الصيب للسحاب ذى الصوب أيضا، بل اقتصر عليه فى معناه بعضهم، و انشدوا:

عفا آيه نسج الجنوب مع الصبا و أسحم دان صادق الوعد صيب «١» و فى الآية يحتملها، و إن كان الأكثر، فسروه بالأول. و تنكيره إمّا للتعظيم، تبيينها على بلوغه مبلغا لا- يمكن أن يصرف، أو للنوعية، لأنه أريد به نوع من المطر، ممتاز من بين الأنواع فى الشدة و الوحشة هذا مضافا إلى ما فيه من المبالغة من جهة المادة و الهيئة على ما قيل لتألفه من الصاد المستعلية، و الباء المشددة، و الباء الشديدة، و كونه صفة مشبهة دالة على الثبوت، و هو على حذف مضاف تقديره أو كمثل أصحاب صيب، لقوله: يَجْعَلُونَ أصابِعَهُمْ مع أن عطف غير العاقل على ذوى العقول غير معقول.

و السماء كل ما علاك فأظلك، و منه قيل لسقف البيت سماء، و هى اسم جنس يقع على الواحد و المتعدد، و قيل: جمع سماء- كتمر و تمره، و الواحدة بالتاء، و شاع إطلاقها على هذا المعروف، و إن كانت تطلق أيضا على السحاب و المطر، و ظهر

(١) أى محا آثار المنزل هبوبهما، و أسحم أى سحاب أسود، دان: قريب من الأرض، صادق الوعد غير خلف، و الصيب: الهطال.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٥٢

الفرس، و السقف، و غيرها، فإن فسّر الصيب بالمطر فالسحاب، أو جهة العلو، أو هذا المعروف، أو بالسحاب فأحد الأخيرين، و على الوجهين ففائدة الوصف بكونه من السماء مع أنهما لا- يكونان إلّا منه الإشعار، بذكره على زيادة تصوير المراد لتطبيق أجزاء الممثل له عليه على ما يأتى، و بتعريفه الإشعار على كون الغمام مطبقا أخذنا بجميع الآفاق مصيبا مطره جميع وجه الأرض ذهابا إلى السماء المطلقة المعروفة، و لو نكرها لكان يذهب الوهم إلى قطعة منها فإن بعض السماء قد يسمّى سماء قال:

فأوه بذكراها إذا ما ذكرتها و من بعد أرض بيننا و سماء فإنّ البعد بينهما قطعة من الأرض و ناحية من السماء.

و أمّا ما يقال: من أن فى التوصيف دلالة على بطلان ما توهموه من انعقاد المطر و تقاطره من الأبخرة المرتفعة إلى الكرة الزمهريرية المتكاثفة هناك لشدة البرد فيه ما لا يخفى بعد ما سمعت من معانى السماء.

فيه ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض، تعبير عن بلوغ الغاية فى الشدة باجتماع الأمثال لازدحام الأسباب، أو المراد ظلمة تكاثف السحاب و سواده و تتابع القطر المشبه بظلمة البحر و ظلمة الليل فصح الجمع بناء على تفسير المرجح بكل من السحاب و المطر، و احتمال رجوعه إلى السماء أيضا فإنه قد يذكر، و الجملة فى موضع الجزّ بأنها صفة صيب، و لذا كان ارتفاع ظلمات بالظرف وفاقا، و إن اختلفوا فيما لم يعتمد على موصوف بأنه على الفاعلية، كما عن الأخفش، أو على الابتداء كما عن سيبويه لاشتراطه الاعتماد فى



إعماله.

و القراء أجمعوا على ضمّ اللام اتّباعاً، و روى فى الشواذ عن الحسن و أبى السماك بسكون اللام، و عن بعضهم بفتحها، و علّوه بكرأهه اجتماع الضمتين، فتارة عدلوا الى الفتح و أخرى الى السكون.

تفسير الصراط المستقيم، ج 4، ص: 353

قال فى «المجمع»: و كلا الأمرين حسن فى اللغة قلت: لكنّ القراءة مبيّته على التوقيف.

و رَعِيدٌ وَ بَرَقٌ تأخيرهما لزيادة التهويل مع أنه روعى فى الترتيب الذكرى الترتيب الوجودى بينهما على ما هما عليه، و إن لم يساعده حواسنا الظاهرة، فإنّ البرق يرى قبل سماع الرعد، و ذلك لأنّ الصوت لا بدّ له من حركة الهواء أو تموج، و لا حركة دفعية فيحتاج إلى زمان، و لا كذلك فى الرؤية على ما قرّر فى محلّه، و البرق ما يلمع من السحاب من برقت السماء بروقا إذا لمعت، و للبحث عن حقيقتهما موضع آخر.

و جعل المطر ظرفاً لهما على الاتساع فأنهما فى أعلاه و مصبّه، فإنّ الظرفية متعذّرة و التلبس حاصل فى السحاب فى المطر الذى لم ينفصل بعد عنه، بل مطلقاً، و قد شاع الاتساع فى الظروف، كقولك: فلان فى البلد، و فيه العلم و التقى.

يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فى آذَانِهِمْ استيناف، لأنه لما ذكر الظلمات و الرعد و البرق على ما يؤذن الشدّة و الهول فكأن قائلاً قال له: فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد؟ فقيل: يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فى آذَانِهِمْ، و ذكر الصواعق لا تنافى المطابقة، بل تؤكّد تهويل الوعد المسئول عنه.

و يحتمل كون الجملة حالاً من ذوى صيب، أو نعتاً له، و على الأحوال و الضمير لهم مع كون اللفظ محذوفا قائماً مقامه، صيب لبقاء المعنى فيه، كبقائه فى قوله: أو هم قائلون بعد ذكر القرية و إرجاع الضمير إليها حيث قال: «و كم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون» «1» و فى قول حسان «2»:

(1) الأعراف: 4.

(2) حسان بن ثابت المنذر الخزرجى الانصارى شاعر النبى صلّى الله عليه و آله توفى سنة (54هـ) بالمدينة عن (120) سنة كأبيه و جدّه.

تفسير الصراط المستقيم، ج 4، ص: 354

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل. حيث ذكر يصفق إبقاء لمعنى المضاف المحذوف، و المعنى ماء بردى، و هى بالفتحيتين: نهر بدمشق، و البريص شعبه منه.

و الأصابع جمع الإصبع مثلثة الهمزة و الباء، ففيها تسع لغات عاشرها: أصبوع بالضم، و أطلقت فى الآية على موضع الأنامل اتساعاً، مع ما فيه من الاشعار بدخول أصابعهم فوق المعتاد فرارا من شدّة الصوت، كما أنّ به الإشعار أيضاً فى ذكر الإسم العامّ دون السبابة التى تسدّ بها الأذن مع أنّها فعالة من السب، فكان اجتنابها أولى بأداب القرآن، و لذا تراهم يكتون عنها بالمسبحة و المهلّة، و السباحة، و الدعّاءة، و غيرها من الألقاب التى لا يناسب شيئاً منها خصوص القصّة.

من الصّواعق متعلّق بيجعلون، و (من) فى أمثال المقام للابتداء على سبيل العليّة، فيكون ما بعدها أمراً باعثاً على الفعل الذى قبلها، فيقال: قعد من الجبن، و لذا قد يصرّح معها بما يدلّ على التعليل كقولك: ضربه من أجل التأديب.

و الصاعقة فى الأصل مصدر كالعافية و الباقية، كما جزم به فى «القاموس» و احتمله غيره، أو صفة لقصفه الرعد، أو الصيحة أو الرعدة الهائلة، أو الرعد، و التاء للمبالغة كالراوية لكثير الرواية، أو للنقل من الوصفية الى الاسمية كالحقيقة. من الصعق و هو شدّة الصوت، و منه حمار صعق أى شديد الصوت.

و الغشوة يقال: صعق الرجل صعقه أى غشى عليه، قال الله تعالى: وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴿١﴾.  
و الموت، و منه قوله تعالى:

(١) الأعراف: ١٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٥٥

فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾.

و يظهر من الأكثر كونه حقيقة فيه، فإطلاقه على غيره لعلاقة المشابهة و السببية و المشاركة و غيرها.

و تطلق الصاعقة أيضا على صيحة العذاب، و كل عذاب مهلك، و النار التي تسقط من السماء فى رعد شديد، يقال: صعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو شدة الصوت.

و من غرائبها أنها ربما تصير لطيفة بحيث تنفذ فى المتخلخل و لا تحرقه و تذيب المندمج، فتحرق الذهب فى الكيس دونه إلا ما احترق من الذائب.

قال صدر المتألهين: أخبر أهل التواتر بأن الصاعقة وقعت فى بلدة ولادتنا شيراز على قبة الشيخ الكبير عبد الله بن حفيف فأذاب قنديلا فيها و لم يحرق شيئا منها.

قالوا: و ربما كان كثيفا غليظا جدا فيحرق كل شىء أصابه، و كثيرا ما يقع على الجبل فيدكّه دكا.

و يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت.

و قرأ الحسن: من الصواعق، قال فى «الكشاف»: و ليس بقلب للصواعق لأن كلا البنائين سواء فى التصرف، و إذا استويا كان كل واحد بناء على حياله ألا تراك تقول: صعقه على رأسه و صعق «٢» رأسه، و صعق «٣» الديك، و خطيب مصقع مجهر و نظيره جبد فى جبد ليس بقلبه لاستوائهما فى التصرف «٤».

(١) الزمر: ٦٨.

(٢) أى ضرب صوقعته و هو موضع البياض فى وسط الرأس.

(٣) أى صاح الديك.

(٤) الكشاف ج ١ ص ٢١٧-٢١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٥٦

و عن الراغب «١»: أن اللفظين متقاربان فى المعنى و هو الهوة الكبيرة، إلما أن الصقع فى الأجسام الأرضية، و الصقع فى الأجسام العلوية.

أقول: لا يخفى أن الصقع بمعانيها المعروفة غير شديد المناسبة بالمقام، و لا بعد فى القلب فى المستعمل منه بمعنى الصقع لا مطلقا كى يردّ بكثرة التصرف.

و لذا قال الجوهري: و صعقته الصاعقة لغة فى صعقته الصاعقة، مع تنبيهه على معانى الصقع التي هى أجنبية عن المقام.

حَدَرَ الْمَوْتِ مَفْعُولٌ عَلَى الْعَلَّةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: يَجْعَلُونَ وَتَعْرِيفَهُ غَيْرَ مُنْكَرٍ، خِلَافًا لِمَنْ أَوْجِبَ تَنْكِيرَهُ، وَ يَرُدُّهُ الْآيَةُ، وَ قَوْلُ حَاتِمٍ «٢»:

وَ أَغْفَرَ عِوَاءَ الْكُرَيْمِ إِدْخَارَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكْرِمًا فَلَا دَاعِيَ إِلَى التَّكَلُّفِ بِالتَّأْوِيلِ فِي الْآيَةِ بِحَاذِرِينَ الْمَوْتِ لِتَكُونِ الْإِضَافَةُ لَفْظِيَّةً.

و الموت فساد بنية الحيوان، أو مفارقة الروح عن البدن، و الأظهر أنه أمر وجودى يضاد الحياة، لقوله تعالى: «حَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ»

«٣»، و ما ورد من أنّهما خلقان من خلق الله فإذا جاء الموت فدخل في الإنسان لم يدخل في شيء إلا وقد خرجت منه الحيوة، و غير ذلك ممّا يأتي في مورده، فإطلاقه إنما هو باعتبار حالة الإفتراق، لا مجرد عدم التركيب و الاجتماع.

و قرأ ابن ابي ليلى: حذار الموت.

و الله مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ إِيحاطُهُ بحسب العلم، فيعلم أسرارهم و يعلم نبيّه على ضمائرهم، و القدرة فلا يستطيعون الخروج عن قدرته، و لا يفوتونه كما لا

(١) ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصبهاني اللغوي الماهر توفّي سنة (٥٦٥) هـ

(٢) هو حاتم الطائي عبد الله بن سعد القحطاني شاعر جواد فارس مات سنة (٤٦) قبل الهجرة.

(٣) الملك: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٥٧

يفوت المحاط به المحيط، قال الشاعر:

أحطنا بهم حتى إذا ما تيقنوا بما قد رأوا مالوا جميعا الى السلم أي قدرنا عليهم. أو أنّ الله مهلكهم جزاء بما كسبت أيديهم لا تخلّصهم الخداع و الحيل، من قولك: أحيط بفلان فهو محاط به إذا هلك أو دنى هلاكه، و منه قوله تعالى: وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ «١» أي أصابه ما أهلكه، و قوله: إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ «٢» أي أن تهلكوا جميعا.

أو جامعهم يوم القيامة، يقال: أحاط بكذا، إذا لم يشذ منه شيء، و منه:

أحاط بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا «٣» أي لا يشذ عن علمه شيء و الجملة معترضة للتنبيه على أنّه لا ينفعهم الحذر عن الموت، و ما بعده من العقبات و العقوبات.

و فائده وضع الكافرين موضع الضمير التنبيه على كفرهم و استحقاقهم شدة الأمر عليهم كقوله: «أَصَابَتْ حَزَنًا قَوْمَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ»، و قد تجعل من أحوال المشبه فالمراد بهم المنافقون و سيطت تنبيها على فرط الاهتمام بشأن المشبه و دلالة على شدة الاتصال بينه و بين المشبه به.

و في إثارة الإسم الجامع المقدم و الاخبار عنه بالجملة الاسمية و تنكير المفرد و تعريف الجمع ما لا يخفى من الجزالة و الفخامة.

(١) الكهف: ٤٢.

(٢) يوسف: ٦٤.

(٣) الطلاق: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٥٨

[سورة البقرة (٢): آية ٢٠]

إشارة

تفسير الآية (٢٠) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ استيناف ثان كأنه أجيب به عما ربما يسئل عنه من حالهم مع ذلك البرق أو تلك الصواعق، و كاد في الأصل فعل من كدت يكاد كيدا و مكادة مثل هبت يهاب، و عن الأصمعي: كودا بالواو، فيكون نحو خفت يخاف خوفا و مخافة، و ربّما يحكى مجيء يكود كيقول أيضا وضعت كمرادفاتهما لمقاربه الخبر من الوجود

لعروض سببها الغير التام بفقد شرط أو شطر أو طرفٍ مانع، و ليست فيها شائبة الإنشاء، و لذا جاءت متصرفه كسائر الأفعال بخلاف عسى الموضوعه لإنشاء الرجاء، و لذا لم تأت إلّا ماضيا و شرط خبرها أن يكون فعلا مضارعا و التجريد عن أن الدالّة على الاستقبال فيها أكثر ليوكد القرب بالدلالة على الحال.

و الخطف: الأخذ بسرعه، يقال: خطف يخطف من باب سمع و ضرب، و إن كان الأوّل أكثر و أفصح، بل في «المجمع» (١): أن عليه القراءة، لكن في «الكشاف» (٢) عن مجاهد بكسر الطاء و الفتح افسح و أعلى، و عن ابن مسعود: يختطف، و عن الحسن: يخطف بفتح الياء و الخاء، و أصله يختطف فنقلت فتحه التاء الى الخاء ثم أدغمت في الطاء، و عنه أيضا: يخطف بكسرهما على إتباع الياء الخاء المكسورة لالتقاء الساكنين حيث سكنت الطاء للادغام، و عن زيد بن علي: يخطف من خطف، و عن أبي: يتخطف من قوله: وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ (٣).

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٥٨.

(٢) الكشاف ج ١: ص ٢١٩.

(٣) العنكبوت: ٦٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٥٩

كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ اسْتِنَافٌ ثَالِثٌ أُجِيبُ بِهِ عَمَّا رُبَّمَا يَسْتَلُّ عَنْهُ مِنْ حَالِهِمْ: كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق و خفيته، و كَلَّمَا، أصله كلّ أضيف إلى ما و هو في الأصل لجميع أجزاء الشيء كالبعض لطائفه منه و إن استعمل كلّ في موضع الآخر، و لذا عدّتا من الأضداد و يلزمهما الاضافة لفظا او تقديرا، و لا تدخلهما اللام عند الأصمعي و غيره، بل يعزى الى الأكثر، و لذا نسب أبو حاتم (١) و غيره سيبويه و الأخفش الى قلّة المعرفة حيث استعمالهما بها في كتابيهما، و ذكر أنه قال للأصمعي (٢): رأيت في كلام ابن المقفع (٣): «العلم كثير و لكن أخذ البعض خيرا من ترك الكلّ» فأنكره أشدّ الإنكار و قال: كلّ و بعض معرفة فلا يدخل عليهما الألف و اللام لأنهما في تيّه الاضافة.

و هو بمعزل عن التحقيق، بل الحقّ أنّهما قد يعرّفان بها.

و لفظ كلّ واحد و معناه جمع و لذا يجوز كلّ القوم حضر- و حضروا.

و في «المصباح» أنّه يفيد التكرار بدخول ما عليه نحو كَلَّمَا أَتَاكَ زَيْدٌ فَأَكْرَمَهُ، دون غيره من أدوات الشرط، و هو منصوب على الظرفيّة لقوله: أَضَاءَ و محلّه الجزم بالشرط، و مَشَوْا فِيهِ فِي مَوْضِعِ الْجَزَاءِ، و المشى جنس الحركة المعهودة، و إن كان أغلب في الأوسط، فإذا اشتدّ فهو سعّ، فإذا ازداد فعدو، و أَضَاءَ يَسْتَعْمَلُ مَتَعَدِيًا وَ لَازِمًا، يقال: أَضَاءَ اللَّهُ الصَّبِيحَ فَأَضَاءَ، و المعنى على الأوّل: كَلَّمَا نَوَّرَ لَهُمْ مَمْشَى وَ مَسْلُكًا مَشَا فِيهِ فَالْمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ، و على الثاني: كَلَّمَا لَمَعَ لَهُمْ مَشَا فِي مَطْرَحِ نَوْرِهِ.

(١) ابو حاتم السجستاني سهل بن محمد النحوي اللغوي نزيل البصرة توفي سنة (٢٤٨) هـ

(٢) الأصمعي: عبد الملك بن قريب البصري اللغوي المتوفى حدود (٢١٦) هـ

(٣) ابن المقفع: عبد الله الفارسي الماهر في صنعة الإنشاء المقتول بأمر المنصور الدوانيقي سنة (١٤٣).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٦٠

و أزيد في «الكشاف» بقراءة ابن أبي عبله: كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ، و الفاعل على الحالين البرق، كما أظلم أيضا يستعمل على الوجهين، و يحتملها قوله و إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا و إن كان الأظهر الأشيع كونه لازما، نعم قد يقال: إنّ جاء متعديا منقولا من ظلم الليل مستشهدا له بقراءة يزيد بن قطيب (١): أَظْلَمَ عَلَيَّ مَا لَمْ يَسْمَعْ فاعله، و بقول أبي تمام (٢) حبيب بن أويس الموثوق بإنشاده لإتقانه و إن كان من

المحدثين «٣»:

هما «٤» أظلمنا حالّي ثمت أجليا «٥» ظلاميهما «٦» عن وجه أمر «٧» أشيب «٨» يقول الشاعر خطابا لعاذلته:

أحاولت إرشادى فعقلى مرشدى أم اسـتمتت أديبى فـدهرى مـؤدبى

(١) يزيد بن قطيب السكونى الشامى روى القراءة عن أبى بحرّية عبد الله بن قيس السكونى الحمصى المتوفى بعد الثمانين - غاية النهاية ج ٢ ص ٣٨٢.

(٢) ابو تمام حبيب بن أوس الطائى الشاعر المتوفى (٢٣١).

(٣) الشعراء على أربع طبقات: الجاهليون كإمرئ القيس، و طرفه و زهير، و المخضرمون الذين أدركوا الجاهلية و الإسلام، كحسان و ليلى، و المتقدمون من أهل الإسلام كالفرزدق و جرير و ذى الرمة و هؤلاء كلهم يستشهد بكلامهم فى اللغة، و المحدثون من أهل الإسلام كابى تمام و البحترى و أبى الطيب لا يستشهدون بأشعارهم و لكن يجعلون أقوالهم بمنزلة ما يروون و يحدثون.

(٤) هما راجع الى الفعل و الدهر، و المراد بحاليه ما يتواتر من المتقابلين كالخير و الشرّ و الغنى و الفقر، و الصّحة و المرض، و العسر و اليسر و نحوها.

(٥) أجليا: كشفا ظلاميهما.

(٦) الظلامه بضم الظاء: ما احتملته من الظلم و ما أخذ منك ظلما.

(٧) الأورد: الشابّ طرّ شاربه و لم تنبت لحيته.

(٨) الأشيب: المبيض الرأس.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٤١

أى ما كان ينبغى أن تتجشّمت فى الإرشاد و العذل و التأديب فإنّ فى العقل و الدهر كفاية فهما شيبانى بعد ما كنت شابا و صيرانى شيخا قبل أوانه.

و اعترض على الأوّل بجواز كونه لازما مسندا الى الطرف، و على الثانى بأنّ عمل الراوى ليس بحجّية فى مثله، فإنّ إتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية سيّما فى الشعر الذى هو محلّ الضرورات.

و يضعف الأوّل بأنّ بناء المجهول من المتعدى بنفسه أكثر و أولى، و بأنّ عليهم تقابل لهم كما هو ظاهر المساق فان جعلنا مستقرّين لم يصلح لذلك أصلا، أو صلتين لفعلين على تضمين معنى النفع و الضرر، فكذلك مع وضوح كون الضمير فى الفعلين للبرق.

و الثانى بأنّ إتقان الرواية كان فى مثله مع كونه عالما مقدّما فى هذه الصناعة، على أنّه لا معنى لإظلام البرق فى نفسه على الحقيقة، بل المراد ستره الطريق عليهم، مضافا الى ما عن الأزهرى «١»: أنّ أظلم و أضواء يكونان لازمين و متعدّين، و ما عن الليث: تقول: أظلم فلان علينا البيت إذا أسمعك ما تكره، لما قيل: من أنّ ثبوته فى مجازة يدلّ عليه.

و معنى قاموا وقفوا من قام الماء جمدا، و السوق نفقت، و الدابة وقفت، و تغيير الأسلوب باللام و على لما فيهما من الدلالة على النفع و الضرر مع تقديم الأجدر، و بكلمّا و إذا للتنبية على شدّة حرصهم على المشى دوما الى سرعة التخلّص و قلّة التربّص لما هم فيه من الأحوال الفضيعة و الشدائد المدهشة و إثثار المشى على الإسراع و العدو مع ما فيهما من مناسبة أحوالهم و حكاية أحوالهم للاشعار على انتهاك قواهم بحيث لا يقدرّون مع ما هم عليه من الشدّة على غير المشى لما فجئهم

(١) الأزهرى: أبو منصور محمد بن أحمد الهروى الشافعى اللغوى المتوفى (٣٧٠) هـ

من الافزاع و ان كانوا هم الحراس عليه.  
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ عَطْفَ عَلَى كُلِّمًا أَضَاءَ لَهُمْ، و ربما يحتمل عطفها على يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ، و هو بعيد، و كونها معترضة، و هو مبنى على جواز وقوعها فى آخر الكلام.  
و لو وضعت فى الأصل للدلالة على انتفاء الثانى لانتفاء الأول من جهه ترتبه عليه و ان كان للثانى أسباب آخر، و قد أغرب من عكس نظرا إلى أن المسبب قد يكون أعَمّ من السبب.

و أو هن منه الاستدلال بانتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه، فإن الظاهر من قولك:

لو جئتنى لأكرمك الإشعار بسببى عدم المجيء لانتفاء الإكرام و استناده إليه، و لذا ذهب الجمهور الى ما ذكرناه.

نعم قد تجرّد لمجرّد الربط بين الجملتين، و للدلالة على لزوم الجزاء للشرط، فتفيد أن العلم بانتفاء الثانى علّة للعلم بانتفاء الأول.  
و يستعملها ارباب العلوم فى استدلالاتهم و لذا يسمّى لو الاستدلالية، و إرادتها فى المقام بعيدة جدا بل الأولى ارادة الأولى للتنبه على أنه لم يبق ممّا له مدخلية فى ذهاب حواسهم و بطلان قواهم إلّا و قد حصل عدى المشيئة الإلهية و ذلك لأنّ مشقتهم بسبب الرعد و البرق قد وصلت غايتها، أو للإشعار على كمال قدرته و شدّة إحاطته عليهم بحيث إنه يؤثر فى ذهاب أعزّ ما عندهم من الحواسّ و القوى بمجرّد المشيئة من دون ترقب شرط أو تراحم مانع، و لذا عقبه بما يفصح عن عموم المقدرة.  
و لقد شاع حذف المفعول فى شاء و أراد، و ما يتصرّف منهما إذا وقعت فى حيّز الشرط لدلالة الجواب عليه معنى و وقوعه فى محلّه لفظا مع أن فيه ضربا من التفسير بعد الإبهام.

نعم ربما لا يكتفون بها فى الشىء المستغرب اعتناء بتعيينه و دفعا لذهاب

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٦٣

الوهم الى غيره كقوله:

و لو شئت أن أبكى دما لبكيتته عليه و لكن ساحة الصبر أوسع و قوله: لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَاتَّخِذْنَا مِنْ لَمَدْنَا «١» و لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا «٢».

و المعنى و لو شاء الله أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد و أبصارهم بوميض البرق لذهب بهما، و يحتمل كونه و عيدا لهم بعد إتمام المثل، أى و لو شاء الله لدمّر على المنافقين و اذهبهما منهم عقوبة على نفاقهم كما ختم مثله فى الآية الاولى.

بل ربما يؤيده ما فى تفسير الامام عليه السلام على ما يأتى، حيث قال: و لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمَذَّهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ حَتَّى لَا يَتَبَيَّأَ لَهُمُ الْاِحْتِرَازُ مِنْ أَنْ تَقِفَ عَلَى كُفْرِهِمْ أَنْتَ وَ أَصْحَابُكَ الْمُؤْمِنُونَ، و توجب قتلهم.

و الباء للتعدية و فيها معنى الاستمساك و المصاحبة على ما مرّت اليه الإشارة من الفرق بين التعديتين فى قوله: ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ أَبِي عِبْلَةَ:

لأذهب بأسماعهم، فتكون زائدة بناء على عدم الجمع بين أداتى تعدية و اختصاص الزيادة بالباء حينئذ لسبق الهمزة و شيوع التعدية بها، مع احتمال عدم الزيادة للمنع من عدم الجمع مع أن للهمزة معانٍ أخرى.

### التشاجر فى (القدير)

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إشارة إلى عموم قدرته و نفوذ أمره التكويني فى كل شىء بما شاء متى شاء و كيف شاء، و الشىء فى الأصل بمعنى أراد مصدر

(٢) الزمر: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٦٤

بمعنى الفاعل أو المفعول غلب على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه، ولذا قيل: إنه أول الأسماء وأعمها وأبهما وقد طال التشاجر في اختصاصه بالقديم أو بالحادث أو بغير المعدوم أو بالجسم، فذهب إلى اختصاصه بكل فريق.

ويضعف الأولان بقوله تعالى: قُلْ أَى شَىءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّهُ «١» وقول لبيد:

ألا كل شىء ما خلا الله باطل

والأخير بقوله تعالى: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَىءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُمْ غَدًا «٢».

وأما ما يحكى عن جهم «٣» من الاستدلال بهذه الآية على أنه تعالى ليس بشىء نظرا إلى أنها تدل على أن كل شىء مقدور لله وهو تعالى ليس بمقدور له فوجب أن لا يكون شيئا فهو ضعيف جدا.

وأضعف منه الاستدلال بقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ، حيث أنه تعالى لو كان شيئا وهو مثل نفسه لم يصح قوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ فوجب أن لا يكون شيئا وهو كما ترى «٤».

وأما اختصاصه بالوجود فقد يستدل له بأنه قد يطلق تارة بمعنى الفاعل فيتناول البارى تعالى كما فى الآية الأولى، و اخرى بمعنى المفعول أى مشىي وجوده و ما شاء الله وجوده فهو موجود فى الجملة، و عليه قوله تعالى: إِنَّ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ «٥» خالق كل شىء\* «٦»، فهما على عمومهما بلا استثناء.

(١) الانعام: ١٩.

(٢) الكهف: ٢٣.

(٣) هو جهم بن صفوان السمرقندى رأس الجهمية المقتول بمرور سنة (١٢٨) هـ

(٤) حكاة عن الجهم فى «مفاتيح الغيب» ج ١ ص ٨١.

(٥) البقرة: ٢٠.

(٦) غافر: ٦٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٦٥

ولا يخفى ضعفه لأن المفهوم منه عرفا معنى عام شامل للواجب والممكن من دون أن يكون واسطة الانتقال إليه كون شائيا أو مشيئا مع أنه بالمعنى الأول لا يشمل الجمادات والأعراض ونحوها مما لا يتصف بالإرادة والمشية والمعنى الثانى لا يشمل الواجب، وقضيته تبادل الجميع منه بالطلاق واحد فسادهما معا.

مضافا الى أنه لا يصح سلبه عن شىء من الموجودات، ومثله فى الضعف ما ربما يستدل به لما يعزى إلى المحققين من المتكلمين بل قد يحكى عن تصريح بعض اللغويين كسيبويه وغيره من إطلاقه على الموجود والمعدوم من أنه تعالى أثبت القدرة على الشىء فى هذه الآية و الموجود لا قدرة عليه لإستحالة إيجاد الموجود، فالذى عليه القدرة معدوم، وهو شىء فالمعدوم شىء.

لأنه لو صح هذا الكلام لزم أن لا يكون ما لا يقدر الله عليه شيئا، فالموجود حيث لا يقدر عليه لا يكون شيئا، وللنوع من أن الموجود لا قدرة عليه فإنه مقدور عليه ولو بالتغيير أو الإعدام، والمنفى إنما هو القدرة على إيجاده ثانيا عن عدم أصلى كالأول، لفوات المحل، وهو أخص مما ادّعه، ولأن إثبات القدرة على الشىء أعم من نفيها عن غيره.

ومن هنا يظهر ضعف ما ذكره شيخنا الطبرسى بعد اختيار القول المتقدم بل قال إن على هذه المسألة يدور أكثر مسائل التوحيد «١».

والحق وفاقا لأكثر المحققين أن الشىئية تساوq الوجود، نعم الوجود يكون كوتيا وإمكائيا، والأول يشمل جميع المجردات و

الماديات من الجواهر والاعراض، و الثاني يشمل كل ما دخل في صقع الإمكان و ان لم يوجد بعد أو لن يوجد أبدا وجودا عيتيا، فيشمل جميع الحقائق و المفاهيم و المدركات الكلية و الجزئية.

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٦٦

و من هنا يظهر أنه يمكن إرجاع النزاع في إطلاق الشيء على المعدوم و عدمه إلى القول بثبوت الأعيان أو جعلها في الإمكان و عدمه، فليس البحث لغويا محضا فيه، و لا- في جواز إطلاقه عليه سبحانه، فإن قوما لم يجوزوا إطلاق الشيء عليه ذهابا إلى مجزء التعطيل نظرا إلى أنه تعالى لو كان شيئا لشارك الأشياء في مفهوم الشئية، و لذا منعوا أيضا من إطلاق الوجود و الموجود و ذى الحقيقة و الهوية و نحوها في حقه سبحانه.

و فيه أن هذه من المفاهيم العامة التي لا عين لها في الخارج، و لذا ترى أن الموجود في الأعيان لا يكون إلا امرا مخصوصا كالإنسان و الشجر و الحجر، فيمتنع أن يوجد ما هو شيء فقط.

بل قد يقال: إنه لو وجد معنى الشئية في الخارج للزم من وجود الشيء وجود أشياء غير متناهية إذ كل ما يتحقق في الخارج فهو شيء، و له شئية، و لشئيته أيضا شئية أخرى، و هكذا إلى ما لا يتناهى.

و فيه نظر واضح فإنه نظير الشبهة المعروفة في اتصاف الوجود بالموجودية، و الذي ينبغي أن يقال إنك قد سمعت أن الشئية تساوق الوجود، فكما أنه سبحانه موجود بحقيقة الوجود الذي لا- يمكن كونه عن عدم و لا- طرؤ العدم عليه، و غيره من الموجودات كلها مفاضة منه منتسبة إليه، من دون أن يجمعهما حقيقة واحدة كذلك يتصف هو سبحانه بأنه شيء بحقيقة الشئية و شيء لا كالأشياء، كما ورد التصريح بهما في الأخبار.

ففي خبر هشام عن الصادق عليه السلام في جواب الزنديق حين سئله ما هو فقال عليه السلام هو شيء بخلاف الأشياء ارجع بقولى إلى إثبات معنى و أنه شيء بحقيقة الشئية

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٦٧

غير أنه لا جسم و لا صورة و لا يحس و لا يمس (١) و لا يدرك بالحواس الخمس (٢).

و عن ابن سعيد قال سئل أبو جعفر الثاني عليه السلام يجوز أن يقال لله تعالى شيء قال نعم تخرجه عن الحدين حد التعطيل و حد التشبيه (٣).

أقول و معنى إخراجها عن حد التعطيل أنه لو لم يكن الله شيئا لكان لا شيئا محضا و هو يوجب التعطيل عن الدعاء و العبادة و التوسل و عن حد التشبيه أنه لا يقاس بشيء من مخلوقه بل لا يحد و لا يعد و لا يخطر ببال أحد.

و التقدير فعيل بمعنى القادر و هو الذي إن شاء فعل و إن شاء لم يفعل، أو أنه الفعال لما يشاء كيف يشاء، و لذا قل ما يتصف به غيره سبحانه، مشتق من القدر بالتحريك بمعنى الحكم، و مبلغ الشيء، أو بالسكون بمعنى القوة كالقدرة و المقدره بتثليث الدال، ثم إن للقدرة عندهم تعريفين مشهورين، ففسرها المتكلمون بصحة الفعل و الترك، و الفلاسفة بكون الفاعل في ذاته بحيث إن شاء فعل و إن لم يشأ لم يفعل، و الظاهر تلازم المعنيين بحسب المفهوم و التحقق و ان من أثبت المعنى الثاني يلزمه إثبات الأول قطعا، و ذلك لأن الفاعل إذا كان بحسب ذاته بحيث إن شاء فعل و إن لم يشأ لم يفعل كان لا محالة من حيث ذاته مع عزل النظر عن المشية و اللامشية يصح منه الفعل و الترك، و ان كان يجب منه الفعل إذا وجدت المشية و الترك إذا وجدت اللامشية فدوام الفعل و وجوبه من جهة دوام المشية و وجوبها لا ينافي صحة الترك على تقدير اللامشية.

و من هنا يظهر ضعف ما قيل: من أن هذا التعريف هو منشأ الخلاف بين



(١) في البحار: لا يجسّ بالجيم.

(٢) بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٥٨ ح ٢ عن الاحتجاج و ص ٢٦ عن التوحيد و معاني الاخبار.

(٣) البحار ج ٣ ص ٢٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٦٨

الفريقين حيث إن المتكلمين يجوزون عدم صدور العالم عنه تعالى و إفتائه بعد وجوده بالكلية و يمنعه الحكماء.

### هل القدرة من صفات الذات أو من صفات الفعل

و أما ما ذكره الدواني «١» من أن التعريف ليس مشار الخلاف، بل مثاره قول الحكماء بوجوب تحقق مقدم الشرطية الأولى و امتناع مقدم الشرطية الثانية، و قول المتكلمين بإمكانهما، و ذلك ليس خلافا في معنى القدرة و الاختيار فإن الفريقين بعد أن يتفقا على أحد التعريفين يمكنهم هذا الخلاف، ففيه أنهما متفقان أيضا في الوجوب الغيرى و الإمكان الذاتى للعالم، فالمراد بالوجوب و الامتناع فى المقدمتين من قول الحكماء هو الوجوب و الامتناع الغيريان، و لا ينافيه الإمكان الذاتى الذى يقول به المتكلمون، و أما الوجوب و الامتناع الذاتيان فلا أعرف أحدا من الفريقين يقول بثبوتهما.

و أمّا ما يقال من أن عدم العالم ممكن بالنظر الى ذاته لامتناع زوال الإمكان الذاتى عنه لكن عدم مشيئته تعالى له ممتنع بالذات عندهم، و لا منافاة بين إمكانه الذاتى و امتناع عدم صدوره عنه بالنظر إلى مشيئته، فعدمه ممكن بالذات لكن عدم مشيئته تعالى له ممتنع بالذات، فصحّ أن عدم صدوره عنه ممتنع بالذات و إن كان هو فى نفسه ممكن العدم، و المتكلمون ينكرون ذلك و يقولون بجواز عدم مشيئته تعالى له، ففيه أن ظاهر التعريفين غير مساعد عليه، و لعل قولهم بامتناع عدم مشيئته تعالى

(١) هو جلال الدين محمد بن سعد الدواني المنتهى نسبه الى محمد بن ابى بكر الحكيم الفاضل الشاعر المتوفى حدود سنة (٩٠٧) أو بعدها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٦٩

على فرض صدق النسبة إليهم مبنى على توهم كون الإرادة و المشيئة من صفات الذات و كون القدرة مغايرة للذات الأحديّة إلا أن هذا كله بمعزل عما هو التحقيق بل المعلوم من مذهب أهل البيت عليه السلام هو كون الإرادة و المشيئة من صفات الفعل، و إنهما على فرض التعدد أو الاتحاد حادثان بحدوث الفعل، و أن القدرة و العلم من الصّيفات الذاتية التى لا تغاير الذات الحقة البسيطة بوجه من الوجوه، بل ذاته قدرته، و قدرته ذاته، بلا مغايرة حقيقتيه أو اعتبارية أو مفهومية أو مصداقية، و لذا ورد الأمر بتتزيهه عن الصفات الزائدة و ان كمال التوحيد نفى الصفات، و أن من وصف الله فقد عدّه، و من عدّه فقد حدّه «١».

و ذلك انّ القائلين بالصّيفات الزائدة إن قالوا بقدمها لزمهم القول بتعدّد القدماء و إن قالوا بحدوثها لزم النقص عليه فى أزلّه، و لذا التجأ الاشاعرة إلى القول بإثبات قدماء ثمانية مع المبدء الاول تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

نعم يستفاد من تعريف الحكماء أن القدرة من الصّيفات الذاتية و إنما اشتهر عنهم القول بالإيجاب و الفاعلية بالعلية و نفى الاختيار و غيرها مما دلّت القواطع من العقل و النقل على فساده، و تمام الكلام فى مقام آخر.

ثم إنّ هذا التمثيل كالأول على ما مرّ يحتمل كونه من التشبيه المركّب و المفرد، فالفرض على الاول تشبيه حال عامّة المنافقين و لا سيما الذين تعاقدوا و تحالفوا على صرف الولاية عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فيما لهم أو ينالهم من الحيرة أو مقاساة الشدة و الشقوة اللازمة و الخسارة الدائمة بما يكابد من أخذته السماء و أحاطت عليه بالسحاب و المطر فى ليلة متكاسفة الأنوار متراكمة

الظلمات فيها رعد قاصف، و برق خاطف، و خوف من الصواعق، و الاقتحام من المزالق

(١) نهج البلاغة: الخطبة الاولى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٧٠

و المراهق، و على الثاني تشبيه أنفسهم باصحاب الصيب و ايمانهم الظاهري اللساني المخالط للكفر و التفاق و الشرك الباطني يصيب فيه ظلمات و رَعِيدٌ و بَرَقٌ من حيث أنه و ان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرًا و خيره شرًا و ابطانهم الكفر و خبث السريرة حذرا من نكايات المؤمنين و ما يتطرقون به من سواهم من عبدة الأوثان و جحده الإسلام و الإيمان من القتل و النهب و الأسر بجعل الأصابع في الأذان من الصواعق حَذَرَ الْمَوْتِ من حيث إنه لا يدفع عنهم شيئا من المضار بل لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ\* و لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ، و ما هم فيه من الوحشة و الحيرة و جهلهم بأمور الدين و احكام المسلمين و عجزهم عن جواب السائلين مع مسارعتهم إلى التقدّم في الرياسات و أخذ الغنائم و غصب المناصب بأنهم كلما صادفوا من البرق خفقته انتهزوها فرصة مع خوف شديد من افتضاحهم بالكشف عن خبث سرائرهم و فساد نياتهم و بظهور جهل رؤسائهم بالاحكام كما روى أنه قال قائل منهم: أَى سماء تظلني و أَى أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله بما لا أعلم «١».

و كان يقول: أقبيلوني و لست بخيركم و على فيكم «٢».

فوا عجا بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها «٣».

و كان الثاني منهم يقرّ بعجزه و ضعفه كلما ارتطم و اقتحم حتى قال أزيد من سبعين مرّة لو لا على لهلك عمر «٤».

(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٢٩-الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٢٥٣.

(٢) دلائل الصدق ج ١ ص ٢٥.

(٣) نهج البلاغة خ ٣ المشهورة بالخطبة الشقشقية.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٤٤٢-ربيع الأبرار للزمخشري.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٧١

و كان يقول شعرة من آل أبي طالب أفقه من عدى «١» و حيث منع عن المغالات في الأمهار اعترضته امرأة فقال: كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات في الرجال «٢» إلى غير ذلك ممّا شاع نقله في كتب الفريقين.

قال الإمام عليه السلام في تفسير الآية: ثم ضرب الله مثلا آخر للمنافقين فقال مثل ما خوطبوا به من هذا القرآن الذي أنزلنا عليك يا محمد مشتملا على بيان توحيدى و إيضاح حجة نبوتك و الدليل الباهر على استحقاق أخيك على بن أبى طالب عليه السلام للموقف الذى وقفته و المحل الذى أحلته و الرتبة التى رفعته إليها و السياسة التى قلده إياها فهى كصيب فيه ظلمات و رَعْدٌ و بَرَقٌ.

قال: يا محمّد كما أنّ فى هذا المطر هذه الأشياء و من ابتلى به خاف فكذلك هؤلاء فى ردهم لبيعه على عليه السلام، و خوفهم أن تعثر أنت يا محمّد على نفاقهم كمن هو فى مثل هذا المطر و الرعد و البرق يخاف أن يخلع الرعد فؤاده أو ينزل البرق و الصاعقه عليه، فكذلك هؤلاء يخافون أن تعثر على كفرهم فتوجب قتلهم و استيصالهم يجعلون أصابعهم فى آذانهم لئلا يخلع قلوبهم من الصواعق حَذَرَ الْمَوْتِ كما يجعل هؤلاء المبتلون بهذا الرعد أصابعهم فى آذانهم إذا سمعوا لعنك لمن نكث البيعة و وعيدك لهم إذا علمت أحوالهم يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حَذَرَ الْمَوْتِ لئلا يسمعوا لعنك و وعيدك فتغير ألوانهم و يستدل أصحابك أنهم هم المعنيون باللعن و الوعيد لما قد ظهر من التغيير و الاضطراب عليهم فتقوى التهمة عليهم فلا يأمنون هلاكهم بذلك على يدك و فى حكمك ثم قال و الله مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ مقتدر عليهم لو شاء أظهر لك نفاق منافقيهم و أبدى لك أسرارهم و أمرك

(١) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٤٩٣ و عنه البحار ج ٤٠ ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) الغدير ج ٦ ص ٩٧-٩٩ و عن أربعين الرازي ص ٤٦٧ و فيه: حتى المخدرات في البيوت.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٧٢

بقتلهم.

ثم قال يكاد البرق يخطف أبصارهم، وهذا مثل قوم ابتلوا ببرق فلم يغضوا عنه أبصارهم و لم يستروا منه وجوههم لتسلم عيونهم من تلؤلؤه و لا- ينظرون إلى الطريق الذي يريدون أن يتخلصوا فيه بضوء البرق، و لكنهم نظروا إلى نفس البرق يكاد يخطف أبصارهم فكذلك هؤلاء المنافقون يكاد ما يشاهدونه في القرآن من الآيات المحكمة الدالة على نبوتك الموضحة عن صدقك في نصب أخيك على إماما، و يكاد ما يشاهدونه منك يا محمد و من أخيك على من المعجزات الدالات على أن أمرك و أمره هو الحق الذي لا- ريب فيه، ثم هم مع ذلك لا- ينظرون في دلائل ما يشاهدونه من آيات القرآن و آياتك و آيات أخيك على بن أبي طالب عليه السلام يكاد ذهابهم عن الحق في حججك يبطل عليهم ساير ما قد عملوه من الأشياء التي يعرفونها لأن من جحد حقا واحدا آذاه ذلك الجحد إلى أن يجحد كل حق فصار جاحده في بطلان ساير الحقوق عليه كالتاظر الى جرم الشمس في ذهاب نور بصره.

ثم قال: كلما أضاء لهم مشوا فيه إذا ظهر ما قد اعتقدوا أنه هو الحجة مشوا فيه ثبتوا عليه و هؤلاء إذا نتجت خيولهم الإنانث و نساؤهم الذكور، و حملت نخيلهم و ذكت زروعهم و ربحت تجارتهم و كثرت الألبان في ضرورهم قالوا يوشك أن يكون هذا بركة بيعتنا لعلي عليه السلام أنه مبخوت «١» مدال «٢» فبذلك ينبغي أن نعطيها ظاهر الطاعة لتعيش في دولته و إذا أظلم عليهم قاموا أي إذا نتجت خيولهم الذكور و نساؤهم الإنانث و لم يربحوا في تجارتهم و لا حملت نخيلهم و لا ذكت

(١) المبخوت: صاحب بخت.

(٢) المدال (بكسر الميم و الدال المهملة): الرجل الحفي و بالفتح: الخسيس.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٧٣

زروعهم وقفوا و قالوا هذا بشوم هذه البيعة التي بايعناها علينا و التصديق الذي صدقنا محمدا و هو نظير ما قال الله تعالى يا محمد إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله و إن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قال الله تعالى قل كل من عند الله «١» بحكمه التافذ و قضائه ليس ذلك لشوم و لا ليمن.

ثم قال الله عز و جل و لو شاء الله لذهب بسمعهم و أبصارهم حتى لا يتهيأ لهم الاحتراز من أن تقف على كفرهم أنت و أصحابك المؤمنون و توجب قتلهم.

إن الله على كل شيء قدير و لا يعجزه شيء «٢».

و في المجمع، عن ابن مسعود «٣» و جماعة من الصحابة إن رجلين من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه و آله فأصابهم المطر الذي ذكره الله تعالى فيه رعد شديد و صواعق و برق فكلما أضاء لهم الصواعق جعلوا أصابعهما في آذانهما مخافة أن تدخل الصواعق في آذانهما فتقتلها و إذا لمع البرق مشيا في ضوئه و إذا لم يلمع لم يبصرا فأقاما فجعلوا يقولان ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمدا فنضع أيدينا في يده، فأصبحا فأتياه و أسلما و حسن إسلامهما فضرب الله شأن هذين الرجلين مثلا لمنافقي المدينة و أنهم إذا حضروا النبي صلى الله عليه و آله جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقا من كلام النبي صلى الله عليه و آله أن ينزل فيهم شيء كما كان ذلك الرجلان يجعلان أصابعهما في آذانهما و كلما أضاء لهم مشوا فيه يعني إذا كثرت أموالهم و أصابوا غنيمة أو فتحا مشوا فيه و قالوا دين محمدا صحيح، و إذا أظلم عليهم قاموا يعني إذا هلكت أموالهم و أصابهم البلاء قالوا هذا من أجل دين محمد صلى الله

عليه وآله فارتدوا كما قام

(١) النساء: ٥٨.

(٢) تفسير البرهان ج ١ ص ٦٦ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٣) هو عبد الله بن مسعود الهذلي المتوفى (٣٢) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٧٤

ذلك الرجلان إذا اظلم البرق عليهما «١».

ثم أنه قد ظهر مما مر أن الثاني من التمثيلين أبلغ لأنه أدل على فرط الحيرة و شدة الأمر و لذا استحق التأخير، فإنهم يتدرجون في مثل ذلك من الأهون إلى الأغلظ، بلا فرق بين أن يكون المثلان للصنفين من المنافقين بان يشبه بعضهم بأصحاب النار و بعضهم بأصحاب المطر على حد أو في قوله: قالوا كونوا هوداً أو نصارى «٢» أو لحالتى الضعف و الشدة لكل منهم، و للترقى من الأضعف إلى الأشد على أن يكون أو بمعنى بل كقوله: إلى مائة ألف أو يزيدون «٣» أو لمجرد التسمية على ما مرّت إليه الإشارة.

[سورة البقرة (٢): آية ٢١]

إشارة

تفسير الآية (٢١) يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ افتتاح لتوجيه الخطاب على وجه الالتفات إلى عامية المكلفين سعيدهم و شقيهم، بعد عدّ أصنافهم و تقسيمهم الى اهل الإيمان و الكفر و التفاق و الكشف عن حقيقة أحوالهم و مراتبهم و درجاتهم و ما يتول إليه أمرهم. و ذلك للاهتمام بأمر العبادة و سببها لنيل السعادة، و فخامة شأنها و علو قدرها.

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٥٧-٥٨.

(٢) البقرة: ١٣٥.

(٣) الصافات: ١٤٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٧٥

مع أن في هذا الضرب من الالتفات تنشيطاً للسمع، و هزأ له إلى الاستماع، و استدعاء منه زيادة الإصغاء و الإقبال و جبراً لكلفة العبادة بلذة المخاطبة.

ولذا

قال مولانا الصادق عليه السلام على ما رواه شيخنا الطبرسي عند آية الصيام لذة ما في النداء أزال تعب العبادة و العناء «١».

فالآيات المتقدمة لما كانت حكاية أحوال لم تحتج الى مزيد عناية.

و أما هذه الآية فلما فيها من التكليف المشتمل على الكلفة و المشقة روعى فيها الانتقال من الغيبة إلى الحضور، على جهة الخطاب المشتمل على صنوف من الألفاظ المقربة للعباد الموجبة للزلفى لديه فى المبدء و المعاد.

و (يا) حرف تدل على النداء طبعاً فى أصله على ما قيل من أنه فى أصله كان صوتاً تصدر عنهم طبعاً إلى القصد إلى النداء كلفظة آخ عند التوجع، و وضعاً مترتباً على ذلك للأعم من القريب و البعيد على ما هو الأظهر لأصالة الحقيقة، و عدم تبادل الخصوصية مع شيوع

الاستعمال فيما يعتمهما.

وقيل: إنه لنداء البعيد حقيقة أو حكما بتنزيل القريب منزلته، إِمَّا لعظمة المنادى وعلوه أو مع استقصار الداعي لنفسه و استبعاده لها عن التأهل لمقام المخاطبة كقوله: يا الله يا رحمن يا رحيم وغيرها من الأسماء الحسنی، مع أنه أقرب إليه مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، وإِمَّا لسوء فهم المخاطب وبعده عن إدراك المطلب، أو لغفلته و اشتغال قلبه بغير ذلك، أو لزيادة الاعتناء بالمدعو له و كثرة الاهتمام بالحث عليه، و الفرق بينه و بين السابق واضح حيث أنه لحالة راجعة إلى المخاطب، و هنا لمجرد التنبيه على غموض المطلب.

و (أى) اسم مبهم توصلوا به إلى نداء المعرف باللام، لاستكراههم دخول (يا)

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٢٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٧٦

عليه حذرا من اجتماع حرفى التعريف، فتوصلوا إليه باسم مبهم يحتاج الى ما يزيل إبهامه، فجعلوه منادى فى الصورة، و أجروا عليه وضعا موضحا له ما هو المقصود بالنداء أعنى المعرف باللام الذى يزيل إبهامه، و يمتاز به ذات المنادى، و التزموا رفعه، مع جواز كون الصيغة المفردة تابعة للفظ المبنى، و محلّه للتنبيه على أنه المقصود بالنداء، بل قد التزموا رفع، توابع المعرف مفردة كانت أو مضافة لوجوب رفع متبوعه، و لان المعترف فى المعرب تبعية اللفظ، و أقحمت بين الصيغة و موصوفها كلمة التنبيه، تأكيدا لما فى حرف النداء من الإيقاظ للمنادى، و الإعلام بأنه هو المدعو فيقويه حرف التنبيه، و يعضده فضل اعتضاد، و تعويضا بها عما يستحقه أى من المضاف إليه أو التوین الذى يقوم مقامه فى الدلالة عليه و للقصود إلى الإبهام لا مجال لشيء منهما فى المقام، و فى لزوم تقديم حرف التنبيه دلالة أخرى على أن المعرف هو المقصود بالنداء، و إن تضمن تأخيره، فى المقام وجوها من التأكيد المستفاد من تكرار الذكر و التدرج من الإبهام إلى التوضيح.

و اختيار لفظ البعيد على وجه و تأكيد معناه بحرف التنبيه الذى فيه إيقاظ بعد إيقاظ، بل فى هذا الخطاب اشارة، أيضا إلى تكريم المخاطب و تشريفه كما يستفاد من يا أَيُّهَا النَّبِيُّ\*، و يا أَيُّهَا الرَّسُولُ\* و يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا\* بل يا أَيُّهَا النَّاسُ، و إن اختلفت مراتب التشريف و درجات التكريم فيها باختلاف الوصف المعرف كما هو واضح فى النبوة و الرسالة و الايمان و أما الانسانية فى قوله: يا أَيُّهَا النَّاسُ فللدلالته على التشريف الفطرى و التكريم الجلبى المشار اليه بقوله: وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴿١﴾ الآية حيث إنهم لو بقوا على مقتضى فطرتهم الأصلية التى هى التوحيد و الاستقامة فى طريق العبودية لنالوا كل شرف و كرامة.

(١) الإسراء: ٧٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٧٧

و لعل فى تخصيص الناس المشتق من التسيان على ما فى الخبر «١»، بالخطاب تذكيرا لهم بما نسوه فى العهد المأخوذ عليهم فى الميثاق فكأنه قال: يا أَيُّهَا النَّاسُونَ لعهد ربكم تذكروا و أرقدوا من نومة الغفلة، و أوفوا له بتلك العهود التى منها العبادة و التقوى، أو أنها هى بناء على اشتمالها على سائره.

و إن أخذت الناس من الأنس فالمراد المستأنسون بعبادة ربهم بحسب الفطرة الاصلية، فيعم، أو بحسب الفعلية العملية فيخص الذين أنسوا بعبادة ربهم فباشروا روح اليقين، و استلانوا ما استوعره المترفون، و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون، و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، و قد مر أن القرآن له وجوه و ظهور و بطون لا تمنع بينها فى الإرادة، و لما سمعت من اشتمال مثل هذا الخطاب مع بلاغته على وجوه التنبيه و التأكيد و التكريم كثر النداء فى الكتاب العزيز به ما لم يكثر فى غيره و بغيره، فإن ما نادى

اللّه سبحانه به عباده من حيث أنّها أمور عظام ينبغي للمكلفين أن يصغوا لها و يقبلوا بقلوبهم عليها حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ كى يفيد مزيد الترغيب و الحثّ على الطاعة و لذا قال تعالى: **حُدُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ \* «٢»** أى فى القلوب و الأبدان، بل فيه خطاب لجميع مراتب وجود الإنسان كما

روى عن مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام على ما رواه المحقق الدوانى و غيره أنّه قال يا نداء للزّوج و أى نداء للقلب و هاء نداء للنفس

، و هو محمول إمّا على ما سمعت، من أنّه حيث يعتنى بكمال توجّه المخاطب بيا أيّها المشتملة على وجوه المبالغة طلبا لإقباله بكليّة قلبه و قاله و ظاهره و باطنه و إمّا على ظاهره من حيث

(١) فى العلل عن الصادق عليه السّلام: سَمِيَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا لِأَنَّهُ يَنْسَى قَالَ اللَّهُ: لَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ تفسير الصافى فى ذيل آية (١١٥) من سورة طه.  
(٢) البقرة: ٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٧٨

الدلالة المأخوذة فى البطون على الوجه المقرّر فى محلّه، فالخطاب النازل من سرادق قدس العظمة و الرّبوبيّة يتوجّه أولا إلى ما هو الألف الألف الأشرف الأصفى الأعلى من مراتب الوجود لبطان الطفرة و تبعيّة الأسفل للأعلى على وجه المظهرية ثم المراد بالزّوج هو مقام الفؤاد المعبر عنه بالخطاب الفهوانى و رتبة المكافحة و حضرت المشيئة الجزئية و النهر المنشعب من البحر الأبيض، و اختصاصه باداء النداء لقيامه به قياما وجوديا فى الخطاب التكويني كما أنّ اختصاص القلب بأى لسرعة انقلابه المذى ناسب الإبهام الكلى، و النفس بحرف التنبيه المجانس لضمير الغائب لكمال بعدها عن ساحة القرب و الحضور و دنوّها من عالم الغفلة و الغرور.

و التّاس من أسماء الجموع المحلّاة باللّام الشاملة بعمومها لمن دخل تحت هذا النوع بلا فرق بين الذكر و الأنثى و الحرّ و العبد و الصّغير و الكبير و العاقل و المجنون و السعيد و الشقى، إلا أنّه قد خرج عن شموله من ارتفع عنه التكليف بالدليل العقلى و السمعى فيبقى الباقي بلا فرق بين المؤمن و الكافر.

و أمّا

ما تظافر نقله عن ابن عباس و الحسن «١» و علقمة «٢»

من أنّ ما فى القرآن من يا أيّها النّاس فأنّه نزل بمكّة و ما فيه من يا أيّها الذين آمنوا فأنّه نزل بالمدينة فلم يثبت عندنا فيه شىء، و على فرضه فلا دلالة فيه على اختصاص الخطاب على الأوّل بمشركى مكّة، و على الثانى بالمؤمنين لأنّه تخصيص من غير دليل مضافا إلى كثرة المسلمين بمكّة و الكفار بالمدينة، على أنّهم قد صرّحوا بأن كثيرا من السور المشتملة على الخطاب الأوّل مدنيّة كسورة البقرة و النّساء و الحجرات و غيرها و كذا العكس، و التكلّف بكون المراد بالمكّى فى هذا المحكى ما كان خطابا لمشركى مكّة

(١) هو الحسن بن يسار البصرى التابعى المتوفى بالبصرة سنة (١١٠) هـ

(٢) هو علقمة بن مرثد الحضرمى الكوفى المتوفى (١٢٠) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٧٩

و ان نزل بالمدينة لا المشهور و هو ما نزل قبل مهاجرته صلّى الله عليه و آله من مكّة، أو بالتفكيك بين الآية و السورة بأنّ كون إحداهما مكية لا ينافى كون الأخرى مدنيّة ممّا لا داعى إلى التزام بشىء منهما.

و كأنّ الذي دعاهم إلى ذلك ما قيل من توهم أنّ هذا الخطاب لا يجوز أن يتوجه إلى المؤمنين بالانفراد أو بمشاركة الكفار و ذلك لأنّ أمرهم حينئذ بالعبادة يكون طلبا لتحصيل الحاصل و هو محال، و ضعفه واضح لصحة طلبها منهم باعتبار الأنواع و الأفراد المتكثرة المتجددة و تحصيل الزيادة و الثبات و المواظبة و التوجه إليها بالكلية و هذه المعاني مشتركة في صدق العبادة عليها حقيقة. و دعوى كونها مجازا في بعضها غير مسموعة بعد التبادر و عدم صحّة السلب و غيرها من أمارات الحقيقة، بل الأظهر عدم اختصاصها بأفعال الجوارح فتشمل العبادات القلبية من الإيمان و المعرفة و مجاهدة النفس لتحصيل الأخلاق الفاضلة. و من هنا يضعف ما رّبما يقال من أنّ القول بشمول الخطاب الكفار و غيرهم يقتضى استعمال لفظ العبادة في حقيقتها و مجازها إذ المراد بالنسبة إلى الكفار إحداثها و الشروع فيها و إلى المسلمين الزيادة و المواظبة عليها. و أضعف من ذلك ما قيل من امتناع طلبها من الكفار الفاقدين لما هو شرط في صحتها قطعا و هو الإيمان فطلبها منهم حال انتفاء شرطها تكليف بالمستحيل، و هو ممتنع عقلا و شرعا. إذ فيه بعد و ضوح مقدورية الشّروط أنّ التكليف أنّما هو حال انتفاء الشرط لا بشرط انتفائه، و بين المعنيين فرق بين ألا ترى أنّ الصلاة المشروطة بالطهارة مقدورة للمكلف فيصحّ تعلق التكليف بها حال عدم الطهارة لا بشرط العدم. و كأنّ هذه الشبهة و نحوها من الأوهام هي التي ألجأت أبا حنيفة إلى القول بعدم كون الكفار مكلفين بالفروع، بل ربما سرى الوهم في ذلك إلى بعض المحدثين

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٨٠

من أصحابنا المتأخرين كالمحدث الكاشاني «١» و الشيخ يوسف البحراني «٢» بل قد يستظهر القول به من المحدث الأمين «٣» الأسترابادي حيث ذكر في موضع كتابه «الفوائد المدنيّة» أنّ حكمته اقتضت أن يكون تعلق التكليف بالناس على التدرّج بأن يكلفوا أولا- بالإقرار بالشهادتين، ثم بعد صدور الإقرار منهم مكلفون بسائر ما جاء به النبي صلّى الله عليه و آله ثم قال بعد ذكر جملة من الأخبار الآتية و اخبار الميثاق و الفطرة أنّه يستفاد منها أن ما زعمه الأشاعرة من أنّ مجرد تصوّر الخطاب من غير سبق معرفة إلهاميّة بخالق العالم، و أنّ له رضى و سخطا، و أنّه لا- بدّ من معلم من جهته تعالى ليعلم الناس ما يصلحهم و ما يفسدهم كاف في تعلق التكليف بهم، ليس بصحيح.

و على كلّ حال فقد استدللّ البحراني و غيره على ذلك بأصالة البرائة بعد انتفاء الدليل الذي هو دليل العدم، و بأنّ التكليف بالأحكام موقوف على معرفة المكلف بها و المبلّغ لها و التصديق بهما إذ متى كان جاهلا بهما و لم يعرفهما و لم يصدّق بهما كيف يجب عليه العمل بشيء لا يعرف الأمر به و لا المبلّغ له، و بتطابق العقل و النقل على معذورية الجاهل بالحكم الشرعي جهلا سادجا و من البين أنّ الكفار جاهلون به، نعم هم مكلفون بالبحث و النظر كغيرهم من سائر الجهال إذا علموا وجوبهما بالعقل و الشرع. و بجملة من الأخبار

كصحيح زرارة قال قلت لأبي جعفر عليه السّلام، أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلق فقال إنّ الله تعالى بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله إلى الناس أجمعين رسولا و حجّة لله على خلقه في أرضه فمن آمن بالله و بمحمّد رسول

(١) الشيخ الأجلّ المحدث العارف المفسّر محمد بن المرتضى الكاشاني المتوفى (١٠٩١) هـ

(٢) هو الشيخ يوسف بن احمد بن ابراهيم البحراني صاحب الحقائق المتوفى (١١٨٦).

(٣) هو محمد أمين بن محمد شريف الأخباري الاسترابادي المتوفى بمكة المكرمة سنة (١٠٣٣).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٨١

الله صلّى الله عليه و آله و اتبعه و صدّقه فإنّ معرفة الامام مّا واجبة عليه، و من لم يؤمن بالله و رسوله و لم يتبصّر لم يصدّقه و لم

يعرف حقهما فكيف يجب عليه معرفة الامام و هو لا يؤمن بالله و رسوله و لم يعرف حقهما «١» ، الخبر. و التقريب أنه متى لم تجب معرفة الامام الذي يؤخذ منه الاحكام فكذا معرفة سائر الفروع بالفحوى و الأولوية القطعية. و ما رواه القمى فى تفسيره عن الصادق عليه السلام فى تفسير قوله تعالى: وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ «٢» قال: يا أبان أ ترى أنّ الله تعالى طلب من المشركين زكاة أموالهم و هم يشركون به، حيث يقول: وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الْآيَةَ. قال أبان: قلت له: كيف ذلك جعلت فداك فسره لى فقال: ويل للمشركين الذين بالإمام الأول، يا أبان إنما دعى الله العباد للإيمان به فإذا آمنوا بالله و رسوله افترض عليهم الفرض «٣».

و ما رواه شيخنا الطبرسى فى الاحتجاج فى حديث الزنديق الذى جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام مستدلا بآى من القرآن على تناقضه و اختلافه حيث قال عليه السلام فكان أول ما قيدهم به: الإقرار بالوحدانية و الربوبية و الشهادة بأن لا اله إلا الله فلما أقرؤا بذلك تلاه بالإقرار لنبىه صلى الله عليه و آله بالنبوة و الشهادة بالرسالة فلما انقادوا لذلك فرض عليهم الصلاة ثم الصوم ثم الحج ، الخبر «٤».

(١) اصول الكافى ج ١ ص ١٨٠-١٨١ ح ٣ كتاب الحجّة.

(٢) فصلت: ٦-٧.

(٣) تفسير القمى ج ٢ ص ٢٦٢.

(٤) الاحتجاج ج ١ ص ٣٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٨٢

هذا مضافا إلى الأخبار الدالة على وجوب طلب العلم «١» على المسلم، حيث علق الحكم عليه دون مطلق المكلف أو البالغ العاقل، مع أنه لم يعهد عن النبى صلى الله عليه و آله أنه أمر واحدا ممن دخل فى الإسلام فى زمانه بالغسل من الجنابة مع أنه قل ما ينفك أحدهم فى تلك الازمنة المتطاولة منها، و لو أنه أمر واحدا فضلا عن عامة المكلفين بذلك لشاع و ذاع، و أما ما رواه العلامة فى «المنتهى» عن قيس «٢» بن عاصم و أسيد «٣» بن حضير مما يدل على أمر النبى صلى الله عليه و آله بالغسل لمن أراد أن يدخل فى الإسلام

فليس فى كتب أخبارنا، و الظاهر أنه عامى فلا ينهض حجّة، و يدلّ عليه أيضا اختصاص الآيات القرآنية ب الذين آمنوا\*.

و أمّا ما ورد من قوله: يا أيّها النّاس\* فهو مع قلته محمول على المؤمنين حمل المطلق على المقيد، و العام على الخاص، كما هو القاعدة المتفق عليها بينهم هذا غاية ما استدلّوا به فى المقام.

و الجواب عن الأوّل أنّ الأصل منقطع بالأدلة الدالة على عموم التكليف فى زمن الخطاب كما فى الآية و فى قوله: وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ «٤»، و قوله:

أذّن فى النّاس بالحجّ «٥»، بل و قوله: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ\* «٦» و نحوها تدلّ.

على اشتراك الجميع فى التكليف، فإنّ حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة،

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ١٧١ ج ٢٤ عن أمالى الشيخ.

(٢) قيس بن عاصم بن سنان المنقرى التميمى المتوفى نحو سنة (٢٠) هـ

(٣) أسيد بن حضير بن سماك الانصارى المتوفى سنة (٢٠) او بعدها.

(٤) آل عمران: ٩٧.



(٥) الحج: ٢٧.

(٦) البقرة: ٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٨٣

و حرامه حرام إلى يوم القيامة و غير ذلك من أدلة الاشتراك.

و عن الثاني أنه لا دليل على توقف التكليف على معرفة الأمر أو المبلغ و قضيته الأصل عدمه، مع أن المعرفة غير التصديق، فربما يعرف الله و النبي و لا- يصدق بهما كما هو المعلوم من حال كثير ممن أصرّوا على تكذيب النبي صلى الله عليه و آله و جحدوا بها و استيقنتها أنفُسُهُمْ ظُلْمًا و عُلوًّا «١»، و أما من حيث الأوّل إلى الجهل بوجوب الطاعة الموجب للجهل بالحكم فهو على فرضه مانع آخر غير الكفر.

و منه يظهر الجواب عن الثالث أيضا فإنّ الجهل الساذج غير ملازم للكفر وجودا و عدما، بل كلّ منهما أعمّ من الآخر من وجه، فمانعيه أحدهما لا يستلزم مانعيه الآخر.

و أما الأخبار فدلالته ضعيفة، أمّا صحيح زرارة فلاّ القدر المعلوم منه عدم و جوب معرفة الإمام على وجه الانفراد و إن وجبت بعد معرفة التوحيد و النبوة نظير ما ورد من الأخبار من وجوب الظهريين في الوقت المشترك إلّا أنّ هذه قبل هذه، فالمعارف الثلاثة مشتركة في الوجوب على المكلفين إلّا أنّ بعضها أقدم من حيث النقدين، و توقّف اللماحق على السابق إنّما هو من حيث الوجود و الصحة لا من حيث الوجوب و التكليف.

و منه يظهر الجواب عن خبر القمي أيضا و يؤيده كون جملة «و هم يشركون به» حالية في الخبر كجملة «و هو لا يؤمن بالله و رسوله» في الخبر السابق.

و أمّا خبر الإحتجاج فالإحتجاج به أجنبيّ عن المقام لوضوح أنّ المقصود الإشارة إلى ترتيب النزول و التبليغ في بدو الشريعة، حيث إنّ المصلحة قد اقتضت

(١) النمل: ١٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٨٤

التدرّج في تبليغ الأحكام و إعلام المكلفين بها، و أين هذا ممّا هو المقصود بالبحث في المقام.

و أمّا وجوب طلب العلم على المسلم فلا يقضى بعدم وجوبه على غيره إلّا باعتبار مفهوم اللقب أو الوصف الذي لا عبرة به في المقام، بعد ظهور أنّ فائدة التعليق كون الطلب من لوازم الإسلام، مع أنّ معرفة التوحيد و النبوة من أعظم العلوم قدرا و أسناها رتبة، و وجوبها على الكفار بديهيّ جدّا.

و أمّا عدم وجوب الغسل على من أسلم فغير واضح، و لعلّ المعلوم في تلك الأزمنة خلافه و يعضد العامي المتقدّم بل الإجماع بقسميه على وجوبه على الكافر إذا أسلم، لأنّه من قبيل الأسباب الثابتة في غير المكلفين أيضا كالصبي و المجنون، نعم وقع الإشكال في صحته من المخالف مطلقا أو بشرط تعقّب الإستبصار أو موافقته لمعتقده أو للمذهب الحقّ أيضا و هو مقام آخر، و على فرض التسليم فهو من الأحكام الوضعية المرتفعة بالإسلام، فأنّه يجب ما قبله، و لذا لا يجب عليه بعده شيء من العبادات المفترضة مع قيام الإجماع على استقرارها عليه قبل ذلك، بل في تلك الاخبار الدالة على الجبّ دلالة واضحة على المطلوب أيضا فلا تغفل.

و أمّا ما ذكره من حمل المطلق على المقيد أو المقام على الخاصّ في قوله «يا أيّها النّاس»\* و «يا أيّها الذين آمنوا»\* فغريب جدّا، و كأنّه أجنبيّ من العلم رأسا كما لا يخفى على المطلع بمورد القاعدة حسبما قرّرت في الأصول.

و بالجملة فقضية القواعد المقرّرة و أدلّة الاشتراك المذكورة في محلّها، و عموم الخطابات من الآيات و الأخبار إنّما هو عموم

التكليف مضافا إلى قوله وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ «١» الآية حيث دلت على الذم واستحقاق العقاب

(١) فصلت: ٦-٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٨٥

بترك الزكاة وقوله: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ «١» وقوله: فَلَا صَدَقَ وَلَا صِيَلَى «٢» وقوله: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ «٣» فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ «٤»، الآيتين إلى غير ذلك من العمومات والإطلاقات.

بل من البين أنه لو لم يكونوا مكلفين بالفروع للزم اتصاف مثل الزنا واللواط وشرب الخمر وسفك الدماء وقتل الأنبياء ونهب الأموال وغيرها من المحارم في حقهم بالإباحة فلا يجوز الاعتراض عليهم في شيء من ذلك وهذا كما ترى مما يستنكف من الالتزام به الملاحدة والزنادقة والدهرية فضلا عن الموحدين وارباب الشرائع.

و ايضا لو كان حصول الشرط الشرعى شرط التكليف لم تجب الصلاة على المحدث ولا شيء من الأمور المرتبة قبل سابقه حتى أكبر قبل الله واللهم قبل الهمزة، وذلك معلوم البطالان بالإجماع، على ما ادعى عليه الفاضل «٥» وغيره، بل ذكر أنه يلزم أن لا يعصى أحد، ولا يفسق، لأن التكليف، مشروط بالإيرادة، والفاسق والعاصى لا يريدان الطاعة، ولا يكونان مكلفين بها، فينتفى الفسق والعصيان وهو باطل بالإجماع.

بل لا ريب في انعقاد الإجماع في أصل المسألة أيضا حسبما ادعاه غير واحد من الأجله من دون أن يقدر فيه ما سمعت.

(١) المدثر: ٤٣.

(٢) القيامة: ٣١.

(٣) المطففين: ١.

(٤) الزلزال: ٧-٨.

(٥) هو العلامة الحللي الحسن بن يوسف بن المطهر المولود (٦٤٨) والمتوفى (٧٢٦) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٨٦

وأما ما ذكره الفضل بن روزبهان «١» من أن المراد من تكليف الكفار بالفروع أنهم يعذبون في الآخرة بترك فروع الأعمال كما أنهم يعذبون بترك أصولها لا أن الشارع يدعوهم إلى الشرائع ويأمرهم بالفروع قبل أن يصدر منهم الإيمان، فإن ذلك يؤدي إلى التكليف بتحصيل الشروط قبل حصول الشرط وهو باطل.

فيه أنه وهم واضح وغفلة بينة فإن قضيه ما سمعت إثبات التكليف لا مجرد التعذيب بل هو المصرح به في كلمات الفريقين عند تحرير محل النزاع وبيان الأدلة مع اشتمال قوله فإن ذلك على مغالطة بينة فإن قوله قبل حصول الشرط إن كان ظرفا للتكليف فلا بأس به ونمى بطلانه، أو للتحصيل فنمى الملازمة كما لا يخفى.

ثم إنه قد ظهر مما مر شموله عموم الناس لعامة المكلفين، وأما شموله لغير بنى آدم من الملائكة والجن وسائر الحيوانات والنباتات وغيرها من الماديات والمجردات فلا ينبغى القول به ولا الإصغاء إلى قائله، وان قلنا بكون الجميع مكلفين مشتغلين بالعبادة والتسبيح وغيره، حسبما يستفاد من الآيات الكثيرة والأخبار المتواترة، لأن اللفظ بحسب الوضع اللغوي والعرفي موضوع للنوع الخاص فلا يعم غيره وان صح اتصافه بالطاعة والعبادة، وإنما المقصود في المقام الإشارة إلى أن الكفار كلهم منقادون مطيعون في مقام امتثال الأمر التكويني وان كانوا عاصين باعتبار الأمر التشريعي ولعل الآية يشملهما ظهرا وبطنا وتعليقها على اسم الزب دون غيره من أسمائه الحسنى للتنبية على أن العبادة التكوينية من تجليات تربيته التامة العامة في أصل الخلقة والإيصال إلى الكمال الوجودي

بمقتضى الرحمة الرحمانية المتحدة بالنسبة إلى السعداء والأشقياء وأن العبادة

(١) هو فضل بن روزبهان الخنجي الشيرازي الاصفهاني ثم القاساني الشافعي كان حيا في سنة (٩٠٩).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٨٧

التشريعية واجبة عليكم بما من عليكم من فضله الجميل وإحسانه الجزيل ورحمته الواسعة ونعمته الجامعة شكرا للمنعم الوهاب، وعبودية لرب الأرباب.

ففي تعليق الحكم على الرب وإضافته إلى ضمير الخطاب وجوه من اللطف والتقريب والدعاء إلى رضوانه، وإزاحة العلة في عبادته والإشارة إلى كونها جزءا لنعمته.

وفي تفسير الامام عليه السلام قال قال علي بن الحسين عليهم السلام في قوله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ يَعْنِي سَائِرَ النَّاسِ الْمُكَلَّفِينَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ أَيُّ أَطِيعُوا رَبَّكُمْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ مِنْ أَنْ تَعْتَقِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ وَلَا مِثْلَ، عدل لا يجور، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل حكيم لا يخطئ، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله، وأن آل محمدا أفضل آل النبيين وأن عليا أفضل آل محمد وأن أصحاب المؤمنين منهم أفضل صحابة المرسلين وأن أمه محمد صلى الله عليه وآله أفضل أمم المرسلين «١» الذي خلقكم صفة للرب جرت عليه للتعظيم والتنبيه على الاستحقاق من الطرفين، والتعليل للأمر بذكر الصغرى للكبرى المقررة في العقول من وجوب شكر المنعم، وهو شروع في الاستدلال على الربوبية المطلقة الجامعة بين التوحيد والصابغية، ووجوب العبادة بذكر الآيات الدالة عليها كما قال سبحانه:

سُرِّبَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ «٢» فقدّم الأنفسيه على الآفقيه والمتعلقه بأصل الخلقه لكل أحد على خلقه غيره لمراعاة الترتيب في كل ذلك.

و احتمال اختصاص الخطاب بالمشركين المعتقدين أو المظهرين لربوبيتين

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٦٦.

(٢) فصلت: ٥٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٨٨

ربوبية الله و ربوبية آلهتهم، فيكون المراد بالرب اسما يشترك فيه رب السموات والأرض والآلهة التي كانوا يسمونها أربابا، وتكون الصيغة حينئذ موضحة مميزة بعيد جدا إذ مع أنه تخصيص في الخطاب من دون مخصيص، لا ينبغي حمل الرب مطلقا ومضافا على آلهتهم سيما في مثل المقام، وقد أنشد بعضهم طعنا على بعض ما سموه أربابا.

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب والخلق في الأصل التقدير يقال: خلقت الأديم للسقاء إذا قدرت له وخلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس و خلقت الأديم إذا قدرته قبل القطع، ومنه ما قيل: ما خلقت إلّا فريت ولا وعدت إلّا وفيت، والمراد به إيجاد الشيء على تقدير واستواء.

قال الأزهرى «١»: لا يجوز إطلاق هذه الصفة بالألف واللام لغير الله سبحانه، والخلق إذا اطلق مصدرا أو فعلا يعم المشيئة، والإرادة، والقدر، والقضاء، والإمضاء، وغيرها وهي الأمور الخمسة أو الستة أو السبعة التي لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلّا بها كما في الأخبار المعتمدة «٢» وكلها من مراتب المشيئة، ويراد بالخلق عند الإطلاق جميعها ولذا

قال الامام عليه السلام في تفسيره: أعبوده بتعظيم محمد وعلي ابن ابى طالب الذي خلقكم نسما وسواكم من بعد ذلك وصوركم أحسن صورة «٣».

و إذا قيل بالأمر فالمراد به عالم المعقول الذي هو الوجود المقيّد و بالأمر الفعل الذي هو الوجود المطلق، أو هو الماديات و الأمر المجزّات، أو هو إيجاد

(١) الازهرى: ابو منصور و محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي الشافعي المتوفى (٣٧٠).

(٢) اصول الكافي ج ١ كتاب التوحيد ص ١٤٩ ج ١.

(٣) تفسير البرهان ج ١ ص ٦٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٨٩

العين و الأمر إيجاد الكون على ما تسمع تمام الكلام فى تفسير قوله لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ «١» و قوله: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي «٢». و إذا قيل بالتقدير و التصوير و نحوهما فالمراد به بعض مراتب المشيئة كما فى قوله تعالى: هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ «٣»، و قوله: الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى وَ الَّذِي قَدَّرَ فَنَهْدَى «٤»، و إطلاقه فى المقام باعتبار شموله لاختراع الكون و ابتداء العين بجميع مراتبها المفصلة المتعلقة بالروح و العقل و النفس و الطبيعة و المزاج و المثال و الجسم الفلكى و العنصرى و غيرها من متعلقاتها و أجزاءها المؤلفة فى الوجود الانسانى المسمى بهيكل التوحيد فى جميع مراتبه الكونية و العينية و من هنا يصح بناء على التأويل توجيه الخطاب الجمعى إلى جميع الذرات الوجودية الشاعرة المدركة المجتمعة فى هوية كل فرد من افراد هذا النوع لتعلق الخلق و التربية بكل ذرة منها فضلا من تعلقاتها و اضافاتها و ارتباطاتها و ابتلافها و نسبها و غير ذلك من متعلقاتها.

وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، معطوف على الضمير المنصوب فى خلقكم، و المراد بالموصولة الدالة على العموم جميع ما خلقه الله تعالى قبل المخاطبين أو قبل كل مخاطب من المجزّات و الماديات الفلكية و العنصرية و المواليد التى منها الحيوانات و بنو آدم، و فائدة العطف التنبيه على العظمة و عموم القدرة و سعة الرحمة و غيرها مما يدل على استحقاقه للعبادة بمعنى المفعول، و استحقاقهم لها بمعنى الفاعل، مع ما تقدّم فى خلق الذين من قبلهم من إتمام النعمة عليهم نظرا إلى الارتباطات المرعية

(١) الأعراف: ٥٤.

(٢) الإسراء: ٨٥.

(٣) الحشر: ٢٤.

(٤) الأعلى: ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٩٠

بين أجزاء العالم و اشخاص بنى آدم بحيث يرتبط وجود كل جزء أو شخص منها بسائر الاجزاء و الأشخاص على ما يستفاد من بعض الأخبار شواهد الاعتبار، و الجملتان صلتان للموصولتين، و اعتبار تقرّرها فى ذهن المخاطب كالصفة غير واضح مع أنّ الخطاب للكافة فيسوّغه التغليب للأشرف، و لذا أخرجنا مخرج المقرّر عندهم أو للتنبيه على وضوحهما بالنظر الى الاعتبارات العقلية و الآيات الآفاقية و الأنفسية التى منها ما تعرض لها فى الآية و التى تليها لمجرد التذكار او لاعتراف الكافة بهما اعترافا فطريا جبليا كما قال: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ «١» وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ \* «٢» أو لتمكّنهم من العلم بهما بأدنى نظر. و قرأ ابن السمين «٣»: و خلق من قبلكم.

و قرأ زيد بن على «٤»: و الذين من قبلكم بالموصولتين، و استشكل بأنّ الموصول الثانى مع صلته مفرد، فلا يصلح أن يكون صلة للأول، و الحمل على التأكيد متعدّر، لوجوب كونه بإعادة اللفظ الأول فى اللفظى و بألفاظ مخصوصة فى المعنوى، و غاية ما يتكلّف له أنّه تأكيد لفظى إلّا أنّه قد يعدل فيه عن اللفظ الاول إلى ما هو بمعناه استبشاعا للتكرار كما هو مذهب الأخفش «٥» فيما إن زيد

قائم، و أحد

(١) الزخرف: ٨٧.

(٢) لقمان: ٢٥.

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن السميع بفتح السين ابو عبد الله اليماني قرأ على ابن كثير المتوفى (١٢٠) هـ

(٤) زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام الشهيد بالكوفة سنة (١٢١) هـ

(٥) هو ابو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط البصرى المتوفى (٢١٥) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٩١

الوجهين فى قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ «١» وقوله: فَصَيَّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ، وإن كان المشهور فى أمثال ذلك الحكم بالزيادة دون التأكيد، و من ثم قيل: الأولى أن يجعل كلمة من زائدة على مذهب الكسائي على ما يحكى عنه، أو موصوفة فالظرف فيه خبر المبتدأ محذوف هو صدر الصلة أى و الذين هم الناس أتوا قبلكم، و فيه تأكيد و إبهام و تنبيه على أن خلق من قبلهم أدخل فى القدرة لما فيه من تفحيمهم أو موصولة و حذف صدر الصلة كثير الدور فى كلامهم أى و الذين هم الذين من قبلكم، و على كل حال فالخطب فيه سهل بعد عدم ثبوت صحه النقل، و عدم حجيه قول المنقول عنه، و عدم كونها من السبع أو العشر، و عدم شموله قوله عليه السلام «اقرأ كما يقرأ الناس» «٢» لمثله بعد ظهور شذوذه نقلا و عملا.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ: قال الامام عليه السلام لها و جهان أحدهما خلقكم و خلق الذين من قبلكم لعلكم كلكم تتقون، أى لتتقوا كما قال الله تعالى: وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ «٣» و الوجه الآخر اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، أى اعبدوه لعلكم تتقون النار «و لعل» من الله واجب لأنه أكرم من أن يعنى عبده بلا منفعة و يطعمه من فضله ثم يخيبه، ألا ترى كيف قبح من عبد من عباده إذا قال لرجل اخدمنى لعلك تنتفع بى و بخدمتى و لعلنى أنفعك بها فيخدمه ثم يخيبه و لا ينفعه فالله عز و جل أكرم فى أفعاله و أبعد من القبيح فى أعماله من عباده «٤».

أقول الوجهان مبتيان على كون «لعل» للتعليل، و هو و إن أنكره جماعة من

(١) الشورى: ١١.

(٢) الكافى ج ٢ ص ٦٣٣ ح ٢٣.

(٣) الذاريات: ٥٦.

(٤) تفسير البرهان: ج ١ ص ٦٧ عن تفسير الامام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٩٢

أهل العربية نظرا إلى أنه لم يثبت فى اللغة إلا أن المحققين منهم كالكسائي «١» و الأخفش و ابن الأنبارى «٢» و غيرهم على إثباته، و عن قطرب «٣» و أبى على «٤»: أن لعل الواقعة فى كلامه تعالى محمولة عليه، و ذلك كما يقول القائل اقبل قولى لعلك ترشد، و ليس من ذلك على شك بل إنما أراد اقبل قولى كى ترشد، و إنما سلك هذا الأسلوب ترفيقا للفظه و تقريبا له من قلب من ينصح له و مثله قوله:

و قلمت لنا كفوا الحروب لعلنا نكف و وثقتم لنا كل موثق فلما كفنا الحرب كانت عهودكم كلمح سراب فى الملا متألق فان المعنى كفوا لنكف، و لو كان شاكا لما قال: و وثقتم لنا كل موثق.

و بالجملة فالشواهد على كونها للتعليل كثيرة، بل المنكرون له كالزمخشري «٥» و غيره ربما أثبتوه فى كثير من الموارد كقوله: فقولا له

قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى «٦»، وقوله: وَكَذَلِكَ تَشْكُرُونَ\* «٩» وغير ذلك، والتعليل بالحكم و المصالح و وجوه محاسن الفعل غير عزيز في الشرعيات، و نفى الغرض إنما هو فيما يوجب الاستكمال بالأفعال فيكون التقوى الذى هو

- (١) ابو الحسن على بن حمزة الكوفى المقرئ النحوى المتوفى (١٨٩) هـ
- (٢) ابن الأنبارى: محمد بن القاسم البغدادى المتوفى (٣٢٨) هـ
- (٣) قطرب ابو على محمد بن المستنير اللغوى النحوى المتوفى (٢٠٦) هـ
- (٤) هو أبو على الحسن بن أحمد الفسوى اللغوى المتوفى (٣٧٧) هـ
- (٥) ابو القاسم محمود بن عمر الخوارزمى الزمخشري المعتزلى المتوفى (٥٣٨) هـ
- (٦) طه: ٤٤.
- (٧) السجدة: ٢١.
- (٨) البقرة: ١٨٩.
- (٩) البقرة: ١٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٩٣

الغاية بمعنى العبادة، و قد شاع منهم التعليل بالغاية، أو ان المراد به أعز أفرادها و أقصى مراتبها و يكون المراد التنبيه على أن المقصود الغائى هو ذلك، فإن لم يتيسر منكم و لو بتقصير أو تفریط أفسدتم به استعدادكم الذاتى و غيرتم به فطرتكم الأصلية فلا أقل من التوسل و التعب بسرائر العبادات.

هذا كله بناء على الوجه الأول، و أما على الثانى فلا بد من اعتبار التغيرات كما أشير إليه فى الوجه الثانى من الأول إن أريد به نيل درجة التقوى، و أميا إن أريد به النجاة من النار كما فى الخبر «١» فالخطب سهل، و يحتمل كون لعل بمعناه الحقيقى الذى هو إنشاء توقع مرجو أو مخوف راجع إلى المتكلم أو المخاطب أو غيرهما.

و على هذا تكون الجملة حالا- من الضمير فى «اعْبُدُوا» كأنه قال: اعبدوا ربكم راجين أن تفوزوا بالتقوى الذى هو أقصى درجات السالكين، و قرّة عيون المهتدين، أو مشفقين من عذابه سبحانه، فإن الرجاء و الخوف، جناحان للطالب السالك يصل بهما إلى ما ساعدته العناية الربانية و الهداية الامتنانية السبحانية.

و فيه على أحد الوجهين دلالة على جواز كون المقصود من العبادة الفوز بالثواب أو النجاة من العقاب كما هو المذهب المشهور المنصور المستفاد من الآيات كقوله: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا «٢»، اذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَ خُفْيَةً «٣» يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخَافُونَ عَذَابَهُ «٤» أو من مفعول خلقكم و المعطوف عليه و إن غلب المخاطبين على الغائبين أو على ذوى العقول منهم، و المعنى أنه خلقكم و من

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٦٧.

(٢) السجدة: ١٦.

(٣) الأعراف: ٥٥.

(٤) الإسراء: ٥٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٩٤

قبلكم فى صورة من يرجى منه الفوز بالتقوى لتردد أمرهم باختيارهم بين الهدى و الضلالة بعد أن نصب لهم و راعى التقوى و

الألطف المقتضية للطاعة من الأمر والنهي والوعد والوعيد مضافا إلى الآيات الدالة على التوحيد، بحيث لم يبق للمكلف عذر و صار حاله في رجحان اختياره للطاعة مع تمكنه من المعصية كحال المرتجى منه في رجحان اختياره لما يرتجى منه مع تمكنه من خلافه، ولذا استعيرت كلمة الترجي للدلالة على الحالة المخصوصة، وأما الترجي بالمعنى الحقيقي فلا يليق بالعالم بالعواقب، نعم ربما جاءت لعل على سبيل الإطعام في مواضع من القرآن تنزيلا لإطعامه وهو المبتدئ بالتعم قبل استحقاقها منزلة وعده المحتوم و فائده به تنبيهها على أنه الجواد الذي يعطى لا لغرض ولا عوض، بل لمجرد الاستعداد وقابلية المحل، فكيف مع سبق الاطلاع و تعلق الرجاء، و اشعارا على عظمه جلاله و كبريائه، حيث أن من ديدن الملوك و العظماء أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها أن يقولوا عسى و لعل و غيرهما من الكلمات المشعرة بالنجاح، فإذا ظفر الطالب بشيء منها فقد تحقق عنده الفوز بالمطلوب و هذا المعنى من الإطعام هو الذي عناه الإمام عليه السلام

بقوله: «و لعل» من الله واجب

، لأنه أكرم من أن يعنى عبدا بلا منفعة، و يطعمه من فضله، ثم يخيبه إلى آخر ما مر «١».

و هذا بناء على أن المراد بالتقوى الحذر من النار على ما فسره به، و أما إن أريد به نيل الدرجة فهو غير مناسب للمقام لكون التقوى من فعل العبيد إلا باعتبار توفيقه سبحانه، نعم يناسبه الإطعام بمعنى آخر و هو ما يقابل التحقيق حذرا عن

(١) البرهان ج ١ ص ٦٧ عن تفسير الامام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٩٥

إتكال العبد على علمه و الأمن من يأسه سبحانه كما في قوله توبوا إلى الله تويته نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم «١» و ذلك للإشارة إلى شرف مقام التقوى، و أن العبد لا يناله بمجرد العبادة، بل لا بد أن يكون مع اجتهاده فيها و المداومة، عليها واجبا لنيل البغية على وجل من أن يجيبه بالخيبه.

### يستدل بهذه الآية على أمور مهمة

ثم أنه ربما يستدل بالآية على أمور:

منها ما مرّت الإشارة إليه من دخول الكفار تحت عموم التكليف كالمؤمنين.

و منها أن الطريق اللائق اللائق بأحوال عامة المكلفين إلى معرفة الله سبحانه و العلم بوحدانيته و ربوبيته و استحقاقه للعبادة هو النظر في صنعه و الاستدلال بأفعاله المحكمه و آياته العجيبة في الأنفس و الآفاق.

و منها أنه لو ثبت مطلوبية شيء في الشريعة و كونه عبادة مقربا إلى الله سبحانه إلا أنه قد شك في وجوبه و استحبابه فمن البين أن المقرّر عندهم هو الحكم بالاستحباب لأصالة عدم التكليف و عدم المنع من الترك، و ظواهر أدلة البرائة و غيرها مما لا يهتّمنا البحث عنه في المقام، إنّما الكلام في أنه هل يمكن الحكم بوجوبه بمجرد ذلك لظاهر الآية فيكون دليلا حاكما على الأصل المتقدم؟ و جهان من أن الأمر ظاهر أو حقيقة في الوجوب، و قضيه صدق العبادة على فعل اتّصافه بالوجوب إلا ما خرج بدليل.

مضافا إلى ما قيل: من أن الأمر بالعبادة لا بد أن يكون لأجل كونها عبادة، لأن ترتب الحكم على الوصف مشعر بعليّة الوصف، سيما إذا كان الوصف مناسبا

(١) التحريم: ٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٩٦

للحكم كما في المقام الذي يناسب العبادة، و هي الخضوع و الانقياد و شكر المنعم لإيجابها و الأمر بها، و إذا ثبت أن كونه عبادة علة للأمر بها و جب في كل عبادة أن يكون مأمورا بها، لدوران حصول الحكم مدار تحقق العلة.

و من أن ظاهر الخطاب أن المقصود من الأمر و جوب إدخال هذه الماهية في الوجود، فلا عبرة بالإطلاق بعد ظهور و روده لبيان حكم آخر، مضافا إلى أن الظاهر من العبادة و الإطاعة و الامتثال و نحوها هو الإتيان بالمأمور به على وجه الأمر إن واجبا فعلى وجه الوجوب أو مندوبا فكذلك، و لذا فسر السجادة عليه السلام فيما حكاها الإمام في تفسيره العبادة بالطاعة من حيث أمرهم «١» سيما مع تفسيره بالأصول و فروع الأصول، و أين هذا من وجوب كل عبادة على كل احد، و من هنا يظهر أن الثاني أظهر فالأصل الأول بحاله. و منها: ان الشاعرة استدلتوا بها على أن العبد لا يستحق بفعله الثواب لدالاتها على أن سبب وجوب العبادة ما بينه من خلقه لنا و الإنعام علينا، فحينئذ يكون الاشتغال بالعبادة أداء لحقه الواجب، و الإنسان لا يستحق بأداء الواجب شيئا فوجب أن لا يستحق العبد على العبادة ثوبا على الله تعالى «٢».

و ضعفه واضح إذ لعل السبب هو المصلحة المقتضية، و فائدة التعليق الحث على الامتثال، سلمنا لكن الوجوب لا ينفي الاستحقاق ضرورة عدم التنافي بينهما عقلا و شرعا، بل المعلوم من الشرع خلافه كما نطقت به الآيات و الأخبار.

(١) البرهان ج ١ ص ٦٦.

(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٢ ص ٨٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٩٧

### [سورة البقرة (٢): آية ٢٢]

#### إشارة

تفسير الآية (٢٢) الذي جعل لكم الأرض فراشا لما أمر الله سبحانه كافة الناس بالعبادة، و أمرهم بالطاعة، و كان فيهم المقرّ المعتقد، و الجاحد المعاند، قرن أمره بجملة من الدلائل الأنفسية و الآفاقية إتماما للحجة، و اراحة للعلة، و لطفًا عليهم بما يضطرهم النظر فيها إلى الإذعان و إن أصّر الكافر على جحوده لمجرد العدوان، ليهلك من هلك عن بينة، و يحيى من حي عن بينة، فعدّد في المقام عليهم خمسة دلائل: إثنين من الأنفس، و هما خلقهم و خلق أصولهم، و ثلاثة من الآفاق، و هي جعل الأرض فراشا و السماء بناء، و خلق الأمور الحاصلة من مجموعها التي هي بمنزلة النتاج و المواعيد من الفواعل الفلكية و القوابل العنصرية، كل ذلك بمشيئته سبحانه. و السبب في هذا الترتيب واضح فإن أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه، ثم ما منه أصله و منشأه من الأصلاب و الأرحام المستودعة لنطفته المعدّة لإتمام خلقته، ثم الأرض التي هي مكانه و مستقره يقعدون عليها و يتقلبون فيها كما يتقلب أحدكم على فراشه، ثم السماء التي هي كالقبة المضروبة و الخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج بين المقلّة و المظلة من إنزال الماء الذي منه مواد الثمرات و أصول النطف و إخراج الحيوانات و النباتات و الثمرات رزقا للعباد، و بلغة لمصالحهم في أمر المعاش و المعاد.

هذا مضافا إلى توقف الانتفاع بالأرض و السماء على حصول الخلق و الحياة و القدرة و الشهوة و العقل و كلها موجودة في الإنسان مع أن فيه ما فيهما و زيادة مما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٩٨

ذكر، و لذا ربما يعبر عنه بالكون الكبير.



و الغرض من ذكر الآيات أن يعتبروا و يتفكروا في خلق أنفسهم و فيما فوقهم و ما تحتهم و في جميع جهاتهم من الأرض و السماء، و يعلموا أن شيئاً منها لا يقدر على خلق شيء بل كلها مسخرات بأمر الخالق القادر الذي ليس كمثله شيء.

و الموصول وصلته في محلّ النَّصْب على أن يكون صفةً ثانيةً للربِّ، أو مقطوعاً على المدح بتقدير أعنى و أمدح و أخصّ و نحوها، أو على أنه مفعول لقوله تَتَّقُونَ أو في محلّ الرفع على أنه خبر لمحذوف بناء على قطع الصِّفَةِ، فتبقى دالة على المدح، أو على الابتداء و خبره قوله فلا- تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَاداً و لو بالتأويل على معنى المقول فيه على ما يأتي، و دخول الفاء على الخبر لتوهم الشَّرط و أمّا الإخبار عنه بقوله: رِزْقاً لَكُمْ على تقدير الفعل فبعيد في الغاية، و تكرير الموصول للفصل بين نوعي الآيَةِ و حصول الفاصل بذكر الغاية، و قضيةً وصف المعارف بالجمل على ما مرّ علمهم بوجود شيء يستند إليه تلك الآثار، بل يحصل منه الاضطرار إلى الإقرار بالواحد القهار.

و جعل يستعمل بمعنى طفق للدلالة على الشروع، فتكون لازمة كقوله:

و قد جعلت إذا ما قمت يتقلنى ثوبى فانهض نهض الشارب الثمل. و بمعنى أوجد فيتعدى لواحد كقوله:

وَجَعَلَ الظُّلَمَاتِ وَ النَّوْرَ «١» و الغالب استعماله حينئذ في إيجاد خصوص الآثار و لذا قابله بالخلق في الآيَةِ، و إن كان قد يستعمل بمعناه بل ربما لا يفرق بينهما أصلاً و بمعنى التصيير و التغيير، فيتعدى إلى مفعولين سواء كان في الذات أو

(١) الانعام: ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٣٩٩

في الصِّفَات أو في اللوازم و الآثار و سواء كان فعلاً أو قولاً أو اعتقاداً، نعم الغالب استعماله في الصفات و الآثار كقوله هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً «١» بناء على أن صنع الشيء في نفسه غير مستلزم لصنع لوازمه و آثاره و لذا قال الحجة عجل الله فرجه في دعاء السمات: و خلقت بها الظلمة و جعلتها ليلاً و جعلت الليل سكناً و خلقت بها النور و جعلته نهارة و جعلت النهار نشوراً مبصراً و خلقت بها الكواكب و جعلتها نجوماً و بروجاً و مصابيح و زينة و رجوما «٢».

و أمّا ما يحكى عن شيخ الإشراق «٣» من أنه سئل عن مثل تلك المسألة و كان بين يديه ممش فقال: إن الله سبحانه ما جعل الممش ممشاً و إنما جعل الممش فله وجهان: أحدهما أن يجعل إنما تعلق بالذرات التي من مقتضياتها الذاتية تلك الآثار من غير حاجة إلى تعلق الجعل بها، و الآخر أنه ليس المراد به الجعل بمعنى التصيير بل بمعنى الخلق و لذا عداه إلى مفعول واحد و هذا وجه، صحيح و أمّا الأوّل ففساد على ما تقرّر في محله من ابطال القول بالأعيان و اللوازم الذاتية الغير المخلوقة.

و الفراش اسم لما يفرش كالبساط لما يبسط، و تقديم الظرف على المفعول لإفادة الحصر، مضافاً إلى الاختصاص، و معنى جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشاً ما

رواه الامام عليه السلام في تفسيره عن الحسن بن علي عليهم السلام قال جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لأجسادكم لم يجعلها شديدة الحرّ و الحرارة لتحرقكم، و لا شديدة البرد و البرودة فتجمدكم، و لا شديدة طيب الرّيح فتصدع هاماتكم، و لا شديدة التّنن فتعطبكم و لا

(١) يونس: ٥.

(٢) دعاء السمات.

(٣) شيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي المقتول بحلب سنة (٥٨٧) و عمره نحو (٣٦) سنة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٠٠

شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمنع عليكم في حروثكم و أبنيتكم و دفن موتاكم، ولكنه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به و تماسكون و تماسك عليها أبدانكم و بنيانكم، و جعل فيها من اللين ما تنقاد به لحروثكم و قبوركم و كثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشا لكم «١» و رواه في الاحتجاج و غيره مثله.

و في خبر توحيد المفضل عن الصادق عليه السلام فكر يا مفضل فيما خلق الله عز و جل عليه هذه الجواهر الأربعة ليتسع ما يحتاج إليه منها فمن ذلك سعة هذه الأرض و امتدادها فلو لا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس و مزارعهم و مراعيهم و منابت أخشابهم و أحطابهم، و العقاقير العظيمة و المعادن الجسيمة غناؤها، و لعل من ينكر منه الفلوات الخالية «٢» و القفار الموحشة يقول: ما المنفعة فيها، فهي مأوى هذه الوحوش و محالها و مرعاها ثم فيها بعد متنفس و مضطرب للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم و كم بيداء و كم فدغد «٣» حالت قصورا و جنانا بانتقال الناس إليها و حلولهم فيها، و لو لا سعة الأرض و فسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا حزنه أمر يضطر إلى الانتقال عنه، ثم فكر في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبه راكنة فتكون وطننا مستقرا للأشياء، فيتمكن الناس من السعي عليها في مآربهم، و الجلوس عليها لراحتهم و النوم لهدوءهم، و الإتيان لأعمالهم، فأنها لو كانت رجرجة «٤» متكفئة «٥» لم يكونوا

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٦٧ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٢) في البحار: الخاوية.

(٣) الفدغد (بفتح الفائين): الفلاة.

(٤) رجرجة: متزلزلة.

(٥) المتكفئة: المنقلبة و المتمايلة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٠١

يستطيعون أن يتقنوا البناء و التجارة و الصناعات و ما أشبه ذلك، بل كانوا لا يتهنون بالعيش و الأرض ترتج من تحتهم، و اعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلة مكنتها حتى يصيروا إلى ترك منازلهم و الهرب عنها «١».

ثم ذكر العلة في الزلزلة و غيرها على ما يأتي في محله، قال بعض المحققين مما من الله تعالى على عباده في الأرض أن لم تجعل في غاية الصلابة كالحجر، و لا في غاية البرد و الانعمار كالماء ليسهل النوم و المشي عليها و أمكنت الزراعة و اتخاذ الأبنية منها و يتأتى حفر الآبار و اجراء الأنهار.

و منها أن لم تخلق في غاية اللطافة و الشفيف لتستقر الأنوار عليها و تسخن منها فيمكن جوارها و المعاش فيها، و منها أن جعلت بارزة بعضها من الماء مع أن طبعها الغوص فيه لتصلح التعيش الحيوانات البرية عليها و سبب انكشاف ما برز منها و هو قريب من ربعها ان لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت هي و الماء بمنزلة كرة واحدة، يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب و غروبها للمشرقين على طلوعها و غروبها للمغربين، و فيما بين الشمال و الجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر، و انحطاط الخفي للواغين في الشمال و بالعكس للواغين في الجنوب و تركب- الاختلافين لمن يسير على سمت بين السمتين إلى غير ذلك من الأعراض الخاصة بالاستدارة يستوى في ذلك راكب البر و راكب البحر، و هذه الجبال و ان شمخت لا تخرجها عن أصل الاستدارة لأنها بمنزلة الخشونة القادحة في ملامسة الكرة لا في استدارتها.

و منها الأشياء المتولدة فيها من المعادن و النباتات و الحيوانات و الآثار العلوية و السفلية و لا يعلم تفاصيلها إلا موجدها، و منها اختلاف بقاعها في الرخاوة

(١) بحار الأنوار ج ٣ ص ١٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٠٢

و الصَّلَابَةُ وَ الدَّمَائَةُ وَ الوَعُورَةُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْحَاجَاتِ وَ الْأَعْرَاضِ وَ فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ «١».

و منها: اختلاف ألوانها وَ مِنَ الْجِبَالِ جُدُدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبٌ سُودٌ «٢».

و منها: انصداعها بالنباتات وَ الْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدَعِ «٣».

و منها: جذبها للماء المنزل من السماء وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ «٤».

و منها: العيون وَ الأنهار العظام التي فيها وَ فَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ «٥».

و منها: امتدادها طولاً وَ عرضاً بحيث تسع الناس على كثرتهم وَ الْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا\* «٦».

و منها: ان لها طبع الكرم وَ السَّمَاةُ تَأْخُذُ وَاحِدَةً وَ تَرِدُ سَبْعُمَائِهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ «٧».

و منها: حياتها وَ موتها وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا «٨».

و منها: الدواب المختلفة وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ\* «٩».

(١) الرعد: ٤.

(٢) فاطر: ٢٧.

(٣) الطارق: ١٢.

(٤) المؤمنون: ١٨.

(٥) يس: ٣٤.

(٦) الحجر: ١٩.

(٧) البقرة: ٢٦١.

(٨) يس: ٣٣.

(٩) البقرة: ١٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٠٣

و منها: النباتات المتنوعة وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ «١»، فاختلاف ألوانها دلالة وَ اختلاف طعومها دلالة وَ اختلاف روائحها دلالة.

فمنها قوت البشر وَ منها قوت البهائم كُلُّوا وَ ارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ «٢».

و منها: الطعام، وَ منها الإدام، وَ منها الدَّوَاءُ، وَ منها الفواكه، وَ منها كسوة البشر نباتية كالقطن وَ الكتان وَ حيوانية كالشعر وَ الصَّوْفُ وَ

الإبريسم وَ الجلود.

وَ منها الأحجار المختلفة بعضها للزينة وَ بعضها للأبنية فانظر إلى الحجر الذي تستخرج منه النَّارُ مع كثرته، وَ انظر إلى الياقوت الأحمر

مع عرته، وَ انظر إلى كثرة النفع بذلك الحقيقير وَ قَلَّةُ النفع بهذا الخطير.

وَ منها: ما أودع الله تعالى فيها من المعادن الشريفة كالذهب وَ الفضة.

ثُمَّ تَأْمَلُ أَنَّ الْبَشَرَ اسْتَنْبَطُوا الْحَرْفَ الدَّقِيقَةَ وَ الصَّنَاعَ الْجَلِيلَةَ وَ اسْتَخْرَجُوا الدَّرَّ مِنَ قَعْرِ الْبَحْرِ.

وَ اسْتَنْزَلُوا الطَّيْرَ مِنْ أَوْجِ الْهَوَاءِ، وَ عَجَزُوا مِنْ اتِّخَاذِ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ السَّبَبِ فِيهِ إِنْ مَعْظَمُ فَائِدَتُهُمَا تَرْجِعُ إِلَى الثَّمِينَةِ وَ هَذِهِ الْفَائِدَةُ لَا

تَحْصُلُ إِلَّا عِنْدَ الْعَزَّةِ وَ الْقُدْرَةِ عَلَى اتِّخَاذِهِمَا تَبْطُلُ هَذِهِ الْحِكْمَةُ فَلِذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ دُونَهُمَا بَابَا مَسْدُودَا وَ مِنْ هَاهُنَا اشْتَهَرَ فِي الْأَلْسِنَةِ

مِنْ طَلَبِ الْمَالِ بِالْكِيمِيَاءِ أَفْلَسَ.

و منها: ما يوجد على الجبال و الأراضي من الأشجار الصالحة للبناء و السقف و الحطب و ما اشتد إليه الحاجة في الخبز و الطبخ، و لعل ما تركناه من المنافع أكثر مما عددناه فإذا تأمل العاقل في هذه الغرائب و العجائب اعترف بمدبر حكيم و خالق عليم ان كان ممّا يسمع و يبصر و يعتبر.

(١) ق: ٧.

(٢) طه: ٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٠٤

### الاستدلال بالآية على تسطح الأرض و سكونها ليس صحيحا

ربما يستدل بهذه الآية مرة على أن الأرض ليست كرة بل هي مسطحة إذ الظاهر من كونها فراشا انبساطها و أما الجسم الكروي فليس له هذا الانبساط لعدم استواء سطحه، و اخرى على كونها ساكنة إذ لو كانت متحركة لم تكن فراشا و قرارا و مهادا قال الله سبحانه: **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا، أَمْنٌ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا** «١»، **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا** «٢».

و الحق أنه لا دلالة فيها على أحد الأمرين إذ لا خلاف في أن الأرض ليست كرة حقيقة، و أما البحث في الكروية الحسية و من البين أن كروية الأرض بجملتها لا ينافي امتنانه سبحانه بجعلها فراشا للناس و مهادا لهم فإنها لعظم سطحها و اتساع محيطها لا يكاد يظهر أثر الاحدياب على سطحها، و لذا ربما ينكر كرويتها في بادي النظر و التأمل أكثر العوام، بل و بعض الخواص بل قد يقال: إن القول بكرويتها منسوب إلى المنجمين و لا- يوافقهم عليه الفقهاء و سائر أهل الشرع بل ينكرونها، و انّ ما ذكره في إثبات كرويتها لا يثمر ظلًا بذلك نقلا عن القطع، إلا أن الاعتبار القبيح قاض بعدم التأمل في كرويتها لما استدلوا به من طلوع الكواكب و غروبها في البلاد الشرقية قبل طلوعها و غروبها في الغربية بقدر ما تقتضيه أبعاد تلك البقاع من الجهتين على ما علم من أرصاد كسوفات و خسوفات بعينها في بقاع مختلفه الأطوال متفقه العروض، فإن ذلك ليس في ساعات متساوية البعد من نصف النهار،

(١) النمل: ٦١.

(٢) النبأ: ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٠٥

و كون الاختلاف متقدرا بقدر الابعاد دليل، على الاستدارة المتشابهة الحسية لها فيما بين الخافقين، و لو كانت مستوية لكان الطلوع على الجميع أو الغروب عنهم دفعة واحدة كما أن ازدياد ارتفاع القطب الشمالي و الكواكب الشمالية للراغبين في الجنوب و ازدياد انحطاط القطب الجنوبي و الكواكب الجنوبية للواغين في الشمال بحيث يزداد درجات الارتفاع و الانحطاط بازدياد درجات الارتفاع و انحراف الارتفاعات في العرض.

و تركب الاختلافين للسائرين على سمت بين الشمتين من السموات الأربعة الحاصلة من امتداد الخافقين و الجنوبيين دليل على الاستدارة في جميع الامتدادات، و يدل عليه أيضا استدارة ظل الأرض الواقع على وجه القمر في الخسوفات المتكررة التي شوهد فيها استدارة أطراف ظلها.

و هذان الوجهان يدلان أيضا على صيرورتها مع الماء ككرة واحدة مضافا إلى ظهور الجبال الشامخة أعمدة على الأفق في البرارى و البحار شيئا فشيئا بالتدريج للمتقارب إليها و استتار أسافلها أولا بسطوح الأراضي و المياه الحاجبة لها فيظهر من أعاليها شيئا فشيئا هذا مضافا إلى أن طائفة من الأندلس و غيرهم من السياحين قد قطعوا الدوائر الارضية الموازية لخط الاستواء و غيره في مرات كثيرة بحيث

قد رجعوا إلى الموضوع الذي فارقه أولاً واستعملوا قدر العزيمة الأرضية بالآلات الصناعية التي يقدر بها الأميال و الفراسخ في البرارى والبحار وبالجملة فكروية الأرض بحسب التقريب الذى لا يقدر فيه الجبال والوهاد التي هي كالتضاريس عن الأمور المعلومه و عليها شواهد قطعيه رياضيه، ولذا اتفق عليه الرياضيون والطبيعيون بل صرح به كثير من الفقهاء أيضا.

قال الشيخ المفيد طاب ثراه في كتاب المقالات: إن المتحرك من الفلك إنما يتحرك حركة دوريه كما يتحرك الدائر على الكره، قال: وهذا مذهب ابى القاسم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٠٦

عبد الله أحمد بن محمود البلخي «١» وجماعه من أهل التوحيد، والأرض على هيئة الكره في وسط الفلك، وهي ساكنة لا تتحرك وعلية سكونها أنها في المركز وهو مذهب ابى القاسم و اكثر القدماء والمنجمين، وقد خالف فيه الجبائي «٢» و ابنه «٣» و جماعه غيرهما من أهل الآراء والمذاهب من المقلده والمتكلمين.

أقول ولعلمهم إنما خالفوا في سكونها فكونها على هيئة الكره في الوسط إجماع من الجميع أو في ذلك لكنه نسبة إلى اكثر القدماء، وهو الظاهر من السيد المرتضى رضى الله عنه، أيضا حيث أبطل استدلال الجبائي بهذه الآيه على عدم الكرويه، فقال: إنه يكفي في النعمه علينا أن يكون في الأرض بسائط و مواضع مفروشه و مسطوحه يمكن التصرف عليها، وليس يجب أن يكون جميعها كذلك و معلوم ضرورة أن جميع الأرض ليس مسطوحا مبسوطا و ان كان مواضع التصرف فيها بهذه الصيغه و المنجمون لا يدفعون أن يكون في الأرض سطوح يتصرف فيها و يستقر عليها، و إنما يذهبون إلى أن جملتها كرية الشكل، قال: وليس له أن يقول قوله: جعل لكم الأرض فراشا، يقتضى الإشارة إلى جميع الأرض و جملتها لا إلى مواضع منها لأن ذلك يدفعه الضرورة من حيث أنا نعلم بالمشاهده أن فيها ما ليس بسائط و لا فراش إلى آخر ما ذكره «٤» طاب ثراه.

بل يظهر أيضا من الشيخ أبى جعفر الطوسى في «المبسوط» حيث قال في مسألة رؤية الهلال في بعض البلاد: إن البلاد إن كانت متقاربة لا تختلف في المطالع كبغداد و البصرة كان حكمها واحدا و إن تباعدت كبغداد و مصر كان لكل بلد حكم نفسه «٥».

(١) البلخي ابو القاسم كان من متكلمي المعتزلة توفي ببلخ سنة (٣١٩) هـ

(٢) الجبائي ابو على محمد بن عبد الوهاب المعتزلى توفي سنة (٣٠٣) هـ

(٣) ابو هاشم بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي المتوفى سنة (٣٢١) هـ

(٤) الأمالى للسيد المرتضى ج ٤ ص ٩٦-٩٧.

(٥) المبسوط ج ١ ص ٢٦٨ كتاب الصوم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٠٧

## الأدلة على كروية الأرض

والفرق على ما صرح به غير واحد منهم مبنى على القول بكروية الأرض و من هنا يصح نسبته إلى كل من قال بالتفصيل و هم المعظم لو لم نقل إن عليه الإجماع، وقال العلامة في «التذكرة» إن الأرض كره فجاز أن يظهر الهلال في بلد و لا يظهر في آخر لأن حدة الأرض مانعة لرؤيته، و قد رصد ذلك أهل المعرفة و شوهد بالعيان خفاء بعض الكواكب الغربية لمن جد في السير نحو المشرق و بالعكس.

وقال ولده فخر المحققين في الإيضاح مبنى هذه المسألة على أن الأرض هل هي كروية أو مسطحة و الأقرب الأول ثم استدلل بدلالة إرصاد الكسوفات على الاختلاف في الطلوع و الغروب باختلاف الأبعاد و غير ذلك «١» على ما مر.

و تبعهم على ذلك اكثر المتأخرين و لذا فصلوا في المسألة المتقدمه بين البلاد المتقاربه و غيرها بل جلّ القائلين بنفى الفصل أو كلهم قائلون بالكرويه ايضا، و انما لم يقولوا بالتفصيل لما أشار اليه العلامة في «المنتهى» و تبعه غيره من أن المعمور من الأرض قدر يسير و هو الربع و لا امتداد به عند السماء.

و من الغريب بعد ذلك كله ما في الحدائق حيث أنكر الكرويه قال: و ممّا يبطل القول بها أنهم جعلوا من فروع ذلك أن يكون يوم واحد خميسا عند قوم و جمعه عند آخرين و سبتا عند قوم، و هكذا ممّا تردّه الاخبار المستفيضه.

(١) إيضاح الفوائد ج ١ ص ٢٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٠٨

في جمله من المواضع، فإنّ المستفاد منها على وجه لا يزاحمه الريب و الشك أن كلّ يوم من أيام الأسبوع و كلّ شهر من شهور السنه أزمته معينه معلومه نفس أمرية كالأخبار الداله على فضل يوم الجمعة و ما يعمل فيه و احترامه و أنه سيّد الأيام و سيّد الأعياد، و أنّ من مات فيه كان شهيدا و نحو ذلك «١»، ما ورد في أيام الأعياد من الأعمال و الفضل، و ما ورد في يوم الغدير و نحوه من الأيام الشريفه، و ما ورد في شهر رمضان من الفضل و الأعمال و الاحترام «٢»، فإنّ ذلك كله ظاهر في كونها عبارة عن أزمان معينه في الواقع و اللزم على ما ادعوه من الكرويه إنّها اعتبارية باعتبار قوم دون آخرين، و مثل الأخبار الواردة في زوال الشمس و ما يعمل بالشمس في وصولها إلى دائرة نصف النهار، و ما ورد في ذلك من الأعمال «٣» فانه بمقتضى الكرويه يكون ذلك من طلوع الشمس إلى غروبها من دون اختصاص له بزمان معين، لأنّ دائرة نصف النهار بالنسبه إلى كلّ قوم غيرها بالنسبه إلى آخرين، ثمّ قال و بالجمله فبطلان هذا القول بالنظر إلى الأدله السمعيه و الاخبار النبويه أظهر من أن يخفى و عسى ساعد التوفيق أن أكتب رساله شافية مشتمله على الأخبار الصحيحه الصريحه في دفع هذا القول إن شاء الله «٤».

(١) الوسائل الباب ٦ الى ١٦ من الأغسال المسنونه و الباب: ٣٠ الى ٥٧ من صلاة الجمعة و آدابها.

(٢) تجد كل ذلك في الوسائل في أبواب الأغسال المسنونه و أبواب نافله شهر رمضان.

(٣) الوسائل الباب ١٢ من مواقيت الصلاة.

(٤) الحدائق ج ١٣ ص ٢٦٦-٢٦٧ و لا يخفى أن كرويه الأرض أصبحت في عصرنا هذا من الأمور الواضحه و ليس في الآيات و الأخبار ما ينافيها بل فيها ما يدلّ على ذلك راجع البيان ج ١ لآيه الله الخوئي قدس سره ص ٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٠٩

أقول أمّا ما نسب إليهم من تفريع كون يوم واحد خميسا عند قوم و جمعه عند آخرين و سبتا عند ثالث فلم يذكر ذلك بإطلاقه أحد منهم، و ليس يلزمهم ذلك أيضا من جهة مجرد الكرويه بل من جهة قطع محيط الكرة في جهتين مختلفتين، بيان ذلك أنه إذا تفرقت ثلاثة أشخاص في موضع فسار أحدهم نحو المغرب و الثاني نحو المشرق و أقام الثالث حتى دار السائران دورا تاما و رجع السائر إلى الغرب إليه من المشرق و إلى الشرق إليه من الغرب فمن البين أن المقيم كغيره من أهل الآفاق في عدد الأيام لكنّه ينقص للمغربى يوم واحد و يزيد للمشرقى يوم واحد فلو كانت الأيام للمقيم عشره كانت للمغربى تسعه و للمشرقى أحد عشر و ذلك لأنّ المغربى سيره موافق لحركه الشمس فيزيد ساعات أيامه و لياليه من أربعه و عشرين ساعه ساعتين و نصف تقريبا كما أنّ المشرقى سيره موافق لحركتها فينقص ساعات أيامه و لياليه بهذا القدر و يتلقّى من كل ذلك يوم ينقص عن أيام الأوّل و يزيد على أيام الثاني كما هو واضح فالسبب المؤثر في الاختلافات حقيقه هو السير الموافق أو المخالف لحركه الشمس في تمام الدوره، و هذا لا ينافي كون أيام الأسابيع أسماء لمعانيها الواقعيه التي هي أزمته معينه.

فان قلت إنه على القول بالكروية يختلف الطلوع و الغروب و زوال النهار و نصف الليل و الفجر و غيرها بحسب إختلاف الآفاق و ذلك لاختلاف أزمنة المحاذاة و غيرها من الأوضاع.

قلت: مع الغض عن لزوم ذلك على فرض كونها مسطحة أيضا لا بأس بالتزام ذلك بل هو المتعين ضرورة إختلاف المحاذاة باختلاف الأمكنة فيتبعه إختلاف الأزمنة أيضا و هو واضح يقتضى به الوجدان بعد التأمل الصريح، و يشهد له ما مر من مشاهدة الخسوفات القمرية الجزئية فى أزمنة مختلفة اضافية فيشاهده أهل

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤١٠

الأوساط مثلا عند انتصاف الليل و أهل المشرق بعده و أهل المغرب قبله.

و أما الاخبار المتضمنة لخصوص الأزمنة و ما فيها من الأعمال فلا بد من اعتبارها بحسب الآفاق و الأمكنة فكل دورة تامة للشمس فهى يوم من الأيام بليدة فى جميع الآفاق غاية الأمر أن الشمس فى كل جزء من الدورة تكون مسامتة لجزء من الأرض مقاطرة لما يقابله مشرقه و مغربه لمنتصف الجزئين من الطرفين فيتحقق فى كل آن من الآتات الزوال و نصف الليل و الطلوع و الغروب و كذا ما بينها من الأحوال و الأوضاع و ان كان أكثر تلك الأماكن غير عامرة بل غامرة.

و بالجملة لا- ريب فى كون الأوضاع المذكورة إضافية مختلفة باختلاف الآفاق لا حقيقتها محضة، و لذا أوردوا على أخبار ركود الشمس عند الزوال فى غير يوم الجمعة بأنها فى كل آن فى نصف النهار لقوم فيلزم سكون الشمس دائما ثم لم يجيبوا عنه بالمنع من ذلك بل أجاب المجلسى و غيره من ذلك باحتمال أن يكون المراد نصف نهار موضع خاص كمكة أو المدينة أو قبة الأرض. و بالجملة فكروية الأرض عند أهل الصناعات بينة واضحة، و الشواهد الرياضية الحسية عليها متكاثرة متظافرة، و منشأ الإشكال فيها إنما هو الجهل بها أو الغفلة عنها هذا هو الكلام فى استدارتها.

### سكون الأرض و حركتها

و أما سكونها فى الوسط فالاستدلال عليه بالآية و إن كان ضعيفا فى الغاية على ما مرت إليه الإشارة إلا أن الأدلة السمعية بل الرياضية عليه كثيرة و كان عليه إطباق الأمم إلا أنه قد حدث بين حكماء الأندلس و غيرهم من أهل الإفرنج القول بحركتها و سكون السموات بل نفيها و سكون الأجرام المنيرة من الشمس و القمر و غيرهما من السيارات و الثوابت إما بالنسبة إلى الحركة الدورية الأرضية كما فى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤١١

الجميع أو مطلقا كما فى الشمس و لنا معهم مباحثات و مناظرات فى ذلك و سنقصها عليك عند تفسير قوله تعالى: **أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا، وَ السَّمَاءَ بِنَاءً** «١» هو فى الأصل مصدر سمي به المبنى من حجر أو مدر أو شعر أو وبر، أو أديم أو غيرها و إن خص كل منها باسم كالبيت و القبة و الخباء و الأطراف و نحوها.

و عن الزجاج «٢»: كل ما علا الأرض فهو بناء، و أبنية العرب أحييتهم، و منه:

بنى على امرأته، لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا، و لذا يعدى «بعلى»، و قد يضمّن معنى أعرس فيعدى بالباء.

قال ابن دريد «٣» و غيره: بنى عليها و بنى بها، و الأول أفصح.

و المعنى على ما فى تفسير الامام عليه السلام أنه جعلها سقفا محفوظا يدير فيها شمسها و قمرها و كواكبها مسخرة لمنافعكم «٤».

### المراد بالسماء و منافعها للإنسان

و يظهر منه مضافا إلى ما يقتضيه مساق الآية من الامتنان و إقامة للبرهان إرادتها بجملتها من الأفلاك الكليّة و الجزئية من الحوامل و خوارج المراكز و المديرات و غيرها على فرض إثباتها مع ما فيها من السيارات و الثوابت التي لا يعلم أحوالها فضلا عن منافعها و خواصها و مجاريها و مقادير أجزامها و حرركاتها إلّا مبدعها و باريها و من أشهدهم خلقها و أحصى فيهم علمها، فإنّ فيه آيات كثيرة

(١) النمل: ٤١.

(٢) الزّجاج: ابو إسحاق ابراهيم بن محمّد النحوى الحنبلى المتوفى (٣١٠) هـ

(٣) ابن دريد: محمد بن الحسن بن دريد البصرى الأديب اللغوى المتوفى (٣٢١).

(٤) تفسير البرهان ج ١ ص ٦٧ عن تفسير الامام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤١٢

و منافع للناس غير يسيرة تعجز العقول عن الإحاطة بها حيث جعلها الله تعالى سقفا محفوظا كما قال: وَ جَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا «١»، و قبة مضروبة كما ورد: إِنَّ هَذِهِ قَبَّةُ آدَمَ وَ لَلَّه قَبَابٌ كَثِيرَةٌ «٢».

و زينها بمصايح نجومها و رجوما، إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ «٣» وَ بَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا «٤» وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَ جَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا «٥» و ذكر أنّ خلقتها مشتملة على حكم بليغة و غايات صحيحة كما قال: رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا «٦»، وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا «٧».

و جعلها مصعد الأعمال و مهبط الأنوار و قبله الدعاء فالأيدى ترفع إليها، و الوجوه تتوجه نحوها، و هى محل الضياء و الصفاء و جعل لونها الزرق، و هى اشدّ الألوان موافقة للبصر، و تقوية له حتى أنّ الأطباء يأمرّون من أصابه و جع العين بالنظر إلى الزرق، و هى الحافظة للقوة الباصرة و لذا جعل الله سبحانه أديم السماء ملونا بهذا اللون الأزرق لينتفع بها الأبصار الناظرة إليها فجعل سبحانه لونها أنفع الألوان و هو المستنير و شكلها أفضل الأشكال و هو المستدير.

و لذا قال: أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَ زَيَّنَّاهَا وَ مَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ

(١) الأنبياء: ٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٣٥ ح ٢١-٢٢.

(٣) الصافات: ٦-٧.

(٤) النبأ: ١٢.

(٥) نوح: ١٦.

(٦) آل عمران: ١٩١.

(٧) ص: ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤١٣

«١» وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ «٢» فإنّ أوسع الأشكال هو الشكل المستدير، و جعل فيها النجوم و الأنوار ليتهدى بها فى البرارى و البحار وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَ الْبَحْرِ «٣» و جعل شمسها كشمته القلادة فى وسط السيارة متحركة بحركة أبسط من حركات الباقية مرتبطة بحركات غيرها بحركتها كمقارنته العلوية فى الذرى و مقابلتها فى الحضيضات الدالة على أنّ حركتى التدوير و الخارج فى كلّ منها مثل وسط الشمس و مقارنته السيفليين فى الدروة و الحضيض الدال على كون وسطها كوسطها، و جعل لها حركتين حركة يومية بها طلوعها ليسهل معه التقلّب لقضاء الأوطار فى الأقطار طول النهار، و غروبها ليصلح معه



الهدء و القرار فى الأكناف لآحصيل الرّاحه و انبعاث القوه الهاضمه، و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء.  
و اىضا لولا الطلوع لانجمدت المياه و غلبت البروده و الكثافه و أفضت إلى خمود الحراره من العالم، و جمود الرطوبات فى النباتات و الحيوانات فضلا عن بنى آدم، بل يستولى الانجماد على البحار كما هو المشاهد فى البحر المنجمد و غيره ممّا يقرب من عرض تسعين و لولا الغروب لحميت الأرض حتى يحترق كل من عليها من حيوان و نبات فهى بمنزله السراج يوضع لأهل بيت بمقدار حاجتهم، ثم يرفع عنهم ليستقرّوا و يستريحوا، فصار النور و الظلمه مع تضادهما متناوبين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم و معاش بنى آدم.  
و حركه أخرى فى دوره البروج يكون بها ارتفاعها و انحطاطها فى الآفاق

(١) ق: ٤٠.

(٢) الذاريات: ٤٧.

(٣) الانعام: ٩٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤١٤

لإقامه الفصول الأربعة فى الآفاق الحمائليه المائله و الثمانيه فى أفق الاستواء، فى الشتاء تفور الحراره فى الشجر و النبات، فيتولد منها مواد الثمار و يستكثف الهواء فيكثر السحاب و المطر و تقوى أبدان الحيوانات بسبب احتقان الحراره الغريزيه فى البواطن، و تأخذ الأرض مادتها من الرطوبات التى تستمد منها العيون و الآبار و عروه الأشجار، و فى الربيع تتحرك الطبائع، و تظهر المواد المتولده فى الشتاء، و يثور الشجر و يهيج الحيوان للسفاد، و يظهر حمل الثمار فى الأشجار فتكثر فيها الأنوار و الأزهار و فى الصيف تحتدم «١» الهواء فتضج الثمار، و تتحلل فضول الأبدان، و يجف وجه الأرض، و يتهيأ للعمارة و الزراعه، و فى الخريف يظهر البرد و اليبس فتدرك الثمار و تستعد الأبدان قليلا قليلا للشتاء، فأنه ان وقع الانتقال دفعه واحده لهلكت الأبدان و فسدت.

### منافع حركه الشمس

ثم تأمل فى منافع حركتها فأنها لو كانت واقفه على موضع واحد لاشتدت السيخونه فى ذلك الموضع و اشتد البرد فى سائر المواضع لكنها تطلع فى أول النهار من المشرق فيقع شعاعها على ما يحاذيها من جهه المغرب ثم لا تزال تدور حتى تنتهى إلى الغروب فتشرق على الجوانب الشرقيه فلا يبقى موضع مكشوف إلا و يأخذ خطأ من شعاعها.  
ثم انظر إلى ما يعرض لها من الميل الشمالى و الجنوبى حيث إنها لو لم يكن لها ميل لكان التأثير مخصوصا فى بقعه واحده و لكانت الأحوال فيها متشابهه و لكان تغلب الجمود على بعض البلاد و الاحتراق على بعضها و لخلت عامه البلاد

(١) تحتدم الهواء: تشتد حرارتها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤١٥

عما أشرنا إليه من فوائد الفصول، و لذا جعل لها ميلا شماليا يكون معه صيف الشماليين و شتاء الجنوبيين، و جنوبيا يكون معه صيف الجنوبيين و شتاء الشماليين إلى غير ذلك من المنافع العجيبه و الآثار الغريبه التى سطوروا فيها الأساطير و ملئوا منها الطوامير و مع ذلك فلم يطلعوا إلا على قليل من كثير و الله هو العليم الخبير.

### منافع القمر

و أما القمر ففيه آيات و منافع للناس في تشكلاته البدرية و الهلالية و زيادته و نقصانه و محاقه و اختلاف مقاديره و مواقيت طلوعه و غروبه و له تأثير غريب في تربية النامية و في ازدياد الرطوبات في أبدان الحيوانات و في النباتات، و به يعلم عدد السنين و الحساب\* و الآجال و المواقيت العرفية و الشرعية.

و كان من دعاء السجّاد عليه السلام إذا نظر الى الهلال: أيها الخلق المطيع الدائب السريع المتردد في منازل التقدير، المتصرف في فلك التدبير، آمنت بمن نور بك الظلم، و أوضح بك البهم، و جعلك آية من آيات ملكه، و علامة من علامات سلطانه، و امتهنك بالزيادة و النقصان، و الطلوع و الأفول، و الإنارة و الكسوف، في كل ذلك أنت له مطيع، و إلى ارادته سريع، سبحانه ما أعجب ما دبّر في أمرك، و أطف ما صنع في شأنك، جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث «١» الدعاء.

و أما غيرهما من السيارة و الثوابت فخالقها هو الذي يحصى منافعها و أعدادها و أقدارها و قد ذكر المحصّيون من أرباب الارصاد جملة ممّا استنبطوه من مقادير أجرامها و ابعادها عن مركز العالم و حركاتها طولاً و عرضاً إلى غير ذلك ممّا أفردوه بالتصنيف.

(١) الصحيفة السجادية الدعاء: ٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤١٦

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً عَطَفَ عَلَى جَعَلٍ، و هي إشارة إلى نعمة خامسة، و المراد بالسحاب أو جهة العلو أو الفلك. و الماء أصله موه، و همزته منقلبة عن هاء، و يقال: الماء و المائه، و سمع اسقنى ما بالقصر، و الدليل على الأصل قولهم: أمواه، و مياه، في الجمع، و مويه، و مويهه في التصغير و الفعل ما هت الركية تماه و تموه و تميّه، و من ابتدائية أما على الوجهين الأولين في السماء فواضح و أما على الثالث فلأنّ المطر يتبدأ من سماء إلى سماء ثم إلى السحاب، و منه إلى الأرض أو من اسباب سماوية و أقدار إلهية، حيث سخّر الشمس لتصعيد الأبخرة الأرضية المتكوّنة بامرّه التسخيري التكويني في ظاهر الأرض و باطنها و سطوح البحار و أعماقها، فإذا تصاعدت بحرارة لطيفة عرضية و أجزاء مائية رتيبة حتى وصلت الكرة الزمهريرية تكاثفت أحياناً و انعقدت سحباً و تقاطر منه المطر النازل من فضاء المحيط إلى ضيق المركز كل ذلك بمشيته و إرادته و حسن قضائه و إمضائه و هندسته لمقادير ذرات الأعيان و الأ-كوان في أرضه و سمائه قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنِيثُ سَحَابًا فَيُبْسِطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَيْفَ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ «١».

## اشكال و دفع

و أمّا ما يقال: من أنّ هذه طريقة الفلاسفة الدهرية المنكرين للصّانع أو القدرة و الاختيار و إنّما التجأوا إلى اختيار هذا القول لاعتقادهم قدم الأجسام الفلكية و العنصرية و إذا كان الأمر كذلك على معتقدهم امتنع دخول الزيادة و التقصان فيها

(١) الروم: ٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤١٧

و حينئذ لا معنى لحدوث الحوادث إلاّ اتصاف تلك الذوات بصفة بعد أن كانت موصوفة بصفات أخرى، فلهذا السبب احتالوا في تكوين كل شيء من مادة معينة، و أمّا المسلمون فلمّا اعتقدوا أنّ الأجسام محدثة، و أنّ خالق العالم فاعل مختار قادر على خلق الأجسام كيف شاء و اراد، فعند هذا لا حاجة لهم إلى استخراج هذه التكاليف بعد دلالة ظاهر القرآن على أنّ الماء إنّما ينزل من السماء كما في هذه الآية و في آيات كثيرة.

مضافاً إلى أنّه قد يستدلّ على فساد تلك الطريقة بأنّ البخارات دائمة الارتفاع و التصاعد فلو كان تولّد المطر من صعودها لوجب

استدامة نزولها و تقاطرها، و بأنها إذا ارتفعت و تفرقت فكيف تتولد منها قطرات الماء مع أنها رشحات منبثة قد تفرقت و بان البرد قد يوجب في وقت الحرّ في صميم الصيف مع أنّ تولده لا يكون على ما ذكره إلا من برودة قوبه، و كذا نجد المطر في أبرد وقت ينزل غير جامد، و ذلك يبطل قولهم.

فيه أنّ القول بالقادر المختار لا يوجب رفض الأسباب التي قدرها الواحد القهار، مع أنّه جعل لكلّ شيء سببا و ابى الله أن يجرى الأمور إلّا بأسبابها، و الأسباب لا بدّ من اتّصالها بمسبباتها، و لعمرى هل ينكر أحد منهم استحالة الماء أبخرة متصاعدة باستيلاء الحرارة، أو اجتماع القطرات و نزولها من تلك الأبخرة في سقوف الحمامات و أدمغة الإنسان بل في الآلة المسماة بالقرع و الأنبيق و نحوها ممّا أعدّ للتصعيد و استخراج الأجزاء اللطيفة.

و أمّا دلالة ظاهر القرآن، فممنوعة جدّا بعد ما سمعت من الوجوه المذكورة في معنى السّماء فضلا عن ابتداء نزول الماء منها، بل يستفاد ذلك أيضا من ظاهر

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤١٨

قوله تعالى: يُزِيلُ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا ﴿١﴾ الآية و قوله: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴿٢﴾.

ولذا

قال على بن ابراهيم «٣» القمى في تفسير قوله: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا: أى يثيره من الأرض ثمّ يؤلف بينه فإذا غلظ بعث الله رياحا فتعصره فينزل منه الماء و هو قوله: فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ\* أى المطر «٤».

و هو ظاهر بل صريح فيما ذكرناه و كيف يمكن إنكار ذلك مع أنّه مشاهد محسوس فإنّ الإنسان ربما يكون واقفا على قلّة جبل عال و يرى الغيم أسفل فإذا نزل من ذلك الجبل يرى ذلك الغيم مطرا عليهم.

و أمّا الوجوه الثلاثة فضعيفة في الغايه و ان اعتمد عليها الجبائي و الرّازى و غيرهما، لأنّ تلك البخارات قد تتحلّل و قد تتفرّق قبل الاجتماع و التكاثر ثمّ إنّ الرشحات تتلاحق و تتلاصق فتتزل قطرات ثمّ للحرارة و البرودة العارضة للجوّ و خصوصا للكرة الزمهريرية أسبابا لا يحصيها غير خالقها و منشيها.

### الحديث الدال على نزول الماء من الفلك

نعم ربما يستدلّ على نزوله من السّماء بمعنى الفلك بجملة من الأخبار منها المروى في الكافي و تفسير العياشى عن مسعدة بن صدقة و في «العلل» و «قرب الاسناد» عن هارون بن مسلم عن ابى عبد الله عليه السّلام قال كان علىّ عليه السّلام يقوم في المطر

(١) الروم: ٤٨.

(٢) النور: ٤٣.

(٣) على بن ابراهيم بن هاشم القمى كان حيا في سنة (٣٠٧) و ثقة النجاشى.

(٤) تفسير القمى ج ٢ ص ١٠٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤١٩

أول ما يمطر حتّى يبطل رأسه و لحيته و ثيابه، فقيل له يا أمير المؤمنين الكنّ الكنّ، فقال عليه السّلام: إنّ هذا ماء قريب العهد بالعرش. ثمّ أنشأ يحدث فقال: إنّ تحت العرش بحرا فيه ماء ينبت أرزاق الحيوانات، فإذا أراد الله عزّ ذكره أن ينبت به ما يشاء لهم رحمة منه

لهم أوحى الله إليه فمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتى يصير إلى سماء الدنيا فيما أظن فيلقيه إلى السحاب، و السحاب بمنزلة الغراب، ثم يوحى الله عزّ وجل إلى الريح أن اطحنيه و أذيبه ذوبان الماء ثم انطلقى به إلى موضع كذا و كذا فأمطرى عليهم فيكون كذا و كذا عباباً أو غير عباب فتقطر عليهم على النحو الذى يأمرها به فليس من قطرة تقطر إلّا و معها ملك حتى تضعها موضعها و لم ينزل من السماء قطرة من مطر إلّا بعدد معدود و وزن معلوم إلّا ما كان من يوم الطوفان على عهد نوح على نبينا و آله و عليه السلام فإنه نزل من ماء منهمر بلا وزن و لا عدد «١».

و فيه مع احتمال كون المراد أمر الله الفعلى الجزئى التنازل من عرش عظمه فعل الله الإمكانى و التكوينى تنزلاً على التدريج من علو إلى سفلى و من عالم الأمر إلى عالم الخلق إلى أن يتعلّق أمره التسخيرى بالسحاب، أنه لا بدّ من طرحه أو حمله على القضية الجزئية أو تأويله بما لا يخالف الحسّ و غيره على ما سمعت.

بل

فى «الخصال» عن أبى بصير و محمد بن مسلم عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أنزلت السماء قطرة من ماء منذ حبسه الله تعالى، و لو قد قام قائمنا أنزلت السماء قطرها و لأخرجت من الأرض نباتها «٢».

و لعل المراد بالماء المحبوس اثر من اثار رحمته الرحيمية الذى يحيى الله

(١) بحار الأنوار ج ٥٦ ط بيروت ص ٣٧٢ ح ٢ عن العليل ج ٢ ص ١٤١.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠ ص ١٠٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٢٠

تعالى به ميت البلاد، و يصلح به أحوال العباد فى الدولة الحقّة الولوية و الدّورة المستقيمة الكبرى عند قيام قائمنا عجل الله فرجه.

و

فى الكافى عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن السحاب أين تكون، قال تكون على شجر كثيب على شاطئ البحر يأوى إليه فإذا أراد الله عزّ وجل أن يرسله أرسل ريحا فأتارته، و وكلّ به ملائكة يضربونه بالمخاريق و هو البرق فيرتفع ثم قرأ هذه الآية، و الله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً «١»، الآية «٢».

قال المجلسى رحمه الله قوله على شجر يحتمل أن يكون نوع من السحاب كذلك أو يكون كناية عن انبعائه عن البحر و ما قرب منه، و قيل على شجر أى على انواع منها ما يكون على الكثيب و هو اسم موضع على ساحل بحر اليمن يأتى السحاب إلى مكّة منها «٣».

بل فى بعض الأخبار و تقييد المطر الذى ينزل من السماء بالذى منه الأرزاق كما

فى «نوادير الزاوندى» عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال قال على عليه السلام المطر الذى منه أرزاق الحيوان من بحر تحت العرش، فمن ثمّ كان رسول الله صلى الله عليه و آله يستمطر أول مطر، و يقوم حتى يبتل رأسه و لحيته، ثم يقول: إن هذا قريب عهد بالعرش و إذا أراد الله تعالى أن يمطر أنزله من ذلك إلى سماء بعد سماء حتى يقع على الأرض، و يقال: المزن ذلك البحر، و تهبّ ريح من تحت ساق عرش الله تعالى تلقح السحاب،

(١) فاطر: ٩.

(٢) البحار ج ٥٦ ص ٣٨٢ عن روضة الكافى ص ٢١٨.

(٣) البحار ج ٥٦ ص ٣٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٢١

ثم ينزل من المزن الماء و مع كل قطرة ملك حتى تقع على الأرض في موضعها «١».

ولذا قال شيخنا المجلسي رحمه الله ان ما يشاهد من انعقاد السحب في قلال الجبال و تقاطرها مع ان الواقف على قلة الجبل لا يرى سحابا و لا مطرا و لا ماء و الذين تحت السحاب ينزل عليهم المطر لا ينافي الظواهر الدالة على ان المطر من السماء بوجهين: أحدهما أنه يمكن أن ينزل المطر من السماء إلى السحاب رشحا ضعيفا لا يحس به أو قبل انعقاد السحاب على الموضع الذي يرتفع منه، و ثانيهما أن نقول بحصول الوجهين معا و انقسام المطر إلى القسمين فمنه ما ينزل من السماء و منه ما يرتفع من بخار البحار و الأراضي النديّة و يؤيده ما

رواه شيخنا البهائي رحمه الله في «مفتاح الفلاح» حيث قال نقل الخاص و العام ان المأمون ركب يوما للصيد فمرّ ببعض أزقة بغداد على جماعة من الأطفال فخافوا و هربوا و تفرقوا و بقي واحد منهم في مكانه فتقدم إليه المأمون فقال له كيف لم تهرب كما هرب أصحابك، فقال لأن الطريق ليس ضيقا فيتسع بنهاى و لا- بي عندك ذنب فاخافك لأجله، فلاى شىء أهرب؟ فأعجب كلامه المأمون فلما خرج إلى خارج بغداد أرسل صقره فارتفع في الهواء و لم يسقط على وجه الأرض حتى رجع و فى منقاره سمكة صغيرة فتعجب المأمون من ذلك فلما رجع تفرق الأطفال و هربوا إلما ذلك الطفل، فأنه بقي فى مكانه كما فى المرة الاولى فتقدم إليه المأمون و ضام كفه على السمكة و قال له قل أى شىء فى يدى فقال عليه السلام ان الغيم حين أخذ من ماء البحر تداخله سمك صغار

(١) مستدرک سفینه البحار ج ٩ ص ٣٨٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٢٢

فتسقط منه فيصطادها الملوك فيمتحنون بها سلاله النبوة فأدهش ذلك المأمون فقال له من أنت قال أنا محمد بن عليّ الرضا عليهما السلام، و كان ذلك بعد واقعة الرضا عليه السلام و كان عمره عليه السلام فى ذلك الوقت احدى عشر سنة و قيل: عشا فنزل المأمون عن فرسه و قبل رأسه و تذلل له ثم زوجه ابنته «١».

### السماء جهة العلو

أقول و هذا الخبر كما ترى صريح فيما ذكرناه، سيما مع شهادة المشاهدة به حسبما سمعت، و لذا صرح كثير من المحققين بأن المراد بالسماء فى مثل المقام هو جهة العلو و فسرها شيخنا الطبرسى و غيره فى المقام بالسحاب و قال عند قوله: و ما أنزل الله من السماء \* «٢» أى من نحو السماء عند جميع المفسرين و فسرها فى كثير من المواضع بالسحاب قال لأن كل ما علا مطبقا فهو سماء.

بل و هو الظاهر من كلام الامام عليه السلام فى تفسير الآية قال و أنزل من السماء ماءً يعنى المطر فينزله من أعلى ليلخ قلال جبالكم و تلالكم و هضابكم «٣» و أوهاكم ثم فرقه رذاذا «٤» و هطلا و طلا لتسقى أرضكم، و لم يجعل ذلك المطر نازلا عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضكم و أشجاركم و زروعكم و ثماركم «٥».

و فى «المتهجد» فى دعاء للحاجة: و أسألك باسمك الذى خلقت به فى الهواء

(١) بحار الأنوار ج ٥٦ ص ٣٩٧-٣٩٨.

(٢) الجاثية: ٥.

(٣) الهضاب: جمع الهضب و هو الجبل المنبسط على وجه الأرض.

(٤) الرذاذ: المطر الضعيف، و الوابل: المطر الشديد- و الهطل: تتابع المطر

(٥) تفسير البرهان ج ١ ص ٦٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٢٣

بحرا معلقا ثجاجا مغطما «١» فحبسته في الهواء على صميم تيار اليمّ الزاخر في مستفحلات عظيم تيار أمواجه على ضحضاح «٢» صفاء الماء فعزلج «٣» الموج فسبح ما فيه لعظمتك فلا اله إلا أنت «٤».

ثم انّ ما ذكره المجلسي رحمه الله في الوجه الأوّل يمكن أن يراد به أنّ هذا الماء النازل بجوهره و صورته النوعيّة قد نزل من السّماء و إن لم يكن أوّلا على سبيل التقاطر بل الرشح و الاجزاء المتصغّرة إلّا أنّها تجتمع و تتركّب منها القطرات إذا وصلت إلى السّحاب، أو إذا حملها السّحاب و لو بعد انبثاقها في رطوبات العالم و تفرّقها في الأجزاء الهوائية الجويّة، و أن يراد به أنّه قد يكون للشّيء الواحد أكوان مختلفة و نشاءات متعدّدة بعضها أعلى و أرفع عن بعض فمشأ إنشاء السّحاب و تكوين الأمطار إنّما هو من عالم السّماء بأمر الله و حكمته بتسخير الملائكة العلويّة السّماوية و السّفلية الأرضيّة من المدبّرات و السّابقات و الزّاجرات التي لا يعلم تفاصيلها إلّا الله و الرّاسخون في العِلْم.

ثمّ أنّه لا ينبغي الإصغاء إلى ما ربما يتوهم من أنّ السّمك و ان كانت صغارا إلّا أنّها أجسام ثقيلة فكيف تتصاعد مع الأبخرة و تداخل الماء المأخوذ من البحر، إذ فيه بعد تسليم الأصول الظاهرة و الطبائع المقرّرة بحكمته و مشيئته سبحانه أنه يمكن أن يكون ذلك بنوع من القسر و ان لم يحط علومنا بوجوهه و أسبابه و مقتضياته على التفصيل.

(١) المغطط: المضطرب.

(٢) الضحضاح: ما رق من الماء، أو الكثير.

(٣) عزلج: النظم.

(٤) بحار الأنوار ج ٨٧ ص ٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٢٤

نعم صرّح غير واحد ممّن صنّف في غرائب البحر و سمعت ذلك ايضا ممّن ركبه أنّه شاهد غير مرّة أنّه قد يتصاعد من موضع من البحر أبخرة قويّة مجتمعّة متراكمة متّصلة بحيث يحصل من مشاهدته اتصال تصاعدها شبه العمود القائم على سطح الماء و قد يكون قطره نحو ميل متواصل إلى عمق الماء بحيث قد انفلق البحر بقوة خروج الأجزاء البخاريّة المتكوّنة في عمقه بأسباب لا تحصي، و ذكروا أنّه ربما تقع فيها السّفن فتغرق، و لذا توصل أرباب السّفن و جهابذة البحر في إزالتها عن طرق السّفن بحيل لا يقتضى المقام إيرادها، و بالجملة يمكن أن يتعرض لذلك البخار شيء من السّمك الصّغار فترتفع معها بقوة الصّعوديّة الخارقة للماء حتّى إذا أزال عنها الحركة العرضيّة و القسريّة سقطت و لعلّه هو المراد

بقوله عليه السّلام: إنّ الغيم حين أخذ من ماء البحر تداخله سمك صغار فتسقط منه

فلا تغفل.

### الجمع بين قول الطبيعيين و الأخبار

ثمّ أنّه قد سئل الشّيخ الأحسائي رحمه الله عن التوفيق بين قول الطبيعيين حسبما مرّ و بين ما ذكره الإمام عليه السّلام في الخبر المتقدّم فأجاب بأنّ البخار المتصاعد من البحار و الأنهار و الاراضى الرّطبة بحرارة أشعة الشمس تتصاعد بجذب الأشعة متفرّقة فقبل أن تصل

إلى الطبقة الزمهريرية وهي البحر المكفوف بين السماء والأرض وبحكمة الحكيم تتكوّن فيه حيتان صغار بمقتضى قابلية الماء المجتمع بتقدير العزيز العليم والسيّاح يعترف الماء تارة من هذا البحر البخارى وتارة من البحر الأجاج الذى على وجه الأرض المعلوم، فالمطر الذى من البحر المكفوف بين السماء والأرض يكون ملقحا ينبت به الثبات والكماء والمعادن واللؤلؤ والصدف تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٢٥

وما أشبه ذلك والمطر الذى من البحر المالح عقيم لا ينبت به شيء فالتوفيق بنحو ما سمعت هذه عبارته رحمه الله. وقد ظهر منه وجه آخر فى تنوع المطر بما أن ما ذكره من تكوّن الحيتان الصّغار فى كرة البخار لا يخلو من تأمل، وليس فى الخبر دلالة عليه أصلا بل هو كالصريح فى خلافه فلاحظ، وينبغى التأمل أيضا فيما ذكره من نسبة التلقيح إلى الأول والعقم إلى الثانى.

### الثمرات من الماء

فَأَخْرَجَ بِهِ الْمَاءَ الْنازِلَ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ وَانْكَانَ ذَلِكَ شَرْعاً لَهُ فِى تَسْبِيحِهِ وَعِبَادَتِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ اسْتَنْتَاجَ لِمَا سَخَّرَ لَهُ الْقُوَى الْفَاعِلِيَّةَ الْعُلُويَّةَ وَالْمَوَادَّ الْقَابِلَةَ السَّيْفَلِيَّةَ إِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ وَنَشْراً لِآثَارِ رَحْمَتِهِ، وَلِذَا عَطَفَ الْجَمْلَةَ بِالْفَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْاِتِّصَالِىِّ مَعَ مَا فِيهَا مِنَ الْإِشْعَارِ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِتَرْتِيبِ الْآثَارِ عَلَى مَا جَعَلَهَا أَسْبَاباً تَامَةً حَالَةً مُنْتَظَرَةً وَخُرُوجِ الثَّمَارِ وَانْكَانَ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيَّتِهِ سَبْحَانَهُ إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَباً أَيْ اللَّهُ أَنْ يَجْرَى الْأُمُورُ إِلَّا بِأَسْبَابِهَا وَالْأَسْبَابُ لَا بَدَّ مِنْ اتِّصَالِهَا بِمَسَبِّبَاتِهَا فَجَعَلَ فِيهَا سَخَّرَ لِمَصَالِحِ عِبَادِهِ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَغَيْرِهَا قُوَى فَاعِلَةٌ وَقَابِلَةٌ يَتَوْلَّدُ مِنْ اجْتِمَاعِهَا وَنَزُولِ الْمَاءِ الَّذِى هُوَ كَالنَّظْفَةِ لِلْحَيَوَانَاتِ أَوْ كَالغِذَاءِ لِلْبُذُورِ الْمَلْقَاةِ فِى أَرْضِ الْقَابِلِيَّةِ أَنْوَاعِ الثَّمَارِ فِى جَمِيعِ الْأَقْطَارِ مِنَ النُّجُومِ وَالْأَشْجَارِ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ، وَيَفْضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِى الْاِكْلِ لِاخْتِلَافِ قَابِلِيَّاتِهَا وَاسْتِعْدَادَاتِهَا الْمَجْعُولَةِ وَمَقَادِيرِ قَوَاهَا وَالْمَشَخَّصَاتِ الْمُنْضَمَّةِ إِلَيْهَا بِمَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الطَّبَائِعِ وَالْمَنَافِعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَدَائِعِ وَانْكَانَ سَبْحَانَهُ قَادِراً عَلَى أَنْ يَوْجِدَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِلَا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٢٦

أسباب و مواد و لا سبق قابلية و استعداد، كما أفاض على الأصول الاولية من المجردات و الماديات بابداعها و خلقها لا من شيء إذ كان الله و لم يكن معه شيء، لكنّ الحكيم قد قضت حكمته بإبداع الأكوان و إنشاء الأعيان من الأشرف فالأشرف فأبدع أولاً أنواراً قدسيّة و أرواحاً مطهّرة إنسيّة تجلّى لها ربّها فأشرفت و طالعتها فتلاّأت و ألقى فى هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله فخلق من اشراق أشعة تلك الأنوار جميع الملائكة و الروحانيين و الأنبياء و المرسلين و السّموات و الأرضين و ساير الخلق أجمعين و أخذ عليهم الميثاق و ربّهم فى مراتبهم من الخلاف و الوفاق، و أعطى كلّ شيء خلقه، و ساق إلى كلّ مخلوق رزقه، و سخّرهم بما أعطاهم من القابليات و أفاض عليهم بما منحهم من العطيّات، و جعل فواعلها مختلفة فى الحركات و قوابلها مختلفة فى قبول أضواء التّيرات المعدّة لنشوء الكائنات فأدار البعض على البعض و استبحّ عنها المواليد فى سلسلتى الطول و العرض.

أنظر الى العرش على مائه سفينة تجرى بأسمائه و اعجب له من مركب دائر قد أودع الخلق بأحشائه يسبح فى لبح بلا ساحل، فى جندل الغيب و ظلمائه و موجه احوال عشاقه و ريحه أنفاس أحبابه و لو تراه بالورى سائراً من ألف الخطّ إلى بائه و يرجع العود على بدئه و لا نهايات لإبدائه يكوّر الصبح على ليله و صبغه يغنى يامسائه لا يدري أحد من أين إلى أين إلا مدبرها و محصياها بعلمه و قدرته، فَسُبْحَانَ الَّذِى يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٢٧

### ردّ قول الأشاعرة

و أما ما ذكره بعض المفزطين في جنب الله المحجوبين عن مشاهدة أنوار قدرته و حكمته من أنه سبحانه أجرى عادته بإفاضة صور الثمرات و كيفياتها على المادة الممتزجة من الماء و التراب من غير أن يكون قد أودع في شيء من ذلك قوة التأثير و التأثر كما هو مذهب الاشاعرة القائلين بشنائع لم يلتزم بها أحد من الملاحدة فناش عن الضلالة و فساد الطريقة و انهماكهم في التقصير و القصور، وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ.

و قد ظهر ممياً مر أن «الباء» سببياً و ان كانت جعلية «و من» إمياً للتبعيض أو للتبيين، و قد يعتضد الأول بقوله: فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ «١» أى بعض كلها و قوله: فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ «٢» لتبادر التبعيض من التنكير سيما في جموع القلة، و بأن المنكرين أعنى ماء و رزقا يكتفانها و قد قصد بتنكيرهما معنى البعضية كأنه قيل: و أنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم، و بأن هذا هو المطابق لصحة المعنى في الواقع لأنه لم ينزل من السماء الماء كله، و لا أخرج بالمطر جميع الثمرات، و لا جعل الرزق كله في الثمرات.

و عندى في الكل نظر فالتبيين أظهر بناء على كون التنوين فى الممكنين للتفخيم و التعظيم بل و كذا فى الآية الثانية و هو أنسب بمقام الامتنان حيث جعل رزق الإنسان مصاصه لطائف الفلكيات و العنصریات، و خلاصة نتائج الازدواجات، فيكون كقولك: أنفقت من الدرهم ألفاً أى أنفقت ألفاً هو الدرهم، و ان احتمال التبعيض فى المثال أيضاً، نعم قد يقال: إذا قلت أكلت من هذا الخبز كان للتبعيض لا

(١) الأعراف: ٥٧.

(٢) فاطر: ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٢٨

غير، و إذا قلت أكلت من هذا الخبز الجيد المطبوخ كان من بيانيا و الجيد المطبوخ مفعولاً. ثم ان كانت «مِنَ» للبيان فالرزق بمعنى المرزوق على أنه مفعول لأخرج، و «لَكُمْ» فى موضع الصيغة و مِنَ الثَّمَرَاتِ حال عنه مقدّم عليه، و يحتمل بعيداً جداً كون المفعول الضمير المجرور بالباء على أن تكون للتعدية لا السببية، و من الثمرات حالاً عن الضمير و رزقا مفعولاً لأجله، لكنّه ضعيف لفظاً و معنى من وجوه لا تخفى، و ان كانت للتبعيض فرزقا منصوب على التعليل، أى لان يرزقكم أو على المصدر بتقدير الفعل، و يحتمل الحال بناء على كونه بمعنى المفعول، و على كل حال فقوله مِنَ الثَّمَرَاتِ فى موضع المفعول به، أى بعض الثمرات و أمياً ما توهمه الطيبى «١» و السيوطى من أنه إذا قدرت من مفعولاً كانت اسماً ففساده واضح جداً، فإن المراد كون الجار و المجرور فى موضع المفعول بالواسطة.

### الثمرة و إطلاقاتها

و الثمرات جمع ثمرة بالتياء، قال الفيومى «٢»: الثمر بفتحتين و الثمرة مثله فالأول مذكر و يجمع على ثمار مثل جبل و جبال، ثم يجمع الثمار على ثمر مثل كتاب و كتب، ثم يجمع الثمر على أثمار مثل عنق و أعناق، و الثانى مؤنث و الجمع ثمرات، مثل قصبه و قصبات، و الثمر هو الحمل الذى تخرجه الشجرة سواء أكل أم لا.

(١) الطيبى: الحسن بن محمد بن عبد الله المفسر له شرح على كتاب «الكشاف»، توفى سنة (٧٤٣).

(٢) الفيومى: ابو العباس احمد بن محمد بن أبى الحسن اللغوى المقرئ صاحب مصباح المنير توفى بعد سنة (٧٧٠) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٢٩



أقول: ويطلق على الشجرة وكل ما تنبته الأرض والذهب والفضة وأنواع المال والنسل والولد كما في «القاموس» وغيره ولعل الأولى الحمل على الجميع ولو بعموم المجاز أو غلبته فيما له نفع، ومنه قولهم فيما لا نفع له: ليس له ثمر كما في «المصباح» وغيره وقضية اللام الاستغراق وعلى هذا فيسقط السؤال عن إثارة الثمرات على الثمار مع كون الأولى للقلة والأولى بالمقام الكثرة فإن المعرف بلام الاستغراق يفيد العموم الجمعي، مع أن كثيرا من علماء الأدب والمعتنين بحفظ لغات العرب قد أنكروا القاعدة على أن بين الفارقين في خصوص الجمع بالألف والتاء اختلافات كثيرة والجمهور على الاشتراك وعلى الوجهين ورد في القرآن ففي آية الصيام أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ \* (١) وفي غيرها وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ (٢) مع أنه قد يجاب أيضا بأن المراد بها جماعة الثمرة التي في قولك: فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره، ويعضده قراءة محمد بن السيميع من الثمرة على التوحيد، وبأن الجموع تتعاود بعضها موقع بعض لالتقائهما في الجمعية كما وقعت القلة موضع الكثرة في قوله: كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ (٣) والكثرة موضع القلة في قوله:

ثَلَاثَةٌ قُرُوءٍ (٤)، وبأن المقصود التنبيه على قلة ثمار الدنيا اشعارا بتعظيم أمر الآخرة.  
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً مُتَعَلِّقِينَ بِقَوْلِهِ: اعْبُدُوا بآن يكون نهيا متفرعا على

(١) البقرة: ١٨٤.

(٢) البقرة: ٢٠٣.

(٣) الدخان: ٢٥.

(٤) البقرة: ٢٢٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٣٠

مضمون ذلك الأمر كأنه قيل إذا كنتم عبدا له واستحق ربكم الذي خلقكم وخلق أصولكم وأرزاقكم منكم العبادة وكنتم مأمورين بها فلا تشركوا أحدا في الطاعة والعبادة كما أنه ليس له شريك في الخلق والإفاضة فكونوا مخلصين في عبادته متوجهين إليه في مقاصدكم غير مشركين به في شيء من مراتب التوحيد الأربعة:

أعني توحيد الذات والصفات والأفعال والعبادة، وقيل هي نهى معطوف على الأمر، ورد بأن الأولى حينئذ العطف بالواو كقوله تعالى: اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً (١).

والتحقيق إن قضية العطف بالفاء هو الترتب على السابق فيرجع هذا الوجه إلى الأول، ومن هنا يظهر سقوط الإيراد وقد يجعل نفيا منصوبا بإضمار أن على جواب الأمر كما في زرنى فأكرمك، ورد بأن الشرط في ذلك كون الأول سببا للثاني والعبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو مبناها مع أن الأول أقرب لفظا لعدم الإضمار ومعنى لأن التصريح بالنهي أبلغ واردع مع وحدة الاستفادة على الأحوال أو بقوله: لَعَلَّكُمْ فَنصَبَ الفعل نصب فاطع في قوله تعالى: لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَشْيَابَ الْأَشْيَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ (٢)، وقوله: لَعَلَّهُ يَزَكِّي أَوْ يَذَكِّرُ فَتَنْفَعَهُ الذُّكْرَى (٣)، أميا على تشبيه «لعل» بليت ولو لكونهم في صورة المرجو منهم مع التنبيه على تقصيرهم، والإشعار بأن المراد الراجح صار مستبعدا منهم كالمتمنى فالمعنى خلقكم في صورة من يرجى منه الانتقاء أي الخوف من العقاب ليتسبب عن ذلك أن

(١) النساء: ٣٦.

(٢) غافر: ٣٦-٣٧.

(٣) عبس: ٣-٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٣١

لا تشرکوا، فلا یرد أن ذلك إنما یجوز إذا کان فی الترجی شائبة من التمنی أبعد المرجو من الوقوع مع أن لعل مستعارة للإرادة التي فيها ترجیح طرف الوجود، وذلك لما سمعت ونظيره فی اعتبار الصورة و رعاية التنبيه قولك لمن همك هممه: لیتك تحدثنی تفرج عني بالنصب فإنه ليس تمنيا حقيقه لكن أجرى علیه حكمه و ببه به علی تقصيره فی التحديث، و أمرا علی اشتراك «لعل» مع أشياء السیئة فی كونها غیر مثبتة حيث إن المطلوب بها غیر موجود عند ذكرها ففيها حظر الوجود و العدم فأشبهت الشرط و لذا استحققت الفاء و یحمل التقوی حیث على الالتقاء عن العذاب كيلا یأبى جعل عدم الأنداد نتیجة لها محصورة قبلها مع أنه یمكن ارادة نفي الأنداد فی الطاعة أو بقوله الذي جعل باعتبار الابتداء بالموصولة و اخبر عنه بالتهی علی تأویل مقول فيه لا تجعلوا، و أدخلت الفاء علی الجملة لتضمن المبتدأ معنى الشرط كقولك الذي یاتینی فله درهم، و لعل الأولى علی فرض تعلقها بالموصول رفعه مدحا علی أنه خبر لمحذوف علی ما مر، فيكون نهيا مترتبا علی ما تضمنته تلك الجملة و المعنى هو الذي خلقكم و خلق أصولكم و أرزاقكم فلا تعبدوا غیره و لا تشرکوا به شیئا.

### فی تفسير كلمة الأنداد

و الندّ المثل و العدل قال حسان «١»:

أتهجـوه و لست له بنـد فـشـر كما لخير كـمـا الفـداء

(١) حسان بن ثابت الشاعر المتوفى سنة (٥٤) عن مائة و عشرين سنة كآبيه و جدّه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٣٢

و قال جرير «١»:

أ تيما تجعلون إلی نداء و ما تيم لذي حسب نديد من ندد يند نداء و ندودا و ندادا بمعنى شرد و نفر و منه التناد بمعنى التفرق و التخالف، و ناددته خالفته كأن كلاً من النددين يناد الآخر أى يقابله و يخالفه، و من هنا يقال: إنه بمعنى الضد أو أنه لا يقال إلا للمثل المخالف المعادى بل هو المراد بما فى «المصباح» بعد تفسيره بالمثل، و لا يكون الندّ إلا الضدّ.

و عن الهمدانى فى «كتاب الألفاظ» الأنداد و الأضداد و الأكفاء و النظراء و الأشباه و الأقران و الأمثال و الأشكال نظائر.

و الحقّ أنها متقاربة تفترق إذا اجتمعت، و تجتمع إذا افترت و فى «مجمع البحرين» و غيره عن الرّاغب فى الفرق بينها: أن الندّ يقال فيما يشارك فى الجوهرية فقط، و الشكل يقال فيما يشارك فى القدر و المسافة، و الشبه يقال فيما يشارك فى الكيفية فقط، و المساوى فيما يشارك فى الكمية فقط، و المثل عامّ فى الألفاظ كلها.

ثمّ أنه سبحانه و إن لم يكن له ضدّ و لا ندد لصمدائيته و فردائيته و وحدته الحقّة المطلقة، إلا أن المشركين لما اتخذوا من دونه آلهة سمّوها شركاء له أو شفعاء لهم ليقرّبوهم إليه زلفى، و إن لم يعتقدوا مساواتها له فى الذات و الصفات، و لا مخالفتها له فى الأفعال، و لم يأمرهم الله سبحانه بعبادتها و لا- التقرب بها، و لم يأتوا البيوت من أبوابها شابهت حالهم حال من جعلها شركاء له فى الذات و الصفات و وجوب الطاعة و العبادة و صدور الأفعال و الشؤون الالهية مع أنها مخلوقة مربوبة فانية دائرة مفتقرة

(١) هو جرير بن عطية بن حذيفة اليربوعى الشاعر توفى سنة (١١٠) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٣٣

إليه سبحانه فى وجودها و بقائها و سائر شؤونها و صفاتها.

بل في الآية وجوه من التشنيع و التهكم عليهم حيث عبر بالجعل الدال على الاختلاق و الافتراء كقوله: وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً (١).

و أثر من بين أسمائه سبحانه الاسم المقدم الجامع الدال على الذات المستجمع لجميع صفات الجلال و الجمال التي من جملتها نفى الأضداد و الأنداد لغاية الكمال و عبر عما اختلفوه إفاً بصيغته الجمع الدال على أن التعدد دليل الحدوث و الفناء بل عجز كل منها عن دفع غيره مع ضرورة الاختلاف و التفرق كما أشار إليه العبد الصالح يوسف بن يعقوب على نبينا و آله و عليه السلام: يا صاحبي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٢) و قال موحد الجاهلية زيد بن عمر بن نفيل (٣):  
أرباً واحداً أم ألف ربّ أدين إذا تقسّمت الأمور تركت اللات و العزى جميعاً كذلك يفعل الرجل البصير ففى قوله أنداداً استفظاع لشأنهم مزة من جهة المادة، و أخرى من حيث إنهم جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ندّ قط، مع ما فى إثارة الجمع من الإشارة أيضا إلى أن هؤلاء الشفعاء لو استحقوا العبادة لاستحققتها غيرها ممّا لا تحصى لاشتراك الجميع فى العجز و نفى الاستحقاق.

(١) الزخرف: ١٩.

(٢) يوسف: ٣٩.

(٣) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القرشى العدوى أحد الحكماء و نصير المرأة فى الجاهلية مات قبل الهجرة سنة (١٧).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٣٤

و قرأ محمد بن السميع (١) فلا تجعلوا لله نداً.

وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ جملته حاليّة من ضمير لا تجعلوا، و فائدتها زيادة التوبيخ و التثريب على شركهم لا تقييد الحكم و قصره، لوضوح أن العالم و الجاهل المتمكن من العلم سواء فى التكليف و استحقاق العقاب بالمخالفة، و المعنى أن حالكم و صفتكم أنكم من أهل العلم و النظر و إصابة الزأى و صحّة المعرفة و التمييز بين الصّحيح و الفاسد، و الحقّ و الباطل، لا يكاد يشبه عليكم شىء من خفيات الأمور و غوامض الأحوال، فكيف بهذا الأمر الواضح الجليّ الذى هو التوحيد و خلع الأنداد، حيث إنّه قد ملأ الأنفس و الآفاق من الآيات البيّنات و الحجج الباهرات فلو تأملتم أدنى تأمل لا ضطّرت عقولكم إلى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات، متعال عن مشابهة المخلوقات.

و على هذا فمفعول تَعْلَمُونَ متروك، نزل منزلة اللازم، قصداً إلى اثبات حقيقة للفاعل فى مقام المبالغة، و يجوز أن يقدر بناء على وجود القرائن المقاليّة أو الحاليّة، و المعنى أنكم تعلمون أن الأصنام التي تعبدونها من دون الله لم تنعم عليكم بهذه النعم الجليّة التي عدّناها، و لا بشىء منها أو من أمثالها كقوله تعالى هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ (٢) أو أن هذه النعم كلها من الله سبحانه و إن تلك الأصنام لا تضرّ و لا تنفع و لا تبصر و لا تسمع كقوله هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضَرُّونَ (٣) و يؤيده ما ذكره الإمام عليه السلام قال:

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن السميع (بفتح السين) أبو عبد الله اليماني له اختيار فى القراءة ينسب إليه شدّ فيه، قرأ على طاوس

بن كيسان اليماني المتوفى سنة (١٠٦) - له ترجمه فى غاية النهاية ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢.

(٢) سورة الروم: ٤٠.

(٣) الشعراء: ٧٢ - ٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٣٥

فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً، و أشباها و أمثالا من الأصنام التي لا تعقل و لا تسمع و لا تبصر و لا تقدّر على شىء و أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهَا لا تقدر

على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم «١».

أو أنكم تعلمون أن الله هو الحق المبين، وأنه لا ضد له ولا ند، وإن أصررتم على جحودكم وإنكاركم باللسان كقوله: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا «٢».

وقد ظهر مبرهاً من أنه لا تنافي بين وصفهم بالعلم في هذه الآية وبالجهل في قوله: قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ «٣» لاختلاف المتعلق فيهما.

وعن بعض المفسرين أن الخطاب لأهل الكتاب كما قال الطبرسي في المجمع عن مجاهد وغيره، والمراد أنكم تعلمون ذلك على ما قرأتم في الكتاب كقوله: وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ «٤» وهؤلاء وإن لم يتخذوا أصناماً آلهة من دون الله إلا أنهم لما اتبعوا أهوائهم في مشاقه الحق ومناذرة الرسول وكنمان ما أوتوا من العلم والمعرفة عوتبوا عتاب المشركين، مع أنهم في الحقيقة لقوله: أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وقوله «أبغض إله عبد على وجه الأرض الهوى» وأمراً إيمانهم بالله فلا ينفعهم شيئاً إذ مع الغض عن قولهم: عَزِيْرُ ابْنِ اللَّهِ «٥» وَإِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ «٦» وغيره من مقالاتهم الفاسدة،

(١) تفسير الامام عليه السلام ص ١٤٣ و عنه البحار ج ٣ ص ٣٥ ح ١٠.

(٢) النمل: ١٤.

(٣) الزمر: ٦٤.

(٤) البقرة: ٤٢.

(٥) التوبة: ٣٠.

(٦) المائدة: ٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٣٦

لم يكن ذلك على وجهه و من بابه الذي هو تصديق الرسول صلى الله عليه وآله.

و من هنا يظهر أن الآية ناعية على أهل السنة أيضاً حيث لم يكن إيمانهم على الوجه الذي أمروا به من ولاية أولياء الأمر الذين جعلهم الله أبوابه وحجابه، بل هم الأعراف الذين لا يعرف الله تعالى إلا بسبيل محبتهم ولايتهم وطاعتهم كما في الأخبار الكثيرة المتواترة من الطريقتين، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم في على أمير المؤمنين ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت من ولايته وخلافته وصايته ويسلموا له الأمر تسليمًا «١» «٢».

ولعل في الآية إشارة إلى ذلك، فإنه سبحانه جعل أرض العبادات البدئية و ظاهر الطاعات القلبية والقالبية فراشا للمؤمنين يتقبلون فيها ويستقرون في إقامة مراسم دينهم عليها، وجعل سماء الاعتقادات الحقة الأصولية من التوحيد والنبوة وما جاء به النبي صلى الله عليه وآله قبة مضروبة عليهم وهي قبة الإسلام و فسطاط الإيمان و أنزل من سماء الايمان والتصديق بالله و رسوله ماء الرحمة الرحيمية و معين الولاية العلوية، فإن شيعتهم خلقوا من فاضل طينتهم و عجنوا بماء ولايتهم، و أن لو استتفأوا على الطريقة طريقه ولاية أمير المؤمنين و ذريته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لأستقيناهم ماءً غدقاً «٣»، و هو ما أشرنا إليه من أنه من آثار رحمة الله الرحيمية يحيى به أراضى النفوس، فضلاً عن شؤونها من الطاعات و العبادات بعد موتها، فأخرج به من ثمرات الطاعات و العبادات الصالحة المقبولة و العلوم و المعارف الحقيقية التوراتية رزقا لهم يعيشون بها في الدنيا و الآخرة.

(١) النساء: ٦٥.

(٢) مرآة العقول ج ٤ ص ٢٨٣ في شرح ح (٧) من الكافي ج ١ ص ٣٩١.

(٣) سورة الجن: ١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٣٧

ولذا أمرهم بأن لا يجعلوا له أندادا في العبادة و في الطاعة بموااة الجبت و الطاغوت و سائر الشياطين الغاصبين لحقوق محمد و آله الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين.

ثم أنه سبحانه جعل لنا أرض النفوس الإنسانية المتعلقة بالأبدان العنصرية فراشا نتقلب فيها و نستقر عليها في هذا العالم، و إلا فلا هبوط لورقاء الروح و عنقاء الفؤاد في هذه النشأة الجسمائية لولا- النفوس الإنسانية المتصرفة في الأبدان العنصرية، و جعل سماء العقل الانساني و النور الشعشعاني سمكا مرفوعا عليكم و أنزل من سماء العقل إلى أرض النفس ماء العلوم الحقيقية و المعارف الايمانية، فأخرج به بواسطة استعمال العقل و استخدامه للقوى النفسية من الشهوية و الغضبية و غيرها بعد تعليمها ما علمه الله و تأديبه بآداب المطيعين و صيرورتها آمنة مطمئنة أو راضية مرضية من ثمرات العقائد الحقة و الأخلاق الفاضلة و المحاسن الكاملة و الأعمال الصالحة المرضية على حدود التعب و شروط الانقياد رزقا لكم تعيشون به من حيث إنكم إنسان لا من حيث إنكم حيوان، فتتخرطون بها في سلك المتقين و أوليائه المقربين.

و تلك العلوم و المعارف هي المشار إليها بالحب و العنب و غيرهما في قوله:

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ (١) و لذا فسر الامام عليه السلام الطعام بالعلم «٢»، و ستمتع تمام الكلام في موضعه إنشاء الله، و قد

(١) عبس: ٢٤-٣٢.

(٢) الاختصاص للمفيد ص ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٣٨

فسرت الأرض في قوله: أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا\* «١» بنفوس العلماء «٢».

و لذا رتب بعض المحققين الأرض على درجات، و مراتب أعلاها النفوس الانسانية، ثم أنه سبحانه جعل لايجادكم و إيجاد معاشكم و مصالحكم أرض الإمكان و القابلية بإنشاء المشية الإمكانية، و جعل سماء المشية التكوينية مبنية عليها مفاضة منه بنفسها لنفسها، و أنزل منها إلى أرض الإمكان ماء الوجود العيني و التعين الكوني فاخرج به من ثمرات عالم الإمكان أنواعا من الرزق تستمد منها عقولكم و أفئدتكم و أرواحكم و نفوسكم و مثلكم و أبدانكم في كينوناتها و بقائها.

[سورة البقرة(٢): آية ٢٣]

إشارة

تفسير الآية (٢٣) وَ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا لَمَا كَانَ الْمَقْصُودَ الْأَعْظَمَ مِنْ خَلْقِ بَنِي آدَمَ هُوَ الْعِبُودِيَّةُ لِخَالِقِ الْعَالَمِ كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِيمَا تَقَدَّمَ، وَ كَانَتِ الْعِبَادَةُ مَتَوَقَّفَةً عَلَى الْمَعْرِفَةِ، بَلْ هِيَ رُكْنُهَا الْأَقْوَى وَ غَايَتُهَا الْقُصُوى، وَ كَانَتِ الْمَعْرِفَةُ تَدُورُ عَلَى الْأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي هِيَ التَّصَدِيقُ بِالتَّوْحِيدِ وَ بِنُورَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ وَايَةُ أَوْصِيَاءِهِ الطَّيِّبِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَ قَدْ قَرَّرَ الْأَوَّلَ فِي الْآيَتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ، وَ بَيَّنَّ الطَّرِيقَ الْمَوْصَلَةَ إِلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَ التَّصَدِيقِ بِهِ عَقْبَهُ بِذِكْرِ مَا يَدُلُّ عَلَى الثَّانِي وَ هُوَ الْإِتْيَانُ بِالْمَعْجِزَةِ الْبَاقِيَةِ عَلَى مَرِّ الدَّهْورِ الدَّلَالِ عَلَى الثَّلَاثِ أَيْضًا مِنْ جِهَةِ وُرُودِ النَّصِّ قَبْلَهُ، وَ دَلَالَةِ الْآيَاتِ الَّتِي تَحْدِي بِهَا عَلَيْهِ أَيْضًا.

(١) الرعد: ٤١.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٨ كتاب فضل العلم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٣٩

ولذا

ورد عن الصادق عليه السلام على ما رواه في كتاب الكافي والفضائل قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية هكذا: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في عليّ «١» انتهى.

وفي تفسير الإمام عليه السلام قال لما ضرب الله الأمثال للكافرين المجاهرين الدافعين لنبوءة محمد صلى الله عليه وآله والناصبين المنافقين لرسول الله الدافعين ما قاله محمد صلى الله عليه وآله في أخيه عليّ عليه السلام والدافعين أن يكون ما قاله من الله تعالى و هي آيات محمد صلى الله عليه وآله ومعجزاته مضافا إلى آياته التي بينها لعليّ عليه السلام بمكة والمدينة ولم يزدادوا إلا عتوا و طغيانا قال الله تعالى لمردة أهل مكة و عتاء أهل المدينة: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا حَتَّىٰ تَجْهَدُوا أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَنْزِلَ عَلَيْهِ كَلَامِي مَعَ اِظْهَارِي عَلَيْهِ بِمَكَّةَ الْبَاهِرَاتِ مِنَ الْآيَاتِ كَالْغَمَامَةِ الَّتِي كَانَتْ تَظَلُّهُ بِهَا فِي أَسْفَارِهِ، وَالْجَمَادَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَسَلَّمُ عَلَيْهِ مِنَ الْجِبَالِ وَالصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ، وَكَدْفَاعِهِ قَاصِدِيهِ بِالْقَتْلِ عَنْهُ وَقَتْلِهِ إِيَّاهُمْ، وَكَالشَّجَرَتَيْنِ الْمُتَبَاعِدَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَلَاصِقَتَا فَقَعَدَ خَلْفَهُمَا لِحَاجَةٍ ثُمَّ تَرَاجَعَتَا إِلَىٰ مَكَانَهُمَا كَمَا كَانَتَا، وَكَدَعَائِهِ الشَّجَرَةَ فَجَاءَتْهُ خَاضِعَةً ذَلِيلَةً، ثُمَّ أَمَرَهُ لَهَا بِالرَّجُوعِ فَرَجَعَتْ سَامِعَةً مُطِيعَةً، فَاتُوا يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ وَالْيَهُودَ، وَيَا مَعْشَرَ النَّوَاصِبِ الْمُتَحَلِّينَ بِالإِسْلَامِ الَّذِينَ هُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ وَيَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ الْفُصْحَاءِ الْبُلْغَاءِ ذَوِي الْأَلْسُنِ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، مِنْ مِثْلِ مُحَمَّدٍ، مِنْ مِثْلِ رَجُلٍ مِنْكُمْ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ وَلَا يَدْرُسُ كِتَابًا وَلَا يَخْتَلِفُ إِلَىٰ عَالَمٍ وَلَا تَعْلَمُ مِنْ أَحَدٍ، وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَهُ فِي أَسْفَارِهِ وَحَضْرِهِ، بَقِيَ كَذَلِكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْعِلْمِ حَتَّىٰ عِلْمَ الْعُلَمَاءِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ فَأْتُوا مِنْ

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٠ عن الكافي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٤٠

مثل هذا الرجل يمثل هذا الكلام، ليبين أنه كاذب كما تزعمون، لأن كل ما كان من عند غيره سبحانه فسيوجد له نظير في سائر خلق الله، وإن كنتم معاشر قراء الكتب من اليهود والنصارى في شك مما جاءكم به محمد صلى الله عليه وآله من شرايعه ومن نصبه أخاه سيد الوصيين وصيًا بعد أن أظهركم معجزاته التي منها أن كلمته الذراع المسمومة، وناطقه ذئب، وحن إليه العود وهو على المنبر، ودفع الله عنه السم الذي دسسته اليهودية في طعامهم، وغلب عليهم البلاء وأهلكهم به، وكثر القليل من الطعام فأثروا بسورة من مثله يعني من مثل القرآن من التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم والكتب المائة والأربعة «١» عشر فإنكم لا تجدون في سائر كتب الله سورة كسورة من هذا القرآن انتهى «٢» على ما يأتي.

وفيه دلالة على تعميم الخطاب بالنسبة إلى الكفار والمشركين والمنافقين، وإن كان بعضهم منكرين للنبوءة وآخرون للولاية بناء على أن إنكار شيء مما تضمنته الآيات ولو من الأحكام الفرعية فضلا عن الأصلية على وجه العناد والمشاقفة إنكار للآيات ولنبوءة النبي صلى الله عليه وآله بل جحود للربوبية أيضا، ولذا ترى الفقهاء يحكمون بارتداد كل من أنكر حكما معلوما من الدين إذا عاد إلى إنكار صاحب الدين.

وفي الآية وجه آخر وهو مبنى على اعتبار قوله في الآية المتقدمة وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ على وجه التقييد والمعنى انكم إن كنتم عالمين بربوبيته سبحانه

(١) في البحار ج ١١ ص ٣٢ ج ٢٤: المائة والأربعة عشر و لعله تصحيف لان الصدوق قدس سره روى الحديث باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وفيه: انزل الله تعالى مائة كتاب وأربعة كتب.  
(٢) بحار الأنوار ج ٩ ص ١٧٥-١٧٦ عن تفسير الإمام عليه السلام.  
تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٤١

و وحدائته فلا- ينبغي لكم أن تشركوا به شيئاً في العبادة والطاعة، وإلا يكن لكم به علم بل كنتم في ريب وشبهة مما أنزلنا على عبدنا من الأمر بالتوحيد و خلع الأنداد و إخلاص العبادة و ملازمة الانقياد و الطاعة حتى في سائر الاحكام فانظروا في دلائل النبوة من اعجاز القرآن و غيره كى يظهر لكم صححة قوله و لزوم طاعته و يضطر عقولكم إلى وجوب تصديقه فيما أتاه من التوحيد و غيره، فإنه كان مبعوثاً ليخرج الناس من ظلمات الكفر و الشرك و الفسق إلى نور الإيمان و العبادة و الطاعة، و لذا كان صلى الله عليه وآله يقول: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله «١».

ثم المراد بالريب الشك مع تهمه، و إنما أضافه إلى التنزيل دون الإنزال، إذ كان من أسباب ارتيابهم و طعنهم فيه نزوله منجماً مفزقاً مدرّجاً على قانون الخطابة و الشعر من وجود ما يوجد منها شيئاً فشيئاً حيناً فحيناً بحسب ظهور المقتضيات المتجددة و عروض الحاجات المختلفة إذ كانوا يقولون إنه لو كان من عند الله سبحانه لأنزله جملة واحدة لعدم الحاجة حينئذ إلى سبق التروى و انتظار المصالح و تتبع المقتضيات، و لذا حكى الله تعالى عنهم و قال الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً «٢» فقيل لهم، إن ارتبتم في هذا المذى نزل تدريجاً كما يعطيه التكميل المستفاد من التفضيل فهاتوا أنتم بنجم من نجومه و سورة من سورة فإنه أيسر عليكم من أن ينزل الجملة دفعة واحدة يتحدى بمجموعه فقد جعل ما أخذوه رتبة قادحة في اعجازه و وسيلة إلى كونه حقاً لا يحوم حوله شك و ريبة تقوية للتحدى و دفعا لما في صدورهم من الشبهة، و هذه غاية الإلزام و التبكيث.

(١) بحار الأنوار ج ٣٧ ص ١١٣ عن تفسير القمى.

(٢) الفرقان: ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٤٢

و أضاف العبد إلى نفسه تكريماً و تشرifa له و تنويهاً بذكره، و تنبيهاً على شدة اختصاصه صلى الله عليه وآله به سبحانه، و إن ما ظهر منه من الدعوة و الرسالة و سائر الشؤون فإنما هو بأمره و إيجابه فمن أطاعه فقد أطاع الله، و من عصاه فقد عصى الله.  
و قرء عبادنا يريد محمداً صلى الله عليه وآله و اوصيائه المعصومين الذين هم مهبط الوحي، و خزان العلم، و حملة الكتاب، و هم المخصوصون بعلمه و معرفة ظاهره و باطنه، و تنزيله و تأويله، و حقائقه و أسرارها.  
و لذا أضيف إليهم مع ما قرر في محله من اتحادهم له صلى الله عليه وآله في عالم الأنوار قبل النشأة البشرية و الكسوة العنصرية إلا أنه صاحب التنزيل و على صاحب التأويل.

و أما ما يقال «١»: من أنه أراد محمداً و أمته فإنما هو ناش من العمى و القصور فإنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور ... و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور «٢».

### العبد و شرافته

و أما حقيقة العبودية فقد مر الكلام فيها في تفسير الفاتحة، و هذا الإسم من أشرف أسمائه الشريفة، و أخص ألقابه المنيفة، و لذا قدمه في تشهد الصلاة على الرسالة.

و يضاف في إطلاقه عليه مرّة إلى الاسم المقدّم الجامع و هو الله كقوله:

(١) الكشّاف للزمخشري ج ١ ص ٩٧.

(٢) سورة النور: ٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٤٣

وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ «١» و أخرى الى ضمير المتكلم و الغائب كما في المقام، و خبر المعراج، و التشهد، و ذلك لعبوديته المطلقة و وساطته الكلية التامة العامة في جميع الشؤون الالهية و الفيوض الربانية من التكوينية و التشريعية، بحيث قد ألقى في هويته مثاله فأظهر عنه أفعاله كما في العلوي «٢».

و لذا قال الصادق عليه السلام على ما في مصباح الشريعة: العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد من العبودية وجد في الربوبية و ما خفى عن الربوبية أصيب في العبودية

قال الله عزّ و جل سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أ و لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ «٣» أى موجود في غيبتك و في حضرتك و تفسير العبودية بذل الكلية، و سبب ذلك منع النفس عما تهوى، و حملها على ما تكره، و مفتاح ذلك ترك الزاح و حبّ العزلة، و طريقة الافتقار إلى الله عزّ و جل،

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: أعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فإنه يراك.

و حروف العبد ثلاثة: (ع ب د) فالعين علمه بالله تعالى، و الباء بونه عن سواه، و الدال دنوه من الله تعالى بلا كيف و لا حجاب. ثم قال عليه السلام: و أصول المعاملات تنقسم على أربعة أوجه: معاملته الله، و معاملته النفس، و معاملته الخلق، و معاملته الدنيا، و كلّ وجه منها ينقسم إلى سبعة أركان أما أصول معاملته الله فسبعة أشياء: أداء حقه، و حفظ حده، و شكر عطائه، و الرضاء بقضائه، و الصبر على بلائه، و تعظيم حرمة، و الشوق إليه، و أصول معاملته النفس سبعة، الخوف، و الجهد، و حمل الأذى، و الرياضة، و طلب الصدق، و الإخلاص،

(١) الجن: ١٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٦٥.

(٣) فصلت: ٥٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٤٤

و إخراجها عن محبوبها، و ربطها في الفقر، و أصول معاملته الخلق سبعة، الحلم، و العفو، و التواضع، و السخاء، و الشفقة، و النصح، و العدل و الإنصاف، و أصول معاملته الدنيا سبعة: الرضا بالدون، و الإيثار بالموجود، و ترك طلب المفقود، و بغض الكثرة، و اختيار الزهد، و معرفة آفاتهما، و رفض شهواتها مع رفض الرياسة، فإذا حصل هذه الخصال بحقها في النفس فهو من خاصية الله و عباده المقربين و أوليائه «١».

و في البحار قال وجدت بخطّ شيخنا البهائي قدس الله روحه ما هذا لفظه قال الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي نقلت من خطّ الشيخ أحمد الفراهاني رحمه الله عن عنوان البصري، و كان شيخا كبيرا قد أتى عليه أربع و تسعون سنة قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين، فلما قدم جعفر الصادق عليه السلام المدينة اختلفت إليه و أحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك فقال لي يوما إنّي رجل مطلوب، و مع ذلك لي أورد في كلّ ساعة من آناء الليل و النهار فلا تشغلني عن ذكرى، و خذ من مالك و اختلف إليه كما كنت تختلف إليه، فاعتممت من ذلك و خرجت من عنده، و قلت في نفسي لو تفرّس فيّ خيرا لما زجرتني عن الاختلاف إليه و الأخذ



عنه، فدخلت مسجد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عليه ثُمَّ رجعت من الغد إلى الروضة، و صليت فيها ركعتين، و قلت أسألك يا الله يا الله أن تعطف عليّ قلب جعفر و ترزقني من علمه ما أهدى به إلى صراطك المستقيم، و رجعت إلى داري مغتمًا، و لم اختلف إلى مالك ابن أنس لما شرب قلبي من حبّ جعفر، فما خرجت من داري إلّا إلى الصلوة المكتوبة حتى عيل صبري، فلما ضاق صدري تنعلت و تردّيت و قصدت جعفرا، و كان بعد ما صليت العصر، فلما حضرت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال حاجتك؟ فقلت: السّلام على الشريف، فقال: هو قائم في مصلاه، فجلست

(١) مصباح الشريعة الباب ١٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٤٥

بحذاء بابه، فما لبثت إلّا يسيرا إذ خرج خادم فقال: ادخل على بركة الله، فدخلت و سلمت عليه فردّ السّلام و قال: اجلس غفر الله لك، فجلست فأطرق مليا ثم رفع رأسه و قال: أبو من؟ قلت: أبو عبد الله قال: ثبت الله كنيتهك و وفّقك يا أبا عبد الله ما مسألتك؟ فقلت: سألت الله أن يعطف قلبك عليّ و يرزقني من علمك و أرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته، فقال: يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلم إنّما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك و تعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولًا في نفسك حقيقة العبوديّة و اطلب العلم باستعماله و استفهم الله يفهمك، قلت: يا شريف فقال: قل: يا أبا عبد الله فقلت: يا أبا عبد الله ما حقيقة العبوديّة؟ قال: ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله الله تعالى ملكا، لأنّ العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله، يضعونه حيث أمرهم الله تعالى به، و لا يدبّر العبد لنفسه تدبيرًا، و جملة اشتغاله فيما أمره الله تعالى به و نهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوّله الله تعالى ملكا هان عليه الانفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه، و إذا فوّض العبد تدبير نفسه على مدبّره هان عليه الدّنيا و إبليس و الخلق، و لا يطلب الدّنيا تكاثرا و تفاخرا، و لا يطلب ما عند النّاس عزّا و علوّا، و لا يدع أيامه باطلا، فهذا أوّل درجة التّقى، قال الله تبارك و تعالى: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ «١» قلت: يا أبا عبد الله أوصني، قال: أوصيك بتسعة أشياء فإنّها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى و الله أسأل أن يوفّقك لاستعماله: ثلاثة منها في رياضة النفس، و ثلاثة منها في اللحم، و ثلاثة منها في العلم، فاحفظها و إياك و التّهاون بها قال عنوان: ففرغت قلبي له، فقال: أمّا اللّواتي في الرياضة فإياك أن تأكل ما لا تشتهي، فأنه يورث الحماقه و البله، و لا تأكل إلّا

(١) القصص: ٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٤٦

عند الجوع، و إذا أكلت فكل حلالا و سمّ الله، و اذكر حديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، فإن كان و لا بدّ فثلت لطعامه، و ثلث لشرا به، و ثلث لنفسه، و أمّا اللّواتي في اللحم فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشرة فقل: إن قلت عشرة لم تسمع واحدة، و من شتمك فقل له: إن كنت صادقا فيما تقول فاسأل الله أن يغفر لي، و إن كنت كاذبا فيما تقول فالله أسأل أن يغفر لك، و من وعدك بالخفاء فعده، بالنصيحة و الدّعاء، و أمّا اللّواتي في العلم فاسأل العلماء ما جهلت و إياك أن تسألهم تتعنا و تجربته، و إياك أن تعمل برأيك شيئا، و خذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلا و اهرب من الفتيا هربك من الأسد، و لا تجعل رقبتهك للناس جسرا، قم عنّي يا أبا عبد الله فقد نصحت لك و لا تفسد عليّ وردى، فإنّي امرء ضنين بنفسي و السّلام عليّ من اتّبع الهدى «١».

قوله: إياك أن تأكل ما تشتهي في بعض النسخ: ما لا تشتهي و لكلّ وجه، و قد تقدّم شطر من الخبر عند تفسير قوله: إياك نعبد مع بعض الكلام في شرحه و في هذين الخبرين الشّريفيين كفاية و بلاغ لقوم عابدين.

## تفسير فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ

أمر للتعجيز يظهر به عجزهم عن آخرهم عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه، مع شدة حرصهم و غايه أنفتهم و حميتهم، و توفر دواعيهم على المعارضة و المناقضة، و هم العرب الغرباء و مصاقع الخطباء، فأفحموا حتى كأنهم أبكموا، و قد سمعت في المقدمة العاشرة تمام البيان في وجوه إعجاز القرآن كما أنه قد مر في غيرها الكلام في اشتقاق السورة و معناها.

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ٢٢٤-٢٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٤٧

وقوع التحدي بكل سورة منه دليل على إعجاز كل منها و لذا نكرها.

و مِنْ مِثْلِهِ إِمَّا متعلق بمحذوف على أن يكون صفه للسورة أى بسورة كائنه من مثله، و الضمير لما نزلنا أو لعبدنا، فعلى الأول يحتمل أن يكون من بياتية على معنى تعلق الأمر التعجيزى بسورة هي مثل المنزل في حسن النظم و غرابه البيان فالمماثلة حينئذ في خصوص الكيفية، و ان تكون تبعيضية أى بسورة هي بعض مثل المنزل.

و ربما يقال: إن الأول أبلغ لإبهام الثاني بأن للمنزل مثلا محققا عجزوا عن الإتيان ببعضه، مع أن المماثلة المصرح بها ليست من تتمه المعجوز عنه حتى يفهم أنها منشأ العجز.

و فيه نظر لوقوع التحدي حينئذ ببعض المماثل لإظهار عجزهم عنه فضلا عن الكل مع حمل الموصولة على ما هي ظاهرة فيه من العموم، و من هنا يظهر أن الثاني أبلغ و أنسب، و أن تكون زائدة كما عن الأخفش أى بسورة مماثلة له و يؤيده قوله في موضع آخر فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ «١» و على الثاني «٢» تكون ابتدائية لأن السورة تكون مبتدئة ناشئة من مثل العبد.

و أما متعلق بقوله: فَأَتُوا فَالضمير للعبد، و يجوز أن يكون للمنزل على ما يأتي بيانه، لكنه في «الكشاف» «٣» قد اقتصر على الأول عاطفا له على الأولين، و لذا استشكلوا فيه حتى صار معركة للآراء و مطرحا لأنظار الفضلاء، سيما بعد ما استعمله العضدي عن علماء عصره بطريق الاستفتاء و هذه عبارته: يا أدلاء الهدى

(١) يونس: ٣٨.

(٢) تفسير البيضاوي ج ١ ص ٣٥.

(٣) الكشاف ج ١ ص ٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٤٨

و مصابيح الدجى حياكم الله و بياكم و ألهمنا بتحقيقه و إياكم ها أنا من نوركم مقتبس و بضوء ناركم ملتبس، ممتن بالقصور لا ممتن ذا غرور ينشد بأطلق لسان و أرق جنان:

ألا-قل لسكان وادى الحمى هنيئا لكم فى الجنان الخلود أفيضوا علينا من الماء أيضا فنحن عطاش و أنتم ورود قد استبهم صاحب الكشاف مِنْ مِثْلِهِ متعلق بسورة صفه لها أى بسورة كائنه من مثله و الضمير لما نزلنا أو لعبدنا، و يجوز أن يتعلق بقوله: فَأَتُوا و الضمير للعبد حيث جوز فى الوجه الأول كون الضمير لما نزلنا تصریحا و حصره فى الوجه الثانى تلويحا فليت شعرى ما الفرق بين فَأَتُوا بسورة كائنه من مثل ما نزلنا، و فَأَتُوا من مثل ما نزلنا بسورة، و هل ثمة حكمه خفيه أو نكتة معنوية أو هو تحكم بحت، بل هذا مستبعد من مثله، فإن رأيتم- كشف الرية و إماطة الشبهه و الإنعام بالجواب أثبتهم أجزل الأجر و الثواب، فأجاب عنه غير واحد ممن عاصره أو تأخر عنه كل منهم بشيء لا يخلو من شيء.

منها ما ذكره شيخنا البهائي طاب ثراه في رسالته صنفها في هذا الباب وهو أن الآية الكريمة ما نزلت إلا للتحدى الذي هو طلب المثل عمن لا يقدر على الإتيان به، فإذا قال المتحدى فأتوا بسورة بدون قوله من مثله، يفهم منه كل أحد أنه يطلب سورة من مثل القرآن، وإذا قال فاتوا من مثله، فالظاهر منه أنه يطلب ما يصدق عليه أنه مثل القرآن أي قدر كان سورة أو أقل منها أو أكثر، وإذا أراد المتحدى الجمع بين قوله بسورة وبين قوله من مثله فحق الكلام أن يقدم من مثله ويؤخر بسورة، ويقول: فاتوا من مثله بسورة حتى يتعلق الأمر بالإتيان من المثل أو لا بطريق العموم، وكان بحيث لو اكتفى به لكان المقصود حاصلًا والكلام مفيدًا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٤٩

لكن تبرع بيان القدر المأتي به فقال بسورة فيكون من قبيل التخصيص بعد التعميم في الكلام والتعيين بعد الإبهام وهذا الأسلوب مما يعتنى به البلغاء.

وأما إذا قال فأتوا بسورة من مثله، على أن يكون من مثله متعلقًا بفأتوا يكون في الكلام حشواً، وذلك لأنه لما قال: بسورة عرف أن المثل هو المأتي منه فذكر من مثله على أن يكون متعلقًا بفأتوا يكون في الكلام حشواً، وكلام الله تعالى متره عن هذا، فلهذا حكم بأنه وصف للسورة قال: وتلخيص الكلام أن التحدى بمثل هذه العبارة يقع على أربعة أساليب: الأول تعيين المأتي فقط، الثاني تعيين المأتي منه، الثالث الجمع بينهما على أن يكون المأتي منه مقدماً والمأتي به مؤخرًا، والرابع العكس، ولا يخفى أن أساليب الثلاث الأولى مقبولة عند البلغاء والأخير مردود.

أقول: وفيه أن اعجاز القرآن لما كان من جهة بلاغته الغريبة التي فاق بها على كل كلام كان التصريح على المثلية بعد ذكر السورة لزيادة التنبيه على بلاغته وإيقاظ المخاطب لزيادة التأمل في وجوه إعجازه، وهذه فائدة بليغة في المقام وأين هذا من الحشو في الكلام سيما في مقام التحدى وزيادة الاهتمام في رعاية المماثلة التي هي باعتبار الكيفية فلا يستغنى عنه بذكر السورة المنساقفة للتنبيه على الكمية، هذا مضافاً إلى ورود النقص عليه على فرض جعله وصفاً للسورة، وهو رحمه الله قد تنبه لذلك في أثناء كلامه ثم ذكر أن له فائدة جليئة وهي التصريح بمنشأ التعجيز فإنه ليس إلا وصف المماثلة وعند ملاحظة منشأ التعجيز أعنى مثليته يحصل الانتقال إلى أن القرآن معجز وأنت خبير بحصول الفائدة على فرض التعلق بفأتوا أيضاً بناء على كون من مثله في موضع المفعول وبصورة بدلا عنه حسبما يأتي بيانه.

ومنها ما ذكره التفتازاني وهو أن هذا أمر تعجيز باعتبار المأتي به، والدوق شاهد بأن تعلق من مثله بالإتيان يقتضى وجود المثل ورجوع العجز إلى أن يؤتى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٥٠

منه بشيء و مثل النبي صلى الله عليه وآله في البشريه والعريه موجود بخلاف مثل القرآن في البلاغه والفصاحه وأما إذا كان صفة السورة فالمعجز عنه هو الإتيان بالسورة الموصوفة ولا يقتضى وجود المثل بل ربما يقتضى انتفاؤه حيث يتعلق به أمر التعجيز، و حاصله أن قولنا آت من مثل الحماسة بيت يقتضى وجود المثل بخلاف آت بيت من مثل الحماسة.

ورده شيخنا البهائي رحمه الله بأنه مبني على كون القرآن كما له أجزاء و كون التعجيز راجعا إلى الإتيان بجزء منه، وأما إذا جعلناه كلياً يصدق على كله وبعضه، وعلى كل كلام يكون في لطيفه البلاغه القرآنية فلا نسلم أن الدوق يشهد بوجود المثل و رجوع العجز إلى أن يؤتى بشيء منه، بل الدوق يقتضى أن لا يكون لهذا الكلي فرد يتحقق والأمر راجع إلى الإتيان بفرد من هذا الكلي على سبيل التعجيز.

وفي كل من الجواب و الرد نظر أما في الأول فلأن دلالة على تحقق ثبوت المثل غير واضحة بل هو ظاهر الدلالة على فقدته و تعدده بعد حصول العجز عن الإتيان من مثله بسورة حيث أن من الواضح كون العجز ناشياً عن إيجاد المثل و اختلاقه لا عن مجرد الإتيان به مع تسليم الحمل على ظاهره و أما في الحقيقة فالإتيان بمثله ليس إلا على وجه الرسالة و نزول الوحي، و من البين أنه متعذر بالنسبة

إليهم و حيث إنهم عاجزون عن الإتيان فالتعجيز حاصل بالأمر بالإتيان، و ليس المراد أن المماثلة لا تتحقق إلّا بصفة كونه و حيا بل الإتيان بمثل هذا الكلام لا يمكن إلّا بالوحى.

و أما فى الثانى فلأنّ القرآن على فرض كونه كلياً يصدق على الكلّ و على البعض الذى يحصل به الاعجاز لكّنه لا يصدق على كلّ كلام يكون طبقه البلاغه القرآنية كما توهمه على أنه غير مذكور فى الآية رأساً بل الضمير للموصولة الظاهرة بعمومه فى الجميع و كونها كناية عن هذا المنزل الذى له أسماء باعتبارات شتى لا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٥١

يوجب اعتباره من حيث كونه مسمى للقرآن كما هو ظاهر.

و منها ما ذكره صاحب الكشف «١» فى حاشية الكشاف قال: إذا تعلق بسورة صفة له فالضمير للمنزل أو العبد و من بيانية أو تبعية على الأول لأنّ السورة المفروضة مثل المنزل على معنى سورة هى مثل المنزل فى حسن النظم أو لأنّ السورة المفروضة بعض المثل المفروض و الأوّل أبلغ و لا- يحمل على الابتداء على غير البعضية أو البيان فإنهما أيضا يرجعان إليه على ما اختاره الرزاقى و ابتدائية على الثانى، و أما إذا تعلق بالأمر فهى ابتدائية و الضمير للعبد إلّا أنه لا يبين إذ لا مبهم قبله و تقديره رجوع إلى الأول و لأنّ البيانية أبدا مستقرّ فلا يمكن تعلقها بالأمر و لا تبعض إذ الفعل حينئذ يكون واقعا عليه كما فى قولك: أخذت من المال و إتيان البعض لا معنى له بل الإتيان بالبعض فتعين الابتداء و مثل السورة و السورة نفسها ان جعل مقحما لا يصلحان مبدأ للإتيان بوجه فتعين أن يرجع الضمير إلى العبد و ذلك لأنّ المعبر فى مبدئية الفعل المبدء الفاعلى أو المادى أو الغائى أو جهة يتلبس بها و لا يصحّ واحد منها انتهى.

و حاصله أنه بطريق السبر و التقسيم حكم بتعيين كون من للابتداء ثم بين أن مبدئية الفعل لا يصلح إلّا للعبد فتعين أن يكون الضمير راجعا إليه و اعترضه شيخنا البهائى رحمه الله باحتمال كونه للتبعض إذ وقوع الفعل عليه لا يلزم أن يكون بطريق الأصالة بل يجوز أن يكون بطريق التبعية مثل أن يكون بدلا فكما يجوز أن يكون من الدراهم مفعولا صريحا فى المعنى على معنى بعض الدراهم فكذا يجوز أن يكون بدلا عن المفعول فكأنه قال بسورة بعض ما نزلنا فتكون بسورة مفعولا

(١) الكشف عن مشكلات الكشاف لعمر بن عبد الرحمن الفارسى القزوينى المتوفى سنة (٧٤٥) هـ - كشف الظنون ج ٢ ص ١٤٨٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٥٢

بواسطة الباء و تكون البعضية الاستفادة من من ملحوظة على وجه البدئية و يكون الفعل واقعا عليه بالتبع فيكون فى حيز الباء و إن لم يكن تقدير الباء عليه إذ قد يحتمل فى التابعية ما لا يحتمل فى المتبوعية كما فى قولهم ربّ شاء و سخلتها، هذا مضافا إلى جواز كونها للابتداء أيضا بناء على كون القرآن مبدأ ماديا للسورة من جهة التلبس و لا بأس به على ما نبه عليه فى كلامه فإنّ جهات التلبس أكثر من أن تحصى من جهة الكمية و لا تنتهى إلى حدّ من الحدود من جهة الكيفية و كون مثل هذا القرآن مبدأ ماديا للسورة من حيث التلبس أمر يقبله الذهن السليم و الطبع المستقيم، على أنك لو حققت معنى الابتدائية يظهر لك أن ليس معناه إلّا أن يتعلّق به على وجه اعتبار المبدئية الأمر الذى اعتبر له ابتداء حقيقة أو توهم بل عن التفتازانى أن كون مثل القرآن مبدأ ماديا للإتيان بالسورة ليس أبعد من كون مثل العبد مبدأ فاعليا و إن قيل إنه أبعد منه بكثير فإنّ الأوّل على وجه المجاز من جهة التلبس و الثانى على وجه الحقيقة إذ لو فرض وقوعه لا يكون العبد إلّا مؤلفا لتلك السورة مخترعا لها فيكون مبدأ فاعليا لها حقيقة و أين هذا من مجرد التلبس المصحح للسببية لكنّ الخطب سهل بعد اشتراكهما فى صحّة الإطلاق.

و منها ما هو المحكى عن حواشى الكشاف للقطب «١» رحمه الله من أنه إذا تعلق بقوله فأتوا فالضمير للعبد لأنّ من لا يجوز أن يكون للتبيين، لأنّ من البيانية تستدعى مبهما تبينه فتكون صفة له فتكون ظرفا مستقرا أو لغوا و أنه محال، و لا يجوز أن تكون للتبعض و إلّا لكان مفعول فأتوا لكن مفعول فأتوا لا يكون إلّا بالباء، فلو كان مثل مفعول فأتوا الزم دخول الباء فى من و هو غير جائز فتعين أن تكون

من للابتداء فيكون الضمير راجعا إلى العبد لأنّ مثل العبد هو مبدأ الإتيان لا

(١) هو قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي المتوفى سنة (٧١٠) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٥٣

مثل القرآن و هو قريب مما ذكره صاحب «الكشف» و قد سمعت الجواب عنه كما أنه قد ظهر لك من تضاعيف ما مرّ فساد ما ربما يذكر في المقام أيضا من الوجوه التي لا طائل تحت الاطناب بذكرها في المقام سيما بعد ما ظهر لك صحّة كون الضمير للمنزل مع فرض التعلّق بالفعل كما لعلّه ظاهر القول المحكى في «المجمع» و هو و إن لم يكن على حدّ غيره من الوجوه الثلاثة المتقدّمة في الظهور إلّا أن ذلك لا يقضى عليه بالفساد و لا يوجب ترك التّعرض لذكره في عداد المحتملات و لذا ترى صاحب الكشّاف و غيره يتصدّون لذكر الوجوه و المحتملات في الآيات من دون اقتصار منهم على خصوص الزّاجح منها في كلّ مقام، و من هنا يظهر أنّه لا وجه لترك التّعرض لما مرّ من الاحتمال و إنّ شيئا ممّا سمعت لا يصلح عذرا لذلك.

نعم قد يقال إنّ ردّ الضمير إلى المنزل أوجه، و ذلك لأوجه:

أحدها: المطابقة مع نظائره كقوله: فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ «١» و قوله فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ «٢» و قوله: عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ «٣».

ثانيها: أن البحث إنّما وقع في المنزل لأنّه قال: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا فَوْجِبْ صَرْفِ الضمير إليه فيفهم منه ضمنا إثبات نبوة المنزل عليه، و لو سيق الكلام للعكس لكان الأولى بالنظم أن يقال: و إن كنتم في ريب في أن محمّدا صلّى الله عليه و آله منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله.

ثالثها: أن الضمير لو كان عاييدا إلى القرآن لاقتضى كونهم عاجزين عن الإتيان بمثله سواء اجتمعوا أو تفرّدوا و سواء كانوا أميين أو كانوا عالمين محصّلين

(١) يونس: ٣٨.

(٢) هود: ١٣.

(٣) الإسراء: ٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٥٤

أمّا لو كان عاييدا إلى محمّد صلّى الله عليه و آله فذلك لا يقتضى إلّا كون آحادهم من الأميين عاجزين عنه لأنّه لا يكون مثل محمّد صلّى الله عليه و آله عندهم و في أنظارهم إلّا الشخص الواحد الامى فلو اجتمعوا و كان كلهم أو بعضهم قارئين لم يكونوا مثله إذ الجماعة لا تماثل الواحد و القارى لا يكون مثل الامى و من البين أن التحدى على الوجه الأوّل أقوى.

رابعها: أنّه مع عوده الى العبد لا دلالة فيه على كون السورة ينبغى أن يكون مثل ما أتى به محمّد صلّى الله عليه و آله في البلاغة و الفخامة و حسن النظم و الأسلوب و قضية التحدى التنبية عليه.

خامسها: إنّ عوده إلى العبد يوهّم إمكان صدوره ممّن لم يكن على صفته بأن كان ممارسا لدراسة العلوم و تتبّع الكتب.

سادسها: أن عوده إلى المنزل هو الملائم لقوله: وَاذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ و حرّره بعضهم بأنّ المعنى في قوله: وَاذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ إن كان، و ادعوا من حضركم إلّا الله فلا معنى للاستعانة بالكلّ على تقدير رجوعه إلى المنزل عليه، لأنّ المراد فأتوا بسورة من واحد آخر عربى مثله في الفصاحة و تركيب الكلام، و هذا ممّا لا حاجة فيه إلى الاستعانة سيما بجميع من سوى الله و ان كان المعنى و ادعوا الهتكّم و استظهروا بهم في المعارضة فلا يبقى للهتكّم معنى لأنّ الهتكّم نشأ من طلب الأصنام للإتيان بمثل المنزل و إذا كان من يطلب منه

المثل واحدا عرييا ولا ندخل لغيره في الإتيان به فلا يكون في دعوة الأصنام تهكم بل لا يكون لدعوتها للمعارضة معنى مناسب فيتنافر النظم أيضا وان كان المعنى و ادعوا زعمائكم الذين هم أمراء الكلام ليشهدوا انكم أتيتم بالمثل ففيه إيهام أن المأمور بالإتيان واحد من غيرهم فلا يتم الاعجاز بخلاف عوده إلى المنزل لعموم الخطاب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٥٥

هذا غاية ما وجه به الترجيح و كثير منه لا يخلو عن تكلف ثم أنه على فرضه لا يأبى عن الحمل على الوجه الاخر ايضا و لو على وجه التأويل بعد وروده في تفسير الامام عليه السلام فإنه قد فسره على الوجهين معا على ما مرّت عبارته عليه السلام. و قال عليه السلام مضافا إلى ما مرّ و إن كنتم يا أيها المشركون و اليهود و ساير النواصب المكذّبين لمحمد في القرآن و في تفضيله أخاه عليا المبرز على الفاضلين الفاضل على المجاهدين الذي لا نظير له في نصره المتقين و قمع الفاسقين و إهلاك الكافرين و بثه دين الله في العالمين، إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في ابطال عبادة الأوثان من دون الله و في النهي من موالاة اعداء الله و معادات أولياء الله، و في الحث على الانقياد لأخي رسول الله و اتخاذه إماما و اعتقاده، فاضلا راجحا لا يقبل الله ايمانا و لا طاعة إلا بموالاة و تظنون أن محمدا تقوله من عنده و ينسبه إلى ربه، فان كان كما تظنون فأتوا بسورة من مثله أي من مثل محمد صلى الله عليه و آله أمي لم يختلف قط إلى أصحاب كتب و علم و لا- تلمذ لأحد و لا- تعلم منه، و هو من قد عرفتموه في حضره و سفره، لم يفارقكم قط إلى بلد ليس معه منكم جماعة يراعون أحواله و يعرفون أخباره، ثم جاءكم بهذا الكتاب المشتمل على هذه العجائب، فان كان متقولا كما تظنون فأنتم الفصحاء و البلغاء و الشعراء و الأدباء الذين لا نظير لكم في سائر الأديان و من سائر الأمم، فان كان كاذبا فاللغة لغتكم و جنسه جنسكم، و طبعه طبعكم، و سيقف لجماعتكم أو لبعضكم معارضة كلامه هذا بأفضل منه أو مثله، لأن ما كان من قبل البشر لا- عن الله فلا- يجوز أن لا- يكون في البشر من يمكن من مثله، فأتوا بذلك لتعرضوه و سائر النظائر إليكم في أحوالكم أنه مبطل كاذب على الله.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٥٦

### تفسير و ادعوا شهداءكم من دون الله

يشهدون بزعمكم أنكم محقون، و أن ما تجيئون به نظير لما جاء به محمد صلى الله عليه و آله، و شهداءكم الذين تزعمون أنهم شهداؤكم عند رب العالمين لعبادتكم لها و تشفع لكم إليه، انتهت عبارته عليه السلام في هذا المقام «١». و قال عليه السلام متصلا بما مرّت حكايته آنفا ما عبارته: ثم قال لجماعتهم و ادعوا شهداءكم ادعوا أصنامكم التي تعبدونها يا أيها المشركون، و ادعوا شياطينكم يا أيها النصارى و اليهود، و ادعوا قرناءكم من الملحدين يا منافقي المسلمين من النصاب لآل محمد و سائر أعوانكم على ارادتكم إن كنتم صادقين بأن محمدا تقول هذا القرآن من تلقاء نفسه لم ينزله الله عزّ و جل عليه، و إن ما ذكره من فضل عليّ عليه السلام على جميع أمته و قلده سياستهم ليس بأمر أحكم الحاكمين «٢» و الشهداء جمع شهيد، و يكسر شينه على ما في القاموس، و يطلق بمعنى الحاضر، و القائم بالشهادة، و الأمين في شهادة، و الذي لا يغيب عن علمه شيء، و القتل في سبيل الله، لأن ملائكة الرحمة تشهده، أو لأن الله تعالى و ملائكته شهود له بالجنّة، أو لأنه ممن يستشهد يوم القيامة على الأمم الخالية، أو لسقوطه على الشاهدة و هي الأرض، أو لأنه حيّ عند ربه حاضر، أو لأنه يشهد ملكوت الله تعالى و ملكه على ما أشار إليها في «القاموس» و المعاني بجملتها كما ترى تدور على معنى الحضور، قال الله تعالى:

فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ «٣»

و في الخبر فيبلغ الشاهد الغائب.

و معنى دون أدنى مكان من الشيء و أصله التّفاوت في الأمكنة، يقال لمن هو

(١) تفسير الإمام عليه السلام ص ٢٠٠-٢٠١.

(٢) تفسير الإمام عليه السلام ص ١٥٤.

(٣) البقرة: ١٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٥٧

أنزل مكانا من الآخر: هو دون ذلك، فهو ظرف مكان مثل «عند» إلما أنه ينبئ عن دنو أكثر و انحطاط قليل، و منه تدوين الكتب لجمعه، فإنه إيداء البعض إلى البعض، و الشيء الدون للدنى الحقيق، و دونك هذا أصله خذه من دونك أى من أدنى مكان منك، و يقال: هذا دون ذاك إذا كان أحطّ منه قليلا حطّا محسوسا ثم استعير للتفاوت فى الأحوال و الرتب حتى صار استعماله فيه أكثر من الأصل فيقال: زيد دون عمرو فى الشرف و العلم، و منه قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حيث أثنى عليه بعض المنافقين: أنا دون ما تقول و فوق ما فى نفسك «١».

ثم اتسع فى هذا المستعار فاستعمل فى كلّ تجاوز حدّ إلى حدّ و إن لم يكن بينهما تفاوت قريب، و هو بهذا المعنى قريب معناه من معنى الغير، بل قيل: إنه بمعناه و لذا فسّره به شيخنا الطبرسى فى المقام «٢» و فى «القاموس» دون بالضمّ نقيض فوق، و يكون ظرفا و بمعنى أمام و وراء و فوق ضدّ، و بمعنى غير قيل: و منه ليس فيما دون خمس أواق صدقة «٣» أى فى غير خمس أواق، و بمعنى سوى قيل، و منه الحديث:

أجاز الخلع دون عقاص رأسها أى بما سوى عقاص رأسها «٤»، و معنى الشريف و الخسيس ضدّ، و بمعنى الأمر و الوعيد. ثم أنه فى الآية يمكن أن يكون بمعنى التّجاوز و هو الذى يقال إنّها أداة

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ١٧ ص ٤٦ طبع مصر سنة ١٣٧٨.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ١٣٦.

(٣) فى لسان العرب: فى حديث مرفوع: ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة. قال أبو منصور: خمس أواق: مأتا درهم.

(٤) فى لسان العرب: الخلع تطليقة بائنه و هو ما دون عقاص الرأس يريد أنّ المختلعة إذا افتدت نفسها من زوجها بجميع ما تملكه كان له أن يأخذ ما دون شعرها من جميع ملكها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٥٨

استثناء، و يكون بمعنى غير كما فى قوله:

يا نفس ما لك دون الله من واق و ما للبع بنات الدهر من راق «١». و على هذا فالشهاد بمعنى القائم بالشهادة، فان كان الظرف مستقرا على أن يكون حالا و أريد بالشهداء الأصنام فالمعنى أدعوا من اتّخذتموهم آلهة متجاوزين المعبود الحقّ فى دعواكم ألوهيتها و زعمكم أنّها شهداؤكم و شفعاؤكم يوم القيامة، كأنه قيل أدعوهم ليعينوكم فى معارضة القرآن المعجز.

و فيه تهكمّ بهم من جهة الاستظهار بالجماد، و تنبيه لهم بأنّها من الله بمكان، و مبالغة فى التهكمّ من حيث إنّهم يدعون أنّهم شهداء عند الله ثم يجعلونه شركاءه، و ترشيح له للدلالة على أنّهم معروفون بنصرتهم و شهادتهم، و لذا أمرهم بالاستظهار بهم.

و ان أريد به الشهود على الحقيقة فالمعنى أدعوا أشرافكم و رؤسائكم الذين هم أمراء الكلام و فرسان المقابلة ليشهدوا أنّكم أتيتم بمثل القرآن متجاوزين اولياء الله الذين لا شهادة عندهم بذلك، يعنى أنّ أشرافكم أيضا لا يشهدون بذلك حيث تأبى عليهم الطباع و تجمع بهم الأنفة أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحّة الفاسد البين عندهم فساد، فالكلام على إضمار مضاف أى من دون اولياء الله، فانّ شهداءهم اولياءهم، و على هذا للدعاء لإقامة الشهادة بأنّ ما أتوا به مثل، و فيه دلالة على أنّ عجزهم بمكان و أنّ اولياءهم و هم

أصحاب المعارضة بالحقيقة معترفون بأنه لا مثل

(١) أمية بن أبي الصلت الشاعر الجاهلي الحكيم لم يوفق للإسلام و مات سنة (٥) هـ و المراد بنات الدهر: الحوادث استعارة، و كلمة (من) في الموضوعين زائدة لتوكيد الاستغراق، أى لا حافظا لك إلا الله، و لا جابر لك إلا هو.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٥٩

له، و إنما سمّاهم شهداء لأنهم القائمون لهم بالشهادة، أو لأنهم يشاهدونهم عند المعاونة، و الشهيد بمعنى المشاهد كالجلس و الأكيل، و يمكن أن يكون الدعاء للاستظهار و الاستعانة، و للأعم من أمرين بناء على عموم المجاز في الشهادة أيضا، أو على أن يكون صفة لكته على ما قيل حكاية لمعتقدم الباطل لزيادة التهكم لا ابتداء خطاب منه تعالى، فإن الدعاء غير متعلق حينئذ بقوله من دون الله أصلا، مع أن الشرط في إطلاق «دون» التقابل أو التداخل، و من البين أن قيام الأصنام بالشهادة أنهم يشهدون لهم يوم القيامة و القيام بالشهادة في حقّه تعالى أن يقولوا الله شاهد على ما نقول، و لا تقابل بينهما حتى يمنع أحدهما و يثبت الآخر بل الجمع بينهما أظهر بالنسبة إلى مقاصدهم و لا إخراج إذ لا دخول، لكته قد يمنع الشرط المذكور و كذا معنى القيام بها في حقّه، و ان كان الظرف لغوا متعلقا بأدعوا فالمعنى أدعوا أوليائكم و لا تدعوا أوليائه، بناء على ما سمعت من الإظهار، و يرجحه أصل التعلق بالفعل و صراحة إخراجهم من تعلق الدعاء بهم، و هو لإقامة الشهادة فيفيد التهكم، و لو قيل لا تستظهِروا بالله فإنه القادر عليه لفات معنى التهكم إلى الأمر بالامتحان لتبين العجز مع أنه لا يصح استثناء الباري حينئذ لعدم دخوله في الشهيد بالمعنى المتقدم، أو أن المعنى أدعوا شهداء من البشر، و لا تستشهدوا بالله و لا تقولوا الله يشهد أن ما ندعيه حقّ كما يقوله المبهور العاجز عن إقامة الحجّة على صحّة دعواه، و فيه تعجيز و تبكيت لهم و بيان لدحوض حجّتهم و انقطاع كلمتهم، و أنه لم يبق لهم متشبّث غير قولهم: الله يشهد إنا صادقون، و إن كان الشهيد بمعنى الحاضر فالظرف إمّا متعلق بالفعل و المعنى أدعوا من يحضركم من دون الله أى إلا الله فإنه

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٦٠

أيضا حاضر، و الحاصل استعينوا بغير الله و لا تستعينوا به، و أنا متعلق بشهادتك أى حاضرين كائنين من دون الله، و يمكن أن يكون دون بمعنى قدام حيث أنها جهة دانية من الشيء كما في قول الأعشى «١»:

تريك القذى من دونها و هي دونه

أى تريك القذى قدامها و هي قدام القذى.

فالشهيد بالمعنى الأوّل و دون ظرف له لغو، و المعنى: أدعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله للاستظهار بهم في المعارضة لا في أداء الشهادة بين يدي الله تعالى، و فيه تهكم و ترشيح، و من محمولة على التبعض، لأن الشهادة كالجلوس و نحوه يقع في بعض تلك الجملة، أو لأن صاحبها في بعضها.

و هذه الوجوه العشرة و إن ذكرت على وجه الاحتمال إلا أن بعضها بمكان من الضعف و لعله لا مانع من الحمل على الجلب بل الكل بناء على عموم المجاز أو جواز الاستعمال في الجميع مطلقا على ما مرّ غير مرّة أو في خصوص الآيات القرآنية.

### تفسير إن كنتم صادقين

و قوله إن كنتم صادقين شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، و المعنى إن كنتم صادقين، أنه من كلام البشر و أن محمدا تقوله من تلقاء نفسه إلى آخر ما مرّ عن التفسير أو أنكم مرتابون في التنزيل أو في المنزل فأتوا بسورة.

و «إن» دخلت هاهنا لغير شك لأن الله تعالى علم أنهم مرتابون، و لكنّ الله خاطبهم على عادتهم في الخطاب فيستعمل مع العلم بكلّ من الطرفين كما في



(١) الأعمشى: عامر بن الحارث بن رباح الباهلى شاعر جاهلى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٦١

طرفى الآيه.

و كما

فى قول الصادق عليه السلام لابن أبى العوجاء: إن كان الأمر كما تقول و هو كما نقول نجونا و هلكتم و إن كان الأمر كما تقولون و هو ليس كما تقولون كنا و إياكم شرعا سواء و لا يضرننا ما صلينا و صمنا و زكينا و أقرنا «١».

و الصدق هو الإخبار المطابق، و قيل: منع اعتقاد المخبر أنه كذلك، و ستمنع إن شاء الله تعالى تمام الكلام فى سورة المنافقين. و الآيه دليل على صحه نبوه نبينا صلى الله عليه و آله و ان الله تعالى تحدى بالقرآن و ببعضه على ما مرّ التقريب فى المقدمات فى باب وجوه اعجاز القرآن.

### [سورة البقرة (٢): آية ٢٤]

#### إشارة

تفسير الآيه (٢٤) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ تَقَرُّوعًا وَ تَبَكُّوعًا وَ تَهَكُّوعًا وَ تَعَجُّوعًا وَ عِظَّةً وَ وَعِيدًا وَ إِعْجَازًا بَعْدَ إِعْجَازٍ بِوَجْهِهِ مِنَ الْإِعْجَازِ وَ ذَلِكَ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ لَمَّا أُرْشِدَهُمْ إِلَى مَا هُوَ قَضِيَّةٌ عَقُولُهُمْ مِنَ الْجَهَّةِ الَّتِي يَتَعَرَّفُونَ بِهَا أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ مَا جَاءَ بِهِ حَتَّى يَعْثُرُوا عَلَى حَقِّقَتِهِ وَ صِدْقِهِ وَ يَضْطَرُّهُمْ عَقُولُهُمْ إِلَى تَصْدِيقِهِ بَعْدَ النَّظَرِ فِي مَعْجَزَتِهِ وَ عِجْزِهِمْ مِنَ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا وَ لَوْ مَعَ الْإِسْتِظْهَارِ بِمَنْ شَاءَ مِنَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ قَالَ لَهُمْ، فَإِذَا لَمْ تَعَارِضُوهُ وَ ظَهَرَ عِجْزُكُمْ جَمِيعًا عَنِ الْإِتْيَانِ بِشَيْءٍ مِّمَّا يَسَاوِيهِ أَوْ يَدَانِيهِ فَقَدْ صَرَّحَ لَكُمْ الْحَقُّ عَنِ مَحْضِهِ وَ اسْتِدَارَ الصَّدَقَ عَلَى قُطْبِهِ وَ اضْطَرَّكُمْ عَقُولُكُمْ إِلَى وَجوبِ التَّصْدِيقِ بِهِ، فَاتْرَكُوا الْعَصْبِيَّةَ وَ جَانَبُوا الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ وَ آمَنُوا بِهِ وَ خَافُوا الْعَذَابَ الْمَعْدَّ لِمَنْ كَذَّبَ فَكَانَهُ

(١) بحار الأنوار ج ٣ ص ٣٥ عن الاحتجاج.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٦٢

سبَّحَانَهُ مَرْتَبَ عَلَى ذَلِكَ الْإِرْشَادِ تَكْمِيلًا لَهُ شَرْطَيْنِ: أَحَدُهُمَا مَحْذُوفُهُ الْجِزَاءِ وَ الْآخَرَى مَحْذُوفُهُ الشَّرْطِ، وَ الْمَعْنَى إِذَا لَمْ تَعَارِضُوهُ فَقَدْ ظَهَرَ لَكُمْ صِدْقُهُ، وَ إِذَا ظَهَرَ لَكُمْ صِدْقُهُ فَآمَنُوا بِهِ وَ اتَّقُوا النَّارَ حَيْثُ إِنَّ الْإِيمَانَ بِهِ حَيْثُ وَاجِبٌ يَعَاقِبُ تَارِكُهُ وَ يَثَابُ فَاعِلُهُ. لَكِنَّ الْأَظْهَرَ كَمَا قِيلَ إِنَّ هَذَا بِاعْتِبَارِ تَقْرِيرِ الْمَعْنَى وَ بَيَانِ الْمَلَاذِمَةِ مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ شَرْطٌ مَحْذُوفٌ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ كَوْنَ سَبَبِ السَّبَبِ سَبَبًا يَكْفَى فِي ارْتِبَاطِ الْمَسَبِّبِ بِهِ بِكَلِمَةِ الشَّرْطِ مِنْ غَيْرِ إِضْمَارٍ أَوْ حَذْفٍ، وَ لَيْسَ كَلِمًا كَانَتْ الْمَلَاذِمَةُ مَحْتَاجَةً إِلَى وَسْطٍ يَقْدِرُ هُنَاكَ حَذْفٌ، وَ لِذَا لَمْ يَلْتَزِمُوا بِهِ فِي قَوْلِكَ كَلِمًا كَانَتْ الشَّمْسُ طَالِعَةً كَانَتْ الْأَرْضُ مُسْتَضِيئَةً، بَلْ وَ كَذَا لَوْ لَمْ يَكُنِ اللَّازِمُ يَبِينُ التَّفَرُّعَ بَلْ كَانَ مَحْتَاجًا إِلَى الْبَيَانِ كَقَوْلِكَ كَلِمًا كَانَ مَحْدَدَ الْجِهَاتِ مَوْجُودًا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ كَرُوبًا.

وَ عَبَّرَ عَنِ الْإِتْيَانِ وَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ بِالْفِعْلِ الَّذِي يَنْزِلُ فِي الْأَفْعَالِ مِثْلُ الضَّمِيرِ فِي الْأَسْمَاءِ إِذْ مَبْنَى كُلِّ مِنْهُمَا عَلَى الْإِخْتِصَارِ وَ دَفْعِ التَّكْرَارِ، وَ هَذَا فَنٌّ مِنَ الْبَلَاغَةِ يَسْمُونَهُ إِجْزَازَ الْقَصْرِ حَيْثُ وَقَعَ الْفِعْلُ وَحْدَهُ مَوْجِعَ الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ مَعَ الْإِسْتِعَانَةِ بِمَنْ شَاءُوا وَ هُوَ أَبْلَغُ مِنْ حَذْفِ مَتَعَلَّقِ الْإِتْيَانِ، وَ أَمَا جَعَلَهُ مُطْلَقًا كِنَايَةً عَنْهُ مَقِيدًا بِمَا تَعَلَّقَ بِهِ فَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ وَ صَمَهُ التَّكْرَارِ.

ثُمَّ إِنَّ الْفِعْلَ لَا يَقْدَرُ لَهُ مَفْعُولٌ أَصْلًا لِجَعْلِهِ كِنَايَةً وَ عُمُومَ مَعْنَاهُ لِسَائِرِ الْأَفْعَالِ وَ كَوْنِهِ مِنْ بَابِ يُعْطَى وَ يَمْنَعُ حَيْثُ إِنَّ الْمُرَادَ بِهِمَا الْغَرَائِزَ

أو مجرد صدور الفعل كما أنه قد سبق الخطاب في المقام للاخبار عن نفى القدر و صدر الشرطية «بان» الذي للشك دون «إذا» الذي للوجوب مع أن المقام يقتضيه نظرا إلى أنه سبحانه لم يكن شاكًا في عجزهم و لذا اعترض بين الشرط و الجزاء بما يدل على تأييد نفى إتيانهم بمثله لسوق الكلام معهم على حسب حسابهم حيث قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا فكانوا على طمعهم في التمكن من المعارضة متكئين على ما كانوا عليه من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٦٣

الفصاحة و اقتدارهم على أفانين الكلام، و ذلك قبل التأمل منهم من دون أن ينقطع عن قلوبهم عرق العصبية أو تنقشع عن أبصارهم عشوة الجهالة، و للتهكم بهم كما يقول الموثوق بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة إن غلبتك لم أبق عليك، و هو يعلم أنه غالبه تهكمًا به. و «تفعلوا» مجزوم بلم لأنها واجبة الأعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول، دون حرف الشرط و لأنها لما دخلت على المضارع صيرته ماضيًا منفيا فصارت كالجزء منه، و مدخول الشرط هو المنفى المعمول فكأنه قال فان تركتهم الفعل، و لذا ساغ اجتماعهما. و «لا» و «لن» أختان في نفى المستقبل إلا أن «لن» أبلغ و أدل على تأييد النفي و تأكيده توكيده، و الأقرب أنه حرف مقتضب للدلالة على النفي و الاستقبال، و زعم الفراء «١» أن أصله و أصل لم لا فأبدلت الألف ميما في أحدهما و نونا في الآخر، و الخليل «٢» في إحدى الروايتين و الكسائي «٣» أن أصله لا أن فحذفت الهزمة تخفيفا و الألف للسكون، و للفرقيين وجوه ضعيفة، و الأظهر الأشهر ما مر، نعم قد أنكر نجم الأئمة «٤» و ابن هشام «٥» و صاحب «القاموس» كونه للتأييد و التأكيد لفقد الدليل و لأنه لو كان للتأييد لم يقيد منفيه باليوم في قوله:

(١) الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ابو زكرياء النحوى الكوفى ولد سنة (١٤٤) ه و مات سنة (٢٠٧) ه

(٢) خليل بن أحمد الفراهيدى الأديب اللغوى المولود (١٠٠) و المتوفى (١٧٠).

(٣) الكسائي: على بن حمزة بن عبد الله الكوفى المقرء النحوى اللغوى المتوفى (١٨٩) ه

(٤) نجم الأئمة محمد بن الحسن الاسترابادى المعروف بالشارح الرضى المتوفى (٦٨٦) ه

(٥) ابن هشام: عبد الله بن يوسف المصرى النحوى المتوفى (٧٦١) ه

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٦٤

فَلَنْ أَكَلَّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا «١»، و لكان ذكر الأبد فى قوله وَ لَنْ يَتَمَمَّوْهُ أَبَدًا «٢» تكرارا و الأصل عدمه.

و فى الكل نظر أما فقد الدليل فلتصريح جملة من اللغويين و كثير من المفسرين كشيخنا الطبرسى فى مواضع من مجمعه، و الزمخشرى، و الرازى، و البيضاوى، و غيرهم ممن يعتبر قولهم فى تعيين الأوضاع على ذلك و شهادة الإثبات مقدّمة، و لعل فى التبادر شهادة أخرى أيضا و يدل عليه أيضا ما فى تفسير الامام عليه السلام حيث صرح بالتأييد فى تفسيره على ما يأتى «٣». و أما الآية الأولى فاليوم قرينة على نفى التأييد، و ان أفاد التأكيد أيضا، و نظيره فى الإثبات زيد قائم و ان زيدا قائم. و أمّا الثانية فمن البين أنه ليس تكرارا بلفظه و لا- بمرادفه بل دل بالمطابقة على ما يفهم غيرها دفعا لاستبعاد نفى تمنى الموت على جهة التأييد.

فان قلت: إن حاصل الشرطية تعليق الأمر بالاتقاء و إيجابه على العجز عن الفعل الذى هو الإتيان بسورة من مثله فيما مضى و فيما يأتى و أتى لهم العلم بذلك حتى يتنجز عليهم وجوب الإيمان بل لا يكفى مجرد العلم لمغايرته لأبدية نفى الفعل الذى هو الشرط.

قلت من البين أن قوله: لَنْ تَفْعَلُوا معترضة بين الشرط و الجزاء فالجملة الأولى هى الشرط، و هو كاف فى الحجّة عليهم مضافا إلى ما ظهر عنهم من أنه ليس فى قوة البشر الإتيان بشىء من مثله أبد الدهر، فكانت الجملة الثانية تعبير عن

(١) مريم: ٢٦.

(٢) البقرة: ٩٥.

(٣) تفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام ص ١٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٦٥

انتفاء القدرة التي هي الأصل في الفعلية، ولذا كان يتحداهم بقوله: لِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «١».

و وضع الأمر بالاتقاء موضع الأمر بالإيمان و ترك العناد بعد ما صحَّ عندهم صدق النبي صلى الله عليه و آله يتبين عجزهم عن المعارضة ايجازاً و تهويلاً لشأن العناد و تصريحاً بالوعيد الذي هو أنسب بالمقام و انجازاً له حيث طوى ذكر الوسائط بين ترك الفعل و اتقاء العذاب تنبيهاً على أنهم من أهله و مستحقوه.

و تعريف النار للإشارة إلى الحقيقة التي تجمع الأوصاف المعهودة المعلومة فضلاً عن المذكورة في المقام.

و أمياً ما يقال: من أنه نزلت بمكة الآية التي في سورة التحريم و فيها ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ «٢» فعرفوا فيها ناراً موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشاراً بها إلى ما عرفوه أولاً «٣».

ففيه مع الغض من كون ما في التحريم خطاباً للمؤمنين و هذه للكفار أن سورة التحريم مدنية اتفاقاً، و خروج الآية عنها بعيد جداً، و ما صححوه عن ابن عباس و غيره يقتضى عكس ما ذكره في المقام.

قال الإمام عليه السلام في تفسير الآية فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا هَذَا الَّذِي تَحَدِّثُكُمْ بِهِ وَلَنْ تَفْعَلُوا أَى و لا يكون ذلك منكم و لا تقدرين عليه، فاعلموا أنكم مبطلون، و أن محمداً صلى الله عليه و آله الصادق الأمين المخصوص برسالة رب العالمين، المؤيد بالروح

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) قاله الزمخشري في الكشاف ج ١ ص ١٠٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٦٦

الأمين، و بأخيه أمير المؤمنين و سيد الوصيين، فصدقه فيما يخبركم به عن الله تعالى من أوامره و نواهيه و فيما يذكره من فضل على عليه السلام و وصيته و أخيه فاتقوا بذلك عذاب النار التي وَقُودُهَا و حطبها النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ حجارة الكبريت أشد الأشياء حرّاً أُعِدَّتْ تلك النار «لِلْكَافِرِينَ» بمحمد و الشاكين في نبوته و الدافعين لحق أخيه على و الجاحدين لإمامته «١».

و توصيف النار بأن وقودها الناس و الحجارة للمبالغة في الزجر و التخويف بتحويل صفتها و تفضيع أمرها و تفاقم لهبها.

و قال عليه السلام في موضع آخر فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا أَى إن لم تأتوا يا أيها المقرعون بحجة رب العالمين و لن تفعّلوا أَى و لا يكون ذلك منكم أبداً فاتقوا النار التي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ توقد فتكون عذاباً على أهلها أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ المكذبين بكلامه و بنيته، الناصبين العداوة لوليه و وصيته، قال فاعلموا بعجزكم عن ذلك أنه من قبل الله و لو كان من قبل خلق الله لقدرتهم على معارضته فلما عجزوا بعد التقرع و التحدي قال الله قُلْ لِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «٢» «٣».

و ما يقال من أن صلة الموصول أو خصوص اللفظي و التي يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب، و هؤلاء المكذبون للنبي بل المنكرون للمعاد كيف علموا أن نار الآخرة توقد بالناس و الحجارة.

ففيه أنه قد مر المنع عن ذلك مع أنهم كانوا ممن تمت عليهم الحجة و حقت

(١) تفسير الإمام عليه السلام ص ٢٠١-٢٠٢.

(٢) الإسراء: ٨٨.

(٣) تفسير الامام عليه السلام ص ١٥٤ و عنه البحار ج ٨ ص ٢٩٩ ح ٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٦٧

عليهم الكلمة وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا «١» فإذا سمعوا بمثل هذه الآية تتلى عليهم حصل لهم العلم بما تضمنته من الوعيد الشديد و التهويل الفظيع مثل ما يحصل من تذكار من كان له علم سابق بذلك بل و أعظم و أفضح.

مضافا إلى ما قد يجاب من أنه لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب أو سمعوه من رسول الله صلى الله عليه و آله أو سمعوا قبل هذه الآية قوله في سورة التحريم نارا وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ «٢» و الوقود بالفتح ما يوقد به النار من حطب و غيره كالوقود بالفتح لما يتوضأ به، و قد يجيء مصدرا لكن الأغلب فيه على ما صرح به سيبويه و غيره الضم و قرأ به عيسى بن عمر الهمداني «٣» على ما في «الكشاف» «٤»، و غيره بل في «القاموس» بعد تفسير الوقود محركةً و ساكنةً و الوقود بالضم و الفتح بالنار و اتقادها: أن الوقود كصبور: الحطب كالوقاد و الوقيد و قرء بهن.

لكنه لا يخفى أن الثلاثة من الشواذ مضافا الى ضعف الراوى و المروى عنه، و عموم قوله عليه السلام «اقرأوا كما يقرأ الناس» «٥» منصرف عن مثله، فلا حاجة إلى التكلف لتصحيحه باستعماله بمعنى المفعول مجازا لغويا بأن يراد به ما يتوقد به كما يراد بفخر قومه ما يفتخرون به، و بزین بلده ما يتزين به بلده، أو بالتزام التجوز في الإسناد كما في قولك: حياة المصباح السليط، أى الزيت الجيد، أو بحذف مضاف

(١) النمل: ١٤.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) هو عيسى بن عمر ابو عمر الهمداني الكوفي القارئ الأعمى المتوفى (١٥٦) - غاية النهاية ج ١ ص ٦١٢.

(٤) الكشاف ج ١ ص ٢٥٠ قال: و قرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم (أى بضم الواو) تسمية بالمصدر كما يقال: فلان فخر قومه و زين بلده.

(٥) وسائل الشيعة ج ٦ ص ١٦٣ ح ٧٦٣٠ وفيه: «اقرأ كما يقرأها الناس حتى يقوم القائم».

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٦٨

أى وقودها احتراق الناس و الحجارة.

نعم على القراءة المشهورة يحتمل المصدرية على أحد الوجهين لكنه مدفوع بالمرجوحية و بنص الإمام عليه السلام في تفسيره على ما مر «١».

و الحجارة جمع حجر، و هى الصخرة و الذهب، و الفضة، و الرمل، و تجمع على أحجار، و أحجر، و حجارة، و حجار، و لعل هذه المادة مأخوذ فيها الامتناع و التصلب، فالحجر بالكسر، العقل المانع عن ارتكاب القبائح، و المحجور عليه هو الممنوع عن التصرف، و هو فى حجره: فى كنفه و حمايته و منعته، بل المناسبة أيضا ظاهرة فى اطلاق الحجر على القرابة، و الحرام، و الحجرة على البيت، و الحجر على الصخرة و استحجار الطين على تصلبه.

و المراد بها فى المقام على ما مر فى كلام الإمام عليه السلام «٢» حجارة الكبريت.

و فى الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام لقد مررنا مع رسول الله صلى الله عليه و آله بجبل و إذا الدموع تسيل من بعضه، فقال

له ما يبكيك يا جبل فقال يا رسول الله كان المسيح مربي و هو يخوف الناس بنار وقودها الناس و الحجارة فانا أخاف أن أكون من تلك الحجارة قال صلى الله عليه و آله لا تخف تلك حجارة الكبريت فقرّ الجبل و سكن و هدا «٣».

و في «البصائر» بالإسناد عن ابراهيم بن عبد الكريم الانصارى «٤»

أن رسول الله صلى الله عليه و آله دخل هو و سهل بن حنيف و خالد بن أيوب الانصارى حائطا من حيطان

(١) تفسير الإمام عن علي بن الحسين عليه السلام ص ٢٠٢.

(٢) تفسير الإمام عليه السلام ص ٢٠٢.

(٣) البحار ج ١٠ ص ٤٠ عن الاحتجاج ص ١١١ - ١٢٠.

(٤) في البحار: عبد الأكرم الانصارى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٦٩

بنى التجار، فلما دخل ناداه حجر على رأس بئر لهم عليها السواني «١» يصيح عليك السلام يا محمد اشفع إلى ربك أن لا يجعلني من حجارة جهنم التي يعذب بها الكفرة، فقال النبي صلى الله عليه و آله و رفع يديه: اللهم لا تجعل هذا الحجر من أحجار جهنم ثم ناداه الرمل، السلام عليك يا محمد و رحمة الله و بركاته، أدع الله ربك أن لا يجعلني من كبريت جهنم فرجع النبي صلى الله عليه و آله يده و قال اللهم لا تجعل هذا الرمل من كبريت جهنم «٢» الخبر.

و في الخرائج من معجزاته صلى الله عليه و آله أنه لما غزا تبوك كان معه من المسلمين خمسة و عشرون ألفا سوى خدمهم فمرّ صلى الله عليه و آله في مسيره بجبل يرشح من أعلاه إلى أسفله من غير سيلان قالوا ما أعجب رشح هذا الجبل فقال صلى الله عليه و آله أنه يبكي قالوا و الجبل يبكي؟ قال صلى الله عليه و آله أ تحبون أن تعلموا ذلك؟ قالوا: نعم، قال عليها السلام: أيها الجبل ممّ بكائك فأجاب الجبل و قد سمعه الجماعة بلسان فصيح يا رسول الله مربي عيسى بن مريم و هو يتلو نار وقودها الناس و الحجارة، فأتى أبكى منذ ذلك اليوم خوفا من أن أكون من تلك الحجارة، فقال صلى الله عليه و آله اسكن مكانك فلست منها، إنما تلك الحجارة في حجارة الكبريت فجفّ ذلك الرشح من الجبل في الوقت حتى لم ير شيء من ذلك الرشح و من تلك الرطوبة التي كانت «٣».

و هذا التفسير حكاه شيخنا الطبرسي عن ابن مسعود و ابن عباس «٤» و أميا ما ذكره الزمخشري و تبعه الرازي و القاضي من أنه تخصيص بغير دليل و ذهاب عما هو

(١) السواني جمع السانية: الساقية أو الناعورة.

(٢) بحار الأنوار ج ١٧ ص ٣٧٤ عن البصائر ص ١٤٨.

(٣) البحار ج ٨ ص ٢٩٧ ح ٥ عن الخرائج ص ١٦.

(٤) مجمع البيان ج ١ ص ١٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٧٠

المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل «١» بل علل الأخير كونه إبطالا- للمقصود بأن الغرض تهويل شأنها و تفاقم ليهيأ بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها، و الكبريت تتقد به كل نار و إن ضعفت فإن صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى به أن الأحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران «٢».

ففيه أن ضعف الوجهين واضح، أما الأول فلصحة النقل من طرفنا بل و من طريق من خالفنا فإنهم حكوه في تفسير الآية عن ابن مسعود كما رواه عنه الطبراني و الحاكم و البيهقي و غيرهم و عن ابن عباس كما رواه ابن جرير «٣» و غيره.

و أمّا الثاني فلأنّ حجارة الكبريت أشدّ حرّاً و ضرّاً و أسرع وقوداً و أبطأ خموداً و أكثر التهاباً و أفضع ايلاماً، و تزيد على غيرها من الأحجار بشدّة تنن الرّيح و السيلان على الأبدان و الالتصاق بها و الإحاطة عليها بحرارتها المنضّمة إلى حرارة النّار فهي نار جامدة إذا مسّتها النّار ذابت ناراً، ألا ترى أنّ الرّيح إذا هبت على بعض الجبال الكبريتية عادت سموماً كالحميم، ما تدرّ من شئٍ أتت عليه إلّا جعلته كالرّميم «٤».

على أنّ ما استفادوه من الحصر و الاختصاص ممنوع بل هو على فرضه ملحوظ باعتبار آخر، و هو صيرورة الأحجار كبريتاً في جهنّم كما يومئ إليه «خبر البصائر» في دعائه صلّى الله عليه و آله للرّمّل أن لا يجعله الله من كبريت جهنّم «٥»، و لذا نقول إنّها تشمل الأصنام المتخذة من الحجارة، بل المتخذ من المعادن و الفلزات و غيرها بناء

(١) الكشاف ج ١ ص ٢٥٢.

(٢) تفسير البيضاوى ج ١ ص ٥٨.

(٣) تفسير الطبرى ج ١ ص ١٩٣-١٩٤.

(٤) الذاريات: ٤٢.

(٥) البصائر: ١٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٧١

على أنّها لا تسمع و لا تبصر و لا تنفع و لا تضرّ فهي كالأحجار.

و إنّما قرن الناس بالحجارة و معهم وقوداً لأنهم قرنوا بها أنفسهم فى الدّنيا حيث نحتوها أصناماً و جعلوها لله أنداداً، و عبدوها من دونه، و جعلوها شفعاء له و شهداء عليهم، استجلبوا بها المسار، و استدفعوا بها المضار فقرنها الله معهم فى عذاب النّار كما قال: إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ «١» فكان هذه الآية مفسّرة لما نحن فيه على بعض الوجوه فقوله: إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فى معنى الناس و الحجارة و حَصَبُ جَهَنَّمَ فى معنى وقودها فعذبوا بما هو منشأ جرمهم إبلاغا فى إيلاهمم و إغراقاً فى تحسيرهم حيث عاد نفعها عليهم ضرّاً و خیرها عليهم شرّاً كما عذب الكافرون بما كنزوه من الدّهب و الفضة التى شحّوا بها، و منعوها عن حقوقها و جعلوها عدّة و ذخيرة ليوم فافتهم، فعادت عليهم، و بالا و نکالا يوم يُحْمى عَلَيْهَا فى نارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون «٢».

و من هنا يظهر الوجه فيما يقال من تفسير الحجارة فى المقام بالجوهرين اللذين قد سمعت اطلاق الحجر عليهما كما صرح به فى «القاموس» و غيره.

فهذه أقوال ثلاثة لا تمنع من إرادتها جميعاً.

و أمّا ما يقال من أنّ المراد أنّ أجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التى توقد بها النّار بتبقية الله إياها، و ربّما يؤيد بقوله: كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ «٣» الآية،

(١) الأنبياء: ٩٨.

(٢) التوبة: ٣٥.

(٣) النساء: ٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٧٢

أو أنّهم يعذبون بالحجارة المحمّاء بالنّار، أو أنّ المراد بذكر الحجارة الإشعار على عظم تلك النّار، لأنّها لا تأكل الحجارة إلّا و هى فى

غاية الفطاعة والهور، أو أن المراد بالناس حدود الإنسانيّة وبالجملة حدود الجسمانيّة، فالمعنى أن ما بين الحدّين داخل في وقودها، لانحطاطهم عمّا خلقوا لأجله، و تردّدهم بين الحدّين، فالخطب فيها هيّن بعد رجوع بعضها إلى ما مرّ و مخالفة غيره لظاهر القرآن و الخبر، نعم يمكن أن يقال بعد النظر إلى ما مرّ من الكلام في مادّة الحجر أن المراد بالحجارة في تفسير الباطن هي القلوب القاسية التي هي للمنافقين و الكفار و المشركين فإنّ قلوبهم في الحقيقة حجارة جامدة من نار تصلّبت بطبخ حرارة النار، و رطوبة الحميم في جحيم العناد و العصيان، و إليه الإشارة بقوله: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً «١» و لذا قيل إن المشبّه عين المشبّه به في القرآن على ما استسمع عليه البرهان في موضع آخر، فمعنى الآية فهي الحجارة بل أشدّ قسوة منها، و قد روى عن النبي صلّى الله عليه و آله أنه كان قاعدا مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدّة عظيمة فارتاعوا فقال صلّى الله عليه و آله أ تعرفون ما هذه الهدّة؟ قالوا الله و رسوله أعلم قال صلّى الله عليه و آله: حجر ألقى في أعلى جهنّم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها، و سقوطه فيها هذه الهدّة، فما فرغ من كلامه إلّا و الصّيراخ في دار منافق من المنافقين قد مات و كان عمره سبعين سنة، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله أكبر، فعلمت الصّحابة أنّ هذا الحجر هو ذلك و أنّه منذ خلقه الله تعالى يهوى في جهنّم فلما مات حصل في قعرها قال الله تعالى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ «٢».

و روى أيضا ما معناه أن النبي صلّى الله عليه و آله كان يرمى الغنم قبل النبوة فسمع هذه

(١) البقرة: ٧٤.

(٢) النساء: ١٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٧٣

عظيمة و جفلت الغنم، و لمّا نزل عليه جبرئيل عليه السّلام بعد النبوة سأله عن تلك الهدّة فقال: هذه صوت وقع صخرة ألقيتها في جهنّم منذ سبعين سنة، و الآن وصلت إلى قعر جهنّم و أخبر عليه السّلام أنه يهودى مات و عمره سبعون سنة «١».

و في «العيون» في حديث المعراج أنّه صلّى الله عليه و آله قال ثمّ سمعت صوتا أفرغني فقال لي جبرئيل أ تسمع يا محمّد؟ قلت نعم: قال: هذه صخرة قدفتها عن شفير جهنّم منذ سبعين عاما، فهذا حين استقرت، قالوا: فما ضحكك رسول الله صلّى الله عليه و آله حتى قبض «٢».

قال بعض المحقّقين: إنّما كان لسقوط ذلك المنافق تلك الهدّة لسرعة ذلك الهوى بسبب قوّة ميل إتيته و طبيعته إلى معاصي الله الكبائر التي هي ثمرات النار و سخط الجبار بما هي عليه من العذاب، و إنّما كان سريع الهوى لثقل إتيته، و إنّما ثقلت إتيته لخلوصها في إرادة المعاصي و تبذخه بها و عدم التفات نفسه إلى الله و إلى جهة طاعته فلماذا كان بغفلته و انهماكه في معاصيه حجرا ثقيلا لاجتماع مشاعره في جهات المعاصي، فيميل بماله من درجات الثقل التّطبعي الى مركزه من السّجين ثمّ قال إشارة إلى الأخبار الثلاثة المتقدّمة، فهذه ثلاثة أحاديث وردت في ثلاثة أوقات متباينة ظاهرا و في نفس الأمر كلّها حكاية عن واقعة واحدة سمعها رسول الله صلّى الله عليه و آله في وقت واحد قبل البعث و بعد البعث و في ليلة المعراج قبل أن يصل السّماء الدّنيا، فانظر إلى هذا الفعل الرّبوبي كيف شهد كلّ شيء ممّا كان و ممّا يكون منذ خلق الله القلم الذي هو عقل الكلّ إلى ما لا نهاية له فيما يكون كلّ شيء في وقته بل و ما قبل العقل بما لا يكاد يتناهى لأنّه حين كان في مقام قاب قوسين في عروجه أشهده

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ٢٩١ عن تفسير القمي ص ٣٦٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٢٩١ عن تفسير القمي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٧٤

العقل حين خلقه الله وانهى إليه علمه ثم كان حين كان في مقام أو أدنى أى بل أدنى أشهده خلق نفسه وعزفه إياها فهالك عرف ربه وبالجملة أشهده تعالى ليلة المعراج كل شيء فى أول وقت كونه إلى آخر انتهائه وانهى إليه علمه من جميع ما كانت وما يكون مما هو محتوم الكون من الدنيا والآخرة إلا أنه فى جريتين كما أشار صلى الله عليه وآله فى حديث العيون المذكور فى المعراج قال فى شأن البراق حين سار عليها ليلة المعراج فلو أن الله تعالى اذن لها لجالت الدنيا والآخرة فى جريه واحده فلما لم يأذن لها إلا فى جريتين جالت الدنيا فى جريه والآخرة فى جريه فافهم الإشارة.

وقوله: أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ صَلَهُ بَعْدَ صَلَهُ بِلَا عَاطِفٍ عَلَى قِيَاسِ مَا يَقَعُ فِي الْأَخْبَارِ وَالصِّفَاتِ، وَفِيهِ تَسْجِيلٌ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَتَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ النَّارَ الْمَمْتَازَةَ عَنْ غَيْرِهَا بِأَنَّهَا تَنْتَقِدُ وَتَشْتَدُّ لَهَا بِالنَّاسِ وَالْحِجَارَةِ مَعْدَةً لَهُمْ، فَأَنَّهَا جَعَلَتْ عَدَّةً لِعَذَابِهِمْ.

أو استيناف ولو بمعونته أن عطف عليه (و بشر) مبيها للمفعول على قراءة زيد، أو حال لازمة بإضمار (قد) من النار، لا من ضمير وقودها، ولو على المصدرية لحصول الفصل بين الحال و صاحبها بالأجنبي، الذى هو الخبر، بخلاف الفاصل بينهما على الأول لأنه صفة لصاحب الحال، و الأجود الأول.

وقرى أعتدت بالبناء للمفعول من العتاد بمعنى العدة قال «فى القاموس» العتيد الحاضر المهيأ، و المعتد كمكرم المعد و قد عتد ككرم عتاده و عتادا.

### فى أن نار جهنم مخلوقة

و فى الآية دلالة على أن النار مخلوقة معدة لهم حين نزول القرآن كما عليه جمهور المسلمين إلا شردمه من المعتزلة فانهم يقولون سيخلقان فى القيامة، و لا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٧٥

ينبغى الالتفات إليه بعد ظهور إجماع الامامية على ما سمعت، بل لا يبعد دعوى كونه ضروريا عندهم و نسبة الخلاف إلى السيد الرضى رضى الله عنه غير ثابتة مضافا إلى ظواهر الآيات الكثيرة كقوله فى حق الجنة أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿٢﴾ وَ لَقَدْ رَأَى نَزْلَهُ أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْمُورِ ﴿٣﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ وَ فى حق النار أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٥﴾ وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٦﴾.

و حملها على التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى مبالغة فى تحققه مثل وَ نَفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴿٧﴾ وَ نادى أصحاب الجنة أصحاب النار ﴿٨﴾ خلاف الظاهر الذى هو الجنة حتى فى فروع الأصول، فلا يصار إليه إلا بالقرينة.

و أما قصة آدم و حواء و إسكانهما الجنة ثم إخراجهما عنها بأكل الشجرة و كونهما يخصصا فان عليهما من ورق الجنة\* على ما نطق به الكتاب و السنة فلا دلالة فيها عليه بعد استفاضة الاخبار بأن تلك الجنة كانت من جنان الدنيا و أنها من الجنات المدهامتين، و أن من دخل الجنة الخلد لا يخرج منها أبدا، و لذا وسوس إليه

(١) آل عمران: ١٣٣.

(٢) الحديد: ٢١.

(٣) النجم: ١٣.

(٤) الشعراء: ٩٠.

(٥) البقرة: ٢٤ و آل عمران: ١٣١.

(٦) الشعراء: ٩١.



(٧) يس: ٥١.

(٨) الأعراف: ٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٧٦

الشيطان بقوله: يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى «١» نعم قد تكاثرت الأخبار بل تواترت على ما ذكرناه من سبق خلقهما

كالأخبار الكثيرة الدالة على أنه لما أسرى به إلى السماء دخل الجنة فرأى كذا وكذا من الحور والقصور والولدان والغلمان وأنه رأى على بابها مكتوبا بالذهب: لا إله إلا الله، محمد حبيب الله، علي ولي الله فاطمة أمه الله، الحسن والحسين صفوة الله، على مبغضهم لعنة الله «٢».

وفي تفسير النعماني والقمي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: وأما الرد على من أنكر خلق الجنة والنار فقوله تعالى: عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى «٣» أي عند سدرة المنتهى «٤» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا من ياقوت أحمر يرى داخله من خارجه وخارجه من داخله من نوره فقلت يا جبرئيل لمن هذا القصر قال لمن أطاب الكلام وادام القيام وأطعم الصيام، وتهجد بالليل والناس نيام «٥».

وقال لما أسرى بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها قيعانا «٦» ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنه من ذهب ولبنه من فضة، وربما أمسكوا، فقلت لهم: ما بالكم قد أمسكتم، فقالوا: حتى تحيئنا النفقة فقلت: وما نفقتكم؟ قالوا: قول المؤمن: سبحان

(١) طه: ١٢٠.

(٢) الخصال ج ١ ص ١٥٧ و عنه البحار ج ٨ ص ١٩١ ح ١٦٧.

(٣) النجم: ١٥.

(٤) تفسير القمي ص ٦٥٢ و عنه البحار ج ٨ ص ١٣٣.

(٥) امالي الطوسي ص ٢٩٣ مع تفاوت يسير و عنه البحار ج ٨ ص ١٩٠ ح ١٦٤ ح و عن تفسير النعماني في ص ١٧٦ ح ١٢٩.

(٦) القيعان: جمع القاع: أرض سهلة مطمئنة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٧٧

الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإذا أمسك أمسكنا «١».

وقال صلى الله عليه وآله لما أسرى بي إلى سبع سماواته أخذ جبرئيل بيدي وأدخلني الجنة واجلسني على درنوك من درانيك الجنة وناولني سفر جلة، فانفلقت نصفين وخرجت منها حوراء فقامت بين يدي وقالت: السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا رسول الله فقلت: وعليك السلام من أنت فقالت: أنا الراضية المرضية خلقني الجبار من ثلاثة أنواع: أعلاى من الكافور، وسطى من العنبر، وأسفلى من المسك، وعجنت بماء الحيوان، قال لى ربى: كوني فكنت لأحيك ووصيك على بن أبى طالب عليه السلام ثم قال عليه السلام وهذا ومثله دليل على خلق الجنة وبالعكس من ذلك الكلام فى النار «٢».

وفى «التوحيد» و «الأمالي» و «العيون» عن الهروى قال: قلت للرضا عليه السلام:

أخبرنى عن الجنة والنار هما اليوم مخلوقتان، فقال: نعم، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنة ورأى النار لما عرج به إلى السماء، قال: فقلت له: فإن قوما يقولون:

إنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين، فقال عليه السلام: ما أولئك منا «٣» ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبى صلى الله عليه وآله وكذبنا، وليس من ولايتنا على شىء وخلد فى نار جهنم، قال الله عز وجل: هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا

الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَيَبْنَ حَمِيمٍ أَنْ «٤» «٥».

أقول و الأخبار ب مثله كثيرة جداً، و في أخبار كثيرة أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأَى لَيْلَةَ أُسْرَى بِهِ

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٧٧ عن تفسير النعماني.

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٧٧ و فيه: قالت: السَّلام عليك يا مُحَمَّد، السَّلام عليك يا أَحْمَد، السَّلام عليك يا رسول الله.

(٣) لا هم منا.

(٤) الرِّحْمَن: ٤٣-٤٤.

(٥) بحار الأنوار ج ٨ ص ١١٩ عن التوحيد و الأمل و العيون.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٧٨

إلى السماء نساء معذبات في النار من شأنهنَّ كذا و كذا «١».

و حملها على ارتفاع الزمان عنده لدخوله حينئذ في صقع الملكوت، فكان الزمان بطرفيه من الماضي و المستقبل حالا بالنسبة إليه، و لذا ورد أنه رأى كذا و كذا و إن لم يقع إلَّا بعد انقضاء الزمان و حشر الأبدان، مخالف لصريح ما يستفاد من تلك الأخبار بل هو جرأه على ردِّ النصوص و الإنكار على أهل الخصوص، و ما المانع عن التصديق به بعد دلالة قواطع الأدلة عليه.

بل

قد ورد أن هذه النار الدنيوية من نار جهنم، و ذلك أن آدم على نبينا و آله و عليه السَّلام لما هبط من الجنة إلى الأرض هو و حواء احتاجا إلى نار ليتفعا بها في عمل طعامهم و غيره فنزل جبرئيل و أخذ من نار جهنم جذوة فغسلها في نهر الكوثر سبعين مرّة. و في رواية و وضعها في الكوثر سبعين سنه و لو لا ذلك لأحرقت الأرض و من عليها.

و لذا قال الصادق عليه السَّلام فيما رواه القمي و غيره أن ناركم هذه جزء من نار جهنم و قد اطفأت سبعين مرّة بالماء ثم التهبت و لو لا ذلك ما استطاع آدمي أن يطفأها و أنها ليؤتى بها يوم القيامة حتى توضع في النار فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرب و لا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه فرعا من صرختها «٢».

ثم أعلم أن التحدى بالقرآن قد جاء فيه على وجوه متدرجة إلى الأدنى كقوله: فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى «٣» و قوله: لئن اجتمعت الإنس و الجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله «٤» و قوله:

(١) راجع البحار ج ٨ ص ٣٠٩ فيه حديث مفصل عن العيون ص ١٨٤-١٨٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٢٨٨ عن تفسير القمي.

(٣) القصص: ٤٩.

(٤) الإسراء: ٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٧٩

قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ «١»، و قوله: قُلْ فَأَتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ «٢».

و نظير هذا من يتحدى صاحبه بتصنيفه فيقول: ائتني بخير منه، ائتني بمثله، أو بعشرة، أو بمسألة منه، و هذا هو الغاية في التحدي و ازاحة العلة، سواء كان ذلك من جهة الفصاحة أو الصيرفة أو الأعم من الوجهين، أو غيرهما من الوجوه التي مرّت إليها الإشارة في المقدمات.

## دليل اعجاز القرآن

ثم أنه قد يقرّر الدلالة في هاتين الآيتين على الإعجاز من وجوه: - أحدها: أن العرب مع ما كانوا عليه من الحميّة و الانفة و العداوة الشديدة لرسول صلي الله عليه و آله و الجهد الأكيد و الحرص الشديد في إبطال أمره و اطفاء نوره قد حداهم بالتقريع و التهديد و تعليق الوعيد على العجز عن الإتيان بأقصر سورة من مثله، فعجزوا عن آخرهم مع كثرتهم و فصاحتهم عن الإتيان به حتى التجأوا إلى مفارقة الأوطان و بذل المهج و سبى الذراري و النساء و لم يأتوا بشيء من مثله.

ثانيها: أنه يتضمّن الأخبار عن الغيب على ما هو به فإنهم لو عارضوه بشيء في عصر من الأعصار لامتنع خفاؤها عادة مع توفر الدواعي و اجتماع الهمم و تصلب أهل الباطل في النقص عليه في كل عصر.

ثالثها: أنه عليه السلام لو لم يكن قاطعاً بصحة نبوته لما قطع في الأخبار بأنهم لا يأتون بمثله مخافة أن يعارض و لو في عصر من الأعصار المتأخرة فتصبح حجته

(١) هود: ١٣.

(٢) الإسراء: ٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٨٠  
داحضة.

رابعها: أنه صلي الله عليه و آله و إن كان متهما عندهم فيما يتعلق بالنبوة فلقد كان معروفا عندهم بالأمانة و حصافة العقل و سداد الرأي و حسن النظر في العواقب فلو تطرقت التهمة إلى ما ادّعه من النبوة لئما استجاز أن يتحداهم و يبلغ في التحدي إلى نهايته، بل كان خائفاً و جلا- من و خامئة العاقبة فيظهر منه أنه كان عالماً بعجزهم عن ذلك إلى غابر الدهر و لذا حملهم على المعارضة بأبلغ الطرق و الأخيران كما ترى ثم أنه قد يستدل بهذه الآية و نحوها على بطلان القول بالجبر و فساده في نفسه أظهر من أن يستدل عليه بالظواهر.

## [سورة البقرة (٢): آية ٢٥]

## إشارة

تفسير الآية (٢٥) وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جرت عادته سبحانه و هو اللطيف الرحيم في كتابه الكريم أن يلفظ بعباده و يدعوهم الى ما يقربهم إليه و الناس و إن كانوا في ايمانهم على درجات شتى و مراتب لا تحصى، فمنهم من يعبد حياءً أو شكراً أو تأهلاً- أو ترقياً أو استلذاذاً أو غير ذلك إلّا أنّ العامة لو لم نقل الكافّة يجمعهم الخوف و الرجاء، و لذا تراه سبحانه شفع الترهيب بالترغيب و ذكر الإنذار مع الإيثار، و لما ساق الكلام في التهديد و الوعيد على تاركى العبادة و منكرى التوحيد و النبوة و الولاية و أنذرهم بالعقوبة الفظيعة على الأعمال الشنيعة عقبه بشاره من كان من أهل البشرية، و هم الذين يتقربون إليه زلفى، بالعلم النافع و العمل الصالح كما قال: فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿١﴾ و المأمور بقوله: بَشِّرْ هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله فَإِنَّهُ هُوَ

(١) الزمر: ١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٨١

المتحمل لأعباء الرسالة المخاطب بقوله: وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ثم أوصياؤه المعصومون الذين أذهب الله

عنهم الرّجس و طهرهم تطهيرا فإنّهم الدعاة إلى الله، و الأدلاء على مرضاة الله و المظهرين لأمر الله و نهيهِ، و عباده المكرمين الذين لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، ثم خلفاؤهم و نوابهم الذين هم مستودع علمهم و مشكاة أنوارهم في سائر القرون و الأعصار و هم القرى الظاهرة الذين جعلهم الله تعالى و سائط بين الناس و بين القرى المباركة صلوات الله عليهم أجمعين ثم سائر المؤمنين من شيعة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ. و شمول الخطاب للجميع باعتبار الأصالة و التبعية لظهور عموم نبوته، و توقّف التبليغ إلى الكلّ على تلك الوسائط و غيرها، فهو المبلّغ في الحقيقة و المبشّر المنذر بجميع الخليفة فإذا قال أحد لغيره: بَشِّرِ الْمَشَائِنِ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي ظِلْمِ اللَّيَالِي بِالنُّورِ السَّاطِعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَكَأَنَّهُ هُوَ الْمَبَشِّرُ لِكُلِّ مَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْخَطَابُ كَمَا أَنَّ هُوَ الْمَبْلُغُ لِسَائِرِ الْأَحْكَامِ بَعْدَ قَوْلِهِ: فَلْيَبْلِغِ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ. و أما ما يقال من أنّ توجيه الخطاب إلى كلّ أحد أحسن و أجزل لأنه يؤذّن بأنّ الأمر لعظمه و فخامته شأنه محقوق بأن يبشّر به كلّ من قدر على البشارة به «٢».

ففيه أنّه يكفي في فخامة الأمر كونه ممّا صدع لتبليغه خاتم النبيين و سيّد المرسلين من وحي ربّ العالمين. و لعلّ النكتة في توجيه الخطاب بالإبشار إليه دون الإنذار المتقدّم مع أنّه البشير النذير أنّ هؤلاء إنّما بشّروا بما بشّروا به لإيمانهم بالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ تَصَدَّقَهُمْ لَهُ

(١) سبأ: ٢٨.

(٢) قال الزمخشري في الكشاف ج ١ ص ١٠٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٨٢

في نبوّته و فيما جاء به من الله سبحانه، فلما جعلوه واسطة في إيصال الفيوض الإلهية و تبليغ الشرائع الدّينية بشّروا من جهة توصلهم به و انقطاعهم إلى تصديقه، و أما من لم يصدّقه في حياته و وساطته فالأنسب بحاله أن يجاهر بالتوبيخ و التهديد و الوعيد الشّديد من دون أن يجعل ذلك من جهة وساطته، و لذا عطف القصّة على القصّة من جهة تناسبها في جهة الإبشار و الإنذار المتعلّقين بطرفي مطلوب واحد من دون اعتبار آحاد الجمل الواقعة فيها إذ المعتبر في عطف الجمل المسوقة لغرض على الجمل المسوقة لآخر إنّما هو التناسب بين القصّتين لا- بين جمل القصّتين، و ذلك نظير ما يقال في عطف المفرد في مثل قوله: هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ «١» أنّ الواو الوسطى، لعطف مجموع الصّفّتين الآخرين على مجموع الأولين، فلو اعتبرت عطف كلّ مفرد بالاستقلال لانتفى التناسب بينهما.

و من هنا يظهر أنّه ليس عطفًا على خصوص قوله «فَاتَّقُوا» حتّى يقال، إنّ جواب للشرط فمع العطف يكون التقدير فإن لم تفعلوا فبشّر الذين آمنوا و لا ارتباط بينهما، و إن عطف الأمر لمخاطب على الأمر لمخاطب آخر إنّما يحسن إذا صرح بالنداء و أما بدون التصريح به فقد منعه النحاة نعم قد يقال: الربط حاصل و المخاطب متّحد، و ذلك لأنّ المعنى فاتّقوا النار و اتّقوا ما يغيظكم من غبطة أعدائكم و هم المؤمنون، فأقيم و بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا «٢» ليدلّ على أنّه مقصود لذاته أيضا لا لمجرد غيظهم.

و فيه أنّ المنساق من الآية مقابلة الإنذار بالإبشار لا الإشعار على ما يغيظ

(١) الحديد: ٣.

(٢) الحديد: ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٨٣

الكفّار، بل لعلّ الاولى ما سمعت أنّه من عطف القصّة على الأخرى، فلا- داعى أيضا إلى التكلّف بتضمين الخبر معنى الإنشاء أو

العكس، أو تقدير «قل» قبل «يا أَيُّهَا النَّاسُ» أى قل كذا و كذا و بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا هُوَ الْمُحْكَى عَنْ صَاحِبِ «الْمِفْتَاحِ» (١) أو تقدير جملة بعد «أَعِدَّتْ» أى فأنذر الَّذِينَ كَفَرُوا بَتَلَكِ النَّارِ، «وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا» و هو المحكى عن «صاحب الإيضاح» (٢) و استحسنة صاحب «الكشف» (٣) قال و هو نظير ما اختاره الزمخشري في قوله: «وَأَهْجُزْنِي مَلِيًّا (٤)» و فى قراءة زيد بن على عليه السلام و بَشِّرِ عَلَى لَفْظِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ عَطْفًا عَلَى أَعِدَّتْ بِنَاءٍ عَلَى اِحْتِمَالِ كَوْنِهِ اسْتِثْنَاءً فَيَكُونُ اسْتِثْنَاءً إِذَا لَا يَسْتَقِيمُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْوَجْهِ.

و البشارة الخبر السارّ لما يظهر من أثر السرور على البشرية التى هى ظاهر جلد الإنسان، و أصل المادة للظهور، و منه البشر فى مقابل الجنّ المستتر، و بشرة الأرض ما ظهر من نباتها، و تباشير الصّبح ما ظهر من أوائل ضوئه إلّا أنّه غلبت البشارة بالكسر و الضمّ على الإخبار الاول بالشىء السار، و لذا ذكر الفقهاء أنّه لو حلف ليعطينّ من بَشْرِهِ بِكَذَا فَهُوَ لَمَنْ يَخْبِرُهُ بِهِ أَوْلَا بِهِ، إلّا أن يكون المخبر متعدداً بأن نطقوا جميعاً دفعة واحدة فيشتركون فيه، بخلاف ما لو قال: من أخبرنى فإنّ الثانى مخبر كالأول.

و أمّا إطلاقه على غير السار كقوله:

- (١) هو أبو يعقوب السكاكى المتوفى (٦٣٦) هـ حكى تقدير (قل) قبل يا أَيُّهَا النَّاسُ عن السكاكى فى الإيضاح ج ١ ص ٢٦٢.
- (٢) هو الخطيب القزوينى المتوفى (٧٣٩) هـ
- (٣) هو ابو زرعة احمد بن الحافظ عبد الرّحيم العراقى المتوفى (٨٢٦) هـ و الكشف حاشيته على الكشف.
- (٤) سورة مريم: ٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٨٤

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (١) فعلى عموم المجاز، أو استعارة أحد الصّدين للآخر تهكّما و استهزاء للقصد إلى زيادة غيظ المستهزاء به و تألم قلبه، و على طريقة قوله: تحية بينهم ضرب و جيع، من حيث أنّه غير سارّ و ان لم يكن فيه تهكم.

و كنى عن المبشرين بالرسول تكريماً لهم و تنويهاً بذكرهم و تفخيماً لشأنهم، و للإشارة إلى السبب الذى استحقوا به تلك البشارة و هو جمعهم بين الايمان الذى هو التصديق القلبى و العمل الصّالح الذى هو من فعل الجوارح مع مراعاة الترتيب بينهما على ما هو عليه.

و الصالحات جمع صالحه و هى من الصفات الغالبة تجرى مجرى الأسماء حيث تستعمل بلا قصد إلى موصوف كالحسنة و السيئة.

و هى من الأعمال ما حسّنه الشرع و أمر به سواء كان ذلك بلسان العقل الذى هو الحجّة الباطنة أو بلسان الشرع الظاهر الذى صدع به الأنبياء و الأوصياء و نوابهم الخاصية و العامة، و تأنيثها بتأويل الفعل أو الخصلة أو الخلّة أو ما ضاهاها، و ليست اللام فيها لاستغراق الأفراد أو الجمع أو المجموع و إن قلنا بظهور الجمع المحلّى فيه، و لا للعهد، بل لجنس الجمع لأنّ البشارة ليست مقصورة على ما حازها بأجمعها بحيث لا يشدّ عند شىء منها، بل يشترك فيها كلّ من آمن بالأصول المقررة التى هى التوحيد و النبوة و الإمامة و المعاد إذا قرن الايمان بفعل جملة من الطاعات، نعم للجزاء المبشّر به مراتب و درجات كثيرة منطبقه على مراتب الايمان و الأعمال الصّالحة، فأعلاها و أرفعها لمن فاز بالإيمان الكامل و وفقّ للإتيان بجميع الأعمال الحسنة بحيث لا يشدّ عنه شىء منها، حسبما يقتضيه وضع الجمع المحلّى أو ظاهره، فالمثوبة العظمى و الجزاء الأوفى مختصّة بهم، لأنهم الذين تسّموا الدّروة

(١) آل عمران ك ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٨٥

العلياء من الايمان و فازوا منه بأوفر النّصيب من المعلى و الرّقيب، و أمّا من دونه من أصحاب الدرجات النازلة فإنّما ينالون من تلك البشارة و المثوبة على قدر مراقبتهم فى الايمان.

و لذا

ورد أنه ما ورد آية في حق المؤمنين إلا وعلى أميرها و شريفها و سابقها و رأسها «١» لأنه أول المؤمنين إيماناً و أسبقهم تصديقاً و أعظمهم يقيناً و أعمالهم بأنواع الطاعات و القربات، و لذا سمي أمير المؤمنين، و إنما ينال من ينال شيئاً منها بوساطتهم و شفاعتهم، بل قد ورد أن نزول هذه الآية أيضاً فيهم و في شيعتهم.

ففي تفسير فرات عن الباقر عليه السلام في قوله: وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قال عليه السلام: هو علي بن أبي طالب و الأوصياء من بعده و شيعتهم «٢».

و فيه عن ابن عباس في هذه الآية قال: نزلت في علي و حمزة و جعفر و عبيدة بن الحرث.

و روى الجبري و هو من أعيان علماء العامة عن ابن عباس قال فيما نزل في القرآن من خاصة رسول الله صلى الله عليه و آله و علي و أهل بيته دون الناس من سورة البقرة:

وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا الآية نزلت في علي و حمزة و جعفر و عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب «٣».

و في تفسير الامام عليه السلام: وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا فِي نَبِيِّكَ فَاتَّخَذُوا نَبِيًا وَصَدَّقُوا فِي أَقْوَالِكَ وَصَوَّبُوا فِي أَعْمَالِكَ وَاتَّخَذُوا أَخَاكَ عَلِيًّا بَعْدَكَ وَ لَكَ وَصِيًّا مَرْضِيًّا وَانْقَادُوا لِمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ وَصَارُوا إِلَى مَا أَصَارَهُمْ إِلَيْهِ، وَرَأَوْا لَهُ مَا يَرُونَ لَكَ إِلَّا النَّبُوَّةَ الَّتِي أَفْرَدْتَ بِهَا وَ أَنْ الْجَنَانَ لَا تَصِيرُ لَهُمْ إِلَّا بِمَوَالَاتِهِ وَ مَوَالَاهُ مِنْ

(١) تفسير فرات ص ٣ و ٤ و عنه البحار ج ٣٦ ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) تفسير فرات ص ٤ - ٥ و عنه البحار ج ٣٦ ص ١٤٩.

(٣) رواه تفسير الكنز ج ١ ص ٢٨٣ عن تفسير الفرات ص ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٨٦

ينص لهم عليه من ذرئته و موالاة سائر أهل ولايته و معاداة أهل مخالفته و عداوته، و أن النيران لا تهدأ عنهم و لا تعدل بهم عن عذابها إلا بتكبيهم عن موالاة مخالفيهم و موازنة شائهم و عمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَ اجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ وَ لَمْ يَكُونُوا كَهَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ بَكَ أَنْ لَهُمْ جَنَاتٍ بَسَاتِينَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَ مَسَاكِنِهَا «١».

و أَنَّ لَهُمْ مَنْصُوبَ الْمَحَلِّ بِنَزْعِ الْخَافِضِ، وَ إِفْضَاءِ الْفِعْلِ إِلَيْهِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْخَلِيلِ وَ غَيْرِهِ، أَوْ مَجْرُورٍ بِتَقْدِيرِ الْجَارِ كَمَا قَوَاهُ سَيَبَوِيهِ قَالَ: وَ لَهُ نَظَائِرٌ نَحْوُ لَاهِ أَبُوكَ اللَّهُ لِأَفْعَلْنَ.

## الجنات و نعيمها

و الجنات جمع الجنة و هي البستان من النخل و الشجر الملتف المظلل بالتفاف أغصانه من جنه إذا ستره، و مدار التركيب و الترتيب على الستر، و منه الجن لتسترها عن عيون الناس، و الجنون لأنه يستر العقل، و الجنة لأنه يستر البدن، و الجنين لتستره بالرّحم، و جنت الميت، و أجننته و أريته، و أجننت الشيء في صدرى أكننته، و الجن بالفتح القبر لأنه يستر، و الجنان بالفتح القلب لأن الصدر يستره، و هيئة الجنة المرّة من الستر، كأنها ستره واحدة لفرط التفافها.

و في «الصحيح» أن العرب تسمى التّخيل جنة، و في «المصباح» أنها الحديقة ذات الشجر و قيل ذات النخل، و في «القاموس»: أنها الحديقة ذات النخل و الشجر و الجمع ككتاب، ثم أنها غلبت على دار كرامة الله و محلّ رضوانه و مقرّ أوليائه بما فيها من الحور و القصور و الولدان و الغلمان و الأشجار و الأنهار فإنها مستورة عن عقول أهل الدنيا و ادراكاتهم

(١) كنز الدقائق ج ١ ص ٢٨١ - ٢٨٣ عن تفسير الامام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٨٧

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ «١».

و في القدسيات: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر «٢».

و في «العلل» سئل النبي صلى الله عليه وآله لم سميت الجنة جنة، قال: لأنها جنينة خيرة نقيئة و عند الله تعالى ذكره مرضية «٣».

## أبواب الجنة

و تنكيرها لتفخيم شأنها و تعظيم أمرها، و جمعها باعتبار تعددها في نفسها فإنها ثمانية على ما ذكره بعض المحققين الأولى: جنة الفردوس، الثانية الجنة العالية، الثالثة جنة النعيم، الرابعة جنة عدن، الخامسة جنة دار السلام، السادسة جنة دار الخلد، السابعة جنة المأوى، الثامنة جنة دار المقام.

قال و جنان الحظائر سبع كل حظيرة ظل لجنه من جنان الأصل و أما جنة عدن فلا ظل لها ففي الآخرة خمسة عشر جنة ثمان هي الأصول المعروفة كل سماء فوقها جنة و الثامنة فوق الكرسي و سبع جنان الحظائر و هي تحت الثمان و أقل منها.

و في الحديث: أن جنان الحظائر يسكنها ثلاث طوائف من الخلائق مؤمنوا الجن، و أولاد الزنا من المؤمنين، و أولاد أولادهم إلى سبعة أبطن و المجانين الذين لم يجر عليهم التكليف الظاهر و لم يكن لهم من أقربائهم شفعاء ليلحقوا بهم و أسماء جنان الحظائر أسماء الأصل مثل الشمس التي في السماء الرابعة فان اسمها الشمس

(١) السجدة: ١٧.

(٢) الخصال ج ١ ص ٧٩ و عنه البحار ج ٨ ص ١٩١ ح ١٦٧.

(٣) علل الشرائع ص ١٦١ و عنه البحار ج ٨ ص ١٨٨ ح ١٥٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٨٨

و إشراقها في الأرض اسمه الشمس.

أقول أما الأسماء المذكورة فلم أظفر بها في شيء من الأخبار على ما مر من التفصيل و الترتيب و نسبه في موضع آخر إلى القليل ثم قال في الجنة الرابعة و هي التي لا حظيرة على ما يومي إليه إشارات بعض الأخبار.

نعم

في «الخصال» عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن للجنة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيون و الصديقون، و باب يدخل منه الشهداء و الصالحون، و خمسة أبواب يدخل منها شيعةنا و محبونا فلا أزال واقفا على الصراط أدعو و أقول: ربّ سلم شيعتي و محبي و أنصاري و أوليائي و من تولاني في دار الدنيا: فإذا التّداء من بطنان العرش: قد أجيب دعوتك و شفّعت في شيعتك و يشفع كلّ رجل من شيعتي و من تولاني و نصرني و حارب من حاربنى بفعل أو قول في سبعين من جيرانه و أقربائه، و باب يدخل منه سائر المسلمين ممّن يشهد أن لا إله إلاّ الله و لم يكن في قلبه مثقال ذرّة من بغضنا أهل البيت «١».

و فيه عن الباقر عليه السلام: أحسنوا الظن بالله و اعلموا أنّ للجنة ثمانية أبواب عرض كلّ باب منها مسيرة أربعين سنة «٢».

و في «الفضائل» و «الروضة» عن النبي صلى الله عليه وآله قال لما أسرى بي قال لي جبرئيل قد أمرت الجنة و النار أن تعرض عليك قال صلى الله عليه وآله و آله فرأيت الجنة فيها ثمانية أبواب «٣»، الخبر على ما يأتي ان شاء الله في تفسير قوله: وَفَتِحَتْ أَبْوَابُهَا «٤».

و في «الأمالي» في خبر عثمان بن مظعون عن النبي صلى الله عليه وآله: إنّ للجنة ثمانية

(١) الخصال ج ٢ ص ٤٠٧-٤٠٨ ح ٦.

(٢) الخصال ج ٢ ص ٤٠٨ ح ٧.

(٣) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٤٤ عن الفضائل.

(٤) الزمر: ٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٨٩

أبواب و للنار سبعة أبواب «١» إلى غير ذلك مما يدل على جملة العدد.

و الظاهر أن المراد بالأبواب في هذه الأخبار ما يعبر عنه بالجنان، فما

روته العامة عن ابن عباس من أنها سبع جنة الفردوس و جنة عدن و جنة نعيم و دار الخلد و جنة المأوى و دار السلام «٢» و عليون

مما لا ينبغي الإصغاء إليه، نعم ربما يستفاد من بعض الأخبار زيادة الأبواب على ذلك.

ففي الكافي عن الباقر عليه السلام قال: أما الجنان المذكورة في القرآن فأنهن جنة عدن، و جنة الفردوس، و جنة النعيم و جنة المأوى

قال: و إن لله عز و جل جنانا محفوفة بهذه الجنان، و إن المؤمن ليكون له من الجنان ما أحب و انتهى يتنعم فيهن كيف شاء «٣».

و في المناقب عن أمير المؤمنين عليه السلام إن للجنة إحدى و سبعين بابا يدخل من سبعين منها شيعتي و أهل بيتي، و من باب واحد

سائر الناس «٤».

و في بعض الأخبار أن للجنة بابا يقال له الزيان لا تفتح إلا يوم القيامة للصائمين و الصائمات و إن من الجنان جنة الجلال «٥».

و في الإكمال عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في أجوبته عن مسائل اليهودي:

أن منزل محمد صلى الله عليه و آله من الجنة في جنة عدن، و هي وسط الجنان و أقربها من عرش الرحمن جل جلاله، و الذين

يسكنون معه في الجنة هؤلاء الاثنى عشر صلى الله عليه و آله «٦».

(١) الأملی ص ٤٠ و عنه البحار ج ٨ ص ١٧٠ ح ١١٢.

(٢) تاج العروس ج ٩ ص ١٦٦.

(٣) الكافي الروضة ص ١٠٠ و عنه البحار ج ٨ ص ١٦١ ح ٩٨.

(٤) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٣٩ ح ٥٥ عن المناقب.

(٥) معاني الأخبار ص ١١٦ و عنه البحار ج ٨ ص ١٩٤ ح ١٧٥.

(٦) إكمال الدين ص ١٧٢-١٧٣ و عنه البحار ج ٨ ص ١٨٩ ح ١٦١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٩٠

و لعل كون هذه الجنة وسطا باعتبار كونها خيرا من الكل كقوله: وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيْطًا «١» مع كونها مركز الجميع بمعنى

كونها مقدما على الجميع في الخلقة و منشأ لتعلق الفيوضات و الأنوار منها إلى الجميع كما أن محمدا و آل محمد صلى الله عليهم

أجمعين أول المخلوقات و أفضل الموجودات و كل ما في الكون يستمدون منهم في التكوين و التشريع، فإن عالم الكون قد خلق من

فاضل أشعة أنوار وجودهم حتى السموات و الأرض و العرش و الكرسي و الجنة و غيرها كما استفاضت به الأخبار.

ففي كتاب «الأنوار» لأبي الحسن البكري استاد الشهيد الثاني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: كان الله و لا شيء معه فأول ما

خلق نور محمد صلى الله عليه و آله قبل خلق الماء و العرش و الكرسي و السماوات و الأرض و اللوح و القلم و الجنة و النار و

الملائكة و آدم و حواء باربعة و عشرين و أربعمائه ألف عام (ثم ساق الخبر بطوله الى أن قال): ثم خلق الله من نور محمد صلى الله

عليه و آله الجنة و زينتها بأربعة أشياء: التعظيم و الجلالة و السخاء و الأمانة: و جعلها لأوليائه و أهل طاعته «٢»: الخبر.



و في مصباح الأنوار «٣» للشيخ الطوسي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي وَخَلَقَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالحَسَنَ وَالحُسَيْنَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ حِينَ لَا سَمَاءَ مَبِيئَةً وَ لَا أَرْضَ مَدْحِيَّةً وَ لَا ظِلْمَةَ وَ لَا نُورَ وَ لَا شَمْسَ وَ لَا قَمَرَ وَ لَا جَنَّةَ وَ لَا نَارَ فَقَالَ الْعَبَّاسُ:

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) بحار الأنوار ج ١٥ ص ٢٧-٣٠ ح ٤٨ عن ابن الحسن البكري و لا- يخفى أن نسبة كتاب الأنوار الى ابي الحسن البكري أستاذ الشهيد الثاني لا تصحّ راجع في ذيل البحار ج ١٥ ص ٢٦.

(٣) نسبه في الكتاب الى الشيخ الطوسي أيضا لا تصح بل هو للشيخ هاشم بن محمد- راجع البحار ج ١٥ هامش ص ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٩١

فكيف كان بدو خلقكم يا رسول الله فقال يا عمّ لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نورا ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحا ثم خلط «١» النور بالروح، فخلقني وخلق عليا و فاطمة و الحسن و الحسين، فكنا نسبحه حين لا- تسيح، و نقدهه حين لا تقديس، فلما أراد الله أن ينشأ خلقه فتق نورى فخلق منه العرش فالعرش من نورى، و نورى من نور الله، و نورى أفضل من العرش، ثم فتق نور أخى عليّ فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور عليّ، و نور عليّ من نور الله، و عليّ أفضل من الملائكة، ثم فتق نور ابنتى فخلق منه السماوات و الأرض، فالسماوات و الأرض من نور ابنتى فاطمة، و نور ابنتى فاطمة من نور الله، و ابنتى فاطمة أفضل من السماوات و الأرض، ثم فتق نور ولدى الحسن و خلق منه الشمس و القمر، فالشمس و القمر من نور ولدى الحسن، و نور الحسن من نور الله، و الحسن أفضل من الشمس و القمر، ثم فتق نور ولدى الحسين فخلق منه الجنة و الحور العين، فالجنة و الحور العين من نور ولدى الحسين، و نور ولدى الحسين من نور الله، و ولدى الحسين أفضل من الجنة و الحور العين «٢» الخبر.

فانظر كيف جعل الجنة في الخبر الأول من نور محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ فِي الثَّانِي مِنْ نُورِ الْحُسَيْنِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنْبِيْهَا عَلِيٌّ أَنَّهُا فِي الْأَصْلِ وَاحِدٌ وَ إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ ذَاكَ، ثُمَّ كَيْفَ عَبَّرَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْخَبَرِ بِمَنْ أَلْتِي لِلْإِبْتِدَاءِ لَا التَّبْعِيضِ لِلشَّعَارِ عَلِيٌّ أَنَّهُ لَا يَسَاوِقُ أَصْلَهُ فِي السَّنْخِ وَ الْجَوْهَرِيَّةِ بَلْ إِنَّمَا نَشَأَ مِنْهُ بِطَرِيقِ الشَّعَاعِ وَ الْفَرَعِيَّةِ، ثُمَّ كَيْفَ صرَّحَ فِي كُلِّ مِنْهَا بِالْوَسَائِطِ مِنْ حَيْثُ كَوْنِهَا وَسَائِطٌ مَعَ حِفْظِ حُدُودِ التَّوْحِيدِ وَ أَظْهَارِ الْمَرَاتِبِ.

و أما اختلاف الاخبار المتقدمة في عدد الأبواب فلعل المراد أن الثمانية عدد

(١) في البحار: ثم مزج النور.

(٢) تأويل الآيات ج ١ ص ١٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٩٢

الأبواب الجنان الكلية التي تتميز حقائقها لأربابها بالنوع، و أما غيرها من الأعداد فهو باعتبار البساتين و الجنان الجزئية التي يمكن تعددها لمؤمن واحد كما مرّت الإشارة إليه في الاخبار المتقدمة.

و قوله تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ صَلَةً لِلْجَنَّاتِ، وَ الْمَعْنَى مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَ مَسَاكِنِهَا كَمَا مَرَّ فِي عِبَارَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَ النَّهْرُ بِالْفَتْحِ وَ سَكُونِ الْهَاءِ لِعَتَانِ، وَ الْأَوَّلُ أَفْصَحُ عَلَى الْأَصَحِّ، وَ لِذَا قِيلَ: إِنَّهُ قَدْ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِي كَلَامِ الْبُلْغَاءِ، وَ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: إِنَّهُ اللَّغَةُ الْعَالِيَةُ، وَ هُوَ الْمَجْرَى الْوَاسِعُ فَوْقَ الْجُدُولِ وَ دُونَ الْبَحْرِ، يُقَالُ لِلنَّيْلِ نَهْرٌ مِصْرِيٌّ، وَ لِلْفَرَاتِ نَهْرٌ كُوفِيٌّ، مِنْ النَّهْرِ مَحْرُكَةٌ بِمَعْنَى السَّيْعَةِ وَ مِنْهُ نَهْرٌ نَهْرٌ كَكَتْفٍ أَيْ وَاسِعٍ، أَوْ مِنْ نَهْرِ الْمَاءِ إِذَا جَرَى فِي الْأَرْضِ، وَ لِذَا قَالَ فِي «الْصِّيْحَاحِ»: إِنَّ كُلَّ كَثِيرٍ جَرَى فَقَدْ نَهْرٌ وَ اسْتَنْهَرٌ، وَ مِنْهُ النَّيْهُورُ لِلْسَّحَابِ، وَ الْأَنْهَارُ لِلْهَوَاءِ وَ السَّمَائِكَ لِكثرتها ماؤها و انتهار البطن لاستطلاقه، وَ التَّسْمِيَةُ عَلَى الْأَوَّلِ بِاعْتِبَارِ الْمَحَلِّ وَ عَلَى الثَّانِي بِاعْتِبَارِ الْحَالِ، وَ نِسْبَةُ الْجُرْيَانِ إِلَيْهَا عَلَى وَجْهِ الْإِضْمَارِ أَيْ مَاؤُهَا أَوْ الْمَجَازِ اللَّغَوِيَّ تَسْمِيَةَ لِلْمَاءِ بِاسْمِ

مجراه، أو العقلى بارادة المجارى أنفسها، و اللام للإشارة إلى الجنس من دون النظر إلى استغراقه و عدمه كما فى قولهم: أهلك الناس الدرهم و الدينار: أى هذان الحجران أو إلى ما عرف عظم خطره أى الأنهار التى عرفت أنها النعمة العظمى و اللذة الكبرى، أو إلى العهد الخارجى و المعهود هو المعلوم من أخبار النبى صلى الله عليه و آله، أو من قوله: فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ «١» الآية على تقدير سبق نزولها و الجموع الثلاثة و هى أمنوا و جنات و الأنهار لم يلحظ فيها الطباق المطلق بل الأعم من ذلك و من مجرد الاشتراك، و من انفراد كل مفرد من السابق بافراد من اللاحق على ما هو الظاهر من الوضع الهيئى للجمله.

(١) محمّد: ١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٩٣

و أمّا ما يقال من أنّ العرب إذا قابلت جمعا بجمع حملت كل مفرد من هذا على مفرد من ذاك كما فى قوله: فأغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق «١»، و لا- تنكحوا ما نكح آباؤكم «٢» و ليأخذوا حذرهم و أسبلحتهم «٣»، ففيه أنه إنما يكون كذلك مع قيام القرينة الخارجة و لو من جهة اتحاد المتعلق و أمّا بمجرد المقابلة فلا، و لذا لا يستفاد ذلك من قوله: لا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ «٤»، لَيْسَتْ أَذْنُكُمْ لِلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ «٥».

و قوله: قلموا أظافرکم، أدبوا أولادکم إلى غير ذلك، و من هنا يجوز أن يكون أنهار كثيرة فى جنّة و جنان كثيرة لمؤمن.

بل

ورد عن النبى صلى الله عليه و آله: أنه ليس من مؤمن فى الجنّة إلّا و له جنان كثيرة معزوشات و غير معزوشات و أنهار من حمرٍ و أنهار من ماء و أنهار من لبنٍ و أنهار من عسلٍ «٦».

و هذا بناء على ارادة الجنان الجزئية و أمّا مع الحمل على الكلية فالأمر واضح، و يحتمل أن يكون الضمير فى تحتها فى الآية للمفرد المدخول عليه بالجمع، و إنما خصّ الأنهار بالذكر من بين جميع ما فى الجنان من النعم العظيمة و اللذائذ الجسمية لأنها كالأصل لجميع ذلك، و القطب الذى يدور عليه ما هنالك، فإنّ الماء مظهر الرحمة الكلية و العناية الربانية و أصل الأشياء و جعلنا من الماء كل شىء حى

(١) المائدة: ٦.

(٢) النساء: ٢٢.

(٣) النساء: ١٠٢.

(٤) النور: ٣٣.

(٥) النور: ٥٨.

(٦) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٦٠ ح ٩٨ عن روضة الكافى ص ٩٥-١٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٩٤

«١» و هو مادة البقاء و طعمه طعم الحياة، و كما الأعمال الصالحة الصادرة من المؤمنين كانت مقترنة بصدق النية و حسن الاعتقاد و خلوص السر و صفاء الضمير و كانت صحة تلك الأعمال الظاهرة من الصلاة و الصوم و الحج و غيرها مشروطة بالنية التى هى روح العبادة و حياتها و هم قد جمعوا فى عبادتهم بين قوالب تلك العبادات التى هى كالأجساد و بين أرواحها و هى النية المقترنة بها فكذلك يجمع الله سبحانه فى جزائهم بين الجنات المشتملة على الأشجار و الرياحين و الفواكه و غيرها و بين الأنهار التى هى كالأصل المقوم لها و بها حياتها.

ثم إن أنهار الجنة ليست على حد غيرها من أنهار الدنيا

ففى «الاختصاص» عن الباقر عليه السلام.

قال: إن أنهار الجنة تجرى فى غير أحدود أشد بياضا من الثلج، و أحلى من العسل، و ألين من الزبد، طين النهر مسك أذفر، و حصباه الدر و الياقوت، تجرى فى عيونها و أنهاره حيث يشتهى و يريد فى جناحه ولى الله، فلو أضاف من فى الدنيا من الجن و الانس لأوسعهم طعاما و شرابا و حللا و حلليا لا ينقصه من ذلك شىء «٢».

و فى جامع الأخبار سئل النبى صلى الله عليه و آله عن أنهار الجنة كم عرض كل نهر منها فقال عليه السلام عرض كل نهر مسيرة مائة عام «٣» يدور تحت القصور و الحجب تتغنى أمواجه و تسيح و تطرب فى الجنة كما يطرب الناس فى الدنيا «٤».

رزقنا الله تعالى من هذا الماء المعين و حشرنا مع نبىه محمدا و آله الطيبين الطاهرين.

(١) الأنبياء: ٣٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٢١٩ ح ٢١١ عن الاختصاص.

(٣) فى المصدر: خمسمائة عام- و فى البحار: خمسين مائة عام.

(٤) جامع الأخبار ص ١٢٦ و عنه البحار ج ٨ ص ١٤٦ ج ٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٩٥

كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ تَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ «١».

استيناف حيث إنه لما وقع الإيثار بالجنات و الأنهار، و كان الغرض المهم منها الأخبار فلربما يقع فى خلد السامع أن ثمارها هل تشابه أو تشاكل ثمار جنات الدنيا أو لا تجانسها، فيكون وعدا بغير معلوم و لا معهود فقيل إن ثمارها تشابه أو تشاكل ثمار جنات الدنيا و تجانسها و ان تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا خالقها.

أو صفة بعد صفة الجنات فمحل الجملة على الأول الرفع، و على الثانى النصب.

و كُلمًا منصوب على الظرفية للفعل الذى بعده، و قد سمعت أن ضم كل إلى ما الجزاء يجعله من أدوات التكرار.

و أمّا احتمال كونه خبرا عن محذوف بتقدير شأنها كُلمًا رزقوا فمع ما فيه من التكلف فى جعل ظرف الزمان خبرا عن جنه مدفوع، يعود الكلام حينئذ فى تلك الجملة على أحد الوجهين بعد الالتزام بحذف أقوى ركنى الكلام.

و لم بين الفعل للفاعل اتكالا على وضوح أن الرزاق فى الحقيقة هو الله سبحانه، أو لأن الجملة إنما سيقت لإفادة وصول الرزق إليهم من دون قصد إلى تعيين من هو منه، أو لأن الوسائط لا يعرفها بأعدادها و مراتبها فضلا عن أشخاصها أحد إلا هو أو لأنهم يرون أثمارها متدلية دانية منهم بحيث إنهم إذا اشتهوا شيئا وجدوه حاضرا عندهم فأخذوه بأيديهم و أفراحهم من دون طلب منهم و لا انتظار أصلا.

ثم أنهم ذكروا فى بيان معنى حرفى الجر و تعيين متعلقهما وجوها:

(١) البقرة: ٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٩٦

منها: أنهما لا ابتداء الغاية و الظرفان إمّا لغوان متعلقان برزقوا على وجه إبدال الثانى عن الأول و تعلق الحرفين بمعنى واحد بفعل واحد سائغ على قصد التبعية، و يمكن اعتبار الاختلاف فى المتعلق بالفتح أيضا بأن تكون من الاولى متعلقة بالرزق مطلقا، و الثانية متعلقة به مقيدا بكونه من الجنات، فيجعل الفعل المطلق و هو رزقوا مبتدأ من الجنات و بعد تقييده بالابتداء منها جعل مبتدأ من الثمرة، هذا

فيجوز كونهما لغوين لا على البدئية، وان كان الأول أظهر.

و أما مستقران واقعان موقع الحال، و صاحب الحال الأولى رزقا و صاحب الحال الثانية ضميره المستكن فيما تعلق به الظرف، و يكون التقييد بحاله من دون تجوز أو الأول لغو و الثاني حال أو الأول حال و الثاني بدل.  
ثم أن يمكن أن يكون رزقا مفعولا- ثانيا ل رزقوا على أن يكون بمعنى المرزوق، و يجوز أن يكون بمعنى الحدث فينصب على أنه مفعول مطلق.

فهذه وجوه عشرة أضعفها الأخير و أوجهها الأول، و الحرفان على الوجوه للابتداء، فلا يجوز أن يراد بالثمرة الواحدة من أفراد نوع نوع لأنها نفس المرزوق حينئذ فالرزق لم يتبدأ منهما، بل إنما هو هي ألا ترى أنك إذا قلت أكلت من هذا الطعام و أشرت إلى شخص تعين من للتبويض كقولك: أخذت من الدراهم و إذا أشرت إلى جنسه كان صالحا له و للابتداء و منها أن يكون من ثمرة بيان من باب التجريد على حد قولك رأيت منك أسدا أي أنت أسد بأن ينتزع من ذي صفة آخر مثله إبهاما لكمالها فيه كأنك جردت من المخاطب شيئا يشبه الأسد و هو نفسه و كذا هنا جرد من ثمرة رزق و هو هي، فيكون رزقا أخص من ثمرة باعتبار انتزاع و وصف المرزوقية منها بكمال هذا المعنى فيه، فعلى الأول يكون الرزق عاما خصص بالجنات ثم بالثمرة و على الثاني الثمرة عام خصص الرزق بها بانتزاعه منها، و على هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٩٧

و الفرد، فالرزق حينئذ بمعنى المرزوق، و من ثمرة حال مقدم و منها ظرف لغو، ثم أن ذلك مبني على كون من التجريدية للتبيين، و الأشبه وفاقا لبعض المحققين كونها للابتداء ففي قولهم: رأيت منك أسدا كأنه قيل: رأيت أسدا كائنا منك تصويرا لشجاعته بصورة أسد منتزع منه فقد انتزعت من صفته ذاتا و صفة، و فيه من المبالغة ما لا يخفى بخلاف الأول الذي قيل إنه ليس بأبلغ من نحو أنت أسد، نظرا إلى أن الإجمال و التفسير لا مدخل له في المبالغة و التشبيه.

ثم أنه قد يحتمل أن يكون من الثانية للتبويض، لأن الرزق بعض الثمرة أي نوعها و هم يرزقون بعضها في كل وقت، و أن يكون مزيدة كما هو ظاهر شيخنا الطبرسي رحمه الله، و قوله من قبل مبني منصوب المحل على الظرفية للفعل الذي وليه، أي من قبل هذا في الدنيا كما صرح به الإمام عليه السلام في تفسيره.

قال عليه السلام كلما رزقوا منها من تلك الجنان من ثمرة من ثمارها رزقا و طعاما يؤتون به قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا فأسماءه كأسماء ما في الدنيا من تفاح و سفرجل و رمان، و كذا و كذا، و إن كان ما هناك مخالفا لما في الدنيا، فإنه في غاية الطيب، و أنه لا- يستحيل إلى ما يستحيل إليه ثمار الدنيا من عذرة و سائر المكروهات من صفراء و سوداء و دم و بلغم، بل لا يتولد من مأكولهم إلا العرق الذي يجري من اعراضهم أطيب من رائحة المسك «١».

و يظهر منه أن المشابهة و الاتحاد إنما هو من جهة الشكل و المثال و مجرد التعبير بالاسم لتميل النفوس إليها أول ما رأتها لأنسها بالمألوف و ليظهر لها بالنظر إلى ما في الدنيا قدر النعمة و كمال المزية لا أنها باعتبار شيء من مراتب الكمال فضلا من أن يكون من جميع الجهات.

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٦٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٩٨

و أميا ما يقال من احتمال أن يكون المراد من قبل في الجنة حيث إن ثمارها إذا جنيت من أشجارها عاد مكانها مثلها فيشتبه عليهم فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل هذا و إن المعنى كالذي رزقنا و هم يعلمون أنه غيره، و لكنهم شبهوه به في طعمه و لونه و ريحه و طبيه و جودته.

فمما لا ينبغي الإصغاء إليه بعد ما سمعت من تصريح من هو من خزنة العلم و أهل بيت الوحي، سيما مع رجحان الأوّل عليهما لسلامته عن التخصيص في كلّما رُزِقُوا بغير المرة الأولى فإنه يدلّ على ترديدهم كلّ مرة رزقوا حتى الأولى و لبقاء من قَبِلَ على إطلاقه، و لزوم قبلات متحددة متجددة على الأخيرين مع عدم إشعار اللفظ بها ظاهرا، و أما قبلية الدنيا فقبلية واحدة مطلقة، و لأنه يتعين على الأخيرين أن لا يكون استينافا لعدم سبق الداعي إلى السؤال عليهما دون الأول المتضمن لفرائد الاستيناف، مع ما فيه من فخامة المعنى من حيث ارادة الغبطة العظيمة و الابتهاج البالغ و ان التشابه في الحقائق و الاختلاف بالصفات أتم في باب التشابه و ادعى للتعجب و القرآن يحمل على أحسن الوجوه و ان كان ذلولا ذا وجوه و أتوا به مُتَشَابِهًا استينافاً آخر كأنه قيل: إن ثمار الدنيا مشتملة على الجيد و الردي مختلفة في صفات الكمال جدّا فهل ثمار الآخرة أيضا كذلك؟ كما يوهمه الحمل المتقدم فأجيبوا بذلك و على هذا فالضمير للرزق.

و لذا قال الإمام عليه السلام: و أتوا به بذلك الرزق من الثمار من تلك البساتين متشابها يشبه بعضها بعضا بأنها كلّها خيار لا رذل فيها، و بأنّ كل صنف منها في غاية الطيب و اللذة ليس كثمار الدنيا بعضها تبيّ «١» و بعضها متجاوز لحدّ النضج و الإدراك إلى حد الفساد من حموضة و مرارة، و سائر ضروب المكاره، و متشابها أيضا متفقات الألوان

(١) النىء (بكسر النون) ما لم ينضج من اللحم و غيره و بالفارسية: خام و نارس.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٤٩٩  
مختلفات الطعوم «١».

و على هذا فالتشابه في الآخرة بين ضروب الثمرات و أنواعها أو أفراد النوع الواحد في صفات الكمال و اللذة و الجودة من حيث مرافقتها للدار الآخرة.

و قد سأل مولانا الصادق عليه السلام على ما رواه في الاحتجاج من أين قالوا إنّ أهل الجنة يأتي الرجل منهم الى ثمره يتناولها فإذا أكلها عادت كهيتها فقال عليه السلام:

نعم ذلك على قياس السراج يأتي القابس فيقتبس منه فلا ينقص من ضوئه شيئا و قد امتلأت الدنيا منه سرجا «٢».

و ربما يحتمل كون الضمير للجنس المرزوق في الدنيا و الآخرة جميعا كأنه قيل أتوا به متشابها نوعاه، أى النوع الذى فى الآخرة و النوع الذى فى الدنيا، و ذلك لأنّ قوله: هذا الذى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ «٣» أى مثله يدلّ على المشترك بين المثليين، و اعترض بأنّ المرزوق فيها جميعا غير المأتى به فى الآخرة و أجيب بأن المراد بقوله الى المرزوق فى الدنيا و الآخرة جميعا إلى الجنس الصالح لتناول كلّ منهما لا المقيّد بهما، فأنه حينئذ يكون أخصّ من كلّ منهما، و لا يدفع سؤال التشابه و الإتيان بالجنس حاصل فى ضمن الإتيان بأى نوع كل الاستحالة انفكاك النوع من الجنس.

و لا يخفى عليك ما فيه من التكلف على أنه يكون حينئذ تقريرا و تأكيدا للجملّة السابقة، هذا مضافا إلى أن التشابه هو التماثل فى الصفة و هو مفقود بين ثمرات الدنيا و الآخرة و لذا قيل ليس فى الجنة من أطعمه الدنيا إلّا الأسماء و تنزيله على مجرد التماثل فى الهيئة و اللون على فرضه ليس بذلك، نعم يحتمل على وجه

(١) تفسير البرهان ج ١، ص ٦٩ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٣٦ ح ٤٨ عن الاحتجاج ص ١٩٢.

(٣) البقرة: ٢٥.

التأويل مضافا إلى ما مرّ من التنزيل أن يراد التماثل بين ثمار الجنة محسوسها ومعقولها و بين ما منحوه في الدنيا من العلوم والمعارف والفضائل النفسانية والأخلاق الروحانية والملكات القدسية والعبادات القلبية والأعمال الصالحة البدنية سيما على ما ذهب إليه جمع من المحققين من القول بتجسم الأعمال في القيامة ويشهد له جملة من الاخبار فالمعنى كلما رزقوا من ثمرات الجنة رزقا من المطاعم والملابس ورفع الدرجات وظهور التجليات قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة والأعمال الدنيوية بذر للمثوبة الآخروية وأعطوا رزقهم في الجنة متشابهها لما وفقوا له في الدنيا من الايمان والأعمال الصالحة.

### بسط في المقال لتحقيق مسألة تجسم الأعمال

#### إشارة

و فيه بحثان:

### الأول اعلم أن المتشبهين بذيل الإسلام قد اختلفوا في أن النعيم والجحيم الموعودين في الدار الآخرة هل هما جسمانيان أو روحانيان أو هما معا

لكل أحد كل على حسب درجته ورتبته في الوجود الشرعي أو الأول للبعض والآخر للآخرين على أقوال لا جدوى للتعرض لها ولا للقائلين بها في المقام لكن الذي ينبغي القطع به بل لا ريب في قيام ضرورة المذهب بل الدين عليه ثبوت الجسمانيين في الجملة الى ما ورد التصريح به في الآيات الكثيرة والخبار المتواترة وأما ما اشتهر نقله عن بعض الحكماء من انكار الجنة والنار المحسوستين نظرا إلى إنكار المعاد الجسماني وأن العالم عالمان عالم الأجسام المادية وعالم العقول المجردة وأن النفوس الناقصة الهولانية منفسخة بعد الموت و نفوس الصلحاء والزهاد تتعلق بجرم بخارى أو سماوى لتحصل لهم فيها سعادة وهمية كما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٠١

تحصل لنفوس الأشقياء عقوبات خيالية من نيران وحيات تلسع وعقارب تلدغ إلى غير ذلك من المزخرفات فمما لا ينبغي الإصغاء إليه ولا يعد قائله من زمرة المسلمين بعد قيام ضرورة الدين على ثبوت المعاد الجسماني والجنة والنار الجسمائيتين.

وأما ما ذكره الصدوق في اعتقاداته حيث قال طاب ثراه اعتقادنا في الجنة والنار أنها دار البقاء ودار السلامة لا موت فيها ولا هرم ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا زمانة ولا غم ولا هم ولا حاجة ولا فقر وأنّها دار الغناء والسعادة ودار المقامة والكرامة لا يمسه أهلها فيها نصب ولا لغوب لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون وأنّها دار أهلها جيران الله وأوليائه وأجباؤه وأهل كرامته وهم أنواع على مراتب منهم المتنعّمون بتقديس الله وتسيححه وتكبيره في جملة ملائكته ومنهم المتنعّمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه والأرائك و حور العين واستخدام الولدان والجلوس على التمارق والزرابى ولباس السندس والحريير كلّ منهم إنّما يتلذذ بما يشتهي ويريد حسبما تعلقت عليه همته ويعطى ما عبد الله من أجله.

وقال الصادق عليه السلام: أن الناس يعبدون الله على ثلاثة أصناف صنف منهم يعبدونه رجاء ثوابه فتلك عبادة الأجراء، و صنف منهم يعبدونه خوفا من عقابه فتلك عبادة الخدام، و صنف منهم يعبدونه حبا له فتلك عبادة الكرام

انتهى «١» فلا دلالة فيه على إنكار الجنة المحسوسة ولو للمتعمّنين بالتقديس والتسيحح، بل ظاهره إثبات الجنة المحسوسة المشتملة على أنواع النعم للجميع.

ولذا قال بعد ما سمعت حكايته، واعتقادنا في الجنة والنار أنهما مخلوقتان

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ٢٠٠ عن عقائد الصدوق ص ٨٩-٩٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٠٢

و أنه لا يخرج أحد من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة أو من النار «١».

و بالجملة ثبوت الجنة أو النار المحسوستين لكل أحد من الضروريات التي لا ينبغي إنكاره، نعم منهم المشاركون للملائكة في التمتع بالتقديس و التسييح و إن كان لهم الجنة المحسوسة إلا أنه لا التفاف لهم إلى التمتع بها بل عمدة تنعمهم و قرّة أعينهم هو السرور و الابتهاج بمناجاته و عبادته و الاستشمام من نسائم رياض أنسه و محبته. كما يستفاد ذلك من

حديث الإسراء: يا أحمد أن في الجنة قصرا من لؤلؤة فوق لؤلؤة و درّة، ليس فيها قصم و لا فصل، فيها الخواص، أنظر إليهم في كل يوم سبعين مرة، و أكلهم كلما نظرت إليهم ازداد ملكهم سبعين ضعفا، و إذا تلذذ أهل الجنة بالطعام و الشراب تلذذوا أولئك بذكرى و بكلامى و حديثى «٢».

و فى كتاب الاختصاص فى خبر طويل عن الصادق عليه السلام عن النبى صلى الله عليه و آله و فيه بعد ذكر كثير من مطاعم أهل الجنة و مشاربهم و مناكحهم و تنعمهم بها أنه.

قال: فيينا هم كذلك إذ يسمعون صوتا من تحت العرش: يا أهل الجنة كيف ترون منقلبكم فيقولون: خير المنقلب منقلبنا و خير الثواب ثوابنا، قد سمعنا الصوت و اشتهينا النظر إلى أنوار جلالك و هو أعظم ثوابنا و قد وعدته و لا تخلف الميعاد، فأمر الله الحجب فيقوم سبعون ألف حجاب فيركبون على التوق و البرازين و عليهم الحلى و الحلل فيسيرون فى ظلّ الشجر، حتى ينتهى إلى دار السلام و هى دار الله دار البهاء و الثور و السرور و الكرامة، فيسمعون الصوت فيقولون: يا سيدنا سمعنا لذاذة منطقتك فأرنا نور وجهك فيتجلى لهم سبحانه و تعالى حتى ينظرون إلى نور وجهه

(١) البحار ج ٨ ص ٢٠٠ عن عقائد الصدوق ص ٨٩-٩٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٧ ص ٢٣ ح ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٠٣

تبارك و تعالى المكنون من عين كل ناظر، فلا- يتمالكون حتى يخروا على وجوههم سجدا فيقولون: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك يا عظيم.

قال: فيقول: عبادى ارفعوا رؤسكم ليست هذا بدار عمل إنما هى دار كرامة و مسألة و نعيم، قد ذهبت عنكم اللغوب و النصب، فإذا رفعوها و قد أشرقت وجوههم من نور وجهه سبعين ضعفا، ثم يقول تبارك و تعالى: يا ملائكتى أطعموهم و اسقوهم فيأتون بأنواع الأطعمة إلى أن قال عليه السلام: فيقولون يا سيدنا حسبنا لذاذة منطقتك و النظر إلى نور وجهك لا نريد به بدلا و لا نبتغى عنه حولا «١» الخبر.

و المراد حصول غاية المعرفة المعبر عنها بالرؤية كما فى العلوى المشهور، أو مشاهدة أنوار النبى صلى الله عليه و آله و الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين المعبر عنهم بالمثل الأعلى و وجه الله تبارك و تعالى على ما يستفاد من الآيات و الاخبار، أو نور من أنوار شيعتهم من الكروبيين و الملائكة العالين و غيرهم كما يستفاد من الخبر المتضمن لتجليهم لموسى النبى صلى الله عليه و آله على نبينا و آله و عليه السلام.

و فى الكافى عن الصادق عليه السلام قال الله تبارك و تعالى يا عبادى الصديقين تنعموا بعبادتى فى الدنيا فإنكم تنعمون بها فى

الآخرة «٢».

أى بنفس العبادة لا على وجه الكلفة والمشقة بل على وجه التنعم واللذة إلى غير ذلك من الاخبار الكثيرة و من هنا يظهر أنه لا يرد على الصديق ما أورده عليه المفيد فى شرح الكلام المتقدم حيث قال و ثواب أهل الجنة الابتذال بالمآكل و المشارب و المناظر و المناكح و ما تدركه حواسهم مما يطبعون على الميل إليه و يدركون مرادهم بالظفر به و ليس فى الجنة من البشر من يلتذ بالتسيح و التقديس

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ٢١٥ ح ٢٠٥ عن الاختصاص.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٨٣ و عنه البحار ج ٧٠ ص ٢٥٣ ح ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٠٤

من دون الاكل و الشرب و القول بذلك شاذ عن دين الإسلام و هو مأخوذ من مذهب النصارى الذين زعموا أن المطيعين فى الدنيا يصيرون فى الجنة ملائكة لا يطعمون و لا يشربون و لا ينكحون و قد أكذب الله تعالى هذا القول فى كتابه بما رغب العالمين فيه من الاكل و الشرب و النكاح فقال تعالى: «أَكْلُهَا دَائِمٌ وَ ظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا» (١) و قال تعالى أيضا: «فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ» (٢) الآية و قال:

حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٣) قال: وَ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ \* (٤)، و قال: إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ هُمْ وَ أَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ (٥) و قال: وَ اتُّوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ (٦).

فكيف استجاز من أثبت فى الجنة طائفة من البشر لا يأكلون و لا يشربون و يتنعمون مما به الخلق من الأعمال و يتألمون، و كتاب الله شاهد بضد ذلك، و الإجماع على خلافه لو لا أن قلد فى ذلك من لا يجوز تقليده، أو عمل على حديث موضوع (٧) انتهى. إذ بما سمعت يرتفع التناقى بين الكلامين، و الحاصل أنه لا نزاع بين المسلمين فى ثبوت الجنة المحسوسة لكل واحد من المؤمنين، بل لكل فرد من أفراد البشر و إن ورثها غيره مع عدم قابليته لها، و عبارة الصدوق ظاهرة فى ذلك أيضا بل صريحة على ما سمعت، و استدلاله بالخبر المتضمن لأصناف العباد لا دلالة فيه

(١) الرعد: ٣٥.

(٢) محمد: ١٥.

(٣) الرحمن: ٧٢.

(٤) الدخان: ٥٤.

(٥) يس: ٥٥-٥٦.

(٦) البقرة: ٢٥.

(٧) بحار الأنوار ج ٨ ص ٢٠١-٢٠٢ عن مقالات المفيد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٠٥

على عدم التذاذ المحبين بنعيم الآخرة و لذاتها الحسية.

و توهم أن الاكل و الشرب و اللبس و غيرها من المشتبهات النفسانية و النعم الجسمانية كلها دفع الألم فإن الأكل مثلا إنما هو لسد الجوع و بعده لا لذة فيه أصلا، و كذا البواقي و حيث إنه لا شىء من الآلام فى الجنة فلا يمكن التنعم بتلك النعم.

مدفوع بعد الغص عما فيه بأنه لا يقاس النعم الاخروية بشىء من النعم الدنيوية التى يراد أكلها و شربها لدفع ألم الجوع و العطش و



لباسها للتوقى عن الحر و البرد و نكاحها للتوالد و حفظ النوع، و ذلك لأنّ بينهما بونا بينا فإنّ للنعم الأخرى من النور و السرور و الصفاء و البهاء ما لا يدركه عقول أهل الدنيا بل لا شركة بينهما إلّا فى الاسم على وجه الاستعارة و التمثيل لا الحقيقة، على أنّ ذلك يفضى إلى سدّ باب الجنّة الحسيّة مطلقا و لا ينبغي لمن آمن بالله و برسوله و باليوم الآخر أن يسدّها على نفسه، هذا مضافا إلى أنّ الجنّة المعقولة كما تتصور فى ثمرات العلوم و المعارف و الابتهاج بالأنوار القدسيّة و غيرها من النعم الروحانيّة التى لوّح عليها بقوله: **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ** «١»، و

بقوله فى الوحي القديم أعددت لعبادى الصّالحين ما لا- عين رأت و لا- أذن سمعت و لا- خطر على قلب بشر «٢» كذلك يمكن حصولها فى ضمن التنعم بالمستلذات الجسمانيّة سيّما مع ما هو المعلوم من قوّة مشاعرهم و زيادة قواهم و صفاء حواسهم بحيث لا يكاد يشغلهم تنعم عن تنعم و لا توجه عن توجه و لا ادراك عن ادراك على ما هو المقرّر فى محل آخر.

و لذا قال شيخنا المجلسى رحمه الله أن للتلذذ بالمستلذات الجسمانيّة أيضا مراتب و درجات بحسب اختلاف أحوال أهل الجنّة، فمنهم من يتلذذ بها كالبهائم يرتعون فى رياضها و يتمتعون بنعيمها كما كانوا فى الدّنيا من غير استلذاذ بقرب

(١) السجدة: ١٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ١٩١ ج ١٦٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٠٦

و وصال أو ادراك لمحبه و كمال، و منهم من يتمتع بنعيمها من حيث إنّها دار كرامه الله التى اختارها لأوليائه و أكرمهم بها و أنّها محلّ رضوان الله تعالى و قربه، فمن كلّ ريحانه يستنشقون نسيم لطفه، و من كلّ فاكهه يذوقون طعم رحمته، و لا يستلذون بالحوار إلّا لأنّه أكرمهم بها الربّ الغفور، و لا يسكنون فى القصور إلّا لأنّه رضيها لهم المالك الشكور، فالجنّة جنتان، روحانيّة و جسمانيّة، و الجنّة الجسمانيّة قالب للجنّة الروحانيّة، فمن كان فى الدنيا يقنع من العبادات و الطاعات بجسد بلا روح و لا يعطيها حقها من المحبّه و الإخلاص و سائر مكملات الأعمال فى الآخرة أيضا لا ينتفع إلّا بالجنّة الجسمانيّة، و من فهم فى الدّنيا روح العبادة و آنس بها و استلذ منها و أعطاهها حقها فهو فى الجنّة الجسمانيّة لا يستلذ إلّا بالنعم الروحانيّة، و لنضرب لك فى ذلك مثلا لمزيد الإيضاح فنقول: ربّما يجلس بعض سلاطين الزمان على سريره، و يطلب عامّة رعاياه و وزرائه و أمرائه و مقربى حضرته، و يعطيهم شيئا من الحلوات فكل صنف من أصناف الخلق ينتفع بما يأخذه من ذلك نوعا من الانتفاع و يلتذ نوعا من الالتذاذ على حسب معرفه لعظمة السلطان و رتبه انعامه، فمنهم جاهل لا ينتفع بذلك.

إلّا لأنّه حلو ترغّب الذائقه فيه فلا فرق فى ذلك عنده بين أن يأخذه من بايعه فى السوق أو من يد السلطان، و منهم من يعرف شيئا من عظمة السلطان و يريد بذلك الفخر على بعض أمثاله أو من هو تحت يده أن السلطان أكرمنى بذلك، و هكذا حتى ينتهى الأمر إلى من هو مقربى حضره السلطان و من طالبى لطفه و إكرامه فهو لا يلتذ بذلك إلّا لأنّه خرج من يد السلطان، و أنّه علامه لطفه و إكرامه، فهو يرضنّ بذلك و يخفيه، و يفتخر بذلك و يبديه، مع أنّ فى بيته أضعاف مبدولة لخدمه و عبيده، فهو لا يجد من حلاوته إلّا طعم القرب و الإكرام، و لو جعل السلطان علامه إكرامه فى بذل أمر الأشياء و أشبعها لكان عنده أحلى من جميع الحلوات، و لذا ترى فى عشق

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٠٧

المجاز إذا ضرب المعشوق محبّه ضربا وجيعا على جهة الإكرام فهو أشهى عنده من كلّ ما يستلذ منه سائر الأنام، فإذا كان مثل ذلك فى المجاز فى الحقيقة أولى و أحرى، فإذا فهمت ذلك عرفت أن أولياء الله تعالى فى الدنيا أيضا فى الجنّة و النعيم إذ هم فى عبادة ربّهم متلذذون بقربه و وصاله، و فى التّنعّم بنعيم الدّنيا إنّما يتلذذون لكونه ممّا خلقه لهم و بهم و محبوبهم و حباهم بذلك و رزقهم و

أعطاهم، و في البلايا و المصائب أيضا يلتذون بمثل ذلك لأنهم يعلمون أن محبهم و محبوبهم اختار لهم ذلك و علم فيه صلاحهم، فبذلك امتحنهم فهم بذلك راضون شاكرون، فتتعمهم بالبلايا كتتعمهم بالنعم و الهدايا إذ جهة الاستلذاذ فيهما واحدة عندهم، فهم في الدنيا و الآخرة بلطفه و قربه و حبه يتتعمون، و فيهما لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، فإذا فازوا بهذه الدرجة القصوى و وصلوا إلى تلك المرتبة الفضلى لا يعبدونه تعالى خوفا من ناره و أنها محرقة بل لأنها دار الخذلان و الحرمان، و محل أهل الكفر و العصيان و من سخط عليه الرحمان، و لا طمعا في جنته من حيث كونها محل المشتهايات النفسانية و الملاذ الجسمانية، بل من حيث إنها محل رضوان الله و أهل كرامته و قربه و لطفه، فلو كانت النار محل أهل كرامة الله لاختاروها كما اختاروا في الدنيا محنها و مشاقها لعلمهم بأن رضى الله فيها، و لو كانت الجنة محل من غضب الله عليه لتركوها و فرّوا منها كما تركوا ملاذ الدنيا لما علموا أن محبوبهم لا يرتضيها، و إذا دريت ذلك حق درايتته سهل عليك الجمع بين ما ورد من عدم كون العبادة للجنة و النار و المبالغة في طلب الجنة و الاستعاذة من النار و ما ورد في بعض الروايات و الدعوات من التصريح بكون العبادة لا بتغاء الدار الآخرة فإن من طلب الآخرة لقربه وصاله لم يطلب إلا وجهه، و من طلبها لاستلذاذه و تمتعه الجسماني لم يعبد

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٠٨

إلا نفسه «١».

أقول و هو جيد و جيه غير أن هناك جنان أخرى معقولة نسبتها إليه كنسبة المعقول الى المحسوس، و قد مرّ التلويح إليه في الاخبار المتقدمة و نظيره في هذا العالم اللذة الحاصلة للعارف الموحد من النظر في العلوم الحقيقية و المعارف الإلهية و المكاشفات الواقعية و المشاهدات اليقينية و التجليات الجلالية و الجمالية و غيرها مما لم يخطر على قلب بشر فإن اللذات الحسية و لو على الوجه الذى بسط في شرحها ليس لها قدر بالنسبة إلى هذه الأمور فضلا عن غيرها مما لم تصل إليه عقولنا و

مما اشتهر نقله عن مولانا أمير المؤمنين و رواه الشيخ ابن جمهور الاحسائي في «المحلى» عنه عليه السلام أنه قال: إن لله تعالى شرابا لأولياؤه إذا شربوا سكروا و إذا سكروا طربوا و إذا طربوا طابوا و إذا طابوا ذابوا و إذا ذابوا خلصوا و إذا خلصوا طلبوا و إذا طلبوا وجدوا و إذا وجدوا وصلوا و إذا وصلوا اتصلوا و إذا اتصلوا لا فرق بينهم و بين حبيبيهم «٢».

و لعل هذا الشراب هو المشار إليه بقوله: و سقاهم ربهم شراباً طهوراً «٣».

و ما ذكرناه من التجليات و غيرها هو المعبر عنه بالرؤية من المعبرة على وجه لا تأبى عنه ضرورة المذهب.

ففى «التوحيد» للصدوق عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قلت له:

أخبرنى عن الله عزّ و جل هل يراه المؤمنون يوم القيامة، قال: نعم و قد رأوه قبل يوم القيامة

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ٢٠٢-٢٠٥.

(٢) عدّ من الاخبار الضعيفة التي تمسك بها الصوفية كما فى كتاب الخبراتية فى إبطال طريقتهم ج ٢ ص ٣٣٥.

(٣) الإنسان: ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٠٩

فقلت: متى قال حين قال لهم: أ لست برّبكم قالوا بلى «١»، ثم سكت ساعة، ثم قال: و إن المؤمنين ليرونه فى الدنيا قبل يوم القيامة الست تراه فى وقتك هذا؟ قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك فأحدث بهذا عنك؟ قال: لا فإنك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله ثم قدر أن ذلك تشبيه و كفر و ليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه المشبهون و الملحدون «٢».

اختلفوا في أن الثواب والعقاب هل هما جزاءان على الأعمال مغايران لها أم هما الأعمال الحسنه والسّيئه قد ظهرتا بصورة أخرى مناسبة للدّار الآخرة باعتبار مجرّد إختلاف أحكام الدّار و سنخ العالم كظهور شيء واحد في عوالم مختلفه بصور متخالفة كما أنك ترى زيدا مرّة بصورته الحسيه بالبصر وأخرى بصورته الملكوتية بتصوره إذا غاب عنك أو باعتبار عروض طوارئ التّموم و التّربية عليها كظهور الثّواء شجرة ذات أوراق و أغصان و اثمار بعد سنين و ظهور النطفة إنسانا عالما أمرا ناهيا بعد حين.

فذهب كثير من المسلمين إلى الأوّل نظرا إلى أن الأعمال أعراض قائمة بمحالتها، فهي فانية بانقضاء أزمنتها و محالها من غير أن يكون لها بقاء أو عود أصلا مضافا إلى الآيات و الأخبار الدّالة بظواهرها على كون الثواب و العقاب جزاء على الأعمال و مقابلة لها بمثلها، مع ما دلّ على أن الجنّة و النار بما فيهما ممّا يثاب به أو يعاقب كانت مخلوقة قبل خلق بنى آدم، و لو كانت مخلوقة من أعمالهم لتأخر خلقها عن خلقهم المتدرج إلى يوم القيامة، إلى غير ذلك ممّا يدل عليه من ظواهر

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٤ ص ٤٤ ح ٢٤ عن التوحيد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥١٠

الآيات و الأخبار و غيرها، حتى أنه ذهب المفيد «١» و جماعة إلى إنكار وزن الأعمال بظاهره نظرا إلى أنها أعراض و معاني لا يتعلّق تجسّمها و لا-وزنها، بل المراد من الميزان التعديل بين الأعمال و الجزاء عليها لا على وجه الإحباط على ما يأتي، و إلّا فلا وزن و لا ميزان على الحقيقة و قال الآخرون منهم أن الميزان بظاهرة حتى إلّا أن الله تعالى يخلق بإزاء الأعمال و مناسباتها صوراً حسنة أو قبيحة و تكون هي الموزونة في الميزان الحقيقي.

و ذهب ثالث إلى أن الموزون صحايف الأعمال لا نفسها لظواهر بعض الاخبار التي ستسمعها عند التعرض للمسألة في تفسير الآيات المتعلقة بها إنشاء الله تعالى.

و ذهب جمع من المحققين إلى الثاني و هم بين من أثبت تجسّم الأعمال و تجوهر الأعراض على وجه القضية الجزئية، بمعنى إثباتها للبعض أو للكل، و الكل بعض ما في الجنّات من الحور و القصور و غيرها، و بين من أثبتته على الكلّية، فليس عندهم لها وجود و لا ظهور إلّا بمواد الأعمال و صورها، قال الملا صدرا «٢» بعد كلام طويناه، فتحقّق و تبين أن الجنّة الجسمائية عبارة عن الصور الإدراكية القائمة

(١) ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام البغدادي شيخ المشايخ الجلّة و رئيس رؤساء الملّة و محيي الشريعة توفى ليلة الثالث من شهر رمضان سنة (٤١٣) هـ قال السيّد الجليل السيد حسين البروجردى في نخبه المقال:

و شيخنا المفيد بن محمد عدل له التوقيع هاد مهتد

استاذة صدوق السعيد و بعد عزّ (٧٧) رحم المفيد (٤١٣) - هدية الأجاب ص ٢٤٤-

(٢) هو صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي الحكيم المتأله فارس حكماء فارس، صاحب الأسفار و شرح أصول الكافي توفى بالبصرة حال توجهه الى الحج سنة (١٠٥٠) هـ و قد أشار اليه السيّد المؤلف البروجردى في نخبه المقال بقوله:

«ثم ابن ابراهيم صدر الأجلّ في سفر الحج (مريض ١٠٥٠) ارتحل

قدوة أهل العلم و الصفاء و يروى عن الداماد و البهائي

. تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥١١

بالنفس الخيالية مما تشتهيها النفس و تستلذها و لا مادة و لا مظهر لها إلا النفس، فكذا فاعلها و موجودها القريب و هو هي لا غيره و أنّ النفس الواحدة من النفوس الانسانية مع ما تتصور و تدركه من الصور بمنزلة عالم عظيم نفساني أعظم من هذا العالم الجسماني بما فيه، و ان كلّ ما يوجد فيها من الأشجار و الأنهار و الأبنية و الغرفات كلّها حيّة ب حياة ذاتية، و حياتها كلها حياة واحدة، و هي حياة النفس التي تدركها و توجدها و أنّ ادراكها للصور هو بعينه إيجادها لها، لا أنّها أدركتها فوجدتها أو أوجدتها فادركتها كما في أفعال المختارين ممّا في هذا العالم، حيث إنّنا نتخيل شيئاً ملائماً كالحركة أو الكتابة أولاً فنفعله ثانياً ثمّ نتخيله بعد ما فعلناه، بل أدركتها موجودة و أوجدتها مدركة بلا تقدّم و تأخر و لا مغايرة إذ الفعل و الإدراك هنا شيء واحد (١).

أقول و التحقيق أنّ إنكار الجنّة و النار الاخرويّتين الموجودتين في نفسيهما مع قطع النظر عن طاعة المطيعين و معصية العاصين ممّا يخالف ما هو المعلوم بالضرورة من الدّين، و تأويل الآيات و الأخبار بتزليلها على الصور النفسانية أو الحاصلة منها أو من النفس الإنسانية ملعبة بشريعة سيّد المرسلين، و الذي يستفاد من الاخبار الكثيرة أنّهما خلقتا قبل خلق آدم و حواء على نبينا و آله و عليهما السلام، و أنّ الجنّة مظهر الرحمة الكليّة و الولاية الحقيقية خلقت من أشعه أنوارهم عليه السلام، و أنّ طينة المؤمنين مأخوذة من الجنّة، و أنّ فيها شجرة تسمى المزن فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً قطر منها قطرة فلا تصيب بقله و لا ثمرة أكلها مؤمن أو كافر إلا أخرج الله تعالى من صلبه مؤمناً، إلى غير ذلك ممّا يدل على سبقها على أهلها خلقاً و أنّها

(١) الاسفار ج ٩ ص ٣٤٢ ط بيروت.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥١٢

أعدت لهم و أنّهم وعدوها و يجزون بها، و أنه كما قال تعالى: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ (١) و أنّهم يدخلونها و يخلدون فيها، و أنّ التفضل بها على الكلّ أو الجل ليس بالاستحقاق و مقابلة العمل فضلاً عن تكونها منه بل مجرد الفضل و الرحمة كما يستفاد من قوله: مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ (٢) و لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا (٣) إلى غير ذلك ممّا يغني ضرورة المذهب بل الدّين عن الإطناب فيه، نعم ربما يستفاد ذلك بالنسبة إلى بعض الأعمال الدنيوية أو بعض المثوبات و العقوبات الاخروية من ظواهر بعض الآيات كقوله: إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ\* (٤) يَسِّرْ تَعَجَّلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥) يَصْلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَ مَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (٦) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧)، يَوْمَئِذٍ يَصِفُّ أَلْسِنُ النَّاسِ أَشْتَاتًا لِّيرَوُاْ أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَ مَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا (٩)، إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

(١) السجدة: ١٧.

(٢) الانعام: ١٦.

(٣) النور: ٢١.

(٤) التحريم: ٧.

(٥) العنكبوت: ٥٤.

(٦) الانفطار: ١٥-١٦.

(٧) التكاثر: ٥-٧.

(٨) الزلزال: ٦-٨.

(٩) آل عمران: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥١٣

«١»، إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ «٢»، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعِدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ «٣»، إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا «٤»، وَلَا يَعْتَبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ «٥»، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ «٦»، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا «٧»، إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* «٨». بل يستفاد من كثير من الأخبار أيضا

فعن عن أبي الطفيل عامر بن واثله قال قلت: يا أمير المؤمنين أخبرني عن حوض النبي صلى الله عليه وآله في الدنيا أم في الآخرة قال: بل في الدنيا قلت فمن الذائد عنه؟ قال: أنا بيدي ولأوردته أوليائي ولأصرفن عنه أعدائي «٩».

و في النبوي: إِنَّ الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ إِنَّمَا يَجْرَجُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ «١٠».

و روى القمي في تفسيره عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسرى بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها ملائكة يبنون لبنه من ذهب و لبنه من فضة،

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) القمر: ٤٧.

(٣) القمر: ٥٤.

(٤) النساء: ١٠.

(٥) الحجرات: ١٢.

(٦) الدخان: ٥١-٥٢.

(٧) الإنسان: ٦.

(٨) الانفطار: ١٣.

(٩) مختصر بصائر الدرجات ص: ٤٠، بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٨ ح ٦٦.

(١٠) في البحار ج ٦٦ ص ٥٣١ عن المجازات النبوية: للشارب في آنية الذهب و الفضة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥١٤

و ربما أمسكوا فقلت لهم، ما بالكم ربما بنيتم و ربما أمسكتكم؟ فقالوا: حتى تجيئنا النفقة؟ فقلت لهم و ما نفقتكم؟ فقالوا: قول المؤمن في الدنيا: سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر، فإذا قال بنينا و إذا أمسك أمسكنا «١».

و قد روى في النبوي أيضا أن في الجنة قيعانا و إن غراسها قول سبحان الله و الحمد لله «٢».

و عن أبي أيوب الانصاري عنه صلى الله عليه وآله أنه قال لَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَّ بِي إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ مَرَّ أُمَّتُكَ أَنْ يَكْتُمُوا مِنْ غَرَسِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ أَرْضَهَا وَاسِعَةٌ وَ تَرَبَّتْهَا طَيِّبَةٌ قَلْتُ وَ مَا غَرَسِ الْجَنَّةِ قَالَ: لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ «٣».

و في تفسير الامام عليه السلام أن الله عزّ و جل إذا كان أول يوم من شعبان أمر بأبواب الجنة فتفتح، و يأمر شجرة طوبى فتطلع أغصانها على هذه الدنيا ثم ينادى منادى ربنا عزّ و جل:

يا عباد الله هذه أغصان شجرة طوبى فتعلقوا بها تؤديكم الى الجنان، و هذه أغصان شجرة الزقوم فأياكم و أيها لا تؤديكم إلى الجحيم، ثم قال: فواللهي بعثني بالحق نبيا أن من تعاطى بابا من الخير في هذا اليوم فقد تعلق بغصن من أغصان شجرة طوبى فهو مؤديه إلى الجنان.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله فمن تطوع لله بصلاة في هذا اليوم فقد تعلق منه بغصن، و من تصدق في هذا اليوم فقد تعلق

منه بغصن ثم ذكر أنواع كثيرة من أنواع المعروف و ان فعلها هو التعلق بغصن من أغصانها و ان من تعاطى بابا من أبواب الشر فقد تعلق بغصن من أغصان الزقوم «٤».

(١) بحار الأنوار ج ١٨ ص ٤١٩ ج ١٢٠ عن تفسير القمي ص ٢٠.

(٢) في البحار ج ٧ ص ٢٢٩: و إن غراسها: سبحان الله و بحمده.

(٣) مسند أحمد ج ٥ ص ٤١٨، مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٩٧، البحار ج ١٨ ص ٣٥٣ ح ٣٦

(٤) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٦٦-١٦٧ عن تفسير الامام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥١٥

و في الأمالي عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله: من قال سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة و من قال الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة، و من قال لا إله إلا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة، و من قال الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة، فقال رجل من قريش: يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير قال: نعم و لكن إياكم أن ترسلوا عليها نيرانا فتحرقوها، و ذلك لأن الله عز و جل يقول يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و لا تبطلوا أعمالكم «١» «٢».

و في الكافي عن الصادق عليه السلام ان الله تعالى يقول ما من شيء إلا وقد وكلت به من يقبضه غيره إلا الصدقة، فإني أتلقفها بيدي تلقفا حتى أن الرجل ليتصدق أو المرأة لتتصدق بالتمر أو بشق التمرة فأريها له كما يربي الرجل فلوله و فصيله يتأتى يوم القيامة و هو مثل أحد و أعظم من أحد «٣».

و في الكافي عن الصادق عليه السلام في خبر طويل قال: إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال يقدمه أمامه، كلما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تفزع و لا تحزن و أبشر بالسرور و الكرامة من الله عز و جل، حتى يقف بين يدي الله عز و جل، فيحاسبه حساباً يسيراً و يأمر به إلى الجنة، و المثال أمامه فيقول له المؤمن:

يرحمك الله نعم الخارج خرجت معي من قبري، و ما زلت تبشرنى بالسرور و الكرامة من الله عز و جل حتى رأيت ذلك، فمن أنت فيقول أنا السرور الذي كنت أدخلته على أخيك المؤمن في الدنيا خلقني الله عز و جل منه «٤».

و فيه عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: ان ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام

(١) محمد: ٣٣.

(٢) الأمالي للصدوق ص ٣٦٢ و عنه البحار ج ٨ ص ١٨٦-١٨٧ ح ١٥٤.

(٣) الكافي ج ٤ ص ٤٧ ح ٦.

(٤) الكافي ج ٢ ص ١٩٠ و عنه البحار ج ٧٤ ص ٢٩٠-٢٩١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥١٦

الدنيا إلى - أن قال- فان كان وليا لله أتاه أطيب الناس ريحا و أحبهم منظرا و أحسنهم رياشا فقال أبشر بروح و ريحان و جنّة نعيم و مقدمك خير مقدم فيقول له أنا عملك الصالح «١».

و في خبر آخر عن الصادق عليه السلام فيقول أنا رأيك الحسن الذي كنت عليه و عملك الصالح الذي كنت تعمله «٢» الخبر.

و هو كما ترى صريح في تجسم كل من الأعمال و الاعتقادات، و تحقيق ذلك أن الحقائق و الماهيات لها تقرّر في نفس الأمر و لها وجود في إدراك العقل، و في المشاعر الباطنة و الظاهرة المتزلّة عن الإدراك العقلي المغاير لوجودها بحسب الواقع، و الحاصل أنها تنصبغ بأحكام العوالم التي هي مظاهر الوجود و محال الظهور، و لذا ترى الحقيقة الانسانية مثلا- تظهر في البصر بالصورة المعينة

المكتنفة بالعوارض المادية ملازمة لوضع معين من قرب و بعد و غير ذلك، و هي بعينها تظهر في الحس المشترك بصورة تشابهها من غير تلك الشرائط و هي في الحالين تقبل التكثر بحسب الأشخاص كصورة زيد و بكر، ثم تظهر تلك الحقيقة في العقل بحيث لا تقبل الكثرة و تصوير الأفراد المتكثرة في الصورة المبصرة و المتخيلة متحدة في الصورة العقلية، فظهر من ذلك أن الحقيقة الواحدة مع وحدتها الذاتية قد تظهر في صور كثيرة متخالفة الحكم في نفسها مع مغايرتها للجميع، و من هذا الكلام يفتح لك باب تعبير المنام فإن الأشياء قد يظهر لك في الرؤيا بصورة جوهريه مع كونها أعراضا في الخارج كظهور العلم فيها بصورة اللبن، و تعليم الحكمة غير أهلها بتعليق الدر في أعناق الخنازير، و أذان المؤذن في شهر رمضان قبل الفجر بالختم على أفواه الرجال

(١) البحار ج ٦ ص ٢٢٥ عن تفسير القمي.

(٢) البحار ج ٦ ص ٢٤٧ ح ١١٤ عن الكافي ج ١ ص ٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥١٧

و فروج النساء، و يظهر فيها العدو بصورة الكلب و الحية و نحوهما، و السرور، بصورة الماء الصافي و الحمى بصورة الحمام، و الغم و الحزن بصورة شيء من الحلويات و غير ذلك مما لا يحصى، فإذا ألقى الى المعبر تصرف فيها من جهة المناسبة المعبرة بينهما فيخبر بالشيء قبل وقوعه.

و من هنا

قد ورد أن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا «١».

ففي هذا العالم ينظرون إلى الأشياء و لا يعرفونها بحقائقها التي هي عليها و إنما يتوهمون في الطاعات و التقيد بحدود الشرع مرارة و كلفة و ثقلا و مشية، و في مخالفة الأوامر و غضب الأموال و أكلها بالباطل و هتك الحرمات حلاوة و سرورا و نشاطا، و لا يعلمون أن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، و مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، و الأنبياء و الأوصياء و خلفاؤهم هم المعبرون من الحق بالحق لرؤيا الخلق، و إن اتفقت كلمة الطغاة لجفأة العصاة على تكذيبهم و الرد عليهم و لم يصدقهم إلا أقل قليل، إنما لمشاهدة الحقائق على ما هي عليها كما يرون الدنيا جيفة و طالبها كلابا، و إنما لتصديق الرسل و الأنبياء إيمانا بالغيب أو لغير ذلك، بخلاف غيرهم ممن هو من شقوة لازمة و غفلة دائمة فلا يتنبهون إلا بنفخة الصور فإذا انتقلوا عن هذه الدار و استيقظوا من رقدتهم و تنبهوا من غفلتهم فيقال للكافر الجاحد: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ «٢»، فيظهر سوء الخلق بصورة ضغطة القبر كما قال صلى الله عليه و آله في سعد بن معاذ «٣» أنه قد أصابته ضمة إنه كان في خلقه

(١) بحار الأنوار ج ٤ ص ٤ و ج ٦ ص ٢٧٧.

(٢) ق: ٢٢.

(٣) هو سعد بن معاذ بن النعمان الانصاري الاشهلي سيد الأوس الشهيد في غزوة الأحزاب سنة (٥) هـ - التقريب ج ١ ص ٣٤٦ و العبر ج ١ ص ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥١٨

مع أهله سوء «١» و يحشر المتكبر على صور الدر تطأهم أقدام الناس في المحشر، و تحشر من النساء من تؤذى زوجها معلقة بلسانها، و من كانت تخرج من بيتها بغير اذن زوجها معلقة برجليها و من كانت لا تغطي شعرها من الرجال معلقة بشعرها، و من كانت تزين بدنها للناس تضرب فتأكل لحم جسدها، إلى غير ذلك مما استفاضت به الاخبار و قد مر شطر منها و من الآيات الظاهرة في ظهور الأعمال و تجسمها بالصورة المناسبة لعالم الآخرة ككون أكل مال اليتيم ظلما أكلا للنار ملاً بطنه، و المغتاب أكلا للحم أخيه ميتا، و عود التمرة

التي تصدق بها صاحبه بعد تربيته سبحانه كجبل أحد و أعظم، و تجسم الخلق الحسن و الأعمال الصالحة بالصور الحسنه المليحة و غير ذلك ممّا مرّ.

و قد ظهر من جميع ذلك أنّه لا- مانع من التّجسم عقلا- باعتبار تربية نفس هذه الأعمال في صقع الملكوت بإيصال الإمدادات و الفيوض الغيبية على ما هو مقتضى التربية الإلهية، كما أنّه لا شبهة في وقوعه و صحته في الجملة حسبما هو المقطوع به من الأدلة المتقدمة.

و أمّا أنّ حقيقة الجنّة و النار لكلّ أحد هو ما كان عليه من الإيمان و الكفر و جميع ما فيهما من أنواع النعيم و ألوان العذاب هو نفس الأعمال و العقائد فلم يظهر عليه دليل من العقل و النقل، و ظواهر الكتاب و السنة كون ذلك على وجه الجزاء و المقابلة و التفضل، بل التأمل في الكتاب و السنة يقضى على ذلك القول بنفي الكليّة، و ان ظهر منهما صحته في الجملة و لو من جهة الاتحاد في الحقيقة أو اعتبار المماثلة في الجزاء كما قال سبحانه وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا «٢»، و نحن إنّما كلّفنا

(١) سفينة البحار ج ١ ص ٤٢٤.

(٢) الشورى: ٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥١٩

بالإيمان بالغيب لا الرّجم بالغيب، و الله العالم بالحقائق، و حججه هداة الخلائق.

وَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ «١» الأزواج جمع زوج، و هو يقع على الرجل و المرأة، و إن أطلقت عليها الزوجة أيضا و زوج كل شيء شكله و نظيره و ضده من سنخه، كالرطب و اليابس و الحلو و المرّ، و لذا قال تعالى: خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى «٢»، و مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ «٣»، أى ضدّين متوافقين في السنخ،

و قال عليه السّلام: «بمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له» «٤»، و قالوا: كل ممكن زوج تركيبى أى مركب من الوجود و الماهية، و الطهارة هي النظافة و النزاهة من الأقدار و الأدناس و يقال: النساء فعلت و النساء فعلن، و هنّ فاعلة و فواعل، و هما لغتان فصيحتان، و المفرد بتأويل الجماعة في الإسناد و التوصيف و غيرهما، فالمعنى في المقام جماعة أزواج مطهّرة، و قرأ زيد بن عليّ مطهرات و عبيد بن عمير «٥» مطهّرة بالتشديد، بمعنى متطهّرة لكن في صيغة التفعيل من المبالغة في توصيفهنّ و الفخامة لصفتهن ما ليس في غيرها. و في تقديم المسند على المسند اليه و على الظرف مع اللام المفيدة للاختصاص و التشريف، و تنكير المسند إليه على صيغة الجمع و جوه من الجزالة و الفخامة و التخصيص بالكرامة، سيّما مع التوصيف بالتطهير الدال على الكينونة لا التصيير كما في آية التطهير، و المراد طهارتهنّ ممّا يختص بالنساء من الحيض

(١) البقرة: ٢٥.

(٢) النجم: ٤٥.

(٣) الذاريات: ٤٩.

(٤) الأمالي للسيد المرتضى ج ١ ص ١٠٣، الاحتجاج ج ١ ص ٢٩٨.

(٥) هو عبيد بن عمير بن قتادة ابو عاصم الليثي المكي، ولد في زمن النبي صلّى الله عليه و آله، و توفي سنة (٧٤) هـ. و له ترجمة في غاية النهاية للجزري ج ١ ص ٤٩٦ رقم ٣٠٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٢٠

و النفاس و الاستحاضة و الولادة و ممّا لا- يختص بهنّ من دنس الطباع و سوء الأخلاق و إضمار الشقاق و النفاق و غير ذلك من



أعراض هذه الدار و مكارهها لأنها على

ما رواه في «الإحتجاج» عن الصادق عليه السلام: خلقت من الطيب لا تعتربها عاهة، و لا تخالط جسمها آفة، و لا يجرى في ثقبها شيء، و لا يدنسها حيض و الرحم ملتزقة و كلما أتاها زوجها وجدها عذراء و هي تلبس سبعين حلة، و يرى زوجها مخ ساقها من وراء حللها و بدننها كما يرى أحدكم الدراهم إذا ألقيت في ماء صاف قدره قيد رمح «١».

و في البحار عن كتاب الحسين بن سعيد «٢» بالإسناد عن النبي عليه السلام: أن أدنى أهل الجنة منزلة من الشهداء من له اثني عشر ألف زوجة من الحور العين، و أربعة آلاف بكر، و اثني عشر ألف ثيب تخدم كل زوجة منهن سبعون ألف خادم، غير أن الحور العين يضعف لهنّ يطوف على جماعتهن في كل أسبوع، فإذا جاء يوم إحداهن أو ساعتها اجتمعن إليها يصوتن بأصوات لا أصوات أحلى منها و لا أحسن، حتى ما يبقى شيء إلا اهتر لحسن أصواتهن يقلن:

ألا نحن الخالدات فلا نموت أبدا، و نحن الناعمات فلا نبؤس أبدا

. و في الكافي عنه صلى الله عليه و آله: إن لكل مؤمن سبعين زوجة حوراء و أربع نسوة من الآدميين، و المؤمن ساعة مع الحوراء، و ساعة مع الآدمية، و ساعة يخلو بنفسه على الأراك متكئا ينظر بعض المؤمنين إلى بعض، و إن المؤمن ليغشاه شعاع نور و هو على أريكته فيقول لخدّامه، ما هذا الشعاع اللامع لعل الجبار لحظني؟ فيقول له

(١) البحار ج ٨ ص ١٣٦ ح ٤٨ عن الاحتجاج ص ١٩٢.

(٢) هو الحسين بن سعيد بن حماد بن سعيد بن مهران الكوفي الهمداني توفى بقم و له ثلاثون كتابا و هو ثقة جليل القدر، روى عن أبي الحسن الرضا و أبي جعفر الجواد و أبي الحسن الثالث عليهم السلام - سفينة البحار ج ١ ص ٢٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٢١

خدّامه قدوس قدوس جل جلاله، بل هذه حوراء من نساءك، فمن لم تدخل بها بعد أشرفت عليك من خيمتها شوقا إليك، و قد تعرضت لك و أحببت لفتاك، فلما أن رأتك متكئا على سريرك تبسّمت نحوك شوقا إليك، و الشعاع الذي رأيت و النور الذي غشيك هو من بياض ثغرها و صفائه و نقائه و رفته، فيقول ولي الله: ائذنوا لها فتزل إلى فيتدر إليها ألف وصيف و ألف وصيفة يبشرونها بذلك، فتزل إليه من خيمتها و عليها سبعون حلة منسوجة بالذهب و الفضة مكلّلة بالدر و الياقوت و الزبرجد صبغهنّ المسك و العنبر بألوان مختلفة يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة طولها سبعون ذراعا و عرض ما بين منكبيها عشرة أذرع، فإذا دنت من وليّ الله أقبل الخدّام بصحاف الذهب و الفضة فيها الدر و الياقوت و الزبرجد، فينشرونها عليها ثم يعانقها و تعانقه فلا تمل و لا يمل «١».

و في تفسير الامام عليه السلام: وَلَهُمْ فِيهَا فِي تِلْكَ الْجَنّاتِ أَرْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَقْدَارِ وَ الْمَكَارِهِ، وَ مَطَهَّرَاتٍ مِنَ الْحَيْضِ وَ النَّفَاسِ، وَ لَا وَّلَاجَاتٍ وَ لَا خَرَاجَاتٍ وَ لَا دَخَالَاتٍ وَ لَا خَتَالَاتٍ وَ لَا مَتَغَايِرَاتٍ، وَ لَا لِأَزْوَاجِهِنَّ فَرَكَاتٍ وَ لَا صَحَّابَاتٍ، وَ لَا عَيْبَاتٍ، وَ لَا فَحَاشَاتٍ، وَ مِنْ كُلِّ الْمَكَارِهِ وَ الْعِيُوبِ بَرِيَّاتٍ، وَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مُقِيمُونَ فِي تِلْكَ الْبَسَاتِينِ وَ الْجَنّاتِ «٢».

أقول الولّاجه الخراجه هي الكثيرة الدخول و الخروج و في القاموس رجل خراج و لّاج كثير الظرف و الاحتيال و الدخالات الغاشات المفسدات أو كثيرة الدخول في الأمور التي لا ينبغي لها الدخول فيها و ربما يضبط الولّاجات بالحاء المهملة مفسّرة بالحمالة زوجها بما لا يطيق، و على هذا فتكون الخراجه الدخالة بمعنى كثيرة الخروج و الدخول و الختالات الخداعات و المتغاييرت من الغيرة على

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٦٠ ح ٩٨ عن الكافي الروضة ص ٩٥ - ١٠٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٤٠ عن تفسير الامام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٢٢

أزواجهن و فركات مبغضات و الصيخابات بالصاد المهملة ثم الخاء المعجمة كثيرة الصياح و الكلام و فى بعض النسخ بدلها و لا متخابات و هى المتخادعات و العيابات من العيب و فى بعض النسخ العتابات من العتب و الفتخاشات من الفحش و فى الصافى بدلها التخاسات و فسرها بالدفاعات و لم أجد لها فى شىء من النسخ و هم فيها خالِدُونَ دائمون فى النعمة و السرور و الجور، لا ينقص عيشهم بخوف الزوال، و لا- يتطرق إليهم خوف الفناء و الانتقال، بل هم متنعمون فيما أعد لهم من النعم فيما لا يزال فان الخلود دوام البقاء من وقت مبتدأ على ما صرح به فى «مجمع البيان» و «الصحيح» و «القاموس» و غيرها و فى «الكشاف» أنه الثبات الدائم و البقاء اللازم الذى لا ينقطع قال الله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ» (١).  
و فى الصحيفة السجادية: اللهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود (٢).

و قال امرئ القيس:

ألا أنعم صباحا أيها الطلل البالى و هل ينعمن من كان فى العصر الخالى و هل ينعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما بيت بأوجال (٣).  
و من هنا يظهر أن ما ربما يحكى فى بعض الحواشى عن الزمخشري من أن الخلد من الأسماء الغالبة للمعنى كالدابة للعين فإنه فى الأصل فى الدوام الذى ينقطع ثم غلب استعماله فى الدوام الذى لا ينقطع مما لا أصل له كما تبه عليه فى الكشف و غيره.  
و أما ما ذكره القاضى تبا للرازي ناسبا له إلى أصحابه و هم الأشاعرة من أن

(١) الأنبياء: ٣٤.

(٢) الدعاء: ٣٢.

(٣) الكشاف ج ١ ص ٢٦٢ ط بيروت دار الفكر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٢٣

الخلد و الخلود فى الأصل الثبات المديد دام أو لم يدم، و لذلك قيل للأثافي و الأحجار خوالد، و للجزء الذى يبقى من الإنسان على حاله ما دام حيا خلد، و لو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأييد فى قوله: خالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا\* (١) لغوا و استعماله حيث لا- دوام كقولهم، وقف مخلد يوجب اشتراكا أو مجازا و الأصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الإنسان مثل قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ» (٢)، الآية.

ففيه أن الثابت من التبادر و غيره من أمارات الوضع بل و من تصريح أئمة اللغة و غيرهم وضعه لدوام البقاء لا من حيث كونه فردا للثبات المديد بل من حيث الخصوصية فيكون مجازا فى غيره حتى فى الجامع، مع أن اطلاق الآية دليل على كونه حقيقة فيما ذكرناه، كيف و قد اتفق من البشر من كان طوال الأعمار كخضر و الياس بل و كذا مثل نوح و غيره.

و أما اطلاق الخوالد على الأثافي و الصخور فبالإضافة على ضرب من المجاز.

و لذا قال فى «الصحيح» إنه قيل لأثافي الصخور خوالد لبقائها بعد دروس الاطلاق.

و أما ما يقال من أنه لو كان التأييد داخلا فى مفهوم الخلد لكان ذلك تكرارا فيه أنه تأكيد لجزء معناه لا أنه تكرار لتمامه كما نته عليه فى موضعه إن شاء الله.

و أما قيدناه بوقت مبتدأ لعدم إطلاقه على من لم يزل و لا يزال، و لذا لا يوصف الله سبحانه بأنه خالد.

(١) الأحزاب: ٦٥.

(٢) الأنبياء: ٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٢٤

ثم انّ مذهب الامامية خلود أهل الجنة فيها دائما أبدا و وافقهم فيه أكثر المخالفين كالمعتزلة و بعض الاشاعرة بل ادعى كثير من المحققين عليه إجماع المسلمين، و ربما يعزى إلى بعضهم للقول بالانقطاع، و الظاهر أنّ هذا القول كان منسوباً إليهم أيضا في عصر الأئمة عليه السلام.

روى الكشي في رجاله عن يحيى بن أبي بكر قال: قال النّظام «١» لهشام بن الحكم «٢» أن أهل الجنة لا يقون في الجنة بقاء الأبد فكيف يكون بقاءهم بقاء الله و محال يقون كذلك فقال هشام إنّ أهل الجنة يقون بمبق لهم و الله يبقى و ليس هو كذلك فقال: محال أن يقون للأبد، قال: فالى ما يصيرون؟ قال يدركهم الخمود، قال: فبلغك أن في الجنة ما تشتهي الأنفس؟ قال: نعم، قال: فان اشتهوا و سألو ربهم بقاء الأبد؟ قال: إنّ الله تعالى لا يلهمهم ذلك، قال فلو أنّ رجلا من أهل الجنة نظر إلى ثمرة على شجرة فمد يده ليأخذها فتدلت إليه الشجرة و الثمار، ثم كانت منه بعتة فنظر إلى ثمرة أخرى أحسن منها فمد يده اليسرى ليأخذها فأدركه الخمود و يده متعلقتان بشجرتين فارتفعت الأشجار و بقي هو مصلوبا فبلغك أنّ في الجنة مصلوبين، قال: هذا محال، قال فالذى أتيت به أمحل منه، أن يكون قوم قد خلقوا و عاشوا فأدخلوا الجنان يموتهم فيها يا جاهل «٣».

و بالجملة دوام البقاء و التّنعّم ممّا يدل عليه صراح الآيات و صحاح الروايات المتضمنة للخلود و للدوام و لذبح الموت بين الجنة و النار.

(١) هو ابراهيم بن سيار بن هانى البصرى المتكلم المعتزلى مات سنة (٢٣١) هـ، سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٢٥٩.

(٢) هشام بن الحكم أبو محمد الكوفى المناظر المتكلم الجليل توفى نحو سنة (١٩٠) هـ

(٣) رجال الكشى ص ٢٧٤ رقم ٤٩٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٢٥

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة و أهل النار النار جيء بالموت في صورة كبش حتى يوقف بين الجنة و النار، قال: ثم ينادى مناد يسمع أهل الدارين جميعا: يا أهل الجنة يا أهل النار، فإذا سمعوا الصوت أقبلوا فيقال لهم: أتدرون ما هذا؟ هذا هو الموت المذى كنتم تخافون منه في الدنيا، قال: فيقول أهل الجنة اللهم لا تدخل الموت علينا، قال: و يقول أهل النار: اللهم أدخل الموت علينا قال: ثم يذبح كما تذبح الشاة قال: ثم ينادى مناد: لا موت أبدا أيقنوا بالخلود، قال: فيفرح أهل الجنة فرحا لو كان أحد يومئذ يموت من فرح لماتوا، و يشهق أهل الجنة شهقة لو كان أحد يموت من شهيق لماتوا «١».

و من هنا يظهر أنّ العلم ببقائهم و تنعمهم سرمد الأبد بموت الموت و حياة الحياة من أعظم النعم عليهم، فختم به الآية لانتهاه الى اللانهاية.

و أمّا الإتيان بالموت في صورة الكبش أو خصوص الأملح فللتنبية على نهاية ذلته و حقارته في عبوديته و أطاعته، و قد يعلل كونه أملح بأنّ هذا اللون مركّب من بياض و سواد ممتزجين فهو في حقّ المؤمن نور، و في حقّ المنافق ظلمة، و لما كان ذلك كذلك و لم يكن في احدى جهتيه مستمرا اقتضى امتزاج طبعية اختلاط لونه فكان أملح.

و في كلام بعض المحققين كون الذبح بشفرة يحيى على نبيّنا و آله و عليه السلام و هو صورة الحياة و لعله أخذ من المروى من طرق العامة أن يحيى عليه السلام هو الذى يضجعه و يذبحه بشفرة تكون في يده و الناس ينظرون إليه.

و الخطب سهل فيه و فيما سمعت من دوام التّعيم على ما دلّ عليه النقل بل ربّما يؤيد ذلك أو يستدلّ عليه بأنّ دوام الثواب على الطاعة و العقاب على المعصية

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٤٥ ح ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٢٦

يبعث على فعل الطاعة و ترك المعصية فيكون لطفًا واجبا عليه سبحانه و بأن المدح على فعل الطاعة و الذم على المعصية دائمان إذ لا وقت إلّا و يحسن فيه مدح المطيع و ذم العاصي و هما معلولا- الطاعة و المعصية فيجب دوام الثواب و العقاب لقضية العلية، و بأن الثواب لو كان منقطعًا يحصل لصاحبه الألم و العقاب و العقاب لو كان منقطعًا يحصل لصاحبه السرور بالانقطاع فيكون نقضا للغرض. و ستسمع ان شاء الله تمام الكلام فيها و في دفع شبهات المنكرين و بيان سبب الخلود من التية و غيرها عند التعرض لخلود أصحاب النار فيها نستجير بالله تعالى منها.

### [سورة البقرة (٢): آية ٢٦]

#### إشارة

تفسير الآية (٢٦) إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً لَمَا افْتَتَحَ بِذِكْرِ الْكِتَابِ وَ أَصْنَافِ النَّاسِ فِي الْإِنْتِفَاعِ بِهِ وَ عَدَمِهِ، وَ أَرَدَفَهُ بِمَا عَلَيْهِ أَسَاسُ الْكِتَابِ بِالْإِرْشَادِ إِلَى دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ وَ اثْبَاتِ حَقِيقَةِ الْكِتَابِ وَ نُبُوءِهِ مِنْ أَتَى بِهِ لثَلَا يَكُونُ الْكَلَامُ خَطَابًا مَجْرَدًا، وَ رَتَّبَ عَلَيْهِ وَ عِيدَ الْمُنْكَرِ وَ وَعْدَ الْمَقْرُ، أَشَارَ إِلَى الْجَوَابِ عَنْ بَعْضِ شَبْهِ الْمُنْكَرِينَ مِنَ الْجَهْلَةِ وَ السَّفَهَاءِ وَ الْمَعَانِدِينَ مِنْ أَهْلِ الْمِرَاءِ وَ مَقْلَدَةِ الْأَهْوَاءِ، وَ سَاقَهُ مَسَاقَ أَمْرٍ وَاضِحٍ الْبَطْلَانَ غَيْرِ خَافٍ فَسَادِهِ عَلَى مَنْ لَاحِظِ الْعِيَانَ وَ رَاجِعِ الْوَجْدَانَ تَنْبِيهِهَا عَلَى أَنَّ الشَّقْوَةَ لَازِمَةٌ بِهِمْ وَ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ تَبْقَ لَهُمْ شَبْهَةٌ فَضْلًا عَنْ حِجَّةٍ حَتَّى تَعْلَقُوا بِمَا هُوَ وَاضِحُ الْفَسَادِ وَ الْإِشَارَةَ إِلَى تَقْرِيرِ مَا قَدَّمَهُ مِنْ اخْتِصَاصِ الْمُتَّقِينَ بِكَوْنِهِ هُدًى لَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ.

و منه يظهر أنّ هذا الكلام حقيق بالذکر في المقام سيمًا مع ما فيه من إزاحه

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٢٧

الشبهة عن ضرب الأمثال الذي فيه معظم الانتفاع بالكتاب مضافا إلى ما قيل في سبب النزول أن الله لما ضرب المثيلين للمنافقين قبل هذه الآية في قوله:

مَثَلُهُمْ «١» قال المنافقون: الله أعلى و أجلّ من أن يضرب هذه الأمثال فنزلت، أو أنه لما ضرب المثل بالذباب و العنكبوت تكلم فيه قوم من المشركين و عابوا ذكره فنزلت.

بل قد روى سببتهما معا لذلك كما

في تفسير الإمام عليه السلام عن الباقر عليه السلام قال لما قال الله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبِ مَثَلٍ وَ ذَكَرَ الذَّبَابَ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا «٢»، و لما قال: مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ «٣»، وَ ضَرْبِ الْمَثَلِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِالَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا وَ بِالصَّيْبِ مِنَ السَّمَاءِ قَالَتِ الْكُفَّارُ وَ النَّوَاصِبُ: مَا هَذَا مِنَ الْأَمْثَالِ فَتَضْرِبُ وَ يَرِيدُونَ بِهِ الطَّعْنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَقَالَ اللَّهُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي لَأ يَتْرَكَ حَيَاءً أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا لِلْحَقِّ وَ يُوَضِّحَهُ بِهِ عِنْدَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَا بَعُوضَةٌ أَى مَا هُوَ بَعُوضَةٌ الْمَثَلِ إِذَا عَلِمَ أَنَّ فِيهِ صَلَاحَ عِبَادِهِ وَ نَفَعَهُمْ «٤».

و ذلك أنّ الناس لفي غفلة و غمرة عن إدراك المعقولات لتوغلهم و استغراقهم في الإقبال على المحسوسات فاستعين على تقريب المعاني الى الأذهان و رفع الحجاب عنها بإيرازها في كسوة المحسوس المأنوس كي يساعد فيها الوهم العقل

(١) البقرة: ١٧.

(٢) الحج: ٧٣.

(٣) العنكبوت: ٤١.

(٤) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٠ عن تفسير الامام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٢٨

ولا- ينازعه فيما لا- يستقل بادراكه، ويكون ادراك المحسوس لسهولته عليهم نحو السلم للارتقاء إلى فهم المعاني المقصودة، و الوسيلة لنيل المقاصد المفقودة، و لذا اشاعت الأمثال في الكتب الإلهية و الحكم النبوية، و استعانت بها الحكماء في إشاراتهم و البلغاء في عباراتهم، و استعملته جميع الأمم من أهل العالم على اختلاف ألسنتهم و أديانهم و أفهامهم و لم تزل الطريقة فاشية فيهم في جميع الأعصار، باقية على مَرِّ الدهور و الأدوار فالشبهه الناشئة لهم و ان أمكن تقريرها على وجوه ثلاثة:

أحدها أن التمثيل بالأمور المحسوسة لا ينبغي كونه و حيا من الله سبحانه فأنها مبتدلة عند العامة و الوحي ينبغي أن يكون من المعاني البديعة و احكام الشريعة، ثانيها أنه قد جاء في القرآن ذكر النحل و النمل و الذباب و العنكبوت و نحوها من الأشياء الحقيرة التي لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء فاشتمال القرآن عليها يقدح في فصاحته فضلا عن اعجازه، ثالثها أن هذه الأمثال ليس من الأمثال السائرة الدائرة التي ربما يستعين بها الحكماء أو يستعملها البلغاء بل لم يشتمل على شيء من أمثال العرب المعروفة فالشبهه الاولى مطوية للاستغناء عن جوابها بالجواب عن الثانية الظاهرة و الثالثة مستفاد من قوله عليه السلام في الخبر المتقدم و ما هذا من الأمثال فتضرب آه إلا أنها بوجوهها واضحة الاندفاع.

أمّا الاولى فلما سمعت من الحكمة المقتضية لكونه لطفًا يتم به التبليغ و الإرشاد و يستعد به القلوب القاسية الجافية لفهم المقاصد المتعلقة بالمبدأ و المعاد و ذلك لأن الأمثال بمنزلة القشور و الأبدان و المعاني المقصودة بمنزلة اللب و الأرواح و إنما جعلت الأمثال المشيرة إلى تلك المقاصد جسرا للعبور إليها على الوجه الموافق للملائم للعامة حسبما سمعت.

و أما الثانية فلان هذه الأشياء المستحقرة كلها مظاهر للقدرة الإلهية مجال

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٢٩

لغرائب صنع الربوبية إذ لا فرق في ذلك بين البعوضة و الفيلة بل بينها و بين السموات و الأرضين، لأن الصنع الظاهر في كل منهما متساوقان بل هما كفرسى رهان و رضيعى لبان في الدلالة على الصانع الحكيم المبدع للوجود و الأعيان.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له رواها في نهج البلاغة: و لو فكروا في عظيم القدرة و جسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق، و خافوا عذاب الحريق، و لكن القلوب عليله، و الأبصار «١» مدخولة أفلا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه و أتقن تركيبه و فلق له السمع و البصر، و سوى له العظم و البشر، انظروا إلى النملة في صغر جثتها و لطافة هيئتها لا تكاد، تنال بلحظ البصر، و لا مستدرك الفكر كيف دبّت على أرضها، و ضنت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها و تعدّها في مستقرها، تجمع في حرّها لبردها و في ورودها «٢» لصدورها، مكفولة برزقها، مزروعة برفقها، لا- يغطيها المنان، و لا يحرمها الديان و لو في الصفا اليابس و الحجر الجامس، و لو فكّرت في مجارى أكلها و فى علوها و سفلها، و ما فى الجوف من شراسيف بطنها، و ما فى الرأس من عينها و اذنها لقضيت من خلقها عجا، و لقيت من وصفها تعبا فتعالى الذى أقامها على قوائمها، و بناها على دعائمها لم يشرك فى فطرتها فاطر، و لم يعنه فى خلقها قادر، و لو ضربت فى مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة، لدقيق تفصيل كل شيء، و غامض إختلاف كل حى، و ما الجليل و اللطيف و الثقيل و الخفيف و القوى و الضعيف فى خلقه إلا سواء، و كذلك السماء و الهواء، و الرياح و الماء، فانظر إلى الشمس و القمر، و النبات و الشجر، و الماء و الحجر، و إختلاف هذا الليل و النهار، و تفجر هذه الأنهار، و كثرة

(١) في نسخة: و البصائر.

(٢) في نسخة: و في وردها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٣٠

هذه الجبال و طول هذه القلال، و تفرق هذه اللغات و الألسن المختلفات

الخطبة بطولها «١».

هذا مع أن التمثيل بالأشياء الحقيرة شايح جدًا عند العرب و غيرهم فقالوا في التمثيل: أضعف من بعوضة، و أعز، من مخ البعوضة فيما لا يوجد أصلا و كلفنى مخ البعوضة في التكليف بما لا يطاق، و ألح من الذباب، و أطيش من الذباب، و أشبه بالذباب من الذباب، و أضعف من فراشه، و أجهل من فراشه، و أطير من جرادة، و أعظم من جرادة، و أفسد من جرادة و أسمع من قراد إلى غير ذلك ممّا لا تحصى.

و في الإنجيل: لا تشردوا الزناير فتلدغكم، كذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتموكم.

و فيه: لا- تكونوا كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب و يمسك النخاله كذلك أنتم تخرج الحكمة من أفواهكم و تبقون الغلّ في صدوركم.

و فيه: قلوبكم كالحصاة التي لا تنضجها النار و لا يلينها الماء و لا ينسفها الرياح

، و غير ذلك من الأمثال الكثيرة مع أنه لا- يخفى أن المقصود من التمثيل زيادة الإيضاح و البيان للمعنى الممثل له فهو تابع له في العظم و الصغر و الشرف و الخسة دون الممثل بالكسر فربما تقتضى الحال التمثيل بالأضعف الأعجز تنبيها على نهاية ضعف آلهتهم و عجزها كما في قوله: و إن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه «٢».

فالذباب الذي هو من أضعف الحيوانات يزاحمهم و لا يقدر على دفعه إلى غير ذلك من الدواعى الجزئية و الموارد الخاصة.

و أما الثالثة فواضحة الدفع و الاستحياء استفعال من الحياء ممدودا، و هو

(١) الخطبة ١٨٥ من نهج البلاغة.

(٢) الحج: ٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٣١

الانقباض عن الشيء و الامتناع منه خوفا من مواقعه القبيح، و هو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح و عدم المبالاة بها، و الخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا فهو العدل المحمود بين طرفي الإفراط و التفريط يقال حيى الرجل منه من باب علم و استحيى منه، و عنه و استحياء يتعدى بنفسه و بكل من الحرفين.

قال في «الكشاف»: و في اشتقاقه من الحياة يقال حيى الرجل كما يقال نسي و خشى و شطى الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء جعل الحيى لما يعتره من الانكسار و التغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا فلان هلك حياء من كذا و مات حياء و رأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء، و ذاب حياء «١» أقول و كان الاستحياء استبقاء الحياة الإنسانية المقتضية لجملة من الأفعال و التروك بترك ما يوجب فتورا و انكسارا فيهما، و لذا فسّر في «الصحاح» و «القاموس» لا يستحي في الآية أى لا يستبقي نظير قوله: و يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ\* «٢» و ان اختلفا في اعتبار المادّة فإن أحدهما باعتبار الحياة الإنسانية و الآخر باعتبار الروح الحيوانى.

و قرأ عبد الله بن كثير يستحي بياء واحدة، و علل حذف الأولى بالتقاء الساكنين بعد حذف حركتها استثقالا للكسرة عليها، و عن الأخفش: استحيا بياء واحدة لغه تميم و بيائين لغه أهل الحجاز، قال: و هو الأصل لأن ما كان موضع لامة معتلا لم يعلوا عينه ألا ترى

أنهم قالوا أحيت و حويت و يقولون قلت و بعث فيعلون العين حيث لم تعتل اللام، بل إنما حذفوا الياء لكثرة استعمالهم لهذه الكلمة كما

(١) الكشف ج ١ ص ٢٦٣.

(٢) البقرة: ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٣٢

قالوا: لا أدر في لا أدرى، و حيث قد سمعت أن الحياء من الأعراض القائمة بالنفس و لذا لا يصح اتصافه تعالى به اثباتا و نفيا فلا بد من تأويله في حقه بالحمل على نهايات الأعراض لا بدايات الاعراض، فالمبدأ و هو التغير النفساني و الجسماني و ان لم يكن ثابتا في حقه إلا أنه يفعل فعل المستحي و يترك تركه كما هو الحال فيما يتصف به من الغضب و المكر و النسيان و غيرها حسبما مرت الإشارة إليه، و إلى وجوه آخر عند التعرض لنسبة المخادعة و الاستهزاء إليه سبحانه، نعم قد يحتمل في المقام وجوه آخر مثل أن تكون هذه العبارة قد وقعت في كلام الكفرة فقالوا ما يستحي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب و العنكبوت فجاء هذا الكلام على سبيل إطباق الجواب على السؤال، أو أن المعنى أنه تعالى لا يدع ضرب المثل بالأشياء الحقيرة لحقارتها إذا رأى الصلاح في ضرب المثل بها، أو أنه لا يمتنع منه حيث أن أحدنا إذا استحيى عن شيء تركه و امتنع منه بناء على نوع من التجريد فيهما، أو أن المراد أن الئذي يستحيى منه هو ما يكون قبيحا في نفسه و يكون لفاعله عيب في فعله، فأخبر الله سبحانه أن ضرب المثل ليس بقبيح و لا عيب فيه حتى يستحي منه، أو أنه تعالى لا يعرضه الحياء و غيره من العوارض النفسائية و لذا نفاه عنه كما نفى عنه الولد و النوم و غيرهما في قوله: لَمْ يَلِدْ و لَمْ يُولَدْ «١»، لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ و لا نَوْمٌ «٢»، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ و مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ «٣».

و هو كما ترى فإن مساق هذه الآيات و نحوها بيان استحالة الانصاف لا الإخبار عن انتفاء الأوصاف و ظاهر الآية أنه ليس بمقام الاستحياء لا- أنه يستحيل اتصافه بالحياء، و ضرب المثل اعتماله و اعتماده من ضرب اللين و الخاتم، و أصله الاعتماد المولم أو وقع شيء على آخر يقال ضربته مثلا فيتعدى لمفعولين، و يدخل

(١) التوحيد: ٣.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) المؤمنون: ٩١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٣٣

على المبتدأ و الخبر لما فيه من معنى الجعل كما يقال جعلته مثلا و منه قوله:

وَجَعَلْنَا مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ «١»، و ربما يحتمل أخذه من ضربك أي مثلك على معنى أن يمثل لهم مثلا و قد يرجح الاول لما فيه من الإشارة إلى اتحاد المضرب و المورد، و أنه ضربه ابتداء لا أنه شبه المضرب بالمورد و إن بصلتها مخفوض المحل بإضمار من كما هو المطرد أو منصوب بافشاء الفعل إليه بعد حذف الجار، أو بافضائه إليه بنفسه لما سمعت من أن يستحي يتعدى بنفسه.

و ما هذه إلا إبهامية تقترن بالنكرة فتزيدها إبهاما و شياعا و عموما كقوله: أَيًّا مَا تَدْعُوا «٢»، و أَيُّنَمَا تَكُونُوا «٣»، بل قد تفيد مضافا إلى الإبهام الحقارة كما في المقام فتكون صفة لمثلا أو بدلا منه و بؤوضه عطف بيان على ما و أما مزيدة للتوكيد كما في قوله: فِيمَا رَحْمَةٍ «٤»، فِيمَا نَقَضِهِمْ\* «٥» و ربما يؤيد بسقوطها في قراءة ابن مسعود، و الجملة التي تؤكدتها إنما ضرب المثل فمعناه أنه يضرب المثل حقا أو نفى الاستحياء و المراد أنه لا يستحيى البتة.

و أما ما يحكى عن أبي مسلم «٤»: معاذ الله أن يكون في القرآن زيادة و لغو و تبعه الرازي معللا بأن الله تعالى وصف القرآن بكونه

هدى و بيانا و اشتماله لغوا ينافى ذلك، و وافقهما بعض السادة من مشايخنا المعاصرين.  
مدفوع بأن المقصود من زيادتها أن لا يراد منها معنى خاص بل إنما تذكر مع

(١) الزخرف: ٥٩.

(٢) الإسراء: ١١٠.

(٣) النساء: ٧٨.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

(٥) النساء: ١٥٥.

(٦) هو ابو مسلم الكاتب محمد بن احمد بن على البغدادي نزيل مصر ولد سنة (٣٠٥) هـ و روى القراءات عن جمع من المقرئين مثل ابن الجارود، و ابن بزيغ و روى عنه القراءة الحافظ ابو عمرو الداني، توفي سنة (٣٩٩) هـ - غاية النهاية ج ٢ ص ٧٣.  
تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٣٤

غيرها لإفادة الوثاقه و التوكيد فى المعنى المقصود، و أين هذا من اللغو الضائع الذى لا يترتب عليه شىء من الفوائد: كيف و زيادة الحروف و لو لفائدة لفظية أو معنوية كثيرة فى كلمات الفصحاء، شائعة فى خطب مصاقع البلغاء، و قد ورد بها التنزيل، و من تكلف فيما ورد منها بالحمل على غيرهما فقد ركب صعبا و رام شططا.

و فيها وجه ثالث محكى عن الفراء و الكسائى و قد يعزى إلى الكوفيين أيضا و هو أن المعنى ما بين بعوضه إلى ما فوقها كما يقال: مطرنا ما زباله إلى الثعلبية، و له عشرون ما ناقه فجملا، و هو أحسن الناس ما قرنا فقد ما يعنون ما بين فى جميع ذلك على إسقاط الجار.

و بَعُوضَةٌ إِمَّا عطف بيان للمثل، و ضَعْفُ بالمتع منه فى النكرات، أو بدل أو صفة ل ما إذا جعلناها بدلا من مثلا، أو مفعول يَضْرِبُ و مثلا حال منها تقدمت لأنها نكرة، أو هما مفعولاه الأول الأول و الثانى الثانى، أو العكس لما مر من تضمن الضرب لمعنى الجعل، و المنع عن تعدية إليهما غير مسموع، و لذا أجزى فى قوله: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً «١» انتصابها به و يؤيده أيضا قوله: وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا «٢» بناء على أنه بمنزلة قولك: ظننت زيدا كعمرو بدليل قوله: إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا «٣»، و تنكيرهما فى المقام غير قادح، لأنَّ بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا مَأْوِلٌ إِلَى صَغِيرٍ أَوْ أَصْغَرَ، أَوْ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا عَلَى مَا يَأْتِي، و من الشواذ قراءة رؤبه بن العجاج «٤» بالرفع على أن يكون خبرا لما على أن تكون استفهامية، و إن قيل: إنَّ فِيهِ غَرَابَةٌ و بعدا عن معنى الاستفهام، أو لمحدوف هو هو، فتكون ما زائدة أو موصولة حذف صدر صلتها مع عدم طولها كما فى قوله:

(١) ابراهيم: ٢٤.

(٢) الكهف: ٤٥.

(٣) يونس: ٢٤.

(٤) رؤبه بن العجاج التميمى السعدى توفى سنة (١٤٥) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٣٥

على الذى أحسن «١» على قراءة الرفع.

على أنه قد يقال: إنَّ فَمَا فَوْقَهَا حينئذ من جملة الصلة: فلا شذوذ مطلقا، و ان كان لا يخلو عن نظر، بل قد يفرق فى جوازه بين ما و الذى، أو موصوفة بجملة حذف صدرها على ما مر، و عليهما محلها التصب على البدئية، أو نكرة مبهمه و الجملة وقعت جوابا كأنه ممَّا



قيل: إنَّ الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما قيل: ما هو؟ فقيل: هو بعوضه كما تقول مررت برجل زيد أي هو زيد.

ثمَّ أنه قد مرَّ

عن تفسير الإمام عليه السَّلام في قوله: ما بعوضه قال: أي ما هو بعوضه المثل «٢»، لكن في «الصافي» حكاية على غير وجهه ففسِّر «ما» بقوله: ما هو المثل، ثمَّ قال: يعنى أي مثل كان فإنَّ «ما» لزيادة الإبهام و الشيوع في التكررة.

و هو كما ترى مخالف للموجود في النسخ الصحيحة بل و لما حكاها شيخنا المجلسي طاب ثراه في «البحار» الموافق لما مرَّ آنفا، و هو غير ظاهر في كون ما إبهاميةً و لذا قال المجلسي رحمه الله بعد نقل الخبر: ظاهر أنه عليه السَّلام قرأ بالرفع كما قرئ به في الشواذ فكلمة «ما» إما موصولة حذفت صدر صلتها، أو موصوفة كذلك و محلّها النَّصب بالبدلية أو استفهامية هي المبتدأ قال: و الأظهر في الخبر هو الوجهان الأولان.

أقول و لعلَّ الظاهر منه هو الثالث على أن يكون ما هو مبتدأ و خبرا في معرض السؤال و بعوضه المثل مبتدأ و خبرا في معرض الجواب، و يحتمل على بعد أن يكون المثل خبرا عن ما و اعترض بينهما بقوله هو بعوضه و أن يكون قوله المثل على أحد الأولين بيانا للموصولة أو الموصوفة فيتم الكلام بدونه من دون حاجة إلى التقدير إلما بالنسبة إلى الضمير، و هذا و ان أوجب توجيههما على الآخرين إلَّا

(١) الانعام: ١٥٤.

(٢) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٠ عن تفسير الامام عليه السَّلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٣٦

أنه مخالف لظاهر الخبر، بل الأوفق به هو الأول و إن خالف ظاهر الآية لكثرة الحذف، و من هنا ينقدح تقريب ما استحسسه الزمخشري بناء على الرفع و هو أن تكون «ما» استفهاميةً و حيث إنهم استنكفوا من تمثيل الله لأصنامهم بالمحقَّرات قال: إنَّ الله لا يستحي أن يضرب للأنداد ما شاء من الأشياء المحقَّرة مثلا بله البعوضه فما فوقها كما يقال: فلان ما يبالي بما وهب ما دينار و ديناران إلى أن قال: و هذه القراءة تعزى إلى رؤبة بن العجاج «١» و هو أمضغ العرب للشيخ و القيصوم المشهود له بالفصاحة و ما أظنه ذهب في هذه القراءة إلَّا إلى هذا الوجه و هو المطابق لفصاحته «٢».

و البعوضه واحده البعوض و هو صغار البق فعول من البعض، كأنه بعض البق قطع منه، فان التركيب و لو على الترتيب للقطع كالبضع و العضب، و قد شاع التمثيل بها و بأبعاضها في القلَّة و الحقارة.

ففى النبوى لو كانت الدنيا تعدل جناح بعوضه ما سقى منها كافرا شربه ماء «٣».

و فى اخبار البكاء على مولانا سيّد الشهداء عليه السَّلام من ذرفت عيناه على مصاب الحسين عليه السَّلام و لو كان مثل جناح البعوضه غفر الله له ذنوبه و لو كانت مثل زبد البحر «٤».

و فى أخبار كثيرة مثل جناح البق

قال أمير المؤمنين عليه السَّلام أيها الناس إنَّ

(١) هو رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي من مشاهير الفصحاء مات في البادية سنة (١٤٥) الأعلام ج ٣ ص ٣٤.

(٢) الكشاف: ج ١ ص ٢٦٤.

(٣) بحار الأنوار ج ٩ ص ١٧٢ و فيه: لما سقى كافرا به مخالفا له شربه ماء

(٤) البحار ج ٤٤ ص ٢٩٣ ح ٣٨ و فيه: و لو مثل جناح البعوضه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٣٧

الأشعث لا يزن عند الله جناح بعوضة و إنه أقل في دين الله من عفطة عنز «١»، عفطة عنز ضرطته.

و أنشد بعضهم:

لا تحقرن صغيرا في عداوته إنَّ البعوضة تدمى مقله الأسد و يحكى أن الرّمخشرى أوصى أن يكتب هذه الأبيات على قبره:

يا من يرى مدّ البعوض جناحه في ظلمة الليل البهيم الأليل و يرى نياط عروقها في نحرها و المَخ في تلك العظام التحل امنن على بتوبه أمحو بها ما كان منى في الزمان الأوّل «٢». و في «مجمع البيان» عن الصادق عليه السّلام أنه قال: إنّما ضرب الله المثل بالبعوضة لأنّ البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره و زيادة عضوين آخرين فأراد الله تعالى أن يتبه بذلك المؤمنين على لطيف خلفه و عجيب صنعه «٣».

و يقال «٤»: إنّ الله تعالى إنّما ضرب بها المثل لأنها تحيي ما جاءت فإذا سمت ماتت فكذلك من ضرب لهم هذا المثل إذا امتلثوا من الدنيا رياء أخذهم الله تعالى

(١) سفينة البحار ج ٤ ص ٤٤٣ و الأشعث هو ابن قيس الكندي هو الذي ارتد عن الدين و أسر و عفى عنه ابو بكر و زوجته أخته.  
(٢) الكنى و الألقاب ج ٣ ص ٢٦٩، و فيه كما في الكشاف: اغفر لعبد تاب من فرطاته، و في الكشاف أيضا: و أنشدت بعضهم يا من يرى ... إلخ.

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ٦٧.

(٤) القائل به: هو الربيع أنس كما في المجمع- قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: الربيع بن أنس بن زياد البكرى الخراساني المروزي بصري، كان عالم مرو في زمانه توفى سنة (١٣٩) هـ سير الأعلام ج ٦ ص ١٦٩-١٧٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٣٨

عند ذلك كما قال سبحانه: حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً «١».

قال الدميري «٢» في «حياة الحيوان» البعوض دويبة قال الجوهري: إنه البق، الواحدة بعوضة و هو وهم و الحق أنه صنفان صنف كالقراء لكن له أرجل خفيفة و رطوبة طاهرة يسمّى بالعراق و الشّام الجرجس قال الجوهري، و هو لغه في القرقرس و هو البعوض الصغار، ثم قال: و البعوض على خلقه الفيل إلبا أنه أكثر أعضاء منه فإنّ للفيل أربعة أرجل و خرطوم و ذنبا و للبعوض مع هذه الأعضاء رجلان زائدتان و أربعة أجنحة و خرطوم الفيل مصمت، و خرطومه مجوّف نافذ الجوف فإذا طعن به جسد الإنسان استقى الدّم و قذف به إلى جوفه، فهو له كالبعوم و الحلقوم فلذلك اشتدّ عضها و قويت على خرق الجلود الغلاظ، و ممّا ألهمه الله تعالى أنه إذا جلس على عضو من الأعضاء. لا يزال يتوحى بخرطومه المسام التي يخرج منها العرق لأنها أرق بشرة من جلد الإنسان فإذا وجدها وضع خرطومه فيها، و فيه من الشره أنه يمضّ الدم إلى أن ينشق و يموت أو إلى أن يعجز من الطيران فيكون ذلك سبب هلاكه و من ظريف أمره أنه ربّما قتل البعير و غيره من ذوات الأربع فيبقى طريحا في الصحراء فيجتمع حوله السباع و الطير التي تأكل الجيف فمن أكل منها شيئا مات لوقته، و كان بعض الجبابرة من الملوك بالعراق يعذب بالبعوض فيأخذ من يريد قتله فيخرجه مجردا إلى بعض الآجام التي بالبطائح و يتركه فيها مكتوفا فيقتل في أسرع وقت «٣».

و روى أنه أرسل الله البعوض على نمرود و اجتمع منه في عسكره مالا

(١) الانعام: ٤٤.

(٢) الدميري محمد بن موسى المصري الشافعي المتوفى (٨٠٨).

(٣) حياة الحيوان ج ١ ص ١٧٩ - ١٨٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٣٩

يحصى عددا، فلما عين نمرود ذلك انفرد من جيشه و دخل بيته و اغلق الباب و ارخى الستور و نام على قفاه مفكراً فدخلت البعوضة فى أنفه فصعدت إلى دماغه، فتعذب بها أربعين يوماً إلى أن كان يضرب برأسه الأرض، و كان أعزّ الناس عنده من يضرب رأسه ثم سقط منه كالفرخ و هو يقول كذلك يسلط الله رسله على من يشاء من عباده ثم هلك «١».

ثم أن البعوضة على صغر جرمها قد أودع الله تعالى فى دماغه قوة الخيال و الفكر و الحفظ و الذكر و لعلها موزعة فيها كغيرها على أجزاء دماغه الثلاثة المقدم و المؤخر و الوسط و خلق لها حاسة البصر و السمع و اللمس و الشم و خلق لها منفذا للغذاء و مخرجا للفضلة و خلق لها جوفاً و معاء و عروفاً و عظاما فسبحان من قدر فهدى و لم يترك شيئاً من المخلوقات سدى «٢».

فما فوقها ما موصولة، أو موصوفة و معطوفة على ما الاولى إن كانت اسما و الالف على بعوضة و إن رفع بعوضة فالأولى موصولة و الثانية معطوفة عليها، و ان كانت الاولى استفهامية فالثانية كذلك، و تكون من عطف الجمل، و المراد ما زاد عليها فى الجثة كالذباب و العنكبوت لما قيل من أنه لما ذكرهما الله فى كتابه و ضرب بهما المثل ضحكت اليهود و قالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزلت رداً عليهم فى استنكارهم و المعنى أنه لا يستحى ضرب المثل بالبعوض فضلاً عما هو أكبر منه أو ما نقص عنه فى الجثة لأن فيه زيادة فى المعنى الذى جعلت فيه مثلاً- و هو الصغر و الحقارة، حيث أن المقصود من التمثيل تحقير الأوثان كلما كان المشبه به أشد حقارة كان المقصود أكثر حصولاً فالمراد بالموصولة ما هو الأصغر منها كجناحها و سائر اجزائها

(١) حياة الحيوان: ج ١ ص ١٥٢.

(٢) نفس المصدر: ج ١ ص ١٨٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٤٠

و كالجرجس و الولع.

ففى الكافى عن الصادق عليه السلام قال: ما خلق الله عزّ و جل خلقاً أصغر من البعوض و الجرجس أصغر من البعوض و الذى نسميه نحن الولع أصغر من الجرجس و ما فى الفيل شىء إلا و فيه مثله و فضل على الفيل بالجناحين

، قال فى «الصيحاء» الجرجس لغة فى القرقس و هو البعوض الصغار، و فى القاموس أنه بالكسر البعوض الصغار و لعله نوع منه أصغر من سائر أنواعه و الحصر فى الأول اضافى أو يعم الاسم كل ما كان أصغر منه، و قد مرّ فى تفسير «١» الامام عليه السلام، و يأتى ما يدل على الأول من الاحتمالين فى فوقها حيث فسره بالذباب و لا بأس بارادة الثانى أيضاً لما سمعت مع كون الأصغر أول على كمال القدرة و ظهور العظمة، قال فى القاموس، و بعوضة فما فوقها أى فى الصغر، و قيل: فى الكبير، و يقال: إن فى خلقه سبحانه، دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحرّكها فإذا سكنت فالسكون يواربها، ثم إذا لوح لها بيدك حادت عنها و تجنبت مضرتها.

قلت: و أصغر منها دويبات لا تدرك بحركة و لا سكون أصلاً إلا بواسطة بعض الآلات الصناعية كمرآة الذرة التى يقال لها بالفارسية ذره بين و نحوها و مثلها يرى كثيراً فى الماء الصافى الذى لا يكاد يدرك فيه البصر غير الصفاء و لكل منها مدخل و مخرج و غذاء و نمو و قلب و قالب و أخلاط و عروق و أعضاء و حواس و قوى و إرادة و حياة و روح و نفس سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْمَرْوَجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ «٢».

و فى تفسير الامام عليه السلام أنه قيل للباقر عليه السلام: إن بعض من ينتحل موالاتكم يزعم

(١) تفسير البرهان ص ٧٠ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٢) يس: ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٤١

أنَّ البعوضة عَلِيٌّ و أنَّ ما فوقها و هو الذباب محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و آله فقال الباقر عليه السَّلام سمع هؤلاء شيئا لم يضعوه على وجهه إنَّما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و آله قاعدا ذات يوم هو و عَلِيٌّ عليه السَّلام إذ سمع قائلا يقول ما شاء الله و شاء محمد و سمع آخر يقول ما شاء الله و شاء علي فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و آله لا تقرنوا محمدا و عليا بالله عز و جل و لكن قولوا ما شاء محمد ما شاء الله ثمَّ شاء عليُّ علي أنَّ مشيئة الله هي القاهرة التي لا تساوى و لا تكافى و لا تدانى و ما محمد رسول الله في الله و في قدرته إلا كذبابه تطير في هذه الممالك «١» الواسعة و عليٌّ في الله و في قدرته إلا كبعوضة في جملة هذه الممالك «٢» مع أنَّ فضل الله على محمد و عليٌّ هو الفضل الذي لا يفىء به فضله على جميع خلقه من أوَّل الدهر الى آخره هذا ما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و آله في ذكر الذباب و البعوضة في هذا المكان فلا يدخل في قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ «٣» انتهى.

و في تفسير القمي بالإسناد عن الصادق عليه السَّلام إنَّ هذا المثل ضربه الله تعالى لأمر المؤمنين عليه السَّلام و ما فوقها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و آله قال و الدليل على ذلك قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ يعني أمير المؤمنين عليه السَّلام كما أخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و آله الميثاق عليهم له «٤».

إلى آخر ما يأتي من كون الميثاق في حقه و كون الوصل بصلته أقول و النهي من الاقتران في خبر الإمام عليه السَّلام لما يوهمه من المقابلة و التغاير و الاستقلال المستفاد من العطف و لذا أمرهم عليه السَّلام أن يقولوا ما شاء محمد ما شاء الله أى المشيئة الالهية هي التي تعلقت به مشيئة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و آله فإنَّ قلبه وعاء لمشيئته سبحانه و نبه على ذلك

(١) في البرهان: المسالك.

(٢) في البرهان: المسالك.

(٣) تفسير البرهان ج ١ ص ٧١-٧٢ عن تفسير الامام عليه السَّلام.

(٤) تفسير القمي ج ١ ص ٣٤-٣٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٤٢

بالحمل الظاهر فيه و أما المنافاة بين الخبرين على فرض صحتهما فلعلَّ الأوَّل باعتبار التنزيل و الاخر باعتبار التأويل.

و ذكر شيخنا المجلسي طاب ثراه أنه يحتمل أن يكون إشارة إلى ما مثل الله بهم لذاته تعالى من قوله: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ «١»، و أمثاله لئلا يتوهم متوهم أن لهم عليه السَّلام في جنب عظمته تعالى قدرا أولهم مشاركة له تعالى في كنه ذاته و صفاته، أو الحلول أو الاتحاد، تعالى الله عن جميع ذلك، فبته الله تعالى بذلك على أنهم و إن كانوا أعظم المخلوقات و أشرفها فهم في جنب عظمته تعالى كالبعوضة و أشباهها، و الله تعالى يعلم حقايق كلامه و حججه عليه السَّلام، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ «٢»، لكنَّه لم يرد بها التنزيل وضعت للدلالة على التفصيل لمجمل مذکور كقولك: أكرم العلماء أما الفقهاء فكذا، و أما الحكماء فكذا، و إن كان قد لا يذكر معه قسيمه اكتفاء بما يقوم مقامه و اشعارا بزيادة الاهتمام بالتنبية على حكم ما سيق له الكلام كما في قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ «٣» حسبما تسمع، أو لمتعدد في الذهن مع سبق ما يدلُّ عليه في الجملة كما في المقام، حيث استفيد من قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي تصنيف الناس إلى من يداخله شبهه أولا، أو عدم سبقه في الذكر كقوله: أما بعد في صدور الكتب و الرسائل و على التوكيد المستفاد من اختيار التفصيل بعد الإجمال المطوى أو المنوى، و لذا قال سيويه، إنَّ معنى أما زيد فذهب: مهما يكن من شيء فزيد ذاهب، أى إنَّه ذاهب لا محالة و أنه منه عزيمة و على الشرط المدلول عليه بلزوم الفاء بعدها كما في الآية و غيرها و لذا

(١) النور: ٣٥.

(٢) البقرة: ٢٦.

(٣) آل عمران: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٤٣

قيل: إن الأصل أما زيد فمنطلق إن أردت معرفة حال زيد فزيد منطلق، فأقيم أمّا مقام الأداة و فعل الشرط بعد حذفهما، وقضيّة دخول الفاء على الجملة الجزائية، إلّا أنّهم قدموا جزءاً ممّا في حيز تعويضا عن المحذوف و فرارا من توهم معطوف بلا بالمعطوف عليه و تنبيهها على أنّه النوع تفضيل جنسه لكنّهم وسعوا في المقتطع منها بالنسبة إلى الموضوع كما في المقام أو غيره كما في غيره، فالموصولة مبتدأ خبرها مدخول الفاء، و كذا في الجملة التالية.

في تصديرها بالدال على الأمور الثلاثة تكريم المؤمنين و تنويه لقدرهم و تحسين لصنعهم و اعتداد بعلمهم سيّما مع الإسناد إلى الموصولة، و تعريفهم بأحسن سماتهم، و إضافة العلم الحقيقي بثبوت ذلك إليهم و أنّه مبتدأ من عند ربّهم الذي يريهم به على حسب ما يرى فيه صلاحهم كما هو المحقق عندهم، بخلاف الجملة التالية فإنّها ناعية على الكافرين لعنادهم و تكذيبهم للحقّ و إصرارهم على الباطل بما يستفاد من التصدير و التكفير و العدول عن الزب، و رميهم بالكلمة الحمقاء، و الضمير للضرب أو للمثل.

و الحقّ هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره من حق الأمر يحق بالكسر إذا ثبت و وجب، يقال أحققت الشيء أي أوجبتّه، و تحقّق عندنا الخبر أي صحّ، و حققت قوله و ظنّه تحقيقاً أي صدقت، فيعم مصاديق الصدق و غيره و لذا يطلق في الأعيان الثابتة و الأفعال الصائبة و الأقوال الصادقة.

و أمّا الذين كفروا فيقولون ما ذا أراد الله بهذا مثلاً عدل عن نفى العلم أو اثبات الجهل الذي يقضى به المطابقة و المقابلة إلى حكاية القول المترتب عليه ليكون كالبرهان على ذلك لما فيه من الدلالة على كمال جهلهم و غوايتهم و نبوا أفهامهم عن إدراك الحق و قر أسمعهم عن الإصغاء إليه، و للتنبيه على شمول الكفر

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٤٤

للناشي عن مجرد الجحود و العناد، و إن اقترنه مطابقتها للإعتقاد كما قال: وَ جَحِدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عَلْوًا «١»، و ما ذا كلمتان ف «ما» استفهامية مرفوع المحل بالابتداء، و «ذا» بمعنى الذي و ما بعده صلته، و موضعه الرفع على أنّه خبر المبتدأ أو كلمة واحدة بمعنى أي شيء منصوب المحل بأنّه مفعول «أراد»\* فهي في حكم ما وحده، و الصواب في الجواب الرفع على الأوّل كما في قوله: ما ذا أنزل ربّكم قالوا أساطير الأولين «٢» و النصب على الثاني كما في قوله: ما ذا أنزل ربّكم قالوا خيراً «٣» لمطابقة الجواب للسؤال فيهما، و قد يحتمل عكس ذلك و ان لم يكن الأصوب كما تقول في جواب من قال: ماذا رأيت: خيّر أي المرئي خيراً، و في جواب ماذا الذي رأيت؟: خيراً أي رأيت خيراً، و لذا قرأ يسئلونك ما ذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ «٤» بالرفع و النصب على التقديرين و مثلاً منصوب على الحال كقوله:

هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ\* «٥» أو على التمييز كقولك لمن يطلب تجارة خاسرة: كيف تنتفع بها تجارة أو على القطع بتقدير أعنى و نحوه، و المراد بالاستفهام في المقام ليس على حقيقته، بل إنّما قصدوا الاستبدال و الاستحراق.

### حقيقة الإرادة و الكراهة

و الارادة ضد الكراهة، و هي فينا كفيته نفسانية تحدث عقيب تصوّر الشيء

(١) النحل: ١٤.

(٢) النحل: ٢٤.

(٣) النحل: ٣٠.

(٤) البقرة: ٢١٩.

(٥) الأعراف: ٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٤٥

الملائم يعبر عنه بنزوع النفس و ميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه سواء كان مع شوق حيوانى كالشهوة و الغضب أم لا، و يطلق أيضا على القوة التي هي مبدأه.

و أما ارادته سبحانه فقد طال التشاجر بينهم في معناها، فقول: إنها قديمة عين الذات، و قيل: قائمة به، و قيل: نفس العلم، و قيل: إن له إرادتين، قديمة هي عين ذاته، و حادثه هي متجددة متكررة واردة على ذاته، و على الوجهين صفة زائدة على العلم، أو متحدة معها إلى غير ذلك من الأقوال السخيفة الناشئة عن اختلال التوحيد، بل أنكرها بعضهم مطلقا كأوساخ الدهرية و الطباعية و كبعض الحكماء القائلين بالاتفاق.

و ذكر العلامة الحلبي رحمه الله في «أنوار الملكوت» أن ارادته سبحانه صفة حادثه موجودة بإيجاده لا- في محل قال: و هو مذهب السيد المرتضى و أكثر أصحابنا.

أقول و الذي استقر عليه المذهب و استفاض به الخبر أن ارادته سبحانه حادثه بإحداثه، و هي من صفات الفعل.

ففي «الكافي» و «التوحيد» عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام:

أخبرني عن الإرادة من الله و من الخلق «١» فقال عليه السلام: الإرادة من الخلق «٢» الضمير و ما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، و أما من الله إرادته إحداثه لا غير ذلك، لأنه لا يروى «٣» و لا بهم و لا يتفكر، و هذه الصفات منفية عنه، و هي صفات الخلق إرادة الله الفعل لا غير ذلك، يقول له كن فيكون، بلا لفظ و لا نطق بلسان و لا همه و لا تفكر،

(١) في نسخة: و من المخلوق.

(٢) في البحار: من المخلوق.

(٣) روى يروى: نظر و فكر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٤٦

و لا كيف لذلك كما لا كيف «١» له «٢».

و عن عاصم بن حميد عن الصادق عليه السلام قال قلت له: لم يزل الله يريد؟ قال:

إن المرید لا يكون إلا المراد معه بل لم يزل الله عالما قادرا ثم أراد «٣».

و في التوحيد عن الرضا عليه السلام قال المشية من صفات الأفعال فمن زعم أن الله لم يزل يريد شائيا فليس بموحد «٤».

و سأله بكير بن أعين علم الله و مشيته هما مختلفان أم متفقان، فقال: العلم ليس هو المشية ألا ترى أنك تقول: سأفعل كذا إن شاء الله، و لا- تقول سأفعل كذا إن علم الله، فقولك إن شاء الله دليل على أنه لم يشأ فإذا شاء كان الذي شاء كما شاء، و علم الله سابق للمشية «٥».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالة على مغايرة إرادته لعلمه و سائر صفاته الكمالية و نعوته الجمالية و الجلالية.

و أميا ما يظهر من بعض الأدكياء كالسيد الداماد و الصدر الأجل الشيرازي و غيرهما من الفضلاء من أن ارادته تعالى قديمة و أنها

كون ذاته بحيث تصدر عنه الأشياء و أنها راجعة إلى علمه بالنظام الأتم الأصلح التابع لعلمه بذاته إرادته الأشياء علمه بها لا غير و أنّ علمه بغيره التابع لعلمه بذاته سبب تام لوجود الأشياء فى الخارج لأجل ذاته لأنها من توابع ذاته لا لغرض زائد و جلب منفعة و طلب محمده و التخلص من مذمة و غير ذلك من الغايات.

(١) فى البحار: كما أنه بلا كيف.

(٢) البحار ج ٤ ص ١٣٧ عن التوحيد و العيون.

(٣) البحار ج ٤ ص ١٤٤ ح ١٦ عن التوحيد.

(٤) البحار ج ٤ ص ١٤٥ ح ١٨.

(٥) بحار الأنوار ج ٤ ص ١٤٤ ح ١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٤٧

ففيه أنه ردّ لتلك النصوص و جرأه على أهل الخصوص الذين هم خزنة الوحي و معادن العلم و هم أعلم الخلق بالله تعالى و صفاته الذاتية و الفعلية و قد صرحوا فى أخبار لا يبعد تواترها على كون الإرادة من الصفات الفعلية و مغايرتها للعلم و للذات. و أمّا ما ذكره الثانى تبعاً للآول من أنه لما كان فهم الجمهور لا يصل إلى الإرادة بالمعنى الرجوع إلى علمه بذاته المقتضى لوجود الأشياء بنفسه بل إلى النحو الذى فى الحيوان و ضده الكراهة فتكون حادثه عند حدوث المراد فلذا جعلها عليه السلام من صفات الأفعال و من الصفات الاضافية المتجددة كخالقيته و رازقيته حذرا عن كونه تعالى محلاً للحوادث لو كان الارادة الحادثة من صفات الذات فهى كالعلم الحادث الذى هو إضافة عالميته تعالى بالحوادث الكونية و هى أخيرة مراتب علمه تعالى فلا إرادته أيضا مراتب أخيرتها ما فى الخبر و أولها نفس علمه بذاته.

ففيه أن سبيلها حينئذ سبيل العلم الذى هو عين الذات و أمّا الارادة فقد أطبقوا على حدوثها و أنها من صفات الفعل و انّ الله تعالى خلق الخلق لا بارادة قديمة بل بارادة حادثه بنفسها و لذا قالوا خلق الله المشية بنفسها و خلق الأشياء بالمشية، و كان فيه اشارة إلى الجواب عمّا استدلوا به على قدمها من أنها لو كانت حادثه لكانت محدثة بارادة غيرها و تلك الارادة إن كانت حادثه افتقرت إلى ارادة اخرى إلى أن يتسلسل و لما ثبت المطلوب فأجاب عليه السلام بأنّه سبحانه خلقها و أبدعها بنفسها لا بإرادة غيرها و أنشأ بها الأشياء كما تشاهد مثل ذلك فى إرادة نفسك و بيتك فإنك تنشأها بنفسها و تنشئ بها غيرها من الأفعال.

و أمّا ما يقال: من أن الإرادة صفة و الصيغة لا تقوم بنفسها و لا بغير موصوفها فلو كانت حادثه لكان سبحانه محلاً للحوادث فتجب أن تكون قديمة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٤٨

ففيه مع الغض عن النقض بالصفات الفعلية أنه مبنى على قياس إرادته بارادتنا فى كونها من الكيفيات النفسانية القائمة بنا و قد مرّ فى الخبر أن الإرادة فىنا هو الضمير و فيه إحدائه لا غير «١».

و إرجاعها إلى العلم أو غيره تصرف فى معانى صفاته بما لم يرد الإذن به عنهم عليهم السلام بل فى خبر احتجاج الرضا عليه السلام «٢» على سليمان المروزى بطوله ما يدل على الإنكار الصريح على كونها صفة قديمة، و أنها مغايرة للعلم و القدرة و أنها ليست مثلهما و لا مثل السمع و البصر فى اتصاف الذات بها، و أنها ليست نفس الأشياء كما توهمه ضرار و أصحابه من أن كلّ ما خلق الله تعالى فى سماء أو أرض أو بحر أو غير ذلك كلّها ارادة بل الارادة صفة محدثة و هى فعلة سبحانه لا غير بل فى الخبر إلزامات شنيعة و حجج قوية أوردها عليه السلام على سليمان لم نذكره لطوله فارجع إليه إن شئت و هو مذكور فى العيون و الاحتجاج «٣» و البحار و غيرها

و في آخر الخبر فلم يزل سليمان يرّد المسألة ينقطع فيها و يستأنف و ينكر ما كان أقرّ به و يقرّ بما أنكر، و ينتقل من شيء إلى شيء و الرضا عليه السّلام ينقض عليه ذلك حتّى طال الكلام بينهما و ظهر لكلّ أحد انقطاعه مرّات كثيرة قال الأمر إلى أن قال سليمان إنّ الإرادة هي القدرة قال عليه السّلام: و هو عزّ و جل يقدر على أن لا يريد أبدا، لا بدّ من ذلك لأنّه قال: وَ لَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴿٤﴾ فلو كانت الإرادة هي القدرة لكان قد أراد أن يذهب به لقدرته فقطع سليمان.

(١) البحار ج ٤ ص ١٤٤.

(٢) التوحيد ص ٤٥٧-٤٧٠ عيون الاخبار ص ١٠٠-١٠٦ و عنهما البحار ج ١٠ ص ٣٢٩-٣٣٨ ح ٢.

(٣) الاحتجاج ص ٢١٨-٢٢٠.

(٤) الإسراء: ٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٤٩

ثمّ إنّ الأخبار المتقدمة قد اشتملت على الاستدلال بحدوث الإرادة و عدم قدمها مرّة بأنّها لو كانت قديمة لكان المراد معها، و يلزم من ذلك قدم الأشياء كلها فتتعدد القدماء و هو هدم للتوحيد، و لذا قال: من زعم أنّ الله تعالى لم يزل مريدا شأنيًا فليس بموحّد و قال إنّ المرید لا يكون إلّا و المراد معه.

و توهم أنّه تعالى كان في الأزل مريدا للأشياء في أزمنه حدوثها فلا يلزم قدمها مدفوع بأنّ الزمان أيضا من جملة الحوادث فيلزم قدمه، مع أنّ أزمنه حدوثها حادثه بإرادته فإنما أن تكون تلك الارادة المتعلقة بإيجادها قديمة لزم قدمها أو حادثه فهو المطلوب، و أخرى بأنّه يصحّ التعليق بمشيئة الله تعالى دون علمه فتقول:

أفعل كذا ان شاء الله و أراد، و لا تقول أن علم الله فاتضح به المغايرة بينهما، بل قد يلوح من كلامه عليه السّلام وجه آخر و هو أنّه تعالى يعلم كلّ شيء و لا يريد كلّ شيء إذ لا يريد كفرا و ظلما و لا شيئا من القبائح و ما الله يريد ظلماً للعباد ﴿١﴾ يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر ﴿٢﴾، فعلمه متعلّق بكلّ شيء أنّ الله بكلّ شيء عليم\*، و لا كذلك إرادته، فعلمه غير ارادته، و علمه عين ذاته تعالى، فإرادته صفة زائدة على ذاته.

و من الغريب بعد ذلك كله أن الملا صدرا قد شمّر عن ساق الجد للجواب عنهما و عن غيرهما ممّا يستدلّ به على حدوث الإرادة حتّى أنّه قد عقد لذلك فصلا في كتابه المسمّى بالمبدأ و المعاد فأجاب عن الأوّل بأنّه تعالى أراد بإرادته القديمة إيجاد نفس الوقت المعين بعد العدم لا أنّه أراد بإيجاده في وقت معيّن حتّى يلزم التسلسل، و بالجملة أنّه تعالى أراد بالإرادة القديمة إيجاد كلّ العالم و اجزائه

(١) غافر: ٣١.

(٢) البقرة: ١٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٥٠

و جزئيات اجزائه في أماكنها و أوقاتها المخصوصة و أراد إيجاد الأوقات بهويّاتها المخصوصة لا في أوقات اخرى و كذا أراد إيجاد الأماكن بهويّاتها المخصوصة لا في أماكن اخرى، و ذلك لأنّ تخصيص الحادث بوقت خاص يفتقر إلى ذلك الوقت و لا يفتقر ذلك الوقت في تخصيصه إلى شيء آخر غير الارادة القديمة لأنّ التخصص الحدوثي فيه عين ذاته و هويّته و الذاتى للشئ غير معلّل بأمر و لا يفتقر إلى الجاعل له جعلاً بسيطاً و هكذا حكم الأمكنة في تخصصاتها المكانيّة، و عن الثانى بأنّ فيضه تعالى يتعلّق بكلّ ما يعلمه خيرا في نظام الوجود فليس في العالم الامكاني شيء مناف لذاته و لا لعلمه الذى هو عين ذاته و لا أمر غير مرضى به فذاته بذاته كما



أنه علم تام بكل خير موجود فهو أيضا إرادة و رضا لكل خير إلا أن أصناف الخيرات متفاوتة و جميعها مرادة له تعالى مرضى بها له فضررب منها خيرات محضة لا يشوبها شرية واقعية إلا ما بحسب إمكاناتها الاعتبارية المختلفة تحت سطوع النور الإلهي الوجودي على تفاوت مراتبها في شدة النورية الوجودية و ضعفها، و ضرب منها خيرات يلزمها شرية واقعية لكن الخير فيها غالب مستول و الشر مغلوب مقهور، و هذا القسم أيضا مراد لا محالة واجب الصدور عن الجواد المحض و المختار لكل ما هو خير لأن في تركه شرا كثيرا، و الحكيم لا يترك الخير الكثير لأجل الشر القليل، و أما الشر المحض و الشر المستولي و الشر المكافئ للخير فلا حصول لأحد من هذه الثلاثة في هذا العالم فلم يرد الله شيئا منها: و لم يأذن له في قول كن للدخول في حرم الكون و الوجود، فالخيرات كلها مرادة بالذات، و الشرور القليلة اللازمة للخيرات الكثيرة أيضا إنما يريد بها لا بما هي شرور فالشرور اللطيفة النادرة داخله في قضاء الله تعالى بالعرض و هي مرضى بها كذلك

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٥١

فقوله تعالى: «وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ» (١)، و لا يجرى مجراه من الآيات معناها أن الكفر و غيره من القبائح غير مرضى بها له تعالى في أنفسها و بما هي شرور، و لا تنافي في ذلك كونها مرضيا بها بالتعبية و الاستجرار، أو نقول: من سبيل آخر: إن وزان الإرادة بالقياس إلى العلم و زان السمع و البصر بالقياس إليه، و كوزان الكلام بالنسبة إلى القدرة فالعلم المتعلق بالخيرات إرادة كما أن المتعلق منه بالمسموعات سمع، و بالمبصرات بصر، و كما أن القدرة المتعلقة بالأصوات و الحروف على وجه تكلم، و هذا لا ينافي كون الإرادة عين العالم فذاته تعالى علمه بكل شيء ممكن، و ارادة لكل خير ممكن كما أنه سمع لكل مسموع و بصر بالنسبة إلى كل مبصر. أقول لا يخفى عليك ما فيه من الضعف و القصور أما أولا فلان إبداء هذه الوجوه السخيفة في مقابلة النصوص المتقدمة مجاهرة بالرد على الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، بل كأنه استخفاف و ملعبة بشريعة سيد المرسلين بعد ما نطق به الكتاب و السنة من حدوث الإرادة و مغايرتها للذات و للصفات الذاتية التي منها العلم و لذا قال في شرحه «الكافي» في ذيل خبر عاصم بن حميد هذا الحديث يدل بظاهره على أن أرادته تعالى حادثة كما رآه قوم الى أن قال: و التحقيق أن الإرادة تطلق بالاشتراك الصيغاعى على معنيين:

أحدهما: ما يفهمه الجمهور و هو الذى ضدّه الكراهة و لا يجوز على الله بل ارادته نفس صدور الأفعال الحسنه منه من جهة علمه بوجه الخير، و كراهته عدم صدور الفعل و القبيح عنه لعلمه بقبحه. و ثانيهما: كون ذاته بحيث تصدر عنه الأشياء لأجل علمه بنظام الخير فيها

(١) الزمر: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٥٢

التابع لعلمه بذاته «١».

و فيه: أن اتصافه بالإرادة بالمعنى الاول قد سمعناه و فهمناه و قرره لنا أنمتنا الهداء المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين و أما بالمعنى الثانى الزاجع إلى العلم الذى هو عين ذاته فلم نجد فى شيء من الكتاب و السنة إطلاقه عليه و لا ارادته منها بل أنكروه على قائله اشد الإنكار و قابله بنفى التوحيد عنه، فأين الاشتراك، و من الواضع، و متى كان هذا الوضع؟ و كيف لم يسوغ معه الإطلاق؟ نعم هذا القول هو المعروف بين الفلاسفة الذين لم يعرفوا الله بتعريف ولاة أمره و ما قدروا الله حق قدره\*. و أما ثانيا فلان ما ذكره من أنه تعالى أراد بإرادته القديمة آه.

فيه أن الارادة إذا كانت قديمة فكيف تتعلق بإيجاد الشيء بعد العدم إلا على جهة الإخطار بالبال.

و العلم الزاجع إليه، و إلا فالارادة بما هي إرادة لا يمكن تحققها إلا و المراد معها، نعم لو كان هناك عجز حاضر و لو لشرط فاقد لم

تكن الإرادة حينئذ على حقيقتها، و بالجملة علمه بالنظام الأصلح الذي هو نفس الارادة القديمة عنده و عند الفلاسفة إن كان سببا تاما لوجود العالم لزم قدمه و امتنع عدمه.

و توهم أنه سبب لوجوده و وجود أجزائه و جزئيات أجزائه في أماكنها و أوقاتها المخصوصة مدفوع بأنه لم يكن في القدم تعين و تخصيص لشيء من الأزمنة و الأمكنة و المفروض أن السبب التام لم يزل متحققا بوجود الذات لا- على وجه الترتب كى يثبت به الحدوث الذاتي بل على وجه العيية و الاتحاد، فيلزم منه القول بقدم العالم الذي برىء منه المنتحلون من الأمم، مع أنه حينئذ يكون فاعليته

(١) شرح اصول الكافي ص ٢٧٨ ط طهران مكتبة المحمودى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٥٣

بالعناية المفسرة عندهم يكون فعله تابعا لعلمه بوجه الخير بذلك الفعل في نفس الأمر فيفعل عن ذلك العلم من غير قصد زائد عليه، و حينئذ يلزمه القول بالعيية و الإيجاب و نفى الاختيار لأن الموجب هو الذى لا يتخلف عنه مفعوله، فإذا كان العلم الذى هو الذات هو العلة التامة لا غيره لم يكن فاعلا بالاختيار بل بسبب الذات، و ان كان علمه بذلك سببا ناقصا لوجود العالم فالجزء المتمم له ان كان قديما عاد المحذور فيه أو حادثا و هو المطلوب، و السؤال عن سبب تخصيص الحوادث بخصوص الأوقات منقطع على القول بكونه فاعلا مختارا لأنه حينئذ يفعل ما يشاء\* و يحكم ما يريد و إنما يفعل بإرادته الحادثة بعد العدم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (١).

و أميا ثالثا فلأن ما أجاب به عن الثانى تقرير لما مهوده في موضع آخر من عدم دخول الشر في القضاء الالهى و إن كل ما دخل في صنع الوجود فهو إميا خير محض أو خير غالب مشوب بشر مغلوب و هذه المسألة إذا تأملها المتأمل في كلامهم يجدها غريبة مبتية على القول بنفى الاختيار في حقه و فى حق عباده، بل كانت مخالفة لما تقضى به الضرورة القطعية من شيوع الكفر و الظلم و الفساد بين أغلب العباد فى أكثر البلاد حتى سفكوا الدماء و قتلوا الأنبياء و غصبوا حقوق الأوصياء و قهروا الأولياء و سبوا النساء و اختفى الحق ببهجته و استدار رحي الباطل على قطبه إلى غير ذلك من الشرور الغالبة فى الأمور التشريعية، مضافا إلى ما وقع منها فى التكويتيات من نقصان الاستعدادات و بطلان القابليات و طرورا الطوارى من الآلام و الأسقام و الأمراض و الأعراض و الفقر و سائر الشدائد و المحن و قد قال الله تعالى: وَ تَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الحَيْرِ فِتْنَةً (٢) و كأن المسألة كانت فى الأصل مذكورة فى

(١) يس: ٨٢.

(٢) الأنبياء: ٣٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٥٤

كلام القائلين بقدم العالم و فاعليته بالإيجاب، و ثبوت الربط بين الحادث و القديم فتبعهم غيرهم على غرة و غفلة على أنه قد يشم منها أيضا رائحة القول بالإجبار و نفى الاختيار، فأنهم لو نسبوا أفعال العبيد إليهم لم يبق مجال لما يوجب الاعتذار، هذا مضافا إلى أن هذا الجواب على فرض تسليمه لا يدفع السؤال الوارد من حيث التفصيل بين الإرادة و المشية و بين العلم بجواز التعليق بالشرط فى الأولين دون الثالث حسبما استدلل به الامام عليه السلام.

و أما رابعا فلأن ما ذكره فى قوله: أو نقول من سبيل اخرى ضعيف جدا لا يساعده شيء من العرف و الشرع و اللغة و كأنه اصطلاح عنه خاص فى الإطلاق هذا مضافا إلى ما فيه من إرجاع الكلام إلى القدرة و الالتزام بكونه من الصفات الذاتية، و بكونه غير الخيرات المحضة مجردة عن إرادته سبحانه.

يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا مَتَّصِلٌ بِسَابِقِهِ الْمُحَكِّي عَنِ الْكُفَّارِ وَاطِّلاقُ الضَّلَالِ وَالْهُدَايَةُ إِذَا عَلَى وَجْهِ التَّهَكُّمِ أَوْ التَّعْكِيْسِ أَوْ مَجْرَدِ الْمَقَابَلَةِ عَلَى فَرْضِ الْمَوَافَقَةِ، سَيِّمًا مَعَ كَوْنِ الْقَائِلِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْإِيْمَانَ وَأَبْطَنُوا الْكُفْرَ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنَ اللَّهِ فَيَكُونُ قَوْلُهُ: «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» مُنْقَطَعًا عَنْ سَابِقِهِ، أَوْ ابْتِدَاءً كَلَامٍ مِنْهُ سَبَّحَانَهُ فَتَكُونُ جَوَابَ مَاذَا أَيْ إِضْلَالٌ كَثِيرٌ وَإِهْدَاءٌ كَثِيرٌ، عَلَى النَّصْبِ أَوْ الرَّفْعِ، وَالْعَدُولُ مِنَ الْمَصْدَرِ إِلَى الْفِعْلِ لِقَصْدِ الْإِشْعَارِ بِالتَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ أَوْ جَارٍ مُجْرَى الْإِعْتِرَاضِ تَفْسِيرًا وَبَيَانًا لِلْجُمْلَتَيْنِ الْمَصْدَرَتَيْنِ «بِأَمَّا» تَنْبِيْهُهَا عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ بِوَجْهِ الْمَثَلِ وَكَوْنَهُ حَقًّا أَوْ التَّصْدِيقَ بِهِ إِجْمَالًا هُدًى وَبَيَانًا، وَأَنَّ الْجَهْلَ بِوَجْهِ إِيرَادِهِ وَالتَّعَامِي عَنِ حَسَنِ وَرُودِهِ ضَلَالٌ وَفَسُوقٌ، وَظَاهِرُ الْعُلُوِّ الْمُرُودِ عَنِ تَفْسِيرِ النِّعْمَانِيِّ عَلَى مَا يَأْتِي «١» وَكَذَا ظَاهِرُ تَفْسِيرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلْ صَرِيحُهُمَا هُوَ الْأَوَّلُ

(١) عن البحار ج ٩٣ ص ١٣-١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٥٥

قال عليه السَّلام: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهَ وَبِوَلَايَةِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى وَآلِهِمَا الطَّيِّبِينَ وَسَلَّمْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلامِ أَحْكَامُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ، وَلَمْ يَقَابِلْهُمْ فِي أُمُورِهِمْ وَلَمْ يَتَعَاطَ الدَّخُولَ فِي أَسْرَارِهِمْ، وَلَمْ يَفْشِ شَيْئًا مِمَّا يَقِفُ عَلَيْهِ مِنْهَا إِلَّا بِأَذْنِهِمْ فَيَعْلَمُونَ: يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ أَنَّهُ أَيْ الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ أَرَادَ بِهِ الْحَقَّ وَإِبَانَتَهُ وَالكَشْفَ عَنْهُ وَإِيْضَاحَهُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ بِمَعَارِضَتِهِمْ فِي عِلْيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَيْفٍ وَكَيْفٍ وَتَرْكُهُمُ الْإِنْقِيَادَ لَهُ فِي سَائِرِ مَا أَمَرَ بِهِ فَيَقُولُونَ: مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا أَيْ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ بِهَذَا الْمَثَلِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا، فَلَا مَعْنَى لِلْمَثَلِ لِأَنَّهُ وَإِنْ نَفَعَ بِهِ مِنْ يَهْدِيهِ فَهُوَ يَضُرُّ بِهِ مِنْ يَضُلُّ بِهِ، فَردَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قِيلَهُمْ فَقَالَ وَمَا يُضِلُّ بِهِ يَعْنِي مَا يُضِلُّ اللَّهُ بِالْمَثَلِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الْجَانِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِتَرْكِ تَأْمَلِهِ وَبوصفه على خلاف ما أمر الله تعالى بوصفه «١» عليه.

و كَثْرَةُ كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِذَا بِالنَّظَرِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ دُونِ إِضَافَتِهِ إِلَى الْآخَرِ، وَإِنْ كَانَ الْمَهْتَدُونَ قَلِيلِينَ بِالْإِضَافَةِ كَمَا قَالَ: وَقَلِيلٌ مَا هُمْ «٢» وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشُّكُورُ «٣».

و فِي أَخْبَارٍ كَثِيرَةٍ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ قَلِيلٌ «٤» وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ أَهْلِهِ «٥»، وَإِنَّمَا بِالْإِعْتِبَارِ فِي إِذَا كَثْرَةُ الظَّالِمِينَ الْفَسَاقِ مِنْ حَيْثُ الْعَدَدُ كَمَا قَالَ: وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ «٦»، وَفِي آيَاتٍ

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٠-٧١ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٢) ص: ٢٤.

(٣) سبأ: ١٣.

(٤) راجع البحار ج ٦٧ ص ١٥٧.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة (٢٠١).

(٦) المائدة: ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٥٦

كثيرة: أَكْثَرُ النَّاسِ لَا- يَعْلَمُونَ\* «١» وَلَا يَشْكُرُونَ\* «٢» وَلَا يَعْقِلُونَ\* «٣» وَكَثْرَةُ الْمَهْتَدِينَ بِإِعْتِبَارِ الْفَضْلِ وَالشَّرْفِ وَقُوَّةِ الْعَزِيمَةِ فِي الدِّينِ وَكَثْرَةُ الْبَرَكَةِ كَمَا قِيلَ: قَلِيلٌ إِذَا عَدُوًّا كَثِيرًا إِذَا شَدَّوْا، وَقِيلَ أَيْضًا: إِنَّ الْكِرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ قَلُّوا كَمَا غَيْرُهُمْ قَلٌّ وَانْكَثَرُوا.

وقرأ زيد بن علي عليه السلام يضلُّ به كثيرا وما يضلُّ بالبناء للمفعول في الفعلين والفاسقون بالرفع.

و الفاسق هو الخارج عن بعض حدود الايمان أو جميعها، و منه قوله تعالى في حق إبليس: كَانْ مِنَ الْجِنَّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ «٤» و قوله تعالى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ «٥»: و أصله الخروج عن القصد أو عن الطاعة من قولهم: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها، و الفويسقة الفارة لخروجها من جحرها أو لخبثها و أذاها حقرها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَمَّاهَا بِهَا وَ قَالَ: إِنَّهَا تُوهِى السَّقَاءَ وَ تَضْرُمُ الْبَيْتَ عَلَى أَهْلِهِ وَ هِيَ مِنَ الْخَمْسِ الْفَوَاسِقِ الَّتِي يَقْتُلْنَ فِي الْحَلِّ وَ الْحَرَمِ «٦».

و الفاسق و إن لم يسمع قط في كلام الجاهليَّة و لا في شعرهم على ما شهد به ابن الاعرابي «٧» إلَّا أَنَّهُ عَرَبِيٌّ عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ هُوَ وَ غَيْرِهِ قَالُوا وَ هَذَا عَجِيبٌ، وَ حَيْثُ قَدْ سَمِعْتَ فِيمَا مَرَّ أَنَّ الْإِيمَانَ لَهُ حُدُودٌ وَ دَرَجَاتٌ وَ مَرَاتِبٌ فَبِالْخُرُوجِ مِنْ كُلِّ مِنْهَا

(١) الأعراف: ١٨٧.

(٢) غافر: ٦١.

(٣) الحجرات: ٤.

(٤) الكهف: ٥٠.

(٥) التوبة: ٦٧.

(٦) حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٣٧-٣٨.

(٧) ابن الاعرابي محمد بن زياد الكوفي اللغوي توفى سنة (٣٣١).

الكنى و الألقاب ج ١ ص ٢١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٥٧

يحصل الفسق بلا- فرق بين كونه من الأصول الاعتقادية أو النوع العمليَّة بترك الطاعة أو فعل المعصية كما يشهد بجميع ذلك الإطلاقات الواردة في الكتاب و السِّنة إلَّا أَنَّهُ قَدْ غَلَبَ إِطْلَاقُهُ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ فِي مَقَابِلَةِ الْعِدَالَةِ فَيَحْصُلُ بِفِعْلِ شَيْءٍ مِنَ الْكِبَائِرِ أَوْ الْإِصْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ، وَ إِنْ بَقِيَ مَعَهُ اسْمُ الْإِيمَانِ حَسْبَمَا هُوَ الْمَقْرَّرُ عِنْدَنَا خِلَافًا لِلْخَوَارِجِ حَيْثُ قَالُوا إِنَّ أَصْحَابَ الْكِبَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ كَفَّارٌ مُشْرِكُونَ، وَ لِلْمَعْتَزِلَةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُمْ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَ الْكُفْرِ لَا يَسْتَحِقُّونَ اسْمَ الْإِيمَانِ وَ لَا الْكُفْرِ، وَ بِهِ سَمَّيْتُ الْمَعْتَزِلَةَ لِاعْتِرَافِهِمْ بِفِتْنَةِ الضَّلَالَةِ عِنْدَهُمْ أَهْلُ السِّينَةِ الْقَائِلِينَ بِإِيمَانِهِمْ، وَ الْخَوَارِجُ الْقَائِلِينَ بِكُفْرِهِمْ، أَوْ سَمَّاهُمْ بِهَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيَّ «١» لَمَّا اعْتَرَلَهُ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ «٢» وَ كَانَ مِنْ تَلَامِذْتِهِ وَ اجْتَمَعَ هُوَ وَ أَصْحَابُهُ إِلَى اسْطِوَانَةِ مِنْ اسْطِوَانَاتِ الْمَسْجِدِ وَ شَرَعَ يَقَرَّرُ لِلْقَوْلِ بِالْمَنْزِلَةِ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ وَ أَنَّ صَاحِبَ الْكِبِيرَةِ لَا- مَوْمِنٌ وَ لَا- كَافِرٌ بَلْ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ فَقَالَ الْحَسَنُ اعْتَرَلُ عَنَّا وَاصِلٌ، وَ لِأَنَّ عَمْرُو بْنَ عُبَيْدٍ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ وَ تَلَامِيذِهِ، فَجَمَعَ الْحَسَنُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ وَاصِلٍ لِيُنَازِرَهُ فِي ذَلِكَ فَلَمَّا نَازَرَهُ وَ غَلَبَ عَلَيْهِ وَاصِلٌ قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ «٣» مَا بَيْنَ وَ بَيْنَ الْحَقِّ عِدَاوَةٌ وَ الْقَوْلُ قَوْلِكَ فَلْيَشْهَدْ عَلَيَّ مِنْ حَضْرَتِي أَنِّي قَدْ اعْتَرَلْتُ مَذْهَبَ الْحَسَنِ فِي هَذَا الْبَابِ قَائِلٌ بِقَوْلِ وَاصِلٍ. وَ كَيْفِيَّةُ مَنَازِرَتِهِمَا مَذْكَورَةٌ فِي «الغرر و الدرر» «٤» لِلسَّيِّدِ الْمَرْتَضِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَ لِلسَّيِّدِ

(١) الحسن بن ابى الحسن البصرى أبو سعيد توفى سنة (١١٠) هـ- العبر ج ١ ص ١٣٦.

(٢) واصل بن عطاء المبلغ الأفوه ابو حذيفة المخزومي البصرى توفى سنة (١٣١) هـ و كان رأساً للمعتزلة.

سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٤٦٤.

(٣) عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان البصرى المعتزلى توفى سنة (١٤٣) هـ أو قبلها.

التقريب ج ١ ص ٧٤٠.

(٤) الغرر و الدرر المشهور بالأمالى ج ١ ص ١١٣ المجلس ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٥٨

اعتراض عليه فى حجته فليراجع من أراد، و قد مرّ بعض الكلام فى ذلك عند تفسير قوله: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ «١».

### معنى الإضلال المنسوب إلى الله سبحانه

ثم أنّ الإضلال المنسوب إليه سبحانه ليس بمعنى دعائه إلى ترك الدين كما هو المضاف إلى الشيطان و فرعون و السامريّ و أئمة الضلالة فى قوله: وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا «٢» و أَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ «٣» و أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ «٤» و لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي «٥».

و ذلك لما قضت به ضرورة المذهب بل الدين من أنّه تعالى لا يدعو الناس من الهدى إلى الضلالة و من العلم إلى الجهالة و أنّه لا يجوز عليه الظلم و الإيقاع فى الفساد و الإجبار على المعاصى و تشكيك الناس و صرفهم عن الحقّ الى الباطل، و من هنا يظهر فساد ما حملها عليه أهل الجبر من أنّه تعالى خلق فيهم الضلال و الكفر و صدّهم عن الايمان و حال بينهم و بينه، بل ربما استدلل بعضهم عليه بهذه الآية و نحوها ممّا هو كثير فى القرآن نظرا إلى الإضلال عبارة عن جعل الشىء ضالا و إيجاد الضلالة فيه، و ضعفه واضح بعد ما هو المقرّر فى أصل المذهب او الدين من عدله سبحانه و نفى القول بالجبر بقواطع العقل و الثقل، و أمّا أمثال هذه

(١) البقرة: ٣.

(٢) يس: ٦٢.

(٣) طه: ٧٩.

(٤) طه: ٨٥.

(٥) الفرقان: ٢٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٥٩

الآيات فعلى فرض تشابهها يجب حملها على ما يساعد عليه الأصول المقرّرة فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه، و لذا يجب الرجوع فيها إلى أهل البيت الذين هم حملة الوحي و خزنة تأويله و تنزله فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ «١».

مع أنّ لها وجوها آخر منطبقه على المذهب حسبما أشير إليها فى الاخبار المأثورة منهم عليه السلام.

ففى تفسير النعمانى عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: الضلال على وجوه فمنه ما هو محمود، و منه ما هو مذموم، و منه ما ليس بمحمود و لا مذموم، و منه ضلال النسيان فأما الضلال المحمود فهو المنسوب إلى الله كقوله يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ «٢» و هو ضلالهم عن طريق الجنة بفعلهم، و المذموم هو قوله تعالى: وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ «٣» وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَ مَا هَدَى «٤» و مثل ذلك كثير.

و أمّا الضلال المنسوب إلى الأصنام فقوله تعالى فى قصة ابراهيم: وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ و الأصنام لا يضلن أحدا على الحقيقة أمّا ضلّ الناس بها و كفروا حين عبدوها من دون الله عزّ و جلّ و أمّا الضلال الذى هو النسيان فهو قوله تعالى: أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى و قد ذكر الله تعالى الضلال فى مواضع من كتابه فمنه ما نسبه إلى نبيه على

(١) آل عمران: ٧.

(٢) المدثر: ٣١.

(٣) طه: ٨٥.

(٤) طه: ٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٦٠

ظاهر اللفظ كقوله سبحانه: «وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ» (١) معناه وجدناك في قوم لا يعرفون نبوتك فهديناهم بك، و أما الضلال المنسوب إلى الله تعالى الذي هو ضد الهدى والهدى هو البيان وهو معنى قوله سبحانه: «أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ» (٢) معناه أو لم أبين لهم مثل قوله سبحانه: «فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ» (٣) أي بينا لهم وجه آخر وهو قوله تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ» (٤).

و أمّا معنى الهدى فقوله عزّ وجلّ: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» (٥) ومعنى الهادي المبين لما جاء به المنذر عند الله، وقد احتج قوم من المنافقين على الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ لَمَّا أَنْزَلَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» (٦) قال طائفة من المنافقين: ما ذا أراد الله بهذا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا؟ فأجابهم الله تعالى بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا» الى قوله - يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ: فهذا معنى الضلال المنسوب إليه تعالى، لأنه أقام لهم الإمام الهادي لما جاء به المنذر، فخالفوه و صرفوا عنه، بعد أن أقروا بفرض طاعته، و لما بين لهم ما يأخذون و ما يذرون، فخالفوه ضلوا، هذا مع علمهم بما قاله النبي صلى الله عليه و آله و هو قوله: لا تصلوا على صلاة مبتورة إذا صليت على بل صلوا على أهل بيتي و لا

(١) الضحى: ٧.

(٢) السجدة: ٢٦.

(٣) فصلت: ١٧.

(٤) التوبة: ١١٥.

(٥) الرعد: ٧.

(٦) الرعد: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٦١

تقطعوهم منى، فإن كل نسب و سبب منقطع يوم القيامة إلا سببى و نسبى، و لما خالفوا الله تعالى ضلوا و أضلوا فحذر الله تعالى الأمة من اتباعهم فقال سبحانه: «وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» (١)، و السبيل هنا الوصى، و قال سبحانه: «وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ» (٢) الآية فخالفوا ما وصاهم الله تعالى به، و اتبعوا أهواءهم\* فحزفوا دين الله جلّت عظمته و شرائعه و بدلوا فرائضه و أحكامه و جميع ما أمروا به كما عدلوا عن أمره بطاعته و أخذ عليهم العهد بموالاته، و اضطّرهم ذلك إلى استعمال الرأى و القياس فزادهم ذلك حيرة و التباسا و أما قوله سبحانه و ليقول الذين فى قلوبهم مرض و الكافرون ما ذا أراد الله بهذا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ» (٣) فكان تركهم اتباع الدليل الذى أقام لهم ضلالة لهم، فصار ذلك كأنه منسوب إليه تعالى لما خالفوا أمره فى اتباع الإمام ثم افترقوا و اختلفوا، و لعن بعضهم بعضا و استحلب بعضهم دماء بعض فما ذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تُضرفون» (٤) «٥».

«تحف العقول» و «الاحتجاج» عن ابى الحسن على بن محمد العسكري عليهما السلام فى رسالته الطويلة إلى أهل الأهواز حين سأله عن الجبر و التفويض قال عليه السلام فى آخر الرسالة: فان قالوا ما الحجة فى قول الله تعالى: يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ\* «٦» و ما أشبه ذلك؟ قلنا فعلى مجاز هذه الآية يقتضى معنيين أحدهما: أنه

- (١) المائدة: ٧٧.  
 (٢) الانعام: ١٥٣.  
 (٣) المدثر: ٣١.  
 (٤) يونس: ٣٢.  
 (٥) بحار الأنوار ج ٩٣ ص ١٣-١٥ من تفسير النعماني.  
 (٦) النحل: ٩٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٦٢

اخبار عن كونه تعالى قادرا على هداية من يشاء و ضلاله من يشاء و لو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب و لا عليهم عقاب على ما شرحناه و المعنى الآخر أنّ الهداية منه التعريف كقوله: وَ أَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى «١» و ليس كلّ آية مشبهة في القرآن كانت حجة على محكم الآيات التي أمر بالأخذ بها و تقليدها و هي قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ «٢»، الآية و قال: فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ «٣» «٤».

و في «التوحيد» و «المعاني» بالإسناد عن الهاشمي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ و جل مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا «٥» فقال: إنّ الله تعالى يضلّ الظالمين يوم القيامة عن دار كرامته و يهدى أهل الايمان و العمل الصالح إلى جنّته كما قال عزّ و جلّ: وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ «٦» «٧».

- (١) حم- السجدة: ١٧.  
 (٢) آل عمران: ٧.  
 (٣) الزمر: ١٨.  
 (٤) الاحتجاج ج ٢ ص ٢٥٧.  
 (٥) الكهف: ١٧.  
 (٦) ابراهيم: ٢٧.  
 (٧) معاني الاخبار ص ٢١ باب الهدى و الضلال ج ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٦٣

إلى غير ذلك من الاخبار التي يظهر من التأمل فيها و في مجارى إطلاقات لفظ الإضلال في العرب و اللغة و جوه من المعاني أحدها أن يكون المراد الإضلال عن طريق الجنّة و عن القرب و الكرامة و الثواب على وجه العقوبة و هذا في الحقيقة ليس بمجاز بل هو بيان لمتعلّق المعنى الحقيقي بعد الحمل عليه و دلالة حذف المتعلّق على العموم إنّما هي على فرضها فيما لم يكن هناك ظهور في شيء منها و يؤيدّه ما سمعت من الخبر المرويّ في تفسير النعماني و التوحيد و المعاني، مضافا إلى أنّه قد يستظهر من قوله تعالى كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ «١» و لو بقرينة مقابلة الهداية و من قوله: وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ فِي خُصُوصِ الْمَقَامِ نَظَرًا إِلَى أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ بِهِ التَّخْيِيرَ وَ التَّشْكِيكَ فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْمُتَحَيِّرِ الشَّاكِّ الْفَاسِقِ فَيَجِبُ أَنْ لَا يَكُونَ الضَّلَالَةُ الْحَاصِلَةُ بِالْفَسْقِ الَّتِي صَارُوا بِهَا فَسَاقًا مِنْ فَعْلِهِ إِلَّا إِذَا وَجَدَتْ قَبْلَهَا أَيْضًا ضَلَالَةً فَلَا بَدَّ أَنْ تَتَرْتَبَ هُنَاكَ ضَلَالَاتٌ غَيْرَ مَتَنَاهِيَةٍ أَوْ يَنْتَهِي إِلَى ضَلَالَةٍ لَبَسَتْ مِنْ إِضْلَالٍ وَ لَا مَسْبُوقًا بِهِ وَ هُوَ الْمَطْلُوبُ.

و أما ما يقال في تضعيفه من أنه تعالى قال: يُضِلُّ بِهِ أَي بسبب استماع هذه الآيات و الإضلال عن طريق الجِنَّة ليس بسبب سماع هذه الآيات بل بسبب اقدامه على القبائح فكيف يجوز حمله عليه.  
ففيه أن السماع لَمَّا كان هو السبب الأوَّل لهداية قوم و ضلاله آخرين صحَّ استنادهما إليه و إن كانت الوساطة في كلِّ منهما غير الوساطة في الاخر ضرورة أنه

(١) الحج: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٦٤  
لا يمكن سببها لهما معا من جهة واحدة.

و توهم أنه بعد حصول التولى و الفسق يجوز اسناد الإضلال إليه تعالى على وجه الحقيقية باعتبار ترتب فعله تعالى على حصول مسمى الأمرين من العبد فلا- ضرورة إلى الحمل على الإضلال عن طريق الجِنَّة، مدفوع بمخالفته الظاهر و لو بمعونته الاخبار المتقدمة مع وضوح دلالة الآيتين على صدور التولى و الفسق قبل إضلاله تعالى و هو دليل على كون الفعل من العبد و ترتب إضلاله تعالى عليه بالنسبة إليه.

ثانيها: أنه تعالى بين الحقائق و أرشد الأنام و ضرب الأمثال و نبه على الآيات و النذر للتمحيص و التخليص و الامتحان فنحى بها قوم و هلك بها آخرون و إذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أئكم زادته هديه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا و هم يستبشرون و أما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم و ماتوا و هم كافرون «١»، و كثيرا ما يقال للشيء أنه أضل الرجل و ان ضل باختياره لمجرد حصول الضلالة له عند حضوره كما أشير إليه في الخبر المتقدم مستشهدا له بقوله: رَبِّ إِنِّهْنَّ أَضَلَّنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ «٢» أى ضلوا بهنّ و منه قوله: وَلَا يَعْوثُ وَيَعُوقُ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا «٣» أى ضل كثير من الناس بهم و قوله: وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ يَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ...

(١) التوبة: ١٢٤-١٢٥.

(٢) ابراهيم: ٣٦.

(٣) نوح: ٢٣-٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٦٥

و لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكَافِرُونَ مَا ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ «١» فأنها دلّت على أن ذكره تعالى لعدة خزنة النار امتحان منه لعباده لتمييز به المخلص من المرتاب فال الأمر إلى أن صلح به قوم و فسد آخرون ثم أشار أخيرا إلى أنه بمثل ذلك يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ «٢» يعنى أن ذلك هو المراد من إضلاله و هدايته، و ذلك أن هذه كلها محن و فتن لا اختبار العباد و ابتلائهم فيقال لمن ضلّ عند الفتنه: أضلته الفتنه و أضله الله بها كما يقال للفضة إذا أدخلتها النار فظهر فسادها: أفسدتها و أفسدتها النار، و الحال أنك لم تجعل فيها الفساد و لم تشعر النار بفسادها و يقال لمن اعطى غيره مالا جزيلا فظهر فيه الغرور و الطغيان: إنك أطعيت فلانا بالمال و أطغاه المال، و مثل هذا الإطلاق كثير جدا في العرف و اللغة لاكتفائهم في باب الاضافة و النسبة بأدنى الملاسة.

و أما ما ذكره بعض المشككين تضعيفا لهذا المعنى و ذهابا إلى مذهب المجبرة من أن إنزال هذه المتشابهات إن لم يكن له أثر في اقدامهم على ترجيح جانب الضلالة على جانب الاهتداء كانت نسبتها إلى ضلالتهم كنسبة صرير الباب و نعيق الغراب فكما أن ضلالهم لا- ينسب إلى شيء من هذه الأمور الاجنبية فكذلك يجب أن لا ينسب إلى هذه المتشابهات بوجه ما و إن كان له اثر في



تحريك الدواعى إلى الضلالة وجب أن يوجه لما قرّر فى محلّه من أنّه متى حصل الرّجحان فلا بدّ أن يحصل الوجوب لئفى الواسطة بين الاستواء وبين الوجوب المانع من النقيض فإذا أثر فى ترجيح الضلالة فقد أوجبها وهو الجبر المطلوب سلّمنا أنّه لا ينتهى إلى حدّ

(١) المدثر: ٣٠.

(٢) المدثر: ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٦٦

الوجوب إلّا أن لهذه المتشابهات أثرا فى ترجيح جانب الضلالة بحيث يصير عذرا للمكلف فى ترك الاقدام على الطاعة فوجب أن يقبح ذلك من الله تعالى.

ففيه أنّه قد قرّر فى محلّه أنّ الغرض من جعل الاحكام و تكليف الأنام بل المقصود الأصلي من الخلقه الناسوتية و النشأة العنصرية التي هى عالم القضاء و مزدحم اسباب الفتن و الفساد إنّما هو الامتحان و الاختبار مضافا إلى ارشاد العباد إلى ما هو الأصلى لهم فى المعاش و المعاد و لذا قال: وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ «١»، وَ لِيَمَّحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ «٢»، وَ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا «٣» وَ نَبْلُوَكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً «٤» إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، و حينئذ فان أريد بالآثار ما يعم الاختيار عند الاختبار مع فرض كمال الاقتدار من دون أن يكون هناك شوب من الإجبار فالمختار إثبات الآثار، و لا ضير فيه بعد وضح عدم منافاته للقول بالاختيار، لأنّ السبب فى الحقيقة هو اختيار المكلف، و إن تجدد الدّاعى إليه عند عروض الفعل له أو عرض شيء له، و إن أريد بها السببية المحضة و العلية التامة و لو من جهة المقتضى فتطرق المنع إليه واضح جلى. ثالثها: أن يحمل الإضلال على الإهلاك و الابطال كقوله: الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ «٥» أى أهلكتها و أبطلتها مأخوذ من قولهم:

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) آل عمران: ١٤١.

(٣) الملك: ٢.

(٤) الأنبياء: ٣٥.

(٥) محمد: ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٦٧

ضلّ الماء فى اللبن إذا صار مستهلكا فيه و أضلته فيه إذا فعلت ذلك و صيرته كالمعدوم و يقال أضلّ القوم مئتهم إذا واروه فى القبر و قالوا إذا ضلّنا «١» أى هلكنا و الذين قتلوا فى سبيل الله فلنّ يضلّ أعمالهم «٢» أى لن يبطل، فىكون المعنى على هذا يهلك الله تعالى به كثيرا و يعدّبهم به حيث أنّهم استحقّوا النكال بالإعراض عن آياته و الاستخفاف بها. و أمّا ما يقال: من أنّه غير مناسب للمقام سيّما بقرينه مقابله الهداية فيه ضعف واضح.

رابعها: أن يكون المراد بالإضلال هو التخليه و ترك المنع بالقهر و الجبر إذا كان على وجه العقوبة و المنع عن الألفاظ الفاضلة التي تفعل بالمؤمنين كما يقال:

فلان أفسد ابنه و لم يعلمه و لم يؤدّبّه، و يقال لمن ترك سيفه فى الأرض حتى فسد و صدأ أفسدت سيفك و اصدأته فعلى هذا الوجه يصحّ أيضا إطلاق الإضلال.

نعم قد يقال إنّهُ إنما يصحّ لو كان الأولى و الأحسن المنع و ترك التخليه لرجاء النفع و ترتب الثمرة و أمّا مع اليأس إلّا على وجه القهر

و الإيجاب فلا.

و فيه نظير سيمًا إذا كان المقصود مجرّد مقابلة الهداية كما في المقام،  
و قد ورد في القدسيات أنّه تعالى قال: يا عبادى كلّكم ضالّ إلّا من هديته، و كلّكم فقير إلّا من أغنيته، و كلّكم مذنب إلّا من عصمته  
«٣».

خامسها: أن يكون المراد بالإضلال الانتساب أو الضلال و الحكم به فيقال أضلّه إذا نسبه إلى الضلال، و أكفره إذا نسبه إلى الكفر و  
سمّاه باسم الكافر قال

(١) السجدة: ١٠.

(٢) محمّد: ٤.

(٣) بحار الأنوار ج ٥ ص ١٩٨ ح ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٦٨

الكميت «١»:

فطائفه قد أكفرونى بحبكم و طائفه قالوا مسيء و مذنب و قال طرفه «٢»:

و ما زال شربى الراح حتّى أضلنى صديقى و حتى ساء فى بعض ذلكا و توهم أنّ الأنسب حينئذ صيغته التفضيل فيقال: ضلّته كما يقال:  
فسدّمته و فجرته إذا سمّيته ضالا فاسقا فاجرا مدفوع بنصّ قطرب «٣» و غيره على جوازه مع أنّه قد يقال: إنّ متى صيره فى نفسه ضالا  
لزمه أن يصير محكوما عليه بالضلال:

فهذا الحكم من لوازم ذلك التصيير فإذا قال الرجل لغيره: فلان ضالّ جاز أن يقال له لم جعلته ضالا و يكون المعنى لم سمّيته بذلك  
و لم حكمت به عليه.

فان قلت: إنّّه و ان كان فى غاية البعد لكن الإشكال معه باق لأنّه يقال إذا سمّاه الله بذلك و حكم عليه بأنّه لو لم يأت المكلف بما  
يوجب الضلال لانقلب خير الله الصديق كذبا و علمه جهلا و كل ذلك محال فكذلك المفضى إليه فيكون عدم إتيان المكلف به  
محللا و إتيانه به واجبا، فيلزمكم الجبر أيضا.

قلت قد تقرّر فى موضعه عدم سببىة العلم القديم لشيء من الأفعال و الحوادث و تعلقه على فرضه إنّما هو على الكشف و الحكاية لا  
السببىة و العلية فإذا

(١) كميت بن زيد بن خنيس الأسدى شاعر الهاشميين كان من أهل الكوفة و كان عالما بآداب العرب، و لغاتها و اخبارها و أنسابها  
توفى سنة (١٢٦) هـ

(٢) هو طرفه بن العبد بن سفيان الوائلى بن عمر جاهلى من الطبقة الأولى مات سنة (٦٠) قبل الهجرة.

(٣) قطرب ابو على محمد بن المستنير البصرى النحوى صاحب سيبويه توفى سنة (٢٠٦) العبر: ج ١ ص ٣٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٦٩

تغيّرت الحال انكشف تعلق العلم بالمتغيّر أيضا و أين هذا من تغيّر العلم مع أنّ من هذه الشبهة المشهورة التى هى افتخار الشياطين  
أجوبة أخرى مذكورة فى محلها و قد مرّت الإشارة إلى شيء منها.

سادسها: أن يراد من الضلال و الإضلال العذاب و التعذيب لقوله: إنّ الْمُجْرِمِينَ فى ضلالٍ و سَعْرٍ «١» أى فى عذاب و توقّد نار على ما  
فسّر به فيه و فى قوله: إذِ الْأَعْلَالُ فى أَعْنَاقِهِمْ وَ السَّلَاسِلُ يُسَبِّحُونَ فى الْحَمِيمِ ثُمَّ فى النَّارِ يُسَجَّرُونَ- إلى قوله- كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ

الْكَافِرِينَ «٢» و إن كان لا- يخلو عن تأويل لعدم تعيين إرادته فيهما نعم قال المفيد رحمه الله في شرح العقائد إن الضلال في الآية الأولى هو الضلال لا غير و صرح به غيره أيضا.

سابعها: أن المراد على ما مرّ في خبر «تحف العقول» «٣» و الاحتجاج أنه إخبار عن كونه تعالى قادرا على هداية من يشاء و ضلالة من يشاء و لو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب و لا عليهم عقاب «٤».

و لعله عليه السلام إنما ذكره مع بعده و مخالفته للظاهر باعتبار أنه إن كان و لا بد من حمله على ما ادّعت المجبرة أنه الظاهر فلا بد من سوقه على الفرض و التقدير لا الفعلية.

ثامنها: أن الهزمة ليست للتعدى بل لمجرد الوجدان كما يقال أتيت أرض فلان فأعمرتها أى وجدتها عامرة، و عن عمرو بن معديكرب أنه قال لبني سليم

(١) القمر: ٤٧.

(٢) غافر: ٧١-٧٤.

(٣) عن ابى الحسن على بن محمد العسكري عليهما السلام فى رسالته الطويلة الى أهل الأهواز حين سأله عن الجبر و التفويض.

(٤) تحف العقول: ص ٣٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٧٠

قاتلناكم فما اجبناكم و هاجبناكم، فما أفحمناكم، و سالناكم فما أبخلناكم، أى ما وجدتمكم جبنا و لا مفحمين و لا بخلاء و قال: تمنى حصين أن تسود خزاعة فأمسى حصين أن أذلّ و أقهرا أى وجد ذليلا مقهورا فالمعنى فى المقام أنه يجد الفريقين على الوصفين. و إنكار هذا المعنى للهزمة رأسا ممّا لا ينبغى الإصغاء إليه و تأويل الإطلاقات المتقدمة تكلف بحث، و دعوى ظهورها فى غيره بعد تسليمها مدفوعة بأنه يجب المصير إليه بعد قيام قواطع الأدلة على وجوب الحمل عليه أو على شىء من الوجوه المتقدمة و لو على فرض مخالفتها للظاهر مع أنك قد سمعت ظهور البعض جدا.

تاسعها: أن قوله يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا من تمام قول الكفار فكأنهم قالوا: ماذا أراد الله بهذا المثل الذى لا يظهر وجه الفائدة فيه، ثم قالوا على وجه التهكم: يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا فأجابهم الله تعالى بقوله: وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ على ما مرّ «١» عن الامام الصادق عليه السلام مقتصرًا عليه فى تفسير الآية لكن يعود الكلام فى قوله: وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ «٢» إلا أن يقال إنه أيضا من تتمّة كلامهم على وجه التهكم مع دلالة على نسبة الفسق إليهم، فيظهر منه فساد قول المجبرة على ما سمعت.

عاشرها: ان المراد حجج الله و خيرته و الدعاة إليه من صفوته حيث يدعون الناس إليه سبحانه فيسعد بهم قوم و يشقى بهم آخرون، و هذا المعنى و إن كان

(١) تفسير على بن ابراهيم القمى ج ١ ص ٣٤.

(٢) البقرة: ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٧١

راجحا إلى بعض الوجوه المتقدمة إلا أنا قد تبهنا عليه بالخصوص لما ورد فى تفسيره من الخبر الذى رواه

فى البحار عن تفسير فرات عن الباقر عليه السلام فى قوله:

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ «١» قال: هو على بن أبى طالب و الأوصياء من بعده و شيعتهم، و أمّا قوله: يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا قال: هو أمير المؤمنين «٢» يضلُّ به من عاداه و يهدى به من والاه و ما يُضِلُّ بِهِ يَعْنِي عَلَيْنَا إِلَّا الْفَاسِقِينَ يعنى من خرج من

ولايته فهو فاسق «٣».

### في الهداية و أقسامها

بقى الكلام في المراد بالهداية في أمثال المقام و ان مرّ فيها فيما تقدّم بعض الكلام و قد استعمل على وجوه:  
 منها الدلالة و البيان و الإرشاد إلى الخير كقوله: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ «٤» إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا «٥»  
 وَ أَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسِدًا تَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى «٦»، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الظاهرة في ارادة مجرد البيان و ارادة الطريق  
 منها أخذ بها أم لا.  
 و منها: الدّعاء إلى الخير أو مطلقا كقوله:

(١) البقرة: ٢٥.

(٢) في البحار: قال: فهو على بن أبي طالب عليه السلام

(٣) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٤) البقرة: ٣٨.

(٥) الإنسان: ٣.

(٦) فصلت: ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٧٢

وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «١»، وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ «٢».

و يفترق عن الأول بأنّ الدّعاء صفة زائدة على الإراءة المحضة و إن قيل باتّحادهما لاشتغال الأوّل عليه ايضا و لو ببعض وجوه الدلالة.  
 و منها: الهداية إلى طريق الجنة كما في قوله: وَ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُضِلِّحُ بِهِمُ بِالْهُمُ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ  
 عَرَفَهَا لَهُمْ «٣»، و من البين أنّ الهداية بعد القتل لا تكون إلّا إلى الجنة و منه ايضا قوله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ  
 رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ «٤»، و قد مرّ في بعض الاخبار المتقدمة تفسير الآية في خصوص المقام بها، و  
 منها: الدّعاء إلى الخير و النّجاة إذا اقترن بالقبول و الانتفاع بها كما مرّ في خبر النّعماني تفسير الآية بها.

و منها: زيادة الألف المشروطة بالإيمان كقوله: وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى «٥»، كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا  
 أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ «٦»، وَ مَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ «٧»، و منها: الحكم بالهداية عليه و تسميته مهتديا كقوله:

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) الرعد: ٧.

(٣) محمّد: ٥.

(٤) يونس: ٩.

(٥) محمد: ١٧.

(٦) آل عمران: ٨٦.

(٧) التغابن: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٧٣

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ «١».

وهذه الوجوه وغيرها مما يقرب منها لا بأس بإرادتها في المقام، وأما خلق الهداية في قلوبهم من غير صنع لهم و اختيار منهم فلا يجوز إرادته في المقام بعد دلالة قواطع الأدلة على نفى الجبر الذي في القول به هدم الدين و تخريب شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه و آله أجمعين.

### [سورة البقرة (٢): آية ٢٧]

تفسير الآية (٢٧) الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ تَوْصِيفٌ لِلْفَاسِقِينَ بِمَا هُوَ الْأَعْظَمُ مِنْ أَسْبَابِ فَسْقِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنِ الطَّاعَةِ فَهُوَ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ عَلَى الْوَصْفِ أَوْ الْقَطْعِ بِتَقْدِيرِ أَعْنَى وَ أَدَمٌ، أَوْ الرَّفْعِ بِنَاءٍ عَلَيْهِ بِتَقْدِيرِ الْمَبْتَدَأِ أَوْ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ، وَخَيْرُهُ أَوْلَيْكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ تَعْرِيفًا عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمُ الْجَامِعُونَ بَيْنَ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَتَنْبِيهَا عَلَى أَنَّ إِضْلَالَهُ إِيَّاهُمْ لَيْسَ بِقَهْرِهِمْ وَ إِجْبَارِهِمْ بَلْ هُوَ نَاشٍ عَنِ سُوءِ اخْتِيَارِهِمْ وَ إِنَّ خُرُوجَهُمْ عَنِ طَاعَتِهِ عَادَ وَ بِالْأَعْيُنِ وَ خَسَارًا فِي تِجَارَتِهِمْ وَ النِّقْضَ نَقِيزُ الْإِبْرَامِ وَ أَصْلُهُ الْفَسْخُ وَ فَكُّ التَّرْكِيبِ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا «٢» وَ النِّقَاضُ مَا نَقَضَ مِنْ حَبْلِ الشَّعْرِ وَ اسْتَعْمَلَ فِي إِبْطَالِ الْعَهْدِ لِتَسْمِيَتِهِمُ الْعَهْدَ بِالْحَبْلِ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِعَارَةِ لِمَا فِيهِ مِنْ ثَبَاتِ الْوَصْلَةِ بَيْنَ الْمُتَعَاهِدِينَ وَ لِذَا قَدْ يُطْلَقُ مَعَ لَفْظِ الْحَبْلِ تَرْشِيحًا لِلْمَجَازِ وَ مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ التَّيْهَانِ «٣» فِي بَيْعَةِ الْعَقْبَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ حَبَالًا وَ نَحْنُ

(١) الإسراء: ٩٧.

(٢) النحل: ٩٢.

(٣) هو مالك بن التيهان ابو الهيثم الانصارى الصحابى توفى سنة (٢٠) هـ.

سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٧٤

ناقضوها و فى بعض النسخ قاطعوها فنخشى إن الله أعزك و أظهرك أن ترجع إلى قومك «١» و العهد الموثق الذى من شأنه أن يراعى و يتعهد و يتعدى إلى الوصية يقال:

عهدت إليه فى كذا أى أوصيته و منه: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ «٢» و اشتقوا منه العهد الذى يكتب للولاء، و لعل الأول هو الأصل فى معانيه، و إليه يرجع غيره كالوصية، و الأمان، و الحفاظ، و رعاية الحرمه، و اليمين، و النقاء، و المعرفة، و الضمان، و الوفاء، و التوحيد، و غيرها مما استعمل فيه أو أريد منه فى خصوص الموارد و لو بمعونه القرائن و الضمائم، و من لابتداء الغايه فان ابتداء النقص بعد الميثاق، و قيل مزيدة تفيد التوكيد، و فيه ضعف، و الميثاق مصدر بمعنى الوثاقه كالميعاد و الميلاد بمعنى الوعد و الولادة، أو اسم لما وقع التوثيق به كالميثاق لما وقع التوثيق به و فى «الصحيح» و «المصباح» و «القاموس» و غيرها أن الميثاق هو العهد من وثق و ثقا إذا ثبت و استحکم و منه قوله: وَ مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقُكُمْ بِهِ «٣» أى عهده الذى عاهدكم، و الأظهر ما ذكرناه فلا يكون تكريرا بل تأكيدا للوثاقه المأخوذة فى العهد، و الضمير له أو لله، فالإضافة إلى الفاعل أو إلى المفعول و عهده المأخوذ على عباده ايمانا أو عيانا هو ما عاهدكم عليه حين فطرتهم و أنشأهم و فتق بهم رتق العدم فدعاهم بالخطاب الفهوانى الكفاحى ايتونى عبيدا طائعين أو كارهين فقالوا أتينا طائعين عبيدا أذلاء منقادين و ما عاهدكم عليه فى الدر الأول حيث خلقهم الله تعالى على صورة الدر و ركب فيهم العقول فكلفهم و خاطبهم بألسنه مشيئة و أخذ عليهم العهد و الميثاق بربوبيته و بنوّه محمّد و ولاية عليّ و الأئمة الطاهرين صلى الله عليهم

(١) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٦.

(٢) يس: ٦٠.

(٣) المائة: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٧٥

أجمعين فأخذوا يدبون يمينا و شمالا إلى الجنة و إلى النار.

و تضعيفه بأنه لا يجوز أن يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه و لا يعرفونه و لا يكون عليه دليل «١».

ضعيف جدا بعد شهادة الله تعالى و نيته و حججه المعصومين على ذلك، و أضعف منه إنكاره من أصله لمجرد الاستبعاد من أن الله تعالى كيف يكلم الدر مع أنه لو كان هذا المشهد متحققا لكننا متذكرين بوقوعه، و سترسم الجواب عن الجميع و أنه لا مجال للشبهة فيه بعد دلالة قواطع النقل و شواهد العقل عليه فالإيمان بوقوعه من جملة الايمان بالغيب الذي فاز به المتقون و ما ركب الله في عقولهم من أدلة التوحيد و العدل و سائر الصفات الجمالية و الجلالية و النعوت الكمالية و تصديق الرسل و الحجج المعصومين و ما احتج به لهم من المعجزات و الكرامات و النصوص الدالة على صدقهم و ما عهده إلى خلقه بألسنة أنبيائه و حججه من الالتزام بطاعته و الاجتناب عن معصيته و التدين بشرائع أحكامه و تخلص العبادة له دون غيره كما أشير إليه و إلى بعض ما تقدم في قوله: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ «٢»، و ما أخذه عليهم في الكتب السماوية و الزبر الالهية من تعريف محمد و أوصيائه عليهم السلام و لزوم متابعتهم و التصديق لأقوالهم و التسليم لأفعالهم و شؤونهم و مراتبهم، فإن الأنبياء قد عهدوا إلى أممهم في جميع ذلك على ما يستفاد من أخبار كثيرة مروية من طرق الفريقين.

ففي البصائر عن أبي الحسن عليه السلام قال: ولاية علي مكتوبة في جميع صحف

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٧٠.

(٢) يس: ٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٧٦

الأنبياء و لن يبعث الله نبيا إلا بنبوته محمد و ولاية وصيه علي عليهما السلام «١».

و في أمالي الشيخ بالإسناد عن الصادق عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: ما قبض الله نبيا حتى أمره الله أن يوصى لأفضل عشيرته من عصبته و أمرني أن أوصي فقلت إلى من يا رب فقال أوصي يا محمد إلى ابن عمك علي بن أبي طالب فإنني قد أثبتته في الكتب السالفة و كتبت فيها أنه وصيك و على ذلك أخذت ميثاق الخلائق و موثيق أنبيائي و رسلي أخذت موثيقهم لي بالربوبية و لك يا محمد بالنبوة و لعلي بن أبي طالب بالولاية «٢».

و من طريق العامة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: لما عرج بي إلى السماء انتهى بي المسير مع جبرائيل إلى السماء الرابعة فرأيت بيتا من ياقوت أحمر، فقال لي جبرائيل يا محمد هذا البيت المعمور خلقه الله تعالى قبل خلق السموات و الأرض بخمسين ألف عام قم يا محمد فصل إليه قال النبي صلى الله عليه و آله و جمع الله النبيين فصفهم جبرائيل ورائي صفا فصليت بهم فلما سلمت أتاني آت من عند ربي فقال لي يا محمد ربك يقرؤك السلام و يقول لك سال الرسل على ماذا أرسلتم من قبلي فقلت معاشر الرسل على ماذا بعثكم ربي قبلي فقالت الرسل على ولايتك و ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام «٣».

ثم أن المراد بنقض العهد بإطاله و فسخه في كل مرتبة من المراتب و اضافة العهد إليه للتشريف و للتبني على أنه مما لا ينبغي نقضه بل يلزم مراعاته و حفظه و الوفاء به، مع انتهاء جميع تلك العهود إليه حقيقة و إن كان تبليغها و أخذها بتوسط

(١) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٢٨٠ ح ٢٤ عن بصائر الدرجات ص ٢١.

(٢) بحار الأنوار ج ١٥ ص ١٨ ح ٢٧ عن أمالي ابن الشيخ ص ٦٣-٦٤.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٣٠٧ ح ٦٩ عن إيضاح دفتان النواصب ص ٢٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٧٧

رسله و حججه و السنة صدقه، و المصدر المضاف يفيد العموم فيشمل الجميع و إن كان البعض مأخوذا على البعض كقوله: و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكيمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه قال أقررتهم و أخذتكم على ذلكم إصيري قالوا أقررتنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشاهدين «١» و إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم - إلى قوله - ميثاقاً غليظاً «٢»، و إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس و لا تكتمونه «٣» و الآيات مشتملة على وجوه التوثيق و التوكيد في عهده عليهم مع ما عاضده به من آياته التدويية و التكوينية في خلق الأنفس و الأفاق.

و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل صفة ثانية للذم عطفاً على ما تقدم، و الموصول بعمومه يشمل في المقام كل قطيعه لا يرضاها الله سبحانه كتكذيب الأنبياء و التفريق بينهم أو بين كتبهم في التصديق، و ترك ولاية من أمر الله بولايته و محبته و طاعته، و ترك القيام بمقتضى الحقوق الامامية للمؤمنين، و ترك صلة الأرحام و القرابات، و غير ذلك مما يساعد عليه عموم اللفظ فالتخصيص بالبعض تخصيص من غير مخصص و قطعها بجميع معانيها من الكبائر الموبقة سماها النبي حالقة الدين.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله في حديث: ألا إن في التباغض الحالقة لا أعنى حالقة الشعر و لكن حالقة الدين «٤».

(١) آل عمران: ٨١

(٢) الأحزاب: ٧

(٣) آل عمران: ١٨٧

(٤) البحار ج ٧٤ ص ١٣٢ ح ١٠١ عن الكافي ج ٢ ص ٣٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٧٨

و عن الصادق عليه السلام: اتقوا الحالقة فأنها تميت الرجال قيل: و ما الحالقة، قال:

قطيعه الرحم «١».

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: في كتاب علي عليه السلام ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبدا حتى يرى وبالهن البغي، و قطيعه الرحم، و اليمين الكاذبة يبارز الله بها و إن أعجل الطاعة ثوابا لصلة الرحم، و إن القوم ليكونون فجارا فيتواصلون فتمنى أموالهم و يثرون، و إن اليمين الكاذبة و قطيعه الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها، و تنقل الرحم و إن نقل الرحم انقطاع النسل «٢».

و في العلوي: إن القطيع من الذنوب التي تعجل الفناء، إن أهل البيت ليجتمعون و يتواسون و هم فجرة فيرزقهم الله، و إن أهل البيت ليتفرون و يقطع بعضهم بعضا فيحرمهم الله تعالى و هم أتقياء «٣».

و عنه عليه السلام: إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار «٤».

و عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال علي بن الحسين صلوات الله عليهم أجمعين: يا بني أنظر خمسة فلا تصاحبهم و لا- تحادثهم و لا ترافقهم في طريق فقلت يا أبت من هم عزفنيهم؟ قال: إياك و مصاحبة الكذاب، فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد و يباعد لك القريب، و إياك و مصاحبة الفاسق، فإنه بايعك بأكله أو أقل من ذلك، و إياك و مصاحبة البخيل، فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، و إياك و مصاحبة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، و إياك و مصاحبة القاطع لرحمه، فإنه

وجدته ملعونا في كتاب الله عزّ وجلّ في ثلاثة مواضع قال الله عزّ وجلّ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ

(١) البحار ج ٧٤ ص ١٣٣ ح ١٠٢ عن الكافي ج ٢ ص ٣٤٦.

(٢) البحار ج ٧٤ ص ١٣٤ ح ١٠٤ عن الكافي ج ٢ ص ٣٤٧.

(٣) دعوات الراوندي ص ٦١ و عنه البحار ج ٧٣ ص ٣٧٦-٣٧٧ مع تفاوت يسير.

(٤) البحار ج ٧٣ ص ٣٧٢ عن أمالي الصدوق ص ١٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٧٩

«١» وقال عزّ وجلّ: الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ «٢» وقال في البقرة: الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ «٣» «٤».

والأمر يطلق على القول المخصوص الدال على طلب الفعل من العالی أو المستعلى، أو أنه الطلب المخصوص بأى لفظ فى أى لغه. والحق أنه بماذته وهيته حقيقة فى الطلب الإيجابى وإن لم يترتب عليه الوجوب فىمن لا تجب طاعته، حسبما حرّناه مع ما يتعلق به من المباحث فى أصول الفقه.

وعلى الفعل العجيب كقوله: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا «٥»، والشىء كما تقول رأيت اليوم أمرا عجيبا، والحادثه كما فى «القاموس» وغيره، والشأن كما تقول: أمر فلان مستقيم، والغرض كما تقول: جاء فلان لأمر.

لكن الظاهر كما ترى رجوع بعض تلك المعانى إلى بعض، بل قد يقال برجوع غير الأول إلى الشأن، وذكر بعض المحققين أنه أيضا راجع إلى الأول، نظرا إلى تشبيه الداعى الذى يدعو إليه من يتولاه بأمر يأمره به فقبل له أمر تسميه للمفعول به بالمصدر كأنه مأثور به، كما يطلق عليه الشأن الذى هو الطلب والقصد من قولك: شأنت شأنه إذا قصدت قصده. وأن يُوصَلَ بتأويل المصدر بدل من الضمير المجرور أى ما أمر الله

(١) محمّد: ٢٢.

(٢) الرعد: ٢٥.

(٣) البقرة: ٢٧.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٣٧٦ و عنه البحار ج ٧٤ ص ٢٠٨ ح ٤٤.

(٥) هود: ٦٦ و ٨٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٨٠

بوصله، فهو فى موضع الخفض، و يحتمل النَّصْب على أنه بدل من «ما» و هو ضعيف.

و يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِالْصَّدِّ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ طَاعَةِ الرَّسُولِ وَ مَوَالَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْأَئِمَّةِ الْمُعْصومِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَ بِالْإِعْدَاءِ إِلَى وَايَةِ الْجَبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ سَائِرِ الشَّيَاطِينِ وَ حَزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لِأَلِّ مُحَمَّدٍ، وَ بِإِسْخَاطِ الظُّلْمِ وَ الْجورِ وَ غَضَبِ الْحَقوقِ وَ سَفْكِ الدِّمَاءِ وَ نَهْبِ الْأموالِ.

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ الَّذِينَ خَسِرَتْ صَفَقَتُهُمْ وَ هَلَكَتْ أَنْفُسُهُمْ بِاسْتِبْدَالِ الْكُفْرِ بِالْإِيمَانِ، وَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَايَةِ، وَ وَايَةِ الشَّيَاطِينِ بِوَايَةِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ وَ النِّقْضِ بِالْوَفَاءِ، وَ الْقَطْعِ بِالصَّلَةِ، وَ الْفَسَادِ بِالصَّلَاحِ، وَ السَّيْئَةِ بِالْحَسَنَةِ، وَ النَّارِ بِالْجَنَّةِ.



و الآية بعمومها لعموم الموضوع فيها و ان كانت عامية شاملة لكل من نقض عهدها، أو قطع صلة أو فعل فسادا إلا أن زيادة الخسران و شدة العقوبة فيها تتفاوت فيها بتفاوت المراتب و ملاحظة العقوق و درجات الحقوق، و هي ناعية على الذين ظلموا آل محمد حقوقهم، و ارتدوا عن الإسلام على أدبارهم و نقضوا بيعه النبي صلى الله عليه و آله في وصيته و خليفته و نبذوه وراء ظهورهم و اشتروا به ثمنا قليلا فيس ما يشترون، و ذلك بأنهم نقضوا البيعة و ركبوا الشنعة، و قطعوا رحم آل محمد، و خرجوا عن ولاية الله إلى ولاية الجبت و الطاغوت، و أفسدوا في الأرض بالبغى و الظلم و العدوان على آل محمد عليهم السلام، فلم يمتثلوا أمر الرسول في الهادين بعد الهادين، و الأتبيين بعد الأتبيين، و الأمية مصررة على مقتته، مجتمعته على قطيعه رحمه، و إقصاء ولده إلا القليل ممن وفي لرعاية الحق فيهم، فقتل من قتل و سبي من سبي، و أقصى من أقصى، و جرى القضاء لهم بما يرجى به حسن المثوبة، إذ كانت الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين (١)، نسأل الله تعجيل الفرج و سهولة المخرج.

(١) دعاء الندبة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٨١

و في تفسير الإمام عليه السلام بعد ذكر ما مر عنه في الآية المتقدمة، ثم وصف هؤلاء الفاسقين الخارجين عن دين الله و طاعته منهم فقال عز و جل: الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ الْمَأْخُذَ عَلَيْهِمْ لَلَّهِ بِالرَّبِوِيَّةِ و لمحمد بالنبوة و لعلى بالإمامة و لشيعةهما بالجنة و الكراهة من بعد ميثاقه و إحكامه و تغليظه و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام و القرابات أن يتعاهدوهم و يقضوا حقوقهم و أفضل رحم و أوجه حقا رحم محمد فإن حقهم بمحمد كما أن حق قرابات الإنسان بأبيه و أمه و محمد أعظم حقا من أبويه و كذلك حق رحمه أعظم و قطيعته أفضح و أفصح و يفسدون في الأرض بالبراءة ممن فرض الله إمامته و اعتقاد امامته من قد فرض الله مخالفته أولئك أهل هذه الصفة هم الخاسرون خسروا أنفسهم لما صاروا إلى النيران و حرموا الجنان، فإيا لها من خسارة ألزمتهم عذاب الأبد و حرمتهم نعيم الأبد.

و قال الباقر عليه السلام: ألا و من سلم لنا ما لا يدريه ثقة بأننا محقون عالمون لا نقف به إلا على أوضح المحججات سلم الله إليه من قصور الجنة أيضا ما لا يقادر هو و لا يقادر قدرها إلا خالقها و واهبها، ألا و من ترك المراء و الجدل و اقتصر على التسليم لنا و ترك الأذى حبسه الله على الصراط فجاءته الملائكة تجادله على أعماله و تواقفه على ذنوبه، فإذا التداء من قبل الله عز و جل يا ملائكتي عبدى هذا لم يجادل و سلم الأمر لأنتم فلا تجادلوه و سلموه في جنانه إلى أئمته يكون متبجحا فيها بقربهم كما كان مسلما في الدنيا لهم، و أما من عارض بلم و كيف، و نقض الجملة بالتفصيل قالت الملائكة على الصراط: واقفنا يا عبد الله و جادلنا على أعمالك كما جادلت أنت في الدنيا الحاكين لك عن أئمتك فيأتيهم النداء صدقتم بما عامل فعاملوه ألا فواقفوه، فواقف فيطول حسابه و يشتد في ذلك الحساب عذابه فما أعظم هناك ندامته و اشد حسراته لا ينجيه هناك إلا رحمة الله إن لم يكن فارق في الدنيا حملة دينه و إلا فهو في النار أبد الأباد قال عليه السلام: و يقال للموفى بعهوده في الدنيا في نذوره و إيمانه و مواعيده، يا أيها الملائكة وفي هذا العبد في الدنيا بعهوده فأوفوا له هناك بما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٨٢

و عدنا و سامحوه و لا تناقشوه فحينئذ تصيره الملائكة إلى الجنان، و أما من قطع رحمه فإن كان وصل رحم محمد و قد قطع رحم نفسه شفع أرحام محمد إلى رحمه و قالوا لك من حسناتنا و طاعاتنا ما شئت فاعف عنه، فيعطونه منها ما يشاء فيعفوا عنه و يعوض الله المعطين و لا- ينقصهم، و إن كان وصل أرحام نفسه و قطع أرحام محمد بأن جحد حقوقهم و دفعهم عن واجبهم، و سمي غيرهم بأسمائهم، و لقب غيرهم بألقابهم، و نبذ بالألقاب القبيحة مخالفيه من أهل ولايتهم، قيل له: يا عبد الله اكتسبت عداوة آل محمد لصدقه هؤلاء فاستعن بهم الآن ليعينوك، فلا يجد معينا و لا مغيتا و يصير إلى العذاب الأليم المهين قال عليه السلام: و من سمنا

بأسمائنا و لقبنا بألقابنا و لم يسم أضدادنا بأسمائنا و لم يلقبهم بألقابنا إلا عند الضرورة التي عند مثلها نسمى نحن و نلقب أعداءنا بأسمائنا و ألقابنا فإن الله عز و جل يقول لنا يوم القيامة اقترحوا لأوليائكم هؤلاء ما تعينونهم به فنقترح لهم على الله عز و جل ما يكون قدر الدنيا كلها فيه إلا كقدر خردلة في السموات و الأرض فيعطيهم الله إياه و يضاعف لهم أضعافا مضاعفات (١).  
تم و بحمد الله الجزء الرابع من تفسير الصراط المستقيم و سيأتي بعون الله الجزء الخامس منه طبع على نفقة السيدة الحاجة المحسنة مريم بنت الحاج على اللارى

(١) تفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام ص ٢٠٦-٢٠٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٨٣

## فهرس الموضوعات

وجه التسمية ٥ فضل السورة ٦ نزول السورة ١١ عدد الآيات ١٢ البحث الأول: العوالم الإلهية ١٥ عالم الحروف ١٥ مراتب الحروف ١٦ الحروف الأصلية ١٦ الحروف الحقيقية المعنوية ١٨ الحروف الشبيهة الظلية ١٨ الحروف المتزلة الفكرية ١٩ الحروف العددية ١٩ تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٨٤

الحروف اللفظية ٢٠ الحروف الكتبية ٢٢ عدد الحروف العربية ٢٤ منازل القمر ٢٧ البحث الثالث: انقسام الحروف ٣٣ الحروف العلية ٣٣ الحروف القمرية و الشمسية ٣٣ الحروف الناطقة و الصامتة ٣٣ الحروف النورانية و الظلمانية ٣٣ البحث الرابع: اشتمال الحروف على علوم جتية ٣٦ الحروف المقطعة في القرآن ٤١ البحث الخامس ٤٧ دلالة الحروف قبل التركيب ٤٧ البحث السادس ٥٤ دلالة الحروف و الألفاظ على مدلولاتها هل هو بالوضع أو ذاتي ٥٤ تفسير الحروف المقطعة في القرآن ٥٦ الوجوه الستة المستفاد من الأحاديث ٥٧

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٨٥

الوجه السابع أنها أسماء للسور ٦٦ الوجه الثامن أنها أسماء القرآن ٧١ الوجه التاسع أنها أبعاد أسماء الله عز و جل ٧٢ وجوه آخر ٧٢ البحث السابع: احكام الحروف و عوارضها ٧٦ تفسير الآية (٢) ٩٢ ما هو المراد بالكتاب ٩٥ الكتاب بحسب اللغة ٩٧ تفسير لا ريب فيه ٩٩ تفسير فيه هدى ١٠٥ أقسام الهداية ١٠٥ وجه اختصاص الهدى بالمتقين ١٠٧ درجات التقوى ١٠٩ المتقون شيعه أمير المؤمنين عليه السلام ١١٢ وجوه إعراب الآية ١١٤ تفسير الآية (٣) ١١٧ حقيقة الايمان ١١٨

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٨٦

إطلاقات الايمان ١٢١ الايمان بالغيب ١٣٠ البدء و دفع الإشكال ١٣٢ تفسير و يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ١٣٦ الصلاة بحسب اللغة ١٤٠ تأويل الصلاة بالولاية ١٤٥ تفسير و مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ١٥٢ الإنفاق لغه و تفسير ١٥٣ حقيقة الرزق ١٥٧ أقسام الرزق ١٥٩ الإنفاق ببعض الرزق ١٦١ تفسير الآية (٤) ١٦٣ تفسير و بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ١٦٧ معنى اليقين لغه و اصطلاحا ١٦٨ مقام اليقين ١٧٠ تفسير الآية (٥) ١٨٢ معنى الفلاح ١٨٤

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٨٧

تفسير الآية (٦) ١٨٧ أقسام الكفر في كتاب الله ١٨٧ كفر الخوارج و الغلاة ١٩٤ الغلو الموجب للكفر ١٩٩ التفويض و معناه الصحيح ٢٠١ التفويض الموجب للكفر ٢٠٢ المعصومون عليهم السلام: وسائط بين الخالق و الخلق ٢٠٦ المجبرة و المفوضة ٢٠٩ المجسمة و كفرهم ٢١١ التناسخ ٢١٤ شأن نزول الآية ٢١٨ تفسير سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتُمْ ٢١٩ الإنذار و حقيقته ٢٢٤ القراءة ٢٢٦ جواز التكليف بالمحال و عدمه ٢٢٨ جواب شبهة العلم و الإخبار ٢٣١ إعجاز الآية الكريمة ٢٣٦

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٨٨

تفسير الآية (٧) ٢٤١ معنى الختم و القلب ٢٤١ معنى القلب و أقسامه ٢٤٢ علة وحدة السمع ٢٤٤ علة تكرار حرف الجر ٢٤٧ تتمه في أمور مهمه ٢٤٨ وجوه القراءة في الآية ٢٤٨ اقسام حجب القلب ٢٤٩ الوجوه التي قيلت في الختم ٢٥٢ أفضلية السمع من البصر ٢٤١ معنى العذاب العظيم ٢٤٢ تفسير الآية (٨) ٢٤٥ (الناس) و اشتقاقه ٢٤٨ المنافقون من الناس ٢٧١ تفسير الآية (٩) ٢٧٧ الخدعة و المكر من صفات المنافقين ٢٧٨ المراد بالمخادعة ٢٧٩

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٨٩

تفسير و ما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ٢٨٤ تفسير الآية (١٠) ٢٨٧ لكل من الجسم و الروح ستّة أحوال ٢٨٧ المراد بالمرض في قلوب المنافقين ٢٨٨ القراءة الشاذة في مَرَضٍ ٢٩٢ القراءة الشاذة في يَكْدُبُونَ ٢٩٣ تعريف الكذب ٢٩٥ تفسير الآية (١١) ٢٩٦ القراءة في قِيلَ ٢٩٧ معنى الفساد في الأرض ٢٩٨ تفسير الآية (١٢) ٣٠١ تفسير الآية (١٣) ٣٠٢ معنى السفاهة في المنافقين ٣٠٥ تفسير الآية (١٤) ٣٠٧ قراءة شاذة في خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ٣١٠ معنى الاستهزاء ٣١١ تفسير الآية (١٥) ٣١٢

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٩٠

معنى الاستهزاء بالنسبة الى الله سبحانه ٣١٢ القراءة في يَمُدُّهُمْ ٣١٧ تفسير الآية (١٦) ٣١٩ معنى اشتراء الضلالة ٣٢٠ تفسير الآية (١٧) ٣٢٦ مثل المنافقين في أعمالهم ٣٢٩ التمثيل في هذه الآية المباركة ٣٤٣ تفسير الآية (١٨) ٣٤٥ صمم المنافقين و وجه التشبيه ٣٤٦ وجه تقديم الصم على البكم و تأخير العمى في الآية ٣٤٨ تفسير الآية (١٩) ٣٥٠ وجه ذلك التمثيل ٣٥٠ تفسير الآية (٢٠) ٣٥٨ التشاجر في (القدير) ٣٦٣ هل القدرة من صفات الذات أو من صفات الفعل ٣٦٨ تفسير الآية (٢١) ٣٧٤ يستدل بهذه الآية على أمور مهمه ٣٩٥

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٩١

تفسير الآية (٢٢) ٣٩٧ الاستدلال بالآية على تسطح الأرض و سكونها ليس صحيحا ٤٠٤ الأدلة على كروية الأرض ٤٠٧ سكون الأرض و حركتها ٤١٠ المراد بالسماء و منافعها للإنسان ٤١١ منافع حركة الشمس ٤١٤ منافع القمر ٤١٥ اشكال و دفع ٤١٦ الحديث الدال على نزول الماء من الفلك ٤١٨ السماء جهة العلو ٤٢٢ الجمع بين قول الطبيعيين و الأخبار ٤٢٤ الثمرات من الماء ٤٢٥ ردّ قول الأشاعرة ٤٢٧ الثمرة و إطلاقاتها ٤٢٨ في تفسير كلمة الأنداد ٤٣١ تفسير الآية (٢٣) ٤٣٨ العبد و شرافته ٤٤٢

تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص: ٥٩٢

تفسير فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ٤٤٦ تفسير و اذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ٤٥٦ تفسير إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٤٦٠ تفسير الآية (٢٤) ٤٦١ في أن نار جهنم مخلوقة ٤٧٤ دليل اعجاز القرآن ٤٧٩ تفسير الآية (٢٥) ٤٨٠ الجنات و نعيمها ٤٨٦ أبواب الجنة ٤٨٧ بسط في المقال لتحقيق مسألة تجسم الأعمال ٥٠٠ البحث الثاني ٥٠٩ تفسير الآية (٢٦) ٥٢٦ حقيقة الإرادة و الكراهة ٥٤٤ معنى الإللال المنسوب إلى الله سبحانه ٥٥٨ في الهداية و أقسامها ٥٧١ تفسير الآية (٢٧) ٥٧٣

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥

## الجزء الخامس

### إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تتمه سورة البقرة

## تفسير الآية ٢٨

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ اسْتِفْهَامٌ فِيهِ إِنْكَارٌ وَتَعْجَبٌ، وَتَوْبِيخٌ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَالْخِطَابُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِتْفَاتِ تَسْجِيلًا لِكُفْرِهِمْ بِمَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ.

(و كيف) اسم وضع للسؤال عن الحال التي يكون عليها الشيء، واشتقوا منه الكيفية كما اشتقوا الكمية من الكم على وجه الانتساب، وإنكار الحال يدل على إنكار ذي الحال على وجه أبلغ، وحيث إنه حقيقته أو ظاهره ولو بمعونه المقام في السؤال عن جميع الأحوال فالمعنى أنه لا- يصحّ ولا- ينبغي أن يوجد حال ما لكفركم وقد علمتم ذلك بضرورة عقولكم فأخبروني على أي حال تكفرون و الحال أنكم كنتم أمواتا؟

وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا أَعْدَامًا مَحْضَةً لَا حَظَّ لَهَا مِنَ التَّقْرِيرِ وَ الثَّبُوتِ بِحَسَبِ الْمَاهِيَّةِ وَ الوجودِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْعَوَالِمِ الْكُوتِبِيَّةِ وَ الْإِمْكَانِيَّةِ، كَمَا قَالَ: أَوْ لَا يَذْكَرُ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦

الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئًا «١» أَوْ فَاقِدِينَ لِلْوُجُودَاتِ الْكُوتِبِيَّةِ وَ إِنْ كُنْتُمْ مَتَمَيِّزِينَ بِاعْتِبَارِ التَّقْرِيرَاتِ الْإِمْكَانِيَّةِ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّهَا أُمُورٌ اعْتِبَارِيَّةٌ كَمَا قِيلَ، أَوْ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهَا مَجْعُولَةٌ بِالْمَشِيَّةِ الْإِمْكَانِيَّةِ عَلَى وَجْهِ لَيْسَ لَهَا حَدٌّ وَ نِهَائَةٌ كَمَا هُوَ الْحَقُّ أَوْ أَجْسَامًا لَا حَيَاةَ لَهَا قَطْرَاتٌ مَزِينَةٌ أَوْ سَجِيئَةٌ، وَ رَشْحَاتٌ سَحَابِيَّةٌ، وَ بَسَائِطٌ عُنْصُرِيَّةٌ، وَ أَغْذِيَةٌ حَيَوَاتِيَّةٌ، وَ إِخْلَاطًا بَدَنِيَّةٌ وَ نَطْفًا أَمْسَاجِيَّةٌ، وَ مَضْغًا مَخْلَقَةٌ وَ غَيْرَ مَخْلَقَةٍ، وَ عِظَامًا بِاللَّحْمِ مَكْسُوءَةٌ، أَوْ فَاقِدِينَ لِلْعِلْمِ وَ الشُّعُورِ وَ الْإِدْرَاقِ الَّذِي بِهِ الْحَيَاةُ الْإِنْسَانِيَّةُ كَمَا قَالَ: وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَ جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ «٢» أَوْ لِلْإِيمَانِ وَ التَّصْدِيقِ الَّذِي بِهِ الْحَيَاةُ الْحَقِيقِيَّةُ الْإِبْدِيَّةُ كَمَا قَالَ: لِيُذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَ يَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ «٣»، إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى «٤»، أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ «٥»، أَوْ خَامِلِي الذِّكْرِ، بِنَاءٍ عَلَى مَا قِيلَ: مَنْ أَنْ الْعَرَبُ تَسْمَى كُلُّ أَمْرٍ خَامِلٍ مَيِّتًا وَ كُلُّ أَمْرٍ مَشْهُورٍ حَيًّا قَالَ:

فَأَحْيَيْتَ عَنْ ذِكْرِي وَ مَا كَانَ خَامِلًا وَ لَكِنْ بَعْضُ الذِّكْرِ أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ فَأَحْيَاكُمْ خَلَقَكُمْ بِالْمَشِيَّةِ الْإِمْكَانِيَّةِ ثُمَّ بِالْمَشِيَّةِ الْكُوتِبِيَّةِ ثُمَّ فَطَرَ عَقُولَكُمْ وَ أْبَدَعَ نَفُوسَكُمْ وَ رَكَّبَ أَرْوَاحَكُمْ وَ أَنْشَأَ أَبْدَانَكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ إِلَى أَنْ أَنْشَأَكُمْ خَلْقًا آخَرَ عَلَى مَا جَرَى بِهِ الْقَدْرُ، وَ جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْقُدْرَةَ وَ الْإِخْتِيَارَ، وَ عَلَّمَكُمْ بَعْدَ الْجَهَالَةِ الْجَهْلَاءِ وَ نَجَّكُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ الظُّلْمَاءِ، وَ هَدَاكُمْ إِلَى الْمَحْجَةِ الْبِيضَاءِ، وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حَفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا وَ نَشَرَ ذِكْرَكُمْ وَ رَفَعَ قَدْرَكُمْ بَعْدَ

(١) مريم: ٦٧.

(٢) النحل: ٧٨.

(٣) يس: ٧٠.

(٤) النمل: ٨٠.

(٥) الانعام: ١٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧

أَنْ كُنْتُمْ مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمْ النَّاسُ فَأَوَّاكُمْ وَ أَيْدَكُمْ بِنَصْرِهِ.

ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ عِنْدَ انْقِضَاءِ آجَالِكُمُ الطَّبِيعِيَّةِ وَ الْإِحْتِرَامِيَّةِ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ لِلِسُّؤَالِ فِي الْقُبُورِ وَ اللَّبْعَثِ وَ النَّشُورِ يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، بِالنَّشُورِ لِلْحِسَابِ أَوْ بِالْمَصِيرِ إِلَى الْجِزَاءِ مِنَ الثَّوَابِ أَوْ الْعِقَابِ.

وَ إِنَّمَا عَطَفَ الْأَوَّلَ بِالْفَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى الْإِتِّصَالِ وَ الْبَاقِيَ بِثَمَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّرَاخِي، لِأَنَّ الْإِحْيَاءَ الْأَوَّلَ قَدْ تَعَقَّبَ الْمَوْتَ الْمَلْمُودَ طَرَى عَلَيْهِ

الحياة بشيء من الوجوه المتقدمه بغير تراخ لاعتبار المقابلة في معنيهما على ما سمعت، فانّ الإحياء قد ترتب على كونهم أمواتا الصادق على ما قبل الإحياء وإن كان له أزمته غير متناهية متحققة أو موهومة من جهة المبدء، و أما الموت فقد تراخى عن الإحياء كما أنّ الإحياء الثاني في القبر أو الحشر متراخ عن الموت، وكذا الرجوع على الوجهين.

و الموت عدم الحياة مطلقا او عدم الحياة عما من شأنه الحياة، و يتقابلان بالمعاني المتقدمه، و الحق أنّهما مخلوقان لقوله: خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ «١» و لما ورد من ذبح الموت بين الجنة و النار «٢»، نعم الموت بالمعنى الأول و هو العدم الأزلي المطلق المستمر غير مخلوق و لا مجعول.

و الكفر في الآية يشمل كفر الجحود و العناد و الاعتقاد و العصيان، فيكون الخطاب للمؤمنين و المنافقين و الكفار، و يحتمل الإختصاص بالأخيرين على ما مرّ، و بعضهم و إن أنكر حياة القبر و البعث في الحشر و أنّه إليه يرجع الأمر، إلّا أن تمكّنهم عن تحصيل العلم بها بعد نصب الدلائل و إخبار الرسل و تظافر الحجج و شهادة العقول نزلها عندهم منزلة الأمور المعلومه التي لا يحوم حولها شبهة و ريبه، مع أنّ

(١) الملك: ٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢٦١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨

في الآية دلالة لطيفة على ما يرشدهم إلى صحتها و التصديق بها، و هو أنّه تعالى لما قدر أن أحياءهم أولا و هم حيارى في فيافي العدم قدر أن يحييهم ثانيا، فإنّ بدء الخلق ليس بأهون عليه من إعادته بل الإعادة أهون عليه.

و يحتمل الحمل على ما يشمل كفر النعمة حيث عدّد عليهم أصول النعم، و هي الوجود و البقاء و الحياة الحقيقية الابدية و الرجوع إليه سبحانه و إن فضّلنا عن الحياة الدنيوية بالموت؟ و لذا؟ أعدّه أيضا من جملة النعم مع أنّه استراحة لقوم إذ به يحصل الفراغ عن الكدورات الحسية و العوائق البدنية، و قد سمعت أنّ الآية تشمل المؤمنين أيضا بل قد يحتمل اختصاص الخطاب بهم لتقرير المنّة عليهم و تبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصوّر منكم و أنتم عالمون باستناد جميع الشؤون إليه متوقعون لنيل جميع الخيرات من لديه.

و الواو في وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا، للحال و المعنى قد كنتم بإضمار «قد» فيه كما في قوله: أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ «١» فانّ الماضي لما كان بعيدا عن الحال توصلوا إلى تربيته بدخول «قد» و إضماره ليصلح لها، أو أنّ المعنى كيف تكفرون بالله، و قصّتكم هذه و حالكم أنّكم كنتم أمواتا فأحياكم فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم و زوال الغدر عنكم.

و قرء يعقوب «٢» ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن.

و الآية تدلّ على فساد القول بالجبر و نفى الاختيار و أنّ الكفر بأقسامه من قبل العباد لأنّه لو كان هو الخالق للكفر فيهم لما جاز توبيخهم عليه مع إسناد الفعل

(١) النساء: ٩٠.

(٢) هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله أبو محمد الحضرمي البصري أحد القراء العشرة مات سنة (٢٠٥) ه و له (٨٨) سنة.

غاية النهاية ج ٢ ص ٣٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩

إليهم في قوله كَيْفَ تَكْفُرُونَ كما أنّه لا يجوز إسناد الفعل إليهم و لا ذمهم في الأفعال الخلقية كالطول و القصر و الملاحة و القباحة

فلا يقال كيف تكونون طوالا و قصارا، ضرورة أنه يقبح من الحكيم أن يخلق فيهم الكفر و يقول لهم: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، و يمنعهم عن الايمان و يقول لهم: وَ مَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا\* «١»، فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ «٢»، و يخلق فيهم الاعراض و الإفك فيقول فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ «٣»، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ\* «٤» إلى غير ذلك من التقريرات الغريبة و التوبيخات الشديدة على أن النعمة التي من بها عليهم في الآية لا تكون نعمة لهم حقيقة بل نعمة عليهم حيث أنه أوجب عليهم بما خلق فيهم و أجبرهم عليه العذاب الدائم و الخسار اللازم مثل من قدم إلى غيره طعاما مسموما له حلاوة ظاهرة و أجبره على أكله فإنه لا يعد نعمة منه، و هذا ظاهر جدا.

و أما ما يقال: من أن الاستدلال بهذه الوجوه و نظائرها يرجع إلى التمسك بطريقة المدح و الذم و الأمر و النهي و الثواب و العقاب، و نحن أيضا نقابلها بشبهة العلم الأزلي المتعلق بكفرهم فلو لم يقع لا نقلب علمه جهلا و هو محال و مستلزم المحال محال، و بأن القدرة على الكفر كانت صالحه للإيمان و امتنع كونها مصدرا لشيء منهما إلا لمرجح راجع إلى العبد و هو محال على ما قرره أو إلى الله تعالى و هو المطلوب.

ففيه أنه و إن افتخر بعض المشككين من أحزاب الشياطين حتى قال إمامهم الرّازي: «إن المعتزلي إذا طوّل كلامه و فرّع وجوهه في المدح و الذم فعليك بمقابلتها

(١) الإسراء: ٩٤.

(٢) الانشقاق: ٢٠.

(٣) المدثر: ٤٩.

(٤) الانعام: ٩٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠

بهذين الوجهين فأنهما يهدمان جميع كلماته و يشوشان كل شبهاته» «١».

إلّا أن الجواب عنهما واضح مشهور و في أصول الامامية مسطور و قد أشرنا إليه فيما تقدّم عند تفسير آية الختم و غيرها، و أما الاستدلال بها على التجسم بظهور الرجوع إليه في التحيز، و على بطلان عذاب القبر بحمل قوله ثُمَّ يُحْيِيكُمْ على الحياة الاخرية، كما هو أحد الوجهين فضعيف جدا للمنح عن الظهور إذ المراد الرجوع إلى أمره و حكمه و لذا يسمّى الحشر رجوعا إليه تعالى كما قال: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ «٢» و ذلك لأنه رجوع إلى حيث لا يتولى الأمر و الحكم غيره تعالى و لذا قال: إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ «٣»، وَ إِلَيْنَا الْمَصِيرُ «٤»، أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ «٥»، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ «٦».

و أما نفى عذاب القبر فليس فيها إشعار عليه بشيء من الدلالات إلّا من جهة عدم التعرض الذي هو أعم منه.

مع أن فيه دلالة على الحياة البرزخية كما هو الوجه الأظهر فيها، مضافا إلى أنه هو المصرح به في تفسير الامام عليه السلام للآية حيث قال عليه السلام: أنه قال رسول الله صلى الله عليه و آله لكفار قريش، و اليهود كيف تكفرون بالله الذي دلكم على طرق الهدى و جنبكم إن أطعتموه سبل الردى وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي أَصْلَابِ آبَائِكُمْ وَ أَرْحَامِ أُمَّهَاتِكُمْ

(١) تفسير الفخر الرازي ج ١ ص ١٥١.

(٢) الانعام: ٦٢.

(٣) الغاشية: ٢٥.

(٤) ق: ٤٣.

(٥) الشورى: ٥٣.



رسول الله مره أن ينظر إلى ما قد أعد له في الجنان، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنظر فينظر إلى العلو و ينظر إلى ما لا يحيط به الأبواب و لا- يأتي عليه العدد و الحساب، فيقول ملك الموت: كيف لا أرفق بمن ذلك ثوابه هذا محمّد و عترته زوّاره يا رسول الله لو لا- أن الله تعالى جعل الموت عقبة لا- يصل إلى تلك الجنان إلّا من قطعها لما تناولت روحه، و لكن لخادمك هذا محبّك أسوء بك و بسائر أنبياء الله و رسله و أوليائه الذين أذيقوا الموت بحكم الله تعالى.

ثم يقول محمّد صلى الله عليه وآله: يا ملك الموت هاك أخاه قد سلّمناه إليك فاستوص به

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣

خيرا ثم يرتفع هو و من معه إلى روض الجنان و قد كشف عن الغطاء و الحجاب لعين ذلك المؤمن العليل، فيراهم المؤمن هناك بعد ما كانوا حول فراشه فيقول يا ملك الموت الوحا «١» تناول روعي و لا تلبثني ها هنا فلا صبر لي عن محمّد و عترته و الحقني بهم فعند ذلك يتناول ملك الموت روحه فيسلّها كما يسأل الشعرة من الدقيق، و ان كنتم ترون أنّه في شدة فليس في شدة بل هو في رخاء و لذة، فإذا أدخل قبره وجد جماعتنا هناك، و إذا جاء منكر و نكير قال أحدهما للآخر: هذا محمّد و عليّ و الحسن و الحسين و خيار أصحابهم بحضرة صاحبنا فلتنضع «٢» لهم «٣» فيأتيان و يسلمان على محمّد سلاما تاما منفردا ثم يسلمان على عليّ عليه السلام سلاما تاما منفردا «٤» ثم يسلمان على ساير من معنا من أصحابنا ثم يقولان قد علمنا يا رسول الله زيارتك في خاصّتك لخادمك و مولاك و لو لا أن الله يريد اظهار فضله لمن بهذه الحضرة من أملاكه و من يسمعنا من ملائكته بعدهم لما ساءلناه و لكن أمر الله لا بدّ من امتثاله، ثم يسألانه فيقولان: من ربك و ما دينك و من نبيك و من إمامك و ما قبلتك «٥» و من إخوانك؟ فيقول: الله ربّي، و محمّد نبيّ و عليّ وصيّي محمد إمامي، و الكعبة قبلتي، و المؤمنون الموالون لمحمّد و عليّ و أوليائهما و المعادون لأعدائهما إخواني، و أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمّدا عبده و رسوله و أنّ أخاه عليّا وليّ الله، و أنّ من نصبهم للامامة من أطائب عترته و خيار ذريته و خلفاء الامّة و ولاة الحقّ و القوامون بالعدل «٦» فيقولان: على هذا حييت و على هذا

(١) كلمة تقال في الاستعجال و معناه: البدار البدار.

(٢) أي فلتندلل و لنخشع.

(٣) في البحار: لهما.

(٤) في البحار: ثم يسلمان على الحسين سلاما يجمعانها.

(٥) في البحار: و من شيعتك و من إخوانك؟

(٦) في البحار: بالصدق.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤

متّ و على هذا تبعث ان شاء الله و تكون مع من تتولاه في دار كرامة الله و مستقرّ رحمته.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن كان لأوليائنا معاديا و لأعدائنا مواليا و لأضدادنا بألقابنا ملقبا فإذا جاءه ملك الموت لئزع روحه مثل الله لذلك الفاجر سادته الذين اتّخذهم أربابا من دون الله عليهم من أنواع العقاب ما يكاد نظره إليهم يهلكه، لا يزال يصل إليه من حرّ عذابهم ما لا طاقة له به، فيقول له ملك الموت: أيها الفاجر الكافر تركت أولياء الله إلى أعدائه فاليوم لا يغنون عنك شيئا، و لا تجد إلى مناص سيلا، فيرد عليه من العذاب ما لو قسم أدناه على أهل الدنيا لأهلكهم، ثم إذا أدنى في قبره رأى بابا من الجنة مفتوحا إلى قبره، فيرى منه خيراتها فيقول منكر و نكير، انظر إلى ما حرّمته من الخيرات، ثم يفتح له في قبره باب من النار و يدخل عليه منه عذابها، فيقول: يا رب لا تقم الساعة يا رب لا تقم الساعة «١».

و في كتاب الكافئة للمفيد رحمه الله أنّه لما قدم عليّ الكوفة و جلس إليه الناس فسأل عن رجل من الصحابة كان ينزله الكوفة فقال



قائل استأثر الله به، فقال عليه السلام: أن الله لا يستأثر بأحد من خلقه إنما أراد الله جل ذكره بالموت إعزاز نفسه وإذلال خلقه ثم قرء عليه السلام وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ «٢».

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٣٦ و ص ١٧٦ عن تفسير الامام العسكري عليه السلام ص ٢١٠-٢١٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٢ ص ٣٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥

### تفسير الآية ٢٩

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لَمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةَ إِنْعَامَهُ عَلَيْنَا بِخَلْقِ ذَوَاتِنَا وَالْإِفَاضَةَ عَلَيْنَا بِنُورِ الْوُجُودِ وَنَفْخِ الْأَرْوَاحِ وَالتَّنْقِلِ إِلَى الْأَطْوَارِ الْبَرْزَخِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ عَقَبَهَا بَيَانُ نِعْمَةٍ أُخْرَى لِعَامِيَةِ الْخَلْقِ مَرْتَبَةً عَلَيْهَا، وَهِيَ خَلْقُ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ بِقَاؤِهِمْ وَبِهِ يَتَمَّعُ مَعَاشِهِمْ مِنَ الْبَسِيطَةِ الْغَبْرَاءِ وَالْمَحِيضَةِ الْخَضْرَاءِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَجْسَامِ الْبَسِيطَةِ وَالْمَرْكَبَةِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الْقُوَى وَالْأَرْوَاحِ وَالْكَيفِيَّاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَعْرَاضِ الَّتِي خَلَقْتَ لِأَجْلِ انْتِفَاعِ النَّاسِ بِهَا فِي دُنْيَاهُمْ بَانَ يَتَمَتَّعُونَ مِنْهَا بِفَنُونِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَنَاحِكِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَرَاقِبِ وَالْمَسَاكِنِ وَالْمَنَاطِرِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يَنْتَفِعُونَ بِهَا فِي مَصَالِحِ أَسْبَابِهِمْ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ عَنْهَا وَتَقْوِيهَا عَلَى الطَّاعَةِ وَحِفْظِ الْمَقَاصِدِ الْمَطْلُوبَةِ وَفِي دِينِهِمْ بِالنَّظَرِ فِيهَا وَالِاسْتِدْلَالَ بِهَا وَمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ عَجَائِبِ الصَّنْعِ وَغَرَائِبِ الْبَدْعِ عَلَى الصَّانِعِ الْحَكِيمِ الْقَادِرِ الْعَلِيمِ.

ولذا روى الامام عليه السلام في هذه الآية عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: أنه خلق لكم لتعتبروا به و تتوصلوا به إلى رضوانه و تتوقوا من عذاب نيرانه «١».

و الاقتصار عليه في كلامه لكونه الأهم الاعم من الانتفاعين، و إلا فالآية بعمومها و إطلاقها تدل على جواز انتفاعهم بكل ما فيها من المنافع الخالية عن المضرة، و لذا استدلوا بها على أصالة الاباحة الشرعية حسبما قرّر في الأصول من تطابق العقل و الشرع على ذلك و فساد القول بأصالة الحظر فيها قبل ورود الشرع أو بعد بيانه عقلا أو شرعا و فساد القول بالتوقف أيضا، و بالجملة فالأشياء كلها من الأفعال و المطاعم و غيرها على الإباحة الاصلية بل الشرعية إلا ما ورد النص فيه بالحرمة بالخصوص أو بالعموم و لو لكونه من الخبائث كما في الآية أو مما يضر في

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٢ عن تفسير الامام عليه السلام ص ٢١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦

البدن.

كما في خبر المفضل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لم حرّم الله الخمر و الميتة و الدم و لحم الخنزير؟ قال عليه السلام: إن الله تبارك و تعالى لم يحرّم ذلك على عباده و أحلّ لهم ما سواه من رغبة منه فيما حرّم عليهم، و لا زهد فيما أحلّ لهم، و لكنّه خلق الخلق فعلم ما تقوم به أبدانهم و ما يصلحهم فأحلّ لهم و أباحه تفصّلا منه عليهم به لمصلحتهم و علم ما يضرهم فنهاهم عنه و حرّمه عليهم ثم أباحه للمضطر و أحله في الوقت الذي لا يقوم بدنه إلا به فأمره أن يتناول منه بقدر البلغة لا غير ذلك «١» الخبر على ما يأتي في تحريم الخمر و أخواتها.

و مما يدل على الأصل المتقدم مضافا إلى الآية و آيات كثيرة تأتي الإشارة إليها قوله عليه السلام: كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهى «٢» إلى غير ذلك ممّا حررناه في الأصول فلا يقدر في الأصل المزبور إمكان تطرق المناقشة في الآية بأن الحمل على العموم في

المطلقات مشروط بعدم كون المقام مقام الإجمال والإهمال، بل مقام البيان وليس المقام منه إذ المقصود بيان أن في خلق الأشياء منفعة لكم لا-بيان أنها أى شىء و فى أى شىء و بان «ما» و إن كان من ألفاظ العموم إلّا أنّ وجوه الانتفاع المستفادة من اللام إمّا مجمل أو مطلق فلا-وجه للحمل على العموم بالنسبة إليها أيضا سيّما بعد ما مرّ فى كلام الإمام عليه السّلام من تفسيره بالانتفاع فى الأمور الدينية و بأنّ غاية ما تدل عليه أنّه خلق الكل للكل لا أنّه خلق كلّ شىء ممّا فى الأرض لكل فرد من أفراد الإنسان، فإذا احتمل اختصاص شىء من المنافع بغيره و لو لأسباب طارئة لم يجز استعماله لعدم الدليل سيّما مع ما ذكره فى مقابلة الجمع

(١) بحار الأنوار ج ٦٥ ص ١٣٤ عن المحاسن.

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٧٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧

بالجمع إلى غير ذلك من المناقشات التى لا ينبغى الإصغاء إليها بعد اعتضاد الأصل المتقدم بالعقل و النقل بل الإجماع نقلا و تحصيلا فيما يتعلق بالأعيان و غيرها مع عدم المخصص بأحد الوجهين.

هذا مضافا إلى أنّه يمكن الجواب عن الوجوه المتقدّمة بظهور ورود الآية فى مقام الامتنان الذى هو أعلى مراتب البيان و لذا قالوا بإفادة المفرد المنكر فى مثله للعموم كما فى قوله: وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا «١» و «اللام» و ان كان مطلقا من حيث جهات الانتفاع إلّا أنّ الإطلاق كاف سيّما فى مقام الامتنان، و مجرّد الاقتصار فى تفسير الآية على ذكر البعض غير صالح لشىء من التقييد و التخصيص، و أمّا مقابلة الكل بالكل فلا دلالة فيها على اختصاص البعض بالبعض و إن علم ذلك من أدلّة أخرى، و لذا لم أن يرجع فى الإختصاص إلى سائر الأسباب، و به يضعف استدلال أهل الإباحة بالآية على نفى الإختصاص و رفض اسباب الملكية و جواز انتفاع كلّ أحد بما يجده من المطاعم و الملابس و المناكح و غيرها.

نعم يستفاد منها أنّ لكلّ شىء ممّا فى الأرض فائدة و نفعاً و ان لم نعلمها بالخصوص.

و ما يقال من أنّ ما لا نفع فيه كأنواع السموم و الحيوانات الموزية من الحيات و الأفاعى و العقارب و نحوها خارج عن ذلك ففيه أنّه ناش عن التصور و الجهالة، بما أودع الله فيها من الخواص الجليّة و المنافع العظيمة التى لم يزل الناس من أهل الملل و المذاهب يطّلعون عليها شيئا فشيئا على مر الدهور و الأعصار، و ناهيك فى ذلك الاطلاع على جملة ممّا استنبطه أطباء الافرنج و الأندلس و حكماؤهم من الخواص الغريبة و الآثار العجيبة من تلك العقاقير و النباتات التى ربما يتوهم الجاهل

(١) الفرقان: ٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨

خلوها عن المنافع حتى من مثل السموم القاتلة و نحوها و منافع لحوم الأفاعى مفردة و مركبة مع الترياق و غيره غير خفية. ثمّ إنّها و إن دلت على جواز الانتفاع بجميع ما فى الأرض نظرا إلى وضع الموصول سيّما مع كون جميعاً حالا عنه فى المقام، بل و مع كونه توكيدا أيضا و ان كان احتمالاه فى غاية البعد لقلّة التوكيد به و لخلوه عن الضمير إذ لو كان كذا لقل جميعه.

و بالجملة ففيها دلالة على إباحة الانتفاع بما فى الأرض إلّا أنّه تختلف كيفية الانتفاع به باختلاف الأشياء، فقد يكون فى بعضها بالأكل و فى بعضها بالشرب، و فى بعضها باللبس، و فى بعضها بالسكون، و الزراعة و الحراثة و نحوها، فإذا كان للشىء منفعة واحده أو كانت واحده منها ظاهرة فلا ريب فى جواز الانتفاع بها، و أمّا المنافع الغير الظاهرة و التى لم يتداول الانتفاع بها عند الناس أو ما لم يطّلعوا عليها قبل ذلك فهل يجوز الانتفاع بشىء منها بعد الإطلاع و حصول الانتفاع و جهان بل قولان: يظهر من البعض العدم لإجمال الآية بالنسبة إلى هذه الصورة نظرا إلى بعض الوجوه المتقدّمة، و قد عرفت ضعفها، و منه يظهر أنّ الأظهر الأول و لذا لا ينبغى التأمل

في جواز استعمال العقاقير المختلفة في وجوه الانتفاعات التي تطَّلَع عليها الحكماء و غيرهم يوما فيوما على مرّ الدهور و الأعصار ممّا لم تكن متداولة في القرون السابقة و الأزمنة المتقدّمة.

و منه يظهر أيضا ضعف ما ربما يستدل بالآية على حرمة أكل الطين نظرا إلى أن أكله من المنافع الغير المتداولة مع أنّها أنما دلّت على إباحة ما في الأرض لا هي نفسها إذ فيه أن أكل الطين و ان كان حراما في الشرع لكن الحرمة غير مستفادة من الآية لا منطوقا كما لا يخفى و لا مفهوما لعدم شيء من المفاهيم المعبرة و إن كان مراد القائل عدم الدلالة على الإباحة لا اثبات الدلالة على الحرمة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩

و أمّا ما يقال: من أنّ المراد بالأرض جهة السفلى كما أنّ المراد بالسماء جهة العلو فالمعنى خلق لكم ما في هذه الجهة المقابلة للعلو فيشمل الأرض، و أنّ من جملة الأرض ما يطلق عليه أنّه في الأرض فيكون جامعا للوصفين.

ففيه مع الغرض عمّا فيهما من التكلف أنّه لا منفعة في أكل الطين بل المضرة فيه واضحة جدّا كما صرّح به الأطباء و غيرهم.

بل في الخبر المحكى عن «العلل» و «المحاسن» و «الكافي» عن ابى جعفر عليه السّلام إنّ أكثر مصائد الشيطان أكل الطين إنّ أكل الطين يوجب السقم في الجسد و يهيج الداء و من أكل الطين فضعت قوته التي كانت قبل أن يأكله و ضعف عن عمله الذي كان يعمل حوسب على ما بين ضعفه و قوته و عذب عليه «١».

و عن الصادق عليه السّلام: من أنهمك في أكل الطين فقد شرك في دم نفسه «٢».

و عنه عن النبي صلّى الله عليه و آله من أكل الطين فمات فقد أعان على نفسه «٣»، إلى غير ذلك ممّا يدل على أنّه يوقع الحكمة في الجسد و يورث البواسير و يهيج السوداء و يذهب بالقوة من الساقين و القدمين و غيرها، بل الظاهر من كثير منها و المصرح به في كلام جملة من الأصحاب عدم الفرق في الحرمة بين التراب الخالص و الممزوج بالماء.

و من الغرائب ما في «الجواهر» من اختصاص الحكم بالطين الذي هو الممزوج بالماء، و أمّا التراب الخالص فلا دليل على حرمة، بل مقتضى الأصول عدمها ضرورة خروجه عن مسمى الطين إلى آخر «٤» ما ذكره هناك حيث تفرد القول

(١) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ١٥٣ ح ١ عن العلل و فيه: إنّ أكل الطيب يورث السقم.

(٢) العلل ص ٥٣٣ و عنه البحار ج ٦٠ ص ١٥٢ ح ٨.

(٣) المحاسن للبرقي ح ٩٧٥ و عنه البحار ج ٦٠ ص ١٥٤.

(٤) الجواهر ج ٣٦ ص ٣٥٥-٣٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠

بحليّة أكله مستدلا له بما لا- دلالة فيه أصلا فلا حظ و تأمل إذ من البين أنّه و إن كان الحكم في الاخبار معلّقا على الطين الذي هو ظاهر في المخلوط بالماء لكن الاستفادة من الاخبار في المقام إرادة مطلق التراب عنه كما أنّه المراد أيضا في استثناء طين قبر الحسين عليه السّلام بل و كذا في طين الأرمني الذي وقع التصريح بجواز أكله في الأخبار و في كلمات الأصحاب بل الأطباء ذكروا في باب الأدوية المفردة الطين المطلق و الطين الأرمني و المختوم و غيرها و لم يذكروا التراب أصلا بل ربّما يحصل القطع بارادة العموم من التأمل في فحوى الأخبار الناهية عن أكله سيّما بعد ملاحظة العلل المنصوصة المشتركة بينه و بين التراب و الزمل بل و مطلق وجه الأرض و ان من يأكل ذلك فالغالب أنّه يأكل اليابس دون المبلول بالماء.

مضافا إلى ما في «الخصال» عن أبى الحسن الأوّل قال أربعة من الوسواس:

أكل الطين، وفت الطين «١» إلخ الظاهر في إرادة اليابس منهما و لو بقريئة الفت الذي هو الكسر.

و ما في مرفوع البرقي أن رسول الله صلّى الله عليه و آله نهى عن أكل المدر «٢»، بل هو الظاهر أيضا من الاستثناء الوارد في المعبرة

المشتملة على حرمة أكل الطين كله إلا طين القبر و طين الحائر الظاهر فيما يؤخذ من الموضع الشريف، كما هو بل لعله الظاهر أيضا مما دل على النهى عن بيعه، والاستخفاف به، و التعبير في بعض الاخبار و الادعية بأن الشفاء في تربته «٣»، و في بعضها التعبير بطين قبره، بحيث يمكن تحصيل القطع باتحاد المراد منهما الى غير ذلك من الشواهد التي يطول بذكرها

(١) الخصال ص ٢٢١ ح ٤٦ و عنه البحار ج ٦ ص ١٥١ ح ٣.

(٢) البحار ج ٦٠ ص ١٥٨ ح ٢٨ عن معاني الاخبار ص ٢٦٢.

(٣) الوسائل الباب ٦٧ من أبواب المزارح ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١

الكلام و انما أشرنا إلى شطر منها في المقام لما في القول المذكور من الغرابة.

بقي الكلام في شيء و هو أنه قد اختلف أهل العلم في معنى اللام في المقام و في قوله تعالى و ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَّ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ «١» و قوله و لا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ و لَدَيْكَ خَلَقَهُمْ «٢» و غيرها مما يضاهاها.

فاصحابنا الإمامية و أكثر المعتزلة حملوها على ظاهرها من الدلالة على الغاية و الفائدة و لو باعتبار عودها إلى خلقه لا إلى ذاته الذي هو غنى عن فعله فضلا عن غيره.

و أميا الاشاعرة فقالوا أنه تعالى لما فعل ما لو فعله غيره لكان فعله لذلك الشيء لأجل الغرض لا جرم أطلق عليه ما يدل على الغرض بقرينة المشابهة المسوغة للتجوز، و استدلو على نفي الغرض بأن من فعل فعلا لغرض كان مستكملا بفعل ذلك الشيء و المستكمل بغيره ناقص لذاته.

و توهم ان فعله تعالى معلل بغرض غير عايد إليه بل إلى غيره مدفوع بأنّ عود ذلك الغرض إلى ذلك الغير هل هو أولى لله تعالى من لا- عود ذلك الغرض أو ليس أولى، فان كان الاول فهو قد انتفع بذلك الفعل فيعود المحذور المذكور، و ان كان الثاني لم يكن تحصيل ذلك الغرض للغير غرضا لله تعالى فلا- يكون مؤثرا في فعله و بان من فعل فعلا لغرض كان عاجزا عن تحصيل ذلك إلا بواسطة ذلك الفعل و العجز محال عليه سبحانه.

و بأنه تعالى لو فعل فعلا لغرض فذلك الغرض ان كان قديما لزم قدم الفعل، و إن كان حادثا كان فعله لذلك الغرض لغرض آخر و لزم التسلسل و هو محال.

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) هود: ١١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢

و بأنه تعالى لو كان لفعله غرض لكان ذلك الغرض هو رعاية مصلحة المكلفين و لو توقفت فاعليته على ذلك لما فعل ما كان مفسدة في حقهم لكنه قد فعل ذلك كلف من علم أنه لا يؤمن.

فهذه هي الوجوه التي استدلت بها الأشاعرة على نفي الغرض على ما حكاه الرازي و غيره، و قد سمعت الجواب عن الاول في تفسير الفاتحة عند البحث عن حقيقة الاستعانة مع الإشارة إلى ما ينفعك في تحقيق أصل المسألة.

و الجواب عن الثاني أنه لا دلالة فيه على العجز فانّ الحكمة قد تقتضى ترتب الغايات على المبادئ التي هي الأفعال، و ان أمكن تعلق المشيئة بنفس الغايات على أنه ربما ينشأ عدم القبول فضلا عن عدم الحكمة و المصلحة من خصوص المحل كما أشير إليه في الخبر المتضمن لخلق الدنيا في البيضة عن دون أن تصغر الدنيا و لا تكبر البيضة «١».

و عن الثالث أنّ الفعل لغرض غير حاصل لكنّه لا- يجب أن يكون لذلك الغرض غرض آخر مغاير له و لا أن يكون الغرض لنفس الفعل بل قد يكون نفسه كما في المشيئة على ما حقق في محله.

و السؤال عن سبب تخصيص بعض الأزمنة دون غيره بخلقها ساقط عندنا بعد ظهور كون الأزمنة من متعلقات المشيئة و كذا الأمكنة و غيرها من متعلقات الفعل فلا أين و لا متى و لا كيف في صقع انوجد المشيئة فضلا عن إيجادها.  
و عن الرابع ان التكليف في نفسه لطف و مصلحة لعامة المكلفين على ما قرر في الكتب الكلامية.

(١) بحار الأنوار ج ٤ ص ١٤٠ ح ٧ عن توحيد الصدوق ص ١٢٢ ح ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣

ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ «١» قصد إليها بعلمه و مشيئته و ارادته قصدا تقتضيه الحكمة البالغة و القدرة الشاملة من قولهم: استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصدا من غير أن يلوى على شيء أو أقبل إليها آخذاً في خلقها و إتقانها كما يظهر من تفسير الإمام «٢» عليه السلام، و يؤيده ما عن أحمد «٣» بن يحيى بن ثعلب من أن الاستواء في صفة الله هو الإقبال على الشيء يقال كان فلان مقبلاً على فلان ثم استوى عليّ و إليّ يكلمني على معنى أقبل عليّ و إليّ أو استوى و علا أمره الفعلي إلى ناحية السماء لإيجادها و تسويتها او استولى و قهر و ملك كما ذكره في قوله: ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ \* «٤» و منه قوله:  
فلما علونا و استوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر و كاسر و قال آخر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق «٥» و المعنى استيلاؤه ملكا و تدبيرا و علما و قدرة عليها كغيرها من سائر خلقه.  
و قيل: انّ المراد تفرد بملكها و أنّه لم يجعلها كالأرض ملكا لخلقها و هو ضعيف في المقام كضعف إرادته منه و لو في غيره سيّما مع التعدي «بإلى» دون «على» و مرجع الوسطين إلى الأوّل فلا تغفل، و أمّا الاستواء بمعنى الانتصاب و الاعتدال الذي ضده الاعوجاج فلا يتصف سبحانه به لأنّه من صفات الأجسام.

و المراد بالسماء جهة العلو أو الاجرام العلوية أو خصوص الأفلاك السبعة

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) تفسير الامام العسكري عليه السلام ص ٢١٥.

(٣) احمد بن يحيى بن زيد بن سيّار النحوي اللغوي الأديب المعروف بثعلب المتوفى س (٢٩١).

(٤) الأعراف: ٥٤، يونس: ٣.

(٥) مجمع البيان ج ١ ص ٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤

الكلية أو مع جزئياتها على فرضها، و هي اسم جنس يطلق على القليل و الكثير، و قيل: أنّها جمع سماوة أو سماءة.  
ثم إنّ ظاهر هذه الآية و كذا قوله في سورة السجدة: قُلْ أَيْنَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ «١»، إلى قوله: ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ «٢»، أنّ خلق الأرض كان قبل خلق السماء مع أنّ مقتضى قوله في سورة و النازعات: أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَ أَعْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا، وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا «٣».

أن التدحية التي هي البسط كانت بعد خلق السماء و لذا أورد بعض الملاحدة تناقضا بين هذه الآيات و أجيب عنه في المشهور بأنّ خلق الأرض كان قبل السماء كما هو ظاهر الآيتين الّا أنّ دحوها بعد خلق السماء كما هو صريح الثالثة.

و يدل عليه ما رواه في «الكافي» بالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام في خبر طويل و فيه انه قال: إنّ الله سبحانه خلق الشيء الذي

جميع الأشياء منه، و هو الماء الذى خلق الأشياء منه، و خلق الريح من الماء، ثم سلط الريح على الماء، فشقت الريح متن الماء حتى صار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضا بيضاء نقيّة ليس فيها صدع و لا ثقب و لا نقب و لا صعود و لا هبوط و لا شجرة ثم طواها فوضعها فوق الماء، ثم خلق الله النار فشقت النار متن الماء حتى صار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقيّة ليس فيها صدع و لا ثقب و ذلك قوله: أم السَّمَاءُ بِنَاهَا، رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا،

(١) فصلت: ٩.

(٢) فصلت: ١١.

(٣) النازعات: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥

وَ أَعْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا، و قال: و لا شمس و لا قمر و لا نجوم و لا سحب ثم طواها فوضعها فوق الأرض ثم نسب الخليقتين فرفع السماء قبل الأرض فذلك قوله: عَزَّ ذِكْرَهُ وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا يقول بسطها الخبر «١».

و المراد بقوله ثم نسب الخليقتين أنه رتبهما فى الوضع و جعل أحدهما فوق الاخرى، أو أنه بين بنسبه خلقهما فى كتابه بقوله: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا «٢» فبين أن دحا الأرض بعد رفع السماء، أو أنه رفع الأشرف الألف ثم بسط الأوضع الأخرس تحقيقا لرتبتهما كذا قيل فى معنى النسبة لكن الأظهر الاول كما لا يخفى.

و فى «الإحتجاج» عن هشام بن الحكم عن الصادق عليه السّلام أنه سأله الزنديق عن النهار خلق قبل الليل: قال عليه السّلام نعم خلق النهار قبل الليل و الشمس قبل القمر و الأرض قبل السماء «٣» الى غير ذلك من الاخبار التى ستسمع شطرا منها فى تفسير الآيات الآتية. و يؤيده ما رواه فى «الدر المنثور» عن ابن عباس أن رجلا قال له: آيتان فى كتاب الله تخالف إحداهما الاخرى، فقال: أنما أتيت من قبل رأيك، اقرء قال:

أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ «٤»، حتى بلغ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ «٥»، و قوله: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا «٦» قال خلق الله الأرض قبل أن يخلق السماء ثم خلق السماء ثم دحا الأرض بعد ما خلق السماء و انما قوله

(١) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٩٧ ح ٨١ عن الكافى الروضة ص ٩٤ ح ٦٧.

(٢) النازعات: ٣٠.

(٣) الإحتجاج ص ١٩٣ و عنه البحار ج ٦٠ ص ٧٨ ح ١.

(٤) فصلت: ٩.

(٥) فصلت: ١١.

(٦) النازعات: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦

دحاها يعنى بسطها «١».

و يؤيده فى الجملة ما رواه فى «الكافى» عن الصادق عليه السّلام انّ الله تعالى خلق الخير يوم الأحد و ما كان ليخلق الشر قبل خلق الخير، و فى يوم الأحد و الاثنين خلق الأرضين، و خلق أقواتها فى يوم الثلاثاء، و خلق السموات يوم الأربعاء، و يوم الخميس و خلق أقواتها يوم الجمعة و ذلك قوله عزّ و جل: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ \* «٢» آه «٣»، حيث أنها تدل على تقدم خلق الأرضين.

نعم فيها إشكال من وجوه سنشير إليها و إلى الجواب عنها في سورة السجدة.

و في «العلل» عن أبي جعفر عليه السلام قال: أن الله تعالى خلق البيت قبل الأرض ثم خلق الأرض من بعده فدحاها من تحته «٤».

و في «التوحيد» و «مجالس» الصدوق و «الاحتجاج» و غيرها في مناظرة الصادق عليه السلام لابن أبي العوجاء، قال عليه السلام: هذا بيت استعبد الله به خلقه- إلى قوله- خلقه الله تعالى قبل دحو الأرض بألفى عام «٥».

و أما ما رواه القمي عن الصادق عليه السلام: من أنه تعالى كان عرشه على الماء و الماء على الهواء و الهواء لا يحد، و لم يكن يومئذ خلق غيرهما، و الماء يومئذ عذب فرات، فلما أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح، فضربت الماء حتى صار موجا، ثم أزيد فصار زبدا واحدا، فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلا من زبد، ثم دحى

(١) الدر المنثور للسيوطي ج ٦ ص ٣١٣.

(٢) الفرقان: ٥٩.

(٣) روضة الكافي ص ١٤٥ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٥٨-٥٩ ح ٣٠.

(٤) العلل ج ٢ ص ٨٥ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٦٥ و فيه: إن خلق البيت قبل الأرض.

(٥) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢١٠ ح ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧

الأرض من تحته فقال الله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا «١» ثم مكث الرب تبارك و تعالى ما شاء فلما أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتى زبدتها «٢»، فخرج من ذلك الموج و الزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء فجعل فيها النجوم و البروج و منازل الشمس و القمر «٣»، الخبر.

فهو و إن كان بظاهره يدل على تقدم الدحو على خلق السماء أيضا إلا أنه لمخالفته لظاهر الآية بل صريحه يجب تأويله بعدم ترتب قوله: فلما أراد أن يخلق السماء على سابقه الذي هو الدحو، بل على ما تقدم من خلق الأرض أو أن الفاء لمجرد الارتباط دون الترتب، فانه لم يلحظ فيه.

كما أنه لم يلحظ فيما ذكره الإمام عليه السلام في تفسيره قال: إن الله تعالى لما خلق الماء فجعل عرشه عليه قبل أن يخلق السماوات و الأرض، فأرسل الرياح على الماء فتفجر «٤» الماء من أمواجه، و ارتفع عنه الدخان و علا فوقه الزبد، فخلق من دخانه السماوات السبع و خلق من زبده الأرضين، فبسط الأرض على الماء، و جعل الماء على الصفا، و الصفا على الحوت و الحوت على الثور، و الثور على الصخرة إلى أن قال: فلما خلق الله الأرض دحاها من تحت الكعبة ثم بسطها على الماء فأحاطت بكل شيء «٥» آه.

و فيما ذكر الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم على ما رواه في «الكافي» قال عليه السلام:

كان كل شيء ماء و كان عرشه على الماء فأمر الله عز و جل الماء فاضطرم نارا، ثم أمر النار

(١) آل عمران: ٩٦.

(٢) في المصدر: أزيد بها.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٦٩-٧٠ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٧٢ و في المصدر: فيخّر الماء.

(٤) و في المصدر: فيخّر الماء.

(٥) تفسير الامام عليه السلام ص ١٤٤-١٤٥ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٨٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨

فخدمت، فارتفع من خمودها دخان، فخلق الله السماوات من ذلك الدخان، وخلق الأرض من الرماد، آه «١».

وربما يستشكل هذا الوجه مرة بأن الأرض جسم عظيم فامتنع انفكاك خلقها عن التدحية، فإذا كانت التدحية متأخرة عن خلق السماء، كان خلقها أيضا متأخرا عن خلق السماء، وأخرى بأن الآية في المقام دلت على أن خلق الأرض وخلق كل ما فيها متقدم على خلق السماء، وخلق الأشياء في الأرض لا يكون إلا بعد ما كانت مدحوة فدلّت على تقدم كونها مدحوة فالتناقض بحاله.

ويضعف الاول بوضوح عدم امتناع انفكاك خلقها عن التدحية سيما بعد ما دلت عليه الاخبار الكثيرة حسب ما سمعت شطرا منها.

و المناقشة في اطلاق خلق الأرض على إيجادها غير مدحوة لا ينبغي الإصغاء إليها بعد ما سمعت من الآية و الرواية.

و الثاني بأن تقدم خلق ما في الأرض لا يستلزم تقدم دحوا ضروره أنه ليس المراد بالموصوله خصوص ما يتجدد فيها من أفراد النبات و الثمار و الحيوان و ضروب الانتفاعات الجزئية، فإنها متأخرة عن الجميع كائنه فاسده بمر الدهور و الازمنه، بل المراد بها أصول أسبابها القابلة الاستعدادية التي كانت قائمه بسنخ الأرض و نوعها بل بالأرض التي كانت كالطينه و الخميره للأرض المدحيه، و لذا عبر بالدحو الذي هو مجرد البسط و السعه، و بالجملة فالجواب المذكور بمكان من الصحة و القبول.

نعم ربما يجاب عن أصل الإشكال بوجه آخر أيضا: منها أن كلمه «ثم» في آيتي البقره و السجده لتفاوت ما بين الخلقين و فضل خلق السماء على خلق الأرض

(١) روضة الكافي ص ٩٥ ح ٦٨ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٩٨ ح ٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩

كما يقول الرجل لصاحبه: أليس قد أعطيتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا كله فعلت كذا و كذا، و مثله قوله: فَكُ رَقِيَّةٌ «١» إلى قوله: ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا «٢»، أى و كان فعلى هذا يكون خلق الأرض بما فيها من الأقوات و غيرها متأخرا عن خلق السماء، و هذا الوجه ذكره شيخنا الطبرسى و تبعه الرازى و القاضى و غيرهما.

و منها: أن معنى قوله: وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا «٣» أى مع ما ذكر من خلقها و جعلها مهادا كما فى قوله: عُمَّلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ «٤» أى مع ذلك، و هو المحكى عن مجاهد و السدى «٥».

و منها ما يرجع إلى سابقه و هو أن تكون كلمه بعد لمجرد الإذكار و تعداد النعم لا- للتأخر الزمانى و الرتبى حيث لا يتعلق لغرض بالاخبار عن الأوقات و الازمنه كما تقول: أليس قد أعطيتك كذا و كذا و بعد ذلك أحسنت إليك فى كذا «٦».

و أما كون الظرف للاخبار بعد الاخبار لا المخبر عنه فلا يخلو عن تكلف.

و منها أنه فرق بين التسويه المطلقة للسماء المذكورة فى آيتي السجده و النازعات و بين تسويتها سبع سماوات المذكورة فى المقام، فتسويتها مطلقا متقدمه على دحو الأرض و المقيدة متأخرة عنه، و أما قوله فى آية السجده: فَفَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ «٧» فمتربه على قوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ

(١) البلد: ١٢.

(٢) البلد: ١٧.

(٣) النازعات: ٣٠.

(٤) القلم: ١٣.

(٥) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٣٤.

(٦) مجمع البيان ج ١ ص ٧٢.



(٧) فصلت: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠

دُحَانٌ «١»، إلا أنها مبينة لها و يدل عليه ما رواه في «الدر المنثور» كما تقدم.

ومنها: أن كلمتي «بعد» و «ثم» على ظاهرهما من التأخر و التراخي إلا أن المراد بالخلق هو التقدير لا الإيجاد في العين و إطلاقه عليه شايح كثير، و لذا يقيد الخلق في الاخبار مرة بالتكوين و أخرى بالتقدير و يؤيده قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى «٢» و قوله: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «٣» و في الخبر عن الرضا عليه السلام: أفعال العباد مخلوقه لله خلق تقدير لا خلق تكوين «٤».

و على هذا فخلق الأرض و ما فيها متأخر عن خلق السماء كتأخر دحواها عنه إلا أن تقديرها و هندستها متقدم على خلق السماء، و يؤيده أنه سبحانه ذكر في سورة السجدة خلق الأرض و أقواتها ثم قال: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُحَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انثبَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ «٥».

و من البين أن المراد الإتيان من العدم إلى الوجود تعبيراً للخلق العيني و تصويراً للقدرة الكاملة، و لذا ذهب بعضهم إلى تقدم خلق السماء على الأرض و ما فيها.

و ما رواه الكيدري في شرح النهج، قال ورد في الخبر: أن الله تعالى لما أراد خلق السماء و الأرض خلق جوهرًا أخضر ثم، ذوبه فصار ماء مضطرباً ثم أخرج منه بخاراً كالدخان و خلق منه السماء كما قال ثم اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُحَانٌ «٦»، ثم فتق تلك السماء فجعلها سبعا ثم جعل من ذلك الماء زبدا فخلق منه

(١) فصلت: ١١.

(٢) الأعلى: ٢.

(٣) آل عمران: ٥٩.

(٤) بحار الأنوار ج ٥ ص ٣٠ ح ٣٨ عن العيون.

(٥) فصلت: ١١.

(٦) فصلت: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١

أرض مكة، ثم بسط الأرض كلها من تحت الكعبة، و لذلك تسمى مكة أم القرى، لأنها أصل جميع الأرض، ثم شق من تلك الأرض سبع أرضين و جعل بين كل سماء و سماء مسيرة خمسمائة عام، و كذلك بين كل أرض و أرض، و كذلك بين هذه السماء و هذه الأرض «١»، الخبر.

و في «الدر المنثور» عن النبي صلى الله عليه و آله في قوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ «٢»، قال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ وَ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا قَبْلَ الْمَاءِ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ أَخْرَجَ مِنَ الْمَاءِ دَخَانًا فَارْتَفَعَ فَوْقَ الْمَاءِ فَسَمَا عَلَيْهِ فَسَمَاهُ سَمَاءً ثُمَّ أَيْبَسَ الْمَاءَ فَجَعَلَهُ أَرْضًا وَاحِدَةً، ثُمَّ فَتَقَهَا فَجَعَلَهَا سَبْعَ أَرْضِينَ فِي يَوْمَيْنِ فِي الْأَحَدِ وَ الْآخِثِينَ، فَجَعَلَ الْأَرْضَ عَلَى الْحَوْتِ وَ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: نَ وَالْقَلَمِ وَ الْحَوْتِ فِي الْمَاءِ عَلَى صِفَاءٍ، وَ الصِفَاءُ عَلَى مَلِكٍ، وَ الْمَلِكُ عَلَى صَخْرَةٍ، وَ الصَّخْرَةُ عَلَى الرِّيحِ وَ هِيَ الصَّخْرَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا لِقَمَانِ لَيْسَتْ فِي السَّمَاءِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ، فَتَحْرَكَ الْحَوْتُ، فَاضْطَرَبَ فَتَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ فَأَرَسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَ فَفَقَرَتْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَ جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ «٣» وَ خَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا وَ أَقْوَاتَ أَهْلِهَا وَ شَجَرَهَا وَ مَا يَنْبَغِي لَهَا فِي يَوْمَيْنِ فِي الثَّلَاثَاءِ وَ الْأَرْبَعَاءِ وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ: أ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ «٤» إِلَى قَوْلِهِ: وَ

بَارَكَ فِيهَا يَقُولُ أَنْبَتَ فِيهَا شَجَرَهَا وَ قَدَرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا

(١) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٢٩ ح ٤ عن شرح نهج للكيدري.

(٢) البقرة: ٢٩.

(٣) الأنبياء: ٣١.

(٤) فصلت: ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢

يقول أقواتها و أهلها في أربعة أيام سواء للسائلين يقول من سال فهكذا الأمر ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ «١» فكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سماوات في يومين في الخميس والجمعة و انما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات و الأرض «٢» الخبر و هذا الخبر ظاهر في الوجه المتقدم و ان خلق السماء كان أولا على وجه الدخانية ثم بعد خلق الأرض و أقواتها جعلها سماء واحدة ثم جعلها سبع سماوات.

و منها: أن لا يكون معنى دحيها مجرد البسط بل يكون المراد أنه بسطها بسط مهياً لنبات الأقوات و يؤيده قوله مبينا للدحو المذكور أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا «٣»، و ذلك لان الاستعداد لا يحصل للأرض إلا بعد وجود السماء فان الأرض كالام و السماء كالأب، و ما لم يحصل لم تتولد المواليذ التي هي المعادن و النباتات و الحيوانات.

و منها: أن الأرض مقدمة في الخلق و يدفع المنافع المذكورة باعتبار الآية الثالثة بان الفاء في قوله: فَسَوَّاهَا بمعنى ثم أو لمطلق الترتب و المشار إليه بذلك في قوله: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا «٤» و هو بناء السماء و خلقها لا مجموع ما ذكر قبله حتى تسويتها، فيجوز معه تأخر التسوية عن التدحية.

و منها: أن قوله وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا يقتضى تقدم خلق السماء على دحو الأرض و لا يقتضى تقدم تسوية السماء على دحو الأرض فجاز تأخر التسوية عن الدحو فيكون خلق الأرض قبل خلق السماء و خلق السماء قبل الدحو و الدحو

(١) فصلت: ١١.

(٢) الدر المنثور ج ١ ص ٤٣ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٢٠٤-٢٠٥ ح ١٥٢.

(٣) النازعات: ٣١.

(٤) النازعات: ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣

قبل تسوية السماء.

و فيه نظر واضح لدلالة آية الدحو على تأخره عن تسوية السماء إلا أن يرفع التنافي بشيء من الوجوه المتقدمة أو الآتية فيرجع إليه. و منها: ما يحكى عن مقاتل أنه قال: خلق الله السماء قبل الأرض و قبل دحوها و خلق أرزاقها و أمّا قوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فمعناه ثم كان قد استوى و هي دخان قبل أن يخلق الأرض فأضمر فيه كان كما في قوله تعالى قَالَوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ «١»، معناه أن يكن سرق.

و منها: أن تكون دحيها جملة مستأنفة و تنصب الأرض بفعل مقدر دل عليه أ هُمْ أَشَدُّ خَلْقًا «٢» مثل تعرف الأرض و اذكرها و تدبر أمرها بعد ذلك و هو كما ترى.

و منها: أن يضم الفعل على شريطة التفسير كما هو الظاهر و يكون ذلك إشارة إلى المذكور سابقا فالشار إليه ذكر خلق السماء لا

خلقها نفسه للدلالة على أنه قاصر في الدلالة عن الاول لكنه تتميم كما تقول جملا ثم تقول بعد ذلك كيت و كيت و مثله شايح في الاستعمال.

و منها: ما ذكره الشيخ الأجداد الاحسائي طاب ثراه حيث سئل عن ذلك فأجاب بأنه تعالى لما رمق الماء بعين الهيبة فذاب و زبد و ارتفع دخانه و كان الزبد و الدخان فصعد الدخان و كان الدخان قد أخذ في الصعود لطيفة قبل بدء الزبد و ارتفع آخره عند انتهاء الزبد خلق الأرض و أقواتها من الزبد في أربعة أيام ثم توجه وجه المشية إلى الدخان به الصاعد فخلق من وسطه فلك الشمس و ذلك لاستوائه في اللطافة و الغلظ و خلق فلك القمر و فلك زحل و فلك عطارد و فلك المشتري

(١) يوسف: ٧٧.

(٢) الصافات: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤

و فلك الزهرة و فلك المريخ فصار الاستواء إلى السماء بعد الأرض و السماء دخان موجوده و هو قوله تعالى: أَيْنُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ «١» إلى قوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ «٢» فكان كون السماء قبل كون الأرض و كان عين الأرض قبل عين السماء فكلما لطف و علا تأخرت صورة الجسمانية و لذا قلنا فلك القمر و فلك زحل و المراد بالاستواء الالتفات أى توجه وجه المشية و القدر.

و هذا الوجه يساعده في الجملة ظاهر آية السجدة لكن الأظهر في دفع التنافي ما ذكرناه أولا، و اما سائر الوجوه فبعضها و إن لم يكن به بأس على وجه الاحتمال إلا أن كثيرا منها لا يخلو من ضعف أو اختلال.

فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ التَّسْوِيَةُ هُوَ التَّعْدِيلُ وَ جَعَلَ الشَّيْئِينَ أَوْ الْأَشْيَاءَ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، وَ الْمَعْنَى خَلَقَهُنَّ مَصُونَةً مِنَ الْعُوجِ وَ الْأَمْتِ وَ الْفَطُورِ وَ التَّفَاوُتِ عَلَى أَعْدَلِ مَا يُمْكِنُ وَ أَقْوَمِهِ وَ أَحْسَنِهِ وَ أَتْقَنَهُ، وَ الضَّمِيرُ لِلسَّمَاءِ بِنَاءٍ عَلَى كَوْنِهَا جَمْعًا أَوْ جِنْسًا عَلَى مَا مَرَّ وَ إِنْ نَوَقَشَ فِيهِمَا بَعْدَ ثُبُوتِ الْأَوَّلِ وَ عَدَمِ كِفَايَةِ الثَّانِي، وَ لِذَا قِيلَ:

إن الاولى كونه مبهما يفسره ما بعده كقولهم: ربه رجلا- مع أن فيه حينئذ من التفخيم و التشويق و الإبهام و التفسير و التمكن في النفس و نحو ذلك ما لا يخفى، و يمكن كونه للسماء باعتبار نواحيها و جهاتها فتكون الواحدة جماعة كما في قولهم: ثوب اخلاق و امهال أو باعتبار أن السماوات كانت سماء فوق سماء فتكون الجملة واحدة من حيث الاطباق و الاحتواء، أو باعتبار أن المراد بالسماء هو الجوهر الدخاني الذي خلق منه السموات فالافراد باعتبار الوحدة و عدم التميز و التعدد

(١) فصلت: ٩.

(٢) فصلت: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥

يومئذ و التعدد باعتبار الاول و المشارفة هذا مضافا إلى ما قد يقال من جواز اجراء اسماء الأجناس في الإضمامار و التوصيف على الوجهين كما يقال: أهلك الناس الدراهم البيض و الدنانير الصفر، و السبع للمؤنث كالسبعة للمذكر و اشتقوا منه السبع بضم الباء و سكنونها لأنه مضاعف القوى كأنه ضوعف سبع مرات أو لأنه كامل القوى، فإن السبعة عدد كامل مركب من زوج الفرد و فرد الزوج أو زوج الزوج و فرد الفرد، و نصبه على البدل أو التفسير و السموات هي الأفلاك.

و أما ما يحكى عن على بن عيسى من التباير و ان الأفلاك تتحرك و تدور و السموات لا تتحرك و لا تدور لقوله: إِنَّ اللَّهَ يُمَيِّكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا «١» أى تتحركا فضعيف جدا و معنى الآية نفى زوالها عن مراكزها التي تدور عليها أو نفى رجوعها إلى

العدم الاصلى الذى مر مقتضى امكاناتها لأن كل ممكن سيال الوجود دائم الحركة إلى العدم الاصلى، و أما بقاؤه فأنما هو بالإضافة السائلة المتجددة الدائمة حسبما هو مقتضى قيمته الفعلية، و بالجمله فالقول المذكور شاذ لا يعرف به قائل غيره.

نعم قد يحكى ذلك أيضا عن الشيخ الكراچكى فى كتابه كثر الفوائد، حيث قال: اعلم أن الأرض على هيئة الكرة و الهواء يحيط بها من كل جهة، و الأفلاك يحيط بالجميع احاطة استدارة، و هى طبقات بعضها يحيط ببعض، فمنها سبعة يختص بالتيرين و الكواكب الخمسة التى تسمى بالمتحيرة، و لكل منها فلك يختص به ثم عدّ الأفلاك السبعة على ما هو المشهور عند الجمهور إلى أن قال: و يحيط بهذه الأفلاك السبعة فلك الكواكب الثابتة و هى جميع ما يرى فى السماء غير ما ذكرنا ثم الفلك المحيط الأعظم المحرك لجميع هذه الأفلاك، ثم السموات السبع تحيط

(١) فاطر: ٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦

بالأفلاك و هى مساكن الأفلاك، و من رفعه الله تعالى الى سمائه من أنبيائه و حججه عليهم السلام انتهى «١».

و هو مع شذوذه مردود بالاخبار الكثيرة كالخطبة العلوية المذكورة فى «النهج» و فيها: ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبتها و أدام مربها و اعصف مجراها و أبعده منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزخار و آثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء و عصفت به عصفها بالفضاء، تردّ أوله على آخره و ساجيه على مائة، حتى عبّ عبابه و رمى بالزبد ركامه، فرفعه فى هواء منفتح، و جوّ منفتح، فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجا مكفوفاً، و علياهن سقفا محفوظا و سمكا مرفوعا بغير عمد يدعّمها، و لا دسار ينظمها، ثم زينتها بزينة الكواكب، و ضياء الثواب، فأجرى فيها سراجا مستطيرا و قمرا منيرا فى فلك دائر، و سقف سائر، و رقيم مائر، ثم فتق ما بين السماوات العلى فملأهن أطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون، و ركوع لا ينتصبون، و صافون لا يتزايون «٢»، الخطبة.

حيث دلت على أن السماوات هى المجارى للكواكب و المساكن للملائكة و الاخبار بهذا المعنى كثيرة جدا، و ورد أن زحل مطلعته فى السماء السابعة، و أنه ثقب بضوئه حتى أضاء فى السماء الدنيا «٣» و أنّ الشمس فى السماء الرابعة إلى غير ذلك ممّا يدل على ما ذكرناه فلا اشكال فيه و ان اختلفوا فى أنّ المراد بالفلك هل هو نفس السماء؟ أو المجرى أو المنطقة أو غيرها ممّا لا يهمننا البحث عنه فى المقام إنّما الكلام فيما ذكره الرياضيون من الترتيب بين الأفلاك الكليّة و اثبات أفلاك

(١) كثر الفوائد ج ٢ ص ١٠١-١٠٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة الاولى ص ١.

(٣) البحار ج ٥٨ ص ٢٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧

جزئية للحركات السبع المشهورة و اثبات فلكين آخرين مضافا إليها فأنها عندهم تسع، سبع منها للسبعة السيارة على الترتيب المشهور، و ثامنها فلك الثوابت و تاسعها فلك الأفلاك المحرك لجميعها حركة يومية سريعة شرقية و استندوا فى ذلك إلى جملة من المشاهدات و الحدسيات و الأصول الطبيعية التى لم يقم على كثير منها برهان، و بالجمله فأنهم لم يأتوا بدليل متين أو بسطان مبين فيما اتفقوا عليه و اختلفوا فيه من اعداد الأفلاك قلة و كثرة، نعم دلّ صريح الكتاب و هو الحجة بأنّها سبعة فجعلوها للكواكب السبعة التى أحسوا باختلاف حركتها طولاً فى الجميع و عرضاً فى غير الشمس، فإنّ لها الميل و هى التيران و الخمسة المتحيرة التى فسر بها قوله تعالى فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ «١» فى العلوى «٢» المروى فى «المجمع» و غيره و جعلوا أذناها للقمر و أعلاها لزحل و البواقي على الترتيب المشهور و فى بعض الأخبار دلالة على بعضها مثل ما روى عن الصادق عليه السلام من أنّ زحل مطلعته فى السماء السابعة و

أنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا فمن ثم سماه الله النجم الثاقب «٣» و العلوى المتضمن للخمس المتحيرة على الترتيب الذكري الدال على كونها كذلك حيث قال عليه السلام: أن الخنس خمسة أنجم زحل و المشتري و المريخ و الزهرة و عطارد «٤»، إلا أنهم استندوا فيما ذكروه من الترتيب إلى وجهين:

الأول الكسف فإن الكوكب الأسفل يكسف الأعلى في المقارنة المرئية بحسب عين الناظر و إن لم تكن باعتبار المركز و يعرف الكاسف بلونه الغالب ككمودة زحل و درية المشتري و حمرة المريخ و بياض الزهرة و صفرة عطارد ثم

(١) التكويز: ١٥.

(٢) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٤٦.

(٣) البحار ج ٥٨ ص ٢٢٠.

(٤) بحار الأنوار ج ٥٨ ص ٢٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨

أنهم وجدوا القمر يكسف الكواكب و عطارد يكسف الزهرة، و هكذا في الجميع إلا أنه بقي الشك في أمر الشمس فالأكثر على أنها في وسط الأفلاك السبعة فوق الزهرة و عطارد لاقتضاء النظام الطبيعي أن يكون ما هو أبداً حركة من الكواكب أكثر بعداً و أعظم مداراً و أن تكون الشمس واسطة في النظم و الترتيب بمنزلة شمسة القلادة بين ما يبعد عنها الأبعاد الأربعة و هي المقابلة و أخواتها و بين ما لا يبعد منها أقل البعد و هو التسديس و لما يحكى عن جماعة أنهم رأوا الزهرة كشامة على صفحتها، و عن آخر أنه رأى شامتين و حسبهما الزهرة.

و هذه الوجوه كلها ضعيفة بل قيل: إنه في وجه الشمس نقطة سوداء فوق مركزها بقليل كالمحو في وجه القمر و لعلها الشامة المرئية، و لذا ذهب بعض القدماء إلى أنها تحتها و بعض المتأخرين إلى أنه فوق عطارد و تحت الزهرة بل جزم به صاحب التحفة لدليل لاح له في الأبعاد و الأجرام.

و الثاني اختلاف المنظر لكنه غير جار في الجميع لانتفائه في العلوية محسوساً و محسوباً و كونه في الشمس في غاية القلة بل عن أبي الريحان و غيره أن اختلاف المنظر لا يحس إلا في القمر فإنهم صرحوا بأنه في الشمس غير محسوس بالآلات الرصدية أصلاً و ان اقتضاه حسابهم بحسبانهم و أما السفليتان فلتعذر الوقوف على مواضعهما الحقيقية في الطول و العرض.

ثم أن هذا كله على ما حققه الحكماء السابقون و أما المتأخرون من حكماء الأندلس و الأفرنج فقد ذهبوا إلى نفي الأفلاك رأساً، و أن كرة الشمس ساكنة في مركز العالم و أن كرة الأرض من جملة السيارة التي تدور حول جرم الشمس و تكتسب منها النور و الحرارة، و أن كل ما من الثوابت المرصودة و غيرها ممتلاً لا يعلم عددها أحد إلا الله مركز لعالم كلى كالشمس في عالمها و لكل منها أقمار و سيارات مشتملة على عوالم كثيرة و أصناف من المخلوقات كالمواليد و غيرها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩

و هذا كله رجم بالغيب و مخالفة للنواميس و القواعد الحكمية على ما أشرنا إليه آنفاً نعم قدر ورد في بعض الأخبار تعدد «١» القباب و العوالم و الشمس بل في البصائر عن أبي الحسن عليه السلام قال: إن لله تعالى خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء فمن خضرتها اخضرت السماء قيل و ما النطاق؟ قال عليه السلام: الحجاب و لله وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الانس و الجن و كلهم يلعن فلانا و فلانا «٢»، و عن الصادق عليه السلام:

إن من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس فيها خلق كثير، و إن من وراء قمركم أربعين قمراً فيها خلق كثير لا يدرون أن الله خلق آدم أم لم يخلقه ألهموا إلهاما لعنة فلان و فلان «٣».

و أمّا أسماء السماوات و ألوانها فقد روى في «العلل» و «العيون» و «الخصال» في خير الشامي أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك فقال عليه السلام: اسم السماء الدنيا رفيع و هي من ماء و دخان و اسم السماء الثانية قيدوم و هي على لون النحاس و السماء الثالثة اسمها الماروم، و هي على لون الشبه، و السماء الرابعة اسمها أرفلون و هي على لون الفضة، و السماء الخامسة اسمها هيفون و هي على لون الذهب و السماء السادسة اسمها عروس، و هي ياقوتة خضراء و السماء السابعة اسمها عجماء و هي درة بيضاء «٤»، الخبر. و روى عن ابن جعفر عليه السلام: السجين: الأرض السابعة و عليون: السماء السابعة «٥».

و في حديث ابن سلام أنه سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ أَخْبِرْنِي مَا بَالِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا

(١) البحار: ج ٤٧ ص ١٥٩.

(٢) البصائر ص ٤٩٢ ح ٧ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٣٣٠ ح ١٥.

(٣) البحار ج ٢٧ ص ٤٥.

(٤) البحار ج ١٠ ص ٧٦.

(٥) البحار ج ٥٨ ص ٥١ ح ٤ عن المحاسن ص ٣٣٤ ح ١٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠

خضراء؟ قال عليه السلام: اخضرت من جبل قاف قال صدقت فاخبرني ممّا خلق؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: من موج مكفوف قال: و ما الموج المكفوف؟ قال: يا ابن سلام ماء قائم لا اضطراب لها و كانت في الأصل دخانا، قال: صدقت يا محمّد، إلى أن قال: فاخبرني عن السماء الثانية ممّ خلقت؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: من الغمام قال: صدقت فاخبرني عن السماء الثالثة ممّ خلقت؟ قال: من زبرجد خضراء قال: فالرابعة؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: من ذهب احمر قال: فالخامسة؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: من ياقوتة حمراء، قال: فالسادسة؟ قال: من فضة بيضاء؟

قال: فالسابعة؟ قال: من ذهب قال صدقت، الخبر «١».

و بعض الناس قد تكلم في أمثال هذا الخبر بالتأويل و التوجيه و التطبيق على قواعد الفلاسفة و ترهات الصوفية و الأكاذيب الاحكامية من اثبات الطبائع و المنسوبات للأفلاك و الكواكب و الحمل على ظاهرها و السكوت عن التأويل أولى فان كان و لا بد فلعلها كانت مشتهرة عندهم كذلك أو كانت رموزا موروثه عن الأنبياء عليهم السلام.

بقي الكلام فيما قد طال التشاجر بينهم فيه و هو أن السماوات هل هي حيّة مدركة أم لا؟ فجمهور الحكماء على الاول و اكثر أهل الشرع على الثاني و في الآيات و الاخبار إشارات إلى القولين و لذا قال شيخنا البهائي طاب ثراه في الحديقة الهلالية بعد قوله: أيها الخلق المطيع الدائب السريع المتردد في منازل التقدير المتصرف في ذلك التدبير بعد جملة كلام له: أنه لا يبعد أن يراد بفلكك التدبير الفلك الذي يدبره القمر نفسه نظرا إلى ما ذهب اليه طائفة من أن كلّ واحد من السيارات السبع مدبر لفلكه كالقلب في بدن الحيوان.

قال سلطان المحققين في شرح الإشارات: ذهب فريق إلى أن كلّ كوكب منها

(١) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢٤٧-٢٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١

ينزل مع أفلاكه منزلة حيوان واحد ذي نفس واحدة تتعلق بالكوكب أوّل تعلقها و بأفلاكه بواسطة الكوكب كما تتعلق نفس الحيوان بقلبه أولا و بأعضائه الباقية بعد ذلك، فالقوة المحركة منبعثة عن الكوكب الذي هو كالقلب في أفلاكه التي هي كالجوارح و الأعضاء

الباقية انتهى كلامه زيد إكرامه إلى أن قال: إنَّ خطابه للقمر و نداؤه له وصفه بالطاعة و الجد و التعب و التردد في المنازل و التصرف في الفلك ربما يعطى بظاهرة كونه ذا حياة و إدراك و لا استبعاد في ذلك نظرا إلى قدرة الله تعالى إلا أنه لم يثبت بدليل عقلي قاطع يشفي العليل او نقلى ساطع لا يقبل التأويل، نعم أمثال هذه الظواهر ربما تشعر به و قد يستند في ذلك بظاهر قوله تعالى: **كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ\*** (١) فإنَّ الواو و النون لا يستعملان حقيقة في غير العقلاء، و قد أطبق الطبيعيون على أنَّ الأفلاك بأجمعها حيَّة ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها و خالقها و أكثرهم على أنَّ غرضها من حركاتها نيل التشبه بجنابه و التقريب إليه جلَّ شأنه، و بعضهم على أنَّ حركاتها لورود الشوارق القدسيَّة عليها آنا فأنا فهي من قبيل هزة الطرب و الرقص الحاصل من شدَّة السرور و الفرح، و ذهب جم غفير منهم إلى أنَّه لا ميت في شيء من الكواكب أيضا حتى اثبتوا لكل واحد منها نفسا على حدة تحركه حركة مستديرة على نفسه، و ابن سينا في «الشفاء» مال إلى هذا القول و رجحه و حكم به في النمط الخامس من (الإشارات) و لو قال به قائل لم يكن مجازفا و كلام ابن سينا و أمثاله و إن لم يكن حجة يركن إليها الديانيون في أمثال هذه المطالب إلا أنه يصلح للتأييد و لم يرد في الشريعة المطهرة على الصادع بها أفضل الصلوات و أكمل التسليمات ما ينافي هذا القول، و لا قام دليل عقلي على بطلانه و إذا جاز أن يكون لمثل البعوضة و النملة و ما دونهما حياة فأي مانع من أن يكون لتلك الاجرام

(١) الأنبياء: ٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢

الشريفة أيضا ذلك، و قد ذهب جماعة إلى أن لجميع الأشياء نفوسا مجردة و نطقا و جعلوا قوله تعالى: **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ** (١) محمولا على ظاهره، و ليس غرضنا من هذا الكلام ترجيح القول بحياة الأفلاك بل كسر سورة استبعاد المصيرين على إنكاره و ردّه و تسكين صولة المشنعين على من قال به و جوزه (٢) انتهى كلامه زيد مقامه، و اعترضه شيخنا المجلسي طاب ثراه بأن هذا الترجيح الذي أبداه في لباس الاحتمال و التجويز مناف لسباق اكثر الآيات و الأخبار الواردة في أحوال الكواكب و الأفلاك و مسيرها و حركاتها و الإشارات التي تمسك بها ظاهر من سياقها أنها من قبيل المجازات و الاستعارات الشائعة في كلام البلغاء بل في اكثر المحاورات فانهم يخاطبون الجمادات بخطاب العقلاء و غرضهم تفهيم غيرها كما في هذا الخطاب و خطاب شهر رمضان و وداعه و خطاب البيت و المخاطب فيها حقيقة هو الله تعالى و الغرض إظهار نعمه تعالى و شكره عليها و لم أر أحدا من المتكلمين من فرق المسلمين قال بذلك إلا بعض المتأخرين الذين يقلدون الفلاسفة في عقائدهم و يوافقون المسلمين فيما لا يضرب بمقاصدهم، ثم حكى عن السيد المرتضى أنه قال في كتاب «الغرر و الدرر»: قد دلت الدلالة الصحيحة الواضحة على أن الفلك و ما فيه من شمس و قمر و نجوم غير متحرك لنفسه و لا طبعه على ما يهذى به القوم و ان الله تعالى هو المحرك له و المتصرف باختياره فيه و قال رحمه الله في موضع آخر: لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة من الفلك و ما يشتمل عليه من الكواكب فانها مسخرة مدبرة متصرفه و ذلك معلوم من دين رسول الله صلى الله عليه و آله ضرورة.

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٥ ص ١٨٥-١٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣

أقول: لا يخفى أنه لو قلنا بأن الأشياء من الجمادات و غيرها كلها مدركة شاعرة حيَّة مسبحة لله سبحانه حسبما تسمع تمام الكلام فيه عند تفسير قوله:

**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** (١)، فلا ريب في القول بذلك في الأفلاك و الكواكب أيضا سيما مع

التصريح بالسموات و ما فيها كما في أول الآية و في المسبحات و غيرها من الآيات و ان حملنا ذلك على التسيح التكويني و قلنا أن الأجسام على قسمين: منها حيّة مدركة كالإنسان و منها فاقدة للإدراك و الشعور كالجمادات فمن البين أنه لم يدل دليل على الحاق الأفلاك و الكواكب بالثاني دون الأول بعد ظهور إمكان كل من الوجهين فيها فلا ينبغي الجزم بأحد الوجهين من دون حيّة و لذا قال شيخنا الشهيد الأول في قواعده كل من اعتقد في الكواكب أنها مدبرة لهذا العالم و موجودة فيه فلا ريب أنه كافر و ان اعتقد أنها تفعل الآثار المنسوبة إليها و الله سبحانه هو المؤثر الأعظم كما يقوله أهل العدل فهو مخطئ إذ لا حياة لهذه الكواكب ثابتة بدليل عقلي و لا نقل «٢» آه.

و مراده كما ترى عدم الثبوت لا ثبوت عدم، و من هنا يظهر ضعف ما ذكره الشيخ الأكبر «٣» في شرح القواعد «٤» مازجا عبارته بعبارة العلامة قائلا: و عمل التنجيم حرام، و كذا تعلم علم النجوم و الفلكيات، و تعليمه، و علمه بالنظر من غير تعليم مع اعتقاد قدمها لذاتها، و هو كفر الإنكار و الإشراك، أو لعدم علتها، و حدودها متصفة بالعلوم و الإدراكات و صفة الاختيار لها مع الصفات، و هذان من كفر إنكار الضروريات انتهى.

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) القواعد للشهيد: ج ٢ ص ٣٥.

(٣) هو الشيخ جعفر بن خضر الجناحي النجفي المتوفى سنة (١٢٢٧) هـ

(٤) هو شرح مبسوط لطهارة «قواعد العلامة» مستقصى فيه كلام الفقهاء.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤

إذ فيه أن ضرورة الأخير غير واضحة، اللهم إلا أن يكون مراده كغيره ممن يدعى الإجماع عليه، نفى الحياة و الشعور و الإرادة الموجبة للتصرف في السّفليات بإيجاد الآثار على وجه الاستقلال أو التشريك أو التفويض أو غيرها، و هذا لا شبهة في قيام الإجماع بل الضرورة على فساده على أكثر الوجوه، و لعل هذا هو المنساق منهم في نفى الحياة و الاختيار، حيث أن كلامهم مع الفلاسفة و المنجمين القائلين باستناد الحوادث بأسرها إليها على وجه الاختيار أو الإيجاب، و لذا قال العلامة «١» أعلى الله مقامه في «أنوار الملكوت في شرح الياقوت» «٢»: اختلف قول المنجمين على قسمين: أحدهما قول من قال: ان الكواكب السبعة حيّة مختارة، و الثاني قول من قال: أنها موجبة، و القولان باطلان، أما الأول فلأنها أجسام محدثة فلا تكون، آلهة، و لأنها محتاجة إلى محدث غير جسم، فلا بد من القول بالصانع إلى آخر ما ذكره.

فانظر كيف أبطل قولهم بنفى إلهيتها و إثبات الصانع المحدث لها، و أين هذا من القول بأنها مصنوعة محدثة حيّة مختارة في عبادة ربها، مع عدم استناد شيء من الحوادث إليها بوجه، أو مع القول بإثبات نوع ارتباط لها إليها على وجه لا يمنع من القول به شيء من العقل و النقل.

و لذا قال شيخنا المدقق الورع التستري «٣» دام ظله العالی بعد نقل عبارة الشهيد المتقدمه ما لفظه: و ظاهره «٤» أن عدم القول بذلك لعدم مقتضى له و هو

(١) آية الله العلامة الحلي المتوفى (٧٢٦) هـ

(٢) الياقوت: في علم الكلام لأبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن أبي سهل النوبختي كان من أعلام الشيعة في عصر الامام الرضا عليه السلام.

(٣) هو الشيخ الأعظم الشيخ مرتضى الانصاري المولود (١٢١٤) هـ و المتوفى (١٢٨١).



(٤) أى و ظاهر كلام الشهيد الأول فى قوله: و إن اعتقد أنها تفعل الآثار المنسوبة إليها، و الله تعالى هو المؤثر الأعظم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥

الدليل، لا- لوجود المانع منه، و هو انعقاد الضرورة على خلافه، فهو ممكن غير معلوم الوقوع، و لعل وجهه أن الضرورى، عدم نسبة تلك الأفعال إلى فاعل مختار باختيار مستقل مغاير لاختيار الله تعالى، كما هو ظاهر قول المفوضه.

أما استنادها إلى الفاعل بارادة الله المختار بعين مشيئته و اختياره حتى يكون كالأله بزيادة الشعور و قيام الاختيار به بحيث يصدق عليه أنه فعله و فعل الله تعالى، فلا مانع عنه إذ المخالف للضرورة انكار نسبة الفعل إلى الله على وجه الحقيقة لا إثباته لغيره أيضا بحيث يصدق أنه فعله.

نعم ما ذكر الشهيد طاب ثراه من عدم الدليل عليه حق، فالقول به تحرّص، و نسبة لفعل الله إلى غيره بلا دليل و هو قبيح ثم قال سلمه الله: و ما ذكره قدس سره كأن مأخذه ما فى «الاحتجاج» عن هشام «١» بن الحكم قال سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام، فقال: ما تقول فيمن يزعم أن هذا التدبير الذى يظهر فى هذا العالم تدبير النجوم السبعة؟ «٢» قال عليه السلام: يحتاجون إلى دليل أن هذا العالم الأكبر و العالم الأصغر من تدبير النجوم التى تسبح فى الفلك «٣» و تدور حيث دارت متبعة، لا تفتت «٤» و سائرة لا تقف، ثم قال: عليه السلام: و إن كل نجم منها موكل مدبر فهى بمنزلة العبيد

(١) هشام بن الحكم الكوفى الواسطى البغدادى المتوفى سنة (١٧٩) هـ

(٢) و هى الشمس و القمر، و زحل و المريخ و المشتري، و عطارد و الزهرة، بناء على رأى القدماء.

(٣) الفلك (بضم الفاء و سكون اللام): جمع فلك (بفتح الفاء و اللام) و هى المدارات حول الشمس.

(٤) تفتت: فعل مضارع على وزان يقعد و يجلس أى لا تضعف.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦

المأمورين المنهيين، فلو كانت قديمة ازلية لم يتغير من حال إلى حال «١» الخبر.

و الظاهر أن قوله بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين يعنى فى حركاتهم لا أنهم مأمورون بتدبير العالم بحركاتهم، فهى مدبرة باختيارها المنبعث عن أمر الله.

ثم حكى عن المحدث «٢» الكاشانى. أنه قال فى «الوافى» فى توجيه البداء كلاما ربما يظهر منه مخالفته للمشهور حيث قال: اعلم أن القوى المنطبعة الفلكية لم تحط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعة واحدة لعدم تنهاى تلك الأمور، بل إنما تنقش فيها الحوادث شيئا فشيئا، فإن ما يحدث فى عالم الكون و الفساد إنما هو من لوازم حركات الأفلاك و نتائج بركاتهما، فهى تعلم أنه كلما كان كذا كان كذا انتهى ما حكاه عن الكاشانى «٣».

ثم قال: و ظاهره «٤» أنها فاعلة بالاختيار لمزومات الحوادث، و بالجملة فكفر المعتقد بالزبط على هذا الوجه الثانى لم يظهر من الأخبار، و مخالفتها لضرورة الدين لم يثبت أيضا، إذ ليس المراد العلية التامة كيف و قد حاول المحدث الكاشانى بهذه المقدمات اثبات البداء «٥»، أقول: و هو جيد و جيه فيما ذكره من المنع عن قيام الإجماع و الضرورة على نفي الحياة و القول بالتأثير فى الجملة، و إن كان لا يخلو من نظر فيما ذكره فى معنى الخبر حسبما سنشير إليه و الى ما يرد على المحدث الكاشانى فى تفسير الآيات

(١) الاحتجاج ط النجف الأشرف ج ٢ ص ٧٢.

(٢) هو العالم الفاضل الكامل الحكيم المتأله محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشانى توفى سنة (١٠٩١) هـ

(٣) الوافى: ج ١ ص ١١٢.

(٤) أى و ظاهر كلام المحقق الكاشانى.

(٥) المكاسب ج ٢ بتعليق الكلانتر ص ٣٣١-٣٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧

المتعلقة بها.

ثم أن قوله عليه السلام فى الخبر المتقدم بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين ظاهر فيما ذكرناه من الحياة والإختيار على كلا الوجهين فى معنى الخبر فلا تغفل، فقد ظهر ممّا مرّ أنّه ليس لهم الاستناد فى نفي الحياة إلى الإجماع والضرورة و أمّا الوجه التى ربما يحكى عن المتكلمين فهى بمكان من الضعف والقصور، ولذا قال السيد المرتضى «١» فى أجوبة «٢» المسائل السلارية أنّه قد سطر المتكلمون طرقا كثيرة فى أنّ النجوم ليست بحية ولا-قادرة، أكثرها معترض، و أشفّ ما قيل فى ذلك أنّ الحياة معلوم أنّ الحرارة الشديدة كحرارة النار تفنيها ولا-تثبت معها، و معلوم أنّ حرارة الشمس أشدّ و أقوى من حرارة النار بكثير، لأنّ الذى يصل إلينا على بعد المسافة من حرارة الشمس بشعاعها يماثل أو يزيد على حرارة النار و لما كان بهذه الصفة من الحرارة يستحيل كونه حيا. أقول: و هو كما ترى، ثم لا يخفى أنّ شيخنا المجلسى طاب ثراه قد صرح فى موضع آخر بأنّ للأشياء كلّها شعورا و اختيارا و تسيحا إراديا حملا للآيات و الاخبار الناطقة بذلك على ظاهرها، و قد مرّت حكاية عبارته، فاعتراضه فى المقام على شيخنا البهائى طاب ثراه لا يخلو من غرابة، سيّما مع ما ربّما يوهمه كلامه من التعريض عليه أو على غيره.

(١) هو على بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم الامام موسى الكاظم عليه السلام توفى لخمسة بقين من ربيع الاول سنة (٤٣٦) هـ

(٢) كتاب فى المسائل التى سألتها عن السيد المرتضى تلميذه حمزة بن عبد العزيز الديلمى أبو يعلى سلار المتوفى (٤٦٣) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨

ثم أنّ ما ذكره شيخنا التستري دام علاه فى تحقيق الفاعلية بقسميه و المنع من أحدهما دون الآخر لعلّه ينفكك فى تقريب ما مرّت الإشارة إليه من معنى وساطة النبى و آله الطاهرين صلّى الله عليهم أجمعين للفيوض الإلهية و بايتهم و شفاعتهم و أنّه غير التفويض الذى نقول بكفر معتقده حسبما مر غير مرّة.

و هو بكلّ شئٍ عليمٌ لِمَا وصف نفسه بكمال القدرة و الاستيلاء قرن ذلك بكمال العلم ليعلم وقوع الفعل منه على النمط الأتقن و الوجه الأحسن، فإنّ القادر العالم بوجوه الصنيع و هندسة المقادير لا يختار فى فعله بالحكمة البالغة إلّا الأكمل الأجمل، و هذا من الاستدلال بالعلّة على المعلول، و يحتمل العكس تنبيها على أنّ من كان فعله على هذا النظم العجيب و النسق البديع مع اتصال الإمداد و سيلان الفيض منه عليه الموجب لبقائه بقيوميته المطلقة فهو متّصف بكمال العلم بجميع ما فى الإمكان و الأكوان، فإنّ إتقان الأفعال و إحكامها و اختيار الوجه الأحسن الأتقن فيها أدلّ دليل على العلم و الحكمة.

و فيه تهديد شديد على من قابل الإحسان بالكفران حيث ختم به الامتنان عليهم بخلق أنفسهم و التفضل عليهم بما فيه حياتهم فى العاجل و الآجل بعد توبيخهم على كفرهم فى صدر الآية السابقة فكأنّه هدّدهم بأنّ عاقبتهم السوى لعلمه بقبح فعالهم و سوء مقالهم و نظيره قوله: وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ «١».

(١) التوبة: ٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٩

و من هنا ينقذح أنّ فيها إشارة إلى دفع الشبهة المختلجة فى صدورهم الجارية على ألسنتهم من أنّ الأبدان بعد ما تفتتت و تفرقت

أجزاءها و تمزقت كل ممزق و اتصلت أجزاءها البسيطة بما يشاكلها في مراكزها و عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة، فكيف يجمع أجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشد منها شيء و لا ينضم إليها غيرها، فأجاب بأنه سهل يسير لمن له القدرة الكلية و الإحاطة العلمية كما في قوله: قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ «١»، و قوله: يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صِيحْرِهِ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ «٢» و ذلك بعد ما أشار في الآية السابقة إلى أن مواد الأبدان قابلة للجمع و التفريق و الحياة بعد الموت، و أن القادر على انشائها أول مرة قادر على احيائها في الآخرة، فصح دلاله الآيتين على صحه الحشر.

و قد ظهر مما مر وجه التعبير بصيغة الفاعل دون الفاعل، و لذا قال سيوييه «٣»:

إذا أرادوا المبالغة عدلوا إلى فعيل نحو عليم و حكيم، و قد سكن نافع «٤» من طريق قالون «٥»، و أبو عمرو «٦»، و الكسائي «٧» الهاء في نحو (فهو) و (و هو) تشبيها له بعضد،

(١) يس: ٧٩.

(٢) لقمان: ١٦.

(٣) هو عمرو بن عثمان الفارسي اليبضاوي الفارسي النحوي المتوفى (١٨٠) هـ.

(٤) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم المدني المتوفى (١٦٩) أحد القراء السبعة.

(٥) هو عيسى بن مينا بن وردان الملقب بقالون قارئ المدينة توفى سنة (٢٢٠) هـ.

(٦) هو زيان بن العلاء بن عمار ابو عمرو البصرى المتوفى (١٥٤) أحد القراء السبعة.

(٧) هو ابو الحسن على بن حمزة الكوفي المقرئ النحوي (المتوفى (١٧٩) أحد القراء السبعة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٠

و في نحو (فهى) و (هى) تشبيها له بكتف، تنزيلا للأوائل منزلة الأواسط، حيث جعلوا الواو و الفاء كأنهما من نفس الكلمة، و هى لغة فصيحة.

## تفسير الآية (٣٠)

### إشارة

وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً شَرَعْتُ فِي ذِكْرِ بَدءِ خَلْقِ آدَمَ وَ كَيْفِيَّةِ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ قَبْلَ ظُهُورِهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، حَيْثُ بَشَّرَ بِهِ مَلَائِكَتَهُ وَ نَوَّهَ بِاسْمِهِ وَ أَهْلَهُ لِلخِلَافَةِ الْكَلْبِيَّةِ، وَ أَوْدَعَهُ عِلْمَهُ وَ حِكْمَتَهُ، وَ النُّورَ الَّذِي هُوَ السَّبَبُ الْكَلْبِيُّ لِإِبْدَاعِهِ وَ تَكْرِيمِهِ وَ أَمْرَهُ بِسُجُودِ مَلَائِكَتِهِ لَهُ، وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتِي، وَ ذَلِكَ النُّورُ هُوَ نُورُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ الْأئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَالْآيَةُ إِشَارَةٌ إِلَى مَنْنِهِ الَّتِي لَا تَحْصَى وَ لَا تَسْتَقْصَى عَلَيْهِ وَ عَلَى ذُرِّيَّتِهِ الطَّيِّبِينَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، حَيْثُ إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ آتَاهُ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ عَلَى خُصُوصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ الَّذِينَ هُمْ شِيعَتُهُمْ وَ مَحْبُوبُهُمْ حَيْثُ خَلَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَاضِلِ طَيْبَتِهِمْ، وَ عَجَنَهُمْ بِمَاءِ وَلَايَتِهِمْ، ثُمَّ عَلَى عَمُومِ بَنِي آدَمَ حَيْثُ خَصَّيَهُمْ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظْمَى مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْعَالَمِ، فَآنَهُ مِنْ أَدَلِّ الدَّلَائِلِ عَلَى عِنَايَةِ الْبَارِي سَبَّحَانَهُ بِشَأْنِ هَذَا النُّوعِ.

وَ إِذْ فِي الْأَصْلِ ظُرْفٌ لِلزَّمَنِ الْمَاضِي، وَ اسْتِعْمَالُهُ لِلِاسْتِقْبَالِ فِي نَحْوِ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا «١» قَلِيلٌ، أَوْ مَوْؤَلٌ، وَ تَلْزِمُهُ الْإِضَافَةُ إِلَى الْجَمْلِ، فَأَشْبَهَ الْحُرُوفَ بِإِفْتِقَارِهِ الْأَصْلِي، ثُمَّ أَنَّهُ قَدْ يَخْرُجُ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ الْمُحَضَّةِ لِكثْرَةِ دَوْرِهِ فِي

## (١) الزلزال: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥١

الكلام، فيستعمل للتعليل للمناسبة بينه وبين الظرف، وقد يحذف عامله نحو وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ «١» أَى وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا ظَهَرَ عنادهم، ثُمَّ تَوَسَّعُوا فِيهِ بِاسْتِعْمَالِهِ بِمَعْنَى الْوَقْتِ مطلقاً، فنصبوه على المفعول به بتقدير اذكر، كما فى الآية وفى كثير من أوائل القصص، أو على البدايه كقوله اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ «٢» وخفضوه بإضافة الأزمنة خاصة إليه، فى نحو حينئذ ويومئذ، وبعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا «٣».

وَأَمَّا رَفْعُهُ بِالْفَاعِلِيَّةِ وَنَحْوَهَا فَالْجَمْهُورُ عَلَى عَدَمِ جَوَازِهِ، حَسْبَمَا يَحْكِي عَنْهُمْ لَكِنِ الْأَظْهَرُ وَفَاقًا لَكَثِيرٍ مَمَّنْ تَأَخَّرَ جَوَازُهُ، وَلِذَا وَجَّهَ الزَّمْخَشَرِيُّ «٤» قِرَاءَةَ بَعْضِهِمْ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا «٥» بِكَوْنِهِ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ حَمَلًا لَهُ عَلَى إِذَا فِي قَوْلِهِمْ: أَخْطَبُ مَا يَكُونُ الْأَمِيرُ إِذَا كَانَ قَائِمًا «٦» لِلتَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، وَلا غَرَابَةَ فِي ذَلِكَ بَعْدَ مَسَاعِدَةِ الْقَلِيلِ، وَهُوَ اتَّفَاقُهُمْ عَلَى التَّصْرِيفِ وَالْخُرُوجِ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ، وَ مِنْ هُنَا يَظْهَرُ أَنَّهُ لا يَحْتَاجُ إِلَى سَمَاعٍ خَاصٍّ، فَلا يَقْدَحُ فِيهِ عَدَمُ التَّصْرِيفِ بِهِ، وَ لَعَلَّ فِيمَا يَأْتِي مِنْ عِبَارَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَلَالَةً عَلَى مَا اخْتَرْنَاهُ فَالْحَظُّ، وَ التَّرَامُ ظَرْفِيَّةٌ دَائِمًا حَتَّى فِي مِثْلِ الْمَقَامِ تَكْلُفٌ جَدًّا، بَلْ قِيلَ: إِنَّهُ وَهُمْ فَاحِشٌ، لِاقْتِضَائِهِ حِينَئِذٍ الْأَمْرَ بِالذِّكْرِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَدْ مَضَى مَعَ أَنَّ امْتِثَالَ الْأَمْرِ فِي الْحَالِ أَوْ الْاسْتِقْبَالَ، بَلْ مِنْ الْبَيِّنِ أَنَّ الْمُرَادَ فِي مِثْلِ الْمَقَامِ ذِكْرَ الْوَقْتِ نَفْسَهُ

## (١) الأحقاف: ١١.

(٢) المائدة: ٢٠.

(٣) آل عمران: ٨.

(٤) هو ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي المعتزلي المتوفى (٥٣٨) هـ.

(٥) آل عمران: ١٦٤.

(٦) الكشف ج ١ ص ٤٧٧ ط بيروت دار الفكر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٢

لا الذكر فى الوقت.

وَجَعَلَهُ ظَرْفًا لِلْحَادِثِ الْمَحْذُوفِ، كَمَا تَوَهَّمَهُ الْبِيضَاوِيُّ «١» بِأَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ وَ اذْكَرَ الْحَادِثَ، إِذْ قَالَ رَبِّكَ، مَعَ كَوْنِهِ خِلَافَ الْمُنْسَاقِ عَنِ السِّيَاقِ وَ اِشْتِمَالِهِ عَلَى التَّكْلُفِ الظَّاهِرِ مَرْدُودِ بِأَوْلَوِيَّةِ الْمَجَازِ مِنَ الْإِضْمَارِ.

وَأَوْهَنُ مِنَ الْجَمِيعِ الْقَوْلُ بِكَوْنِهِ زَائِدًا فِي مِثْلِ الْمَقَامِ كَمَا عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ «٢» وَ غَيْرِهِ.

وَ عَامِلُهُ فِي الْآيَةِ اذْكَرَ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا - بِهِ لَهُ، لا - عَلَى مَا قِيلَ مِنَ التَّأْوِيلِ، وَ تَكُونُ الْجُمْلَةُ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: وَ بَشِّرِ «٣» مِنْ عَطْفِ الْقِصَّةِ عَلَى الْقِصَّةِ، مِنْ غَيْرِ التَّفَاتِ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْجُمْلِ إِنْشَاءً وَ إِخْبَارًا، وَ الْمَتَخَلَّلُ مِنْ تَمَامِ الْقِصَّةِ، أَوْ جَارٍ مَجْرَى الْإِعْتِرَاضِ، وَ عَطْفًا عَلَى فَتَدْبَرِ، وَ نَحْوِهِ مَقْدَرًا بَعْدَ قَوْلِهِ: وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، كَأَنَّهُ قَالَ بَعْدَ تَعْدَادِ النِّعَمِ وَ الْاسْتِدْلَالِ بِالْعَلَّةِ عَلَى الْمَعْلُولِ، أَوْ الْعَكْسِ عَلَى مَا تَقْدِمُ فَتَدْبَرُ ذَلِكَ وَ اذْكَرَ.

وَ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْفَاعِلُ فِيهِ قَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: قَالُوا، فَيَكُونُ عَلَى حَقِيقَةِ الظَّرْفِيَّةِ، وَ الْمَعْنَى قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ إِذْ قَالَ رَبِّكَ لَهُمْ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً: أَ تَجْعَلُ، وَ إِنْ يَكُونُ ظَرْفًا لِمَضْمُرٍ دَلَّ عَلَيْهِ مَضْمُونُ الْآيَةِ الْمَتَقَدِّمَةُ مِثْلُ: وَ بَدَأُ خَلْقَكُمْ.

(١) هو القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الفارسي الأشعري الشافعي توفي بتبريز سنة (٦٨٥) هـ - الكنى والألقاب ج ٢ ص ١٠٠.

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري النحوي اللغوي المتوفى (٣٠٩) أو ٢١١.

(٣) سورة البقرة: ٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٣

لكن في تفسير الإمام عليه السلام ما استفاد منه كونه ظرفاً لقوله: خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ حَيْثُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمَّا قِيلَ لَهُمْ: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً «١» قالوا: متى كان هذا؟ قال الله عز وجل: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: اإبداعى هذا الخلق: لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً حِينَ قَالَ رَبُّكَ «٢».

بناء على أحد الوجهين فيه، والوجه الآخر خروجه عن الظرفية بكونه خبراً عن قوله ابداعى، ولذا عبر عنه بلفظ حين وجعله مسنداً، ولعل المراد أنهم لما سألوا عن الوقت أجبوا بأنه حيث لم يكن لكم وجود، ولا قوة اعانه له فى خلق معاشكم، ولا لسان سؤال منه بل كان حين التفضل عليكم بالإخبار من إرادة خلق أيبكم و تكريمه بكذا و كذا، فالظرف هو الزمان الممتد قبل خلق آدم، وإن كان خلق ما فى الأرض فى طرف منه، والقول فى آخر تنبيها على أنه هو المبتدء بالنعم قبل الاستحقاق وقبل وجود المستحق.

والقول موضوع لحكاية لفظ أو فعل أو حال باللفظ الدال عليه، وقد يعم فى الحكاية كالمحكى بناء على التوسعة فيه عمّا وضع له فى اصل اللغة، ويقال: قال بيده أى أشار، وهو منه تعالى بما يفيد الإفهام من وحى أو إلهام أو خلق صوت و كلام، أو نصب دليل على المرام.

وقد مرّت الإشارة إلى معانى الرّب فى الفاتحة و الأنسب منها فى المقام هو المرّبى بإيصال الفيوض و المتفضل بالإمدادات الظاهرة و الباطنة مع دفع العوائق إلى أن يصل إلى الكمال اللاتق، و أضافته إلى ضمير الخطاب المكنى به عن النبى صلى الله عليه و آله للإشارة إلى أنه هو المقصود الاصلى و السبب الكلى فى خلق آدم و ان ذلك من تمام

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) تفسير المنسوب الى الإمام العسكرى عليه السلام، نقل عنه تفسير البرهان ج ١ ص ٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٤

تربيته و ارادة ظهوره فى هذا العالم، فإنه كالثمرة المقصودة من هذه الشجرة، و التنبيه على أنه صلى الله عليه و آله كان مقيماً على حدّ العبودية متمكناً فى مقام الشهود الدائم، ولذا شافهه كفاحاً.

و الملائكة جمع ملك، و أصله ملائكة، بل قيل: أنه لا خلاف فى ذلك و قد جاء الأصل فى نحو.

و لست لإنسى و لكن لملائكة تنزل من جو السماء يصب و أنما اختلفوا فى ملائكة فعن الكسائى و ابن السكيت «١» و الليث «٢» أصله مألوك بتقديم الهمزة من الألوكة، و هى الرسالة، ثم قلبت بتقديم اللام، ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فلما جمعوه ردوها إليه فقالوا ملائكة و ملائكة أيضاً، و عن أبى عبيدة أنه فعل من لأك إذا أرسل، قال فى القاموس: الملائكة و الملائكة الرسالة و ألكنى إلى فلان أبلغه عنى، أصله التكنى، حذف الهمزة و ألقى حركتها على ما قبلها، و الملائكة الملك، لأنه يبلغ عن الله تعالى و وزنه مفعول و العين محذوفة، و ألزمت التخفيف إلّا شاذاً، و هذا لسلامته من القلب سيما مع شيوع استعماله أجود من الأول، و توهم ضعفه مدفوع بثبوت النقل و الاستعمال، مع أنه المحكى عن ابن الأنبارى «٣» و ابن

(١) ابن السكيت (بكسر السين و تشديد الكاف): أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدورقى الاهوازى النحوى اللغوى المقتول بأمر

المتوكل سنة (٢٤٤) ه الكنى و الألقاب: ج ١ ص ٣١٤.

(٢) الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي المقرئ من جلة أصحاب الكسائي توفي سنة (٢٤٠) ه غاية النهاية: ج ٢ ص ٣٤.

(٣) هو ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار اللغوي النحوي الأديب المستوفى (٣٠٤) أو ٣٠٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٥

الهيثم «١» و غيرهما، فلا ينبغي التأمل في ثبوته لعدم نصّ الجوهري «٢» و غيره و عن ابن كيسان «٣» أنه من ملك لدوران المادة مع القوة و الشدة يقال: ملكت العجين أى شددت عجنه، و ملك النبعة، و هى اسم شجرة صلبها و ذلك إذا يبسها فى الشمس مع قشرها، و ملكت بالطعنة كفى أى شددت، و معنى القوة ظاهر فى المالك و الملك و ما تصرف منهما، و منه ملك الدابة بضم الميم و اللام لقوائمها، و ملك الطريق بالتثنية لمعظمه، بل قد يرجح هذا على الأولين بأن معنى الشدة و القوة يعم جميع الملائكة، و ناهيك فى ذلك قوله تعالى: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ «٤»، و أى قوة أعظم من ذلك و أنه سبحانه جعلهم وسائل جلّ أو كلّ ما يظهره فى هذا العالم ببدیع حکمته و باهر قدرته من الفيوض التكوينية و الاحكام التشريعية.

و أما الرسالة فلقوله تعالى: اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ «٥».

و أما قوله جاعل الملائكة رسلًا «٦» فمخصص جمعا بل و ضرورة إلا مع التجوز فى معنى الرسالة، و يشكل حينئذ بجمعه هذا الجمع إلا باعتبار أصله الذى هو ملائكة على أن الهمزة مزيدة فيجمع على ملائكة كشمال و شمائل، و أما الحاق التاء ففيل: إنه لتأكيد تأنيث الجماعة، و أوسط الأقوال أوسطها لسلامته من القلب

(١) هو داود بن الهيثم بن إسحاق ابو سعيد التنوخى الأنبارى اللغوى النحوى المتوفى (٣١٦).

(٢) الجوهري: ابو نصر إسماعيل بن حماد الفارابى: المتوفى سنة (٣٩٣) ه على الأشهر.

(٣) هو ابو الحسن محمد بن احمد بن ابراهيم بن كيسان البغدادي النحوى المتوفى (٢٩٩) ه

(٤) الأنبياء: ٢٠.

(٥) الحج: ٧٥.

(٦) فاطر: ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٦

و قلته البناء على فعّال فلا يرتكب مثله إلا لظهور الاشتقاق كما فى شمال، مضافا إلى ظهور المناسبة، و عدم اطرادها على فرضه غير قاذح.

و المراد بهم هذا الخلق المعروف الذين هم أجسام نورانية على ما تأتى إليها الإشارة، و الجعل إما بمعنى الخلق أو بمعنى الصيرورة، فله مفعولان دخل على المبتدأ و الخبر، «فى الأرض خليفة» عمل جاعل فيهما لكونه بمعنى الاستقبال معتمدا على المسند اليه، و هو ضمير المتكلم فى أنى، و «الخليفة» فعيلة من استخلف فى الأمر مكان من قبله فكانه خلف غيره و قام مقامه، كما أن الامام مأخوذ من الأم الذى هو القصد، أو من الامام لتقدمه فهو المتقدم الذى يقتدى به، و زيدت الهاء للمبالغة.

و المراد به خصوص آدم لأنه كان خليفة الله فى أرضه فى عمارة الأرض و نشر الشرائع و الأحكام و تكميل الأنام و سياستهم و تنفيذ أمره فيهم.

أو لأنه خليفة من سكن الأرض قبله من الملائكة حيث كانوا يعبدون الله فى الأرض فلما قال لهم: إني جاعل فى الأرض خليفة بدلا منكم و رافعكم منها اشتد ذلك عليهم لأن العبادة عند رجوعهم الى السماء تكون أثقل عليهم، كما فى تفسير الإمام عليه السلام «١».

أو من بنى الجن و النسناس و غيرهم ممن سكن الأرض و اشتغل بالسفك و الإفساد فأكلوا رزقه و عبدوا غيره.

و أن المراد به هو الخاتم لاختصاصه بالخلافة الكليّة المحمّديّة و لذا نكره تعظيما له و تفخيما لشأنه.

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الامام العسكري عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٧

أو كلّ نبى أو الحجّة بعد الحجّة في كلّ زمان حيث إنّ الأرض لا تخلوا في كلّ زمان من حجة معصوم أو آدم و ذريته، و ستسمع تفصيل الكلام فيه، و أفراد اللفظ على بعض الوجوه ظاهر للوحدة الشخصية أو الوجوديّة في كلّ عصر و على غيره فعلى تأويل من يخلف أو خلقا يخلف، أو للاستغناء بذكر الأب الجسماني أو الروحاني عن ذكر نبيه، كما استغنى بذكر أبي القبيلة في قولهم: هاشم، و لؤى، و مضر، على أنّه قد يقال بمعنى فاعلة اسم يصلح للواحد و الجمع و المذكر و المؤنث.

و قرأ خليفته بالقاف و هو في الأصل مصدر يطلق على الخلاق يقال هم خليفه الله و هم خلق الله و على الطبيعة لاختصاص هذا النوع بطبيعته لا يشاركه فيها شيء من الخلق و إن شارك الكل في طبائعهم في الجملة، و التاء ... باعتبار تعدد الموصوف أو تأنيته، فأنه قد استعمل بمعنى المفعول.

و المراد بالأرض تمام البسيط من البرارى و البحار، فإنّ للإنسان الخلافة في الجميع هو الذى يُبَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ «١» و كذا تمام الجهات الأربعة من الشرق و الغرب و الشمال و الجنوب لظاهر الآية و تحقق الدحو قبل الخطاب.

و أما ما روى من طرق العامة عن النبي صلى الله عليه و آله أنّه قال: دحيت الأرض من مكّة و كانت الملائكة تطوف بالبيت و هى أوّل من طاف بها، و هى الأرض التى قال الله تعالى إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً «٢» فضعيف سنداً، و لو صحّ فعلل تخصيص أرض مكّة بالذكر لتبعيته غيرها لها خلقا و شرفاً، فلعله اشارة إلى أن المقصود من

(١) يونس: ٢٢.

(٢) تفسير الفخر الرازى ج ٢ ص ١٦٥ رواه عن عبد الرحمن بن سابط، عن النبي و عبد الرحمن توفى سنة (١١٨) فخره مرسل.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٨

تلك الخلافة بل من خلق آدم و غيره هو الخلافة الكليّة الثابتة لنبينا صلى الله عليه و آله، حيث إنّ بعث في الأميين لينذر أمّ القرى و من حولها، فكما أنّ الأرض دحيت من مكّة، فكذلك أعلام العلم و الهداية تشرف منها، و لعلّ هذا هو السرّ في إعلام الملائكة بخلق آدم الذى هو طليعة ظهور الخاتم الذى هو علمه و وجود العالم، لأنّه المخاطب بقوله: «لولاك لما خلقت الأفلاك» «١» ففى الإيثار بوجوده قبل خلقه و استحقاقه الخلافة الالهية و جامعته المطلقة، سيّما مع إزاحة ما ربما يختلج فى صدورهم من الشك فى فضله أو التردد فى سببه إشارات إلى تعظيمه و تكريمه و اظهار لفضله الرّاجح على ما فيه من المفاسد، سيّما مع كونه مستودعا للأنوار الالهية و الأشباح القدسيّة التى هى أنوار الأئمة عليهم السلام.

بقى الكلام فى أمور: أحدها أنّه لا خلاف بين الملتين القائلين بحدوث العالم فى تأخر خلقه آدم عن هذا العالم الجسماني، و اختلفوا فى قدر تأخره، كما أنّهم قد اختلفوا فى قدر بقائه فالاحكاميون منهم بنوا ذلك على ما اصطلحوا عليه من حساب الأدوار، و ذلك أنّهم أجمعوا على أن الكواكب السبع السيّارة كانت فى بدو خلق العالم مجتمعاً مقترنة فى أوّل نقطة برج الحمل و انّ أوجاتها و جوزهريتها كانت مقترنة معها فى أوّل دقيقة من الحمل، بل و كذا الثوابت على رأى المتأخرين الذين ذهبوا إلى أنّ لها حركة بطيئة، و تنقسم الأدوار عندهم إلى أدوار الألوف و أدوار الفصول، و للأول أقسام أربعة: أعظم و اكبر و أوسط و أصغر، و لكلّ منها تيسير و انتهاء، و لهم فى ذلك كلام طويل لا طائل تحت التعرض له، و زعموا أن مقدار عمر

(١) بحار الأنوار ج ١٦ ص ٤٠٦ عن المناقب لابن شهر آشوب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٩

الدنيا هو ما بين القران الكلى للسَّبع في دقيقه أول الحمل إلى قران آخر مثله، فاعتمدوا في معظم الحوادث على القرانات الكليّة، سيّما التي بين العلويين إلى غير ذلك من هذياناتهم التي لا ينبغي الإصغاء إليها، وذكر بعضهم في تاريخ صنّفه في سنة تسعمائة و احدى و أربعين من الهجرة النبوية أنّه قد انقضى من حركة الأفلاك و الكواكب ثمان مائة و ستّ عشر ألف سنة و ثلاثمائة و اثنان و ثمانون سنة، و من أول أيام العالم الذي هو عبارة عن اجتماع السبع السيّارة في أول نقطة من الحمل و هو المسّمى عندهم بالقران السباعي مائة و أربع و ثمانون ألف سنة و ستمائة و اثنان و سبعون سنة، و من خلقه الجنّ و الشياطين ستّ و ستون ألف سنة و تسعمائة و أربع و عشرون سنة، و من كتابه الصخرة أربعون ألف سنة و اربع و ثلاثون سنة، و من بناء هرمان بمصر ثلاثة عشر ألف سنة و ستمائة و ثلاث و أربعون ألف سنة، و من هبوط آدم على نبينا و آله و عليه السلام سبعة آلاف سنة و مائة و اربع سنين، إلى آخر ما ذكره.

و ليت شعري من أين قدّر هذه الأوقات، ثمّ إنّ المشهور أنّ بناء الهرمين كان بعد الهبوط و ان بانيه كان من بنى أيننا آدم أبى البشر، و إن اختلفوا في بانيها على أقوال قال فى القاموس: الهرمان بالتحريك بناء آن أوليان بناهما إدريس عليه السّلام لحفظ العلوم فيهما عن الطوفان، أو بناء سنان بن المششل أو بناء الأوائل لما علموا بالطوفان من جهة النجوم، و فيهما كلّ طبّ و طلسم و هنالك أهرام صغار كثيرة انتهت.

و لعلّ توهم تقدّمه على الهبوط مبنّى على ما اشتهر فى الألسنة أو وجد مكتوبا هناك، أو فى موضع آخر من أنّه بنى الهرمين و التّسر طائر فى السرطان،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٠

و عدّه فى «تحفة العالم» حديثا و هو وهم.

و بالجملة فأقولهم فى ذلك على اختلافها لا عبرة بشيء منها لفقد الحجّة عليها، و أمّا الأخبار فهى مختلفة أيضا فى «المشارك» و غيره أنّه سئل مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام عن عمر الدنيا فقال عليه السّلام يقال سبعة آلاف ثمّ لا تحديد «١».

و لعلّ المراد أنّ تلك المدّة المذكورة كانت من آدم إلى الخاتم، كما لعلّه يومئذ إليه خبر أبى ليلى «٢» المتقدّم فى تفسير «الم» و أمّا نفى التحديد فمن مبعث النبىّ صلّى الله عليه و آله إلى قيام الساعة.

و فى «جامع الاخبار» عن النبىّ صلّى الله عليه و آله أنّ موسى عليه السّلام سأل ربّه عز و جل أن يعرفه بدء الدّنيا منذ كم خلقت؟ فأوحى الله تعالى إلى موسى تسألنى عن غوامض علمى؟

فقال: يا ربّ أحبّ أن أعلم ذلك، فقال: يا موسى خلقت الدّنيا منذ مائة ألف ألف عام عشر مرّات «٣»، الخبر على ما مرّ مع اخبار آخر فى تفسير قوله ربّ العالمين.

و روى العياشى عن عيسى بن أبى حمزة قال: قال رجل لأبى عبد الله عليه السّلام جعلت فداك إنّ الناس يزعمون أنّ الدنيا عمرها عشرة آلاف سنة فقال ليس كما يقولون، إنّ الله خلق لها خمسين ألف عام فتركها قاعا قفرا، حاوية عشرة آلاف، ثمّ بدا لله بداء فخلق فيها خلقا ليس من الجنّ و لا من الملائكة و لا من الانس، و قدّر لهم عشرة آلاف عام فلما قربت آجالهم أفسدوا فيها فدمّر الله عليهم تدميرا ثمّ تركها

(١) بحار الأنوار ج ١٠ ص ١٢٧ عن ارشاد القلوب ج ٢ ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) البحار ج ٥٢ ص ١٠٦ و ابو ليلى هو البحرانى الهجرى المخزومى من أصحاب الباقر عليه السّلام.

(٣) البحار: ج ٥٧ ص ٣٣١ عن جامع الاخبار.



تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦١

خاوية عشرة آلاف عام ثم خلق فيها و قدر لهم عشرة آلاف عام فلما قربت أفسدوا فيها و سفكوا الدماء و هو قول الملائكة: أ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ كَمَا سَفَكَتْ بَنُو الْجَانِ، فاهلكهم الله تعالى ثم بدا لله فخلق آدم و قدر له عشرة آلاف، و قد مضى من ذلك سبعة، آلاف عام و مائتان و أنتم في آخر الزمان (١).

و في «الخصال» و «المعاني» عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الله تبارك و تعالى خلق نور محمّد صلى الله عليه و آله قبل أن يخلق السموات و الأرض و العرش و الكرسي و اللوح و القلم و الجنة و النار و قبل أن يخلق آدم و نوحا و ابراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و موسى و عيسى و داود و سليمان و قبل أن يخلق الأنبياء كلهم باربعمائه ألف سنة و أربع و عشرين ألف سنة (٢).

و في الاختصاص عنهم عليهم السلام: أن الله خلقنا قبل الخلق بألف عام فسبحنا فسبحت الملائكة بتسييحنا (٣)، الخبر.

و في البحار: عن أبي الحسن البكري (٤) استاد الشهيد الثاني في كتاب الأنوار عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال كان الله و لا شيء معه، فأول ما خلق نور حبيبه محمّد صلى الله عليه و آله قبل خلق الماء و العرش و الكرسي و السماوات و الأرض و اللوح و القلم و الجنة و النار و الملائكة و آدم و حواء باربعة و عشرين و اربعمائة ألف عام، فلما خلق الله تعالى نور نبينا محمّد صلى الله عليه و آله بقي ألف عام بين يدي الله عزّ و جلّ واقفا يسبحه و يحمده،

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٣١ و عنه تفسير البرهان ج ١ ص ٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٧٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ١ ح ٢ عن الاختصاص.

(٤) هو الشيخ الجليل أحمد بن عبد الله بن محمد البكري صاحب كتاب الأنوار في مولد النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و كتب آخر، توفي سنة (٩٥٣) هـ بمصر و دفن جنب قبر الشافعي و بنوا عليه قبّة عظيمة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٢

و الحق تبارك و تعالى ينظر اليه و يقول: يا عبدى أنت المراد و المرید، و أنت خيرتى من خلقى، و عزتى و جلالى لولاك ما خلقت الأفلاك، من أحببك أحببته و من أبغضك أبغضته، فتلاّأ- نوره و ارتفع شعاعه فخلق الله تعالى منه اثني عشر حجابا أولها حجاب القدرة، ثم حجاب العظمة، ثم حجاب العزّة، ثم حجاب الهيبة، ثم حجاب الجبروت، ثم حجاب الرّحمة، ثم حجاب النبوة، ثم حجاب الكبرياء، و في بعض النسخ الكرامة، ثم حجاب المنزلة، ثم حجاب الرفعة، ثم حجاب السعادة، ثم حجاب الشفاعة، ثم إن الله تعالى أمر نور رسول الله صلى الله عليه و آله أن يدخل في حجاب القدرة فدخل و هو يقول سبحان العليّ الأعلى، و بقي على ذلك اثني عشر ألف عام، ثم أمره أن يدخل في حجاب العظمة فدخل و هو يقول: سبحان عالم السرّ و أخفى أحد عشر ألف عام، ثم دخل في حجاب العزّة و هو يقول: سبحان الملك المنان عشرة آلاف عام، ثم دخل في حجاب الهيبة و هو يقول: سبحان من هو غنى لا يفتقر تسعة آلاف عام، ثم دخل في حجاب الجبروت و هو يقول: سبحان الكريم الأكرم ثمانية آلاف عام، ثم دخل في حجاب الرّحمة و هو يقول: سبحان ربّ العرش العظيم سبعة آلاف عام، ثم دخل في حجاب النبوة و هو يقول: سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون ستّة آلاف عام، ثم دخل في حجاب الكبرياء و هو يقول:

سبحان العظيم الأعظم خمسة آلاف عام، ثم دخل في حجاب المنزلة و هو يقول:

سبحان العليم الكريم، أربعة آلاف عام، ثم دخل في حجاب الرفعة و هو يقول:

سبحان ذى الملك و الملكوت ثلاثة آلاف عام، ثم دخل في حجاب السعادة و هو يقول: سبحان من يزيل الأشياء و لا يزول ألفى عام، ثم دخل في حجاب الشفاعة و هو يقول سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم ألف عام، قال الامام عليّ بن أبي طالب عليه

السِّيَام: ثم ان الله تعالى خلق من نور محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عشرين بحرا من نور، في كلّ بحر علوم لا يعلمها إلّا الله تعالى، ثم قال لنور محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أنزل في بحر العزّ فنزل،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٣

ثم في بحر الصبر، ثم في بحر الخشوع، ثم في بحر التواضع، ثم في بحر الرضا، ثم في بحر الوفاء، ثم في بحر العلم، ثم في بحر التقى، ثم في بحر الخشية، ثم في بحر الإنابة، ثم في بحر العمل، ثم في بحر المزيد، ثم في بحر الهدى، ثم في بحر الصيانة، ثم في بحر الحياء، حتى تقلب في عشرين بحرا، فلمّا خرج من آخر الأبحر قال الله تعالى: يا حبيبي و سيّد رسلي و يا أوّل مخلوقاتي و يا آخر رسلي أنت الشّفيق يوم المحشر، فخرّ النور ساجدا ثم قام فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف و أربعة و عشرين ألف قطرة، فخلق الله تعالى من كلّ قطرة من نوره نبيا من الأنبياء، فلمّا تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كما تطوف الحجاج حول بيت الله الحرام، و هم يستبحون الله و يحمّدونه و يقولون: سبحان من هو عالم لا يجهل، سبحان من هو حلیم لا يعجل، سبحان من هو غنى لا يفتقر، فناداهم الله تعالى:

تعرفون من أنا؟ فسبق نور محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قبل الأنوار و نادى: أنت الله لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك، ربّ الأرباب و ملك الملوك، فإذا بالنداء من قبل الحق أنت صفّي و أنت حبيبي و خير خلقي، أمّتك خير أمّة أخرجت للناس ثم خلق من نور محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جوهره، و قسمها قسمين: فنظر الى القسم الأوّل بعين الهيبة فصار ماء عذبا، و نظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منه العرش فاستوى على وجه الماء، فخلق الكرسي من نور العرش، و خلق من نور الكرسي اللوح، و خلق من نور اللوح القلم الى آخر الخبر (١).

و بالجملة فالأخبار الدالّة على بدو العالم و مقدار كينونته مختلفه جدّا بحيث لا يمكن الجمع بينها إلّا بالتأويلات البعيدة التي لا داعي إلى ارتكابها في المقام، بل الأولى ردّ علمه إلى أهله.

(١) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٩٨-٢٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٤

ثم أنّ لغير الملتين أيضا مقالات في ذلك و أكثرهم على القدم بل على إنكار آدم أبي البشر، حيث زعموا أنّه لا أوّل لنوع البشر بل و لا لغيرهم من الأنواع المتوالدة كما هو المحكى عن الفلاسفة، و أمّا الهنود و البراهمة فأكثرهم على نفى الأفلاك و استقلال الكواكب سيّما السّيّارة و خصوصا الشمس في الآثار الواقعة و إيجاد الكينونات الحادثة و زعموا أنّه تعالى خلقها و فوّض إليها تدبير العالم و اختفى هو في المألّ الأعلى و ربّما يظهر لبعض المصالح في صور بعض الحيوانات و أكثر ما يظهر في صورة البقر، و لذا يبالغون في تكريمه و إعظامه، و لهم غلوّ في القول بالحلول و التناسخ و إنكار المعاد، و قالوا: إنّ العالم ليس له أوّل و لا آخر، و لا يزال يدور بين أدوار أربعة فالامتداد للدور الأوّل ألف سنة و سبعمائة ألف سنة و عشرون ألف سنة، و للدور الثاني ألف سنة و مائتا ألف سنة و تسعون ألف سنة، و للدور الثالث ثمانمائة ألف سنة و أربعة و ستون ألف سنة، و للزّابع أربعمائة ألف سنة و اثنان و ثلاثون ألف سنة، و زعموا أنّه قد مضى من الدّورة الرابعة ما يقرب من خمسة آلاف سنة، و أنّه إذا انقضت الأدوار فلا بدّ أن ينقلب العالم و يفنى أهله، ثمّ يتبدأ من الدّور الأوّل أيضا من دون فصل، و زعموا أنّه قد كانت الأعمار الطّبيعيّة لنوع البشر في الدّورة الأولى مائة ألف سنة، و في الثانية عشرة آلاف سنة، و في الثالثة ألف سنة، و أنّه كان آدم و نوح في أواخر تلك الدّورة، و في الرابعة مائة و عشرين سنة.

و حكى شيخنا المجلسي عن الهنود: أن من كان منهم على رأى الفلاسفة فهو يوافقهم في القول بالقدم، و من لم يكن منهم على رأى الفلاسفة و قال بحدوث العالم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٥

لم يثبت آدم، و يقول: إنَّ الله تعالى خلق الأفلـاك و خلق فيها طباعا محرّكة لها بذاتها، فلمّا تحرّكت و حشوها أجسام، لاستحالة الخلاء، و كانت الأجسام على طبيعة واحدة، فاختلفت طبيعتها بالحركة الفلكية، و كان القريب من الفلك أسخن و أطف، و البعيد أبرد و أكتف، ثم اختلطت العناصر و تكوّنت منها المركّبات، و ممّا تكوّن منه نوع البشر، كما يتكوّن الدود في الفاكهة و اللحم و البق في البطايح و المواضع الغضة، ثم تكوّن البشر بعضه من بعض بالتوالد، و نسي التخليق الأول الذي كان بالتولد، و من الممكن أن يقول: يتكوّن بعض البشر في بعض الأراضى القاصية بالتولد و أمّا انقطع التولد لأن الطبيعة إذا وجدت للكون طريقا استغنت عن طريق ثان. قال: و أمّا المجوس فلا يعرفون آدم و لا نوحا و لا ساما و لا حاما و لا يافث و أول متكون من البشر عندهم كيومرث، و لقبه كوهشاه أى ملك الجبل، و قد كان كيومرث في الجبال و منهم من يسميه گلشاه أى ملك الطين، لأنّه لم يكن يومئذ بشر يملكهم، و قيل: تفسير كيومرث حتى ناطق ميت قالوا و قد رزق من الحسن ما لا يقع عليه بصر حيوان إلّا وله و أغمى عليه، و يزعمون أنّ مبدء تكوّنه و حدوثة أنّ يزدان و هو الصانع الأول عندهم فكّر في أمر «أهرمن» و هو الشيطان عندهم فكرة أوجبت أن عرق جبينه فمسح العرق و رمى به، فصارت منه كيومرث، و لهم خبط عظيم في كيفية تكوّن أهرمن عن فكرة يزدان، او من إعجابه بنفسه، أو من توخّشه، ثم إنهم قالوا بعد هذيانات غريبة، أنّه قطر من كيومرث قطرتا نطفة على الأرض فنبت منها ريباستان في جبل باصطخر، ثم ظهرت على تينك الريباستين الأعضاء البشرية في أول الشهر التاسع و تمّت أجزاءه فتصوّر منها بشران ذكر و أنثى، و هما ميسا و ميشانه،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٦

و هما بمنزلة آدم و حواء عند الملتين و يسميهما مجوس خوارزم: مرد و مردانه، و زعموا أنّهما مكثوا خمسين سنة مستغنين عن الطعام و الشراب منعمين غير متأذيين بشيء، حتى ظهر لهما أهرمن في صورة شيخ كبير فحملهما على تناول فواكه الأشجار و أكل منها و هما يبصرانه شيخا فعاد شابا، فأكلا منها حينئذ، فوفا في البلايا و ظهر فيهما الحرص حتى تزاجا و ولد لهما ولد، فأكلاه حرصا ثم القي الله تعالى في قلوبهما رافة فولد بعد ذلك سنة أبطن، كلّ بطن ذكر و أنثى و أسماؤهم في كتاب زردشت معروفه «١».

الى غير ذلك من خرافاتهم التي لا تليق بالذكر، و أمّا اليهود و النصارى فالمحكى عنهم الاتفاق على ما أجمع عليه المسلمون لكن المحكى عن كثير من نصارى الفرنسة و الأراض الجديدة الميل إلى مذاهب الدهرية و التناسخ، و انكار المعاد و غير ذلك من الإلحاد.

ثانيها: في الإشارة إلى ما خلقه الله تعالى في هذه الأرض من النّسنا و بنى الجان و غيرهما.

روى الزاوندى في «قصصه» في الصحيح عن أبى جعفر عليه السّلام قال سئل أمير المؤمنين عليه السّلام هل كان في الأرض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم عليه السّلام و ذرّيته؟ فقال: نعم قد كان في السموات و الأرض خلق من خلق الله تعالى يقّدسون الله و يسبحونه و يعظّمونه بالليل و النهار لا يفترّون فإنّ الله عزّ و جلّ لمّا خلق الأرضين خلقها قبل السموات، ثم خلق الملائكة روحانيّين لهم أجنحة يطيرون بها حيث

(١) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٢٦٦-٢٦٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٧

يشاء الله، فأسكنهم فيما بين أطباق السماوات يقّدسونه بالليل و النهار و اصطفى منهم اسرافيل و ميكائيل و جبرئيل، ثم خلق عزّ و جلّ في الأرض الجنّ روحانيّين لهم أجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة، و خفضهم أن يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران و غير ذلك، فأسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السّبع و فوقهنّ يقّدسون الله اللّيل و النهار لا يفترّون ثم خلق خلقا دونهم لهم أبدان و أرواح بغير أجنحة يأكلون و يشربون، نسانا اشباه خلقهم و ليسوا بإنس، و أسكنهم أوساط الأرض على ظهر الأرض مع الجنّ يقّدسون الله اللّيل و النهار لا يفترّون، قال عليه السّلام و كان الجنّ تطير في السماء فتلقى الملائكة في السماوات فيسلمون عليهم و يزورونهم و

يستريحون إليهم و يتعلمون منهم الخير، ثم إن طائفة من الجنّ و النسناس الذين خلقهم الله و أسكنهم أوساط الأرض مع الجنّ تمرّدوا و عتوا عن أمر الله تعالى فمرحوا و بغوا في الأرض بغير الحق و علا- بعضهم على بعض في العتوّ على الله تعالى حتى سفكوا الدماء فيما بينهم، و أظهروا الفساد و جحدوا ربوبيّة الله.

قال: و أقامت الطائفة المطيعون من الجنّ على رضوان الله و طاعته، و باينوا الطائفتين من الجنّ و النسناس الذين عتوا عن أمر الله تعالى، قال: فحط الله تعالى أجنحة طائفة من الجنّ الذين عتوا عن أمر الله و تمرّدوا و كانوا لا يقدرّون على الطيران إلى السّماء و إلى ملافاة الملائكة لما ارتكبوا من الذّنوب و المعاصي.

قال: و كانت الطائفة المطيعة لأمر الله من الجنّ تطير إلى السماء اللّيل و النّهار على ما كانت عليه، و كان إبليس و اسمه الحارث يظهر للملائكة أنّه من الطائفة المطيعة ثم خلق الله خلقا على خلاف خلق الملائكة، و على خلاف خلق الجنّ، تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٨

و على خلاف خلق النسناس يدبّون كما يدبّ الهوام في الأرض يأكلون و يشربون كما تأكل الأنعام من مراعى الأرض كلّهم ذكران ليس فيهم إناث، لم يجعل الله فيهم شهوة النّساء و لا حبّ الأولاد و لا الحرث و لا طول الأمل و لا لذة عيش و لا يلبسهم اللّيل و لا يغشاهم النّهار ليسوا ببهائم و لا هوام لباسهم ورق الشجر و شربهم من العيون الغزار و الأودية الكبار، ثم أراد الله أن يفرقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر، فكوّن لهم مدينة أنشأها تسمى «جابلقا» طولها اثني عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ، و كوّن عليها سورا من حديد يقطع الأرض إلى السّماء ثم أسكنهم فيها، و أسكن الفرقة الاخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر و كوّن لهم مدينة أنشأها تسمى «جابلقا» طولها اثني عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ و كوّن لهم سورا من حديد يقطع الى السّماء فاسكن الفرقة الاخرى فيها، لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابلقا، و لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابرسا، و لا يعلم بهم أهل أوساط الأرض من الجنّ و النسناس، فكانت الشمس تطلع على أهل اوساط الأرضين من الجنّ و النسناس فينتفعون بحرّها و يستضيئون بنورها، ثم تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها أهل جابلقا إذا غربت، و لا يعلم أهل جابرسا إذا طلعت، لأنّها تطلع من دون جابرسا و تغرب من دون جابلقا.

ف قيل: يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون و يحيون و كيف يأكلون و يشربون و ليس تطلع الشمس عليهم؟ فقال عليه السّلام: إنهم يستضيئون بنور الله فهم في أشدّ ضوء من نور الشمس، و لا يرون أنّ الله تعالى خلق شمسا و لا قمرًا و لا نجومًا و لا كواكب لا يعرفون شيئا غيره، ف قيل: يا أمير المؤمنين فأين إبليس عنهم؟ قال لا يعرفون

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٩

إبليس و لا سمعوا بذكره، لا يعرفون إلّا الله وحده لا شريك له لم يكتسب احد منهم قطّ خطيئة و لم يقترف إثما، لا يسقمون و لا يهرمون و لا يموتون إلى يوم القيامة يعبدون الله لا يفترون، اللّيل و النّهار عندهم سواء، قال عليه السّلام: ثم إن الله تعالى أحبّ أن يخلق خلقا و ذلك بعد ما مضى للجنّ و النسناس سبعة آلاف سنة فلما كان من شأن الله أن يخلق آدم للذي أراد من التدبير و التقدير فيما هو مكوّنه في السماوات و الأرضين كشط «١» عن أطباق السّماوات ثم قال للملائكة: انظروا إلى أهل الأرض من خلقى من الجنّ و النسناس هل ترضون أعمالهم و طاعتهم لى، فلما اطّلعوا و رأوا ما يعملون فيها من المعاصي و سفك الدّماء و الفساد في الأرض بغير الحق أعظموا ذلك و غضبوا لله و أسفوا على أهل الأرض و لم يملكوا غضبهم و قالوا يا ربنا أنت العزيز الجبار القاهر العظيم الشأن، و هؤلاء كلّهم خلقك الضعيف الدليل في أرضك، كلّهم يتقلّبون في قبضتك و يعيشون برزقك، و يتمتّعون بعافيتك و هم يعصونك بمثل هذه الذّنوب العظام لا تغضب و لا تنتقم منهم لنفسك بما تسمع منهم و ترى، و قد عظم ذلك علينا و أكبرناه فيك، قال: فلما سمع الله تعالى مقالة الملائكة قال: إننى جاعلٌ في الأرض خليفَةً فيكون حجّتى على خلقى في أرضى فقالت الملائكة:

سبحانك ربنا أ تجعل فيها من يُفسدُ فيها و يسفكُ الدّماءَ و نحنُ نُسبِحُ بحمديك و نَقْدُسُ لك فقال الله تعالى: يا ملائكتى إننى أعلم

ما لا تَعْلَمُونَ أَنِّي أَخْلَقُ خَلْقًا بِيَدِي وَاجْعَلْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلِينَ وَعِبَادًا صَالِحِينَ وَائْتِمُّهُ مَهْتَدِينَ، وَاجْعَلْهُمْ خَلْفَائِي عَلَى خَلْقِي فِي أَرْضِي يَنْهَوْنَهُمْ عَنِ مَعْصِيَتِي، وَيَنْذِرُونَهُمْ مِنْ

(١) كَشَط: أَيْ كَشَفَ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٠

عَذَابِي، وَيَهْدُونَهُمْ إِلَى طَاعَتِي، وَيَسْلُكُونَ بِهِمْ طَرِيقَ سَبِيلِي، أَجْعَلُهُمْ حِجَّةً لِي عَذْرًا وَنَذْرًا وَأَنْفَى الشَّيَاطِينِ مِنْ أَرْضِي وَاطْهَرُهَا مِنْهُمْ، فَأَسْكَنُهُمْ فِي الْهَوَاءِ وَأَقْطَارِ الْأَرْضِ وَفِي الْفِيَّافِي، فَلَا يَرَاهُمْ خَلْقِي وَلَا يَرُونَ شَخْصَهُمْ، وَلَا يَجَالِسُونَهُمْ وَلَا يَخَالِطُونَهُمْ وَلَا يُوَاكِلُونَهُمْ وَلَا يَشَارِبُونَهُمْ وَانْفَرَّ مَرْدَةُ الْجَنِّ الْعَصَاةَ مِنْ نَسْلِ بَرِيَّتِي وَخَلْقِي وَخَيْرَتِي فَلَا يَجَاوِرُونَ خَلْقِي، وَاجْعَلْ بَيْنَ خَلْقِي وَبَيْنَ الْجَانِ حِجَابًا فَلَا يَرَى نَسْلَ خَلْقِي شَخْصَ الْجَنِّ وَلَا يَجَالِسُونَهُمْ وَلَا يَشَارِبُونَهُمْ وَلَا يَتَهَجَّمُونَ تَهَجُّمَهُمْ، وَمِنْ عَصَانِي مِنْ نَسْلِ خَلْقِي الَّذِي عَظَّمْتَهُ وَاصْطَفَيْتَهُ لِعَبِي أَسْكَنَهُمْ مَسَاكِنَ الْعَصَاةِ وَأُورِدَهُمْ مَوْرِدَهُمْ وَلَا أَبَالِي، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

فَقَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ «١»، قَالَ وَكَانَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ تَقْدِيمَةً لِلْمَلَائِكَةِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ احْتِجَاجًا مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُغَيِّرَ مَا يَقُومُ إِلَّا بَعْدَ الْحُجَّةِ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا فَأَمَرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَاعْتَرَفَ غُرْفَةَ يَمِينِهِ فَصَلَّصَلَهَا فِي كَفِّهِ فَجَمَدَتْ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْكَ أَخْلُقُ «٢». الْخَبْرُ عَلَيَّ مَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَفِي «الْخِصَالِ» وَتَفْسِيرِ «الْعِيَّاشِي» وَغَيْرِهِمَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ:

سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَرْضِ مِنْذُ خَلَقَهَا سَبْعَةَ عَوَالِمَ لَيْسَ مِنْهُمْ مَنْ وَلَدَ آدَمَ خَلَقَهُمْ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ فَأَسْكَنَهُمْ فِيهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ مَعَ عَالَمِهِ، ثُمَّ

(١) الْحَجَر: ٢٨ - ٢٩.

(٢) بَحَارِ الْأَنْوَارِ: ج ٥٧ ص ٣٢٢ - ٣٢٥ ح ٥ عَنْ قِصَصِ الرَّوَانْدِيِّ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧١

خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ وَخَلَقَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْهُ، وَلَا وَاللَّهِ مَا خَلَتِ الْجَنَّةُ مِنْ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْذُ خَلَقَهَا وَلَا خَلَتِ النَّارُ مِنْ أَرْوَاحِ الْكُفَّارِ وَالْعَصَاةِ مِنْذُ خَلَقَهَا عَزَّ وَجَلَّ، لَعَلَّكُمْ تَرَوْنَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَصَيَّرَ اللَّهُ أَبْدَانَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَعَ أَرْوَاحِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَصَيَّرَ أَبْدَانَ أَهْلِ النَّارِ مَعَ أَرْوَاحِهِمْ فِي النَّارِ إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَعْبُدُ فِي بِلَادِهِ وَلَا يَخْلُقُ خَلْقًا يَعْبُدُونَهُ وَيُوحِدُونَهُ؟ بَلَى وَاللَّهِ لِيَخْلُقَنَّ اللَّهُ خَلْقًا مِنْ غَيْرِ فُحُولَةٍ وَأُنَاثَ يَعْبُدُونَهُ وَيُوحِدُونَهُ «١». الْخَبْرُ وَفِي الْعِلَلِ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَاغْتَرَفَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى غُرْفَةً مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ الْفَرَاتِ، فَصَلَّصَلَهَا فَجَمَدَتْ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: مِنْكَ أَخْلُقُ النَّبِيِّينَ وَالرُّسُلِينَ وَعِبَادِي الصَّالِحِينَ وَالْأَنْبِيَاءَ الْمَهْتَدِينَ الدَّعَاءَ إِلَى الْجَنَّةِ وَاتِّبَاعَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أَبَالِي وَلَا أَسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يَسْأَلُونَ، يَعْنِي بِذَلِكَ خَلَقَهُ أَنَّهُ سَيَسْأَلُهُمْ، ثُمَّ اغْتَرَفَ غُرْفَةً مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ الْأَجَاجِ فَصَلَّصَلَهَا فَجَمَدَتْ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: مِنْكَ أَخْلُقُ الْجَبَّارِينَ وَالْفِرَاعِنَةَ وَالْعَتَاةَ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَالدَّعَاءَ إِلَى النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتِّبَاعَهُمْ وَلَا أَبَالِي وَلَا أَسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يَسْأَلُونَ.

قَالَ: وَشَرَطَ فِي ذَلِكَ الْبَدَاءَ وَلَمْ يَشْرَطْ فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ الْبَدَاءَ ثُمَّ خَلَطَ الْمَائِينَ فَصَلَّصَلَهُمَا ثُمَّ أَلْقَاهُمَا قَدَامَ عَرْشِهِ، وَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنْ طِينٍ ثُمَّ أَمَرَ لِمَلَائِكَةَ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ: الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ وَالصَّبَا وَالْجَنُوبِ، أَنْ حَوَّلُوا عَلَيَّ هَذَا السَّلَالَةَ الطِّينِ وَأَبْرَثُوهَا وَأَنْشِئُوهَا ثُمَّ جَزَوْهَا وَفَصَلَّوْهَا وَاجْرُوا فِيهَا الطَّبَائِعَ الْأَرْبَعَةَ الرِّيحِ وَالْمَرَّةَ

(١) الخصال: ج ٢ ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٢

و الدّم و البلغم قال: فجالت الملائكة عليها و هى الشمال و الصباء و الجنوب و الدّبور فأجروا فيها الطباع الاربعة قال و الرّيح فى الطباع الأربعة فى البدن من ناحية الشمال قال و البلغم فى الطباع الأربعة فى البدن من ناحية الصبا قال و المرّة فى الطباع فى البدن من ناحية الدّبور قال و الدّم فى الطباع الاربعة فى البدن من ناحية الجنوب قال فاستقلت النّسمه و كمل البدن قال فلزمه من ناحية الرّيح حبّ الحياء و طول الأمل و الحرص و لزمه من ناحية البلغم حبّ الطعام و الشراب و اللين و الرفق و لزمه من ناحية المرّة الغضب و السفه و الشيطانة و التجبر و التمردّ و الفجلة و لزمه من ناحية الدّم حبّ النّساء و اللذات و ركوب المحارم و الشهوات قال عمرو بن أبى المقدم أخبرنى جابر أن أبا جعفر عليه السّلام قال: وجدناه فى كتاب من كتب علىّ عليه السّلام «١».

أقول و رواه القمى بأدنى تغيير مع اشتماله على زيادة و نقصان «٢» و لعلنا نورده بعبارة ان شاء فى سورة الحجر.

### فى حقيقة الملائكة

ثالثها: فى الإشارة الى حقيقة الملائكة و أصنافها و وجودها فى الجملة من ضرورىّ الدّين عند جميع المسلمين بل كثير من الملتين، فيجب الايمان بها و التصديق بوجودها.

قال الله سبحانه: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ «٣»

(١) علل الشرائع: ص ١٠٤ - ١٠٦ و عمرو بن أبى المقدم هو عمرو بن ثابت بن هرمز، يروى الكثير عن الإمامين الهمامين الباقر و الصادق عليهما السّلام توفى سنة (١٧٢) هـ

(٢) تفسير القمى: ج ١ ص ٣٦.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٣

و قال النّبى صلّى الله عليه و آله حين سئل عن الايمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله «١».

و أما البحث عن أنّها روحانيّة محضة أو جسمانيّة محضة، أو مركّبة من القسمين، و بتقدير كونها جسمانيّة فكثيفة أو لطيفة نورانيّة أو هوائيّة أو على الاختلاف كما ذهب إلى كلّ طائفة، فقد يقال: إنّه ليس بواجب لأنّ مدار الإيمان بهم ليس خصوصيات ذواتهم فى أنفسهم، بل هو اضافتهم إليه تعالى من حيث أنّهم عباد مكرمون من شأنهم التوسط بينه تعالى و بين الرّسل بانزال الكتب و إلقاء الوحي.

و فيه نظر إذ قد علم من الأخبار المتواترة كونها قادرة على التّجسد و التشكل بالأشكال المختلفة و لذا كان جبرئيل قد يرى بصورة دحية الكلبي «٢»، بحيث ربما كان يراه بعض النّاس أو كلّ من كان حاضرا عند النّبى صلّى الله عليه و آله و قال الله سبحانه: وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَشَرُ عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ «٣».

و هذا كلّه ينافى كونها روحانيّة محضة من قبيل العقول و النفوس، و لذا ادّعى شيخنا المجلسى طاب ثراه إجماع الاماميّة بل جميع المسلمين على وجودها و أنّهم أجسام لطيفة نورانيّة أولى أجنحة مثنى و ثلاث و رباع و أكثر، قادرون على التشكل بالأشكال المختلفة، و أنّه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما شاء من الأشكال و الصّور

(١) تاريخ ابن خلدون: ج ١ ص ٤٦٢، سبل الهدى و الرشاد: ج ١١ ص ٤٨٦.

(٢) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي الصحابي نزل المزة و مات فى خلافة معاوية.

التقريب: ج ١ ص ٢٨٤.

(٣) الانعام: ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٤

على حسب الحكم و المصالح، و لهم حركات صعودا و هبوطا و كان يراهم الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام.

قال: و القول بتجردهم و تأويلهم بالعقول و النفوس الفلكية و القوى و الطبائع، و تأويل الآيات المتظاهرة و الأخبار المتواترة، تعويلا

على شبهات واهية و استبعادات وهمية زيغ عن سبيل الهدى و اتباع لأهل الغواية و العمى.

أقول و يمكن أن يقال: إن روحانيتهم لا تنافى تجسدهم متى شاءوا باذن الله سبحانه، إلا أن الظاهر من الأخبار كونهم أجساما متحيزة

مثل ما ورد عن الصادق عليه السلام من أنه ليس فى السماء موضع قدم إلا و فيها ملك يسبحه و يقده، و لا فى الأرض شجر و لا

مدر إلا و فيها ملك موكل بها يأتى الله كل يوم بعملها و الله أعلم بها، و ما منهم أحد إلا و يتقرب كل يوم إلى الله تعالى بولايتنا أهل

البيت و يستغفر لمحبتنا و يلعن أعدائنا «١».

و فى «التوحيد» و «الخصال» أنه سئل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن قدرة الله جلّت عظمتة فقام خطيبا فحمد الله و اثنى عليه ثم

قال: إن لله تبارك و تعالى ملائكة لو أن ملكا منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه و كثرة أجنحته و منهم من لو كلفت الجن

و الانس أن يصفوه ما وصفوه لبعد ما بين مفاصله و حسن تركيب صورته و كيف يوصف من ملائكته من سبعمائة عام ما بين منكيه

و شحمة أذنيه، و منهم من يسد الأفق بجناح من أجنحته دون عظم يديه، و منهم من السماوات إلى

(١) بصائر الدرجات: ص ٨٩ بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٢١٠ ح ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٥

حجزته و منهم من قدمه على غير قرار فى جوّ الهواء الأسفل و الأرضون إلى ركبته و منهم من لو ألقى فى نقرة إبهامه جميع المياه

لوسعتها، و منهم من لو ألقى فى دموع عينيه لجرت دهر الدهرين، فبارك الله فبارك الله أحسن الخالقين «١».

و فى الخطبة الشريفة العلوية المذكورة فى التهج: ثم خلق سبحانه لإسكان سماواته و عمارة الصفيح الأعلى من ملكوته خلقا بديعا من

ملائكته، و ملأ بهم فروج فجاجها، و حشا بهم فتوق أجوائها، و بين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم فى حظائر القدس، و

سترات الحجب، و سرادقات المجد، و وراء ذلك الرّجيج الذى تستك منه الأسماع سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها، فتقف

خاسته على حدودها، أنشأهم على صور مختلفات، و أقدار متفاوتات ... إلى قوله عليه السلام: و منهم من هو فى خلق الغمام الدّلع، و

فى عظم الجبال الشّمخ، و فى فترة الظلام الأبهم، و منهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى، فهى كرايات بيض، قد نفذت

فى مخارق الهواء، و تحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية .. إلى أن قال: و ليس فى أطباق السماوات

موضع أصاب إلا و عليه ملك ساجد أو ساع حافد «٢».

و فى التوحيد عن النبي صلى الله عليه و آله: إن فى السماوات السبع لبحارا عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام، فيها ملائكة قيام منذ

خلقهم الله عزّ و جلّ و الماء إلى ركبهم، ليس منهم ملك إلا و له ألف و أربعمائة جناح، فى كل جناح أربعة وجوه فى كل وجه

(١) الخصال: ص ٣٦ و التوحيد ص ٢٠١ و عنهما البحار ج ٥٩ ص ١٧٨.

(٢) نهج البلاغة شرح ابن أبى الحديد: ج ٦ ص ٤٢٣ خ ٩٠ المعروفة بخطبة الأشباح.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٦

أربعة ألسن ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلا وهو يسبح الله تعالى تسبيح لا يشبهه نوع منه صاحبه «١».

وفي الخرائج وغيره عن أبي جعفر عليه السلام قال: نحن الذين تختلف الملائكة إلينا فمنا من يسمع الصوت ولا يرى الصورة، وإن الملائكة لتراحمنا على تكأنتنا وإنا لناخذ من زغبهم فنجعله سخبا لأولادنا «٢».

وروى القمي عن الصادق عليه السلام قال: خلق الله الملائكة مختلفة ومختلفة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل وله ستمائة جناح على ساقه الدر مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السماء والأرض «٣».

وقال عليه السلام: إذا أمر الله تعالى ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا صارت رجله اليمنى في السماء السابعة والأخرى في الأرض السابعة، وأن لله تعالى ملائكة أنصافهم من برد وأنصافهم من نار، يقولون: يا مؤلفا بين البرد والنار ثبت قلوبنا على طاعتك، وإن الله تعالى ملكا بعد ما بين شحمة أذنه إلى عينيه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير «٤».

وقصة دردايل وصورته كغيره من الملائكة مشهورة «٥».

وفي النبوي المشتهر أطل السماء حق لها أن تنط ما فيها موضع قدم إلا وفيه

(١) البحار: ج ٥٨ ص ١٨٢.

(٢) البحار: ج ٥٩ ص ١٨٥.

(٣) البحار: ج ٤ ص ٤٣.

(٤) البحار: ج ٥٩ ص ١٧٤.

(٥) البحار: ج ٥٩ ص ١٩٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٧

ملك ساجدا أو راکع «١».

إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التي يمكن تحصيل القطع منها بأنها أجسام نورانية وإن كانت غير مرئية إلا بأسباب خاصة وإن لها أمكنة وأحيازا وأعضاء وجوارح وقوة ونشاط وقوتا من التسبيح والتهليل وحركة وسكونا واجتماعا وافتراقا وقياما وقعودا وركوعا وسجودا وأصواتا وكلاما وعظما وأقدارا وغير ذلك من أحكام الأجسام وخواصها.

وحمل ذلك كله على الاستعارة والتشبيه وأنه لو تجسم بمقدار قوته لكان كذا وكذا خروج عن الظواهر المتظاهرة التي هي الحجة من غير حجة، والمؤمن الموحّد لا يتجاسر على أدنى من ذلك، فكيف بما هنالك، ولو سأل في الشريعة فتح باب أمثال هذه التأويلات والاحتمالات المشتملة على ما لا يخفى من التكلف والتحمل لما اخضرّ للدين عود، وما قام للإسلام عمود، لكنهم قد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ولذا تراهم يتلاعبون بأحكام الشريعة ويستخفون باهلها، ويتصرفون بعقولهم القاصرة وفطرتهم المغيرة وأحلامهم الناقصة في أحكامها الظاهرة بلا برهان ولا دليل، فأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل.

وبالجملة يجب التصديق والإذعان بما صح عنهم فيما لا تصل إليه عقولنا، وقد سمعت أن الظاهر من الكتاب والسنة كونهم أجساما لطيفة نورانية كما عليه أكثر المسلمين، نعم لا نأبي من القول بأن يكون هناك أصناف آخر من الملائكة غير جسمانية، ولا متعلقة بالأجسام، بل يكون فوق عالم الأجسام كملائكة العالين

(١) البحار: ج ٥٩ ص ١٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٨



و الكروبيين، و الروح الذى هو من أمره سبحانه دون الذى على ملائكة الحجب.

### الملائكة عند الفلاسفة

بقى الكلام فى سائر الأقوال التى ذكروها فى حقيقتها و هى عديدة منها: ما يحكى عن الفلاسفة و هى أنها جوهره قائمة بنفسها ليست بمتحيزة البتة، و أنها بالمهيئة مخالفة لأنواع النفوس الناطقة البشرية، و أنها أكمل قوة منها و أكثر علما و أنها للنفوس البشرية جارية مجرى الشمس بالنسبة إلى الأضواء، ثم أن هذه الجواهر على قسمين: منها ما هى بالنسبة إلى اجرام الأفلاك و الكواكب كالنفوس الناطقة بالنسبة إلى أبداننا، و منها ما هى أعلا شأننا من تدبير أجرام الأفلاك بل هى مستغرقة فى معرفة الله مشغلة بطاعته و هذا القسم هم الملائكة المقربون، و نسبتهم إلى الملائكة الذين يدبرون السماوات كنسبة أولئك المدبرين إلى نفوسنا الناطقة فهذان القسمان قد اتفق الفلاسفة على إثباتها، و منهم من أثبت نوعا آخر من الملائكة و هى الملائكة الأراضية المدبرة لأحوال هذا العالم السفلى، ثم أن مدبرات هذا العالم و إن كان خيرة فهم الملائكة، و إن كانت شريرة فهم الشياطين، و هذا القول ربما مال إليه بعض الإسلاميين كالسيد الداماد و الصدر الأجل الشيرازى و غيرهما.

قال السيد: إن القول بتجسم الملائكة إنما هو ممشى الخارجين عن دائرة التحصيل، و أما ما هو صريح الحق و عليه الحكماء الإلهيون و المحصّلون من أهل الإسلام فهو أن الملائكة على قبائل: سفلية و علوية أرضية و سماوية، جسمانية و قدساتية، و فى القبائل شعور و طبقات كالقوى المنطقية و الطبائع الجوهرية و أرباب

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٩

الأنواع و النفوس المفارقة السماوية، و الجواهر العقلية القادسة بطبقات أنواعها و أنوارها، و منها روح القدس النازل بالوحي النافث فى أرواح أولى القوة القدسية باذن الله سبحانه.

و قال الصّيدر الأجل بعد الإشارة إلى دعاء الصحيفة المشتمل على اصناف الملائكة و قبائلها: إن قوله «اللهم و حملة عرشك» إشارة إلى الملائكة المقربين و الجواهر المقدسين الواقعين فى سلسلة العقول المفارقة، و قوله: «و الروح الذى هو على ملائكة الحجب و الروح الذى هو من أمرك» إشارة إلى الأرواح المهيمنة الذين يستغرقون فى شهود جمال الأزلية و ليس لهم رسالة من الله إلى خلقه، و لذا سماهم بالروح و لم يطلق عليهم اسم الملك لأنه مشتق من الألوكة بمعنى الرسالة و كل روح مفارق لا رسالة له فهو ليس بملك و إنما هو روح فقط، و قوله: «على الملائكة الذين من دونهم» إشارة إلى الملائكة الموكلين بالاجرام السماوية و النفوس المدبرة للجواهر الفلكية و الكوكبية، قوله: «و على الروحانيين من ملائكتك» إشارة إلى الملائكة العقلية الواسطة فى سلسلة اسباب الوجود بينه و بين ملائكة السماء و لهذا قال فى الدعاء: «و أسكنتهم بطون أطباق سمواتك» فإن بطون أطباق السماوات هى نفوسها المحركة لها إذ لكل نفس فلكى جوهر عقلى مفارق مسكنه قلب ذلك الفلك و نفسه الناطقة كما أن قلب المؤمن بيت الله اى نفسه الناطقة مكان معرفة الله سبحانه و قوله: «و خزّان المطر» آه إشارة إلى ملائكة الأرضين و هم مبادئ الصور النوعية للأنواع الطبيعية العنصرية، فكل ملك من جنس ما يدبره و يحركه باذن الله تعالى و أمره: فملك الرياح من باب الرياح، و ملك الأمطار من باب الأمطار، و ملك

الجبال

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٠

من باب الجبال، و كذا ملك النار من باب النار، و ملك الماء و ملك الأرض كل هؤلاء من نوع ضمّه و مسمّى باسمه فملك الأرض أرض لعالم الغيب و الملكوت و ملك الماء ماؤه و ملك الهواء هوائه و ملك النار ناره بل ما من موجود فى هذا العالم إلّا و له صورة طبيعية محرّكة و نفس تدرّكه و عقل يسخره و اسم إلا هى يبدعه و إذا ترقيت بذهنك إلى عالم الملكوت الأعلى شاهدت الماء هناك و هو حياة كل شىء و الهواء عشق كل ذى روح و شوقه و النار قدر كل حى و قهره و الأرض قوة تمسكه لكل جوهر و مديله

انتهى.

و أنت ترى أن هذا كله رجم بالغيب و ما كلفنا بالتصديق بأمثال هذه التخريجات الظنّية و الاعتبارات الوهميّة إن هم إلّا يظنون و إن هم إلّا يخرصون.

### الملائكة عند النصارى و المجوس

و منها ما يحكى عن النصارى و هو أنّ الملائكة فى الحقيقة هى الأنفس الناطقة بذاتها المفارقة لأبدانها على نعت الصفاء و الخيريّة، و ذلك لأنّ هذه النفوس المفارقة إن كانت صافية خالصة فهى الملائكة، و إن كانت خبيثة كدره فهى الشياطين.

و منها: قول معظم المجوس و الثنوية و هو أنّ هذا العالم مركّب من أصلين أزليين، و هما النور و الظلمة، و هما فى الحقيقة جوهران شفافان حسّاسان مختاران قادران، متضادّا النفس و الصورة، مختلفا الفعل و التدبير، فجوهر النور فاضل خير، تقى طيب الرّيح كريم النفس، يسرّ و لا يضر، و ينفع و لا يمنع، و يحيى و لا يبلى،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨١

و جوهر الظلمة على ضدّ ذلك، ثمّ إنّ جوهر النور لم يزل يولّد الأولياء و هم الملائكة لا-على سبيل التناكح، بل على سبيل تولّد الحكمة من الحكيم، و الضوء من المضىء و جوهر الظلمة لم يزل يولّد الأعداء و هم الشياطين على سبيل تولّد السّفه من السّفه.

### الملائكة عند أرباب الهياكل

و منها: أرباب الهياكل و عبدة الأصنام، فإنهم قالوا: إنّ الملائكة فى الحقيقة هى هذه الكواكب المتصرّفة فى هذا العالم بصورها و أشكالها و تشكّلاتها و أرواحها المحرّكة لها المدبرة للعالم السفلى، لا على وجه القصد و الالتفات، فإنّ العالى لا يلتفت إلى السافل، بل على وجه الإشراق و التجلّى، و لذا زعموا أنّ لها أرواحا عالية قاهرة قويّة، و هى مختلفة بجواهرها و مهياتها، و كما أنّ لكلّ روح من الأرواح البشريّة بدنا معينا، فكذلك لكلّ روح من الأرواح الفلكيّة بدن و هو ذلك الفلك، و له قلب و هو الكواكب المركوز فيه، فتتعلّق الروح الفلكيّة أولا بقلبه، ثمّ ينبعث من جرم الكوكب خطوط شعاعية تتصلّ بها قوّة ذلك الكوكب و نوره إلى أجزاء العالم، و كما أنّ بواسطة الأرواح الفائضة من القلب و الدماغ إلى أجزاء البدن يحصل فى كلّ جزء منها قوى مختلفة كالقوى الحيوانيّة من السامعة و الباصرة و الشمّ و الذائقة و اللامسة، و كالقوى الطبيعيّة، كالجاذبيّة و الدافعة و الغازية و غيرها، فتكون هذه القوى كالتتائج و الأولاد لجوهر النفس المدبّرة لكليّة البدن، فكذلك بواسطة الخطوط الشعاعية المنبثّة من الكوكب الواصلة إلى أجزاء هذا العالم يحصل فى تلك الأجزاء

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٢

على حسب التأثيرات الجزئية و خصوصيات القوابل و الفواعل نفوس جزئية مخصوصة مثلا نفس زيد و نفس عمرو و نحوهما، و هذه النفوس كالتتائج و الأولاد لتلك النفوس الفلكيّة، و لما اختلفت النفوس الفلكيّة اختلافا نوعيا من حيث جواهرها و مهياتها فكذلك النفوس المتولّدة من نفس فلك زحل مثلا صنف من النّاس متجانسة متشاكلّة فى افرادها و جزئياتها، إلّا أنّها متخالفة اختلافا ضيقا للنفوس المنتسبة إلى روح المشتري مثلا ثمّ نسبوا إلى كلّ من الكواكب شيئا من أصناف النّاس و سائر الحيوانات و الأقاليم و الأزمنة و الساعات و الأيام و الليالى و الألوان و الطعوم و الأثمار و النباتات و الزوائج و غير ذلك ممّا ملئت منه كتب الأحكاميين.

ثمّ أنّهم قالوا إنّ تلك الأرواح الفلكيّة كالأب المشفق و السيلطان المربّى لمواليدها و منسوباتها، و لذا سمّوها بالآباء العلويّة فتعين أولادها على صلاحها و نجاحها، و لذا سوّلت لهم نفوسهم أن بنوا لكلّ منها بصورها المتوهمة لها هياكل و اشكالا و صوراً عظموها و

استشفعوا بها و تقربوا إليها بالسجود إليها وغيره من أنواع التّعظيم و التّكريم، حتّى آل أمرهم إلى عبادتها، و هذا الأصل الّذى سمعت هو الّذى بناه عليه علم أحكام التّجوم، فسحقا لهم بما سوّلت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون.

### قول المشركين فى الملائكة

و منها: ما تقوله بعض المشركين ككفّار قريش و أحزابهم، حيث قالوا: إنّ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٣

الملائكة بنات الله، و جعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرحمن إنثاء، و جعلوا له من عباده جزء فرد الله عليهم فى محكم كتابه، إلى غير ذلك من الأقوال التى لا جدوى للتعرض لها و لا لإبطالها بعد قيام ضرورة الدّين و اجماع المسلمين على ما سمعت الدّال على وجودهم أيضا فى الجملة، و لذا كنّا فى غنى عن التكلّف لإثباتها بما تجسّمه بعض النّاس من الأدلّة الاقناعيّة التى استدلّ بها الرازى و غيره من أنّه يبعد فى العقل أن يحصل الحياة و العقل و النّطق فى هذا العالم الكدر الظّلمانى و لا يحصل فى ذلك العالم الّذى هو عالم الأضواء و الأنوار و أنّه أشرف أنواع الحى فهو أولى بالوجود من الأوسط الّذى هو الحيوان النّاطق و الأحسن الّذى هى البهائم و نسي أصحاب المشاهدات و المكاشفات و المجاهدات شاهدوها فى مشاهدتهم النّورانية و أصحاب الحاجات و الضرورات أثبتوها من عجائب آثارها فى الهداية إلى المعالجات التّبادرة الغريبة و الاختراعات البديعة العجيبة و تركيبات المعجونات و استخراج صفة الترياقات و غيرها من الآثار و الأسرار، لكنّها كما ترى قاصرة عن افادة المطلوب، و أنّما المعتمد ما سمعت، و أمّا مواد وجوداتهم و كينوناتهم فالأصل فيها هو الرحمة الكليّة و الكلمة الالهية و المراد بها نور نبينا محمّد و آله الطاهرين صلّى الله عليهم، و لذا ورد فى الاخبار الكثيرة التى مرّت إلى جملة منها الإشارة إلى أنّ الملائكة و الأنبياء خلقوا جميعا من أشعة أنوارهم و من فاضل طينتهم، و إنّ الملائكة العالين الّذين هم أفضل أصناف الملائكة قوم من شيعتهم من الخلق الأوّل، بل ورد أنّ سبب قربهم سبقهم و مبادرتهم إلى الإقرار بالولاية.

و قال الصادق عليه السّلام: إنّ الله سبحانه و تعالى عرض ولايتنا على الملائكة فمن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٤

بادر إليها و عقد قلبه عليها صار من المقرّبين.

و فى «مصباح الأنوار» عن النّبى عليه السّلام أنّ العرش خلق من نور النّبى عليه السّلام و أنّ الملائكة خلقوا من نور علىّ عليه السّلام. و عن أبى جعفر عليه السّلام أنّه خلق الله الملائكة و أسكنهم السّماء ثم ترائى لهم الله تعالى ثم أخذ عليهم الميثاق له بالزبويّة و لمحمّد بالنبوة و لعلىّ بالولاية فاضطربت فرائض الملائكة فسخط الله عليهم و احتجب عنهم فلاذوا بالعرش سبع سنين يستجرون الله من سخطه و يقرون بما أخذ عليهم و يسألونه الرضا فرضى عنهم بعد ما أقرّوا بذلك و أسكنهم بذلك الإقرار السّماء و اختصهم لنفسه و اختارهم لعبادته، ثم أمر الله تعالى أنوارنا أن تسبح فسبحت فسبحوا بتسبيحنا، و لو لا تسبيح أنوارنا ما دروا كيف يسبحون الله و لا كيف يقّدسونه، الخبر.

ثم أنّ هاهنا موادّا آخر لوجودهم و لذا ورد فى كثير من الأعمال الحسنّة و الطّاعات المقبولة أنّ الله تعالى يخلق منها الملائكة فيسبحون لصاحبها.

ففى خبر وضوء مولانا أمير المؤمنين أنّه قال لمحمّد بن حنفيّة يا محمّد من توضع مثل وضوئى و قال مثل قولى خلق الله له من كلّ قطرة ماء ملكا يقّدسه و يسبحه و يكبره فيكتب الله له ثواب ذلك إلى يوم القيامة «١».

و فى تفسير الامام عليه السّلام أنّ من قال فى آخر وضوئه أو غسله من الجنابة سبحانك اللهم و بحمدك ... الدّعاء تحاتت عنه ذنوبه كما تحاتت أوراق الشجر و خلق الله بعدد كلّ قطرة من قطرات وضوئه او غسله ملكا يسبح الله و يقّدسه و يهلّله

(١) المحاسن: ص ٤٥- عن البحار ج ٨٠ ص ٣١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٥

و يكبره و يصلّي على محمد و آله الطيبين و ثواب ذلك لهذا المتوضى (١).

بل قد روى عن النبي صلى الله عليه و آله على ما رواه في «الأنوار» عن ابن عباس أنه لما أسرى به الى السماء انتهى به جبرئيل الى نهر يقال له النور و هو قول الله عزّ و جلّ و خلق الظلمات و النور فلما انتهى به الى ذلك النهر فقال له جبرئيل اعبر يا محمد على بركة الله فقد نور الله لك بصرك و مدّ لك ملكك فانّ هذا نهر لم يعبره أحد لا ملك مقرّب و لا نبي مرسل غير أنّ لي في كلّ يوم اغتامة فيه ثم اخرج منه فانفض أجنحتي فليس من قطرة تقطر من أجنحتي إلّا خلق الله تبارك و تعالى منها ملكا مقرّبا له عشرون ألف وجه و أربعون ألف لسان في كلّ لسان يلفظ بلغه لا يفهمها اللسان الاخر فعبر رسول الله عليه السّلام حتّى انتهى الى الحجب و الحجب خمسمائة حجاب من حجاب إلى حجاب مسيرة خمسمائة عام (٢)، الخبر بطوله.

و فيه عن النبي صلى الله عليه و آله أنّ في السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخل فيه جبرئيل كلّ يوم طلعت فيه الشمس فإذا خرج انتفض انتفاضه جرف عنه سبعون ألف قطرة فيخلق الله من كلّ قطرة ملكا فيؤمنون أنّ يأتوا البيت المعمور فيصلّون فيه ثم لا يعودون فيه أبدا (٣).

و لا يخفى أنّ الملائكة المخلوقة من أفعال العباد و غيرها من المواد أيضا مخلوقة من أشعة أنوار محمد صلى الله عليه و آله الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين و لو بواسطة أو وسائط بحسب القرب من المبدء و البعد عنه، و أمّا استقصاء الكلام في ذكر

(١) تفسير الإمام، ص ٢٣٩ و عنه البحار ج ٨٠ ص ٣١٦.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٢١٣- و عنه البحار ج ١٨ ص ٣٣٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٥ ص ٥٥ عن تفسير الطبرسي ج ٩ ص ١٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٦

أصناف الملائكة و مراتبهم و أوصافهم و شؤونهم و عصمتهم و غير ذلك من أحوالهم فسيأتي كلّ في موضعه من الآيات المتعلقة بها.

بقي الكلام في أنّ المراد بالملائكة في الآية هل هو الكل نظرا إلى دلالة الجمع المحلي على العموم الاستغراقى فيشمل جميع الأفراد أو البعض المطلق لكون اللام اشارة إلى الماهية الجنسية الصادقة على الكلّ و البعض، و المراد أنّه خاطب هذا الجنس من أجناس العالم، أو خصوص من حارب منهم بنى الجان و أسروا إبليس، فيكون اللام للعهد بأحد الوجهين و أنّ لم يجر له ذكر في خصوص ظواهر الآيات و جوه بل أقوال.

و قد مرّ في العلوى المروى عن القصص أنّه سبحانه كشط عن أطباق السماوات ثمّ قال للملائكة أنظروا إلى أهل الأرض من خلقى من الجنّ و التسناس هل ترضون أعمالهم و طاعتهم لى فلما اطلعوا و رأوا ما يعملون فيها من المعاصى و سفك الدماء و الفساد فى الأرض بغير الحقّ أعظموا ذلك و غضبوا لله (١) إلى آخر ما مرّ الظاهر فى كون الخطاب متوجّها إلى الجميع و العمدة عموم الكتاب الذى لم يظهر له مخصّص مضافا إلى ما ستمسّع من كون المأمور بالسجود هو الجميع.

و لا- يقدر فيه ما ورد عن أنّ أهل المدينتين اللتين بالمشرق و المغرب لم يطلعوا على خلق آدم (٢) لاستغراقهم فى عبادته سبحانه و لعدم كونهم من الملائكة.

و كذا لا ينافيه ما روى عن النبي صلى الله عليه و آله قال: مررنا ليلة المعراج بملائكة من

(١) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٢٤ عن قصص الراوندى.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٢٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٧

ملائكة الله عز وجل خلقهم الله تعالى كيف شاء، ووضع وجوههم كيف شاء، وليس شىء من أطباق وجوههم إلا وهو يسبح الله ويحمده من كل ناحية بأصوات مختلفة، أصواتهم مرتفعة بالتسبيح والبكاء من خشية الله تعالى، فسألت جبرائيل عنهم فقال: كما ترى خلقوا أن الملائكة منهم إلى جنب صاحبه ما كلمه قط، ولا رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقهم، ولا خفضوا رؤوسهم إلى ما تحتهم، خوفا من الله تعالى وخشوعا، فسلمت عليهم فردوا على إيماء برءوسهم ولا ينظرون إلى من الخشوع، فقال لهم جبرائيل عليه السلام: هذا محمد نبي الرحمة أرسله الله إلى العباد رسولا ونبيًا وهو خاتم الأنبياء وسيدهم أفلا تكلمونه، قال: فلما سمعوا ذلك من جبرائيل أقبلوا على السلام وبشروني وأكرموني بالخير لى ولأمتى «١».

وأما ما رواه العامية عن ابن عباس من أنه سبحانه إنما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربيين مع إبليس لأن الله تعالى لما أسكن الجن الأرض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا فبعث الله إبليس في جند من الملائكة فقتلهم إبليس بعسكره حتى أخرجهم من الأرض والحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم إني جاعل فى الأرض خليفة «٢». فففيه أنك ستسمع فيما يأتى أن إبليس لم يكن من الملائكة، وأنه لم يقاتل الجن بل قاتل بالملائكة فقتل حزبه وأسروا نفسه، وأما كون المخاطبين خصوص المحاربيين فهو غير واضح أيضا، سيما بعد ما سمعت من الكشط عن أطباق

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٣٢٤.

(٢) تفسير الفخر الرازى: ج ٢ ص ١٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٨

السموات «١» الظاهر فى إرادة الجميع.

نعم فى تفسير الامام عليه السلام أنه قال ذلك للملائكة الذين كانوا فى الأرض مع إبليس وقد طردوا عنها الجن بنى الجان «٢» الخبر على ما يأتى، وفى بعض الاخبار الآتية ما يدل عليه أيضا، لكنّها لا تقاوم الأخبار الدالة على العموم المؤيدة بظاهر الكتاب و بوقوع الاستدلال فى كثير من الأخبار على فضل البشر على الملائكة بسجودهم لآدم.

بل فى العيون عن النبي صلى الله عليه وآله إن الله فضل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلنى على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدى لك يا على وللأئمة من بعدك إلى أن قال صلى الله عليه وآله: ثم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيما لنا وإكراما، وكان سجودهم لله عز وجل عبودية و لآدم إكراما وطاعة، لكوننا فى صلبه فكيف لا تكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون «٣».

وهو كما ترى صريح فى العموم مع زيادة التأكيد لكن لا دلالة فيه على كون المقول لهم أو القائلين هم جميع المأمورين بالسجود بل فى «العلل» عن الصادق عليه السلام فيما يأتى فى حجج الحشوية أنه تعالى لما أراد خلق آدم قال للملائكة: إني جاعل فى الأرض خليفة فقال ملكان من الملائكة أ تجعل فيها من يفسد فيها

(١) البحار: ج ٥٧ ص ٣٢٤.

(٢) البحار: ج ١١ ص ١٢٧ عن تفسير الإمام عليه السلام

(٣) عيون الاخبار: ص ١٤٥ و عنه البحار ج ١١ ص ١٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٩

و يسفك الدماء فوق الحجب بينهما و بين الله عزّ و جلّ الخبر «١» على ما يأتي.

رابعها: في الإشارة إلى معاني الخلافة التي تختلف باختلاف مراتب الاستخلاف و هي عديدة منها: مجرّد إذهاب قوم بالإهلاك أو الإجماع أو غيرهما و اقامه غيرهم مقامهم في مساكنهم و أماكنهم و مكاناتهم كما في قوله: «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ» (٢) «عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» (٣) و الخلافة بهذا المعنى تطلق مع القيام بمقتضاها من الايمان و العبودية و عدمه، و لذا أطلق على الكافر في قوله: «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» (٤) و قوله: «وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ» (٥) «وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ» (٦) إلى غير ذلك من الإطلاقات الكثيرة الواردة في القرآن و غيره و في الدعاء: «و يهلكك ملوكا و يستخلف آخريين»، و بمثل هذه الإطلاقات أطلقت على الخلفاء الثلاثة و خلفاء بني أمية و بني العباس و غيرهم من المنافقين المتخلفين، و عليه يحمل ما وضعوه و افتروه على النبي صلى الله عليه و آله من أنه قال:

الخلافة بعدى ثلاثون سنة، و الّا فهم يزعمون أنه صلى الله عليه و آله لم يستخلف أحدا بعد وفاته،

(١) علل الشرائع: ص ١٤٠ و عنه البحار ج ١١ ص ١٠٩ ح ٢٣.

(٢) الانعام: ١٣٣.

(٣) الأعراف: ١٢٩.

(٤) الانعام: ١٦٥.

(٥) الأعراف: ٦٩.

(٦) الأعراف: ٧٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٠

و لذا اعترض عليهم المأمون لعنه الله في مجلس عقده للمناظرة معهم بمحضر الرضا عليه السلام فقال لهم و هم زهاء أربعين رجلا من علمائهم من أصحاب الحديث و أهل الكلام: أليس قد روت الأئمة بإجماع منها أنّ النبي صلى الله عليه و آله قال: من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار «١» قالوا: بلى قال و روي عنه عليه السلام أنّه قال من عصى الله بمعصية صغرت أو كبرت ثم اتّخذها دينا و مضى مصرا عليها فهو مخلد بين أطباق الجحيم، قالوا: بلى: فخبروني عن رجل تخاره الأئمة فتنبه خليفه هل يجوز أن يقال له خليفه رسول الله عليه السلام و من قبل الله عزّ و جلّ و لم يستخلفه الرسول؟ فإن قلت نعم كابرتم، و إن قلت لا و جب انّ أبا بكر لم يكن خليفه رسول الله صلى الله عليه و آله و لا كان من قبل الله عزّ و جلّ و انكم تكذبون على نبيّ الله، و انكم متعرضون لأن تكونوا ممن وسمه النبي صلى الله عليه و آله بدخول النار، و خبروني في أيّ قوليك صدقتم أفي قولكم مضى عليه السلام و لم يستخلف أو في قولكم في أبي بكر يا خليفه رسول الله، فإن صدقتم في قولين فهذا ممّا لا يمكن كونه إذ كانا متناقضين، و إن صدقتم في أحدهما بطل الآخر.

إلى أن قال: خبروني عن النبي عليهما السلام هل استخلف حين مضى أم لا؟ فقالوا:

لم يستخلف، قال: فتركه ذلك هدى أم ضلال؟ فقالوا هدى، قال: فعلى الناس أن يتبعوا الهدى و يتنكبوا الضلال، قالوا: قد فعلوا ذلك، قال و لم استخلف الناس بعده و قد تركه هو و ترك فعله ضلال و محال أن يكون خلاف الهدى، و إذا كان ترك الاستخلاف هدى فلم استخلف ابو بكر و لم يفعل النبي صلى الله عليه و آله و لمّا جعل عمر الأمر بعده شوري بين المسلمين خلافا على صاحبه؟

وزعمتم أن النبي صلى الله عليه وآله لم يستخلف

(١) هذا الحديث مروى عن الفريقين في كتبهم منها: كنز العمال ج ٣ ص ٣٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩١

وإن أبا بكر استخلف وعمر لم يترك الاستخلاف كما تركه النبي صلى الله عليه وآله بزعمكم ولم يستخلف كما فعل أبو بكر وجاء بمعنى ثالث فخبروني أي ذلك ترونه صواباً؟ فإن رأيتم فعل النبي صلى الله عليه وآله صواباً فقد خطأتم أبا بكر، وكذلك القول في بقيّة الأقبول، وخبروني أيهما أفضل ما فعله النبي بزعمكم من ترك الاستخلاف أو ما صنعت طائفة من الاستخلاف؟ وخبروني هل يجوز أن يكون تركه من النبي صلى الله عليه وآله هدى وفعله من غيره هدى فيكون هدى ضد هدى فأين الضلال حينئذ؟ وخبروني هل ولي أحد بعد النبي صلى الله عليه وآله باختيار الصحابة منذ قبض النبي صلى الله عليه وآله إلى اليوم فإن قلت لا فقد أوجبتم أن الناس كلهم على ضلالة بعد النبي وإن قلت نعم كذبتهم الأمة وأبطل قولكم الوجود الذي لا يدفع إلى آخر ما ذكره على ما رواه في العيون (١).

ثم أن الخلافة بهذا المعنى ثابتة لنوع البشر لأن كل قرن منهم خلف أو خلف لسلف، ولآدم وذريته أيضاً لأن الله تعالى قد استخلفهم في الأرض بعد إهلاك النّسّان وبنى الجان وغيرهم على ما مضى ويأتى، وهذا المعنى هو الظاهر من بعض اخبار الباب. ومنها: الولاية من الله تعالى بلا واسطة أو معها في تبليغ الاحكام ونشر الشرائع والقضاء بين الناس بشرط كون الولاية خاصة ناصّة من الله سبحانه ولو بلسان الرسول صلى الله عليه وآله مع اقترانها بالعلم والفضيلة والعصمة فيكون الولي بهذا المعنى حجة على غيره ممن استخلف عليه، وهذا المعنى هو الظاهر من الآية على ما يستفاد من بعض الأخبار كالخبر المروى في «الكافي» و«العلل» و«تفسير القمى» وغيرها وفيه: أنه قال جلّ جلاله: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً تَكُونُ حِجَّةً لِي

(١) العيون للصدوق: ج ٢ ص ١٩٧-١٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٢

في أرضى على خلقى ولذا قالت الملائكة أ تجعل فيها من يفسد فيها كما أفسد هؤلاء المردة من الجنّ والنّسّان الذين كانوا في الأرض و يفسدك الدماء كما فعل هؤلاء و يتحاسدون و يتباغضون فاجعل ذلك الخليفة مَنّا فأنّا لا نتحاسد و لا نتباغض و لا نسدك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدّس لك قال تبارك و تعالى إِنِّي أعلم ما لا تعلمون إِنِّي أريد أن أخلق خلقاً بيدي و اجعل في ذريته الأنبياء والمرسلين و عباد الله الصّالحين و أئمّة مهديين و اجعلهم خلفاء على خلقى في أرضى يهدونهم إلى طاعتي و ينهونهم عن معصيتي و اجعلهم حجة لى عليهم عذرا و نذرا الخبر (١) على ما يأتى إن شاء الله، حيث أن الظاهر منه ارادة الخلافة على الوجه المذكور و هو المراد أيضاً في قوله: وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (٢)، وقوله: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ (٣).

ولذا ورد أن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام رابع الخلفاء، ففي «العيون» وغيره عن مولانا ابى الحسن الرضا عليه السلام عن أبيه عن آباءه عن أمير المؤمنين قال بينا أنا أمشى مع النبي صلى الله عليه وآله في بعض طرقات المدينة إذ لقينا شيخ طوال كثر اللحية طويل ما بين المنكبين فسلم على النبي صلى الله عليه وآله و رحب به ثم التفت إليّ وقال السلام عليك يا رابع الخلفاء و رحمة الله و بركاته أليس هو كذلك يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله بلى ثم مضى فقلت: يا رسول الله ما هذا الذي قال لى هذا الشيخ و تصديقتك له قال صلى الله عليه وآله:

(١) كنز الدقائق: ج ١ ص ٣٣٠-٣٣١ عن تفسير على بن ابراهيم.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) ص: ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٣

أنت كذلك و الحمد لله إن الله عزّ و جلّ قال في كتابه: **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** «١» و الخليفة المَجْعول فيها آدم عليه السلام و قال عزّ و جلّ يا داودُ **إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ** «٢» فهو الثاني و قال عزّ و جلّ حكاية عن موسى قال لهارون اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحِ «٣» فهو هارون إذا استخلفه موسى عليه السلام في قومه و هو الثالث و قال عزّ و جلّ: **وَ أَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ** «٤» و كنت أنت المبلغ عن الله عزّ و جلّ و عن رسوله و أنت وصيّي و وزيرى و قاضى دينى و المؤدى عنى و أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى فأنت رابع الخلفاء كما سلّم عليك الشيخ أ و لا تدرى من هو؟ قلت: لا قال: هو أخوك الخضر عليه السلام «٥».

و الخلافة بهذا المعنى ثابتة للأئمة الطاهرين صلّى الله عليهم أجمعين سيّما قائمهم و خاتمهم عجل الله فرجه فأنه المضطر الذى يجب إذا دعى، و يكشف السوء و يجعله خليفته فى أرضه و اليه الإشارة بقوله: **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يُكْشِفُ السُّوءَ وَ يُجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ** «٦» و هو الموعود بالخلافة و التمكين فى قوله: **وَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَ لَكُمْ تَخْلُفَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ**

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) ص: ٢٦.

(٣) الأعراف: ١٤٢.

(٤) التوبة: ٣.

(٥) عيون الاخبار: ج ٢ ص ٩-١٠.

(٦) النمل: ٦٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٤

خَوْفِهِمْ أَمْنًا «١»، الآية.

و فى الكافى عن ابى الحسن عليه السلام قال الأئمة خلفاء عزّ و جلّ فى أرضه «٢» و فيه عن محمّد بن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبى الحسن الأوّل عليه السلام الا تدلّنى إلى من آخذ عنه دينى. فقال: هذا ابنى علىّ إن أبى أخذ بيدي فادخلنى إلى قبر رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال يا بنى انّ الله عزّ و جلّ قال: **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** و انّ الله عزّ و جلّ إذا قال قولاً وفى به «٣». و فيه دلالة على أن المراد بالخلافة هى الخلافة المتصلة فى كل عصر كما أشير إليها بقوله: **وَ لَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** «٤».

و من فروع هذه الخلافة ما ثبت للنائب العام فى زمن غيبة الإمام عليه السلام فى نشر الاحكام و بيان الحلال و الحرام و القضاء بالحق بين الأنام و اقامة الحدود و ولاية الأيتام.

و لذا ورد فى النبوى على ما رواه فى «العيون» و «المعاني» من الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: اللهم ارحم خلفائى ثلاث مرات فقيل: يا رسول الله و من خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدى و يروون عنى أحاديثى و سنتى فيعلمونها الناس من بعدى، و مثله فى «الفتاوى» و «المجالس» عن امير المؤمنين عنه صلّى الله عليه و آله.



(١) النور: ٥٥.

(٢) اصول الكافي: ج ١ ص ٣١٢ ح ٤.

(٣) اصول الكافي: ج ١ ص ٣١٢ ح ٤.

(٤) القصص: ٥١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٥

ومنها الولاية في الأمور التكوينية وفي شؤون الزبويية إذ مريبوب باذن الله سبحانه، وهذه الخلافة ثابتة فيما شاء الله سبحانه لمن شاء من عباده كالملائكة الداريات والمقسمات والمعقبات والنزاعات والزاجرات وغيرهم من الملائكة الموكلين بمصالح العالم وحفظ بني آدم، وهذه الخلافة ثابتة ايضا للنبي محمد وآله الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين فيما أشهدهم على خلقه واتخذهم أعضادا على ما يستفاد من فحوى الآية و صريح قول الحجة عجل الله فرجه في دعاء رجب بأعضاد وأشهاد «١»، وغير ذلك من الأخبار التي مرت إلى جملة منها الإشارة في تفسير الفاتحة.

وأما الخلافة الكلية المحمدية الثابتة له ولأوصيائه الطيبين فهي إشارة إلى ذلك مضافا إلى المعنى السابق من وساطتهم في التبليغ إلى جميع الأ-كوان في جميع العوالم ولذا ورد عنهم: إن لله تعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم ونحن الحجج على جميع تلك العوالم وهؤلاء الأدميين.

وفي الكافي: عن أبي جعفر الثاني: أن الله لم يزل متفردا بوحدانيته ثم خلق محمدا وعليًا وفاطمة فمكثوا ألف ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فاشهدهم خلقها و أجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون ولن يشاءوا إلّا أن يشاء الله تبارك وتعالى «٢».

(١) بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٣٩٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٢٥ بتفاوت يسير.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٦

وفي «الاختصاص» في خبر المفضل عن الصادق صلى الله عليه وآله ما رواه في البحار عنه صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى توخى بملكه، فعرف عباده نفسه، ثم فوض إليهم أمره، وأباح لهم جنته، فمن أراد الله أن يطهر قلبه من الجن والانس عرفه ولايتنا، ومن أراد الله أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفتنا، ثم قال يا مفضل والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلّا بولاية علي عليه السلام وما كلم الله موسى تكليما إلّا بولاية علي عليه السلام ولا أقام عيسى بن مريم آية للعالمين إلّا بالخضوع لعلي عليه السلام، ثم قال عليه السلام: أجمل الأمر ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلّا بالعبودية لنا «١».

وهذه الخلافة هي المعبر عنها بالقيام في سائر العوالم في الأثناء مقامه في الخطبة العلوية الغديرية على ما رواه شيخ الطائفة في «المتهجد» على ما مرت لكتها هو المسك ما كثرته يتضوع، وفيها: وأشهد أن محمدا عبده ورسوله استخلصه في القدم على سائر الأمم، على علم منه به انفراد عن التماثل من أبناء الجنس، وانتجبه «٢» آمرًا وناهيًا عنه، أقامه في سائر عالمه في الأثناء مقامه.

إلى أن قال عليه السلام: وإن الله تعالى اختص لنفسه من بعد نبيه عليه السلام من بريته خاصة علاهم بتعليته، و سما بهم إلى رتبته، وجعلهم الدعاة بالحق إليه، والأدلاء بالإرشاد عليه، قرن قرن و زمن زمن.

أنشأهم في القدم قبل كل مذروء ومبروء أنوارا أنطقها بتحميده، وألهمها

(١) البحار ج ٢٦ ص ٢٩٤ ح ٥٦ عن الإختصاص ص ٢٥٠.

(٢) في البحار: و ائتمنه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٧

شكره و تمجيده، و جعلها الحجج على كل معترف له بملكه الربوبيه و سلطان العبوديه، و استنطق بها الخرسان بأنواع اللغات بخوعا له بأنه فاطر الأرضين و السماوات، و اشهدهم خلق خلقه، و ولّاهم ما شاء من أمره، و جعلهم تراجم مشيئه، و السن إرادته عبيدا لا يسبقونه بالقول: و هم بامرهم يعملون «١» آه.

و منها: جامعيتها للنشئات الكونية و مظهريته للأسماء الالهيه و الصيغ الفعليه على ما تأتي إليه الإشارة في قوله: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا «٢» و إن كان مرجعه إلى سابقه في ركنه الأعظم الذي هو العمدة في معنى الخلافه قالوا: أَتَجَعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ اسْتِفْهَامَ عَلَى وَجْهِ الاسْتِعْلَامِ عَنْ وَجْهِ الْحِكْمَةِ وَ الْمَصْلَحَةِ فِي اسْتِخْلَافِ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ مَكَانِ أَهْلِ الطَّاعَةِ لِيَعْلَمُوا الْحِكْمَةَ فِي ذَلِكَ مَفْصِيلاً بَعْدَ مَا عِلْمُوهُ مَجْمَعاً مِنْ عِلْمِهِ وَ حِكْمَتِهِ، أَوْ تَعَجَّبَ عَنِ السَّيْرِ النَّاهِضِ وَ الْحِكْمَةِ الَّتِي أَوْجَبَتْ اسْتِخْلَافَ مَنْ يَفْسِدُ فِي الْأَرْضِ لِفَرْضِ عِمَارَتِهَا وَ إِصْلَاحِهَا، مَعَ أَنَّ الْإِفْسَادَ وَ السَّفْكَ عَلَى طَرَفِ الضَّدِّ مِنَ الْمَطْلُوبِ عَلَى أَنَّ مَا هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَصْلِيُّ مِنَ الْخَلْقِ وَ هُوَ الْعِبَادَةُ إِنَّمَا يَأْتِي مِنْهَا لَـ مِنْهُمْ وَ لَذَا قَالُوا: وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ أَرَادُوا أَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ عَنِ مَعْصِيَتِهِ، مَدَاوِمُونَ عَلَى طَاعَتِهِ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَ لَا يَسْتَحْسِرُونَ، يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ، فَاسْتَكْشَفُوا عَنِ الْحِكْمَةِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي غَلَبَتْ تِلْكَ الْمَفَاسِدَ وَ الْغَتَا وَ تَرَجَّحَتْ عَلَى مَصْلَحَةِ اسْتِخْلَافِهِمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ دَوَامِ الطَّاعَةِ حَتَّى أَهْمَلْتَهَا، وَ كَانَ مَقْصُودَهُمْ

(١) البحار: ج ٩٧ ص ١٣١-١١٤ ح ٨.

(٢) البقرة: ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٨

في ذلك هو الاستفسار و الاستخبار، لا الافتخار و الاستحقال.

و السفك: الصب و الإهراق و ان اخصّ بحسب الإطلاق في الدم و الدمع، فيطلق فيهما كما يطلق السبك في الجواهر المذابة، و السفح في الصب من أعلى، و الشن في الصب من فم القربة، و كذلك السن بالمهملة، فالجميع مشترك في جنس و الخصوصيه مستنده إلى الوضع أو الإطلاق و الآتي منه يسفك بالكسر، و قرئ يسفك بالضم، و يسفك من أسفك و يسفك من سفك و يسفك على البناء للمفعول، فيكون الراجح إلى من سواء جعل موصولا أو موصوفا محذوفا أي يسفك الدماء فيهم.

و الدم أصله دمو بالتحريك من دمي يدمي كرضى يرضى، و لذا ابدلوا الواو ياء، و قيل: إن أصله الياء و جاء تثنيته على دميان و دومان، و عليهما فجمعه على الدماء مخالف لنظائره.

و قال سيبويه: أصله دمي بالتسكين لأنه يجمع على دماء و دمي مثل ظبي و ظباء و ظبي، و دلو و دلاء و دلي.

و المراد بالإفساد أن كان هيج الحروب و الفتن حيث ان فيه فساد حال الإنسان الذي هو أشرف المواليد و يتبعه فساد الآخرين و لذا قال: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ «١»، فالعطف للبيان أو مطلق إحداث الفساد الذي هو ضد الصلاح فمن تعقيب العام بالخاص الذي هو اظهر افراده، و أشدها في بابه، و أقبحها فعلا، و أهمها تركا، و ربما يفسر بالشرك فيغاير السفك.

(١) البقرة: ٢٠٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٩

والتسييح التنزيه و أصله تبعيد الله عن السوء من سبيح في الأرض إذا ذهب فيها و ابعده، و منه السباحة للقوم، و فرس سابع كثير الجرى، و لذا قيل: إنَّ السَّيِّحَ فِي الْأَصْلِ سُرْعَةُ الذَّهَابِ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ لَجَرَى النُّجُومِ فِي الْفَلَكَ، وَ لَجَرَى الْفَرَسِ، ثُمَّ لِسُرْعَةِ التَّسْيِيحِ وَ الطَّاعَةِ.

و الواو في قوله: وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ لِلْحَالِ، وَ الْجُمْلَةُ حَالِيَةٌ مَقْرَرَةٌ لِلاشْكَالِ عَلَى مَا مَرَّ، وَ الْعَامِلُ فِيهَا أَوْ تَجَعَّلُ كَأَنَّهُ قَالَ أَوْ تَجَعَّلُ فِيهَا مِنْ يَفْسُدُ فِيهَا وَ هَذِهِ حَالِنَا وَ بِحَمْدِكَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْ مَتَلَبِّسِينَ بِحَمْدِكَ عَلَى مَا أَلْهَمْتَنَا مِنْ مَعْرِفَتِكَ وَ وَقَفْتَنَا لِتَسْيِيحِكَ، أَوْ بِحَمْدِكَ بِمَعْنَى وَ الْحَمْدُ لَكَ، نَظِيرٌ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ «١» أَيْ وَ النِّعْمَةُ لَهُ، وَ لَعَلَّ مَرْجِعَهُ إِلَى الْأَوَّلِ، وَ الْمُرَادُ تَدَارُكُ مَا أَوْهَمَهُ اسْتِنَادُ التَّسْيِيحِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَ تَنْجِيزِ الشُّكْرِ عَلَى التَّوْفِيقِ لِلْعِبَادَةِ، أَوْ نَسْبِحُهُ لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَامِدِ ذَاتًا وَ فِعْلًا، وَ الْمُرَادُ كَوْنُهُ مَحْمُودًا أَوْ نَسْبِحُهُ بِالتَّكَلُّمِ بِالْحَمْدِ لَهُ، فَإِنَّ النَّطْقَ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ تَسْيِيحٌ لَهُ كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ: وَ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ التَّسْيِيحَاتُ الْأَرْبَعُ يُطْلَقُ عَلَيْهَا التَّسْيِيحُ، وَ إِنْ كَانَ بَعْضُهَا تَحْمِيدًا أَوْ تَهْلِيلًا وَ تَكْبِيرًا وَ عَلَى هَذَا فَيَكُونُ بَيَانًا لِلتَّسْيِيحِ مُتَعَلِّقًا بِهِ.

و هذا كله مع إرادة التنزيه من التسييح، و يمكن ان يراد به الصلاة و رفع الصوت و التكلّم كما قيل، اى نصلّي لك كما في قوله: فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ «٢» أَيْ مِنَ الْمُصَلِّينَ أَوْ نَرْفَعُ أَصْوَاتَنَا بِذِكْرِكَ، وَ مِنْهُ قَوْلُ جَرِيرٍ «٣»:

(١) القلم: ٢.

(٢) الصافات: ١٤٣.

(٣) جرير بن عطية بن حذيفة اليربوعي الشاعر المتوفى (١١٠) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٠

قبح الإله و جوه تغلب كلما سبج الحجيج و كبروا إهلالا أو نتكلم بحمدك و نطق به لكن في تفسير الامام عليه السلام: نترهك عما لا يليق بك من الصفات و نقّس لك نظهر أرضك ممّن يعصيك «١».

و هو من قدس في الأرض إذا ذهب فيها و ابعده، و منه القدس بالسكون و بالضمّ للظهر فإنّ الطاهر بعيد عن الأقدار، و المطهر مبعده عنها، و المراد به ما مرّ في كلام الإمام عليه السلام.

وقيل: نترهك عما لا يليق بك من صفات النقص و لا نضيف إليك القبائح، فاللام زائدة اى نقديسك، و قيل: نصلّي لأجلك، و قيل: نظهر أنفسنا من الخطايا و المعاصي، كأنهم قابلوا الفساد المفسّر بالشرك على ما مرّ بالتسييح كما قابلوا سفك الدماء الذي هو أعظم قبائح الأفعال بتطهير النفس عن الذنوب الذي هو أساس محامد الخصال، أو أنّهم جعلوا سفك الدماء نهاية الإفساد بمعناه العام و قابلوه بالتقديس الذي قيل إنّه ابلغ في التنزيه من التسييح، حيث إنّ النظر في التسييح إلى أنّ العارف أنّى استطاع في التنزيه على حسب معرفته و في التقديس إلى أنّ الذات الكاملة التي لا يمكن في الوجود و التصور ممّا يدانيها في شيء من الكمال لها الظهارة عن كلّ سوء أطلق عليه لفظ دالّ أم لم يطلق، فقد لوحظ في الأول العارف و في الثاني المعروف.

و يمكن أن يكون الفعلان إشارة إلى ركني الكمال من صفات الجمال و الجلال فإنّ التسييح بالحمد إشارة إلى تمجيده بمحامده الكثيرة الذاتيّة و العقليّة في المراتب

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الإمام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠١

الأربع المشار إليها في الدعاء بقوله: و الحمد لله كلّما حمد الله شيء و كما يحبّ الله أن يحمده، و كما هو أهله، و كما ينبغي لكرم

وجهه و عزّ جلاله «١» إلخ على ما مرّت إليه الإشارة في تفسير الحمد، و التقديس إشارة إلى تنزيهه عمّا لا يليق به من صفات الإمكان و الأكوان.

و لا- يخفى أنّ قضية الإطلاق هو الحمل على ما مرّ و غيره يمكن حمل اللفظ عليه، فلا وجه لتخصيص البعض بالحمل عليه، و في إضافة هذه الأفعال إلى أنفسهم و تمدحهم بها و صدقهم في تنزيهه و تقديسه و إضافة الإفساد و السفك إلى المجعول فيها على وجه يشعر بالذم. و الحوالة في الجواب عن مقالهم إجمالاً إلى علمه و تفصيلاً إلى علم المستخلف دون أن يقول إنّي أفعل ما أشاء لانتفاء الحسن و القبح و انتساب الكلّ إلى وجوه من الدلالة على ما هو المختار من العدل و الاختيار، و فساد القول بالإيجاب و الاضطراب، و المناقضة بمسألة الدّاعي و العلم مدفوعة بما مرّ مراراً، و أمّا إخبار الملائكة عن الإفساد و السفك فلعلّه مستند إلى مطالعة اللوح المحفوظ أو الألواح الجزئية السماوية حيث إنّه قد جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، و ذلك لا يوجب سقوط سؤالهم رأساً مع علمهم بجواز البدء أو كون السؤال للاستفسار عن وجه الحكمة على ما مرّ، أو إلى إخبار الله سبحانه حيث إنّه أعلمهم أنّه إذا كان في الأرض خلق عظيم أفسدوا فيها و سفكوا الدماء أو أخبرهم به بالخصوص لما يروى عن ابن مسعود و غيره أنّه تعالى لمّا قال للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا: ربّنا و يكون الخليفة؟، قالوا تكون له ذريّة يفسدون في

(١) بحار الأنوار: ج ٨٦ ص ٤٤ ح ٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٢

الأرض و يتحاسدون و يقتل بعضهم بعضاً فعند ذلك قالوا: ربّنا أ تجعل فيها، أو أنّهم علموا أنّ العصمة من خواص نوعهم لا نوع آخر و أنّ اتّصف بها منه أفراد كثيرة أو أنّهم قاسوا أحد الثقلين بالآخر لما رأوا من حال الجن الذين كانوا قبل آدم في الأرض كما يحكى عن ابن عباس و الكليني قيل و يؤيده ما في تفسير الامام عليه السلام:

فقالوا ربّنا أ تجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء كما فعلت الجنّ بنوا الجان الذين قد طردناهم عن هذه الأرض «١» آه و هو كما ترى إذ غاية التنظير و اين هو من القياس الذي لم يجعل طريقاً لحد من الخلق إلى معرفة شيء سيّما مع ما تضمّن القدر و التعيب و غيره بل من المشهور المستفيض أنّ أوّل من قاس إبليس فكيف استعملته الملائكة قبله.

و أمّا ما يحكى عن تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام قال: و ما علم الملائكة بقولهم أ تجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء لو لا أنّهم قد كانوا رأوا من يفسد فيها و يسفك الدماء «٢» فالظاهر أنّ المراد أنّهم رأوا ذلك مكتوباً في الألواح السماوية، أو أنّهم علموا ذلك و لو بطرق آخر من رأى بمعنى علم، أو أنّهم رأوا ذلك رأى العين بناء على تجرّدهم و إحاطتهم بالأزمنة و ما فيها، بلا فرق بين الماضي و الحال و الاستقبال، أو لأنّ معنى الخلافة هو النيابة عن الله تعالى في الحكم و القضاء و إنّما يكون الاحتياج إليه عند التنازع و التظالم، فالأخبار عن وجود الخليفة كأنّه إخبار عن وقوع الشرّ و الفساد بطريق الالتزام، أو أنّه لمّا خلق الله النار خافت الملائكة

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٧٣.

(٢) البرهان ج ١ ص ٧٤ عن العياشي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٣

خوفاً شديداً فقالوا: ربّنا و سيّدنا لمن خلقت هذه النار؟ قال: لمن عصاني من خلقي و لم يكن يومئذ لله خلق إلّا الملائكة، فلمّا قال: إنّي جاعل في الأرض خليفة عرفوا أنّ المعصية منهم، أو لأنّهم علموا أنّ المجعول خليفة يكون له ثلاث قوى عليها مدار أمره: شهويّة و غضبيّة تؤديان به إلى الفساد و سفك الدماء، و عقليّة تدعوه إلى المعرفة و الطاعة و استخدام الأوليين بعد تسخيرهما و تعليمهما ما

عَلَّمَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي مَقاصِدِهَا، لَكِنْ قَضِيَّةُ التَّرْكِيبِ هُوَ التَّغَالِبُ وَالتَّقَاهَرُ فَكُلٌّ مِنْهَا بَيْنَ قَاهِرٍ غَالِبٍ أَوْ مَقْهُورٍ مَغْلُوبٍ، وَ لَذَا نَظَرُوا إِلَيْهَا كَمَا هِيَ مَرْدُودَةٌ بَيْنَ الْحَالِيْنَ وَ قَالُوا: مَا الْحِكْمَةُ فِي اسْتِخْلَافِهِ، وَ هُوَ بِاعْتِبَارِ تِينِكَ الْقَوْتَيْنِ لَا تَقْتَضِي الْحِكْمَةَ إِيجَادَهُ فَضْلاً عَنِ اسْتِخْلَافِهِ وَ أَمَّا بِاعْتِبَارِ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ فَعِنْدَ اسْتِخْلَافِنَا مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ تِلْكَ الْمَقاصِدُ سَلِيمَةٌ عَنِ مَعَارِضِ تِلْكَ الْمَفاسِدِ، وَ لَذَا قَالَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ فِي جَوَابِهِمْ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١) مِنْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَ أَنْ مَنْحُوا بِالْجَنَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ وَ لَوَازِمِهَا مِنَ الْإِشْرَاقَاتِ وَ اللَّذَاتِ الْعَقْلِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ جَنَّةٌ جَسَمَانِيَّةٌ وَ لَا اسْتِعْدَادَاتٌ كَلِّيَّةٌ لِدَرَجَاتٍ مُتَفَاضِلَةٍ، وَ لَا إِحَاطَةٌ فِطْرِيَّةٌ أَوْ كَسْبِيَّةٌ لِإِدْرَاكِ النَّشَآتِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَ أَمَّا الْإِنْسَانُ فَأَنَّهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْمَرَاتِبِ الْمُخْتَلِفَةِ مَحْتَوٍ عَلَى مَا فِي الْعَوَالِمِ الْمُرْتَبَّةِ سَائِرٌ فِي الْأَطْوَارِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْجَمَادِيَّةِ وَ النَّبَاتِيَّةِ وَ الْحَيَوَانِيَّةِ وَ الْمَلَكِيَّةِ مُسْتَفِيداً بِصُورَتِهِ التَّرْكِيبِيَّةِ الَّتِي اسْتَعَدَّتْ بِهَا لِلْمَنْحِ الْإِلَهِيَّةِ وَ الْفِيضِ الرَّبَانِيَّةِ لَمَّا تَقَصَّرَ عَنْهُ الْآحَادُ كَالْإِحَاطَةَ بِالْجَزْئِيَّاتِ وَ اسْتِنْبَاطِ الصَّنَاعَاتِ وَ اسْتِخْرَاجِ مَنَافِعِ الْكَائِنَاتِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ وَ قُوَّةِ التَّصَرُّفِ فِيهَا بِالتَّسْخِيرِ وَ التَّدْبِيرِ وَ التَّدْمِيرِ وَ لَهُ التَّرْقِيُّ عَنِ جَمِيعِ تِلْكَ الْمَرَاتِبِ بَانَ

(١) البقرة: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٤

يَتَحَقَّقُ لَهُ فِي مَرْتَبَةِ الْجَمْعِيَّةِ الْكَلِّيَّةِ وَ الْجَامِعِيَّةِ الرَّبَانِيَّةِ وَ الْكَلِّيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ بَحِيثٌ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنِ شَأْنٍ وَ لَا يَحْجِبُهُ نَاسُوتٌ عَنِ مَلَكُوتٍ فَيَتَجَاوَزُ حِينُثُذَ عَنْ أَفْقِ الْمَلَائِكَةِ، فَهُوَ النُّسخَةُ الْجَامِعَةُ لِحَقَائِقِ الْمَلِكِ وَ الْمَلَكُوتِ، وَ الْمَظْهَرُ الْكَلِّيُّ لِحَضْرَةِ الرَّحْمَتِ، وَ الْمَعْجُونُ الْمَرْكَبُ مِنَ الْقَبْضَاتِ الْمَأْخُودَةِ مِنْ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ فِي صَقْعِ النَّاسُوتِ. قَالَ مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَكَّبَ فِي الْمَلَائِكَةِ عَقْلاً بِلا شَهْوَةٍ وَ رَكَّبَ فِي الْبَهَائِمِ شَهْوَةً بِلا عَقْلِ وَ رَكَّبَ فِي بَنِي آدَمَ كِلَيْتَهُمَا فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ شَهْوَتَهُ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ مَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلَهُ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْبَهَائِمِ» (١). وَ فِي تَفْسِيرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ الصَّلَاحِ الْكَائِنِ فِيمَنْ أَجْعَلُهُ بَدَلاً مِنْكُمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَ أَعْلَمُ أَيْضاً أَنَّ فَيْكُمْ مِنْ هُوَ كَافِرٌ فِي بَاطِنِهِ لَا تَعْلَمُونَهُ وَ هُوَ إِبْلِيسُ لَعْنَةُ اللَّهِ (٢).

### بسط في المقام للإشارة إلى عصمة الملائكة عليهم السلام دفعا لبعض الأوهام

اعلم أن المشهور الذي عليه الجمهور هو عصمة الملائكة من صغائر الذنوب و كبائرهما بلا فرق بين الملائكة الأرضية و السماوية، بل ادعى كثير من الفرقة المحقة عليه الإجماع و وافقهم عليه أكثر المخالفين، و استدلوا عليه بأن المعصية في الحقيقة

(١) بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٩٩- عن علل الشرائع ج ١ ص ٥.

(٢) تفسير البرهان: ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الامام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٥

عِبَارَةٌ عَنِ مَخَالَفَةِ الْقُوَّةِ السَّافِلَةِ لِلْقُوَّةِ الْعَالِيَةِ فِيمَا لَهَا أَنْ يَفْعَلَ الْغَرَضَ الْأَعْلَى عِنْدَ تَخَالُفِ الْأَغْرَاضِ وَ الدَّوَاعِي، وَ مَعَ بَسَاطَةِ الْقُوَّةِ وَ فَقْدِ التَّرْكِيبِ مِنَ الْأَجْزَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ لَا يَتَصَوَّرُ التَّنَازُعَ وَ التَّمَانِعَ، وَ بِالْإِجْمَاعِ الْقَطْعِيِّ مِنَ الْفِرْقَةِ الْمُحَقَّةِ عَلَيْهِ وَ لَذَا لَمْ يَنْسَبُوا الْخِلَافَ إِلَّا إِلَى الْحَشْوِيَّةِ، وَ بظَاهِرِ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ كَقَوْلِهِ: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (١) بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢) إِلَى قَوْلِهِ: وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٣) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٤) لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَسْتَحْسِرُونَ (٥) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٦) وَ غَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي لَا تَخْفَى وَجْهَ الدَّلَالَةِ فِيهَا بِمَلاحِظَةِ الْإِطْلَاقِ وَ الْعُمُومِ عَلَى مَا هُوَ الْمَطْلُوبُ بَلْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَيْضاً دَلَالَةٌ عَلَيْهِ أَيْضاً حَيْثُ إِنَّهُمْ طَعَنُوا بِالْيَسِيرِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَ لَوْ كَانُوا مِنَ الْعِصَاةِ لَمَا حَسَّ مِنْهُمْ

ذلك الطعن، سيما عند من لا تخفى عليه خافية هذا مضافا إلى جملة من الاخبار الدالة على عصمتهم و دوام طاعتهم كما في الخطبة العلوية المروية في النهج و فيها انشائهم على صور مختلفات، و أقدار متفاوتات، جعلهم الله فيما هنالك أهل الامانة على وحيه، و حملهم إلى المرسلين ودائع أمره و نهيه، و عصمتهم من ريب

(١) التحريم: ٦.

(٢) الأنبياء: ٢٧.

(٣) الأنبياء: ٢٨.

(٤) النحل: ٥٠.

(٥) الأنبياء: ١٩.

(٦) الأنبياء: ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٦

الشبهات، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته «١».

و في تفسير فرات معننا عن الحسن بن علي عليهما السلام في خبر طويل و فيه أنه سبحانه جعل في كل سماء ساكنا من الملائكة خلقهم معصومين من نور من بحور عذبة و هو بحر الرحمة و جعل طعامهم التسييح و التهليل و التقديس، الخبر «٢». و في «العيون» عن الرضا عليه السلام: إن الملائكة معصومون محفوظون من الكفر و القبائح بالطاف الله تعالى قال الله فيهم لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون «٣» و قال عز و جل و له من في السموات و الأرض و من عنده - يعني الملائكة - لا يسئ تكبرون «٤» الآية «٥» و لا يخفى إن استدلاله بظاهر الآيتين مما يؤكد دلالتها على ذلك إلى غير ذلك من الاخبار الكثيرة و قال الامام عليه السلام في تفسيره رداً على العامة فيما ذكره من قصية هاروت و ماروت ما لفظه: معاذ الله من ذلك أن ملائكة الله تعالى معصومون عن الخطأ محفوظون من الكفر و القبائح بالطاف الله تعالى فقال الله عز و جل فيهم لا يعصون الله «٦»، الآية «٧» إلى آخر ما يأتي الإشارة إليه في تلك القصة و غيرها.

و احتجت الحشوية مضافا إلى ما يأتي من توهم أن إبليس كان منهم و قد كفر

(١) نهج البلاغة: خ ٩٠ - المعروفة بخطبة الأشباح.

(٢) البحار: ج ٥٧ ص ٩٢ عن تفسير الفرات.

(٣) التحريم: ٦.

(٤) الأنبياء: ١٩.

(٥) البحار: ج ٥٩ ص ٢٧٢.

(٦) التحريم: ٦.

(٧) بحار الأنوار: ج ٥٩ ص ٣٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٧

و من قصية هاروت و ماروت على ما اشتهر بهذه الآية حيث اشتملت على وجوه من الدلالة، حتى أنهاها بعضهم إلى ثمانية عشرة خصلة ذميمة كانت كامنة فيهم، و قد ظهرت بالاختيار الذي هو الاخبار عن خلق الخلفاء و الأخيار و ذلك لا يتم اعتراضوا على الله الحكيم في فعله، و ذلك من أعظم الذنوب، و طعنوا في بني آدم بالإفساد و سفك الدماء و هي الغيبة التي هي من الكبائر، و تمدحوا

بخلو أنفسهم عنهما، و باشتغالهم بالتحميد و التقديس، بل و بانحصار ذلك بهم، حتى كأنهم نفوا كون غيرهم كذلك و هو يشبه العجب و الغيبة اللذين هما من المهلكات و الكبائر، مع ما يظهر منه من التزكية و سوء الظن، و التفحص عن معائب الغير، و حسدهم على فضيلته و صلاحيته للخلافه، و حرصهم عليها، و اضافتهم العبادة إلى أنفسهم لا إلى حول ربهم و قوته و توفيقه و عصمته، و اعتمادهم على القياس و الاستنباط، و القول بغير علم سيما في القدح على الغير، و في الاعتراض على الحكيم و ذلك لأن علمهم بذلك لو كان مستندا إلى الوحي لم يكن لإعادة ذلك الكلام فائدة مع ان قوله:

أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «١» يدل على أنهم كانوا كاذبين فيما قالوا و أن قوله: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ «٢» يدل على أنهم ما كانوا عالمين بذلك قبل هذه الواقعة، و أنهم كانوا شاكين في كونه تعالى عالما بكل المعلومات، و إن قولهم: سَيُجَانِكُ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا «٣» يشبه الاعتذار و لو لا تقدم الذنب لما اشتغلوا بالعدر، هذا مضافا

(١) البقرة: ٣١.

(٢) البقرة: ٣٣.

(٣) البقرة: ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٨

إلى الاخبار الكثيرة الدالة على ذلك من طرق الفريقين في تفسير الآيه.

ففي العلل عن أحدهما عليهما السلام أنه سئل عن ابتداء الطواف فقال: ان الله تبارك و تعالى لما أراد خلق آدم قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة فقال ملكان من الملائكة: أ تجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء فوقع الحجب فيما بينهما و بين الله عز و جل و كان الله تبارك و تعالى نوره ظاهرا للملائكة فلما وقعت الحجب بينه و بينهما علما أنه سخط قولهما فقالا للملائكة: ما حيلتنا و ما وجه توبتنا فقالوا ما نعرف لكما من التوبة إلا أن تلودا بالعرش قال فلاذا بالعرش حتى انزل الله عز و جل توبتهما، و رفعت الحجب فيما بينه و بينهما و أحب الله تبارك و تعالى أن يعبد بتلك العبادة فخلق الله البيت في الأرض و جعل على العباد الطواف حوله و خلق البيت المعمور في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة «١».

و فيه بالإسناد عن علي بن الحسين عليهما السلام في سبب كون الطواف سبعة أشواط قال: لأن الله تبارك و تعالى قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة فردوا على الله تبارك و تعالى و قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء، قال الله إني أعلم ما لا تعلمون: و كان لا يحجبهم عن نوره فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم و تاب عليهم و جعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة فجعله مثابة و أمنا و وضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس و أمنا فصار الطواف سبعة أشواط واجبا على العباد لكل ألف سنة شوطا

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١١٠ عن العلل.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٩

واحد «١» فيه، و في العيون في علل محمّد بن سنان قال: كتب الرضا عليه السلام إليه علّة الطواف بالبيت أن الله تبارك و تعالى قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيه و يسفك الدماء فردوا على الله تبارك و تعالى هذا الجواب فعلموا أنهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش و استغفروا، الخبر قريبا ممّا مرّ و في «الكافي» عن ابي جعفر عليه السلام في خبر طويل قال عليه السلام: أمّا بدء هذا البيت فإنّ الله تبارك و تعالى قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة فردت الملائكة على الله تعالى

فقلت: أ تجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء فاعرض عنها فرأت أن ذلك من سخطه فلاذت بعرشه فأمر الله تعالى ملكا من الملائكة أن يجعل له بيتا في السماء السادسة يسمى الصّراح بإزاء عرشه «٢».

الخبر وفيه عنه عليه السّلام أنهم لمّا ردّوا عليه بقولهم: أ تجعل فيها .. إلخ قال الله تبارك و تعالى: أنى أعلم ما لا تعلمون فغضب عليهم ثمّ سأله التّوبة فأمرهم أن يطوفوا بالصّراح و هو البيت المعمور و مكثوا يطوفون سبع سنين يستغفرون الله عزّ و جلّ ممّا قالوا ثمّ تاب الله عليهم من بعد ذلك و رضى عنهم، فهذا كان أصل الطواف ثمّ جعل الله البيت الحرام حذو الصّراح توبة لمن أذنب من بنى آدم و طهورا لهم «٣».

و في المجمع عن الصادق عليه السّلام: إن الملائكة سألت الله تعالى أن يجعل الخليفة منهم و قالوا نحن نقدّسك و نطيعك و لا نعصيك كغيرنا قال فلما أجبوا بما ذكر في القرآن علموا أنهم تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفاراً فأمر الله تعالى آدم

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١١٠-١١١ عن العلل ص ١٤١.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ١١٠ عن العلل و العيون.

(٣) البحار: ج ٩٩ ص ٢٠٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٠

بعد هبوطه أن يبني له في الأرض بيتا يلود به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقرّبون فقال الله للملائكة إنى أعرف بالمصلحة منكم و هو معنى قوله: أعلم ما لا تعلمون. «١» و روت العامة عن ابن عباس أنه قال سبحانه للملائكة الذين كانوا جندا لإبليس في محاربة بنى الجان إنى جاعل في الأرض خليفة فقالت الملائكة محيين له سبحانه: أ تجعل فيها من يفسد فيها ثمّ علموا غضب الله عليهم فقالوا: سبحانك لا علم لنا «٢».

و في بعض رواياتهم أنهم لما قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها أرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم.

بل يمكن الاستدلال أيضا بما في «الإكمال» و غيره عن النّبي صلّى الله عليه و آله: إن لله تبارك و تعالى ملكا يقال له دردايل كان له ستّة عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح هواء و الهواء كما بين السماء و الأرض فجعل يوما يقول في نفسه أوفى ربنا جلّ جلاله شىء فعلم الله تبارك و تعالى ما قال فزاده اجنحة مثلها فصار له اثنان و ثلاثون ألف جناح ثمّ أوحى الله عزّ و جلّ إليه أن طر فطار مقدار خمسمائة عام فلم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش فلما علم الله عزّ و جلّ اتعابه اوحى إليه أيها الملك عدّ إلى مكانك فانا عظيم فوق كلّ عظيم و ليس فوقى شىء و لا اوصف بمكان فسلبه الله أجنحته و مقامه من صفوف الملائكة فلما ولد الحسين عليه السّلام هبط جبرئيل عليه السّلام في

(١) البحار: ج ٩٩ ص ٢٠٦.

(٢) البقرة: ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١١

ألف قبيل من الملائكة لتهنئه النّبي صلّى الله عليه و آله فمرّ بدردايل فقال له سل النّبي صلّى الله عليه و آله بحق مولوده أن يشفع لى عند ربّه فدعا له النّبي صلّى الله عليه و آله بحق الحسين فاستجاب الله دعائه و ردّ عليه أجنحته و ردّه إلى مكانه «١».

و في البصائر عن أبى عبد الله عليه السّلام: قال إن الله تعالى عرض ولاية امير المؤمنين عليه السّلام فقبلها الملائكة و اباهها ملك يقال له فطرس فكسر الله جناحه فلما ولد الحسين بن علىّ عليه السّلام بعث الله جبرئيل فى سبعين ألف ملك إلى محمّد صلّى الله عليه و آله يهنيهم بولادته فمرّ بفطرس فقال له فطرس يا جبرئيل إلى أين تذهب قال بعثنى الله تعالى الى محمّد صلّى الله عليه و آله اهنيهم



بمولود ولد في هذه الليلة فقال له فطرس احملني معك و سل محمدا يدعو لي فقال له جبرئيل اركب جناحي فركب جناحه فاتى محمدا فدخل عليه و هنأه فقال له يا رسول الله أن فطرس بيني و بينه أخوة سألتني أن أسألك أن تدعو الله له أن يرد عليه جناحه فقال رسول الله صلى الله عليه و آله لفطرس أتقبل؟ قال نعم فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه و آله و لاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها فقال رسول الله شأنك بالمهد فتمسح به و تمرغ فيه قال فمضى فطرس إلى مهد الحسين بن علي عليهما السلام و رسول الله صلى الله عليه و آله يدعو له قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله: فنظرت إلى ريشه و أنه ليطلع و يجرى منه الدم و يطول حتى لحق جناحه الاخر و عرج مع جبرئيل إلى السماء و صار إلى موضعه (٢).

و الجواب أما عن قصة إبليس و الملائكة فسألتني، و أما عن الآية فبالمنع من

(١) البحار: ج ٤٣ ص ٣٤٩.

(٢) البحار: ج ٢٦ ص ٣٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٢

دلالتها على المقصود بشيء من الوجوه المتقدمة، ضرورة أن سؤالهم لم يكن للإنكار و لا لتبنيه الله عز و جل على شيء لا يعلمه و لا للاعتراض عليه في فعله، بل إنما المقصود من ذلك أمور منها ما مرّت اليه الإشارة من السؤال عن وجه الحكمة فإن إبداء الأشكال طلبا للجواب غير محذور فكانهم قالوا ربنا أنت الحكيم الذي لا تفعل السفه البتة و تمكين الظلم من الظلم و الفساد قبيح من الحكيم فضلا عن خلقه فما الحكمة في ذلك فأجابهم الله تعالى بقول: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١) أي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لأجل الشرور القليلة.

و منها: أن ذلك مسألة منهم ان يجعل الأرض أو بعضا لهم ان كان ذلك صلاحا نحو قول موسى: أ تُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا (٢) اي لا تهلكنا فأجابهم الله عز و جل بأنني أعلم من صلاحكم و صلاح هؤلاء ما لا تعلمون و ان الأصلح لكم السماء و لهم الأرض، و قد مرّ في الأخبار المتقدمة أنهم سألوه أن يجعل الخليفة منهم فأجيبوا بذلك (٣).

و منها: أنه تعالى أخبر الملائكة بأنه سيكون من ذريته هذا الخليفة من يعصى و يسفك الدماء على ما يحكى عن ابن مسعود و غيره، و الغرض في اعلامه اياهم أن يزيدهم ايمانا و يقينا بعلمه بالغيب، أو ليعلموا أن آدم انما خلق للأرض لا للجنة فقالت الملائكة أ تجعل فيها من يفعل كذا و كذا على وجه التعرف لما فيه من الحكمة و لعلّه يرجع إلى الأول إلا أنه يقتضى أن يكون حذف في أول الكلام و يكون التقدير

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) الأعراف: ١٥٥.

(٣) البحار ج ٩٩ ص ٢٠٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٣

إنني جاعل في الأرض خليفة و إنني عالم بأنه سيكون في ذريته من يفسد فيها و يسفك الدماء فحذف اختصارا للقريئة.

و منها ما قيل ايضا في تأويلها و إن لم يخلو من ضعف مثل أن سؤالهم كان على وجه المبالغة في إعظام الله تعالى حيث أن العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره أن يكون له عبد يعصيه و إن هذا الاستفهام خارج مخرج الإيجاب كقول جرير: «ألستم خير من ركب المطايا» اي أنتم كذلك، و إلا لم يكن مدحا فكانهم قالوا: إنك تفعل ذلك و نحن مع هذا نسبح بحمدك لأننا نعلم في الجملة أنك لا تفعل إلا الحكمة و الصواب فقال تعالى: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ من الاحاطة بظواهرهم و باطنهم و ما يؤول اليه أمرهم و أما

أنتم فأنما علمتم ظاهرهم و هو الفساد و القتل أو من الاحاطة و العلم بجميع افراد هذا النوع حيث أن فيهم من هو المقصود الأعظم من خلق الملائكة و سائر العالم، و أما أنتم فأنما نظرتم إلى بعض الأفراد الموجودة بالتبعية لمصالح أخرى، و أما القدر فيهم بالغيبه فالامر فيه واضح ضرورة أن المقصود صدور الفعل من بعضهم و مثله لا يعد غيبه سيما بالنسبة إلى من لم يوجد بعد سلمنا لكنه غيبه للفساق و هي جائزة، هذا مضافا إلى عدم تسليم حرمه ذكر مثله لعلام الغيوب لا سيما من الملائكة الذين جملهم منهم موكلون بتفتيش اعمال الخلائق و إثباتها في الصحف و الشهادة عليها مع أن إيراد السؤال يوجب التعرض لمحل الأشكال و أما التمدح فلعله لإظهار النعمه و شكرها و لتتميمه تقرير الشبهه، و أمرا العجب و هو سوء ظن بهم، و أما سوء الظن فقد مر الكلام في مستند أخبارهم، و أما التريكة و الفحص و الحسد و الحرص و غير ذلك مما مر فتطرق المنع إلى استفادتها

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٤

من الآيه واضح، و قد مر أن في قوله نستبح بحمدك دلالة على تحميدهم له بالتوفيق على ذلك مضافا إلى ما فيه من اظهار الاختيار و تنزيهه عن الإجبار و قوله: «ان كنتم صادقين» أى فى زعمكم الأحقيه بالخلافه و قوله: «ألم أقل لكم» لظهور فضيله آدم بعد الإعلام به مجملا، و الاعتذار غير ظاهر و على فرضه فلا يستلزم الذنب، بل لعله اظهار للنعمه و إقرارا على أنفسهم بالعجز و العبودية فان كان و لا يد فاستناده إلى ترك الأولى أولى جمعا بينه و بين ما دل على العصمه و ردا للمتشابه إلى الآيات المحكمه، و أما الاخبار ففيها مع التضامن عن ضعف سند الأ-كثر أنها قاصره الدلالة لأن اطلاق الاحتجاب و التوبه و الاستغفار لا دلالة فى شىء منها على صدور المعصية و ارتكاب الخطيئه سيما فى شأن المقرين الذين يتخرجون و يردأون على أنفسهم بأقل من ذلك، إذ حسنات الأبرار سيئات المقرين مع أنهم ربما يجبرون بمثل ذلك ما يستشعرون من أنفسهم من القصور دون التقصير، و سيأتى الإشارة إلى جميع ذلك، على أنه قد ورد أنهم ظنوا الاحتجاب كما فى «العلل» عن الصادق عليه السلام قال: ان الله عز و جل لما قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفه ضجت الملائكة من ذلك و قالوا يا رب ان كنت لا بد جاعلا فى أرضك خليفه فاجعله منا من يعمل فى بطاعتك فرد عليهم إني أعلم ما لا تعلمون فظنت الملائكة أن ذلك سخط من الله عز و جل عليهم فلاذوا بالعرش يطوفون به فأمر الله عز و جل له بيت من مرمر سقفه ياقوته حمراء و أساطينه الزبرجد يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يدخلونه بعد ذلك إلى يوم الوقت المعلوم «١»، الخبر.

(١) البحار: ج ٩٩ ص ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٥

إلا أن ظاهرة صدق ظنهم فلا يبعد حمله على العلم سيما بعد ملاحظه الاخبار المتقدمه و عصمتهم عن الخطأ فى الاعتقاد لكن الخطب فى ذلك كله سهل بعد قيام الإجماع لو لم ندع الضرورة على عصمتهم و تظافر الآيات و الاخبار على ذلك فلا بد من تأويل هذه الاخبار على فرض صحتها و تمامية دلالتها أو طرحها، كما أنه المتعين أيضا فى الاخبار بل الآيات الدالة على الطعن فى الأنبياء و تخطئتهم و نفي العصمة عنهم سيما مع مخالفة الاخبار المتقدمه للآيات الدالة على عصمتهم و براءة ساحتهم عن اقرار الذنوب و المعاصى على ما مرّت الإشارة إليها.

و قد استفاض عنهم و جوب العرض على كتاب الله سبحانه، فقالوا إن ما وافق الكتاب فخذوه و ما خالف الكتاب فذروه فدعوه فاضربوه على الحائط «١».

فان قلت أن الاخبار الدالة على نفي عصمتهم أيضا توافق ظاهر الكتاب كهذه الآيه و المتضمنه لقصة الملكين و إبليس و غير ذلك، قلت قد سمعت أنه لا ظهور فى الآيه أصلا و أنه من الآيات المتشابهة التى يجب ردها إلى المحكمات و لو بقربنة الإجماع و غيره على عدم ابقائها على ظواهرها.

و من هنا يظهر الجواب عمّا يمكن إيرادها في المقام من أن قضية تخصيص العام بالخاص حمل الآيات الدالة على العصمة على غير مورد هذه الآية الخاصة بحسب المورد و الزمان و المعصية و غيرها من الخصوصيات إذ فيه أن التخصيص بعد احراز حجية الخاص و ظهور دلالتها و هو في المقام أول الكلام.

و توهم اعتضاد دلالتها بظواهر الاخبار المتقدمة المتضمنة لتفسيرها سيما مع

(١) البحار: ج ٢ ص ١٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٦

تكررها في أصول الإمامية و اشتغالها على الإبناء عن بدو بناء البيت حسبما هو المشهور بين الطائفة المحقة، مدفوع بأن المحكمات حاكمه عليها فلا ينفعها الاعتضاد بالاخبار التي سبيلها سبيل الاخبار الواردة في تفسير الآيات المتضمنة للخبر و التشبيه و غيرها مما يلزم فيه رفع اليد عن الظواهر كما في المقام و لو للإجماع و غيره، فان قلت إن الإجماع ممنوع في المقام فإن المحكى منه غير معلوم الحجية سيما في مثل المسألة التي هي من فروع الأصول دون الفروع التي يجرى فيها دليل الانسداد و غيره و المحقق منه غير معلوم التحقق لو لم نقل إن المحقق انتفاؤه فإن هذه الاخبار المتعلقة بهذه القصة أو المتضمنة لتوبه درائيل و أخويه قد تعرض لنقلها العصابة من دون اشارة إلى ردّها أو طرحها أو التأويل فيها بما لا ينافي العصمة على أن الشيخ أبا جعفر الطوسي رحمه الله قد اختار في تبيانه كون إبليس مع تمرده و عصيانه من جملة الملائكة و استدلل على ذلك بما يأتي و أيضا يظهر ممّا يحكى عن محمد بن بحر الشيباني الدهني و هو من أجله الامامية في كلامه المحكى في «العلل» و غيره في تفضيل الأنبياء على الملائكة اتفاق جميع المفسرين من الأمة على كون إبليس و هاروت و ماروت من الملائكة و لم يحك الخلاف في ذلك عن أحد من الامامية بل العامة أيضا إلا عن الحسن البصري و نسبه إلى الشذوذ عن أقوال سائر المفسرين و لعله يستفاد من كلامه دعوى الإجماع على نفي العصمة فكيف يمكن دعوى الإجماع عليها قلت لم نرد بالإجماع مجرد الاتفاق الذي يقدح فيه أمثال هذه الأقوال الشاذة بل المراد به ما هو الحجية عند الامامية لكونه كاشفا عن قول المعصوم و رضاه و هو محقق في المقام بحيث لا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٧

يصغى معه إلى أمثال هذه الاخبار و الأقوال الشاذة التي لم تكن معروفة و لا مذكورة عند الامامية و لذا ادعى المفيد الإجماع على عدم كون إبليس من الملائكة، و لعمرى أنه من الواضح بمكان يمكن دعوى ضرورة المذهب عليه على ما ستعرف بل و لعله كذلك بالنسبة إلى الملكين و لذا قال أيضا الصدوق بعد حكاية كلام الدهني في «العلل» ما لفظه إنما أردت أن تكون هذه الحكاية في هذا الكتاب و ليس قولى في إبليس؛ أنه كان من الملائكة، بل كان من الجن، إلا أنه كان يعبد الله بين الملائكة و هاروت و ماروت ملكان، و ليس قولى فيهما قول أهل الحشو بل كانا عندي معصومين إلى آخر ما ذكره رحمه الله «١».

### عصمة الملائكة و حقيقتها

و بالجملة لا ينبغي الإشكال في أصل العصمة و عدم صدور المعصية بعد قيام الإجماع و إنما الكلام في أنهم قادرين على الشرور و المعاصي أولا فالمحكى عن جمهور الفلاسفة و كثير من الجبرية أنهم خيرات محض لا قدرة لهم على شيء من ذلك بل الظاهر منهم أن أفعالهم كالأفعال الطبيعية الصادرة عن فاعلها من دون كلفة و مشقة، بل قد يحكى عنهم: أنهم جعلوها نفس الطبايع التي تصدر عنها الأفعال من دون شعور و اختيار، و لقد فرغنا عن الكلام في إبطاله على ما مرّ و ظاهر المتكلمين و الفقهاء بل صريح بعضهم أنهم قادرين على كل من الطاعة و المعصية، إلا أنهم باختيارهم و ارادتهم بل و استلذاهم و ميلهم يختارون الطاعة على المعصية كما يستفاد من هذه القصة المتضمنة لترك الأولى و من قوله: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي

(١) علل الشرائع ص ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٨

إِلَهَ «١»، الظاهر في قدرتهم على ذلك، بل هو الظاهر أيضا من التمدح بالتسبيح والتكديس في هذه الآية، و من قوله: لا يَعْبُودُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ «٢»، و قوله: وَمَنْ يَقْلُ مِنْهُمْ إِنَّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ «٣»، إلى غير ذلك من الآيات الظاهرة في ذلك.

بل قد يستدل أيضا بأنهم لو لم يكونوا قادرين على ترك الخيرات لما كانوا ممدوحين بفعلها لأن الملجأ إلى الشيء و من لا يقدر على ترك الشيء لا يكون ممدوحا بفعل الشيء.

قال الرازي: و لقد استدلل بهذا بعض المعتزلة فقلت له: أليس أن الثواب و العوض واجبان على الله تعالى، و معنى كونه واجبا عليه أنه لو تركه للزم من تركه إمرا الجهل و إمرا الحاجة و هما محالان، و المفضى إلى المحال محال، فيكون ذلك الترك محالا من الله، و حينئذ فيكون الفعل واجبا منه، فكون الله تعالى فاعلا للثواب و العوض واجب و تركه محال مع أنه تعالى ممدوح على فعل ذلك، فثبت أن امتناع الترك لا يقدح في حصول المدح، قال فانقطع و ما قدر على الجواب «٤».

و الجواب عنه واضح ضرورة ظهور الفرق بين كون الترك مستندا إلى الاختيار، بحيث لا يختار الفعل أصلا أبدا و لو للحكمة أو العصمة، و كونه مستندا على العجز و انتفاء القدرة و انتفاء المدح إنما هو في الثاني دون الأول الذي يثبت معه

(١) الأنبياء: ٢٩.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) الأنبياء: ٢٩.

(٤) تفسير مفاتيح الغيب ج ١ ص ١٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٩

القدرة و الاختيار على مذهب العدلية، إلا أن الرجل ليس منهم بل من الذين يظنون بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء.

## تفسير الآية (٣١)

### إشارة

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا شُرُوعَ فِي بَيَانِ الْجَوَابِ عَنْ سُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ بَعْدَ مَا أَجْمَلَ الْجَوَابَ عَنْهُمْ، وَ تَمْهِيدَ لِلِاسْتِدْلَالِ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِمْ بِمَا خَصَّهُ مِنَ الْعِلْمِ.

و التعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا، و هو في حقه تعالى يكون بالتكوين و بالوحي و الإلهام، أو بمطلق الإعلام، و إطلاق المعلم عليه غير سائغ لتوقيفية الأسماء، و غلبة إطلاقه فيما يكون بأدوات و لهوات، و إن أطلق عليه ما اشتق منه كما في المقام، و في قوله: وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ «١»، عَلَّمَ الْقُرْآنَ «٢»، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ «٣».

### وجه تسمية آدم

و «آدم» إمرا اسم أعجمي بل في «الكشاف»: و ما آدم إلها اسم أعجمي و اقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر، و عازر، و عابر، و

شالغ، و فالغ، و أشباه ذلك.

و إنا عربى مشتق من أديم الأرض، بمعنى وجهها لما روى من أنه تعالى لما

(١) الأنبياء: ٨٠.

(٢) الرحمن: ٢.

(٣) العلق: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٠

أراد أن يخلقه أمر أن يقبض قبضه من جميع الأرض سهلها و جبلها فخلق منها آدم، فلذلك ياتى بنوه أخيافا اى مختلفين من قولهم: الناس أخياف، و يقال لإخوة الأم أخياف، لاختلافهم فى نسب الآباء.

و فى خبر ابن سلام عن النبى صلى الله عليه و آله أنه سأله عن آدم لم سمي آدم؟ قال: لأنه خلق من طين الأرض و أديمها، قال: فآدم خلق من الطين كله او من طين واحد؟

قال: بل من الطين كله، و لو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضا، و كانوا على صورة واحدة قال: فلهم فى الدنيا مثل؟ قال: التراب فيه أبيض، و فيه اخضر، و فيه أشقر و فيه اغبر، و فيه احمر، و فيه أزرق و فيه عذب و فيه ملح و فيه خشن و فيه لين و فيه أصهب فلذلك صار الناس فيهم لئين و فيهم خشن، و فيهم أبيض، و فيهم اصفر، و احمر و أصهب و أسود على ألوان التراب «١».

و فى «الاختصاص» عن الصادق عليه السلام أنه خلق آدم من صفحة الطين «٢».

أو بمعنى باطنها من الأدمة بالتحريك لباطن الجلد، و باطن الأرض كما فى «القاموس»، أو خصوص الأرض الرابعة كما قال الصدوق فى «العلل» بعد قول الصادق عليه السلام: إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض: إن اسم ارض الرابعة أديم و خلق آدم منها فلذلك قيل: خلق من أديم الأرض «٣».

و ان قيل إنه لم يوجد له أثر فى كتب اللغة و لعله وصل إليه بذلك خبر، لكن فى «قصص الأنبياء» بعد نقل خبر يأتى ذكره ما لفظه: و قيل: أديم الأرض أدنى

(١) علل الشرائع ص ١٦١ و عنه البحار ج ١١ ص ١٠١.

(٢) البحار ج ١١ ص ١٠٢ عن الاختصاص.

(٣) علل الشرائع ج ١ ص ١٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢١

الأرض الرابعة إلى اعتدال، لأنه خلق وسط بين الملائكة و البهائم، و ستمع ما فيه من الإشارة.

و فى «الاحتجاج» عن أبى بصير قال: سأل طاوس اليماني أبا جعفر عليه السلام لم سمي آدم آدم؟ قال: لأنه رفعت طينته من أديم الأرض السفلى «١».

و هذا الخبر يحتمل كلاً من الوجوه الثلاثة و غيرها.

أو من الأدمة بمعنى الألفة و الاتفاق يقال: آدم الله بينهما اى أصلح و ألفت و كذلك آدم الله بينهما فعل و أفعل بمعنى، و منه الخبر: فإنه أحرى أن يؤدم بينهما «٢» يعنى أن يكون بينهما المحبة و الاتفاق و لعله الأنسب بما فى «العلل» قال: اتى أمير المؤمنين عليه السلام يهودى فقال: لم سمي آدم آدم؟ قال عليه السلام: لأنه خلق من أديم الأرض، و ذلك ان الله تبارك و تعالى بعث جبرئيل و أمره أن يأتية من أديم الأرض أربع طينات: طينة بيضاء، و طينة حمراء، و طينة غبراء، و طينة سوداء، و ذلك من سهلها و حزنها ثم أمره

أن يأتيه بأربع مياه: ماء عذب، و ماء ملح و ماء قر و ماء منتن، ثم أمره أن يفرغ الماء في الطين و آدمه الله بيده فلم يفضل شيء من الطين يحتاج إلى الماء و لا من الماء شيء يحتاج إلى الطين و جعل الماء العذب في حلقه، و جعل الماء المالح في عينيه، و جعل الماء المرّ في أذنيه، و جعل الماء المنتن في انفه «٣». الخبر.

(١) الاحتجاج ص ١٧٩ و عنه البحار ج ١١ ص ١٠٠.

(٢) في لسان العرب ج ١٢ ص ٨: في الحديث عن النبي صلى الله عليه (و آله) و سلم أنه قال للمغيرة بن شعبه و خطب امرأة: لو نظرت إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما قال الكسائي: يؤدم بينكما يعني ان تكون بينهما المحبة و الاتفاق.

(٣) علل الشرائع ص ٢ ح ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٢

و صدره و ان وافق الأخبار المتقدمه إلاً أن قوله: آدمه الله يومئ إلى ما سمعت، و كذا قوله في الخبر الآتي عن تفسير فرات فخلقه من أديم الأرض لأنه لما عجن بالماء استأدم «١»، و ان كان محتملاً- لغيره من الوجوه، بل صدره ظاهر فيما تقدّم، و لعل فيه إشارة إلى سبب التسمية.

و ربما يقال بكونه مشتقاً من الأدمه بالفتح بمعنى الأسوه و هي القدوة لأنه يقتدى به ذريته أو الملائكة و يعرف به افراد هذا النوع، قال في «القاموس»: و هو آدم اهله و ادمتهم و يحرك و ادمهم: أسوتهم الذي به يعرفون، و قد ادمهم كنصر صار كذلك انتهى.

أو من الأدمه بالضم بمعنى السمرة لأنه عليه السّلام كان أسمر اللون على ما قيل، و أورد عليه بأنه لا يناسب ما ورد من براعة جماله و ان يوسف عليه السّلام كان جماله على الثلث منه.

و فيه ضعف واضح فإنّ الادمه لا ينافي البراعة في الحسن، أو بمعنى القرابة و الوسيلة يجعلها في ذريته بالتوالد إلى غير ذلك ممّا لا يأبى عنه اللّغة و الاستعمال و ان كان ظاهر النّصوص هو ما سمعت.

و اما المناقشة في أصل الاشتقاق نظراً إلى اختصاصه بلغات العرب، ثمّ في عربيته و قد روى من أنه عليه السّلام كان يتكلم بالسريانية مضافاً إلى وضوح حدوث اللّغات العربيّة.

(١) تفسير فرات: ٦٥ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٣

فمدفوعة بالمنع من الاختصاص و قد روى أنه عليه السّلام كان يتكلم بكلّ لسان و إن كان الغالب هو البعض، و حدوث اللّغة العربيّة بعد إسماعيل غير مسلم، و قد روى انّ الكتب السماوية كلّها باللّغة العربيّة و ان وقعت في الأسماع بلغات أخرى، و الظاهر انّ التسمية بآدم كانت من الله سبحانه.

و بالجملة لا ينبغي التأمل في عربيته سيّما بعد ما سمعت من الأخبار و لذا قال الجواليقي «١»: اسماء الأنبياء كلّها أعجميّة إلاّ اربعة: آدم، و صالح، و شعيب، و محمد عليهم السّلام.

بل في الخبر: أول من تكلم بالعربيّة آدم عليه السّلام «٢».

و أمّا ما رواه في المعاني و الخصال عن النبي صلى الله عليه و آله: انّ اربعة من الأنبياء سريانيتون آدم و شيث و إدريس و نوح «٣» فمحمول على غلبة تلك اللّغة على لسانه، و لا فقد ورد انّ الله تعالى انزل عليه ألف ألف لسان لا يفهم فيه اهل لسان من أهل لسان حرفاً واحداً بغير تعليم «٤».

بل في «الاختصاص» مثل ما سمعت عن «المعاني» و «الخصال» ثمّ قال

(١) هو ابو محمد إسماعيل بن ابي منصور موهوب بن احمد البغدادي، كان بعد أبيه امام اهل الأدب بالعراق، توفي سنة «٥٣٩ هـ».

(٢) قال السيوطي: عن ابن العباس: أول من تكلم بالعربية المحضة هو إسماعيل عليه السلام و أراد به عربيّة قريش التي نزل بها القرآن، و اما عربيّة قحطان و حمير فكانت قبل إسماعيل - المزهري للسيوطي ج ١ ص ٢٧.

(٣) الخصال: ج ٢ ص ٥٢٤.

(٤) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٥٧ ح ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٤

و كان لسان آدم العربيّة و هو لسان أهل الجنة فلما عصى ربّه أبدله بالجنّة و نعيمها الأرض و الحرث و بلسان العربيّة السريانية «١».

إلى غير ذلك ممّا تأتي إلى بعضها الإشارة.

و من جميع ما مرّ قد ظهر ضعف ما ذكره الزمخشري من القطع بعجمته، و ان استدّل عليه غيره بما لا يخلو من ضعف واضح، ثمّ إنهم صرّحوا بأنّ أصله بهمزتين، لأنّه أفعل لكنهم لبثوا الثانية، و إذا حرّكت جعلت واوا فيجمع على أوادم، لأنّه ليس لها أصل في الياء معروف فجعلت الغالب عليها.

و في «المجمع» أنّه ان أخذ من أديم الأرض صرف بالتنكير، أو من ادمه اللّون و الصّيفه فإذا سمّيت به في هذا الوجه ثم نكرته لم تصرف «٢» و الوجه واضح.

ثمّ أنّه عليه السّلام يكتنى أبا البشر، و روى أبا محمّد ايضا ففي «البحار» عن نوار الراوندي بالإسناد عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: أهل الجنة ليست لهم كنى إلّا آدم عليه السّلام فأنّه يكتنى بأبي محمد توقيرا و تعظيما «٣».

و المراد بالاسم ما يدلّ على الشئ في مرتبة الذات و الكينونة أو في مرتبة الفعل و الطّبيعة و الخواص، او في مرتبة الألفاظ الموضوعه المؤلّفة من الحروف، و لذا ينقسم إلى اقسام ثلاثة بل اربعة حسبما مرّت إليها الإشارة في تفسير البسمله.

«و الكلّ» لفظ يدلّ على الاستيعاب و الاحاطة بالأجزاء، و يؤكّد به مثل أجمعون إلّا أنّه يبدأ في الدّكر بكلّ كما في قوله: فسجد الملائكة كلّهم\*  
\*كُلُّهُمْ\*

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ٥٦ عن الاختصاص.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٧٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٠٧ عن نوار الراوندي ص ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٥

أَجْمَعُونَ\* «١»، لأنّ الكلّ قد يلي العوامل، و أجمعون لا يكون إلّا تابعا و التأكيد بالاستيعاب إمّا باعتبار أنواع الإسم حسبما سمعت، أو افراد كلّ نوع، و الأولى اعتبار العموم من الجهتين، سيّما مع تأكيد الجمع المحلّي، أو أنّ المراد بالأسماء مسميّاتها بتقدير المضاف اليه، فتشمل جميع الأكوان، و أفعالها، و خواصّها و آثارها، و اصول العلوم و الصناعات، و انواع المدركات من المعقولات و المحسوسات، و غيرها ممّا علّمها الله تعالى آدم تعليما إلهاميا مرتبّا على كمال الاستعداد الحاصل من التعليم التكويني، فأنّه جعل وجوده و كينونته نسخة مختصرة مشتملة على كليّات ما في العوالم الملكوتية و النّاسوتية، و لذا ورد أنّه قد أخذ من جميع القبضات المأخوذة من السموات و الأرضين.

ففي «الكافي» عن الصّيادق عليه السّلام قال: إنّ الله عزّ و جلّ لما أراد ان يخلق آدم عليه السّلام بعث جبرئيل في أوّل ساعة من يوم

الجمعة، فقبض يمينه قبضة، فبلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، وأخذ من كل سماء تربة، و قبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى، فأمر الله عزّ وجلّ كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمينه، والقبضة الأخرى بشماله، ففلق الطين فلتين، فذرا من الأرض ذروا و من السموات ذروا، فقال للذى بيمينه: منك الرّسل و الأنبياء و الأوصياء و الصّديقون و المؤمنون و السعداء و من أريد كرامته، فوجب لهم ما قال كما قال، و قال للذى بشماله: منك الجبارون و المشركون و الكافرون و الطّواغيت و من أريد هوانه و شقوته، فوجب لهم ما قال كما قال ثمّ انّ الطّينتين خلقنا

(١) الحجر: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٦

جميعا «١»، الخبر على ما يأتي.

فإنّ المراد بيوم الجمعة يوم اجتمع فيه خلق العالم، و تمّ فيه مراتب الوجود الكليّة من العلويّة و السّفلية على ما أشير إليه في الأخبار المتضمّنة لبيان خلق السموات و الأرض في سنّة ايام.

و أمّا ما يقال في بيان تفصيل القبضات التي يستفاد من بعض الأخبار كونها عشرا من أنّها في المؤمن قبضة من محدّد الجهات خلق منها قلبه و قبضة من الكرسي خلق منها صدره، و قبضة من فلك زحل خلق منها عقله، و قبضة من فلك المشتري خلق منها علمه، و قبضة من فلك المريخ خلق منها وهمه، و قبضة من فلك الشمس خلق منها وجوده، الثّاني، و قبضة من فلك الزّهره خلق منها خياله، و قبضة من فلك عطارد خلق منها فكره، و قبضة من فلك القمر خلق منها حياته، و قبضة من أرض الدنيا خلق منها جسده، و في الكافر قبضة من الحوت الذي على البحر تحت الأرضين فخلق منها قلبه، و قبضة من الثور فخلق منها صدره، و قبضة من الأرض السّابعة القصوى أرض الشقاوة فخلق منها دماغه، و قبضة من الأرض السادسة خلق منها علمه، و هي أرض الإلحاد و قبضة من الأرض الخامسة أرض الطغيان خلق منها وهمه، و قبضة من الأرض الرابعة أرض الشهرة خلق منها وجوده الثّاني، و قبضة من الأرض الثالثة أرض الطبع خلق منها خياله، و قبضة من الأرض الثّانية أرض العادة خلق منها فكره، و قبضة من الأرض الاولى أرض النفوس خلق منها جسده، و قبضة من سماء الدنيا خلق منها حياته.

(١) بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ٨٧ عن الكافي ج ٢ ص ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٧

فهو مبني على مقدّمات و اصول لا يخلو بعضها عن ضرب من الحدس و التخمين على ما أشرنا إليه سابقا.

لكن القدر المعلوم من ملاحظة أخبار الباب كقول الصادق عليه السّلام: انّ الصّورة الانسانيّة هي مجموع صور العالمين و هي المختصر من العلوم في اللّوح المحفوظ «١» و قول العالم عليه السّلام: خلق الله عالمين فعالم علوي و عالم سفلي و ركّب العالمين جميعا في ابن آدم «٢» و الشعر المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام:

أترجم انك جرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبر إلى غير ذلك ممّا مرّت إليه الإشارة في تفسير الفاتحة «٣».

هو انّ الإنسان جامع بجمعيته الكونيّة لجميع النشآت الكليّة، محتو على روحانيات العوالم الملكيّة و الملكوتيّة، مطرح لاشعة نجوم الدّراري العلوية و قوى الأجسام السّفلية، و لذا استعدّ بكيئونها لإدراك ما فيها و التخلق باخلاقها.

قال مولانا أمير المؤمنين في الخطبة المذكورة في التّهج: ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها، و عذبها و سبّخها تربة سنّها بالماء حتّى خلصت، و لاطها بالبلّة حتّى لزبت، فجلب منها صورة ذات أحناء و وصول، و أعضاء و فصول، أجمدها حتّى استمسكت، و أصلدها حتّى صلصلت، لوقت معدود و أجل معلوم، ثمّ نفخ فيها من روحه، فمثلت إنسانا ذا أذهان يجيلها، و فكر يتصرّف بها، و



جوارح يخدمها، و أدوات يقبلها، و معرفة يفرق بها بين الحقّ و الباطل، و الأذواق و المشامّ

(١) شرح الأسماء الحسنی ج ١ ص ١٢.

(٢) الاختصاص ص ١٤٢.

(٣) تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ص ٤١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٨

و الألوان و الأجناس، معجوناً بطينته الألوان المختلفة، و الأشباه المؤتلفة، و الاضداد المتعادية، و الأخلاط المتباينة، من الحرّ و البرد، و البلبه و الجمود، و المسائنه و السرور، الخطبة «١».

و فى تفسير فرات عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: أنه سبحانه لما خلق السموات و الأرض و الليل و النهار و النجوم و الفلك و جعل الأرضين على ظهر حوت أثقلها فاضطربت فأثبتها بالجبال فلما استكمل خلق ما فى السموات و الأرض يومئذ خالية ليس فيها أحد قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها و يشفيك الدماء و نحن نسيح بحمدك و نقدر لك قال إني أعلم ما لا تعلمون، فبعث الله جبرئيل عليه السلام فأخذ من أديم الأرض قبضة، فعجنه بالماء العذب و المالح، و ركب فيه الطبايع، قبل أن ينفخ فيه الروح، فخلقه من أديم الأرض فلذلك سمي آدم، لأنه لما عجن بالماء استأدم فطرحة فى الجبل، كالجبل العظيم، و كان إبليس يومئذ خازناً على السموات الخمسة، يدخل فى منخر آدم ثم يخرج من دبره، ثم يضرب يده على بطنه فيقول لائى أمر خلقت؟ لأن جعلت فوقى لا أعطتك، و ان جعلت أسفل منى لا أعينك، فمكث فى الجنة ألف سنة ما بين خلقه إلى أن ينفخ فيه الروح، فخلقه من ماء و طين، و نور و ظلمة، و ريح و نور من نور الله تعالى، فأما النور فتورثه الإيمان، و أما الظلمة فتورثه الكفر و الضلالة، و أما الطين فيورثه الرعدة و الضعف و الاقشعار عند اصابة الماء، فيبعث به على اربع

(١) نهج البلاغة: الخطبة الاولى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٩

طبايع: على الدم، و البلغم، و المرار، و الزيج «١»، الخبر.

إلى غير ذلك ممّا يستفاد منه كونه مخلوقاً من الطبايع السفلية و الأرواح العلوية الفلكية و الناطقة القدسيّة و الكليّة الالهية حسبما تسمع الكلام فيها عند تفسير قوله تعالى: فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي \* «٢».

### الأسماء التي علمها الله سبحانه آدم

و هذا التعليم تعليم تكويني للأسماء التي هي كليات العوالم و جزئياتها، و هي مظاهر للأسماء الالهية التي هي النعوت الكمالية و الصفات الجمالية و الجلالية باعتبار غلبة ظهور الصفة التي اشتمل عليها ذلك الاسم فيه، و هي التي تسمى كلياتها بالمهيات و الحقائق، و جزئياتها بالهويات عند قوم، و تسمى عند آخرين بالفيض الذى ينقسم عندهم إلى الفيض الأقدس و الفيض المقدس، و بالأول يحصل إمكانات الأعيان و استعداداتها بالمشيئة الامكانية، و بالثانى يحصل تلك الأعيان فى عالم الأكوان، مع لوازمها و تابعها و آثارها و ارتباطاتها بالمشيئة الكونية، و لهذا كلما كانت أفراد هذا النوع أكمل كان مظهريتها للأسماء الالهية أظهر، و نبينا محمّد و آله الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين أفضل الموجودات و أكمل البريات.

و لذا ورد فى الأخبار الكثيرة أنهم أسماء الله الحسنی التي لا يقبل الله من احد إلا بولايتهم و معرفتهم و كرامتهم لأنّ الله تعالى جعلهم أبوابه و حجابه و دلائل معرفته

(١) تفسير فرات ص ٦٥ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٩٤.

(٢) الحجر: آية ٢٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٠

و وسائل فيضه و كرامته، فهم الأعراف الذين لا يعرف الله تعالى إلا بسبيل معرفتهم، و هم الأسماء الذين علمهم الله تعالى آدم و شرفه بهم، و أكرمه بإسجاد الملائكة تعظيماً لهؤلاء الأنوار، و تكريماً لآدم و عبوديته لله سبحانه.

ففى «الإكمال» و غيره عن الصادق عليه السلام قال الله تبارك و تعالى علم آدم أسماء حجج الله كلها ثم عرضهم و هم أرواح على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين انكم أحق بالخلافة فى الأرض لتسيحكم و تقديسكم من آدم قالوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قال الله تبارك و تعالى:

يا آدم أُنَبِّئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَقَفُوا عَلَى عَظِيمٍ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ، فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونُوا خُلَفَاءَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَ حِجْجِهِ عَلَى بَرِيَّتِهِ ثُمَّ غَيَّبَهُمْ عَنْ أَبْصَارِهِمْ وَ اسْتَعْبَدَهُمْ بِوَلَايَتِهِمْ وَ مَحَبَّتِهِمْ وَ قَالَ لَهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ «١»، الآية.

و فى تفسير الامام عليه السلام: و علم آدم الأسماء، كلها أسماء أنبياء الله و أسماء محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين و الطيبين عن آلهمما و أسماء خيار شيعتهم و عتاء أعدائهم «٢».

و فيه عن سيد الشهداء قال: إن الله تعالى لما خلق آدم و سواه و علمه أسماء كل شىء و عرضهم على الملائكة جعل محمدا و عليا و فاطمة و الحسن

(١) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٢٨٣ ح ٣٨ عن إكمال الدين.

(٢) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الإمام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣١

و الحسين عليهم السلام أشباحا خمسة فى ظهر آدم «١»، إلى آخر ما يأتى فى الأمر بالسجود له.

و فى «المجمع» عن الصادق عليه السلام أنه سأل عن هذه الآية فقال: الأرضين و الجبال و الشعاب و الأودية ثم نظر إلى بساط تحته فقال و هذا البساط مما علمه الله «٢».

و رواه العياشى فى تفسيره و فيه أنه سئل الصادق عليه السلام عن الأسماء فى قوله:

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ما هى؟ فقال عليه السلام: أسماء الأودية و النبات و الشجر و الجبال من الأرض «٣».

و فيه عن داود بن سرحان العطار قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السلام فدعا بالخوان فتغذينا، ثم جاءوا بالطست و الدست شويه «٤» فقلت: جعلت فداك و علم آدم الأسماء كلها الطست و الدست شويه منه؟ فقال: الفجاج و الأودية و أهوى بيده كذا و كذا «٥».

و فى تفسير القمى قال: أسماء الجبال و البحار و الأودية و الثبات و الحيوان.

و قد ظهر لك مما لو حنا إليه الجمع بين اخبار الباب، بل بينها و بين ما قيل:

من أن المراد بالأسماء هى الأسماء الالهية أو الحقائق الكونية التى هى لها مظاهر كلية، و ذلك لأنه قد تواتر عنهم أنه تعالى خلق أول ما خلق أنوار محمد و آل محمد و أرواحهم عليهم السلام، ثم خلق من أشعة أنوارهم سائر الحقائق الكلية من المجرد و المادية العلوية و السفلية، على حسب درجاتها و مراتبها و قربها من ينبوع الرحمة الكلية

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٥٠ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٧٦.

(٣) البحار ج ١١ ص ١٤٧ عن تفسير العياشي.

(٤) الدست شويه: كلمة فارسيّة اى الإناء الذى يغسل فيه الايدي.

(٥) البحار ج ١١ ص ١٤٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٢

و بعدها عنه، كما أشير اليه فيما مرّ نقله من كتاب «الأنوار» وغيره، وقد علّمها الله تعالى آدم بأن جعل تكوينه من القبضات المأخوذة من جميع العوالم الكليّة، و جعل طينته مستعدّة لظهور الحجج و الأنبياء سيّما محمّد و آلّه الطيّبين صلوات الله عليهم أجمعين. منها فى هذه النشأة الدنيويّة، فعلمه الأسماء الكليّة و الحقائق الكويّنة تعليمًا تكوينيًا، و جعلها مستعدّة لإدراك كلّ حقيقة من الحقائق بما فيه من القبضة المأخوذة من تلك النشأة و التّجلى الحاصل من ذلك الاسم، فكان أنموذجا و خلاصه مأخوذة من جميع العوالم، فخلق فى عالم النّاسوت بعد خلق جميع اجزائه الكويّنة، لأنّ ما هو متقدّم فى الخلقة الملكويّنة متأخّر فى الظهور النّاسوتى فيتعاكس التقدّم الدّهري و الزّمانى، فلما دارت الأدوار و تمّت الأكوار ظهر الإنسان، محيطا على جميع الشّؤون و النّشآت، مجمعا لجميع الاقتضاءات و الاستعدادات، قابلا للترقيّات من جميع الجهات، فهو ثمرة شجرة الوجود، و القابل لإشراق أشعة أنوار الشّهود، فكما أنّ الثمرة تعبر على أجزاء الشجرة كلّها حتّى تظهر على أعلى الشجرة بعد تمامها، كذلك عبّر آدم على جميع أجزاء شجرة الوجود حتّى ظهر فى هذه النشأة الدّانية السافلة فى كسوة النّاسوت.

و أمّا الملائكة فكلّ منهم له مقام معلوم لا يتعداه، و لا يدرك ما سواه، و لا يعبد الله سبحانه إلّا بلسان واحد، و لا يدعوّه إلّا باسم واحد، و أمّا سائر الأسماء الالهية فمحبوبة عنهم لا يدركونها أصلا نعم ربما كان الاسم الذى يدعو به واحد منهم مغايرا لما يدعو به الآخر لكنّها متّفقه فى نوع الاتّحاد بخلاف الإنسان، فأنّه يدعو بأسمائه الحسنى و أمثاله العليا و نعمه الّتى لا تحصى المفسيّرة فى الأخبار

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٣

الكثيرة بالنّبي و الأئمّة عليهم الصلاة و السلام.

و من هنا يتّضح تفسير الأسماء بالأنبياء و الحجج و بتلك الحقائق الكليّة و الأعيان الموجودة الخارجيّة الّتى عبّر عنها بالأرضين و الجبال و الثّبات و الحيوان و غيرها ممّا هى تعينات لتلك الحقائق البسيطة و المركّبة.

و قرىء: و علّم آدم الأسماء على البناء للمفعول.

ثمّ عرّضهم على الملائكة عرض هؤلاء الأسماء الفعلية الذين هم نفس الحقائق الكويّنة المشتملة على ذوات العقول الذين هم الأصول لها و لو باعتبار الشرف و سبق الخلقة و وساطة الفيض تكوينا و تشريعا على النّحو المقرّر، أو مسميّات الأسماء اللفظية المدلول عليها ضمنا باعتبار حذف المضاف إليه فى قوله: «و علّم آدم الأسماء» لدلالة المضاف عليه، و تعويض اللام عنه كما فى قوله: «و اشتعل الرّأس شيئا» (١)، فينتظم حينئذ قوله: عرّضهم و قوله: بأسماء هؤلاء و لم يجعل المحذوف مضافا اى مسميّات الأسماء لينتظم تعليق الإنباء على الأسماء فيما ذكر بعد التعليم و على الوجهين فالمراد أشباح المخلوقات و حقائقها فردا فردا فى عالم الملكوت، فإنّ السؤال عن أسماء المعروضات، فلا يكون المعروض نفس الأسماء سواء أريد بها الألفاظ أو الآثار و اللّوازم و الفوائد.

و تذكير الضمير إمّا لأنّ لكلّ منها عقلا و شعورا فى عالمه، و لذا نسب إليهم

(١) مريم: ٤.

التسبيح و ذكرهم في قوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ «١»، و إما لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء لما مرّ كما في قوله: وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ «٢»، و إما لكون الصّير للنبي و الأئمة الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين.

و لذا قال الامام عليه السلام في تفسيره: عرض محمدا و عليا و الأئمة عليهم السلام على الملائكة اى عرض أشباحهم و هم أنوار فى الأظلة «٣».

و فى الخبر المتقدم: علم آدم أسماء حجج الله كلها ثم عرضهم و هم أرواح على الملائكة «٤».

و قراءة أبى «٥» «ثم عرضها»، و عن ابن مسعود: ثم عرضهن، و يظهر الوجه فيهما ما مرّ.

و العرض مصدر من قولهم: عرضت المتاع على البيع، و عرضت الجند عليه، و عرضت البعير على الحوض، و إن كان هذا من المقلوب، و أصله فى اللغة الناحية من نواحى الشىء، و منه العرض بالفتح خلاف الطول، و بالكسر يقابل به المال، فإنه

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) النور: ٤٥.

(٣) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٤) البحار ج ٢٦ ص ٢٨٣ عن إكمال الدين.

(٥) هو أبى بن كعب ابو المنذر الأنصارى سيد القراء، توفى سنة (١٩) ه العبر للذهبي ج ١ ص ٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٥

ناحيته التى يصونها عن المكروه، ثم أطلق على الإظهار الذى يعرف به جهة الشىء و ناحيته، ثم على مجرّد الإظهار.

نعم قد يقال: إنه يختص بالمحسوسات بالعين يقال: عرضت الجند، عرض العين إذا أمرتهم عليك و نظرت ما حالهم، كما عن الجوهري، و هذا ممّا يؤيد كون المعروض نفس المسميات لا الأسماء التى هى المسموعات او ما فى حكمها، و المعنى أظهرهم على الملائكة بكشف الحجب عن الأرواح و اراءء الأشباح و هم فى أصقاع الملكوت و سرادات الجبروت متوجهين إلى الحى الذى لا يموت فقال الله سبحانه لملائكته تعجزوا و تبكيتم لهم، و تنبها على قصورهم عن أمر الخلافة او تكليفا مطلقا أو مشروطا:

أَنْبِئُونِي أَخْبِرُونِي عَلَى وَجْهِ الْإِحَاطَةِ الْعَلْمِيَّةِ الَّتِي لَا تَأْتِي إِلَّا بِالْإِحَاطَةِ الْكَوْنِيَّةِ أَوْ أَنَّ الْمُرَادَ مَجْرَدَ الْإِخْبَارِ، فَإِنَّ الْإِنْبَاءَ إِخْبَارٌ فِيهِ إِعْلَامٌ وَ لَذَا يَجْرَى مَجْرَى كُلِّ مِنْهُمَا بِأَسْمَاءِ هُوَ لِأَنَّ الْحَجَجَ الَّذِينَ لَوْلَاهُمْ لَمْ يَخْلُقْكُمْ اللَّهُ تَعَالَى، وَ لَا أَرْضًا وَ لَا سَمَاءً، وَ لَا شَيْئًا مِنَ الْأَكْوَانِ الْمَجْرُودَةِ وَ الْمَادِيَّةِ، وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْعِلَلُ الْغَائِيَّةُ وَ الْمَقَاصِدُ الْاَصْلِيَّةُ مِنْ خَلْقِ الْعَالَمِ وَ آدَمَ، وَ هُمُ الْمُخْتَصُونَ بِالْخِلَافَةِ الْكَلْبِيَّةِ وَ الْوَسَائِطُ الْأَوَّلِيَّةُ لِلْفِيوضِ الْاَلَهِيَّةِ أَوْ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الَّتِي بِمَا خَلَقْتَ هَذِهِ الْأَشْبَاحَ، فَانْهَا بِتَمَامِهَا كَانَتْ مَحْجُوبَةً عَنِ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا نَوْعًا وَاحِدًا لِكُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ أَوْ بِخَوَاصِّ تِلْكَ الْمَسْمِيَّاتِ وَ آثَارِهَا وَ وَجْهِ اسْتِنْبَاطِ مَنَافِعِهَا وَ اَفْعَالِهَا وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَوَقَّفُ عِمَارَةُ الْأَرْضِ وَ الْاِتِّفَاعُ بِمَا فِيهَا عَلَيْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِى زَعْمِكُمْ أَنْكُمْ أَحْقَّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ ذَرِيَّتِهِ لِعَصْمَتِكُمْ أَوْ اِشْتَغَالِكُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَ التَّقْدِيسِ عَلَى مَا يَسْتَفَادُ مِنْ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٦

خير «الإكمال» المتقدم «١».

أو أنّ جميعكم مطيعون منقادون و ليس فيكم من يعصى الله و ان لم يكن منكم لشمول الخطاب للجميع، و لذا قال الامام عليه السلام فى تفسيره: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنْ جَمِيعَكُمْ تَسْبِحُونَ وَ تَقْدِّسُونَ، وَ اِنْ تَرَكَكُمْ هُنَا أَصْلَحَ مِنْ إِيرَادِ مَنْ بَعْدَكُمْ، اِى فِكَمَا لَمْ تَعْرِفُوا غَيْبَ مَنْ فِى خِلَالِكُمْ فَالْحَرَى أَنْ لَا تَعْرِفُوا الْغَيْبَ الَّذِى لَمْ يَكُنْ كَمَا لَا تَعْرِفُونَ اَسْمَاءَ أَشْخَاصٍ تَرُونَهَا.

أو في زعمكم أنه لن يخلق الله تعالى خلقا إلّا و أنتم اعلم منه و أفضل في سائر انواع العلوم فقيل: إن كنتم صادقين في هذا الظن فأخبروا.

او ان المراد. إن كنتم صادقين فيما تخبرون به من اسمائهم فأخبروا بها و معناه هو التعليق بالعلم على أحد الوجهين اللذين تأتي إليهما الإشارة.

أو في أن خلقهم و استخلافهم مع أن من شأنهم الإفساد و القتل لا يليق بالحكيم و على هذا فقولهم: أ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ و إن كان إنشاء إلّا أن التصديق لم يتعلّق به من هذه الجهة، بل باعتبار ما يلزم مدلوله من الإخبار.

ثم الأمر في قوله: أَنبِئُونِي يحتمل كونه توطينا امتحانيا محضا بمعنى أنه لم يتعلّق الغرض بطلب فعل المأمور به أصلا و لو على وجه الاشتراط، فالأمر و ان كان أمرا في الصّورة إلّا أن المراد به هو البعث على التصديق و الإذعان بحكمته تعالى و علمه بالغيوب او بفضل آدم عليهم على ما يأتي على حدّ سائر الأوامر الامتحانية التي ليس هناك في الحقيقة طلب أصلا.

(١) تقدّم عن البحار ج ٢٦ ص ٢٨٣ عن الإكمال.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٧

و يقرب من ذلك ما قيل: من كونه للتبكيث تنبيها على عجزهم عن اقامة رسم الخلافة، فإنّ التصرف و التدبير و القضاء بالقسط متوقّف على تحقّق المعرفة و الوقوف على مراتب الاستعدادات و قدر الحقوق.

و يحتمل كونه أمرا حقيقيا مشروطا بصدقهم أي بعلمهم على ما مرّ و يأتي أو بغيره ممّا لم يتحقّق بعد كي يتنجز الأمر بالنسبة إليهم، او حقيقيا مطلقا في الحقيقة و إن كان مشروطا في الظاهر، و ذلك لتحقّق الشرط الذي علّق عليه الأمر و هو صدقهم فيما أخبروا عنه من عبادتهم، او كون ذريّة آدم ممّن يفسد فيها و يسفك الدماء، و الامثال على هذا الوجه و ان لم يكن مقدورا لهم بالذات لجهلهم بتلك الأسماء إلّا أنّهم مقدور لهم بواسطة رجوعهم إلى آدم و تعليمهم منه، و لذا أمر الله تعالى آدم بتعليمهم إزاحة للعلّة و تنبيها على فضل آدم عليهم و عدم استغنائهم عنه في عبوديتهم و طاعتهم لله سبحانه و هذا الوجه و إن لم أجد من تعرّض له من المفسّرين إلّا أنّه لا بأس به بعد المحافظة على استقامة الكلام و احراز الفائدة.

نعم قال شيخنا الطبرسي بعد تأويل الاشتراط بالصدق إلى ارادة العلم بالخبر على ما مرّ و الإشارة إلى أن معنى الأمر هو التنبيه او أنّه يكون امرا مشروطا ما لفظه: و لا يجوز أن يكون ذلك تكليفا لأنّه لو كان تكليفا لم يكن تبينا لهم ان آدم يعرف اسماء هذه الأشياء بتعريف الله إياها و تخصيصه من ذلك بما لا- يعرفونه فلما أراد تعريفهم ما خصّ به آدم من ذلك علمنا أنّه ليس بتكليف انتهى «١» كلامه زيد مقامه.

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٧٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٨

و فيه ان ارادة تعريفهم ما خصّ به آدم من ذلك ليس مانعا عن كونه تكليفا لهم، بل لعلّه يؤكّده من حيث إنّهم لما أمروا بالإنباء و لم يقدروا عليه إلّا من جهة التعلّم من آدم ثمّ أنبأهم آدم بها بامرهم سبحانه علموا أنّ له الفضل و الشرف بالعلم و زيادة حقّ التعليم لهم فيما توقّف عليه طاعتهم و تقرّبهم إليه سبحانه، فهذا تنبيه على شرفه و فضله عليهم على وجه ابلغ كما لا يخفى.

و ممّا يوميئ إلى ما ذكرنا أنّ كلّا من الاشتراط و التوطيين خلاف الظاهر من الأمر، و من البيّن أنّ المتعيّن هو الحمل على الظاهر الّذي هو الإطلاق إلّا أن يمنع عنه مانع، و الأصل بل الظاهر ايضا عدمه مضافا إلى أنّ اعتذارهم بعدم العلم دليل على عدم فهم الاشتراط من الخطاب بل كأنهم فهموا الطّلب على وجه الإطلاق فاعتذروا بعدم العلم فازاح الله عذرهم بأنّ امر آدم بتعليمهم و انبائهم.

## تفسير الآية (٣٢)

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا نَنْزِيهِ مِنْهُمْ لَه سُبْحَانَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ فَعْلُهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْحِكْمَةِ أَوْ أَنْ يَعْلَمَ الْغَيْبَ أَحَدٌ سِوَاهُ وَ اعْتِذَارَ عَنِ الِاسْتِفْسَارِ مَعَ الْإِشْعَارِ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلِاعْتِذَارِ بَلْ لِمَجْرَدِ الِاسْتِخْبَارِ وَ اعْتِرَافِ بِالْعِجْزِ وَ الْقُصُورِ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِوَجْهِ الْحِكْمَةِ فِي أَعْمَالِهِ، وَ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَهُ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ عِلْمِ الْإِنْسَانِ وَ فَضْلِهِ وَ الْحِكْمَةِ فِي خَلْقِهِ وَ مِرَاعَاةِ لِلْأَدَبِ حَيْثُ مَجْدُوهُ أَوْلَا بِالْتَنْزِيهِ الَّذِي هُوَ ابْلَغُ مِنَ اثْبَاتِ الْكَمَالِ، إِذْ رُبَّمَا لَا يَخْلُو عَنْ شُوبِ التَّوْهَمِ وَ التَّشْبِيهِ، وَ لَذَا قَالَ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٩

يَصِفُونَ «١»، ثُمَّ نَفَوْا الْعِلْمَ بِجِنْسِهِ الْمُسْتَوْعَبِ بِجَمِيعِ أَفْرَادِهِ عَنْهُمْ وَ نَسَبُوهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ أَظْهَرُوا شُكْرَ نِعْمَتِهِ بِمَا مَنَحَهُمْ بِهِ مِنْهُ، وَ لَذَا أَضَافُوا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِلَى قَوْلِهِمْ: لَا- عِلْمَ لَنَا مَعَ الْاِكْتِفَاءِ بِهِ فِي الْجَوَابِ، فَانْتَهَمَ أَرَادُوا أَنْ يَضِيفُوا إِلَى ذَلِكَ التَّعْظِيمَ لَهُ وَ الِاعْتِرَافَ بِانْعَامِهِ عَلَيْهِمْ بِالتَّعْلِيمِ وَ انْ جَمِيعِ مَا يَعْلَمُونَهُ إِنَّمَا يَعْلَمُونَهُ مِنْ جِهَتِهِ، وَ انَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ جَمَلَةٍ ذَلِكَ، ثُمَّ حَقَّقُوا الِاعْتِرَافَ بِعِلْمِهِ وَ حِكْمَتِهِ وَ أَكْثَدُوهُ بِقَوْلِهِمْ: إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِمَا ذَاتِيَا لَمْ يَعْرِضْ وَ لَا يَزُولُ الْحَكِيمُ الْمَصِيبُ فِي كُلِّ فَعْلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ، الْمَحْكَمُ لِمَبْدَعَاتِهِ عَلَى أَتَمِّ الْوَجْهِ وَ أَتَقْنَهَا.

وَ مِنْ هُنَا يَظْهَرُ أَنَّ مَفْهُومَ الْحِكْمَةِ زَائِدٌ عَلَى مَفْهُومِ الْعِلْمِ، فَلَا تَكَرَّرُ، وَ انَّ فِي الْفَعِيلِ مِنَ الْمَبَالِغَةِ مَا لَيْسَ فِي الْفَاعِلِ، وَ انَّ تَقْدِيمَ الْأَوَّلِ عَلَى الثَّانِي طَبِيعِيٌّ.

وَ (سُبْحَانَ) مَصْدَرُ كَفْرَانَ، أَوْ اسْمٌ لِلتَّسْيِيحِ يَقُومُ مَقَامَهُ، وَ لَا يَكَادُ يَسْتَعْمَلُ إِلَّا مَضَافًا مَنْصُوبًا بِفَعْلٍ مَضْمُرٍ كَمَعَاذَ اللَّهِ، وَ هُوَ هُنَا مَضَافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ، دُونَ الْفَاعِلِ، وَ يَضَافُ إِلَى الضَّمَائِرِ الثَّلَاثَةِ وَ إِلَى الظَّاهِرِ، وَ يَسْتَعْمَلُ مَقْطُوعًا لِلتَّعَجُّبِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: سُبْحَانَ مَنْ كَذَا إِذَا تَعَجَّبُوا مِنْهُ، وَ مِنْهُ قَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ «٢»:

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مَنْ عَلِقَمَةُ الْفَاخِرِ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَ أَنَّمَا لَمْ يَنْوُنْ لِأَنَّهُ مَعْرِفَةٌ عِنْدَهُمْ وَ فِيهِ شَبْهُ التَّأْنِيثِ «٣». وَ الْمُرَادُ بِهِ فِي الْمَقَامِ الْإِشْعَارِ بِتَنْزِيهِهِ تَعَالَى عَلَى مَا مَرَّ أَوْ أَظْهَارَهُمُ التَّعَجُّبِ

(١) الصَّافَّاتُ: ١٨٠.

(٢) هُوَ عَامِرُ بْنُ الْحَارِثِ الْبَاهِلِيُّ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ وَ أَشْهَرُ شِعْرِهِ «رَأَيْتَهُ فِي رِثَاءِ أَخِيهِ لِأُمِّهِ: الْمُنْتَشِرُ ابْنُ وَهْبٍ أَوْرَدَهَا الْبَغْدَادِيُّ بِرَمْتِهَا فِي خَزَائِنِ الْأَدَبِ ج ١ ص ٩.

(٣) الصَّحَاحُ ج ١ ص ٣٧٢ فِي سَبْحِ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٠

عَنْ سَوَالِهِمْ عَمَّا لَا يَعْلَمُونَهُ، أَوْ مَعْنَاهُ السَّرْعَةُ إِلَيْهِ وَ الْخَفَةُ فِي طَاعَتِهِ عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ فِي «الْقَامُوسِ» أَخْذًا لَهُ مِنَ السَّبَاحَةِ لِلْقَوْمِ، وَ مِنْهُ السَّابِحَاتُ لِلسَّفَنِ، أَوْ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ النُّجُومِ.

وَ «لَا» لِنَفْيِ الْجِنْسِ تَفِيدُ بِنَفْيِهِ نَفْيَ جَمِيعِ الْإِفْرَادِ، وَ الظَّرْفُ بِمَتَعَلِّقِهِ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى الْخَبَرِيَّةِ، وَ الْمَوْصُولُ بَدَلٌ مِنْ اسْمِ «لَا» وَ الْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، وَ «أَنْتَ» فَصْلٌ فَلَا مَوْضِعَ لَهُ مِنَ الْاِعْرَابِ، أَوْ مَبْتَدَأُ خَبَرِهِ «الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» وَ الْجَمَلَةُ خَبَرٌ إِنَّ أَوْ تَأْكِيدٌ لِلْكَافِ كَمَا فِي قَوْلِهِمْ: مَرَرْتُ بِكَ أَنْتَ.

## تفسير الآية (٣٣)

قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ أَخْبَرَهُمْ بِالْحَقَائِقِ الْكَلِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ مَحْجُوبَةً عَنْهُمْ، وَ الْمَعَارِفِ الْيَقِينِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَنْكَشِفْ لَهُمْ مِمَّا لَدِيهِمْ مِنَ الْعُلُومِ الْخَاصَّةِ بِهِمْ، وَ الطَّرِيقِ الْمَوْصَلَةِ لَهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِهِ كَيْ يَعْرِفُوا جَامِعِيَّتَكَ بَيْنَ الصِّفَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ وَ الْأَسْمَاءِ الْمُتَبَايِنَةِ وَ قَابِلِيَّتِكَ لِلْخِلَافَةِ الْكَلِيَّةِ وَ الْمَوْهَبَةِ الرُّبَابِيَّةِ وَ ظُهُورِ أَنْوَارِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْأَوْلِيَاءِ سَيِّمًا نَبِيَّنَا خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مِنْ صَلْبِكَ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْجِسْمَانِيِّ الَّذِي هُوَ مَجْمَعُ التَّضَادِّ وَ مَطْرَحُ الْأَشْعَاءِ.

وَ قَرِئَ بِقَلْبِ الْهَمْزَةِ يَاءٍ وَ بَحْدَفِهَا، وَ الْهَاءِ فِيهِمَا مَكْسُورَةٌ، وَ هُمَا مِنَ الشَّوَاذِ، بَلْ وَ كَذَا مَا يَحْكِي عَنْ ابْنِ عَامِرٍ «١» مِنْ تَفْرَدِهِ بِكَسْرِ الْهَاءِ مَعَ الْهَمْزَةِ كَمَا عَنْ بَعْضِ

(١) هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ أَبُو عَمْرَانَ الدَّمَشَقِيُّ أَحَدَ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ، وَ لِي قِضَاءٌ دِمَشَقَ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، مَاتَ سَنَةَ (١١٨) هـ الْأَعْلَامُ ج ٤ ص ٢٢٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤١

العرب، وَ قَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّ الْمَاءِ مَعَهَا بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي هَاءِ الضَّمِيرِ أَنَّ تَكُونَ مَضْمُومَةٌ، وَ أَمَّا تَكْسُرُ إِذَا وَلِيَهَا كَسْرًا أَوْ يَاءٍ نَحْوَ بِهِمْ، وَ عَلَيْهِمْ، وَ فِي خَبَرِ أَسْؤَلَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ «١» عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنَّهُ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي كَمْ خَلَقَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنْ بَنِي آدَمَ؟ قَالَ: يَا بَنِي سَلَامٍ خَلَقَ اللَّهُ مِائَةَ أَلْفِ نَبِيٍّ وَ أَرْبَعَةَ وَ عَشْرِينَ أَلْفَ نَبِيٍّ، قَالَ:

صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي آدَمَ كَانَ نَبِيًّا مَرْسَلًا؟ قَالَ: نَعَمْ أَمَا قَرَأْتَ فِي التَّوْرَةِ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، الْآيَةَ قَالَ صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ «٢».

### الأقوال في نبوة آدم حين تعلم الأسماء

أقول وَ ظاهر هذا الخبر أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ كَانَ يَوْمئِذٍ نَبِيًّا مَرْسَلًا، وَ هُوَ أَحَدُ الْأَقْوَالِ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَ بِهِ قَالَتِ الْمَعْتَزَلَةُ نَظْرًا إِلَى أَنَّ مَا ظَهَرَ مِنْ آدَمَ مِنْ عِلْمِهِ مَعْجَزَةٌ دَالَّةٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ لِكُونِهِ خَارِقًا لِلْعَادَةِ، وَ إِذَا ثَبَتَ كُونُهُ مَعْجَزًا ثَبَتَ كُونُهُ رَسُولًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَ أَجِيبُ بَأَنَّ لَا نَسْلَمَ كُونَهُ خَارِقًا لِأَنَّ حُصُولَ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ لِمَنْ عَلَّمَهُ اللَّهُ وَ عَدَمَ حُصُولِهِ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بِخَارِقٍ لِلْعَادَةِ وَ الْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ بَعْدَ تَسْلِيمِ ذَلِكَ أَنَّ الظَّاهِرَ الْخَارِقَ إِنَّمَا يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى النُّبُوَّةِ مَعَ اقْتِرَانِهِ بِالذَّعْوَى وَ التَّحْدِي وَ هُوَ غَيْرُ وَاضِحٍ فِي الْمَقَامِ.

وَ ثَانِي الْأَقْوَالِ كُونَهُ مَرْسَلًا إِلَى حَوَاءَ خَاصَّةً يَوْمئِذٍ ثُمَّ عَلَى وَلَدِهِ بَعْدَ خُرُوجِهِ

(١) هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ بْنِ الْحَارِثِ الْإِسْرَائِيلِيِّ أَبُو يُوسُفَ - صَحَابِيٍّ أُسْلِمَ عِنْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ الْمَدِينَةَ وَ كَانَ اسْمُهُ الْحَصِينِ، فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَبْدَ اللَّهِ مَاتَ سَنَةَ (٤٣) هـ. الْأَعْلَامُ ج ٤ ص ٢٢٣.

(٢) الْبَحَارُ ج ٥٧ ص ٢٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٢

مِنَ الْجَنَّةِ وَ تَجَدَّدَهُمْ، وَ ذَلِكَ لِكُونِهِمْ مِنْ أَفْرَادِ نَوْعِهِ وَ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُحْتَاجُونَ فِي مَعَاشِهِمْ وَ عِبَادَتِهِمْ إِلَى تَبْلِيغِهِ، وَ أَمَّا اشْتِرَاكُ حَوَاءَ مَعَهُ فِي الْخُطَابِ بِقَوْلِهِ: وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ «١» حَيْثُ يَدُلُّ عَلَى تَلْقِيهِهَا الْوَحْيَ لَا بِوَسْطَتِهِ فَلَا يَقْدَحُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَيْهَا لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ اشْتِرَاكِ النَّبِيِّ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْخُطَابَاتِ الْعَامَّةِ كَقَوْلِهِ:

أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ\*.

وَ فِيهِ بَعْدَ الْغَضِّ عَمَّا فِي الْجَوَابِ مِنَ الْمُنَاقَشَةِ أَنَّهُ يَبْقَى أَصْلُ الْقَوْلِ دَعْوَى بِلَا دَلِيلٍ، وَ النَّبِيُّ الْمُتَقَدِّمُ مَعَ ضَعْفِهِ مَعَارِضَ بِأَقْوَى مِنْهُ سِنْدًا وَ عِدَدًا وَ دَلَالَةً عَلَى مَا يَأْتِي، وَ إِطْلَاقُ مَا دَلَّ عَلَى نُبُوَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ لَا يَنْهَضُ حُجَّةً عَلَى إِثْبَاتِهَا يَوْمئِذٍ لِلانْتِصَافِ.

و ثالثها: القطع بأنه عليه السلام لم يكن في ذلك الوقت نبيا لقوله: **ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ «٢»** الدال على أنه تعالى إنما اجتباها بعد الزلّة فقبل الزلّة لم يكن مجتبي فلم يكن رسولا لأن الاجتباء و الرسالة متلازمان، فإن الاجتباء هو التخصيص بأنواع التشريعات و كلّ من جعله الله رسولا فقد خصّه بذلك لقوله: **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ «٣»** ولأنه لو كان نبيا في ذلك الزمان لكانت قد صدرت المعصية بعد النبوة، و ذلك غير جازم فوجب أن لا يكون نبيا في ذلك الزمان، و الملازمة بينه بعد القول بكون تلك الزلّة من الكبائر، و لأنه لو كان رسولا لكان إما مبعوثا إلى حواء و هو باطل، لأنها عرفت التكليف لا بواسطته أو إلى غيرها من الجنّ و الملائكة، و من البيّن أنه ما كان في السماء أحد من الجنّ، و أما الملائكة فهم أفضل من البشر و لا

(١) البقرة: ٣٥.

(٢) طه: ١٢٢.

(٣) الانعام: ١٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٣

يجوز جعل الأدون رسولا إلى الأشرف.

و هذه الوجوه بمكان من الضعف و القصور، و أمّا حكاية الاجتباء فلان المراد به على ما ذكره المفسّرون هو الحمل على التوبة و التوفيق له، كما في قوله في صاحب الحوت **فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصّٰلِحِينَ «١»** و الاجتباء يكون قبل النبوة كما في غير الأنبياء و بعدها كما في قوله: **وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيْ مِنْ رُّسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ «٢»**.

و أمّا الثاني فهو واضح الفساد بناء على ما أجمعنا عليه من عدم صدور المعصية من الأنبياء قبل النبوة و بعدها.

و أمّا الثالث فقد سمعت الجواب عنه مضافا إلى أن البشر عندنا أفضل من الملائكة، نعم يمكن الاستدلال لهذا القول بما رواه في «الأمالي» عن الرضا عليه السلام حيث سئل عن زلّة آدم و منافاتها لعصمته عليه السلام فقال عليه السلام: **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ حَجَّةً فِي أَرْضِهِ وَ خَلِيفَةً فِي بِلَادِهِ وَ لَمْ يَخْلُقْهُ لِلْجَنَّةِ وَ كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ مِنْ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ لَا فِي الْأَرْضِ لِتَمَّ مَقَادِيرَ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَمَّا أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ وَ جَعَلَ حَجَّةً وَ خَلِيفَةً عَصَمَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ «٣»**. «٤» و في العيون عنه عليه السلام في خبر يأتي في كفيته و سوسه إبليس و صدور الزلّة منه

(١) القلم: ٥٠.

(٢) آل عمران: ١٧٩.

(٣) آل عمران: ٣٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ١١ ص ٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٤

قال عليه السلام: و كان ذلك من آدم قبل النبوة و لم يكن ذلك بذنب كبير استحقّ به دخول النار و أمّا كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباها الله و جعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيرة و لا كبيرة قال الله عزّ و جلّ: **وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى «١»** و قال عزّ و جلّ: **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ الْآيَةَ «٢»**.

أقول: و يظهر من الخبرين صحّة الاستدلال بالآيتين أيضا إلا أن الظاهر ورودهما مورد التقيّة لاشتغالهما على ما علم فساده من ضرورة مذهب الامامية من جواز ارتكاب الذنب قبل النبوة، اللهم إلا أن يؤوّل بترك الأولى، أو يقال: إن رفع اليد عن بعض الخبر لتقيّة أو



غيرها لا يوجب رفع اليد عن غيره، و لذا قال الاصوليون: انه كالعام المخصّص حجّة فيما بقي منه بعد التخصيص. و احتمال أن المراد بما في الخبرين كونه حجّة في الأرض بعد التوبة فلا ينافي كونه حجّة في السماء أو على الملائكة قبل الهبوط، مدفوع، لمخالفته لظاهر الخبرين سيما الثاني.

و في تفسير الامام عليه السلام قال الله عزّ و جلّ: يا آدم أنبئ هؤلاء الملائكة بأسمائهم اسماء الأنبياء و الأئمّة قال عليه السلام: فلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَعَرَفُوهَا أَخَذَ عَلَيْهِمْ لَهْمَ الْعَهْدِ وَ الْمِيثَاقَ بِالْإِيمَانِ بِهِمْ وَ التَّفْضِيلَ لَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى عِنْدَ ذَلِكَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، سَرَّهُمَا وَ أَعْلَمُ مَا

(١) طه: ١٢١-١٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ٧٨ عن العيون.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٥

تَبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَ مَا كَانَ يَعْتَقِدُهُ إِبْلِيسُ مِنَ الْإِبَاءِ عَلَى آدَمَ إِنْ أَمَرَ بِطَاعَتِهِ وَ إِهْلَاكِهِ إِنْ سَلَطَ عَلَيْهِ، وَ مِنْ عَقْدَادِكُمْ أَنَّهُ لَا أَحَدٌ يَأْتِي بَعْدَكُمْ إِلَّا وَ أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ، بَلْ مُحَمَّدٌ وَ آلُهُ الطَّيِّبُونَ أَفْضَلُ مِنْكُمْ الَّذِينَ أَنْبَأَكُمْ آدَمَ بِأَسْمَائِهِمْ «١».

و فيه تفصيل و استحضار لقوله: أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَ تَنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْعَالِمُ بِأَسْرَارِ الْمَلِكِ وَ الْمَلَكُوتِ مِمَّا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ غُيُوبِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَوْ ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ أَحْوَالِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَ الْبَاطِنَةِ، وَ قِيلَ: مَا تَبْدُونَ مِنْ نَسْبَةِ الْإِفْسَادِ وَ السَّفْكِ وَ مَا تَكْتُمُونَ مِنْ اسْتِبْطَانِكُمْ أَنْكُمْ الْإِحْقَاءَ بِالْخِلَافَةِ أَوْ مَا تَبْدُونَ مِنَ الطَّاعَةِ وَ مَا تَكْتُمُونَ مِنْ اسْرَارِ إِبْلِيسِ الْمُعْصِيَةِ، وَ لَا يَقْدَحُ فِيهِ اخْتِصَاصُ الْخِطَابِ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ لَيْسَ مِنْهُمْ إِبْلِيسُ لِأَنَّهُ لَمَّا عَمَّهُمُ التَّكْلِيفُ جَازَ أَنْ يَذَكَرَ فِي جَمَلَتِهِمْ مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَرَى لِلْمَلَائِكَةِ أَنَّهُ مِنْهُمْ، وَ كَانَ ذَلِكَ مَعْتَقَدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى مَا يَأْتِي.

قال في «المجمع»: و قد رويت روايات تدلّ عليه «٢» و الاولى الحمل على العموم الشامل لجميع ما مرّ و غيره حتّى ما قيل: من انّ الله تعالى لما خلق آدم مرّت به الملائكة قبل أن ينفخ فيه الرّوح و لم تكن رأت مثله فقالوا لن يخلق الله تعالى خلقا إلّا كنّا أكرم منه و أفضل.

و روى العياشي عن الصادق عليه السلام قال: لما أن خلق الله آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له فقالت الملائكة في أنفسها: ما كنّا نظنّ انّ الله تعالى خلق خلقا أكرم عليه منّا فنحن جيرانه، و نحن أقرب خلقه إليه فقال الله الم ألم أقل لكم إنّي أعلم ما

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٧٣.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٨٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٦

تبدون و ما تكتمون فيما أبدوا من أمر بنى الجن و كنتموا ما في أنفسهم فلاذت الملائكة الذين قالوا ما قالوا بالعرش «١». و في خبر آخر عنه عليه السلام انّ الملائكة منّوا على الله بعبادتهم أيّاه فأعرض عنهم و أنّهم قالوا في سجودهم في أنفسهم ما كنّا نظنّ أن يخلق الله خلقا أكرم عليه منّا نحن خزّان الله و جيرانه و أقرب الخلق إليه فلَمَّا رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ قَالَ اللَّهُ: وَ أَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ مِنْ رَدِّكُمْ عَلَيَّ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ مِنْ ظَنِّكُمْ إِنِّي لَا-اخْلُقُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكُمْ فَلَمَّا عَلِمَتِ الْمَلَائِكَةُ أَنَّهَا وَقَعَتْ فِي خَطِيئَةٍ لَأَذُوا بِالْعَرْشِ وَ أَنَّهَا كَانَتْ عَصَابَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ لَمْ تَكُنْ جَمِيعَهُمْ «٢».

ثمّ أنه ربما يورد في المقام وجوه من السؤال منها: أنّ آدم على نبينا وآله و عليه السّلام أنّما علّم الأسماء بتعليم الله سبحانه، و الملائكة أيضا كانوا قائلين لذلك، و لذلك أنبأهم آدم بما جهلوه من تلك الأسماء، فهلّا علّمهم الله تعالى أوّلا ثمّ أمرهم بتعليم آدم عليه السّلام، و الرّد إلى حكمته البالغة و ان خفيت المصلحة علينا مشترك بينه و بين ما أخبرهم به أوّلا- من خلق آدم و اختصاصه بالخلافة فلم يظهر من هذا التفصيل مصلحة اخرى غير الرّد إلى الحكمة الذي يقتضيه الايمان بالغيب.

و توهم ان الملائكة لم يكونوا مستعدين لأخذ تلك العلوم بلا واسطة بل إنّما

(١) البحار: ج ١١ ص ١٤٨ عن تفسير العياشي.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٢٠٥ ح ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٧

علموها بواسطة آدم عليه السّلام و هو المراد بالفضيلة مدفوع بأنّ الملائكة هم الرسل إلى الأنبياء و هم الملقيات ذكرا عدرا أو نذرا فهم الوسائط في العلوم الإلهية الواصلة إلى البشر.

و الجواب أنّه قد مرّت الإشارة إلى أنّ هذا التعليم كان تكوينيا مختصا بآدم دون الملائكة الذين ليس في طبيعتهم و جبلّتهم خلط و تركيب بل هم وحدانية الصّفة فردانية القوّة لا يفعل كلّ صنف منهم إلّا فعلا واحدا و ما منهم إلّا لهم مقام معلوم، فإنّي لهم الاحاطة بجميع العوالم و العلوم، فإنّ مثالهم مثال القوى البسيطة كالحواس حيث انّ البصر لا يزاحم السمع في مدركاته و هي الأصوات و لا السمع البصر في المرئيات و لا هما يزاحمان الشّم و لا الذّوق و لا شىء منهما يزاحم شيئا من الأولين و أمّا آدم فكان صفوة العالم و قد خلقه الله تعالى من أجزاء مختلفة و قوى متباينة حتّى استعدّ بذلك لإدراك أنواع المدركات من المحسوسات و المعقولات و التمييز بينها و الحكم عليها بما يليق بها و التوسط في الفيوض الواصلة إليها و العبور عنها جميعا إلى مركزه الاصلى و عالمه الكلى فصلح بذلك لتحمل أعباء الخلافة في جميع النشآت و العوالم فجعله الله مستودعا لأنوار علمه و حكمته و معرفته و أودع فيه أنوار النّبى محمد و اهل بيته الطاهرين و غيرهم من الأنبياء و المرسلين صلى الله عليهم أجمعين، و لذا كان آدم مخصوصا بمعرفة الأسماء كلّها و الملائكة لا علم لهم إلّا بما علّمهم ربّهم من خصوصيات جهات كينوناتهم، ثمّ ان الله سبحانه قد تبه على ما أراد التنبيه عليه من شرف آدم و فضله عليهم بان علّمه أوّلا بلا واسطة احد منهم ثمّ أمرهم بالرجوع إليه في اقتباس العلوم و اقتناص المعارف فله الفضل عليهم من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٨

حيث التقدّم في المعرفة و تعليمه لهم و كون علمه الذي هو أشرف الفيوض الالهية و المنح الزبانية مفاضيا عليهم بلا واسطة أصلا و علومهم متأخرا مع الواسطة، فبته بذلك على عدم تأهلهم لأخذ تلك العلوم إلّا بواسطته عليه السّلام، ثمّ أنّه يمكن أن يكون المراد هو التنبيه على تفردّه بعلم الغيوب و احاطته بجهات المصالح و الحكم و ذلك أنّه أمرهم بالاخبار عن الأسماء التي لا يعرفونها كى يعترفوا بالعجز و يقرّوا بقصورهم عن نيل معرفتها فيبتههم على أنّهم إذا لم يعرفوا ذلك و لم يعلموا باطن ما شاهدوا فهم من أن يعلموا باطن ما غاب عنهم أبعد، و من أن يحيطوا علما بمصالح جعل الخليفة و اسرار الخليفة أعجز.

و على هذا فمعظم المقصود هو التنبيه على تفردّه بعلم المصالح، و أنّه يجب على كافّة العبيد الإذعان و التسليم لأمره، و ان استفيد منه ايضا و لو على جهة الاستتباع شرافة آدم و فضله عليهم.

و منها: أنّه تعالى كيف أمر الملائكة أن يخبروا بما لا يعلمون مع أنّ من شرايط التكليف القدرة على الامثال و من اليين انتفاؤها في المقام.

فان قلت: إنّ الممتنع هو التكليف المنجز لاستحالة الطلب حينئذ و قبح التكليف بما لا يطاق، و أمّا المشروط فلا بأس به ما لم يتنجز

التكليف، و إنما القدرة شرط التنجيز، و هو فى المقام مشروط بكونهم صادقين فيما ادعوه، و حيث لم يتحقق الشرط لم يتحقق المشروع.

قلت: لم يظهر وجه لارتباط الأمر بالإنباء بهذا الشرط الذى هو صدقهم، و ما المراد بهذا الصدق المنتفى فى حقهم؟ و ما الذى ادعت الملائكة حتى خوطبوا بهذا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٩

الخطاب؟

و الجواب ان الشرط هو علمهم بما سئلوا عنه فالمراد بالصدق صدقهم فيما ادعوه من العلم بالصراحة او بالالتزام حسبما مرّ أو صدقهم فى الخبر الذى كلّفوا بالاخبار عنه و ذلك بعلمهم بالصدق، و لا- يكون إلّا بالعلم بالمخبر عنه فكأنه قال لهم: أخبروا بذلك إن علمتموه و متى رجعوا إلى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم، و هذا كما يقول القائل لغيره: أخبرنى بذلك ان كنت تعلمه، أو ان كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به عنه، و بالجملة فالامر مشروط بالعلم المنتفى فى حقهم فلا تكليف، و بهذا قد ظهر المراد بالصدق و ارتباط الأمر بالإنباء به.

و أمّا فائدة الأمر حينئذ على وجه الاشتراط مع علمه سبحانه بأنهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به فالوجه فيها هو أن يكشف بإقرارهم على أنفسهم بالجهل و اعترافهم بعدم تمكنهم من الاخبار بالأسماء ما أراد الله سبحانه بيانه من استتاره بعلم الغيب و انفراده بالاطلاع على وجوه المصالح فى الدين.

و قد أجاب السيد المرتضى رضى الله عنه عن اصل الأشكال بوجه آخر و هو ان الأمر و ان كان أمرا بصورته و ظاهره إلّا أنه ليس بأمر فى الحقيقة بل المراد به التقرير و التنبية على مكان الحجية قال: و تلخيصه ان الله تعالى لما قال للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها و يفسدك الدماء و نحن نسيح بحمدك و نقدر لك فقال لهم: إني أعلم ما لا تعلمون أى ائى مطلع من مصالحكم و ما هو انفع لكم فى دينكم على ما لا- تطلعون عليه، ثم أراد التنبية على أنه لا- يمتنع ان يكون غير الملائكة مع أنها تسبح و تقدس و تطيع و لا تعصى أولى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٠

بالاستخلاف فى الأرض، و ان كان فى ذريته من يفسد فيها و يفسدك الدماء، فعلم آدم عليه السلام اسماء جميع الأجناس أو أكثرها و قيل: اسماء النبى محمّد و الأئمة من ولده صلى الله عليهم أجمعين و فيه أحاديث مروية، ثم قال للملائكة: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين مقررًا لهم و متبها على ما ذكرناه و دالا على اختصاص آدم بما لم يخصوا به، فلما أجابوه بالاعتراف و التسليم إليه علم الغيب الذى لا- يعلمونه فقال تعالى لهم: أ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إني أعلم غيب السماوات و الأرض و أعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون متبها على أنه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح فى الدين، و ان الواجب على كل مكلف أن يسلم لأمره، و يعلم أنه لا يختار لعباده إلّا ما هو الأصلى لهم فى دينهم علموا وجه ذلك أم جهلوه، قال: و على هذا الجواب يكون قوله: إن كنتم صادقين محمولا- على كونهم صادقين فى العلم بوجه المصلحة فى نصب الخليفة أو فى ظنهم أنهم يقومون بما يقوم به هذا الخليفة و يكونون له فلو لا أن الأمر على ما ذكرناه و أن القول لا- يقتضى التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم و إقرارهم: أ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إني أعلم غيب السماوات و الأرض و أعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون معنى لأن التكليف الأول لا يتغير عن حاله بان يخبرهم آدم عليه السلام بالأسماء و لا يكون قوله: إني أعلم غيب السماوات و الأرض إلى آخر الآية إلّا مطابقا لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكأنه قال إذا كنتم لا تعلمون هذه الأسماء فأنتم عن علم الغيب أعجز و بأن تسلّموا الأمر لمن يعلمه و يدبر أمركم بحسبه اولى (١).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥١

أقول: و مرجعه إلى كون الأمر امتحانيا محضاً غير مشتمل على التكليف أصلاً و لو فى صورة الاشتراط، و الفرق واضح بينه و بين الأمر المشروط و لو مع علم الأمر و المأمور بانتفاء الشرط و ذلك لأن مطلوبية الفعل و محبوبيته حاصل فى الأمر المشروط على فرض حصول الشرط، و ان كان عالماً بانتفائه بخلاف الأمر التوطينى الذى هو بمجرد الامتحان او غيره من المصالح الخارجة التى لا تعلق لها بالمأمور به، بل المقصود حاصل بنفس الأمر.

فان قلت: إنه لا سبيل فى المقام إلى شىء من الوجهين لعلم كل من الأمر و المأمور بانتفاء الشرط بالنسبة إلى جميع المكلفين فى جميع أزمنة الامتثال فيلغوا الاشتراط و ينتفى فائدة الامتحان و الابتلاء على أن السيد رضى الله عنه و ان جوز الوجهين فى المقام إلا أن مذهبه فى الأصول على خلاف ذلك فإنه قد صرح بأن الشروط إنما يحسن فيمن لا يعلم العواقب و لا طريق له إلى علمها، فأما العالم بالعواقب و بأحوال المكلف فلا يجوز أن يأمره بشرط إلى آخر ما ذكره رحمه الله فكيف التوفيق.

قلت: التحقيق على ما قرّر فى محله هو جواز الأمر المشروط مع علم الأمر و المأمور بانتفاء الشرط إذا كان هناك فائدة للتعليق، و لا وجه للقول بعدم الجواز حينئذ، إذ قصارى ما يستدل به لذلك بعد وضوح عدم كونه تكليفاً بالمحال لقضية الاشتراط و انتفاء الموضوع أن فعله عبث قبيح فيستحيل صدوره من الحكيم، إذ المفروض اتحاد الأحوال و عدم حصول القدرة على الشرط و علم المأمور بذلك فلا يتأتى منه التوطين و العزم على الفعل مضافاً إلى أن الأمر المشروط لا بدّ فيه من اعتبار الطلب و تعلقه بالفعل و لو معلقاً على الشرط و هو محال على الحكيم العالم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٢

بالحال، ضرورة أن طلب المحال محال و الجواب:

أن مدار الجواز على حصول الفائدة التى بها يخرج الفعل عن العبث، و من البين أن الفائدة غير منحصرة فى التوطين، بل ربما يكون المقصود اقرار المخاطب بالعجز و القصور كما فى المقام، و هو غرض صحيح يتعلّق به أمور مقصودة، و من هنا يتجه ان يقال إنه و ان نسب إلى أصحابنا القول بعدم جواز التعليق من العالم بالنسبة إلى العالم إلا أن كلامهم مقصور على ما انتفت فيه الفائدة كما ينادى به دليلهم، و اما مع تحققها فمذهبهم فيه هو الجواز، فالنزاع معهم صغرى فى وجود الفائدة و عدمها لا كبرى فى الجواز على فرضها، و عليه ينزل كلام السيد أيضاً فى المسألة الأصولية فيرتفع التنافى بين الكلامين على أن كلامه فى المقام لبيان الجواب عن الأشكال و لو على مذاق غيره، و قد ظهر ممّا قرّرناه جواز تعلق الأمر على كل من الوجهين بلا فرق بين تعلق القصد على وجه التعليق و عدمه، بل قد سمعت فيما مرّ أنه يحتمل أن يكون الأمر مطلقاً بسبب تحقق الشرط و هو صدقهم فيما نسبوه إلى ذرية آدم أو أضافوه إلى أنفسهم على ما مرّت الإشارة إليها.

و نزيد فى المقام وجهاً ثالثاً و هو: أن يكون الشرط صدقهم فى الخبر اى علمهم بما يخبرون عنه على ما حققناه سابقاً فيكون الحاصل تنجز التكليف بالاخبار بشرط القدرة التى إليها مرجع العلم أيضاً، و من البين أنه مقدور لهم بواسطة التعلّم من آدم و الرجوع إليه، و لذا أمر سبحانه آدم بتعليمهم تحقيقاً للاستطاعة و اراحة للعلّة و ابانه للفضيلة، و هذا جواب آخر عن اصل الأشكال و الله أعلم بحقيقة الحال.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٣

و منها ما أورده السيد رضى الله قال: و لم نجد أحداً ممن تكلم فى تفسير القرآن و لا فى متشابهه و مشكله تعرّض له و هو من مهم ما يسأل عنه، و ذلك أن يقال من اين علمت الملائكة لما خبرها آدم عليه السلام بتلك الأسماء صحه قوله و مطابقة الأسماء للمسميات، و هى لم تكن عالمة بذلك من قبل، إذ لو كانت الملائكة عالمة بالأسماء لأخبرت بالأسماء و لم تعترف بفقد العلم، و الكلام يقتضى أنهم لما أنبأهم آدم بالأسماء علموا صحتها و مطابقتها للمسميات و لو لا ذلك لم يكن لقوله: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ مَعْنَى وَلَا كَانُوا مُسْتَفِيدِينَ بِذَلِكَ نُبُوتِهِ وَتَمِيْزِهِ وَاسْتِخْصَاصِهِ بِمَا لَيْسَ لَهُمْ إِذْ كُلُّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَتَمَّ مَعَ الْعِلْمِ دُونَ غَيْرِهِ ثُمَّ أَجَابَ عَنْهُ: بِأَنَّهُ غَيْرُ مَمْتَنِعٍ مِنْ أَنْ تَكُونَ الْمَلَائِكَةُ فِي الْأَوَّلِ غَيْرِ عَارِفِينَ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَا فَعَلَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ فِي الْحَالِ الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ بِصَحَّتِهَا وَمُطَابَقَتِهَا لِلْمَسْمِيَّاتِ إِمَّا عَنْ طَرِيقٍ أَوْ ابْتِدَاءً بِلَا طَرِيقٍ، فَعَلِمُوا بِذَلِكَ تَمِيْزَهُ وَاسْتِخْصَاصَهُ وَ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى أَنَّهُمْ عَلِمُوا نُبُوتَهُ اضْطِرَارًا، وَ فِي هَذَا مَنَافَاةٌ طَرِيقَةُ التَّكْلِيفِ وَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي عِلْمِهِمْ بِصَحَّةٍ مَا أَخْبَرَ بِهِ ضَرُورَةٌ مِمَّا يَقْتَضِي الْعِلْمَ بِالنُّبُوءِ ضَرُورَةٌ، بَلْ بَعْدَهُ دَرَجَاتٌ وَ مَرَاتِبٌ لَا تَبْدُ مِنَ الْاسْتِدْلَالِ عَلَيْهَا، وَ يَجْرِي هَذَا مَجْرَى أَنْ يُخْبَرَ أَحَدُنَا نَبِيًّا، بِمَا فَعَلَ عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ عَلَى وَجْهِ يَخْرُقُ الْعَادَةَ، وَ هُوَ وَ أَنْ كَانَ عَالِمًا بِصَدَقِ خَبَرِهِ ضَرُورَةٌ لَا تَبْدُ لَهُ مِنَ الْاسْتِدْلَالِ فِيمَا بَعْدَ عَلَى نُبُوتِهِ، لِأَنَّ عِلْمَهُ بِصَدَقِ خَبَرِهِ لَيْسَ هُوَ الْعِلْمُ بِنُبُوتِهِ لَكِنَّهُ طَرِيقٌ يُوَصِّلُ إِلَيْهَا عَلَى تَرْتِيبٍ.

ووجه آخر وهو أنه لا يمتنع أن تكون للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٤

يعرف اسماء الأجناس في لغة دون لغة غيره، ألا أنه يكون احاطة عالم واحد لأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة، فلما أراد الله تعالى التنبيه على نبوة آدم عليه السلام علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما خبر به من الأسماء للغة، وهذا لا يحتاج فيه إلى الرجوع إلى غيره و علم مطابقة ذلك لباقي اللغات لخبر كل قبيل إذا كانوا كثيرة و خبروا بشيء يجرى هذا المجرى علم بخبرهم، فإذا أخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك في لغة غيره ما علمه في لغته.

و هذا الجواب يقتضى أن يكون قوله انبئوني بأسماء هؤلاء اى ليخبرنى كل قبيل منكم بجميع هذه الأسماء.

و هذان الجوابان جميعا مبتنان على أن آدم عليه السلام لم يتقدم لهم العلم بنبوته و ان اخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته، لأنه لو كان نبيا قبل ذلك و كانوا قد علموا تقدم ظهور معجزات على يده لم يحتج إلى هذين الجوابين لأنهم يعلمون إذا كانت الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد أن يعلموا ذلك بقوله الذى قد آمنوا به فيه غير الصدق «١».

أقول و لعل الأولى من جميع ذلك هو العلم بصدقه بتصديق الله سبحانه له فيما أخبر به حيث قرّر ذلك بقوله: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

و منها أنه ما الفائدة في سبق الأعلام بخلق آدم و تسميته خليفه؟

و الجواب أنه نوع إبتلاء للملائكة و تمهيد لتمييز إبليس من جملتهم، ليتبين

(١) أمالى السيد المرتضى ج ٢ ص ٧٥-٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٥

بذلك من يقصد الطاعة كالملائكة ممن يضرر العداوة له و المخالفة لأمره سبحانه، كإبليس على ما يأتى تمام الكلام فيه نقلا عن الصدوق «١».

مضافا إلى ما فيه من إظهار شرف آدم و التمهيد لبيان فضله على الملائكة، حيث إنه تعالى نوه باسمه و بشر ملائكته بخلافته قبل أن يخلقه بسبعمائته عام على ما رواه الصدوق فى «الإكمال» و فيه أيضا صيانة للملائكة عن اعتراض الشبهة عليهم فى وقت استخلاف آدم و الحجج من ذريته عليهم.

و أمّا ما يقال من أنّ الغرض تعليم عباده المشاورة فى أمورهم قبل أن يقدموا عليها فهو بمكان من الوهن و السقوط، و كأنهم أرادوا أن يستأنسوا بمثله لما وقع من الثانى من الشورى فى أمر الخلافة و هو كما ترى.

بقى الكلام فى أمور يستفاد من الآيات المتقدمة ينبغى التنبيه عليها فى فصول:

## فضل الأنبياء على الملائكة

الفصل الأول: يستفاد من هذه الآيات و غيرها تفضيل الأنبياء على الملائكة و قد طال التشاجر في هذه المسألة بين المسلمين، فالذى عليه الإمامية هو أن الأنبياء و الأئمة عليهم السلام أفضل من جميع الملائكة العلوية و السفلية، و وافقهم عليه أكثر الاشاعرة و اصحاب الحديث، و ربما يقال إن الخلاف في فضلهم على الملائكة العلوية، و أما السفلية فالأنبياء أفضل منهم بالاتفاق كما أن عامة البشر من المؤمنين

(١) إكمال الدين: ج ١ ص ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٦

أيضا أفضل من عامة الملائكة عندهم، و المحكى عن المعتزلة و الفلاسفة و بعض الاشاعرة تفضيل الملائكة، ثم أنهم ربما عنونوا البحث بتفضيل البشر على الملائكة أو العكس، و ليس المراد بتفضيل كل فرد من أحدهما على جميع افراد الآخر، و لا التطبيق بين افراد النوعين بتفضيل كل فرد على ما يقابله، بل المراد تفضيل الأنبياء و الأئمة على الملائكة أو تفضيل المعصومين من البشر، فيدخل فاطمة عليها السلام و سائر الأوصياء أيضا على جميع الملائكة، و ان كانوا كلهم معصومين من الصغائر و الكبائر على ما أشرنا إليه، أو تفضيل الجنس و لو باعتبار النوع الأشرف على الجنس، فلا ينافى ذلك تفضيل بعض الملائكة أو كلهم على بعض المؤمنين بل على الفساق و الكفار، ثم المراد بالأفضل الأكثر ثوبا و الأرفع درجة، و الأقرب إلى الله تعالى منزلة الأكمل باعتبار العلم و العمل و سائر الكمالات.

إذا عرفت هذا فاعلم أن الحق ما ذهب إليه الامامية لوجوه، الأول: الإجماع القطعي الكاشف عن قول الإمام عليه السلام و رضاه حيث إن الطائفة المحقة كانوا قديما و حديثا متفقين على تفضيل الأنبياء و الأئمة عليهم السلام على الملائكة من دون نكير منهم في ذلك، حتى أنهم كانوا معروفين بهذا المذهب يعرفه منهم المخالفون لهم في المذهب كما يعرفون منهم القول بحلية المتعة، و وجوب المسح على الرجلين و نفى العول و التعصيب، فلا يبعد دعوى ضرورة المذهب عليه بل هو كذلك.

و لذا قال شيخنا الصدوق في «العقائد»: اعتقادنا في الأنبياء و الحجج و الرسل عليهم السلام أنهم أفضل من الملائكة «١» و قال المفيد: اتفقت الامامية على أن أنبياء

(١) البحار ج ٥٧ ص ٢٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٧

الله و رسله من البشر أفضل من الملائكة و وافقهم على ذلك اصحاب الحديث و أجمعت المعتزلة على خلاف ذلك، و زعم الجمهور منهم إن الملائكة أفضل من الأنبياء و الرسل و قال نفر منهم سوى من ذكرناه بالوقف في تفضيل أحد الفريقين على الآخر «١» إلى آخر ما ذكره رحمه الله.

و قال السيد المرتضى رضى الله عنه: المعتمد في القطع على أن الأنبياء أفضل من الملائكة على اجماع الشيعة الامامية على ذلك لأنهم لا يختلفون في هذا بل يزيدون عليه و يذهبون إلى أن الأئمة أفضل من الملائكة أجمعين و إجماعهم حجة لأن المعصوم في جملتهم و قد بينا في مواضع من كتبنا كيفية الاستدلال بهذه الطريقة و رتبناه و أجابنا عن كل سؤال يسأل عنه فيها و بينا كيف الطريق مع غيبة الامام إلى العلم بمذاهبه و أقواله و شرحنا ذلك فلا معنى للتشاكل به ها هنا «٢».

و ممن ادعى عليه اتفاق الامامية العلامة الحلبي في «أنوار الملكوت» «٣» و العلامة المجلسي في مواضع من البحار و الرازي «٤» و

الدواني وغيرهم من علماء الفريقين فلا ينبغي التأمل في تحقق الإجماع عليه.  
الثاني: الآيات الكثيرة الدالة عليه بظواهرها التي هي الحجية حتى في غير الفروع العلمية الذي لا يجرى فيه دليل الانسداد على بعض الوجوه، وذلك لما حققناه في المقدمات من حجية ظواهر الكتاب وهي كثيرة.

(١) البحار ج ٥٧ ص ٢٨٥ عن عقائد الصدوق.

(٢) البحار: ج ٥٧ ص ٢٨٧- عن الغرر و الدرر للسيد المرتضى ج ٢ ص ٣٣٣.

(٣) البحار ج ٥٧ ص ٢٨٦ عن أنوار الملكوت.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ج ٢ ص ٢١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٨

منها: قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، القصة بتمامها الدالة عليه بوجوه من الدلالة حيث أنه سبحانه جعل آدم خليفة له، والمراد منه خلافة الولاية في التبليغ أو في التكوين، أو في وجوب الطاعة و الانقياد كما يومى إليه قصيد داود و هارون وغيرهما، و من البين أن أعظم الناس منصبا عند الملك من كان قائما مقامه، في كل من التبليغ و الولاية و التصرف و وجوب الطاعة حتى سماه خليفة له، ثم أنه تعالى تبه على فضله و شرفه بتعليمه الأسماء و تخصيصه بعلمها دونهم، و جعله معلما للملائكة فكان عنده من العلوم الفاضلة ما لم يكن عندهم و قد قال الله سبحانه: وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ «١»، و هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ «٢»، ثم أنه تعالى أمرهم بالسجود لآدم تكريما و تعظيما له، و من البين أن السجود نهاية التواضع و تكليف الأشرف الأفضل بنهاية التواضع للأدون مستقبح عقلا.

فان قلت: إن قضية خلافته كونه أشرف من كل من في الأرض، و أين هذا من الدلالة على فضله على جميع الملائكة حتى من في السموات؟

و أما علمه بالأسماء فهو و ان كان عالما بها و هم لم يعلموها لكن لعلمهم كانوا عالمين بعلمه اخرى لم يكن آدم عالما بها.  
و اما الأمر بالسجود فلعل آدم قبله لهم في عبادتهم له سبحانه على أن الحكمة قد تقتضى تواضع الأشرف للشريف لبعض المصالح التي من جملتها

(١) المجادلة: ١١.

(٢) الزمر: ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٩

الامتحان و كسر سورة العجب و الأناثية، و اظهار نهاية الطاعة و غيرها.

قلت: قضية عموم الجمع المحلى شمول الملائكة للجميع و ظاهر اطلاق الخلافة كونها بالنسبة إليهم جميعا، و لو بمعونه ما مرت إليه الإشارة و تأتي الأخبار الدالة عليه من أن المقصود من خلق آدم ظهور أنوار محمد، و آله الطيبين الذين لهم الخلافة الكلية على جميع ملائكة الأرضين و السموات و الحجب و السرادقات و حملة العرش و غيرهم، و أما التشكيك في أعلميته باحتمال أن لهم علوما آخر فغريب جدا فكيف يندفع المحقق بالمحتمل بل لعله كالرد عليه سبحانه حيث أنه سبحانه و تعالى جعل تعليمه لآدم و جعله معلما لهم في معرفة الأسماء الالهية التي هي أشرف العلوم دليلا على فضله عليهم، و تنبيها لهم على وجوب رجوعهم إليه، و تحقيقا لحسن ما اختاره من إثارة عليهم.

و اغرب من الجميع أن الرازي بعد ما أجاب عن الحجة بما سمعت فسادة قال: و الذي يحقق هذا أنا توافقنا أن محمدا صلى الله عليه و

آله أفضل من آدم عليه السلام مع أن محمدا صلى الله عليه وآله لم يكن عالما بهذه اللغات بأسرها، وأيضاً فإن إبليس كان عالماً بان قرب الشجرة ممّا يوجب خروج آدم عن الجنة و آدم لم يكن كذلك، ولم يلزم منه كون إبليس أفضل من آدم، والهدهد قال لسليمان أخطت بما لم تحط به (١)، ولم يلزم ان يكون أفضل من سليمان (٢).  
و هو على ما ترى من الضعف والقصور، ولكن من لم يجعل الله له نورا فما له

(١) النمل: ٢٢.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي: ج ٢ ص ٢٣٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٠

من نور، وأما احتمال كون السجود له على وجه القبلة والجهة أو مجرد الامتحان من دون التكريم والتعظيم أصلاً فيدفعه أنه لو كان كذلك لم يجز أنفه إبليس من ذلك بل قوله: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ (١) وقوله: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ\* (٢) وغير ذلك من مساق ما ورد في بيان هذه القضية يدل على أن امتناع إبليس عن السجود إنما هو لاعتقاد التفضيل به والتكرمه له، فلو لم يكن الأمر على ذلك لوجب على الله إعلامه بأنه ما أمره بالسجود على وجه تعظيمه له ولا تفضيله عليه، بل على الوجه الآخر الذي لا حظ للتفضيل فيه، وقضية اللطف عدم جواز إغفاله مع كونه سبب معصية إبليس و ضلالته.

هذا مضافاً إلى الاخبار الكثيرة الدالة على كونه على وجه التعظيم والتكريم لآدم حسبما تأتي إلى جملة منها الإشارة، ثم أنه بعد ما ثبت تفضيل آدم على جميع الملائكة بمقتضى ما تضمنته هذه القضية يثبت أيضاً تفضيل سائر الأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين عليهم أيضاً لإطلاق الخليفة عليهم على بعض الوجوه ولأفضليته بعضهم كأولى العزم وغيرهم أيضاً على آدم، ولعدم القول بالفصل بين آدم وغيره من الأنبياء.

ولذا قال السيد رضى الله عنه في الغرر والدرر أنه كل من قال إن آدم عليه السلام أفضل من الملائكة ذهب إلى أن جميع الأنبياء أفضل من جميع الملائكة ولا أحد من الأمة فصل بين الأمرين (٣).

(١) الإسراء: ٦٢.

(٢) الأعراف: ١٢.

(٣) الغرر والدرر: ج ٢ ص ٣٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦١

قلت وأما الأئمة عليهم السلام فاصحابنا مجمعون على تفضيلهم على كثير من الأنبياء، بل الحق المستفاد من الاخبار وغيرها أنهم أفضل من جميع الأنبياء سوى نبينا صلى الله عليه وآله.

ومنها قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (١)، والمراد بال إبراهيم وآل عمران إما الأنبياء منهم أو المعصومون أو غيرهم بناء على اجرائه على إطلاقه أو عمومه، والثالث باطل بالإجماع لأن فيهم الفساق والكفار، فيتعين أحد الأولين والعالم يطلق على ما سوى الله تعالى والجمع المحلى باللام يفيد العموم، فدلّت الآية على أفضليته هؤلاء المذكورين على جميع العالمين وفيهم الملائكة وغيرهم، وتخصيص العالمين على فرضه في قوله خطاباً لبني إسرائيل وأنّى فضلتكم على العالمين مع شموله لنبينا وآله وسائر اولى العزم صلى الله عليهم أجمعين، وفي قوله خطاباً لمريم واصطفاك على نساء العالمين مع شمولها لفاطمة عليها السلام ليس دليلاً على التزامه في المقام أيضاً بعد فقد الدليل عليه مع أنه قد يفسر العالمين فيهما على عالمي ذلك العصر والزمان فيندفع الأشكال عنهما وإن كان هذا أيضاً بنوع من التخصيص، وأما آية الاصطفاء فهي على عمومها للأصل،



سَلَّمْنَا لَكِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانُوا مَوْجُودِينَ فِي اعْصَارِهِ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَ فِي زَمَانِ نَزُولِ الْآيَةِ.

و منها قوله تعالى: وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ «٢»، وَ قَضِيَّةُ الْعُمُومِ

(١) آل عمران: ٣٣.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٢

كونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله رَحْمَةً لِّجَمِيعِ مَا سِوَى اللَّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَ هُوَ كَذَلِكَ حَسْبَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، وَ قَضَتْ بِهِ ضَرُورَةُ الْمَذْهَبِ مِنْ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ أَوْصِيَائِهِ الْمَعْصُومِينَ هُمُ الْوَسَائِطُ الْكَلْبِيَّةُ لَوْصُولِ الْفِيوضِ الْإِلَهِيَّةِ إِلَى أَهْلِ الْعَالَمِ، بَلْ كَيِّنَاتِ الْمَلَائِكَةِ إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ أَشْعَى أَنْوَارِهِمْ، فَوْجُودِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله مَظْهَرُ الرَّحْمَةِ وَ تَمَامُ النِّعْمَةِ وَ مَسَاقِ الْآيَةِ كَمَا تَرَى عَلَى حَدِّ مَا وَرَدَ مِنْ فِي الْقَدْسِيَّاتِ: «الْوَلَاكُ لِمَا خَلَقْتَ الْأَفْلَاكُ» «١». وَ أَمَا مَا يُقَالُ مِنْ أَنَّ كُونَهُ رَحْمَةً لَهُمْ لَا يَسْتَلْزِمُ كُونَهُ أَفْضَلَ مِنْهُمْ كَمَا فِي قَوْلِهِ: فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا «٢»، وَ أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ هُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله رَحْمَةً لَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ، وَ هُمْ يَكُونُونَ رَحْمَةً لَهُ مِنْ وَجْهِهِ.

ففيه أَنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ وَسَاطِئَهُ لِلرَّحْمَةِ الْكَلْبِيَّةِ، بَلْ كُونَهُ نَفْسِ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ حَسْبَمَا قَرَّرْنَاهُ فِي تَفْسِيرِ الْبِسْمَلَةِ وَ كُونِ الْأَمْطَارِ مِنْ آثَارِهَا غَيْرِ قَادِحٍ بَعْدَ ظَهْوَرِ أَنَّ لَهَا مَظَاهِرَ وَ آثَارَ، وَ كُونَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله رَحْمَةً لَهُمْ وَ لغيرهم معلوم من الآية و غيرها و أميا عكسه فغير واضح.

وَ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ إِلَى قَوْلِهِ: وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا «٣»، بِنَاءِ عَلَى كُونِ الظَّرْفِ صِفَةً لِلْكَثِيرِ لَا صَلَاحَ لَهُ، وَ لَوْ بِمَعُونَةِ الْأَخْبَارِ الْمَفْسَّرَةِ لَهَا بِأَنَّ الْمُرَادَ تَفْضِيلَ بَنِي آدَمَ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ بِلَا فَرْقٍ بَيْنَ تَفْسِيرِ السَّائِرِ بِالْبَاقِيِ أَوْ بِالْجَمِيعِ. وَ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ نُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ

(١) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٨.

(٢) الروم: ٥٠.

(٣) الإسراء: ٧٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٣

وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجِزِي الْمُحْسِنِينَ وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطًا وَ كَلَّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ «١».

وَ التَّقْرِيبُ فِيهِ عَلَى مَا مَرَّ، وَ التَّخْصِيسُ بِعَالَمِيِ أَعْصَارِهِمْ غَيْرِ قَادِحٍ فِي الدَّلَالَةِ، وَ دَعْوَى الظُّهُورِ أَوْ الْإِنْصِرَافِ إِلَى الْعَالَمِينَ مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ دُونَ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ مَمْنُوعَةٌ جَدًّا سَيِّمًا فِي الْعُمُومَاتِ الَّتِي مِنْ أَقْوَاهَا دَلَالَةُ الْجَمْعِ الْمَحَلِّيِّ.

الثالث: الاخبار الكثيرة التي لا- يبعد دعوى تواترها الدالة على المطلوب ففي «العيون» و «العلل» و «الإكمال» عن الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ خَلْقًا أَفْضَلَ مِنِّي وَ لَا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنِّي قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَنْتَ أَفْضَلُ أَوْ جِبْرِئِيلُ؟ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى فَضَّلَ أَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ عَلَى مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَ فَضَّلَنِي عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ وَ الْفَضْلُ بَعْدِي لَكَ يَا عَلِيُّ وَ لِلتَّائِيَةِ مِنْ بَعْدِكَ، وَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَخَدَامَنَا وَ خَدَامَ مُحِبِّيْنَا الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مِنْ حَوْلِهِ يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ أَمَنُوا بِوَلَايَتِنَا، يَا عَلِيُّ لَوْ لَا نَحْنُ مَا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَ لَا حَوَاءَ وَ لَا الْجِنَّةَ وَ لَا النَّارَ وَ لَا السَّمَاءَ وَ لَا الْأَرْضَ، فَكَيْفَ لَا نَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ قَدْ سَبَقْنَاهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ رَبَّنَا

و تسيحه و تهليله و تقديسه لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ و جلّ خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده و تحميده و تهليله و تمجيده، ثمّ خلق الملائكة فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا و أوجه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد

(١) الانعام: ٨٤-٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٤

على نعمه، فقالت الملائكة: الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله و تسيحه و تحميده و تهليله و تمجيده، ثمّ انّ الله تبارك و تعالى خلق آدم فأودعنا صلبه و أمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا و إكراماً، و كان سجودهم لله عزّ و جلّ عبوديّة و لآدم إكراماً و طاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة و قد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون، و أنّه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرئيل مثني و اقام مثني مثني، ثمّ قال لي: تقدّم يا محمد، فقلت له: يا جبرئيل أتقدّم عليك؟ فقال: نعم لأنّ الله تبارك فضل أنبيائه على ملائكته أجمعين، و فضلك خاصّة، فتقدّمت و صليت بهم و لا فخر «١»، الخبر بطوله.

و في «الإكمال» بالإسناد عن الرضا عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: انا سيّد من خلق الله، و انا خير من جبرئيل و اسرافيل و حملة العرش و جميع الملائكة المقربين و أنبياء الله المرسلين «٢».

و في ارشاد القلوب للدّيلمى عن أبي ذرّ الغفاري قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول افتخر اسرافيل على جبرائيل فقال انا خير منك لأنّي صاحب الثمانية حملة العرش، و انا صاحب النفخة في الصّور و انا أقرب الملائكة إلى الله تعالى، قال جبرئيل: انا خير منك لأنّي أمين الله على وحيه و انا رسوله إلى الأنبياء و المرسلين و انا صاحب الخسوف و القذوف و ما أهلك أمّة من الأمم إلّا على يدّي فاخصمنا إلى الله تعالى فأوحى الله إليهما اسكتا فو عزّتي و جلالتي لقد خلقت من هو خير منكما

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٣٩ عن العيون ص ١٤٥.

(٢) إكمال الدين: ص ١٥١ و عنه البحار ج ٢٦ ص ٣٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٥

قالا- يا ربّ او تخلق خيراً منّا و نحن خلقنا من نور؟ قال الله تعالى: نعم و اوحى إلى حجب القدرة انكشفي فانكشفت فإذا على ساق العرش الأيمن مكتوب لا اله إلا الله محمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين خير خلق الله فقال جبرئيل: يا ربّ فأتى أسألك بحقهم إلّا جعلتني خادمهم قال الله تعالى قد جعلت فجبرائيل من اهل البيت و أنّه لخادمنا «١».

و في البصائر و تفسير القمي عن الصّيادق عليه السّلام: أنّه ما من احد من الملائكة إلّا و يتقرّب كلّ يوم إلى الله تعالى بولايتنا أهل البيت «٢»، الخبر.

و روى عن الصّيفار و الكليني عن ابي جعفر عليه السّلام قال و الله انّ في السّماء لسبعين صنفاً من الملائكة لو اجتمع أهل الأرض كلّهم على أن يحصوا عدد صنف منهم ما أحصوهم و أنّهم ليدينون بولايتنا «٣».

و في البحار نقلاً عن كتاب تفضيل أمير المؤمنين عليه السّلام بالإسناد عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول لمّا أسرى بي إلى السّماء ما مررت بملاء من الملائكة إلّا سألتني عن عليّ بن ابي طالب حتّى ظننت ان اسم علي بن ابي طالب في السموات أشهر من اسمي، فلما بلغت السّماء الرابعة و نظرت إلى ملك الموت قال لي: يا محمد ما خلق الله خلقاً إلّا و انا اقبض روحه إلّا أنت و عليّ، فإنّ الله جلّ جلاله يقبض أرواحكم بقدرته و جزت تحت العرش فإذا أنا بعليّ بن ابي طالب عليه السّلام واقفا تحت العرش، فقلت: يا عليّ سبقتني؟ فقال جبرئيل: من هذا الذي تكلمه يا

(١) ارشاد القلوب: ص ٢١٤ و عنه البحار ج ٢٦ ص ٣٤٤.

(٢) البصائر: ص ٢١ و تفسير القمى ص ٥٨٣.

(٣) بصائر الدرجات: ص ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٦

محمّد؟ فقلت هذا عليّ بن ابي طالب عليه السّلام فقال: يا محمّد ليس هذا عليّ بن ابي طالب، و لكنّه ملك من الملائكة خلقه الله تعالى على صورة عليّ بن ابي طالب عليه السّلام، فنحن الملائكة المقرّبون كلّما اشتقنا إلى وجه عليّ بن ابي طالب زرنا هذا الملك لكرامة عليّ بن ابي طالب عليه السّلام على الله سبحانه «١».

و فيه عنه صلّى الله عليه و آله عليّ أفضل خلق الله غيري «٢». الخبر.

و فيه أنّه نظر النبي صلّى الله عليه و آله إلى عليّ بن ابي طالب عليه السّلام فقال: خير الأوّلين و الآخرين من أهل السّموات و الأرضين هذا سيّد الصّديقين و سيّد الوصيّين «٣».

الخبر و في القصص بالإسناد عن النبي صلّى الله عليه و آله قال: لما خلق الله آدم و نفخ فيه من روحه التفت آدم يمينه العرش فإذا خمسة أشباح فقال يا ربّ: هل خلقت قبلي من البشر أحدا؟ قال: لا قال: فمن هؤلاء المّدين أرى اسمائهم؟ فقال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، و لا خلقت الجنّة و لا النار، و لا العرش و لا الكرسي، و لا السّماء و لا الأرض، و لا الملائكة و لا الجنّ و لا الانس، هؤلاء خمسة من شققت لهم اسما من أسمائي فأنا المحمود و هذا محمّد، و انا الأعلى و هذا عليّ، و انا الفاطر و هذه فاطمة و انا ذو الإحسان، و هذا الحسن، و انا المحسن و هذا الحسين، آليت بعزّي أنّه لا ياتيني أحد و في قلبه مثقال حبة من خردل من بغض أحدهم إلّا أدخلته نارى، يا آدم هؤلاء صفوتى من خلقى بهم أنجى من أنجى، و بهم أهلك من

(١) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٠٣.

(٢) البحار ج ٥٧ ص ٣٠٢.

(٣) البحار: ج ٥٧ ص ٣٠٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٧

أهلك «١».

و في البحار نقلا عن كتاب تفضيل الأئمة على الأنبياء للحسن بن سليمان قال ذكر السيّد حسن بن كبش فى كتابه باسناده مرفوعا إلى عدّة من اصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله منهم جابر بن عبد الله الانصارى و أبو سعيد الخدرى و عبد الصّمد بن امية و عمرو بن أبى سلمة و غيرهم، قالوا: لما فتح النبي صلّى الله عليه و آله مكّة أرسل رسله إلى كسرى و قيصر، يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية و إلّا آذنا بالحرب، و كتب ايضا إلى نصارى نجران بمثل ذلك.

فلما أتتهم رسله صلّى الله عليه و آله فرعوا إلى بيعتهم «٢» العظمى و كان قد حضرهم ابو حارثة أسقفهم الأوّل، و قد بلغ يومئذ مائة و عشرين سنة و كان يؤمن بالنبي و المسيح عليهما السّلام و يكتفم ذلك عن كفره قومه، فقام على عصاه و خطبهم و وعظهم و الجائهم بعد مشاجرات كثيرة إلى إحضار الجامعة الكبرى التي ورثها شيث ففتح طرفها.

إلى أن قال: ثم أمرهم أبو حارثة أن يصيروا إلى صحيفه شيث الكبرى التي انتهى ميراثها إلى إدريس على نبينا و آله السّلام و كان كتابتها بالقلم السّريانى القديم، و هو الذى كتب به من بعد نوح عليه السّلام ملوك الهياطة المتماردة فافتضّ القوم الصّحيفة فأفوضوا منها إلى هذا الرّسم، قالوا: أجمع إلى إدريس عليه السّلام قومه و صحابته

(١) البحار: ج ٢٧ ص ٥ ح ١٠- عن القصص في ذيل الصفحة: هذا يعارض الروايات التي تدلّ على أنّ الله خلق قبل أبينا آدم أيضا آدم، وحملة على أولّ آدم خلق الله في الأرض بعيد، والحديث كما ترى من ضروريات العامة.

(٢) البيعة: معبد النصارى و اليهود.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٨

وهم يومئذ في بيت عبادته من أرض كوفان فخيرهم بما اقتصّ عليهم قال: إنّ بنى أبيكم آدم عليه السّلام لصلبه و بنى بنيه و ذريته اجتمعوا فيما بينهم و قالوا اى الخلق عندكم أكرم على الله تعالى و ارفع لديه مكانا و اقرب منه منزلة فقال بعضهم: أبوكم آدم خلقه الله عزّ و جلّ بيده و أسجد له ملائكته و جعله الخليفة في أرضه و سخر له جميع خلقه، و قال آخرون بل الملائكة الذين لم يعصوا الله عزّ و جلّ، و قال بعضهم: لا- بل الأمين جبرئيل فانطلقوا إلى آدم عليه السّلام، فذكروا الّذى له قالوا و اختلفوا فيه، فقال: يا بنى انى أخبركم بأكرم الخلق عند الله عزّ و جلّ جميعا ثمّ قال: إنّ الله ما عدا أن نفخ في الروح حتّى استويت جالسا، فبرق لى العرش العظيم فنظرت فإذا فيه: لا اله إلاّ الله محمّد خيرة الله عزّ و جلّ ثمّ ذكر عدّة أسماء مقرونة بمحمّد صلّى الله عليه و آله.

قال آدم: ثمّ لم أر فى السّماء موضع أديم او قال: صفيح منها إلّا و فيه مكتوب: لا اله إلاّ الله، و ما من موضع مكتوب فيه لا اله إلاّ الله إلّا و فيه مكتوب خلقا لا خطأ محمّد رسول الله، و ما من موضع فيه مكتوب محمّد رسول الله إلّا و فيه مكتوب: علىّ خيرة الله، الحسن صفوة الله، و الحسين أمين الله عزّ و جلّ، و ذكر الأئمّة من اهل بيته عليهم السّلام واحدا بعد واحد إلى القائم بأمر الله عجل الله فرجه. قال آدم: فمحمّد صلّى الله عليه و آله من خطّ من أسماء اهل بيته أكرم الخلائق على الله قال فلما انتهى القوم إلى آخر ما فى صحيفة إدريس قرءوا صحيفة ابراهيم عليه السّلام و فيها معنى ما تقدّم بعينه و انفضّوا «١».

و فى القصص بالإسناد عن الصادق عليه السّلام قال: اجتمع ولد آدم عليه السّلام فى بيت

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٣١٠-٣١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٩

فتشاجروا فقال بعضهم: خير خلق الله أبونا آدم فقال بعضهم: الملائكة المقرّبون فقال بعضهم: حملة العرش إذ دخل عليهم هبة الله فقال بعضهم: لقد جاءكم من يفرّج عنكم فسلمّ ثمّ جلس فقال: فى أىّ شىء كنتم؟ قالوا كنّا نتفكّر فى خير خلق الله فأخبروه فقال اصبروا قليلا- حتّى ارجع إليكم، فاتى أباه فقال يا أبت انى دخلت على اخوتى و هم يتشاجرون فى خير خلق الله فسألونى فلم يكن عندى ما أخبرهم، فقلت: اصبروا حتّى ارجع إليكم فقال آدم على نبينا و آله السّلام: يا بنى وقف بين يدى الله عزّ و جلّ فنظرت إلى سطر على وجه العرش مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم محمّد و آل محمّد خير من برأه الله «١».

و فى جامع الاخبار بالإسناد عن جابر بن عبد الله الانصارى قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: إنّ الله خلقنى و خلق عليّنا و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمّة عليهم السّلام من نور فعصر ذلك النور عصرة فخرج منه شيعةنا فسبحنا فسبحوا، و قدسنا فقدسوا، و هللنا فهلّلوا، و مخرّجنا فمخرّجوا، و وحدنا فوحدوا ثمّ خلق الله السموات و الأرضين و خلق الملائكة فمكثت الملائكة مائة عام لا تعرف تسيحا و لا تقديسا و لا تمجيدا، فسبحنا و سبّحت شيعةنا فسبّحت الملائكة لتسيحنا، و قدسنا فقدست شيعةنا فقدست الملائكة لتقديسنا، و مجدّنا فمجدّت شيعةنا فمجدّت الملائكة لتمجيدنا، و وحدنا فوحدت شيعةنا فوحدت الملائكة لتوحيدنا، و كانت الملائكة لا تعرف تسيحا و لا تقديسا من قبل تسيحنا و تسيح شيعةنا، فنحن الموحدون حين لا موحد غيرنا و حقيق على الله تعالى كما اختصّنا و اختصّ

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٢٨٢ ح ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٠

شيعتنا أن ينزلنا أعلى عليين، إن الله سبحانه وتعالى اصطفانا و اصطفى شيعتنا من قبل أن تكون أجساما، فدعانا و أجبنا، فغفر لنا و لشيعتنا من قبل أن نستغفر الله تعالى «١».

و فيه دلالة على تفضيل شيعتهم على الملائكة من حيث سبق الخلقه و وساطة التعليم، و غير ذلك.

و عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان بالإسناد عن أمير المؤمنين قال:

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: يا على أنا سيد الأنبياء، و أنت سيد الأوصياء، و أنا و أنت من شجرة واحدة، و لولانا لم يخلق الله الجنة و لا النار، و لا الأنبياء و لا الملائكة، قال:

قلت: يا رسول الله فنحن أفضل أم الملائكة؟ فقال: يا على نحن أفضل، و نحن خير خلقه الله على بساط الأرض و خيرة الله على ملائكته المقربين، و كيف لا نكون خيرا منهم و قد سبقناهم إلى معرفة الله و توحيدده، فبنا عرفوا الله، و بنا عبدوا الله، و بنا اهتدوا السبيل إلى معرفة الله «٢».

و فيه عن المفضل قال: قلت لمولانا الصادق عليه السلام ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات و الأرض؟ قال: كنا أنوارا نسبح الله تعالى و نقده حتى خلق الله الملائكة فقال لهم الله عز و جل سبحوا، فقالت اى ربنا لا علم لنا، فقال لنا: سبحوا فسبحنا، فسبحت الملائكة بتسيحنا ألا إنا خلقنا أنوارا و خلقت شيعتنا من شعاع ذلك النور، فلذلك سميت شيعة، فإذا كان يوم القيمة التحقت السفلى بالعليا، ثم

(١) جامع الأخبار: ص ٩ و عنه البحار ج ٢٦ ص ٢٤٢-٢٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٣٤٩-٣٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧١

قرب ما بين إصبعيه «١».

و فى الاحتجاج عن موسى بن جعفر عن آباءه عليهم السلام ان يهوديا سأل أمير المؤمنين عن معجزة النبي صلى الله عليه و آله فى مقابلة معجزات الأنبياء فقال: هذا آدم أسجد الله له ملائكته فهل فعل بمحمد شيئا من هذا؟ فقال على عليه السلام لقد كان ذلك، و لكن اسجد الله لآدم ملائكته فان سجدهم لم يكن سجود طاعة، أنهم عبدوا آدم من دون الله عز و جل، و لكن اعترافا لآدم بالفضيلة، و رحمة من الله له و محمّد عليه السلام أعطى ما هو أفضل من هذا إن الله جلّ و علا صلى عليه فى جبروته و الملائكة بأجمعها، و تعبّد المؤمنون بالصلوة عليه، فهذه زيادة له يا يهودى «٢».

و فى تفسير العياشى و غيره عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه و آله حضرت الصلاة فأذن و اقام جبرئيل فقال يا محمّد تقدّم فقال رسول الله صلى الله عليه و آله تقدّم يا جبرئيل فقال له إنا لا نتقدّم الآدميين مذ أمرنا بالسجود لآدم «٣».

و فى العلل عن ابن عباس قال: دخلت عائشة على رسول الله صلى الله عليه و آله و هو يقبل فاطمة، فقالت له: أ تحبها يا رسول الله؟ قال: أما و الله لو علمت حبي لها لازددت لها حبا إنّه لما عرج بى إلى السماء الرابعة أذن جبرئيل و أقام ميكائيل ثم قيل لى: أدن يا محمّد فقلت أتقدّم و أنت بحضرتى يا جبرئيل؟ قال: نعم ان الله عزّ و جلّ فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، و فضلك أنت خاصّة، فدنوت فصليت بأهل السماء الرابعة ثم التفت عن يمينى فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام فى روضه من رياض الجنة

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٣٥٠.

(٢) البحار: ج ١٠ ص ٢٩.

(٣) البحار: ج ١٨ ص ٤٠٤ عن تفسير العياشي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٢

وقد اكتنفها جماعة من الملائكة «١»، الخبر.

الرابع: انَّ عبادةَ البشر أشقَّ وأصعب فوجب أن يكون أفضل، أمّا الصغرى فلائناً للبشر شواغل عن الطاعات العلميّة و العمليّة، من الشهوات النفسانيّة، و الدواعي الجسمانيّة، و القوى البهيميّة و السبعيّة الداعية إلى ثوران الشهوة و الغضب، و الاشتغال بالأمور الحسيّة و العوارض الجسميّة، و غير ذلك من الحاجات و الخيالات الشاغلة و الموانع الداخلة و الخارجة، سيّما مع تعاضد الهوى و وسوسة الشيطان بجنوده في صدورهم، و خفاء الحقّ و قلمه أهله، و شيوع الباطل و كثرة جنده، مضافاً إلى ما يقاسون من الأمراض البدنيّة و الاعراض النفسانيّة و العاهات الجسمانيّة.

و الملائكة ليس لهم شيء من ذلك فلا يعارض دواعي طاعتهم شيء من الإيرادات المضادة و الموانع الطارئة بل عباداتهم كالأقوات الممدّة لأرواحهم يلتذّون بها، و أمّا الكبرى فلائناً إثارة رضا الله تعالى مع صعوبته و مشقّته على النفس دليل على كمال العبوديّة و الانقياد ألا ترى أنّ الشيخ الذي له ميل إلى النساء إذا امتنع عن النساء فليست فضيلة كفضيلة من يمتنع عنهنّ مع شدّة الشبق و الشهوة الهائجة.

هذا مضافاً إلى النبوي المشتهر أفضل العبادات أحزمها «٢» أي اشقّها على النفس.

و توهم أنّ للملائكة ايضاً شهوة داعية إلى المعصية، و هي حبّ الرياسة كما

(١) علل الشرائع: ص ٧٢ و عنه البحار ج ١٨ ص ٣٥٠ ح ٦١.

(٢) البحار: ج ٧٠ ص ١٩١ و ص ٢٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٣

يومئ إليه مقالتهم في أمر الخلافة و امتحانهم بالسجود، بل و قوله: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ «١». مدفوع بعد الغصّ عمّا فيه بأنهم إنّما يطلبون الرياسة الحقّة التي توجب مزيد القرب، و الكرامة، و أين هذا من طلب الرياسات الباطلة التي هي من مقتضيات النفس الأمّارة و جنود الجهل.

و على فرض التسليم للبلشهر مضافاً إلى ذلك أنواع كثيرة اخرى من الشهوات، و من البين أنّ المبتلى بأنواع كثيرة منها تكون الطاعة عليه أشقّ من المبتلى بشهوة واحدة.

و أمّا ما يقال في دفع هذه الحجّة من أنّ العبادة مع كثرة البواعث و الشواغل إنّما تكون أشقّ و أفضل من الاخرى إذا استويا في المقدار و باقى الصفات، و عبادة الملائكة أكثر و أدوم، فإنّهم يسبحون الليل و النهار و لا يفترون، و الإخلاص الذي به القوام و النظام و اليقين الذي هو الأساس و التقوى الذي هو الثمرة فيهم أقوى و أقوم، لأنّ طريقهم العيان لا البيان.

و ايضاً ينتقض ذلك بما أنّا نرى الواحد من الصّوفية يتحمّل في طريق المجاهدة من المشاقّ و المتاعب ما نقطع بأنه عليه السلام لم يتحمّل مثلها، مع أنّنا نعلم أنّ محمّداً صلّى الله عليه و آله أفضل من الكلّ، و ما ذاك إلّا أنّ كثرة الثواب تترتب على كثرة الإخلاص، فربما يكون الفعل أسهل على فاعله و يكون الثواب اكثر لكثرة إخلاصه.

ففيه أنّ مبنى الاستدلال إنّما هو على التفاضل من حيث تحمّل كثرة المشقّة

(١) النساء: ١٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٤

و الألم في الطاعة و الانقياد، و قضية تفضيل الأنبياء و هو المطلوب، و أما معارضة سائر الصفات الموجبة للتعكيس فلم يظهر دليل عليها، و مجرد الجواز لا يدل على الوقوع، و دعوى أن الإخلاص و اليقين و التقوى فيهم أشد و أقوى في حيز المنع كيف و هو أول الكلام، بل التحقيق أن ظهور هذه الصفات في الأنبياء أقوى منه في غيرهم حتى الملائكة، لأن أخشى الخلق أعلمهم بالله إنما يخشى الله من عباده العلماء (١) و قد نصت الآية و غيرها على كون آدم أعلم و أنه هو المستأهل للخلافة العلمية و منصب التعليم، فإذا اقترنه العمل من جميع الجهات كما هو مقتضى العصمة فقد تمت له الفضيلة بشطريها، و أذنت له الرياسة الكبرى بقرنيها، و أما دوام العبادة و عدم الفتور فلا تظن اختصاصه بالملائكة ضرورة أن أرواح الأنبياء سبقهم في عالم الأنوار و الأرواح بالاجابة، و عبدوه قبل خلقه الملائكة و كانوا مستمرين على عبادتهم إلى أن أمروا بالظهور في هذا العالم الجسماني لمصالح قضت بها العناية الكليّة و المصلحة الرّبانيّة، فصحبوا أهل هذا العالم بأبدان أرواحها معلقة بالملكوت الأعلى فكأنهم و هم في جلايب من أبدانهم العنصريّة قد نضوها و تجردوا عنها إلى عالم القدس و حضرة الأنس، و أمّا إذا فارقوا هذا العالم فلا تظن أنهم إذا ماتوا فاتوا، بل هم أحياء عند ربهم يرزقون، باستنشاق نفحات قدسه و استضاءه تجليات وجهه.

و بالجملة فالظاهر سلامة الدليل المذكور عن وصمة الأشكال سيما بعد ما أشير إليه في الخبر المروى في «العلل» عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله

(١) فاطر: ٢٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٥

جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقلت، الملائكة أفضل أم بنوا آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، انّ الله عزّ و جل ركب في الملائكة عقلا- بلا- شهوة، و ركب في البهائم شهوة بلا عقل، و ركب في بنى آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، و من غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم (١).

و في المروى في تفسير الامام و الاحتجاج عن ابي محمد العسكري عليه السلام في خبر طويل يذكر فيه أمر العقبة انّ المنافقين قالوا لرسول الله صلى الله عليه و آله: أخبرنا عن عليّ اهو أفضل أم ملائكة الله المقربون؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: و هل شرفت ملائكة الله إلّا بحبها لمحمد و عليّ، و قبولها لولايتها أتمّ لا أحد من محبّي عليّ عليه السلام و قد نظف قلبه من قدر الغشّ و الدغل و الغلّ و نجاسة الذنوب إلّا لكان أظهر و أفضل من الملائكة، و هل أمر الله الملائكة بالسجود لآدم إلّا لما كانوا قد وضعوه في نفوسهم أنّه لا يصير في الدنيا خلق بعدهم إذا رفعوا عنها إلّا و هم يعنون أنفسهم أفضل منهم في الدين فضلا، و أعلم بالله و بدينه علما، فأراد الله تعالى أن يعرفهم أنّهم قد أخطئوا في ظنونهم و اعتقاداتهم، فخلق آدم و علمه الأسماء كلّها ثمّ عرضها عليهم فعجزوا عن معرفتها، فأمر آدم أن ينبئهم بها و عرفهم فضله في العلم عليهم.

ثمّ أخرج من صلب آدم ذرية منهم الأنبياء و الرسل و الخيار من عباد الله، أفضلهم محمد ثمّ آل محمد صلى الله عليهم أجمعين، و من الخيار الفاضلين منهم أصحاب محمد و خيار أمة محمد صلى الله عليه و آله، و عرف الملائكة بذلك أنّهم أفضل من الملائكة إذا احتملوا ما حملوه من الأثقال و قاسوا ما هم فيه من تعرض أعوان

(١) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢٩٩ عن العلل ج ١ ص ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٦

الشياطين و مجاهدة النفوس، و احتمال أذى ثقل العيال و الاجتهاد في طلب الحلال، و معاناة مخاطرة الخوف من الأعداء، من لصوص مخوفين، و من سلاطين جورّة قاهرين، و صعوبة المسالك في المضايق و المخاوف و الاجزاع و الجبال و التلال لتحصيل أقوات

الأنفس و العيال من الطيب الحلال، عَرَفهم الله عَزَّ و جَلَّ أن خيار المؤمنين يحتملون هذه البلايا، و يتخلَّصون منها، و يتحاربون الشياطين و يهزمونهم «١» و يجاهدون أنفسهم بدفعها عن شهواتها و يغلبونها مع ما رَكِبَت فيهم من شهوة الفحولة، و حبّ اللباس و الطعام و العزَّ و الزیاسة و الفخر و الخيلاء، و مقاساة العناء و البلاء من إبليس لعنه الله و عفاريتة و خواطرم و أعوانهم و استهوائهم و دفع ما يكيّدونه من ألم الصبر على سماع الطعن من أعداء الله و سماع الملاهي و الشتم لأولياء الله، و مع ما يقاسونه في أسفارهم لطلب أقواتهم، و الهرب من أعداء دينهم، و الطلب لمن يأملون «٢» معاملته من مخالفيهم في دينهم.

قال الله عَزَّ و جَلَّ: يا ملائكتي: و أنتم من جميع ذلك بمعزل لا شهوات الفحولة تزعجكم، و لا شهوة الطعام تخفركم، و لا الخوف من اعداء دينكم و دنياكم ينخب «٣» في قلوبكم، و لا-لابليس في ملكوت سمواتي و ارضي سبيل على إغواء ملائكتي الذين قد عصمتهم منهم، يا ملائكتي فمن أطاعني منهم و سلم دينه من هذه الآفات

(١) في النسخة المخطوطة: و يحزمونهم (بالحاء المهملة) و لعله (لو لم يكن مصحفا) من حزم الفوس: شدّ حزامه- و الحزام: ما يشدّ به وسط الدابة.

(٢) في البحار: او الطلب لما يألمون معاملته.

(٣) النخب: النزع، و رجل نخب (بكسر الخاء): جبان.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٧

و النكبات فقد احتمل في جنب محبتي ما لم تحتملوا و اكتسب من القربات إلى ما لم تكتسبوا، فلما عَرَفَ الله ملائكتك فضل خيار أمة محمد صلى الله عليه و آله و شيعته على عليه السلام، و خلفائه عليهم السلام عليهم، و احتمالهم في جنب محبتي ربهم ما لا تحتمله الملائكة أبان أن بني آدم الخيار المتقين بالفضل عليهم فلذلك.

ثم قال فاسجدوا لآدم لما كان مشتتلا على أنوار هذه الخلايق الأفضلين، و لم يكن سجودهم لآدم، إنّما كان آدم قبله لهم يسجدون نحوه لله عَزَّ و جَلَّ، و كان بذلك معظما له مبيحلا، و لا ينبغي لاحد أن يسجد لاحد من دون الله تعالى يخضع له خضوعه لله و يعظمه بالسجود له، كتعظيمه لله، و لو أمرت أحدا أن يسجد هكذا لغير الله لأمرت ضعفاء شيعتنا و سائر المكلفين من شيعتنا أن يسجدوا لمن توسط في علوم على و صدى رسول الله و مخض و داد خير خلق الله على بعد محمد رسول الله و احتمل المكاره و البلايا في التصريح بإظهار حقوق الله فلم ينكر على حقا ارقبه عليه و قد كان جهله او اغفله «١». الخبر و هو كما ترى صريح في تقرير الحجّة المذكورة بأنّ بيان و أحسنه، بل فيه دلالة ظاهرة على تفضيل الفاضلين من شيعتهم على الملائكة، و يظهر ذلك أيضا من بعض الاخبار المتقدمة الدالة على أنّ الملائكة لخدمهم و خدام محبيهم، و من العلوي المروي عن «العلل» «٢» من فضل بني آدم على الملائكة معللا بما مرّ. بل عن صحيفة الرضا بالإسناد عنه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه و آله قال: مثل

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٣٦-١٣٨ عن تفسير الامام عليه السلام و الاحتجاج.

(٢) البحار: ج ٦٠ ص ٢٩٩ عن العلل ج ١ ص ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٨

المؤمن عند الله كمثل ملك مقرب، و إنّ المؤمن عند الله عَزَّ و جَلَّ أعظم من الملك، و ليس شيء أحبّ إلى الله من مؤمن تائب او مؤمنة تائبة «١».

و عنه بالإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إنّ المؤمن ليعرف في السّماء كما يعرف الرجل أهله و ولده، و أنّه أكرم عند الله عَزَّ و جَلَّ من ملك مقرب «٢». إلى غير ذلك ممّا يستفاد منه فضل المؤمن على الملائكة، أو الملك المقرب، و ان لم أجد في



ذلك كلاما محرّرا لأحد من الأصحاب، نعم قال المجلسي رحمه الله: لا خلاف بين الامامية في أنّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام أفضل من جميع الملائكة، والأخبار في ذلك مستفيضة، وأمّا سائر المؤمنين ففي فضل كلّهم أو بعضهم على جميع الملائكة أو بعضهم فلا يظهر من الآيات والأخبار ظهورا بينا يمكن الحكم بأحد الجانبين، فنحن فيه من المتوقفين «٣».

وفيه أنّه لا ينبغي التأمّل في فضل بعض المؤمنين على كثير من الملائكة، لو لم نقل كلّهم بعد دلالة الأخبار المتقدمة، مع أنّه قد روى عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ في الملائكة من باقاه بقل خير منه «٤»، ولا في فضل بعض الملائكة كحمله العرش والعالين وروح القدس وغيرهم على كثير من المؤمنين لو لم نقطع بفضلهم على غير المعصومين عليهم السلام وإنّما الكلام في المتوسطين عن الفريقين، ورد العلم في ذلك إلى أهله أوفق بالاحتياط وأقرب إلى النجاة.

(١) صحيفة الامام الرضا عليه السلام: ح ٢٧ و عنه البحار ج ٦٠ ص ٢٩٩ ح ٦.

(٢) الصحيفة: ح ٣٦ و عنه البحار ج ٦٠ ص ٢٩٩ ح ٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٢٨٥.

(٤) البحار: ج ٥٧ ص ٣١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٩

بقي الكلام في أنّ الاستفادة من الوجه المتقدّم بل وبعض الأخبار المتقدمة خصوصا المروى عن «١» العسكري عليه السلام أنّه ليس للملائكة شهوة الحيوان، ولا ميل إلى أنواع اللذات الدنيوية، ولذا استشكل بعضهم بأنّه إذا كان الله تعالى قد خلقهم على هذا المنوال فما لهم من الفضل في أنفسهم حتّى يفضّلوا غيرهم من صلحاء المؤمنين، قال في الأنوار النعمانية: وهذا المعنى قد أشكل على جماعة من الأصحاب حتّى أنّ شيخنا المعاصر أدام الله أيامه يعني به المجلسي عطر الله مرقده ذهب إلى أنّ الملائكة لهم نوع من الميل إلى اللذات الحسيّة، لكنهم يجاهدون أنفسهم ويمنعونها عن الإرادات البشريّة، حتّى يكون لهم جزيل من الثواب، ويستحقّوا محامد الثناء والتفضيل قال رحمه الله: والجواب الحقيقي عند هذا القاصر غير هذا، وحاصله: أنّ الله سبحانه قد أقدر الملائكة على أنواع العبادات كما أقدر البشر عليها، وإن كان قوّة الملائكة على العبادات أشدّ وأكثر، والبشر مع قدرتهم على أكثر أنواع العبادات من الواجبات والسنن قد فتروا عنها وقبلوا على تركها، وأمّا الملائكة فقد قبلوا على فعلها والإتيان بما وصلت إليه قدرتهم، ومع هذا قد صارت العبادات مستلذّة عندهم، كاستلذاذ الأكل والشرب عندنا فهم يأتون بكلّ ما يقدرون عليه من أنواع العبادات على وجه الاستلذاذ، ونحن إنّما نأتي ببعض ما نقدر على وجه التكليف والمشقة والخوف من العقاب، فهم فضّلوا ما يأتونهم بأفعال يمكنهم تركها فلم يتركوها، ومن ثمّ قد وقع من بعضهم الترك حتّى عوقب عليه، فاحتقرت أجنحته وسقط عن مقامه كما وقع للملك الذي وقع من السماء في زمن إدريس على

(١) البحار ج ١١ ص ١٣٦ تقدّم ذكره.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٠

نبينا وآله وعليه السلام حتّى لجأ إلى إدريس، فدعى له فرجع إلى مقامه و كما وقع للملك الذي فتر عن العبادة في عصر النبي صلى الله عليه وآله فسقط أيضا من عالم الملكوت ولجأ إلى الحسين عليه السلام فتمسّح به ورجع بركة الحسين عليه السلام إلى مقامه، وأمّا الأنبياء والأئمة عليهم السلام فهم قد فعلوا أفعال الملائكة مع اتّصافهم بالقوى الحيوانيّة فهم أفضل من الملائكة كما انعقد عليه إجماعنا، ومن ثمّ كان العامل منا بما يطيق من أنواع العبادات أفضل من الملائكة كما ذهب إليه بعض الأصحاب ودلت عليه بعض الأخبار «١».

أقول: وهذا الكلام لا بأس به غير أن نسبة ترك العباد و استحقاق العقوبة إلى الملائكة الذين قامت ضرورة المذهب على عصمتهم، ليس ممّا ينبغي، و أمثال تلك الأخبار على فرض صحتها لها وجه آخر سنشير إليه في قصّة هاروت و ماروت إنشاء الله تعالى.

### نقض و إبرام على دفع حجج مفضلي الملائكة على الأنبياء عليهم السلام

استدلوا بوجوه من المنقول و المعقول نستقصي الكلام بذكرها و الجواب عنها و ان كنا في غنية عن ذلك كله، بعد دلالة الإجماع بل ضرورة المذهب فضلا عما سمعت من الآيات و الأخبار على ما مرّت الإشارة إليه من تفضيل الأنبياء و الائمة عليهم السلام عليهم.

(١) الأنوار النعمانية: ج ١ ص ٢١٤-٢١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨١

أما الوجوه النقلية فمنها قوله تعالى: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ (١) حيث إن ظاهر العطف في أمثال المقام الترقى من الأدنى إلى الأعلى سيما مع تخصيص الملائكة بالمقربين منهم لكونهم أفضل كما يقال أفضل كما يقال: هذا العالم لا يستنكف من خدمته الوزير و لا الملك المقتدر، و هذا الحجر لا يقدر على حمله العشرة و لا المائة أولو القوة إذ من البين أنه لا يقال:

في الأول و لا الجندي، و لا في الثاني و لا الواحد، فضلا من أن يوصفا بالحاجة و الضعف او يوصف بهما الأولان.

و الجواب انّ الكلام إنما سيق لردّ مقاله النصارى في المسيح حيث ادعوا فيه مع النبوة النبوة بل الألوهية و الترفع عن العبودية، ثم استطرد الكلام في ردّ من زعم انّ الملائكة بنات الله كما قال: وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا (٢) و قال: أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَيْنِ (٣) و تقديم الأول لسبق الخطاب مع أهل الكتاب في أمره في الآيات المتقدمة.

و قد يجاب أيضا بانّ الواو لمطلق الجمع، فتدلّ على أنّ المسيح لا يستنكف و الملائكة لا يستنكفون، و اما الترقى و التفضيل فغير مستفاد أصلا كما في قوله:

وَ لَا الْهَدَىٰ وَ لَا الْقَالِدَ وَ لَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ (٤) و قوله: مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ

(١) النساء: ١٧٢.

(٢) الزخرف: ١٩.

(٣) الزخرف: ١٦.

(٤) المائدة: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٢

بِحِيرَةٍ وَ لَا سَائِيَةٍ وَ لَا وَصِيْلَةٍ (١)، و كذا قولك: ما أعانى على هذا الأمر زيد و لا عمرو، و ما اقترضت من زيد و لا من عمرو. نعم ربما يستفاد الترقى إذا علم كون المعطوف أقوى في المعنى المراد، و أمّا إذا لم يعلم ذلك فإثباته بمجرّد العطف لا يخلو عن دور.

و بانّ النصارى إنّما توهموا فيه النبوة بل الألوهية لكونه روح الله ولد من غير أب، و لما ظهر فيه من صفات الرّوحانيين من إخبار بما يأكلون و ما يدخرون، و إحياء الموتى، و إبراء الأكمه و الأبرص و الأعمى، و لا يبعد أن يكون الملائكة المقربون الموكّلون بتلك الشؤون أرفع في هذا المعنى و أقدر على تلك الشؤون و المعنى لا يترفع عيسى عن العبودية و لا من هو فوقه في هذا المعنى، و هم الملائكة الذين لا أب و لا أم و يقدر على ما لا يقدر عليه عيسى، و اين هذا من سائر الكمالات العلمية و العمليّة الموجبة لمزيد

القرب و كثرة الثواب.

و بأنه يجوز أن يكون الخطاب متوجّها إلى قوم اعتقدوا أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء فأخرج الكلام على حسب اعتقادهم، كما يقول أحد منّا: لن يستنكف أبى أن يفعل كذا و لا أبوك، و ان كان القائل يعتقد أنّ أباه أفضل، و إنّما أخرج الكلام على حسب اعتقاد المخاطب و هو ضعيف.

و بأنه مع تقارب المراتب و تدانى الدرجات يحسن أن يؤخّر ذكر الأفضل الذى ليس بينه و بين غيره فضل تفاوت كما يقال: لن يستنكف من خدمتى هذا الخادم و لا هذا الخادم، و لا ذلك و ان كان بينهم ضرب من التفاضل من بعض

(١) المائدة: ١٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٣

الجهات الذى لم يساق الكلام للتنبيه عليها.

و بأنه إنّما أخرج ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لأنّ جميع الملائكة أكثر ثوابا لا محالة من المسيح منفردا و هذا لا يدلّ على تفضيل كلّ منهم على المسيح، و هو كما ترى.

و أمّا ما يجاب به أيضا من تسليم فضل الملائكة على المسيح و ان كان نبينا صلى الله عليه و آله مفضّلا عليهم كلّهم نظرا إلى أنّ المقصود اثبات القضية الجزئية الضعيف جدا.

و منها قوله تعالى: وَ لِلّٰهِ يَسْرُجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَعْلَمُونَ مَا يُؤْمَرُونَ «١» حيث خصّهم بالذكر بعد التعميم الشامل للأنبياء و غيرهم، و وصفهم بالاستكانة و التواضع و دوام الامتثال و الخوف و ترك المخالفة على وجه الإطلاق، و فيه إشارة إلى أنّ غيرهم ليس كذلك، و ان أسباب التكبر و التعظم حاصله لهم. على أنّه يستفاد منه الاحتجاج بعدم استكبارهم على أنّ غيرهم و جب أن لا يستكبر، و لو كان البشر أفضل منهم لما تمّ هذا الاحتجاج إلا- ترى أنّ السلطان إذا أراد أن يقرّر على رعيته و جوب طاعتهم له يقول: الملوك لا يستكبرون عن طاعتي و لا يحسن منه ان يحتج عليهم بطاعة الضّعفاء و المساكين له.

و الجواب أنّ الآية إنّما تدلّ على الفضيلة لا- الأفضلية، و فائدة التخصيص بعد التعميم التنبيه على حالهم تمهيدا لردّ من زعم من مشركى مكّة أنّهم بنات الله، و لذا

(١) النحل: ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٤

قال بعد هذه الآية بفصل قليل: وَ يَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ «١»، الآيات.

على أنّه قد يقال: لا نزاع فى أنّ الملائكة أشدّ قوّة و قدرة من البشر، و لو فى زعم المخاطبين و اعتقادهم، فكأنه يقول إنّ الملائكة مع شدّة قوتهم و طول أعمارهم لا يتركون العبوديّة لحظة واحدة فالبشر مع ضعفهم و عروض الفتور و الهرم و المرض بالنسبة إليهم أولى بأن لا يتركوا العبادة، و هذا القدر كاف فى صحّة الاستدلال، و أين هذا من الدلالة على الأفضلية بمعنى كثرة الثواب و الاقربيّة؟ ثمّ أنّه يحتمل فى الآية أن يكون من دابّة بياننا للموصول و الملائكة عطفها عليها لظهور الدبيب فى حركة الأجسام، فيكون المراد استيعاب الماديات و المجردات بناء على القول بتجرّد الملائكة و لذا استدلّ بها عليه على ما يأتى.

و منها قوله تعالى: وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لَا يَشْعُرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَسْتَحْسِبُونَ يَسْتَبْجُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ «٢».

والتقريب قريب مما مرّ من جهة التخصيص بعد التعميم للتشريف والتكريم والتوصيف بدوام التسييح ونفى الاستكبار والاستحسار والفتور، على أنّ المراد بالعنديّة عندية القرب والشرف لا عندية المكان والجهة.  
والجواب ظاهر بعد ما سمعت، والعنديّة حاصلة للمؤمنين ايضاً: فِي مَقْعِدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٣)، وفي القدسيات: أنا عند المنكسرة قلوبهم (٤).

(١) النحل: ٥٧.

(٢) الأنبياء: ١٩ - ٢٠.

(٣) القمر: ٥٥.

(٤) في البحار: ج ٧٣ ص ١٥٧: قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: أين الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: عند المنكسرة قلوبهم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٥

ومنها: قوله تعالى: جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا (٥)، حيث إن ظاهره ولو بمعونه غيره من الآيات والأخبار كونهم رسلاً إلى الأنبياء، والرّسول أفضل من المرسل إليه، سلّمنا كونهم رسلاً إلى الملائكة، لكنّ الرسول الذي كلّ أمته رسل معصومون أفضل ممّن ليس كذلك، وهو يتمّ على الوجه الأول ايضاً.

والجواب أنّ الرسالة قد تكون على وجه الحكومه والولاية على النفس والمال وغيرهما وهذا يدلّ على الفضيلة، وقد تكون على وجه الإخبار والإعلام ومجرد التبليغ، ولا دلالة فيه على الأفضلية كما يرسل السلطان إلى وزيره واحداً من غلمانه لإعلامه ببعض مقاصده، ولو مع اطلاع الوزير قبل ذلك بما أخبره به لإقامته بعض الرسوم ودفع لججاج الخصوم، فمجرد الوساطة في التبليغ لا يدلّ على الأفضلية.

ومنها قوله تعالى: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ (٦)، فلو لم يكن حال الملائكة أفضل من حال النبي لم يحسن منه مثل هذا الكلام.

والجواب أنّ الغرض من سوق الكلام إنّما هو نفي ما لم يكن عليه لا التفضيل لذلك على ما هو عليه، ولذا عطف عليه في الآية الاخرى وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا (٧) وهذه منزلة خسيسه ينبغي تنزيه النبي

(٥) فاطر: ١.

(٦) الانعام: ٥٠.

(٧) هود: ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٦

عنها على أنّه إنّما قال ذلك حين استعجلته قريش العذاب الذي أوعدوا به بقوله:

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١)، والمعنى أنّي لست بملك موكل بالعذاب حتّى أنزله عليكم باذن الله كما كان ذلك بجبرئيل وغيره من الملائكة، أو أنّهم سألوهم الأمور العظيمة اقتراحاً كصعود السماء واسقاطها كسفاً وتفجير العيون من الأرض وغيرها فأجاب بآني بشر على إقامة الحجة والهداية على الطريقة السوية، ولست بملك موكل بهذه الأمور كما حكى عنهم في قوله:

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قِبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّى تُنَزِّلَ

عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا «٢».

ومن هنا قوله تعالى في بني آدم: وَقَضَلْنَا هُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا «٣»، بناء على أن المكلفين من مخلوقاته سبحانه أفضل من غيرهم، وجملة المكلفين أربعة أنواع: الملائكة، وبنو آدم، والجن، والشياطين، ولا ريب أن بني آدم أفضل من الآخرين، فلو كانوا أفضل من الأول أيضا لكانوا أفضل من جميع ما خلقه فلا يستقيم التفضيل على الأكثر المشعر بعدم التفضيل على القليل سيما في مقام الامتنان بالتشريف والتكريم.

(١) الانعام: ٤٩.

(٢) الإسراء: ٩٠-٩٣.

(٣) الإسراء: ٧٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٧

والجواب أنك قد سمعت أن الآية دليل لنا لا علينا، ولو بمعونة الأخبار المفسرة لها حسبما مرّ شرط منها، ولعل المعنى على ما قيل إننا فضّلناهم على من خلقناه وهم كثير من دون أن يريد التبعض فيجربى قوله: وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا «١»، أي كلّ ثمن أخذ عنها فهو قليل من دون أن يريد التخصيص بان يمنع عن الثمن القليل خاصّة و مثله قول الشاعر:

من أناس ليس من أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع وإنما أراد نفى الفحش والجزع على إطلاقهما وان وصفهما على صورة التقيد، مع أنه يمكن أن يكون المراد هو التفضيل في وجوه الكرامة المذكورة في الآية من رزق الطيبات وحملهم في البر والبحر و أين هذا من الأفضلية بالأقربية و اكثرية الثواب، سلّمنا لكنّه لا حجّيه في دليل الخطاب في مثل المقام على ما قرّر في الأصول من عدم حجّيه مفهوم العدد واللقب ونحوهما، سلّمنا لكنّه باعتبار مقابلة المجموع بالمجموع.

ومنها قوله تعالى: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ «٢»، أي إلّا كراهة أن تكونا ملكين فرغبهما في تناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتّى دلّاهما بغرور، و ذاقا منها فبدت لهما سوءاتهما، و من البيّن أن التّغريب إنّما يحصل بالتّغيب على منزلة هي فوق منزلته حتّى يحمله ذلك

(١) المائدة: ٤٤.

(٢) الأعراف: ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٨

على مخالفة الله ومعصيته طمعا في الارتقاء إلى منزلة الملائكة، وهو دليل على فضلهم عليهما.

والجواب أنه من المحتمل قويا أن يكون المراد اختصاص النهي بهذين الفريقين اعني الملائكة والخالدين فكان غرض إبليس إيقاع الشبهة لهما بأنه إنّما تعلق النهي بهما وانّ عدم الاكل مختصّ بمن كان ملكا او مخلّدا فيها، وهذا كما تقول لواحد من فقراء السادات: ما حرّم الله عليك أخذ الخمس إلّا أن تكون غنيا او من غير بني هاشم أي بكونك كذا وكذا، وهذا كما ترى لا يدلّ على كونهما أفضل منه، سلّمنا أن الصّورة الملكية والخلود كانا مرغوبين لهما لكنّه لا يدلّ على زيادة الفضل وكثرة الثواب والقرب بحصول شيء منهما، ولعلّه إنّما رغّبهما في أن يكونا مساويين لهم في التجرد والانسلاخ عن عوارض التركيب وان اختصا عنهم بمزيد الأجر والثواب كما أنه رغّبهما في الخلود الّذي لا يقتضى مزية في الثواب، وأنما هو نفع عاجل، بل من البيّن أنّ كلّا من الخلود والملكية ينافي زيادة الاستحقاق ورفع الدرجة.

و اما ما يجاب عنه ايضا من أنّ هذا قول إبليس فلا يكون حجّيه و آدم وان اعتقد صحّة ذلك إلّا أنّه لم يكن نبيا في ذلك الوقت، و

ايضا لعله كان مخطئا في ذلك الاعتقاد لجواز الزلّة على الأنبياء، سلّمنا كونه حجّة لكن آدم عليه السلام لم يكن قبل الزلّة نبيا فلم يلزم من فضل الملك عليه حينئذ فضله عليه بعد نبوّته، فلا يتم شيء منهما على الأصول المقرّرة عندنا كما لا يخفى، ولعله إنّما ذكره من ذكره منّا على وجه الفرض والتقدير، كما أنّه يمكن أن يقال: سلّمنا دلالتها على فضله على آدم لكنّها لا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٩

تدلّ على فضله على أولى العزم الذين هم أفضل من آدم، وايضا لا تدلّ على فضل الملك على نبينا وآله الطاهرين صلّى الله عليهم أجمعين الذين هم أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين.

ومنها قوله تعالى حكاية عن النسوة على وجه التقرير في تفاوت الدرّجة لا التّفى ما هذا بَشْرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ «١» بناء على أنّه ليس المراد وقوع التشبيه في الصورة بل في السيرة حيث أنّه شبّهه بالملك الكريم، والملك إنّما يكون كريما بسيرته المرضية التي هي نفى دواعي البشريّة من الشهوة والغضب والحرص على طلب المشتهى واثبات أصدادها من العصمة و غصّ البصر و قمع موادّ الشهوات والميل إلى المحرّمات، فدلّ على أنّ جنس الملك أفضل من جنس البشر حتّى بالنسبة إلى نوع الأنبياء كما هو قضية المورد.

والجواب أنّ هؤلاء النسوة أوّل ما رأين من يوسف إنّما هو حسن الصورة وكمال الجمال بحيث لم يرين مثله أحدا من الرجال ولذا نفين عنه البشريّة وظهر لهن عذر امرأة العزيز في شدّة عشقها له وعند ذلك قالت فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ «٢» ولذا قيل إنّ كالتصريح في أنّ المراد إنّما هو حسن الصورة لا كمال السيرة، سلّمنا أنّ المراد هو التشبيه في الاعراض عن المشتّهات إلّا أنّه قد ظهر ممّا مرّ أنّ قليل الاعراض من البشر يوجب كثير الثواب وكثير الاعراض من الملك يوجب قليل الثواب لمعارضة القوى المتضادة في البشر دون الملك.

(١) يوسف: ٣١.

(٢) يوسف: ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٠

ومنها قوله تعالى: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ «١»، الشامل بعمومه لجميع المكلفين حتّى الأنبياء والمرسلين فيدلّ على أفضليّة الملائكة لحفظهم وكتابتهم المقصودة للشهادة لهم وعليهم بأعمالهم.

وضعه واضح فإنّ شيئا من الحفظ والشهادة غير مستلزم للأفضليّة أو المفضوليّة، ولذا يصحّ استنادهما إلى الله وإلى رسوله وإلى من دون المكلف من الجمادات والنباتات وسائر أجزاء العالم، ولذا ورد أنّه خير حافظا وأنّه تعالى يستشهد على الأمم برسولها وعلى الرّسل بنبيّنا وآله صلّى الله عليهم وأنّه يستشهد على ابن آدم بالساعات والشهور والبقاع والأرضين وغيرها.

ومنها قوله: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ «٢»، وقوله: وَالْمُؤْمِنُونَ كُفُلًا آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ «٣»، فإنّ أولى العلم في الاولى يشمل الرسل والتقدّم الذكري فيهما سيّما بملاحظة الابتداء به سبحانه ووقوعه في كلام الحكيم على الإطلاق يدلّ على التقدّم بحسب الرتبة والشرف.

ويضعف بأنّ الواو لمطلق الجمع واستفادة الاشرقيّة من مجرد الترتيب ضعيفه جدّا سيّما بعد ما سمعت من الآيات والصّحاح الصّراح ويؤيده تقديم الكتب على الرسل في المقام.

ومنها قوله تعالى: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى «٤»، فانه يدلّ على أنّ جبرئيل هو

(٢) آل عمران: ١٨.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

(٤) النجم: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩١

واحد من الملائكة علم محمدا صلى الله عليه وآله وهو خاتم النبيين وأفضل المرسلين ولا ريب أن المعلم أفضل من المتعلم وإذا ثبت فضله عليه ثبت فضله على الجميع، وأيضا وصفه في الآية بشدة القوى وغيرها من الأوصاف المذكورة في الآيات التالية. وقد يقرر علمية جبرئيل بأن العلوم قسمان: أحدهما العلم بالمبدأ الحق وصفاته وأسمائه وهما مشتركان في معرفته، والآخر العلم بأفعاله وأحوال مخلوقاته من الدرّة إلى الدرّة، ولا شك أن جبرئيل عليه السلام أعرف بها لأنه أطول عمرا وأكثر مشاهدة لها فكان علمه بها أكثر وأتم هذا في العلوم الكونية وأما العلوم الشرعية التي لا يتوصل إليها إلا بالوحي فهي لم تحصل لمحمد صلى الله عليه وآله ولا لاحد من الأنبياء إلا بواسطة جبرئيل الذي هو أمين الوحي ولذا كان واسطة بينه تعالى وبين جميع الأنبياء فكان عالما بجميع الشرائع والأحكام مع علمه بشرائع الملائكة أيضا ولم يحصل هذه العلوم لواحد من الأنبياء، وقد قال سبحانه: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ «١».

والجواب أن الأعلمية ممنوعة جدا كيف وقد تواترت الأخبار بأن النبي والأئمة صلى الله عليهم كانوا معلمين لجبرئيل وغيره من الملائكة المقربين، وأن الملائكة لخدمهم وخدام محبيهم، وأن جبرئيل إذا أتى النبي صلى الله عليه وآله كان يقعد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتى يستأذنه وأنه ما شرفت الملائكة إلا بحبها لمحمد وعلى عليهما السلام وقبولها لولايتهما، وأن الملائكة إنما خلقوا بعد شيعتهم وسبحوا بعد تسيحهم معلما منهم والافقد مكثوا مائة عام لا يعرفون تسيحها ولا تهليلا إلى غير

(١) الزمر: ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٢

ذلك مما مرّت إليه الإشارة في الاخبار المتقدمة.

وأما الآية فالمراد بها التعليم الظاهري في هذا العالم اقامه لرسم التبليغ ووظيفة الرسالة حسبما نشير اليه في تفسيرها، مع أن فيها وجهها آخر وهو نسبة التعليم إليه سبحانه كما يظهر من تفسير القمي وغيره هذا مضافا إلى ما دلّت عليه الآية من كون آدم معلما لهم بأمر الله تعالى إرشاده وأنه علمهم الأسماء كلها بعد ما لم يعلموها، وأما التقسيم المقرر لبيان علمية جبرئيل ففيه وجوه من الاختلال، وذلك للمنع عن الاشتراك في قدر المعرفة وان سلمناه في أصلها، وذلك لأن المعرفة على حسب الاستعداد والرتبة والقرب والعبودية وقد سمعت تأخر رتبة جبرئيل عنهم بل عن بعض شيعتهم كالعالمين والكروبيين وغيرهم، وأما العلم بالأمور الكونية فالاعلم بها من أشهدهم الله تعالى وجعلهم الأشهاد والأعضاء في تكوينها، وأما الأحكام الشرعية فقد ورد في كثير من الاخبار تفويضها إليهم كما أشير إليه في قوله تعالى: هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ «١» بحسب التأويل «٢» وتذكر في ذلك كله قوله: وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ «٣»، وقوله: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ «٤».

ومنها ما رواه في «الكافي» عن الصادق عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ يا بن آدم اذكرني

(١) ص: ٣٩.

(٢) راجع تفسير الصافي: ج ٤ ص ٣٠١ ط دار المرتضى بمشهد.

(٣) طه: ١١٤.

(٤) القيامة: ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٣

في ملاء أذكرك في ملاء خير من ملاءك «١».

وفيه مرفوعا قال: قال الله عزّ وجلّ لعيسى على نبينا وآله وعليه السّلام يا عيسى اذكرنى فى نفسك أذكرك فى نفسى، و اذكرنى فى ملاءك أذكرك فى ملاء خير من ملاء آدميين «٢».

وفى بعض الأخبار: بملا «٣» من الملائكة خير من ملاء آدميين.

والجواب ان خيرية ملاء نوع من الملائكة من ملاء كثير من افراد البشر باعتبار قربهم او ملاء جنس الملائكة من جنس بنى آدم باعتبار عصمتهم لا ينافى افضلية الأنبياء والأوصياء عليهم، سيما مع ما قيل من اشمال ملائهم على أرواح التّبيين والمرسلين.

ثمّ أنّه قد يحكى اتّفاق الفلاسفة على أنّ الأرواح السّماوية المسماة عندهم بالملائكة أفضل من الأرواح النّاطقة البشريّة و استدّلوا عليه ببساطتها و برائتها من شوب التركيب و لوازم الكثرة الدّاعية إلى الاختلال و الفساد، و أمّا البشر فهو مركّب من النفس و البدن، و النفس مركّبة من القوى الكثيرة و البدن مركّب من العناصر المتضادّة، و من البين أنّ البسيط أشرف من المركب، و الملائكة و ان لم نقل ببساطتها المطلقة نظرا إلى أنّ كلّ ممكن زوج تركيبى و أنّها مركّبة من وجود و مهية لكنّها أبسط بالإضافة إلى الإنسان من وجوه كثيرة أوجبت شرافتها، و لذا كان البسيط على الإطلاق و هو مبدأ الكلّ أعلى من الكلّ.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٨.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٠٢.

(٣) البحار ج ٦٠ ص ٣٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٤

و بأنّ الروحانيات لها كمالات فعليّة حاضرة و لذا قال مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام و قد سئل عن الملاء الأعلى صور عارية عن المواد خالية عن القوّة و الاستعداد تجلّى لها ربّها فأشرقت، و طالعتها فتلاّأت، و ألقى فى هويّتها مثاله فأظهر عنها أفعاله و خلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكاها بالعلم و العمل فقد شابته جواهر أوائل عللها، و إذا اعتدل مزاجها و فارقت الاضداد فقد شارك بها السّبع الشداد «١».

و أمّا البشر فكما لا تتمّ استعداداتهم بالقوّة لا بالفعل، و لا يخفى أنّ ما بالفعل التّام أشرف ممّا بالقوّة مع أنّ فى الخبر وجوها آخر من الدّلالة أيضا كالتّجرد و قبول التجليات الاولى و توسطها بالاشراق على ما دونها و المظهرية الكليّة و كون النفوس الانسانية بعد التّركيب التّامة مشابهة لها، مع دلالة التّشبيه على قوّة المشبه به و كون تلك الجواهر هى العلل الاولى لها و غير ذلك ممّا يستفاد منه.

و بأنّ الروحانيات أشرف من الجسمانيات فى العلم و العمل فتكون أشرف مطلقا اما شرفهم فى العلم فلا حظتها على المغيبات و على الأمور المستقبلية و العلوم الكليّة و الكمالات الفعلية، و اما فى العمل فلا تتمّ مواظبون على العبودية المحضة لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون، يستبحون الليل و النهار لا يفترون، لا يلحقهم نوم العيون و لا يليهم سهو العقول، طعامهم التّسبيح، و شرابهم التّقديس، متجرّدون عن العلائق البدنية غير محجوبين بشيء من القوى الحيوانية، و اما الثّانى فواضح ضرورة رجوع اسباب الشرف و الفضل إلى أحد الأمرين.

و بأنّ الروحانيات نورانيات علوية لطيفة فعالة منها العقول الكليّة و النفوس

(١) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٦٥.



تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٥

الفلكية و الجسمانيات ظلمات سلفية كثيفة منفعة مشتملة على الحجب الظلمانية و الغواسق الهيولانية.

و بأنّ التقسيم العقلي دلّ على ذلك فإنّ الموجود الحيّ أشرف من الميت ثمّ الحيّ أمّا خير محض، او شرير محض، او خير من وجه شرير من وجهه، فالأول هو الملك و الثاني هو الشيطان و الثالث هو الإنسان.

و بأنّ النفوس الناطقة و قواها و استعداداتها كلّها فائضة من المبادئ العالية التي هي المتصرفه فيها المفضية عليها.

إلى غير ذلك من الوجوه الضعيفة المبنية على أصولهم الفاسدة المخالفه للشريعة المصطفوية على صاعدها و آله آلاف الثناء و التحيّة من اثبات العقول المجردة و النفوس الفلكية و استناد الحوادث إلى التشكلات و الانظار الفلكية و غيرها ممّا تقوله الفلاسفة و ارباب الهياكل و غيرهم.

هذا مضافا إلى انكارهم الأصول الشرعية الحقّة المستفاده من الشريعة من تقدّم خلق الأرواح على الأبدان و أنّ أرواح النّبي و الأئمّة عليهم السّلام متقدّمة في الخلقة على غيرهم، و أنّ جميع من سواهم من المجردات و الماديات و العلويات و السفليات و أرواح الأنبياء و الملائكة و السماوات و الأرضين و الكواكب و الجنّة و جميع ما في العوالم الكونية كلّها مخلوقة من أشعة أنوارهم كائنه من رشحات قطرات بحارهم، فإذا أحرزت هذه الأصول و أتقت ما أشرنا إليه في تضاعيف المباحث السابقة ظهر لك الجواب عن هذه الوجوه و غيرها ممّا أوردوه في المقام، فلا داعي إلى اطباب الكلام في الجواب عنها بوجوه النقص و الإبرام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٦

### دلالة الآيات الى المذهب الحق

اعلم أنّ هذه الآيات تدلّ بوجوه من الإشارة على حقيّة مذهب الإمامية القائمين بوجوب النصّ و العصمة و الأعلمية و عدم خلوّ العصر عن الحجّة و غيرها من الأصول الحقّة، و ذلك من وجوه.

أحدها: أنّ الحكمة في الخليفة أبلغ من الحكمة في الخليفة، و ذلك أنّه لما تعلّقت المشيئة الالهية و الحكمة الربانية بعمارة الأرض و إيجاد من يعبد و يوحيده فيها بدأ بالخليفة قبل الخليفة تقدّما للأهم على ما هو الأعم، و ذلك لأنّ وجود الخليفة عندنا ليس على وجه التبعية المحضة و الغيرية الصّرفة كما توهمه من خالفنا في الإمامة حيث جوّزوا مساواته لسائر افراد الرعيّة في قلّة العلم و الفضيلة، و عدم لزوم العصمة، بل الخليفة عندنا هو المقصود بالذات و لا بدّ أن يكون وجوده أشرف من وجود رعيّته و الاهتمام بخلقه أكثر من الاهتمام بخلق غيره فيكون هو الواسطة في إيصال الفيوض الالهية إلى رعيّته، لا لقصور في فيضه أو عجز منه في إيصاله إلى خلقه، او لحاجة به إلى من ينوبه عنه فيه، بل لقصور عامّة الخلق عن قبول فيضه و تلقى امره، فالخليفة في العالم كالقلب في البدن، و كما أنّ القلب أوّل الأعضاء خلقه و هو معدن الحرارة الغريزيّة، فيتكوّن فيه الأرواح الحيوانية التي هي الأصل للأرواح الطبيعية و الناطقة و غيرها، ثمّ يسرى منها إلى الكبد و الدماغ و سائر الأعضاء و الجوارح بواسطة العروق و الشرايين، كذلك الخليفة أوّل الخلق خلقه في عالم الملكوت او الناسوت، و هو الواسطة في إيصال الفيوض الالهية إلى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٧

سائر الخليفة بتوسط نوابهم و أمنائهم و حملة علومهم و أحكامهم.

و لذا قال الصادق عليه السلام: إنّ الحجّة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق (١).

و أنّه ما كانت الأرض إلّا و لله منها عالم و أنّه لو لم يكن في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة (٢) و لو ذهب أحدهما بقي الحجّة،

و أنّه ما ترك الله الأرض منذ قبض الله آدم إلّا و فيها امام يهتدى به إلى الله و هو حجّة الله على عباده (٣).

و في العلوي المستفيض: اللهم بلي لا تخلو الأرض من قائم لله بحججه أمّا ظاهرا مشهورا، او خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله و بيناته

و كم ذا و أين أولئك؟

أولئك و الله الأقلون عدداً، و الأعظمون قدراً، بهم يحفظ الله حججه و بيناته، حتى يودعوها نظرائهم، و يزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، و باشروا روح اليقين، و استلانوا ما استوعره المترفون، و انسوا بما استوحش منه الجاهلون، و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، يا كميل أولئك خلفاء الله في أرضه، و الدعاة إلى دينه «٤»، آه.

و الاخبار في هذا المعنى كثيرة مذكورة في كتب الفريقين، ثم أنه يستفاد منه تعظيم أمر الخلافة حيث نوّه بذكر الخليفة قبل خلقه و أرشد الملائكة إلى كسب العلوم و المعارف منه و أوجب عليهم السجود له، ثم لمّا امتنع إبليس عن السجود له أخرجته من فسيح ملكوت قربه، و طرده عن باب رحمته، و أوجب له الذلّ و الصغار

(١) الكافي ج ١ ص ١٧٧ ح ٤ باب الحجة لا تقوم إلا بالإمام.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٨٠.

(٣) الكافي: ج ١ ص ١٧٩ ح ٨.

(٤) البحار: ج ٢٣ ص ٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٨

و الخلود في دار البوار، و لعنه في جميع كتبه و على السنة جميع أنبيائه و أوليائه، و ذلك لمخالفته في امر الخلافة الذي هو الكاشف الأخير عن توحيد سبحانه، فإنّ انكار خلافة الأنبياء و أوصيائهم بمنزلة جحود ربوبيته سبحانه في الكفر و الإلحاد على ما تظافرت به الاخبار.

### الخلافة من الله سبحانه

ثانيها: إنّ الخلافة لا بدّ أن تكون بتعيين الله سبحانه و نصّه و نصبه، فإنّه منصب جليل، و له خطب عظيم، و القلوب مجبولة على حبّ أنفسها، و اختيار الخير لها، و حيث أنّ الخلق لا يحيطون علماً على جميع الحكم و المصالح، و لا يطلعون على جميع الأسباب و مقتضيات و الموانع، فلذا جعل تعيين الخليفة إلى نفسه تعالى و قال: إني جاعلٌ فاحتجّ به على عامّة خلقه أنّه ليس لهم سبيل إلى اختيار الخليفة، كما لم يكن للملائكة إليه سبيل مع عصمتهم و قدمتهم و صفائهم و وفائهم و دوام عبادتهم و خلوّ فطرتهم عن مقتضيات الدواعي الشهويّة و الغضبيّة و الانحرافات البشريّة، و إذا كان حال الملائكة ذلك على ما يستفاد من الآية فما ظنك بعامّة البشر، الذين هم معادن القصور و التقصير مع ما ترى فيهم من خفاء الحقّ و غلبة الباطل، و استيلاء الجهال، و دوله أهل الضلال، ثمّ لا يخلو أمرهم أمّا أن يكونوا مريدين في زعمهم لاختيار الباطل و متابعة الهوى و الايتماء بأنّهم الضلال، فالله سبحانه أعزّ و أجلّ من أن يدعهم و أهوائهم و لو اتّبع الحقّ أهوائهم لفسدت السموات و الأرض و من فيهنّ، و إمّا أن يكونوا مريدين لاختيار من يقوم بالحقّ فيهم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٩

و يقيم كلمة الصدق فيما بينهم، فإنّي لهم السبيل إلى معرفة من هو كذلك، و كيف اطمانوا أنّه لم يقع اختيارهم على من هو الأفسد في الدّين و الدّنيا، و إليه أشير بما في «الاحتجاج» عن سعد بن عبد الله القمي قال: سألت القائم عليه السلام في حجر أبيه عليه السلام فقلت: أخبرني يا مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار امام لأنفسهم قال عليه السلام:

مصلح او مفسد؟ قلت: مصلح قال: هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح او فساد؟ قلت: بلى قال: فهي العلة التي تمنع القوم من اختيار امام لأنفسهم قال عليه السلام:

الكتب و أيدهم بالوحي و العصمة إذ هم أعلام الأمم و أهدى إلى ثبت الاختيار، و منهم موسى و عيسى عليهما السلام هل يجوز مع وفور عقلمها و كمال علمهما إذا هما بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق، و هما يظنّان أنه مؤمن قلت: لا قال: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله و كمال علمه و نزول الوحي عليه اختار من اعيان قومه و وجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلا- ممن لم يشكّ في ايمانهم و إخلاصهم فووقت خيرته على المنافقين قال الله عزّ و جلّ: وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ﴿١﴾، فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوّة واقعا على الأفسد دون الأصلح و هو يظنّ أنه الأصلح دون الأفسد، علمنا أنه لا اختيار لمن لا يعلم ما تخفى الصدور و ما تكنّ الضمائر و تنصرف عليه السرائر، و ان لا خطر لاختيار المهاجرين و الأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوى الفساد لما

(١) الأعراف: ١٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٠

أرادوا أهل الصّلاح ﴿١﴾.

أقول و لعلّ اختيار عيسى عليه السلام اشارة إلى ما اختاره من الحواريين الاثنى عشر حيث ضلّ كثير منهم و اضلّوا قومه حتّى أن واحدا منهم و هو يهودا الاسكر يوطى دلّ الكفّار على أخذه و صلبه لجعل يسير و عدوه به على ما وقع التلويح عليه في أخبارنا و التصريح به في انجيلهم، و يدلّ على ذلك ايضا من طرق العامّة و الخاصة اخبار كثيرة نورد شطرا منها في تفسير قوله تعالى: وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴿٢﴾.

ثمّ انّ المدار في التكاليف على الامتحان و الابتلاء بما لا يعرف حقيقته و يستحقّر ظاهره، و لما كان إبليس في الملائكة و لم يكن منهم و كانت الملائكة تظنّ أنه منهم بل من خيارهم و أراد الله تعالى أن يظهر نفاق المنافق و اخلاص المخلص ليهلك من هلك عَنْ بَيْنَيْهِ وَ يَحْيَىٰ مَنْ حَيٍّ عَنْ بَيْنَيْهِ ﴿٣﴾ فأمرهم بالسجود لآدم فأظهرت الملائكة الانقياد و الطاعة و اظهر إبليس الاستكبار و المعصية، و لم تزل سنّة الله جارية في بنى آدم بمثل هذا الامتحان في الايمان بيعث الأنبياء و نصب الأوصياء، ففيهما ضلّ من ضلّ و هلك من هلك، و أمّا الإقرار به سبحانه فلعلك ترى الأمم كلّها متّفقه على ذلك، فالخلافة التي هي الولاية العامّة من قبله سبحانه لا بدّ أن تكون جارية مستمرة في بنى آدم بتعيينه سبحانه إلى انقراض العالم، إقامة للنظم الأتمّ و هداية للعباد إلى ما هو احسن و أقوم.

(١) الاحتجاج: ص ٢٥٩ و ٢٦٠ و عنه البحار ج ٢٣ ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) القصص: ٦٨.

(٣) الأنفال: ٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠١

ثمّ انك قد سمعت انّ المراد بالجعل في قوله: إِنِّي جَاعِلٌ هُوَ الْجَعْلَ التكويني فينزل هذا الكلام منه سبحانه منزله قوله: إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿١﴾، فمن ادعى انّ له أن يختار الخليفة فكأنه قد ادعى انّ له أن يخلق بشرا من طين، و لما بطل أحد المعنيين بطل الآخر، إذ هما في حيز واحد بل قد يقال إنه يستفاد من الآية انّ طريق معرفة الخليفة هو السماع بالإشارة و النصّ، و ذلك لأنّ الخلافة الموعودة ان كانت خصوص خلافة آدم فتحقق النصّ و الإشارة واضح بالنسبة إليه، و ان كانت هي الخلافة الثابتة لجميع الحجج من الأنبياء و الأوصياء، فظاهر الآية أنه عرضها عليهم، و علمهم أسمائها، فصحّ انّ الطريق هو الإشارة و النصّ من جهة السمع و التوقيف.

ثمّ إنه يستفاد من الآية بعد ملاحظة اعتراض الملائكة و الجواب عنهم أنه لا يصحّ نصب الخليفة و جعلها إلّا لمن كان عالما بغيب السماوات و الأرض، و بما تبديها النفوس و تكتمها، و بأسرار الخليفة و استعداداتهم و ما يؤول اليه أمرهم، و بهذا تمّت حجّته سبحانه

على الملائكة، و هي حجة على غيرهم ايضا إن أرادوا تعيين الخليفة و نصبه من غير دليل و نصّ عليه بالخصوص من الله تعالى او حججه الذين هم خزنة الوحي و التنزيل.

ثالثها: أن الأعلّم هو الأحقّ الأليق بالخلافة، و ذلك لأنّ الملائكة قد عرضوا أنفسهم لهذا المطلب الجليل و استدعوه منه سبحانه، و ظنّوا أنّهم أحقّ به من آدم فأبان الله سبحانه عن قصورهم و عدم استحقاقهم لهذه الدرجة و تفضيل آدم عليهم

(١) ص: ٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٢

بأن علم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضها عليهم، فعجزوا عن آخرهم عن معرفتها، حتّى أنبأهم بها آدم بأمره سبحانه فاستحقّ بذلك الرياسة العظمى و الخلافة الكبرى، و لو ساءت الخلافة للمفضول مع وجود الأفضل لم تتمّ الحجة على الملائكة، و لما كان مساع لقله: إني أعلم ما لا تعلمون «١» و قوله: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إني أعلم غيب السماوات و الأرض «٢» فقد دلّت الآية على أنه لا يجوز خلافة المفضول مع وجود الأفضل.

و هذه قضية كبرى، و أمّا الصغرى التي يثبت معها مذهب الامامية فهي أن عليا عليه السلام كان أفضل الصحابة و أعلمهم، و قد أشار إليه سبحانه في قوله: و مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ «٣»، و كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ «٤»، هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَدِينُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ «٥»، و غيرها من الآيات المفسرة بذلك من طرق الفريقين بل الاخبار النبوية و غيرها به متواترة فمن طريق العامة «٦». عن موفق بن أحمد بالإسناد عن سلمان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال أعلم أمّتي من بعدى علي بن أبي طالب «٧».

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣٣.

(٣) الرعد: ٤٣.

(٤) يس: ١٢.

(٥) الزمر: ٩.

(٦) هو موفق بن أحمد الخوارزمي المعروف بأخطب خوارزم المتوفى (٤٦٨) هـ.

(٧) المناقب للخوارزمي: ص ٤٩ ط تبريز.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٣

و في خبر آخر عنه صلى الله عليه و آله: أفضى أمّتي علي بن أبي طالب «١».

و عن كتاب فضائل الصّحابة للسمعاني «٢» بالإسناد عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) علي أفضى أمّتي فمن احبني فليحبّه فان العبد لا ينال ولايتي إلّا بحبّ علي عليه السلام «٣».

و عنه بالإسناد عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: علي أفضانا «٤».

و روى ابن أبي الحديد في «شرح النهج» عن أبي نعيم الحافظ قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: أخصمك يا علي بالنبوة فلا نبوة بعدى و تخصم بسبع لا يجاحد فيها أحد من قريش أنت أولهم ايماناً و أوفاهم بعهد الله و أقومهم بأمر الله و أقسمهم بالسوية و عدلهم في الرعية و أبصرهم بالقضية و أعظمهم عند الله مزية «٥».

و روى الفقيه ابن المغازلي الشافعي في مناقبه بالإسناد عن ابن عباس قال:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أتاني جبرئيل بدرانوك من الجنة فجلست عليه، فلما صرت بين يدي ربي كلمني وناجاني فما علمت شيئا إلا علمته عليا فهو باب مدينة علمي، ثم دعاه إليه فقال: يا علي سلمك سلمى و حربك حربى و أنت العلم فيها بينى و بين أمتى بعدى «٦».

(١) المناقب: ص ٤٨ ط تبريز.

(٢) هو ابو المظفر منصور بن محمد السمعاني النيسابورى المتوفى (٤٨٩) هـ.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٣٦ ط مصر.

(٤) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٣٦ ط مصر.

(٥) حلية الأولياء لأبى نعيم: ج ١ ص ٦٥ ط السعادة بمصر.

(٦) احقاق الحق: ج ٤ ص ٢٥٨ عن المناقب لابن المغازلى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٤

و عن موفق بن أحمد بالإسناد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: قال: من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه، و إلى نوح فى فهمه، و إلى يحيى فى زهده، و إلى موسى بن عمران فى بطشه، فلينظر إلى علي بن أبى طالب «١».

و عنه بالإسناد عن الحارث الأعور صاحب راية علي بن أبى طالب عليه السلام قال:

بلغنا ان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان فى جمع من أصحابه فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أريكم آدم فى علمه، و نوحا فى فهمه، و إبراهيم فى حكيمته؟ فلم يكن بأسرع من أن طلع علي فقال أبو بكر يا رسول الله أفست رجلا بثلاثة من الرسل يخ بخ بهذا الرجل من هو يا رسول الله؟

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أو لا تعرفه؟ قال: الله و رسوله أعلم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أبو الحسن علي بن أبى طالب عليه السلام قال أبو بكر: يخ بخ لك يا أبا الحسن و أين مثلك يا أبا الحسن «٢».

و عن عمر أنه قال: العلم ستة اسداس لعلي من ذلك خمسة اسداس و للناس سدس و لقد شاركنا فى السدس، حتى لهو أعلم به منا «٣».

و عنه عن ابن المغازلى الشافعى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: قال: قسّمت الحكمة على عشرة أجزاء فاعطى علي تسعة و الناس جزءا واحدا «٤».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المروية من طرق العامة فضلا عن المأثورة من طرق الخاصة و قد تواتر من طرق الفريقين عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أنا مدينة العلم و علي بابها «٥».

(١) الاحقاق: ج ١٥ ص ٦٢٠- عن المناقب للحيدرآبادى ص ٤٩.

(٢) أرجح المطالب للأمر تسرى: ص ٤٥٤ ط لاهور.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٤٧ عن الأربعين للخطيب.

(٤) الاحقاق ج ٥ عن المناقب لابن المغازلى ص ٥١٧ و حلية الأولياء ج ١ ص ٦٤.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ج ٢ ص ٢٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٥

و فى أخبار كثيرة: انا مدينة الحكمة و علي بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها «١».

وإن أقضاكم عليّ «٢».

ومن البين أن القضاء يحتاج إلى سائر العلوم.

ثم إنه قد قال عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني، ولم يجسر أحد أن يقول ذلك غيره «٣».

روى موفق بن احمد بالإسناد عن سعيد بن المسيب قال ما كان في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أحد يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب عليه السلام «٤».

وعنه عن الحموي العاميين بالإسناد عن أبي سعيد البخري قال: رأيت علياً كرم الله وجهه وقد صعد المنبر بالكوفة و عليه مدرعة كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله متجلداً «٥» بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله متعمماً بعمامة رسول الله وفي إصبغه خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله ففقد علي المنبر فكشف عن بطنه وقال: سلوني قبل أن تفقدوني، فأنما بين الجوانح مني علم جم هذا سفظ العلم، هذا لعاب رسول الله هذا ما زفني رسول

(١) امالي الطوسي: ص ٣٠٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٥٠.

(٣) المناقب لأخطب خوارزم: ص ٥٤ ط تبريز.

(٤) المناقب لاخطب خوارزم: ص ٥٤ ط تبريز.

(٥) في المصدر: متقلداً.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٦

الله صلى الله عليه وآله زقاً من غير وحى أوحى إليّ، فوالله لو ثبت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الله التوراة والإنجيل فيقولان: صدق عليّ قد افتاكم بما انزل فينا وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون «١».

وروى الصدوق في أماليه ما يقرب منه وفيه سلوني فإنّ عندي علم الأولين والآخريين.

وقال ابن ابى الحديد في شرح النهج أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصّحابة ولا أحد من العلماء: سلوني غير علي بن أبي طالب عليه السلام «٢».

ثمّ أنّه عليه السّلام قد ادّعى على ما تواتر عنه من طرق الفريقين أنّه أعلم الأمم و أنّه عالم بجميع ما كان و ما يكون إلى يوم القيمة و إنّ في صدره لعلماً جمّاً لا يصيب حمله و هو عليه السّلام صادق في دعواه.

بل قد تواترت الاخبار رجوع ابى بكر و عمر و عثمان فضلا عن غيرهم إليه عليه السّلام في العلوم و القضايا و الاحكام بعد ظهور عجزهم و انقطاعهم حتّى قال عمر أزيد من سبعين مرّة لو لا عليّ لهلك عمر «٣».

و عن مسند أحمد بن حنبل بالإسناد عن يحيى بن سعيد بن المسيب كان عمر يتعوّذ بالله عن معضلة ليس لها أبو الحسن «٤».

(١) المناقب للخوارزمي: ص ٥٥ ط تبريز و الحموي في فرائد السمطين.

(٢) شرح النهج: ج ٢ ص ١٧٥ ط مصر.

(٣) ملحقات الاحقاق: ج ٨ ص ١٨٢-١٩٢.

(٤) ملحقات الاحقاق: ج ٨ ص ١٩٣-٢٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٧

و روى موفق بن أحمد أنّ عمر أمر برجم حامل فزجره عليّ عليه السّلام فقال عمر:

عجزت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب لو لا علي لهلك عمر «١».

و رووا عنه أنه قال: اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها أبو الحسن «٢».

و في خبر آخر علي بن ابي طالب عليه السلام و أنه قال: أعوذ بالله من معضلة لا علي لها «٣».

روى الحكم بن مروان: أن عمر نزلت به نازلة فقام لها و قعد ارتج و تفرط فقال لمن عنده معاشر الحاضرين: ما تقولون في هذا الأمر؟ فقالوا يا أمير المؤمنين أنت المفزع و الأمر بيدك، فغضب و قال: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولاً سديداً «٤» ثم قال: اما و الله إنني و إياكم لنعلم أين نجدها و الخير بها قالوا: كأنك أردت ابن أبي طالب عليه السلام؟ قال: و أتى يعدل به عنه، و هل طفحت حرّة بمثله؟ قالوا:

فلو دعوت به يا أمير المؤمنين قال: هيهات إن هناك شمخا من هاشم و اثره عن علم، و لحمه من رسول الله صلى الله عليه و آله يؤتى و لا- يأتي فامضوا بنا إليه فاقصدوا نحوه و افضوا إليه، فألفوه في حائط له، عليه تبان «٥» و هو يترك على مسحاة و يقرأ: أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى «٦» إلى آخر السورة، و دموعه تهيم على خديه، فادهش

(١) المناقب للخوارزمي: ص ٤٨ ط تبريز.

(٢) المناقب للخوارزمي: ص ٥٨ ط تبريز.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٧.

(٤) الأحزاب: ٧٠.

(٥) التبان: سروال قصير الى ما فوق الركبة.

(٦) القيامة: ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٨

الناس لبكائه فبكوا ثم سكت، فسكتوا فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها فقال عمر: أما و الله لقد أراذك الحق و لكن أبي قومك، فقال: يا أبا حفص اخفض عليك من هنا و من هنا إنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا «١» فوضع عمر إحدى يديه على الأخرى و طرق إلى الأرض كأنما ينظر في رماذ «٢».

و قال ابن أبي الحديد: و أمّا عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه يعني عليا عليه السلام في كثير من المسائل التي أشكلت عليه و على غيره من الصحابة، و قوله غير مرّة لو لا علي لهلك عمر، و قوله: لا بقت لمعضلة ليس لها أبو حسن، و قوله: لا يفتين أحد في المسجد و علي حاضر.

إلى غير ذلك من الاخبار الكثيرة المتواترة من طرق الفريقين التي قد أفردوها بالتصنيف، بل حكاية أفضليته عليه السلام مسلّمة عند كثير من العاوية أيضا و حكاها الرازي في «أربعينه» عن اكثر متأخري المعتزلة و حكى عن الشيعة الاستدلال لها بوجوه أنهاها إلى عشرين قال في جملة ما ذكره:

الحجة الثالثة أن عليا أعلم الصحابة، و الأعلّم أفضل، إنّما قلنا: إنّ عليا أعلم للاجمال و التفصيل، أمّا الاجمال فهو أنه لا نزاع أن عليا كان في اصل الخلقة في غاية الذكاء و الفطنة و الاستعداد للعلم، و كان محمّد صلى الله عليه و آله أفضل الفضلاء و أعلم العلماء، و كان علي عليه السلام في غاية الحرص في طلب العلم، و كان محمّد صلى الله عليه و آله في غاية الحرص في تربية علي عليه السلام، و إرشاده إلى اكتساب الفضائل، ثم انّ عليا عليه السلام كان من

(٢) في البحار: ج ٤٠ ص ١٢٢-١٤٣ مع تفاوت يسير في العبارات، و في آخرها: فوضع عمر إحدى يديه على الآخر و خرج مربد اللون.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٩

أول صغره في حجر محمّد صلى الله عليه و آله و في كبره صار ختنا له، و يدخل عليه في كلّ الأوقات، و من المعلوم أنّ التلميذ إذا كان في غاية الذكاء و الحرص على التعلّم، و كان الأستاذ في غاية الفضل و الحرص على التعليم ثم اتفق لمثل هذا التلميذ أن اتصل بخدمه هذا الأستاذ في زمان الصّغير كان ذلك الاتصال بخدمته حاصلًا في كلّ الأوقات، فأنه يبلغ ذلك التلميذ في العلم مبلغًا عظيمًا، و هذا بيان اجمالي في أنّ عليًا كان أعلم الصحابة، أما أبو بكر فأنه و إن اتصل بخدمته صلى الله عليه و آله في زمان الكبر و لكن ما كان يصل إلى خدمته في اليوم و الليلة إلّا زمانًا يسيرًا، أما عليّ عليه السّلام فأنه اتصل بخدمته عليه السّلام في زمان صغره، و قد قيل: العلم في الصغر كالنقش في الحجر، و العلم في الكبر كالنقش في المدر، فثبت بما ذكرناه أنّ عليًا كان أعلم من أبي بكر، و يكفي في ذلك قوله: «أنا مدينة العلم و عليّ بابها» (١) و قال عليّ عليه السّلام: علّمني ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب (٢).

و أما التفصيل فيدلّ عليه وجوه:

الأول: أكثر المفسّرين سلّموا أنّ قوله تعالى: وَ تَعِيَهَا أُنْزُورُ وَاعِيَّتَهُ (٣) نزل في حقّ عليّ عليه السّلام و تخصيصه بزيادة الفهم يدلّ على اختصاصه بمزيد العلم (٤).

الثاني: قوله صلى الله عليه و آله: أقضاكم عليّ عليه السّلام (٥) و القضاء يحتاج إلى جميع أنواع

(١) شرح النهج: ج ٢ ص ٢٧٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٢٨.

(٣) الحاقّة: ١٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٣٢٦.

(٥) الاستيعاب ج ٣ ص ٣٨ هامش الإصابة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٠

العلوم، فلما رجّحه على الكلّ في القضاء لزم أرجحّيته عليهم في كلّ العلوم، و أمّا سائر الصّحابة فقد رجّح كلّ واحد منهم على غيره في علم واحد كقوله صلى الله عليه و آله:

أفرضكم زيد و أقرأكم أبي (١).

الثالث: دعوى أنّ عمر أمر برجم امرأة و ولدت لستة أشهر فبّيه عليّ عليه السّلام بقوله تعالى: وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا (٢) مع قوله: وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ (٣)، على أنّ أقلّ مدّة الحمل ستة أشهر فقال عمر: لو لا عليّ لهلك عمر (٤).

و روى أنّ امرأة أقرت بالزنا و كانت حاملًا فأمر عمر برجمها فقال عليّ عليه السّلام إن كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها فترك عمر رجمها فقال: لو لا عليّ لهلك عمر (٥).

فان قيل: لعلّ عمر أمر برجمها من غير تفحص عن حالها فظنّت أنّها ليست بحامل فلما تبّه عليّ عليه السّلام ترك رجمها.

قلت: هذا يقتضى أنّ عمر ما كان يحتاط في سفك الدماء و هذا أشدّ من الأول.

و روى أيضًا أنّ عمر قال يوما على المنبر ألا تغالوا في مهور نسائكم فمن

(١) غاية النهاية: ج ١ ص ٣١.



(٢) الأحقاف: ١٥.

(٣) البقرة: ٢٣٣.

(٤) الاستيعاب المطبوع بذييل الإصابة: ج ٣ ص ٣٩ ط مصر.

(٥) مطالب السؤل: ص ١٣ ط طهران.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١١

غالى فى مهر امرأته جعلته فى بيت المال فقامت عجوز فقالت يا عمر ا تمنع منّا ما جعل الله لنا قال الله تعالى: وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْدُلُوا زَوْجَ مَكَانِ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا «١»، فقال عمر كلّم افقه من عمر حتّى المخدّرات فى البيوت «٢».

فهذه الوقائع وقعت لغير علىّ عليه السّلام و لم يتفق مثلها لعلّى عليه السّلام.

الرّابع: نقل عن علىّ عليه السّلام أنّه قال: والله لو كسرت لى الوسادة ثمّ جلست عليها لقضيت بين أهل التوراه بتوراتهم و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم و بين أهل الزبور بزبورهم و بين أهل الفرقان بفرقانهم و الله ما من آية نزلت فى بحر و لا فى برّ و لا فى سهل و لا فى جبل و لا فى سماء و لا فى أرض و لا فى ليل و لا فى نهار إلّا و انا اعلم فىمن نزلت و اىّ شىء نزلت «٣».

طعن أبو هاشم «٤» فى هذا فقال: التوراه منسوخة فكيف يجوز الحكم بها؟

و الجواب عن وجوه:

الأول: لعلّ المراد شرح كمال علمه بتلك الأحكام المنسوخة علىّ التفصيل بالأحكام النّاسخة لها الواردة فى القرآن.

الثانى: لعلّ المراد لو أنّ قضاء اليهود و النصارى تمكّنوا من الحكم و القضاء علىّ وفق أديانهم بعد بذل الجهد أو كان المراد أنّه لو جاز للمسلم ذلك لكان هو

(١) النساء: ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ج ١ ص ٤٧٨.

(٣) احقاق الحق: ج ٧ ص ٥٨٩-٥٩١، و ج ١٤ ص ٣١٢-٣١٤.

(٤) هو ابو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائى المعتزلى المتوفى ببغداد سنة (٣٢١) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٢

قادرا عليه.

الثالث: لعلّ المراد أن يستخرج من التوراه و الإنجيل نصوصا دالّة على نبوة محمّد صلّى الله عليه و آله و كان ذلك قويا فى التمسك بها.

الرابع: من تفحص عن أحوال العلوم علم أنّ أعظمها علم الأصول و قد جاء فى خطب أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام من أسرار التوحيد و العدل و النبوة و القضاء و القدر و أحوال المعاد ما لم يأت فى كلام سائر الصّحابة.

و أيضا فجميع فرق المتكلّمين ينتهى آخر نسبتهم فى هذا العلم إليه عليه السّلام، أمّا المعتزلة فإنهم ينسبون أنفسهم اليه، و أمّا الأشعرية فكلّهم ينسبون إلى الأشعري «١»، و هو كان تلميذا لأبى علىّ الجبائى «٢» المعتزلى، و هو منتسب إلى علىّ عليه السّلام، و أمّا الشيعه فانسابهم إليه ظاهر.

و أمّا الخوارج فهم مع غاية بعدهم عنه كلّهم ينتسبون إلى أكابرهم، و أولئك الأكابر كانوا كلّهم تلامذة علىّ عليه السّلام.

فثبت أنّ جمهور المتكلّمين من فرق الإسلام كلّهم تلامذة علىّ عليه السّلام، و أفضل فرق الأئمة الأصوليون، و كان هذا منصبا عظيما فى الفضل.

و منها علم التفسير و ابن عباس رئيس المفسرين و هو كان تلميذ علي عليه السلام.  
و منها علم الفقه و كان فيه في الدرجة العالية، و لهذا قال صلى الله عليه و آله: أفضاكم علي «٣».

(١) هو ابو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى «٣٢٤» هـ.

(٢) هو ابو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي المتوفى «٣٠٣» هـ.

(٣) الاستيعاب هامش الإصباح ج ٣ ص ٣٨ و شرح النهج ج ٢ ص ٢٣٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٣

و قال عليه السلام: لو كسرت لي الوسادة و جلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم «١»، الخبر.

و منها علم الفصاحة و معلوم أن أحدا من الفصحاء الذين بعده لم يدركوا درجته و لا القليل من درجته.

و منها علم النحو و معلوم أنه إنما ظهر منه و هو الذي ارشد أبا الأسود «٢» الدؤلي إليه.

و منها علم تصفية الباطن و معلوم أن نسب جميع الصوفية ينتهي إليه كما ذكر أن رئيسهم أبا يزيد «٣» البسطامي كان سقاء باب جعفر

الصادق عليه السلام، و ان معروف «٤» الكرخي الذي هو أحد رؤسائهم كان بواب علي بن موسى عليها السلام.

و منها علم الشجاعة و ممارسة المصلحة و معلوم أن نسبة هذا العلم ينتهي إليه، فثبت بما ذكرناه أنه عليه السلام كان أستاذ العالمين بعد

محمد صلى الله عليه و آله في جميع الخصال المرضية و المقامات الشريفة، و إذا ثبت أنه كان أعلم الخلق بعد رسول الله صلى الله

عليه و آله و جب أن يكون أفضل لقوله تعالى: هَلْ يَشْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ «٥»، و قوله تعالى: يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ «٦».

(١) ينابيع المودة: ص ٧٠ و ص ٢٢٠ ط اسلامبول.

(٢) جواهر الفقه للقاضي ابن البراج ص ١١، شرح أصول الكافي للمازندراني ج ٢ ص ٢٩٨.

(٣) هو ابو يزيد طيفور بن عيسى الصوفي البسطامي المتوفى سنة «٢٦١» هـ.

(٤) هو ابو محفوظ المعروف بمعروف الكرخي توفي ببغداد سنة «٢٠٠» هـ.

(٥) الزمر: ٩.

(٦) المجادلة: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٤

و بالجملة معلوم بالعقل و النقل كتابا و سنة و اجماعا عدم مساواة العالم و غيره، و ان العالم يقدم في كل شيء، و يدل عليه تفضيل

آدم على الملائكة بعلم أسماء الأشياء، و ترجيح ملكية طالوت على غيره ممن له شرف و فخر بأنه من أولاد النبي و أولاد الملوك، مع

أنه كان دباغا فان الله تعالى اخبر بأنه الأحق لأنه زاده بَسِطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ «١» اي القوة و الشجاعة ثم ساق الكلام في الوجوه

الدالة على أفضليته مولانا أمير المؤمنين و أنهاها إلى عشرين ثم ساق الكلام في الجواب عنها بزعمه و زعم أصحابه إلى أن قال:

و أما الحجية الثالثة و هي أن علينا عليه السلام كان أعلم، قلنا لم لا يجوز أن حصلت هذه الكثرة بعد ابي بكر و ذلك لأنه عاش بعده

زمانا طويلا فلعله حصلها في هذه المدة فلم قلت أنه في زمان حياة ابي بكر كان أعلم منه هذا كلامه.

و هذا الجواب كما ترى بمكان من الضعف و القصور، و ذلك لأنه مقتضى ما ذكره من الأدلة فضلا عما لم يذكره أنه عليه السلام

كان أعلم الصحابة بعد النبي صلى الله عليه و آله، بل و في زمان حياته ايضا، كما يدل عليه ما ذكره من الدليل الاجمالي بل و كثير

من ادلته التفصيلية كنزول قوله: وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ «٢» في حقه، و النبوي: أفضاكم علي «٣»، و الآخر: انا مدينة العلم و علي بابها «٤»، و

ما رواه عنه عليه السلام من قوله: علمنى رسول الله ألف باب «٥»، آه و غير ذلك ممّا ينادى بأفضليته على كلّ الأُمَّة و لو فى

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) الحاقة: ١٢.

(٣) الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٨.

(٤) الجامع الصغير للسيوطى: ج ١ ص ٣٧٤.

(٥) البحار: ج ٤٠ باب ٩٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٥

زمان النبى.

ثمّ على فرض تسليم تحصيل تلك العلوم بعد أبى بكر فلا شكّ أنّه عليه السلام كان فى زمن عمر و عثمان أفضل منهما كما يومئ إليه ما حكاه من وقائع عمر و خطائه و إقراره على نفسه بالجهل و قوله: لو لا علىّ لهلك عمر «١» فى مواقع كثيرة فكيف يقدمان عليه باعتقاده، و لعمري إنّ صدور مثل هذا الجواب بعد ما مرّ عنه من بيان الأعلمية من أطرف الغرائب، و لو لا أنّه كان معلوماً منه بقاؤه على عماء و انحرافه عن الحقّ و إيمانه بالجبت و الطاغوت لكان يقوى الظنّ بأنّ مثل هذا الكلام لا يصدر إلّا عن محقّ تلبس بلباس أهل الباطل خوفاً و تقيّة، ثمّ قرّر الحقّ على وجهه من غير أن يأتى عنه بجواب مشبع تشييدا للحن و اهله و تزييفا للباطل و حزبه، و لكنهم جحدوا بها و استيقنتها أنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا «٢» و هو أنّه سبحانه قد أجرى الحقّ على ألسنتهم و أقلامهم حجّة عليهم و ردعا لغيرهم من متابعتهم بعد أن هداهم الله سبحانه فاستجبوا العمى على الهدى، فجرت على مناهجهم اتباعهم أولئك الذين لعنهم الله فأضلّهم و أعمى أبصارهم.

رابعها: أنّه لا بدّ من عصمة الخليفة و طهارته عن لوث المعاصى و براءته عن اقتراف الذنوب لما قيل: من أنّه يستدلّ بالخليفة على المستخلف كما جرت به العادة فى العامة و الخاصة لقضاء العرف بأنّه متى استخلف ملك خليفة فان كان

(١) مطالب السؤل: ص ١٣ ط طهران.

(٢) النمل: ١٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٦

الخليفة طالما استدلّ بظلمه على ظلم مستخلفه، و إذا كان عادلا استدلّ بعدله على عدل مستخلفه، سيّما مع علم المستخلف و اطلاعه بما يصدر عن خليفته من الأفعال و الآثار و علمه بعواقب أموره و قدرته عليه فى جميع الأحوال.

و من هنا يظهر أنّ خلافة الله سبحانه توجب العصمة فلا يكون الخليفة إلّا معصوما سيّما مع جعله علما بين الناس و أمرهم بالافتداء و التأسى به فى جميع الأفعال و الأقوال، فإذا صدر عنه بعض المعاصى و لو خطأ فإمّا أن تكون الخلافة الكليّة التى جعلها الله له باقية بالنسبة إلى تلك المعصية أيضا أو لا، فعلى الأوّل يلزم الأمر بالمنكر و نقض الغرض و الإغراء على المعاصى، و غير ذلك من المفاسد المخالفة للطفه سبحانه، و على الثانى يلزم انتفاء الخلافة له بالنسبة إلى ذلك من دون إعلام و بيان من الأمر الحكيم و فيه مع مخالفته للطف أنّه إغراء بالجهل و تأخير للبيان عن وقت الحاجة مع طريان الاحتمال فى كلّ واحد من الأقوال و الأفعال الموجب للقدح فى اطلاق و جوب الطاعة فيكون إطلاق الأمر بطاعته جاريا مجرى العمومات المخصّصة بالمجملات فى عدم الحجية رأسا.

ثمّ إنّ هذا الوجه و ان لم يستفد من الآية على وجه الإلزام و الحجية إلّا أنّه يستفاد منها على وجه الإشارة على بعض الوجوه المقررة فى الآية باعتبار معنى الخلافة و غيرها لكنّه لا بأس به بعد استفادته من تسميته هدى فى قوله: فإمّا يأتينكم منى هدى «١» على أحد

الوجوه، و من قوله: لا يَنَالُ عَهْدِي

(١) البقرة: ٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٧

الظَّالِمِينَ «١» على ما يأتي، و من القواطع العقلية التي ستمسح الكلام في بعضها إنشاء الله.

خامسها: ما ذكره الصِّدوق بعد الإشارة إلى بعض ما مرّ من أنّ في قوله عزّ وجلّ: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً «٢» حجة قوية على غيبة الامام عليه السلام، و ذلك أنّه عزّ وجلّ لما قال: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً أوجب بهذا اللفظ معنى، و هو أن يعتقدوا طاعته، فاعتقد عدو الله إبليس بهذه الكلمة نفاقاً و أضمره حتّى صار به منافقاً، و ذلك أنّه أضمر أن يخالفه متى أستبعد بالطاعة له، فكان نفاقه أنكر النفاق، لأنّه نفاق بظهر الغيب، و لهذا صار أخزى المنافقين كلّهم، و لما عزّف الله عزّ وجلّ لملائكته ذلك أضمروا الطاعة له، و اشتاقوا إليه، و أضمروا نقيض ما أضمره الشيطان، فصار لهم من الرتبة عشرة أضعاف ما استحقّ عدوّ الله من الخزي و الخسارة، و الطاعة و الموالاة بظهر الغيب ابليغ في الثواب و المدح لأنّه أبعد من الشبهة و المغالطة.

و لذا روى عن الصادق عليه السلام: من دعا لأخيه بظهر الغيب و كلّ الله به ملكا يقول:

و لك مثلاه «٣».

و انّ الله تبارك و تعالی أكد دينه بالإيمان بالغيب، فقال: هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ «٤» الآية، فالإيمان بالغيب أعظم مثوبة لصاحبه، لأنّه خلّو من كلّ

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) الاختصاص: ص ٨٤.

(٤) البقرة: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٨

عيب و ريب، لأنّ بيعه الخليفة وقت المشاهدة قد يتوهم على المبايع أنّه أتما يطيع رغبة في خير أو مال أو رهبة من قتل او غير ذلك، ممّا هو عادات أبناء الدنيا في طاعة ملوكهم، و ايمان الغيب مأمون من ذلك كلّ، و محروس من معاييه بأصله.

و يدلّ على ذلك قول الله عزّ وجلّ: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا «١»، فلما حصل للتعييد ما حصل من الايمان لم يحرم الله عزّ وجلّ ذلك لملائكته، فقد جاء في الخبر انّ الله سبحانه قال هذه المقالة للملائكة قبل خلق آدم بسبعمائة عام، و كان يحصل في هذه المدة الطاعة لملائكة الله على قدرها.

و لو أنكر منكر هذا الخبر و الوقت و الأعوام لم يجد بداً من القول بالغيبة و لو ساعة واحدة، و الساعة الواحدة لا تتعزى من حكمة ما، و ما حصل من الحكمة في الساعة حصل في الساعتين حكمتان، و في الساعات حكم و ما زاد في الوقت إلّا زاد في المثوبة، و ما زاد في المثوبة إلّا كشف الله عن الرحمة، و دل على الجلالة فصح الخبر ان فيه تأييد الحكمة و تبليغ الحجة.

ثم انّ الغيبة قبل الوجود أبلغ الغيبات كلّها، و ذلك انّ الملائكة ما شهدوا قبل ذلك خليفة قطّ، و اما نحن فقد شاهدنا خلفاء كثيرين غير واحد، و قد نطق به القرآن، و تواترت به الأخبار حتّى صارت كالمشاهدة، و الملائكة لم يعهدوا واحدا منهم فكانت تلك الغيبة ابليغ، و ايضا أنّها كانت غيبة من الله عزّ وجلّ لملائكته، و هذه الغيبة التي للإمام عليه السلام هي من اعداء الله، فإذا كان في الغيبة التي هي من الله عزّ وجلّ عبادة

(١) المؤمن: ٨٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٩

لملائكته، فما الظن بالغيبة التي هي من أعداء الله، وفي غيبة الامام صلوات الله عليه عبادة ملخصه لم تكن في تلك الغيبة، وذلك أن الامام الغائب صلوات الله عليه مغموع مقهور مزاحم في حقه قد غلب قهرا و جرى على شيعته قسرا من أعداء الله ما جرى من سفك الدماء و نهب الأموال، و إبطال الاحكام، و الجور على الأيتام، و تبديل الصّدقات، و غير ذلك مما لا خفاء به، و من اعتقد موالاته شاركه في اجره و جهاده، و تبرأ من أعدائه و كان له في براءة مواليه من أعدائه اجر، و في ولاية أوليائه اجر يربو على اجر ملائكة الله عزّ و جلّ على الايمان بالامام المغيّب في العدم، و إنّما قصّ الله نبأه قبل وجوده (توقيرا) و تعظيما ليستعدّ له الملائكة و يتشمروا لطاعته.

و إنّما مثال ذلك تقديم الملك فيما بيننا بكتاب أو رسول إلى أوليائه أنه قادم عليهم حتى يتهيئوا لاستقباله و ارتياد الهدايا له ما يقطع به، و معه عذرهم في تقصير إن قصّروا في خدمته، كذلك بدأ الله عزّ و جلّ بذكر نبأه إبانة عن جلالته و رتبته، و كذلك قضيته في السلف و الخلف ما قبض الله خليفه إلا عرّف خلقه الخليفه الذي يتلوه، و تصديق ذلك قوله عزّ و جلّ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَ يُتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ «١» الآية، فالذي على بيته من ربه محمد صلى الله عليه و آله، و الشاهد الذي يتلوه علي بن ابي طالب أمير المؤمنين صلوات الله عليه، و يدلّ عليه قوله عزّ و جلّ: وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَ رَحْمَةً \* «٢»، و الكلمة من كتاب موسى المحاذية لهذا المعنى حدو النعل بالنعل

(١) هود: ١٧.

(٢) هود: ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٠

و القدّة بالقدّة قوله: وَ وَاَعِدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَ قَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ «١»، و استعبد الله عزّ و جلّ الملائكة بالسجود لآدم تعظيما له لما غيبه عن أبصارهم، و ذلك أنه عزّ و جلّ إنّما أمرهم بالسجود لآدم لما أودع صلبه من أرواح حجج الله تعالى ذكره، فكان ذلك السجود لله عزّ و جلّ عبوديّة و لآدم طاعة، و لما في صلبه تعظيما، فأبى إبليس أن يسجد لآدم حسدا له، إذ جعل صلبه مستودع أرواح حجج الله دون صلبه، فكفر بحسده و تأييه، و فسق عن امر ربه، و طرد عن جواره، و لعن و سمى رجيفا لأجل إنكاره للغيبة لأنه احتجّ في امتناعه من السجود لآدم بان قال: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ \* «٢» فوجد ما غيب عن بصره، و لم يوقع التصديق به، و احتجّ بالظاهر الذي شاهده و هو جسد آدم عليه السّلام، و أنكر أن يكون يعلم لما في صلبه وجودا، و لم يؤمن بان آدم عليه السّلام إنّما جعل قبله للملائكة و أمر بالسجود له لتعظيم ما في صلبه.

فمثل من آمن بالقائم صلوات الله عليه في غيبته مثل الملائكة الذين اطاعوا الله عزّ و جلّ في السجود لآدم و مثل من أنكر القائم صلوات الله عليه في غيبته مثل إبليس في امتناعه عن السجود لآدم كذلك.

روى عن الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليهما.

و عنه عليه السّلام قال: انّ الله تبارك و تعالى علّم آدم عليه السّلام، اسماء حجج الله كلّها ثمّ

(١) الأعراف: ١٤٢.

## (٢) الأعراف: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢١

عرضهم- وهم أرواح- على الملائكة فقال: أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بِأَنْكُمْ أَحَقُّ بِالْخَلْفَةِ فِي الْأَرْضِ لِتَسْبِيحِكُمْ وَ تَقْدِيسِكُمْ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَقَفُوا عَلَى عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونُوا خَلْفَاءَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَ حُجَّجَهُ عَلَى بَرِيَّتِهِ، ثُمَّ غَيَّبَهُمْ عَنْ أَبْصَارِهِمْ وَ اسْتَعْبَدَهُمْ بِوَلَايَتِهِمْ وَ مَحَبَّتِهِمْ وَ قَالَ لَهُمْ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ «١».

و هذا استعباد الله عزّ و جلّ للملائكة بالغيبة، و الآية أولها في قصة الخليفة، و إذا كان آخرها مثلها كان للكلام في النظم حجة، و منه يوجد وجه الإجماع لأئمة محمد صلى الله عليه و آله أولهم و آخرهم، و ذلك أنه سبحانه إذا علم آدم الأسماء كلها على ما قاله المخالفون، فلا محالة أن أسماء الأئمة صلوات الله عليهم داخله في تلك الجملة، فصار ما قلناه في ذلك بإجماع الأئمة، و من أصحّ الدليل عليه أنه لا محالة لئلا دلّ الملائكة على السجود لآدم فإنه حصل لهم عبادة، و لما حصل لهم عبادة أوجب باب الحكمة أن يحصل لهم ما هو في حيزه، سواء كان في وقت أو في غير وقت، فإن الأوقات ما تغير الحكمة و لا تبدل الحجة، أولها كآخرها و آخرها كأولها، لا يجوز في حكمه الله أن يحرمهم معنى من معاني المثوبة، و لا أن يبخل بفضل من فضائل الأئمة لأنهم كلهم شرع واحد، دليل ذلك أن الرسل متى آمن مؤمن بواحد منهم أو بجماعة و أنكر واحدا منهم لم يقبل منه إيمانه، كذلك القضية في الأئمة صلوات الله عليهم أولهم

## (١) كمال الدين: ص ٩- ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٢

و آخرهم واحد.

قال الصادق عليه السلام: المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا، و قد قال صلوات الله عليه:

من أنكر واحدا من الأحياء فقد أنكر الأموات «١».

فصحّ أن قوله عزّ و جلّ: عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا أَرَادَ بِهِ اسْمَاءَ الْأَئِمَّةِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَ لِلْأَسْمَاءِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ لَيْسَ أَحَدٌ مَعَانِيهَا بِأُولَى مِنَ الْآخِرِ، وَ الْأَسْمَاءُ أَوْصَافٌ، وَ لَيْسَ أَحَدٌ الْأَوْصَافِ بِأُولَى مِنَ الْآخِرِ، فَمَعْنَى الْأَسْمَاءِ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ عَلَّمَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْصَافَ الْأَئِمَّةِ كُلَّهَا أَوْلَاهَا وَ آخِرَهَا، وَ مِنْ أَوْصَافِهِمُ الْعِلْمُ وَ الْحِلْمُ وَ التَّقْوَى وَ الْفَتْوَى وَ الشَّجَاعَةُ وَ الْعِصْمَةُ وَ السَّخَاءُ وَ الْوَفَاءُ، وَ قَدْ نَطَقَ بِمِثْلِهِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي أَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا «٢»، وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا «٣»، وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَ رَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا «٤»، وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا «٥»، الْآيَاتُ فَوْصِفَ الرِّسَالِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَ حَمْدُهُمْ بِمَا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الشِّيمِ الْمَرْضِيَّةِ وَ الْأَخْلَاقِ الزَّكِيَّةِ، وَ كَانَ ذَلِكَ أَوْصَافَهُمْ وَ أَسْمَاؤَهُمْ كَذَلِكَ عَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا.

## (١) كمال الدين: ج ٢ ص ٢٢٨.

(٢) مريم: ٤١.

(٣) مريم: ٥٤- ٥٥.

(٤) مريم: ٥٦-٥٧.

(٥) مريم: ٥١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٣

و الحكمه فى ذلك أنه لا وصول إلى الأسماء و وجوه الاستعبادات إلا من طريق السماع، و العقل غير متوجه إلى ذلك، لأنه لو أبصر عاقل شخصا من بعيد او قريب لما توصل إلى استخراج اسمه، و لا سبيل إليه إلا من طريق السماع، فجعل الله عزّ و جلّ العمدة فى باب الخليفة السماع، و لما كان كذلك أبطل به باب الاختيار، إذ الاختيار من طريق الآراء، و قضية الخليفة موضوعة على الأسماء و الأسماء موضوعة على السماع، فصحّ به، و معه مذهبا من أنّ الامامة لا تكون إلا بالنصّ و الإشارة، فأما باب الإشارة فمضمّر فى قوله عزّ و جلّ: ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، فباب العرض مبنى على الشخص و الإشارة، و باب الاسم مبنى على السمع، فصحّ معنى الإشارة و النصّ جميعا، و للعرض الذى قال الله تعالى ثمّ عرضهم على الملائكة معنيين: أحدهما عرض اشخاصهم و هيئاتهم كما روينا فى أخبار أخذ الميثاق و الذر، و الوجه الاخر أن يكون عزّ و جلّ عرضهم على الملائكة من طريق الصفة و النسبة، كما يقوله قوم من مخالفينا فمن كلا المعنيين يحصل استعباد الله عزّ و جلّ الملائكة بالإيمان بالغيبه «١» انتهى كلامه زيد مقامه.

الثالث: أنه يستفاد من قوله سبحانه: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا أَنْ وَاضِعَ اللَّغَاتِ هُوَ اللَّهُ سبحانه كما استدللّ به عليه و ذلك لأنّ المراد بالأسماء أمّا بالألفاظ الدالة على المسميات، أو الأشياء الدالة مطلقا أو البعض من أحدهما او كليهما، و الأخيران مدفوعان بظهور الجمع المحلّى فى العموم، سيما مع تأكيده بلفظ الكلّ الصّريح فى افادة العموم، مضافا إلى عدم القول بالفصل بين البعض و الكلّ، و على

(١) كمال الدين: ج ١ ص ١١-١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٤

الأولين يثبت المطلوب، و المراد بتعليمها على ما هو ظاهر اللفظ إلقاؤها على المتعلّم ميّنا له معانيها، كما هو ظاهر تعليم الاسم على صفة الاسمية، و لا يصدق ذلك إلا مع سبق وضعها لمعانيها، فأما أن يكون صادرا منه سبحانه و هو المطلوب، او من الخلق الذين كانوا قبل آدم، و هو منفي بالأصل.

و توهم أنّ المراد بالأسماء ما يقابل الأفعال و الحروف مدفوع، مع الغضّ عن عدم القول بالفصل كما صرح به جماعة، و عن توقف الإفادة و الاستفادة منها على معرفة معانيها ايضا على ما قيل: بأنّه اصطلاح خاصّ حادث لا يحمل عموم الخطابات الشرعية عليه، بل المراد به إمّا المعنى اللغوى، و هو مطلق العلامة الشامل للأفعال و الحروف ايضا لكونها علامات على معانيها، او المعنى العرفى العام و هو مطلق اللفظ الموضوع على ما قيل.

فان قلت: إنّ المراد بالأسماء الصفات و العلامات، مثل كون الفرس صالحا للركوب، و الثور للحرث و الجمل للحمل، إذ كلّ ما يميز الشئ فهو اسم، و حينئذ يمكن أن يكون تعريفها بخلق علم ضرورى من غير توسط الألفاظ، و أمّا تخصيص الاسم بخصوص الألفاظ فإنّما هو اصطلاح طار، سلّمنا لكنّ المراد بالتعليم الإلهام و بعث العزم و الإقذار على الوضع بخلق الأدوات و المشاعر و الإرادات و العلوم المحتاج إليها، و أمّا نسب التعليم إليه سبحانه لأنه الهادى إليه، فهو تعليم تكوينى الهامى كما فى قوله: وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَهُ لَبُوسٍ لَكُمْ «١» اى الهمناه.

قلت: تخصيصه بالصفات ممّا لا وجه له بعد دلالة اللفظ على العموم و فقد

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٥

المخصّص، مع أنّ الصفات متشابهة، ولا يكاد يحصل التمييز التام بمجردّها، مع أنّ التعبير عنها أيضا لا يكون إلّا بالأسماء اللفظية. واحتمال كون تعريفها بخلق علم ضرورى مع مخالفته للظاهر مدفوع بأنّ المعلوم حينئذ إنّما الدّوات أو ما يدلّ عليها من صور الصفات أو الألفاظ أو كلّ منها والأوّل مدفوع بظاهر قوله: بأسماء هؤلاء وقوله: بأسمائهم والثانى تخصيص من غير مخصّص، والأخيران يثبت معهما المطلوب وارتسام صور الألفاظ عن الذّهن و ان لم يتوقّف على الألفاظ الفعلية المسموعية لكنّه دليل على سبق الوضع. وأمّا حمل التعليم على بعث العزم والإقدار على التعليم فمخالف للظاهر الذى هو الحجة، مضافا إلى مخالفته للاخبار المفسّرة للآية على ما مرّ كما أنّ الظاهر أيضا هو الدّافع لاحتمال ما يقال من أنّه كشف عليه ما يحدثه ذرّيته من اللّغات المختلفة والأوضاع الطارئة من دون أن يكون هناك لفظ أو صوت أو وضع سابق.

و أمّا ما يقال من أنّ الآية لا تشمل اللّغة العربيّة لما اشتهر من انتسابها إلى يعرب بن قحطان ولذا قيل: إنّّه أوّل من تكلم بالعربيّة «١» أو إلى إسماعيل الذّبيح على نبينا وآله وعليه السّلام «٢» ولذا قيل: إنّ العرب من ولده. ففيه أنّه مع فرض تحقّق الشهرة على أحد الوجهين لا عبرة بها أصلا، بل هو من المشهور الذى لا أصل له، ولذا قيل إنّ الحميريين و العمالق و جرهم و قوم ثمود و عاد كلّهم كانوا من العرب، وقد كانوا قبل إسماعيل بمدة متطاولة.

(١) البحار: ج ٥١ ص ٢٩٠.

(٢) المزهر للسيوطى: ص ٢٨- و مجمع البيان ج ١ ص ٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٦

وروى شيخنا الطبرسى فى المجمع عن الصادق عليه السّلام قال: كان هود و صالح و شعيب و إسماعيل و نبينا يتكلّمون بالعربيّة «١». بل قد ورد فى الأخبار أيضا أنّ أوّل من تكلم بالعربيّة آدم عليه السّلام. وفى العلل عن الصادق عليه السّلام عن أبيه عليه السّلام قال: ما أنزل الله تبارك و تعالى كتابا و لا وحيا إلّا بالعربيّة، فكان يقع فى مسامع الأنبياء بألسنة قومهم، و كان يقع فى مسامع نبينا صلّى الله عليه و آله بالعربيّة، فإذا كلم به قومه كلّمهم بالعربيّة فيقع فى مسامعهم بلسانهم، و كان أحد لا- يخاطب رسول الله صلّى الله عليه و آله باى لسان خاطبه إلّا وقع فى مسامعه بالعربيّة، كلّ ذلك يترجم جبرئيل عنه صلّى الله عليه و آله «٢».

وفيه دلالة واضحة على سبق الوضع بل و كونه منه تعالى و فى «العيون» و «الاحتجاج» عن الرضا عليه السّلام فى خبر عمران الصّابى أنّه قال: و اعلم أنّ الإبداع و المشيئة و الارادة معناها واحد و اسمائها ثلاثة، و كان أوّل ابداعه و ارادته و مشيئته الحروف التى جعلها أصلا لكلّ شىء، و دليلا على كلّ مدرك، و فاصلا لكلّ مشكل، و بتلك الحروف تفريق كلّ شىء من اسم حق أو باطل، أو فعل أو مفعول، أو معنى أو غير معنى، و عليها اجتمعت الأمور كلّها، و لم يجعل للحروف فى ابداعه لها معنى غير أنفسها يتناها، و الثور فى هذا الموضوع أوّل فعل الله تعالى الذى هو نور السموات و الأرض، و الحروف هو المفعول بذلك الفعل، و هو الحروف التى عليها الكلام، و العبارات كلّها من الله عزّ و جلّ علّمها خلقه، و هى ثلاثة و ثلاثون حرفا، فمنها ثمانية

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٨٠ و ج ١١ ص ٣٦.

(٢) علل الشرائع: ص ٥٣ و عنه البحار ج ١٦ ص ١٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٧

و عشرون حرفا تدلّ على لغات العربيّة، و من الثمانية و عشرين اثنان و عشرون تدلّ على لغات العبرانية و السريانية «١»، الخبر بطوله.



فصرح أولاً بأن الحروف كلها من إبداعه، بل ذكر أنه أول إبداعه، ثم قال: إن العبارات كلها من الله عز وجل علمها خلقه، وهو ظاهر في المطلوب، بناء على أن المقصود منها هي الكلمات المؤلفة من الحروف المعبرة بها عن المقاصد، ولذا عبر عنها بالعبارات، هذا مضافاً إلى الأخبار الكثيرة المتقدمة في تفسير الآية الدالة على أن المراد بالأسماء أسماء الجبال والبحار والأودية والنبات والحيوان والبساط وغيرها بل في بعضها أنه علمه أسماء كل شيء.

وفي حديث الشفاعة: فيأتون آدم عليه السلام فيقولون أنت أب الناس، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء «٢».

وفي القصص عن أبي جعفر عليه السلام: إن آدم لما هبط عليه ملك الموت قال: أشهد أن لا إله إلا الله إلى قوله: وأسجد لى ملائكته، وعلمنى الأسماء كلها. «٣» الخبر قيل ويشهد له ما اشتهر من أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام حروف المعجم فى احدى وعشرين صحيفةً وهو أول كتاب انزل إلى الدنيا وفيه ألف لغةً وأنه تعالى علمه جميع تلك اللغات «٤». وما ذكره المفسرون من أنه علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعه بجميع

(١) عيون الأخبار: ص ٨٧-١٠٠ وعنه البحار ج ١٠ ص ٣١٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٤٥.

(٣) البحار: ج ١١ ص ٢٦٥.

(٤) سيأتى عن سعد السعود ص ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٨

اللغات التي تكلم بها ولده.

ولعل السبب في اختلاف ذريته فيها بعد علمه عليه السلام باللغات كلها أنه عليه السلام علم كل واحد من ولده لغة واحدة ثم بقيت تلك اللغة في أعقابه أو أنه علم ولده باللغات فكانوا يتكلمون بها مدة حياته حين كانوا مجتمعين فلما قبض تفرقوا في نواحي الأرض وتكلم كل منهم بلغة اختارها من بين اللغات على حسب الطبع والميل والإقليم كما لا يخفى المناسبة بين اللغات وأهلها، على أن التكلم بلغة واحدة أسهل من التكلم بلغات مختلفة، فغلبت على أولاده تلك اللغة حتى إذا انقضى القرن الأول منهم نسوا سائر اللغات، فصار كل فريق منهم يتكلم باللسان الغالب على أبيه.

وعن السيد فى سعد السعود قال: وجدت فى صحف إدرىس النبى عليه السلام عند ذكر احوال آدم ما هذا لفظه: حتى إذا كان الثلث الأخير من الليل ليلة الجمعة لسبع وعشرين خلت من شهر رمضان أنزل الله عليه كتاباً بالسريانية وقطع الحروف فى احدى وعشرين ورقةً وهو أول كتاب أنزل الله فى الدنيا أنزل الله عليه الألسن كلها فكان فى ألف لسان لا يفهم فى أهل لسان عن أهل لسان حرفاً واحداً بغير تعليم فى دلائل الله وفروضه وأحكامه وشرايعه وسننه وحدوده «١».

وفى محاضرة الأوائل عن مزهر اللغة للسيوطى: إن اللسان الأول الذى نزل به آدم من الجنة عربى إلى أن بعد و طال العهد حرّف و صار سريانياً، وهو منسوب إلى أرض سورى «٢» وهى أرض الجزيرة كان بها نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق، و كان

(١) سعد السعود للسيد ابن طاوس ص ٣٧.

(٢) سورى كطوبى: موضع بالعراق وهو من بلد السريانيين كما فى القاموس.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٩

يشاكل اللسان العربى، إلا أنه حرّف، و كان لسان جميع من فى سفينة نوح عليه السلام، إلا رجلاً واحداً يقال له جرههم، فكان لسانه

لسان العربي الأول، فلما خرجوا من السفينة تزوج إرم بن سام بعض بناته فمنهم انتشر اللسان العربي الاول في ولده: عوص أبي عاد، و عييل و جائر أبي ثمود و جديس و سميت عاد باسم جرهم لأنه كان جدهم من الأم، و بقى اللسان السرياني في ولد ارفخشذ بن سام، إلى أن وصل إلى يشجب بن قحطان من ذريته، و كان باليمن، فنزل هناك بنو إسماعيل فتعلم منهم بنو قحطان اللسان العربي.

و قال ابن دحية: العرب اقسام الأول عاربة و عرباء، و هم الخلص من العرب و هم تسع قبائل، من ولد إرم بن سام بن نوح عليه السلام، و هي عاد و ثمود و عميم و عييل، و طسيم، و جديس، و عمليق و وبار، و جرهم التي نشأ إسماعيل فيهم و تزوج منهم حين نزلوا عليه بمكة شرفها الله تعالى طاعنين من اليمن إلى الشام.

و القسم الثاني من العرب المتعربة و هم الذين ليسوا بخلص و هم بنو قحطان.

و القسم الثالث المستعربة و هم الذين ليسوا بخلص أيضا، و هم بنو إسماعيل، و هم ولد معد بن عدنان بن أدد.

ثم حكى عن ابن دريد «١» في «الجمهرة»: ان العرب العاربة سبع قبائل: عاد، و ثمود، و عمليق، و طسيم، و جديس، و أميم و جاسم، و قد انقرض أكثرهم إلا بقايا متفرقين في القبائل «٢».

(١) ابن دريد: محمد بن الحسن البصرى الأديب اللغوى المتوفى (٣٢١) هـ.

(٢) المزهر: ج ١ ص ٣٠-٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٠

و عن السيوطي: أنه لا خلاف بين الأمة ان لسان عاد و ثمود و نوح و صالح و شعيب و مدين عربى.

ثم أنه قد يستدل على ذلك ايضا بقوله تعالى: وَ اٰخْتِلَافُ اَلْسِنَتِكُمْ وَ اَلْوَانِكُمْ «١»، عَلَّمَ الْاِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ «٢»، وَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ «٣»، وَ اِنْ هِيَ اِلَّا اَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا اَنْتُمْ وَ اَبَاؤُكُمْ «٤»، وَ مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ «٥»، تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ «٦».

و بعدم إمكان ذلك للقوى البشرية فان هذا الإبداع البديع الغير المسبوق إلى مثال مع غاية الإتقان و الإحكام، و عدم اشتماله على تناقض و نقصان، و احاطته على جميع المعانى و البيانات على أحسن وجه و ابلغ نظام و على فنون لا تحصى عجائبها و لا يحيطها علم أحد و لو بمرور الدهور و الأعوام، خارج عن طور أفعال البشر بحيث يقطع المتأمل فيها و فى وضعها بحيث تصلح لبيانات المقاصد الغير المتناهية و العلوم التي لم يحط الأفكار، و لم يصل إليها الأنظار، إن الله سبحانه هو الذى وضعها و ربها و بينها، و علمها خلقه، و من بها عليهم كما يستفاد من الأخبار

(١) الروم: ٢٢.

(٢) العلق: ٥.

(٣) الرحمن: ٤.

(٤) النجم: ٢٣.

(٥) الانعام: ٣٨.

(٦) النحل: ٨٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣١

المفسرة للآيات المتقدمة بل و منها أيضا.

و بأنها لو لم تكن توقيفية لكانت اصطلاحيا و التالى باطل لافتقار تعريف الاصطلاح إلى مثله فاما أن يرجع فى تعريف كل منها إلى

الآخر لزم الدور أولا فالتسلسل.

و بأنها لو كانت اصطلاحية لجاز تغيير ذلك الاصطلاح الأول و تبديله، فيجوز أن يراد بالصلاة و غيرها من الموضوعات المستنبطة في هذا الزمان غير ما يراد منها في الزمن الشارع فيرفع الوثوق عن الاخبار الشرعية و يسقط الاستدلال بها رأسا.

و بقوله سبحانه: قُلِ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ (١)، و غيرها من الآيات المتناولة بعمومها ما نحن فيه، خرج منه ما علم بالدليل استناده إلى العباد من أفعالهم و صنائعهم و أعمالهم بحمل الخلق فيها على خلق الأسباب و الآلات الظاهرة و القوى الباطنة و الإلهامات و الارشادات و أمثال ذلك ممّا قام الدليل الشرعي و العقلي و الوجداني على إخراجهم من ظاهر ذلك العموم، و بقي الباقي مقهورا تحت سلطنة الواحد القهار.

و في الكلّ نظر لضعف الاستدلال بالآيات بما ستسمعها عند التعرض لتفسيرها تقريبا و ردّا، و ضعف الثاني بأنه يمكن أن يكون البشر قد وضعوها و عيّنوها بقوة إلهية و الهامات ربانية بعد تعليمه سبحانه أصول الكلمات، و هي الحروف التي عليها المدار في جميع اللغات.

كما روى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه و آله إن الكتاب الذي أنزل الله على آدم هو كتاب

(١) الرعد: ١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٢

المعجم و هو اب ث، الخبر على ما مرّ في تفسير ألم.

و ليس ذلك بيدع منهم بعد تلقين العلوم و إفاضة القوى كما أنّهم قد استنبطوا فنون العلوم و خواص الأجسام و الصنائع الغريبة و الآثار العجيبة بافكارهم و قواهم المفاضة لهم من الله سبحانه بعد إعطاء الأصول و افاضة القوى و التمكين من الأسباب.

و الثالث: بجواز أن يكون الإفهام في بدو الاصطلاح بالإشارة و الترييد بالقرائن و غيرهما كما يتعلّم الأطفال اللغات في مبادئ شعورهم و ادراكاتهم بالنظر إلى استعمال المستعملين.

و توهم الفرق بأنّ الأطفال إنّما يتعلّمون اللغات لكون التخاطب بلغة مستقرّة معروفة بينهم فيتجاوبون فيما بينهم بما يعرفون و الاستعمالات المتكررة موجبة لحصول العلم للأطفال، و أمّا صاحب الاصطلاح فلا يعرف غيره خطابه و لا جوابه و لا مراده و ليس معه إلّا الإشارة و هي لا- تنهض باسرار العبادة اللهم إلّا أن يكون ذلك من القادر على خلق علم ضروري فيمن يخاطبه بحيث يعرف به معنى خطابه من عبادته و هو المطلوب.

مدفوع بأنّ إمكان التفهيم و لو بالإشارة في المدد الطويلة حاصل بعد إعطاء الأصول و افاضة الفهم و الشعور فكيف يحصل القطع بالعدم و مجرد الاستبعاد غير مثبت للمراد.

و الرابع: بأنّ الجواز ليس دليلا- على الوقوع و مع الشكّ يحكم باتّحاد العرف عرفا و شرعا و لو لاعتبار الأصول العلمية مضافا إلى ميسس الحاجة و توفرّ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٣

الدواعي إلى حفظ اللغات و المعاني العرفية سيّما ما له ارتباط باستنباط الاحكام الشرعية.

و أمّا ما يقال من أنّ المراد الجواز العقلي ثمّ بعد وقوع اصطلاح آخر إمّا ان يراعى الشرع الاول خاصية و هو مع كونه ترجيح من غير مرجح تضييع للآخرين او الثاني فيلزم تضييع الأوّلين مع عدم كونه مرسلًا بلسان قومه او كليهما و يرتفع الامان و يختلّ الاحكام، فضعيف جدّا.

و الخامس: بأنّ المراد بالخلق هو التقدير أو جعل الإمكان فالعموم بحاله و لو في افعال العباد لأنّها مخلوقة له خلق تقدير لا تكوين كما

في الخبر، وكذا لو أريد به خلق الأسباب والآلات والمقتضيات ولعل هو الأظهر من ملاحظة مساق الآية سيما مع سلامتها عن التخصيص وأما إرادة الخلق التكويني الفعلي فبعيدة عن السياق والأصل عدم التخصيص ودعوى كونه حقيقة في هذا خاصة دون ما مر غير مسموعه وعموم الاشتراك أولى من المجاز سلمنا الحمل على الأخير لكن القطع حاصل بخروج افعال العباد التي يمكن كون الوضع منها فيكون كالمختص بالمجمل للشك في مصاديقها والتمسك بالأصل في مثله لا يخلو من تأمل فتأمل جيداً. فإنه يمكن دعوى صحة الدلالة بظهور المعنى الأخير الموجب للحمل عليه ولو للانصراف أو لكونه من جملة المدلول ثم البناء في تخصيص مثله بالحكم على خروج ما يقطع بخروجه، وأما المشكوك فإلبناء على دخوله تحت حكم العام للقطع بالشمول والشك في الإخراج ليس هناك لفظ مجمل كي يلحق بالمختص بالمجمل ودعوى انصراف مثل هذا العموم الشمولي من الأوضاع الشخصية غير

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٤

مسموعه فيتم الاستدلال بها كآية المتقدمة التي قد سمعت التقريب فيها ولو بمعونة الاخبار المتقدمة الظاهرة في استناد الوضع إليه سبحانه فلا يرد ان غاية ما تدل عليه بعد تسليم دلالتها ان الوضع غير ناش من ذرية أبينا آدم. وأما استناده إليه سبحانه أو الى خلق آخر كبنى الجان وغيرهم فغير واضح سيما بعد ما ورد في الاخبار من أنه كان في الأرض خلق آخر قبل أبينا آدم.

بل في الخبر: ان الله تعالى خلق ألف ألف عالم و ألف ألف آدم و أنتم في آخر تلك العوالم و أولئك الآدميين (١). إذ فيه ان الظاهر منها و لو بمعونة الاخبار المتقدمة و ملاحظة شرافة علم الأسماء حتى فضل الله به آدم على غيره من الملائكة إنما هو استناده إليه سبحانه مضافاً إلى أنه لو كان متداولاً بين خلق سابق على آدم في الأرض أو في السماء لتسمع بها بعض الملائكة ان لم يعرفها كلهم مع أن قضية الأصل هو تأخر الحادث الذي هو الوضع من زمن وجود الخلق السابق إلا أنه حينئذ بالنسبة إلى تعيين الواضع مثبت فلا تغفل.

نعم يمكن أن يقال إن الفريقين مجتمعون على عدم استناده إلى خلق آخر بل هم بين من يقول باستناده إلى الله تعالى و من يقول باستناده إلى أبي البشر و ذريته فالقول باستناده إلى خلق آخر من بنى الجان أو غيرهم خرق لهذا الإجماع. و لا بأس به على فرض تحققه.

ثم ان في المسألة اقوالاً آخر كالقول باصطلاحية جميع اللغات و ان الواضع

(١) بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٣٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٥

فيها هو البشر كما عن جماعة من المتكلمين و التفصيل بان ما يحتاج إليه في التفهيم و التفهم بان هذا موضوع لذلك يكون بتوقيف الله سبحانه و الباقي من البشر باصطلاح منهم و توقف العلامة و بعض الأصوليين و تمام الكلام في أدلة الأقوال موكول إلى الأصول، و كذا الكلام في أنه ليس للنزاع ثمره علمية و ان محله هو الحقيقة اللغوية الاصلية لا مطلق الحقيقة ضرورة ان الواضع في الأعلام الشخصية و الحقائق العرفية العامة و الخاصة منقولة كانت أو مرتجلة هو البشر، و لذا قيل إنه يلزم من ذلك تخصيص العموم في قوله: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، بالحقائق اللغوية أو بالحقائق المبتدئة فان تعليم الأسماء لا يستلزم تعليم جميع معانيها بل يصدق بتعليم البعض ايضاً.

بقي الكلام في أن الاختلاف في المقام مبنى على ما هو المشهور بين العلماء الأعلام من أن دلالة اللفظ على المعنى بواسطة الوضع له، و أمياً على القول الآخر المحكى عن عباد (١) بن سليمان الصيمري و جمع من المعتزلة و اهل التكسير من أن دلالة طبيعية ناشية عن ذات اللفظ من دون توسط الوضع و النزاع ساقط من أصله، إلا أن هذا القول في أصله بمحل من السقوط ضرورة أنه لو كانت

الدلالة ذاتية لا تمنع اختلافها باختلاف الأمم و الأصقاع و الأزمان، مع انا نرى اللفظ الواحد حقيقة في معنى عند قوم او في زمان و في معنى آخر عند غيرهم، او في زمان آخر بسبب طرؤ الوضع و غلبة الاستعمال و ايضا كان يلزم ان يحصل العلم بالمعاني بملاحظة الألفاظ في جميع اللغات و لم يعهد حصوله لاحد و لو مّمن يدعى ذلك

(١) هو ابو سهل عباد بن سلمان البصرى المعتزلى. سير اعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٥٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٦

فضلا عن العامة و ايضا نرى الأعلام الشّخصيّة و الحقائق العرفيّة التي نعلم بالضرورة استناد الدلالة فيها إلى الوضع غير دالة على تلك المعاني قبل حدوث الوضع و لو كانت ذاتية لم يؤثر الوضع فيها شيئا و لم ينفك عنها الأثر الطبيعي هذا مضافا إلى دوران الدلالة مع الاعتقاد بالوضع عدما و وجودا علما و ظنا و وهما و شكّا و ضرورة الوضع للنقيضين و الضدين و غير ذلك ممّا لا داعى للتعرض له بعد ظهور التوقيف في جميع الأعصار و الأمصار بالنسبة إلى جميع اللغات على طرق اثبات الوضع سيمّا مع ضعف تمسك المدّعين للدلالة الذاتية من أنّها لو انتفت لزم الترجيح او الترجيح من غير مرجح و فيه ما لا يخفى.

### التناسب بين اللفظ و المعنى

و لذا قيل: إنّ مراد القائلين بها دعوى التناسب الدّاتى بين اللفظ و المعنى، و إنّ ذلك التناسب هو علمة الوضع، أو المرجح لخصوص الطرفين باعتبار ملاحظة الصفات التي للحروف من الهمس و الجهر و الشدّة و الرخاوة و غيرها من الصفات التي عنت بضبطها أئمة الاشتقاق و التصريف، مضافا إلى ما لها من المنسوبات و الطبائع التي ذكرها علماء الجفر و الأعداد و الحروف و الأوفاق من إثبات الطبائع و الخواص الغريبة للحروف باعتبار تمزيجاتها و تركيباتها و نسبتها إلى خصوص الكواكب و الأزمنة و العناصر و المواليد و الجهات و الأفعال و الأخلاق و غيرها، و لذا قالوا: إنّ قضيتك تلك الخواص أن العالم بها إذا أراد تعيين شىء مركّب منها لمعنى أن لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحقّ الحكمة فوضع الفصم بالفاء للكسر بسهولة لما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٧

بين الفاء التي هي حرف مهموس رخو و بينه من المناسبة، و القصم بالقاف للكسر بشدّة لمناسبة للقاف التي هي حرف جهر و شدّة و قلقلة، و وضع الفعلان بالتحريك لما يقتضى التقلّب و الحركة كالطيران و الجولان و الغليان، و هو ايضا كما ترى لانتفاء المناسبة الجزئية في كثير من المقامات، و لذا وضعوا للضّدين و المتخالفين و نحوهما.

نعم ذكر الشيخ أحمد الأحسائي: أنّ هذا الحمل صلح منهم بغير رضى الخصمين، ثم ذكر أنّ الأصح ما ذهب إليه أهل المناسبة لما قرّره هو في معنى دلالة اللفظ حيث قال: كلّ اسم فله مادّة مخصوصة بينها و بين ما تراد له مناسبة نوعيّة بينه و بين ما تراد له مناسبة شخصيّة، فإذا أراد وضع لفظ بإزاء معنى أخذ له من الحروف ما يناسبه و جعلها مادّة لاسم ذلك المعنى و ركب تلك الحروف على هيئة من التركيب في الحركات و السكّنات و التقديم و التأخير تناسب ذلك المعنى كذلك، و تلك الهيئة هي صورة ذلك الاسم فوضعه بإزاء ذلك المعنى فكان الاسم بتلك المادّة المخصوصة و الهيئة المخصوصة دالاّ للسامع العالم بالوضع على مسماه كما انك إذا أوّمت إلى زيد بأن يأتي إليك أوّمت اليه بهيئة الإقبال بأن تقبض أصابعك في الجملة مشيرا بها إليك فيضمّ بالمادّة و هي حركة اليد و الصورة و هي الإشارة له بيدك إليك كالجاذب له إرادة الإقبال، و لو أردت انصرافه أوّمت بيدك إليه بهيئة الدفع فيفهم بالحركة و الهيئة إرادة الانصراف، لأنّ هذه الهيئة في المادّة المخصوصة تدلّ المشار اليه على ما يراد منه، فكذلك الاسم بالمادّة و الهيئة المخصوصتين يدلّ السامع على معناه، فحقيقته الدلالة إرشاد اللفظ بمناسبة مادّته و صورته لفهم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٨

المخاطب إلى المعنى الموضوع له كما مثلنا في الإشارة.

ثم قال: فان قلت: لو كان ذلك كذلك لم يجهل أحد شيئا من المعاني و الواقع خلافه.

قلت: أنما احتيج للعلم بالوضع هنا لشدة خفاء المناسبة لأنها مناسبات حرفية من عالم الغيب على ما حقق في محله.

فان قلت: إذا كانت مناسبات حرفية من عالم الغيب فما الفائدة في ملاحظتها و اعتبارها إذا لم يطلع عليها جميع المخاطبين؟

قلت: الفائدة شيان: أحدهما اقتضاء حكمه الحكيم ان لا يخصيص شيئا بشيء بغير مناسبة يقتضى التخصيص مع قدرته على ذلك، و ثانيهما: أن ذلك أسكن لقلب المخاطب لو تنبه في بعض الأحوال لبعض المناسبات، كما ذكر في الفرق بين الفصم و القصم، و في زنه فعلان محركا و في دلالة الوضع للأصوات بما يناسبها كما قيل في صوت الغراب غاق، و في صوت شفتى الناقه عند شربها شب، إذ لو وضع غاق لصوت شفتى الناقه عند الشرب و شب لصوت الغراب ثم تنبه المخاطب للمناسبة لفرت نفسه من ذلك لما بين اللفظ و بين معناه من المنافرة.

و ذكر في موضع آخر: أن المناسبة لا يزيد منها خصوص المناسبة الشخصية، بل قد تكون مناسبة نوعية كمنااسبة الإنسان لزيد و عمرو، أو جنسية كمنااسبة الحيوان لزيد و الفرس، بل لا نريد منها إلا مطلق الصلوح الذاتي للمسمى في المادة و الهيئة، إلا أنه يعبر في صلوح هيئة اللفظ لهيئة المعنى مشخصية الارتباط بينهما.

ثم أطنب الكلام في بيان المناسبة بين مواد الحروف و هيئات الترتيب

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٩

و الإعراب و بين الأجسام و الأشكال الخارجة، و في دعوى المناسبة حتى في الأعلام الشخصية و في الألفاظ المشتركة حتى الموضوعه للضدين و النقيضين كالقرء و الجون، و عسعس، و في دعوى المناسبة بين الألفاظ و الأزمنة و بين الأعلام المشتركة و معانيها إلى غير ذلك مما لا يعود إلى حاصل و لعلك، لو تدبرت كلامه بتمامه عرفت أنه كان قد دعاه إلى ذلك ملاحظة بعض المناسبات الجزئية التي هي كالتفاهة بعد الوقوع بالنسبة إلى بعض الألفاظ، مع التخلف في الأكثر.

و من الغريب استدلاله في مواضع من كلامه بأسماء الأصوات التي ذكروا أنها حكاية صوت مسموع من الحيوان و غيره كغاق، فإنه حكاية صوت الغراب، و طق حكاية صوت وقع الحجارة بعضها على بعض، أو أنها مما يخاطب به ما لا يعقل كقولهم في دعاء الضأن: حاحا و في دعاء المعز: عاعا غير مهموزين، فإن القسم الاول من هذه الأسماء مجرد حكاية صوت شبيه بالواقع و الثاني بمنزلة النعيق، و لذا استشكلوا صدق حد الكلمة عليها، و ان لم يكن الأشكال في محله.

و بالجملة إبداء أمثال تلك المناسبات الجزئية بين بعض الألفاظ و معانيها لا موقع لها بالنسبة إلى تلك اللغات المتسعة الكثيرة في الألسنة المختلفة المنتشرة بين أهل العالم لإفهام المعاني الدقيقة و النكات الخفية، مع أنه يستفاد من تضاعيف كلامه الطويل الذي لم نتعرض لحكايته أن مراده مجرد إعمال المناسبات في الوضع لا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤٠

انكار أصله، و يؤيده تصريحه في موضع آخر بأن الواضع هو الله سبحانه و ان كان ينافيه ما ذكره أولا- من ردّ كلام المؤولين، و تصحيح مقال اصحاب المناسبة، و ما ذكره من تعريف الدلالة لكنّه رحمه الله أدري بفحوى ما أفاد و إني مقرّ على نفسي بالقصور عن نيل المراد و الله يهدي من يشاء إلى سبيل الرشاد.

تفسير الآية (٣٤)

إشارة

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ تَذَكِيرَ لِنِعْمَةٍ رَابِعَةٍ عَامَّةٍ عَلَيْهِمْ لَمَّا فِيهَا مِنْ تَشْرِيفِ أَبِيهِمْ وَتَكْرِيمِهِ بِجَعْلِهِ مَسْجُودًا لِلْمَلَائِكَةِ النُّورَانِيِّينَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ، تَذَكِيرَهُ لِنِعْمَةٍ ثَالِثَةٍ حَسَبَ مَا مَرَّ، وَإِنْ تَوَهَّمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذِهِ رَابِعَةٌ لِلثَّلَاثَةِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا هِيَ مِنْ تَخْصِيصِ آدَمَ بِالْخِلَافَةِ ثُمَّ بِالْعِلْمِ ثُمَّ بِلُغْوِهِ فِيهِ إِلَى أَنْ عَجَزَتِ الْمَلَائِكَةُ عَنْ نِيْلِهِ، فَأَنَّهُ لَا يَخْلُو عَنْ تَكَلُّفٍ، وَلَكِنْ الْخُطْبُ سَهْلٌ. وَالْوَجُوهُ الْمُتَقَدِّمَةُ فِي مُتَعَلِّقِ الظَّرْفِ جَارِيَةٌ فِي الْمَقَامِ، وَلَكِنْ فِي «تَفْسِيرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَأَنَّ خَلْقَ اللَّهِ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ أَي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ خَلَقَ لَكُمْ «١». وَ قَدْ بَيَّنَّا سَابِقًا أَنَّ الظَّرْفَ هُوَ الزَّمَانُ الْمَمْتَدُّ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْ

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٤٩ عن التفسير المنسوب الى الامام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤١

خَلَقَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْقَوْلُ فِي طَرَفٍ مِنْهُ، فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالسُّجُودِ كَانَ قَبْلَ خَلْقِهِ عَلَى وَجْهِ التَّعْلِيْقِ كَمَا يَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* «١».

وَقَوْلُهُ: لَهُمْ إِمْرًا بِالْإِلْهَامِ إِلَى كُلِّ مِنْهُمْ، أَوْ بِالْخُطَابِ الْعَامِّ الشَّامِلِ لَجَمِيعِهِمْ وَ لَوْ بِخَلْقِ الْأَصْوَاتِ، أَوْ بِالتَّبْلِيغِ إِلَيْهِمْ بِتَوْسِطِ بَعْضِهِمْ، أَوْ بِوَسْطَةِ أَنْوَارِ مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ كَمَا وَقَعَ التَّلْوِيحُ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ.

### وقت الأمر بالسجود

وَالْآيَةُ وَ إِنْ كَانَتْ ظَاهِرَةً فِي كَوْنِ الْأَمْرِ بِالسُّجُودِ بَعْدَ وَجُودِ آدَمَ وَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ سَيِّمًا بِمُلَاحَظَةِ فَسْجُدُوا الظَّاهِرِ فِي اتِّصَالِ الْفِعْلِ بِالْأَمْرِ إِلَّا أَنَّ الْمُسْتَفَادَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجْرِ: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ «٢»، وَقَوَعُ الْأَمْرِ مُقْتَرِنًا بِالْبَشَارَةِ بِالْخَلْقِ وَ قَدْ مَرَّ مَرَّ سَلَفًا فِي عِبَارَةِ الصَّدُوقِ: إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ لِلْمَلَائِكَةِ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِسَبْعِمِائَةِ عَامٍ «٣».

وَفِي تَفْسِيرِ الْقَمِي وَ غَيْرِهِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ أَنَّهُ كَانَ ذَلِكَ

(١) الحجر: ٢٩.

(٢) الحجر: ٢٩.

(٣) كمال الدين: ج ١ ص ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤٢

تَقَدَّمَ مِنَ اللَّهِ فِي آدَمَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ وَ احْتِجَاجًا مِنْهُمْ عَلَيْهِ «١».

لَكِنَّهُ لَا مَنَافَاةَ بَيْنَهُمَا لِاحْتِمَالِ التَّعَدُّدِ تَنْبِيْهَا عَلَى مَزِيدِ الْإِهْتِمَامِ وَ التَّأَكِيدِ، بَلْ كَانَتْهُ الْمَتَعَيْنِ وَ بِهِ يَجْمَعُ بَيْنَ مَا مَرَّ وَ بَيْنَ مَا فِي الْأَعْرَافِ: وَ لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ «٢»، نَعْمَ سَيَأْتِي فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ «٣»، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْ طَرَفِ الْعَامَّةِ: أَنَّهُ لَمَّا اقْتَرَفَ الْخَطِيئَةَ وَ نَظَرَ إِلَى أَشْبَاحِ النَّبِيِّ وَ الْأَنْبِيَاءِ حَوْلَ الْعَرْشِ وَ أَخْبَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ مِنْ ذَرِيَّتِهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: فَسَجَدَ آدَمُ شُكْرًا لِلَّهِ أَنْ جَعَلَ ذَلِكَ فِي ذَرِيَّتِهِ، فَعَوَّضَهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ السُّجُودِ أَنْ أُسْجِدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ.

وَ ظَاهِرُهُ كَمَا تَرَى كَوْنَ الْإِسْجَادِ بَعْدَ الْإِقْتِرَافِ، وَ لَعَلَّهُ مُخَالَفٌ لظَاهِرِ الْكِتَابِ وَ صَرِيحِ الْأَخْبَارِ.





و روى الصدوق وغيره عن مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: انّ الله فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقرّبين و فضّلني على جميع النبيّين و المرسلين و الفضل بعدى لك يا على و للائمة من بعدك، و ساق الخبر على ما مرّ إلى أن قال: ثمّ إنّ الله تبارك و تعالى خلق آدم فأودعنا صلبه و أمر الملائكة

(١) حسان بن ثابت الانصارى الشاعر توفى سنة (٥٤) ه عن مائة و عشرين سنة مناصفة في الجاهلية و الإسلام- شذرات الذهب ج ١ ص ٦٠.

(٢) الإسراء: ٧٨.

(٣) الفتح: ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤٥

بالسجود له تعظيماً لنا و إكراماً و كان السجود لله عزّ و جلّ عبوديّة و لآدم إكراماً و طاعة لكوننا في صلبه «١».

و في «القصص» بالإسناد عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام سجدت الملائكة لآدم و وضعوا جباههم على الأرض؟ قال: نعم تكرمه من الله سبحانه «٢».

و في «الاحتجاج» في جواب مسائل الزنديق عن الصادق عليه السّلام أنّه سئل:

أ يصلح السجود لغير الله تعالى؟ قال: لا، قال: فكيف أمر الله بالسجود لآدم؟ فقال:

إنّ من سجد بأمر الله فقد سجد لله فكان سجوده لله إذ كان عن أمر الله «٣».

و عن «الاحتجاج» و التفسير في خبر مرّ صدره إلى أن قال عليه السّلام: فلذلك قال الله: فاسجدوا لآدم لمّا كان مشتملاً على أنوار هذه الخلايق الأفضلين و لم يكن سجودهم لآدم أنّما كان آدم قبله لهم يسجدون نحوه لله عزّ و جلّ و كان بذلك معظماً له مبيحاً «٤».

و في «تحف العقول» عن أبي الحسن الثالث عليه السّلام قال: إنّ السجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم و أنّما كان ذلك طاعة لله و محبة منهم لآدم «٥».

و في «الاحتجاج» عن الكاظم عليه السّلام عن آباءه عليهم السّلام: انّ يهودياً سئل أمير المؤمنين عليه السّلام عن معجزة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم في مقابلة معجزات الأنبياء عليهم السّلام فقال: هذا

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٣٩-١٤٠ عن العيون ص ١٤٥.

(٢) البحار: ج ١١ ص ١٣٩.

(٣) الاحتجاج: ص ٣١.

(٤) البحار: ج ١١ ص ١٣٨ عن تفسير الإمام عليه السّلام.

(٥) تحف العقول: ص ٤٧٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤٦

آدم عليه السّلام أسجد الله له ملائكته فهل فعل بمحمّد شيئاً من هذا؟ فقال عليّ عليه السّلام: لقد كان ذلك، و لكن اسجد الله لآدم ملائكته، و سجودهم لم يكن سجود طاعة و أنّهم عبدوا آدم من دون الله، و لكن اعترافاً لآدم بالفضيلة و رحمة من الله له، و محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم أعطى ما هو أفضل من هذا انّ الله جلّ و علا صلّى عليه في جبروته و الملائكة بأجمعها «١»، الخبر.

و في تفسير الامام عليه السّلام قال: و لما امتحن الحسين عليه السّلام و من معه بالعسكر الذي قتلوه و حملوا رأسه، قال لعسكره: أنتم في حلّ من بيعتي فالحقوا بعشائركم و مواليكم، و قال لأهل بيته: قد جعلتكم في حلّ من مفارقتي فإنكم لا تطيقونهم لتضاعف

أعدادهم وقواهم، و ما المقصود غيرى فدعوني و القوم فإنّ الله عزّ و جلّ يعينني و لا- يخلّيني من حسن نظره كعادته في أسلافنا الطيبين، فأما عسكريه ففارقوه، و أما أهله الأذنون من أقربائه فأبوا و قالوا: لا نفارقك و يحزننا ما يحزنك، و يصيبنا ما يصيبك، و إنّنا أقرب ما نكون إلى الله إذا كنّا معك، فقال لهم: فإن كنتم قد وطّنتم أنفسكم على ما وطّنت نفسي عليه، فاعلموا أنّ الله إنّما يهب المنازل الشريفة لعباده باحتمال المكاره، و أنّ الله و ان كان خصّيني مع من مضى من اهلى اللّذين أنا آخرهم بقاء في الدنيا من الكرامات بما يسهل عليّ معها احتمال المكروهات، فإنّ لكم شرط ذلك من كرامات الله تعالى، و اعلموا أنّ الدنيا حلوها و مرّها حلم، و الانتباه في الآخرة، و الفائز من فاز فيها، و الشقى من شقى فيها، أولا- أحدثكم بأول أمرنا و أمركم معاشر أوليائنا و محبينا و المتعصّبين لنا ليسهل عليكم احتمال ما أنتم له

(١) الاحتجاج: ص ١١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤٧

مقرون معرّضون؟ قالوا: بلى يا بن رسول الله صلّى الله عليه و آله، قال: إنّ الله تعالى لمّا خلق آدم و سواه و علّمه أسماء كلّ شيء، و عرضهم على الملائكة جعل محمّدا و عليّا و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السّلام أشباحا خمسة في ظهر آدم، و كانت أنوارهم تضيء في الآفاق من السموات و الحجب و الجنان و الكرسي و العرش، فأمر الله الملائكة بالسّجدة لآدم تعظيما له، إنّّه قد فضّله بأن جعله وعاء لتلك الأشباح التي قد عمّ أنوارها في الآفاق، فسجدوا إلّا إبليس أبي أن يتواضع لجلال عظمة الله، و أن يتواضع لأنوارنا أهل البيت عليهم السّلام و قد تواضعت لها الملائكة كلّها، فاستكبر و ترعّع و كان بإبائه ذلك و تكبره من الكافرين.

ثمّ قال: قال عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما: حدّثني أبي عن أبيه عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: يا عباد الله إنّ آدم لمّا رأى النور ساطعا من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره، رأى النور و لم يتبين الأشباح، فقال يا ربّ ما هذه الأنوار؟ قال الله عزّ و جلّ: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشى إلى ظهرك، و لذا أمرت الملائكة بالسّجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح فقال يا ربّ لو بيّنتها لي؟ فقال الله تعالى: أنظر يا آدم إلى ذروة العرش، فنظر آدم عليه السّلام و وقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصّافية، فرأى أشباحنا، فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟

فقال الله: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلّائقي و بريّاتي: هذا محمّد و أنا الحميد المحمود في أفعالي، شققت له اسما من اسمي، و هذا عليّ و أنا العليّ العظيم شققت له اسما من اسمي، و هذه فاطمة و أنا فاطر السموات و الأرضين، فاطم أعدائي عن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤٨

رحمتي يوم فصل قضائي، و فاطم أوليائي عمّا يعترهم و يشينهم، فشققت لها اسما من اسمي، و هذا الحسن و هذا الحسين، و انا المحسن المجمل شققت لهما اسما من اسمي، هؤلاء خيار خليقتي و كرام بريّتي، بهم آخذ، و بهم أعطى، و بهم أعاقب و بهم أئيب فتوسّل إليّ بهم يا آدم، و إذا دهتك داهية فاجعلهم إليّ شفعاذك، فأنّى آليت على نفسي قسما حتما «١» لا أخيب بهم آملا و لا أردّ بهم سائلا، فلذلك حين زلّت منه الخطيئة و دعا الله عزّ و جلّ بهم فتاب عليه و غفر له «٢».

و قد ظهر من جميع ما مرّ ان سجود آدم كان تكريما له و تعظيما للأنوار المستودعة في صلبه، و عبوديّة له سبحانه حيث كان ذلك امثالا لأمره، و لو لم يكن هناك أمر لم يكن لاحد من الملائكة و لا غيرهم احياء و أمواتا إلّا بصدور الأمر الخاص بالنسبة إليه.

و يدلّ عليه مضافا إلى ما مرّ ما رواه الصفار في البصائر بالإسناد عن الصادق عليه السّلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يوما قاعدا في أصحابه إذ مرّ به بعير فجاء حتّى ضرب بجرانه «٣» الأرض و رغا «٤» فقال رجل: يا رسول الله أسجد لك هذا البعير فنحن احقّ أن نفعل، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لا بل اسجدوا لله ثمّ قال: لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن

تسجد لزوجها «٥».

(١) في البحار: حقا.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤٩-١٥١ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٣) الجران بكسر الجيم و تخفيف الزاء: مقدّم عنق البعير أو الفرس.

(٤) رغا: أى صوت.

(٥) البحار: ج ٢٧ ص ٢٦٥ عن البصائر ص ١٠٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤٩

و فى خبر آخر بعد قوله: بل اسجدوا لله قال صلى الله عليه وآله ان هذا الجمل يشكو اربابه ثم ذكر قصة الجمل الخير.  
و فى الخرائج: ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وآله فقال هل من آية فيما تدعوا إليه؟ فقال: نعم ايت هذه الشجرة فقل لها:  
يدعوك رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فمالت عن يمينها و شمالها و بين يديها فقطعت عروقها، ثم جاءت تخذ الأرض حتى  
وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فمرها فترجع إلى منبتها، فقال الأعرابي: ائذن لى أن أسجد لك، فقال عليه  
السلام: لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، قال: فائذن لى أن أقبل بين يديك فأذن له «١».  
و فيه و فى «المناقب» عن انس أن النبي صلى الله عليه وآله دخل حائطا للأنصار و فيه غنم فسجدت له، فقال أبو بكر: نحن أحق لك  
بالسجود من هذا الغنم، فقال صلى الله عليه وآله: انه لا ينبغي أن يسجد أحد لاحد، و لو جاز ذلك لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها  
«٢».

و قد مرّ فى خبر العسكرى انه لا- ينبغي لاحد أن يسجد لاحد من دون الله يخضع له كخضوعه لله و يعظمه بالسجود كتعظيمه لله  
تعالى و لو أمرت أحدا أن يسجد هكذا لغير الله لأمرت ضعفاء شيعتنا و سائر المكلفين من متبعينا أن يسجدوا لمن توسط فى علوم  
على وصى رسول الله و محض و داد خير خلق الله على بعد محمد رسول الله صلى الله عليه وآله «٣».  
و فى «الاحتجاج» عن تفسير الامام عليه السلام فى خبر احتجاج النبي صلى الله عليه وآله على أهل

(١) الخرائج: ص ١٨٥ و عنه البحار ج ١٧ ص ٣٧٧.

(٢) مناقب آل ابى طالب: ج ١ ص ٨٦.

(٣) تفسير البرهان: ج ١ ص ٨١ عن تفسير الامام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٠

الأديان قال: ثم أقبل يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله على مشركى العرب و قال: و أنتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا:  
نتقرب بذلك إلى الله تعالى فقال لهم: أهى سامعة مطيعة لربها عابدة له حتى تتقربوا بتعظيمها إلى الله تعالى؟ قالوا: لا قال:  
فأنتم الذى نحتموها بأيديكم؟ قالوا: نعم، قال: فلأن تعبدكم هى لو كان يجوز منها العبادة أخرى من أن تعبدوها، إذا لم يكن أمركم  
بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم و عواقبكم و الحكيم فيها يكلفكم، قال: فلما قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا اختلفوا،  
فقال بعضهم: ان الله قد حلّ فى هياكل رجال كانوا على هذه الصورة فصورنا هذه الصور نعظمها لتعظيمنا تلك الصور التى حلّ فيها  
ربنا.

و قال آخرون منهم: إن هذه صور أقوام سلفوا كانوا مطيعين لله قبلنا فمئلا صورهم و عبدناهم تعظيما لله.

و قال آخرون: إن الله لما خلق آدم و أمر الملائكة بالسجود لله كنا نحن أحقّ بالسجود لآدم من الملائكة ففاتنا ذلك، فصورنا صورته

فسجدنا لها تقرباً إلى الله كما تقربت الملائكة بالسجود لآدم إلى الله، و كما أمرتم بالسجود بزعمكم إلى جهة مكّة ففعلتم ثم نصبتم في غير ذلك البلد بأيديكم محارِب سجدتم إليها وقصدتم الكعبة لا محارِبِكم، وقصدكم في الكعبة إلى الله تعالى لا إليها. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أخطأتم الطريق و ضللتُم أَمَا أَنْتُمْ - و هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يخاطب الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ يَحِلُّ فِي هِيََاكِل رِجَال كَانُوا عَلَى هَذِهِ الصُّور الَّتِي حَل فِيهَا رَبَّنَا - فقد وصفتم ربكم بصفة المخلوقات! أو يحل ربكم في شيء حتى يحيط به ذلك الشيء؟ فأى فرق بينه وبين سائر ما يحل فيه من لونه و طعمه و رائحته و لونه

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥١

و خشونته و ثقله و خفته، و لم صار هذا المحلول فيه محدثاً و ذلك قديماً دون أن يكون ذلك محدثاً و هذا قديماً؟! و كيف يحتاج إلى المحال من لم يزل قبل المحال، و هو عزّ و جلّ كان لم يزل، و إذا وصفتموه بصفة المحدثات في الحلول فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال.

إلى أن قال: ثمّ اقبل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على الفريق الثاني فقال: أخبرونا عنكم إذا عبدتم صور من كان يعبد الله فسجدتم لها و صليتم فوضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها فما الذي أبقيتُم لربّ العالمين؟! أما علمتم أن من حقّ من يجب تعظيمه و عبادته أن لا يساوى به عبده؟

أرايتم ملكاً عظيماً إذا سوّيته بعبده في التعظيم و الخشوع و الخضوع أفيكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير؟ فقالوا: نعم.

قال: أ فلا تعلمون أنكم من حيث تعظمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين تزرون على ربّ العالمين؟! قال: فسكت القوم بعد أن قالوا: سننظر في أمرنا.

ثمّ قال رسول الله للفريق الثالث: لقد ضربتم لنا مثلاً و شبّهتمونا بأنفسكم و لا سواء، ذلك أنا عباد الله مخلوقون مربوبون نأتمر له فيما أمرنا، و ننزجر فيما زجرنا، و نعبده من حيث يريد منا، فإذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعناه، و لم نتعدّ إلى غيره ممّا لم يأمرنا و لم يأذن لنا، لأننا لا ندرى لعلّه أراد منا الأوّل فهو يكره الثاني، و قد نهانا أن نتقدّم بين يديه فلما أمرنا بالتوجه إلى الكعبة أطعناه ثمّ أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها في سائر البلدان التي نكون بها فأطعناه، فلم نخرج في شيء من ذلك من أتباع أمره، و الله عزّ و جلّ حيث أمر بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٢

هي غيره فليس لكم أن تقيسوا ذلك عليه لأنكم لا تدرون لعلّه يكره ما تفعلون إذ لم يأمركم به. ثمّ قال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أ رأيتُم لو أذن لكم رجل دخول داره يوماً بعينه الكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره، أو لكم أن تدخلوا داراً أخرى مثلها بغير أمره؟ أو وهب لكم رجل ثوباً من ثيابه أو عبداً من عبيده أو دابةً من دوابه الكم أن تأخذوا ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فإن لم تأخذوه أ لكم أخذ آخر مثله؟ قالوا لا لأنه لم يأذن لنا في الثاني كما أذن في الأوّل، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فأخبروني آله تعالى أولى بان لا يتقدّم على ملكه بغير أمره أو بعض المملوكين؟ قالوا بل الله أولى بان لا يتصرّف في ملكه بغير إذنه، قال: فلم فعلتم و متى أمركم أن تسجدوا لهذه الصور؟ قال: فقال القوم سننظر في أمرنا ثمّ سكتوا «١»، الخبر.

### الوجوه المحتملة في «خلق الله آدم على صورته»

أقول: و لعلّ من مثل هذه الأوهام التي سمعتها من المشركين سرى الوهم و الزيغ إلى قلوب المشبّهين فأولوا النبوي المشهور بين الفريقين «إنّ الله تعالى خلق آدم على صورته» «٢».

على ما يوافق مرامهم و يطابق كلامهم، بل قد تمسك بظاهره فرق من أصحاب الأخدود كالحلولية و الاتحادية و القائلين بوحدة

الوجود مع ان المروى من

(١) الاحتجاج: ص ٢٦-٢٨.

(٢) عوالى اللثالى: ج ١ ص ٥٣ رقم الحديث ٧٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٣

طرق الفريقين فى تتمه الخبر ما يسقط معه الاستدلال على مثل هذه الأوهام.

فى «التوحيد» و «الاحتجاج» و «العيون» عن الحسين بن خالد قال: قلت:

للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ان الناس يروون ان رسول الله صلى الله عليه و آله قال: ان الله خلق آدم على صورته فقال:

قاتلهم الله لقد حذفوا اول الحديث ان رسول الله صلى الله عليه و آله مرّ برجلين يتسابقان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله

وجهك و وجه من شبيهك فقال عليه السلام:

يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك، فان الله عزّ و جل خلق آدم على صورته «١».

و روته العامه عن الزهرى عن الحسن «٢»، مع أنه قد يقال إن فى الخبر وجوها آخر أيضا مثل ما قيل: من ان الضمير راجع إلى آدم عليه

السلام دون الله تعالى فيكون المعنى أنه خلقه على الصورة التى قبض عليها، فانّ حاله لم يتغير فى الصورة بلا زيادة و لا نقصان، او

إلى الله سبحانه و يكون المعنى أنه خلقه على الصورة التى اختارها و اجتباها، لأنّ الشىء قد يضاف على هذا الوجه إلى مختاره و

مصطفاه أو ان المراد بالصورة الصفه من كونه سميعا بصيرا متكلمًا قابلا للاتصاف بصفاته الجماليه و الجلايه، او ان المعنى أنه سبحانه

أنشأ على هذه الصورة التى شوهد عليها على سبيل الابتداء و الاختراع و أنه لم ينقل إليها من صورة اخرى كما جرت العاده فى البشر

من كونه نطفه و علقه و مضغه و غيرها من الأطوار الطارئه عليه خلقا من بعد خلق، او أنه خلق آدم و خلق صورته لينتفى بذلك الشك

فى أن تأليفه من فعل غيره لأنّ التأليف من جنس مقدور البشر و ان خلق الجواهر هو الذى ينفرد

(١) الاحتجاج ص ٤١٠.

(٢) البحار ج ٤ ص ١٤ عن تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٤

القديم تعالى بالقدرة عليه فكأنه عليه السلام اخبر عن هذه الفائدة الجليله و هو ان جوهر آدم و تأليفه كلها من فعله سبحانه، إلى غير

ذلك من الوجوه التى لا ينبغى حمل الخبر عليها بعد استفاضه الاخبار من طرق الفريقين على خروجه على سبب خاص مذکور كما

سمعت.

نعم قد روى الصدوق رحمه الله بالإسناد إلى محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر عليه السلام عما يروون ان الله تعالى خلق آدم على

صورته فقال عليه السلام: هى صورة محدثه مخلوقه اصطفاه الله و اختارها على سائر الصفه المختلفه فأضافها إلى نفسه كما أضاف

الكعبه إلى نفسه و قال: وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي «١»، و فيه دلالة على تشریف هذه الصورة «٢».

و ربما يقال: إنه قد روى إن ملائكة التصوير إذا أرادوا تصوير النطفه ذكرا او أنثى فيقولون: يا ربّ على أى صورة نصوره، فان كان

ذكرا قال سبحانه: أحضروا صور آباءه إلى آدم و صوروه مثل واحده منها، و إن كان أنثى قال أحضروا صور أمهاتها إلى حواء و

صوروها على مثل صورة واحده منها، و من ثم قال عليه السلام: لا ينبغى لاحد أن يطعن فى نسب ولده لأجل أنه لا يشبهه فى الصورة

فعلّه إنّما صور مثل واحد من آباءه و هذا فى غير أبينا آدم، و اما هو فليس فيه آباء و لا أمهات حتّى يصور مثل واحده منها بل خلق

على تلك الصورة التى خلق عليها، فقد تحصل من جميع ما مرّ وجوه ثمانية فى الخبر.

(١) الحجر: ٢٩ و ص: ٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٣ ح ١٥ عن التوحيد للصدوق.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٥

و اعلم أنه قد استفيد من تضاعيف الأخبار المتقدمة و غيرها أن السجود من العبادات المختصة به سبحانه لا ينبغي إشراك غيره معه فيه، فما يفعله بعض الزائرين للنبي صلى الله عليه و آله او الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ينبغي منعهم و الإنكار عليهم، لأن الله تعالى يحب أن يعبد من حيث شاء و أراد و أمر، و لم يرد الأمر بهذا النحو من التعظيم لغيره سبحانه و لو للأنبياء و الأولياء. و اما ما يتخيل من أن السجود لهم عليهم السلام على أبوابهم و أعقابهم زيادة في تعظيم الله و عبادته، باعتبار أن وقوعه منه إليه إنما هو لقدره و شرفه و رتبته عند الله تعالى، فالسجود له حيثن زيادة في تعظيم الله و تعظيم شعائره فيه أنه استحسان و همى لا ينبغي الاعتماد عليه في الأمور التوقيفية الشرعية، و قد استدلل بمثله المشركون و أجاب عنهم النبي صلى الله عليه و آله بما لا مزيد عليه في خبر الاحتجاج و التفسير مضافا إلى ورود النهى عنه في غير واحد من الأخبار التي مرّ شرط منها بل و عليه يحمل النهى في الصحيح المروى في العلل عن ابي جعفر عليه السلام قال صل بين خلال القبور، و لا تتخذ شيئا منها قبلة فإن رسول الله صلى الله عليه و آله نهى عن ذلك و قال: لا تتخذوا قبرى قبلة و لا مسجدا فإن الله عزّ و جلّ لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد «١». ثم ان ظاهر الجمع المحلى في المقام كون المأمورين جميع الملائكة العلوية و السفلية حتى جبرئيل و ميكائيل و غيرهما من المقربين، و يؤيده قوله في موضع آخر فسجد الملائكة كلهم أجمعون «٢» بل في فضائل الشيعة للصدوق عن

(١) الفقيه: ج ١ ص ١٢٤.

(٢) سورة ص: ٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٦

النبي صلى الله عليه و آله في قوله أشيتكبرت أم كنت من العالين «١» انا و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين كنا في سرادق العرش نسبح الله و تسبح الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله آدم بألفى عام، فلما خلق الله عزّ و جلّ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له، و لم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس فإنه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك و تعالى: أشتكبرت أم كنت من العالين اى من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش «٢».

فان فيه زيادة تأكيد في ارادة جميع الأفراد و في خبر المعراج المروى في التفسير و الاحتجاج: ان النبي صلى الله عليه و آله قال لجبرئيل: تقدّم يا جبرئيل فقال له: إنا لا نتقدّم على الأدميين منذ أمرنا بالسجود لآدم عليه السلام «٣».

إلى غير ذلك من ظواهر الاخبار الكثيرة التي هي الحجة، و مع ذلك كله فلا ينبغي الإصغاء إلى ما ينسب إلى الحكماء من حمل الملائكة في الآية على القوى الجسمانية البشرية المطيعة للنفس الناطقة نظرا إلى أنه يستحيل أن تكون الأرواح السماوية منقادة للنفوس الناطقة، إذ هو كما ترى مبنى على ما استحسونه بالأوهام الضعيفة و الخيالات الواهية.

ثم ان المشهور كسر التاء في قوله للملائكة اسجدوا، و عن ابي جعفر «٤»

(١) ص: ٧٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤٢ ح ٩ عن فضائل الشيعة.

(٣) علل الشرائع: ص ١٤ و عنه البحار ج ٢٦ ص ٣٣٨ ح ٣.

(٤) المراد به ابو جعفر القارى يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة كان من التابعين و إمام اهل المدينة فى القراءة توفى سنة (١٣٢) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٧

وحده ضمها حيث وقع، إمّا لاتباع ضمة الجيم، أو لنقل ضمة الهمزة إليها كأنها لم تسقط، و هما ضعيفان كأصل القراءة فسجدوا جميعا لآدم انقيادا لأمره سبحانه بمطلق الخضوع و التذلل، أو بالانحناء و وضع الجبهة كما ربما يظهر من بعض الأخبار المتقدمة، سيما خبر «القصص» او على اختلاف أنحاء تذللاتهم التى لا يمثل واحد منها بالآخر لاختلاف درجاتهم و طبقاتهم و لذا قالوا: و ما منّا إلّا لهُ مقام معلوم «١»، و كان سجودهم فى الأرض على ظهر الكوفة كما فى تفسير العياشى عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: أول بقعة عبد الله عليها ظهر الكوفة لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجدوا على ظهر الكوفة «٢».

إلّا إبليس المبلس اى الآيس من رحمته سبحانه، و لذا سمى به، و ألما فكان مسمى بالحارث و يكتنى أبا مرّة كما فى المعبرة ففى «المعاني» عن الرضا عليه السلام:

كان اسمه الحارث سمى إبليس لأنه ابلس من رحمة الله «٣».

و فى «البحار» عن كتاب «غور الأمور» عن النبى صلى الله عليه و آله ان اسمه الحارث و كنيته أبو مرّة، و أنّما سمّاه الله إبليس لأنه ابلس من الخير كلّ يوم آدم عليه السلام «٤».

و فى «العيون» و «العلل» بالإسناد أنه سأل الشامى أمير المؤمنين عليه السلام عن اسم إبليس ما كان فى السماء؟ فقال: كان اسمه الحارث «٥».

(١) الصفات: ١٦٤.

(٢) تفسير العياشى: ج ١ ص ٣٤ و عنه البحار ج ٥ ص ٤٠.

(٣) معانى الاخبار: ص ١٣٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٢٢٦.

(٥) العيون: ص ١٣٤ و العلل ج ٢ ص ٢٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٨

و عن ابن عباس كان اسم إبليس حين كان مع الملائكة عزازيل ثم صار إبليس «١»، و يقال: إن اسمه كان نابل فلما سخط الله عليه سمى شيطانا، و عن بعضهم أنه كان كنية إبليس أبا كدوس.

ثم أنه قد ظهر ممّا مرّ أن إبليس عربى مشتق من الإبلّاس، قال فى الصحاح:

أبلس من رحمة الله أى يئس، و منه سمى إبليس، و كان اسمه عزازيل، و الإبلّاس ايضا الانكسار و الحزن يقال: أبلس فلان إذا سكت غمّا.

قال الراجز «٢»:

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم أعرفه و أبلسا و جعله الفيروز آبادى و الراغب و غيرهما أحد الوجهين، و الوجه الآخر الذى

قد يقال بتعيينه كونه أعجميا سبيله سبيل إنجيل فى كونه معرّبا غير مشتق، و استدّلوا بأنّه لا ينصرف فى المعرفة للتعريف و العجمة.

و أجيب بأنّه إنّما لم يصرف استتقالا له من حيث أنه اسم لا نظير له فى اسماء العرب فشبهته العرب بأسماء العجم التى لا تنصرف كإسحاق و أيوب و إدريس، و نحوها ممّا لا تنصرف مع اشتقاقها من أسحقه الله إسحاقا و آب و يؤوب، و من الدرس.

قال شيخنا الطبرسى و غلطوا فى جميع ذلك لأنّ هذه الألفاظ معربة وافقت الألفاظ العربية، و كان أبو بكر السراج «٣» يمثّل ذلك على

وجه التباعد بمن زعم أنّ

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٣.

(٢) هو العجاج عبد الله بن رؤبة الشاعر المتوفى سنة (٩٠).

(٣) هو محمد بن جعفر بن احمد بن الحسين ابو بكر السراج المتوفى سنة (٥٠٠).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٩

الطير ولد الحوت.

قال رحمه الله: و غلطوا أيضا في أنه لا نظير له في اسماء العرب لأنهم يقولون: إزميل للشفرة، و إغريض للطلع، و إغريض لصبغ احمر، و يقال هو العصفر، و سيف إصليت ما من كثير الماء، و ثوب إضريح مشبع الصبغ، و قالوا: هو من الصفرة خاصة، و مثل هذا كثير «١».

و في المصباح: أنه لو كان عربيا لانصرف كما تنصرف نظائره نحو: إغفيل و إخریط.

أقول: و لو تم ما ذكره لتعين حمل الأخبار على الاشتقاق المعنوي، و الخطب سهل بعد القطع بعدم انصرافه، و استفادة الإبلاس من لفظه.

ثم إن الاستثناء منقطع لما ستعرف من عدم كونه من الملائكة، أو متصل باعتبار كونه جتيا واحدا في ألوف من الملائكة مغمورا بهم معدودا في عدادهم، حتى ظن بعض الملائكة أنه منهم فغلبوا عليه في الخطاب حين خوطبوا و في حكاية القصيدة لنا او في الثاني خاصة، و أميا الخطاب التكليفي فلعله قد وقع على نحو آخر من دون لفظ و أصوات و لا- عبارات و كلمات و أنما ألهمهم ذلك بإلهامات غيبية و طرق قطعية.

ثم ان ظاهر الآية بل الآيات و الاخبار المشتملة لذكر القصص كون المتمرد العاصي هو إبليس خاصة لكن في النهج في خطبة يذكر فيها خلقه آدم عليه السلام إلى أن قال: فسجدوا إلّا إبليس و قبيله اعترتهم الحمية، و غلبت عليهم الشقوة، و تعزّزوا

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٠

بخلق النار، و استوهنوا خلق الصلصال فأعطاه الله النظرة استحقاقا للسخطه و استتماما للبلية و انجازا للعدة فقال: انك من المنظرين «١» الخطبة.

حيث ان الظاهر منها تعدد المتمردين فان القبيل في الأصل الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى، فان كانوا من أب واحد فقبيله، و لعل المراد بقبيله و ذريته الذين رضوا بفعله، و لذا قال عليه السلام: إنما يجمع الناس السخط و الرضا «٢».

و يؤيده قوله بعد صبغ الجمع فأعطاه الله النظرة، و ربما يحتمل ايضا أن يكون المراد به أشباهه من الجن في الأرض بأن يكونوا مأمورين بالسجود ايضا و عدم ذكرهم في الآية و الاخبار للاكتفاء بذكر رئيسهم، أو المراد به طائفة خلقها الله في السماء غير الملائكة، و فيهما تكلف، و الأول أولى و قال تعالى: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ «٣» فتأمل.

أبي امتنع أن يتواضع لجلال عظمه الله و أن يتواضع لأنوار أهل البيت و قد تواضعت له الملائكة كلها.

و أشد تكبر و ترفع استنكافا عن عبوديته سبحانه و استصغارا لمن رفعه الله و شرفه و خصه دونهم بالعلم و الخلافة، فلم يخضع له و لم يتخذة وسيلة إلى التقرب إليه سبحانه، و الإياء ترك الطاعة باختيار، قيل: و ليس الإياء بمعنى الكراهة لأن العرب تتمدح بأنها تأتي

الضيم و لا مدح في كراهة الضيم و أنما المدح في الامتناع

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ج ١ ص ٩٧ ط مصر.



(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ٣٧٩ وفيه: إنما يجمع الناس الرضى و السخط.

(٣) الأعراف: ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦١

عنه كقوله: وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ «١».

والاستكبار طلب الكبر كالتكبر، وهو أن يرى نفسه اكبر من غيره، و يترفع إلى منزلة لا يستحقها.

القمى عن الصادق عليه السلام: الاستكبار هو أول معصية عصى الله بها قال عليه السلام فقال إبليس: يا رب اعفنى من السجود لآدم و انا أعبدك عبادة لا يعبدكها ملك مقرب و لا نبي مرسل فقال جل جلاله لا حاجة لى إلى عبادتك إنما عبادتى من حيث أريد لا من حيث تريد «٢».

وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ اى صار منهم كما فى «القاموس» وغيره، و صرح به بعض المفسرين كما فى قوله: فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ «٣» و يؤيده ما فى تفسير الإمام عليه السلام و كان بإبائه ذلك و تكبره من الكافرين، و لعله المستفاد من بعض ظواهر الاخبار ايضا. و روى العياشى فى تفسيره عن الصادق عليه السلام: قال: إِنَّ أَوَّلَ كَفْرٍ كَفَرَ بِاللَّهِ حَيْثُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ كَفَرَ إِبْلِيسُ حَيْثُ رَدَّ عَلَى اللَّهِ أَمْرَهُ «٤».

و يظهر منه و من غيره من الأخبار بل و من الآيات أنه لم يكن سبب كفره مجرد المخالفة بل الرد عليه سبحانه فى أمره و تجهيل الحكيم فى حكمته على ما استفاد من قياسه الفاسد و الاستخفاف بنبي الله آدم عليه السلام، على أن مرجع استكباره

(١) التوبة: ٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤١ عن تفسير القمى ص ٣٤-٣٥.

(٣) هود: ٤٣.

(٤) تفسير العياشى عنه البحار: ج ١١ ص ١٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٢

إنما هو الاستكبار من عبوديته سبحانه، و كفى به كفرا و إلحادا.

او كان كافرا فى علمه سبحانه قبل ذلك حيث أضمر فى قلبه ترك السجود لآدم و الرد عليه سبحانه لو أمره بذلك، او كان كذلك فى أصل الكينونة و بدو الخلق، و إن اظهر العبادة مدة مديدة.

ففى «الخصال» و «تفسير الفرات» بالإسناد عن الحسن عليه السلام فيما سأله كعب الأحبار عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لما أراد الله خلق آدم بعث جبرئيل فأخذ من أديم الأرض قبضة فجعنه بالماء العذب و المالح، و ركب فيه الطبايع قبل أن ينفخ فيه الروح، فخلقه من أديم الأرض، فطرحه كالجبل العظيم، و كان إبليس يومئذ خازنا على السماء الخامسة، يدخل فى منخر آدم ثم يخرج من دبره ثم يضرب بيده على بطنه فيقول: لأنى امر خلقت؟ لآنى جعلت فوقى لا أعطتك، و لئن جعلت أسفل منى لا أعينك، فمكث فى الجنة ألف سنة ما بين خلقه إلى أن ينفخ فيه الروح «١».

و فى «تفسير القمى»: خلق الله آدم فبقى أربعين سنة مصورا و كان يمر به إبليس اللعين فيقول لأمر ما خلقت؟ قال العالم عليه السلام فقال إبليس لئن أمرنى الله بالسجود لهذا لعصيته «٢».

و فى «الاحتجاج» فى أسئلة الزنديق المدعى للتناقض عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: الايمان بالقلب هو التسليم للرب، و من سلم الأمور لمالكها لم يستكبر عن امره، كما استكبر إبليس عن السجود لآدم، و استكبر اكثر الأمم عن طاعة أنبيائهم،

(١) بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٩٤ عن تفسير الفرات ص ٦٥.

(٢) تفسير القمى: ص ٢٤ و عنه البحار ج ١١ ص ١٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٣

فلم ينفعهم التوحيد كما لم ينفع إبليس ذلك السجود الطويل فإنه سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام، لم يرد بها غير زخرف الدنيا و التمكين من النظرة «١». الخبر.

و فى الخطبة القاصعة العلوية المذكورة فى النهج: الحمد لله الذى لبس العزّ والكبرياء و اختارهما لنفسه دون خلقه، و جعلهما حمى و حرما على غيره، و اصطفاهما لجلاله، و جعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده، ثم اختبر بذلك ملائكة المقرّبين، ليميز المتواضعين منهم عن المستكبرين، فقال سبحانه و هو العالم بمضمرات القلوب، و محجوبات الغيوب: إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ، اعترضته، الحمية، فافتخر على آدم بخلقه، و تعصّب عليه لأصله، فعادو الله امام المتعصّبين، و سلف المستكبرين الذى وضع أساس العصبيّة، و نازع الله رداء الجبريّة، و أدرع لباس التعزّز، و خلع قناع التذلل، إلى قوله عليه السلام: فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، و جهده الجهيد، و كان قد عبد الله ستّة آلاف سنة لا يدرى أمن سنّى الدنيا أم من سنّى الآخرة، عن كبر ساعه واحدة فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله تعالى بمثل معصية؟ كلّ ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا إن حكمه فى أهل السماء و اهل الأرض لواحد، و ما بين الله و بين أحد من خلقه هوادة فى اباحة حمى حرّمه على العالمين «٢»، الخطبة.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ١٧٥ عن الاحتجاج ص ١٣٠.

(٢) الخطبة: ١٩٢ من نهج البلاغة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٤

### إبليس كان من الجنّ

ثم انّ ظاهر قوله: أخرج به منها ملكا بل لعلّ صريحه كون إبليس ملكا من الملائكة بل ظاهر قوله فى صدر الخطبة: ثمّ اختبر بذلك الملائكة المقرّبين كونه من مقرّبيهم، سيّما مع ظهور تقسيمهم إلى المتواضعين و المستكبرين فى ذلك، و هذا المذهب هو المحكى عن بعض المتكلمين و اكثر فقهاء العامّة، و حكاها فى «المجمع» عن ابن عباس و ابن مسعود و قتادة، و اختاره من أصحابنا شيخ الطائفة فى «التيان» قال: و هو المروى عن أبى عبد الله و الظاهر فى تفاسيرنا، ثمّ حكى عن القائلين بأنّه كان منهم فقيل: إنّه كان خازنا على الجنان، و قيل كان له سلطان سماء الدنيا و سلطان الأرض، و قيل: إنّه كان يسوس ما بين السماء و الأرض «١». و غاية ما يستدلّ لهم على ذلك وجوه.

أحدها: أنّه لو لم يكن منهم لما تناوله الخطاب المتوجه إلى الملائكة فى صريح الآيّة، و حينئذ فلم يكن مأمورا بالسجود فلا تكليف فلا مخالفة، فيجب أن لا ينسب إليه الإباء و الاستكبار و لا يستحقّ الدّم و العقاب.

ثانيها: انّ الاستثناء ظاهر او حقيقة فى المتصل، و قضية دخول المستثنى فى المستثنى منه لأنّه إخراج ما لولاه لدخل فى الحكم لدخوله فى الموضوع، فيجب أن يكون داخلا فى عداد الملائكة لأنّ الله تعالى قد استثناء منهم فى آيات كثيرة.

ثالثها: الخطبة المتقدّمة حسبما سمعت من التقريب مضافا إلى ما أرسله فى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٥

«التبيان» من أنه المروى عن الصادق عليه السلام معتضدا بما ادّعاه الشيخ من استظهاره في تفاسيرنا.

و الجواب عن هذه الوجوه أنها مع تسليم دلالتها و الغضّ عمّا فيها على ما تسمع كلّها ظواهر يجب الخروج عنها بمقتضى ما دلّ على عدم كونه من الملائكة من الأدلة القطعية التي منها الإجماع القطعي الدال على عصمتهم عن الصغائر و الكبائر، مضافا إلى الآيات و الاخبار الدالة عليها حسبما مرّت إليه الإشارة، و منها الإجماع المنعقد في خصوص المقام ايضا، فانا لا نعرف أحدا من الامامية ذهب إلى كونه من الملائكة عدى الشيخ الذى لا يقدح خروجه في انعقاده لكونه معلوم النسب، و لكون قوله هذا مخالفا لما هو المقطوع من مذهب الإمامية من ذهابهم إلى عصمة جميع الملائكة فكان قوله هذا مع شذوذه و انفراده به و مخالفته لما استقرّ عليه مذهب الامامية و تواترت به اخبارهم على ما تسمع مسبقا بالإجماع على خلافه ملحوقا به و احتمال نسبه إلى مفسرينا كما استظهره منهم فى تبيانه موهون جدّا سيما مع عدم الحكاية من غيره رأسا فى كتب التفسير و غيرها، بل المحكى عن شيخه و هو المفيد رحمه الله فى كتاب «المقالات» أنه قال: إن إبليس من الجنّ خاصة، و أنه ليس من الملائكة و لا كان منها قال الله تعالى: إَلَّا إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ «١»، و جاءت الاخبار متواترة عن ائمة الهدى من آل محمد عليهم السّلام بذلك و هو مذهب الامامية «٢» كلّها و كثير من المعتزلة و اصحاب الحديث، و منها الاخبار الكثيرة

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٦

التي لا- يبعد دعوى تواترها بل هى متواترة معنى كما صرّح به المفيد و غيره فلا علينا أن نتعرّض لشطر منها فى المقام و ان طال بها زمام الكلام.

ففى «تفسير القمى» فى الصحيح عن جميل بن درّاج قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عما ندب الله الخلق إليه أدخل فيه الضلال قال: نعم و الكافرون دخلوا فيه، لأنّ الله تبارك و تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فدخل فى أمره الملائكة و إبليس، و انّ إبليس كان مع الملائكة فى السّماء يعبد الله، و كانت الملائكة تظنّ أنّه منهم و لم يكن منهم، فلما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم أخرج ما كان فى قلب إبليس من الحسد، فعلمت الملائكة عند ذلك أنّ إبليس لم يكن منهم، فقبل له عليه السلام:

فكيف وقع الأمر على إبليس و إنّما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فقال: فكان إبليس منهم بالولاء و لم يكن من جنس الملائكة، و ذلك انّ الله تعالى خلق خلقا قبل آدم، و كان إبليس فيهم حاكما فى الأرض فعتوا و أفسدوا و سفكوا الدماء فبعث الله الملائكة فقتلوهم و أسروا إبليس و رفعوه إلى السماء فكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خلق الله تبارك و تعالى آدم «١» آه.

أقول: قوله فى صدر الخبر: أنّه كان مع الملائكة اى بالولاء كما بينه فى ذيله، و فيه وجوه من الدلالة على أنّه لم يكن من جنسهم، بل و يدلّ أيضا على عصمة الملائكة و لو من الحسد.

فى تفسير العياشى عن جميل بن درّاج عن ابى عبد الله عليه السلام قال سألته عن إبليس أ كان من الملائكة أو هل كان يلى شيئا من امر السّماء و كان من الجنّ؟

(١) بحار الأنوار، ج ٦٠، ص ٢٧٣، رقم ١٦٠ عن تفسير القمى ص ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٧

فقال عليه السّلام: كان مع الملائكة و كانت الملائكة ترى أنّه منها و كان الله يعلم أنّه ليس منها فلما أمر بالسجود كان منه الذى كان

(١).

و رواه شيخنا الصدوق في كتاب النبوة بالإسناد عنه عليه السلام وفيه عنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن إبليس أ كان من الملائكة أو كان يلي شيئا من امر السماء؟

فقال عليه السلام لم يكن من الملائكة و كانت الملائكة ترى أنه منها و كان الله يعلم أنه ليس منها و لم يكن يلي شيئا من أمر السماء و لا كرامة قال جميل: فأتيت الطيار فأخبرته بما سمعت فأنكر و قال: كيف لا يكون من الملائكة و الله يقول للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس: فدخل عليه الطيار «٢» فسأله و أنا عنده فقال له: جعلت فداك قول الله عز و جل: يا أيها الذين آمنوا\* في غير مكان في مخاطبة المؤمنين أ يدخل في هذه المنافقون؟ قال: نعم يدخل في هذه المنافقون و الضلال و كل من أقر بالدعوة الظاهرة «٣».

و في تفسير الامام عليه السلام أنه قيل له عليه السلام فعلى هذا لم يكن إبليس أيضا ملكا فقال لا بل كان من الجن أما تسمعون الله عز و جل يقول: و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن «٤» و هو الذي قال الله عز و جل: و الجن خلقناه من قبل من نار السموم «٥»، إلى آخر ما يأتي في قصة هاروت و ماروت مما يدل على

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٤ ح ١٦.

(٢) المشهور بهذا اللقب محمد بن عبد الله الكوفي من اصحاب الصادق عليه السلام.

(٣) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤٨ عن العياشي.

(٤) الكهف: ٥٠.

(٥) الحجر: ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٨

عصمة الملائكة و عظم شأنهم.

و روى الصدوق في «العلل» و «المجالس» عن سلمان الفارسي قال: مر إبليس بنفر يتناولون أمير المؤمنين عليه السلام، فوقف أمامهم، فقال القوم: من الذي وقف أمامنا؟ فقال: أنا أبو مرة؟ فقال: يا أبا مرة أما تسمع كلامنا؟ فقال سوءة لكم تسبون مولاكم علي بن ابي طالب؟ قالوا له: من أين علمت أنه مولانا؟ قال: من قول:

نبيكم صلى الله عليه و آله: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره و اخذل من خذله، فقالوا له: فأنت من مواليه و شيعته؟ فقال: ما أنا من مواليه و لا من شيعته، و لكنني أحبه و ما يبغضه احد إلا شاركته في المال و الولد، فقالوا له: يا أبا مرة فتقول في علي شيئا؟ فقال لهم: اسمعوا مني معاشر الناكثين و القاسطين و المارقين عبدت الله عز و جل في الجن اثني عشر ألف سنة، فلما أهلك الله الجن شكوت إلى الله عز و جل الوحدة فخرج بي إلى السماء الدنيا، فعبدت الله تعالى في السماء الدنيا اثني عشر ألف سنة اخرى في جملة الملائكة فينا نحن كذلك نسبح الله عز و جل و نقدسه إذ مر بنا نور شعشعاني، فخرت الملائكة لذلك النور سجدا فقالوا:

سبوح قدوس هذا نور ملك مقرب او نبي مرسل، فإذا بالتداء من قبل الله عز و جل ما هذا نور ملك مقرب و لا نبي مرسل، هذا نور طينة علي بن ابي طالب «١». إلى غير ذلك من الاخبار الكثيرة التي يظهر منها استقرار مذهب الأئمة عليهم السلام على عدم كونه من الملائكة، و ان كان قد سرى الوهم إلى الطيار و غيره من ظاهر الخطاب، و لذا أجاب الإمام عليه السلام بما حاصله أن الخطاب يتعلق بمن أقر بالدعوة الظاهرة و إن لم

(١) علل الشرائع: ص ١٤٣-١٤٤ ح ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٩

يشار كهم في الحقيقة و في الايمان الحقيقي.

و بالتأمل في فحوايها يظهر الجواب عن الأدلة المتقدمة لضعف الأول بأنه لما نشأ معهم و طالت خلطته بهم تناوله الخطاب المتوجه إليهم مضافا إلى ما مرّت الإشارة إليه من كون التغليب في الحكاية لا الخطاب، و أنّما كان الافهام بالإلهام او بخصوص خلق الكلام و يؤيده قوله: ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ «١».

و الثاني: بكون الاستثناء منقطعا او مبنيًا على التغليب في المستثنى منه و لو بمعونة الأخبار المتقدمة و غيرها ممّا يفيد القطع بالمطلوب فلا يقدح مخالفتها للظاهر سيّما مع اقترانه بقوله كَانَ مِنَ الْجِنِّ الَّذِي هُوَ كَالْقَرْنِيَةِ الْمُتَّصِلَةِ عَلَى مَا سَتَسْمَعُ.

الثالث: بأنّ اطلاق الملك عليه في الخطبة مبني على كونه معهم في العبادة و منهم بحسب الولاء و في زعمهم على ما أشير اليه في الاخبار المتقدمة، و أمّا ما أرسله في «التيان» فلم نجد منه أثرا في الأخبار، و على فرضه يجب تأويله كما يؤوّل الضعيف العامي المروي في البحار عن كتاب «غور الأمور» للترمذي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ فِي خَيْرِ ظُهُورِ إِبْلِيسَ لِيُحْيِيَ النَّبِيَّ عَلَى نَبِينَا وَآلِهِ وَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ فِيهِ أَنَّهُ قَالَ لَهُ يُحْيِي عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا بَالُ خَلْقِكَ وَ صَوَّرْتِكَ عَلَى مَا أَرَى مِنَ الْقَبْحِ وَ التَّقْلِيْبِ وَ الْإِنْكَارِ؟ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهُ هَذَا بِسَبَبِ أَبِيكَ آدَمَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُكْرَمِينَ وَ أَنِّي لَمْ أَرْفَعْ رَأْسِي مِنْ سَجْدَةٍ وَاحِدَةٍ أَرْبَعِمِائَةَ أَلْفِ سَنَةٍ وَ عَصَيْتُ رَبِّي فِي أَمْرِ سَجُودِي لِآدَمَ أَبِيكَ فَغَضِبَ اللهُ عَلَيَّ وَ لَعْنَتِي، فَحَوَّلَتْ مِنْ صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ إِلَى صُورَةِ الشَّيَاطِينِ وَ لَمْ يَكُنْ فِي

(١) الأعراف: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٠

الملائكة أحسن صورة منى فصرت ممسوخا منكوسا مقبوحا هائلا كريها كما ترى «١». الخبر بكونه في جملتهم بحسب الظاهر في أجمل زيّ و أحسن صورة حتى ظهرت منه المخالفة الكامنة ما تقلبت صورته إلى ما اقتضته سيرته، مع أنّه لا عبرة بقوله المحكي عنه، و على كلّ حال فيتعيّن تأويل أمثال هذه الاخبار أو طرحها بعد استقرار المذهب على عدم كونه منهم، بل و دلالة قواطع الأدلة عليه حسبما سمعت، بل قد يستدلّ عليه ايضا بقوله: كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ «٢»، فإنّ المراد به حيث يطلق الجنس المعروف الذي يقابل بالإنس.

و توهم أنّ «كان» بمعنى صار كما في قوله: وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ سَيِّمًا مَعَ نَصِّ الْأَخْفَشِ وَ غَيْرِهِ عَلَيْهِ، مدفوع بأنّه خلاف الظاهر فلا يصار عليه إلّا بدليل فضلا عن قيامه، على خلافه.

و أمّا ما يقال من أنّ الجنّ مشتق من الاجتنان و هو السرّ و منه الجنين و الجنّة و الجنون، و الملائكة لما كانوا مستترين عن العيون صحّ إطلاق الجنّ «٣» سلّمنا لكنّ المراد به طائفة من الملائكة معروفون بهذا الإسم كما روته العامة عن بعض اصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ وَ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ إِبْلِيسَ مِنْ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ خَلَقُوا مِنْ نَارِ السَّمُومِ مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ وَ كَانَ خَازِنًا مِنْ خَزَائِنِ الْجَنَّةِ، قَالَ: وَ خَلَقْتَ الْمَلَائِكَةَ كُلَّهُمْ مِنْ نُورٍ غَيْرِ هَذَا الْحَيِّ قَالَ وَ خَلَقْتَ

(١) بحار الأنوار: ج ٦٣ ص ٢٢٩.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي: ج ٢ ص ٢١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧١

الجنّ الذي ذكروا في القرآن من مارج من نار، و هو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا لهبت «١» و خلق الإنسان من طين فأول من سكن الأرض الجنّ فأفسدوا فيها و سفكوا الدماء و قتلوا بعضهم بعضا فبعث الله إبليس في جند من الملائكة و هم هذا الحي الذي يقال لهم الجنّ فقتلهم إبليس و من معه حتى الحقوم بجزائر البحور و أطراف الجبال فلما فعل إبليس ذلك اغترّ في نفسه و قال قد صنعت شيئا لم يصنع احد قال فاطلع الله على ذلك من قلبه و لم يطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه.

و في رواية اخرى عنه: انّ من الملائكة قبيلة يسمون الجنّ و كان إبليس منها و كان يسوس ما بين السماء و الأرض «٢».

بل قد يؤيد ايضا بقوله تعالى: وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا «٣» حيث أن قريشا قالت الملائكة بنات الله.

ففيه انّ هذا كله مخالف للظاهر الذي هو الحجّة بل كانه ردّ على النصوص المتقدمة المصرحة بأنه كان من الجنّ لا من الملائكة و أنّه كان معهم و الملائكة كانوا يحسبون أنّه منهم و لم يكن منهم إلى أن كان منه الذي كان و أنّه كان من بنى الجان، و قد سمعت أنّه قد وقع السؤال في كثير منها من اشتمال الخطاب له مع عدم كونه منهم، و احتمال معارضة مثل هذه النصوص المأثورة عن أئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بالمرؤى عن ابن عباس و غيره من طرق العامة مما لا ينبغي الإصغاء اليه على أنّ ظاهر الآية تعليل تركه السجود بأنه كان من الجنّ، و لذا فرع

(١) جامع البيان للطبري ج ١ ص ١٧٨.

(٢) جامع البيان للطبري: ج ١ ص ١٧٨.

(٣) الصافات: ١٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٢

عليه بالفاء قوله: فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ «١» و من البين أنّه لا يصحّ تعليل ترك السجود باختفائه عن العيون و لا بكونه خازنا عن الجنة و لا تفرغ التمرد و العصيان على شيء منهما، و لفظ الجنّ و إن جاز إطلاقه على الملك بحسب اللغّة على ما قيل، إلّا أنّه صار بحسب العرف مختصا بالجنس المقابل للانسان و الملك، فلا يحمل على المعنى اللغوي الذي هو مجاز عرفي إلّا لدليل، و لذا قوبل به في قوله وَ يَوْمَ يَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَ هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَئِينَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ «٢».

نعم روى في «تفسير الفرات» عن محمد بن علي عن آباءه عليهم السلام قال: هبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه و آله و هو في منزل ام سلمة، فقال يا محمد انّ ملا من ملائكة السماء الرابعة يجادلون في شيء، حتى كثر بينهم الجدل فيهم، و هم من الجنّ من قوم إبليس الذين قال الله في كتابه: إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ «٣» فأوحى الله تعالى إلى الملائكة قد كثر جدالكم فتراضوا بحكم من الآدميين يحكم بينكم، قالوا: قد تراضينا بحكم من أمّة محمد صلى الله عليه و آله، فأوحى الله إليهم بمن ترضون من أمّية محمد صلى الله عليه و آله؟ قالوا: رضينا بعلي بن أبي طالب عليه السلام فأهبط الله ملكا من ملائكة السماء الدنيا ببساط و أريكتين فهبط إلى النبي صلى الله عليه و آله فأخبره بالذي جاء فيه، فدعا النبي صلى الله عليه و آله بعلي بن أبي طالب عليه السلام و أقعده على البساط و وسده بالأريكتين، ثم تفل في فيه، ثم قال يا علي ثبت الله قلبك و نور حجّتك بين عينيك، ثم عرج به

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) سبأ: ٤١.

(٣) الكهف: ٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٣

إلى السماء فلما نزل قال: يا محمد إن الله يقرؤك السلام و يقول لك: نرفع درجات من نشاء، و فوق كل ذي علم عليم «١». لكنه قاصر عن معارضة ما سمعت بعد ظهور ضعف سنده و دلالة.

و أما الاستدلال للمختار بأن إبليس له نسل و ذرية لقوله: أفتتخذونه و ذريته أولياء من دوني و هم لكم عدو «٢». و الملائكة لا ذرية لهم، لأنه ليس فيهم أنثى لقوله: و جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا «٣» و الذرية إنما تحصل بالذكر و الأنثى، و إن الملائكة رسل الله لقوله: جاعل الملائكة رؤسًا «٤»، و رسل الله معصومون لقوله: الله أعلم حيث يجعل رسالته «٥»، و أن الملائكة روحانيون مخلوقون من الأنوار، و الجان مخلوق من مارج من نار، و أن الملائكة لا يطعمون و لا يشربون، بل طعامهم التسييح و شرابهم التهليل، و أما الجن فقد ورد في الأخبار: النهى عن التمسح بالعظم و الروث معللا بكونهما طعاما لهم «٦» فلا بأس بها تأييدا لما سمعت، و إن كان بعضها لا يخلو عن قصور، و لعل من أمعن النظر في أخبار الباب و الأصول المقررة بين الأصحاب يقطع بأن مذهب اهل البيت عليهم السلام هو ما سمعت من غير ارتياب.

(١) تفسير فرات: ص ٧٠-٧١ و عنه البحار ج ٣٩ ص ١٦١.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) الزخرف: ١٩.

(٤) فاطر: ١.

(٥) الأنعام: ١٢٤.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٣ ص ٨٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٤

ثم إن من جميع ما مر يظهر النظر فيما قد يقال دلالة الآية على كون إبليس من الملائكة، و إن من الملائكة من ليس بمعصوم، كما لا يخفى ضعف دلالتها على حصول الكفر بأفعال الجوارح مجردة عن الأمور القلبية على ما قيل، لما ستعرف من أن سبب كفره هو الاستخفاف بأمر الله و الرد عليه.

### ما يستفاد من الآية الكريمة

نعم تدل على تفضيل آدم على كل الملائكة، لتعلق الخطاب عليهم جميعا على ما مر، و على حرمة الاستكبار، و أنه قد يفضى بصاحبه إلى أن يعد من الكفار و يستحق الثار، و على الحث على الايتام لأمر الله تعالى و ترك الخوض في سره، و على بطلان القول بالجبر لنسبة السجود إلى الملائكة، و الإباء و الاستكبار و الكفر إلى إبليس، و لو لم يكن لهم قدرة و اختيار لما صح شيء من ذلك و على كون صفة افعل للوجوب، و إن كان ذلك لا يخلو عن خفاء، لا لاحتمال القرينة في الخطابات الشفاهية، و الأصل و إن كان دافعا للمقابلة إلا أنه لا يدفع الحائية إذ الشك في الحادث لا الحدوث، و لا لوروده عقيب الحظر أو توهمه لحرمة السجود لغيره سبحانه فأفاد الإباحة و فهم الوجوب لقرينة فلا دلالة، و لا لاحتمال الاختلاف بين عرفنا و عرف الملائكة و التزام اتحاد الوضع و اللغة منظور فيه و ظهور الحكاية في الموافقة ممنوع بعد إفهام المرام، و ذلك لأنه يمكن دفع ذلك كله بالأصل، و الظهور الذي هو الحجّة مضافا إلى تطرق وجوه المناقشة إليها كما يمكن دفع كثير من الاعتراضات التي ربما يورد عليها، بل لأنّ الذم و التكفير على الاستكبار الذي

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٥

لا ريب في حرمة سواء كان استكباره على آدم أو على الله سبحانه في امتثال أوامره الواجبة أو المندوبة، فإن ترك المندوب عتوا و علوا و استكبارا عليه سبحانه حرام قطعا، بل هو من أسباب الارتداد و الكفر، و الّا فالذم و الإنكار في هذه الآية و غيرها من الآيات

المشتملة على هذه القصة غير مترتب على مجرد ترك الامتثال الذي لم يعلم كونه سببا للكفر، و لو في حق إبليس أو جنود الملائكة المقربين.

و من هنا يتجه أن يقال إن هاهنا أموراً ثلاثة: إباء للسجود، و استكبار على آدم، و إنكار لرجحان السجود المأمور به من الله تعالى، بل دعوى قبحة لاشتماله على تفضيل المفضل، و لا-ريب في سببته للكفر لكونه تسفيها للحكيم و تجهيلاً للخالق العليم، و إلى هذه الأمور الثلاثة المترتبة أشير بقوله أبي و استكبر و كان من الكافرين يعنى باعتراضه عليه سبحانه بقوله: أ رأيتك هذا الذي كرمت على «١» و قوله: أنا خير منه خلقتني من نار و خلقت من طين \* «٢».

ثم أنه ربما يستدل بالآية أيضا على صحة القول بالموافاة، و المراد به أن الذي علم الله من حاله أنه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة إذ العبرة بالخواتيم، و ان كان بحكم الحال مؤمنا كما يحكى عن أبي الأشعري، و بناه في «المجمع» على أحد الوجوه «لكان» قال: و اما قوله: كان من الكافرين قيل:

معناه كان كافرا في الأصل، و هذا القول يوافق مذهبنا في الموافاة، و قيل: أراد كان في علم الله من الكافرين «٣» إلى آخر ما ذكره.

(١) الإسراء: ٦٢.

(٢) ص: ٧٦.

(٣) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٦

و المحكى عن «الملل و النحل» تفسير الموافاة بأن الايمان هو الذي يوافق الموت فمن أطاع الله جميع عمره، و قد علم الله أنه يأتي بما يحبط عمله، و لو بكبيرة لم يكن مستحقاً للوعد، و لا مؤمنا و كذلك على العكس، و قد يقتر بأن الايمان يوجب استحقاق الثواب الدائم، و الكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم، و الجمع بين الاستحقاقين محال، فإذا صدر الايمان من المكلف ثم صدر عنه و العياد بالله بعد ذلك كفر، فإما أن يبقى له الاستحقاقان معا و هو محال، او يكون الطارى مزيلا للسابق و هو ايضا محال، لأن القول بالإحباط باطل فلم يبق إلا أن يقال إن هذا الفرض محال، و شرط حصول الايمان في وقت أن لا يصدر الكفر عنه قط، فإذا كان الخاتمة على الكفر علمنا أن الذي صدر عنه أولا ما كان ايمانا، و حيث أنه كان ختم إبليس على الكفر علمنا أنه ما كان مؤمنا قط.

أقول: أما إبليس فالظاهر من كثير من الأخبار أنه لم يرد بعبادته التقرب إلى الله سبحانه و نيل ما لديه من المثوبة الاخروية و الزلفى و الكرامة و إنما كان مقصوده نيل الحظوظ العاجلة و الرياسة الباطلة، و اما الآية فقد سمعت أن فيها وجوها كثيرة، و من البين أنه يضعف دلالتها على المذهب المتقدم، بناء على أكثر الوجوه فيها بل جميعها بعد ملاحظته أن ايمان إبليس كان من أول الأمر كلا إيمان، حسبما سمعت على أن القول بالموافاة بمعنى المتقدم مخالف لما دلت عليه ظواهر الأدلة من الكتاب و السنة، فان صحة الايمان في زمان غير مشروطة بعدم طرؤ الكفر عليه، و لو بعد سنين من الأزمنة بعد كونه عند تحققه مستجمعا للتصديق بالجنان و العمل بالأركان و الإقرار باللسان، فان هذه الثلاثة و هي أركان الايمان بحيث إذا تحققت

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٧

تحقق قطعا، و ان كان ربما يصدق بتحقق البعض ايضا، نعم لو كان التصديق اللسانى مقترنا بالعزم القلبى على إنشاء الكفر و إظهاره فيما بعد لم يبعد القول بعدم تحقق الايمان رأسا، و لعل الأولى تنزيل القول بالموافاة على ذلك، سيما ما نسبه في «المجمع» إلى مذهبنا الظاهر في نسبته إلى الامامية المشعرة بدعوى الإجماع عليه، إلا- أن مساق كلماتهم يأبى عن ذلك، بل الظاهر منها أنه مع خلوص إيمانه و اقتراانه بكل ما يعتبر اقتراانه به لو اتفق منه الكفر في آخر عمره بحيث قد مات عليه فلا يعد إيمانه ايمانا أصلا، لظهور الكاشف عن عدم كونه إيمانا في الحقيقة، و هو كما ترى مخالف لظواهر الأدلة، بل ربما يمكن تحصيل القطع على خلافه و أين هذا



مما ادعى الإجماع على صحته و يمكن أن يكون المراد أن من ختم له بالكفر فحكمه في الخلود و سائر الأحكام حكم الكفار، و إن كان في أكثر عمره مقيما على وظائف الإيمان، كما أن من ختم له بالإيمان فهو محشور في زمرة المؤمنين مبشر بخلود الجنان، و ان انقضى عمره في الكفر و الطغيان، و هذا أيضا لا بأس به، بل هو المستفاد من ظاهر الآيات و الاخبار، كما أن المستفاد منها كونه في حال الايمان مؤمنا على الحقيقة، و في حال الكفر كافرا على الحقيقة، نعم الختم بالكفر يوجب حبط الأعمال الصالحة و بطلانها، أو كون المجازات بها في هذه الدار الفانية، و لذا يخاطبون في الآخرة بقوله: **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ «١»**، كما أن الختم بالإيمان يوجب تكفير السيئات، فإن الإسلام يجب ما

(١) الأحقاف: ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٨

قبله، و التائب من الذنب كمن لا ذنب له، و الحبط و التكفير بهذا المعنى مما يدل عليه المنقول، و لم يبق على فساده شيء من أدلة العقول، بل هو المختار عند الإمامية على ما صرح به بعض الفحول، و أما الحبط و التكفير بالمعنى الذي قال به بعض المعتزلة، و قام النص و الإجماع على بطلانه عند الإمامية فهو إذهب كل من الحسنه و السيئه على قدر ما لها من المرتبة ضعفا و قوة للأخرى مع ذهابها على قدر إزهابها، و اين هذا مما أشرنا اليه من المعنى المتقدم، و من هنا يظهر ضعف ما ربما يستدل به للقول بالموافاة بالمعنى المتقدم من ان الايمان يوجب استحقاق الثواب الدائم إلى آخر ما مرّ تقريره.

### تفسير الآية (٣٥)

#### إشارة

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ لَمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى آدَمَ عَلَى نَبِينَا وَ آلِهِ وَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصُنُوفِ الْأَنْعَامِ وَ اخْتَصَّه مِنَ الْعُلُومِ وَ الْمَعَارِفِ وَ تَعْلِيمِ الْمَلَائِكَةِ بِمَا أَوْجِبَ لَهُ بِهِ مَزِيدَ الْإِعْظَامِ، وَ أَسْجَدَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ خَاطِبُهُ خَاطِبًا فَهَوَاتِيًّا بِلَا وَسْطَ عَلَى وَجْهِ الْإِلْهَامِ، أَوْ خَلَقَ الْكَلَامَ، أَوْ مَعَهُ عَلَى وَجْهِ الْإِيصَالِ وَ الْإِعْلَامِ بِالْسُنَّةِ تَرَاجِمَةُ الْوَحْيِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ، كَمَا يَوْمِي إِلَى بَعْضِ الْأَخْبَارِ.

فالنون في قوله: «و قلنا» نون الكبرياء و العظمة، او نون الوساطة و الكرامة، و ناداه باسمه تكريما و تقريبا و إن آثر كلمة «يا» من بين حروف النداء تنبيها على صدور الخطاب عن سرادق العظمة و الجلال.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٩

و قوله: «اسكن» أمر من السكنى بمعنى اتخذ المسكن، لا من السكون بمعنى ترك الحركة، و منه السكن بالفتح للمنزل، و بالسكون لأهله، و أصل السكنى أن يعدى بفي كما يقال: قرّ فيه، و لبث فيه، إلّا أنهم لما نقلوه إلى سكون خاص تصرّفوا فيه، فقالوا: سكن الدار. و «أنت» تأكيد للمستكن في اسكن ليصحّ العطف عليه، و لم يقدرُوا و لتسكن زوجك للتنبية على أنه هو المقصود بالحكم، و المعطوف عليه تبع له، و لولاه لم تكن مأمورة به، بل لم تكن أصلا بخلاف ما لو قيل: اسكنا، و الرجل زوج المرأة، و هي زوجته، و زوجته، و الجمع فيهما أزواج، و حكى في «المصباح المنير» أن أهل نجد يقولون في المرأة زوجة بالهاء، و أهل الحرم يتكلمون بها مجازا، و عكس ابن السكيت فقال: و أهل الحجاز يقولون للمرأة زوج غير هاء و سائر العرب زوجة بالهاء و جمعها زوجات، قال: و الفقهاء يقتصرون في الاستعمال عليها للإيضاح و خوف لبس الذكر بالأنثى، إذ لو قيل: تركه فيها زوج و ابن لم يعلم ذكر أو أنثى.

أقول و الأشهر الأوفق للعرف و اللغه ما ذكرناه أولاً، و المراد بها حواء خلقها الله تعالى من فاضل طينه آدم ليسكن إليها حين استوحش من الانفراد كما قال:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴿١﴾.

قيل إنه لما أخرج إبليس من الجنة و لعن، و بقي آدم وحده استوحش إذ ليس معه من يسكن إليه، فخلقت حواء ليسكن إليها.

(١) الروم: ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٠

و في المجمع مرسل أن الله تعالى ألقى على آدم النوم، و أخذ منه ضلعاً فخلق منه حواء فاستيقظ آدم فإذا عند رأسه امرأة فسألها من أنت؟ قالت امرأة، قال لم خلقت؟ قالت لتسكن إلي، فقالت الملائكة: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالت و لم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حي، فعندها قال الله تعالى: اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴿١﴾.

و ستسمع ان شاء الله تعالى الكلام في وجه تسميتها و معنى كونها مخلوقة من ضلع آدم الأيسر في أول سورة النساء.

و حيث إن نعمة السكنى لا تتم بدون التسكن لأنه مسكن القلب، و هي مسكن البدن قدمه عليها في هذه الآية تقديم الرفيق على الطريق و الجار على الدار.

و الأقوال كظواهر الأخبار مختلفة في كون حواء مخلوقة في الجنة أو قبل دخولها، فربما يستفاد منها الأول و قيل: إنها خلقت قبل أن يسكن آدم الجنة، ثم ادخلا معا الجنة، و هو الظاهر من تفسير الامام عليه السلام على ما يأتي «٢».

و الأمر بسكنى الجنة للإباحة لا التبعيد، إذ لا تكليف في السكنى في المواضع النزهة الطيبة، كما أن الأمر في «كلا» للإباحة، و احتمال أن يكون مأمورا بالكون فيها باعتبار ترك أكل الشجرة مبنى على كون النهى للتحريم، و ضرورة المذهب تنفيه، على ما تسمع، و قد مر الكلام في اشتقاق الجنة.

نعم قد اختلفوا في أن الجنة التي أسكنها الله تعالى آدم هل هي من جنات

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٥ رواها مرسل عن ابن عباس و ابن مسعود.

(٢) تفسير الامام العسكري (ع): ص ٢٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨١

الآخرة أو من جنات الدنيا؟

و على الأول هل هي جنة الخلد أو جنة المأوى أو شيء من الجنات الثمانية المعدة لثواب الآخرة؟

و على الثاني هل هي في السماء أو في الأرض عند صخرة بيت المقدس، أو بأرض فلسطين، أو على ظهر الكوفة أو بين فارس و كرمان؟ على أقوال.

و احتج الأولون بأن ظاهر الالف و اللام للعهد و المعهود المعلوم بين المسلمين هي جنات الآخرة المعدة للثواب و بأنها هي المتبادر منها حتى صار الإسم كالعلم لها فوجب الحمل عليها.

و الآخرون بأن دار الخلد لا يفنى نعيمها و لا يدخلها الشيطان بعد طرده و لعنه، و بأنها لو كانت دار الخلد لما خرج آدم منها كما يقتضيه التسمية و لقوله:

وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿١﴾، و بأن الشيطان و سوس لآدم عليه السلام بقوله: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿٢﴾، و معلوم أنها لو كانت جنة الخلد لما تمكّن من وسوسة بذلك.

ثم منهم من حمل الإهباط على كونه من السماء إلى الأرض كأنه الظاهر، و لقوله: وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا «٣»، الظاهر في كون الهبوط من غيرها، و لما روى عن أمير المؤمنين حيث سئل عن أكرم واد على وجه الأرض؟ فقال عليه السلام: واد

(١) الحجر: ٤٨.

(٢) طه: ١٢٠.

(٣) البقرة: ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٢

يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السماء «١».

و منهم من حمّله على مجرّد الانتقال من أرض إلى أرض سيمّا مع انحطاط الرتبة كما في قوله: اهْبِطُوا مِصْرًا «٢».

على أنّ ذكر الهبوط لا يدلّ على كون النزول من السماء قال الله تعالى: قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَ بَرَكَاتٍ «٣» و أنّما كان في السفينة حين استقرت على الجودي و قال: إِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ «٤»، قالوا و لا مانع بل هو الواقع أنّ الجنة التي أسكنها آدم كانت مرتفعة على سائر بقاع الأرض ذات أشجار و ثمار و ظلال و نعيم و نصره و سرور كما قال الله سبحانه: إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى «٥» اي لا يذبل باطنك بالجوع و لا يظهرك بالعري و أنّك لا تظمؤا فيها و لا تضحي «٦» اي لا يمس باطنك حرّ الظمأ و لا يظهرك حرّ الشمس، هذا مع أنّ آدم خلق من الأرض، و لم ينقل أنّه رفع إلى السماء، بل خلق ليكون في الأرض، و بهذا أعلم الله سبحانه الملائكة حيث قال: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً «٧».

و الذي يستفاد من اخبار أهل البيت عليهم السلام أنّها لم تكن جنّة الخلد و لا من جنان الآخرة و لا كانت في السماء بل كانت من جنان الدنيا.

(١) عيون الأخبار: ج ١ ص ٢٤٤.

(٢) البقرة: ٦١.

(٣) هود: ٤٨.

(٤) البقرة: ٧٤.

(٥) طه: ١١٨.

(٦) طه: ١١٩.

(٧) البقرة: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٣

ففي العلل في الموقّ عن الحسن بن بشار عن ابي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن جنّة آدم؟ فقال: جنّة من جنان الدنيا يطلع عليها الشمس و القمر و لو كانت من جنان الخلد ما خرج منها ابدا «١»، و في بعض النسخ: يطلع فيها الشمس و القمر و رواه في «الكافي» بالإسناد عنه عليه السلام.

و في «تفسير القمي» مرفوعا قال سئل الصادق عليه السلام عن جنّة آدم أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟ فقال: كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس و القمر و لو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها ابدا «٢». الخبر.

نعم ربما يستظهر من بعض الأخبار ما يخالف ذلك كما رواه العياشي عن عبد الله بن سنان قال: سئل ابو عبد الله عليه السلام و انا حاضر كم لبث آدم و زوجه في الجنة حتى أخرجهما منها خطيئتهما؟ فقال: إنّ الله تبارك و تعالى نفخ في آدم روحه بعد زوال

الشمس من يوم الجمعة ثم برأ زوجته من أسفل أضلاعه، ثم أسجد له ملائكة وأسكنه جنته من يومه ذلك فوالله ما استقرّ فيها إلّا ستّ ساعات في يومه ذلك حتّى عصى الله فأخرجهما الله منها بعد غروب الشمس، وما باتا فيها وصيرا بفناء الجنة حتّى أصبحا فبدت لهما سوءاتهما وناداهما ربّهما ألم أنهما الم أنهما عن تلكما الشجرة فاستحيا آدم من ربّه وخضع وقال ربنا ظلمنا أنفسنا واعرّفنا بذنوبنا فاغفر لنا قال الله لهما: اهبطا من سماواتي إلى الأرض فإنّه لا يجاورني في جنتي عاص ولا في سماواتي «٣».

(١) علل الشرائع: ص ٦٠٠ ح ٥٥.

(٢) تفسير القمي: ص ٣٥ و عنه البحار ج ١١ ص ١٦١ ح ٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٨٨-١٨٩ عن تفسير العياشي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٤

وفي «العلل» عن النبي صلى الله عليه وآله إنّ آدم لما عصى ربّه عزّ وجلّ ناداه مناد من لدن العرش يا آدم اخرج من جوارى فإنّه لا يجاورني احد عصاني فبكى وبكت الملائكة فبعث الله عزّ وجلّ اليه جبرئيل فاهبطه إلى الأرض مسودّا «١» آه.

وفي «المعاني» و «العيون» و «القصص» عن الرضا عليه السّلام في الخبر الآتي في شجر الجنة أنّها تحمل أنواعا فكانت شجرة الحنطة و فيها عنب، وليست كشجر الدنيا، وإنّ آدم لما أكرمه الله تعالى باسجاد ملائكة له و يادخاله الجنة ... إلى أن قال:

فأخرجهما الله تعالى عن جنته و أهبطهما عن جواره إلى الأرض «٢».

وفي التهج عن بعض خطب امير المؤمنين عليه السّلام ثمّ اسكن سبحانه آدم دارا ارغد فيها عيشته، و آمن فيها محلّته، و حدّره إبليس و عداوته، فاغترّه عدوّه نفاسه عليه بدار المقام و مرافقه الأبرار، فباع اليقين بشكّه و العزيمة بوهنه و استبدل بالجدل، و جلا، و بالاغترار ندما، ثمّ بسط الله سبحانه له في توبته، و لقاه كلمة رحمة، و وعده المردّ إلى جنته، فأهبطه إلى دار البليّة و تناسل الذريّة، الخطبة «٣».

فإنّ الظاهر من دار المقام أنّها دار الخلد، سيّما مع ما سبقه من الأوصاف و ما لحقه من قوله: و وعده المردّ إلى جنته.

و مثله ما في «المعاني» عن الصادق عليه السّلام في خبر قال: و لقد قام آدم على باب الكعبة ثيابه جلود الإبل و البقر فقال: اللهم أقلني عثرتي و اغفر لي ذنبي و اعدني إلى الدار التي اخرجتني منها فقال الله عزّ وجلّ: قد أقلتك عثرتك، و غفرت لك ذنبك،

(١) علل الشرائع: ص ١٣٣ و عنه البحار ج ١١ ص ١٧١.

(٢) معاني الأخبار: ص ٤٢ و العيون ص ١٧٠ و عنهما البحار ج ١١ ص ١٦٥.

(٣) نهج البلاغة الخطبة الأولى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٥

و سأعيدك إلى الدار التي أخرجتك منها «١».

و ما في القصص من أنّ آدم لما كثر ولده و ولد ولده كانوا يتحدّثون عنده و هو ساكت فقالوا يا ابيه ما لك لا تتكلّم فقال يا بنّي إنّ الله جلّ جلاله لما أخرجني من جواره عهد إليّ و قال أقلّ كلامك ترجع إلى جوارى «٢».

بل و هو الظاهر ايضاً ممّا رواه العياشي عن الصادق عليه السّلام عن النبي صلى الله عليه وآله: إنّ موسى سأل ربّه أن يجمع بينه و بين أبيه آدم حيث عرج إلى السّماء في امر الصّلاة، ففعل فقال له موسى: يا آدم أنت المذى خلقك الله بيده، و نفخ فيك من روحه، و اسجد لك ملائكته، و أباح لك جنته، و أسكنك جواره، و كلّمك قبلا، ثمّ نهاك عن شجرة واحدة فلم تصبر عنها، حتّى أهبطت إلى الأرض بسببها، فلم تستطع أن تضبط نفسك عنها حتّى أغراكَ إبليس فأطعته، فأنت الذي أخرجتنا من الجنة بمعصيتك.

فقال له آدم: ارفق بأبيك أي بنّي فيما لقي من امر هذه الشجرة، يا بنّي إنّ عدوّي أتانى من وجه المكر و الخديعة فحلف بالله أنّه في

مشورته عليّ لمن النَّاصحين، و ذلك أنّه قال لي منتصحا: إنّي لشأنك يا آدم لمغموم، قلت: و كيف؟ قال: قد كنت انست بك و بقربك منّي و أنت تخرج ممّا أنت فيه إلى ما ستكرهه، فقلت له: و ما الحيلة؟ فقال: إنّ الحيلة هو ذا هو معك، أفلا أدلك على شجرة الخلد و ملك لا يبلى؟ فكلا منها أنت و زوجك فتصيرا معي في الجنّة ابدا من الخالدين،

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٧٦ عن معاني الأخبار.

(٢) البحار: ج ١١ ص ١٨٠ عن القصص.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٦

و حلف لي بالله كاذبا إنّه لمن النَّاصحين «١» الخبير.

و ممّا رواه في «المعاني» في خبر المفصل عن الصادق عليه السلام: أنّه لما أسكن الله آدم و زوجته الجنّة، نظرا إلى منزله محمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمّة بعدهم، فوجدها أشرف منازل أهل الجنّة، فقالا: يا ربنا لمن هذه المنزلة؟ قال الله جلّ جلاله: ارفعا رؤسكما إلى ساق عرشي، فرفعا رؤسهما فوجدا أسماء محمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمّة صلوات الله عليهم مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الجبار جلّ جلاله، فقالا: يا ربنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك! و ما أحبهم إليك! و ما أشرفهم لديك؟! فقال الله جلّ جلاله: لولاهم ما خلقتكما «٢». الخبير بطوله على ما يأتي في سورة الأعراف إنشاء الله.

و هو الظاهر أيضا ممّا ذكره الامام عليه السلام في تفسيره «٣»، و بالجملة فالأخبار لا تخلو عن إختلاف ما في بادئ الأمر و لعلّه لذا قال المجلسي رحمه الله في البحار:

انّ الجزم بأحد المذاهب لا- يخلو من اشكال كما انّ شيخنا الطبرسي و غيره لم يرجحوا شيئا من الأقوال و الذي يخطر بالبال وفاقا لبعض المحققين و تبه عليه المجلسي أيضا في موضعين من البحار و به يجمع بين ما سمعت من الأخبار أنّ الجنّة كانت من جنان الدنيا التي تأوى إليها أرواح المؤمنين في عالم البرزخ بعد خروجها عن أبدانهم كما ورد في تفسير قوله تعالى: وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٨٨ عن تفسير العياشي.

(٢) معاني الاخبار: ص ١٠٨ و عنه البحار ج ١١ ص ١٨٣.

(٣) تفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام ص ٩٠-٩١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٧

و عَشِيًّا «١»، انّ البكرة و العشي لا- تكونان في الآخرة في جنان الخلد، و إنّما يكون الغدوّ و العشي في جنان الدنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين و تطلع فيها الشمس و القمر.

و في «الكافي» في الصحيح عن ضريس الكناسي قال سألت أبا جعفر عليه السلام:

انّ الناس يذكرون انّ فراتنا يخرج من الجنّة، فكيف هو و هو يقبل من المغرب، و تصبّ فيه العيون و الأودية؟ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ لله جنّة خلقها في المغرب، و ماء فراتكم هذه يخرج منها، و إليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كلّ مساء، فتسقط على ثمارها و تأكل منها، و تتنعم فيها و تتلاقى و تتعارف، فإذا طلع الفجر هاجت من الجنّة، فكانت في الهواء فيما بين السماء و الأرض ... ثمّ ذكر انّ لله تعالى نارا في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفّار، إلى أن قال في المسلمين الذين ليسوا من أهل المعرفة و لا- من أهل العناد: إنّ من كان منهم له عمل صالح و لم تظهر منه عداوة فأنّه يخذّ له خدّا إلى الجنّة التي خلقها الله في المغرب، فيدخل عليه منها الروح في حفرته إلى يوم القيمة. «٢» الخبير.

و الاخبار في هذا المعنى كثيرة جدّا و بالتأمل فيها يمكن التوفيق بين الأخبار المتقدّمة لكونها حينئذ من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس

و القمر، و امّا اطلاق الهبوط او الهبوط من السموات أو عن جواره سبحانه او غير ذلك مما ذكر في الأخبار المتقدمه و غيرها، فلان هذه الجنان و إن كانت في المغرب إلا أن أسفلها

(١) مريم: ٦٢.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٦٨ و عنه البحار ج ٦ ص ٢٩٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٨

بحسب المرتبة فوق محدب محدد الجهات، و قد يعبر عنها بعالم المثال و الخيال المنفصل، و الهور قليا و الإقليم الثامن، و قد قيل: إن الأنهار الأربعة و هي الفرات و النيل و سيحان و جيحان تنزل من ذلك العالم إلى فلك المحدد الجهات، ثم إلى الملائكة، ثم إلى السحاب، ثم إلى الأنهار الأربعة ماء كل نهر من نظيره هناك، و في بعض الأخبار تلويح إليه.

و امّا اشتغالها على وعد عوده إليها مطلقا أو بالشرط ممّا يؤكد ما سمعت لتحقق ذلك في عالم البرزخ قبل يوم القيمة و كان ما ذكرناه هو المذى أشار إليه الملائكة صدرًا في رسالته «العرشية» بقوله: يجب أن نعلم أن الجنة التي خرج عنها أبونا آدم و زوجته عليهما السلام لأجل خطيئتهما غير الجنة التي وعد المتقون لأن هذه لا تكون إلا بعد خراب الدنيا و بوار السموات و الأرض و انتهاء مدة عالم الحركات و ان كانتا متفتقتين في الحقيقة و الرتبة و الشرف لكونهما جميعا دار الحياة الذاتية، و دار البقاء غير متجددة و لا متبدلة، و لا دائره و لا فانية و لا زائلة، و بيان ذلك أن الغايات كالمبادئ متحاذية متقابلة، و ان الموت الطبيعي ابتداء حركة الرجوع إلى الله كما أن الحياة الطبيعية ابتداء حركة النزول من عنده فكل درجة من درجات القوس الصعودية يزاء مقابلتها من درجات القوس النزولية، و قد شبهت الحكماء و العرفاء هاتين السلسلتين بالقوسين من الدائرتين إشعارًا بأن الحركة الثانية الرجوعية انعطافية لا استقامية.

أقول: و لعل قوله: لأن هذه لا تكون، معناه لا يكون ظهورها و دخول المؤمنين فيها، و إلا فقد سمعت ان ضرورة المذهب قاضية بوجودها الآن و هو قد

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٩

صرح بذلك في مواضع من كتبه، و من هنا يسقط ما اعترضه به الشيخ الأجل الأمجد في شرحه، نعم ذكر بعد ذلك أن الذي ثبت عندى ما فهمته من الكتاب و السنة على سبيل القطع بحيث لا أرتاب فيه و لا مريه عندى تعتريه ان الجنة الآخرة خلقت قبل سائر الخلق و أن المؤمنين خلقوا منها و إليها يعودون و ان جنة الدنيا خلقت بعد خلق الأجسام خلقت من تنزل جنة الآخرة كما خلقت الأجسام من تنزل النفوس و الأرواح و العقول، و ان الجنة الدنيا هي بعينها بعد التصفية جنة الآخرة كما أن أجسام الناس الآن هي بعينها أجسام الدنيا و هي بعينها بعد تصفيتها أجسام الآخرة، و القرآن ناطق بذلك لمن كان له قلب قال سبحانه في حق الجنة: فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا \* جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا \* لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا \* تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا فقوله: و لهم رزقهم فيها بكرة و عشيا يعني جنة الدنيا لأن الآخرة ليس فيها بكرة و عشيا و قوله:

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا «١» يعني جنة الآخرة، و هذا صريح في أن جنة الدنيا هي بعينها جنة الآخرة و قال سبحانه، في شأن النار:

وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ \* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ «٢» فقوله: النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا يعني نار الدنيا لأن الآخرة ليس فيها غدو و عشيا، و قوله: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يعني بالنار

(١) مريم: ٦٠-٦٣.

(٢) غافر: ٤٥ - ٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٠

المعروض عليها يوم تقوم الساعة نار الآخرة، وقد اتفق القراء على الوقف على تقوم الساعة، ويلزم منه اتحاد النار المعروض عليها، وهذا ظاهر فإن جنة الدنيا تنزل جنة الآخرة، و نار الدنيا تنزل نار الآخرة كما أن أجسام الدنيا تنزل أجسام الآخرة فتصفي أجسام الدنيا و تكون بعينها أجسام الآخرة كذلك تصفي جنة الدنيا و تكون بعينها جنة الآخرة و تصفي نار الدنيا التي عند مطلع الشمس و تكون بعينها نار الآخرة لأن الله سبحانه قد تبين لنا آية ذلك، بل آية كل شيء في أنفسنا فقال:

سُئِرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿١﴾ و ايضا قال الله تعالى: وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٢﴾، إلى قوله: وَ مِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴿٣﴾، و المعنى و من دون جنتي الآخرة أى من قبلهما و من دونهما اى من أنزل منهما جنتان في الدنيا إذا ماتوا تأوى إليهما أرواحهم و هما الآن في المغرب في الإقليم الثامن، و الفرات و النيل و سيحان و جيحان تجرى من الجنتين اللتين في المغرب و هما المدهاتتان.

و في حديث أمير المؤمنين عليه السلام ما يدل على أنهما في الدنيا و هو قوله عليه السلام في الرجعة: و عند ذلك تظهر الجنتان المدهاتتان عند مسجد الكوفة و ما وراء ذلك بما شاء الله تعالى ﴿٤﴾.

و الرجعة من الدنيا و ظهورهما في الدنيا دليل على أنهما اى المدهاتتان من

(١) فصلت: ٥٣.

(٢) الرحمن: ٤٦.

(٣) الرحمن: ٦٢ - ٦٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ٤٣ ح ١٢ عن الاختصاص.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩١

جنان الدنيا و جنة آدم عليه السلام هي من جنان الدنيا فيها البكرة و العشي، و هي المدهاتتان، فقد ظهر لمن نظر أن جنة آدم التي أخرج منها هو و زوجته حواء هي من جنان الدنيا و هي الجنتان المدهاتتان، و أنها موجودة الآن، و أنها هي بعينها جنة الآخرة إلا أنها تصفى بمعنى أنها تطهر من أعراض البرزخية سبعين مرة فتكون هي بعد التطهير جنة الخلد، كما أن أجساد المؤمنين تطهر في الدنيا للبرزخ، و في البرزخ للآخرة، لأنها تطهر من أعراض الدنيا سبعين مرة فتكون أخروية، فما بين الدنيا و الآخرة في كل ما في الدنيا من الأحوال و النعيم و العذاب أربعة آلاف رتبة و تسعمائة رتبة إلى آخر ما ذكره رحمه الله.

و هو و إن أجاد فيما أفاد إلا أنه يتوجه على كلامه و جوه من الإيراد: مثل ما ذكره من أن جنة الدنيا خلقت بعد خلق الأجسام فإن مقتضى قواعدهم بل فحاوى بعض الأخبار أيضا كونها مخلوقة قبل خلق الأجسام، و أن جنة الدنيا هي بعينها جنة الآخرة بل صرح فيما بعد بأن جنة الدنيا أعني جنة آدم عليه السلام لا يبقى إلى يوم القيمة بل تفتنى عند نفخة الصور، و فيه أن الدليل عليه غير واضح، بل قضية ترتب العوالم و كون النقلة منها و إليها بقاؤها على ما عليها سيما بعد ملاحظة ما ورد من أنه تعالى ينشئ خلقا آخر بعد فناء هذا الخلق، و أنه تعالى قد خلق ألف آدم و نحن في أواخرهم، و الاستدلال بالآية الأولى لا بأس به على بعض الوجوه، و أما الاستدلال بالثانية فغريب جدا، و أغرب منه دعوى الاتفاق على الوقف على «تقوم الساعة»، فإن ظاهر المفسرين بل صريح بعضهم أن قوله: «يوم تقوم» ظرف للفعل المتأخر، و هو «ادخلوا» و لذا فسره في «الكشاف» بقوله: فإذا قامت الساعة قيل

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٢

لهم: أدخلوا آل فرعون أشد عذاب جهنم، أو يقال لخزنة جهنم أدخلوهم، بناء على الإختلاف في كون الهمزة للوصل أو للقطع، بل

ذلك هو المستفاد ايضا من الأخبار الكثيرة المفسرة للآية مثل قول الصادق عليه السلام على ما رواه القمي وغيره أنما هذا يعني عرض النار غدواً و عشياً في الدنيا، فإن ما في نار الخلد فهو قوله: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ «١». «٢» و ظاهره كما ترى كونه ظرفاً للفعل المتأخر، لا عطفاً على الظرف المتقدم، و أما الجنتان المدهاتان فالأخبار فيهما مختلفة ففي العلوى المتقدم ما سمعت «٣» و فى «الاختصاص» عن الباقر عليه السلام أنهما لأصحاب اليمين كما أن المذكورتين فى قوله: وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ «٤» للسابقين المقربين «٥».

و ظاهر الخبر بل صريحه على ما يأتى كون الأربع دار الجزاء للفريقين، و فى كتاب الحسين بن سعيد ما يدل على كونهما من الخطاء و يمكن الجمع باعتبار الاتحاد و الاضافة و ان لا يخلو عن بعد و بالحمل على البطون، و لعله الأقرب، و تمام الكلام عند تفسير الآية ان شاء الله و ما رواه عن امير المؤمنين الظاهر أنه هو المروى فى الاختصاص عن الصادق عليه السلام فى ذكر رجعة امير المؤمنين قال: و يملك امير المؤمنين عليه السلام أربعاً و أربعين ألف سنة حتى يلد الرجل من شيعة على عليه السلام ألف ولد

(١) غافر: ٤٥-٤٦.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٥٨.

(٣) البحار: ج ٥٣ ص ٤٣.

(٤) الرحمن: ٤٦.

(٥) الاختصاص: ص ٣٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٣

من صلبه ذكراً فى كل سنة ذكراً و عند ذلك تظهر الجنتان المدهاتان عند مسجد الكوفة و ما حوله بما شاء الله تعالى «١». و كلاً منها رَغداً منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف، أى اكلا رغداً يعنى واسعا رافها، أى مصدر وضع موضع الحال، أى متنعمين متوسعين فى العيش من قولهم: عيشه رغد و رغد بالسكون و الفتح أى واسعة طيبة ليس فيها عناء و لا تعب و لا نصب، و منه قوله «٢»: بينما المرء تراه ناعماً يأمن الأحداث فى عيش رغد ربما يقال تضعيفاً للأول بأن مذهب سيبويه و المحققين خلاف ذلك و ان المنصوب فى المقام و فى قوله: وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً «٣»، حال من ضمير مصدر الفعل، و الأصل فكلا الأكل و اذكر الذكر، قالوا: و دليل ذلك قولهم: سير عليه طويلاً، و لا يقولون طويل، و لو كان نعماً للمصدر جاز، و لأنه لا يحذف الموصوف إلا و الصفة خاصة بجنسه، تقول رأيت كاتباً و لا تقول رأيت طويلاً لأن الكتابة خاصة لجنس الإنسان بخلاف الطول.

و أجيب عن الأول بجواز أن يكون المانع كراهة اجتماع مجازين: حذف الموصوف، و تصيير الصيغة مفعولاً- على الصفة، و لذا يقولون: دخلت الدار بحذف فى توسعاً، و منعوا دخلت الأمر، لأن تعليق الدخول بالمعنى مجاز و إسقاط الخافض

(١) بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ٤٣ ح ١٢ عن الاختصاص.

(٢) القائل: امرئ القيس.

(٣) آل عمران: ٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٤

مجاز، و يوضحه أنهم يفعلون ذلك فى صفة الأحيان فيقولون سير عليه زمن طويل، فإذا حذفوا الزمان قالوا طويلاً لما مرّ. و عن الثانى بأن حذف الموصوف إنما يتوقف على وجدان الدليل لا على الإختصاص لقوله: أَنْ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ «١» أى دروعاً سابغات، ثم إن العاطف للفعليّة على الفعليّة فى المقام هو الواو، و فى الأعراف هو الفاء.



قال الرّازي: والحكمة فيه أنّ كلّ فعل عطف عليه شيء و كان الفعل بمنزلة الشرط، و ذلك الشيء بمنزلة الجزء، عطف الثاني على الأول بالفاء كقوله: وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا «٢»، حيث إنّ كان وجود الأكل متعلقًا بدخولها فكانه قال: إن دخلتموها أكلتم منها.

ثمّ إنّ اسْكُنْ يُقال لمن دخل مكانا فيقال الزم المكان الذي دخلته و لا تنتقل منه، و يقال أيضا لمن لم يدخله اسكن هذا البيت يعنى ادخله و اسكنه، ففي هذه السورة إنّما ورد الأمر بعد أن كان آدم في الجنة، فكان المراد منه اللبث و الاستقرار، و الأكل لا يختصّ وجوده بوجوده، لأنّ من يدخل بستانا قد يأكل منه و ان كان مجتازا، و لذا ورد بلفظ الواو و في الأعراف ورد هذا الأمر إنّما ورد قبل أن يدخل الجنة، فكان المراد منه دخول الجنة فالدخول موصل إلى الأكل و الأكل متعلق بوجوده وجوده.

أقول: و هو بطوله لا يرجع إلى طائل، و ليس في الآيتين دلالة على تعدّد الخطابين فضلا عن تأخر الأول و تقدّم الثاني، بل التأمل في مساق الآيتين في

(١) سبأ: ١١.

(٢) البقرة: ٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٥

السورتين لعله يقضى بالعكس، فلا تغفل و يؤيده ما يأتي عن الامام العسكري عليه السلام في تفسيره فلاحظ.

حَيْثُ شِئْتُمْ متعلق بكلا، لا باسكن، لأنه أقرب لفظا و أنسب معنى من حيث تعلق السعة بثمارها و ألوان نعمها، توطئه للنهي الذي هو في معنى الاستثناء تنبيها على ازاحة العله و قطع المعذرة في التناول عن الشجرة المنهى عنها من بين أشجارها التي لا تكاد تحصى فضلا عن غيرها من النعم، و يحتمل الثاني نظرا إلى وضع الكلمة الدالة على المكان سببا مع تعلق النهي بالقرب من الشجرة و لو على وجه المبالغة إلا أنه يتم ذلك على الأول أيضا.

و لا تقرّبا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين نهى للإرشاد، أو التنزيه لا التحريم على ما يأتي، و المعنى لا تقرباها بالأكل او لا تأكلا كما أرسله في المجمع عن الباقر عليه السلام قال و يدلّ عليه أنّ المخالفة وقعت بالأكل بلا خلاف لا بالدنو منها و لذا قال فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما «١».

و ضمير التثنية لآدم و حواء و لم يخصّ آدم بالخطاب كما خصّه في قوله: يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ للتنبية على مزيد الاعتناء و الاهتمام في امتثال النهي و استقلال الطلب من كلّ منهما.

و أنّما علق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات الغير السببية للتناول مبالغة في النهي عن الاكل، و تنبيها على أنّ القرب من الشيء ربما يورث داعية و ميلا يأخذ بمجامع القلب، و يوقعه فيما و طّن نفسه على اجتنابه.

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٦

و فيه اشارة إلى أنّ المطيع ينبغي أن لا يحوم حول ما حرّم عليه، و لذا قيل من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه.

و فيه مع ما مرّ من تعميم الخطاب و تخصيص النهي عنه بالإشارة الحاسمة لاحتمال التشكيك و الإجمال و تعقيب النهي بالفاء المفيدة لسببية مخالفته لانخراطهما في سلك الظالمين وجوه من المبالغة.

و مدخول الفاء إمّا مجزوم عطفًا على النهي، فيكون من عطف الجملة على الجملة، أو منصوب جوابا للنهي بإضمار أن المؤول مع فعله بالمصدر عطفًا على مصدر الفعل المتقدّم، و على الوجهين يستفاد منه سببية الثاني للأول كما مرّ.

## في معنى الشجر لغة

و الشجرة في الأصل ما قام على ساق، و لذا قوبل بها النجم في قوله:  
 وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ «١»، مأخوذ من تشاجر القوم إذا اختلفوا، و ذلك لاشتباك أغصانه و تداخلها، و يطلق على غير ذلك ايضاً  
 كقوله: وَ أَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجْرَةً مِنْ يَقْطِينٍ.  
 و عن المبرد أنه قال: احسب ان كلما تفرعت له اغصان و ميدان فالعرب تسميه شجرة في وقت تشعبه، و لعل معناه الحقيقي هو الأول و  
 لذا قال في «المصباح» و غيره: الشجر ما له ساق صلب، بل في قول المبرد دلالة عليه ايضاً، و اما الثانية فلعل إطلاقها للتنبيه على ارتفاع  
 أوراقها عن وجه الأرض كي يسهل

(١) الرحمن: ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٧  
 الاستغلال بظلمها على ما يأتي إنشاء الله.

## القراء

و قرأ الشجرة بكسر الشين و الشيرة بتبديل الجيم ياء، و عن أبي عمرو أنه كرهها و قال: يقرأ بها برابر مكة و سودانها، و لعلها لغتان  
 فيها، و لذا قال في القاموس: الشجر و الشجرة كجبل و عنب و صحراء و شير بالياء كعنب من النبات: ما قام على ساق أو ما  
 سما بنفسه، دق أو جل قاوم الشتاء أو عجز عنه، الواحدة بهاء و بالجملة فالقراءتان شاذتان كقراءة تقربا بكسر التاء و هذى بالياء.

## المراد بالشجرة المنهية

و هل المراد بها شجرة الحنطة، أو خصوص السنبله، أو الكرمة، أو التينة، أو شجرة الكافور، أو شجرة الحسد، أو العلم علم الخير و الشر،  
 أو شجرة الخلد التي كانت الملائكة تأكل منها، أو شجرة من أكل منها أحدث، أو شجرة علم محمد و آل محمد، أو غير ذلك فيه  
 أقوال معروفة و الاخبار ايضاً مختلفة ففي «المجمع» مرسل عن امير المؤمنين عليه السلام: أنها شجرة الكافور «١»، و في كثير من الاخبار  
 أنها السنبله، بل في أسئلة ابن سلام عن النبي صلى الله عليه و آله كم أكل آدم من حبات الشجرة؟ قال صلى الله عليه و آله: حبتين،  
 قال: و كم أكلت حواء؟ قال: حبتين، قال: كم للشجرة من غصن و كم طول السنبله؟  
 قال: يا بن سلام كان لها ثلاثة أغصان، و كان طول كل سنبله ثلاثة أشبار، قال فكم

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٨

سنبله فرك منها آدم؟ قال: سنبله واحدة، قال: فكم كان في السنبله من حبة؟ قال:  
 كان فيها خمس حبات، و كانت الحبة بمنزلة البيض الكبار، فأكل أربع حبات، و بقيت حبة واحدة أنزلت معه من الجنة، فزرع آدم  
 تلك الحبة فتناسل منها الحب في الأرض و بورك فيها «١».  
 و في «العلل» بالإسناد عن الصادق عليه السلام: إن الحبات التي أكلها آدم و حواء في الجنة كانت ثمانية عشر، أكل آدم منها اثني

عشر حبة، و أكلت حواء ستًا، فلذلك صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين «٢».

و فيه و في «العيون» سأل الشامي امير المؤمنين عليه السلام لم صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين؟ قال عليه السلام: من قبل السنبله، كان عليها ثلاث حبات فبادرت إليها حواء فأكلت منها حبة، و أطعمت آدم حبتين، فمن أجل ذلك ورث الذكر مثل حظ الأنثيين «٣».

أقول و ربما يدفع المنافاة بين الخبرين الأخيرين بحمل الأول على أول سنبله أخذاه، ثم أخذنا كذلك حتى صارت ثمانية عشر، أو أنها كانت على كل شعبة منها ثلاث حبات، و كانت الشعب ستة و لعل جوابه عن ابن سلام مبنى على ما هو المشهور بين اهل الكتاب كما يظهر ذلك من التأمل في خبره الطويل المشتمل على السؤال عن امور كثيرة.

و في تفسير العياشي عن الهادي عليه السلام: ان الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم

(١) بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٢٤٥.

(٢) علل الشرائع ج ٢ ص ٥٧١.

(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢١٩، علل الشرائع ج ٢ ص ٥٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٩

و زوجته ان يأكلا منها شجرة الحسد و عهد إليهما أن لا ينظرا إلى من فضله الله تعالى على خلقه بعين الحسد فنسى و نظر بعين الحسد و لم يجد له عزما.

و المراد بالحسد هو الغبطة و تمنى المنزلة، كما أنه هو المراد ايضا منه في الخبر المروي في «المعاني» و «العيون» بالإسناد عن الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام يا بن رسول الله صلى الله عليه و آله أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم و حواء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها فمنهم من يروي أنها الحنطة، و منهم من يروي أنها العنب، و منهم من يروي أنها شجرة الحسد، فقال عليه السلام: كل ذلك حق، قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال عليه السلام: يا أبا الصلت إن شجر الجنة تحمل أنواعا فكانت شجرة الحنطة و فيها عنب و ليست كشجرة الدنيا، و ان آدم عليه السلام لما أكرمه الله تعالى بإسجاد ملائكته له، و بإدخال الجنة قال في نفسه هل خلق الله بشرا أفضل مني فعلم الله عزّ و جلّ ما وقع في نفسه، فناده ارفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق عرشي فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوبا لا اله إلا الله محمد رسول الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين و زوجته فاطمة سيده نساء العالمين و الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنة، فقال آدم عليه السلام: يا ربّ من هؤلاء؟ فقال عزّ و جلّ: من ذريتك، و هم خير منك و من جميع خلقي، و لو لا- هم ما خلقتك و لا خلقت الجنة و النار و لا السماء و الأرض، فأياك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأخرجك عن جوارى، فنظر إليهم بعين الحسد و تمنى منزلتهم، فتسلط الشيطان عليه حتى أكل من الشجرة التي نهى عنها و تسلط على حواء فنظرت إلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة كما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٠

أكل آدم فأخرجهما الله عزّ و جلّ عن جنّته و أهبطهما عن جواره إلى الأرض «١».

و في تفسير الامام عليه السلام ان الله عزّ و جلّ لما لعن إبليس بإبائه، و أكرم الملائكة بسجودها لآدم و طاعتهم لله عزّ و جلّ أمر بآدم و حواء إلى الجنة، و قال يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة و كلا من الجنة رغدا و اسعا بلا تعب حيث شئتما، و لا تقربا هذه الشجرة شجرة العلم شجرة علم محمّد و آل محمّد الذين أثارهم الله تعالى به دون سائر خلقه، فقال الله: و لا تقربا هذه الشجرة شجرة العلم فإنها لمحمّد و آله خاصّة دون غيرهم، لا يتناول منها بأمر الله إلا هم، و منها ما كان يتناوله النبي صلى الله عليه و آله و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم أجمعين بعد إطعامهم المسكين و اليتيم و الأسير حتى لم يحسوا بعد بجوع و لا عطش و لا تعب و لا- نصب، و هي شجرة تميّزت من بين أشجار الجنة، إن سائر أشجار الجنة كان كل نوع منها يحمل نوعا من الثمار و المأكول و

كانت هذه الشجرة و جنسها تحمل البرّ و العنب و التين و العنّاب و سائر انواع الثمار و الفواكه و الأطعمه، فلذلك اختلف الحاكون بذكر الشجرة فقال بعضهم: هي بَرّة، و قال آخرون: هي عنبة، و قال آخرون: هي تينه، و قال آخرون: هي عنابة و قال الله: وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ تَلْتَمَسَا نَبْذًا لَّكُمَا فَكُنْتُمَا مِنَ الْغَالِبِينَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ بمعصيتكما أو الدرجه دون غيرهم، و هي الشجرة التي من تناول منها باذن الله ألهم علم الأولين و الآخرين من غير تعلّم، و من تناول منها بغير إذن الله خاب من مراده و عصى ربّه فتكونا من الظالمين بمعصيتكما أو

(١) معانى الاخبار: ص ١٢٤ و عيون الاخبار ج ١ ص ٣٠٦ ح ٦٧ و عنهما البحار ج ١١ ص ١٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠١

التماسكما درجه قد أوثر بها غير كما إذا رمتما تغيير حكم الله إلى آخر ما يأتي «١».

و فى الأنوار النعمانية أنه قد ورد فى حديث معتبر: أنّ هذه الشجرة شجرة غرسها الله تعالى بيد قدرته لما خلق الجنّة و جعلها لعلّى بن أبى طالب و شيعةه بأن لا يأكل احد قبله منها «٢».

### تفسير الآية (٣٦)

#### إشارة

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا حَمَلَهُمَا عَلَى الزَّلَّةِ بِسَبَبِ وَسْوَستِهِ فِى الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ بِنَاءِ عَلَى كَوْنِ الضَّمِيرِ لِهَمَا وَ «عَنْ» لِلْسَّبِيئَةِ نَظِيرُ قَوْلِهِ: وَ مَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِلْجَنَّةِ، بَلْ لَعَلَّهُ الْمَتَعَيْنِ، حَذْرًا مِنْ صَرْفِ الظَّرْفِ عَنْ ظَاهِرِهِ. وَ تَوْهَمُ أَنَّهُ يَكُونُ الْإِخْرَاجُ حِينَئِذٍ قَبْلَ الْإِزْلَالِ أَوْ مَعَهُ فَلَا يَصِحُّ الْعَطْفُ بِالْفَاءِ، مَدْفُوعٌ بِأَنَّ الْمُرَادَ التَّنْبِيهَ عَلَى جَمَلِهِ مَا فَاتَ عَنْهُمَا مِنَ النِّعْمَةِ وَ الْكِرَامَةِ الْمَقْصُودَةَ بِالْمَوْصُولَةِ بِسَبَبِ زَلَّتَهُمَا بِالْخَطِيئَةِ مِنَ الْجَنَّةِ عَلَى وَجْهِ التَّرْتِيبِ، وَ إِنْ لَمْ يَلْحَظْ فِيهِ التَّرْتِيبُ، مَعَ أَنَّهُ هُوَ الْمَصْرُوحُ بِهِ فِى تَفْسِيرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ: فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا مِنَ الْجَنَّةِ بِوَسْوَستِهِ وَ خَدِيعَتِهِ وَ إِيْهَامِهِ وَ غُرُورِهِ بِأَنْ بَدَأَ بِآدَمَ فَقَالَ: مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ، إِنْ تَنَاوَلْتُمَا مِنْهَا تَعْلَمَانِ الْغَيْبَ، وَ تَقْدِرَانِ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ خَصِّهِ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقُدْرَةِ، أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ لَا

(١) تفسير المنسوب الى الامام عليه السلام ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) الأنوار النعمانية: ج ١ ص ٢٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٢

تموتان ابداء، و وَقَاسَمَهُمَا «١» حَلْفَ لِهَمَا إِنْ نِيَّ لَكُمْ لَمِنَ النَّاصِحِينَ «٢» وَ كَانَ إِبْلِيسَ بَيْنَ لِحْيَى الْحَيَّةِ، أَدْخَلْتَهُ الْجَنَّةَ وَ كَانَ آدَمُ يَظُنُّ أَنَّ الْحَيَّةَ هِيَ الَّتِي تَخَاطَبُهُ، وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ إِبْلِيسَ قَدْ اخْتَبَأَ بَيْنَ لِحْيَيْهَا، فَردَّ آدَمُ عَلَى الْحَيَّةِ، ائْتِيَتْهَا الْحَيَّةُ: هَذَا مِنْ غُرُورِ إِبْلِيسَ كَيْفَ يَخُونُنَا رَبَّنَا أَمْ كَيْفَ تَعْظِمِينَ اللَّهَ بِالْقَسَمِ بِهِ وَ أَنْتَ تَنْسِيبِينَ إِلَى الْخِيَانَةِ وَ سُوءِ النَّظَرِ وَ هُوَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ؟ أَمْ كَيْفَ أُرُومَ التَّوَصُّلِ إِلَى مَا مَنَعَنِي مِنْهُ رَبِّي وَ أَتَعَاظُهُ بِغَيْرِ حُكْمِهِ؟ فَلَمَّا آسَى إِبْلِيسَ مِنْ قَبُولِ آدَمَ مِنْهُ عَادَ ثَانِيَةً بَيْنَ لِحْيَى الْحَيَّةِ، فَخَاطَبَ حَوَاءَ مِنْ حَيْثُ يَوْمَهُمَا أَنَّ الْحَيَّةَ هِيَ الَّتِي تَخَاطَبُهَا، وَ قَالَ: يَا حَوَاءُ أَرَأَيْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ حَرَّمَ عَلَيْكُمَا، قَدْ أَحَلَّهُمَا لَكُمْ بَعْدَ تَحْرِيمِهَا لِمَا عَرَفَ مِنْ حَسَنِ طَاعَتِكُمَا لَهُ وَ تَوْقِيرِكُمَا آيَاهُ، وَ ذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُؤَكَّلِينَ بِالشَّجَرَةِ الَّتِي مَعَهَا الْحَرَابُ يَدْفَعُونَ عَنْهَا سَائِرَ حَيَوَانَاتِ الْجَنَّةِ لَا يَدْفَعُونَ عَنْهَا إِنْ رَمَتْهَا فَاعْلَمِي بِذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ أَحَلَّ لَكُمْ، وَ ابْشُرِي بِأَنَّكَ إِنْ تَنَاوَلْتَهَا قَبْلَ آدَمَ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسْلُطَةُ عَلَيْهِ الْأَمْرَةَ النَّاهِيَةَ

فوقه، فقالت حواء سوف أجرب هذا، فرامت الشجرة فأرادت الملائكة أن يدفعوها عنها بحرابها، فأوحى الله إليها أنما تدفعون بحرابكم من لا عقل له بزجره، واما من جعلته ممكنا مميّزا مختارا فكلوه إلى عقله الذي جعلته حجة عليه، فإن أطاع استحقّ ثوابي و ان عصى و خالف أمرى استحقّ عقابي و جزائي، فتركوها و لم يتعرّضوا لها بعد ما همّوا بمنعها بحرابهم، فظنّت أنّ الله نهاهم عن منعها لأنّه قد أحلّها بعد ما حرّمها، فقالت صدقت الحيّة، و ظنّت أنّ المخاطب لها

(١) الكهف: ٨٢.

(٢) الأعراف: ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٣

هي الحيّة فتناولت منها و لم تنكر من نفسها شيئا، فقالت لآدم: ألم تعلم أنّ الشجرة المحرّمة علينا قد ابيحت لنا؟ تناولت منها فلم تمنعني أملاكها و لم انكر شيئا من حالي، فلذلك اغترّ آدم و غلط فتناول، فأصابهما ما قال الله تعالى في كتابه: «فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما بسوسته و غروره» (١).

و فيه دلالة على ترجيح قراءة المشهور و ردّ قراءة حمزة حيث قرأ فأزالهما نظرا إلى أنّ قوله: اسكن أنت و زوجك الجنّة معناه أثبتا فثبتا فأزلهما الشيطان فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه. و فيه ان البناء في مثله ليس على التعليل بل على الترخيص الذي ورد معه الإذن بالقراءة كما يقرءون.

### كيفية دخول إبليس الجنّة

و اما كيفية دخول إبليس الجنّة بعد لعنه و طرده و خروجه منها فاختلّفوا فيها و في كيفية وصوله إليهما و وسوسته لهما، فقيل إنّ آدم كان يخرج إلى باب الجنّة و إبليس لم يكن ممنوعا من الدنوّ و كان يكلمه، و كان هذا قبل أن يهبط إلى الأرض و بعد أن اخرج من الجنّة، و قيل: إنّ كان يحرم عليه دخول الجنّة بارزا و اما مختفيا و لو في فم الحيّة فلا كما يومئ كلام الامام عليه السّلام، و قيل: إنّ منع من الدخول على وجه التكرمة كما كان يدخل قبل ذلك مع الملائكة، و اما الدخول للوسوسة و ابتلاء آدم و حواء فلم يمنع منه، و اما الدخول في فم الحيّة فانما كان لاشتداد البليّة و التمكن

(١) تفسير الامام العسكري: ج ٤ ص ٢٢٣-٢٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٤

من الوسوسة لا للتوصل إلى الدخول، و قيل: تمثل بصورة دابّة اخرى غير الحيّة و لم تعرفه الخزنة، و قيل: إنّّه وسوسهما لا على وجه المشافهة بل في صدورهما، و قيل:

إنّه كلمهما من الأرض بكلام عرفاه و فهماه منه، و قيل: إنّّه راسلها بالخطاب.

و ظاهر الخبر المتقدّم أنّ وسوسته كانت على وجه المشافهة كما هو المستفاد من ظواهر الآيات ايضا، و أنّ دخوله كان بواسطة الحيّة. و في «الأنوار النعمانية» أنّ ذلك كان بأسباب إلهية كما في بعض الروايات قال و ذلك أنّ الشيطان لما أخرج من الجنّة لم يقدر على الدخول إليها فأتى إلى جدار الجنّة، و رأى الحيّة على أعلى الجدار، فقال لها: أدخلني الجنّة و أعلمك الاسم الأعظم فقالت له: إنّ الملائكة تحرس الجنّة فيرونك، فقال لها أدخل في فمك و ابقى علىّ حتى ادخل ففعلت، و من ثم صار السّم في أنيابها و فمها لما كان جلوس الشيطان فيه، فلما أدخلته قالت له اين الاسم الأعظم؟ فقال لها لو كنت اعلمه لما احتجت إليك في دخولي فأتى إلى آدم عليه السّلام فوسوس له فاقسم له بالنصيحة فلم يطعه، فأتى إلى حواء فقال هذه شجرة الخلد و اقسم لها و لم يعهد قبل أن أحدا يقدر

على أن يقسم بالله كاذبا فأنت حواء إلى آدم فصارت عوناً للشيطان عليه فقام آدم معها إلى الأكل من الشجرة فكانت أول قدم مشت إلى الخبيثة فلما مدا يديهما إليها تطاير ما عليهما من الحلوى والحلل وبقيا عريانين فأخذوا من ورق التين فوضعا على عورتيهما فتطاير الورق فوضع آدم عليه السلام يده على عورته والآخر على رأسه كما هو شأن العراء و من ثم أمر بالوضوء على هذه الهيئة (١).

(١) الأنوار النعمانية: ج ١ ص ٢٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٥

وروى الصدوق طاب ثراه: أنه جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن مسائل فكان فيما سأله أخبرنا يا محمد لائى علة توضع هذه الجوارح الأربع و هى أنظف الجوارح فى الجسد فقال النبى صلى الله عليه وآله: لئما أن وسوس الشيطان إلى آدم عليه السلام و دنى آدم من الشجرة فنظر إليها فذهب ماء وجهه، ثم قام و مشى إليها، و هى أول قدم مشت إلى الخبيثة، ثم تناول بيده منها ما عليها فأكل، فطار الحلوى والحلل عن جسده، فوضع آدم يده على أم رأسه، و بكى فلما تاب الله عز وجل عليه فرض عليه و على ذريته تطهير هذه الجوارح الأربع، فأمر الله عز وجل بغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة، و أمره بغسل اليدين إلى المرفقين لما تناول بهما، و أمره بمسح الرأس لما وضع يده على أم رأسه، و أمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخبيثة (١) آه. أقول: و فى تفسير العياشى عن الصادق عليه السلام: إن آدم لما أكل من الشجرة ذكر ما نهاه الله عنها فذهب ليتحنى من الشجرة فأخذت الشجرة برأسه فجرته إليها و قالت له أفلا كان فرارك من قبل أن تأكل منى (٢).

و فى تفسير القمى عن الصادق عليه السلام قال لما اخرج آدم نزل جبرئيل عليه، فقال: يا آدم أليس الله خلقك بيده، و نفخ فيك من روحه، و أسجد لك ملائكته، و زوجك حواء أمته، و أسكنك الجنة و أباحها لك، و نهاك مشافهة ان لا تأكل من هذه الشجرة، فأكلت منها، و عصيت الله؟ فقال آدم عليه السلام: يا جبرئيل إن إبليس حلف لى بالله أنه لى ناصح فما ظننت أن أحدا من خلق الله يحلف بالله كاذبا (٣).

(١) علل الشرائع: ص ٢٨٠ ح ١.

(٢) تفسير العياشى: ج ٢ ص ١٠ ح ١١.

(٣) تفسير القمى: ج ١ ص ٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٦

أقول: و سياى تفسير قوله: و قاسمهما إني لكما لمن الناصحين (١).

عن «مصباح الشريعة»، و غيرها ما يدل عليه، و بيان السر فى ذلك.

و روت العامرية أن إبليس أراد ان يدخل عليهما الجنة فمنعته الخزنة فأتى الحية و هى دابة لها أربع قوائم كأنها البعير، و هى كأحسن الدواب فكلمها أن يدخل فى فيها حتى يدخل الى آدم فأدخلته فى فمها فمرت الحية على الخزنة فدخلت و هم لا يعلمون لما أراد الله من الأمر: فكلمه من فمها.

و فى خبر آخر: ان عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض أنها تحمله و تدخل به الجنة حتى يكلم آدم و زوجته، فكل الدواب أبى ذلك عليه حتى كلم الحية، فقال لها: انا أمنعك من بنى آدم فأنت فى ذمتى إذا ادخلتنى الجنة، فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به، فكلمهما من فيها، و كانت كاسية تمشى على أربع قوائم، فأعراها الله تعالى و جعلها تمشى على بطنها (٢).

و روى أن أول ما ابتداهما به من كيدهما إياهما أنه ناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها، فقالا له ما يبكيك؟ قال: أبكى عليكما تموتان فتفترقان، أو قال:

فتفارق ما أنتما عليه من النعمة والكرامة، فوقع ذلك في أنفسهما ثم أتاهما فوسوس إليهما فقال: يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد  
 «٣» فَأَخْرَجَهُمَا بوسوسته و غروره مِمَّا كَانَا فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَ الدَّعْوَةِ وَ مِمَّا كَانَا قَدْ خَوَّطْنَا قَبْلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ  
 فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى وَ أَنْتَ لَا تَظْمَأُ

(١) الأعراف: ٢١.

(٢) جامع البيان للطبري ج ١ ص ١٨٨.

(٣) جامع البيان ج ١ ص ١٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٧

فيها وَ لَا تَضْحَى «١» او من الجنة حتى أهبطا، او من عظم القرب و المنزلة و الطاعة إلى ما قد سماه الله سبحانه معصيته.  
 و إضافة الإخراج إليه على حدّ إضافة الإذلال باعتبار السبيته.

وَ قَلْنَا اهْبِطُوا خُطَابَ لَادِمٍ وَ حَوَاءَ لِقَوْلِهِ: اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً «٢» إطلاقاً للجمع على الإثنين حقيقةً او مجازاً كقوله: وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ  
 شَاهِدِينَ «٣»، فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ «٤»، إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ «٥» أو لهما و لذريتهما و لو على التغليب ليصحّ تعلقه بالمعدوم، أو توجيه  
 الخطاب إلى الأرواح التي دلت القواطع على تقدّم خلقها على الأبدان، أو لهما و لإبليس، و إن كان قد أخرج قبل ذلك، بدليل قوله  
 فِي الْحِجْرِ فَأَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ «٦» إلى قوله: و يا آدم اسكن إلّا أنه جمعه معهما لدخوله ثانياً على وجه الاختفاء و المسارعة  
 للوسوسة، أو لقربه من باب الجنة، أو لاجتماعهم حينئذ في الهبوط، و ان كانت أوقاتهم متفرقة فيه، أو لهما و للحية و استبعده في  
 «المجمع» «٧» بآن خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن، و بانه لم يتقدّم للحية ذكر، و الكناية عن غير مذكور لا تحسن، إلّا مع الأمن  
 من اللبس.

و يضعف الأول بالمنع عن عدم فهمه الخطاب سيّما مع ما قرّر في محلّه من

(١) طه: ١١٧ - ١١٨ - ١١٩.

(٢) طه: ١٢٣.

(٣) الأنبياء: ٧٨.

(٤) النساء: ١١.

(٥) الشعراء: ١٥.

(٦) الحجر: ٣٤ و ص: ٧٧.

(٧) مجمع البيان: ج ١ ص ٧٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٨

مساوقة الشعور للوجود، و أنّ الجماد فضلاً عن الحيوان يشارك الإنسان في الإدراك و الشعور و العبودية، و صحّة تعلق الخطاب و ان  
 اختلفت في مراتب الجمود و السيلان، سيّما بعد ما سمعت عن الأنوار النعمانية من مكالمتها مع الشيطان، و الثاني بآن الخطب في مثله  
 سهل بعد ملاحظة وجوه دلالات القرآن و محامله، و أولى من الجميع ما في «تفسير الامام» من الجمع بين الأربعة حيث قال: و قلنا يا  
 آدم و يا حواء و يا آيتها الحية و يا إبليس اهبطوا.

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ أَدَمُ وَ حَوَاءُ وَ وَلَدَهُمَا عَدُوٌّ لِلْحَيَّةِ، وَ إبليس و الحية و أولادهما أعداؤكم «١».

و على الأولين فالمعاداة بين الذرية و لو باعتبار التجوّز، أو تقدير المضاف في الأول، و الجملة حالية استغنى فيها عن الواو بالضّمير، و

المعنى متعادين يبغى بعضكم على بعض بإضلاله و تغريه، و ليس من متعلق الأمر، و يحتمل أن يكون استينافا لله سبحانه فائدته التحذير عن الاغترار بوساوس هذا العدو كما في قوله: لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ «٢» و قوله: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ «٣».

و عداوة إبليس لآدم و حواء ظاهرة حتى قد روى أنه أغرى عليهما السباع بعد هبوطهما كما في «العلل» عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أنه سئل النبي صلى الله عليه و آله ممّا خلق الله عزّ و جلّ الكلب؟ قال: خلقه من بزاق إبليس، قال: و كيف ذلك يا رسول الله قال: لمّا

(١) تفسير المنسوب الى الامام عليه السلام: ص ٢٢٤ و عنه البحار ج ١١ ص ١٩٠.

(٢) الأعراف: ٢٧.

(٣) فاطر: ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٩

أهبط الله آدم و حواء إلى الأرض أهبطهما كالفرخين المرتعشين، فعدا إبليس الملعون إلى السباع، و كانوا قبل آدم في الأرض، فقال لهم: إن طيرين قد وقعا من السماء لم ير الزاؤون أعظم منهما تعالوا فكلوهما، فتعادت السباع معه و جعل إبليس يحثهم و يصيح و يعدهم بقرب المسافة، فوقع من فيه من عجله كلامه بزاق فخلق الله عزّ و جلّ من ذلك البزاق كلبين أحدهما ذكر و الآخر أنثى، فقاما حول آدم و حواء، الكلبة بجده، و الكلب بالهند، فلم يتركوا السباع أن يقربوهما، و من ذلك اليوم الكلب عدو السبع، و السبع عدو الكلب «١».

و فيه عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إن الله عزّ و جلّ حين أمر آدم أن يهبط هبط آدم و زوجته، و هبط إبليس و لا زوجة له، و هبطت الحيّة و لا زوج لها فكان أول من يلوط بنفسه إبليس، فكانت ذريته من نفسه، و كذلك الحيّة و كانت ذرية آدم من زوجته فأخبرهما أنّهما عدوان لهما «٢».

و لَكُمْ فِي الْمَأْوَئِ مُسْتَقَرٌّ وَمَنْزِلٌ وَمَقَرٌّ لِلْمَعِاشِ بِأَنْ جَعَلَهَا قَرَارًا وَمَعِاشًا لَكُمْ، و يحتمل أن يكون بمعنى الاستقرار، و أن يكون اسم مفعول و هو ما استقرّ منكم عليه، و جاز تصرّفكم فيه.

وَمَتَاعٌ اسْتِمْتَاعٌ و انتفاع إلى حين حين الموت كما في «تفسير الامام عليه السلام» أو إلى يوم القيمة كما في رواية «القمي» و جمع بينهما بأن الموت هو القيمة الصغرى للأكثرين و الكبرى للآخرين و لذا ورد «من مات فقد قامت قيامته».

(١) علل الشرائع: ص ٤٩٦ ح ١ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٠٧ ح ١٠.

(٢) علل الشرائع: ص ٥٤٧ ح ٢ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٣٧ ح ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٠

أقول: و هو مبنى على كون الغاية هو الموت بناء على انتقال الروح بعدها إلى جنان الدنيا أو نيرانها، فإنّ القبر إمّا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، و قد سمعت كون الهبوط من جنان الدنيا لا من جنة الخلد، و من هنا يبعد الحمل على القيامة الكبرى و ان كان في القبر ايضا تمتع و استقرار.

و لا ينافي شيئا من الوجهين قوله في سورة الأعراف بعد مثل هذه الآية قال:

فِيهَا تَخْيُوتٌ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ «١» إذ يمكن أن يكون تفصيلا لوجوه الاستقرار، و أن يكون زيادة عليه، و الطرف غاية للأمرين، و تنكير الثلاثة للتحقير، فإنّ الآخرة هي دار القرار، و إن طلب الناس القرار في الدنيا، و لذا آثر المستقر على المقرّ، و ليس



في الدنيا إلاً عيش يسير و متاع قليل، و لذا قال سبحانه: وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢﴾ و وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ\* ﴿٣﴾.

### مدّة مكث آدم في الجنة

ثمّ أنّهم قد اختلفوا في مدّة مكثه عليه السلام في الجنة و زمان هبوطه و مكانه على أقوال لا طائل تحت التّعرض لها، لاستناد جملة منها إلى بعض الاعتبارات و إلى أقوال اهل الكتاب.

نعم روى الصدوق في «العلل» و «الأمالى» عن الحسن بن عليّ بن ابي طالب عليهما السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله فسألوه عن مسائل، فكان

(١) الأعراف: ٢٥.

(٢) الرعد: ٢٦.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١١

فيما سأله أخبرني عن الله لأى شىء و قوّت هذه الصلوات الخمس في خمس مواقيت على أمّتك في ساعات الليل و النهار؟ فأجاب صلّى الله عليه و آله إلى أن قال: و أما صلاة العصر فهي الساعة التي أكل فيها آدم من الشجرة فأخرجه الله عن الجنة، فأمر الله ذريته بهذه الصلاة إلى يوم القيامة، و اختارها لأمتي فهي من أحب الصلاة إلى الله تعالى عزّ و جلّ، و أوصاني ان احفظها من بين الصلوات، و أما صلاة المغرب فهي الساعة التي تاب الله فيها على آدم، و كان بين ما أكل من الشجرة و بين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا، و في أيام الآخرة يوم كآلف سنة من وقت صلاة العصر إلى العشاء: فصلى آدم ثلاث ركعات: ركعة لخطيئته، و ركعة لخطيئته حواء، و ركعة لتوبته، فافترض الله عزّ و جلّ هذه الركعات الثلاث على أمتي «١».

و في «الخصال» بالإسناد عن النبي صلّى الله عليه و آله، قال: إنّما كان لبث آدم و حواء في الجنة حتّى أخرجنا منها سبع ساعات من أيام الدنيا حتّى أهبطهما الله تعالى من يومهما ذلك «٢».

أقول: و لعلّ المعنى من أيام جنان الدنيا، على تقدير المضاف، فينطبق على الخبر الأوّل.

### تعدّد الأيام و تغايرها

روى السيّد في «الدروع الواقية» عن الصادق عليه السلام: أن اليوم الأوّل من الشهر

(١) علل الشرائع: ص ٣٣٧ و الأمالى ص ١٥٩ و عنهما البحار ج ١١ ص ١٦٠.

(٢) الخصال: ج ٢ ص ٣٩٧ ح ١٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٢

خلق فيه آدم و هو يوم مبارك لطلب الحوائج، و في اليوم الثانى خلقت حواء من آدم، يصلح للتزويج و بناء المنازل، و اليوم الثالث يوم نحس مستمرّ، نزع عن آدم و حواء لباسهما و أخرجنا من الجنة «١».

و هي تدلّ على تعدّد الأيام و تغايرها، و قضيتها بعض الأخبار المتقدّمة و وقوع تلك الشؤون جميعا في ساعات من يوم واحد، و يمكن

الجمع بحمل تلك الأخبار على الأيام الدهرية الملكوتية، وهذه على الزمانية الناسوتية، ويدل عليه ما مرّ عن «العلل» و «الأمالي» عن النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: واما صلاة المغرب «٢»، آه.

### مكان هبوط آدم وحواء

و أميا مهبطهما فظاهر كثير من الأخبار أنه الصيفا والمروة ففي «تفسير القمي» وغيره عن الصادق عليه السلام قال: فهبط آدم على الصيفا، وإنما سميت الصفاء لأن صفوة الله نزل عليها ونزلت حواء على المروة، وإنما سميت المروة لأن المرأة نزلت عليها فبقي آدم أربعين صباحا ساجدا يبكي على الجنة فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال يا آدم ألم يخلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه و اسجد لك ملائكته؟ قال: بلى قال:

و أمرك أن لا تأكل من الشجرة فلم عصيته؟ قال: يا جبرئيل إن إبليس حلف لي بالله أنه لي ناصح و ما ظننت ان خلقا يحلف بالله كاذبا «٣».

و في «تفسير العياشي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انما كان

(١) بحار الأنوار: ج ٥٩ ص ٥٦-٥٧-٥٨ عن الدرود الواقية.

(٢) علل الشرائع: ص ٣٣٧.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٤ و عنه البحار ج ١١ ص ١٦٣ ح ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٣

لبث آدم و حواء في الجنة حتى خرجا عنها سبع ساعات من ايام الدنيا حتى اكلا من الشجرة فأهبطهما الله إلى الأرض من يومهما ذلك، قال فحاج آدم ربه فقال يا رب أرايتك قبل أن تخلقني كنت قدرت علي هذا الذنب و كل ما صرت و انا صائر إليه، أو هذا شيء فعلته انا من قبل نفسي لم تقدره علي غلبت علي شقوتي، فكان ذلك مني و فعلي لا منك و لا من فعلك؟ قال له: يا آدم أنا خلقتك و علمتك أني أسكنك و زوجتك الجنة، و بنعمتي، و ما جعلت فيك من قوتي قويت بجوارحك علي معصيتي، و لم تغب عن عيني، و لم يخل علمي من فعلك، و لا مما أنت فاعله.

قال آدم: يا رب الحجية لك علي يا رب، فحين خلقتني و صورتنني و نفخت في من روحي، قال: يا آدم أسجدت لك ملائكتي و نوهت باسمك في سماواتي، و ابتدأتك بكرامتي، و أسكنتك جنتي، و لم أفعل ذلك إلا بنعمة مني عليك، أبلوك بذلك من غير أن تكون عملت لي عملا تستوجب به عندي ما فعلت بك.

قال آدم: يا رب الخير منك و الشر مني، قال الله: يا آدم انا الله الكريم، خلقت الخير قبل الشر، و خلقت رحمتي قبل غضبي، و قدمت بكرامتي قبل هواني، و قدمت باحتجاجي قبل عذابي.

يا آدم ألم أنهك عن الشجرة و أخبرتك ان الشيطان عدو لك و لزوجك؟

و أحذر كما قبل أن تصيرا إلى الجنة؟ و أعلمكما أنكما إن أكلتما من الشجرة كنتما ظالمين لأنفسكما عاصين لي؟ يا آدم لا يجاورني في جنتي ظالم عاص بي قال:

فقال: بلى يا رب الحجية لك علينا؟ ظلمنا أنفسنا و عصينا و إلا تغفر لنا و ترحمنا نكن من الخاسرين.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٤

قال فلما أقرا لربهما بذنبيهما و أن الحجية من الله لهما تداركهما رحمة الرحمن الرحيم، فتاب عليهما ربهما إنه هو التواب الرحيم، قال الله: يا آدم اهبط أنت و زوجك إلى الأرض، فإذا أصلحتما أصلحتكما و إن عملتما لي قويتكما، و إن تعرّضتما لرضاي تسارعت إلى

رضاكما، و إن خفتما مني آمنتكما من سخطي.

قال: فبكيا عند ذلك و قالا: ربنا فأعنا على صلاح أنفسنا و على العمل لما يرضيك عنا، قال الله لهما: إذا عملتما سوء فتوبا إلى الله أتب عليكما، و أنا الله التواب الرحيم.

قالا: فأهبطنا برحمتك إلى أحب البقاع إليك، قال: فأوحى الله إلى جبرئيل ان أهبطهما إلى البلدة المباركة مكة، قال: فهبط بهما جبرئيل فألقى آدم على الصفا، و ألقى حواء على المروة، قال: فلما ألقيا قاما على أرجلهما و رفعا رؤسهما إلى السماء و ضجبا بأصواتهما بالبكاء إلى الله تعالى و خضعا بأعناقهما، قال: فهتف الله تعالى بهما ما يبكيكما بعد رضاي عنكما؟ قال: فقالا: ربنا أبكتنا خطيئتنا و هي أخرجتنا من جوار ربنا، و قد خفي عنا تقديس ملائكتك لك ربنا و بدت لنا عوراتنا، و اضطرنا ذنبا إلى حرث الدنيا و مطعمها و مشربها، و دخلتنا وحشة شديدة لتفريقك بيننا قال: فرحمهما الرحمن الرحيم عند ذلك، و أوحى إلى جبرئيل: أنا الله الرحمن الرحيم، و أتى قد رحمت آدم و حواء لما شكيا إلي، فأهبط إليهما بخيمة من خيام الجنة، و عزهما عنى بفراق الجنة، و اجمع بينهما فى الخيمة فأتى قد رحمتها لبكائهما و وحشتها و وحدتهما، و انصب لهما الخيمة على الترععة التى بين جبال مكة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٥

و قال: و الترععة مكان البيت و قواعد التى رفعتها الملائكة قبل ذلك فنصبها.

قال: و انزل جبرئيل آدم من الصفا، و انزل حواء من المروة، و جمع بينهما فى الخيمة.

قال: و كان عمود الخيمة قضيب ياقوت أحمر، فأضاء نوره و ضوءه جبال مكة و ما حولها.

قال: و امتد ضوء العمود فجعله الله حرما لحرمة الخيمة و العمود لأنهما من الجنة، قال: و لذلك جعل الله الحسنات فى الحرم مضاعفة و السيئات فيه مضاعفة.

قال: و مدت أطناب الخيمة حولها لمنتهاى أوتادها ما حول المسجد الحرام.

قال: و كانت أوتادها من غصون الجنة و أطنابها من ظفائر الأرجوان (١).

قال: فأوحى الله إلى جبرئيل عليه السلام: أهبط على الخيمة سبعين ألف ملك يحرسونها من مردة الجن و يونسون آدم و حواء، و يطوفون حول الخيمة تعظيما للبيت و الخيمة، قال: فهبطت الملائكة فكانوا بحضرة الخيمة يحرسونها من مردة الشياطين و العتاة، و يطوفون حول أركان البيت و الخيمة كل يوم و ليلة، كما كانوا يطوفون فى السماء حول البيت المعمور.

قال: و أركان البيت الحرام فى الأرض حبال البيت المعمور الذى فى السماء.

قال: ثم إن الله تعالى أوحى إلى جبرئيل بعد ذلك: أن أهبط إلى آدم و حواء فنحهما عن مواضع قواعد بيتي فأتى أريد أن أهبط (٢) فى ظلال من ملائكتي إلى

(١) الأرجوان: شجر من الفصيلة القرنية له زهر شديد الحمرة، حسن المنظر، و ليست له رائحة.

(٢) قال المجلسى قدس سره فى بيانه: هبوطه تعالى كناية عن توجه أمره بصدور ذلك الأمر كما قال تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ (البقرة: ٢١٠).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٦

ارضى، فارفع أركان بيتي لملائكتي و لخلقى من ولد آدم.

قال: فهبط جبرئيل على آدم و حواء فأخرجهما من الخيمة و نحاهما عن ترعة البيت الحرام، و نحى الخيمة عن موضع الترععة.

قال: و وضع آدم على الصفاء و وضع حواء على المروة، و رفع الخيمة إلى السماء، فقال آدم و حواء: أ بسخط من الله حولتنا و فرقت بيننا أم برضا تقديرا من الله علينا؟ فقال لهما: لم يكن ذلك سخطا من الله عليكما، و لكن الله لا يسأل عما يفعل، يا آدم إن سبعين

ألف ملك المذنبين أنزلهم الله إلى الأرض ليؤنسوك و يطوفون حول أركان البيت و الخيمة سألوا الله أن يبنى لهم مكان الخيمة بيتا على موضع الترعّة المباركة حيال البيت المعمور، فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور، فأوحى الله إلى أن أنحيك و حواء، و ارفع الخيمة إلى السماء، فقال آدم عليه السلام: رضينا بتقدير الله و نافذ أمره فينا، فكان آدم على الصفا و حواء على المروة.

قال: فدخل آدم لفراق حواء و حشة شديدة و حزن، قال: فهبط من الصفا يريد المروة شوقا إلى حواء، و ليسلم عليها و كان فيما بين الصفا و المروة واد، و كان آدم يرى المروة من فوق الصفا فلما انتهى إلى موضع الوادي، غابت عنه المروة فسعى في الوادي حذرا لما لم ير المروة مخافة أن يكون قد ضلّ عن طريقه فلما أن جاز الوادي و ارتفع عنه نظر إلى المروة، فمشى حتى انتهى إلى المروة فصعد عليها فسلم على حواء، ثم أقبل- بوجهها نحو موضع الترعّة ينظران هل رفع قواعد البيت و يسألان الله أن يردّهما إلى مكانهما حتى هبط من المروة فرجع إلى الصفا فقام

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٧

عليه، و أقبل بوجهه نحو موضع الترعّة، فدعا الله ثم إنه اشتاق إلى حواء فهبط من الصفا يريد المروة، ففعل مثل ما فعله في المرة الأولى، ثم إنه رجع إلى الصفا ففعل عليه مثل ما فعل في المرة الأولى، ثم أنه هبط من الصفا إلى المروة ففعل مثل ما فعل في المرّتين الأولىين، ثم رجع إلى الصفا فقام عليه و دعا الله أن يجمع بينه و بين زوجته حواء.

قال: فكان ذهاب آدم من الصفا إلى المروة ثلاث مرّات و رجوعه ثلاث مرّات فذلك ستّة أشواط فلما أن دعيا الله و بكيا إليه و سألاه أن يجمع بينهما استجاب الله لهما من ساعتها من يومها ذلك مع زوال الشمس، فأتاه جبرئيل و هو على الصفا واقف يدعوا الله مقبلا- بوجهه نحو الترعّة فقال له جبرئيل: انزل يا آدم من الصفا فالحق بحواء، فنزل آدم من الصفا إلى المروة ففعل مثل ما فعل في الثلاث المرّات حتى انتهى إلى المروة، فصعد عليها و أخبر حواء بما أخبره جبرئيل، ففرحا بذلك فرحا شديدا، و حمد الله و شكره، فلذلك جرت السّنة بالسعي بين الصفا و المروة و لذلك قال الله تعالى: إِنَّ الصّفا وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا (١).

قال: ثم إن جبرئيل أتاهما فأنزلهما من المروة، و أخبرهما أنّ الجبّار تبارك و تعالى قد هبط إلى الأرض فرفع قواعد البيت الحرام بحجر من الصفا و حجر من المروة و حجر من طور سيناء و حجر من جبل السلم و هو ظهر الكوفة، فأوحى الله إلى جبرئيل أن ابته و أتته قال: فاقتلع جبرئيل الأحجار الأربعة بأمر الله من

(١) البقرة: ١٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٨

مواضعهنّ بجناحيه فوضعها حيث أمره الله في أركان البيت على قواعد التي قدّرها الجبّار، و نصب أعلامها، ثم أوحى الله إلى جبرئيل ان ابته و أتممه بحجارة من أبي قبيس، و اجعل له بابين باب شرقيّ و باب غربيّ قال: فأتمه جبرئيل فلما أن فرغ منه طافت الملائكة حوله.

فلما نظر آدم و حواء إلى الملائكة يطوفون حول البيت انطلقا فطافا بالبيت سبعة أشواط ثم خرجا يطلبان ما يأكلان و ذلك من يومها الذي هبط بهما فيه (١).

أقول و هذا الخبر كما ترى سقط شيء من اوائله، و كأنه سقط ذلك من أوائل لاتّفاق النسخ الموجودة، بل قد نبّه المجلسي على ذلك أيضا.

و في بعض الأخبار أنّ مهبطه كان بالهند، ففي «القصص» بالإسناد عن ابي جعفر عليه السلام قال: إنّ آدم عليه السلام نزل بالهند، فبنى

اللّه تعالى له البيت، وأمره أن يأتيه فيطوف به أسبوعاً، فيأتي منى و عرفات و يقضى مناسكه، كما أمر الله، ثمّ خطا «٢» من الهند فكان موضع قدميه حيث خطا عمران، و ما بين القدم و القدم صحارى ليس فيها شىء، ثمّ جاء إلى البيت فطاف به اسبوعاً و قضى مناسكه فقضاها كما أمره الله، فقبل الله منه توبته و غفر له، فقال آدم صلوات الله يا ربّ و لذريتى من بعدى، فقال نعم من آمن بى و برسلى «٣».

و عن السيد فى كتاب «سعد السعود»: أنّه رأى فى صحف إدريس عليه السّلام أمر الله

(١) تفسير العياشى: ج ١ ص ١٢١-١٢٧ ط قم مؤسسه الاسلاميه و عنه البحار ج ١١ ص ١٨٢-١٨٩.

(٢) خطا يخطو خطوا: فتح ما بين قدميه و مشى.

(٣) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٨٠ عن القصص.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٩

الملائكة فحملت آدم و زوجته حواء على كرسى من نور، و أدخلوهما الجنّة فوضعا فى وسط الفردوس من ناحية المشرق ثمّ ذكر حديث إقامة آدم عليه السّلام خمس ساعات من نهار ذلك اليوم فى الجنّة و اكله من الشجرة و ذكر حديث إخراجهم من الجنّة و هبوطه بأرض الهند على جبل اسمه باسم، على واد اسمه نهيل بين الدهنج و المندل بلدى الهند، و هبطت حواء بجدة إلى آخر ما ذكره «١».

و فيه أنّه كان شهر نيسان المبارك فأمره الله تعالى بصوم ثلاثة أيام منه «٢».

و سيأتى عن «تفسير القمى»: أنّه كان أوّل يوم من ذى القعدة «٣».

و فى «الخصال» أنّه: اهبط الله تعالى آدم يوم الجمعة «٤».

و فيه و فى «العيون»: سأل الشّامى أمير المؤمنين عليه السّلام عن أكرم واد على وجه الأرض؟ فقال له: واد يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السّماء «٥».

و فى «القصص» بالإسناد إلى وهب قال: كان مهبط آدم عليه السّلام على جبل فى شرقى أرض الهند يقال له باسم: ثمّ أمره أن يسير إلى مكّة، فطوى له الأرض فصار على كل مفازة يمرّ به خطوة، و لم يضع قدمه فى شىء من الأرض إلّا صار عمرانا، و بكى على الجنّة ما تى سنه، فعزاه الله بخيمه من خيام الجنّة، فوضعها له بمكّة فى موضع الكعبة «٦».

(١) البحار: ج ١١ ص ١٩٦ عن سعد السعود.

(٢) البحار: ج ١١ ص ١٩٦.

(٣) تفسير القمى: ج ١ ص ٤٤.

(٤) الخصال: ص ٣١٦ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٠٤.

(٥) العلل: ص ٥٩٥ و العيون ج ١ ص ٢٤٤.

(٦) قصص الأنبياء: ص ٧٠ و عنه البحار ج ١١ ص ٢١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٠

و فيه عن الصادق عليه السّلام قال: إنّ آدم لما هبط هبط بالهند، ثمّ رمى اليه بالحجر الأسود، و كان ياقوته حمراء بفناء العرش، فلما رأى عرفه فاكبّ عليه و قبله، ثمّ أقبل به فحمله إلى مكّة، فربما أعبى عن ثقله فحمله جبرئيل عنه، و كان إذا لم يأت جبرئيل عليه السّلام اغتمّ و حزن، فشكى ذلك إلى جبرئيل فقال: إذا وجدت شيئا من الحزن فقل لا حول و لا قوّة إلّا بالله «١».

و هذه الأخبار و ان كانت ظاهرة في كون أول هبوطه بالهند أو في خصوص سرانديب أو جبل باسم، لكنّها محمولة على التقيّة لمخالفتها للأخبار الكثيرة الدالة على كون مهبطهما مكّة.

بل في «العلل» و «العيون» عن البنظي عن الرضا عليه السّلام قال: قلت: كيف كان أول الطيب؟ فقال لي: ما يقول من قبلكم فيه؟ قلت: يقولون إن آدم لما هبط بأرض الهند فبكى على الجنّة سالت دموعه فصارت عروفا في الأرض، فصارت طيبا، فقال عليه السّلام: ليس كما يقولون، آه «٢».

و فيهما بالإسناد عن صفوان قال: سئل ابو الحسن عليه السّلام عن الحرم و أعلامه؟ فقال إن آدم لما هبط من الجنّة هبط على أبي قبيس و الناس يقولون بالهند فشكى إلى ربّه عزّ و جلّ الوحشة و أنّه لا يسمع ما كان يسمع في الجنّة، فاهبط الله عزّ و جلّ عليه ياقوته حمراء فوضعت في موضع البيت فكان يطوف بها آدم و كان يبلغ ضوءها

(١) قصص الأنبياء: ص ٤٩ ح ١٨ و عنه البحار ج ١١ ص ٢١٠.

(٢) علل الشرائع: ص ٤٩٢ ح ٢، و العيون ج ١ ص ٢٨٧ ح ٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢١

الأعلام فعلمت الأعلام على ضوءها فجعله الله عزّ و جلّ حرما «١».

و يمكن ايضا أن يكون أول هبوطه بمكّة ثم بالهند أو بالعكس كقوله: اهبطوا مِصِرًا «٢»، لكن ما ذكرناه أظهر، و يؤيّده ما ذكره الرازي من أنّه روى في الأخبار أن آدم عليه السّلام أهبط بالهند، و حواء بجده و إبليس بموضع من البصرة على أميال، و الحية بإصفهان «٣».

حيث إن ظاهر اقتضائه عليه ان اخبارهم تدلّ على هبوطه بالهند، و هذا ممّا يؤيد الحمل على التقيّة، و لا ينافيه ما ورد من أن رائحة ما كان معهما من الورقة او المشط عبت بالهند، إذ قد يكون ذلك بواسطة عصف الرياح.

و لعلّه يومئذ اليه ما ورد في «الكافي» عن الصادق عليه السّلام قال: إن الله تبارك و تعالى لما أهبط آدم عليه السّلام طفق يخصف من ورق الجنّة، و طار عنه لباسه الذي كان عليه من حلال الجنّة، فالتقط ورقة فستر بها عورته، فلما هبط عبت رائحة تلك الورقة بالهند بالنبت فصارت في الأرض من سبب تلك الورقة التي عبت بها رائحة الجنّة، فمن هناك الطيب بالهند لأن الورقة هبت عليها ريح الجنوب فأدّت رائحتها إلى المغرب، لأنها احتملت رائحة الورقة في الجو، فلما ركبت الريح بالهند علق.

و في بعض النسخ: عقب بأشجارهم و نبتهم، فكان أول بهيمة ارتعت من تلك

(١) علل الشرائع ص ٤٢٢ ح ٤ و العيون ج ١ ص ٨٥.

(٢) البقرة: ٦١.

(٣) تفسير الرازي: ج ٣ ص ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٢

الورقة طيب المسك، فمن هناك صار المسك في سرّة الظبي، لأنه جرى رائحة النبت في جسده و في دمه حتّى اجتمعت في سرّة الظبي «١».

بل في «العلل» عن الصادق عليه السّلام قال: أهبط آدم من الجنّة عن الصيفا، و حواء على المروة، و قد كانت امتشطت في الجنّة، فلما صارت في الأرض قالت: ما أرجو من المشط و انا مسخوط على فحلّ مشطتها، فانتشر عن مشطتها العطر الذي كانت امتشطت به في الجنّة، فطارت به الريح، فألقت اثره في الهند فلذلك صار العطر بالهند.

قال: وفي حديث آخر أنها حلت عقيصتها فأرسل الله عز وجل على ما كان فيها من ذلك الطيب ريحا فهبت به في المشرق و المغرب «٢».

و مما ذكرناه يظهر الوجه أيضا فيما رواه في كتاب أخبار الملاحم و الفتن عن الصادق عليه السلام قال: لما خلق الله آدم و أخرجه من الفردوس كتب له عنده في العلم السابق ألف سنة فلما هبط من السماء و أخرج من الفردوس، هبط على جبل بأرض الهند كان أعلاه قريبا من السماء، و كان آدم عليه السلام يسمع كلام ملائكة السماء الدنيا، و يجد ريح الفردوس فلبث بذلك حيناً، فاشتد جوعه فشكى إلى الأرض، فقال يا أرض اطعميني فانا آدم صفى الله، فأوحى الله تبارك و تعالى إلى الأرض: اجيبي عبدى.

فقلت: يا آدم لسنا نطعم اليوم من عصى الله، فبكى آدم عليه السلام أربعين صباحا على ساحل البحر، تقطر دموعه في البحر، فيزعمون أنّ الصدفة كانت ترتفع فوق

(١) فروع الكافي: ج ٦ ص ٥١٤ ح ٣.

(٢) علل الشرائع: ص ٤٩١ و ٤٩٢ ح ١ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٠٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٣

الماء، فإذا قطرت دموع آدم في الصدفة اغتمس في الماء فيقولون: إنّ الدر من دموع آدم، و نبت الزعفران من دموع آدم، و نبت اللبان من دموع داود عليه السلام.

فلما اشتد جوعه رفع رأسه إلى السماء، فقال يا سماء اطعميني فانا آدم صفى الله، فأوحى الله تعالى إلى السماء: أن اجيبي عبدى، فقلت: يا آدم لسنا نطعم اليوم من عصى الله تبارك و تعالى، فبكى آدم أربعين صباحا، فلما اشتد جوعه رفع رأسه إلى السماء فقال أسألك يا رب بحقّ النبي الأمي الذي تريد أن تخرجه من صلبى ألا تبت على و اطعمتنى، فأوحى الله إليه: يا آدم و من أين عرفت النبي الأمي و لم أخلقه بعد؟

فقال آدم: إنني رأيت على الفردوس مكتوب: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، فعلمت أنّ ذلك من صلبى، فبحقّ ذلك النبي إلاً اطعمتنى، فأوحى الله تبارك و تعالى إلى جبرئيل: اهبط إلى عبدى، فهبط عليه جبرئيل، و معه تسع حبات من حنطة، فوضعها على يدي آدم.

قال: فكان وزن الحبة منها الفا و ثمان مائة درهم.

قال آدم: يا جبرئيل ما هذا؟ فقال جبرئيل: يا آدم هذا أخرجك من الجنة.

قال: فما أصنع به؟ قال ابذره في الأرض، ففعل، فأنبته الله من ساعته، فحدثت سنة في ولده البذر في الأرض.

ثم أمره بحصاده، فجعل يأخذ القبضة بعد القبضة.

ثم أمره بجمعه و فركه بيده، فلذلك ولده يفركون بأيديهم.

ثم أمره بتذريته في الريح، فلذلك صارت الحنطة تدرى في الريح.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٤

ثم أمره بحجرين فوضع أحدهما على الآخر فدقّه، فلذلك وضعت الرحا اليوم.

ثم أمره بعجنه فلذلك صار ولده يعجنون الدقيق اليوم.

ثم أمره أن يختبزه ملء «١».

فجمع له جبرئيل الحجر و الحديد، فقدحه فخرجت النار، فلذلك ولده يقدحون النار اليوم، فهم أول من اختبزه الملة.

ثم أمره أن يأكله، فعند ذلك قال لجبرئيل: لا أريد! فقال له جبرئيل عليه السلام: شكوت إلى ربك الجوع، فلما أطعمك قلت: لا أريد؟ قال: لأنني قد أعيت مما عالجت. فقال له جبرئيل: هذا عملك وعمل ذريتك إلى أن تقوم الساعة. فبكى آدم أربعين صباحا حتى نبتت لحيته من الغم والحزن على الجنة. فلما أكل وجد في بطنه ثقلا وجعا، ولم يكن قبل ذلك له مخاط ولا بزاق، فشكى إلى جبرئيل. فقال جبرئيل: تنح فتنحى، فبعر مثل بعر الشاة، وجد له ريحا شديدا، فشكى ذلك إلى جبرئيل. فقال له جبرئيل: أتدرى ما ذلك؟ قال: لا فقال له جبرئيل عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى حين خلقك من طين أجوف، فجاء إبليس فضرب على بطنك، فسمع له

(١) الملة: الرماد والجمر، يقال: مللت الخبزة في الملة وأملتها إذا عملتها في الملة- لسان العرب ج ١٣ ص ١٨٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٥

دويًا كدوي الخابية، فقال للملائكة لا يهمنكم إن كان ملكا فهو منكم، وإن يكن من غيركم فأنا أكفيكموه، وذلك قول الله عز وجل: وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ «١» فكان ممن أتبعه هاروت وماروت. ثم دخل في جوفك فخرج من دبرك، فكُلما أصاب الطعام من نتن فهو من ذلك، لأن ممز إبليس لعنه الله كان بطنك فيعز من ذلك، ولم يكن آدم يعرف قبل ذلك بزاقا، ولا مخاطا، ولا شيئا من الأذى حتى أكل الطعام. فلما لبث آدم عليه السلام في الأرض مأتى سنة ولد عوج بن عنق من بنت آدم، وهو الذي كان ولد في دار آدم، وقتله موسى من بعد آدم، فعاش في الأرض ثلاثة آلاف سنة. فلما استكمل أيامه أوحى الله إليه أن يا آدم قد استكملت أيامك، فانظر الاسم الأكبر وميراث علم النبوة فادفعه إلى ابنك شيث، فإني لم أكن أترك الأرض إلا وفيها عالم يدل على طاعتي وينهى عن معصيتي. فدفعت آدم الوصية إلى ابنه شيث «٢».

أقول: وهذا الخبر وإن كان من طرق المخالفين إلا أنه لما كان مرويا عنه عليه السلام مشتملا على كثير مما في أخبارنا وعلى اتصال الوصية وعدم خلو الأرض عن الحجرة أو ردها في المقام، وأما ما فيه من الاشتكاء إلى الأرض والسما فلعنه كناية عن جوعه وحاجته وانسداد أبواب الرزق عليه من السماء والأرض، وأما ما فيه من

(١) سبأ: ٢٠.

(٢) الملاحم: ص ٣٤ إلى ص ٣٨ وهو تأليف الحافظ أحمد بن جعفر بن محمد المعروف بابن المنادي المتوفى (٣٣٦).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٦

متابعه هاروت وماروت فمن مزخرفات العامة.

وفي كتاب محاضرة الأوائل «١»: إن أول موضع أهبط الله فيه آدم جبل يسمى الراهون في جزيرة من جزائر الهند في مملكة سرانديب بمكان يقال الدهنا وعليه اثر قدمه عليه السلام وعلى القدم نور لماع يخطف البصر لا يمكن لأحد أن ينظر إليه طول قدمه في الصخر سبعون شبرا وعلى الجبل ضوء كالبرق ولا بد لكل يوم فيه من المطر فيغسل أثر قدمه وإن آدم خطأ من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة وهو مسيرة يومين فلما أهبط خز ساجدا على صخرة بيت المقدس وكان يمسح رأسه الشريف السماء وكان يشرب من السحاب وكان طوله خمسمائة ذراع والله أعلم بأي ذراع ثم تضلع ستين ذراعا.



أقول: وستمع الكلام في الاخبار الدالة على طول قامته عليه السلام فيما يأتي.

و في «العلل» و «العيون» و «الخصال»: أنه سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن أول من قال الشعر فقال: آدم عليه السلام قال: و ما كان شعره؟ قال لما أنزل إلى الأرض من السماء فرأى تربتها وسعتها و هواها و قتل قابيل هاويل فقال آدم: تغيرت البلاد و من عليها فوجه الأرض معتبر قبيح تغير كل ذي لون و طعم و قلّ بشاشة الوجه المليح و زاد في «مروج الذهب» «٢» و غيره:

و بـدّل أهلها أثلًا \_\_\_\_\_ و خمطها بجنّات \_\_\_\_\_ من الفردوس فيح

(١) قال حاجي خليفة في كشف الظنون ج ٢ ص ١٦١٠: محاضرة الأوائل: مختصر للشيخ على دده ... فرغ منه في شهر رجب سنة (٩٩٨) هـ.

(٢) مروج الذهب: ج ١ ص ٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٧

و جاورنا عدوًا ليس ينسى لعين ما يموت فنستريح و يقتل قايين هاويل ظلما فوا أسفا على الوجه المليح فمالي لا أجود بسكب دمعي و هاويل تضمّن الضريح ارى طول الحياة على غمّا و ما انا من حياتي مستريح فأجابه إبليس لعنه الله تنحّ عن البلاد و ساكنها ففي الفردوس ضاق بك الفسيح و كنت بها و زوجك في قرار و قلبك من أذى الدنيا مريح فلم تنفك من كيدى و مكرى إلى أن فاتك الثمن الريح فلو لا رحمة الجبار أضحت بكفك من جنان الخلد ريح «١» قال شيخنا المجلسي رحمه الله قوله: قبح إما بالقاف جمع القاحه بمعنى الساحة أو بالفاء من الفيح بمعنى السعة، و قايين بالياء: أحد ما قيل في اسم الولد القاتل، قال: و في اكثر نسخ التفاسير و التواريخ بالباء الموحدة «٢».

و في مروج الذهب بالمشناه من تحت و قيل قايين بالموحدة ثم المشناه و المشهور قاييل باللام.

و في «الفيح» و «العلل» و «المحاسن» عن الصادق عليه السلام قال لما هبط آدم من الجنة ظهرت به شامة «٣» سوداء من قرنه إلى قدمه، فطال حزنه و بكاؤه على ما ظهر

(١) البحار ج ١١ ص ٢٣٣-٢٣٤ عن العلل ص ٥٩٤ و عن العيون ج ١ ص ٢٤٢ و الخصال ص ٢٠٩.

(٢) البحار: ج ١١ ص ٢٣٤.

(٣) الشامة: الخال اى بثره سوداء و فى البدن حولها شعر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٨

به، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال ما يبكيك يا آدم؟ فقال: من هذه الشامة التي ظهرت بى، قال: قم يا آدم فصلّ فهذا وقت الصلاة الاولى فقام و صلّى، فانحطت الشامة إلى عنقه، فجاءه فى الصلاة الثانية، فقال: قم فصلّ يا آدم فهذا وقت الصلاة الثانية، فقام و صلّى فانحطت الشامة إلى سرّته، فجاءه فى الصلاة الثالثة، فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصلاة الثالثة، فقام فصلّى فانحطت الشامة إلى ركبتيه، فجاءه فى الصلاة الرابعة، فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصلاة الرابعة، فقام فصلّى فانحطت الشامة إلى قدميه فجاءه فى الصلاة الخامسة، فقال: قم يا آدم فصلّ فهذا وقت الصلاة الخامسة، فقام صلّى فخرج منها، فحمد الله و اثنى عليه، فقال جبرئيل: يا آدم مثل ولدك فى هذه الصلاة كمثلك فى هذه الشامة، من صلّى من ولدك فى كل يوم و ليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة «١».

و فى تفسير القمى قال: فلما اسكنه الله الجنة و اتى جهالة إلى الشجرة لأنه خلق خلقه لا تبقى إلا بالأمر و النهى و الغذاء و اللباس و

الإكناح و النكاح و لا تدرك ما ينفعه ممّا يضرّه إلّا بالأمر و التّهي و التّوفيق، فجاءه إبليس و قال إنكما إن أكلتما من هذه الشجرة التي نهاكما الله عنها صرتما ملكين و بقيتما في الجنة أبدا و ان لم تأكلا منها أخرجكما الله من الجنة، و حلف لهما أنّه لهما ناصح، كما قال الله تعالى حكاية عنه: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلّا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين «٢» و قاسمهما إني لكما لمن الناصحين «٣» فقبل آدم قوله، فأكلا من

(١) علل الشرائع: ص ٣٣٨ ح ٢ و عنه البحار ج ١١ ص ١٦٦.

(٢) الأعراف: ٢٠.

(٣) الأعراف: ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٩

الشجرة فكان كما حكى الله بدت لهما سواتهما\* «١» و سقط عنهما ما ألبسهما الله تعالى من لباس الجنة، و أقبلا يستتران بورق الجنة و ناداهما ربهما ألم أنهما عن تلكم الشجرة و أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين «٢» فقالا- كما حكى الله عنهما: ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين «٣» فقال الله لهما اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم في الأرض مستقر و متاع إلى حين «٤»، قال: إلى يوم القيمة قال: فأهبط آدم على الصفا، و إنما سميت الصفا لأن صفوة الله نزل عليها، و نزلت حواء على المروءة، و إنما سميت المروءة لأن المرأة نزلت عليها، فبقى آدم أربعين صباحا يبكي على الجنة، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم ألم يخلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه و اسجد لك ملائكته؟ قال: بلى قال: و أمرك أن لا تأكل من الشجرة فلم عصيته؟ قال: يا جبرئيل إن إبليس حلف لي بالله أنّه لي ناصح و ما ظننت ان خلقا يخلقه الله أن يحلف بالله كاذبا «٥».

### تفسير الآية (٣٧)

#### توبة آدم بواسطة الكلمات

فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ اسْتَقْبَلَهَا بِالتَّوَصُّلِ وَ الِاسْتِشْفَاعِ وَ قَبُولِ الْوَلَايَةِ

(١) الأعراف: ٢٢.

(٢) الأعراف: ٢٢.

(٣) الأعراف: ٢٣.

(٤) الأعراف: ٢٤.

(٥) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٣ و عنه البحار ج ١١ ص ١٦٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٠

و بالأخذ و القبول و العمل بناء على ما هو الأظهر من شمول الكلمات للكوتبية الحقيقية و اللفظية، و هو مأخوذ من قولهم: تلقيت منه اي أخذت و قبلت، و يقال:

تلقيت الرجل و تلقاني أي استقبلته و استقبلني، و منه تلقى الركبان، و هو في الأصل التعرض للقاء، أطلق على القبول و الاستقبال، لأنه من التعرض، و ربما يحتمل أن يكون أصله التلقن كالتظني في التظن و هو ضعيف.

## القراءة

و اكثر القراء على رفع آدم و نصب كلمات، و عن ابن كثير العكس، و استدلل له بأنه في المعنى كالقراءة الأخرى، فإن الأفعال المتعدية على ثلاثة أضرب: ما يجوز ان يكون الفاعل له مفعولا به و العكس، نحو: ضرب زيد عمروا و ما لا يجوز ذلك فيه نحو: أكلت الخبز، و ما يكون إسناده إلى الفاعل في معنى اسناده إلى المفعول به، نحو: نلت و أصبت و تلقيت تقول: نالني خير، و نلت خيرا، و اصابني شيء، و أصبت شيئا، و تلقاني زيد و تلقيت، و مثله في جواز الوجهين بل و قراءة قوله تعالى: لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ «١» على ما يأتي إن شاء الله تعالى، و هو كما ترى توجيه للمعنى لا تصحيح للقراءة، بل هو من وجه آخر على ما مرّ على أن المعنى على الأول ما سمعت، و على الثاني أن الكلمات تداركته بالنجاة و ستسمع في الأخبار المروية عن «الخصال» و «المعاني» و «الفضائل» و غيرها ما يدلّ على الأول.

و «من» للابتداء، و إضافة الكلمات إلى اسم الرّب مضافا إلى ضميره، مع أنّه

(١) البقرة: ١٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣١

رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ، للإشعار على كون التلقى و التوسل من وظائف عبودية آدم، و قبوله من شؤون ربوبيته المطلقة، مضافا إلى كونه من متممات تربيته و مكملات وجوده.

## الكلمات و إطلاقاتها

و «كلمات» جمع كلمة، و فيها لغات، و الحقّ أنّها اسم جنس يطلق على القليل و الكثير فيقال للكلام و البيت و الخطبة و القصيدة كما في قوله تعالى: كَلِمًا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا «١»، و قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: أصدق كلمة قالتها العرب كلمة ليبيد «٢»:-  
ال- كلّ شيء ما خلا الله باطل و كلّ نعيم لا محالة زائل «٣» و قولهم: قال قسّ في كلمته، يعنون في خطبته، و قال إمروء القيس في كلمته، يعنون في قصيدته.

ثمّ إنّ هذه الإطلاقات كلّها إنّما هي باعتبار الكلمة التدويبية، و أما الكلمة التكوينية فالمراد بها الوجودات الجامعة المشتملة على الحروف الكونية و لذا يطلق على الأنبياء و الحجج عليهم السلام و كذا أطلقت على عيسى على نبينا و آله و عليه السلام في قوله تعالى: إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ «٤» و أطلقت الكلمات او الموصوفة بالتامات على النبي و الأئمة عليهم السلام كما في هذه الآية

(١) المؤمنون: ١٠٠.

(٢) ليبيد بن ربيعة العامري كان من أشرف شعراء المخضرمين و الفرسان المعمّرين عمّر (١٤٠) سنة او أزيد و أدرك الإسلام و أسلم مات في أواخر خلافة معاوية.

(٣) سفينة البحار: ج ٢ ص ٥٠٣.

(٤) النساء: ١٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٢

و في قوله: وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ «١»، و قوله: قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي «٢»، و قوله: مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ «٣»، وَ

تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ \* (٤)، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً (٥)، حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ (٦)، وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى (٧) وغيرها من الآيات الكثيرة على ما تسمع إنشاء الله تعالى.

و المراد بها في المقام ما يشمل الأمرين أعنى التوسل بذواتهم الشريفة الذين هم الأسماء الحسنی، و الأمثال العليا، و أسماؤهم التي هي أسماء الأسماء إما باعتبار عموم الاشتراك، أو المجاز، او على ما قرّر في محلّه من جواز استعمال اللفظ المشترك في المعنيين و المتّحد المعنى في المعنى الحقيقي و المجازي، مع أنّ التلقی هو التوسل التام الّلهي لا يتم إلّا بالأمرين معا و لذا ترى أخبار الباب المرويّة من طرق الفريقين مشتملة على الأمرين.

ففي «تفسير العياشي» عن امير المؤمنين عليه السّلام قال: الكلمات التي تلقاها آدم من ربه قال: يا ربّ اسألک بحقّ محمّد لما تبت عليّ، قال: و ما علمک بمحمّد؟

قال: رأيتّه في سرادقک الأعظم مكتوبا و انا في الجنّة (٨).

(١) البقرة: ١٣٤.

(٢) الكهف: ١٠٩.

(٣) لقمان: ٢٧.

(٤) الانعام: ١١٥.

(٥) الزخرف: ٢٨.

(٦) يونس: ٩٦.

(٧) الفتح: ٢٦.

(٨) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤١ ح ٨ و عنه البحار ج ١١ ص ١٨٦ ح ٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٣

و فيه عن الصادق عليه السّلام قال: إنّ الله تبارك و تعالى عرض على آدم في الميثاق ذرّيته، فمرّ به النبيّ صلّى الله عليه و آله و هو متكئ على عليّ و فاطمة صلوات الله عليهما تتلوهما، و الحسن و الحسين عليهما السّلام يتلوان فاطمة، فقال الله: يا آدم إياك أن تنظر إليهم بحسد أهبطك من جوارى، فلمّا أسكنه الله الجنّة مثّل له النبيّ و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم، فنظر إليهم بحسد، ثمّ عرضت عليه الولاية:

فأنكرها فرمته الجنّة بأوراقها، فلمّا تاب إلى الله من حسده و أقرّ بالولاية و دعا الله بحقّ الخمسة محمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين صلّى الله عليهم غفر الله له و ذلك قوله: فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ (١).

و في «تفسير القمي» عن الصادق عليه السّلام قال: إنّ آدم بقى على الصفا أربعين صباحا ساجدا يبكي على الجنّة و على خروجه من جوار الله عزّ و جلّ، فنزل عليه جبرئيل عليه السّلام فقال: يا آدم مالک تبکی؟ قال: يا جبرئيل مالي لا ابکی و قد أخرجني الله من جواره، و أهبطني إلى الدّنيا، قال: يا آدم تب إليه، قال: و كيف أتوب؟ فانزل الله عليه قبة من نور في موضع البيت، فسطع نورها في جبال مکه فهو الحرم، فأمر الله جبرئيل أن يضع عليه الأعلام، قال: قم يا آدم فخرج به يوم التّروية، و امره أن يغتسل و يحرم و أخرج من الجنّة أوّل يوم من ذى القعدة، فلمّا كان يوم الثامن من ذى الحجّة أخرج جبرئيل إلى منى، فبات فيها فلمّا أصبح أخرج به إلى عرفات، و قد كان علمه حين أخرج من مکه الإحرام و أمره بالتلبية، فلمّا زالت الشمس يوم عرفه قطع التلبية، و أمره أن يغتسل، فلمّا صلّى العصر و قفّه. بعرفات، و علمه

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤١ ح ٢٧ و عنه البحار ج ١١ ص ١٨٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٤

الكلمات التي تلقى بها ربّه، و هو «سبحانك اللهم و بحمدك لا اله إلا أنت عملت سوء و ظلمت نفسي، و اعترفت بذنبي، فاغفر لي إنك الغفور الرحيم» هكذا ثلاث مرّات إلا أنّه في الثانية أنّك أنت خير الغافرين و في الثالثة: انك أنت التّواب الرحيم، فبقى إلى أن غابت الشمس رافعا يديه إلى السماء يتضرّع و يبكي إلى الله، فلمّا غابت الشمس رده إلى المشعر، فبات بها فلمّا أصبح قام على المشعر الحرام، فدعا الله تعالى بكلمات و تاب عليه «١». الخبر أقول: و لعلّ المراد بهذه الكلمات الأخيرة ما مرّت الإشارة إليها في ما مرّ من الأخبار من التوسل بالنبي و الأئمة عليهم السّلام، و أمّا مع الحمل على الدّعاء المذكور في هذا الخبر فلا ينافي ذلك لأنّه من مقتضيات ولايتهم و من آثارها.

و عليه يحمل أيضا ما رواه العياشي في تفسيره عن أبي جعفر عليه السّلام قال:

الكلمات التي تلقاهنّ آدم من ربّه فتاب عليه و هدى قال: سبحانك اللهم و بحمدك، إلى آخر ما مرّ «٢».

قال و قال الحسن بن راشد: إذا استيقظت من منامك فقل الكلمات التي تلقى بها آدم من ربّه: سُبوح قدّوس ربّ الملائكة و الروح، سبقت رحمتك غضبك، لا اله إلا أنت أنى ظلمت نفسي فاغفر لي و ارحمني، انك أنت التّواب الرحيم «٣».

و في «كشف اليقين» عن مجاهد عن ابن عباس قال: لما خلق الله آدم و نفخ فيه من روحه عطس فألهمه الله: الحمد لله ربّ العالمين، فقال له ربّه: يرحمك ربّك،

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٤-٤٥ و عنه البحار ج ١١ ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤١ ح ٢٥.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤١ ح ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٥

فلما أسجد له الملائكة تداخله العجب، فقال: يا ربّ خلقت خلقا أحبّ إليك منّي؟

فلم يجب ثمّ قال الثانية فلم يجب، ثمّ قال الثالثة فلم يجب، ثمّ قال الله عزّ و جلّ له: نعم و لولا هم ما خلقتك، فقال يا ربّ فأرنيهم، فأوحى الله عزّ و جلّ إلى ملائكة الحجب: أن ارفعوا الحجب، فلما رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدام العرش، فقال: يا ربّ من هؤلاء؟ قال: يا آدم هذا محمّد نبيّ، و هذا عليّ أمير المؤمنين ابن عمّ نبيّ و وصيّه، و هذه فاطمة ابنة نبيّ، و هذان الحسن و الحسين ابنا عليّ و ولدا نبيّ، ثمّ قال: يا آدم هم ولدك ففرح بذلك، فلما اقترب الخطيئة قال: يا ربّ أسألك بمحمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين لما غفرت لي، فغفر الله له بهذا فهذا الذي قال الله عزّ و جلّ:

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ «١»، فلمّا هبط إلى الأرض صاغ خاتما فنقش عليه: «محمّد رسول الله و عليّ أمير المؤمنين» و يكنى آدم بابي محمّد عليه السّلام «٢».

و في «المعاني» فيما رواه المفصل عن الصادق عليه السّلام بطوله إلى أن قال عليه السّلام: فلما أراد الله عزّ و جلّ أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال لهما: إنكما إنما ظلمتما أنفسكما بتمنى منزله من فضل عليكما فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عزّ و جلّ إلى أرضه، فاسألا- ربكما بحقّ الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب عليكما، فقالا: اللهم إنا نسألك بحقّ الأ-كرمين عليك: محمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمة عليهم السّلام إلاّ تبت علينا و رحمتنا، فتاب الله عليهما أنّه هو التّواب الرحيم، فلم تزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة، و يخبرون

(١) البقرة: ٣٧.

(٢) اليقين في إمرة أمير المؤمنين عليه السلام ص ٣٠ - ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٦

بها أوصيائهم والمخلصين من أممهم، فأبون حملها و يشفقون من ادعائها و حملها الإنسان الذي قد عرف، فأصل كل ظلم منه إلى يوم القيامة، و ذلك قول الله عز و جل: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَلْفَيْنَا ظَنًّا بِهَا فَأَحْمَلْنَاهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ذَلِكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾، الآية «٢».

### الكلمات التي تلقيا آدم (ع)

و في «الأمالي» و «الاحتجاج» و «جامع الاخبار» عن الصادق عليه السلام قال: أتى يهودى النّبي صلّى الله عليه و آله فقام بين يديه يحدّ النظر إليه، فقال صلّى الله عليه و آله: يا يهودى ما حاجتك؟

قال: أنت أفضل أم موسى ابن عمران الذي كلمه الله، و أنزل عليه التوراة و العصا، و فلق له البحر و اظله بالغمام؟ فقال له النّبي صلّى الله عليه و آله: إنّه يكره للبعد أن يزكى نفسه و لكنى أقول: إنّ آدم لمّا أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال اللهم إننى أسألك بحقّ محمّد و آل محمّد لّمّا غفرت لى فغفرها الله له، و إن نوحا لمّا ركب السفينة و خاف الغرق قال: اللهم إننى أسألك بحقّ محمّد و آل محمّد لّمّا نجيتنى و أهلى من الغرق، فنجاه الله تعالى و من معه فى السفينة من الغرق، و إن إبراهيم لمّا ألقى فى النار قال:

اللهم إننى أسألك بحقّ محمّد و آل محمّد لّمّا أنجيتنى منها، فجعلها الله عليه بردا و سلاما، و إن موسى لمّا ألقى عصاه و أوجس فى نفسه خيفة قال: اللهم إننى أسألك بحقّ محمّد و آل محمّد لما آمنتنى، فقال الله جلّ جلاله: لا تخف إنك أنت الأعلى، يا يهودى إن موسى لو أدركنى ثم لم يؤمن بى و بنبوتى ما نفعه إيمانه شيئا

(١) الأحزاب: ٧٢.

(٢) معانى الاخبار: ص ١٠٨ و عنه البحار ج ١١ ص ١٧٤ ح ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٧

و لا نفعته النبوة «١».

و فى «المعاني» عن الصادق عليه السلام فى قوله: و إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴿٢﴾، ما هذه الكلمات؟ قال: هى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، و هو أنّه قال: أسألك بحقّ محمّد و علىّ و فاطمة و الحسن و الحسين إلّا تبت علىّ فتاب الله عليه أنّه هو التّوّاب الرحيم. «٣» الخبر و فى «الكافي» عن أحدهما عليهما السلام: إنّ الكلمات لا اله إلّا أنت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوء و ظلمت نفسى فتب علىّ و اغفر لى و أنت خير الغافرين، لا اله إلّا أنت سبحانك اللهم و بحمدك عملت، سوء و ظلمت نفسى فاغفر لى و ارحمنى انك، أنت ارحم الراحمين، لا اله الا- أنت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوء و ظلمت نفسى فتب علىّ انك أنت التّوّاب الرحيم.

و فى رواية: بحقّ محمّد و علىّ و فاطمة و الحسن و الحسين.

و فى رواية اخرى: بحقّ محمّد و آل محمّد عليهم السلام صلّى الله عليهم أجمعين «٤».

«الخصال» و «المعاني» و «الفضائل» عن النّبي صلّى الله عليه و آله أنّه سئل عن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال صلّى الله عليه و آله: سأله بحقّ محمّد و علىّ و فاطمة و الحسن و الحسين إلّا تبت علىّ فتاب الله عليه.

و فى «فضائل الأئمة» عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله لّمّا خلق الله

(١) جامع الاخبار: ص ٨-٩ و الأمالى ص ١٣١-١٣٢، و عنهما البحار ج ١٦ ص ٣٦٦.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) معانى الاخبار ص ٤٢ و عنه البحار ج ١١ ص ١٧٧ ح ٢٤.

(٤) معانى الاخبار ص ٤٢ و الخصال ج ١ ص ١٤٦ و عنهما البحار ج ١١ ص ١٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٨

آدم فسأل ربه أن يريه ذريته من الأنبياء و الأوصياء المقربين إلى الله عزّ و جلّ فأنزل الله عليه صحيفة فقرأها كما علمه الله تعالى إلى أن انتهى إلى محمد النبي العربي عليه أفضل الصلوة و السلام فوجد عند اسمه اسم علي بن ابي طالب عليه السلام فقال آدم هذا نبي بعد محمد صلى الله عليه و آله فهتف به هاتف يسمع صوته و لا يرى شخصه يقول هذا وارث علمه و زوج ابنته و ابو ذريته عليه السلام فلما وقع آدم فى الخطيئة جعل يتوسل إلى الله تعالى بهم عليهم السلام فتاب الله عليهم «١».

و فى تفسير فرات بن ابراهيم بالإسناد عن النبي صلى الله عليه و آله: لما نزلت الخطيئة بآدم و اخرج من الجنة أتاه جبرئيل عليه السلام فقال يا آدم أذع ربك قال يا حبيبي جبرئيل ما أذعو؟ قال: قل: يا رب أسألك بحق الخمسة الذين تخرجهم من صلبى آخر الزمان ألا تبت عليّ و رحمتى فقال له آدم يا جبرئيل سمهم لى قال: اللهم بحق محمد نبيك، و بحق عليّ وصى نبيك، و بحق فاطمة بنت نبيك، و بحق الحسن و الحسين سبطى نبيك ألا تبت عليّ و رحمتى، فدعا بهنّ آدم فتاب الله عليه، و ذلك قول الله تعالى: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ، و ما من عبد مكروب يخلص التية و يدعو بهنّ إلا استجاب الله له «٢».

و فى «الفضائل» بالإسناد عن النبي صلى الله عليه و آله: إن أبى آدم لما رأى اسمى و اسم عليّ و ابنتى فاطمة و الحسن و الحسين و اسماء أولادهم مكتوبة على ساق العرش بالثور، قال: الهى و سيدي هل خلقت خلقا هو أكرم عليك منى؟ فقال الله: يا آدم

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٣٣١ ح ١٣ عن الفضائل.

(٢) تفسير فرات: ص ١٣ و عنه البحار ج ٢٦ ص ٣٣٣ ح ١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٩

لو لا هذه الأسماء لما خلقت سماء مبيتة و لا أرضا مدحية و لا ملكا مقربا و لا نبيا مرسلًا، و لا خلقتك يا آدم قال: فلما عصى آدم ربه سأل به بحقنا أن يقبل توبته و يغفر خطيئته فأجابته، و كنا الكلمات التى تلقاها آدم من ربه عزّ و جلّ فتاب عليه و غفر له، فقال له: يا آدم ابشر فإن هذه الأسماء من ذريتك و ولدك، فحمد آدم ربه عزّ و جلّ و افتخر على الملائكة بنا و ان هذا من فضلنا و فضل الله علينا «١».

و فى كتاب المحتضر للحسن بن سليمان عن الباقر عليه السلام قال: نحن الأسماء الحسنى التى لا يقبل الله عن العباد عملا إلا بمعرفتنا و نحن و الله الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه «٢».

و فى تفسير الامام عليه السلام قال: فلما زلت من آدم الخطيئة و اعتذر إلى ربه عزّ و جلّ قال: يا رب تب عليّ، و اقبل معذرتى، و أعدنى إلى مرتبتى، و ارفع لديك درجتى، فلقد تبين نقص الخطيئة و ذلها بأعضائى و سائر بدنى، قال الله تعالى يا آدم: أما تذكر أمرى اياك بأن تدعونى بمحمد و آله الطيبين عند شدائدك و دواهيك و فى النوازل التى تبهظك «٣» قال آدم: يا رب بلى قال الله عزّ و جلّ له: فتوسل بمحمد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم خصوصا فادعنى أجيبك إلى ملتمسك و أزدك فوق مرادك، فقال آدم: يا رب و قد بلغ عندك من محلهم إنك بالتوسل بهم تقبل توبتى و تغفر خطيئتى، و انا الذى أسجدت له ملائكتك و الجنة جنتك و زوجته حواء أمتك، و أخدمته كرام ملائكتك؟

(١) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٢٣ ح ١٥ عن الفضائل.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٥ ح ٧.

(٣) تهطك: تتفلك و تعجزك، مشتق من بهظ بمعنى أثقل و أعجز.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٠

قال الله تبارك و تعالى: يا آدم إنما أمرت الملائكة بتعظيمك بالسجود إذ كنت وعاء لهذه الأنوار، و لو كنت سألتني بهم قبل خطيئك أن أعصمك منها، و ان أفطنك لدواعي عدوك إبليس حتى تحترز منه لكنت قد جعلت ذلك، و لكن المعلوم في سابق علمي يجري موافقا لعلمي، فالآن فبهم فادعني لأجيبك.

فعند ذلك قال آدم: اللهم بجاه محمد و آله الطيبين، بجاه محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين و الطيبين من آلهم لما تفضلت بقبول توبتي، و غفران زلتي، و إعادتي من كراماتك إلى مرتبتى.

فقال الله عز و جل قد قبلت توبتك و أقبلت برضواني عليك، و صرفت آلائي و نعمائي إليك، و أعدتكم إلى مرتبتك من كراماتي، و وفرت نصيبك من رحماتي، فذلك قوله عز و جل: فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ «١».

ثم قال عز و جل للمذين أهبطهم من آدم و حواء و إبليس و الحية: وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ فِيهَا يَعِشُونَ، و تحثكم لياليها و أيامها إلى السعي للاخرة، فطوبى لمن تزود منها لدار البقاء وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُنْفَعَةٌ إِلَىٰ حِينٍ مَوْتِكُمْ، لأن الله منها يخرج زروعكم و ثماركم، و بها ينزلكم «٢»، و ينعمكم، و فيها ايضا بالبلاء يمتحنكم، و يلدذكم بنعيم الدنيا تارة لتذكروا نعيم الآخرة الخالص مِمَّا يَنْقُصُ نَعِيمَ الدُّنْيَا و يبطله، و يزهّد فيه و يصغّره و يحقره، و يمتحنكم تارة ببلايا الدنيا التي تكون في خلالها الرّحمت و في تضاعيفها النقمات

(١) البقرة: ٣٧.

(٢) في البحار: ينزهكم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤١

المجحفه، يدفع عن المبتلى بها مكاره ليحدركم بذلك عذاب الأبد الذي لا تشوبه عافيه، و لا تقع في تضاعيفها راحه و لا رحمه «١». و في موضع آخر من التفسير قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله لليهود معاشر اليهود تعاندون رسول الله صلى الله عليه و آله و تأبون الاعتراف بأنكم كنتم بذنوبكم من الجاهلين بأن الله لا يعذب بها اي بالتوبه و الاعتراف أحدا، و لا يزيل عن فاعل العناد عذابه ابدا إن آدم عليه السلام لم يقترح على ربه المغفرة لذنبه إلما بالتوبه، فكيف تقترحونها أنتم مع عنادكم؟ قيل: و كيف كان ذلك يا رسول الله؟ صلى الله عليه و آله فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: لَمَّا وَقَعَتِ الْخَطِيئَةُ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ خَرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ وَ عَوْتُبُ وَ وَبَخُ قَالَ: يَا رَبِّ إِنْ تَبْتُ وَ أَصْلَحْتُ أ تُرَدِّنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ آدَمُ: فَكَيْفَ اصْنَعُ يَا رَبِّ حَتَّى أَكُونَ تَائِبًا تُقْبَلُ تَوْبَتِي؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: تَسْبِحُنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ، وَ تَعْتَرِفُ بِخَطِيئَتِكَ كَمَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَ تَتَوَسَّلُ إِلَيَّ بِالْفَاضِلِينَ الَّذِينَ عَلَّمْتَهُمْ أَسْمَاءَهُمْ، وَ فَضَّلْتَهُمْ بِهِمْ عَلَى مَلَائِكَتِي، وَ هُمْ مُحَمَّدٌ وَ آلُهُ الطَّيِّبُونَ وَ أَصْحَابُهُ الْخَيْرُونَ.

فوفقه الله تعالى، فقال: يا رب لا- إله إلا أنت سبحانك اللهم و بحمدك، عملت سوء، و ظلمت نفسي، فارحمني إنك أنت ارحم الرّاحمين بحق محمد و آله الطيبين، و خيار أصحابه المنتجين، سبحانك و بحمدك لا إله إلا أنت عملت سوء و ظلمت نفسي، فتب عليّ انك أنت التّواب الرحيم، بحق محمد و آله الطيبين و خيار أصحابه المنتجين.

فقال الله تعالى: لقد قبلت توبتك و آية ذلك أن أنقى بشرتك فقد تغيرت، و كان



(١) تفسير المنسوب إلى الامام عليه السلام: ص ٩٠-٩١ و عنه البحار ج ١١ ص ١٩٢-١٩٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٢

ذلك لثلاث عشر من شهر رمضان فصم هذه الثلاثة الأيام التي تستقبلك، فهي أيام البيض ينقى الله في كل يوم بعض بشرتك، فصامها فنقى في كل يوم منها ثلث بشرته، فعند ذلك قال آدم: يا رب ما أعظم شأن محمد وآله وخيار أصحابه؟ فأوحى الله إليه: يا آدم أنك لو عرفت كنه جلال محمد عبدى وآله وخيار أصحابه لأحبته حباً يكون أفضل أعمالك، قال: يا رب عزّنى لأعرف، قال الله تعالى: يا آدم إنّ محمّداً لو وزن به جميع الخلق من النبيين والمرسلين والملائكة المقربين، وسائر عبادى الصّالحين، من أولّ الدهر إلى آخره، ومن الثرى إلى العرش لرجح بهم، وإنّ رجلاً من خيار آل محمّد لو وزن به جميع آل النبيين لرجح بهم، وإنّ رجلاً من خيار أصحاب محمّد لو وزن به جميع المرسلين لرجح بهم، يا آدم لو أحبّ رجل من الكفّار أو جميعهم رجلاً من آل محمد وأصحابه الخيّرين لكافاه الله عن ذلك بأن يختم له بالتوبة والايمن، ثم يدخله الله الجنّة إنّ الله ليفيض على كلّ واحد من محبّى محمد وآل محمد وأصحابه من الرّحمة ما لو قسمت على عدد كعدد ما خلق الله تعالى من أولّ الدهر إلى آخره، وكانوا كفّاراً لكفاهم، ولأداهم إلى عاقبة محمودة وهو الايمان بالله حتّى يستحقوا به الجنّة، ولو أنّ رجلاً كان ممّن يبغض آل محمّد وأصحابه الخيّرين أو واحداً منهم لعذّبه الله عذاباً لو قسم على عدد ما خلق الله لأهلكهم الله أجمعين «١».

وفى كتاب المحتضر للحسن بن سليمان ممّا رواه من كتاب منهج التحقيق

(١) التفسير المنسوب الى الامام العسكرى عليه السلام ص ١٥٧ و عنه البحار ج ٢٦ ص ٣٣٠-٣٣١ ح ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٣

عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تعالى خلق أربعة عشر نورا من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فهى أرواحنا فقيل له: يا ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله عدّهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعة عشر نورا؟ فقال: محمّد وعلّى وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين، وتاسعهم قائمهم ثمّ عدّهم بأسمائهم ثمّ قال: والله نحن الأوصياء الخلفاء من بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، ونحن المثانى الذى أعطاه الله نبينا، ونحن شجرة النبوّة، ومنبت الرّحمة، ومعدن الحكمة، ومصايح العلم، وموضع الرّسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ووديعة الله جلّ اسمه فى عباده، وحرم الله الأكبر وعهده المسؤول عنه، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله ومن خفره «١» فقد خفر ذمّة الله وعهده، عرفنا من عرفنا وجهنا من نحن الأسماء الحسنى التى لا يقبل الله من العباد عملاً- إلّا بمعرفتنا، ونحن والله الكلمات التى تلقاها آدم من ربّه فتاب عليه، انّ الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه على عباده، ولسانه الناطق فى خلقه، ويده المبسوطة عليهم بالرّأفة والرّحمة، ووجهه الذى يؤتى منه، وبابه الذى يدلّ عليه، وخزان علمه، وتراجمه وحيه، وأعلام دينه، والعروة الوثقى والدليل الواضح لمن اهتدى، وبنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثّمار، وجرت الأنهار، ونزلت الغيث من السّماء، ونبت عشب الأرض، وعبادتنا عبد الله، ولولانا ما عرف الله، وأيم الله لولا وصيّة سبقت وعهد أخذ علينا لقلت قولاً يعجب منه أو يذهل عنه الأولون والآخرون «٢».

(١) اى ومن نقض عهدنا فقد نقض عهد الله.

(٢) المحتضر: ص ١٢٩ و عنه البحار ج ٢٥ ص ٤-٥ ح ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٤

وعن كتاب الآل لابن خالويه عن النبى صلّى الله عليه وآله قال: لما خلق الله آدم وحواء عليهما السلام تبخترتا فى الجنّة فقال آدم لحواء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منّا، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل ان ائتنى بعبدتى التى فى جنّة الفردوس الأعلى فلمّا دخلا

الفردوس نظرا إلى جارية على درنوك «١» من درانيك الجنة على رأسها تاج من نور، و في أذنيها قرطان من نور، قد أشرفت الجنان من حسن وجهها، قال آدم: حبيبي جبرئيل من هذه الجارية التي قد أشرفت الجنان من حسن وجهها؟ فقال: هذه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله نبي من ولدك يكون في آخر الزمان، قال: فما هذا التاج الذي على رأسها؟ قال: بعلمها على بن ابي طالب قال: فما القرطان اللذان في أذنيها؟

قال: ولداها الحسن والحسين، قال: حبيبي جبرئيل أخلقوا قبلي؟ قال: هم موجودون في غامض علم الله قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة «٢».

و في تفسير القمي عن الصادق عليه السلام قال: إن آدم عليه السلام بقي على الصفاء أربعين صباحا ساجدا يبكي على الجنة و على خروجه من الجنة من جوارح الله عز و جل، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم ما لك تبكي؟ فقال: يا جبرئيل ما لي لا ابكي و قد أخرجني الله من جواره و أهبطني إلى الدنيا، قال: يا آدم تب إليه، قال: و كيف أتوب؟ فانزل الله عليه قتيه من نور في موضع البيت فسطع نورها في جبال مكة، فهو الحرم و أمر الله جبرئيل أن يضع عليه الأعلام، ثم قال: قم يا آدم فخرج به يوم التروية و امره أن يغتسل و يحرم، و أخرج من الجنة أول يوم من ذي القعدة فلما كان

(١) الدرناوك بضم الدال نوع من البسط له حمل.

(٢) المحتضر: ١٣١-١٣٢ و عنه البحار ج ٢٥ ص ٥-٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٥

يوم الثامن من ذي الحجة أخرج جبرئيل الى منى فبات بها فلما أصبح أخرجها إلى عرفات، و قد كان علمه حين أخرجه من مكة الإحرام، و علمه التلبية، فلما زالت الشمس يوم عرفه قطع التلبية، و أمره أن يغتسل، فلما صلى العصر أوقفه بعرفات، و علمه الكلمات التي تلقى بها ربه، و هي سبحانك اللهم و بحمدك لا اله إلا أنت عملت سوء و ظلمت نفسي و اعترفت بذنبي فاغفر لي انك أنت خير الغافرين، سبحانك اللهم و بحمدك لا اله إلا أنت عملت سوء و ظلمت نفسي و اعترفت بذنبي فاغفر لي انك أنت التواب الرحيم، فبقى إلى غروب الشمس رافعا يديه إلى السماء يتضرع و يبكي فلما غربت الشمس رده إلى المشعر، فبات بها فلما أصبح قام على المشعر الحرام فدعى الله تعالى بكلمات و تاب عليه، ثم أفاض إلى منى و أمره جبرئيل أن يحلق الشعر الذي عليه، فحلقه، ثم رده إلى مكة فأتى به عند الجمرة الأولى، فعرض إبليس عندها فقال: يا آدم اين تريد؟ فأمره جبرئيل أن يرميه بسبع حصاة، و أن يكبر مع كل حصاة تكبيره ففعل، ثم ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثانية، فأمره أن يرميه بسبع حصاة فرمى و كبر مع كل حصاة تكبيره، ثم ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثالثة فأمره أن يرميه بسبع حصاة و يكبر عند كل حصاة ففعل، فذهب إبليس لعنه الله و قال له جبرئيل: إنك لن تراه بعد هذا اليوم ابدا فانطلق به إلى البيت الحرام و أمره أن يطوف به سبع مرات، ففعل، فقال له: إن الله قد قبل توبتك و حلت لك زوجتك، قال: فلما قضى آدم حجه لقيته الملائكة بالأبطح فقالوا: يا آدم برّ حجك أما إننا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفى عام «١».

(١) تفسير القمي ص ٣٧-٣٨ و عنه البحار ج ١١ ص ١٧٨-١٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٦

و في البحار عن بعض كتب المناقب: ان آدم لما هبط إلى الأرض لم ير حواء فصار يطوف الأرض في طلبها، فمر بكر بلا فاغتم و ضاق صدره من غير سبب، و عثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين، حتى سال الدم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء و قال: الهى هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني به، فإني طفت جميع الأرض و ما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض؟

فأوحى الله تعالى إليه، يا آدم ما حدث منك ذنب، و لكن يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلما فسأل دمك موافقة لدمه، فقال آدم: يا رب أ يكون الحسين نبيا؟ قال: لا و لكنه سبط النبي محمد صلى الله عليه و آله فقال: و من القاتل له؟ قال: قاتله يزيد لعين أهل السموات و الأرض فقال آدم: فأى شىء أصنع يا جبرئيل قال: العن قاتله يا آدم، فلعنه أربع مّرات، و مشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حواء هناك «١».

و فى تفسير العياشى عن ابى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إنّ الله حين أهبط آدم إلى الأرض أمره ان يحرث بيده فيأكل من كده بعد الجنة و نعيمها، فلبث يجأر و يبكى على الجنة مائتى سنة، ثمّ أنّه سجد لله سجدة فلم يرفع رأسه ثلاثة ايام و لياليها، ثمّ قال: اى ربّ الم تخلقنى؟ فقال الله: قد فعلت، فقال: الم تنفخ فى من روحك؟ قال: قد فعلت، قال: الم تسكنى جنتك؟ قال: قد فعلت، قال: ألم تسبق لى رحمتك غضبك؟ قال الله: قد فعلت، فهل صبرت او شكرت؟ قال: آدم: لا اله إلا أنت سبحانك إنّى ظلمت نفسى فاغفر لى انك أنت الغفور الرحيم، فرحمه الله

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٤٢-٢٤٣ ح ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٧

بذلك و تاب عليه إنّهُ هو التّواب الرحيم «١».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المأثورة من طرق الامامية، بل قد روى مثل ذلك أيضا من طرق المخالفين.

فعن ابن المغازلى الشافعى فى كتاب «المناقب» عن النبي صلى الله عليه و آله أنّه سئل عن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه فقال صلى الله عليه و آله: سأله بحقّ محمد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السّلام ألا تبت عليّ فتاب عليه «٢».

و عن الطنزي فى «الخصائص» أنّه قال ابن عباس: لمّا خلق الله آدم و نفخ فيه من روحه عطس، فقال: الحمد لله، فقال له ربه: يرحمك ربك، فلما أسجد له الملائكة تداخله العجب فقال: يا ربّ خلقت خلقا هو أحبّ إليك منى؟ قال: نعم و لولاهم ما خلقتك، قال: يا ربّ فأرنيهم، فأوحى الله عزّ و جلّ إلى ملائكة الحجب: أن ارفعوا الحجب، فلما رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدام العرش، قال: يا ربّ من هؤلاء قال: يا آدم هذا محمّد نبى، و هذا عليّ أمير المؤمنين ابن عمّ نبى و وصيه، و هذه فاطمة بنت نبى، و هذان الحسن و الحسين ابنا عليّ و ولدا نبى، ثمّ قال: يا آدم هم ولدك، ففرح بذلك، فلما اقترف الخطيئة، قال: يا رب اسألك بمحمد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين لما غفرت لى، فغفر الله له فهذا الذى قال الله تعالى:

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ، إِنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ، اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ إِلا تَبْتَ عَلَيَّ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ «٣».

(١) بحار الأنوار عن تفسير العياشى ج ١١ ص ٢١٢ ح ١٩.

(٢) المناقب لابن المغازلى ص ٦٣ ح ٨٩.

(٣) تفسير البرهان عن ابن شهر آشوب عن الطنزي ج ١ ص ٨٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٨

أقول: و هذا الخبر قريب ممّا حكيناه عن: «كشف اليقين» إلا أنّ فيه بعض الاختلاف و لذا حكيناه بلفظه.

و روى القاضى أبو عمرو عثمان بن أحمد أحد شيوخ السّنة يرفعه إلى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و آله قال: لمّا شملت آدم الخطيئة نظر إلى أشباح تضىء حول العرش فقال: يا ربّ إنّى أرى أشباحا تشبه خلقى فما هى؟ قال: هذه الأنوار أشباح اثنين من ولدك اسم أحدهما محمّد، أبدأ التّبوء بك و أختمها به، و الآخر أخوه و ابن اخى أبيه اسمه عليّ أيّدت محمّدا به، و انصره على يده،

و الأنوار التي حولهما أنوار ذرية هذا النبي من أخيه هذا يزوجه ابنته تكون له زوجة يتصل بها أول الخلق إيماناً به و تصديقاً له، أجعلها سيده النسوان و أطمها و ذريتها من النيران، تنقطع الأسباب و الأنساب يوم القيمة إلا سببه و نسبه، فسجد آدم شكراً لله أن جعل ذلك في ذريته فعوضه الله عن ذلك السجود أن أسجد له ملائكته «١».

ثم إن آدم عليه السلام لما تاب بالتوسل بمحمد و آله الطيبين و تجديد العهد بولايتهم و الاستشفاع بأنوارهم فتاب الله عليه بقبول توبته و الرجوع عليه بالاشفاق و الرحمة و النعمة، و يمكن أن يكون المراد الرجوع عليه بتوفيقه للتوبة، و إلهامه لها أولاً قبل توبته كما في قوله: **ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا** «٢» و منه قوله في الدعاء:

«اللهم تب علي حتى لا أعصيك»، فإن التوبة يتصف بها العبد و الرب، و للعبد توبة، و للرب توبتان: يوفق العبد و يلهمه التوبة أولاً، ثم يتوب العبد و يرجع من البعد إلى

(١) البرهان: ج ١ ص ٨٩ ح ١٦.

(٢) التوبة: ١١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٩

القرب و من المعصية إلى الانقياد و الطاعة، ثم يقبل الله توبته، فتوبة العبد تتعدى يالي و إذا نسبت إليه سبحانه تعدت بعلى لتضمينه معنى الإشفاق و العطف.

و إنما رتبته بالفاء لأنه كالتفصيل لما أجمله أولاً، لتضمن التلقى لتوبته لما مر.

و اكتفى بذكر آدم في كل من التلقى و التوبة مع سبق التشريك في الزلّة للإيجاز و التغليب له في الأفعال كالأحكام و للتنبية بالتشريك و التفكيك على كون ابتداء الزلّة منهما و التلقى منه.

إنه هو التواب الرجاء على عباده بالتوفيق و الدعاء إلى التوبة و قبول الرحمة، أو بالصّ فح و المغفرة مرة بعد أخرى، أو بقبولها في الذنوب العظام، فيحتمل كل من المادّة و الهيئة و جهين و الحاصل أربعة و الأولى الحمل على الجميع.

الرجيم المبالغ في إفاضة الرحمة المكتوبة الإيمانية التي خص بها المؤمنين، و في الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالإحسان مع الغفران.

### تفسير الآية (٣٨)

قلنا اهبطوا منها جميعاً كثره للتأكيد، أو لاختلاف ما هو المقصود بالخطاب، فإن مساق الأول كون هبوطهم للزلّة و الثاني أن المقصود الابتلاء بالتكليف، أو لأن المقصود بالخطاب الأول هو آدم و حواء و ذريتهما تابعه، و في الثاني بالعكس، و لذا فرّع على الأول حديث التلقى و قبول التوبة، و على الثاني تقسيم الناس إلى صنفين: ناج متع لهداه و كافر تابع لهواه، و ليس من خطاب المعدوم من شيء على فرض استحالته، و لو

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٠

باعتبار التغليب لسبق خلق الأرواح التي ركب فيها العقل و الإدراك أو غير ذلك ممّا مرّ في المقدمات، و يؤيده قول الإمام عليه السلام في تفسير قوله: **فَأَمَّا يَا تَبِئْتُكُمْ مِنِّي هُدَىٰ، يَا تَبِئْتُكُمْ مِنِّي هُدَىٰ** و أولادكم من بعدكم مني هدى يا آدم و يا إبليس «١».

أو لأنهما لما أتيا بالزلّة أمرا بالهبوط فتابا بعد الأمر بالهبوط، و وقع في قلبهما أن الأمر بالهبوط لما كان بسبب الزلّة فبعد التوبة ينبغي أن لا يبقى الأمر بالهبوط فأعاده الله ليعلم أنه ما كان جزاء على ارتكاب الزلّة يزول بزوالها بل أنّما هو تحقيق بالوعد المتقدم من جعله خليفة في الأرض «٢».

و هذا الوجه ضعيف، و إن قوّاه الرازي، أو لأنّ الهبوط الاول من الجنّة إلى السّماء و هذا الهبوط من السّماء إلى الأرض (٣).  
و ردّ بانه قد جعل الاستقرار في الأرض و التمتع فيها حالا من الأوّل و ان كانت حالا مقدّرة.

و فيه نظر لجواز كونه حالا- باعتبار ما يؤول إليه حالهم بعد الهبوط، و إلّا فلا استقرار و لا تمتّع حال الهبوط بل بعده، أو لاختلاف الحالين فقد بين في الأوّل أنّ الإهباط كان في حال عداوة بعضهم لبعض، و في الثّاني أنّه كان للابتلاء و التكليف كما يقال: اذهب سالما معافى اذهب مصاحبا، و ان كان الذهاب واحدا لاختلاف الحالين، و هو قريب من الثّاني، أو لأنّه من تعقيب المطلق بالمقيد حيث قيد الثّاني بالاجتماع، و اليه الإشارة بما في تفسير الامام عليه السّلام حيث قال: كان أمر في الاول أن

(١) تفسير الامام عليه السّلام: ص ٩٠ و عنه البحار ج ١١ ص ١٩١.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ج ٣ ص ٢٦.

(٣) نقله الرازي عن الجباعي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥١

يهبطا «١» و في الثّاني أمرهم أن يهبطوا جميعا لا يتقدّم أحدهم الاخر، و الهبوط إنّما كان هبوط آدم و حوّاء من الجنّة، و هبوط الحيّة ايضا منها، فإنّها كانت من أحسن دوابّها، و هبوط إبليس من حواليتها فإنّه كان محرّما عليه دخول الجنّة «٢».

و اما ما يقال: من أنّ جميعا حال في اللفظ تأكيد في المعنى فكأنه قيل:

اهبطوا أنتم أجمعون، و لذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك: جاءوا جميعا.

ففيه أنّه كما يتعدّر كونه تأكيدا في اللفظ فكذلك لا يتعيّن ذلك معنى، بل قضية الحائية بظاها اجتماعهم على الهبوط سلّما، لكنّه لا اقلّ من استفادة اجتماعهم بعده و هذا مع سبق العداوة الظّاهرة ممّا يصلح لتمهيد الابتلاء و الامتحان و لذا عدل عن التأكيد إلى الحائية أي اهبطوا مجتمعين.

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى «إمّا» أصله إن الشرطيّة زيدت عليها «ما» ليصحّ دخول نون التأكيد في الفعل، إيماء إلى رجحان جانب الوقوع بعد دلالة حرف الشرط على الشك، فأكدوا الفعل بالنون و الأداة بما، و قد يقال: إنّ الأداة إذا أكّدت بما وجب تأكيد شرطها فلا ينحطّ المقصود عن رتبة الأداة، و بالجملة الأمر و النهي و الاستفهام تدخل فيها النون و ان لم يكن معها ما، لاشتداد الحاجة إلى التوكيد في الأوّلين، و الثالث في معنى أخبروني، و اما الخبر فلا يدخله إلّا في القسم و ما أشبه القسم في التوكيد لقولك زيد ليأتينك و بجهد ما تبلغن، و قد يقال في المقام: إنّ ما

(١) في نسخة: أن يهبطوا.

(٢) تفسير المنسوب الى الامام عليه السّلام ص ٩٠-٩١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٢

لتأكيد الفعل أوّله كما أنّ النون تأكيد له اخره كظيره في لام القسم و النون في نحو:

و الله لأقومنّ، و أمّا فتح ما قبل النون فقد يقال: إنّهُ لالتقاء سكون الياء و النون الاولى، و الصحيح أنّه للبناء و الّا لما حرّك على الفتح في الصحيح.

و المراد بالهدى البيان و الدلالة بالعقل و الشرع، و لذا ورد أنّ لله على النّاس حجّتين حجّة ظاهرة و هم الأنبياء و الرسل و حجّة باطنة و هي العقول «١».

و عن الكاظم عليه السّلام في خبر هشام أنّ الله عزّ و جلّ أكمل للنّاس الحجج بالعقول و أفضى إليهم بالبيان، و دلّهم على ربوبيّته

بالأدلة فقال: وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ (٢). (٣) الآيتين.

و في تفسير فرات عن الباقر عليه السلام في هذه الآية: انّ الهدى هو على بن ابي طالب عليه السلام (٤).

و المراد كونه عليه السلام حجّة في عصره بعد النبي صلى الله عليه و آله.

و فيه وجه آخر إنّما أتى فيه بالحرف الدال في أصله على الشك، لأنّ اقترانه بما الزائدة و التأكيد بالنون الثقيلة قد أخرج عن معنى الشك رأساً فدلّ على تيقن الوقوع و تحقّقه من دون تقيّد بزمان للشرط و لا للجزاء المترتب عليه، بل قضيه اطلاق الفعل من حيث الأزمان عدم خلوّ الزمان عن الحجّة الذي هو الهدى

(١) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٣٧.

(٢) الزمر: ١٨.

(٣) البحار: ج ١ ص ١٣٢ ح ٣٠.

(٤) تفسير فرات الكوفى ص ٥٨ ح ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٣

المنصوب منه لا منّا، و لذا أضافه إلى نفسه في موضعين من هذه الآية.

و أمّا ما يقال: من أنّ الوجه في ذلك أنّ الإتيان محتمل في نفسه غير واجب عقلاً، فهو مردود بما هو المقرّر في محلّه من عدم خلوّ العصر عن الحجّة، بل لا-ريب في شمول الهدى للحجّة الباطنة التي هي العقول، بل ما ذكره مبنى على قواعد الاشاعرة المنكرين للتحسين و التقيح العقليين النافين لعدله سبحانه عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

و مثله في الضعف ايضاً ما قيل: من أنّ ذلك للإيدان بأنّ الإيمان بالله و التوحيد لا يشترط فيه بعثه الرسل و إنزال الكتب، و أنّه إن لم يبعث رسولا- و لم ينزل كتابا كان الايمان به و توحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول و نصب لهم من الأدلة و مكّنهم من النظر و الاستدلال.

بل و ما قيل ايضاً: من أنّ فيه اشارة إلى وجه آخر غير ما ذكرناه و هو أنّ إتيان الهدى بطريق الرسول و الكتاب ليس بواجب فالإيمان به و بتوحيده و صفاته و أفعاله واجب عليهم على كلّ حال سواء يأتيهم الكتاب و الرسول أو لم يأتيهم، و ذلك لإفاضة نور العقل و نصب الأدلة و لو لم يكن طريق العقل كافياً لوجب عليه إرسال الرسل فلم يصحّ الإتيان بكلمة الشك، فلما أتى بها آذن أنّه ليس بواجب فتعيّن الوجوب بطريق العقل.

فإنّ الكلّ ضعيف لمخالفته للأصل المقرّر عندنا من وجوب الحجّة في كلّ عصر، و لظاهر الآية من حيث اقتران الشرط بحرفي التأكيد المخرجين. له عن الشك إلى رجحان الوقوع الموجب لتعيّنه في حقّه سبحانه على ما قضت به

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٤

حكّمته، و جرت عليه أفعاله من إرادة الأصلح و ترجيح الراجح على المرجوح و من هنا مع كون الخطاب شاملاً لدريته عليه السّلام و لو باعتبار التغليب او غيره و ظهور الآيتين في تصنيف التّاس إلى صنفين مع التعريض بهما على هذه الأمية التي هي في آخر الأمم إشارة إلى ما استقرّ عليه المذهب من عدم خلوّ الزمان عن الحجّة بل قد ورد في اخبار كثيرة: «أن علم آدم لم يرفع بل قد ورثه حجّة بعد حجّة».

ففي «البصائر» عن الفضيل قال سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ العلم الذي هبط مع آدم لم يرفع و إنّ العلم ليتوارث و ما يموت منّا عالم حتّى يخلفه من اهله من يعلم علمه او ما شاء الله (١).

و عن الحارث بن المغيرة عنه عليه السّلام: إنّ العلم الذي نزل مع آدم لم يرفع، و ما مات عالم الّا و قد ورث عالم علمه، إنّ الأرض لا

تبقى بغير عالم «٢».

و عن فضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت في علي عليه السلام سنة ألف نبي، و قال:

إن العلم الذي نزل مع آدم لم يرفع، و ما مات عالم فذهب علمه، و إن العلم ليتوارث و إن الأرض لا تبقى بغير عالم «٣».

و في «العلل» عنه عليه السلام قال: و الله ما ترك الله الأرض منذ قبض الله آدم إلّا و فيها امام يهتدى به الى الله و هو حجّة الله على عباده «٤».

و فيه و في الإكمال عن الصادق عليه السلام قال: و الله ما ترك الله الأرض منذ قبض

(١) بصائر الدرجات: ص ٣٢ و عنه البحار ج ٢٦ ص ١٦٩.

(٢) البصائر: ص ٣٢ و عنه البحار ج ٢٦ ص ١٦٨.

(٣) البصائر: ص ٣٢ و عنه البحار ج ٢٦ ص ١٦٩ ح ٣١.

(٤) علل الشرائع: ٧٦ و عنه البحار ج ٢٣ ص ٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٥

آدم إلّا و فيها إمام يهتدى به إلى الله عزّ و جلّ، و هو حجّة الله عزّ و جلّ على العباد، من تركه هلك، و من لزمه نجى حقاً على الله عزّ و جلّ «١».

ثمّ إنّ العقول و ان استقلت بإدراك بعض الحقائق كالنوحيد و غيره بل بإدراك بعض الاحكام او المصالح المقتضية لها كحسن الصدق النافع و قبح الكذب الضار، إلا أنّها قاصرة عن الإحاطة بتفاصيل الأحكام فمتابعتها بهذا الاعتبار لا توجب الهدى التام الذي يوجب متابعتها نفى الخوف و الحزن رأساً، و مخالفته الكفر الموجب للخلود في النار، و أمّا الكتب السماوية فإنّها و ان وجد فيها ما هو مشتمل على جميع الحقائق و الاحكام كالقرآن إلا أنّه باعتبار بطونه التي لا يعلمها إلا الله سبحانه أو من علمه الله و لو بوسط.

بل نحن نرى الناس مختلفين في فهم ظواهرها، و لذا ترى كلّ ذي شرعة أو بدعة يتشبّث بشيء من ظواهرها في أصولهم و فروعهم، و كلّ فرقة من فرق أمة النبي صلى الله عليه و آله قد استدلتوا لمذاهبهم المختلفة المنحرفة عن طريق الحقّ بظواهر القرآن، فليس فيه ايضاً بنفسه البيان الواضح و الهدى التام بل إنّما يتحقّق ذلك في الأنبياء و الأوصياء المعصومين صلى الله عليهم أجمعين الذين عندهم علم الكتاب، و هم فصل الخطاب، و العقل من حيث دلالاته على الحجّة، و كشفه عن صحّة دعواه فيه الهدى التام، و كذلك الكتاب من حيث اقترانه ببيان الحجّة و تفسيره و تأويله فيه الهدى التام، و الحجّة هو الكتاب الناطق الذي ينطق بالحقّ و يقضى بالقسط و يبطل تأويل المؤولين و يدحض انتحال المبطلين و هو الهدى التام الذي علّق عليه الوعد

(١) العلل: ص ٧٦ و إكمال الدين ص ١٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٦

و الوعيد في الآيتين.

و أنّما اضافته إلى نفسه للتنبية على وجوب كونه منصوباً من قبله سبحانه لاشتراطه بالعصمة التي ليس للناس سبيل إلى معرفتها إلا من طريق الاعجاز أو النصّ و لغير ذلك على ما قرّر في محلّه.

فَمَنْ تَبِعْ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «من» شرطية عند الأ-كثر، و يحتمل أن تكون موصولة، بل وجهه أبو حنّان و غيره لقوله في قسمه و الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا حيث أتى به موصولاً مع عدم دخول الفاء في خبره، و يؤيدّه ضمائر الجمع الغائب، و الجملة شرطية كانت او خبرية جواب للشرط المتقدّم.

و الاتباع هو الاقتداء والاحتذاء، وأصله من تبعت القوم إذا مشيت خلفهم، والمراد به في المقام الموافقة في الأفعال والأقوال والأحوال والعقائد والنيات، فإنه هو الاتباع التام، وان كان له عرض عريض كما وكيفا، وهو المعبر عنه بالإيمان والتصديق، ولذا قابله بالكفر والتكذيب.

و أما كَرَّرَ لفظ الهدى لإظهار شأنه وفخامته سيما مع إضافته إليه، تنبيها على قطع طمع الخائنين عن أن يكون لهم سبيل إلى نصب الحجّة، وتوهم كون الثاني أعمّ من الأول بناء على شموله لما اقتضاه العقل، مضافا إلى ما أتى به الرسل، واختصاص الأول بالثاني غير واضح بعد ظهور شمول الأول للأول أيضا، سيما مع كونه نكرة في سياق الشرط او ما بمعناه.

و المراد بالخوف هو التألم الحاصل من توقّع الوعيد، ونقيضه الأمان، كما أنّ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٧

نقيض الحزن السرور، وأصله غلظ الهمّ من الحزن وهو ما غلظ من الأرض، والخوف إنّما يحصل من حلول المكروه المتوقع، و الحزن عن فوات المحبوب الواقع، و أمّا قوله تعالى: إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّنْبُ «١»، فقد أجاب عنه شيخنا البهائي قدس سرّه في كشكوله بأنّ المراد أنّه يحزني قصد ذهابكم به، قال: وبهذا يندفع احتراز ابن مالك على النّحاة بالآية الكريمة في قولهم: إنّ لام الابتداء تخلّص المضارع للحال.

أقول والأولى أن يقال: إنّهُ أيضا بالنسبة إلى الواقع بعد تحقّق الذهاب لاستناد الفعل إليه، فلا عبرة بحال التكلّم، و أمّا اندفاع الاحتراز به بالنسبة إلى اللام فقد سبقه فيه غيره كابن هشام، و ستسمع في موضعه تمام الكلام، و ان كُنّا قد لَوْحنا إليه في المقام أيضا، فإنّ تقدير الآية بعد التأويل بالمصدر أنّه ليحزني إذهبكم إيّاه، و من البين أنّ الإذهب موجب للحزن في حاله، و إن كانا مستقبلين بالنسبة إلى حال التكلّم، و بالجملة ففي المقام نفى عنهم خوف وقوع المكروه فضلا عن الخوف الواقع، و هو ابلغ بيان في نفى العذاب الروحاني والجسماني و اثبات الثواب على الوجهين.

و قرئ (هدى) كقضى على لغة هذيل، حيث أنّهم يقبلون ألف المقصورة إذا أضيف إلى ياء المتكلم، ياء لمناسبتها كسرة المضاف و يدغمونها، و ذلك لأنّ شأن ياء الإضافة أن يكسر ما قبلها، فجعل قلب الالف ياء بدل كسرها، إذ الالف لا تتحرّك، فهو مثل على و لدى، و قرأ يعقوب فلا خوف بفتح الفاء، على أنّ لا لنفى

(١) سورة يوسف: ١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٨

الجنس، و هذه قراءته في جميع القرآن، و الباقيون بالرّفْع و التنوين على إعمال لا عمل ليس. و أمّا ما يستدلّ به للأول من أنّ «لا» التبرئة اشدّ نفيا من «ليس» و ان قوله تعالى: فَلَا صَيْرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ «١» لا خلاف في نصبه، و إن كان ما بعده معطوفا عليه موضعه رفع، فمما لا ينبغي الإصغاء إليه، سيما فيما هو مبني على التّوقيف. و أمّا ما يحكى عن الأعرج «٢» من قراءة هداى بالألف و سكون الياء، فكأنّه نوى الوقف و إلّا فهو غلط.

تفسير الآية (٣٩)

إشارة

و الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

قسيم للجملة المتقدمة، صلة كانت او شرطا، و بها ينقسم كلّ من بلغته الدّعوة، و قامت عليه الحجّة إلى صنفين: متبع مهتد آمن متنعم



بالنعيم الأبدى، و كافر مكذّب مخلّد في العذاب السرمدي.

و تقديم الكفر على التكذيب من باب تقديم المسبّب على السبب، أو من تقديم الملزوم على اللازم، و المراد من السبب سببية في الحكم، و لو من جهة الكشف عن الموضوع، كما في دلالة بعض أعمال الجوارح كسجود الشمس و غيره

(١) يس: ٤٣.

(٢) هو عبد الرحمن بن هرمز ابو داود الأعرج المدني التابعى المقرئ مات بالاسكندرية سنة (١١٧) - غاية النهاية ج ١ ص ٣٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٩

على الكفر.

و الظرف إما متعلّق بالثانى، و المراد كفرهم بالله و تكذيبهم بآياته و أنّ الفعلين متوجّهان إليه على جهة التنازع فيعمل أحدهما فيه و الآخر فى ضميره، و موضع اسم الإشارة الرفع إما على أنّه مبتدأ خبره أصحاب النار و هم فيها خبر بعد خبر على جهة الاستقلال، أو أنّهما بمنزلة خبر واحد، و على الوجهين فهو بخبره خبر للموصولة، و إما على أنّه بدل من الموصولة أو عطف بيان لها و أصحاب النار بيان له جرى مجرى الوصف، و جملة «هم فيها» هى الخبر، و لم تدخل الفاء هنا مع دخولها فى مثل قوله: فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ «١» لما قيل: من أنّ ما دخل فيه الفاء من خبر الذى و أخواته مشبّه بالجزاء، و ما لم يكن فيه فاء فهو على أصل الخبر.

و قد مرّ اشتقاق (الآية) فى المقدمات، و إنّ المراد بها العلامة الظاهرة و أنّها تطلق إطلاقاً شائعاً على الأنبياء و الحجج، و على طائفة من كلمات القرآن، و على المصنوعات من حيث دلالتها على الصانع و صفاته الكمالية و نعوته الجلالية، و على ما يدلّ على صدق الأنبياء من المعجزات الباهرات الصادرة منهم و من أوصيائهم، بل الأوصياء أنفسهم من آيات الله سبحانه على صدق أنبيائه، و لذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ما لله أية أعظم منى «٢».

و فى تفسير القمى فى غير هذا الموضع الآيات امير المؤمنين و الائمة عليهم السلام، بل قد يستفاد ذلك ايضاً من وضع الآيات موضع الهدى المفسر به عليه السلام، و لا تظنّ

(١) الحج: ٥٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٥٤ ح ٣١ عن تفسير القمى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٠

أنهم عليهم السلام حججه سبحانه بعد نبينا صلى الله عليه و آله، مع أنّ الآية عامّة حاكمه على جميع ذرية آدم، فإنّ الإقرار بولايتهم مأخوذة على جميع الأمم فى جميع الأعصار، بل متابعه حججه سبحانه فى كلّ عصر و زمان إنّما هى من مقتضيات ولايتهم، حسبما قرّر فى موضع آخر.

و لذا قال الامام عليه السلام فى تفسيره للآية: وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الدّٰلَاتِ عَلَىٰ صِدْقٍ مّحَمَّدٍ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ اٰخِبَارِ الْقُرُونِ السّٰلِفَةِ، و على ما ادّاه إلى عباد الله من ذكر تفضيله لعلّى و آله الطّيبين خير الفاضلين و الفاضلات بعد محمّد سيّد البريات، أو لئلك الدّافعون لصدق محمّد فى أنبائه، و المكذّبون له فى نصب أوليائه عليّاً سيّد الأوصياء و المنتجبين من ذريته الطّيبين الطّاهرين «١».

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ و الآية ناعية على أهل السنّة و غيرهم ممّن أنكر الحجج المعصومين صلى الله عليهم أجمعين قاضية عليهم بالكفر الصريح، و لذا قرنه بالتكذيب بهم بل قدّمه عليه لما مرّت الإشارة إليه.

## بسط في المقام للتنبيه على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

اعلم: أن هذه القصّة و هي قصّة آينا آدم عليه السّلام و ما ضاهاها من قصص الأنبياء و الأوصياء عليهم الصلاة و السّلام، ممّا قد استدلّت بها الحشوية «٢» و غيرهم ممّن لا

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٨٩-٩٠ عن تفسير الامام عليه السّلام.

(٢) الحشوية: طائفة تمسكوا بالظواهر و ذهبوا الى التجسّم، و غيره سمّوا بالحشوية لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصرى المتوفى (١١٠)، فوجدهم يتكلمون كلاما فقال: ردّوا هؤلاء الى حشاء الحلقة. و قيل غير هذا الوجه أيضا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦١

خلاق لهم في الدّين و لا ينبغي لهم عدّهم في زمرة المسلمين على تخطئة الأنبياء و تفسيقهم و تجهيلهم و تضليلهم، بل يعزى إلى بعضهم جواز الكفر عليهم.

و جملة الكلام أنّ الاختلاف الواقع في باب العصمة يرجع إلى أربعة اقسام:

أحدها: ما يقع في باب العقائد، ثانيها: ما يقع في التبليغ، ثالثها: ما يقع في الفتيا و الاحكام، رابعها: ما يقع في أفعالهم و سيرهم عليهم السّلام أمّا الكفر و الضّلال في الاعتقاد فقد أجمع المسلمون على عصمتهم عنهما قبل النّبوة و بعدها، و قد ادّعى الإجماع عليه غير واحد من الفريقين، نعم قد حكى في الملل و النحل و غيره من الأزارقة و هم أصحاب أبي راشد نافع «١» بن الأزرق من الخوارج أنّهم جؤزوا عليهم الذّنب، و كلّ ذنب عندهم كفر، فلزمهم تجويز الكفر عليهم، بل قد يحكى عنهم: أنّهم قالوا:

يجوز أن يبعث الله نبيا علم أنّه يكفر بعد نبوته، إلّا أنّه لا ينبغي عدّ قول الخوارج في عداد أقوال المسلمين و لا عدّهم في زمرة أهل الإسلام، بل و كذا من قال بمقالهم كابن «٢» فورك من الأشاعرة حيث جؤز بعثه من كان كافرا، و أمّا ما حكاه شارح التجريد و الفضل بن روزبهان عن الشيعة الإمامية عن أنّهم جؤزوا للأنبياء اظهار الكفر تقيّة و احترازا عن إلقاء النفس في التهلكة فهو ناش عن الجهل بمذهبهم، او

(١) نافع بن الأزرق الحنفى من بنى حنيف رئيس الفرقة الازارقة، ادّعى الخلافة في البصرة و الأهواز و لقب نفسه بأمر المؤمنين، و هجم على المدينة و أغار أموال الناس و قتل كثيرا حتى قتل قرب الأهواز في سنة (٦٥) هـ بواسطة جيش ابن الزبير.

(٢) ابن فورك: ابو بكر محمد بن الحسن بن فورك الاشعري الأصبهاني له مصنفات كثيرة، مات مسموما بأمر السلطان محمود سنة (٤٠٤) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٢

العناد لهم و الافتراء عليهم كيف و من المعلوم المشتهر بين الفريقين أنّ مذهب الإمامية هو العصمة المطلقة من الكبائر عمدا و سهوا قبل النّبوة و بعدها و أنّه لا يجوز على الأنبياء شىء من التقيّة، و إنّ جاز لغيرهم في محلّها، و هذا المذهب ممّا يعرفه منهم الموافق و المخالف، أمّا جواز التقيّة عليهم و لو في اظهار الكفر فلم يقل به أحد منهم، و لم ينقل عن واحد منهم، و هذه أصولهم و مصنّفاتهم يدّعون فيها العصمة المطلقة مطلقا، و ليس فيها أثر ممّا افتراه عليهم قوم آخرون حكاية بل صريح كلام مخالفينهم نسبة القول بثبوت العصمة المطلقة إليهم.

قال العضدى في «شرح المختصر»: الأكثر من المحقّقين على أنّه لا يمتنع عقلا على الأنبياء قبل الرسالة ذنب من كبيرة أو صغيرة، و خالفت الروافض في ذلك فمنعوا جواز الذّنب مطلقا.

وعن البدخشي في «شرح منهاج الأصول»: الأ-كثر من المحققين على أنه لا-يمتنع عقلا-قبل النبوة ذنب من كبيرة أو صغيرة خلافا للروافض مطلقا، وللمعتزلة في الكبائر ولا خلاف لاحد في امتناع الكفر عليهم إلا الفضلية من الخوارج بناء على أصلهم من أن كل معصية كفر وقد قال الله تعالى: وَ عَصَى آدَمُ «١»، وجوز البعض عليهم عند خوف تلف المهجة إظهار الكفر إلى آخر ما ذكره. و ظاهره أن من جوز على الأنبياء الكفر خوفا جماعة غير الشيعة لأنه ذكر أن الشيعة مانعون مطلقا، وبالجملة الإمامية معروفون بإثبات العصمة المطلقة، كما يظهر من كتب الفريقين المصنفة في أصول الكلام وأصول الفقه، وقد تظافت في

(١) طه: ١٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٣

كلامهم حكاية الإجماع على ذلك، وهذا المذهب مأخوذ من ائمتهم عليهم السلام، ومن نقل منهم خلافه فهو مفتر مباحث، مع أن ذلك القول فاسد في نفسه، فإنه لو جاز إظهار الكفر تقيته لكان أولى الأوقات به وقت ظهور الدعوة لأن الناس في ذلك الوقت متفقون على التكذيب والإنكار، فكان لا يجوز إظهار الدعوة لأحد من الأنبياء فيؤدى إلى إخفاء الدين بالكليته، ولعله من حكي ذلك عنهم رأى في كلامهم ما يدل على جواز التقيته للأئمة وللأوصياء في أيام خلافتهم مع اشتراكهم للأنبياء في العصمة والقدوة، فظنوا أنهم يجوزونها للأنبياء أيضا، وهو كما ترى.

هذا كله في اعتقاد الكفر والشرك وما بمنزلةهما، و أما الاعتقاد الخطأ الذى لا يبلغ الكفر كاعتقاد عدم بقاء الأعراض فمذهب الإمامية عدم جوازه أيضا عليهم لتزهمهم وبراءتهم عن الخطأ فى الاعتقاد ولو فيما لا يتعلق بالأمر الشرعية ولا يدخل تحت التبليغ لما سيأتى، و أما الجمهور فقد حكى العلامة أعلى الله مقامه فى «نهاية الأصول» عنهم فيه قولين: أحدهما المنع لكونه منقرا و الآخر الجواز هذا هو الكلام فى القسم الأول.

و أما القسم الثانى: و هو ما يتعلق بالتبليغ فقد اتفقت الأمة بل جميع أرباب الشرائع و الملل على وجوب عصمتهم عن الكذب و الافتراء و التحريف فيما يتعلق بالتبليغ عمدا و سهوا، نعم قد يحكى عن القاضى «١» أبى بكر أنه جوز من ذلك ما كان على سبيل النسيان و فلتات اللسان.

(١) هو القاضى ابو بكر الباقلانى محمد بن الطيب البصرى البغدادى الاشعري كان مشهورا بالمناظرة و سرعة الجواب، توفى ببغداد سنة (٤٠٣) ه الكنى و الألقاب ج ٢ ص ٦٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٤

و أما القسم الثالث: و هو ما يتعلق بالتبليغ فاجمعوا على امتناع الخطأ فيه عمدا و سهوا و ألا لارتفع الوثوق عن أقوالهم، و ربما يحكى عن بعض العامة جوازه على جهة السهو لا العمد.

و أما القسم الرابع: و هو ما يتعلق بأفعالهم فاختلّفوا فيه على ثمانية أقوال:

أحدها مذهب أصحابنا الإمامية و هو أنه لا يصدر عنهم الذنب لا صغيرة و لا كبيرة و لا عمدا و لا نسيانا و لا لخطأ فى التأويل و لا للإسهاء من الله سبحانه و لا لغير ذلك من الأسباب و لم يخالف فيه إلا الصدوق، و شيخه محمد «١» بن الحسن بن الوليد رحمهما الله فأنهما جوزا الإسهاء لا السهو الذى يكون من الشيطان، و كذا القول فى الأئمة الطاهرين، بل قال الصدوق فى «الفقيه»: إن الغلاة و المفوضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي عليه و آله فى الصلاة و يقولون: لو جاز أن يسهو فى الصلاة جاز أن يسهو فى التبليغ لأن الصلاة عليه فريضة، كما أن التبليغ عليه فريضة «٢».

ثم فرّق بينهما بما لا يخفى ضعفه إلى أن قال: و كان شيخنا محمد بن الحسن ابن أحمد بن الوليد رحمه الله يقول أول درجة الغلو

نفى السهو عن النبي صلى الله عليه وآله (٣).

أقول و سيمر عليك في تفسير بعض الآيات المتعلقة بذلك حكاية تمام ما ذكره في المقام مع إيراد ما يرد عليه و على شيخه من وجوه النقض و الإبرام.

ثانيها: ما ذهب إليه أكثر المعتزلة و هو أنه لا يجوز عليهم الكبائر و يجوز

(١) ابن الوليد: محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد شيخ القميين و وجههم ثقة ثقة عين مسكون إليه، كتب في التفسير و غيره توفي سنة (٣٤٣) هـ - الكنى و الألقاب ج ١ ص ٤٤٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ص ٢٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه ص ٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٥

عليهم الصغائر إلا الصغائر الخسيئة المنفرة كسرقة حية أو لقمه و كل ما ينسب فاعله إلى الدناءة و الضعة كالكذب و التطفيف و نحوهما مما ينفر، و أما غيره من الصغائر فقد وقعت منهم عمدا و خطأ و سهوا.

ثالثها: أنه يجوز وقوع الكبائر منهم عقلا و ان لم تقع منهم سمعا و هو المحكى عن القاضي (١).

رابعها: تجوز الكفر عليهم فضلا عن الكبائر عقلا و ان لم تقع و هو المحكى عن الغزالي (٢) في كتابه «المنحول» في الأصول حيث قال: و المختار ما ذكره القاضي و هو أنه لا يجب عقلا عصمتهم إذ لا يستبان استحالة وقوعه بضرورة العقل و لا بنظره و ليس هو مناقضا لمدلول المعجزة، فإن مدلوله صدق اللهجة فيما يخبر عن الله تعالى لا عمدا و لا سهوا، و معنى التنفير باطل فانا نجوز ان ينبي الله تعالى كافرا يؤيده بالمعجزة انتهى قوله لا عمدا و لا سهوا أى ان ما سوى الاخبار عن الله تعالى يجوز منه كل شيء من الذنوب و المعاصى عهدا و سهوا.

خامسها: أنه لا يجوز أن يأتوا بصغيرة و لا كبيرة على وجه العمد لكن يجوز على جهة التأويل أو السهو، و هو المحكى عن أبي على الجبائي (٣) و مراده بالتأويل

(١) هو القاضي ابو بكر الباقلاني المتقدم ذكره.

(٢) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الملقب حجة الإسلام الطوسى الفقيه الشافعى و له مصنفات كثيرة فى التصوف و الأخلاق و غيرهما، توفي فى ١٤ ج ٢ سنة (٥٠٥) هـ - الكنى و الألقاب ج ٢ ص ٤٩٤.

(٣) ابو على محمد بن عبد الوهاب بن سلام المعتزلى، كان من رؤوس المعتزلة توفي سنة (٣٠٣) هـ - الكنى و الألقاب ج ٢ ص ١٤٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٦

ما لم يرجع إلى الغلط و الاشتباه مثل ما يعزى إليه من ان آدم كان منهيا عن جنس الشجرة فتأول و ظن ان النهى متعلق بشجرة بعينها، و لذا اعترض عليه علم الهدى (١) بأنه نزهه عن معصية، و أضاف إليه معصيتين لأنه مخطئ على مذهبه فى ترك النظر فى متعلق النهى و فى تناول من الشجرة.

سادسها: أنه لا يقع ذلك منهم عمدا و لا من جهة التأويل لكن على سبيل السهو، و هم مأخوذون بما يقع منهم على وجه السهو، و ان كان ذلك موضوعا عن امتهم لقوة معرفتهم و علو رتبتهم و كثرة دلائلهم و أنهم يقدرون من التحفظ على ما لا يقدر عليه غيرهم و هو قول النظام و جعفر بن مبشر و من تبعهما.

سابعها: أنه لم يقع منهم ذنب كبير و لا صغير عمدا و أما سهوا فقد يقع لكن بشرط أن يتذكروه فى الحال و يعرفوا غيرهم أنه سهو.

ثامنها: أنهم كغيرهم من الناس يجوز عليهم الكبائر والصغائر عمدا وسهوا وخطأ وهو قول الحشوية وكثير من أصحاب الحديث من اهل السنة.

ثم أنهم قد اختلفوا في وقت العصمة على أقوال ثلاثة: الأول: أنه من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله سبحانه وهو مذهب أصحابنا الامامية.

الثاني: أنه من حين بلوغهم ولا يجوز عليهم الكفر والكبيرة قبل النبوة وهو مذهب كثير من المعتزلة.

الثالث: أنه وقت النبوة وأما قبله فيجوز صدور المعصية عنهم، وهو قول أكثر

(١) هو سيد علماء الأئمة، ومحبي آثار الأئمة ذو المجددين ابو القاسم على بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الامام موسى الكاظم عليه السلام وله سنة (٣٥٥) هـ، وتوفي لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة (٤٣٦) - الكنى والألقاب ج ٢ ص ٤٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٧

الأشاعرة ومنهم الرازي، و به قال أبو هذيل و ابو على الجبائي من المعتزلة.

هذا مجمل الكلام في الأقوال وقد سمعت أن مذهب الامامية كافة هو القول بعصمة النبي و الامام تمام العمر فلنشر إلى معنى العصمة و الدليل على إثباتها و دفع حجج منكريها في مباحث:

الأول: في معنى العصمة و هي في اللغة المنع، و منه قوله تعالى: وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ «١» أى يمنعك و قوله: سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعِصُنِي مِنَ الْمَاءِ «٢» قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ «٣»، و وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ «٤» أى امتنعوا به، و المراد بها عند العدلية هو اللطف المانع للمكلف من ترك الواجبات و فعل المحرمات يفعل الله تعالى به غير سالب للقدرة على خلاف مقتضى اللطف، و الالف مع انتفاء القدرة ينتفى التكليف، فلا يستحق مدحا و لا ثوابا، و هذا هو الذى يقتضيه الأصول المقررة عند العدلية على ما هو المذكور فى الكتب الكلامية.

و إليه يرجع ما قيل ايضا: من أنها ملكة ربانية تمنع من فعل المعصية و الميل إليها مع القدرة عليها.

و ما استقر به العلماء أعلى الله مقامه فى «أنوار الملوكوت» حاكيا له عن بعض العامة: من أنها عبارة عن لطف يفعل الله بالمكلف لا يكون معه داع إلى المعصية و إلى ترك الطاعة مع قدرته عليهما.

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) هود: ٤٣.

(٣) هود: ٤٣.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٨

و لعله إليه يرجع ايضا ما هو المحكى عن الحكماء فى تعريفها من أنها ملكة تمنع الفجور ناشئة من العلم بمثالب المعاصى و مناقب الطاعات و تتأكد فى الأنبياء بتتابع الوحي إليهم بالأوامر الداعية إلى ما ينبغى و النواهي الزاجرة عما لا ينبغى.

و ربما يزداد فيه بعد قوله: تمنع الفجور منعا غير سالب للقدرة، بل قد يورد عليه بان قولهم ناشئة من العلم ليس بشيء لأن العلم لا يثمر تلك الملكة إلا أن يراد به العلم الحقيقى و هو المقترن بالعمل بحيث لا يتخلف عنه فى حال، فحينئذ يكون صورة للعصمة، و مادتها طلب الله سبحانه من المكلف و هدايته، و روحها ذلك اللطف.

و على هذا يكون هذا التعريف مع اعتبار القيد أقرب لاشتماله على جنس القريب، إلّا أنه لا يخفى أن أمثال هذه التعاريف إنّما هو الكشف عن نوع المعنى، و الإشارة إلى ما ينتقل منه إليه، و ان لم يشتمل على الاجزاء الحقيقية من الجنس و الفصول المميزة، بل و لم يسلم طردا و عكسا على حدّ سائر التعاريف العرفية و البيانات اللغوية، بل و كثير من البيانات الشرعية أيضا.

مثل ما رواه في «المعاني» بالإسناد عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن الحسين عليهم السلام قال: الامام منّا لا يكون إلّا معصوما و ليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها فلذلك لا يكون إلّا منصوبا فليل له يا ابن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال عليه السلام: هو المعتصم بحبل الله، و حبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، و الامام يهدي إلى القرآن، و القرآن يهدي إلى الامام، و ذلك قول الله

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٩

عزّ و جل: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ «١». «٢» و فيه بالإسناد عن الحسين الأشقر قال: قلت لهشام بن الحكم ما معنى قولكم: إنّ الامام لا يكون إلّا معصوما؟ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك فقال عليه السلام: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله قال الله تعالى: وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «٣». «٤» و في «العلل» و «المعاني» و «الأمالى» بالإسناد عن ابن أبي عمير قال: ما سمعت و لا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي آياه شيئا أحسن من هذا الكلام في عصمة الامام عليه السلام فأتيت يوما عن الإمام أهو معصوم؟ قال: نعم، قلت له: فما صفة العصمة فيه؟ و بأيّ شيء تعرف؟ قال: إنّ جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص و الحسد و الغضب و الشهوة، فهذه منتفية عنه.

لا يجوز أن يكون حريصا على هذه الدنيا و هي تحت خاتمه، لأنّه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص؟

و لا يجوز أن يكون حسودا لأنّ الإنسان إنّما يحسد من هو فوقه و ليس فوقه أحد فكيف يحسد من هو دونه.

و لا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلّا أن يكون غضبه لله عزّ و جلّ فإنّ الله عزّ و جلّ قد فرض عليه إقامة الحدود، و ان لا تأخذه في الله لومة لائم، و لا رافة في دينه

(١) الإسراء: ٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٩٤ عن المعاني ص ٤٤.

(٣) آل عمران: ١٠١.

(٤) البحار ج ٢٥ ص ١٩٤ ص ٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٠

حتى يقيم حدود الله عزّ و جل.

و لا- يجوز أن يتبع الشهوات و يؤثر الدنيا على الآخرة لأنّ الله عزّ و جلّ حبّب إليه الآخرة كما حبّب إلينا الدنيا فهو ينظر إلى الآخرة كما ينظر إلى الدنيا فهل رأيت أحدا ترك وجهها حسنا لوجه قبيح و طعاما طيبا لطعام مرّ و ثوبا لطيفا لثوب خشن، و نعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية؟ «١» ففي هذه الاخبار الإشارات إلى ما مرّ من معنى العصمة أّما الخبر الأوّل فلاشتماله على الاعتصام بحبل الله الذي هو القرآن، و قضية الاعتصام به موافقة أفعاله و أقواله و أحواله و خيالاته و إرادته لحكم القرآن المشتمل بظهوره و بطونه لكلّ شيء، إذ فيه تفصيل كلّ شيء.

و أمّا الثاني: فلانّ الامتناع بالله هو الالتجاء إليه بجميع مراتب الوجود، و في كلّ حال من الأحوال، و قضية ذلك أن لا يكون للشيطان عليه سلطان، فلا يفوته شيء من الخيرات، و لا ترهقه فترة السيئات.

و أمّا الثالث: فلاشتماله على أصول المعاصي و شعبها، و لمية تنزّهه عن اقرار شيء منها، لأنّه ببصيرته النافذة يرى الدنيا و الآخرة

بحقيقتهما، و يرى كلاً من الطاعات و المعاصي على ما هي عليه في ذاتها، و لذا لا يختار المعصية على الطاعة، و لا البعد على القرب و لا يستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير، كما أشير إليه في ذيل الخبر، مع ما فيه من الإشارة إلى بقاء القدرة و لمية حسن الاختيار من دون إلجاء و اضطرار.

(١) الخصال ص ١٠١ و ١٠٢ و عنه البحار ج ٢٥ ص ١٩٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧١

و فيه ابطال لمذهب الأشاعرة حيث ذهبوا إلى أن المعصوم هو الذي لا يمكنه الإتيان بالمعاصي بان يكون مختصاً بكيفية بدئية او قائمة ببدنه او نفسانيه او قائمة بنفسه يقتضى امتناع الاقدام على المعصية، أو انه الذي يكون قادراً على الطاعة لا غير، أو يكون غير قادر على المعصية.

و هذه الأقوال الثلاثة على اختلافها في الجملة مشتركة في نفى القدرة حكاها عنهم في «أنوار الملكوت» و الكل مخالف لأصول المذهب كما لا يخفى، بل قد سمعت أن الامامية قد اعتبروا في تحقق العصمة مضافاً إلى ترك المعاصي مطلقاً عن اختيار و قدرة نفى السهو و الغفلة ايضاً.

و لذا كان الأولى في تعريفها أن يقال: إنها ملكة ربانية تنبعث على ترك المعاصي مع بقاء القدرة و على نفى الخطأ و الزلة حتى السهو و الغفلة، و لذا ورد في أخبار كثيرة أن الإمام لا يسهو «١» و لا يغفل معللاً بكونه معصوماً على ما يأتي تمام الكلام فيه في تفسير قوله: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** «٢»، و قوله: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ** «٣».

و في الزيارة الجامعة: **عصمكم الله من الزلل و آمنكم من الفتن، و طهركم من الدنس، و أذهب عنكم الرجس** «٤».

و في الزيارة المروية في مزار البحار عن الشيخ المفيد، و ابن طاوس،

(١) البحار ج ٩٣ ص ٦٤ و ج ٢٥ ص ١٦٤.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ٣٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٢

و الشيخ محمد بن المشهدى في التناء على أهل البيت و فيها: «انّ لكم القلوب التي تولى الله رياضتها بالخوف و الرجاء، و جعلها أوعيةً للشكر و التناء و آمنها من عوارض الغفلة، و صفاها من شواغل الفترة، الزيارة «١».

ثم انّ السبب في تحقق العصمة لأهلها ما قيل من أن الله تعالى خلق الأشياء، بفعله على حسب قوابلها لفعله، بمعنى أنه أحدث موادها لا من شيء، و صورها كما قبلت، فمن لطف مادته و رقت لشدة نوريتها و قربها من المبدأ الفيض الذي هو مشيئة الله و فعله، تلاشت آيبتها و ضعفت بحيث لا تكاد تنافي هيئته فعله، فلا تبدو عنها هيئته تخالف هيئته فعله، فلا يقع لها متعلق اقتضاء غير ما اقتضته هيئته مشيئة، فلا- يريد ذلك المخلوق غير ما يريد خالقه كما قال تعالى: **وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** \* «٢»، و هو معنى قول علي عليه السلام: «فجعلهم ألسن إرادته» «٣» يعني أن إرادته تعالى تنطق بهم، فقولهم قوله تعالى، و فعلهم فعله عزّ و جلّ، و هو معنى قولهم عليهم السلام: نحن محالّ مشيئة الله «٤».

و في زيارة الحجة عجل الله فرجه التي رواها أبو جعفر محمد بن عثمان العمري: مجاهدتك في الله ذات مشيئة الله، و مقارعتك في الله ذات انتقام الله، و صبرك في الله ذو أناة الله، و شكرك لله ذو مزيد الله و رحمته، إلى أن قال: و القضاء؟؟؟ ما

(١) بحار الأنوار ج ١٠٢ ص ١٦٤.

(٢) سورة الإنسان: ٣٠.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ١١٤.

(٤) لم اظفر على مصدره و لكن بمضمونه رواية اخرى فى البحار ج ٢٥ ص ٣٣٧ و هى: «قلوبنا أوعية لمشيئة الله...»

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٣

استأثرت به مشيئتكم، و الممحو ما لا استأثرت به ستتكم به (١).

فكان بعناية الله تعالى و لطفه عن قابليته سابقا لكل من لم يكن كذلك، و كانت فطرته على هيئة فعله تعالى و محبته، فحين توجه إليه أمر ربه كان ميل فطرته و دواعى صورته الغيبية مطابقا لمحيية الله و ارادته و امره، مع دوام الرياضة و التربية حقيقة ما هو اهله بالتوفيق و التسديد و عدم التخلى مع مطابقة تلك الفطرة لفعل الله و محبته و ارادته.

و امّا عدم غفلته و سهوه و نسيانه فلدوام تيقظه و تبّيه و توقّد نورية قلبه و دوام توجهه إلى ربه، و سلامة قلبه عن استيلاء حزب الشياطين و وساوسهم و نزعاتهم، و ذلك لما قرّر فى محله من أن سبب الغفلة و النسيان هو البعد عن ساحة القرب الموجب لاستيلاء الشيطان، و لذا قال مولانا الحسن المجتبى عليه السلام فى جواب من سأله عن جملة من المسائل على ما رواه فى «العلل» و «العيون» إلى أن قال: و أمّا ما ذكرت من أمر الذكر و النسيان فإنّ قلب الرّجل فى حقّ و على الحقّ طبق فإنّ صلّى الرّجل عند ذلك على محمّد و آل محمّد صلاة تامّة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحقّ فأضاء القلب، و ذكر الرّجل ما كان نسي، و إن هو لم يصلّ على محمّد و آل محمّد، أو نقص من الصلاة عليهم انطبق ذلك الطبق على ذلك الحقّ فأظلم القلب و نسي الرّجل ما كان ذكره. «٢» الخبر. فإنّ الصلوة مشتقة من الصلة و الوصل و الاتصال، فإذا اتّصل العبد بالأنوار

(١) بحار الأنوار ج ٩٤ ص ٣٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٤٢٥- عن كمال الدين و العيون.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٤

القادسية الالهية، و ارتفع عن وجه قلبه الحجب الظلمانية أشرقت تلك الأنوار على مرآة قلبه الصّقيلة و انتقش فيها صور الأشياء على ما هى عليها من دون أن يقربه سهو أو نسيان أو غفلة، و هذا هو المقصود بالصّلوة التامة عليه و آله صلّى الله عليه و آله و آلا فمن البين أنّ مجرّد اجراء تلك اللفظة على اللسان مع غفلة القلوب و احتجابها بالحجب الظلمانية عن الاستضاءة بالأنوار القدسية ليست صلاة تامّة.

الثانى: فى إقامة الحجّة على عصمة الأنبياء و أوصيائهم عليهم الصلوة و السلام، و العمدة فى ذلك إجماع أصحابنا الإمامية المعلوم لنا تحقيقا و نقلا مستفيضا بل الحقّ على ما صرح به غير واحد من الأصحاب أنّه صار من ضروريات مذهب الامامية، بحيث يعرفه منهم كلّ من دخل فى هذا المذهب، بل يعرفه منهم المخالفون لهم ايضا حيث نسبوا فى كتبهم الكلامية و غيرها إلى الامامية القول بلزوم العصمة من جميع الذنوب صغائرها و كبائرها و من السهو و النسيان و الخطأ من أوّل العمر إلى آخره، قبل التوبة و بعدها، و لذا رمت الامامية قول الصدوق و شيخه ابن الوليد فى جواز السهو او الإسهاء عليهم بقوس واحدة بل تبرّأوا من هذا القول و هجروه و نسبوه إلى الشذوذ و الوهن الناشى عن الاختلاط بالقميين الذين يبالغون فى نفى الغلوّ و الارتفاع فى حقّ الحجج عليهم السلام، حتّى أنّهم إذا رأوا واحدا من الرواة يروون بعض مناقب الأئمة و فضائلهم و غرائب معجزاتهم هجروه و تركوا حديثه و نسبوه إلى الغلوّ و الارتفاع، و هذا هو السبب الأقوى فى تضعيف ابن الغضائرى كثيرا من الثقات بل ربما يسرى الوهم إلى غيره، و لذا ضعّفوا محمّد بن سنان، و



المعلّى بن خنيس، والمفضل بن عمر الجعفي، ونصر بن الصباح،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٥

وغيرهم من المشايخ الثقات الذين كانوا من أبواب الأئمة عليهم السلام.

و بالجمله لا- ريب في قيام الضرورة من المذهب في هذه الأعصار على عصمة الحجج كلها من الأنبياء والأوصياء و هي الحجّة القطعية، مضافا إلى الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة على ذلك حسبما تسمع شطرا منها في تفسير الآيات الآتية المتعلقة بعصمة الأنبياء و الحجج.

نعم قد تصدى جملة من أصحابنا شكر الله مساعيهم لإثبات ذلك بإقامة الحجّة عليه من طريق العقل، فلا بأس بالتعرض لجملة من حججهم، و ان كان في بعضها بعض القصور عن إفادة تمام المطلوب، إلا أنه لا بأس به بعد ما سمعت أن عمدة الدليل هو الضرورة و الإجماع، فمنها دليل التنفير على ما أشار اليه غير واحد من الأصحاب.

قال السيد المرتضى رضى الله عنه في كتاب «تزيه الأنبياء»: اعلم أن جميع ما ننزه الأنبياء عليهم السلام عنه و نمنع من وقوعه منهم يستند إلى دلالة العلم المعجز إما بنفسه او بواسطة، و ذلك أن العلم المعجز إذا كان واقعا موقع التصديق لمدعى النبوة و الرسالة و جاريا مجرى قوله تعالى له صدقت في انك رسولى و مؤدّ عنى، فلا- بدّ أن يكون هذا المعجز مانعا من كذبه على الله تعالى فيما يؤدّيه، لأنه تعالى لا يجوز أن يصدق الكذاب، لأنّ تصديق الكذاب قبيح كما أن الكذب قبيح، و أما الكذب في غير ما يؤدّيه و سائر الكبائر فأنما دلّ المعجز على نفيها من حيث كان دالا على وجوب إتباع الرسول و تصديقه فيما يؤدّيه و قبوله منه، لأنّ الغرض في بعثة الأنبياء و تصديقهم بالأعلام المعجزة هو أن يمثل ما يأتون به، فما قدح في الامتثال

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٦

و القبول و أثر فيهما يجب أن يمنع المعجز منه، فلهذا قلنا: أنه يدلّ على نفي الكذب و الكبائر عنهم في غير ما يؤدّونه بواسطة، و في الأوّل يدلّ بنفسه، و أما إنّ تجويز الكبائر يقدح فيما هو الغرض بالبعثة من القبول و الامتثال فلأنه لا شبهة في أن من نجوز عليه كبائر المعاصى و لا نأمن منه الإقدام على الذنوب لا تكون أنفسنا ساكنة إلى قبول قوله و استماع وعظه سكونها إلى من لا نجوز عليه شيئا من ذلك، و هذا هو معنى قولنا: انّ وقوع الكبائر ينفر عن القبول، و المرجع فيما ينفر و ما لا ينفر إلى العادة و اعتبار ما يقتضيه، و ليس ذلك ممّا يستخرج بالأدلة و المقاييس، و من رجع إلى العادة علم ما ذكرناه، و أنه من أقوى ما ينفر عن قبول القول و ان حظّ الكبائر في هذا الباب ان لم يزد عن حظّ السخف «١» و المجون «٢» و الخلاعة «٣» لم ينقص منه.

فان قيل: أليس قد جوّز كثير من الناس على الأنبياء الكبائر، مع أنّهم لم ينفروا عن قبول أقوالهم و العمل بما شرّعه من الشرائع، و هذا ينقض قولكم: إنّ الكبائر منفرّة.

قلنا هذا سؤال من لم يفهم ما أوردناه، لأننا لم نرد بالتنفير ارتفاع التصديق و أن لا يقع امتثال الأمر جملة، و أنّما أردنا ما فسّرناه من أن سكون النفس إلى قبول قول من يجوّز ذلك عليه لا يكون على حدّ سكونها إلى من لا نجوّز ذلك عليه، و إنّنا مع تجويز الكبائر نكون أبعد من قبول القول، كما أنّنا مع الأمان من الكبائر نكون أقرب إلى القبول، و قد يقرب من الشىء ما لا يحصل الشىء عنده، كما يبعد عنه ما

(١) السخف: رقة العقل و نقصانه.

(٢) المجون: المزاح و قلة الحياء و صلابة الوجه.

(٣) الخلاعة: الانقياد للهوى و التهتك و الاستخفاف.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٧

لا يرتفع عنده، ألا ترى أن عبوس الداعي للناس إلى طعامه و تَصَّجْرُه و تبرمه منفر في العادة عن حضور دعوته و تناول طعامه، و قد يقع مع ما ذكرناه الحضور و تناول و لا يخرج من أن يكون منفرًا، و كذلك طلاقه وجهه و استبشاره و تبسِّمه يقرب من حضور دعوته و تناول طعامه، و قد يرتفع الحضور مع ما ذكرناه و لا يخرج من أن يكون مقربًا، فدل على أن المعتبر في باب المنفر و المقرب ما ذكرناه دون وقوع الفعل المنفر عنه او ارتفاعه.

فان قيل: فهذا يقتضى أن الكبائر لا تقع منهم في حال النبوة فمن أين أنها لا تقع منهم قبل النبوة و قد زال حكمها بالنبوة المسقطه للعقاب و الذم و لم يبق وجه يقتضى التنفير؟

قلنا الطريقة في الأمرين واحدة لأننا نعلم أن من يجوز عليه الكفر و الكبائر في حال من الأحوال و ان تاب منه و خرج من استحقاق العقاب به لا نسكن إلى قبول قوله مثل سكوننا إلى من لا يجوز ذلك عليه في حال من الأحوال و على وجه من الوجوه، و لهذا لا يكون حال الواعظ لنا الداعي إلى الله تعالى و نحن نعرفه مقارفا للكبائر مرتكبا لعظيم الذنوب و ان كان قد فارق جميع ذلك و تاب منه عندنا و في نفوسنا كحال من لم يعهد منه إلَّا النزاهة و الطهارة، و معلوم ضرورة الفرق بين هذين الرجلين فيما يقتضى السكون و التفور، و لهذا كثيرا ما يعير الناس من يعهدون منه القبائح المتقدمة بها و ان وقعت التوبة منها، و يجعلون ذلك عيبا و نقصا و قادحا و مؤثرا، و ليس إذا كان تجويز الكبائر قبل النبوة منخفضا عن تجويزها في حال النبوة و ناقصا عن رتبته في باب التنفير و جب أن لا يكون فيه شيء من التنفير، لأن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٨

الشيئين قد يشتركان في التنفير و ان كان أحدهما أقوى من صاحبه، ألا ترى أن كثيرا من السخف و المجون و الاستمرار عليه و الانهماك فيه منفر لا محالة، و ان القليل من السخف الذي لا يقع إلَّا في الأحيان و الأوقات المتباعدة منفر أيضا، و ان فارق الأول في قوة التنفير و لم يخرج نقصانه في هذا الباب عن الأول عن أن يكون منفرًا في نفسه.

فان قيل: فمن أين أن الصغائر لا تجوز على الأنبياء في حال النبوة و قبلها؟

قلنا: الطريقة في نفى الصغائر في الحالين: هي الطريقة في نفى الكبائر في الحالين عند التأمل لأننا كما نعلم ان من يجوز كونه فاعلا لكبيرة متقدمة قد تاب منها و اقلع عنها و لم يبق معه شيء من استحقاق عقابها و ذمها لا يكون سكوننا إليه كسكوننا إلى من لا يجوز ذلك عليه فكذلك نعلم أن من يجوز عليه من الأنبياء عليهم السلام أن يكون مقدا على القبائح مرتكبا للمعاصي في حال نبوته أو قبلها و ان وقعت مكفرة لا يكون سكوننا إليه كسكوننا إلى من نأمن منه كل القبائح و لا يجوز عليه فعل شيء منها «١» انتهى كلامه زيد مقامه «٢».

و مرجع هذا الدليل إلى ما قرّر في أصول الإمامية من وجوب اللطف عليه سبحانه، فاللطف المذمى حسن التكليف و أوجب البعثة هو الذي أوجب العصمة فيمن هو الحجّة ليتوفّر معها دواعي المكلفين على الإقبال عليه و التوجه إليه، و حسن الظن به، ضرورة أنه يرسم في قلب كل عارف باتصافه بصفة العصمة اشتماله على

(١) تنزيه الأنبياء ص ٤-٦.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ٩١-٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٩

غاية الكمال و نهاية الجمال الموجب لتعظيمهم و اعتقاد نورانيتهم التي من شأنها ان تجذب النفوس إليها جذب لطف و تسخير و تربية و تجذب النفوس إليها انجذاب استكمال و محبة و عشق و نسبة طبيعية فطرية جبلية كانجذاب الحديد إلى المغناطيس، و ذلك لأنه قد تقرّر في الحكمة ان النفوس بطباعها منجذبة إلى الأنوار فكلما كانت النورانية أتم و أكمل كان انجذابها إليها أشد و أقوى، هذا

مضافا إلى إتمام الحجّة عليهم و قطع المعذرة عنهم بحسب الظاهر لئلا يقول أحد لو لا أرسلت إلينا رسولا هاديا معصوما عن الخطايا و المعاصي و سائر الأمور المنفرة فتتبع من آياتك من قبل أن نذلّ و نخزي، و أنت ترى أن واحدا من رؤساء الدّين في بلد او قرية لو اقترف شيئا من المعاصي و الذّنوب الصغيرة أو الكبيرة سقطت هيئته من عيون النّاس، و لم ينجع موعظته فيهم بالنسبة إلى هذه المعصية التي اقترفها و غيرها و ان داوم على الموعظة و النصيحة في كلّ صباح و مساء.

و من هنا يظهر أنّه لا فرق في باب التنفير بين الكبائر و الصغائر. سيّما مع ما قيل من أن الكبائر عندهم على ما رووه عن النّبي صلّى الله عليه و آله سبع، و رووا عن ابن عمر أنّه زاد فيهما اثنتين، و عن ابن مسعود أنّه زاد على قول ابن عمر ثلاثه، و لا شك ان كثيرا من عظام الذّنوب التي عدّوها من الصّغائر ليست من الأمور الخسيّة التي استثنوا كالتطيف بحبّه و سرقة درهم، فيلزمهم تجويز ما لم يكن من الصّغائر المذكورين كالاشتغال بأنواع المعارف و الملاهي، و ترك الصلاة، و اصناف المعاصي التي تقارفها ملوك الجور في الخلوات بل على رءوس الأشهاد.

و لذا قيل: ان هؤلاء ايضا مخطئون للأنبياء، و لكن في لباس التنزيه، و لا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٠

يرتاب عاقل في ان من هذا شأنه لا يصلح لرئاسة الدّين و الدّنيا و ان النفوس تتنفر عنه، بل لا يجوز أحد أن يكون مثله صالحا لأن يكون واعظا و هاديا للخلق في أدنى قرية، فكيف، يجوز أن يكون ممّن قال الله تعالى فيهم: اللَّهُ يَصِطُّفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ «١». «٢» و اما تنزيههم عن المعاصي قبل النّبوة و عن السيّئ و الخطأ مطلقا فيمكن الاستدلال له بما تقدّم من التنفير و التقريب على ما مرّ، مضافا إلى الإجماع فيهما ايضا بسيطا و مركّبا تحقيقا و نقلا حسبما سمعت.

و منها جملة من الآيات الدّالة عليها كقوله: لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ «٣»، بناء على أن المراد بهذا العهد إمّا عهد النّبوة أو عهد الامامة التي هي وجوب الاقتداء و هو على المعنيين ثابت للنّبي صلّى الله عليه و آله فلو كان عاصيا لكان من الظالمين (هف) و من (لهذا خلف).

و قوله حكاية عن إبليس: فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ «٤».

فلو عصى نبيّ لكان قد أغواه الشيطان و لم يكن من المخلصين، و هما فاسدان بالإجماع.

و لقوله تعالى: في ابراهيم و اسحق و يعقوب إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى

(١) الحجّ: ٧٥.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ٩٤.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) ص: ٨٢-٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨١

الدّار «١»، و في يوسف: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ «٢»، و بضميمة عدم القول بالفرق يتم المطلوب.

و قوله: وَ لَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ «٣»، و الأنبياء من ذلك الفريق بالاتفاق، و غير ذلك من الآيات التي ستسمع تقريبا الاستدلال بها عند التعرض لها.

و منها: انه لو صدر عنه الذنب للزم اجتماع الضدّين و هما وجوب متابعتة و مخالفتة.

أما الأول: فللإجماع على وجوب متابعتة النّبي صلّى الله عليه و آله، و لقوله: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ «٤»، و قوله: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ «٥»، و غيره ممّا يدلّ على وجوب التّأسي و المتابعة، بل و ما دلّ على حجّية قوله و فعله و

تقريره.

و أما الثاني: فلضرورة حرمة متابعة المذنب، و اعتبار قيد الحيثية ينفية إطلاق ما تقدم من الأدلة حيث يستفاد منها نصب الحجة بحيث لا يحتاج مع متابعتة إلى الفحص و التبين أصلاً.  
و منها: أنه لو صدر عنه الذنب لوجب منعه و زجره و الإنكار عليه، لعموم أدله

(١) ص: ٤٥.

(٢) يوسف: ٢٤.

(٣) سبأ: ٢٠.

(٤) آل عمران: ٣١.

(٥) الأحزاب: ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٢

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، لكنه حرام لاستلزامه إيذائه المحرم بالإجماع و بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ «١».

و منها: أنه لو أقدم على الفسق لزم أن يكون مردود الشهادة إذ لا شهادة للفاسق بالإجماع، و لقوله: إِنْ جَاءَكُمْ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا «٢»، مع أن من لا يقبل شهادته في الشيء اليسير من متاع الدنيا فكيف تسمع شهادته في الأمور الدنيوية و الاخبار السماوية، مع أنه تعالى جعل الأنبياء شهداء على الأمم كما أشير إليه في قوله: فَكَتِفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً «٣».

و منها: أنه يلزم أن يكونوا من حزب الشيطان و قال الله تعالى: أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ «٤» فَإِنَّ اللّٰهَ قَطَعَى الْبَطْلَانَ و ان لا يكونوا مسارعين إلى الخيرات مع أنه قال في حقهم أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ «٥»، و ان يستحقوا العذاب و اللعن لقوله: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ «٦»، وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ «٧»، و ان يستحقوا الذم و العقاب الذي تضمنه قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ «٨»، أ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ

(١) الأحزاب: ٥٧.

(٢) الحجرات: ٦.

(٣) النساء: ٤١.

(٤) المجادلة: ١٩.

(٥) المؤمنون: ٦١.

(٦) هود: ١٨.

(٧) الجن: ٢٣.

(٨) الصف: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٣

أَنْفُسَكُمْ «١».

ثم أنه لا يخفى أن هذه الوجوه و إن تطرق إليها بعض المناقشات، إلا أن العمدة ما سمعت من قيام الإجماع بل الضرورة من مذهب الامامية على اشتراط العصمة في الأنبياء و الأوصياء و حجيتهما على غيرهما موقوفة على ثبوت العصمة كما قرّر في محله فلا دور.

الثالث: في دفع شبه المخطئة الذين اجترءوا على أنبياء الله و أوليائهم فنسبوهم إلى الخطأ و الجهالة و الضلالة و وجوه من الفسق و المخالفة قبل النبوة و بعدها و لهم في تخطئة الأنبياء و الأوصياء و تفسيقهم شبهاً و أوهام لم نقصد التعرض لها في هذا المقام، بل فرقناها على الآيات المتعلقة بها.

فان منها ما تمسكوا بها في باب الاعتقاد كقوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا «٢»، الآية و قوله: حكاية عن ابراهيم:

هذا رَبِّي \* «٣»، وَ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى «٤» و قوله: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ «٥»، الآية.

و منها: ما تمسكوا به في باب التبليغ كقوله: وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لَا نَبِيٍّ «٦»، الآية سنقرئك فلا تنسى «٧»، لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا «٨»،

(١) البقرة: ٤٤.

(٢) الأعراف: ١٨٩.

(٣) الانعام: ٧٧.

(٤) البقرة: ٢٦٠.

(٥) يونس: ٩٤.

(٦) الحج: ٥٢.

(٧) الأعلى: ٦.

(٨) الجن: ٢٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٤

الآية.

و منها: ما تمسكوا بها في باب الفتيا كقوله: وَ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ «١» و قوله: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْوَءُ «٢»، عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لَهُمْ «٣» و غيرها مما يأتي.

و منها: ما تمسكوا به في باب الأفعال و هي و ان كانت كثيرة جداً إلا أن المقصود في المقام دفع ما قيل من أنه أعظم شبهاً لهم و هو التمسك بقصة آدم على نبينا و آله عليه السلام فاستدلوا بما ورد فيها من وجوه:

الأول: أنه عليه السلام كان عاصياً لقوله تعالى: وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى «٤»، و العاصي مذنب بل هو اسم ذم لا يتناول إلا صاحب الكبيرة لقوله تعالى: وَ مَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ «٥».

الثاني: أنه سماه غاويًا في قوله: فَغَوَى «٦»، و الغي خلاف الرشد للآية قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ «٧».

(١) الأنبياء: ٧٨.

(٢) الأنفال: ٦٧.

(٣) التوبة: ٤٣.

(٤) طه: ١٤١.

(٥) الجن: ٢٣.

(٦) طه: ١٢١.

(٧) البقرة: ٢٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٥

و للخبر: أمر بين رشده فيتبع و أمر بين غيئه فيجتنب، و الغواية إنما تكون بارتكاب الذنب بل خصوص الكبيرة سيما إذا ترتبت على العصيان بل في الخبر اشارة إلى ذلك لقوله عليه السلام بعد ما مرّ و شبهات بين ذلك فمن ترك شبهات نجى من المحرّمات «١».

الثالث: أنه تعالى سمّاه ظالما في قوله: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ \* «٢»، و هو ايضا قد أقرّ على نفسه ذلك في قوله: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا «٣»، و الظالم ملعون لقوله تعالى: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ «٤»، و من استحقّ اللّعن هو صاحب الكبيرة.

الرابع: أنه ارتكب المنهية عنه في قوله: وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ \* «٥»، و لذا قال تعالى: أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةَ «٦»، و ارتكاب المنهية عنه معصية بل كبيرة، و لذا عوتب على المخالفة.

الخامس: أنه تائب و التائب مذنب أما أنه تائب فلقوله: فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ «٧»، و أما انّ التائب مذنب فلانّ التائب هو النادم على فعل الذنب و النادم على فعل الذنب مخبر عن كونه فاعلا للذنب فان صدق فهو المطلوب

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٢١.

(٢) البقرة: ٣٥، و الأعراف: ١٩.

(٣) الأعراف: ٢٣.

(٤) هود: ١٨.

(٥) البقرة: ٣٥، و الأعراف: ١٩.

(٦) الأعراف: ٢٢.

(٧) البقرة: ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٦

و الّا فهو مذنب بالكذب.

السادس: أنه اخرج من الجنّة بسبب وسوسة الشيطان و إضلاله جزاء و عقوبته على ما أقدم عليه من المخالفة، و ذلك يدلّ على كونه فاعلا للكبيرة و لذا قال تعالى:

يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ «١».

السابع: اعترافه بأنّه خاسر لو لا مغفرة الله له بقوله: وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ «٢» و ذلك يقتضى كونه ذا كبيرة.

الثامن: أنه نسب إليه الهداية بعد التوبة في قوله: ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَىٰ «٣» و ظاهره أنه كان قبل التوبة على الضلالة.

التاسع: أنه عرضه النسيان لقوله: وَ لَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَ لَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا «٤»، و هو ينافى العصمة على مذهب الإمامية كما مرّ.

العاشر: ما يدلّ عليه الأخبار المأثورة من طرق الفريقين من أنه ارتكب الخطيئة و اقترف الذنب و طلب التوبة و أنه بكى على ذنبه كذا و كذا سنة و أنه تعالى قد حرّم عليهما أكل الشجرة و أنّهما ظنّا أنه قد أحلّها لهما بعد تحريمها و أنه تعالى قال لهما اهبطا من سمواتي إلى الأرض فأنه لا- يجاورني في جنتي و لا في سمواتي عاص ظالم و أنّهما نظرا إلى منازل محمّد و آل محمّد عليهم السّلام بعين الحسد إلى غير ذلك ممّا أشير اليه في الأخبار المتقدّمة و غيرها.

(١) الأعراف: ٢٧.

(٢) الأعراف: ٢٤.

(٣) طه: ١٢٢.

(٤) طه: ١١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٧

و الجواب عن هذه الوجوه من وجهين: الإجمال و التفصيل، أما الإجمال:

فهو أنّ هذه الوجوه ظواهر مستفادة من الأدلة اللفظية بعد فرض دلالتها و سلامتها عن المناقشات و ما ذكرناه من الإجماع و الضرورة دليل العقل على لزوم العصمة أدلة قطعية لا تحتمل الرّد و التخصيص فيجب التصرف في الظواهر بصرفها عن ظاهرها و حملها على ما لا ينافي تلك الأدلة كما هو القانون في تعارض الظنى و القطعي، و هذا الجواب الإجمالى جار في غير المقام ايضا من الموارد التى استدلو فيها ببعض الظواهر على نفى عصمتهم.

و أمّا التفصيل: فقد أجيب عن الأول بوجوه: أحدها: ما يظهر من فحوى بعض الأخبار من أنّ الأمر لم يكن على وجه الوجوب و لا التدب بل كان امرا إرشاديا و ذلك أنّه سبحانه كان خلقه لعمارة الأرض و خلافتها كما أخبر به ملائكته قبل خلقه بقوله: «إني جاعل في الأرض خليفة» (١) فلما خلقه الله سبحانه بيده و فسح له في جنّته و نعمته أعلمه أنّه ان كان يريد البقاء في الجنّة و دوام الراحة فلا بد أن لا يقرب الشجرة و لذا خاطبه بقوله: فلا يخرجكما من الجنّة فتشقى إنّ لك ألا تجوع فيها و لا تغرى و أنّك لا تظمؤا فيها و لا تصحى (٢) و بين له أنّه مع اكله من الشجرة لا بد أن يخرج منها إلى الدنيا و يجعل له و لذريته الأرض بساطا و معاشا مع ابتلائهم فيها بأنواع المحن و المشاق و البليات و شرط لهم العدو إلى تلك الجنّة ثم إلى جنّة الخلد مع الانقياد و الطاعة و امتثال التكليف في الدنيا و لذاتها و النهى عن

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) طه: ١١٧ - ١١٨ - ١١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٨

قرب الشجرة على وجه الإرشاد إلى ما فيه الراحة العاجلة و ان كان في خروجه منها و الابتلاء بمحن هذه الدار الفوز بالكرامة العظيمة الاجلة التى أوجبت خلقه أولا لذلك لا للكون في الجنّة التى كان فيها أولا فأنّها نازلة الرتبة يسيرة الخطب بالنسبة إلى جنّة الخلد فأطلق العصيان باعتبار مخالفته ما أرشده إليه ممّا فيه الخلاص عن المشاقّ الدنيوية.

و عندى أنّ هذا الوجه أظهر الوجوه و ان لم يحضرني من صرح به من الأصحاب و غيرهم، نعم قد استفاد من فحوى بعض الأخبار الدالة على أنّ المقصود من خلقه تعمير الأرض و إسكانه فيها كما هو الظاهر من الآية ايضا، ففي «تفسير العياشى» و «القصص» عن أبى جعفر عليه السلام أنّ آدم لما هبط عليه ملك الموت قال: اشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أنّى عبد الله و خليفته فى ارضه ابتداني بإحسانه و أسجد لى ملائكته و علمنى الأسماء كلّها ثم أسكننى جنّته و لم يكن جعلها دار قرار و لا منزل استيطان، و أنّما خلقنى لأسكن (١) الأرض للذى أراد من التقدير و التدبير.

و زاد فى تفسير العياشى: و قدر ذلك كلّ قبل أن يخلقنى، فمضيت فى قدرته و قضائه و نافذ أمره، ثم نهانى أن آكل من الشجرة، فعصيته و أكلت منها فأقانى عثرتى و صفح لى عن جرمى، فله الحمد على جميع نعمه عندى حمدا يكمل به رضاه عنى (٢).

(١) فى البحار: ليسكننى.

(٢) البحار ج ٢٣ ص ٦١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٩

و في «العلل» بالإسناد عن أبي جعفر عليه السّلام قال: ما يستطيع اهل القدر أن يقولوا: والله لقد خلق الله آدم للدنيا وأسكنه الجنة ليعصيه فيردّه إلى ما خلقه له فقله ليعصيه أى عالما بأنّه يخلّيه مع اختياره بعد ما أرشده إلى ما فيه النفع العاجل، من دون أن يكون هناك طلب على وجه الإيجاب او الاستحباب، فاختار آدم ما فيه الخير الكثير الآجل كما خلقه الله تعالى لذلك.

ولعلّه ينزل عليه ما أجاب به آدم موسى عليهما السّلام على ما هو المروى في تفسير القمى وغيره عن الصادق عليه السّلام قال: إنّ موسى عليه السّلام سأل ربّه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السّلام فجمع الله بينهما فقال له موسى: يا أبه ألم يخلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه و أسجد لك ملائكته، و أمرك أن لا تأكل من الشجرة فلم عصيته؟ قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقى في التوراة؟ قال: بثلاثين سنة قال: فهو ذلك، قال: فحجج «١» آدم موسى عليهما السّلام.

بناء على أنّ المراد أنّه سبحانه كتب في التوراة أنّه تعالى قدّر على آدم عماره الأرض و قدّر عليه أنّه و كلّه إلى اختياره، حتّى فعل ما فعل لمصلحة إهباطه إلى الأرض، و أنّ ذلك التقدير كان قبل خلق آدم بثلاثين سنة فالمعنى بكم وجدت تقدير خطيئتي قبل خلقى؟ و من هنا يظهر أنّه لا داعى إلى التكلف لكونه قبل خلقه بأنّ التوراة كتب في الألواح السماوية في ذلك الوقت و ان وجده موسى عليه السّلام بعد بعثته، أو أنّ المراد اطلاع روح موسى على ذلك قبل خلق جسد آدم، كما لا وجه لحمله على التقيّة لمجرد

(١) فحجج آدم موسى: أى غلب آدم موسى بالحجة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٠

وروده في كتبهم بطرق كثيرة و عن السيّد في «الطرائف» ردّه، لكنّه ليس في محلّه بعد موافقه مضمونه لما يستفاد من غيره. بل لعلّه هو المراد ايضا بما في التوحيد للصدوق (رحمه الله) في خبر الفتح ابن يزيد عن أبي الحسن عليه السّلام: إنّ لله تعالى إرادتين و مشيئتين: ارادة حتم و ارادة عزم، ينهى و هو يشاء، و يأمر و هو لا- يشاء، او ما رأيت أنّ الله تعالى نهى آدم و زوجته أن يأكلا من الشجرة و هو شاء ذلك؟ و لو لم يشاء لم يأكلا، و لو أكلا لغلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى، و أمر ابراهيم بذبح ابنه عليهما السّلام و شاء أن لا يذبحه، و لو لم يشاء أن لا يذبحه لغلبت مشيئة ابراهيم مشيئة الله عزّ و جلّ «١».

بناء على أنّ المراد أنّه نهى إرشاد، و شاء أن يأكل من الشجرة لما فيه من المصلحة الكليّة، فالنهي فيه ليس على حقيقته، كما ان أمر ابراهيم بذبح ابنه ليس على حقيقته بل لمجرد التوطن و الامتحان، إلّا أنّ الظاهر من مساق الخبر حملهما على الإرادة التكوينية و التشريعية على ما فصلناه في موضع آخر، و يؤيده أنّه عليه السّلام إنّما ذكر ذلك جوابا عن الراوى، حيث سأله ان عيسى خلق من الطين طيرا دليلا- على نبوته، و السّامرى خلق عجلا- جسدا لنقض نبوة موسى عليه السّلام، و شاء الله أن يكون ذلك كذلك إنّ هذا لهو العجب! فقال عليه السّلام: ويحك يا فتح ان لله إرادتين، آه.

و إلى هذا يرجع ما ذكره الصدوق (رحمه الله) بعد إيراد الخبر أنّ الله تعالى نهى آدم و زوجته عن أن يأكلا من الشجرة، و قد علم أنّهما يأكلان منها لكنّه شاء أن لا يحوم بينهما و بين الأكل منها بالجبر و القدرة كما منعهما من الأكل منها بالنهي

(١) بحار الأنوار ج ٥ ص ١٠١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩١

و الزّجر، فهذا معنى مشيئته فيهما، و لو شاء عزّ و جلّ منعهما من الأكل بالجبر ثم أكلا منها لكان مشيئتهما قد غلبت مشيئة الله تعالى كما قال العالم عليه السّلام: تعالى الله تعالى عن العجز علوا كبيرا.



ثم أنه قد ظهر ممّا ذكرناه في معنى ترك الأولى الفرق بينه وبين ترك المندوب فضلا عن ارتكاب المكروه، فإنّ الأمر والنهي في الأخيرين طلبى ومخالفة الطلب لازم فيهما على كلّ حال بخلاف الأول الذى لم يقصد فيه إلّا مجرد الإرشاد إلى ما فيه المصلحة العاجلة في المقام حسبما سمعت.

و أمّا ما ذكره صاحب «الفصول» حيث قال في جملة كلام له: إنّ المعتبر في الكراهة ليس مجرد المرجوحية، و إلّا لكان تارك كلّ مندوب فاعلا لمكروه و هو تركه، و لا خفاء في فساده بل المرجوحية الموجبة لمنقصة ديتة في فاعلها غير محرمة، و لا ريب أنّ مجرد تفويت الثواب او ترك الرّاجح لا يوجب ذلك، و بهذا يظهر الفرق بين الترك المكروه و خلاف الأولى انتهى.

فهو و إن كان لا بأس به فيما ذكره من الفرق بين ترك المندوب و فعل المكروه، و كذا بين الترك المكروه و خلاف الأولى إلّا أنّ ظاهره كون خلاف الأولى شاملا لكلّ من تفويت الثواب و ترك الرّاجح و هو في الأخير ليس على ما ينبغي، و أمّا الأول فلا بأس به مع فرض المقام مجردا عن الطلب رأسا و تفسير الثواب بما يعمّ كلّ شىء من المصالح و المقاصد الدنيوية و الأخروية و إلّا فلننظر فيه ايضا مجال.

ثانيها: ما ذكره السيد المرتضى رضى الله عنه و هو أنّ المعصية مخالفة الأمر

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٢

و الأمر من الله سبحانه يكون مرّة على وجه الوجوب، و اخرى على التّذب، قال: فلا يمتنع على هذا أن يكون آدم عليه السلام مندوبا إلى ترك التناول من الشجرة، و يكون بموافقها تاركا نفلا و فضلا، و غير فاعل لقبیح، و ليس يمتنع أن يسمّى تارك النفل عاصيا، كما سُمى بذلك تارك الواجب، فإنّ تسمية من خالف ما أمر به سواء كان واجبا أو نفلا بأنّه عاص ظاهرة، و لهذا يقولون: أمرت فلانا بكذا و كذا من الخير فعصانى و خالفنى، و ان لم يكن ما أمر به واجبا.

ثمّ أورد على نفسه بأنّه كيف يجوز أن يكون ترك التّذب معصية أو ليس هذا يوجب أن يوصف الأنبياء عليهم السلام بأنّهم عصاء في كلّ حال، و أنّهم لا ينفكّون عن المعصية لأنّهم لا يكادون ينفكّون من ترك التّذب، و أجاب عنه: بأنّ وصف تارك الثواب التّذب بالعصيان توسّع و تجرّز، و المجاز لا يقاس عليه و لا يعدى به موضعه، و لو قيل: أنّه حقيقة في فاعل القبيح و تارك الأولى و الأفضل لم يجز إطلاقه ايضا في الأنبياء عليهم السلام إلّا مع التقييد، لأنّ استعماله قد كثر في القباح فإطلاقه بغير تقييد موهم لكنا نقول: ان أردت بوصفهم بأنّهم عصاء أنّهم فعلوا القباح فلا يجوز ذلك، و ان أردت بأنّهم عصاء أنّهم تركوا ما لو فعلوه لاستحقّوا الثواب و كان اولى فهم كذلك.

أقول: قد صرّح بعض المحققين بأنّ استعمال العصيان في ترك المندوب حقيقة و يؤيده ما فى «الصّحاح» و «القاموس» من أنّه خلاف الطاعة إذ من البين ان الطاعة تطلق على فعل كلّ من الواجب و التّذب على احتمال أن يكون تفسيرها بالأعم كما هو الشائع فى كلامهم، نعم قد شاع إطلاقه فى ترك الواجب و لذا صحّ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٣

الإطلاق فى قوله: و مَنْ يَعَصِ اللَّهَ \* «١»، الآية و قد استدللّ الأصوليون على كون الأمر للوجوب بقوله: أْفَعَصَيْتَ أَمْرِي «٢» حيث عبّر عن مخالفة الأمر بالعصيان.

و على كلّ حال فلا بدّ من حمله فى المقام على ترك الأولى، لأنّه اللائق بعصمة الأنبياء عليهم السلام المعلومة من العقل و الإجماع بل ضرورة المذهب.

و من هنا يظهر ضعف ما قد يقال فى المعارضة: من أنّه الأليق برحمة أكرم الأكرمين و كرم أرحم الراحمين أن لا يؤاخذ على تركه الأولى نسيانا بمعاتبته بقوله: أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تَلْكُمَا الشَّجَرَةَ وَ أَقَلُّ لَكُمَا «٣». الآية، و بالفصيحة حيث بدت سوء اتهمها، و بإخراجه من جواره، و بالتفريق بينه و بين حواء مائة سنة أو مأتين، و بإلقاء العداوة و البغضاء بينهم، و بالتداء عليهم باسم العصيان و الغواية، و

بتسليط العدو على أولاده، بقوله: «وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجْلِكَ» (٤) و يجعل الدنيا سجنا له و لأولاده و بالتعب و الشقاء فى قوله: «فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى» (٥). إلى غير ذلك مما يختص بالنساء من الحيض، و ثقل الحمل و الطلق و نحوها كما ورد فى الأخبار.

إذ فيه مع ان كثيرا مما عدّه فى المقام من لوازم هذه الدار و مقتضيات الكون بها و الابتلاء فيها انّ جلاله قدر الأنبياء و عظم قدرهم و كبر شأنهم يقتضى تعظيم ما

(١) الجن: ٢٣.

(٢) طه: ٩٣.

(٣) الأعراف: ٢٢.

(٤) الإسراء: ٦٤.

(٥) طه: ١١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٤

يصدر عنهم أحيانا من ترك الأولى لعلو قدرهم و كثرة معرفتهم و لذا ورد: «انّ حسنات الأبرار سيئات المقربين» (١) بل ربما يستقلون ما يصدر عنهم من الطاعات و يستحقرونه فى جنب عظمة الله سبحانه، و لذا كان يصدر عنهم من التضرع و البكاء و الأنين ما لم يلحقهم فيها أحد من العالمين، فانّ أعلم الخلق بالله اخشاهم منه إنّما يخشى الله من عباده العلماء» (٢) و قد روى عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لنا مع الله حالات نحن فيها هو و هو نحن، و هو هو و نحن نحن (٣).

و هذا هو الذى أشار إليه الحجّة عجل الله فرجه فى دعاء شهر رجب:

فجعلتهم معادن لكلماتك و أركاناً لتوحيدك و آياتك و مقاماتك التى لا تعطيل لها فى كلّ مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك و بينها إلّا أنّهم عبادك و خلقك (٤) آه.

و هذه مقامهم فى قربهم و مثالهم فى هذه الحال بالنسبة إلى فعل الله و مشيئته مثل الحديدية المحمّاة بالنار، فأنّه يصدر عنها ما يصدر عن النار من الإضاءة و الإحراق لا فرق بينها و بينها إلّا أنّ الحديدية حينئذ محل فعل النار و مظهر شؤونها كما أنّهم عليهم السلام محال مشيئة الله سبحانه المظهرون لأمره العاملون بإرادته، و لهم أيضا مقامات آخر باعتبار كونهم التشريعى التبليغى الناسوتى من أكلهم و شربهم و نكاحهم و تبليغهم الشرائع و الاحكام إلى كافة الأنام و غيرها مما لا ريب فى أنّهم مأمورون بها إقامة لمنصب النبوة و الولاية و رسم التبليغ و التجانس إلّا أنّها بالنسبة إلى الحالة

(١) بحار الأنوار ص ٢٠٥.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) لم اظفر على مصدره.

(٤) بحار الأنوار ج ٩٨ ص ٣٩٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٥

الأولى سيئات و معاصى يستغفرون الله منها و يتوبون الله على ما يأتى، فإذا كان هذه حالهم فى عباداتهم الظاهرة و معاشراتهم مع الناس فما ظنك بما يصدر عنهم أحيانا من ترك الأولى الذى دعاهم إليه على جهة التدب و الاستحباب.

ثالثها: ما أجاب به بعض من جوّز عليه الذنب فى الجملة و هو أنّ آدم عليه السلام لم يكن حين صدر عنه الذنب نبيا بناء على أنّ

المعلوم من لزوم العصمة إنما هو بعد النبوة، وربما يؤيد أيضا بما رواه في «الأمالي» و«العيون» بالإسناد عن الرضا عليه السلام حيث سأله علي بن محمّد بن الجهم فقال له يا ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله: أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: بلى، قال: فما تعمل في قول الله عزّ وجلّ: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى «١»، إلى أن قال عليه السلام: ويحك يا علي اتق الله ولا تسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تتأول كتاب الله عزّ وجلّ برأيك فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ «٢»، أمّا قوله عزّ وجلّ في آدم: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى فَانّ الله عزّ وجلّ خلق آدم حجّية في أرضه و خليفته في بلاده لم يخلقه للجنة و كانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض لتتم مقادير أمر الله عزّ وجلّ فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجّية و خليفه عصم بقوله عزّ وجلّ: إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ «٣». «٤» أقول: أمّا جواز صدور الذنب قبل البعثة فقد عرفت أنه مخالف لما هو

(١) طه: ١٢١.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) آل عمران: ٣٣.

(٤) بحار الأنوار ج ١١ ص ٧٢ ح ١ عن الأمالي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٦

المعلوم من مذهب الإمامية من وجوب عصمتهم في جميع الأحوال، و أمّا الخير فمحمول على نوع من التقيّة مما شاء معهم في أقوالهم، أو أنّ المراد بالخطيئة ارتكاب خلاف الأولى على ما عرفت، و يكونون بعد البعثة معصومين عن جميع الذنوب أيضا، و يكون ذكر الجنة لبيان كون التّهي ارشاديا لا طلبيا حيث أنّ الجنة ليست بدار تكليف حتى يتصوّر فيها النهي التحريمي و التنزيهي أيضا، و ربما يحمل على وجه التنزل و الاستظهار رداً على من جوّز الذنب مطلقا عليهم صلوات الله.

رابعها: إنّ المعصية كانت من آدم في الجنة لا في الأرض التي هي دار التكليف فلا يلزم صدور المعصية عنه عليه السلام قبل النبوة و لا بعدها في دار التكليف و لعلّ في قول الرضا عليه السلام في الخبر المتقدم إشارة إليه، لكنّه كما سمعت مناف لما هو المعلوم من المذهب، بل قيل إنّ هذا الوجه لا ينطبق على شيء من المذاهب.

خامسها: ما أجاب به أكثر المعتزلة من أنّ معصيته عليه السلام كانت من الصّغائر المكفّرة دون الكبائر التي تنافي العصمة، و ان كان يشملهما مع اسم المعصية.

وفيه: أنّه مناف أيضا لضرورة المذهب، و قد سمعت فيما مرّ من كلام السيّد في باب التنفير أنّ الطريقة في نفى الصّغائر قبل البعثة و بعدها هي الطريقة في نفى الكبائر في الحالين.

و أمّا ما رواه في «العيون» و «الاحتجاج» عن الرضا عليه السلام من أنّه كان ذلك يعني الاكل من الشجرة من آدم قبل النبوة و لم يكن ذلك بذنب كبير استحقّ به دخول النار و أمّا كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتناب الله و جعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيرة و لا كبيرة قال الله عزّ وجلّ:

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٧

وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى «١» و قال عزّ وجلّ:

إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ «٢»، الخبر فلعله محمول على التقيّة، أو على التنزيل، أو لجواز ارتكابه لترك الأولى قبل البعثة، و أمّا بعدها فلعو قدرهم يمنع من ارتكابهم له أيضا و ان لم يكن ذنبا و معصية.

سادسها: ما قيل: من أنّه عليه السلام لمّا نهى عن الاكل من الشجرة ظن أنّ التّهي عن عين الشجرة لا عن نوعها، و كان الله سبحانه أراد نهيها عن نوعها، و لكنّه لم يقل لهما:

لا تقربا نوع هذه الشجرة ولا من جنسها.

واللفظة قد يراد بها النوع كما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه أشار إلى حرير وذهب وقال: هذان حرامان على رجال من امتي وأنه عليه السلام قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة إلا به.

وكان ظنه ذلك لأن إبليس حلف لهما بالله كاذبا أنه لهما لمن الناصحين، ولم يكن شاهد قبل ذلك من يحلف بالله كذلك فأكل من شجرة أخرى من نوعها، وكان ذلك من قبيل الخطأ في الاجتهاد وليس من كبائر الذنوب التي يستحق بها دخول النار «٣».

وقد يؤيد بما رواه في «العيون» و«الاحتجاج» عن علي بن محمد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده علي بن موسى عليهما السلام فقال له المأمون يا بن رسول الله أليس من قولك: إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى قال: فما معنى قول الله

(١) طه: ١٢١.

(٢) آل عمران: ٣٣.

(٣) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٩٨-١٩٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٨

عز وجل: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى «١»، فقال عليه السلام إن الله تبارك وتعالى قال لآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة «٢» وأشار لهما إلى شجرة الحنطة فتكونا من الظالمين ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة، ولا ميا كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة، وإنما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان إليهما وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة «٣» وإنما نهكما أن تقربا غيرها، ولم ينهكما عن الأكل منها إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين «٤» ولم يكن آدم وحواء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا فدلاهما بغرور «٥» فأكلا منها ثقة بيمينه بالله وكان ذلك من آدم قبل النبوة «٦».

إلى آخر ما تقدم في الوجه السابق، ويؤيده أيضا ما مر عن تفسير الامام عليه السلام مفصلا «٧».

وهو بظاهره لا يتم على أصولنا إذ فيه أولا- أن اسم الإشارة موضوع للإشارة إلى الأشخاص، والإشارة به إلى النوع لا تصح إلا مع القرينة الدالة عليه، فإذا حمله على حقيقته فأى خطأ يلحقه فيه.

(١) طه: ١٢١.

(٢) البقرة: ٣٥.

(٣) الأعراف: ٢٠.

(٤) الأعراف: ٢١.

(٥) الأعراف: ٢٢.

(٦) عيون الاخبار ص ١٩٥-١٩٦.

(٧) تفسير الامام عليه السلام ص ٩٠-٩١ وعنه البحار ج ١١ ص ١٨٩-١٩٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٩

وتوهم أنه قد قرنه بما يدل على أن المراد به النوع مدفوع بأن القرينة لا بد أن تكون مفهومة ومعها يتم المحذور، وإلا فلا إفهام فلا تكليف، ولذا قيل: إنّه لو كلفه على الوجه المذكور من دون قرينة تدل على المراد لزم التكليف بما لا يطاق ومع القرينة يلزم الإخلال بالنظر والتقصير في المعرفة «١».

و أما ما يقال من أنه تعالى عرّفه القرينة وقت الخطاب ثم غفل عنها و نسيها لطول المدّة أو غيره.

ففيه أنه مبني على جواز النسيان على الأنبياء و فيه ما لا يخفى.

و ثانيا: انّ الأنبياء لا يجوز عليهم الاجتهاد و العمل بالظنّ أو اعتقاد خلاف الواقع و لو على طريق غير الجزم.

و عدم كونه وقت الخطاب نبيا كما تضمّن الخبر غير حاسم لمادّة الأشكال على أصولنا، كما أنه لا يحسمها القول بارتكابه على جهة التأويل كما هو المحكي عن أبي علي «٢» و غيره، و لذا أورد عليهم المرتضى رضى الله عنه بأنه و ان نزّهه عن تعمد معصية، إلّا أنّ أضاف إليه معصيتين: ترك التأمل في متعلّق النهي أنه هل هو الجنس أو العين، و التناول من الشجرة و لو مع اعتقاد الحلية للخطأ في الاجتهاد و الاعتقاد و توهم أنّ النظر فيما كلفه من الامتناع من الجنس أو النوع لم يكن واجبا عليه مدفوع بأنه ان لم يكن واجبا عليه فكيف يكون مكلفا «٣».

نعم ربما يقال: أنه توجيه متّجه و لو بمعونة الرضوى و العسكري المتقدمين،

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٩٩.

(٢) هو ابو عليّ الجبائي محمد بن عبد الوهاب المعتزلي: المتوفى (٣٠٣) هـ.

(٣) تنزيه الأنبياء ص ٧-٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٠

و يرجع إلى ترك الأولى، و هو ليس بذنب في الحقيقة و لا بأس به، إلّا أنّ مرجعه إلى أحد الأولين.

و امّا ما يقال ايضا في بيان الخطأ في الاجتهاد: من أنه قال: و لا تقربا فظن آدم أنه نهى لهما على الجمع، فيجوز لكلّ منهما الأكل منفردا، إذ لا يلزم من حصول النهي حال الاجتماع حصوله حال الانفراد «١».

فهو ممّا لا ينبغي الإصغاء إليه و ان ذكره الرّازي و غيره.

سابعها: انّ نسبة العصيان إلى آدم مبتدئة على تقدير مضاف و المراد و عصى أولاد آدم كما في قوله: وَ سِئَلِ الْقَرْيَةَ «٢»، بل قد يؤيد بقوله في قصّة آدم و حوّاء: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا «٣»، و من المعلوم أنّهما لم يشركا و إنّما أشرك أولادهما. و ردّ بأنه و ان كان احتمالا يصحّ اللفظ، لكنّه مخالف لما في الواقع، فإنّ أولاد آدم لم يقع منهم الاكل من الشجرة شجرة الخلد و لم يكونوا منهيين عن ذلك ايضا، و لم يكن ذلك إلّا من آدم و حوّاء.

نعم ربّما تؤول الشجرة في الآية بحبّ الدنيا و رئاستها و زينتها و خصوص علم الأكسير و هو على فرضه لا يمنع من ارادة الظاهر بل لا يتمّ إلّا معها.

ثامنها: أنّ النهي و ان كان ظاهرا في التحريم لكنّه ليس نصّا فيه، و أنّما صرفه عن الظاهر لدليل ظنه قرينه عليه.

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٣ ص ١٥.

(٢) يوسف: ٨٣.

(٣) الأعراف: ١٩٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠١

و ضعفه واضح جدّا بل لم أعرف به قائلا و ان حكاها شارح الطّوابع عن بعضهم.

تاسعها: انّ الذي صدر منه عليه السلام كان عن نسيان بنصّ القرآن لقوله:

فَنَسِيَ «١» فهو ليس بذنب، و المؤاخذه إنّما كانت على ترك التّحفظ و التّقصير الذي نشأ منه النسيان، و هو ترك أولى، و سمّي ذنبا

لأنهم مؤاخذون به، كما ورد أن الأنبياء لمؤاخذون بمثاقيل الذر، وسمى معصية و غواية تحذيرا للأنبياء، و لطفاً لأممهم، و لله تعالى من تسمية ذلك معصية و غواية ما ليس لغيره، فليس لأحد أن يتجاسر على نسبة العصيان إليه. و فيه أن الالتزام بعروض النسيان ممّا ينفيه المذهب، ثمّ التّحفظ على عدمه إن كان واجبا فتركه التزام بالعصيان مضافاً إلى النسيان، أولى فلا جدوى للالتزام بالنسيان.

عاشرها: الحمل على النسيان بمعنى آخر لا ينفيه المذهب و يساعده بعض الاخبار على ما يأتي ان شاء الله. و أجيب عن الثاني أولاً- بأنّ الغواية هي الخيبة على ما صرح به الجوهري و الجزري يقال: غوى إذا خاب، و أغواه أي خيبه، فمعنى غوى أنّه خاب عن بغيته، لأننا نعلم أنّه لو فعل ما أرشده إليه من ترك تناول من الشجرة لاستحقّ الثواب العظيم، فإذا خالف الأمر الإرشادي أو التديبي و لم يصر إلى ما أرشده إليه فقد خاب لا محالة من حيث إنّه لم ينل ما طلب و لم يصر إلى الثواب البدي كان يستحقّ

(١) طه: ١١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٢

بالامتناع و استعماله في هذا المعنى حقيقة على ما هو الظاهر من أئمة اللغة قال الشاعر:  
فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره و من يغوا لا- يعدم على الغي لائما و لذا قيل: إنّ الظاهر من قوله: عصي فغوى انّ الذي دخلته الفاء جزاء على المعصية و أنّه كلّ الجزاء المستحقّ بالمعصية إذ الظاهر من قول القائل: سرق فقطع و قذف فجلد ثمانين انّ ذلك جميع الجزاء لا بعضه و كذلك إذا قال القائل من دخل دارى فله درهم فإنّ معناه انّ الدرهم جميع جزائه و لا يستحقّ بالدخول سواء و من لم يفعل الواجب استحقّ الذمّ و العقاب و حرمان الثواب و اما من لم يفعل ما أرشده إليه و ندبه فلا يستحقّ إلّا حرمان الثواب فقط، و حيث انّ مدخول الفاء تمام الجزاء و قد سمعت أنّه الخيبة و عدم نيل المطلوب فلا بدّ أن يكون العصيان بترك الأولى حسبما سمعت «١».

ثانيا: سلّمنا أن يكون المراد بالغى هو الضلال كما صرح به الجوهري بكونه من معانيه إلّا أنّ الضلال هو البعد عن المطلوب بارتكاب ما يبعده عنه كما أنّ الرشاد هو التّوسل بشيء إلى شيء و سلوك طريقة موصلة إلى المطلوب، و حيث أنّه قد بعد بمخالفة التّهيى التزيهيى او الارشادى عن نيل الثواب الذى هو المقصود جاز اطلاق كونه ضالاً غاوريا عن نيل مقصوده «٢».

و عن الثالث: بأنّ الظلم فى أصله موضوع لوضع الشىء فى غير موضعه كما

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٠٠ عن السيّد المرتضى فى جواب المسائل التى وردت عليه من الرى.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٠٠ مع تفاوت فى العبارات.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٣

نصّ عليه الجوهري و الفيروزآبادى و الفيومى و غيرهم ممّن صنّف فى اللغة و استشهد عليه فى الصّحاح و غيره بقوله تعالى: و لَمْ تَظَلِّمْ مِنْهُ شَيْئاً «١» و قول الشاعر: و من يشابه أباه فما ظلم.

و بالمثل: من استرعى الذّئب فقد ظلم، و يقال: إنّ أصله انتقاص الحقّ و به فسّر الآية فى «القاموس» و عن الجزرى أنّه قال فى حديث ابن زمل: لزموا الطريق فلم يظلموه، أى لم يعدلوا عنه يقال أخذ فى طريق فما ظلم يمينا و شمالا «٢».

و بالجملة فمرجع معنى الظلم لغة و عرفا إلى شىء من الثلاثة، و من البيّن أنّ الوصف به لا- يستلزم ما ادّعاه المستدلّ على جميع الوجوه، و ذلك لأنّ مخالفة ما هو الأولى أو المندوب إليه وضع للشىء فى غير موضعه، و موجب لنقص الثواب، و عدول عن الطريق

المؤدّى له إلى المراد.

و أما ما استدللّ به على أنّ الظالم ملعون، ففيه أنّ الحكم معلّق على الموضوع المقتيد بالصّدّ عن سبيل الله و الكفر بالآخرة، و لذا قال في الأعراف و في هود ألا- لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ «٣٣»، و أين هذا من دلالاته على لعن مطلق الظالمين او خصوص صاحب الكبيرة من المسلمين، بل قيل: إن اللّعن ايضا لا يدلّ على كون المعصية كبيرة، لورود الأخبار بلعن صاحب الصغيرة، بل من ارتكب النهي التنزيهي ايضا، لأنّ معنى اللّعن هو الطرد و الابعاد عن الرّحمه، و يحصل البعد عنها بفعل المكروه

(١) الكهف: ٣٣.

(٢) النهاية لابن الأثير الجزرى المتوفى (٦٠٦) ه ج ٣ ص ١٦١ فى «ظلم».

(٣) هود: ١٨-١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٤

و ترك المندوب ايضا.

نعم قد يقال: إنّه لما غلب استعماله فى المشركين و الكفّار لا يجوز استعماله فى صلحاء المؤمنين قطعا و فى فساقهم اشكال و الأولى التّرك.

و عن الرّابع: واضح بعد ما مرّ من كون النهي ارشاديا او تنزيهيا و دعوى كون مخالفة المنهى عنه مطلقا معصية واضح الفساد فضلا عن كونها كبيرة.

و عن الخامس: أنّ التوبة أعمّ من فعل الذّنب بالمعنى الأخصّ، فلا توجب إسقاط العقاب المترتب على استحقاقه و يشهد له كثير من الأدعية المأثورة عن النّبي و الأئمّة المتضمنة لاجتهادهم فى التوبة و الانابة و الاستغفار.

و عن السادس: أنّ الإخراج من الجنّة لعلّه كان على وجه المصلحة المقتضية لإخراجه منها إذا تناول من الشجرة، على ما أشرنا إليه فى الجواب الثّانى عن الوجه الأوّل.

و عن السابع: إنّ المراد بالخسران قلّة الثّواب او الخيبة عن النفع العاجل و ان ترتّب عليه الثواب الجزيل الآجل.

و عن الثامن: واضح ممّا مرّ.

و عن التاسع: إنّ المراد بالنسيان هو التّرك كما يشهد به اللّغة و يعضده الاخبار و صحيح الاعتبار و لو بمعونته ما دلّ على العصمة و فيه وجه آخر سنشير إليه فى تفسير الآية المتضمنة للنسيان إنشاء الله كما أنّه قد ظهر من جمع ذلك الجواب عن العاشر أيضا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٥

### مستطرف من الكلام فى طرف من احوال آدم (عليه السلام)

روى العياشى فى تفسيره عن جابر عن النّبي صلّى الله عليه و آله قال: كان إبليس أوّل من ناح، و أوّل من تغنى، و أوّل من حدا قال صلّى الله عليه و آله: لمّا أكل آدم من الشجرة تغنى فلما أهبط حدا به، فلما استقرّ على الأرض ناح فأذكره ما فى الجنّة، فقال آدم: ربّ هذا الذى جعلت بينى و بينه العداوة لم أقو عليه و انا فى الجنّة و إن لم تعنى عليه لم أقو عليه، فقال الله تعالى: السّيئة بالسّيئة و الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة، قال: ربّ زدنى، قال: لا يولد لك ولد إلا جعلت معه ملكا او ملكين يحفظانه، قال: ربّ زدنى قال: التوبة مفروضة فى الجسد ما دام فيها الروح، قال: زدنى قال: أغفر الذّنوب و لا أبالى، قال: حسبي.

قال: فقال إبليس: ربّ هذا الذى كرمت علىّ و فضّلته و ان لم تفضّل علىّ لم أقو عليه، قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك ولدان، قال:

ربّ زدني قال: تجرى منه مجرى الدّم في العروق، قال: ربّ زدني قال: تتخذ أنت و ذرّيتك في صدورهم مساكن، قال: ربّ زدني قال تعدهم و تمنّيهم و ما يعدهم الشيطان إلّا غرورا «١».

و فيه عن الصادق عليه السّلام قال: ما بكى أحد بكاء ثلاثة: آدم، و يوسف، و داود فقلت: ما بلغ من بكائهم؟ فقال: أمّا آدم عليه السّلام فبكى حين أخرج من الجنّة، و كان رأسه في باب من أبواب السّماء، فبكى حتّى تأذى به اهل السّماء فشكوا ذلك إلى الله فحطّ من قامته. الخبر «٢».

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢١٢ ح ٢٠ عن العياشي.

(٢) البحار ج ١١ ص ٢١٣ ح ٢١ عن العياشي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٦

و في «العلل» عن الصادق عليه السّلام قال: البكاؤن خمسة: آدم، و يعقوب، و يوسف، و فاطمة بنت محمّد، و عليّ بن الحسين عليهما السّلام فأما آدم فبكى على الجنّة حتّى صار في خديه أمثال الأودية «١».

و في «البصائر» عن الصادق عليه السّلام قال: كان مع عيسى بن مريم عليهما السّلام حرفان يعمل بهما. و كان مع موسى عليه السّلام أربعة أحرف، و كان مع ابراهيم ستّة أحرف، و كان مع آدم خمسة و عشرون حرفا، و كان مع نوح ثمانية و جمع ذلك كله لرسول الله صلّى الله عليه و آله، إن اسم الله ثلاثة و سبعون حرفا «٢».

و في معناه أخبار آخر، و روى الصّيدوق في خبر طويل يتضمن سؤال ملك الروم عن الحسن بن عليّ عليهما السّلام و فيه أنّه دعى الملك بالأصنام فأول صنم عرض عليه في صفة القمر فقال الحسن عليه السّلام فهذه صفة آدم عليه السّلام أبو البشر ثمّ عرض عليه آخر في صفة الشمس فقال الحسن عليه السّلام: هذه صفة حواء أمّ البشر ثمّ عرض عليه آخر في صفة حسنة فقال: هذه صفة شيث بن آدم و كان أوّل من بعث و بلغ عمره في الدنيا ألف سنة و أربعين يوما «٣». الخبر.

قوله: و كان أوّل من بعث أي من أولاد آدم، او بعد تناسل الدّريّة، او مقيدا ببلوغ عمره ألف سنة، و ان كان و الأوّل اظهر.

و في «العلل» عن زرّ بن حبّيش، قال: سألت ابن مسعود، عن أيام البيض ما سببها، و كيف سمعت؟ قال: سمعت النبي صلّى الله عليه و آله يقول: إنّ آدم لمّا عصى ربّه

(١) البحار ج ١١ ص ٢٠٤ عن العلل.

(٢) بصائر الدرجات ص ٦٥ و عنه البحار ج ١١ ص ٦٨.

(٣) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٦١ عن تفسير القمي ص ٥٩٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٧

عزّ و جلّ ناداه مناد من لدن العرش: يا آدم أخرج من جوارى فإنّه لا يجاورني أحد عصاني، فبكى و بكت الملائكة، فبعث الله عزّ و جلّ اليه جبرئيل فأهبطه الى الأرض مسودا، فلما رأته الملائكة ضجّت و بكت و انتجت و قالت: يا ربّ خلقا خلقته، و نفخت فيه من روحك، و أسجدت له ملائكتك بذنب واحد حوّلت بياضه سوادا؟! فنادى مناد من السماء صم لربك اليوم، فصام فوافق يوم الثالث عشر من الشهر فذهب ثلث السواد، ثمّ نودي في يوم الرابع عشر بالصّيام، فصام فذهب ثلثا السواد ثمّ نودي في يوم خمسة عشر بالصّيام فصام و قد ذهب السواد كلّ، فسُمّيت أيام البيض الذي ردّ الله عزّ و جلّ فيه على آدم من بياضه، ثمّ نادى مناد من السّماء يا آدم هذه الثلاثة الأيام جعلتها لك و لولدك من صامها في كلّ شهر فإنّما صام الدّهر.

و زاد الحميدى في الحديث: فجلس آدم عليه السّلام جلسة القرفصاء «١»، و رأسه بين ركبته كئيبا حزينا، فبعث الله تبارك و تعالی



إليه جبرئيل فقال: يا آدم مالى أراك كئيبا حزينا؟ فقال: لا- أزال كئيبا حزينا حتى يأتى أمر الله، قال: فأتى رسول الله إليك و هو يقرئك السلام و يقول: يا آدم حياك الله و بياك، قال أما حياك الله فأعرفه، فما بياك؟ قال: أضحكك، قال: فسجد آدم فرفع رأسه إلى السماء و قال: يا رب زدنى جمالا فأصبح و له لحيه سوداء كالحمم، فضرب بيده إليها فقال يا رب ما هذه؟ فقال: هذه اللحية زينتك بها أنت و ذكور ولدك إلى يوم القيمة «٢».

(١) قال الجوهرى: القرفصاء: ضرب من القعود، يمد و يقصر و هو أن يجلس على ركبته منكبا و يلصق بطنه فخذه و يتأبط كفيه.

فى «المنجد»: ترفصه: جمعه و شدّ يديه تحت رجله.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٧١-١٧٢ عن العلل ص ١٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٨

و فى «العلل» عن الصادق عليه السلام قال: أوحى الله عزّ و جلّ إلى آدم عليه السلام إنى سأجمع لك الخير كله فى اربع كلمات: واحدة منهّن لى، و واحدة لك، و واحدة فيما بينى و بينك، و واحدة فيما بينك و بين الناس، فأما التى لى فتعبدنى و لا تشرك بى شيئا، و أمّا التى لك فجازيك بعملك أحوج، ما تكون إليه، و أمّا التى بينى و بينك فعليك الدعاء و علىّ الإجابة، و أمّا التى فيما بينك و بين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك و تكره لهم ما تكره لنفسك «١».

و فى «المحاسن» عن الصادق عليه السلام قال: إنّ آدم عليه السلام شكّا إلى جبرئيل عليه السلام حديث النفس فقال: أكثر من قول لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.

و فى «المجالس» و «الأمالى» و «الإكمال» عن الصادق عليه السلام قال: أنا سيّد التّبين و وصيى سيّد الوصيين و اوصيائى سادات الأوصياء، إن آدم عليه السلام سأل الله عزّ و جلّ أن يجعل له وصيّا صالحا فأوحى الله عزّ و جلّ إليه انى أكرمت الأنبياء بالتبوة ثم اخترت خلقى و جعلت خيارهم الأوصياء ثم أوحى الله عزّ و جلّ إليه يا آدم أوص إلى شيت فاوصى آدم إلى شيت و هو هبة بن آدم ثم ذكر اتّصال الوصية منه عليه السلام إلى نبينا و الأئمة المعصومين صلّى الله عليهم أجمعين «٢».

و فى «تفسير العياشى» عن أبى جعفر عليه السلام بعد ذكر قصّة قاييل قال: فلما علم آدم بقتل هاويل جزع عليه جزعا شديدا، و دخله حزن شديد، قال فشكى إلى الله ذلك، فأوحى الله إليه انى واهب لك ذكرا يكون خلفا لك من هاويل، قال: فولدت

(١) الخصال ج ١ ص ١١٦ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٥٧.

(٢) البحار ج ١٧ ص ١٤٨ و ج ٢٣ ص ٥٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٩

حواء غلاما زكيا مباركا، فلما كان اليوم السابع سمّاه آدم شيت فأوحى الله إلى آدم إنّما هذا الغلام هبة منى لك فسمّه هبة الله، قال فسمّاه هبة الله، قال فلما دنى أجل آدم أوحى الله إليه، أن يا آدم انى متوفيك و رافع روحك إلى يوم كذا و كذا، فأوص الى خير ولدك و هو هبتى الذى وهبته لك فأوص إليه و سلّم إليه ما علّمناك من الأسماء و الاسم الأعظم، فاجعل ذلك فى تابوت فأتى احبّ ان لا يخلو أرضى من عالم يعلم علمى و يقضى بحكمى، اجعله حجّة على خلقى.

قال: فجمع آدم عليه السلام جميع ولده من الرجال و النساء، فقال لهم: يا ولدى انّ الله اوحى إلىّ انّه رافع إليه روحى، و أمرنى أن أوصى إلى خير ولدى، و أنّه هبة الله و أنّه اختاره لى و لكم من بعدى، أسمعوا له و أطيعوا أمره، فأنّه وصيى و خليفتى عليكم فقالوا جميعا: نسمع له و نطيع أمره و لا نخالفه، قال: فأمر بالتابوت فعمل ثم جعل فيه علمه و الأسماء و الوصية، ثم دفعه إلى هبة الله، و تقدّم إليه فى ذلك و قال له: انظر يا هبة الله إذا أنا متّ فاغسلنى و كفننى و صلّ علىّ و أدخلنى فى حفرتى فإذا مضى بعد وفاتى أربعون

يوما فاخرج عظامي كلها من حفرتي بأجمعها جميعا، ثم اجعلها في التابوت و احتفظ به و لا تأمننّ عليه أحدا غيرك فإذا حضرت وفاتك و أحسست بذلك من نفسك فالتمس خير ولدك و ألزمهم لك صحبتته و أفضلهم عندك قبل ذلك فأوص اليه بمثل ما أوصيت به إليك، و لا تدعنّ الأرض بغير عالم منّا اهل البيت، يا بني إنّ الله تبارك و تعالى أهبطني إلى الأرض و جعلني خليفته فيها حجّة له على خلقه، فقد أوصيت لك بأمر الله و جعلتك حجّة الله على خلقه في أرضه بعدى فلا تخرج من الدنيا حتّى تدع لله حجّة و وصيّا و تسلّم إليه التابوت و ما فيه، كما سلّمته

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٠

إليك و أعلمه أنّه سيكون من ذريتي رجل اسمه نوح يكون في نبوته الطوفان و الغرق، فمن ركب في فلكه نجى، و من تخلف عن فلكه غرق، و أوص وصييك أن يحفظ بالتابوت و بما فيه فإذا حضرت وفاته أن يوصي إلى خير ولده، و ألزمهم له و أفضلهم عنده و تسلّم إليه التابوت و ما فيه، و ليضع كلّ وصي وصيته في التابوت و ليوص بذلك بعضهم إلى بعض فمن أدرك نبوة نوح فليركب معه، و ليحمل التابوت و جميع ما فيه في فلكه، و لا يتخلف عنه أحد، و احذر يا هبة الله و أنتم يا ولدي الملعون قابيل و ولده، فقد رأيتم ما فعل بأخيكم هابيل، فاحذروه و ولده و لا تناكحوهم و لا تخالطوهم، و كن أنت يا هبة الله و إخوتك و أخواتك في أعلا الجبل و اعزله و ولده و دع الملعون قابيل و ولده في أسفل الجبل.

قال: فلما كان اليوم الذي اخبر الله تعالى أنّه متوفيه فيه تهيأ آدم للموت و أذعن به، قال: و هبط عليه ملك الموت فقال آدم: دعني يا ملك الموت حتّى أتشهد و أثني على ربّي بما صنع عندي من قبل أن تقبض روحي، فقال آدم: اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أنّي عبد الله و خليفته في أرضه، ابتداني بإحسانه و خلقتني بيده، لم يخلق خلقا بيده سواي، و نفخ فيّ من روحه، ثم أجمل صورتي و لم يخلق على خلقي أحدا قبلي ثم أسجد لي ملائكته، و علّمني الأسماء كلّها، و لم يعلمها ملائكته، ثم أسكنني جنته، و لم يكن جعلها دار قرار، و لا منزل استيطان، و أنّما خلقتني ليسكنني الأرض للذي أراد من التقدير و التدبير، و قدر ذلك كلّه قبل أن يخلقني، فمضيت في قدرته و قضائه و نافذ أمره، ثم نهاني أن أكل من الشجرة فعصيته و أكلت منها، فاقالني عثرتي و صفح لي عن جرمي، فله الحمد على

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١١

جميع نعمه عندي حمدا يكمل به رضاه عنّي.

قال: فقبض ملك الموت روحه صلوات الله عليه فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ جبرئيل نزل بكفن آدم و بحنوطه و بالمسحاة معه، قال: و نزل مع جبرئيل سبعون ألف ملك ليحضروا جنازة آدم عليه السلام قال: فغسله هبة الله و جبرئيل و كفّنه و حطّبه ثم قال: يا هبة الله تقدّم فصلّ على أبيك و كبر عليه خمسا و عشرين تكبيرة، فوضع سرير آدم، ثم قدم هبة الله و قام جبرئيل عليه السلام عن يمينه و الملائكة خلفهما، فصلّى عليه و كبر عليه خمسا و عشرين تكبيرة، و انصرف جبرئيل و الملائكة فحفروا له بالمسحاة ثم أدخلوه في حفرته، ثم قال جبرئيل يا هبة الله هكذا فافعلوا بموتاكم، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت.

فقال أبو جعفر عليه السلام: فقام هبة الله في ولد أبيه بطاعة الله و بما أوصى أبوه فاعتزل ولد الملعون قابيل، فلما حضرت وفاة هبة الله أوصى إلى ابنة قينان، و سلّم إليه التابوت و ما فيه و عظام آدم، و قال له: ان أنت أدركت نبوة نوح فاتبعه و احمل التابوت معك في فلكه، و لا تخلفنّ عنه فإنّ في نبوته يكون الطوفان و الغرق، فمن ركب في فلكه نجى، و من تخلف عنه غرق.

قال: فقام قينان بوصية هبة الله في اخوته و ولد أبيه و أمرهم بطاعة الله قال:

فلتيا حضرت قينان الوفاة أوصى إلى مهلائيل و سلّم إليه التابوت و ما فيه، و الوصية، فقام مهلائيل بوصية قينان و سار بسيرته فلما حضرت مهلائيل الوفاة أوصى إلى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٢

ابنه «١» برد، فسلم إليه التابوت وجميع ما فيه والوصية، فتقدم إليه في نبوة نوح فلما حضرت وفاة برد اوصى به إلى ابنه أخنوخ وهو إدريس، فسلم إليه التابوت وجميع ما فيه والوصية، فقام أخنوخ بوصية برد، فلما قرب أجله أوحى الله تعالى إليه إنني رافعك إلى السماء وقابض روحك في السماء فأوص إلى ابنك حرقاسيل بوصية أخنوخ، فلما حضرته الوفاة اوصى إلى ابنه نوح وسلم إليه التابوت وجميع ما فيه والوصية، قال: فلم يزل التابوت عند نوح حتى حمله معه في فلكه فلما حضرت نوح الوفاة اوصى إلى ابنه سام وسلم إليه التابوت وجميع ما فيه والوصية.

قال حبيب السجستاني: ثم انقطع حديث أبي جعفر عليه السلام عندها «٢».

وفي «القصص» عن الصادق عليه السلام في خبر طويل إلى أن قال: فلم يلبث آدم عليه السلام بعد ذلك إلا يسيرا حتى مرض ودعا شيئا وقال: يا بني إن اجلي قد حضر وانا مريض وإن ربي قد انزل من سلطانه ما قد ترى، وقد عهد إلي فيما قد عهد أن أجعلك وصيي، وخازن ما استودعني، وهذا كتاب الوصية تحت رأسي، وفيه أثر العلم واسم الله الأكبر، فإذا أنا مت فخذ الصحيفة وإياك أن يطلع عليها احد، وأن تنظر فيها إلى قابل في مثل هذا اليوم الذي يصير إليك فيه وفيها جميع ما تحتاج إليه في أمور دينك وديارك وكان آدم صلوات الله عليه نزل بالصحيفة التي فيها الوصية من الجنة. ثم قال آدم لشيث صلوات الله عليهما: يا بني أني قد اشتيت ثمرة من ثمار

(١) في المصدر و قصص الأنبياء: يرد بالياء.

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٠٦-٣٠٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٣

الجنة فاصعد إلى جبل الحديد فانظر من لقيته من الملائكة فاقرأه مني السلام و قل له: إن أبي مريض وهو يستهديكم من ثمار الجنة، قال: فمضى حتى صعد إلى الجبل فإذا هو بجبرئيل في قبائل من الملائكة، فبدأه جبرئيل السلام ثم قال: إلى أين يا شيث فقال له شيث: ومن أنت يا عبد الله؟ قال: انا الروح الأمين جبرئيل فقال إن أبي مريض وقد أرسلني إليكم وهو يقرئكم السلام ويستهديكم من ثمار الجنة، فقال له جبرئيل عليه السلام: وعلى أبيك السلام يا شيث، اما أنه قد قبض، و إنما نزلت لشأنه فعظم الله على مصيبتك فيه أجر، وأحسن على العزاء منه صبرك، و آنس منك عظيم وحشتك، ارجع فرجع معهم، ومعهم كل ما يصلح به آدم صلوات الله عليه، قد جاءوا به من الجنة فلما صاروا إلى آدم كان أول ما صنع شيث أن أخذ صحيفة الوصية من تحت رأس آدم صلوات الله عليه فشدّها على بطنه، فقال جبرئيل عليه السلام: من مثلك يا شيث قد أعطاك الله سرور كرامته وألبسك لباس عافيته فلعمري لقد خصّيك الله منه بأمر جليل، ثم إن جبرئيل عليه السلام وشيئا أخذ في غسله، و أراه جبرئيل كيف يغسله حتى فرغ، ثم أراه كيف يكفنه ويحنّظه حتى فرغ ثم أراه كيف يحفر له، ثم إن جبرئيل عليه السلام أخذ بيد شيث فأقامه للصلاة عليه كما نقوم اليوم نحن، ثم قال كبر على أبيك سبعين تكبيرة و علمه كيف يصنع ثم إن جبرئيل عليه السلام أمر الملائكة ان يصطفوا قياما خلف شيث كما يصطف اليوم خلف المصلّي على الميت، فقال شيث: يا جبرئيل ويستقيم هذا لي و أنت بالمكان من الله الذي أنت ومعك عظماء الملائكة؟ فقال جبرئيل: يا شيث ألم تعلم أن الله تعالى لما خلق أباك آدم أوقفه بين الملائكة وأمرنا بالسجود له فكان إمامنا ليكون ذلك سنه في ذريته، و قد

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٤

قبضه اليوم و أنت وصيه و وارث علمه، و أنت تقوم مقامه، فكيف نتقدمك و أنت إمامنا؟ فصلّى بهم عليه كما أمره، ثم أراه كيف يدفنه، فلما فرغ من دفنه و ذهب جبرئيل و من معه ليصعدوا من حيث جاءوا بكى شيث و نادى: يا وحشته فقال له جبرئيل: لا وحشة عليك مع الله تعالى يا شيث، بل نحن نازلون عليك بأمر ربك و هو يونسك فلا تحزن و أحسن ظنك برّبك فإنه بك لطيف و

عليك شفيق، ثم صعد جبرئيل و من معه، و هبط قابيل من الجبل، و كان على الجبل هاربا من أبيه آدم عليه السلام أيام حياته لا يقدر أن ينظر إليه فلقى شيئا فقال: يا شيث إنني إنما قتلت هايل أخى لأن قربانه قد تقبل و قد خفت أن يصير بالمكان الذي قد صرت أنت اليوم فيه، و قد صرت بحيث اكره، و ان تكلمت بشيء مما عهد إليك أبي لأقتلنك كما قتلت هايل.

قال زرارة: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام بيده إلى فمه فامسكه يعلمنا أي هكذا انا ساكت «فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» معشر شيعةنا فتمكنوا عدوكم من رقابكم فتكونوا عبيدا لهم بعد إذ أنتم أربابهم و ساداتهم. الخبر «١».

و في خبر آخر عن أبي جعفر عليه السلام قال: أرسل آدم ابنه إلى جبرئيل فقال: قل له: يقول لك أبي: أطعمني من زيت الزيتون التي في موضع كذا و كذا من الجنة، فلقاه جبرئيل فقال له إرجع إلى أبيك فقد قبضه الله و أمرنا بإجهازه و الصلاة عليه، قال: فلما جهزوه قال جبرئيل: تقدم يا هبة الله فصل على أبيك فتقدم و كبر عليه خمسا و سبعين تكبيرة سبعين تفضيلا لآدم و خمسا للسنة قال: و آدم عليه السلام لم يزل

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٦٢-٢٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٥

يعبد الله بمكة حتى إذا أراد أن يقبضه بعث إليه الملائكة معهم سرير و حنوط و كفن من الجنة فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل بينه و بينهم، فقال لها آدم: خلى بيني و بين ربي، فقبض فغسله بالسدر و الماء ثم لحدوا قبره، و قال: هذا سنة ولده من بعده فكان عمره منذ خلقه الله إلى أن قبضه تسعمائة و ستا و ثلاثين سنة و دفن بمكة و كان بين آدم و نوح صلوات الله عليهما ألف و خمسمائة سنة «١».

و في «كمال الدين» عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي عليه السلام قال: عاش آدم ابو البشر تسعمائة و ثلاثين سنة «٢».

و عن المسعودي في المروج توفى يوم الجمعة لست خلون من نيسان في الساعة التي كان فيها خلقه و كان عمره تسعمائة و ثلاثين سنة «٣».

و عن السيد في سعد السعود نقلا من صحف إدريس عليه السلام: إن مرضه عشرة أيام بالحمى، و وفاته يوم الجمعة لإحدى عشر يوما خلت من المحرم، و دفنه في غار في جبل أبي قبيس و وجهه إلى الكعبة، و إن عمره في وقت نفخ فيه الروح إلى وفاته ألف سنة و ثلاثين و ان حواء ما بقيت بعده إلا سنة ثم مرضت خمسة عشر يوما ثم توفيت و دفنت إلى جنب آدم عليهما السلام، ثم قال و نبأ الله شيئا، و أنزل عليه خمسين صحيفة فيها دلائل الله و فرائضه و أحكامه و سنته و شرائعه و حدوده، فأقام بمكة يتلو تلك الصحف على بني آدم و يعلمها و يعبد الله، و يعمر الكعبة فيعتمر في

(١) قصص الأنبياء ص ٦٤ ح ٤٤ و عنه البحار ج ١١ ص ٣٦٦ ح ١٥.

(٢) كمال الدين ص ٥٢٣ ح ٣.

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٦

كل شهر، و يحج في أوان الحج حتى تم له تسعمائة سنة و اثني عشر سنة، فمرض فدعا ابنه أيوس «١» فأوصى به اليه و أمره بتقوى الله ثم توفى فغسله أيوس ابنه و قينان بن أيوس و مهلائيل بن قينان فتقدم أيوس فصلى عليه و دفنوه عن يمين آدم عليه السلام في غار أبي قبيس «٢».

ثم قال السيد رضي الله عنه على ما حكى عنه المجلسي طاب ثراه: وجدت في السفر الثالث من التوراة: أن حياة آدم كانت تسعمائة و

ثلاثين سنة.

وقال محمد بن خالد البرقي (ره): إنَّ عمر آدم كان تسعمائة و ستًا و ثلاثين سنة «٣».

وفي تفسير القمي عن أبي جعفر عليه السلام قال: وكان عمر آدم من يوم خلقه الله تعالى إلى يوم قبضه تسعمائة و ثلاثين سنة و دفن بمكَّة و نفخ فيه يوم الجمعة بعد الزوال، ثم برأ زوجته من أسفل أضلاعه و اسكنه جنَّته من يومه ذلك فما استقرَّ فيها إلَّا ستَّ ساعات من يومه ذلك حتَّى عصى الله تعالى و أخرجهما من الجنَّة بعد غروب الشمس و ما بات فيها «٤».

و عن ابن الأثير في الكامل قيل: إنَّ شيث كان لم يزل مقيمًا بمكَّة يحجَّ و يعتمر إلى أن مات و أنَّه كان قد جمع ما أنزل عليه و على أبيه آدم من الصحف

(١) هكذا في النسخ و الصحيح: انوش كما في المصدر.

(٢) سعد السعود ص ٣٧-٣٨.

(٣) سعد السعود ص ٤٠ و فيه تسعمائة و ست و ثلاثون.

(٤) تفسير القمي ج ١ ص ٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٧

و عمل بما فيها و أنَّه بنى الكعبة بالحجارة و الطين.

وقيل: إنَّه لما مرض أوصى إلى ابنه انوش و مات و دفن مع أبيه بغار أبي قبيس و كان مولده لمضى مائتي سنة و خمس و ثلاثين سنة من عمر آدم و قيل غير ذلك و كانت وفاته و قد أتت له تسعمائة سنة و اثنتا عشر سنة «١».

و في «المعاني» و «الخصال» في خبر أبي ذرَّ عن النَّبي صلَّى الله عليه و آله: إنَّ أربعة من الأنبياء سريان يون آدم، و شيث، و إدريس، و نوح و إنَّ الله تعالى انزل على شيث خمسين صحيفة «٢».

و روت العامة عن النَّبي صلَّى الله عليه و آله: إنَّ آدم كان كتب له ألف سنة فوهب لداود ستين سنة ثم رجع «٣».

و رووا عن ابن عباس أنَّه وهب من الألف أربعين فجحد فأكمل الله لآدم ألف سنة و لداود مائة سنة و سيأتي في تفسير آية المدائنة في آخر السورة عن الصادق عليه السلام: أنَّه وهبه من عمره ستين سنة.

و عن أبي جعفر: أنَّه وهبه ثلاثين سنة و أنَّه لما هبط عليه ملك الموت لقبض روحه قال له آدم يا ملك الموت أنَّه قد بقي من عمري ثلاثون سنة فقال له ملك الموت: يا آدم ألم تجعلها لابنك داود النَّبي و طرحتها من عمرك حين عرضت عليك أسماء الأنبياء من ذريتك و عرضت عليك أعمارهم و أنت يومئذ بوادي الدخياء؟

(١) الكامل ج ١ ص ٥٤ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٦٢.

(٢) معاني الاخبار ص ٣٣٣- و الخصال ٥٢٤.

(٣) البحار ج ١١ ص ٢٦٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٨

قال: فقال آدم: ما اذكر هذا فقال له ملك الموت: يا آدم لا تجحد ألم تسأل الله عزَّ و جلَّ أن يثبتها لداود و يمحوها من عمرك فأثبتها لداود في الزبور و محاها من عمرك في الذكر؟ قال آدم: حتَّى اعلم ذلك.

قال أبو جعفر عليه السلام و كان آدم عليه السلام صادقًا لم يذكر و لم يجحد فمن ذلك اليوم أمر الله تبارك و تعالى العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا و تعاملوا إلى أجل مسمى لئسَّيان آدم و جحوده ما جعل على نفسه «١».

أقول: لكنه كما ترى بظاهرة مخالف لما أجمعت عليه الطائفة المحققة على ما مرّت إليه الإشارة من نفى السهو والإسهاء عن الأنبياء عليهم السّلام و لو في غير ما يتعلّق بالتبليغ و لذا كان الاولى حمله على التقيّة، و الّا فليحمل على ضرب من التأويل و لعلّ الأوّل أقرب سيّما مع اشتهاار القصّة بين العامّة و روايتهم لها بطرق متعدّدة.

تبصرة: روى الشيخ الجليل جعفر بن محمد بن قولويه في كامل الزيارات بالإسناد عن الصادق عليه السّلام قال: إنّ الله تبارك و تعالى أوحى إلى نوح و هو في السّفينه أن يطوف بالبيت اسبوعا فطاف بالبيت اسبوعا كما أوحى الله تعالى إليه ثمّ نزل في الماء و الماء إلى ركبته، فاستخرج تابوتا فيه عظام آدم عليه السّلام فحمل التابوت في جوف السفينه حتّى طاف بالبيت ما شاء الله أن يطوف ثمّ ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها ففيها قال الله تعالى يا أرضُ ابلعي ماءكِ فبلعت مائها من مسجد

(١) علل الشرائع ص ٥٥٣ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٥٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٩

الكوفة كما بدأ الماء من مسجدها و تفرّق الجمع الذين كانوا مع نوح في السفينه فأخذ نوح التابوت فدفنه في الغرى «١». و في القصص بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى وهب قال: لما حضر آدم الوفاة أوصى إلى شيث و حفر لآدم في غار في أبي قبيس يقال له غار الكنز فلم يزل آدم في ذلك الغار حتّى كان زمن الغرق استخرجه نوح في تابوت و جعله معه في السفينه «٢».

و قد مرّ في خبر العياشي الطويل المتقدّم أنّ آدم عليه السّلام أوصى إلى هبة الله عليه السّلام و قال له: أنظر يا هبة الله إذا أنا متّ فاغسلني و كفنني و صلّ عليّ و أدخلني في حفرتي فإذا مضى بعد وفاتي أربعون يوما فاخرج عظامي كلّها من حفرتي بأجمعها جميعا ثمّ اجعلها في التابوت احتفظ به و لا تأمننّ عليه أحدا غيرك «٣». الخبر على ما مرّ.

ثمّ أنّه قد يستشكل في هذه الأخبار فيما ورد عن الصادق عليه السّلام من أنّ الله تبارك و تعالى أوصى إلى موسى بن عمران أن اخرج عظام يوسف من مصر و وعده طلوع القمر إلى أن قال عليه السّلام: فاستخرجه من شاطئ النيل في صندوق مرمر، فلما أخرجه طلع القمر فحمله إلى الشّام «٤».

من وجوه: أحدها: أنّها بظاهرها تدلّ على جواز نقل الموتى بعد الدفن إلى

(١) كامل الزيارات ص ٣٨-٣٩ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٤٨.

(٢) قصص الأنبياء ص ٧٢ ح ٥٥.

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٠٦-٣٠٩.

(٤) البحار ج ١٣ ص ١٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٠

المواضع الشريفة أو مطلقا و ظاهر الأصحاب تحريم ذلك حتى قال ابن إدريس: أنّه بدعة في شريعة الإسلام سواء كان النقل إلى مشهد او غيره مضافا إلى ظهور اتّفاقهم على حرمة النيش بعد الدفن.

و ثانيها: أنّه قد ورد في جملة من الأخبار أنّ الأنبياء و الأوصياء صلّى الله عليه و آله يرفعون بعد الدفن بأبدانهم من الأرض.

ففي «الكافي» و «الفيقيه» و «التهذيب» و غيرها عن زياد بن أبي الحلال عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: ما من نبيّ او وصيّ «١» نبيّ يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام حتّى يرفع بروحه و لحمه و عظامه «٢» إلى السّماء و إنّما يؤتى موضع آثارهم و يبلغونهم عن بعيد السّلام و يسمعونهم في مواضع آثارهم عن قريب «٣».

و في «التهذيب» عن عطية قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: لا تمكث جثّة نبيّ و لا وصيّ نبيّ في الأرض أكثر من أربعين

يوما (٤).

الى غير ذلك ممّا يدلّ على أنّهم يرفعون بأبدانهم العنصريّة من الأرض إلى السّماء بعد ثلاثة أيّام أو أربعين يوما او غيرها مع أنّ الظّاهر من الأخبار المتقدّمة بقاؤهم فيها إلى أن نقلوا من مدفّنهم إلى غيره بعد سنين عديدة.

ثالثها: أنّ ظاهر الاخبار المتقدّمة أنّ الأرض تأكل من أبدانهم و تفرّق بين

(١) في نسخة: و لا وصى نبيّ.

(٢) في البحار: و عظمه.

(٣) بصائر الدرجات ص ٤٤٥ ح ٩.

(٤) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ١٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢١

لحومهم و عظامهم حيث خصّ النقل فيها بالعظام، بل في خبر العياشي إخراج عظامه عليه السّلام بعد أربعين يوما مع أنّه قد روى في أخبار كثيرة أنّ لحومهم محرّمه على الأرض و على الدّود.

ففي «الفتاوى» عن الصادق عليه السّلام قال: إنّ الله عزّ و جلّ حرّم لحومنا على الأرض و حرّم لحومنا على الدّود ان تطعم منها شيئا.

و فيه عنه عليه السّلام: أنّ الله تبارك و تعالى حرّم لحومنا على الأرض أن تطعم منها شيئا «١».

و الجواب عن الأوّل: أنّه بعد ثبوت جواز النّيش و النقل على فرضه لا بدّ من حمل هذه الأخبار على كونها قضايا في وقائع خاصّة فلا يتعدّى الحكم إلى غيرها على أنّ عدم جواز النقل ليس مقطوعا به في كلامهم و ان كان القول به مشهورا عندهم بل هي مسألة خلافية، و ربما استدللّ للقول بالجواز بالأخبار المتقدّمة بناء على قضاء الاستصحاب ببقاء الأحكام الثابتة في الشرائع السابقة و بالأصل السالم عن معارضة الدليل، سيّما مع انتفاع الميت بشرافة الأرض و جوار من شرفت به، و لعلّ جوازه كان معلوما بين الشيعة في الأعصار المتقدّمة القريبة من عصر الامام عليه السّلام بحيث ربما يظهر منه تقريره له و رضاه به لذا نقل عن جملة من علمائنا أنّهم دفنوا ثمّ نقلوا كالمفيد من داره بعد مدّة إلى جوار الكاظمين عليهما السّلام، و المرتضى من داره الى جوار الحسين عليه السّلام. و الشيخ البهائي من أصبهان الى المشهد الرضوي

(١) بصائر الدرجات ص ٤٤٣ و عنه البحار ج ٢٢ ص ٥٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٢

على مشرفة السّلام، و لذا أفتى كثير من الأصحاب بجواز النّيش للنقل إلى تلك المشاهد و غيرها بل عدّ في «كشف الغطاء» ممّا استثناه من حرمة النّيش ان يكون ذلك لا يصاله الى محل يرجى فوزه بالثواب أو نجاته من العقاب. كالنقل الى المشاهد المشرفة، بل مقابر مطلق الأولياء و الشهداء و العلماء و الصلحاء، ثم قال:

و ربما كان هذا القسم أولى من غيره فيخرجه كلّا او بعضا عظما أو لحما او مجتمعا و لو لا قيام الإجماع و السيرة على عدم وجوبه لقلنا بالوجوب في بعض المحال بل قد يحكى عنه أنّه قال: لو توقّف نقله على تقطيعه إربا إربا جاز و لا هتك فيه للحرمة إذا كان بعنوان النفع له و دفع الضرر عنه كما يصنع مثله في الحيّ و تمام الكلام في الفقه.

و عن الثّاني: أنّه و ان كان بين الخبرين منافاة بحسب الظّاهر إلّا أنّ لأصحابنا في الجمع بينهما طرقا منها: أنّهم يرفعون بعد الثلاثة ثمّ يرجعون إلى قبورهم و يؤيّدونه ما قيل: إنّّه ورد في بعض الاخبار: أنّ كلّ وصيّ يموت يلحق بنبية ثمّ يرجع إلى مكانه.

و هذا الوجه و إن احتمله شيخنا المجلسي إلّا أنّه بعيد جدّا من سياق الأخبار المتقدّمة و غيرها ممّا يدلّ عليه بل مخالف لبعض الأخبار.

مثل ما رواه في كامل الزيارات عن عبد الله بن بكر قال: حججت مع أبي عبد الله عليه السّلام إلى أن قال: يا ابن رسول الله لو نبش قبر الحسين بن علي هل كان يصاب في قبره شيء؟ فقال: يا ابن بكر ما أعظم مسائلك إن الحسين بن علي مع أبيه و أمه و أخيه في منزل رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و معه يرزقون و يحبرون، و أنّه لعن يمين العرش

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٣

متعلق به يقول: يا ربّ أنجز لي ما وعدتني «١»، الخبر.

و منها: أنّ أخبار الرفع صدرت لنوع مصلحة تورية لقطع طمع الخوارج و التواصب الذين كانوا يريدون نبش قبورهم و إخراجهم منها و قد عزموا على ذلك مرارا فلم يتيسر لهم، و ربّما يؤيد ذلك بما في بعض الأخبار من أنّهم نبشوا قبر الحسين عليه السّلام فوجدوه في قبره و أنّهم حفروا في الرصافة قبرا فوجدوا فيها شعيب بن صالح، و هذا الوجه ضعيف جدًا بل هو طرح للأخبار المذكورة من دون شاهد رجما بالغيب مع أنّ الله سبحانه قد منع أعدائه من أن ينالوا قبور أوليائه بوجوه من المنع من دون أن يلجئهم إلى مثل هذا الكذب الذي يسرع ظهوره بالتبش فإنّ المعاندين قد بالغوا في إمعاء قبورهم و آثارهم و إطفاء أنوارهم فأبى الله إلا أن يتمّ نوره و لو كره المشركون.

و منها: ما احتمله شيخنا المجلسي أيضا من حمل أخبار نقل العظام على أنّ المراد نقل الصندوق المتشرف بعظامهم و جسدهم في ثلاثة أيام أو أربعين يوما و هو بعيد جدًا.

و منها: ما احتمله أيضا من ردّهم بعد الرفع إلى الأرض لترتب تلك المصلحة المقتضية للرفع.

و منها ما ذكره المحدّث الفيض أفاض الله عليه من رحمته بعد نقل الخبر الدال على الرفع حيث قال: حمل هذا الحديث على ظاهره غير مستبعد في عالم

(١) كامل الزيارات ص ٢٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٤

القدرة و في خوارج عاداتهم عليهم السّلام، مع أنّه يحتمل أن يكون المراد باللحم و العظم المرفوعين المثاليين منهنّما أعنى البرزخيين، و ذلك لعدم تعلّقهم بهذه الأجساد العنصرية فكانّهم و هم بعد في جلايب من أبدانهم قد نفّسوها و تجرّدوا عنها فضلا عمّا بعد وفاتهم.

و الدليل على ذلك من الحديث قوله عليه السّلام: إنّ الله خلق أرواح شيعتنا ممّا خلق منه أبداننا «١».

فأبدانهم ليس إلّا تلك الأجساد اللطيفة المثالية، و أمّا العنصرية فكانّهم أبدان الأبدان.

و يدلّ على ذلك ما ورد: إنّ الله أوحى إلى نوح أن يستخرج من الماء تابوتا فيه عظام آدم عليه السّلام فيدفنه في الغرّي ففعل «٢».

و ما ورد: إنّ الله سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران ان أخرج عظام يوسف ابن يعقوب من مصر فاستخرجها من شاطئ النيل في صندوق مرمر «٣».

فلولا أنّ الأجساد العنصرية منهم تبقى في الأرض لما كان لاستخراج العظام و نقلها من موضع إلى موضع آخر بعد سنين عديدة معنى.

و اعترضه المحدّث البحراني بأنّه مبنيّ على ثبوت الأجساد المثالية في النشأة الدنيوية بحيث يكون للروح فيها جسدان مثالي و عنصري، و هذا ممّا لم يقم

(١) البصائر ص ٧ و فيه: و خلق أرواح شيعتنا من أبداننا.



(٢) كامل الزيارات ص ٣٨-٣٩ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٤٨.

(٣) بحار الأنوار ج ١٣ ص ١٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٥

عليه دليل، و غاية ما يستفاد من الأخبار: أنّ المؤمن إذا مات جعل الله روحه في النشأة البرزخية في قالب كقالبه في الدنيا بحيث لو رأته لقلت: فلان ثم ينقل إلى وادي السلام و أنهم يجلسون حلقا حلقا يتحدثون و يتعمون، و أيضا فتصريح الخبر برفع اللحم و العظم لا ينطبق إلّا على الجسد العنصري، لأنّ إثبات ذلك للجسد الثاني لا يخلو عن تحمل و تعسف لدلالة الخبرين على الرفع بالأبدان العنصرية كما يدلّ عليه أيضا.

ما رواه الشيخ في «التهذيب» عن سعد الإسكاف قال: حدّثني أبو عبد الله عليه السلام قال: أنّه لما أصيب أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن و الحسين عليهما السلام: غسّيلاني و كفناني و حنّطاني و احملايني على سرير و احملا مؤخره تكفيان مقدّمه، فإنكما تنتهيان إلى قبر محفور و لحد ملحود و لبن موضوع فالحداني، و اشرجا اللبن عليّ و ارفعا لبنه ممّا يلي رأسي فانظرا ما تسمعان، فأخذ اللبنة من عند رأسه فإذا ليس في القبر شيء، و إذا هاتف يهتف:

أمير المؤمنين كان عبدا صالحا لله فألحقه الله بنبيه، و كذلك يفعل بالأوصياء بعد الأنبياء حتّى لو أنّ نبيا مات في المشرق و مات وصيه في المغرب لألحق الوصي بالنبى «١».

أقول: و فيه أنّ الأجسام المثالية في هذا العالم ممّا لا مساغ لأحد إلى إنكارها بعد ما دلّت الآيات الآفاقية و الأنفسية على ثبوتها فإنّ الثائم يرى فيما يراه أنّه قد

(١) فرحة الغرى ص ٢ و ص ٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٦

ضرب في الأرض و دخل البلاد و تكلم مع كثير من الأشخاص و شاهدهم و سمع منهم مع أنّ بدنه العنصري متدنّثر بدثار النوم في بيته، و ربما يكون كثيرا ممّا رآه موافقا لما في الواقع إمّا تطبيقا او تأويلا- و تحويلا، بل ربما يرى الأشخاص الكثيرة من الأحياء و الأموات، و يتكلم معهم و يستفيد ممّا عندهم مع أنّ الأبدان العنصرية لتلك الأشخاص غير مشاهد له قطعا و لعلّها صارت عظاما و رفاتا، و هو يراهم في صورة الأحياء الذين يشافهمهم و يناظرهم، و حمل الرؤيا على مجرّد الخيال من خيالات الفلاسفة، إذ الظاهر من الشرع و اهله كونها بالأبدان المثالية للرّائي و المرئي على ما تأتى إليه الإشارة.

بل ربما يدلّ عليه النبوى المستفيض من طريق الفريقين: من رأى فقد رأى فإنّ الشيطان لا يتشبهه بى.

و فى خبر آخر: لا يتمثل بى. و فى ثالث: من رأى فى النوم فقد رأى فإنّه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل فى صورتي.

و فى رابع: من رأى فقد رأى الحقّ فإنّ الشيطان لا يتراءى بى.

و فى خامس: رواه الرضا عليه السلام عنه صلى الله عليه و آله: من رأى فى منامه فقد رأى لأنّ الشيطان لا يتمثل فى صورتي و لا فى صورة أحد من اوصيائي و لا فى صورة احد من شيعتهم «١».

فإنّ الظاهر منه باختلاف ألفاظه أنّها إنّما تكون بالتمثل و التشبه و معناه تعلق

(١) امالى الصدوق ص ٦٤ و عنه البحار ج ٤٩ ص ٢٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٧

الرؤيا حال الرؤيا بالصورة و المثال من جهة المرئي.

و أما كونه من جهة الزائي من جهة المثال فواضح، هذا مضافا إلى الشواهد الكثيرة الدالة على ثبوتها من الأخبار و الاعتبار على ما نشير إليها في تفسير الآيات المتعلقة بأحوال البرزخ و المعاد و لذا يعزى القول بها إلى كثير من المسلمين.

قال شيخنا المجلسي (رحمه الله) في جملة كلام له: إنَّ الرُّوح يتعلَّق في البرزخ بالأجساد المثاليَّة اللطيفة الشبيهة بأجسام الجنِّ و الملائكة المضاهية في الصُّورة للأبدان الأصليَّة ثمَّ قال: إنَّه و إن كان يمكن تصحيح بعض الأخبار بالقول بتجسُّم الروح أيضا بدون الأجساد المثاليَّة، لكن مع ورود الأجساد المثاليَّة في الأخبار المعتبرة المؤيدة بالأخبار المستفيضة لا محيص عن القول بها إلى أن قال:

و قد قال به كثير من المسلمين كشيخنا المفيد قدس الله روحه و غيره من علمائنا المتكلمين و المحدّثين، بل لا يبعد القول بتعلُّق الرُّوح بالأجساد المثاليَّة عند التَّوَم أيضا كما يشهد به ما يرى في المنام، و قد وقع في الأخبار تشبيه حالة البرزخ و ما يجري فيها بحالة الرُّؤيا و ما يشاهد فيها، بل يمكن أن يكون للنفوس القويَّة العالِيَّة أجساد مثاليَّة كثيرة كأئمَّتنا صلوات الله عليهم حتَّى لا نحتاج إلى بعض التأويلات و التَّوجيهات في حضورهم عند كلِّ ميِّت و سائر غرائب أحوالهم من عروجهم إلى السموات كلِّ ليلة جمعة و غير ذلك «١».

ثمَّ إنَّ من جميع ذلك و غيره يظهر لك ضعف ما ذكره المحدث المذكور في

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٦٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٨

جملة كلام له لم نتعرَّض لحكايته: من أنا لم نقف في الأخبار على ما يدلُّ على ثبوت الأجساد المثاليَّة للأنبياء و الأئمَّة صلوات الله عليهم بعد الموت فضلا عمَّا ادَّعاه المحدث الفيض من الوجود في الدنيا.

إذ فيه أنَّ الأخبار على ذلك كثيرة جدًا مثل ما ورد من أنَّ الملائكة اشتاقت إلى رؤية عليِّ بن ابي طالب فخلق الله تعالى صورته في السموات.

و إنَّ لكلِّ مؤمن مثالا في السَّماء يفعل كفعله في الدُّنيا، على ما مرَّت الإشارة إليها و إلى غيرها فيما تقدم.

و أما ما ذكره الفيض من رفع المثالي و بقاء العنصرى فهو بعيد جدًا، بل لعلَّه مقطوع العدم عن مساق أخبار الباب بكثرتها و اشتهاها بين العصابة، مع أنَّ جميع المؤمنين مشتركون معهم في نقل أبدانهم المثاليَّة عن قبورهم إلى جنان البرزخ، فلا اختصاص لهم بذلك، مع أنَّ ظاهر الأخبار هو الإختصاص، و لذا قال المفيد في شرح العقائد: إنَّه قد جاء في الحديث: إنَّ الأنبياء خاصيَّة و الأئمَّة عليهم السِّلام من بعدهم ينقلون بأجسادهم و أرواحهم من الأرض إلى السَّماء فينعمون في أجسادهم التي كانوا فيها عند مقامهم في الدنيا، و هذا خاصٌّ بحجج الله دون من سواهم من النَّاس.

فرفع أبدانهم العنصريَّة ممَّا لا ريب فيه، نعم من المحتمل قريبا أن يبقى في قبورهم بعد رفعهم بدن من أبدانهم المثاليَّة لما يقصدونهم النَّاس، و هو المذى يرى في قبورهم عند النَّبش أزمنة طويلة، و إنَّما جعل الله هذا المثال لبركات العباد و توجَّهاتهم و ضراعاتهم كما جعل في أيام حياتهم و بقائهم بأبدانهم العنصريَّة في الدُّنيا مثالهم في السموات ليكون مثابة و أمنا و مطافا للملائكة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٩

و منها: ما ذكره المحدث البحراني بعد تمهيد مقدِّمه هي: أنَّ الاستفادة من جملة من الأخبار إنَّ دفن الميِّت إنَّما يقع في موقع تربته التي خلق منها كما في «الكافي» في الصحيح عن محمَّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السِّلام قال: من خلق من تربة دفن فيها «١».

و فيه عن الصادق عليه السِّلام: إنَّ التُّطفة إذا وقعت في الرِّحَم بعث الله ملكا فأخذ من التُّربة التي يدفن فيها فمائها في التُّطفة فلا يزال قلبه يحنُّ إليها حتَّى يدفن فيها.

إلى غير ذلك من الأخبار الدالة عليه و حينئذ فنقول: ما ورد من الأخبار دالًّا على رفعهم عليهم السِّلام من الأرض بالأبدان العنصريَّة

يجب تقييده بما دلّت عليه هذه الاخبار من الدفن في الموضع الاصلى والمقرّ الحقيقى الذى أخذت منه الطينة و يجب حمل خبرى عظام آدم و يوسف عليهما السلام على الدفن فى غير الموضع المشار اليه فكأنه إنّما وقع على وجه الإيداع فى هذا المكان لمصلحة لا نعلمها والمقرّ الحقيقى إنّما هو الموضع الذى أمر الله سبحانه بالنقل اليه و بعد فيصير الدفن فى ذلك الموضع من قبيل ما لو بقى على وجه الأرض من غير دفن فى وجوب بقاء الجسد العنصرى و إن جاز انتقال كلّ منهما عليهما السلام إلى بدن مثالى فى ذلك العالم لعدم إمكان نقل البدن العنصرى حيث إنّهُ مأمور بنقله إلى ذلك المكان الأخر بعد الإيداع فى هذا المكان مدّة، فمن أجل ذلك لم يرفعا به، و أمّا وجه الحكم فى الدفن أولاً فى مكان مع عدم كون المكان الاصلى و التربة الحقيقية، فلا يجب علينا أن نطلب وجهه، و إنما علينا

(١) الكافى: ج ٣ ص ٢٠٢ ح ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٠  
الإيمان به.

قال: و هذا وجه وجهه تلتئم عليه الاخبار من غير تأويل و لا خروج عن ظواهر ألفاظها.

و أمّا الجمع بين خبرى الثلاثة و الأربعين فيمكن حمل الأوّل على اقل المدّة، و الثانى على أكثرها، و لعلّ ذلك بتفاوت مراتبهم عنده سبحانه.

أقول: و هذا الوجه لا بأس به، و ان كان فيه خروج عن ظاهر لفظ الخبر، و غيره من الاخبار الدالّة على دفن آدم، و أنّه لا يمكث جثّة من نبى و لا وصى نبى فى الأرض اكثر من كذا و كذا.

و منه يظهر ضعف ما ادّعا من قيام الاخبار عليه من غير تأويل و لا خروج عن ظواهرها.

و عن الثالث: أنّ المراد بالعظام فى الخبرين تمام البدن باجزائه تسميه لكلّ باسم الجزء الذى به قوامه كاطلاق الرّقبه على الإنسان فإنّ العظام دعامة البدن و أشرف ما فيه من وجه حتّى أنّ جميعها يقوم مقام الجسد فى الاحكام من وجوب الصلوة على جميع عظام الميت إذا وجدت و كون الإطلاق مجازياً لا بأس به بعد دلالة الاخبار المستفيضة على أنّ الأرض لا تأخذ من جسد بل و لا من جسد شيعتهم بل هو المشاهد أيضاً فى كثير من الأزمنة حيث نبشوا قبور بعض المؤمنين فوجدوه غصّاً طريّاً بعد أن مضى من وفاتهم أعصار طويله فمن ذلك ما يحكى عن روضة العارفين نقلا عن بعض الثقات المعاصرين له أنّ بعض حكام بغداد رأى بناء قبر شيخنا أبى جعفر الكلينى عطر الله مرقده فسأل عنه فقيل: إنّ قبر بعض الشيعة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣١

فأمر بهدمه فحفر القبر فرآه بكفنه لم يتغيّر و مدفون معه آخر صغير بكفنه أيضاً فأمر بدفنه و بنى عليه قبّة، و يقال: إنّ بعض حكام بغداد أراد نبش قبر سيدنا ابى الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام و قال: إنّ الراضة يدعون فى أئمتهم أنّهم لا تبلى أجسادهم بعد موتهم و أريد أنّ أكذبهم فقال له وزيره: إنّهم يدعون فى علمائهم أيضاً ما يدعون فى أئمتهم و هنا قبر محمد بن يعقوب الكلينى من علمائهم فأمر بحفره فإن كان على ما يدعون عرفنا صدق مقالهم فى أئمتهم و إلّا تبين كذبهم، فلما حفروا قبره وجدوه بكفنه كما مرّ، بل قد وقع مرّات كثيرة بالنسبة إلى الشهداء و العلماء و سائر المؤمنين و قد اتفق فى عصرنا أنّ انهدم قبر الشيخ الصدوق محمد بن على بن بابويه بالرى فرأوه بكفنه لم يتغيّر أصلاً، و رآه خلق كثير من أهل طهران و من الزوّار و القوافل إلى أنّ أمر السلطان محمّد شاه غفر الله له بتعمير قبته على ما هو عليه الآن، و قد حدّثنى جمع كثير من الثقات أنّهم رأوا بدنه الشريف.

و أمّا ما يقال: من أنّ هذا كلّ معارض بما روى من أنّه كان رجل ذمى فى زمن الامام العسكرى عليه السلام و أنّه كان يمدّ يده إلى السماء فيقع المطر حتّى اضطرب بعض المسلمين فأرسل المتوكّل لعنه الله إلى العسكرى عليه السلام ان أدرك دين جدك فلما حضر

عليه السّلام قال للزّجل أدع فلما مدّ يده قبض عليها الامام عليه السّلام و أخذ منها عظما فقال له أدع ان كنت صادقا فلما دعا لم ينزل المطر، فقال عليه السّلام: إنّ هذا عظم نبيّ من أنبياء الله و ما كشف عظم نبيّ تحت السّماء إلّا وقع المطر «١».

(١) منقول المعنى و مصدره مناقب إلى أبى طالب ج ٤ ص ٤٢٥ و مختار الخرائج ص ٢١٤ و عنهما البحار ج ٥٠ ص ٢٧٠ ح ٣٧ و أخرجه فى كشف الغمّة ج ٣ ص ٣١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٢

ففيه أنّه غير صالح لمعارضه ما سمعت من الأخبار المشتملة على الصّحاح و غيرها بعد شهرتها بين الطائفة بل بين مخالفينا ايضا كما مرّ مضافا إلى شهادة العيان بصدقها سيّما مع ضعف الخبر المذكور سندا.

و ربما أجاب عنه الشيخ الأمجد الاحسائي مرّة بأنه يحتمل أن يكون ذلك الخبيث قطعه من جسد ذلك النّبي عليه السّلام و كشط ما به من اللّحم، و اخرى بأن يكون معنى قوله فى تلك الاخبار ان جسده لا يبلى و لا تأكله الأرض أى لا تفنى منه شيئا و ان تفكّك و اختلت بنبّيته فهذه باقية إذ لا عرض فيها لأنّه عليه السّلام صفاها فى الدّنيا كمال التّصفيّة فجسده كالذهب الصّافى و ان تفرّق بالتقطع و المبرد لا يفنى منه شيء بل إذا جمعته و أذّبتة رجع بكماله.

أقول و فيهما نظر اما الأوّل فلانّ جسد نبيّ من الأنبياء لم يبق فى الأرض فى زمان العسكرى حتّى يقطعه الخبيث و يكشط ما به اللّحم إلّا أن يبنى على شيء من الوجوه المتقدّمة من تأخير الزّرع او تعقيبه بالنزول او غيرهما و هو غير واضح.

و اما الثّانى: فلاّنه لا وجه لصرف تلك الأخبار عن ظاهرها و ارتكاب التّأويل فيها و مجرد صفاء أبدانهم من الكدورات و العوارض الدّنيويّة لا يقضى بارتكاب التّأويل فيها بل هو ممّا يقتضى حملها على ظواهرها فانّ التفكيك و اختلال البنية لا يمكن تطرقه إلى شيء من الأبدان إلّا باستيلاء المؤثرات الخارجة عليها و انفعال تلك الأبدان منها و المؤثر الخارجى فى المقام إنّما هى الأرض الّتى تبلى الأبدان و تعيدها رفاتا و فتاتا، و بالجملة فلا وجه لردّ تلك الاخبار، بل فى ردّها ردّ أخبار الزّرع ايضا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٣

## تفسير الآية (٤٠)

### إشارة

يا بَنِي كَلِمَةُ «يا» حَرَفُ نِدَاءٍ لِلْبَعِيدِ. أَوْ كَالْبَعِيدِ كَمَا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ «١» فِي أَلْفِيَتِهِ:  
و لِلْمَنَادَى النَّاءُ أَوْ كَالنَّاءِ يَا وَ أَيْ وَ أَى، كَذَا أَيَا تَمَّ هِيَ وَ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ «يَا» اسْمُ فِعْلٍ مَعْنَاهَا اِنْدَادَى، وَ لَكِنَّ الْفَخْرَ الرَّازِيَّ «٢» رَدَّ عَلَيْهِ وَ قَالَ:

أَمَّا الَّذِينَ فَسَّرُوا قَوْلَنَا: «يَا زَيْدٌ» بِأَنَادَى زَيْدًا، أَوْ أَخَاطَبَ زَيْدًا فَهُوَ خَطَأٌ مِنْ وَجْهِ:

أَحَدُهَا: أَنَّ قَوْلَنَا: أَنَادَى زَيْدًا خَبْرٌ يَحْتَمِلُ التَّصْدِيقَ وَ التَّكْذِيبَ، وَ قَوْلَنَا: يَا زَيْدٌ لَا يَحْتَمِلُهُمَا.

وَ ثَانِيهَا: أَنَّ قَوْلَنَا: يَا زَيْدٌ يَقْتَضِي صَيْرُورَةَ زَيْدٍ مَنَادَى فِي الْحَالِ، وَ قَوْلَنَا: أَنَادَى زَيْدًا لَا يَقْتَضِي تِلْكَ.

وَ ثَالِثُهَا: أَنَّ قَوْلَنَا: يَا زَيْدٌ يَقْتَضِي صَيْرُورَةَ زَيْدٍ مَخَاطَبًا بِهَذَا الْخَطَابِ، وَ قَوْلَنَا:

أَنَادَى زَيْدًا لَا يَقْتَضِي ذَلِكَ. لِأَنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَخْبَرَ إِنْسَانًا آخَرَ بِأَنِّي أَنَادَى زَيْدًا.

وَ رَابِعُهَا: أَنَّ قَوْلَنَا: أَنَادَى زَيْدًا إِخْبَارٌ عَنِ النَّدَاءِ، وَ الْإِخْبَارُ عَنِ النَّدَاءِ غَيْرُ النَّدَاءِ، وَ النَّدَاءُ هُوَ قَوْلُنَا يَا زَيْدٌ، فَإِذْنِ قَوْلُنَا أَنَادَى زَيْدًا غَيْرُ قَوْلُنَا يَا زَيْدٌ. «٣» وَ لِيَعْلَمَ أَنَّ «يَا» كَمَا تَقَدَّمَ حَرَفٌ وَضِعَ فِي أَصْلِهِ لِنَدَاءِ الْبَعِيدِ وَ لَكِنَّ قَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي مَنَادَاةٍ مِنْ سَهْيٍ وَ غَفْلٍ وَ إِنْ كَانَ قَرِيبًا

من المنادى، تنزيلا منزلة البعيد.

(١) هو محمد بن عبد الله الاندلسي الشافعي النحوي اللغوي المقرئ الأديب المتوفى سنة (٦٧٢) هـ.

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسين الطبري الأصل الرازي المولد الاشعري الأصول الشافعي الفروع المعروف بالفخر الرازي والملقب بابن الخطيب توفي سنة (٦٠٦) هـ

(٣) التفسير الكبير للرازي: ج ٢ ص ٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٤

فإن قيل: فلما ذا يقول الداعي: يا رب يا الله؟ مع أنه تعالى أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ قيل في الجواب: هو استبعاد لنفس الداعي من مظان الزلفى هضما لنفسه، وإقرارا عليها بالتنصيص كما عن زين العابدين و سيد الساجدين عليه صلوات الله في دعائه المشهور المروية عن أبي حمزة الثمالي «١» أنه قال مناجيا لربه سبحانه: «و أن الراحل إليك قريب المسافة و أنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك.

وقيل بالفارسية:

دوست نزدیک تر از من به من است این عجب تر که من از وی دورم چکنم با که توان گفت که دوست در کنار من و من مهجورم بنی منادی مضاف، و علامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه ملحق بجمع المذكر السالم و قد تغير بناء مفردة، و حذفت منه النون للإضافة. و واحده ابن شبيه بجمع التكسير، و لذلك قالوا في جمعه: أبناء، و في جمع سلامته قالوا: بنون، و هو جمع شاذ، و عاملت العرب في هذا الجمع معاملة جمع التكسير فألحقت التاء في فعله كما ألحقت في فعل جمع التكسير قال النابغة «٢»:

(١) هو ثابت بن دينار المعروف بأبي حمزة الثمالي، كان لقمان زمانه جليل القدر و كان من مشايخ أهل الكوفة و زهادهم توفي سنة (١٥٠) هـ

(٢) هو قيس بن عبد الله الجعدي العامري، صحابي من المعمرين، جاوز المائة، و كان ممن هجر الأوثان قبل ظهور الإسلام و وفد على النبي صلى الله عليه و آله فأسلم و أدرك صفين فشهداها مع علي عليه السلام، ثم سكن الكوفة، فسيره معاوية الى أصبهان مع أحد ولاتها فمات فيها نحو سنة (٥٠) هـ الأعلام ج ٦ ص ٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٥

قالت بنو عامر خالو بني أسد يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام قد سمع الجمع بالواو و النون فيه مصغرا، قال يسدد:

أبينوها الأصاغر خلتي ... و هو شاذ أيضا. «١» و هو مختص بالأولاد الذكور، و إذا أضيف عم في العرف الذكور و الإناث فيكون بمعنى الأولاد- و هو المراد هنا-

و هو محذوف اللام، و في كونها ياء أو واو خلاف فذهب الى الأول ابن درستويه «٢» و جعله مشتقا من البناء و هو وضع الشيء على الشيء، لأن الابن فرع الأب و مبنى عليه، و لهذا ينسب المصنوع الى صانعه، فيقال للقصيد بنت الفكر، و قد أطلق في الشرائع المنسوخة على بعض المخلوقين أبناء الله تعالى- بهذا المعنى، لكن لما تصوّر من هذا الجهلة الأغبياء- معنى الولادة- حظر ذلك حتى صار التفوه به كفرا.

و ذهب الى الثاني الأخفش و أيده بأنهم قالوا: البنوة، و بأن حذف الواو أكثر، و قد حذفت في- أب و أخ- و به قال الجوهري «٣»، و لكن لا دلالة في قولهم: البنوة، لأنهم قالوا أيضا: الفتوة، و لا خلاف في أنها من ذوات الياء، و أمر الأكثرية سهل.

و قال الطبرسي في «مجمع البيان»: الإبن و الولد و النسل و الذرية متقاربة المعاني إلا أن الابن للذكر، و الولد يقع على الأنثى و الذكر،

و النسل و الذرية يقع على جميع ذلك و أصله من البناء و هو وضع الشيء على الشيء. فالابن مبنى على الأب لأن الأب أصل و الابن فرع، و البنوة مصدر الابن و ان كان من الياء كالفتوة مصدر

(١) تفسير البحر المحيط: ج ١ ص ١٧١.

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي النحوي أبو محمد توفي ببغداد سنة (٣٤٧) هـ و له (٨٩) سنة، العبر: ج ٢ ص ٢٨٢.

(٣) الجوهرى: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي صاحب «صاحح اللغة» توفي سنة (٣٩٣) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٦

الفتى، و تشيته فتیان. «١» إسرائيلي مضاف إليه مجرور و علامة جرّه الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية و العجمة. و فيه ثمان لغات: إسرائيلي و هي لغة القرآن في «٤٣» آية أولاها هذه الآية، و هي القراءة المشهورة مهموز ممدود مشبع، و «إسرائيل» بيائين بعد الألف، و هي قراءة أبي جعفر «٢»، و الأعمش «٣»، و عيسى بن عمر «٤» و «إسرائيل» بهمزة و لام، و هو مروى عن ورش «٥» و عن الأخفش، و «إسرائيل» من غير همز و لا ياء حكى عن قطرب «٦» كما فى «مجمع البيان» «٧». و «إسرائيل» بهمزة مكسورة بعد الراء، و «إسرائيل» بهمزة مفتوحة بعد الراء

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٢.

(٢) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني أحد القراء العشرة، تابعى مشهور، مات بالمدينة سنة (١٣٠) هـ، غاية النهاية: ج ٢ ص ٣٨٢ رقم ٣٨٨٢.

(٣) هو سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الاسدى الكوفى ولد سنة (٦٠) و أخذ القراءة عن جماعة منهم عاصم بن أبى النجود و رواها عنه جماعة منهم حمزة الزيات توفي سنة (١٤٨) هـ، غاية النهاية: ج ١ ص ٣١٥.

(٤) هو عيسى بن عمر أبو عمر الهمداني الكوفى القارئ الأعمى. مقرئ الكوفة بعد حمزة الزيات، مات سنة (١٥٦) هـ، غاية النهاية ج ١ ص ٦١٢.

(٥) هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمر المصرى الملقب بورش شيخ القراء فى زمانه ولد سنة (١١٠) بمصر و رحل الى نافع و عرض عليه القرآن عدّة ختمات فى سنة (١٥٥) مات بمصر سنة (١٩٧) هـ، غاية النهاية: ج ١ ص ٥٠٢.

(٦) قطرب: أبو على محمد بن المستنير البصرى اللغوى النحوى الأديب البارع مات سنة (٢٠٦) هـ، هدية الأحباب: ص ٢٢٠.

(٧) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٧

كما فى تفسير القرطبي «١»، و «إسرائيل» بالنون حكى عن تميم كما فى جامع القرطبي قال الشاعر:

يقول أهل السوء لَمَّا جِنَا هَذَا وَ رَبَّ الْبَيْتِ إِسْرَائِيْنَا وَ «إسرائيل» بألف مماله بعدها لام خفيفة أو غير مماله، قال أمية:

لا أرى من يعيشنى فى حياتى غير نفسى إلّا بنى إسرائيل «٢»

### إسرائيل فى اللغة

هذه الكلمة مركبة من كلمتين: إسرا، و إيل، و «إسرا» فى اللغة العبرانية بمعنى العبد كما حكى عن ابن عباس، و «إيل» فى هذه اللغة هو الله سبحانه فمعنى إسرائيل: عبد الله، فيكون مثل جبرائيل، و ميكائيل، و اسرافيل، و عزرائيل.

وقيل: «إسرا» بمعنى الصفوة، و «إيل» هو الله تعالى. فمعناه: صفوة الله، روى ذلك أيضا عن ابن عباس.

وقيل: «إسرا» مشتق من الأسر، وهو الشد فكأن إسرائيل الذي شدّه الله و أتقن خلقه ذكره القرطبي و أبو حيان (٣).

(١) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى الخزرى الأندلسى المفسر توفى فى التاسع من شوال سنة (٦٧١) هـ.

(٢) البحر المحيط فى التفسير لأبى حيان الأندلسى: ج ١ ص ١٧١-١٧٢.

(٣) أبو حيان محمد بن يوسف بن على الأندلسى الجياني النحوى الأديب توفى سنة (٧٤٥) هـ و من مصنفاته: البحر المحيط فى التفسير.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٨

وقيل: أسرى يعقوب ذات ليلة مهاجرا الى الله تعالى فسمّى إسرائيل حكاة القرطبي عن السهيلي «١».

وقيل: أسرى يعقوب جنيا كان يطفئ سرج بيت المقدس و كان اسم الجنى «ايل» و كان يخدم بيت المقدس و كان أول من يدخل و آخر من يخرج، ذكره أبو حيان عن كعب «٢».

وقيل: أسرى بالليل هاربا من أخيه «عيمو» الى خاله فى حكاية طويلة ذكروها، فأطلق ذلك عليه و هذه أقاويل ضعاف «٣». و فيها تصرّفات لا يعتمد عليها.

«إسرائيل» هو يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم عليهم السلام.

قال القرطبي: قال ابو الفرج الجوزى «٤»: ليس فى الأنبياء من له اسمان غيره إلا نبينا محمد صلى الله عليه و آله، فإن له أسماء كثيرة، ذكره فى كتاب «فهوم الآثار».

قلت: و قد قيل فى المسيح: إنه اسم علم لعيسى عليه السلام غير مشتق، و قد سمّاه الله روحا و كلمه، و كانوا يسمّونه أبيل الأيلين، ذكره الجوهرى فى «الصحاح».

(١) السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد الأندلسى النحوى اللغوى المفسر توفى سنة (٦٨١) هـ بمراكش.

(٢) كعب بن ماتع بن ذى هجن الحميرى أبو إسحاق، تابعى، كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن، و أسلم فى زمن أبى بكر، و قدم المدينة فى دوله عمر، فأخذوا عنه كثيرا من أخبار الأمم الغابرة. خرج الى الشام فسكن حمص و مات فيها سنة (٣٢) هـ عن (١٠٤) سنين، و فى البحار ج ٥٧ ص ٩٠: كان عند عمر فاعترف بأن أمير المؤمنين عليه السلام أعلم الناس بعد النبى صلى الله عليه و آله فغضب عمر، و قال ابن أبى الحديد كما فى البحار ج ٣٤ ص ٢٨٩: كان كعب الأخبار منحرفا عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) تفسير البحر المحيط لأبى حيان: ج ١ ص ١٧١.

(٤) أبو الفرج عبد الرحمن على الحنبلى المفسر الواعظ صاحب تصانيف معروفة، توفى سنة (٥٩٧) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٩

و ذكر البيهقى «١» فى دلائل النبوة عن الخليل بن أحمد «٢»: خمسة من الأنبياء ذو اسمين: محمد و أحمد نبينا صلى الله عليه و آله، و عيسى و المسيح، و إسرائيل و يعقوب، و يونس و ذو النون، و إلياس و ذو الكفل صلى الله عليهم و سلم. «٣» و فى «عيون الأخبار» باسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل و فيه:

سأله عن ستّة من الأنبياء لهم اسمان؟ فقال عليه السلام: يوشع بن نون، و هو ذو الكفل، و يعقوب و هو إسرائيل، و الخضر و هو حلقيا، و يونس و هو ذو النون، و عيسى و هو المسيح، و محمد و أحمد صلى الله عليه و آله. «٤» يا بنى إسرائيل اتفق المفسرون على أنّ إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق ابن ابراهيم، و فى أحاديث أهل البيت عليهم السلام تصريح بذلك، منها ما رواه ابن بابويه رضى الله عنه «٥» فى «علل الشرائع» باسناده عن أبى عبد الله عليه السلام قال: كان يعقوب و عيص توأمين، فولد عيص، ثم ولد يعقوب فسمّى

يعقوب لأنه خرج بعقب أخيه عيص، و يعقوب هو إسرائيل، و معنى إسرائيل عبد الله، لأن اسرا هو عبد، و إيل هو الله عزّ و جلّ «٦»

(١) خليل بن أحمد الازدى البصرى صاحب العربية و العروض و صاحب كتاب العين فى اللغة توفى سنة (١٧٥) ه على أحد الأقوال، العبر ج ١ ص ٢٦٨.

(٢) البيهقى: أحمد بن الحسين بن على الشافعى الخسروجردى الحافظ الفقيه، توفى بنيسابور سنة (٤٥٨) ه.

(٣) تفسير القرطبي: ج ١ ص ٣٣٠.

(٤) عيون الأخبار: ج ١ ص ٢٤٥ ب ٢٤ ح ١.

(٥) هو ابو جعفر محمد بن على بن بابويه القمى شيخ الحفظه و وجه الطائفة رئيس المحدثين و الصدوق فيما يرويه عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام توفى سنة (٣٨١) ه و دفن بالرى قرب عبد العظيم الحسنى قدس الله روحه، هدية الأجاب: ص ٤٩.

(٦) علل الشرائع: ج ١ ص ٤٣ ح ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٠

و روى فى خبر آخر: أن اسرا هو القوّة، و إيل هو الله عزّ و جلّ فمعنى إسرائيل: قوّة الله عزّ و جلّ. «١» يا بنى إسرائيل خطاب لأولاد يعقوب نسبهم الى الأب الأعلى و لم يقل: يا بنى يعقوب، لما فى لفظ إسرائيل كما تقدم أن معناه عبد الله أو قوّة الله أو صفوّة الله فهزّهم بالإضافة إليه فكأنه قيل: يا بنى عبد الله أو يا بنى صفوّة الله، فكأن فى ذلك تنبيه على أن يكونوا مثل أبيهم فى العبودية لله و الاصطفاء، كما تقول: يا ابن الرجل الصالح أطع الله فتضيفه الى ما يحركه لطاعة الله، لأنّ الإنسان يحبّ أن يقتفى آثار آباءه و إن لم يكن بذلك محمودا فكيف إذا كان محمودا.

قال شيخ الطائفة «٢» فى «التبيان»: قال أكثر المفسرين: إن المعنى بهذا الخطاب أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلّى الله عليه و آله، و هو المحكى عن ابن عباس.

و قال الجبائى «٣»: المعنى به بنو إسرائيل من اليهود و النصرى و نسبهم الى الأب الأعلى، كما قال: يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كلّ مسجّد «٤». «٥» قال أبو حيان: المراد بقوله: «يا بنى إسرائيل» من كان بحضرة رسول الله صلّى الله عليه و آله

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ٤٣ ح ٢.

(٢) هو ابو جعفر الطوسى محمد بن الحسن شيخ الطائفة المحققة توفى فى ٢٢ محرم سنة (٤٦٠) ه قال صاحب تحفة المقال السيد حسين البروجردى صاحب تفسير الصراط المستقيم هذا الكتاب فى منظومته:

محمد بن الحسن الطوسى أبو جعفر الشيخ الجليل الأنجب

جل الكمالات اليه ينتسب تنجز القبض (٤٦٠) و عمره (٧٥) عجب

(٣) هو أبو على الجبائى محمد بن عبد الوهاب البصرى شيخ المعتزلة، و ابو شيخ المعتزلة أبى هاشم، توفى سنة (٣٠٣) ه، العبر ج ٢ ص ١٣١.

(٤) الأعراف: ٣١.

(٥) التبيان: ج ١ ص ١٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤١

بالمدينة و ما والاها من بنى إسرائيل، أو من أسلم من اليهود و آمن بالنبى صلّى الله عليه و آله أو أسلاف بنى إسرائيل، أقوال ثلاثة و الأقرب الأول، لأن من مات من أسلافهم لا يقال له: آمِنُوا بما أنزلت مصيّدًا لِمَا مَعَكُمْ و لا تُكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ «١» إلّا على ضرب من



التأويل، و من آمن منهم لا- يقال له: أمنوا... إلّا بمجاز بعيد «٢» و تخصيص هذه الطائفة بالذكر و التذكير و التذكير لما أنهم أوفر الناس نعمة و أكثرهم كفرا بها.

أذكروا فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، و الواو فاعل، و هو مشتق من الذكر- بكسر الذال و ضمها- بمعنى واحد، و يكونان باللسان و الجنان.

قال الكسائي «٣»: هو بالكسر للسان، و بالضم للقلب. و ضدّ الأول الصمت، و ضدّ الثاني النسيان.

و على الأول يكون المعنى أمرّوا النعم على السنتكم و لا تغفلوا عنها، فإن إمرارها على اللسان و مدارستها سبب لأن لا تنسى.

و على الثاني يكون المعنى تبتهوا للنعم و لا تغفلوا عن شكرها.

نَعَمْتِي هي مفعول به منصوب بفتح مقدرة على ما قبل ياء المتكلم و الياء مضاف إليه.

(١) البقرة: ٤١.

(٢) تفسير البحر المحيط: ج ١ ص ١٧٤.

(٣) هو ابو الحسن على بن حمزة الكوفي الكسائي، أحد القراء السبعة و مؤدب هارون و الأمين، و كان من تلامذة الخليل.

قال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي مات سنة (١٨٩) هـ، العبر ح ١ ص ٣٠٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٢

«حدّ النعمة» قال الراغب «١» في «المفردات»: النعمة: (بالكسر) الحالة الحسنه، و بناء النعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة و الركبة، و النعمة (بفتح النون): التعم و بناؤها المرّة من الفعل، كالضربة و الشتمه، و النعمة، و النعمة (بالكسر) للجنس تقال للقليل و الكثير، قال: وَ إِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا «٢»، أذكروا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ «٣».

و قال الرازي في «مفاتيح الغيب»: النعمة هي المنفعة المفعولة على جهة الإحسان الى الغير، و قولنا: المفعولة على جهة الإحسان لأنها لو كانت منفعة و قصد الفاعل نفع نفسه لا نفع المفعول به أو قصد الإضرار به لم يكن ذلك نعمة.

إذا عرفت النعمة فلنذكر مطلبين: الأول: أن كلّ ما يصل إلينا أثناء الليل و النهار في الدنيا و الآخرة من النفع و دفع الضرر فهو من الله تعالى على ما قال تعالى: وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ «٤».

ثم إن النعمة على ثلاثة أوجه:

أحدها: نعمة تفرد بها الله تعالى نحو الخلق، و الرزق.

و ثانيها: نعمة وصلت إلينا من جهة غيره، بأن خلقها و خلق المنعم، و مكّنه من الإنعام، و خلق فيه داعيته و وفقه عليه و هداه إليه، فهذه

النعمة في الحقيقة أيضا من الله عزّ و جلّ، إلّا أنه تعالى لما أجرها على يد عبده كان ذلك العبد مشكورا، و لكن

(١) الراغب الاصفهاني: أبو القاسم حسين بن محمد المفضل الشافعي صاحب اللغة و العربية و الحديث و الشعر و الأدب توفي سنة

(٥٠٢) هـ.

(٢) النحل: ١٨.

(٣) البقرة: ٤٠.

(٤) النحل: ٥٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٣

المشكور في الحقيقة هو الله عزّ و جلّ، و لهذا قال: أَنْ أَشْكُرَ لِي وَ لَوْلَا دَيْكَ «١» فبدأ بنفسه.

و ثالثها: نعمة وصلت إلينا من الله تعالى بواسطة طاعاتنا و هي أيضا من الله تعالى، لأنه لو لا أنه سبحانه و تعالى وفقنا على الطاعات و أعاننا عليها و هداانا إليها و أزاح الاعذار لما وصلنا الى شيء منها. فظهر بهذا التقرير أن جميع النعم من الله تعالى.

المطلب الثاني: أن نعم الله تعالى على عبيده ممتدا لا- يمكن عدّها و حصرها على ما قال: وَ إِن تَعِبُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا «٢» لأنّ المنفعة هي اللذة، أو ما يكون وسيلة الى اللذة، و جميع ما خلق الله تعالى كذلك، لأنّ كلّ ما يلتذّ به و هو وسيلة الى دفع الضرر فهو كذلك، و الذي لا يكون جالبا للنفع الحاضر و لا دافعا للضرر الحاضر فهو صالح لأن يستدلّ به على الصانع الحكيم فيقع ذلك وسيلة الى معرفته و طاعته و هما وسيلتان الى اللذات الأبدية، فثبت أن جميع مخلوقاته سبحانه نعم على العبيد، و العقول قاصرة عن عدّها.

فإن قيل: فإذا كانت النعم غير متناهية، و ما لا يتناهي لا يحصل العلم به في حق العبد فكيف أمر بتذكّرها في قوله تعالى: اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ؟

الجواب أنها غير متناهية بحسب الأشخاص و الأنواع، إلّا أنّها متناهية بحسب الأجناس، و ذلك يكفي في التذكّر الذي يفيد العلم بوجود الصانع الحكيم «٣».

(١) لقمان: ١٤.

(٢) النحل: ١٨.

(٣) مفاتيح الغيب: ج ٣ ص ٣٠ - ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٤

مضافا إلى أن المراد بالنعم في الآية، النعم المخصوصة بنبي إسرائيل بقرينه «أنعمت عليكم» و النعم المخصوصة بهم متناهية بكثرتها منها: استنقاذهم ممّا كانوا فيه من البلاء من فرعون و قومه، و أبدلهم من ذلك بتمكينهم في الأرض و تخليصهم من العبودية كما قال تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَ نَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نَرَى فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ «١».

و منها: جعلهم أنبياء و ملوكا بعد أن كانوا عبيدا للقبط، فأهلك أعدائهم و أورثهم أرضهم و ديارهم و أموالهم كما قال تعالى: كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاها بنى إسرائيل «٢».

و منها: أنزل عليهم الكتب العظيمة التي ما أنزلها على أمة سواهم كما قال عزّ من قائل: وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَ آتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ «٣».

روى عن ابن عباس أنه قال: من نعمة الله على بنى إسرائيل أن نجّاهم من آل فرعون، و ظلل عليهم الغمام، و أنزل عليهم المنّ و السلوى في التيه، و أعطاهم الحجر الذي كان كراس الرجل يسقيهم ما شاءوا من الماء متى أرادوا، فإذا استغنوا عن الماء رفعوه فاحتبس الماء عنهم، و أعطاهم عمودا من النور ليضيء لهم بالليل، و كان رؤوسهم لا تتشعث و ثيابهم لا تبلى.

(١) القصص: ٦.

(٢) الشعراء: ٥٩.

(٣) المائدة: ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٥

و اعلم أنه سبحانه ذكّرهم بهذه النعم لوجوه:

أحدها: أن في جملة النعم ما يشهد بصدق محمد صلّى الله عليه و آله، و هو التوراة و الإنجيل و الزبور.

و ثانيها: أن كثرة النعم توجب عظم المعصية، فذكروهم تلك النعم لكي يحذروا فخالفه ما دعوا إليه من الايمان بمحمد صلى الله عليه و آله و بالقرآن.

و ثالثها: أن تذكير النعم الكثيرة يوجب الحياء عن إظهار المخالفة.

و رابعها: أن تذكير النعم الكثيرة يفيد أن المنعم خصهم من بين سائر الناس بها، و من خص أحدا بنعم كثيرة فالظاهر أنه لا يزيلها عنهم لما قيل: إتمام المعروف خير من ابتدائه فكان تذكير النعم السالفة يطمع في النعم الآتية، و ذلك الطمع مانع من اظهار المخالفة و العصيان.

فإن قيل: هذه النعم ما كانت للمخاطبين بهذه الآية، بل كانت لأبائهم فكيف تكون سببا لعظم معصيتهم؟ قيل في الجواب وجوه:

أحدها: لو لا- هذه النعم على آبائهم لما بقوا و ما كان يحصل هذا النسل فصارت النعم على الآباء كأنها تعم على الأبناء و ثانيها: ان الانتساب الى الآباء و قد خصهم الله تعالى بنعم الدين و الدنيا نعمة عظيمة في حق الأولاد.

و ثالثها: الأولاد متى سمعوا أن الله تعالى خص آباءهم بهذه النعم لمكان طاعتهم و إعراضهم عن الكفر و الجحود رغب الولد في هذه الطريقة، لأن الولد مجبول على التشبه بالأب في أفعال الخير، فيصير هذا التذكير داعيا إلى الاشتغال

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٦

بالخيرات و الاعراض عن الشرور.

وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ.

للمفسرين في هذا «العهد» أقوال:

أحدها: جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكليف.

الثاني: ما حكى عن الحسن البصرى «١» أنه قال: المراد منه العهد الذي أخذه الله على بنى إسرائيل في قوله تعالى: وَ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا «٢» و قال تعالى: لئن أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة الى قوله تعالى: وَ لَدْخَلْنَاكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ «٣» فمن وفى لله بعهده، و وفى الله له بعهده.

ثالثها: أن المراد أوفوا بما أمرتكم به من الطاعات و نهيتكم عنه من المعاصى أوف بعهدكم، أى أرضى عنكم و أدخلكم الجنة، و هو الذى حكاه الضحاك «٤» عن ابن عباس، و تحقيقه ما جاء فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ إلى قوله تعالى: وَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِ «٥».

(١) الحسن بن يسار أبو سعيد البصرى ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر و مات سنة (١١٠) هـ، العبر ج ١ ص ١٣٦.

(٢) المائدة: ١٢.

(٣) المائدة: ١٢.

(٤) هو الضحاك بن مزاحم الهلالى صاحب التفسير، كان فقيه مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف صبي، و كان يركب حمارا و يدور عليهم إذا عبي، مات بخراسان سنة (١٠٢) هـ، العبر: ج ١ ص ١٢٤.

(٥) التوبة: ١١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٧

رابعها: أن المراد من هذا العهد ما أثبتته فى الكتب المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه و آله، و أنه سيعتبه على ما صرح بذلك فى سورة المائدة بقوله: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ «١» الى قوله لَمَّا كَفَّرَن عَنْهُمْ سُدَّتْ أَعْيُنُهُمْ وَ لَمَّا دَخَلْنَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» (٢).

قال الطبرسى فى «مجمع البيان»: إن هذا العهد هو أن الله تعالى عهد إليهم فى التوراة أنه باعث نبيا يقال له: محمد. فمن تبعه كان له أجران اثنان: أجر باتباعه موسى وإيمانه بالتوراة، وأجر باتباعه محمدا وإيمانه بالقرآن. ومن كفر به تكاملت أوزاره و كانت النار جزاءه، فقال: أَوْفُوا بِعَهْدِي فى محمد أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ أَدْخَلَكُمْ الْجَنَّةَ، عن ابن عباس فسمى ذلك عهدا لأنه تقدم به إليهم فى الكتاب السابق، وقيل: إنما جعله عهدا لتأكيد بمنزلة العهد الذى هو اليمين، كما قال سبحانه: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ (٣) وهذا القول أقوى لأن عليه أكثر المفسرين و به يشهد القرآن. (٤) وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ الْوَفَاءُ ضِدُّ الْغَدْرِ وَهُوَ الْحِفْظُ وَالْإِتِمَامُ وَعَدَمُ النِّقْضِ.

قال الراغب: وفى بعده يفى وفاء، و أوفى إذا تمم العهد و لم ينقض حفظه،

(١) آل عمران: ١٨٧.

(٢) آل عمران: ١٩٥.

(٣) آل عمران: ١٨٧.

(٤) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٣-٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٨

و اشتقاق ضده و هو الغدر و يدل على ذلك و هو الترك.

و كثيرا ما يستعمل فى القرآن متعديا من باب الإفعال كما فى المقام. و قوله تعالى: وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا (١) و يستعمل من باب التفعيل أيضا كما قال تعالى: وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٢).

و العهد: حفظ الشيء و مراعاته حالا بعد حال و الاهتمام به، و هو من الصفات الاضافية له تعلق بالعاهد، و المعهود إليه و المعهود به إلاً أن فى الأول يكون من الإضافة الى الفاعل، و فى الثانى كذلك إذا كان مع العوض، كما يكون من الإضافة الى المفعول أيضا. قال الراغب فى «المفردات» قوله تعالى: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ (٣) عهد الله تارة يكون بما ركزه فى عقولنا، و تارة يكون بما أمرنا به بالكتاب و سنه رسله، و تارة بما نلتزمه كالندور و ما يجرى مجراها و على هذا قوله تعالى: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ (٤). و الفرق بين الميثاق و العهد أن الميثاق أخص من العهد لأنه العهد المؤكد بانحاء التأكيدات و التوثيقات، سواء أ كان بين الله تعالى و بين خلقه، أم بين خلقه بعضهم مع بعض و مادة «و ث ق» تدل على كمال التثبت.

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) النجم: ٣٧.

(٣) يس: ٦٠.

(٤) التوبة: ٧٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٩

وَأَوْفُوا بِعَهْدِي الْمَعْنَى: أَوْفُوا بِعَهْدِي الَّذِي أْبَلَّغْتَهُ إِلَيْكُمْ بِوَسْطَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الرُّسُلِ مِنَ الْمَوَاقِفِ وَ الطَّاعَاتِ وَ الْعِبَادَاتِ، وَ هِيَ كَثِيرَةٌ يَأْتِي فِي الْآيَاتِ النَّالِيَةِ تَعْدَادَ أَصُولِهَا، وَ مِنْهَا مَا عَهْدَ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ بِشَرِيعَةِ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ كَمَا يَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ (١).

و الوفاء بالعهد سواء أ كان من الناس أم من الله تعالى يرجع الى مصلحة الناس أنفسهم، و إنما سمي سبحانه ذلك عهدا و أوجب

وفاءه على نفسه تحننا منه و ترغيبا لعباده الى الطاعة حيث يكون لهم حق مطالبه الجزاء مع الشرط، فيصير المقام نظير آية الاشارة: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ «٢»، مع أن السلعة و المشتري و قدرته و إرادته من الله تعالى. أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ فَعَلْ مَضَارِعَ مَجْزُومٌ لِأَنَّهُ جَوَابُ الطَّلَبِ مِنْ بَابِ الْإِفْعَالِ وَ قَرَأَ الزَّهْرِيُّ «٣»: «أَوْفٍ» بِالتَّشْدِيدِ مِنْ بَابِ التَّفْعِيلِ، يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى، وَ لَا- فَرَقَ بَيْنَهُمَا، وَ يُمْكِنُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الْكَثِيرُ، وَ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى عَظِيمِ كَرَمِهِ وَ إِحْسَانِهِ وَ زَيْدِ امْتِنَانِهِ، حَيْثُ أَخْبَرَ وَ هُوَ الصَّادِقُ أَنَّهُ يَعْطَى الْكَثِيرَ فِي مَقَابِلِ الْقَلِيلِ، وَ هُوَ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا «٤». عَنِ تَفْسِيرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَدِ يَعْقُوبَ إِسْرَائِيلَ اللَّهُ

(١) البقرة: ٤١.

(٢) التوبة: ١١١.

(٣) الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدني أحد العلماء الكبار، ولد سنة (٥٠) هـ و مات سنة (١٢٤) هـ، غاية النهاية: ج ٢ ص ٢٦٢.

(٤) الانعام: ١٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٠

«اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم» لما بعث محمدا و أقرته في مدينتكم، و لم أجشّمكم الحطّ و الترحال اليه، و أوضحت علاماته و دلائل صدقه لئلا يشتبه عليكم حاله. وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي الَّذِي أَخَذْتَهُ عَلَى أَسْلَافِكُمْ وَ أَنْبِيَائِكُمْ، وَ أَمْرُوا أَنْ يُؤَدُّوا إِلَى أَخْلَافِهِمْ لِيُؤْمِنَنَّ بِمُحَمَّدِ الْعَرَبِيِّ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْمَبَانِ بِالْآيَاتِ، وَ الْمُؤَيَّدِ بِالْمَعْجَزَاتِ الَّتِي مِنْهَا أَنْ كَلَّمْتَهُ ذِرَاعَ مَسْمُومَةٍ وَ نَاطِقَهُ ذَنْبٍ، وَ حَنَّ إِلَيْهِ عَوْدَ الْمَنْبِرِ، وَ كَثَّرَ اللَّهُ لَهُ الْقَلِيلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَ أَلَانَ لَهُ الصَّلْبَ مِنَ الْأَحْجَارِ، وَ صَلَبَتْ لَدَيْهِ الْمِيَاهُ السَّائِلَةَ، وَ لَمْ يُؤَيِّدْ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِدَلَالَةٍ إِلَّا وَ جَعَلَ لَهُ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا، وَ الَّذِي جَعَلَ مِنْ أَكْبَرِ آيَاتِهِ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَقِيْقَهُ وَ رَفِيْقَهُ، عَقْلَهُ مِنْ عَقْلِهِ، وَ عِلْمَهُ مِنْ عِلْمِهِ، وَ حِلْمَهُ مِنْ حِلْمِهِ، مُؤَيِّدَ دِينِهِ بِسَيْفِهِ الْبَاتِرِ، بَعْدَ أَنْ قَطَعَ مَعَاذِيرَ الْمَعَانِدِينَ بِدَلِيلِهِ الْقَاهِرِ، وَ عِلْمَهُ الْفَاصِلِ، وَ فَضْلَهُ الْكَامِلِ أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ الَّذِي أَوْجَبْتَ بِهِ لَكُمْ نَعِيمَ الْأَبَدِ فِي دَارِ الْكِرَامَةِ وَ مُسْتَقَرِّ الرَّحْمَةِ، وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ فِي مَخَالَفَتِي مُحَمَّدًا، فَإِنِّي الْقَادِرُ عَلَى صَرْفِ بِلَاءٍ مِنْ يَعَادِيكُمْ عَلَى مِرَافِقَتِي، وَ هُمْ لَا- يَقْدِرُونَ عَلَى صَرْفِ انتقامي عنكم إذا آثرتم مخالفتي. «١» و في تفسير علي بن ابراهيم: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَمِيرٍ «٢»، عَنِ جَمِيلٍ «٣»، عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: جَعَلْتَ فِدَاكَ! إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ادْعُونِي

(١) تفسير الامام: ص ٧٦، و عنه البحار: ج ٩ ص ١٧٨ ح ٦ و ج ٢٦ ص ٢٨٧، و تفسير البرهان: ج ١ ص ٩٠ ح ١.

(٢) هو محمد بن زياد بن عيسى المعروف بابن أبي عمير أوثق الناس عند الخاصة و العامة و من أصحاب الإجماع توفي سنة (٢١٧) هـ.

(٣) هو جميل بن دراج بن أبي الصيخ هو أيضا من أصحاب الإجماع توفي أيام الرضا عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥١

أَسْتَجِبْ لَكُمْ «١» وَ إِنَّا نَدْعُوا فَلَا يَسْتَجَابُ لَنَا؟ قَالَ: لِأَنَّكُمْ لَا تُوْفُونَ لِلَّهِ بِعَهْدِهِ، وَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَ اللَّهُ لَوْ وَفَيْتُمْ لِلَّهِ لَوْفَى اللَّهُ لَكُمْ. «٢» وَ فِي «أَصُولِ الْكَافِي» عَنِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنِ سَمَاعَةَ، عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَوْفُوا بِعَهْدِي قَالَ: بَوْلَايَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ أَوْفِ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ. «٣» وَ فِيهِ: عَنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ مُحَمَّدِ الْحُسَيْنِ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْخَشَّابِ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا، عَنِ خَيْثَمَةَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا خَيْثَمَةُ نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبُوَّةِ، وَ بَيْتُ الرَّحْمَةِ، وَ مَفَاتِيحُ الْحِكْمَةِ، وَ مَعْدَنُ الْعِلْمِ وَ مَوْضِعُ الرِّسَالَةِ، وَ مَخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَ

موضع سرّ الله، و نحن وديعة الله في عباده، و نحن حرم الله الأكبر، و نحن ذمّة الله، و نحن عهد الله. فمن وفي بعهدنا فقد وفي بعهد الله، و من أخفرهما «٤» فقد خفر ذمّة الله و عبده. «٥» و في «تفسير الفرات» «٦» عن جعفر بن محمد الفزاري «٧»، عن محمد بن

(١) غافر: ٦٠.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٦.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٣١ ح ٨٩.

(٤) الخفر: الوفاء بالعهد، و الإخفار: نقض العهد، و الهمزة فيه للإزالة و السلب.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٢٢١، مرآة العقول: ج ٣ ص ١٠.

(٦) هو أبو القاسم فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي من أعلام الشيعة و من معاصري الكليني، و ربما كان من الناحية الفكرية زيديا و لعلّ السبب في عدم ذكره في الكتب الرجالية هو أنه لم يكن إماميا حتى تهتم الامامية به، و لم يكن سببًا حتى تهتم السنة به - راجع مقدمة التفسير ص ١٠ - ١١ - بتحقيق محمد كاظم.

(٧) هو جعفر بن محمد بن مالك الفزاري أبو عبد الله الكوفي وثقه الشيخ الطوسي و قال: يضعفه قوم، روى الفرات عنه في أكثر من مائة مورد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٢

الحسين الصانع «١»، عن موسى بن القاسم «٢»، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ قَالَ: أَوْفُوا بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فرض من الله أوف لكم الجنة. «٣» و في «معاني الأخبار» باسناده الى ابن عباس، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَ اللهُ لَقَدْ خَرَجَ آدَمَ مِنَ الدُّنْيَا وَ قَدْ عَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لَوْلَدِهِ شِيثَ، فَمَا وَفَى لَهُ، وَ لَقَدْ خَرَجَ نُوحٌ مِنَ الدُّنْيَا وَ عَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لَوْصِيهِ إِسْمَاعِيلَ، فَمَا وَفَتْ أُمَّتُهُ، وَ لَقَدْ خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الدُّنْيَا وَ عَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لَوْصِيهِ إِسْمَاعِيلَ، فَمَا وَفَتْ أُمَّتُهُ، وَ لَقَدْ رَفَعَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ إِلَى السَّمَاءِ، وَ قَدْ عَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لَوْصِيهِ شَمْعُونُ بْنُ حَمُونَ الصَّفَا، فَمَا وَفَتْ أُمَّتُهُ، وَ إِنِّي مَفَارِقُكُمْ عَنْ قَرِيبٍ، وَ خَارِجٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ، وَ لَقَدْ عَاهَدْتُ إِلَى أُمَّتِي فِي عَهْدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَ إِنِّهَا لِرَاكِبَةٌ سَنَنْ مِنْ قَبْلِهَا مِنَ الْأُمَمِ فِي مَخَالَفَةِ وَصِيِّ وَ عَصِيَانِهِ، أَلَا وَ أَنِّي مُجَدِّدٌ عَلَيْكُمْ عَهْدِي فِي عَلَيٍّ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَ مِنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهُ فسيؤتيه أجرا عظيما.

أيها الناس إنّ عليا إمامكم، و خليفتي من بعدى عليكم، و هو وصيي و وزيرى و أخى و ناصرى و زوج ابنتى، و أبو ولدى و صاحب شفاعتى و حوضى و لوائى من

(١) محمد بن الحسين أبو جعفر الصانع توفى سنة (٢٦٩) هـ.

(٢) موسى بن القاسم بن معاوية البجلي قال النجاشي: ثقة ثقة جليل حسن الطريقة له كتب، و وثقه الشيخ و قال: له ثلاثون كتابا.

(٣) تفسير الفرات: ص ٥٨ ح ١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٣

أنكره فقد أنكرنى، و من أنكرنى فقد أنكر الله تعالى و من أقرّ بإمامته فقد أقرّ بنبوتى، و من أقرّ بنبوتى فقد أقرّ بوحدانية الله عزّ و جلّ.

يا أيها الناس من عصى عليا فقد عصانى، و من عصانى فقد عصى الله، و من أطاع عليا فقد أطاعنى، و من أطاعنى فقد أطاع الله عزّ و

جلّ.

يا أيها الناس من ردّ على على في قول أو فعل فقد ردّ على و من ردّ على فقد ردّ الله فوق عرشه.

يا أيها الناس من اختار منكم على على إماما فقد اختار على نبيا، و من اختار على نبيا فقد اختار على الله عزّ و جلّ ربّا.

يا أيها الناس إنّ عليا سيد الوصيين و قائد الغرّ المحجلين، و مولى المؤمنين، و وليه وليي، و وليّ وليّ الله، و عدوّه عدوّي و عدوّي عدو الله عزّ و جلّ.

أيها الناس أوفوا بعهد الله في على يوف لكم بالجنة يوم القيامة. «١» و إِيَّاي فَارْهَبُونِ إِيَّاي ضمير منفصل منصوب بفعل مقدّر بعده يفسّره الفعل المذكور أي إِيَّاي ارهبوا، و لا- يجوز أن يكون منصوبا بقوله: «فارهبون» لأنه مشغول كما لا يجوز في قولك: «زيدا فأكرمه» أن يكون منصوبا بقولك «فأكرمه» و عدم ظهور الفعل الناصب لاستغنائه عنه بما يفسّره. فَارْهَبُونِ الرهبة، و الخشية، و المخافة نظائر.

و قال الراغب في «المفردات»: الرهبة و الرهب مخافة مع تحرّز و اضطراب، «و إِيَّاي فارهبون» أي فخافون. «٢»

(١) معاني الأخبار: ص ٣٧٢-٣٨٣ ح ١، و عنه تفسير البرهان: ج ١ ص ٩٠ ح ٥.

(٢) المفردات كتاب الرءاء: ص ٢٠٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٤

و قال الشيخ في «التبيان»: الفرق بين الخوف و الرهبة أنّ الخوف هو شكّ في أنّ الضرر يقع أم لا. و الرهبة معها العلم بأنّ الضرر واقع عند شرط، فإن لم يحصل ذلك الشرط لم يقع. «١» و قال الرازي في «مفاتيح الغيب»: اعلم أنّ الرهبة هي الخوف، قال المتكلمون: الخوف منه تعالى هو الخوف من عقابه، و قد يقال في المكلف: إنه خائف على وجهين: أحدهما مع العلم، و الآخر مع الظنّ، أمّا مع العلم فإذا كان على يقين من أنه أتى بكلّ ما أمر به، و احترز عن كلّ ما نهى عنه، فإنّ خوفه إنما يكون عن المستقبل، و على هذا نصف الملائكة و الأنبياء عليهم السّلام بالخوف و الرهبة، قال تعالى: يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ «٢» و أمّا الظنّ فإذا لم يقطع بأنّه فعل المأمورات و احترز عن المنهيات فحينئذ يخاف أن لا يكون من أهل الثواب. و اعلم أنّ كلّ من كان خوفه في الدنيا أشدّ كان أمنه يوم القيامة أكثر، و بالعكس. روى: أنّه ينادى مناد يوم القيامة: و عزّتي و جلالتي إني لا- أجمع على عبدى خوفين و لا- أمينين، و من أمننى في الدنيا خوفته يوم القيامة، و من خافنى في الدنيا أمنتته يوم القيامة. «٣»

(١) التبيان: ج ١ ص ١٨٤.

(٢) النحل: ٥٠.

(٣) مفاتيح الغيب: ج ٣ ص ٣٩-٤٠، الخصال: ج ١ ص ٣٩، و فيه: عن النبي صلّى الله عليه و آله انه قال: قال الله تبارك و تعالى: و عزّتي و جلالتي لا أجمع على عبدى خوفين و لا أجعل له أمينين، فإذا أمننى في الدنيا أخفته يوم القيامة، و إذا خافنى في الدنيا أمنتته يوم القيامة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٥

اعلم أنّ الفاء في فَارْهَبُونِ و أمثاله المكررة في القرآن كثيرا فيها قولان:

أحدهما: أنها فاء الجواب المقدر، تقديره: تتبها، كقولك، «الكتاب فخذ» أي تتبه فخذ الكتاب، ثمّ قدّم المفعول اصطلاحا للفظ لئلا تقع الفاء صدرا، و القول الثاني: أنها زائدة.

و النون في «فارهون» ليس نون الجمع لأنها مكسورة و نون الجمع محذوفة جزماً، بل هي نون الوحدة و الوقاية تدلّ بكسرها على ياء محذوفة.

و قرأ ابن أبي إسحاق: «فارهونى» بالياء على الأصل. «١» قال الطبرسى في «المجمع»: حذف الياء لأنه رأس آية و رؤوس الآى لا تثبت فيها الياء لأنها فواصل ينوى فيها الوقف، كما يفعل ذلك في القوافى، و أجمعوا على إسقاط الياء من قوله: «فارهون» إلّا ابن كثير «٢»، فإنه أثبتتها في الوصل دون الوقف، و الوجه حذفها لكرهية الوقف على الياء، و في كسر النون دلالة على ذهاب الياء. «٣» و يستفاد من جملة و إِيَّايَ فَارَهُونِ حصر الرهبة في الله تعالى، كما في إِيَّاكَ نَعْبُدُ، بل قال الزمخشري: «و هو أوكد في افادة الاختصاص من إِيَّاكَ نَعْبُدُ. «٤»

(١) البحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ١٧٦.

(٢) هو عبد الله بن كثير بن عمرو أبو معبد المكي القارئ المقرئ في مكة المكرمة ولد بها سنة (٤٥) هـ و مات سنة (١٢٠) هـ، غاية النهاية: ج ١ ص ٤٤٣-٤٤٤.

(٣) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٢.

(٤) الكشاف للزمخشري: ج ١ ص ١٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٦

قال المجلسى قدس سره فى البحار: وَ إِيَّايَ فَارَهُونِ قيل: الرهبة خوف معه تحرّز، و يدلّ على أنّ المؤمن ينبغي ألاّ يخاف أحداً إلّا الله وَ إِيَّايَ فَاتَّقُونِ «١»، أى بالإيمان و اتباع الحق و الإعراض عن الدنيا، و قيل: الرهبة مقدّمة التقوى. «٢» و فى «الخصال»: أنواع الخوف خمسة: خوف، و خشية، و وجل، و رهبة، و هيبه، فالخوف للعاصين، و الخشية للعالمين، و الوجل للمخبتين، و الرهبة للعابدين، و الهيبه للعارفين.

أما الخوف فلاجل الذنوب، قال الله عزّ و جلّ: وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ «٣»، و الخشية لأجل رؤية التقصير، قال الله عزّ و جلّ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ «٤».

و أما الوجل فلاجل ترك الخدمة قال الله عزّ و جلّ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ\* «٥». و الرهبة لرؤية التقصير قال الله تعالى: وَ يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ\* «٦» يشير الى هذا المعنى. «٧»

(١) البقرة: ٤١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٣١-٣٣٢.

(٣) الرحمن: ٤٦.

(٤) فاطر: ٢٨.

(٥) حج: ٣٥.

(٦) آل عمران: ٢٩ و ٣٠.

(٧) الخصال: ٢٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٧

وَ إِيَّايَ فَارَهُونِ أى لا بدّ أن يكون الخوف من الله تعالى الذى هو على كل شىء قدير، و المطّلع على الضمائر و الظواهر، فإنّ الرهبة إن كانت لأجل عظمة الموهب منه و جلاله فلا نهاية لهما فيه عزّ و جلّ، و إن كانت لأجل علمه بموجبات السخط و العقاب فلا يعزب



عن علمه شيء في السماوات والأرض، وإن كانت لأجل قهاريته التامة فهي من أخص صفاته، وعهوده هبات منه عز وجل فيكون نقضها عظيما.

## تفسير الآية (٤١)

### إشارة

وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّاي فَاتَّقُونِ وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ عَطْفَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، وَتَفْصِيلَ بَعْدَ إِجْمَالٍ، فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: أَوْفُوا بِعَهْدِي (١) يشمل الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله، إلما أنه تعالى ذكره بالخصوص تنبيها لهم، وتعظيما لأمره، وهذه الآية المباركة تدل بالدلالة الالتزامية العادية على اخبار موسى عليه السلام بشريعة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله لأن كل شريعة سابقة لا بد أن تخبر بالشريعة اللاحقة، كما أخبر تعالى عن الشرائع السابقة في القرآن. وقوله تعالى: مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ يدل على تصديق هذه الشريعة لما تقدم من الشرائع.

(١) سورة البقرة: ٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٨

وَأَمِنُوا الْمُخَاطَبُونَ بِهِ هُم بَنُو إِسْرَائِيلَ بِدَلِيلَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ (١) وَالثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ.

وقيل: نزلت في كعب بن الأشرف (٢) وأصحابه علماء اليهود ورؤسائهم فهو أمر لهم، وأفرد سبحانه الإيمان بعد اندراجه في أوفوا بعهدى بمجموع الأمر به والحث عليه المستفاد من قوله تعالى: مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ للإشارة إلى أنه المقصود للوفاء بالعهود.

والظاهر أن المخاطبين بهذه الآيات جميع بنى إسرائيل كما تقدم ويندرج فيه كعب ومن معه.

بِمَا أَنْزَلْتُ، (ما) موصولة وأنزلت صلته والعائد محذوف، أى أنزلته.

وقيل: (ما) مصدرية، قال أبو حيان الأندلسي: وابتعد من جعل ما مصدرية

(١) سورة البقرة: ٤٠.

(٢) كعب بن الأشرف الطائي من بنى نهبان: شاعر جاهلي كانت أمه من بنى النضير فدان باليهودية. يقيم في حصن له قريب من المدينة يبيع فيه التمر والطعام، أدرك الإسلام ولم يسلم.

وأكثر من هجو النبي وأصحابه وتحريض القبائل عليهم. والتشيب بنسائهم، وخرج الى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها وحض على الأخذ بثأرهم، وعاد الى المدينة، وأمر النبي بقتله فانطلق اليه خمسة من الأنصار وقتلوه سنة (٣) هـ، الأعلام: ج ٦ ص ٧٩-

٨٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٩

وَأَنَّ التَّقْدِيرَ - وَأَمِنُوا بِأَنْزَالِي لِمَا مَعَكُمْ مِنَ التَّوْرَةِ - فَتَكُونُ اللَّامُ فِي لِمَا مِنْ تَمَامِ الْمَصْدَرِ لَا مِنْ تَمَامِ مُصَدِّقًا، وَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ يَكُونُ لِمَا مَعَكُمْ مِنْ تَمَامِ مُصَدِّقًا، وَاللَّامُ عَلَى كَلَا التَّقْدِيرِينَ فِي لِمَا مَقْوِيَةٌ لِلتَّعْدِيَةِ كَاللَّامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ\* (١).

والمراد بما أنزل الله تعالى هو القرآن، والذي معهم هو التوراة والإنجيل.

وقال قتادة (٢): المراد بما أنزلت من كتاب ورسول يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل (٣).

و إذا تدبرنا الكتاب الكريم و تعقلنا معنى النزول و الإنزال من الله تعالى علمنا أن النزول و الإنزال لم يكونا من السماء المحسوسة بالبر، فإن الله سبحانه و تعالى منزّه عن المكان بل المراد النزول و الإنزال عن مقام أسمى من التصور. فكما أن القرآن نازل إلى أراضي القلوب من سماء الربوبية كذلك الرسول نازل برسالته و وحيه- و تتحمل الآية الكريمين كليهما- و صرح سبحانه بأنه تعالى أنزل كتابه و أنزل رسوله- قال تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ

(١) البروج: ١٦.

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز ابو الخطاب السدوسي البصري- مفسر حافظ ضرير أكمه- كان أحفظ أهل البصرة- ولد سنة (٦١) ه و مات بواسط سنة (١١٨) ه، الأعلام: ج ٦ ص ٢٧.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي محمد بن يوسف المتوفى (٧٥٤): ج ١ ص ١٧٦-١٧٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٠

و لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا «١».

و قال تعالى: قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا- رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ «٢».

و كما أن القرآن يصدق كتبهم المنزلة من الله تعالى و أنبيائهم كذلك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله يصدق كتبهم و أنبيائهم. قال صدر المتألهين «٣» في تفسير في ذيل الآية الكريمة: أمرهم بالإيمان بعد ما أمرهم بإيفاء عهد الله تنبيها على أنه العمدة في ذلك، بل لأحد أن يقول: إن الإيمان بما أنزل الله هو عين الإيفاء بعهد الله، على التأويل الذي سبق ذكره «٤» في معنى العهد، و هو النور الذي يتنور به القلوب- و يسلك به سبيل الآخرة، و ينكشف به حقائق الأمور، و يطّلع به الإنسان على الحضرة الإلهية و أفعاله و آثاره و لطفه، و حكمته في الدنيا و الآخرة، قال تعالى: قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ «٥» فالنور هو جنس معاني القرآن و الكتاب آيات ألفاظه و هو آي القرآن منزل

(١) الكهف: ١.

(٢) الطلاق: ١٠-١١.

(٣) هو محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي الحكيم المتأله كان عالم أهل زمانه في الحكمة صاحب الأسفار الاربعة- توفي بالبصرة و هو متوجه الى الحج سنة (١٠٥٠) ه يروي عن المحقق الداماد و الشيخ البهائي- قال صاحب تفسير الصراط المستقيم في منظومته الرجالية:

ثم ابن ابراهيم صدر الأجل في سفر الحج (مريض) ارتحل

قدوة أهل العلم و الصفاء يروي عن الداماد و البهائي

(٤) تفسير الصدر: ج ٣ ص ١٩١.

(٥) المائدة: ١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦١

من الله تعالى الى قلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أمرهم بالتصديق بهذا القرآن المنزل، و أخبرهم أن في تصديقهم بالقرآن تصديقا منهم للتوراة و الإنجيل لأن الذي في القرآن مصداق لهما و مؤكد للإيمان بهما. من حيث إنه مطابق لهما في القصص، و المواعيد، و الدعاء الى التوحيد و الأمر بالعبادة، و العدل بين الناس، و النهي عن المعاصي و الفواحش.

و ما يخالفها من الأحكام الجزئية إنما هو بسبب تفاوت الأعصار في المصالح من حيث إن كل واحدة منها حق بالإضافة إلى زمانه، مراعى فيها صلاح الأنام، و من خوطب بالكلام من الله، حتى لو نزل المتقدم من الأحكام في الأيام المتأخر منهما لكان على وفقه بأبلغ وجه، و لذا قال صلى الله عليه و آله: «لو كان موسى حيا لما وسعه إلا أتباعي». «١» و قيل: معنى مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ أَنَّهُ تصديق بالتوراة و الإنجيل لأنَّ فيهما الدلالة على أَنَّهُ حق، و أَنَّهُ من عند الله، و فيهما البشارة ببعثه محمد صلى الله عليه و آله، و بيان نعوته و صفاته، فكان الإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله و بالقرآن تصديقا للتوراة و الإنجيل، و تكذيبه تكذيبا لهما.

و التفسير الثانى أولى لأن يكون حجة عليهم إذ على التفسير الأول لقائل أن يقول: التوافق فى بعض المعانى لا يوجب أن يكون القرآن من عند الله فلا يلزم عليهم وجوب الايمان به.

و أما على الثانى فيلزم عليهم الإيمان بحقيته القرآن و تصديق الرسول صلى الله عليه و آله إذا

(١) البحار: ج ١٦ ص ٣٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٢

اشتمل الكتابان على كون محمد صلى الله عليه و آله صادقا، فالإيمان بهما يوجب الايمان بما يقوله صلى الله عليه و آله. و بالجملة فالدال على اثبات نبوته هاهنا وجهان: أحدهما: شهادة كتب الأنبياء عليها و هى لا تكون إلا حقا، و الثانى: إخباره عما فى كتبهم و لم يكن له معرفة بما فيها إلا من قبل الوحى. «١» مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ الظاهر أن مُصَدِّقًا حال من الضمير المحذوف العائد على الموصول، و هى حال مؤكدة، و العامل فيها «أنزلت» و اللام فى «لما» مقوية، و «ما» اسم موصول فى محلّ جرّ باللام، و الجارّ و المجرور متعلقان بمصدقًا، و «معكم» ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محلّ له من الاعراب لأنه صلة الموصول. سؤال، و جواب، هل القرآن يصدق كل ما مع اليهود، أى يصدق العهد العتيق بأجمعه أى التوراة التى بأيديهم الآن، أم لا يصدق كله بل بعضه و ماذا هو البعض؟

هناك آيات تصرّح بأن اليهود و النصارى حرّفوا أقساما من آيات الوحى، قال تعالى: أفتظنّعون أن يؤمنوا لكم و قد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه و هم يعلمون «٢». و قال تعالى: فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ... فويل لهم مما كتبت أيديهم و وئيل لهم مما يكتبون «٣».

(١) تفسير صدر المتألهين: ج ٣ ص ٢١٣-٢١٤.

(٢) البقرة: ٧٥.

(٣) البقرة: ٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٣

فلا يعقل أن يصدق القرآن الأكاذيب التى أدخلوها فى التوراة إذا فليس المراد تصديق كل ما معهم، بل المصدق بعض ما معهم، و ما هو إلا البشارات الموجودة فى التوراة، كما قال تعالى: و لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ «١».

و قال تعالى فى سورة النساء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ «٢».

و قد يشير إلى ما معهم: الَّذِينَ آمَنُوا كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ «٣».

و لا- تَكُونُوا أَوْلَ كَافِرٍ بِهِ لا- تسارعوا الى الكفر به من بين أهل الكتاب أو من بنى إسرائيل، فإنّ وظيفتكم أن تكونوا أول المؤمنين به

لأنكم تعرفون حقيقته، و قد كنتم من قبل تقولون: إننا نكون أول تابع له.  
و لا يكون المراد بالأول مطلقا، فإن كفار مكة كانوا قد سبقوهم الى الكفر به.  
و نقل عن أبي العالیه «٤» أنه قال: معناه «لا تكونوا السابقين الى الكفر به، أى

(١) سورة البقرة: ٨٩.

(٢) سورة النساء: ٤٧.

(٣) سورة البقرة: ١٤٦.

(٤) هو رفيع بن مهران ابو العالیه الرياحى البصرى أدرك الجاهلية و أسلم بعد ارتحال النبى صلى الله عليه و آله بسنتين، و روى عن جماعة من الصحابة، و روى عنه جماعة، كان عالما بالقرآن، و قال ابو بكر بن أبى داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبى العالیه، و بعده سعيد بن جبیر، مات يوم الثالث من شوال سنة (٩٠) هـ تهذيب الكمال: ج ٦ ص ٢٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٤

لا- تكونوا أئمة فى الكفر به» «١» و لا- يبعد هذا الوجه فإن الناس فى المذاهب و الملل يتبعون أهل الكتاب و أهل العلم فى أكثر الأزمنة، و معلوم أن الخطاب فى الآية مع ائمة أهل الضلال و علمائهم الذين شأنهم كتمان الحق الذى فى الكتب، و تليسه بالباطل، و تحريف الكلم عن مواضعه كما هو عادة علماء السوء.

و عظم أول الكفر لأنهم إذا كانوا أئمة لهم و قدوتهم فى الضلالة كانت ضلالتهم أعظم و كفرهم أشد، إذ كما أن السابقين من الإيمان أعظم قدرا فى الثواب و أشد قربا من الله تعالى لقوله: وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ «٢» كذلك السابقون الى الكفر كانوا أعظم ذنبا ممن بعدهم و أشد ضلالا و أكثر بعدا عن الحق.

و لما روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: «من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها الى يوم القيامة، و من سن سنة سيئة كان عليه وزرها و وزر من عمل بها الى يوم القيامة» «٣».

و عن ابن جريح «٤»: أن المعنى: لا تكونوا أول جاحد جحد صفة النبى صلى الله عليه و آله فى

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٤.

(٢) الواقعة: ١٠.

(٣) كنز العمال: ج ١٥ ص ١٨٠، بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٥٧.

(٤) هو أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح الرومى المكى قيل: إنه كان أول من صفّ الكتب بالحجاز. توفى سنة (١٥٠) هـ، العبر: ج ١ ص ٢١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٥

كتابكم- فعلى هذا تعود الهاء فى «به» الى النبى صلى الله عليه و آله.

قال الطبرسى فى «المجمع»: و ليس فى نهيه عن أن يكونوا أول كافر به دلالة على أنه يجوز أن يكونوا آخر كافر، لأن المقصود النهى عن الكفر على كل حال، و خصّ أولا بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر «١»:

من أناس ليس فى أخلاقهم عاجل الفحش و لا سوء الجزع و ليس يريد أن فيهم فحشا آجلا «٢».

و لا تكونوا أول كافر به قال الرازى: فيه سؤالان: أحدهما: كيف جعلوا أول من كفر به و قد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب؟

و الجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفةهم به و بصفته، ولأنهم كانوا هم المبشرون بزمان محمد صلى الله عليه وآله والمستفتحون على الذين كفروا به فلما بعث كان أمرهم على العكس لقوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴿٣٣﴾.

ثانيها: يجوز أن يراد ولا تكونوا مثل أول كافر به يعنى من أشرك من أهل مكة، أى ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكورا فى التوراة و الإنجيل مثل من لم يعرفه

(١) هو سويد بن ابى كاهل شبيب بن حارثة بن حسل بن مالك أبو سعد شاعر متقدم من مخضرمى الجاهلية و الإسلام و كان من المعمرين مات بعد سنة (٦٠) هـ، خزانه البغدادى: ج ٢ ص ٥٤٧.

(٢) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٥.

(٣) سورة البقرة: ٨٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٦

و هو مشرك لا كتاب له.

ثالثها: ولا تكونوا أول كافر به من أهل الكتاب، لأن هؤلاء كانوا أول من كفر بالقرآن من بنى إسرائيل و ان كانت قريش كفروا به قبل ذلك.

و رابعها: ولا تكونوا أول من كفر بكتابكم، يقول ذلك لعلمائهم، أى ولا تكونوا أول من كذب كتابكم من أمتكم، لأن تكذيبكم بمحمد صلى الله عليه وآله يوجب تكذيبكم بكتابكم.

خامسها: أن المراد منه بيان تغليظ كفرهم، و ذلك لأنهم لما شاهدوا المعجزات الدالة على صدقه عرفوا البشارات الواردة فى التوراة و الإنجيل بمقدمه فكان كفرهم أشد من كفر من لم يعرف إلّا نوعا واحدا من الدليل.

سادسها: ولا تكونوا أول من جحد مع المعرفة، لأن كفر قريش كان مع الجهل لا مع المعرفة.

سابعها: ولا تكونوا أول كافر به عند سماعكم بذكره بل تثبتوا و راجعوا عقولكم فيه.

السؤال الثانى: أنه كان يجوز لهم الكفر إذا لم يكونوا أولا، و الجواب من وجوه:

أحدها: أنه ليس فى ذكر تلك الجملة دلالة على أن ما عداها بخلافها.

ثانيها: أن فى قوله تعالى: وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ دلالة على أن كفرهم أولا و آخرا محذور.

و ثالثها: أن قوله تعالى: وَ قَتَلْتَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ \* ﴿١﴾ لا يدل على وقوع قتل

(١) آل عمران: ١٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٧

الأنبياء بحق، و قوله تعالى عقيب هذه الآية: وَلَا تَسْتَوُوا بِآيَاتِي تَمَنَّا قَلِيلًا لَا يَدُلُّ عَلَىٰ إِبَاحَةِ ذَلِكَ بِالْثَمَنِ الْكَثِيرِ، فكذا هاهنا، بل المقصود من هذه السياقة استعظام وقوع الجحد و الإنكار ممن قرأ فى الكتب نعت رسول الله صلى الله عليه وآله و صفته.

رابعها: قال المبرد (١): هذا الكلام خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم، فقيل لهم: لا تكفروا بمحمد صلى الله عليه وآله فإنه سيكون بعدكم الكفار فلا تكونوا أنتم أول الكفار، لأن هذه الأوليّة موجبة لمزيد الإثم، و ذلك لأنهم إذا سبقوا الى الكفر أولا، فإن اقتدى بهم

غيرهم فى ذلك الكفر كان لهم وزر ذلك الكفر و وزر كل من كفر إلى يوم القيامة، و إن لم يقتد بهم غيرهم اجتمع عليهم أمران: أحدهما: السابق إلى الكفر، و الثانى: التفرد به و لا شك أنه منقصة عظيمة. (٢) و قال أبو حيان فى «البحر المحيط»: النهى فى قوله

تعالى: وَلَا تَكُونُوا أَوْلَ كَافِرٍ بِهِ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ إِبَاحَةِ الْكُفْرِ لَهُمْ ثَانِيًا أَوْ آخِرًا لِأَنَّ الصِّفَةَ لَا مَفْهُومَ لَهَا هُنَا.  
و لما أشكلت الأوليّة هنا زعم بعضهم أنّ (أول) صلةٌ يعنى زائدة، و التقدير:  
و لا تكونوا كافرين به، و هذا ضعيف جدا.  
و زعم بعضهم أنّ ثمّ محذوفاً معطوفاً تقديره: و لا- تكونوا أول كافر به و لا آخر كافر، و جعل ذلك ممّا حذف المعطوف للدلالة  
المعنى عليه.

(١) هو أبو العباس المبرّد محمد بن يزيد الأزدي البصري إمام أهل النحو في زمانه، و صاحب التصانيف، أخذ عن أبي عثمان  
المازني، و أبي حاتم السجستاني و تصدّر ببغداد، من مصنفاته «الكامل» و «المقتضب» و «طبقات النحاة البصريين»، و «معاني القرآن»،  
توفى ببغداد سنة (٢٨٥) هـ، العبر ج ٢ ص ٨٠، هدية الأحياء: ص ٢٢٩.  
(٢) التفسير الكبير للرازي: ج ٣ ص ٤١-٤٢.  
تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٨  
و تأوله بعضهم على حذف مضاف، أى و لا تكونوا مثل أول كافر به، أى و لا تكونوا و أنتم تعرفونه مذكوراً في التوراة موصوفاً، مثل  
من لم يعرفه و هو مشرك لا كتاب له.  
و بعضهم على صفة محذوفة، أى أول كافر به من أهل الكتاب «١»

### بحث صرفى لغوى نحوى

قوله تعالى: أَوْلَ كَافِرٍ قَالَ الْقَيْسِيُّ «٢» فِي «مَشْكَلِ أَعْرَابِ الْقُرْآنِ»: «أَوْلَ» اسْمٌ لَمْ يَنْطِقْ مِنْهُ بِفِعْلٍ عِنْدَ سَيْبُوهِ «٣»، وَ وَزْنُهُ (أَفْعَلٌ) فَأَوْهُ  
واو، و عينه واو و لذلك لم يستعمل منه فعل لاجتماع الواوات.  
و قال الكوفيون: هو أفعل من (وأل) إذا لجأ، فأصله (أوأل) ثمّ خَفَّفَتِ الْهَمْزَةُ الثَّانِيَةَ بِأَنَّ أَبْدَلَ مِنْهَا وَاوًا وَ أَدْغَمَتِ الْوَاوِ فِيهَا كَمَا قَالُوا  
فِي تَخْفِيفِ «مَقْرُوءَةٍ»:  
«مَقْرُوءَةٌ».  
و كان الأحسن - لو خَفَّفَ عَلَى الْقِيَاسِ - أَنْ يُقَالَ: (أَوْلَ) يَلْقَى حَرَكَةَ الْهَمْزَةِ

(١) البحر المحيط: ج ١ ص ١٧٧.  
(٢) القيسى هو أبو محمد مكى بن أبى طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيروانى، ولد سنة (٣٥٥) و سكن قرطبة، ثم هاجر الى مكة  
المكرّمة و مصر و حضر عند أساتذة الأدب و القرآن و الحديث و صنّف مصنفات قيمةً إلى أن توفى سنة (٤٣٧) هـ، بغية الوعاة: ص  
٣٩٦-٣٩٧.  
(٣) هو أبو الحسن عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسى البيضاوى العراقى البصرى النحوى، كان من تلامذة الخليل، صنّف فى النحو  
«الكتاب» و مات على الصحيح سنة (١٨٠) هـ العبر: ج ١ ص ٢٧٨- هدية الأحياء: ص ١٥٣.  
تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٩  
على الواو.

و قيل: إنّ «أول» أفعل من «آل يؤول» فأصله «أول» ثم قلب، فردّت الفاء فى موضع العين، فصار «أوأل» فصنع به من التخفيف و البدل  
و الإدغام ما صنع فى القول الأول، فوزنه بعد القلب «أفعل» «١» قوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا أَوْلَ كَافِرٍ يَتَخَيَّلُ هُنَا مَشْكَلَهُ وَ هِيَ أَنَّهُ لَمَّا ذَا قَالَ

تعالى: كافرٍ و لم يقل: «الكافرين»؟

و أُجيبَت بأنَّ «كافر» وصف لموصوف محذوف و هو مفرد لفظا و جمع معنا، و تقديره: «أول فريق كافر» و هذا من تأويل المفضّل عليه.

و يمكن تأويل المفضّل، أى لا يكن كلّ واحد منكم كافرا و المراد عموم السلب كما فى قوله تعالى: «وَلَا تُطْعَمُ كُلُّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ» (٢). و بعض الناس لا- يوجب فى مثل هذا المطابقة بين النكرة التى أضيف إليها أفعال التفضيل و بين ما جرى هو عليه، بل يقول: يجوز الوجهان، و استدلل بقول الشاعر:

و إذا هم طعموا فألام طاعم و إذا هم جاعوا فشرّ جياع و حكى سيبويه: هو أظرف الفتيان و أجمله.

(١) مشكل اعراب القرآن: ج ١ ص ٤٢.

(٢) سورة القلم: ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٠

و زعم الأخفش «١» و الفراء «٢»: أنّه محمول على معنى الفعل، لأنّ المعنى أوّل من كفر به «٣».

و هنا مشكلة أخرى: و هى عدم تطابق الخبر و المبتدأ فى الجمع و الإفراد فى جملة: «و لا تكونوا أوّل» و أُجيبَت بأنَّ أفعال التفضيل إذا جرّدت من «أل» و من الإضافة- أو أضيف إلى نكرة يجب ان يكون مفردا و مذكرا يقول ابن مالك فى الفيتة: و أفعال التفضيل صلة أبدأ ب «من» إن جرّدا و إنّ لمنكور يضيف أو جرّدا أزم تذكيرا و أن يوحد

### تفسير الآية و باطنها و تأويلها

و فى تفسير العياشى عن جابر الجعفى «٤»، قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن تفسير هذه الآية فى باطن القرآن: وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَ لَا تَكُونُوا

(١) هو الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المجاشعى بالولاء البلخى، ثم البصرى ابو الحسن، نحوى عالم باللغة و الأدب، و أخذ العريئة

عن سيبويه و صنف كتبها منها «معانى القرآن» مات سنة (٢١٥) هـ، الأعلام: ج ٣ ص ١٥٤.

(٢) الفراء: يحيى بن زياد الديلمى ابو زكريا النحوى اللغوى كان اعلم الكوفيين فى النحو، مات سنة (٢٠٧) هـ هديّة الأحباب: ص ٢١٠.

(٣) الجامع للقرطبي: ج ١ ص ٣٣٣.

(٤) هو جابر بن يزيد الجعفى أبو عبد الله رحمه الله لقي أبا جعفر و أبا عبد الله عليهما السّلام، وثقه النجاشى و غيره توفى سنة (١٢٨)

هـ، و قال يحيى بن معين: مات سنة (١٣٢). جامع الرواة: ج ١ ص ١٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧١

أوّل كافرٍ به يعنى فلانا و صاحبه و من تبعهم و دان بدينهم قال الله يعينهم و لا تكونوا أوّل كافر به يعنى علينا عليه السّلام «١».

وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا الاشتراء مجاز عن الاستبدال لاختصاصه بالأعيان، إمّا باستعمال المقتيد فى المطلق كالمرسن فى الأنف، أو تشبيه الاستبدال المذكور بالاشترى الحقيقى فى كونه مرغوبا فيه.

و المعنى و الله أعلم: و لا تستبدلوا بآياتى العظيمة أشياء حقيرة خسيسه، و لو أدخل الباء على الثمن دون الآيات لانعكس المعنى إذ كان يصير المعنة أنّهم بذلوا ثمنا قليلا و أخذوا الآيات.

قال الشيخ الطوسى قدّس سرّه فى «التيان»: قوله تعالى: وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا فأدخل الباء فى الآيات دون الثمن و فى سورة

يوسف في الثمن في قوله:

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ «٢» قال الفراء: إنما كان كذلك، لأنَّ العوض كلُّها أنت مخير فيها في إدخال الباء، إن شئت قلت: اشترت الثوب بكساء، وإن شئت قلت اشترت بالثوب كساء، أيهما جعلته ثمنًا لصاحبه جاز، فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن كقوله: «بثمن بخص» لأنَّ الدراهم ثمن أبدا. «٣» وقال أبو حيان في «المحيط»: نفس الآيات لا يشتري بها فاحتيج إلى حذف مضاف، فقيل: تقديره بتعليم آياتي، قاله أبو العالبي، وقيل: بتغيير آياتي، قاله

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤٢ ح ٣١ وعنه البرهان: ج ١ ص ٩١ وإثبات الهداة: ج ٣ ص ٥٤٠.

(٢) سورة يوسف: ٢٠.

(٣) التبيان: ج ١ ص ١٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٢

الحسن «١»، وقيل: بكتمان آياتي، قاله السدي «٢»، وقيل: لا يحتاج إلى حذف مضاف، بل كنى بالآيات عن الأوامر والنواهي. وعلى الأقوال الثلاثة التي قبل هذا القول تكون الآيات ما أنزل من الكتب أو القرآن، أو ما أوضح من الحجج والبراهين، أو الآيات المنزلة عليهم في التوراة والإنجيل المتضمنة الأمر بالإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وعلى الأقاويل في ذلك المضاف والمقدر، والقول بعدها اختلفوا في المعنى بقوله تعالى: تَمَنَّا قَلِيلًا. فمن قال: هو التعليم قال: الثمن القليل هو الاجرة على التعليم، وكان ذلك ممنوعا في شريعتهم، أو الراتب المرصد لهم على التعليم فنهوا عنه.

ومن قال: هو التغيير قال: الثمن القليل هو الرئاسة التي كانت في قومهم خافوا فواتها لو صاروا أتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن جعل الآيات كناية عن الأوامر والنواهي جعل الثمن القليل هو ما يحصل لهم من شهوات الدنيا التي اشتغلوا بها عن إيقاع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه.

و وصف الثمن القليل لأن ما حصل عوضا عن آيات الله كأننا ما كان لا يكون

(١) المراد به الحسن بن ابي الحسن يسار ابو سعيد البصري التابعي المولود بالمدينة سنة (٢١) هـ والمتوفى سنة (١١٠) هـ.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن ابو محمد المعروف بالسدي كان ممن يفسرون القرآن بأرائهم نظير مجاهد، و قتادة، والشعبي، والحسن، ومقاتل و كان كوفيا توفي سنة (١٢٨) هـ، هدية الأحاب: ص ١٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٣

إلَّا قليلا وإن بلغ ما بلغ، كما قال تعالى: قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ «١». «٢» وقال الشيخ في «التبيان» و تقييده ب لا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي تَمَنَّا قَلِيلًا لا يدل على أنه إذا كان كثيرا يجوز مشترى به، لأنَّ المقصود من الكلام أن أي شيء باعوا به آيات الله كان قليلا، وأنه لا يجوز أن يكون له ثمن يساويه، كقوله تعالى: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ «٣».

إنما أراد بذلك نفى البرهان عنه على كل حال، وأنه لا يجوز أن يكون له برهان، ومثله قوله تعالى: وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ «٤»، و إنما أراد أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق، نظائر ذلك كثيرة. «٥» وقال الطبرسي في «المجمع» روى عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال: كان حبي بن أخطب «٦»، وكعب بن الأشرف «٧» وآخرون من اليهود لهم مأكلة على اليهود في كل سنة، فكرهوا بطلانها بأمر النبي صلى الله عليه وآله، فحزفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره صلى الله عليه وآله فذلك الثمن الذي أريد في



الآية. «٨»

- (١) سورة النساء: ٧٧.
- (٢) البحر المحيط ج ١ ص ١٧٨-١٧٩.
- (٣) المؤمنون: ١١٧.
- (٤) آل عمران: ٢١.
- (٥) التبيان ج ١ ص ١٨٩.
- (٦) حيي بن أخطب النضري: جاهلي من الأشداء العتاء أسر يوم قريضة ثم قتلوه سنة (٥) هـ
- (٧) كعب بن الأشرف الطائي من بني تيهان: شاعر جاهلي كانت أمه من بني نضير فدان باليهودية و أدرك الإسلام و لم يسلم قتل في ظاهر حصنه سنة (٣) هـ، الأعلام: ج ٦ ص ٧٩.
- (٨) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٥ و عنه كنز الدقائق: ج ١ ص ٣٩٩.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٤
- وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رُؤَسَاءَ الْيَهُودِ مِثْلَ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَ حَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ وَ أَمْثَلَهُمَا كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْ فُقَرَاءِ الْيَهُودِ الْهَدَايَا، وَ عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَوْ اتَّبَعُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لَانْقَطَعَتْ تِلْكَ الْهَدَايَا فَأَصْرَوْا عَلَى الْكُفْرِ لَنَلُّوا يَنْقُطِعُ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْقَدْرَ الْمَحْقُورَ.
- قال الرازي بعد ذكر هذا الكلام عن ابن عباس: و ذلك لأنّ الدنيا كلها بالنسبة الى الدين قليلة جدًا، فنسبتها إليه نسبة المتناهي إلى غير المتناهي، ثم تلك الهدايا كانت في نهاية القلة بالنسبة الى الدنيا، فالقليل جدًا من القليل جدًا أي نسبة له الى الكثير الذي لا يتناهي؟
- «١»

## مسألة فقهية

استدل بعضهم بقوله تعالى: وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا عَلَى حُرْمَةِ أَخْذِ الْأَجْرَةِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، بل و العلم أيضا. قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»: قد اختلف العلماء في أخذ الأجرة على تعليم القرآن و العلم لهذه الآية و ما في معناها، فمنع ذلك الزهري، و اصحاب الرأي و قالوا: لا يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن لأنّ تعليمه واجب من الواجبات التي يحتاج فيها الى نية التقرب و الإخلاص فلا يؤخذ عليها أجرة

(١) مفاتيح الغيب للرازي: ج ٣ ص ٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٥

كالصلاة و الصيام، و قد قال تعالى: وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا.

و روى ابن عباس: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ قَالَ: «مَعْلَمُوا صَبِيَانَكُمْ شَرَارِكُمْ أَقْلَهُمْ رَحْمَةً بِالْيَتِيمِ وَ أَغْلَظَهُمْ عَلَى الْمَسْكِينِ».

و روى أبو هريرة، قال: قلت: يا رسول الله ما تقول في المعلمين؟

قال: «درهمهم حرام، و ثوبهم سحت، و كلامهم رياء».

و روى عبادة بن الصامت «١» قال: علّمت ناسا من أهل الصفة القرآن و الكتابة، فأهدى إليّ رجل منهم قوسا، فقلت: ليست بمال و

أرمى عنها في سبيل الله، فسألت عنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَقَالَ: إِنَّ سَرَّكَ أَنْ تَطَوَّقَ بِهَا طَوْقًا مِنْ نَارٍ فاقبلها.

و أجاز أخذ الأجرة على تعليم القرآن مالك، و الشافعي، و أحمد «٢»، و أبو ثور «٣» و أكثر العلماء لقوله عليه السلام في حديث ابن عباس - حديث الرقية: - إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله، أخرجه البخاري و هو نص يرفع الخلاف، فينبغي أن يعول عليه. و أما ما احتج به المخالف من القياس على الصلاة و الصوم ففاسد، لأنه في

(١) عبادة بن الصامت بن قيس الانصاري الخزرجي أبو الوليد صحابي شهد العقبة، و كان أحد النقباء، و بدرا، و سائر المشاهد مات بالرمل، أو بيت المقدس سنة (٣٤) هـ، الأعلام: ج ٤ ص ٣٠

(٢) هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروني الأصل المولود سنة (١٦٤) و المتوفى سنة (٢٤١) ببغداد.

(٣) هو ابو ثور ابراهيم بن خالد الكلبي البغدادي الفقيه أحد الأعلام، تفقه بالشافعي، و سمع من ابن عيينة و غيره توفي سنة (٢٤٠) هـ، العبر: ج ١ ص ٤٣١- الأعلام: ج ١ ص ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٦

مقابلة النص، ثم إن بينهما فرقا، و هو أن الصلاة و الصوم عبادات مختصة بالفاعل، و تعليم القرآن عبادة متعدية لغير المعلم، فتجوز الأجرة على محاولته النقل كتعليم كتاب القرآن.

قال ابن منذر «١»، و ابو حنيفة: يكره تعليم القرآن بأجرة.

ثم قال القرطبي: أما الجواب عن الآية فالمراد بها بنو إسرائيل.

و شرع من قبلنا هل هو شرع لنا فيه خلاف، و هو لا يقول به؟

جواب ثان، و هو أن تكون الآية فيمن تعين عليه التعليم فأبى حتى يأخذ عليه أجرا، فأما إذا لم يتعين فيجوز له أخذ الأجرة بدليل السنة في ذلك، و قد يتعين عليه إلا ليس عنده ما ينفقه على نفسه و لا على عياله فلا يجب عليه التعليم، و له أن يقبل على صنعه و حرفته، و يجب على الامام أن يعين لإعانة الدين إعانته، و اللفظي للمسلمين ...

و أما الجواب عن الأحاديث المتقدمة فليس شيء منها على ساق، و لا يصح منها شيء عند أهل العلم بالنقل، أما حديث ابن عباس فرواه سعيد بن طريف عن عكرمة «٢» عنه و سعيد متروك.

(١) هو محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري فقيه من الحفاظ، كان شيخ الحرم بمكة المكرمة له مصنفات في الفقه و التفسير ولد سنة (٢٤٢) هـ، و توفي بمكة سنة (٣١٩) هـ، طبقات الشافعية:

ج ٢ ص ١٢٦.

(٢) هو عكرمة بن عبد الله البربري مولى ابن عباس مات سنة (١٠٧) ترجمه غير واحد من اصحاب التراجم منهم ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٢٢٨ الى ص ٢٣٤ و فيه: عن مصعب الزبيري قال: كان عكرمة يرى رأى الخوارج، و كذبه سعيد بن جبير، و قال مالك بن انس في عكرمة: لا أرى لأحد أن يقبل حديثه، و قال أبو الأسود: كان عكرمة قليل العقل خفيفا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٧

و أما حديث أبي هريرة فرواه علي بن عاصم «١»، عن حماد بن سلمة «٢»، عن أبي جرهيم، عنه، و أبو جرهيم مجهول لا يعرف، و لم يرو حماد بن مسلمة عن أحد يقال له أبو جرهيم، و إنما رواه عن أبي المهزوم، و هو متروك الحديث أيضا فهو حديث لا أصل له.

و أما حديث عبادة بن الصامت رواه أبو داود من حديث المغيرة بن زياد الموصلي «٣»، عن عبادة بن حسي، عن الأسود بن ثعلبة، عنه، و المغيرة معروف عند أهل العلم، و لكثته له مناكير، هذا منها، قاله أبو عمر ثم قال: و أما حديث القوس فمعروف عند أهل العلم ... الى أن قال: و ليس في الباب حديث يجب العمل به من جهة النقل، و حديث عبادة يحتمل التأويل، لأنه جائز أن يكون علمه لله، ثم

أخذ عليه أجرا.

و روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «خير الناس من يمشى على جديد الأرض المعلمون كلما خلق الدين جددوه، أعطوهم ولا تستأجروهم فتخرجوهم فإن المعلم إذا قال للصبي: قل بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة للمعلم، وبراءة لأبويه من النار» (٤).

(١) على بن عاصم بن صهيب الواسطي التيمي مولاهم، قال ابن حجر: صدوق يخطئ ويصير، ورمى بالتشيع، مات سنة (٢٠١) هـ، تقريب التهذيب: ج ١ ص ٦٩٧.

(٢) حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة قال ابن حجر: تغيير حفظه بآخره، من كبار الثامنة، مات سنة (١٥٧) هـ، التقريب: ج ١ ص ٢٣٨.

(٣) المغيرة بن زياد البجلي، أبو هشام أو هاشم الموصلي، قال ابن حجر: له أوهام مات سنة (١٥٢) هـ، التقريب: ج ١ ص ٢٠٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١ ص ٣٣٥-٣٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٨

فما قاله أصحاب الرأي وأبو حنيفة من حرمة الاجرة على تعليم القرآن أو كراهته خلاف الحق ولا وجه له حتى عند أهل السنة كما عرفت نعم يستفاد الكراهة من الأحاديث الواردة إذا اشترط الأجرة وأمّا في أخبارنا عن أهل البيت عليهم السلام المذكورة في الوسائل وغيره وهي بين الناهية عن كسب التعليم بالاجرة وبين ما يدل على خلافها بل يدل على نهائية المطلوية، مثل ما رواه الفضل بن أبي قزة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هؤلاء يقولون إن كسب المعلم سحت، فقال عليه السلام:

كذب أعداء الله، إنما أرادوا أن لا يعلموا أولادهم القرآن، لو أن المعلم أعطاه رجل دية ولده لكان للمعلم مباحا (١).

فمقتضى الجمع مع ذهاب أهل الآراء والمخالفين إلى الحرمة أو الكراهة حمل النواهي في أخبارنا على التقيّة.

وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ الكلام فيه كالكلام على قوله تعالى: فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٢) و يقرب معنى التقوى معنى الرهبة، قال صاحب «المنتخب» (٣) والفرق أن الرهبة عن الخوف، و أما الاتقاء فإنه يحتاج إليه عند المجزم بحصول ما يتقى منه، فكأنه تعالى أمرهم بالرهبنة لأجل أن جواز العقاب قائم، ثم أمرهم بالتقوى لأن تعين العقاب قائم، انتهى كلامه. ومعنى جواز العقاب هناك و تعينه هنا أن ترك ذكر

(١) الوسائل ج ١٢ ص ١١٣ ح ٢.

(٢) سورة البقرة: ٤٠.

(٣) المنتخب لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجزري المتوفى (٥٩٧) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٩

النعمة والإيفاء بالعهد ظاهره أنه من المعاصي التي تجوز العقاب، إذ يجوز أن يقع العفو عن ذلك، و أمّا ترك الإيمان بما أنزل الله تعالى، و شراء الثمن اليسير بآيات الله من المعاصي التي تحتم العقاب و تعينه، و لذلك قيل هناك: «فارهبون» و في هنا: «فاتقون». (١)

(١) البحر المحيط: ج ١ ص ١٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٠

قد وقع الفراغ من تسويده على يد مؤلفه العبد الواثق بربه الغني الحسين بن رضا الحسيني الفاطمي العلوي البروجردى في الساعة الثالثة

من الليلة الثالثة من العشر الثالث من الشهر الثالث من السنة الثامنة من العشر الثامن من المائة الثالثة من الألف الثاني من الهجرة النبوية المصطفوية على صاعدها ألف ألف صلاة و سلام و تحية و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على نبينا محمد و آله الطيبين الطاهرين و لعنة الله على أعدائهم أجمعين ابد الأبدين و دهر الداهرين و قد اتفق الفراغ من تسويده في الساعة الرابعة من اليوم الخامس من العشر الأول من الشهر الرابع من السنة الثامنة من الشهر الثامن من المائة الثالثة من الألف الثاني من الهجرة النبوية المصطفوية عليه آلاف التحية.

تم و بحمد الله الجزء الخامس من تفسير الصراط المستقيم و سيأتي بعون الله و مشيئة الجزء السادس منه طبع على نفقة السيدة المؤمنة الحاجة المحسنة مريم بنت الحاج على اللاري  
تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨١

### فهرس الموضوعات

تفسير الآية (٢٨) ... ٥ تفسير الآية (٢٩) ... ١٥ تفسير الآية (٣٠) ... ٥٠ في حقيقة الملائكة ... ٧٢ الملائكة عند الفلاسفة ... ٧٨ الملائكة عند النصارى و المجوس ... ٨٠ الملائكة عند أرباب الهياكل ... ٨١ قول المشركين فى الملائكة ... ٨٢ بسط فى المقام للإشارة الى عصمة الملائكة عليهم السلام دفعا لبعض الأوهام ... ١٠٤ عصمة الملائكة و حقيقتها ... ١١٧ وجه تسمية آدم ... ١١٩ تفسير الآية (٣١) ... ١١٩ الأسماء التى علمها الله سبحانه آدم ... ١٢٩ تفسير الآية (٣٢) ... ١٣٨ تفسير الآية (٣٣) ... ١٤٠ الأقوال فى نبوة آدم حين تعلم الأسماء ... ١٤١ أسئلة و أجوبة ... ١٤٦ فضل الأنبياء على الملائكة ... ١٥٥ نقض و إبرام على دفع حجج مفضلى الملائكة على الأنبياء عليهم السلام ... ١٨٠ دلالة الآيات الى المذهب الحق ... ١٩٦ الخلافة من الله سبحانه ... ١٩٨ التناسب بين اللفظ و المعنى ... ٢٣٦ تفسير الآية (٣٤) ... ٢٤٠

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٢

وقت الأمر بالسجود ... ٢٤١ فى معنى السجود ... ٢٤٢ فلسفة سجود الملائكة لآدم ... ٢٤٤ الوجوه المحتملة فى «خلق الله آدم على صورته» ... ٢٥٢ إبليس كان من الجن ... ٢٦٤ ما يستفاد من الآية الكريمة ... ٢٧٤ تفسير الآية (٣٥) ... ٢٧٨ فى معنى الشجر لغه ... ٢٩٦ المراد بالشجرة ... ٢٩٧ القراءة ... ٢٩٧ تفسير الآية (٣٦) ... ٣٠١ كيفية دخول إبليس الجنة ... ٣٠٣ مدة مكث آدم فى الجنة ... ٣١٠ تعدد الأيام و تغايرها ... ٣١١ مكان هبوط آدم و حواء ... ٣١٢ تفسير الآية (٣٧) ... ٣٢٩ توبه آدم بواسطة الكلمات ... ٣٢٩ الكلمات و إطلاقاتها ... ٣٣١ الكلمات التى تلقىها آدم (ع) ... ٣٣٦ تفسير الآية (٣٨) ... ٣٤٩ تفسير الآية (٣٩) ... ٣٥٨ بسط فى المقام للتنبه على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ... ٣٦٠ مستطرف من الكلام فى طرف من احوال آدم (عليه السلام) ... ٤٠٥ تفسير الآية (٤٠) ... ٤٣٣ إسرائيل فى اللغة ... ٤٣٧ تفسير الآية (٤١) ... ٤٥٧

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٣

بحث صرفى لغوى نحوى ... ٤٦٨ تفسير الآية (٤١) و باطنها و تأويلها ... ٤٧٠ تفسير الآية (٤١) / مسألة فقهية ... ٤٧٤

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٤

### فهرس الأعلام

١ ابن الأنبارى محمد بن القاسم النحوى: ٥٤ ابن ابى عمير: محمد: ٤٥٠ ابن بابويه: ٤٣٩ ابن الجريج الرومى: ٤٦٤ ابن حنبل: احمد بن حنبل: ٤٧٥ ابن درستويه النحوى: ٤٣٥ ابن دريد البصرى: ٢٢٩ ابن السكيت: ٥٤ ابن عامر القارى: ١٤٠ ابن كثير القارى: ٤٥٥ ابن كيسان محمد بن أحمد النحوى: ٥٥ ابن المنادى: ٣٢٥ ابن المنذر: ٤٧٦ ابن الوليد محمد بن الحسين: ٣٦٤ ابن الهيثم داود النحوى

الأنباري: ٥٥ ابو ثور الكلبي: ٢ ٤٧٥ ابو جعفر الطوسي: ٤٤٠ ابو جعفر القارى: ٢٥٦، ٤٣٦.

أبو حامد الغزالي: ٣٦٥.

ابو الحسن الأشعري: ٢١٢.

ابو حمزة الثمالي ثابت بن دينار:

٤٣٤.

ابو حيان الاندلسي: ٤٣٧ ابو مسهل البصري: ٢٣٥ ابو العالیه رفيع بن مهران: ٤٦٣ ابو العباس المبرد: ٤٦٧ ابو علي الجبائي: ٢١٢، ٣٦٥.

أبو عمرو القارى البصري: ٤٩.

ابو الفرج ابن الجوزي: ٤٧٨ ابو هاشم الجبائي: ٢١١ ابو يزيد البسطامي: ٢١٤ ابى بن كعب: ١٣٤

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٥

١ اخطب خوارزم موفق بن أحمد: ٢٠٢ الأخفش الأوسط: ٤٧٠ الأعرج عبد الرحمن: ٣٥٨ الأعمش سليمان: ٤٣٦ الأعشى الشاعر عامر

بن حارث: ١٢٩ الباقلائي القاضي: ٣٦٢ البكري أحمد بن عبد الله: ٦١ البيضاوي: ٥٣ البيهقي: ٤٣٩ ثعلب النحوى أحمد بن يحيى: ٢٣

جابر الجعفي: ٤٧٠ جرير بن عطية الشاعر: ٩٩ جعفر النجفي: ٤٣ جميل بن دراج: ٤٥٠ الجواليقي إسماعيل: ١٢٣ الجوهرى ابو نصر:

٥٥ حسان بن ثابت الشاعر: ٢٤٤ الحسن البصري: ٤٤٦ حماد بن سلمة: ٤٧٧ حبي بن أخطب: ٤٧٣ الخليل بن أحمد العروضي: ٤٣٩

دحية الكلبي: ٢٣.

الراجز العجاج بن روبة: ٢٥٨ الراغب الأصبهاني: ٤٣٢ الزهرى محمد بن مسلم: ٤٤٩ سلالر أبو يعلى الديلمي: ٤٧ السمعاني النيسابوري:

٢٠٣ سويد الشاعر: ٤٦٥ السيد الرضى: ٤٥١ السيد المرتضى: ٤٧ الشيخ الانصارى: ٤٤ الشيخ جعفر النجفي: ٤٣ صدر الشيرازى: ٤٦٠

ضحاك بن مزاحم: ٤٧٥ عبادة الصامت: ٤٧٥ عبد الرحمن بن سابط: ٥٧ عبد الله بن سلام: ١٤١ عكرمة البربرى: ٤٧٦ العلامة الحلبي:

٤٤ على بن عاصم: ٤٧٧

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٦

١ عمرو بن ابى المقدام: ٧٢ الفخر الرازى: ٤٣٣ الفراء النحوى: ٤٧٠ الفيض الكاشانى: ٤٦ قالون القارى: ٤٩ قتادة بن دعامة: ٤٥٩

القرطبي الأنصارى: ٤٣٧ قطرب: ٤٣٦ القيسى القيروانى: ٤٦٨ الكسائى النحوى القارى: ٤٩ كعب الأحبار: ٤٣٨ كعب بن الأشرف: ٤٥٨

ليبد بن ربيعة: ٣٣١ الليث بن خالد: ٥٤ معمر بن المثنى: ٥٢ المغيرة بن زياد البجلي: ٤٧٧ موسى بن القاسم: ٤٥٢ نابغة الجعدي: ٤٣٤

نافع بن الأزرق: ٣٦١ نافع القارى المدنى: ٤٩ ورش القارى: ٤٣٦ يعقوب بن إسحاق البصرى: ٨

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٧

## فهرس مصادر التحقيق

القرآن الكريم الاحتجاج للطبرسى احقاق الحق للتستري إرشاد القلوب للديلمي الاستيعاب الأمالى للسيد المرتضى الأمالى للصدوق

الأنوار النعمانية البحر المحيط لأبى حيان الاندلسى بصائر الدرجات للصفار التفسير المنسوب للإمام العسكرى عليه السلام تفسير

البرهان للبحرانى تفسير التبيان للطوسى تفسير جامع البيان للطبرى تفسير الفخر الرازى تفسير فرات بن ابراهيم تفسير القرطبي تفسير

القمى تفسير الكشاف للزمخشري تفسير كثر الدقائق تفسير مجمع البيان للطبرسى التوحيد للصدوق جامع البيان للطبرى جامع الصغير

للسيوطى جواهر الكلام فى الفقه الخصال للصدوق الدر المنثور للسيوطى سعد السعود لابن طاوس شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد

صحيفة الرضا عليه السلام علل الشرائع للصدوق عوالى اللثالى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٨

عيون الأخبار للصدوق فرحة الغرى لابن طائوس الكافى للكلىنى كامل الزيارات لابن قولويه الكشاف للزمخشري كشف الظنون كثر الدقائق للمشهدى كثر العمال للمتقى الهندي لسان العرب لابن منظور مجمع البيان للطبرسى المحاسن للبرقى مرآة العقول للمجلسى المزهّر للسيوطى مشكل اعراب القرآن مطالب السؤل لابن طلحة معانى الاخبار للصدوق ملحقات احقاق الحق المفردات للراغب الأصبهانى الملاحم لابن المنادى المناقب للخوارزمى المناقب لابن شهر آشوب المناقب لابن المغازلى المنتخب لابن الجزرى النهاية للجزرى نهج البلاغه للسيد الرضى الوافى لفيض الكاشانى الوسائل للشيخ الحرّ العاملى ينابيع الموده للنقشبندى الحنفى

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهدوا بأموالكم و أنفُسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافى بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادى - "رحمة الله - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحرى الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأدق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتى المبتدله أو الرديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلاميه، إناله منابع اللزومه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى جامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الإسلاميه و الإيرانية - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى.

- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمية" [www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com) و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعىة و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جَمكران و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسة " الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفترق" و فائى/ "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (=١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلميه الحالية و مشاريع التوسعه الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حد التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

